بمناسبة ٧٥ سنة مضت على تأسيس جامعة القديس يوسف

المشرق

السنة الرابعة والاربعون ١٩٥٠

البطريرك اسطفانوس الدويهي

تاريخ الازمنة

١٠٩٥ م — ١٦٩٩

نشره على اصوله للمرة الاولى وعلّق عليه بالحواشي والفهارس

الاب فردينان توتل اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٥١

البطريرك اسطفان الدويهي

توطئة

حياة الدويهي

١٦٣٠م كان حبرًا اعظم في رومة البابا اوربانوس الثامن ، وبطريركًا على الطائفة المارونية جرجس عميرة ، وسلطانًا في القسطنطينية مراد الرابع ، واميرًا نافذ الكلمة في لبنان فخر الدين المعني الثاني .

في تلك السنة ، في ٦ آب ، ولد اسطفانوس الدويهي في اهدن ، وسمي باسم القديس المعيد ذكره في ذلك النهار في السنكسار الماروني . ابوه الشدياق مخايل ، وامه الحاجة مريم ، من بيت الدويهي . تعلم مبادئ القراءة العربية في ظل كنيسة القرية سنة ١٦٤١، ثم سافر الى رومة ، فدرس في اكليريكيتها المارونية تحت ادارة الآباء اليسوعيين . وانتمى الى اخوية العذراء القديسة ، وكان برنامج الدروس كما كان في ايامه في التعليم مشابهاً لما نعهده اليوم في المعاهد الثانوية والعليا . ونجح نجاحاً اهله للوقوف في محفل علماء وكرادلة رومة مجادلًا ومدافعاً عن قضايا الفلسفة واللاهوت ، فنال شهادة الملفنة او الدكتوراه ، وعاد الى لبنان سنة ١٦٥٥م ، ولم يستنكف عن تعليم الاولاد فافادهم واستفاد ، لانه في تعليمهم عوض عما نقصه من درس اللغة العربية ، وكان ضعيفاً فيها وقد هاجر من لبنان الى اوروبة وهو في السنة الحادية عشرة من عمره . فما عتم ان قبض على ناصية اللغة والمّ بالالفاظ ومعانيها ، وتمكن من الكتابة والخطابة بالعربية باسلوب واضح شهي غير خالٍ من الخلل في قواعد الصرف والنحو ، وغير عارٍ من لون الابتكار ، على ما فيه من شتى المواد المأخوذة جمعاً وتصنيفاً عن الاقدمين .

وكان اسطفانوس الدويهي ، بين سائر كهنة زمانه ، ارقى علماً وفصاحة من ان يقارنه الكثير من امثاله . وكانت مدينة حلب اذ ذاك في عزها ، وكنيسة الموارنة فيها تجمع نخبة المسيحيين الكاثوليك . فأرسل اليهم واعظاً سنة ١٦٦٢م في عهد الاسقفين جبرائيل وميخائيل البلوزاني ، واقام هناك الى سنة ١٦٦٨م . ويتحدث الحلبيون الى يومنا عن اقبال المسيحيين في ذلك العهد لسماع عظاته ، فتضيق بهم الكنيسة فينقل المنبر الى جانب الباب ، ومنه يبلغ الصوت الى الجماعة الواقفين في الفسحة الخارجية ، وبينهم الكاثوليكي وغير الكاثوليكي . وقد طالعنا عند المثلث الرحمة المطران عبدالله الخوري مجموعة عظات ترجح الدلائل انها من قلم اسطفانوس الدويهي ، ومما يكون قد القاها في حلب .

وسنة ١٦٦٨م زار الدويهي الاراضي المقدسة مع والدته «الحجة» ، وفي عودته الى لبنان سيم اسقفاً على ابرشية قبرس ، فجال البلاد «لافتقاد الرعايا» وجمع ما تسنى له ان يجمع من الآثار والكتب لوضع مؤلفه ، فابتدأ به في ٢ ايار سنة ١٦٦٩م (١٠٨٠ هـ) وهذا التاريخ قرأناه محرراً باللاتينية في الصفحة ٤٧ من المسودة : incipit 1080 2 mai 1669 .

ولا نرى له تغييراً في غير ما رأيناه اي انه دليل على توقيع المؤلف بذكر اليوم الذي سطّر فيه الصفحة قُبيل ان يأتي على الاخبار في ص ٤٩

سنة ١٦٦٨ سيم الدويهي مطراناً على قبرس وسنة ١٦٧٠ رفع الى المقام البطريركي ، وظل فيه اربعاً وثلاثين سنة الى وفاته سنة ١٧٠٤ في ٣ ايار في دير قنوبين ، في الوادي المقدس.

في تلك المدة الطويلة قام بحمل وظيفته بين الشدائد والاضطهادات بنشاط وغيرة وقداسة جديرة «بالرجال النجباء ابائنا الذين ولدنا منهم ، فيهم انشأ الرب مجداً وابدى عظمته منذ الدهر»

(ابن سيراخ ٤٤: ١)

وترك مؤلفات عدة ذكرها المطران يوسف الدبس في كتابه تاريخ سورية

(٣٠٩:٧) والمطران بطرس شبلي في ترجمة الدويهي (الفصل العاشر) ص ١٩٧ وما بعدها) فنها المختصة بالمواضيع الدينية والطقسية، ومنها التاريخية واشهرها تاريخ الازمنة .

تاريخ الازمنة

هذا الكتاب جليل حقيق بان يعدّ من « اصول » تاريخ الشرق المروضة لانحتها للنشر في برنامج النهضة التاريخية الحديثة[1]. وان رشيد الشرتوني في سنة ١٨٩٠، اظهر تحت اسم الدويهي تاريخ الطائفة المارونية آخذاً معظمه عن تاريخ الازمنة . لكن الغاية منه لم تكن ابراز الكتاب كما هو في اصله، فاقتصر على الانتخاب والنسخ والتصليح او التغيير بما رآه صالحاً لهدفه الخاص، وهو تأليف تاريخ الطائفة المارونية، ولم يكن بين يديه نسخة الدويهي الكاملة الاصلية بل المختصرة منها المحفوظة في « المكتبة الشرقية » تحت رقم ٣٦ وقد وصفها الاب شيخو في فهارسه ص٢٣ وهي لطنوس الشدياق :

وسنة ١٩٣٢ وفقنا الى اقتناء نسخة من تاريخ الازمنة صالحة للنشر فاخذنا بنسخها او « بدقها » على الآلة الكاتبة ، ولم نسر بالعمل الا سيراً بطيئاً لصعوبة قراءة الكتاب بالخط الكرشوني المشوه بنخر الدود ، وعلى امل الحصول على غيرها مما يساعدنا على ضبط المتن كما كان في اصله . . .

نسخ تاريخ الازمنة

بين يدينا اثنتا عشرة نسخة من هذا الكتاب واليك لانحتها موسومة كل واحدة منها بحرف من حروف الابجدية اصطلاحاً وطبقاً للظروف التي وفقنا فيها الى الحصول عليها ، فنصفها بالايجاز قبل ان نأتي على الكلام في ايها تصلح للنشر ولا بد من معرفة وجودها هدايةً لمن يهمهم الوقوف على آثار الدويهي فيقصدون الى التفتيش عنها في مواطنها ، وصيانةً لذكرها من الضياع على مرور الايام .

١) راجع لامنس : المشرق (٦٦٢:١) – رستم والبستاني : لبنان في عهد الامراء . . . للامير حيدر . . . توطئة ص : ج بالمطبعة الكاثوليكية .

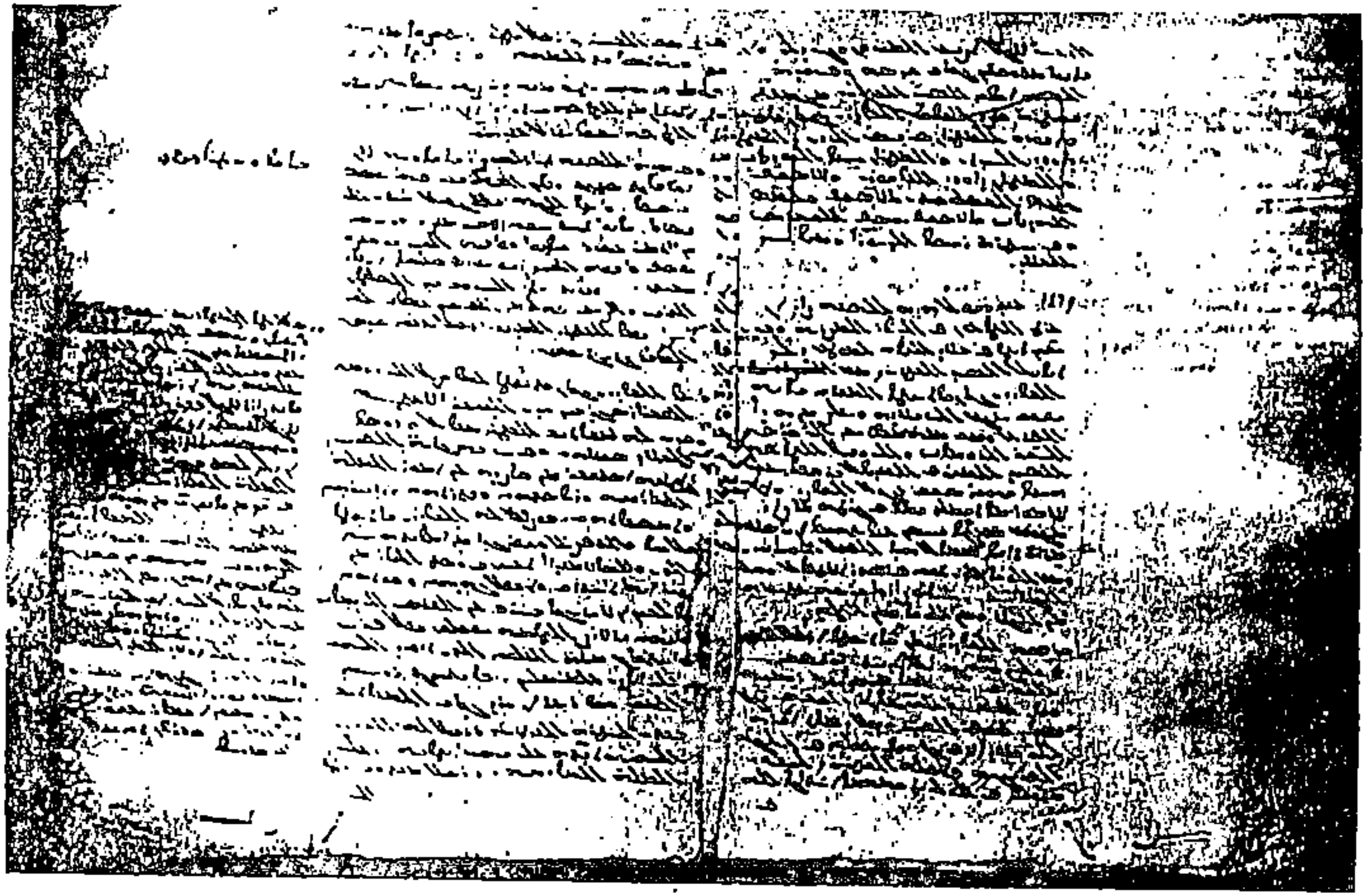

صورة الصفحة ٢٥٥ من المسوّدة ، راجع الصفحة ٢٨١ و ٢٨٢ من الكتاب

ب : نسخة بكركي تحت رقم ٤٧ هذا الكتاب طوله ٣٠ ، وعرضه ٢٠ سنتمترًا ، جلده احمر اصفراني ، ورقه عادي ، صفحاته ٣٤٩ ، خطه كنائسي عربي واضح جميل ، حبره احمر واسود . نسخة الخوري بولس برهوش من قرية ساحل علما في ١٥ حزيران ١٨٥٤ . فيه الحوادث من بدء الهجرة الى السنة ١٦٩٩م.

ت : نسخة عزيز خاصة ورثة المرحوم القس برزدوس غبيرة الراهب الانطوني . هذا الكتاب طوله ٣٢ ، وعرضه ٢٢ سنتمترًا ، جلده اصفر قاتم ، ورقه عادي ، صفحاته ١٤٢ ، وعدد الاسطر في كل صفحة ٢٦ ، حبره اسود ، كتابته بالكرشوني ، حالته جيدة. نسخه الخوري الياس سركيس سنة ١٧٨٠ « عن النسخة الاصلية » . فيه الحوادث من بدء الهجرة الى ١٧٠٣م . وفيه نقائص اكثرها في الجيل الخامس عشر.

ش : نسخة المكتبة الشرقية ، ابتعناها من السيد يوسف صفير الكتبي في بيروت سنة ١٩٣٢م. هذا الكتاب طوله ٣٠ ، وعرضه ٢٢ سنتمترًا ، جلده اسود ، ورقه عادي ، صفحاته عددها ٢٩٩ ، وعدد الاسطر في كل صفحة ٢٧ ، وهو مكتوب بالكرشوني بالحبر الاسود . وفيه تأثير الدود . نسخه الخوري الياس سركيس من قرية عابيه في ٨ شباط ١٧٩٧م فيه المقدمة ثم سرد الحوادث من سنة ١٠٩٤م . الى سنة ١٦٩٩ م. وفيه تنقص بعض الحلقات من السنين.

ط : نسخة القس اغناطيوس طنوس كفرشخنا اللبناني ، على ورق عادي بالخط الكرشوني والحبر الاسود والاحمر ، بقلم الخوري مارون اشقر الشبابي في ١ آب سنة ١٨٨١م. عدد صفحاتها ٣٩٤ ، اسطرها في الصفحة ٢٧ على عمودين. وفيها الحوادث من بدء الهجرة الى سنة ١٦٩٩م وذيل فيه ذكر حوادث سنة ١٧٣٠ والكتاب بحالة جيدة مجلد بجلد اسود منسق طوله ٣٢،٥ ، عرضه ٢٣،٥٠ سنتمترًا ، خطه حسن سهل القراءة .

ظ : نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق (تحت عنوان عام ١٤٧٤) اتتنا عن يد السيد فيليب دي طرازي ، وصفها السيد يوسف العش في كتابه « وصف مخطوطات الظاهرية » ورقها عادي ، بدؤها في الهجرة ، آخرها سنة ١٦٧٥م،

والحقت بها اخبار سنوات اخرى الى سنة ١٧٣٢م والكتاب بالخط العربي من يد لويس القبرصي بن يوسف الفرنجي من الارنكا في قبرص برسم الشيخ كسروان الخازن مؤرخ سنة ١١٨٩هـ ١٧٧٦م سهل القراءة .

ع : نسخة الآباء العازريين في بيروت ، بالخط الكرشوني الحسن ورقها عادي بدؤها مع الهجرة نهايتها سنة ١٦٩٩م وفيها « المقدمة » في ص ١١٩ وما بعدها ، وهي من قلم منصور بن يوحنا الحكيم من قرية غوسطا ، انتهى منها في ٣١ حزيران نهار الثلاثاء سنة ١٨٨١م .

ف : نسخة الفاتيكان تحت رقم 683 بين يدينا صورتها الفوتوغرافية ، نسخها بالكرشوني ، سنة ١٧١٠ ، الشدياق يوسف بن حبقوق من قرية بشعلة فيها المقدمة وبعدها الحوادث من سنة ١٠٩٤م الى ١٦٩٩م . وخطها حسن سهل القراءة .

ك : نسخة الفاتيكان تحت رقم ٢١٥ ، بين يدينا صورتها الفوتوغرافية وهي بالخط الكرشوني ونحالة سيئة تتعذر على العين قراءتها في مواضع كثيرة. وفيها تشطيب وتصليح وتعليق مما يدل على ان يد المؤلف قد اعملت فيها القلم اولها بدء الهجرة وآخرها سنة ١٦٨٦م.

وهناك نسخة مختصرة عن تاريخ الدويهي منها التي ذكرناها وهي في المكتبة الشرقية وغيرها في المكتبة الاميركية ببيروت وغيرها في مكتبة مونيخ (بافاريا) وغيرها كانت سنة ١٩٣٢ عند السيد فؤاد خطار في عينطورين وكلها اخذاً عن الشماس انطونيوس ابن الشيخ ابو خطار الشدياق من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبة بشري[1] .

ل : نسخة الكريم للمرسلين اللبنانيين بالخط الكرشوني طولها ٢٩ ، عرضها ٢٠،٥٠ سنتمتراً ، صفحاتها ٣٦٧ ، بدؤها مع الهجرة نهايتها سنة ١٦٧٥م . وفي ذيلها اخبار بعض السنين آخرها سنة ١٨٠٠م . ولا يذكر ناسخها ولا تاريخها ، ومن ورقها يظهر انها حديثة .

١) راجع غراف تاريخ الاداب العربية المسيحية ٣ ص ٢٧

ق : نسخة الفاتيكان تحت رقم ٣٩٤ ، بين يدينا صورتها الفوتوغرافية ، وهي بالخط الكرشوني وليس فيها توقيع الناسخ ولا تاريخ النسخ. فيها المقدمة والحوادث من ١٠٩٤م الى ١٦٩٩م وخطها حسن سهل القراءة.

و : نسخة المكتبة الوطنية في بيروت ، دخلتها حديثاً وهي ناقصة في بدئها ونهايتها وهي بالخط الكرشوني تتناول الاخبار من سنة ١٠٩٤ الى ١٦٩٩ ، ولا فرق يذكر بينها وبين نسخة « ا » « ق » « ن » .

م : المسودة بخط المؤلف تحت رقم ٨١ كذا عنونها المطران بطرس شبلي مترجم الدويهي ، وقد قابل بين الخط فيها وفي سائر آثار الدويهي الخطية (منها المواعظ المحفوظة عند المثلث الرحمة المطران عبدالله الخوري) واملك عند مطالعة هذا الكتاب في متنه وحواشيه واستدراكاته وتصليحاته لا تشك بانه من قلم المؤلف ذاته او ، قلما يكون في بعض اجزائه ، ولا بد من وصفه بالتفصيل لما له من الاهمية في اعتمادنا المتن الاساسي للنشر .

« المسودة بخط المؤلف »

كذا عنوانها في مكتبة بكركي كما قلنا ، وليست هي كتاباً واحداً بل مجموعة اوراق وكراريس متفاوتة الطول والعرض بعض التفاوت تقارب ٢١ سنتيمتراً طولاً و ١٥ عرضاً . عدد صفحاتها ٣٠٨ تتخللها صفحات بيضاء . منها بالورق العادي ومنها بالورق العبادي ، وكلها محررة بالخط الكرشوني الا صفحة واحدة بالعربي (فيها مديح مدينة حلب شعراً ص ١٠٥) وفيها على الهامش ، وخلال الاسطر بعض الكتابات باللغة اللاتينية ، وكذلك رقم السنين بالارقام الافرنجية ، ولا تاريخ لها في اولها ولا في آخرها وليس عليها اسم المؤلف ولا المحرر ، وورقها الرقيق متهرئ بالرطوبة ، ويتمزق بين انامل القارئ ما لم يعالج بغاية العناية .

واليك وصفها الوصف المفصل لنكون على بصيرة من امرنا ، اذا اقدمنا على اختيار المتن الواجب اعتماده في نشر وترجمة تاريخ الازمنة .

ص ١ : فيها بدء الكتاب كما في ب ت ط ظ ع ل ن و.

ص ٢ : جزء من مقدمة الخالدي كما جاءت في كتاب لبنان ص ١

ص ٣ الى ٤٦ : الحوادث من السنة ٦١١ الى السنة ٩٦٨ ميلادية في صفحات قسمت على عمودين رقمت فيها التواريخ اكثرها بالرقم الافرنجي ؛ وقد يختص العمود الايمن حيناً باخبار المسيحيين وحيناً باخبار المسلمين وخلال الاسطر في صفحتي ٣ و ١٢ يأتي اسم TEOPH وقد يكون تيوفانوس المؤرخ البيزنطي الذي عاش في القرن الثامن الميلادي والف تاريخ السنين من ٢٨٤ الى ٨١٣م.

ص ٤٧ و٤٨ : جدول السنين الموفق بين تاريخ الهجرة والميلاد وخلق العالم مع لائحة الاشهر الميلادية والهجرية .

ص ٤٩ : لائحة مؤلفات قد تكون هي المصادر التي اخذ عنها الدويهي وهذه هي :

ه الكتاب الثاني الذي يتكلم ايضاً عن امارة الغرب التنوخي .

فبدؤه من سنة خمساية و٢٧ للهجرة (١١٣٢ م) الى سنة تسماية و ٢٢ (١٥١٦ م)

فيحتوي ولاية اربماية سنة من ملوك دمشق ومصر والترك وامارة الغرب التنوخي .

وكتاب دوحة الازهار الاسحاقية يبتدئ من بدئ المهاجرة الى سنة الف و٣١ للهجرة

= المؤرخون =

قطب الدين اليونيني صنف اربع مجلدات من الذيل حوادث ٧٢٠ سنة من سني الهجرة تاريخ مرآة الزمان مبسوطة نحو ثلاثين مجلد كبار .

وتاريخ المختصر في اخبار البشر لابن ايوب صنفه عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل ابن ايوب وتاريخ القاضي شمس الدين خليفان .

وعيون التواريخ للشيخ المؤرخ صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي .

وتاريخ المسعودي انقطع سنة ٣٣٦ .

وتاريخ الكاتب جرجس بن العميد النصراني .

تواريخ حمزة بن احمد بن سباط من بلاد الغرب من ثغر بيروت من سنة ٥٢٧ الى سنة ٩٢٢ للهجرة ؛ وابن الحريري[1]

تواريخ غوليلموس مطران صور من دخول الفرنج الى بلاد الشام الى سنة ١١٨٣س.

تواريخ لوريدان عن ملوك قبرس من بلدوين الابرص وغير ذلك من كتب التواريخ المتضمنة حوادث الزمان :

---

١) ان ما وضعناه بين هلالين جاء على الهامش في المسودة دليلاً على ان المحرر وضعه بعدما أكمل متن الصفحة .

ص ٤٩ الى ص ٨١ : رؤوس اقلام مختصرة عن ابن العميد وابن الحريري من سنة ٩٣١م الى ١٠٩٥م .

ص ٨١ الى ص ٨٧ : ذكر الحوادث من ١٠٩٧م الى ١١١٨م دون الاشارة الى مصدرها .

ص ٨٧ الى ص ١٥٧ : موجز تواريخ ابن سبط .

ص ١٥٧ الى ١٥٩ : مختصر اخبار سلاطين بني عثمان اخذاً عن الاسحاقي.

ص ١٦٠ : حكم واقوال سطرها المحرر ولا علاقة لها بالتاريخ .

ص ١٦١ : صفحة فيها اخبار بيت حبيش تركّلي من سنة ١٥١٦م.

ص ١٦٢ : جاء فيها على الهامش : « من تاريخ احمد بن محمد الخالدي من اهالي صفد والشيخ ابو نوفل الخازن » ومن هذه الصفحة الى ص ٢٠٠ سياق الاخبار من سنة ١٥٩٠م الى السنة ١٧٠٣م فتكون هذه المحررات ذات التاريخ المنوه به في تاريخ الصفدي الذي نشره رستم والبستاني[1] فلم « يُفقد ».

ص٢٠٤ : طريقة معرفة التاريخ الميلادي بالمقابلة مع اليوناني والقبطي والهجري .

ص ٢٠٥ : مديح مدينة حلب .

ص ٢٠٨ الى ٣٠٨ : الاخبار من سنة ١٥١٧م الى السنة ١٦٧٣م

تلك هي مجموعة مخطوطات تاريخ الازمنة ، وان في فحصها والمقابلة بينها يتولد السؤال . هل هي من آثار الدويهي أو من آثار غيره ؟

ان اسمه ليس موقعاً بيده على نسخة من تلك النسخ، واذا قرئ في ابتداء بعضها فهو محرر بيد غير يد المؤلف فنسخة ف الفاتيكانية الراقي عهدها الى ست سنوات بعد موت الدويهي جاء فيها بعد البسملة : « نبتدئ كتاب التاريخ للاب الاقدس والسيد الكامل الانفس البطريرك مار اسطفانوس الدويهي الهدناني... » وكذلك ايضاً سائر النسخ الغير الناقصة في بدئها . مما يدل على ان الكتاب لم يصدر بكامله من قلم الدويهي ، ومع ذلك فهو منه، وقد

---

[1] تاريخ فخر الدين للخالدي الصفدي (نشر اسد رستم وفؤاد افرام البستاني) بيروت ١٩٣٦ ، ص : يب ، يد .

نسبه اليه النساخ اجمعون والمسودة التي وصفناها لا تترك مجالاً للشك في انها سطرت بيراعته وفي « المقدمة » على سنة ١٠٩٥م قال : « منذ خرجنا سنة ١٦٦٨ الى افتقاد الرعايا الذين اؤتمنا على زيارتهم ائلا نهدر باطلاً الزمان الذي يفضل عن الارشاد استصوبنا التقاط بعض اخبار تخص هذه البلدان منتقيين بها من الكتب التي نقف عليها ... »

فالكتاب من الدويهي ويجوز لنا ان نستند الى الحاشية التي قرأناها في ص ٤٧ من المسودة جاء فيها باللاتينية incipit 1080 2 mai 1669

فنقول انه اخذ بالتأليف سنة ١٦٦٩م في ٢ ايار ١٠٨٠ ، وذلك سنة بعد عودته من « افتقاد الرعايا » ولكن من المرجح انه لم يأتِ على الكتاب بكماله من غير ان يستعين بكاتب او مساعد واشغاله مطراناً اولاً ثم بطريركاً لم تكن لتترك له مجالاً واسعاً للتحبير والتصليح ، فينصرف اليه ما استطاع ويترك لغيره مهمة النسخ الى ان يبلغ الينا تاريخ الازمنة بالمخطوطات التي ذكرناها فالدويهي مرجعها الاصيل ومؤلفها بحصر المعنى .

اما بعد فأي مخطوطة منها تكون احق من غيرها بالنشر والترجمة ؟

ان الاثنتي عشرة نسخة التي وصفناها تقسم الى فرعين : الاول يتناول الحوادث من بدء الهجرة الى سنة ١٧٠٣م والثاني من قدوم الافرنج للحروب الصليبية في بلادنا سنة ١٠٩٥م الى سنة ١٦٩٩م.

اما الفرع الاول فيشمل كما رأيت نسخة ب ت ط ظ ع ك ل م والجزء الثاني يشمل نسخة ش ف ن و

واننا في معالجتنا الكتاب رأينا ان ننشر ونترجم الجزء الثاني للاسباب التالية :

١ً هذا القسم من تاريخ الازمنة قال فيه الدويهي : « تعبنا عليه بزيادة »[1]

٢ً ان نسخه الاربع التي بين يدينا متطابقة التطابق الحرفي التام الا في

(١ راجع الدبس : تاريخ سورية الجزء ٦ المجلد ٧ (المطبعة العمومية في بيروت ١٩٠٣) ص ٢١٠ سطر ٥ و ٦

بعض القراءات الطفيفة المسببة من الناسخ ، او في بعض ما يكون ناسخه قد اهمل تدوينه من حلقة سنة سقطت في مخطوط من هذه الاربعة المخطوطات وضبوت بالثلاثة الباقية. وقد يتعذر تفضيل نسخة منها على غيرها لشدة تطابقها غير اننا اتخذنا نسخة ش اساساً للعمل، وان تكن اقرب الينا عهداً من نسخة ف الراقية الى ٦ سنوات بعد وفاة الدويهي ، لاننا كنا نسخناها اولاً ، ثم تحققنا من ثم انها لا تختلف مع ف اختلافاً يستحق الذكر .

٣ً ان تطابق ش ف ن و التام دليل على ان هذا هو المتن المعتمد عليه من ايام المؤلف ونشره يغني عن نشر السنين الموازية له في سائر النسخ وقد يرددها حرفياً او بمعناها .

ولم نقدم على نشر الجزء الاول للاسباب التالية :

١ً ان نسخاته ناقصة ، كما رأيت ، او اذا تكملت طابقت ا ف ن و بين سنة ١٠٩٤م وسنة ١٦٩٩م فاغنت هذه عنها في السنين المذكورة .

٢ً تلك النسخ عسير التوفيق بينها لما يعتورها من النقائص او الزيادات ولو نتت عن تعليقات قد تكون من يد المؤلف .

٣ً ان المسوّدة م هي في بعض تقاطيعها من يد المؤلف لكن قد يكون بعيداً عن الصواب اتخاذها اساساً للنشر لانها كما رأيت بعضها رؤوس اقلام اخذاً عن المؤلفين الذين اعتمدهم الدويهي فلا فائدة مثلاً في نشر خلاصة ابن الحريري وابن سباط والاسحاقي وهي في المسوّدة كالمراجع التي يعتمدها الكاتب لنفسه لا لقرائه . وهي في زبدتها مجردة في ش ف ن و على اننا قرأنا في اجزائها المحررة بيد المؤلف والقريبة العهد منه او حدثت في ايامه ، بعض زيادات او تعليقات لم نجدها في ا ف ن و فاتخذناها مادة للحواشي في ذيل السنين .

ولا يلومنّ لائم بابرازها « منتخبات » من المسوّدة لاننا لم نعتمد الا نشر ش ف ن و والله الموفق الى الصواب .

وبعد ان تممنا العمل واعددنا الكتاب للطبع وفقنا الى استعارة مخطوطة ب العربية وهي مطابقة في متنها ش ف ن و بين ١٠٩٩ و١٦٩٩ م فاستعنا بها

على ضبط ما التبس امره في قراءة الاحرف الكرشونية . واشرنا في الحواشي الى مختلف القراءات في المخطوطات المذكورة مهتدين اليها باعتبار :

ش مخطوطة المكتبة الشرقية لجامعة القديس يوسف
ب « بكركي ٤٧
ف « الفاتيكان ٦٨٣
ن « الفاتيكان ٣٩٤

اسلوب الكتاب وقيمته التاريخية

ان تاريخ الازمنة اشبه منه بالموسوعة او بدائرة المعارف الشاملة بين دفتيها خلاصة اخبار الاعلام والحوادث والايام في بلاد الشرق الادنى على مدى ستة قرون ١٠٩٥ — ١٦٩٩ م وليس الغرض منه البنيان التاريخي عن التصميم الظاهرة فيه الوقائع مع علاقاتها بالزمان والمكان والمعللة باسبابها بالنسبة الى الشخصيات البارزة فيها حكايةً لذيذة وعبرةً قريب منالها من العامة ؛ بل هو الإلمام بأهم ما يترجب على الاديب الشرقي معرفته من حياة جدوده السياسية والاجتماعية والدينية . ولست ادري هل ظهر قبل الدويهي من وضع كتاباً مختصراً شاملاً كاملاً ككتابه.

لقد كثر ما اهمل الاشارة الى مصادره وروى ما رواه دون ان يتحقق دائماً صدق الرواية لكنه جرى في تلك المضمار على النسق الذي سبقه فيه اكثر المؤرخين من شرقيين وغربيين معاصريه من اصحاب « الحوليات او الاخبار » Annales ou Chroniques ودأبهم سرد الوقائع في وقوعها مع الايام والاعوام لا غير على ان الدويهي صبغ ما رواه بصبغته الشخصية اولاً في انتخابه المواد التي دونها كتابه وثانياً في وضعها سداً للخلل الذي جاء في مثل هذه المؤلفات.

لقد حررنا في لائحة المراجع التي على ما رأيناه ، أخذ عنها الدويهي ، عناوين الكتب كتاريخ غليوم الصوري والكامل والمختصر وتاريخ ابن الحريري وابن سباط وغيرهم وان هذه المؤلفات الضخمة او النادرة والعسير اقتناؤها على القراء اصبحت قريبة اليهم بخلاصتها في تاريخ الازمنة وان من الاخبار التي تنتسب الى الامم الغريبة اختار الدويهي تلك « التي تخص هذه البلدان » ورمق بعين

الاتفاقات الناحية التي نسيها او تناساها غالباً مؤرخو العرب في اهمالهم شؤون المسيحيين كما لو لم يكن لهم «محلٌ في التاريخ» او اذا ذكروهم جاءت الذكرى بما لا يعود عليهم بالكرامة.

فسدّ الخلل وجمع في تاريخه اخبار المواطنين اجمعين على اختلاف المذاهب واذ هو ماروني واسقف وبطريرك ومسقط رأسه اهدن في الشمال اللبناني فخصص بلاده وطائفته باخبار مطولة مُزجت في التاريخ العام فزادته رونقاً واستفادت منه ايضاحاً ولو ان الكتب المدرسية الموضوعة لتعليم التاريخ في المدارس قرأ اصحابها تاريخ الازمنة وتعمقوا بدرسه لاستوحوا عنه روح الفطنة ولم يكونوا هدفاً للمؤاخذة بالتعصب الذميم وسبباً لاستياء الاهلين عند اطلاعهم في الكتب المذكورة على اخبار مشوهة تخترق حرمة معتقدهم وتجرح عواطفهم الدينية . وهذا الكتاب المطبوع للمرة الاولى على اصوله يكون من ثم سفراً جديداً في اساليب التعليم عندنا اذا اتخذه المعلمون مصباحاً يستضيئون بنوره في دروسهم الشخصية لاستنباطهم المعلومات من معادن التاريخ المجرد عن التغرض فيقرأون اخبار الحملات الصليبية معللين اسبابها بالانصاف مقرين لكل ذي فضل بفضله اذا ما بدت للعيون اعمال الفروسية والمروءة أكانت في شخص غودفريد وبغدوين او نور الدين وصلاح الدين . ويتعرفون في تاريخ الازمنة الى سياسة المماليك في فرّ وكرّ بين الديار السورية والمصرية وينبهون الى حياة السكان في الارياف وفي المدن في بلاد الشرق الادنى عامة وفي لبنان خاصة.

وكيف كانوا يقاسون الامرين من جراء الفوضى في الحكم واستبداد الموظفين من الباشاوات الاتراك وتقسيمهم بين الامراء للسطوة عليهم. ويطلعون على كيفية ضبط التوازن في درس النواحي السياسية والدينية والاجتماعية بين ذكرى الحروب وتناوب الحكام والرؤساء الروحيين ومعرفة احوال الزراعة واسعار الحاجيات فلا يهملون ناحية من هذه الانحاء في توزيع مواد التعليم على سني الدراسة مهتدين الى ذلك بمطالعتهم تاريخ الازمنة ويختارون من اعلم الاعلام الوارد ذكرها في الفهارس ما يعودون به على المتن ليضعوا تراجم مختصرة تكون مدعاة للاقتداء بامثال السلف الصالح ولاتقاء العثرات.

اما الكتبة العاملون في حقل التاريخ المسيحي فيجدون في تاريخ الدويهي ضالتهم المنشودة اذا ما قصدوا التنقيب على نشأة الطوائف وعلاقاتها برومة وعلى دخول المرسلين الغربيين في الشرق ومكانة الموارنة في لبنان.

لغة الدويهي

ان لغة تاريخ الازمنة تختلف مع اختلاف الروايات ومصادرها . فاذا عرّب غليوم الصوري تتبين الاصل اللاتيني من النص العربي في الالفاظ والجمل واذا نقل عن ابن الاثير وابي الفداء وغيرهم من المؤرخين العرب جاءت لغته عربية متينة الاساليب صحيحة التعبير امينة على حفظ قواعد الصرف والنحو ، واذا عمد الى كتب التاريخ في المماليك او الاتراك اخذ منها الاصطلاحات الاعجمية في تسمية اصحاب الوظائف وآلات الحرب. واذا انصرف لتدوين الاخبار اخذا عن رواتها في لبنان تقربت لغته الى اللغة العامية المستعملة في الشمال خاصةً وفيها الالفاظ الغير القاموسية والتعبير الدال على اقتراب لغة البلاد من مهدها السرياني وامثال ذلك اكثر مما يمكننا المقام من التوسع به وحسبنا الاشارة اليه مادة ثمينة جديرة بدرس علماء اللغة في اطوار انتقالها من عصر الى عصر ومن بلاد الى بلاد.

وفي الكتاب اغلاط عديدة في الصرف والنحو والاملاء قد تكون صدرت من قلم المؤلف او من قلم النساخ وبعضها تفسره اللهجة العامة في لبنان الشمالي اذا لفظت الضاد والدال ضادًا وكتب الكسرتين المنونتين بصورة الفتح ونصب الفاعل ورفع المفعول وغير ذلك مما يظهر جلياً لعين القارئ المتضلع من قواعد الصرف والنحو والانشاء. ولم نغيّر فيه شيئاً واثبتناه على علاته الا في تذكير عدد السنين حيث كان مؤنثاً وتكملة حرفي مس بعد السنين الميلادية بكتابة مسيحية ووضع همزة او شدة او مدة في مواضعها ولما كان التنقيط في الكرشوني غير ما هو المألوف بالعربية فتقيدنا به في اواخر البنود وعلّمنا عليها بالنجمة اخذًا عن الاصل اما سائر علامات التنقيط فهي من قلمنا ومنه ايضاً ارقام السنين بالخط الثاني الميلادية والهجرية (اخذًا عن تقويم البشير) والمختصرات بالحرف

الرقمي في كل سنة من السنوات وسائر الحواشي . ودمنا ايضاً ترقيم صفحات ش في متن الكتاب وتقسيم الاسطر خمسة فخمسة لا طبقاً للمتن المطبوع ولكن اعتماداً على اسطر المخطوطة ش واليها مرجع الفهارس في ذيل الكتاب .

الختام

وفي الختام يلذ لنا ذكر كل من احسنوا الينا وساعدونا في نشر هذا الكتاب منهم اولاً المونسنيور ميخائيل الرجى امين المكتبة في بكركي الذي بفضله نلنا اذن غبطة البطريرك باستعارة مسودة الدويهي ثم تاريخ الازمنة بالخط العربي ؛ ثانياً الدكتور اسد رستم الذي هدانا الى التنقيب عن مسودة الدويهي؛ ثالثاً اصحاب المخطوطات التي ذكرناها في التوطئة وتقريبهم منالها الينا؛ وغيرهم مما افادونا بنصائحهم. ولكن ان ننس فلا ننس ما للمطبعة الكاثوليكية من الفضل في طبع هذا الكتاب فنسأل الله لرؤسائها وعمالها اطراد النجاح في الاعمال والمكافأة التي استحقوها في خدمة الدين والوطن.

المراجع والمصادر

ابن اياس : كتاب تاريخ مصر ١٣١١ هـ بولاق

ابن الحريري : كتاب منتخب الزمان في تاريخ الخلفاء والعلماء والاعيان . مخطوط وصفه الاب شيخو في فهارسه تحت رقم ٧٨ مجلد طوله ٢٠ وعرضه ١٥ سنتمتراً ورقه عادي ماطنج خطه نسخي حبر احمر واسود عدد صفحاته ١٩٦ ناقص في آخره

ابن سباط : منه نسختان في الجامعة الاميركية في بيروت الواحدة مصورة عن مكتبة الفاتيكان fonds Borgia arabe 270 والثانية مصدرها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عنوانها تاريخ ابن سباط الغاليعي MS 956. 9

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، طبعة الاب انطون صالحاني اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٠

اوزابيوس EUSEBII PAMPHILI. Caesareae Palaestinae Episcopi, opera, T. II. dans Migne. *Partrologia Graeca* 20.

بارونيوس Cæsaris S. R. E. Card. BARONII. *Annales Ecclesiastici, denuo et ad nostra usque tempora perducti ab Augustino Theiner.* Barri-Dúcis, Ludovicus Guérin.

بشعلاني ، الخوري اسطفان : تاريخ بشعلي وصليما ، مطبعة فاضل وجميّل – الدورة – بيروت

بومستارك A. BAUMSTARK. *Geschichte der Syrichen Literatur.* Bonn, 1922

تاريخ هرقل : وهو تكملة تاريخ غليوم الصوري راجع في لائحة المصادر غليوم Recueil des Historiens etc.

تقويم البشير ١٩٢٩ و ١٩٣٩ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

الخالدي (احمد بن محمد) : لبنان في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني ، نشره الدكتور اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٣٦

دارفيو L. d'Arvieux. *Mémoires du chevalier d'Arvieux* Paris, 1735. 6 vol

داود (اقليموس يوسف : كتاب جامع الحجج الراهنة في ابطال دعاوي الموارنة ١٩٠٨

دائرة المعارف الاسلامية *Encyclopédie de l'Islam* 1913 sqq.

دبس يوسف : تاريخ سورية ثمانية مجلدات . المطبعة العمومية ، بيروت

كتاب الدرر اللامعة في نحت العربية *Dictionnaire Turc Français* par Barbier de Meynard Paris, 1886 وفيه تفسير كثير من الالفاظ المستعملة في معه العسكرية الواردة في تاريخ الازمنة

الدويهي (اسطفان) : تاريخ الطائفة المارونية . . . عني بطبعه وعلق حواشيه رشيد الخوري الشرتوني ، المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٠

ديب Dib P. : Maronite (Eglise) dans le « Dictionnaire de Théologie Catholique, Col. 1-142. Paris, Letouzey et Ané 1928 Tome 10°, 1ère Partie.

Dib P. *L'Eglise Maronite*. T. 1. Paris, Letouzey et Ané 1930.

رباط Rabbath et Tournebize *Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient*. Beyrouth, 1910.

شبلي : ترجمة ابينا المغبوط اسطفانوس بطرس الدويهي بطريرك انطاكية ١٦٣٠ - ١٧٠٤ مطبعة النهضة ل . دربان ، بيروت ١٩١٣

شابو J.-B. Chabot *Littérature syriaque*. Bloud et Gay 1934.

شدياق ، الشيخ طنوس بن يوسف الشدياق الحدثي الماروني ، بيروت ١٨٥٩

صالح بن يحيى : كتاب تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين من بني الغرب ، عني بنشره وتهذيب عبارته وتعليق حواشيه وفهارسه الاب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩٨ ، قطع ١٢

العش (يوسف) : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التاريخ وملحقاته ١٣٦٦ هـ مطبعة دمشق ١٩٤٧ م

غراف — GRAF GEORG. *Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur.* Dritter Band : Die Schriftsteller von der Mitte des 15. bis zum ende des 19. Jahrhunderts Melchiten, Maroniten. Città del Vaticano Biblioteca Apostolica Vaticana MCMIL.

الدرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان وهو يتضمن تاريخ الف ومائة واثنين وستين سنة من مولد النبي (صلعم) الى موت الامير احمد المعني، وهو تاريخ الامير حيدر احمد الشهابي بقلم نعوم مغبغب، مطبعة السلام مصر ١٩٠٠

غروسه — R. GROUSSET, *Histoire des Croisades et du Royaume franc de Jérusalem.* Paris, 1934 – 1936.

غليوم — *Recueil des Historiens des Croisades* . . Historiens Occidentaux Tôme second. Paris, 1859 : I. Guillaume de Tyr. II. L'Estoire de Eraclès empereur . . . C'est la continuation de l'Estoire de Guillaume Arcevesque de Sur.

غويو — G. GOYAU, un précurseur : *François Picquet*, consul de Louis XIV en Alep et évêque de Babylone. Librairie Orientaliste Paul Geuthner ; Paris, 1942.

القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي — BAUDRILLART. *Dictionnaire d'Histoire et de Géographie Ecclésiastique.* Paris.

القرماني، ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي الشهير با: كتاب اخبار الدول وآثار الأول، طبع حجر بغداد ١٢٨٢ ه

الكامل لابن الاثير، المطبعة الكبرى العامرة، مصر، ١٢٩٠ ه ١٨٧٣ م ١٢ جزءاً

لامنس — LAMMENS H. *s. j.* : *La Syrie*, précis historique, 2 vol. Imprim. Catholique 1921.

مجموعة الكتابات اللاتينية — *Corpus Inscriptionum Latinarum*, BEROLINI, 1873.

المختصر في اخبار البشر لابي الفداء، دار الطباعة العامرة الشاهانية بقسطنطينية ١٢٨٦ ه، ١٨٦٩ م باربعة اجزاء

موترد — MOUTERDE RENÉ : *Le Nahr El-Kelb.* (*Fleuve du Chien*) Imprim. Cathol. Beyrouth, 1932.

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابي المحاسن يوسف بن المرحوم تغري بردي الأتابكي *University of California Press*, Berkeley, California.

HAMMER J. de — *Histoire de l'Empire Ottoman*. Paris. 1876. هامر

Biblioteca Bio-Bibliografica della Terra Santa e dell'Oriente Franciscano - Nuova Serie — Documenti — diretta dal P. Girolamo Golbovich O F.M. *Chroniche O Annali di Terra Santa* del P. FRANCESCO DA SERINO O.F.M. edite dal P. Teodoro Cavallon O. F. M., Quaracchi Presso Firenze - Collegio di S. Bonaventura 1939, 2 vol.

G. LEVENCQ. La *première mission de la Cie. de Jésus en Syrie* (1625-1774) Beyrouth 1925.

SAUVAGET : *La Chronique de Damas d'Al-Jazari* (Années 689 - 698 pp) Paris 1949

Suriano Francesco Missionario et Viaggiatore del Secolo XV (Siria, Palestina, Arabia, Egitto, Abissinia, ecc). Edito per la prima volta. dal P. GIROLAMO GOLUBOVICH ord. Min. . Milano, 1900.

ܒܫܡ ܐܠܐܒ ܘܐܠܐܒܢ ܘܐܠܪܘܚ ܐܠܩܕܣ ܐܠܐܠܗ ܐܠܘܐܚܕ ܢܒܬܕܝ.

ܡܩܕܡܗ

[illegible]

الصفحة ٢ من مخطوطة المكتبة الشرقية ش، راجع الصفحة ٢ من الكتاب

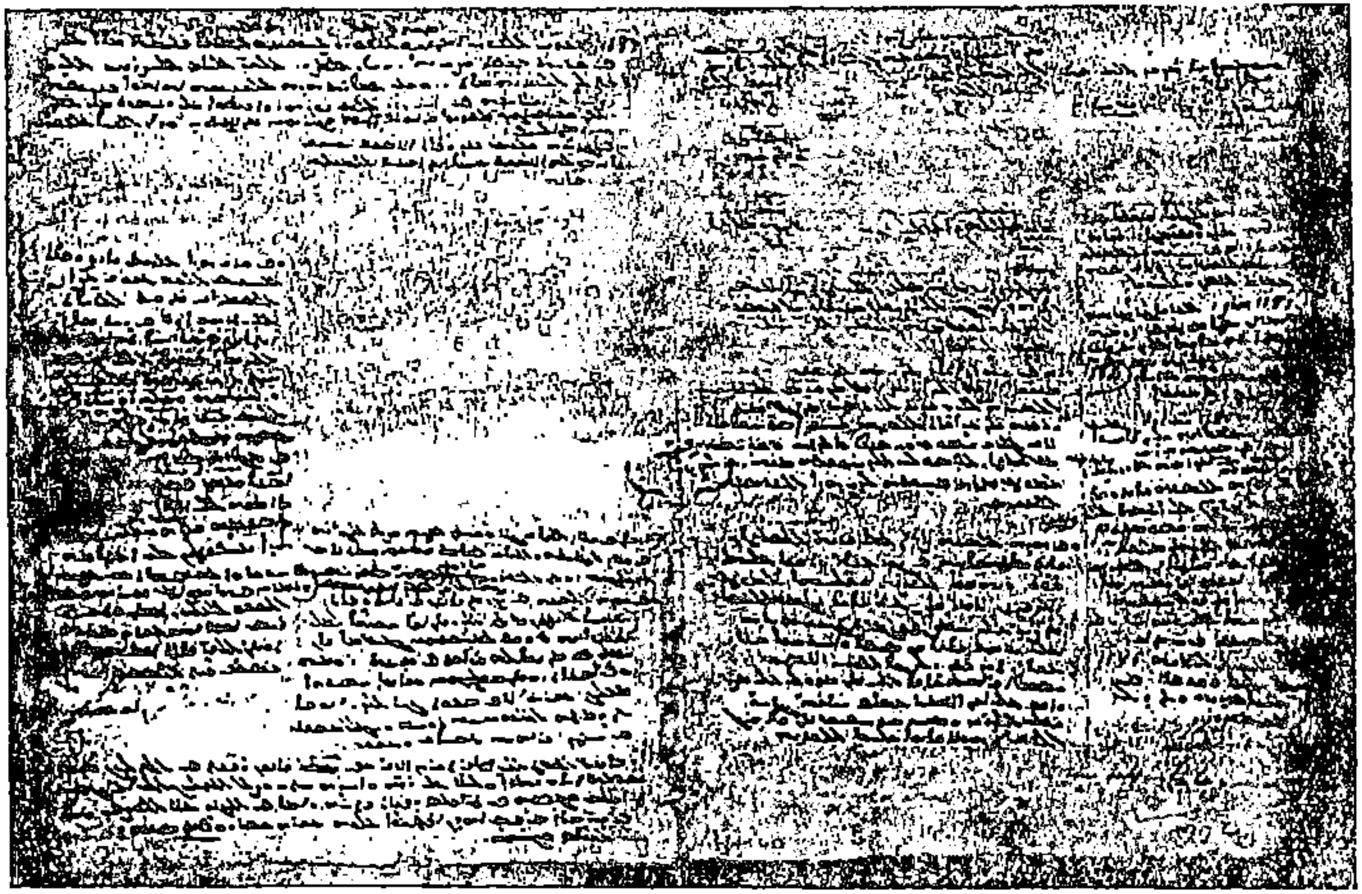

صورة الصفحتين ٢٥٨ – ٢٥٩ من المسوّدة ، راجع الكتاب صفحة ٢١٢ – ٢١١

بطريركية انطاكية وسائر المشرق المارونية
لبنان

البركة الرسولية تشمل حضرة ولدنا الاب فرديناند توتل المحترم

اخذنا كتابكم المؤرخ في ٨ آب سنة ١٩٥٠ الذي به تذكرون انكم اخترتم لطبع تاريخ الازمنة للعلامة البطريرك اسطفان الدويهي. ولان تقدمونه لنا برهاناً على خضوعكم البنوي وحب خالص نحونا ونحو الكنيسة المارونية.

فاقبلنا تقدمتكم الثمينة بفرح، واشكر على ما بذلتم من العناية في طبع هذا المؤلف الثمين. ولنا الثقة بانه يحوز اقبال الجميع لعظم فائدته.

وتقديراً لاتعابكم وبياناً لعواطفنا الابوية نحوكم نهدي اليكم مكرراً البركة الرسولية مع الدعاء بتوفيقكم.

عن المقام البطريركي في بكركي ٢٤ ت ٢ سنة ١٩٥١

[illegible] بطريرك انطاكية
وسائر المشرق

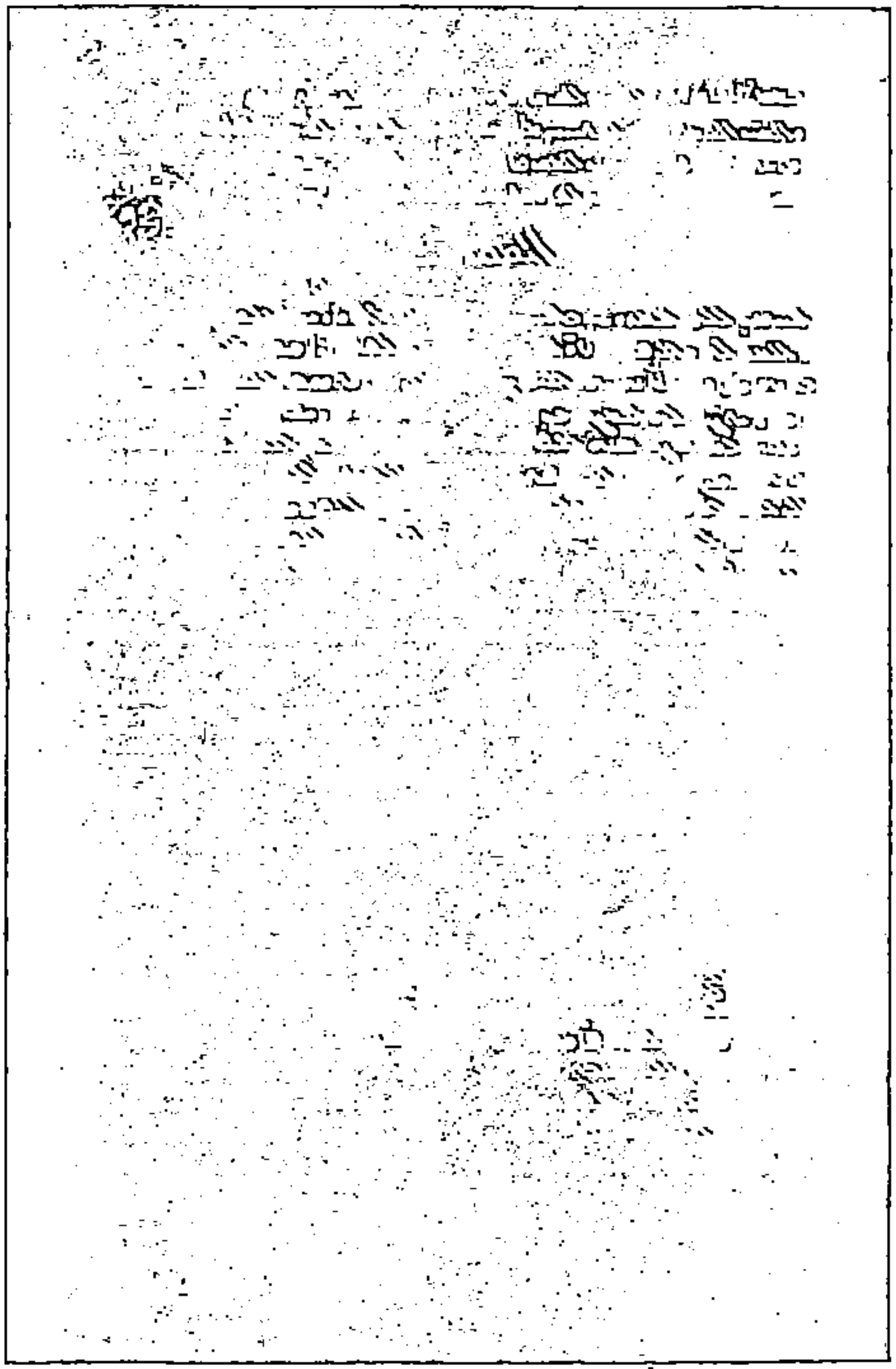

الصفحة ٢ من مخطوطة الفاتيكان ف ، راجع الصفحة ٢ من الكتاب

تاريخ الازمنة ١٠٩٥ - ١٦٩٩ م

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين . (٢
نبتدئ نكتب كتاب التاريخ للأب الأقدس والسيد العامل الأنفس البطريرك مار اسطفانوس الدويهي الحدناني المارونى بطريرك مدينة الله انطاكية وسائر المشرق . وأول هذا التاريخ من سنة الف وخمس وتسعين مسيحية وينتهي في سنة الف وستماية وتسع وتسعين للتجسد الالهي[١] .

المقدمة

غرض المؤلف ؛ اصل التواريخ : آدم ؛ الميلاد ؛ الهجرة ؛ ديوقليطيانوس ؛ الاسكندر ؛ الدويهي يأخذ بالتاريخ الميلادي

الحمد لله الموحّد[١] بالذات والمثلّث بالصفات[٢] الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية الذي يغيّر وهو لا يتغيّر له المجد أبداً .
٥ وبعد لما خرجنا سنة الف وستماية وثمان وستين الى افتقاد الرعايا الذين أؤتمنّا على زيارتهم ؛ لئلا نهدر باطلاً الزمان الذي يفضل عن الارتشاد استصوبنا التقاط بعض اخبار تخص هذه البلدان المقيمين بها من الكتب التي نقف عليها ؛ وقصدنا الابتداء منذ بدئ الهجرة لكون الأب الطاهر يوحنا مارون تملك الكرسي الانطاكي
١٠ في سنة ستماية وخمس وثمانين لربنا الموافقة لسنة ست وستين للهجرة فاعتمدنا وجمعنا اخباراً شتّى من تواريخ اصحاب ذلك العصر ؛ ولكن حين تأملنا أن غالب[٤] تلك الاخبار تنتسب الى الأمم الغريبة والتي تخص هذه البلدان زهيدة

وغير مرتبة على توقيع السنين فاقتصرنا عن ذكرها وجعلنا مبتدأ هذا
٥ التاريخ من سنة الف ومائة للتجسد السيد مخلص الكون بالقرب من دخولها
كان استيلاء الفرنج على سواحل هذه البلدان. ولاستفهام امر التواريخ
إعلم ان قد اختلفت آراء قبائل الارض عن الذي تنتسب اليه: فان البعض
نسبوا تواريخهم الى آدم ومبتدأ كون العالم كالروم: والبعض الى
اسكندر اليوناني ابن فيلفوس المقدوني كاليهود والسريان: والبعض الى ميلاد[٥]
١٠ المخلص كاللاتينيين. والبعض الى الشهداء في استيلاء ديوقليطيانوس
قيصر ملك رومية كالقبط: والبعض الى الهجرة كالعرب والمسلمين
فاسكندر اليوناني عندما قتل خمسة وثلاثين ملكا وتولى بلدانهم وامتد ملكه
الى اقاصي بلد الهند وجذب ملوك الارض الى الطاعة.[٦] نسبت اليهود والسريان
١٥ تاريخهم اليه كما نستدل من اسفار المقابيين ومجمع نيقية وسائر كتب السريان.
وعلى رأي (٣ تاوفيلوس الماروني المعروف بالرهاوي[٧] كان بدو تاريخه في السنة
خمسة آلاف ومائة وسبع وتسعين لآدم: وتقدم ميلاد الرب على رأي بعض[٨]
السريان بثلثماية وتسع سنين: وعلى رأي البعض منهم بثلثماية وحادية عشرة
٢٠ سنة. فمن جهة التاريخ الذي منه[٩] كون العالم قد اختلفت آراء العلماء
الذين قصدوا ضبطه: فالاباء حرّروا في كتب الكنيسة الشرقية على أن التجسد
الالهي كان في الخمسة آلاف وخمساية من غير تحرير الكسور لتجديد خلقة
آدم الذي في اليوم السادس نزع النعمة فيكون كل يوم بالف عام: واما
الروم على رأي[١٠] ان ربنا ولد في تاريخ السنة الثامنة بعد الخمسة آلاف وخمساية:
٢٥ واما اللاطينيين اسطصوبوا نسبة تاريخهم الى ميلاد السيد المسيح لكونه ملك
الملوك وفي لبسه جسدنا جدّد خلقة آدم وفتح له ولذريته باب السماء الذي
كان غلق عليهم بسبب تعدّيه[١١] الوصية: وتاريخ الشهداء المقتادون به القبط
مبتدؤه من اول ملك ديوقليطيانوس قيصر ملك رومية وهو مايتان وخمس
٣٠ وثمانون سنة بعد ميلاد السيد المسيح وخمساية وست وتسعين لاسكندر وخمسة
آلاف وسبعماية وثلث وتسعون سنة لآدم: ويدعى تاريخ الشهداء لكون
ديوقليطيانوس المذكور ديّق على المسيحيين نوف عن غيره من الكفار فحرق
كتبهم وهدم كنائسهم وقتل منهم نفراً كثيراً ولذلك كنّي تاريخه بتاريخ
الشهداء: وتاريخ الهجرة تنسبه العرب والاسلام الى السنة التي هجر بها

سيتهم محمد ابن ابي طالب المدينة وهي السنة الثانية والخمسون لعمره[2] والستماية واثنتان وعشرون لسيد المسيح والسماية وثلث وثلثون لاسكندر وستة آلاف ومائة وثلثون لآدم ؛ ويختلف هذا التاريخ عن الذين تقدم ذكرهم لست فقط بالنسبة والزمان بل وبنوع الحساب لكون سنة الهجرة تبع دوران القمر الذي تكمل سنته قبل السنة الشمسية باحد عشر يوماً . واما نحن بهذا المختصر نقتدي بتاريخ السيد المسيح لكونه موسطاً[13] بين تاريخ آدم واسكندر اللذان قدماه[14] (؟ وبين تاريخ الشهداء والهجرة اللذان تخلفا بعده . وبالزايد إن لما تباعد عيد القيامة عن اربعة عشرية القمر وهذه عن الشهر الاول في الناموس وهذا الشهر عن الاعتدال الربيع رسم البابا غريغوريوس الثالث عشر ذو الذكر المخلد بان تجتمع العلماء الثابت من ساير آفاقات الارض واب تغربل كتب القدماء وترصد دوران النيرات وتسرد[15] سيران ابرجتها وتصلح الحساب على ما اصلحوه قدماً الاباء المتألهون في مجمع نيقية ؛ فتمموا ذلك بغاية الاجتهاد والدراسة في سنة الف وخمساية وثلث وثمانين لربنا . فهملوا حينئذ جماعتنا في التاريخ اليوناني وابتدأوا بالمنسوب الى ربنا لكونهم[16] وجدوه أسهل وأوفق من غيره .

---

١) البسملة وما يليها الى « المقدمة » غير موجودة في ش — ٢) المتوحد ف — ٣) الصفات اخذها الدويهي بتفي الاقانيم — ٤) غالب الاخبار ف ن — ٥) السيد المخلص ف ن — ٦) الطاعة لسلطانه ف — ٧) تاوفيلوس الماروني مات سنة ٧٨٥ م كان منجماً في خدمة الخليفة المهدي له كتاب مفقود في التاريخ مع تابع السنين . راجع شابو : تاريخ الآداب السريانية ص ٩١ وباومستارك : تاريخ الآداب السريانية ص ٣٤١–٣٤٢ — ٨) البعض من السريان ف ن — ٩) منذ ف — ١٠) على الرأي ف — ١١) تدبية ف — ١٢) هذه رواية السيرة ويترجح عند لامنس الرأي ان « النبي » هاجر في الاربعين ومات قليلاً بعد الخمسين من عمره (راجع الاسلام : ص ٣٦ و٤٥) — ١٣) بواسط ف — ١٤) تقدماه ف ن — ١٥) وسرد ف — ١٦) كونهم ن

١٠٩٥ م ، ٤٨٨ هـ بدوءها ١١ ك ٢ ج
و ٤٨٩ هـ بدوءها ٣١ ك ١ أث

هاليكس واوربانوس ؛ المناداة بالحروب الصليبية ؛ الاتفاق بين الكنيستين الغربية والشرقية ؛ الحرب بين رضوان ودقاق وبين الجمالي وابن ارتق

١٠ في سنة الف وخمس وتسعين مسيحية الموافقة لسنة الف واربعماية وست يونانية وستة آلاف وستماية وثلاث لكون العالم وثمان ماية واحدى عشرة للشهداء واربعماية وتسع وثمانين للهجرة بدوءها من كانون الاول وردت مكاتيب من هاليكس ملك الروم الى اوربانوس الثاني بابا رومية بطلب النجدة من
١٥ قدسه ومن ملوك النصارى ، ضد جيوش الاسلام الذين تملكوا أغلب سقع الشرق وجدوا في الملاحمة حتى بلغوا المدينة القسطنطينية . وفي هذه السنة حدثت عودة الحبيس بطرس الفرنساوي من زيارة القدس الشريف
٢٠ ومعه ايضاً مكاتيب من سمعان بطرك بيت المقدس الى البابا اوربانوس المذكور ؛ يخبره بالإهانة[١] الصائرة على المواضع المقدسة التي ولد ودفن بها عنصر الحياة وبالضنك الذي يعم ساير نصارة المشرق ؛ فلأجل هذه الامور وغيرها تخص الكنيسة الغربية توجه البابا الى بلاد فرنسا وعقد مجمع في مدينة كلارمنت[٢] وعظ بها الاباء الى استفكاك الارض المقدسة ؛ وارسل
٢٥ كهنة وروساء كهنة بمكاتيب الغفران لتنذر اولاد المعمودية واحثهم الى استقبال هذا السفر المقدس ؛ ولكن بسبب ان بين الفرنج وبين الروم كان خلف وانشقاق (ه قدم بخصوص القرار في انبثاق الروح القدس فلازالت المعاندة من بين هتين الكنيستين ؛ وحتى يكون تجهيز العساكر باطمانية رسم البابا بعقد مجمع آخر في مدينة ايباري ، وحضر به علماء وروساء كهنة من الطايفتين ،
٥ وبعد محاورة شديدة صار ان الروم استمالوا الى رأي الكنيسة الرومانية واستقروا بأن الروح القدس منبثق من الاب ومن الابن ؛ فأقبل الفرح على الجميع

وكثر عدد الذين طلبوا السفر الى استفكاك ارض الميعاد فوق كل امل فنموا كثيرين ولم يعطوا اذن الا للابطال الاشداء. وفيها شمس الملوك دقاق صاحب دمشق[٣] سار بجيشه الى بعض سواحل البحر . فلما بلغ ذلك الى اخيه الملك رضوان صاحب حلب زحف بجمع عظيم قاصداً دمشق وهي خالية من العسكر . فغلقت اهلها ابواب المدينة وركبوا الاسوار وقاتلوا . فوقع حجر المنجنيق في رأس صاحب رضوان وقتل فسكن الحرب وعادوا الى الخيام . وعندما سمع الملك دقاق بقدوم اخيه رجع الى دمشق . فرحل رضوان عنها وبعث يستنجد في المستعلي صاحب مصر فلم ينجده فقطع في حلب خطبة المستعلي وأعاد الخطبة الى بني عباس . وفيها سار الأفضل[٤] بن امير الجيوش الجمالي قاصداً القدس وهي بيد سكمان بن ارتق فحاصرها اشد حصار مدة اربعين يوماً ونصب عليها المناجنيق وتملكها في الأمان ومضى سكمان من القدس الى الرها.

٥١ في الاهانة ن — ٢) غليوم ص ٣٨—٤٣ — ٣) المختصر ٢ ص ٢٢٠ — ٤) ابن الحريري ص ٤٩

١٠٩٦ : ٤٩٠ هـ بدؤها ١٩ ك ١ ج .

شارة الصليبيين ؛ قوادهم ؛ هاليكس ملك الروم

في سنة ست وتسعين بعد الالف الموافقة لسنة اربعماية وتسعين للهجرة قصد الافرنج السفر فوضعوا على اكتافهم اشارة الصليب فشتى البعض منهم في بلدانهم والبعض في بلاد البلغر والبعض وصلوا الى القسطنطينية وقصدوا طريق القسطنطينية لانه أسهل واقرب من غيره ولكنهم احتملوا مشقة عظيمة من جور الغربة ومن ادوية الازمنة ومن الجوع والعطش وحدة قوم الاشرار حتى قبل ما يدخلوا بلاد الاسلام هلك منهم ما ينوف عن ثلاثين الف وكثير منهم قصدوا العودة الى مواطنهم ؛ (٦ وكانوا قواد الجيوش[١] والمتكلمون عليهم اوجون اخو فليبوس ملك فرنسا وجوفراد امير لورينا واخوه بلدوين وبيمند مقدم

طارنطوس ورو بيرتوس امير فلندرا واديمار اسقف فوجيوس ورايمند امير
٥ تولوصا وروبرتوس امير النورمند والحبيس بطرس فالمذكورين قادوا الجيوش بدروب مختلفة الى القسطنطينية ؛ وكان المتقلد سلطنة الروم هاليكس الملك فاستقبلهم بفرح وبشاشة ولو انه ما كان خالي من المكر والمحسدة أظهر لهم المحبة واعطاهم هدايا جزيلة من الذهب والجواهر والاقمشة كثيرة الثمن
١٠ وصار العهد بينه وبينهم على أن جميع ما يستملكوه في بلاد الروم قبل ان يدخلوا الشامات يكون الكسب لهم واما القرى والمدن له

١) غليوم ص ٤٥

١٠٩٧ م : ٤٩١ هـ بدوءها ٩ ك ١ أ ر

فتح نيقية وطرسوس والرها وحصار انطاكية

في سنة الف وسبع وتسعين مسيحية واربعماية وواحدة وتسعين للهجرة توزّع الفرنج من ملك الروم وكان عدد المشاة يتوف ست كرات والخيالة كرة واحدة ؛
١٥ وفي حال دخولهم بلاد البيثينية خرج الى لقاهم من الاسلام سليمان[1] سلطان الروم مع جيش كثير من التركمان فتواقع الجمعان وانهزم من قدامهم السلطان سليمان هزيمة قبيحة ثم وضعوا الحصار على مدينة نيقية التي بها صار مجمع الآباء تلثماية وثمانية عشر وفي العاشر من حزيران استملكوها فنهبوا المدينة
٢٠ وبرها وسبوا وقتلوا جمعاً كثيراً ثم ان السلطان سليمان جمع نحو ماية وخمسين الف خيال فاستفرد فرقة من الفرنج وهم غير مستعدين ونزل عليهم بغتة فقتل منهم مقتلة كبيرة بالقيس[2] ولكنهم اجمعوا عليه وضربوا حوقته فكسروه وقتلوا جمعه وغنموا جميع امتعته وكانت الوقيعة في اليوم الاول من تموز ؛[3] ومن هناك صارت عساكر الفرنج الى جهة انطاكية ولكن تنكريد المركيس اخذ
٢٥ جماعته وسبق العسكر فتملك طرسوس المدينة ثم بلاد قيليقية باسرها وكذلك بلدوين اخو (٧ حوفراد توجه بقومه الى بين النهرين فاستمال اليه قلب النصارى الذين في الرها فقتلوا النايب واسلموه الرها وشميشاط وصور وزجه فقوي عزمه

٥ واستفحل أمره في تلك البلدان ؛ وأما عسكر الفرنج قطع نهر الفراة والعاصي بأمان حتى بلغوا انطاكية وفي تشرين الاول احاطت بها الرجال وشدوا عليها الحصار وكان صاحبها يومئذ باغي سنان[4] فلما سمع بقدوم الفرنج وبالذي فعلوه النصارى اهالي الرها حاكمها قبض على اعيان النصارى في انطاكية ونهب اموالهم وكنائسهم وامتعتهم وارسل استنجد باهل حلب وحماه وحمص وغيرهم

١) غليوم ص ١١٢، ١٢٢ — ٢) الاقواس ج قوس — ٣) راجع غروسه ١ ص ١؟ وقعة دوريله ؛ اما قائد السلجوقيين فكان قليج ارسلان بن سليان ؛ وكذلك جاء في المختصر ٢ ص ٢٢٠ — ٤) باغيسان في الكامل ١٠ ص ٢ ط وباغي سيان في المختصر ٢ ص ٢٢

١٠٩٨ م، ٤٩٢ هـ بدؤها ٢٨ ت ٢ أح

حصار انطاكية ؛ قدوم قربوغا ؛ فتح انطاكية ؛ الوباء ؛ الحربة المقدسة ؛ فتح المعرة

في سنة الف وثمان وتسعين مسيحية اجتمع[1] عساكر المسلمين عند قلعة ١٠ حارم لنجدة اهل انطاكية وكان عددهم نحو ثمانية وعشرين الف فقصدهم الفرنج ليلاً وفي سبعة خلت من شهر اشباط كبسوهم عند طلوع الفجر فشتتوا شملهم وقتلوا منهم نحو الفي نفس وغنموا بمالهم وخيلهم وآلات الحرب وأخذوا خمسين رأساً من القتلى وعلقوها على الرماح قبال انطاكية فازداد ١٥ اهلها خوفاً ورعبة واما الفرنج فقويت شوكتهم لكن وقع بهم اليأس عن اخذ المدينة من عدم القوت ومن جور الشتاء ومن طولة مدة الحصار فهرب منهم كثير الى بلادهم في البحر والبعض قتلهم النشابة الذين كانوا يخرجون اليهم من المدينة ويكبسونهم والبواقي اشتملهم الخوف عندما بلغهم قدوم الجيوش الموصلة . فان انطاكية يومئذ كانت تحت طاعة سلطان بغداد وتوجه اليهم ٢٠ قربوغا صاحب الموصل بجيش كثير فنزل قربوغا في مرج دابق واجتمع اليه عساكر الشام عرباً وتركياً وقدم اليه ايضاً سليمان صاحب نيقية بجيش الروم

وصاروا جمعاً كثيراً . ولكن عندما كان الفرنج بأشد الضيقة اشتملهم الله بالفرج وذلك ان واحداً من المقدمين على برج من ابراج انطاكية وقيل انه ٢٥ كان نصرانياً كاتب لبيومند واوعده بتسليم البرج ليلاً ففرح بيوموند بذلك الوعد وجمع قواد جيوش الفرنج واطلعهم على السر الذي كان بينه وبين صاحب البرج فأقبل عليهم طرب جزيل وتعاهدوا له بان المدينة تكون له وحده اذا صح معهم ذلك الامر وعند جناح الليل دخل بيوموند الى البرج من نافذة وأدخل العسكر حتى ملكوه وملكوا (٨ جميع ما كان بقربه فعلقوا راياتهم على البرج وعند طلوع الفجر ضربوا بالبوق والنفير فتملكوا بالسيف المدينة وجميع ما فيها وكان ذلك في الثالث عشر من شهر حزيران . فلما نظر ذلك باغي سنان ترك أهله ٥ وحريمه وهرب بثلاثين فارساً الى حميه ثم انه ندم على ما صدر منه وطلب العودة فلكن غارت قوته وسقط عن جواده فصادفه رجل ارمني[2] احتز رأسه واتى به الى الفرنج وكان اصحابه قد تركوه ونجوا فكبرت عبرة الفرنج في افتتاح انطاكية ولكن وجدوها خالية من المغل وسائر الاقوات وأوانا تجيهم النجدة من مراكب البحر ومن قبل بلدوين صاحب الرها ومن نصارى البر ١٠ كانوا هالكوا ؛ فان قربوغا صاحب الموصل لما بلغه الخبر وهو في برج دابق بأن الفرنج تملكوا المدينة ارسل قوماً من العسكر تسبقه الى انطاكية ثم في اليوم الثالث زحف بجيوشه وشد الحصار على المدينة ومنع عنها الطريق براً وبحراً ؛ وصار الفرنج بشدة عظيمة من الجوع فأكلوا الدواب والجيفات المائتة ١٥ وهرب قوم منهم في البحر وفي اليوم الثالث عشر من فتح انطاكية همسوا على الخروج لمقاتلة قربوغا فاستمدوا العون من الله وانقسموا باثنتي عشرة فرقة وما زالوا من الغد حتى الى المساء في المجاهدة والملاحمة معه فظفروا بجيوشه وقتلوا منهم مقتلة كبيرة فغنموا بجميع ما كان معهم وانهزم قربوغا مع فضلة العسكر حتى قطع الفراة وكانت الوقيعة في الثامن عشر من شهر حزيران ؛ وبعد هذه ٢٠ النصرة حكم الوباء في الفرنج وكان ثقيلاً حتى ان كل يوم كانت تخرج منهم نحو اربعين جنازة وطالت مدته نحو ثلث سنين فبلغ عدد الموتى الى اربعين الفاً فتضمحلت قوتهم واضمروا على بطلان السفر المقدس ؛ ولكن ظهر اندراوس الرسول الى واحد من العسكر يدعى بطرس ثلث مرات وانذره بان الحربة ٢٥ التي طعن بها جنب الرب كانت مطمورة في كنيسة بطرس هامة الرسل في

الموضع الفلاني وامره يبادر على طلوعها فاخبر بطرس الحنادق لذوجيوس الاسقف بالرؤيا التي ظهرت له فحفروا عليها واخرجوها بفرح جزيل ومن شـــدة الطرب الذي اشتمل كافتهم في وجود هذا (٩ الكنز النفيس عاهدوا الله ان ما عادوا يفارقوا بعضهم بعضاً حتى يملكوا بيت المقدس . وفي مدة مقام الفرنج في انطاكية استملكوا البيره وساموا لها اسقفاً وزحفوا الى معرة نعمان وكانت مدينة كبيرة واهلها انطال في الخون فحاصروها ثلثة ايام وفي سحر ٥ اليوم الرابع دخلوها ولم يجدوا بها انساناً لانهم استتروا في المغر التي تحت الارض فعلقوا عليهم الدخان وملكوهم فقتلوا منهم نحو عشرة آلاف[٢] وأسروا كثيرين واستباحوا ارزاقهم ٥

١) اجتمعت ف ن — ٢) ابن الحريري ص ٥٠ ؛ غليوم ص ٢٢٩ ؛ الكامل ١٠ ، ١٢ ؛ المختصر ٢ ، ٢٢١ ؛ — ٣) وجاء في الكامل ١٠ ، ١٢٢ ما يزيد على مئة الف ٥ وكذلك في المختصر ٢ ، ٢٢١ والمبالغة واضحة تبعد عن الحقيقة كل البعد .

١٠٩٩ م : ٤٩٣ هـ بدؤها ١٧ ت ٢ خ

فتح جبلة ؛ وترتوس ؛ حصار طرابلس ؛ فتح الرملة ؛ احصاء الافرنج والمسلمين ؛ فتح القدس ؛ جوفراد الملك

في سنة الف وتسع وتسعين مسيحية رتبوا الفرنج امور انطاكية وهمّوا ١٠ على السفر لجهة بيت المقدس فقصد البعض منهم المسير في البحر فتملكوا جبلة[١] وترتوص واستفكوا الاسرى الذين كانوا بلاذقية واما الاخرون ركبوا طريق البر واجتمع الفريقان بارض عرقا وهناك عيدوا العيد الكبير في سبعة من نيسان فانحدروا الى عندهم النصارى من جبل لبنان ترحبوا بهم ينجدونهم ١٥ في الزخيرة ويرشدونهم في الطريق حتى بلغوا القدس الشريف واما العسكر وضع الحصار على عرقا مدة شهرين ، ثم ان صاحب طرابلس ارسل لهم خمسة عشر الف دينار وخيل وبغال وقماش وهدايا بدلاً عن طرابلوس وعرقا وجبيل وبعث معهم ناس تكفيهم من الميرة وترافقهم في طريق البر من غير ان احد يعارضهم

حتى وصلوا باءمان الى قيدارية ستراطون وهناك عيدوا عيد العنصرة ثم قصدوا
٣٠ اللد فوجدوا ان المسلمين اخربوا هيكل ماري جرجس الذي كان بناه يوسطينيان ملك الروم لئلاَّ تجعل الفرنج خشبه منجنيقات ونازلوا الرملة فملكوها بالامان لان اهلها لما شاهدوا كثرة الجيش اخلوها وهربوا ثم ساروا قاصدين بيت المقدس ونزلوا بالقرب من المدينة في سبعة من حزيران . وكان صاحبها قد
٣٥ شيد اسوارها واكفاها من الميرة وآلات الحرب ومن خوفه لا تغدر به النصارى كما غدروا اهل الرها نحاكمها وزع عليهم اربعة عشر الفاً وسلب دورهم وكنايسهم ثم طردهم خارج المدينة ولم يترك منهم الا النزاح والفقرا فالزمهم بالسخرة والخدمة . (١٠ ويقول ابن الحريري[٢] ان كان عدد الفرنج الف الف مقاتل واما اسقف صور المورخ يقول ان جملة الرجال والنساء اكثر من اربعين الفاً منها خمسماية فارس وعشرين الف راجل والباقي نزاح وضعفا واما عدد المسلمين
٥ الذين كانوا داخل المدينة يقال ان كانوا اربعين الف مقاتل . وارادوا الفرنج يكبسوا سور المدينة في اليوم الخامس من وصولهم ولكن اصوبوا الرأي ان يعدوا اولاً منجنيقات وعرادات وسلالم وما تحتاج اليه الحصار فرفعوا برجين من خشب تكشف على سور المدينة وفي الخامس عشر من تموز زحفوا ليلاً بالبرج
١٠ الواحد من جهة الوادي بين باب العمود وباب اسباط وهو برج الزاوية ونصبوا الاخر عند باب صهيون والصقوها بالسور فاحرق المسلمون البرج الذي بباب صهيون[٣] واهلكوا لمن فيه واما الفرنج حكموا على البلد من البرج الاخر ودخلوا المدينة : ففرت الناس البعض الى الاقصى والبعض الى الصخرة . فهجم الفرنج عليهم فحكي انهم قتلوا في الحرم ماية الف وسبوا مثلهم وسبوا
١٥ النساء واخذوا قناديل الحرم ينيف اربعين قنديلاً فضة بمبلغ ثلثة آلاف وستماية درهم واخذوا تنور من فضة اربعين رطلاً بالشامي ونيف واربعين قنديل ذهب واخذوا من الاموال ما لا يحصى كما يخبر ابن الحريري[٤] ولم يزل بيت المقدس بيد المسلمين اربعماية واثنتين وستين سنة من حين فتحه عمر بن الخطاب الى هذه
٢٠ السنة وكان استيلاء الفرنج على بيت المقدس نهار الجمعة وهو السادس عشر من شهر تموز : واما الأفضل ابن امير الجيوش الجالي لما بلغه حصار بيت المقدس سار من مصر بعشرين الفاً وجدّ في السير فوصل ثاني يوم وتجمعت اليه من الشوام والعربان نوف وعشرة آلاف فقصدهم الفرنج وولاهم هاربين

الى عسقلان[٤] وقطعوا اشجارها . ثم اجتمع امراء الفرنج وصيروا جوفراد
٢٥ امير اورينا ملكاً على بيت المقدس ولم يضع على رأسه اكليلا اكراماً للرب
الذي تكلل بالشوك بهذه المدينة وأكرم الملك جوفراد على تنكريد عظيم الفرسان
تمينة (١١ يافا وما يليها وبطبرية التي فوق بحيرة جاناشر وبلاد الجليل فرتب
امورهم وانشأ جملة كنايس في الناصرة وطبرية وسير وطور تابور واكناهم
بالموقوفات .

١) غليوم ص ٣٠٢ — ٣) ابن الحريري ص ٥١ اما في الكامل ١٠ ص ١٠٥ وفي المختصر ٢ ص ٢٢١ فعدد القتلى نحو السبعين الفاً وفي الكامل عدد قناديل الذهب نحو عشرين — ٣) هذا السطر ناقص في ا — ٤) ابن الحريري ص ٥١ و٥٢ — ٥) وقتلوا من اصحابه خلقاً كثير ف ن — واحرقوا ما حول عسقلان ط

١١٠٠م : ٤٩٤ هـ بدوءها ٦ ت٢ ث

بطريرك القدس وبطريرك انطاكية ؛ يوسف الجرجسي البطريرك الماروني ؛ وفاة جوفراد ؛ بلدوين الملك

٥ في سنة الف ومائة مسيحية اجتمعوا امراء الفرنج واساقفتهم وصيروا دابرتوس بطركاً[١] على بيت المقدس فدهن جوفرد ملكاً على اورشليم وكذلك صيروا برثردوس بطركاً على انطاكية فمسح بيومند اميراً على انطاكية وهو البرنس وبعثوا مكاتيب الى البابا بسقاليس الثاني الذي تخلف على اوربانوس والى الامراء وملوك النصارى يخبروهم بالظفر الذي
١٠ استمدوه من كرم الباري على اعدائهم وبالمواضع التي ملكوها ويستنجدون بهم وكذلك يباركون للبابا في الدرجة المقدسة ويسألون قدسه يثبت امورهم ولا يخليهم من عنايته . ويقول الاسقف جبرائيل ابن القلاعي في رسالته الى البطرك شمعون[٢] ان البطرك يوسف الجرجسي كان قاطناً في دير سيدة يا نوح
١٥ وانه سفّر قاصدًا بمكاتيب الطاعة الى بابا رومية مع قصاد جوفراد الملك وان البابا ارسل له عند العودة تاجاً وعصى . والفرنج بعد ما رتبوا امورهم سار

بيومند البرنس الى انطاكية وبلدوين اخو الملك الى الرها على طريق البقاع وكذلك بقية الامراء الى مواضعهم فتبقى من الابطال في ارض القدس جوفراد
٢٠ الملك وتنكريد عظيم الفرسان وكان عدد عسكرهم الفين مشاة ومايتين فارس فسار بهم الملك الى سواحل البحر ووضع الحصار اولا على ارصوف وهي حيفا ثم انتقل الى عكا فوجد اهلها مستعدين للقتال ومكتفين من الرجال ومن الميرة وآلات الحرب فتركهم وقصد البلاد الى خارج نهر الاردن وغزا تلك النواحي فقتل ونهب ورجع بغنائم كثيرة الى بيت المقدس ثم ان
٢٥ عرضت عليه حمى شديدة وفي الخامس عشر من شهر حزيران انتقل بالوفاة الى رحمة مولاه[٣] فحزنوا عليه حزناً شديداً لكثرة شهامته وشدة غيرته ودفنوه تحت جبل الجلجلة في كنيسة القيامة. (١٢) وفي ثلثة من تشرين الاول وصل خبره الى اخوه بلدوين وهو بالرها فاخذ معه الف رجل وسار الى انطاكية ثم انه بعث زوجته في البحر الى يافا وقدم بالرجال على سواحل البحر فلما وصل
٥ الى نهر الكلب وضعوا له الكمين اهالي بيروت فظفر بهم ثم انه توجه الى يافا ومن هناك صعد الى بيت المقدس فمسحه البطرك ملكاً وتوجه باكليل الملك[٤] وهو الثاني من ملوك الفرنج في بيت المقدس.

---

١) غليوم ص ٣٧٨ — ٢) راجع غراف: تاريخ الاداب العربية المسيحية ٣، ص ٣ ٣ وكانت تلك الرسالة مؤرخة في ١٦ ت٢ ١٦٩٦ م — ٣) غليوم ص ٣٩٠ — ٤) غليوم ص ٤٠١

١١٠١ م : ٤٩٥ هـ بدوءها ٢٦ ت١ س

غزوات بلدوين ؛ غدر قاليكس ؛ غزوات رايموندو ؛ الجنويون في يافا ؛ وقعة الرملة ؛ وفاة المستعلي

في سنة الف ومائة واحدى مسيحية نزلت العربان الى نواحي اللد وكانوا يقطعوا الطرقات ويقتلوا من يستفردونه ؛ فزحف عليهم بلدوين الملك[١] وقتل
١٠ منهم مقتلة كبيرة ولم يزل يطرد بهم حتى الى خارج الاردن فقتل العسكر

ونهب جميع ما كان بتلك النواحي . وفيها كانت المناده في بلاد النصارى لاجل
سفر القدس وامارة كثيرين انعكفوا براية الصليب وقصدوا القسطنطينية كل
واحد منهم بجيشه[٣] فغدر بهم هاليكس[٤] ملك الروم وسفّرهم بدروب عسرة
١٥ وكتب فيهم الى شمس الملوك دقاق ملك دمشق حتى جمع العساكر الشامية
والعربان وبرفقة جناح الدولة صاحب حماه كمنوا لهم الطريق وقتلوا منهم ما
ينوف خمسين الفاً والباقي انهزموا وتشتتوا لعدم خبرتهم في البلدان وما وصلوا الى
انطاكية الاحفايا عرايا وملك الروم كان يترحّب في الفرنج ويظهر لهم المحبة
٢٠ ولكن باطنه كان مدجّلاً عليهم ويريد هلاكهم من الم المحسدة وبسبب
انهم ما صرّفوه سابقاً بالقرى والمدن التي فتحوها في بلاد الروم على موجب
العهد الذي صار بينهم ثم ان رايموندو امير تولصه خرج بجيش الفرنج من
انطاكية كبس طرطوسه وملكها بالسيف وبعث يعلم بلدوين الملك بان اهالي
٢٥ بيروت وصور وصيدا وعكا ماسكين عليهم الدرب عند نهر الكلب فتقدم
الملك للوقت بجيشه قطعهم النهر ورافقهم الى بيت المقدس وهناك عيّدوا
عيد القيامة بفرح وسرور ٠

(١٣)وفيها اتى الجنويون[١] بجملة مراكب الى يافا طلعوا عيدوا في القدس وصار
الوفق بينهم وبين بلدوين الملك ان جميع ما يمتلكون في بر الشام يكون لهم
الثلث والثلثين لصاحب القدس فنازلوا سروج وهي حيفا ووضعوا الحصار
٥ عليها براً وبحراً فملكوها بالامان ثم ساروا الى قيسارية ستراتون ونصبوا لها
ابرجة من خشب وبعد مقاتلة خمسة عشر يوماً فتحوها بالسيف فقتلوا ونهبوا
جميع ما وجدوا بها اسروا قاضيها وساموا لها مطراناً يدبرها لكونها ام فلسطين
الثاني ثم قصدوا الرملة فصدفوها خالية من سكانها ٠

وفيها قدمت الجيوش من الديار المصرية[٥] الى مقاتلة الفرنج وكان عدد
١٠ الفرسان احد عشر الف والازلام عشرين الف فنذر بلدوين جماعته يلتجوا الى
العون الالهي ولا يخشوا من كثرة جيش الاعداء لان جميع ما كان معه من المستعدين
للقتال مايتين وستين فارس وتسعماية مشاة فتلاقيا العسكران بارض الرملة والتحم
الحرب بينهما فقتل قايد جيش المصريين وانهزمت جماعته فقتل منهم خمسة آلاف
١٥ ومن الفرنج نحو ماية وخمسين نفس لا غير ٠

وفيها كانت وفاة المستعلي بالله صاحب مصر في السابع عشر من صفر

وكانت مدة مملكته سبع سنين وشهرين ويوم توفي بويع ابنه[٧] علي ابومنصور ٥

١) غليوم ص ٤١٤ — ٢) غليوم ص ٤١٦ — ٣) غليوم ص ٤١٧ — ٤) غليوم ص ٤١٩ و ٤٢١ Metropolis Palestinae Secundae — ٥) الكامل ١٠ ص ١٢٦ — ٦) الكامل ١٠ ص ١٢٢ وابن الحريري ص ٥٢ — ٧) ابو علي المنصور ؛ الكامل ١٠ ص ١٢٢ والمختصر ٢ ص ٢٢٥

١١٠٢م : ٤٩٦هـ بدؤها ١٥ ت١ ار

العساقلة والمصريون ؛ بلدوين والامير العربي ؛ تنكريد ؛ برغيارون

٢٠ في سنة الف ومابة وسنتين مسيحية اجتمعوا اهالي عسقلان[١] مع عسكر المصريين جملتهم عشرين الف وزحفوا الى ناحية الرملة فلما اخذ خبرهم بلدوين الملك ركب حصانه على غفلة ليمنع اهالي عسقلان من الحربان ولم يلحقه من جماعته .الا اناس قلايل على ظهور الخيل فلما تأمل بكثرتهم اراد يرجع الى ورا ولكن ما طاوعته الشهامة فخاونهم مدة وقتل منهم[٢]
٢٥ كثير من الفريقين ثم انه انهزم مع جماعته ودخل قلعة الرملة عند المساء وصاروا تحت خطر عظيم ولكن دخل اليهم ليلا رجل من اعيان العرب واخبر الملك .بان العساقلة كانوا قاصدين كبس القلعة وان يقتلوا جميع من بها فخرج بالملك ليلا ونزل به الى سروج ومن هناك سار في المركب[٣] الى يافا ففرح به جماعته فرحاً عظيماً وارسل جمع العسكر الى لقاء الاعداء فخاونوهم وكسروهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ورجعوا منصورين الى يافا ويقال عن
٥ ذلك البدوي انه عمل هذا الجميل مع الملك ليكافيه عن فضله وذلك ان لما بلدوين قاتل العربان[٤] وان لما انهزموا لحقوهم وكسروهم خارج الارض وكانت زوجة البدوي مع جماعة العربان وان لما انهزموا دنت ساعتها لتوضع فأمر الملك ان لا احد يأذيها بل يعطوها ناقتين مرضعات وقربتين ماء واكل
١٠ وفرشة من الكسب وخادمة تخدمها فلما بلغ ذلك بعلها ربح جميلته فوافاه في هذا المحل ٥ وفيها تنكريد امير طبرية سار بجماعته الى جبوه[٥] ففتح حماة

ولادقية بالسيف . وفيها اصحاب رضوان ملك حلب وثبوا على جناح الدولة حسين صاحب حمص وقتلوه لانه كان خرج من دعته ولما بلغ خبر قتله الى الملك دقاق مضى مع نايبه اتابك طغتكين الى حمص ودخلاها وتسلما قلعتها وكانوا الفرنج وصلوا الى الرستن قاصدين حمص فلما بلغهم ان دقاق تولى عليها رجعوا ناكصين على اعقابهم . وفي بلاد الاعراق كانت صارت حروب كثيرة بين برخيارق وبين اخيه محمد آخرها ان في هذه سنة اربعماية وست وتسعين انهزم محمد الى بلاد ارمينية واستمرت الخطبة ببغداد للسلطان برخيارق [6]

1) عليوم ص ٤٢٤ ، ٥١٤ – الكامل ١٠ ص ١٢٢ – المختصر ٢ ص ٢٢٥ – ٢) وقتل كثير من الفرنجيين ف ن – ٣٠) في المركب مفرح ف – ٤) وكرم ن – ٥) ان جهة انطاكية ف ن – ٦) الكامل ١٢ ص ١٢٤ والمختصر ١ ص ٢٢٥

١١٠٣ م : ٤٩٧ هـ بدؤها ٥ ت ١ أث

وفاة دقاق ؛ توما الكفرطابي في لبنان الشمالي

20 في سنة الف ومايه وثلث مسيحية كانت وفاة شمس الملوك دقاق [1] ملك دمشق ويقال ان امه زوجة اتابك طغتكين أمرت جاريتها تثقب بابرة مسمومة عنقود عنب كان معلق في شجرته فلما قطفته وطعمته اياه تهرّى جوفه ومات وتغلب على ملك دمشق واعمالها ظهير الدين اتابك طغتكين . وفيها كان 25 قدوم توما الكفرطابي [2] الى جبل لبنان ليزرع بين اهله بدعة المشيئة الواحدة فنفر فيه البطريرك يوسف الجرجسي واحتقره روساء الكهنة والشعب وفي مدة ست سنين التي طاف بها بلدان جبيل والبترون وجبة بشري ما صار له استقبال كما يقره بنفسه (١٥ في كتابه عن العشر مقولات ولا انكتبت بدعته الا في قرية فرشعه .

1) الكامل ١٠ ص ١٤٠ – ٢) جاء في معجم البلدان لياقوت ج ٦ ص ٢٨٩ طبعة وستانفلد : كفرطاب بلدة بين المعرّة وحلب في بريّة ليس لهم شرب الا ما يجمعونه من الامطار . . . وينسب الى كفرطاب جماعة من اهل العلم . وللالماني العلامة غراف في كتابه تاريخ الآداب العربية المسيحية ٢ ص ٩٨–١٠١ مقال في توما الكفرطابي « الماروني » «Sich selbst als Maronit bekennt» والكلام مشبع بالمصادر والمراجع القيّمة

١١٠٤ م ، ٤٩٨ هـ بدوءها ٢٣ ايلول ج

الجنويون يساعدون على فتح عكا ؛ فرسان الافرنج في ماردين ؛ وفاة بركيارق

في سنة الف ومائة واربع مسيحية قدم الجنويون بسبعين مركب وصار الوفق مع بلدوين الملك ان يكون لهم الثلث مما يتملكون وساروا مع الملك الى افتتاح طولمايه وهي عكا[١] وفي تمام العشرين يوم من الحصار عليها براً وبحراً ملكوها قسراً وقتلوا من اهلها نفراً كثيراً وكان متوليها زهر الدولة الجيوشي[٢] من قبل صاحب مصر فهرب منها الى دمشق ومن هناك الى مصر .

وفيها اجتمعت فرسان الفرنج مع بطاركتهم وساروا بالجيوش الى محاصرة حاران[٣] التي بقرب الرها فاسلمها لهم اهلها بالامان لعدم الميرة والمون ولكن حين وقع الخلف بين ملك القدس وبين بيوسند صاحب انطاكية وانقسم جيشها حوفين قاصداً كل منها ان المدينة تكون له اجتمع اهل المدينة عليهم وبعد ما خرجوا منها وثبوا عليهم قبضوا على الملك وعلى ناس من الفرسان اسروهم وقتلوا جماعتهم وغنموا بامتعتهم شتتوا شملهم واهزموهم هزيمة لم يكن اقبح منها ورجعوا مخزيين الى الرهاء .

وفيها كانت وفاة السلطان برخياروق[٤] بن ملكشاه السلجوقي صاحب العراق وبلاد العجم بعد ان عهد بالسلطنة الى ولده جلال الدولة وله من العمر اربع عشرة سنة واقام اياد مملوكه بتدبير المملكة وعندما بلغ ذلك اخوه السلطان محمد قدم طالباً بغداد فخدع بالصلح اياد الذي كان قادم بخمس وعشرين الف فارس وقتله ثم دخل السلطان محمد بغداد واستقرت له بها السلطنة وخلع عليه المستظهر الخلع السلطانية وولاه على ما ورا بيته وتلقب بغياث الدين .

١) غليوم ص ٤٤٣ — ٢) الكامل ١٠ ص ١٢٩ وكان الوالي في عكا « زهر الدولة الجيوشي نسبة الى ملك الجيوش الافضل » — ٣) غليوم ص ٤٤٣ — ٤) الكامل ١٠ ص ١٤٣ جاء فيه : ان بركيارق « خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ اربع سنين وثمانية اشهر . . . وجعل الامير اياز اتابكه . . . »

١١٠٥ م ، ٤٩٩ هـ بدوءها ١٣ ايلول ار

رضوان وتكرد ، المصريون وبلدوين

سنة الف ومائة وخمس مسيحية قصد رضوان ملك حلب انطاكية بجيش كثير فاحرق وقتل ونهب وهدم قرى كثيرة فخرج اليه الامير تنكرد وكسر جيوشه وغنم بخيله وجميع امتعته[1] وفيها انفذ خليفة مصر نحو خمسة عشر الف مقاتل الى محاربة الافرنج وخرج بلدوين[16] ملك القدس الى لقاهم في خمساية فارس ونحو الفين مشاة وكان بطرك بيت المقدس ينذر الجيش وهو حامل عود الصليب فتلاقيا الجمعان بين الرملة وبين يافا وكانت الكسرة على المصريين وقيل ان قتل منهم صاحب عسقلان مع اربعة آلاف ومن الافرنج نحو ستين نفساً وغنم الفرنج باموال المصريين وجمالهم وخيولهم وحميرهم وأسروا متولي عكا فاستفك نفسه بعشرين الفاً واما الذين انهزموا هربوا الى يافا وقصدوا العودة الى مصر في المراكب فغلبت عليهم الارياح وردتهم الى بر النصارى فاخذوا منهم عشرين مركباً ونحو الفين نفس غير الذين قتلوا[2]۰

١) غليوم ص ٤٥٣ والكامل ١٠ ص ١٤٧ — ٢) غليوم ص ٤٥٤

١١٠٦ : ٥٠٠ هـ بدوءها ٢ ايلول اح

مقتل رئيس الاسماعيلية

في سنة الف ومائة وست مسيحية السلطان محمد ابن ملكشاه انتزع قلعة اصبهان من الاسماعيلية واخربها وقبض على ابن غطاش راس الاسماعيلية وسلخه حياً[1]۰

١) الكامل ١٠ ص ١٦١ ابن عطاش وص ١٧٣

١١٠٧ م : ٥٠١ هـ بدؤها ٢٢ آب خ

بنو منقذ والاسماعيلية ؛ بلدوين في صور وصيدا ؛ طغتكين وبلدوين

في سنة الف ومائة وسبع مسيحية قتلت الاسماعيلية قاضي اصبهان وقاضي نيسابور يوم العيد وسكنت طايفة منهم بمدينة شيزر يخلجون القطن فوثبوا ١٥ على شيزر وملكوها فاجتمعت اليهم اولاد منقذ واصعدتهم النساء بالحبال من الطاقات فاقتتلوا هم والاسماعيلية بالخناجر ولم ينجا من الاسماعيلية احد.

وفيه يقول ابن الحريري ان حاصر بلدوين الملك صور وبنا قبالها حصناً فبذل له متوليها سبعة آلاف دينار فرحل عنها ونزل الى صيدا فكشف ٢٠ عنها عسكر دمشق ونزل على طبرية فخرج اليهم صاحبها جرفاس الفرنجي فاسروه . ثم غزا طغتكين بعسكر دمشق طبرية واعمالها فخرج اليهم ابن اخت بلدوين الى طبرية فانكسر الفرنج فبذل في نفسه اطلاق خمساية اسير وثلثون الف دينار فأبى طغتكين وذبحه ثم هادن بلدوين طغتكين اربع ٢٥ سنين ثم تجمع ثقل كبير وسار من دمشق الى مصر فاخذتهم الفرنج وانقطعت السبل »[1]

(١) ابن الحريري ص ٥٨

١١٠٨ م ٥٠٢ هـ بدؤها ١١ آب ث

وفاة ريموندوس (؟) ؛ بلتراندوس وبوردانه

في سنة الف ومائة وثمان مسيحية قصد ريمندوس امير تولوصه(١٧ العودة الى فرنسا وخلف موضعه ابن اخيه بوردان ليكون متولي المواضع التي اكتسبها في بلاد الشام وفي حال وصوله تأهل مع بنت فرديننندوس[1] ملك فرنسا فأقام معها مدة يسيرة ومات[2] . عند ذلك ولده بيلترانندوس اتفق مع اهل جنوا

وتوجه معهم الى بلاد الشام بسبعين مركباً ليتولى على متخلفات ابيه فوجد ابن
عمه بوردان في الحصار على اخذ طرابلوس وصار بينهما خصومة عظيمة بسبب
المواضع التي كانت بيد رتمندوس . فدخل بينهما فرسان الفرنج وجعلوا ان
عرقا وطرطوس وما يليهما يكون بتسليم بوردان واما طرابلوس وجبيل وجبل
الغربا الذي بنى فيه برجاً بالقرب من طرابلوس وما يليهم يكونوا بتصريف
بالتران وان بوردان يكون خاضعاً للبرنس صاحب انطاكية وابن عمه الملك
بيت المقدس .

١) تركنا الاصل على علاته ولكن الغلط بين لانه لم يكن لفرنسا ملك اسمه
فرديندوس — ٢) كانت وفاة ريموندوس سنة ١١٠٥ م كما جاء في غليوم ص ٤٥٢

١١٠٩ م : ٥٠٣ هـ بدؤها ٣١ تموز س

ابن عمار في طرابلس ؛ فتح طرابلس وبلاد عكار

في سنة الف ومائة وتسع مسيحية كان استيلاء الفرنج على مدينة طرابلوس[1]
وذلك ان كان لهم مضايقين عليها بالحصار خمس سنين وقيل سبع ونصبوا قريباً
منها حصناً فخرج صاحب طرابلوس ابن عمار فهجم على الحصن فاخربه
وقتل كل من كان فيه وارسل في البحر يطلب النجدة من مصر فقدم شرف
الدولة ومعه غلال كثيرة ؛ واما في هذه السنة في قدوم بالتران ابن الامير
رايموندوس تجدد الحصار على المدينة وكان بنجدته الجنويون وبلدوين الملك
فنصبوا ابراج من خشب وحديد على عجل والصقوها بصور المدينة وملكوها
فقتل فيها خلق كثير بعد ان فني من كان فيها من شدة الضيقة والجوع
وكانت مدينة ممتلية من المسلمين والعلماء[2] وكان فتح طرابلوس في عشرة من
شهر حزيران ؛ وفيها استولى على بانياس وعلى جبيل وعلى حصن عكار
وحصن المنيطرة وتقرر ان اهل حصن مصياف وحصن الاكراد عملوا قطيعة
مقدرة معينة للفرنج في كل سنة ؛ ثم تولوا عليهما . وفيها توفي قراجا صاحب

حمص فملكها بعده ولده صمصام حرجان.

١) غليوم ص ٤٦٩ والكامل ١٠ ص ١٧٦ — ٢) على ذكر العلماء قال ابن الاثير في الكامل ١٠ ص ١٧٦ عن الافرنج انهم غنموا كتب دور العلم الموقوفة ما لا يعد ولا يحصى — راجع ما قاله لامنس في هذا الصدد في كتابه سورية ١ ص ٢١٤-٢١٥ فقد بيّن ان ابن الاثير اخذ كلامه عن القلانسي « دفاتر دار علمها » فزاد ابن الاثير وبالغ

١١١٠ م : ٥٠٤ هـ بلدوين ١ ٢٠ تموز ار

فتح بيروت ؛ وصيدا ؛ المؤامرة على بلدوين

٢٥ في سنة الف ومائة وعشرة مسيحية[1] جمع ملك القدس جيشه ونازل بيروت وبعد ما حاصرها في البر وفي البحر مدة شهرين ملكها بالسيف وفي (١٨ ثلثة وعشرين من شهر نيسان وقتل نفراً كثيراً من اهلها.

وفيها وردت من بلاد الفرنج جملة مراكب قاصدين زيارة القدس فاستنجد بهم ملك بيت المقدس وزحف بالجيش على فتح صيدا وكان فيها اكثر عوام المسلمين فشدوا عليها الحصار من جهة البر والبحر وملكوها بالأمان في ٥ التاسع عشر من كانون الاول بعدما قرروا على اهلها عشرين الف درهم[2]؛ ويذكر غوليلمو اسقف صور ان كان قائم باستخدام الملك بلدوين رجلاً كان يدعى بلدوين فهذا من اصله كان مسلماً ثم ان عمده بلدوين الملك وسماه باسمه وعندما كان الملك شد بالحصار على صيدا دفعوا له اهل صيدا مالاً جزيلاً اذا قتل الملك عرابه فتآمر معهم وكان يطلب فرصة ليقتله ولكن ١٠ حدث ان بعض النصارى من الذين كانوا بالمدينة اخذوا خبر تلك المخامرة وبعثوا اعلموا الملك بها بورقة ارموها الى عسكر الفرنج في النشاب فلما اطلع على الورقة الملك استدعى بلدوين وقرره فاستقر واقتضى الشرع على ان يميته مخوزقاً[3].

١) ابن الحريري ص ٥٩ — ٢) عشرين الف دينار كذا في الكامل ١٠ ص ١٨١ — ٣) غليوم ص ٤٧٨ جاء فيها Suspendio vitam finivit : fu penduz ومعناه علّق على المشنقة

١١١١م، ٥٠٥هـ بدوءها ١٠ تموز ات

جيوش العجم في الشام؛ الافرنج في اعمال حلب والشام؛ قول الخليفة؛ مصالحة الافرنج

في سنة الف ومائة وحادية عشرة مسيحية يقول مطران صور بتاريخه[1] ان
١٥ قدمت الجيوش من بلاد العجم وبغداد الى بلاد الشام بخيول كثيرة كالجراد فداسوا الجزيرة وقطعوا الفرات فوضعوا الحصار على قلعة دير بسال وطالت مدتهم عليها نحو شهر ثم استجاشوا بلاد حلب ولكن اتاهم اهل المسكب وهم اكبر اعداهم واستنجد تنكريد يبلدوين الملك وفي بلتران صاحب طرابلس
٢٠ وباصحاب البلدان وبنصارى الجبال وزحفوا الى لقاهم عند شيزر فلما نظر العجام كثرة العساكر رجعوا ناكصين على عقابهم من غير طعن.

وفيها اخذت الفرنج حصن الاتراب وحصن روديا وهما من اعمال حلب بالسيف واخلا اهل منبج واهل بالس بلديهما واستفحل امر الفرنج في بلاد الشام وصارت جميع سواحله بايديهم ووقعت رعبتهم في قلوب اهل الشام
٢٥ وساروا الى بغداد واستغاثوا الى الخليفة واستنجدوا بالسلطان غياث‌الدين محمد وكسروا منبر جامع السلطان وكثر الضجيج والبكاء والعويل وبطلت الجمعة واخذوا الخليفة(؟) في الاهبة وتهيأ السلطان الى الغزو؛ فلم يتم ذلك لضعف عساكر العراق وايسوا اهل الشام من انفسهم وعن اموالهم فلم تنجدهم عساكر مصر ولا عساكر العراق وشرعوا في مصالحة الفرنج فصالحهم رضوان[2] صاحب حلب على قطيعة ثلثين الف دينار من غير الثياب والخيل وصالحهم
٥ صاحب شيزر على قطيعة عشرة الاف دينار وصالحهم صاحب حماة على الفين دينار وصالحهم صاحب صور على اربعة آلاف دينار.

---

١) غليوم ص ٤٨٠

٢) ابن الحريري ص ٥٩ والكامل ١٠ ص ١٨٢

١١١٢ م، ٥٠٦ هـ بدوءها ٢٨ حزيران ج

حصار صور ؛ وفاة تنكريد ؛ الموارنة في لبنان

في سنة الف ومائة واثنتي عشرة مسيحية نازل الفرنج مدينة صور[1]
وكانت مؤونة مكتفية من جميع آلات الحرب والميرة وقدم عسكر دمشق لنجدتها
١٠ فطال الحصار عليها نحو اربعة اشهر ونصبوا لها برجاً من خشب علوه سبعون
ذراعاً فشحنوه وجروه على العجلا وعندما الصقوه بسور المدينة احرقوه اهل
صور بالنفط وقاتل المسلمون على صور قتال الموت فخافت الفرنج من طغتكين
لا يخرق الغلات فاخذوا من اهل المدينة مالا ورحلوا عنها. وفيها كانت
وفاة تنكريد البرنس[2] صاحب انطاكية وكان بطلا عظيماً اكتسب مواضع
١٥ كثيرة من المسلمين في مواضع بلاد الشام فدفنوه بانطاكية وبعده تكلف روجيار
من لوازم المايت بشرط على ان رجع بيومند يكون هو المتولي على انطاكية
وفي هذا الزمان اخذوا جماعتنا بجبل لبنان يدقوا النواقيس من نحاس بدل الخشب
للصلاة والقداس والذين فاضت نعمة الله بين اياديهم ينشوا كنايس واديرة
ومدارس وتقصد الناس خدمة الله وخلاص نفوسهم وكان للخوري باسيل
٢٠ البشراني ثلث بنات وهن تقلا وصالومي ومريم نذرن لله عذارتهن ونفقن جميع
ما كن يملكن في بنيان الكنايس وكفاتهن فتقلا في هذه السنة بنت بارض
بقرقاشا هيكل ماري جرجس ومار ضوميط وفي بشنين بارض الزاوية كنيستين
على اسم ماري لاني الرسول ومار سركيس الشهيد وفي سنة الف ومائة وثلث
٢٥ عشرة هجعت بالرب واختها مريم بنت هيكل ماري سابا في قرية بشري
وصالومي بنت هيكل ماري دانيال في قرية الحدث.

---

١) غليوم ص ٤٨١ والكامل ١٠ ص ١٨٤
٢) غليوم ص ٤٨٢

١١١٣ م : ٥٠٧ ه بدوءها ١٨ حزيران/ار

انتصار مودود على الافرنج ؛ حصار القدس ؛ مقتل مودود ؛ اخبار مارينا القديمة ؛ عدة حوادث

في سنة الف ومابة وثلث عشرة مسيحية زحفت جيوش الموصل بعدد متوافر كالنبع الدافق الى قتال الفرنج وكان مودود[١] صاحب الموصل قايد العسكر فدخلوا الفرات واحتازوا على درب البقاع حتى بلغوا نواحي طبرية فارسل بلدوين الملك يستنجد بالبرنس صاحب انطاكية وبصاحب طرابلوس وبرز بجماعته الى مخاونتهم وفي شهر محرم التقيا الفريقان عند الاردن وكان الموصليين وضعوا للفرنج في الكمين في الطريق فاخذوهم بالوسط وضربوا بهم السيف فقتلوا منهم نحو الف وثلثماية نفس واسروا كثيرين ودكوا الى الارض الدير الذي كان على طور تابور وقتلوا جميع الرهبان الذين كانوا قاطنين به ويذكر ابن الحريري[٢] ان واحد من العسكر الموصلي اسر بلدوين الملك واذ لم يعرفه شلحه واطلقه جريحاً فنجا وغنموا المسلمين في اوطاقه وكبرت عبرتهم ؛ الا وهوذا وصلت النجدة مع امراء طرابلوس وانطاكية فقويت قلوب الفرنج ولم تزل الملاحمة بين الفريقين مدة ستة وعشرين يوماً حتى عدمت[٣] الاقوات فصارت المسلمين الى بيسان ولم يعفوا عن القتل والنهب والسبي والحريق في ضياع الفرنج من القدس الى عكا وانقطعت السابلة والطرقات حتى ان لا في القرى ولا في المدن كان يجاسر الانسان يخرج من داره وعندما كانت فرسان الفرنج برجالهم عند طبرية اجتمعوا اهل عسقلان وقصدوا القدس فوضعوا عليه الحصار واحرقوا البيادر وقتلوا كل من وقعوا به خارج المدينة ثم ان شاع الخبر بان مراكب الفرنج قد وصلت من بلاد النصارى الى يافا فرعبت قلوب المسلمين ورجع اهل عسقلان[٢] الى مدينتهم واهل الموصل الى دمشق فما اذن لهم طغتكين بالدخول الى المدينة لئلا يتقووا عليه ويتملكوها فنزلوا الى مرج الصفر ومن هناك رجعوا الى الموصل بمدخل الربيع ؛ ودخل طغتكين في يوم الجمعة الى الجامع وكانت يده بيد مودود صاحب الموصل فوثب على

مودود رجل من الاسماعيلية فقتله ثم قبضوا على الاسماعيلي فاحرقوه بالنـــار ويقال ان ذلك كانت مكيدة من طغتكين لئلا مودود تملك دمشق بجيشه[٢]. وفيها كان انتقال جسد القديسة مارينا من دير قنوبين الى البندقية فان هذه البارة كان منشاها في القلمون الذي على كتف طرابلس وطلعت ترهبت مع ابيها بدير قنوبين باسكيم الرجال واحتملت مشقات كثيرة ٥ استوجبت بها الفوز في الملكوت وما زال جسدها منصان بكرامة حتى انعم به رئيس الدير على اناس متعبدين من اهل البندقية وقصبة يدها هي الى الان منصانة بقنوبين وفي كنيستها التي فوق القلمون ويظهر الله منها الاشفية التي في النساء التي لم تدر بزازها[٤]. وفيها كانت وفاة الملك فخر الملوك رضوان[٥] ١٠ بن تتش السلجوقي صاحب حلب وملكها بعده اخوه تاج الدولة ارسلان وكان اخرس وقتل ارسلان اخوين له وكذلك قتل ابا طاهر الصائغ ونزح الاسماعيلية من حلب ثم ان قُتل ارسلان وتسلم قلعة حلب والمدينة لولو خادم تاج الرؤساء ابن الخلال ثم ان لولو قصد قلعة جعفر فقُتل قريباً من بالس ١٥ وتولى قلعة حلب بعد لولو كاتب الجيش ابو المعالي ابن المحلّي ثم في سنة خمسماية واحدى عشرة للهجرة سلمت حلب للمير بلغاري[٦] ابن اريق فقام متملكاً خمس سنين.

١) غليوم ص ٤٨٤ — ٢) غليوم ص ٤٨٦ وابن الحريري ص ٦٠ — ٣) الكامل ١٠ ص ١٨٧ — ٤) ويظهر الله الاشفيه منها بدير قنوبين وفي كنيستها التي فوق القلمون فهي النسا التي لم يدر بزازها ب ن — ٥) الكامل ١٠ ص ١٨٨ — ٦) ايلغازي الكامل ١٠ ص ١٩٢.

١١١٤م : ٥٠٨هـ بدوءه ٧ حزيران اح

الزلازل في قيليقية وسورية

في سنة الف ومائة واربع عشرة مسيحية عرضت رجفة[١] وزلازل عظيمة ٢٠ في بلاد قيليقية وحلب والشام فهبطت حصون ومدن وضياع كثيرة ودفنت اهلها

تحت الرده والذين قصدوا السحاري والبراري اخذتهم القشعرية من الرجفة والزوايا المربعة .

١) عليوم ص ٤٩٢

١١١٥ م : ٥٠٩ هـ بدوءها ٢٧ ايار خ

غزو اقسنقر البرسقي ؛ طغتكين يستنجد بالافرنج ؛ هزيمة اقسنقر ؛ حصار يافا

في سنة الف ومائة وخمس عشرة مسيحية قدم الى بلاد الشام اقسنقر[1] البرسقي المتولّي على الموصل ومعه خمسة عشر الف فارس لغزو الفرنج فتولى ٢٥ مرعش بالأمان ووطأ بلاد انطاكية ونزل عند شيزر ؛ فلما اخذ خبره طغتكين داخله الخوف ان الركبة عليه بسبب مقتل مودود صاحب الموصل فارسل مكاتيب وهدايا جزيلة الى بلدوين الملك والى البرنس صاحب انطاكية ليستعطف خاطرهما فاصطلحوا جميعاً وبعث استنجد البرنس بملك القدس وبصاحب طرابلوس وبطغتكين(٢٢ ملك دمشق فاجابوه الى ذلك بغاية السرعة وزحفوا بالعساكر الى جهة شيزر ؛ فانهزم البرسقي من قدامهم وعاود كل واحد منهم الى بلاده والبرسقي لما اخذ الخبر ان فلت الشوام والفرنج رجعوا الى مواطنهم داخله الطمع وزحف بالموصليين مرة ثانية الى نواحي انطاكية ٥ فنهب وقتل وسبى واحرق جميع ما قدر عليه ؛ فارسل البرنس يطلب العون من بلدوين وفي الثاني عشر من ايلول اتكل على الله وخرج باهل انطاكية وبرجال الرها الذين اسرعوا لنجدته فقاتلوا الموصليين وقتلوا منهم ما ينوف عن ثلثة آلاف وغنموا باثقالهم التي اتوا بها من الموصل والتي كسبوها سابقاً من بلاد ١٠ الشام وفكوا المرابيط الذين اخذوهم ودخل بهم البرنس الى انطاكية بعز عظيم وقسم الكسب بين الشرط بالاسوا وكانت النصرة اغلبها على يد امير الرها لانه بشهامة عظيمة وبغير فزع دخل في وسط الاعداء وشتت العسكر

عن بعضه بعض ؛ ولما بلدوين الملك دخل بجيشه الى بر انطاكية لملاقاة
الموصليين بعثوا اهالي عسقلان يطلبوا النجدة من ملك مصر لمحاصرة يافا
١٠ فارسل لهم سبعين مركباً وضربوا طاق يافا من كل جهة وكان الرجال المقيمين
بيافا كتير قلايل ولكن حاموا عن حالهم في غاية الشجاعة وبعد عشرة ايام
من الحصار خرجوا من المدينة ليلاً وكبسوا العساقلة فوجدوهم متنبهين
وقتلوا منهم نفراً كثيراً وبعد ما ثبت القتال بينهم مدة سبع ساعات انهزموا
٢٠ راجعين الى عسقلان وكذلك المصريين رجعوا لمصر من الوهم لئلا تاتيهم
الفرنج

(١) غليوم ص ٤٩٦ والكامل ١٠ ص ١٨٠

١١١٦ م : ٥١٠ هـ بدوءها ١٦ أيار ث

بلدوين في الشوبك وفي السواحل

في سنة الف وماية وست عشرة مسيحية سار بلدوين الملك بجيش الفرنج
الى الشوبك وابتنا هناك قلعة رفيعة على رأس الجبل وشيدها بالمرامي والخنادق
٢٥ واكفاها من الميرة وآلات الحرب ليرعب بها العربان[١] وشحنوا بها جماعته اذا
دعت الضرورة ؛ وكانوا مجاورين في تلك النواحي قوم من السريان في الذل
والاهانة من العرب فنقلهم الى القدس في بيوتهم وسايقتهم لان المدينة كانت
خالية من الناس ؛ والملك بعد ما عاود القدس قصد السواحل وشرع
ببنيان حصن بين (٢٣ صور[٢] وعكا في الموضع الذي كانت قلعة سكندر وهي
بريد بالبعد من صور لان ما كان تبقا بيد المسلمين في سواحل البحر الا
صور وحدها ٥

١) الفرسان ش
٢) غليوم ص ٥٠٧

١١١٧ م ٥١١ هـ بدؤها ٥ ايار س

وفاة بلدوين في العريش ؛ سيل سنجار

في سنة الف ومائة وسبع عشرة مسيحية سار بلدوين ملك القدس بالجيش الى جهة مصر ليستوفي ما سلفوه المصريون في قدومهم الى بلاده
٥ فنازل فارام التي على نهر النيل بالقرب من رمسيس التي صنع بها الايات موسى النبي فتملكها بالسيف وأذن للعسكر ينهب جميع ما بها ثم ان من مشقة الدرب عرض على بلدوين الملك حمة شديدة وقصد العودة الى بيت المقدس[1] وفي حال دخوله العريش اسلم الروح بيد الخالق فحملوا به الى القدس
١٠ وفي ستة وعشرين من اذار نهار عيد الشعانين دفنوه في هيكل القيامة على اخيه الملك جوفريد فحزنوا عليه حزناً شديداً لانه كان ملكاً شديد الغيرة جليل واشهامه جزيلة[2] فملك ستاً وعشرين سنة واستخلص من يد المسلمين طرابلوس وجبيل وبيروت وصيدا وقيسارية وعكا وحيفا والرملة وبانياس وحصن وعكار وحصن المنيطرة وفي بلاد حلب حصن الاتراب وحصن رويدا[3] ومن
١٥ بلاد الرها حاران وفارام من بلاد المصر وكسر دفوع شتى عساكر الشوام والمصريين واهل موصل وغيرهم وابتنا القلعة في الشوبك وحصن بقرب صور وفي دولته انجهر دين النصرانية في بلاد الشام وصارت الناس تبني كنائس وديورة وتدق نواقيس النحاس وهو الاول بين ملوك القدس الذي تتوّج
٢٠ باكليل الملك وتسمى ملكاً على المدينة المقدسة وما كان فيه الا علّة واحدة ردية وهي انه طلق زوجته قونستنسا وتأهل بالست بنت ملك سقالية خلاف الشريعة الانجيلية ولكن قبل ان يموت بسنة ردّها الى بيت ابيها ؛ وفي الثاني من نيسان نهار عيد القيامة بطرك بيت المقدس دهن بلدوين صاحب الرها وكلله ملكاً برضى فرسان الفرنج لانه كان من لوازم الملك وتلقب بلدوين
٢٥ الثاني ؛ ويذكر ابن الحريري[1] ان في هذه السنة جا سيل عظيم على سنجار فهدم اسوارها وغرق خلقاً كثير وحمل باب البلد مسيرة نصف يوم وطمره

وحمل ايضاً بسرير طفل صغير فتعلق بزيتونة (٢٤ وعاش الطفل وكبر ه

١) غليوم ص ٥٠٨ والكامل ١٠ ص ٢٠٥ — ٢) ملكاً ذا شهامة جزيلة ف ، ملكاً جليلا ذا شهامة جزيلة ن — ٣) روديا ف ن — ٤) ابن الحريري ص ٦٤

١١١٨ م : ٥١٢ هـ بدو ٢٤ نيسان ار

الامر باحكام الله والافرنج ؛ نشوء فرسان الهيكل

في سنة الف ومائة وثماني عشرة مسيحية الآمر[١] باحكام الله خليفة مصر بعد ما بلغه موتة بلدوين ملك الفرنج جهز العسكر من الديار المصرية في المراكب الى جهة صيدا وكتب الى طغتكين صاحب دمشق يلاقيه في العسكر ٥ الشامي الى عسقلان ليستخلصوا البلدان التي كانت بيد الفرنج وامر بلدوين الملك الجديد باجتماع جيوش الفرنج من القدس وطرابلوس وانطاكية. فالتقوا العساكر في ارض فلسطين ولم يكون بينهم الا مسافة يوم واحد فلبثوا ستة اشهر احدهم بازاء الاخر من غير ان احد يقاتل خصمه ثم ان عادت الجيوش ١٠ المصرية الى مصر والشامية الى الشام والفرنجية الى ارضها ؛ وفيها كانت وفاة هاليكس اعني ريشا ملك الروم وتخلف بعده ولده الملك حنا ه[٢]
وفيها كان نشو الكوليارية المقدسية[٣] حتى يقطعوا الزوار من البحر الى بيت المقدس فجعلوا على ثيابهم البيض صلباناً بلون احمر ونذروا على ذاتهم العفة ١٥ والطاعة وان جميع ما يكون لكل واحد منهم يكون بينهم بالشركة فكان عددهم تسعة انفس ثم ان بعد مدة[٤] يسيرة من الزمان بلغوا الى عدد ثلثماية نفس فاكرم عليهم الملك بدار بقرب من الهيكل وتسموا بفرسان الهيكل وصار لهم من المؤمنين كرامات جزيلة واوقفوا لهم ارزاق كثيرة[٥] ه

١) الكامل ١٠ ص ٢٠٥ — ٢) غليوم ص ٥١٧
٣) المقدسة ١ — ٤) عدة ف ن
٥) غليوم ص ٥٢٠

١١١٩ م ، ٥١٣ ه بدوءها ١٤ نيسان اث

غازي وطغتكين يكسران الافرنج ؛ حملة الافرنج من انطاكية ونصرتهم

في سنة الف ومائة وتسع عشرة مسيحية اتفق طغتكين ملك دمشق[1] مع غازي امير الترك ودبيس امير العرب وزحفوا بجيوش لم تحص من الاشوام والترك والعربان الى نواحي حلب متقصدين الفرنج الذين بانطاكية ؛ فبعث روجار البرنس يطلب النجدة من بلدوين ملك القدس ومن فنطيوس صاحب طرابلس . ومن قبل ان تصل النجدة خرج بجماعته الى لقا الاعداء فضربوا حوطته المسلمين اهلكوه ولكل من كان صحبته ويقال ان عسكر المسلمين[2] كان ستين الف خيال والبرنس ما كان معه الا ثلاثة الف مشاة وسبعماية فارس معدين للقتال فداست الاسلام جميع ما كان بيد الفرنج في ارض حلب وانطاكية . ثم ان شاع الخبر بقدوم الملك بلدوين الى (٢٥ الجبل الاسود فشيع الامير غازي عشرة آلاف فارس وقسمهم ثلث فرقات ليمنعوا الفرنج[3] فوثبوا عليها وقتلوا البعض واسروا البعض ولم ينجا منهم الا القليل ؛ ثم دخل ملك القدس وامير طرابلس بجبوة عظيمة الى مدينة انطاكية واجمعوا اليهم الذين تبقوا بانطاكية وكانت جملة العسكر الفرنج ثمانية آلاف وامر بلدوين الملك بان صاحب طرابلس يحمل صليب الرب ويتقدم الجيش : فخرجوا من انطاكية ورتبوا فوق الجبل عسكر طرابلس من الميمنة وعسكر انطاكية من الميسرة فهجمت عليهم الاسلام بالطبول والزمور وشدت الصياح واشتد القتال ما بينهم وكانت الكسرة على المسلمين فقتل من الفرنج سبعماية نفس ومن المسلمين اربعة الاف من غير الاسرا والمجرحين وهربوا الباقي الى اوطانهم مهزومين وكانت الوقيعة في الرابع عشر من شهر آب قبل نياحة السيدة بيوم ودخل بلدوين الملك وجماعته منصورين فاستقبلتهم اهل انطاكية بكل فرح ووقار فجعل بلدوين مدينة انطاكية تحت طاعته وبعد ما مهد امورها عاود بسلامة الى المدينة المقدسة ؛ وكانت هذه السنة صعبة جداً بسبب الفار والجراد الذين ما زالوا بمدة اربعة اشهر يرتعون الخضرة ويقلقون عيشة

الناس وفي اثر الجراد عرض الغلا ثم الوبا.

١) غليوم ص ٥٢٥ — ٢) هذا السطر ناقص في ا — ٣) ليمنعوا الفرنج من الدخول الى انطاكية فوقعت الفرقة الواحدة بدرب الفرنج فونبوا ف ن

١١٢١م : ٥١٥هـ بدوءها ٢٢ اذار ث

موت غازي : البطريرك بطرس : رهبان قبرس : وفاة غياث الدين والمستظهر

في سنة الف ومائة وحادية وعشرين مسيحية قدم من بلاد الترك الامير غازي بعزم شديد ليغزي بلاد انطاكية فالملك بلدوين ولو ان جماعته كانوا ٢٠ قليلين العدد استمد العون من جانب الحق سبحانه وتعالى وخرج الى لقاه براية الصليب قدامه وقبل ان تتواقع العساكر صار ان حدث عارض شديد على غازي[1] ومات فاخذوا دفنوه في مدينة حلب وفلّت العساكر من غير مقاتلة.

وفيها كان البطرك بطرس قاطن في دير سيدة ميفوق من عمل البترون ٢٥ وبعثوا الرهبان القاطنين بدير ماري يوحنا كزبنده بقبرس يخبروه عن وفاة رئيسهم ويسألونه يروّس عليهم القس سمعان وكان كاتباً عند قدسه وله اليد الطولى في الخط وفي تزويق التصاوير كما هو واضح من ميامر مار يعقوب السروجي (٢٦ الذي كتبه بخط اسطناجالي على رق وهو الى الان منصان عندنا بدير سيدة قنوبين. وفيها كانت وفاة[2] السلطان غياث الدين محمد ابن ملكشاه السلجوقي باصفهان في ذي الحجة وخلف في خزاينه احد عشر الف الف دينار ومن العروض مثلها ؛ وملك بعده ابنه ابو القاسم محمود ؛ وبعد منه باربعة ٥ اشهر وبعض ايام كانت وفاة المستظهر بالله امير المؤمنين لسبع بقين من ربيع الثاني وكانت مدة خلافته اربع وعشرين سنة وثلثة اشهر واياماً.[3]

١) غليوم ص ٥٢٢ ٢) المختصر ٢ ص ٢٤٠

٣) المختصر ٢ ص ٢٤١

١١٢٢ م ، ٥١٦ هـ بدوءها ١٢ اذار ح

بلدوين في بلاد الاردن ؛ سقوط جوسلين وبلدوين في الاسر ؛ هزيمة المصريين ؛ انتصار البنادقة

في سنة الف ومائة واثنتين وعشرين مسيحية قصد طغتكين[1] صاحب دمشق مع امير العرب طبرية وسار الى مقاتلتهم بلدوين ملك القدس واذ لم يستفيدوا شيئاً رجعوا ناكصين على عقابهم من غير قتال واما بلدوين سار بجيشه الى العشر مدن التي بقرب الاردن فوضع الحصار على شيروصه واستملك الحصن الذي قبل بسنة كان ابتناه طغتكين لاجل محافظة تلك النواحي من غزو الفرنج ودكه الى الارض . وفيها توفي توفيق ابن زريق النحوي ١٥ الطرابلسي وكان شاعراً فدفن في دمشق .[2] وفيها كانت الوحشة بين بلدوين ملك القدس وبين بنطوس صاحب طرابلس وخرج بنطوس من طاعة الملك فلما بلغ ذلك امير الترك سار بجيشه الى غزو انطاكية فقتل ونهب وحظي بجوسلين صاحب الرها فقبض عليه وارسله مغلولا الى حصن خارج الفرات ٢٠ فصعب[3] ذلك على بلدوين الملك وسار بجماعته الى طرابلوس فاعاد صاحبها الى الطاعة من غير قتال ثم قصد انطاكية فانهزمت الترك من قدامه وعندما كان سائراً الى الرها ليصلح امورها ويستفك جوسلين فوقع بالليل بيد الترك وهو غير مستعد واخذوه[4] اسيراً الى عند جوسلين فسمع بخبره النصارى الذين بتلك الناحية وهم ارمن فتجهز خمسون رجل منهم قتلوا الحراس وهموا بخروج ٢٥ الماسورين ولكن عرف بهم المسلمين الذين في الضياع القريبة واوصلوا الخبر الى امير الترك فاسرع اليهم بالرجال واحاطوا بالحصن وجدوا عليهم بالحصار (٢٧ وثقبوا حيطانه وقبضوا على الارمن فسلخوا بعضهم ونشروا بعضهم والبعض وضعوهم اشارة للنيشن والبعض قبروهم في الارض وهم احياء حتى ابادوهم عن آخرهم ونقلوا بلدوين الملك الى حاران[5] التي بقرب الرها وهو مغلول وما خلص من الفرنج الا جوسلين فرّ برفقة اثنين قبل ان تأتيهم الرجال ٥ وقطعوا الفرات سباحة على طرفين . واما خليفة مصر حين بلغه ان بلدوين

الملك قبض عليه امير الترك واخذه اسيراً داخل الفرات جهز سبعين قطعة في البحر وستة عشر الف مقاتل في البر لغزو القدس فالفرنج انتخبوا اوسطات صاحب صيدا وقيسرية ليتيد الجيش[٦] فجمع مع البطرك سبعة آلاف ونزل
١٠ بهم الى يافا فلما رأوهم المصريين الذين قصدوا حصارهم هربوا وفي وصول الجيش الذين قدموا في البر رفعوا الفرنج في وجوههم راية الصليب وزحفوا عليهم فقتلوا منهم نحو سبعة آلاف وغنموا جميع ما كان معهم والبواقي رجعوا منهزمين. وفيها خرج ميخائيل امير البندقية[٤] باربعين غراباً وعشرين
١٥ مركباً لمعضدة الفرنج فرسى في جزيرة قبرص وعندما بلغه ان عمارة المصريين قدمت الى بر الشام فأعد الجيش الى قتالهم وامر المراكب تسبق الاغربة فلما المصريين كانوا راسين في مدينة عسقلان وقشعوا المراكب مقبلين اليهم ظنوا انهم مراكب الوسق فقطعوا المراسي واسرعوا الى تشليح مراكب الفرنج
٢٠ فادركتهم للوقت اغربة البندقية واحاطت بهم فقتلوا منهم مقتلة كبيرة حتى نقلوا عنهم[٧] ان من دم القتلى حمرت مياه البحر مسافة ميلين واخذوا منهم اربعة اغربة وخمس برشات واقتفوا باثر المهزومين الى قرب عريش مصر فصدفوا عشرة مراكب موسقة من تحف الشرق وقماش وبهارات فغنموا بها واسروا النوتية وعادوا بهم مسرورين الى عكا ثم صعدوا الى القدس عيدوا
٢٥ عيد ميلاد الرب واتفقوا على افتتاح صور وعسقلان من يد المسلمين على شرط ان الثلث يكون لاهل البندقية واعطوهم ان يبنوا كنيسة وفرن وخان وحمام في القدس من غير يسق ولا مظلمة وبعد اخذ صور يكونوا اهل البندقية معافى في صور يدخلوا(٢٨ويخرجوا يبيعوا ويشتروا وينصبوا لهم اكيال واوزان مثل ما يكونوا بنفس البندقية.[٨]

---

١) غليوم ص ٥٢٥ — ٢) ابن رزيق ، ابن الحريري ص ٦٣ — ٣) غليوم ص ٥٢٦ والكامل ١٠ ص ٢٢٦ — ٤) غليوم ص ٥٢٩ — ٥) الى مدينة حاران ف ن — ٦) الجيش الذين قدموا ف — ٧) نقلوا ان منهم ن ش — ٨) غليوم ص ٥٤٥

١١٢٣ م : ٥١٧ هـ بلدوءدا ١ اذارخ

الافرنج بفتحونه صور ؛ بلدويه بنلك ذاز

في سنة الف ومائة وثلث وعشرين مسيحية في الخامس عشر من شهر اشباط نزلت جيوش الفرنج مدينة صور[1] فاحاطوا بها من كل جهة ونصبوا ٥ لها ابراج من خشب وكانت مدينة صور مكتفية من آلات الحصار ومن الميرة وهي في قلب البحر لم تحكمها الارض الا من خلا جهة الشرق وفيها عسكر ليحميها لان كان مودوع فيها متجر جميع سواحل كسرى فجدوا الفرنج عليها بضرب النفط والحجار والمنجنيقات ليلاً ونهاراً وهم يقاتلوا عن نفوسهم وعن ١٠ اولادهم وحريمهم وبعثوا بطلب النجدة الى خليفة مصر والى ملك دمشق فلم يستفيدوا شيئاً لان الفرنج من حين ولفوا عليها الحصار جعلوا امير البندقية يكون حافظ على طريق البحر لئلا ياتيهم الخليفة بالنجدة واوقفوا صاحب طرابلوس مع اناس من البنادقة لصيانة طريق البر فقدم طغتكين بالجيوش الشامية ولكن ١٥ ما صار له يقطع النهر فذلّت قلوب اهل مصر ، من شدة الحصار ومن الجوع ومن عدم النجدة[2] فلكوها الفرنج بالأمان واستباحوا جميع ما وجدوا بها واما اهالي عسقلان ساروا مرتين الى بيت المقدس ليتولوا عليه عندما كانوا الفرنج محاصرين صور فلم ينالوا غرضهم ٠ وفيها سار بلدق[3] امير الترك قاصداً ٢٠ مدينة هيرابوليس فقتل صاحبها وترجى فتحها عن قريب ولكن وثب عليه جوسلين صاحب الرها فقتله وارسل اناس برأسه الى انطاكية ومن هناك الى عسكر الفرنج الذي كان محاصراً صور فانسروا واستبشروا وثم ان في سبعة وعشرين من آب الملك بلدوين استفك ذاته بدراهم ورجع الى القدس متعافياً ٠

---

١) غليوم ص ٥٤٧ ٢) ابن الحريري ص ٦٢

٣) غليوم ص ٥٧٠ ٤) غليوم ص ٥٧٦

١١٢٥ م : ٥١٩ ه بلدوين ٧ شباط س

القتال بين البرسقي وبلدوين

٢٥ في سنة الف ومائة وخمس وعشرين مسيحية قدم من خارج الفرات البرسقي بجيش كثير وعرا بلاد انطاكية واجتمع اليه طغتكين ملك دمشق فتملكوا بالامان حصن كفرثا وساروا الى حصن سردان فحاصروه (٢٩ مدة ايام ورحلوا عنه ثم قصدوا حصن حصرت وعندما كانوا ينصبوا عليه آلات الحصار وصل ملك القدس ومعه صاحب طرابلوس وصاحب الرها فتنازلت العسكران معاً وكانت الكسرة على اهل الموصل والأشوام فقتل منهم الفين ومن الفرنج اربع وعشرون نفساً لا غير على ما يذكر مطران صور[1] وقيل ان ٥ كان عسكر المسلمين خمسة عشر الف خيال بالعدد واما الفرنج الفين زلمه والف ومائة خيال بالعدد لا غير فرجع بلدوين مسروراً الى القدس والبرسقي مكسور الخاطر •

[1] غليوم ص ٥٨٠ وجاء في الكامل ١٠ ص ٢٣٩ و ٢٤٠ «كان عدد القتلى اكثر من الف قتيل من المسلمين» فتصوّر الفرق في الاحصاء

١١٢٦ م : ٥٢٠ ه بلدوين ٢٧ ك ٢ أر

وقعة طبرية بين بلدوين والبرسقي ؛ بوهمند صاحب انطاكية ؛ وفاة طغتكين

في سنة الف ومائة وست وعشرين مسيحية كانت وقعة طبرية وذلك ان في شهر كانون الثاني جمع بلدوين الفرسان وسار بهم الى جهة طبرية فسمع به ١٠ طغتكين ملك دمشق وخرج الى لقاء بعسكر كبير فغاروا على بعضهم بعض

وثبت بينهم القتال نحو سبع ساعات فقتل من الفرنجماية نفس وقتل من الشوام نحو الفين وانهزم الباقي ٠ وفيها غزا صاحب طرابلس نواحي حماة وكان بمعضدته الملك بلدوين فحاصروا رافانه مدة ثمانية عشر يوم وفي اليوم الاخر من اذار ملكوها بالأمان[١] ثم ان الملك رجع الى القدس فعيّد عيد القيامة ثم توجّه الى سواحل صيدا ؛ فوردت اليه المكاتيب من انطاكية بان آق سنقر البرسقي قطع الفرات وقدم الى بلاد انطاكية بجيوش الموصل وانهم لم يعفوا عن شر فالوقت قاد الملك الجيش الى مقاتلته فرحل البرسقي من قدامه ثم ان وثب عليه واحد من خواصه فقتله ٠ وفيها قدم بيومند ولد بيومند صاحب انطاكية التي كانت لابيه[٢] وأمر ان ترد اليه ثم انه زوجه بنته فتقدم له جبلة ولاذقية في صداقها واستراح بال الملك من انطاكية لبعدها عن القدس وفي العاجل اخذ بيومند جماعته وغار على قرية كفرنا فاستردها ٠ وفيها توفي طغتكين ملك دمشق وكان بطلاً شجيعاً وكثير الجهاد وتملك بعده ولده تاج الملوك بوري ٠[٤]

١) غليوم ص ٥٨٢ — ٢) غليوم ص ٥٨٥ — ٣) فانسر الملك لورنه ف —
٤) ابن الحريري ص ٦٤

١١٢٨ م : ٥٢٢ هـ بدوءها ٦ ك ٢ ج و٥٢٣ هـ بدوءها ٢٥ ك ١ ث

مقتل الاسماعيلية ؛ الافرنج يهاجمون دمشق

في سنة الف ومآية وثمان وعشرين مسيحية بلدوين ملك القدس زوج بنته الكبيرة لفولقان امير الطورانيين وقدم لها صور وعكا في الصداق وفيها قتل بدمشق ستة الف رجل اتّهموا في مذهب الاسماعيلية ٠

(٣٠ وفيها يذكر ابن الحريري[١] ان الفرنج قصدوا يتملكوا دمشق لان بلدوين الملك لما بلغه ان طغتكين ملك دمشق مات جمع صاحب انطاكية وصاحب طرابلس وقواد العساكر الفرنجية وساروا الى محاصرتها بجيش كثير ؛ فخرجوا

اليهم اهل دمشق وصحبتهم التركمان والعربان اهزموهم وقتلوا من الفرنج
٥ واسروا من اطاريف العسكر خلقاً كثيراً وقيل ان انحدر على الفرنج من السما
مطر غزير وعواصف شديدة وسيلان ماء من الارض فاضطروا يرجعوا باثرهم
مخزيين ؛ ومطران صور يقول بتاريخه ان هذه الركبة كانت في سنة الف
ومائة واحدى وثلثين في اوايل كانون الاول .

١) ابن الحريري ص ٦٤ — ٢) الكامل ١٠ ص ١٥٠ — ٣) الدواب ١١٣٠ كما
جاء في غليوم ص ٥٦٧

١١٢٩ م : ٥٢٤ هـ بدوتها ١٥ ك ١ اح

وفاة الآمر ؛ مقتل الجمالي الارمني

١٠ في سنة الف ومائة وتسع وعشرين مسيحية مات الآمر باحكام الله
منصور خليفة مصر وكان ظالماً وفاسقاً وقيل ان وفاته كانت بعد هذا التحرير
بسنة ؛ وتخلف بعده ابن عمه الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد وهو
الحادي عشر من الخلفا الفاطميين بمصر ؛ وكان وزير الآمر باحكام الله
١٥ شاهنشاه ابن بدر الجمالي الارمني وكان حسن الاخلاق وجميل السيرة فدسّ
عليه الآمر من قتله واستولى على خزاينه وحواصله ؛ فيذكر ابن الحريري
ان كان ثمن دوابه اثني عشر الف دينار[1] واخذ الآمر من داره مائة حمل دراهم
وستة آلاف الف دينار وسبعين الف ثوب ديباج وولى الوزارة بعده البطائح
٢٠ ولقبه المأمون ثم بعد اربع سنين صلبه .

١) اثني عشر الف دينار وكان ينالّ لبن مواشيه في السنة ثلاثين الف دينار ن
البطائحي ابن الحريري ص ٦٥

١١٣٠م : ٥٢٥ﻫ بلدوٓها ٤ لك ١ خ

مقتل بيومند ؛ وفاة الملك بلدوين ؛ القتال بين فولقان وزنكي

في سنة الف ومائة وثلثين مسيحية سار رضوان صاحب حلب الى قيليقية بجيش كثير؛ فخرج اليه بيومند صاحب انطاكية بجماته[1] فوثب عليه رضوان وقتله[2] وكان بيومند بعده شاباً جاهلا فمات ولم يخلف من بنت بلدوين الملك الا بنتاً تدعى قونسطنسا فحزن عليه جميع اهل انطاكية وبالخاصة بلدوين عمه لترمّل بنته ولعدم من يسوس انطاكية وهي في أطاريف بلدان الفرنج . وزوجة بيومند من خوفها لايأخذ منها ابوها حكم انطاكية استنجدت في عماد الدين زنكي صاحب حماة ؛ وعندما توجه بلدوين الى انطاكية[3] ليصلح امورها ارادت بنته تمنعه عن الدخول الى المدينة واذ لم يمكنها ذلك صعدت الى القلعة وتحصنت بها؛ لكن طلع اليها اكابر انطاكية فطيبوا خاطرها على والدها واحضروها الى والدها؛ فاعطاها جبلة ولاذقية وجعل انطاكية بمحافظة اناس امناء ثم قصد العودة الى بيت المقدس وفي حال وصوله عرضت عليه حمى شديدة فوصى البطرك بولده بلدوين وله من العمر سنتين وقضى اجله[4] في الواحد وعشرين من شهر آب وله في الملك اثنعشر سنة ونصف فحزنوا عليه لكثرة شجاعته ولانه كسر عساكر الاعدا دفوع شتى واستملك منهم مدينة صور ودفنوه بعز بمقبرة الملوك تحت الجلجلة ؛ وفي الرابع عشر من شهر ايلول اجتمع البطرك ورؤساء الكهنة وأمراء الفرسان وكللوا فولقان زوج بنته ملكاً فسار الى طرابلس والى انطاكية فرتب امورهما ومنع زنكي[1] عن التخطخط باوض الفرنج ورجع الى القدس؛ وعند وصوله بلغه ابن عسكر الموصل دخل الفرات وقدم لقنسرين لضرر الفرنج فأسرع بالعودة اليهم وقتل منهم ألوف من ثلثة الاف نفس وغنم الفرنج بخيولهم وخيامهم وعبيدهم وما كان معهم ورجعوا مسرورين لأوطانهم ٥

١) صاحب انطاكية بجماعته ف ن — ٢) غليوم ص ٥١٨ — ٣) غليوم ص ٦٠١
٤) غليوم ص ٦١٥

١١٣١ م : ٥٢٦ هـ بدوءها ٢٣ ت ٢ اث

وفاة طغتكين ؛ غزو اللاذقية ؛ الموارنة والبابا ونهاية الانشقاق الغربي الكبير

في سنة الف ومائة واحدى وثلثين مسيحية توفي تاج الملوك بوري ابن طغتكين ملك دمشق في الواحد والعشرين من رجب وثب عليه اسمعيلي جرحه ٢٠ ومات من ذلك الجراح . وكانت وصيته ان دمشق تكون لولده اسمعيل فتلقب بشمس الملوك وان بعلبك واعمالها تكون لولده محمد فتلقب بشمس الدولة . وفيها يقول ابن الحريري ان غزا عسكر حلب اللاذقية فاخربوا واسروا من الفرنج سبعة الف .[1] وفيها يقول ابن القلاعي ان كان بطرك ٢٥ انطاكية على طايفة الموارنة غريغوريوس من حالات من اعمال جبيل وان البابا زخيا الثاني بعث له مكاتيب مع الكردينال(٣٢ غوليلمو ؛ وان اجتمعوا عنده في طرابلس روساء كهنة الطايفة وعلماؤها وحطوا خطوط ايديهم كبار وصغار وحلفوا انهم يكونوا طايعين بابا رومية وثابتين على أمانته ؛ وسبب هذا اليمين فهو ان في سنة الف ومائة وثلثين مسيحية كانت وفاة انوريوس[2] بابا ٥ رومية وان بعد وفاته عرض انشقاق بين اولاد البيعة وذلك ان بعض اختاروا انقليطوس الثاني والبعض زخيا الثاني وتخبر تواريخ البيعة بان انقليطوس كان ردي السيرة فسلب اواني كنيسة ماري بطرس برومة وزخاير ساير الكنايس وفي الرشاة قصد ان يستعطف[3] خواطر الرومانيين وعقد مجمعاً فحرم به زخيا ١٠ ولكل من يعضده او يتبعه او يكرز باسمه وشيع ايضاً مكاتيب الى الاديرة والى ملوك النصارى وروساهم وشعبهم والى يوحنا ملك الروم والى بطاركة الشرق يخبرهم عن اقامته ليكرزوا باسمه ويرذلوا لزخيا واوعد لورجار امير سقالية بانه يكلله ملكاً وحرر له امراً مخلداً في مملكة سقالية له ولكل ١٥ ذريته اذا ثبت تحت طاعته وقام لمعضدته ضد المخالفين لرياسته ؛ واما البابا زخيا حين نظر ان اهالي رومية مالوا الى اناقليطوس انتقل من رومية لفرنسة فاقام مجمع في مدينة كلارمنت وطعن بالحرم لانقليطوس ولكل من

يتبعه ويكرز باسمه ؛ ولويس ملك فرنسا امر باجتماع الابا والروسا الذين بمملكته ليفحصوا بيقظة عن انتخاب الاثنين وكان بجملتهم القديس برنردوس ريس الاديرة ؛ وبعد بحث جهيد اثبتوا صفوة زخيا احق من صفوة انقليطوس وقدم الى طاعته وتقبيل قدميه لويس ملك فرنسا مع الست واولادهما وكذلك هنريكوس ملك الانجليز مع امصارهما وامصار هيسبانيا والمانيا وكذلك الفرنج الذين كانوا في بلاد الشام وحلفوا روسا الكهنة والاديرة بانهم طايعين له وخاضعين لسنته دون انقليطوس الذي تغلب باطلا على تلك الرياسة ؛ وعلى شبه الذين تقدم ذكرهم نزلوا روسا الملة المارونية وعلماوها الى مدينة طرابلوس(٣٣ وعلى يد الكرديال غوليلمو قاصد البابا زخيا حلفوا له الطاعة واعطوه خطوط اياديهم انهم لم يتمسكوا بغيره ولا يكرزوا الا باسمه ه

١) ابن الحريري ص ٦٧ – ٢) غليوم ص ٦٢١ – ٣) يستعطف الرومانيين ف ن

١١٣٢ م : ٥٢٧ ه بدوءها ١٢ ت٢ س

الوحشة بين الافرنج وانتصار شمس الملوك ؛ مقتل بنطس ؛ المصريون يجددون عسقلان ؛ هنا يحاصر انطاكية ؛ القتال بين زنكي ودفواناه ؛ الروم يحالفون الافرنج

في سنة الف ومية واثنتين وثلثين مسيحية كانت الوحشة بين الفرنج بسبب صاحب يافا فنزل فولقان واصلح بينهم ؛ فقدم شمس[1] الملوك صاحب دمشق على غفلة من الفرنج الى حصن بانياس فملك المدينة بالسيف وتسلم القلعة بالأمان فغنم بامتعتهم وأسر كثيرين منهم ثم قصد مدينة حماة فطرد منها عماد الدين زنكي الذي كان اخذها من سونج بالغدر وتملكها ونازل شيزر فنهب بلدها وحاصر قلعتها ثم رحل عنها ورجع الى دمشق ه

وفيها عماد الدين زنكي ابن آق سنقر جمع التراكمين وقصدوا طرابلوس فخرج اليهم بنطوس صاحبها بجماعته وتواقعوا فوق المدينة وكانت الهزيمة على

الفرنج فاخذوا بنطوس الى الجبل[٢] وقتلوه وحاصر التركمان الفرنج في حصن
١٥ بعرين : فجمع رامونديوس ابن بنطوس الفرنج وخرج اليهم فرحلهم من
عن حصن بعرين وقبض على الذين كانوا تواموا على قتل والده فاخذهم الى
نفس المدينة مع اولادهم ونساهم واهلكهم عن آخرهم . وفيها فولقان
الملك بنا حصناً منيعاً في بيت جبريل ويقال انه بير شباع ليبعد اهالي عسقلان
٢٠ عن التخطخط بارض الفرنج ؛ والخليفة صاحب مصر امر ان في كل ثلثة اشهر
تتجهز النجدة الى عسقلان من الرجال والميرة وآلات الحرب ليضعف قوة
الفرنج .[٣]

وفيها جمع السلطان مسعود العساكر وقاتل ابن اخيه تغرنبك وهزمه
حتى الى الري واسر جماعة من امرايه .

وفيها حنا[٤] ملك الروم عندما بلغه بان رامونديوس تزوج بنت بيوميند
٢٥ وانه تملك انطاكية من غير علمه ولا رضاه جمع جيوش كثيرة من كل قبيلة
ولسان وقصد بلاد الشام بخيول وعربات واموال لا تحصى فتولى ترصوص
والرامه والمصيصه وعلى كل المدن(٣٤ والحصون التي كانت بيد الفرنج منذ
اربعين سنة في بلاد قيليقية حتى وصل الى انطاكية واحاط بها الروم من كل
جهة ؛ ودخل ايضاً زنكي بجيش التركمان والعربان الى عمل طرابلوس ونصب
الحصار على حصن منفرنت الذي فوق رافانه فلما بلغ ذلك فولقان ملك القدس
٥ سار بفرسان الفرنج الى جهة طرابلوس فرفع زنكي الحصار عن الحصن
وخرج الى لقاهم فحشر عسكر الفرنج في موضع مديق وضرب بهم السيف
فقبض على القومس صاحب طرابلوس واخذ خيم العسكر وخيولهم والسايقة
التي كانت معهم والتجا فولقان الى الحصن مع اناس قلايل ثم ان زنكي
١٠ اعاد الحصار على البرج فقتل وجرح منهم ولم يزل يدايقهم ليلاً ونهاراً حتى
انهم سلموه الحصن بالأمان بشرط انه يطلق سبيل القومس ولا يضر بأحد
من ارفاقه فرضي بذلك زنكي لانه بلغه قدوم الفرنج لينجدوا ملكهم ؛
وفي حال وصول الفرنج الى وطا عرقا وصل اليهم صاحب الرها وصاحب انطاكية
١٥ فتركا بلدانهما بيد الاعداء وسرعا الى معضدة الملك فربح جميلهما ثم ان
الملك سار الى القدس ورجعا هما الى انطاكية واذ لم يكن لهما قدرة لمقاومة
جيش الروم ادخلوا الملك الى انطاكية بالامان ووضعوا رايته فوق القلعة

وضربوا ديوان على ان ملك الروم يستخلص من يد المسلمين حلب وشيزر
٢٠ وحماه فيكونوا هولاء وما يليهم للبرنس وتكون انطاكية لملك الروم وحده ؛
فرضي بذلك الملك حنا واكرم على البرنس بخلع شريفة وعطايا منيفة ثم
انه رجع الى ترصوص فشتى بها وبعد ما مهد امور قيليقية وبلاد الشام رجع
الى القسطنطينية .[٥]

١) الكامل ١٠ ص ٢٦١ — ٢) غليوم ص ٦٤ والوقعة ذكرت سنة ١١٣٦ م — ٣) غليوم ص ٦٢٨ والوقعة ذكرت سنة ١١٣٦ م — ٤) غليوم ص ٦٤٣ والوقعة ذكرت سنة ١١٣٧ م — ٥) غليوم ص ٦٥٢ والوقعة ذكرت سنة ١١٣٧ م

١١٣٣ م : ٥٢٨ ﻫ بدوءها ١ ت ٢ ار

اسمعيل في وادي التيم ؛ الافرنج في حوران ؛ زنكي في الجزيرة

في سنة الف ومائة وثلث وثلثين مسيحية سار اسمعيل ملك دمشق الى
٢٥ حصن الشقيف الذي كان تغلب عليه سابقاً وامتنع عنه فاخذه من الضحاك
ابن جندل ريس وادي التيم[١]؛ فعظم ذلك على(٣٥ الفرنج وقصدوا بلد حوران
فناوشهم بجمع كثير ثم اغار على بلادهم من جهة طبرية وفيها استولى زنكي
على جميع قلاع الاكراد الحميدية وعلى قلاع المكاريه واواسي .[٢]

١) الكامل ١١ ص ٤ — ٢) الكامل ١١ ص ٥

١١٣٤ م : ٥٢٩ ﻫ بدوءها ٢٢ ت ١ اث

مقتل اسماعيل

في سنة الف ومائة واربع وثلثين مسيحية وثب الاسماعيلية على الملك

٥ اسمعيل ابن بوري صاحب دمشق وقتلوه وتملك دمشق بعده اخوه محمود وتلقب بشهاب الدين واتابكه معين الدين انز .[١]

١) الكامل ١١ ص ٨ والمختصر ٣ ص ٦

١١٣٥ م : ٥٣٠ هـ بدؤها ١١ ت ١ ج

شهاب الدين في حمص ؛ خلافة المقتفي

في سنة الف ومائة وخمس وثلثين مسيحية تسلم شهاب الدين محمود ابن بوري حمص وقلعتها وفيها خلع الراشد وكانت مدة خلافته احد عشر شهر وعشرة ايام وبويع بالخلافة ابن عمه المقتفي لأمر الله محمد ابن المستظهر ١٠ وهو الخمسون من خلفاء الاسلام والحادي وثلثون من خلفاء بني عباس في العراق .[٢]

١) الكامل ١١ ص ١٥ — ٢) الكامل ص ١٧

١١٣٦ م : ٥٣١ هـ بدؤها ٢٩ ايلول ث

الافرنج في ما وراء الاردن ؛ وقعة عسقلان ؛ زنكي يهزم الافرنج ؛ قدوم يوحنا ؛ الارمن والكنيسة الرومانية ؛ وفاة برنردوس البطريرك

في سنة الف ومائة وست وثلثين مسيحية قدم من بلاد النصارى جمع كثير الى زيارة القدس ؛ فسار بهم فولقان خارج نهر الاردن لياخذ القلعة التي على راس الجبل قبال جبل جلعاد[١] فان كانوا يجتمعوا به المسلمين من ١٥ بلاد مواب وامون وجلعاد ويغزوا بلاد القدس وكانت القلعة منيعة وعاصية داخل باب المغارة والدرب المؤدي اليها ديق فبعد حصار شديد تملكوها الفرنج .

وفيها كانت الوقعة بين الفرنج وبين اهل عسقلان عند حبرون[1] وكانت
٢٠ الكسرة على الفرنج ؛ وفيها سار عماد الدين زنكي صاحب الموصل فاستخلص
من الفرنج المعرة وكفرطاب ثم انه قصد بعرين ؛ ثم ان تجمعت عليه جيوش
الفرنج وجرى بينهم قتال شديد فانهزم الفرنج الى حصن بارين وعاود زنكي
الى حصن بعرين فدايق عليهم حتى طلبوا الامان فقرر عليهم خمسين الف
دينار .[2] وفيها قدم ثاني مرة يوحنا ملك الروم (٣٦ الى بلاد الشام[1] وكان
معه اولاده وجيش عظيم وعند وصوله لانطاليه مات له ولدان فامر لاخيه
اسحق ياخذ بدفنهما في القسطنطينية ثم سار بالجيش الى نحو طور بسال الذي
بقرب الفرات ، فخرج الى لقاه جوسلين امير الرها فطلب منه رهناً انه يكون
٥ تحت طاعته فاسترهن جوسلين بنته لعجزه عن مقاتلته وعند دخول التشارين
توجه صوب انطاكية وبعث قاصده الى البرنس ليدخل وثاقه الى المدينة ؛
فضجت كل اهل انطاكية ان هذا الامر لا يكون وان راد يلزمهم فيخلون
كلهم المدينة واما انهم يبذلون نفوسهم دونها فحنق الملك وابقا فتح المدينة
١٠ لمحل آخر وعاد الى قيليقية فشتى بها ؛ ويقول مطران صور ان بهذه السنة
قدم الى بيت المقدس مكسيموس بطرك الارمن وطلب يكون تحت طاعة
الكنيسة الرومانية فجحد الرزايا التي تتمسك بها طايفة الارمن واستقر بالايمان
١٥ القويم وتعاهد انه يقدم كل سعيه حتى طايفته تكون على ذلك القرار .
وفيها كانت وفاة برنردوس الفرنجي بطرك انطاكية ؛ وتغلب على ذلك
الكرسي ردولفوس بالرشاه وبوساطة العامة من غير رضى الروساء والاكليروس
وقصد العصيان وخلع الطاعة قائلاً انه مساوي لبابا بالمرتبة والدرجة والسلطان
٢٠ لكون كرسي انطاكية اقدم واجل من كرسي رومية ثم انه استقر بافتراه وندم
على ما سلف منه ودخل بنفسه الى رومية وقدم الطاعة لصاحب الكرسي الروماني .

١) غليوم ص ٦٦٦ وذكر الوقعة سنة ١١٣٨ م — ٢) غليوم ص ٦٦٧ وذكر الوقعة
سنة ١١٣٨ م — ٣) الكامل ١١ ص ٢١ والمختصر ٣ ص ١٢ — ٤) غليوم ص ٦٨٨
وذكر الوقعة ١١٤٣ م — ٥) غليوم ص ٦٨٧ ذكر الحادثة سنة ١١٤٢ م وقال : « Cui
synodo interfuit maximus Armeniorum pontifex... Cum hoc etiam de fidei
articulus, in quibus a nobis dissentire videtur populus ejus, habitus est
tractatus et ex parte ejus, promissa est in multis correctio ».
وتعريبها الصحيح « حضر المجمع الحبر الاعظم للارمن ومعه جرى الكلام في عقائد
الايمان التي يخالفنا فيها شعبه فوعد من طرفه بالاصلاح في امور كثيرة — ٦) غليوم ص ٦١٩

١١٣٧م : ٥٣٢هـ بدوءها ١٩ ايلول اح

منا في بلاد حلب ؛ زنكي على العاصي ؛ فولقان يعمر منا

في سنة الف وماية وسبع وثلثين مسيحية قصد الملك حنا براغه[1] وهي على ستة فراسخ من حلب وفي شهر رجب ملكها بالأمان ثم انه غدر بأهلها
٢٥ وقتل وأسر وسبى منهم . ويقول ابن الحريري[2] بان تنصر قاضيها مع اربعماية نفس ؛ ثم ان الملك رحل عن براغه ونزل على نهر قويق وزحف بالجيش الى حلب فقتل(٣٧ منهم بطريق عظيم القدر فرحلوا عنها الى الاثراب[3] فملكوها وتركوا فيها سبايا براغه وقوم من الروم تناظر عليها وقصدوا شيزر ونصبوا عليها ثمانية عشر منجنيق ؛ فخرج نايب زنكي بمن معه الى الاثراب فقتل
٥ الروم وخلص اسرى براغه وسباياها ؛ وارسل صاحب شيزر الى زنكي يستنجد به فركب زنكي بعسكره ونزل على العاصي بين حماه وشيزر ؛ حتى ان رحل عنها ملك الروم وارسل مكاتيب محبة الى فولقان ملك القدس ويذكر له ان بخاطره يزور المدينة المقدسة ؛ فخشي فولقان من ملك الروم واذ لم يقدر
١٠ يثنيه عن هذا المقصود بعث يقول له ان البلاد مقحط والاسعار غالية ما يمكن ان بيت المقدس يقوم بكل جيشه بل اذا قصد الزيارة فليأخذ معه عشرة آلاف حتى يخرج بنفسه الى لقاه ويستقبله بالكرامة التي تحق لسيده فاقتنع بذلك ملك الروم وقصد العودة الى القسطنطينية وعندما خرج الى
١٥ الصيد بقرب طرسوس حدث انه جرح يده بنشاب مسموم فمات منه[4] ؛ فحمله ابنه منوال واخذ دفنه في آخر شهر آب من شهور سنة الف وماية وثمان وثلثين وقيل في سنة الف وماية وثلث واربعين ٠

وفيها ابتنى فولقان برجاً منيعاً بقرب من اللد وحصناً في حدود الفلسطانيين
٢٠ بالقرب من عسقلان ثم ان شيده بالسور والابرجة[5] ؛ وايضاً الست زوجة فولقان انشت لاختها ديراً في بيت عنيا ونصبت لها برجاً منيعاً لاجل الصيانة من الامم الغريبة وأكرمت على الدير بعطايا جزيلة وتطمنت خواطر الفرنج من كل جهة ولم يتبق لهم ضداً بكل بلاد القدس الا عسقلان وحدها ٠

وفيها تولت الزلازل بالشام واخربت كثيراً من البلاد سيما حلب حتى فارقت
٢٥ اهل حلب البيوت وخرجوا الى الصحراء ولم تزل من رابع صفر الى التاسع
عشر منه ويقال ان الزلزلة كانت في السنة التي كانت بعد هذه[٦].

١) المختصر ٣ ص ١٢ والكامل ١١ ص ٢٢ وفيها ذكر بزاغه لا براغه — ٢) الرواية ليست لابن الحريري ولكن لابي الفداء : المختصر ٣ ص ١٢ — ٣) الاثارب ف ن — ٤) غليوم ص ٦٩٣ وذكر الواقعة سنة ١١٤٣ — ٥) غليوم ص ٦٨٢ — ٦) المختصر ٣ ص ١٥ جاء ذكر الزلزلة سنة ٥٣٣ هـ

١١٣٨ م : ٥٣٣ هـ بدوءها ٨ ايلول خ

مقتل محمود ؛ غدر زنكي

(٣٨ في سنة الف ومائة وثمان وثلثين مسيحية وثب المماليك على شهاب
الدين محمود ملك دمشق فقتلوه وقدم اخوه جمال الدين محمد ابن بوري
من بعلبك فتسلم دمشق واعطى بعلبك لمعين الدين انز ؛ فلما رأى ذلك عماد
٥ الدين زنكي قصد بعلبك فملكها بالأمان وعصت عليه القلعة اياماً فأمنهم حتى
سلموه القلعة ثم غدر بهم وصلبهم عن آخرهم[١].

١) المختصر ٣ ص ١٥ والكامل ١١ ص ٢٨

١١٣٩ م : ٥٣٤ هـ بدوءها ٢٨ آب اث

زنكي يهزم محمداً صاحب دمشق ؛ مجير الدين يستنجد بنور الدولة ؛ هزيمة زنكي ؛ الافرنج يفتحون بانياس ؛ عدة حوادث

في سنة الف ومائة وتسع وثلثين مسيحية قويت عبرة عماد الدين زنكي
ونازل دمشق ؛ فخرج اليه صاحبها محمد بن بوري وتواقعا فانهزم عسكر

دمشق وقتل منهم خلق كثير فزحف زنكي الى المصلّى وبذل لمحمد حمص وبعلبك
١٠ فلم يأمنوا اليه بسبب غدره باهل بعلبك وما زال نازلاً على داريا حتى مرض
جمال الدين محمد صاحب دمشق ومات في ثامن شعبان وتولى على دمشق
ولده مجير الدين ابق فازداد طمع زنكي على اخذ المدينة وزحف اليها ؛ فاستنجد
مجير الدين بفولقان ملك القدس واوعده بالخرج على عسكر الفرنج كل شهر
١٥ عشرين دوكات ذهب وان متى ما رحل زنكي عن حصار دمشق تكون بانياس
لفولقان ولتصديق الامر ارسل ناس من اولاد امراء دمشق يكونوا عنده
بالرهن . فاجابه الى ذلك فولقان وجمع امراء العساكر عند طبرية وزحفوا
على زنكي فانهزم من قدامهم وهرب فطلب الفرنج انهم يتولوا على بانياس
٢٠ فاحتجروا بان الذي كان حافظها من قبل مجير الدين اسلمها بيد زنكي
ولاجل ذلك احاطت جيوش الفرنج ببانياس في اول يوم بايار ونصبوا لها
حصناً من خشب وشدوا عليها الحصار فملكوها بالأمان؛ واما زنكي في سادس
شوال عاد الى محاصرة دمشق فاحرق عدة من قرى المرج وارتحل عنها .[٢]
٢٥ وفي هذه السنة قصد زنكي شهرزور واخذها من صاحبها ابن برزلان
التركماني .   وفيها اخذت الاسماعيلية (٣٩ حصن مصياف وجبلة .[٣]
وفيها مات البديع الاسطولابي هبة الله ابن الحسين وكان له اليد الطولى في
عمل الاسطولاب والالات الفلكية .[٤]

---

١) الكامل ١١ ص ٢ وابن الحريري ٦٦ — ٢) المختصر ٣ ص ١٦ — ٣) المختصر ٣ ص ١٦ — ٤) المختصر ٣ ص ١٦ وفيها ذكر الاسطرلاب والآلات الفلكية

١١٤٠ م ، ٥٣٥ هـ بدوءها ١٧ آب س

وفاة ابن الطيب ؛ وفاة سمعان رئيس قبرس

في سنة الف ومائة واربعين مسيحية توفي القس عبد الله ابو الفرج المعروف
٥ بابن الطيب في بلاد العراق ترجم كتاب الانجيل ترجمة فصيحة وشرح في
كتب ارسطاطاليس وكتب جالينوس في امور الحكمة والمنطق والطب شرحاً

شافياً ؛ وقال عنه القاضي جمال الدين القفطي انه احيا من هذه العلوم ما كان دثر وابان منها ما خفي ؛ وشهد عنه ابن حسين ابن عبدون المعروف
١٠ بابن بطلان الطبيب النصراني البغدادي تلميذ ابن الطيب بان معلمه ابن الطيب ثبت عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ومرض من الفكر فيه ومات ؛ هذا كان ماروني من اهل جبل لبنان الا انه مال الى القايلين بمشيئة واحدة بربنا من درسه بكتاب سعيد بن بطريق وغربته في بلاد العراق.[1]

١٥ وفيها كانت وفاة الرجل الفاضل القس سمعان ريس دير ماري يوحنا الكوزبندو بتمرس - وارسل له بدله البطرك يعقوب من رامات من عمل جبيل القس دانيال من رهبان سيدة كفتون الذي في كورة طرابلوس.

---

[1] راجع غراف : تاريخ الاداب العربية المسيحية الجزء ٢ ص ١٦٠-١٧٠ كانت وفاته في ١٠٤٣ وكان نسطوريا - وراجع تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ٣٣٢-٣٣١ وفيه تاريخ وفاة ابن الطيب في ٤٣٥ ﻫ وهي تناسب سنة ١٠٤٣ م . واخذ الدويهي ما كتبه عن ابن الطيب نقلاً عن ابن العبري لكنه لم يضبط تاريخ الوفاة ولم يأت بسند تاريخي لقوله ان ابن الطيب كان مارونياً .

١١٤٢م : ٥٣٧ ﻫ بدوءها ٢٧ تموز اث

وفاة فولقان ؛ الخلاف بين صاحب الرها وصاحب انطاكية ؛ زنكي يفتح الرها

في سنة الف ومائة واثنتين واربعين مسيحية في عشرة من كانون الاخر
٢٠ خرج فولقان ملك القدس ليتنزه في بساتين عكا وكانت الست بصحبته وعندما طرد ارنبه قنطر به الحصان وفي اليوم الثالث مات وله في الملك احدى عشرة سنة وثلثة اشهر ؛ وكان الملك فولقان اشقراني جميل المنظر سامي النسب وحسن الاخلاق شجيعاً في الحرب كثير الرحمة والتفهم وغيوراً في امور الدين
٢٥ وخلف ولدين وهما بلدوين ابن ثلث عشرة سنة والماريكوس ابن سبع سنين وفي عشرة من تشرين (٤٠ الثاني مسحه البطريرك ملكاً مع والدته ؛ وتبا

كانت الوحشة بين جوسلين صاحب الرها وبين البرنس صاحب انطاكية ؛
فطمع بها عماد الدين زنكي وقصد فتح الرها وكان جوسلين يومئذ في دير
٥ بسال بالبعد عن الرها سفر يوم ؛ فارسل جوسلين يستنجد في بلدوين الملك
وفي البرنس فالبرنس تأخر عن النجدة من الدشمنة؛ وشدّ زنكي[١] بالحصار
على المدينة فملكها .وضرب اهلها بالسيف في الثامن وعشرين يوم من الحصار
ومن قبل ان يصل بلدوين بالرجال ؛ وقيل ان فتح الرها كان في سنة
الف ومية واربع واربعين مسيحية .

١) غليوم ص ٢٠٠ — ١٢ عليوم ص ٢٠١

١١٤٣ م : ٥٣٨ هـ يدوءها ٢٧ تموز أث

زنكي في بلاد الجزيرة والفرات

١٠ في سنة الف ومية وثلث واربعين مسيحية اصطلح عماد الدين زنكي
مع السلطان مسعود وسار زنكي بجيشه الى جهة ديار بكر فتملك طنزه واسعرد
وحرّان وحصن الروق وحصن قطليس وحصن باسا وحصن ذي القرنين
واخذ من بلاد مردين ما هو بيد الفرنج حلين والموزر وتل موزر وحصون
١٥ شاب جنان .[١] وفيها ملك اتابك زنكي عانه من اعمال الفرات[٢] .
وفيها قصد المسلمين بلاد الشوبك فاخذوا من يد الفرنج الحصن الذي في
وادي موسى حيث موسى النبي ضرب الصخرة واخرج منها الماء لشعب
اسرائيل ؛ ثم ان بلدوين الملك قصد انه يسترد الحصن وشد عليه الحصار
فما قدر عليه ثم انه قصد حريق الزيتون الذي في ذلك الوادي وقطعه فاضطر
٢٠ اهل البلاد يسلموه الحصن بالامان لئلا يخسروا المعاش الذي يأتيهم كل سنة
من الزيتون .

١) اخذًا عن الكامل ١١ ص ٣٩ والمختصر ٣ ص ١٧ وجاء فيها : اسعرد
وحيزان . . . وباناسا . . . وجلين . . . وتل موزر من حصون جوسلين (في الكامل)
والسترد . . . وتل موزر من حصون شختان (في المختصر) — ٢) المختصر ص ١٧

١١٤٤ م : ٥٣٩ ﻫ بدوءها ٤ تموز ث

فتح الرها وغيرها

في سنة الف ومائة واربع واربعين مسيحية تسلم زنكي سروج وساير الاماكن التي كانت بيد الفرنج شرقي الفرات ونزل على البيرة وحاصرها فسمع ان نايبه قتل في الموصل فرحل عنها . ثم ان نجم الدين صاحب ماردين قصد البيرة وتسلمها من الفرنج(١) . (٤١ وفيها صاحب بوصرى التي في بلاد العرب اوعد لبلدوين الملك انه يسلمه المدينة فزحف الملك في عسكر الفرنج الى بلاد الشوبك واحتمل العسكر مشقات كثيرة في الطريق من الشوام ومن عدم الماء ومن دخان النار التي اضرموها ضم اهل البلاد في الدروب ؛ وعندما وصلوا وجدوا ان زوجة الرجل صاحب بوصرى اسلمت المدينة بيد الشوام وان قايد جيشهم قبض على صاحب بوصرى ثمل عينيه وسبي جميع ماله ورجعوا الفرنج مهزومين الى القدس وفيها زحف الجراد في بلاد الشام .

١) المختصر ٣ ص ١٧ والكامل ١١ ص ٤

١١٤٥ م : ٥٤٠ ﻫ بدوءها ٢٤ حزيران اح

مقتل زنكي ؛ نور الدين يقاتل اخاه ويحارب جوسلين فيهزمه

في سنة الف ومائة وخمس واربعين مسيحية قصد عماد الدين زنكي ابن آق سنقر قلعة جعبر(١) وكان صاحبها علي ابن مالك العقيلي وطالت مدة حصارها فوثب عليه جماعة من مماليكه فقتلوه ليلاً وهو سكران في خامس ربيع الاول وكان زنكي صاحب الموصل والشام رجلا شجاعاً مهيباً حكم على مدن كثيرة(٢) ؛ ولما قتل اخذ ابنه نور الدين محمود خاتم والده وسار الى حلب فملكها ؛ وابنه سيف الدين غازي كان بشهرزور فسار

الى الموصل واستقر على ملكها . واما مجير الدين سلطان دمشق لما سمع بمقتل زنكي حاصر حصن بعلبك وملكها بالأمان واعطى لنجم الدين ايوب حافظها اقطاعاً وعدة قرى من بلاد دمشق وفيها جمع نور الدين زنكي الجيوش
٢٠ الحلبية والشامية وتوجه الى مقاتلة اخيه سيف الدين غازي في نواحي الموصل فارسل نصارة الرها يعلموا جوسلين الفرنجي بان الرها خاليـــة من الرجال ؛ فقطع جوسلين الفرنجي الفرات بجماعته ووصل الى الرها ليلاً فادخلوه النصارى من السور فتملك المدينة ونصب الحصار على القلعة فجمع نور الدين الرجال من داخل نهر الفرات وخارجه ونصب المنجنيقات والحصار
٢٥ على المدينة فطلب الفرنج الرحيل من عدم الميرة وآلات الحصار وخرج معهم نصارة الرها بنساهم واولادهم . ووثب عليهم نور الدين واهل القلعة واخذوهم في الوسط وقتلوا كبارهم وصغارهم ولم يفرّ منهم الأ جوسلين (٤٢ ونفر قليل من جماعته احتموا في شميشاط وفي المواضع التي بقربها ثم ان دخل نور الدين بلاد الفرنج وفتح مدينة ارتاح بالسيف وحصن مامولة وبصرفوت وكفرلاثا[٣].

١) الكامل ١١ ص ٤٤ — ٢) الكامل ١١ ص ٤٥ — ٣) الكامل ١١ ص ٤٦ وغليوم ص ٧٢١ والمختصر ٣ ص ٢٤ (سنة ٥٤٦ ه)

١١٤٧م : ٥٤٢ ه بدوءها ٢٥ حزيران أث

كونراد امبراطور المانيا ولويس ملك فرنسا ؛ غدر مانويل

هزيمة الصليبين في الاناضول ؛ وصولهم الى نهر العاصي

في سنة الف ومابة وسبع واربعين مسيحية عندما ضعفت احوال الفرنج
٥ في بلاد الشام وأخذت منهم الرها استنجدوا في اوجان الثالث بابا رومية[١] ؛ فارسل مكاتيب الى ملوك النصارى وبلدانهم ينذرهم الى السفر لبلاد الشام لمعضدة النصارى الذين به ؛ فاستمال الى كلامه كونراد الامبرادور ملك

الالمان ولويس ملك فرنسا مع جملة امراء ومقدمين وشعب لا تحصى عدده
١٠ من صقع مختلفة ؛ فتقدم اولا كونراد الامبرادور الى جهة القسطنطينية وكان
صحبته الوف من سبع كرات مقاتل من غير النساء والاولاد : فترحب بهم
منوال ملك الروم وارسل معهم قوماً منافقين حتى يدلوهم على الطريق
فاجتازوا بهم بلاد البيطينية وادخلوهم في بلاد ليقاونية بطريق البرية ثم
١٥ غدروا بهم ليلا وتركوهم ؛ وشاع عنهم الخبر ان جيوشهم غطت الارض
وخيولهم نشفت النهورة وارسل سلطان ايقونيه بطلب النجدة من بلدان الاسلام
ويعدهم بالكرم وكثرة الاموال فوردت اليه الناس من ارمينيه والقبادوق
وايصوريه وقيليقية وماردين ومن الموصل ، وعندما كان جيش النصارى
مهاناً من مشقة الدرب وخالياً من الميرة ومشتتاً في المواضع المقفرة وثبوا عليهم
٢٠ على غفلة وغنموا بجميع اموالهم وذخايرهم وخيولهم وأسروا منهم كثيرين
الذين لعدم معرفة الممالك كانوا يسلموا نفوسهم رغماً عنهم بيد الاعدا ولم
يخلص من الرجال العشر فاضطروا يرجعوا مع الامبرادور الى نيقية مهزومين ؛
ثم قدم الى القسطنطينية لويس ملك فرنسا بسبعين الف فارس من غير
٢٥ الازلام فقبله ملك الروم بكلي بشاشة وارسل له الهدايا وسار الى نيقية
فاجتمع بالامبرادور ؛ فتوجهوا معاً الى ازمير ومن هناك الى افسوس ؛
وعندما دخلوا بقرب اللاذقية(١) خرجوا الى لقاهم الاسلام فكسروهم
النصارى وغنموا بمالهم وقطعوا النهر ؛ ولكن عندما اجتازوا اللاذقية وقصدوا
الطلوع في جبل عال اقبل اليهم جيش الاعداء عند العصر فشتتوا شمل النصارى
وكسروهم كسرة عظيمة ؛ وبعد مشقة عظيمة من جفا الطريق ومن عدم
٥ الاقوات في حال وصولهم الى نهر العاصي خرج الى لقاهم البرنس صاحب
انطاكية فاستقبلهم بكافة الكرامة وقدم لهم التحف والخدم الفاخرة لان الست
حرمة سلطان فرنسا كانت بنت اخو البرنس وكانت برفقتهم ؛ ثم ان الملك
لويس قصد المسير الى المدينة المقدسة في طريق البر والملك قونراد في طريق
البحر ٠

١) غليوم ص ٧٢٥-٧٥١ والمختصر ٣ ص ٢١

١١٤٨م : ٥٤٣هـ بدؤها ٢٢ ايار س

الافرنج يحاصرون دمشق ويرتدون عنها

١٠ في سنة الف ومائة وثمان واربعين مسيحية اتفق ملك القدس مع ملك فرنسا وملك المانيا على فتح مدينة دمشق فساروا بالجيش الى طريق على بانياس حتى بلغوا داريا التي بقرب دمشق . ويقول ابن سباط ان كان عدد جيشهم ستين الف راجل وستة آلاف فارس وقيل عشرة آلاف وبرز عسكر دمشق بنحو ماية الف راجل فالتقوهم وقتل من المسلمين نحو مايتي

١٥ رجل ثم برزوا من الغد وعملوا المصاف فقتل خلق كثير من الجانبين : وفي اليوم الخامس من وصول الفرنج وصل لنجدة دمشق سيف الدين غازي صاحب الموصل بعشرين الف ؛ ووصل اخوه نور الدين محمود بنحو عشرة آلاف من حلب الى حماه وكان اهل دمشق اشتملهم الرعب ففرشوا الرماد

٢٠ وحطوا المصحف في وسط الجامع وضجت الخلق واستغاثوا بالله والبنات والصبيان يتضرعون اليه مكشوفين الرأس ؛ فلما وصلت النجدة اشتدوا للقتال وذلّت قلوب الفرنج ووقع الخلف بينهم فانهزموا وقتل منهم الوف كثيرة وقتل ايضاً من المسلمين وبجملتهم قتل شاهنشاه ابن نجم الدين ايوب ومن هذه الوقعة

٢٥ ذلت الفرنج وطمع فيهم العدو[1] ؛ ثم ان كونراد الامبرادور رجع بالبحر الى بلاد المانيا وفي حال وصوله توفي وتخلف له في الملك ابن اخيه فادريك امير صابوريا(٤٤ الذي قدم معه الى زيارة القدس ؛ وكذلك ملك فرنسا بعد ما عيد بالقدس عاد مع الست الى مملكته ؛ والقديس برنردوس قبل وحي من السماء بان الذين قتلوا في هذا السفر خلصوا لاجل غيرتهم وسفك دماهم في

٥ سبيل الله وان الله ما تخلى عنهم الا لكثرة خطاياهم وخاصة في الزناء

وفي هذه السنة كان الغلا العظيم عم الخلق من خراسان الى العراق الى الشام الى المغرب . ويقول مطران صور ان في هذه السنة تباين شهب وعلامات مريعة في الفضا فألان الى الامور المهولة التي كانت مزمعة وفي عيد الغطاس وقعت صاعقة في جبل صهيون على هيكل القيامة ؛ وفيها كان المصاف

١٠ بالعمق بين نور الدين محمود وبين الفرنج . فانهزم الفرنج وقتل وأسر منهم جماعة كثيرة وقيل ان فيها الملك العادل نور الدين محمود تسلم حصن افاميه من الفرنج بعد حصار شديد[٢]

١) غليوم ص ٧٦١ والمختصر ٣ ص ٢١ والكامل ١١ ص ٥٣ — ٢) غليوم ص ٨٧٠

١١٤٩م ، ٥٤٤ هـ بدوءها ١١ ايار

نور الدين يقتل رايموندوس ، صاحب قونية ، وفاة انز والحافظ

في سنة الف ومائة وثمان واربعين مسيحية جمع نور الدين جيشاً كثيراً[١] من بلاد الشرق وقصد قلعة نبيه التي بيد رايموندس صاحب انطاكية ؛ ١٥ فجمع رايموندس جماعته وخرج اليه فتخوف نور الدين منه ورحل عن القلعة فطمع بذلك البرنس رايموندوس وقصد طرده بجمع قليل ؛ خرج اليه نور الدين واحاط به بجيشه فقبض على البرنس وقتله وارسل راسه ويمينه الى الخليفة ثم وثب على رينلدوس[٢] صهر جوسلين صاحب الرها وعلى الفرنج ٢٠ فقتلهم وغنم بجميع مالهم وقوت عبرته حتى انه نزل اغتسل في البحر الذي تحت انطاكية وارسل جماعته تغزي كل بلادها فذلّت قلوب الفرنج .وبكثر فيهم الضجيج والبكاء[٣] ؛ ثم ان نور الدين عند العودة سار الى حارم فحاصرها وملكها ؛ وكان مقتل رايموندوس البرنس في السابع والعشرين من حزيران بين حماه وحصن ٢٥ الروج فاهتدوا النصارى على جسده واخذوا دفنوه في هيكل الرسل بانطاكية وكان رايموندوس ذا هيبة وشجاعة الا انه كان قليل السعد ؛ ثم ان قدم (٤٥ ملك القدس الى انطاكية مهد امورها شدد قلوب الفرنج وطلع على حارم فحاصرها ثم رحل عنها.

وفيها قدم سلطان ايقونيه الى بلاد انطاكية بجيش كثير فأخذ حصوناً كثيرة وحاصر طور بسال وكان يومئذ فيه جوسلين صاحب الرها مع اولاده ٥ فبذل له عن الحصن ردة جميع الاسراء وسلاحات تكفي اثنيعشر فارس فرحل عنه .[٤] وفيها توفي غازي صاحب الموصل ابن آق سنقر اخو نور الدين

محمود ه وفيها توفي معين الدين انز اتابك دمشق وهو صاحب المعينية بدمشق وبنته خاتون صاحبة الخاتونية[٥].

وفيها في جمادى الاخر توفي الحافظ عبد المجيد صاحب مصر وبويع بعده
١٠ لولده الظافر بامر الله ابو منصور اسمعيل[٦] وهو الثاني عشر من الخلفاء الفاطميين والتاسع بمصر : وفيها زلزلت الارض زلزلة شديدة[٧].

في سنة الف ومائة وتسع واربعين مسيحية اخذت العرب ركب العراق وتمزق الحجاج واستغنت العرب[٨]. وفيها نزل نور الدين دمشق فخرج اليه
١٥ صاحبها ووزيره وخضعا لنور الدين فرق لهما وخلع عليهما ورجع الى حلب فتشكرته الناس : وفيها جاء في بلاد اليمن مطر احمر فابقى اثره على الارض وعلى الدواب وعلى ثياب الناس[٩].

---

١) جمع نور الدين مشايخ كثير ش الصواب سنة ١١٤٩ م راجع غروسه ٢ ص ٢٧٨
٢) غليوم ص ٧٧١ — ٣) غليوم ص ٧٨٢ وذكر الوقعة سنة ١١٥٢ — ٤) غليوم ص ٧٧٥ — ٥) ابن الجريري ص ٦٨ والمختصر ٣ ص ٢٢ — ٦) ابن الحريري ص ٦٩ —
٧) ابن الحريري ص ٦٩ — ٨) الكامل ١١ ص ٦٠ سنة ٥٤٥ ه — ٩) ابن الحريري ص ٦٩

١١٥٠ م ، ٥٤٥ ه بدؤها ٣٠ نيسان أح

هزيمة نور الدين من جوسلين ثم اسر جوسلين ؛ الخلاف بين بلدوين ووالدته

في سنة الف ومائة وخمسين مسيحية سار نور الدين الى بلاد جوسلين فخرج اليه بجماعته وكسره وقتل واسر من رفاق نور الدين جمعاً كثيراً وكان
٢٠ بجملة القتلى سلحدار نور الدين الذي كان حاملاً سلاحه فانهزم نور الدين وأوعد التركمان باموال كثيرة ان ظفروا بجوسلين[١]؛ فحدث ان طلع جوسلين الى الصيد فكبسه التركمان واحضروه على نور الدين اسيراً فقتله وركب على بلاده وقلاعه فملكها وهي تل باشر وعين تاب ودلوك وعزاز وتل خالد
٢٥ وقورش والراوندان وبرج الرصاص وحصن الباره وكفرسود وكفرلاتا ومرعش

ونهر الجوز وغير ذلك بمدة يسيره وحصنها بالرجال والذخاير ؛ وكان الامير جوسلين(٤٦ اعظم فرسان الفرنج وفي قتله دلت الفرنج في بلاد الرها وبلاد انطاكية بسبب العداوة التي كانت بين امراها وعندما قتلوا الامرا اصحابها صاروا تحت تدبير النساء ؛ فاختبر بذلك منوال ملك الروم وجهز عسكراً عظيماً لاستخلاص تلك البلدان من يد الفرنج ؛ واجتمع في طور بسال ملك ٥ القدس والقومس صاحب طرابلوس وجماعة انطاكية فتأملوا خراب تلك النواحي وبعدها عن القدس نحو خمسة عشر يوم فشرعوا الاصلح ان يسلموها بيد الروم بشرط ولا تأخذها الاسلام بالسيف فاخلوا طور بسال وجميع ما كان للفرنج بتلك الجهات بيد قايد جيش الروم وخرجت زوجة جوسلين ١٠ واولادها وجميع الفرنج ونصارى البلد الذين طلبوا رفقتهم من مواطنهم بالبكا والنحيب وساروا لبلدان لم يدخلوها اصلاً . فلما اختبر نور الدين بان الفرنج اسلموا القلاع بيد الروم واخلوها زحف عليها واخذها كلها حتى بلغ ابواب انطاكية .

وفي هذه السنة جرت الفتنة ايضاً بين بلدوين ملك القدس وبين والدته فانقسمت ايضاً المملكة فأخذت الملكة والدته بيت المقدس ونابلوس من ورثة ١٥ ابيها واخذ الملك صور وعكا وسواحل البحر ثم ان بلدوين سار بالعسكر الى نابلوس وتملكها بالسيف ثم قصد بيت المقدس فهربت والدته الى برج داود فتسلم الملك المدينة ووضع الحصار على البرج وضايقه مدة ؛ فدخل بينهما البطرك ٢٠ مع اعيان المدينة وصار الوفق على ان نابلوس تكون لوالدته والبواقي بيد الملك .

١) الكامل ١١ص ٢٢—٢٣ ذكر اسر جوسلين اما موته فيحدث بعد تلك السنة بتسع سنين وهو اسير في قلعة حلب . راجع ابن العبري مختصر تاريخ الدول ص٣٦٠—٣٦١ وغروسه ٢ ص٢٩٥ — ٣) غليوم ص ٧٨١ سنة ١١٥٢ م

١١٥٢م : ٥٤٧هـ بدؤها ٨ نيسان ث

قتل رايموندوس ؛ وقعة اريحا ؛ وفاة مسعود

في سنة الف ومائة واثنتين وخمسين مسيحية قتل في الغدر رايموندوس القومس

صاحب طرابلوس وكان مقتله داخل المدينة[١] وكان بتلك الايام حاضر بطرابلوس بلدوين الملك وزوجته واختها زوجة جوسلين فحزنوا عليه حزناً عظيماً وتحقق عندهم ان قلّ سعدهم بارض الشام . فرتب الملك امور طرابلوس وأسلم تدبيرها بيد (٤٧ زوجة رايموندس وبيد ابنها رايموندس وله من العمر اثنتا عشرة سنة . وفيها عندما كان الملك في نابلوس اجتمع المسلمون اصحاب بيت المقدس وزحفوا بعسكر عظيم الى استخلاصه من يد الفرنج فقطعوا نهر الاردن ونزلوا في جبل الزيتون مما لي شرقي المدينة . فخرج اليهم عسكر القدس وحشروهم في طريق اريحا وضربوا فيهم السيف لدقيقة المسالك والذين فرّوا وقعوا بيد بلدوين الملك وقيل ان كان عدد القتلى خمسة آلاف فغنمت الفرنج خيولهم واموالهم وكانت الوقعة في الثاني والعشرين من تشرين الثاني . وفيها كانت وفاة السلطان مسعود السلجوقي وماتت معه سعادة البيت السلجوقي[٢] فلم يقم لهم بعده راية يعتد بها وتقعد في السلطنة ابن اخيه ملكشاه ابن محمود .

١) قتل عند باب المدينة غليوم ص ٧٦١ ٢) غليوم ص ٧٦٢
٣) الكامل ١١ ص ٦٥

١١٥٣ م : ٥٤٨ هـ بدوءها ٢٩ اذار اح

مقتل العادل ؛ الافرنج يفتحون عسقلان ؛ ريلدوس يتأهل بقسطنطا

في سنة الف ومائة وثلاث وخمسين مسيحية قتل العادل وزير الظافر صاحب مصر وكانت الوزارة في مصر لمن غلب[١] . فقصد ملك القدس عسقلان[٢] وهي للخلفاء مصر وفي الثالثة وعشرين لتشرين الآخر احاطت بها الفرنج بالبر والبحر وشدّوا عليها الحصار وكانت المدينة مكتفية من الميرة وآلات الحرب وفي الشهر الخامس اتتها النجدة من مصر بسبعين غراباً وجملة مراكب كبار مسوقين من المون والسلاح فرحلت الفرنج عنها لانهم كانوا قليلين . ولكنهم استنجدوا في الزوار الذين قدموا من بلاد النصارى واكرموا عليهم بالعطاء فاضطروا اهل المدينة يسلموها للفرنج بشرط انهم يخرجوا منها باولادهم

ونساهم ومالهم . وفي الثاني عشر من شهر آب دخلها الفرنج بزياح جميل ونصبوا راية الملك على سورها وجاز الملك بالفرسان فاعطى البعض دراهم والبعض اسرجة وحصوناً واما عسقلان ولى عليها اخاه المريقوس.[٢]

٢٠ وفيها حاصر نور الدين بانياس مدة ورحل عنها. وفيها تأهل رنيلدوس بقنسطنسا زوجة البرنس صاحب انطاكية وتولى على المدينة وعلى برها الا انه كان ردى السيرة دني النسب؛ وكان المريقوس بطرك انطاكية مضاداً له في تلك الزيجة لاجل ذلك حنق على البطرك فحبسه(٤٨ وسلب ماله ثم دهن رأسه بالعسل واوقفه عرياناً بالشمس اتلسعه الزنابير[٤] والدبان فارسل الملك حلصه فترك البطرك انطاكية واخذ السكنى ببيت المقدس واما البرنس شمل الله فيه حتى وقع بيد اعداه.[٥] وفيها كان انقراض دولة اولاد سبكتكين

٥ ملوك غزنة وظهور الملوك الغورية[٦].

---

١) المختصر ٣ ص ٣٢ — ٢) ابن الجريري ٦٦— ٧ — ٣) غليوم ص ٧٩٤—٨٠١

٤) غليوم ص ٨٠٢ و ٨١٧ سنة ١١٥٤ م — ٥) لتلسعه النصوح والدبان ق ن —

٦) المختصر ٣ ص ٣٥

١١٥٤ م، ٥٤٩ هـ بدوءها ١٨ اذار خ

مقتل الظافر؛ حصار تكريت

في سنة الف ومائة واربع وخمسين مسيحية كان مقتل الظافر بأمر الله اسمعيل خليفة مصر في المحرم وولاية ابنه الفائز بنصر الله ابي القاسم عيسى وهو الثالث عشر من الخلفاء الفاطميين والعاشر بالديار المصرية وكان الظافر كثير اللعب

١٠ والتفرد بالنسا واستماع الاغاني فقتله وزيره نصر بن عباس وضبط جميع خزاينه وذخائره وهرب بها الى الشام فوقع بالطريق بيد الفرنج فقتلوه وغنموا بجميع ما كان معه والظافر بنا الجامع المعروف بالظافري في القاهرة؛ واما وزير الفائز فهو طلايع ابن رزيك الملقب بالصالح.[١] وفيها سار المقتفي خليفة بغداد

١٥ حاصر تكريت مدة ورحل عنها.[٢] وفيها نور الدين محمود كاتب اهل

دمشق ان يسلموه المدينة لئلا تقصدها الفرنج وتملكها مثل ما تملكوا عسقلان فاستمالهم اليه في الباطن ثم سار اليها ووضع عليها الحصار ففتحوا له الباب الشرقي وملك المدينة ثم حاصر مجير الدين ابق صاحبها في القلعة فبذل له ٢٠ اقطاعاً وتسلم القلعة وتلقب الملك العادل نور الدين ثم انه جاز مواضع الفرنج واخذ منهم تل باشر .(٣

١) الكامل ١١ ص ٧٧ — ٢) الكامل ١١ ص ٧٩ — ٣) الكامل ١١ ص ٨٠ والمختصر ٣ ص ٣٠

١١٥٥ م : ٥٥٠ هـ بدوءها ٧ اذار ث

نور الدين ؛ بغداد

في سنة الف ومائة وخمس وخمسين مسيحية تسلم الملك العادل نور الدين ابن زنكي بعلبك وابا قبيس . وفيها كانت صايرة حروب كثيرة في بغداد من المتغلبين عليها فاحترق اكثر بلادها بالنار .

١١٥٦ م : ٥٥١ هـ بدوءها ٢٥ شباط س

الارمن في قيليقية ؛ رينلدوس في قبرس ؛ نور الدين يهزم بلدوين ؛ الزلزلة

٢٥ في سنة الف ومائة وست وخمسين مسيحية زحف ملك الارمن بجيش كثير الى(٤ بلاد قيليقية وهذه بيد ملك الروم فنهبوا وقتلوا ؛ وكتب ملك الروم الى ريانلدوس البرنس ليركب على جيش الارمن ويطردهم واوعده بخيرات كثيرة فزحف البرنس بجماعته واهزم الارمن متاملا خيرات كثيرة من ملك الروم واذ لم يصر له منه شي اخذ جماعته وسار بهم في البحر الى قبرس

فنهبوا وقتلوا وافسدوا حتى اللاسات الاسكيم فاهلك الله مكاسبهم في البحر عندما كانوا راجعين الى انطاكية .[1] وفيها صاحب مصر فتح غزه واستردها من يد الفرنج . وفيها بلدوين ملك القدس قصد للعربان والتركمان الذين يرعون مواشيهم في حولية بانياس[2] فنهبوا واسروا منهم خلاف العهد ١٠ الذي كان بينهم ؛ فوثب عليهم نور الدين وخطف جميع سباياهم ووضع الحصار على مدينة بانياس ؛ فسار اليه ملك القدس بجيشه فرحل عنها ثم ان ملك القدس سرح الازلام الى مواطنهم ، واذ هو ساير الى طبرية بالامان مع جماعته كبسهم نور الدين على غفلة على نهر الاردن عند مخاضة يعقوب ١٥ في السابع عشر من شهر حزيران فقتل واسر كثيرين من فرسان الفرنج ؛ واما الملك فر مع بعض اناس واحتمى في قلعة صفد ؛ ثم ان نور الدين قصد العودة الى بانياس فلم يتنفع شيء لان بلغه قدوم البرنس صاحب انطاكية والقومس صاحب طرابلس بجيش كثير فرحل عنها ؛ وفيها يقول ابن سباط ان كانت في بلاد الشام الزلزلة العظيمة فخربت بها حلب وشيزر وكفرطاب وافاميه ٢٠ وحمص وحصن الاكراد وعرقا ولاذقية وطرابلس وانطاكية فهلك تحت الردم ما لا يحصى وكان اشد تأثيرها في حماه فهدمت الاسوار والقلاع ولم يفضل من اهلها الا القليل ولذلك تسمت زلزلة حماة ؛ ويقال عن معلم صبيان فارق المكتب وجات الزلزلة فسقط المكتب على الصبيان واهلكتهم ٢٥ كلهم فلم يحضر احد من أهلهم يسأله عن صبي كان له في المكتب ؛ وكذلك شيزر كانت لبني منقذ يتوارثونها من ايام الصالح بن مرداش صاحب حلب سنة اربعماية واربع عشرة للهجرة الى هـذا الآن وصدف ان يوم الزلزلة كان احدهم ختن ابنه وعزم على داره جميع بني (٥٠ منقذ فجاءت الزلزلة وهلكوا جميعهم في سقطة الدار ؛ ثم ان مضى نور الدين الى شيزر فعمرها وتولى عليها .

١) غليوم ص ٨٣٤ — ٢) غليوم ص٨٣٦ — ٣) ذكر ابن السباط هذه الزلزلة في سنة ٥٥٢ هـ وراجع فيها الكامل ١١ ص ٨٨ والمختصر ٣ ص ٣٢ ويذكر غليوم الزلازل في سنة ١١٧٠ م

١١٥٧ م: ٥٥٢ هـ بدوءها ١٣ شباط ار

الافرنج والارمن؛ شيزر؛ فتح حارم وقلعة المغارة؛ وفاة فولقار

في سنة الف ومائة وسبع وخمسين مسيحية قصد زيارة القدس تاودوربكوس امير فلندرا وصحبته زوجته وهي اخت بلدوين الملك فترحب بها الملك وسارا ثانيهما الى عند القومس صاحب طرابلس واجتمع بها البرنس صاحب انطاكية وامراء الفرنج واتفقوا على فتح شيزر التي على العاصي وقدم لعضدتهم ايضاً ملك الارمن فوضعوا عليها الحصار وملكوها بالسيف: واما صاحب شيزر تحصن في القلعة وكان استملاك القلعة سهلاً عليهم لكن وقع الخلف بين تاودوربكوس وبين البرنس لمن منهما تكون المدينة واذ لم يصبر وفق نهبوا المدينة ورحلوا عنها ثم انهم انتقلوا الى حارم فملكوها بالسيف وقتلوا الذي كان متولياً عليها.

وفيها سار جيش الفرنج الى قلعة المغارة التي في حدود جلعاد وكانوا المسلمين ملكوها على غفلة فاسترجعوها الفرنج. وفيها كانت وفاة فولقار بطرك بيت المقدس وصير بعده هيمريكوس وهو التاسع في بطاركة الفرنج على بيت المقدس[1].

[1] الكامل ١١ ص ٨٨ وغليوم ص ٨٥١ و ٨٥٥

١١٥٨ م: ٥٥٣ هـ بدوءها ٢ شباط اح

نور الدين وبلدوين؛ زواج بلدوين

في سنة الف ومائة وثمان وخمسين مسيحية سار الملك نور الدين بالجيش الشامي الى قلعة المغارة وشد عليها الحصار ثم انه رحل عنها في قدوم الملك بلدوين لنجدتها؛ وفي التاسع من تموز كان المصاف بين بلدوين ملك القدس وبين نور الدين ملك دمشق فانهزمت الشوام من قدام الفرنج[1].

وفي شهر أيلول تأهل بلدوين الملك مع تاودوره بنت اسحاق اخي ملك الروم فقدم لها بلدوين عشرة آلاف من دراهم ذلك العصر وجهزها ملك الروم بما ينوف عن اربعين الف من دراهم وتحف واقمشة وفي حال ٢٥ وصولها كللها البطرك بتاج الملك.[٢]

١) غليوم ص ٨٥٥ — ٢) غليوم ص ٨٥٧

١١٥٩ م: ٥٥٤ هـ بدوءها ٢٣ ك ٢ ج

منوال في انطاكية ؛ قصاص رينلدوس ؛ نور الدين عند ابقونية ؛ بلدوين على ابواب دمشق ؛ غزوات رينلدوس واسره ؛ وفاة الفائز والمقتفي

في سنة الف ومابة وتسع وخمسين مسيحية قدم منوال ملك الروم بعساكره الى بلاد الشام بسبب الشكايات التي انعرضت اليه عما[١] فعل رينلدوس البرنس في جزيرة قبرس وبسبب استيلاء ملك الارمن على بلاد قيليقية ؛ وتوهم على اهالي الشام في قدوم ملك الروم على غفلة ولم يشعر به احد ؛ فالبرنس متأملا انه كان عاجزاً على مقاومته خرج الى لقاه ماشياً حافياً لابساً ثوب ٥ قطن قصير الكمام فجثا امام قدميه منكس الرأس وبرقبته حبل وقدم سيفاً مسلولا وهو ماسكه عند طرفه فانسر امانوال الملك بذلك الازدرى ورضي عليه واطال عليه المعاتبة مدة طويلة حتى ان استخف به كل من رآه وسمع خبره[١]؛ ثم ان قدم بلدوين قاصد الاجتماع بملك الروم فارسل امانوال الملك ١٠ أولاد اخيه وناس من خاصته يلاقوه وادخلوه الى خيمته في عراضه وكرامات جزيلة واستقبله اجل قبول واحتضنه واجلسه عن جانبه في موضع ادنى منه فداموا في المصاحبة نحو عشرة ايام : واستعطف ملك القدس خاطر ملك الروم على ملك الارمن وشخصه امامه واعاد عليه جميع ما كان تملكه من بلاد قيليقية وحلف له ان يكون تحت طاعته : ثم ان ملك الروم دخل مدينة

انطاكية بطبول وزمور وفي تراتيل وتسابيح وهو لابس ثياب الملك ورأسه متوّج باكليل من الغار ؛ وخرج الى لقاه بطرك المدينة واكابرها بزياح جميل فعيد عيد الصعود بانطاكية ثم رجع ملك الروم الى القسطنطينية وملك الفرنج الى بيت المقدس ؛ فلما بلغ نور الدين ان ملك الروم رجع الى مدينته
٢٠ زحف بعسكر الشام الى جهة ايقونية وكان سلطان ايقونية يومئذ في السفر بعيداً عن بلاده فتملك نور الدين مواضع كثيرة وقتل ونهب واخرب نواحي ايقونية بالنار والسيف[1]؛ وفي غياب نور الدين طاف بلدوين الشام حتى وصل الى ابواب دمشق وحمل اليه نجم الدين اموالا كثيرة بشرط انه يكف عن
٢٥ التحطحط في بلاد الشام الى مدة ثلاثة اشهر ثم انه بعد الشهور الثلاثة استجرش بلدان الشام فشتت الناس واخرب ضياعهم وتملك حصوناً كثيرة.

وفيها ايضاً رينلدوس البرنس غزا بلاد الرها فنوب(٢ه وخطف سايقة كثيرة كانت للنصارى سريان وارمن القاطنين في تلك النواحي؛ فهمل فيه الله حتى انه وقع في يد صاحب حلب الذي كان واضعاً له الكمين بالطريق فتبضاو عليه واخذوه اسيراً الى حلب وقتلوا كثيرين من جماعته واخذوا السايقة منهم
٥ وكان الامر في الواحد والعشرين من تشرين الاخر.[3] وفيها توفي الفائز[4] بنصر الله عيسى خليفة مصر في شهر رجب ولم يكن له عاقب ؛ فبويع بعده لابن عمه ابو محمد عبد الله ابن محمد ابن يوسف ابن الحافظ وتلقب العاضد لدين الله وهو الرابع عشر من الخلفاء الفاطميين والحادي عشر بمصر وفيه
١٠ انقرضت الدولة الفاطمية وكان طفلا فقام باموره طلايع ابن رزيك.

وفيها توفي ايضاً في ثاني ربيع الاول خليفة بغداد المقتفي لامر الله ابو عبدالله محمد وبويع بعده لابنه المستنجد بالله يوسف وهو الثاني والثلاثون من خلفاء بني عباس بالعراق.[5]

---

١) غليوم ص ٨٦٠

٢) غليوم ص ٨٦٦

٣) غليوم ص ٨٦٨

٤) ابن الحريري ص ٧١ والكامل ١١ ص ١٠٣

٥) الكامل ١١ ص ١٠٢

١١٦٠ م : ٥٥٥ هـ بدوءها ١٢ ك ٢ ث
و ٥٥٦ هـ ث بدوءها ٣١ ك ١ س

زهر الدولة امير الغرب

في سنة الف ومائة وستين مسيحية كان زهر الدولة ابن بحتر امير الغرب
١٥ في ثغر بيروت ساكناً في حصن سرحمور وغير قرايا الغرب ولاه ملك دمشق
نور الدين على التنيطره زجلبايا[1] من البقاع وعلى ظهر حمار من وادي التيم وعلى
برجه من صيدا وعلى المعاصر الغوقا والدامور وشارون ومجدلبعنا وكفرعميه
واقام له المعيشة ولاربعين فارسا لاجل مقاتلة الفرنج . وكان اخوه عرف
٢٠ الدولة قايماً بعرامون الغرب .[2]

١) ثلبايا من البقاع راجع صالح ص ٧٢ — ٢) صالح ٧١ و٧٢

١١٦١ م : ٥٥٧ هـ بدوءها ٢١ ك ١ خ

حصر نور الدين حارم ؛ الخلاف بين امنوال وبلدوين

في سنة الف ومائة واحدى وستين مسيحية حاصر نور الدين قلعة حارم
وهي بيد الفرنج ثم رحل عنها[1] وقصد طرابلوس ونزل في البقيعة ؛ فكبسوه
الفرنج على غفلة ولم يشعر بهم الا وقد طلعت عليه صلبان الفرنج فقتلوا
واسروا اكثر عسكره فخلص هو بفرسه ونزل على بحيرة حمص وحلف بالله
٢٥ ان لا يظلله سقف حتى يأخذ بالثأر .
(٥٣ وفيها توفيت هيريني ملكة الروم؛ فارسل امنوال يطلب من الملك
بلدوين يخطب له بنتاً فرنجية فجهزوا له اخت القومس صاحب طرابلوس
واخرج عليها اخوها اموالاً كثيرة واعد لها اثنيعشر غراباً لسفر البحر؛ ثم ان

قصاد ملك الروم ما ارتضوا بها فتكلموا في بنت البرنس صاحب انطاكية
٥ وتوجهوا بها الى القسطنطينية بعز عظيم . فصعب ذلك على القومس وارسل
الاثني عشر غراباً تقرصن في بلاد الروم فاخربوا الكنائس وشلحوا الزوار
ونهبوا سواحل البحر ولم يعفوا عن شره .[٢]

١) الكامل ١١ ص ١١٥ — ٢) عليوم ص ٨٧٨

١١٦٢ م : ٥٥٨ هـ بدوءها ١٠ ك ١ اث

وفاة بلدوين ؛ القتال بين درغام وشاور ؛ وقعة بلبيس

في سنة الف ومائة واثنتين وستين مسيحية توجه بلدوين ملك القدس
١٠ الى انطاكية فعرضت عليه حمى شديدة فحملوه الى طرابلوس ثم الى بيروت
وتوفي في بيروت في الثالث عشر من اسباط فحملوا به الى القدس ودفنوه في
تربة الملوك وحزن عليه كل الفرنج لكرمه وعفته[١] ؛ وكان بلدوين بطلعة
القامة وجمال البدن يفوق الوصف سالكاً في الشريعة شجيعاً في الحرب صبوراً
١٥ على التعب منكراً السكر يكرم خدام البيعة ويحب منادمتهم ؛ وتخلف بعده
اخوه الماريكوس ؛ وكان حاضراً ببيت المقدس الماريكوس البطريرك وبطرس
الكردينال قاصد الكرسي الروماني فما اراد ان يكللاه ملكاً حتى سرح
اغناس التي كان تزوج بها ورزق منها صبياً وبنتاً بسبب ان زواجها كانت
٢٠ بخلاف قانون البيعة في الوجه الثامن لان امهات جديها كانت اخوات .[٢]
وفيها كان القتال بمصر بين درغان وبين شاور البدوي بسبب الوزارة فانهزم
شاور وسار الى دمشق ليستنجد بنور الدين[٣] ؛ وزحف الماريكوس ملك
القدس بجيشه الى مصر لان الخليفة ما ارسل له الدراهم التي كان تعاهد
بها لاخيه فتواقعا العسكران بالقرب من بلبيس وكانت الكسرة على المصريين
٢٥ فغنمت الفرنج باموالهم وقتلوا منهم مقتلة كبيرة ورجع الماريكوس مسروراً
الى القدس[٤] ؛ ثم ان شاور البدوي استعطف خاطر نور الدين وسير معه
العساكر الشامية مع اسد الدين(٥٤ شيركوه وجملة امراء الى مصر ؛ فخرج اليهم

درغان وظفر بهم ولما كان مهماً ليقاتلهم مرة ثانية وثب عليه واحد من جماعته فقتله فتولى الوزرنه شاور .

١) غليوم ص ٨٧٦ — ٢) غليوم ص ٨٨٨ — ٣) ضرغام وشادر الكامل ١١ ص ١١٧ — ٤) غليوم ص ٦٨٠ و ٨١٢

١١٦٣م : ٥٥٩هـ بدوءها ٣٠ت٢ س

هزيمة نور الدين ؛ الماريكوس يحاصر القاهرة

في سنة الف ومائة وثلث وستين مسيحية كانت الوقعة بين الملك العادل نور الدين وبين الفرنج عند قلعة حارم التي فوق انطاكية وكانت الكسرة على نور الدين.[1] وفيها اسد الدين شيركوه تداخله الطمع على وزرنة مصر فنصب الحصار على بلبيس وملكها ؛ فاستنجد شاور بملك القدس لينجده على شيركوه وتعاهد له بالف الف دينار ؛ فزحف الماريكوس بجيش الفرنج الى الديار المصرية واستقبله شاور بكل كرامة فحاصروا بلبيس وتسلموها بالامان ؛ ثم ان الماريكوس وضع الحصار على القاهرة وعلّق بها شاور النار فلم تزل توقد فيها اربعة وخمسين يوماً وتوهم على اهلها انها تقع بيد النصارى .

١) الكامل ١١ ص ١١٦ و ١٣٠

١١٦٤م : ٥٦٠ بدوءها ١٨ت٢ ار

هزيمة الافرنج ؛ نور الدين يفتح حارم

في سنة الف ومائة واربع وستين مسيحية عندما كانت جيوش الفرنج بمصر سار نور الدين بالشوام الى محاصرة طرابلوس ؛ فخرجت اليه الفرنج من المدينة وزحفت لنجدتها اهالي الجبال المشتملة عليها فكسروا عسكره

وغنموا ماله وهرب نور الدين مهزوماً بلا سيف ؛ ثم انه جمع رجال المدن
٢٠ وعربان البر وسار بهم الى قلعة حارم وجاهد على فتحها ولكن كان وقتئذ
عند البرنس في انطاكية القومس صاحب طرابلوس وقولمان حافظ قيليقية
وطورس قائد جيش الارمن فاجتمعوا وخرجوا الى مقاتلة نور الدين فرحل عن
حارم وترفع ؛ فلما رأوه هارباً اخذهم الطمع ليقتفوا اثره فوضع لهم الكمين
٢٥ في وادي وعندما كانوا متفرقين عن بعضهم بعض رجع اليهم على غفلة
فقتل منهم مقتلة كبيرة وحصل منهم نحو عشرة آلاف اسير وكان بجملة
الاسرا البرنس والقومس وقولمان فسار بهم مسروراً الى قلعة حلب (٥٥ وكانت
الوقعة في تاسع آب ثم ان نور الدين رجع الى حارم مالكها بالسيف
وفيها يقال ان ولدت امرأة ببغداد اربع بنات ببطن واحد.[٢]

١) الكامل ١١ ص ١٢٢ وغليوم ص ٨٩٥ — ٢) ابن الحريري ص ٧٥

١١٦٥م : ٥٦١ هـ بدوءها ٧ ت ٢ أح

نور الدين يفتح بانياس والمنيطرة

في سنة الف ومائة وخمس وستين مسيحية سار نور الدين الى فتح بانياس
٥ التي بجبل لبنان فنصب لها المنجنيقات وحفر لها اللغوم تحت الارض وفي اول
يوم من تشرين الاخر تسلمها نور الدين بالأمان وكان صاحبها بمصر في
قلعة برقتة الملك الماريكوس[١].

وفيها سار الى جرد بلاد جبيل وافتتح حصن المنيطرة وفيها صار حريق
عظيم بدمشق طلعت النار من دكان هرّاس فاحرقت باب الساعات واللباديين
١٠ وذهبت اموال الناس[٢].

١) غليوم ص ٩٠٨ والكامل ١١ ص ١٢٢
٢) ابن الحريري ص ٧٥ والمختصر ٣ ص ٤٤ والكامل ١١ ص ١٣٠

١١٦٦م: ٥٦٢هـ بدوءها ٢٨ ت١ ج

شيركوه في مصر ؛ البرنس في القسطنطينية ؛ فتح صافيتا

في سنة الف ومية وست وستين مسيحية دخل الماريكوس ملك القدس مصر فانهزم شيركوه ورتب امور شاور البدوي[1] بالوزاره ورجع الى القدس باموال كثيرة وبادر باستفكاك البرنس صاحب انطاكية . وسار البرنس الى
١٥ القسطنطينية ليزور ملك الروم الذي كان تأهل باخته فحظي بكرامات حربية ورجع بتحف وهدايا كثيرة[2] . واما شيركوه قصد قلعة بروت فملكها بالمكر قتل صاحبها واطلق الذين كانوا فيها .
وفيها فتح نور الدين صافيتا والعريمة .[3]

١) الكامل ١١ ص ١٢٢ ٢) غليوم ص ٩٨٣
٣) الكامل ١١ ص ١٢٢ « صافيتا وعريمة »

١١٦٧م: ٥٦٣هـ بدوءها ١٧ ت١ بثر

شاور رسول شيركوه ؛ شاور يحالف الماريكوس ويحارب شيركوه

في سنة الف ومية وسبع وستين مسيحية انعم نور الدين على شيركوه
٢٠ بحمص واعمالها وسيره بمكاتيب الى خليفة بغداد يخبره في احوال مصر وبقوتها وغناها وان اهلها اصطحبوا مع الفرنج وحملوا اليهم الاموال ؛ فجهز معه عساكر بغداد وفي عودته الى بلاد الشام جمع العساكر النورية وسار بهم الى مصر في طريق البرية ؛ وفي ثمانية وعشرين لكانون الاخر جمع ايضاً الماريكوس عسكر الفرنج (٥٦ وسار بهم الى معضدة شاور الوزير وصار الشرط بان العاضد خليفة مصر يحمل في كل عام الى ملك الفرنج اربعماية الف دينار وان نصف المبلغ يعطى بمصر والنصف الاخر يحمل الى بلاد القدس فصارت وقعات

٥ كثيرة بين شاور وبين شيركوه وكان جيش الفرنج صحبة شاور : وكان صلاح الدين ابن ايوب مع عمه شيركوه طالب الأمان وطلع من معه من الاسكندرية بلا ضرر ورجع بخزن الى الشام . واما شاور تولى الاسكندرية ونصب رايات ملك القدس على قلعتها . ثم في الثامن عشر من شهر آب رجع الملك الماريكوس بعز وكرامه الى عسقلان.

١٠ وفيها انعقد الزواج بين الماريكوس ملك القدس ومريم بنت اخي امنوال ملك الروم . وقدم قصاد ملك الروم[١] (بسبب الركبة على شروط معلومة بين ملك الروم) وملك القدس . وفي الثامن وعشرين من تشرين الثاني انتقل ملك القدس بجيش الفرنج الى الديار المصرية منكوا بلبيس بالسيف ثم زحفوا الى القاهرة وشدوا عليها الحصار

١٥ وتعاهد الخليفة لملك الفرنج بكرتين من الدراهم وان الكرة الواحدة تعطى بالحاضر وانهم يرحلوا من المدينة لبين ما تتحصل الكرة الاخرى فلم يرحلوا؛[٢] ثم وصلت عمارة الفرنج بالبحر فتملكوا تابيس التي على شاطئ النيل وقتل النوتية شعباً كثيراً ؛ عند ذلك ارسل العاضد خليفة مصر يطلب النجدة من

٢٠ الملك العادل نور الدين وسوّد الكتاب وجعل فيه ضفائر النساء[٣]؛ فادركت نور الدين الحمية وجهز شيركوه بعسكر نحو عشرة آلاف فارس وخمسين الف راجل ؛ فلما بلغوا مصر رحل الفرنج الى بلادهم . واما اسد الدين شيركوه قبل انه يدخل مصر قتل شاور الوزير بالغدر ثم دخل القاهرة بعساكره[٤] ؛ فخلع عليه

٢٥ الخليفة خلع الوزاره ولقبه الملك المنصور امير الجيوش وادخله الى دار الوزارة التي كانت لشاور البدوي فثبت الملك المنصور شيركوه ابن مجير السعدي بالوزارة شهرين وخمسة ايام ومات ؛ وفي رضا الامراء (٥٧ النوريه) ولي العاضد صلاح الدين يوسف ابن ايوب الوزارة وهو ابن اخت شيركوه ولقبه الملك الناصر وصار نايباً لنور الدين بالديار المصرية وكان نور الدين يسميه الاسفه سلاّر وعند ما تمكن صلاح الدين بالديار المصرية اخذ الى عنده اباه ايوب

٥ واهله واعطاهم المقاطعات بمصر . وفيها توفي شاروق التركماني واليه تنسب الطائفة الشاروقية فسكنوا بظاهر حلب وبنوا عماير كثيرة على شاطئ نهر قويق تعرف بالشاروقية[٦].

(وفيها نور الدين بعد حروباً كثيرة تولى قلعة جعبر وكانت قلعة جعبر

بيد مالك العقيلي من ايام السلطان ملكشاه فقبض عليه نور الدين واسره ثم اعطاه عوضها سروج واعمالها والملوحه من بلد حلب وعشرين الف دراهم[٧] .)

١) غليوم ص ٩٤٣ وما بين الهلالين اخذاً عن ف ن ب – ٢) غليوم ص ٩٤١ – ٣) الكامل ١١ ص ١٢٦ – ٤) الكامل ١١ ص ١٢٦ والمختصر ٣ ، ٤٧ – ٥) الكامل ١١ ص ١٢٨ – ٦) المختصر ٣ ص ٥١ قال باروق والاصح ما رواه الدويهي وهي « المشارقة » على التوريق لم يزل موجوداً الى يومنا في حلب – ٧) وجاء في الكامل ١١ ، ص ١٢٥ : عشرين الف دينار – وما بين الهلالين ناقص في ش

١١٦٩م، ٥٦٥هـ بدؤها ٢٥ ايلول خ

حصار دمياط ؛ دفاع صلاح الدين ؛ هزيمة الافرنج

وفي سنة الف ومابة وتسع وستين مسيحية سارت جيوش الفرنج في التاسع من تشرين الاول الى جهة دمياط بالبحر وبعث ملك الروم ينجدهم بماية وخمسين غراب للحرب وستين برشا موسوقين خيلاً واثنين وعشرين للميرة وآلات الحرب وفي الخمسة والعشرين من تشرين المذكور نصبوا الحصار على دمياط وهي على شط النيل وثبت الحصار عليها نحو خمسين يوماً ولم يقدروا عليها[١] لان صلاح الدين الوزير كان قد شحنها بالرجال وآلات الحرب ثم رحلوا عنها الى مواطنهم ؛ واما الاغربة والبرشات اهلك الريح العاصف اكثرهم ؛ واما نور الدين ما تخلى عن المعضد لاهل مصر بل ارسل لهم الف الف دينار وثياب وجاز برجاله الى سواحل بلادهم وحاصر الكرك مدة ونصب عليها المنجنيقات ورحل عنها ؛ وكانت الكسرة بمصر على النصارى لانهم كانوا متعدين بتلك الركبة وعوض ما يرتضوا بالاموال التي كانوا يستجرودا من اهل مصر احوجوهم حتى استمدوا العون من التورية[٢] فتملكوا مصر وثم زحفوا على اخذ البلاد الذي كان بيدهم .

١) غليوم ص ٩٦٤ والكامل ١١ ص ٢٩٣ – ٢) عساكر نور الدين

١١٧٠ م : ٥٦٦ هـ بدوءها ١٤ ايلول اب

الزلزلة في الشام ؛ وفاة المستنجد ؛ صلاح الدين ؛ الماريكوس

في سنة الف ومايه وسبعين مسيحية كانت الزلزلة العظيمة في الشام فلم يسمع مثلها دامت نحو اربعة اشهر ولم تزل الناس تشاهد الرجفة من شدة
٢٥ الريح الذي انحصر بباطن الارض وخربت انطاكية وجبلة ولاذقية وحلب وشيزر وحماه وحمص واما طرابلوس صارت كلها بتمه المقبرة ما ثبت فيها بيت عامر(٥٨ ولا خلص منها رجل حتى حكمه الموت اما بصدعه الفرز من الردم . وقال ابن الجوزي ان هلك بهذه الزلزلة في حلب ثمانية الف وصور كانت على سلامة وما حكمنا من هذه الرجفة الا قليل . وخربت اماكن وكنائس معظمة في الشام تعب السلفا كثير على بناها وعجزوا الخلفاء
٥ بعد هذه الرجفة عن ترميمها . وكان الخراب في نواحي الفرنج وفي نواحي نورالدين فاشتغل كل واحد منها عن قصد الاخر بعمارة ما خرب من بلاده [١]

وفي الحسابة ست وستين للهجرة توفي المستنجد بالله يوسف خليفة بغداد وبويع بالخلافة لولده المستضيء بنور الله ابو محمد الحسن وهو الثالث
١٠ والثلاثون من خلفاء بني عباس[٢] . وفيها ملك نور الدين ابن زنكي الموصل[٣] وقرر امرها واطلق المكوس منها وفيها سار صلاح الدين يوسف عن مصر بنحو اربعين الف مقاتل واغلبهم خيالة فغزى بلاد الفرنج وقرب عسقلان
١٥ والرملة[٤] ووضع الحصار على قلعة تبرون وهي في حدود فلسطين وقيل انها من قديماً كانت ديراً . وفي السابع عشر من كانون الاول خرج الماريكوس من عسقلان بالفي راجل ومائة وخمسين فارس الى لقا صلاح الدين فرحل عن تبرون الى ايله وهي على ساحل البحر للفرنج وفتحها في ربيع الآخر واستباح اهلها وما كان فيها ثم عاد الى مصر .

١) والكامل ١١ ص ١٤٣
٢) الكامل ١١ ص ١٤٥
٣) الكامل ١١ ص ١٤٦
٤) الكامل ١١ ص ١٤٧

١١٧١ م، ٥٦٧ هـ بدؤها ٤ ايلول س

اقامة الخطبة العباسية بمصر وانقراض الدولة ؛ ترجمة آل ايوب

٢٠ في سنة الف ومائة واحدى وسبعين مسيحية عند ما تمكن صلاح الدين من مصر وحكم بالقصر ارسل الملك العادل نور الدين يأمره حتماً وحزماً[1] بقطع الخطبة العلوية واقامة الخطبة العباسية[2] . فراجعه صلاح الدين خوف الفتنة فلم يلتفت نور الدين الى ذلك واصرّ عليه وكان العاضد خليفة مصر ٢٥ قد مرض فأمر صلاح الدين الخطباء ان يقطعوا خطبة العاضد خليفة مصر ويخطبوا للمستضيء خليفة بغداد فامتثلوا ذلك وخطبوا لبني عباس في الجمعة الاولى بجامع مصر وبالجمعة الثانية بالقاهرة(٥٩ وبعد يومين مات العاضد غبناً يوم عاشور محرم ولم يخلف ولداً ؛ وفي موتة العاضد انقرضت دولة خلفاء الفاطميين الذين بعد الاخشيديين تولوا على تدبير الديار المصرية والشامية وكانت عدتهم احد عشر خليفة ومدة خلافتهم مايتين وستة وزالت سبحان من لا ٥ زوال لحكمه ؛ ويقال ان صلاح الدين عندما تسلم القصر بما حوى اعتقل من كان من اقارب العاضد ومنعهم عن النسا لئلا يتناسلوا وانه اصطفى نفايس[3] الذخاير واستمر البيع على ما في القصر نحو عشر سنين وكان عدد الكتب ازيد من مايتي الف مجلد ، ولما بلغ ذلك المستضيء ان خطب له بمصر ١٠ جهز قاصده بخلعة لنور الدين وهي فرجية وقباء وطوق بالف دينار وحصان بسرج خاص وسيفين ولواء وحصان آخر جنيب فلبسهم وخرج في دست الملك الى الميدان الاخضر وارسل خلعة اخرى لصلاح الدين دون ذلك يسراً ومعها اعلام الخطباء عليهم اسم المستضيء ؛ ولما وصل الخبر لبغداد غلقت اسواق ١٥ المدينة للهناء وعملت القباب ؛ واما الملك نور الدين عندما توفي العاضد ارسل نوب بمصر الملك الناصر صلاح الدين ابن نجم الدين ايوب بن شادي بن مروان بن ايوب وكان شادي من بلد دوين من الاكراد الراوديه ومقامه بتكريت .

وبها توفي[4] وله ولدان وهما نجم الدين ايوب واسد الدين شيركوه فتولى

٢٠ نجم الدين قلعة تكريت مدة ثم عزله عنها مجاهد الدين بهروز بسبب ان اخاه شيركوه قتل بها كاتباً نصرانياً ؛ فسار نجم الدين واخوه الى عند زنكي ولما ملك بعلبك جعل نجم الدين مستحفظاً لها ثم لما قتل زنكي وتسلم مجير الدين سلطان دمشق بعلبك اعطى لنجم الدين اقطاعاً وصيره الاكبر في الامراء بدمشق واتصل اخوه شيركوه بنور الدين فاقطعه حمص ورحبه وقدمه على ٢٥ عسكره وارسله به الى مصر فملكها وتولى الوزارة بعد شاور. ولما جاء لنجم الدين صلاح الدين(٦٠ يوسف كان نور الدين ينزله منزلة الولد وينهضه في المهات ؛ وعندما توفي٥٦٤ه اسد الدين شيركوه ارسل له العاضد خليفة مصر واحضره عنده وخلع عليه وولاه الوزارة ولقبه الملك الناصر وعندما مات ٥ العاضد تنوّب عن نور الدين بالديار المصرية واستفحل امره وبعث يطلبه نور الدين انه يسير لعنده فلم يمض بل ارسل له كتاباً يتعذر بأمور فغضب عليه نور الدين وهم بالدخول الى مصر فخضع له صلاح الدين فسكت عنه .

١) حتماً وقصداً ف — ٢) الكامل ٢ ص ١٤٨ غليوم ص ٩٨٥ — ٣) كذا في ش ف ن — ٤) بتكريت تونی شادي — ابن الحريري ص ٨٦

١١٧٢م : ٥٦٨ه بدوءها ٢٣ آب ار

نور الدين وقليج ارسلان ؛ وفاة طوروس ؛
الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين

في سنة الف ومائة واثنتين وسبعين مسيحية سار نور الدين الى الموصل ١٠ وصلى بجامعه وعند عودته دخل بلاد قليج ارسلان بن مسعود واستولى على مرعش وبهسنا ومرزبان وسيواس[1] .

وفيها مات طوروس صاحب الارمن وكان محباً للفرنج[2] ؛ فتأمر بعده اخوه مليون وكان يشنأ الفرنج فالتجأ الى نور الدين واستنجد به حتى اهزم ابن اخيه توماس وزحف على المواضع التي كانت بيد الفرنج فنهب وقتل

١٥ واحرق وتملك جميع ما كان تبقى بيد فرسان هيكل القدس في بلاد قيليقية ولاجل ذلك سار الملك الماريكوس الى نواحي انطاكية وارسل دفعتين يونب ميلون الارمني لانه كان يساعد نور الدين على النصارى فلم يمتثل بقوله ٢٠ ميلون فغزا الماريكوس بلاد قيليقية فتملك مواضع كثيرة وضرب بها السيف.

وفيها سار صلاح الدين من مصر الى الكرك في الكوانين وغزى جميع ما هو للفرنج خارج الاردن وسبى وقتل وقطع الكروم والشجر ؛ وسار نور الدين من دمشق حتى وصل الى الرقيم بقرب الكرك فخاف صلاح الدين ٢٥ من الاجتماع به فرحل من الكرك وعاد الى مصر كاتباً الى نور الدين ان اباه ايوب مريضاً ويخشى ان يموت فتذهب مصر وقبل عذره في الظاهر.[٣]

١) المختصر ٣ ص ٥٦ وابن الحريري ص ٨٢ ٢) غليوم ص ٩١٠
٣) الكامل ١١ ص ١٥٠

١١٧٣ م : ٥٦٩ هـ بدوءها ١٢ آب اح

صاحب طرابلس يعود من الاسر ؛ النصيرية ؛ البرد ؛ وفاة نور الدين ؛ وفاة الماريكوس ؛ مقتل ميلون

(٦١ في سنة الف وماية وثلث وسبعين مسيحية يقول مطران صور ان القومس صاحب طرابلوس كان له ثمان سنين مأسوراً بحلب فبذل عن نفسه لنور الدين الف وخمسماية درهم وعاد الى طرابلوس[١] ؛ ويقول ابن الحريري انه ٥ اعطاه ثلاث كرات دينار وخمس ماية زردية ومثلها اسرى واحصنه فالأول اصح ؛ وفيها يقول مطران صور ان قدمت الى المعمودية طايفة النصيرية القاطنين بالقرى والحصون التي بقرب طرطوس عددهم نحو ستين الف نفس وكانوا في كل عام يحملون الى فرسان الهيكل الفي درهم وعندما تنصروا ١٠ امر الملك الماريكوس بان ترتفع عنهم المطالبة بها ؛ فصعب ذلك على فرسان الهيكل وبعثوا قتلوا ابو عبدالله المرسل الذي اخذ المكاتيب الملك الى شيخ

النصيرية فوق طرابلوس فأمر الملك وامراء الفرنج بسجن الذي قتله فقبضوا
عليه وحبسوه وبعد مدة يسيرة مات.[٣] وفيها ذكر الذهبي في تاريخ
١٥ الاسلام ان وقع برَد عظيم فوزنت واحدة وكانت سبعة ارطال بالبغدادي
وكان على شبه النارنج فاهلك كثيراً من الناس ومن المواشي[٤] وفيها
نزلت امطار غزيرة اهلكت ضيع ودورا كثيرة دامت بالموصل اربعة اشهر
وهدم فيها الفا بيت وغرقت بغداد بالزيادة وخربوا الخلق واستغاثوا بالله واقاموا
٢٠ الخطبة بالصحراء. وفيها جهّز صلاح الدين اخاه توران شاه الى اليمن
فملكها بعد حروب كثيرة واستولى على اليمن واموالها العظيمة. وفيها
بعث نور الدين يطالب صلاح الدين بحساب ارتفاع مصر فصعب عليه ولكن
امر بعمل الحساب وبعث لنور الدين تقادم نفيسة منها قطعة ياقوت وزنها
٢٥ سبع مثاقيل ومائة عقد جوهر ومائة ثوب اطلس فمات نور الدين قبل انها
تصل.[٤] وفيها (٦٢ كانت وفاة الملك العادل نور الدين[٥] محمود ابن زنكي
ابن آق سنقر صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر وكنيته ابو القاسم يوم الاربعاء
في احدى عشر من شوال بعلة الخوانيق بقلعة دمشق : وكان نور الدين ملكاً
جليلا ثابت القدم في الحرب حسن الرمي وشديد العزم ففتح الموصل والجزيرة
٥ وديار بكر ودمشق والعواصم وبعلبك وبانياس ومصر ونحو خمسين حصناً وقتل
البرنس صاحب انطاكية وأسر القومس صاحب طرابلوس. وبنى بالشام سوار
دمشق وحمص وحماه وحلب وشيزر وبعلبك التي هدمت بالزلازل[٦] (ومع الشجاعة
جمع الخشوع لله مواظباً للصلاة وتلاوة الكتب عفيف البطن والفرج لم يسمع
منه كلمة فاحش ولم يأكل ولم يلبس الا من خاص ماله ومن السكاكر
التي يعملها للابواب ومن الكواقي التي كان يخيطها بيده وبنى المساجد والمدارس
بدمشق وحلب والمرستان والمكاتب لليتامى ودار العدل بدمشق واوقف الوقوفات
لجامع الموصل وعلى سكان الحرمين وعلى المرضى والمجانين واقطع امراء العرب
لئلا يعترضوا الحاج وامر بكمال سور مكة واجرى اليها العين التي تأخذ من عند
قبر حمزة وبنى جسراً كامداً بالبقاع واسقط المكوس ومنع من بيع الخمر والمنكرات
من جميع ممالكه وكان مبلغ ارتفاع ذلك في السنة نحو ست كرات وعندما قضى
اجله ولي مكانه ولده الملك الصالح اسمعيل وله من العمر احدى عشرة سنة.)
١٠ وفيها قصد المازيكوس ملك القدس بانياس ووضع عليها الحصار فبذلت

له زوجة نور الدين جملة دراهم وعشرين اسيراً رحل عنها ورجع الى القدس وعند وصوله عرض عليه سيلان دم محمى ومات في الثامن من شهر تموز وكان ملكاً جليلا ومجاهداً في الخون وقنوعاً في الاكل والشرب وكانت مدة ١٥ ملكه اثنتي عشرة سنة وخمسة اشهر[٢]؛ وفي اليوم الخامس تكلل ولده بلدوين ملكاً بعده وله من العمر ثلاث عشرة سنة : واعطوا محافظة المملكة الى رجل يدعى ميلون وكان رجلاً طالب العظمة وانه يتقدم على امراء الفرنج وبالخاصة على القومس صاحب طرابلوس الذي بشدة العزم وقوة الرجال وبكثرة المال ٢٠ وبالمناسبة الى الحديد كان الاجل بين جميع امراء الفرنج وعندما قبض عليه نور الدين واسره بحلب بعث اوصى ان جميع ما ملكه يكون بتصرف الملك ولهذا السبب كان يتغلب على محافظة المملكة وكفالة الملك الصغير الذي كان ابن خاله . ولكن في دخول التشارين حدث ان وثب قوم على ميلون وقتلوه ٢٥ ليلا بالغدر وهو في عكا[٨] فاخذ المحافظة راعوندوس (القومس بن راعوندوس بن فنطيوس) بن بلتران بن راعوندو(٦٣ الكبير الذي قدم من بلاد النصارى واستولى اولاً على طرابلوس.

١) غليوم ص ٩٩٥ Aureorum millibus octoginta ومعناه ثمانية الاف ذهبي سنة ١١٧٣ — ٣) لم يوفق الناشر الى الوقوف على الاصل في غليوم ولا في ابن الجريري ÷ ٣) ابن الحريري ص ٨٣ — ٤) ابن الحريري ص ٨٣ — ٥) ابن الاثير ١١ ص ٦٣: وابن الحريري ص ٨٣ وغليوم ص ١٠٠ — ٦) ما بين هلالين ناقص في ش فاخذناه عن ف ن — ٧) وفاة الماريكوس — ٨) غليوم ص ١٠٠٨ وما بين الهلالين ناقص في ش فاخذناه عن ف ن

١١٧٤ م ؛ ٥٧٠ هـ بدؤها ٢ آب ج

فتوحات صلاح الدين ؛ دمشق ؛ حمص وحماة ؛ حلب ؛ غزوات ملك القدس

في سنة الف ومائة واربع وسبعين مسيحية قصد صلاح الدين دمشق بسبعماية فارس وقيل ان اهالي دمشق كاتبوه الى ذلك فخرج كل من بها الى ٥ لقاه واسلموه المدينة وقلعتها فقرر بها اخاه طغتكين ابن ايوب . واما الملك الصالح بن نور الدين انتقل الى حلب وكتب الى ابن عمه سيف الدين غازي

صاحب الموصل يطلب منه النجدة على صلاح الدين؛ وفي مستهل جمادى الاول سار صلاح الدين الى فتح حمص وكانت حمص وحماة وقلعة بارين وسلمية وتل ١٠ خالد والرها في قطع فخر الدين مسعود الزعفراني؛ فملك صلاح الدين حمص وترك الحصار على القلعة ونازل حماه فملكها في مستهل جمادى الاخر وسار الى حلب[١]؛ فخرج ملك القدس[٢] الى جهة بانياس وكانت ايام البيادر فاحرق البيادر والزروع وسار حتى وصل الى داريا وغزا وادي جنة بذيل جبل لبنان ١٥ ونهب العسكر وكسبوا ارزاقاً كثيرة وقصدوا حمص؛ فرحل صلاح الدين عن حلب واعطى الفرنج الأسرى الذين كان قبض عليهم نور الدين فرحلوا عنه.[٣]

١) الكامل ١١ ص ١٦٩–١٧١ — ٢) الصواب «الوصي على الملك» غليوم ص ١٠١٠
٣) غليوم ص ١٠١٢ و١٠١٣ وراجع غروسه ٢ ص ٦٢٢ وما بعدها لتفسير الوقائع

١١٧٥ م: ٥٧١ هـ بدؤها ٢٢ تموز تل

هزيمة سيف الدين؛ وفاة ابن العساكر؛ غزوات الفرنج

في سنة الف ومائة وخمس وسبعين مسيحية قدم سيف الدين غازي في ٢٠ العساكر الحلبية والموصلية[١] الى مقاتلة صلاح الدين بارض حماه فظفر بهم صلاح الدين وغنم باموالهم.

وفيها مات ابو القاسم علي بن الحسن ابن العساكر صاحب التاريخ الكبير وكان فريد عصره.[٢] وفيها سار صاحب طرابلوس الى بانياس على بلاد جبيل وحصن المنيطرة فخرج اليه من دمشق شمس الدولة اخو صلاح ٢٥ الدين وتواقعا الجمعان وكانت الكسرة على الشوام وانهزم شمس الدولة[٣] بنفر قليل وتولوا الفرنج على خيمهم وامتعتهم وغزوا البقاع وعادوا بسابقة كثيرة.[٤]

١) الكامل ١١ ص ١٧١
٢) «وكان حافظ عصره» ابن الحريري ص ٨٦ وراجع الكامل ١١ ص ١٧٧ والمختصر ٣ ص ٦٢
٣) جاء في ش ف ن سيف الدولة فابدلنا سيف بشمس وهو الصواب
٤) غليوم ص ١٠٢٢ و١٠٢٣ والكامل ص ١٧٨

١١٧٦ م ٥٧٢ هـ بدوءها ١٠ تموز س

الصلح بين صلاح الدين وبين الامراء وخليفة بغداد

(٦٤ في سنة الف ومائة وست وسبعين مسيحية تملك صلاح الدين بعلبك وكان بها المصاف بينه وبين غازي صاحب الموصل[١] عند تل السلطان فانهزم غازي مع عساكره وفتح صلاح الدين عزاز في الاحد عشر من ذي الحجة ٥ ونازل حلب . فاخرجوا اليه ابنة صغيرة لنور الدين فاكرم عليها صلاح الدين كثيراً ثم انها طلبت منه قلعة عزاز فاعطاها اياها[٢] . ثم ان وقع الصلح بين الملك صلاح الدين وبين الملك الصالح بن نور الدين بان يكون لصلاح الدين ما تملكه من الشام والملك الصالح ما بقي بيده فانعم صلاح الدين ١٠ بحمص على ابن عمه محمد بن شيركوه واستناب بدمشق اخاه سيف الاسلام طغتكين وبمصر اخاه العادل وبعث الى المستضيء خليفة بغداد يطلب منه تقليد السلطنة الكبير بمصر والشام واليمن والحجاز فأجابه الى ذلك وقرره .

في سنة الف ومائة وست وسبعين مسيحية صلاح الدين ملك بلاد ١٥ الاسماعيلية وخربه واحرقه ثم رجع لمصر وامر ببناء السور الاعظم المحيط بالقاهرة والقلعة وقيل ان دورته تسعة وعشرون الف ذراع وثلاثماية ذراع وانشأ بالقاهرة مرستاناً وعمل ذلك بمدة سنتين وكان قراقوش ابن عبد الله المتولي على العمارة .[٣]

١) المختصر ٣ ص ٦١ — ٢) المختصر ٣ ص ٦١ و٦٢ — ٣) ابن الحريري ص ٨٩ سنة ٥٧٢ هـ

١١٧٧ م ٥٧٣ هـ بدوءها ٣٠ حزيران خ

انهزام صلاح الدين بالرملة

٢٠ في سنة الف ومائة وسبع وسبعين مسيحية عاود فيلبوس امير فليندرا

الى زيارة القدس واتفق مع القومس صاحب طرابلوس ومع البرنس صاحب انطاكية الى محاصرة قلعة حماه وشدوا عليها الحصار[١] مدة اربعة اشهر . وعندما قدم صلاح الدين الى دمشق رحلوا عنها ثم نزل صلاح الدين قاصداً بعلبك فحاصرها ثلاثة اشهر وتسلمها من شمس الدين ابن المقدم على عوض واعطاها لاخيه شمس الدولة تورنشاه[٢] واعطى حماه لابن اخيه المظفر عمر ابن شاهنشاه .

(٦٥ وفيها نزل صلاح الدين بسنة وعشرين الف الى غزو الفرنج في الساحل فاحرقوا الرملة ونهبوا اللد وقتلوا واسروا جمعاً كثيراً فورعبت منهم قلوب الناس وقصدوا المواضع المنيعة وصعد اهل القدس الى برج داوود . ثم ان الملك بلدوين استعان بالله ورفع الصليب وخرج من عسقلان بثلاثمائة وخمس وسبعين نفساً اغلبهم من فرسان الهيكل وكان عسكر المسلمين في مشقة عظيمة من السهر ومن السفر فوثب عليهم بلدوين وشتت شملهم ولم يزل يضرب فيهم حتى غابت الشمس فآيسوا من حالهم وارموا السلاحات وقصدوا الاودية والاجارة[٣] ثم حدث عليهم في تلك الليلة برد شديد ومطر دام مدة ايام فهلك بعضهم بالبرد وبعضهم قتل بالسيف وبعضهم فر مع صلاح الدين وقصدوا العودة لمصر في القفر فهلكت دوابهم وهلك البعض منهم من العطش ومن مشقة الطريق وغنموا الفرنج بجميع ما كان معهم وقبضوا على الذين تفرقوا في الاجارة وساروا بهم مسرورين الى القدس[٤] .

في سنة الف ومائة وسبع وسبعين مسيحية كان الغلاء العام ثم تبعه الفناء والوباء الشديد ببلاد الشام .[٥]

١) وشدوا عليها مدة ش

٢) تورنشاه وفيها نزل صلاح الدين بسنة . . . ش

٣) الاجارة تصحيحها الاوجار ج وجر او كهف

٤) غليوم ص ١٠٤٢–١٠٤٥ والكامل ١١ ص ١٨٠

٥) الكامل ١١ ص ١٨٤

١١٧٨ م : ٥٧٤ هـ بدوءها ١٩ حزيران أث

البرج على شاطئ الاردن

في سنة الف ومائة وثمان وسبعين مسيحية في اواخر تشرين الاول بنى بلدوين الملك برجاً على شاطئ الاردن ببيت يعقوب في وادي قادس وقيل ٢٠ ان في ذلك الموضع يعقوب اب الآبا قطع نهر الاردن واحتمل الفرنج مشقة غير يسيرة من غزو اهل جبل زابلون ومن العربان الذين قصدوا اذاهم وقتل منهم نفر كثير .(١)

١) غليوم ص ١٠٤٦ والكامل ١١ ص ١٨٥

١١٧٩ م : ٥٧٥ هـ بدوءها ٨ حزيران ج

تخريب حصن الافرنج ؛ وفاة المستضيء ؛ وقعة مرجعيون ؛ الهدنة مع بلدوين ؛ الاتفاق الكبير الغربي ؛ الهدنة مع صاحب طرابلس ؛ وفاة مانوال ؛ الفتنة بين الافرنج والبيزنطيين

في سنة الف ومائة وتسع وسبعين مسيحية قصدوا اهالي زابلون خراب ٢٥ البرج الجديد الذي بناه بلدوين ببيت يعقوب فوقعوا(٦٦ بيد الفرنج الذين كانوا مكمنين لهم وقتلوا منهم تسعاً وتسعين نفساً ؛ ثم ان صعد اليهم بلدوين الملك ليلاً فوقعت جماعته في كمينهم وقتل من الفرنج نفر كثير وبجملتهم صلحدار الملك . ثم ان قدم صلاح الدين وجاهد على حصار البرج فقتل واحد من ٥ امرائه ورحل عنه .

وفيها كانت وفاة المستضيء بالله ابو محمود الحسن وبويع بالخلافة لابنه الناصر لدين الله ابو العباس احمد وهو الرابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين(٢).

وفيها كانت الوقعة بمرجعيون بين صلاح الدين والفرنج فانهزم الفرنج
١٠ واخذوا منهم مايتين وسبعين اسيراً اعتقلوهم بقامة دمشق فوصل اليهم صلاح
الدين على غفلة وهم نازلين على شاطي النهر ليستريحوا من شقاء الطريق
وكان بجملة الاسرى اودون مقدم الديوانية مات بالسجن واوجين صاحب
طبرية وصاحب جبيل وابن صاحب مراقية وبلدوين من رام فذل عن نفسه
١٥ الف اسير وجملة دراهم ونجا ؛ ثم ان سار صلاح الدين الى برج بيت يعقوب
فملكه وقتل جميع من فيه ودكه للارض[٣]. وفيها توفي سيف الدين غازى
بن مودود بن زنكي صاحب الموصل وولي اخوه عز الدين الموصل[٤].
وفيها توفي شمس الدولة تورنشاه ابن ايوب الاكبر في الاسكندرية[٥].
٢٠ وفيها صلاح الدين حاصر طبريه ثم بلغه ان حاءته النجدة من مصر خمسين
غراب دون المراكب فرحل من طبريه وقصد بانياس وكان الغلاء شديداً
ببلاد الشام من القحطة وقلة المطر حتى آيست الناس والخيل عن الاقوات ؛
فكاتب الملك بلدوين الى صلاح الدين بسبب الهدنة فاجابه الى ذلك.[٦]
٢٥ وفيها كان عقد مجمع الاباء الثلاثماية في مدينة رومية بسبب الانشقاق الذى
عم بلدان النصارى بمدة (١٧ عشرين سنة وذلك ان لما في سنة الف ومابة
وتسع وخمسين انتقل الى رحمة البارى البابا ادريان اجتمع الكردينالية واختاروا
على جاري العادة البابا اسكندر فطاعه جميع اهالي فرنسا وهيسبانيا وبريطانيا
٥ وكرزوا باسمه ولكن ثلاثة كردينالية استمالوا الى صفوة ويكتر اعني منصور
وبسبب انه كان شريف النسب تحشم له كثيرين من اهالي رومية وحلف
له الطاعة فريدوريكو ملك النمسا عن نفسه وعن كل مملكته فدام منصور
في الحياة خمس سنين ومات (فتخلف[٧] بعده بسقاليس وفي السنة السادسة قضى
اجله ؛ ثم تغلب بعده على رياسة الكرسي الرسولي كاليستوس ولكن في
هذه السنة الهم الله ملك النمسا وقاده الى طاعة البابا اسكندر وقدم معه
ساير العصاه من الامراء ورؤساء الكهنة والكردينالية حتى ان كاليستوس
المتغلب قدم ايضاً هو الى تقبيل اقدام البابا اسكندر ، وعندما خمد الانشقاق وتمكن
البابا من رياسة الكرسي الروماني امر بعقد المجمع حتى ان الجميع رذلوا
تغلبات بابية الزور وحلفوا الطاعة للبابا الحقاني وابرزوا رسالة سينودسية الى
ساير الرعايا حتى الجميع يكرزوا باسمه وان رؤساء الكهنة واراكنة الشعب

تخلنوا له الطاعة ويوضعوا خطوط اياديهم في ذيل الرسالة ، وحضر في ذلك المجمع مطارنة صور وقيسارية وطرابلوس وبيت لحم وسبسطية ساروا من بلاد الشرق الى رومية قاصدين المجمع وعند عودتهم جابوا معهم مكاتيب الى بلدوين ملك القدس والى اوماريكو بطرك انطاكية وسائر الاعيان يعلموهم ما اقتضوه الاباء بذلك المجمع ؛ فحلف اوماريكو الطاعة للبابا اسكندر على مجرى قوانين البيعة ووضع خط يده بذيل الرسالة ثم حلف الملك وساير الروساء والاراكنة على يده واعطوه تسليماتهم ؛ وكذلك اعيان الموارنة الذين كانوا موجودين في القدس الشريف حلفوا لخملتهم ووضعوا خطوط اياديهم انهم خاضعون طايعون للبابا اسكندر دون غيره وقد زعم في تواريخه غوليلموس اسقف صور ان الموارنة بهذا اليمين جحدوا الارتقة وانهم كانوا متمسكين بها منذ خمسماية سنة وطلبوا الاتحاد مع الكنيسة الرومانية [ولكن[٨] مهمته هذه دون الصواب لان الموارنة من قبل هذا الزمان كانوا متحدين مع الكنيسة الرومانية] يصلون ويقدسون معهم في كنائسهم وعلى مذابحهم والبطاركة كانوا يبعثوا الطاعة ويستمدوا من صاحب الكرسي الروماني التثبيت ودرع الرياسة وعند ما صار هذا الحلفان في بيت المقدس لا حضر بطرك الموارنة ولا احد من روساهم وعلمائهم غير الذين كانوا مقيمين في القدس ولا صار بينهم مكاتبة ولا حضر الى عندهم منذر ولا منادي حتى يوعظهم) ؛

١٠ وفيها صلاح الدين بعد ما رتب دمشق وبوصرى زحف بجيش كثير الى سواحل طرابلوس ونزل بارض عرقا بين قومس طرابلوس وبين فرسان الديوانيه المتولين الحصون الشمالية حتى لا يقدر احدهم ينجد رفيقه وغارت جماعته على ايالة طرابلوس في ايام الحصاد فقتلوا ونهبوا واحرقوا وامر ان اغربة مصر تسير الى محاصرة رواد ؛ فلما رأى ذلك القومس صاحب طرابلوس بعث ١٥ طلب الهدنة فصالحه صلاح الدين وعاود الى دمشق.[٩]

وفيها بلدوين الملك تيقن انه يعدم المملكة لانه كان مضروباً بالداء الكبير[١٠] فازوج اخته الى جويدون ابن اوجوس الاسمر من طايفة لوسينيان لانها كانت ترملت ولها ولد يدعى بلدوين ليكن كافلا واعطاها يافا وعسقلان ٢٠ في الصداق وكانت زيجتها في الايام المحرمة.[١١]

وفيها بيومند البرنس صاحب انطاكية اطلق زوجته تاودورة بنت اخي ملك الروم واصطحب بامرأة سابيه[١٢] ولسماجة هذا الفعل وبخه اوماريكو بطرك انطاكية ورؤساء الكهنة فحنق عليهم ووضع يده على الاواني المقدسة ٢٥ وعلى وقوفات الكنائس والاديرة واذ لم يعتبر تركوا المدينة وطعنوه بالحرم[١٣] ولكل من يوافق رايه ؛ فخربت انطاكية وبطلت فيها اسرار البيعة دون(٦٨ العماد لا غير ؛[١٤] وفيها توفي الماريكوس بطرك القدس وصيّر هرقل الذي كان مترأساً على قيسارية ؛ وفيها توفي ايضاً امنوال ملك الروم وكان ملكاً جليلاً كثير الكرم والشجاعة والمودة لناحية الفرنج[١٥] ؛ وتخلف بعده ولده الملك ٥ نكس وله من العمر ثلث عشرة سنة وبسبب انه زاد بالمودة على والده الى نحو الفرنج فاتفق عليه ابن عمه الكس وخاله اندرونيقوس مع امرا الروم حتى تملوا عينيه وقطعوا مذاكيره وضربوا السيف في الفرنج الذين كانوا في القسطنطينية فلم يعفوا عن قتل النساء ولا عن الذراري ولا عن الكهنة ولا ١٠ عن الرهبان بل باعوا منهم للعجام وللاسلام نحو اربعة الاف وقتلوا الباقي وسلبوا ارزاقهم وعلقوا النار في بيوتهم وكنايسهم واديرتهم ؛ دخلوا تكية مار يوحنا وقتلوا جميع المرضى والخدام التي بها قبضوا على يوحنا الكردينال فقطعوا رأسه وعلقوه على ذنب كلب حتى الذين كانوا ماتوا ودفنوا تحت الارض ١٥ فتحوا عليهم القبور وجرجروهم في شوارع المدينة ولم يفلت من الفرنج الا الذين فروا في البحر[١٦] ؛ فاجتمعوا باربعة واربعين غراباً من غير المراكب الذين انضافوا اليهم فغزوا جميع المدن والحصون والقرى التي في سواحل بلاد الروم فعلقوا بها النار والسبي والقتل ولم يعفوا عن مخلوق[١٧] ؛ فانقطعت الفرنج من بلاد ٢٠ الروم ومن بلدان قيليقية والرها وانطاكية والذين كانوا يتقون الله ساروا بأعيالهم الى نواحي جبل لبنان والذين ثبتوا بارضهم ذلت قلوبهم وضعفت امورهم ؛ ويذكر اسقف صور صاحب التواريخ ان ما صابتهم كل هذه الامور الا لكثرة خطاياهم فان الذين سلفوا قبلهم كانوا بجيش قليل ينتصروا ٢٥ على جيوش كثيرة لشدة غيرتهم وحمية ايمانهم ويقينهم بالله الذي كانوا سالكين بطاعته وحفظ شريعته ولاجل ذلك عندما فسدت نوايا اولادهم وعدلوا عن(٦٩ تقوى الله ؛ فاوسل لهم اولا زنكي فتملك الرها واهلك لمن كان بها وجيرتها ؛ ثم ان نور الدين طردهم من مصر بعد ما قربوا لتمليكهم

كلها . ثم صلاح الدين فتولى وحده الديار المصرية والشامية وجمع عليهم الذين كانوا متفرقين ومتعادين مع بعضهم بعض فاهلكوهم وشتتوا شملهم . ثم
٥ اندرونيقوس في القسطنطينية فاستأصلهم من بلاد الروم بعد ان كانوا تأهلوا مع ملوك الروم وامتلت منهم المدينة المتماسكة . وفي هذه السنة اجتمعت الجيوش الكثيرة في بلاد النصارى لتنجدهم وتعضدهم وعندما قاربوا الجزر التي في بلاد هيسبانيا اثار الله تع[18] عليهم الارياح بعلمه الغامض فاهلك منهم ونوف عشرين الف ورجع البواقي كل واحد منهم الى موطنه .

١) عليوم ص ١٠٥٦ والكامل ١١ ص ١٦٥ — ٢) الكامل ١١ ص ١٨٧ — ٣) عليوم ص ٥٦ (— ٤) الكامل ١١ ص ١٨٨ — « وولي اخوه عز الدين الموصل » ناقص في ف ٥) ابن الحريري ص ٩٠-٩١ — ٦) عليوم ص ١٠٦٢ — ٧) ما بين الهلالين الى آخر المقطع ناقص في ش — ٨) ما بين المكوفين ناقص في ف — هذا ولم نجد الى سند الدويهي في هذه الرواية — ٩) عليوم ص ١٠٦٥ — ١٠) البرص — ١١) غليوم ص ١٠٦٢ — ١٢) السائبة اى المهملة ولعل الاصح سيبيله وهو الاسم المذكور في عليوم ص ١١٠٩ Sibylla — ١٣) غليوم ص ١٠٧٢ — ١٤) غليوم ص ١٠٠١ — ١٥) غليوم ص ١٠٦٩ سنة ١١٨٠ — ١٦) غليوم ص ١٠٨٣ — ١٧) غليوم ص ١٠٨٥ – ١٠٨٦ ! سنة ١١٨٢ — ١٨) تعالى .

١١٨٠ م : ٥٧٦ هـ بدوءها ٢٨ أيار ار

صلاح الدين ينقض الهدنة

في سنة الف ومائة وثمانين مسيحية قدم الى دمياط مركب فرنجي به نحو الف وخمسماية نفس قاصدين زيارة القدس فاخذهم الريح الى جهة مصر فقبض عليهم صلاح الدين بخلاف العهد الذي صار بينه وبين ملك القدس[1] ؛
١٠ ثم انه سار بالجيوش المصرية الى الكرك لقتال الفرنج وقدمت اليه ايضاً الجيوش الشامية من دمشق وبوصرى وبعلبك وحمص وغيرها فداسوا بلاد الجليل بايام الحصاد وتملكوا دبوريه التي بقرب نائين وقتلوا اهلها واسروا منها ومن جيرتها[2] نحو خمساية نفس ثم انتقلوا الى مغارة الشقيف فملكوها

٢٠ بالامان ثم غزوا بيسان وجنين والغور وبلاد طبرية وعثوا وقتلوا : ثم ان صلاح الدين سار الى دمشق وعاود لطبرية بنحو عشرين الف فارس فخرج اليهم بلدوين بنحو سبعماية لا غير نزلوا عند صفورية وتواقعا العسكران بين طبرية والجبال وكانت الكسرة على الشوام فقتل منهم نحو الف نفس ورجع ٢٥ الباقي على اعقابهم لدمشق.[١]

وفيها توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب بها واوصى بانها تكون لابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فتسلمها مسعود ثم اسلمها لاخيه عماد الدين واخذ عوضها سنجار .[٥]

١) غليوم ص ١٠٨٧ – ٢) ابن جبير ... – ٣) غليوم ص ... – ٤) اليواقيت ف – ٥) الكامل ١١ ص ١٩٢

١١٨١ م : ٥٧٧ هـ بدؤها ١٧ أيار أح

غزوات صلاح الدين : غزوات بلدوين

في سنة الف ومائة وحادي[١] وثمانين مسيحية سار صلاح الدين في الشوام ٥ الى السواحل بيروت وغزا برها وقطع كرومها وجاءته من مصر ثلثين غراب في البحر وقدم اخوه في عمارة البر في شهر آب فغزا نواحي دارا وعسقلان وغزة ثم في اليوم الثالث نزل بلدوين بجيشه الى مقاتلتهم فرحلوا عن بيروت[٢] : وقصد صلاح الدين الموصل وعبر الفرات فملك الرها وحران ونصيبين ١٠ وقرقيسيا وماكسين وما يليهم وضيق على الموصل فلم يأخذها[٣] : وقصد الملك بلدوين مغارة الشقيف وحاصرها مدة عشرين يوم وفي دخول التشارين ملكها بالأمان ثم زحف الى بلاد الشام فاخذ بالسيف الغور وداريا فحرقها وقطع الشجرية ونهب واسر .[٤]

١) كذا في الاصول
٢) غليوم ص ١٠٩٦–١١٠٠
٣) غليوم ص ١١٠١
٤) غليوم ص ١١٠٢

١١٨٢ م: ٥٧٨ هـ بدوءها ٧ ايار ج

سنجار عوض حلب ؛ حصار الكرك

في سنة الف ومابة واثنتين وثمانين مسيحية تملك صلاح الدين آمد وتل خالد وعين تاب وحاصر حلب وفي الخامس من حزيران اخذها من عماد الدين زنكي واعطاه عوضهـا سنجار ونصيبين والخابور والرقه وسروج ثم انه اخذ حارم ثم عبر نهر الاردن فاحرق بيسان وارسل لاخيه العادل حتى ينجده في العساكر المصرية فوضعوا الحصار على الكرك ولم ينالوا غرضهم فأعطى لأخيه العادل حلب وقلعتها واعمالها بر منشان واحضر ولده الظاهر الى دمشق وارسل ابن اخيه ابن تقي الدين عمر الى مصر نايباً عنه.[1]

[1] جاءت حوادث هذه السنة على غاية الاختصار في الدويهي اما في الكامل ١١ ص ١٩٢ فذكرت بين ٥٧٧ و٥٧٩ هـ وكان تسليم حلب الى عماد الدين لا الى صلاح الدين.

١١٨٣ م: ٥٧٩ هـ بدوءها ٢٦ نيسان ث

مقتل الكسي

سنة الف ومابة وثلث وثمانين مسيحية وثب اندرونيقوس القايد على الكسي ملك الروم في القسطنطينية وخنقه وتولى مملكة (٧١) الروم عوضه.[1]

[1] غليوم ص ١٠٨٣ سنة ١١٨٣ ولم يكن الكسي ملكاً ولكن نائباً Protosevastos

١١٨٤ م: ٥٨٠ هـ بدوءها ١٤ نيسان س

وفاة بلدوين ؛ صلاح الدين يهاجم الكرك

في سنة الف ومابة واربع وثمانين كانت وفاة بلدوين الرابع ملك بيت المقدس بوجع البرص وله في الملك احدى عشرة سنة ؛ وتملك بعده ابن

اخته بلدوين الخامس وله من العمر ست سنين وتولى محافظة مملكته جويدون
٥ صاحب يافا[1]؛ ولما بلغ ذلك صلاح الدين خرج من دمشق وجمع العساكر
المصرية ونصب المناجنيق على الكرك وحاصرها فتملك ربط الكرك وبقية
القلعة فتجمعت عليه الفرنج فارسها وركبها وطردوه منها فسار الى نابلوس
فاحرقها ونهب وقتل واسر ما بتلك النواحي[2]؛ ثم ان بلدوين عزل جويدون
١٠ عن المحافظة واعطاها لصاحب طرابلوس ٠

تاريخ عرقي ٢ ص ؛ سنة ١١٨٥ — ٢) الكامل ١١ ص ٥ ٢-٦ ٢ وابن الحريري ص٢؟

١١٨٥ م : ٥٨١ هـ بدوءها ٤ نيسان خ

فتوحات صلاح الدين ؛ وفاة بلدوين الخامس ؛ الخلاف بين الافرنج

في سنة الف ومائة وخمس وثمانين مسيحية سار صلاح الدين الى المشرق
فأخذ ميافرقين وحاصر ثاني مرة الموصل ولم يقدر عليها فوقع الصلح بينهم
على ان صلاح الدين يأخذ شهرزور واعمالها والقرالي وجميع ما ورا الزاب وان
١٥ تخطب له على جميع منابر الموصل ويضرب اسمه على الدراهم والدنانير ٠[1]

وفيها كانت وفاة بلدوين الخامس[2] وله في ملك بيت المقدس ثمانية اشهر
فاخفت امه موته حتى انها في الرشاة والمواعيد استعطفت خواطر البطرك واكابر
الفرنج فجعلوا زوجها جويدون ملكاً بعد ابنها ؛ فلما بلغ ذلك القومس صاحب
٢٠ طرابلوس الذي كان من لوازم الملك المتوفى وقد كان كفله خمس مرات
اشتد غيظه ولم يشأ ان يكون تحت طاعة جويدون بل كاتب صلاح الدين
واستنجد به وكان بيد القومس طرابلوس وطبرية وبلاد الجليل[3] ؛ واما
جويدون الملك بعث مكاتيب باسمه وباسم بطرك بيت المقدس وساير الرومساء
٢٥ وا راكنة الفرنج الى البابا نوهرا[4] والى ملوك النصارى بطلب النجدة ؛ وعندما
هتريك ملك الانكليز جمع العساكر لينجدوهم حدث ان مات البابا الذي كان
ساعياً بتلك القضية وبطل السفر ؛ بل ان غوليلموس ملك صقالية جهز
(٧٢ العمارة في البحر الى بلاد الروم فتملكوا تسالونيقية ونهبوا واسروا وقتلوا كثيراً

٥ من الروم[٥] ؛ ثم ان قوماً من الروم قبضوا على اندرونيقوس الملك فوثقوه بالسلاسل ونتفوا ذقنه وقلعوا عينيه واسنانه وقطعوا يديه وطافوا به شوارع المدينة وهو محمول على جمل ثم انهم علقوه برجليه وقطعوا مذاكره واماتوه شر موت واقاموا بدله ملكاً اسحق الذي كان عدوه[٦].

---

١) الكامل ١١ ص ٩ ٢-٢١٠ والمختصر ٣ ص ٧٣ – ٢) تاريخ مرقل ٣ ص ٣٥
٣) تاريخ مرقل ٣ ص ٣٥ وما بعدها – ٤) البابا لوسيوس – ٥) تاريخ مرقل ٣ ص ١١٣ وما بعده – ٦) تاريخ مرقل ٣ ص ٢٢

١١٨٦ م : ٥٨٢ هـ بدوءها ٢٤ اذار اث

ارناط يغزو قافلة المسلمين ؛ انتقام صلاح الدين ؛ وقعة حطين ؛ مقتل ارناط ؛ فتوحات صلاح الدين

١٠ في سنة الف ومائة وست وثمانين مسيحية جعل صلاح الدين ابنه عثمان نائباً بمصر ومعه اخوه العادل الذي كان بحلب. وفيها البرنس ارناط صاحب الكرك اخذ قافلة عظيمة كانت للمسلمين واسرهم[١] فصعب ذلك على الملك صلاح الدين وجهز عسكراً يغزي بلاد عكا ومضى هو بعسكر الى الكرك ١٥ فاخذ طريقه التي كانت للقومس صاحب طرابلوس ؛ وكان القومس قد دخل تحت طاعة صلاح الدين[٢] فارسل القومس والبطرك ينهوه عن مرافقته فصار معهم ؛ ونازل صلاح الدين الكرك[٣] والشوبك واحرق كرومها وضياعها وقام هناك الى ان اجتمعت اليه العساكر برأس الماء وجهز الغارة على طبرية ٢٠ فتقدم على العساكر الشرقية مظفر الدين كوكبري بن كوجاك وعلى عسكر حلب زين الدين داروم وعلى عسكر دمشق قيماز التجمي ؛ فساروا مدلجين صبحوا بصفورية فخرج الفرنج الى لقاهم بفارسهم وراجلهم فظفروا بالفرنج وقتلوا واسروا منهم خلقاً كثيراً ثم سار صلاح الدين من الكرك فنزل على الاقحوانة والفرنج نزلوا بصفورية فرتب بعض عساكر لقتالهم ومضى هو بنفسه لطبرية

٥ فتسلمها عنوة فصعب ذلك على الفرنج وفي يوم السبت لخمس بقين لربيع الثاني التقى الجمعان واشتد (٧٣ الحرب بينها) وكانت الكسرة على الفرنج فالتجأ القومس صاحب طرابلوس على تقي الدين صاحب حماه فافرج عليه ومضى الى طرابلوس ومات غبناً واما بقية الفرنج التجوا الى جبل حطين فاحاط[1] بهم المسلمين من كل الجهات وقبضوا على جويدون الملك وعلى صاحب جبيل
٥ ومقدم الزاوية فاعتقلوهم وحملوهم الى الحصون الاسماعيلية وقتلوا منهم ثلثين الف واثنيعشر من خدام الهيكل ولم يصيب الفرنج مثل هذه المصيبة من حين ما دخلوا الشام ويقال ان جميعهم كان ينوف عن ثمانين الف فارس وراجل
١٠ وكان المسلمين اثنيعشر الف فارس سوى الرجاله واخذ منهم السلطان صلاح الدين خشبة الصليب وقتل بيده ارناط[2] صاحب الكرك لانه هو غدر باخذ القفل وهو الذي كسر عسكر السلطان يوم الرملة ؛ (ثم ان سار السلطان الى طبرية فتسلم قلعتها بالأمان وجاء اخوه العادل بالجيوش المصرية فتملكوا مجدل يابا ويافا عنوة وفرق السلطان عسكره ففتحوا الناصرة وصفورية وقيسارية وحيفا ومعلتا والفوله وغيرها من البلاد المجاورة لعكا بالسيف وغنموا وقتلوا واسروا اهل هذه الاماكن وارسل فرقة فملكوا قلعة نابلوس وتبنين بالأمان في الحادي والعشرين من جمادى الاول وسار الى صيدا وتسلمها في ساعة وصوله اليها لان كان اهلها اخلوها ثم سار الى بيروت حاصرها ثمانية ايام وفي السابع وعشرين من جمادى الاول تسلمها وكتب للامير جمال الدين حجي[3] قطاع بلاد الغرب بثغر بيروت الذي كان بيد ابيه كرامة قبل ان تملكه الافرنج وكان صاحب جبيل ستيسراً فتسلمها منه واطلق سراحه فسار الى صور وارسل معه مكاتيب ان الذين ينعم عليهم السلطان بالامان تمضوا الى صور وكذلك تسلم المسلمون حصن الحيوش وحصن لبنان والمنيطرة وعدنون ونازل كل بلد فرقة من الجيش وفتحوا الرملة والداروم وغزه وبيت لحم وبيت جبريل وليطرون واغلب الحصون التي ببلاد صيدا ونازل السلطان عسقلان وبعدما حاصرها اربعة عشر يوماً اتفق مع جويدون ملك الافرنج على انه يتسلم عسقلان بالأمان ويفك الملك من الاسر فاطلق سبيله وفي سلخ جمادى الاخرى تسلم عسقلان فسار جويدون الى صور واتفق مع المركيس ومع الافرنج للترب والغرب على محاصرة عكا فملكوها وصاروا الافرنج في

وجل عظيم من الجدع ومن الشوب فماتت الملكة زوجة جويدون واولادها الاربعة .)[٢]

١) تاريخ هرقل ٢ ص ٦٠ وما بعدها والكامل ١١ ص ٢١٤ — ٢) الكامل ١١ ص ٢١٤ — ٣) الكامل ١١ ص ٢١٥ — ٤) تاريخ هرقل ٢ ص ٦٦ والكامل ١١ ص ٢١٧ ٥) تاريخ هرقل ٢ ص ٦٨ والكامل ١١ ص ٢١٩ — ٦) صالح ص ٧٤ — ٧) ان ٥٠ بن هلالين ناصر في تر فاخذناه من ف ن

١١٨٧م: ٥٨٣هـ بدؤها ١٣ أذار ج

صلاح الدين يفتح القدس؛ حصار صور

في سنة الف ومائة وسبع وثمانين مسيحية قصد السلطان بيت المقدس وكان فيه ستون الف مقاتل من الفرنج ويوم الاحد منتصف رجب نزل ١٥ عليه اولاً من الجانب الغربي وبعد قتالات شديدة انتقل إلى الشمالي من باب العمود ومن هذا الجانب اخذته الفرنج ونصب عليه المناجنيق وآلة القتال فطلب الفرنج الامان ولم يجبهم وضايق السور بالنقابين وقاتل الفرنج قتالاً شديداً فعاودوه بالأمان وعرّفوه ما هم عليه من الكثرة وانهم إن آيسوا منه ٢٠ قاتلوا خلاف ذلك : فاجابهم الى ذلك بشرط انهم يخرجوا بانفسهم واموالهم واولادهم سوى الخيل الحربية والسلاح وان يودي كل رجل منهم عشرة دنانير وعن الامرأة خمسة وعن الصبي والبنت اربعة دنانير وعن الطفل ديناراً ومن عجز منهم عن ذلك بعد اربعين يوم ضرب عليه الرق ومن اراد ٢٥ من النصارى الاقامة فليقم وتؤخذ منه الجزية : فاجابت (٧٤ الى ذلك الفرنج واقر بايادي النصارى القيامة وعينوا اماكن يزورونها : وتسلم السلطان بيت المقدس يوم الجمعة سابع وعشرين رجب ليلة المعراج فكانت مدة استيلاء الفرنج على بيت المقدس ثمان وثمانين سنة منذ سنة الف وتسع وتسعين وراد ٥ المسلمون نهب دار البطرك فمنعهم السلطان[١] : وكان بالقدس بليان صاحب الرملة فأدى عن نفسه ثمانية عشر الف درهم[٢] وصعد المسلمون الى راس قبة

الصخرة فرموا الصليب فضج المسلمون ضجة عظيمة ودخل السلطان الصخرة
محا الصور وكسر الصلبان وغسل الصخرة وعلق القناديل وأخذ دار الزاوية
١٠ وعمر المسجد الاقصى وفرق الاموال التي اخذها من الفرنج على العلماء والفقهاء
والصوفية وكانت سبعماية الف دينار وكان قد حضر معه على هذا الفتح زها
عن عشرة الاف مقاتل واعطى الخطابة لابن زكي قاضي القضاة بدمشق لانه
كان قال له عندما فتح حلب

١٥ وفتحه حلباً بالسيف في صفر مبشراً بفتوح القدس في رجب

وبعد ما رتب سلطان امور القدس قصد صور ونصب عليها المناجنيق في
تاسع شهر رمضان وبعدما حاصرها نحو اربعة اشهر رحل عنها في آخر شوال
٢٠ وشواول كانون الاول لان المركيس كان حفر خندقها وحصنها بالرجال.(٢)

١) تاريخ مرقل ٢ ص ٦١ وما بعدها والكامل ١١ ص ٢٢٢ وما بعدها — ٢) تاريخ
مرقل ٢ ص ٦٨ وما بعدها — ٣) تاريخ مرقل ٢ ص ٧٠ وما بعدها والكامل ١١ ص ٢٢٦

١١٨٨م : ٥٨٤هـ بدوءها ٢ اذار ار

١١٨٩م ٥٨٥هـ بدوءها ١٩ شباط اح

فتوحات صلاح الدين ؛ الوقعة على عكا

في سنة الف ومماية وثمان وثمانين مسيحية ارسل السلطان الى هونين
فتتحها والى كوكب من حاصرها وهو صعد للشام ومنها نزل الى بحيرة قدس
غربي حمص فاجتمعت اليه العساكر وسار بهم الى انطرسوس والى مرقية والى
٢٥ تحت المرقب وهم للاسبتار والى جبلة فوجد ان الفرنج كانوا(٧٥ اخلوهم ثم
قصد اللاذقية وكان بها قلعتين فبعد الحصار اخذها بالأمان وتسلم صهيون(١)
على امان بيت المقدس في ما يؤدونه ثم فرق عساكره في تلك الجبال فتملكوا
حصن بلاطنوس الذي كان للفرنج فأخلوه وملكوا حصن العيد وحصن الجماهريين
٥ وفي ثالث جماد الثاني سار السلطان الى قلعة بكّاس فاخلوها اهلها وتحصنوا
بقلعة الشغر فحاصرها واخذها بالأمان ؛ ثم ارسل ابنه الملك الظاهر غازى

صاحب حلب فملك صرمانيه واخرب حصنها وسار السلطان الى بلاد برزيه
فلكها بالسيف وقتل ونهب وسبى ثم قصد جسر الحديد الذي على العاصي
١٠ بالقرب من انطاكية وفي ثامن رجب تسلم دير بسال وحاصر بغراس وتسلمها
بالأمان ؛ وعزم على قصد انطاكية فطلب صاحبها بيمند الهدنة والصلح
وبذل اطلاق كل اسير عنده فاجابه السلطان وهادنه وثبت الصلح ثمانية
اشهر ؛ وكان بيمند صاحب انطاكية اعظم ملوك الفرنج بهذا الجانب وبعد
١٥ موت القومص صاحب طرابلوس ارسل ابنه يتولى على طرابلوس ؛ ثم ان
السلطان دخل الى حلب ومنها رد الى دمشق وكان اخوه الملك العادل تسلم
الكرك والشوبك وما بتلك الجهات بالأمان لشدة القحط وسار السلطان من
دمشق الى صفد وحاصرها ووصل اليه اخوه العادل فاخذا صفد بالأمان
٢٠ لفرط الغلاء ثم سار الى كوكب وكان قيماز النجمي محاصراً لها فتسلمها بالأمان
في منتصف ذي القعدة ومضى الى بيت المقدس فعمل هناك عيد الاضحى ثم
سار الى عسقلان فرتب امورها ثم بعث اخاه العادل الى مصر وتوجه الى عكا فجدد
عليها الحصار حتى انسلخت هذه السنة.[٢] وفيها توفي مؤيد الدولة أسامة بن
٢٥ مرشد ابن منقذ الكناني بطلا اكبر امراء صلاح الدين وهو الذي بنا حصن عجلون

(٧٦ في سنة الف ومائة وتسع وثمانين قصد السلطان مرج عيون فحضر
اليه صاحب شقيف ارنون وسأله مدة ثلاثة اشهر لينقل اهله وذخائره فاجابه
السلطان واكرمه وخلع عليه لاجل طاعته ثم بلغه انه يرمرم الحصن فاعتقله
٥ وسيره الى دمشق.[٣] وفيها اجتمع الفرنج وتقووا في بلاد عكا فالتقاهم
صلاح الدين فكسروه وقتل من جماعته خلائق كثيرة وحدث على السلطان
قولنج فرحل عن عكا في الرابع عشر من رمضان الى الخروبة وانهزمت ارفاقه ؛
فتمكن الفرنج واقروا في تلك الارض ونصبوا ثلاثة ابرجة من الخشب قرب
١٠ صور عكا وجرى بين الفريقين من الحروب على عكا ما لا يوصف فدام
الحصار عليها عشرين شهراً والحرب بينها يقوى ويتجدد[٤] ؛ ثم وصل الخبر
ان السلطان فداريكو جمع مائة وخمسين الف مقاتل كلهم ابطال فسير بعضهم
في البر وبعضهم بالبحر فظفروا بالروم وبالترك بوقعات مختلفة ولما بلغ ذلك
١٥ المسلمين آيسوا من الشام بالكلية ؛ وارسل صلاح الدين يستمد في الخليفة
ويستنصر به فصار ان وقع الغلاء والوبا بعسكر النصارى في الطريق فأهلك

اكثرهم ولما وصل السلطان فداريكو الى بلاد الارمن نزل يغتسل في النهر فغرق بغتة فأقاموا ابنه قونراد مقامه فرجع من عسكره طائفة الى بلادهم
٢٠ ولم يصل الى عكا الا القليل.[٥]

وفيها توفي ابو سعد عبدالله ابن عصرون الموصلي[٦] وله مصنفات كثيرة في مذهب الاسلام ومعرفة الشريعة وبنا له نور الدين صاحب الشام المدارس بحلب وحماه وحمص وبعلبك وغيرها وتولى القضاوة بسنجار ونصيبين وحران
٢٥ ودمشق ؛ وكذلك توفي فتيان بن علي بن فتيان الشاغوري[٧] فضيل في الشعر وخدمة الملوك اقام مدة في الزبداني ومات في الشاغور(٧٧ بظاهر دمشق .

١) صهيون قلعة في بلاد اللاذقية عند صلاح الدين جماعتها على مساعدته اهل القدس
٢) الكامل ١٢ ص ٣-٦ — ٣) ابن الحريري ص ٩٧ — ٤) الكامل ١٢ ص ١٦-١٧
٥) تاريخ هرقل ٢ ص ١٢٨ وما بعدها والكامل ١٢ ص ٢٠ — ٦) ابن الحريري ص ٩٩
٧) ابن الحريري ص ١٠٠

١١٩٠م : ٥٨٦هـ بدؤها ٨ شباط خ

فيليبوس ملك فرنسا ؛ ريكارد ملك الانكليز

في سنة الف ومائة وتسعين مسيحية صارت حروب كثيرة بين المسلمين والنصارى عن عكا وقدم فيلبوس[١] ملك فرنسا بجيوشه الى نجدة النصارى ثم ان في رجب ارتحل عنها المسلمين واستقرت النصارى وقتل بسببها خلقاً كثير.
٥ وفي اول شعبان زحف النصارى الى عسقلان فالتقاهم صلاح الدين بنهر القصب فاهزمهم فاخذها وهدمها في رمضان ثم هدم حصن الرملة وكنيسة اللده وفيها سار الفرنج من قيسارية الى ارسوف وكانت وقعة ارسوف .
١٠ وكانت الكسرة على الفرنج ثم قصدوا الفرنج يافا وكان قدم لنجدتهم ريقارد[٢] ملك الانجليز فملكوها . وفيها كتب السلطان الى الفرنج في الصلح على ان اخوه الملك العادل يتزوج باخت ملك الانكتار وان تكون القدس للملك العادل وعكا لزوجته فانكروا عليها ذلك القسيسون الا ان يتنصر الملك العادل
١٥ فلم يتفق بينهم حال وفي الثالث ذي القعدة رحل الفرنج من يافا الى الرملة

وصعد السلطان الى القدس شتّى بها وبادر في عمارها وكان بنفسه ينقل الحجارة على فرسه والعسكر اقتدى به.[٣]

١) تاريخ هرقل ٢ ص ١٥٥ وما بعدها – ٢) تاريخ هرقل ٢ ص ١٧٢ وما بعدها – ٣) الكامل ١٢ ص ٣٢

١١٩١ م : ٥٨٧ ه بدوءها ٢٩ ك ٢ ث

وفاة تقي الدين صاحب حماه

في سنة الف ومايه وحادية وتسعين مسيحية توفي الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الايوبي صاحب حماة وكان له اخت تسمى عذراء بنت المدرسة العذراوية داخل دمشق.[١]

وفيها توفي ابو محمد عبدالله البري المقدسي مشهور في علم النحو واللغة والراوية والدراية وله حواكي فايقة على كتاب الصحاح الجوهري.

١) ابن الحريري ص ١٠١

١١٩٢ م : ٥٨٨ ه بدوءها ١٨ ك ٢ س

مقتل صاحب صور ؛ الهدنة مع الافرنج

في سنة الف ومايه واثنتين وتسعين مسيحية كان مقتل المركيس (٧٨ صاحب صور[١] وذلك ان دخل اليه ناس من الباطنية بزي رهبان وقتلوه ؛ فتملكها بعده الانكتار فكاتب السلطان في الصلح واستقر امر الهدنة والصلح الى ثلاث سنين اولها رأس ايلول الموافق لاحد وعشرين شعبان وكان الصلح عموماً براً وبحراً وان يافا وقيساريه وارسون وحيفا وعكا واعمالهم يكونوا بيد الفرنج ؛ واستقر صاحب انطاكية وطرابلوس بعقـــد هدنة السلطان وان

عسقلان تكون خراباً واللد والرملة تكون مناصفة بينهم فاستقرت القاعدة
على ذلك وارسل السلطان مابة حجّار لتخرب عسقلان وتخرج الفرنج منها
١٠ ثم عاود الى دمشق ٠[٢]

١) الكامل ١٢ ص ٣٣ وتاريخ هرقل ٢ ص ١٩٣ وما بعدها — ٢) الكامل ١٢
ص ٣٦ و ٣٧ وتاريخ هرقل ٢ ص ١٩٧ وما بعدها

١١٩٣ م : ٥٨٩ هـ بدوءها ٢٧ ك ٢ خ
و ٥٩٠ بدوءها ٢٧ ك ١ اث

وفاة صلاح الدين ؛ وفاة مقدم الاسماعيلية

في سنة الف ومائة وثلث وتسعين مسيحية كانت وفاة السلطان الكبير الملك
الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي وذلك انه خرج الى شرقي دمشق متصيداً
وكان بصحبته اخوه الملك العادل فغاب خمسة عشر يوم ووجع فلحقته حمّى
صفراوية ورعشة فتوفي في ليلة الاربعاء في سبعة وعشرين لصفر بدمشق ؛
١٥ وكان ملكه بالديار المصرية عشرين سنة وافتتح بسيفه وبأخوته من اليمن
الى الموصل الى طرابلوس الغرب الى اصوان وانفق الاموال في الغزاه و لم
يخلف داراً ولا عقاراً الا سبعة واربعين درهماً على فرط كرمه وخلف سبعة
٢٠ عشر ولداً ؛ وكان الاكبر فيهم الملك الفاضل نور الدين فملك بعده دمشق
وبيت المقدس والساحل وصرخد وبانياس وهونين وتبنين الى الداروم ؛ واستقر
بالديار المصرية ولده الثاني الملك العزيز عثمان وهو الثاني من الملوك الأيوبية
بمصر ؛ وتقرر بحلب الملك الظاهر غازي وهو الاصغر بين اخوته وملك اعمال
٢٥ حلب حارم وتل باشر واعزاز ودير بسال ومنبج ؛ وبالكرك والشوبك والبلاد
الشرقية اخوه الملك العادل سيف الدين ابو بكر ؛ (٧٩ وبحماه وسلميه والمعره
ومنبج ابن اخوه الملك ناصر الدين محمد ؛ وفي بعلبك الملك مجد الدين بهرام
شاه الأيوبي ؛ وبحمص والرحبه وتدمر شيركوه بن محمد ؛ وبيد الملك خضر

بصرى وبقية الحصون مفرقة بيد الامراء.[١] وفيها يقول ابن الحريرى ان
٥ سنان بن سليمان البصري مقدم الاسماعيلية وصاحب الدعوة وكان داهياً مكاراً
خبيثاً زنديقاً له مشاركة قوية في العلوم قدم للشام وطلع الى الحصون ولاه
اياها صاحب الألموت بغته داعياً فاظهر الزهد والتأله وكان يعلم علم السيميا
ويريهم من يقتل منهم حياً في نعيم وجنة فاستغوى خلائق من الجبلية واباح
١٠ الزناه والمحرمات حكم عليهم مدة ومات.[٢]

١) ابن الحريري ص ١٠٢-١٠٣ والكامل ١١ ص ٤٠ وما بعدها والمختصر ٣ ص ٩٠ وما بعدها - ٢) ابن الحريري ص ١٠٣-١٠٤

١١٩٤م : ٥٩١هـ بدوءها ١٦ ك ١ ج

العزيز عثمان يفتح دمشق

في سنة الف ومابة واربع وتسعين مسيحية سار العزيز عثمان بن صلاح
الدين ومعه عمه العادل من مصر فنازل دمشق وحاصر اخاه الملك الافضل
وخامر معهم عسكر دمشق ففتحوها ودخل العزيز قلعة دمشق وعوض الأفضل
١٥ عنها صرخد فقام الملك العزيز بقلعة دمشق اياماً ثم اسلمها الى عمه العادل
وعاد الى مصر وسار الأفضل الى صرخد.[١]

١) الكامل ١٢ ص ٤٩

١١٩٥م : ٥٩٢هـ بدوءها ٦ ك ١ ار

الافرنج في بيروت

في سنة الف ومابة وخمس وتسعين مسيحية اخذ الملك العادل يافا من
الفرنج بالسيف وهدمها فنزلت الفرنج على بيروت وحاصروها وكان

٢٠ نائبه عز الدين أسامة الكناني فترك بيروت وهرب الى صيدا فملكوها الفرنج بغير قتال .[1]

١) صالح ص ٣٨ سنة ٥٩٣ ه والكامل ١٢ ص ٥٢-٥٣

١١٩٦ م : ٥٩٣ ه بدوءها ٢٤ ت ٢ أحد

الهدنة بين الافرنج والمسلمين ؛ وفاة العزيز ؛ عماد وزنكي ؛ قتال الامراء على دمشق

في سنة الف ومائة وست وتسعين مسيحية هاجت الفرنج وحاصروا تبنين وانتشروا في السواحل ثم وقعت الهدنة بين الفرنج والمسلمين مدة خمس سنين[1] (٨٠ وفيها توفي الملك العزيز عثمان صاحب الديار المصرية واقاموا بعده ولده محمد ولقبوه بالملك المنصور وهو الثالث من ملوك بني أيوب بالديار المصرية ؛ ولانه كان صغيراً سار عمه الفاضل نور الدين الى مصر يريد انه يربي ابن ٥ اخيه فاستولى على المملكة وصار الرابع من ملوك بني أيوب بالديار المصرية وتلقب الملك الأفضل ولم يبق لابن اخيه معه الا مجرد الاسم .[2]

وفيها توفي عماد الدين زنكي ابن مودود صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقا وملك بعده ولده قطب الدين محمد .

١٠ وفيها قصد الملك العادل ابو بكر قلعة ماردين في شهر رمضان فملك الربط بالأمان وشد الحصار على القلعة وقطع عنها المبرة ؛ فورد اليه الخبر ان الملك الأفضل صاحب مصر أخذ الجيوش وقصد دمشق فترك ولده الكامل ... يحاصر قلعة ماردين وسار الى دمشق ودخلها قبل وصول العساكر المصرية ... ١٥ بيومين في الاحد عشر من شعبان فجرى بينهم قتال شديد وبلغ الافضل في ... الأذى واحرق الخواضر وفعل كل قبيح ثم دخل دمشق حتى وصل اصحابه باب البريد ؛ فحمل عليهم اصحاب الملك العادل واخرجوهم فقدم الملك الظاهر غازي صاحب حلب بجيشه الى معضدة اخيه الأفضل وشدوا الحصار

٢٠ على دمشق وحفروا عليهم خندق من ارض اللوان الى خلدا وعظم الغلا بدمشق حتى الملك العادل انفق الخزائن على الجند ودخل عليه الشتي وهو في الحصار ، ثم ان وقع الخلف بين الافضل وبين اخيه الظاهر فتأخروا عن ٢٥ دمشق وقاموا بمرج صفرا .[٣]

---

١) الكامل ١٢ ص ٥٤ وابن الحريري ص ١٠٥ — ٢) ابن الحريري ص ١٠٥ و١٠٦ وكانت وفاة العزيز سنة ٥٩٥هـ — ٣) ابن الحريري ص ١٠٦-١٠٧

١١٩٨م: ٥٩٥هـ بدوها ٣ت٢ ث

خلافة العادل في مصر

(في سنة الف ومائة وثمان وتسعين مسيحية رحل الملك الظاهر الى حلب والملك الأفضل الى مصر وفي وصوله تفرقت عساكره في البلاد لاجل الربيع وسار باثره الملك العادل من دمشق فدخل القاهرة وملكها في ثامن عشر خلى من ربيع الثاني وصار الخامس بين ملوك بني أيوب بالديار المصرية وخطب له في بلاد مصر والشام[١] ؛ فاستناب ابنه الملك المعظم عيسى على دمشق وابنه الملك الاشرف موسى على الرها وحران وفي مصر ابنه الملك الكامل محمد وفي الشرق ابنه الملك الفائز ابرهيم وفي ميافرقين ابنه الملك الأوحد نجم الدين وعوضاً لعمه الافضل عن دمشق غازي وشميشاط ؛ وكاتبه ابن اخيه الملك الظاهر صاحب حلب وصالحه وخطب له بحلب وبلادها وضربت السكة باسمه .[٢])

٥ (٨١ وفي ايام العادل يقول : « ابن الحريري ان اشتد الغلاء بمصر والشام ونقص النيل وأقبل القحط والوباء المؤلم وخربت ديار مصر واكلوا اهلها لحوم الادميين وهلك خلق كثير من الاغنياء والفقراء ثم وقع بعد ذلك فناء عظيم ووباء كثير حتى ان الملك العادل بمدة يسيرة من هذه السنة كفن من ماله نحو مايتين ١٠ الف وعشرين الف مايت » وفيها الكلاب اكلت الاموات لعدم من يدفنها وكذلك الناس كانوا يشوون اولادهم الصغار ويأكلونهم وكثر ذلك

حتى لا ينكر بينهم ثم صاروا يحتالوا على بعضهم بعض فيستدعون الاطباء الى المريض فيقتلوا عليهم ويأكلونهم واشياء كثيرة تبعد عن العقل اخبارها وعظم ١٥ الغلاء بدمشق ونفدت خزائن الملك العادل واكثر قرى مصر لم يبق فيها آدمي من الموت وكان في اليوم يخرج من القاهرة نحو الف وخمساية جنازة ودخل تحت قلم الحشرية بها في هذا الفناء ماية الف وأحد عشر الف ماية الا شيئاً يسيراً واما الذين ماتوا بظاهر القاهرة فلا عدداً لهم وكان في بلاد من بلدان مصر اربعماية ٢٠ نول للحياكة فلم يبق فيها احد [٢]

في سنة الف ومية وثمان وتسعين مسيحية توفي في القنا ابو علي عبد الرحيم القاضي العسقلاني قد ترقى في صناعة الانشاء وفاق المتقدمين وقيل ان مسودات رسائله اذا جمعت ما تقصر عن ماية مجلدة وله في النظم والذكاء والفراسة اشياء حسنة حتى ان لقبوه رب القلم والبيان والكسر واللسان.[٤]

١) الكامل ١٢ ص ٦٥ سنة ٥٩٦ه – ان ما بين الهلالين ناقص في ش فاخذناه عن ف ن – ٢) نقلنا الرقم (٨١ من صفحات ش الى السطر ٥ بسبب المقطع الناقص المشار اليه اعلاه – ٣) ابن الحريري ص ١٠٧ – ٤) ابن الحريري ص ١٠٨

١١٩٩ م، ٥٩٦ ه بدؤها ٢٣ ت ١ س

الزلزلة؛ الخلاف بين الظاهر والفاضل

في سنة الف وماية وتسع وتسعين مسيحية كانت بالشام زلزلة عظيمة حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت فدامت مقدار ساعة ومات تحت الردم خلقاً كثير حتى ان نابلوس لم يبق فيها حائطاً الا وسقط واهل صفد لم يسلم ٢٥ منهم الا رجل واحد وهدمت مدن كثيرة.[١] وفيها قصد الملك الظاهر (٨٢ منبج فأخذها ولبلادها ثم سار الى المعرة واقطع بلادها واستولى على كفرطاب ثم نازل حماة وحاصرها مدة ثم رحل عنها وقصد دمشق؛ وانضم اليه اخوه الأفضل وصاحب نابلوس وبعض امراء من الصلاحية فحاصروها حتى

٥ فرغت السنة وكانت الاسعار مغلية جداً ثم وقع الخلف بين الاخوين الفاضل والظاهر فارتحلا عنها.[٢]

١) ابن الحريري ص ١٠٨ – ٢) الكامل ١٢ ص ٦٧ وابن الحريري ص ١١١

١٢٠٠ م : ٥٩٧ هـ بدوءها ١٢ ت ١ خ

الصلح بين العادل والظاهر : كمال النيل

سنة الف ومايتين مسيحية سار الملك العادل[١] صاحب دمشق الى حماه ليملكها فلم علم بذلك ابن اخيه الملك الظاهر صاحب حلب كتب له جملة ١٠ مراسلات حتى تجدد الصلح على ان يكون للملك الظاهر منبج والمعره وكفرطاب وحماه؛ وللملك الافضل سميساط وقلعة نجم وسروج وراس عين وحلين؛ وانتظمت الى الملك العادل الممالك الشامية الشرقية والديار المصرية كلها؛ ثم ان فيها كمل النيل وخف الوباء وتناقص الغلاء ورخصت الاسعار.[٢]

١) الكامل ١٢ ص ٦٨ – ٢) ابن الحريري ص ١١٠

١٢٠٣ م : ٦٠٠ هـ بدوءها ١٠ ايلول ار

هزيمة الافرنج

١٥ سنة الف ومايتين وثلث مسيحية اجتمع الفرنج من حصن الكراد وطرابلوس والمرقب ومن السواحل وتواقعوا مرتين مع الملك المنصور صاحب حماد فانهزموا هزيمة قبيحة.[١]

١) المختصر ٣ ص ١٠٠ «فيها كانت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة وبين الافرنج» وابن الحريري ص ١١٢

١٢٠٤ م : ٦٠١ هـ بدوءها ٢٦ آب أح

مهاجمة بيت المقدس : الافرنج يفتحون القسطنطينية

في سنة الف ومايتين واربع مسيحية اجتمع الفرنج قاصدين بيت المقدس
٢٠ فخرج السلطان العادل من دمشق وجمع العساكر الى الطور في قبالة الفرنج
ودام ذلك الى آخر السنة [١] وفيها قدمت مراكب الفرنج من البندقية الى
استملاك القسطنطينية وهي بيد الكس ملك الروم فوضعوا عليها الحصار
٢٥ وقيل ان كان داخل المدينة في الامان نحو ثلثين الف فرنجي فلما تناصبوا هم
الروم صار ان الفرنج الذين (٨٣ كانوا داخل القسطنطينية القوا بها النار واطّرمت
نحو ربع المدينة فاشتغل الروم في النار ودخلت الفرنج الذين كانوا محاصرينها
وضربوا بأهلها السيف مدة ثلثة ايام ولم يعفوا عن الجند ولا عن العباد الذين
٥ خرجوا الى لقاهم في الاناجيل والصلبان . فانهزم ملك الروم وتولت الفرنج
على المدينة وكانوا الفرنج ثلث طوائف والمتكلمين عليهم القوموس صاحب فلندرا
والدوقوس صاحب البندقية والمركيس صاحب فرّانا . فرميوا بينهم القرعة
ووقع الملك القوموس وتسمّى بلدوين الملك ؛ والدوقوس صاحب البندقية
١٠ اقترع قريطش وقبرس ورودس مع بقية الجزر البحرية ؛ واما المرقيس
اختص بنيقية ولاذقية وفيلادلفيا وجميع ما هو شرقي الخليج . [٢] وفي هذه
السنة خرج اسطول الفرنج واستولى على مدينة فوّه من الديار المصرية .

وفيها كانت زلزلة عظيمة عمّت بلاد الشام وبلاد الروم والجزيرة وصقالية
١٥ وقبرس والعراق وغيرها وخربت اسوار مدينة صوره .

١) المختصر ٣ ص ١١٠ — ٢) المختصر ٣ ص ١١٠ و ١١١ وتاريخ هرقل ص ٢٧٠ وما بعدها

١٢٠٥ م : ٦٠٢ هـ بدوءها ١٨ آب خ

الهدنة بين العادل والافرنج

في سنة الف ومايتين وخمس مسيحية كانت الهدنة بين الملك العادل والفرنج

فسلمهم يافا ونزل عن مناصفات لد والرملة وعاد الى مصر . واما الفرنج أغاروا على حمص وحماة وأسروا وسبوا فيها وطمعت الفرنج في البلاد ثم غزاهم
٢٠ الملك العادل فيما بعد وصالحهم [١]

١) المختصر ٣ ص ١١١

١٢٠٧ م : ٦٠٤ ه بدوءها ٢٨ تموز س

غارات الافرنج : العادل يستنجد بالمعظم على الافرنج

في سنة الف ومايتين وسبع مسيحية جمع الملك العادل العساكر فنازل عكا وحاصرها فصالحه صاحبها وبذل له مالا واطلق الاسرى ثم نازل برج
٢٥ الكراد وفتح برج اعناز ثم نازل(٨٤ ٠ طرابلوس ونصب عليها المناجنيق. وجاز العسكر في بلادها وقطع قناتها ثم نازل سنجار وضربها بالمناجنيق فأخذها ثم رجع الى بحيرة قدس في ظاهر حمص [١] ؛ وأرسل الى الملك المعظم عيسى ومعه
٥ عساكر دمشق على قتال الفرنج ونزل على الطور وبنا هناك قلعة منيعة غرّم عليها اموال كثيرة وكملت في سنة ونصف وكان ذلك في سنة سبع وستماية للهجرة .

١) المختصر ٣ ص ١١٢ والكامل ١٢ ص ١١٤

١٢٠٨ م : ٦٠٥ ه بدوءها ١٦ تموز ار

الخليفة يخلع على العادل : عمار قلعة دمشق

في سنة الف ومايتين وثمان مسيحية كانت الهدنة بين الفرنج والعادل ؛
١٠ وارسل الخليفة ناصر الدين العباس الخلع الى الملك العادل وخطب فيه بشاهنشاه ملك الملوك .

وفيها اهتم الملك العادل بعمارة قلعة دمشق وتكاملت سنة ثلث عشرة وستمائة على يد الملك المعظم عيسى وعملت العوام في خندقها مدة وهي من القلاع العظيمة واسمها الأسد الرابض.[1]

١) المختصر ٣ ص ١١٥

١٢٠٩ م: ٦٠٦ هـ بدوءها ٣١ تموز اث

قناة حيلان الى حلب؛ وفاة البطريرك بطرس

١٥ في سنة الف ومايتين وتسع مسيحية امر الملك الظاهر باجرى القناة من حيلان الى حلب وغرم على ذلك اموالا كثيرة.[1]

وفيها كانت وفاة البطرك بطرس الذي كان قاطن في دير سيدة هابيل واختير بعده البطرك ارميا من قرية عمشيت من بلاد جبيل واخذ السكنى في دير سيدة يانوح.

١) المختصر ٣ ص ١١٧

١٢١١ م: ٦٠٨ هـ بدوءها ١٥ حزيران ار

وفاة نور الدين

٢٠ في سنة الف ومايتين واحدى عشرة مسيحية كانت وفاة نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقصنقر صاحب الموصل وكان ذا سياسة للرعايا وشديد على أصحابه وكانت مدة ملكه ثمان عشرة سنة؛ وقبل ان يموت اعطى الملك لولده الملك القاهر عز الدين مسعود وأمر ان

مملوكه بدر الدين لولو يقوم(٨٥ بتدبير المملكة ومحافظتها واعطى لابنه الاصغر عماد الدين زنكي قلعة العادية وقلعة شوش»[1]

١) المختصر ٣ ص ١١٩

١٢١٥ م ٦١٢ ه بدؤها ٢ ايار س

مجمع لاتران ؛ ارميا البطريرك في المجمع

سنة الف ومايتين وخمس عشرة مسيحية زخيا الثالث بابا رومية عقد مجمع عام في كنيسة ماري يوحنا لاتران برومية حضره اربعماية وحادى عشر روساء كهنة من بلدان الشرق والغرب بسبب صحة القرار ان بتقديس القربان المقدس يبطل جوهر الخبز والخمر وحضر جسد الرب ودمه تحت عوارض الخبز والخمر وامور اخرى مهمة لتقويم الديانة المسيحية.

وفيها كاتب ملوك النصارى ليسيروا الجيوش لنجدة النصارى الذين في ارض الشام وحضر في هذا المجمع البطرك ارميا المعظم فثبته البابا زخيا بطركاً على كرسي انطاكية ولم يلبسه درع الرياسة برومية لانه كان ارسل له اياها سابقاً قبل ما يصل لرومية بل ثبته وانعم عليه واعطاه سجل شريف بتحرير اليوم الثاني من كانون الاخر لتثبيت امانته وامانة شعبه الماروني وفي اليوم الثالث تودع من البابا ومن الاباء ورجع لجبل لبنان وعندما قدم قداس في هيكل ماري بطرس وقفت الشيلة فوق راسه ولتصديق ذلك زخرفوا صورته في ذلك الهيكل المعظم وهي باقية الى وقتنا هذا.[1]

١) القاموس اللاهوتي : الكنيسة المارونية عمود ٣٦

١٢١٦ م ٦١٣ ه بدؤها ٢٠ نيسان ار

وقعة عين جالوت وجزيه وعكا ؛ الافرنج في دمياط

سنة الف ومايتين وست عشر مسيحية يقول ابن الحريري ان اقبلت

٢٠ الفرنج بفارسهم وراجلهم من البحار وخرجوا الى عين خالوت ليأخذوا القدس . فخاف الملك العادل وعجز وتأخر وتهيأ اهل دمشق للحصار وتحصنوا واختبط الناس وبعث الملك العادل يستحث عساكر البلد وتأخر الى ٢٥ مرج الصفر وضج الخلق الى الله تم تم تأخر الفرنج الى ناحية عكا بعد ان حاصروا الطور اياماً ثم امر العادل بتخريب(٨٦ الطور . وسارت خمساية من الفرنج ليأخذوا جزين وما حوطها من القرى ونزلوا الى مرج العواميد وهو وادي تحت جزين فاحلاها اهلها . ثم تجمعت المسلمين من تلك البلد فكبسوا الفرنج وقتلو ٥ اكثرهم وأسروا متقدمهم وفرقوهم وابادوهم عن آخرهم . فلما بلغ ذلك صاحب عكا غضب وشن الغارات على جزين وما حوطها . فسار اليهم الملك المعظم عيسى بعساكر دمشق فتأخرت الفرنج الى عكا . ثم ساروا في البحر الى مصر لخلوها من العساكر ونزلت الفرنج على دمياط فجهز العادل العساكر الى ابنه الكامل ليكشف عنها فأقبل ونزل تجاه دمياط ودام الحصار والقتال ١٠ اربعة اشهر واخذت الفرنج دمياط واول ما اخذوا برج السلسلة من دمياط وهو برج شاهق في وسط النيل ودمياط من شرقيه والجيزه بحذائه من غربيه وعلى جنبي البرج سلسلتان عظيمتان تمتد هذه الى سور دمياط والاخرى الى سور الجيزه فتمنع المراكب عن العبور الى ديار مصر في النيل»[1]

---

[1] اخذ الدويهي هذا البند تقريباً بكماله عن ابن الحريري ص ١١٣ و١١٤ وجاءت في نسخة الدويهي خالوت عوض جالوت

١٢١٨م، ٦١٥هـ بدوءها ٣٠ اذار ج

وفاة الظاهر والعادل ؛ تقسيم المملكة ؛ الافرنج في دمياط ؛ الكامل في المنصورة ؛ ظهور التتر ؛ مهاجمة الافرنج

١٥ في سنة الف ومايتين وثمان عشرة مسيحية توفي الملك الظاهر غازي[1] ابن صلاح الدين يوسف صاحب حلب وقيل ان كانت وفاته في سنة ثلث عشرة في العشرين من جمادي وتخلف بعده ولده الملك العزيز محمد من ابنة

عمه الملك العادل ولصغره في العمر طمع به صاحب بلاد الروم واستنجد في
٢٠ الملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب شميشاط ففتح رعبات وتل باشر (ومنبج
وتسلمهم ثم اختلف عليه الأفضل وعساكر العرب) [٣]

وفيها توفي الملك العادل سيف الدين ابو بكر محمد بن ايوب ابن شادي[٣]
كان ملكاً حليماً مجاهداً ناهياً عن المنكر ابطل المظالم والمكوس والخمور
٥ بدمشق وجمع البلاد وكان يتحصل من دمشق(٨٧ خاصة مائة الف دينار
فابطل الجميع وقيل ان وفاته كانت في معقلين وهي بالقرب من صيدا في
بلاد الشوف وحمل في محفة الى دمشق ودفن بتربته وكانت مدة مملكته بالديار
المصرية تسع عشرة سنة . واقاموا بعده ابنه الملك الكامل محمد وهو السادس
من ملوك بني ايوب بالديار المصرية : فولى اخاه الملك المعظم عيسى على
دمشق . والملك الأشرف على خلاط وحران والرها والجزيرة . والملك المظفر
غازي على ميافرقين وغامي وجبل غوري وما والاها . والملك الفائز
ابرهيم على قوص واعمالها ؛ والملك الافضل على الفيوم وهم اولاد الملك الكامل
١٠ محمد : واما الملك الكامل كان بقتالات عظيمة مع الفرنج بدمياط فارسل
استنجد باخوته فظفر بالفرنج وقتل وأسر جماعة كثيرة وارسل اليسرى مكبلين
بالحديد الى القاهرة[٤] ؛ ثم اجتمع عساكر الفرنج على دمياط واحدقوا بها براً
وبحراً ومنعوا الميرة عنها فهلك أكثر أهلها بالجوع والخوف والوباء ولم يبق
١٥ من المقاتلة إلا القليل فملكوها الفرنج بالسيف واسروا جميع اهلها وبين بها في
شعبان وجهزوا الاسرى الى عكا وكانت مدة الحصار ستة عشر شهر واثنين
وعشرين يوم وعملوا جامعها كنيسة وبعثوا بالمصاحف وروس القتلى الى بلاد
الافرنج . واما الكامل فرحل الى اشموم وخيم وبنا الناس الدور والفنادق
٢٠ والحمامات والاسواق عند مفرق النيل وتسمت هذه المنزلة المنصورة[٥] فحصنها
وسكنها بجيشه وكان ذلك سنة ستعشرة وستماية . وفيها الملك المعظم صاحب
دمشق خرب قلعة الطور وقلعة تبنين وبانياس خوفاً من استيلاء الفرنج
عليهم وادار الخمر والمكوس بدمشق واعتذر بقلة المال .

٢٥ وفيها توفي الملك القاهر عزالدين مسعود ابن ارسلان شاه(٨٨ وعمره
نحو عشر سنين وجعل الوصي عليه والمدبر لدولته بدر الدين لولو ؛ ثم ان
توفي الملك القاهر عز الدين مسعود وتخلف بعده اخوه ناصر الدين محمود

وله من العمر ثلث سنين.[٦] وفي هذه السنة كان ظهور التتر ونكثهم في
٥ المسلمين فسفكوا دماهم وسبوا حريمهم وتملكوا أكثر بلدانهم من حد العراق
الى تركستان وايضاً بلد غانه وبعض الهند وملك سجستان وكرمان وطبرستان
وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس[٧] : وتوافق الملك المعظم
عيسى صاحب دمشق مع جمال الدين خوارزم شاه ملك اذربيجان واران
١٠ وبعض بلاد الكرك وعراق العجم وغيرهم على اخويه الكامل صاحب مصر
والأشرف صاحب الرها ؛ فخاف من ذلك الملك الكامل وكاتب ملك الفرنج
ليتقدم الى عكا ويشغل اخوه المعظم عن شرعه وواعده ان يعطيه القدس
ولكن عند وصول ملك الفرنج الى عكا توفي المعظم بدمشق ووثب في
١٥ مملكته بعده ولده داود وتسمى الملك الناصر صلاح الدين وقام بتربيته الامير
عز الدين ايبك الذي كان على صرخد واعمالها. (وفيها اجتمع في عكا
حنا ملك بيت المقدس وهوغس ملك قبرس واندراوس ملك هونغاريا مع
جملة امراء من المجر ومن فرنسا وفي اول يوم من تشرين الثاني قصدوا بيت
المقدس وكان البطريرك يتقدمهم بخشبة الصليب المقدس فقتلوا ونهبوا نواحي
٢٠ الاردن وتملكوا بعض حصون في تخوم قيسارية فيلبوس وشيدوها بآلات الحرب
وبعدما استحمّوا بنهر الاردن اختلف رايهم وعاودوا الى عكا ؛ فان يومئذ
قومزوس صاحب طرابلس كان بالخفي متخاوي مع المسلمين واندراوس ملك
اونغاريا همل في نجدة النصارى فركب البحر هو وجنوده ورجع الى بلده
وبعد قليل توفي ايضاً ملك قبرس.[٨]

٢٥ وفيها سار الكامل من مصر الى الشام وولى على نابلوس والقدس
وغيرها من البلاد ابن اخيه الناصر داود...

---

١) المختصر ٣ ص ١٢٢ - ٢) ما بين الهلالين ناقص في ف - ٣) ابن الحريري ص ١١٤ - ٤) ابن الحريري ص ١١٦ - ٥) ابن الحريري ص ١١٦ - ٦) ان متن الدويهي صوابه كما جاء في المختصر ٣ ص ١٢٥ « في هذه السنة توفي الملك القاهر . . وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة اشهر . . . وخلف ولدين أكبرهما اسمه ارسلان شاه وكان عمره حينئذ نحو عشر سنين . . . وقام لولو بتدبير المملكة » - ٧) المختصر ٣ ص ١٢٩ - ٨) تاريخ هرقل ص ٣٢٤

١٢١٩ م : ٦١٦ هـ بدوءها ١٩ اذار ث

هرب اهالي القدس ؛ الافرنج قرب دمياط ؛ الغلاء

في سنة الف ومايتين وتسع عشرة مسيحية قدمت الرجال من بلاد المجر ومن النمسا لمساعدة النصارى الذين في بلاد الشام فكبر الوهم على الملك الكامل وكتب الى العزيز عثمان وأيبك الاستدار اللذان كانا بالقدس بان يهدما ٣٠ سور بيت المقدس لئلا تاخذه الافرنج ويمتدو على الشام وبلاد الاسلام . وفي اول محرم من سنة ست عشرة وستماية كان بدوء خراب سور القدس ووقع في البلد صيحة عظيمة وخرجن النساء المخدرات والبنات والشيوخ والصبيان الى الصخرة والأقصى وقطعوا شعورهم ومزقوا ثيابهم وتركوا اموالهم واهاليهم وخرجوا هاربين البعض منهم الى مصر والبعض الى الكرك والبعض الى ٣٥ دمشق ومات خلق كثير من الجوع والعطش والخناء ونهبت اموالهم في القدس وبلغ قنطار الزيت الى عشرة دراهم ؛ واما الافرنج فاخذوا صيدا وعمروا سورها وشرعوا بالتوجه الى دمياط فوصلوا اليها في شهر ايار وكانت المدينة محصنة بآلات الحرب وفيها نحو سبعين الف مقاتل فصار بين الفريقين وقايع مختلفة وهلك كثير من الافرنج من الفناء الذي كان شديداً وكانوا آيسوا ٤٠ عن اخذها لزيادة حملة النيل في التشارين.[1]

(١) ابن الحريري ص ١١٢

١٢٢٠ م : ٦١٧ هـ بدوءها ٨ اذار اح

فتح دمياط ؛ القديس فرنسيس

سنة الف ومايتين وعشرين مسيحية فتح الملك الناصر صاحب دمشق قيسارية وهدمها وسار الى عتليت ونازلها وتوجه الى دمياط ليساعد الملك الكامل فالتحم القتال بينهم وهلك اكثر اهل دمياط جوعاً ؛ وعندما آيس

الافرنج عن فتح دمياط وهمّوا بالرحيل عنها كاتبهم المسلمون ان يعطوهم بدلها
٤٥ القدس ويبنوا اسوارها كما كانت وان يردوا لهم خشبة الصليب التي كان اخذها
صلاح الدين : فقوت عزة الافرنج وبالأزود انه صعد بعض من جيوش
الافرنج على السلالم ودخلوا المدينة وفتحوا الابواب فوجدوا ان اغلب اهلها
ماتوا بالجوع فتولوا عليها وغنموا باموالها وجعلوا الجامع الكبير كنيسة على اسم
السيدة ويقال انه كان حاضراً في حال حصار دمياط القديس فرنسيس الكبير
٥٠ فوقف على الملك الكامل وآثر انه يحظى بالشهادة فلم يجب.(١)

(١) تاريخ هرقل ص ٣٤٢

١٢٢١ م، ٦١٨ هـ بدؤها ٢٥ شباط خ

زحف الافرنج الى مصر : فجرة النيل : تسليم الافرنج

في سنة الف ومايتين واحدى وعشرين مسيحية عندما تملكوا الافرنج
دمياط بلغهم وفاة ملك الارمن فيوحنا ملك القدس الذي كان متقدماً على
جيش االافرنج ترك الجيش وسار الى عكا بأمله انه يتملك بلاد الارمن
فتنوب عنه اندولقوس نائب البابا انوريوس على الافرنج والزم العسكر بالمسير
الى مصر الكبيرة ؛ فلما وصلوا للمنصوره فاشتد القتال براً وبحراً بين الافرنج
٥٥ والمسلمين فاستنجد الملك الكامل باخوته واهل بيته فسار اليه صاحب دمشق
الملك الناصر داود وصاحب حلب الملك الاشرف موسى وصاحب حماه الملك
الناصر وصاحب بعلبك الملك الأمجد وصاحب حمص الملك المجاهد مع عساكرهم
وتوابعهم ؛ فلما كثرت عساكر المسلمين قويت نفوسهم وذلت نفوس الافرنج
واشتد القتال والتحمت الحروب العظيمة بينهم فكاتبهم المسلمين بالصلح
٦٠ وبذلوا لهم تسليم القدس وطبرية واللاذقية وجبلة وجميعا فتحه السلطان صلاح
الدين يوسف ما عدا الشوبك والكرك على ان يجيبوا الى الصلح ويسلموهم
دمياط فلم يرضوا الافرنج بذلك وقالوا لا بد عن تسليم الكرك والشوبك
وان يعطوا ثلاثماية الف دينار عن تخريب اسوار القدس ؛ ثم انه عبر جماعة
من المسلمين وفجروا فجرة عظيمة من النيل على الافرنج والافرنج لم يكن

وبعضهم خبرة بامر النيـــل فصار الماء حائلا بين الافرنج وبين دمياط وانقطع عنهم الميرة والمدد فهلكوا جوعاً . فبعث الافرنج بطلب الامان فاختلف الامر في الاجابة عند ذلك عزموا بالرجوع الى دمياط فاحرقوا اثقالهم وهربوا ليلا . فلما بلغ ذلك السلطان امر بقطع الجسور واحاط بهم النيل من كل جانب فالتجأوا الى تل كبير واحاط بهم العسكر من كل جانب وايقنوا بالفناء وطلبوا ٧٠ الهدنة فاجابهم الى الامان لان العساكر كان لهم ثلاث سنين وشهور بالقتال وضجرت نفوسهم فطلب الافرنج من الملك الكامل رهينة فبعث ابنه الصالح نجم الدين وحضر من الافرنج رهينة ملك عكا نائب البابا صاحب رومية الكبرى وغيرهما من الملوك . واستحضر الملك الكامل المذكورين واخوته واهل بيته وجلسوا في خيمة واحدة ومد لهم سماطاً وتقررت الهدنة بينهم ثمان ٧٥ سنين وان تطلق الاسرى من الجهتين وحلفوا على ذلك الفريقين يوم الاربعا لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب وتسلم السلطان دمياط وكانت مدة ملك الافرنج دمياط سنة وعشرة اشهر واربعة وعشرين يوماً وزحف الافرنج الى بلادهم والسلطان الى مصر) .[1]

[1] ما بين الهلالين ناقص في ش اخذناه عن ف ن — ابن الحريري ص ١١٧ و١١٨ والمختصر ٣ ص ١٣٥

١٢٢٢ م : ٦١٩ هـ بدوءها ١٥ شباط ث

الدومينيكانه في فلسطين

سنة الف ومايتين وثنتين وعشرين مسيحية قدم من بلاد الفرنج رهبان ٨٠ من البار عبد الاحد وتفرقوا في عكا والناصرة والقدس ومن جملتهم بوركاردوس الذي اخرج كتاب عن الارض المقدسة .[1]

[1] M. Buchberger : Lexicon Theologie und Kirche بوخبرجر : القاموس اللاهوتي الكنائسي عمود ٢ ص ٦٣٧ Burchard بوركارد الدومينيكاني عاش في القدس حوالي سنة ١٢٨٣م وكتابه Descriptio Terrae Sanctae نقل الى اللغة الالمانية والافرنسية والهولاندية

١٢٢٤ م ؛ ٦٢٠ ه بدوءها ٤ شباط س

وفاة الناصر والعادل ؛ انتصار الاشرف

سنة الف ومايتين واربعة وعشرين مسيحية في سلك رمضان توفي الملك الناصر لدين الله ابو العباس خليفة بغداد وكانت مدة خلافته سبع واربعين سنة وبويع بالخلافة ابنه الظاهر بالله محمد وهو الخامس وثلثين من الخلفا ٨٥ العباسيين [١]

وفيها توفي الملك العادل سيف الدين ابو بكر اخو السلطان (٨٩ صلاح الدين وكانت مدة ملكه لمصر تسع عشرة سنة. [٢]

وفيها ركب الملك الاشرف صاحب حلب على كيكاوس صاحب بلاد الروم فأخذ منه اسرى كثير أرسلهم الى حلب واسترجع تل باشر ورعبان ؛

١) ابن الحريري ص ١١٨ — ٢) المختصر ٣ ص ١٤٢ والكامل ١٢ ص ١٤٢ سنة ٦١٥ه

١٢٢٥ م ؛ ٦٢٢ ه بدوءها ١٣ ك ٢ اث

وفاة الظاهر

في سنة الف ومايتين وخمس وعشرين مسيحية توفي الملك الظاهر بامر ٥ الله محمد بن الناصر خليفة بغداد وكانت مدة خلافته تسعة اشهر وبويع لابنه الكبير المستنصر بالله ابو جعفر المنصور وهو السادس وثلثون من خلفاء بني عباس. [١]

١) المختصر ٣ ص ١٤٣ و١٤٤

١٢٢٧ م، ٦٢٥ هـ بدوءها ١٢ ك ١ اح

الاشرف يقاتل الناصر ؛ الكامل يحالف الامبراطور على صاحب دمشق

سنة الف ومايتين وسبع وعشرين مسيحية سار الملك الأشرف صاحب
١٠ حلب الى دمشق بأمر الملك الكامل ليحاصر الملك الناصر داود صاحب حماة
الذي دخلها ، وكانت مراسلات بين الملك الكامل والامبراطور[1] ان تسلم
القدس اليه على ان يستمر اسواره خراباً ولا يعمرها الفرنج ولا يعارضوا الى
قبة الصخرة ولا الى الجامع الأقصى ويكون الحكم في الرساتيق الى والي
١٥ المسلمين ويكون لهم من القرايا ما على الطريق من عكا الى القدس فقط ؛
ووقع الامر على ذلك وتحالفا وتسلم الامبراطور القدس وسار الملك الكامل
الى دمشق وشد الحصار على الناصر وقطع عنه بانياس والقنوات ونهبوا البساتين
وما حول البلد وجرت بينهم وقعات كثيرة ؛ آخرها ان الملك الكامل
٢٠ دخل قلعة دمشق في اول شعبان سنة ست وعشرين وستماية وتسلطن عليها
واعطى اخاه الناصر عوضها حران والرها وراس العين والرقة والبلاد الشرقية
واعطى دمشق للملك الأشرف وعاد الى مصر .[2]

وفيها امطر بمدينة حلب رمل احمر شبيه بالبرد وفيه تراب يشبه الطباشير .

١) والامبراطور ملك الفرنج ولما كانت المدة اجاب الامبراطور الى تسليم القدس اليه على ان يستمر اسواره خراباً ن — ٢) المختصر ٣ ص ١٤٦

١٢٢٩ م، ٦٢٧ هـ بدوءها ٢٠ ت ٢ ث

صاحب دمشق يستولي على بعلبك ؛ المظفر يهزم الافرنج

٢٥ سنة الف ومايتين وتسع وعشرين مسيحية الملك الأشرف صاحب دمشق
(٩٠ حاصر بعلبك وقلعتها وأخذها من الامجد واعطاها لاخيه الملك الصالح

اسمعيل فسكنها، وفيها قدم الترسيج من برج الاكراد قاصدين حماه فالتقاهم
الملك المظفر صاحب حماه بن حماه وبارين وكسرهم كسرة عظيمة [١]

١) المختصر ٣ ص ١٥٢

١٢٣٠ م : ٦٢٨ ﻫ بدوءها ٩ ت٢ ث

دخول التتر ديار بكر والجزيرة : زيارة الكامل : وفاة البطريرك ارميا العمشيتي

٥ في سنة الف ومايتين وثلثين مسيحية ركب التتر على جلال الدين خوارزم شاه ملك اذربيجان وعلى الإسلام حتى وصلوا الى الفرات وشنوا الغارات في ديار بكر والجزيرة قتلوا الزهاد وسبوا الذراري ونكبوا الجوامع وحرقوا المصاحف وخربوا شيء لم يوصف ولم يسمع بمثله وقتل جلال الدين خوارزم
١٠ بقرب ميافرقين وكانوا التتر قد صنعوا ذلك في غزوة اخرى قبل هذا بعشر سنين .[١] وفي هذه السنة انتهى التواريخ المسما بالكامل من هبوط ادم الى هذه السنة وفي سنة الثلثين وستماية كانت وفاة صاحبه عز الدين عليّ بن الاثير الجزري .[٢]

وفيها كانت وفاة البطرك ارميا من عمشيت وله في البطركية واحدة
١٥ وعشرين سنة كان رجل متقي دخل الى روميه الكبرى وساس شعبه سياسة الابرار وتخلف بعده البطرك دانيال من شامات .

١) الكامل ١٢ ص ٢٠٦ — ٢) ابن الحريري ص ١٢٢—١٢٣ والمختصر ٣ ص ١٥٨

١٢٣٢ م : ٦٣٠ ﻫ بدوءها ١٨ ت١ أث

الكامل يغلب المسعود على آمد : وفاة العزيز عثمان

في سنة الف ومايتين واثنتين وثلثين مسيحية سار الملك الكامل صاحب دمشق

الى آمد حاصرها بالمناجنيق وأخـذها من صاحبها الملك المسعود مودود
٢٠ الاتابكي وكان فاسقاً وشهد الأشرف بان انوجد في قصره خمساية حرة
للفراش من بنات الناس اخذهن قهراً واخذ منه حصن كيفا واستناب الملك
الكامل على ذلك ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب وفيها توفي
الملك العزيز عثمان بن الملك العادل سيف الدين وهو شقيق المعظم عيسى
٢٥ وهو الذي بنى قلعة الصبيبة وبانياس وتبنين واليه تنسب المدرسة العزيزية
بدمشق بجوار الكلاسة[٢]

١) ابن الحريري ص ١٢٣ — ٢) ابن الحريري ص ١٢٤

١٢٣٣م : ٦٣١ هـ بدوءها ٧ ت١ ج

فتح الكامل ثم فوزه ؛ وفاة الآمدي

(٩١ في سنة الف ومايتين وثلث وثلثين مسيحية سار الملك الكامل مع ملك
حماه الى بلاد الروم فظفر بها ملك الروم واستيسرهما واستولى على حران
والرها ثم انه اطلقهما ؛ والملك الكامل بعد قتالات كثيرة استرجع حران والرها
٥ واسر من الروم نحو ثلثة الاف ارسلهم الى الديار المصرية[١] وعمر بدمشق جامع
التوبة لانه كان اولا للفواحش والمنكرات .[٢] وفيها توفي سيف الدين الآمدي
صنف كتب كثيرة[٣] .

١) المختصر ٣ ص ١٦٣ — ٢) ابن الحريري ص ١٢٤ — ٣) ابن الحريري ١٢٢
والمختصر ٣ ص ١٦٢

١٢٣٦م : ٦٣٤ هـ بدوءها ٤ ايلول خ

وفاة صاحب حلب ؛ نيفطا المارونى

في سنة الف ومايتين وست وثلثين مسيحية توفي صاحب حلب الملك

١٠ العزيز غياث الدين محمد بن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وكانت والدته ابنة الملك العادل وتملك بعده ابنه الملك الناصر يوسف وهو صبي.[١]

وفيها نيقيطا الماروني دقق وحقق في كتبه ان روح القدس ينبثق من الاب والابن.[٢]

---

١) مختصر ٣ ص ١٦٦ وابن الحريري ص ١٢٤ — ٢) Nicétas de Maronée نيقيطا من مرونه كان لاهوتياً وعاش في القرن الثاني عشر (؟) وكان بيزنطياً رئيس اساقفة تسالونيقية وله مؤلفات في انبثاق الروح القدس من الآب والابن؛ راجع القاموس اللاهوتي الاثرسي في مادة Nicétas de Maronée, Diction. Théol. Cath. XI. 2, col. 476 sqq.

١٢٣٧ م، ٦٣٥ هـ بدوءها ٤ ايلول خ

وفاة الاشرف؛ وفاة الكامل؛ ملك الجواد

في سنة الف ومايتين وسبع وثلثين مسيحية كانت وفاة الملك الاشرف[١] ابو الفتح موسى في اول هذه السنة وكان جزيل الكرم شجاعاً ومحباً للعلماء
١٥ فاتصل اليه من ابيه الرها وحران واقام بهما مدة ثم انه تملك خلاط وهي قصبة ارمينية ثم تملك دمشق نحو تسع سنين؛ ثم ان تولى دمشق بعده اخوه الملك العادل عماد الدين سماعيل فسار اليه من مصر الملك الكامل وحاصره بدمشق حصاراً شديداً فاخذها منه وعوضه بعلبك والبقاع الى بصرى؛
٢٠ فملك الكامل دمشق شهرين ومات لتسع بقين من رجب وكانت وفاته بقلعة دمشق بالسعال والاسهال وكان مدة ملكه لمصر عشرين سنة من حين مات ابوه وقبل ذلك كان له عشرين سنة نائباً بها وعمر في القاهرة دار الحديث والقبة على ضريح الشافعي وهي من اعظم البنيان في العمارة والإحكام.[٢]
٢٥ وبعد موته تولى دمشق الملك الجوّاد يونس بن الكامل بن شمس الدين مودود بن الملك العادل[٣]؛ وعلى مصر(٩٢ الملك العادل ابن الملك الكامل وهو السابع من ملوك بني أيوب في الديار المصرية. وفي هذه السنة عسكر حلب ملك المعرة وكانت للمظفر صاحب حماة وكذلك صاحب حمص تسلم سلمية وكانت لصاحب حماة وفيها صارت حروب بين الناصر داود صاحب

الكرك وبين الجواد يونس نائب دمشق مصاف بين حنين ونابلوس وكانت الكسيرة على الناصر[٤] وتحركت ايضاً عساكر التتر على بغداد وفيها الفرنج عمروا قلعة القدس.

١) المختصر ٣ ص ١٦٧ — ٢) المختصر ٣ ص ١٦٨ — ٣) المختصر ٣ ص ١٦٩
٤) المختصر ٣ ص ١٦٩

١٢٣٨ م : ٦٣٦ ﻫ بدوءها ١٤ آب س

الصالح ايوب في دمشق

في سنة الف ومايتين وثمان وثلثين مسيحية[١] ضعفت همة يونس الجواد صاحب دمشق فاستولى عليها وعلى اعمالها الملك الصالح أيوب ابن الكامل اخو العادل صاحب مصر وعوض الجواد يونس عنها سنجر والرقة وعانه. وفيها البطرك دانيال قسم القس شمعون اسقفاً ليكن معفد؟ ه

١) المختصر ٣ ص ١٧٦ وابن الحريري ص ١٢٧

١٢٣٩ م : ٦٣٧ ﻫ بدوءها ٣ آب ار

الفتنة بين الامراء ؛ وفاة صاحب حمص ؛ خلع العادل ؛ وفاة صاحب ماردين

(في سنة الف ومايتين وتسع وثلاثين مسيحية الملك الصالح ايوب ولى ابنه دمشق وسار بالجيش الى نابلوس قاصد الاستيلاء على مصر فزحف الصالح اسماعيل صاحب بعلبك وشيركوه صاحب حمص بجموعهما فهجموا دمشق وملكوا قلعتها ومالت الى اسماعيل عساكر المغيث وعساكر ابيه ؛ ثم ان الناصر داود قبض على الصالح ايوب واعتقله في الكرك ثم سار الى القدس وخرب القلعة التي بنوها الافرنج بعد موتة الملك الكامل وكذلك برج داود

الذي بعده كان عامر . وفيها الملك الجوّاد اساء السيرة باهل سنجر فكاتبوا صاحب الموصل فاسرع لولو صاحب الموصل وعندما خرج الجوّاد ليتصيد فتحوا له البلد فتملكها ومضى الجوّاد الى عانه وفيها توفى صاحب حمص الملك المجاهد اسد الدين شيركوه وكانت مدة ملكه نحو خمس وستين سنة وملك بعده المنصور ابراهيم عن شيركوه[1] . وفيها الصالح ايوب اتفق مع الناصر داود صاحب الكرك على اخذ مصر من العادل ومالت اليهما العساكر والامراء وفي ثمانية ذي القعدة قبضوا على الملك العادل وخلعوه من السلطنة وكانت مدة ولايته نحو سنتين واقاموا اخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وهو الثامن من ملوك بني ايوب بالديار المصرية وعاد الناصر الى الكرك[2] وفيها توفي ناصر الدين ارتق ارسلان بن الغازي صاحب ماردين وملك بعده ابنه الملك السعيد نجم الدين غازي[3])

١) ابن الحريري ص١٢٨ — ٢) المختصر ٣ ص ١٦٢ — ٣) المختصر ٣ ص ١٧٤

١٢٤٠ م ، ٦٣٨ هـ بدؤها ٢٣ تموز أث

هزيمة الخوارزمية

سنة الف ومايتين واربعين مسيحية سلّم الصالح اسمعيل صاحب دمشق صفد والشقيف للفرنج ليعضدوه ويكونوا معه ضد ابن الصالح ايوب صاحب مصر . وفيها الخوارزمية غزوا بلاد حماة وحلب فنهبوا وفسدوا وأخربوا فاتفق الحلبيون مع صاحب حمص وركبوا عليهم وكسروهم وأخذوا منهم المكاسب والاسرى وطردوهم حتى رجعوا الى عانه وتولى صاحب حلب على حاران وصاحب حمص على الخابور اللذان كانا بيد الخوارزمية وفيها اخرب الخوارزمية دير مار يعقوب في جبل الرها عند دخولهم بلاد الشام .[1]

١) المختصر ٣ ص ١٧٥

١٢٤٢م : ٦٤٠هـ بدوءها ١ تموز ث

المؤامرة على صاحب مصر ؛ وفاة المستنصر

٢٠ في سنة الف ومايتين واثنتين واربعين مسيحية الملك الصالح اسمعيل صاحب دمشق قصد الاستيلا على مصر فكاتب ابرهيم صاحب حمص والناصر داود صاحب الكرك وكذلك الافرنج اوعدهم بجزء من بلاد المسلمين . وكان مقدم العسكر كمال الدين ابن الشيخ(٩٣ فادركه الموت بغتة بغزة ثم وقع الصلح بين اسماعيل وعمه ايوب وخطب بمصر لصاحب مصر.[١] وفيها توفي المستنصر[٢] بالله خليفة بغداد لعشر خلون من جمادى الثاني وكانت خلافته ٥ ست عشرة سنة ونصف واتفق ارباب الدولة على تقليد الخلافة لولده عبدالله المستعصم بالله وهو السابع وثلثون من الخلفاء العباسيين وآخرهم في العراق

وفيها امطرت بدمشق مطراً عظيم لم يعهد مثله وزادت الماء حتى وصلت الى حائط جامع التربة . وفيها كان مقتل الامير ابن نجم[٣] الدين محمود واخوه شرف الدين علي ولدى الامير جمال الدين التنوخي بثغر بيروت في ١٠ مكان يقال له ثغرة الحوزات في بلاد كسروان واولاد هذا جمال الدين يحيى بن كرامه ابن بحترهما اولا من سكن قرية عابيه الغرب من بني التنوخ فكانوا اولا قاطنين في طرذلا ثم انتقلوا الى عابيه.

١) المختصر ٣ ص ١٧٢ — ٢) الصواب المستنصر — المختصر ٣ ص ١٧٩ —
٣) ولعله الامير نجم الدين محمد بن جمال الدين ؛ راجع صالح ص ١٨٤ — ١٨٦

١٢٤٣م : ٦٤١هـ بدوءها ٢١ حزيران اح

الاتفاق بين اسمعيل والافرنج ؛ فبرمة الافرنجية ؛
كنيسة مار شربل ومار جرجس

في سنة الف ومايتين وثلث واربعين سلم الصالح اسمعيل صاحب دمشق ١٥ الى الفرنج طبرية وعسقلان ليكونوا نجدة فعمر الفرنج قلعتها واعطاهم ايضاً

القدس بما فيه من المصارات[١] حتى انهم قدسوا على الصخرة.[٢] وفيها توفيت حنة الفرنجية بنت الخبّاز في قرية معاد شرقي البترون ودفنت في الدهليز الذي قدام كنيسة ماري شربيل بمدفن شريف وتحرر خبرها على بلاط من ٢٠ رخام في اللاطيني وربما ان ابوها المعروف بالخبّاز عمر كنيسة ماري شربيل جملون عندما خربت الاولى التي كانت شريفة ولها قدوشقدوشين[٣] وان الدهليز كان جبانتهم : وعلى شبه ذلك بنا في العاقورة الراهب الياس ابن سركيس ابن الريس حنا كنيسة ماري جرجس بنصف القرية جملون كما هو محرر ٢٥ على عتبة الكنيسة.

١) كذا في الاصول ولعل الصواب المزارات — ٢) المختصر ٣ ص ١٨٠
٣) قدس الاقداس

١٢٤٤م : ٦٤٢ﻫ بدؤها ٩ حزيران خ

وقعة غزة وظفر الخوارزمية : البطريرك سمعان

في سنة الف ومايتين واربع واربعين مسيحية توجه الخوارزمية(٩٤ الذين داخل نهر الفرات الى غزة باستدعاء الملك الصالح ايوب صاحب مصر واجتمعوا بالعساكر المصرية قاصدين دمشق : واما الصالح اسمعيل صاحب دمشق استنجد بالفرنج وبصاحب حمص وبصاحب كرك : والتقت الفريقان بظاهر ٥ غزة وكانت النصرة للخوارزمية وللمصريين فقتلوا من اهل الشام مقتلة كبيرة واستولى الملك الصالح أيوب على القدس وعلى غزة وسواحلها.[١] وفيها كان متولي كرسي انطاكية البطرك سمعان وجبل لبنان الاسقف سمعان والقس لياس حسن الخط.

١) المختصر ٣ ص ١٨٠ — ١٨١

١٢٤٥ م : ٦٤٣ ﻫ بدوءها ٢٩ ايار اث

اسمعيل يحالف الافرنج ؛ مجمع ليون ؛ الصالح ايوب في دمشق

في سنة الف ومايتين وخمس واربعين مسيحية وهب الملك الصالح اسمعيل
١٠ صاحب دمشق قلعة الشقيف للفرنج ليوزرود فانكر عليه ابن عبد السلام
خطيب دمشق وابو عمر الحاجب المالكي فعزلها وحبسها بالقلعة. وفيها
البابا زخيا الرابع عقد مجمع في مدينة لوغدون[1] في بلاد فرنسا ضد افري
فريدريكو الامبرادور فخلعه عن الملك وصار الواقف على تجهيز النجدة لاستفكاك
١٥ ارض الميعاد وقدموا على الجيش لويس التاسع ملك فرنسا. وفيها زحف
المصريون والخوارزمية لاخذ دمشق فشدوا عليها الحصار مدة خمسة اشهر
وقاست اهلها شدة عظيمة لم يعهد مثلها احترقت العقيبة وهلكت الناس من
٢٠ القتل والجوع لانها كانت سنة غلا بلغت غرارة القمح الف وستماية درهم بويع
الخبز كل وقيتين بدرهم ورطل اللحم بتسع دراهم وأكلت المايتة وأبيعت
الاملاك بشيء يسير وانتنت البلاد بالموتى ؛ وبعد حصار خمسة اشهر فتحوا
دمشق بالامان وتولاها الملك الصالح ايوب وعوض عنها الملك اسمعيل
٢٥ بعلبك والبصرى والسودى ؛ وبسبب ان الملك الصالح ايوب ما اذن للخوارزمية
بنهب دمشق خرجوا من طاعته واستجاشوا بلاد الشام فنهبوا وسبوا المدن
(٩٥) والقرى من مدخل مصر الى انطاكية في السواحل والجبال وكل من وجدوه
من مسلمين ام نصارى ام فرنج يقتلونه ؛ ومن غير الحروب والنهب والسبي[2]
كان الغلا الشديد خاصة من الكوانين الى البيدر ثم تبعه النقص الذي لا يوصف
٥ حتى جلست بيوت كثيرة لا تطلب فيها ساكن.

١) ليون — ٢) المختصر ٣ ص ١٨٢ وابن الحريري ص ١٢٦

١٢٤٦ م : ٦٤٤ ﻫ بدوءها ١٩ أيار س

كسرة الخوارزمية على القصب واستيلاء الصالح ايوب على بعلبك

في سنة الف ومايتين وست واربعين مسيحية اتفق الخوارزمية مع الصالح

اسمعيل والناصر صاحب الكرك وقصدوا أخذ دمشق واستنجد الصالح أيوب بعسكر الحلبيين وبالمنصور صاحب حمص فالتقوا العسكران على القصب فتشتت مقدم الخوارزمية حسام الدين بركة خان وانهزمت جماعته[١] . ودخل الملك الصالح أيوب دمشق في ذي القعدة بفرح عظيم وارسل له خليفة بغداد مع ابن الخوزى الخلع السلطانية وهي عمامة سوداء وفرجية مذهبة وثوبان ذهب وسيف بسقط ذهب وطوق ذهب وترس ذهب وحصان . ثم ان الملك الصالح نجم الدين أيوب سلم دمشق الى حسام الدين ابن ابي علي الهدباني ورجع فأخذ بصره وصرخد والصبيبة وعمر سور القدس وتسلم بعلبك ورجع الى مصر . وعندما صار الصالح اسمعيل الى عند الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب ليستجير به نزل حسام الدين من دمشق الى بعلبك فحاصرها وقبض على اولاده فاعتقلهم بمصر . وكذلك ارسل الصالح أيوب عسكراً من مصر الى أخذ الكرك فأخرب كل ضياعها ولم يبق مع الناصر داود الا الكرك وحدها . وفيها توفي عبد المحسن ابن حمود الحلبي حسن الخط وله تصانيف كثيرة واشعار حسنة دفن بدمشق .

١) المختصر ٣ ص ١٨٣ — ١٨٤

١٢٤٧ م : ٦٤٥ هـ بدوءها ٨ أيار أر

فتح عسقلان وطبرية ؛ وفاة صاحب صرخد

في سنة الف ومايتين وسبع واربعين مسيحية ارسل الصالح أيوب العسكر مع فخر الدين بن الشيخ ففتح عسقلان وطبرية (٩٦ من الفرنج . وفيها توفي الامير عز الدين صاحب صرخد فنقل بتابوت ودفن بدمشق على الميدان وتوفي ايضاً المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل صاحب ميافارقين وخلاط وتملك بعده ابنه الملك الكامل محمد .[١]

١) ابن الحريري ص ١٣٠ — ١٣١

١٢٤٨م : ٦٤٦هـ بدوءها ٢٦ نيسان اح

صاحب حلب يتسلم حمص

٥ في سنة الف ومايتين وثمان واربعين مسيحية ارسل الملك الناصر يوسف صاحب حلب حاصر حمص وبعد شهرين تسلمها وعوض عنها الملك الأشرف موسى تل باشر مضافاً الى ما بيده من تدمر والرحبه[١]

(١) المختصر ٣ ص ١٥٠

١٢٤٩م : ٦٤٧هـ بدوءها ١٦ نيسان ث

ملك الفرنج دمياط ؛ نزول الملك الصالح اشموم ؛ وفاته

في سنة الف ومايتين وتسع واربعين مسيحية لويس سلطان فرنسا سار ١٠ من بلاده باموال جزيلة وعساكر متواتره وبعدما شتى في قبرص ارسى في عكا فرق جماعته على سواحل البحر فازتادوا عزم وقوة ثم ساروا في البحر خمسين الف قاصدين دمياط ؛ وكان قد شحنها الملك الصالح بآلات عظيمة وذخائر وافره وجعل فيها بني كنانة وهم مشهورين بالشجاعة ؛ وصل ١٥ الفرنج الى بر دمياط الغربي في صفد فكبر الوهم على بني كنانه فهربوا من دمياط وأخلوها اهلها فملكتها الفرنج من غير قتال واستولوا على جميع ما بها وكان يومئذ الملك الصالح صاحب مصر في الشام محاصر حمص فلما بلغه امر دمياط سار مسرعاً الى الديار المصرية وعند وصولهم المنصوره انضرب في ٢٠ فخذه فقطعوها الاطباء وهو حي وبينما هو يكابد الشدايد واتوه ببني كنانه فامر بشنقهم وكانوا اربعة وخمسين اميراً فصلبوا بثيابهم[١] ؛ وفي غد ذلك اليوم لاربعة عشر مضت من شعبان توفي الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد طاهر الذيل واللسان سفاك الدما أباد الاشرفية واخيه العادل ٢٥ وغيرهم ولم يكن له ولد الا الملك المعظم(٩٧ تورنشاه وهو مقيم في حصن

قيفا من ديار بكر ؛ والحجابون كتموا موت الملك الصالح خوفاً من الفرنج وارسلوا يستدعوا ابنه مع اقطاي الاكبر في مماليك ابيه واخرجوا باسمه امرأ ان العسكر والامرا يحلفوا لابنه وكانت زوجته ام خليل شجر الدر تعلم علامته ٥ وتكتب خطاً يشبه خطه ولا ينكر عليه ، فلما سمع تورنشاه بموت ابيه قدم الى دمشق في دست السلطنة اخذ الاموال وانفقها على الامراء وبعدما أقام بدمشق شهراً سار الى الكرك فعقد امورها ثم توجه الى المنصوره وارتضت به ارباب الدولة فحلفوا له وسلموا له ملك ابيه وهو التاسع من ملوك بني ١٠ أيوب بالديار المصرية.[٢]

وفيه ملك فرنسا سير عسكراً نحو الفرس فارس الى المنصوره فتواقعوا هم والمصريين فقتلوا فخر الدين عثمان قائد الجيش ونفراً جزيلا من المصريين وملكوها الفرنج.[٣] وفيها كانت الوقائع بين بدر الدين لولو صاحب الموصل ١٥ وبين الناصر يوسف صاحب حلب فانهزم صاحب الموصل واستولى الحلبيون على اثقاله وتسلموا نصيبين ثم حاصروا دارا ثلثة اشهر فتسلموها. واخربوها ثم تسلموا قرقيسيا وعاودوا الى حلب.[٤]

٢) المختصر ٣ ص ١٨٧ — ٣) المختصر ٣ ص ١٨٨ — ٣) المختصر ٣ ص ١٨٩
٤) المختصر ٣ ص ١٨٩

١٢٥٠ م: ٦٤٨هـ بدوءها ٥ نيسان ت

هزيمة الفرنج واسر القديس لويس ؛ مقتل المعظم ؛ ايبك التركماني ؛ اقبس

في سنة الف ومايتين وخمسين مسيحية[١] جمع ملك فرنسا جيوشه وسار ٢٠ بهم طالب ارض مصر فصبر المصريون الى ان عبروا الخليج من النيل فتوجهوا نحوهم والتقى العسكران بين بر دمياط وبر المنصوره وصار قتال شديد فانهزموا الفرنج افحش هزيمة ومنعهم الخليج عن العوده فقتل منهم خلق كثير وغرق كثير ومسكوا الملك لويس مع خواصه بالأمان واستأسروهم ويقال ان بلغت

٢٥ عدة القتلى من الفرنج الى ثلثين الف وقيل لا بل ثمانية عشر الف ، وفي الثامن وعشرين(٩٨ يوم من هذه الوقعة في ٢٧ شهر محرم كان مقتل الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح ايوب ومعه انقرضت الدولة الأيوبية من المملكة وعرض ذلك ان لما جلس على الصماط ضربه بعض المماليك البحرية بالسيف
٥ فتلقاه بيده فقطع بعض اصابعه وقام فدخل البرج وكان البرج من خشب فألقوا به النار ورموه بالنشاب فرمى نفسه في خليج النيل وسبح فرموه بالنشاب ودخلوا وراءه وقطعوه قطعاً حتى مات ويقال ان سبب ذلك لانه ازدرى في اماثل مصر وقدم عليهم الذين قدموا معه من حصن قيفا وتهدد على ام خليل زوجة ابيه في طلب الاموال منها وكان اوعد انه يؤمّر اقطاي فلم يؤمره
١٠ ولذلك تآمروا على قتله . ثم اجتمعت الامراء وأقاموا ام خليل شجر الدر زوجة الملك الصالح أيوب فحلفوا لها وخطبوا لها على المنابر وضربت السكة باسمها وعز الدين ايبك التركماني صيروه اتابك العسكر ثم رسمت شجر الدر بأن يدخل الامير حسام الدين في قضية ديريفرنس[٢] فصار الشرط على انه
١٥ يسلم دمياط ويدفع لهم خمساية الف دينار وقيل لا بل الف الف دينار ، عند ذلك ركبوه بغلة وساق حوله الجيش الى باب دمياط وعند وصولهم بدوا المسلمين بالتكبير والتهليل واخلت الفرنج دمياط بعد اربعة ايام من قتل الملك المعظم ودخلوا المراكب وسار ملك فرنسا الى عكا بأهله وبمن تخلف معه من أصحابه
٢٠ وبنا مدينة قيسارية وأسكنها جماعة فاستقام هناك نحو خمس سنين ثم بلغه وفاة الوالدة فسار الى بلده ، ونحن وقفنا على بعض كتب تخبر على ان ملك فرنسا ترك بيته وعسكره في جبل لبنان حتى الى اوان تحريرها ، واما شجر الدر أستقرت بالسلطنة اربعة اشهر خلعت على الامرا وانفقت الاموال واظهرت
٢٥ العدل وكثر الدعا لها وتزوجت لمعز ايبك التركماني الجاشنكير الصالح وجعلته نائبها في السلطنة وخلعت نفسها واحتجبت عن الناس فاتفقت (٩٩ الامراء عليه وسلطنوه في اواخر شهر ربيع وصار الاول بين ملوك الترك[٣] وبعد اقامته باربعة ايام اتفق الامرا والبحرية على اقامة الملك المظفر الدين موسى ابن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل وكان متولي اليمن وعرف باقسيس
٥ وعمره نحو عشر سنين فاحضروه وسلطنوه ولقبوه الملك الأشرف وكان ذلك في الخامس من جماد الاول وجعلوا له ايبك التركماني اتابكه ، وهذه كانت

صورة التواقيع والمناشير رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الأشرفي والملكي المعزي (٤).

وفيها الملك الناصر يوسف صاحب حلب لما بلغه قتل الملك المعظم ١٠ بمصر ووردت اليه المكاتيب من أهل دمشق فذهب الى دمشق ملك قلعتها وبعلبك وحماه وحمص وصرخد وجمع العساكر وقصد مصر: فخرج الى لقاه ركن الدين قاض في العسكر المصري فالتقيا العسكران بغزة وكان بينهما قتالاً شديد. فانكسرت العساكر المصرية وخطب الملك الناصر بقلعة الجبل والقاهرة ١٥ ومصر وغيرها من اعمال مصر وانهزم عسكر المصريين على الصعيد ولحقت بهم الشاميون لاجل المكاسب. واما الملك الناصر ثبت وحده مع نفر قليل فوجده شرذمة من الهاربين فانهزم منهم وطلب جهة الشام: فلما رجع عسكر مصر اتفقوا جميعاً على مكاتبة الملك المغيث فتح الدين عمر ابن العادل بن الكامل ٢٠ صاحب الكرك والشوبك وبعد ما كانت الخطبة للملك الناصر خطبوا للملك المغيث بصالحية مصر يوم الجمعة رابع جماد الاخر: فلما نظر ذلك الملك المعز ايبك امر ان ينادوا بالقاهرة ومصر ان البلاد للخليفة المستعصم بالله والملك المعز نائبه بها وكان ذلك يوم السبت خامس جمادى الاخر من هذه السنة ستماية وثمان واربعين للهجرة(٥)؛ وكان وقوع هذه السنة من غرائب الدهر ٢٥ ولم يسمع بمثلها ان بعد وفاة الصالح أيوب تسلطن المعظم تورنشاه ثم شجر الدر ام خليل ثم المعز ايبك التركماني ثم مظفر الدين موسى ثم الناصر يوسف ثم المغيث(١٠٠ عمر ثم خليفة بغداد المستعصم بالله فخطبوا للجميع بالسلطنة ونادوا باساميهم بمصر في هذه السنة.

١) المختصر ٣ ص ١٨٩ — ٢) كذا في المختصر ٣ ص ١٩٠ وابن الحريري ص ١٣٥
٣) المختصر ٣ ص ١٩١ — ٤) المختصر ٣ ص ١٩٢ — ٥) المختصر ٣ ص ١٩٢

١٢٥١م: ٦٤٩هـ بدوءها ٢٦ اذار اح

الصلح بين المعز والناصر

في سنة الف ومايتين وحادية وخمسين مسيحية جدد الركبة الملك الناصر

يوسف لأخذ مصر فوصل رسول الخليفة من بغداد وصالح بينه وبين المعز
٥ ايبك : بأن المعز صاحب مصر يعطي للملك الناصر القدس وبلاده وغزة
وبلادها وكل البلاد الساحلية الى حدود نابلس ويطلق كل من هو في اسره [١]

١) المختصر ٣ ص ١٩٥ سنة ...

١٢٥٢م : ٦٥٠ه بدوءها ١٤ اذار خ

مصر للمعز والشام للناصر والغرب لجمال الدين

في سنة الف ومايتين واثنتين وخمسين مسيحية تحرر الاتفاق بأن لصاحب
مصر تكون الامصار المصرية الى نهر الاردن وللناصر صاحب دمشق الامصار
١٠ الشامية ما وراء نهر الاردن الى الفرات. وفيها كتب الملك الناصر الى
جمال الدين الكبير حجّي ابن نجم الدين محمد بن حجّي بن كرامه بن بحتر
التنوخي[١] بأنّه يكون متواليّ على القرى عرامون الغرب وعند دقايل[٢] وطردلا
وعينكسور ورمضون وقدرون ومرتمون والصباحيه وسرحمور وعيناب وعين
عنوب والدوير.

١) صالح ص ٧٦ — ٢) عين درافيل في صالح ص ٧٦

١٢٥٤م : ٦٥٢ه بدوءها ٢١ شباط س

خلع الاشرف موسى : مقتل اقطاي

١٥ في سنة الف ومايتين واربع وخمسين مسيحية الملك المعز ايبك خلع الملك
الأشرف موسى وأنزله من قلعة الجبل الى عند عمّاته القطبيات واستقل به وكان
الملك الأشرف موسى الاخير من خطب له من بيت ايوب بالسلطنة في مصر
وكان انقضاء دولتهم من الديار المصرية.

(ففيها الملك المعز ايبك قبض على اقطى راس الامراء وقتله فهرب من مصر سيف الدين بلبان الرشيدي وركن الدين بيبرس البندقداري وسارا لعند الناصر صاحب دمشق فقوى عزمه وجهز الجيش الى اخذ مصر وخرج الملك المعز الى لقائهم لغزه ومن غير طعن تقرر الصلح بينهما بان الشام جميعها تكون للملك الناصر وديار مصر للملك المعز والحد بينهما بير القاضي وهو بين الواردة والعريش واتفق ايضاً الصلح بين الناصر وبين الافرنج الذين بعكا والساحل مدة عشر سنين ونصف اولها مستهل محرم وان يكون للافرنج من الماء ومقرّب).[1]

---

١) المختصر ٣ ص ١٦٦ وما بين الهلالين ناقص في ش احدناه عن ف ب

١٢٥٥ م: ٦٥٣ هـ بدوءها ١٠ شباط ار

وفاة صاحب مرآة الزمان؛ حريق المسجد في مكة؛ البطريرك سمعان والبابوم

في سنة الف ومايتين وخمس وخمسين مسيحية[1] انتهى تاريخ الشيخ شمس الدين يوسف المسمى مرآة الزمان وبعد ذلك بسنتين كانت وفاته بدمشق وفيها في اول رمضان ليلة الجمعة احترق في مكه المسجد وسقطت سقوفه جميعها ووقعت اساطينه والاعمدة واحترق سقف الحجرة وذاب الرصاص وذلك قبل ان ينام الناس (١٠١ وفي ليلة من جمادى الاخره كسف القمر وخسفت الشمس عند طلوعها.[2] وفيها البطرك سمعان كاتب البابا اسكندر السادس[3] يبارك له في ارتقاه الرئاسة المقدسة حلف له بالخضوع والطاعة وسأله يرسل له درع اكمال الرياسة. وفي سنة ارنو[4] في اول يوم خلي من شباط ارسل له الدرع ومكتوب جميل وهو الى الان منصان في دير سيدة قنوبين.

---

١) ابن الحريري ص ١٣٩ — ٢) ابن الحريري ص ١٣٩—١٤٠ — ٣) الصواب الرابع؛ راجع بارونيوس ٢١ ص ٤٧٨ — ٤) ١٢٥٦

١٢٥٦م: ٦٥٤هـ بدوءها ٣٠ ك٢ اح

مقتل ايبك التركماني وشجر الدر

في سنة الف ومايتين وست وخمسين مسيحية كان مقتل الملك المعز ايبك بن عبدالله التركماني في بيج[1] من ربيع الاول وذلك انه عزم يتزوج بنت بدر الدين
١٠ لولو صاحب الموصل فوثب عليه خدام شجر الدر زوجته وقتلوه داخل حمام الدار وكان مدة ملكه سبع سنين الا ثلثة وثلثين يوم[2]. واتفق الامراء على اقامة ابنه نور الدين علي ولقبوه الملك المنصور وهو الثاني من ملوك الترك في الديار المصرية وكانت الخطبة في مصر والقاهرة اولا للخليفة المعتصم وبعده للملك
١٥ المنصور نور الدين وبعدهما للاتابك علم الدين سنجر الحلبي وامر الملك المنصور بصلب الخدام الذين قتلوا اباه ثم ان قبض مماليك المعز على شجر الدر وقتلوها والقوها للكلاب خارج القلعة .[3]

١) ٢٣ — ٢) المختصر ٣ ص ٢٠٠ — ٢٠١ — ٣) ابن الحريري ص ١٤٤ : «وجدت مقتولة مساويه خارج القلعة فحملت الى تربتها بقرب مشهد السيدة نفيسة فدفنت جاه» وابن العبري ص ٤٥٥ و٤٥٦

١٢٥٧م: ٦٥٥هـ بدوءها ١٩ ك٢ ج

استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية

سنة الف ومايتين وسبع وخمسين مسيحية قدمت التتر الى بغداد واسم ملكهم هولاكو خان ابن تنكز وهم في عدد لا يحصيهم الا الله وكان ينجدهم
٢٠ عساكر الروم والاتراك[1] والموصل فظفروا بعسكر بغداد ودخلوها وبذلوا السيف بها[2] وسفك الدما وسبي الحريم والاولاد ونهب الاموال . فقتلوا الخليفة المستعصم بالله وابنه الكبير والاوسط وكل من كان فيها من الأشراف وقيل ان القتلى الذين انعدوا ما ينوف عن الف الف وثمانماية الف . وكانت مدة

٢٥ خلافة المستعصم عبدالله ابن المستنصر نحو ست(١٠٢ عشرة سنة وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد وكان مدة ملكهم بها خمساية واربع وعشرين سنة وعدة خلفائهم سبعة وثلثين خليفة اولهم ابو العباس السفاح الذي تخلّف سنة اثنتين وثلثين ومائة للهجرة وهي السنة التي بها قتـل مروان حمار ٥ الجزيرة اخر خلفاء بني امية ٢ وفيها قصد التتر ميافرقين حاصرها بشموت ابن هولاكو قريب من سنتين ثم فتحها بالسيف وقتل صاحبها الأشرف بن الغازي بن الملك العادل وقتل من فيها ٣ وفي هذه السنة اشتد الوباء بالشام وخاصة في دمشق

١) الروم والاكراد والموصل ف ب — ٢) هنا ولم يعفوا عن خراب البلاد وسفك الدماء ف ب — ٣) المختصر ٣ ص ٢٠٢ — ٢٠٣

١٢٥٨م، ٦٥٦هـ بدؤها ٨ك٢ ث و٦٥٧هـ بدؤها ٢٩ك١ اح

سلطنة قطز: قصد هولاكو الشام

١٠ في سنة الف ومايتين وثمان وخمسين مسيحية سيف الدين قطز الذي كان سابقاً مملوك الملك المعز ايبك صعد على الملك المنصور نور الدين علي فخلعه من السلطنة واستقر هو بالسلطنة في الديار المصرية وتلقب بالملك المظفر وهو الثالث من ملوك الترك[1] وعندما كاتبه الملك الناصر صاحب دمشق انه ينجده بالرجال ضد التتر كان جوابه له انه لا يتأخر عن نصرته.[2] وفيها قدم ١٥ هولاكو الى شرقي الفرات فملك حران والبلاد الجزيرة وارسل ابنه بشموت الى ظاهر حلب. وكان الحاكم بها الملك المعظم تورنشاه بن صلاح الدين يوسف عن ابن اخيه الملك الناصر صاحب دمشق فخرج الى لقاء التتر بالعسكر الحلبي والمصري والتقى عند بانقوسا فانفر البعض من التتر قدام الحلبية ٢٠ والبعض كمنوا له حتى خرجوا من البلد ثم عادوا اليهم فضربوا فيهم واختنق

من الحلبية جماعة من الأبواب[٣] ثم عاود التتر من عزاز فملكوها بالأمان .
فلما بلغ ذلك الملك الناصر خرج من دمشق الى برزه ؛ فاجتمع اليه الملك
المنصور صاحب حماه وأمم كثيره وعندما همّوا بالركوب قصد بعض المماليك
٢٥ قتل الناصر ليملكوا عوضه اخاه الملك الظاهر غازي لشهامته لاجل ذلك
كثر النزع بينهم وذل عزمهم فملك هولاكو البيرة (١٠٣ ووجد بها
معتقلا الملك السعيد بن العادل قد اعتقله الناصر مدة تسع سنين فاحسن اليه
هولاكو واوعده ببنياس وقلعتها المعروفة بالصبيبة وجميع ما كان له ولابيه
قبله بالشام .[٤]

١) ابن الحريرى ص ١٤٥ — ٢) المختصر ٣ ص ٢٠٨ — ٣) في الابواب
المختصر ٣ ص ٢٠١ — ٤) المختصر ٣ ص ٢٠٨–٢٠٩ .

١٢٥٩ م : ٦٥٨ هـ بدوءها ١٨ ك ١ خ

فظائع هولاكو في حلب — هزيمة التتر وقتل كتبغا ؛ مقتل الناصر ؛ سلطة بيبرس ؛ النقمة على النصارى

في سنة الف ومايتين وتسع وخمسين مسيحية قصد هولاكو حلب وفي
٥ اليوم[١] الثامن من حصارها ملكوها في ثلاثة وعشرين من كانون الثاني
واستولت عساكر التتر على نعمتهم واولادهم وذخائرهم وابادوا من اهل حلب
ما لا يحصى باكثر ما صنع ببغداد وبلاد العجم ولم تمش خيولهم الا على القتلى
واسروا من النساء والصبيان ما يزيد عن مائة الف باعوهم في بلاد الافرنج
١٠ والارمن والجزائر الجوانية وبعد خمسة أيام نودي بالأمان وأسروا اولاد الملك
الناصر ومن معهم وتولوا على جميع ما بها من الزخائر ثم اخربوا القلعة وسوار
المدينة[٢] . فلما سمع بذلك الملك الناصر صاحب دمشق والملك الأشرف موسى
صاحب حمص زلت قلوبهما وارسلا اولادهما وحريمهما وزخائرهما الى الديار
١٥ المصرية واحتملوا مشقات جزيلة من طبع الشتاء والزعق ومن النهب والخطف
ثم اكابر دمشق وحماة اتفقوا على التسليم وارسلوا مفاتيح المدن الى هولاكو

في حلب فرضي منهم وسير نوابه وجماعته من التتر يتسلموها وأمرهم يحسنوا
الى أهلها ولا يعارضوهم بامر واما الذين كانوا في قلعة دمشق فقصدوا العصاوة
فحاصروها التتر ورموها بعشرين منجنيق على برج الطارمة فتشقق البرج
٢٠ فطلبوا الامان فاجابوهم ونزلوا الذين بها وسكنها نايب التتر : ثم ورد
الخبر الى هولاكو بان اخواه قيلاي واريكا تواقعا في بعضهما بعض في القانية وان
قيلاي كسر اخاه الصغير فاضطر هولاكو يترك الشام ويسير الى العجم بل
ارسل كتبوغا نائباً عنه والجيش فملكوا بعلبك ونابلوس وغيرهما بالسيف
٢٥ واما الملك الناصر فجمع الأمراء والعسكر في غزة وأرسل يطلب النجدة من
قطز صاحب مصر فلم ينجده بل توهم عليه ان ذلك مكيدة وحيلة من الناصر
ليملك مصر وكذلك الناصر خاف لا ينزل مصر ويمسكه قطز فسار الى جهة
تيه بني اسرائيل وصحبته اخوه الظاهر غازي الصالح ابن شيركوه وغيرهما :
فاخربوا التتر قلعة بعلبك وقلعة عجلون واستولوا على غزة وسائر بلاد الشام
٣٠ ما خلا بلاد الافرنج لانهم كانوا خدموا هولاكو واعطاهم الأمان بل امرهم
يهدموا جميع الاسوار والقلاع التي بيدهم فلم يهدموا منهـا شيئاً : وعندما
شعر كتبوغا في مقام الناصر بعث قبض عليه وارسله الى هولاكو فأمّنه وأكرمه
واوعده بالرده الى مملكته ثم ان السلطان المظفر قطز جمع العساكر المصرية ومن
وصل اليه من الامصار الشامية مع التراكمين الشهرزورية وفي اول رمضان
٣٥ خرج بهم من مصر وقصد قتال التتر فتقارب الجمعان في الغور على عين جالوت
من ارض كنعان قريباً من بيسان واشتد القتال بينهم : وكانت الكسرة على
التتر فضرب السيف فيهم كتبوغا واستأسر ابنه وتشتت الباقي فالبعض قصدوا
روس الجبال فتبعهم العسكر وافناهم والبعض انهزموا الى جهة الشرق
٤٠ فالتحقهم بيبرس البندقداري فقتل من قتل واسر الباقي ولم يصب التتر كسرة
افحش من هذه من حين خرجوا من بلاد الشرق الجواني لان جيشهم كان
يزيد على اربعين الف وكان معهم نحو ثلاثمئة طبلخانه فلم يسمع لها حس
لصرخات الرجال وصهيل الخيل وضرب السلاح فظفر بملوك الترك والخوارزم
وخيلان وملوك فارس وخراسان وملوك الروم واصبهان وسلطان العراقين
٤٥ وبغداد وملوك الجزيرة والموصل وحلب وبمدة ثمانية اشهر استولوا على جميع
الشامات من الفرات الى حدود مصر : فلما اختبر هولاكو في قتل كتبوغا

وتشتيت جماعته قبض على الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وقتله
وقيل انه جمع روس اربعة اشجار وربط بها اطاريفه فطارت كل شجرة
٥٠ منها بقطعة منه ؛ وكان الملك الناصر ذا شجاعة وحلم وعدل وكرم ولي
حلب والشام ثلاثة وعشرين سنة وسبعة اشهر ومن جملتها على دمشق نحو
عشر سنين وزالت بعده مملكة الايوبين ودولتهم من مصر والشام وكان مدة
ملكهم في الديار المصرية الشامية اثنتين وثمانين سنة وعدة ملوكهم عشرة
أولهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف في سنة خمساية وخمس وستين
وآخرهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف الذي قتل في هذه السنة . وكان
٥٥ ذلك من الاتفاقات العجيبة ان اسم الاخر على اسم الاول صلاح الدين يوسف
كما في دولة بني امية أولهم معاوية واخرهم معاوية وآل بني العاص
اولهم مروان واخرهم مروان والخلفاء بنو العباس اولهم وآخرهم عبد الله
والفاطميون الاول فيهم والاخر عبد الله وكذلك الروم اولهم قسطنطين
وآخرهم قسطنطين ؛ واما الملك المظفر قطز فعندما ظفر بالتتر امر بالقبض على
٦٠ الملك السعيد بن العزيز صاحب بانياس والصبيبة وضرب عنقه وكذلك الملك
توران شاه نايب حلب وهو اخر ولاد الملك الناصر رسم بقتله وبقتل الذين
لقيوا الى التتر واحسن الى الذين قاوموهم مثل الملك الأشرف موسى صاحب
حمص أكرمه وأقره على حمص ومعاملاتها وكذلك صاحب حماه الملك المنصور
٦٥ انعم عليه وأقره على حماة وبارين والمعرة وحين سار الى دمشق قتل من التم
الى التتر ؛ وأثار العوام على النصارى بدمشق فقتلوا منهم جماعة كثيرة ونهبوا
دورهم وخربوا الجدران وحرقوا كنيسة السيدة مريم وشعثوا بقية الكنائس
في اواخر رمضان ؛ فان هولاكو كان نصراني وفي مجيئه انتشر دين النصرانية
٧٠ ببلاد الشام والزموا الناس بالقيام للصليب من الحوانيت ونقدوا العهد ونادوا
ظهر الدين الصحيح دين السيد المسيح ؛ ورتب الملك المظفر على دمشق وأعمالها
نايباً الامير علم الدين سنجر الحلبي الصالحي وسير الى حلب ابن صاحب الموصل
وولى في سائر البلاد الشامية الولاة والنواب والمقدمين ثم عاد الى الديار المصرية
٧٥ وحين كان بالغرالي عامل عليه بيبرس البندقداري فضربه بكتوت الجوكنداري
المغربي بسيف فحل كتفه ورماه بهادر المعزي بسهم فقضى عليه في السابع
عشر ذي القعدة وكان الملك المظفر قطز شاباً اشقر بطلا شجاعاً محباً الرعية

وكانت مدة مملكته احدى عشر شهر وثلثة عشر يوم وتسلطن بعده ركن الدين بيبرس البندقداري الصالح في ذي العقدة وتلقب اولا بالقاهر ثم بالملك الظاهر وهو الرابع من ملوك الترك بالديار المصرية وفيها في العشر الاخر من ذي القعدة شرع الامير علم الدين سنجر الحلبي نايب السلطنة بدمشق في عمارة قلعتها وكان الغني والدون من الناس حتى النساء يعملون بها في فرح ٨٠ وسرور ثم جمع سنجر كبراء الدولة وحلفهم لنفسه بالسلطنة وتلقب بالملك المجاهد وخطب له بدمشق وضربت باسمه السكة.»[٢]

وفي هذه السنة ثارت الفتنة بين البنادقة والجنوية بمدينة عكا فسار البنادقة باجمعهم من القسطنطنية لنصر اصحابهم في عكا وكانت جيوش الملك بلدوين الفرنجي صاحب القسطنطينية محاصرين القلعة في بلاد الروم فقدم ميخائيل ٨٥ باليولوغوس ملك الروم على غفلة عبر خليج القسطنطينية ونزل عليها وهي خالية فملكها وكان ها بيد ملوك الفرنج خمس وخمسين سنة وتولاها الروم.[٤]

---

١) ما بين الهلالين من سطر ٤ الى ٨٧ ناقص في ش ومأخوذ عن ف ن وارقام الاسطر تبلغ فيها ١٠٠ وينيف ابقيناها اصطلاحاً تسهيلاً لمراجع القهارس — ٢) المختصر ٣ ص ٢٠٩ و٢١١ — ٣) المختصر ٣ ص ٢٠٨ — ٢١٨ وابن الحريري ص ١٥٢ — ١٥٤ والنور الحسان ص ٤٢٥ — ٤٤٠ — ٤) تاريخ هرقل ص ٥٥٤ وغروسه ٣ ص ٦٣٨ .

١٢٦٠ م : ٦٥٩ هـ بدوءها ٦ ك ١ اث

هزيمة التر ٤ مبايعة شخص اسود بالخلافة وهو المستنصر

في سنة ارس[١] مسيحية اجتمعت عساكر التتر ودنت من حماة فخرج ٩٠ اليهم صاحب حماة والأشرف صاحب حمص بعزايم شديدة وظفروا بالتتر.

وفيها اوسل الملك الظاهر عسكر مصر مع علاي الدين البندقداري لقتال سنجر صاحب دمشق فظهر اليه سنجر في ثالث عشر من صفر فانكسر وهرب الى قلعة بعلبك فحاصرها بها عسكر الظاهر فقبض عليه واعتقله بمصر ثم بعد ٩٥ مدة اطلقه . وتنوب عنه لتدبير دمشق ايدكين البندقداري الصالحي واقيمت

الخطبة للملك الظاهر بدمشق وحماة وحمص وحلب وغيرها ؛ وفي ثامن رجب قدم الى مصر عرب العراق برجل اسود اللون اسمه احمد فشهدوا له انه ابن الظاهر لدين الله محمد ابن الناصر فيكون عم المستعصم بالله وكان محبوساً
١٠٠ ببغداد مع جماعة من بني عباس فلما ملك التتر بغداد اطلقوه وسار الى مصر مع عشرة امراء من بني مهراش ؛ فخرج الى لقائه السلطان والقضاة والامراء واليهود بالتوراه والنصارى بالانجيل وفي ثالث عشر الشهر جلس الخليفة والسلطان في الايوان بقلعة الجبل قرئ نسبه وشهد عنه وبايعه قاضي(١٠٤ القضاة عبد الوهاب ثم الملك الظاهر ثم الوزراء والامراء واهل الحل والعهد وتلقب المستنصر باسم اخيه ابي جعفر المنصور وكانت العامة تلقبه الزرانيني وهو الثامن والثلثون من خلفاء بني عباس بعد ما بقوا ثلث سنين ونصف بغير خليفة
٥ ثم ان في مستهل شعبان الخليفة قلد بالسلطة الملك الظاهر في وجه دولة مصر وقصد التوجه الى بغداد فسار معه السلطان الى الشام ومن هناك توجه الخليفة ومعه اولاد صاحب الموصل فاستولى على رحبه وعانه والحديثه وبايعوه ولما قرب من بغداد وثب عليه التتر فقتلوه وقتلوا اصحابه ونهبوا
١٠ ما معهم وكانت مدة خلافته خمسة اشهر وعشرون يوم.[٢]

(١) ١٢٦٠ — ٢) المختصر ص ٢٢٢ وابن الحريري ص ١٥٤ — ١٥٨ ذكر انتقال الخلافة من بغداد الى مصر

١٢٦١م : ٦٦٠ﻫ بدوءها ٢٦ ت٢ س

خلافة الحاكم ؛ عدة حوادث

سنة الف ومايتين وحادية وستين مسيحية قدم الى مصر ابو العباس احمد في السابع والعشرين من ربيع الاخر وبويع له بالخلافة وتكنى بالحاكم بامر الله اقام بمصر مدة حياته وهو الثاني من الخلفاء بالديار المصرية والتاسع والثلثين
١٥ من الخلفاء العباسيين. وفيها الملك الظاهر ملك البرة تسلم الكرك من الملك المغيث واعطاه عوضها خبز ماية فارس بمصر ثم بعد مدة اعدمه.

وفيها قدم بين يدي الملك الظاهر مولود من العجائب وهو ميت وله رأسان
٢٠ واربع اعين واربع ايادي واربع ارجل امر بدفنه ‎٠‏[١] وفيها توفي كمال الدين
ابن العديم الف تاريخ حلب ‎٠‏

١) ابن الحريري ص ١٥٩ — ١٦٠

١٢٦٢م: ٦٦١هـ بدوءها ١٥ ت٢ ار

هدم كنيسة الناصرة

في سنة الف ومايتين واثنتين وستين مسيحية هدم الملك الظاهر كنيسة
الناصرة واغار على عكا وبلادها فاخربوا البرج الذي كان خارج البلد وعادوا
٢٥ بغنائم كثيرة ‎٠‏[١]

١) المختصر ٣ ص ٢٢٧

١٢٦٣م: ٦٦٢هـ بدوءها ٤ ت٢ اح

فتوح قيسارية

في سنة الف ومايتين وثلث وستين مسيحية سار الملك الظاهر(١٠٥ الى
جهاد الفرنج في الساحل فنازل قيسارية ستراتون فتحها وهدمها في تاسع
جمادي الاول وفتح ارسون في جمادي الثاني وبها سلطن ولده الملك السعيد
واركبه بابهة ‎٠‏[١]

١) المختصر ٤ ص ٣

١٢٦٤ م : ٦٦٣ هـ بدوءها ٢٤ ت ١ ج

رجال الجبال يشيدون الكنائس ؛ فتوح صفد ؛ دخول بلاد الارمن ؛ نكبة قارا

في سنة الف ومايتين واربع وستين مسيحية خرج الملك الظاهر في عساكره
٥ من الديار المصرية ففتح القليعات وعرقا واراد يحاصر طرابلوس فنزلت عليه
الرجال من الجبال وأهزموه وكانوا انشوا الكنائس في حصرائيل وسواحل
البحر وبطلوا من جور المصريين حتى ان في كنيسة ماري سابا بقرية اده من
بلاد البترون صوروا حيطانها الشمالية وباطنا كما هو ظاهر من تحرير المسطور
١٠ سنة الف وخمساية وثلث وسبعين يونانية . وفيها عاد الملك الظاهر الى
صفد وحاصرها مدة اربعين يوم وقتل الفرنج من جماعته مقتلة كبيرة ثم
انه فتحها في تاسع عشر شعبان وقتل اهلها عن آخرهم . ثم ان الملك المنصور
صاحب حماه سار بالعساكر الى جهة بلاد الارمن وكاتب حاتم ملك الارمن
١٥ يدخل تحت طاعة ملك مصر يحمل له الخزنة ويرسل جماعته يتاجروا في بلاد
الشام ومصر . فخرج حاتم الى بلاد الروم ليطلب النجده من المغول وفي
غيابه التقى عسكر الأرمن وعسكر المصريين عند حجر سروند وبعد قتال
شديد كانت الكسرة على الارمن فاستجاشوا بلادهم مدة عشرين يوم وقتلوا
٢٠ ابن حاتم واسروا اخاه واخربوا اياس وسيس وكنيستها الكبيرة وعادوا بغنايم
جزيلة[١] ولما هم الملك الظاهر بالرجوع الى مصر على الكرك قنطرت به فرسه
وانكسر فخذه عند بركة[٢] زيزا ثم امر بنهب قارا التي بين دمشق وحمص لانهم كانوا
نصارى وكانوا يسرقوا المسلمين ويبيعوهم للفرنج . فنهبوا العسكر وقتلوا منها جماعة
٢٥ وسبوا منها نحو الف نفس تربوا بين الترك وصار منهم مماليك واجناد وامراء.[٣]

(١٠٦) وفيها توفي هولاكو ابن جنكز خان صاحب المغل وهو الذي اباد الامم
بفارس وخراسان والري واصبهان وقم وقاشان والعراق وبغداد والموصل
والجزيرة وديار بكر وحلب وكان ذا سطوة شديدة وهيبة عظيمة وخبرة بالحروب
٥ ومات بمدينة مراغه بعلة الصدع وقام في الملك بعده ولده ابغا.[٤]

١) المختصر ٤ ص٣ — ٢) بركة ب — ٣) المختصر ٤ ص ٤ وابن الحريري ص ١٦١ — ٤) ابن الحريري ص ١٦١

١٢٦٥م ، ٦٦٤هـ بدوءها ١٣ت١ ث

وفاة ابو شامه المقدسي

في سنة الف ومايتين وخمس وستين مسيحية توفي الشيخ شهاب الدين احمد ابو شامه المقدسي عالم دمشق وشيخها وله جملة تصانيف .

١٢٦٦م ، ٦٦٥هـ بدوءها ٢ت١ س

فتح يافا والشقيف وانطاكية

في سنة الف ومايتين وست وستين مسيحية فتح الملك الظاهر يافا في سبعة
١٠ من اذار وهدمها وهدم قلعتها وملك الباشوره بالسيف وفي ثامن عشر رجب
قصد قلعة الشقيف وهي بين صيدا وبين دمشق وتسمى حصن تيرون على
اسم الذي بناها اولاً وهي حصينة جداً بعضها عماره وبعضها في الشقيف .
فنزل الملك الظاهر تحتها بوادي العواميد فوجدها حصينة جداً ولم يقدر عليها
١٥ ثم صعد الى اعلاها فكشف على مائها وفي هجعة الليل ذبح في قناها عدة
من الغنم والبقر ورمى كروشها في الماء وقطعه فلما اصبح وجدوا ماءهم منتن
وهو دم عبيط فسلموها بعد حصار عشرة ايام نهار الاحد وهو التاسع والعشرين
لشهر رجب ؛ فوجد بها اربعماية وثمانين رجلا فارسلهم الى صور لعند الافرنج
٢٠ ورتب عليها اناس من جماعته وبنى برجاً على باب القلعة وبالقرب منها على
خمسة فراسخ قلعة ارنون وهي ايضاً حصينة جداً . ثم اغار الملك الظاهر
على بلاد طرابلوس شن عليها الغارات وقطع اشجارها وغوّر انهارها واخرب
اربع وعشرين قرية ؛ وعندما انكبت عليهم الرجال من الجبال سار الى
حصن الاكراد ومن هناك الى انطاكية فنازلها بغتة مستهل رمضان وبعد
٢٥ حصار اربعة ايام ملكها الملك الظاهر بالسيف يوم السبت فقتلوا اهلها وسبوا
دراريهم وحرقوا كنايسهم وغنموا منها باموال جزيلة ؛ وحصر من قتل

بانطاكية هذه المدة اربعين الفاً ونيف واطلق الاسراء الذين كانوا بها وكانت انطاكية للبرنس بيومند وله معها طرابلوس وكان البرنس مقيماً في طرابلوس
٣٠ لما فتحت انطاكية ثم استولى الملك الظاهر على حصن بغراس بالامان [١]

١) من الحريري ص ١٦١ – ١٦٢

١٢٦٨م، ٦٦٦هـ بدوءها ١٠ ايلول اث

الظاهر وحاتم ملك الارمن

في سنة الف ومايتين وثمان وستين مسيحية حاتم ملك الارمن شرع في خلاص ولده ودفع للملك الظاهر اموال ومدن وقلاع بدلا عنه . فطلب الملك عوضه سنقر الاشقر الذي كان اسيراً عند ابلغا بن هولاكو ملك المغول
٣٥ فسيره الى عند الملك الظاهر وأخذ ابنه. [١]

١) ابن العبري ص ٤٩٩

١٢٦٩م، ٦٦٨هـ بدوءها ١٣ آب ار

فتح الحصون الاسماعيلية

في سنة الف ومايتين وتسع وستين مسيحية فتح الملك الظاهر الحصون الاسماعيلية وهي الكهف والقدموس والمنيقة والقليعة وأمّر على الاسماعيلية وهم الكراد نجم الدين حسن بن المشغراني وقرّر عليه يحمل في كل عام ماية الف
٤٠ درهم والمشغرة هي قرية كبيرة نزهة كثيرة المياه بسفح جبل لبنان بين صيدا ودمشق. [١]

١) ابن الحريري ص ١٦٢ – ١٦٣ والمختصر ٤ ص ٧

١٢٧٠م: ٦٦٩هـ بدوءها ٢٠ آب ار

فتوح عكار؛ فشل بيبرس في قبرص؛ السيل في دمشق

في سنة الف ومايتين وسبعين مسيحية تملك الملك الظاهر حصن الاكراد ١٠٥ بالسيف وفيها جهز المراكب لفتح قبرس . فتكسرت في مرسى اللامسون وأسر الفرنج من كان بالمراكب[1] . وفيها توجه الى عسقلان وهي بيد الفرنج وهدم صورها في شهر رجب وملك حصن عكار وقصد طرابلس وعقد الصلح بينه (١٠٧ وبين البرنس صاحبها الى عشر سنين . وفيها في الثاني عشر لشوال صباح الاحد في ايام التوت وشدة الحر نزل على دمشق سيل عظيم فحمل الدواب والعمار وارتفع حتى بلغ احدى عشرة ذراع ودخل من باب الفراديس .[2]

١) المختصر ٤ ص ٧٠٦ — ٢) ابن الحريري ص ١٦٣

١٢٧١م: ٦٧٠هـ بدوءها ٩ آب اح

بيبرس يهادن الافرنج؛ الزلزلة

٥ في سنة الف ومايتين وحادية وسبعين مسيحية وصل الملك الظاهر بالعساكر الى الشام وخيم بين قيسارية وارسوف فطلب اهلها الهدنة فتقرر الصلح والهدنة مدة عشر سنين وعشرة شهور وعشرة ايام وعشر ساعات ؛ فعاد الى ١٠ مصر بستة ايام ثبت فيها خمسة ايام ثم رجع الى دمشق بخمسة ايام[1] وفيها في شهر نيسان تزلزلت الارض في بلاد الارمن وخربت قلاع كثيرة ومات فيها مائة الف نفر .[2]

١) الغرر الحسان ص ٤٤٥ — ٢) ابن العبري ص ٥٠٠

١٢٧٤ م : ٦٧٣ ﻫ بدوءها ٧ تموز س

بيبرس يكسر التتر

في سنة الف ومايتين واربع وسبعين مسيحية قدم التتر الى البيره وخطخطوا في بلاد الشام وكاتبوا الملك الظاهر ليكون تحت طاعتهم . فتوجه الى البيره ١٥ كسر التتر وغزا سيس وفتح اياس وادنه والمصيصه وفتح حصن القصير وهو بين انطاكية وحارم.[1]

1) المختصر ٤ ص ٨

١٢٧٥ م : ٦٧٤ ﻫ بدوءها ٢٧ حزيران خ

دخول الظاهر بلاد الروم

في سنة الف ومايتين وخمس وسبعين مسيحية دخل الملك الظاهر بلاد الروم لقتال التتر فكسرهم وقتل وأسر منهم . ثم فتح قيسارية وخطب ٢٠ له فيها وفتح قلونيه وانتقل منها ثم جاء التتر الى قيسارية فنهبوها ويقال ان قتلوا خمسماية الف.[1]

1) المختصر ٤ ص ٩

١٢٧٦ م : ٦٧٥ ﻫ بدوءها ١٥ جزيران اث

الظاهر يقتل امارة عابه

في سنة الف ومايتين وست وسبعين مسيحية بلغ الملك الظاهر ان امارة عابيه كاتبوا للبرنس صاحب طرابلوس فغضب عليهم واخذ جمال الدين وزين

الدين وسعد الدين اعتقلهم بحبس مصر (١٠٨ وانتهب ارزاقهم وخطفت حريمهم واولادهم وبقرهم . وفيها ظهر كوكب عظيم في الربيع الاول في الهجعة الرابعة من الليل وكان له شعاع وشرار يتبعه ثلاثة شهاب وكان يضيء مثل النهار (١)

(١) مخ ص ٩٠ - ٩٢

١٢٧٧م ٦٧٦ه بدؤها ٤ حزيران ج

وفاة الظاهر بيبرس ؛ صفاته واعماله ؛ خلفه السعيد بركة

٥ في سنة الف ومايتين وسبع وسبعين مسيحية كانت وفاة الملك الظاهر ابو الفتح ركن الدين بيبرس الصالحي النجمي التركي القفجاقي البندقداري بدمشق بالقصر الابلق جوار الميدان الاخضر نهار الجمعة وكانت مدة ملكه نحو سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة ايام . فأخفوا امره واخذوا المحفة من دمشق الى القاهرة وكان مقدم العسكر الامير بدر الدين الخزندار في صدر الموكب ١٠ ووراءه الصلحدارية وغيرهم من ارباب وظائف الخدمه فصعدوا بالمحفه الى القلعة من باب السر ليلا وعند دخولها قبّل الارض بدر الدين وطرح عمامته قدام ابنه الملك السعيد وعزاه في والده وبعد العزاء جمع الامراء والمقدمين ١٥ والجند وحلف لسلطنة السعيد محمد ابو المعالي بركه وهو الخامس في الديار المصرية . وكان الملك الظاهر جليلاً شجاعاً ملك الديار المصرية والشامية واستولى على النوبه وفتح الفتوحات الجليلة بعد استولا الفرنج عليها واستعاد من صاحب سيس دربسال ودركوش وبلميش وكفردين ورعبان والمرزبان ٢٠ وكان حدود مملكته من اقاصي بلاد النوبة الى قاطع الفرات وبنى في الشامات ما لم يبن في أيام الخلفاء المصريين ولا الملوك الأيوبيين وغيرهم من الابنية والرباع والخانات والقياسير والدور والاسطبل والمساجد وحياض السبيل والحمامات والابرجة والسوار والحصون وفي الخاصه مما كان أخربه التتر : وجدد قبر نوح ٢٥ في الكرك وموضع كنيسة باشوره وكنيسة انطاكية اقام الجوامع ؛ وقد جمع

شمس الدين الذهبي سيرته التي الفها ابن عبد الظاهر (١٠٩ وابن شداد في مجلدين . ويقول ابن سباط ان سبب موته كان ان في هذه السنة انكسف القمر كسوفاً كلياً وشاع بين الناس ان ذلك لموت رجل جليل القدر فلوزع الملك الظاهر تأويل ذلك الى غيره استدعى بالملك القاهر واحد من اولاد الملوك الأيوبيه واحضر خمراً مسموماً وأمر الساقي فأسقاه الملك القاهر ثم ان شرب الملك الظاهر ناسياً بذلك الخناب على اثره فمات الملك القاهر وبعد بعض ايام مات ايضاً الملك الظاهر »[1]

(١) المختصر ٤ ص ١٠ – ١٢ وابن الحريري ص [illegible]

١٢٧٨م : ٦٧٧ﻫ بدوءها ١٥ ايار ار

نكبة بلاد الغرب ؛ الافراج عن المعتقلين ؛ غزو سيس ؛ تجديد دير ميفوق

في سنة الف ومايتين وثمان وسبعين مسيحية احرق عسكر الشام بلاد الغرب وجبل بيروت وذلك ان قطب الدين السعيد استقطع قرية كفرعميه من امراء الغرب آل تنوخ فوجد مقتولاً في القرية واتهم بقتله نجم الدين محمد ابن حجي وكان ابوه وقرائبه معتقلين بمصر فتوجهت اليه للغرب العساكر والعشران من ولاية بعلبك والبقاع وصيدا وبيروت فاحرقوا بلادهم ثم ان الملك السعيد أمنهم وأمر بخروجهم ورجوعهم الى بلادهم مع اولادهم وحريمهم[1] ؛ وفيها في ذي الحجة قدم الملك السعيد الى دمشق وعملت قباب الزينة وجهز الامير قلاوون بنصف الجيش لغزو سيس[2] . وفي سنة الف وخمساية وثمان وثمانين يونانية كان تجديد دير سيدة ميفوق بارض ايليج من بلاد البترون وربما كان المعتني فيه البطرك يعقوب فانتقل من يانوح وجعل السكنه فيه كما هو محرر على الصخر الذي فوق عتبة الكنيسة[3]

[illegible]

[illegible]

ܘܡܕܒܪܐ. ܠܐܠܗܐ ܕܒܐܝܕܝܢ ܥܡܢ. ܥܠ ܐܝܕܝ̈ ܐ̈ܢܫܐ ܚܛܝ̈ܐ ܕܘܝܕ
ܩܫܝܫܐ ܘܡܪܩܘܣ ܘܝܘܚܢܢ.

١) صالح ص ١٠٠ – ١٠١ و١٠٥ — ٢) المختصر ٤ ص ١٢ — ٣) نشرنا المتن السرياني عن ش ن ب ومعناه حرفيًا باسم الله الحي للابد في سنة الف وخمساية وثمانين وثمان من السنين اليونانية كَمُل بقوي هذا هيكل والدة الاله ملاحا معنا على ايدي الناس الخطأة داود القسيس ومرقس ويوحنا. اما في ف فجاءت عوض ܡܫܟܢܐ كلمة ܒܢܝܢܐ ومعناها المسكن او البناء فيكون من ثم تعريب الكتابة: تمّ بناء هذا هيكل والدة الاله . . .

١٢٧٩ م: ٦٧٨ هـ بدوها ١٤ ايار اح

خلع السعيد ؛ جلوس سلامش ؛ خلع ايدمر ؛ جلوس سنقر ؛ خلع سلامش ؛ جلوس قلاوون

في سنة الف ومايتين وتسع وسبعين مسيحية رجع الاختلاف بين طوائف الكرج وبين التتر وبين العرب وبين الفلاحين وبين الفرنج(١١٠ الذين داخل البحر والذين في بلاد الشام فغار صاحب طرابلوس وصاحب جبيل والزاوية بعضهم على بعض في شهر ربيع الاول والثاني وفي جمادي الاول وقتل بينهم جماعة كثيرة؛ وفيها اجتمع عسكر مصر مع ارباب الدولة على الملك السعيد فاخلعوه وحصروه في قلعة مصر اياماً وقطعوا المياه عنه وعملوا فيه محضراً ثم ان في ربيع الاول نزل على حكمهم واعطوه الكرك عن الديارات المصرية والشامية واستمر في الكرك الى ان مات في ذي القعدة من هذه السنة ؛ ولما اخلعوه اقاموا اخاه الملك العادل بدر الدين سلامش وله من العمر سبع سنين وهو السادس من ملوك الترك في الديار المصرية واتابك العسكر الامير سيف الدين قلاوون الصالحي وخطب لها معاً وضربت السكة باسمها ؛ وفيها امراء دمشق قبضوا على نائبها عز الدين ايدمر الظاهري فخلعوه واقاموا عنه الامير شمس الدين سنقر الأشقر بنيابة دمشق والامير اقوش الشمسي نائب حلب ؛ ثم بعد خمسة اشهر اجتمع

الامراء وخلعوا الملك العادل سلامش من السلطنة في شهر رجب واقاموا عوضه الملك المنصور قلاوون الصالحي الاتابكي ودقت الكوسات وزينت البلاد وهو السابع من ملوك الترك بالديار المصرية. وفيها تقرر على الكرك نجم ٢٠ الدين قطز بن الملك الظاهر ولقبوه بالملك المسعود وفي ذي الحجة هجم سنقر الأشقر نائب دمشق على القلعة وجلس على تخت الملك وحلفوا له الامراء وتلقب بالملك الكامل ودقت له البشاير وخطب له بدمشق. (١)

(١) المختصر ٤ ص ١٢ – ١٤ سنة ٦٧٧ هـ و٦٧٨ هـ والدر الحسان ص ٤٤٨

١٢٨٠ م: ٦٧٩ هـ بدوءها ٣ ايار ج

كسرة سنقر الاشقر؛ سنقر يستنجد بالتتر؛ قلاوون يصالح سنقر؛ تثبيت البطريرك دانيال الحدثي

في سنة الف ومايتين وثمانين مسيحية خرج الملك قلاوون بجيش مصر ٢٥ لمقاتلة سنقر الأشقر وقدم عليهم علام الدين سنجر؛ فسنقر الاشقر قطع الجسور التي حول دمشق وفي سابع صفر (١١) التقيا الفريقان خارج دمشق عند الجسوره فانكسر عسكر الشام وانهزم سنقر الاشقر الى حمص ومعه امراء العرب ابن مينا وعيسى ابن مهنا الحياري. ودخل عسكر مصر القلعة وارادوا القبض على الذين طاعوا سنقر ولكن جاء مرسوم من السلطان قلاوون بالصفح ٥ عن الجميع؛ وناب بدمشق بكتوت العلاي وبعد شهر جاء التقليد بنيابة دمشق لحسام الدين لاجين؛ واستقر سنقر الاشقر بقلعة صهيون وما جاورها ثم وقع الصلح بينه وبين السلطان ان تكون له كفرطاب وانطاكية وفامية والشغر وبنكاس وصهيون وبلاطنس وبرزيه وجبلة ولاذقية والسويدية ١٠ ودركوش وان يقيم عليهم ستماية فارس ودخل سنقر تحت الطاعة وعفى عنه السلطان. ثم ان سنقر كاتب التتر واستنجد بملكهم ابغا ومن هذا الخبر هربت اهل حلب وحماه وحمص والبلدان الشامية الى جهة دمشق وبعلبك؛ ثم ان قدمت التتر الى حلب مع بايدوين بن طوغاي بن هولاكو فقتلوا ونهبوا

١٥ وحرقوا جامع حلب وافسدوا اقاموا بحلب يومين وحين بلغهم ان الملك قلاوون وصل بالجيش الى غزه عادوا بالغنائم التي كسبوها : وارتحل السلطان الى مصر وكاتب سنقر الاشقر بالمدنة والاجتماع ضد التتر لئلا تهلك الاسلام وصارت كلمتهما واحدة.[1] وفيها البطرك دانيال من قرية حدشيت التي في جبة ٢٠ بشري استمد التثبيت من البابا نقولا الثالث بمكتوب ان الميرون المقدس يصير من زيت زيتون ودهن البلسم لا غير.

١) المختصر ٤ ص ١٣ – ١٤ والغرر الحسان ص ٤٤٩

١٢٨١ م : ٦٨٠ هـ بدوءها ٢٢ نيسان ث

الوقعة العظيمة مع التتر على حمص

في سنة الف ومايتين وحادية وثمانين مسيحية قدم ابغا بن هولاكو بعسكر يموت عن ثمانين الف من التتر والكرج والارمن والعجم ودخلوا الفرات ٢٥ وجنس احمص وخرج السلطان قلاوون من مصر الى روحا من عمل الساحل قرب عكا وتجمعت اليه العساكر المصرية والشامية نحو خمسين الف فشرع السلطان اولا تجديد الهدنة (١١٣ مع الفرنج ثم انتقل بالعساكر الى شيزر والتقت الجمعان بظاهر حمص من جهة الشمال نهار الخميس سلخ تشرين الاول وكثر القتال والحرب بين الفريقين ودام الحرب الى بعد العصر فطعن حسام الدين ٥ لاجين نائب دمشق لمونيكاتمور ابن هولاكو وجرحه فانهزم وانهزمت عساكره وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون فاهلكوا غالبهم وقضى نحبه مونكاتمور في نصيبين : وأبغا اخوه توجه نحو بغداد ومنها الى همذان فعيد بها عيد الكبير مع النصارى ويوم الاربعا وهو اول نيسان انتقل من هذا العالم ومات : ثم اجتمع الاولاد والامراء وحصل الاتفاق بينهم ان تولي مملكة المغول ١٠ اخوهما احمد ابن هولاكو وكان مسلماً واما قلاوون السلطان رجع من ارض حمص الى دمشق منصوراً ورجع سنقر الاشقر الى صهيون وعسكر حلب اليها. وولى السلطان مملوكه شمس الدين قرا سنقر نيابة حلب وعاود الى الديار المصرية.[1]

١) المختصر ٤ ص ١٥ – ١٦ وابن الحريري ص ١٧١ – ١٧٣

١٢٨٢ م : ٦٨١ هـ بدوءها ١١ نيسان س

الحريق بدمشق ؛ وفاة ابن خلكان

في سنة الف ومايتين واثنتين وثمانين مسيحية وقع في دمشق حريق عظيم
١٥ احرق سواق اللبادين والكتبيين والزجاجين والخواتميين والفرجانيين وجميع ما فوق ذلك وتحته والقياسير وهلكت اموال لا تحصى[1] وفيها توفي شمس الدين احمد بن خلكان البرمكي وله التصنيف الكبير وكتاب وفيات الاعيان.[2]

١) ابن الحريري ص ١١٣ — ٢) ابن الحريري ص ١٢٤ والمختصر ٤ ص ١١

١٢٨٣ م : ٦٨٢ هـ بدوءها ١ نيسان خ

زلزلة قبرس ؛ سيل دمشق ؛ العساكر في بشري واهدن والحدث ؛ فردوس عدن

في سنة الف ومايتين وثلث وثمانين مسيحية صارت في قبرس امطار زائدة
٢٠ ورجفة حتى تشقق بعض الجبال وتغيرت حدود الاراضي وصارت هوتات عظيمة عميقة وظهرت نبوع جديدة لم تكن اولا ومن زيادة السيل غرق الزرع وباد كثير من السائقة ؛ وكذلك في دمشق جاء منها سيل عظيم[1] في العشر الاول من شعبان طلع على جسر توما وارتفع على جسر باب الفرج
٢٥ قامة اخرب مساكن كثيرة وامات خلقاً كثير وذهبت اموال الناس واقتلعا اشجار ؛ وكان عسكر (١١٣ السلطان سيف الدين قلاوون نازل بالقرب من بردا فهلك من العسكر والخيل والخيم ما لا يحصى ؛ وقد وقفنا على كتابين للصلاة احدهما كتب في هذه سنة الف وخمساية واربع وتسعين يونانياً في قطين الرواديف الذي بارض الحدث في القرب من دير ماري يوحنا المعروف
٥ بدير مار ابون وكان ساكن فيه الاستقف ابرهيم الحدثي والثاني كتب بعد الاول

ومايتين وحادية وعشرين سنة اعني سنة الف وثمانماية وخمس وعشرة يونانية .
فيخبران ان في شهر ايار سارت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشري فصعد
شرقي طراباوس العسكر في وادي حيرونا وحاصر اهدن حصاراً شديد وفي
١٠ نهار الاربعين ملكها بشهر حزيران فنهبوا وقتلوا وسبوا ودكوا للارض القلعة
التي بوسط القرية والحصن الذي على راس الجبل . ثم نتقلوا الى بقوفا
وفتحوها في شهر تموز وقبضوا على اكابرها احرقوهم بالبيوت ونهبوا وسبوا
ودكوها الى الارض . وبعدما ضربوا بالسيف اهالي حصرون وكفرسارون
١٥ في الكنيسة توجهوا في الاثنين وعشرين من شهر آب الى الحدث . فهربوا
اهلها الى العاصي وهي مغارة منيعة فيها صهريج للماء فقتلوا الذين لحقوهم
وخربوا الحدث وبنوا برجاً قبال المغارة وابقوا فيه عسكر يكمن عليهم ثم
هدموا جميع الاماكن العاصية . واذ لم يقدروا يفتحوا قلعة حوقا التي قبال
٢٠ الحدث اشار عليهم ابن الصبحا من كفرسغاب بجر النبع الذي فوق بشري
وتركيبه عليها فملكوها بقوة الماء لانها داخل الشير واذنوا لابن الصبحا بلبس
عمامة بيضه يانس وان تقيم العبيد بخدمته . ولما رجع العسكر وتاب عن سوء
فعله عمر دير سيدة حوقا لسكنة الرهبان وهو بالقرب من برج الذي كان في
الشير . ويقال ان في هذه البلاد الله غرس فردوس عدن بقول حزقيال ان
٢٥ ارز لبنان في فردوس الله وان عند ما طرد منه آدم سكن جبل حرمون
وسكن اولاده قاين وهابيل شرقي الفردوس في البقعة وعمروا قلعة بعلبك
واستنبطوا الطبول (١) والزمور وكانوا قوم جبابرة قصدوا الطرب وارتكبو
الفاحشة وتدل الى ذلك مدافن هابيل وقاين وشيت التي بالقرب منها .

(١) المختصر ٤ ص ١٨ — ١٩ والغرر الحسان ص ٤٥١ — ٤٥٢

١٢٨٤ م : ٦٨٣ ﻫ بدوءها ٢٠ اذار اث

وفاة المنصور صاحب حماة ؛ وفاة احمد بن هولاكو

في سنة الف ومايتين واربع وثمانين مسيحية توفي الملك المنصور محمد بن
المظفر محمود الأيوبي صاحب حماة وكانت دولته على حماة اثنتين واربعين سنة

٥ وملكها بعده ولده الملك المظفر محموده وفيها توفي احمد ابن هولاكو ابن جنكز خان وهو اول من اسلم من التتر فقتله ابو قازان ارجون ابن ابغا واخذ الملك بعده.[١]

١) المختصر ٤ ص١٩ وابن الحريري ص١٧٥

١١٨٥ م : ٦٨٤ ﻫ بدوءها ٩ اذار ج

فتح المرقب والكرك

في سنة الف ومايتين وخمس وثمانين مسيحية سار الملك قلاوون الى دمشق ١٠ جمع العساكر المصرية والشامية وقصد حصن المرقب وهو في يد الاسبتار الفرنج في غاية العلو والحصانة فنصب عليه المناجنيق وامر الحجارين بنقبه ؛ فطلب اهله الامان فامنهم يحمل ما يقدروا عليه غير السلاح ويقال انهم هربوا بسرداب كان ينفذ من الحصن الى البحر وفي تاسع عشر ربيع الاول يوم ١٥ الجمعة طلعت عليه سناجق السلطان. وفيها قدم حسان الدين طارنطاى بعسكر مصر الى الكرك وهي بيد جمال الدين قطز وبدر الدين سلامش ولدى الملك الظاهر بيبرس فحاصرها وتسلمها بالامان.[١]

١) ابن الحريري ص١٧٦

١٢٨٦ م : ٦٨٥ ﻫ بدوءها ٢٧ شباط ار

فتوح صهيون

في سنة الف ومايتين وست وثمانين مسيحية سار حسام الدين طرنطاى ٢٠ الى دمشق نائباً بها ثم توجه لقتال سنقر الأشقر وأخذ معه آلة الحصار والمناجنيق وتسلم منه بالأمان حصن برزية وصهيون ثم نازل لاذقية وحاط

بها برجاً كان للفرنج في البحر فتسلمه بالأمان وهدمه وأخذ حسام الدين صحبته سنقر الاشقر وأكرمه وأعطاه السلطان بمصر خبز مابة فارس.[١]

١) المختصر ج ٤ ص ٢٣

١٢٨٧ م: ٦٨٦ هـ بدوئها ١٦ شباط اح

فتوح طرابلس

(١١٥) في سنة الف ومايتين وسبع وثمانين مسيحية توفي شيخ الاطباء علاء الدين بن النفيس الدمشقي اخرج كتاب الموجز في الطب توفي بمصر. وفي هذه سنة توفي بيمند البرنس صاحب طرابلوس وهو الذي بنا دير بلمند ٥ فوق طرابلوس جعله صرايا يتنزه بها. فلما أخذ خبره السلطان قلاوون سار بالجيوش المصرية وكاتب حسام الدين يلاقيه في الجيوش الشامية الى فتح طرابلوس. فاجتمعوا يوم الجمعة مستهل ربيع الاول ونصبوا عليها المناجنيق الكبار والصغار من جهة الشرق واشتد عليها الحصار والقتال نحو ثلثة وثلثين ١٠ يوماً وفتحها في السيف نهار الثلثا في ستة وعشرين من نيسان. فقتل عليها كثير من المسلمين من الرجال الذين قدموا لنجدتها من الجبال وقتل السلطان غالب رجالها وسبيت ذراريهم وغنم العسكر غنيمة عظيمة ولما ينجا من الفرنج الا قليل. وبعد ما نهبوا العسكر امر السلطان بحريقها وهدمها الى الارض ١٥ ثم بنيت على نصف فرسخ منها في وادي الكنائس وجعلوا كنائسها جوامع وسكنها المسلمون. ويقول ابن ايوب صاحب التاريخ المختصر كالذي كان حاضر ان اقتحم عسكر الاسلام البحر وعبروا بخيولهم سباحة الى جزيرة سنطماس[١] فقتلوا جميع من بها من الرجال وغنموا بالمال والنسا والصبيان ومدة ولاية ٢٠ الفرنج على مدينة طرابلوس مابة وثمانين سنة منذ سنة الف ومابة وتسع. وبسبب ان الكسارون والحرديين انزلوا الى نجدة الفرنج امر حسام الدين لاجين نائب دمشق ان قرا سنقر يجمع العساكر الشامية ويزحف بهم الى استئصالهم. ويقول ابن سباط ان من جملة المطالعات كتب الى امراء عرب بيروت جمال

٢٥ الدين حجي بن محمد التنوخي والى زين الدين بن علي ان اذا بلغهما توجه
المقر الشمسي سنقر المنصوري بالعساكر المنصورة الى جهة كسروان والجردين
يتوجهوا اليه بجموعهما واهويتهما وان من نهب امراة(١١٦ منهم كانت له جارية
او صبي كان له مملوكاً وان من احضر منهم راس فله ديناراً وان سنقر توجه
لاستئصال شافتهم ونهب اموالهم وسبي ذراريهم وانفسهم [٢]

١) المختصر ٤ ص ٢٤: جزيرة وفيها كنيسة تسمى سنطاس — ٢) المختصر ٤ ص ٢٤

١١٨٩ م : ٦٨٨ هـ بدوءها ٢٥ ك ٢ ث

وفاة قلاوون : جلوس الاشرف

في سنة الف ومايتين وتسع وثمانين مسيحية خرج السلطان قلاوون من
٥ الديار المصرية الى غزو عكا وهي بيد الفرنج فبرز الى مسجد التبر[١] ومرض
ومات يوم السبت سادس ذي القعدة وكانت مدة ملكه احدى عشرة سنة وثلثة
اشهر وعشرة ايام : وكان الملك المنصور سيف الدين قلاوون ابو المعالي
الصالحي النجمي ملكاً شجاعاً كثير العفو قليل سفك الدما خلف ولدين وهما
١٠ الملك الأشرف صلاح الدين خليل والملك الناصر محمد : وجلس في الملك بعده
ولده الملك الاشرف في سابع ذي القعدة وهو الثامن من ملوك الترك في الديار
المصرية ففوض بنيابة السلطنة الى بدر الدين بيدر وبالوزارة الى شمس الدين
محمد بن السلعوس وبنيابة دمشق الى حسام الدين لاجين وفي حلب قرا
١٥ سنقر واما حسام الدين طرنطاي عزله عن النيابة ثم اهلكه.

١) المختصر ٤ ص ٢٤ مسجد التبر ز وص ٢٥ وابن الحريري ص ١٧٢

١٢٩٠ م : ٦٨٩ ه بدوءها ١٤ ك٢ س

فتح عكا : الافرنج يجلون عن السواحل :

فتح صور وصيدا وبيروت وعثليث وانطرسوس : عمار قلعة دمشق وحلب :

الخليفة الحاكم : بنت سيدة لوريت

سنة الف ومايتين وتسعين مسيحية قدم تجار فرنج غرباء الى عكا وثاروا بها وقتلوا من كان بها من تجار المسلمين . فلما بلغ ذلك الملك الأشرف خليل جهز العساكر المصرية وعمل كوسات عظيمة فكانت ٢٠ ثلثماية حمل وكاتب نواب الشام واصحاب الولايات تقدم بالأجناد فاجتمع امم لا تحصى وآلات الحصار والمناجنيق الكبار والصغار ما لم يجتمع الى غيرها لان الافرنج كانوا تقووا ولم يغلقوا غالب الابواب . وجاء الملك المظفر صاحب حماة ومعه عمه الملك الفاضل وجابوا معهم من حصن الاكراد المنجنيق الكبير ٢٥ الملقب بالمنصوري وحمل على مائة عجلة ثبتوا شهراً في جر العجل من حصن الاكراد الى عكا والبعد سفر ثمانية ايام وقاسوا كثير من الامطار والثلوج لان كان امرهم في اواخر الشتي وفي سحر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الاول زحف الجيش الى عكا فأقلبوا ارضها في ضرب الكوسات واشتد عليها الحصار ٣٠ وحين لازقوا السور وطلعت رايات السلطان نكست الفرنج وهربوا الى البحر وبذل السيف فيهم مع طلوع الشمس ولم يفلت من القتل الا الذين هربوا من المراكب وغنمت العساكر جميع ما بها وكان هذا الفتح في تاسع عشر من جمادى الاخر : فهدمت ابراجها واسوارها وامر السلطان بهدمها الى الارض فدكت دكاً : ٣٥ فلما بلغت اخبار عكا الى الفرنج الذين في السواحل اقبل عليهم الرعب اخلوا البلاد وهربوا . ولما قدمت البشاير الى السلطان بان خرجت الفرنج من صور امر بخلائها وهدمها وكان بصور خلقاً كثير من المسلمين فلم يقبلوا بل اقاموا بها : ثم ان توجه السلطان الى دمشق مؤيداً منصوراً فقبض على حسام الدين ٤٠ لاجين نائب السلطنة بدمشق فحبسه وحبس ابن جرص وولى علم الدين سنجر الشجاعي نيابة دمشق . فسار الشجاعي بفرقة من الجيش الى

صيدا فاخربوا المدينة والجزيرة وقلعتها القبلية وايضاً الشمالية فدكوهم الى الارض . ثم قصد بيروت فحاصرها وأخذها في آخر رجب ثم هدم اسوارها
٤٥ ودك قلعتها وكانت حصينة مانعة جداً وجعلوا كنيسة ماري يوحنا ببيروت جامع وطرشوا على صورها طيناً . واهل عتليت هربوا في البحر وعلقوا النار بها في مستهل شعبان . وفي خمسة عشر منه نازل الشجاعي انطرسوس فسلموها الفرنج بالأمان وكذلك جبيل كانت تحت الطاعة فأتاها الشجاعي طرد منها
٥٠ الفرنج وهدمها ودك قلعتها . وفي دولة هذا السلطان خليت بلدان السواحل التي كانت بيد الفرنج وخربت عن آخرها من غير تعب ولا قتال وكانت حصينة ومنيعة جداً وانهزمت الفرنج منها بعدما كانوا اشرفوا على ملك الشام والديارة المصرية .)[١]
٥٥ وفيها عمر الشجاعي نائب الشام دار قلعة دمشق وزخرفها وأكملها بسبعة اشهر واكمل عمارة قلعة حلب التي اخربها هولاكو ملك التتر وتهدد الشجاعي على كل امرأة تلبس طاقية طويلة أم صباغات وتخرج بها الى المقابر . وفيها اطلق السلطان اشرف خليل اسرى بيروت وكانوا سمّاية اسير واطلق لاجين وسنقر
٦٠ الاشقر والبيسري وسنقر الطويل وتقصو[٢] . وأمر الخليفة الحاكم بامر الله العباسي بالركوب على اخذ بغداد من ايادي التتر وان في القدس تطرد رهبان الفرنج من جبل صهيون . وفيها حملت الملكة بيت السيدة من الناصره الى لورات في بلاد النصارى .[٣]

١) ما بين الهلالين من سطر ١٧ الى سطر ٥٣ ناقص في ش فاخذناه عن ف ن — ٢) ابن الحريري ص ١٧٧ — ١٨٠ والمختصر ٤ ص ٢٦ و ٢٧ — ٣) بارونيوس ٢٣ ص ١١٤ — ١١٧ وفيه ذكر الحادثة سنة ١٢٩١

١٢٩١ م : ٦٩٠ هـ بدؤها ٤ ك ٢ خ
و ٦٩١ بدؤها ٢٤ ك ١ أث

فتح قلعة الروم

(١١٧ سنة الف ومايتين واحدى وتسعين مسيحية دخل الملك الاشرف الى دمشق

ومنها الى حلب ثم نازل في جمادى الثاني قلعة الروم وجد في حصارها شهر وثلثة ايام وفتحها بالسيف . واستناب بقلعة الروم عز الدين الموصلي وبحلب سيف ٥ الدين الطباخي[1] ثم عاود الى دمشق وامر بهدم قلعة الشوبك وبعد شهرين رجع الى مصر (وفي ايام الملك الأشرف خرجت الحلقة الطرابلسية .)[2]

١) الطباخي ابن الحريري ص ١٨١ وراجع المختصر ٤ ص ٢٧ - ٢٨ — ٢) ما بين الهلالين ناقص في ش اخذناه عن ف ن وراجع صالح ص ٩٠:

١٢٩٢ م : ٦٨٦ هـ بدؤها ١٦ شباط أح

جسر نهر الكلب ؛ الطريق الانطونياني ؛ الرصد في رأس الكلب

في سنة الف ومايتين واثنتين وتسعين مسيحية في اول ربيع الاول كان الفراغ من عمارة جسر نهر الكلب الذي بناه سيف الدين ابن الحاج اوقطاى المنصورى الناصرى كافل السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية في ايام الملك ١٠ المنصور بكر بن السلطان الملك الناصر ابن قلاوون . وكان نشوه بعدما خرب الجسر الذي اقاموه الملوك الرومانيين وبالخاصه السلطان انطونيوس الحليم الذي تولى سلطنة رومية بعد السيد المسيح مماية واربعين سنة وهو قطع الصخوره وبنا ١٥ برج ونهج الطريق التي على شاطي البحر السالكه الى بيروت كما هو منقور على الصخر قبال الجسر القديم مما لي ناحية قبلة على هذه الصفه[1]: (الامبرادور قيسر مرقوس اوريليوس انطونيوس الحليم السعيد اوغسطوس كبير البرت كبير البريطانيين كبير الجرمانين الحبر الاعظم قطع الجبال المشتملة على نهر ليقا ونهج ٢٠ الطريق مستسهلا ولقبه بالطريق الانطونياني) وهذا النهر تلقب بالكلب لكون بعد ما اصلح الطريق انطونيوس[2] الملك نصبوا به الكثار قايمة من حجر كبير على هيئة الكلب وقيدوه بسلسلة من حديد في الصخر وجعلوا له بها نقير لاجل الطعام وقيل ان دخله الشيطان . وصار رصد ان متى قصدوا ٢٥ القبارسة ام اهل الغرب يغزوا سواحل الشام في مراكبهم كان الرصد ينبح ليستعدوا الى قتالهم وما زال ذلك مستمراً حتى (١١٨ قصدوه البحرية والقوا

تلك القائمه في البحر . ثم ان في سنة الف وستماية وخمس وسبعين مسيحية قدم بعض تجار فرنج قطعوا راس الكلب وحملوه بسبب الفرجة الى البندقية[٢]. وفيها ٥ توفي الامير علام الدين سنجر الحلبي تسلطن بعد الملك قطز وتلقب بالملك المجاهد وحبس دهراً ثم اخرجه الملك الاشرف وانعم عليه.[١]

١) ما بين الهلالين جاء في ش مبدلاً فاخذناه عن ف ن — ٢) جاء في كتاب الاب رينه موترد عن نهر الكلب ص ١٠ ان الامبراطور كراكلا (٢١١ — ٢١٧ م) المنتسب الى انطونيوس التقي هو الذي ذكر على الصخر اعمال الفرقة الغالية الثالثة — ٣) راجع كتاب الاب موترد في نهر الكلب ص ١٤ — ١٥ والكلام في الاسطورة التي رواها الدويهي كما رواه تقريباً الشغاليه دارفيو ٢٧٩؟ وقد يكون الدويهي اول من نقل الكتابة المذكورة الى العربية. راجع عواد تاريخ الاداب العربية المسيحيه ٣ ص ٢٢١ — ٤) ابن الحريري ص ١١١

١٢٩٣ م، ٦٩٢ هـ بدؤها ٢ ك ١ ار

امراء الغرب يحرسون الساحل ؛ البريد بين دمشق وبيروت ؛ مقتل الاشرف وجلوس محمد بن قلاوون

في سنة الف ومايتين وثلث وتسعين مسيحية استرجع امراء الغرب اقطاعهم ١٠ بعد ما كانت خرجت الحلقة الطرابلسية ثم جعلوها بهذه السنة على درك بيروت . واستقروا امراء الغرب تسعين فارس تقسم ثلاث ابدال كل شهر بدل ثلثون فارساً يقيم ببيروت يزك وفي انقضاء الشهر يحضر غيرهم . واما ارباب الايزاك فكانت اجناد حلقة بعلبك تنحدر الى بيروت ابدالاً كل (بدل) ١٥ شهر . وجعلوا لبيروت منظرية في البحر ورهجية وحمام بطاقة مدرج الى دمشق وخيل بريد فكانت النار للحوادث في الليل وحمام البطاقة للحوادث بالنهار والبريد للاخبار وما يتجدد وذلك من فزعهم من الفرنج اذا رجعوا . فجعلوا الدرب من بيروت الى دمشق اربع برد الى الحصين والى قرية زبدل والى دكان ميسنون ومنه الى دمشق بريد ثم قرروا ايضاً نار تصل الى دمشق ٢٠ في ليله واحده فجعلوا يشعلوها من ظاهر بيروت في مكان معلوم فتجاوبها

نار في راس بيروت العتيقة ومنها الى جبل بوارش ومنه الى بيرس ومنه الى جبل الصالحية ومنه الى قلعة دمشق.[١]

وفي هذه السنة خرج الى الصيد الملك الاشرف صلاح الدين خليل ٢٠ فتعامل عليه بيدرا نائبه ولاجين وقتلاه ؛ ثم سموا بيدرا الملك القاهر واقبلوا به ليملكوه ، فحملوا عليه كتبغا بالخاصكية وقتله من الغد واختفى لاجين وكان مدة دولة السلطان خليل ثلث(١١٩سنين وشهرين ؛ وجلس بعده على سرير السلطنة اخوه السلطان الملك الناصر الدين محمد بن قلاوون في العشر الاوسط من محرم وهو التاسع من ملوك الترك بالديار المصرية ، فقبض على ٥ بهادر راس النوبة واقوش الموصلي وطرنطاي الساقي وغيرهم الذين كانوا بسبب قتل الملك العادل فقتلوه . واما قرا سنقر الذي تنوب في حلب ولاجين الذي عزله الاشرف عن نيابة دمشق بسبب انهما كانا متعاملين معهم في قتل العادل استترا ولم يطلع لهما خبراً حتى تسلطن الناصر وولي النيابة زين الدين ١٠ كتبغا فاخذ لهما الامان وقرر عليهما القطاعات الجليلة.[٢]

١) غرر الحسان ص ٦٩ ع ٤ — ٧٠ ع ١ وصالح ص ٦٠ — ٦١ — ٢) المختصر ٤ ص ٣٠ وابن الحريري ص ١٨٣

١٢٩٤م : ٦٩٤هـ بدوءها ٢١ ت٢ خ

خلع محمد بن قلاوون وجلوس كتبغا

في سنة الف ومايتين واربع وتسعين مسيحية انحط الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة نهار الاربعا تاسع محرم ؛ وتسلطن بدله زين الدين كتبغا التركي المغلي المنصوري وتلقب بالملك العادل وخطب له بمصر والشام ١٥ زينت له البلاد ونقشت السكة باسمه وهو العاشر من ملوك الترك بالديار المصرية ؛ فجعل نائبه حسام الدين لاجين وجعل الملك الناصر محمد ابن قلاوون في قلعة الجبل وحجب الناس عنه.[١] وفيها انقص النيل نقصه عظيمة فتبعها الغلا واعتبه وباء وفناء عظيم.

١) ابن الحريري ص ١٨٢ — ١٨٣ و المختصر ٤ ص ٣٢ و ٣٣

١٢٩٥م : ٦٩٥هـ بدوءها ١٠ ت٢ خ

الغلاء بمصر ؛ كتبغا في دمشق

في سنة الف ومايتين وخمس وتسعين مسيحية كان القحط المفرط بمصر والشام فبلغت غرارة القمح في دمشق ماية وخمسين درهم وبمصر بلغ الاردب ماية وستين درهماً وكل خمس واق بالدمشقي بدرهم فأكلوا الجيف ومات الخلق من الجوع في الطرق واحصى من مات في مصر في شهر صفر ما ينوف عن (١٢٠ ماية الف ثم وقع الرخص في جماد الاول . وفيها في ذي القعدة سار السلطان كتبغا الى دمشق فعزل عن نيابة الشام ايبك الحموي وولى موضعه مملوكه سيف الدين عزلو . ثم سار الى جهة حمص فاشترى قرية جوسية وهي خراباً على درب بعلبك من حمص وعمرها.[1]

١) ابن الحريري ص١١٣.

١٢٩٦م : ٦٩٦هـ بدوءها ٣٠ ت١ ث

مقتل بتكاص وبكتوت ؛ خلع كتبغا ؛ سلطنة لاجين

سنة الف ومايتين وست وتسعين مسيحية عندما قصد السلطان كتبغا العودة من حمص ومن دمشق الى مصر مع حسام الدين لاجين النايب ومعهما العسكر وهم سايرون بوادي فحمه وثب حسام الدين على بتكاص وبكتوت وقتلهما وكانا جناحي السلطان . ثم ساق لاجين الجيش والخزاين وركب تحت العصايب في دست السلطنة فبايعوه كلهم ودخل مصر ونزل في دهليز كتبغا فزينت له مصر واجتمعوا اليه الامراء فحلفوه وبايعوه بالسلطنة وتلقب الملك المنصور وهو الحادي عشر من ملوك الترك بالديار المصرية في المحرم . فجعل نايبه بدمشق سيف الدين قبجق المنصوري وفي مصر مملوكه منكوتمر

الحسامي وفي حلب مملوكه ايدغدي شقير . والملك الناصر محمد بن قلاوون كان في قلعة الجبل ارسله الى الكرك . واما السلطان العادل كتبغا حين راي فعيلة لاجين خاف على نفسه ورجع من وادي فحمه هارباً الى دمشق ومعه خمسة مماليك فقط ؛ فخرج عزلو مملوكه الذي كان نايباً بدمشق الى ٢٠ لقاه وادخله الى قلعة دمشق ؛ ثم انه خلع ذاته وكتب الى لاجين طالباً منه الامان وموضع يتآوى فيه فاعطاه صرخد فسار اليها كتبغا واستقر بها .[1]

١) الفرر الحسان ص ٤٧٢ تيخاص وبكتزين والمختصر ٤ ص ٣٥ وابن الحريري ص ١٨٤

١٢٩٨ م : ٦٩٨ هـ بدؤها ٩ ت ١ خ

مقتل لاجين وعودة محمد بن قلاوون ؛ وفاة المظفر الايوبي ؛ قدوم التتر

سنة الف ومايتين وثمان وتسعين مسيحية وثب جماعة من المماليك الصغار وقتلوا الملك المنصور حسام الدين لاجين في حادي عشر ربيع الثاني وهو يلعب ٢٥ بالشطرنج وقتلوا نايبه منكوتمر وجلس موضعه في النيابة طيجيجي الاشرف مقدم المماليك وكان مدة الملك المنصور لاجين سنتين وثلاثة اشهر ؛ ثم اجتمع الامرا فقتلوا طيجيجي النايب واعادوا من الكرك الملك الناصر محمد بن قلاوون ٣٠ واستقر على الملك في يوم السبت لرابع عشر جمادى الاول ؛ فاتفق مع الامراء على ان يكون سيف سلار نايب السلطنة بمصر وفوض نيابة دمشق الى جمال الدين اقوش الافرم . وفي هذه السنة توفي الملك المظفر محمود ابن محمد ابن محمود ابن عمر ابن شاهنشاه ابن ايوب وحسين ذل بيت أيوب اعطى ٣٥ السلطان حماه لقرا سنقر فسار اليها من الصبيبة . وفي هذه السنة سار الملك الناصر الى بلاد غزة فاقام هناك حتى خرجت السنة وكان يتغلب على المملكة سلار والحاشنكير استاذ الدروان ؛ وفيها هرب قبجق وبكتمر السلحدار ولحقا بقازان ملك التتر فأكرمها وأعلماه بقتل السلطان ونايبه واضطراب الامور فعوّل على المسير الى بلاد الشام .[1]

١) الفرر الحسان ص ٤٧٥ وفيها جاء طنجي عوض طيجيجي

١٢٩٩ م : ٦٩٩ هـ بدوءها ٢٨ ايلول اث

قازان في الشمال السوري ؛ وقعة وادي الخزندار ؛ هزيمة محمد بن قلاوون ؛ التتر في بلاد الشام ثم جلاؤهم عنها

٤٠ سنة الف ومايتين وتسع وتسعين مسيحية لما سمع قازان ابن ارغون ابن ابغا ملك التتر بالاختلاف الواقع بين الامراء والعسكر سار بجموع متوافرة من المغل والكرج والمرتده وعبر الفراه وسار بهم بلاد حلب وحماه ووادي مجمع المروج .
٤٥ فخرج اليهم السلطان محمد في عساكر مصر والشام والعرب والتركمان وكان المصاف في السابع والعشرين من ربيع الاول بوادي الخزندار وهي في شرقي حمص على ثلثة فراسخ . واحاطت به جيوش التتر فهزموه هزيمة عظيمة وتبعوه الى ناحية البقاع حتى الى الديار المصرية . واستولت التتر على دمشق وغزه والقدس وبلاد الكرك وحكموا على كل بلاد الشام ما عدا قلعة دمشق حاصروها
٥٠ اشد حصار . فاقام بحفظها اتم قيام نايبها الامير سيف الدين ارغواش المنصوري . فرحل قازان من دمشق بالسبي والمكاسب الى المرج وترك قبجق نايباً بها فنهبوا الصالحية واحرقوا جامع العقيبة وسبوا اهلها واسروا منها نحو اربعة آلاف نسمه وأخذوا من دمشق ما لا يحصى وقتلوا من أهلها خلقاً وجرى على دمشق
٥٥ ما تعجز الاقلام عن حصره والألسن عن وصفه ودامت التتر اربعة أشهر بالشام . واما السلطان محمد دخل مصر مكسوراً وتضعضعت جيوشه وتفرقت ونقصت والذين عاودوا معه ذهبت اموالهم واسلاحتهم وركتهم واثقالهم وتلفت اكثر خيلهم . ففتح السلطان بيوت المال وانفق على الجيش نفقة ما
٦٠ سمع بمثلها قط واشتروا خيلا وسلاحاً وتجمعت العساكر وخرجوا الى العريش مع السلطان . وهلك خلق كثير في دمشق وحلب وغيرهما من الثلوج والوحل ومن الغلاء فبيع في دمشق رطل اللحم بتسعة دراهم والذين دخلوا قلعة دمشق ازدحموا واقتسموها بالشبر . ثم ان صار الصلح بين الملك الناصر ابن قلاوون
٦٥ وبين سلار والجاشنكير والألبكي . فلما بلغ ذلك التتر اخلوا الشام وساروا الى بلدانهم . فاحسن الملك الى سلار وعلى قبجق وبكتمر والألبكي وولى

سلار على العساكر الشامية فقرر امور الشام ورتب النواب في دمشق وحلب
٧٠ وحماه وغيرها ثم عاد بسلار والجاشنكير بالعساكر الى الديار المصرية ؛ وفي
هذه السنة توفي الملك عثمان الغازي وكانت مدة مملكته سبعاً وعشرين سنة
وتولى بعده ولده الملك اورخان .[1]

(١) ابن الحريري ص ١٨٧ – ١٩٠ والمختصر ٤ ص ٤٤ – ٤٥

في الجيل الرابع عشر

١٣٠٠ م : ٥٧٠٠ هـ بدؤها ١٦ ايلول ج

عودة التتر الى بلاد الشام ؛ الخراب ؛ النقمة على اهل الذمة

في الجيل الرابع عشر سنة سبعماية للهجرة تبدى في دخول تشارين لسنة
٧٥ الف وثلثماية مسيحية وتوافق لسنة تسعماية وست عشرة للشهداء ولسنة الف
وستماية وحادية عشرة يونانية ولسنة ستة الاف وثمانماية لكون العالم
عاودت التتر نحو بلاد الشام وعبروا الفرات ؛ فجفلت عساكر المسلمين وخلت
٨٠ بلاد حلب الى حماة ؛ وداست التتر بلاد سرمين والمعرة وتيزين والعمق وغيرها ؛
فخرج السلطان بالعساكر المصرية والشامية الى العوجا . فمن شدة الامطار
وزيادة الوحول عجزت العساكر عن المقام فعاودوا الى مصر فثبت التتر
نحو ثلثة اشهر ينهبون ويقتلون ويسبون في بلاد حلب ثم في جماد الاخر الموافق
٨٥ لشهر اذار عاودوا لبلادهم بغنائم كثيرة .[1] وفي هذه السنة يذكر ابن الحريري
ان قدم الى القاهرة وزير من المغرب قاصد الحج فاكرموه واحترموه وناظراً
الى فرحة النصارى واليهود في اعيادهم تكلم في ديوان السلطان ان اليهود
والنصارى في بلادنا هم في غاية الذل . وفي بلادكم يلبسون افخر الملابس
ويركبون البغلات والخيول المسوّمة ويستخدمون في الديوان (١٢١ واجل
المناصب ويحكمون على رقاب المسلمين وان عهد ذمتكم قد انتقض من

اول سنة سماية وذكر كلاماً كثيرة مما يشبه ذلك : فأثر كلامه عند السلطان
وارباب الدولة : فلما كان يوم الخميس الكبير جمعوا النصارى واليهود ورسموا
٥ ان لا يستخدموا في الجهات السلطانية ولا عند الامراء وان يغيروا عمائمهم
ويلبسوا النصارى عمائم زرق واليهود عمائم صفر والسمرا عمائم حمر : فعيدوا
النصارى عيداً حزيناً وكان القائم بذلك الامير ركن الدين الحاشنكير ثم أمر
بغلق الكنائس بمصر والقاهرة وضربوا على ابوابها الخشب والمسامير : فأسلم
١٠ منهم جماعة كبيرة ثم رسم السلطان ان يكتب ذلك في جميع بلاده من دنقلة
للفرات : واما اهل الاسكندرية لما وصلهم المرسوم خربوا عندهم كنيستين
وقيل انها كان مستجده في عهد الاسلام وهدموا فيها دوراً كثيرة كانت
اعلى من دور المسلمين ومن ذلك الان لبسوهم الغيار في دمشق وغيرها
ومنعوهم من الخدمة ومن ركب الخيل والبغال [٢]

١) المختصر ٤ ص ٤٧ — ٢) ابن الحريري ص١٩٠ — ١٩١ والغرر الحسان ص٤٧٧

١٣٠١م : ٧٠١هـ يدوءها ٦ ايلول ار

وفاة الحاكم بامر الله العباسي ؛ البرد والجراد

١٥ في سنة الف وحادية وثلثماية مسيحية توفي الخليفة الحاكم بامر الله ابو
العباس احمد وهو تمام الاربعين خليفة من بني عباس والثالث منهم بالديار
المصرية وكانت مدة خلافته باربعين سنة وشهراً : وتقرر بالخلافة بعده
٢٠ ولده المستكفي بالله ابو الربيع سليمان وخطب له في جمادي الاول[١] ؛ وفيها
سقط في ماردين برداً على صورة حيات وعقارب وطيور ورجال وسباع
وكتب بذلك محضراً وثبت على يد قاضي ماردين ونقل ثبوته الى قاضي
حماه.[٢] وفيها جاء جراد الى دمشق لم يسمع بمثله ترك غالب الغوطة عصى
٢٥ مجرّده ويبست اشجار لا تحصى.[٣]

١) المختصر ٤ ص ٤٨ وابن الحريري ص ١٩١ — ٢) ابن سباط ص ٣٢٣ —
٣) ابن الحريري ص ١٩٣

١٣٠٢م، ٧٠٢هـ بدوءها ٢٦ آب اح

فتح ارواد؛ الافرنج على نهر الدامور؛ الحملة على كسروان: التر يعودون: هزيمتهم في مرج الصفر؛ الزلزلة؛ فنو بين

(١٢٢ سنة الف وثلثماية واثنتين مسيحية فتحت جزيرة رواد وهي في البحر قبال الانطرسوس حصرت يوماً وقتل فيها من الفرنج نحو الفين وأسروا منهم نحو خمسماية اسير اخذوهم الى دمشق.[1] وفيها نزلت الفرنج على ٥ نهر الدامور بين صيدا وبيروت ليلة الاربعاء ثامن جمادى الاول فقتل هنالك فخر الدين عبد الحميد بن جمال الدين التنوخي وأسروا اخاه شمس الدين عبد الله . فاشتراه ناصر الدين الحسين بن خضر بثلاثة الاف دينار صوريه . فقدموا العروضات الى نائب دمشق الأفرم في الجرديين واهل كسروان[2]. فيقول ١٠ ابن الحريري ان بهذه السنة اجتمعت النواب جمال الدين اقوش الافرم نائب دمشق وسيف الدين اسندمر نائب طرابلوس وشمس الدين سنقر المنصوري وجمعوا جيوش الشام الى مقاتلة الجرديين واهل كسروان . فاجتمعوا مقدمين الجبال وتوابعهم واحاطوا بالجيش من كل جهة فهزموه وقتلوا نفراً كثيراً وغنموا ١٥ بأمتعتهم ؛ ويقول ابن القلاعي ان الوقعة كانت عند مدينة جبيل وان المقدمين الذين نزلوا من الجبال كانوا ثلاثين في العدد وكان المشهورين فيهم خالد مقدم مشمش وسنان واخوه سليمان مقدمي ايليج وسعاده وسركيس مقدمي لحفد وعنتر مقدم العاقوره وبنيامين مقدم حردين ؛ فجعلوا الفين مقاتل يكمنوا ٢٠ على نهر الفيدار والفين غيرهم على نهر المدفون ثم انحدروا بثلاثين الف الى قتال الجيش فوقعوا بحمدان قائد الجيش على الطريق منفرداً فقتلوه وهجموا على الجيش فاهلكوا غالبه وغنموا بامتعتهم وسلاحاتهم وأخذوا اربعة الاف راس من خيلهم . وقدمت الأكراد لنجدتهم فوقعوا بيد المكمنين على الفيدار فلم ٢٥ يخلص منهم الا القليل . وقتل من الاماره التنوخيه نجم الدين (١٢٣ محمد واخوه شهاب الدين احمد ولدى جمال الدين حجي وغزت الجردية بلادهم فاحرقوا منها عين صوفر وشلمك وعين زوينه وبخطوش وغيرها من بلاد

الغرب وقتل ايضاً من المقدمين بنيامين صاحب حردين فدفنوه عند صاحب الاركان في جبيل ومن شدة حزنهم عليه لا رفعوا سنجق ولا دقوا طبل ولا نفير ثم صعدوا الى معاد اقتسموا المكاسب بينهم . فقصد عنتر الطمع على رفاقه واذ لم يعتبر ولا ينتصح حرمه البطرك ومات في الثالث يوم . ثم اجتمعوا ليختاروا مقدماً عوض بنيامين فنطق طفلاً مرضع ان يقيموا نقولا مقدماً فاتفق الرأي ودركوه من كهف حردين الى كهف ايطوه . وفي هذه السنة دخلت التتر الفرات وقصدوا بلاد الشام[1] فخرج الى لقادهم نائب حلب بالرجال فصارت قتالات عظيمة وقتل خلق كثير من الفريقين بقرب حماه ثم ان قازان ملك التتر استقر بحلب وأرسل قتلوشاه مع العسكر ومعهم ما يذوف عن ثلاثماية طبلخانه الى دمشق . فتقدم السلطان بالعساكر المصرية واجتمعت الشاميين مع العرب والتركمان عند شقحب خارج دمشق ولعبت السيوف بينهم وبين التتر من عصر السبت الى الثانية من نهار الاحد . فقتل خلق لا تحصى من الفريقين وكانت الهزيمة على التتر فقصدوا التلال والجبال الذي بطرف مرج الصفر فاحاطت بهم عساكر السلطان وقتلوا منهم مقتلة كبيرة وكانت من اعظم المصائب التي صدت للتتر بعد وقعة عين جالوت ولم يرجع منهم الى عند قازان لحلب الا دون الثلث من الحفا والجوع والذل الذي لا يوصف . ثم رجع قازان الى بلاده والسلطان دخل دمشق ومعه الخليفة مؤيداً منصوراً ثم عاود الى مصر ودخل قلعة الجبل في اخر شوال .

وفي هذه السنة في ثلثة وعشرين في ذي الحجة زلزلت الارض زلزلة عظيمة وكان ذا تأثير زائد بمصر والاسكندرية[2] وفي صفد والشام ثبتت ببعض مواضع بمصر عشرين يوم وخرج السلطان من قلعة الجبل الى البحر وهدمت الرجفة عماير ومواذن وجوامع ودور لا تحصى وذهب بها تحت الردم خلق كثير وبعد الرجفة صارت قيظة يبس الكرم من شدة الحر .[3]

وفيها كان مراس على دير قنوبين الخوري مخائيل الحدثي فركب الدرابزين داخل الكنيسة وفوق منه مما لي الشمال منبر . وفيها توفي زين الدين كتبغا نائب حماه وايضاً فارس الدين البكا نائب حمص .

١) المختصر ٤ ص ٤٩ وابن الحريري ص ١٩٢ — ٢) صالح ص ٤٩ سنة ٧٠٤ — ٣) المختصر ٤ ص ٤٩ — ٥٠ — ٤) ابن الحريري ص ١٩٢

١٣٠٣م : ٧٠٣هـ بدوءها ١٥ آب خ

وقعة تل حمدون ؛ وفاة قازان ؛ الجراد

في سنة الف وثلثماية وثلث مسيحية قدم امير سلاح من مصر بثلاثة الف
١٠ نفر وسار معه عسكر دمشق وقبجق بعسكر حماه واسندمر بعسكر طرابلوس
ونازل تل حمدون فاخذوا منه خلقاً كثيراً وفيها في شوال كانت وفاة
السلطان العراق قازان بن ارغون بن ابغا بن هولاكو بقرب همذان مسموماً
وتملك بعده اخوه كربنا محمد [١] وفيها خرج جراد عظيم وكان قليل الاذى
١٥ الا ان فرخه ارتعى الكرم والصيفي .

١) ابن الحريري ص ١٩٣ والمختصر ٤ ص ٥٢

١٣٠٤م : ٧٠٤هـ بدوءها ٤ آب ث

الخلاف بين نائب دمشق والتنوخيين

في سنة الف وثلثماية واربع مسيحية أرسل اقوش الافرم نائب دمشق الى
الجبليين والكساروه الشريف زين الدين ابن عدنان [١] بسبب الاصلاح مع التنوخية
وان يرجعوا الى الطاعة . ثم ارسل تقي الدين بن التيمية وبصحبته الامير
٢٠ بهاء الدين قراقوش فلم يحصل الاتفاق : فافتى العلماء بنهبهم لأنهم فتكوا
بجيش الاسلام و لم يرجعوا الى الطاعة فجردت العساكر ثم تجمعت الرجاله من
كل بلاد الشام ولم تزل تزداد الجموع من كل ناحية الى سلخ هذه السنة .

١) صالح ص ٤٦

١٣٠٧م، ٧٠٧هـ بدوئها ٣ تموز اث

وقعة عين صوفر وهزيمة الدروز والكساوره النصارى ؛ التركمان في الساحل ؛ وفاة سلار

(١٢٥ في سنة الف وثلثماية وسبع مسيحية يذكر ابن الحريري وابن سباط ان سار يوم الاثنين ثاني محرم اقوش الافرم نائب دمشق بخمسين الف فارس وراجل الى جبال الجرد وكسروان المساقبة بيروت . فجمع الدروز ٥ رجال الجرد وكانوا عشرة امراء بعشرة الف مقاتل وتلاقوا عند عين صوفر وجرى بينهم قتال عظيم وكانت الكسرة على الامراء فهربوا بحريمهم واموالهم واولادهم وبنحو ثلثماية نفس واحتموا في الغار غربي كسروان يعرف بمغارة نيبيه وهي فوق انطلياس بالقرب من مغارة البلانه ؛ فحاموا عن نفوسهم ١٠ بالقتال ولم يقدر الجيش عليهم فبذلوا لهم الامان فلم يخرجوا فأمر نائب دمشق ان يبنوا على الغار سداً من الحجر والجير ثم هدموا على بابه تل عظيم من التراب والحجر وجعلوا الامير قطلوبك حارساً عليهم مدة اربعين يوماً فهلكوا داخل الردم ؛ ثم احاط العسكر بتلك الجبال من كل الجهات ووطئوا ارضاً لم يكن ١٥ اهلها يظنون ان احد من خلق الله تعالى يصل اليها فأخربوا القرايا وقطعوا الكروم وهدموا الكنائس واقتلوا واسروا جميع من بها من الدرزيه والكساوره وغيرهم فخربت تلك الجبال المنيعة وذلت قلوب اهلها حتى ان في ثامن عشر جمادي الاخر ركب بالشرابيش علاي الدين البعلبكي وسيف الدين ٢٠ بكتمر وبدر الدين بكتاش وحسام الدين لاجين وعز الدين خطاب العراقي وتوجهوا لاجل عمارة الجبال وتحفظ مينا البحر مع الجماعة الذين ساروا من دمشق الى بيروت.[1] وفيها توقف المطر للربيع ثم وقع ثلج وبرد فاهلك الفواكه وتلف دود القز غالبه. وفيها استقروا التركمان في ساحل كسروان وهم ٢٥ آل عساف وكان دركهم من حدود انطلياس الى مغارة الأسد وجسر المعاملتين تحت غزير فيمنعوا من (١٢٦ يستنكرونه عن التعدي في دربند نهر الكلب الا بورقة طريق من المتولي ام من امراء الغرب ؛ وجعلوا التركمان

المذكورين ثلثة ابدال بثمانية فارس كل بدل شهر مائة فارس يقيم في الدرك
٥ وكانوا ينزلون في انطلياس وبيوت البازك على نهر الكلب وفي برج جونيه وفي
البرج الذي شمالي قبلة نهر الكلب وزواقيهم حولهم وهم المعروفين بالعامرية
والخراب ومصبح ومكاتيل على اسامي مقدمي الزواق واقاموا معابر وبساتين وجنينات
في عينطوره وعند عين شقيف تشتي بها امارتهم وتصيف . وقيل ان جسر
١٠ المعاملتين عمره سليمان بن عراب وهو الذي عمر حصن معراب شرقي اغرير وسمي
جسر المعاملتين لانه بين برج قصيب وبرج جونيه على حدود طرابلوس وبيروت
وكان يسمى قديماً جسر دخله على اسم البلاد التي من كسره الملك ست
كسروان وفي هذه السنة توقف المطر من رمضان واستمر الى رمضان
١٥ سنة سبع وسبعماية فلا امطرت في الكوانين ولا نبعت العيون فخلت حوران
ومرج ابن عامر من العطش ثم بعد ذلك استمر المطر شهرين وخرجت الدوعة
وسقع الزرع ودود القز ولم يحصل منه الا القليل .

وفيها توفي الامير سيف الدين سلار بقلعة الجبل فهذا كان مملوك للملك
٢٠ الصالح بن قلاوون ثم خدم والده الملك المنصور قلاوون والملك الاشرف كجك
واعطاه الله من الاموال ما لا تحصره الاقلام وكان اعطاه السلطان محمد الكرك
والشوبك . ولما عاد السلطان الى الملك استحوش سلار من الكرك وحضر
على السلطان من غير مرسومه امر انه ينزل في بعض الدور وجهز له طعاماً
فأبى الأكل وظهر الحرد فلما عرف بذلك السلطان أمر بأخذه الى قلعة الجبل
٢٥ وان لا يحضروا عليه شيء من المأكول فبقي اياماً ومات جوعاً بعد ما أكل
قطعة من سرموجته . وفي حواصله (١٢٧ اكثر من ثلثماية الف اردب
وثلثماية الف الف دينار وشيء كثير من الجواهر والحلي والسلاح . وحين جاء
لمصر وصل صحبته من الشوبك ذهب مصري خمسون الف دينار دراهم اربعماية
٥ الف خلع ملونه ثلثماية خيل حجوره ثلثماية خيل فحوله خمسماية فحل بغال
ماية وعشرين قطار جمال ماية وعشرين قطار هذا خارج عما وجد له من
الغلال والخيل والبغال والجمال والاغنام والاملاك والمماليك والعبيد والجوار
ومع هذا كله مات بالجوع .[٢]

---

١) صالح ص ٥٠ — ٢) ابن سباط سنة ٧١٠

١٣٠٨م : ٧٠٨هـ بدوءها ٢١ حزيران ج

مسير محمد بن قلاوون الى الكرك : سلطنة بيبرس الجاشنكير

في سنة الف وثلثماية وثمان مسيحية في رمضان خرج من مصر السلطان محمد متوجهاً الى الحجاز ولما وصل الى الكرك قال لدولته ان قصده المقام ١٠ بالكرك وذلك بسبب استيلاء الامرا على المملكة وتجاوزهم الحد ولم يتركوا للسلطان غير الاسم وعند دخوله لقلعة الكرك انكسر جسرها . فوقع من مماليكه نحو خمسين مملوكاً الى الوادي فمات بعضهم وتهشم الباقي . فاقام السلطان بالكرك وامر نائبها اقوش والامراء الذين قدموا معه بالمسير الى الديار ١٥ المصرية وجهز مرسوماً الى مصر يأمرهم باجتماع الكلمة والطاعة . وبعد ايام جلس بيبرس الجاشنكير على سرير الملك يوم السبت وهو الثالث وعشرون لشوال تلقب بالملك المظفر ركن الدين بيبرس وهو الثاني عشر من ملوك الترك بالديار المصرية وقلد الملك الناصر بالكرك وخطب له بالقاهرة ومصر [١]

١) المختصر ٤ ص ٥٦ – ٥٧

١٣٠٩م : ٧٠٩هـ بدوءها ١١ حزيران ار

محمد يطرد بيبرس : القتال بين اليمنية والقيسية

في سنة الف وثلثماية وتسع مسيحية لما بلغ السلطان محمد سلطنة بيبرس خرج من الكرك في رجب وقصد دمشق ليسترد السلطنة لنفسه ؛ فلما قرب ٢٥ من دمشق تجفل نائبها جمال الدين الافرم وهرب الى قلعة شقيف تيرون ؛ وخرج الى لقا السلطان (١٢٨ محمد الامير سيف الدين قطلوبك وبهادر وبيبرس العلاي وبيبرس المجنون وشرعوا في اصلاح العصائب وترسّل المارة لملاقاته وزينت دمشق وحصل لأهلها غاية السرور ؛ فنزل بالقصر الأبلق وبعث الامان الى الأفرم فحضر بعد اربعة ايام فأكرمه واقره على نيابة

٥ دمشق وحين قدموا النواب قبجق من حماه واسنتمر من طرابلوس وقرا سنقر من حلب تلقاهم السلطان وخلع عليهم ورد الذين عزلهم بيبرس الخاشنكير وخطب له في جميع مدن الشام . ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثا ثالث رمضان ومعه القضاة والنوب وقصد مصر وجلس ثالث مرة على سرير ١٠ السلطنة في عيد الفطر وصرت بشائر في بلاد السلطان . ثم ارسل الأفرم الى صرخد واستناب بمصر بكتمر الخاشنكير وبدمشق قرا سنقر المنصوري وبحلب سيف الدين قبجق المنصوري وفي طرابلوس علي تامر الساقي واما السلطان بيبرس هرب فاقبد السلطان محمد بصهيون وكانت مدة سلطنته بمصر احد ١٥ عشر شهراً. وفي هذه السنة هاجت حوران اليمنية والقيسية وقتل خلق كثير من الفريقين وفي سنة سماية وعشرين يونانية نزل عسكر على حد بشري وصار منه ضرر على قرية بشري وجميع بلادها[1]

[1] الدرر الحسان ص ٢١٣ — ٢١٤

١٣١٠ م : ٧١٠ هـ بدوءها ٣١ ايار اح

المؤيد في حماة والافرم في طرابلس ؛ اسقف عرقا

في سنة الف وثلثماية وعشر مسيحية استناب بحماة عماد الدين اسماعيل ٢٠ الذي تلقب بالمؤيد وتحول الافرم من صرخد الى نيابة طرابلوس وكان متاوس اسقف عرقا

١٣١١ م : ٧١١ هـ بدوءها ٢٠ أيار خ

نواب دمشق

في سنة الف وثلاثماية وحادية عشر مسيحية تولى نيابة دمشق كراي المنصوري عوض قرا سنقر وفي جمادي الاولى تحول عنها واستناب فيها جمال ٢٥ الدين اقوش الاشرفي الذي كان نائباً في الكرك .

١٣١٢ م : ٧١٢ هـ بدوءها ٩ ايار ث

حبس الافرم ؛ نيابة تنكز وارغون ؛ خربندا ملك التتر ؛ السلطان في مصر

(١٢٩ سنة الف وثلثماية واثنتي عشر مسيحية امر السلطان بحبس جمال الدين الأفرم في الكرك ومعه عدة امراء من دمشق . وفي ربيع الاخر قدم سيف الدين تنكز الى نيابة دمشق فأحبه اهل دمشق أوقد له الشمع وكثر دعا الرعية له ؛
٥ وولي بنيابة مصر سيف الدين ارغون الناصري الدودار . وفي اول هذه السنة توجه مهنا الحياري البدوي ومعه نائب طرابلس وقرا سنقر نائب حلب وثلثة امراء من مصر بمماليكهم الى خدمة كربندا[1] ملك التتر فاحتفل لهم واكرمهم . وفي اوائل رمضان زحفت التتر الى جهة بلاد الشام وعبروا
١٠ الفرات فجفلت منهم الناس ودخل اهل الغوطة والحواضر وداريا وبلاس الى داخل البلد فنازل كربندا رحبه وبعد حصار خمسة ايام بالمناجنيق ملكها وعاود الى بلاده . فعيد السلطان عيد رمضان بمصر وسار الى دمشق ومن هناك الى الحجاز .

١) المختصر ٤ ص ٦٨ - ٦٩ خربندا وكذلك ابن سباط ص ٣٢٢

١٣١٣ م : ٧١٣ هـ بدوءها ٢٨ نيسان س

تدبير تنكز ؛ نور الدين المؤيد في حماة

في سنة الف وثلثماية وثلث عشر مسيحية قدم السلطان من الحجاز
١٥ الى دمشق في حادي عشر المحرم وعلى يد قطب الدين والامير تنكز تروكت[1] الاخباز والاقطاعات بمصر والشام للامراء والمقدمين والجيوش وحضر كل واحد منهم اخذ تقليده قبله وانصرف الى داره . وعندما السلطان رجع الى القاهرة كان برفقته عماد الدين اسماعيل ابن الافضل نور الدين علي الأيوبي صاحب

٢٠ حماة فولاه سلطنة حماه على قاعدة ابائه واجداده وان خطب له بحماة ولا برد عليه توقيع ولا منشور من القاهرة وركبه بشعار السلطنة والغاشية والشبابة ومشا في خدمته اوغون نائب السلطنة . وعندما توجه لحماة رسم السلطان لتنكز صاحب دمشق ولساير النواب يكتبوا له يقبل الارض ويلقّب بالملك ٢٥ المؤيد.

وفيها أذن السلطان محمد بان رهبان الفرنج تسكن في جبل صهيون (١٣٠ وكان ذلك على يد روبرتوس ملك سقاليه وزوجته صانسيا.[٢]

وفيها سعى سودون نائب حلب بحفر النهر طوله من نهر الساجور الى نهر قويق اربعون الف ذراعاً أنفق عليه ثمان مائة الف درهم النصف من ٥ مال النائب سودون والنصف من مال السلطان. وفيها عمل تنكز نائب دمشق غيضة جسر المعروفة بغيضة السلطان واجمع جميع الامرا والعساكر واهل القرايا التي حولها اقاموا خمسة ايام يقلعوا الترامي العتيقة ويزحوا العليق منها.

وفيها انتهت عمارة المادنة التي بميدان الحصا غربيه. وفيها تنكز ١٠ نائب دمشق نازل ملطية وبعد حصار شديد ملكها وعاود الى دمشق ومعه ثلثماية اسير. وفيها الامير مهنا الحياري باع السلطان المهره بنت الحدّر المسما الكسوب بثمن ستماية درهم.[٣] وفيها توفي كربندا ابن ارغون ملك التتر وقد كان اظهر الرفض وملك بعده ولده ابو سعيد فاظهر السنّة[٤]

١) تروكت اى توزعت من دون حساب. الاخباز جمع خبز للاعاشة — ٢) صانيا ف ٣) ستماية الف درهم ف ن ب — ٤) الغرر الحسان ص ٤١٤ — ٤١٥

١٣١٥ م : ٧١٥ هـ بدوءها ١٧ نيسان ار

سراي عابيه ؛ اسقف بشري ؛ جامع تنكز

١٥ في سنة الف وثلثماية وخمس عشرة مسيحية بنى الامير ناصر الدين حسين بن خضر بن محمد التنوخي داراً شريف في اسفل قرية عابيه ببرج وحمام وجنينه اجرى لها الماء.[١] وفيها بطرس اسقف بشري كان قاطن ومتراس

٢٠ على دير ماري اليشع بوادي نهر قاديشا . وفيها بنا تنكز بدمشق الجامع المنسوب اليه واجرى في وسطه نهر بانياس وغرم عليه مالا كثير

١) الدرر الحسان ص ٢٧٥

١٣١٦ م ، ٧١٦ هـ بدؤها ٢٦ اذار ج

العوارض الجوية ؛ السيل العرم والريح العاصفة ؛ الاعصيرية في ناحية اللاذقية

في سنة الف وثلثماية وست عشرة مسيحية استقرت شرقي بعلبك بعد الظهر سحابة عظيمة ذات رعد وبرق ومطر غزير وبرد في السابع وعشرين
٢٥ من صفر سالت منها الاودية فانقسمت فرقتين الواحدة سالت من جهة الشرق بقبله بحّرت بحيرة عظيمة على(١٣١)السور حتى كادت تبلغ شرافته ارتفاعاً وانتهت الى النهر والفرقة الثانية ركبت البلد من جهة الشرق بشمال بين باب دمشق وباب نحله فخرقت السور واخذت برجاً على التمام والكمال طوله خمسة عشر ذراع وعرضه
٥ خمسة عشر حملته الماء وهو على حاله نحو خمساية ذراع ؛ وأخرب السيل جميع ما كان في طريقه فجعله خاوياً وللارض مساوياً ولم يزال حتى دخل الجامع الاعظم وهدم الجدار غربي الجامع واخذ جميع ما عليه من البنيان والعمران حتى بلغ خندق القلعة وهدم سور البلد الغربي وخرج الى البساتين ؛ وتوجه من
١٠ دمشق بدر الدين بن معبد الى بعلبك لروية الحال وكشف الامور ؛ وتحرر بخطه وبشهادة من حضر ان اخذ السيل من البيوت خمساية وخراب ثمانماية وخمسة وتسعون من الحوانيت ماية وحادي وثلثين من البساتين اربعه واربعين من الجامع والمساجد والمدارس ثلثة عشر من الافرنه سبعة عشر غير الاموال التي
١٥ هلكت والادمية التي غرقت ؛ واخبر الثقاة انهم رأوا في اوائل السيل عمود عظيم من نار ودخان نازلاً من السماء وسمعوا من الصرخات في الالوان ما يضعف الابدان. وفيها ثار ريحاً شديد بين الركيل وتل زبيد بقرب من طرابلوس وعاصف من جهة البحر تكونت عموداً اغبر متصلا بالسحاب صورة تنين استقرت
٢٠ على بيوت التراكمين ساعة زمانية تتنقل يميناً وشمالا فما تركت شيئاً من البيوت

ولا من الالات ولا من الادميه غير ثلثة عشر نفراً تجرحوا من ملاقات الخشب والحجارة وحملت الريح جملين غابت بها عن العيون . وكان على جانب الزوق نازلين عرب خطفت منهم الريح اربعة جمال والقتهم في البحر ثم وقع مطر وبرد على هيئة اشطاف الحجارة مثلث ومربع تقدير البردة ثلاث واق وتحرر ذلك بخط قاضي طرابلوس

وفي هذه السنة ظهر النصيرية في ناحية لاذقية رجل داهية أوهم على الخلق انه المهدي فتبعه نحو ثلثة الاف نفس فقتل منهم مابة وعشرين نصيري ثم قتل هو ايضاً .[1]

وفيها ابيع الورد بدمشق كل عشرة ارطال بدرهم . وفيها برزت مراسيم سلطانية بتبطيل احمور ببيروت وصيدا وكل السواحل

[1] النرر الحسان ص ٤٨٥ – ٤٨٦ والمختصر ٤ ص ٨٠

١٣١٧ م : ٧١٧ هـ بدوءها ١٦ اذار ار

الجراد والغلاء والمجاعة في جهة الموصل : السيل في دمشق

في سنة الف وثلثماية وسبع عشرة مسيحية يقول ابن الحريري ان زحف جراد عظيم ثم تبعه الغلاء والقحط المفرط في الموصل واربل والجزيرة وديار بكر ومياقرقين حتى ابيعت الأولاد للتتر اشتروا كل صغير بعشرة دراهم وان رجل باع ولده برغيف فاكله ثم مات وكانت تباع جرزة خبز بدرهم : وحدث فقيه ان استمر الغلاء بالموصل اربع سنين أكل هو وزوجته بنهار واحد بثمانية عشر درهم فأكلت الجيف ومات الخلق وخلت اربل ودثرت القرايا من سكانها . وفيها عند طلوع الشمس جاء سيل بدمشق كثير العكر لم يرا سيل اشد عكر منه وكانت الماء بشبه الطحينة وقيل ان رطل الماء كان يصفي ثلثه طيناً شديد وكان وقوع هذا السيل بارض ابل السوق وكان برد في مرج شعبان من ثلثة اشهر ليس فيه قطره .[1]

[1] ابن سباط ص ٤٥٦ سنة ٧١٧ هـ والنرر الحسان ص ٤٨٦

١٣٢٢م : ٧٢٢هـ بدوءها ٢٠ك٢ ار

البطريرك شمعون ؛ وفاة ابن الفوطي

في سنة الف وثلثماية واثنتين وعشرين مسيحية حرر الشماس سابا بن سليمان بن القس جرجس من قنات ان البطرك كان شمعون وبطرس اسقف بشري. وفيها توفي كمال الدين بن الرزاق بن الفوطي صاحب التصانيف وتاريخ العراق.

١٣٢٥م : ٧٢٦هـ بدوءها ٨ك١ اح

« التوراة والانجيل ما بدلنا »

في سنة الف وثلثماية وخمس وعشرين مسيحية في الرابع وعشرين من شعبان يوم الجمعة ادعى قاضي دمشق على عماد الدين بن كثير انه قال ان التوراة والانجيل ما بدلنا وانها نخالتها كما انزلنا وشهدوا عليه جماعة الشيخ تقي الدين بن التيميه (١٣٣ فأخرج وطيف به ونودي عليه هذا جزاء من قال ان التوراة والانجيل ما بدلنا.[1]

(١) الدرر الحسان ص ٤٨٧

١٣٢٨م : ٧٢٩هـ بدوءها ٥ت٢ س

قتل الكلاب ؛ اطعام الكلاب

في سنة الف وثلثماية وثماني وعشرين مسيحية رسم ملك الامرا تنكز نائب دمشق بقتل الكلاب فقتل جمعاً كثيراً ؛ ورسم الوالي ان يبنى فم خندقين

احدهما للذكور والاخر للاناث بين باب الصغير وباب كيسان ثم الزم مشايخ الحارات وعرفا الاسواق بنقل الكلاب الى الخندقين وصاروا نحو الفين كلب وصاروا يشتروا الخبز ويرمود لهم.

١٣٣١ م : ٧٣٢ هـ بدؤها ٤ ت ١ ج

السيل في حمص : وفاة المؤيد

في سنة الف وثلثماية وحادية وثلثين مسيحية صار سيل عظيم بحمص ١٠ هلك فيه خلق كثير ومات في حمام ملك الامرا نحو مايتين امرأة وصبيان ودخل جماعة من الرجال ليخلصوا النساء فهلكوا.

وفيها في العشرين من محرم توفي الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه وكان فيه مكارم وفضيلة من فقه وطب وحكمة وادب وله ١٥ كتاب تقويم البلدان وتاريخ المختصر في اخبار البشر من آدم الى سنة سبعماية وست عشرة ومجلدات كثيرة وتولى بعده ولده الملك الأفضل محمد.[1]

1) المختصر ٤ ص ١٠٧ — ١٠٨

١٣٣٣ م : ٧٣٤ هـ بدؤها ١٢ ايلول اح

الفرصاد في ثغر بيروت

في سنة الف وثلثماية وثلث وثلثين مسيحية قدمت الى بيروت مراكب فرنج جنوية قاصدين اخذ مركب كيتلان في ولاية عز الدين اليسري من قبل تنكيز نائب الشام فنزلوا الى البر وتقاتلوا يومين مع اهل المدينة فدخلوا ٢٠ البرج وأخذوا الاعلام السلطانية والمرقب . فلما بلغ ذلك امير الامرا تنكز ارسل طلب امراء الغرب الذين يعرامون الغرب وتركمان كسروان وحصل لهم اهانة واذية لاهمالهم في المحافظة.[1]

1) صالح ص ١٢٨ والغرر الحسان ص ٤٨٨

١٣٣٤ م ، ٧٣٥ هـ بدوءها ١ ايلول ج

حريق حماة : غزو بلاد سيس

في سنة الف وثلثماية واربع وثلثين مسيحية وقع حريق بحماة (١٣٤ احترق فيه نحو ثلثماية مسكن وفيها دخل عسكر حلب الى بلاد سيس وغزوا بلاد ادنه وطرسوس وآياس ونهبوا واسروا.[١]

١) المختصر ٤ ص ١١٩

١٣٣٩ م ، ٧٤٠ هـ بدوءها ٩ تموز ج

حريق دمشق ؛ التنكيل بالنصارى ؛ قصاص تنكز ؛ وفاة المستكفي ؛ نار السماء

في سنة الف وثلثماية وتسع وثلثين مسيحية يقول ابن سباط ان في
٥ شهر شعبان وقع في دمشق نار بالدهشة شرقي الجامع واحرقت الوراقين واللبادين من حد جسر الكتب الى باب الجامع واحرقت درابزين المادنة الشرقية وان في مستهل ذي القعدة وقعت النار في سوق السيوف وقيسارية الرماح وقيسارية القواسين فاهلكت مالا وخانا كثير . فتهموا بذلك النصارى بسبب ما جرى على
١٠ كنائسهم من الخراب وان قدم راهبان من القسطنطينية اجتمعا بارض جوير بناس من كتبتهم وصنعا بعض كعيات نفط والقوهم بالمدينة وبسبب ذلك جمعوا روسا النصارى وهم كتاب غالب الامرا الذين اتهموا بالحريق فسمروا اربعة عشر نفراً منهم بعدما طيفوا على الجمال واخذوا منهم ذهب وجواهر
١٥ ما ينوف عن الف الف درهم واخذوا من بقية النصارى مالا جزيل ورسم تنكز النائب الا تستخدم المسلمون النصارى بشي من الدواوين. وفيها في ذي الحجة جاء نائب صفد المعروف بالحمص الاخضر ومعه مرسوم

السلطان محمد بطلب تنكز النائب فقيده وأخذه الى القاهرة ومنها الى الاسكندرية
٢٠ اقام في الحبس دون الشهر وقضى فيه امر الله مما صنع بنصارة دمشق٠
وفيها في شهر شعبان توفي الخليفة المستكفي بن الحاكم وكانت خلافته خمس وثلثين سنة وتخلف بعده الواثق بالله ابرهيم بن محمد بن الحاكم وهو الحادي
٢٥ والاربعون من خلفاء بني عباس والرابع منهم بالديار المصرية٠ وفيه انزلت نار سماوية في اعمال طرابلس فاحرقت كثير من الشجر والزرع واحرقت بعين(١٣٥ الفيجة ثلاثة بيوت وكثير من الخشب وكثر من ذلك المرض والوبا وكان ذلك برئاسة بطرس اسقف اهدن والقس سركيس ريس دير مرت مورا باهدن [١]

١) الغرر الحسان ص ..

١٣٤٠م، ٧٤١هـ بدؤها ٢٧ حزيران ت

طنبغا في دمشق : عذاب المماليك : وفاة محمد بن قلاوون

في سنة الف وثلثماية واربعين مسيحية في سادس المحرم ارسل السلطان
٥ علاء الدين طنبغا الى دمشق نائباً بها فقبض على مماليك تنكز واوسطوهم وعلقهم على الخشب وضبط جميع ماله وهي ثلث كرات وثلثين الف دينار مصرية وعشر كرات وخمساية الف غير الجواهر والبلخش المثمنة واللولو غريب الحب والطرز ومزركش وخوابص الذهب والحامات المرصّعة والاطالس وتحف
١٠ القماش فحمّلها على ثمانماية جمل وارسلها لمصر مع مماليكه وجواره وخيله المثمنة واما حواصل الغلال رفعها الامير صاروجا الى قلعة دمشق٠

وفي هذه السنة في تاسع عشر ذي الحجة مات السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون وملك ثلث مرات اول توليته سنة ثلث وتسعين
١٥ وستماية للهجرة وقبل ان تموت بثلثة ايام جلس على تخت السلطنة ابنه الملك منصور ابو بكر وهو الثالث عشر من ملوك الترك بالديار المصرية٠[١]

١) المختصر ٤ ص ١٢٧ — ١٢٨ والغرر الحسان ص ٤٩٠

١٣٤١م ٧٤٢هـ بدوءها ١٧ حزيران أحد

خلع الخليفة الواثق ؛ خلع منصور ابي بكر ؛ ولاية قوصون مبايعة الناصر احمد ؛ مقتل المماليك

في سنة الف وثلثماية وحادية واربعين مسيحية امر السلطان المنصور
٢٠ بخلع الواثق من الخلافة وامر بمبايعة الحاكم بامر الله احمد ابن المستكفي وهو
الثاني والاربعون من خلفاء بني عباس والخامس منهم بالديار المصرية

ومنها في شهر صفر اجتمع كبار الامراء وخلعوا من السلطنة الملك منصور
ابو بكر لانه تعاطى شرب الخمور والمجامعة مع زوجات والده فنفي الى قوص
٢٥ ثم قتل بها وكان مدة ملكه (١٣٦ ثمانية شهور وجلس على سرير السلطنة
اخوه الملك الأشرف كجك ابن محمد بن قلاوون وعمره يومئذ ثمان سنين
وهو الرابع عشر من ملوك الترك بالديار المصرية ؛ وتولى القيام بامور السلطنة
٥ الامير قوصون ؛ فلما سمع سيف الدين طشتمر نائب حلب بسلطنة الملك الاشرف
كجك خرج عن طاعته وقام بنصرة اخيه السلطان احمد بن محمد بن قلاوون
الذي كان بالكرك ؛ فلاجل ذلك قوصون نائب السلطنة سير الامير قطلوبغا
الفخري ومعه ثمانماية مملوك لحصار السلطان أحمد في الكرك وجهز مع طنبغا
١٠ نائب الشام عشرة الف الى مقاتلة طشتمر نائب حلب ؛ فعندما درب طشتمر
من حلب الى درنده من اعمال الروم دخل الطنبغا حلب ونهب حواصل
طشتمر وامواله ؛ ثم ان وصل الخبر الى الشام بان قوصون كان قتل بني
(١٣٥ السلطان ورام السلطنة لنفسه حينئذ تغير الراي ؛ واتفقوا نواب الشام قطلوبغا
الفخري وطنبغا نائب دمشق ونائب حماه ونائب صفد وغيرهم فبايعوا بالسلطنة
١٥ الملك الناصر أحمد الذي كان بالكرك وبايعه الجيش جميعه ؛ وفي نهار الاثنين
عاشر شهر شوال خلع من السلطنة الملك الأشرف كجك وجلس على تخت
السلطنة اخوه الملك الناصر محمد وهو الخامس عشر من ملوك الترك بمصر ؛
فولّى شمس الدين طشتمر نيابة السلطنة بالقاهرة وقطلوبغا الفخري نيابة دمشق

٢٠ وايدغمش نيابة حلب ودقت البشائر وزينت البلد وخطب للسلطان بدمشق والكرك والقدس وغزه ؛ ثم ان رجع طنبغا من حلب وقصد الدخول الى دمشق فمنعه قطلوبغا الفخري عن الدخول اليها وجمع كل منهما الجيش وجرى بينهما
٢٥ ما لا يوصف فاضطر الفخري يسير الى مصر ؛ وكتب السلطان من الكرك الى ايدغمش امير اخور السلطنة بمصر انه يقبض على قوصون ؛ فقبض عليه ونهب داره وارسله الى الاسكندرية (١٣٧ وقبض على الطنبغا فقيده بمصر ؛ وعندما توجه السلطان من الكرك الى الديار المصرية امر بقتل قوصون والطنبغا فقتلا ، وبعد مدة رجع طشتمر من مدينة درنده فامر السلطان بتوسيطه وتوسيط الفخري وجازاهما بئس المجازاة »[1]

١) الدرر الحسان ص ٤٩١

١٣٤٢ م : ٧٤٣ ﻫ بدوءها ٦ حزيران خ

خلع احمد ؛ حصار الكرك

٥ في سنة الف وثلاثماية واثنتين واربعين مسيحية في المحرم توجه السلطان احمد الى الكرك وتحجب عن الناس ونسبت اليه اشيا لا تليق بالملوك ؛ فلما نظر عسكر الشام تقربيه الى النصارى وقتله طشتمر والفخري كتبوا الى مصر فخلعوه وسلطنوا في الاثنين والعشرين من المحرم اخاه الملك الصالح اسمعيل
١٠ وهو السادس عشر من ملوك الترك بالديار المصرية ؛ وبعد سبعة ايام من الزينة بدمشق جهز جيشاً لمحاصرة اخيه السلطان احمد بالكرك فحاصروها حصاراً شديداً ونصبوا عليها المناجنيق فقتل بوقعة واحدة من الكرك قريب الخمسماية ومن عسكر مصر والشام نحو المايتين واستمر الحصار الى ثاني سنة
١٥ ووقع الغلا والوبا بالكرك وبدمشق ه وفيها احضر رجل من اهل الجبل الى بين يدي النائب بدمشق ابنه وكان له رأسان واربعة ايادي وقيل ان احدهما ذكر والاخر انثى وان الواحد مات قبل الاخر بيومين »[1]

١) الدرر الحسان ص ٤٩٢

١٣٤٣ م : ٧٤٤ هـ بدوءها ٢٦ ايار اث

وفاة الذهبي

في سنة الف وثلثماية وثلث واربعين مسيحية انتهى تاريخ الشيخ شمس
٢٠ الدين ابو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي المسما تاريخ الاسلام في تاسع عشر
مجلد وعن العلما والبلا بعشرين وفي الدول الاسلامية وطبقات الحفاظ مجلدين
واختصر تاريخ ابن عساكر في عشرة اسفار وتقويم البلدان لصاحب حماه وغير
ذلك وكانت وفاته سنة سبعماية وثمان واربعين [1]

1) الدرر الحسان ص ٤٩٢

١٣٤٤ م : ٧٤٥ هـ بدوءها ١٥ ايار س

وقعة البقاع ووادي التيم

سنة الف وثلثماية واربع واربعين مسيحية في شهر صفر كانت الوقعة بين
اهل البقاع واهل وادي التيم وقتل من الفريقين خلق كثير واحرق ابن صبح
ثلث عشرة قرية من وادي التيم وانقطعت السابلة ودرب الزبداني.

١٣٤٥ م : ٧٤٦ هـ بدوءها ٤ ايار ار

وفاة اسمعيل بن محمد بن قلاوون ؛ يدمر الخوارزمي في بيروت

٥ (٨٣١ في سنة الف وثلثماية وخمس واربعين مسيحية في رابع ربيع الثاني توفي
السلطان الملك الصالح عماد الدين اسمعيل بن محمد بن قلاوون وتسلطن بعده

اخوه الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد وهو السابع عشر من ملك
الترك بالديار المصرية ؛ فولى السلطان الحاج ارقطاي نيابة الشام وانتقل سيف
١٠ الدين يلبغا من نيابة حلب الى نيابة الشام ؛ وفيها يذكر ابن سباط ان تجفلت
الناس في السواحل من ملك قبرس فارسل الامير الكبير الاتابكي يلبغا الى
بيروت بيدمر الخوارزمي وامر ان يشرعوا في عمارة شواني وحمالات ومراكب
بعدة كثيرة وان امرا الغرب وتراكمين كسروان يسكنوا في بيروت مع العساكر
١٥ الشامية ويركبوا ليلاً ونهاراً .[1]

١) الغرر الحسان ص ٤٩٢ والمختصر ٤ ص ١٤٨

١٣٤٦ م : ٧٤٧ هـ بدوءها ٢٤ نيسان اث

وفاة الكامل سيف الدين شعبان

في سنة الف وثلثماية وست واربعين مسيحية في الخامس جمادى الاول
توفي السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان وكانت مدة مملكته سنة
وسبعة عشر يوم وتولى بعده السلطنة ولده الملك المظفر امير حاج حاجي وهو
٢٠ الثامن عشر من ملوك الترك بالديار المصرية . فقرر شمس الدين يلبغا اليحياوي
في نيابة الشام وبنا المجمع[1] المنسوب اليه تحت قلعة دمشق وارسل بيدمر البدري
الى نيابة حلب وارقطاي الى نيابة السلطنة بالديار المصرية .

١) الجامع ف

١٣٤٧ م : ٧٤٨ هـ بدوءها ١٣ نيسان ج

عزل يلبغا وقتله ؛ مقتل حاجي

٢٥ في سنة الف وثلثماية وسبع واربعين مسيحية في ثامن من (١٣٩ جمادى
الاول وصل مرسوم من السلطان حاجي بعزل ملك الامرا يلبغا عن نيابة

الشام وطلبه اليه . فقصد العصيان ودخل الى البرية مع نفر كثير فجردت عليه العساكر من دمشق وصفد وطرابلوس وحماه فمسكوه عند حماة وقتل بأمر السلطان بن قاوون وغزّه ؛ وأقام السلطان سيف الدين ارغون شاه بنيابة الشام وامر بالقبض على كثيرين من الامرا فقتلهم . فنفرت منه قلوب الناس ركبوا عليه وقتلوه . واقام الامرا البيعة لاخيه الناصر حسن ابن محمد في ثالث عشر رمضان وهو التاسع عشر من ملوك الترك بمصر.[1]

١) الغرر الحسان ص ٤٩٤

١٣٤٨ م ، ٧٤٩ هـ بدوءها ١ نيسان ث

الطاعون ؛ الغلاء ؛ الريح الشديدة والمطر

في سنة الف وثلثماية وثمان واربعين مسيحية كان الطاعون فعم البلدان الحلبية والشامية وغالب الاماكن فحارت به الافكار لثقله ولم يعهد في بلاد الشام مثله ؛ فنقل صلاح الدين الصفدي ان بدمشق صلوا بعض الاوقات بالجوامع على مايتين وثلث وستون جنازه جملة حتى خليت الدور وخربت الضياع من سكانها وكانت قوة الطاعون من شدة الغلا فابيعت غرارة القمح الشامية بالف وستماية درهم ورطل الزيت والسراج الشامي باربع وعشرين درهم ورطل اللحم بعشرين وغلت سائر البضائع ثم بعد زيادة الموت رخصت الاسعار حتى غرارة القمح الشامية ابيعت ثماية وسبعين وما دونها وفي ثاني عشر رجب بعد الظهر حصل بدمشق وما حولها ريحاً شديدة اثارت غباراً عظيماً اصفر الجو منها ثم احمر ثم اسود حتى إظلمت الدنيا نحو ربع ساعة والناس يبكون ويستغفرون ان يكون ذلك ختام الطاعون فلم يزداد الا شدة ثم في الرابع عشر منه وقع مطراً عظيماً وجرت الميازيب وابشرت به الناس لرفع الوبا فلم يرتفع بل ازداد وصلى الخطيب يوم الجمعة سابع شعبان على ماية وثلث وستين جنازه.[1]

١) الغرر الحسان ص ٤٩٤

١٣٤٩م : ٧٥٠هـ بدوءها ٢٢ اذار اج

تزوير الجيغا وقتله ؛ اسقف العاقورة

(١٤٠) في سنة الف وثلثماية وتسع واربعين مسيحية سار الى دمشق الامير سيف الدين الجيبغا نائب طرابلوس ومعه طائفة من الامرا ومرسوم على يده فقبض على نائب دمشق ارغون شاد ليلاً وهو نائم في ثلثة وعشرين من ربيع الاول ٥ وعلى حواصله وامواله ومضوا به الى طرابلوس . فكاتبوا امراء الشام السلطان يعلمونه بصورة الحال وكان جوابه ان لا علم له بما وقع كله وان المرسوم الذي بيده مزوراً . فجمع نائب صفد العساكر في طلب الجيبغا فمسكوه في مدينة طرابلوس واخذوه الى دمشق فوسّط في حضرة الجيش وعلقت جثته ١٠ ومن كان معه على الخشب وتولى نيابة دمشق الامير ايتمش الناصري[١].
وكان متولي رئاسة العاقورة الاسقف جرجس ٥

١) الدرر الحسان ص ٤٩٥

١٣٥٠م : ٧٥١هـ بدوءها ١١ اذار خ

خلع ناصر الدين ؛ مبايعة صلاح الدين ؛ ولاية ارغون

في سنة الف وثلثماية وخمسين مسيحية اختلفت الامراء على السلطان الناصر ناصر الدين الحسن وفي رابع رجب خلعوه واقاموا اخاه الملك الصالح صلاح ١٥ الدين صالح بن محمد وارسلوا الى بيبغا يجي به من الكرك حيث كان مسجوناً ؛ وركب بخلعة الخليفة وبايعه القضاة والامراء وهو العشرون من ملوك الترك بالديار المصرية ؛ وفي شهر شعبان تولى نيابة دمشق الامير سيف الدين ارغون الكاملي „[١]

١) الدرر الحسان ص ٤٩٥

١٣٥١ م ، ٧٥٢ هـ بدؤها ٢٢ شباط أث

وفاة الحاكم ؛ حريق الباب الاصفر في دمشق ؛ ثورة الامراء ومقتلهم

في سنة الف وثلثماية واحدى وخمسين مسيحية[1] توفي بمصر الخليفة الحاكم
٣٠ بامر الله وكانت مدة خلافته عشر سنين ونصف وبويع المعتضد بالله ابو بكر
ابن المستكفي بالله وهو الثالث والاربعون من خلفاء بني عباس والسادس
منهم بالديار المصرية وفيها وقع حريق عظيم بدمشق عند باب جيرون
بالباب الاصفر النحاس وكان من محاسن البلاد ومعاملها[2] ما يوف من اربعة
٣٥ الاف سنة لم ير مثله في عادة الاماكن ١٤١ وعلوّ السيان فكشطوا ما عليه من
النحاس ونقلوه الى خزانة الخاصل وكان خشبه من خشب الصنوبر وهو
في غاية القوة والثبات وكسروه وكان فوقه حصن عظيم وقصر منيف وهو
٥ منسوب الى جيرون الذي بناه فقال البعض انه على اسم المارد الذي بناه
لسليمان بن داود ان جيرون هو ابن سعد بن عاد بن عوض بن ارم بن
سام بن نوح والله اعلم ٠

(وفي هذه السنة اتفق بيبغا نائب حلب مع تكلمش نايب طرابلوس
واحمد المشد نائب حماه وطيبغا نائب صفد وابن اتي داغر التركماني وحيار ابن
مهنا امير العرب على الخروج من طاعة السلطان ليمسكوا شيخون وطاز
١٠ وهما اعيان الدولة المصرية ؛ فكتب فيهم ارغون الكاملي نائب دمشق الى
الديار المصرية ؛ فتجفلت الناس وانتقلوا الذين في الصالحية والبساتين الى المدينة
ونقل الامراء حريمهم واولادهم للقلعة ؛ واما النواب قطعوا الفرات وجاء
معهم من امراء الطبلخانات نحو ستون امير ودخلوا دمشق في تجمل وابهة
١٥ عظيمة ؛ وعاينوا الناس من كثرة العساكر والجنود ما لا يعاينوه في زمان
قازان ملك التتر ؛ فنهبوا وفتكوا بالنساء والبنات وكان كل يوم يزداد اذاهم
حتى وصلت البشاير في طلوع السلطان بالعساكر المصرية والشامية ؛ وفي دخول
رمضان خرج الناس واهل الذمة بالشموع والتوراة والانجيل الى لقاه وترجلت
٢٠ الامراء بين يديه وبسطوا له شقاق الحرير من عند مسجد الدبان الى باب

القلعة وهو لابس قباء احمر بفرو قاقم وتحته فرس عظيمة وهو حسن الصورة ومقبول الطلعة ؛ فنزل بالقلعة مع الخليفة الذي قدم معه ثم انه جهز الامراء ارجون وشيخون وطاز الى مسك العصاة والبغاة؛ فقبضوا عليهم وقيدوهم؛
٢٥ في ثالث شوال ركب السلطان الى الطارمه فامر بحضور نواب حلب وطرابلوس وحماة وصفد وستة من مقدمين الطبلخانه وبقتلهم ؛ ثم اقام السلطان ارغون نائباً على حلب ورجع الى مصر مؤيداً منصوراً»)[٣]

١) النور الحسان ص ٤٩٦ سنة ١٣٥٢ — ٢) سالها ن — ٣) ما بين الهلالين ناقص في ش

١٣٥٣ م: ٧٥٤ هـ بدؤها ٦ شباط ار

الزام اهل الذمة بالشروط «العمرية» ؛ اعدام رجل من الرافضة

٣٠ في سنة الف وثلثماية وثلث وخمسين مسيحية قرئ بجامع دمشق مرسوم السلطان بملازمة اهل الذمة بالشروط العمرية[١] ان لا يستخدموا بشيء من الدواوين السلطانية ولا بشيء من الاشياء وزيادات أخر ان يحمل حكم مواريثهم الى الاحكام الشرعية وان لا يزيد احد منهم عمامته عن عشرة اذرع ولا يركبوا الخيل ولا البغال بل الحمير عوضاً وان يدخلوا الحمامات
٣٥ بعلامات من جرس او خاتم نحاس او رصاص ولا تدخل نساؤهم مع المسلمات وليكن لهم حمامات يختصصن بها وان يكون ازار النصرانية كتاناً ازرقاً واليهودية اصفراً والسامرية احمراً وان يكون احد كفيها اسود والاخر ابيض.

وفي هذه السنة نهار الاثنين ثاني شوال اتفق جمهور الامارى على خلع الملك الصالح واعادوا اخاه الملك الناصر حسن ؛ وتنوب على طرابلوس الامير
٤٠ منجك وعلى دمشق الامير على الماردني وعلى حلب الامير طاز ؛ وسيف الدين ارغون ارسل معتقلا الى الاسكندرية ؛ وفيها في دمشق رجل من الرافضة سب ولعن ابا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد واعاد ذلك كم دفعة ؛ فحكم قضاة الاربعة بقتله فضرب عنقه تحت القلعة واحرقته العامة وطافوا
٤٥ برأسه ونادوا عليه هذا جزا من يسب الصحابة.

١) النجوم الزاهرة ٥ ص ١٣٢ وزيات : المشرق ١٩٤٩ ص ١٦٣

١٣٠٤ م: ٧٥٠ هـ بدؤها ٢٦ ك٢ اح

وفاة السبكي؛ اسقف الامدة

في سنة الف وثلثماية واربع وخمسين مسيحية توفي تقي الدين السبكي وله تصنيفات كثيرة ومن جملتها في كشف الغمة (١٤٢ في ميراث اهل الذمة ومن ذلك صار الامر ان نحمل حكم مواريث اهل الذمة (الى الاحكام الشرعية)[1] وقرئ بجامع دمشق بالمقصورة بحضرة النائب والقضاة والامراء وامراء العرب ٥ واهل الحل والعقد . وكان مترئس على اشدن الاسقف يعقوب.

١) ما بين الهلالين ناقص في ش

١٣٠٥ م: ٧٥٦ هـ بدؤها ١٦ ك٢ ج

مراكب الافرنج في صيدا؛ فك الاسرى

في سنة الف وثلثماية وخمس وخمسين مسيحية يقول ابن سباط ان قدمت مراكب فرنج الى صيدا وقتلوا طائفة من اهلها وأسروا جماعة وقتل منهم ايضاً خلقاً كثير وكسروا مركب من مراكبهم ووصل الصريخ الى دمشق . ١٠ فاجتمعت العساكر من صفد ومن دمشق وبادروا في افكاك الأسرى فأخذوا من ديوان الأسرى مبلغ ثلثين الف واعطوا للفرنج على كل راس خمساية درهم .[1]

١) الدرر الحسان ص ٤٩٩

١٣٠٦ م: ٧٥٧ هـ بدؤها ٥ ك٢ اح

نهاية تاريخ الكتبي؛ البطريرك يوحنا

في سنة الف وثلثماية وست وخمسين مسيحية انتهى الجزء العاشر من عيون

١٥ التواريخ التي انشأها صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي وبعد ذلك اقتصر ابن الحريري وابن سباط ذكر الخلفاء والملوك ونوادر الزمان[١] وفيها كان متولي كرسي انطاكية البطرك يوحنا وعلى قبرس الاسقف حنا

١) راجع يوسف العش فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، التاريخ وملحقاته (١٣٦٦ هـ مطبعة دمشق ١٩٦٧) ص ٤ – ٧ وفيه الكلام عن هذا المؤلف النادر المفقودة بعض اجزائه

١٣٥٩ م ، ٧٦١ هـ بدؤها ٢٣ ت٢ ث

وفاة اورغان

في سنة الف وثلثماية وتسع وخمسين مسيحية توفي الملك اورغان الغازي ٢٠ ابن عثمان وكانت مدة مملكته خمس وثلثين سنة حارب النصارى وافتتح بروسا وتولى بعده ولده السلطان مراد[١]

١) الغرر الحسان ص ٤٩٩

١٣٦٠ م ، ٧٦٢ هـ بدؤها ١١ ت٢ أر

وفاة السلطان ناصر الدين ؛ الملك المنصور ؛ صلاح الدين

في سنة الف وثلثماية وستين مسيحية تاسع شهر جمادى الاول توفي السلطان الملك الناصر ناصر الدين الحسن ابن (١٤٣ محمد ودفن بالقاهرة بالمدرسة المنسوبة اليه وتولى بعده ولده الملك المنصور صلاح الدين محمد وهو الواحد وعشرين من ملوك الترك بمصر وفيها في شعبان خلع وقيل توفي الملك المنصور صلاح الدين ومدة سلطنته دون اربعة اشهر وتسلطن بعده اخوه الملك ٥ الأشرف شعبان وهو الاثنين وعشرين من ملوك الترك بالديار المصرية[١]

١) الغرر الحسان ص ٤٩٩

١٣٦١ م : ٧٦٣ هـ بدؤها ٣١ ت١ اح

وفاة الخليفة المعتضد ؛ وفاة الخليفة الحاكم

سنة الف وثلاثماية واحدى وستين مسيحية توفي الخليفة المعتضد بالله وبيع بعده اخوه الحاكم بامر الله ابو محمد عبد الله وهو الرابع والاربعين من خلفاء بني عباس والتاسع منهم بالديار المصرية . وفيها في جماد الاول ١٠ توفي الخليفة الحاكم بامر الله وبويع بعده ولده المتوكل على الله ابو عبد الله محمد وهو الخامس والإربعون من خلفاء بني عباس وهو العاشر منهم بمصر .[1]

---

1) الدرر الحسان ص ٤٩٩

١٣٦٥ م : ٧٦٧ هـ بدؤها ١٨ ايلول خ

وفاة الامير منجك ؛ القرصانه الغارصة في الاسكندرية والنقمة على النصارى

في سنة الف وثلث ماية وخمس وستين مسيحية توفي الامير منجك ابن عبد ١٥ الله الناصري تولى النيابة اولاً بصفد ثم بطرابلوس ثم بحلب ثم بدمشق ثم بمصر وتوفي وهو نائباً بها وكان عمر خانات كثيرة بالطرق المخوفة . ويذكر يعقوب اسقف اهدن في ذيل الانجيل الذي نسخه سنة الف وستماية وسبع وسبعين يونانية في شهر اذار باد في تاريخه قصد ملك قبرس اسكندرية ٢٠ بجيشه فنهبها وقتل رجالها وأسر صغارها . فغضب سلطان المسلمين على النصارى ومسك روساء الكنيسة وحبسهم في دمشق وكان الأسقف المذكور بجملتهم فاعانه السيد المسيح وهرب وكتب الانجيل وهو هارباً مستتراً . وذلك الانجيل هو الى الان منصان بدير قنوبين سبعة وعشرين كراس (١٤٤ في النقل السرياني والكرشوني . وفيها كان مالك الكرسي الانطاكي البطرك جبرائيل وفي حال الاضطهاد استتر بقريته حجولا من عمل جبيل .

فكتب نائب دمشق بسببه الى نائب طرابلوس وعندما اخذ خبره قبض على
٥ اربعين رجل من اهل حجولا وامرهم بحضوره[1] وفي اوائل نيسان امر بحريقه
خارج طرابلوس عند طيلان

١) الغرر الحسان ص ٥٠٠ — ٢) امرم بان يحضروه

١٣٧٠ م ، ٧٧٢ هـ بدوءها ٢٦ تموز ج

بيدمر في دمشق بقصد العصيان

في سنة الف وثلثماية وسبعين مسيحية قدم الى دمشق بيدمر نائباً بها
خامس مرة ودخل في تجمل عظيم ثم انه قصد العصيان على السلطان وجمع
١٠ اليه العشران ومقدمين البلاد وحضر ابن اكلش ومعه سبعة الف ومقدم
الزبداني ومعه الف رجل وجرى من الامور ما يطول شرحها .[1]

١) الغرر الحسان ص ٥٠٠

١٣٧٣ م ، ٧٧٥ هـ بدوءها ٢٣ حزيران خ

«فطرة» بلاد الغرب

في سنة الف وثلثماية وثلث وسبعين مسيحية قطعت فطرة بلاد الغرب الرماح
معلم الخاصكية فابطلها الامير زين الدين صالح بن حسن بن خضر التنوخي ٥

١٣٧٦ م ، ٧٧٨ هـ بدوءها ٢١ ايار ار

مقتل الاشرف

١٥ في سنة الف وثلثماية وست وسبعين مسيحية قصد السلطان الأشرف

الحج وخرج من مصر في أبهة عظيمة وخرج معه خلقاً كثير فقتل عند عقبة[١] ايلا في اواخر شوال[٢] : وتولى بعده ولده الملك المنصور نور الدين علي في اول ذي القعدة وهو الثالث والعشرون من ملوك الترك بمصر .

١) قبة ف ن - ٢) الغرر الحسان ص ٥٠

١٣٨٠ م : ٧٨٢ هـ بدوءها ٧ نيسان س

وفاة نور الدين علي ؛ جلوس محمد وخلعه ثم جلوس حاجي

في سنة الف وثلثماية وثمانين مسيحية توفي السلطان الملك المنصور نور الدين علي وكان ظالماً محب المال وسافك الدما : وفي الرابع وعشرين من صفر تولى السلطنة بعده ولده الملك المنصور محمد وهو الرابع والعشرون من ملوك الترك بمصر .[١]

(١٤٥ وفيها وثب الامراء على الملك المنصور محمد ابن نور الدين علي واخلعوه من السلطنة : وتولاها بعده اخوه الملك الصالح حاجي وهو الخامس والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية.

١) الغرر الحسان ص ٥٠١

١٣٨١ م : ٧٨٣ هـ بدوءها ٢٨ اذار خ

خلع حاجي ؛ جلوس برقوق

في سنة الف وثلثماية وحادية وثمانين مسيحية خلع من السلطنة الملك الصالح حاجي بن علي بن شعبان في تسعة وعشرين رمضان وحبس بالكرك : وتولى السلطنة بعده الملك الظاهر برقوق بن انس بن يدربك وهو اول

ملوك الجراكسة بالديار المصرية . كان اسمه اولاً الطنبغا فسماه استاذه يلبغا
١٠ الكبير ثم تلقب بالملك الظاهر . وبها تولى نيابة الشام بيدمر الخوارزمي .[١]

١) الدرر الحسان ص ٥٠٢

١٣٨٢ م : ٧٨٤ هـ بدوءها ١٧ اذار ث

خلع الخليفة المتوكل : خلافة ابي حفص

في سنة الف وثلثماية واثنتين وثمانين مسيحية في رجب قبض الملك الظاهر على الخليفة المتوكل واخلعه وحبسه . وأقام عوضه بالخلافة ابا حفص عمر ابن الواثق بالله ابراهيم وهو السادس والاربعون من خلفاء بني عباس والتاسع
١٥ منهم بمصر .[١]

١) الدرر الحسان ص ٥٠٢

١٣٨٥ م : ٧٨٧ هـ بدوءها ١٢ شباط اح

وفاة ابي حفص : مقتل يدمر : يعقوب المتريني اسقف قبرس

في سنة الف وثلثماية وخمس وثمانين مسيحية يوم الثلثاء سادس جماد الاخر توفي الخليفة ابو حفص عمر وتولى بعده اخوه المستعصم بالله ابو يحيى زكريا وهو السابع والاربعون من خلفاء بني عباس والعاشر منهم بمصر .

٢٠ وفيها قبض السلطان برقوق على بيدمر نائب دمشق وقتله واليه ينتسب حمّام بيدمر بدمشق وولي في نيابة دمشق الطنبغا الجوباني . وكان مترئس على موارنة قبرس الاسقف يعقوب المتريني .[١]

١) الدرر الحسان ص ٥٠٢

١٣٨٧م : ٧٨٩هـ بدوءها ٢٢ك٢ ث

عصيان يلبغا ومنطاش

(١٤٦) في سنة الف وثلثماية وسبع وثمانين مسيحية عصى يلبغا الناصري نائب حلب وتمربغا منطاش الافضل نائب ملطيه وخرجوا من طاعة السلطان بسبب قتلة بيدمر نائب الشام.[١]

١) الدرر الحسان ص ٥٠٢

١٣٨٨م : ٧٩٠هـ بدوءها ١١ ك٢ س

الناصري يخلع برقوق ؛ القتال بين امراء الغرب وعشران البر ؛ برقوق يعود الى الملك ؛ يزور بشري وقنوبين ؛ مقتل مراد اورخان بن عثمان

في سنة الف وثلثماية وثمان وثمانين مسيحية يقول ابن سباط[١] ان جهز الملك برقوق الجيوش المصرية بكثره وافره وقدم على العساكر جركس الخليلي امير ياخور الى مقاتلة الناصري يلبغا وتمربغا منطاش : فجمع الناصري ومنطاش عساكر الشام والعربان والتراكمين واهل كسروان والجرديين وجرت بينهم حروب كثيرة : فانتصر منطاش والناصري على عساكر مصر وقتلوا جركس قائد الجيش واستولوا على الممالك واعطوا نيابة الشام الى اخوطاز جنتمر وساروا بالجيش الى الديار المصرية ؛ فاختفى الملك الظاهر وخامرت عليه عساكر مصر بسبب اهلاكه الناس واتفقوا مع الناصري ومنطاش وصاروا مشد واحد : فخلعوا الملك الظاهر برقوق من السلطنة واعادوا في الاول العشر من جماد الثاني الملك الصالح حاجي ولقبوه بالملك المنصور وكانت مدة ولاية الملك الظاهر برقوق ست سنين وثمانية اشهر وستة عشر يوم.

وفيها كان القتال بين امرا الغرب التنوخيه وبين عشران البر اهل كسروان

٢٠ والامرا اولاد الاعما(٣). فالتنوخيه كانوا في الميل الى الملك الظاهر والكساروه تابع منطاش مع ارغون(٤) تابع منطاش ببيروت فاستظهروا اهل كسروان على امرا الغرب. وقتلوا منهم نحو تسعين نفر ومسكوا جماعه فسمروا منهم البعض ووسطوا البعض ونهبوا ما وجدوا ببيروت الامرا الغرب. وحرقوا عدة قرايا ٢٥ من الغرب وهي عيب وعينعنوب وشملان وعيتات وغيرها وتلقبوا (١٤٧ بعشران البر. ثم ان الملك الظاهر تباين على يد الطنبغا الجوباني نائب الشام بأمان ويمين ولكن الناصري ما وافقه على ذلك بسبب ما تعاهدوا به للملك حاجي واعتمد على قتل الملك الظاهر فجهزوه الى الكرك وسجنوه بها واقاموا ٥ حسن الكشكلي نائباً على الكرك. ثم ان منطاش قبض على الجوباني وعلى الناصر اعتقلها وارسلها الى الاسكندرية وكتب الى الكشكلي نائب الكرك بقتل الملك الظاهر فلم يؤثر بقتله بسبب ما صار بالناصري الذي كان ولاه على الكرك بل افرج عنه (بسبب)(٥) انه خرج بزي درويش استعطف خواطر ١٠ الناس: ثم جمع اليه مماليكه وعسكر الكرك فركب على باكيش نائب غزة فقتله وغنم مما كان معه: ثم توجه الى الشام فواقعه جنتمر نائب الشام فظفر به برقوق واستمر على حصار دمشق: ثم حضر اليه قمش بغا الحموي نائب حلب ومعه جموع وخيام واثقال كثيرة فقوي عليه الظاهر برقوق: ثم ان ١٥ العساكر الظاهرية قصدوا تركمان كسروان وتواقعوا في الساحل بجورة منطاش في زوق ميكائيل فقتلوا منهم الامير علي واخاه الامير عمر بني الاعما وجماعة كثيرة ونهبوا زوق التركمان: ثم ان تمربغا منطاش خرج من مصر بالسلطان حاجي وفي العساكر المصرية وصار بين الفريقين حرباً شديد ووقع كثيرة: ٢٠ آخرها ان انتصر الملك الظاهر برقوق وقبض على المنطاش وعلى الملك حاجي بشقحب: ولما تدروش الملك الظاهر قدم الى قرية بشري شرقي طرابلوس فاقام الشدياق يعقوب ابن ايوب مقدماً وكتب له بذلك صفحة من نحاس: ثم نزل الى دير قنوبين فاقتبله القس بطرس رئيس الدير بكل ٢٥ كرامه فحرر على صفحة بان ديره يكون معافى وان تكون له الرئاسة على كافة الاديرة بتلك الجهات: وعندما عاود الملك الظاهر الى الكرك كان البطرك داود (١٤٨ الذي تكنى يوحنا قاطن بارض حردين بدير مار سركيس القرن فقسم القس بطرس اسقفاً وقرره بدير قنوبين: وسمى

قنوبين من اجتماع الرهبان وكان يقال له دير المائتين راهب وقد ابتناه تاودوسيوس ملك الروم منذ الف ونحو ثلث عشرة سنة .

٥ وفي هذه السنة توفي الملك مراد بن اورغان ابن عثمان افتتح ادرنه فقتله رجل نصراني كان حامل الخنجر بكسه ومن تلك النعليه لم يدخلوا احد الى السلطان اذ لم يفتشوه اولا وكانت مدة ولايته حادية وثلثين سنة وتولى بعده السلطان يعدار ابا يزيد خان .

١) ابن سباط ص ٣١٥ – ٢) في النثر الاول ف ن ب – ٣) راجع رشيد الشرتوني تاريخ الطائفة المارونية ص ١٢٠ – ٤) ناقص ف ن ب – ٥) ما بين هلالين ناقص في ف ن ب

١٣٨٩م : ٧٩٢هـ بدوءها ٢٠ ك١ أث

خلع حاجي : خلع المعتصم

١٠ في سنة الف وثلثماية وتسع وثمانين مسيحية جلس الملك الظاهر ثاني مرة على تخت السلطنة فخلع عليه الخليفة والقضاة ؛ فخلع من السلطنة الملك المنصور حاجي واعتقاله بمصر وامر بخروج الناصري والجوباني من حبس الاسكندرية فقرر الناصري على نيابة حلب واعطى الجوباني نيابة الشام .

١٥ وفيها خلع المعتصم بالله من الخلافة وتكررت ثاني مرة على المتوكل على الله [1] .

١) النزر الحسان

١٣٩١م : ٧٩٤هـ بدوءها ٢٩ ت٢ أر

قرا يوسف يفتح تبريز

في سنة الف وثلثماية واحدى وتسعين مسيحية أخذ قرا يوسف بن قرا

محمد امير التركمان بالشرق مدينة تبريز وأرسل مفاتيحها الى الملك الظاهر
٢٠ فأرسل اليه تشريفه فلبسه واستمر نائباً بها .[1]

١) النزر الحسان ص٥٠٥ سنة ٧٩٣ هـ

١٣٩٢م: ٧٩٥هـ بدؤها ١٧ ت٢ أح

ظهور تمرلنك

في سنة الف وثلثماية واثنتين وتسعين مسيحية قدم الى مصر السلطان احمد ابن اويس سلطان بغداد هارباً من تمرلنك ملك التتر واخبر ان تمرلنك اخذ ساير بلاد العجم والعراق وتبريز (١٤٩ والديلم طالباً النجدة من الملك الظاهر . فخرج الملك الظاهر لملاقاته وامرا الامرا بالمشي في خدمته .[1]

١) النزر الحسان ص ٥٠٥

١٣٩٣م: ٧٩٦هـ بدؤها ٦ ت٢ خ

برقوق يناصر سلطان بغداد

في سنة الف وثلثماية وثلث وتسعين مسيحية قدم السلطان برقوق الى
٥ جهة حلب بسبب تمرلنك ومعه احمد سلطان بغداد ولما وصل لدمشق خلع عليه وجهزه بشعار الملك الى بغداد فاسترجعها وضرب السكة باسم السلطان الظاهر برقوق .[1]

١) النزر الحسان ص٥٠٥

١٣٩٤م: ٧٩٧هـ بدوءها ٢٧ ت١ ث

بايزيد سلطان الروم

في سنة الف وثلثماية واربع وتسعين مسيحية وصل رسول السلطان ابا يزيد بن عثمان في طلب تشريف من الخليفة فشرفه ولقبه بسلطان الروم.[١]

١) الدرر الحسان ص ٥٠٥ — ٥٠٧

١٣٩٥م: ٧٩٨هـ بدوءها ١٦ ت١ س

فتوحات بايزيد

١٠ في سنة الف وثلثماية وخمس وتسعين مسيحية حصر السلطان ابا يزيد سيواس فملكها واخذ بلاد قرمان[١]

١) الدرر الحسان ص ٥٠٥

١٣٩٨م: ٨٠١هـ بدوءها ١٣ ايلول ج

وفاة برقوق وجلوس فرج

في سنة الف وثلثماية وثمان وتسعين مسيحية في ثالث عشر شوال توفي الملك الظاهر برقوق بن عبد الله : وتولى بعده ولده الملك المنصور عبد ١٥ العزيز وهو الثاني من الملوك الجراكسه بمصر فخلع قبل ان تطول ولايته : واتفقوا على ولاية اخيه الملك الناصر زين الدين فرج وله من العمر اثنتا عشرة سنة وهو الثالث من ملوك الجراكسه بالديار المصرية.[١]

١) الدرر الحسان ص ٥٠٦

١٣٩٩ م : ٨٠٢ هـ بدوءها ٣ ايلول ار

عصيان تنم وهزيمته

في سنة الف وثلثماية وتسع وتسعين مسيحية قصد تنم نائب الشام العصيان وتوجه اليه بالشام اعيان امراء مصر وانضم اليه مماليك النواب الى مقاتلة المصرية . فجمع الملك الناصر العساكر وسار من مصر الى الشام وتواقع الفريقان في ثالث وعشرين رجب الى (١٥٠ الرمله وكانت النصرة للملك الناصر فاهلك غالب الامرا العصاة وولى على نيابة دمشق سودون ابن اخت برقوق ورجع الى الديار المصرية منصوراً [1]

[1] النوز الحسان ص ٦ ٥

في الجيل الخامس عشر

١٤٠٠ م : ٨٠٣ هـ بدوءها ٢٢ آب اح

ناصر الدين فرج ؛ داود يوحنا البطريرك ومطارنته ؛ مقدم بشري ؛ تمرلنك في مرج دابق ؛ فتح حلب بالسيف ؛ هرب اهل الشام ؛ خراب حماه ؛ احجام المصريين عن حماية دمشق ؛ الغلاء والجراد والوباء

سنة الف واربعماية لميلاد السيد المخلص توافق لستة آلاف وتسعماية وثمانية لكون العالم ولسنة الف وسبعماية وحادية عشرة يونانية ولسنة الف ومماية وست عشرة للشهداء ولسنة ثمانمية وثلث للهجرة ؛ كان مقلد سلطنة الجراكسة بالديار المصرية الملك الناصر زين الدين فرج بن برقوق ونائبه بدمشق سودون . وبكرسي الانطاكي البطرك داود المكنى يوحنا . ومطارنته بطرس بدير قنوبين ويعقوب من قنيا بالحدث وبطرس بن القس سمعان

باهدن وقوريللوس الجاجي وداود بن جوسلين الحدشيتي وكان المقدم على الجبة الشدياق يعقوب البشراني .

وفي هذه السنة تملك تمرلنك العجم والفرس والديلم والعراقين وطبرستان
١٥ وارمينية والموصل والجزيرة وجمع عساكرهم بشبه الجراد وقصد بلاد الشام .
فلما بلغ من الدهر ما راد ارسل الى السلطان رسلاً ومعهم هدية وكتاب .
فلما وصلوا الى رحبة مالك ابن طوق وثب عليهم كمش بغا النائب فقتلهم وارسل الى السلطان الهدية والكتاب . فخرج سنبغا بالعساكر المصرية وانتقل سودون
٢٠ بالجيوش الشامية الى حمص واجتمعت اليه النوب من صفد وبيروت وطرابلوس وغيرهم فدخلوا حلب في اول شهر ربيع الاول . ونزل تمرلنك بجيوش التتر مرج دابق وارسل الى نائب حلب تقليداً وتاج مرصع وسيف محلا وترخاش وهدية من مفاخر القماش . (١٥١ فلما وصلت رسله الى حلب قبض عليهم النائب فقتلهم ولم يرد لتمرلنك جواباً وارسل الهدية والكتاب الى السلطان .
فلما بلغ ذلك تمرلنك اشتد غضبه وجرد بالعساكر الى نحو حلب فتلاقت
٥ الجمعان خارج المدينة وكثر القتال والضرب بينهم فانكشفت عساكر الشام وقصدوا المدينة فقتل منهم تمرلنك واسر شي لا يحد وغنموا جماعته بما يفوت الحد ثم نصب المناجيق على حلب وحاصرها اشد حصار فذلت قلوب اهلها وقويت شوكة التتر فملكوها وعظمت بها الاهوال وخطفت الاموال هدر دماها ودرست زينتها ولم ير بها الا القتال والنهب والقتل والصياح والضربات من
١٠ اربع اركانها . فاحتمت الامراء والنواب بالقلعة وتحصنوا بها . ورحل تمرلنك الى المعظّم وشد الحصار على القلعة . وفي يوم الاربعا نصف الشهر طلبوا الامان ونزل الى عنده سنبغا الدوادار وكيتم التركماني فسلماه القلعة ومفاتيحها . فامنها وخلع عليها ثم صعد الى القلعة قبض على النواب
١٥ واودعهم بالقيود وقتل وأسر واستخرج منها شيء لم يوصف . ثم قصد تمرلنك دمشق وبلغ المعرة بالجيش . فجفلت اهل دمشق وكثر صياح النساء وصريخ الصبيان قلت قلوب الناس وتشتت الاعيان فالبعض قصدوا قلعة ارنون والبعض قلعة شقيف تيرون وآخرون غيرها من المواضع الحصينة .
وكان كرى البغل لبيروت ثماية والى الرملة بثلثماية . وحارت الناس بأمرها
٢٠ ثم اتفق الرأي وشرعوا بالقتال واستنجدوا بالعساكر المصرية واخذوا الاموال

من التجار واشتروا آلات الحصار ونصبوا المدافع على الاسوار واجروا الأمياه في خنادق الانهار ومنعوا الناس عن الهرب والسفر وان من هرب تنهب ارزاقه ؛ ثم وصلت الأسرى من جهة حلب واخبروهم بما شاهدوا من القتل والفسق ٣٥ والمنكرات فاستلت قلوب الناس خوفاً فتركوا اموالهم وانهزموا بشبه السيل الدافق في اماكن مختلفة . ثم قدم سنبغا الداودار ونواب صفد وطرابلوس وبيروت في الخلقان وهم (١٥٢ ينادون الفرار[1] ؛ فضاقت بهم ارموا السلاح وركبهم الرعب وتشتتوا كل واحد في مكان . ثم ان تمرلنك ارسل ولديه مهران شاه ومارددين شاه الى فتح حماه فاستقبلوهم اهلها بالضيافة فرضيوا منهم أقاموا ٥ عليها نائباً أخذوا الهدية التي قدموا لهم ورحلوا عنها . ثم ان وثب أهل حماة على النائب فقتلوه فلما بلغهم ذلك رجعوا الى حماة فقتلوا ونهبوا واحرقوا غالب البلد ثم وضعوا الحصار على القلعة وبعدهم تمرلنك بعشرين الف مقاتل فلكوها واتقوا من تحصن بها في المهالك فدرست محاسنها وانبدلت معالمها . ثم ١٠ ان تواترت الاخبار بخروج السلطان من مصر وقدومه الى بلاد الشام فتطمنت الخواطر ومسكت الناس بعضها بعض وتهيوا للحصار وعندما دخل السلطان دمشق قبلوه بفرح عظيم ترل بالقلعة فرّق عليهم السلاح والغلال واشتدوا كلهم للقتال ؛ فتخوف تمرلنك من قدوم السلطان وعزم الى الحرب والرجوع ١٥ لبلاده . ولكن دخل الى السلطان واحد من خواصه وخوّفه من الاعداء وكثرتهم وشدتهم وقال له لا بد ان تمرلنك يملك الشام فتفوتك مصر فلا تتأخر ولا تنام ؛ فأثر فيه الكلام وخرج ليلاً من القلعة فترك الشام وطلب الرجوع الى الديار المصرية فجعل دربه على جبل[2] البقاع العزيزي فبات ثاني ٢٠ ليلة بسفح جبل لبنان عند الصفصاف بين قريتي نيحا وجباع الحلاوه لئلا يعلم به احد وتوجه على طريق الساحل ودخل مصر ؛ فلما بلغ تمرلنك هرب السلطان داخله الطمع واحتاط دمشق بالعساكر من قبة يلبغا الى الرمة الى ميسنون . فملكها قتل ابناها وهتك نسوانها واحرقها من اربعة اركانها ٢٥ احرق الجامع الاموى على النساء واخرب المساجد والمدارس والمعابد هدم قلعتها ودرست نعمتها وتغيرت محاسنها وذهبت اماكنها . وقيل عنه انه كان يأمر بجمع الاولاد فيرموهم بالخنادق لتدوسهم الخيل (١٥٣ والبقر ويلقوهم في البيارة ويرموا عليهم حجار عظام[3] فيسمع لهم صياح وصراخ[4] ؛

ولم يخرج تمرلنك من دمشق حتى جاءها الجراد فغطى بكثرته السماء والارض وكان ظهوره في التاسع والعشرين من آذار فأكل النبات وترك الارض عريانة ٥ كما كانت في الكوانين . ثم في الثاني وعشرين من ايار طلع الزحاف من الساحل فارتعى الكروم والاشجار حتى الحرش والغابات . فلما نظر ذلك تمرلنك رحل من دمشق ، ولم يبق فيها ساكن ولا مقيم عن عظمها وذلك جميعه بعدل الله واحكامه لاجل خطايا اهلها وارتكابهم الفواحش . بعد الجراد ونكب ١٠ الاموال والاغلال من العساكر دخل الغلا الشديد والوبا الذي ما عليه مزيد وصارت خلق بضيق لا يوصف وغلت الاسعار حتى ان شنبل القمح زاد على الخمس والمكس على الثلاثين . فأكلت الناس عبيدهم وجوارهم واولادهم والجيف وفنيت[٥] اكثر الماشية . ومن زيادة الوبا وقعت اموات كثيرة بلا دفن كما خبر الاسقف يعقوب من قنيا وكان قاطن بلحفد بدير ١٥ السيدة المعروف بدير المرج [٦]

١) ثم قدم سنبا الداودار فضاقت جم ونواب صفد وطرابلوس وبيروت في الخلقان وهم ينادوا الفرار ؛ ادروا السلاح ق - ٢) جبال ق ن ب - ٣) كدش - ٤) وصراخ شديد ف ن ب - ٥) وفنيت الناس واكثر الماشية ف ٦) الغرر الحسان ص ٥٠٧ - ٥١٥

١٤٠١ م : ٨٠٤ ه بدؤها ١١ آب خ

السعي في عمار دمشق وحلب

في سنة الف واربعماية وواحدة استقر في نيابة دمشق الامير اقبغا الجمالي ثم نقلوا من نيابة طرابلوس الى دمشق الشيخ محمود الخاصكي وشرعا في عمارتها . وفي نيابة حلب استقر الامير دقمق الخاصكي وسعى في عمارتها [١]

١) الغرر الحسان ص ٥١٥

١٤٠٢ م : ٨٠٥ ه بدؤها ١ آب ت

وفاة ابن الشحنة ؛ مصالحة تمرلنك

٢٠ في سنة الف واربعماية واثنتين انتهى تاريخ القاضي شمس الدين محمد ابن

الشحنة الحلبي ثم عاش قليلا ومات . وفيها وصلت رسل تمرلنك مع هدايا عظيمة الى السلطان فرج واعتذر مما صدر منه ووقع الصلح ما بينهما .[1]

١) التبر المسبوك ص ٥١٥

١٤٠٤ م : ٨٠٧ هـ بدوءها ١٠ تموز خ

وفاة السلطان ابا يزيد : اسقف اهدن

في سنة الف واربعماية واربع مسيحية توفي السلطان يلدرم (١٥٤ ابا يزيد عن اربعة بنين وهم عيسى وموسى وسليمان وقاسم كانت مدة سلطنته ست عشرة سنة ووقع الخلف بين اولاده وقتال مدة اثنتيعشرة سنة . وبها كان مترئس على اهدن الاسقف بطرس بن الخوري سمعان .

١٤٠٥ م : ٨٠٨ هـ بدوءها ٢١ حزيران أث

وفاة المتوكل : السلطان فرج يطرد نعير البدوي من دمشق

في سنة الف واربعماية وخمس مسيحية في رجب توفي المتوكل على الله ٥ وبويع بالخلافة بعده ولده المستعين بالله ابو الفضل عباس وهو الثامن والاربعون من خلفاء بني عباس والحادي عشر منهم بمصر . وفيها تغلب نُعير بن مهنا الحياري البدوي على الاعمال الشامية فملكها وكان معه من العربان ١٠ خلقاً كثير فقصد دمشق مع نائبها يلبغا الناصري عند قرية عذرا خارج المدينة فانهزم النائب واستولى نعير على دمشق فطردت الناس من جوره وكثرة عساكره فخرج اليه من مصر السلطان فرج بالعساكر المصرية : فازاحه عنها وعن الامصار الشامية شمر الجامع الاموي ومهد امور البلاد امر الناس بالعمارة ١٥ والعوده اليها .[1]

١) التبر المسبوك ص ٥١٦

١٤٠٧م : ٨١٠هـ بدوءها ٨ حزيران ار

محمد ابن بلدار

في سنة الف واربعماية وسبع مسيحية تولى السلطنة محمد ابن بلدار في ناحية الشمال وتطمن البلاد من القتال الذي كان بينه وبين اخوته [1]

١) الدرر الحسان ص ١٧د

١٤٠٨م : ٨١١هـ بدوءها ٢٧ ايار اح

الحرب الاهلية

في سنة الف واربعماية وثمان مسيحية جرت حروب كثيرة بين الشيخ الخاصكي وبين امراء دمشق وكانت قصة جركس المصارع. [1]

١) راجع تفصيله في النجوم الزاهرة ٦ ص ١٩٣ سطر ٦ وخبر مقتل جركس القاسمي المصرع عن يد نوروز على كروم جليك

١٤٠٩م : ٨١٢هـ بدوءها ١٦ أيار بخ

الطاعون

في سنة الف واربعماية وتسع مسيحية كان الطاعون في بلاد الشام

١٤١٠م : ٨١٣هـ بدوءها ٦ ايار ث

اخبار نيروز والملك فرج

سنة الف واربعماية وعشر مسيحية جمع نيروز جيوش كثيرة (١٥٥ فاستولى على الشام وقتل اعيانها باخبار يطول شرحها ثم ان خرج الملك الناصر فرج من مصر بالعساكر فدخل دمشق ونزل بالقلعة اقام بها وأمر بالعمار

١٤١١ م : ٨١٤ هـ بدوءها ٢٥ نيسان س

مقتل فرج ؛ مؤامرة الخاصكي

في سنة الف واربعماية واحدى عشرة مسيحية كان مقتل السلطان فرج ابن برقوق في قلعة دمشق في سادس عشر صفر ؛ ووقع الخلف بين امراء دمشق ومماليك السلطان . فاتفق راي الامراء وبايعوا الخليفة المستعين بالله بالخلافة والسلطنة وجلسوه على تخت السلطنة بدمشق ؛ فاعطى لنيروز[1] نيابة دمشق وجعل الشيخ الخاصكي اميراً كبير اتابك العساكر المصرية بالقاهرة . ثم انه في تاسع عشر ربيع الاول سار من دمشق الى مصر وجلس على كرسي الملك بقلعة الجبل . ثم ان في ثالث شعبان تآمر عليه الشيخ الخاصكي فخلعه من السلطنة والخلافة واعتقله بالاسكندرية ودعى لنفسه بالسلطنة وتلقب بالملك المؤيد وهو التاسع والعشرون من ملوك الترك والرابع من الجراكسة بالديار المصرية ؛ وبايع بالخلافة المعتضد بالله ابو الفتوح داود ابن المتوكل واخو المستعين[2] وهو التاسع والاربعون في خلفاء بني عباس والثاني عشر منهم بالديار المصرية ؛ وكان مدة ملك المستعين بالخلافة نحو سبع سنين وبالسلطنة نحو من ستة اشهر .[3]

١) نوروز — ٢) المتوكل على الله اخو المستعين بالله ف — ٣) وجاء في الغرر الحسان ان المبايعة كانت للمستعين ص ٥١٧ وراجع النجوم الزاهرة ٦ ص ٢٥٠ .

١٤١٢ م : ٨١٥ هـ بدوءها ١٣ نيسان ار

مقتل نيروز

في سنة الف واربعماية واثنتي عشرة مسيحية خرج الملك المؤيد بالعساكر المصرية الى مقاتلة نيروز وجرت بينهما حروب بظاهر دمشق ؛ آخرها قبض السلطان داود على نيروز وقتله ؛ قهر اعداءه وتولى السلطانية بالديار المصرية والشامية .[1]

١) الغرر الحسان ص ٥١٨ سنة ٨١٥ هـ

١٤١٣ م ، ٨١٦ هـ بدوءها ٣ نيسان اث

المؤيد يحارب الافرنج

في سنة الف واربعماية وثلث عشرة مسيحية عمّر السلطان داود في دمشق المدرسة المؤيدية والسوق المنسوب اليه وعندما دنت الفرنج (١٥٦ في المراكب نزل قاتلهم على نهر الدامور بين صيدا وبيروت فظفر بهم ورجع من طريقه فبات في وادي الفريديس على رأس نهر قرية الباروك بسفح جبل لبنان [1]

(١) الدرر الحسان ص٥١٩

١٤١٩ م ، ٨٢٢ هـ بدوءها ٢٨ ك٢ س

المؤيد في مصر

في سنة الف واربعماية وتسع عشرة مسيحية رجع السلطان المؤيد داود من دمشق الى مصر . وبها في السادس عشر من شباط توفي الاسقف داود ابن جوسلين الحدشيتي .

١٤٢٠ م ، ٨٢٣ هـ بدوءها ١٧ ك٢ ار

وفاة المؤيد ؛ خلع المظفر ؛ وفاة الظاهر ططر

في سنة الف واربعماية وعشرين مسيحية ثامن شهر المحرم توفي الملك المؤيد الشيخ الخاصكي بالقاهرة وكانت مدة سلطنته ثمان سنين ونصف .[1] وتولى بعده ولده الملك المظفر أحمد وعمره سنة وسبعة أشهر وهو الثلثون من ملوك الترك والخامس من الجراكسة بمصر ؛ ثم وثب عليه الامير ططر فاخلعه من السلطنة في ثمانية وعشرين من شعبان وتولاها عوضه وتلقب بالملك الظاهر ططر ابن عبد الله . فبايعه الخليفة والامراء لصغر الملك المظفر في الثامن وعشرين لشعبان[2] ؛ ثم توجه الى مصر ومات في الرابع ذي الحجة

١٥ وكانت مدة سلطنته نحو ثلثة اشهر . ثم تولى المملكة بعده ولده الملك الصالح محمد وهو الثاني وثلثون من ملوك الترك والسابع من الجراكسة بالديار المصرية . وكان ابو السعادات برسباي المتكلم عنه في المملكة

١) الغرر الحسان ص ٥٢٠ — ٢) الشعبان بدمشق ف ن

١٤٢١ م : ٨٢٤ هـ بدوءها ١٦ ك ١ ج

وفاة محمد به بلدار ؛ خلع ططر وجلوس برسباي ؛ زيادة تاريخ الزملكاني

في سنة الف واربعماية وحادية وعشرين مسيحية توفي السلطان محمد ٢٠ ابن بلدار في بلاد الروم وتولى بعده ولده السلطان مراد وكانت مدة سلطنة الملك محمد تسع سنين. وفيها يوم الاربعه ثامن ربيع الاول خلع من السلطنة الملك محمد بن ططر وجلس على كرسي السلطنة الملك الأشرف ابو السعادات برسباي وهو (١٥٧ الثالث وثلثون من ملوك الترك والثامن في الجراكسة بالديار المصرية . ففوض نيابة الشام على تانبيك ميق ثم بعده الى تنبك البجاسي وعندما عصي نوب عوضه سودون عبد الرحمان ثم جار قطني ثم قصروه ثم نقل اينك الحكمي من نيابة حلب ٥ الى نيابة الشام فاستمر بها الى ان مات الملك الأشرف. وفي هذه السنة انتهى تاريخ شمس الدين محمد الزملكاني وسماه عمدة الظرفاء في اخبار الخلفاء.

١٤٢٤ م : ٨٢٨ هـ بدوءها ٢٣ ت ٢ خ

مراكب الافرنج في مياه مصر ؛ مهاجمة قبرس وغزوها

في سنة الف واربعماية واربع وعشرين مسيحية قدمت مراكب فرنج الى ١٠ ناحية مصر واخذوا مركب كبير . فرسم السلطان الأشرف بشد التعمرة في مينة طرابلوس وارسل ثلاثة امراء من مصر وامير الشام وامير حلب وامير صفد. مع امير طرابلوس باربعين قلع كبار وصغار على قتال ملك قبرس . فتوجهوا أولا الى جهة الماغوصه ثم الى جهة الملاحة برأس العجوز فالتقوا باثني

١٥ عشر غراب ومركب كبير ؛ وجا الخندس طايبل اخو السلطان بعماره كبيره وتقاتل الجمعان وكانت الكسره على القبارسه فنهبوا واسروا نحو سبعماية اسير واخذوا خمس عجلات تجرها البقر وعليها مدافع وسلاح ثم قصدوا حصن اللامسون فنهبوه وهدموه وأسروا من فيه.[1]

1) الدرر الحسان ص ٥٢١

١٤٢٥م: ٨٢٩هـ بدوءها ١٣ ت٢ ث

ملك قبرس اسير في مصر ؛ الافراج عنه

في سنة الف واربعماية وخمس وعشرين مسيحية سارت عمارة مصر الى ٢٠ قبرس فملكوا ثانياً حصن اللامسون وتواقع الجيشان ؛ فانهزمت القبارسة قتل الخندس طايبل اخو الملك وأسر ملك قبرس وخرب الجيش قرا كثيرة حتى وصلوا الى الافقسية فاحرقوا دار الملك ودور كثيره واسروا ونهبوا ؛ ثم عاودوا بالملك وبالمكاسب الى الديار المصرية فرتبوا جند مصر صفين امام ٢٥ باب القلعة ودخلوا الملك بين الصفين وهو راكب بغلا والنهب والاسرى تساق قدامه ؛ وحين أحضروه على السلطان قبلوه الارض ؛ ثم امر السلطان (١٥٨ برفعه للسجن فقطعت مصلحته بمايتين الف دينار وللحرمين خمسة الاف ؛ ثم خلع عليه السلطان خلعة عظيمة واكرم عليه بفرس بسرج ذهب وكنبوش ذهب وأمره يسلّم على امراء الكتّاب ؛ وعندما سافر خلع عليه ايضاً فسار الى الاسكندرية ومن هناك الى قبرس.[1]

1) الدرر الحسان ص ٥٢١ – ٥٢٢

١٤٣٦م: ٨٤٠هـ بدوءها ١٦ تموز أث

وفاة برسباي ؛ جلوس العزيز يوسف وخلعه

٥ في سنة الف واربعماية وست وثلثين مسيحية في الثالث وعشرين ذي

الحجة توفي الملك الاشرف برسباي بعلة الاستسقى وملك بعده ولده العزيز يوسف وهو الرابع وثلثين من ملوك الترك والتاسع من الجراكسة . وفي اليوم الرابع وتسعين من ولايته قبضوا عليه فخلعوه من السلطنة وحبسوه بقلعة الجبل .

١٤٣٧ م : ٨٤١ ه بدوءها ٥ تموز ج

السلطان جومق الايناني ؛ فتنة الامراء ومقتلهم

١٠ في سنة الف واربعماية وسبع وثلثين مسيحية في السابع عشر من ربيع الاول جالس على تخت السلطنة بالقاهرة الملك الظاهر جومق الايبالي بن عبد الله فاضطربت المملكة في ولايته من القاهرة الى حلب وقصدوا العصيان ارمش نائب حلب واينال الجكمي نائب الشام وقرقماس في القاهرة . فقبض عليهم ١٥ السلطان وقتلهم كل واحد في بلاده ثم قبض على روس خواص الملك الأشرف وقتلهم ثم قدم الى نيابة الشام جليان فعدل في الرعية وتمكن من الاموال .[1]

١) هو جقمق العلائي راجع النجوم الزاهرة ٧ ص ٣٢ وما بعدها

١٤٣٨ م : ٨٤٢ ه بدوءها ٢٤ حزيران ث

البابا اوجانيوس ومجمع فرارا وفلورنسا ؛ رسالة يوحنا الجامي الى البابا ...

في سنة الف واربعماية وثمان وثلثين مسيحية كان جالس على الكرسي الرسولي برومية اوجانيوس الرابع ولشدة غيرته لاصطلاح البيعة وان ٢٠ الكنيسة الشرقية والغربية تكون ديانتها واحدة في قواعد الايمان رسم بعقد مجمع عام في مدينة فرارا من بلاد ايطاليا . وأنفذ مراسيله بمكاتيب المودة والعزيمة الى يوحنا فاليلوغوس ملك الروم والى يوسف بطريرك القسطنطينية والى سائر البطاركة وروساء الكهنة في المسكونة غرباً وشرقاً . وفي الثامن من تشرين الاول كان اجتماعهم في مدينة فرارا[1] . وبسبب (١٥٩) ان الطاعون

كان شديد بهذه السنة منذ دخول الخريف خاصة في تلك المدينة اضطروا يرحلوا منها ويتوجهوا الى مدينة فلورنسا لكونها أفرج من المنايخ وفي الخرج .
وفي هذه السنة كان البطرك يوحنا الجاجي قاطن بسيدة ميفوق
٥ بارض ايليج وعندما وصلت اليه مكاتيب البابا اوجان ارسل البادري فراجوان ورديان وريس الرهبان الصغار بمدينة بيروت . اولاً بسبب تقدمة الطاعة للبابا المذكور كما حق لمن هو حافظ نيابة السيد المسيح على الارض .
ثانياً انه مستقبل في جميع ما تسنه الاباء الملتئمين بروح القدس بذلك المجمع .
ثالثاً لاجل طلب درع البطركية والثبات على الكرسي الانطاكي وكذلك
١٠ الموارنة القاطنين في القدس الشريف وجيرته انفذوا مكتوب اخر صحبة البادري فرا البرتوس.

١) بارونيوس ٢٨ ص ٢٥٢ وما بعدها

١٤٣٩م : ٨٤٣هـ بدوءها ١٤ حزيران اح

الوفد الماروني في مجمع فلورنسا ؛ مكاتيب البابا الى الموارنة ؛ عودة فرا جوان واعتقاله ثم الافراج عنه

في سنة الف واربعماية وتسع وثلثين في الثاني وعشرين من شهر شباط كان بدو المجمع في مدينة فلورنسا . فانعرضت مكاتيب البطرك يوحنا
١٥ وشعب الموارنة الذي[1] بجبل لبنان والذين بالقدس لقدس البابا اوجان وللاباء الأطهار الملتئمين به . فثبته بطركاً على كرسي انطاكية وأنعم عليه بدرع الرئاسة وبتاج وبدلة جميلة وفي سائر الغنناما[2] التي كانت للذين سلفوا قبله بالرحمة على الكرسي الانطاكي على يد وكيله البادري فراجوان[3] ورديان بيروت ؛ وكذلك بعث مكاتيب[4] اخر الى موارنة القدس على صورة المكاتيب
٢٠ التي انفذها الى روساء البيعة يخبرهم به عما احتمل من المشقة والتكاليف حتى اجتمع بالباليوغوس ملك الروم ويوسف بطرك القسطنطينية مع روساء بغير عدد وقصاد ملوك الغرب وعلماء من ساير الدنيا في ذلك السونودوس . وان ارتفع الانشقاق الذي منذ اربعماية وخمسين سنة دخل بين الكنيسة الشرقية

٢٥ والغربية وصار اتفاق كلي بينهما بغاية الفرح والسرور كما يخبرهم فرا البرتوس وكيلهم بالتفصيل . حرر في العشر الاول من حزيران بمدينة فلورنسا . وفي (١٦٠ التشارين كان قدوم البادري فراجوان ورفاقه الى مينة طرابلوس . فلما شاع الخبر بوصول التثبيت للبطرك صار فرح وبهجه عظيمة في المدينة . وبرهان حتى ان نائب طرابلوس قبض على فراجوان ورفاقه من الوهم ان ملك الروم ما دخل بلاد الفرنج ولا صار المجمع الا ليكن مشدهم واحد ٥ لاستخلاص الارض المقدسة من يد سلطان[٥] مصر . ثم ان البطرك يوحنا جهز ناس يكفلوهم[٦] ويطيلعونهم وبعدما طلعوا الى دير ميفوق وقدموا له مكاتيب البابا ودرع تمام الرئاسة توجهوا الى بيروت فلما بعث النائب بطلبهم[٧] ولم يحضروا ارسل نكب الدير ومسك الرهبان وقبض على الكهلاء نهب بيوتهم ١٠ وحرقها وغرمهم وقتل ناس منهم وكانوا من اعيان الطائفة

١) الذي ن — ٢) المفروتامات ف ومنه الامتيازات — ٣) راجع لامنس في مجلة الشرق المسيحي ١٨٩٩ ص ٧٣ — ٤) مكتوب ف ن — ٥) ملك ف — ٦) يكفلوهم ش — ٧) في طلبهم ف

١٤٤٠م : ٨٤٤ هـ بدوءها ٢ حزيران خ

يوحنا الجاجي في قنوبين ؛ تحريره الى رومة عن يد فرا بترو ؛ جواب البابا

في سنة الف واربعماية واربعين مسيحية البطرك يوحنا الجاجي ترك دير سيدة ميفوق وسار الى دير سيدة قنوبين بارض الجبة واخذ السكنة بها تحت حماية المقدم يعقوب واولاده وكان صحبته الاسقف شمعون من ١٥ مشمش . ثم انه ارسل أحضر لعنده البادري فرا بترو[١] من فرار من الرهبان الصغار وسفره الى فلورنسا بمكاتيب يستكثر بها فضل البابا عما أنعم به عليه ويتعهد له انه وهو وكل أهل رعيته يقبلون بطيبة الرضى تعاليمه وان لهم[٢] امل ثابت بكرسي مارى بطرس وبالذين يتخلفوا بعده على شبه الذين سلفوا ٢٠ قبله على الكرسي الانطاكي . فالراهب بطرس تودع من البطرك بشهر اب من هذه السنة وسار الى فلورنسا حضر على البابا . وفي نصف كانون

الثاني من السنة الثانية أخذ جراب المكاتيب وعاود مع قاصد البابا فرا الطرني من طوريا من قانون الرهبان الصغار

١) جاء في مجلة الشرق المسيحي ١٨٩٩ ص ٧٢ البرت — ٢) له ش

١٤٤٢ م ، ٨٤٦ هـ بدؤها ١٢ ايار س

العاقورة وآثارها

في سنة الف واربعماية واثنين واربعين مسيحية لم بالقرب منها اعتنى خليل ٢٥ ابن مقلد مقدم العاقورة وبنا القبو الذي (١) فوق عين القريه وفوق منه برجاً . وقبل هذا التحرير بنحو الف وثمانماية وستين سنة اجتاز على العاقورة داومتيان[1] ملك رومية وهو راجعاً الى روميه وقطع الجبل الذي هو شرقي ٥ العاقورة ونهج الطريق الى البقاع كما هو منقور على درجة الجبل .[2]

١) اوميتيان س — ٢) اليك الكتابة دلّنا عليها حضرة الاب رينه موترد في مجموعة الكتابات الاثرية اللاتينية (Corpus Inscriptionum Latinarum III n° 1791 M P. DOMITIANI AUG. S. V. T.) وصناها بالتصرف ان الطريق المذكورة صار فتحها على ايام الامبراطور دوميتيان اوغسطوس . ان اول من نشر هذه الكتابة كان رينان سنة ١٨٦٣ ولكن الدويهي سبقه بالاشارة اليها . ودوميتيان ملك سنة ٨١ الى ٩٦ م ويكون قد امر بنقش الكتابة سنة ٨٣ م

١٤٤٤ م ، ٨٤٨ هـ بدؤها ٢٠ نيسان اث

حكم المقدمين في بشري

في سنة الف واربعماية واربع واربعين مسيحية كانت وفاة يعقوب مقدم بشري وتخلفوا بعده اولاده المقدم سيفا وهو زين وقمر وهو بدر ومزهر فحكموا احكاماً عادله واستراح البلاد بدولتهم كما كان على زمان والدهم ١٠ وكانت مدة ولاية المقدم يعقوب نحو من اثنتين وستين سنة .

١) مقدم يعقوب ف

١٤٤٥م ، ٨٤٩هـ بدوءها ٩ نيسان ج

وفاة عز الدين صدقة ؛ الوفد البابوي الى قبرس ؛ الاتحاد برومة ؛ وفاة الحاجي وجلوس يعقوب بن عبد

في سنة الف واربعماية وخمس واربعين سنة[1] توفي الامير عز الدين صدقه ابن شرف الدين عيسى التنوخي ببيروت وكان ذا سطوة فحكم من حدود طرابلوس الى حدود صفد على رضا المتولي صيدا وبيروت ليحمي سواحل ١٥ البحر من الفرنج وكان بينه وبين الامراء اولاد الحمره الذين نزلوا من البقاع وأخذوا السكنه ببيروت دمنه غير قليلة من باب الحسد في الحكم

وفيها البابا اوجان أرسل اندريا رأس كهنة قولساس الى جزيرة قبرس ليقدم القاطنين بها من روم وارمن ويعاقبة الى طاعة الكنيسة ؛ فانقد طيمثاوس مطران الكلدانيين والقس اسحق نيابة عن الياس اسقف الموارنة ٢٠ بقبروس الى رومية فحلفا الطاعة لبابا رومية وحفظ الاتحاد مع الكنيسة الرومانية على موجب صورة اليمين التي يحلفون بها روساء الكهنة في الكنيسة الرومانية ؛ وكان المطران طيمثاوس المذكور قبل هذه السنة ارسل الى المجمع الملتيم بفلورنسا مكتوب يتعهد به الطاعة والاتحاد مع الكنيسة المذكورة ٢٥ وانه يقبل جميع ما يقلدوه الاباء في المجمع ويرذل ما يرذلونه . وفي هذه (١٦٢ السنة قضى اجله البطرك يوحنا الحاجي بشيخوخة صالحة بدير قنوبين ؛ (وكان هو الاول من بطاركة الموارنة الذي سكن بدير قنوبين ؛)[2] وفي نهار تاسعه اجتمع روساء الكهنة وروساء الديورة واعيان الشعب واصطفوا ٥ موضعه الاسقف يعقوب بن عبد الحدثي الذي ربي في اسرة الملايكية بمحبة ماري سركيس شرقي دير ماري يوحنا المعروف بمار ابون المروس على جميع الحبسا في جبة بشري ؛ واستمد التثبيت ودرع السلطنة من طرف البابا اوجان الرابع وكان البطرك يعقوب المذكور[3] الاول من بطاركة انطاكية الذي استام بدير ١٠ قنوبين بعد وفاة البطرك يوحنا[4] الحاجي .

---

١) وخمس واربعين مسيحية ف ن — ٢) ما بين الهلالين جاء في آخر البند سطر ١٠ في ف — ٣) يعقوب الرابع ش الاول من بطاركة — ٤) حنا ب

١٤٤٧م : ٨٥١هـ بدوءها ١٩ اذار اح

وفاة البابا اوجانه ؛ رسالة البابا نقولا الى البطريرك

في سنة الف واربعماية وسبع واربعين مسيحية كانت وفاة البابا اوجان الرابع[1] وارتقا رياسة الكرسي الروماني البابا نقولا الخامس ؛ وعند اقامته ارسل مكتوب الى البطرك يعقوب يطلب منه الدعا وانه يوصي كذلك الشعب ١٥ المؤتمن عليه وينذره انه يماثل بكل قوته طريقة الذي سلف قبله في حفظ الاتحاد مع الكنيسة الرومانية وان دعت الضرورة فليستشير من اندريا مطران الافقنسية المتنوب عنه في جزيرة قبرس :

١) بارونيوس ٢٨ ص ٤٨٢ وما بعدها

١٤٥١م : ٨٥٥هـ بدوءها ٢٣ك٢ اح

وفاة السلطان مراد

في سنة الف واربعماية واحدى وخمسين مسيحية توفي في بلاد الروم السلطان مراد بن محمد وكانت مدة سلطنته احدى وثلثون سنة وتولى بعده ولده ٢٠ السلطان محمد[1]

١) القرماني ص ٣٠٦

١٤٥٢م : ٨٥٦هـ بدوءها ٢٣ك٢ اح

وفاة الظاهر جقمق ؛ السلطان محمد يفتح القسطنطينية

في سنة الف واربعماية واثنتين وخمسين مسيحية توفي الملك الظاهر جقمق الاينالي في الحادي والعشرين من محرم ؛ وتولى بعده ولده الملك المنصور عثمان وهو السادس والثلثون من ملوك الترك والحادي عشر من الجراكسة ٢٥ بمصر فاستمر في السلطنة الى اوايل ربيع الاول ثم خلع ؛ وجلس بذلك الحين على

تخت (١٦٣ السلطنة بمصر الملك الأشرف ينال الاجرود الناصري الكجكي فطمعت به المماليك وصاروا يظلموا الناس ويأخذوا اموالهم (قهراً ويخطفوا القماش والنساء من الطرقات)[1] . وفيه زحف السلطان محمد بالجيش الى فتح القسطنطينية فحاصرها براً وبحراً وبعد قتال خمسين يوم ملكها في الرابع ٥ وعشرين من جمادى الاخر وهو الثامن والعشرون من ايار بعيد العنصرة ولم يوصف ما صار بها من القتل والنهب والفضح والاسر . فقتل قسطنطين ملكها ورؤساها واعيانها احترقت ديورتها ومدارسها وتدنست ومذابحها وكنايسها القت على الارض قداستها وتكشطت ايقوناتها احترقت دفوف ١٠ كنايسها وانباعت بثمن رخيص مجلدات عنها ودرست نعمتها وذهبت محاسنها انحطت دولة الروم وانكسرت شوكتهم صمتت كنايسهم في الجوامع وقصورهم في قوامع [2]

١) ما بين الهلالين ناقص في ش — ٢) بارونيوس ٢٩ ص ٩٢ وما بعدها والقرماني ص ٢٠٦ وما بعدها

١٤٥٦م : ٨٦١هـ بدو ٩ها ٢٩ ت٢ اث

الجراد والغلاء

في سنة الف واربعماية وست وخمسين مسيحية يذكر الياس من معاد ان ثار الجراد من مصر الى الفرات وارتعى كل الخضرة ثم تبعه الغلا فوصل مكوك الحنطة الى اربعماية درهم

١٤٥٨م : ٨٦٣هـ بدو ٩ها ٨ ت٢ ار

وفاة البطريرك يعقوب : البطريرك بطرس ابن عساله

١٥ سنة الف واربعماية وثمان وخمسين مسيحية كانت وفاة البطرك يعقوب الحدثي بدير قنوبين نهار الاربعا في ثامن شباط تكون مدة رياسته اثنيعشرة سنة وشهر وثمانية أيام . وفي نهار تاسعه تخلف بعده البطرك بطرس ابن

يوسف بن يعقوب الشهير بابن حسّان من قرية الحدث . وكان قايم بتعضدته
٢٠ الاسقف يعقوب والاسقف داود ابن المقدسي حنا ابن الاسقف داود الحدشيتي .
وفي هذه السنة البطرك قسم الخوري ملكا الحبيس رأس كهنة وارسل
البادري فرا غريفون من الرهبان الصغار لرومية بسبب التثبيت ودرع الرياسة .
واتاه بها من طرف البابا بولص الثاني في سنة الف واربعماية وتسع وستين

١٤٦٠ م ٨٦٥ هـ بدؤها ١٧ ت ١ ج

وفاة الاشرف اينال ؛ خلع المؤيد ؛ جلوس خشقدم

٢٥ في سنة الف واربعماية وستين مسيحية مات الملك (١٦٤ الاشرف
اينال الاجرود . وتسلطن بعده ولده الملك المؤيد احمد في رابع عشر جمادى
الاولى وهو الثامن والثلاثون من ملوك الترك والثالث عشر من الجراكسة
بمصر . وبعد اربعة شهور ونصف خلع من السلطنة وتولاها الملك الظاهر
٥ خشقدم بن عبد الله وهو التاسع والثلثون من ملوك الترك والرابع عشر من
ملوك الجراكسة بمصر . فقبض على الملك المويد وارسله الى سجن الاسكندرية
ونقل بدر بك البشمقدار من حلب الى نيابة الشام .[1]

(١) النجوم الزاهرة ٧ ص ٦٨٥ قال في خشقدم انه الثامن والثلاثون من ملوك الترك
ثم اضاف : سطر ٦ واما من سلف من ملوك الترك الجراكسة والاروام ففيهم اختلاف كثير
لعدم ضبط المؤرخين هذا المعنى

١٤٦٦ م ؛ ٨٧١ هـ بدؤها ١٣ آب ار

النجم بذنب ؛ المحل والغلاء ؛ عصيان ابن القادري ؛ انتصاره على المماليك

في سنة الف واربعماية وست وستين مسيحية يذكر الاسقف داود
الحدشيتي ان بايام الملك الظاهر خشقدم تباينت نجم في الشرق بذنب فلحقته
١٠ شوبة عظيمة . فامحلت الزروع والحبوب جميعها وبلغ شنبل القمح الى سبعين
والعدس الى ستين والدرا والدخن والشعير الى خمسين درهم ورطل الدبس

الى اربعة عشر[1] ؛ فهلك من السواحل كثير من البهايم ومن الناس من شدة الجوع ؛ وخبر المذكور ان طالت الشوبة نحو سنتين والغلاء والناس تقتات من ١٥ العشب. وان في هذه السنة خرج من الشرق رجل تركماني يعرف بشاه صوّار ابن القادري فنافق وخرج من طاعة السلطان فرسم السلطان بايراد العساكر الشامية والحلبية الى مقاتلته فاجتمعوا الامراء والمقدمين والفلاحين من مصر ودمشق وصفد والرملة والقدس وطرابلوس وحماه وحمص وحلب وسار ٢٠ بهم بدر بلك نايب الشام الى نحو حلب فكسرهم شاه صوّار وغنم خيولهم وسلاحهم واموالهم واضعفهم حتى ان الذين سلموا من القتل والسبي ما عادوا الا مسلوبين عراة وجرد جيوشه حتى الى نهر الاردن ؛ وكان كل يوم يخرج باربعة وعشرين الف مقاتل وكانت الناس بشدة عظيمة من العساكر ٢٥ ومن الحوالي ومن الغلاء ، ولولا الله بارك في مغلّ الجبل كان هلك غالب الناس وكانت ترى كل يوم عند الصباح مائة واربعون (١٦٥وخمسون على الابواب البعض يستعطفون والبعض يشترون .

1) الغرر الحسان ص ٥٤٤–٥٤٦

١٤٦٧م : ٨٧٢هـ بدوءها ٢ آب اح

وفاة خشقدم؛ وولاية يلباي ثم تمربغا ثم خيربك ثم قايتباي؛ هزيمة القادري ومقتله

في سنة الف واربعماية وسبع وستين مسيحية في عاشر ربيع الاول توفي الملك الظاهر خشقدم وكانت مدة مملكته نحو من ست سنين ونصف ؛ وتولى ٥ بعده السلطنة الملك الظاهر يلباي بن عبد الله وهو الاربعون بالعدد من ملوك الترك والخامس عشر من الجراكسة بمصر وكانت مدة سلطنته ستة وخمسون يوم وخلع ؛ وتولى السلطنة الملك الظاهر تمربغا في السابع من جماد الاول وكانت مدة ملكه شهرين وخمسة ايام ثم قوبت عليه الخشقدمية ١٠ فخلعوه ليلاً ؛ وأقاموا عوضه الملك خيربك عبد الله وهو الثاني والاربعون من ملوك الترك والسابع عشر من الجراكسة بالديار المصرية وبعد شهرين من ملكه عزلوه في سادس رجب ؛ وبايعوا الملك الأشرف قيت باي وهو الثالث والاربعون من ملوك الترك والثامن عشر من الجراكسة بمصر[1] ؛

فاستقامت اموره وامر ان تزحف العساكر المصرية والشامية لمخاونة شاه[٢] صوّار
١٥ الغادري الذي بعد ما تملك ادنه ومصيصه ومرعش وعينتاب وعمق حارم كسر
العساكر السلطانية وقتل كثير من الاكراد والتراكمين وخرب القرايا والبلدان
وقرب من مدينة حلب ونهب واستأسر النساء والاولاد ؛ ثم ان السلطان
الأشرف قيت باي شيد العساكر وجهزهم مرة ثانية وكان القايد امير
دوادار اسمه يشبك الصغير ؛ وارسل ايضاً صاحب دمشق ملك الامراء
٢٠ برقوق فواقعوا صوّار شاه وكسروه وقبضوا عليه ومضوا به الى مصر ؛ فامر
السلطان بهلاكه فقتل مشكلاً على باب زويلة .

١) راجع النجوم الزاهرة في سنة ٨٧٢ الجزء ٧ ص ٨٢١ وما بعدها و ص ٨٤٢ وما بعدها و ص ٨٦٦ — ٢) لم يأتِ ذكر صوار في النجوم الزاهرة ولعل الرجل يكون جهان شاه الذي سيقتل ويعلق على باب زويلة ، راجع النجوم الزاهرة ٧ ص ٨٥٥ سطر ١٤ و ١٥ وفي مقتل جهان شاه روايات مختلفة تناقض بعضها بعضاً

١٤٦٨م ٨٧٣هـ بدوءها ٢٢ تموز ث

الوباء في الشام

سنة الف واربعماية وثمان وستين كان الوبا العظيم بمملكة الشام فهلك خلقاً كثير كان في اليوم يخرج بدمشق الف جنازه (١٦٦ وازيد من ذلك [١]

١) الغرر الحسان ص ٥٤٧

١٤٦٩م ٨٧٤هـ بدوءها ١١ تموز ث

وفاة المقدم عبد المنعم ؛ السلطان محمد يفتح نجربنت

في سنة الف واربعماية وتسع وستين مسيحية عند اواخرها كانت وفاة المقدم عبد المنعم بن سيفا ابن يعقوب مقدم بشري وتولى المقدمية بعده رزق الله ابن اخيه جمال الدين بن سيفا .

٥ وفيها السلطان محمد بن مراد تملك نجربنت .[١]

١) Negrepont وتسمى اوبه Eubée جزيرة في الارخبيل اليوناني . راجع وصف فتحها في تاريخ السلطنة العثمانية لهامر ٣ ص ١٢١ وما بعدها

١٤٧٠ م ، ٨٧٥ هـ بدؤها ٣٠ حزيران س

نوح البنوفالي تلميذ ديوسقوروس اليعقوبي ؛ حكم المقدمين ؛ بنائه مجالس المطربين

في سنة الف واربعماية وسبعين مسيحية قدم من القدس الشريف الى جبل لبنان ديوسقروس اسقف اليعاقبة يعرف بابن ضو النبكي فنعكف اليه نوح البتوفاني واستوطن عنده في القدس وتعلم منه القراية والارطقة ١٠ وعند عودته لبسه اسكيم الرهبة وسامه قسيساً . ومن اخبار هذا الجيل ستدل ان في دولة المقدمين وحكامهم العادلة استراحت اهل جبل لبنان وعمرت المدارس والكنايس حتى ان في قرية حدشيت انعدوا عشرين كاهن . وفي كنايس بشري مذابح على عدد ايام السنة . وفي الحدث ستماية فدان . ١٥ وفي اهدن في الحارة[1] الفوقا سبعين بغل . وضبطنا اسامي النساخ الذين وقفنا على كتبهم يتوفوا عن ماية وعشرة في الجيل القادم وحده فهملوا في الخط الاصطرنجالي المربع وتمسكوا بالسرياني المدوّر وكانت الناس تقصد السكنة فيه من بلدان بعيده . مثل اولاد جمعه تركوا عين حليا وأخذوا السكنه في ٢٠ بشري . واولاد شاهين رحلوا من صدد الشرق واستوطنوا بقرية حصرون . والخوري حنا والقس اليا واخوهما الشدياق جرجس اولاد الخاج حسن انتقلوا من نابلوس الى حدشيت . والقس يعقوب وارفاقه[2] من بلاد الحبشه قصدوا الرهبنة بدير مار يعقوب اهدن فتلقب بدير الحباش بالنسبة اليهم .[3]

---

١) في حارة الفوقا ف — ٢) وارفاق الذين معه ف — ٣) راجع الدبس : تاريخ سوريا ص ٥٩٧ وما بعدها

١٤٧١ م ، ٨٧٦ هـ بدؤها ٢٠ حزيران خ

ابن القلاعي في القدس ثم في رومة

(١٦٧ في سنة الف واربعماية وحادية وسبعين مسيحية كان دخول جبرايل ابن بطرس المعروف بابن القلاعي من قرية لحفد الى القدس الشريف

فلبس على رهبان الفرنج ومنهم لبس اسكيم ماري فرنسيس . ومن هناك
٥ دخل الى رومية وتأدب في العلوم الرياضية والإلهية [1]

[1] راجع ترجمته في غراف : تاريخ الاداب الدرية المسيحية ٣ ص ٣٠٦ - ٣٢٢

١٤٧٢ م : ٨٧٧ هـ بدوءها ٨ حزيران اث

وفاة المقدم رزق الله ؛ جرجس الهدناني البردوط

في سنة الف واربعماية واثنتين وسبعين مسيحية كانت وفاة المقدم رزق الله ابن جمال الدين ابن سيفا ابن المقدم يعقوب . وتخلف بعده ابن اخيه[1] المقدم عبد المنعم ايوب ابن عساف بن جمال الدين . وكان مترؤس على
١٠ دير مار انطونيوس قزحيا القس جرجس الهدناني فسيم خوري بردوط [2]

[1] ولد اخوه ف — [2] صاحب كتاب القوانين راجع غراف ص ٢٢٢ ، ١٩.

١٤٧٣ م : ٨٧٨ هـ بدوءها ٢٩ ايار ب

وفاة اسقفين

في سنة الف واربعماية وثلث وسبعين مسيحية توفي بطرس اسقف اهدن وسيم عوضه الاسقف يعقوب ابن ريس اهدن واخذ السكنة بدير مار سركيس راس النهر . وتوفي ايضاً يعقوب اسقف بشري . وترأس بدله الاسقف
١٥ حزقيال الذي كان ريس سيدة حوقا . وجاءه بذلك منشور من البابا كسوسطوس الرابع بتحرير سنة الف واربعماية واربع في الحادي عشر من شهر ايار

١٤٧٥ م : ٨٨٠ هـ بدوءها ٧ ايار اح

الرهبان الصغار زوار الموارنة

في سنة الف واربعماية وخمس وسبعين مسيحية في الثاني عشر من شباط

ارسل البابا كسوسطوس الرابع سجل ثابت الى ريس رهبان الصغار الذين
٢٠ داخل الجبل . ان في كل عام يختار كاهن ام اثنين من رهبانه يكون ذا
علم وحسن السيرة والسريرة ويرسله الى زيارة طايفة الموارنة . حتى اذا
اعتازوا شيء من علم ام غيره مما يخص امور الذمة يقنعهم بمعرفته ام
يرسل يعلم (١٦٨ صاحب الكرسي الروماني لكونهم مبتعدين عنه برًا وبحرًا .
وهم لشدة عبادتهم استمدوا منه ذلك بمكاتيب عديدة .

١٤٧٧ م : ٨٨٢ هـ بدوؤها ١٥ نيسان ث

الحياوي نائب دمشق : كنيسة العاقورة

في سنة الف واربعماية وسبع وسبعين مسيحية توفي نايب دمشق وتوجه اليها قانصود اللحياوي نائباً عليها .

٥ وفيها الشدياق قسطنطين ابن الريس سركيس بن الياس ابن فارس ابن الخوري داود صاحب[1] كنيسة ماري جرجس بقرية العاقورة بنا تحت الكنيسة المذكورة القبو المنسوب اليه .

---

١) اصحاب ف

١٤٧٨ م : ٨٨٣ هـ بدوؤها ٤ نيسان س

حريق الاموي في دمشق

في سنة الف واربعماية وثمان وسبعين مسيحية في شهر رجب وقعت النار
١٠ بمدينة دمشق واحرقت الجامع الاموي بكماله مع المادنة الغربية وثمانية اسواق .

١٤٨٠ م : ٨٨٥ هـ بدوؤها ١٣ اذار اث

وفاة السلطان محمد : شمعون مطران العاقورة

في سنة الف واربعماية وثمانين مسيحية توفي السلطان محمد[1] ابن مراد وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وتولى السلطنة بعده ولده السلطان

بازيد وهو الثاني في القسطنطينية . وفيها البطرك بطرس قسم ابن اخوه[٢]
١٥ شمعون ابن داود ابن يوسف على العاقورة واليمّونة وأخذ السكنة بقنوبين

١) القرماني ص ٣١١ — ٢) سام ابن اخيه ب

١٤٨٢ م ، ٨٨٧ هـ بدوءها ٢٠ شباط ار

جور المتراهبة في المنيطرة ؛ كنيسة السيدة موضع معبد الاصنام

في سنة الف واربعماية واثنتين وثمانين مسيحية قوي عزم المتراهبة في المنيطرة وعزلوا اولاد قصادس من المشيخة . والاسقف سمعان بن طريفة انتقل من قرية المنيطرة الى العاقورة من جورهم وبالقرب من المنيطرة على
٢٠ نهر ابرهيم بارض افقا كانوا الحنفاء من قديم بنوا هيكلا للاصنام فيطلعوا يصيّفوا هناك ويرتكبوا كل فاحشة . فيخبر اوسابيوس القيساري (١٦٩ ان قسطنطين الملك الكبير امر بهدمه واقام برجاً متين على اسم السيدة ليمنعهم عن فعلهم الردي[١] »

١) راجع اوسابيوس في مجموعة مين ، الاباء اليونانيون عمود ١١١٩ و ١١٢٢ فانه ذكر «الفواحش» ولم يذكر «البرج» واضاف قائلا : ان قسطنطين امر العسكر بهدم المقام حتى يرعوي الجهال عن غيهم واباطيلهم
[illegible]

١٤٨٧ م ، ٨٩٣ هـ بدوءها ١٧ ك ١ اث

اليعاقبة في لبنان الشمالي

في سنة الف واربعماية وسبع وثمانين مسيحية وقع الشقاق في جبل لبنان
٥ بسبب المقدم عبد المنعم ايوب . وذلك ان هذا في دولة عمه المقدم رزق الله تعلم القراية على يد قسيس كان يعقوبي . وعندما توفي عمه وتولى المقدمية موضعه كان يرتد عنده في المتجر موسى ابن عطشه[١] الذي كان على راي طبيعة واحدة بربنا . وناظراً ان المقدم كان ضعيف الديانة بعث له هدايا

١٠ مع قسيس يعاقبة . فحضروا على عرسه وجادوا له في النقوط . فاستحبهم وبنا لهم كنيسة بقرب داره على اسم برصوما . ثم حكم ان بذلك المحل قدم من القدس القس نوح البقوفاني فأخذ السكنى في الفراديس بارض بان وجذب اليه قلوب بعض اناس امنّين في آراء الايمان طالبين اكتساب العلم والرهبنة .
١٥ مثل عيسى وابن شعبان من قرية حرضين وموسى واخوه حنا ولدي ابرهيم ابن الحاج موسى البقوفاني وسميا ابنه جرجس من لحفد وموسى من قرية موسى وامثالهم . فبثّ في آذانهم سمّ الارطقة رهّبهم وقسّمهم قسوس على يد معلمه ديوسقوروس اسقف بيت المقدس . فصاروا يصلوا باصبع
٢٠ واحد ولم يذكروا في شملاية الاباء الاثلاثة مجامع . فوصل خبرهم الى البطرك بطرس . فأرسل لهم كهنة وروسا كهنة تنهيهم عن طغيانهم . فاحموا جانبهم في المقدم الضال وفي الغرب الذين قدموا من صدد ومن نابلوس والحبشة وكانوا على مقالتهم . وكثر الشقاق في كل البلاد حتى ان المقدم جزم على
٢٥ كل من اعترض لهم بانه ينفا من تحت حكمه ويسلب رزقه

١) ابن عطـة ف ن ب وابن عطـية في كتاب جامع الحجج لاقليس داود ص ٢٤٣

ج ١ ك ٥ ا ه ء و د ب هـ ٨٩٤ : م ١٤٨٨

طرد اليعاقبة من جبة بشري

(١٧٠ في سنة الف واربعماية وثمان وثمانين مسيحية كان تشتيت اليعاقبة من جبّة بشرّي . وذلك ان حين الاسقف يعقوب واكابر اهـدن علموا وتحققوا ان القس يعقوب والاحباش القاطنين بدير ماري يعقوب كانوا في
٥ الدير نذروهم دفوع شتّى خسنوا الديانة . واذ لم يعتبروا اقسموا القس براهيم ابن حبلص اسقفاً وانزلوه عليهم في الدير . واذ لم يحتماوه بحكم فيهم رحلوا من هناك الى وادي حدشيت تحت حماية الشدياق جرجس ابن الحاج حسن وسكنوا بدير مار جرجس وتكنّى بدير الحباش بالنسبة اليهم . فصعب امرهم على
١٠ الشدياق جرجس الذي كان شيخ حدشيت وعلى المقدم عبد المنعم الذي كان يقتدي بشوره . واذ لم يكن لهما مقدرة على مناقسة اهالي اهدن استمدوا النجدة من اولاد زعزوع مقدمي بشناتا . فجمعوا هولاء رجال الضيعة

٥ وفيها ابن القلاعي اظهر كتاب تحقق فيه اتحاد الملة المارونية مع الكنيسة الرومانية من زمان قديم طعناً في الذين كانوا يزعمون ان الموارنة كانوا فرقة من اليعاقبة وسمّى كتابه «مارون الطوباني» وانفذه الى حضرة البطريرك سمعان ومطارينه وجلاس ديوانه : وهم الاسقف جرجس صدقي من مزرعة الحدث ويعقوب الحدناني وابرهيم ابن حبلس ويوسف البشراني وداود الحدشيتي ١٠ وعنا الملقب بالفرنجي وتادروس العنتاري ويوسف القبرسي من الحيزقانه مع بقية الرؤساء وعلماء الطايفة : ليفحصوهم وينادوا به امام المخالفين .

١) الدرر الحسان ص ٣٥٥

١٤٩٥م ٩٠١هـ بدوءها ٢١ ايلول اث

وفاة قايتباي ؛ وفاة عبد المنعم ؛ محبسة مار ميخائيل

في سنة الف واربعماية وخمس وتسعين مسيحية في الخامس وعشرين ذي الحجة توفي الملك الأشرف قيت باي ابن عبدالله[1] : وتولى بعده ولده الملك ١٥ الناصر محمد قانصوه ابو السعادات وهو الرابع والاربعون من ملوك الترك والتاسع عشر من ملوك الجراكسة بمصر : وفي ايامه اضطربت المملكة من حلب الى القاهرة وصارت حروب وخواوين بين الاتراك وقتل[2] كثير من الخاصكية واكابر القواد : وفني العسكر . وفيها كانت وفاة المقدم عبد المنعم ٢٠ ايوب ابن جمال الدين بن سيفا البشراني : فزاغ عن امانة والديه وانقصف عمره : وتولى المقدمية بعده ولده جمال الدين يوسف وكان مستقيم الديانة : وبكتبيه زوجة المقدم اصلحت كنيسة ماري حوشب في بقعكفرا عندما خربت حائطها . وفيها القس بركه البقوفاني عمر محبسة ماري مخايل بقرب ٢٥ قزحيا وكانت سابقاً قطين المعزة فاستحبس بها الى نهاية حياته الطاهرة .

١) الدرر الحسان ص ٣٥٥ — ٢) خلق كثير ف

١٤٩٦م ٩٠٢هـ بدوءها ٩ ايلول ج

وفاة اللحياني ؛ الحرب الاهلية ؛ هزيمة المصريين ؛ ابن القلاعي في قبرس

في سنة الف واربعماية وست وتسعين مسيحية توفي قنصوه اللحياني[1]

(١٧٣ صاحب دمشق ؛ وخلت دمشق من الحكام وكثر بها النهب والقتل وانقسموا بين يمانية وقيسية ؛ ثم ان اينال الفقيه صاحب حلب قصد دمشق ليكون نايباً بها وسار جان بلاط الناظر الى حلب نايباً بها ؛ واما اق بردي ٥ الداوادار منع اينال عن الدخول الى دمشق وصار بينهما قتالاً شديد ؛ ثم قدم ايضاً كرتباي الاحمر الى دمشق ليكون نايباً عليها وحاصرها حصاراً شديد فدخلها ؛ وانتسبت الترك جزوين فرقه مع اق بردي وفرقه مع قانصوه خمساية . وجرت بينهما حروباً كثيرة آخرها ان اتفق اق بردى الداودار مع اينال الأعور نايب طرابلوس واقباي نايب غزه وغيرهم . ١٠ وخرجوا من طرابلوس قاصدين الديار المصرية . وخرج قانصوه خمساية في العساكر من مصر وتلاقوا الجيشان عند خان يونس وهو مرحله من غزه وصار بينهما حرباً شديد . وكانت الهزيمة على المصريين ؛ فقتل قانصوه خمساية الذي كان قايد الجيش المصري ومتغلب على السلطنة ؛ وفنت الامرا ١٥ واتابك الديار المصرية في هذا الحرب ۰ وفيها جرايل ابن القلاعي سيم قسيس فرنجي وسكن بدير الصليب في الافقسية بقبرس ۰

١) اليحاوي تر ف ن

١٤٩٧ م : ٩٠٣ هـ بدوءها ٣٠ آب أر

كرتباي في دمشق ؛ سمعان البنهراني

في سنة الف واربعماية وسبع وتسعين مسيحية دخل في العشر الاول من ٢٠ شعبان كرتباي الأحمر مدينة دمشق نايباً بها فجار على الرعية وضامها ۰
وفي هذا الزمان دخل القس سمعان ابن الحاج يوحنا من بنهران الى دير مار قوزما ودميان في جبة بشري وعمره بعد ما كان دثر ؛ وكان ذلك على رضى الخوري ابرهيم ابن غريبه وابن اخيه القس وهبه وجميع قرية البنهرانيين .

١٤٩٨ م : ٩٠٤ هـ بدوءها ١٩ آب ث

وفاة كرتباي ؛ مقتل محمد ؛ جلوس قانصوه الجلب

٢٥ في سنة الف واربعماية وثمان وتسعين مسيحية كان الوباء (١٧٤ ببيروت

توفي فيه خلقاً كثير وفيها في العشر الثاني من الربيع الاول توفي كرتباي الأحمر : وتولى دمشق جان بلاط الناصر وتوجه الى حلب قصروه نايباً عنها.[1] وفيها طومان باي الداودار الثاني خامر على الملك الناصر
٥ محمد فقتله وجلس على سرير السلطنة الملك الظاهر قانصوه الجلب بن عبد الله خال الملك قيتباي وهو الخامس والاربعون من ملوك الترك والعشرون من الجراكسة بالديار المصرية : فجعل طومان باي داودار كبير

(1) ...

١٤٩٩ م : ٩٠٥ هـ بدوءها ٨ آب خ

حبس قانصوه : ولاية جانبلاط : طومان قائد الجيش : اعتقال الامراء المصريين : مقتل جانبلاط : خلع طومان : جلوس الغوري

في سنة الف واربعماية وتسع وتسعين مسيحية توجه جانبلاط صاحب
١٠ دمشق الى مصر : فخامر العسكر على الملك الظاهر قانصوه فقبضوا عليه واخذوا حبسوه في الاسكندرية وولوا في السلطنة الملك الأشرف جان بلاط وهو الستة والاربعون من ملوك الترك والواحد والعشرون من الجراكسة بمصر : فنقل دولة باي من طرابلوس الى نيابة حلب وقصروه من حلب
١٥ الى دمشق نايباً عنها : فخالف قصروه لأمر السلطان وأجهر العصيان : فجهز السلطان لمقاتلته امراء مصر وكان الأتابك وقايد الجيش طومان باي الداودار : ولما دنت العساكر المصرية من دمشق خرج قصروه نايبها الى استقبال طومان باي فأنزله في القصر الأبلق ونزل العسكر في المرجة والميدان الاخضر :
٢٠ ثم أنه توجه قصروه بناس قلائل الى عند طومان باي : وقدمت ايضاً امراء مصر الذين من حوف جنبلاط ليقبضوا على قصروه : فأمر طومان باي بالقبض على امراء مصر : فمسكوهم ووضعوهم بالسلاسل : حينئذ حضرت عساكر قصروه نائب دمشق فنهبوا وتاق المصريين وبايعوا طومان باي
٢٥ الداودار بالسلطنة : وتلقب بالملك العادل وركب بالاعلام السلطانية من القاعة الى القلعة فتسلمها وسجن بها امراء مصر : وتولى نيابة دمشق لدولة باي

الذي كان نائباً بحلب . وأخذ في ركبة قصروه وسار بالعساكر (١٧٥ الشامية والمصرية الى أخذ مصر . وصارت حروب كثيرة بين جان بلاط وبين طومان باي . آخرها ان طومان باي قبض على جان بلاط فأهلكه وجلس على تخت السلطنة وهو السابع والاربعون من ملوك الترك والثاني والعشرون من ٥ ملوك الجراكسة بالديار المصرية . فأعطى لقصروه الأمرية الكبرى . ثم انه قتل كثير من أعيان الامراء بالديار المصرية وقتل ايضاً قصروه وولّى قانصوه الغوري داودار كبير . فنفرت منه قلوب الناس واجتمع اتابك العساكر وخلعوه واقاموا الملك الأشرف قانصوه الغوري ابن عبدالله وهو الثامن والاربعون ١٠ من ملوك الترك والثالث والعشرون من الجراكسة بالديار المصرية . فساس الرعية ومهد امورها.[1]

في سنة الف واربعماية وتسع وتسعين مسيحية ظهر في بلاد العجم شاه اسمعيل بن الشيخ حيدر وكان ظهوره غريب واستولى على ملوك العجم.

1) الغرر الحسان ص ٥٥٣ و ٥٥٤

في الجيل السادس عشر

١٥٠٠ م ؛ ٩٠٦ هـ بدوءها ٢٨ تموز ت

بطريرك الموارنة شمعون ؛ بطريرك السريان نوح البقوفاني

١٥ سنة الف وخمسماية التي توافق لسنين آدم سبعة آلاف وثمان ولسنين اسكندر الف وثمانماية واحدى عشرة وللشهداء الف ومايتين وست عشرة وللهجرة تسعماية وست : كان متولي الكرسي الانطاكي البطرك شمعون الحدثي . ٢٠ وعلى السريان المشارقة البطرك نوح البقوفاني[1] .

1) راجع سابقاً سنة ١٤٧٠ م

١٥٠٢م ؛ ٩٠٨هـ بدوءها ٧ تموز خ

سيباي نائب حلب ؛ قانصوه نائب دمشق ؛ وفاة الاسقف تادروس

في السنة الثانية تولى نيابة حلب سيباي ونيابة دمشق قانصوه المحمدي فظهر الى البقاع وهرب منه ناصر الدين بن محمد بن حنش مقدم البقاع وجرت بينهما أمور كثيرة.

٢٥ وفيها وقعت الفتنة بين أهل الشام ونائبها فأحرق الشاغور وجرت خرأوبين ومحن كثيرة. وفيها كانت وفاة الاسقف تادروس الذي كان قاطن في سيدة عينتورين (١٧٦ نهار الثلاثه في التاسع وعشرين من شهر آذار وتسلم الدير تلميذه القس وهبه الراهب.

١٥٠٣م ؛ ٩٠٩هـ بدوءها ٢٦ حزيران اث

الرجل المسخ ؛ الظواهر الجوية ؛ السيل العظيم

في سنة الف وخمسماية وثلث مسيحية يذكر ابن سباط ان قدم الى ٥ دمشق رجل في وجهه فم وانف وله عين واحدة وذقن عليها شعراً ونازل على وجهه لحم يشبه شختور الغنم من اعلا راسه الى صدره ؛ واذا أراد ياكل ام ينظر رفع اللحم النازل على وجهه ؛ وقدم الى مدينة بيروت من ناحية بلاد شمال رجل له في اليد ثمان اصابع كامله منها اربع في مكان الابهم.

١٠ وفيها في الربيع الاخر اقترنت النيرات الاربع زحل والمشتري والمريخ والقمر في برج السرطان ؛ وذلك من العجائب النادرة. وفيها جاء سيل عظيم ومطر عم الاقطار من سبعة وعشرين يوم ؛ ومن ذلك خمسة ايام بلياليها لم ير فيها شمس ولا قمر ؛ وزادت الانهار زيادة عظيمة حتى نهر بردى في ١٥ دمشق أخذ كثير من الدواب والبيوت والحوانيت ؛ والنهر العاصي بحماه أخرب كثير من النواعير والبساتين ؛ ونهر البقاع الليطاني اهلك كثير من الدواب وحمل كثير من العماير وذهب بجسر القرعون الذي كان عالي ومن الحجر المتين ؛ ونهر صيدا المعروف بالفريديس ذهب بكثير من الاشجار واخرب ما عليه

٢٠ من المواضع والجسور والخشب . ونهر الصفا ارتفع فوق الجسر ما ينوف عن قامة انسان وحوّل فوق منه شجرة دلب عظيمة . ونهر الكلب هدم الجسر الذي عملته الملوك الاوايل . وهاج البحر حتى دخل بالمينا ببيروت . ونهر طرابلوس اخرب الحوانيت ومساكن كثيرة[1] .

وفي هذه السنة وقع ايضاً الوبا وفيها جهز الامير ناصر الدين بن حنش مقدم ٢٥ البقاع خمسة آلاف مقاتل الى عبد الباتر بن بشارة في قرية شيحين وكان مطر عظيم فقتل من جماعة بن حنش نحو مايتي قتيل .

---

١) ابن سباط ص ١١٤ ومرز الحسان ص ٥٥٥

١٥٠٥م : ٩١١هـ بدوءها ٤ حزيران ار

مقتل جوان بك ؛ اعتقال فخر الدين عثمان وموته

(١٧٧ في سنة الف وخمساية وخمس مسيحية جهز نايب الشام العسكر مع جوان بك القرنجي دوادار في البقاع ؛ فقتل الدوادار عند جسر كامد وقتل معه نحو ثلثماية نفر . ثم جمع نايب العساكر وقصد التوجه بنفسه الى البقاع فمات ٥ قبل ظهوره من دمشق . ودخل الى نيابة دمشق سيباي الأشرفي وبعد ايام قليلة قبض على الامير فخر الدين عثمان ابن معن امير الأشواف من اعمال صيدا ثم ان الامير عثمان توفي في ربيع الثاني سنة تسعماية واثنتيعشرة .

١٥٠٧ م : ٩١٣هـ بدوءها ١٣ ايار خ

سيباي في دمشق ؛ خيربك في حلب ؛ السيل في الشوف ؛ وفاة اسقف قبرس

في سنة الف وخمسماية وسبع مسيحية كان النايب بدمشق سيباي الأشرفي ١٠ وفي المملكة الحلبية خير بك . وفي ستة من شهر تموز حدث سيل عظيم في الشوف حتى نهر الصفا الذي بين صيدا وبيروت أخرب ما على جنبه من صخور الطواحين وقيل ان لم يعهد سيل مثله ولا في ايام الشتاء[1] . وفيها كانت وفاة الاسقف يوسف من الخيزفانه بقبرس . وتقلّد بعده كرسي الاقفسية

١٥ الاسقف جبرايل ابن القلاعي . واخذ السكنه اولا في المدينة في دير مار توهرا ومار انطونيوس كرسي الموارنة . ثم انتقل الى دير ماري جرجس طالا ودبر تلك الرعية بكافة الغيرة والعناية.

١) المرر الحسان ص ٦٥٥

١٥٠٨م : ٩١٤هـ بدوءها ٢ ايار ث

الثلج الكثير : الرئيس موسى العكاري

في سنة الف وخمساية وثمان مسيحية وقع الثلج العظيم الذي لم يعهد
٢٠ مثله . وكان بدوءه في سبعة ايام في سباط واستمرت ترمي ثلج قرب نصف شهر حتى انقطعت الطرقات في الساحل[١] في الاماكن التي لا عاده لها تثلج . وكان ارتفاعه بالسواحل نحو سبعة اشابر واما في الجبال فلا قياساً له واستمر
٢٥ الثلج على جبال السواحل الى اواخر نيسان حتى فني الحيوان وهجّت الوحوش
وفيها ترأس على دير سيدة حوقا القس موسى العكاري وكان (١٧٨ تلميذ الخوري انطون[٢] والقس مخايل . وكان القس حنا بدير ماري سمعان القراديس.

١) في السواحل ف ب — ٢) الخوري اسطفان ف ن ب

١٥١٠م : ٩١٦هـ بدوءها ١٠ نيسان ار

المظالم : الموارنة في قبرس : عمار الكنائس : الضيق الشديد

في سنة الف وخمساية وعشرة مسيحية يذكر القس الياس من معاد ان
٥ من كثرة الظلم ناس كثيرين تركوا مواطنهم وتغربوا في بلدان بعيدة : وان من بلاد جبيل دخل الى جزيرة قبرس ماية وعشرين نفس في مركب واحد وكان بجملتهم الخوري حنا ابن الزطيميه من ترتيج بعياله : وكان المذكور رجلا فضيلا وكان للطايفة سنداً متيناً في نسخ الكتب البيعية وعلم
١٠ الاولاد والشور والتعليم . وكان الروم يكتّود كروكليا من الفوطة الزرقه التي كان يلبسها على راسه . فجادلهم دفوعاً شتى في قواعد الدين ولم يقدروا

على مقاومته؛ واحتمل مشقات جزيلة من طائفته من باب المحسدة؛ وبعد وفاته تخلّف ابنه القسيس يوسف وولده الشماس الياس واشهروا بنسخ ١٥ الكتب الكنايسية والافعال المرضية ؛ وبصحبة المذكورين كان الخوري لوقا بن بطرس ايضاً من ترتج ؛ فنشأ كنيسة شريفة في قرية كايبيني على اسم لوقا الانجيلي ؛ وكذلك الخوري زكريا بنى كنيسة مار ماما في مطوشي ؛ وكذلك الحاج مخايل اخو الاسقف جبرايل ابن القلاعي انتقل من قرية لحفد ٢٠ الى قرية طالا وزادا على كنيسة السيدة سرق آخر على اسم ماري عبدا وفي هذه السنة كان ضيق عظيم ايضاً في جزيرة قبرس من الجراد ومن الحكام ؛ الذين ولو كانوا نصارى كانوا يحمّلوا الناس اثقال غير خفيفة ويأخذوا على رأس الرجل نصف دوكات وعلى النساء والاولاد وعلى الملح العشر ؛ ولموضع ذلك كثير من الذين توجهوا لقبرس طالبين الفرج اضطروا ٢٥ يعاودوا الى بلاد الشام ؛ ولما أخذ خبرهم البطرك شمعون كتب الى البابا لاوون والبابا كاتب ليونردوس امير البندقية يتشفق على الموارنة (١٧٩ الذين تحت حكمه فأجابه الى سؤاله ٠

١٥١١ م : ٩١٧ هـ بدوءها ٣١ آذار اث

وفاة يونس معن ؛ الجدري والطاعون البقري

سنة الف وخمساية واحدى عشرة مسيحية كانت وفاة الامير يونس ابن معن وفيها البطرك شمعون قسم سمعان اسقفاً على الاقنسية ؛ ٥ وفيها حدث على الناس جدري ثقيل جداً ثم جرب وحكاك شديد كان يقلق الناس عن النوم والقعود ؛ وحكم الموت على البقر في بلاد الشام فلم يسلم الا القليل ٠

١٥١٢ م : ٩١٨ هـ بدوءها ١٩ آذار ج

وفاة بايزيد ؛ كنيسة اهدن ؛ الفرنسيسكان عند البطريرك

في سنة الف وخمساية واثنتي عشرة مسيحية كانت وفاة السلطان بايزيد ملك

بلاد الروم وكانت مدة سلطنته اثنتين وثلثين سنة واستقر على سرير الملك
١٠ ولده السلطان سليم وهو الثالث في القسطنطينية[١] وفيها اجتمعوا اهالي
اهدن وجددوا كنيسة السيدة التي في الحارة السفلى. وفيها حضر الى
زيارة البطرك شمعون البادري اسكندر والبادري قورصن من بلاد ديسبانيا
من رهبان ماري فرنسيس. وفيها يذكر الخوري حنا ابن الزطيمه
١٥ ان تباين في جزيرة قبرس عفريت ؛ وهو وحش عظيم فقلع اشجار عظيمة
كثيرة وفي الكثريات ضرب في الجو فرساً وشال من البحر حجراً ثقيل ينوف
عن خمسين قنطار والقاه في ارض ديكثيره التي تقرب كرينيه.

(١) القرماني ص ٣١٠

١٥١٣ م: ٩١٩ هـ بدؤها ٩ اذار

وفاة مطران اهدن : الوفد البطريركي في رومة

في سنة الف وخمسماية وثلاث عشرة مسيحية كانت وفاة يعقوب مطران
٢٠ اهدن من بيت الريس وله في المطرنية خمسين سنة . وانسام عوضه المطران
قورياقوس من بيت حبلص ؛ وكان رجلا شجيع بالغ في الشور وحسن
التدبير . وكان معتنياً مع الحبيس جبرايل الهدناني حتى يكون ملازم نسخ
الكتب الكتايسية.

وفيها البطرك شمعون أرسل القس بطرس الى عند البادري مرقوس
من فلورنسا ورديان بيروت على رهبان ماري (١٨٠ فرنسيس بسبب طلب
التثبيت . والوردبان ارسله الى البابا لاون العاشر بمكاتيب يتشكر بها من
طايفة الموارنة بحسن الاعتقاد وبالطاعة لكنيسة رومية ويخبره عن احتمالهم
٥ ظلم الغير مؤمنين بصبر جميل ؛ وان بطركهم طالب من قدسه التثبيت على
كرسي انطاكية . فأخذ القس بطرس مكاتيب الورديان وعرضها على
البابا . وأقبل على قدسه فرح جزيل من اتحادهم مع الكنيسة ؛ وفي ديوان
الكردناليه استصوبوا على ان القاصد يرجع الى عند البطرك ويأخذ له السجلات
التي ارتسلت الى البطاركة الذين سلفوا قبل منه . وفي المكتوب الذي بعثه
١٠ للبطرك يستخبر منه كيف تصير رسامة البطرك الجديد وكيف تكون أمانة

شعبه والثياب التي تستعملها الكهنة في خدمة الاسرار وعن رتبتهم في الصلوات وتقديس الميرون وغيره . فعاود القس بطرس الى عند البطرك لتنوبين وعرض عليه مكتوب البابا .

١٥١٤ م : ٩٢٠ هـ بدوءها ٢٦ شباط اح

رسالة شمعون الى البابا ؛ بنودها الاثنا عشر ؛ السجلات البابوية ؛ رسالة البابا الى البطريرك

في سنة الف وخمساية واربع عشرة مسيحية في اليوم الثامن من شهر آذار البطرك شمعون سفّر القس بطرس ثانياً الى رومية بمكتوب كبير الى قدس البابا لاوون يتضمن . اولاً السلام والتقبيل الذي يحق لرأس البيعة . ويوصف له اعتقاده واعتقاد الذين سلفوا قبل منه على كرسي انطاكيه في قواعد الديانة المسيحية المحتوية بسر الايمان ثم عن تقديس الميرون على الزي القديم . ثالثاً عن اجتماع الشعب لصفوة البطرك الجديد . رابعاً عن رتبة الصلاة . خامساً عن ثياب الكهنوت وتاويلها . سادساً يوصف له كيف جميع الذين سلفوا قبل منه كانوا خاضعين طايعين لصاحب الكرسي الرسولي الروماني مع كافة الشعب الذين تحت رياستهم . سابعاً يطلب منه سجل التثبيت مع بدلة كاملة بصليب وخاتم واوجاه المذبح واربع مدرعات للشمامسة على شبه التي (١٨١ ارسلوها سابقاً زخيا الثالث واوجان الرابع لاجل الذكر وحسن الخدمة . ثامناً يساله بمنع مطارنة الافرنج في قبرس عن الطمع على دير ماري يوحنا ووقوفات الموارنة بتلك الجزيرة . تاسعاً ان لا يقطع عنايته عن الملة المارونية بل يرسل لهم اناس تستفقدهم وتحفظهم في الاتحاد مع كنيسة رومية . عاشراً انه يوصي حكام قبرس ان يتشفقوا على النصارى الذين يهربون من جور الغير مؤمنين الى تحت حمايتهم . حادي عشر انه يرسل غفران كامل له ولملته لاجل التسلية وترمرم الكنايس . اخيراً انه يرسل مكتوب الى مقدم الياس ابن يوسف البشراني ليكون غيور على جماعته اهالي جبل لبنان . ثم بعث مع القاصد ست سجلات اللتي ارتسلت سابقاً من باباية رومية الى بطاركة الموارنة . اعني السجل الذي أرسله البابا زخيا الثالث الى البطرك

ارميا في سنة الف ومايتين وخمس عشرة . ومكتوب اسكندر الرابع الى البطرك
١٥ شمعون في سنة الف ومايتين وست وخمسين . ومكتوب اوجانيوس الرابع
الى البطرك يوحنا الحاجي في سنة الف واربع ماية وتسع وثلثين . ومكتوب
نقولا الخامس الى البطرك يعقوب الحدثي في سنة الف واربعماية وسبع واربعين
ومكتوب كالسطوس الثالث الى يعقوب المذكور في سنة الف واربعماية وخمس
٢٠ وخمسين . ومكتوب بولص الثاني الى البطرك بطرس ابن حسان الحدثي
في سنة الف واربعماية واربع وستين . وكذلك البادري فرنسيس سوريانوس
الذي سابقاً كان ورديان دير القدس الشريف ارسل مكتوب الى البابا لاوون
بسبب تثبيت البطرك شمعون . اذ يشهد كما يستقر البابا المذكور في رسالته
٢٥ للبطرك المحررة سنة الف وخمسماية وخمس عشرة . ان البطرك[1] وشعب الموارنة
بأسرهم مستقرين ومتمسكين على الحقيقة في الامانة الارثوذكسية . وان
كالأبناء الصالحين والعابدين يكرمون كنيسة رومية المقدسة غاية الكرامة
(١٨٢ ولم يختلفوا عنها بما يحق لخلاص الانفس . الا ان كان بعض عوايد
تعم كهنة الشرق وتحللت لهم من الكرسي الروماني على يد غريغون الراهب .

١) البطرك شمعون ف

١٥١٥ م : ٩٢١ هـ بدؤها ١٥ شباط خ

الاصدعند البابا ؛ الورد في وسط الشوك : سجل البابا اوهين الى الارمن واليعاقبة ؛ تدبير شؤون الموارنة

في سنة الف وخمسماية وخمس عشرة مسيحية وصل القاصد لروميه
٥ وبعد تقبيل اقدام الحبر الأعظم قدم له السجلات المذكورة مع مكاتيب
البطريرك شمعون والبادري فرنسيس سوريانوس . فلما وقف عليها وتحقق
عن حسن امانة البطريرك وساير الملة وعن عوايدهم وسلوكهم المستقيم
وعن احتمالهم المظالم بصبراً جزيل : شهر في الرسالة التي كتبها للبطريرك
١٠ ان اقبل عليه فرحاً عظيم وامتلأ قلبه ابتهاج وسروراً لم يوصف حتى انه رفع
التسابيح والشكران للحق سبحانه وتعالى الذي بحلمه العظيم آثر بان بين الكنايس

الشرقية في وسط الكفر ومعركة البدايع يكونوا عبيده المؤمنين منصانين كالورد
في وسط الشوك لتسبحة اسمه ولاسترجاع الغير المؤمنين ؛ وأنهم يكونوا
١٥ بغير عيب ولا ريب متمسكين في امانة الكنيسة الجامعة المقدسة الرومانية
وعوايدها من غير انهم يتعدوا عن امانة المسيح بسبب المظالم والخساير
والاضطهادات التي يحتملونها من ذوي الانشقاق والبدايع ومن الغير المؤمنين
الذين يمقتون اسم المخلص : بل كل يوم يزتادون قوة وأيد ليحتملوا الضنك
٢٠ والمكاره في حب الله ؛ وفي المكتوب الذي تحرر في اول آب من شهور هذه
السنة ارسل له مع القس بطرس السفير درع البطركية مع العداد والبدلات التي
بعث طلبها منه . وتبته على الملة المارونية بما يخص الامور الروحانية
والجسدانية وانه يكون لهم بشبه الراس وهم بمنزلة الاعضاء خاضعين .
٢٥ ويأمره بأمر الطاعة ان في تقديس الميرون لا يستعملوا شيئاً دون زيت الزيتون
والبلسان على ما تسلمت الكنيسة الرومانية من الرسل الاطهار (١٨٣ وحسب
الميعاد الذي تعاهد به سابقاً البطرك ارميا وجميع الطايفة ؛ وان في كل سنة
يقدسون الميرون ويثبتون به المعاميد عند كمال السن ؛ ويوصيهم في القرار
بانبثاق روح القدس من الاب والابن كمن علة واحدة ؛ وأنهم يتناولوا
٥ القربان المقدس اقل ما يكون في عيد القيامة ؛ ومن خصوص الامور
التي بعث طلبها منه ارسل له مكتوب تحرر في اول شهر ايلول منه يعلمه ؛
انه ارسل مكتوب الى ليونازدوس لاوردان امير البندقية انه يكون ذو حلم
وشفقة على الموارنة القاطنين في قبرس ؛ ومكتوب اخر الى المقدم الياس الماروني
١٠ انه يكون غيور على امور البيعة ومنتبه على سياسة طايفته . ومكتوب اخر
الى مطران الاقفسية ينهيه به بامر الطاعة عن ارزاق دير ماري يوحنا وعن
وقوفات الطايفة المارونية . ومكتوبين آخرين احدهما للبطرك والاخر عموماً
ان كنيسة ماري يوحنا التي بارض الاقفسية وساير الوقوفات التي للموارنة
١٥ في جزيرة قبرس يكونوا في تصريف البطرك ؛ وان المخالف يكون سقط
تحت الحرومات القاطعة وان كان اسقف ام مطران فيكون مربوط ؛ وارسل
ايضاً مكتوب الى البادري فرنسيس من التوه والبادري فرنسيس سوريانوس
بان يدمنا على زيارة البطرك وطايفته ويرشدونهم بما يخص امور الايمان
٢٠ اذا دعت الضرورة . وارسل لهم ايضاً سجلين ولفهما البابا اوجان في مجمع

فاورنسا احدهما باسم طايفة الارمن والاخر الى الملة اليعقوبية ؛ وما ارتسلا ؛
ويأمرهما يعرضانها على البطرك وطايفته يدرسوها وثم يرسلوهما الى الارمن
واليعاقبة اذا جاءهم محل ؛ وارسل ايضاً غفران كامل ابدي لكل من يزور
٢٥ كنيسة الكرسي الانطاكي في الاعياد الربانية في نياحة السيدة وميلاد يوحنا
المعمدان وعيد الرسولين بطرس وبولس وعيد الصليب . اذا اعترف
وتقرب وصنع حسنة الى كنيسة الكرسي ؛ وأعطى فسحة للكهنة (١٨٤ معامين
الاعتراف انهم يحلوا التايبين من ساير الخطايا ولو كانت محفوظة للروساء
وانهم يبدلوا النذورات باعمال اخرى صالحة ما خلا نذر العفة والرهبنة ؛ وأمر
ان هذا الغفران يكون مخالد حتى المومنون يعضدون كنيسة الكرسي ويحتملوا
٥ بصبر المظالم التي تقبل عليهم . وعندما وصلت هذه المكاتيب مع البدلات
ودرع الرياسة الى البطرك شمعون حصل له فرحاً جزيل وشكر الباري الذي
لم يخيب عبيده من تسلية رحمته .

وفي هذه السنة صار ان البادري فرنسيس من القوه أكمل ايام رياسته
١٠ في مدينة بيروت وهم على الرجوع الى بلاده . قدم الى زيارة السيد البطريرك
وبات عنده عدة أيام ثم في رابع عشر من شباط قصد الدخول الى رومية .
فارسل معه البطرك الخوري يوسف وراهبين ليتأدبا في اللغة اللاتينية وتعليم
الاباء الاطهار ؛ وعند وصولهم كان البابا عاقد مجمع كبير في كنيسة ماري
يوحنا لا تران وتقدموا الى تقبيل قدميه ورمي الطاعة فاستقبلهم قدسه
١٥ بكافة العزازة . وامر ان مكتوب البطريرك يقرأ في العربي واللاتيني على
الملاء وان قصاد الكرسي الانطاكي ينزلوا عند الكردينال سنتا كروس في
كنيسة ماري اغوسطين ؛ ثم ان الخوري يوسف طلب من الكردينال
٢٠ المذكور اذن حتى يقدس في السرياني فأمر ان يفحص كتاب القداس السرياني
واذ لم يكن احد في بلاد الغرب قبل هذا الان يفهم اللغة السريانية والعربية
صار ان تاسيوس امبروسيوس رجل ذو همة وغيرة جزيلة حمل هذه المشقة
وتعلم اللغة السريانية من قصاد الكرسي ومن رجل آخر يهودي ماهر
٢٥ في اللغة العبرانية ؛ ومن ذلك الزمان درجت في بلاد الغرب معرفة اللغة السريانية .

١٥١٦م : ٩٢٢هـ بدوءها ٥ شباط س

الوقعة بين الغوري والصوفي في مرج دابق ؛ سليم يكسر الشاه اسماعيل والمماليك الجراكسة ويفتح حلب ومصر ويستدعي امراء لبنان لتقديم الطاعة وليدبر امور البلاد ؛ وفاة احمد القلاعي ؛ مؤلفات

(وفي هذه السنة الموافقة لسنة اثنتين وعشرين وتسعمايــة هجرية كانت الوقعة بين الغوري والصوفي - اعني بين ملك مصر الاشرف قانصوه وبين السلطان سليم بن عثمان ملك القسطنطينية عند مرج دابق الذي يقرب حلب . وذلك ان السلطان سليم ابن سلطان بايزيد ملك الروم من حين ١٠ استقر على سرير الملك بدأ في القتال مع ملك العجم اسماعيل شاه ودخل برجاله وعساكره حتى تملك تبريز وكسر عسكر قزل باش واعطى الرعية تمام الامان وانهزم من قدامه اسماعيل شاه . وكانت بين اسماعيل شاه وبين الغوري ملك مصر المحبة والمراسلات . وعندما صارت عليه الركبة بعث استمد الشور من قانصوه الغوري ؛ وكان جوابه له ان كان مراده يكيد سلطان سليم فليحرق من قدامه اجران الحب والشعير ويرسل اناساً لتربط الطريق على ١٥ القوافل التي اعدها السلطان سليم لتتبعه بالمون والعليق . فانقاد الى شوره . وعندما فتحت تبريز حدثت مجاعة عظيمة حتى ان رغيف الخبز ابيع بماية درهم وعليقة الشعير بماية . فتبصر السلطان سليم وسأل عن قطع الميرة في محل الاحتياج اليها . فاخبروه ان الغوري سلطان مصر كان السبب ؛ لاجل ذلك استقرت الركبة على أخذ مصر وازالة الجراكسة منها .

٢٠ وفي هذه السنة صارت المناداة واجتمع عسكر الروم وعسكر الجراكسة بمرج دابق . وكانت الوحشة بين ملك مصر وبين خير بك والغزالي قواد جيشه فكتب خير بك والغزالي الى السلطان سليم ليأخذا خاطره . فاوعدهما ان يولي احدهما على مصر والاخر على الشام . فلما استقر الحرب بين الغوري والصوفي فأمر الغوري لخير بك والغزالي ليتقدما لقتال السلطان سليم ليقتلا في البنادق ٢٥ في اول دفعة . فلما اضطربت النيران بين العسكرين فرّ خير بك بمن معه من الميمنة وفرّ الغزالي بمن معه من الميسرة الى ناحية السلطان سليم ؛ فتبقى

الغوري بخواصه في الوسط . فقتل سيباي نائب دمشق ونائب طرابلوس ونائب صفد وانكسر عسكره من غير محاربة كسرة عظيمة . (١٨٤ واما السلطان الغوري فلما نظر انها خامرت عليه النواب غشي وغمي عند زيادة الغضب ومات من غير
٥٠ قتال ولا جراح . وتملك السلطان سليم جميع الوطاق والخيل والمتاع ثم صعد الى مدينة حلب اعطاهم الامان ودخل فوضعت راياته على قلعة المدينة . وعندما يوم الجمعة حضر الى الصلوة دعى له الخطيب ولسلفائه ولقّبه بخادم الحرمين . فسرّ بذلك السلطان وخلع عليه خلع متعددة . اقام بحلب ايام كثيرة حتى
٥٥ مهّد الملك واجرى احكاماً عادلة على الرعايا . ثم ملك حماه وحمص وسار بالجيش الى دمشق . فخرج اهلها الى لقائه وطلبوا منه الامان فاجابهم الى ذلك . فضبط حصونها ومهّد امورها وأمر بعمارة الاكسير الاكبر واوقف له وقوفاً . ثم ارتحل بالجيش الى بلاد مصر . فلما وصل الى بلاد غزة عدل بمفرده الى زيارة القدس الشريف والخليل بانفار قلائل وعاد الى عسكره .
٦٠ وفيها اجتمع الجراكسة بمصر وجعلوا الدوادار طومان باي سلطاناً ولقبوه بالملك الاشرف والقوا مقاليد سلطنتهم اليه . فجمع العساكر وخرج الى الرشدانية خارج مصر . ونصبوا المدافع الكبار لقتال العساكر العثمانية . فاخبر الجواسيس السلطان سليم باستعداد الجراكسة . فمضى هو وعسكره من خلف الجبل المقطم . فقاتلهم السلطان طومان باي والجراكسة بشجاعة قوية وجرت بينهم
٦٥ حروب شديدة وكانت الكسرة على الاتراك وانمسك السلطان طومان باي فصلب عند باب زويلة . وفني ايضاً من عسكر الروم خلق لا يحصى وقتل الوزير الاكبر سنان باشا واسف عليه السلطان سليم . وفي طومان باي انقرضت دولة الترك . كان بدؤها سنة الف ومايتين وثمان واربعين من الملك المعز عز الدين ايبك وجملتهم تسعة واربعون سلطاناً . ثم (١٨٤ من يقول
٧٠ انها كملت الخمسون فيعدون الاشرف قنصوه خمسماية سلطاناً لكنه لم تملك القلعة والبعض يعدّون شجر الدرجارية الملك الصالح لانها ملكت ثلاثة اشهر ثم خلعت نفسها . وتولّى السلطنة ايبك . وفي هذه الحروب[1] صار ظلم عظيم على الخلق وجبيوا فيها الخراج مرتين وارموا جمالا على الناس كل جمل بثلاثة الاف وخمسماية درهم . وكان الغلاء العظيم على كل الارض فما غلّت الاراضي
٧٥ ولا الاشجار ولا البهائم ولا الدجاج الا شيئاً قليلا وكان قوت الناس في البر

اكثره من الحليب ؛ واما السلطان سليم فعندما تملك مصر امر ببنيان كوشك
في الروضة مشرف على بحر النيل وكان على علو قاعات المقياس فضبط خراج
مصر ودبّر امورها ؛ وامّن الحراكسة وجعلهم امراءها وان ياكلوا وقوفاتهم ؛
وولّى الامير خير بك الديار المصرية وكالميعاد الذي اعطاه في مرج دابق ؛
٨٠ وفي ولاية السلطان سليم الديار الشامية والمصرية ارتفعت الحروب التي كانت
واقعة بينهما وصار امان واطمئنان عام ؛ ولترتفع ايضاً الحروب من بين امراء
هذه الايالات كتب الى امراء البلدان بالامان والحضور ؛ فحضر اليه الامير
قرقماس ابن الامير يونس بن معن والامير جمال الدين اليمني والامير عسّاف
وغيرهم ؛ دون امراء الغرب التنوخية لانهم كانوا من صوب الحراكسة .
٨٥ فولّى الامير قرقماس بلاد الشوف والامير جمال الدين بلاد الغرب والامير
عسّاف كسروان وبلاد جبيل ؛ وامرهم يحسنوا السياسة لقومهم وفي عمارة
بلدانهم ؛ ولكثرة حلمه رتّب عليهم مالاً جزئياً وجعل على بلاد كسروان
سبعمائة سلطاني وكان مقدار السلطاني ثلثين القرش الاسدي ؛ واعطاهم بذلك
خطاً شريفاً ؛ وعندما عمّر البلاد قدمت اليه الناس من كل جانب ؛ فالمتاولة
٩٠ من بلاد بعلبك واخذوا السكنى في فاريا وحراجل وبقعاتا ؛ وقدمت السنّية
من البقاع واستوطنوا في فتقا وساحل علما وفيطرون وفقيع وعرمون والجديدة ؛
والدروز جاءوا من المتن والجرد سكنوا في برمانا ومزارع كسروان ؛ وكذلك
النصارى النزاح من بلاد طرابلس فاهالي المجدل قصدوا عرامون واهالي
يانوح كفور التنوح ؛ والشيخ حبيش بن موسى بن عبدالله بن مخائيل انتقل
٩٥ بعياله من يانوح الى غزير ؛ واما الامير عساف كان مقامه اولاً في بلاد كسروان
عند عين شقيف وفي الشتاء كان ينزل الى عينطورا ورباعه مفرقين في الازواق
على ساحل البحر ؛ فلما قبل العفونامه من السلطان سليم انتقل الى قرية
غزير جعل بها سكنته ؛ وكان له ثلاثة بنين وهم حسن وحسين وقيتبيه[٢] » .

في سنة الف وخمسماية وست عشرة مسيحية بعد ما مهّد (١٨٥ السلطان
سليم امور الديار المصرية واسلمها بيد خير بك في ثلثة وعشرين من رجب
رجع الى دمشق ؛ فولّى نيابتها الى جان بردي الغزالي واضاف اليها القدس
٥ وغزه وصفد والكرك ؛ واما حلب وحماة وحمص وطرابلس والمدن البحرية
جعلها بابادي عماله ؛ ومن هناك رجع الى بلاد الروم وتولى على البرّين

والبحرين والحرمين وديار ربيعه والجزيرة وغيرها ه وفيها انتقل بالوفاة
الى رحمة ربه ومجازاة تعبه الاسقف جبرايل ابن القلاعي[٣] من قرية لحفد ؛
يعجز اللسان عن وصف قداسته وعلومه وغيرته التي بها سند بذراعيه ملّته
١٠ عندما احاطت بها ذوي البدايع ولم يسعفها بحياته فقط بل وبعد وفاته في
المصنفات التي خلفها ؛ فنذكر البعض منها لعلم القارى النجيب ؛ فصنف
كتاب ناموس كنايسي وكتاب عظه وكتاب عن الاعتراف وكتاب عن رياسة
بابية رومية واخبارهم وكتاب عن ملوكها وكتاب عن اعتقاد الموارنة واتحادهم
١٥ مع كنيسة رومية وكتاب عن علم الالهيات وكتاب عن الايمان المستقيم
واسرار حياة المسيح ؛ ونحو خمساية رسالة كتبها لبني ملّته لاجل ثباتهم على
ايمان مار مارون والكنيسة الرومانية . وصنّف في الشعر جملة مدايح عن سر
الثالوث المقدس والتجسد الالهي وعن حياة المسيح وامّه تحت الصليب وعن
٢٠ طبيعتي الرب والمشيئتين باقنوم واحد وعن علم الايمان وانبثاق روح القدس
من الاب والابن وعن الست الطاهرة والدة الخلاص وعن قصص الرسل
وعن قسطنطين الكبير وبدي النصرانية وعن المجامع الاربعة ومار مارون
الانطاكي وعن ابرهيم الخليل ومار نوهرا الصمراني ومار جرجس اللداوي
٢٥ ومار سمعان الحبيلي ومار ريشا الروماني ومار شينا الحرامي وعن بربارة
البعلبكية وافروسينا الاسكندرية ؛ وعن قصة كسروان وعن الذين قصدوا
رمي الزوان بين الموارنة وعن رفيقه فراجوان الماروني وعن الراهبة (١٨٦ الشالحة
وعن معرفة الافلاك والابراج والاستقاسات ؛ وايضاً جملة مدايح عن العالم
وعن النفس وعن التوبة وعن الموت وعن اوجاد الزنجه وغيرها اقتصرنا
عن ذكرها ؛ فيفهم القاري مما ذكرنا ما كان اشد غيرة الاسقف جبرايل
٥ ذكره مويداً ؛ وبعد وفاته ارتسم بدله الاسقف مارون ه

---

١) جاء في المسوّدة ص ١٢٧ « وكانت سنة ظلم ودينة على كل النصارى الذين جبوا منهم الجوالي رنين في السنة ودميوا جمال على كل الناس كل جمل بثلاث الاف وخماية غير ضربة القحطة التي ارتسلت من الله على الاراضي والاشجار حتى ان الدجاج لم كانت تبيض وقوت الناس كان اكثره الحليب » — ٢) ما بين الهلالين ناقص في ش اخذناه عن ف ن ب ؛ ابن اياس ٣ ص ١٠١ وما بعدها والترماني ص ٢١٤–٢١٦ — ٣) راجع ترجمته في غراف تاريخ الاداب العربية المسيحية ٢٣ ص ٢٠٩ — ٢٢٦

١٥١٧م ٩٢٤هـ بدوءها ٢٤ك٢ س

كنيسة حدشيت

في سنة الف وخمساية وسبع عشرة مسيحية اعتنى الخوري يرد في عمارة كنيسة مار رومانوس في قرية حدشيت واصطلاح كتبها

١٥١٨م ٩٢٤هـ بدوءها ١٣ك٢ ار

وفاة الامير عساف: قيتبيه يقتل باخويه ويستأثر بالحكم

سنة الف وخمساية وثماني عشرة مسيحية كانت وفاة الامير عساف حاكم
١٠ بلدان كسروان وجبيل . وتولّى الحكم من قبل باشة الشام الى بلاد كسروان ابنه حسن الذي كان الاكبر بين اخوته . ثم ان وقعت الفتنة بين الامير قيتبيه وبين اخوته بسبب الحكم . واما قيتبيه الذي كان الاصغر فيهم ومن غير امهم طفر الى الشويفات لعند الامير جمال الدين . فدخلت الناس بينهم
١٥ وصالحوهم . ثم انه نزل الامير حسن واخوه حسين لبيروت . فغدر بهما قيتبيه وقتلهما . واراد يقتل منصور ابن حسن ولكن عفى عن قتله لبين ما برزق ولداً يخالفه . حينئذ ضمن بلاد كسروان قيتبيه وحده وقبض على يوسف وعلى اخيه سليمان اولاد حبيش لانهما كانا يخدما عند اخوته فحبسهما وغرمهما وانفاهما الى مصر . وما زال حاكم البلاد لنهاية حياته.[1] وفي
٢٠ هذه السنة جاء الثلج عظيم فأحرق الزروع وامات المعز .

---

١) جاء في المسودة ص ١٦١ - ١٦٢ ما يلي :

«عن بيت حبيش التركماني الذي قصد سكنة كسروان هو المير عساف الذي اخذ السكنة ببيطورا وعمار هناك برجاً وفي الصيف كان يصعد الى عين شقيف وابتنا له برجاً ايضاً ونصب [فيه] هناك جوز ورمان وغيرهم وكان للمير عساف تبع صبحي الذي اخذ السكنه بزوق مصبح ومخائيل الذي سكن زوق مخائيل وكذلك خراب وعامر الذين باسامبهم قامت [...] زوق الخراب وزوق عامر فصار له صيطاً وعطي ثلاثة بنين [المير] حسن وحسين وقيتبيه فاخذوا الولايه من الشام على بلاد كسروان واخذوا السكنه في غزير

حيث قال ان كان دير التماثيل بمايز واقية شريفة وكان المتكلم المير حسن الذي كان اكبر سناً من اخوته [وفي قرب] وكان ذلك قرب تسماية وج (٢٣) السنة التي جا صارت الموقعة بين الغوري والصوفي وفي

وفي ايامه الشيخ حبيش الماروني الذي منه تناسلت طائفة الحبيشية انتقل من [دير] يانوح حيث كان مولده الى غزير وله اربع بنين ابو منصور يوسف وابراهيم ابو خليل وابو معنا الزين وابو يونس سليمان فالتجوا الى عند حسن فخدم البعض منهم عند حسن والبعض عند اخوته ولان حسن وحسين كانا الاكبر ومن اب وام واحدة استحقروا قيتبيه وطفروه حتى انه [انه التجى الى المير [محمد ابن] جمال الدين اليمني وكان يتردد عنده ويترابد على اخوته في ضمان البلاد ثم انهم تصالحوا ونزلوا عنده في بيروت فغدر باخويه وقتلهما ولم يبقي الا عن ابن حسن يتيمي منصور لان سنه كان صغيراً [وهو] وكان قيتبيه عادم البنين فضمن حينئذٍ غزير وحده واستحقر باولاد حبيش الذين كانوا عند اخوته فاخذهم اسرى وحبسهم بيروت [ومن] وبعدها قطع عليهم غريمة [لسفروا] ارسل اثنين منهم الى مصر وسافر الشيخ حبيش وابنه الزين وابراهيم الى الشاما عند الشيخ هاشم [صحب] بن العجمي

ثم ان سار المير قيتبيه الى الحج وابن اخوه منصور معه فرجعوا اولاد حبيش من مصر وساروا الى عند والدهم للشاما وعند ما رجع قيتبيه من الحج بلغه الخبر ان جاه ولد وكان يقصد قتل ابن اخيه منصور فطلع [صحب] هاشم ابن العجمي[و] مع اولاد حبيش واستخلصوا منصور ابن المير حسن واتوا به الى كسروان واجتمعوا معه الذين كانوا [مع] من توابع ابيه وصاروا يخطخطوا البلاد حتى ان المير قيتبيه دفع اموال كثيرة وجمع عسكر [من] الشام وجا لمقاتلة ابن اخيه فظفر المير منصور للاسا واخذ البلاد وحكمه المير قيتبيه ثم انه توفي [في بيروت].

واخذ الحكم المير منصور وكان كاخيته ابو منصور يوسف واخوه ابو يونس سليمان . بعد وفاة المير منصور قام ولده المير محمد الذي حكم احكاماً عادلة وجاته مناشير واموره في بيروت وبلاد كسروان وحمص وحماه وعمّر سرايا في بيروت وفي جبيل وغزير [واستفحل امره ثم انه قتل ابن شعيب في مدينة طرابلس] فعرضت فيه الاوورة للباب العالي فرفعوا يده من ايالة طرابلس وعطوها ليوسف باشا ابن سيفا التركماني » .

ان ما جاء في هذه الحاشية بين معكوفين مشطوب بيد الدويهي وما جاء بين هلالين حرره الناشر

١٥١٩ م : ٩٢٥ هـ بدوءها ٢ ك ٢ اث و ٩٢٦ هـ بدوءها ٢٣ ك ١ ث

وفاة السلطان سليم : وفاة عساف البشراني ؛ الجراد والغلاء

في سنة الف وخمساية وتسع عشرة مسيحية كانت وفاة السلطان سليم سلطان بلاد الروم والديار المصرية والشامية . وكانت مدة سلطنته تسع سنين . وتولّى السلطنة بعده السلطان سليمان [١]

وفيها توفي المقدم عساف البشراني وهو الياس ابن جمال الدين (١٨٧ يوسف ابن عبد المنعم ايوب . وبسبب انه ما خلّف غير حنا وكان قاصرًا في العمر تقدم على المقدمية كمال الدين ابن عبد الوهاب الايطوني المعروف بابن عجرمه . فتزوج بست الملوك بنت الشيخ علوان ابن حسام الدين ابن قمر البشراني . فحظي في اموال جزيلة وابتنا برجاً شريف في قريته ايطو وحكم نصف البلاد مما يلي الشمال

وفيها زحف الجراد في بلاد الشام[٢] واكل كل الفاكية والبزور وصار الغلاء العظيم حتّى ان شنبل القمح بلغ في بلاد طرابلوس للماية دينار وفي بيروت للماية وخمسين . ويقول حمزة ابن احمد ابن سباط الغربي في آخر تاريخه . ان في هذه السنة غلت جميع الاسعار خصوصاً الحرير والقطن والصوف والكتان واصناف المليوس وكذلك الحيوان فوصل البغل الى خمسة آلاف وازيد والحمار الى الف وخمساية وراس البقر الى ثلثة آلاف وراس الغنم والمعز الى مايتين وخمسين وطير الدجاج الى ثمانية عشر درهم والزيت الى العشرين في الشامي حتّى الشجر والخشب والحطب والنحاس والحديد والبولاد وجميع الاشياء زادت عن جاري عادتها حتّى حجار العمارة كانت الالف حجر ماية درهم .

١) القرداني ص ٢١٦ — ٢) ابن سباط ص ٤٢٥ – ٤٢٦

١٥٢٠ م : ٩٢٧ هـ بدوءها ١٢ ك ١ ار

جبرائيل المدناني ؛ دير الفراديس

في سنة الف وخمساية وعشرين مسيحية كانت رسامة الاسقف جبرايل المدناني ابن اخي المطران قورياقوس[1] بن حباص واخذ السكنة في ٢٠ قرية زغرتاه وفيها توفي القس حنا ريس دير ماري سمعان الفراديس . وتخلف بعده قس آخر باسم يوحنا . فاجتهد على عمار المحابس واتفق مع اهالي قرية بان وتحملوا عن الدير نصف الدعوس الذي خص متاحسب دير الفراديس على يد المطران قورياقوس والمطران اليامن والحبيس يونان .

جاء في المسوّدة ص ٢٠٨ :

«سنة انيط (١٥١٩) مسيحية زحف الجراد في بلاد الشام واكل كل الفاكية والبزور وصار غلا حتى شنبل القمح بلغ المائة وفي مدينة بيروت قرب قرن (١٥٠) .»

[وفي هذه السنة ارتسم المطران جبرائيل في حياة عمه المطران قورياقس ويقال ان طلب الاسقفية من الطائفة فلم يعطى ذلك بسبب ذلك قام دخل الى بلاد المشرق وزور مكتوب باسم اهل امدن انه يرسم مطرانًا فرسمه اليعاقبة وارسلوه الى امدن فلم قبلوه اهلها فقام دخل بزي درويش برفقة ابن الجاموس الى مكة ورجع الى امدن [فالزموه] فحثوه ان يرجع الى الطاعة ويخدم كهنوته فاذا خدمها واجبًا يسموه اسقفًا بعد عمه فارتضى بذلك واخذ السكنى في زغرتا لان المذكورة كانت لابن جاموس] . ١٠ بين المكروفين مشطوب في المسوّدة

١٥٢١ م : ٩٢٨ هـ بدوءها ١ ك ١ أث

وفاة البابا لاوون ؛ وفد البطريرك الى اوربانوس ؛

هدايا البابا الى البطريرك

في سنة الف وخمساية واحدى وعشرين مسيحية بعد ما انتقل (١٨٨ الى ٢٥ رحمة ربه برومية البابا لاوون تخلف بعده ادريانوس السادس . والبطرك

شمعون سفّر اليه القس موسى العكاري ريس دير حوقا والراهب الياس ابن زوزور الحدثي خولي دير قنوبين : ونزلا في كنيسة ماري اغوسطين عند ٥ الكردينال برنردين سنتاكروس اسقف اسطيا : وعندما قدما مكتوب الطاعة اقتبلها قدسه بكل عزازة : وفي جوابه للبطرك الذي تحرر في اثنين وعشرين من تشرين سنة الف وخمساية اثنين وعشرين يذكر له ، انه تحقق عن صحة امانته وامانة طايفته لست فقط من رسالته بل ومن شهادة القصاد ١٠ الذين كان انفذهم الى عندهم البابا لاوون وان عند ما رجعوا تقدموا وشهدوا ان الملة المارونية مثل كنيسة رومية . فيتلو الشكر لله الذي انعم على البطرك بتلك الدرجة العظيمة حتى انه حقاً يحكم في ناموس الله ويجعل رايحته فايحة بين الغير المومنين كرايحة الورد بين الشوك ويسال الرب ان يبارك عليه وعلى ١٥ مطارنته واساقفته ويجعل الشعب الماروني مباركاً[1] . وعندما رجع القصاد ارسل له معهما بدلتين واربع دروعات مزركشات واثنين حمر مقصبات وغفارتين مزركشات وكيتونه بيضه وخف وبشليك وتاج لولو وغفاره عتيقة ومقعد مخمل ووجه ايقونة ووجه مذبح مزركش بتصاوير وغطا كاس مجذوب ٢٠ بذهب وزنار بشارخ وصوابع وخاتم وصليب وكاسين وصينيتين فضة وعصا فضة خمس قطع براسها فضة وبلور وحديد البرشان وكتاب ناموس فرنجي[2] : وعندما رجعوا الى دير قنوبين ارسل له البطرك مكاتيب الثناء واستكثار الخير : وسام القس موسى العكاري مطراناً .

---

١) واساقفته وعلى الكهنة والرهبان والشمامسة والشدايقة وعلى جميع الشعب الماروني الكاثوليكي ف ب — ٢) جاء في المسوّدة ص ٢٠٩ :
«وغير هولا كانت في الدير اربعة عداد تلتين مع مطران يعقوب وعده عند مطران شمعون المزرعاني وعده عند مطران جرجس الحدثاني الذين كانوا ساكنين في الدير المسور . . . »

١٥٢٢ م : ٩٢٩ هـ بلدوشها ٢٠ ت ٢ خ

السلطان سليمان يفتح بلغراد

٢٥ في سنة الف وخمساية واثنتين وعشرين مسيحية قاد السلطان سليمان

عساكره المتوافرة الى فتح مدينة بالغراض[1] وهي راس مماكة (١٨٩) اونجاريا على شاطي نهر دانوبيوس ؛ وكان ملكها لويس وله من العمر اربع عشرة سنة . وبعد حصار شهرين ملكها وقتل ملكها واكابر القواد والامراء وطافوا كل ملكها : وضرب فيها السيف والنار وكان عدد القتلى والاسرى ينوف عن مايتين الف . ونقل ذخاير القديسين التي كانت مكرمة بها وهي صورة السيدة وزند القديسة بربارة وغيرهما الى القسطنطينية والزم ارميا بطرك القسطنطينية حتى دفع له بها اثنيعشر الف غرش

(١) راجع هامر ٥ ص ١٧ وما بعدها سنة ١٥٢١م وص ٦٣ وما بعدها

١٥٢٣م ؛ ٩٣٠هـ بدوءها ١٠ ت٢ ت

سليمان يفتح رودوس ؛ المظالم ؛ مطران الشام ؛ وفاة قيتبيه ؛ ولاية منصور ؛ المتاولة

في سنة الف وخمساية وثلث وعشرين مسيحية قصد السلطان سليمان جزيرة رودوس بنحو مايتي الف مقاتل وثبت على حصارها ستة شهور من غير نفع ؛ وقتل من جيش الترك نحو ستين الف ، وعندما هم السلطان على الرحيل عنها فخامر قايد الجيش على اخذها وارسل الى جيش الترك سهاماً وفيه ورقة صغيرة بانهم لا يخشوا بان اهل الجزيرة اكثرهم هلكوا وصاروا آيسين عن حفظها ؛ فتشجع الترك وشددوا الحصار عليها وفي عيد ميلاد الرب دخلها السلطان سليمان وتولاها ؛ والذي خامر عليهم قتلوه اهل الجزيرة قبل ان تدخلها الترك ، وعندما دخل السلطان امر بعزل النصارى الطايعين لكنيسة رومية منها . وفيها بطل حكم الغزالي وبدا

٢٠ حكم الحلاقية . داروا الدراهم قطع كل درهمين قطعة . واما الفلاح كانوا يأخذوا منهم خمسة دراهم على القطعة فضاموا العباد ولحقت الغالية الى مايتين وستين .

وفيها كانت رسامة المطران انطانيوس على الشام . وارسله البطرك شمعون الى زيارة اهالي قبروس جدد كنيسة مار جرجس طالا . وفيها ٢٥ كانت وفاة الامير قيتبيه ابن عساف في قرية غزير ؛ وتخلف بعده الامير منصور ابن اخيه حسن وامتد حكمه الى حد عكار ؛ فان طرابلوس كانت بيد النواب وفي غياب الدولة كان يضمنها محمد آغا بن شعيب من اهالي عرقا . (١٩٠ ومن تحت يده كان يضمن للامير منصور بلاد جبيل والبترون وجبة بشري والكورة والزاوية والضنية . فرد الى عنده الامير منصور الشيخ يوسف والشيخ سليمان اولاد حبيش . واعطى بلاد جبيل للشيخ هاشم العجمي ؛ ٥ وابن عمه عبد المنعم ابن سيف الدين بنا له برجاً في غزير وكوخنه على رزقه ؛ وكان متكلماً على العاقورة الشيخ مالك بن بلغيث وكان ذا همة عظيمة ؛ فلما نزل مالك الى الشام ولبث مدة بها صار ان متاولة حراجل انتقلوا الى تدمر التي فوق يانوح فعمروها واستوطنوا بها ؛ فلما بلغ ذلك مالك رمى ١٠ عليهم الصوت فاهزمهم وقلع جميع قلد تدمر ونقله للعاقورة

س ١ ت ٢٩ هاء بلو ٩٣١ ﻫ : ١٥٢٤ م

الجراد ؛ وفاة يعقوب الحدثي وجرجس صدفني والبطريرك شمعون ؛ جلوس موسى سعاده

في سنة الف وخمساية واربع وعشرين مسيحية زحف الجراد في بلاد الشام واكل الزروع ثم تبعه الغلاء والنقص .

وفيها بسبعة وعشرين من شهر تموز تنيح في دير قنوبين المطران يعقوب

١٥ ابن عزيز الحدثي . وبعد منه باربعة اشهر اعني في اثنين وعشرين من تشرين
الثاني كان انتقال المطران جرجس بن صدقي من مزرعة الحدث الى رحمة
ربه ؛ وكان رجلا فضيلا باراً وقضى أجله في قرية اليمونه وهو في زيارة
الرعية ؛ وفي يوم نياحته بعدما قدم القداس الطاهر وهو يصلي في الكنيسة
٢٠ ويقرأ مزامير داود علم ان دنت ساعة وفاته فارسل جمع الكهنة واخبرهم
بحاله واوصاهم بالرعية وعاهدهم لا يقبرود الا في مغارة البارة مارينا .
وبدوا بتجنيزه وهو برفقتهم جنز ذاته ووضع بخوراً بيده . اخيراً سلم روحه
بيد المولى الكريم وهو ضابط بيده سفر الزبور . فحزنت عليه الرعية وحملوه
٢٥ ليلاً الى دير قنوبين وفي الرابع وعشرين من الشهر دفنوه بقرب المطران يعقوب .
ثم بعد منه خمسة ايام قضى اجله ايضاً البطرك شمعون بن داود الشهير
بابن حسّان الحدثي (١٩١ وكان عمره ينوف عن المائة وعشرين سنة ومدة
رياسته اثنتين وثلاثين سنة وشهر وستة ايام . وكان حسن العقيدة ذا مكارم
وفضيلة واحتمل كثيراً من المقدم عبد المنعم بسبب ميلانه لليعقوبية . وفي
٥ نهار الرابع عشر من وفاة البطرك شمعون اجتمعت الرعايا واختاروا المطران
موسى ولد سعاده العكاري من البارده وقلدوه رياسة الكرسي الرسولي
وهو الخامس من البطاركة بدير قنوبين[1] .

---

١) جاء في المسوّدة ص ٣١٢ – ٣١٣ :

«في هذا الزمان طائفة الارمن بعدهم كانوا ثابتين في الطاعة والاتحاد مع كنيسة رومية
لموضع ذلك سنة انكوا (١٥٢٦) في ثالث سنة من رئاسة اقليمنضوس البابا السابع اختار
البادري برنردين قرطون من رهبان مار فرنسيس الصغار ليكون مرسلاً وقاصداً الى حضرة
الملك وكل طائفته الارمنية والى حضرة البطريرك بطرس وكل ملة الموارنة [ليقيم مجامع]
ليكرز ويعطي غفران ويحل من سائر الخطايا ويفسح في الزيجات

ويقيم مجامع في بلدان الارمن والموارنة لاجل حفظ الاتحاد مع الكنيسة الرومانية كما
كان صار في مجمع فلورنسا بايام بابا اوجان الرابع » . – ما بين المكوفين مشطوب في
المسوّدة .

١٥٢٦ م : ٩٣٣ ه بدؤها ٨ ت ١ أث

مار انطونيوس قزحيا ؛ القديس بيشو ؛ مار سركيس ؛ الزائر الرسولي ؛ الجراد في وادي عبرونا

في سنة الف وخمساية وست وعشرين مسيحية الخوري يونن المتريتي
١٠ ريس دير ماري انطونيوس قزحيا نقض قلد الحبس وجدده . وزاد على
مذبح مار بيشوى مذبحين أخر احدهما باسم السيدة والاخر باسم ماري جبرايل
ريس الملايكة . وأمر عجيب في ذخيرة القديس بيشوى بعدما حلى الحبس
كم مرة ينقلوها الى دير ماري انطانيوس ومن ذاتها ترجع الى موضعها .
١٥ وكذلك نقل عن شاهد ماري سركيس عرجز ان لما رحلوا اهل القرية
اخذوا الكهنة ذخيرته الى قرية ايطو ووضعوها في الكنيسة التي على اسمه
ولما دنا الليل شاهدوها نزلت مثل شهب النور الى عرجز . وفعلوا ذلك
مرتين اخر ثم انهم وضعوها بحايط كنيسة عرجز وسطموا عليها.

وفي هذه السنة البابا اقليموس السابع ارسل البادري برنردين قرصون
٢٠ من رهبان ماري فرنسيس الصغار الى بلاد الشرق يزور بطرك الموارنة وشعبه
والملك جرجس وطايفته في بلاد الارمينية لاجل حفظ الاتحاد الذي انعقد
في مجمع فلورنسا . واعطاه سلطان ليكرز ويفسح في الزيجات ويحل من ساير
الخطايا ويعطي غفران ويعقد مجامع في بلدان الارمن والموارنة

٢٥ وفيها جاء الجراد من جهة قبلة وفي شهر نيسان غطّى هذه البلدان
ما خلا بلاد بعلبك والجون فزتعي البزور والفاكية . وعندما كان (١٩٢ ظالع
الزحاف في وادي عبرونا الى جبة بشرّي أمر قورياقوس مطران اهدن بان
الكهنة تزيح الشهداء وان كل يوم يخرج الشعب يسكو عليه المعابر . فقتلوا
منه شيئاً لا يحصى ثم انه غلبهم فردوا الساقية على معبوز زريق وانصفّت قباله
٥ الرجال نوف عن مايه وخمسين نفس فغرق الذي غرق والباقي اصطادوه في
الاسلال وخلصت الجبّة من اذاه . ثم تبعه الغلاء العظيم ثبت نحو تسعة
اشهر وصل في طرابلوس القمح الى مايه وخمسين درهم والدره الى مايه وعشرة

وقلّة الزيت الى المايتين وقنطار العنب الى خمساية ورطل الخبز الى خمسة وعشرين
١٠ درهم . واكثر الناس تزفروا في الصوم.[1]

١) جاء في المسوّدة ص ٢١٤ في السطر الاخير الموافق لهذا البند : [كما يذكر الخوري جبرائيل] وهذه العبارة مشطوبة في المسوّدة

١٥٢٧ م : ٩٣٤ هـ بدوءها ٢٧ ايلول ج

وفاة الاسقف يوسف ؛ انطون مطران الشام عند البابا ؛ اسقافات الاب الاقدس

في سنة الف وخمساية وسبع وعشرين مسيحية كانت وفاة الاسقف يوسف من كفرحورا التي بناحية الزاوية . وفيها البطرك موسى ارسل انطون مطران ١٥ الشام الى رومية بسبب رمى الطاعة وطلب التثبت . فوقع بيد القرصان وتشلح ثم انه استفك ذاته ودخل الى تقبيل اقدام البابا قليموس . فاستقبله بكافة الكرامة وانعم عليه واعطاه مكتوب ان كل من يتفضل عليه عمها كان من الحسنة ينال غفران خطاياه من السبعة . وفي ذلك المكتوب بنفسه الذي ٢٠ تحرر في اليوم الثالث من اينول سنة الف وخمساية وثمان وعشرين ثبت الغفران الكامل الذي ابن عمه البابا الاون العاشر كان أرسله سابقاً الى كنيسة الكرسي وأعطى سلطان للبطرك حتّى يحل الذين نكروا دينهم والذين تزوّجوا مع الغير مؤمنين اذا تابوا عن سالف منهم وخطايا القانون المفروض عليهم .

١٥٢٨ م : ٩٣٥ هـ بدوءها ١٥ ايلول ث

القتال بين الشعيبة والسيفلية

٢٥ في سنة الف وخمساية وثمان وعشرين مسيحية وقع القتال (١٩٣ بين اولاد شعيب اهالي عرقا وبين اولاد سيفا امراء التركمان حتّى ان من جور الشعيبية طفروا السيفلية من بلاد عكار الى الباروك تحت حماية الامير قرقماس ابن معن . فتحشم الامير منصور السيفلية وارسل معهم ثلثماية رجل من

٥ الشوف وكبسوا الشعيبية في عرقا وقتلوهم وتولّوا حكم بلاد عكار ؛ فحنق محمد آغا ابن شعيب حاكم طرابلوس على الامير منصور وتقلّب عليه في المال . فأرسل له عبد المنعم واولاد حبيش ونحو خمس مائة قواس تكمن عند حارة الحصارنة . وعندما دخلوا للمحاسبة في جامع طيلان قدام القاضي ١٠ وثب عبد المنعم ورفاقه على محمد آغا قتلوا له ولابنه . وأصلحوا امورهم مع القاضي حتى اعطاهم فتوى انهم كانوا ابرياء من قتله

١٥٢٩م : ٩٣٦هـ بدوءها ٥ ايلول اح

وفاة مطران الشام ؛ سركيس في قبرس ؛ بكركي ؛ فتوحات سليمان

سنة الف وخمساية وتسع وعشرين مسيحية كانت وفاة انطون مطران الشام وصيّر بدله المطران جرجس الحدثاني .

وفيها الاسقف سركيس ابن نجيم سار الى قبرس وقيل ان صار ذلك ١٥ بسبب تهمة اتهموه باطلاً اهالي ضيعته بكركة التي فوق جونية . فأحرمهم واخذ السكنى بقبرس وبسبب الحرم خربت بكركة ؛ وكانت ضيعة جامعة ومعتادين اهليها للمكارى والسفر بالبر .

وفيها غزا السلطان سليمان بلدان اونغاريا وفتح قرى ومدن كثيرة وقتل من النصارى خلقاً كثيراً لم يتعد من غير الذين سباهم .[1]

1) القرباني ص ٢١٦ وما بعدها

١٥٣٠م : ٩٣٧هـ بدوءها ٢٥ آب خ

وفاة ايليا الحدثي ؛ الوفد البطريركي في رومة

٢٠ في سنة الف وخمساية وثلثين مسيحية كانت وفاة المطران ايليا الحدثي ؛ وتخلف بعده المطران تادروس ايضاً من الحدث وكان معضداً للبطرك موسى في امور الكرسي ودايرة تنوبين .

وفيها البطرك موسى بعث مكاتيب الى البابا قليموس على يد شيئسوس

٥ يوبيلاوس الروماني ودفعة اخرى على يد اسكندر من لاباله يخبره بها عن خضوع طايفته لكرسي رومية وعن الضنك الصاير (١٩٤ عليهم ؛ فيسأله ينعم عليه بعدة كاملة لخدمة الاسرار الالهية وانه يجعل الكردينال سنتاكروس الذي ضافه برومية وكيلا على الملة المارونية . فوصلت المكاتيب الى قدسه ؛ وفي خمسة وعشرين من كانون الثاني دخول السنة الثانية رد له جوابها انه ٥ فرح ان العبادة والطهارة تزتاد يوم عن يوم في الشعب الذي أوتمن عليه ؛ وانه اقام الكردينال برنردين سنتاكروس وكيلا ومتكلماً على الطايفة في المدينة الرومانية . واذا بعث قاصده بطلب التثبيت يبقا يرسل له معه عدة كاملة .

١٥٣٢ م : ٩٣٩ هـ بدوءها ٣ آب س

بطش منصور عساف

سنة الف وخمساية واثنتين وثلاثين مسيحية عندما كان عبد الساتر ١٠ الكردي حاكم البترون قصد العصاوة على الامير منصور ابن عساف جهز له اربعين رجل قتلوا له ولابوه ؛ وقدم عوضه يوسف ابن شكيبان الحصاراتي وصرفه في بلد البترون لشدة برارته وشجاعته . وكذلك قتل القادر شيخ جبيل ومشيخ عوضه اولاد الحسامي .

١٥٣٣ م : ٩٤٠ هـ بدوءها ٢٣ تموز ار

عمار دير مار اليشاع عرجز ؛ السيل في قبرص

في سنة الف وخمساية وثلث وثلثين مسيحية اهتم القس جرجس ابن ١٥ حرصوان من قرية عرجز على عمارة دير ماري اليشع وتوسيعه . وتكلف عليه ثلثة عشر الف وسبعاية وخمسين درهم غير الخلفة والذين اشتغلوا لاجل الحسنة ؛ فيكون بقدره آخر . وكان المقدم حنا عبدالمنعم معضداً له . وكذلك الحاجه ساوه ورفيقته في النسك وفي خرج العمارة ؛ وكان البنا المعلم ابراهيم الحصروني ابن عم الخوري موسى الذي بنا في طرابلوس الماذنة عند قبة

٢٠ النصره وفيها في اثنين وعشرين من تشرين الاول جاء في جزيرة قبرص سيل بغتة ليلاً يشبه الطوفان فحملت الانهر والاودية واخذت من الوحوش والناس والاشجار والجسور والطواحين شيء لا ينعد ودمرت ضياع وبيوتاً كثيرة .

١٥٣٤م : ٩٤١هـ بدء ١٣ تموز أث

وفاة مطران طرابلس ؛ التثبيت البابوي ؛ الترك في قبرس ؛ اليمنية والقيسية

٢٥ سنة الف وخمسماية واربع وثلثين مسيحية كانت وفاة سمعان مطران (١٩٥ طرابلوس . واقام بدله الراهب يوسف بن بطرس وجاد التثبيت من البابا بولص الثالث من غير التزام السكنه في طرابلوس لاجل الظلم والخساير الصايرة عليها .

وفيها اتت تسع سفن ترك الى جزيرة قبرس ودخل اليها من جهة ٥ الغرب نحو خمساية مقاتل . فنهبوا قرية كرماجيتي شلحوا الكنايس القوا على الارض الميرون الطاهر والاسرار المقدسة وعلقوا النار في بيوتها . وفي العب هذا الزمان كانت الخصومة بين مالك اليمني شيخ العاقورة وبين هاشم العجمي بسبب الحربان . فكبس مالك جبة المنيطرة واحرقوها على دفعتين . ١٠ عند ذلك اتفقوا اهل الجبة مع قيسية العاقورة على مالك ووضعوا له الكمين في طريق الجرد وقتلوه غدراً : ثم ان حنش وحرفوش اخوة مالك نزلوا للشام اشتكوا عليهم . فكتب النايب الى الامير منصور يسامحه الغرما : وكانت الامير منصور استقوا عبد المنعم ولم يقدر يوطيه . فوحاه على قتل هاشم ١٥ ابن عمه . فذعن لقوله وقتل واحد من اولاد عمه . ثم خرج في الرجال مع اخوة مالك بطلب هاشم والغرما . فانهزم هاشم الى كرك بعلبك واحتمى في الامارة الحرافشة . فنهبوا ثلاث واحرقوها وحرقوا ايضاً بعض ضياع من الجبة : فتفزعوا قيسية العاقوره وهربوا الى طرابلوس وجيرتها : فنهبوا ٢٠ حاراتهم واحرقوها وخلت العاقوره . واما عبد المنعم عندما علم ان الامير منصور خامر على قتله كاتب الامراء الحرافشة على قتل ابن عمه هاشم وتعاهد ضم في قتل الامير منصور وبالولاية على المقاطعات التي بيده . فذعنوا الحرافشة لقوله وغدروا بهاشم وقتلوه فوق الكرك وارموا جثته في البير الذي تكنى

٢٥ باسمه بير هاشم؛ وفرّ برو اخي هاشم الى عند الامارا الشهابيه ؛ واما عبد المنعم لينال غرضه من الامير منصور صار يسوّد على اولاد حبيش ويسعى في هلاكهم ؛ فكشفوا دغله ودخلوا (١٩٦ ليلاً لعند الامير منصور واخبروه بالموامرة التي كانت بين عبد المنعم وبين الحرافشة على قتله ؛ فاعطاهم اذن عليه ؛ فكبسوا حارته ليلاً وهي بقرب سرايا الامير فقتلوه وقتلوا احدى عشر نفس من اولاد عمه . عند ذلك تطمن خاطر الامير وجعل ابو منصور
٥ يوسف واخوه ابو يونس سليمان اولاد حبيش كواخيه ومتصرفين في تدبير حكمه . واما العاقورة فخلت ؛ فنزل اليمنية منهم الى الشام والقيسية الى طرابلوس . واما الشيخ ايوب واخوه فضّول اولاد الشماس توما اخذوا السكنه عند دير مار اذنا كرسي العاقورة : فصعدتما الله وقوّى امرهما
١٠ حتى انهم ابرزوا اموراً شريفة من نايب الشام وبادروا في عمار الضيعة واسترجاع اهلها بعد سبع سنين من خرابها : واخذوا المشيخة عليها ٠

١٥٣٧م : ٩٤٤هـ بدوءها ١٠ حزيران اح

هدم الكنائس في القسطنطينية ؛ مقتل مقدم ايطو

في سنة الف وخمساية وسبع وثلثين مسيحية ابرز السلطان سليمان أمر بهدم جميع الكنايس في المدن التي فتحها بالسيف ؛ وحتى لا تهدم كنايس
١٥ القسطنطينية احضر الوزير الذي كان محباً للنصارى للبطرك ارميا اثنين قبجيه قد بلغا في العمر ماية سنة ؛ فشهدا ان قسطنطين الملك اوهب القسطنطينية السلطان احمد بالرضى ولا قهراً ٠ وفيها كان مقتل كمال الدين ابن عبد الوهاب ابن عجرمة مقدم ايطو ؛ وذلك لان كانت الخصومة بينه وبين عبد المنعم حنا مقدم بشري في سبب حكم البلاد . وعندما صارت
٢٠ ذات يوم الحمعية عند قرية تسمى بلوزا سبق ابن عجرمة وجلس عند عرق الجوزة ؛ فقدم مقدم بشري . وما راد يلاقيه ولا يقوم له واقفاً ؛ فحنق عليه المقدم عبد المنعم حنا وطعنه في الرمح وقتله . وأخذوا دفنوه في ايطو شرقي كنيسة مار سركيس..[١]

---

١) وجاء في المسودة ص ٢١٧ :

« وفي هذا الزمان صار .مقدّم ابن عبد الوهاب ابن عجرمة من قرية ايطو الذي حظي باموال كثيرة حتى انه كان يقول ان من لا يشك رعه في الذهب ما هو مقدّم ويقال ان هذا المال جاءه من مطلع وجده فتزوج بنت بست الملوك بنت الشيخ علوان مقدّم بشري . . فاقوّى بالمال على المقدّم عبد المنعم . . . وعندما جاء عبد المنعم لم راد يخرج الى استقباله ولا يقوم له واقفاً يجاري عادة المناصف فلم راد يبيّن فيه من النيظ وعندما انصرفوا وهم بالرواح ركب فرسه وطعن كال الدين برمحه حتى ليّسه برق الجوزة طريحاً . . . »

١٥٣٨ م : ٩٤٥ هـ بدوءها ٣٠ ايار خ

غزوة قبرس

في سنة الف وخمسماية وثمان وثلثين مسيحية قدموا الترك الى (١٩٧ محاصرة لامسون التي في قبرس فملكوا قلعتها وقتلوا كثير من الموارنة الذين كانوا قاطنين بها ونهبوا بيوتهم »[1]

١) سوف يفتح قبرس السلطان سليم سنة ١٥٧١ م

١٥٣٩ م : ٩٤٦ هـ بدوءها ١٩ ايار اث

غيرة الرهبان على القانون

في سنة الف وخمساية وتسع وثلثين مسيحية اتفق الحبيس يونان مع اولاده الرهبان : القس مالك والقس جبرايل والقس موسى والقس يوسف ٥ والقس توما والقس براهيم ؛ والخوري يعقوب والقس سركيس وغيرهم من الرهبان الذين كانوا يتغايرون في حياة النساك : على نهي النساء عن دخول دير مار انطانيوس قزحيا ؛ وقبلوا على نفوسهم حلفان وحرمان لا احد يطابق على دخولهن : وكان معضداً لرأيهم المقدم عبد المنعم : وبعدما قدسوا ١٠ الاسرار الالهية وضعوا بخوراً وداروا في الزياح في الدير كله : ويذكر القس جبرايل الحبيس ان حلت عليهم نعمة الله جهراً وكان ذلك في شهر ايلول من شهور هذه السنة ؛ وأقام عليهم ريساً القس حنا بن يعقوب ابن اسطفان الباني المعروف بابن نمرون ؛ وأمر ان قنديل مار انطونيوس لا يطفى ليلا ولا ١٥ نهاراً وان في الدير لا يوعوا خمراً حتى يكونوا ملازمين خدمة الله ولا خدمة الموايد »[1]

١) جاء في المسوّدة ص٢٢٠ و٢٢١ :

«واما قيل انه يقتل عبد المنعم الحبيس بورنان المتريقي ناظراً ان كثيرين شباب كانوا دخلوا الرهبنة قاصدين درجة الكمال وان ماكان يوافق لهذه الهيئة الملائكية السكنة مع النسوان الذين اما لاجل زيارة اما لاجل الاشغال الدنيانية لم كانوا ينقطعوا من الدير لوضع ذلك صار يوعظ الاخوة بمنع النسوان عن الدخول الى الحبس وعن الدير فالبعض رضيوا والبعض كانوا يقولوا ان ما يمكن ان يستغنوا عنهم فصارت دمدمة غير قليلة عن هذا الامر فالتجا الحبيس الى المقدم عبد المنعم وكشف له الامر .

فقال له ان هو كان الريس متصرف بهذا الامر فليصنع مهما الهمه الله ولايأخذه فزع من احد عند ذلك الاب بورنان جمع اولاده الرهبان التي مالك والقس جبرائيل والقس موسى والقس يوسف والقس توما والقس براهيم والخوري يعقوب والقس سركيس وغيرهم الذين كالنجوم كانوا يضوا على وجه الارض في انوار الفضائل وفي رضاهم وضع امر نهي النسوان عن الدخول وحرم على كل من يردهم وبعدما قدسوا الاسرار الالهية وضعوا بخوراً ودوروا في الدير فحلت عليهم نعمة الله بخور كما يذكر الحبيس جبرائيل المدناني وكان ذلك سنة الثلث (١٥٣٩) من ميلاد الرب في شهر ايلول بعد ذلك امر ان قنديل مار انطانيوس لا يطفي ليلاً ولا نهاراً وان في الدير لا ينوعي خمراً حتى تنقطع عنهم كثرة الزيارات ويكونوا ملازمين خدمة الله ولا خدمة الموائد وجعل ريساً على الدير القس حنا ابن يعقوب ابن اسطفان الباني المعروف بابن غرود .

وفي هذه السنة من ديون (١٨٥٠ — ١٥٣٩) يذكر القس حنا الباني ان كان فرق الصيام بين الملكية [والافرنج] والقبط والكرج وبعض الحبش والافرنج وبين الارمن والسريان لان الملكية صاموا وعيدوا قبل الارمن بجمعة وكان فيضان النور تلك السنة في القدس على يد الارمن وفي تلك السنة جات ضربة من الله في شهر نيسان على الكرم والزيتون وباقية الشجر حتى انها احرقتهم ومن قلة الزيت انباعت القلة بمئتين وخمسين واكثر الناس ما توقد الا دادين الصنوبر :

سنة من ديون (١٨٥٠—١٥٢٩) كان الفرق بين الروم وباقية الطوائف في الصوم عيدوا الروم في ستة من نيسان وعيدوا الموارنة والاقباط في يج (١٣) منه واشتكوا الروم على النصارى في طرابلس وحبسوا الكهنة والرهبان ثم جاء الخبر من القدس الشريف النور ما طلع مع الروم بل مع الاسباط فخرجوا المرابيط بسلامة وفيها ازهر الورد الجوري في الكفور والسواحل والبنفسج والنرجس في الجبال في يه (١٥) كانون الاول ومن كانون الاخر انقطع المطر الى اخر نيسان وطلع الزرع مليح في الارض القوية وفي الجبال ثم هب في الربيع ريح سموم فضرب الكرم والتوت والثمار » .

١٥٤٠م: ٩٤٧ه بدوءها ٨ ايار س

دير قزحيا لاهل عينتورين؛ المحل والغلاء

في سنة الف وخمساية واربعين مسيحية كانت الفتنة بين اهالي عينتورين واهالي بان بسبب دير قزحيا باي ارض من الضيعتين يكون. فثبته القاضي لاهل عينتورين وتحرر على الدير كل عام ثلثماية درهم خراج: فاستقبلوا بها اهل عينتورين على تعوسهم للأبد ولهذا السبب انعزل القس حنا ولد نمرون الباني من رياسة الدير وتولاها الحوري حنا اللحفدي. ثم انه خلع ذاته وترؤس الاسقف يوسف الحاجي وكان رجل روحاني وطويل الروح على نسخ الكتب البيعية.

(وفيها دخلت الشتوية دافية حتى ان في آخر كانون الاول زهر الورد الجوري في كفور العربه والبنفسج والنرجس في الارض الفوقا: ومن كانون الاخر ما عاد نزل مطر الى آخر نيسان. كان الفرق بين الروم وبين بقية الطوائف في الصوم: فعيدوا الروم في ستة من نيسان والاسباط في ثالث عشر منه: ثم في شهر نيسان جاءت الضربة على الكرم والزيتون وبقية الفاكية احرقتها ووصلت قلة الزيت الى مايتين وخمسين واكثر. واكثر الناس لم يوقدوا الا ديدان الصنوبر.)[1]

(١) ما بين الهلالين ناقص في ش اخذناه عن ف ن ب

١٥٤١م: ٩٤٨ه بدوءها ٢٧ نيسان ار

مقتل امراء فتقا

سنة الف وخمساية وواحدة واربعين مسيحية صارت المؤامرة بين(١٩٨) المقدم ميخايل المتكلم على زوق مكايل وبين اولاد حنش امرا فتقا على قتل الامير منصور وعندما ساروا اليه لغزير بهذه النية كشف دغلهم ومد لهم السماط حتى يتغدوا وقتلهم وهم على الاكل.

١٥٤٢ م ، ٩٤٩ هـ بدوؤها ٢٧ نيسان أث

وفاة الحبيس يونان ؛ وفاة حنا المحفدي الناسك

٥ في سنة الف وخمساية واثنتين واربعين مسيحية انتقل بالوفاة الى راحة الصالحين الاب العابد الزاهد الخوري يونان المتريتي ريس الحبس : وكتب عنه تلميذه الحبيس جبرايل الحدثاني انه خدم ربه بمدة خمسين سنة في الطهارة والعبادة الزايدة ؛ وقبل ان يتنيح بمدة اربع سنين كان يطوي يومين يومين ١٠ وفي الصوم الكبير لم يفطر الا السبت والاحد وكان صيامه من عيد العنصرة الى عيد ميلاد الرب ومن الغطاس الى عيد القيامة . وكان كل يوم يقدس ولم يشرب الانبار السبت ؛ وفي جمعة الالام كان يرمي اربعة وعشرين الف مطانية على الارض وفي بقية ايام الصوم كان يرمي حتى يجري عرقه . ١٥ واما في الرحمة والحنيّة لغيره ما احد ماثله في العصر ؛ فكثيرون اقتدوا باثره وطلبوا ان يتمثلوا بفضايله وصار نسخة صالحة تعجز عن رقم فضايله الاقلام ؛ حتّى ان تلميذه الحبيس جبرايل لما أراد يكتب البعض من سيرته وافعاله الناجحة شهد على ذاته قائلا هينا ؛ انا الحقير تبكتت من ذاتي وارميت القلم ٢٠ من يدي الخاطية ليلا يقول القارئ كيف ان هذه الشجرة المثمرة اخرجت هذه الثمرة العفصة المرة التعسانة الكسلانة ؛ وايضاً تلميذه الخوري حنا المحفدي تذمم وشهد عنه بان ذات يوم كان فرغ مقدم الزيت الكبير فوضع معلمه بخوراً وبقوة الله وبصلاته طفح الى شفافه ؛ حتّى ان التلميذ اخذه ٢٥ سهواً ولا يكن يعلم اين هو واقف ؛ فقال له مجّد لربنا يسوع انظر عجايبه على يد اقل عبيده تشكره شكراً دايم ؛ لكن لتكن عليك وصية ان اخبرت احد قبل موتي ؛ وعندما دنا موته ارسل طلب الحلة (١٩٩ والبركة من السيد البطريرك موسى ومن المطران قورياقوس الحدثاني ؛ فحضرا اثنيهما على وفاته وبعدما وصاهما في خدمة الاخوة والتيقظ على خراف المسيح اسلم روحه الطاهرة بيد الخالق ؛ فشاع خبره واجتمعت الروساء والاخوة وتقاطر ٥ كل البلاد الى دير قوزحيا ليتباركوا من جسده الطاهر ؛ وبعدما زيحوه في البكاء والدموع دفنوه في الحبس ؛ ويقال ان جسده بعده محفوظ ؛ وبعد

مدة يسيرة من وفاته تنيح أيضاً تلميذه الحوري حنا اللحفدي الذي تماثل في فضايله بكافة النسك والطهارة فخدم معلمه اربع عشرة سنة وهو ملقى
١٠ بالمرض وفي سبة الالام كان يرمي ستة وعشرين الف مطانية وشهد ان معلمه الحبيس يونان ظهر له بعد موته مواجهة في اليقظا فسلاه ودعاه الى الحياة الدايمة ٠

١٥٤٣ م : ٩٥٠ هـ بدوها ٦ نيسان ج

الرهبان لتعليم الاولاد

في سنة الف وخمساية وثلث واربعين مسيحية كانت عودة البادري مسعد البندقي ورديان جبل صهيون الى رومية ٠ فبعث صحبته البطرك موسى
١٥ مكاتيب الى البابا بولص الثالث يسأل قدسه انه يوصي ريس الرهبان الصغار حتى يوجه اليه ستة كهنة من رهبانه يقيموا مدرسة في جبل لبنان لتأديب الاولاد في اللغة اللاتينية ليفهموا الكتب المقدسة ويرشدون الرعية ؛ متعذراً ان من رياسة البابا لاون العاشر ما قدم احد لاستفقادهم ولا صار له مقدرة
٢٠ يسفّر احد الى رومية من زيادة الظلم وعدم المعرفة في لغاتهم ٠ فتشكر البابا من نيته الصافية وارسل في مكتوبه غفران لساير الرعية يكون مخلداً ؛ ومكاتيب الى المقدم عبد المنعم حنا البشراني والى الروساء وساير الشعب ليكونوا مدمنين على طاعة الكنيسة واقتبال المشقات بفرح ليحظوا بالخيرات الموعودة لصانعي
٢٥ البر ٠

١٥٤٤ م : ٩٥١ هـ بدوها ٢٥ أيار ت

وفاة يوسف الحاجي ؛ جبرائيل الحبيس وفضائله

سنة الف وخمساية واربع واربعين مسيحية كانت وفاة الاسقف (٢٠٠ يوسف الحاجي ريس الحبس ؛ وتخلف بعده الحبيس جبرايل بن ستيته الحدثاني رغماً عنه فأنشأ ارزاقاً كثيرة لدير قزحيا واكمل عمارة القبو والدهليز والمجلس والطاحون التي على النهر ٠ وقصد يوسع الكنيسة التي داخل

٥ الثقيف ولكن خشي من قطع الصخر . فتراءى له معلمه الحبيس يونان وتشكر من جهاده وأمره ينقر الصخر الثابت ولا يخشى وانه يقيم ثلثة مذابح على اسامي السيدة وماري انطانيوس ومار مقاريوس . فطاع الحبيس وفي سنة الف وخمساية وخمس واربعين تمم شغله . ويقال ان في زاوية حيط الدهليز ١٠ كان حجر كبير عجز عن طلوعه البنآء في اليوم الثاني سحراً وجدوه موضوع بقدرة الله . واما في العيشة التشنة وفي تدبير الاخوة فاز على غيره فان اكله في النهار كان اقل من وقيتين . وفي الصوم الكبير كان كل يوم يرمي الف ١٥ مطانية على الارض وفي سبة الالام لم يبطل عن رمي المطانيات من الغد الى المساء . وفي كل مدة الصوم الكبير لم يكن يذوق الماء الى خميس الاسرار وفي كل هذه الاتعاب لم ينقطع عن نسخ الكتب حتى ان من خطه النطيف امتلا جبل لبنان كتباً واكفا كنيسة اجداده مار جرجس كرمي اهدن من جميع ما يشتهي القارئ الى خدمة الباري . ومكافاة لتعبه شرفه البطرك موسى في درجة الاسقفية .

١٥٤٥ م : ٩٥٢ هـ بدوءها ١٥ اذار اح

اهالي جاج في كسروان ؛ المجمع التريدنتيني

٢٠ في سنة الف وخمساية وخمس واربعين مسيحية كانت نقلة اهالي قرية جاج التي في بلاد جبيل الى بلاد كسروان لكثرة الامان والعدل الذي كان يصدر من حكم الامير منصور . فالشدياق سركيس ابن الخازن سار الى قرية البوار ونسخ هناك انجيل ريش قريان في الكرشوني ثم طلع الى بلاونه ٢٥ التي بارض عجلتون . واولاد الحميّل الى قاطع بكفيا . وبيت كيد الى قاطع غزير .

وفيها كان بدو المجمع المقدس المسكوني الذي التم في مدينة (٢٠١ طرنته ضد البدايع التي انتشت في ايالات الغرب . حضرة كرلوس اوغسطوس قيصر . وارسل عدة جيلة مزركشة لخدمة الاسرار المقدسة الى البطرك موسى العكاري مع جرجس المتطبب بن براهيم العاقوري . وهي الى الآن محفوظة في دير الكرسي ٥ وذلك اذ خبر البطرك موسى وروايح فضايله وامانته كانت فايحة في كل العالم

١٥٤٧م : ٩٥٤هـ بدوءها ٢١ شباط أث

مقتل عبد المنعم : حكم العاملة

في سنة الف وخمساية وسبع واربعين مسيحية كان مقتل عبد المنعم حنا مقدّم بشرّي ؛ وذلك ان ست الملوك بنت الشيخ عاوان لتأخذ ثأر زوجها ١٠ كمال الدين ابن عجرمة مقدم ايطو اتفقت مع الشيخ حاده ومع الصليبية نصارى ملكية من عين حليا حتى وضعوا له الكمين خارج البرج : فلما خرج المقدم سحراً ليصبّح القاضي الذي كان نازل تحت الجوزة فوثبوا عليه وقتلوه ودخلوا الصليبيه الى البرج وقتلوا اولاده : فضربوا ارفاق المقدم لحاده بالسيف ١٥ وعرقبوه فحملوه رفاقه وهربوا فيه : وعندما شاع الخبر في بشرّي لحقوهم عند الخرايص فقتلوا حاده وناس من رفاقه . وهذا حاده هو راس الحماديه الذي في افتتاح تبريز انتقل هو واخوه من بلاد العجم الى قمهز : وفي مقتل المقدم عبد المنعم انقرضت دولة مقدمين بشرّي خلايف سيفا وانتقلت الى ٢٠ العناحلة خلايف قمر : وذلك ان عز الدين العنحلاني في سنة الف واربعماية وثلثين تأهل من بنت حسام الدين ابن ايوب بن قمر مقدّم بشرّي فرزق منها حسام الدين وهذا خلّف اربعة بنين وهم موسى ورزق الله وداغر وعاشينا ؛ فلما فرغت سلالة المقدم سيفا اخذوا هم الولاية على جبة بشرّي[1] :

---

١) جاء في المسودة ص ٢١٩ : «ثم ان امرأته توامرت مع ابن عزيز واولاد الصلبوس حتى انها ارسلت ورا مقدّم ابن زعزوع مقدّم بشانا وعاهدته ان تصير له زوجة اذا استوفى ثار زوجها فمضى مقدّم بشانا وفي الحيلة قتل مقدّم بشري واولاده ثلاثتهم مع الجارية فلما رجع قاصد انه يتزوجها قنعت قائلة انا نصرانية وما يمكننا الازواج مع مسلم لكن قنعته باموال جزيلة حتى انصرف راضياً منها . . . »

١٥٤٩م : ٩٥٦هـ بدوءها ١٠ ك٢ ار .

تجديد كنيسة حصرون

٢٥ في سنة الف وخمساية وتسع واربعين مسيحية عندما خربت كنيسة السيدة بقرية حصرون التي في جبة بشرّي اجتمعوا اهالي القرية (٢٠٢ وجددوها

كما هو واضح من المنارة التي نصبوها بحايط الكنيسة في تاريخ سنة الف وثمانماية وستين يونانية .

١٥٥٠ م : ٩٥٧ هـ بدوءها ٢٠ ك ٢ أث

وفاة قورياقوس ؛ انطون الحصروني ؛ السلطان سليم ؛ المراسيم السلطانية

في سنة الف وخمساية وخمسين مسيحية قضى اجله قورياقوس مطران ٥ اهدن وكان ذا مكارم وشور بالغ ومساعداً للحبيس جبرائيل في نسخ كتب البيعة . وتخلف بعده الراهب انطون الحصروني ابن الحاج فرحات وامه بنت عم المطران قورياقوس من العيلة الدويهية . فربي عند اخواله بدير مار يعقوب الحباش وتأدب جيداً في اللغة السريانية والعربية والتركية . وكان ١٠ شجيعاً باقواله وغير متوانياً بافعاله وعند ما قدم السلطان سليمان الى مدينة حلب حضر عليه مع جملة المشتكية الطرابلسية ؛ فأنعم عليهم بخمس مراسيم سلطانية تسجلت في طرابلوس في زمان حسن بك . ومن جملتها ان غلال الزيتون ينقسم تحت امه فالنصف لصاحبه وربع حق[1] وربع ظلم ، وان لا احد ١٥ يعارض النصارى في دينهم ولا بزواجهم وان ترمرم الكنايس ؛ وامر همايون[2] لقاضي طرابلوس أن لا احد يعارض بطرك طايفة الموارنة بدير قنوبين في امور البطركية بل انه يمنع وينتقم من المتمردين وعاملي العناد بتحرير اوايل ربيع الاول سنة ست وخمسين وتسعماية ؛ واما البطرك موسى مكافاة لتعبه ٢٠ ومكارمه جمله بدرجة رياسة الكهنوت على قرية اهدن ؛ وهو بسبب ان مطران الملكية أخذه الطمع على رعية الموارنة في بلاد عرقا وعكار وأكلها سبع سنين قدم به السعاية في المحكمة فأمر القاضي انه يأكل رعية الملكية في تلك الناحية سبع سنين ليستوفي ما راح عليه ؛ واما البطرك موسى اكرم ٢٥ على المطران انطون انه يتصرف في نورية بلاد عكار الى نهاية حياته .

---

١) وربع حق عمله ف — ٢) وامر همايون ف

١٥٥٢م : ٩٦٠ﻫ بدوءها ١٨ك١ اح

المطران داود والمطران جرجس في قبرس

(٢٠٣ في سنة الف وخمساية واثنتين وخمسين مسيحية البطريرك موسى قسم الراهب داود ابن الخوري سمعان الحدثي مطراناً ليكن مساعداً للكرسي الرسولي[1] صحبة المطران تادروس . وارسله مع جرجس الحدثاني مطران الشام الى زيارة نصارة قبرص . وبرفقة فرنسيسكو الماروني اسقف الافقسية كرّسوا جملة كنايس وساموا الراهب مرقوس ابن انطون من البيطوبي اسقفاً . لموضع كثرة عبادته وسعيه في بنيان البيعة ونسخ كتبها . وأخذ السكنة في قرية مطوشي .

١) للكرسي صحبة ف

١٥٥٣م : ٩٦١ﻫ بدوءها ٧ك١ خ

رسالة البطريرك الى السلطان

في سنة الف وخمساية وثلث وخمسين مسيحية صار تعدّي على رزق دير قنوبين وأخذ منه شوباصي سنجق طرابلوس ماية وعشرين فلوري زود عن الخراج المعتاد . فارسل البطرك عرض حال الى السلطان سليمان وهو مقيم في حلب فكتب سعادته امر همايون لقاضي طرابلوس يتبصر بالدعوة ويأمر السنجق برد الدراهم لدير قنوبين بتحرير اواسط محرم من السنة المحررة اعلاه .

١٥٥٥م : ٩٦٣ﻫ بدوءها ١٦ت٢ س

رسالة البطريرك الى بولس الرابع

سنة الف وخمساية وخمس وخمسين مسيحية تخلف البابا بولس الرابع وانفذ عليه البطرك موسى مكتوب التهنية والدعاء مع الخواجا غلاطينوس من

برنونيا ؛ فوقف قدسه على المكتوب وبعث له عدة كاملة لخدمة التقداس
٢٠ مع مكتوب البركة بتحرير سنة الف وخمساية وست وخمسين في الثاني عشر من
تشرين الاخر ٠

١٥٥٦ م ، ٩٦٤ هـ بدوءها ٤ ت٢ ار

دير قزحيا ؛ دير مار اليشاع ؛ دير مار ماما

في سنة الف وخمساية وست وخمسين مسيحية ضجع في الرب في الحادي
عشر من تشرين الاول الاب الطاهر الناسك الفاضل الاسقف جبرايل الحدناني
٢٥ ابن ستيته خدم في النسك في دير قزحيا اربع واربعين سنة ثم تسلم رياسة
دير (٢٠٤) قزحيا القس يوسف الايطوني ؛ وبعد منه اعادوا الخوري حنا
ابن نمرون ثبت مدة قليلة واخلع ذاته وسار لدير ماري سمعان ايطو ؛ ثم
اقاموا عوضه في الرياسة الحبيس ميخايل بن الرز ؛ وقسم السيد البطريرك
٥ الراهب يوسف ابن حرواص اسقفاً على دير مار اليشع بارض بشرّي مجازاةً
لتعبه في بنيان الدير المذكور ؛ واما المطران موسى بن ايوب بن قمر كان قاطن
في دير مار ماما ومتكلماً على القرية ٠

١٥٥٧ م ، ٩٦٥ هـ بدوءها ٢٤ ت١ احد

تقديس الميرون ؛ مار جرجس ابو بلوطة ؛ فيضان نهر قديشا

في سنة الف وخمساية وسبع وخمسين مسيحية اقام البطرك موسى مجمع
١٠ في نهار خميس الاسرار وقدس الميرون الطاهر ؛ وكان حاضر ثمانية مطارين
ونحو اربعماية كاهن ورزق الله مقدم بشرّي وشعب كثير ؛ وفيها البطرك
موسى بأمر القاضي والامارا عمّر دير ماري جرجس في ارض شلدة ؛ وهذا
القديس الذي العرب يسمونه ابوبلّوطه من شجرة البلوط الكبيرة التي كانت
١٥ قدام الباب ويصنع عجايب كثيرة ؛ حتى ان النصارى والمسلمين يودعون فيه
الغلّ في الاعدال من غير سكرة ولا حارس ولا تمكن ان احد يسرق للاخر
شيئاً ؛ وعند ما قصد بعض اناس يفعلون ذلك تعتمت بصيرتهم وما قدروا

يهتدون الى الباب ٠ وفيها جاء سيل عظيم حتى ان نهر قديشا النازل
٢٠ في نهر(١) طرابلوس ما ابقا جسراً عامر من الجرد الى البحر ؛ وفي ثامن عشر من
شهر اذار جاء ريح عاصف وثلج بكثرة حتى ان في الوادي بلغ الى علو قامه
وأحرق توت القز والكرم مع ساير الفاكية ٠

١) في وسط ف ؛ في نصف ن ب

١٥٥٩م ٩٦٧هـ بدؤها ٣ت١ ث

دير المخلص في القدس ؛ الاقباط والاتين والموارنة

في سنة الف وخمساية وتسع وخمسين مسيحية بعث السلطان سليمان بن
رهبان الافرنج عن سكنة العليّة الصهيونية وكانت (٢٠٥ سكنتهم بها من
سنة الف وثلثماية وثلث عشرة اعني مايتين وست واربعين سنة ٠ وفي سنة
الف وخمساية واحدى وستين اخذوا السكنى في دير المخلص داخل المدينة ؛
وعندما كانوا قاطنين في حارة ترجمانهم يعقوب بن حنا بن الكسّار المدناني
٥ قدام كنيسة الطايفة المارونية مار جرجس الخضر صار ان واحد سقط في بير
الكنيسة ومات ؛ فهربوا رهبان الطايفة ٠ واناس من القبط دفعوا الغرامة التي
توجبت على الكنيسة وتولّوا عليها ؛ فأبرز البطرك موسى مكتوب من مصطفى
باشا حاكم الشام الى شريف الماب قاضي القدس الشريف بتحرير آخر شهر
١٠ محرّم من شهور سنة اثنتين وسبعين وتسعماية الموافقة لسنين المسيح الف وخمساية واربع
وستين على انه يسمع دعوة البطرك ويمنع القبط عن ضبط الكنيسة ظلماً ؛
وأخذ البطرك معه الامر ودراهم لاسترجاع الكنيسة ؛ وكان المترّوس على
رهبان القدس البادري فرا بونيفاسيوس فاتّفق هو والبطرك على انه لا يداعي
١٥ القبط ولا يخسر الدراهم بل ان جماعته الموارنة يقضوا امور الذمّة على يد كهنته
في كنيسة المخلص لكونهم ناس قلايل ٠ وكان لهم مذبح في العليّة الصهيونية ؛
واذا صار التقلب من ابن عثمان على رهبان الافرنج تكون الكنيسة مستمرة
بيد الموارنة ؛ وعندما اتفقوا اثنينها على هذا الراي بطّل البطرك عن استفكاك
٢٠ كنيسة مار جرجس واشترى في الدراهم حارة ؛ كما هو واضح من مكتوب
البطرك الى البابا بيوس الرابع الذي ارسله صحبة بونيفاسيوس الورديان

عندما فرغت رياسته وعاود الى رومية .

١٥٦٠ م؛ ٩٦٨هـ بدوءها ٢٢ ايلول اح

وفاة الحبيس ملكا؛ فضائله؛ الماء من الصخر

سنة الف وخمساية وستين مسيحية انتقل الى رحمة الله الحبيس ملكا
٢٠ البقوفاني الذي حفظ النسك مدة نحو ستين سنة . فأخذ عيشة الوحدة اولاً بقزحيا ثم بمار دوميط (٢٠٦ داريا ثم في كنيسة السيدة المقطوعة بالشقيف قبال عرجز ثم في محبسة ماري ميخايل فوق دير قزحيا . وكان عبرة صالحة لكل من ينظر اليه . فأنه كان يطوي كل الصيام جمعه جمعه ويقهر جسده
٥ في دوام الجوع والعطش والحفا والعري ولم يبطل على ذكر الله ولم ينظر الى وجه امرأة . وبسبب ان محبسة ماري ميخايل عادمة الماء ومن شدة الضعف لم يجد قوة حتى يستقي من عند محبسة[1] قزحيا طلب من الرب الكريم بنيحه من تلك المشقة ؛ فأخرج له من الصخر ماء جارية التي ولو كانت شحيحة
١٠ نقر لنا خابية . فصارت تفضل عنه وعن الذين يأتون لزيارته فلموضع برارته والنسكة الفضيلة شرّفه البطريرك بدرجة الاسقفية في هذه الحياة وجمّله الباري بتاج التسبحة في الحياة الدائمة .

١) محبسة مار انطانيوس قزحيا ف .

١٥٦١ م؛ ٩٦٩هـ بدوءها ١١ ايلول خ

التثبيت البابوي؛ جرجس الفرصي وتزوير مكاتيب البطريرك

في سنة الف وخمساية واحدى وستين مسيحية دخلت هذه السنة والبطرك
١٥ لم يجيه تثبيت من رومية وله في الكرسي ست وثلثين سنة . لست من باب الاهمال بل من عدم التسهيل ؛ لكونه سفّر اولا المطران انطون وفي وقوعه بيد القرصان هفيت المكاتيب . ثم انه ارسل غيرها بدفعات شتى مع رهبان القدس ومع تجار الفرنج وحظي بجوابها من اصحاب الكرسي الروماني
٢٠ الذين جمّلوه بغفرانات وعداد القداس وغيرها ؛ ولكن بسبب ان بعد المطران

انطون ما دخل احد من اولاد الطايفة بطلب التثبيت ما انعمرا به عليه ؛
وبتحرير هذه السنة عندما بلغه ان القس جرجس التبرسي كان معه عبرة
الامة الفرنجية بعث حضره لعنده وأمره بالمسير الى رومية واعطاه مكاتيب
٢٥ الطاعة والخضوع مع شهادات روساء الكهنة وتسليم اكابر (٢٠٧ الطايفة
بختوماتهم وخطوط اياديهم ، على انهم اختاروه برضاهم وانه اهل لهذه
الدرجة المقدسة والى سياسة الرعية ؛ ويسألون قدسه بحمله بدرع التثبيت
لتكملة سلطان الرياسة . وارسل ايضاً معه ستة مكاتيب وسجلات التي
٥ ارسلوها احبار الكرسي الروماني للبطاركة الذين سلفوا قبل منه . وكذلك
عرض حال في مطران الاقتسبة الفرنجي وتعدّيه على وقوفات الطايفة . فعندما
وقف البابا بيوس على هذه المكاتيب ارسل له مع القاصد درع تمام الرياسة
وعدة كاملة لخدمة الاسرار ومكاتيب بركة وغفران لكل الطايفة ومرسوم .
١٠ يحتّم به ان لا احد يعارض الموارنة وروساهم في املاكهم والوقوفات التي
تخصهم ؛ بتاريخ سنة الف وخمساية واثنتين وستين اول يوم في ايلول . ولم
يجب اننا نتجاوز عما صدر من القس جرجس القاصد في هذا السفر ليكون
عبرة على حضره ؛ ذلك ان البطرك اعطاه اوراق بيض موسومة بختمه لاجل
١٥ بعد البلدان براً وبحراً ؛ حتى اذا دعت الضروره يكتبها باسمه ؛ والقاصد
لزود الطمع عرض مكتوب باسم البطرك يعلم قدس البابا ان جرجس
الحدناني مطران الشام انتقل الى رحمة الله ويسأله يسيم القاصد على الشام بدله ؛
وكذلك ان يرسمه ويرسله يحضر مع المجمع الذي امر بالتيامه في مدينة طرنتو ؛
٢٠ فالبابا عندما وقف على المكتوب أمر في رسامته لاجل خاطر البطرك ؛ ومن
خصوص حضوره في المجمع جاوب ان ما كان له عازه لكونه امّياً في اللغة
اللاتينية وغير فصيحاً اني الايتاليانية ؛ وعندما خرج من رومية ودخل
قبرس وجد ان الاسقف فرنسيسكو قضى اجله فضبط رزقه واستمر يتنعم
٢٥ في جماعته مهملاً عن الوصول الى عند البطرك ؛ وبسبب ان الغفارة التي
ارسلها البابا للبطرك كانت طويلة لعب فيها حتى تكون على قدره ؛ فوصلت
(٢٠٨ هذه الاخبار الى البطرك موسى وهو مقيماً في القدس في السعي الذي تقدم
ذكره ؛ لاجل ذلك انفذ له ورقة الربط مع بونيفاسيوس عندما تفرغ عن
ورديانية القدس ومع المذكور ارسل ايضاً مكتوب الى قدس البابا يستكثر

« خبره وغيره عن دقايق جرجي القاصد وتزويره بتحرير سنة الف وخمساية واربع وستين في اول يوم من تشرين الاول »

١٥٦٢م : ٩٧٠هـ بدوءها ٣١ آب أث

عبد يشوع بطرك النسطورية

في سنة الف وخمساية واثنتين وستين دخل رومية عبد يشوع بطرك الموصل وادّا الطاعة لبابا رومية عن ذاته وعن شعبه مستقرّاً في جميع ما تقبله ١٠ بيعة الله[1] وجحد سطور وتعاليمه

[1]) بيعة الله المقدسة ف

١٥٦٥م : ٩٧٣هـ بدوءها ٢٩ تموز أح

حصار مالطة ؛ والبنّا الافرنسي ؛ حماية العذراء[1]

في سنة الف وخمساية وخمس وستين مسيحية جمع السلطان سليمان العساكر العثمانية ثمانيتين غليون بنحو اربعين الف مقاتل الى محاصرة جزيرة مالطة[1] من غير الجيوش والمراكب التي قدمت من بلاد الغرب لتعضده : لكونها ١٥ قطعت عليهم الدروب بفرسانها وفي الاغربة التي كانت تجول في البحر وتمنع الخزاين والمدد الذي يدخل من مصر الى المدينة القسطنطينية : واستعدوا اهل الجزيرة بنحو خمساية فارس وعشرة آلاف جندي من اهلها ومن البلدان التي تليها . وبعد حرباً شديد وقتالات كثيرة فتح الترك الحصن ٢٠ الواحد واستبشروا بتمليك كل الجزيرة . ولكن عندما تحققوا ان اهالي سقانيه بعثوا يمدون بالنجدة لاهالي الجزيرة كبر عليهم الوهم وهربوا راجعين الى القسطنطينية . وقيل ان قتل من اهل الجزيرة ماية وخمسين نفر ومن الاجناد ثلثة الاف ومن الترك نحو خمسة عشر الاف . وكان (٢٠٩) المتكلم على الترك مصطفى باشا . وعلى الجزيرة والبنّا فرنساوي الجنس وكان رجل بطل وشجيع في اقواله وافعاله حتى ان من ذلك الوقت المدينة الجديدة تلقبت

باسمه ؛ واهل الجزيرة يعتقدون ان هذه النصرة ما كانت الا بشفاعة والدة
٥ الخلاص ومار يوحنا المعمداني لكون هذا الظفر صار في يوم عيد ميلادها ؛
وكثيرون شاهدوها في الفضا تقاتل عنهم ولهذا السبب يعيدون لها في الثامن
من ايلول بغاية الفرح ويدعونه عيد النصرة ؛ وفي النهار الذي يتقدم العيد
تتقدم القداديس عن انفس الموتى لاجل القتلى الذين هرقوا دماهم لانتصار
الجزيرة .

١٠ وفيها توفي انطون الحصروني اسقف اهدن وتخلف بعده سركيس بن
قس موسى الدورسي .

١) الغرر الحسان ص ٦١٣-٦١٤

١٥٦٦ م : ٩٧٤ هـ بدوءها ١٩ تموز ج

فتح زيجات في المجر وموت سليمان

في سنة الف وخمساية وست وستين[1] مسيحية قصد السلطان سليمان
جزيرة ساقوس وكان لها بيد اهالي جانوا نوف عن مايتين سنة فملكها من
١٥ غير سفك دم . وفيها قصد الدخول الى بلاد المجر لافتتاح مدينة
زيجات[2] ولكن بسبب ان قاطع بينهم نهر دانوبيوس وهو نهر كبير وعميق ارسل
امرًا الى حمزة باشا يبادر في اقامة جسر ليجتاز عليه العسكر ؛ وتهدد عليه
بالشنق اذا صدر منه اهمال ؛ فلاجل ذلك حمزة باشا المتولي تلك الجهات
جمع الرجال كلهم وبمدة اثني عشر يوم اقام جسراً من خشب عرضه اربعة
٢٠ عشر ذراع وطوله ميل ؛ فاجتاز به السلطان مع جيوشه الحربية نحو مايتين
الف نفس ؛ فشدوا الحصار على مدينة زيجات وبعد وقعات كثيرة استملكوها ؛
ولكن قبل ان تفتح المدينة بثلثة ايام حكم الباري ومات السلطان سليمان
٢٥ وقتل من الترك في حصار المدينة نحو اربعين الف جندي ؛ وكان السلطان
سليمان عادل وشجيع طاهر الذيل وصادق في اقواله الا انه قبل ما يفارق
العالم قتل جميع اولاده (٢١٠ لاجل ازالة الفتن وصيانة السلطنة ؛ بل ابقى
منهم سليم الذي تولى تخت السلطنة بعده وله من العمر اثنتان واربعون سنة
وهو الخامس في القسطنطينية ؛ فاقام في مدينة زيجات مدة من الزمان لئلا

٥ يتقدم . قسيميليانوس سلطان المجر ويستردها ٥ ثم في دخول الشتاء رجع الى القسطنطينية وأمر بنقل عظام ابيه السلطان سليمان الى القسطنطينية ودفنوه باكرامات جزيلة ٥

١) الغرز الحسان ص ٦١٤ — ٢) Szegedin

١٥٦٧م، ٩٧٥هـ بدؤها ٨ تموز ث

وفاة موسى العكاري ؛ جلوس مخائيل الرزي ؛ احتماله المشقات ؛ ارسال الشماس لوقا الى رومة

في سنة الف وخمساية وسبع وستين مسيحية في التاسع من شهر آذار كانت وفاة الاب الصالح والمدبر الفالح البطرك موسى العكاري وله من العمر ١٠ خمس وثمانون سنة ومنذ دخل الرهبنة ستون سنة وعلى الكرسي الانطاكي اثنتان واربعون ونحو ثلثة اشهر ؛ انشى لدير قنوبين ارزاقاً كثيرة وعماير شريفة ؛ فحزن كل الشعب لفراقه وبعدما زيحوه دفنوه قاعداً في مغارة ابارة مارينا ؛ ولزيادة عبادته ووقاره جعلوا اوضته التي بقرب باب السيدة كنيسة باسم ١٥ بطرس وبولص الرسولين ؛ وفي اليوم الثاني عشر اتفق رأي روساء الكهنة واكابر الطايفة على صفوة الحبيس مخايل ابن الرز من قرية بقوبقا ؛ وكان الحبيس مخايل متروس سابقاً على دير قزحيا وعلى المحبسة ؛ ولكن بسبب انه طلب الوحدة رفع يده عن تدبير الدير وانتقل لمحبسة مار بيشوى ؛ فلما ٢٠ حكم الباري بموت البطرك موسى حملت به الطايفة والزموه رغماً عنه بتدبير الكرسي الانطاكي وهو السادس من البطاركة بقنوبين ؛ واقاموا موضعه في الحبس اخاه القس سركيس البقوقاني ؛ واما دير قزحيا عندما تمنع منه الحبيس مخايل المذكور اعادوا اليه الخوري حنا ابن نمرون ؛ فسعى بنشو ٢٥ رزقه وابتنى له طاحون بلزق الدير وجر اليها الماء من النهر وصار له صيطاً (٢١١ جيد ؛ وبعد وفاته ترأس الخوري براهيم الحدثي وجل شيخ روحاني وبعد مدة يسيرة مات ؛ وتخلف القس يوسف البسلوقيتي فتحمل هذا بالمقدم رزق الله حتى تنزل عن الرياسة وصير عوضه الخوري حنا الخوري ؛

٥ واما البطرك مخايل احتمل مشقات كثيرة لكون في حال اقامته وردت البيارق من طرابلوس فنهبوا الدير وضبطوا الأواني والثياب المقدسة ووضعوا يدهم على سايقة الدير وعلى ارزاقه بسبب طلب غريمة على نشو الكنيسة الحديدة والقصاوة عن متخلفات البطرك المتوفي ؛ فصار البطرك مخايل في ضيقة شديدة لانه
١٠ كان عاش في الحياة المتجردة عن مخالطة الناس واضطر يرضيهم بشيء معلوم ويسترد املاك الدير. وفيها البطرك مخايل ارسل الاسقف يوليوس الى زيارة شعبه في جزيرة قبرس وأمره ان يرسل له الشماس لوقا من اسكيبه لعلمه انه كان رجل موسر[1] فصيح اللسان وخبير بلغات الافرنج
١٥ ومعتاد على سفر البحر . فلما حضر الى تقبيل يديه سامه خوري بردوط وسفّره الى رومية في مكاتيب الطاعة وشهادات روساء الملة المارونية . وكذلك ارسل معه مكاتيب الى الكردينال الكسندروس والى الكردينال كيرللوس ان تكون عنايتها معه في مصالح الكرسي بتحرير اربعة وعشرين
٢٠ من شهر حزيران ؛ والخوري لوقا في وصوله الى قبرس لقي ان سفن الاسلام قدمت الى محاصرة الجزيرة وانهم تقاطروا النصارى الى فاك سور الافقسية وتجديدها في الشهر المذكور ؛ فاضطر الخوري يستمر في الجزيرة نحو سنة حتى ارتفع عنها الحصار ؛ حينئذ اخذ صحبته اخاه تقولا في متجر الى
٢٥ راوونا ؛ وعند حضوره الى تقبيل اقدام الحبر الاعظم ما صار له الترحيب المعهود ولا تم له امراً بسبب ان المكاتيب كانت موسومة بختم جديد .

[1] موثر ب

١٥٧٠ م : ٩٧٨ هـ بدوءها ٥ حزيران أث

مقتل عاشينا ؛ اعدام المقدم رزق الله ؛ الاتراك يفتحون قبرس ؛ كنيسة الموارنة تحول الى قيصرية ؛ اتفاق الموارنة والملكيين

(٢١٢ في سنة الف وخمساية وسبعين مسيحية كان مقتل المقدم رزق الله واخيه عاشينا مقدمين بشري ؛ وذلك ان المقدم رزق الله بن حسام الدين العنحلاني تولى المقدمية من قبل الامير منصور ابن عساف ؛ وكان مبادراً في عمار البلاد
٥ وتحصيل مال السلطان ؛ ولكن صارت فتنة بينه وبين اخيه عاشينا بسبب

ان عاشينا كان شاب جاهل ينهب ويقتل ولا يعفي عن سوء ؛ وكان السواد
يرتد كله الى رزق الله حاكم الناحية ؛ ومن توبيخ المقدم رزق الله حرد
عاشينا وانتقل الى قرية حصرون من حيث كان تزوج وصار يهث على اخيه
١٠ بالقتل ؛ فصعد البطرك تحايل واصلح بينهما واعاد عاشينا الى البرج الذي
بناه جديداً في اسفل القرية ؛ واذ لم يكفّ عن طريقته الرديّة نفرت منه
قلوب الناس وقدمت فيه السعاية الى نايب طرابلوس انه شلّح القفل على
المسقية ؛ فرزق الله ليخلص من شره ادبر على قتله وبعث عزمه الى عنده
١٥ الى البرج الفوقاني ؛ وكان توامر مع ناس من الضنية كمنوا له داخل البرج
فلما دخل عاشينا البرج وثبوا عليه وقتلوه ؛ فحين سمع بذلك البطرك صعد
لبشرّي وحرم رزق الله بصوت صارخ لكونه ادبر على قتل اخيه ؛ واما
صاحب القفل الذي تشلح طلب من المقدم يرد له السلب قهرا من ذلك ؛
٢٠ ثم دعاه الى المحكمة فنزل المقدم مع مشايخ القرى لاجل محاسبة الخراج
وحضر على القاضي واذ لم يكن مع الغرماء بيّنه ولا شهود عليه ابقوا الدعوه
حتى تحضر الشهود ؛ ثم ان بعد مدة من الزمان نزل المقدم الى طرابلوس
بسبب امور البلاد فراصده صاحب القفل حتى دخل الحمّام؛ عند ذلك برطل
٢٥ الحارس وختم طرف عمامة المقدم التي كانت ياتس ابيض بالداغ الذي كان
على قماشه ؛ وعندما خرج من الحمّام مسكه بيده وقال (٢١٣ له يا مقدم
ما نجوز لك تأكل رزق الاسلام فجاوبه انه بري من تلك التهمة ؛ فاخذه
ثانياً الى قدام القاضي ومن الوسم الذي وضعه على عمامته اوجب عليه
الحق ؛ وامر القاضي والسنجق انه يتجرجر وهو مربوط على ذنب الخيل ؛
٥ فقضى اجله على تلك الحالة وهو بري مما تجنوا به عليه صاحب القفل
باطلاً ٠

وفيها امر السلطان سليم بالركبة على جزيرة قبرص ؛ وبعد مقتل
المقدم رزق الله خرجت الشواني والمراكب من طرابلوس الشام فأخذوا الملاحه
وانتقلوا الى الافقسية فبنوا برجاً وشدوا عليها الحصار من اول صوم الكبير
١٠ الى آخر آب ، ثم نقلوا الحصار الى الماغوصه ؛ ويقال ان كان فيها الف
مدفع ؛ فهلك من المسلمين ما لا تحصى عددهم ؛ ومن عدم القوت والبارود
اضطروا اهلها الى التسليم بشرط ان لا يقتلوا احداً ؛ فقتلوا القبطان فسلخوا

جلده وقتلوا معه اربعماية نفس . وكان وكيل الاقبية يدعى مرقوس
١٥ ووكيل الماغوصه نقولا والذي عمل هذا الفتح مصطفى باشا ؛ ويقال ان
عدد الذين اسبوهم من النصارى نحو ماية وثمانين الف ؛ والذين قتلوا او
حرقوا بالنار نحو خمسين الف ؛ والذين قتلوا من الموارنة نحو ثمانية عشر الف ؛
وكان استعصى منهم اثنا عشر الف جندي في ضيعة تدعى كاليسباسي على
٢٠ رأس الجبل ؛ وكانت القرية عاصية فحلفوا لهم الاعداء ان اذا سلموا
لم يضروهم بل ان يردوا لهم ضياعهم ويولوهم عليها ؛ وعندما حضروا
عليهم قتلوهم عن آخرهم . وبعد انفتاح الماغوصة طافت الاسلام الجزيرة
فنهبوا وسلبوا استعبدوا اهلها واخذوا منهم جاليتين ؛ بدلوا كنايسهم في جوامع
وخانات وباعوا الوقوفات في ثمن رخيص ؛ وبسبب ان مصطفى باشا كان
٢٥ ابن عرب راد يسلم القلاع بيد اهالي مطوشي لكونهم في الاصل من بلاد
الشام ؛ فتمنعوا برضاهم عن ذلك . وكان متولي تدبيرهم الاسقف يوسف
من جوصطريا ؛ وقيل ان وسقوا من النساء ثلاثة غلايين (٢١٤ ليرسلهم
الى صطنبول ؛ وحين كانوا بالقرب من قرينيا امرأة علقت النار فيها . فما
سلم منهم احد .   وفي هذه السنة اهالي بيروت وضعوا يدهم على
كنيسة الموارنة فهجروها وجعلوها قيسارية ولم يتبق للطايفة الا كنيسة ماري
٥ جرجس[١] الذي خارج المدينة ؛ فاجتمع الشيخ ابو منصور يوسف ابن حبيش
مع مشايخ بيت الدهان واتفقوا على ان طايفة الروم وطايفة الموارنة يشتركوا
في كنيسة ماري جرجس التي للموارنة خارج بيروت ؛ وفي كنيسة السيدة
التي للملكية بداخل المدينة .   وفي هذه السنة في شهر تشرين الاول
١٠ صارت زلازل ورجفات عظيمة .

١) مار جرجس المدينة ف

١٥٧٢ م = ٩٨٠ هـ بدوءها ١٤ ايار

القشلق على بلاد الشام وعلى جبة بشري ؛ افلاء الضيع ؛ تمرد حبيش وعساف

سنة الف وخمساية واثنين وسبعين مسيحية توزع القشلق[١] على بلاد
الشام ؛ وقيل ان توزع على اهالي جبة بشري واحد وعشرين الف سلطاني .

والسلطاني ثلثين القرش ؛ فنهبت الدولة البلدان وسلبوا سايتها واضاموا
١٥ الخلق فوق الحد حتى كاد الناس تطلب الموت لذاتها ؛ وخلت فيها ضياع
كثيرة مثل سبعل وبنهران ومتريت والناووس واذنيت وكفرفو وراسكيفا ونيحا
وسرعل وحيرونا وبرحليون ورشدبين وبقرقاشا ؛ وتوزع على دير قنوبين
سايتين سلطاني فاستفكه البطرك مخايل بواسطة الشيخ ابو منصور ابن حبيش
٢٠ والامير منصور ابن العساف على يد ناصر جلبي ابن يوسف ابن كرامة الطرابلسي
من علي جلبي افندي صاحب الولاية الشامية في اوايل شهر جماد الاول
سنة ثماني وتسعماية ؛ وكذلك توزع على وقف دير رأس النهر باحدى خمسة
عشر سلطاني فاشتراه ناصر الدين جلبي المذكور بالوكالة عن علي جلبي
٢٥ صاحب الولاية الشامية من الشيخ شهاب الدين خطيب البرطاسية . ثم بعد
مدة من الزمان هفت الحجة المذكورة ؛ فبعث يحيى (٢١٥ النايب ابن محمد المولى
بطرابلوس الشام اخرجها من السجل المحفوظ بالشام في اليوم الخامس من
ربيع الاول من شهور سنة تسع والف للهجرة وسلمها للقس موسى الدويهي
ولابن عمه الحاج ابرهيم ٠

٥ وفي هذا العصر امتد حكم الامير منصور ابن العساف من نهر الكلب
الى حمص وحماه ثمانشر واموره شريفة ؛ وكان يولي من تحت يده حكام في
البر ؛ وبنا صرايا في بيروت وفي جبيل وفي قرية غزير وانشأ في جيرتها جامع
ومأذنه وحمام وجنينة واسعة واجرى لها ساقية الماء من نبع المغارة على قرية
١٠ غزير ٠

---

١) جـ في المسودة ص ٢٤٦ :

٥ ثم ان ملك الاسلام امر باخذ جميع الكنائس والديورة ووقوفات النصارى باسرها الذين بمملكته وجعلهم بكليك تأكلهم السلطنة وتبيعهم يمناً لموضع صار للنصارى حزن وغيظ لان كثيرين تمصروا على الكنائس والديورا الذين اباتهم وجدودهم كانوا اقتنوهم باموالهم وعرق جبينهم واذ لم يقدروا يستفكوهم كانت تصير لهم اهانة وحقارات جزيلة لان بعد سنين قليلة دثرت الوقوفات وحرقت املاك الديورا ولم تقدر الناس تستفكهم ارسوم على اصحابهم رماية ويقال ان جملة ما طلبوا في وقوفات الجبه كا (٢١) الف من ذلك الوقت اهل الخير والدين كانوا يبيعن على نفوسهم دفعوا دراهم واشتروا الديورا في دراهمهم مثل [اهل الحدث الذين اشتروا الدير] قنوبين واملاكه من الدرجه التي تحت درجانا ونازل وغيرهم . واما الذين كانوا عاجزين الرسوم في السيف كما صار في عيلتنا الدويهية الذين

منذ زمان القديم كان لهم دير مار سركيس رأس النهر ومار [يعقوب] بطرس باهدن فحملوا الفاروق للقس موسى ابن يوسف الدقيق (؟) اخو المطران سركيس لاجل الدير المذكور فاستفكه بيت الجامرس قضا طرابلس واشتروه من البكليك ثم ان جماعتنا بعد زمان يسير اشتروه منهم بحجة تحررت في رزمانة المدينة .

وكانت جزية النصارى يج (١٣) قبرسي حتى ان كثيرين كانوا يطلبوا لقوسهم الموت والقبرسي كان ثلثين لا غير

ورزق دير قنوبين استفكه البطرك على يد الشيخ ابو منصور يوسف ابن حبيش الذي تدخل على الامير منصور ابن عساف حتى استفكه على يد ناصر حلبي ابن يوسف

. . . ابن كرامه واشترى لهم جميع املاك الدير المذكور بالفين ومائة سلطاني كما هو باين من الحجة الكاينة بالدير المذكور بحرر اوائل شهر جمادى الاول سنة ثمانين وتسعماية من الهجرة؛ ومن جور هذا القشلق حل دير ميدوق من الرهبانه ما بين المكوبين مشغوب

١٥٧٣ م، ٩٨١ هـ بدوءها ٣ أيار اح

مقتل ولدي الشلندي والمقدم داغر والمقدم عساف بن موسى

في سنة الف وخمسماية وثلث وسبعين مسيحية عندما قتل رزق الله مقدم بشراي تولى المقدمية اخوه داغر وعساف ابن موسى اخيهما من قبل الامير منصور : فارسل الامير ناس كبسوا على داود وموسى ولدي شلندي البشراني وقتلوهما : فان هولاء كانوا اولاد عما المقدم رزق الله لكن يقال انهما عاملا على قتله : ثم ان لوازم شلندي والذين من جوقهم نزلوا الى طرابلوس وقدموا السعاية في المقدم داغر انه هو كان سبب قتل اولاد شلندي فطيب خاطرهم السنجق وعندما ارسل شوباصي الى بشراي بسبب جمع المال أمره بقتل المقدم داغر : ولاجل ذلك بعدما استوفى المال وركب حصانه وهم على العودة طعن المقدم داغر في الرمح وقتله : ولاجل هذه الاحوال بعث الامير منصور قتل ايضاً المقدم عساف ابن موسى واعطى جبة بشراي الى ابو سلهب التريعي . وكان ذلك من غير رضى ابو منصور حبيش حتى لا تدخل الجبة رجل غريبة وتخربها .

١٥٧٤ م : ٩٨٢ هـ بدوءها ٢٣ نيسان ج

وفاة السلطان سليم وجلوس مراد ؛ الخلاف بين القريعية والبشرانية

(٢١٦ في سنة الف وخمساية واربع وسبعين مسيحية كانت وفاة السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان : وتولى سرير السلطنة مراد ولده وهو السادس من ملوك بني عثمان في القسطنطينية[١] . وفيها صارت غواشة[٢] في جبة بشراي بين القريعية والبشرانية حتى ان القريعية قتلوا منهم اثنين عند العين التي تحت نقعكفرا وقدمت الشكاية لاعزير بسبب القتلى . وعلى ثور ابو منصور ابن حبيش الامير[٣] منصور عزل القريعية عن حكم الجبة وأعطاه[٤] الى المتقدم مغامس ابن الياس وكان شريكه الشدياق يوسف ابو رعد المسمى خاطر ابن الشدياق شاهين الحصروني من بيت متروق . واما اهدن كانت تدبر من ثلاثة شمامسة .

١) القرماني ص ٣٢٨ — ٢) غواشة ب — ٣) فلامير ف — ٤) واعطاها ف

١٥٧٦ م : ٩٨٤ هـ بدوءها ٣١ اذار س

الزلزلة في قبرس

في سنة الف وخمساية وست وسبعين مسيحية في ثمانية وعشرين من كانون الاخر نهار الاثنين حدثت رجفة عظيمة في كل جزيرة قبرص ثبتت مدة ساعتين ؛ ووقعت فيها كنيسة ماري مخايل في سامانه وكنيسة ماري الياس والمأذنة التي على مرت صوفيا في الأفقسية وكنايس وضياع كثيرة غير الكهف والشقفان .[١]

١) جاء في المسودة ص ٢٤٤ : « 1576 يخبر انطون الماروني ابن بنت اخت البطرك مخائيل الذي كان قاطن في كنزيات ان في كج (٢٧) كانون الاخر صارت رجفة عظيمة في جزيرة قبرس كلها . . . وكان ذلك جميعه في ساعتين من النهار يوم الاثنين »

١٥٧٧ م: ٩٨٥ ه بدوءها ٢١ اذار خ

سفر المطران جرجس الى رومة؛ الخلاف بين البطريرك وبين المطران داود؛ سيامة المطرانين؛ الصلح

في سنة الف وخمسماية وسبع وسبعين مسيحية كانت وفاة الاب الطاهر
٢٠ سركيس اسقف احدن وله اثنتا عشرة سنة في الرياسة وكان ذا شور وغيرة
على بنيان الكنايس والاديرة . وتخلف بعده الاسقف حنا ابن عبيد وكان
حسن العبادة وله اليد الطولى في قلم النسخ . ومعه قبل السيامة الاسقف
يوسف على مدينة بيروت والمطران جرجس البسلوقيتي على الشام . وفي
اليوم العاشر سفّره[1] الى رومية مع الخوري (٢١٧ اقليموس الحدناني لاجل
الطاعة وطلب درع تمام الرياسة على الكرسي الانطاكي . وبعدما دخل
البحر صار ان وقعت فتنة بين البطرك مخايل وبين المطران داود متوكل على
٥ الدير فانتقل المطران داود مع الخوري مارون التبرسي والقس يعقوب ابن
حويص الحقلاني الى دير حوقا؛ وفاجاه[2] العدو حتى انه من غير مشورة البطرك
قسم القس يعقوب الحقلاني اسقفاً وبعث جاب الحبيس يونان واخاه القس
يوسف ولدي جلوان من قرية سمرجبيل وكانا التجيا الى دير قوزحيا
١٠ وقبلا الرهبنة عند قريبهما الخوري حنا الخوري فسامهما ايضاً اساقفة . فلما
بلغ ذلك الى مسامع البطرك بعث علم الخبر الى البابا غريغوريوس الثالث
عشر في السابع عشر[3] من شهر ايلول وبعث ورقة المنع الى الحبيس يونان واخيه .
فلما وصل اليهما النهي امر الحاكم بخروجهما من دير قوزحيا فالحبيس
١٥ يونان حملوه في النعش الى الفراديس لعند القس يعقوب عصاص السمراني
من بيت الزيات الذي كان مستحبس في دير ماري سمعان . واما اخوه
يوسف سار الى قرية سمرجبيل والحبيس سركيس صعد الى عينتورين .
وبعد ثلثة اشهر نزل المقدم منلد والشدياق خاطر واعيان البلاد[4] تشفعوا بهم
٢٠ حتى ان البطرك باركهم . وبسبب ان دير قوزحيا كان خلي اذن لهم في
العودة واعطاهم عشرة رهبان وبقر ومعاز ومغل وغير ذلك لاجل بنيان
الدير . ولازالة القلق والشكوك أمر البطرك على رضى اهل الناحية ان المحبة

تكون بذاتها والدير بذاته ولا احد يلتزم بطاعة الاخر وحرروا لكل دير تخوم معروفة وعمّرا الموضعان بفرح عام ».

١) جاء في المسودة ص ٢٤٥–٢٤٦–٢٤٧ :

« ١٥٧٦ م ثم ان البطرك مخائيل الذي في كل هذه المدة كان في الخصاير والباس ولم يباشر يدخل ولا يرسل احداً لاجل التثبيت سام جرجس السلوقيني وارسله مع الخوري قليوس الحدثاني مطران على الشام الى حضرة البابا لاجل رمي الطاعة وكتب مكاتيب الى قدسه والى حضرة كردينال كرافا شاكراً من دضه وفضل البابا عن ما اسوا به على الكرسي ويطلب من قدسه يسم الخوري قليوس مطران ليقبلوا البركه منه وكان ارتسال القصاد في عشرة من نيسان من سنة (١٥٧٧)

فخضروا المذكورين فسجدوا بين يديه وقبلوا اقدامه المقدسة وقدموا المكاتيب الذين من السيد البطرك ومن كل الرعية فاسر قدسه من احتمالهم الشدايد وثباتهم في الايمان واقتبلهم ورعيتهم تحت كنف الييعة المقدسة الرومانية وعلى عهده انه يشبه سلفائه على الكرسي الرسولي لم يقطع حنيته وشفقته عنهم بل يوعظهم انهم يثبتوا على الامانة والعهود الذي قروا فيها في زمان بابا زخيا ج (٣) واوجان د (٤) ولاورن يد (١٠) وغيرهم وان يبطلوا ذاص طلبة (كذا ؟) عليه حاتين في الثلاث تقديسات وان الميرون يتجدد كل سنة من زيت الزيتون والبلسن والتثبيت يعطى من الاساقفة وان شوتقة الاطفال ما كان ضروري وفي الزيجات لا يقربوا اكثر من اربعة اوجاه وحتى يكونوا مثبتين في الايمان مع كنيسة بالقول والافعال كان امر ان تجمع ترتتس وتعليمه الكهنة ينتقل الى لغة العربية حتى ينطبع فيها ويراسل الى بلاد الشرق [تحرر] وانه يرسل مع المطران جرجس شادة سنة الغفران تحرر في سنة الفز (١٥٧٧) مس في شهر اذار

وفي ايام البطرك موسى المكاري صار ان قدم الى قنوبين الخوري مارون ابن انطون من قرية مطوشي من قبرس ومعه راهبتين يجانساه وهما الخاجه بربارا والخاجه مرتا وكانوا موسرات فقدمت الواحدة منهن ست آلاف قرش للكرسي والاخرى اربعة آلاف وصار لهن خدامة جزيلة [وكانوا] واشتروا من حوقا ارض درجات ونصبوا حقلة الخاجة مارض بلوزا وبربارا نصبت الجزيرة التي قبل الطاحون واستاجروا حنية الصوف [وبسبب انهم كانوا طالبين علوفة في الدير وجعلوا اوزان] وعندما توفي البطرك موسى جعلوا اوضته كنيسة باسم مار بطرس حتى لا يسكنها غيره وبسبب انهم كانوا طالبين الحكم على الاجرا والرهبان صار ان البطرك مخائيل بعد مواعظ كثيرة اعزلهن من قنوبين فمضوا الى دير حوقا وصار لاجلهم فتنة كبيرة وخرج معهن من الدير المطران داوود والقس يعقوب ابن حويص الحقلاني والخوري مارون قرايبهم وقصدوا السكنه بدير حوقا وكان امرهم في هذه السنة الفز (١٥٧٧) مس وليكيدوا البطرك مخائيل الذي سام اخاه المطران سركيس على عجبة قزحيا اتحدوا مع بيت جلوان ليكون مندم واحد وصار ان المطران داوود سام القس يعقوب اسقفاً ثم ان هذا سام الحبيس يونان واخاه القس يوسف اولاد جلوان اساقفة ».

[وفي هذه السنة صار ان الموارنة اتفقوا مع واحد مطران حتى انه في (السرقة ٤ ه)
رسم الحبيس يونان الصمراني مطراناً على قزحيا وثم هذا رسم اخاه القس يوسف والقس
يعقوب مطارين لموضع ذلك كثرت الفتنة بين بيت ارز والموارنة ولان الرسامة كانت بغير
علم البطرك احرمهم [وكتب عن ذلك] وكثرت الخصومة هكذا بينهم حتى ان وصل الخبر
الى سنجق طرابلس الذي ارسل شرباصي الى دير الكرسي بجملة خيل فدهك رزقاً لا له
قياس وربط الرهبان واجذهم في الجنازير قائلاً : ان كانوا عمّروا كنيسة جديدة ولولا
حضرة قنصل طرابلس والتجار كانوا خصروا الكرسي خسارة بالغة بسبب ذلك [المطران]
والرسامة في السرقة ارسل البطرك يعلم بذلك قدس البابا وارسلوا هم ايضاً يحتجوا عن
ذاتهم قائلين ان البطرك بنفسه كان انسام هذا النوع من غير علم البطرك موسى وغيره
كذلك صاروا مطارين من غير علم البطرك موسى وغيره كذلك صاروا مطارين من غير علم
البطرك ان هذه العادة كانت في الزمان الذي سلف كثير دارجة في بندر الشرق وثانياً ان
ما قصدوا ذلك لاجل طمع ولا لاجل مكسب وجاه بل لاجل قيام ناموس الكنيسة
الكاثوليكية فطالت الخصومة بين الفريقين حتى ان البطرك غائيل احرم الموارنة واخرجهم
عنه من دير مار اطانيوس وقيل ان البطرك راح له دراهم كثيرة بهذا الامر حتى اخرجهم
على يد الحاكم ولم صار الحبيس يونان يخرج من الدير الّا على قفاه محمولاً في النعش وصارت
فتن عظيمة وشكوك في كل الطائفة وبعد ما كان هذا الدير المقدس من زمان القدم دار
الفضائل ومدرسة الايمان اضجر وخرب في الشره والكيد.]

وفي هذه السنة كانت وفاة المطران سركيس الدويهي خليفة الاجواد الداعي الى سبل .
الرشاد ركناً بليغاً ديناً وكان له عناية في ارتشاد الانفس وعمارة الكنائس والاديرة وكانت
مدة رياسته يب (١٢) سنة الا شهر خلف خمسة اولاد الا البنات جميعهم تدرجوا في خدمة
البيعة وافادة الموم وهم الخوري عيد والخوري جرجس والقس يعقوب والحج اسطفان
الراهب والحج ابراهيم [ومنهم في] وانسام على اهدن المطران يحنا من بيت عيد [وكان]
وفي رضا الملة الدويهية اخذ السكنة في دير راس النهر وكان كثير العبادة وحسن الكتابة
وله اليد الطولى في قلم النسخ بلغ فيه درجة عالية . (ما بين المكروفين مشطوب في
المسوّدة) .

٢) واطناه ف — ٣) في السابع من شهر ن — ٤) البلد ف

١٥٧٨ م : ٩٨٦ ه بدوءها ١٠ اذار أث

عودة المطران جرجس مع البادري جوان وزيارة الديورة

٢٥ وفي سنة الف وخمساية وثمان وسبعين مسيحية في دخول الربيع (٢١٨
كانت عودة المطران جرجس من رومية الى جبل لبنان مع البادري جوان

باطيشتا ورفاقها ؛ استقبلهم البطرك ميخايل بكل فرح وكرامة وتسلم منهم العدة ومكتوب البركة[١] الذى له وللرعية ؛ وبيّن امامهم ان التهمة
٥ التي اتهم بها ما كانت الا تجنّي ؛ وفي مجمع روساء الكهنة الذين أمر في التيامهم حلف ان امانته ما ابداً بدلها ولا غيرها وانه خاضع وطايع لكنيسة رومية فيرذل ما ترذله ويقبل ما تقبله ؛ وفي شهر تموز انفذ هو وروساء الكهنة وجوان باطيشتا المكاتيب الى الحبر الاعظم عن صحة هذا الامر
١٠ مع التجار الذين قصدوا بلاد النصارى في البر وفي البحر ؛ ثم ان جوان باطيشتا استأذن البطرك حتى يجول الديورة والكنايس في جبة بشري فأعطاه مكتوب عام حتى ان الجميع يقبلوه اجل القبول وأمر اخاه الاسقف سركيس والقس جرجس ابن يوحنا يكونان صحبته ويقدما له منها طلب.[٢]

---

١) الي ن — ٢) جاء في المسوّدة ص ٢٤٧–٢٥٤ : البابا غريغوريوس يج (١٣) قضى مصالح الطائفة الذين لاجلها كان دخل المطران جرجس البلوقيتي والخوري قليموس المدناني [وعطام] وارسل معها بدلة كاملة (مع) وحسنة للكرسي الانطاكي وارسل معها البادري يوحنا اليان والبادري توما بيرون والشم ماريوس من شركة الايسوعية حتى انهم يزوروا السيد البطريرك ويفحصوا امور الطائفة وعوايدهم وكتبهم وامسكاتهم القديمة وكان البادري يوحنا اليان المذكور ذو مكارم وفضيلة بالغة من العلوم الطبيعية والالهية ذو حكمة وادب جزيل حافظا اقوال شريعة المسيح ودارساً في كتب الاباء وتفاسيرهم بالغاً في اللغات اللاتينية واليونانية ومتعلماً على العربية

وقصد الاب الاقدس ارتساله إلى الملة المارونية حتى انه يفحصها فحصاً بالتمام يخبر قدسه ليقيم لهم مدرسة في مدينة رومية لان البابا المذكور عندما بلغ اجل المراتب كالراعي المؤتمن على جميع خراف الله [اقام مدارس] حقق ودقق ان لم يكن نوع اخر موافق لاتحاد جميع الطوائف مع كنيسة رومية معلمة جميع الكنائس مثل هـذا ان تنشأ مدارس لجميع الطوائف في مدينة الكبرا وان هناك يتادبون جميعهم في اللغة الرومية وفي المنطق والحكمة والفلسفة واللاهوت والناموس مع كافة القواعد المسيحية وبعد ما اكتسبوا هذه [الكنوز] الوزنات الروحانية يرجعوا يتاجروا فيهم كل واحد في موطنه لموضع ذلك هـذا الاب المقدس لما اختبر في امور الملة المارونية واتحادهم مع الكنيسة الرومانية ارسل لهم هذا المعلم الفاضل ليفحص امورهم وارسل معه قدس البابا مكاتيب الى حضرة البطريرك للتثبيت من غير درع حتى تتفحص امورهم وفي بعض امور عن الايمان وانه يرسل له كتب من عهد العتيق والجديد ليطبعهم وارسل معه عدة لخدمة القداس وحسنه

[فوصلوا المطران جرجس وقصاد حضرة السيد البابا في شهر تموز من هذه السنة وفي اثرهم وصلت مكاتيب من حضرة الكردينال كرفا مهدية اليهم وينذرهم بان وصلت الى

قدس البابا من ورديان القدس مكتيب يخبره بان مطارنة قزحيا الصارنة ارسلوا له مكاتيب ورموا امانة البطرك انه كان يمتوبي فارسل الكرديتال يعلم المرسلين بان لا يعطوا للبطرك لا المدة ولا الدراهم ليبن ما يفحصوا اموره ويصل حقائق وقرار عن امانته]

فلما وصل الى البلد [ثم ان طلع] المطران جرجس مع القصاد صعدوا الى دير قنوبين وقابلهم السيد البطريرك بكل فرح وعزازة ثم ارسل معهم اخوه (المطران] سركيس حتى زاروا الارز والمواضع المقدسة وبعد ذلك [بادروا بارتسام اخاه الخوري سركيس مطران ليكون للبادري جوان باطيستا رفيقاً ومعيناً في جميع ما يطلب ويحتاج اليه)] صارت المفاحصة عن امور البطريرك واعتقاده وامام قصاد سيدنا البابا وجملة مطارين وكهنة من الطائفة اقر ولم يشك ان كما كان وقد صار في كذلك ان في هذا الاعتقاد وفي التمسك بكنيسة رومية و [تحت] طاعة باية رومية كانت من غير جزع ولا ورع متمسك وقبل ايمان بانه قابل جميع ما تقبل كنيسة رومية وجميع ما تحرمه يكون محروماً منه وعلى خطه وحرره بختمه ان هذا قراره وان عليه يعيش ويموت

ومن خصوص بعض امور التي كان كتب له حضرة البابا امر اولا ان الاولاد يتعمدوا في الثامن يوم من ولادتهم ب (٢) ان الصبيان يتثبتوا بالميرون المقدس في السنة الثامنة ام العاشرة من عمرهم ج (٣) ان كل سنة يتقدس ميرون جديد من زيت وبلسان د (٤) ان الاطفال لا يتقربوا حتى يكملوا سنهم ه (٥) ان في الثلاث تقديسات لارتداد تامطيلات حافين و (٦) ان المتدرجين بوظائف الكنيسة من الشم الرسائل وان علوا يصلوا السبع صلوات ز (٧) ان لا يصير طلاق الزوجة ولو انوجدت بزنا بل انها تنهجرت مدة زمان حتى تتوب وتوفي عن قانونها فجاوب السيد البطريرك ان بهذه الامور وغيرها يكون طايع امر كنيسة رومية .

ثم انه يستكثر خير الحبر الاعظم على البدلة التي كان ارسل له اياها وعلى الخسنة التي أرسلها للكرسي وفوق الكل يبين ما اعظم فرحته وابتهاج قلبه بخصوص المرسلين الذين كان وجههم الى استفقاد ملته المارونية تحرر ذلك في دير الكرسي الانطاكي في كه (٢٥) من شهر حزيران سنة ترح١٥٧٨ مسيحية بخط السيد البطريرك مخائيل [وشهادته] وختمه وبشهادة اخوه المطران سركيس والمطران جرجس البلوقيقي والخوري حنا والخوري موسى وارتسلت هذه المكاتيب في البحر مع مراكب التجار وفي ب (٢) من شهر تموز من هذه السنة ارسل مكتوب اخر على ذلك المنوال في طريق البر طالب من قدسه التثبيت كما عطيوا باية رومية لسلفائه وانكتب ايضاً مكتوب اخر باسم المطران داوود الحدثي والمطران حنا الحدناني والمطران داوود العاقوري والاسقف جرجس البلوقيقي والمطران سركيس الرزي والخوري قليموس الحدناني يشهدوا ان اماتهم ثابتة على ما كانت من الزمان القديم وانهم متمسكين بكنيسة رومية وطائعين لسننها كما كانوا سالفائهم في الملة المارونية ويطلبون من جوده يتمم الى حضرة البطريرك بالتثبيت بجاري العادة لان المذكور كان مسكراً في الحبس وهم رغماً عنه الزموه بهذه الحملة الثقيلة ولا يواخذهم في الاهمال والتأخير بكتبة المكاتيب وطلب هذا التثبيت لاجل الحروب التي كانت قايمة بينهم وبين المسلمين .

وبعد ذلك بايام قليلة وصلت مكاتيب من حضرة الكردينال كرافا الى البادري توماس والبادري يوحنا اليان يعلمها بان وردت اليه مكاتيب من ورديان القدس يخبره جم ان المطارين الصعارنة ارسلوا يعلموه بان البطرك الجديد كان هرطوقياً يعقوبي فليفحصوا امره ولا يسلموه المدة ولا الدراهم حتى يكونوا تحققوا عن حسن امانته وان لا فيجمعوا المطارنة والروسا وينتخبوا غيره .

فلما بلغ الخبر الى حضرة السيد البطريرك احد على خاطره وقال للقصاد انتم لكم عندنا كم شهر وشاهدتوا عوائدنا وتمسكاتنا وخضوعنا لكنيسة وافتبال قصادها لست من قال وقيل بل انتم شاهدتم في عينيكم ثم ان السيد البطريرك كتب مكاتيب الى حضرة قدس البابا والى حضرة الكردينال انطانيوس كرافا وكيل الطائفة يعلمهم اولاً عن امانته وامانة كل طائفته ان خاصة من سنة الف ومايتين وبه (١٥) من عصر البطرك ارميا انفرقت هذه الطائفة عن جميع طوائف الشرق واتحدوا اشد الاتحاد مع كنيسة رومية وان على مدى ذالك انه يعيش ويموت (وان قدسه يتبع علم الخبر الذي يأتيه من قصاده ولا من اهل الحسدة والبغض) وثانياً من خصوص المطارنة الذين اخذوا المطرنية في السرقة وارموا الشك في الطائفة وخبطوها كلها : انه حكم بينه وبينهم في ناموس الملة (؟) وان كمثل ذلك ضد اتحاد الكنيسة كذلك [ليكتب] ليرسل امرًا بخلعهم وحلع كل من يفعل ذلك في التيد [ولا من اهل الحسد والبـ] . ثم يأخذ عليه بطالب التثبيت وان [يرسل] يتفضل عليه بقنينة بلسان لان وجوده كثير قليل في هذا الجانب تحرر ذلك في يب (١٢) من تشرين الا من هذه السنة وفي هذه السنة صار منادى الغفرانات الذي ارسله البابا غريوريوس المقدس في يه (١٥) من شهر آب في دير قنوبين الى حيث كان توجه شعب كثير وانقرت مكاتيب قدس البابا من خصوص الثلاثة تقديسات والمايد والتثبيت فكان حواجن كلهم ان امر قدس البابا على الرأس والعين ومهما رسم يقبله بفرح وسرور .

وفي هذه السنة البادري جوان بتيشتا برفقة المطران سركيس اخو البطرك [الذي كان ذو] والقس جرجس ابن الخوري يونان من ايليج وغيرهما داروا في ضياع الجبة وكنايسها يفحصون عوائد الطائفة والكتب الذين كانوا موجودين ولان الكنيسة الشرقية مختلفة عن الغربية بعوائد كثيرة ثم الكتب الذين يتوجدوا في الكنائس والديورا وعند الروسا هم كلهم خط فالبعض متصنفين من بني الايمان المستقيم والبعض من الاراطقة ومن الغير مؤمنين وايضاً في النسخة البعض منسوخين من الموارنة والبعض من اليعاقبة وفي مدة الزمان البعض متجددين والبعض قد عتقوا وفي اللغة البعض بخط سرياني والبعض سرغالي والبعض كرشوني والبعض عربي من هنا صار ان اي من نظر تلك الكراريس صار يتهم الموارنة بتلك الغلطات وفي الزايد ان اكثرهم مضادين لبعضهم بعض [وعندما] كما صار في الراهب توما الكرملتاني الذي جمعهم كلهم وطبعهم باسم الموارنة فهذا كفرًا لا يطاق فاذا كان رجل ماروني وجد قصة جميلة ام ميمر ام مديح ام تفسير عند اليعاقبة او غيرهم واخذ الكتاب الى البيت وقرأ تلك القصة وترك ذلك الكتاب في البيت لعل ذلك الرجل واهل بيته صاروا كلهم اراطقة لاجل الارطقات الذين في ذلك الكتاب الذي ولم يفهموه

وذلك صار في كتب الخط [اكثر الكتب] الذين ما يمكن ان يكون خالص من البدائع والغلطات الا القليل والبادري جوان بتيشتا ... ن الذي فحص كتب الجبة ما ابدا ... وقال ان الموارنة تمسكوا في البدائع الذين في تلك الكتب ولا يعرف لهم مصنف لكن اخذه عجباً عظيم كيف هذه الطايفة تكون تمسكت في الكنيسة الرومانية وحفظت قواعد الدين بين عواصف الارطقات وبدائع الغير الموم ولو [فهم] قري في الكتب السرياني وفهم هذه الملة التي بها جميع كتب التداسات والصلوات ورتب البيعة كان اقبل عليه عجباً ازيد ذلك من كما ان الكردينال شهد عن البابا اوربانوس الثامن.

(وبعد منه سنة انضو (١٥٩٦) قد ارسل البابا قليموس (الثامن) البادري جيرونيموس دندينوس الايسوعي الى زيارة الطائفة بأيام البطرك سركيس اخو المطران ... كثير البطرك من انكراسات الذين اخذهم البادري جوان بانيشتا الى بلاد العرب وسروهم على طايفة الموارنة وتكر امام القصاد ان ذلك المجمع المذكور صار منه ام من اخيه البطرك تذنيل ولا على رضاه ورضا اخيه وبعد فحص وتفتيش عظيم رفض تلك التمسات وحرم الغلطات المزورة المالقولة عليه وعلى طائفته من بعض ناس وحرم كل من يتبعهم)

بيت البادري جوان باتشتا قرب سنة في جبل لبنان وحضرة البطريرك والمطارين والرهبان وكافة الشعب فرحانين بيه غاية الفرح بهذه المدة صار ان جاء مكاتيب من الاب المكرم ريس كل الرهبنة الايسوعية بانه يعاود الى رومية قائمه البطرك والمطارين قائلين انت مرسل من حضرة قدس الاقدس ومن الاب الحبيب كردينال كرافا فما يمكن ان نتركك ترجع الا بمكاتيبهما فكتبوا جملة مكاتيب يعلموا بهم حضرة البابا والكردينال المتوكل على يد راغولوس الموراسي نائب قنصل طرابلوس بان صار بهم كما ذكر الانجيل عن ذلك الذي بدأ يبني برجاً ولم يكمله. فالواجب انه يكمل الامر الذي ارتحل لاجله وان يقام مجمع قدام روسا الملة المارونية عن ما يجب حفظه ام عزله وليثبت الى خميس الكبير لاجل تصنيع الميرون وغير ذلك وان كانوا متوقعين جواب قدسه وفي هذه المدة اقام السيد البطريرك جمعاً بحضرة قاصد البابا البادري جوان باطشتا واخوه المطران سركيس الرزي والمطران الحدثي والمطران يحنا الحدثاني والمطران داوود الماقوري والاسقف جرجس البلوقيني والاسقف قليمس الحدثاني والاسقف يوسف النهري وفي حضرة روسا الديورا ومشايخ البلاد.»

(ما بين المكوفين مشطوب وما بين الهلالين جاء على هامشها)

١٥٧٩ م: ٩٨٧ هـ بدوها ٢٨ شباط س

الطاعون والغلاء؛ عزل منصور بن عساف؛ يوسف باشا طرابلوس

١٥ سنة الف وخمسماية وتسع وسبعين مسيحية عرض الطاعون[1] في الديار المصرية والشامية حتى وصل شنبل القمح في اعمال طرابلوس الى مائة وخمسين والحمص الى مائة واربعين وقلة الزيت الى ثلثماية واربعين.[2]

وفيها انقدمت السعاية الى الباب الاعلى في الامير منصور ابن عساف
٢٠ بسبب قتلة ابن شعيب وامرا فتقا وعبد الساتر وغيرهم . فابرز السلطان
امراً ان طرابلوس تكون باشاويه لتنكسر شوكة ابن عساف ؛ وتولى سياستها
يوسف ابن سيفا التركماني ؛ وصارت المنادى على توابع ابن عساف ؛ فهرب
٢٥ الشدياق خاطر الى بلاد بعلبك والمقدم منلد الى ناحية الشوف ؛ فمات هناك
عن صبي وبنت وهما جمال الدين يوسف وست البنات ؛ (٢١٩ ثم ان يوسف
باشا كاتب الشدياق خاطر في الامان واعاده الى حكم جبة بشري وجعل
الشدياق باخوص ابن صادر الحاشيني يكون شريكه في الحكم ؛

---

١) الدرر الحسان ص ٦١٧ . — ٢) واربعين درهم ف وجاء في المسودة ص ٢٥٥ :
« عند دخول هذه السنة صار ان عرض الطاعون في الديار المصرية وبدي يبين ايضاً في
بلاد الشام لموضع ذلك تنازل السيد البطريرك مع [النعماد بان] البادري جوان باتيشطا
المكرم بانه يقوم يرجع الى بلاده ويخلص من هذا الفزع وكتب معه مكاتيب الى قدس
الحبر الروماني والى وكيل الطائفة السيد الشرف الكردينال كرفقا يعلمهما بجميع سبب
رجوع القاصد وان الامور ما تكملت كما في غرضه ولا صار بجمع مترجياً بحسن عنايتهما
ان يرسلاه مرة ثانية لاكمال هذا الفعل الروحاني ومع الوبا الذي حكم في الاكثر الاطفال
وقع الغلا حتى ان الناس صاروا بدينة عظيمة من الغلا ومن الوبا ومن الظلم .
برفقة البادري جوان باتيشطا ارسل البطريرك ولدين وهم جبرائيل الاذيني وكبير
النيرمي ليتعلما في مدينة رومية وكان المتوكل الشدياق لازار النيرسي رجل معتاد لسفر البحر
ودخل دفعات اخرى الى بلاد الافرنج وكان يتكلم في اللغة الفرنجية فارسله البطريرك
ليكون متوكلاً في الولدين بما احتاجا اليه في سفر البحر وارسل يطلب ان يتوصوا منهم
ويجتهدوا بتعليمهم وكتب ايضاً لقدس [وكان في هذه] يطلب منه ديراً صغير يساع اربعة
رهبان من الطائفة رحق اذا تقرب احد من الطائفة يبقى يترل عندهم واما البادري
جوان بتيشطا لما وصل الى رومية الكبرا سجد بين يدي الحبر الاعظم وقدم له
مكاتيب البطرك عمائيل وروسا البلاد فقراهم وفرح به غاية الفرح ثم انه استخبر من
قاصده عن امور الملة المارونية ورئاستهم وكثرتهم وتدبيرهم وتمسكهم فوصف له
البادرى باتيشطا كل شي بالتفصيل وشكر جداً من امانتهم اي كالسالامندر نعيش في
وسط النار من غير انها تحترق وان بكل جهدهم وقوتهم طالبين ان لا يزيغوا بحرف عن
الكرسي الروماني وانهم كالارض الظامئة يقبلون بكل فرح وابتهاج مياه العلوم التي تتورد
اليهم على ايادي المرسلين فابتهجت روحه القدس وامر ان يرد جواب المكاتيب فكتب
لحضرة البطريرك وارسل له الدرع الحبري وثبته على كرسي انطاكية وعلى الملة المارونية
وارسل مكتوب ايضاً الى اخوه المطران سركيس والى داوود مطران طرابلوس بان هم
يلبسوه الدرع الحبري ويقبلون ايمانه على يديهما ويوصيهم على الحرص والعناية بالخراف التي

اوقفوا على سياستهم وتحرر ذلك وحضروا ايضاً الى عنده وسجدوا بين اقدامه الشد عاراز واولدان جبرائيل وكبار فاقبلهم قدسه بكل عزازة واوجب واس ان يتزلوا في مدرسة ناوفيتوس وهم المتجددين في الايمان ليبن ما يكون اقام لهم موضعاً خاصاً لطائفة الموارنة.

وزسل ايضاً المطارنة يعقوب ويوحنان ويوسف الذين كانوا ارتسموا من غير علم البطرك مكتوب الى الكردينال كرافا يعلموه بها ان رسامتهم ما كانت صارت لاجل فخر ولا كبريا بل لاجل الايمان اذ يلوموا البطرك ويتهمود بالارطقة ويقولوا ان ذلك ست تجديد مل من قديم في الملة المارونية تحرر في عب (٢٢) من كانون ب من شهر سنة (١٥٧٩) وارتسات المكاتيب مع الراهب القس انطانيوس الصهيوني بن قس فنياوس من اهدن ولان المذكور لم كان ياكل خبز احد السكنة عند الكرملتيه وتبت هناك حتى انسم البطرك سركيس [يوحنا] وكان ينسخ الكتب ويعلم اولاد المدرسة.

وثم ان المطران جرجس ابن عميرة رسمه جورجي اهدني شيخ وعينه وسكن مارسيرس ثم مر مار قبريان ثم نزل الى قرحيا» (ما بين المكوبين منطوب).

١٥٨٠ م : ٩٨٨ هـ بدوءها ١٧ شباط ار

عودة جوان من رومة مع درع الرئاسة ؛ وفاة منصور عساف والحبيس يوسف الباروتي

سنة الف وخمساية وثمانين مسيحية عندما البابا غريغوريوس دقق ٥ وتحقق عن صحة امانة البطرك ميخايل وطايفته امر جوان باطشتا اليان بالعودة الى جبل لبنان ؛ واخذ صحبته القس جوان برونا من شركة الايسوعية ؛ وارسل معهما للبطرك درع تمام السلطنة بمكاتيب له وللمطران داود وللاسقف سركيس بتحرير الثاني وعشرين من شهر اذار ؛ وكذلك ١٠ ارسل بعض كاسات من فضة وعداد لخدمة القداس واواني الميرون وقوالب البرشان مع بعض صور ومسابح ؛ وعندما دخلا الجبل لبنان وقربا من دير الكرسي كان البطرك مخايل ماقي في التريشة فأمر اخاه الاسقف سركيس بجمع الاكليروس وبخرجوا الى لقاهما في البخاخير وقراة المزامير احتراماً للذي ١٥ ارسلها ؛ فاحتضنها واستقبلها بغاية الكرامة ؛ وفي نياحة السيدة وهو عيد كنيسة الكرسي امر بحضور روساء الكهنة واعيان الشعب فقام لبس الدرع وقدم القداس وحلف الطاعة على موجب الصورة التي رتبوها الاباء في مجمع طرنتو .

وفيها كانت وفاة الامير منصور ابن عساف وتخلف بعده ولده الامير
٢٠ محمد ؛ وبالقرب من هذه السنة تنيح يوسف البلوقيني الذي استحبس
عار انطونيوس النراديس ؛ فلموضع سيرته الملايكية وشيخوخته النقية حمّا
البطرك في رياسة الكهنوت وعندما دنت ساعته قدم الى زيارته ، حذ قبره
تمغارة البارة مارينا .

١٥٨١م: ٩٨٩هـ بدوءها ٥ شباط اث

وفاة البطريرك مخايل؛ جلوس اخيه سركيس؛ النيت البابوي

١٥ في سنة الف وخمسماية وواحدة وثمانين مسيحية انتقل الى [؟] ٢٢٠ جمة
الصالحين البطرك مخايل ابن الرز بدير قنوبين ؛ فاتخذ سيرة نسك منذ
صبايه وكان ذا قلم نشيط وخط فايق لين الجانب وكثير البر ؛ ثبت في ابطركيه
اربع عشرة سنة ونحو ستة اشهر احتمل مشقات كثيرة ؛ وفي نهار تاسعه
٥ اجتمعت روسا الكهنة واكابر الطايفة وصيروا اخاه الاسقف سركيس عوضه
وهو السابع من البطاركة بدير قنوبين ؛ واما الحبس تروس عليه يوسف
بن موسى اخيهما ؛ وكان حاضراً في الرسامة قاصد البابا جوان باطيشتا ورفيقه
جوان برونا وفي حال ارتقايه الدرجة المقدسة سفّروا جوان برونا الى رومي
١٠ الطاعة في مكاتيب من الجميع ؛ والبابا غريغوريوس في حال وقوفه عليها
رسم ان يعطي درع تمام الرياسة من غير صعوبة وان جميع الطايفة يكونوا
تحت طاعته في الروحاني والجسداني .

١٥٨٣م: ٩٩١هـ بدوءها ٢٥ ك٢ ث

وفاة يوسف حبيش

سنة الف وخمساية وثلث وثمانين مسيحية في التاسع عشر من شهر ايلول
١٥ كانت وفاة الشيخ ابو منصور يوسف ابن حبيش الذي كان متكلم قدام
الامير منصور وقدام ولده الامير محمد ؛ وكان ذا سطوة وغيرة عظيمة
وتولى الكوخنة بعده اخوه الشيخ ابو يونس سليمان .

جاء في المسودّة ص ٢٥٨ : «وكان بهذا الزمان بدير قوزحيا عشرين راهب وعشرة في المحبس وعشرة يجار مخائيل – واهتم الحبيس يوسف في العمارة التي تحت الحبس لاجل مأوة الغرباء ونقلوا النقلد من اهدن وبان وكفر سغاب وكانت الدائرة في المونة والعلم باخوس الشراني وثاني سنة عمروا الفرن والحوش».

١٥٨٤م : ٩٩٢هـ بدؤها ١٤ ك٢ س

حادثة جون عكار وبطش جعفر باشا وابراهيم باشا بالامراء اللبنانيين وبالدروز

في سنة الف وخمساية واربع وثمانين مسيحية عندما كانت خزنة السلطان
٢٠ سايرة في جون عكار وثب عليها قوم اردياء فنهبوها[1] . لموضع ذلك خرج الامير ابن جعفر باشا الطواشي بجمع العساكر من سواحل البحر من صيدا لحمص على يوسف باشا بن سيفا ؛ فحرقوا بلاد عكار . ومضت به المشتكية الى ابراهيم باشة مصر الذي تولى الوزرنة انه ظلم البلاد . فجمع
٢٥ العساكر من حلب والشام ومصر وقبرص في مرج عرموش في زمور وطبول وملاعب وسناجق ملوكية حتى (٢٢١ ارتعب منه كل البلاد العرب ؛ وقدمت الشكايات في الامير محمد ابن عساف وفي الدروز انهم شلّحوا الخزنة ؛ فبعث طلب الغرماء من الامير قرقماس ابن معن ؛ ومسكوا دروب البحر والبقاع على الدروز وقتلوا شعباً كثير ؛ فحضر على ابرهيم باشا الامير محمد بن جمال
٥ الدين من عرامون الغرب وابن عمه الامير منذر من عابيه والامير محمد ابن عساف من غزير ؛ واما الامير قرقماس ابن معن درب الى مغارة من بلاد الشوف ومات فيها عن ولدين وهما الامير فخر الدين واخوه يونس ؛ بل حضر على الوزير عقال الدروز عند عين صوفار ؛ فباق فيهم وقتل منهم
١٠ نحو من خمساية نفر والامرا الذين حضروا عليه في الامان اخدهم صحبته الى نفس صطنبول[2] فبرّوا ذاتهم ؛ وقبلهم حضرة السلطان مراد ابن سلطان سليم بحلم ؛ وقرر على امرى الغرب بلادهم وعلى الامير محمد ابن عساف ايالة طرابلوس بتمامها دون المدينة ؛ وعادوا الى مواطنهم مسرورين :
١٥ وفي هذه الاحوال ارسل الامير سيف الدين التنوخي اخذ الى عنده للشوف اولاد اخته الامير فخر الدين واخوه الامير يونس ؛ وعند نهاية الست سنين رجع الامير سيف الدين الى عابيه في الغرب وولى الامير فخر الدين على بلاد

الشوف ، وكذلك الامير محمد بن عساف عند عودته اخذ لعنده الشيخ
٢٠ ابو قانصوه محمد همام ابن حماده واعطاه حارة في اغزير ؛ وجاب معه معلم
من اصطنبول حتى كمل السرايا في غزير ، ويقال انها تكلفت اربعة عشر
الف وكانت من الاشرف عماير في بلاد الشام . وفيها البطرك قسم الخوري
قليموس الحدناني اسقفاً ليكون مساعداً له في دير قنوبين

١) المرر الملساس ص ٤٤٤ سنة ١٥٨٥ م — ٢) نفس مدينة سطنبول ف

١٥٨٥ م : ٩٩٣ ه بدوءها ٣ ك ٢ خ و ٩٩٤ ه بدوءها ٢٣ ك ١ اث

وفاة غريغوريوس الثالث عشر ؛ مؤسسة قسوسطوس للموارنة ؛ وفاة يعقوب الناسك

٢٥ في سنة الف وخمساية وخمس وثمانين مسيحية اكمل حياته السعيدة البابا
غريغوريوس الثالث عشر الذي لشدة غيرته (٢٢٢ لانتشار الديانة المسيحية
انشى مدارس في مدينة رومية لجميع الطوايف ؛ وقبل وفاته بسنة عندما
كثروا تلاميذ الموارنة برومية امر البابا بنقلهم من مدرسة الاحداث في الدين
واقام لهم مدرسة تخصهم . وما كان عاين لهم علايف الا التي من خرج
٥ مايدته ذكره مؤبداً ؛ وعندما تخلف بعده البابا قسوسطوس الذي ما كان
بانقص جوده ومحبة من المذكور لدى الكرسي الانطاكي رتب لهم مدخول
كفي خمسة عشر ولد مع الذين يقومون باستخدامهم . وبقرب هذا
الزمان ضجع بالرب القس يعقوب قصاص السمراني من بيت الزيات ؛ لبس
١٠ الاسكيم الملايكي بدير ماري انطونيوس قزحيا وقضى حياته بكافة النساك
والتداسة في محبة ماري سمعان العراديس وجسده بعده الى هذا الان
محفوظ جالساً في مغارة مار اذنا .

١٥٨٧م : ٩٩٦هـ بدوءها ٢ك١ ار

كنيسة مار عبدا وكنيسة الملائكة في بكفيا : وبيت الخراط وبيت الجميل

في سنة الف وخمساية وسبع وثمانين مسيحية اعتنى الخوري انطون
١٥ من بيت الجميّل وبنى كنيسة ماري عبدا بقرية بكفيا وصوّرها على يد
الشدياق الياس الحصروني وتكلّف عليها الف قبرصي غير كلفة اهالي
بكفيا وغيرهم من المحسنين . وبعد عمارتها اهتمّ الخوري عيسى من بيت
الخرّاط وانشى كنيسة الملايكة في القرية المذكورة : واما البطرك سركيس
٢٠ سالكاً في اثار القدماء قدّم الخوري انطون لرياسة الكهنوت واعطاه عدة
جبلة مجازاة لتعبه وهو بدل الجميل . عندما كان في سنة الف وخمساية وخمس
وتسعين متوجه البطرك الى زيارة الرعايا لافاد الى قرية البوار وقصد تمنعه
٢٥ عن دخول بلاد كسروان : فتغير خاطره عليه وربطه . وفي اليوم الثالث
وهو الثامن عشر من تشرين الاخر قضى أجله : وبسبب ان هؤلاء الذين
كانوا البطاركة يكرمون عليهم (٢٢٣ بالرسامة لست لسياسة الرعايا بل
لمجازاة بعض افعال جيدة صدرت منهم صاروا يأخذون الدرجة من غير
رضى البطرك ام يتصرفون بها بخلاف حدود القوانين صارت البطاركة
تمسك اياديها عن رسامة غيرهم .

١٥٨٨م : ٩٩٧هـ بدوءها ٢٠ ت٢ أح

اسقف قبرص

٥ سنة الف وخمساية وثمان وثمانين مسيحية كانت وفاة الاسقف يوسف
في جزيرة قبروس : وسام البطرك عوضه يوحنا ابن اسكيلا المعلم من
الكبز فانه .

١٥٩٠م: ٩٩٩هـ بدوءها ٣٠ت١ ث

مقتل محمد عساف

سنة الف وخمساية وتسعين مسيحية كان مقتل الامير محمد بن عساف[١] القاطن في اغزير وذلك انه خرج بعسكر كثيف الى مقاتلة يوسف باشا بن سيفا في عكار بسبب المال الذي تبقى عليه فوضعوا له الكمين بين التروس والمسلحة وقتل ولم خالف ولدا ؛ وانقرضت دولة بيت عساف الذين منذ الف وثلثماية وست ستين اخذوا السكنة في بلاد كسروان تكون مدة مقامهم فيه مايتين واربع وثمانين سنة .

١) الغرر الحسان ص ٦٢٠

١٥٩١م: ١٠٠٠هـ بدوءها ١٩ت١ س

وفاة الكردينال كرافا ؛ وقفه للموارنة ؛ الغلاء والجوع

في سنة الف وخمساية واحدى وتسعين مسيحية في الثالث عشر من شهر كانون الاخر انتقل الى راحة الابرار الكردينال انطونيوس كرافا صاحب الفضل على الطايفة المارونية وهو كان الساعي في نشو مدرستهم برومية وعندما قاربت وفاته اوقف لها متخلفاته مبلغ عشرة الاف سكود ذكره مويداً وفيها كان الغلاء العظيم في بلاد الشام ووصلت الغرارة الى ماية قبرصي ومات فيها ناس من الجوع .[١]

١) جاء في المسوّدة ص ٣٥٩ : « ما نزل مطر الى اخر تشرين الاخر وفي [دخول] عشرين كانون ركبت في الثلج مدة سبعة ايام نهاراً وليلاً على رده واحده حتى وصل الثلج الى ابراج مدينة طرابلس . . . واما في الجرد على الوصف حتى ان في دير مار سركيس اهدن اكتالوا علوه عشرين شبر » . – ما بين المكوفين مشطوب بقلم الدويهي .

١٥٩٣ م : ١٠٠٢ هـ بدوءها ٢٧ ايلول ابث

فتك يوسف سيفا بآل عيش ؛ الفتنة بين عرب طرابلس

في سنة الف وخمساية وثلث وتسعين مسيحية تزوج يوسف باشا سيفا امراة الامير محمد بن عساف ودخل على جميع (٢٢٤ املاك بيت عساف واموالهم . فقبض ابن سيفا على ابو يونس سليمان وابي سعد منصور ومهنا ولدى حبيش فقتلهما ونكب حاراتهما . وهربت اولادهما يونس وحبيش الى الشويفات عند الامير محمد بن جمال الدين . واعطى النيابة عوضهم
٥ لاولاد حمده . وتقاتلوا مع الست من غزير الى طرابلس . وعندما استكبر يوسف باشا اولاد العرب في المدينة فتن بينهم وبين اسمراحية الذين كانوا متأهلين منهم . فقتل الشيخ قانصوه ناس من المسمراحية الذين كانوا في طرابلس وبين الذين في كفرحلدا . وصعد الى المنيطرة بجيش حلاك ابو جمال الدين
١٠ سياله . ولكن حكمت لقانصوه رصاصة وقتل فاخذوا قبروه في كفتين .

١٥٩٤ م : ١٠٠٣ هـ بدوءها ١٦ ايلول ج

وفاة السلطان مراد ؛ جلوس محمد ؛ وفاة شيخ بشري

في سنة الف وخمساية واربع وتسعين مسيحية في سادس عشر من جمادى الاخر توفي السلطان مراد خان ابن السلطان سليم[1] . انشا التكية في المدينة
١٥ واوقف لها قرى من اقليم مصر تجمع كل عام ثلثين كيس . وكانت مدة سلطنته عشرون سنة وتسعة اشهر . وتولى بعده ولده السلطان محمد خان وهو السابع من ملوك بني عثمان في القسطنطينية . وفيها توفي الشدياق باخوس ابن صادر الحدشيتي شريك الشدياق خاطر في مشيخة جبة بشري وتخلف بعده ولده الشدياق فرج .

---

١) الدرر الحسان ص ٦٢١

١٥٩٥ م : ١٠٠٤ ه بدؤها ٦ ايلول ار

الاسقف موسى عند البابا : عودته مع اليسوعيين

٢٠ في سنة الف وخمساية وخمس وتسعين قسم البطرك سركيس في عيد ميلاد الرب ليوسف ابن موسى اخيه اسقفاً : وارسله سفيراً الى البابا قليمنس الثامن بسبب قضا امور الطايفة وليهنيه في ارتقايه الدرجة المقدسة : استقبله قدسه في اكرام وعند عودته ارسل صحبته قسيسين من شركة اليسوعية (٢٢٥ وهما جيروييموس دنديبوس وفابيوس بيرون ليتأملا الفايدة التي تصدر من التلاميذ الذين ربيوا برومية

١٥٩٦ م : ١٠٠٥ ه بدؤها ٢٥ آب اح

مجمع الطائفة : امانة الطائفة المارونية : وفاة البطريرك سركيس وجلوس يوسف

في سنة الف وخمساية وست وتسعين مسيحية في الثامن عشر من ايلول
٥ أمر البطرك بالتيام روساء الكهنة ومشايخ الخية وعلماء الطايفة : وبعد قراءة مكتوب البابا برهن قدامهم وقدام قصاد الكرسي الرسولي ان الخوري البطرك مخايل والطايفة كانوا ابرياء من التهمات التي لتخوهم بها باطلا جوان باطيشتا اليان : ومن قرار علماء الطايفة ومن فحص الكتب التي كان وقف عليها ورسمها بخطه تحقق البادري دنديبوس ان كانت كلها نقية لا اصل فاسد[1] :
١٠ وحرر ذلك في الكتاب الذي طبعه عن سفره لجبل لبنان : ثم في السابع يوم بعد ذلك المجمع تنيح البطرك سركيس ابن الرزي من شقاء هذا العالم وانتقل الى راحة الصالحين وله ست عشرة سنة في البطركية : وفي نهار تاسعه اعتقبه في البطركية يوسف ابن اخيه موسى الرزي وله من العمر ست واربعون سنة
١٥ وهو الثامن من البطاركة بقنوبين : واما الحبس ترأس عليه ابن اخيه الحبيس سركيس ربي في العلوم بمدرسة رومية :

[1] راجع سابقاً سنة ١٥٧٨
وجاء في الجزء السابع من تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس ص ١٢٥ وما بعدها

« عن المجمع الطائفي » فقال : « لم يذكر العلامة الدويهي هذا المجمع . . . » واليك ما نرويه عن المسودة في هذا الصدد ص ٢٦١ :

«وفي حي (١٨) من شهر ايلول [اجتمعوا] انعقد المجمع بحضور البطرك سركيس [في حصرون] والمطران يوسف الحبيس الرزي ويوسف مطران دير مار انطانيوس وموسى مطران بشري والشد يوسف خاطر الحصروني والشد عوج الحدشيتي شايخ البلاد وبحضور البادري دنديني الايسوعي قاصد الباب قليمونس الثامن وجملة كهنة وعلما الطائفة وبعدما انقرت رسالة البابا البطرك سركيس تشكى وتعتب بسبب [المجمع] القوانين الذين كان سابقاً انكتبوا بايام اخيه البطرك مخائيل سنة (٠٠٠٠) ومن غير احتمال تحرروا وتحرر على الطائفة جملة ارطقات اتهموا فيهم باطلاً فانفحصوا فحص بالغ وتثبتوا ان امانة الطائفة المارونية دايماً ومن قبل هي ان في السيد المخلص اقنوم واحد الاهي وطبيعتين مشيئتين وفعليين الهيين وبشرية ب (٢) ان روح القدس منبثق من الاب والابن كمن (علة) بدو واحد ج ٣)ان الثلاثة تقديسات ينقالوا على يوحنا وان التي تنقال على الابن وحده يضع عليها الولادة والصلبوت والموت د (٤) ان المطهر موجود ولذلك تصير الطلبات والصدقات والقداسات لاجل افادة الموتى المؤمنين ه (٥) ان الخطيئة الاصلية متصلة بجميع الناس ولذلك يتعمدون لينالوا الخلاص و(٦)انفس الموتى في حال انتقالهم من هذا العالم يصيرون للدينونة فالبعض منهم ينقلون الى النعيم السماوي والبعض الى العذابات الابدية والبعض لعذاب المطهر الذي هو زماني ز (٧) من يشكر المس بقصه يتوجب ان يشكره قدام ابيه التساوي ».

(ما بين المعكوفين مشطوب في المسودة ، وما بين الهلالين من قلم الناشر)

١٥٩٨ م ، ١٠٠٧ هـ بدوؤها ٤ آب ث

الوفد البطريركي يسافر الى رومة ويعود بالتثبيت ، وفقه نهر الكلب وانتصار فخر الدين

سنة الف وخمساية وثمانية وتسعين مسيحية البطرك يوسف سفّر الى رومية الخوري جرجس ابن يونان من قرية ايليج والشدياق يوسف اليان الجلبي بسبب الطاعة وطلب التثبيت ، وفي السابع وعشرين من ايار سنة الف ٢٠ وخمساية وتسع وتسعين ارسال له البابا اقليموس التثبيت ودرع الرياسة مع المذكورين . وفيها توفي يوحنا ابن اسكيلا مطران الاقصبة وصيّر بعده موسى العنيسي من العاقورة وكان قد ربي بالعلوم في رومية ؛ وكذلك توفي الاسقف قليموس الحدناني الذي كان ذا رأي محترم (٢٢٦ وأرسال

دفوع شتى الى رومية الكبرى. وفيها كانت وقعة نهر الكلب بين الامير فخر الدين ابن معن وبين يوسف باشا ابن سيفا بسبب حكم بلاد كسروان ؛ وكانت الكسرة على ابن سيفا ، فقتل ابن اخيه الامير علي. وتشتت جيشه ؛ واما الامير فخر الدين تولى حكم بيروت وكسروان سنة واحدة ؛ ثم تركيها في رضاه لابن سيفا وسار الى الشوف.

وفي هذا الجيل امتد شراب دخان التتن في الامصار المصرية والشامية[1].

---

١) الدرر الحسان ص ٦٢٢

جاء في المسودّة ص ٢٦٤ : «ويقال انه ظهر بالابدأ بايس الطباع ومطل حركة الاجتماع وكان في اول ظهوره يشربه الخاص من الناس دفشا وصار يشربه الاخلاف والسياس واكثر اهتماماً بشربه السودان والعربان ورعاة البقر ولا في اقليم واثنين بسل في غالب الاقطار .»

النساك بهذا الجيل[1]

1500 = اهدن = مطران يحنا من بيت عبيد الحبيس جبرايل واخوه القس

1537 [والقس] مالك ابن اخيه جرجس بن اسطفان [واولاد]
[ه] عمه القس جرجس] وابنه والقس يونان من بيت ستينه
قس وهبه بن ماردن قس جرجس بن [صيبغا بويا ؟]
(صيبعا من بيت معوض خوري يوسف راهب بقزحيا د)
خوري انطانيوس الصهيوني

1554 = اجبع = الخوري ايوب وقس موسى بن قس سليمان

1547 1558 =ادنيت = شمس حبقوق وشمس جرجس

1506 = ايلج = خوري يونان خوري برصوما وابنه خوري حنا وجرجس
وابنه خوري ايغناطيوس كان يعرّف كل بلاد البترِ ...

1507 = ايطو = مخايل بن جرجس بن خوري موسى بقزحيا المكنى بابن
الصغدي

= الابوار = شد حنا

1500 = بسان = خوري ابراهيم وابنه قس حنا وابنه (؟)
قس سركيس وخوري يوسف وخوري باخوس

1554 نساك ومصورين من بيت صياغا الملقبين باولاد بريطه (؟)

= بشري = خوري موسى بن شوشان خوري يوسف بن المطران

1520 = بجه = خوري موسى الراهب في الافقسيه وقيل انه كان يعقوبي

= بقوفا = البطرك مخائيل واخوه سركيس وابن اخوه يوسف

---

١) عن المسوّدة ص ٢٦٣ و٢٦٤ – وضعنا ما بين المكوفين ما جاء مشطوباً وما بين الهلالين مع الحرف ه ما جاء على الهامش وما بين هلالين فقط ما هو من الناشر .

=بيطومبي= اسقف مرقس والقس بركه الراهب 1491

1546 = جاج = الاسقف يوسف

= بشعله = جبس الخوري سركيس من بيت حبقوق

1521 =جسطريا= الاسقف يوسف وابنه خوري جرجس وابنه قس يوسف

1527 = حاقل = قس يمين ابن سالم في جنبلين الراهب يوسف بدير مار

1561 حوشب يعقوب والخوري هارون وابنه خوري يوسف

1514 =حدشيت= خوري حنا بن حج حسن

1532 وابنه شد سمعان بن قس هارون من بيت بعبوش

(= حورقا = القس مرقس سنة 1535 م)

1514 =حردين= جبرائيل بن بطرس بن براهيم

1522 1561 = حدث= يوسف الخوري بن الخوري جرجس قس داود بن خوري شمعون

1515 =حصرون= خوري مارون بن زريع . خوري ايوب بن يوسف سيقان وابنه حنا وخوري يوحنا بن يوسف بشري »

1520 = يمونه = موسى [طرابلس شد الياس]

خورقس حنا بن متى بن سليمان بقزحنا

1535 =خورماجيتي=خوري موسى الراهب بن شد دانيال

1557 =خليبني= جرجس بن سليمان

1554 =بخيزفانه= شم متاوس

1564 دير مار يوحنا كفربندى الراهب يوسف

8851 =كفور = قس موسى بن داوود

1595 =كفركدا= الخوري يعقوب راهب ديرمار انطانيوس بارض افغال

1507 = لحفد = قس بطرس فيض الله قس موسى

1516 راهب بدير مار اسطفان . ثم جرجس واخوه مسعود

1533 مطوشي خوري مارون ابن انطون [والاسقف مرقس]

= معد = بطرس بن قس موسى

1522 = مزيت = الخوري يونان

=قرية الناووس= القس موسى ملكه

1520 = ساماته = حنا بن قس سمعان

=ساحل علما= خوري حنا ابن عندور

=سمرحيل= قس سركيس بن حنا بن خوري تادروس وكان راهب

2552
1560 بقزحيا وخوري بطرس

= عاقورا = خوري سليان وابن عمه خوري حنا دحداح ابن خوري براهيم ابن قس مخائيل

1544 =عجلتون= شد سركيس من بيت الخازن

1510 = فلودي = قس جبرائيل

1537 = قنات = خوري شمعون بن خوري سابا

1526 = قربصيا = خوري جرجس بن الاسقف يوسف

1530 = قوزحيا = خوري يعقوب الديريني حنين القبرصي مرقس القبرصي

1554 = رام = سعاده الملقب بيحنا بن خوري يوسف

1530 = شبطين = خوري بطرس بن شد برهيم وخوري اثناسيوس

1520 =تولا الجبة= خوري سركيس وابنه القس جرجس

1523 = تحوم = خوري جرجس الراهب بن شدياق حنا ابن شكارا (او بكارا او شبارا ؟)

= تنورين = بن شتم بطرس

= ترتج = خوري حنا بن اللزطيمية وابنه قس براهيم وابنه قس الياس في قبرس

في الجيل السابع عشر

١٦٠٠م : ١٠٠٩ هـ

سيامة اربعة مطارنة ؛ الخلاف بين الحبس وقزحيا ؛ مقتل مقدمي جاج

سنة الف وستماية مسيحية التي توافق لسني آدم سبعة آلاف وماية
١٠ وثمان ولسني اسكندر الف وتسعماية واحدى عشرة وللشهداء الف ثلثماية وست
عشرة وللهجرة تسع والف كان متولي الكرسي الروماني الباما اقليموس الثامن
والكرسي الانطاكي البطرك يوسف الرزي .

وفيها البطرك يوسف سام ابن اخيه الخيس سركيس مطران على
١٥ الشام واستقر بحبس قزحيا ؛ وجرجس ابن عميره المدناني اسقفاً واخذ السكنة
بدير ماري يعقوب الحباش ثم انتقل لدير رأس النهر ؛ وكذلك عنائيل من
بيت عبيد المدناني وسكن بدير مرت مورا[1] وكانوا ثلثتهم تأدبوا بالعلوم في
مدرسة رومية ؛ وسام كذلك موسى العرجاني اسقفاً بدير ماري اليشع
٢٠ بشراي . وفي السنة التي بعدها بعد وفاة موسى اسقف العاقورة قسم
عليها في عشرين من تشرين الثاني الخوري بطرس بن الخوري سابا العاقوري
من بيت حليب .

وفيها تجددت الفتنة بين الحبس وبين دير قزحيا ورسم البطرك في
خروج اولاد جلوان من الدير ؛ فانتقل القس حنا (٢٢٧ من قزحيا الى
مار سمعان الفراديس والاسقف يونان الى دير ميفوق . وفيها يوسف
باشا حوّل الحاج يوسف واخوه قانصوه ولدي احمد حاده على مقدمين جاج
بسبب انهم كانوا من حوف الامير فخر الدين ؛ وعندما كانت ايام الحصاد
اخذوا مكاتيب من ابن سيفا بطلب الذبيحة حتى يزوجوا اخيهم الصغير ؛
فساروا الى جاج فحظيوا بالمقدمين عند البيادر قتلوهم اربعتهم وغنموا
باموالهم وارزاقهم ودخلوا على مشيخة بلاد جبيل عوضهم[2] .

---

١) جاء في المسوّدة ص ٢٦٤ : « وفي هذا الجيل خربت هذه الضياع من جبّة بشري

واسكيفا كفرفو سبعل وبشدبين شهران بقرقاشا سرعل كفرسارون نيحا وفي البترون حوب ماما دام تولا . فالبعض منهم خليوا سكاية والبعض سكنتهم الغرب »

« وفيها اجا الجراد الذي ارعى الاراضي وطلع الزحاف في وادي حيرونا فاجتمعوا عليه واهلكوه في ساقية اهدن »

٢) جاء في المسوّدة ص ٢٦٥ : « ثم راد يأخذ السكنه في دير راس النهر عند خاله فلم يمكنه ذلك اهل عيلة الدويهي فحرق تلك الدير الذي كان مع خاله فترلوا الى عند ابن الجاموس (قاضي : شطبت اللفظة) افندي طرابلوس وكتبوا حجة جديدة من الزمانة عند ذلك تثبت الدير لطائفة الدويهية (واخذوا : شطبت اللفظة) ونقلوا المطران جرجس بن عميره من مار يعقوب الى دير مار سركيس وثبت هو والمطران يحنا في دير واحد وكانت رعية اهدن كجاري العادة توفد لدير رأس النهر للاثنين لان المطران حنا كان قد عمي واما الاسقف عمائيل القرم يعاود لمرث موره »

١٦٠٢م : ١٠١١هـ بدوءها ٢١ حزيران ج

الحرافشة في جبة بشري ؛ السيفية في بعلبك ؛ البر البابية

في سنة الف وستماية واثنتين مسيحية في اول جمعة من شهر حزيران ١٠ كبس الامير موسى ابن الحرفوش مع جماعته جبة بشري فنهبوا بيوتها واخذوا سايقتها لان اهلها كانوا في السواحل في حلالة القز ؛ فلما بلغ ذلك يوسف باشا جمع بسكمانيته واهل الناحية نوف عن خمسة الاف نفس فكبسوا مدينة بعلبك في يوم عيد مولد مار يوحنا سيوا وقتلوا ؛ فتشتت اهلها واحتمى ١٥ شلهوب ابن نبعا في قلعة بعلبك مع جماعة من الحرافشة ومن اهالي البلاد ماينوف عن الف رجل دون النساء والاولاد ؛ فحرق ابن سيفا بلاد الحدث وحاصر القلعة مدة خمسين يوم ثم ملكها ؛ وقتل لابن فاطمه ورعد ابن نبعه من طبشار ، لانه كان مع الامير فخر الدين في وقعة نهر الكلب ؛ وقتل ٢٠ لابن اخيه الامير علي ثم نادا في الامان ؛ وعندما كبس الامير موسى جبة بشري دخل اثنان من جماعته الى كنيسة دير راس النهر في اهدن فضرب احدهما صورة السيدة ثلث ضربات في الخنجر وفي حال خروجه من الدير يبست يده وفي تلك الليلة مات ؛

١٦٠٣م، ١٠١٢ﻫ بدوءها ١١ حزيران ث

سيامة مطرانين ؛ وفاة السلطان محمد وجلوس احمد

في سنة الف وستماية وثلث مسيحية رسم البطرك يوسف حصرون ابن الشدياق حاتم الحوشبي وليوحنا ابن مخلوف المدناني اساقفة ليكونا ساعيين في امور دير قنوبين مع الخوري عبدالله (٢٢٨ المدناني ؛ وكان الاسقف يوحنا الحصروني من تلاميذ رومية فارسله سفيراً الى البابا بولص الخامس

٥ وفيها في ثاني عشر من شهر رجب توفي السلطان محمد خان ابن مراد وكانت مدة سلطنته تسع سنوات ، وجلس بعده ولده السلطان احمد خان وهو الثامن من ملوك بني عثمان في القسطنطينية . وفيها الخوري يوسف الباني المعروف بابن العريضة[1] صور الدهليز الذي قدام سيدة قنوبين ودير رأس النهر وغيرهما . وفي السنة التي بعدها في الثاني يوم من شهر اذار كانت الهزة .

١) العريطه ب

١٦٠٥م، ١٠١٤ﻫ بدوءها ١٩ ايار خ

الصلح بين سينا وجنبلاط ؛ وقعة جونية

في سنة الف وستماية وخمس مسيحية انعقد الصلح بين يوسف باشا بكلربكي طرابلوس وبين علي باشا ابن جنبلاط وتأهلوا من بعضهما بعض وتجددت اوجاق ابن جنبلاط الذين سميوا تفكجيه .

وفيها كانت وقعة جونية بين الامير فخر الدين وبين يوسف باشا وكانت الهزيمة على يوسف باشا ؛ وما زال فخر الدين[1] حاكم الشوف حتى جاء الحافظ وكان الشيخ يوسف ابن الاسلاماني حاكم في اغزير من قبله .

١) الدرر المكنون ص ٦٣٤

١٦٠٦م، ١٠١٥هـ بدوءها ٩ ايار ث

تغير حساب الصوم وعيد الفصح ؛ وفاة المطران بطرس بن حليب

سنة الف وستماية وست مسيحية الاسقف حنا الحصروني عاود من رومية ه وفيها كان تغير حساب الصوم الكبير وعيدوا جماعتنا[1] في طرابلوس والحبة وجبيل والبترون عيد الرسل مع الفرنج نهار الخميس قبل ٢٠ طوائف الشرق بعشرة ايام . ثم تدرج هذا الحساب في الشام وحلب وسائر المدن والبر ما خلا جزيرة قبرس . ولاجل ذلك تركوا الحساب اليوناني الذي من اسكندر وتمسكوا بالذي من ميلاد السيد المسيح .

وفيها انتقل الى رحمة الله الاسقف بطرس بن حليب العاقوري في ٢٥ قرية العبادية ونقلوا جسده الى مار جرجس بيروت ودفنوه على الاسقف حمص البيروتي من بيت مصيصن ؛ (٢٢٩ اصله من جربتا البترون وكان الاسقف بطرس حسن الغيرة وكثير العبادة وصنف مدايح كثيرة على لحو العرب ه

١٦٠٧م، ١٠١٦هـ بدوءها ٢٨ نيسان س

الحرب بين جنبلاط ومراد باشا ؛ سياسة فخر الدين ؛ الشلس في البلاد ؛ قلعة زغرتا

في سنة الف وستماية وسبع مسيحية جرت حروب شديدة بين ابن ٥ جنبلاط وبين ابن سيفا ؛ فتولى ابن جنبلاط مدينة حلب وخرج عن طاعة السلطان ؛ فتوجهت العساكر العثمانية من اصطنبول بمحافظة مراد باشا الوزير ؛ وقبل ان يبلغوا الى اوض[1] حلب خرج ابن جنبلاط الى لقاهم مسافة بعيدة وكانت الكسرة عليه ؛ فعاود لوقته الى حلب فحصن القلعة من الميرة وآلات القتال وجعل بها اسبابه وعياله ورجاله وولي[2] عليها ١٠ اطلي طالمشربالك باشي وأمره يتحفظ بها لمدة ثلثة اشهر ليأتيه بالنجدة من الشاه سلطان العجم . وفي حال خروجه من ارض حلب وصل اليها مراد باشا الوزير ومعه احمد باشا حاكم الشام ويوسف باشا ابن سيفا سردار العساكر فشد الحصار على المدينة وافتتحها ؛ ثم رتب المنجنيقات على القلعة

١٠ وكاتب اطالي طالمش حافظها واوعده في اعطاء سنجقية وتعاهد للاخرين بخلع كثيرة . فتطمنوا وسلموه القلعة ؛ ثم قبض عليهم وقتلهم عن آخرهم ؛ وباع اعيان علي باشا بن جانبلاط وجواره بيد الدلال وابيعت والدته بثلثين قرش ثم صارت المناداة على كل جنس السكمانية وكان عدد عسكر ابن
٢٠ جنبلاط نحو ثمانين الف . فقتلوا في مواضع مختلفة واتوا برووسهم لعند الوزير ولم يخلص منهم الا القليل لان رجلا واحد كان يقتل عشرة منهم حتى ان ذات ليلة مضوا الى فلاح خمسة عشر سكمانية هاربين . فمسكهم وحده وفي المساس شلحهم بندقهم وسلاحاتهم : طالبين منه السترة وكتم الخبر . ثم
٢٥ ان الوزير مهّد امور حلب . وخدمه جميع العرب . واما الامير فخر الدين بسبب انه كان من حزب ابن جنبلاط وكان معه في ارض (٢٣٠ عراد عندما كسر العساكر الشامية حنق عليه الوزير ولاوضح ذلك وجّه الامير عنده في شهر رمضان ابنه علي وله من العمر نحو تسع سنين ودفع له على مرتين ثلاثماية الف غرش لاستعطاف خاطره : فعفى الوزير عنه وانعم على[1] ولده بسنجقية صيدا وبيروت واغزير[2] .

٥ وفيها صار القشلق وتفرقت عساكر السلطان على البلدان من حلب الى بلاد الشوف نحو اربع كرات ؛ وكانت الناس في ضيق عظيم من الغلاء فوصل شنبل القمح الى اربعة قروش ومن الرماية التي كانت على الضياع والديورة ؛ ودخل ابن اللقاش وكرم الطورزاني البيروتي الى عند يوسف
١٠ باشا وتكفلا له في بيت القاضي في القشلق حتى انعزل عن جبة بشري الى طرابلوس ؛ وفي بلاد البترون خربت حوب وبلعا وزام وتولا ؛ والاسقف يونان السمراني والخوري عطيه تركا دير سيدة ميفوق وهربا ؛ فسلبت الدولة جميع ما وجدوا فيه فدام القشلق خمسة اشهر في البلدان . ثم بعث الوزير اخذه الى حلب .

١٥ وفيها سلخت قلعة زغورتا التي في زاوية طرابلوس ووقع البرج القبلي الذي كان فيه كنيسة السيدة وانسلخ من الارض وطالع ؛ فاعتنى الاسقف جرجس بن عميره مع اولاد القرية حتى شيدوا الصور البراني وكلسوا القبو الجواني وكرسوه باسم السيدة . وفيها انتدب الى رياسة الكهنوت يوحنا
٢٠ الشدراوي .

١) عليه وعلى ولده ف — ٢) جاءت هذه الرواية في المسوّدة وفي اخرها هذه العبارة ص ١٦٣ : «من تاريخ احمد بن محمد الخالدي من اهالي صفد والشيخ ابو نوفل بن الخازن »

١٦٠٨م ١٠١٧ه بدو شها ١٧ نيسان خ

وفاة يوسف الرزي ؛ اعماله ؛ تأخر انتخاب البطريرك

في سنة الف وستماية وثمان مسيحيه في شهر آب توفي البطرك يوسف ابن الرز وله من البطركية احدى عشرة سنة . وكانوا قايمين في خدمته روساء الكهنة ابرهيم من قرية موسى وجرجس البساوقيني ويوحنا الحدناني .
٢٥ فكان له دالة عظيمة على يوسف باشا حتى ان اعطاه بيوردليات مختلفة .
(٢٣١ ان لا احد من جماعة الموارنة يعارضه في تغيير حساب الصيام والاعياد ولا في الزيجات ولا في قواعد دينهم وعوايدهم . فدرج الحساب الجديد والذين كانوا يلمبون بالدينين تظاهروا بالنصرانية من غير خوف ؛ واقام الجسر
٥ الذي على نهر اهدن بين عينتورين وكفرسغاب ؛ وعمّر حارة ماري دوميط بارض داريا وتكلف على هذه دراهم كثيرة وعندما حسام الدين اليموني وهو من جملة خدام الباشا قصد يتزوج بامرأة لم تحل في الناموس طعنه في الحرم ؛ وبقرب مغارة القديسة مارينا نزلت عليه نار من السماء وجعلته تل رماد ؛
١٠ ومن شدة غيرته حتى تتحد طائفته مع الكنيسة الرومانية حلل اكل اللحم لروساء الكهنة واكل السمك وشرب الخمر في صوم الاربعين ورفع جمعة نينوى وقصّر قطاعة الرسل وقطاعة الميلاد ليجعل اعياد الرسل بطالة ويدخل قدامها صيامات البرمون ؛ فما هان ذلك على بولص الخامس صاحب الكرسي الروماني ؛ وفي سنة الف وستماية وعشرة في السادس من
١٥ اذار أمر بنقض كل هذه الامور في المكتوب الذي ارسله للبطرك يوحنا الذي تخلف بعده لكون العوايد التي كانوا متمسكين بها ممدوحة واتصلت اليهم من الاباء الاطهار ؛ ولكن الشيء الذي لحق ودرج عاد رده صعب وخاصة في الامور المتسعة[1] ؛ وفي نهار تاسعه انتقل الى رحمة الله الاسقف
٢٠ ابراهيم من قرية موسى ؛ وجرت العادة من الزمان القديم ان صفوة البطرك الجديد تكون في تاسع البطرك المتنيح ؛ ولكن من كثرة المظالم التي صارت في توزيع هذا القشلق طالت الخلوة تسعة اشهر بلا بطرك ؛

١) Favores

١٦٠٩ م : ١٠١٨ هـ بدوءها ٦ نيسان أث

جلوس يوحنا بن مخلوف ؛ حرم الشدياق خاطر ؛ البطريرك في مجدل معوش

في سنة الالف وستماية وتسع مسيحية في دخول شهر حزيران جمع الروساء واكابر الشعب وجلسوا على الكرسي الانطاكي الاسقف يوحنا ابن مخلوف الهدناني باختيار كل الرعية (٢٣٢ وهو التاسع من البطاركة بقنوبين). فارسل الى رومية القس جرجس ابن مارون والقس الياس ابن الحاج حنا من اهدن والشماس يوسف الكرمسداني . وسام الخوري حنا شمروني اسقفاً ؛ ومن كثرة المظالم التي كانت صايرة على الكرسي من ... ومن الشدياق خاطر اضطر انه يتوجه الى ناحية بلاد الشوف ... تحت حماية الامير فخر الدين . وعندما كان سائر في ارض بريسات حرم ... الشدياق خاطر كالذي كان سبب خروجه من مستقره فارتمى ... التاحية لا يعامل الجهال بجهلهم ؛ عند ذلك حول الحرم الى قلعة ... فوق الحدث ؛ فانشقت بالعاجل والى الان تعرف بالقلعة المحرومة . وعندما حضر على الامير فخر الدين قبله بكل كرامة ؛ وصدف ان قبل ذلك الزمان وقعت الفتنة بين المسلمين سكان قرية مجدل معوش وكثرت القتلى بين ... حتى انهم اتفقوا على بيع القرية والخروج منها ؛ فاشتراها منهم الامير علي ابن الامير فخر الدين باثني عشر الف ودفعها للنصارى . فنزل البطرك في مجدل معوش وعمّر له فيها كنيسة ودار واستمر فيها حتى قصد زيارة القدس الشريف [1].

---

1) « وعند رجعته (من القدس) الى جبل لبنان بارك المطارين الذين بيت الرز كانوا حرموم فاخرجهم من دير مار انطانيوس واذن لهم بالرجوع وعمارة الدير » من المسودة ص ٢٧٠

١٦١٠ م : ١٠١٩ هـ بدوءها ٢٦ اذار ج

مكاتيب البابا الى الموارنة

في سنة الف وستماية وعشرة مسيحية رجع القس جرجس ابن مارون

من رومية ومعه مكاتيب التثبيت ودرع الرياسة بتحرير ثمانية من شهر اذار ومكتوب بركة للرعية . ومكتوب في بطلان السنن[1] التي وضعها البطرك يوسف سالفه وان العوائد ترتد الى ما كانت اولاً . وفيه يضع حرم قاطع وحكومات بيعية على كل من يمنع روساء الكهنة عن استعمال سلطانهم وعلى كل من يعترض عليهم ام يتحمل عليهم في المتندرين[2] . ويوصي البطرك يبادر في ارتفاع الاهانة التي على الكهنة في طلب المال

وفيها انسام الاسقف يوسف ابن بشارة من بيت السوق وهو ابن احي الاسقف قليموس الحدثاني

١) وهذه هي احدا عن المزدة ص ٢١٠ و٢٧٣ ، ١ً ادن للاساقفة والمطارنة ولو كانوا رهبان اكل اللحم ٢ً انه حلل اكل السمك وشرب الخمر في الصوم ٣ً ان صيام الميلاد كان اربعين يوماً ولم يصير فطور لاشهر فحطه عشرين يوماً ٤ً ان صيام الرسل كان ثلاثين يوماً ام اقل والمذكور قصره الى ١٥ يوم ضد عادة كل بلاد الشرق ٥ً ان السبة التي تتقدم الصيام كانوا ينطعوها عن اكل اللحم ويأكلوا بما جبن وما يشاكل ذلك فاحلل اكل اللحم فيها ٦ً في الجده كانت العادة ان الكاهن اولاً يأخذ خبزاً ويباركه ويفرقه للشعب فقطع هذه العادة وغيرها من غير ان انهم يكونوا مضاددين لعوائد الكنيسة القديمة ... تحرر في ٦ اذار سنة ١٦١٠ »

٢) وكان وكيل البطرك في تسليم الدرع القس كبير النريب ... هذا هو كبير التبرصي الذي قبل الكل مضى الى مدرسة رومية وارسل مع الراهب جرجس بركة لكل شعب الموارنة وان البطرك والمطارين يعطوا لكل الشعب مرة واحدة غفران كامل الى كل من يكون بري من الخطية . » — ٣) For interne et for externe

١٦١١م : ١٠٢٠ هـ بدوءها ١٦ اذار ار

نصوح باشا وفخر الدين

(٢٣٣) في سنة الف وستماية واحدى عشرة مسيحية بعد وفاة مراد باشا اخذ الوزرنة العظمى نصوح باشا وتوجه الى ديار بكر : فتقدمت اليه الامرا والمقدمين بالخدم وارسل له الامير فخر الدين مع كتخدا مصطفى خمسة وعشرين الف خلا عن الخيل والاقمشة فقبلها الباشا وخلع عليه : ولكن ما اظهر له البشاشة المعهودة وحين قدم الى مدينة حلب بعث طلب منه خدمة لحضرة السلطان . فارسل له الامير خمسة وعشرين الف غير الاولى لاستعطاف

خاطره وخمسين الف لحضرة السلطان وخمسة الاف الى علي شاويش . وكان
١٠ تغير خاطر نصوح باشا الوزير على الامير بسبب ان لما احمد باشا حافظ دمشق
اراد يقبض على ابن الحرفوش وابن الشهاب كان معضداً لهما ؛ وثانياً ان
خدمته له كانت انقص من التي ارسلها لمراد باشا مع ولده الامير علي

١٦١٢ م ؛ ١٠٢١ هـ بدوءها ٤ اذار اح

حافظ احمد باشا يحرك الفتن في لبنان ؛ معارضة فخر الدين وسفره الى ايطاليا ؛ مقتل نصوح ؛ وفاة البطريرك خاطر توالي قرقماس الخازن

في سنة الف وستماية واثنتي عشرة مسيحية قدم من حلب الى دمشق
١٥ حافظ احمد باشا وصار يحرك الفتن ؛ فاعزل الامير حمدان ابن قانصوه سنجقية
عجلون ونابلس واعطاها لفروخ بك الذي جاء معه ؛ وعزل عمر شيخ
عرب المفارجه عن بلاد حوران واعطى مشيخته لرشيد شيخ عرب السرديه ؛
فاستنجدا في الامير فخر الدين وارسل معهما ولده الامير علي مع نحو ثلثة
الاف رجل ؛ فغزوا بلاد العرب وحوران وتواقعوا مع عساكر الشوام ومع
٢٠ الشيخ ناصر الفحيلي وظفروا بهم وغنموا باموالهم ودوابهم ؛ واستمر الامير
حمدان في عجلون والشيخ عمر في حوران ؛ وبسبب ذلك وردت عروض
ومحاضر من جماعة حافظ احمد الى الباب الاعلى بان الامير فخر الدين غزا
بلاد حوران وجولان وحاصر مدينة دمشق ؛ فجهز السلطان الفين رجل
٢٥ من انكشارية اسطنبول وخمسين سنجق واربعة عشر بكلربكي من ديار بكر
واناطولية وقرمان والرها وطرابزون وملطيه وحلب وطرابلوس والشام وغيرها ؛
(٢٣٤ وجعل ان نصوح باشا الوزير يكون حافظاً عليهم فلما وصلوا الى
دمشق وقرئت الاموره توجه الى مقابلة الوزير الامير يونس ابن الحرفوش
والامير احمد ابن الشهاب والامير علي حاكم وادي التيم ؛ واما الامير فخر
الدين اراد يدخل البرية ولا يقاتل عساكر السلطان فلم تتركه العربان ؛
٥ ثم انه حصن قلعة شقيف ارنون وقلعة بانياس الصبيبة ومغارة نيحا المسماة
شقيف طيرون وكفاهم من الميرة والات الحرب ؛ وجعل فيها اعياله واثقاله ؛
وولى حسين اليازجي حصن بانياس وحسين الطويل حصن الشقيف ؛

واما ابنه الامير علي سامه للشيخ عمر الذي كان استرجع له مشيخة حوران
١٠ واعطاه اربعماية سمانية بعلايفهم ليحتفظوا في صدر البرية . وكان الشيخ
عمر رجل شجيع يدعي بالناقة وكانت له ونسلنا له منذ الزمان القديم رماية
على الحاج . ثم ان فخر الدين جمع اخاه الامير يونس والست الوالدة ومشايخ
الشوف وبيت الخازن واوصاهم يكونوا مثل واحد ويصونوا بلادهم من
يد الترك ولا يصدقوا عهودهم لئلا يجري بهم ما صار في جماعة ابن جان
١٥ بلاط . عند ذلك استكرى غليونين فرنج وجعل بهما تحف واموال جزيلة
ودخل في البحر لعشرة خلت من شهر محرم(١) قاصد بلاد الفرنج دوقا . فنزل
في مدينة ليفورنه واستقبله حضرة الامير ووالدته بكافة الغزارة . اعطاه له
سرايا كبيرة ورتب له علوفة سنوية كل سنة الفين شكوت . واما حافظ
٢٠ احمد ولى حسين باشا بن سيفا مدينة بيروت والشيخ مظفر راس اليمنية بلاد
الشوف وابن البستنجي مدينة صيدا . وزحف من دمشق الى بلاد الشوف
بنحو مائة الف رجل من سمانية ودروز وعربان . ووضع الحصار على قلعة
الشقيف وحصن بانياس . فثبتوا نحو خمسين يوم من غير نفع . ثم امرهم
٢٥ يطوفوا البلاد وان ينهبوا ويقتلوا ويحرقوا . فلما بلغ ذلك الامير يونس كاتب
الوزير لاجل الأمان . فاجابه الى ذلك وامره يوجه اليه عقال الشوف وعلماءهم
مع الست والدة الامير ليتكفلوا له بالذي يصير عليه (٢٣٥ القرار . فصار
الوفق على مائة الف غرش فضية فأخذهم معه الى دمشق لبين ما يوردوا
هذا المبلغ . فأرسل له على يد الشيخ احمد ابن العكس من دروز حفة حلب
المبلغ الذي صار عليه القرار . ما خلا عشرين الف اخذها ابن العكس
٥ وهرب بها . وبسبب كسر المال جدد حافظ احمد الركبة ورجع الى البقاع
فتشتت الناس ودخل الامير يونس الى حصن بانياس مع اربعماية نفر من
اجاويد الشوف . فارسل الوزير جماعة من العسكر ليغزوا وادي بسرد فتشددوا
عليهم الشوافنة وقتلوا منهم نحو ستماية رجل . فلما بلغ ذلك الوزير جهز
١٠ اليهم ثمانية الاف . فشتتوا شملهم وقتلوا واسروا . ثم اعطى اذن بحريق
البلاد ونكبه . وبعد اربعة ايام من النهب والقتل والحريق وصل الخبر
ان الوزير الاعظم نصوح باشا قتل . فتنزع الحافظ سرح اولاد العرب وسار
الى دمشق . وفيها كانت وفاة الشدياق خاطر الحصروني وتخلف

عوضه بمشيخة جبة بشري ابنه الشدياق رعد ؛ وكذلك توفي الشيخ ابو
١٥ قرقماس عون ابن الخازن ؛ وبعث الامير يونس ابن معن اخاه الشيخ ابو
رحال خاطر مع مكاتيب لعند اخيه الأمير فخر الدين يعلمه بالاحوال .

١) يبتدئ تاريخ فخر الدين للصفدي (طبعة رستم بستاني) سنة ١٦١٣ وفيه ص ١٩ :
« سافر من اسكلة صيدا الامير فخر الدين في الثلاث غلايين في غرة شعبان سنة اثنين وعشرين والف اي ١٦١٣ م – الترندوقا Grand Duc de Toscane

١٦١٣ م : ١٠٢٢ هـ بدوءها ٢١ شباط خ

جركس باشا يدعو فخر الدين : مقتل الشدياق رعد واولاد خاطر

في سنة الف وستماية وثلث عشرة مسيحية وردت البشائر بان السلطان
اعزل احمد باشا عن محافظة الشام واعطاها لجركس محمد باشا ؛ فارسل
٢٠ متسلمه وأمره ينادي بالامان ويرد جميع النزّاح فضمن بلاد الشوف الشيخ
يوسف المسلماني واحد من كواخي بيت معن ؛ والامير يونس ابن معن كاتب
الشوافنة يعاودوا لبلادهم ؛ وارسل الشيخ ابو نادر ابن الخازن والشيخ ابو
حنا طاهر ابن حبيش يعدّا الشجرية ويستوفيا المال مع ابن المسلماني ؛ وكان
٢٥ الشيخ ابو نادر شديد الغضب وحسن الرضا شجاعاً محترماً متنكراً للظلم
وحافظ سر بيت معن ؛ وحين قدم محمد باشا الى حلب فجمع العساكر
(٢٣٦ ليسير بها الى مقاتلة سلطان العجم بعث اطلق سبيل الست وعلماء
الشوف ؛ وارسل عفوناما ومنديل الامان للامير فخر الدين ليرجع الى بلاده
بأمان . وفيها كان مقتل الشدياق رعد ابن الشدياق خاطر الحصروني ؛
٥ وذلك انه كان تزوج ست البنات بنت المقدم مقلد ومن كثر ما يتهدد عليها
بالقتل يقال ان وضعت له السم في دجاجة فأكل منها هو واخوه جمال الدين
يوسف فماتا اثنانهما ؛ وفي جمال الدين يوسف انقرضت سلسلة العناحلة ؛ واما
ست البنات تزوجها موسى البشراني وسار بها الى حلب فرزق منها ولداً سمي
١٠ عساف ودخل الرهبنة في بلاد النصارى ومات قسيساً ؛ ثم ان يوسف باشا
ولى على جبة بشري ابو عاشينا شلهوب لانه كان من بيت حسينات ابن

بنت المقدم عاشينا ابن حسام الدين العنحلاني ؛ فخلف ثلاثة بنين وهم عاشينا وحنا ومخائيل ؛ ولان نعمه وداود وجرجس اولاد الشدياق خاطر
١٥ كانوا يتزايدون عليه في ضمنة البلاد توامر عليهم مع الحاج سليمان الملكي كاتب الديوان حتى ان يوسف باشا قبض على نعمة وداود وحبسهما ؛ وفي المواعيد المزورد اذيوليها حكم الحبة استجر منهما متخافات والدهما ؛ وعندما فرغت قوتهما أمر بحملهما ليلا الى قبور الغرباء فخنقوهما وزجّوهما في البير
٢٠ الأزهري وكذلك قبض المقدم شلهوب على اخيهما جرجس وغرقه عند رأس النهر في المدينة ؛ وما زال شلهوب مقدم على الحبة الى ان قتل .

١٦١٤ م : ١٠٢٣ هـ بدؤها ١١ شباط ش

الخلاف على ايام الصوم ؛ جركس باشا في دمشق

في سنة الف وستماية واربع عشرة مسيحية كان فرق الصوم بين جماعتنا والطوايف خمس جماع[1] ؛ فتقدم بطرك الروم فيهم السعاية الى حافظ احمد نائب
٢٥ دمشق ؛ فقبض على القس مخائيل والقس الياس وثلاثة رجال من الطائفة وقذفهم في السجن في اربعة من نيسان ؛ فتقدم القس يوسف بن حليب عرض حال بان (٢٢٧ ذلك التغيير ما صدر منهم بل من الرؤساء وان حكم بالنصفه فليجمع البطركين ليحتج كل منهما على طائفته ويُغرم الخارج عن الصواب ؛ فاستصوب النائب رأيه واذ لم يصف الى ذلك بطرك الروم امر بسجنه في القلعة واعطى بيورلدي الى كهنة الموارنة يعيدوا على ما حكم
٥ بطركهم . وفيها في جمادي الثاني دخل دمشق جركس محمد باشا الوزير ؛ وفي حال وصوله ارسل له الامير يونس ابن معن خمسة وعشرين الف قرش خدمة ومماية الف لمطبخ السلطان وتعاهد له ان في كل عام يورد خمسين لحضرة السلطان نوف عن المال المعتاد وطلب انه يرسل خمسين نفس
١٠ من الدولة تسكن في حصن الشقيف وحصن ارنون ؛ فارتضى بذلك الوزير وانعم على الامير علي ابن معن بسنجقية صفد وعلى عمه الامير يونس بسنجقية صيدا وبيروت وبلدانها ؛ ثم ان الوزير قصد حلب فشتى بها ؛ وهناك جمع العساكر وقصد المسير الى مقاتلة سلطان العجم . وفيها
١٥ جرجس ابن مارون الحدثاني سيم مطران على اقفسية قبرس .

جاء في المودّة ص ٢٧٢ و٢٧٤ : « كان فرق الصيام بيننا وبين الطوائف خمس جماع بسبب ذلك بطرك الروم في مدينة دمشق وطايفته تعاونوا الى حافظ احمد بكلربك دمشق بان طايفة الموارنة نسخوا دين النصرانية وخرجوا عن جميع الطوايف في تعييد الفصح فامر الباشا بمسكهم فانمسك الخوري مخائيل والخوري الياس مع شماس وشابين عاميه وانوضعوا بالحبس وكان التفتيش والاضطهاد شديد على الطائفة واما الشوباصي كان من جهة الموارنة فدخل الخوري يوسف بن المطران بطرس الى حضرة الباشا وقدم عرض حال بانه يجمع بطاركة النصارى واولهم بطرك الموارنة والروم ويوقف شهود على احتجاجهم فمن كان عليه الصواب يمسكه ويغرمه على رضاه فلما بلغ هذا الخبر الى بطرك الملكية ابى عن المجادلة فرفعوه الى القلعة وعطى يوردي الى الموارنة باسم يعيدوا على الحساب الجديد وخرجوا من الحبس بعز نصرة بطبرل وزمور والشاريشية تمشي قدامهم وكان ذلك يوم الجمعة رابع شهر نيسان واما بطرك الملكية بعد ما تغرم خرج من الحبس ومن ذلك الوقت ارسلوا جماعتنا جابوا اموراً سلطانية استعضوها بالمدينة الدمشقية

وفي هذه السنة اتى مرسلاً الى بلاد الشرق القس بطرس الشارشي الماروني من تلاميذ رومية ورهبان الايسوعية وكان برفقته الاب مريبوطاً وعندما رجع من مردين مضى الى قبرس عطى للكهنة بعض كتبات معه واخذ معه ثلاثة اولاد الى مدينة رومية بسبب العلم رم لوقا من قرقميا الذي بعده في الحياة وله ٦٣ (سنة) في الخورنية وسنة ١٦٢٧ دخل قاصد عن الطايفة الى حضرة بابا (اسكندر السابع) وله تعب وجهاد لم يوصف في تلك الجزيرة والصبي الثاني اسمه يعقوب ابن اخت لوقا المذكور وهذا ايضاً بعده في الحياة وله مدة سنين في الخورنية في عرجز واما الثالث كان اسمه الياس بن ريان توفي في رومية وهو في المدرسة »

« وفي هذا القرب اتخذ السكنه بدير مار توما حصرون الخوري دانيال الراهب من شويتا ونصب فيه نعياً بالغاً »

١٦١٥م : ١٠٢٤هـ بدوءها ٣١ك٢ س

هدم حصن الشقيف وحصن ارنون ؛ وقعة الناعمة ؛ البرد

في سنة الف وستماية وخمس عشرة مسيحية ما اراد يوسف اغا يتسلم حصن الشقيف وحصن ارنون حتى يكون ابن معن رفع منهما اولاد العرب ويكونوا الترك متصرفين بهما ؛ فصعب ذلك على الامير يونس وشرع على هدمها ؛ فلما بلغ ذلك الوزير انسر جداً وامر بخرابها ؛ ففي واحد وعشرين ٣٠ من شهر ربيع الاول ابتدوا المعلمين في خراب الحصون ثبتوا نحو اربعين يوم فخربوهما الى الارض ؛ وعفى الوزير عن نصف مال الارسالية التي كان

تعاهد بها الامير وجعلها جسة وعشرين الف قرش لا غير في كل عام لإزالة ضرر البلاد وخرابه . وبعث امراً ليوسف باشا ابن سيفا بأن يرفع يده عن ٢٥ بلاد كسروان وبيروت وعن المساعدة للشيخ مظفر ولابن الامير محمد بن جمال الدين والمقدمين بيت الصواف . فما استقبل بذلك (٢٣٨ ابن سيفا بل اتحد مع الامير شلهوب بن الحرفوش ومع امرا راس نحاش وحسن آغا وغيرهم وسرحوا بالفين نفس الى مقاتلة آل معن وجمع الامير يونس بن معن وابن اخيه الامير علي والامير علي بن الشهاب نحو ثلثة الاف نفس .

٥ والتقى الجمعان عند عين الناعمة نهار الاثنين لثاني شعبان وكانت الكسرة على السيفلية . طردوهم المعنية الى قرب الشويفات وقتلوا منهم نحو مايتين نفس وفي ذلك النهار نفسه التحم القتال بين المشاغرة[1] وبين المطاوعه في قرية عابيه وفي اغميد وفي عندارا . وفي الخميع كانت النصرة لحاسب بيت معن . وفي اليوم ١٠ الثاني توجه العسكر الى أحد بيروت فقدموا لهم عشرين الف واعطوهم الامان . ثم ان الامير يونس اعطى اذن للعسكر يغزوا بلاد الغرب والجرد والمتن . فنهبوا جميع ارزاقهم وحرقوا كل حاراتهم وفي الخاصة حارة الامير محمد جمال الدين ١٥ في الشويفات وحارة المقدمين بيت الصواف في الاشيانية . فلما نظر ذلك الامير حسين ابن يوسف اخذ اعيال اخيه حسن باشا وارتحلوا من اغزير . واما الامير يونس بن معن ارسل الشيخ ابو نادر ابن الخازن ومملوكه ذو الفقار ليسكنا باغزير ويحكما بلاد كسروان . وعلى بقية البلدان ولى حكام ٢٠ تحكمنها . وفيها في اثنين وعشرين من نيسان عند نصف الليل وقع برد عظيم في التندر وريح عاصفة جداً فضرب الكرم والزرع والزيتون وورق التوت حتى ان بعض الناس كبوا الدود لعدم الورق .

[1] المساعدة ق المشاغرة ب

١٦١٦ م : ١٠٢٥ هـ بدوتها ٢٠ ك ٢ ار

مقتل حسن سيفا ؛ خلع محمد الوزير ؛ المال الاميري ؛ وفاة السلطان احمد ؛ جلوس مصطفى ثم عثمان

سنة الف وستماية وست عشرة مسيحية رجع الوزير من السفر ؛ وعندما

٢٥ كان حسن باشا بن سينا راجعاً الى عكار دعاه قراقوش متولي حلب الى وليمة فمسكه وقتله في شهر ربيع الاول . وكان ذلك برضى محمد باشا الوزير بسبب افعاله في (٢٣٩ طرابلوس . وارسل راسه الى الباب العالي[1] . وفي جماد الاول ورد الامر من قبل السلطان بخلع الوزير واقام بدله خليل باشا . فهذا توجه الى ديار بكر وارسل قبجي رستم آغا الى الامير علي بن معن بطلب ارسالية سنتين والمال والخدمة التي لحضرة السلطان . فاعطى الامير ٥ خمسة الاف للقبجي ورفاقه وعشرين الف الى الوزير وخمسة الاف الى دولته متعذراً ان البلاد كان نهبه الحافظ وتبع ذلك الغلاء والقحطة . فقبل عذره وارسل الى دمشق خمسة عشر الف المال المعين له . وفيها لثلثة وعشرين ذي القعدة توفي السلطان احمد بن محمد خان وتولى تخت السلطنة السلطان ١٠ مصطفى وهو التاسع من ملوك آل عثمان في القسطنطينية . ثبت ثلثة اشهر اقاموا عوضه السلطان عثمان بن السلطان احمد وهو العاشر في القسطنطينية

وفيها انعزل عن دمشق جركس باشا وتولاها احمد باشا الجوكهدار فارسل الى ابن معن قبجي يطلب المال والارسالية . فاعطاه عشرين الف ١٥ من حساب المال ولم يعطيه شيء من خصوص الارسالية . فبسبب ذلك محمد باشا خلع ابن معن من سنجقية صفد واعطاها لحسين اليازجي وحسين اليازجي استدان جملة دراهم من بلوكباشية دمشق . فدفع منها خمسة عشر الف لنائب الشام ولدولته . وخمسة الاف لرستم القبجي . وارسل للوزير عشرين الف عوض التي جابها من ابن معن . ولحضرة السلطان اثني عشر ٢٠ الف وخمساية نصف مال الارسالية . واشترى بعشرة الاف آلة السنجقية من طبول وزمور وغيرها . وفيها كانت وفاة القس يعقوب الدويهي رئيس دير ماري يعقوب باهدن وكان رجل متقي وله تعب في بنيان الدير وعلم الاولاد .

١٦١٧ م: ١٠٢٦ هـ بدوءها ٣١ ك٢ أث و١٠٢٧ هـ بدوءها ٢٩ ك١ ج

وقعة الوعرة وظفر المعنية؛ عودة فخر الدين؛ النساك

في سنة الف وستماية وسبع عشرة مسيحية توجه حسين اليازجي الى صفد . فقبله مشايخ قبله اعني بيت منكر وبيت شكر ولولاد (٢٤٠ على الصغير . وفي جمادى الاول طلب ابن معن التوجه الى صفد بالف رجل فتواقع مع جماعة حسين عند الوعرة التي فوق الوقاص ودام القتال بينهم ساعتين . فقتل حسين اليازجي وانهزم عسكره وغنموا المعنية بطوشم وزموردهم وامتعتهم . ثم ان الامير ارسل الخدمة الى الوزير وتكفل في مال الارسالية وبالدراهم التي تدينها حسين اليازجي فجاءته احكام من الباب العالي بسنجقية صفد وصيدا وبيروت وبلدانها . وفيها في التاسع من شوال كانت عودة الامير فخر الدين الى عكا وكانت مدة غربته في بلاد النصارى خمس سنين فوجهوا له الخدم بيت الحرفوش وبيت الشهاب وغيرهم : واعطى لاحمد آغا الذي جاء بطلب مال الارسالية ثلاثة آلاف وارسل معه ستة وثلثين الف قرش لكمال مال الارسالية ثلث سنوات .

وفيها توفي الخوري مخائيل المدناني الذي أخذ السكنى بمحبسة ماري مخائيل في وادي قزحيا التي عمرها اولا القس بركه : ثم تخلف بعد القس بركه القس موسى من اليمونه : ثم بعده القس يعقوب من برناسا من معاملة البترون : ثم القس مخائيل : ثم القس حنا : ثم الشماس مخائيل : ثم القس جبرائيل : ثم الخوري مخائيل جميعهم من اهدن وبعد وفاة هذا خليت المحبسة .[1]

---

[1] جاء في المسوّدة ص ٢٧٤ : « هؤلاء الذين رأينا خبرهم في انجيل الدير المذكور وبعد وفاة الخوري مخائيل المدناني في سنة ١٦١٧ خلا الدير ست سنين ثم سعى في عماره جرجس المتاري ابن القس موسى (. . .) ابن الحمراه وقيل ان ما دخلته النسا الى زمان الخوري مخائيل عم الخوري جبرائيل » م ص ٢٧٤

١٦١٨ م، ١٠٢٨ هـ بدوءها ١٩ ك١ ار

عصيان ابن سيفا؛ فخر الدين ناصر الباشا؛ سيفا يستنجد باشا دمشق وباشا حلب؛ الاتفاق بين معن وسيفا

في سنة الف وستماية وثمان عشرة مسيحية قدم الى طرابلوس عمر الباشا
٢٠ الخاتنجي فضبط المدينة ؛ واما بلدانها كانت كلها بيد ابن سيفا ولم يعوضه
منها شيء ؛ فاستنجد في الامير فخر الدين فجمع الرجال من صفد
والشوف وصيدا وغيرها وفي شهر صفر زحف على نهر ابراهيم على اميون
وشعون حتى الى قبولا . فلما اخذ خبرهم ابن سيفا ليلا ارتحل بغتة الى
٢٥ قلعة الحصن ؛ فغنموا باثقاله واجتمعوا مع جماعة عمر باشا . فاما ابن سيفا
تضايق (٢٤١) اشد ضيقة من قلة الميرة والمدد حتى اكلوا لحم الخيل وبعث
استنجد في نائب دمشق مصطفى باشا الذي تخلف على تنتنجي احمد وفي اياز
محمد باشا نائب حلب فاجابوه الى ذلك ؛ وجمعا العساكر حتى بلغا حماة وكاتبا
٥ لنائب طرابلوس وللامير فخر الدين بالترفع عن ابن سيفا ؛ فلم يرتفعا
حتى اعطاهما مابة الف قرش واعطى للامير تمسكات في مابة الف غيرها ؛
وكتبت حجج ومخابرات بين ابن سيفا وبين الامير فخر الدين ان ما تبقى
لاحدهما عند الاخر شيء ؛ وفي نهار الخميس لعشرين ربيع الاول ارتفع
الحصار ورجع كل واحد الى مستقره ؛ واما الامير فخر الدين عند العودة
١٠ وضع الحصار على قلعة جبيل التي كانت بيد السيفلية فامنهم على الخروج
وهدمها ؛ وكان بنيانها مشيد جميل منذ الايام القديمة ؛ وولى على بلاد
جبيل الشيخ ابو نادر ؛ وفتح ايضاً قلعة سمرجبيل ولم يخربها بل ولى على
بلاد البترون المقدم يوسف بن الشاعر ؛ ثم في العشر الاول من ربيع الثاني
١٥ وصل قبجي من الباب العالي بتقرير يوسف باشا في ايالة طرابلوس فدخلها
واستقامت احواله ؛

جاء في المـوردة ص ١٦٦-١٦٧ : « واما الامير فخر الدين ثبت ثلاثة ستين عند العران
دوكا في غاية العزازة والكرامة ولئلا يفطر قلبه من الغربة توجه الى بلاد فرنسا (فلورنسا)
بسبب التتزيه ثم انه في سنة كج والف (١٠٢٣) تودع من حضرة الكران دوكا وتوجه الى

مدينة نابل فتبد حاكمه باوفر اوقار وجعل له صرايا وعلوفه تكفيه ولخدامه ولان كل مدمه كان في بلاد الشوف دخل في عيون قرمان وبرفقة الشيخ ابو رحال ابن الخازن توجه الى جهة بلاد صيدا ونزلوا بن الخازن ليلًا عند نواعير عكا بكاتيب الى عند الامير يونس فوجدوا البلاد مطمئنًا وان المتسلم (   ) يضمن البلاد الى الشيخ يوسف المسالقي واحد من كواخي بيت معن ليستوفي المال ويطمن الناس من الشوافنة الذين في الغزوات والنهب كانوا جعلوا سكنة السواحل امرّ من الموت والامير يونس جهز من تحت يده الشيخ ابو نادر والشيخ ابو ظاهر ابن حبيش ليعد الشجرية ويستوفي المال مع بن المسالقي وكان الشيخ ابو نادر شديد التعصب حسن الرضى شجاعًا محترما منكرًا للظلم وحافظ سر بيت معن وقائم بخدمتهم طول الزمان فلما نظر الامير فخر الدين ان استقرت امور البلاد وانهدت داخله طرب كثير وفرح جزيل وفي سنة [كذ (١٠٢٣) ؟ ه] ترك الشيخ ابو رحال في الشوف وعاد الى نابل باموال كثيرة غنمت مع النوتية في البحر

[ثم وردت البشائر بخلع حافظ احمد عن نيابة دمشق وعودته الى منصبه (ااطرول وتوجه ايضًا الستانجي الى منصبه قرمان د) بقدوم الامير الاعظم جركس محمد باشا الى حلب ويجمع العساكر والمسير الى مقاتلة سلطان العجم وكان دخوله دمشق في شهر رجب وفي الحال اطلق [بسبب ذلك حافظ احمد] سبيل الست وعلات الشوف وارسل الوزير عفو تاما ومنديل الامان لابن معن ليرجع الامير فخر الدين الى بلاده بامان ويصلح اموره وحرر على ابنه الامير علي بسنجقية صفد وبلادها وسنجقية صيدا وبيروت وبلادها خلا ان في قلعة بانياس تكون خمسين نفر من الترك الذين يلبثوا فيها مع جماعة ابن معن لازالة الفتن والاغراض] ما بين المكوفين مشطوب و ه مثاها على الهامش

١٦١٩ م : ١٠٢٩ ه بدو ٤ هـ ١٨ ك ١ اح

المساومة على حكم طرابلس ؛ وفاة الاسقف السمراني

في سنة الف وستماية وتسع عشرة مسيحية ارسل ابن معن مصطفى كتخدا بعشرة آلاف قرش عن ارسالية هذه السنة ؛ وان تكتب عليه ايالة طرابلس ؛ فانكتبت على حسن باشا الحلالي ؛ وانكتبت جبلة ولاذقية ٢٠ على الكتخدا ؛ وان تهدم القلاع التي بيد ابن سيفا وتضبط ارزاقه ؛ فلما بلغ ذلك يوسف باشا ارسل ولده الامير حسين الى عند الامير فخر الدين ليدخل في رضاه ؛ فانعقد نكاح الامير علي بن معن على شقيقة الامير حسن بن سيفا ونكاح الامير بلغ بن يوسف باشا على اخت الامير علي بن ٢٥ معن ؛ ووقع الصلح بينهم ؛ ثم ان دخلوا كواخي ابن سيفا على الوزير

علي باشا ودفعوا له ثلاثين الف قرش ولحضرة السلطان كرتين ذهب خدمة بتقرير (٢٤٢ البلاد على يوسف باشا . فتقرر عليه وانعزل حسين باشا الجلالي .

وفيها انعزل مصطفى باشا عن محافظة الشام وتولاها سليمان باشا.

وبها مات علي باشا الوزير وتسلم الوزرنة حسين باشا البستنجي.

٥ وفيها في الثاني وعشرين من تشرين الاول توفي الاسقف يوسف بن مخنا بن القس تادروس السمراني وله من العمر في الرهبنة في دير ماري انطونيوس قزحيا خمس وخمسين سنة

١٦٢٠ م ، ١٠٣٠ هـ بدء ٢٦ ت٢ خ

نفوذ فخر الدين ؛ فتحه طرابلوس ؛ مكانته عند السلطان

في سنة الف وستماية وعشرين مسيحية قدم مصطفى آغا من قبل

١٠ حسين باشا الوزير الى الامير فخر الدين بمكاتيب انه يتحول على يوسف باشا بالمال ؛ فتوجه الى برج البحصاص خارج طرابلوس ؛ فانتقل يوسف باشا الى جبلة ؛ وحضر عليه ولده الامير حسن وباع على رضى والده للامير فخر الدين جميع متخلفات بيت عساف في مدينة بيروت ومزرعة انطلياس وحاوة اغزير ؛ والامير فخر الدين بعدما قبض الحجة كاتبه بتحصيل مال

١٥ السلطان ؛ فامتنع ابن سيفا عن ذلك واستمد النجدة من سليمان باشا بكلاربكي دمشق ومن عربان وتركمان حمص والبقيعة ؛ واما الامير فخر الدين حاصر طرابلوس ؛ وكان معه من السكمانية نحو ثمانماية علوفة ؛ وفي نهار الاربعاء ثامن شهر رمضان دخلها ؛ ثم وضع الحصار على القلعة فلم يمكنه فتحها ؛

٢٠ ثم نازل الابرجة وجرت بينهم قتالات كثيرة ؛ وعندما قدمت النجدة ليوسف باشا من العربان والتركمان وكان ارسل له سليمان باشا ماية رجل ليتوقع الصلح ؛ فخرج اليهم الامير فخر الدين وتواقعوا الفريقين عند نهر البارد وقتل من الجانبين نفراً كثير ؛ ثم ان وصل مصطفى آغا القبجي

٢٥ ومعه خلعه للامير ومراسيم انه يرتفع عن مطالبة ابن سيفا ؛ وقدمت ايضاً خمس اغربة في البحر لمعضدة اسكلة طرابلوس ؛ فلما وقف الامير (٢٤٣ على

الاموره في نهار الخميس وهو السابع من ذي الحجة ترك طرابلوس وارتحل الى بلاده

١٦٢١م : ١٠٣١ﻫ بدؤها ١٦ ت٢ ث

عودة السلطان مصطفى ؛ الغلاء ؛ الختمنجي في طرابلوس ؛ مساعدة فخر الدين ؛ عودة سيفا ؛ مقتل عاشينا وابنه

سنة الف وستماية وحادية وعشرين مسيحية ليلة الجمعة في شهر شعبان
٥ كان مقتل السلطان عثمان واعادوا على سرير السلطنة السلطان مصطفى.
وفيها كان الغلاء العظيم في سواحل البحر لقلة المطر فوصلت غرارة الحنطة الى ستة وثلثين غرش والشعير والذرا الى اربعة وعشرين والرز الى اربعة عشر وقنطار السمن والزيت الى خمسين . وفي مصر بيع اردب القمح بالكيل المصري
١٠ ثمانين نصف فلوس نحاس والشعير ثماية وعشرين والفول ثماية وستين واردب الرز والعدس ثمايتين واربعين نصف ؛ وذلك لان نهر النيل مكث فوق الاراضي الى آخر شهر هاتور وهو تشرين الثاني فهاف الزرع الشتوي ؛ ولكن منّ الله على عبيده بنمو زرع الذرا فقبل وحصل منه نفع كثير . وفيها انكتبت
١٥ ايالة طرابلوس على عمر الباشا الختمنجي ؛ وفي شهر ذي الحجة وصل متسلمه الى طرابلوس ومعه مكاتيب الى الامير فخر الدين يكون مساعداً له اذا عانده ابن سيفا . فلما بلغ ذلك يوسف باشا اخلا طرابلوس وتوجه مع قرائبه الى عكار . فارسل الامير فخر الدين طرد تباع ابن سيفا من جبة
٢٠ بشري وولى عليها الشيخ ابو صافي بن الخازن . وانكتبت سنجقية عجلون على الامير حسين بن الامير فخر الدين وحمص على عمر بك بن سيفا .
وفيها أنخلع مصطفى باشا الفخلي عن الوزارة ؛ وتولاها محمد باشا الكرجي وبعث اموره الى نائب دمشق والى ابن معن حتى يعضدوا لعمر
٢٥ باشا وان تضبط املاك ابن سيفا وتورد في مال الخزينة ولاصحاب الديون ؛ فولى عمر باشا احمد بك على حماة . وجعفر افندي على جبلة ؛ وابن معن على جبيل والبترون وبشري والضنيّة (٢٤٤ وعكار ؛ وعندما جمع الامير رجال بلاده وتوجه مع الامير محمد بن الشهاب الى طرابلوس في نهار الاحد

الحادي عشر من جماد الاول خرج عمر باشا والقاضي الى لقاء عند برج المحصاص وخلع عليه . ثم ان في اليوم الثالث ورد امر شريف من قبل السلطان بتقرير ٥ بكلربكية طرابلوس على ابن سيفا ؛ وذلك بسبب ان قرا حسين باشا تولى الصدارة العظمى فأخذ عمر باشا دولته وسار مع الامير فخر الدين الى بيروت ومن هناك الى الباب العالي[1].

وفيها ابن سيفا بعث عند شجرية جبة بشري وضامها حتى انعد ١٠ باهدن خمسين الف ومائة وخمسة وستين احمل : فلموضع ذلك تشتت اهل الجبة الى الشام وحلب وغيرها

وفيها عاشينا ابن شلهوب مقدم بشري لموضع جهله نكب دير مار توما بارض حصرون وقتل القس دانيال العكاري لاجل طمع الدراهم[2] . فعرف به الشيخ ابو صافي ابن الخازن فمسكه واخذه الى سمرجبيل وعرض ١٥ به للامير فخر الدين فامر بهلاكه فقتله ودفنه عند جسر المدفون : ثم ان قدم المقدم شلهوب ليحتج عن ابنه فقبض عليه الشيخ ابو نادر وكتب به لحضرة الامير انه من غرض بن سيفا ؛ فخنقه وزجه في المدفون وكانت مدة حكم المقدم ابو عاشينا تسع سنوات .

---

١) فاخذ عمر باشا دولته مع الامير وسار ومن هناك عمر باشا الى الباب العالي والامير فخر الدين الى بلاده ف — ٢) وجاء في المردّدة ص ٢٧٩–٢٨١ : « وفي هذه السنة كان بدو حكم ابو صافي ابن الخازن من قبل الامير فخر الدين وفيها عاشينا بن شلهوب المقدم اذ هو شب جاهل خدعه الشيطان انه يترل ينهب دير مار توما حصرون فاخذ معه سعاده خيان من بيت جمامات الماقوري وحنا بن جوبه البشراني وحنا زرزر من اجبع ‍ فمسك الخوري دانيال العكاري فربطه فكتفه وقطع شفتيه وعذبه عذابات شديدة حتى يقر له في المال وبعد ما قر له بنحو مايتين قرش لم يعف عنه بل قتله وقتل اخته التي كانت عنده ولبث سلفها فبلغ الخبر لابو صافي فامر بمسكه وتعذيبه حتى يقر وبعد ما اتوضعت له القصب بظوافير يديه قر بسوء فعله وكيف قتل الخوري واخته لاجل الطمع فللوقت امر الشيخ ابو صافي بقتل عاشينا ولما همّ بالرجوع الى كسروان اخذ برفقته شلهوب ابو عاشينا فقتله عند المدفون والقى جسده في النهر »

١٦٢٢ م ١٠٣٢ ﻫ بدوءها ٥ ت٢ س

المنافسة بين الحرافشة والمعنية ؛ حارة قب الياس ؛ حريق القرايا ؛ نكبة المعنيين

خلع مصطفى باشا ؛ هزيمة الحرافشة ؛ الغلاء

٢٠ في سنة الف وستماية واثنين وعشرين مسيحية محمد باشا اباظا قلاوون عزل جماعة ابن معن عن نابلوس وعجلون ؛ فلما بلغ الامير فخر الدين ان ذلك صار بمؤامرة الامير يونس بن الحرفوش صعب عليه وصعد الى قب الياس وكاتب الامير حسين بن الامير يونس ابن الحرفوش بان حارة قب الياس

٢٥ وتل ثمرا وبعض املاك في البقاع كان اشتراهم من الامير منصور ابن فريك. وكان هو ووالده يتصرفوا بها . فنكرا ذلك وارتحلا الى الزبدانية . (ﻫ ٢٤٥) عند ذلك نهبوا المعنية بلاد البقاع وضبطوا الطرش ونقلوا الى بلادهم كل غلال بيت الحرفوش لانها كانت ايام البيادر ؛ وأمر الامير بهدم الحارة التي بقب الياس . ثم ان الامير يونس بن الحرفوش نزل مع خضر حمزة الى الشام

٥ ودفع لمصطفى باشا الف ذهب ونوف عن المال ؛ فكتب عليه سنجق صفد وعلى الامير بشير سنجق عجلون . وخرج ابن الحرفوش في جماعته وجماعة خضر حمزة وجماعة باشة الشام الى الخيام خارج المدينة ؛ واتفق معه الامير احمد ابن طربيه والشيخ احمد الكناني . فلما بلغ ذلك الامير فخر الدين ارسل

١٠ الى الامير علي ابن الشهاب والى حسن الطويل بلوكباشي فاحرقوا قرايا عجلون ؛ وهي قرية فاره وقرية حلاوه والخربة . وكذلك كيوان آغا شوباصي عكا احرق جميع قرايا الكرمل ؛ وسار الامير فخر الدين بالفين وخمس مابة سكماني الى غزوة بلاد ابن طربيه والامير بشير . فابقى الازلام

١٥ في جنين وجرّد بالخيالة نحو الف وخمسماية الى نهر العوجا . فكبسوا طرشهم واثاثهم ثم اجتمعت عليهم العربان فقتلوا من عسكر ابن معن واستخلصوا المكاسب وطردوهم حتى الى خان جلجولية ؛ وكذلك ابن طربيه في ساحل عكا قتل نصوح بلوكباشي ابن معن واستخلص طرشه منه ٠

٢٠ وفيها توامرت الصباحية والقضاة على قرا حسين الوزير الاعظم فاخذوا من يده خاتم الوزاره واعطوها لعلي باشا في شهر ذي القعدة ؛ وفي الرابع

عشر منه نهار الاحد في مؤامرة المذكورين خلع السلطان مصطفى . وجلس
على سرير السلطنة السلطان مراد ابن احمد خان وهو الحادي عشر من ملوك
بني عثمان في القسطنطينية . فخدمه درويش وكيل ابن معن بخمسة الاف
٢٥ غرش وقرر سنجق صفد على الامير علي ابن معن . وحين وصلت البشائر
الى الامير فخر الدين انتقل لصفد . وهرب ابن الخرفوش من قدامه .
ثم دخل الامير فخر الدين (٢٤٦ الى الكرك . فقتلوا من تباع ابن الخرفوش
ما ينوف عن ثمانين رجل . وحرقوا الكرك وسرعين وغيرهما من قرايا بيت
الحرفوش . ويقال ان سبب ذلك وهو ان فيما مضى كان الامير موسى ابن
الحرفوش يعطي في بلاد بعلبك القسم عن فدادينه . وعندما التزق بابن
٥ معن بايام علي باشا ابن جنبلاط وحكم بلاد بعلبك قوي امره وصار له
نحو اربعين قطيع من المعاز ويشد هو واولاده نحو الف فدان . فصار يمنع
اهل الشوف عن الزراعة في بلاد البقاع . وفي هذه السنة كان سبب رفع
دولة ابن معن عن عجلون ونابلوس . وفيها ازداد الغلا العام وتحركت
١٠ اسعار الغلال بزياده في الثمن . وقصدت اهل الشام والحجاز الدرا في مصر .
والذي ضبط بيعه من الدرا بمدة ثلثة اشهر بثغر دمياط ما يزيد على ستين الف
اردب ما عدا الذي ابيع من الشعير والحنطة والفول والعدس والرز ويقول
صاحب دوحة الازهار ان التخمين ما ابيع من الدرا بثغر دمياط ماية وعشرين
١٥ الف اردب وضعف ذلك ما ابيع بثغر رشيد . واما ما ابيع ببولاق والمدائن
والقرى فلا حصراً له . وكل ذلك بعد كفاية اهل مصر وقراها . فسبحان
المنعم المتفضل . وبعد الغلا تبع الفناء الشديد . وعلى الحالتين شاعت قداسة
البطرك يوحنا ورحمته . وذلك انه امر بنصب كرم درجاتا نحو عشرة فدادين
٢٠ فكانت الناس تأكل من نفقة الكرسي وعند الغلة ياخذون الزاد لاعيالهم .
وفي زمان الوبا كانوا يأتونه بالمصوبين وهم مقاربين الموت . وبوضع يده
عليهم كثيرين كانوا يرجعون لبيوتهم متعافين .

وفيها كانت وفاة الاسقف يونان ابن جلوان السمراني الذي استحبس
٢٥ بدير ماري انطونيوس قزحياه

١٦٢٣ م: ١٠٣٣ هـ بدوءها ٢٥ ك ١ ار

وقعة عنجر؛ تقوّز فخر الدين؛ فتح بعلبك؛ الامير بشير

(٢٤٧في سنة الف وستماية وثلث وعشرين مسيحية في شهر محرم خرج ابن الحرفوش الى مقاتلة ابن معن عند نبع عنجر ومعه عساكر الشام والسيغلية وعربان حمص ما ينوف عن عشرة الاف؛ وكان مع ابن معن نحو خمسة الاف ٥ مقاتل؛ فظفر بهم ابن معن وقتل وشلح وسبى نفراً كثيراً؛ وانهزم الباقي؛ فتبقى مصطفى باشة دمشق ومعه عشرة انفس من دولته؛ فلما وصل اليه الامير فخر الدين وضع برقبته منديل وقبل ذيله استفد جماعته واعطاهم الف قرش وعين معه بلوكباشي سار به الى قب الياس؛ فخلع عليه الباشا ١٠ وقرر عليه وعلى جماعته مقاطعات غزة والبقاع العزيز وسناجق عجلون وصفد ونابلوس؛ ثم ان الامير توجه بالعسكر الى بعلبك ولم يجدوا بها الا حواصل ابن الحرفوش نوف عن ثلثين حاصل حنطة؛ فغنم بها القوم من وادي التيم الى جبة بشري؛ فوضع الحصار على القلعة فقتل من جماعته ومن المعلمين الذين نقبوا حائطها نحو اربعين نفس؛ ثم بعد مدة من الزمان زاع الخبر ١٥ ان مراد باشا صاحب حلب قبض على الامير يونس ابن الحرفوش في المعرّة من بلاد نعمان ورفعه الى قلعة سلمية؛ عند ذلك الخبر سكمانيته الذين كانوا في قلعة بعلبك اسلموها لابن معن في الثامن من جمادى الثاني وفي اليوم الثامن من فتحها أمر فخر الدين بهدمها؛ ويقولوا اصحاب الرويه[1] ان هذه قلعة بعلبك في جبل لبنان هي الاقدم في جميع ما بناه البشر في العالم باسره؛ اعني ٢٠ ان قاين ابن ادم عندما اعتراه الارتعاش امر في بناها في السنة ماية وثلث وثلثين من كون العالم؛ ولقبها باسم ابنه احنوخ؛ وسكن بها الجبابرة والمهترجية؛ ولكثرة فواحشهم ارسل الله الطوفان الماء وبعد الطوفان ارسل نمرود الجبار فرازوخي وينازاخز فجددها؛ وسماها بعلبك بالنسبة الى ٢٥ باعال اله المواّبيين والسمراه؛ ثم ان سليمان ابن داود نصب فوق القلعة قبة رسمت بها دوران الشمس في براجها وتكنت بمدينة الشمس؛ ثم ان الكفار اقاموا (٢٤٨ بها نصبه على اسم الزهرة الهة العشق والتنزه؛ وعندما

قبل الصبغة المقدسة قسطنطين الكبير رسم بهدمها وباقامة كنيسة باسم والدة الخلاص ؛ وارسل لها من عنده اسقف وناس من شمامسته تخدمها ؛ وما زال في بعلبك كنيستان واحدة على اسم القديسة بربارة وهي بيد الروم والاخرى باسم السيدة بيد الموارنة ؛ وكان يومئذ خادمها الشدياق مخائيل ابن الياس الماروني المعروف بابن الشدياق ؛ وعندما الامير فخر الدين وضع الحصار على القلعة سقمانيته نقشوا خشبها وجعلوها متاريس لصيانة النقابين من الحجار التي كانت تلقيها عليهم سكانة القلعة من السطح. وفيها الامير فخر الدين غزا بلاد عجلون ونابلوس وانتقل الى نهر العوجا ؛ وعندما توجه الى عنده ولده الامير علي والامير محمد وعمه الامير احمد ولدى الشهاب وقطعوا النهر كبستهم العربان وقتلوا منهم نحو مائة وخمسين نفر ؛ ثم في اليوم الثامن طردوهم عربان ابن طربيه حتى وصلوا الى النهر النازل من عين ام العلق ؛ واهالي بلاد حارثه حاصروا الذين كانوا في عمارة جنين ففتحوها بالامان ؛ والذين كانوا بها شلحوهم عدادهم وسلاحهم وقتلوا منهم نفراً كثير ؛ وبعدما رجع الامير فخر الدين الى صيدا اطلق الامير احمد ابن طربيه اخوته واولاده على بلاد ابن معن ؛ فنهبوا وقتلوا واخذوا منه طرشاً كثير ؛ وعندما خرج اليهم كيوان آغا شوباصي عكا فاهزموه وقتلوا من جماعته وغزوا ساحل عكا وجيرتها ؛ ثم في الرابع ذي الحجة جمع الامير فخر الدين الجيوش وسار بهم الى مقاتلة الامير بشير ؛ فصار بينهما مراسلات آخرها ان الامير بشير دخل تحت طاعة ابن معن ؛ فاقامه الامير فخر الدين نائباً عن ابنه الامير حسين على بلاد عجلون كما كان اولا ؛ وصار الاتفاق بين ابن معن وامارة البلدان القبلية ٠

وفيها الامير منذر ابن سليمان ابن علم الدين ابن محمد التنوخي انشا صرايا شريفة في قرية عابيه في شحار الغرب(١) ولم يكملها لزيادة وسعها مدة اربعين سنة لان كان بدوها من سنة الف وخمساية واربع وثمانين حين دخل القسطنطينية وجاب معه معلمين العمارة ٠

---

١) الدرر الحسان ص ٢٠٢

١٦٢٤ م، ١٠٣٤ هـ بدؤها ١٤ ت١ أث

وفاة يوسف سيفا؛ فخر الدين ينهب طرابلس؛ مصطفى باشا سكندر مدرسة حوقا

في سنة الف وستماية واربع وعشرين مسيحية في نصف شوال ليلة
٥ الاحد كانت وفاة يوسف باشا ابن سيفا التركماني : وهو الاول الذي تقرر
باشا على مدينة طرابلوس: وكان ذلك في سنة الف وخمسماية وتسع وسبعين؛
وكان امرأ جليلا الا انه احتمل مشقات جزيلة من الامير فخر الدين . وعند
وفاته حضروا اولاده الامير قاسم من جبله والامير محمود من حصن الاكراد
١٠ والامير بلخ من عكار . فتخالف عليه في طرابلوس الامير قاسم والاخرون
عاودوا الى مواطنهم ؛ وبعد موته بسبعة اشهر كانت نهبة طرابلوس . وذلك
ان الامير فخر الدين قدم في الجيش الى بعلبك على جبة بشري ؛ وفي عيد
ميلاد الرب على موجب الحساب العتيق دخل المدينة ؛ ولم تزل جماعته
تنهب وتسبي وتشلح مدة اربعين يوم حتى دخل باشة حلب ؛ ثم ان اجا
١٥ مصطفى باشا بن سكندر من قبل الصدر الاعظم حافظ احمد الوزير وتولى
ايالة طرابلوس ؛ وكان دخوله بغير رحمة لكثرة الظلم الذي صدر منه ؛
فكتب عكار على الامير سليمان وطفروا اولاد[1] عمه السيفلية الى الحصن .
وفيها البطرك يوحنا اقام مدرسة لعلم الاولاد في دير سيدة حوقا لافادة
٢٠ الطائفة وان الذين يتفضلوا على الاخرين في العلم والادب يرتسلوا الى مدرسة
رومية .[2]

---

١) اولاد السيفلية ف — ٢) جاء في المرودة : ص ٢٧٨ : « البطرك يحنا امر بان تقام مدرسة في جبل لبنان بدير حوقا لاجل الاولاد وتعليمهم لغات السريانية واللاطينية حتى ان منها ينقوا يختاروا الذين يرتسلوا الى مدرسة رومية وان الذين يجوا من رومية يجوا اليها ليعلموا الولاد وهم ايضاً يتعلموا لغات البلاد وعوائده »

١٦٢٥م : ١٠٣٥ه بدوءها ٣ ت ١ ج

فخر الدين في بعلبك ؛ الحرافشة في حلب ؛ السيفية في المرقب ؛ مكاتيب اوربانوس

في سنة الف وستماية وخمس وعشرين مسيحية تقرر بلاد بعلبك على الامير فخر الدين ؛ وابن الحرفوش هرب منه الى حلب وصار يفتن على ابن معن ؛ واشرط على نفسه ان كان ابن معن يسلّم القلاع بكون بقطع راسه ؛ ٥ فرفعه الوزير الى القلعة . وفيها دخلت الكوانين وشباط ولم يصير الامطر قليل ؛ وفي الساحل تقطع (٢٥٠ الناس النهوره في المخاضة ؛ وظهر بها الجراد في ارض بعلبك وفي الحصن وجون طرابلوس . وفيها اجتمع الامير قاسم بن سيفا ويوسف آغا والشيخ علي ابن حماده والذين من غرضهم في قلعة المرقب ؛ فركب عليهم مصطفى باشا فدفعوا له عشرين الف حتى ٥ اخذوا خاطره ورجع الى طرابلوس ؛ ثم انه كاتب الامير فخر الدين لينجده في الرجال ليركب على ابن سيفا ؛ فجمع الامير جيش عظيم من سكمانية وعربان واهل بلاده وزحف بهم من بيروت على البقاع واللبوة والهرمل ؛ وكان الامير سليمان ابن سيفا متحصن في حصار صافيتا ومعه نحو اربعماية ١٠ رجل ؛ فلما بلغه قدوم الامير اطلق الرجال وهرب الى سلمية ليستعز في الامير مدلج البدوي ؛ وكان الامير مدلج راكب مع الوزير حافظ احمد على مدينة بغداد ؛ فتقوى عليهم الشاه وقتل منهم مقتلة كبيرة ؛ وحين رجع الوزير الى ديار بكر والامير مدلج الى سلمية قبض على الامير سليمان والقاه ١٥ في نهر الفرات ؛ ثم ان السيفلية طلبوا رضى الامير فخر الدين واسلموه قلعة الحصن وقلعة المرقب ؛ فطاب خاطره عليهم ومنع عنهم باشة طرابلوس .

وفيها عندما تسلّم رياسة الكرسي الروماني البابا اوربانوس الثامن انفذ اليه البطرك يوحنا مكاتيب التهنئة والطاعة مع القس حنا ابن قرياقوس ٢٠ الحصروني المعروف من بيت صندوق وكان سابقاً تتلمذ برومية وضبط مع القس جبرائيل ابن صهيون الحدناني ترجمة اللغات الشرقية عند حضرة سلطان فرنسا ؛ فترحب به قدس البابا⁽¹⁾ وارسل معه للبطرك تاج جميل وكتب وعداد لاجل خدمة الاسرار المقدسة ؛ وكذلك رسالة نفيسة يمدح بها ديانة الملة

٢٥ المارونية ، ويتشكر بها من غيرة البطرك في نشو المدرسة التي اقامها في دير حوقا ورتب لها علوفه سنوية دامت الى سنة الف وستماية وثلث وثلثين ، واما السيد البطريرك فسم القس (٢٥١ حنا اسقفاً مكافاة لتعبه واخذ السكنة بدير ماري جرجس بقرية بقرقاشا ؛ خدم بها اربعة شهور وفي احد الشعنينة تقضى اجله بكل ثناء . وفي عشرين من تشرين الاول من هذه السنة ٥ سيم استقف القس يوحنا من بيت قيزوح على دير مار اليشع بشري ودير الاحمر .[٢]

---

١) البابا ادريانوس ف — ٢) جاء في المزدة ص ٢٧٦ : « وفي هذه السنة كان خوري جرجس متكلم على الموارنة الذين بالكفريات بقبرس فصار انه ان حدثه الروم ولاجل الرغبة والطمعة ملكوه وغلك معه اس من اقرباه وتابعين هواه واتفقوا على اعتقاد اباه واجداده مهذب الرأي وبالقوة وعنوة اخذ كنيسة السيدة التي بالكفريات وجعلها للروم الاسقف جرجس بن مارون استنجد بذلك قرنا الذي رسل مكاتيب الى القنصل والتجار ليكونوا مساعدين الموارنة واما الخوري بطرس الذي عليهم مدة قايم بخدمة هذه الرعية بكل تقوى ومهارة لم يتخل عن تلك الكنيسة انها تكون لاعداء الكنيسة الرومانية فتعب وخرج مالاً كثير حتى انه جاب اموره سلطانية من استنبول ان تلك الكنيسة ترجع الى الموارنة وهكذا صار ان بعد ١٦ سنة استرجعوا جماعتنا كنيسة السيدة » .

١٦٢٦م ؛ ١٠٣٦هـ بدوءها ٢٢ ايلول ث

خليل باشا في الشام ؛ كنيسة بشعلة ؛ سياحة مطارنة ؛ الغلاء

في سنة الف وستماية وست وعشرين مسيحية بعث حافظ احمد الوزير عزل مصطفى باشا عن ايالة طرابلوس ؛ واعطاها لعمر باشا باش دفتر دار ؛ وفي حال وصول مصطفى باشا الى ديار بكر قتله الوزير واخذ ماله ؛ ١٠ وقدمت الشكايا في ابن معن انه ضام الرعايا ونهب مدينة السلطان طرابلوس فانعزل حافظ احمد وتولى الوزرنة خليل باشا ؛ فتوجه الى حلب في العساكر بسبب الركبة على الامير فخر الدين ونهب بلاده ؛ وفي حال وصوله عزل عمر باشا من ولاية طرابلوس واعطاها لابرهيم باشا ؛ واما الامير فخر الدين لاستعطاف خاطر الصدر الاعظم ارسل مع عبدالله بكباشي[١] يوعده بخزائن ١٥ كثيرة وبتسليم قلعة الحصن وصافيتا وسلمية وشميس والمرقب ؛ وعند ما

صار الوفق على ذلك قتل الامير يونس ابن الحرفوش وتحولت الركبة على الشام . وفيها القس يوسف بن القس حبيب في قرية بشعله من عمل البترون نقض كنيسة السيدة وبناها قبواً .

وفيها في الثامن من تموز توفي الاسقف سركيس السمراني الذي استحبس ٢٠ بدير ماري انطونيوس قزحيا؛ وكان رجلا ديناً راغباً في العلم ونسخ الكتب؛ والسيد البطريرك سام عوضه ابن اخيه الاسقف بولص والاسقف يوسف العاقوري من بيت حليب على صيدا والاسقف يوسف البلوزاني على بيروت[٢] .

وفيها اجا النقص بارض الشام والسواحل في الاطفال والشباب وفي ٢٥ البقر والجاموس وغلت الاسعار . فكانت قلة الزيت بالشامي بستة (٢٥٢ قروش وشنبل الحنطة بقرشين وبيع رطل الحرير الابيض المترك بعشرين قرش .

١) بلوكباشي ف — ٢) جاء في المسوّدة ص ٢٨٠ : « وفي هذه المدة كانت وفاة القس يعقوب الدويهي الراهب الذي اخذ السكنه بدير مار يعقوب اهدن وفاق كل وصف في تعليم الاولاد حتى ان يقال تتلمذ له نحو ماية كاهن غير المطارين (والبطاركة : على الهامش) مثل بطرك حنا الصفراوي والبطرك جرجس عميره الذي اخذه الى رومية وعندما رجع سكنه عنده بمار يعقوب وسامه مطراناً وعطاه الرب طولة الروح والسعد حتى انه من ماله عطى لدير قنوبين اربعة الف قرش فضة » .

١٦٢٧م، ١٠٣٧هـ بدوءها ١٢ ايلول اج

فخر الدين يعمر بلاد طرابلوس

في سنة الف وستماية وسبع وعشرين مسيحية تولى الامير فخر الدين ٥ محافظة ايالة طرابلوس ، فأجرى ساقية القاع وعمّر القليعات في ارض الحون ونصب في مغراقها اربعة عشر الف نصبة توت ونصب بستان آخر اكبر من الاول في ارض الحيصه .

١٦٢٨م، ١٠٣٨هـ بدوءها ٣١ آب ج

دير مار شليطا مقبس

في سنة الف وستماية وثمان وعشرين مسيحية اهتم القس حنا بن القس

يوسف المدعو المحاسب من قرية غوسطا في تجايد وبناية دير ماري شليطا
١٠ بارض مقبس في بلاد كسروان ؛ وصار الاول في سائر الاديرة التي انتشت
في تلك البلدان . وكان اخوه القس سركيس مترهب بدير ماري انطونيوس
قزحيا فانتقل الى عنده .

١٦٢٩ م ١٠٣٩ ه بدوءها ٢١ آب ث

اسحق الشدراوي اسقف طرابلس

في سنة الف وستماية وتسع وعشرين مسيحية في خمسة وعشرين من
شهر آذار قسم السيد البطرك القس اسحق الشدراوي اسقفاً على مدينة
١٥ طرابلوس . وكان المذكور تتلمذ برومية وصار ملفاناً في العلوم الالهية
والطبيعية[1] .

(١) جاء في المسودة ص ٢٨١ : «وعند رجوعه تزوّج وصار خوري على مدينة طرابلوس ثم انه دخل رومية وطبع القراماطيق السرياني» راجع ترجمته وما اليها من المصادر في غراف : تاريخ الاداب العربيه المسيحية ٣ ، ٣٤٧-٣٥٠ . ورُسم مطراناً بعد ترمّله .

١٦٣٠ م : ١٠٤٠ بدوءها ١٠ آب س

فخر الدين في بعلبك ؛ الزلزلة

سنة الف وستماية وثلثين مسيحية زحف الامير فخر الدين في الرجال
الى مدينة بعلبك بسبب قلعة تدمر فاخذها من يد الاشوام .
٢٠ وفيها في الخامس من تشرين الثاني نهار الاحد حدثت زلزلة مريعة
وفي الساعة الثالثة من الليل حلت في قلعة سمر جبيل وهدمت البرج الوسطاني
من اربع جوانبه واخذت جميع ما كان في القبو التحتاني المركب على البير وخطف
العارض نوفل ابن الشيخ نادر بن الخازن ووالدته بنت الشيخ معتوق بن
حبيش مع ست انفس . وفي السنة الثانية بدا الشيخ ابو نوفل (٢٥٣ في
عمارة القلعة .

١٦٣١ م، ١٠٤١ هـ بدوءها ٣٠ تموز آر

فخر الدين والتجارة مع الافرنج؛ وقعة صفد؛ دير حوقا

في سنة الف وستماية واحدى وثلثين مسيحية قدمت المراكب من بلاد الفرنج الى عكا وصور والرملة وطرطوره بسبب وسق القمح فكانت الغلة
٥ شحيحة وهم يشترونها باغلى ثمن ؛ وكان الامير فخر الدين معضداً لهم حتى ان في مدينة عكا وحدها بلغ عددهن الى ماية وعشرين برشه بطلب القمح ؛ وزادت الشحطة حتى ان في طرابلوس بلغ شنبل القمح الى ثلاثة قروش والشعير والذرا الى قرشين وربع ولم يجد في كل سواحل البحر ؛ فسمع بورودهم
١٠ قبطان البحر وارسل عشر اغربة لاجل محافظة السواحل ؛ وفي اول شهر ايلول اجتازوا على مدينة طرابلوس ومن هناك الى بيروت وصيدا وعكا وقبروس. وفيها توزع القشلق على بلاد الشام ؛ فتكلفت الخانة في الشام خمسين قرش وضاقت في الناس من طلب التبن والحبوب ؛ وعندما قدم
١٥ الامير فخر الدين من صيدا الى طرابلوس خرجت الناس اليه الى باب الحلق وطلبوا منه يمنع عنهم القشلق ؛ وكانت المدينة تتدبر منذ خمس سنين على يد المتسلمين ؛ فارسل الشيخ احمد بن حماده مع بعض ناس يلاقوه الى مرعين واوعدوه بمبلغ من الدراهم ولا يدخل المدينة ؛ فما رضي فخاونوه وقتلوا ناس من جماعته ؛ فرجع الى حماه ومن هناك الى بلاده. وفيها كانت
٢٠ الوقعة في ارض صفد بين علي بك بن الامير فخر الدين وبين الامير احمد آل قانصوه والشيخ رشيد واولاد بشير ؛ فظفر بهم فطلبوا الصلح والمهادنة وسلكت السابلة؛ وقبل ان تفل العساكر عمر في بلاد صفد مغارة الحمام فوق
٢٥ نبع اسبانيا وعملها حصار مانع. وفيها القس حنا الصفراوي ريس دير حوقا عمر البرج الذي فوق الباب من الارض وطالع ومواضع (٢٥٤ آخرى على يد المعلم مخائيل هوشر من قرية حصرون.

١٦٣٢ م ١٠٤٢ ھ بدوءها ١٩ تموز اب

فخر الدين في بيروت ؛ حنا الشمالي في درعون ؛ الحبل في بكفيا ؛ رهبان الافرنج في جبة بشري ؛ فرنسيس الافرنسي الحبيس

في سنة الف وستماية واثنتين وثلثين مسيحية عمّر الامير فخر الدين في بيروت برج الكشاف والحوش للوحوش والجنينات .

٥ وفيها القس حنا ابن الشمالي عمّر بقرية درعون في بلاد كسروان كنيسة ماري انطانيوس قبواً واخوه القس فرح عمّر كنيسة السيدة وكانا الاخوان غزيري العبادة ولهما اليد الطولى بنسخ كتب البيعة . وفيها الشيخ ابو عماد بن الحميّل في مساعدة اهل بكفيا نقض كنيسة ماري عبدا في القرية

١٠ المذكورة وعقدها قبواً بثلاثة اسواق على يد المعلم حنا الشامي وكذلك القس بشاره من بيت الخرّاط اهتم ووسع كنيسة الملائكة في قرية بكفيا . وفيها لكثرة الامان والاطميان قدمت رهبان الفرنج واخذوا السكنه في جبّة بشرّي : فالرهبان السيكولنتية استوطنوا بدير ماري يعقوب باهدن ؛

١٥ والكبوشية بدير ماري قوبريان في القرية المذكورة ثبتوا مدة وانتقلوا لدير ماري توما بقرية حصرون استقاموا سنتين ونزلوا الى طرابلوس : وكذلك فرنسيس من بيت جلياق من مدينة اكويا الفرنساوي الجنس زهد في الدنيا وترك استاذية قصطويل واستحبس في دير سيدة حوقا بقرب دير قنوبين : وفيها

٢٠ كانت وفاة الاسقف حنا الخوشبي من قرية حصرون : فهذا تأدب في العلوم بمدينة رومية ودخل رهبنة ماري عبد الاحد : نقل جزو من كتب ماري توما الملفان الى اللغة العربية نادى في سلوك الحساب الجديد بمدينة حلب : وكان روساء الطوائف دفعوا اربعة آلاف قرش على حريقه ؛

٢٥ فحضر في ديوان المحكمة واحتج عن تجديد حساب الفصح والصوم واذ لم يجاسر احد يعارض حكمته خرج منصوراً . وفي هذه انتقل (٢٥٥ الى راحة الصالحين وعرض موته في مدينة رومية في دير ماري بطرس حيث صلب .

١٦٣٣ م ؛ ١٠٤٣ هـ بدوءها ٨ تموز ج

الدولة تحارب فخر الدين ؛ هزيمة المعنية ؛ اعتقال فخر الدين وارساله الى استنبول ؛ مقتل التنوخية ؛ اعدام فخر الدين ؛ علي ايامه رفع الغبار عن النصارى ؛ وفاة يوحنا مخلوف .

سنة الف وستماية وثلث وثلثين مسيحية اعتنى البطرك يوحنا وجدد كنيسة مرت مورا في كفر زينا ؛ وكذلك اهل كفرحاتا جددوا كنيسة مار ماما ؛ ورهبان الكرمل اخذوا السكنى بمار اليشع بشرى . وفيها كانت الركبة على الامير فخر الدين وذلك ان لما كثرت العروضات فيه الى السلطان مراد امر كجك احمد ان يجرد الجيش الى التبض عليه . وفي ربيع الاول الموافق لشهر ايلول خرجت الدولة من الشام بعسكر عظيم في نهار الاربعاء فكبسوا بلاد ابن الشهاب وغزوا وادي التيم نهبوا وحرقوا وقتلوا ثم نزلوا الى الخان الحديد تحت حاصبيا ؛ فاخذ خبرهم الامير علي وهو في صفد فزحف برجاله من صفد وبات الى بانياس ؛ ثم قام ليلا كبس الدولة عند الصباح فظفروا به قتلوه وقتلوا لرفاقه ؛ والباقي انهزموا ؛ ثم قدم جعفر باشا قبطان البحر في الاغربة اجتاز على مينة طرابلوس الى بيروت ؛ وتجمعوا السيفلية واصحاب الاغراض بجيش كبير وجاؤا قبالهم في طريق البر فانهزموا المعنية وتشتتوا ؛ فالامير حسين ابن الامير فخر الدين احتمى مع كاخيته الشيخ ابو نوفل نادر في قلعة المرقب ؛ وملحم ابن الامير يونس هرب الى عند الامارة[1] الاطربية ؛ والامير فخر الدين ادخل عياله الى مغارة نيحا وتخبا هو مع الشيخ ابو نادر ؛ وسرور آغا وابو علوان وابو صافي في مغارة جزين ؛ واما كجك احمد سار الى صيدا وكتب الى الامير يونس ابن معن في الأمان وفي حال حضوره عليه قتله ؛ ثم غزت الدولة بلاد الدروز فنهبوا وقتلوا وتولوا على جميع القلاع والحصارات ؛ وولوا الامير علي بن علم الدين اليمني على بلاد الشوف ؛ فمسكوا الامير حسين من قلعة المرقب مع الشيخ ابو نوفل وارسلوهما لعند الوزير الى حلب ؛ ثم وضعوا الحصار على قلعة نيحا ومغارة جزين فكشفوا قنا الماء المتحدرة على قلعة نيحا وافسدوها في خروج

(٢٥٦

٥ البهائم وملكوها ؛ ثم والنوا النقابين على مغارة جزين ليقطعوا الصخر اولا من فوق المغارة ثم من اسفل ؛ فما زالوا في القطع حتى بلغوا اليهم : وفي آخر جماد الثاني ملكوهم ؛ عند ذلك كجلك احمد اوثق الامير فخر الدين واولاده منصور وحيدر وبلك مع كواخيه ابو نادر ويوسف آغا وسار بهم
١٠ مسروراً مؤيداً الى الشام ؛ واما من خصوص الامير ملحم عندما نظر آل طربيه ان ابوه قتل وعمه استاسر اسلمه بيد براهيم كاخيا وسار به الى دمشق فلما نزلوا في قرا خان واهل البلاد يدعونه خان الشيخ اوقف عليه العبد نحرسه ؛ فقفز نازل عن سطح الخان ودخل في النهر الذي بقرب الخان واحتمى تحت
١٥ العبّارة على صفصافه فرمي عليه العدوت العبد وسقط باثره ولكن انكسرت رجله ؛ ثم تفرقت الدولة بطلبه ؛ واجتاز على العبّارة اثنين وعشرين خيال وبعد ما جالوا الوطا عادوا خائبين الى الخان وهو يراقبهم . ثم عند الليل سار الى عرّنه فصدف راعي[1] وامّنه يصيح له بشيخ الضيعة ؛ فلما حضر لعند
٢٠ الراعي اخبره بذاته فتمسك به واخفاه بداره ثلثة اشهر لانه كان من غرض بيت معن ؛ فمن جهة الكواخي الذين قبضوا عليهم الشيخ ابو نوفل جاء بذاته وهرب من حلب ؛ ووالده ابو نادر كفله الامير علي اليمني واخرجه من قلعة الشام ؛ وكذلك سرور آغا كفله يوسف آغا وسلموا بذاتهم ؛ واما الامير فخر الدين واولاده ساروا بهم الى استنبول ؛ فتلاوم عليه
٢٥ السلطان من ابواب شتى؛ ولكن هو احتج عن ذاته ؛ انه ما جمع الرجال الا بامورة مختصة من الوزراء والنواب الطايعين ؛ ولا قتل (٢٥٧ الا العصاة على السلطنة العالية ؛ وان القلاع التي تولى عليها فتحها من العصاة واسلمها للسلطنة ؛ فاقتنع حضرة السلطان من كلامه ومهل عليه ؛ فالامير علي بن علامدين اليمني قبض على مناصب بيت معن قتلهم وسلب ارزاقهم ؛
٥ وعندما توجه الى قرية عابيه من بلاد الغرب وعزموه للغدا الاماره آل تنوخ في الصرايا التي تحت القرية باق فيهم ؛ وقتل الامير يحيي العاقل والامرا محمود وناصر الدين وسيف الدين ؛ ثم كبس البرج على اولادهم الصغار وقتلهم ثلثتهم[2]؛ ولم يترك لهم ولد يخلفهم ؛ فلما بلغ ذلك الامير ملحم
١٠ ابن الامير يونس ما امكن انه يحتمل كل هذا الخنا فجمع العسكر وركب على اليمنية في المقبرط فوق قرية مجدل معوش ؛ فظفر بهم وقتل من الفريقين

نحو اربعماية نفس وقتل بجملتهم كاخية كجك احمد ، فانهزم ابن علم الدين الى طرابلوس ومن هناك الى الشام ؛ فتحمل بدولة الشام واخذ صحبته نحو خمسماية نفس وعندما وصل[٤] لتحت قب الياس دخل سيد احمد ابن ابو
١٥ عذرى الى مقاتلتهم باربعماية رجل ، فاخلت له الدولة الوطاق[٥] حتى دخل بالرجال ثم طبقوا عليهم وقتلوهم عن آخرهم ؛ فرجع الامير ملحم بالذين تبقوا معه واختفى في الشوف ؛ وتجددت الشكايا الى الباب الاعلى في الامير فخر الدين بان ابن اخيه ملحم ما اعتبر بالذي صار بل انه جمع الرجال
٢٠ وقتل كاخية احمد كجك فتك في العسكر وقصد انه محاصر الشام ؛ عند ذلك امر السلطان بقتل فخر الدين واولاده ، وتولت السيفلية ايالة طرابلوس واليمنية بلاد الشوف[٦] ٠ وفي دولة الامير فخر الدين ارتفع راس النصارى عمّروا الكنائس وركبوا الخيل بسروج ولفوا شاشات وكرور لبسوا طوامين
٢٥ وزنانير مسقطة وحملوا[٧] القاص والبندق المجوهرة ٠ وقدموا المرسلين من بلاد الفرنج واخذوا السكنة في جبل لبنان ، لكون غالب عسكره كانوا نصارى وكواخيه وخدامه (٢٥٨ موارنة ٠ وفي اواخر هذه السنة في الخامس عشر من كانون الاول تنيح من شقاء هذه الحياة البطرك يوحنا ابن مخلوف الهدناني ؛ وكانت وفاته في قرية كفرزينا في زاوية طرابلوس ؛
وحملوه الى دير قنوبين ، وكان المذكور لين الجانب كريم الاخلاق محب
٥ الصلح وكثير الصدقة[٨]؛ اتخذ سيرة النسك في دير قزحيا ولاجل فضائله وشدّة غيرته قسمه البطرك يوسف الرزى اسقفاً واخذه لقنوبين ليكون مساعداً له ؛ وعند وفاته تخلف بعده على الكرسي الانطاكي ؛ اقتنا له املاكاً كثيرة في جبّة بشرّي وفي زاوية طرابلوس ؛ وعندما سار الشدياق
١٠ خاطر ومشايخ جبّة بشرّي يطلبه حتى رجع من مجدل معوش الى دير قنوبين بعث رد الاسقف يونان والسمارنة الى دير قزحيا ، دبّر ملته خمس وعشرين سنة ونصف وانتقل الى راحة الصالحين ، وبعد موته عرض امراً غريب ؛ وذلك ان بعدما سلم الروح بست ساعات صارت مذاكرة بين الحاضرين ان البطرك قبل ان يموت ما كان بارك الشعب ، وخطر في بال قوم منهم
١٥ انه مات غير راضي بسبب الحروب والفتن التي كانت صايره[٩] بين الاغراض من السيفلية والمعنية ؛ فشاهدوه الحاضرين من نصارى ومسلمين انه رفع

عينه ورسم اشارة الصليب ؛ ما كأنه الاحي ؛ وامتنعوا روساء الكهنة من الاجماع في تاسعه لصفوة البطرك الجديد كجاري العادة لشدة الاضطهاد ٢٠ والتفتيش الذي كان صاير في قتلة الامير فخر الدين ؛ وفي السابع وعشرين من كانون الاول انتخبوا البطرك جرجس ابن مخائيل ابن عميره المدناني وهو العاشر من البطاركة في دير قنوبين[١٠].

١) الامارة اهل طريبه ن — ٢) فصدق لراعي ن — ٣) ثلاثتهم وقتلوم ف ن ٤) دخل الى تحت قب الباس ف — ٥) الاوطاقي ب ن — ٦) بلد ف — ٧) القفاص ب — ٨) جاء في المسوّدة ص ٢٨٢ : « وقداسته ذائعة في كل بلاد الشرق فانه في الدير لم كان يريد ياكل رغيف كامل الفضلات وكان يامر ان منهم يطبخوا له الطعام ولم يشرب من الخمر الا القليل واما لغيره كان رحوماً فوق كل وصف وفي الزايده للمساكين والمحبوسين وكم مرة تكون فرغت بخادم الزيت ومناديق القمح فاخذ الناطورى (؟) يدخل يخبرهم وفي القدرة الالهية ملات زيت وحنطا وكان بيت سيفا يكرمه غاية الكرامة وكلمته نافذة عنده حتى ان ذات يوم كانوا خارجين بالسد انطانيوس حتى يخورقوه دخل الى عند الباشا وتشفع فيه واكرامة خاطر البطرك عز عنه وقد جرت العادة ان الروسا لما يقاربوا الموت يباركوا على الرعية كلها ويطلبوا لها من الله الحفظ والمثابة على شبه ما نقرأ عن يعقوب اب ١٢ ابا وغيره فبعدما توفي البطرك بست وسبع ساعات تذكروا الحاضرين ان البطرك يوحنا ما كان بارك الرعية وصار كلام انه مات وهو غير راضي عليها قام عجيب رفع يمينه وهو مايت ورسم اشارة الصليب ما كانه الا حي وكان ذلك بحضرة جمع كثير نصارى ومسلمين الذين كانوا اجتمعوا لوفاته » — ٩) اصحاب الاغراض ف ن ١٠) جاء في المسوّدة ص ٢٨٣ : « وفيها صارت فتن بين الاسلام فسكنوا المطارين وقصبوا الديوره وشلحوا الكنائس بجبل لبنان وصارت خصار عظيمة فهرب كثير من المطارين وفيها دخل ابن مارون الى قبرس وانكتبت فيه مكاتيب الى حضرة البطريرك انه كان يجي دراهم من الرعية عنوة والذي ما يعطيه يحرمه وانه كان يرسم بناديق ويرف ويقرب خارج ملتنا بسبب المكسب بسبب ذلك السيد البطريرك ارسل يوبخه وان لم يرجع من ذلك شهر عليه الحرم »

وفي هذه السنة كان دخول الشيخ ابو نادر ابن الخازن وابنه نادر واخوه ابو خطار على بلاد الكراندوكا وذلك بسبب العساكر التي كانت تورد على بيت معن وبلاده [وكان ترجمانهم الخوري يعقوب التبرسي وكان رجوعهم في (مشطوب في المسوّده على الهامش 1634] »

« في اول تشرين الثاني كانت وفاة والدنا من هذه السنة ١٦٣٣ » : « ارتسم البطريرك جرجس ابن عميره من اهدن وكان اضطهاد عظيم على الكرسي بسبب وفاة البطرك والحروب التي كانت صايره بين الامير فخر الدين وبيت سيفا واكثر الناس هاربين وفي زمانه خوري

حنا الاجماني من بيت جبنا اخذ السكنه في دير شيذان وهو دير مارون بارض كفرحي من بلاد البترون وكان له زمان خراب وينال ان مقدمين كفر ندره كبسوه يوم الاحد وقتلوا في الكنيسة نحو اربعين راهب بسبب احتقاره كانت صارت لرعياهم فلم امهل الرب عن انتقام دمهم فامات المقدمين بالسيف واخرب الضيعة وفي هذا الزمان ابن حبنا بداية فرح بن كساب ريس كفرحي عمر المحبس واخذ السكنه فيه بعناية ابو نادر مدبر على يفسيا اصحاب الارض ملكية تعاونوا عليه الى ان ابن سينا وبعد ما كان اخذ ابن ممن مال البلاد طلبوا مال اخر من كل البلدان وتبهدل ابن جبنا فهرب وترك الدير ».

١٦٣٤م: ١٠٤٤هـ بلوغها ٢٧ حزيران ث

القتال بين سيفا وحماده ؛ الظلم ؛ وفاة افثيموس كرمه

في سنة الف وستماية واربع وثلثين مسيحية تولى ايالة طرابلوس قاسم
٢٥ باشا ابن يوسف باشا ؛ وعندما جاه الامر بالسفر الى بلاد العجم امر جماعته بالركوب فلم يطاوعوه كواخيه (٢٥٩ حسن آغا ويوسف آغا) ؛ وبعدما سافر قناقين ثلاثه كبر عليه الوهم فجعل نفسه مجنون وانهزم ؛ فرجع العسكر الى المدينة ؛ فاجتمعوا الاعيان فيهم وحكموا ابن اخته الامير علي ابن الامير محمد ؛ فدبر المدينة شهرين ثم ركب عليه خاله الامير عساف ابن
٥ يوسف باشا فهزمه من طرابلوس الى بيروت ؛ وهناك الامير علي السيفلي حشم الامير علي ابن علم الدين الدرزي وصاروا مشداً واحداً مع حسن آغا ؛ وجاوا بالرجال الى طريق الحرد فحكموا بلاد جبيل والمنيطرة ؛ فركب عليه الامير عساف مع بيت حماده فاحرقوا المنيطرة وقتلوا ابو جمال الدين
١٠ سياله وابن اخيه من بيت المسّراح ؛ ثم ان المقدم زين الدين ابن الصواف اتحد مع الامير علي السيفلي وساروا برجالهم الى قرية ايعال التي على نهر رشعين ؛ وعندما طلع كبسهم الامير عساف مع مشايخ بيت حماده ظفر بهم الامير علي بن الامير محمد ؛ فقتل الشيخ كنعان ابن قانصوه حماده وجماعة
١٥ كثيرة ؛ فنزل بروس القتلى الى طرابلوس ؛ وتولى الامير علي حكم المدينة وجبيل والبترون ؛ ولكثرة الحكام والاغراض كثر الظلم وكلفوا الرعايا عوض المال مالين ؛ وقبضوا على المرابيط والروساء ليقروا على رزق ابن معن وبيت الخازن وغيرهم ؛ وكان القس حنا ابن جبنا الاجماني

متروس على دير ماري مارون ريش مران في قرية كفرحي ؛ فوشوا به
٢٠ اهل بقسميا عند ابن سيفا حتى قبض عليه وبهدله وكلفه فوق طاقته ؛
فارتحل ومن ذلك الوقت خرب الدير وخربت ايضاً بقسميا الذين كانوا
ملكيه. وفيها كانت وفاة افتيثيوس[1] كرمه بطرك الملكيه ؛. وتخلف
بعده افتيميوس الساقزي ؛ وكان البطرك كرمه جزيل المعرفة والقدر نقل
٢٥ رتب كنيسته من اللغة اليونانية والسريانية الى العربية ؛ وقيل انه مات في
السم لانه قصد يغير حساب الصوم ويدرجه الى زي الكنيسة الرومانية.

١) هو ملاتيوس كرمه الحموي الحلبي وسمّي افتيموس بعد ارتقائه السدة البطريركية . راجع ترجمته في غراف : تاريخ الآداب العربية المسيحية ٣ ص ٩١ — ٩٤ وفيها تاريخ وفاته في حلب ١٠ ك ٢ سنة ١٦٣٥ م.

١٦٣٥ م : ١٠٤٥ هـ بدوءها ١٧ حزيران اح

مصطفى نيشنجي باشا ؛ القتال بين سيفا وعساف ؛ وفاة نصر الله شلاق في رومة

(٢٦٠ في سنة الف وستماية وخمس وثلثين مسيحية تولى ايالة طرابلوس
مصطفى باشا النيشنجي ؛ ففوض حكم جبيل والبترون والضنية للامير
علي السيفلي ؛ وعكار والحصن وصافيتا لقرائبه ؛ وجبة بشري للشيخ
٥ ابو كرم يعقوب ابن الريس الياس الحدثي والشيخ ابو جبرائيل يوسف المدناني
وكان حكمه معتدل ؛ وعندما امره السلطان بالركبة على الشاه الذي كان
تملك مدينة ازوان فوض محافظة البر على الامير عساف ؛ فصعب ذلك على
ابن اخته الامير علي فكبس قرية اميون نهبها وبدد مغلها وزيتها ونبيذها
١٠ في شهر اذار ؛ وكان صحبته المقدم محمد ابن علي الصواف ؛ فجمع خاله
الرجال والتحم بينهما الشر في ارض عزقية في طريق الزاويه ؛ فانكسر
علي وانهزم الى بلاد الدروز ؛ وبسبب ان اعياله كانوا في برج سير كبسهم
الامير عساف وارسلهم الى نفس عكار ؛ وتولى على بلاد جبيل ؛ ثم
١٥ ان الامير علي جاء بنجدة من بلاد الدروز وكبس خاله في قرية اعناز
من بلاد الحصن ؛ فظفر به الامير عساف وقتل من جماعته مقتلة كبيرة ؛
واحتملت الرعايا مشقة جزيلة من هذه الاحوال. وفيها الشيخ ابو

نادر ابن الخازن وولده نادر واخوه بوخطار قصدوا السفر في البحر الى عند
٢٠ الحراندوكا وبعد سنتين عاودوا. وفيها في شهر آب كانت وفاة القس
نصرالله بن شلاق العاقوري برومية ؛ فهذا ربي في مدرسة رومية ثبت في
بلاد النصارى الى نهاية حياته ولّف بعض مصنفات عن رتب الكنيسة
المارونية وخلف ثروة جيدة[1] ؛ واوصى ان تتعمر بها مدرسة لاولاد طايفته
وجعل وكيله بذلك القس جبرائيل ابن عواد الحصروني ؛ وكان نشو المدرسة
٢٥ في مدينة راونتا .

١) راجع غراف : تاريخ الاداب العربية المسيحية م ٣، ص ٢٤٢ – ٢٤٥ وجاء في المسودة ص ٢٨٤ «خلف سبعة الاف وخمساية وقصى ان تتعمر بهم مدرسة لاولاد طايفته في مدينة راوونا ووكل فيها القس جبرائيل بن العواد الحصروني ثم ان باباجي المجمع المقدس باسم اعلي والكرديتال كاون اهتموا بعمارة المدرسة المذكورة»

١٦٣٦ م ؛ ١٠٤٦ هـ بدؤها ٥ حزيران خ

الانكشارية يريزمون اليمنية ؛ البرد والقيظ ؛ هزيمة كجك في العجم ؛ مقتل الحرافشة ؛ كنيسة العربانية ؛ القتال بين السيفية والحمادية

في سنة الف وستماية وست وثلثين مسيحية احمد الشاملي آغة (٢٦١
الانكشارية في الشام قصد مقاتلة الامير علي بن علم الدين لعصاوته في
ايراد مال السلطان ؛ واتفق مع الشاملي سنجق صفد ومتسلم بيروت
والمقدم مراد والامير عساف السيفلي ؛ فانهزم من قدامهم باعياله
٥ ورحلت صحبته يمنية بلاد الغرب والجرد والمتن والشحار والشويفات باعيالهم
وماشيتهم ما ينوف عن سبعة الاف نفر ؛ فدخلوا بلاد كسروان وانهزمت من
قدامهم القيسية حتى نهبوا قرية بكفيا ثم تكاثرت عليهم القيسية وكسروهم
في مرحاتا ؛ وقتل الشيخ ابو فارس ابن حبيش ؛ ثم تواقعوا في المروج وقتل
بها الشيخ حمزة بن القاضي ؛ ثم طفروهم من بلاد كسروان وانهزموا الى بلاد
١٠ عكار على درب الجرد ؛ واجتمعوا مع رجال الامير علي بن سيفا في عرقا ؛
واما الدولة ساروا على طريق الساحل دخلوا طرابلوس وخرجوا الى مخاونتهم
عند نهر البارد ؛ فانهزموا من قدامهم ثم لحقوهم بين الملول فوق برج تيب

بارض الحون فكسروهم ؛ واسبت الدولة حريمهم واخذوا بوشهم وكسبهم ؛ وقلّت العساكر ؛ ثم ان دخل طربوش البدوي في الصلح بين الامير عساف
١٥ وبين ابن اخته الامير علي وصار الصلح بينهما في قرية المنى ؛ وعاودوا مع ابن علام الدين الى بيروت ؛ وعند هذه الاحوال ظهر الامير ملحم ابن معن وجمع الرجال فانهزم لابن علام الدين وتولى حكم بلاد الشوف ؛

وفي اوائل شهر تشرين الاول نزل في ارض الزاوية والضنية برد لحقت البردة منها الى ثقل وقية ؛ وبعد ذلك حكم قيظ عظيم فدخلت التشارين
٢٠ وكانون الاول والدنيا دافيه بلا مطر ؛ فأكلوا بها التوت والتين والتفاح والقراصيا عن امه فغلت الاسعار ووصل الشنبل القمح الى قرشين ونصف ٠ وبها في تشرين الاول ورد الخبر ان التحم الحون في بلاد الاعجام بين كجك احمد باشا وبين الشاه ؛ وان الشاه استيسره وقتل من عسكره خمسين الف ؛
٢٥ وفي اثر ذلك قدم قبجي من الباب الاعلى بطلب الزخيرة لحضرة السلطان مراد ؛ فتسكرت طرابلوس وبطل البيع والشرا لشدة القحطة ؛ ثم دخل مراضا آغا المتسلم من قبل مصطفى باشا (٢٦٢ كاتاجاج في السابع وعشرين من تشرين الاول ونادى بالامان والطمان ؛ وكتب بلاد عكار على الامير عساف ؛ وجبيل والبترون على الشيخ علي والشيخ احمد ولدي قانصوه الذان كانا يتكلمان قدامه ؛ واولاد الحرفوش جمعوا عربان وسقمانية ليسترجعوا بلاد بعلبك ؛ فلما
٥ بلغ ذلك قول الشام لاقوهم بعسكر عظيم كبير فقتلوا مقتلة كبيرة من الحرافشة ٠

وفيها انتهى بنيان كنيسة السيدة في العربانية وكرسها يوسف ابن حليب[1] مطران صيدا في ستة من تموز ؛ وكان المهتم بنشوها الشيخ عون بن المكاري وابو عطالله ابن القبرصي والحاج مخائيل وابو نعمة ٠ وفيها قدم متسلم
١٠ برجال احمد باشا على ايالة طرابلوس ؛ فلما بلغ ذلك مصطفى باشا ارسل رده من الدرب الى حماة ؛ وبعث علي آغا كتخدايه مع ناس من دولته ليجتمع في قرية بقرزلا مع الامارة السيفلية والمشايخ الحمادية ؛ واذ لم يذعنوا لقوله السيفلية وقع الخلف بينهم وقتلوا الشيخ احمد حماده وعلي اغا وجميع
١٥ دولته في عيد رمضان ؛ عند ذلك انهزم في الليل مصطفى باشا ودخل المتسلم للمدينة مع الامير عساف والامير علي[1] ٠ وفيها كانت الوقعة في ارض قرية اهمج بين بيت حماده وبين الامير سماعيل ومحمد ابن يوسف آغا

في شهر حزيران بسبب حكم بلاد جبيل . فتولى حكم بلاد جبيل والبترون ابن يوسف اغا. وفيها كان غلاء الورق في بلاد طرابلوس حتى ان
٢٠ وصل قنطار ورق القز الى عشرة قروش .

---

١) ابن حليب الماقوري ف — ٢) جاء في المسوّدة ص ٢٨٤ على الهامش : « نحب قزحيا من الامير منصور عساف بن سيفا فنذب الرهبان والمطارين في القصد واخذ نحو حمسة الاف على يد القس حنا البري من غسطا حتى انه اهربهم واهجر دير مار انطانيوس لكن هذا النذ انتقم منه عاجلًا لان شاهين باشا الذي كان معه محافظة هذه البلدان بعث بطلبه ولما كان ماضي ينظر سينه مار انطانيوس بزي راهب يجر بفرسه ويماحل به وهو يصرخ ويصيح يا جماعة اطردوا هذا الراهب الذي اخذ وعي ولم يترك بي قوة ومضى به حتى الى بقيمة حمن عناز حيث كان الحافظ فللوقت امر بمسك المير وقتله وقتل الذين كانوا برفقته»

« كان بدو بنيان مار شليطا بجانب كسروان بارض غسطا وكان المتني في عمارته الخوري حنا بن المحاسب النسطاوي رجل راهب زاهد عابد واما النفقة من اهل غوسطا وعشقوت ودرعون وعجلتون [ووجدوا شاهد هذا النذ في الردوم] : (مشطوب في المسوّدة) وانضافوا ناس كثيرين طالبين الحياة الوحدانية وترهبت ايضًا في ذلك الدير ابنة الحجة رفقة مع جملة نسوان وفي سببهم تحصر البطرك في دير قنوبين قروش ٢٥ لعبد الباقي واربعة لابو علي قاسم ولما طلع المطران بولص عشر قروش تسفير للسليمانية ثم جاوا من قزحيا اربع سليمانية ان المطران وان له عند البطرك خمسين قرش فما راحوا حتى اخذوها واخذوا ست قروش وثلاث تسفير الا ان المطران بولص بعد موتة المير عساف ارسل للبطرك نحو ستين قرش »

١٦٣٧م : ١٠٤٧ هـ بدوءها ٢٦ ايار ث

الخلاف بين الدير والحبس ؛ عساف يعذب الاسقف بولص ؛ شاهين باشا يقضي على السيفية

في سنة الف وستماية وسبع وثلثين مسيحية كان قاطن بدير ماري انطانيوس قزحيا الاسقف بولص واخوه القس سمعان السمارنه ؛ وفي محبسة ماري ميخائيل القس حنا ابن اسحاق ابن البرّي من قرية غوسطا ؛
٥ فنتن الشيطان بينهم بسبب الماء والحربان ؛ وكان الامير عساف بن يوسف باشا انتقل في شهر رمضان الموافق لكانون الثاني الى جبيل ؛ فتقدم ابن البرّي

عرض حال شكاية في (٢٦٣ رهبان قزحيا الى الامير عساف : فارسل لهم بلوكباشي مع ابو موسى سعيد بن دغيم رجل ملكي من مزرعة عكار بطلب دراهم : فاذ لم يرضوه فبعث اخذهم الى تفس جبيل وصار يعاقب فيهم : فبزر رأس الاسقف بولص بحبل حتى ان طارت عينه الواحدة ثم وضع له
٥ القصب بين ظوافير[1] يديه حتى تكرتعت اصابيعه ثم ربطوا معاريه بالاوتار وكان السكمانية تضرب على الاوتار حتى ابتجروا منه نحو اربعة الاف قرش : ولكن الذين فعلوا ذلك اجزاهم الغضب من رب الانام سريعاً : لكون ابن دغيم الذي كان العواني انقطعت خلايفه وما زال بمدة سنة يبرز من فمه
١٠ حتى مات . واما الامير عساف اتفق مع جماعة الامير ملحم ابن معن ورجال الامير عساف آل مدلج الحياري وقصد الركبة على ابن اخته الامير علي وكان اعتصم معه ابن علم الدين وسكمانية برجال احمد : فطردهم الامير عساف الى جبل الكلبية الى كنر طاب بارض حماه الى الحصين في اطاريف بلاد صافيتا الى مصيات الى خربية الحنطوا : وعند هذه الاحوال وصل
١٥ الخبر ان برجال احمد انعزل عن ايالة طرابلوس وتولاها شاهين باشا : عند ذلك فلّت العساكر : فتوجه الامير ملحم الى بلاد الشوف والامير عساف الى البقيعة : وعندما وافا شاهين باشا الى البقيعة تقدمت اليه شكاوات كثيرة في بيت سيفا انهم خربوا بلاد السلطان : فالامير عساف ليستعطف خاطره خدمه بخيل وزخيرة فخلع على كاخيته وامنه : وحين ركب فرسه وقصد
٢٠ انه يحضر عليه كان يشاهد بعينيه ان ماري انطونيوس كان ماسك بلجام فرسه ويقيدها الى حيث يشاء : فاشار على الامير ناس كثير لا يذعن لكلام شاهين باشا ولا يواجهه : وهو يقول اطردوا عني هذا الراهب الذي خطف عقلي ولم يدعني ارجع : ولم يطلقه حتى دخل الاوطاق : فامر برفعه الى
٢٥ قلعة الحصن وفي اليوم الثاني نهار الاربعة علقوه على البوابة بثيابه : ثم نادى شاهين باشا على رفاقه فقتلوا منهم مقتلة كبيرة واستباحوا خيلهم واسبابهم : ولم يفرّ منهم الا بعض خياله : ثم اوقف في استخدامه الامير سماعيل بن موسى (٢٦٤ الكردي براس نحاش والشيخ علي حماده وامرهم بالركبة على بيت سيفا وتوابعهم : فقبضوا على قاسم باشا المجذوب وعلى اولاد ونسوانه : وصار التفتيش في القرى والديورة على ارزاقهم : وهرب الامير علي الى

٥ عند علم الدين وتشتتوا السيفلية وبادوا من ايالة طرابلوس . وفيها اخذ حكم بلاد الشوف الامير علي ابن علم الدين اليمني من قبل نائب الشام وطفر المشايخ الخوازنة والحبيشية الى بلاد جبيل . وفيها حدث وجع الطابق في البقر والجاموس والمعاز وكانت الغلة مخصبة : بيع شنبل القمح بثلثين وجاء الجراد الا ان كان ضرره قليل .

١) تكررت طواريف بديه ف

١٦٣٨م: ١٠٤٨هـ بدوءها ١٥ ايار س

السلطان مراد في حلب؛ علم الدين يقاتل ملحم معن؛ الموارنة والارمن في حلب؛ وفاة عبدالله الحدثاني؛ الفتن في بلاد طرابلوس؛ وفاة سركيس الرزي

١٠ في سنة الف وستماية وثمان وثلثين مسيحية قدم السلطان مراد خان الى مدينة حلب بعساكر متوافرة ما انتطع لها وتر بمدة اثنعشر يوم قاصد بغداد : فملكها وامر بالزينة : فابن علم الدين اخذه الوهم من قدوم السلطان فالتجا ١٥ الى عند متوالية بلاد بشارة : فكبسهم الامير ملحم في قرية انصار وقتل منهم نفراً كثير في شهر آب : ثم ان ابن علم الدين اجتمع في سكمانية الشام ارسلهم المتسلم وزحف بهم على الامير ملحم : فطفر من قدامهم وطفروا ايضاً من اوطانهم اهل الشوف والغرب والمتن والجرد وخلا بلاد الدروز : ٢٠ وعندما قدم السلطان حلب كانت كنيسة الموارنة في باياس خربت والتي بحلب احترق سقفها مع الدرابزين : فاخذوا خاطره وامر في عمارهما فموارنة حلب جددوا قلد كنيسة ماري الياس والارمن عمروا كنيسة باياس لتكون للطائفتين شركة .

وفيها في الثالث عشر من تشرين الثاني توفي بدير قنوبين المطران عبدالله الحدثاني وله ست وثلثين سنة في الرياسة وخدمة الكرسي : فكان ذا شور محترم : وانشا رزقاً كثير لقنوبين : وارتسم على كرسي اهدن القس الياس ٢٥ ابن نحيا من عيلة الصراصره : وفي شهر شعبان جاء من قبل الاشوام ابن يوسف اغا وعلي ابن زين الدين (٢٦٥ وحسن اغا باموره شريفة : ان

بلاد جبيل والبترون وجبة بشري تنقطع من طرابلس وتكون تبع الشام وحكامها. وفيها تباين الشيخ سرحان ولد قانصوه بن حماده واولاد ابو رعد كبسوا لعلي زين الدين ابن سيف الدين ابن المتراح في قرية مشان وقتلوه في اواخر شهر كانون.

٥ وفيها تعين احمد اغا الشمالي على حكم صيدا وبيروت فقتله ابن علم الدين في ارض حلده. وفيها في تشرين الثاني علقت النار في الزيتون بارض كفرعقا وكسبا وبصرما لارض اميون فاحرقت نوف عن خمسين الف شجرة. وفيها في شهر حزيران توفي برومية الحبيس سركيس ابن الرز مطران دمشق وله من العمر ست وستين سنة . وكان ترني في العلوم ١٠ برومية وفي الحياة النسكية بمحبسة قزحيا . واعتنى على طبع الشحيم واوقف متخلفاته لاجل منفعة الطائفة وكان غزير الرحمة وتحبه روساء الكنيسة الرومانية[1].

١) راجع غراف : تاريخ الاداب العربية المسيحية ص ٣٢٧-٣٢٨

١٦٣٩م : ١٠٤٩هـ بدوءها ٤ ايار ار

محمد الارناووط في طرابلس ؛ الزلزلة ؛ وفاة السلطان مراد وجلوس ابراهيم

في سنة الف وستماية وتسع وثلثين مسيحية انعزل محمد باشا ابن درويش عن ايالة طرابلس ودخلها محمد باشا الارناووط . وكان كاخيته مصطفى ١٥ بك بن الصهيوني ؛ والامير علي ابن علم الدين حضر على باشة الشام وكبس مشغره ونهبها ثم نزل الى بيروت وسكن بها.

وفيها في ثلثة وعشرين من تشرين الاول ليلة الخميس صارت زلزلة مريعة ثبتت ثلاثة ايام ؛ كسرت اشجار ومراكب كثيرة في البحر.

وفيها كانت وفاة السلطان مراد خان في تخت سطنبول ؛ وتخلف ٢٠ بعده ولده السلطان براهيم وهو الثاني عشر من ملوك بني عثمان في القسطنطينية.

وفيها نزل حضر على الارناووط اصحاب المقاطعات الامير سماعيل الكردي ومتقدمين بيت الشاعر ما خلا السيفلية وابو كرم الحدثي شيخ الجبة[1].

١) جاء في المسوّدة ص ٣٨٥ : « في هذه السنة ارتسم على رعية اهدن القس الياس بن حنا من عيلة الصاصرة مطراناً وكان المذكور تربى وتعلم في دير مار انطانيوس قزحيا وهناك لبس الاسكيم ثم انه دخل الى القدس وجاور فيها نحو عشرين سنة واشترى مع القس انطانيوس دار الرزي الذي بيد الطائفة ودخل الى رومية برفقة المطران جرجس

وفيها في ١٣ من تشرين ٢ كانت وفاة المطران عبدالله الحدثاني »

١٦٤٠ م : ١٠٥٠ هـ بدوءها ٢٣ نيسان أث

ابو كرم الحدثي ؛ تحصيل المال الاميري بالسيف ؛ وفاة حنا المحاسب

في سنة الف وستماية واربعين مسيحية كانت الركبة في ستة عشر من نيسان على ابو كرم الحدثي شيخ الجبة بسبب انه ما نزل حضر على الباشا . (٢٦٦ فانمسك ابن عمه سعد وصار بلاء وضيق عظيم على الديورة والقرى بن الدولة الذين طلعوا في التفتيش عليه وعلى اولاده وتباعه ورزقه . ثم ان ابوكرم نزل من ذات خاطره الى المدينة وحضر على الارناووط على يد القاضي فأمر برفعه الى القلعة ؛ ثم بعد مدة نزله وطوفه على الجمل في المدينة وحطوا له في قفاه شاميات مشعولة بنار وعرضوا عليه الاسلام ليخلص فتمنع ومات على الكلاّب[1] .

وفيها ركبت ايضاً الدولة على الامير سليمان ابن سيفا في عكار فظفر بهم ونهب عكار ؛ وطفرت الرعايا الى تنس المدينة . وكان صحبة الامير سليمان حيدان ابن الشعار من قرية فاريا المنسوب بالقرب الى الشيخ علي ابن حماده ؛ فنزل هذا الى المدينة بطلب الخرج من يمن الدين كاتب ديوان الباشا ووكيل الخراج ؛ فما اراد يعطيه ؛ فقتل يمن الدين وولده مصطفى في تسعة وعشرين من تموز ؛ لاجل ذلك جمع زلفي آغا كاخية الارناووط الرجال وركب على حيدان ؛ فنهبوا قرية حردين وكفور العربه .

وفيها كانت وفاة الشيخ علي ابن قانصوه ابن حماده ودفن في طورزيا ؛ وتمشيخ على بيت حماده الشيخ ابو محمد سرحان . وفيها توفي القس حنا ابن القس يوسف المحاسب الذي بنا دير ماري شليطا بارض كسروان ؛ وترأس بعده ابن اخيه القس سركيس[2] .

١) جاء في المسوّدة ص ٢٨٥ على الهامش : « سنة ١٦٦٠ في ١٦ من نيسان بعث الارناووط باشة طرابلس صارجية ومشايخ بيت حماده ومقدمين بيت الشاعر والمير سماعيل الكردي حتى يمسكوا الشيخ ابو كرم ولانه ما قدروا يوجدوه صار بلا وظلم على كل البلاد وعلى ارزاقه وارزاقه وخاصةً على دير قنوبين حتى نزل البطرك خدم للباشا وطلع منه مرسومين وطلبوا خواجكية الافرنج مرسوم اخر ان لا احد يتطاول على الدير فلما نظر ابو كرم ان الفساد والشر كل يوم يزداد نزل بنفسه الى طرابلس ولان نزوله كان على يد القاضي امر الباشا يرفعه ودفع ابن محمد الى القلعة ثم امر انه يصلب على جمل ويتجرص من القلعة الى الميّنة وسائر المدينة ثم وضع على الكلاب ثم الباشا اندعا على دير قنوبين ان ابو كرم وانع فيه ثلاث اكياس فمسكوا البطرك والرهبان فتكلف الدير نحو الفين ومائة قرش غير الخدم وكفالات الترييج »

٢) في المسوّدة ص ٢٨٥ : « استرحم حياة الرهبنة وبنيان الديورة في بلاد كسروان وتخلف بعده ابن (عمه : مشطوب في م) اخوه الخوري سركيس رجلاً عابداً ديناً سيحاً جواداً ماهراً في نسخ الكتب الكنائسية دعي الى درجة المطرنية فامتنع عنها لموضع كثرة اتضاعه اقتنى املاكاً كثيرة للدير وعندما وقت الكنيسة قام ببنيانها (وكان رفيقه معه نعم الرفيق القس جرجس ابن اقرم من قرية بان : مشطوب في م) وفيها تبيضت كنيسة دير رأس النهر باهدن»

١٦٤١ م : ١٠٥١ هـ بدوءها ١٢ نيسان ج

خروج حماده من بلاد جبيل ؛ القتال على قريطش ؛ المقدمون في جبة بشري ؛ كنيسة قبرس

في سنة الف وستماية واحدى واربعين مسيحية صارت المناداة على بيت حماده فطفروهم من وادي علمات ومن بلاد جبيل ؛ وقتلوا محمد ياغي بن ٢٠ قمر الدين وصعب ابن حيدر وبعض جماعة ؛ وتولى على بلادهم ابن علم الدين . وفيها دخلت الكوانين بلا مطر وحكم الجدري في الاطفال .

وفيها جردت العساكر العثمانية في البحر الى مقاتلة اهل البندقية في قريطش ؛ بسبب انهم قبضوا على اخو السلطان وعلى عمته وهما سائرين ٢٥ في البحر الى مكه ؛ وقيل ان المذكور اعتمد ولبس اسكيم مار عبد الاحد وسمي باسمه وسيم كاهن وقضى اجله في سنة الف وستماية واحدى وستين .

وفيها كانت وفاة الشيخ (٢٦٧ ابو جبرائيل يوسف ابن الشماس جرجس

اهدناني وله عشر سنين في مشيخة جبة بشرى ؛ وتخلف بعد اخوه الشدياق ابو ديب حنا ؛ فقتله بقرية زغرتا محمد العراك عواهرة مشايخ بيت حماده وفي مطابقة مصطفى بك ابن الصهيوني ؛ وتولى حكم الجبة المقدم زين الدين ٥ ابن الصواف وكان معه ابو عون ابن الغمة من بكفيا . وفيها الخوري بطرس خادم الكفريات في قبرس استفك كنيسة السيدة وكان لها بيد الروم ست وعشرون سنة ؛ وسبب ذلك كان ان الروم خدعوا القس جرجس خادم الكنيسة واناس من قرائبه حتى انهم تبعوا الروم وتبعوهم ايضاً الكنيسة ؛ ١٠ فالخوري بطرس افتأ على يد العلماء ان الكنيسة ما كانت للقس جرجس بدل لطائفة الموارنة ؛ وتكلف عليها جملة دراهم حتى انه ابرز خط شريف من الباب العالي واعادها للطائفة وكان الخوري ذا سطوة وغيرة شديدة .

١٦٤٢ م ، ١٠٥٢ هـ بدوءها ١ نيسان ث

الارناووط في صيدا وبيروت

في سنة الف وستماية واثنتين واربعين مسيحية جاءت الى الارناووط اموره شريفة من الباب العالي ان صيدا وبيروت تكون بتسليمه ؛ فارسل ١٥ كاخيته زلفي اغا يتسلمها ؛ وكان الامير ملحم في بلاد الشوف والامير علي ابن علم الدين بقرية بشتودار من بلاد البترون ؛ فكبس ابن علم الدين الشيخ سرحان في قرية غبالة من فتوح جبيل ؛ فنهب القرية وقبض على خمسة انفس من اولاد سرحان وقرائبه فقتلهم وطردهم من ايالة ٢٠ طرابلوس ؛ وصار ضيم عظيم على توابع الشيخ السرحان وعلى الرعايا من الرجال ومن التفتيش ؛ وكان راكب مع ابن علم الدين الامير سماعيل الكردي والمقدم علي ابن الشاعر وناس من بيت حماده .

وفيها الارناووط عمّر القصر على نهر رشعين ورمى شاشات وبوابيج على الرعايا ؛ وكانوا يتكلفوا على حق الشاش اربعين قرش وعشرين على البابوج ؛ ٢٥ وكانت سنة مريعة على الناس من زود المال ومن السخرة في العمارة ومن البلص في الرمايا ومن محل التزحتى كثير من المعالفين تركوا الحصاص وانهزموا[1] .

١) جاء في المودّة ص ٢٨٦ : «فيها كانت وفاة الشيخ ابو جبرائيل الحدناني وله ١١ سنة في مشيخة جبة بشري وتخلف بعد منه اخوه الشد حنا ابو ديب فبادروا على قتل مشايخ بيت حماده على يد الدراك ثم تولى حكم الناحيـة المقدم زين‌الدين ابن الصواف من تحت يد الارناؤوط وكان معـه ابو عون ابن النـة من بكفيا لمكاتيب مصطفى بك وحكم المقدم زين‌الدين الى سنة ١٦٦٣ »

١٦٤٣ م : ١٠٥٣ ه بدوءها ٢٢ اذار اح

كنيسة درعون ؛ دير الراهبات

(٢٦٨ في سنة الف وستماية وثلث واربعين مسيحية اشترى الاسقف يوسف العاقوري من الشيخ ابو حبيش ارض ماري يوحنا حراش بارض درعون في ناحية كسروان . وانشى كنيسة حياة باسم السيدة ودير لسكنة البنات المتنسكات ؛ فبلغ عددهن الى نحو ثلثين راهبه ورأس عليهن الحاجه رفقه بنت القس حنا بن محاسب[1] ٥

١) جاء في المودّة ص ٢٨٦ : « المطران يوسف العاقوري ابتنا بقرب مار شليطا كنيسة مار بطرس مع حوش منبر لسكنته وسكنة الروسا اذا توجهوا الى جانب كسروان ثم ناظرًا ان كان غير واجب ان تكون سكنة الراهبات مع الرهبان جعل عنايته ببنيان دير مار يوحنا حراش الذي بارض درعون فاشترى الارض من الشيخ ابو حبيش ونفق اموال كثيرة ببنيان كنيسة السيدة التي جعل بنيانها وسيعًا عاليًا شرقًا وابتدا ببنيان القلالي للراهبات واقتنى له املاك كثيرة عند ذلك تنـقل بامر السيد البطريرك الراهبات من دير شليطا الى الدير الجديد وجعل عليهم ريسه الحجة رفقة بنت الخوري حنا من بيت المحاسب ووضع لهن قوانين ووصل عددهن لقرب ثلاثين

وثبت مشيخ على جبة بشري الشيخ ابو جبرائيل مدة سنتين واما الارناووط خوّل الشيخ ابو رزق من بشعله على فداديه وارزاقه » .

١٦٤٤ م : ١٠٥٤ ه بدوءها ١٠ اذار اث

حسن باشا في طرابلوس ؛ وفاة فرنسيس الافرنسي الحيس ؛ وفاة جرجس عميره ؛ جلوس يوسف حليب

في سنة الف وستماية واربع واربعين مسيحية انعزل عن ايالة طرابلوس

محمد باشا الارناووط . وتولاها حسن باشا وكان كاخيته الشيخ ابو رزق البشعلاني ؛ ودخلت المشتكية الى الباب الاعلى[1] وجابوا محرر كاتب ولاية
١٠ في عدد الاشجار وكتب الرجال والبيوت والحانات . وبعدما سافر المحرر الباشا بطّل جميع ذلك واعادهم الى ما كانوا سابقاً بل ضام الرعايا حتى تشتتوا عن مواطنهم . وكان الرجل من ضيقته يبيع ثلاث شنابل قمح واربع شنابل شعير بقرش ويتسلم على قلة الزيت قرش وربع . وفيها في خمسة عشر من ايار ليلة العنصرة كانت وفاة الحبيس فرنسيس الفرنساوي الاصل من
١٥ بيت جلياق من مدينة اكويا؛ فهذا لاجل حبه لخلاص نفسه زهد في العالم وترك استاذية قسطويل وفي سنة الف وستماية واثنتين وثلثين قدم الى جبل لبنان . فاستحبس اولا في سيدة حوقا ثم انتقل لاهدن وحبس ذاته بدير ماري يعقوب الحباش ثم سار الى دير مار سركيس راس النهر في رياسة ابن عميره
٢٠ والاسقف الياس . وعندما هذا طلع من الدير وسكن في اهدن انتقل الحبيس الى دير ماري اليشع بشري ؛ وكان انتقل اليه قبل بسنة البادري شيلستين الكرملي فثبت عنده مدة يسيرة من الزمان ؛ وانتقل الى الراحة التي لا زوال لها ؛ لكونه صار عبرة صالحة لاهل البلاد وبلغ اجل المراتب في الورع
٢٥ والصوم والسهر وتلاوة الكتب وفي اضاعة بدنه وتجاريده عن العالم وضبطه في المحبسة وفي هدس الالهيات حتى ان صارت منه معجزات وسبق اخبر عن المزمعات .

(٢٦٩ وفيها في التاسع وعشرين من تموز كانت وفاة البطرك جرجس ابن عميره الاهدناني العالم البارع المدقق المحقق ؛ الذي تأدّب أولا على[2] يد خاله
٥ القس يعقوب الدويهي في اللغة السريانية ثم في المدرسة الرومانية ؛ فاكتسب معرفة اللغات وجاد في العلوم الطبيعية والالهية ؛ صنّف الغراماطيق الكلداني وهو النحوي السرياني في اللغة الرومية وبرهن عن اقدمية هذه اللغة على سائر لغات العالم . تزخرفت صورته في مدينة رومية الكبرى وصار له فيها
١٠ مديح من القدماء ؛ وعندما رجع لبين اهله ارتفع الى درجة رئاسة الكهنوت على كرسي اهدن ؛ خدم بها ثلث وثلثين سنة ثم ارتفع بعد وفاة البطرك يوحنا ابن مخلوف الى تدبير الكرسي الانطاكي ؛ كما سبق واعلن له الحبيس
١٥ فرنسيس الذي تقدم ذكره وشاع خبره وثناء اوصافه شرقاً وغرباً . فأكمل

عمره في شيخوخة صالحة ونه في رئاسة انطاكية عشر سنين وسبعة اشهر[٢].
وفي الخامس عشر من شهر آب تخلف عليه في الكرسي يوسف ابن حليب
٣٠ اسقف صيدا وهو الحادي عشر من البطاركة بدير قنوبين .

وفيها قدم الى رياسة الكهنوت يوسف ابي عميمه الكرسداني على مدينة دمشق ومخائيل ابن سعادى الحصروني على مدينة طرابلس وكانا الاثنان قائمان في معضدة الكرسي وكانت قسمتهما بدير ماري يوحنا حراش.

١) الى الباب البابا ف ن — ٢) على خالنه ف — ٣) جاء في المسودة ص٣٨٨ : « ودفنوه في مغارة ماريا [وامر عجيب ان لما دفنوه وجدوا جسد يوحنا ابن مخلوف جالس على الكرسي محفوظ ما كانه الا حي] (وفي اليوم الثاني من وفاته جلسوه على الكرسي بالعاده وبدوا في الجناز وامر عجيب نظره كل الشعب ان من جبهته تحت التاج كانت تخرج ارواز عرق فتقدموا اليه الجميع وكانوا يتباركوا منه .) ما بين المعكوفين مشطوب في المسودة وما بين الهلالين محرر على الهامش

١٦٤٥م، ١٠٥٥هـ بدوءها ٢٧ شباط اث

مشايخ جبيل ؛ الوفد البطريركي ؛ طبع الشحيم

في سنة الف وستماية وخمس واربعين مسيحية اولاد الحمامي مشايخ ٣٥ جبيل انتخبوا انكشارية من قبل السلطان ابراهيم فدقت لهم نوبة سلطانية وبادروا في ترمرم صور المدينة وقلعتها. وفيها البطرك الجديد ارسل قصاده لرومية القس عبد المسيح ابن الطويل الحدثي والشدياق بطرس ابن مخلوف الغوستاني ليرميا الطاعة للبابا زخيا العاشر ويهنياه بالدرجة السامية ويطلبان منه التثبيت وان يكرم على الطائفة بطبع الشحيمه بخط رفيع (٢٧٠ والغراماطيق السرياني الذي تولف من البطرك وفي شهر ايلول من السنة الثانية اعطاهم على ما بخاطرهم وارسل للبطرك التثبيت وعدة كاملة مع درع الرياسة.[١]

١) راجع غراف : تاريخ الاداب العربية المسيحية ٣ ص ٣٢٤

١٦٤٦م، ١٠٥٦هـ بدوءها ١٧ شباط س

الارناووط يعود الى طرابلس ؛ المظالم

في سنة الف وستماية وست واربعين مسيحية انعزل حسن باشا عن ايالة
٥ طرابلوس ؛ وعاد اليها محمد باشا الارناووط[1] وقام بكوخنته ابن الصهيوني
والحاج قمر الدين ؛ وكانت السنة مرخصة ولكن دخل فيها نيسان بارد
وكثير المطر فانصربت شجرية الجوز والكرم والتوت وطلعت مواسمهم ممحلة
حتى ان نصف رطل البزر عمل في بعض اماكن رطلين شرانق . وحكم الطابق
١٠ في البوش والسائقة . وقبل هذا الآن كان غلال الزيتون في التقسيم النصف
للفلاح وربع للسلطنة وربع مظلمه مداروه خراج . وكان ضمان مال طرابلوس
وايالتها بثلاث كرات تورد للسلطنة فقطعوا على كل فدان وعلى راس الانسان
اربع وعشرين قرش على ماية الزيتون خمسة قروش وعلى ماية التوت اربعة
١٥ ونصف فانضامت الرعايا وتشتتوا عن مواطنهم وخلت بعض ضياع بتمامها .

١) الغرر الحسان ص ٧٣٦ سنة ١٦٤٦ م

١٦٤٧م، ١٠٥٧هـ بدوءها ٦ شباط ار

محمد باشا ؛ الصوفي ؛ خلع السلطان ابراهيم ؛ وفاة ابي نادر الخازن

في سنة الف وستماية وسبع واربعين مسيحية انعزل الارناووط ؛ وتولى
ايالة طرابلوس محمد باشا الصوفي ؛ وقبل ان يكمل سنته استردها الارناووط
وفرّق قدوميه وعيديه على سائر النواحي ؛ وكان شنبل الحنطة بقرش ونصف
٢٠ فصارت الناس في وجل عظيم . وفيها خلع السلطان ابرهيم[1] لكثرة امتحانه
بالنساء واقام القول عوضه ولده السلطان محمد وهو الثالث عشر من ملوك
بني عثمان بالقسطنطينية . وفيها في اول تموز كانت وفاة الشيخ ابو
نادر ابن ابو سقر ابن الخازن كاخية الامير فخر الدين بن معن ؛ فحكم بلاد
كسروان وجبيل والبترون وبشري والمرقب وكان ذو غيرة في امور الدين ؛

٢٥ وتخلف بعده ولده الشيخ ابو نوفل نادر فازتاد غيرة ومكارم (٢٧١ على والده وابتنا كنيسة وعاين لها كاهن يقدس له بها ابداً».

١) الفرر الحسان ص ٢٢٧ وهامر : ١٠ ص ٦٩ وما بعدها

١٦٤٨ م : ١٠٥٨ هـ بدوءها ٢٧ ك ٢ اث

وفاة البطريرك يوسف ؛ جلوس يوحنا

سنة الف وستماية وثمان واربعين مسيحية في الرابع وعشرين من شهر آب كانت رسامة القس جرجس ولد حبقوق البشعلاني اسقفاً على قرية العاقورة . وأخذ السكنة بدير قنوبين[1].

٥ وفيها في الثالث من تشرين الثاني كانت وفاة البطرك يوسف ابن المطران يوسف ابن حليب العاقوري . فدفن بقريته في كنيسة ماري بطرس المنقورة في الشقيف . وكان رجلاً شجاعاً متورعاً محباً لمنادمة العلماء غيوراً في امور الدين وبنيان الكنائس ؛ دام في الرياسة على صيدا وبلاد الشوف ثمان ١٠ عشرة سنة وعلى الكرسي الرسولي ثلث سنين وثلثة اشهر واحتمل مشقة كبيرة من صهره قرقماس ؛ بسبب انه جحد ديانته واخرب اولاد الطائفة في مدينة دمشق في الخصاير والتشتيت . وفي التاسع من دفنته وهو الثالث عشر من تشرين الثاني اجتمع الروساء واعيان الشعب بدير قنوبين واختاروا الاسقف يوحنا من بيت ١٥ البواب من قرية الصفره في الفتوح واقاموه موضعه وهو الثاني عشر من البطاركة بدير قنوبين

١) جاء في المسوّدة ص ٢٩٠ : « وعندما توفي البطرك يوحنا ابن الصفرا الزموه بالرسالة والجلوس على الكرسي الانطاكي فتمنع بكل قوته وهرب ولم يرجع حتى انسام غيره ... »

١٦٤٩ م : ١٠٥٩ هـ بدوءها ١٥ ك ٢ ج

عمر بك في طرابلوس ؛ الجراد

في سنة الف وستماية وتسع واربعين مسيحية عزل الارناووط ؛ وأخذ

ايالة طرابلوس صهره عمر بك فوقف اولا الشيخ حسن ديب ابن علي حماده ثم عزله واسترد ابن الصهيوني وابو رزق البشعلاني فشيخ اخوه ابو صعب
٢٠ على جبة بشري ٠ وفيها جاء الجراد من ناحيه قبله فأكل التوت بعد الحرير والكرم والزرع الاخضر وكان الغلا في الزيت وبيعت القلة بخمسة قروش ٠

١٦٥٠م: ١٠٦٠هـ بدوءها ٤ك٢ ث
و١٠٦١هـ بدوءها ٢٥ك١ اح

الامير ملحم في البترون ؛ هزيمة الشوام في وادي القرن

في سنة الف وستماية وخمسين مسيحية عمر باشا ضمن بلاد البترون للامير ملحم واستوفى ماله الشيخ ابو نوفل ابن الخازن . وفيها انكتبت امرية
٢٥ الحاج علي ابن الصهيوني فتوجه الى نابلوس وتسمى (٢٧٢ مصطفى باشا.
وفيها توفي الاسقف يوسف ابن مطان البلوزاني ودفن بدير ماري شليطا مقبس. وفيها في تشرين الثاني كانت الوقعة في وادي القرن وذلك ان ابن علم الدين حرك بالركبة بشير باشا المتولي ايالة الشام على ابن معن ؛
٥ فتلاقت عساكر الاشوام والمعنية عند وادي القرن وكانت الكسرة على الاشوام.

١٦٥١م: ١٠٦٢هـ بدوءها ١٤ك١ خ

حسن باشا طرابلس ؛ المنافسة بين الحكام ؛ النجم الغريب ؛ العواصف

سنة الف وستماية واحدى وخمسين مسيحية انعزل عمر باشا عن ايالة طرابلوس وتولاها حسن باشا ؛ فأسلم امورها بيد الشيخ ابورزق البشعلاني ؛ واتفق المذكور مع الامير سماعيل الكردي والمقدم علي ابن الشاعر على بيت
١٠ حماده ؛ واعطى بلاد عكار لحسن آغا ابن ابو ديه ليستوفيه من تحت يد ابن معن ؛ ثم ان تقوى عليهم ابن الصهيوني واخذ الكوخنة فحكم جبة بشرى لابو شاهين علي بن العجال من بشناتا ؛ وصارت الركبة على ابو رزق وتباعه وطرد الشيخ سرحان لحسن آغا من عكار. وفيها في الثالث

من ايار توفي الشيخ يونس بن سليمان بن حبيش ٠ وفيها في كانون
١٥ الاول تباين نجم في المشرق بين الثريا والموازين وله دوره على شبه القمر
الا ان نوره كان مغشى مكسوف ؛ وحدث في الليل ريح عاصف وزلازل
كسرت اشجار واخربت عماير ثبت ثلاثين يوم واختفى ٠ وفيها اهتم
الاسقف الياس الحدناني وفتح سوق القلعة الشرقي بقرية زغرتا اضافه للكنيسة
٢٠ فبيضه وكرسه لكثرة الناس الذين يرندون اليها ٠

١٦٥٢ م : ١٠٦٣ هـ بدوءها ٢ ك ١ أث

عودة الارناوط الى طرابلس ؛ شيخ المشايخ ؛ اليسوعيون في عينطورة

في سنة الف وستماية واثنتين وخمسين مسيحية تولى ايالة طرابلوس الارناووط
وفوّض اموره بيد الشيخ ابو رزق ؛ وضمّن البلدان من تحت يده وتودى
له بشيخ المشايخ ودقّت له النوبة ؛ فحسده اكابر البلاد وقالوا انه غير واجب
٢٥ ان تنقاد الاسلام الى رجل نصراني ؛ وفيها حكم الطاعون فامات خلقاً
كثير ٠ وفيها الرهبان الايسوعية أخذوا السكنة في قرية عينطورا في
ساحل (٢٧٣ كسروان[1]

[1] جاء في المسوّدة ص ٣٤٣ و٣٤٤ : « في هذه السنة الاسقف جوان بابتستا فرنسيس اسقف الافرنج على الاسقفية الذي كان اولاً ريساً للرهبان القدس في مار يعقوب اهدن ناظرًا ان رعية قبرس لانها كانت بلا مطران كانت محتاجة جدًا لامور الكنيسة فارسل طلب من قدس البطريرك يبعث المطران الياس يتفقدها فاخذ برفقته القس اندراوس الحلبي فدار كل الرعية ثبتهم بسر الميرون وسام قس غاليل على راس النهر وقس جرجس بن ثم حنا تلميذ رومية خليفة خوري حنا بن الرطيبة على مار رومانوس وكان حاكم الجزيرة درويش باشا بغاية الحلم ثم ان رجع المطران الياس وثبت هناك القس اندراوس يعلم الاولاد (واما : مشطوب في م) في جزيرة قبرس بعد درويش باشا اخذ الحكم محمود باشا قرماني رجل اعور أكتع اعرج وظلم فارس رعايا على كل الضياع وغلا اسعار الغلل وكان معه مايتين عسكري فخاون الانكشارية الصباهية وخرب اوضة الانكشارية وخسرهم خسارة عظيمة واخذ منهم خراج مثل النصارى واخذ من النصارى مال ما له عدد ودخل على الباق ففتحها وقتل منهم ناس وخصى البعض والبعض حطهم في القرابات وعلى زمانه تولى الجراد على تلك الجزيرة وقلت الاسعار وصارت الناس بضيق عظيم »

١٦٥٣ م : ١٠٦٤ هـ بدوءها ٢٢ ت ٢ س

اكراه ابي رزق على اعتناقه الاسلام : سيامة مطرانين

في سنة الف وستماية وثلث وخمسين مسيحية في اول يوم من نيسان قبض محمد باشا الارناووط على الشيخ ابو رزق : وذلك ان قدم لداره بعض مشايخ
٥ من بيت حبيش ومعهم دكلة كبيرة قصدهم يتحوجوا ليزوجوا واحد من اولادهم . فأهل الاغراض اخبروا بمجيئهم الباشا وفهموه ان قدومهم كان حتى يهربوه وياخذوه باعياله الى[1] بلاد ابن معن . فلما بلغه ذلك امر بالقبض عليه وعلى اولاده وعلى الذين نزلوا بداره : فرفعوهم الى القلعة واوتقوهم في الخنازير . وكان عددهم تسعين نفس . ثم نكبوا داره واستباحوا رزقه .
١٠ وبعد ايام قايلة وردت البشائر في عزلة الارناووط وقدوم قرا حسن : فتوجه الى حماه لاجل تحصيل المال واخذ لابو رزق والمرابيط سجنهم في سرايته بحماه : وعندما دعاه الى حساب المال الذي بضمنته اثبت عليه اثني عشر الف باقية عنده : وعند قدوم قرا حسن الى حماه نزل في صراية محمد باشا فحاسب
١٥ بينه وبين ابو رزق فتحول عليه من كسر المال تسعة اكياس دفعها عنه ابن الصهيوني فاطلق الباشا سبيله وسبيل المرابيط : وعندما قصد قرا حسن ان يفوّض اموره الى الشيخ ابو رزق وصل قبجي من الباب العالي بطلب رأسه فاشار عليه حسن باشا وابن الصهيوني يستفك ذاته في الاسلام فذعن لقولهما رغماً عنه تشهد في اواسط حزيران امام القاضي : واعطوا القبجي
٢٠ الف قرش ورجع راضيا . ثم انه دخل طرابلوس صحبة حسن باشا وضمن منه جبلة ولاذقية وحين هم بالخروج الى لاذقية ليستوفي مالها اوصى اخاه ابو صعب ياخذ اولاده ويتوجه بهم الى تحت حكم ابن معن : فصعب رواحهم على حسن باشا : وابو رزق ليزيل عن باله الظن العاطل تزوج بمراة موسى
٢٥ باشاه وفيها كانت وفاة الاسقف يوسف ابن عميمة الكرمداني وفي نهار نياحة السيدة سيم عوضه يعقوب الرامي على كرسي دمشق (٢٧٤ وسيم ايضاً يوسف الحصاراتي ريس دير حوقا على جبيل وتنوب عن معلمه البطرك يوحنا بدير سيدة حوقاه[2]

١) الى ابن معن ف — ٢) جاء في المسوّدة ص ٢٩٢: «وفيها جاء طاعون عظيم في بلاد الشام اخذ نفرًا كثيرة فالتجاوا اهل الزاوية والجبة الى سيدة زغرتا واخذوا السكنه في تلك الضيعة تحت حماية العذرى فبقوة شفاعتها من التجا اليها لم يرا ضررًا بل كانوا يروها كالست متجلاية بثياب متنخرة تسير على سطح البرج ومن ناحية الشمال حيث هو النهر كانت ترحر العساكر الذين كانوا مقبلين في القضا فتضمحلهم كالدخان (كذا) سبحان ربًا جعلها بيت ملجا المؤمنين به»

١٦٥٤م: ١٠٦٥هـ بدؤها ١١ت٢ ار

الكبري في طرابلوس؛ استبداد الانكشارية؛ مقتل ابي رزق وبشير باشا؛ الطاعون؛ كنيسة بيت شباب

في سنة الف وستماية واربع وخمسين مسيحية دخل ايالة طرابلوس محمد باشا الكبري بدل حسن باشا ، فاعطى حكم الترون الى المقدم علي ابن الشاعر وجبة بشري الى الشيخ احمد ابن محمد عياده ؛ واقام الامير سماعيل الكردي والحاج سعد ابن علي حماده باستخدامه في المدينة ؛ ثم ان لكثرة ارفاقهم الذين كانوا يترددون في الاسواق نفرت قلوب الانكشارية منهم قطردهم ابن الباشا على اطاريف الزاوية ؛ فقتلوا ابو يزبك عبدالله ابن الشمر العاقوري بارض عردات وشلّحوا شاشات القواسه وسلاحاتهم. وفيها ارسل السلطان اختام الوزرنة الى بشير باشا نائب حلب ؛ فتوجه الى عنده ابن علم الدين وابن الصيبوني قاصدين الركوب على الامير ملحم الذي كسرهم عند وادي القرن ؛ واما الوزير قصد الدخول اولا الى استنبول ليمهد اموره . وفي وصوله الى ادنه اشتكوا على ابو رزق انه كان في الميل الى ابن معن وارسل اولاده لعنده وان اخوه ابو صعب كان مع المعنية في وادي القرن ؛ فأمر بقتله وفي اوائل شهر اذار قتل في مدينة قونية ؛ وقتل ايضاً بشير في دخوله الى اسطنبول واخذ الوزرنة موضعه مراد باشا. وفيها الامير ملحم ابن معن ارسل مع محمد اغا ابن القهوجي ثلثين الف لحضرة الوزير فاستعطف خاطره واعطاه سنجقية صفد. وفيها كان الطاعون الشديد امات خلقاً كثير . ومن جملتهم الشدياق موسى ابن القس ايوب البشراني مات بقنوبين : ظهرت له السيدة قبل وفاته ونظر رؤيا كثيرة كما شهدو

فيه كثيرين .   وفيها القس جرجس ابن القس رزق الله البجاني بمعضدة
٢٥ اهالي قرية بيت شباب نشا كنيسة مار جرجس بحردق ؛ سقط من سطحها
على الصخوره اثنين فلم ينالهم ضرر بشفاعة القديس ولا (٢٧٥ من الذين
كانوا تصوبوا من الطاعون والتجوا اليه[1] .

---

١) جاء في المسوّدة ص ٢٩٤ على الهامش : « وفي هذه سنة الواجش توفوا ثلاثة انفس في دير قنوبين وانطمن الشد موسى بن خوري ايوب البشراني شاباً تقي عابد الله والسيدة خادم المطران يعقوب الرامي وقيل وفاته بخمسة ايام شهد على نفسه انه شاهد رجلين كبيرين في الهيبة والعمر دخلوا الى عنده من كوة الاوضة التي كان ساكنا بها وقالوا كلاماً قبل جم ثم انها خرجا من عنده وظن اغا احنوخ واليا الباريي ثم ان بعد ذلك دخل الى عنده شيعة عبيد يصرخون ويقولون قوم يا برعوت النار نأخذك للنار فالتمات باسه وبي العذرا التي كان عابدها وحادمها في المجمع فتراءت له شجعته واخرجت عنه الحزن والوهم واخذت مسبحته وضعتها في عنقه وقالت له لا تخشى بعد خمسة ايام تنتقل الى راحة الصالحين واخبر بذلك رهبان الدير وكما قالت له كذلك صار ومن جملة الشهود الذين سمعوا ذلك منه البطرك اغناطيوس والخوري الياس بن عويضا من اغزير والمطران يوسف الحصاراني وعلمه المطران يعقوب الذي شهد ان في يوم وفاته تعرف ثلاثة مرار »

وفيها ص ٢٩٥ على الهامش : « السيد البطريرك ارسل الخوري يعقوب ابن عواد الى رومية قاصده الى عند حضرة الاب الاقدس وكان ترجمانه الشم جرجس ابن عريضا (؟) الحصروني واخذ معه اربعة اولاد للمدرسة »

وفي المتن : « كانت رسامة المطران جرجس من عرجز من بيت شوك وفيها كان انوبا الاخذ في جزيرة قبرس وفيها ايضاً كانت رسامة المطران ابراهيم السمراني في تعزحيا »

١٦٥٥م، ١٠٦٦هـ بلـو٤ها ١٣١ت١ أث

الكبري باشا طرابلوس ؛ سيامة مطرانين ؛ القس يوسف آصاف

في سنة الف وستماية وخمس وخمسين مسيحية استقرت ايالة طرابلوس
على الكبري[1] فركب على الامير سماعيل الكردي وعلى الحاج سعد عند حريشة
٥ اخرى في كورة طرابلوس بسبب كسر المال ؛ فانكسروا وانهزم الامير سماعيل
باعيانه من ايالة طرابلوس الى عند الامير احمد فاعطاه صور .   وفيها
كانت قسمة الاسقف جرجس من بيت شوك من قرية عرجز ليكون
معضداً للبطرك في امور الكرسي ؛ وكذلك الاسقف ابراهيم السمراني بدير

قزحيا . وفيها اعتنى القس يوسف بن القس اصاف[١] من قرية عراموت
١٠ وبنى كنيسة ماري عبدا هرهريا في طرف فتوح جبيل ثم كنيسة السيدة قبو :
ولبس اسكيم الرهبنة هو واخوته اندراوس وانطانيوس وحنا ثم اختهم
رفقا ثم تبعهم ايضاً والديهم : وعلى رضاهما وعلى شور مطران الرعية
تبارا الذمة وتركا العالم وأوقفا جميع مالهما واملاكهما للدير واحبا الفقر وان يكون[٢]
الجميع تحت طاعة القس يوسف الى نهاية حياتهم : وصاروا عبرة صالحة
١٥ لسائر الناس في الرهبنة وفي السيرة المحمودة والعبادة الجزيل قدرها الى نهاية
عمرهم .

١) راجع هامر ١٠ ص ٣٩٩ Kœprilu Mohammed — ٢) جاء في المودّة ص ٢٩٤ : « ثم ايضاً اخوهم الخوري اصاف الذي مدةً كان مكدوداً في نير الزواج فبرضاه ورضى قرينته وعلى شور المطران جرجس حبقوق الذي كان زاير تلك الرعية تركوا الدير وافترقوا عن بعضهما بعض ولبسوا اسكيم الرهبنة وصار هو واولاده تحت طاعة ابنه الكبير واوقفوا جميع مالهم واملاكهم لهذا الدير واتخذوا الحياة الروحانية وصاروا نسخة حسنة في بلاد الشرق على شبه ما نقرا من قديم عن القد برنردوس واخوته . »
٣) يكونوا ف ن

١٦٥٦م : ١٠٦٧هـ بدؤها ٢٠ ت١ ج

التشكيلات الجديدة ؛ القنصل بيكت ؛ اندراوس اخيجان ؛ وفاة البطريرك الصفراوي

في سنة الف وستماية وست وخمسين مسيحية انحط مراد باشا عن
الوزرنه وعطي الختام الى محمد باشا الذي كان متولي مدينة طرابلوس -
فولي عليها محمد آغا الطباخ وعلى صيدا وبيروت اسماعيل آغا وعلى صفد
٢٠ بشمق محمد آغا : وضمن المقدم فارس بن مراد ابن باللمع جبة بشري
من الطباخ . وفيها في خمسة وعشرين من شهر تموز قسم البطرك
الاسقف جرجس ابن الحاج رزق الله من قرية بسبعل ليكن معضداً له
بقنوبين .

وفيها كان حافظ قنصلية الطائفة الفرنساوية في مدينة حلب(٢٧٦ فرنسيس
٢٥ بيكات[١] : صار له ثناء عظيم في بلاد الشرق لكثرة كرمه وعبادته وغيرته

على امور النصرنية ؛ فطلب من البطرك يوحنا انه يقدم تدراوس الحيجاني على رئاسة الكهنة ؛ وكان المذكور يعقوبي الاصل فتبع الكنيسة الجامعة وتأدب في مدرسة الموارنة برومية ؛ فسامه اسقفاً في نهار عيد الرسولين بطرس
٥ وبولص وانفذه الى عند القنصل خلب بشرط انه لا يتعاطى امور الموارنة خلب ؛ فقبله القنصل بكل كرامة ؛ وعندما خرج في الدوره شمعون بطرك اليعاقبة لاجل خاطر القنصل الذي كان متفضل عليه وكلّه ووضعه رسمي ديونيسيوس . وفيها في ثلاثة وعشرين من كانون الاول كانت وفاة
١٠ السيد البطريرك يوحنا الصفراوي من بيت البواب بدير قنوبين . كان رجلاً طاهراً لا غش فيه ذا نفس مقتنعة راضية فلم يعرف التكدير ؛ تأدب منذ صباه بالتقوى وسيرة النسك وارتفع الى اجلّ المراتب[1] بالخصوع والاتضاع . ومن عير الصلوات الكهنوتية كان مدمن على صلاة الشيبه والمسبحة ملازم
١٥ الصوم ؛ خدم في رياسة الكهنوت اثنتي عشرة سنة وفي البطركية ثمان سنين وشهر وأحد عشر يوم في الهدو والنياحة ؛ بدولة الامير ملحم ولد الامير يونس الذي حكم احكام عادله ؛ ونقلوا عنه انه لما توجه الى بلد الشوف ودخل لعند حضرته ناس من الحاضرين سمعوا انه دقت له النوبة في الفضاء ؛ فأكرمه وجلّس ولديه حواليه ؛ وعندما كان في ساحل علما في منزول
٢٠ الشيخ ابو ياغي ابن حبيش ؛ عند المساء دخل الى عنده القس مرهج ابن نمرون فوجده ملقى على الارض ونور خارج من وجهه يضيء كل المنزول ؛ وشهد عنه القس الياس الراهب ابن عويضا وكان معلم اعترافه ؛ ان في الليلة التي تسبق عيد ميلاد الرب وكانت وفاته وان خرج منه نور جزيل ؛
٢٥ وبسبب ان الليلة كانت باردة وكان ابو راشد من غباله قايم خدمته ووضع منقل نار بالقرب من تخته؛توهم عليه بان طارت عليه شرارة من نار من المنقل (٢٧٧ واحرقت الفرشه ؛ فتقدم الى الابريق ليطفيها فطلعت بيده اذن الابريق وانكسر على الارض وهرب ؛ فتحقق ان ذلك النور ما كان مادي بل سماوي ؛ ثم ان عند نياحته اجتمعت الاخوة والكهنة وروساء الكهنة الى تقبيله ودفنته بكل اوقار في مقبرة مارينا.[2]

---

١) راجع غويو : فرنسيس بيكات ص ٦٥ وما بعدها — ٢) بالخضوع والطاعة والانضاع ف

٣) جاء في المسوّدة ص ٢٩٢–٢٩٧ : « وامرا معجب ان لما دخلوا بجسده وجدوا جسد البطريرك فرنسيس ابن عميره بعده باقي [كاملي] ولم ينقصه الا الروح كما شهدوا الذين حضروا ومن جملتهم الموري براهيم زياده بن جبير من بيت القس عبيد الحدثاني رجلاً تقيًا خائف الله وكذلك شهد اخونا المطران يوسف المصاراني المكرم خادم دير حوقا وضبطه عنه كذلك عن البطرك جرجس ان شهد جسده باقي كاملاً وكذلك شهد القس موسى اخو المطران المذكور »

« وفي يوم تاسعه اجتمعت كل الرعايا الى قداس التاسع وبعد القداس والمساي اتفق الراي بان المطران جرجس حبقوق يتولى بعد منه على كرسي انطاكية وارضت بذلك جميع الاساقفة والمشايخ والشعب فهرب المذكور الى قلاية راهب فاختفى بها فضى الشعب وخلعوا الباب وحملوه عنوةً على اياديهم من اسفل الدير الى دهاليز الكنيسة اذ يضرب يديه ويمانع بكل قوته ولما دنا من باب الكنيسة قال لهم هكذا يكون دعوني استريح قليلًا فدخل الاوضة التي قبال مار بطرس حتى يستريح فلما نظر ان قلت عنه الناس حرج ملطف برا الدير ورفقة اخوه اختفى في الوادي حتى ان ما عاد احد يستدل عليه . حينئذٍ لما ايسوا منه انتخبوا بدله » — ما بين المكروتين مشطوب في المسوّدة

١٦٥٧ م : ١٠٦٨ هـ بدو ٤ ها ٩ ت ١ ث

جلوس البطريرك جرجس الحاج ؛ تثبيته ؛ الحيات في بكتا ؛ مقتل السلطان ابراهيم وجلوس سليمان

في سنة الف وستماية وسبع وخمسين مسيحية في اول يوم من كانون الثاني ارتقى الى رياسة الكرسي الانطاكي البطرك جرجس ابن الحاج رزق الله من قرية بسبعل من زاوية طرابلوس : عندما اجتمع الروساء واعيان الشعب لتاسع البطرك يوحنا ؛ وصار الثالث عشر من البطاركة في قنوبين : وارسل مكاتيب الطاعة وفي طلب التثبيت الى البابا اسكندر السابع ١٠ صحبة البادري يوحنا الكرمليتي الملقب بالتديسة تراسيا : الذي كان قاطن بدير ماري اليشع بشري ؛ وحدث ان في وصوله الى لروميه مات ؛ فلزم الامر ان البطرك جدد المكاتبة وتأخر تثبيته الى سنة الف وستماية وتسع وخمسين .

وفيها في بدي تموز تباينت حيات كثيرة في باب جعيلة بارض بكتنا ١٥ وعند طلوع الشمس كانوا يرفعوا روسهم من شقوق الارض فقتل منهم

اكثر من ثلاثة الاف حية في موضع صغير شبه البيدر وفيها قتل السلطان ابراهيم ابن مراد خان وتولى السلطنة ابنه السلطان سليمان وهو الثالث عشر في القسطنطينية .

١٦٥٨م : ١٠٦٩هـ بدؤها ٢٩ ايلول اح

الطباخ في طرابلوس ؛ تشكيلات جديدة ؛ وفاة ملحم المعني ؛ مطران الشام

في سنة الف وستماية وثمان وخمسين مسيحية الطباخ جاه استقرار على ايالة طرابلوس . وأعطى عكار والجبة للمقدم فارس بن مراد والبترون للمقدم علي ابن الشاعر على يد ابن معن . واستولى ملحم الشيخ ابو نوفل واما الخاج حسن ابن الشاطر قبض عليه ونهب بيته وأخذ منه نحو عشرين الف غرش

وفيها الامير ملحم توجه الى صفد لجمع مالها فرص بعكه وتقاود لتبدا بتخت اروان وعند انخساف القمر في السادس عشر من (٢٧٨ ايلول قضى أجله . وحزن عليه كل الشعب لاجل عدله وحلمه . وكان امير جليل القدر مرضي الدولة واقاموا له اولاده عزا نحو ثلثة شهور . وفيها رجع لبلاده القس سركيس بن الحصري الحدناني من فرنسا[1] ؛ وكان له في الكهنوت ثلث وعشرون سنة ؛ فتقدم على يد الشيخ ابو نوفل الى رياسة كهنوت الشام .[2]

١) جاء في المسودة ص ٢٩٧ : « رجع من بلاد فرنسا حيث كان صار ترجمان حضرة السلطان المعظم » — ٢) جاء في المسودة ص ٢٩٧ على الهامش : «وفيها كانت عودة الخوري يعقوب ابن عواد الحصروني ورفيقه الشم جرجس ابن عريان من رومية وجابوا معهم من المجمع المقدس بدلات ٣٥ وكاسات وصواني ٢٧ قوالب للبرشان عشرة وحقوق الميرون من قصدير خمسة عشر غير الكتب»

١٦٥٩م : ١٠٧٠هـ بدؤها ١٨ ايلول خ

قبلان باشا طرابلوس ؛ تشكيلات جديدة ؛ تحصيل المال ؛ وفاة اسقف اهدن وشمعون اليعقوبي

في سنة الف وستماية وتسع وخمسين مسيحية أخذ ايالة طرابلوس قبلان

باشا ؛ ومعه اموره شريفة في بيت حماده بسبب الحربان . وعنده: دربوا
لقاطع كسروان باعيانهم ومواشيهم اخرب حاراتهم وقرايا وادي علمات ؛
١٠ ونزل بالعسكر الى جبيل ضبط الحنطة التي كانت للكساروه تبلغ ثمانية آلاف
قرش ؛ وقرر بلاد عكار على المقدم فارس ابن مراد بكفالة روم احمد ؛
وبلاد جبيل على جاور اغلي ؛ وجبة بشري على المقدم قيتبيه بن الشاعر ؛
وبسبب ان من تختخط بيت حماده تشتت الرعايا وانكسر المال . فقبض على
جاور اغلي وقتله لاجل ضمنة مال جبيل ؛ وعلى روم احمد وأخذ منه
١٥ ثلاثة عشر الف انكسرت من ضمنة طرابلوس. وفيها كانت وفاة الياس
اسقف اهدن ابن الحاج يحنا من عيلة الصراصرة . كان رجل عابد ذا غيرة
في امور الدين ؛ ربي بدير قزحيا وسكن في القدس نحو عشرين سنة واشترى
دار الازي مع القس انطانيوس الراهب ؛ بامر البطرك دخل لرومية برفقة
الاسقف جرجس بن مارون وخدم رياسة الكهنوت عشرين سنة بكافة التقوى
٢٠ وتخلف عليه القس بولص بن القس بولص بن القس عبيد بن القس سركيس الدويهي
وأخذ السكته عمار سركيس راس النهر. وفيها توفي ايغناطيوس شمعون
بطرك اليعاقبة وكانت وفاته في دمشق ؛ وتخلف عوضه اندراوس اخيجان
بمنشور شريف من طرف السلطان على يد القنصل بيكات ؛ وجاد التثبيت من
٢٥ روميه؛ فسام اخاه روحيجان منهم مطران على حلب وتلقب بديونوسيوس[1].

(٢٧٩ وفيها تقدمت العروضات الى الباب العالي في الامير علي والامير
منصور الشهابية وفي بعض آغاوات الشام انهم منعوا مرتضى باشا عن الدخول
للمدينة وانهم كانوا يحكموا المدينة وبرها والباشا كالناطور بمجرد الاسم.

---

١) راجع غوبو : فرنسيس بيكات ص ١٠٢ وجاء في المسودّة : ص ٢٩٩ : «وفي
هذه السنة اغناطيوس شمعون بطرك اليعاقبة قصد السفر الى مدينة دمشق ليوفي بعض
ديونات كانت عليه وترك نائبه في مدينة حلب المطران اندراوس فصار انه توفي بدمشق
والقنصل بيكت بادر في بشان قصاد الى القسطنط لحضرة سلطان محمد بخدمة عظيمة انه يعين
على المطران اندراوس بمنشور شريف انه يكون بطرك على الملة اليعقوبية وعطاه الامر عن
ذلك وتولى المطران ديونوسيوس اندراوس بطركية اليعاقبة واقبلته الطائفة رغماً عنها
١ً لاجل امر السلطان ٢ً لاجل الديونات التي كانت على الكرسي فتكفل لهم المذكور
انه ما يخسرهم درهم الفرد لاجل ورود الامر و[انه] لا يكلفهم شيئاً لاجل قونه و٣ً يوفي
جميع الديونات التي كانت عليهم ويسترجع آلات الكنيسة التي كانت مرهونة عند اهل الدين

ثم ان بسعي القنصل المذكور والرهبان الفرنج رسم اخاه روحيجان ثم مطران على حلب ولقبه بديونيسيوس وارسل مكتيب الى مدينة رومية اذ يقرّ في امته واقامه اخيجه المطران فيقال ان جا المطران سلطانٌ من قدس البابا بانه يسيم البطرك وعلى يده يعمل الحلقان واما في الظاهر صارت الرسامة على يد البطرك مكاريوس بطرك الروم الذي عندما وقف بين يديه طالب منه السيامة قال له ان قد رفعتك من درجة الاعتضية الى درجة البطركية قاصداً بذلك ان جميع السيامة التي كان اقتبلها كانت لا شيء وصارت هذه الاحتياطات جميعا لانه تشكك في بطركية نطاكية التي بيد الموارنة فتم ارتسم مطران على قنوبين ومنهم في الواجب يطلب البدل انه يرسل يطلب سيام البطركية فكان قدس البطرك جرجس يقدر يرسل له [مطران او اثنين] مطارين الذين يرسموه بطركاً عاري اسدة ولا باتجي الى اعده كنيسة رومية وتنابا انه اخذ تلك البطركية عنوةً وخلاف سنن الكنيسة لان ما اخذه الا من صاحب السيف وهكذا باطلاً تقلد فيها فقال الرب كل من لا هو معي هو ضدي وكل من لا يلتقط معي فهو يبدد وايضاً الدائم والارطقات هم اعداء المسيح لا يمكن يكونوا تحت الراعي الصالح اذ هم من غير قطيعة ولا يطيعوه عنوة اذ لهم ارادة مفروقة بريه من كل التزام فلهذا لداهم يكونوا تحت يدي المتأخر ولا تحت يد الراعي » ما بين المكتوبين مشطوب في المسودة.

١٦٦٠ م، ١٠٧١ هـ بدوءها ٦ ايلول اث

احمد الكبري في الشام ؛ الباشاوات يحاربون امراء لبنان

في سنة الف وستماية وستين مسيحية بسبب العروضات التي تقدمت للباب العالي في البيت الشهاب وبيت حماده، محمد باشا ابن الكبري[1] الوزير الاعظم ارسل ولده احمد باشا الى نيابة الشام ، ومحمد اغا الارناووط الى نيابة صيدا وبيروت ؛ وقرر قبلان باشا على طرابلوس . وفي وصول ابن الكبري الى الشام كاتب باشة طرابلوس والقدس وغزة وسنجق صفد وابن طربيه البدوي بالركبة على بني قيس ؛ فتوجه لعنده الامير علي ابن علم الدين واولاده محمد ومنصور وابن الصهيوني والمقدم علي بن الشاعر واصحاب الاغراض . فمات في الشام المقدم علي ابن الشاعر والامير علي ابن علم الدين ؛ ثم ان ابن الكبري زحف بمبلغ خمسة عشر الف مقاتل الى صحصح . فكاتبوه الشهابيه بدفيعة من المال ليستعطفوا خاطره . واذ لم يستقبل توجهوا باعيالهم وبنحو ستماية رجل لعند بيت حماده لقهمز باطارف كسروان . وسار ابن الكبري

الى وادي التيم ؛ فهدم حارات بيت شهاب في حاصبيا وربشيا وبيوت كواخيهم ؛
قصوا نحو خمسين الف شجرة من توتهم في وادي التيم ومرج عيون والبقاع ؛
٣٠ واعطى حكم وادي التيم الى اولاد ابن علم الدين والى المقدم زين الدين
وابن اخيه عبدالله ؛ ثم سار الى تحت قب الياس وكاتب الامير احمد واخوه
قرقماس اولاد معن بطلب الشهابية والحمادية ؛ وكانوا المعنية انتقلوا من بعقلين
الى عين سحلته بنحو سبعة الاف وجاوبوه ان بيت الشهاب وبيت حماده ما
دخلوا بلادهم ؛ فبعث طاب منهم اربع كرات خدمه ؛ فصار الرضى على كرتين
٣٥ ونصف تورد لحضرته دفعة بعد دفعة بمدة اربعة اشهر ؛ وارسلوا (٢٨٠ له
قاسم امير الشويفات وشرف الدين مقدم حمانا يكونا رهن عن ايراد المبلغ
المذكور . ورضي ابن الكبري وفي جمادى الاخر فلّت العساكر . وعندما
رجع الى الشام اخذ معه ابن احمد بك باشة غزة فقتله وفرض على اهله
٥ كرة ونصف . وكذلك على ابن طربيه مقدار اربعين الف . وكذلك قيلان باشا ترجه
الى الهرمل الى طرابلوس وكاتب الامير سماعيل الكردي بالأمان . فانتقل باعيانه من
صور الى طرابلوس ؛ فقبض عليه وقتله على الجسر لكونه اجتمع مع المعنية عند عين
حلتا ؛ وبسبب ان المعنية عملوا اهمال في ايراد الدراهم التي صار عليها القرار خرج
١٠ ابن الكبري بالاوطاق الى المرجة ثم الى مرج برغوث ثم الى مرج عيون ثم الى
تحت قب الياس ؛ وحضر الى عنده باشة غزة وباشة طرابلوس وابن طربيه
واولاد علم الدين ؛ واما المعنية والشهابية والحمادية اجتمعوا في قمهز ؛
وصار الشور بان تفل الرجال ؛ وان الكمانية واللاوند تسير الى عند الامير
كنعان آل عساف ؛ وان الامير قرقماس والامير علي بن الشهاب واخوه
١٥ منصور يسيرون بخمسين رجل الى جهة حلب ويختفوا بها ؛ وان الامير احمد
آل معن يقصد الظيران في حرش كسروان وجبيل وتفرقوا ؛ حينئذ سرحان
بن عماد شيخ البازوك مع مشايخ الشوف كاتبوا حضرة ابن الوزير يعلمه ؛
بان الامارة انهزموا من جميع تلك البلدان ولم يعلموا الى اين توجهوا ؛ وان
٢٠ خراب بلاد السلطان غير لائق بل ان يقيموا حكام على البلدان ويوزعوا عليهم
شيء معلوم لاجل خروج العسكر ؛ فحسن ذلك قدامه وكتب بلاد الشوف
على الشيخ سرحان ابن عماد ؛ وبلدان الغرب والجرد والمتن على اولاد ابن
علم الدين ؛ وكسروان على محمد اغا ؛ ووزع على كل مقاطعة عشرين

الف من غير المال . وحتى خطّم ذراع اولاد العرب عمل صيدا باشاويه
٢٥ وكتبها على علي باشا الدفتردار . وبسبب انه اخذ الخبر بان الامير احمد بن
معن توجه صوب قمهز امر قبلان باشا ينش عليه بخمسة (٢٨١ الاف بلاد
جبيل والبترون وكسروان والشوف من غير ان يصير ضرر على الفلاحين .
فأخذ قبلان باشا صالح آغا الكاخية وبني عمن وسار بهم الى عين صنين الى
الجوزات الى قهمز الى المنيطرة . فحرقوا حارة بيت باللمع وبيت الخازن وبيت
٥ حماده وبيت معن وكواخيتهم وقطعوا شجريتهم . وارسلوا اولاد علم الدين
واصحاب الاغراض فعلوا كذلك في وادي علمات وداسوا حرش مشمش وخفد
وارض جبيل والبترون وجبة المنيطرة والعاقورة . فلما اختبر ابن الوزير ان
الخراب كلّه على الرعايا فلّل العساكر وعاد الى الشام

١) الغرر الحسان ص ٧٣١ وما بعدها

١٦٦١ م: ١٠٧٢ هـ بدوءها ٢٧ آب س

الطاعون في بلاد الشام؛ كنيسة بيروت تحول الى جامع؛ الناووس المدفون

في سنة الف وستماية واحدى وستين مسيحية حدث الطاعون في بلاد الشام
اهلك كثيرين وكان الخلق بوجل عظيم من الوبا ومن الظلام.

١٠ وفيها علي باشا الدفتردار أجرى الظلم على كنيسة مار جرجس التي
خارج بيروت . واذ لم يستقبلوا النصارى في البلصه اذّنوا فيها وجعلوها جامع
واخذوا وقوفاتها . وفيها ناس من مناولة برج بيروت حفروا من قبلي
البير الذي في القرية فوجدوا ناووساً والمدفون فيه جسده محفوظ من الفساد
١٥ وان عليه تاج وفي يديه كاس وصينية . فطموه واقاموا عليه حنيّة . وقيل
ان ذلك البير كان من قديم بير الكنيسة .

١٦٦٢ م: ١٠٧٣ هـ بدوءها ١٦ آب ار

غدر الباشا؛ مقتل الامير قرقماس

سنة الف وستماية واثنتين وستين مسيحية(١) انعزل علي باشا الدفتردار

عن صيدا ، وتولاها محمد باشا . فكاتب الامير احمد والامير قرقماس بالأمان وان يحضرا عند كاخيته ليردهما الى حكم بلادهما . وأرسل كاخيته مع سبعة
٢٠ انفس ليجتمع بهما عند عين مزبود . فنزل الاخوان في رجالهما . وحين استقاهما القهوة فضربتهما شكاينية . فقتل الامير قرقماس . والامير احمد لم يناله ضرر فانهزم واختفى . عند ذلك الباشا اعطى محافظة البلاد للامير محمد ابن علم الدين والشيخ ابو علوان من قيسية الباروك .

---

١) الدرر الحسان ص٦٢١-١٢٤ وجد في المسودة ص ٣٠٠ : « في ٢٨ من تشرين الثاني كانت وفاة الخوري اساف في دير مار عبدا هرهريا وكان المذكور عاش مكافة التقوى والطهارة مستعدا لبس الشاهرة وعشملا جميع ما باتيه من الشدائد والتجارب بصبر واحتمال جزيل ويدل ان بزيد احتماله كان يطلب من الله انه يريه موته بعض اولاده الذين كان يودهم اكثر من الاخرين قبل موته وهكذا صار ان في ١١ من تشرين الاول توفي ابنه القس [اطانيوس] اندراوس وبعد ذلك باحد عشر يوم توفي ولده الاخر قس اثاناسيوس الذي كان ناسكا وخادما في المائة واذ الناس يبكون وينوحون لم يبين من عنده الا قلب صمد متكلا على تدبير الله وحكمه [ثم] اعلم بموته وكان يقول لاولاده الاخرين ان في اخر هذه الجمعة يكون ايضا يومي كما صار في اليوم السابع من نياحة القس انطانيوس وقبل رؤيا من الله حق ان في اخر مرضه والناس ناظرين به القس سعيد الراهب من عشقوت تلميذه ليكون ناظرا الى الرجال المكرمين الذين اتوا لزيارته فالتقيه الراهب وشاهد ان كانوا محتاطين به نحو ستين رجل كلهم مجليين في البياض والنور خارج من وجوههم ودفعة اخرى شهد انه شاهد وجهه يلالي كله بالنور وعندما دنت ساعته قام يصلي صلاة مساء الاحد مع بنته الراهبة ولما تم قال يا يسوع يا مريم واسلم الروح

وفي هذه السنة كان بكلربكي طرابلس (بسبب كثرة القتل والنهوبات التي كانت تصدر منهم وتتقدم الى الباب الاعلى) وكتبوا الى امارة بيت معن الامير احمد واخوه الامير قرقماس بان لم يعرفوا مسكنهم الا منها لان كانوا نصبتهم ومن تحت طاعتهم فجاوبوا اولاد معن ان اولاد الشهاب [هم] اكثر سكنتهم في مدينة دمشق وبيت حماده في عاملة طرابلس فلا هم نصبتهم ولا يطيعوهم [عند ذلك] بل يتطالبوا من باشات دمشق وطرابلس الذين هما بارضهم عند ذلك نفرت الركبة على بيت معن وبيت الشهاب وبيت حماده واجتمعت العساكر من دمشق وطرابلس وصيدا وبيروت وسائر بلدان الشام فمشوا بلدانهم واذ لم يقدروا على مسكهم قتلوا كثيرين ونهبوا القرى واخربوا الدائر وقطعوا الشجرية وعلقوا النار في مواضع كثيرة ثم جعلوا ان مدينة صيدا تكون باشاوية وتحوي سنجقية صور وبيروت وبلدانهم حتى بطول المدة تنحط قوة اولاد العرب واقاموا باشا على صيدا محمد باشا الذي بعد ما تمت العساكر كتب الى حضرة الامير احمد واخوه ليحضروا عنده حتى (بالامان والعهد وان) يعطيهم حكم بلادهم كما جرت العوايد من قديم وخرج (الباشا الى

كانخيته الى موضع يسمى عين مزبود بنفر قليل حتى يخاطبها [ويقتلها في الحيلة فتشاورا الاميرين مع مشايخ البلاد واتفق الراي ان لا يذعنوا لمواعيد الدولة وهكذا صار ان الامير احمد الذي من ذاته كثير البصيرة ثاقب الرأي ومفكراً في الامور الخطرة ابي عن الحضور واما الامير قرقماس فالذي كان سريع النهضة وراغب الحكم راد يحضر فقتل وبقي الامر كله بيد]

[وفي هذه السنة] فقتلوا اثنيها واذ هم جالسين يشربون القهوة في الامان قُتل الامير الذي كان ذو حرمة وسطوة وأوقار ولم يندرم الله على ابنه الامير احمد لتنما منه الدولة المنية ونستظل تحت كنفه الملة المارونية . وفي هذه السنة كان ضنك وديق عظيم في الجبال والسواحل لست فقط من العساكر بل من الغلا الذي حصل في بلاد الشام بسبب الجراد الذي ارتعى الزرع فوصل لمدينة طرابلس شنبل القمح الى اربعة قروش اسدية وكيلة الرز الى قرب القرش وفي مدينة حلب وصل الى مبلغ نصف القرش ومن كثرة الديق جماعة اهل دمشق تركوا المدينة وطفروا الى غير بلاد والذين بقوا كانوا مخبيين في البيوت حتى ان الملكية رادوا يأخذوا الكنيسة التي لنا بالجبر عند ذلك وهبها السيد البطريرك الى رهبان الفرنج ليخدموها ويعيطوا بضارتها

(وثبت الامير الاحمد مدة من زمان متحيباً وبلاد الشوف في يد بيت علم الدين اليمنية وكان راسهم الامير محمد بن علم الدين والشيخ ابو علوان النيمي)

ما بين الهلالين جاء في الهامش وما بين المكوفين مشطوب

١٦٦٣م : ١٠٧٤ هـ بدؤها ٥ آب

الغلاء في الشام ؛ وفاة الشدراوي ؛ جبرائيل البلوزاني اسقف حلب

في سنة الف وستماية وثلث وستين مسيحية اشتد الغلاء في بلاد الشام بسبب الجراد الذي ارتعى الزرع : فلحق شنبل الحنطة في طرابلس (٢٨٢ الى اربعة قروش وكيلة الرز الى قرب القرش ؛ وكان رطل الخبز بحلب بنصف القرش . وفيها كانت وفاة الاسقف الشدراوي[1] في جبيل ودفن بمار يعقوب خارج المدينة . وكان المذكور تتلمذ برومية وتمكن في العلوم الالهية والطبيعية ؛ صنّف كتاب النحوي في السرياني وطبعه ؛ ونقل من اللغة الرومية الى العربية كتاب المناجاة بين المعلم والتلميذ ؛ وتعب في الوعظ في بنيان النصرانية في قاطع كسروان . وفيها كانت قسمة المطران جبرائيل ابن يحنا خليفة الاسقف يوسف البلوزاني على مدينة حلب .

١) راجع سابقاً سنة ١٦٢٩ وجاء في المسوّدة ص ٣٠٢ : «ولما البطرك كرمه بطرك الروم في الشام اراد يرتب امور الكنيسة الرومية سلم اكثر قيودها للمطران اسحق حتى انه فحص الكتب السريانية والعربية ورتبها على ما هي موجودة يومئذ عندهم وكذلك اطبعت برومية في اليونانية»

١٦٦٤ م ، ١٠٧٥ هـ بدوءها ٢٥ تموز ج

وفاة الحقلاني

في سنة الف وستماية واربع وستين مسيحية في خمسة عشر من تموز توفي ١٠ بمدينة رومية ابرهيم الحقلاني[١] . تتلمذ بمدرسة رومية واشتغل في الترجمانية عند ملك فرنسا وبابية رومية . وله تصنيفات كثيرة في النحوي السرياني وعن تواريخ العرب وضد المتدعين في بلاد الغرب . وصار له الثناء والمديح في تلك الايالات .

١) راجع غراف : تاريخ الاداب العربية المسيحية ٣ ص ٣٥٤-٣٥٩ وجاء في المسوّدة ص ٣٠٢ على الهامش : «ولما بلغ خبر وفاته لقدس البابا صرخ بصوت ان البيعة خسرت معلماً كبيراً»

١٦٦٥ م ، ١٠٧٦ هـ بدوءها ١٤ تموز ث

الزلزلة

في سنة الف وستماية وخمس وستين مسيحية في آخر تشرين الاول ١٥ عرضت زلزلة عظيمة ليلة الجمعة ، هلك فيها نفر كثير في الموصل وارزنجان وبلاد الشرق .

١٦٦٦ م ، ١٠٧٧ هـ بدوءها ٤ تموز أح

كنيسة الشام

في سنة الف وستماية وست وستين مسيحية البطرك جرجس : على موجب طلبات اولاد الطائفة سكانة الشام : اسلم كنيسته بيد الرهبان ٢٠ السيكولنتية بيد اماتة يخدمونها ويوزنوا جناحيها بحيث ان لا تتغير عوايد الطايفة .

١٦٦٧ م : ١٠٧٨ هـ بدوءها ٢٣ حزيران خ

الوقعة بين القيسية واليمنية

في سنة الف وستماية وسبع وستين مسيحية بايام الشريح كانت الوقعة عند برج بيروت بين القيسية واليمنية[1] ؛ فقتل المقدم عبد الله ابن قيتبيه ابن الصواف ؛ وكانت الكسره على اليمنية فانهزموا الى بلاد الشام ؛ وتولى الامير احمد ابن معن بلاد الشوف والغرب والجرد والمتن وكسروان .

٢٥ وفيها في التشارين تباين كوكب بشبه (٢٨٣ سهام بين القبلة والغرب ؛ فانضرب التوت والجوز والزرع وصارت قحطة عظيمة[2] .

---

١) راجع الدرر الحسان ص ٧٣٤ سنة ١٦٦٦ وطنوس الشدياق : اخبار الاعيان ٣٦١ وما بعدها — ٢) جاء في المسوّدة ص ٣٠٢ : « حتى ان في مواضع لا حصدت الناس ولا درست من الحمرة التي ضربت الزرع بعد ما فرّخ فامرا عظيم ان مواضع كثيرة اكلوه فريكه طيب ثم لم عاد يجد فيه نوا »

١٦٦٨ م : ١٠٧٩ هـ بدوءها ١١ حزيران أث

اسطفان الدويهي مطران قبرس ؛ يؤلف هذا الكتاب ؛ الشاك الافرنسيون في لبنان ؛ الطاعون ؛ فتح اقريطش

سنة الف وستماية وثمان وستين مسيحية يقول صاحب هذه التواريخ[1] باننا توجهنا الى زيارة القدس الشريف ؛ وبعدما تباركنا من تلك المواضع
٥ المقدسة وصحبتنا والدتنا واخونا الحاج موسى وعاودنا بسلامه الى تقبيل ايادي السيد البطريرك جرجس بدير قنوبين ؛ صار نصيب انه رفعنا الى درجة المطرنية على الافقسية بقبروس في ثامن يوم من شهر تموز ؛ وأمرنا نخرج في زيارة الرعايا الذين في ايالة طرابلوس وجزيرة قبروس ؛ ولئلا نكون بطالين اشغلنا ذاتنا في سياسة الشعب وفي جمع هذه الأخبار لاجل افادة
١٠ ذاتنا ؛ ولنطلع على معرفة احوال هذه البلدان التي نحن مقيمين بها[1] .

وفيها قدم من بلد فرنسا اربعة انفس تجردوا عن العالم وقصدوا

خدمة الباري في محابس جبل لبنان ؛ فاختار البعض منهم السكنى في دير ماري اسيا بأرض قرية كفرصارون ؛ والبعض دير مار ابون بارض الحدث ؛ ١٥ والبعض بمار انطونيوس جبرة قنوبين ؛ فاوصى البطرك ان تسير معهم ناس ترمرم المواضع الخالية وتقطع عنها الحرش والامياه وان يأخذوا من دير الكرسي ما يحتاجوا اليه لقوت اجسادهم[٢]. وفيها حدث الطاعون الذي اغلق البيوت ؛ وقيل ان بدفتر القاضي بحلب انضبط عدد الذين توفوا بها ٢٠ ثماية واربعين الف نفس. وفيها كانت وفاة الاسقف سركيس ابن الجمري في مدينة مرسيليا في اواخر ايار.

وفيها السلطان محمد تملك جزيرة قريطش ومدينتها بعدما حاصرتها العساكر العثمانية سبعاً وعشرين سنة ؛ وقيل ان في مدة هذه السنين هلك بها نوف عن اثنين واربعين كره من الذين حاصروها.

١) جاء في المسودة ص ٢٠٠ : «يقول عن ذاته مؤلف هذا التاريخ ان بعد ما ثبت خمس سنين بكرسي في مدينة حلب اتى الى زيارة المواضع المقدسة برفقة والدته واخيه وعاود في سلامه الى مدينة طرابلوس الزمونه جماعته اهل امدن باقتبال درجة المطرنية وكانت رسامته في ٨ من شهر تموز على جزيرة قبرس التي كان لها لدن (٣٤) سنة بلا راعي من زمان المطران جرجس ابن مارون المدناني »

كانت وفاة البابا الكسندروس السابع في ٢٢ من شهر نيسان وفيها في ٢٢ من ايار ارتسم على كرسي الروماني بابا اقليمس التاسع – ٢) وجاء في المسودة ص ٢٠٢ : «وفي هذه السنة جاء اربعة رجال من بلاد فرنسا قاصدين يتحبسوا في جبل لبنان المقدس فالبعض منهم اخذوا السكنه في مغارة مار اسيا حيث استحبس النفد الجليل مار شليطا ملك مصر واخوه بارس وفي مار انطانيوس الذي فوق قنوبين وفي دير مار ابون الذي منذ زمان كان مطرنية ويقال انه كان اب جميع الديوره الذين في وادي نهر قاديشا وفي ذلك كانت غيرة سيدنا البطريرك جرجس المكرم وجودته وكرمه الذي عطام رهبان ليدلوهم على جميع المواقع ويساعدوهم ببنيان المواضع الخربانة ويقطعوا عنهم مجاري الامياه وامر الخرجي ان كل يوم يعطيهم مهما طلبوا من الاكل والشرب ويستقبلهم كالاب الحنون عند حاجاتهم ويوصي كل الرعايا بكراماتهم اعز لما يكونوا من اولاد الطايفة »

١٦٦٩ م : ١٠٨٠ هـ بدوها ١ حزيران س

وفاة اسقف طرابلوس ؛ سيامة اسقف صيدا

٢٥ في سنة الف وستماية وتسع وستين مسيحية[١] في الثالث عشر من شباط

(٢٨٤ كانت وفاة الاسقف مخائيل ابن سعاده الحصروني في مدينة طرابلوس :
وعلى موجب وصيته حملوه وقبروه في مغارة البارة مارينا جيرة قنوبين : والمذكور
ربي في المدرسة الرومانية خدم رياسة الكهنوت ست وعشرين سنة بكل
٥ طهارة : وسيم الاسقف حنا التولاني على صيداه

١) جاء في المسوّدة ص ٣٠٧ على الهامش : « وفيها كانت وفاة البابا قليمونس التاسع وذلك لاجل حزنه على اخذ قربطش وذلك في يط ٢٩ كانون الاول »

١٦٧٠ م ، ١٠٨١ ﻫ بدوءها ٢١ ايار ار

وفاة البطريرك جرجس ؛ ملرس الدويهي

في سنة الف وستماية وسبعين مسيحية في الثاني عشر من شهر نيسان
عرفت وفاة البطرك جرجس ابن الحاج رزق الله من بسبعل بدير مار
شليطا بارض متيس : وكان رجل شجيع ذو مكارم احتمل مشقات كثيرة
١٠ من الداء الكبير ومن جور الحكام : ساس الكرسي الانطاكي ثلاث عشرة
سنة وثلثة اشهر : ومن شدة الواغش ما صار اجتماع للروسا في تاسعه وتأخرت
رسامة الجديد الى ان توفي في الوباء القس انطانيوس بن الرز الذي كان
المتوكل بدير قنوبين : حينئذ في نهار الاربعين اعني في عشرين في ايار اجتمع
الروساء واعيان[١] الشعب والزموننا بالتخلف بعده : وصرنا في المقام الرابع
١٥ عشر من البطاركة بقنوبين وارسلنا القس يوسف الحصروني بسبب الطاعة
وطلب التثبيت[٢] .

١) واعيان الشعب واقاموا بعده البطرك اسطفانوس الهدناني من بيت الدويهي وهو الرابع عشر من البطاركة لقنوبين وارسل القس يوسف الحصروني بسبب الطاعة وطلب التثبيت ف — ٢) جاء في المسوّدة ص ٣٠٧ : « في ١٣ من شهر شباط كان وفاة المطران ميخائيل الحصروني بن ساده في شيخوخة صالحة وكان رجل معلم وتقي من تلاميذ رومية وكانت وفاته في حارة الحصارنة التي شرقي مدينة طرابلس ودفن في مغارة مارينا كما اوصى قبل وفاته »

« وفيها كانت وفاة البطرك جرجس من بسبعل في عشا ليلة احد وهو ١٢ من شهر نيسان وكانت مدة رئاسته ١٣ سنة وثلاثة اشهر و١٣ يوم وكانت وفاته في بلاد كسروان دفن في

دير مارشليطا وكان رجل ذو فهم ومعاشرة عالمًا في اللغة العربية والسريانية والتركية [لكن قواما (؟) وعجبا لنال احد البطركية بالبرطيل] فضر [به الله] ب بالتجزيم وترك على الكرسي دون غير قليل وفيها في ٢٢ من شهر ايار نهار الثلاثاء برضى المطارين والشايخ ارتفع الحقير كاتب هذه التواريخ الى درجة البطركية (على يد المطران جرجس بن حبقوق من بشعله وكانت سنة صعبة لاجل الحكم ولاجل الوبا العظيم الذي وقع في بلاد الشام في السواحل والجبال من ارض حماة الى مدينة دمشق وغزه واخذ ناس كثيرة ولم يبق من الناس الا قليل الذين ما انوسروا واختطف فيه في ١٧ من شهر ايار القس اطانيوس الرزي الذي كان متوكل بدير قنوبين وكان من تلاميذ رومية ذو طهارة وحرية وغيرة ومات القس بخائيل بدير حوقا (والقس حنا بن الحوري اصاف بدير مارعبدا هرهريا وغيرهم) وفيها جا الغفران العام من قدس بابا رومية اقليموس العاشر الذي ارتسم جديدًا

وفيها طلعت مراسيم سلطانية تبطيل الخمور وقريت بسطنبول وحلب ودمشق وصيدا وبيروت وغيرها وتكسرت الاواني واهرقت الانبذة حتى ان في حلب وحدها انسطت حق الاواني اكثر من الف وخمساية

وفيها دخل قاصدنا القس يوسف الحصروني ابن بربور الى مدينة رومية (واحد منه ولدين لاجل العلم) في به (٢٥) من آب ووصل في و (٦) من تشرين الثاني ه

ما بين الهلالين جاء في الهامش وما بين المكوفين مشطوب

١٦٧١ م : ١٠٨٢ ه بدوءها ١٠ ايار اح

لوقا مطران قبرس : علي حرفوش : فارس شهاب

في سنة الف وستماية واحدى وسبعين مسيحية سمنا[1] القس لوقا القبرسي مطران على اقنسية قبرس : وأخذ السكنه في الجزيرة .

٢٠ وفيها الامير علي ابن الحرفوش استنجد في دولة الشام واهدم اولاد عمه الامير عمر والامير شديد والامير يونس فنهب ارزاقهم واحرق دورهم وتولى على بلاد بعلبك .

وفيها الامير فارس ابن الشهاب ركب على بيت حيمور في البقاع وقتل ٢٥ منهم جملة رجال . ثم انهم استنجدوا عليه في دولة الشام : وكان صحبتهم الامير موسى ابن الامير منصور واخوته (٢٨٥ الشهابية : فداسوا وادي التيم واحرقوا حارته وضياعه . وقيل ان فيها ملك الهند نهب مكه والحاج وقتل من كان بها من العثمانية وسلب خلعهم .

١) قسم البطرك الجديد ف ـ ٢) جاء في المسودة ص ٢٠٢ : « وكانت الدنيا مربطة ومن قلة السعد والظلم الثامر ذاقت مرارة الموت وتشتتوا عن مواطنهم . » . . .
« وفيها الحاج ابو منصور اليشم (؟) الهدناني حاصكي حضرة الامير احمد آل معن ابتدا بنيان كنيسة سيدة دير القمر ثم انه انتقل الى رحمة ربه في اول كانون الثاني وكان دا نقرى وشور فالح ان اولاده الشيخ أبو فارس . . . واخوه الشيخ ابو ناصر اكملوا القبو في السنة الثانية»

١٦٧٢ م : ١٠٨٣ هـ بدوءها ٢٩ نيسان ج

كنيسة مارشليطا القبس

في سنة الف وستماية واثنين وسبعين مسيحية عندما سقطت كنيسة ماري
٥ شليطا مقبس رجع جددها الخوري سركيس على يد ابنا القس جرجس الاميوني الماروني ؛ وبازقها من جهة الشمال عمرنا[1] حارة لتشييدها ولسكنة البطاركة اذا توجهوا لذلك الجانب .

١) عمر البطرك اسطفان ف

١٦٧٣ م : ١٠٨٤ هـ بدوءها ١٨ نيسان ث

حسن باشا في طرابلوس ؛ طمع الحمادية ؛ كنيسة دير القمر ؛ دير سيدة طاميش

سنة الف وستماية وثلث وسبعين مسيحية انعزل محمد باشا عن ايالة
١٠ طرابلوس ؛ ودخلها حسن باشا واعطى لمشايخ بيت حماده مقاطعاتهم ولم يكلفهم تسافير ولا استعجالات ؛ فأخذهم الطمع كسروا المال وقتلوا اناس في عشاش على نهر رشعين وخربت المقاطعات من النهب .   وفيها الشيخ ابوفارس واخره أبو ناصر اولاد الحاج أبو منصور الهدناني كاتب الامير احمد بن معن نقضوا كنيسة السيدة وعمروها قبواً في دير القمر .   وفيها المطران جبرائيل البلوزاني
١٥ انشأ ديراً جديداً على نهر الكلب بارض طاميش في قاطع بيت شباب باسم السيدة .[1]

١) جاء في المسوّدة ص ٣٠٨ : « وفيها كانت وفاة المطران لوقا في قبرس في ٢١ من شهر ايلول فاخذت السلدين رزقه وفيها كانت عودة قاصدنا التمس يوسف من رومية في ٥ من تشرين الاول وجاب معه الثبيت لنا والكاولارية الرمانية الى اثاينا الشيخ ابو قانصوه واخيه الشيخ ابو ناميف اولاد الخازن وجاب معه ايضاً عدة وغفارة وكاس من قدس البابا واما من وقوفات الحبس ويوسف فتيان عده وتاج وسبع كامات

وفيها في ٢٦ من نيسان كانت وفاة الشيخ يوسف ابن فتيان المصروني برومية فاوقف جميع ماله للطائفه الله ينيح نفسه »

١٦٧٤ م : ١٠٨٥ هـ بدؤها ٧ نيسان س

تحصيل المال ؛ عمل فرنسة في الاراضي المقدسة وفي لبنان ؛ مطران غوسطا ؛ الثلج في السواحل وفي مصر

في سنة الف وستماية واربع وسبعين مسيحية استمر حسن باشا على ايالة طرابلوس . فتصرّف الشيخ سرحان في بلاد جبيل والبترون . وعندما نزل ٢٠ لعنده الشيخ احمد ابن قانصوه لياخذ الجبة قبض عليه بسبب الحربان وقبض على الشيخ محمد ابن حسن ديب بسبب كسر مال الضنية وارسل ابرهيم آغا للجبة . وكان المتكلم قدامه ابوكرم ابن بشاره الحدناني وابو شديد غصيبه ابن كيروز البشراني . وفيها توجه الى زيارة القدس آلشي ملك فرنسا ٢٥ فاشترى كنيسة ماري يوحنا بعين كارم واسلمها بيد رهبان القدس . وفي العوده (٢٨٦ صعد لجبل لبنان . وبحضوره قسمنا في خمسة من تموز المطران بطرس ابن مخلوف من قرية غوسطا على كرسي الاقفسية .

وفيها في اواخر تشرين الاول دام المطر نحو عشرين يوم وحمل السيل املاكاً كثيرة واخرب طواحين وعماير . فوصل الثلج الى البحر . وفي رشيد ٥ جذفوه عن المراكب . ودفق فيه اثنين من النوتيه . وفي وادي المسيلخ بناحية كسروان انفتحت هوتة كبيرة شرقي دير ماري يوحنا حراش فبلعت سيل الوادي . وفي كفرسلوان بيع طبق الزبل باربعة قروش لشدة البرد

١٦٧٥ م : ١٠٨٦ هـ بدوءها ٢٨ اذار خ

الباشاوات في الايالات ؛ تحصيل المال الاميري ؛ مطران طرابلوس

سنة الف وستماية وخمس وسبعين مسيحية استقرت ايالة طرابلوس على
١٠ حسن باشا ، وصيدا على اسمعيل باشا ، ودمشق على حسين باشا ، فنادى
باشا طرابلوس بالركوب على بيت حماده بسبب كسر المال . وفي خمسة وعشرين
من ايار جرد عليهم الكاخية بتسعماية رجل من الدولة وبني عمن واصحاب
الاغراض وطردوهم حتى الى عين النقير فوق افقا ، وافرق بينهم الليل ؛
١٥ وفي سبعة وعشرين من تموز احضر الشيخ احمد ابن محمد عيادة ابن قانصوه
وابن حسن ديب وامر اولاد عمهم وغيرهم يضربوا فيهما وقتلوهما . فلما
شاع خبر قتلهما وثبوا جماعتهما على بلاد جبيل نهبوا وقتلوا فعلقوا النار في
حصرايل ونهبوا قرى الثرون واخذوا سايقة حصرون في الجبة ليخربوا عليه
البلدان ويكسروا المال ، فوثب ايضاً المقدم قيتبيه ابن الشاعر وضمانة
٢٠ البلدان على مشايخ القرى مسكوهم وحبسوهم في جبيل لاجل المال ؛ وعند
هذه الاحوال صدر الامر من الباب العالي بان باشة دمشق وباشة صيدا
يكونوا نجدة باشا طرابلوس على العصاة ؛ وفي اوايل تشرين الاول اجتمعت
النواب من الشام وطرابلوس وصيدا بنحو خمسة الاف نفر تحت قب الياس
٢٥ بسبب الركبة على ابن معن وبيت حماده ؛ فكاتبوا لابن معن يسلمهم العصاة ،
وكاتبه باشة صيدا لا يتوهم عليه ؛ وكان حامي ظهره لكونه محصّل المال
ومسلّك السابلة . (٢٨٧ فاجتمعوا اولاد العرب والامراء الشهابية في دير
القمر بنحو اربعة الاف نفس وردوا الجواب ان مشايخ بيت حماده اجتازوا
عليهم وما استقروا في بلادهم ؛ وكتبوا الى اسماعيل باشا بان دعوة حسن
باشا كانت على بيت حماده بسبب كسر عشرين كيس من المال لا غير ؛ وان
٥ ابن معن تكفل له بورودها بشرط انه يخرج لهم رهونتهم المحبوسين في
قلعة طرابلوس . فلما وصلت الرهونة الى صيدا اسمعيل باشا دفع العشرين
كيس التي كانت عليهم وفلّت العساكر . وفيها قدمنا كاتبنا القس
يوسف الحصروني الى رياسة كهنوت مدينة طرابلوس وكان ذلك بدير ماري
شليطا مقبس .

١) الغرر الحسن ص ٢٣٦-٢٣٧ وجاء في المودّة ص١٨١-١٨٢ : « واما في كز (٢٧) من تموز غار الجمعة صنع الباشا وليمة للذين كانوا حاضرين من مشايخ بيت حماده وحضر الشيخ احمد وابن حسن ديب وامرهم يضربوا فيها فقتلوهما وكان من جملة الذين ضربوا بها ابو ضاهر الحج يوسف وابو عساف ابن شريفه والحاج باز ابن ابو رعد وابن ابو زيدان [قلاص] وغيرهم فلما صار ذلك مشت بيت حماده وتوابعهم كالدمايير الذين خرب وكرهم ووثبوا على نصارة بلاد جبيل فنهبوا وحرقوا وقتلوا نحو بيج عشر نفس وعلقوا النار في اهل حصرائيل ونهبوا قرى بلاد البترون الذين في الجبل واخذوا سايفة حصرون في الجبه وتضعضت الناس والتجوا في المدن والبلدان القريبة وعرض بذلك على النصارى ضيق عظيم وعندما كانت تصير هذه الامور للذين كانوا حاضرين من بيت حماده مسكوا اعيان القرى في الفتوح وبلاد جبيل وحبسوهم في جبيل لاجل تكملة المال الذي كانوا كافلينه ثم متاملين خراب البلاد نهبوا قرايبهم الذين كانوا يهربوا خوفاً من الدولة لا يمسكوهم لاجل كفالة المال ومنع الخراب فاصلح حضرة الامير بينهم وبين قرائبهم الدين كانوا تذمروا باهلهم واما حسين باشا حين قتل الشيخ احمد ارسل يعرض الى الباب الاعلا في مشايخ بيت حماده (وجاء الامر انه يجتمع مع حسين باشا بكلربكي دمشق واسماعيل باشة صيدا وطلبوا العصاة حيث ما كانوا) وعندما سمع بالخراب الذي كان صار خرج من طرابلس قرب الصحر في كج (٢٨) من ايلول الى نحو جبة بشري على الحدث فلما اصبح له خدة المنيطرة فتضعضع عسكره في البلدان ووصلت مدورته الى بعلبك ولم يعلموا اين توجه الباشا ومن زيادة الركد انفزر معه احد عشر بغلاً ثم ان في اوائل تشرين الاول اجتمعت الثلاث باشات في قب الياس وكان معهم نحو خمسة الاف فهربت اهل الشوف والبلدان القريبة باعيالهم الى ساحل البحر واما اسماعيل باشة صيدا كتب لحضرة الامير احمد ابن معن يجمع عسكره ولا يتوهم عليه من احد فاجتمعوا اولاد العرب كلهم وجاءوا لموضع امارة الشهاب وكان معهم نحو اربعة الاف في دير القمر فطلبوا الباشات من ابن معن مشايخ بيت حماده فجاوبوهم انهم جاوا بمفردهم ومن غير انهم يثبتوا توجهوا لبلدان اخرى وقصد باشة دمشق وباشة طرابلس الركبة على بلاد الشوف فانهم عن ذلك اسماعيل باشا لئلا يكسر ماله بل تكفل لباشة طرابلوس بعشرين كيس التي كانت مكسورة على الشيخ سرحان منها ست كياس ربع المال الذي كان اخذه مسبقاً والباقي من المال الذي انكسر عليه من العام الماضي بشرط انه يخرج لهم الرهونة الذين كانوا محبوسين في طرابلوس وبعدما ثبتت الجمعية يه (١٥) يوم ارسل باشة صيدا يورد [الدراهم] العشرين كيس وارسل باشة طرابلوس يجيب المرابط في البحر فنزلوهم في جبيل ومن هناك مضوا بهم الى بيروت والى صيدا »

ما بين الهلالين على الهامش وما بين المعكوفين مشطوب

١٦٧٦ م ، ١٠٨٧ هـ بدوءها ١٦ اذار أث

حسن باشا طرابلوس ؛ تشكيلات جديدة ؛ سفر الباشا ؛ الحربانه ؛ حريق القرى

١٠ في سنة الف وستماية وست وسبعين مسيحية جاء الاستقرار لحسن باشا على ايالة طرابلوس . فولى الحاج حسن ابن الحسامي وابو حيدر النمس على بلاد جبيل ؛ والحاج باز ابن ابو رعد ومرعب ابي الشاطر على بلاد البترون ؛ وابو كرم ابن بشاره على جبة بشري . ووزع البيارق على جميع المقاطعات ١٥ خوفاً من بيت حماده . ثم جاء الامر في السفر على تركمان البغدله . فمات مرعب ابن الشاطر في القلعة ؛ والشيخ حسين ابن احمد قتل الحاج باز بارص خمد وقتل الشدياق انطون اخو المطران في وادي حيرونا وحرق دير ماري انبتع وحارة اولاد ابوكرموز في بشري . فلما رجع حسن باشا من السفر وأخذ خبر ٢٠ الحربان الذي صار في غيابه أخذ على خاطره وزحف بالرجال الى جهة بلاد جبيل . فقتل شيخ الربارة وقبض على الحاج حسن ابن الحسامي وعلى مشايخ بخعاز وغرزوز فغرّمهم لانهم صرّفوا بيت حماده ؛ ثم امر بحريق قرايا وادي علمات وهم فرحة . وعلمات ومشان وطورزيا والحصون واهمج وجاج ؛ وقرايا جبة المنيطرة كفرحيال والمغيرة والاسا والمنيطره وافقا . وبعدما ٢٥ رجعت الدولة جاوا بيت حماده احرقوا قصوبا وتولا وعبدالله وبسبينا وسفار وشبطين ؛ وكانت السنة صعبة على الفلاحين من الدولة (٢٨٨ ومن اولاد العرب ومن الطاعون والجدري[١] ».

---

١) الغرر الحسان ص ٦٢٨

١٦٧٧ م ، ١٠٨٨ هـ بدوءها ٦ اذار س

وفاة ابن الكبري ؛ محمد باشا طرابلوس ؛ تشكيلات جديدة ؛ الجراد ؛ وفاة اضجالد ؛ عبد المسيح اليعقوبي

في سنة الف وستماية وسبع وسبعين مسيحية توفي في استنبول ابن الكبري

وتولى ختام الوزرنة مصطفى باشا . فغيّر النواب في ساير الايالات وارسل محمد باشا على طرابلوس . فكتب بلاد جبيل على الشيخ سرحان والبترون
٥ على ولده الشيخ حسين وجبة بشرى على الشيخ حسين ابن احمد وامرهم ان يأمنوا الرعايا ويردوا النزاح . وفيها لكثرة الصحو في الشتوية تحرك الجراد . وفي اوايل اذار عم الطيار جميع المقاطعات من سواحل البحر الى دمشق . لم يزل طاير نحو اثنيعشر يوم . فارتعى كل الخضير . ثم انه غرز في السواحل
١٠ وفي نصف تموز طبّر . فاتاه السمرمر من البقاع . وانسكب عليه البرد فضرب الشجرية واهلكه في قضيب اسفية وتجمع الجراد مواضع مواضع كالتلال حتى ان وكرت فيه الوحوش لكثرته . ثم في تسعه من ايار جاء ريح الشلوق تبت سبعة ايام فضربت قز السواحل على الشيح . وفيها في الثامن عشر
١٥ من شهر ايار انتقل الى رحمة ربه الاسقف ابراهيم بدير قزحيا . وفي نهار تاسعه سمنا ولده القس حنا اسقفاً على البترون وتسلم تدبير الدير المذكور . وفي التاسع وعشرين كانت وفاة ايغناطيوس اندراوس بطرك السريان في مدينة حلب[1] . وكان مستقيم الديانه ذا غيرة جزيلة واقتاد كثيرين من اولاد
٢٠ ملته الى طريق الخلاص . وبعد شهرين تولى الكرسي بدله عبد المسيح المارديني بامر شريف فانشأ الاضطهاد بحلب على الذين تبعوه وربط الذين ارتسموا منه والذين لبسوا اسكيم الرهبنة على يده الزمهم باداء الخراج والاعوام البعض طفرّهم والبعض جرمهم بالحرومات . ولكن بعناية تجار الافرنج
٢٥ انعزل وتولى البطركية ايغناطيوس بطرس قويم الديانة .

١) الدرر المسان ص ١٢٨ وجاء في المسوّدة ص ١٨٥ : « وفي كط (٢٩) من تموز كانت وفاة البطرك اندراوس في مدينة حلب وكان مستقيم الايمان وذو غيرة جزيلة فربح نفوس كثير للملكوت اوفى جميع الديونات التي كانت على الكنيسة من زمان البطرك شمعون وكانوا بكثرة واستفك جميع الات الكنيسة وكتبها التي كانت مرهونة واتشا غيرهم كثير وترك في الكنيسة نب (٥٢) قنديل فضة وصندوق ملان صلبان وفي مدة حياته لا بلصهم ولا كافهم توريه كجاري عادة الذين سلفوا قبل منه ولا صواني ولا تكليفات على اسرار البيعة بل بشي قليل جزوى لاجل سد العازة وعندما اسلم الروح حزن عليه جميع الطوايف وصنعوا له جناز شريف ثم بعد ذلك بشهرين تخلف عليه في البطركية عبد المسيح الماردبني فقدم الى حلب ونشي اضطهاد عظيم على الذين كانوا تبعوه فالبعض وحطط الخراج للرهبان والذين كانوا ترهبوا من يده وحط عن الكهنوت الذين ارتسموا منه والبعض هربوا الى بلدان بعيدة وطلع يوردلي على الرهبان الفرنج كل من يدخل بيوت السريان يتجرس

(وفي حي (٢٨) من ايار كانت وفاة المطران ابراهيم
وفي ناسه انسام بدله والده الخوري حنا على دير مار انطانيوس قزحيا»

١٦٧٩م : ١٠٩٠هـ بدؤها ١٢ شباط اح

وفاة ابي نوفل الخازن ؛ وفاة ملحم معن

في سنة الف وستماية وتسع وسبعين مسيحية تولى ايالة صيدا خليل (٢٨٩) باشا ابن كيوان. ومحمد باشا[1] صرّف مشايخ بيت حماده في مقاطعاتهم وفيها في الثالث عشر من شهر آب انتقل بالوفاة الشيخ ابو نوفل نادر ابن الخازن الذي فاز على اهل عصره في الصعد والنخوة والمكارم . استخلص ٥ ذاته من يد الحافظ ومن يد ابن علم الدين حين مسكوه مع ابن الامير فخر الدين واسترجع رزقه بامورة شرينة بعد ما صاروا بكليك . في سنة الف وستماية وست وخمسين اكرم عليه البابا اسكندر السابع بكوليارية رومية من ذات خاطره . وانه يتجند بطوق وسيف وحمايز من ذهب . وفي سنة الف وستماية ١٠ وتسع وخمسين انعم عليه سلطان فرنسا في قنصلية بيروت وتصرف كذلك بقنصلية البنادقة . وكانت امارة بلاد الشام وقناصل الفرنج تعزه وكلمته نافذة في كل مكان. وفيها في كانون الاول كانت وفاة السيد الاجل صاحب القدر والمحل ذو الحسب السامي والنسب النامي الامير ملحم خليفة ١٥ الامير احمد ابن معن وله من العمر اثنتا عشرة سنة.

[1] باشا طرابلس ف

١٦٨٠م : ١٠٩١هـ بدؤها ٢ شباط ج

حماده في بلاد طرابلس ؛ مقتل فارس شهاب ؛ وفاة التولاني

في سنة الف وستماية وثمانين مسيحية انتقل محمد باشا من طرابلس الى صيدا ؛ وتولى موضعه آخر على اسمه فصرّف بيت حماده في مقاطعاتهم. وفيها الامير فارس ابن الشهاب ضمن بلاد بعلبك ؛ والامير عمر ابن ٢٠ الحرفوش توجه صوب بيت حماده ؛ وفي السابع وعشرين من شهر آب جمع

الرجال وكبس الامير فارس تحت نيحا فقتله وقتل من جماعته خمسة وخمسين من اجاويد وادي. التيم . وفي الحادي عشر من شهر نيسان توفي الاسقف يوحنا التولاني ودفن في بعبدات وسمنا عوضه على صيدا القس بطرس ٢٥ ابن القس ابراهيم اهدناني[1] كاتبنا وقلدناه في مصالح الكرسي .

١) الحدناني الياصجي وتقلد ف

١٦٨١ م : ١٠٩٢ هـ بدوءها ٢١ ك ٢ ث

الامطار الجودة : مقتل امير العرب : وفاة سركيس بن المحاسب

في سنة الف وستماية وحادية وثمانين مسيحية دخلت التشارين والكوانين (٢٩٠ قليلين المطر : وظهر شيب في الفضاء بين قبلة وشمال ثبت نحو شهر وغاب في دخول هلة شباط . وفي خمسة عشر من كانون الاخر اهتزت الدنيا ثم دخل ربيعها بارد فانضربت الشجرية من البرد وقيل ان بلغت البردة الى ٥ ثقل اوقية وثلث وفي حوران الى ثقل وقيتين : فقشرت الشجر وابادت الزروع واهلكت كثير من البهائم : ثم تبعها الوباء ثبت نحو ثلاث سنين في ايالة طرابلوس الا انه كان مرفق . وفيها باشة حلب قبض على ملحم الظاهر امير العرب وارسله الى الباب العالي فقتل هو ورفاقه وتولى امرية العرب العباس .

وفيها في السابع وعشرين من تشرين الاول كانت وفاة سركيس ١٠ البرد وط ابن المحاسب ريس دير مار شليطا مقبس : وكان رجلا عابداً ديناً سمحاً ادخل سيرة النسك في بلاد كسروان اقنا الدير رزقاً كثير وكتب بخط يده مجلدات عديدة . وبامر الروساء كان يعطي فتوات وله الهيبة والكرامة عند سائر الناس : وصار عبرة صالحة لسائر الرهبان في الخضوع ١٥ والعبادة والرحمة والمحبة ومن غير صلوات السوائع كان كل يوم يقرأ الشبية والمسبحة وفصولاً من الكتب العتيقة والجديدة : ولم يتقدس لقرب الظهر وعندما طعن في العمر ترك الرياسة لابن اخيه القس حنا وكان من الغد يسير الى القفر وهناك يختلي وحده للصلاة وتلاوة الكتب ويغتذي بالذي يتقدم له .

١) الدرر الحسان ص ٧٣٦

١٦٨٣ م ، ١٠٩٥ هـ بدوءها ٢٠ ك ١ ات

وفاة الاسقف بطرس الهدناني ؛ الدويهي في دير القمر ومجدل معوش ؛ وفاة عمر حرفوش

في سنة الف وستماية وثلث وثمانين مسيحية ، راموا المشايخ الحبيشية يبيعوا للرهبان الكبوشية كنيسة مارى الياس التي بنوها في اسفل الضيعة ، فمنعناهم[1] عن ذلك بل سمحنا لهم يسكنوا بها لمدة خمس وعشرين سنة

وفيها عرضت وفاة الاسقف بطرس ابن القس ابرهيم اهدناني في ستة من ايار وهو في زيارة بلاد شمال فحملوه من البهلولية الى وادي صغراء وله من العمر اثنتان وخمسون سنة ، وفي (٢٩) ستة من حزيران في عيد العنصرة وسمنا بدله الى مدينة صيدا القس يوسف ابن مبارك من رهبان دير مار سركيس ريفون . وفيها في اول ايلول من جور حكام جبة بشري ولعدم الوفق بين مشايخ كسروان توجهنا[2] الى دير القمر ، وضمننا من حضرة الامير احمد ابن معن قرية مجدل معوش ، ثبتنا ستين ورممنا كنيستها وحملة مساكن ؛ ثم ان اولاد الجبة ارتمو على حضرة الامير بمكاتيب خضوع من اولاد الشيخ احمد انهم ما عادوا يبدلوا ولا يغيروا شروطهم معنا ؛ فرجعنا معيهم . وفيها كانت وفاة عمر ابن حرفوش في بلاد جبيل ودفن في طورزيا وهو مطرود عن بلاد بعلبك ؛ ثم ان ابن صدقه اخذ سنجقية بعلبك وتدمر ووادي التيم ، فرد لابن اخيه الامير شديد الى بلاد بعلبك .

١) فنعهم من ذلك البطريرك وبل سمح لهم ف — ٢) توجه البطرك الى دير القمر وضمن ... وثبت ... ورمم ... معه ... فرجع ف

١٦٨٤ م ، ١٠٩٦ هـ بدوءها ٨ ك ١ ج

الحرب مع النمسا ؛ فساد الحمادية وهربهم الى بعلبك

في سنة الف وستماية واربع وثمانين مسيحية السلطان احمد خان جرد

العساكر على غزوة بلاد النمسا . وفيها مشايخ بيت حمادد قتلوا ابو نادر شيخ
١٥ مزرعة عكار وابن اخت الباشا في حلبا . وبعد عزلة الباشا من طرابلوس
نزلوا طالعوا رهونتهم بالسيف من القلعة وكبسوا قرية عشقوت في بلاد
كسروان ليلا وقتلوا من اهلها احد عشر نفس . بسبب ذلك وردت السعاية
فيهم من طرابلوس لعند الامير احمد مع العفونامه من محمد باشا انه يتولى على
٢٠ جميع المقاطعات التي كانت بيدهم . فانتقل الامير بخمسة الاف الى غزير
وبعث كبس عليهم فنفروا الى بلاد بعلبك فاحرق ايليج ولاسا وافقا والمغيرة
وقصوا املاكهم . ثم حواصره ارتموا عليه فقبل شفاعتهم ورجع الى الشوف
من غير انه يستقبل خلعة على مقاطعاتهم التي ارسلها له باشة طرابلوس

١٦٨٥ م : ١٠٩٧ هـ بدوءها ٢٨ ت ٢ أر

كنيسة مارعبدا على نهر الكلب

٢٥ في سنة الف وستماية وخمس وثمانين مسيحية جددنا كنيسة (٢٩٢ مار
عبدا على نهر الكلب بعدما دثرت منذ زمان مديد وعمرنا لها حارة وتبعناها
لحارة مار شليطا مقبس.[١]

١) جدد البطرك ف

١٦٨٦ م : ١٠٩٨ هـ بدوءها ١٧ ت ٢ أح

الجراد والحشرات ؛ علي النكدلي باشا ؛ تأديب العصاة

في سنة الف وستماية وست وثمانين مسيحية دخلت التشارين والكوانين
دافية : فكثرت دبابات الارض والفار والدود . فتباين في صوم النصارى
٥ الفرفور وكان بكثرة على شبه الجراد في السواحل والجبال . فرعى الزهور
وامات النحل . وكثر الصرصر[١] في سواحل البحر حتى ان بالمذعانه اهلك دود
القز ؛ وكذلك الحرقص رعى نبات الزرع والدوا في مواضع كثيرة . وفي
الجرد تسلط الفار على دود القز[٢] حتى اضطروا ينقلوه من البيوت الى الخصاص .

١٠ وكذلك الدودة قشرت الكروم والسنديان في الاودية. وفيها استقرت ايالة طرابلوس على علي باشا النكدلي وجاد الامير بالركبة على عرب البغدله . فهاجت بيت حاده على موضع كان لهم غرض ، فقتلوا ابو داغر شيخ حردين وعلي ابن رعد شيخ الضنية وغيرهما ، فقبض الكاخيا على
١٥ اثني عشر نفر من توابعهم فأماتهم على الخازوق : وعندما رجع الباشا الى طرابلوس جاه الامير مع عبدالله جلبي ابن مخائيل الفرنجي انه يركب على الامير شديد ابن الحرفوش بسبب انه اخرب عليه قرية الراس واحرق قلعتها . وفي دخول التشارين جمع المتقدم قيتبيه ابن الشاعر وابو فاضل رعد وابن دندش
٢٠ وكتب الى الامير بشير ابن الشهاب يلاقيه في الرجال . فتوجهوا الى بعلبك . وعندما هرب الامير شديد الى بلاد جبيل لعند مشايخ بيت حماده نزل الى العاقورة فأحرقها واحرق من ضياعهم نحو اربعين ضيعه وقطع شجريتها . ودكوا الى الارض حارة الشيخ حسين في ايليج وقبر الامير عمر في طورزيا[3].
٢٥ وحطوا في الحوائج التي كانت مخباية في مغارة قنات ، ثم ان في عشرين من تشرين الاول عندما كان العسكر نازل عند عين الباطيه كبسوهم مشايخ بيت حاده (٢٩٣ ليلاً ، فقتلوا منهم خمسة واربعين نفس واخذوا كسوتهم ، وانهزم يوسف آغا مع جماعته الى بعلبك ، والدروز والعربان والتركمان الى بلدانهم ؛ وكذلك ابن الحسامي كبر عليه الوهم وهرب الى بيروت باعياله
٥ فنزل الباشا الى جبيل ونكبها . وعندما رجع الى طرابلوس نزلوا اهل الاغراض علقوا النار في قلعة بلاد جبيل ونكبوا المدينة.

١) المرصود ف ك ن — ٢) الدودة الحريرية ف — ٣) طورزينا ن

١٦٨٧ م ؛ ١٠٩٩ ه بلوشها ٧ ت ٢ ج

الاكراه على الاسلام

في سنة الف وستماية وسبع وثمانين مسيحية أخذ طرابلوس حسن[1] باشا فقبض على الشيخ يونس وعلى اخوته عبدالله ورزق واولادهم بسبب دعوة
١٠ والدهم ابو رزق البشعلاني ؛ فاضطر يونس يطلب الاسلام ليستخلص الاطفال . وفي نهار الاربعين وهو التاسع والعشرون من شهر ايلول هربوا ليلاً مع نحو عشرين

نفس الى قاطع كسروان : تحت حماية ابن معن والشيخ ابو قانصو فياض الذي نجدهم في ابنه حصن وبالرجال وحملهم بسلامة وهناك تباين يونس في صحة ديانته ٠

١) حسين ف – الدرر المسان ص ٧٤١

١٦٩١ م : ١١٠٣ هـ بدوءها ٢٤ ايلول اث

محمد باشا طرابلوس ؛ تشكيلات جديدة ؛ هزيمة الاتراك في حرب المجر ؛ وفاة ابي قانصوه الخازن

١٥ في سنة الف وستماية واحدى وتسعين مسيحية ضمن بلاد طرابلوس محمد باشا[١] ؛ فصرّف مشايخ بيت حماده في مقاطعاتهم : فاعطى الشيخ حسين بن سرحان بلاد جبيل والبترون ؛ ولابنه الشيخ اسمعيل الكورد ؛ والحاج موسى ابن احمد الجبة ؛ ولاولاد حسين ديب الضنية ٠ وفيها في سبعة ٢٠ وعشرين من كانون الثاني كانت رسامة الاسقف يوسف الشامي على بيروت ٠

وفيها في تسعة عشر من آب كانت الوقعة بين العثمانية وسلطان النمسا في بلاد المجريين نهر دنوبيوس وبين بير الاغراض ؛ وكانت الكسرة على الجيوش العثمانية ؛ فقتل الوزير ابن الكبري مع ثلاثين الف واخذت امتعتهم (٢٩٤ ٢٥ ورايابتهم مع ماية وثلثة وستين مدفع ٠ وفيها كان مقتل ابو موسى ابن زعرور في وطا الجوزات في بلاد كسروان في ثمانية وعشرين من ايلول وفي سبعة عشر من تشرين الاول عرضت وفاة الشيخ ابو قانصو فياض بن ٥ الخازن ؛ فلأجل ذلك كبرت شوكة بيت حماده فقتلوا حنا الاسود في الكورد ونهبوا العاقوره ومغل الكساروه في مينة جبيل ؛ وكان الشيخ ابو قانصوه جزيل الكرم يحب العلما شجاعاً شديد البأس ؛ وبعده باربعة شهور توفي اخوه الشيخ ابو نادر خاطر في الثامن من اشباط ٠ وفيها كانت وفاة المطران حنا ابن جلوان السامراني رئيس دير قزحيا وسمنا عوضه الخوري حنا بن حبقوق ١٠ من قرية بشعلة في الثامن من شهر ايلول ٠

١) الدرر المسان ص٧٤٢-٧٤٣

١٦٩٢ م : ١١٠٤ هـ يدوءها ١٢ ايلول ج

علي اللقيس باشا طرابلوس ؛ تأديب الحمادية

سنة الف وستماية واثنتين وتسعين مسيحية دخلت الشتوية دافية فقلت النبوعة وتحرك الجدري ثم الحصبة ثم الجرب ثم الوبا ثم الجراد فعم السواحل والجبال . وفيها في حزيران بنصف رمضان خلع محمد باشا عن ايالة ١٥ طرابلوس : وفي آخر السنة قدم علي باشا فسموه اللقيس : واعطى لمشايخ بيت حماده مقاطعاتهم . وقيل انه نجي اولاد الشيخ احمد طهروا اولادهم في قرية اهدن وصار لهم فرحة كبيرة وجاءتهم الخدم حتى من قاضي المدينة : ثم ان احمد باشا الذي عزل عن طرابلوس صير قايم مقام وكاتب لعلي باشا بالركبة على بيت حماده . وان يرسل له ثلاثة عشر راس من اعيان بيت قانصوه ؛ ٢٠ وان بلاد بعلبك تكون في تصرفه . فغير الحكام واعطى عكار والهرمل لحزيم آغا ابن دندش ؛ وجبيل لحسن آغا ابن الحسامي ؛ والبترون لقيتبيه المقدم ابن الشاعر ؛ والزاوية وجبة بشري للشيخ مخائيل ابن نحلوس ؛ والضنية للشيخ ابو فاضل رعد ؛ وكاتب الأمير احمد بن معن ينجده في الرجال ؛ فقدموا المشايخ الحوازنة بنحو الف رجال لعنده لفوق جبيل ؛ فلما شعروا ٢٥ بهم الحادية انهزموا طالع على طريق العاقوره ليحتموا في بلاد بعلبك ؛ فلحقتهم الرجال (٢٩٥ وهلك منهم نحو ماية وخمسين نفس في التلوج ؛ وعندما وصلوا الى قرية كفردان كانت اهلكتهم الدولة عن آخرهم لو ما ان عفت عنهم الحوازنة وقادوا الجيش الى آخرهم الى جهة اخرى ؛ ثم قصدوا العودة الى مواطنهم متعذرين ان ابن معن لم يعطهم اذن بالخروج عن حدود ٥ الايالة الطرابلسية ؛ فاحرق علي باشا قرية نيحا وقبض على نحو ثلاثة عشر الف راس من معاز العصاه ؛ اعطى مقاطعة بعلبك الى احمد آغا الكردي ؛ ومقاطعات جبيل الى حسن آغا النوري ؛ ورحل بالعسكر عن بعلبك ؛ واما حاكمها كاتب الحاج ياغي[1] ابن حميه وقرايبه بالحضور ؛ وعندما حضروا ١٠ عليه باق فيهم وقتل منهم سبعة عشر نفس ؛ واوسل الحاج ياغي وولده حيدر الى علي باشا ؛ فقتلها عند مخاضة نهر رشعين في الزاوية ؛ ثم انه

جهّز حسن آغا واحمد امير الكراد واسمعيل آغا ابن دندش في النشه على بلاد جبيل . فقبضوا على الشيخ حسين ابن سرحان وعلى ابن اخته حسن ديب وعلى سبعة من ارفاقه فتتلوهم بين قمهز[2] ولاسا .

١) واما كاتب حاكم بعلبك الحاج باغي ف — ٢) قمهز كذا في تقويم البشير ١٩٣٩ : اسماء المدن والقرى في الجمهورية اللبنانية ص ١٢٩ — الغرر الحسان ص ٧٤٣

١٦٩٣ م ، ١١٠٥ هـ بدوءها ٢ ايلول ار

ارسلان باشا طرابلوس ؛ تحريك الفتن بين امراء لبنان ؛ مصطفى باشا واحمد معن ؛ حصن الخازن

١٥ في سنة الف وستماية وثلث وتسعين مسيحية ارسل السلطان احمد ختام الوزرنة الى علي باشا . فتقلد موضعه على ايالة طرابلوس ارسلان باشا ابن احمد آغا ولد المطرجي محافظ سنجق لاذقية ؛ وانفذ آغا الى الامير احمد ابن معن ؛ يعرض عليه اقطاعات التي بيد المشايخ الحمادية انه يتولى عليها ويمنع اذاهم عن ايالة طرابلوس ؛ فاذ لم يقبل نصيحته اعطى بلاد ٢٠ جبيل الى الامير حسن ابن الشاعر[1] ؛ وعندما توجه الى اسطنبول سار بخدمته الامير احمد الكردي والامير موسى ابن علم الدين اليمني ؛ واما ارسلان باشا انفذ محرم آغا كتخداه في النشة على بيت حماده على طريق الجرد وامراء الكراد ومقدمين بيت الشاعر الى ساحل جبيل ؛ فلما طلعوا بلاد الفتوح ٢٥ ونزلوا تحت عين قبعل في الامان قصدوهم اولاد الشيخ حسين من بتاتر وكبسوهم بنحو مايتين رجل فظفروا بهم وقتلوا منهم اربعين نفس ؛ وكان بجملة القتلى المتكلمين عليهم وهم الامير حسين (٢٩٦ الكردي واولاد عمه الامير يوسف دزدار قلعة جبيل والامير احمد قلاوون والامير عبد الخالق ؛ ومن بيت الشاعر المقدم منصور وابن اخيه مصطفى وولد قيتبيه ؛ وما زالوا يطردوا بهم حتى لحقوا نهر ابرهيم ؛ فلما بلغ ذلك ارسلان باشا بعث يعرض بهم ٥ الى الباب الاعلى وفي ابن معن الذي التجوا في بلاده ؛ وسار بالعسكر الى نهر ابراهيم ثبت هناك مدة شهرين حتى جاه الجواب ؛ وذلك ان علي باشا الوزير ابرز فرمان في ابن معن ؛ واعطى برايا الى الامير موسى اليمني انه

يتسلم مقاطعته السبع وهي الشوف والجرد والمتن والغرب وكسروان واقليم
١٠ جزين واقليم الخروب : وامر درسن محمد باشا التفتجي ومصطفى باشا والي
صيدا واسمعيل باشا اليسير محافظ الشام واحمد باشا كوزدلار والي غزة واصلان
باشة طرابلوس ومتسلم حلب بان يجمعوا العساكر ويركبوا على الامير احمد بن
معن : اجتمعوا نحو ثمانية عشر الف عسكري وخمساية بوطا عرجموش في
البقاع : وحضر عليهم من المشايخ القيسية التكدبة والعيدبة وسيد احمد ابو
١٥ عذرا من اليزبكية والشيخ حصن من الخوازنة : واما الامير احمد حين تحقق
المنادى اختفى . وعندما أخذوا خبره انه قصد بلاد الشهابية نشت العساكر
حاصبيا وربشيا وشحار المتن : ثم اجتمعوا بوطا عرجموش : وأرسلوا الامير
موسى ابن علم الدين في العسكر ملكوه صراية ابن معن في دير القمر والمقاطعات
٢٠ التي بيده : وقلت العساكر : فبعدخمسة اشهر تباين ابن معن في وادي التيم .
فكبر الوهم على ابن علم الدين : وفي الشهر الخامس من اقامته انهزم الى
صيدا حضر على مصطفى باشا : الذي كان سابقاً تولى الوزرنة وانعزل عنها .
وطلب منه النجدة : فحدث ان في ذلك الزمان توفي السلطان مصطفى بن سليم
٢٥ وتقلد تخت السلطنة موضعه السلطان مصطفى ابن السلطان محمد : فكاتبه مصطفى
باشا المعزول وشكا له عن حالة الامير احمد ابن معن : ودفع لمطبخ السلطان
مايتين كيس دراهم : فارسل له خط شريف عفونامة واعاده الى مقامه
يفرح (٢٩٧ كل البلاد : وحين كان التفتجي في البقاع : الشيخ حصن بن
فياض الخازن بواسطة ارسلان باشا تشفع في بلاد كسروان الا تدخله العساكر
وتسلبه : وبعد ما قلت العساكر فوض امره ارسلان باشا على بلاد جبيل
٥ ليستوفي من اهله ربع المال[٢] الذي كان باقي عندهم : فاحمى فيه جميع من التجأ
اليه من امارة ومن عوام بني قيس .

١) بلاد جبيل الى الامير حسين بن صعب الكردي وبلاد البترون الى المقدم قيدبه
حسين ابن الشاعر ف ن ب — ٢) ما له والذي كان باقي عندهم ف

١٦٩٥ م: ١١٠٧ هـ بدوءها ١٢ آب ج

الحليوة في الرهبنة

في سنة الف وستماية وخمس وتسعين مسيحية في عشرة من تشرين الثاني

لبسوا اسكيم الرهبنة الذين قدموا من حلب ؛ وهم القس جبرائيل حوا
١٠ والشماس عبدالله ابن عبد الاحد ويوسف بن البتن ؛ وامرناهم ياخذوا السكنى
بدير مرت موره اهدن ٠-

١٦٩٦ م: ١١٠٨ ه بدوءها ٣١ تموز ث

المحل والجراد والغلاء والضرائب

سنة الف وستماية وست وتسعين مسيحية كانت قليلة الشتي فنشفت العيون
وشحت النهورة وبطلت الطواحين وتحرك الجراد وغلت الاسعار ؛ حتى في
بعض اماكن ابيع شنبل الحنطة باربعة قروش وقلّة الزيت بسعة ونصف
١٥ وكيلة الرز بقرش ؛ وابن معن فرض المسعدة في بلاد الشوف ؛ وارسلان
باشا زاد على المال الحوالي والصرصار والبلدار والصليان . فنشتت ناس كثير
عن مواطنها لشدة الغلاء وزود الظلم ٠

١٦٩٧ م: ١١٠٩ ه بدوءها ٢٠ تموز س

عذاب البشعلاني واستشهاده ؛ وفاة آخر المعنيين

في سنة الف وستماية وسبع وتسعين مسيحية ارسلان باشا جاته امرية
الحاج ؛ وتولى ايالة طرابلوس اخوه قبلان باشا ؛ فقبض على الشيخ يونس
٢٠ ابن ابو رزق البشعلاني ؛ وفي الواحد وعشرين من ايار رفعه على الخازوق
بعد ما عرضوا عليه الاسلام وتمنع ؛ وفي الخامس عشر من ايلول كانت
وفاة الامير احمد ابن معن ؛ وفيه انقرضت دولة المعنية العادلية[1] ؛ وكان
وقتئذ فضلي آغا الحوالي في دير القمر من قبل حسين باشا والي صيدا ؛ فختم
٢٥ الخزنة واثاث ابن معن وارسل اخبر بامره الباشا ؛ فجهز قاضي المدينة
والمفتي (٢٩٨ ونقيب الاشراف وعلما صيدا حتى ضبطوها ؛ وتبقى عليهم
حساب المال الستين كيس وستين غيرها عن الدفعة لمطبخ السلطان ؛ واجتمعوا
اعيان بلاد الشوف من امرا ومقدمين ومشايخ ؛ فاختاروا الامير بشير ابن
٥ الشهاب يتأمر على الجميع وتكفلوا بالمال المتبقى عليه ؛ فصرّفه حسين باشا

وارسل يخبر بامره الباب الاعلى؛ وفيها انفتح قبر في بلاد الشقيف في قرية تدعى قصرين وجدوا المدفون به مجنزر في رقبته طوق حديد وطوقين بيديه وطوقين برجليه؛ فما استطاعوا يقلعوا الخنزير حتى فكوا رقبته وكسروا يديه ورجليه؛ وكان ١٠ وزن الخنزير اربعة عشر رطل ؛ وفي سنه من تشرين الثاني انتقل الى رحمة الله ميخائيل الغزيري مطران الشام ودفن بدير سيدة طاميش ؛ ثم في اواخر السنة المذكورة ورد الامر من الباب الاعلى بان الامير حيدر ابن موسى الشهابي يكون محافظ المقاطعات التي كانت بيد الامير احمد ابن معن لكونه ١٥ ابن بنته ؛ وكان ذلك على يد الامير حسين ابن فخر الدين امير الشوف . وان الامير بشير يكون وكيله في الحكم لكونه قاصر ابن اثنتيعشرة سنة . ووقع الامر بيد الحاج ارسلان حين رجع من امرية الحاج . لان حسين باشا كان جاه منصب مصر ؛ فاحتج الحاج ارسلان عن الامير بشير انه كفواً وما يليق احد غيره على رضى اعيان المقاطعات ؛ وفي اوائل شهر شوال وردت ٢٠ البرايا من طرف الوزير الى الامير بشير وتولى محافظة كل المقاطعات التي كانت بيد بن معن ه

١) المادلة ف

١٦٩٨م: ١١١٠هـ بدوءها ١٠ تموز خ

قبلان باشا يستنجد بالامير بشير على العصاة

في سنة الف وستماية وثمان وتسعين مسيحية تولى ايالة طرابلوس ارسلان باشا واخوه قبلان باشا ايالة صيدا ؛ فالشيخ مشرف ابن علي صغير حاكم بلاد بشارة لما قتل ناس من الدولة وقصد العصيان استنجد عليه قبلان ٢٥ باشا في الامير بشير ؛ فجمع هذا نحو ثمانية الاف رجل وكبسه في المزرعة ؛ فقبض عليه وعلى اخيه الحاج محمد وعلى الحاج حسين المرجي واسلمهم بيده ؛ وامر قبلان باشا في (٢٩٩ الحاضر برفع حسين على الخازوق وان مشرف واخوه يحشروا بالحبس ؛ وقلد الامير بشير محافظة ايالة صيدا من طرف بلاد صفد الى جسر المعاملتين ؛ وصار له حظو نام كبير لست فقط عند حضرة قبلان باشا بل وعند اخوه ؛ وتشفع عنده في بيت حماده حتى رجعوا

٥ الى مواطنهم وكفل محافظتهم من كل خراب واذى. وفيها احمد باشا ابن صالح من بيت دويعر قصد القسطنطينية ليأخذ حكومة الشام وأخذ صحبته ابن علم الدين اليمني ليرده ثانياً الى منصب بلاد الشوف: وفي حال وصوله امر الوزير بقطع راسه وفوض امرية الحاج الى قبلان باشا: وكذلك ابن ١٠ عمه الامير علي بن دويعر قبضوا عليه في بلاد صفد وحبسوه في القدس.

١٦٩٩ م: ١١١١ هـ بدؤها ٢٩ حزيران أث

برموند القنصل الافرنسي؛ اسعار الحرير

سنة الف وستماية وتسع وتسعين مسيحية قدم من طرف ملك فرنسا القنصل برموند ليستقر في القدس الشريف: فما صار له القبول المعهود من رهبان الفرنج: فتوجه من القدس الى بيتلحم باسم الزيارة ومن هناك ١٥ رجع الى صيدا. وفيها ابيع رطل الحرير الشامي في بلاد الشوف بعشرين قرش: واما في طرابلوس ابيع الرطل المترك بعشرين وقلة الزيت بخمسة وربع.

كان النجاز منه في اليوم الثامن من شهر اشباط سنة الف وسبعماية وسبع وتسعين مسيحية: بيد العبد الحقير الذي ليس مستحق ان يذكر اسمه في ٢٠ الكتب المقدسة الخوري الياس سركيس من قرية عابيه: فارجوا من ناظر اليه وقاري فيه ان يذكرني بحسن الدعا ولا يلوم حقارتي على ما يجده من النقص والخلل صح صح.

١) جاء في المسوّدة ص ١٩٩: «سلطان فرنسا بعث من طرفه قنصل يستقر في القدس Dominus de Bremond وكان من جلة اهل شورته فما صار له قبول مقام رجع الى صيدا»

فهرس*

١ ــ اهم اعلام الاشخاص والقبائل والشعوب

* مرجع الارقام الكبرى الى الارقام الكبرى في متن الكتاب والارقام الصغرى الى امثالها على الهامش.

ت

ح

د

ذ

ش

ك

٢ ــ فهرس اعلام الاماكن

ب

ت

ج

ح

ز

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ن

٣ — فهرس المواد غير الاعلام

*

SOIXANTE-QUINZIÈME ANNIVERSAIRE
DE L'UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

AL-MACHRIQ

QUARANTE-QUATRIÈME ANNÉE — 1950

LE PATRIARCHE STÉPHANE AD-DWAIHI

TARIH AL-AZMINAT

1095 - 1699

Texte arabe établi
avec introduction, notes et index
par
FERDINAND TAOUTEL, S.J.

IMPRIMERIE CATHOLIQUE
BEYROUTH
1951

المشرق

مجلة

السنة الخامسة والاربعون

كانون الثاني – اذار ١٩٥١

تمهيد

مخصوص

على كل مجلة ان تجاوب بقدر الامكان على متطلبات العصر الذي تعيش فيه . ولزام علينا ان تسعى جهدها لتوجيه عقلية ذلك العصر التي كثيراً ما تكون عرضة للتخبط في ظلمة الافكار والفلسفات والاكتشافات والعقائد . وان تسعف هذه العقلية على الاستقرار والثبات امام زحمة المبادئ المدمّرة، وعليها ان تكون ، في المحيط الذي ترمي الى خدمته ، شاهدة الفكر ونقطة الشعاع للعقل .

تأسست المشرق عام ١٨٩٨ وما برحت منذ ذلك الحين تثير اهتمام العالم الشرقي والمستشرق بشا كل الحياة المختلفة من عملية يومية ومن عقلية مجردة . وما فتئت تبعث من غبار القديم الدارس عدداً وافراً من الآثار المهمة من حياة الامم الشرقية وتاريخها ودياناتها وتنوع مظاهرها العديدة . وهكذا كانت

تقدم الخدمة الجلى للعقل الانساني، اذ تظهر له، بنضالها المستمر المفيد، عن الحقيقة، وجهة العقل الحقيقية. وذلك ما ذكره الاب لويس شيخو عندما طلع بعدد المجلة الاول، اذ قال: «وقد اتخذنا لنا شعاراً قوله تعالى في رسالة يوحنا الاولى (ف ١ : ٥) «ان الله نور وليس فيه ظلمة البتة» اشارة الى انه عزّ وجل هو مصدر العلوم والمعارف وان كل علم لا يستمد منه ولا يعود اليه انما هو ضلال بحت».

فقد بات من المحتم اذاً ان نتابع هذا السعي المستمر وان نذكي ذلك الجهاد قدر ما تفسح لنا المكنة.

٥

في السنوات الاخيرة اكرهت ضرورة الحال مجلة المشرق على ان تحصر اهتمامها على التنقيب العلمي الخالص الذي كان يلفت انظار القرّاء المرموقين من شرقيين حاذقين ومن مستشرقين. فكان مجالها اذاً محصوراً على الفئة المثقفة. ونحن وان وددنا السير على التقليد الموروث، فاننا نريد ايضا ان نثير اهتمام قرّائنا بمشاكل حيوية في امة علينا ان نكونها، فيكون للشرق يد مشتركة في هذا العمل البنّاء. واذا كنا نفسح على صفحاتها مجالاً واسعا للبحوث العلمية، واذا كنا نتهدى الى الماضي نخلّط من غيابات السنين المندثرة رسوم المدنيات الغابرة، فاننا لن نتوقف عند هذا الاهتمام الواحد بل سنتعداه فنتعكف على حاضرنا نعمل فيه الفكرة لنتخذ منه زاداً لخوض غمرة المستقبل المجهول. وستساعفنا في هذا العمل الخطير اقلام كتبة هم فوق كل مدح وتقريظ. وهكذا تحتفظ المشرق بطابعها العلمي، ميزتها الاصيلة، ومعاً تصبح اكثر شمولاً فتتناولها ايدي جموع اوفر عدداً. فانها وان حافظت على جو الثقافة العالية لن تهمل العناية بهموم الساعة وشؤون اليوم. وعلى هذا النحو الخاص تساهم في اشاعة المعرفة بين الاوساط المثقفة وتعين الباحثين على اكتشاف وجهة لهم في التفكير والحياة.

وسيكون لنا من الشرق كتبة يهتمون بمشاكلنا. ويكرس مستشرقون معروفون صفحات من الجِدّة للثقافات العربية البائدة كتلك التي سطعت يوماً في الاندلس او في بلدان اخرى.

ستخص المشرق [illegible] شرقية تحتوي [illegible] تهتم من كل ما له علاقة بالشرق .
ولكن هذا التوجيه لن يمنع القراء [illegible] ان يجدوا فيها عرض التموجات الكبرى التي تمشي في العالم والتي ستقرر مصير الفكر العالمي العتيد وترسم خطوط العلاقات الممكنة بين الامم من حركات فكرية واكتشافات في كل شعبات المعرفة البشرية . وهكذا ستبقى المشرق غداً، لكل هواة الشرق فتكون مصدر نور وحياة. ولا شك ان العودة الى هذا المصدر محمودة مشتهاة .

ونأمل من القراء والمشتركين ان يؤازرونا بتفهمهم وعددهم لكي نواصل الجهود ونستمر في الثبات عليها حتى النهاية .

والى الله نضرع لكي يرسل الينا بالعضد والقوة لنقوم بهذا العمل الذي نشاؤه خيّراً مثمراً . انه تعالى المفزع الاوحد الذي اليه نقبل وعليه نتكل لنتقي الضلال ونساهم في مشروع تحسين الامة وتجميل عمارة الانسان حتى يكمل الانسان فيشابه ربه .

الاب اغناطيوس عبده خليفه
اليسوعي

من الخزانة الشرقية — بقلم حبيب زيات

لغة الحضارة (تابع)

الالفاظ الواردة بمعنى ڤيلا

اي البيت الذي تطيف به حديقة او بستان

اختار المجمع الملكي بمصر لفظة طَزَر لتعريب لفظة ڤيلا[1] وهي من الفارسية تَزر وفسروها بانها البيت الصيفي وفي غير واحد من معجمات اللغة « النبت الصيفي » بتقديم النون على الباء ولا يشذ على احد قبح لفظ الطزر وهجنته للتعبير عن هذا المنزل الانيق فضلاً عن التباس معناه لانه في عرف اهل الشام اليوم يراد به المقعد الذي يجلس عليه في القاعات ومع ذلك فقد قال الاب المرحوم انستاس الكرملي في الرد على من اراد اطلاق الدسكرة على معنى ڤيلا بدلاً من طزر « اما الطزر فمن الكلام الذي لا ينال لمتانته وفصاحته »[2].

ومثل هذه المنازل المتخذة بين الرياض والمنازه كانت شائعة في دولة الروم البيزنطيين وكان يقال لها احياناً « غرفة وغرف » ومنها غرفة موكل اسم قصر باليمن ذكرها لبيد في شعره فقال يصف الليالي والدهر :

وغلبن ابرهة الذي الفينه قد كان خلّد فوق غرفة موكل[3]

ولعمر بن ابي ربيعة :

واعجبها من عيشها ظل غرفة وريّان ملتفّ الحدائق اخضر[4]

وللسري الرفاء يدعو صديقاً له ويصف غرفة له بالموصل مشرفة على الربض الاسفل والنهر :

---

١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي الجزء الثاني ص ٦٧

٢) مجلة المجمع العربي بدمشق ١٦ : ٥٤

٣) معجم البلدان ٣ : ٧٨٦ و٤ : ٦٨٨

٤) الاغاني طبعة الدار ١ : ٨٣

[illegible]
ترى [illegible] من تحتها [illegible] ومن فوقها [illegible]
وبساب قدامها جدول [illegible] الانجم او [illegible]

ولمحاسن الشوا في وصف غرفة بدمشق .

سبحن نورا ويزيد عرّف ودّ طرفي لو وقاها بالجفون
بنيت فوق قطوف قد دنت فوق انهار جوار وعيون

وله ايضاً :

ولكم بين دومة وحرستا غرفاً توقف النواظر حسرى[٢]

وللفقيه ابي عبدالله المغيلي في وصف فاس :

يا جنة الدنيا التي اربت على حمص بمنظرها البهي الاجمل
غرف على غرف ويجري تحتها ماء الذ من الرحيق السلسل[٣]

وقد اشتهرت هذه الغرف في دمشق لتوفر حدائقها والتفاف اشجارها وتفرع انهارها قال العمري: « عناية اهل دمشق بالمباني كبيرة ولهم في بساتينهم منها ما تفوق به وتحسن اوضاعه»[٤] وكانوا يطلقون عليها اسم الجواسق جمع جوسق اي القصر الصغير ولذلك قال العماد الكاتب في وصف المدينة :

ترى جواسقها في الجوّ شاهقة كأنهن قصور للسلاطين[٤]

وللناصر داود بن الملك المعظّم عيسى :

يا حسنها حين زانتها جواسقها واينعت في اعالي الدوح اثمار[٥]

ومثله لشهاب الدين فتيان من الشاغوري :

بها الجواسق امثال المراكب في بحر البساتين يطوها صواريه

ولمحمد بن طاهر في وادي دمشق :

لله ايامي بوادي جلق والروض بين ازاهر وشقائق
في مجلس يجي القلوب بمنظر منه اناف على فنون جواسق

---

١) يتيمة الدهر للثعالبي طبعة دمشق ١ : ٨٣
٢) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٥٨٧ خزانة باريس
٣) روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس طبعة باريس سنة ١٨٦٩ ص ١٣
٤) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٥٨٧ خزانة باريس
٥) نفح الطيب ١ : ٥٣٠

ولشمس الدين بن سباع الصائغ :

انى اتجهت رأيت دوحاً ماؤه متسلسل يعلو عليه جوسق

ولابن ظهير الاربلي :

وكم جدول جارٍ يطارد جدولاً وكم جوسق عالٍ يوازيه جوسق

ولمحيي الدين العربي :

في كل قطر روضة مفترّة عن جدول يحمي بساحة جوسق

ولشهاب الدين التلعفري :

ظل ظليل وماء بارد شبم وجوسق مشرف عال وبستان

ولابن زبلاق الموصلي :

انى التفتّ فجدول متسلسل او جنة مرضية او جوسق

ولامين الدين علي السليماني :

وجواسق مثل القصور يجوّها ما شئت من حور ومن ولدان

ومن الجواسق المشهورة بدمشق جوسق «قصر هرقل» قال العمري : «هو بالشرف الاعلى الشمالي ويعرف في زماننا «بقصر الملوك» ولم يبق منه الا الجوسق والحمام والجوسق الآن خانقاه للفقراء. ولم يزل منزلاً للملوك ومنزهاً لاهل البلد لإشرافه على نهر بردى والوادي ونزله صلاح الدين[1] واشتهر بها ايضا جوسق النيرب والنيربين وصفه ابن سلامة المصري بقوله.

تأمل جنة زينت بقصر على نهر غير الماء جاري

وفيه للبهاء اسعد السنجاري :

يا حبذا جوسق بالنيربين وقد قضيت عمر الصبا فيه دوى وصبا

ومثله لمهذب الدين سالم بن سعادة الحمصي :

وحيا الحيا بالنيربين جواسقا قضيت بها حاجي من اللهو والدّدِ

ولابن نقادة في وصف جواسق بساتين بيت لهيا :

جنان جنوني في هواهن هاجه جوى ساقه تذكار تلك الجواسق

وكان جبل قاسيون حافلاً بالجواسق لحسن موقعها وجمال مُطلّها وفيه يقول محاسن الشوا الحلبي :

وتأمل منه الجواسق بيضا قد احاطت بها الحدائق خضرا[2]

---

١) مسالك الابصار ١ : ٣٤٩

٢) كل هذه الابيات المتقدمة واردة في كتاب عيون التواريخ المشار اليه آنفاً

ولابن عبد الهادي في «روح الصاحية بتحيص محمد بن كنان « الباب الثامن في ذكر محلات الصاحية وما فيها من الجوسق اي القصور المعدة للنزهة »[1]

ومن الالفاظ التي اطلقت في زمن الامويين على المنزل القائم في الحديقة والجنة كلمة الحَيْر عرف بها بيت ابن سرجون بن منصور جد القديس يوحنا الدمشقي كان موضعه البستان الذي اشتهر فيما بعد ببستان القط وكثيرًا ما تصحفت هذه الكلمة بلفظة الجسر في تاريخي ابن عساكر وابن شداد ومن اخذ عنهما ونقلها الامويون الى الاندلس وكان في قرطبة خارج باب اليهود حير ذكره الوزير ابو الحسن بن سراج في قصيدة له قال فيها :

بالحير لاعست هناك غمامة الا تصاحك ازهرًا وحليلا

قال ابن خاقان : « الحير الذي ذكره هنا هو حير الزجالي الذي يقول فيه ابو عامر بن شُهيد :

لقد اطلعوا عند باب اليهود شمسًا ابى الحسن ان تكسفا
تراه اليهود على بابها أميرًا فتحسبه يوسفا

وهذا الحير من ابدع المواضع واجملها واتمها حسنًا واكملها صحة مرمر صافي البياض يخترقه جدول كالحية النضناض به جابية كل لجة فيهـا كابية وقد قرنت بالذهب واللازورد سماؤه وتأزرت بها جوانبه وارجاؤه والروض قد اعتدلت اسطاره وابتسمت من كمائمها ازهاره ومنع الشمس ان ترمق ثراه وتعطر النسيم بهبوبه عليه ومسراه . . . »[2]

ولما افتتح عمرو بن العاص مصر كانت الجواسق فيها كثيرة متفرقة في كل انحائها وكان يقال للواحد منها « مُنية » وهي لفظة رومية بمعنى المنزل ... والمقام وقد اختلفوا في عدد هذه المُنيات او المُنى كعادتهم في المجازفة بالارقام فزعم ابن عبد الحكم ان عمرو بن العاص كتب الى عمر بن الخطاب بعد استيلائه على الاسكندرية : « اما بعد فاني فتحت مدينة لا اصف ما فيها غير اني اصبت فيها اربعة آلاف منية باربعة آلاف حمام . . . »[3] ولا تزال المواضع

١) خزانة برلين Weizet. 11 n 117
٢) قلائد العقيان لابن خاقان ١٦٥
٣) فتوح مصر واخبارها ٨٢

والقرى المباة بالمنية وافرة جدًا في مصر تشهد بقدم هذه الجواسق قال ياقوت: « المنية ثلاثة واربعون موضعًا وجميعها بمصر غير واحدة والمنى بمصر كثيرة تزيد على مائتي قرية »[1] وفي تاج العروس تعداد ما جاء من هذه المنى بلفظ الإفراد والتثنية والجمع مرتبة على الاقاليم (١٠ : ٣٥٠–٣٥١).

ولا شك ان كل هذه المنى التي كان تعد بالآلاف قبل دخول العرب كانت منازل خاصة مبنية بين الحدائق والرياض قبل ان يتسع ما حولها وتتكاثر الابنية في جوارها وتصبح عامرة ومما يدل على ذلك ما حفظ من نسبتها الى اربابها ومنشئيها قديمًا نظير « منية الاصبغ » و« منية ابي الخصيب » و« منية القائد » و« منية بدر » و« منية الشماس » و « منية هاشم » و« منية يزيد » وهلم جرًا حدث القاسم بن الحسن بن راشد قال : « ان يحيى بن حنظلة مولى بني سهم نزّه عبدالله بن عبد الملك (امير مصر) الى منية له بالجيزة فما رأى طعامًا كان اكثر من طعامه »[2].

وكانت هذه المنى شائعة في الاندلس تتخذ في المدن وارباضها وفحوصها والفحص عندهم كل موضع يسكن سهلًا كان او جبلًا بشرط ان يزرع[3] فكانت مثل هذه المساكن الانيقة شبيهة بما يعرف اليوم في الغرب باسم maisons de campagne وهي لا تختلف كثيرًا عن مُنى المدن سوى انها اوسع رقعة ومتنزهًا وانأى في الضواحي والغياض.

واشتهر بقرطبة قاعدة الاندلس ودار الملك منىً كثيرة منها منية الناعورة خارج القصور ومنية عبدالله ومنية الزبير منسوبة الى الزبير ابن عم الملثم ملك قرطبة[4] وافخمها « منية الرصافة اتخذها عبد الرحمن الداخل بشمال قرطبة منحرفة الى الغرب فاتخذ بها قصرًا حسنًا ودحا جنانًا واسعة ونقل اليها غرائب الغروس

---

١) المشترك طبعة اوربة ٤٠٢

٢) تاريخ مصر وولاتها لابي عمر الكندي طبعة كست ٦٣

٣) معجم البلدان ٣ : ٨٥٣

٤) نفح الطيب ١ : ٢١٤ و٢١٧ و٢٧٠ و٢٧٣ – ٢٧٤ قال لسان الدين الخطيب : « ما حازه السهل من جوفيه في غرناطة مُنى عظيمة الخطر متناهية القيم . . . يختص منها بمستخلص السلطان ما يناهز ثلاثين منية (اللمحة البدرية في الدولة النصرية ١٦)

و كارم الشجر من كل ناحية وارزدنها ... كان مستجلبه يزيد وسفر رسولاه من الشام من النوى المختارة والحبوب الغريبة ... وسماها باسم رصافة جده بارض الشام.»[1]

ومن المنى المشهورة في بلنسية منية منصور بن ابي عامر « وهي منتهى الجمال ومزهى الصبا والشمال »[2] و« منية الوزير الاجل ابي بكر بن عبد العزيز وهي من ابدع منازل الدنيا »[3] وفي عدوة اشبيلية المطلة على النهر منية الوزير ابي مروان بن الدب المشتملة على بدائع الزهر »[4] وغير ذلك من المنى التي كانت حلية الاندلس ومطمح الانفس كمنية عجب[5] ومنية السرور ومنية المغيرة والمنية المصحفية منسوبة الى الحاجب ابي عثمان جعفر بن عثمان المصحفي[6] والمنية المسماة بالبديع « وهي روض كان المتوكل يكلف بموافاته ويبتهج بحسن صفاته ويقطف رياحينه وزهره ويقف عليه إغفاءه وسهره »[7].

ومن هذه الاوصاف والشواهد يتضح ان المنية كانت تطلق على كل دار فيحاء او قصر فخم حافت بها الحدائق والرياض او تسلسلت بينها الجداول والانهار سواء كانت هذه المساكن قائمة في باطن المدن والارباض ام نائية في ظاهر الفحوص والضياع ولا نرتاب ان كل من خُيِّر بين اسماء « الطرز والفرقة والجوسق والخير والمنية » لا يؤثر الا اسم «المنية» لتعريب « فيلا » لرشاقة لفظها في مثل تاليها العربي ودلالة معناها على متمنى كل متدير متحضر باتخاذ هذه المنازل والمنازه ولذلك صحت التورية للصفي الحلي بقوله في القاهرة :

قد قاهرة المعز فانصا   بلد تخصص بالمسرة والهنا
اوما ترى في كل قطر منية   من جانبيها فهي مجتمع المنى[8]

---

١) نفح الطيب ١ : ٢١٧
٢) قلائد العقيان ٦٨
٣) مطمح الانفس ٨٥
٤) مطمح الانفس ٣٨
٥) معجم البلدان ٤ : ٦٧٥
٦) نفح الطيب ١ : ٢١٩
٧) قلائد العقيان ١٥١
٨) ديوانه ١٩١ — ١٩٣

جمع مفعول على مفاعيل

للنحاة والصرفيين اقوال وضوابط لا تخلو من محل للنظر والاستدراك لقلة استقصائهم في البحث والمراجعة ولورود ما يخالفها في اللغة والسماع وقل من اشبع الكلام في هذا الباب وتتبع كل ما جاء في احكام النحويين من هذا القبيل وقد اشار الى شيء منها عَرَضاً ابو حيان التوحيدي فقال في بعض ما حكاه من مجالس الصاحب بن عبّاد :

« قال الصاحب يوماً فَعْل وافعال قليل وزعم النحويون انه ما جاء الا زند وازناد وفرخ وافراخ وفرد وافراد فقلت انا احفظ ثلاثين حرفاً كلها فعل وافعال فقال : هاتِ يا مدّعي فسردت الحروف ودللت على مواضعها من الكتب ثم قلت : ليس للنحوي ان يلزم مثل هذا الحكم الا بعد التبحّر والسماع الواسع وليس للتقليد وجه اذا كانت الرواية شائعة والقياس مطردًا وهذا كقولهم فعيل على عشرة اوجه وقد وجدته انا على اكثر من عشرين وجهاً وما انتهيت في التتبع الى اقصاه »[1]

ومن مسائل الخلاف بين النحاة والكتاب ما زعموه من ان صيغة مفعول لا تجمع جمع تكسير واستثنوا من ذلك بعض الفاظ اوصلها المكثر منهم الى سبعة عشر ولذلك انكرت مجلة المجمع العربي بدمشق جمع مشهور على مشاهير مع وروده في كلام الائمة واكابر الكتاب والشعراء. وقد عنّ لنا ان نتتبع كل ما ورد من جمع مفعول على مفاعيل في اثناء مطالعاتنا ومع اننا لم نبلغ الغاية من الاستقراء، فقد اجتمع لنا من هذه الجموع المكسرة مئة واربعة عشر حرفاً بين فصيح ومولّد رتبناها على حروف المعجم واطّرحنا منها ما كان عامياً بحتاً وعزّزنا كل لفظ منها حسب الحاجة بثبته من النثر والشعر مع الدلالة على مأخذه ومصدره ليكون حجة يستظهر بها ويرجع اليها في تاريخ لغة الحضارة :

---

(١) ارشاد الاريب ٥ : ٢٩٢

مأثور مآثير — سيف قديم متوارث كابرًا عن كابر وقيل الذي به اثر اي فرند (اساس البلاغة) وقد جمعه ابو تمام على مآثير بقوله :

قد كانت البيض المآثير في الوغى
بواتر فهي الآن من بعده بُتْر

مبسوط مباسيط — من الاقتاب ضد المفروق وهو الذي يفرق بين الحنوين حتى يكون بينهما قريب من ذراع والجمع مباسيط (التاج ٥:١٠٧ واللسان ٩:١٢٩)

مبهوت مباهيت — لابي نواس في وصف الخمرة :

ترى لها في اعالي كأسها حدقا
بلا جفون كأحداق المباهيت

(قطب السرور الرقيق النديم لندرة Or. 3628 f° 183)

مبهور مبهورة مباهير — الجاحظ : مباهير كثيرات التعب ومباهير متاعيب قد علاهم البَهر (البيان والتبيين المطبعة العلمية ٧٥)

متعوب متاعيب — منع اهل اللغة ان يقال متعوب بدلًا من تَعِب ومع ذلك فقد اجازه الجاحظ. كما تقدم من كلامه آنفًا.

مثقوب مثاقيب — اللؤلؤات مثاقيب واحدها مثقوب (تاج العروس ١:١٦١)

مجبوب مجابيب — لابن جبير في كلامه على جند العباسيين : ورونق هذا الملك انما هو على الفتيان والاحابيش المجابيب (رحلته طبعة ليدن ٢٢٧)

ولابن بسام : كان في ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المجابيب (الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ٤ — ١ : ٢٢).

مجدول مجاديل — قال المقريزي في الكلام على بركة الفيل « كان

هناك قنطرة كبيرة فهدمت وعمل مكانها
هذه المجاديل بالحجر » (الخطط ٢ : ١٦٢) .

عذوب مخاذيب

عسوع ومجموعة مجاميع

عنون مجانين

مجهود مجاهيد — في فتوح البلدان : اقمت بمصر فرأيت اهلها مجاهيد (طبعة اروبة ٢١٧) وقال القاضي الفاضل : اهل مصر على كثرة عددهم وما ينسب من وفور المال الى بلدهم مساكين يمارون في البحر ومجاهيد يدأبون في البر (حسن المحاضرة ٢٠٠).

مجهول مجاهيل — ارض مجهولة واراض مجاهيل (لسان العرب ١٣ : ١٣٨) ولابن العديم في زبدة الحلب . صالح المسلمون الفرنج . . . على خمس مئة اسير مجاهيل الاحوال (خزانة باريس ١٦٦٦ ص ٢٠) .

محووج محاويج — لابي العلاء :

ما اليسر كالعدم في الاحكام بل شحطت
حال المياسير عن حال المحاويج
(لزوميات طبعة الهند ٧٨)

محبوس محابيس — « كتب عمر بن عبد العزيز في المحابيس لا يُقيَّد احد بقيد يمنع من تمام الصلاة » (طبقات ابن سعد ٤ : ٢٧١).

محجور محاجير — « كان لبعض المحاجير حصة في بستان » (رفع الاصر عن قضاة مصر للعسقلاني ٢١٤٩ باريس ٧٨) وفي الضوء اللامع للسخاوي « طالبه بدين لمحاجير له » (٧ : ١٦٢).

مدور مدر

مدور شمسي مدار Cycle Solaire الآثار الباقية للبيروني ١٨٥ .

مخروق مخاريق قال العتبي :

رب صاحب سري المكتّم عنده
مخاريق نيران بليل تحرّق
(المحاسن والمساوئ ٣ : ٥٩)

محسوب محاسيب مجلة الضياء ١ : ٦٥٩

محسور محاسير من حسرت البعير حسْرًا اذا اتعبته وللفرزدق :
على محاشنا يلقى وارحلنا على زواحف تزجيها محاسير
(خزانة الادب المطبعة السلفية ١ : ٢٢١)

محصول محاصيل بمعنى الغلة والدخل

محفوظ محافيظ المحفوظ الولد الصغير (مكية) والجمع محافيظ تفاؤلا (التاج ٥ : ٢٥١) وفي شذرات الذهب : النجيب السهروردي . كانت له محافيظ جيدة في التفسير (٤ : ٢٠٩).

مختوم مخاتيم بمعنى الصاع عن ابي عبيد (المغرب للمطرزي ١ : ١٤٩).

مخدوم مخاديم المخدوم الرئيس والجمع مخاديم (التاج ٨ : ٢٧) .

مخذول مخاذيل (محيط المحيط) وللسالار ابي المعالي العقيلي من كتاب له في الفتوح : قامت الحرب مع المخاذيل على ساق (دومية القصر ٢٣٠).

مخزوم مخازيم لنوع من الاوراق والحسابات في مصطلح الدواوين كانت تخزم وتشد ولابن الوردي :
يقول لي بزّابه اذ رأى بالباب مني وقفة الحائر
له مخازيم بما شئته فقلت بمخازيم بلا آخر
(مطالع البدور لعلاء الدين البهائي ١ : ٢٨)

عصور عاصير — لدريد بن الصمة :

لن تبتغوني ولو امهلتكم شرعاً
عني اذا ابطأ الفتح المحاصير
(الاغاني طبعة الدار ١٠ : ١٤)

والمخصور الذي يشتكي خصره.

خطوب خاصيب — من شعر ابي حفص بن برد :

اياك والوعد الموزان تقبله فلا امانة للنفس المخاضيب
(ذخيرة ابن بسام ١٠٩)

خمور خامير — لابن سناء الملك :

تراهم أبد الدهر سكارى او خامير
وان اعوزهم نقل فاعراض المشاهير
(ديوانه خزانة اكسفرد M. S. Sale 17)

خموص خاميص — من قولهم خمص الجوع فلاناً فهو مخموص قال الزعير ابن سهم المرادي من ابيات :

وابن المنيح ومرداساً واخوته
اذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا
(انساب الاشراف للبلاذري ٦ : ٨٨)

مدخول مداخيل

مذبوح مذابيح — ثنية المذابيح من جبل شهلان في بلاد عبر (معجم البلدان ١ : ٩٣٦).

مذكور مذاكير — لابي الشبل البرجي في رثاء سراجه :

وليس يقوى بروقه جبل صلد من الشح المذاكير
(الاغاني ١٣ : ٢٨)

مرسوم مراسيم — للكتب السلطانية

مزمور مزامير

مستور مساتير — لابن سناء الملك

اذا ما استتر النا س فا القوم مساتير
(ديوانه اكسفرد)

ولعبد اللطيف البغدادي في وصف مجاعة مصر :
أكل بعضهم بعضاً حتى تفانى اكثرهم ودخل في ذلك جماعة من المياسير والمساتير (الافادة والاعتبار ٥٠).

مسجون مساجين — قال ابن الاثير في الكامل . جاءنا كتاب من الموصل يأمرون باطلاق المساجين (١١ : ١٣٤)

مسحوق مساحيق

مسطور مساطير — لابن سناء الملك :
ولا يدرون ما الكتب وتصنيف المساطير
(ديوانه اكسفرد)
وشاع هذا اللفظ في المغرب ايضاً قال عبد الواحد المراكشي : كتبوا بذلك مساطير خوفاً على انفسهم (المعجب في تلخيص اخبار المغرب ٢٠٤ — ٢٠٥).

مسطول مساطيل — لآكل الحشيش والبنج ولابن عفيف الدين التلساني :
وقمت بالرشف على ثغره وقع المساطيل على الحلوى
(فوات الوفيات ٢ : ٢٦٥)

مسعود مساعيد — اسعده الله فهو مسعود والجمع مساعيد (التاج ٢ : ٣٧٦).

مسعور مساعير — لابي الشبل البرجمي في رثاء سراجه :
يلتهب الموت في ظباه كما تلتهب النار في المساعير
(الاغاني ١٣ : ٢٨)

مسلوب مساليب

مسلوخة مساليخ — زادها الرضي في شرح الكافية قال جبرئيل بن بختيشوع : ما استقر بي الموضع حتى وافاني الخبز والمساليخ (عيون الانباء ١ : ٧٨).

مسموح مسامح — لنوع من الكتب السلطانية في المسامحة بشيء من المكوس والضرائب قال المقريزي في ابطال الملك الظاهر بيبرس عدة مظالم بعد جلوسه على سرير الملك : كتب به مسامح قرئت على المنابر (الخطط ١ : ١٧).

مشؤوم مشائيم — رجل مشؤوم والجمع مشائيم وللاحوص اليربوعي :
مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الا بشؤم غرابها
(التاج ٨ : ٣٥٤ واللسان ١٥ : ٢٠٧)

مشبوب مشابيب — في كتاب عمر لوائل بن حجر : « الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب » اي السادة الرؤوس الزهر الالوان الحسان المناظر واحدهم مشبوب كأنما أوقدت الوانهم بالنار (اللسان ١ : ٤٦١ والنهاية ٢ : ٢٠١).

مشروح مشاريح — لابن الساعاتي :
يا أنشب الناس شعباً في محرمة يصطادها بشباك من مشاريح
(ديوانه ٢ : ١٥٦)

وللمقريزي في الخطط : اصدروا الى الديوان المشاريح بما كتبوه (١ : ١٣٧).

مشطور مشاطير — للعجاج ارجوزة عينية وهي اثنا عشر مشطوراً . ولرؤبة عينية وهي مائتان وثمانية مشاطير (التاج ٥ : ٣٢٠).

مشغول مشاغيل — لعمارة بن عقيل في المأمون :
اضحى امام الهدى المأمون مشتغلاً
بالدين والناس بالدنيا مشاغيل
(كتاب بغداد لابن طيفور ٣١٣)

وللمسعودي : ثم مشاغيل في حربهم (مروج الذهب بهامش نفح الطيب ١ : ١٥١).

مشنوق مشانيق — المقريزي: بحر كوم المشانيق لانه كان يشنق باعلاه ارباب الجرائم (الخطط ٢: ١٥١).

مشهور مشاهير — شاع هذا الجمع في المشرق والمغرب ولمحمد بن عبد الملك بن زهر الاشبيلي من موشح له :

قصرت عنه مشاهير الصفاح

وانثنت بالذعر اغصان الرماح

(ارشاد الاريب ٧: ٣٤)

مصروف مصاريف — بمعنى النفقة عند المتأخرين ومنه قول البدري في كلامه على قبتي الجامع الاموي « اودع بينهما الوليد كتب اوقاف هذا الجامع ومصاريفه » (محاسن الشام ٤٢).

مصروع مصاريع — قضيب مصروع ساقط الى الارض والجمع مصاريع (اللسان ١٠: ٦٧ والتاج ٥: ٤١٣).

مصقول مصاقيل — لامية بن الاسكر الكناني :

قومي اللذو بعكاظ طيروا شررًا

من روس قومك ضربًا بالمصاقيل

جمع مصقول من الصقل وهو جلاء الحديد اراد كل آلة جديدة من السلاح (خزانة الادب ٤: ٥٠٥).

مصنوع مصانيع — مصانيع جمع مصنوع ومصنوعة كمكسور ومكاسير (اللسان ١٠: ٧٩٠ والتاج ٥: ٤٢٣).

مضروب مضاريب — تقول في جمع مضروب مضاريب (اللسان ١٧: ٣١٢).

مضمون مضامين — في كلام النحاة والمضامين في اللغة ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهن تضمنّه قال ابو عبيدة : هي ما في اصلاب الفحول وهي جمع مضمون (اللسان ١٧: ١٢٦ — ١٢٧).

مصنوع مطابيع — للصفدي من قصيدة يخاطب بها الطبيب بدر الدين البلبيسي :

انتم اناس مطابيع بعصركم

اهدى الشآم لكم من ارضه بقرة

(قطعة خطية من مراسلاته في الحان السواجع)

وفي بغية الوعاة للسيوطي : احد رجال اللغة والعربية المطابيع في اجناس القريض (ترجمة عبدالله بن ابي مالك القيسي الصقلي) وللصفدي ايضاً في ترجمة القاضي محمد بن محمود بن سلمان بن فهد: « جمع من انشاء والده مجاميع وعلق اشياء مطابيع » (اعيان العصر رقم ١٠٩١ دار الكتب المصرية ٧ : ٤).

مطحول مطاحيل — المطحول هو المصاب بداء الطحال وفي اساس البلاغة : اهل البحرين مطاحيل عظام البطون.

مطعوم مطاعيم — في اصطلاح الاطباء . للمادة التي يطعم بها لاتقاء الامراض .

مطعون مطاعين — من رسالة للقاضي الفاضل للخليفة الناصر : كم انجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين (وفيات الاعيان ٢ : ٥١٩)

مطلوب مطاليب

مطمورة مطامير

مظرور مظارير — وهو الحجر المحدَّد وجمعه مظارير (القاموس ٢ : ٨٠)

معجون معاجين — هو في عرف الاطباء كل دواء مركب مدقوق وفي عيون الانباء : كان الطبيب التميمي

مختصاً بالحسن بن عبدالله بن طاهر ... وعمل له عدة معاجين (٢ : ٨٧)

معروض معاريض

معروف معاريف — في العقود اللؤلؤية للخزرجي : وصل كتابه الى بعض معاريفه من اهل تعز (٢ :٢٩٣)

معشوق معاشيق — محمد ابن الشريفة جمع كتاباً في تراجم احرار العشاق. ومراسلات بينه وبين بعض المعاشيق (الضوء اللامع للسخاوي ٧ :٢٧٨)

معلوم معاليم — بمعنى الجاري والرزق والراتب عند المولدين قال تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى : غلب على ظني ان نظام الملك اول من رتب في مدرسة نيسابور المعاليم للطلبة فانه لم يصح لي هل كان للمدارس قبله معاليم ام لا (حسن المحاضرة ٢ :١٥٦) وهو يرد كثيراً في كلام مؤرخي الدول المصرية وكتابها .

مغضور مغاضير — رجل مغضور من قوم مغاضير اذا كانوا في غضارة من العيش (التاج ٣ :٤٥٠)

مفروق مفاريق — المفروق من الاقتاب ضد المبسوط (اللسان ٩ : ١٢٩ والتاج ٥ :١٠٧)

مفضوح مفاضيح — لابن الساعاتي في مدح الملك المعز :

هو المنفر المغني فعادات جوده
تزين وعادات النوادي مفاضيح
(ديوانه ٣ :٢٤٢)

مفعول مفاعيل — في كلام النحاة والعروضيين والمولدين .

مفلوج مفاليج — المصاب بداء الفالج وللقاضي ابي القاسم علي التنوخي في البرد من ابيات :

فنحن منه ولم نغرس [illegible]
ونحن منه ولم نلقح [illegible]
(يتيمة الثعالبي طبعة مصر ٢ : ٣١٢)

مقاول مقاويل — للوزير ابي عبدالله محمد بن غالب البلنسي الرصافي :
لا ينكر القوم مما في اكفهم
بيض مقاويل او سمر مكاسير
(المعجب في تلخيص اخبار المغرب ١٥٧)

مقتول مقاتيل — حملت رؤوس المقاتيل الى السلطان (العقود اللؤلؤية للخزرجي ٢ : ١٥٠)

مقحوط مقاحيط — بلد مقحوط وبلاد مقاحيط (المصباح ٦٥) لم يصبها المطر .

مقدور مقادير — في مجلة المجمع العربي بدمشق : لم ترد كلمة مقدور في اللغة ولم يذكرها صاحب التاج (١٣ : ١١١) ولابي العلاء صاعد بن ثابت يخاطب عضد الدولة :

مقدورة مقادير — اذا صح لي من حسن رأيك لمحة
فليس لمقدور اليّ سبيل
(نشوار المحاضرة مجلة المجمع ١٣ : ٣٧٢)

مقطوع ومقطوعة مقاطيع — مقاطيع الشعر الابيات المفردة منه قال في لسان العرب سواء كان النصل مركباً في السهم او لم يكن مركباً سُمّي قطعاً لانه مقطوع من الحديد وربما سموه مقطوعاً والجمع مقاطيع (١٠ : ١٥٠) ولاشجع السلمي :
ودوّية بين اقطارها مقاطيع ارضين لا تقطع
(الاغاني ١٧ : ٣٧)

مقول مقاويل — في زهر الآداب للحصري : قال عمرو بن سعيد للاخطل : أيسرّك ان لك بشعرك شعراً

قال : لا ما يسرني ان لي بقولي مقولًا من مقاويل العرب (بهامش العقد الفريد ٢ : ٢٢١)

مقروف مقاريف — مقروف بني الناس ولابي نواس من قصيدة في وصف النحل :-

قطس الانوف مقاريف مشترة
خوص العيون بريئات من الداء

مقصوص مقاصيص — عن ابن عباس قال رسول الله : اتخذوا هذا الحمام المقاصيص فانها تلهو عن صبيانكم الشياطين (تاريخ ابن عساكر ١٧ : ٢٢٥)

مكبون ومكبونة مكابين — قال ابو عبيدة : فرس مكبون والانثى مكبونة والجمع المكابين وهو القصير القوائم الرحيب الجوف الشخت العظام (اللسان ١٧ : ٢٣٤)

مكتوب مكاتيب

مكسور ومكسورة مكاسير — لابي الشبل البرجمي في رثاء مسرجته :

وكأنها صكة ما لبثت ان وردت عسكر المكاسير
(الاغاني ١٣ : ٢٨)

مكفوف مكافيف — للضرير وفي كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته تعداد المكافيف من الاشراف (٢٢٤—٢٢٥)

ملبوس ملابيس — لابن اللبانة الاندلسي :

مثل العروس تجلت يوم زينتها
حمراء تجلى على خضر الملابيس
(ارشاد الاريب ٢ : ٢٩٥)

ملعوب ملاعيب — وردت كثيرًا لتعيين بابات الخفاء والشعوذة والمصارعة والملاكمة .

ملعون ملاعين

ملقوحة ملاقيح — هي الامهات وفي بطونها من الاجنة قال ابو عبيدة : واحدة الملاقيح ملقوحة من قولهم لُقحت كالمحموم من حُمّ والمجنون من جن (التاج ٢ : ٢١٧)

ملقوط ملاقيط — قال عيسى بن ابان بن صدقة للمنصور العباسي : اشتر قوماً من اليامة فانهم يربون الملاقيط (الفهرست طبعة مصر ٢٨٩)

مملوك مماليك

منحوس مناحيس — يوم منحوس ورجل منحوس من مناحيس (التاج ٤ : ٢٥٥)

مندوحة مناديح — يعني السعة والفسحة وفي التاج : جمع المندوحة مناديح (٢ : ٢٣٥) ولابن الساعاتي :

ففي الناس الا ان ترام مشابه
وفي الارض الا عن ندام مناديح
(ديوانه ٢ : ٢٤٤)

منسوب مناسيب — يقال خط منسوب ذو قاعدة وشعر منسوب اي فيه نسيب وتغزل والجمع مناشيد وانشد شمر :

هل في التعالل من اسماء من حوب
ام في السلام واهداء المناسيب
(التاج ١ : ٤٨٤)

والمنسوب ما كان معروف النسب من الخيل والطير وذوي الشرف من الرجال قال ابو العلاء :

فكم طوى الدهر اقيالاً مناسيبا (اللزوميات ٦١)

منشور مناشير — المنشور ما كان غير مختوم من كتب السلطان والجمع مناشير (التاج ٣ : ٥٦٦)

منصوبة مناصيب — المنصوبة الحيلة ومنه المنصوبة في لعب الشطرنج (التاج ١ :٤٨٨) قال العماد الاصبهاني : جرى من مناصيبه على سعد الملك انه حقق في اعتقاد السلطان انه صديقه الصادق (زبدة النصرة٩١) ولتاج الدين بن الدريهم « ايقاظ المصيب في ما بالشطرنج من المناصيب » (الدرر الكامنة طبعة حيدر اباد ٣:١٠٨)

منصوص مناصيص — لابي المحاسن الروياني كتاب مناصيص الامام الشافعي (وفيات الأعيان ١ :٣٧٤)

منكود مناكيد — نُكِد الرجل كعُني فهو منكود (التاج ٢:٥١٨) وللمتنبي :

لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لانجاس مناكيد

منكور مناكير — في اللسان (٧ :٩٢) نكره ينكُره نكرًا فهو منكور والجمع مناكير عن سيبويه (التاج ٣ :٥٨٤)

منكوس مناكيس — لابن قلاقس :

مالي وما للنواقي لا اسيّرها الا واقعد محروماً ومصدودا
وكم اقوّم منها كل نافذة واستجيش مناكيسا رعاديدا
(ديوانه ١٣٢٩ﻫ باريس ٢٥)

منكول مناكيل — لابن الجندي الشاعر الحمصي :

فكيف يرجون عهدًا للدين هم
بحت شحاح مشائيم مناكيل
(مجلة المجمع العربي بدمشق ١٩٢٩ — ١٠ — ٦٥٠)

مهتوك مهاتيك — لابن الفراء :

فحرك رأساً الينا وقال دعوا بامهاتيك هذا الصلف
(نفح الطيب ٢:٢٢٦)

معزول معازيل	للمعاف بالهزل وفي الاغاني : ما في ارى بني معدان مهازيل وارى بني سهانا ؟ (٢١ . ١٥)
موصول مواصيل	للقاضي محب الدين ناظر الجيش : مواصيل المقاطع التي لي لها طرب غريب الاتفاق (علة في التاريخ خزانة اكسفرد marsh. Or. 36f 117) والسان الدين الخطيب في ديوان الصبابة لابن ابي حجلة : مقاطع مثل المواصيل لم تزل يُشبَّب فيها بالرباب وزينب (مطالع البدور للغزولي ٢ : ٧٢) وفي شذرات الذهب : كان متسترًا بالخلاعة والتفنح في المواصيل (٨ : ٧٠)
موسومة مواسيم	المواسيم الابل الموسومة (التاج ٩ : ٩٩)
موضوع مواضيع	
موعود مواعيد	لابي نواس : يا حسن المقلتين والجيد وقاتلي منك بالمواعيد توعدني اليوم ثم تخلفه فيابلائي من خلف موعودي (اخبار ابي نواس ١٥٢)
مولود مواليد	
ميسور مياسير	
ميمون ميامين	لابن سيحان بن ارطاة : ميامين يرضون الكفاية ان رضوا ويكفون ما دُلُّوا بغير تكلف (الاغاني طبعة الدار ٣ : ٢٤٩)

ولهذه الشواهد نظائر يقف عليها من اراد متابعة الاستقراء وهي على كثرتها وشيوعها على الالسنة والاقلام كافية لاثبات ان جمع مفعول على مفاعيل ليس بالنادر ولا الشاذ خلافاً لقول النحاة فلا مانع من عدّه قياسياً واقراره كلما دعت الحاجة اليه .

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

بعد الامين المأمون أخوه

تولّى عشرين سنةً ونصف سنة . وارسل فأحضر الى خراسان هرثمة القائد وأمر بقتله بسبب مخالفته للامين . فسخط اصحاب هرثمة وقصدوا الحمّام وفتكوا بالقاتل فاغتاظ المأمون وأمر بشنقهم . امّا ناصر الخارجيّ فحشد القيسيّين وزحف بهم يريد التنوخيّين المختبين عند نهر قويق بحلب وقاتلهم عشرة ايام . فخارت قواهم وارتحلوا رجالاً ونساء الى قنسرين ودخل القيسيون والحلبيون ونهبوا خيامهم الواسعة وهي حافلة بالاموال والبضائع . وهكذا تجرّدوا من اموالهم كما سبقوا فتجرّدوا من ديانتهم وخرجوا عراةً حفاةً .

وبعد هذا وصل الظاهر قائد جيوش المأمون في اربعة آلاف من العجم الى الرقة وطارد الخوارج وضاعف الضرائب اكثر منهم وأساء الى اهالي سروج والرها . ثم انكر على اصحابه روايتهم فأضمروا ان يفتكوا به . فشعر بذلك ووثب من السور وفرّ الى الرقة . وأحسّ اصحابه عند الصباح فخافوا ان يباغتهم ناصر فانهزموا هم كذلك (١٣٩) ونجا الرهاويون من الضرائب الباهظة . وشدّ ناصر على العجم اصحاب الظاهر وجعل جنوده يقبضون على خمسين فخمسين وعلى مائة فمائة فينحرونهم نحر الخراف . ثم حمل ناصر وعمر على الرها وشدّا الحصار عليها . فتسلّق الاهالي والعجم سور المدينة وجعلوا يقاتلونها وصارت النساء ينقلن الحجار للقتال والمياه لشرب المقاتلين . وانقطع الضعفاء والصغار الى الصلاة. قال البطريرك ديونيسيوس التلمحري (٨١٨-٨٤٥) كنت انا واحداً منهم . فتعطف الربّ الرحيم فأصيب عمر وانهزم الخوارج .

ولما شاهد البغداديون عتو الخوارج والمأمون بعيداً عنهم استحضروا عمه ابرهيم بن المهدي وملكوه عليهم . فثار ثائر الحسن قائد جيش المأمون وكان يومئذٍ في الكوفة بسبب فتنة حدثت هناك وهمَّ ان يوقع بالبغداديين . اما الظاهر وكان في الرقة فاستمال الخوارج بالعطاء وولّى بعضهم على البلاد فاقام ابرهيم القرشيّ على حرّان . وبينما كان يتنزه يوماً في قصره شاهد ابنيةً حديثة واستفسر العرب عنها فقالوا انها كنائس للنصارى وقد شيدوها في عهدك مما حمل المسلمين على الارتياب في أمرك . فسخط ابرهيم وأصدر الامر بتقويض الكنائس الجديدة . فقوّضوا قبل غروب الشمس مذبح كنيستنا الكبرى في حرّان وكنيسة والدة الله في توبا وبعض كنيسة مار جرجس وجانباً من كنائس الخلقيدونيين (الملكيين) والنساطرة واليهود . وفي تلك الليلة عينها أرّق ابرهيم وازعجه الله تعالى في منامه ولما اصبح استدعى المسيحيين وأمرهم ان يبنوا ما هُدم فابتنوا في ايام يسيرة كلّ ما خرب .

ثم رخّص ابرهيم المذكور للحرانيين الصابئة ان يحتفلوا بأسرارهم علانيةً فاطمأنوا ودبّجوا ثوراً بحلل ثمينة وتوّجوه بالزهور وعلّقوا جلاجل في قرنيه وطافوا به في الازقة بالاهازيج وآلات الطرب ثم قرّبوه ضحية لآلهتهم . وهذا ابرهيم ولّى عبد العلا على الرها وشدّد على الاهالي بالضرائب . ولما (١٠٤٠) تظلّم اليه الرهاويون مما يحتملونه ممن استباحوا بيوتهم قال لهم : انكم تتمتعون بهذه الارض في عهد الروم يوم كان آباؤنا تائهين في براري قفراء يرعون الجمال ويكابدون برد الشتاء وحرّ الصيف . فالآن وقد ملكنا هذه الارض فعَلامَ تستصعبون تسليمها الينا ؟ هكذا خرج الرهاويون مكتئبين مأيوسين .

وابتنى الظاهر سوراً ما بين الرقة والرافقة وتحصن فيه وانقطع الى المطالعة والتفسير والتحدّث مع الفلاسفة .

وفي السنة ١٠٣٠ لليونان (٨١٩م) ارتحل المأمون من خراسان الى بغداد فانهزم ابرهيم عنه واختفى واتفق البغداديون مع المأمون . وفي السنة ١٠٣٢ لليونان (٨٢١م) وجّه المأمون الى خراسان الظاهر ليتولى شؤونها ورقّى ابنه عبدالله وولّاه منصب والده . اما ناصر الخارجي فاستجمع قواه واشترى قلعة

بالس وزحف في جنوده الى نهر هاني بجانب الرقة وفتك بعيسى وبالسوقة اصحابه جميعاً وغزا القرى وسبى اهلها . فوجه اليه المأمون شبيباً القائد الكبير في سبعة آلاف اعجميّ من المتازين فالتقوا بناصر وهزموا اصحابه العرب وطفقوا ينهبون حوانيت المساكين يأكلون ويشربون متفاخرين كأنهم تغلبوا على ناصر. غير ان ناصرًا اندلف على العجم وكسرهم . وارتحل شبيب ليلًا الى نواحي انطاكية مذعورًا فتتبعه ناصر وقبض على ثلاثة آلاف من العجم تقريباً . وفرّ شبيب مع شرذمةٍ الى بغداد .

ثم توجه ناصر الى قرى نهر الساجور بجانب منبج واختفى هناك مترصدًا. ولمّا خرج الاهالي كلٌّ الى شغله حمل عليهم وبطش بالرجال والنساء . وسارع جمهور من الفلاحين والمساكين الى دير بوريم فسار ناصر والقى عليهم النيران وأحرق بعضهم والقى البعض الآخر بانفسهم فسقطوا وتحطموا فانقضّ عليهم وفلق رؤوسهم وحملها الى سروج . ولما بلغ المأمون ذلك انفذ عبدالله (١١٤١) ابن الطاهر في عشرين الفاً فوصل الى بالس وحصرها حصاراً عنيفاً ونغر سورها ودخل فقبض على الخوارج اصحاب ناصر واوثقهم بالسلاسل وأرسلهم الى بغداد . وكان ناصر وقتئذٍ في أطراف سروج يفتك بالنصارى والعجم معاً.

وفي السنة ١١٣٣ لليونان (٨٢٢م) استفحل امر لاون ملك الروم وفتك بعدد غفير من الأعيان ونوى الروم ان يقتلوه وينادون بميخائيل قائد الجيوش ملكاً فشعر لاون وارسل فقبض على ميخائيل وأضمر ان يصلبه يوم جمعة الآلام العظيمة . غير ان امرأته توسلت اليه ان يُعرض عن قتله في ذلك اليوم . على ان ميخائيل وجّه يقول للاقطاب انقذوني والّا اذعتُ انكم شركائي في المكيدة . فلم يَرَوا الا ان يباغتوا الملك وهو يصلي في المذبح فشدّوا عليه وفتكوا به وانقلبوا فأخرجوا ميخائيل وتوّجوه ملكاً .

وفي السنة الرابعة للملك ميخائيل توفيت تقلا امرأته فبعث فأخرج من الدير حفيدة قسطنطين الملك وتزوّجها وولدت له ابناً . فحملتها النخوة والغيرة وهي حفيدة ايريني الملكة واستفظعت تربية ابنٍ والده متسلسل من نسل يهودي فاحتالت وقتلت الطفل. على ان جدّ ميخائيل الملك كان يهودياً ثم تنصّر واعتمد.

وفي تلك الاثنا. أرسل المأمون فاستدعى توما الذي ادّعى انه ابن الملك قسطنطين ووجهه في جيش الى قسطنطينية فانتهى اليها وظلّ يحاصرها ستة اشهر . فتضايق ميخائيل الملك وعاهد الأسرى العرب بارجاعهم الى وطنهم ان قاتلوا توما . عند ذلك اتفق الروم والعرب معاً ونازلوا اصحاب توما وهزموه الى احدى القلاع وتتبعوه حتى قبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وعلقوه في رمح . اما ميخائيل فقد نكث المعاهدة ولم يطلق الأسرى العرب .

وفي تشرين السنة ١١٣٥ لليونان (٨٢٤م) حاصر ابن الطاهر مدينة الكيسوم واقام ابراجاً يطرحون منها الحجار يزن كلّ حجر حمل حمار . وكان للكيسوم وشورا خمسة اسوار . ثم أمر ناصر النساء المسيحيات ان ينتقلن الى السور (١٤٢) في اطفالهنّ ويبكين ويتوسّلن ان لا يُرجمن بالحجار. فتعطف ابن الطاهر ونهى عن القاء الحجار ضمن المدينة والاقتصار على ضرب السور لا غير. وحين ذاك فتح ناصر باب المدينة وبعث بنيه الثلاثة في مائتي حمل سميذ وثلاثمائة حمل شعير وخمسمائة خروف وعشرة براذين وعشرة عبيد وثلاث سراري وثلاثة خصيان الى ابن الطاهر مصرّحاً له بانه يتوجّه اليه وقت الغداة . فأمر ابن الطاهر ان يذهب الفتيان الى اهاليهم ليطمئن بالهم. ثم اقبل ناصر وترجّل عن بُعد ثم وصل الى ابن الطاهر وسجد له وقبّل رجله ويده . ونزل ابن الطاهر عن حصانه وجلسا كلاهما يتحدثان سرّاً . وبعد هذا امر ابن الطاهر ناصراً ان ينهض ويدخل المدينة وقرّر ناصر ان يواجه ابن الطاهر في الرقة بعد عشرين يوماً. فصدّقه ابن الطاهر لسلامة طويّته وسار الى سميساط مستصحباً منصور بن ناصر وقبض هناك على الخارجيّ . امّا ناصر فاشتغل ببناء السور وترميمه ثم ارسل الى ابن الطاهر يقول : اني مستعد لمناوشتك . اما ابني منصور فلا تقتصر على حبسه في بغداد بل اشوه بالنار وكُلهُ .

حينئذٍ زحف ابن الطاهر الى الكيسوم وشدّد الحصار عليها ونهى ناصر الاهالي عن البكاء على القتلى. ولما دارت رحى الحرب وانثلم السور الخارجي أصعد ناصر النساء النصرانيات ثانية الى السور حاملات اطفالهنّ ينتحبن . فأشفق عليهن ابن الطاهر واوقف الحرب. واشتغل الجند ببناء البيوت لسكناهم

في الشتاء . وتفاقم الجوع في المدينة حتى بيع راس الحمار بعشرة دراهم . فتضايق ناصر وخرج وحده يريد ابن الظاهر فرحله ابن الظاهر مع اصحابه الى بغداد راكبين البغال . وانتهى امر الخوارج في شهر اذار سنة ١١٣٦ لليونان (٨٢٥ م).

وفي هذه السنة ركب السفن زهاء ثلاثين الفاً من اهالي البصرة يريدون بلد البحرَين لان اهاليه تعوّدوا سلب السفن القادمة (١١٣) من الهند والصين والعجم . غير انهم ما كادوا يصلون حتى غرقوا في اعماق الماء لجهلهم المضايق . وخرج اهالي البحرَين في قواربهم واغرقوا جميع اولئك البصريين .

وطرح المأمون يومئذٍ في السجن اربعة زعماء قرشيين اضمروا الانتقاض عليه . فأسرّ اولئك الزعماء الى بعض الناس بالقاء النيران في سوق الكرخ والفتك بالخليفة عندما يخرج ليشاهد الحريق . وما ان اطّلع الخليفة على المكيدة حتى ارسل في قتل اولئك القرشيين ليلاً وتعليق جثثهم عند الصباح على الاخشاب. وقبض المامون كذلك على ابرهيم عمهِ وعفا عنه احتراماً لشيخوخته . وكان ابرهيم قد تلقن الضرب على العود وكان يبتاع فتياناً وفتيات ويبيعهم ويتعيش.

وظهر في تلك الغضون في مصر ساري وجاوري الخارجيان وجمعا ذهباً كالحجار . وعلى اثر وفاتهما تقلّد عُبَيد بن ساري ولاية دمياط والناحية الجنوبية وتولى احمد بن جاوري الناحية الشمالية . وفي السنة ١١٣٧ لليونان (٨٢٦ م) وصل ابن الظاهر الى العريش وخرج الى لقائه احمد المذكور وطلب الأمان وصيانة اموال ابيه جاوري . وكان جاوري عندما حضرته الوفاة يقول : اني اخجل من الارض بسبب ما اتركه فيها من الذهب الوافر . اما عُبيد فانتقض على ابن الظاهر لان جيشه كان ثمانين الفاً . فزحف ابن الظاهر الى الفسطاط في نيسان وحاصرها ومنع دخول الميرة اليها براً وبحراً . فلم يَرَ عُبيد الا ان يطلب الأمان حرصاً على حياته وعلى امواله وقصد ابن الظاهر وتصافيا واكلا وشربا معاً .

وفي السنة ١١٣٨ لليونان (٨٢٧م) اغار ابن الظاهر على الاسكندرية وكان الاندلسيّون قد احتلوها وابعدوا النصارى واليهود عن بيوتهم واستقرّوا

هم فيها . فضايقهم ابن الظاهر تسعة شهور قتلاً وجوعاً حتى أخذهم وارسل خمسين منهم في اهلهم الى الرّقة وسرّح البقية الى بلادهم . واحتلّ كذلك افريقية واستعمل عليها زعيمين من خيرة رجالها .

وفي السنة ١١٤٠ لليونان (٨٢٩ م) توفي ميخائيل ملك الروم وخلفه ابنه تئوفيل وكان ابوه (١٤٤) قد توّجه ملكاً قبل وفاته ولم يلبس التاج بعد وفاة تقلا امرأته واقترانه بالمرأة الثانية ولم يجلس على تخت المملكة. لانه لا يحقّ لمن يتزوّج ثانيةً ان يتقلد المملكة عند الروم . ولما توفي ميخائيل عادت امرأته الثانية الى ديرها وقصّت شعرها وانقطعت الى العبادة .

وفي هذا الزمان انتقض بعض الاكراد المسلمين على العرب زاعمين ان قد ظهر المهديّ ملكهم الذي كانوا ينتظرونه . وكان المهدي المذكور يُلقي برقعاً على وجهه ويدعو نفسه مسيحاً وروح قدس . فاجتمع اليه جماهير غفيرة وتحصن في جبال كردستان . فهال المأمون امره وسيّر اليه الحسن قائد الجنود وحصره في طور عبدين وهو ينهب دير قرتمين وتغلب على الاكراد اصحابه . وانهزم المهدي الى بلد اسحق بن آحود الارمنيّ . فقبض عليه اسحق وفلق رأسه . فاحتشد الاكراد ثانيةً ونازلوا قامة اسحق وكان اسحق متغيباً . فهلع الذين في القلعة . وان راهباً كان شقيق امرأة اسحق لما رأى الاكراد اوشكوا ان يدخلوا القلعة اخترط مزراقاً ورمى بنفسه من القلعة وسارع الى زعيم الاكراد وطعنه واهلكه وانقلب الى القلعة غانماً سالماً . وظلّ الذين في القلعة يبكون طول الليل مبتهلين الى الله القدير في نجاتهم وألقت امرأة اسحق العفيفة رضيعها امام الربّ وَظلّا يبكيان معاً الليل كله حتى الصباح . وعند ذاك وافى اسحق في أبطاله فهلع الاكراد ولاذوا بالفرار . لكن الثلوج المتراكمة اعاقتهم ففتك اسحق بأغلبهم وافلتت شرذمة اقامت لها زعيماً يقال له هرون فتك به عليّ وخلفه بابك راعي البقر . وانهزم سائر الاكراد ولاذوا بثوفيل ملك الروم الذي اخضع البلغار كذلك وحشد الجنود وزحف الى زبطرا وحاصرها وفتحها وقتل رجالها وسبى نساءها وفتيانها واضرم النيران فيها وكرّ راجعاً . وبعد هذا عاد العرب فجدّدوا بناءها .

وبعد سنة انتقض منوئيل(١٤٥) البطريق على الملك ثوفيل وقصد المأمون وحضه على الزحف الى بلاد الروم . فارتحل المأمون في حزيران الى قبدوقية واحتلّ اربع قلاع . وفي ايار ١١٤٢ لليونان (٨٣١م) سار الى قلعة لولوة فامتنعت عليه ثم سلمها الاهالي الى عجيف بسبب قلة الزاد . اما عمنوئيل البطريق فترك العرب وعاد الى ثوفيل الملك فسخط المأمون وأقسم انه سيزحف ويسحق الروم . فخاف ثوفيل لما سمع ذلك وارسل الى المأمون في الصلح مقررًا انه يؤدي له ضريبةً . فكتب اليه المأمون : اني مبرم الصلح بشرط ان تنادوا بي ملكاً عليكم . اما الضريبة كثيرة ام قليلة فلست اعارضكم فيها فهلع ثوفيل واطرق صامتاً ولم يكتب جواباً الى المأمون .

وارتحل المأمون الى قيليقية وزاره هناك رجلٌ مشعوذ يدّعي انه من ذرّية ملكية . فرحّب به المأمون وأمر ايوبَ بطريرك الخلقيدونيين (الملكيين) فصلّى عليه واقامه ملكاً .وعقد له تاجاً . واقام المشعوذ سنتين في معسكر العرب ولم يأتِ احد الى زيارته . فجاهر حينئذٍ بالاسلام على يد ابي اسحق ابن المأمون.اما ايوب البطريرك الذي توّجهُ ملكاً فقد التأم الاساقفة وحرموه.

وفي السنة ١١٤٣ لليونان (٨٣٢ م) سار المأمون الى مصر يصحبه البطريرك ديونيسيوس (التلمحريّ اليعقوبيّ). وكان نهر النيل قد جمد يومئذٍ.كما لم يُسمع له مثيل . وفي شهر ايار دخل المأمون بلاد الروم مع ابنيه المعتصم والعباس رجع هناك عَمَلَةَ لبنيان مدينة تطوان التي اخربها العرب وما عتم ان وعك المأمون وتوفي هناك يوم الاربعاء ثامن الشهر السابع (رجب) في السنة ٢١٨ للهجرة (٨٣٣م) ودُفن في طرسوس بقيليقية .

بعد المأمون المعتصم ابنه

تولّى ثماني سنوات وثمانية شهور . على اثر وفاة المأمون حدث خلاف بين العرب ثلاثة ايام فيمن يتولّى الخلافة . ولما كانوا مجتمعين أزيح سجاف الباب ودخل العباس وقال : ان الخلافة هي للمعتصم (١٤٦) فادعُوا في حراسة حياته . فساد الهدوء ما بينهم . وأضرم المعتصم النيران في ما ابتناه المأمون في تطوان

واحرق المواد والمؤونة وقفل الى بغداد ورحّب به الاعيان وهم غير راضين عنه بسبب فظاظته . ولما استقرّ في الخلافة جعل يشيد أبنية فخمة لسكناه واقنية وحدائق لتزهاته وكان منهمكاً في الخلاعة معاقراً الخمرة .

وكان الزطّ وهم لصوص يطوفون بحيرات يصبّ فيها الفرات ودجلة ولا يستطيع الجنود ان يقاتلوهم لانهم كانوا يحاربونهم وهم في قواربهم . فاشار المعتصم الى الأسرى الاقباط المتعوّدين السباحة كالأسماك لكي يباغتوا اولئك الزطّ ويقاتلوهم بالمزاريق ويبعجوهم فالتفّ المصريون الاقباط عليهم وأمسكوهم وامسكوا اهاليهم وانقضى امرهم في سجن بغداد .

وظهر يومئذ في بحر البحرين حوتٌ ضخم طوله نحو ميل أزعج البحر ثلاثة اشهر وتعذّر على السبّاحين في طلب اللآلئ استئناف مهنتهم . وحينئذ ارسل الله عزّ وجلّ سمكةً صغيرة خشّت في اذن ذلك الحوت الكبير وفتكت به . ثم جرفته الامواج الى البرّ . غير ان لحمه لم تكن تنضجه النار فجعل الاهالي يشقّونه في الشمس ويدقّونه ويأكلونه .

وأحضروا في تلك الغضون الى عبدالله بن الظاهر امير خراسان صبياً ولدته امّه خلاف الطبيعة كاملاً بالغاً قدّ الرجال وقد نبت شارباه ولحيته .

وفي السنة ١١٤٦ لليونان (٨٣٥م) فاض نهر زبطرا ليلاً ودكّ سورها وجرف دورها واختنق ضمنها ثلاثة آلاف نسمة . وحدث كذلك فيضان في دجلة فأخرب بعض الدور في بغداد .

وفي تلك السنة صدر امرٌ الى المسلمين فقوّضوا صباح احد القيامة كنيسة مار جرجس في قوبا وكنيسة آخرى امه مدّعين ان النصارى ابتنوهما حديثاً . وزحف عمر صاحب ملطية الى بلاد الروم فلاقاه ثوفيل الملك وتغلب عليه في اوّل الأمر ثم تشدّد العرب وهزموا الروم وقصدوا معسكرالملك ونهبوا (١٤٧) فراشه وامتعته .

وفي السنة ١١٤٧ لليونان (٨٣٦ م) كتب المعتصم الى ملك النوبة يطالبه بتأدية الأتاوى كالعادة القديمة والّا فيوجّه اليه الجيوش . وكان ملك النوبة حين وصل السفير قد توفي وخلفه فتى اسمه جورجي تتحدّر امّه من السلالة

الملكية وكان ابوه زكريا وصيًّا على المملكة وعرف ان لعرب قوية فقال للسفير : اننا عارفون بما يترتب علينا ان نؤديه كل سنة وهو ٣٦٠ عبدًا عَمَلةً . وقرَدَةً تثقَّف وتتعلَّم لتحاكي البشر في سيرها . وزرافات وعاج وجلودُ نمورة . غير ان ملوك العرب يجب عليهم كذلك ان يؤدّوا لنا كذا وكذا من الحنطة والثياب الفاخرة وان نقيم جباةً يجمعون لنا الجزية من اهالي النوبة المقيمين في بلاد العرب . فاما ألغى العرب المادة الفيناها نحن كذلك . ومع هذا كله فبما اننا مطلعون على مروءة ملككم ونبالة عنصره فلسنا نكتفي بالتحدث معه بوساطة سفيره لكننا قرّرنا ان يتوجه ملكنا الجديد بذاته ليقوم بزيارته . فكتب السفير الى المعتصم في ذلك فكتب له الجواب بان يتسهل ريثما يسافر الملك وامر العمّال في مصر ان يخرجوا الى لقائه الى سيراني مدينة الحدود واذا وصل الى الفسطاط يُعدّون له من النزل ما يكفي لحاشيته ويؤدّون له كل يوم ثلاثين دينارًا لنفقته .

بناء عليه غادر جورجي وطنه وطاف بلاد العرب ممتطياً ناقةً مسرجةً تظللها قبة مجللة بوشاح قرمزيّ يعلوها صليب ذهبيّ وبيده صولجان والى يمينه ويساره يسير فتيان من اهالي مملكته ويتقدّمه اسقف راكباً وبيده راية الصليب الخلاصيّ والفوارس والعبيد يحفون به ممتطين الخيل.ولما وصل جورجي الى بغداد طاف في شوارعها وحلّ في قصر ملكيّ أُعِدّ له .

وانّ رجلًا من النوبة كان مكلفاً جباية الجزية من أبناء وطنه المقيمين في بلاد العرب تحامل على جورجي الملك وافترى عليه مدّعياً بانه ليس ملكاً لكنه دخيلٌ مكّار (١٤٨) بناء عليه تغاضى المعتصم عن مقابلتهِ منذ شباط حتى آب ريثما كتب الى مصر مستفسراً . ولما استيقن ان الجابي المذكور ادّعى ما ادّعى كذباً وافتراء وان جورجي هو هو ملك النوبة حقيقةً أرسل يدعوه اليه وأمر الجنود ان يخرجوا الى لقائهِ . وما ان وصل الى البلاط حتى رحّب به المعتصم اجمل ترحيب وأجلسه امامه واسنى له العطاء ثم اعاده الى وطنه بمظاهر الاجلال .

وذكر ديونيسيوس التلمحريّ البطريرك يقول : كنتُ يومئذٍ في بغداد

وقابات المعتصم في المدينة الجديدة التي شيدها ما بين دجلة والفرات ثم بعث الي سلمان طبيبه بان اذهب لازور جورجي الملك . فذهبت في فريق من الاساقفة والمؤمنين ورأيته فتى نحيفاً ذكياً مناهزاً العشرين من سنه . وافادني بواسطة ترجمان عن صحة عقيدته وعن اشمئزازه لمخالطة الاراتقة . ويوم الاحد احتفلت بالقداس وناولته القربان الاقدس وناولتُ حاشيته كذلك . وكان معهم آنية التقديس وامتعة الأسرار . .

سبقنا فذكرنا بابك الخوارزميّ الذي انتقض على العرب في فارس وفتك بربوات منهم . ففي هذا الزمان خارت قواه وانهزم ناصر قائد جيشه في كثيرين من اصحابه يريد تئوفيل الملك وانضوا جميعاً الى النصرانية .

وفي السنة ١١٤٨ لليونان (٨٣٧ م) زحف تئوفيل تكراراً الى زبطرا وحارب العرب والنصارى واليهود معاً حرباً عواناً . ومرّ ببلد ملطية فسباه وأحرقه . وانطلق الى سميساط وحاصرها فاحتشد آل ربيعة العرب واهالي ملطية واغاروا على الروم فانكسروا وخسروا اربعة آلاف قتيل . وانقلب تئوفيل ثانية الى ملطية يتهدّد اهاليها ان يخضعوا او يعاملهم معاملته لاهالي زبطرا . فخرج اليه الوالي والزعماء في العطايا وردّوا له جميع الذين سبقوا فاجلوهم واسروهم من الروم فاحتوى على ذلك كله وانصرف .

اما بابك الخوارزمي السابق ذكره فلما وهنت عزائمه حمل امواله وانهزم في اربعمائة من رجاله الى نواحي بلاد الروم . وبلوغه الى ارمينية احتال عليه اسطفان البطريق ومضى به الى بيته (١٤٩) على سبيل المجاملة واوثقه بالقيود . وسمع المعتصم فوجّه الافشين قائد عسكره في هدايا الى اسطفان وقبض على بابك وقتله . وكان بابك قد أفنى اكثر من مائة الف من الجيش العربيّ .

وفي السنة ١١٤٩ لليونان (٨٣٨م) زحف المعتصم في عشرين الفاً الى بلد الروم متوجهاً من ثغر طرسوس . وسيّر الافشين في ثلاثين الفاً من الناحية الاخرى . ولما وصل المعتصم الى نيقية الفاها خاويةً فقوّض اسوارها واستأنف الزحف الى انقرة ودكّ سورها ولم يجد فيها نافخ نار اذ كان اهاليها قاطبةً قد انهزموا الى مدينة عمورية الكبرى .

وعند ذلك شد ثنوفيل الملك على الافشين واهلك نحو ثلاثة آلاف من العرب . وأحدث الله سبحانه حين ذاك وابلاً من الامطار فانفصل ثنوفيل مع الفي رجل الى جهة اخرى وغلب على ظن سائر الروم انه قد قُتل فانهزموا الى قسطنطينية . ولما انقطع المطر وصفا الجو أحدق جنود الافشين الكثيرون بالالفين الذين مع ثنوفيل ولم يناوشوهم حتى استحضروا المنجنيقات يريدون رجمهم . عنـد ذلك ثار الروم ثورتهم يقتلون ويقتلون وشقوا صفوف العرب وأفلتوا وقد ادركهم الليل فأضرموا النيران حول عسكرهم وارتحلوا دون تريث الى عمورية . وعند ذاك اقبل رسول بمثه والدة ثنوفيل تقول له : ان الروم الذين وصلوا الى العاصمة اخبروا انك قُتلت وهم يحـاولون اقامة ملك جديد فعجّل في الرجوع . فبث ثنوفيل في قلوب الجيش روح الحماسة والنخوة وأمر باغلاق ابواب عمورية وتركها كأنها على قابي قوس وعاد الى قسطنطينية وفتك بالزعماء الذين حاولوا ان ينصبوا ملكاً بدلاً منه .

اما المعتصم فقد ندم لانه لم يستفد من هجومه وقال : اننا اسأنا بدخولنا الى ههنا ونرى العودة الى بلاده . لكن احمد حاجبه قال له : لا يجدر بملك نظيرك ان يعود مكسوراً وها هي عمورية قريبة منا فلنزحف اليها ونجتاحها . قال هذا وشدّ العرب على المدينة وضربوا(١٥٠)المتاريس اليها وطفق البرّانيون يقذفون الحجار على الجوّانيين . وكان الجوّانيون يسحقون كل من يدنو من السور بحجار ضخمة يقتلعونها من السور عينه . ولم يستفد الذين كانوا يحفرون الحفائر تحت السور بآلات ملبسة جنوداً . وهكذا هلك من الجهتين مدة ثلاثة ايام الوف من المقاتلين . واتفق ان البرّانيين لحوا مكاناً في السور متخلخلاً متقلقلاً فصوبوا نحوه المنجنيقات وثغروه في مدة يومين . واحتشد المحاربون الجوّانيون على تلك الثغرة واتلفوا فيها قتلى كثيرين من البرّانيين ولم يمكنوهم من الدخول .

وبعث الروم يسألون المعتصم ان يخرجوا اليه فأذن لهم . فسار اليه الاسقف وثلاثة من الزعماء وطلبوا ان يدعهم يخلون المدينة ويغادرونها فلم يرضَ بل تشدّد وتصلّب نظراً الى كثرة مَن قُتل من عسكره . ولما عاد الوفد الى

المدينة انقلب بودوين الزعيم الى المعتصم وطلب الامان لاصحابه على ان يسلمه المدينة دون تكلف. فأدّى له المعتصم عشرة آلاف دينار قبضها وانقلب وجعل يبث الفشل في قلوب المحاربين ويقول لهم : كفاكم تقتلون العرب في الثغرة فانكم مغلوبون لا محالة . فالأجدر ان تكفوا عن القتال فلعلهم يشفقون . وما عتم ان دخل العرب المدينة وقبضوا على آطيس البطريق وعلى الوالي وعلى بودوين ذاته الذي أسلمهم المدينة . وجعلوا يكوّمون القتلى اكواماً اكواماً. وصدر الأمر بالعدول عن القتال والاقتصار على السبي ونهب المدينة بعدئذٍ واضرامها بالنيران .

ولقد كانت عمورية حافلةً بالكنائس والديورة . وسبى العرب منها الفاً من العذارى سوى من قتلوا منهنَّ . ولما جمعوا المأسورين وشاهد المعتصم كثرتهم أمر بقتل اربعة آلاف منهم . ثم نشم الجنود يخطفون البنين والبنات من امهاتهم فارتفعت اصوات البكاء والنحيب وتأثر الخليفة ونهض ساخطاً وركب وقتل بيده ثلاثةً من اولئك الخاطفين . ثم جمعوا المأسورين وأعطى الخليفة بعضهم للضبّاط وبعضهم للاتراك وباع البعض من التجّار دون تميز بين البنين والآباء . وقد دهش العرب (١٥١) اكثر من الروم بتلك الملحمة وما جرَّته تلك الثغرة من الخراب والدمار . وكانوا يقولون : قد كُتِب في اساطير الروم ان دولتهم ينقضي امرها عندما تُجتاح عمورية !

ولما كان المعتصم منصرفاً الى محاربة عمورية كان اخوه العباس بن المأمون والقائد عُجيف يكيدانِ له ليوديا بحياته . فاطلع المعتصم على المكيدة بوساطة كاتبٍ نسطوريّ طبيب . فأوثقهما واركبهما جملين وارتحل من عمورية . وتوفي العباس في سروج عطشاً . وكتب المعتصم الى البلاد ليلعنوه لانه حاول ان يسلم معسكر العرب باجمعه الى الروم .

ولما اطلع ثوفيل على ما فعله العرب في عمورية جعل يلوم نفسه لانه هو كان السبب في ذلك مذ اخرب زبطرا . فأوفد الى المعتصم مع باسيل بطريق كرشنة تحفاً وهدايا ورسالة حبيَّة وسأله ان يطلق أطيس البطريق المأسور عنده فيطلق هو كذلك الأسرى العرب . وكتب رسالةً ثانيةً ضمّنها قدحاً وتهديداً

وأمر باسيل ان يدفعها الى المعتصم اذا أبى عقد الصلح وهي وديعة . ولما تصفح المعتصم الرسالة الاولى فرض على الروم ان يسلموا اليه ما عدا جميع الاسرى العرب ناصراً الكردي وعمنوئيل البطريق الذي كان عند العرب وانهزم. فقال له باسيل : ان ذلك لمن المستحيل. فقال المعتصم : اذن تهيأوا للحرب. عندئذ دفع له باسيل الرسالة الثانية فقرأها واحتدم غيظاً وردّ الهدايا الى باسيل مندوب الملك تئوفيل . ثم وجّه الى ابي سعيد ليكمن في جهةٍ والى الامير بشير واهالي المصيصة ليكمنوا في جهةٍ اخرى . ولما كان بشير منهمكاً في السبي باغته ناصر والاكراد واسترجعوا الغنائم . ووصل اذ ذاك ابو سعيد فتقوّى العرب وفتكوا بناصر وبكثيرين من رجاله الاكراد وجمعوا جماجم جثة وملّحوها ونقلوها الى المصيصة وخرجت النساء ليستقبلن رجالهنّ ظاناتٍ انهم راجعون ظافرين ويتفرّجن على جماجم الاكراد . ولشدّ ما تألمن وتوجّعن وقد عرفن ان اغلب تلك الجماجم هي جماجم ازواجهنّ . على ان اولئك الاكراد قبل اندحارهم فتكوا بكثيرين من العرب (١٥٢). ولقد ابتهج المعتصم بقتل ناصر فطوّق جيد بشير بقلادة ذهبية .

وفي ٦ نيسان ١١٥١ لليونان (٨٤٠م) ظهرت في الشمال علامةٌ حمراء. وهطلت الامطار مدراراً وحدث فيضان أخرب حرّان . وحدثت في حزيران زلزلة عنيفة في ارضروم وسقط من سورها ثمانية عشر برجاً ومات زهاء مائتي نسمة . وفي تموز سقطت نيران على بغداد والبصرة في يوم واحد وفي ساعة واحدة . والتهمت في بغداد خمسة آلاف حانوت ونيفاً . وتقوّضت في اليوم عينه مدينة في خراسان وأمست تلّا من تراب وهلك سكّانها قاطبةً وبعد يوم انفلق جانبٌ من ذلك التلّ وخرج منه رجلٌ واحد وحمارٌ لا غير . وفي١١ ايلول ظهر شكل سحابةٍ في المشرق سارت نحو الشمال والمغرب . وكان جانبها الأعلى أحمر كالدم وجانبها الاسفل كالقمر . واضاء النور طول الليل على جميع الاجسام والجدران والاسوار والدور .

وفي هذا الزمان وصل الروم في البحر الى مرفأ انطاكية ونهبوا التجّار وأجلوا الاهالي وأمر المعتصم ببناء قلعة ضمن المرفأ .

وفي السنة ١١٥٢ لليونان (٨٤١ م) زحف ابو سعيد الى بلاد الروم وغزاها . وفيما كان خارجاً صادفه الروم في قيليقية واسترجعوا الغنائم . وكرّر ابو سعيد زحفه وانقلب مايوساً . وسار الروم الى الحدث ومرعش وبلد ملطية وغزوها .

وفي تلك الاثناء ارسل تئوفيل الهدايا الى المعتصم يسأله مبادلة الاسرى . فتقبل المعتصم الهدايا وقابله بضعفها . وكتب اليه : ان شرعنا لا يسوّغ لنا ان نعادل المسلم بالرومي . ولكن ان منتَ عليّ بالمرب دون ان تطلب بدلًا ففي وسعنا ان نقابلَ ذلك باضعاف ونفوقكم في كلّ شيء . ثم ردّ سفراء الروم في خمسين جملًا موسّقةً هدايا فاخرة وصارا الى الصلح والموادعة .

وفي السنة ١١٥٣ لليونان (٨٤٢ م) انتقض في فلسطين رجلٌ اسمه تميم وكنيتهُ أبو حرب . وانضمّ اليه ثلاثون ألفاً من الجياع والعراة (١٥٣) . وكان يحجب وجهه بمنديل ويتظاهر بانه يغار على شريعةٍ ذهبت حرمتها . وجعل ينهب ويقتل هو كذلك وسار الى اورشليم وحاول ان يحرق الكنائس . فأدّى له البطريرك ذهباً كثيرًا ورحّله . ثم ثار عليه راجا القائد وفتك بثمانية آلاف من رجالهِ . وقبض على الفٍ منهم وعلى ابي حربٍ نفسه وهو مصاب بضربة وارسلهم جميعاً الى المعتصم .

وفي تلك الاثناء انتقض موسى زعيم الاكراد في كردستان فسار اليه العجم في الشتاء . فأهلك الاكراد منهم نحو خمسة عشر الفاً . وكان الاكراد متقلّين في خيامهم متعافين اما العجم فكانت أجسامهم تتقبض لشدة البرد وتتناثر اصابعهم .

وفي هذا الزمان حدث غلاء فظيع وطاعون فتّاك وضيق شديد بسبب ثقل الضرائب واستفحال امر الخوارج حتى ان اهالي دارا ونصيبين وآمد خرجوا من وطنهم مشرَّدين وانقضّ عليهم العجم وفتكوا بهم واشفقوا على النصارى ونجا بسببهم كثيرون من العرب تظاهروا بالنصرانية وهم يصنعون اشارة الصليب . وفي السنة ١١٥٤ لليونان (٨٤٣ م) توفي المعتصم وأعتق بموتهِ ثمانية آلاف من العبيد اشتراهم . وخلّف اربعين الفاً من الخيل للركوب . وعشرين الف بغل لحمل الاثقال وثلاثين الفاً من ساسة الدوابّ . وتوفي في تلك الايام كذلك تئوفيل ملك الروم .

بعد المعتصم الواثق ابنه

تولى خمس سنوات وتسعة شهور . وضيّق على العلماء وأنزل بهم اعدبة فادحةً واستنزف منهم ربوات جمة من الدنانير . وفي السنة الاولى لخلافته وهي السنة ١١٥٥ لليونان (٨٤٤ م) تولى مملكة الروم ميخائيل بن تئوفيل وهو في السنّ الثالثة وكانت تئودورا أمه تسوس المملكة والقائد عمنوئيل متوليًا أمر الجنود . وبعث الروم الى العرب في شأن الصلح والمبادلة بالاسرى . ولما وصل سفيرهم رحّب به الخليفة الواثق اجمل ترحيب ولم يفرط في الكلام كأبيه الذي قال : اننا لن نرضى ان يتوازى النصارى والعرب في مبادلة الاسرى (١٥:١) لكنه رضي بتبادل الواحد بالواحد . غير ان سفير الروم أبى في اول الامر مصرحاً بان الأسرى العرب هم ضباط باجمعهم وقد استؤسروا في الحرب . اما الأسرى النصارى عند العرب فاغلبهم فلاحون غنموهم من القرى شيوخاً وعجائز وفتياناً وفتيات : بناء عليه لا نرى ان نبادل فرداً بفرد . وبعد الخذ وردّ رضي السفير اخيراً بمبادلة الواحد بالواحد . وأحصي عدد الأسرى العرب فكان اربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين . اما الأسرى النصارى فكان اقلّ جداً . ولذا ارسل الخليفة الواثق فجمع من اطراف مملكته كل العبيد والجواري واشتراهم من مواليهم ومع ذلك لم يسدّ عددهم عدد الاسرى العرب . فأخرج من بلاطه جميع الجواري الروميات اللواتي سبق فانتقاهن له وارسلهنّ مع مندوبيه . وتجمهر العرب والروم عند نهر ساوقية بحدود طرسوس وأجروا التبادل والتحرّر .

قيل ان الواثق اوصى مندوبيه ان يستخبروا كل عربي يسرّحونه : هل كلام الله (في القرآن) مخلوق ام لا ؟ فمن قال انه غير مخلوق اطلقوه ومن قال انه مخلوق تركوه في ايدي الروم .

وتوفي الواثق بداء الاستسقاء وعالجه الاطباء بالقعود في تنور حام فشعر بشيء من الفائدة ثم أمر ان يوقدوا النيران اكثر مما تتطلبه اصول الطب واطال القعود فيه فأخرجوه من هناك ميتاً .

وكان خلفاء العرب الى هذا الحين لا يهمهم الا احراز النصر والظفر

لكنهم بعد ذلك استماوا للخلاعة وانهمكوا في السكر . وبالغ الفجور والفسق من الواثق حتى ان ولّى احدى جواريه المطربات واليه بمائة الف دينار ذهباً وبالإمارة على مصر ديةً لها . ولو لم يردعه كبار الدولة لأدى ذلك دون تريث . وانتهى الامر بان ابتاعوها له بعشرة آلاف ذهبيّ .

بعد الواثق اخوه المتوكل

تولى اربع عشرة سنةً وتسعة شهور . وكانت خلافته عام ٢٣١ للعرب (٨٤٥ م) (١٥٥) وتمادى في بغض المسيحيين حتى اضطرّهم ان يتعمموا بعمائم صوف وان لا يخرجوا خارجاً إلّا يتزنّروا بزنّار وكستيج . ومن كان له عبدٌ لزمه ان يخيط على قميصه من قدّام ومن خلف رقعةً لونها غير لون القميص . وان تقوّض الكنائس الحديثة البناء . واذا كان للنصارى كنيسة واسعة ولو قديمة وجب ان يؤخذ جانب منها ويجعل مسجداً . وان لا يطوفوا بالصلبان في احتفالاتهم . وشدَّد بمثل هذه الاوامر الجائرة وافظع منها على اليهود . وقوّض ضريح الحسين بن عليّ المتصل نسبه بابنة نبيهم وهدم البيوت المجاورة له وأمر ان يُزرع ذلك المكان ويُسقى ويُساق بالفدّان ويمحو اثر الضريح تماماً .

وظهر في عهده رجل بنيسابور ادّعى النبوة وانشأ كتاباً ضمنه على زعمه ما لقنه جبرائيل الملاك وتبعه الكثيرون . فقُبض عليه وصُفع حتى أقرّ بكذبه .

وفي السنة الثالثة لخلافة المتوكل عقد إمارة البلاد لابنائه الثلاثة فجعل المنتصر والياً على افريقية ومصر وما بين النهرين وآثور والخابور وقرقيسيا وتكريت والجنوب وارض سبا وشبا حتى حدود الهند وشهرزور واصفهان وقوم وقاشان وقزوين وجبال العجم اجمع . وولى المعتز ابنه الثاني خراسان وطبرستان والريّ وارمينية واذربيجان وان يقبض حساب جبايات بلاد العرب عموماً . ونصب المؤيد ابنه الثالث والياً على دمشق وحمص وارض الاردن وفلسطين .

وفي السنة ٢٣٧ للعرب (٨٥١ م) سار بكراط بن آشوط بطريق ارمينية الى زيارة يوسف بن محمد رئيس قوّاد الجيوش العربية بشأن عقد الصلح . فقبض

عليه يوسف وأوثقه وبعثه الى بغداد . فاحتشد عساكر الروم و . . من و تقضوا على مدينة طارون حيث كان يوسف . وما ان برز يوسف مناوشتهم حتى خر صريعاً هو وكل من شاركه في القتال . اما سائر العرب (١٥٦) غير المحاربين فقد نزع الارمن ثيابهم وتركوهم عراة حفاةً مرأهم الثلج وقضى عليهم .

وبعد هذا توجّه بغا القائد الكبير الى ارمينية فسبى وقتل الكثيرين . وبعد قليل زحف بيد وزيرك التركيّ الخارجيّ وكان قد استقلّ بتفليس فنتك به زيرك على نهر كور الذي يمرّ وسط تفليس وأضرم فيها النيران فالتهمت زهاء خمسين الف نسمة وكانت أبنيتها كلها من خشب الصنوبر الذي يتقد وينطفئ فورًا بخلاف خشب البلوط وفي يوم واحد اطفأوا النيران كلها .

وخلع الحصيون والي مدينتهم وفتكوا به .

وفي هذا الزمان استخفّ العرب بالروم ونقضوا الصلح ولاسيا لان مقاليد مملكتهم كانت بيد امرأة . فنهضت تيودورا الملكة ووجهت الجيوش الى قيليقية عام ١١٧٢ لليونان (٨٦١ م) فغزوا بلد عين زربة كله . وما ان اطّلع المتوكل على ذلك حتى وجّه اليها الحاجب نشيف بمثابة سفير لاجل الصلح واعتاق الاسرى . فقالت له الملكة : اننا نوافق على عقد الهدنة ولكن انّى لكم عشرون الف اسير مسيحي تبادلونهم بالأسرى العرب الذينعندنا ? على ان السفير راضاها كيفما كان فاطلقت ثمانية آلاف أسير وابقت على اثني عشر الفاً وقالت : ان هؤلاء قد تنصّروا فلا سبيل الى التخلي عنهم . قيل ان نشيف لما تسلم الالاف الثمانية وخرج أمرت تيودورا بقتل البقية لانهم بعد ما تنصروا واعتمدوا حاولوا الهرب . وروى بعضهم ان نيقولا حاجبها فتك بهم دون علمها .

وفي هذه السنة زحف قومٌ من الاحباش البوغيين وقتلوا جميع العرب العاملين في معادن الذهب والحجار الكريمة بين حدود مصر والحبشة . فسار اليهم عنبسة القائد العربي في عشرين الف فارس وراجل (١٥٧) في ذخائر وافرة ومياه كافية لخلوّ تلك الصحراء من الماء والسكان مسافة ثلاثة ايام. وجعل البوغيون يقاتلون وهم على ظهور الجمال والجمال تفرّ هرباً مما تشاهده او تسمعه . فأمر

عنبسة جنوده فعلقوا جلاجل في رقاب خيلهم واطبقوا على البوغيين وكسروهم وفتكوا بالكثيرين منهم . وخضع بقيتهم للعرب واصبح ملكهم يؤدي كل عام اربعمائة مثقال من الاكسير كالعادة .

واشتهر في هذا الزمان الطبيب بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جورجيس بن بختيشوع العيلاميّ . وخدم الخليفة المتوكل واحتظى لديه حتى صار يعادله في كسوته ومقامه وماله وثروته وعبيده وجواريه ، وأحبه الخليفة حباً جماً حتى انه لما دخل الطبيب يوماً وجلس قريباً منه كعادته فوق السدة متوشحاً بدراعة أطلس رومي وذيله مشقوق قليلاً طفق الخليفة يحادثه وهو يعبث بذلك الفتق حتى بلغ الى الاكام . وجرى بينهما ما يجري بين المتوهين المخبلين . ثم سأل الخليفة طبيبه : بمَ يعرف الاطباء ان المجنون يحتاج الى الربط بالقيود ؟ ولما كان بختيشوع قد شعر بما فعل الخليفة بثوبه قال له : نعرف ذلك اذا بلغ المجنون في فتق رداء طبيبه حتى الاكام فعند ذلك نقدّر انه يفتقر الى قيود . فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره وأمر له بثياب فاخرة ألبسوه اياها . وعلى فرط محبة المتوكل لطبيبه هذا فقد قلب له ظهر المجنّ واستصفى كل ماله على اثر مأدبة فاخرة أعدها له الطبيب . اذ هيأ فيها خمسة آلاف خوان على كل خوان خروف مشوي ودجاجتان وحماتان وثلاثة الوان طبيخ وطبق حلوى وخبز سميذ كافٍ ونقول وطيوب وثلج (١٥٨) كثير قد استُحضِر من جبال آثور الى بغداد في فصل الصيف . قيل ان الخليفة بعد ما اخذ ما اخذ من بختيشوع ظل لديه من الحطب والفحم والنبيذ ما ابتاعه منه الحسين بن المخلد الشريف بستة آلاف دينار ثم باع ذلك باثني عشر الف دينار .

غير ان بختيشوع خرق النواميس البيعية واتخذ امرأتين معاً وحبلت كل منهما وولدت ابناً ، احدهما جبرائيل وثانيهما يوحنا الذي تولى مطرانية الموصل . ولم يتوفق بعد ذلك . وكان في اول امره يجلس في مركبة من ابنوس ويذهب من دار الخليفة الى داره . وكان يقوم بخدمته الف رجل . وكان منذ المساء حتى منتصف الليل يستسلم الى الخلاعة القبيحة ثم ينهض نصف الليل يصلي يحيط به خصيان سود كان مغرماً بحبهم . وكان يجلس على فراشه بعد الصلاة ويطالع

الاكحيل حتى الصباح ميركب الى خدمة الخليفة . ويقال ان نفقة شماته وزيته وطيوبه بلغت خمسمائة دينار . وبعد ما افتقر بختيشوع خلّف ابنين وثلاث بنات تفرقوا في البلاد .

وفي السنة ١١٧٦ لليونان (٨٦٥ م) وهي السنة ٢٤٥ للعرب وجّه ميخائيل ملك الروم اطروفيلس الشيخ سفيراً الى المتوكل خليفة العرب في سبعة وسبعين اسيراً بثابة هدية فرحب به الخليفة وعقد معه الصلح .

وفي هذه السنة حدثت زلزلة عنيفة في انطاكية قوّضت الفاً وخمسمائة دار واكثر من تسعين برجاً في سورها وسُمعت من الارض اصوات مخيفة هائلة. واخربت هذه الزلزلة اماكن كثيرة في سوريا واتلفت اهالي اللاذقية وجبلة جميعاً.

وفي السنة ٢٤٦ للعرب (٨٦٦م) بعث المتوكل سفيراً الى ميخائيل ملك الروم يقال له الناصر بن أزهر في الف (١٥٩) صرّة مِسكٍ واوانٍ فاخرة وزعفران وافر وامتعة اخرى . فرحب به الملك اجل ترحيب وردّ اليه الفي أسير بينهم عشرون امرأة وعشرة فتيان . قال الناصر : اني طول مكوثي في قسطنطينية لم أرَ الملك يتكلم بعد اصغائه الى حديثي بواسطة ترجمان بل كان يجيب بكلمة نعم لا غير . فكان خاله يتكلم بدلا منه لانه كان بعدُ فتى . ولما كان الكثيرون من العرب قد اصطبغوا بماء العماد اصدر ملك الروم امراً بان ينطلقوا الى بلاد الحدود التي بين الروم والعرب . وقال : ان الذي يرغب النصرانية ويعود الى بلادنا نقبله بثابة مؤمن حقيقي . قال الناصر : رجع منهم صائغان شهيران من اهالي افريقية وغيرهما كثيرون لم يتبعونا .

وفي السنة ١١٧٧ لليونان (٨٦٦ م) وهي السنة ٢٤٧ للعرب اتفق المنتصر ابن المتوكل سراً مع العبيد الاتراك فانصبُّوا على ابيه بالسيوف وهو سكران وبطشوا به .

بعد المتوكل المنتصر ابنه

تولّى الخلافة ستة اشهر واضطرّ اخويه المعتزّ والمؤيد وهددهما بالقتل إلم يتخليا له ولبنيه عن الخلافة خلافاً لما قرره المتوكل ابوهم اعني ان يتولاها الواحد تلو الآخر . وقد اضطرّ الاخوان على كره منهما ان يكتبا بخط يدهما

ويُشهدا عليها رجال العدل بانها تنزّلا عن حقها طوعاً وان المنتصر اخيها ان يولي الخلافة لابنه من بعده . هكذا ما اكتفى المنتصر بقتل ابيه بل غدر باخويه ايضا . لكن خلافته لم تستغرق اكثر من ستة اشهر ومات بداء الذبحة بالغاً الخامسة والعشرين . قيل انه قبل وفاته رأى في الحلم كأنه يتسلّق سلماً فلما وصل الى الدرجة الخامسة والعشرين قيل له : مكانك . هذه نهايتك !

بعد المنتصر المستعين بن المعتصم

تولى ثلاث سنوات وثلاثة اشهر . لما توفي المنتصر تشاور (١٦٠) الاقطاب وقضوا بان لا يملّكوا احدًا من اخوة المنتصر لانهم اشتركوا جميعاً في قتل ابيهم غدرًا . فأحضروا من ثم المستعين بن المعتصم أخا المأمون وأقعدوا له وبايعوه بالخلافة .

وفي السنة ١١٨٠ لليونان (٨٦٩ م) وهي السنة ٢٤٩ للعرب زحف عُمَر قائد الجيوش العربية الى بلاد الروم . فلقيه الروم في مرج المطران بحدود ملطية وأجهزوا عليه وعلى الفين من اصحابه . ولما سمع علي بن يحيى القائد الاكبر حشد عساكر كثيرة من ميافرقين وارمينية وزحف يريد مناوشة الروم فكانت الدورة كذلك عليه وخرّ قتيلًا . فسمع اهالي بغداد وسامرًا بقتل هذين القائدين الكبيرين وادركوا ان العبيد الاتراك قد احتلوا دولة العرب وجعلوا يقتلون من ارادوا ويستخلفون من أحبوا فحشدوا جماهير غفيرة من السوقة وقطاع الطرق وقصدوا السجن وحطموا الباب واخرجوا المجرمين واتفقوا معاً وقطعوا جسر دجلة ودخلوا الخزينة ونهبوها واحرقوا صكوك الكتّاب . ونهبوا من الجملة داري بشر وابرهيم ابنَي هرون النصرانيين . فسخط العبيد الاتراك وفتكوا بالكثيرين من قطاع الطرق وانتهت الفتنة .

بعد المستعين المعتزّ بن المتوكل

تولى اربع سنوات وسبعة شهور . في السنة ٢٥١ للعرب (٨٧١ م) لما نزل المستعين من سامرًا الى بغداد تجمهر الاتراك واخرجوا المعتزّ والمؤيد ابنَي المتوكل من السجن وحالفوا المعتز وبايعوه بالخلافة . واقسموا للمؤيد بالخلافة

بعده . فاصبح اهالي بغداد متحزبين للمستعين واهالي سامرا للمتوكل . وحدث بسبب ذلك شغب كثير وقتل الكثيرون من الحزبين .

وفي السنة ١١٧٩ لليونان (٨٦٨م) توفي ميخائيل ملك الروم واستغرق ملكه خمساً وعشرين سنة ولم يخلّف ابناً (١٦١) وخلفه رجل اسمه باسيل خمس سنوات.

اما المعتز فانتقض على اخيه المؤيد وعبث بما أبداه من الأيمان والعهود والقاه في السجن وظلّ يصفعه حتى استكتبه التنزّل عن حقه بخط يده. ولم يقتصر على ذلك بل وجّه الى السجن مَن أدرجه في فراء من جلد السمور الذي يدفئ كثيراً ثم أمر ان يدخلوا رأسه فيه ويربطوا يديه ورجليه ويخيطوا الفراء ويتركوه . وهكذا قضى نحبه . ثم اخرجه المعتز واستحضر القاضي وشهود العدل فلم يجدوا فيه اثراً لطعنة سكين او لحبل في عنقه فقرّروا انه مات موتاً طبيعياً .

اما المستعين الذي تنزّل كذلك فقد حزّ الاتراك هامته واحضروها الى المعتز . وكان المعتز فيما قيل يلعب ويتنزه بالشطرنج فقال لهم تربّصوا ساعةً ريثما افرغ من الدست ثم أنظره . وبعد ما فتك المعتز باخيه وبالمستعين وثق بقوّته واعرض عن الاتراك ولم يؤدّ لهم ارزاقهم . فاحتشدوا عام ٢٥٥ للعرب (٨٦٨ م) مسلحين على باب الخليفة وطالبوه بحقوقهم . فارسل الى امّه لتعطيه ما يؤدّي لهم فقالت ان ليس لديها شيء . عند ذلك وثبوا عليه وبصقوا في وجهه ولطموه والجأوه ان يكتب كتاب تنزّله عن الخلافة. ثم اوثقوه وزجوه في سرداب ضيق وسدوا الباب في وجهه وتركوه بضعة ايام حتى قضى نحبه فاخرجوه ودفنوه . هكذا جرى به ما أجراه بغيره.

بعد المعتز المهتدي بن الواثق

تولى احد عشر شهراً وعشرين يوماً . ولم يرضَ بالخلافة على ما قيل حتى احضروا المعتز امامه وتنزل مقرّاً بالعجز وعدم الكفاءة بما أسند اليه .

وظهر يومئذ علي الخارجي وادّعى انه من سلالة علي ابن عم نبي المسلمين. وانضم اليه طائفة كبيرة من احباش واعراب أطلق عليهم لقب قرامطة باسم (١٦٢) وطن علي زعيمهم . وقد اجهزوا على الكثيرين من العرب واحتلّوا

مدة حروب عدة . وتسمى بـ سوريا ومصر وملحوظة سوما كثيرة .

اما المهتدي فقد طرد مطربين والمطربات من سرّ من رأى (سامرا) حيث كان يقيم الخلفاء يومئذ وكسّر آلات الطرب وفتك بالسباع والنمورة والكلاب التي كان يلتهي بها من سبقه من الخلفاء . فثار عليه العبيد الاتراك ليفتكوا به فانهزم من وجههم ممتطياً حصاناً وهو يصرخ ويقول : يا ناس ساعدوا خليفتكم! فلم يستجبه احد فدخل داراً والاتراك يلحقونه فطافر من سطح الى سطح حتى أدركوه وقتلوه عام ٢٥٦ للعرب (٨٦٩ م)

واشتهر في هذه القضون حنين الطبيب الفاضل ابن اسحق . وكان ابوه صيدلياً في الحيرة وأحبّ ان يدرس الطبّ . فشخص الى بغداد وقرأ مجموعة الاسكندريين على الطبيب يوحنا بن ماسويه . وفي بعض الايام اعترض حنين على معلمه يوحنا فحرد يوحنا وطرده وقال له : دع عنك الطبّ حسبُ من كان مثلك ان يبيع فلوساً بجانب الطريق . فامتعض حنين وخرج باكياً وتوجه الى بلاد الروم واقام بها حتى أحكم اللغة اليونانيـة وتوصل الى ان ينقل الكتب عنها الى السريانية وعن السريانية الى العربية وعاد الى بغداد ثانية بزيّ يوناني وقصد جبرائيل رأس الاطباء ابن بختيشوع فامتحنه وزاد في تبجيله وسماه الربّان وقال للحاضرين إن مُدّ في عمر هذا الشاب فلن يترك ذكراً لسرجيس الراسعينيّ . وبلغ خبره يوحنا الذي طرده فاستدعاه واستغفره . ولم يزل فضل حنين يتزايد يوماً فيوماً وهو يفسر انواع العلوم حتى توفي في كانون الاوّل ١١٨٨ لليونان (٨٧٧ م) وهي السنة ٢٦٠ للعرب .

وخلّف حنين ابنين هما اسحق وداود . وفسر اسحق كذلك(١٦٣) كتباً جمة . ومجموع تآليف حُنين خمسة وعشرون كتاباً سوى ما نقله عن اليونانية الى السريانية والعربية . وكان له ابن اخت يقال له حبيش بن الحسن الأعسم . ومن حسن حظّ حنين ان اغلب ما نقله حبيش لمّا كان يطالعه بعض الجهّال كانوا يتوهّمون انه بقلم حنين وان الناسخ صحّف الاسم فكانوا يكشطون لفظ حبيش ويكتبون بدلاً منه لفظ حنين . ولهذا أمست تآليف حبيش قليلة وأصبح اغلبها مكتوباً باسم حنين .

بعد المهتدي المعتمد بن المتوكل

تولى ثلاثاً وعشرين سنة . وقضى زمان خلافته في مقاتلة الخارجي الذي ظهر في الجنوب . وفي السنة ٢٦٥ للعرب (٨٧٨ م) انتزع الروم من العرب قلعة لولوة وفي القابل حشد ابن الرشيد القائد العربي اربعة آلاف فارس وسار بهم الى بلاد الروم فأغار عليه بطارقة سلوقية وطوانا وخرشنة وغيرهم واحاطوا بجيشه . فأيس العرب وانحدروا عن خيلهم وربطوها وخرّوا على ركبهم وجعلوا يصبون السهام نحو الروم فلم يُجدهم ذلك نفعاً . على ان الروم انصبوا على العرب وقتلوا البعض واستأسروا البعض الآخر في جملتهم ابن الرشيد قائدهم .

وفي السنة ٢٧٠ للعرب (٨٨٣ م) حشد الموفق قائد الجيش العربي كتائب ضخمة بحراً وبراً وسار يريد الخارجي في الجنوب وتغلب عليه بعد عراك شديد وفتك به ما بين نهرَي بابل وبطش بعسكره . ولم يكتفِ علي بادّعائه انه من سلالة النبي العربي بل اذاع انه هو النبي وانه لما كان يوماً في الصحراء ظللته سحابة تبعها رعد وصوت من الرعد يقول له :اقصد البصرة تحرز النصر. ولقد انتصر واحتلّ المدينة واجتمع اليه الضبّاط ولكنه (١٦٤) لم يتوفق في الزعامة .

وفي السنة ١١٩١ لليونان (٨٨٣ م) توفي باسيل ملك الروم وخلفه ابنه لاون ثلاث عشرة سنة . وخرق الشرع النصراني فهجر امرأته وتزوج بامرأة ثانية ثم طلقها وتزوج بامرأة ثالثة ورابعة واتخذ زوجتين معاً .

وفي السنة ٢٧١ للعرب (٨٨٤ م) انقضّ لصوص بغداد على الدير الذي بعد نهر عيسى ونهبوا ما فيه وقوّضوا بعض جدرانه .

وبعد سنة ثار العرب في طرسوس ودكوا أبنية الكنيسة الكبرى الجديدة وحدثت زلزلة هائلة قوّضت مسجد مصر الكبير وكثيراً من الدور . وحدث كذلك وباء قتال وأحصي في يوم واحد الف نعش ميت . وحدث كذلك غلاء في بغداد .

وفي السنة ١٢٠٠ لليونان (٨٨٦ م) انفلق تلٌّ على ساحل نهر البصرة

تحت بغداد وصادف الناس سبعة موتى موضوعين في اجران حجرية ونبأ من الجلد . وقد حفظت جثثهم واكفانهم ورائحة مسك تفوح من اجسامهم . وحفظت كذلك آذانهم وانوفهم وشفاههم وشعورهم وحواجبهم وعيونهم كأنها مكحلة . وشاهدوا اثر طعنة رمح في جنب احدهم . وحفرت على اجرانهم كتابات حجرية لم يتوصل احد الى قراءتها .

واشتهر آنئذ محمد بن زكريا الطبيب . ترك الريّ وطنه بفارس ووافى الى بغداد بالغاً الثلاثين من سنه ودخل البيمارستان واكبّ على العلم حتى فاق ابناء عصره . وصنف كتباً جمة في الطب والكيميا افضلها كتاب الحاوي . وعلى اثر وفاته دفع صاحب البلد ذهباً وافراً الى اخته واشترى اوراقاً مبعثرة من ذلك الكتاب ضمها تلامذته في كتاب واحد ولكنه ظل غير منتظم .

خبر النصيريين (١٦٥) في فونيقية

رغب الكثيرون ان يعرفوا من هم النصيريون فنقول : في السنة ١٢٠٢ لليونان (٨٩١ م) ظهر شيخ في اطراف الكوفة بقرية الناصرية كان يكثر من الصوم والصلاة ويتظاهر بالزهد وتبعه كثيرون من اهل البلد . واصطفى اثني عشر رجلاً بعدد الرسل واوصاهم ان يبثوا بين الناس تعاليماً غريباً . ولما اطلع حاكم البلد على خبره ارسل فقبض عليه وحبسه في احدى غرف داره وأقسم انه صباح الغد يشنقه . وشرب الحاكم تلك الليلة خمرًا حتى سكر وفرشوا له لينام . فطلب مفتاح الغرفة التي حبس فيها الشيخ ووضعه تحت وسادته وغرق في النوم . وكان للحاكم خادمة تنام عنده سبقت فاطلعت على صوم الشيخ وصلاته فاخذتها الشفقة عليه وقصدت مولاها وهو غارق في سبات عميق والتقفت المفتاح وذهبت فاطلقت الشيخ ثم اغلقت الباب وردّت المفتاح الى مكانه .

ولما افاق الحاكم تناول المفتاح وفتح باب الغرفة فلم يجد فيها احدًا فأخذه الدهش وتخوّفت الخادمة ان تعلمه بانها هي التي فتحت وأطلقته. وهكذا ذاع الخبر بان الشيخ خرج والابواب مغلقة . وما عتم ان شاهد الشيخ اثنين من

تلامذته يسوقان فدّاناً في اراضٍ بعيدة عن القرية فقصد نحوهما وأكد لهما ان الملائكة اطلقوه وجاءوه في البرّية . ثم كتب كتاب مذهبه ودفعه اليهما ليعلّما الناس بموجبه . وقد اثبت فيه ما يلي : اني انا فلان الذي يُظنّ انه ابن عثمان من قرية الناصرية قد ظهر لي في الرؤيا المسيح يسوع الكلمة الهادي وهو احمد ابن محمد بن الحنفية من ولد علي . وهو جبرائيل (١٦٦) الملاك وقال لي : انك انت الداعي . انت الحق . انت جمَل يحقد على غير المؤمنين . انت بهيمة حاملة ثقل المؤمنين . انت روح . انت يوحنا بن زكريا فأنذر الناس ليجثوا اربع ركعات في صلاتهم : ركعتين قبل بزوغ الشمس وركعتين قبل الغروب شطرَ اورشليم . ويقولون في كل مرّة هذه العبارات الثلاث : الله السامي على الكل . الله الاعظم من الكل . الله الاكبر من الكل . وان لا يشتغلوا يومَي الاثنين والجمعة . وان يصوموا يومين في السنة . وان يقللوا من غسل اعضاء التناسل . ولا يشربوا المسكر بل يشربوا ما ارادوا من الخمر . ولا يأكلوا لحوم الحيوانات الضارية .

وبعدما لقنهم تعليماً مثل هذا سقيماً سخيفاً انتقل الى فلسطين وجعل يلقن الناس الجهلة القرويين ثم اختفى من هناك ولم يقف احد على مكانه حتى اليوم.

وفي السنة ١١٩٨ لليونان (٨٨٧م) برز اندراوس الاسفطريق في جيش كثيف وزحف الى بلاد العرب . فلقيه تازمان الحاجب قائد الجيش العربي . فانكسر الروم وسلبهم العرب صلباناً ذهبية وفضية كانت في رؤوس رماحهم.

وفي السنة ٢٧٩ للعرب (٨٩٢ م) أخرجَ المعتضد على المشعوذين والمنجمين والسحرَة الجالسين في قارعة الطريق . وشدّد على باعة الكتب بيع كتب الفلسفة والمباحث والمجادلات الدينية . وفي السنة عينها بالغ الخليفة في شرب الخمر حتى أغمي عليه وعاجلته المنون .

بعد المعتمد المعتضد بن الموفّق

تولى تسع سنوات وتسعة شهور وكانت خلافته عام ٢٧٩ للعرب (٨٩٢م).

وفي السنة ٢٨٠ للعرب (٨٩٣ م) زحف اسمعيل بن احمد القائد العربي في

جيوشه الى بلاد ... وقبض على مسكيم ... ونهب عاصمته واسعد زهره. عشرة آلاف من الاسرى الاتراك وعم عدداً وافراً من الانعام والبهائم . وفي هذه السنة حدثت زلزلة (١٦٧) هائلة دكت مدينة كبرى في الهند الخارجة . وقد نبشوا من تحت تراب الدور المتهدمة مائة وخمسين الف جثة وطمروها .

وفي السنة ١٢٠٧ لليونان (٨٩٦ م) توفي لاون ملك الروم بداء الامعاء. وخلفه ابنه الكسندر سنةً واحدةً . وقد زاغ قلبه عن الايمان وتشبث بالسحرة والرقاة فضربه الله العادل واعدمه الحياة . وخلفه اخوه قسطنطين اربعة اعوام. وفي اول عهده زحف سيمون زعيم البلغار والصقالبة الى قسطنطينية واتلف قرى جمة وحاصر العاصمة واحتفر خندقاً من بلاخرنة حتى باب الذهب . فسيّر اليه ملك الروم يقول : عَلامَ هذا الخلاف بيننا ونحن باجمعنا مسيحيون ابناء معمودية واحدة . لكن سيمون لم يقتنع بالموادعة فحشد الملك قسطنطين الاسرى العرب الذين في قسطنطينية ووعدهم باطلاق سبيلهم ان ساعدوا الروم في مناوشة البلغار . فأقسموا للملك في ذلك فدفع لهم اسلحة وزحف الروم والعرب معاً باتفاق تام وتغلبوا على الصقالبة وقتلوا الكثيرين منهم وهزموا البقية . غير ان الملك اخلف في وعده واسترجع السلاح من العرب واوثقهم ثانية وفرّقهم في بلاده لئلا يتباهوا او يتفاخروا . على ان البطريرك ميخائيل المغبوط اورد في تاريخه ان هذه الحرب وقعت بين الروم والعرب . اما التواريخ العربية فذكرت انها جرت بين الروم والصقالبة . وهذا هو الصحيح . لانه لا يُعقل ان الروم يُطلقون الاسرى العرب ويعدّونهم بالسلاح ليقاتلوا العرب اخوانهم .

وفي هذه السنة عينها احتشد العرب في بغداد وادّعوا ان خادم ابي غالب النصرانيّ طبيب الخليفة قد شتم نبيهم وحاولوا ان يفتكوا به . فسمع الخليفة المعتضد بما اتتوا وجاهر بان العرب كذابون ووجّه الجنود (١٦٨) فانقذوا الخادم .

وسبق المنجمون فقضوا ان الامطار ستهطل مدراراً في هذه السنة وتفيض

الينابيع وتغرق بغداد وتهلك اهاليها . غير انه منذ فاتحة السنة حتى خاتمتها لم تسقط على الارض نقطة مطر واحدة حتى ان الينابيع جفّت . فاعترى المنجمين الخزي والخجل .

واشتهر في هذا الزمان ابو الحسن ثابت بن قرّة بن مروان بن قيورا بن ابرهيم بن قيورا بن ماريئون بن سلومون الصابئ الحرّانيّ . كان صيرفياً في سوق حرّان ثم أتقن الفلسفة واحكمها وتضلع من اللغات اليونانية والسريانية والعربية . وصنف في العربية زهاء مائة وخمسين كتاباً في الفصاحة والرياضة والفلك والطبّ . وألف في السريانية ستة عشر كتاباً طالعنا نحن اغلبها : منها كتاب شرائع الصابئة وضوابطها . وكتاب في تكفين الموتى . وكتاب حقيقة ديانة الصابئة . وكتاب الطهارة والنجاسة . وكتاب في ما يصلح من الحيوان لتقريب الضحايا . وكتاب اوقات الصلوات . وكتاب قراءات ما يوافق كلاً من النجوم السبعة في الصلوات . وكتاب التوبة والطلبة . وكتاب الموسيقى . وتاريخ ملوك السريان الاقدمين اعني الكلدان . وكتاب ديانة الصبأ . وكتاب تقسيم ايام الاسبوع على الكواكب السبعة . وكتاب تاريخ مشاهير أسرته وسلسلة آبائه . وكتاب نواميس هرمس وصلواته التي يستعملها الصبأ . وكتاب في ان السطرين المستقيمين اذا ضُبطا على اقل من زاويتين مستقيمتين التحما معاً . وكتاب آخر في الصدد عينه .

ولأبي الحسن خطبة وصف بها حرّان والصابئة ورد فيها ما تعريبه : لقد اضطرّ الكثيرون ان ينقادوا للضلال خوفاً من العذاب . امّا آباؤنا فقد احتملوا ما احتملوا بعونه تعالى ونجوا ببسالة . ولم تتدنس مدينة حرّان هذه المباركة بضلال الناصرة قطعاً . فنحن هم الوارثون والمورثون للصابئة المنتشرة في الدنيا . فالذي يحتمل بوجاء ونبق اثقال الصابئة يُعدّ ذا حظ سعيد . ليت شعري من عمّر المسكونة وابتنى المدن أليس خيرة الصابئة وملوكهم ؟ مَن أسس المرافئ والانهار ؟ مَن شرح العلوم الغامضة ؟ لمن تجلّت الالوهية الملقّنة الكهانة والمعلّمة المستقبلات الّا لمشاهير الصابئة ؟ فهم الذين اوضحوا ذلك كله وكتبوا عن طبّ النفوس وخلاصها . ولقّنوا كذلك

طبّ الاجساد وامدوا الدنيا اعمالاً صالحة وحكمية هي دعامة الفضيلة . فلولا علوم الصابئة لأمست الدنيا قفراء فارغة متقلبة في العوز . اقتطفنا هذا من تآليف ذلك الرجل كما توضح نبوغه في اللغة السريانية . وقس على ذلك تصانيفه في اليونانية والعربية فهي في اتقانها وفصاحتها على اتم ما يرام .

وفي السنة ٢٨٥ للعرب (٨٩٨م) هبّ هواء أصفر في ناحية الكوفة وتحوّل الى هواء اسود وهطل مطر شديد وحدثت رعود وبروق هائلة مريعة. وهبط ليلة الاحد من الجو حجار سوداء وبيضاء . وسقط في البصرة بَرَدٌ وزن الواحدة مائة وخمسون درهماً . وانقضّ اللصوص العرب على عدّة مراكب روميّة واحرقوها مع من فيها من الركّاب وكانوا فيما يقال ثلاثة آلاف نسمة.

وفي السنة ٢٨٧ للعرب (٩٠٠م) انتقض الوصيف الخصيّ القائد العربيّ في قيليقية وتهيأ للحرب بحرًا . فأمر المعتضد باحراق جميع مراكب العرب. وكان عرب طرسوس يتلصّصون في البحر فاستفاد المسيحيّون من ذلك فائدةً تُذكر. وبعد سنةٍ حدث وباء قتّال في مدن اذربيجان حتى كلّ الاحياء عن دفن الاموات اذ كان الوباء يباغتهم حالاً.

وفي هذه السنة زحف محمّد القائد العربيّ الى بلاد الروم وسبى بعض القرى واستأسر مائة محارب وستين من الاكليرس قسوساً وشمامسة (١٧٠) واحتوى على صلبان وامتعةٍ بيعيّة. فحشد الروم جيوشاً ضخمة برًا وبحرًا وساروا حتى وصلوا الى الكيسوم وأجلوا خمسة عشر الفًا ونيفًا من العرب رجالاً ونساء وصبياناً. واستاقوا الى بلادهم اغلب المسيحيين على كرهٍ منهم لئلّا يعود العرب فيفتكوا بهم.

وفي السنة ٢٨٩ للعرب (٩٠٣م) توفّي المعتضد وارسل الاقطاب في استحضار ابنه المكتفي من الرقّة وبايعوه بالخلافة.

بعد المعتضد المكتفي ابنه

تولّى ست سنوات وتسعة شهور. وما كاد يستقلّ في الخلافة حتى أمر ان تُطَمّ الأجباب التي حفرها ابوه وجعل يحبس فيها المجرمين . ورُزق ابناً اسمه جعفر نبغ في علم الفلك والتنجيم حتى فاق من سبقه. وجاءه يوماً احد الحجّاب

في كتاب تنجيم وسأله ان ينظر طالع وَلدٍ وُلد في الدار حديثاً . فتأمله جعفر وقال : ان هذا الولد لا عقل له وسيتناول غذاءه بيده بعد ثلاثة واربعين يوماً ويأكل . ثم قال للحاجب : قل لي الحقيقة ما هذا ؟ قال الحاجب : لستُ أُخفي عليك أني جئتك بطالع فرخ سنور .

وفي السنة ١٢١٣ لليونان (٩٠٢م) حدث وقت الصيف حادث غريب جداً . ذلك ان الرياح الشمالية عصفت في مدينة حمص وتبعها برد قارس وجمدت المياه واكتسى الناس بالفراء وجعلوا يصطلون بالنار .

وفي السنة ١٢١٨ لليونان (٩٠٧ م) أرسل باسيل الحاجب سفيراً الى المكتفي خليفة العرب بشأن التبادل بالأسرى وكان معه اربعة اشخاص من الاسرى العرب بمثابة هدية . فرحب به الخليفة واكرمه . وانتهى التبادل في السنة التالية فكان أسرى العرب ثلاثة آلاف رجالاً ونساءً وأطلق سراحهم وفي هذه السنة وهي السنة ٢٨٩ ؟ للعرب توفي المكتفي وبويع اخوه بالخلافة.

بعد المكتفي اخوه المقتدر

تولى سبعاً وعشرين سنةً وهو في ربيعه الثالث عشر (١٧١) فندم الاقطاب لانهم بايعوه بالخلافة وهو غير مكتمل العقل والسن . واهتمّ العباس احدهم للأمر جداً فاجتمع بالاقطاب وقصدوا المعتضد بن المعتزّ وبايعوه وارسلوا إلى المقتدر والى امه ومربّيته وحجّابه في مغادرة البلاط . فثار مؤنس كبير الحجّاب واجتمع بسائر الحجّاب والعبيد الاتراك وتسلّحوا وباغتوا الاقطاب وهم محتشدون عند ابن المعتزّ فقتكوا بالعبّاس وببعض اصحابه واستأسروا بقيّتهم . ثم مضوا بابن المعتزّ الى البلاط وخنقوه ليلًا ودفنوه في الدار عينها فاستقلّ المقتدر بالخلافة .

وفي السنة ١٢٢٠ لليونان (٩٠٩ م) تراكمت الثلوج في بغداد حتى بلغ علوُّها اربع اصابع فوق السطوح . ولم يكن يومئذٍ في بغداد من شاهد الثلج بعينه . وبعد ثاني عشرة سنة وهي السنة ٣١٥ للعرب و١٢٣٨ لليونان (٩٢٧ م) حدث في بغداد عينها برد قارس حتى جمد خلُّ الخمر في الخوابي وقس عليه البيض والزيوت ويبست الاشجار .

وفي السنة ٩٠٩ عينها زحف مؤنس الحاجب في الجيوش العربية الى بلاد

الروم من ثغر ملطية وسبى وغزا وعاد. وفي السنة ٢٩٩ للعرب (٩١١ م) اغار رستم القائد العربي على بلاد الروم من ثغر طرسوس ودوّخ حصن مليح الارمني واحرقه. وفي تلك السنة وزّع المقتدر على المطربات في بلاطه الف دينار ذهباً وعلى هذا النمط افرغ خزائنه. وجعل العبيد الاتراك يطالبونه بارزاقهم وهو يماطلهم ويعذّب الكتّاب واصحاب الاموال اعذبة فادحة ويستترف اشياءهم. على ان العرب في اوّل امرهم كان النصر حليفهم ولمّا اتّسعت دولتهم (١٧٢) اخذوا ينتصرون تارة وتارة ينكسرون. وفي هذه الازمنة انهمكوا في الفحشاء والعبارة والنهم فأمسى انكسارهم متواصلاً. وكلما كانوا يحاولون عقد الصلح مع الروم كان الروم يرفضون مزمعين استرجاع اصقاعهم القديمة ولم يكونوا يراسلون العرب إلّا بشأن مبادلة الأسرى فقط.

وفي السنة ٣٠٠ العرب (٩١٢ م) ولدت في بلاد الهند بغلة شاهد الكثيرون جحشها.

وفي هذه السنة توفي الكسندر ملك الروم وخلفه ابنه قسطنطين وهو في الثانية عشرة من سنه. وفي السنة ١٢٢٧ اليونان (٩١٦ م) زحف جيش رومي الى طرسوس وجيش ثانٍ الى مرعش واستأسروا من العرب نحو خمسين الفاً فشمل الحزن جميع البلاد العربية.

وفي هذه السنة أسلم في بغداد مطران دقوقة النسطوري فاغتمّ النصارى لذلك

وفي السنة ٣٠٥ للعرب (٩١٧ م) وجّه الملك قسطنطين الى الخليفة سفيرين احدهما شيخ وثانيهما فتىً. ولمّا وصلا الى تكريت تربّثا ثمّ شهرين ريثما زيّن الخليفة المقتدر بلاطه وحشد جنوده واقطاب دولته. ثم ارسل فاستدعاهما اليه. قيل ان العرب اقاموا مائةً وستين الف فارس من ناحيتي الدار التي حلّ فيها السفيران حتى بلاط الخليفة. واقاموا في كلّ من جهتي الباب الخارجيّ خمسمائة حصان مسرجة بسروجٍ ذهبيّة وفضيّة. واقاموا في فناء الدار الخارجيّة كثيراً من الغزلان والغزالات والظباء والايائل. وجعلوا ضمن فناء الدار الثانية اربعة فيلة كبيرة وقد ركب كلّاً منها ثمانية رجال هنود بايديهم آلات نفطيّة ناريّة. واقاموا في محلٍّ من ناحيتي الفناء الثالث خمسين سبعاً

مرثقة بالسلاسل (١٧٣). وقد مرّ السفيران بذلك كلّه حتى انتهيا الى حديقة فسيحة فيها حوض ماء من قصدير ابيض كأنه فضّة تُطلّ فوقه شجرة شاهقة مصوغة من الفضّة واغلب اغصانها واوراقها مذهّبة وهي تتمايل كلما هبّ النسيم فيها . وقد جثمت فوقها طيور ذهبية وفضّية تطير بواسطة خيوط متّصلة بالارض وتغرّد تغاريد رخيمة. وفي الحديقة كذلك اشجار نخل مرصّعة بالواح سرو حتى افنانها وقس عليها كثيرًا من شجر الاترنج . ومن هذه الحديقة مضوا بالسفيرين الى دار فسيحة دُبّجت جدرانها بسجوف فاخرة عُلّق فيها الوف من الدروع والتروس والاقواس والرماح . قيل ان عدد السجوف المعلّقة في الجدران بلغ اثنين وعشرين الف سجف . هذا سوى الطنافس التي فُرشت في الارض ووطئتها الاقدام . ثم سار السفيران في جادّة طويلة اصطفّ في جانبها الواحد الف من الحجّاب البيض وفي الجانب الثاني الف من الحجّاب السود وهم مدجّجون بالأسلحة. ولمّا دخل السفيران باب الدار شاهدا الوزير الاعظم جالساً على كرسيّ عالٍ يحيط به الفقهاء والأعيان واقفين . فظنّا انه هو الخليفة فقيل لهما بل هو الوزير . ومن عند الوزير دخلا غرفة الخليفة وشاهداه مستوياً على عرش من الابنوس بشكل مقبّب في كلّ من قرنيه تسعة صنوف من الحجارة الكريمة تبرق . وحوله خمسة بنيه ثلاثة الى يمينه واثنان الى يساره . قيل ان السفيرين جلسا يستريحان سبع مرّات حتى وصلا الى غرفة الخليفة . ولمّا وصلا سلّما عليه باحناء الرأس وقالا للترجمان : كان الخليق بنا ان نقبّل الارض بين يدي الخليفة ولكننا اغمضنا عن ذلك لئلّا تنتظرّ دولةُ الروم سفيرَكم بمثل ذلك. نقول هذا لئلّا تحسبونا دون تهذيب وأدب.

وبعدما انهى السفيران سفارتهما كان (١٧٤) الجواب حاضرًا ومدوّنًا . وقد دفعه الخليفة لهما وأطلقهما. وأمر ان يزوّدوا لكلّ منهما عشرين الف درهم. ثم وجّه معهما سفراء من قبله في مائة وسبعين الف دينار ذهباً فدًى للاسرى العرب وكانوا اكثر جدًّا من الأسرى الروم. غير ان ملك الروم بعد وصول السفراء أبى مبادلة الاسرى او بيعهم.

وفي السنة ٣٠٨ للعرب (٩٢٠ م) ضجّ الشرَط في بغداد وحطوا باب

سجن واضنقوا الحرمين وتحاملوا على المسيحيين ونهبوا دار عبد الله بن شمعون الطبيب وغيرها من دور الكتّاب المسيحيين . فحشد الحاكم جنودًا مسلحين قبضوا على اللصوص وشنقوهم وقطعوا ايدي رفاقهم.

وفي السنة ٣٠٩ للعرب (٩٢١م) أُلقي القبض على درويش عربيّ في بغداد يقال له الحلاج ادّعى انه الاه متجسم وصار يتظاهر بانه يخترع العجائب. فأمر الخليفة بصفعه الف تضبيب ثم قطعوا يديه ورجليه وأحرقوا جثته وعلقوا جمجمته في رمح طافوا بها في بغداد وفي فارس .

وفي السنة ١٢٣٨ لليونان (٩٢٧م) زحف جيوش الروم الى سيساط ونصبوا خيمة الملك في مسجدها الكبير وقرعوا فيه النواقيس وسبوا وانقلبوا عائدين. فطاردهم العرب وردّوا بعض الغنائم وقبضوا على نسيب ملك الروم وذهبوا به مأسورًا الى بغداد .

اما مؤنس الحاجب الذي أبلى البلاء الحسن في حروب جمة حتى لُقِّب المظفر فقد شعر بانتقاض الخليفة عليه وتخوَّف غدره وجعل يتحفظ منه . وما ان ظهرت البغضاء حتى حالفه الاقطاب واغلب الضباط وشجعوه قائلين : ما لك خائفاً . ثق باننا ندافع عنك حتى تذرّ لحيتك اعني دائمًا (١٧٥) . ولما وقف المقتدر على الدسيسة شمله الذعر وارسل يقول لمؤنس: انك انت ولّيتني الخلافة وأقسمت لي.فاذا اخلصتَ لي النية فاني قسماً بالله تعالى لن أحسب لك ذنباً. والّا فاذا نويتَ الخلاف فاني الوذ بالله عزّ وجلّ ولست افكر في مناهضتك البتة. لكن مؤنس لم يقتنع بالموادعة بل ارسل فاحضر الخليفة قسرًا وحبسه في بيته واخرج محمد بن المعتضد من السجن وحلف له واسماه القاهر وبعث فاجلسه على العرش .

ولما رأى حشم الخليفة انهم سيُعزلون وينوب غيرهم منابهم استلوا السيوف وفتكوا بالزعماء اصحاب القاهر سوى مؤنس وهو في بيته . ثم قبضوا على القاهر ونادوا بأعلى اصواتهم قائلين: فليحيَ الخليفة المقتدر . ثم غادروا البلاط والتف حولهم اهل المدينة وقصدوا دار مؤنس وأخرجوا المقتدر وذهبوا به تكرارًا الى البلاط . ولم يتمكنوا من التعدي على مؤنس لانهم كانوا يهابونه جدًا.

اما المقتدر فارسل ثانيةً الى مؤنس يسأله المصالحة . لكن مؤنس لم يثق

به بل سارع الى الموصل وحشد العساكر وانقلب الى بغداد . عند ذلك كتب المقتدر الكتائب وبرز لمناوشة مؤنس فانكسر المقتدر وقُتل وعُلقت هامته في راس رمح وتمّ ذلك في السنة ٣٢٠ للعرب (٩٣٢ م).

وكان في عهده سنان بن ثابت الحرّاني راس الاطباء . ولم يكن يطبب احدٌ في بغداد دون أمره . ومن اخباره المشهورة انه جاء اليه يوماً طبيب شيخ ذو هيئة مليحة . فرحب به سنان واكرمه على موجب منظره الخارجي . ولما اراد سنان ان يمتحنه ويفحصه اخرج الشيخ صرّة فيها كمية صالحة من الذهب وقال لسنان: صدّقني اني لستُ أحسن الكتابة ولا اعرف القراءة . ولي عيال كثيرة تعيش من مهنتي. فرجائي ان لا تحرمهم ما يرزقهم الله (١٧٦) الكريم. فضحك سنان وقال له : على شريطة ان لا تتعاطى معالجة الامراض العضالة ولا تفصد نبض احد ولا تسقي احدًا دواء مسهلًا . فحلف الشيخ وقال له: اني ما تعدّيتُ السكنجبين وما يشبهه . فرخص له سنان ان يطبب .

وفي يوم آخر قصد سنان طبيبٌ ثانٍ مليح الوجه فسأله سنان : على مَن قرأتَ الطبَّ؟ فقال : على ابي . قال سنان : ومَن هو أبوك ؟ قال الشاب : الشيخ الذي كان عندك بالامس . فضحك سنان وقال له :اذهب بسلام واحفظ ما شرطته على ابيك . وهذا سنان اراده الخليفة الظاهر على الاسلام فأسلم قسرًا وترك مذهب الصابئة .

بعد المقتدر القاهر

تولى سنةً واحدة وستة اشهر. بعد ما قُتل المقتدر اشار مؤنس على ارباب الدولة ان يبايعوا أبا العباس ابن القتيل وقال لهم : ان صنعتم هذا خففتم وطأة الحزن عن امه وجدّته واخت جدّته ومربيته وجملتهنّ ان يُخرجن ما عندهن من الذهب دون مشقة . لكنّ الاقطاب اعترضوا عليه وقالوا : حسْبنا النساء. فقد حدث لنا ما حدث مع من كانت له أمٌّ فقط فما تكون الحال مع مَن له أم وجدّة ؟ ثم اتفقوا جميعًا وبايعوا محمد بن المعتضد بالخلافة ولقبوه القاهر . وقد عذّب القاهر ام المقتدر ونكّل بها فعلّقها برجلها الواحدة وجعل يصفعها بيده على المواضع الغامضة من بدنها يريدها على إظهار الذهب . فلم يكن عندها اكثر

مما وجده قبل حفظها . ثم صادر كل ما كان عند اولاد المقتدر وعند امهاتهم من الذهب . قيل ان ام المقتدر سبقت فاصطنعت عند القاهر صنائع جليلة وافرة يوم كان مسجوناً في البلاط اذ كانت تدخل اليه الطعام والشراب والاطايب والجواري . وكثيراً ما كانت تخرجه من سجنه وتجلسه في مكان يشرف منه على ولائم ابنها ويستمع (١٧٧) اصوات الغناء والطرب . ولكنه لما تولى الخلافة قابلها بمثل هذه المعاملة الشائنة .

اما مؤنس واحزابه فعلى تعوّدهم استحقار الخلفاء خافوا على انفسهم فاتخذوا جميع حرّاس البلاط من رجالهم وقضوا ان يفتش كل من يدخله رجلًا ام امرأة لئلا يأتي احد برقعة الى الخليفة تتعلق باحوالهم . وبلغ بهم التحفظ حتى انهم لما حُمل الى القاهر يوماً قدرٌ مملوء لبناً مدّوا فيه يدهم ليفتشوه . ولذا اوقع الله العادل اختلافاً ما بين الجنود وبين مؤنس وسائر الاقطاب وانهزموا الى البريّة. فانتهز القاهر الفرصة وفتك بهم قاطبة واستتبت له الخلافة . ثم أخرج من البلاط جميع مَن سبقوا فابتاعوهم من مطربين ومطربات وعبيد وجوار وباعوهم من التجار دون قيد او شرط يمنعهم عن الغناء . وقضى القاهر على الكثيرين من الزعماء والعظماء بالضرب وابتزاز الاموال حتى أصبح الباقون خائفين كأنهم على قوسَي قاب . وجعلوا يلقنون العجائز والشيوخ ليقصّوا على العامّة اخباراً ملفقة تتعلق بعبيد القاهر الذين كانوا يحرسونه ليل نهار وبقوّاده وضباطه مؤداها الحذر من الخليفة لئلا يهلكهم . ثم لقنوا المنجمين والسحرة كي يقولوا اذا سُئلوا ما قالوه هم . ولما استيقنوا تأهب القاهر للتنكيل بهم باغتوه ليلة وهو سكران وفقأوا عينيه كلتيهما ولاذوا بالفرار . وتمّ ذلك عام ٣٢٢ للعرب (٩٣٣م) وشوهد القاهر بعد اعوام يقوده رجل وهو يستعطي على باب المسجد الكبير .

بعد القاهر الراضي بن المقتدر

تولى ست سنوات وعشرة شهور . وقد فكّه الاقطاب من سجنه وبايعوه بالخلافة . ويقال انه هو الذي أمر (١٧٨) ان تفقأ عينا القاهر . وفي السنة ٣٢٣ للعرب (٩٣٤م) حدث حريق هائل في بغداد بجوار الكرخ أتلف بضائع وافرة ودوراً كثيرة . فأمر الراضي ان يؤدّوا من خزائنه ثلاثة آلاف دينار للتجار الذين

تلفت بضائعهم وعشرة آلاف دينار الذين خربت بيوتهم كي يجدّدوا بنيانها. وبعد قليل هبطت كذلك نار في ذلك الجوار. وفي السنة عينها تراكمت الثلوج في بغداد.

وفي السنة ١٢٤٩ لليونان (٩٣٨م) مرض قسطنطين ملك الروم وشعر بدنو الاجل فاستدعى رومانس صهره ووضع له تاج المملكة بيده. وفي السنة ٣٢٦ للعرب (٩٣٧م؟) وجّه الملك سفيرًا الى الراضي في رسالةٍ دُوِّنت بالرومية بحروف ذهبية وكُتب شرحها بالعربية بحروف فضية شفعها بهدايا ثمينة وآنية ذهبية وفضية مرصعة بحجارة كريمة. وهذه فاتحة الرسالة: «من رومانس وقسطنطين واسطفانس وقسطنطين ملوك الروم العظّام الى فخامة سلطان المسلمين المعظم سلام. بما اننا ثابتون على مودّتك ثباتًا وطيدًا فقد وجّهنا سفيرنا في بعض الهدايا توطيدًا لرغبتنا في مودّة اخوّتك واثقين بانك تتقبل ذلك بكل طيبة خاطر». الى غير ذلك من الكلمات المسهبة الداعية الى الصلح والوئام.

رحّب الخليفة بالهدايا ووجّه هو كذلك سفيرًا في هدايا وحمّله رسالةً افتتحها بقوله: «من عبدالله ابي العباس الراضي إمام الدين امير المؤمنين الى رومانس وقسطنطين واسطفانس وقسطنطين زعماء الروم سلام. رحّبنا بهداياكم ووجّهنا اليكم طبقًا لرغبتكم سفيرنا فلانًا تكريمًا لكم وتأييدًا لعقد الصلح».

ولما جلس رومانس ملك الروم أقبل سيميون البلغاري ثانيةً الى قسطنطينية وأحرق بلاد تراقية ومقدونية وأتلفها. وحاصر ادريانوبوليس ودوّخها. فتذرّع رومانس بشتّى الذرائع والهدايا حتى صالحه. وكتب سيميون يريد مواجهته تأييدًا (١٧٩) للصلح. فأعدّ الملك مكانًا ملائمًا في البحر وتقابلا في المراكب وأيّدا عهود المحبة التامة بينهما.

ولما اطمأن الروم في بلاد المغرب وجّهوا ألحاظهم نحو المشرق فزحفوا عام ١٢٥٢ لليونان (٩٤١م) ووصلوا الى كفرتوت وغزوا البلد كله وانقلبوا عائدين. وفي السنة ٣٢٩ للعرب (٩٤٠م؟) تفاقمت الامراض على الخليفة الراضي وبذل سنان ابن ثابت المجهود في معالجته فلم يستفد. وكان للخليفة المشار اليه مملوك تركي اسمه زيرك وفي هذه السنة وعك ومات. فبلغ الكمد من الخليفة حتى انه أمر بالقاء اربعمائة خابية من الخمر العتيقة الممتازة في دجلة حدادًا عليه وما تم ان توفي هو كذلك.

بعد الراضي المتّقي بن المقتدر

تولّى ثلاث سنوات وشهرًا واحدًا . وفي السنة ٣٢٩ للعرب (٩٤٠م) وهي السنة الاولى لخلافة المتقي حدث غلاء شديد في بغداد حتى بيع كور الحنطة بمائة وثلاثين دينارًا ذهبًا . وأكل الناس النخالة والعشب. وحدث كذلك وباء فظيع حتى انه دُفن في قبر واحد عدة من الموتى دون صلاة. وفاض نهر دجلة وأتلف دورًا كثيرة واشجار نخل وافرة وغير ذلك .

وفي السنة ١٢٥٣ لليونان (٩٤٢م) زحف الروم كذلك الى قيليقية وأجلوا من بلد حمشوش خمسة عشر الف نسمة واحرقوا القرى وانطلقوا . واشتدّ الجوع في بغداد حتى بيع كور الحنطة بمائتين وعشرة دنانير ذهباً . وبلغ سعره ثلاثمائة وسبعة عشر دينارًا ذهباً . وأكل الناس جثث الموتى . وانفلق جسر بغداد وغرق خلق كثير في دجلة. وفي القابل وصل الروم الى ميافرقين وارزن ونصيبين وأجلوا خلقاً كثيرًا واحرقوا الضياع وانصرفوا .

وفي السنة ٣٣١ للعرب (٩٤٢م) وجّه ملك الروم سفيرًا الى الخليفة المتقي يطلب المنديل الذي في بيعة الرها وهو الذي مسح به ربنا يسوع وجهه وصارت صورة وجهه فيه وسيَّره (١٨٠) الى ابجر الذي كان يروم ان يشاهده . ووعده إن أرسل المنديل اليه أطلق عددًا غفيرًا من الاسرى العرب . فاستفتى المتقي فقهاء المسلمين في هل يجيز الشرع ان نعطي المنديل للمسيحيين ام لا ؟ فقالوا : اجل يُفرَض علينا فرضاً لازباً ان نتبرَّك بهذا المنديل . غير انه يجب التخلي عنه للروم انقاذًا للمسلمين المتقلبين في العوز والجوع والعري .

وفي هذا الزمان اشتدَّ القائد توزون في بغداد حتى خافه الخليفة المتقي وانهزم الى الرقّة في نسائه وعبيده واقام بها مدةً . فارسل اليه توزون يعاتبه بسبب انتزاحه عن كرسيه واقسم له بالأمان حتى اغواه وحمله على العودة الى بغداد وسار الى استقباله في حشد من الجنود . ثم نزل وقبل الارض بين يديه ومشى امامه راجلًا . واضطرَّه الخليفة ان يركب. ولما كان توزون الخائن مضمرًا الغدر بالخليفة اشار الى اصحابه فاحاطوا به وبحاشيته حتى وصل الى باب البلاط فاستلّوا السيوف وارادوه على التنزُّل عن الخلافة وإلّا فتكوا به.

فاضطر الخليفة ان يمتثل الأمر واشهد عليه الشهود . وبعد هذا مضوا به الى البلاط وحبسوه وأحضروا عبد الله بن المكتفي وبايعوه بالخلافة ولقبوه المستكفي وتمّ ذلك في السنة ٣٣٣ للعرب (٩٤٤م) .

بعد المتقي المستكفي بن المكتفي

تولى سنةً واحدةً واربعة اشهر . وبرز في عهد خلافته شعوب مختلفة من عيلاميّين وصقالبة وغزّ ووصلو الى اذربيجان ودوّخوا مدينة بردعة وقتلوا زهاء عشرين الف نسمة وانصرفوا . وتغيّر الاتطاب على المستكفي فقصدوا نحوه يوماً كالوف العادة وهو مستوٍ على عرشه وجثوا على الارض امامه وقبّلوا يده ووقفوا . ولما تمّ عددهم وافى آخرهم وقبّل الارض ودنا من الخليفة فمدّ له يده متوهماً انه سيقبلها لكن الجاني قبض عليها (١٨١) واجتذبها وزحزح الخليفة عن عرشه وبطحه على وجهه وازدحم رفاقه على الخليفة واخرجوه ماشياً من البلاط ومضوا به الى دار معزّ الدولة القائد وحبسوه . واستدعوا الفضل بن المقتدر وبايعوه وكنوه المطيع .

بعد المستكفي المطيع بن المقتدر

تولى تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر . ولما بايعوه بالخلافة استدعوا المستكفي فسلم عليه وجاهر بتنزّله له عن الخلافة وانزوى في البلاط . وفي السنة الاولى لخلافة المطيع وهي السنة ٣٣٤ للعرب (٩٤٥ م) تحرّش ناصر الدولة ابن حمدان صاحب الموصل بمعزّ الدولة الذي ولّى المطيع الخلافة. واحتلّ الناصر جهة بغداد الشرقية واحتل المعزّ جهتها الغربيّة . ثم قوي المعزّ واحتلّ الجهة الشرقية وانهزم الناصر الى نواحي الموصل . واستحوذ الهلع على اصحابه في تلك الجهة وتخوّفوا سيف المعزّ فبادروا الى الهزيمة نحو الموصل رجالاً ونساء . وقضى الكثيرون في الطريق بسبب ما انتابهم من العطش والخوور ولا سيّما النساء غير المتعوّدات السير. وشوهدت امرأة نبيلة بجانب الطريق متّشحة بثياب فاخرة وبيدها صرّة تولول قائلة: خذوا اربعمائة دينار واسقوني جُرعة ماء . فلم يكترث لها احد ولم يتقدم ليأخذ الصرّة مجاناً من يدها . اذ كان كلّ واحد مهتمّاً بالهزيمة لا غير . وقد باد في تلك الهزيمة عشرة آلاف نسمة . ولمّا سمع

المعزّ بما صار نادى بالامان وبعث بالماء الى المنهزمين واعادهم الى بغداد . قيل ان البغداديين لم يشاهدوا كارثة كتلك الكارثة. وكان يومئذٍ في بغداد رجل معتوه يتحدّث بالمستقبلات كيفما كان فسبق ينادي في الازقة ويقول : عاّموا نساءكم يا اهالي بغداد ان يمشين حافيات وعوّدوهنّ الشقا. لان البلاء قريب ا

وفي هذه السنة حدث غلاء شديد في بغداد (١٨٢) وبيع كور الحنطة باربعمائة دينار ذهباً والف رطل بغداديّ من التمر بستّين ديناراً . وكانت الدور والكروم والحدائق تباع بلقمٍ وارغفةٍ من الخبز. وكان البعض يلتقطون حبّات الشعير من زبل الخيل والجحاش ويلتقمونها . وشوهدت نساء كثيرات يشوين اولادهن في التنور ويأكلنهم. فصدرت الاوامر بقتلهنّ. وقضى الكثيرون جوعاً وأكلتهم الكلاب اذ لم يكن مَن يدفنهم.

وفي السنة ١٢٦١ لليونان (٩٤٩ م) وهي السنة ٣٣٧ للعرب زحف الروم الى سوريا ولاقاهم سيف الدولة امير حمص وحلب فانكسر سيف الدولة واحتلّ الروم مرعش ووصلوا الى طرسوس وقتلوا وغزوا وانصرفوا. وفي السنة ٣٣٩ للعرب (٩٥١ م) حشد سيف الدولة ثلاثين الفاً من الخيّالة والرجالة وزحف الى بلاد الروم وغنم غنيمة وافرة . ولمّا رجع أدركه الروم وأغلقوا عليه المضايق وقتلوا واستأسروا جميع عسكره واستردّوا الغنيمة . وهلك رجال سيف الدولة وخيله وبغاله وخزائنه وامواله ولم يفلت الا في عدد يسير.

وفي هذه السنة نُقل الحجر الأسود الذي كان الحجّاج يتبرّكون به في مسجد مكة وقد ظلّ ثلاثاً وعشرين سنةً بيد القرامطة الخوارج في الجنوب . فابتاعوا خمسين الف دينار وردّوه الى مكانه مكسوراً قطعتين لحموها بقضبان فضيّة حتى يومنا .

وفي هذا الزمان حدث رخص وافر حتى بيع عشرون رطلاً بغدادياً من الخبز بدرهمٍ واحدٍ.

وفي السنة ١٢٦٨ لليونان (٩٥٧ م) وهي السنة ٣٤٥ للعرب أبحر الروم الى طرسوس واحرقوا ضياعاً كثيرة وفتكوا بالف وثلاثمائة من العسكر العربيّ وانطلقوا . ثم حشد سيف الدولة عساكره وزحف الى بلد الروم ووصل الى خرشنة وسبي واحرق وقتل . ثم توجّه الى مدينة آطنة بقيليقية (١٨٣) واقام

فيه ايضا وحرص امير طرسوس لينازش الروم وعاد الى حلب. فتتبعه الروم من ناحية اخرى ووصلوا الى ميافرقين وغنموا وأجلوا اهاليها واحرقوا الضياع وانصرفوا.

وفي السنة ٣٤٦ للعرب (٩٥٨ م) ظهر جراد كثير أفسد الزروع. وحدث وباء داء الخوانيق حتى ان سارقاً باغته الموت وهو ينقب بيت احد اغنياء بغداد. وذُكر عن قاضٍ لبس ثيابه السوداء ليخرج الى دار الحكم كالوف عادته ولبس حذاء رجله الاول فدهمه الموت قبل ان يلبس الحذاء الثاني. وهبطت أمطار كثيرة في الشتاء وحدث جزرٌ في البحر المتوسط نحو ثلاثمائة ذراع وانكشفت جبالٌ وجزائر كثيرة مجهولة منذ القِدَم. وحدثت بعد سنة زلزلة هائلة قوّضت اماكن شتّى واختنق الكثيرون تحت الردم في جبال الديلم وقاشان.

ووصل الروم الى آمد وارزن وميافرقين واحتلّوا حصوناً كثيرة وفتكوا بالف وخمسمائة نسمة. ثم زحفوا بعد ايام وجيزة الى جهات حلب ولاقاهم سيف الدولة عند دلوك فانتصر الروم واستأسروا انسباءه واقرباءه وقتلوا اغلب رجّالته ولم يفلت منهم الّا اليسير. ودوّخ الروم كذلك سميساط واحرقوها.

وفي السنة ٣٤٧ للعرب (٩٥٩ م) أغمض ناصر الدولة امير الموصل عن ارسال مال الخراج الى بغداد فزحف اليه الامير معزّ الدولة من بغداد. فانهزم الناصر الى نصيبين فلحقه معزّ الدولة ففرّ الى ميافرقين ولم يمكث بها فاقبل الى حلب مستنجداً اخاه سيف الدولة. فرحّب به وتذلّل له حتى توصل ان يخلع له حذاءه بيده (١٨٤).

وفي السنة ٣٤٨ للعرب (٩٦٠م) قبض الروم على محمد بن ناصر الدولة وعلى بعض عبيده ببلد حلب وعلى ابي الهيثم القائد وعلى عبيده في كفرتوث. واغاروا الى بلد طرسوس وقتلوا واسروا الكثيرين. ودوّخوا قلعة الهارونية وفتكوا بمن فيها واخربوها وأجلوا النساء والصبيان.

وفي تلك السنة وهي السنة ١٢٧٢ لليونان (٩٦١م) توفي الملك قسطنطين وخلفه ابنه رومانس فعامل اقطاب الحكومة والاعيان افضل معاملة وأبدى للجميع المروءة والشهامة ووجّه في السنة عينها ابوانيش شومشكين القائد ونيقيفور

الدمستق الى بلاد العرب فسارا الى آمد وفتكا بمائة محارب وقبضا على ثلاثين رجلًا وأحرقا الغلال وانقلبا راجعين. فحشد سيف الدولة امير حلب ثلاثين الفًا وزحف الى خرشنة وسبى سبية وافرة. ولما اعتزم الرجوع اخذ الروم عليه المضايق فلم يتيسّر له النجاة الّا بثلاثمائة من عبيده ليس غير. اما بقيتهم فمنهم من قتلهم الروم ومنهم من قبضوا عليهم واسترجعوا الغنائم واحتووا على خيل سيف الدولة بن حمدان وعلى سلاحه وخزائنه. وقُتل من مشاهير رجاله في هذه السنة حامد بن نمس سباخان وابو حصين القاضي.

وفي هذه السنة ظهر جراد كثير ببلد الموصل وحدث غلاء وجوع وبيع كور الحنطة بالفين ومائتي درهم. وكور الشعير بثمانائة درهم. وانهزم الكثيرون الى سوريا وبغداد وسار المسيحيون الى مدن ساحل البحر. وفي هذه السنة تأسست في طرابلس كنيسة فخمة تيمنًا باسم مار بهنام الشهيد المجيد.

وفي السنة (١٨٥) ٣٤٩ للعرب (٩٦٠م) لما كان الحجّاج المصريون عائدين من مكة. ونازلين في مكان لم تجر فيه المياه منذ امد بعيد فاض غدير مياه ليلًا وهم راقدون وجرفهم باجمعهم مع اثقالهم وزجّهم في البحر المتوسط وأهلكهم قاطبة.

وفي هذه السنة جاهر بالاسلام نحو مائتي الف من خيام الاتراك في المشرق.

وفي السنة ٣٥٠ للعرب (٩٦١ م) خرجت قافلة عربية كبيرة من انطاكية متوجهة الى طرسوس فانقضّ عليها كمناء الروم وقتلوا البعض واستأسروا اغلبهم. فثار العرب وزحف نجا عبد سيف الدولة الى بلد الروم من ناحية ميافرقين وغنم غنائم وافرة مع الفي نسمة اوثق منهم خمسمائة ومضى بهم.

وفي السنة ١٢٧٤ لليونان (٩٦٣م) وهي السنة ٣٥١ للعرب وصل نيقيفور الدمستق في مائة وستين الف فارس الى قيليقية وحاصر عين زربة وحاربها حربًا شديدة حتى أيس اهاليها العرب من مساعدة تأتيهم وطلبوا الأمان على حياتهم وعلى اموالهم ليسلّموا القلعة. خصوصًا لانهم شاهدوا الروم كادوا يخرقون السور الذي بجانب الجبل. فدخل نيقيفور وعرف انهم كانوا على وشك احتلال البلد دون عناء. فندم على ما فات وامر ان يحتشد الاهالي قاطبةً في

المسجد وانّ من يتخلّف يؤخذ رأسه . وعند الصباح دخل الروم المدينة راجلين وفتكوا بكلّ من وجدوا في البيوت والشوارع رجالاً ونساء وصبياناً وجمعوا من السلاح اربعين الف درع سوى السيوف والقسي وقطعوا اربعين الف شجرة نخل .

ثم أمر نيقيفور ان يخرج جميع من في المسجد ويذهبوا حيثما شاؤوا ومن بقي حتى المساء يُقتل . فخرجوا (١٨٦) يزحم بعضهم بعضاً وهلك بالزحمة جماعة من رجال ونساء وفتيان وقضى البقيّة في الطريق وهم مازون على وجوههم لا يدرون اين يذهبون . ثم قوّض نيقيفور المسجد وذكّ سوري المدينة ودورها . وظلّ اثنين وعشرين يوماً في قيليقية ذوخ اوبعة وخمسين حصناً بعضها بالسيف وبعضها صلحاً .

قيل لما خرجت النساء العربيّات من احد الحصون صلحاً تحرّش بهنّ بعض الأرمن فغار رجالهنّ واستلّوا السيوف . فسخط نيقيفور الدمستق على المعتدين . ثم فتك الروم باربعمائة رجل وبعدد وافر من النساء . وارتحل نيقيفور ومن معه الى قيسارية بسبب دنوّ الصوم الاربعيني على ان يعود بعد العيد .

اما القائد العربي في طرسوس فحشد اربعة آلاف مقاتل وزحف الى بلاد الروم فانكسر وهلك هو وكلّ من معه وفي جملتهم اخو ابن رباب قائد عسكر طرسوس . ثم زحف الروم ثانيةً الى قيليقية وذوّخوا قلعة سيس واقاموا محافظين فيها وفي سائر القلاع وتركوها وانصرفوا الى حلب . فبرز سيف الدولة لمناوشتهم فانكسر وهلك جميع بني حمدان ولم يفلت الّا سيف الدولة مع القليلين . واحتلّ الدمستق قصره الذي في ظاهر المدينة واستحوذ هناك على ثلاثمائة وتسعين وزنة فضّة وعلى الفين واربعمائة بغل وعلى اسلحة جمّة واحرق القصر . ثم حاصر المدينة وأحدث ثغرة في سورها ودخل الروم وظلّوا يقتلون حتى كلّوا وصادفوا فيها الفاً ومائتي روميّ مأسورين فاطلقوهم وأجلوا اكثر من عشرة آلاف فتى وفتاة وحملوا ما استطاعوا من الغنائم واضرموا النار بالبقيّة . وقصدوا آبار الزيت وافرغوا فيها المياه حتى طفا الزيت واندلق واندلف على الارض وزال . ثم قوّضوا المساجد وظلّوا يدمّرون (١٨٧) تسعة ايام .

ولمّا عزموا على الرحيل تقدّم ابن اخت الملك رومانس وعارض نيقيفور وقال : لن نرحل قبل ان نفتح القلعة . ولم يرَ نيقيفور ان يقاومه بل قال

له : اليك القلعة اذهب واحتلّها . ولما دنا ابن اخت الملك من بابها القوا عليه حجرًا من النافذة التي فوق الباب فالتفت لينهزم ففتح اصحاب القلعة الباب وطارده رجل ديلمي اسمه باشا وطعنه بالرمح بين كتفيه وانفذه من صدره وقتله. فعاد من كان معه وحملوا الجثة ومضوا بها الى نيقيفور فتأثر كل التأثر وانتقم لابن اخت الملك بان فلق رؤوس الف ومائتين من الأسرى العرب الذين معه وترك البلد وعاد الى العاصمة ولم يَعبث في قرى حلب اصلًا بل أوصى الفلاحين ان يدمنوا فلاحة اراضيهم معتقدًا ان البلاد هي للروم ومؤملًا العودة اليها .

وسار آنئذٍ الف ارمنيّ الى اطراف الرها وغنموا الف خروف وخمسمائة ثور وعشرة رجال عرب وانقلبوا راجعين. ولما قويت شوكة الروم وعوّلوا على الرجوع تخوّف اهالي ارمينية الكبرى وهم مسيحيّون ان يأتي العرب وينتقموا منهم فانهزموا الى الحدود واستوطنوا سبسطية قبدوقية ونموا هناك نموًّا وافرًا . ثم اقامهم الروم في حصون قيليقية التي انتزعوها من العرب . وجعل الارمن الرجّالة يقاتلون بجانب الروم في كلّ الحروب ويحرزون النصر والغلبة .

ولما عاد نيقيفور في جيوشه من حلب وبيّنوا سينادو باغتيهم نعي الملك رومانس وأجمع الاقطاب مع شومشكين على المناداة بنيقيفور الدمستق ملكًا عام ١٢٧٥ لليونان (٩٦٤م) (١٨٨) . ولما دخل قسطنطينية وتوّج ملكًا نصب شومشكين دمستقًا ووجّهه الى مناوشة العرب . فزحف الى المصيصة وحاصرها سبعة ايام واجرى في سورها ستين ثغرة بنيّف وتعذّر عليه امتلاكها فاحرق ما حولها وحول اطنة وطرسوس . ثم انصبّ الروم على خمسة آلاف كانوا قادمين من طرسوس ليساعدوا اهل المصيصة واتلفوهم قاطبة وانصرفوا.

وحدث غلاء شديد في قيليقية وانهزم اغلب اهاليها العرب الى دمشق . وانتشر الغلاء كذلك في حلب وحرّان والرها . وزحف الدمستق في القابل الى قيليقية وحاصر المصيصة ثلاثة اشهر فامتنعت عليه . فضرب الجزية على اهاليها وانصرف بسبب فشوّ المرض والموت في عسكره .

وفي السنة ١٢٧٦ لليونان (٩٦٥م) وهي السنة ٣٥٤ للعرب غادر نيقيفور الملك قسطنطينية الى قيسارية قبدوقية وحاصرها . ووجّه اليه اهالي طرسوس

والمصيصة رسالة في التسليم . فازدرى بهم وقال لمندوبهم : انكم بعد ما قطعتم الرجاء من مساعدة ملوككم العرب واكلتم الكلاب الميتة بسبب الجوع وأتلفكم الوباء اقبلتم ترومون التسليم والصلح ريثما تسترجعون قواكم وتعودون الى العصيان . كلّا . ليس لكم عندي الّا السيف . قال هذا وطرد المندوب بعدما احرق الرسالة على رأسه واحترقت لحيته .

قيل ان العرب كانوا يشيّعون كلّ يوم ثلاثمائة جنازة في طرسوس . واذ ذاك حشد نيقيفور جنوده وتوجّه الى المصيصة وشدّد عليها الحصار حتى دوّخها يوم السبت ١٣ رجب من تلك السنة وأجرى بها مذبحة عظيمة . وقبض على مائتي الف من رجال ونساء وفتيان وسيّرهم الى بلاد الروم . ثم توجّه الى طرسوس وحاصرها . فتوسّل اليه الاهالي وهم يبكون ليعفو عنهم فيفتحوا له الابواب (١٨٩) فتأثر الملك لبكائهم واعطاهم الامان على حياتهم وعلى اموالهم. ودخل المدينة واستدعى عظماء العرب وأعدّ لهم الطعام على مائدته ورخّص لهم ان يأخذوا ما استطاعوا من اموالهم وأسلحتهم ووجّههم الى انطاكية . وخيّر البقية الباقية في الذهاب الى حيث شاؤوا . وسيّر معهم ثلاثة بطارقة ليحرسوهم في الطريق ويدفعوا عنهم كلّ تعدّ . واتفق بعض الارمن فتعدّوا على العرب فسخط الملك وأمر بقطع ايديهم ومناخيرهم وصفعهم صفعات اليمة . وبعث المحافظين واوصاهم ان يوصلوا العرب الى اصحابهم سالمين . اما مسجد طرسوس فقد حوّله الملك اصطبلًا لدوابه واقام لها بطريقاً مع خمسة آلاف فارس ونصب بطريقاً ثانياً في المصيصة. وقد عَمَرت طرسوس بالاهالي واستفحل الرخص فيها حتى بيع اثنا عشر رطلًا خبزًا بدرهم واحد . وعاد اليها الكثيرون من اهاليها العرب واعتمد بعضهم وتنصّروا وبقي البعض الآخر على ما كانوا. غير ان اولادهم تنصّروا جميعاً .

وفي السنة التالية وصل نيقيفور الى آمد وحاصرها ولم يتمكن من الاستيلاء عليها . ثم انطلق الى انطاكية وحاصرها اياماً كثيرة فامتنعت عليه فاخرب المساكن والحدائق المجاورة لها وانطلق .

وبعد سنة توفي سيف الدولة امير حلب بداء الحصاة وتوفي كذلك معزّ

الدولة امير بغداد بداء الاسهال وخلفه ابنه عزّ الدولة. وفي السنة ٣٥٦ للعرب عينها (٩٦٦ م) انقضّ ابو تغلب على ابيه ناصر الدولة امير الموصل وهو راقد في فراشه وبعث فحبسه في قلعة كواشي . واقام رجلاً كرديًا ورجلاً ثانياً كان قد طرده الناصر غير مرّة ليحرساه ويكتما عنه كلّ الاخبار . وعندما كان يستخبرهما (١٩٠) عن اولاده وعن ابنهِ الكبير الذي حبسه كانا يقولان له: هل تريد طعاماً ام شراباً ؟ لا تطالبنا باكثر من هذا. قيل انه لما كان يوماً يتمشى معها على الجسر انتبه وتفرّس في دجلة وقال لهما: هل تنويان ان تغرّقاني ؟ قالا له: كلا بل سننقلك الى قلعة كواشي. فقال لهما: كنتُ انوي ان احبس فيها ابني فسبقني. وقرّر ابو تغلب ان يؤدي ما كان يؤديه ابوه من الخراج لبغداد. وحالفه عزّالدولة امير بغداد. وتولى ابنه ابو المعالي مكان سيف الدولة امير حلب وحمص .

وفي السنة ١٢٧٩ لليونان (٩٦٨م) وهي السنة ٣٥٧ للعرب زحف فريق من الخراسانيين في ثلاثة آلاف من عرب انطاكية الى تبدوقية فلاقاهم اربعون الفاً من الروم وفتكوا بالكثيرين من الخراسانيين والانطاكيين وقبضوا على الكثيرين . فجرد الانطاكيون واجبروا على بطريرك الخلقيدونيين (الانطاكي) وقوّضوا اغلب كنائس انطاكية. ثم زحف الروم الى سروج وغنموا ثلاثمائة عربي وعدة وافرة من البهائم وارتحلوا. ومات ناصر الدولة في تلك السنة محبوساً في كواشي ونُقل الى تلّ التوبة تجاه الموصل وشيّعه اولاده جميعاً وهم حفاة ودفنوه هناك.

وفي هذه السنة عثروا لابي العلاء سليمان بن وهب بن سفيان الفقيه المسيحي البغدادي على ثلاثمائة وخمسين الف درهم عند احد الصيارفة وعلى اثني عشر الف خابية خمر في بيته فاستنزفوا منه مائة واربعين الفاً من الفضة وأعتقوا عنه.

واختلف الخراسانيون والعرب هذه السنة في انطاكية واقبل الروم وسبوا من ضواحيها اثني عشر الفاً من رجال ونساء وفتيان وفتيات .

وبعد سنة اعني السنة ١٢٨٠ لليونان (٩٦٩م) وصل الروم الى كفرتوت وأجلوا ثلاثمائة شخص في غنائم وافرة وساروا الى حمص وشاهدوها (١٩١) خالية من السكان فاضرموا فيها النيران وانصرفوا . وفي السنة عينها حدث غلاء في بغداد وبيع كور الحنطة بتسعين ديناراً . وظهر جراد كثير ببلد الموصل.

وما عتم ان زحف نيقيفور ملك الروم وحاصر انطاكية ثم سار الى طرسوس واحرق كل ما في ضواحيها من الابنية . وتوجه الى قلعة غزة الحصينة واحتوى على شيء كثير مما فيها ثم اقبل وحلَّ ما بين حمص وحلب واقام شهرين يغزو ويسبي دون ان يعارضه احد . وقد احصى مَن عنده من الاسرى فكانوا الفاً من فتيان وفتيات ولم يقبض على شيخ او عجوز بل قتل البعض وأبقى على البعض الآخر . ولولا تفشي الوباء عسكرهُ لدوّخ حلب وانطاكية معاً . وكان ينوي التوجه الى اورشليم لكنه لم يتيسر له ذلك بسبب مما احاق بجنوده من الوهن والكلال بعد ما قتلوا من قتلوا وغنموا ما غنموا مما فاق حدّ الكثرة.

وفي السنة ١٢٨١ لليونان (٩٧٠م) وهي السنة ٣٥٩ للعرب اتفق الروم سرّاً مع نصارى حصن لوقا المجاور لانطاكية فاشاروا عليهم ان يذهبوا الى انطاكية ويتظاهروا بانهم منهزمون من وجه الروم ويقيموا هناك ريثما يصل الجيش الرومي فيساعدوه على فتح المدينة. ولما تمّ لهم ذلك وصل اخو نيقيفور الملك بعد شهرين في أربعين الفاً وأحدقوا بالسور وساعدهم اهالي حصن لوقا من ناحية الجبل . فدخل الروم انطاكية وقتلوا فيها خلقاً كثيراً ثم افرزوا الشيوخ والعجائز والصغار وخيّروهم في الرحيل الى حيث شاؤوا وابقوا على عشرين الفاً ونيف من الشبان والشابات والفتيان ورحّلوهم الى بلاد الروم. ثم وجهوا عشرة آلاف فارس الى حلب وتطوّع الحلبيون بتأدية جزية مقاومة للروم كل سنة . فاخذ الروم منهم ثمانية اشخاص بمثابة ودائع وانصرفوا .

واشتهر في تلك الغضون الملك نيقيفور في حروبه شهرة واسعة (١٩٢) بحيث احتلّ كل مدن قيليقية وانطاكية وسوريا وهابه العرب كافة . غير انه أُعجب بنفسه واقترن بتوفانية الملكة ارملة الملك رومانس على كره منها . ولم يكتف بذلك بل حاول ان يخصي ابنيها باسيل وقسطنطين ليقضي على ذرّيتها ويتسلسل ملوك الروم من ذريته. وما ان وقفت توفانة على دخيلته حتى فاضت احشاؤها على ابنيها فعقدت مؤامرة مع شومشكين الدمستق سرّاً وادخلته بزيّ النساء مع فريق من الابطال الى كنيسة البلاط ليلة عيد الميلاد الخلاصيّ . ثم اخبرت نيقيفور انها استدعت النساء صواحبها ليقضين عندها تلك الليلة في

الكنيسة لتتسلّى معين. ولما استيقنت انه غرق في نومه فتحت الباب لشومشكين واصحابه فدخلوا وفتكوا به في فراشه وقضوا كذلك على حياة سبعين رجلاً او اكثر من حرّاسه . هذا ما رواه المؤرخون الاثبات . اما ما ذكره المغبوط البطريرك ميخائيل نقلاً عن تاريخ اغناطيوس مطران ملطية وهو انها قتلته لانه لم يدمن مضاجعتها فلا صحة له . والبرهان ان توفانة بعد قتل نيقيفور لم تقترن بشومشكين الذي قتله ولا بغيره .

وفي السنة ٣٦٠ للعرب (٩٧٠م) صُودِف رجلان عريان مقتولان ليلاً في المسجد المجاور لدير رهبان مار ميخائيل النساطرة بالموصل . فاستنزف ابو تغلب بن ناصر الدولة بسبب ذلك مائة وعشرين الف درهم من النصارى.

وفي السنة ٣٦٢ للعرب (٩٧٢م) زحف الدمستق في جيشه الى نصيبين وقتل خلقاً كثيراً. وظل ٢٢ يوماً يسبي ويغزو ويخرب. ولما عوّل على التوجه الى آمد كتب صاحبها هزرمرد الى ابي تغلب امير الموصل فسيّر اليه عساكر كثيرة مع اخيه وحاربوا الروم وتغلبوا عليهم. وقبضوا على الدمستق وارسلوه أسيراً (١٩٣) الى الموصل وانهزم اصحابه الروم. وقد ابدى ابو تغلب للدمستق عطفاً جزيلاً رغبةً منه في توطيد الحب مع الروم. غير ان دملة خبيثة تفشت فيه وقضت على حياته.

ولما بلغ اهالي بغداد ما حلّ بنصيبين من السبي والقتل هاجوا وماجوا وثاروا على الخليفة المطيع وجعلوا يستهزئون به بسبب تغاضيه عن المكافحة في سبيل العرب واطلقوا السهام في داره وعلى عبيده . وسار بعض الاعيان المشاهير الى الكوفة يريدون الامير عز الدولة والحوا عليه كي يجهز العسكر ويوجههم ليحاربوا الروم.

وفي السنة ٣٦٣ للعرب (٩٧٣م) أُصيب الخليفة المطيع بداء الفالج وثقل لسانه وتعذّرت عليه الحركة . فاضطره سبكتكين احد عظماء بغداد ان يخلع نفسه ويبايع ابنه الطائع بالخلافة .

وفي هذه السنة مات الطبيب ثابت بن سنان بن ثابت الحرّاني الصابئ وخلف تاريخاً معتبراً بدوّنه منذ السنة مائتين وتسعين للعرب حتى آخر ايامه. ولولا تاريخه هذا لأمست اغلب اخبار ملوكهم طيّ النسيان . فهو الذي حفظها وعنه نقل المؤرّخون من بعده .

(له صلة)

— -

ما قبل النهضة

الشيخ عبد الغني النابلسي والشيخ احمد الحرّ

بقلم فؤاد افرام البستاني

لا شك في ان البذور الاولى في نهضتنا الحديثة جاءتنا من اوربة على يد خرّيجي المدرسة المارونية في رومة ، تلك المدرسة الشهيرة التي على مثالها أُنشئت مدرسة عين ورقة ، ام المدارس الكبرى في لبنان ، بل في الشرق الادنى بكامله ، اجنبيّة كانت ام وطنية . وقد نعود الى هذا الموضوع فنفصّل ما كان من اثر خرّيجي رومة في احياء الدروس الاستشراقية في عواصم اوربة ، وعملهم الدائب في تطبيق مبادئ البحوث العلمية الغربية على لغات الشّرق وآدابه ومعارفه ، ومآتيهم الموفّقة في تعزيز الصلات بين لبنان واوربة ، على عهد المعنيين خاصّةً . حتى إمكننا ان نعدّهم ممهدي السبيل لهذه النهضة السياسية الثقافية التي تنعم اليوم ببواكيرها بلاد العربية جمعاء .

بيد أن من حقّ البحث علينا – قبل ان نتتبع هذا العمل المُنتج في آثار مَن اتصلوا به مباشرةً من ابناء لبنان فنهضوا باللغة العربية وآدابها مُطبّقين المبادئَ الحديثة في عرض الكنوز القديمة – ان نُلِمّ ببعض الاوساط الشرقية التي كانت لا تزال عـلى الدروس التقليدية ، والاساليب المتعارَفة ، تعالج الموضوعات القديمة في بيئة مُقفلة وأفق محدود ، فتحفظَ التُراثَ الثمين من عواصف الفناء ، ولا تجرؤ – او لا يخطر ببالها ان تجرؤ – على تعريضه لنفحات التجدُّد .

ولا يخفى ان علوم اللغة وفنون الادب ، بعد ان انقرض نسل جهابذتها في

العصور العباسية ، جاءت الى حِمى الفقه واصول الدين ، فاطمأنت الى القضاة ، والمشايخ .

ولم تلبث علوم الفقه أن شملت مقدّماتٍ تناولت الصرف والنحو واللغة والبيان والعروض ، واستندت الى علوم آلية كالمنطق ومصطلح الحديث ، على نحو ما يظهر في مؤلفات الفقه المتأخرة الزمن ، وآخرُ مثل عليها واختصر مؤلَّف فيها كتابُ « مرجع الطلّاب » لميخائيل عبد البستاني . فغدا القاضي يجمع ، في ثقافته الاساسية ، هذه المعارف كلّها ، فينبغ في احداها ، ما شاء ميله ونبوغه . وكذلك القول عن رجال الدين ، والدين مُستنِد ، في فهم اصوله وفروعه ، الى اللغة . واذاً فلا غرابة في ان نرى اكثر مَن واصلَ الشغلَ بشؤون اللغة والادب ، في ظلمات الانحطاط ، من رجال القضاء ومشايخ الدين ، يتفكهون ، في اوقات فراغهم ، بجمع الآثار القديمة وشرحها والتعليق عليها ، او بحلّ المعضلات النحوية ، او بتنسيق المعلومات المتراكمة خلالَ العصور . واذا سما بهم الابتكار فإلى شيء من المنظومات التقليدية يترسّمون بها خُطى الانحطاطيين في منظوماتهم الحكمية والدينية الصوفيّة خاصةً .

وعلى هذا شهدنا شهاب الدين الخفاجي († ١٦٥٨) المصري الأصل ، يتنقّل قاضياً للعسكر في انحاء البلاد العثمانية ، فيختلس اوقات الفراغ ليشرح « درة الغوّاص في أوهام الخواصّ » للحريري .

وشهدنا البديعي († ١٦٦٢) ، قاضي الموصل ، يهتمّ ، على هامش مهنته في فضّ مشاكل الناس ، بحلّ المشاكل الادبية ، فيجمع مرويات القوم عن المتنبي وابي تمام ، ويدوّنها في مجلّدين جديرَين بالذكر : « الصبح المُنبي عن حيثية المتنبي » و « هبةُ الأيام في ما يتعلق بابي تمام » .

ويكون من نتائج ذاك الدوران في البيئة المقفلة أنّ بعض الكتب تنفردُ بحظٍّ غريب من السهر عليها والعناية بها ، فتُصبح هدفاً لأدباء العصر يشرحونها ويعلّقون على شرحها ، ويُحشّون هذا التعليق . وقد لا تكون في اصلها من امّهات التآليف في العلم المذكور . من امثال ذلك « كافية » ابن الحاجب في النحو ، التي تمتّعت بعدة شروح اشهرها شرح رضي الدين الاستراباذي البارز

في ثلاثة مجلدات مرصّعة بكثير من الشواهد الشعرية حتى تدفع عبد القادر البغدادي († ١٦٨٢) الى كتابة اربعة مجلدات ضخمة في « شرح شواهد شرح الكافية » اسماها « خزانة الادب ولبّ لباب لسان العرب » وهو كتاب واسع الانتشار حتى في ايامنا هذه .

ومما يدخل في هذا النوع من الشروح والتعاليق ، وان تكن متأخرة عن العصر الذي يهمنا امره ، حاشية الصبّان († ١٧٩١) على شرح الأشموني للألفية في الصرف والنحو . وشرح الزَّبيدي لمعجم الفيروزابادي الذي اسماه « تاج العروس في شرح جواهر القاموس ».

❁

بيدَ أنّ واحدًا من الادباء المذكورين لم يُحدِث أثرًا شخصياً في بيئته، ولم يولّد حركةً عقليةً تزول الى التكتّل والإشعاع بواسطة الطلّاب والمريدين ، كما نرى في عصور الأدب الحافلة بالحياة والتقدّم . انما ظلّوا يشتغلون في تلك البُؤر المستقلّة بعضها عن بعض استقلالَ الإمارات الصغيرة والإقطاعات المنفصلة في عصور العثمانيين الاخيرة . وقد يكون من اسباب هذا العجز أنهم لم يبتكروا شيئاً في ايّ عِلمٍ او فنّ ، فلم يدركوا تلك الشُعلة الفكرية التي ما تنفكّ تشعّ بذاتها ، حتى تُلهب الهشيم فالخشب فالمادّة المتحجّرة .

ولعلّ اقرب ادباء القرن السابع عشر الى تحرّ بيئته ، وإحداث شيء من تلك الحركة الفكرية ، على ضآلتها ، كان الشيخ عبد الغني النابلسي « صاحب المقام القُدسي » ، كما يسميه الامير حيدر شهاب في « الغُرَر الحسان » . وما ذاك المقام الّا مقام التصوّف العريق في الطبيعة البشرية ، والاصيل الجذور في الدين الإسلامي منذ الحلّاج ، وابن عربي ، وابن الفارض خاصّةً . ومن هذه الناحية نال الشيخ النابلسي تلك النفحة الشعرية المُشعّة ، على ضعف تعبيرها ، وفقر صورها ، وتقليد أساليبها . الّا انه بمزالقة ابن الفارض — وهو مُخمِّس خمريّته ، وشارح ديوانه ذاك الشرح المستفيض الذي طبعه الكونت رُشيد الدحداح في مرسيلية مقروناً بشرح البوريني — امكنه ان يعكف على نفسه الغنيّة بالاختبارات الصوفية ، فيفجرُ فيها ينابيع للشعر جديدةً قديمةً تنكبه عن

مجازات الاحتذاء الانحطاطي ، فيتخلّص من التقليد ألا في المظهر المسيطر على حياة العصر بكابوس كان النابلسي أعجز من أن يُزحزحه . ومع ذلك ، فقد أحدث ضجة بعيدة الصدى في بلاد الشام بواسطة تلاميذه ومريديه العديدين، وبواسطة خصومه كذلك .

وكان شعره يضطرب بين النظم الجاري في حوادث العصر ، كتأريخه تلك الزلزلة التي هزّت دمشق وما جاورها سنة ١٧٠٥ ، فقال فيها :

ايها الناس جانبوا البغضا ، بينكم ، واشفقوا على المرضى ؛
واتقوا الله واعبدوه ، ولا تهملوا سُنّةً ولا فرضا .
واتركوا الظلم بينكم ، ودعوا غيبةً صار شرّاً محضا ،
والربا ، والريا بأجمعه ، والزنا ؛ واحفظوا لكم عِرضا .
فالرقيب القريب مُطّلعٌ امرُه ليس يقبل النقضا .
انما الله كيف شاء بنا أرّخوه يزلزل الارضا . (١)

والسموّ الى نفحة التصوّف الأعلى والانجذاب المحض ، غيرَ سالمٍ من غرابة الشطحات التي كانت تقوده احياناً الى الحلول والاتحاد ، كما في قوله في هذه القصيدة الفارضية الاستيحاء والإخراج :

وجودي جلّ عن اسمي ، وعن روحي ، وعن عقلي ،
وعن شرحي ، وتكليفي ، وعن حكمي ، وعن نقلي .
وأمري مُطلقٌ ، حتى عن الإطلاق يستعلي ،
وعن ذاتٍ ، وعن وصفٍ ، وعن بعضٍ ، وعن كلِّ .
وعلمي ليس يُدركهُ سوى مَن لم يزَلْ مِثلي .
ولو نال النطا عن علم اهل العقد والحلّ ،
لأضحى علمُهم ، في بحر علمي ، قطرةَ الطلّ .
وعلمُ الجفْرِ من علمي ، وموسى رَشحةُ البلّ .
واني مُددُ الأخيا ر للقوم الأولى قبلي .
عليَّ الله قيّومٌ بلا شِبهٍ ولا مِثلٍ ،
وإنّي ذلك القيّومُ ، لما قمتُ عن محلّي .
وقد جُرّدت عن مُلكٍ ، وعن علمٍ ، وعن جهلٍ ،

---

(١) الامير حيدر شهاب : الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان (طبعة اسد رستم وفؤاد افرام البستاني) ، ١٩٣٣ ، ١ : ٨ — ٩

وعن كيفٍ، وعن اينٍ، وعن كلٍّ وعن بَعلِ.
واني لستُ مخلوقًا، ولا شربي ولا أكلي،
ولا إني انا الخلّاق ذو صنعٍ وذو جعلِ.
ولا من انبياء الله إني او من الرُّسُلِ،
واني ما أنا عيسى، ولا المهدي الى السُّبلِ،
انا بي حارت الأفهامُ ما يدرون ما أصلي.
انا الشامي، انا الهندي، انا الرومي، انا الصيني.
انا الاكوانُ بي قامت، انا الافلاكُ من أجلي.
انا الأملاك بي تدري، ومني ترتجي وصلي.
انا المعروف بالدنيا وبالاخرى، بذي الفضلِ.
واني لستُ انسانًا، ولا من ذلك النسلِ،
ولا قومي أرى قومي، ولا اهلي ارى اهلي،
ولا إني جنينٌ أو بمولودٍ ولا طفلِ،
واني مُطلقٌ، والكلُّ في قيدي وفي غُلّي.
وما عبدُ الغنيِّ أسمي، ولا ذا مقتضى شكلي،
ولكن عالمُ الأوهام يمشي بي على مَهلِ.
فيا مَن رام بالدنيا يرافي طالبًا وصلي،
تجرَّدْ، وانتبهْ، واخرجْ عن الكون بلا ثِقلِ،
وكن خمرًا بلا كاسٍ، وكن شمسًا بلا ظلِّ،
وحقِّق واقطعْ الأحبالَ، وأمسكْ دونها حَبلي،
وصابرْ، واصطبرْ، واعلمْ، فليس المسكُ كالزِبلِ.
وسُدَّ البابَ عن غيري، وعالجْ، وافتحْ قُفلي.
صلاةُ الله، من قبلي، على قلبي بلا فصلِ،
كذلك انبياء الله نور الفضلِ والنُّبلِ،
مدى الأيّامِ ما سحَّت سحابُ الجودِ بالهطلِ.

فكان للقصيدة صدىً رنّان في اوساط التصوّف الشامي، صدىً يبعد مداه مريدو الشيخ وطلّابه العديدون، فينتشر ذكر كراماته بين الشعب حتى «كانت الإسلام — كما يقول الامير حيدر في لنته المرجا. — تعتقد به انه وليّ عظيم.»

ومن الطبيعي أن تُثيرَ شطحاتُ القصيدة احتجاجَ المحافظين من اعداء التصوّف فيردّوا على الشيخ بلسان شيخ آخر هو احمد بن الحرّ الشيعي، نزيل صور، فينظم على البحر والقافية عينها قصيدة طويلة سنعود الى ذكرها.

ومن الطبيعي كذلك ان ترفع النفحة الفارضيّة الشاعر الشامي من حضيض التقشفات الى يفاع الاستبصار، فترفّ به على قمم الإشراق وتدوّم على فوهات الحلول ؛ تشعّ انوارها الجذّابة فتُغري السالك المستهدي بالانزلاق العقلي ، فالاستهتار السلوكي بمراسيم العبادة ؛ فتُدرك السرّ في تلك الثورة التي قامَ بها عامّةُ دمشق على الشيخ عبد الغني ، حتى خرق الغوغاء حرمة بيته ، في جوار الجامع الأموي ، وأهانوه مُتَّهِمينه باهمال الصلوات الخمس . ولنُشر الى ان هذه التهمة هي نفسها التي وُجّهت الى ابن الفارض من قبله ، والى زميله إمام التصوّف الأعظم محيي الدين بن عربي ، والى كلّ مَن كان ينعكف على التأمّل الصوفي حتى الغرص في بُحران الاتّحاد او الحلول ، فيتفلّت ، واعياً او غير واعٍ ، من واجبات الفروض اليومية . ويقوم من مريديه وطُلّابه من يُبرّر هذا الإهمال بنظريّة الوصول والاتّصال ، وبالتالي فلا حاجة بعد الى الاساليب العادية المفروضة على عامّة المؤمنين .

على ان قصيدة الشيخ عبد الغني اثارت ضجةً متداعية الأصداء في الاوساط المحافظة على « العقل والنقل » فانبرى لنقضها الكثيرون ، كما تبرّع بشرحها الكثيرون كذلك من مريدي الشيخ . وكان الشيخ قد اصبح العَلَم المُفرد في التصوّف الشامي اذ ذاك ، متجاوزاً الثمانين من سنيه ، جامعاً الاختبارات الجمّة في اسفاره المتتابعة التي ادرك بها القسطنطينية ، سنة ١٦٦٤ ، فعرف اساليب الطريقة المولوية والنقشبندية فاستفاد منها في اغناء طريقته القادرية الكيلانية . وانتقل بعد مدّة الى لبنان فنزل البقاع . ثم اتّجه نحو القدس ، وحبرون الخليل فكان فيها سنة ١٦٨٩ . ثم أمَّ مصر سنة ١٦٩٣ ، وطن ابن الفارض وقبره ، ولا شك في انه كان للشيخ مواقفُ « في القرافة تحت ظلّ العارض . » ومنها اتّجه الى الحجاز . حتى كانت السنة ١٧٠٠ ، واذا به في طرابلس يقيم نحو اربعين يوماً . فيمدح المكان ويذمّ السكان ، ولا نعرف لماذا ؟ ونراه بعد ذلك في دمشق ينتقل ، في ربيع السنة ١٧٠٧ ، من منزله الأول ، في جوار الجامع الاموي ، الى منزل جديد في حيّ الصالحية ، فيقرب من ضريح « الكبريت الأحمر » محيي الدين بن عربي . ويتبغلغل في ملاوي الصوفية ، منفصلًا عن العالم

الصاخب حوله ، لا يكاد ينحدر اليه الّا في سبيل الفقراء والمظلومين يشفع لهم لدى ارباب السلطان ، حتى اذا خفّف الناس عليه من اثقالهم عاد الى عالمه الأفضل راقياً معارج الترقّ حتى اصعب درجاتها ، منتشياً بلذّة التعرّض للدُوار في تخطّي مزالق الشطحات حتى يجترح الكرامات ، على ذمّة مريديه .

ويطول اشتاعهُ الروحاني في بلاد الشام حتى يبلغ التسعين من عمره فتنتهي تلك الحياة التائقة بالراحة الابدية في الرابع من اذار سنة ١٧٣١ . فتُصعق دمشق للنبأ ، وتقوم العامّة — تلك العامّة التي ثارت على الشيخ واهانته في ما سبق — فتقفل اسواق المدينة وتسير جماهيرَ في جنازته . واذا مخلّفات الشيخ خمسة وثمانون اثرًا اشهرها شرحٌ لتفسير البيضاوي لم يكمل ، وشرحٌ لديوان ابن الفارض ، طبعه مع شرح البوريني الكونت رُشَيد الدحداح في مرسيلية . وكتاب في « الفتح الرباني والفيض الرحماني » لا يزال مخطوطاً [1] ، وديوان شعر اشعر ما فيه القصائد الصوفية ، وتلك القافية المشهورة في مدح دمشق :

إن سامك الخطبُ المهولُ فأقلقا ، فانزل بأرض الشام واسكُنْ جِلّقا [2]

واذا من مخلّفاته طلّاب عديدون ، ينشرون مآثره ويُشيدون بذكراه ، ويدافعون عنه وعن آرائه بعد وفاته ، كما دافعوا عنه في حياته . حتى صحّ للامير حيدر الشهابي ، ان يذكر ، في حوليّات السنة ١٧٢٣ ، من الحوادث المهمة انه كان « في الشام الشيخ عبد الغني النابلسي . وكان شاعرًا فصيحًا . . . وكانت الإسلام تعتقد به انه وليّ عظيم . »

وفي حوادث السنة نفسها يذكر الامير المؤرّخ تلك المناظرة بين الشيخ عبد الغني والشيخ احمد الحرّ . وقد لا يصحّ ان نسمّيها مناظرةً بالمعنى الادبي

---

١) عرّف هذا الكتاب ونشر مقدمته وفصلًا منه الاب انطونيوس شبلي اللبناني في « المشرق » ٤١ [١٩٤٧] ٥٨٦ – ٦١١)

٢) لا بدّ من التنويه ، تعليقاً على لفظة جلّق ، ان الشيخ أخذ بقول حسّان واصفاً منازل الغساسنة في جلّق ، فخالها دمشق ، فتورّط في هذا الخطأ الجغرافي ، وورّط بعده احمد شوقي في تصبّيه الدمشقيّين .

الصحيح، انما هي معارضة قدم به الشيخ الحرّ مقتصّ بقصيدة لامية في التصوف. وكان بذلك صدى رنّاناً لمشعر الذي لم يخفت صوته قطّ في جبل عامل، واحتجاجاً صارخاً للشيعة المثبتة « بالعقل والنقل »، كما يقول، على هذه البدع الدخيلة التي لا يتورّع في نسبتها الى الغرور والجهل، كما لا يتورّع في تسمية اتباعها بالاوباش. وذلك في آخر النقيضة، وقد طال به نفس الكلام وانتشى بلذّة الاندفاع، فتكثّلت الردود في التعابير الجافية والألفاظ النابية، منحدرة حتى « البلادة » و « الغرور » و « والعمى » بعد ان بدأت بشيء من المجاملة يخاطب به « أخا الفضل »:

رويدًا، يا أخا الفضلِ، مزجتَ الشَّهدَ بالخلِّ؛
أذعتَ السرَّ، يا هذا، شريتَ الجورَ بالعدلِ.
فتحتَ القفلَ يا شامي، فقدتَ العلمَ بالجهلِ.
تعالى ذاتُ ذي الفضلِ عن الأشباهِ والمثلِ!
وعن كيفٍ، وعن أينٍ، وعن إدراكِ ذي عقلٍ،
وعن قبلٍ، وعن بعدٍ، وعن بعضٍ، وعن كُلِّ،
وعن كمٍّ، وعن لمٍّ، وعن جنسٍ، وعن فصلٍ،
وعن غيلٍ ذي وصفٍ، وعن تشبيهِ ذي مُثلٍ!

. . .

وهذا المذهبُ قد اعيى جنودَ العقلِ والجهلِ،
فنوحٌ لا يدانيه، وموسى خالعُ النعلِ،
وابراهيمُ مع لوطٍ، وعيسى صاحبُ الفضلِ،
واسمعيلُ مع يحيى، ولا كلٌّ من الرسلِ،
وجبريلٌ وميكالٌ، واسرافيلُ ذو النبلِ،

. . .

فيا عبدَ الغني، مهلًا! فليس القولُ كالفعلِ،
لقد أكثرتَ من هذرٍ يضاهي صبوةَ الطفلِ؛
دعاوى لا يدانيها سوى عارٍ من العقلِ.

. . .

وما هذا الذي تُبدي؟ رويدًا يا أبا الجهلِ،
حلولٌ واتحادٌ ثم تشبيهٌ مع البُطلِ؟
وقد أردفتَ، يا هذا، مجازَ القولِ بالفعلِ.

فليس الدرُّ كالحصا ، وليس العلمُ كالجهلِ ،
وليس النور كالظلما ، ولا الإكسيرُ كالزبلِ .
فيا عبدَ الغني الشامي ، تفطّن ، واستمعْ نقلي :
فما المشكاةُ ، يا رومي ، وما المصباحُ ، يا صِقلي ؟
وما الزيتونُ ، يا هذا ؟ فقُل ، يا فاتح القُفلِ .

. . .

الا يا هُدهُدَ الأخبار ، خَبِّرْ بالورى ، وأجلِ .
فكم من هُدهُدٍ أضحى كفرخ البوم ، يا خِلّي

. . .

أيا عبد الغني ، اكثرتَ من هَذرٍ ومن هَزلٍ ،
لقد أبرزتَ مكنونًا خلافَ العقلِ والنقلِ . . .
تسامى قدرُ باري الكُلِّ ، مبدي الفرعِ والأصلِ ،
عن الأضدادِ ، والأندادِ ، والأولادِ ، والمِثلِ ،
وعن ادراكِ ذي عِلمٍ ، وعن تحقيق ذي فضلٍ ،
وعن تشبيه مغرورٍ بليدٍ [ظاهر] الجهلِ ،
وعن أفكارِ أوباشٍ ، عَمُوا عن واضح السبلِ . . .

ولا نعرف ما كان من اثر هذه النقيضة فنتصوّر تلقفها في الاوساط العاملية الشيعية ، وتداول الناس اياها ، مع القصيدة الاولى ، ولا طباعة منتشرة اذ ذاك ، حتى تصل ،بعد مائة سنة ، الى الامير المؤرّخ فيدوّنها تدوينه الحوادث المهمّة . ثم يفيدنا انه كان للشيخ عبد الغني تلميذ « يقال له السيد محمد الرحمن ابن محمد الشاكر ، ويكنّى البُهلول » . ولا شكّ ان هذا التلميذ وقف على هذه المعارضة ، بل لا شك في انه كان من ابطال تلك الحركة التي اوجدتها قصيدتا الشيخين ، فاندفع في السنة نفسها يمدح استاذه بقصيدة « فاق فيها على جميع الشعراء» ، كما يقول الامير حيدر ، بانه جمع في تسعين بيتاً مائتين وسبعين تاريخاً عن سنة واحدة هي السنة ١١٣٦ للهجرة الموافقة للسنة ١٧٢٣ . وقدّم على القصيدة العجيبة مقدّمة يرفعها بها الى مقام استاذه ، وهي من السجع والتكلف في الذروة ولولا كثرة التصحيف والتحريف في الفاظها ، كما تبدو في تاريخ الامير حيدر ، ولا سَنَد لنا سواه ، لكان لنا في بعض مقاطيعها تفكِهة مُرَفِّهة ، وصورة صادقة لما كان عليه ما يُسمّى بالأدب في ذاك العهد .

بيد انه لا نعدم جملاً من المطلع نعطيها رمزاً لما في سائر تلك المقدمة قال :

«كتّم الله الوجودَ بجناب جمال دُرَّة إكليل تاج المحققين ، وواسطة عقد المدققين ؛ من سما الى سماء أسرار حقيقة حقِّ اليقين . انسان عين روح البلاغة ، ومتاليد البراعة ، مَن تنجلي عن وصفه الطروس ؛ وتحنّ شوقاً الى طيب ذكره النفوس . مَن حلَّ ذُرى المجد ، ورقي دوحة الآداب . وأُوتي الحكمة وفصلَ الخطاب . شمس أفضال ترقرقت من سماء المعارف ، وكعبة إجلال أشرقت بسناء العواطف. . .»

الى آخر ما هنالك حتى يختم المقدَّمة ببيتين هما مقدِّمة القصيدة ، وفيهما وحدهما ثمانية تواريخ في كل شطر تاريخان :

١١٣٦ ١١٣٦ ١١٣٩ ١١٣٦
اهديك مدحاً بليغاً ، بما سَنيُّ غدا عن القترحات ، باهي الفضل والمنن

١١٣٦ ١١٣٦ ١١٣٦ ١١٣٦
ألفاظهُ كنجومٍ ، في تُشرق ما بدا سنا بدرها ، أرّخه عبدُ غني

ثم تأتي القصيدة العجيبة بادئاً كل بيت منها ، بحرف من هذين البيتين على التوالي ، مضمّناً كل شطر تاريخاً :

١١٣٦ ١١٣٦
آياتُ حقٍ بهيجُ الحُسنِ تاليها ترهو ، وعم المنا بالحمد تاليها

١١٣٦ ١١٣٦
هي البدورُ بنور العلم لامعةٌ ام جنّة الأنس بصداحٌ قارِيها

وهكذا الى التسعين بيتاً فتنتهي القصيدة ، ولا يشعر السامع الّا بجرس متسلسل ورنّة ناعمة ، تتتابع على وتيرة واحدة ، فيستكين حتى لا يُفسد عليه هذا التخدّرَ خدشةٌ من تنافر الحروف ، او قعقعة القوافي المضطربة أحياناً . امّا جمال الصورة ، واما سموّ الخيال ، وامّا وحدة البناء ، امّا روعة الشعر فعلى باب الله .

حفريات راس شمرة

الاكتشافات الاثرية والكتابية

بقلم الاب رينه فولّه اليسوعي

تمهيد

لقد عثر السيد كلود شيفر (Schaeffer) في السنة ١٩٢٩ على اثار مدينة اوغاريت عند ما قام ومعه ج. شنيه (Chenêt) بتنقيبات في المكان المعروف براس شمرة على ساحل سوريا تجاه جزيرة قبرس.

وبدا اكتشافه كبير الشان منذ اول وهلة لانه جاء يسد فراغاً في ما لدينا من المعلومات عن الشرق مهد الكتاب المقدس.

ان مواقع الحفريات الكبرى المعروفة حتى الآن على ضفاف الفرات والدجلة في العراق، والهاليس (Halys) في تركيا والنيل في مصر، لم تضن علينا بالافصاح عن حقيقة ماضيها بل كشفت لنا عن كثير من اسرارها الدفينة بلسان الآثار ولسان اللغات. وكلا اللسانين فياض مسهب حتى الافراط والثرثرة.

اما كنعان بمعناه الواسع اي بما فيه فنيقيا وسوريا وفلسطين فانه قد لزم الصمت نسبياً، فما افصح عن نفسه الا بلسان الآثار وما يصاحبها من تماثيل وخزفيات. وكانت الكتابات نزرة فضلاً عن انها قليلة التنوع. فترتب على ذلك ان قام غيره يتكلم بالنيابة عنه. وحسبنا ان نذكر بوغاز كوي (Bogaz-Köy) والعمارنة. لكن هؤلاء شهود من الخارج الى حد، واكبر اهتمامهم منصرف الى الامور السياسية والعسكرية. اما الآن وقد استظهرنا دفائن راس شمرة فانا قد حصلنا على وثائق جديدة فينيقية.

تمدنا حفريات راس شمرة، علاوة على المستندات المتعلقة بكل من حضارات الشرق الادنى الكبرى، بشهادة خاصة شبه شخصية: اذ هي تتألف من كتابة ومن لغة ومن آداب وكل من الثلاثة طريف. فالآداب تتحفنا بنصوص

منوعة وهي عزيزة جدا ومتصلة ببعض مداركه عن امور ثقافية ودينية . والى هذا فانها تكاد تكون في مجموعها معاصرة لمستندات بوغاز كوي والعمرنة وتطلعنا على حالة الحضارة في كنعان قبيل استيطان العبرانيين ارض فلسطين .

لذلك نرى انه اذا كانت الاكتشافات الاخرى تعدل راس شمرة شأناً او تفوقها في نظر الاخصائي في التاريخ او الحقوق او الفنون ، فانه لا يعدلها اكتشاف في الآونة الاخيرة في نظر الباحث في الكتاب المقدس وفي علاقات هذا الكتاب بالمحيط الذي تكون فيه .

٥

١ — المكتشفات الاثرية

ان الحفريات التي بوشرت في سنة ١٩٢٩ في راس شمرة نفسها وفي المينا البيضا قد استغرقت احد عشر شوطاً حتى قيام الحرب الاخيرة . وقد استؤنف التنقيب فيها مؤخراً . ونحن ذاكرون فيما يلي اهم النتائج الاثرية :

لقد تبين كلود شيفر فيها خمس طبقات هي من اسفل الى عل :

الطبقة الخامسة : وهي اقدم طبقة وتعود الى اول العصر الحجري الحديث (الالف ٥و٦ ق.م.) . وهي تنقسم الى قسمين : طبقة بعمق ١٨ متراً : فيها ظران ومواقد نار . فشهادة راس شمرة تؤيد شهادة المواقع المجاورة وتدل على ان المنطقة كانت « تعج بحياة بدائية قوية » (Contenau)، وطبقة بعمق ١٦ — ١٧ متراً : فيها فخاريات مماثلة لجكر بزار (Chagar-Bazar) في ناحية الخابور، وتل جُدَيدة (tell-Gudeideh) على العاصي وسكجه كوزى (Sakçe-Gözü) في سوريا ، واريحا ذات العصر الحجري الحديث في فلسطين . فيستدل من هذا ان راس شمرة كانت جزءاً من مجموع واسع تألفت منه اقدم حضارة في فجر التاريخ وشملت الشرق الادنى اجمع .

الطبقة الرابعة : بعمق ١٦—١٢ متراً . (الالف ٤): فيها فخار مطلي بالاصابع او خزف من نمط خزف تل حَلَف وكركميش وجكر بزار وارْبجية (Arpachiyah) (في العراق) . وازدهار هذا النمط من الخزف الدقيق الصنع والجميل المنظر

مرتبط بحضارة الحوريين (Hurrites) كما نبّه الى ذلك شيفر .

الطبقة الثالثة : (النصف الاول — اواسط الالف الثالث) فالحرفيات العائدة الى ما قبل التاريخ يُماثل القديم منها الأريجيّة والعُبَيد (Obeid) ،ويماثل الحديث منها جَمْدَة نَصْر(Contenau) . فالبلاد متأثرة بنفوذ ما بين النهرين وهي في حالة انحطاط بادٍ . والارجح في نظر شيفر ان الانحطاط نتيجة للغزوات والهجرات التي حصلت في اواسط الالف الثالث واشهرها هجرة الكوتيين.

ونجد في اواخر الحقبة مدافن ذات خزف كنعاني فيجوز لنا ان نستدل به على قدوم الفينيقيين آنذاك الى المدينة .

الطبقة الثانية : (اواخر الالف ٣ والالف ٢).

هذه هي الحقبة الثقافية الكبرى في اوغاريت . المدينة تعاني من الوجهة السياسية صعاباً كباراً في سبيل الاحتفاظ بالاستقلال وحرية التصرف بين الدول الكبرى ، لكنها سوق تجارية عجيبة الرواج وملتقى لمختلف الحضارات على انها لها طابع خاص بالرغم من تأثير البلدان الكبيرة المتحضرة فيها . فيبدو فيها في اول هذه الحقبة اثر مصر التي هي في عنفوان ونبتها ، اذ تبوأت السلالة الثانية عشرة الحكم ، وكذلك اثر ايجا (Egée) واقريطش (Crète) (الميتري الاوسط : Minoen moyen).اما بعد ذلك فالنفوذ يؤول الى الحوريين والحثيين.

فهذا عصر الازدهار الاكبر وقد خلف لنا مستندات مدونة في مختلف لغات البلدان التي كان لها اثر في اوغاريت ونصوصاً ادبية في لغة اوغاريت نفسها . لكنها حقبة مرتبكة مربكة ايضاً فالمدينة تتهدم حوالى القرن الـ ١٩ ق.م. بزلزال الارض وبطغيان البحر عليها، وتضطرها المنافسة والحروب بين مصر والحثيين الى التلطف والمرونة في السياسة .

الطبقة الاخيرة : لما عقب الهدوء الحروب الكبرى اصبحت اوغاريت تحت سلطان مصر وهاجر اليها طائفة ميسينية (émigration mycénienne) كبيرة . فتبدو كأنها قد قطعت العلاقات مع ما وراءها من البلدان، اي مع بين النهرين والحثيين . ونلمس فيها اثار نهضة جديدة لكنها اضيق حدوداً من الحضارة « المطلق » في الحقبة السابقة .

ثم بتنبها موجة جديدة من الاضطرابات تعود الى هجرة شعوب البحر . وتتعرض امبراطوريات كبرى وينشب القتـــال من كل جانب والغزو من كل صوب (وما حرب طروادة الا حادثة من هذا الاصطراع) فتدخل اوغاريت في خبر كان . وتخلفها بعد حين من الزمن على مسافة ١٢ كيلومترًا في الجنوب لاوديقيا ، اللاذقية الحالية .

٢ ـــ الكتابات المكتشفة

تلفت النظر الى ان في اوغاريت اشياء ليست اوغاريتية ففيها نصوص قد وُضعت بلغات وبكتابات مختلفة من سُومرية وأكّدية وحثية وحُورية ومصرية. وهناك أثبات او جداول معجمية تيسر لنا الانتقال من احدى هذه اللغات الى لغة اخرى كالثبت السومري – الاكدي – الحوري ، وهــذا دليل واضح على ان الســكان كانوا لفيفاً من اقوام عدة . ثم ان الابجدية الاوغاريتية لم ينحصر استعمالها في تدوين نصوص موضوعة باللغة الاوغاريتية دون سواها لان لدينــا بعض النصوص الأكّدية وقد رُقمت بحروف هذه الابجدية .

على ان الاكتشاف الاكبر بين الكتابات هو اكتشاف لغة اوغاريتية بالمعنى الحصري مدونة بابجدية خاصة وتطلعنا على اداب طريفـــة . وسنعالج الآن اللغة والابجدية ونرجئ الآداب الى بحث آخر .

<u>اللغة الاوغاريتية</u> : هي فرع من السامية . فالفاظها وصرفها ونحوها يدل دلالة واضحة على انها من السامية – الغربية ، وتدخل في نطاقها الكنعانية والعبرانية ، وهي على مثال الكنعانية على الاخص مع ما فيها من بعض الخصائص التي تقربها من العربية الجنوبية خاصة ومن الأكّدية الى حد . فقــام بين الاختصاصيين جدال ونزاع حتى يتضبطوا مكانها من اللغة السامية . وانا على رأي الاب دي فو (de Vaux) القــائل انها غصن من الفرع الغربي مندمج في المجموع الكنعاني او باختصار انها من اوائل الفينيقية . ويجوز ان نقول بقليل من المبالغة انها من بداية العبرانية .

ومجموع الحروف الصامتة يحتل مقاماً وسطاً بين العربية (وهي اللغة الاشد

احتفاظاً لقديم الحروف والاوسم تميزاً وتنويعاً للحروف بعضها عن بعض)وبين سائر اللغات السامية . فنجد مثلاً ان الفرق بين ش وث (ومقابلها في العربية : س وث) قائم ثابت في الاوغاريتية ، لكن الفرق بين ص وض الثابت في العربية قد سقط في الاوغاريتية .

الابجدية الاوغاريتية : من المعلوم ان انواع الكتابات التي نقلت لنا نتاج الحضارات الكبيرة كالسومرية والاشورية — البابلية والحثية والمصرية ، فضلاً عن الصينية ، كانت مرتكزة على رموز المعاني كان يُرفق بها علامات تمثل مقاطع لفظية تزيد او تقل عدداً وفقاً للحاجة . وكثيراً ما كانت هذه المقاطع تُربي على الرموز الاساسيّة . وربما اضافوا الى العنصرين السابقين « مَداعِم » القراءة الصحيحة ، من ذلك علامات اسم الجنس وعلامات استكمال النطق . فمن السهل اذاً تصور ما يعترض القارئ من عقبات والتباس وحيرة . وبديهي ان اساليب على هذا الجانب من التعقيد ما كان من السهل ان يتمكن منها الا اصحاب المهنة ، الكتبة انفسهم . وهؤلاء ميالون بالطبع الى جعلها سراً محفوظاً لهم فيساعدهم على توطيد سلطانهم وتعزيز شأن طبقتهم المنطوية على نفسها .

وبما ان اساليب الكتابة الرمزية لم تكن قط صرفة بل كانت تصاحبها ابداً بعض مقاطع هجائية فكان من الطبيعي ان تمهد السبيل الى تحليل الاصوات والى استنباط ادوات تدوين جديدة كلها او معظمها هجائية اي الى إحداث الابجديات . ولقد قامت في الواقع في المناطق الغربية من الشرق الادنى بين القرن العشرين والقرن الثاني عشر سلسلة محاولات من هذا النوع قد هدانا الحظ الى العثور على البعض منها . فابجدية راس شمرة الاوغاريتية ليست سوى حلقة من هذه السلسلة — وميزتها الفارقة انها طريقة ابجدية مستخلصة من الاوضاع المسمارية تسهيلاً للرقم في الواح الطين . فحدّ هذا القيد من مرونتها وجعل الناس يميلون عنها الى ابجديات ترتكز على اوضاع هينة سائغة . ولا ترقم هذه الابجدية سوى الحروف الصامتة ، شأنها في هذا الباب شأن منافساتها . انما تخرج عن هذه القاعدة في تدوين الالف . ففيها ثلاث أَلِفات

[illegible] مشكلات [illegible] نسبية . لكي [illegible] م يكن قد تم [illegible] استخلاص الهمزة [illegible] كانوا يعتبرون الأ[illegible]ت الثلاث ثلاثة حروف متميزة . واذا صح هذا الرأي استطعنا ان نقول ان ابجدية اوغاريت لا ترقم الا الحروف الصامتة في غير استثناء . ويجب علينا الانتظار حتى بزوغ شمس اليونان قبل ان نرى الصائتات والصامتات تكتب على حد سواء.

فلا حاجة بعد ما ذكرناه للتنويه بما يعترضنا من صعوبة في تأويل نصوص لا نعرف قواعد الصرف والنحو فيها معرفة دقيقة وقد تمثل نفس الحروف فيها صيغاً او الفاظاً مختلفة تمام الاختلاف. فالتشديد على ما له من الاهمية في الصرف لا نجد له اثراً بادياً في الكتابة . يضاف الى كل هذا انه ليست لدينا اية تقاليد من التعليم الشفوي تيسر علينا معرفة النطق الصحيح (كما في العربية والعبرانية مثلاً) . فلا تلك سوى اشارات نحصل عليها عن طريق المقارنة باللغات السامية الاخرى ، او عن طريق اعلال الافعال الناقصة الخ . . . فتساعدنا على استخلاص المعنى من خلال كتابة ناقصة .

هذه الملاحظات تساعد على قدر هذه النصوص قدرها وادراك ما يبقى في تأويلها – والمتشائمون يقولون : ما يسود تأويلها – من ارتياب وتردد . ولا عجب في الامر بل ينبغي علينا ان نعجب بما قام به الرواد من اشباه السيد ڤيرولو (Virolleaud) من شق الطريق ، فلا لوم ولا تثريب ان رأى العلماء اليوم هجر كثير من تأويلاته .

لا يزال امام الباحث الاوغاريتي سبيل الى الشعور بنشوة الاكتشاف في هذا الحقل الجديد وبغبطة الاستنباط وصوغ الافتراضات المثمرة ؛ فان كان لا يجهل انه آت بعده حتماً من سيتجاوزه ويسبقه فانه يعلم ايضاً ان المجهود الذي يقوم به يمكّن الخلف من مجاوزته واستباقه .

روما ، تشرين الاول سنة ١٩٥٥
المعهد الكتابي البابوي

الخيط الممدود من الارض الى السماء

بقلم الاب جاك بلانار اليسوعي
مدير مرصد كساره (لبنان)

من وضع مقادير الارض ان كنت تعلم
ام من مد عليها الخيط ؟ (ايوب ٣٨ : ٥)

اانت تشد عقد الثريا
ام انت تحلّ نُطُق الجوزاء ؟ (ايوب ٣٨ : ٣١)

صعب على الانسان ان يتحقق عظمة الكون ، ولو في الخيال . والدليل على ذلك ان العلماء ما استقامت لهم فكرة عن العالم في اية مرحلة من مراحل التاريخ الا وكانت ضيقة كل الضيق وفي غاية الضؤولة . هذا هو الحكم الذي انتهى اليه اليوم رواد العالم الطبيعي ، ولاسيما الفلكيون منهم ، فجاء رأيهم مصداقاً لصحة حدس الشاعر الانكليزي شكسبير حيث قال لمعاصريه من العلماء : «ان في السماء والارض اموراً لا تستطيع فلسفتكم الاحاطة بها» . وعلماء اليوم يعرضون علينا نظريات محدودة سوف يراها القرن المقبل قاصرة . غير ان الناس سيخذلون الصلف المتأصل في العقل ويكبحون تبجحه بالالمام بكل شيء ، ما داموا يتذوقون ما ينشأ عن الاكتشافات المفاجئة من لذة وادعة هنيئة . (اللوحة الاولى)

فلننظر اذن كيف توصل الفلكيون متدرجين من مفاجأة الى مفاجأة اخرى ، من فشل الى نجاح ، ومن مشكل حُلّ الى مشكل تام ، الى ان استخدموا الاقيسة الارضية في أبعاد النجوم وكيف مدّوا خيط الرياضيين الاقدمين حتى ابعد السُدُم .

الارض — القمر — الشمس

يلجأ علماء المساحة اذا ارادوا قياس بُعد نقطة لا يُبلغ اليها الى طريقة علم المثلثات . وتقوم هذه الطريقة على ان يقيسوا خطًا مستقيماً معلوماً قدره بين نقطتين معينتين يتخذونه قاعدة فيقيسون على طرفيها كلًا من زاويتي المثلث الناشئ من هذه القاعدة ومن النقطة المطلوب معرفة بُعدها . فاذا مــا حصلوا

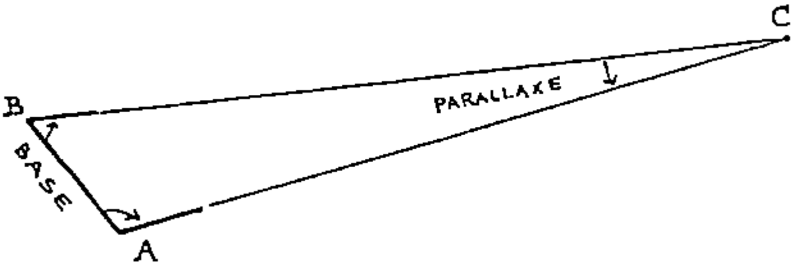

الرسم ١ — كيف ان الناظر الواقف تباعاً في موضعين : ا و ب يستطيع ان يقيس المسافة التي تفصله عن موضع ثالث ليس بتناوله : ت .

على « طول وزاويتين » امكنهم الوصول باستخدام الحساب الى قياس المسافة الى النقطة الممتنع الوصول اليها .

والمهم في عملهم هذا هو مناسبة الاتجاه والطول في القاعدة بحيث لا تكون زاوية المثلث الثالثة صغيرة كل الصغر .

والزاوية التي رأسها في النقطة المسدد النظر اليها تسمى « زاوية الاختلاف Parallaxe » وهي الزاوية التي يرى الراصد طرفي القاعدة من خلالها فتحتها لو افترضناه يرصد من تلك النقطة .

لقد اتقن الفلكيون هذه الطريقة وبلغوا بها نهاية الكمال حتى يتغلبوا على مــا يعترضهم من ظروف معاكسة لان القواعد التي يرتكزون اليها هي في منتهى الصغر . اذ ما قيمة نصف قطر الكرة الارضية وهو اعرض مــا يستطيعون اتخاذه قاعدة لهم (٦٣٧٠ كيلومتراً) بالنسبة الى المسافة الفاصلة بين الارض والقمر وهي ٣٨٤٠٠٠ ك . م . ؟ فانه لا يكاد يساوي وتر قوس له

درجة واحدة! فاذا شئنا في هذه الحالة ان نقيس مثلثاً قياساً دقيقاً احتجنا

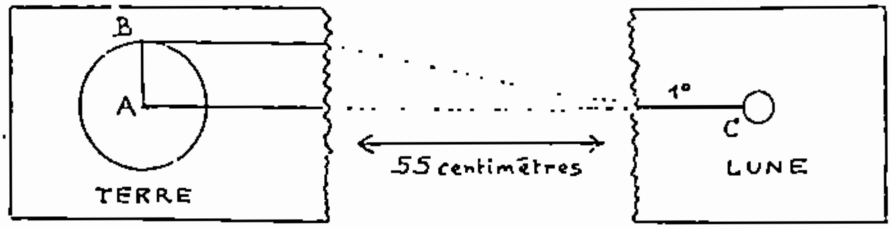

الرسم ٢ — «زاوية اختلاف» القمر

اضطررنا الى اقتطاع ٥٥ سنتيمتراً من طول الرسم حتى يتيسر لنا الجمع بين طرفي المثلث ا ب ت

الى مقاييس دقيقة محكمة . واذا عرفنا ان زاوية الشمس الاختلافية اقل من درجة واحدة ، فاننا نفهم لِمَ اهتم الفلكيون منذ القديم لايجاد قاعدة تكون في غير الارض . واول من فكر في قياس اضلاع المثلث المكون من الشمس والقمر والارض في ربعي القمر الاول والاخير هو اريستارك من جزيرة ساموس (Aristarque de Samos) الذي قام بتجاربه في الاسكندرية حوالى سنة ٢٨٠ ق . م. ولقد اتخذ قاعدة له المسافة بين الارض والقمر وكان بوسعه قياس الزاوية التي رأسها بالارض على حين ان التي رأسها بالقمر كانت زاوية قائمة . وهذه الطريقة وان كانت سليمة في حد ذاتها

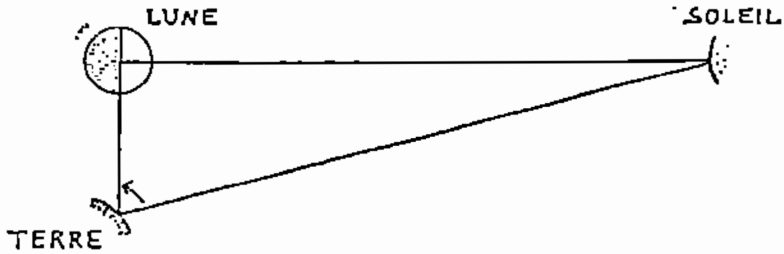

رسم ٣ — كيف حاول اريستارك ان يقيس المسافة بين الارض والشمس باتخاذه الخط بين الارض والقمر قاعدة للمثلث : الارض — الشمس — القمر (لم تراع سلم الابعاد في الرسم)

فكانت تنقصها الدقة ، اذ نراه استنتج ان بُعد الشمس عنا عشرون ضعفاً اكثر من بُعد القمر، بينما هو في الحقيقة ٤٠٠ ضعف . ومهما يكن من ضآلة هذه الارقام فانها نقلت حدود الكون الى اوسع مما كانت عليه في نظر معاصريه. على انهم لما رأوه يجرؤ ويقول ان الارض تسير في الفضاء حول الشمس على

دائرة نصف قطرها الطول المذكور امتنعوا عن التسليم بقوله . وكان تعليلهم ان المسافر الذي يقطع احدى الغابات يرى اشجارها تتغير هيئتها كلما توغل

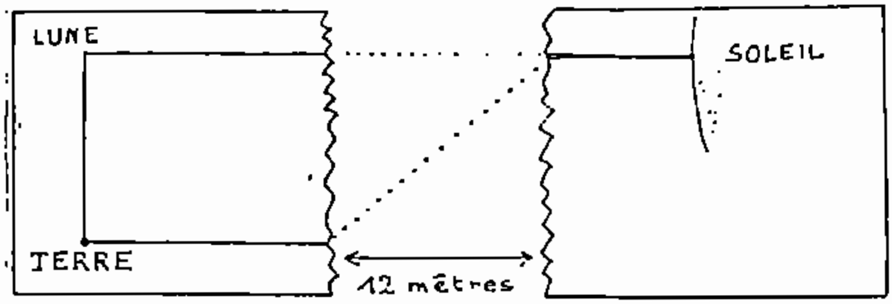

الرسم ٤ – المثلث : الشمس – الارض – القمر . (قد حُذف منه ١٢ متراً) .

فيها ، فكيف يمكنه التصور ان الارض تسير بين النجوم مساراً على هذا القدر من الاتساع ولا يطرأ على هيئة مجموع « الثوابت » ادنى تغيير ؟ ! فبدا لهم ان ثبات آلاف من النجوم في مواضعها لا تتزحزح عنها خير شاهد على ثبات الارض وعدم تحركها .

وعندما جاء كوبرنيك وغاليله واكتشفا حركة الارض في الفضاء من جديد بعد ثمانية عشر قرناً اصطدما بالاعتراض المبني على ثبات النجوم وكان زاده احراجاً العلم بان بُعد الشمس عن الارض وبالتالي دورة الارض حول الشمس اكبر جداً مما ظنه اريستارك . وذلك ان كبلر استنبط طريقة تمكن الفلكيين من قياس هذه المسافة التي ندعوها « الوحدة الفلكية » قياساً اشد دقة . فانه بعد ان اهتدى الى استخراج نسب بسيطة بين افلاك السيارات استطاع ان يستعيض عن حساب البُعد بين الارض والشمس بحساب البعد بين الارض وسيارة

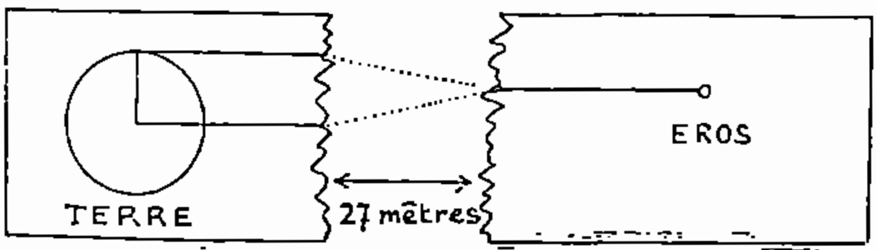

الرسم ٥ – زاوية اروس الاختلافية

اخرى اقرب . ثم ما انفك هذا القياس يزداد اتقاناً وتحسناً قرناً بعد قرن : ففي القرن الـ ١٧ اتخذوا سيارة المريخ (Mars) واسطة لهذا القياس . وفي الـ ١٨ و ١٩ الزهرة (Vénus) وفي الـ ٢٠ النجم الصغير آروس (Eros) الذي مرّ في سنة ١٩٠١ وفي سنة ١٩٣١ قريباً جداً من الارض اذ دنا منها على بعد ١٧ مليون كيلومتر لا غير (!) . وكان مرور آروس في سنة ١٩٣١ على مقربة من الارض مدعاة للقيام باقيسة وحسابات طويلة افضت نتيجتها في سنة ١٩٤٢ الى ان البعد

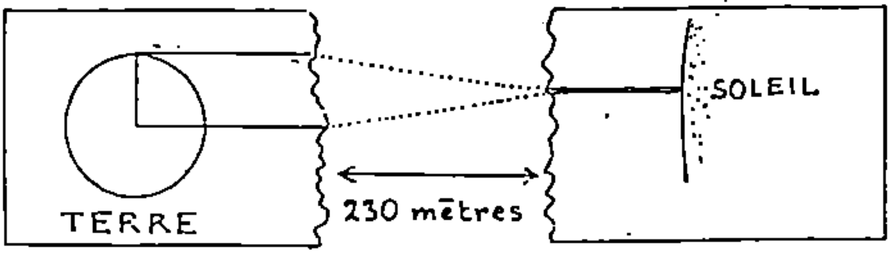

الرسم ٦ – زاوية الشمس الاختلافية .

بين الشمس والارض يبلغ ٠٠٠ ٦٧٥ ١٤٩ ك . م . مجال الخطأ فيها لا يعدو ٠٠٠ ٢٠ ك . م. وان زاوية اختلاف الشمس ثماني ثوانٍ (٨ً)

قفزة الى النجوم

ويمكننا الآن ان نتخذ قاعدةً بُعد الشمس عن الارض وهو عملياً قطر فلك الارض (دائرة مسيرها) اي ضعف المسافة الفاصلة بين موقعَين من مواقع الارض يفصل بينهما ستة أشهر .

وادرك الفلكيون باديء بدء صعوبة هذه القضية لانه لو كانت الارض تتحرك حقاً بوجه النجوم اظهر لنا ان النجوم هي ايضاً تتحرك : اي لبدت في مسارٍ اهليلجي الشكل وهو ارتسام فلك الارض على مسطح يتقاطع بالنجم . على انه قد انقضت آلاف السنين ولم يُتح لاحد ان رأى النجوم تتحرك في « قبة السماء » وانما تبدو لهم كانها مسامير ذهب في كرة بلورية شُدّت على حواشي الارض . واسلفنا القول ان ثبات النجوم البادي كان بدا دليلاً على ثبات الارض ودُفعت به آراء اريستارك وكوبرنك .

في ... عليه وهو اشد لدى تحمس الانتصار لنظريت ريستارت وكوبرنيك قد كشف منظارًا فلكيًا يعين موقع النجوم بدقة اوفى . فانكب معاصروه على الرصد ورادوا في التدقيق على امل العثور على «الاختلاف» في الزاوية يمكنهم من احتساب البُعد ومن اقامة الدليل القاطع على صحة نظريتهم. وقدر لاملهم هذا ان يبوء بخيبة طويلة .

وقبل غاليله كان تيخو براهي (Tycho-Brahé) قام بابحاث في هذا الحقل ولم يفلح . وقام بعد غاليله كاسيني[1] (وهو الاول من حاملي هذا الاسم) ولم يكن اكثر حظًا . وعقب انقضاء قرن من الزمن وُفق الانكليزي برادلي (Bradley) في رصده ورأى ان بعض النجوم ترسم في مدى سنة بالضبط على القبة السماوية (القبة الظاهرة) اهليلجاً نصف قطره[2] الرئيسي ٥ ، ٢٠ً من الدرجة. لكنه لاحظ ان كل نجم من النجوم يرسم اهليلجاً له نفس المحور الاكبر كأن النجوم كلها متساوية في البُعد . اذن لم يعثر على « الاختلاف » المنشود بل كان ما رآه خداعاً يعود الى ظاهرة انحراف الضوء في النجوم وظاهرة تمايل (او كبو) محور الارض اثناء حركتها . وان لم يفت برادلي ومعاصريه ما في اكتشافهم من جليل الفائدة لدعم نظرية كوبرنيك ، فانه لم يحصل على ما كان ينشد .

وفي سنة ١٧٨٢ استطاع هرشل (Herschel) ان يكشف بقرابه (او تلسكوبه) ذي المرآة المقعرة بقطرطوله ١،٢٢ متر حركة اخرى في بعض النجوم شكلها خط منحن ومُقفل حول مركز لا يُرى فيه شيء. لكن تلك المنحنيات ما كانت تُقفل الا بعد انقضاء سنوات عديدة : فنجمي « الذراع »(Castor) مثلًا يقتضي ٣٤٢ سنة ! بينما تُتم الشِعرى(Sirius)دورتها بسرعة اكبر، في٤٩،٤٢ سنة.

فلم يتوصل اذن هرشل الى اكتشاف ما كان يسعى الفلكيون لاكتشافه لكنه توفق الى اكتشاف ذي بال ، اكتشف النجوم المزدوجة المسماة «بالثُنائية» كالذراع المبسوطة والشِعرى فان لكل منها جارًا او « رفيقاً » تدور حوله. واذا

---

١) يوحنا عبد الاحد كاسيني وُلد في ايطالية واستقدمه لويس الرابع عشر الى فرنسة. وكان اول مدير لمرصد باريس المؤسس سنة ١٦٦٧ .

٢) استخدمنا كلمة نصف القطر الرئيسي للدلالة على نصف القوس الكبرى الاهليلجية.

كان ضوء الرفيق غائراً او خافتاً بحيث لا تراه العين والحركة التي يحدثها في النجم المشرق تشعرنا بوجوده وتساعدنا على قياس كتلته .

واخيراً في سنة ١٨٣٨ اي بعد غاليله بقرنين اكتشف الفلكي الالماني بِسّل (Bessel) بمدينة كونسبرغ (Kœnigsberg) حركة نجمية لم تكن ناتجة عن ظاهرة انحراف النور ولا هي دورة نجم حول آخر بل هي حركة زاوية اختلاف حقة تتبع مساراً اهليلجياً ينقفل في مدى سنة بالضبط وبالاستطاعة تعيينها بالمقارنة بينها وبين النجوم الضئيلة النور في جوارها والتي هي لا تتحرك بتاتاً . والعلماء الذين تقدموا بِسّل معذورون اذا هم لم يتوصلوا الى اكتشاف هذا الاهليلج لانه في منتهى الصغر فلا يعدو نصف قطره الرئيسي ٣٠،" من الدرجة .

لو فرضنا اننا نريد فرش مساحة القمر ليلة تامه باهليلجات بكبر هذا الاهليلج لافتقرنا الى عشرة ملايين منها نلصقها بها ككريات على لوح الزجاج . ويفيد هذا ان فلك الارض حول الشمس (ونذكر انه ٢٩٩٣٥٠٠٠٠ كـ.م.) يبدو لراصده من هذا النجم هنة حقيرة اذ لا يكون الا جزءاً من عشرة ملايين جزء من قرص القمر !!

ففي مقدورنا الآن قياس هذه المسافة . لكن الكيلومتر وحدة صغيرة جد الصغر فلا بد من اعتماد مقياس آخر ، وليكن سرعة النور . فالنور يقطع ٣٠٠٠٠٠ كـ. م. في الثانية . فيصل

من القمر الى الارض ، بثانية وثلث : ١٣،"

ومن الشمس الى الارض ، بثماني دقائق : ٨'

ومن بلوطون ابعد السيارات ، بخمس ساعات : ٥ ساعات

ومن النجم ٦١ من الدجاجة (Cygne) باحدى عشرة سنة : ١١ سنة

وسنعتمد فيما يلي « السنة النورية » وحدةً لقياس المسافات وتساوي السنة النورية المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة اي ما يعادل تسعة آلاف واربعمائة مليار كيلومتر (٩٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ كـ. م.) .

وكان من الحظ ان عالج بِسّل نجماً من مجموعة هي اقرب مجموعات النجوم منا . ولكن الحظ لكان اوفر لو رصد الشعرى وهي على بُعد ٨ سنوات نور او لو رحل الى قطب الجنوب يرصد « الفا قنطورس » (α du Centaure)

على بعد ٤ سنوات نور فقط، ونجم آخر على مقربة من هذا يسمى « قريبة قنطورس» (Proxima du Centaure) على بعد ٤ سنوات نور ايضاً وهذه « القريبة » هي ادنى النجوم كلها الى الارض كما يدل عليها اسمها .

لئن تمكن بسّل من قياس زاوية اختلاف لها ٠،٣٠ من الدرجة فان نجاحه ليُعد

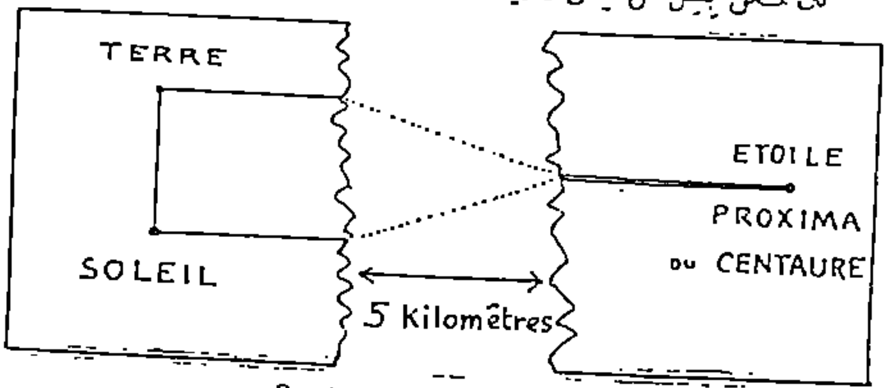

الرسم ٧ – زاوية النجم « Proxima »

نجاحاً خارقاً ما كان من السهل ان يتجدد (اللوحة الثانية). ولكن من حسن الحظ ان لم تمض خمسون سنة حتى استطاع العلماء تطبيق التصوير الشمسي على علم الفلك فسهل عليهم واستغنوا به عن ان يقيسوا باوقات مختلفة من السنة صعود النجم المستقيم او ميله. فاصبح يكفيهم ان يصوروا في كل مرة المنطقة الفلكية التي يشعّ النجم فيها ثم يظاهروا بين الكليشيات (لوحات التصوير الفوتوغرافي) بحيث تستقر الثوابت البعيدة التي لا زاوية اختلاف لها في مواضعها فتبرز عندئذ بينها على اللوحة مواقع النجوم المرصودة موقعاً تلو موقع . ولدينا الآن جدول « الاختلافات » الذي وضعه فرنك شليزنجر (Schlesinger) . وهو يطلعنا على ابعاد ٥٠٠٠ نجم .

فالشعرى الشامية (Procyon)	بعدها ١١ سنة نور .
والنسر الطائر (Altair)	« ١٦ «
والنسر الواقع (Véga)	« ٢٦ «
والسماك الرامح (Arcturus)	« ٤٠ «
ومنكب الجوزاء (Bételgeuse)	« ١٩١ «
ونجم القطب (Polaire)	« ٦٠٠ «
ومثلها النجم الوهاج رجل الجبار (Rigel)	« ٦٠٠ «

وهذه الاخيرة زاوية انفراجه ٠٫٠٠٥ من الدرجة وهي اصغر زاوية يستطاع قياسها بدون تهور مفرط في الخيال . ولكن أليس من وسيلة تمكننا من الذهاب الى ابعد من ذلك ؟

القياس الطيفي

التحليل الطيفي هو الوسيلة المنشودة . انا مدينون بهذه الوسيلة الجديدة للفيزيائيين الالمانيين فرونهوفر (Fraunhofer) وكيرشوف (Kirchhoff) استنبطاها حوالي سنة ١٨٢٠ وتقوم طريقتها على تحليل شعاعة نور مركبة الى عناصرها : وذلك ان اشعة النور اذا انكسرت في موشور او انعكست عن مرآة محززة تسمى « شبكة » ، فانها تتفرق في اتجاهات مختلفة فترسم على لوحة التصوير خطوطاً متوالية وفقاً لطول الموجة . وحوالى سنة ١٨٥٠ اخذ الاب سيكي (Secchi) اليسوعي يستخدم هذه الطريقة في علم الفلك ولاسيما في دراسة النجوم.

وبديهي ان المنظار اذا وضعنا فيه موشوراً او « شبكة » رأينا فيه سلسلة نقاط متعددة الالوان بدلاً من نقطة واحدة كما انه اذا سُلّط على صفيحة التصوير وتحرك النجم اثناء انطباع الصورة حصلنا على سلاسل بدلاً من النقط وصارت سلسلة السلاسل وشاحاً شبيهاً بما يحصل في المختبرات عندما يُطلقون شعاعاً من مصدر محجوب خلال خرق ضيق . (اللوحة الثالثة)

قال النبي قديماً : « النجم يمتاز عن النجم في البهاء » .

فتحليل طيف النجوم يؤيد هذا التباين في النجوم . فمنها ما هو احمر او اصفر او ابيض . ومنها ما يمكن قياس حرارتها بالاستناد الى بعض ميزات الطيف . كما يمكن قياس قوة اشراقها الخاصة بالاستناد الى ميزات اخرى (كنصوع بعض الخطوط او قتمة خطوط الامتصاص). لان ما يُقال في الناس يصلح ان يقال في النجوم : فالجبابرة منها وان بعدت وظهرت بمظهر الوهن فلها ابداً مزايا الجبابرة . والاقزام منها وان قربت (كالشمس مثلاً التي هي من الاقزام) فلها ميزات الاقزام : وهذا لا يخفى قط عن الاخصائيين . (اللوحة الرابعة)

ويمكن هؤلاء ان يعينوا الاشراق الخاص بكل نجم بالاستناد الى بعض

اوصاف طيفه، (اللوحة الخامسة)، كما ان المتخصص بدراسة الخطوط ينبئك عن خلقك وقوة مزاجك بالاستناد الى بعض خطوط كفك . ويكفي بعد ذلك ان نقارن نوع اشراق النجم باشراقه الظاهر حتى نستنتج بُعد موقعه منا . ولئن كنا وقفنا في قياس ابعاد للنجوم عند حد الـ ٦٠٠ سنة نورية فانا نستطيع الآن ان نواصل السير الى الامام وان نقيم على طريقنا معالم اخرى تنتقل بنا الى مراحل جديدة تقاس بآلاف من السنين النورية ، تقارب الـ ١٠٠٠٠ سنة نور .

والنور الذي نريد تحليله، اي تفريق نقطة منه الى الف نقطة على الشاشة ، يجب ان يكون على جانب قوي من الاشراق. وعدد كبير من النجوم ولاسيما في المجرة كثافة نورها تمكننا من رؤيتها ولكنها لا تمكننا من تحليلها ، كما لو جزأنا جوهرة صغيرة فلن نعود نرى اجزاءها . (اللوحة السادسة)

عبرة النجوم القيفاوية (Céphéides)

وقاطفة ثارها الرشيقة

ومن الحظ ان يخف لارشادنا مرشد ثالث اجرأ ممن انكبوا على تدوين اختلافات الزوايا او على تأويل الاطياف فيعرض علينا ان نقوم معه بمراحل جديدة . وهذا المرشد هو الآنسة الاميركية لِقيت (Miss Leavitt) التي قامت برصد بعض نجوم متغيرة تدعى القيفاويات او نجوم قيفاوس .

ولكن معلوماً ان بين النجوم من هنَّ متغيرات متقلبات فصار من المحظور تعيير القمر ومعارضة تغيراته بثبات ضوء النجوم وكان الفلكيون قد لاحظوا تغيرات رأس الغول من صورة فرساوس (Persée) ، وتغيرات العجيبة من صورة الحوت (« Mira » de la Baleine) ، لكن النجم ذلتا δ من مجموعة قيفاوس لفت نظر العالمة لڤيت لما رأت اشراقه يتغير تارة بالتزايد وتارة بالنقصان كما رأت اوصاف طيفه تتغير ايضاً .

في الواقع هذا النجم عرضة لتغيرات طورية فينتقل من الحرارة الى البرودة ومن الانكماش الى التمدد ، وهذه التغيرات يُطلق عليها اسم « النَّبَضان ». ولقد

خلعت السيدة لفيت اسم القيفاويات على هذه النجوم بعد ان عثرت على عدد كثير منها. واستطاعت ان تتحقق ان مدة « نبضانها » تطول بقدر ما يكون اشراق النجم شديداً وتقصر في عكس ذلك . فالنسبة بينهما مضبوطة ضبطاً لا بأس به، والنظريات الفيزيائية تعللها تعليلاً كافياً يخولنا تعميم هذا الناموس المستمد من رصد القيفاويات القريبة المعروفة زاوية اختلافها على القيفاويات البعيدة .

واذا كان ثمة بين النجوم البعيدة التي يُرى اختلاف زاويتها ولا يُنظر طيفها نجوم اخرى تتغير كالقيفاويات فما على الفلكي الا ان يعين النهاية الكبرى والنهاية الصغرى من تغيرها وبعد ما بينهما من الايام ليعرف مبلغ ضوئها الخاص بها ، ثم يقارن هذا الاشراق الحقيقي بالاشراق الظاهر فيحصل له بُعدهـا . هذه ثمار المعرفة التي اقتطفتها الآنسة لفيت من حديقة القيفاويات ولا شك انها لا تقل قيمة عن الثمار الذهبية التي طالما حلم الاغريق في اساطيرهم باقتطافها من جنة « الهسپريد » وهن بنات اطلس وهسپريس الثلاث .

من فوائد هذه الطريقة انها جعلت في متناولنا قياس ابعاد من ١٠ و ٣٠ و٦٠ الف سنة نورية ونيف . وهنا يجدر ان نتوقف لحظة لنحصي ونحقق ما قد كسبنا . لانا قد بلغنا حدود مجموعة كبيرة من النجوم ندعوها المجرة (Galaxie) .

لم يتفق الفلكيون في شأن ابعاد المجرة واتساع مداها الا من زمن قريب اي في سنة ١٩٣٧ . فالبعض منهم قالوا برأي مبالغ فيه جداً وهو امر يندر وقوعه في علم الفلك . لانهم لم يستطيعوا ، وهم يظنون ان الفضاء بين النجوم صافٍ شفاف، ان يعللوا ضعف الاشراق الظاهر في البعض من النجوم الا بقولهم بان هذا البعض بعيد جداً . على ان الواقع يثبت ان الفضاء بين النجوم ليس شفافاً ولاسيما في نطاق مجموعة المجرة . فان هذا الفضاء مشتمل على شبه غبار وسحابات كثيفة كما سيأتي في كلامنا . ويقول الفلكيون ان شكل المجرة كرة مسطحة غاية التسطيح تشبه قرصاً او خذروفاً افطح ، وان قطرها ثمانون الف سنة نورية وسماكتها الكبرى خمسة عشر الف سنة نورية . وتقع منها شمسنا وسيَّاراتها بين المركز والطرف . ثم يقدرون مسافتها من

النجوم بـ ٣٠ مليارًا لم يُظهر لنا منها اعظم ما لدينا من تلسكوبات الا مليارًا واحدًا . . . لكن ينبغي علينا ان لا نغفل المليارات الباقية لا سيما الشاحبة النور منهـا اي الاقزام الحمراء التي تخفت وتغور ولو على بُعد قليل نسبيًا .

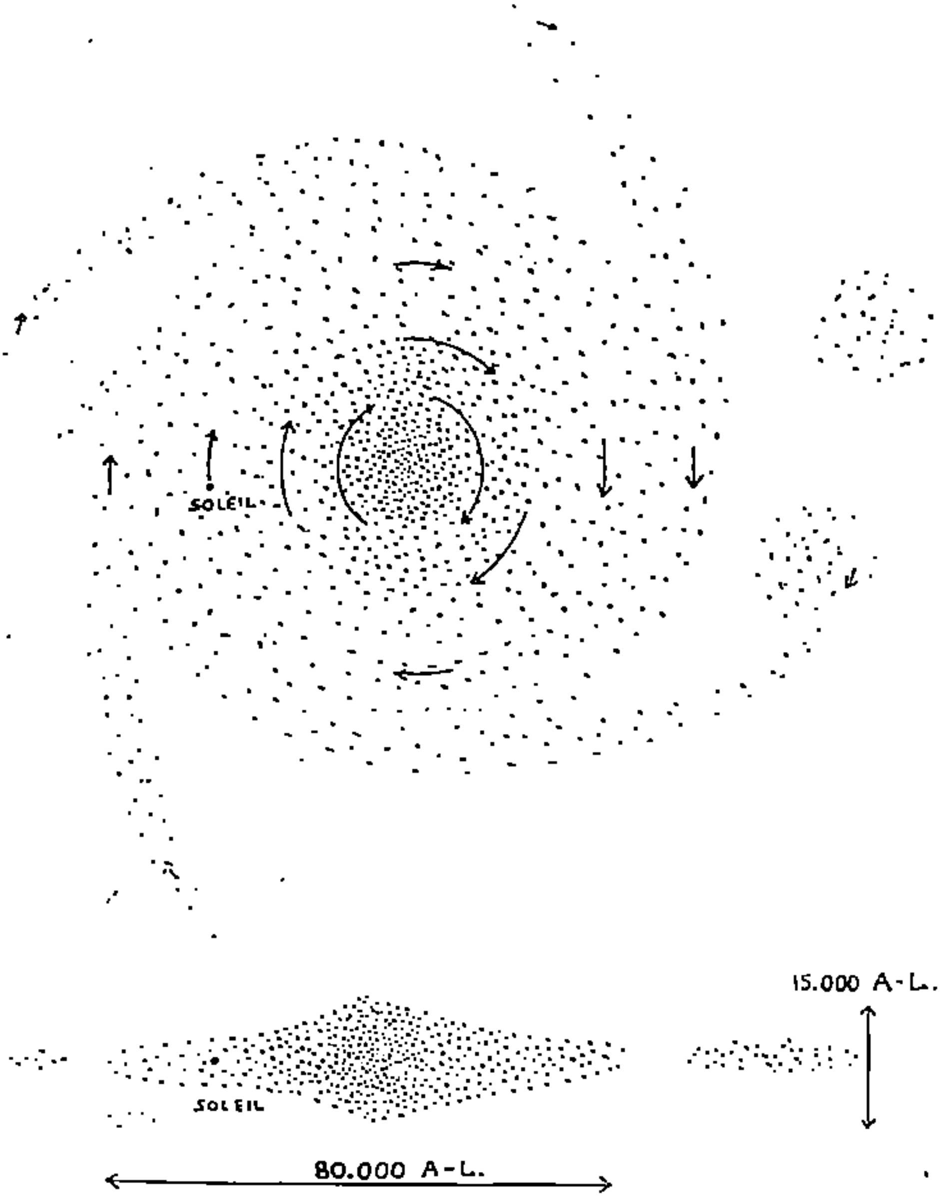

الرسم ٨ – صورة تقريبية للمجرّة وضواحيها
(سطح فوق ، وقطع تحت)

وتشتمل المجرة على سُدم منتشرة وسحب شفافة واسعة الرقعة (ويرصدون النجوم من خلالها كانها سحب من بخار) : ونجوم هذه السحب بعضها منير وبعضها تنعكس عنه الانوار والبعض الآخر قاتم خافٍ. لكن يُستنتج وجود الخافيات مما يطرأ على الدماء في بعض نواحيه من ظلام غير منتظر يُحدث في المجرة جيوباً سوداء او « اكياس فحم » . ولقد اخذ العلماء اليوم يتحققون من وجودها ويعينونها بدقة متزايدة معولين على ما ينبعث عنها من موجات كهرطيسية تستطيع التقاطها جهازات الرادار التي تم صنعها اثناء الحرب الاخيرة . وتنطلق هذه المجموعة مندفعة في حركة سريعة وتدور على ذاتها كالاعصار . فشمسنا تجرنا خلفها بسرعة ٢٧٥ كم في الثانية في دورة لا تستطيع اتمامها الا في ٢٢٠ مليون سنة . والنجوم القريبة من مركز المجرة سرعة دورانها الذاتي ازيد فهي تدور على شاكلة دقائق الماء والهواء في الاعاصير البحرية والجوية . اما النجوم التي على الحاشية فسرعتها الذاتية اخف ويبدو بعضها كانه يحاول الابتعاد عن المركز « والتملص » .

ضاحية المجرة وطرفاتها الواسعة

وعلى جوانب المجرة وخارجاً عنها حيث لا يتجاوز بعد النجوم الست او السبع سنوات نور نجد الاشعة قد طال مداها لان كثافة الذرات المنتشرة في الفضاء تقل الف ضعف عن كثافة مصابيحنا المفرغة من الهواء . لكننا نعثر ايضاً على بعض نجوم كبار او جبارة بل على كتل من الجبابرة ليس بعضها الا صورة مصغرة للمجرة . فمنها مـا يشبه جماعات نحل صغار تدور مطنطنة حول الثول الكبير ومنها مـا يستطيل بشكل قطارات تعطف موازية لمسابات افلاك نجوم المجرة فهي جزء من المجرة كما ان شوارع الضواحي جزء من المدينة مكبر لرقعتها (اللوحة السابعة) . وهي تضفي على مجموع المجرة شكل لولب او شكل شمس تنطلق عن محيطها اسهم نارية . اشهر هذه الكتل صورة هرقل او الجاثي وقد تدعى ايضاً مسيه ١٣ (Messier 13) : لقد احصي فيها ٤٠٠٠٠ الف نجم كبير واضح تام الوضوح ، ولا يماري احد ان الوضح العريض الممتد وسطها يحوي عدداً اكبر . .

ويحسن ان نذكر « مدينتين » في الضاحية على وجه التخصيص لانها صورة مصغرة للمجرة ولانهما اثارتا العجب والدهش عندما ذهب الملاحون يجوبون المحيطات في القرن السادس عشر فاطلتا عليهم وكان لسان حالهما يترنم بقول الشاعر : « في سماء مجهول ، من اعماق المحيط ، طلعت عليهم نجوم جديدة » . واطلقوا عليهما اسم اكبر مشاهيرهم فدعوهما سحابة « مجلان » الكبرى وسحابة « مجلان » الصغرى . هما على بعد ۱۰۰۰۰۰ و ۹۵۰۰۰ سنة نورية . وانا نجد في الكبرى اشد النجوم المعروفة اشراقاً وهو النجم « ابو سيف » او S الدورادو (S de la Dorade) . وقوة اشراقه تعادل اشراق ۳۵۰۰۰۰ شمس .

بطاح اللولبيات

ويكشف لنا التلسكوب وراء الـ ۱۰۰۰۰ سنة نورية عن اشياء جديدة هي كُلف صفراء مضيئة تستطيع العدسات المكبرة ان توسعها على حين ان آلة لم تستطع حتى اليوم تكبير صورة نجم ما . وحوالى سنة ۱۷۸۰ وضع العالم الفرنسي مسيه (Messier) جدولاً باسماء هذه الكلف وقد دعاها « السُدُم » لانه لم يميز بينها وبين السحب البخارية المضيئة تلك التي اشرنا اليها في داخل المجرة .

واستطاع هرشل ان يرصدها بتلسكوبه الكبير رصداً افضل من مسيه فقال ولم يمكنه دعم قوله بدليل بانها كتل نجوم ابعد من كل التي ظهرت بالرصد من قبل . ثم جاء اللورد روس (Ross) سنة ۱۸٤٠ بتلسكوب اكبر من تلسكوب هرشل فرأى انها لولبية الشكل . وظل رأي هرشل فرضاً معلقاً حتى قيض للاميركان واتموا صنع تلسكوب مونت ولسون الكبير في كاليفورنيا (الولايات المتحدة) . فهذا التلسكوب المزود بمرآة شلجمية قطرها متران ونصف المتر والمصبوب في مصانع سان كوبان (Saint Gobain) قد مكن الفلكي الاميركي هوبل (Hubble) سنة ۱۹۲٥ من التوصل الى « تفصيل » بعض هذه السدم اللولبية ، اي انه استطاع ان يأخذ لها صوراً فوتوغرافية راى فيها انها مكونة من نقاط نورية منفصل بعضها عن بعض فاستنتج انها كتل من نجوم . ومن الواضح الجلي

ان هذه النقاط المنيرة المتميزة بعضها عن بعض ليست سوى نجوم « جبارة » . واذ كان بعضها من النجوم المتغيرة ، خلص الى انهـا على شاكلة القيفاويات تنطبق عليها قاعدة السيدة لفيت . وهكذا استطاع علماء الفلك اقامة معالم جديدة تساعد على مواصلة السعي في ارتياد السماء .

واقرب هذه « اللولبيات » منا لولبية « المرأة المسلسلة » (Spirale Andromède) المرئية بالعين المجردة اذا ما كان الجو صافياً . وهي تشغل درجتين من دائرة الفلك اي ما يعادل اربعة اضعاف قطر القمر متى كان في تمامه . والأولى ان يقال انها كانت تشغلها قبلَ ٠٠٠ ٧٥٠ سنة . لان النور الواصل الينا منهـا قد استغرق هذا الزمن حتىٰ وصل الينا . اما عرضها المرئي فهو ٠٠٠ ٢٥ سنة نورية ، على حين ان عرضها الحقيقي اكبر من ذلك كما يُستدل من دراسة صورها . فهو زهاء ٠٠٠ ٨٠ سنة نورية . فهي صنو مجرتنا ونظيرتها .

ثم هناك خمس لولبيات اخرى هي « اللولبيات الموضعية » (Groupe Local) تبدو على بُعد لا يزيد كثيراً عن مليون سنة نورية . فبذا يكون للمجرة فضلاً عن الضاحية المشار اليها منطقة « ريف » .

وعلينا ان نتوغل في بحثنا الى ابعد من هذا لان العلماء قد احصوا ٠٠٠ ٤٤ من هذه اللولبيات ويقدرون ان تلسكوب مونت بالومار سيمكنهم من رؤية ٦٠ مليوناً منها . على انهم لم يستطيعوا حتى الان ان « يفصّلوا » منها اي ان يميزوا نجومها نجماً نجماً ، الا ١٥٠ لولبية . ولذا لم يتح لهم ان يجنوا عدداً كبيراً من القيفاويات من تلك الحدائق النائية .

المنائر الاخيرة

قد يتفق لنا احياناً ان نرى في المجرة نجماً جديـداً ، وهو في الواقع نجم من النجوم غير المرئية او من النجوم الضئيلة النور اخذ يحترق وفي بضعة ايام ازداد اشراقه ٠٠٠ ١٠ ضعف . ثم مـا هو الا بعض الوقت حتى يأخذ نوره في التضاؤل شيئاً فشيئاً فيعود النجم الى حالته الاولى ويلبس شكله السابق . ومنذ شرع الفلكيون يرصدون هذه الاشتعالات وجدوا انها تحدث مراراً

عدة كل سنة ، لكننا لا نتناول الا طائفة معلومة من النجوم وما برح تعليل هذه الظاهرة فيزيائياً في عالم الغيب . وما لا شك فيه هو ان هذا الاحتراق يبدّل حالة النجم فتنجُم عنه قوة لا يعطي انفجار القنبلة الذرية الا فكرة ضعيفة كل الضعف عنها . وشوهد في العصور القريبة اغرب من ذلك ولكن مرتين لا غير اذ ظهر في السماء في سنة ١٥٧٢ وسنة ١٦٠٤ نجمان لا من نوع « الجديد » فحسب بل من نوع « فوق الجديد » .

وعامة المعلومات التي لدينا عن اللولبيات الخارجة عن نطاق مجرتنا تيسر لنا مشاهدة هذه الظاهرات في هذه وفي تلك . وظهر منها في « المجموعة الموضعية » عدد وافر حتى ان العلماء وجدوا من المفيد القيام بدراسة احصائية لها . فاستخلصوا اننا لا نخطئ كثيراً اذا قدّرنا بالاستناد الى هذه الدراسة ان قوة الاشراق في النجم « الجديد » تعادل ٦٠٠٠٠ مرة اشراق الشمس وان الاشراق في النجم « فوق الجديد » يعادل ٦٠٠٠٠٠٠٠ مرة الوحدة نفسها . فحسبنا اذن ان نُفاجأ في احدى اللولبيات السدمية النائية بظهور نور غير مألوف حتى نقول بظهور نجم جديد او فوق جديد . ثم نجعل منه مقياساً جديداً للمسافات بالاستناد الى قوة اشراقه البادي ودلالتها على قدر البُعد . وما هذه الانفجارات الهائلة في نظر الفلكيين الا منائر تنبئ بوجود عوالم بعيدة .

فاصبحنا نعلم بالاعتماد على هذه الطريقة ان مجموعة من اربع لولبيات تقع وراء برج « الاسد » على بُعدٍ مقداره ٧ ملايين سنة نورية . وعلى البعد نفسه نشهد وراء برج « العذراء » ٥٠٠ لولبية . ونشهد وراء صورة «الفرس» ١٠٠ لولبية على بُعد ٢٥ مليون سنة نورية .

وبما ان جميع هذه اللولبيات لها اشراق واحد مساوٍ لاشراق نجم « فوق جديد » في اشد درجات احتراقه فانا نستطيع بتعميم قاعدة التناسب القائمة بين قوة النور البادي وبين بُعد مصدر النور ان نقيس بُعد اللولبيات النائية جداً قياساً مأموناً لا يتجاوز مجال الخطأ فيه اكثر من ٢٠ ٪ . وبما ان هذه اللولبيات تبدو لنا كتلاً فمن الممكن ان نعاود قياس المسافة نفسها مرات متوالية فنستخرج منها معدّل البعد العام .

ويرى الفلكيون ان في كتلة « شعر برنيقا » ٨٠٠ لولبية على بعد ٥٣مليون سنة نورية. وان في « الاكليل الشمالي » ٤٠٠ لولبية على بُعد ١٢٥ مليون سنة نورية . وان في كتلة « فرساوس — المسلسلة » ١٨٠٠ لولبية . . . الخ. وابعد اللولبيات التي كشف عنها تلسكوب مونت ولسون يبدو اشراقها مساوياً لاشراق نجم حجمه في المرتبة الـ ٢٠ وهي على بعد ٣٥٠ مليون سنة نورية (الكتلة X ٩٢ = Amas X. 92)

وتلسكوب مونت ولسون ومداه ٥٠٠ مليون سنة نورية لم يأته من استنفاض مجاهل السماء التي يبلغ اليها ، على ان الصدارة انتقلت الى تلسكوب مونت بالومار وبه مرآة مقعرة قطرها ٥ امتار وستكون قوته ضعفي السابق اي ان الفلكيين سيقيسون بواسطته مسافات على بُعد مليار سنة نورية . واولى التجارب التي اجروها لاختبار قوته مكنت الراصدين من رؤية سدم لولبية لم يتفق لهم قط ان رأوها حتى الآن . ولكن...

الهرب في المجهول

هنا مفاجأة جديدة يفاجئنا بها الاب العالم لومتر (Lemaitre) احد اساتذة لوفين والعالم هوبل في مرصد مونت ولسون . فانهما اكتشفا ، عن غير تواطؤ بينهما ، الاول بواسطة حساباته والثاني بكليشيهاته ظاهرة غريبة سمياها «ظاهرة الهرب» . فقد لاحظا ان اللولبيات البعيدة حيثما اتفق ظهورها هي في هرب متصل لا تنفك تبتعد عنا كأنها تبحث عن فضاء جديد وكأن عالمنا آخذ بالاتساع كالبارود الذي ينفجر .

ويمكننا اذا شئنا البحث في هذه اللولبيات ان نعود الى طريقة التحليل الطيفي التي انصرفنا عنها عند تخطينا حدود المجرة لمّا اصبح نور النجوم المنفردة ضئيلًا . الحق يقال اننا لا نترقع البتة ان نجني امورًا مدهشة من فحص طيوف عادية مبتذلة قد تخالطت فيها اشعة مليارات من النجوم . ومع ذلك فان هذه الاشعة قد طرأ عليها تغير ملحوظ في طيفها وهو انحراف في خطوط الكلسيوم H و K .وليس التغير الطارئ على هيئة الطيف بانتقال احد الخطوط عن مواقعها

المألوفة مدعاة للاستغراب . لان النور اشبه شيء بصفير القطار . فهذا حاد صاعد اذا ما كان القطار مقترباً ، وثقيل هابط اذا ما ابتعد القطار . فكذلك يتقبض طول موجة النور اذا كان مصدره قريباً وتطول اذا كان مصدره بعيداً . فاذا حصل انحراف في الطيف كان ذلك دليلاً على اقتراب النور او ابتعاده .

وفي الواقع اطياف اللولبيات تبدو فيها علامات الهرب المتسارع بازدياد البعد . ولا يستثنى منها الا لولبيات « المجموعة الموضعية » فهي وحدها لا تهرب منا كأن الجاذبية تشدها والمجرة داخل منطقة قطرها مليون سنة نورية . بيد ان سائر اللولبيات هاربة جادة في الهرب كلما بعدت الشقة بينها وبيننا . ونسبة السرعة الى المسافة كما يلي : كلما قطعنا مسافة مليون سنة نورية ازدادت سرعة الهرب ١٦٠ كم . في الثانية .. حتى نصل الى كتلة « التوأمين » التي مسافتها ١٣٠ مليون سنة نورية فتبتعد عنا بسرعة ٢٠ ٠٠٠ كم . في الثانية .

فلولبيات الكتلة X ٩٢ وهي اضأل من ان يظهر لها طيف يترجح ان تكون سرعة هربها ٦٠ ٠٠٠ كم . في الثانية . هنا يعترضنا سؤال :

اذا توصل الفلكيون الى رؤية نجوم بعيدة عنا مليار سنة نورية بواسطة تلسكوب بالومار (Palomar) المدشن حديثاً أفينبغي ان تكون سرعة هربها ١٦٠ ٠٠٠ كم . في الثانية ؟ هذا الارجح . اذ لو كان الامر على خلاف ذلك لوجب التسليم بان الكون يتمدد في مركزه ويتكتل على جوانبه ، كأنه محصور ضمن جدران مرصوصة . غير ان هذا الافتراض بعيد عن المعقول . ونتساءل : لئن اوصلت تلسكوبات الاجيال المقبلة الانسان الى رؤية نجوم على بعد مليارين من السنوات النورية عنا فماذا سوف يرى فيها ؟

هذا سؤال لا يتصدى احد للجواب عليه لان القاعدة التي وضعها لومتر وهوبل تفيد ان سرعة هرب تلك النجوم ينبغي ان تكون ٣٢٠ ٠٠٠ كم . في الثانية وبما انها تفوق سرعة النور ، فما من احد يجرؤ ان يتصور جسماً مادياً يسير بسرعة اعظم من سرعة النور . حتى ان اينشتين (Einstein) جعل من هذه الاستحالة دستوراً اساسياً ترتكز عليه نظريته الخاصة .

لذلك مهما كان مبلغ دهشتنا حيال المعلومات التي قد حصلنا عليها فانه يجب علينا ان نكون على استعداد لا اقول لمواجهة اكتشافات معينة قد يعز علينا التكهن بها ، بل لمواجهة مفاجآت جديدة قد تقضي منا العجب . وهذا هدف جدير بالاجتهاد والايغال في البحث فيه .

في زرقة السماء . . . ابونا

ايها الاخوان في زرقة السماء
اتخذ ابونا مقامه
طأطئوا الهامَ يا ابناءَ البشر
واعلموا ايها الناس اين ملك الرب «.

(شيلر : انشودة الفرح)

وعلى انتظار ما يحمله الغد في ثناياه من مدهشات لا يدري احد ما ستكون فلنتوقف قليلاً عند اكتشاف لومتر الذي جعل من هملت شكسبير درساً مليئاً بالعبر نستطيع ايجازه بالكلمة التالية : « ان الكون ليعظم في هذه اللحظة التي اخاطبكم فيها ويكتسب أفضاء اوسع من هذا الحيز الذي تقضون فيه ايامكم » ولئن كبر الكون مع الزمن فهذا يعني انه كان اصغر مما هو في الماضي . وكلما كبر الكون في المستقبل صغر وضؤل حجمه في الماضي . الى ان نرجع به القهقرى الى الانفجار الاول الذي قذف في الفضاء المجموعات اللولبية بانجمها وسياراتها . وبما انه يستحيل الرجوع الى الوراء رجوعاً لا نهاية له فيلزم عن ذلك ان العالم ليس سرمدياً . فالصمد السرمد الواجب الوجود لا يجوز ان يكون هذا الكون ولا هذا الهباء المتوهج ولا هذه العجائن المتقدة او تلك الغازات المنحلة ، وانما شيء مغاير لهذا العالم هو ما نسميه الله .

فمن خلال الافتراض الشديد الاحتمال الذي اتحفنا به لومتر وهوبل ومآله ان العالم آخذ بالاتساع ، ارى الله السرمدي الفرد الذي فطر العوالم . ولقد عرفناه واقررنا بوجوده لكن علوم الفلك وسائر العلوم البشرية تساعد على اكتشافه روحاً مبدعاً قد جعل بين العالم المادي وعقل الانسان عروة اتصال وتكامل .

من الاكيد ان عالم النجوم لم يخلقه عقل الانسان كما زعم بعضهم على سبيل المجاز في القول ، وكيف يخلق العقل عالماً يستعصي عليه تفهمه ويحيّره . ومع هذا فالعالم من مقتضيات التفكير الانساني ، العقل يغزو العالم ويتفهمه والعالم يتفتح للعقل ولا يمتنع عليه .

ففي نهاية هذه الطريق المزدرعة نجوماً والتي نحن فيها ماضون وجدنا شيئاً آخر غير الفضاء والذرات . لان الفرض الجري، الذي ما زال قيد المناقشة وان كان يتوطد يوماً بعد يوم يرينا الله في اصل كل الاشياء . كما ان ازدياد المعرفة الانسانية يرينا الله مصدراً واحداً للاشياء والعقول .

القاضي امام مهنته وامام ضميره*

بقلم الرئيس الاول شكري قرداحي

وزير العدلية سابقاً
استاذ في المعهد الحقوقي في بيروت
عضو مجلس ادارة الاتحاد العالمي للمؤسسات الحقوقية الدولية

« من هو ذلك العادل الذي فيه من الالوهية
ما يخوّله ان يقوم قاضياً في الناس » .

ما درى كاتب هذا البيت انه سيلتقي على صعيد واحد مع الكتاب المقدس (سفر الخروج ٢٢ : ٨) الذي يعطي هذه الصفة من نصبوا قضاة للشعوب .

لقد قامت على هذه المهنة نزعة ادبية لم يأخذها زمان او مدى اذ لا تزال منذ عهد ارسطوفان حتى عصرنا الحاضر تجد ممثلين لها اكفاء يصلون القضاء مع ما يفرضه من مسؤوليات جسيمة مهولة ، سخرية ممضة . ذلك انه يشق علينا ان نقر لبشر مثلنا بميزة تجعله في مرتبة فوق البشر حيث يصير مطلعاً على خفايا القلوب مقرراً لمصير حياتنا وشرفنا ، حريتنا واموالنا . وهذه السلطة التي توليها الضرورة الاجتماعية لفرد بشري ، اذا لم يكن مردّها الى الله فمن العسير ان يذعن لها عن رضى وارتياح ، لا عن طريق الاكراه الجائر ، وان يخضع الناس ، وهم متساوون متشابهون ، لاحكام تميس . فما يكتنف هذه الالهة من مظاهر الابهة وما يرتديه عمالها من اوشحة فضفاضة براقة بالذهب والارجوان غير مبالين بسخيف زخرفها ، كل تلك المشاهد الاحتفالية لا تستطيع ان تؤمن للعدالة هيبتها وجلالها ما دامت منقطعة عن معينها الروحي فانها منه تستمد القوة والسلطان .

يتبين لنا ، والحالة هذه ، ان القاضي وهو مدعو الى الاضطلاع بشرف

* محاضرة أُلقيت بالافرنسية بحضور حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم سنة ١٩٦٦

المهات لا ينبغي ان يكون ذا علم واسع متنوع ، وذا تفهم نفساني دقيق زاده الاختبار دقة وإرهافاً فحسب ، بل مثالاً ايضاً باستقامة حياته الشخصية وبعقل وقلب تحلّيا بفضائل شتى جعلته اهلاً لثقة الدولة .

ها نحن نواجه الموضوع الذي لي الشرف ان اعالجه امامكم . ولم يكن ليخطر ببالي ان احصر في محاضرة لن تستغرق اكثر من ساعة كل النواحي الفنية من هذه المهنة ولا ان اسهب في الكلام عن المنزلة الرفيعة التي تحتلها سيّما انه قُدّر لنا ان نرسم في ظرف سابق خطوطها التاريخية الكبرى وميزاتها .

فجلّ ما نبغي التوقف عند فصل من هذه الملحمة القضائية الرحبة الذي لم نكتشف مجاهله الى الآن .

اولاً : الواجب المهني ، الواجب اليومي مع ما يتطلبه من صفات ادبية يُعالَج على ضوئها . وهذا ما يتعلق بالقانون .

وثانياً : الواجب الوجداني الذي يتعلق من هذه الناحية بالسنة الاخلاقية . وهكذا سنبين ، من جهة ، الواجبات التي تلزم الحاكم اثناء القيام بعمله ، ومن جهة ثانية قضايا الضمير الاكثر وقوعاً ، التي تعرض للحاكم في رسالته. وانه لمن الغرور ان اريد الالمام بهذه الحوادث في مدة من الوقت كهذه وجيزة .

اننا امام واجبين متآخيين في بعض الاحيان ان لم اقل في اكثرها : فان ما تفرضه المهنة باسمها هو ايضاً ما يحبّذه قاضي القضاة الباطني : الوجدان .

ذلكم هو ، يا سادة ، موضوع محاضرتي .

ولزام علي ايضاً ان اتيكم ببعض نقاط توجيهية ترشد انتباهكم فلا يتيه الطريق .

سأبحث امامكم واجبات القضاة على مر العصور ، وهي الاستقلال ، وعدم التحيّز والتأثر ، والاعتدال والرفق. وبعد الانتهاء من هذه الواجبات التي كثيراً ما لا يفترق مفهومها عن مفهوم الفضيلة بشكل عام ساحدثكم عن الواجبات المهنية في تطبيق العدالة ثم عن العقوبات التأديبية .وهذا القسم يتعلق بالوجهة المهنية البحتة .

اما من حيث الواجب الضميري فاننا سنعرض لمشكلة يصطدم بها الحاكم

عندما يطبق قانوناً قد يكون بيّن الاجحاف : اي مسلك عليه ان ينتهج عندما يكون تناقض بين مبادئه الشخصية ومبادئ القانون .

وسنعالج هذه المسألة من حيث البيّنة ايضاً : فقد تكون هذه قائمة قانونياً وهو غير مقتنع بها وبالعكس .

القسم الاول

لمحة تاريخية

قديماً ، كان للناس سواء في الشرق ام في الغرب فكرة سامية عن القضاء . فالاسلام ، بحسب قول الفقهاء ، يقدمه على الصلاة في الترتيب الروحي وقد قال احدهم : يوم للعدل بين الناس خير من سبعين سنة عبادة .

ذلك ان مهمة القاضي محفوفة بالاخطار ومن احسن القيام بها فقد برهن عن فضائل جمّة . وقد لاحظ النبي هذه الصعوبات التي تعترض كل قانوني فعبّر عنها في قوله : كل ثلاثة قضاة ، اثنان منهما للنار وواحد للجنة .

فلا عجب اذ ذاك ان لم يسعَ الساعون وراء هذا المنصب سيّما وان من رغب فيه لم يعد اهلاً لتقلده كما هو صريح العبارة في كتب الفقه . فما ابعدنا عن التسابق سعياً وراء المناصب القضائية . واذا كانت تلك العقلية الغابرة قد طوتها الايام والعادات الا انها تفسر تصلب الشريعة في حقل السنن النظرية اذ نراها تصر على تجرد القضاة المطلق . وهناك القول المأثور في كل من تبوأ مركزاً قضائياً : « لقد بلي بالقضاء » اشارة الى ما يحيط بتلك المهمة من اخطار .

من جسيم الخطأ ان نتوهم ان تلك كانت دائماً حال القضاء . فكم من منظومة راحت تعبث به منددة بشاهد ضعفه دونما نظرة الى ما مر به من مراحل المجد .

ونحن في صدد الفضائل القضائية كيف نسكت عن ذكر الفقهاء الشرقيين امثال ابي حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم . يستفاد من اقوال مؤرخي الامام الاعظم انه لم يقبل بارتقاء سدة القضاء الّا مكرهاً بالسجن . ويُروى انه رفض النظر في دعوى استظل بيت صاحبها من لفح الهجير او ارتاح في فيء جدران

البيت من عباءة سفرة لانه كان يخشى ان يكون لهذا الحادث الطفيف ما يدفعه به الى التحيّز . — وان كان هذا التزمّت المبالغ يثير اليوم ابتسامنا فانه لدليل واضح على إرهاف وجدان ذوي الالباب الاول .

واني لا ازال اذكر قصة قرأتها في احد الكتب مؤدّاها ان روجه باكون كان يعض نفسه ان يحتفظ بقلم رصاص اعتقادًا منه بعدم حقه بامتلاك شيء بعد ان عاهد النفس على الفقر الكامل .

وكم غيره في الغرب من وجوه سامية تجسم فيها الاستقلال والنزاهة والانصاف. فمن منا يجهل داغيسّو (d'Aguesseau) ولاموانيون (de Lamoignon) ودورميسون (d'Ormesson) والرئيس (Haurion de Pasey). — ومن لا يذكر وقفة البطولة التي كانت تقفها المجالس القديمة بوجه السلطة الملكية فابطلت الكثير من الشرائع الظالمة او الاعتباطية ، ووفرت الفرائض الشاقة بل والفاشية احيانًا على شعب كان يدفع الضرائب ويقوم باعمال السخرة بحسب اهواء المتسلطين .

ويلذ لي ان اذكر نصائح لاروش فلافان (La Roche Flavin) الى قضاة زمانه. فبعد ان يحضهم بها على النزاهة والتقيد بمواعيد الجلسات وان يكونوا قدوة في سلوكهم وما عليهم للمتداعين دالة يذهب الى ابعد من ذلك. فينصحهم بالامتناع عن الصيد — وذلك مبالغة اذ لسنا نرى عيباً في هذه التسلية الرياضية — واللعب بالورق — وهذا امر معقول — ولبس الشعر المستعار والتطيّب لان القضاء ارفع من ان يتدنى الى مماشاة الدهماء الطائشة — شأن بعض الناس — وعن الضحك ، لان وجه القضاء لا يتأثر بشيء .

ان هذه المبالغة في تقييد القاضي للحفاظ على كرامته من شأنها ان تفصله عن المجتمع فتسجنه في برج عاجي يعيش فيه انسانًا اسمى على هامش الحياة ككاهن برهمي ذي حركات معينة وابتسامة جافة عديمة الطبيعية ، متحذلق في لغته ، متصنع في مشيته ولنا شاهدة على ذلك مقطوعة هجاء وقعت بين يديّ منذ قليل وهي للشاعر فرنسوا مينار (François Meynard) الذي يشهد له لاروس بصفاء انشائه اللبق .— واننا لنشك في زعم لاروس عندما نقرأ هذه القطعة

اللاذعة التي اقل ما يقال فيها اليوم ان من شأنها ان تحيله الى المجلس التأديبي.
منها مقطعين في تصوير القاضي :

« انه يزن كلماته
ويقيس بالبركار سعاله
ولبس عده الكلمات
باكثر دقة من عده خطواته . »
« ولستطيع ان تقول بصواب
انه لم يوجد انسان قط
اكثر رصانة منه
في حماقته المضحكة ».

وبعد هذه الجولة في عالم القضاة الاقدمين يليق بنا ان نلتفت اليهم لنشاهدهم يتطاحنون مع صعوبات وظيفتهم القاسية . فالقاضي الذى يعتلي هذه المنصة بعد ان يكون نزع من صدره الطموح المشير بالسو. — وما ذلك بيسير لمستعطف توصلاً المناصب العليا — ومن بعد ان يكون طرد من فكره كل عاطفة ، عليه ، في هذه الرسالة السامية التي تربطه بالالهة ، ان ينكبّ على عمله باستقلال تام واهتمام كلي بعدم التحيّز . .

الاستقلال التام

هذه الصفة الرئيسية ، على القاضي ان يُظهرها في كل اعمال رسالته حيال المتقاضين ، حتى ولو كانوا من اصحاب السطوة والنفوذ ، وان لا يخشى ان يعرّض مركزه للخطر في سبيل نصرة الحق، وذلك ما قد يحدث عندما تكون الدولة ذاتها هي الخاسرة او احد الرجال السياسيين الذين يتعلق مصيره بهم . فتلافياً لمثل هذه الاخطار وتأميناً للضمائر السريعة الخوف من بطش السلطة ، قررت اكثرية الدول ، وبينها لبنان من امد قريب ، ان يكون القاضي ثابت المركز لا عرضة للعزل . وهذا ما يجعلهم في مأمن من انتقام رجال الدولة او السياسة السافل. وما اجمل ان نردّد كلام غيزو (Guizot) القائل: « متى ولجت السياسة ضمن جدران المحاكم ، فعلى العدل ان يخرج منها ».

وبديهي ان القاضي اذا تقاعس عن انجاز واجباته ، اذا اقتبل الرشوة ، وهذا نادر لحسن الحظ ، انزل به العدل قصاصاً صارماً..

والشرع الفرنسي شديد القسوة من هذه الوجهة اذ لا يميّز بين ما اذا صدر

الحكم جائراً ام عادلاً ؛ فمتى ثبتت الرشوة فالقصاص واحد . هناك قوانين لا تأخذ بهذا الرأي ، وهي على صواب ، ومنها قانون الجزاء اللبناني والاتوني فهي اشد صرامة بحق القاضي الذي يخون وظيفته لقاء وعود قطعت له بالهبات والهدايا منه بحق القاضي الذي يؤخذ عليه امر في وظيفته ، قانوني بحد ذاته ، ولكنه نتيجة اجراءات غير مسموح بها . اما العقوبات التي كان تنزلها الشرعات القديمة بحق الراشي فقد كانت من نوع آخر اشد صرامة . فكبار قضاة اليونان لدى مباشرتهم الاضطلاع باعباء وظيفتهم يقسمون اليمين على ان يحافظوا على الشريعة ولا يرتشون . ومن حنث ، غرم بما يعادل اقامة تمثال له من ذهب . انه لقصاص لا يستهين به اناس عصرنا .

وعلى ذكر المناورات المختلفة التي يعمد اليها الراشون لاغراء القاضي وافساد وجدانه لم اجد امرّ من التأنيب الذي وجهه مونتسكيو في غضون رئاسته القضائية الى المحامين الذين يدأبون في الاسترحام . وان في كلامه نفساً يذكر بوسيه الكبير اذ هتف قائلاً : « الا يا من تستخدمون خداعنا كل ما يخيّل اليكم اننا لا نستطيع ان نتّقيه فتعمدون الى المراوغة والدنايا ونفوذ المتنفذين وصداقة الاصدقاء . وتأثير زوجة عزيزة او تعمدون احياناً الى سلطة اقوى فتختارون اهواءنا لتهاجموا قلبنا من اضعف جوانبه ، ألا ليتكم تفشلون في كل خططكم وتخزون في كل محاولاتكم ، فلا نحتاج اذاك الى ان نوجه اليكم التأنيب الذي يوجه الله في الكتب المقدسة ، الى الخطأة اذ يقول لهم : « لقد استخدمتموني وسيلة لبلوغ مآربكم الباطلة ».

عدم التأثر

- وعلى القاضي المستقل ايضاً ان لا يستشعر البغضاء والحب ويحترز من اصدار احكامه عن القلب ، ذلك القلب الذي تندد به الحكيم لاموانيون (Lamoignon) .

وهنا ايضاً يجب على الحاكم ان لا يفرط بما هو عكس ذلك وهو التهرب من كل نفوذ او تدخل اجنبي . (وهذه الكلمة الاخيرة كم هي معروفة عندنا اليوم ، لان الوساطات والتوصيات لم ننبذها بعد من محاكمنا) فلكي لا ينحرف القاضي عن جادة الصواب فيبقى عادلاً عليه ان يتحرز من الانقياد الى ذلك

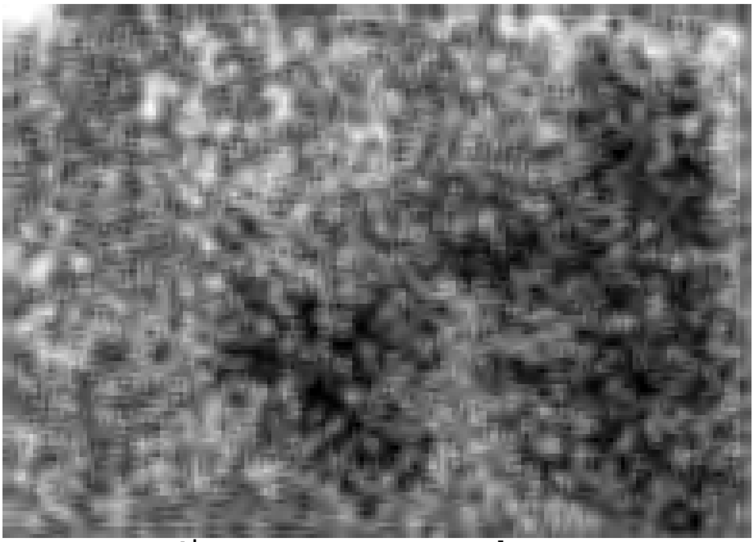

اللوحة الاولى — في الفضاء أشياء اكثر مما في مخيلتكم.
قسم من « درب التبأن »
تصوير مينولهون : مرصد بروفانس العليا

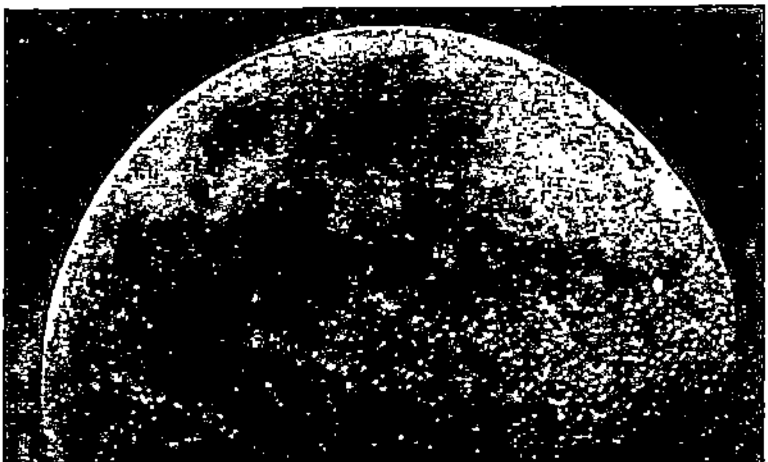

اللوحة الثانية — القمر جارنا الادنى .
ارسم على هذه الصورة دائرة قطرها ١/٧ من المليمتر ،
تحصل على فلك النجمة «Proxima» كما يظهر للعيان (!)
تصوير مينولهون : مرصد بروفانس العليا

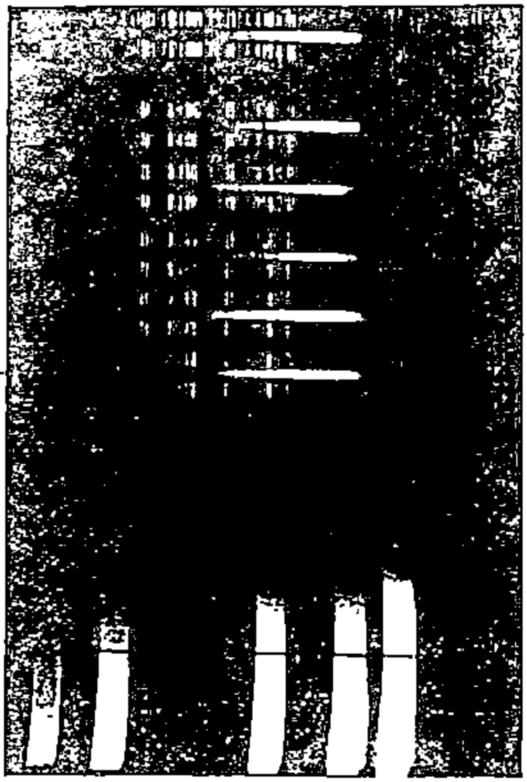

اللوحة الثالثة – أطياف ستة نجوم مختلفة، يكتنف كلاً منها يميناً ويساراً طيف معروف المصدر للمقارنة (قوس كهربائي بين رأسين من حديد) .

تصوير المؤلف – ررفادس العليا

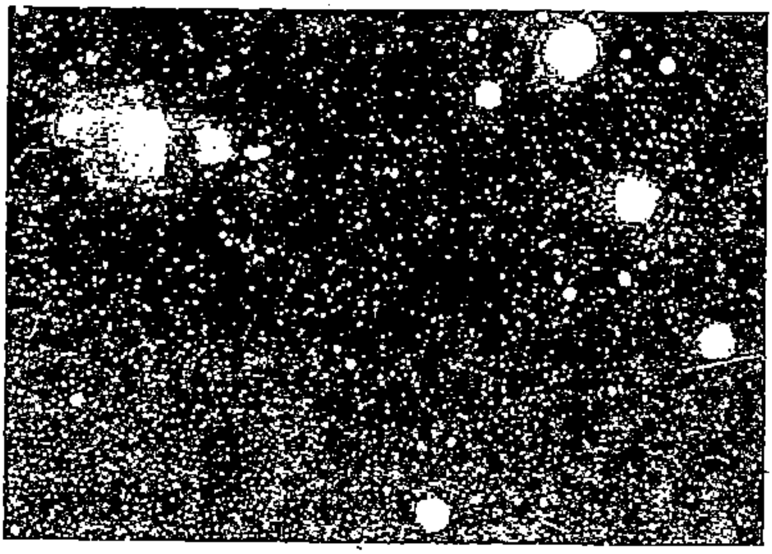

اللوحة الرابعة – « أأنت تحل نطق الجوزاء ؟ »

النقط البيضاء المستديرة نجوم نيرة بولغ في تعريض لوحتها الفوتوغرافية وهي تمثل شبه الـ « T » من الجوزاء . والبُقع البيضاء غير المنتظمة الشكل هي سُدُم منتشرة .

تصوير بيكاي – مرصد ليون

اللوحة الخامسة – سديم الجوزاء الكبير المنتشر (في أسفل « آ » الجوزاء)

تصوير ميفرلهون – بروفانس العليا

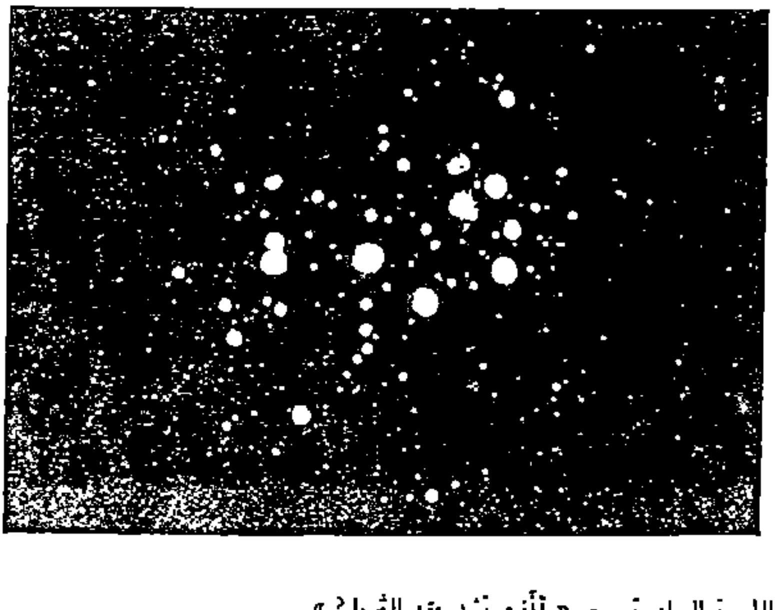

اللوحة السادسة – « أأنت تشد عقد الثريا ؟ »

الرسم يمثل ثلاثة سُدُم منتشرة بشكل ورقة النفل

تصوير ميفرلهون – بروفانس العليا

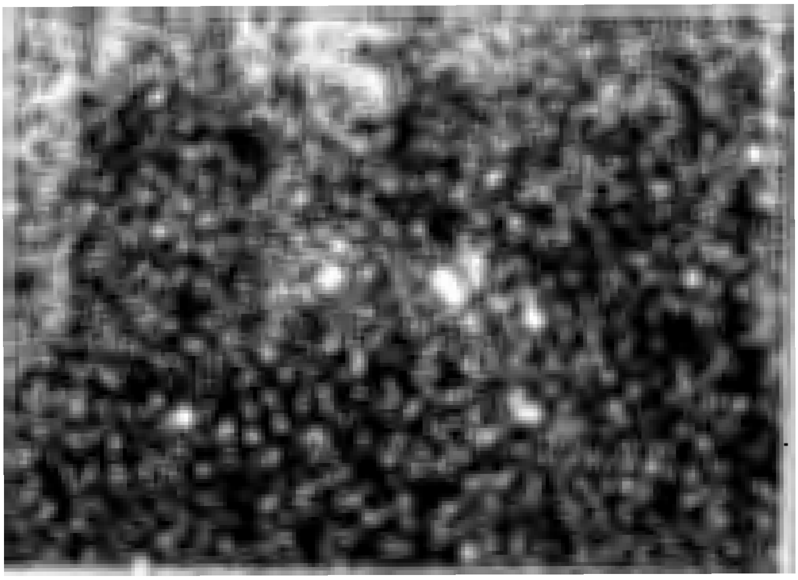

اللوحة السابعة – كتلتان من النجوم في صورة « فرساوس » في « ضاحية » المجرة.

تصوير ميفولهون – بروفانس العليا

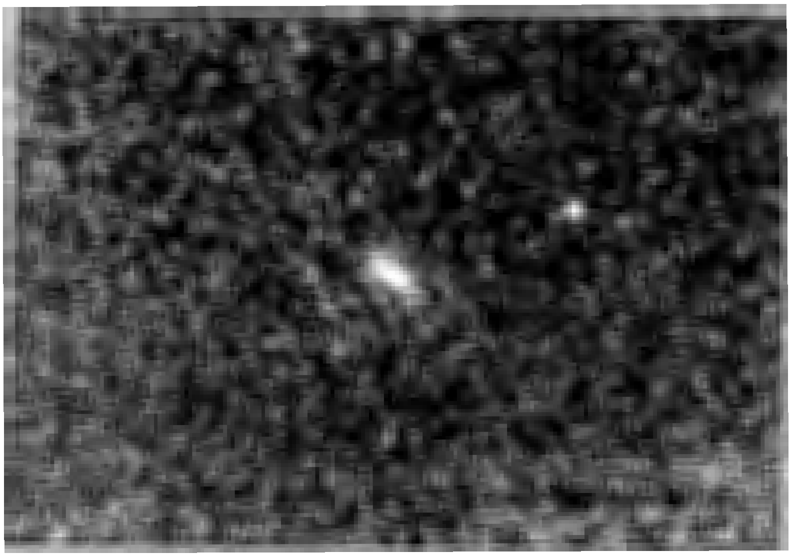

اللوحة الثامنة – لولبية « اندروميذا » اي المرأة المسلسلة .

تصوير ميفولهون – بروفانس العليا

الشعور القائل بان الراشي لو كان على حق في قضيته لما لجأ الى الرشوة .

ولقد لاحظ باسكال بحق ان الحب والكره يغيران مجرى العدل . وزاد قائلًا :« اني اعرف قضاة ذوي عقلية غريبة ، اذا حاولوا ألّا يقعوا في نقص افرطوا في عكسه وكانت احكامهم اظلم الاحكام ؛ اذ كان يكفي ان يأتيهم احد بتوصية من اقاربهم ليخسر دعواه وان كانت تلك الدعوى عادلة المطلب.

بجانب الاستقلال وكنتيجة له تقوم المزية الرئيسية وهي عدم التحيّز. وقد حرص الشافعي على ان لا يتسرب شيء من الريبة حول هذه المزية . فأمر القاضي بالا يشتري حوائجه بذاته بل يعهد بذلك الى من يقوم به مقامه من دون ان يعلم الناس بالوكالة ، خوفاً من ان يظهر التجار تساهلهم في المعاملات استعطافاً للموكل اذ قد يجدون يوماً انفسهم بحاجة اليه وذلك مما قد يدفعه للتحيّز.

وعملًا بهذه الاعتبارات فقد قالت المادة ٣٨٧ من قانون الاصول الفرنسي بعدم صلاحية النظر في الدعوى «اذا كان القاضي سيد احد الطرفين او مؤاكله او منادمه في بيته ».

سلوك القاضي في الجلسات . واجباته نحو المحامين

وما خلا هذه الصفات التي يجدر بالقاضي ان يكون متحلياً بها ، هناك واجبات اخرى ناجمة عن وظيفته في اثناء الجلسات : على القضاة ان يكونوا منتبهين ابان المرافعات وان يعرفوا كيف يصغون ، وهذا يتطلب فنًا حقيقيًا — ان الذين لم يجلسوا ابدًا ساعات متتابعة لا يمكنهم ان يدركوا عناء المستمع ، اذا كان هذا صاحب ضمير حيّ ، وكم من المرافعات التي تسير على وتيرة واحدة مملة تستدعي النعاس . وهناك نبرات صوتية رخيمة ناعمة لا يستطيع معها السامع ان يتغلب على سلطان النوم — ومنذ القديم لم تبرح لذاعة الهجائين تجد لها موضوعاً في النعاس اثناء الجلسات .

ولكي لا اذكر لكم الا واحدة من بين المئات،اسمح لنفسي بان اذكركم كيف استطاع هنري بوردو ان يحرز نجاحه الاول امام المحكمة ، اذ كان يتولى الدفاع — وهو لا يزال متدرجاً — عن المدعو سابرستيني . فقد لاحظ

[illegible] بعد
استوى سلطان النعاس عليهم واحداً فواحداً . [illegible] العضو الاول ثم الرئيس
الذي حاول دون جدوى مقاومة النوم فتارة كان يغمض عيناً وطوراً يفتح الاخرى
كأنه يقوم بتمرين على الرماية ، واخيراً جاء دور العضو الثاني ، فنام ، وفقاً
لعادته باتباع رأي الاكثرية. اما المتهم فقد بقي وحده مستيقظاً — فاغتنم فرصة
غطيط الحاجب الذي كان يحترم السلطة فينشد بروسائه المستغرقين في النوم على
نغمة غطيطه ، وفرّ هارباً . وما دروا بفراره الا بعد فوات الوقت فلم يعدم
الرئيس الحيلة وكان مليء الجعبة بالحيل لانقاذ الموقف فاصدر امره بتحرير
المتهم واطلاق سراحه للحال متذرعاً بعدم توفر الاسباب لتوقيفه.

بتلافياً لتعداد مثل هذه المشاهد المبالغ في وصفها قصد إظهار النقص
المشجوب فيها ، على القاضي ان يكون متيقظاً كل التيقظ خلال تلك الجلسات
التي تعقد عادةً في باريس حوالي الساعة الثانية بعد الظهر اي في اثناء عملية
الهضم حيث يكون العقل اقل استعداداً منه في غيرها لاستيعاب مشاكل الشرع
المتعبة فيجدر بالقاضي ، لكي يحفظ انتباهه ولا يدعه يشرد في عالم الاحلام ، ان
يمسك القلم ويدوّن ابرز نقاط الدفاع – وانها لخطة بيّن الاختبار لي انها ناجعة .

وفضيلة القاضي تظهر ايضاً لدى استماعه الى محامين غزيري المادة يعيدون ،
اثارة منهم لاعجاب الجمهور ، عشرات المرات ما يكونون قد اتوا على ذكره .
وشبّه تاين (Taine) ما يعانيه اذ ذاك القضاة من العذاب بجازوق داخلي يلوي
شفاههم ورؤوسهم بينما المحامي مدة ساعتين او ثلاث متتابعة لا يبرح يخرقها
باسم القانون . ولكن القاضي يستطيع ان يقاطعهم ويطلب منهم الايجاز في
كلامهم . فان ذلك حق له بصفته مديراً للجلسة التي يرأسها ومسؤولاً عن
الامن فيها . وانما عليه ان يكون حكيماً في استعماله هذا الحق - فليحترز في
مقاطعة المحامين الواضحين الصريحين في دفاعهم والذين يتجهون مباشرة الى صلب
الموضوع. وفي عداد هؤلاء المحامين كان السيد فالاتوف (Falateuf) وكم اصاب
من توفيق في جوابه على قاضٍ طلب منه ان يوجز في الكلام فقال : «لا حاجة
للايجاز فقد انتهيت : دعواي عادلة وانت قاضٍ عادل ، فاحكم» . وعلى كل

حال فالنزعة السائدة اليوم في الحقوق الجزائية ترمي الى اعطاء المحكمة الحق بتعيين وقت المرافعات وتحديده . وهذا ما اقره المؤتمر الدولي الذي انعقد في برلين عام ١٩٣٧ . وفي ايطاليا وضعت الحكومة قانوناً حددت فيه مدة كلام المحامي بنصف ساعة لا اكثر تفادياً للاسهاب في المرافعات الجزائية حيث العادة باطلاق العنان للفصاحة .

تلكم هي الصفات التي يجب ان يمتاز بها القاضي في تطبيق مهنته . ولنتوغل الى ابعد من ذلك في بحثنا لنرى كيف عليه ان يمارسها .

وانه لمن الغرور الباطل ان ندعي جمع مختلف المهمات المهنية في بضعة اسطر . فذلك يتطلب مؤلفات ضخمة وحسبنا القول ان على القاضي ان يطبق القانون — وسنعرض فيما بعد للمشكلة التي يثيرها هذا القانون اذا كان يناقض وجدان القاضي — ولهذا يطلب من المدعي اقامة البيّنة . ذلك ان الناس ليسوا عادة وبصورة عامة مدينين ودائنين فيما بينهم. فعلى من يقول بما يخالف تلك القاعدة العامة ان يقيم البينة . والشرعات مجمعة على اقرار ذلك المبدأ غير ان بنتام (Bentham) المعروف ببعد نظره ينكر هذا المبدأ ويقول بجعل البيّنة على عاتق المدعى عليه في الدعاوى العينية—ولا يخلو هذا القول من شيء من التناقض والغرابة .

ومن حيث البينة ، فان جميع القوانين تحتم على القاضي ان يستند الى الحجج الشرعية فقط ، لا الى معلوماته الخاصة او الى التحريات الشخصية التي يكون قد قام بها خارجاً عن المحكمة وعن الطرفين . اما وجهة نظر الحقوق الانكليزية فانها تعاكس ذلك .

على ان بعض القوانين تبيح لاعضاء السلك القضائي ان يبنوا احكامهم على معلوماتهم الخاصة كما يبنون تلك الاحكام على البراهين التي يقدمها المحامون في الجلسة . ولهذا السبب يستطيع القاضي، اذا كان لديه معلومات خاصة عن النقاط المختلف عليها بين المدعين ، ان ينزل عن المنصة فيقسم اليمين ويؤدي شهادته — وهذا لا يمنعه من الاشتراك باصدار الحكم . اما الشرع الاسلامي فانه لا يبيح للقاضي ان يسند حكمه الى معلوماته الشخصية لان هذا يضاعف شخصيته فيجعله شاهداً وحاكماً في وقت واحد .

و الحقوق الانكليزية رغم وحدته لا تروق تشسترتون [illegible] ، وكل يعرف حب هذا الناقد للمتناقضات وميله الى الغرائب والمتناقرات التي كانت تسطرها ريشته بفكاهة لاذعة . واننا نعثر بين متناقضاته على ملحوظات هي غاية في الدقة ، وتشسترتون يحمل بقساوة على الاصول والاوضاع الشكلية التي تقيد القاضي في اعماله وحركاته . فلقد تكلم بلسان حاكم، اقل ما يقال عنه هو انه غريب ، هذه الكلمات :« كانت تمر بي كل يوم قضايا صعبة ومحتدمة، علي ان اعالجها بالزج حمقاً في السجن ، على اني كنت اعرف على ضوء الذوق السليم انه كان بمقدوري اصلاحها بواسطة قبلة او صفعة او ببعض الايضاحات او برحلة الى وست هايلندس(West Highlands) . وكل كلمة كنت اسمعها في الجلسة كانت تبدو لي اقرب الى الحياة الحقيقية من كل ما كنت انطق به — الى ان كان اليوم الذي لعنت فيه كل هذه الحماقات جهاراً ، فعددت في مصاف المجانين واحتجبت عن الحياة العامة ».

اما عهد البينات الشرعية فلحسن الحظ قد طوته الايام ولم يبقَ منها اجمالاً الّا ما قام على اقتناع داخلي .

وهناك قاعدة اخرى مطبقة في الجزائيات فقط ، تقول ببراءة المتهم ما لم تقم البينة كاملة على تجريمه لان المتهم مهدّد في حياته وشرفه وحريته وكل ذلك متوقف على كلمة القضاء . فالعدل يقضي بان يستفيد من ادنى شك يساور القاضي ، عملاً بالمبدأ القائل :« تبرئة عشرة مجرمين خير من معاقبة بريء واحد» . والسنة الاخلاقية تؤيد ذلك فلا يجيز الضمير اصدار حكم على متهم ما لم تثبت التهمة بالتأكيد .

وقبل ان ننتهي من الكلام عن البيّنات ، يجدر بنا ان نقول كلمة عن المسألة التالية التي تتشاطر الحقوقيين : هل يستطيع القاضي الجزائي ان يحوّل المتهم الى شاهد على ذاته باليمين ؟ وانه ليطول بنا الحديث اذا تعرّضنا لهذه المسألة التي لم يحلّها المؤتمر الدولي المنعقد في بالرمو (Palerme) فنترك لكل دولة حرية العمل بما يماشي عوائدها وتقاليدها العدلية . وجدير بنا ان نذكر ان القوانين الانكليزية تسمح للمتهم بقسم اليمين بناء على طلبه. ووجهة النظر هذه

لا يرفض القديس توما الكبير لانه يطلب من المتهم ان يقول الحقيقة مهما كانت نتائج صراحته . ونلاحظ ان هذه الاصول لا تتفق وتعاليم السواد الاعظم من علماء الاخلاق . فهؤلاء يقولون انه بوسع المتهم ان ينكر الجرم المتهم به ، مع انه يليق به من الوجهة العدلية الصرفة ان يقول الحقيقة امام المجلس القضائي . والمعترف به اجمالاً هو ان المتهم لا يعتبر كاذباً اذا اكد براءته لان تصريحاته ، حسب قول اللاهوتيين ، لا يمكن ولا يجوز ان تؤخذ بحرفيتها نظراً للظروف التي ترافقها . فجوابه يعني شيئاً واحداً : لم تثبتوا عليّ جرماً وانا لا اقر بشيء من ذلك بل انكره . وبما انه يحق للمتهم ان ينكر جرمه ، فمن البغي ان يُحلّف عليه وان فعل لا تلزمه اليمين .

ولا حاجة الى القول بعد هذا ان كل البلدان تستنكر اكراه المتهم على البوح بجرمه تحت تأثير التهديد بحكم مضاعف عليه :

١ً — من حيث انه مرتكب الجرم الذي انكره ، هذا اذا قامت البينة عليه .

٢ً — من حيث انه اقسم اليمين كاذباً .

على ان ارغام المتهم على حلف اليمين كما كان يحدث في عهد النظام القديم في فرنسا قد ألغته ثورة ١٧٨٩ ، واصبح بعد قرار محكمة التمييز الفرنسية الصادر في ٥ كانون الثاني عام ١٩٢٣ قاعدةً الزامية لا يحق للمتهم نفسه ان يتنازل عنها .

ولنفترض الآن ان البينات اصبحت واضحة على المتهم واقتنع القاضي بها ؛ فانه يبقى عليه ان يصدر الحكم ويعلله .

وينصح علماء الحقوق القضاةَ بان تكون الحيثيات واضحة جلية وان لا يُغرقوا في الاعتبارات الخارجة عن الموضوع ليُكثروا شعبيتهم ويكوّنوا حولهم جمهرة صاخبةً من الانصار ، كما كانت الحال مع الرئيس مانيو (Magnaud) الشهير . والتعليل هو ايضاً قضية اعتدال . هنالك بون شاسع بين رئيس محكمة — وقد عرفت واحداً من هذا النوع — يرجئ الجلسة الى خمسة اشهر ليعطي حكماً هو بمثابة مؤلَّف حقوقي ، وبين رئيس آخر متحذلق يلبس طوراً

كتاب القانون وتارة جبهته ، ويعطي على هذا الشكل قراراته : ان المحكمة تطبيقاً للمواد الموجودة هنا واستناداً الى الاسباب الموجودة هناك تحكم على الظنين بالعقوبة الفلانية. فلا كان ذلك الإفراط في المحافظة على العدل ولا كان هذا التقصير بالواجب وعدم الاهلية .

- - - ونصل الان الى نقطة هي حجر عثرة ، على القاضي ان يتحاشاها لانها تصبح مصدر ظلامات عديدة ، واعني بها التشويه المهني .

٥

على القاضي ان يعارك ضد التعوّد ، الذي هو مرض المهنة وسبب اخطاء قضائية جمّة . وقد تُوصله كثرة الاحكام التي تعوّد على اعطائها ، الى التصلّب وتحجّر العاطفة ، وينتهي به الامر الى حدّ يجعله يرى في كل من يمثل امامه مجرماً . وللافاة هذه الشائنة رأت الحكومات بان لا تترك القضاة مدة طويلة في مكان واحد بل ان يتنابوا في كل دوائر المحكمة التي اليها ينتسبون — بيد ان هذا العلاج لم يثبت ناجعاً .

فرغم هذه الاحتياطات ، كثيرون هم القضاة خصوصاً في المحاكم التأديبية ، الذين لا يتصورون امكانية براءة من يمثل امامهم . لان ذلك يناقض حكمة موظفين كثيرين ساهموا في الاتهام: من مدوّن محضر الدعوى الى ذلك الموظف المسكين الذي سلقه اناطول فرانس بلاذع نقده ، اعني قاضي الاتهام . . . ؟ فكيف السبيل الى مناقضة هذا الاجماع ؟ وكيف القيام على التهمة ، تلك الالهة الرسمية التي تطلب ان نضحي لها دون تذمر ؟

ان هذا الاساس الفاسد وهذه العقلية المختلة التي تناقض روح الحيادية المتطلبة من كل قاض (ألم يقل افلاطون ان القاضي عليه ان يكون عقلاً لا يزعزعه الميل والتحيز ؟) من شأنها ان تفسد احكام القضاء وتطوّح بالعدل . ومما يُروى ان بعض محاكم الاستئناف قد اعتادت تثبيت جميع القرارات المرفوعة اليها ، الى حدٍ جعل المحامين ، اولاد قصر المدلية المزعجين ، ان يسموها محاكم الاساقفة . ولنقلها عرضاً ، كم من الاحكام التي لم تكن لتصدر بحق المتهم لولا ارادة المحكمة بتبرير قرار توقيفه ؟

ان رجال العدلية في اغلب الاحيان متضامنون لاسعاد مواقف بعضهم بعضاً. والعدالة نفسها ايضاً لها نقائصها . فلتحترز المحاكم من الوقوع في تفريط ذلك القاضي الاثيني الذي كان يحكم بالاعدام دون تمييز على كل من يمثل امامه . واذ ألفتوا نظره الى ان بين المجرمين من هو اقل ذنباً من غيره ، اجاب: نعم، ولكن الذي هو اقل ذنباً يستحق الاعدام ، واني لم اجد عقوبة اكبر لانزلها بمن هو اكبر ذنباً منه . وهذا ما يذكرني بقصة « الذئب المدافع عن الثعلب امام القرد » وهي تنتهي بهذين البيتين من الشعر :

زعم القاضي ان الحكم ولو خطئاً
لا يجحف بحق سيء الاخلاق

وبوسعنا ان نعلق هذين البيتين تحت بعض الاحكام الاعتباطية العجلى .

٥

ولكي ننهي هذا البحث في الواجب المهني وفي فن القضاء ، يمكننا ان نذكر ان هذه الواجبات المهنية تجر عقوبات تأديبية ولا تتناول دعوى التأديب الاخطاء المهنية فحسب بل زلات القاضي في حياته الخاصة ايضاً اذ قد تكون عاراً ملطخاً لسمعة القضاء .

والقوانين التي تقول بهذا عديدة : قانون باد (Bude) المادة ١٠ ، قانون بافاريا المادة ١١ ، قانون هولندا المادة ١٢ ، قانون البورتغال من المادة ١٠٠ الى ١٠٩ .

فلا داعي للاستغراب اليوم اذا وجد القاضي في حالة سكر في محل عام فاوقف عن عمله او عُزل . وهناك بعض قوانين ومنها البورتغالي يفرض القصاص على القاضي الذي يتعاطى لعب الورق — وهذا مما يذكرنا بالعادات القديمة الصارمة وبنصائح لاروش فلافان (La Roche Flavin) — اما الاجتهاد الفرنسي فانه اكتفى بشجب الاحتيال في لعب الورق (قرار محكمة التمييز ١٠ حزيران ١٨٧٦) وهذا اكثر انسانية وابعد نظراً ، لانه لولا البريدج وبعض تسليات بريئة ، لاصبح القضاة البطالون ، وما اكثرهم في عهد الاقتراع العام ، فريسة الضجر والملل — ونظراً الى تطور العقلية العامة ، لم تعد رؤية

قاض يشهد رواية تمثيلية مبعثاً للريبة به ، خلافاً للزمن الماضي حيث كان مثلاً قاضي البلاط الملكي ده سابيس (d'Espaysses) نحو عام ١٥٨٧ يحظر على القضاة ارتياد اماكن الملاهي او الحضور في اسواق الباعة او في الروايات الهزلية .

القسم الثاني

ولننتقل الآن الى القسم المتعلق بالوجدان اكثر منه بالنصوص فنتوغل في قرارة الضمير :

السؤال الاول : هل يستطيع القاضي ، بحسب المبادئ الاخلاقية الكاثوليكية ، ان يطبق القانون الذي يبدو له غير عادل ؟

السؤال الثاني : هل يستطيع القاضي ، في اصدار احكامه ، ان يستند الى البينات القانونية فقط وان ناقضت صراحةً اعتقاده الباطني ؟

السؤال الاول – فيما يتعلق بتطبيق القانون الغير العادل

لا يجهل احد ان مهمة القاضي في السنوات الاخيرة انفسح لها مجال واسع ، فلا تُعتبر اذ لم تعد تطبيقاً حرفياً للقانون او عبدةً لنصوصه ، بل بالعكس فان القاضي يحكم بحسب روح القانون ، ولو اتّبعنا نظريات الرئيس الاول بالو بوبره (Ballot Beaupres) المفرطة ، تلك التي احدثت ضجة كبرى في ايامها لاستطاع القاضي امام نص غامض ان يؤوله لا كما شاءه واضعوه بل كما كانوا يفعلون لو دعوا لوضعه وفقاً لمتطلبات الحالة الحاضرة .

وقد ذهبت بعض الشرعات الاجنبية بنصوص صريحة الى اقرار تلك الجرأة في كيفية تطبيق القانون كما هي الحال في سويسرا التي اتخذها الكثيرون مثالاً لهم .

اذاً للقاضي حرية كبرى في تطبيق القوانين وغالباً ما يستطيع ان يستغل تلك الحرية للتوفيق بين القانون ومتطلبات العدل – ولكن اذا ما اصطدم بمادة تفرض عليه بصراحةٍ ووضوح تطبيقاً لا يتفق ومعتقده الشخصي وايمانه ، فهل يجب عليه ان يرفض تطبيقها ليسلم ضميره من الخطأ ؟

اولاً : متى يكون القانون غير عادل في نظر المبادئ الاخلاقية ؟

انه لسؤال ضخم لا يستوعب حتى في حقل اللاهوت وحده . — وهنالك حقوقيون عديدون ، على غرار افلاطون وشيشرون ، وسينكا يرفضون الاقرار ، في بعض الظروف ، بان ارادة السلطان ، أكان ملكاً أو حاكماً مطلقاً او مجلساً منتخباً بالاجماع ، هي شريعة يجب التقيد بها ضميرياً . وكان احد النقاد الدينيين يدعي « بان الشعب هو تلك القوة الوحيدة التي لا تحتاج ، كي تصبح اعمالها مشروعة ، لان تكون على صواب فيها »، فاذا بوسيه (Bossuet) يجيبه بهذه الكلمات القاطعة : « الله ذاته بحاجة لان يكون على صواب» .

واذا كانت الاكثرية اليوم متفقة على ان القانون ليس له السلطة المطلقة بل ان هنالك سنن على الشارع ان يحترمها،فان فلاسفة القانون بالعكس لا يتفقون على المبادئ الاولية العليا التي على ضوئها يبحث العمل التشريعي نفسه .

وما خلا بعض الفلاسفة نظير هوبس وروسو وفي يومنا نظير استاين ، وبرتلمي وبابير الذين يرتأون ان ليس بمقدور احد الخروج على القانون وإن ظالماً ظالماً لم يُعدَّل ، نرى في ايامنا امثال هوريو وريبير ودوجي ودابن وجيني ولوفور متفقين على دحض هذا المبدأ ويدلون باراء تختلف في تفاصيلها الظاهرة ولكنها مستقاة من وجهة نظر واحدة .

وفي رأي بعضهم ان احكام السلطان لا تستطيع ان تقيّد الرعية ما لم تكن الاحكام منطبقة على القانون — وهذا ما ايده السيد تيدجن (Teitgen) وزير الانباء في الجمهورية الفرنسية في خطاب حديث قرأته في صحيفة اسبوعية باريسية بتاريخ ١١ تشرين الثاني عام ١٩٤٤، وهي اول صحيفة فرنسية وصلت الى البلاد بعد تحرير فرنسا ، وقد قال فيها :« ان فرنسا تؤمن قبل كل شيء بالحق الطبيعي ، وهي الامة التي تعتقد بان ثمة قوانين اخلاقية تقيد الرجال والعيال والدول وانه لا تستطيع اية دولة كانت،الخروج على تلك القوانين التي تخط لكل الدول ايضاً فروضاً وواجبات . » اما السيد لو فور (Le Fur) الذي يؤيد هذا الرأي، فانه يقول بحق مقاومة كل سلطة غاشمة تخرق القانون الطبيعي الاخلاقي . ومنهم ، مع السيد هوريو ، من يرتأون انه ينبغي قبل التذرع

بالوسائل العنيفة واللجوء الى المقاومة الخطرة واستخدام اعمال القمع، ان تؤلف محكمة عليا لتفحص القوانين وتلغي تطبيقها عند الحاجة اي كلما ناقضت مبادئ الحضارة الفرنسية الاساسية التي تجد اساساً لها ، كما يقولون ، في اعلان حقوق الانسان وفي تاريخ فرنسا الغابر .

واود ان اتوقف قليلاً عند وجهة نظر فيلسوف الكنيسة الكاثوليكية القديس توما الاكويني في هذه المشكلة . لقد شجب القديس توما كل استبداد في القضاء، كما شجب كل قانون ينافي الشرائع الالهية وكل قانون استبدادي لا يؤول الى الخير العام (وهنا يميز بحسب الظروف) لا يرغم الانسان على الخضوع له ، إلا اذا نتج من ذلك شك الآخرين واضطراب . فعندئذ نصبح مجبورين على التخلي عن حقنا .

اما الآن وقد وضحنا هذه المبادئ واتخذنا فكرة اجمالية عن هذه المسألة المتعلقة بما سموه « حقوق القانون » من وجهتيها العلمية العلمانية والاخلاقية ، فلم يبقَ علينا الا ان نتوغل في وجدان القاضي حيال قانون ظالم عهدت اليه المهمة القضائية بتطبيقه .

ان المشكلة من ادق المشاكل ، فما نحن امام مواطن يستطيع مباشرة او بصورة غير مباشرة مقاومة القانون بواسطة الحيل (ووسائل التهرب عديدة) وانما نحن امام قاضٍ توجب عليه وظيفته ان يفرض القانون على احترام الجميع .

فما يستطيع وما عليه ان يعمل ؟

اذا كان الحكم الذي عليه ان يتخذه ، من حيث هو حاكم ، يجرح وجدانه جرحاً بليغاً ، فلا شك انه يستطيع ، لا بل ، في نظر رانسون (Ranson) ، عليه ان يتخلى عن وظيفته ، مهما كانت هذه التضحية قاسية . ففي قضية وضع البيانات مثلاً ، رأينا الكثيرين من القضاة يقدمون استقالتهم لكي لا يكون لهم اصبع في عمل اعتبروه ظلماً واعتسافاً لا يقره العدل . وانها لبادرة فيها الكثير من البطولة اذ ان كثيرين منهم تخلوا عن وظيفة كانت تبشر بمستقبل زاهر . ومن يجهل تلك الاستقالة الرنانة التي قدمها رئيس محكمة التمييز كناي ده بوريبار (Quesnay de Beaurepaire) ؟ فلكي لا يترك للناس مجالاً للاعتراض بانه

ساهم في إرجاع الحقوق لدريفوس (Dreyfus) ، وكان يعتبرها قضية غير عادلة ، فضل التخلي عن منصب من اعـلى مناصب القضاء ، واصبح ناسخاً عند محرر لوائح لكي يحصل على لقمة خبزه اليومي .

لقد اجمع الكثيرون من علماء الادب على هذا الحل ، فقالوا ان كل قانون ظالم ، اي ما كان منافياً للشرائع الالهية او الناموس الطبيعي ، هو فاسد في اساسه وعلى القاضي ان يرفض تطبيقه ويعتزل منصبه . وان بعض اللاهوتيين الذين يريدون تبرير القاضي وتجنبه مثل هذه التضحيه يقولون بانه ليس عليه ان يحكم على القانون بل بموجب القانون ، وهذا الرأي يجمع عليه قضائيو مدرسة التنقيات القضائية . الى مثل هؤلاء يتوجـه نولدين المؤلف في اللاهوت الادبي قائلاً ان القانون من حيث هو شريعة عامة ليس له مفعول الا اذا طبّقه القاضي وكيّفه حسب القضايا المعروضة عليه ، فاذا تقيّد بتوجيهاته الظالمة ودعمها بكل ما لديه من سلطة يكون قد تبنّاه وأيّد الشارع في عمل ينبذه الوجدان . وهكذا فانه يخالف المبادئ السامية التي يجب التقيد بها وعدم الخروج عليها مهما عرض من الظروف .

على ان هنالك رأياً اكثر اعتدالاً يعطي للقاضي الحق ، وضمن شروط ، بتطبيق القانون حرفياً حتى ولو كان ظالماً او فاسداً ، وانما عليه ، اولاً ، ان يعمل عن قصد سليم وان لا يرضى ابداً ، لا بقلبه ولا بارادته، عن القانون الفاسد . وثانياً ان لا يكون عمله الخارجي من حيث الشكل قابلاً للّوم ، واخيراً ان يكون ثمة سبب خطير (كفقدانه حتماً منصبه) يدفعه الى تطبيق ذلك القانون الفاسد .

ولنرَ الان كيف تتحقق هذه المبادئ عندما يرى القاضي الكاثوليكي نفسه ملتزماً باصدار حكم طلاق . ومن المعلوم ان هنالك لاهوتيين متشدّدين لا يسمحون ابداً للقاضي بتطبيق هذا القانون الذي تشجبه الكنيسة . ولكن ثمة آخرين مثل لمكول (Lehmkuhl) وعدد كبير من الاساقفة ايضاً ، بينهم الكردينال غاسباري (Gasparri) الذي يُعدّ مرجعاً في هذه المادة ، يعتبرون انه في بعض الظروف لا حرج على القاضي، وهذا ما لا يتفق مع نظرية نولدين.

ويعتبرون ايضاً ان حكم الطلاق الذي يصدره القاضي ليس هو في الواقع الا فصم الوثاق المدني الذي يختلف كل الاختلاف عن الوثاق الديني الذي لا انفصام له . وبما ان الزواج المدني لا يقره الايمان ، فان الحكم بفصمه لا يؤبه له . ولكن مثل هذا الحكم يخلق حتماً وضعاً جديداً يخول الطرف الرابح القيام باعمال تنافي ايمان الكنيسة كعقد زواج جديـد مثلاً وعدم القيام بواجباته الناجمة عن العقد الاول مع كونه ما برح قائماً في نظر السلطة الدينية ، ولكن هذه النتائج ليست الا نتائج غير مباشرة .

والحل المتطرف قد يؤدي بالقضاة الكاثوليك الى التخلي عن مناصبهم بينما قد تتطلب المصلحة العامة وجودهم في تلك المناصب لتحدّ من تطبيق القوانين الظالمة وتحول دون انتشارهـا . وربما استطاعوا ان يمنعوا فسخ الزواج ببذل جهودهم للمصالحة بين القرينين وحملهما على احترام مبادئ دينهما .

وفي نظرنا ان هذه الطريقة على ما فيها من التوسيع هي خير الطرق وقد رحّب بها حقوقيون عديدون من الحريصين على ان لا تصبح وظيفة القاضي مستحيلة الممارسة نظراً الى تلك المناقضات التي لا حدّ لها بين الواجبات المهنية وواجبات الضمير .

هذه هي وجهة النظر الكاثوليكية . وهل من ضرورة الى القول بان المحاكم ليست عزلاء الى هذا الحد امـام القانون الذي يشجبه الحق الطبيعي ومتطلبات العدالة .

فالطرق المتبعة في استعمال القوانين تترك للقضاة امكانيات مرونة كبرى في تطبيقها ، وحتى في تكييف مفاهيمها ، مما يسمح لهم ان يؤمنوا العدالة دونما كبير عناء ، بتوسعهم في معاني النصوص لا اخذها بحرفيتها . فاذا كان هنالك مبدأ حقوقي يؤدي تطبيقه الى نتائج جائرة فان الاساليب القضائية ومداوراتها وحيلها ، ولا ننسى المعجزات التي حققها فقهاء الرومان قديماً في هذه الناحية ، كلها وسائل لانجاح قضية العدل بالرغم من نص القانون .

وهذا ما يميل اليه لوغو (Lugo) رغبة في التوفيق ، ما امكن ، بين القوانين الوضعية والمتطلبات الوجدانية وبين العدل في نظر الله والعدل في احكام القاضي .

السؤال الثاني – وسائل البينات –

. والان فاننا نعرف في هذا الباب وجهة نظر القضاء العصري . فهل تتفق من حيث الضمير مع وجهة نظر الاخلاقيين ؟ فاذا كان تفاوت بين الوجهتين فاننا نعتقد انه لا يوجد تناقض كلي ، بل بالعكس لان هنالك بعض نقاط التقى فيها الاخلاقيون والحقوقيون على صعيد واحد واتخذوا حلولاً كثيرة التشابه ، وهنا كما في الحقل الحقوقي (وهذه هي الحالة دائماً لدى التبحر في الامور النظرية) نجد اراء تختلف بعض الشيء فيما بينها .

ويبدو ان الاخلاقيين مجمعون على نقطة وهي : اذا لم تقم اية بيِّنة على المتهم (وننظر هنا الى الجزائيات) فمن واجب القاضي ان يبرّئه مهما كان اقتناعه الشخصي حتى ولو ظهر له انه مجرم حقاً . ويجزمون بان على القاضي ان يصدر احكامه حسب القانون لا حسب استعلاماته الخاصة .

فيستفاد اذاً من هذا القول انه محرَّم على القاضي اصدار حكمه بالاستناد الى معرفته الشخصية وذلك ما تنصه تقريباً كل الشرعات .

امّا وفي الافتراض المعاكس اعني متى كان القاضي مقتنعاً كل الاقتناع ببراءة المتهم الذي الصقت به الجريمة مؤيَّدة ببينات عديدة وهو لم يرتكبها ، فهل يتوجب على القاضي ايضاً تجريمه والحكم عليه ؟

ان الاراء لشديدة التضارب حول هذه النقطة .

ويُؤخذ من نظرية تنتمي الى القديس توما الاكويني ان القاضي شخص عمومي عليه ان يحكم حسب القانون وحسب البينات القانونية لا حسب اعتقاده الفردي (الخلاصة اللاهوتية ، السؤال : ٦٧ ، المقال : ٢)

وهذه النظرية قيل ان القديس توما قد اكدها للقديس امبروسيوس في خطبة عن المزامير (مز : ١١٨) : « ان الحاكم الصالح لا يقرر شيئاً من تلقاء ذاته ولكنه يحكم بحسب الشريعة والحق . » (انظر الخلاصة اللاهوتية ، السؤال : ٦٢ ، المقال : ٢) فاذا جرّمت الشريعة متهماً يظنه بريئاً ، فالمحكمة تستطيع ان تحكم عليه وتنزل به العقوبة ولو بالموت .

والقانون الوضعي الذي لا يعتبر معرفة القاضي الشخصية بل البينات القانونية

لا ينافي في نظر هؤلاء اللاهوتيين الاخلاقيين مبادئ الحق الطبيعي الذي هو اساس كل شرع انساني ؛ ولذا فالقاضي يستطيع ان يطبق هذا القانون دون اضطراب وتشويش في الضمير لانه لا يخالف تعاليم دينه .

وهنالك رأي آخر ادق معنى واكثر انسانية لا يصل الى هـذا الحدّ بل يفصل بين الجزائيات والمدنيات :

امّا في الجزائيات فلا يسمح للقاضي بان يحكم بالموت او بما يفقد الحرية على متهم يعتبره القانون مجرماً وهو كلي البراءة في نظر المحكمة . وبالاستناد ايضاً الى الرأي ذاتـه لا يصح القول بان تقيد القاضي بنصوص القانون ليس بفاسد بذاته ، ولو ادى احياناً الى الحكم على بريء . فالمجتمع الذي يحكم القاضي باسمه لا يحق له ان يحرم بريئاً افضل مـا يملك : الحياة ، الشرف ، الحرية ، فلا يحق له اذاً ان يفرض ارادته على الحاكم — واذا كان القانون غير عادل ، وقد تصدر عنه احكام ظالمة ، فلا يتقيد الوجدان باحكامه .

اما في الدعاوى المتعلقة باموال مادية ، تجارية او مدنية ، فيقول اصحاب هذا الرأي ان القانون اذا لم يستطع ان يؤمّن دائماً الانصاف ، فهذا لا يُستنتج منه انه ظالم او مناف للخير العام .

ان كل قانون هو عاجز ، مبدئياً ، عن ان يضمن العدالة في كل الاحوال ، وان تطبيقه قد يضرّ احياناً بمصالح مشروعة ، وقد يجرحها ويحطها ولكن هذا لا يمنعه ان يظل صالحاً .

وبسبب تضارب الاراء بين الاخلاقيين ، وبما ان المبادئ الواجب اتباعها ما برحت موضوع شك وجدل ، فالتعليم الذي يناصره لوغو (Lugo) والذي يُلقن اليوم يعطي للقاضي الحق في الجزائيات التي ترافقها مثل هذه الظروف ان يصدر حكمه على المتهم او ان يبرئه بعد ان يكون اظهر بوضوح حقيقة براءته ، وفي المدنيات ايضاً له الحق ان يقبل طلب المدعي او ان يرفضه بعد ان يكون اظهر بصراحة حق المدعي الآخر ، وكل ذلك خشيةَ ان يؤدي تطبيق القانون الحرفي الى الاجحاف (نولدين).

وبعد ما قدّمناه من النظريات المتباينة يبدو لنا في النتيجة ان النظرية المسيحية

التي هي خلاصة تلك المناقشات تتفق كل الاتفاق مع توجيات الشرع الوضعي وذلك لان بيّنة الشهود التي هي سيدة البيّنات اصبحت خاضعة اليوم لاقتناع القاضي الشخصي الذي لم يعد مقيّدًا كما في الماضي باعترافات الشهود فالعبرة في يومنا الحاضر لقيمتها لا لعددها .

ولا خوف من ان تفرض نتيجة التحقيق فرضاً على القاضي دون الاخذ باقتناعه الشخصي اذ له الحق بغض النظر عن كل شهادة يشك في صحتها وان يتبع الهام ضميره بعد ان يكون قدّم الادلة القانونية .

ولا بد لنا من القول ان للقاضي في كثير من البلدان صلاحيةً واسعة ، الا في فرنسا حيث لم يدخل بعد هذا الاصلاح ، في التحقيق الاستكشافي حتى ولو لم يطلبه المدعي ، وله السلطة في اتخاذ المعلومات اللازمة واستخدام التجربات المؤدية الى الحقيقة فيقارن بين الحقيقتين القانونية والواقعية ، عاملاً ما امكنه على سد او على الاقل تضييق الثلمة الفاصلة بينهما .

وبعد النمسا والمانيا وايطاليا ومراكش ، ادركت الامبراطورية العثمانية وايضاً لبنان قيمة ذلك . فقوانين هذه الدول تأبى ان ترى في المرافعة برازاً يشهده القاضي دون ان يتأثر به لتكون مهمته مقصورة على إعلان اسم الغالب فقط ، بل بالعكس فانها تعترف للمحكمة بدور عملي في تسيير الدعوى وتأمرها باتخاذ كل الوسائل التي في متناولها لكشف الحقيقة . وهذه النظرية توفّق بين متطلبات القانون وبين حقوق الضمير .

لقد انتهيت ، ايها السادة ، وستكون خاتمتي مستمدّة من رواية خيالية لاحد القصّاصين القضائيين روبو (Roubaud) : المسألة القضائية) افترض فيها الالهة تاميس وهي العدالة نفسها في موقف المتهمين :

دوى صوت الرئيس : قفي ايتها المتهمة !

وكان يُرى على مقاعد شهود الاثبات لابروير ، وفولتير ، والكسندر دوماس ، واناطول فرانس . اما هنري روبير فقد كان المحامي ، بينما الادعاء المدني جماعة من ضحايا الاخطاء القضائية المشهورين : بلانجه ، غوبر ده فريير ، هيرتل — لاثي ، مونبايي ، بارونه وغيرهم ، وكلهم أعدموا قبل إعلان براءتهم .

وبعد ان تناقشت اللجنة ، برزت الالهة تاميس بستة اصوات مقابل ستة اي انها استفادت من اقالة الاسترحام . واود ان اتمم هذه اللوحة واتخيل دعوى اخرى تتابع الاولى ولكنها مدنية وتظهر فيها ربة العدل بمظهر المقنّبة المسؤولة عن المظالم التي ارتكبتها اثناء القيام بوظيفتها . انها لمظالم عديدة اجل ، ولم تطوَ صفحتها بعد . فرب حقيقةٍ في مكان كانت ضلالاً في مكان آخر .

والمحامي الذي يرافع في الامور الجزائية بوسعه ان يتحقق ان معظم الاحكام التي ظهر خطاؤها فيما بعد ، كانت تقضي بالاعدام ، وهذه العقوبة لا تسمح في طبيعتها بالتعويض على من نزلت به . ستقولون : اذاً يجب ابطال هذه العقوبة ؟ لقد ابطلتها بعض البلدان .

أيكون هذا هو الدواء ! لقد فكروا فيه منذ القديم ولكن هذه العقوبة التي اصبحت مقصورة اليوم على حوادث نادرة جداً بينما كانت شائعة فيما مضى ، هذه العقوبة التي تقرّها كل الديانات من القديس توما ومن موسى ومن محمد ، تحاول ان تستمرّ على الاقل في فرنسة رغم طالبي ملاشاتها . وقد ظهرت ضرورتها ومنفعتها عندما تعددت الجرائم في فرنسة بعد ان عفا الرئيس فاليير (Fallières) عن مجرمين عديدين حُكم عليهم بالمقصلة وفي عـدادهم كان الفاسق الوقح سولايلند (Soleilland) . وما كان العفو من قبل الرئيس الا مماشاة لشعور مجلس النواب النازع الى الغاء هذه العقوبة . ولماذا نذهب الى ابعد ؟ ان مجلس النواب هذا (سنة ١٩٠٦) المفروض فيه التعبير عن رغبات الامة لما دُعي للتصويت على مشروع الغاء عقوبة الاعدام اضطر تحت ضغط الحوادث الى اثباتها . وهنالك ما هو اطرف ... فالرأي العام بدوره عقب اشعار احدى المجلات الباريسية له طالب بابقاء هذه العقوبة وأسفر الاستفتاء عن ٣٢٩٠٠٠ صوت طالبوا بالغائها مقابل ١٠٨٣٠٠٠ طالبوا باثباتها .

واننا نرى ان الالهة تاميس تستحق تسامحاً اكبر ، اذا نظرنا بعين الاعتبار الى كل هذه العناصر واذا ادركنا بان هنالك اصلاحات ، جزئية بلا شك ، ولكنها مهمة ، ولا سيما اصلاحات ٥ اذار عام ١٩٣٢ ، مما يتعلق بتطبيق العقوبات ، وقد عملت بها محكمة الجنايات . فكيف اذا اضفنا الى هذا ان لجان العفو

تمى بتجريد كل حكم من صراحته قبل ان اسمح بتنفيذه . وإن الغاء اسباب الاخطاء القضائية لم يكن مرده الا الينا . ذلك ما لم نصنعه ، ولم نكن على ضلال لان المصلحة العامة ، وقد تنبأ الاختبار ، تقضي بذلك . فنظرًا الى هذه الظروف ، اظن ، وقد يكون ذلك ادعاء مني ، ان اللجنة التي تؤلفونها الآن وهي لجنة اكثر رقيًا من تلك التي كانت تعقد في ساحة اثينا واكثر ملاءمة لروح العصر لانها تجمع بين افرادها نساء ، اظن ان لجنتكم ستبرئ قاضيها بالاكثرية المطلقة لا باقلية الاسترحام .

هذا فيما يتعلق بالجزائيات .

اما في ما يتعلق بالدعوى المدنية فيظهر لي ايضاً مع بعض التحفظ انكم ستصدرون نفس الحكم برفضكم قبول المدعي.

انكم بحق تتذمرون من التباطؤ في الاجراءات القضائية وانتم غير مخطئين حيال تقاعس المحاكم التي هي عبدة انظمة بالية ، لا تجرؤ على مخالفتها دون ان تخون واجبها مع انه قد قدر لها احياناً ان تتنع ذلك بمهارة وحكمة رغم جميع الروادع .

وانتقاداتكم — انكم توجهونها الى قاض ربما تألم من الشكليات على قدر ما تتألمون — ولكنكم ضللتم سبيلًا ، فعليكم ان تتوجهوا الى المشترع بطالباتكم والامكم الحقة ، فهو وحده يستطيع ان يخلق اصولًا امينة ومختصرة .

وهو وحده بوسعه ان لا يجعل القاضي شخصاً مقدساً لا يجوز مسه ، بل على غرار القانون الفرنسي الصادر في ٧ شباط ١٩٣٣ ، ضامناً لما تلحقه احكامه من ضرر بالغير . وعليه ان يحمل مسؤولية احكامه وتبعاتها كما تنص كل القوانين ومنها القانون اللبناني ، ولكن ليس فقط حيث يظهر سوء نيته وقصده الضرر ، بل ايضاً لدى كل تقصير خطير وكل غلط مبني ملحوظ ، وفي هذا يقوم الاصلاح .

أمن العدل مثلًا ان يكون القاضي المهمل غير مسؤول عن ضياع مستند هام كالحوالة لامر شخصي والسفتجة وغيرهما ؟ اما النتائج فقد تكون نتائج اهماله جسيمة يتحملها صاحب الدعوى المسكين الذي لا يد له في ضياعها .

واريد ان تكون المحكمة في مأمن من انتقامات المتقاضين المستائين وان

احميا من احقادهم ومن افكارهم الانتقامية . ولهؤلاء المتداعين مراجع قانونية يستطيعون اللجوء اليها لتلافي الغبن الذي قد يكون لحق بهم ، فليرجعوا اليها ، فكل ذلك من ضمن القانون والنظام .

ولهذا يجب ان يغطي القانون كل تلك الاهمالات التي لا تغتفر ، وكل تلك الاخطاء الجسيمة التي تشبه الخداع والتزوير ، وكل تلك التقصيرات الفاحشة التي ترتكب في اروقة العدل والمختلفة كل الاختلاف عن مجرد الاخطاء في الحكم ؟ ويبدو لنا من الواجب ، كما يعتقده القانون الفرنسي وكما تقدمه كبار الاساتذة ، ان يكون القاضي مسؤولاً عن كل ذلك وبالتالي الدولة ايضاً ، على شرط ان تحصر المراجعة القانونية ضمن حدود معينة تلافياً لكل سوء استعمال حق .

وان تدابير كهذه من شأنها ان تخفف من حدة المتعقبين للقضاء . ولكنها لن تستطيع إيقاف الانتقادات . فلا بد من صوت احتجاج .

اما انا فاني افهم معنى تلك الحسرة التي تحز قلب العامة المتعطشة الى العدالة وادرك تذمر الفئة التي قد تكون الاحكام قد أخرت بمصالحها المشروعة .

كلنا نتوق الى المطلق ونحلم بالمثل الاعلى – وإن في هذا القلق السامي لشرفاً للانسان – فلنحاول على قدر المستطاع تحسين الجهاز القضائي فذلك حقنا وواجبنا ولكن لا يغرب عن بالنا اننا مهما صنعنا لن تكون عدالتنا الا بشرية اعني قصيرة النظر ، عرضة للخطأ والسقوط . وقد لا اكون بحاجة الى القول بان وراء هذه القبة المشمة بالكواكب يستقر العدل القائم بذاته ، العدل الحقيقي الذي ننزع اليه بكل جوارحنا وكل قوانا وهو ليس من هذا العالم . وتلكم هي التعزية القصوى لمظلومي هذه الدنيا .

واذا عرفنا ان للقضاء حدوداً وشوائب فلا يمنعنا ذلك من ان ننحني امام هذه المهنة الشريفة بين المهن لانها تحتقر التكسب الخسيس ولانها بين الوظائف العدلية اكثرها ترفعاً وتجرداً عن المادة ، وهي كهنوت حقيقي ، تتطلب من القائمين بها استقامةً في الحياة ومجموعة فضائل من نزاهة ، وتجرد ، واستقلال ، وعدم تحيز ، لا تفرضها اية مهنة اخرى بهذه الشدة والصرامة ، وانها الجهاز الخلاقي تحدى الوعيد والتهديد في ظروف عديدة ، وتحطمت عليه اوامر السلطان .

عقيدة انتقال العذراء بالنفس والجسد الى السماء

تطور هذه العقيدة

بقلم الاب فرنان ده لانفرسان اليسوعي

لمحة وجيزة في تاريخ نشوء عقيدة انتقال العذراء والعيد المُقام للاحتفال به تُظهر لنا كيف تَعرض في الكنيسة شيئاً فشيئاً المسائل الدينية وكيف يتوصل الشعورُ المسيحي بنور ايمانه وقيادة رعاته وبعون الروح القدس الى اكتشاف خبايا في وديعة الوحي الإلهي الذي سلمته اياه التقاليدُ منذ عهد الرسل بكل امانة دون ان تزيد عليه او تنقص منه شيئاً وهي مُظلمة بوضوح لا يزال يزداد جلاء على محتواه الذي لا ينفد . بهذا النوع يُعدّ في الكنيسة اعلانُ العقائد الدينية اعلاناً رسمياً .

المسألة التي نهتمّ لها والتي قد عَرَضت في مدى الاجيال على الضمير المسيحي هي مزدوجة : اولاً هل اجتازت العذراء بالموت الى السماء . وثانياً هل هي اليوم مجيدة في السماء قرب ابنها نفساً وجسداً .

على السؤال الثاني فقط اجاب الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر بتحديد عقيدة الانتقال . اما السؤال الاول فالجواب عليه عموماً هو ايجابيّ فان العذراء قد مرّت بالموت كما مرّ قبلها بالموت ابنها لكنْ للقيامة والارتفاع الى السماء . لكنّ بعضهم يرتأون بان انتقال العذراء لم يسبقه وفاة .

غايتنا بهذه النبذة ان نعرض بايجاز على القارئ تاريخ المسألة بكلا وجهيها وسوف نتبع فيها مقالة الاب جوجي في موسوعة « ماريا » مكتفين باختصار ما جاء فيها .

لم نجد من آثار هذه المسألة شيئاً الى الجيل الخامس .

نصادف اذ ذاك عند بعض الآباء تلميحات سريعة الى موت العذراء فان

اورشليم في ذلك الحين كانت في حالة اضطراب عظيم وكان المسيحيون فيها معرّضين كل حين لاضطهادات عنيفة والتبدد والابتعاد عن المدينة فلم يبقَ عنهم تقليد ثابت مستمر بخصوص موت العذراء ومصيرها.

لم يبق لنا الا كنيسة في الجثماني يُقال انها مشيدة في موقع مسكن العذراء. ثم في اواخر الجيل الرابع كتب كاهن من اورشليم اسمه تيموتوس ردًا على من زعم ان العذراء استشهدت ما يأتي : ليس ذلك صحيحاً فان سيف سمعان لم يخرق جسدها المقدس لكن نفسها فقط فالعذراء الى اليوم غير مائتة. وفي نحو ذلك التاريخ عينه عاش في فلسطين ايضا القديس ابيفانيوس لكنه لم يجزم في الامر ولم يجرؤ ان يحتم بموتها او عدم موتها البتة .

يوجد ايضاً باسم تذكار مريم القديسة عيد قد يكون مصدره عادة المسيحيين قديمة جداً ان يقيموا حوالي اعياد المخلص ذكرى الاشخاص القديسين الذين اشتركوا بها . هذا اذا لم يكن هذا العيد قد جُعل للاحتفال بالذكرى السنوية لتكريس كنيسة مخصصة بام الله مبنيّة على الطريق المؤدية من اورشليم الى بيت لحم .

وقد يكون ايضاً منشأ اول احتفال بهذا العيد ما احتوته الكتب غير القانونية من روايات بدأت تروج في الجيل الخامس بخصوص « انتقال » العذراء. فتحولت هكذا « ذكرى مريم » الى عيد « رقاد » او « اجتياز » ثم «انتقال».

ليس لهذه الروايات عن « اجتياز » مريم سند شرعي قط حتى والرواية منها الاكثر رزانة المدعوة بالاوثيّة والتي تقرأها بكتاب الفرض الروماني تظهر كأنها من وضع القديس يوحنا الدمشقي فانها برأي الجميع ليست له بل منحولة. ان مؤلفي هذه الكتب الغير القانونية قد اطلقوا العنان لخيالهم وعندنا منها نحو عشرين كتاباً بعضها يصور لنا العذراء قائمة من الموت وقد حملها الملائكة الى عرش ابنها وبعضها يقص علينا زيارة ابنها لها ليُنذرها بالانطلاق ويدعوها اليه وغيرها لا تتكلم عن عودة جسدها الى الحياة بل عن نقله سليماً صحيحاً الى « الفردوس » حيث ينتظر القيامة العامة .

غير انه ولو لم يكن لهذه الكتب قيمة تاريخية وضمانة العقائد فهي مع

ذلك شهود عن ايمان الشعب وهذا يعطي لشهاداتهم ثمناً فانها رغماً عن افراطها في اطلاق العنان للخيال في رواياتها تخفي وتحفظ حقائق قد رسخت في قلب المسيحي رسوخاً عميقاً . ان قلب المسيحي يشمئز من التفكر بان جسد مريم البتول الجسد الذي من جوهره اتخذ ابن الله جسده يمكنه ان يكون عرضة لفساد القبر لذلك اذا وقع شك في مصيره فالفكر المسيحي يتجه اكثر فاكثر نحو مجد الجسد القائم من الموت كجسد الابن الذي قام من الموت فانه قد شارك المصلوب في اوجاعه بكل حواسه فيشاركه في انتصاره .

في الجيل الخامس عند انتشار هذه الكتب لا بد ان يوم ذكرى مريم القديسة تحوّل الى عيد الرقاد وثبت التقليد القائل بموتها واعتُبر بيت الجثسماني قبر العذراء قبراً مجيداً يعد قبر الجلجلة .

وجد آباء الكنيسة بمواعظهم للشعب يوم عيد الانتقال فرصة ليبينوا ارتباط امتياز عدم الفساد في مريم مع سائر امتيازاتها فان اكثرهم يُظهرونها قائمة من الموت لتجلس في السماء بقرب ابنها لكن بعضهم ما زالوا موقنين بحفظ جسدها في الفردوس الارضي .

نرى السريان والكلدان متردّدين اكثر من ذلك اما القبط والاحباش والارمن فيعلنون بصراحة قيامة مريم من الموت لكننا نجد خصوصاً عند البيزنطيين الشهادات الاكثر صراحة واحسن البراهين اللاهوتية لاثبات هذا الامتياز .

تذكر براءة تحديد هذه العقيدة اسم القديس يوحنا الدمشقي والقديس جرمانوس القسطنطيني وعظة منسوبة الى القديس مودستس الاورشليمي يُجهل صاحبها . هؤلاء يعتبرون كبرهان لا يُردّ كون جسد مريم هو جسد بتول وجسد ام الله فيه مكث يسوع تسعة شهور . لذلك نرى ذكرى مريم يتحول اكثر فأكثر من رقاد الى انتقال ثم يُحتفل به كعيد انتقال .

علاوة على الآباء المذكورين في البراءة نقدر ان نذكر اسم القديس اندراوس اسقف جزيرة كريت († ٧٤٠) والقديس قوزما المرنم († ٧٤٠) والقديس تيودوروس الستودي († ٨٢٦) ثم من الآباء اليونانيين المنشقين ميخائيل

عليكاس (نحو سنة ١٢٠٠) والبطريرك العلامة جناديوس سكولاريس الذي تمنع عن قبول اتحاد فلورنسا بنفوذ مرقس الافسسي لكنه في السنين الاولى من عهد الاتراك وقف وقفة شريفة ازاء السلطان محمد الثاني . انه في عظة له موضوعها رقاد العذراء يميل جلياً الى حقيقة انتقال العذراء المجيد ولو انه لم يحتم فيها حتماً .

هذا كان ايضاً رأي الامبراطور موريس عندما اقام في مملكته عيد الخامس عشر من آب وذلك منذ اواخر الجيل السادس (٥٨٢ – ٦٠٢).

وقد اضحى هذا العيد منذ ذاك عيد العذراء الاعظم وكان في الشرق كصدى لعيد القيامة يسبقه صيام خمسة عشر يوماً ويُحتفل به بجلال وابهة . واننا قد نجد التأكيدات الاكثر صراحة لتمجيد العذراء في الجسد في طقس فرض البشارة .

اما اليوم فان الكاثوليك والاورثوذكس سواء يرون دون ارتياب في هذا العيد انتقال العذراء المجيد نفساً وجسداً الى السماء .

لا ننكر ان عدم رضى بعض الاوساط البيزنطية بتحديد عقيدة الانتقال قد أخمد فيهم اليوم حمية تأكيدها الجهاري لكن ليس منهم من يمكنه ان لا يعترف بان هذا هو الشعور العام في كنيستهم وفي نفوس مؤمنيهم .

٥

في هذه النبذة الموجزة التي ارسلناها في تاريخ نشوء هذا العيد وهذه العقيدة في الشرق نلاحظ جلياً مشاركة تقوى الشعب المسيحي فيه واهميته فانه يحس في اعماق نفسه ما لا يستطيع غالباً التعبير عنه فيبقى هكذا للعلماء اللاهوت ان يبحثوه ويوضحوه .

لكن هذا التقدم السامي في الايمان لا يتمّ للشعب المسيحي الا تحت رقابة رعاته وبقيادتهم . صار تحديد يجمع اقدس علامة منها انبجس بقوة ما كان كامناً في القلوب من التقوى نحو ام الله وفاض منها في الكتب الغير القانونية . اما سلطة التعليم في الكنيسة فتعرف ان تميّز في هذه الكتابات المتباينة

القيمة فلا تنتقي منها لصلواتها وطقوسها الا ما يطابق كلياً ما جاء به الوحي الإلهي وهكذا فتقوى الشعب نفسه يصفّى وينقّى . بممارسات العبادة كما بالايمان تتضح شيئاً فشيئاً الحقيقة فتظهر كثرات الايمان تراث ثابت شرعي.

اما نشوء العقيدة في الغرب فلا يختلف مما هو عليه في الشرق .

اول تاميح صريح الى حقيقة انتقال العذراء وصل الينا صدر من غريغوريوس التوري (٥٩٤) وهو من اعظم رجال غاليا الرومانية القديمة فانه في المقتطف الذي الفه وعنونه بكتاب المعجزات كصدى احد الكتب الغير القانونية الذي قد أتاه من الشرق فتُرجم منذ ذاك الى اللغة اللاتينية. يقول : عند وفاة العذراء المباركة كان الرسل مجتمعين فظهر لهم الرب وامر الملائكة بان ينقلوا الجسد المقدس الى الفردوس حيث هو الآن متّحد بالنفس متمتع بخيرات الابدية .

يجدر بنا ان نلاحظ بان هذا الكتاب عينه كان قبل ذلك بجيل مذكوراً في قائمة البابا جلاسيوس في عدد الكتب التي لا تقبل الكنيسة بها بين كتبها القانونية .

لم يظهر في الغرب اثر للعيد الا في عهد البابا سرجيوس الاول (٦٨٧ — ٧٠١) وهو سوري الاصل كما يدل على ذلك اسمه : سركيس . فانه في عين الوقت الذي فيه اقام المجمع المعقود في ترولو في الشرق اعياد العذراء الاربعة اي التطهير والبشارة والمولد والرقاد امر بان يحتفل في روما بالتطواف في كلّ من هذه الاعياد .

فمن الشرق اذن اخذ الغرب عيد الخامس عشر من آب ومنه ايضاً اخذ اسم « رقاد » العذراء و « ايداعها » و « مولدها » و « راحتها » وكلها تؤكد الاعتقاد بموتها . لما كنا لسائر القديسين نسمّي يوم الموت يوم المولد للحياة السعيدة فهو اذن اهل ان يُحتفل به.

لا تذهب شهادات هذا العصر الى ابعد من ذلك فالقديس ايزيدورس الاشبيلي (٥٣٦) والطوباوي بيدا (٧٣٥) لا يذكران شيئاً لا عن نوع ميتتها ولا عن قيامتها المجيدة الا ان هذا يعرف بان المسيحيين يدلون على قبرها في وادي يهوشافاط اما الزمان الذي فيه أُخذ منه الجسد ومن الذي اخذه فلا علم

بذلك ولولا تلميح القديس غريغوريوس التوري في شهادته عن اعتقاد المسيحيين لكان السكوت عن ذلك تاما . ثم صار معنى العيد بعد اقامته يتضح قليلاً قليلاً حتى أبدل اسم الرقاد باسم الانتقال ويظهر ان في ذلك نصيباً عظيماً للامبراطور شارلمان فان اهتمامه بالامور الطقسية لم يكن اقل من اهتمام القياصرة البيزنطيين بها وقد ارسل اليه البابا ادريانوس الاول سنة ٧٨٤ اجابةً الى طلبه كتاب المراسيم الطقسية المسمى بالغريغوري فقرّر استعماله في الامبراطورية كلها والعيد يُسمى فيه عيد انتقال الطوباوية مريم العذراء .

لم يكن لهذا الاسم معنى صريح بخصوص موضوع العيد ومحتواه فالاعتقاد بقيامة جسد العذراء في نظر اللاهوتيين لم يكن له سند الا الكتب الغير القانونية التي لم تدرجها الكنيسة في قائمة كتبها الموحاة . نعم كانت هذه الكتب نوعاً ما صدى ايمان الشعب المسيحي والمجاهرة به لكن على رأي اللاهوتيين يوجد في روايات هذه الكتب ما يدعو الى الشبهة والارتياب . اذن رغماً عن تسمية العيد بانتقال العذراء بقي موضوعه مبهماً زماناً طويلاً .

لمن يتفحص عن كتب ويعرف مجادلات ذلك العصر يلاحظ بان الطقوس الغالية الاجيال السابع والثامن والتاسع قد تمسكت قصداً بالتكتم يظهر فيها التلميح عن عدم فساد جسد العذراء صريحاً اما قيامته فلا كلام صريح عنها بل ايماز اليها لا غير فاننا نقرأ فيها بان العذراء الطوباوية « ولو انها اجتازت بالموت فلم تُخذل به ولم تُصرع بوُثقه » وعبارات اخرى شبيهة بهذه . وان الطقس المززارابي (الاندلسي) في العصر عينه يبين اكثر صراحة اذ يتكلم عن مريم « يرتفع بها ابنها الى مقرّ السماء حيث لم يُحمل قط انسان قابل الموت » او عندما يظهر لنا متكلماً بقصد عن « انتقال حقيقي الى مقرّ السماوات » الى حيث اخذ يسوع امه بعد سُبات الراحة وبينما في روما واسبانيا يُسمى هذا العيد نهائياً باسم عيد الانتقال الكثيرون في غاليا لا يزالون متمسكين بتسميته عيد الرقاد .

نعلم من كتب رتب الاحبار بان البابا باسكال (٨١٧ — ٨٢٤) اوصى بان يُصنع لكنيسة القديسة مريم العظمى وشاء عليها يصوّر دخول العذراء الى

السماء بعد قيامتها . والبابا لاوون الرابع (٨٣٧ — ٨٥٥) زاد على يوم العيد سبعة ايام ذكرى تتبعه . والبابا نقولا الاول (٨٥٨ — ٨٦٧) في اجوبته المشهورة الى البلغاريين يشير الى الصوم الذي يسبق العيد استعداداً له .

لكن ظهر في غاليا في العصر عينه كتاب جدليّ وُضع باسم القديس هيرونمس بصورة رسالة منه الى بولا واوستوكيوم . اننا لنعجب اذ نرى اناساً نعتبرهم في عصرهم ممن يمثلون العلم الانتقادي يلجأون الى اساليب تثير فيهم الريبة عندما يلجأ اليها غيرهم ممن يدافعون عن انتقال العذراء نفساً وجسداً خصوصاً وعندنا من الدلائل ما يثبت بان مؤلف هذه الرسالة قد يكون باسكاز رادبر وهو يُعدّ من لاهوتيي الجيل التاسع الاكثر رصانةً وفي ايامنا من الاعظم قدراً وقد يكون لنا في إعذاره حجة عوائد عصره ورغبته في الاستعاذة بحمى ابي النقد المسيحي .

في هذه الرسالة جاء ما يلي : بما انه ليس على الله امر غير ممكن لا ننكر قيامة الطوباوية العذراء مريم ولو انه من الواجب علينا تحذُّراً وبدافع رغبة روحية وطالما الايمان فينا مصون ان نقف امام رأي لا غير دون ان نحتم دون تبصر في موضوع ليس في جهله خطر .

هذا كلام رجل هو للعذراء مريم متعبد حرّ كامل وغايته ان يُحذّر ذوي التقوى القليلي الفطنة من المبالغة والعجلة .

هذه الرسالة المنحولة قد احدثت تأثيراً عظيماً .

لا نجهل بان في صلاة الساعة الاولى من الفرض عند اللاتين يُقرأ السنكسار (كتاب قديسي اليوم) والسنكسار الاكثر قبولاً في الكنيسة اللاتينية وفي روما خصوصاً كان منذ الجيل التاسع سنكسار اوزوارد راهب من دير سان جرمان دي بري (٨٦٩ — ٩٧٧) وفيه بتاريخ ١٥ آب كان يُقرأ : ان جسد العذراء المقدس لا يوجد على الارض فانه يكون مخفياً هيكل الروح القدس هذا المكرّم . قد فضلت الكنيسة برصانتها ان تجهل ذلك على ان تعلّمه مستندة الى كتاب غير قانوني لاغٍ .

لكن كان يسري بين ايدي المؤمنين كتيب آخر باسم القديس اوغسطينوس

وعنوانه : وفاة ام الله وانتقالها الى الحياة الابدية : انه اذا كانت الكتب المقدسة لا تكلمنا بعد عن مريم منذ حلول الروح القدس يبقى للعقل بنيره الايمان وسائل اخرى . هذا ما يقوله المؤلف ثم يبحث منطقي مدقق يعرض ما نسميه براهين اللياقة اي الامومة الإلهية وسائر الامتيازات فهي تتطلب وتوجب امتياز القيامة المجيدة من انكرها اهان المخلص فانه ليس ممن يخالف نحو امه الوصية القائلة : اكرم اباك وامك .

هكذا قام التناضل بين رسالة هيرونموس وكتاب اوغسطينوس المنحولين وقد تجمّع حول كل منهما احزابه .

قد يكون في مقالة الاب جوجي الذي اخذنا عنه هذه النبذة شيء من التصنع فرأيه في ان كتاب اوغسطينوس هو جواب على رسالة هيرونموس ليس ثابتاً اما ما هو اكيد فان مسألة انتقال جسد العذراء هي موضوع بحث جدي في القرنين التاسع والعاشر .

لم يفتأ المسيحيون يعتقدون بالانتقال ويقرؤون في بعض الكتب الغير القانونية حوادثه ولم يزل اللاهوتيون اجمالاً على تحذّر وتروّ .

قليلون منهم يصرّحون جهاراً بقيامة العذراء . منهم القديس بطرس دميانوس (١٠٧٢) وبطرس اسقف بواتيه (١٢٠٥) والعلماء باالحق الكنسي هوغو كسيو وسيكار دو كريمون والقديس انطوان دي بادو وفكتوران هوغو وفكتوران غوتيه وفكتوران ريشارد . وهذا في تأويله كتاب اناشيد الاناشيد يقول : ليسكن الصديقون في ظلال مسكنهم (والصديقون هم ناكرو القيامة) فانكِ قد قمتِ .

اما القديس انسلموس وتلميذه ادمار وهما من المتمسكين بعقيدة الحبل بلا دنس والقديس برنردوس نفسه في خطبه الخمس في هذا العيد نراهم اقل جرأةً .

وجب علمُ اللاهوتيين السكولاستيك وسلطتهم التعليمية ومنهم بالاخص القديس البرتوس الكبير والقديس بوناونتورا والقديس توما لاثبات حقيقة انتقال العذراء . يجدها اثباتاً نهائياً لا في عداد الحقائق الايمانية لكن فقط في عداد النتائج اللاهوتية الاكيدة .

— -

منذ ذاك لم يبق بعد من يمانع او يجادل .

. وصارت طقوس العيد بعد بعض التغييرات تتجه بكليتها الى تمجيد العذراء. مهملة ذكر وفاتها الى يوم ابدل البابا بيوس الخامس (١٣٦٦–١٣٧٢)اوزوارد القديم بارونيوس فمحا من السنكسار الروماني التلميح المشؤوم.

وقد اجمع لاهوتيو القرن السادس عشر الكبار وهم كاجتان وملكيزور كانو وسوارز على اعتبار تأكد انتقال جسد العذراء الى السماء متهوراً في معتقده واتخذوا لتوسيع هذه الحقيقة خطة كتاب اوغسطين المنحول ببراهينه العقلية اللاهوتية ومقتضيات اللياقة المنطقية لدعم امتياز انتقال جسد العذراء..

وجواباً على كتاب « سانتوريا تور دي مندوبور » دحض القديس كانيزيوس دحضاً مطوّلاً اعتراضاتهم وبيّن بطلان برهانهم المسنَد الى سلطة الكنيسة التعليمية الذي استنتجوه من سنكسار اوزوار والرسالة المنحولة الى بولا ثم في هذه الفرصة وضع الريبة في صحة نسبتها الى القديس هيرونمس .

كان لامتياز انتقال العذراء مقامه السامي في التعبد المسيحي فصار في التعاليم اللاهوتية حقيقة لا تُجادَل .

وهذا التعليم اللاهوتي المثبت لحقيقة الجبل سيُسمه يوماً بلغته العذبة الجذابة القديس فرنسوا دي سال في عدة مواعظ بمناسبة هذا العيد ثم سوف تتوسع فيه بلاغة العصر السابع عشر المجيد .

في الجيل السابع عشر عينه احد ملوك فرنسا حاذياً حذو القديس اسطفان ملك المجر اقدم على تكريس مملكته لمريم يوم عيد انتقال العذراء سنة ١٦٣٧ تكريساً احتفالياً يُقام الى اليوم لذكراه في كل خورنيات فرنسا تطواف يُدعى تطواف نذر لويس الثالث عشر. وقد ثبّت قداسة البابا بيوس الثاني عشر تثبيتاً رسمياً الفحوى الدائم لهذا النذر اذ اعلن برسالة رسولية مؤرخة للثاني وعشرين من اذار سنة ١٩٢٢ سيدة الانتقال شفيعة اولى لفرنسا ثم سنة ١٩٣٧ منح فرنسا يوبيلاً مريماً احتفاء بالذكرى المئوية الثالثة السعيدة لهذا النذر .

لكن تقوى المسيحيين ما برح يحس بشيء ينقصه في تعبده للانتقال فانه كان يتوق الى تأكد اتمّ والى تمة ايمان الهي :هذا مصدر ما دعوه الحركة الانتقالية.

بدأت هذه الحركة تعمل منذ الثلث الثاني من الجيل التاسع عشر ونمت وتوسعت خصوصا بعد تحديد عقيدة الحبل بلا دنس سنة ١٨٥٤ فتأسست محلات ونُظِّمت عرائض وقامت مؤسسات رهبانية تسمّت بالانتقال وعُنيت بنشر التعبد له . نذكر منها : « اوغسطينيو الانتقال » (الآباء الانتقاليون) مؤسسهم الاب عمانويل دالزون وهم اصحاب جريدة لا كروا الفرنسية ومشروع المنشورات الصالحة وتنظيم حجّ الاراضي المقدسة ولهم نشرة اصداء الشرق وتآليف اخرى عديدة عن الشرق . ثانياً : رهبانية « سيدات الانتقال » . ثالثاً :«اخوات الانتقال الصغيرات » جمعية مخصصة لخدمة الفقراء في بيوتهم .

نلاحظ في آخر هذا المقال باننا قد اخذناه عن كتاب الاب مارتين جوجي من الرهبان الانتقاليين كتاب « وفاة العذراء القديسة وانتقالها » وهو مؤلّف عظيم باربعمئة وثلاثين صفحة مطبوع في مطبعة الفاتيكان وايضاً من مقالة له عن الانتقال في الموسوعة « ماري » .

اما العرائض العديدة التي قُدّمت الى الحبر الروماني لطلب تحديد عقيدة الانتقال فقد جمعها وصنّفها ونجّها بكتاب ضخم الابوان هنريشت وموست .

بقي علينا ان نذكر آخر اعمال تهيئة تحديد عقيدة الانتقال فالاب الاقدس قد فعل ما كان قد فعله قبله البابا بيوس التاسع لتحديد عقيدة الحبل بلا دنس فانه بعث الى اخوته اساقفة العالم الكاثوليكي يسألهم رأيهم في الامر . اننا نجهل تفاصيل اجوبتهم فردياً لكننا لا نشكّ بانها كانت عموماً مطابقة تماماً لرأي خليفة بطرس .

واليوم العالم المسيحي اجمع يبتهج مهلّلا لانتصار امه على الموت بالقيامة وجلوسها في السماء عن يمين ابنها المجيد ملكة السماوات والارض .

مريم على اقدام الصليب*

للشاعر رومانس المرنم

بقلم الاب نيقولاوس قادري ق. ب.

مقدمة

موضوع لطيف رقيق نظمه الشاعر الملهم رومانس المرنم لتنشده الكنيسة البيزنطية في حفلاتها الدينية وتتلوه يوم الجمعة العظيمة كسر من اسرار الديانة المسيحية . استوحى موضوع النشيد من انجيل يوحنا حيث يقول : « وكانت واقفة عند صليب يسوع امه[1] ». ونهج فيه على غرار بعض المشاهد الشعرية من المسرحية الرائعة اليونانية « آلام المسيح » « Χριστὸς Πάσχων » للقديس الشاعر غريغوريوس النزينزي[2].

وهذا النشيد هو احدى مآسي الالام ولوحة بعيدة الرموز. بجيلة الالوان النفسية خصيبة الافكار دقيقة الشعور سكب فيها المصور الفنان روحه اللطيفة وايمانه الراسخ وفكره الثاقب فحلل بابياته الموسيقية العذبة الساحرة وتصاويره الخيالية الصافية حلل نفسية الأم الحزينة تتألم بخشوع امام المشهد الصارخ ، امام خشبة الصليب يحمل ثمرة احشائها كعنقود مدلل من كرمة الحياة وقد دقق الشاعر رومانس في درس شخصية الوالدة المؤمنة كال الايمان برسالة ابنها يسوع الاله الانسان .

* Pitra : *Analecta Sacra*. T. I. p. 101.
Giuseppe Cammelli : *Romano il Melode Inni*. Edizioni Testi Christiani. 1930, pp. 332-361.

١) يوحنا ١٩-٢٥

٢) مجموعة الاباء اليونان لين . مجلد ٣٥

وهذا النشيد هو حوار متقل بالعمل المسرحي هو حوار يدور بين الأم وابنها المسارع الى الصلب في فترة من الزمن تطوي الاجيال بأثره الخالد .

تخيّل رومانس العذراء مريم تستوقف ابنها قبل صلبه وتناجي وحيدها على حدة وهو لا يزال بعد حيًا وتُسرّ اليه سرًا وبالسكون بما يخالج فكرها وشعورها من دقائق العواطف التي تساور نفس أم تتألم لألم وحيدها البكر[1] ثم يخاطب يسوع امه العذراء « المتهدمة من الحزن والاسى » ويشجعها لتثبت راسخة في ايمانها ، قوية في الامها ومحنتها ، واثقة برجوعه اليها من وراء القبر ويحضها على ان تدع البكاء جانباً وان تطلب الغفران للبشرية[2] .

بهذه المناجاة الأليمة تفيض الأم بحبها الشديد لابنها الحبيب فتعرب له عن شدة شوقها المتقد في اعماق الفؤاد : انها تريد ان تتبعه الى الموت وتظهر رغبتها الشديدة ان تكون معه فتسأله ان كان مزمعاً ان يقوم ويعود اليها بعد القيامة[3] ثم تسمع بلهفة لكلام ابنها والهها يطلب منها ان تخفف من لوعتها وتكفكف دموعها وتنفض عنها الاسى لانه انما جاء الى الآلام طوعاً ليتمم ارادة من أرسله[4] .

وقد بدأ المرنم الشاعر مأساته هذه بنوع مسرحي رائع : « تلك النعجة مريم ابصرت حملها مسوقاً الى الذبح تبعته متهدّمة . »[5] وفي هذه المقطوعة الاولى نرى عرض الاشخاص والمكان ونشاهد مشهداً فريداً في تاريخ الانسانية صوّره الشاعر أمامنا وجسمه لنا بكل دقائقه وتقاطيعه حتى تخال انك تشاهد من جديد على بعد عدة قرون ما حدث على جبل الجلجلة منذ الفي سنة تقريباً . صوّر الشاعر أمًا تلاقي وحيدها يحمل صليبه ويذهب الى الموت « كحمل سيق الى الذبح ولم يفتح فاه[6] » فتصرخ باكية : اين تجري ، يا ابني ، لاي سبب

١) راجع المقطوعات ١–٣ ، ٧–٨ و١١ و١٥
٢) راجع المقطوعات ٤–٦ ، ٩–١٠ ، ١٢–١٤ ، ١٦
٣) مقطوعة ١١
٤) مقطوعة ١٤
٥) مقطوعة ١
٦) اشعيا ٥٣–٧

تروح الآن تسعى السعي الحثيث ؟ أعرس آخر في قانا انحث الآن الخطى الى هناك حتى تحول الماء خمرًا ؟ »[1] . فتهم بالالحاق به لا الى عرس جديـد بل الى الموت معه: « اأتبعك يا ابني ؟ أم البث هنا ؟ » وتلبث منتظرة الجواب : « ايه كلمة ايها الكلمة ، لا تجز بي صامتاً ! »[2] تسأل الأم الكئيبة ابنها جواباً يعزيها ويشددها في مصابها الاليم ولا تزال تحفظ في ذاكرتهـا الحية اصوات الاطفال بالامس فتسمع هتافاتهم الماضية :« اوصنا ! مبارك ! » وتنظر الى الطرق فتراها بعد مفروشة بالسُعف فتصرخ صرخة الأسى والانتفاض عندما تقابل بين امس واليوم فترى الأئمة يلقون ايديهم على ابنها ويسوقونه الى الصلب: « اواه ! اريد ان اعرف كيف يخبو ضيائي، كيف يُسـر على الصليب ابني والهي !»[3].

ففي مرارة نفسها ألم ومحنة وخوف كبير ولكنها في سورة مصابها تبقى خاضعة لارادة الله حين تعرف ان ابنها انما يتألم ليخلص البشرية :« انت وحدك تخلص الجميع ، انت وحدك تكثر عن الجميع انت يا ابني والهي ! »[4] .

لقد غالى البعض من الآباء في تصوير نفسية مريم على اقدام الصليب وذهب البعض منهم الى الشك في ثبات ايمانها ولو برهة يسيرة وارجعوا هـذا الضعف الى طبيعة الأم او الى حربة سمعان التي جازت في نفس العذراء وقت الآلام . وعرف رومانس هذه المحاولات الفلسفية فرفضها بشجاعة ولو كانت متحدرة من المعلمين الملافنة وتجاسر بجرأته الشعرية وقاوم التجربة ، فتقواه الشخصي الملائم لروح الشعب سدد نظريته وافكاره في العذراء مريم وقومت تفكيره الخاص وغيرت اراءه بالملافنة فطرح شكوكهم جانباً وحمل عواطف الشعب واحس باحساساته الصادقة السليمة ولم يتورط في الارتياب والشك في ايمان مريم برسالة ابنها الالهي . فاللازمة « انت ابني والهي » هي فعل ايمان قوي لا يقبل شكًا في نفسية العذراء، وروحها اللطيفة لا تقبل الارتياب وقد تبدد في كل صرخة من صرخات فؤادها « انت ابني والهي ! » .

---

١) مقطوعة ١
٢) مقطوعة ١
٣) مقطوعة ٣
٤) مقطوعة ٣

ولا يمكن ان يبين عبقرية روماس الشاعر ودقة شعوره وسعة مخيلته في حقيقة عجز عن فهم دقائقها كبار المعلمين والملافنة . فلم يرضَ بتفكيرهم بل تحرر وفكر بما املاه عليه ايمانه وقلبه واذا به يخوض المعمة ويخرج منها سالماً منتصراً يصوّر خوف العذراء الوالدة ولكنه لا يقبل ضعفاً في ايمانها ولا شكاً ولا ارتياباً في رسالة ابنها يسوع الالهي.

يمهد الشاعر على وسيلة تنجيه من ورطة الملافنة فيعبر يسوع اقوالاً يعزي بها امه ويشجعها بكل دالة ومحبة : «انفضي الحزن ، يا أم ، انفضي الحزن فما يليق بك لانك تدعين مملوءة نعمة . »[1] اجل يدعو يسوع أمه الى الفرح والغبطة ويشرح لها ضرورة موته الطوعي لخلاص البشرية الساقطة . فتحس مريم بالخوف الشديد والألم القاسي ولكنها تبقى في كل النشيد قريبة من الانسانية التي تشعر وتتألم كما تتألم كل أم عندما ترى فلذة كبدها يعاني مرائر الآلام ويتجرع كأس الموت الاليم . ولكن ايمان مريم يصمد كاملاً راسخاً لا يتزعزع . فخوف العذراء يتولد من شدة حبها : « غلبني الحب يا ابني ، غلبني الحب ، يقيناً لا اطيق ان اكون انا في داري وانت على خشبة . »[2]

مع ذلك يحسُّ القارئ بخضوع مريم لارادة ابنها فتعيره سمعها بكل انتباه وذلك بعد ان تكون قد « كفكفت الدموع من عينيها وهدأت فؤادها بما في امكانها . »[3] وتستفهم عن بعض الغامضات كانسان حكيم لا يريد ان يستسلم لجهله فتسأله : «انك شفيت اناساً عديدين بدون ألم وطهرت الابرص بلا وجع ، شئت فكان ما شئت . أقمت الاموات ولم يسطُ عليك موت ولم توضع في رمس . اذن فكيف تقول ان لم أتألم فآدم الشقي لا يُشفى ؟ »[4] ترجع مريم هذا الاستفهام الى ايمانها بقوة يسوع الالهية وارادته السامية وهي تعرف بأنه باستطاعته لو أراد ان يخلص البشرية بكلمة دون ألم : « مر ، يا مخلص ،

---

١) مقطوعة ٥

٢) مقطوعة ١٥

٣) مقطوعة ٨

٤) مقطوعة ٧ و ٨

فيقوم آدم للحال ، فلك يخضع الجميع بما أنك مبدع الجميع »[1] .

وحين يشتد ألمها يشتد ايضاً خوفها فتستجلي الامور كفافاً وتسأل ابنها عما يعقب الرمس : اذا تألمتَ ومت أفتعود اليَّ ؟ اني اخاف ، بني ، اخاف ان لا تعود عقيب الرمس . »[2] وهذا الخوف يتبدد كالضباب عندما تسوقه الرياح فتسمع مريم من ابنها كلمات الثقة والارتياح :« ثقي يقيناً ، يا أمّ ، انك قبل الجميع ستبصرينني خارجاً من القبر . »[3] .

واخيراً تسمع مريم من ابنها كلمات الوداع :« هي ارادة الآب » فتغلب لايمانها وحبها ويزول خوفها فتنشد من جديد انتصارها على الخوف : « غلبني الحب ، يا ابني ، غلبني الحب ! » ولا تطلب بعد ذلك الا ان ترافقه الى الموت بل الى الانتصار الخالد وقد آمنت بأن الحياة انما هي ابنها :« ما الحياة ؟ من هي ؟ انها ابني والهي ! »[4]

ولهذا النشيد روعة جذابة ومظهر خلّاب وصبغة حية تحيا من حياة المأساة الدينية اجل انه حوار رشيق جميل ولون من الوان النفس الفنية بالرقة والعطف والحنان والامومة المتألمة ومن جهة اخرى زي الهدوء والاطمئنان وروح التعزية . لقد مُثِّل هذا الحوار الجدير بلتون او براسين لما فيه من عمق الدرس النفسي ورقة الحب الوالدي والاحترام البنوي مُثِّل هذا النشيد مرتين في العام الماضي في بيروت ودمشق وقد اذهل الحاضرين ونال استحسان الجميع بتلك المسحة الشعرية الروائية وتلك العذوبة في العواطف وذلك السمو في النفسيات . واذا ما استثنينا المقدمة والمقطوعة الاخيرة التي هي صلاة فالنشيد كله ليس سوى حوار تتكلم فيه العذراء الأم ويبادل يسوع أمه الكلام فيؤنسها ويشجعها ويعزيها في آلامها ومصابها .

وهذا الحوار الفني بالايقاع والانسجام الموسيقي المثقل بالوحي الخصيب

---

١) مقطوعة ٨

٢) مقطوعة ١١

٣) مقطوعة ١٢

٤) مقطوعة ١٥

والخيال الصافي يحمل شعوراً عميقاً وافكاراً سامية تجد ينبوعها في مأساة آلام المسيح « Χριστὸς Πάσχων » للشاعر غريغوريوس النزينزي نظمها هذا الشاعر على طريقة اريبيدس فكانت اول رواية دينية رائعة افتتحت المسرح في الديانة المسيحية. ومن بعد ظهور هذه المسرحية انتشرت المآسي والاسرار في الكنيسة باللغة الادبية واللغة الشعبية اليونانية وكان لمأساة « آلام المسيح » الأثر البعيد على الفن المسرحي في الشرق.

ان بيزنطية انصرفت الى المآسي الدينية اي الاسرار بخلاف ما ارتآه بعض الكتبة اذ نفوا عن بيزنطية المسيحية هذا الفن المسرحي[1]. لان الجو الذي عاش فيه شاعرنا رومانس كان جواً مشبعاً بالمآسي. وقد عرف المأساة الكبيرة الكلاسيكية للشاعر غريغوريوس النزينزي الذي ارجع للشعر القديم المدرسي رونقه في روايته الدينية وهي رواية فخمة بوزنها ومظهرها وموضوعها، وضعها الشاعر غريغوريوس بالشعر اليوناني القديم المعروف بالكلاسيكي وعن هذه المأساة استقى رومانس بعض ابياته وموضوعات اناشيده وخصوصاً في نشيد الآلام ونشيد القيامة. وكثيرون اخرون تأثروا في هذه المأساة كما قالت العلامة فنيسيا كوتاس: «ان تأثير المسرح الديني على الفن المسيحي في الشرق لمسألة يجب ان تسيطر (في الدروس الأدبية والفنية) لان وجود هذا المسرح هو اليوم فوق كل شبهة وشك[2]».

واغلب اناشيد رومانس هي من المآسي الدينية التي كانت تنشد وفي الوقت نفسه تمثل كما كان جارياً في كنيسة آجيا صوفيا في عهد رومانس وقد ازدادت هذه النزعة في الاجيال التالية وقد حفظت لنا الاجيال والكتب والحفلات الطقسية الشرقية لوناً خاصاً من الوان المسرحيات.

ومن هذه الحفلات نخص بالذكر زياح الشعانين وحفلة الغسل وصلوات الآلام وقراءة الاناجيل ورتبة جناز المسيح ورتبة هجمة عيد الفصح والباعوث وكلها بقايا من المآسي الدينية التي كانت قد ابتدأت في المسرح المدني خارج الكنيسة

١) راجع مجلة المسرة في عددها ٣ نيسان سنة ١٩٤٧، صفحة ١٩٦.

٢) Cf. Venetia Cottas: *L'Influence du Drame « Christos Paschon » sur l'art chrétien d'Orient*. Paris, 1931, p. 1.

ثم راجت واقتربت من قدس الاقداس حيث تباركت وانحفظت داخله الى ايامنا بينما ان « الاسرار » في الغرب ابتدأت في الكنائس ثم خرجت منها الى الساحات العمومية واضمحلت ولم يبق منها الا القليل[1] .

ونشيد رومانس هو من تلك المآسي الخالدة التي غابت الاجيال ووصلت الينا في رونقها وعذوبتها فهو في رقته وايجازه وحسن روائه ودقة تحليله النفسي من الاناشيد الخالدة التي غمرت البشرية بالنفحة السماوية والالهام الصافي. ذلك لأن رومانس على عمق تفكيره وبعد خياله وسعة تحليله لنفس الأم العذراء لا يزال في طليعة الشعراء الكبار . وقد تفتخر مدينة بيروت انها احتضنت هذا الشاعر بين جدران كنائسها وتعتز الكنيسة انها لا تزال تدخل الشاعر الى قدس اقداسها اذ انها تعرف قيمة الجمال فتضمه وتحتضنه بينما كان افلاطون يتوج الشاعر ثم بعد ذلك يبعده الى ما وراء الحدود .

(1) Cf. Venetia Cottas : *Le Théâtre à Byzance*. Paris, 1931. p. 53.

مريم على أقدام الصليب

نشيد للشاعر رومانوس المرنم

مقدمة

هلم جميعاً نسبّح
من لأجلنا صلب ،
ذاك أبصرته مريم[1]
على الخشبة فقالت :
« وإن احتملت الصلب
فأنت لم تزل
ابني والهي ! »

مريم

١ تلك النعجة مريم
حين ابصرت حملها
مسوقاً الى الذبح[2]
تبعته متهدمة
بصحبة نسوة أخر
فهتفت هكذا :
الى اين ؟ يا ابني
لأي سبب تذهب
هكذا سريعاً سريعاً ؟[4]

اعرس آخر في قانا[5]
ونحث الخطى الى هناك
لتحول الماء خمرا ؟
أأتبعك ، يا ابني
أو ألبث هنا ؟
اعطني كلمة ، يا كلمة ![6]
لا تجزني صامتا !
يا من حفظني عذراء ،
يا ابني والهي !

١) يوحنا ١٩ – ٢٥ ٢) أشعيا ٥٣ – ٧ ٣) تيموثاوس ٤ – ٧ ٤) في هذه المقطوعة يتبع رومانس الشاعر غريغوريوس النزينزي Migne P. G. T. 38. Col. 173. Χριστὸς Πάσχων τραγῳδία. ٥) يوحنا ٢ – ١ ٦) يوحنا ١ – ١ .

مريم

٢ ما كنت أنتظر ، بني
ان اراك على هذه الحال ؛
وما كنت أعتقد أصلا
بأني انظر الائمة
تثور بهم نزوة الغضب
الى هذا الحد .
يرفعون الأيدي بجور عليك[١]
بينما أطفالهم تصرخ لك :
« اوصنا ! مبارك ! »[٢]
وهذا الطريق
المفروش بالسعف
يذكر الجميع
بمديح المجرمين لك
والان لأي سبب
يجترم هذا الاثم
أريد اواه اريد
ان أعرف كيف يخبو ضيائي ،
كيف يسمر على الصليب
ابني والهي ؟

مريم

٣ أتسرع ، يا حشاشتي
الى الموت الجائر ،
وليس أحد يتألم معك ؟
فلا يصحبك بطرس
القائل لك :
لا انكرك ابدا
ولو ألجئت الى الموت ! »[٣]
اهملك توما
وقد هتف : « لنذهب
نحن ايضاً لنموت معك . »[٤]
وهكذا احباؤك الآخرون
واولادك المزمعون
ان يدينوا أسباط اسرائيل[٥]
أين هم الآن ؟ لا أحد منهم
بل انت وحدك ، بني
تموت عن الجميع[٦]
وتخلص الجميع
وتكفر عن الجميع
انت يا ابني والهي !

---

١) لوقا ٢٢ – ٥٢ ٢) متى ٢١ – ٨ ٣) متى ٢٦ – ٣٥ ٤) يوحنا ١١ – ١٦
٥) متى ١٩ – ٢٨ ٦) ٢ كور ٥ – ١٤

يسوع

٤ بهذا فاهت مريم
فكان أساها شديدا
وحزنها عميقا
وكانت تبكي ،
فالتفت اليها
المولودُ منها وهتف بها :
لِمَ بكاؤك ، يا أمُّ ؟
لِمَ يشفك الحزن
كسائر النساء ؟
فكيف أخلص آدم
ان لم أتألم وامت ؟
او لم اسكن قبرا ؟
كيف اجذب الى الحياة
اولئك الذين في الجحيم ؟
لأنت تعلمين يقينا
أني ساصلب وأموت ،
اذن لِمَ بكاؤك ، يا أم ؟
ألا اهتفي بالاحرى :
بحب يقبل الألم
ابني والهي !

يسوع

٥ دعي النوح يا أم ، دعيه :
فلا يليق بك العويل ،
لأنك تدعين
مملوءة نعمة.[1]
لا تحجبي
مجدك بالبكاء ،
ولا تقيسي نفسك
بالنسوة الجاهلات ،
ايتها العذراء الحكيمة !
انك داخل خبائي ،
فلا تحسبي نفسك
كأنك خارج الخباء .
ألا نادي الذين
هم في الخباء عبيد لك ،
فكل يسرع
ويطيع لك ،
حين تقولين يا عفيفة :
اين هو
ابني والهي ؟

١) لوقا ١ – ٢٨

يسوع

٦ لا تعتقدي بأن
نهاري مر ،
فانا الحلاوة
لهذا الكفاح اتيت .
نزلت كالمن من السماء[١]
لا على سينا
بل في احشائك ؛[٢]
في هذه الاحشاء تكونت
كما تنبأ داود[٣] من قديم .
ألا اعلمي ، يا عفيفة ،
ان الجبل المسنم
انما هو انا انا الكلمة[٤]
صرت منك جسدا
وبهذا الجسد أتألم ،[٥]
وبه اموت
فلا تبكي ، يا أم !
بل قولي :
عن رضى يقبل الالام
ابني والهي !

مريم

٧ اجابت الأم ، بني ،
ان بارحتِ الدموع عيني
لازم الاضطراب قلبي
فلا يقوى
على الصمت لساني
لمَ أسمعك ، بني تقول :
ما من شفاء لآدم
اذا لم أتألم ؟
وقدشفيت كثيراً من الناس
بدون ألم .
طهرت الأبرص[٦]
بلا وجع ،
شئت فكان ما شئت
قوّمت المخلع[٧]
بلا مشقة ،
وبكلمتك ، ايها الصالح
حبوت الاعمى النظر[٨]
ولبثت بدون ألم
انت يا ابني والهي !

١) الخروج ١٦ – ٤ ٢) متى ١ – ١٨ ٣) مزمور ٥٨ – ١٦ ٤) يوحنا ١ – ١٤
٥) ١ بطرس ٤–١ ٦) متى ٨–١، لوقا ٥ – ١٢ ، مرقص ١ – ١٤ ٧) متى ٩ – ٢
٨) يوحنا ٩ – ٢ .

يسوع		مريم	
أما علمتِ ، أيا أم ،	٩	أقمت الاموات	٨
أما علمتِ ما قلته ؟		ولم ينلك من الموت أذى	
إرهفي ذهنكِ		ولا ضمك اليه رمس .	
واحبسي فيه الكلام		انت ، يا ابني وحياتي !	
الذي ستسمعين .		اذن كيف تقول :	
فكري في نفسك		« ان لم أتألم	
فيما اقول :		فلا يشفى	
« ان آدم المسكين		آدم الشقي ! » ؟	
الذي تكلمتِ عنه		مُر ، يا مخلص	
مريض لا بجسمه فحسب		فينهض آدم للحال ،	
انه مريض ، مريض بنفسه . »		ويحمل سريره بشجاعة .	
برضاه غدا مريضا		ولو ضم الحفيرُ آدمَ	
فهو لم يسمع لي		فكما أقمت بصوتك لعازر [1]	
وعرّض بنفسه للخطر . »		تقيم آدم ايضاً من الحفير .	
تُراكِ أدركت ما اقول ؟		فلك يتعبد الكل	
لا تبكي ، يا أمّ !		بما انك مبدع الكل	
بل رددي :		اذن لِمَ تخطو بسرعة ، بني ؟	
الا رفقاً بآدم ،		لا ! لا تسرع الى الذبح !	
وعطفا على حواء ؟		ولا تقتحم الموت !	
يا ابني والهي !		يا ابني والهي !	

[1] يوحنا ١١ — ٣٨

يسوع

١٠ بسبب النهم .
بسبب الفجع ،
غدا آدم سقيما ،
وانحدر الى اسفل الجحيم
فيبكي هناك
شقاء نفسه .
وحواء التعسة
التي علّمته العصيان [1]
تتأوه معه
وهي مثله سقيمة
تتأوه فتتعلم
ان تحفظ أمر الطبيب .
أفهمت اذن؟
أوعيت كلامي ؟
لِمَ بكاؤك ، يا أم ؟
ألا اهتفي من جديد :
« ان غفرت لآدم
وان سامحت حواء
فأنت ابني والهي ! »

[1] تكوين ٣-٦

مريم

١١ حينا النعجة
البريئة من العيوب
سمعت هذا
قالت للحَمَل :
سيدي !
ولو تكلمت هذه المرة
لما أضمرتَ لي شرا
فاقول لك مرامي
واستوضحك كِفافا
كلَّ ما شاء ،
اذا تألمت ومت أفتعود اليَّ؟
وان انت زرت آدم وحواء
أفأراك من جديد ؟
اني لأخاف ، يا ابني
اخاف ان لا تعود
عقيب الرمس
واذ افتش عن طلعتك
ابكي واصرخ
الا أين هو ؟
ابني والهي

يسوع

١٢ عالم الاشياء جميعا
قبل حدوثها [١]
حين سمع كل هذا
قال لمريم :
« ثقي يقيناً ، يا ام ،
انك قبل الجميع ستبصرينني
خارجاً من القبر ،
سآتي لاجلوَ لك
من أية الظلمات
نجيت آدم ،
وما المشقات
التي قاسيت من أجله
سوف أعلنها لاحبائي
فأريهم الجروح في يدي [٢]
وآنذاك تشاهدين ، يا أم ،
حواء وقد بعثت بعثا
كما في البدء
وتهتفين بفرح .
انت مخلص الاجداد
انت يا ابني والهي !

يسوع

١٣ اصبري قليلا ،
يا أم
فتشاهدي
كيف اني كطبيب
انفض الوشاح عني
واسرع الى حيث
يتوسد الاجداد
أفتش عن جروحهم
وأبيد بالحربة دمائهم [٣]
وقساوتهم
آخذ الخلَّ [٤]
وألئم جروحهم
واذ أجس قروحهم
بسبر مساميري [٥]
ألفهم بوشاحي
فيغدو صليبي جبارا
ولا ازال عليه
حتى تشيدي بحماس :
تحمل الالام طوعا
من هو ابني والهي !

١) سيراخ ٢٣ – ٢٩ ٢) يوحنا ٢٠ – ٢٧ ٣) يوحنا ١٩ – ٣٤ ٤) متى ٢٧ – ٤٨

يسوع

١٤ أنفضي الأسى ، يا أم
انفضيه عنك
سيري بغبطة
لأني لهذا أتيت
ولذا اسرع الآن
لأتمم ارادة من أرسلني [١]
فهمتي معلنة
منذ الابتداء.
وما ساء أمام الرب
ولا امام الروح
ان أصير انسانا
وان أتألم
لاجل من كان ساقطا .
أسرعي ، يا عذراء
وبشري الجميع
بأنه بالالام
صرع عدوّ آدم
وأتى ظافرا
ابني والهي!

مريم

١٥ غلبني الحب ، يا ابني
غلبني الحب !
يقينًا لا أطيق
ان اكون في خدري ،
وانت على خشبة ،
انا في خبائي ،
وانت في الحفير !
الا دعني ارافقك
فرؤيتك عزاء !
وان كانت جراة
عند اتباع موسى
لا بد انهم
يثبون عليك
قصد قتلك
واثارًا له منك
لكنما موسى قال لاسرائيل [٢]:
ستشاهد الحياة
على خشبة
ما هي الحياة ؟ ما هي [٣] ؟
انها ابني والهي !

١) يوحنا ٦–٣٨ ٢) سفر العدد ٢١–٨؛ يوحنا ٣–١٥ ٣) يوحنا ٢١–٢٥ و ١٦–٦

يسوع

١٦ ان أتيتِ برفقتي
فلا تولولي ، يا أم !
ولا تذهلي من جديد ،
اذا ما شاهدت
العناصر متزعزعة
لأن جسارة كهذه
ترجف الارض كلها .
لقد عميت السماء [1]
فإن تفتح العيون ،
الى ان آمرها ثانية .
فالارض مع البحر
أسرعا في الانهزام ،
ومزق الهيكل ستره [2]
حنقاً على من تجاسر .
وترعزعت الجبال
واهتزت القبور ،
وعندما تبصرين هذا
اذا ذعرت ، يا ام
فاصرخي اليّ ، ارثِ لي
يا ابني والهي ! »

صلاة

١٧ يا ابن العذراء !
يا إله العذراء
وخالق العالم !
آلامك منتهى حكمتك [3] !
انت تعلم ما كنت
وما صرت اليه ،
اردت الألم
فاتيت متنازلا الينا
لتخلص الانسان .
انت حملت خطايانا
انت الحمل . [4]
انت بموتك أمتها .
خلصت الجميع ، يا مخلص ،
انت لا تنفكّ انت
تألمت او لم تتألم !
انت هو انت
حياً كنت ام ميتا .
وانت اوحيت للعذراء
فصرخت اليك بدالة :
« انت هو ابني والهي ! »

١) متى ٢٧–٤٥ ٢) متى ٢٧–٥١ ٣) روماني ١١–٣٣ ٤) يوحنا ١–٢٩

ومضة من الشرق

اللقاء الاخير

بقلم ميشال حايك

بمناسبة مرور سنتين على وفاة الخوري يوسف الحدّاد ، ننشر عنه هذا المقال من احد احبائه – وما اكثرهم ! – الذين تعرّفوا اليه عن كثب . والحدّاد هو صاحب كتاب « اللبنانية » و« النجوى » الذي يكاد يكون وحيدا في مكتبتنا العربية من نوعه لما فيه من رجوع، وجلوس الى الطبيعة والاستمتاع بمظاهرها الخلابة . والطبيعة عند الحدّاد تبعث على الهدوء والراحة والرجاء فهي « كتاب الله » كما يقول . وللحدّاد روايات عديدة طبع منها « ارثور » و « ملك السجون » . وله كتاب تاريخي قيم « المروءة » طبع منذ سنوات قلائل . فعسى تنشر مخطوطاته الباقية ليفيد الادب العربي من طلاوتها وغناها .

هل اناديك وفي الصوت بحة جوفاء لا تخترق حدود هذا الفضاء المخيم علينا ؟

هل اناديك وحيثما تقطن الان « لم تنظره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر ؟ »

عبثاً تداني فانك من افقك العالي لا تسمع اصواتنا التي يخنقها التراب وتبدّدها الانسام الغوادي .

مضت سنتان على انطباقة عينيك الابدية ، ولم يكن بعد من يخبر عنك الا بعض مقاطع من شعرك تتردد على الالسنة ، اسدلوا الستار على مسرح ايامك فكأنك لم تكن ، وكأن الحياة لم تحلم بك يوماً ، وكأن القبر محط امانيك المجنحة وآخر اغنية انشدتها يا شاعراً كان في الارض ولم يكن للارض .

من ضجة الحياة الصاخبة الى ضجعة الموت ،

من انشودة العمر والطيب الى انعقاد الشفاه ،

من اليد الممدودة الى العيش الى اليد الملقاة في تعب على صدرك لا حراك فيها .

من المهد الى اللحد ،
ماذا رأيت وماذا تركت ؟
رأيت « ان الحياة هي حلم ، ومدتها بافراحها واتراحها كمدة المنام ،
وان يكن من معز فالجهاد بصبر وطلب وجه الله . »
وتركت قطعات من روحك على ورقات فانية تنحني عليها فتستترف من كل مقلةٍ دمعةً جاز عنها الشقاء في محاجرنا .

❖

ذهبتَ ولم المس من كفيك آخر خفقة ، لتسير في جسمي آخر خفقة من جسمك ، فاحملك معي طول ايامي .

ذهبتَ ولم احدد اليك طرفي لينطبع في عينيك المغمضتين رسمي ، وتأخذني معك الى غربة القبر فاسليك .

احاول ان اتذكرك وابعث من غبار الايام صورتك الوضاحة .

احاول ان أحيي ما رسب في اعماق نفسي منك .

وحينما مررتُ على اثارك مجتهداً في ان استلّ لوناً لمحياك وجدت السطور بين يديَّ فقيرةً ، عديمة الالوان ، واذا بحقيقة رسمك تجفل من امامي .

❖

لم يبقَ لي الا ان اخطط ملامحك من خلال لقائنا الاخير :

كان ذلك في اواخر شهر آب عام ١٩٤٨ . جئتك ماشياً كأني احج الى ارض اقداس ، ولفح الهجير يحرقني . فالتقيت بك في ذلك الوادي ، حين كنت على صخرة موحشة بعيداً عن المساكن ، غارقاً في صمت ملهم وتأمل خاشع . وعلى الجبال البعيدة رعاة ينشدون في القصب الحان التسبيح والغبطة . هناك رأيتك وقد استراحت عصاك بين رجليك مستندةً الى الركبتين اللتين هدأتا رؤوس الكثيرين من البشر ، وقد غرق رأسك في تبعةٍ من صوف ، وبان خلالها عينان غائرتان في وقبٍ سحيق .

فشعرتُ كأنك في غيبوبة انحطت فيها حواجز الذات وتساقطت الحدود

الترابية رويداً رويداً فرحت سارحاً وراء نفسك التواقة في الجمال في شوق أصم وشهوة طاهرة خرساء تحملك على جناحيها الى غير دنيانا...

على تلك الصخرة شاهدتك ووقفت ورفيقي نتأملك من بعيد ونستعرض بغير الكلام مراحل ايامك ، ما اجلاها جلسة كانت صورة لحياتك . كنت دائماً على صخرة ثابتاً في معتقدك لا تتزاح عنه ، ثابتاً في ادبك الذي شئته تعبيراً صادقاً عن وجهة القلب الحقيقية ؛ على صخرة بعيداً عن اوحال الارض واقذارها . على صخرة وكالنسر الذي يبني عشه على اذنها ، بنيت حياتك وجعلت الصخرة الاساس . وحين عصفت الزوبعة وهطلت المياه الجارفة ما خشيت السقوط او الميلان . ومن على صخرتك نظرت الى الحياة فزهدت بها . رأيتك هناك وقد اغمضت عيني روحك عن الارض لكي لا تشارك بنيها بشبواتهم ولا تقاسمهم نزعاتهم ، ورأيت السنين تمر على عيني جسدك فتطمس النور وتغور النظر ولكنك ما برحت تبصر الان الضوء الحقيقي الذي يهجع مشعاً في كل قرارة كل نفس لا تخشى ان تتطلع الى ذاتها عارية من المساحيق التي ما اكثر ما تخفي بها حقيقة الكيان الانساني .

نظرت الى الحياة من على صخرتك فوجدتها :

دنيا اغرّ من السراب نعيمها   وامرّ طعماً من عصير العلقم
يسعى اللئيم بها رغيداً عيشه   والحر يمشي فوق وكر الارقم

وهكذا اصبحت لديك جميع المناهج متساوية فكلها اباطيل وغرور فاعتصمت بثوبك الاسود تتخفى فيه عن عيون الشر المتفتحة على كل مخارق . وظن الآخرون ان ثوبك ضيق عليك وأرغمت حريتك ، لكن الحرية كنت تستمدها من ذلك الذي تجندت في سبيل خدمته ، ذلك هو الحق الذي يحرر الذين يعرفونه .

عرفت ان الحياة لا تبقى لاحد فما هي الا ريشة في مهب الليالي العاصفات وعصافة بالية يعبث بها الزمان المتحول . فنشأ من ذلك قلق في نفسك والنفوس الكبيرة هي ابداً قلقة مضطربة فرحت تبني وجودك على اساس مكين ، على صخرة .

ما اجمل جلستك امامي .

وقفت رفيقي نتأملك وكنتَ وحدك تسبح في كون غير هذا وانت تلك النفس الجوابة التي تبحث عن حبيب ازلي اضاعته في هذا العالم .

يا صاحب الجفون البيضاء المكتحلة بغبار السنين ، الملونة باضواء علوية تشع في ليل الناس ولا يبصرونها ، يا صاحب الشعر الاشعث الهازئ بطلاسم الناس ، رأيتك على صخرتك موحشاً وكم كنت تجلس هكذا ساعات متواصلات دون حركة ولا اختلاجة في عرق ظاهرة ، ويظنك المارون منطجعاً بينما انت في يقظة تسخر من عيوننا المنفتحة على ارض الزوال .

وحدك الان كما كنت في كل حياتك . لم تأبه لخداع صديق ولبطلان علاقة فسرت على الدرب اعزل تحمل في جنانك صفاء البكارة الاولى . وحدك لانك كنت من تلك النفوس التي تعلو كل ما حولها . وحدك والنبوغ وحدة ووحشة وانفراد . . .

لحيتك المتبدلة البيضاء يعبث النسيم الآتي من صوب البحر بشعراتها تريديك ، في ذلك الوقار ، شيخاً من شيوخ الاساطير القديمة صوره احد الشعراء من بلاد الاغريق . ولا عجب فاشعارك كاشعار القدماء تسير على كل لسان ، يرويها القرويون في اعالي جبالنا وقلّ ألاّ يكون على لسان فلاح او راعٍ كلمة من تلك التي عطّرت بها جرود بلادنا . وما اقلّ الذين يفهمونها ، ولكنهم كلهم يشعرون ، دون ان يفهموا ، بان هنالك وحدةً داخلية بين الحياة التي كنت تعيشها والآثار التي تركتها . وقد لا يذكر تاريخ الادب بين سطوره الا بعض لمحات عن جمال بيانك وشدة اسره ، ولكن الذين عرفوك سوف يذكرون خصوصاً جمال نفسك وشدة الحفاظ على عقيدتك . ان ما تركت من الآثار قليل جداً بالنسبة مما كان لديك من مواهب ، وبالنسبة ممّا كنته انت .

هذه القمة بكاملها الممتدة الان امامي انتَ غذيتها حين كنت تعصر روحك فتخلق في صفوة اشعارك الكلمة الصافية وتجمع النبرة الحنون . وكنت تلقي على هذه الآكام التي تفترشها الشمس جمالاً فضفاضاً فتجعل الارض بعد مرورك عليها انقى والصخرة اطرى وانعم ملمساً . . .

. . .

كنت جالساً امامي ولم يبق بينك وبيني غير خطوات قلائل . انت من عني ولا تشعر بقربي منك . ثم دنوت منك وحييتك ولمست يدك وقبلتـــ وضمتني بحنان الى صدرك كالطفل الى صدر ام مشتاقة ، فاحسســت بانفاسك تخترق جسمي وتدور في عظامي كأنها جمرة مطهرة كتلك التي لمــست شفتي اشعيا النبي .

وجلست قربك اسمعك وتسمعني واشعر بطفولتك واخجل امام طفولتك من ذاتي . ما كنت تقول لي لم يكن بالعجب ولكنه كان كل شيء . والكلمة التي تروح تنثر من شفتيك تحمل معها اثر نقاوة نفسية ولذلك يستقبلها الطفل الثاوي فينا فيرقص من بهجة وحبور .

قلت لك :« لماذا تعتزل الناس ؟ » فـاجبتني :« اخشى ان اعكر على الناس راحتهم لانني شيخ والشيوخ يعدهم الناس عالةً وثقلاً . » فاعجب لتلك اليقظة الروحية التي كانت ميراثك من الطبيعة ولتلك النفس الرقيقة التي تحت وقر السنين حفظت صفاء يحاكي صفاء الاطفال ونعومةً كانت دهشاً للرجال .

وتحت صروفٍ قاسية تطحن القلب طحناً بقيت كما انت ، ذلك الطفل الجامع يديه يصلي بحرارة مسورة . أرهقتك آلام عديدة ، وبتّ ليالي طويلة على تخزات الوجع يتأكل عظمك المكسور وما كان ذلك الا ليزيدك اقتراباً من الانسان ومن الله .

وعندما قلتَ :

« قد صار القلب كمنفردٍ ملقىً في معصرة الدهر »

أردفتَ من عميق نفسك القديسة :

« عذّبْ يا ربي العبد هنا وهنــاك تعطّفْ بالاجر »

*

كل الذين قرأوا « اللبنانية » قالوا عنك انك دماغ جبار ومخيلة واسعة تصوّر حالة البائسين اللبنانيين ايام الحرب الكونيــة الاولى باصدق مما تصوّر ريشة فنان مبدع .

وكل الذين اطلعوا على روايتيك المطبوعتين « ارثور » و « ملك السجون» رأوا فيك مصوّرًا ماهرًا لنبزات النفس البشرية على حقيقتها . وكل الذين قلّبوا صفحات « المروءة » عرفوا كيف تجمع التاريخ بالادب وتسمو بهما معا .

وقيل عنك انك اديبٌ ومفكر وشاعر وانا اعرف انك كنت كاهنًا قبل كل ذلك . وما كان الكاهن فيك ليسيء الى الاديب والمفكر والشاعر بل جمّل وكمّل . كاهن يذيب لياليه طعامًا للجائعين الى غذاء غير التراب الفاني. كاهن يهرق حتى الذوبان عمره في خدمة من أولم وابتُلي ويحنو عـلى من ذاله الادقاع . عرف انه للخدمة والعطاء الذي لا يطلب ردودًا واسترجاعًا ، وحينما قـال له احدهم : ان الكاهن اليوم يتتبع الدرهم أجاب : « نحن نخدم الله وهذه غايتنا الاولى وما الفلس الا عرض يأتي . فليمنع الناس الفلس عنا فلن يمنعنا ذلك عن خدمتهم والسير امامهم على الطريق الصاعد الى جلجلة الحياة.»

وقلبك كان تلك الجلجلة التي كم سمّر عليها الناس الجلبان وقلبك كان نوافذ مشرّعة على الآفـاق الرحبة لا تنغلق بوجه بائس من ذوي الحرمان ، وروحك كانت كُوًى تتطلع منها أعين هي سكنى الحنان والانعطاف . . .

⁂

واقتربت منك فاستندتَ الى كتفي ووقفت تنظر الى البعيد ولا تبصر بعينيك الحسيتين ولكن امام مقلة الروح ارجـاء عريضة المدى وافاق رحيبة تراها ولا اراها انا الواقف عن يمينك .

وقفتَ تعيد عليّ مقاطع من فرجيل شيخ الشعراء كما كنتَ تسميه وترتعش خافقًا باجمعك عندما تلفظ :

« O terque quaterque beati . . . »

واحس انك تحيا الان امامي واراك بعين الخيـال ممتدًا كشجرة باسقة قديمة الاماليد تتفيأ ظلالها نبتةٌ فتيّة كانت انا . ايّة حياةٍ تبدر في ذلك الوجه الذي خدّدت الليالي بياضه ! واي تهدّجٍ في تلك النبرة الحائرة التي تجرّحني ! شعرت كأنها آتية من بلدٍ بعيد فيها شيء من عـالم اللانهاية ، شيء من تمتمة الاله الذي كنت تحمله كل صباحٍ بين يديك وكل آنٍ في قلبك .

ومشيت خطوتين ثم قلت لي : « قف » وأعدت شيئاً من قصيدتك « القبر » ، وكان في صوتك رنة جزع يخالطه رجاء اكيد ، وغمرة حزن ويا من عميق الامل شهوة للبقاء غير مخذولة :

« قف هنا ، قد كفى تحث الرحيلا   فالى اين انت تبغي الوصولا ؟
قد وصلنا فألق حملك وامسح   من مسير الطريق عنك الوحولا
هوذا القبر منتهى السير فاهدأ   نتحدث عن الحياة قليلا... »

ومن اعمــاق ذلك الوادي الاخضر المرتعش تحت هينمات النسيم الحيي ، الغارق في دعة الغفوة المطمئنة، قرب اختلاجات الدوالي الشاديات وقفت متطلعاً الى لا شيء. وقد شاعت على وجنتيك صفرة وشحوب وتنهدت تنهيدة عميقة ذابت شعراً :

« من الاعماق يا عذرا صرخت اليك لبيني
وها أنذا على قدميك ابكي فاستجيبيني...
فيا طوبى لمن سترت خطاياه ، فغطيني
بستر منك يا عذراء في الدارين يحميني... »

شيخ في الثالثة والثمانين : انت تبكي امــام العذراء وتطلب ان تختفي بذيلها . إيه تلك الدموع التي افلتت من مقلتيك في اواخر آب، أما لقيتها اليوم يا ابي حلقات مشعشعات نوراً في اكليل كان على الارض من شوك فاصبح هناك عندك من لآلئ سعادة باقية .

رافقتك في فترات من العمر هــاربات فعرفت منك حب كل شيء في الارض واحترام الحشرة الذليلة والفرسة المضموفة كاحترام الانسان لان خالقها ترك فيها اثراً من حبه حين جبلتها يداه ، ومسحة من جمــاله حينما رأى ان إبداعها كان حسناً .

هكذا كنت تكتب « النجوى » . تستوحي الطبيعة التي احببت فحبا. كتابك قطعة روح منك ومنها ، فلن يفهم كتــابك الا الذي تعرّف اليك عن كثب .

أحببتَ كل شيء فلم تشعر بالغربـة بعد ان اعتزلت الناس وجلست الى الاشيا. تحدثك وتحدثها ، وأكاد اسمع نغـة الطيور العذارى وخفق اجنحة ابكار الفضاء متهللة في استقبالك . تسير الى الحقل وتندى الطعام والشراب وترود تحت اشجار الزيتون وفي ظلال الكروم كأني بك تـتكشف اصبع الله الممتدة الى الاكوان تحفر في تخاريب الصخور تماثيل الحب التي لا يبصرها الّا الذين أوتوا روحاً شفافة كروحك . وكأني بك في ذلك الوادي تنشد اليـد التي سوف تستدل بها في سيرك على طريق الابديـة . وتنهد الى ظل كل شجرة وتتحدث الى كل زهرة وصخرة وتهمس في مسـمع كل طائر نغماً لم يسقط في مسـمع انسان .

عذاب الشيخوخة هو الشعور بالوحدة والعزلة فكأن الوجود انهزم في نظر الشيخ والاشيا. تعرّت من معانيها والجمال اصبح مبتوراً . قـد يريع هذا العذاب ولكنه لا يريع نفـك الغنيّة التي لها من جمالها وروحانيتها قدرة على خلق عوالم جديدة تهزأ بمقاييس عوالم الواقع المنحلة .

وشيخوختك انت صبوةٌ تزداد كل يوم الى اللقاء الاقصى مع الله ، هي جمرة شوق مشتعلة محبوسة في عظامك كتلك التي حبست في عظام ارميا فجهده إمساكها .

حقيقةً انك لم تقل كلمتك الكبرى . لقد بقيتْ على شفتيك لهباً مستعراً تحاول ان تهمسها فتعجز عن ذلك لان ما تحمل في قلبك لن يُحمل الى الناس الا بجهد وعياء : في قلبك الحب الذي لا يُذاع . وستنقرض البشرية ويبقى الحب كامةً في فم الانسان يحسّ بها كالانامل تتغلغل في خلايا وجدانه ويعجز عن النطق بها ، يفهمها ولا يستطيع ان ينهيها .

وكدت ادرك شيئاً من محاولتك البوح بكامة حياتك الكبرى حينما كنتَ تنهض صباحاً وقد أرقت الليل كله تهذ بترانيم التوله صوب الحق الاول فترنم مذيباً صوتك مع اصوات الخلائق : «الهي لك الحمد ، الهي لك الشكران !..»

من لم يلمس تلك اليد المتداعية الانامل ويصغي الى نبرة ذلك الصوت الذي يترك في قرارة النفس شيئاً من نبرات نبيّ قديم فقد فاته الاستماع الى كلمتك الكبرى

قد لفظت شيئاً منها حيما كان يرن صوتك في حنـايا كنيسة مهجورة ، صوتك المتقطع الذي اكسبه الزمان روعة القدم . كنتَ وحدك مع الملك تبثه لواعج الفراق المستطيل والعمر المتمرد . ايّ دخيل كنته انا اذاك اعكّر على الحبيبَين صفوة اللقاء ! واشعر عندئذٍ بان كل مـا كان حولك يتبدم وكأنك تتمادى وتتطـاول بعيداً وتقترب في الاعالي ملتحفاً بكدس متلبد من غمائم مشتملة الاطراف . ويكاد رجع كلماتك وتراتيلك يكون قطعاً ملموسة من روح زاخرة نبّاضة . . .

✣

كان ذلك في اواخر آب ، يوم التقينا المرة الاخيرة ، وهكذا تحدثنا ثم وقفنا ثم مشينا ووقع عصاك على حصباء الوادي كأنه انتفاضة قلب يحتضر او دقّات مسامير في تابوت . ووصلنا اخيراً الى السنديانة قرب « مار روحانا » ، قرب القبر الفارغ المنتظر :

« قد وصلنا فألقِ حملك وامسحْ من غبار الطريق عنك الوحولا ! »

وهناك تودّعنا وخلف كلمات الوداع كان قلب يتقطع ، هو قلبي . وتركتني لتلج جوف امنا الارض بعد جولتك العابرة في وجدان الدهر . لقد انتهى كل شيء . ووُضعت فوق القبر حجارةٌ ضخمة ونبتت اليوم اعشابٌ برية دائمة الاخضرار .

واستفاقت الطيور في « الوطا » حيرى فلم تسمع وقـع اقدامك وتمتمات صلواتك . واشجار « الزيتون » اشتهت ان تظللك يا من كنت فيئاً للنفوس التعبة . والسنديانة الهرمة قرب الكنيسة استيقظت ذات صبـاح فابصرت مكانك فارغاً وعصاك ملقاةً على الارض تحلم بلقاء ان يأتي ، وتتذكر لمس الاصابع التي غُيّبت في التراب . فلسوف يتعثر النسيم الآتي من الوادي في آونة الهجير ولا اذن تصغي لالتقاط موسيقاها ، ولا قلب ينبض مع اختلاجـات وريقاتها — والكنيسة استندت الى ضريحك تشكي تصعد الصلوات محرورة لاهبة . . .

✣

زرت قبرك بعد سنة فاحسست بأنك حاضر الروح هناك وشعرت بالروعة

حيّة عنه . وكانت العصافير تغني وارعاة على الروابي بين قطعانهم يشدون في القصب فينصت الوادي من الحنين . وافتكرت طويلاً بحياتنا الهاربة من ايدينا كأنها ظلٌّ في ميلان ، او هجعةٌ في ليل . ولكننا غداً نستفيق في جوار ربك حيث انفتحت عيناك على الجمال وانفتح قلبك على الحب المبدع الكائنات .

نحن هنا في خيمةٍ منصوبةٍ لليلةٍ عابرة ، وغداً حين يطلع الصباح ويفنى السمر ننهض لنتابع رحلتنا نحو مبيت الشروق ، وزادنا هو الرجاء ، ورجاؤنا هو الدليل . . .

الاخبار العالمية

اخبار العالم الكاثوليكي

اختتام السنة المقدسة ١٩٤٩ — ١٩٥٠

احتفل قداسة البابا بيوس الثاني عشر بافتتاح الباب المقدس للسنة اليوبيلية في كنيسة القديس بطرس العظمى في روما صباح السبت في الرابع والعشرين من كانون الاول ١٩٤٩ وفي صباح الاحد في الرابع والعشرين من الشهر عينه ١٩٥٠ قام بحفلات اختتامها فأغلق الباب المقدس حسب الرتبة المألوفة بوضع القراميد الثلاث المذهبة على عتبة الباب ومدّ الملاط عليها بمسجة ذهبية – ثم ليلة الميلاد بعد اقامة قداس نصف الليل في كنيسة الفاتيكان وقداس الفجر والصباح في معبده الخاص وقّع براءة عنوانها « بالسنة المكرسة »[1] بها يشرك العالم كله بنعم اليوبيل لسنة ١٩٥١.

سوف يبقى الباب المقدس مغلقاً خمساً وعشرين سنة الى يوبيل سنة ١٩٧٥.

– كان اقبال الزوار الى روما « المتروّمين » في مدة اليوبيل عظيماً جداً فقد أربى عددهم على الثلاثة ملايين ويرى بعضهم انه قد بلغ الاربعة ملايين . أمّ المتروّمون عاصمة الكثلكة من كافة اقطار المسكونة من شرقها ومن مغربها من ايطاليا وفرنسا والمانيا وانكلترا وبلجكا وارلندا والنمسا واسبانيا والبرتوغال وسويسرا وهولاندا واسكندينافيا وكندا والولايات المتحدة واميركا الجنوبية والشرق الادنى والصين والهند واليابان وافريقيا

– مما لفت بنوع خصوصي انظار المتروّمين إقدام اربعمئة من اعضاء مجلس الاعيان ومجلس النواب الايطاليين وفيهم السيد غاسبري رئيس الوزارة على القيام باعمال اليوبيل جهاراً . ثم لما اتموها تشرفوا بمقابلة الاب الاقدس في كنيسة القديس بطرس العظمى حيث وجّه اليهم خطاباً .

– ماذا كانت السنة المقدسة : على هذا السؤال عندنا خير جواب في خطاب الناهالاب

---

1) « Per annum sacrum ».

الاقدس من اعتبار عدم مضي بعد قرون حافلها رسمياً بمناسبة السنة الجديدة اذ قال : «كان اليوبيل اولاً ما يليق بان يكون اي سنة صلاة وتوبة لكنه قد ظهر ايضاً كرمز للسلم» ثم قال بان هذه السنة اضحت كمجاهرة الشعوب قاطبةً بتمسكها بالسلم فقد تبادرت الى روما جماعات عديدة متباينة الاجناس واللغات والاوطان فاشتركت معاً في حفلات اليوبيل واعياده بائتلاف تام وفرح لا يشوبه حقد ولا تنافر وفوق رؤوسها تخفق رايات بلادها المختلفة متكاتفة متآلفة وهكذا « لا تزال ارض دولة الفاتيكان هذه حصناً للسلم والمصالحة ».

اهم حوادث السنة المقدسة

اعلان عقيدة انتقال العذراء بالجسد الى السماء

يوم الاربعاء من شهر تشرين الثاني في ساحة القديس بطرس امام تسعة وثلاثين كردينالاً وستة بطاركة ومئة وتسعين رئيس اساقفة وثلاثمئة وتسعة وثمانين اسقفاً وحشد وافر من الكهنة والرهبان وجمع عظيم من المسيحيين بلغ عددهم نحو نصف مليون اعلن خليفة المسيح على الارض البابا بيوس الثاني عشر حقيقة انتقال العذراء بالجسد الى السماء عقيدة من عقائد الديانة المسيحية يجب على كل من المؤمنين التمسك والاعتراف بها .

الكنيسة المضطهدة

بخصوص اضطهاد المسيحيين في البلاد الشيوعية نشر اساقفة سويسرا رسالة عامة قُرئت في الكنائس بتاريخ ١٧ ايلول ١٩٥٠ ونقلت عنها صحف عديدة ثم اعلنها الراديو الفاتيكاني في اذاعاته . نأخذ منها ما يأتي :

اوكرانيا : مات فيها قتلاً اكثر من ٣٦٠٠ كاهن وحُلّت ثلاث رهبانيات للرجال وست للنساء وأغلقت ست اكليريكيات ومئة مدرسة والف معبد كبير وصغير .

استونيا ولتونيا وليتوانيا : فيها قُتل او سُجن نحو الف كاهن وراهب .

بولونيا : قُتل او أُرسل الى المعسكرات نحو الف كاهن – وتقول المجلة الرومانية « آكليزيا » بتاريخ ٦ كانون الاول بان عدد المسجونين اليوم من الكهنة الكاثوليك هو ٣٠٠٠ من اصل ٧٠٠٠

تشيكوسلوفاكيا: اضمحلت جميع المنشآت والمدارس والنشرات الكاثوليكية والقي في السجن اكثر من ٣٠٠ كاهن وسيادة المطران بيران لا يزال مسجونا في داره .

هنغاريا : في حزيران الماضي أرسل الى المعسكرات نحو الف راهب وراهبة وقبل ذلك كان نحو ٥٣٨ من الكهنة الطليانيين ضحية القتل او السجن او النفي . وقد قتل الجيش الاحمر احد المطارنة السيد ابور من اجل تدخله في الدفاع عن شرف الضعفاء وعفتهم . ولا تخفى على عارف شناعة المعاملة التي قاساها الكردينال مندزنتي والحكم عليه بالسجن المؤبد . ثم قد أضطرّ الى المنفى نحو ٨٠ كاهناً .

رومانيا : قُتل فيها اكثر من ٧٠٠ كاهن والقي الباقون في السجن .

بلغاريا : حجرت الحكومة على جميع المنشآت الاكليريكية وسجنت او نفت نحو ١٢٠ كاهناً .

يوغوسلافيا : قيل ان الشرطة السياسية قد سجنت او نفت ١٧٣٦ كاهناً وقد اعدمت دون محاكمة ١٩٦ وبعد محاكمة اجمالية ٣٢ . وقد حكمت على سيادة المطران ستيناك بالسجن لست عشرة سنة .

البانيا : ألقي في السجن ٧١٥ كاهناً وجميع الاساقفة لكن من هؤلاء أعدم اثنان .

اخبار اخرى

لا بد من الالماع الى الزيارة التي قام بها للفاتيكان في شهر كانون الثاني ١٩٥٠ عزام باشا امين اسرار الجامعة العربيّة ومما صرح به عقب زيارته لجريدة « تمبو » الايطالية ما يلي : « . . . كان لا بدّ لي وانا في روما من ان اشعر برغبة تقدم احتراماتي لرئيس الدين المسيحي فانه من اجل رسالته السموية في المسكونة يُعتبر حق ومن العرب(!) نصير المدافع الاعلى عن القيم الروحية السامية التي منها تستوحي ايضاً ديانتنا كما والدين المسيحي » .

— في مساء خميس اليوم الحادي والعشرين من كانون الاول ١٩٥٠ تُوفي الكردينال فون بريسنك مطران برلين . فلم يبق اليوم لالمانيا الا كردينالان هما نيافة السيد فون فولهابر والسيد فرنكس . وقد اضحى عدد الكرادلة ٥١ منهم ١٨ ايطاليون و٣٣ من بلدان اخرى مختلفة . اما عدد الكرادلة رسمياً فهو سبعون .

اخبار عالمية

الحرب في كوريا

بدأت هذه الحرب في ٢٥ حزيران بهجوم شيوعيّي شمال كوريا على الكوريين الجنوبيين . عقب ذلك في ١٦ ايلول ارسال ٦٠ الف مقاتل من جيوش الامم المتحدة الى مساعدة هؤلاء وملاحقتهم الظافرة التي بلغت في ٢١ تشرين الثاني نهر يالو وهو خط الحدود بين كوريا الشمالية ومنشوريا .

حينئذٍ تحركت الجيوش الصينية وهبّت الى مساندة الشيوعيين فاجتازت الحدود الشمالية وقامت منهم في ٢٨ من الشهر عينه بهجوم عنيف على جيوش الحلفاء واضطرتهم على التقهقر السريع ثم تقدمت حتى بلغت ساؤول واحتلتها في ٣ كانون الثاني . وكان اذ ذاك عدد المقاتلين الشماليين حسب تقدير ماك ارثر نحو ٩٥٠ ٠٠٠ منهم صينيون ٣٠٠ ٠٠٠ وكوريون محاربون ٢٠٠ ٠٠٠ واحتياطيون ٤٠٠ ٠٠٠

لم يغفل الحلفاء ولا سيما الاميركيون لهذه المفاجأة ولم يفكروا قط جدّيًا بالانسحاب بل انهم اخذوا يعزّزون جيوشهم اكثر فأكثر وصمدوا غير هيّابين للعدو . ثم بدأت بين الاعداء حركات شديدة متماسكة من مدّ وجزر من تقدم وتأخر ومن الغريب عند العدو انه بعد ان يظهر قويًّا مصمّمًا على ملاحقة انتصاراته نراه بغتة يتراجع الى الوراء متسارعًا كمن يريد الغلبة فاذا توصّل اليها تخوّف منها واندحر منها مذعورًا .

ثلاث عشرة دولة من الامم المتحدة تحارب الآن في كوريا وهي : الولايات المتحدة وكندا وانكلترا وفرنسا وبلجيكا وهولندا واليونان وتركيا وزيلاندا الجديدة واستراليا والفيلبين وسيام .

الميثاق الاتلنطي

وُضع هذا الميثاق للدفاع المشترك ضد كل عدوان آتٍ من الشرق . فوُقّع اولًا في وشنطن في ٤ نيسان ١٩٤٩ ثم في ١٩ كانون الاول ١٩٥٠ اتفق مؤتمره على تكميله بجعله اداة فعّالة للمحافظة على سلامة اوروبا وتوطيد السلم في العالم فدعموه بجيش مشترك قويّ عُيّن له الجنرال ايزنهاور قائدًا اعلى . وقد عاد هذا القائد في ٢٧ كانون الثاني الى اميركا بعد ان زار بواحد وعشرين يومًا العواصم الآتية : باريس وبروكسل ولاهاي وكوبنهاك واوسلو ولندن وليشبونه وروما ولوكسمبورج وفرنكفور وريكجافك واوتاوا .

بمساعدة خصوصية من الولايات المتحدة اخذت دول غرب اوروبا تزيد اكثر فاكثر في انتاجها الحربي لتكون متهيئة للمدافعة عن بلادها عند الحاجة فانها لا تزال تعتبر موقف روسيا السوفياتية خطرًا عظيمًا على سلامتها .

– هوذا تخمين اميركي لعدد جنود المعسكرين الشرقي والغربي :

اولًا : الولايات المتحدة : مليونان وثلاثمئة الف – انكلترا : سبعمئة وتسعة وعشرون الفًا – فرنسا : سبعمئة واثنان وعشرون الفًا – ايطاليا : ثلاثمئة وسبعة آلاف – بلجيكا : مئة الف وألفان – هولندا : مئة واربعة عشر الفًا – البرتوغال : ثلاثة وسبعون الفًا – كندا : واحد وستون الفًا – الدانمرك : تسعة وعشرون الفًا – النروج : خمسة وعشرون الفًا – الكسمبورج : الفان – اسبانيا : ثلاثمئة وخمسون الفًا – يوغوسلافيا : ثلاثمئة وثلاثون الفًا .

(المجموع : ٥٣٤٤٠٠٠)

ثانيًا : الاتحاد السوفياتي : اربعة ملايين – رومانيا : مئتان وخمسة وسبعون الفًا – بولونيا : مئتا الف – تشيكوسلوفاكيا : مئة واربعون الفًا – بلغاريا : مئة وتسعون الفًا – هنغاريا : ستون الفًا – المانيا الشرقية : خمسون الفًا – البانيا : خمسون الفًا .

(المجموع ٤٩٦٥٠٠٠)

بين المانيا الغربية وروسيا السوفياتية

ارسلت حكومة المانيا الغربية بعثة رسمية الى لايك سوكس لتقدم الى مكتب منظمة الامم المتحدة مذكرة تبحث بخصوص مصير اكثر من مليون من الالمان لم يزالوا الى الآن مبعدين عن اوطانهم سجناء في الاتحاد السوفياتي .

تستند هذه المذكرة في مطالبتها الى ان قيادة الجيش السوفياتي الاعلى كانت قد صرّحت هي نفسها في ٤ ايار ١٩٤٥ بان عدد الاسرى الالمان هو ثلاثة ملايين ومئة وثمانون الفًا . وقد اعيد منهم الى بلادهم من ذلك الحين مليون وثمانون الفًا وتسعمئة وستون فبقي اذن في الاتحاد السوفياتي ما ينيف على المليون لا يُعرف عنهم شيء الى الآن .

التابلاين

في بدء كانون الاول ١٩٥٠ فُتح في الشرق الادنى اكبر مجرى للزيوت يمتد من ابي قايق على ساحل البحر الفارسي الى صيدا على ساحل البحر المتوسط تزيد مسافته على الفين وسبعمئة كيلومتر وهو يجتاز البلاد السعودية والعراقية والسورية واللبنانية ويخص شركة الزيوت العربية الاميركية » واسمه « التابلاين » .

المحافظة على القبر المقدس

في منتصف كانون الثاني قدم ممثلو الدول في القدس اعتراضاً الى الحكومة الاردنية لاقامتها نفسها محافظة على القبر المقدس .

في مصر

في ١٥ كانون الثاني قام طلاب القاهرة بتظاهرات لمطالبة انكلترا بسحب جنودها فسقط جرحى منهم نحو ستين – وفي ٢٠ منه انتقلت فرقة انكليزية من المانيا الى مصر لدعم حماية ترعة السويس .

في فرنسا

حلت الحكومة الفرنسية ثلاث منظمات شيوعية متعلقة بالاتحاد النقابي العالمي .

الى المشتركين الكرام

تطلب ادارة المشرق الى مشتركيها الكرام الذين لم يسددوا بعد بدل اشتراكهم عن السنتين ١٩٥٠ و ١٩٥١ ان يتفضلوا بالدفع.

تواصل المشرق سيرها بجزم راجية ان تصادف عند مشتركيها صدىً طيباً ومؤازرة خالصة.

وان كان هناك مانع عن مواصلة الاشتراك، فالرجاء اعلام الادارة بذلك باعادة الجزء الاول من السنة ١٩٥١.

تصدر السنة ١٩٥٠ للمشرق في اواخر هذا الشهر آذار وهي تحتوي «تاريخ الازمنة» للبطريرك اسطفان الدويهي.

المشرق
مجلة

السنة الخامسة والاربعون

نيسان – حزيران ١٩٥١

تمهيد

المعضلة في عصرنا هي دون ريب العثور على الانسان وعن قيمة الانسان التي لا يُستعاض عنها . فان المادة والمصنع نزعا عنه حتى الشعور براجباته كانسان . فاذا هو اليوم يرضى بألّا يكون سوى شخص مجهول غارق في جمهور لا لون له ولا غاية. يرضى بان يذوب في هذه اللاشخصية لانه لا يشعر من ذاته بالقوة للوقوف بوجه الذين كان من الواجب عليهم ان يهذّبوا ضميره ويجعلوه يحس بكرامته كانسان .

انسان اليوم يبدو متزعزعاً ، لا اصول تسنده ، وتطوّف به اهواء بعض القادة ، وبعض الافكار والعقائد . اما ما هو بحاجة ملحة اليه ، فليست الافكار والعقائد : ان ما ينقصه هو الروح.

انسان اليوم فقد حسة تذوق الحياة الحقيقية واستولى عليه الملل . ليس له رغبة في العمل ؛ وان اشتغل فلكي لا يهلك من الفاقة والجوع . فانه من وراء عمله لا يرمي الى ابتناء امة افضل مرتكزة على العدل والمحبة . ذلك ما لا يهتم له ؛ فقد غدا يشعر بانه ليس سوى مادةٍ للاستغلال ، وبان قيمته احطّ من المهنة ذاتها . فعالمنا الحاضر الذي فقد معنى الانسان مسؤول عن هذا الضجر من الحياة الذي يشعر به معاصرونا – أتراهم لا يقدّرون غير الثروة والغنى المادي ؟ اترى عالمنا أضاع الى هذا الحد روحه فاذا بنا اليوم نتقلّب في هذه الازمة المريعة ، ازمة الانسان ؟ فمن الضروري العاجل اذًا ان يستعيد الانسان العصري روحه .

من جراء الفقر المدقع الناتج عن الحروب ؛ او من جراء الثورات الضخمة المحدثة اصبح الانسان شخصاً تابعاً تسيّره كالحروف الطيّع بعض القادة الذين جعلوا من المنفعة السيد الاوحد . وما كانت مصانع الرأسمالية الشديدة القساوة على العامل والتي تُكره النساء والاولاد على العمل الشاق مفكّكة اوصال العيلة ، سوى صورةٍ ورسم ، واصبحت اليوم نتيجة موجعة لمعسكرات الاعتقال . ان الحاكم الفرد المسلّط حتى على ضمائر الناس ، او حكم بعض افرادٍ لا حدّ لقدرتهم ، يجعل الانسانَ محجورًا عليه في ذاته . وهكذا لم يبقَ من اثر للحرية الحقيقية . ولكن الانسان ما برح يحنّ الى تلك الحرية .

علاقة الانسان بحكامه هي اليوم رهن شؤون اقتصادية سياسية . والويل لمن يتوخى غير هذا النوع من العلاقات . ويظهر ان هناك ضرورة شديدة الوطأة على الانسان الحالي تجعله يشعر بانه ليس سوى نتيجة تأثيرات عارضة .

المسيح لم يكن البتة فيلسوفاً وعقائدياً . وكان على الانسان في نظره ان يسمو على المادة ليعيش القيم الروحية الكامنة في اعماق كيانه . كان يريد ان يحرر الانسان من هموم الغد لكي لا يُستعبد لاقل من ذاته . المسيح كان

يريد ان تكون علاقات الانسان معه شخصية ، حيّة ،لا مثل علاقات قائد يحكم على جمهور ويجهل حاجة هذا الجمهور الملحّة .

لقد كان حاضراً امام كل انسان ، ذلك الحضور الذي يدخل في الاعماق ويغمرها بالسلوى . وبينما انسان اليوم يُخشى عليه ان يلتوي على امسه ليعيش بالتذكارات ، او ان ينهد الى غده ليعيش بالامال والاحلام ،اذا بالمسيح يطلب منه ان لا يهجر الحاضر اليومي حيث يكمن اجمل ما في الانسان : « اطلبوا اولًا ملكوت الله وبرّه وكل شيء تزدادونه » .

فاذا كان انسان اليوم لا يجد الحرية في عالمه ، فيجب عليه ان يحاول ايجادها في داخله وان يرفض الجبريّة التي تخنقه وتودي به .

انها لضرورة ، وانه لاجمل ان يكون هكذا . فاي شيء هو هذا العالم حتى ينزع منا الحرية ويعلّلنا بإرجاعها لنا ثانية ؟

على انسان اليوم ان يستعيد هذا الحوار الداخلي مع الله ، هذا الحوار الذي هو سر الحرية الحقيقية .

لا شك في ان الثورات الاجتماعية ، بعد ان تكون خنقت الانسان ، تستطيع تحريره . ولكن هذا لن يكون الّا الى زمان . فالصناعة بوسعها ان تعين الانسان على رخاء مادي يفسح له مجال التفكير. ولكن اجمل ما للانسان يظلّ دائماً في داخل الانسان . فما من احد يستطيع العيش حقيقةً في دنيا افكاره البعيدة المرامي ، ولا في الاراء التي يكوّنها ، ولا في الخطاط يسفل عن وجوده الحقيقي . عليه ان يدرك وجوده الحقيقي ، ومن خلال ذلك ، الوجود الاوحد .

كثيرون هم الفلاسفة الذين حاولوا إدراك هذا الوجود من خلال اساليب جدلية غامضة . وكان من ذلك ان انكروه ، لانه في غير البراهين ، وفي غير شك ديكرت او مُثُل افلاطون . انه يفوق كل ذلك . فالله هو عبر كل فلسفة . وما تستطيع الفلسفة سوى التوجيه اليه .

وهناك فلسفات اقرب الينا حاولت في القلق والفشل والرجفان ان تصور الارتعاشة امام الله ولكنها اخفقت . فاذا بالنتيجة غير ما كانت ترتجى . امّا الفلسفات التي اخذت بالالحاد اولًا فانها ، وإن اعلنت ان البطولة ضرورية في عصرنا ، قد قالت بالبُطل وان لا معنى للحياة . فاذا بالانسان لا يعرف لاجل من يحيا ولاجل من يموت . فالعالم الوجودي بعد ان فقد سبب وجوده لا يزال يحفظ الحنين للحبّ والجمال والمدالة .

كل مرة كان الاخفاق حظ الذين حاولوا إبعاد الانسان عن داخله. فالمهم إعانة الانسان على العودة الى ذاته. مسكين الانسان الذي يقضي حياته صامتاً في تبولٍ عقيم . مسكين الانسان الذي تصطدم شهوته للعدل والسلام بالقوى الصناعية والاقتصادية الجبارة . مسكين الانسان الذي يُخشى على روحه ان تهجر عالمًا غدا مهجورًا ، عالمًا مخيفاً فَقَدَ كل معنى للسرّ. في بلاد كبلادنا حيث الطبيعة تساعف على الهامات القلب الحدسية ، تُرى يجب ان تكون الطبيعة ذاتها فقدت معنى مصيرها فاصبحت لا تهدي الانسان المضطرب الى طريق السلام وآثار الله .

ان صرخات الاسى المتصاعدة من اعماق البشرية يجب ان لا تثقل الارادة الراغبة في الخير. فالانسان يغفل عن دعوته الحقيقية اذا اشاح بنظره عن الاخطار التي تحوق بحياته فيجابهها ويجد فيها غذاء قويًا ولكنه مرّ الطعم يستطيع بواسطته ان يدخل غمرة العراك فيخدم اخوانه ويبقي للحياة وجهها الانساني.

الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

بعد المطيع الطائع ابنه

تولى سبع عشرة سنة وتسعة شهور . وقد رفع منزلة سبكتكين الذي بايعه ولقَّبه ناصر الدولة. وحدث خلاف في الشعب لان العرب السنة والاتراك كانوا مع سبكتكين والعرب الشيعة والديلم مع عزّ الدولة . وقد قُتل خلقٌ كثير من الطرفين واجتيحت دور كثيرة .

وفي السنة ١٢٨٦ لليونان (٩٧٥م) أقبل ايوني شموشكين ملك الروم الى سورية واحتلّ حمص وبعلبك . ولمّا انتوى ان يزحف الى دمشق كتب ابن الزيّات احد اقطاب سورية العرب الى الفتجان صاحبها ألّا يناوش الروم (١٩٤) لانهم اقوياء . فامتثل المشورة وبعث الى ايونيّ يمدُّهُ بالطاعة وتأدية ثلاثمائة الف درهم جزيةً . فوافق الملك على ذلك . ولمّا شارف المدينة خرج الفتجان الى لقائهِ وترجّل وقبّل الارض امامه غير مرّة . فسُرّ الملك وأركبه وأكرمه وأمر ان يُطارد حصانه امامه ويبدي فراستهُ . ففعل واثنى عليه الملك . فانحدر الفتجان وقبّل الارض فأمره الملك ان يركب ثانيةً وتخلّى له عن جزية سنة . فانحدر ايضاً وقبّل الارض . فطلب الملكُ حصانه وسلاحه ورمحه فدفعها له واضاف اليها اشياء اخرى وعقاقير وعشرين حصاناً ورماحاً كثيرة . لكنّ الملك اكتفى بحصانٍ واحد ورمح واحد لا غير وردَّ له البقية شاكرًا ووشحه بحلّة فاخرة وأتحفه بمصوغات واوانٍ فضيّة وبغـال وانصرف الى صيدا وخرج الاهالي طائعين وادّوا له التقادم . فغادرهم الى بيروت وفتحها بالسيف وسـ

اهلها وانطلق الى جبلة فناهضه اهاليها فاحتلّها بالسيف وسباها وانصرف الى طرسوس . وهناك سقاه شقيق توفانة الملكة سمًّا . فاشتدت علته وبادر الى العاصمة وفيها حلّت وفاته . واستغرق ملكه اربعة اعوام. وكان ملكاً محنكاً بالجندية قويّ الجسم شجاعاً مظفرًا في الحروب وقد ابدى الشهامة والعطف لكل احد وأطلق الاسرى وشاد كنيسة فخمة في عاصمتهِ . واحتلّ مدناً وبلاداً شتّى . فتأسّف عليه الكبير والصغير اشدّ التأسف . وخلفه باسيل وقسطنطين ابنا الملك رومانس ثاني وخمسين سنة وعاشا معاً بوفاق تامّ . واقام قسطنطين في العاصمة وتولّى باسيل شقيقه مناوشة العرب لانه كان منجّذًا بالحروب .

وفي السنة ٣٦٧ للعرب (٩٧٧ م) فاض دجلة عشرين ذراعاً فوق المعتاد وتدفقت المياه من آبار بغداد ويواليها وانتقل اهاليها الى السفن ولزموها ليل نهار وهبطت دور كثيرة .

واقام الملكان الشقيقان دمستقاً يقال له وردوس انتقض عليهما وحاول ان يستبدّ بالبلاد التي اخذها الروم من العرب . ووجّه اخاه سفيرًا الى عضد الدولة امير بغداد لينجده ويسعى لتأييده في بلاد الروم الشرقية ووعده بالطاعة طول حياته . ووجّه الملكان كذلك سفراء الى العرب يحرّضانهم ان يرفضا اقتراح وردوس الباغي. فأعمل عضد الدولة الروية وقضى بوجوب مساعدة الملكين وتظاهر بعطفه على وردوس ومساعدته في كلّ شيء . وبعد هذا وجّه الملكان العساكر لمناوشة وردوس . فكتب وردوس الى عضد الدولة وزحف الى الحدود في عددٍ قليل مطمئناً واثقاً به. لكن عضد الدولة اشار الى زعماء العرب فقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى مَن معه ومضوا بهم الى بغداد وحبسوهم هناك زمناً مديداً .

وفي السنة ٣٧٢ للعرب (٩٨٢ م) مات عضد الدولة امير بغداد . وكان في زمانهِ عليّ بن العبّاس الطبيب فصنّف له كتاباً اسماه «الملكي» باسمه لانّ الامراء المشاركين للخليفة في الحكم كانوا يلقّبون بالملوك. وعاش في ذلك الزمان كذلك ابو سهل المسيحيّ الطبيب الفاضل في خراسان وهو مصنّف الكتاب المشهور بالمائة مقالة وغيره من الكتب . وعليه قرأ الشيخ الرئيس (ابن سينا) ومات في السنّ الاربعين وخلفه صمصام الدولة اخوه .

وفي السنة ٣٧٣ للعرب (٩٨٣) حدث غلاء في بغداد حتى بيع كور الحنطة باربعة آلاف(١٩٦) وثمانين درهماً والشعير بالفين واربعين وهلك خلق كثير جوعاً.

وفي السنة ٣٧٦ للعرب (٩٨٦) دخل صمصام الدولة ليحيّي الخليفة الطائع وهو مستو على عرشه ويهنئه بالعيد. وقبّل الارض ثم انتصب الى يمين العرش. ودخل الاقطاب بعده وصنعوا مثلما صنع. ثم اقبل الشعراء وجعلوا يقرظون صمصام الدولة بقصائدهم ويفضلونه على الاقطاب فامتعضوا وتشاوروا سرًا مع شرف الدولة احدهم والقوا القبض على صمصام الدولة وبعثوه الى قلعة ببلاد العجم وفقأوا عينيه وتولّى شرف الدولة الامارة. ولم يبقَ للخلفاء في تلك الاونة سوى الاسم والمناداة بخلافتهم. واصبحت جميع الاوامر والجنود والخزائن بقبضة الاعاجم.

وفي السنة ٣٧٨ للعرب (٩٨٨ م) اجتمع شرف الدولة بفلاسفة العرب وابتنى برجاً لرصد حركات الكواكب وضبط آلاتها ودوائرها النحاسيّة اقتداء بالخليفة المأمون وولّى ابا سهل يحيى بن رستم الجبلي ليشرف على العمل.

وفي تموز هذه السنة هبّت ريح حارّة من الجنوب واجتاحت الكثيرين في الطرق وأتلفت الملّاحين بغتةً في نهرَي بغداد.

وفي السنة ٣٧٩ للعرب (٩٨٩ م) مات شرف الدولة وخلفه ابو نصر.

وفي السنة ٣٨٠ للعرب (٩٩٠ م) احتلّ سورية باجمعها العزيز خليفة مصر واستعمل عليها رجلًا نصرانيًا مصريًا يقال له عيسى بن نسطور. وكان عيسى فاضلًا متضلعًا من الفقه وملأ الخزائن الملكية اموالًا وافرة. واقام العزيز في سورية كذلك كاتباً يهودياً اسمه منشّى بن القزّاز. وهذان الكاتبان استغنيا عن فقهاء العرب ونصبا بدلًا منهم كتّاباً نصارى. على ان فقيهاً عربياً أسنى مبلغاً معتبرًا (١٩٧) لامرأة مسكينة نجيبة ودفع اليها قرطاساً كتب فيه ما كتب واشار اليها ان تقف حيثما يمرّ الخليفة وتنادي بانها مظلومة وتدفع له القرطاس وكان فحواه: استحلفك بالله يا مَن عزّزت النصارى بعيسى بن نسطور واليهود بمنشى بن القزّاز وذلّلت العربَ ان ترفق بي. قرأ العزيز تلك الكلمات وتبصّر في معناها وارسل يطلب المرأة فلم يعثر عليها احد. فسخط وحبس

عيسى ومنى كليهما . وكان اهل البلاط جميعاً يحبّون عيسى فسألت ابنة الملك العزيز اطلاق سبيله . فدفع عيسى ثلاثمائة الف دينار وعاد الى منصبه.

واستبهظ اهالي تكريت يومئذ ما وضعه عليهم الولاة الظلّام من الضرائب فانتزحوا عن وطنهم وتشتتوا في البلاد وشادوا في كل مكان حلّوا فيه كنائس وديورة وأغنوها . واشتهر منهم خصوصاً ثلاثة اخوة كرام من آل ابي عمران اقبلوا الى ملطية وشادوا فيها كنائس واديارًا للراهبات وابتنوا في ضواحيها ديورة للرهبان . وجعلوا يوزعون كلّ يوم الحسنات على المساكين من الصباح حتى الظهر . فحسدهم باسيل ملك الروم على نعمتهم واضطرّهم ان يسكّوا للدولة دنانير سنةً واحدة ففعلوا ولم تنقص ثروتهم . ثم احتاج اليهم وقرع بابهم وسألهم قرضةً فلبّوا طلبه بكلّ ارتياح ودفعوا له مائة قنطار ذهباً وردّ اليهم المبلغ كلّه لانه كان متصفاً بالعدل والاستقامة . ولما غزا الاتراك بلد ملطية اقبل الشيخ ابو سالم اخوهم الكبير من الدير وكان الاتراك قد حبسوه هناك فقالوا له افتدِ نفسك لانك غنيّ. فقال لهم : اني مستعدّ ان اشتري الغنيمة كلّها ان شئتم ان تبيعوها . فضحكوا وقالوا : كم تؤدّي ? قال : عن كل شخص اؤدّي خمسة دنانير . قالوا : اشتريتا (١٩٨) وطأنوه . فبعث وأحضر الذهب ودفعه اليهم وأنقذ خمسة عشر الفاً من الأسرى . ذكرنا هذا بايجاز دلالةً على ما كان عليه ابناء جماعتنا يومئذٍ من الجاه والثراء وما صاروا اليه من التعس والشقاء .

وفي هذه السنة عُزل الامير ابو النصر وخلفه الامير بهاء الدولة فطمع باموال الخليفة الطائع وتآمر سرًّا مع الديلم فثاروا عليه وهو مستوٍ على عرشه وجندلوه ولفّوه ببساط كان تحته . ثم اخذوا خطّ يده بتنزله عن الخلافة وأحضروا ابا العباس احمد بن اسحق بن المقتدر وبايعوه عام ٣٨١ للعرب(٩٩١م) وكنّوه القادر .

بعد الطائع القادر

تولى احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر . وفي السنة ٣٨٢ للعرب و١٣٠٤ لليونان (٩٩٣ م) احتلّ الروم خلاط وملازكرد وارغيش . ورضي ابو عليّ القائد

الارمني ان يؤدي لهم الجزية فتركه الملك باسيل بارمينية وعقد معه الهدنة لعشر سنوات .

وبرز في تلك الغضون جمهور غفير من الارمن المدعوّين سيناكريماية اي سنحاريبيّين وتخلّوا عن حصونهم لباسيل ملك الروم فاعطاهم بدلًا منها سبسطية قبدوقية فتولّاها بطارقة ارمن وانتشروا فيها وفي قيليقية وسوريّة . قيل ان ادرملك وشراصر بعدما فتكا بسنحاريب ابيهما انهزما الى جبال كردستان وامتزجا بالارمن ولذا لُقّبوا سنحاريبيّين .

وفي هذا الزمان وعك سعد الدولة امير حلب ومات . وأوصى ان يخلفه ابنه ابو الفضائل ويناظره لؤلؤ القائد . فتاقت نفس العزيز خليفة مصر الى احتلال حلب وابتزاز خزائنها ووجّه اليها عبده منجوتكين في ثلاثين الف فارس (١٩٩) . فاستغاث لؤلؤ بالروم لان بغداد لم تنجده . وبعث سفيرًا الى الملك باسيل يتذلّل له ويطلب عسكرًا فسيّر اليه خمسين الفًا خيّالةً ورجّالةً . ولمّا وصلوا الى نهر الارنط اعني العاصي بجانب انطاكية أسرع المصريّون وعبروا النهر واطبقوا على الروم وكسروهم وساروا الى حلب وحاصروها . فاحتال اؤلؤ ورشى منجوتكين بذهب وافر فاغمض عنه وسار الى دمشق وكتب الى العزيز ان الجوع فتك بن معي فاقبلت الى دمشق بالبقيّة ريثما نستجمع القوى فنعود الى حلب . فسخط العزيز اذ سمع انه انما ذهب الى دمشق لا للاستراحة بل للتنزّه وهو بعدُ في شرخ الشباب . فعزله واقام بدلًا منه قائدًا يقال له رُدبريا ووجّهه الى حلب . فابتاع ردبريا ذخيرة للجنود من الاسكندرية وانطلق الى افامية وخزن فيها مائتي الف قفيز حنطةً وشعيرًا وجعل العساكر يسيرون من حلب مسافة خمسة وعشرين فرسخًا وينقلون العلف لخيلهم . وظلّوا يحاصرون حلب ١٣ شهرًا وابتنوا لهم حمّامات وفنادق وحوانيت وتفاقم الجوع ضمن المدينة واشترى لؤلؤ القفيز بثلاثة دنانير وباعه من الحلبيّين بدينار واحد حرصًا على حياتهم . ثم احتال فارسل تكرارًا الى الملك باسيل يقول : إلم تستعجل في ارسال الجيوش نسيحتلّ المصريّون حلب ولن يتركوا لك انطاكية كذلك . فحشد الملك ثلاثين الفًا قطعوا مسافة ثلاثمائة فرسخ في ستة عشر يومًا ووصلوا

الى مرابض المصريين وكانت خيولهم ترعى مروج الربيع . ثم ارسل لؤلؤ الى دُوريا يقول : تدعوني العربية التي تربطني بك الى الشفقة عليك وعلى عسكرك . فاحذر لنفسك(٢٠٠) وانقذ العرب من فم السيف . واعلم ان الملك باسيل قادم بذاته لينقض عليك . ثم انساب بعض الجواسيس وبلغوه الامر فشمله الرعب واجفل عسكره وتركوا اثقالهم وأفلت كلٌّ منهم بحصانه . ووصل الروم واحتووا على ذخائرهم . وسار ابو الفضائل ولؤلؤ للسلام على الملك وقدما له التقادم . وترك الملك حلب وانطلق الى قلعة سيزين ودوّخها . ثم سار الى حمص ودوّخها كذلك وأجلى منها عشرة الاف نسمة ونيفاً . وتوجّه من هناك الى طرابلس وحاصرها اربعين يوماً فامتنعت عليه فتركها وعاد الى عاصمته .

اما العزيز خليفة مصر فحنق كل الحنق وحشد جيشاً ضخماً ينوي الزحف بذاته الى حلب ليحتلها . لكنّ القولنج الذي كان ينتابه لم يسوّغ له الزحف مدّة سنة كاملة . واخيراً سار عشرة فراسخ من مصر الى بلبيس وهناك عاجلته المنون وتولّى ابنه الحاكم الخلافة من بعده على مصر والمغرب عام ٣٨٦ للعرب (٩٩٦ م).

وقُتل في تلك الاثناء عيسى بن نسطور في مصر وتولّى مكانه ابو العلاء فهد بن ابرهيم اليعقوبيّ القبطي وكان كاتباً لبرجوان الحاجب الابيض قائد العسكر وهو الذي نصبه رئيساً على الكتّاب . وكان المسيحيّون يومئذ متولّين شؤون الوزارة في الدولة العربيّة المصريّة دون ان يضطرّهم احد الى جحود دينهم بخلاف ما يجري في عصرنا اذ ان العرب لا ينيطون الوزارة الّا بمن ينضم الى الاسلام .

وفي السنة ٣٨٧ للعرب وهي السنة ١٣٠٨ لليونان (٩٩٧ م) توجّه دوقاس الدمستق الى افامية وحاصرها وضيّق على اهاليها حتى بيع الكلب بدينارين ذهباً . واقبل اذ ذاك ابن صمصامة قائد الجيش المصريّ الى القلعة ليحرسها فتتبّعه الروم وفتكوا بالفي رجل من اصحابه وانهزم بقيّتهم .

اما الدمستق وابناهُ وعشرة من فرسانه فقد تسلّقوا تلّاً (٢٠١) ليشرفوا على اشتباك الجيش الرومي بالجيش العربي وانهزام العرب من وجه الروم . فظهر اذ ذاك رجل كرديّ اسمه ابن كافا قصد ذلك التلّ راكباً حصاناً عربياً

ومدججاً بدرع وبيده رمح . فظنّ دوقاس انه قادم ليطلب الامان له ولاصحابه فلم يكترث له . غير ان الكردي فاجأ دوقاس برمحه وشقّ درعه وطعنه بين اضلاعه وفتك به وانقلب راجعاً . فبادر الروم الى قائدهم وقد سقط عن حصانه واوقعوا صيحةً في الجيش بان الدمستق قد صُرع . ورجع العرب فاوثقوا ابن الدمستق واستصفوا منه ستة آلاف دينار . وفتك العرب بعشرة آلاف من الروم ونقلوا رؤوسهم الى مصر . ثم ساروا الى انطاكية وسبوا وقتلوا واحرقوا الدساكر وتوجهوا ثانيةً الى دمشق واحتلّوها وكانت حتى هذا العهد في حوزة خلفاء بغداد .

وفي هذه السنة انتقض على العرب رجلٌ في صور اسمه علاقة ولاذ بالروم فقبض عليه المصريون ومضوا به الى مصر وسلخوه وهو حيّ وحشوا جلده تبناً وعلّقوه .

وكان في ذلك الزمان رجلان نصرانيان كاتبان في مدينة دقوقة استبدّا بها وبابلدها . واتفق ان جبرائيل بن محمد القائد الفارسيّ مرّ من هناك قاصداً بلاد الروم للغزو فخرج اليه الاهالي قائلين : لا حاجة الى الذهاب بعيداً فان عندنا رجلين نصرانيَّين يتعدّيان علينا اكثر من الروم لو احتلّوا بلدنا فاظهر بطشك ان امكنك . فثار جبرائيل وأجهز عليهما واستبدّ بالمدينة متفقاً مع اهاليها واطلقوا عليه لقب « دبوس الدولة » .

وفي شتاء السنة ٣٨٩ للعرب (٩٩٨ م) حدث برد قارس اجتاح الوف اشجار النخل ببغداد ولم يقم مقامها شيء من الشجر الّا بعد اعوام كثيرة (٢٠٢) . وفي هذه السنة سخط الحاكم خليفة مصر على برجوان الحاجب وقتله . مع ان هذا الحاجب كان يعطف على الحاكم لا يَدَعه يركب لغير ضرورة او يعطي احداً عطيّة دون استحقاق . فتأثّر المصريون تأثّراً شديداً وضجّوا وثاروا وساروا الى باب البلاط فخافهم الحاكم وقصد عليّة ووقف عند احد ابوابها وحيّاهم بالسلام ثم قال : قد استبان لي غدرٌ من برجوان فقتلتُه . والآن ارجو ان تكونوا معي لا عليّ لاني فتًى بعدُ . وبكى امامهم ولاطفهم فتركوه وانصرفوا . وبعد هذا استدعى الحاكم فهداً النصرانيّ الكاتب ورشحه

بحلة ملكيَّة ترطيباً لقلوب الاهالي وقال له : كن مطمئناً وتولَّ توزيع ارزاق الدولة .

بيد انه ما مرّت ثلاث سنوات حتى ناهض ابو طاهر وابن عدّاس الكاتبان العربيان فهداً المذكور وافتريا عليه لدى الخليفة الحاكم فزجرهما ولم يكترث لدعواهما . الّا انهما اتفقا بعد ذلك مع فريق من اصحابهما وجدّدوا الدعوى على النصارى فأمر الخليفة بقتل فهد على كره منه . وكان فهد اميناً جدًّا مستقيماً وعزيزاً على قلب الحاكم . فلم يَرَ الّا ان استحضر ابناءه ووشّحهم بحلل ملكيَّة وأمر ان لا يتعدّى احد عليهم وعلى دورهم . فاستشاط ابن عدّاس وابو طاهر واستقلّا بسورية وعاملا النصارى والعرب اقبح معاملة وفرضا عليهم ضرائب باهظة كي يتسنّى لهما ان يؤديا ما ضمنا للحاكم . وكان لاخت الخليفة كاتب قبطي في سورية ارسل يشكو لها أبا طاهر وكان اخوها الحاكم يُعزّها جدًّا ويسمع لها . فدخلت وبكت لديه وحصّلت منه امرًا بالاجهاز على ابي طاهر المذكور وارسال رأسه الى مصر وقد جرّه الصبيان في الازقة تشفّياً . وامر الحاكم كذلك بقتل (٢٠٣) ابن عدّاس . فليكن ذكرهما للعنة ! واستراح منهما العرب والنصارى . وخلفهما في الكتابة منصور بن عبدون النصرانيّ فابغضه الاقطاب وتحاملوا عليه وعادوا النصارى بسببه وعذّبوا كتاباً كثيرين حتى اجهزوا عليهم والقوهم للكلاب . ونكّلوا بمنصور عينه حتى ظنّوه قد مات وألقوه للكلاب لكنّ بعض الرجال مرّوا من هناك وحملوه على آخر رمق الى داره وقد ردّه الخليفة الى منصبه بعدما تعافى واطلق عليه لقب الكافي . واصبح الناس جميعاً يهابون الحاكم وتخلّت مصر من المجرمين وراح الاهالي يفتحون ابواب حوانيتهم ليل نهار والحاكم يطوف المدينة راكباً لا يتجرّأ أحد ان يقف او يسلّم عليه . وكانت المصابيح مضيئة طول الليل في عهده كأنّ الليلَ نهار .

وفي السنة ٣٩٢ للعرب (١٠٠١م) ثار العرب على النصارى في بغداد ونهبوا بيوتهم وتصدّوا للكنائس فاضرموا النيران في كنيسة اليعاقبة بجانب قطيعة القمح . فاندلقت والتهمت كثيرين من العرب رجالاً ونساء وصبياناً في جملتهم الذين اضرموها فأمسوا عبرةً للناظرين .

وبعد سنة ظهر جراد كثير ببلد الموصل وبغداد ولاسيما في شيراز اجتاح الاعشاب واوراق الاشجار برمّتها وعاث بالقشة القصّارين حتى أمست رقعاً رقعاً اعادوها هكذا الى اصحابها . وحدث كذلك غلاء شديد حتى بيع كور الحنطة في بغداد بمائة وعشرين ديناراً . وبدت في الجوّ اعمدة نارية من القطب الشمالي حتى قبة الفضاء . وظهر في السنة ٣٩٦ للعرب (١٠٠٥ م) نجم في برج العقرب شكل الزهرة كبرًا وبهاء اخذت اشعّته تتموّج وتنير كالقمر وظلّ كذلك اربعة اشهر واضمحلّ . وسقط عام ٣٩٨ للعرب (١٠٠٧ م) ثلج في بغداد مكث نحو اسبوع على وجه الارض وبلغ علوّه ذراعاً او ذراعاً ونصف ذراع . واثلجت كذلك في ارض سنعار جماء اعني في البصرة وعبادان ومهربان وجنابة مما لم يسمع بمثله في قديم الاحقاب .

وفي هذه السنة حدث رخص وافر وبيع كور الحنطة باثني عشر ديناراً . وحدثت زلزلة هائلة في مدينة دينور اجتاحت دوراً جمة . وأخرجوا من تحت الانقاض ستة عشر الف قتيل سوى من انشقّت الارض وابتلعتهم . وهبّت ريح سوداء في تكريت ودقوقة اتلفت بيوتاً عديدة واقتلعت اشجار النخل والزيتون برمّتها واغرقت مراكب كثيرة في بحر فارس .

وفي ٧ شعبان هذه السنة توفي ابو العلاء بن زرعة الفيلسوف النصرانيّ ببغداد . وفي هذه السنة عينها جاهر بالايمان المسيحيّ اهالي كريت احدى مدن الاتراك القاصية تنصّروا واعتمدوا باعجوبة حدثت لملكهم .

وفي هذا الزمان أمر الحاكم خليفة مصر ان تقوّض كنيسة القيامة باورشليم من اساساتها وتُنهَب كلّ امتعتها . ودكّ الوفا من كنائس مملكته . وأمر المؤذّنين ان ينادوا بان النصرانيّ الذي ينضمّ الى دين العرب يكرّم والذي لا ينضمّ اليه يحتقر . وأمر النصارى ان يعلّقوا في اعناقهم صلباً واليهود شكل راس عجل إشارةً الى العجل الذي صنعه آباؤهم في البرية وسجدوا له . ونهاهم عن وضع الخواتم في الاصبع اليمنى وعن ركوب الخيل والاقتصار على ركوب البغال والجحاش في سروج عاديّة وركب خشبيّة . والّا فمن أبى امتثال امره لزمه ان يرحل في ماله الى بلاد الروم . على ان النصارى الذين لم يرحلوا ولم

يجحدوا دينهم علقوا في اعناقهم صلبانا ذهبيّة وفضيّة واتخذوا لدوابهم سروجاً فاخرة ملوّنة . فسخط الحاكم واصدر الامر بقتل النصرانيّ الذي لا يعلّق في عنقه (٢٠٥) صليبا خشبيًا وزنهُ اربعة ارطال بغدادية وقتل اليهودي الذي لا يعلق بعنقه خشبة شكل يد الجرس وزنها ستة ارطال . وان النصارى واليهود متى دخلوا الحمّامات لزمهم ان يربطوا في رقابهم اجراساً صغيرة تمييزًا لهم عن العرب.

أثار هذا الاضطهاد رجلٌ مبغضٌ للنصارى فأخبر الحاكم الخليفة بانهم عندما يجتمعون للاحتفال بعيد الفصح في كنيسة اورشليم يحتال وكلاؤها فيدهنون بالزيت سلسلة الحديد المعلّق بها قنديل القبر . وبعد ان يختم حاكم العرب باب القبر يوقدون من السطح نارًا في راس السلسلة فتجري حتى تصل الى الفتيلة وتضيئها ويصرخ الحاضرون كيرياليسون ويبكون كأنهم شاهدوا النور هابطاً من السماء على القبر ويرسخون في ايمانهم . وظلّ الخليفة الحاكم مسترسلًا في ضغطه على النصارى واليهود حتى ندم على فعلته هذه قبل وفاته واضطرّهم ان يعود كلٌّ الى دينه . ورخص للنصارى فابتنوا كنائسهم أحسنَ مما كانت قبلُ. وعاد المنهزمون الى بيوتهم من بلاد الروم .

وفي ٢٦ شوال ٤٠٠ للعرب (١٠٠٩ م) توفي ابو نصر بشير بن هرون بن الجمال الكاتب النصرانيّ في بغداد . وفي السنة التالية كتب قرواش بن المقلّد صاحب الموصل الى الحاكم خليفة مصر أنَّ جرادًا كثيفًا ظهر هناك وأنَّ العرب المعدّين يتلصصون في كلّ ناحية . وانّ الطاعون يفتك بالاهالي والغلاء متفاقم بخراسان حتى بيع رطل الخبز بدينارٍ ذهباً وأكل الناس الكلاب والخنافس ثم أجهزوا على الرضعان والفتيان وعلى من كانوا يشاهدونه سميناً بادناً فيقتلونه ويلتهمونه .

وفي السنة ٤٠٣ للعرب (١٠١٢ م) توفيت امرأة ابي نصر بن اسرائيل الكاتب المسيحي في بغداد وشيّعوها وقت الضحى (٢٠٦) في الصلبان والشمعات والقسّان والرهبان يصلّون والنساء يندبن بالدفوف . وان رجلًا عربيًا رجم النعش بالحجار فسخط عبيد الأمير ناصح وكانوا محيطين بالنعش يحرسونه وضربوا بالسيف ذلك العربيّ . فهاج الاهالي وماجوا والتحم القتال ووقع قتلى كثيرون

من العرب والنصارى . وانهزم ابو نصر زوج المتوفاة الى بيت الامير مناصح . ولم يهدأ الهيجان حتى استسلم ابو نصر وذهبوا به الى دار الخليفة فحبسه برهة ثم اطلقه وشمل الفرح جميع المسيحيين .

وبعد سنةٍ ظهر جراد كثير ببغداد ملأ الارض وحجب الجوّ واجتاح الاشجار والنبات . وجعل الفلاّحون يطردونه بالطبول والابواق .

وفي السنة ٤٠٥ للعرب (١٠١٤ م) حرّج الحاكم خليفة مصر على المرأة الخروج من بيتها والاشراف من الباب او من النافذة والسطح على الغادين والرائحين . ونهى السكافين ان يخيطوا احذيةً نسائيّة . وقد ساقه الى ذلك اطلاعه على فواحش المصريات وخلاعتهنّ . وتذرّع في اول الامر بعجائز اتخذهنّ جاسوسات يتّبعنَ ويدخلن البيوت ويطّلعن على اسرار النساء ويُخبرنه عنهنّ وعمّن يختلف اليهنّ . وكان الحاكم يبعث حاجبه مع الجنود الى بيتٍ كائنٍ من كان من الاعيان او العامة فيقولون له : أخرج لنا فلانة ويسمّون اسمها امرأةً او اختاً او بنتاً ويمضون بها اليه . وكان اذا اجتمع عنده خمسٌ او عشر منهنّ أمر باغراقهنّ في نهر النيل . ومن ثم افتضحت أسرار العواهر المصريّات وأمسين هدفاً للعار والشنار ووقع رعب الحاكم على الرجال والنساء اكثر من فرعون.

واصطبر الاهالي اعواماً على مثل هذه الشدّة حتى كتب زعماء الجوار الى الحاكم يقولون : ان ارامل كثيرات لا اخوة ولا بنين ولا اهل لهنّ يهلكن جوعاً وعرياً ضمن بيوتهنّ ولم يبقَ من يشتري لهنّ قماشاً يشتغلنه او يتولى بيع ما ينسجنه . حينئذٍ (٢٠٧) أمر الحاكم ان يطوف السماسرة في البيوت وان تفتح المرأة باب بيتها وتعرض عليهم البضاعة بآلةٍ دون ان تُظهر وجهها او كفّها وتقبض ثمنها بالآلة عينها . ونهى النساء نهياً مطلقاً عن مغادرة بيوتهنّ وعن الذهاب الى الحمّام . وظلّ يواصل تلك الاوامر الشاذّة حتى قُتل .

وفي السنة ١٣٢٥ لليونان (١٠١٤ م) برز من الشعوب الصينيّة اثنتان وعشرون قبيلةً منها قبيلة الخطا وعددها مائتا الف وقبائل غيرها عددها ثلاثون الفاً او خمسون الفاً وزحفوا الى بلاد المؤمنين . فسار اليهم احمد بن عليّ بن قراخان سلطان بخارى وناوشهم ونهب خيامهم واحتوى على الشيء الكثير من

آنية الذهب والفضّة والاقمشة الحريرية . وكانت قسيّهم وسهامهم اطول شبرًا من المعتاد .

وفي السنة ٤١٠ للعرب (١٠١٩ م) مات ابن قراخان سلطان بخارى وخلفه خوارزمشاه محمود بن سبكتكين وسار الى الهند واجتاح هناك مدنًا كثيرة وغنم غنائم وافرة وعاد راجعاً .

وتمادى الخليفة الحاكم حتى السنة ٤١١ للعرب (١٠٢٠ م) في الضغط على المصريين حتى كرهوه وأبغضوه جدًا وجعلوا يكتبون رقاعاً يحشونها سبًا وذمًا وتهكمًا به وبنسائه ويغلّفونها ويدفعونها له ليلًا وهو راكبٌ ويختفون . وأفضى بهم الامر الى ان صنعوا من البردي شكل امرأة باسطةٍ يدها وبين اصابعها رقعة مكتوبة ونصبوها في احدى الزوايا ليلًا حيث يمرّ الحاكم وأخفوا الشبح بقرطاس ابيض . ولمّا مرّ وشاهدها احتدم سخطاً وأمر عبيده ان يقطعوها بالسيوف . فانتهوا اليها ورأوها صورة خياليّة وانتزعوا القرطاس من يدها وانقلبوا فاخبروا الحاكم ففتح القرطاسَ وقرأ فيه كلمات قبيحة تمسّ شرف اخته العذرا. (٢٠٨) . فامر عبيده ان يجرّدوا السيوف ويفتكوا بكلّ مصريّ يصادفونه وينهبوا البيوت ويضرموا النيران في الشوارع . وقد تحرّش بهم المصريون مدة ثلاثة ايام وهلك من الجانبين خلقٌ كثير .

ولما خمد غضب الحاكم ارسل يقول لاخته : ان المصريين يكتبون لي ويتحاملون عليّ بسببكِ مدّعين انكِ تدخلين رجالًا الى بيتكِ وكذا وكذا . فسكت حتّى عدأت روعه وانصرفت . ثم عرفت سرًا انه مزمع ان يرسل احدى القوابل لتشرف على بكارتها فخافت خوفًا شديدًا وانطلقت تحت الليل الى بيت شيخ كان يهاب الحاكم مثلها واستحلفته ان يحفظ السرّ ثم قالت له : ان اخي ساخطٌ عليّ وعليك وعلى كل الاهالي رجالًا ونساء . وانا كما تعلم ما زلت في ميعة الشباب . وما فائدتي ما دمتُ محرومة لذّتي الطبيعيّة . فان امكنك ان تحتال في اهلاكه فاني اضرب لك عهدًا بان تكون لي زوجاً وان يتولى الخلافة ابن اخي الصغير اطمئنانًا لخواطر الاقطاب وتصبح انت بمثابة أبٍ ومشيرٍ ومدبّر له . استطاب الشيخ كلامها وقال لها : علّميني اذن كيف

تدبر المكيدة . قالت : من عادة اخي ان يذهب وحده ليلًا ويتسلق قمة التل الفلاني ليتبصر في النجوم اذ قد كُتب في طالعه ان الموت يدهمه في ليلة كذا فاذا فاتته نوبة الساعة عاش ثمانين سنة فوق ما عاش . بناء عليه استدع رجلين بطلين ممن يحفظون سرّك وارسلهما ليكمنا في حفرة من حفائر التلّ ثم يثبان اليه ويفتكان به . .وافق الشيخ على كلامها . وركب الحاكم جحشه وتسلّق التلّ وترك العبيد في لحفه واخذ معه صبيًا لا غير . وجعل يتطلّع نحو المشرق فأبصر المرّيخ صاعدًا نحو الافق الشرقيّ فتمتم بعض الكلمات وقال : لقد صعدتَ ايها اللعين سفّاك الدماء . قد ازفت ساعتي . وحين ذاك وثب اليه ذانك الرجلان من الكمين واوثقا رقبته بالنير وخنقاه . ثم قتلا الصبيّ والجحش وحملا الجثة وانحدرا من ناحية اخرى وأتيا بها الى اخته . اما العبيد فقد مكثا مكانهم حتى الصباح ولم ينزل الحاكم كعادته . فتسلّقوا حتى قمة التلّ وشاهدوا الصبيّ مقتولًا والحمار مقزّزًا ولم يعثروا على الحاكم وانقلبوا راجعين الى البلاط .

اضطرب الاقطاب والعبيد معًا فاستدعتهم اخت الحاكم وقالت لهم : لا تنزعجوا ولا تقلقوا فانّ اخي قال لي : انه معرَّض للموت في هذه الايام وانه سيتسلّق التلّ وينتقل من هناك راجلًا الى البرّية ويلبث سبعة ايام مختفيًا ثم يعود . امّا الصبيّ فهو الذي قتله لئلا يُفشي السرّ . ولما هدأ روعهم جعلت تدعوهم واحدًا فواحدًا وتبذل لهم العطاء بسخاء وتعدهم وعودًا طيبة . ثم استحلفتهم في تلك الفترة بشأن ابن اخيها الفتى ودعت اسمه الظاهر . وارسلت فاستحضرت اخاه الكبير من دمشق على ان يخلف اباه . ولمّا وصل الى تنيس بعثت من اوثقه وسجنه . ثم اشارت الى بعض العبيد فقبضوا على ذلك الشيخ الذي عقدت السرّ معه وعلى العبدين اللذين فتكا بالحاكم وعلّقوا الثلاثة وقضوا عليهم. وأمرت المنادين ان ينادوا بانهم هم الذين غدروا بمولاهم وقتلوهُ وقد ردّ الله كيدهم في نحرهم .

تصرّفت تلك المرأة الجريئة بمثل هـذا التصرّف الغريب حتى اهلكت اخاها قبل ان يهلكها هو . وافتكرت في ان الثلاثة اذا ظلّوا احياء يُرزقون فلا بدّ من ان يذيعوا السرّ (٢١٠) وتُصبح عرضةً للرذل والاحتقار . هكذا

نجت من كل خطر وتولّت تدبير المملكة واطلقت الحرية لاهوائها دون وجل.

وغلب على ظنّ الكثيرين لمّا اظاموا على مسئلة الحاكم كما شرحنا انه انتقل الى برّية الاسقيط وترهّب وقضى حياته هناك . ولمّا كنتُ انا الحقير مقيماً في دمشق سمعتُ بعض الكتّاب المصريين يقولون : ان ربّنا يسوع المسيح تجلّى للحاكم وقتما كان يضطهد النصارى كما تجلّى لبولس الرسول فآمن وانتقل الى البرّية سرًّا ومات هناك . ويقال ان الحاكم لولا القليل لماثل فرعون في كفره. ففرعون كان يقول : لي النيل وانا خلقته (حزقيال ٢٩ : ٣) وهذا كان عنده اناس يدخلون ويقولون له : السلام عليك ايها الفرد الوحيد . عليك السلام يا مَن يميت ويحيي ويُغني ويفقر فيبتهج بذلك . على ان رجلًا من محلّقيه ذهب الى مكة ودخل المسجد وحطم الحجر الاسود بمزراقه وهو يقول : لِمَ تسجدون وتقبّلون ايها الضالّون ؟ هل تسجدون لما لا يضرّ ولا ينفع وتتركون مَن يميت ويحيي في مصر ؟

واشتهر في تلك الغضون ابو عليّ حسن بن الهيثم البصريّ المهندس البارع. وكان يقول : لو كنتُ في مصر لصنعتُ بنهر النيل صُنعاً يفيد ملوك الارض وعامّتها معاً . فبلغ قوله هذا الحاكم الخليفة وارسل فاستدعاه وتحفّى له ووعده باموال طائلة اذا اكمل ما يقول . فانطلق ابن الهيثم وطاف ارض القبط وشاهد اشكالًا سماوية مصوّرة هناك تصويرًا عجيباً وامثلةً هندسيّةً ونماذج باهرة فقال في نفسه : لو ان في الامكان انشاء عمل افضل من هذا لسبقني اليه الاقدمون. ثم انطلق الى مكانٍ عالٍ تجاه اسوان من حيث تتدفق وتنحدر مياه النيل واعمل الروّية فيما فعرف انه يتعذّر عليه النهوض بما افتكر فيه . ذلك لشدّة تدفّق تلك المياه الوافرة . فاعتراه الخجل واعتذر للحاكم بعجزه . لكن الحاكم لم يقبل عذره . فخاف ابن الهيثم وتظاهر بالجنون تخلصاً من دهائه وشرّه . ولمّا افتضح امره اوثقوه بالسلاسل واستنزفوا كلّ ما اقتناه . وظلّ مخبلًا حتى توفيَ الحاكم ثم افاق وانزوى في بيت ملاصق للمسجد الكبير بالقاهرة واكبّ على النسخ والتأليف وصنّف نحو سبعين كتاباً في الهندسة . وكان ينسخ كلّ سنةٍ ثلاثة كتب من المجسطيّ والمتوسّطات واقليدس ويبيعها بمائةٍ

وخمسين دينارا مصريا ويتعيش حتى توفي عام ٤٢٠ للعرب (١٠٢٩ م) .

وفي السنة ٤١٤ للعرب (١٠٢٣م) سار خوارزمشاه محمود ثانية الى بلد الهند ودوّخ مدناً شتى وتوغل هناك مسافة اربعة اشهر حتى وصل الى قلعة كراكير وفيها ملك هندي فحاصرها حصاراً شديداً حتى جاءه سفير هندي جالساً على سرير يحمله اربعة رجال وقال له : ان مولاي يقول لك : من انتَ من البشر ؟ قال محمود : انا رجلٌ مسلمٌ ادعو الكفّار الى دين الله واضطهد عبدة الاوثان . فانتم الهنود إما ان تؤمنوا بالاهنا وتنهضوا بشريعتنا وتأكلوا لحم الثيران او تؤدوا لنا الجزية كل سنة ألف فيل والف وزنة من ذهباً . قال السفير : لا يتيسر لنا ان نأكل لحم الثيران . اما الدين الذي ذكرته فارسل الينا (٢١٢) من يلقّننا اياه فاذا رأيناه افضل من ديننا قبلناه . فوجه محمود معلماً عربياً دخل القلعة وكلّم الهنود بواسطة ترجمان فقالوا : لسنا نبدّل ديننا . وليس عندنا ذهب نؤديه لكم . لكنّ عندنا فضةً كثيرة وفي وسعنا ان نقدّم لكم ثلاثمائة فيل وكميّةً وافرةً من الفضة والاواني الفاخرة والعقاقير . قال المعلّم : نوافق على ذلك بشرط ان يلبس ملككم مثل ثيابنا ويترنّز بسيف ومنطقة ويبتر راس اصبعه كعادة الهنود تأييداً للقسم .

قال السفير العربيّ : لمّا دخلت مسكن الملك الهنديّ ألفيتُهُ على سوادهِ شابّاً جليلا جميلا ظريفاً مستوياً على عرش فضّي لابساً رداء وسروالاً شفّافاً ومنديلاً في راسهِ . ولمّا لمحته صفّقت تصفيقاً حاداً وركعتُ بيديّ كعادة الهنود وسألته ان يلبس ثوباً فاعتذر كثيراً وقال : ارجو ان تعفيني من اللباس . وقل لمولاك : اني لبستُه . قلتُ : لا يمكنني ان اكذب على مولاي. فاضطرّ ان يلبس ويترنّز ويتقلّد سيفاً على حقويهِ . وبعد هذا خجلتُ ان اقول له : ابتر اصبعك واكتفيت بان اسأله ان يحلف . فقال ان حلفنا هو بالاصنام والنار وانتم لا تقبلونها فبمَ تروم ان احلف لكم ؟ قلت له : انت تعرف . وعند ذاك أمر احد عبيده فجاءه بموسى تناولها بيمينه وبتر راس خنصره الايسر دون ان يتبدّل لونه وذرّى عليه دواء وربطه . ثم غسلوا القطعة المبتورة وجعلوا معه كافوراً وصرّوها . وبعد هذا اعطاه الملك بعض اوانٍ وفضّةً وحصانين .

وفي السنة ١٣٣٦ لليونان (١٠٢٥ م) توفي باسيل ملك الروم وقد ساس المملكة سياسةً قويةً حكيمة خمساً وخمسين سنةً وأخضع البلغار للروم وخلفه (٢١٣) اخوه قسطنطين وحده ثلاث سنوات . وكان قسطنطين دمث الاخلاق بشوشاً شهم النفس أوصى بالمملكة حين احتضاره لابن اخيه رومانس . وفي بعض النسخ صهره زوج ابنته .

وفي السنة ٤١٧ للعرب (١٠٢٦ م) حدث بردٌ قارس في بغداد زمان الشتاء وجمدت سواحل الفرات ودجلة وتلفت اشجار النخل . وجعل الناس يَزُون ماشين فوق الجليد في السواقي الصغيرة وتعذّر على الفلّاحين زرع اراضيهم.

وفي هذه السنة صدر امرٌ في مصر بان لا يقتل احدٌ ثوراً يجرّ محراثاً . وفي هلال الربيع الاول من السنة التالية سقط بَرَد ضخم في بغداد نظير بيض الدجاج .

وفي السنة ١٣٤١ لليونان (١٠٣٠ م) وهي السنة ٤٢١ للعرب زحفت جيوش الروم من انطاكية الى حلب فناوشهم قليلٌ من العرب وانتصروا عليهم وقتلوا منهم كثيرين واحتروا على كثير من الخيل والاسلحة . على ان الملوك السابقين لرومانس كان النصر حليفهم في الحروب لانهم لم يكونوا يتشبّثون بالمسائل الدينيّة . اما رومانس هذا فقد عادى بطريركنا القديس ابن عبدون (١٠٠٤—١٠٣٠) واساقفته ونفاهم جارياً على عادة اليونان المكّارين القدماء . ولذا سمح الربّ بسحقهم تجاه أعدائهم .

بلغ رومانس خبر انكسار الروم في حلب فحشد مائة الف جندي ونيفاً وأقبل الى انطاكية ومنها سار الى حلب . وسبقه رجلان من كبار الصقالبة في جيشها فلاقاهم نحو مائة فارس من المعدّين والف من الرجّالة وانصبّوا عليهم فرجعوا القهقرى واخبروا ان جيوشاً كثيفة بالغة حدّ الكثرة من مصريين ومعدّيين قادمون . فتخوّف الروم وامتطوا الخيل وانهزموا الى انطاكية دون حرب او ضرب . وتتبعهم العرب وانتزعوا منهم سبعين بعيراً محمّلةً (٢١٤) نقوداً وآنيةً ذهبيّة وفضيّة واقمشة فاخرة وبغالاً كثيرة حتى بيع البغل الجيد في حلب بدينارين . ولم يبقَ مع الملك رومانس فيما قيل خيمة او كاس يشرب

بها ماء . وتوفي بغتةً وخلفه ميخائيل فناهضه قلفاط احد أنسبائه وظلّ خمسة اشهر يعانده حتى قُبض عليه وفُقئت عيناه كلتاهما .

وفي السنة ٤٢٢ للعرب (١٠٣٠ م) توفي الخليفة القادر بالله السابعة والثمانين . وكان ممتازاً بعفافه وفضله خلافاً لاسلافه . وبويع ابنه جعفر ودُعي القائم .

بعد القادر القائم ابنه

تولّى اربعاً واربعين سنة وثمانية شهور . وبايعه اقطاب العجم والاتراك والعرب قاطبةً مجبورين مسرورين . الّا ان الاتراك طالبوه كالعادة بالهدايا في فرصة مبايعته بالخلافة فلم يرضخ لهم في اول الامر شيئاً بسبب فراغ الخزانة من المال . لان الامراء الاعاجم كانوا متولين البلاد كلها حتى بغداد عينها ولم يدعوا للخليفة سوى ارزاقه لا غير فاضطرّ ان يبيع الفندق والحدائق وبعض امتعة داره ويؤدي للاتراك ما طلبوه .

وكان يومئذٍ في الرها اميرانِ عربيّان يقيمان في برجين من ابراجها وهما ابن حطير وابن شبل فارسل اولهما الى ميخائيل ملك الروم وباعه برجهُ واربع قرى ببلاد الروم بعشرين الف دينار . وعند الليل اقبل الروم ودخلوا المدينة وملكوا البرج وتحصّنوا به وكان يشبه مدينة صغيرة . ثم خرج بعضهم الى المدينة واخربوا مسجد العرب . فسمع ناصر الدولة وبعث الجيوش فحاصروا الرها ونقبوا سورها ودخلوها وكبسوا الكنيسة الكبرى وقد انهزم اليها النصارى فنهبوهم ونساءهم . ثم حاصروا البرج فامتنع عليهم (٢١٥) فاحتجّوا بهبوط الثلج وانصرفوا . وتمّ احتلال الروم للرها في خريف السنة ١٣٤٣ لليونان (١٠٣٢ م) و ٤٢٢ للعرب .

اما ناصر الدولة فوجّه الى الملك ميخائيل يعاتبه ويقول : « الذي استفدتهُ بقدومك الى حلب دفعتين حتى طمعتَ بالرها الآن ؟ اني اشير عليك مشورة حسنة ان تنقل اصحابك منها والّا فسترى ما يصيبك من الجيش العربي » . فاجابه الملك : اني لم آخذ الرها عنوةً لكني اشتريتُها من صاحبها شرعاً . ولو عرفتُ انها تبقى لك لرددتها . لكنّي على يقين من ان المدّعين بها غير لن يتركوها .

هكذا استخف ميخائيل بالعرب وبعث عشرة آلاف فارس يحرسون الرها ويبنون ما تهدم ثم اخذوا يغزون بلد اكساس وحران وسروج حتى اضطر ابن وثاب النميري صاحب حران ان يؤدي لهم الجزية . وخضع كذلك حسان صاحب سورية للروم وعلق الصلبان في رؤوس ألويته .

وفي السنة ٤٢٣ للعرب (١٠٣١ م) ولدت امرأة في بغداد شكل حية قصيرة القامة لها راس انسان ولم رقبة دون يدين ورجلين . ولما سقط على الارض قال : من الآن الى اربع سنوات سيهلك الجوع الناس ويخرج الرجال والنساء والصبيان والبهائم ويكونون امام الرب طالبين انحدار المطر . وبلغ الخليفة الخبر فأمر ان يخرج الاهالي جميعاً ويقيمون الطلبات فخرج القليلون وظل الكثيرون ممن لم يصدقوا الخبر .

وفي تلك السنة جمدت المياه في بغداد وثار رمل احمر وهبط كالمطر واتلف الاشجار ولم تثمر ثمراً . وحدث غلاء فظيع في البرية حتى اكل المدنيون جمالهم وخيلهم واولادهم . وكان كل رجل يبدل ولده بولد جاره ويذبحه لئلا يتأثر . وما عدا الغلاء فقد ضايق الناس العطش بسبب قلة المطر . فقصدوا الانهر القريبة من المدن والقرى واقاموا هناك . وحدث طاعون في الهند وفي العجم كلها حتى شيعوا في اصفهان مدة اسبوع واحد اربعين الف نعش . ولم يبق بيت في بغداد دون حداد . ومات في الموصل بداء الجرب اربعة آلاف صبي .

وفي كانون ٤٢٥ للعرب و١٣٤٥ لليونان (١٠٣٤ م) عصفت ريح شديدة سوداء في نصيبين اقتلعت كثيراً من اشجار الزيتون والتوت والعناب وقوضت بعض ابنية الحجار والكلس . ولحقها وابل من المطر وبرد كثير شكل كفوف وسواعد واصابع . وحدثت زلزلة في مصر وفلسطين وانهزم الناس من بيوتهم وظلوا تحت الفضاء ثمانية ايام . وهبط نصف بلد بالس وابتلعت الارض عدة قرى في سورية مع اهاليها وهدمت اساسات كنيسة اورشليم ومأذنة العرب في عسقلان وراس مأذنة غزة ونصف عكا . وجزر البحر نحو ثلاثة فراسخ ودخل الناس ليلتقطوا السمك والحلزون فرجعت المياه وابتلعت بعضهم . وظهر في شباط شكل عمود نور في برج السنبلة منذ المساء حتى الصباح اياماً كثيرة

ثم هبط بعد ايام كوكب كالبرق الخاطف واضاء ارض سنجار جمعاء. وتوهم الكثيرون من العامة ان السماء انشقت . وحدث طاعون في بغداد اجتاح نحو سبعين الفاً من البشر بداء الخانوق . وهبت بعد سنة رياح قوية في بحر فارس اغرقت اكثر من خمسين سفينة واهلكت اكثر من الف وخمسمائة انسان . وفاض البحر والانهار وتفجرت ميازيب السماء واجتاحت المياه كثيراً من القرى . قيل ان بعض الناس أفلتوا من الغرق بدفوف السفن والواحها وما كادوا يصلون الى البرّ حتى دهمهم الغمر وردّهم ثانيــةً (٢١٧) الى البحر واغرقهم .

وفي السنة ٤٢٧ للعرب (١٠٣٥ م) حشد ابن وثّاب النميريّ صاحب حرّان جمهوراً غفيراً من الاكراد والمدنيين وسار الى سويرك وهي للروم ودوّخها . وقتل فيها ثلاثة الاف وخمسمائة انسان . وسبى طائفة من النساء والفتيان . ثم زحف الى الرها وحاصرها ومنع عنها المؤونة . فتضايق الاهالي جوعاً وسلّموه المدينة وانهزم الروم وتحصّنوا في البرج فصوّب العرب القتال نحوه وفتكوا بمائتين وخمسين رجلاً وتعذّر عليهم اخذه فنهبوا المدينة وانقلبوا راجعين . وبلغ عدد الفتيان والفتيات الذين سبوهم فيما قيل ثلاثة آلاف نسمة .

(لا له صلة)

كتاب الفتاوى الحامدية

لحامد افندي علي العمادي

مفتي دمشق الشام

مخطوط قديم

وصفهُ ونشر بعض مقاطع منهُ

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

وجدنا هذا الكتاب الخطيّ الثمين في مكتبة المثلث الرحمة العلامة المطران يوسف نجم ، في بيت ابن شقيقه الوجيه الكريم السيّد بطرس عبدالله نجم في جديدة كسروان . وهو عبارة عن اسئلة واجوبة في الشرع لحامد افندي ابن علي افندي الحامدي مفتي دمشق الشام ، مدّة ثاني عشرة سنة ، اي من سنة ١١٣٧ — ١١٥٥ هجرية (١٧٢٤ — ١٧٤٢ م) وقد شرح ما غمض او أشكل من هذه الفتاوى ونقّحها مَن خلفهُ في منصب الافتاء ، وسمّاها : «العقود الدرّية في الفتاوى الحامديّة» على ما سترى في النبذة الملحقة في آخر هذا الكتاب . ولم يُعرف اسم الملخص المنقّح لسقوط ورقات مخرومة من اول الكتاب ولعلّ اسمه كان مدوناً فيها مع اسم الكتاب ومقدمته . وتمت كتابته سنة ١٢٦٧ ﻫ (١٨٥٠ م) وتوفي منقحهُ سنة ١٢٥٢ ﻫ (١٨٣٦ م) وفرغ حامد افندي من تأليفه في ١٨ ربيع الاول سنة ١٢٣٨ ﻫ (١٨٢٢ م) .

وهذه هي ابواب الكتاب وقد كُتبت بحرفٍ ثخين :

البيوع . الدعوى . الاقرار . الوديعة . العارية . الهبة . الاجارة . الاكراه . الغصب . الشفعة . القسمة . الغرامات الواردة على القرى ونحوها . المزارعة . المساقاة . الخيارات . الشهادات . مشدّ المسكة . الذبائح . الشرب . المداينات . الرهن . الجنايات . الحيطان وما يُحدث الرجل في الطريق

وما يتضرر به الجيران ونحو ذلك . الوصايا . الفرائض . مسائل وفوائد شتّى من الحظر والاباحة وغير ذلك ، وهو الباب الاخير .

يقع هذا الكتاب في ٥٥٤ صفحة وله هامش عريض علّق عليه المنقح بعض الشروح لفتاوى تتطلب الايضاح . طوله ٢٣ سنتمترًا بعرض ١٧ سنتمترًا ، وعرض هامشه ٤ سنتمترات ، يحتوي الوجه على ٢٩ سطرًا ، مكتوب على ورق عادي غير سميك ، بخط عربي رفيع منمنم قريب من الخط الكنسي ، والسين والجيم اي السؤال والجواب بالحبر الاحمر ، وهو مجلّد تجليدًا حديثًا .

ورد في آخر فتاوى باب البيوع ما هو بالحرف الواحد :

« وهذا آخر الجزء الاول من الاصل الذي هو فتاوى العلامة المرحوم حامد افندي العمادي . قال محررها وقد فرغتُ من تلخيصه وتنقيحه وتحريره وتوضيحه باقل من نصف الاول مع زيادة الفوائد الفريدة والتحريرات السديدة على وجه الصواب مما لا يوجد في غير هذا الكتاب . وذلك في ليلة الاربعاء لسبع وعشرين خلون من شهر رمضان سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) ست وثلاثين ومائتين والف والحمد لله رب العالمين امين تم » .

واليك امثلة من فتاوى بعض ابواب هذا الكتاب :

اولًا – البيوع

س : في رجل باع من زيد بضائع معلومة بثمن معلوم أَجّل بعضهُ المعلوم على المشتري الى أجل معلوم وقسّط باقيه اقساطًا معلومة ثم مات البائع في اثناء مدة التأجيل والتقسيط فهل يبقى كذلك ولا يحل الثمن بموته والحالة هذه .

ج : بموت البائع لا يحل الاجل اي الثمن المؤجل وبموت المشتري يحل كما في البزازية والاشباه .

قال المنقح الملخص : الصواب ان القول للبائع مع يمينه وعبارة الهداية وان اختلفا في الاجل او في شرط الخيار او في استيفاء بعض الثمن فلا تحالف بينهما والقول قول من ينكر الخيار والاجل مع يمينه فان هلك المبيع ثم اختلفا لم يتحالفا عند ابي ح وابي س والقول قول المشتري . وقال محمد يتحالفان

ويفسخ البيع على قيمة الهالك اه قال في معراج الدراية . قوله فان هلك المبيع اي بعد قبض الثمن اذ قبل قبضه يفسخ العقد بهلاكه وقوله ثم اختلفا اي في مقدار الثمن هكذا ذكر في المبسوط اه فعلم ان قول الهداية فان يهلك الخ غير راجع الى قوله وان اختلفا في الأجل الخ بل الى ما ذكرهُ قبل ذلك من الاختلاف في قدر الثمن وفي متن المجمع وان اختلفا في الأجل او شرط الخيار او استيفاء بعض الثمن كان القول للمنكر او في الثمن بعد هلاك المبيع امر محمد بالتحالف والفسخ على قيمته وجعلا القول للمشتري اه .

قوله او في الثمن اي لو اختلفا في قدر الثمن كما في شرحه لابن ملك وقوله كان القول المنكر صريح في ان القول للبائع في استيفاء بعض الثمن لانه المنكر . وذكر في البحر عن النهاية ان التقيد ببعض الثمن اتفاقي اذا لا اختلاف في قبض كله كذلك وانما لم يذكره باعتبار ان مفروع عنه بمنزلة سائر الدعاوى اه .

ثانياً – الخيارات

س : فيما اذا اشترى زيد من عمرو كرماً معلوماً بثمن معلوم من الدراهم واثمر ونمى في يد المشتري ثم مات عن ورثة يدعون ان مورثهم لم يرَ المبيع زاعمين ان لهم خيار الروية فهل لهم ذلك ؟

ج : نعم خيار الروية يبطل بحدوث الثمرة والزيادة في يدي المشتري او وكيله وبعد ما حدثت على يده ليس له الرد بحال تناولها او لم يتناولها . الفتاوى من فصل خيار الروية ولا يورث خيار الروية كما لا يورث خيار الشرط خانيه ومثله في خزانة المفتين وفي الاشباه من كتاب الفرائض وفي شرح المجمع لابن الضياء . واما خيار الروية فالصحيح انه يورث اه قلت ونقل ابن الضياء لا يقاوم المتون الموضوعة لنقل المذهب . والله تعالى اعلم .

ثالثاً – الشهادات

بيّنة : لزوج انها امرأته من المهر اولى من بيّنة المرأة انه كان مقرّاً به الى الآن . .

قال المنقح : قوله بيّنة الزوج انها امرأته الخ لان بيّنة المرأة على الاقرار

قــد بطلت باقرار الزوج به لما ادعى البراءة ولم تبطل البراءة وكذا في دعوى اللين وكذا البيع والاقالــة فان بنيّة الاقالة اولى لبطلان بنيّة البيع باقرار مدعي الاقالة . وينبغي ان يحفظ هذا الاصل فانه يخرج به كثير من الواقعات كما في القنية : من الهامش .

رابعاً – الدعوى

س : في عقار معلوم جار في جهة وقف برّ والمتولون على الوقف واضعون يدهم عليه ومتصرفون فيه لجهة وقف البرّ من مدة تزيد على اربعين سنــة بلا معارض لهم في ذلك ولا في شيء منه فادعى متولي وقف برّ آخر على وكيل الوقف الاول لدى نائب محكمة بجريان العقار المذكور في الوقف الآخر وحكم نائب المحكمة لجهة الوقف الآخر بالعقار المزبور بشهادة بنية شهدت على خلاف المشهور المتواتر .

وان الدعوى بعد مرور المدة المزبورة بلا مانع غير مســموعة واثبتت دعواه المزبورة ومنع نائب قاضي القضاة المتولي المزبور وجهة وقفه من معارضة الوقف الاول في العقار المذكور وحكم به لجهة الوقف الاول حكماً مستوفياً شرائطه وكتب به حجة شرعية فهل يعمل بمضمونها بعد ثبوته بالوجه الشرعي.

ج : نعم لان الدعوى لا تُسمع بعد ثلاث وثلاثين سنــة كما صرّح به في البحر عن المبسوط ولان البنية على خلاف المشهور المتواتر لا تُسمع ولا تُقبل.

قال المنقح : من كون العقار جارياً في جهة الوقف الاول وبعــد مرور المدة المزبورة تصرف المدعي بالعقار مدة اربع سنين ثم ادعى وكيل شرعي عن متولي الوقف الاول لدى نائب قاضي القضاة على متولي الوقف الآخر بان الحكم المزبور صدر بشهادة البنية على خلاف المشهور المتواتر وان الدعوى صح .

خامساً – الوديعة

س : فيما اذا اودع زيد عند عمرو خنجراً في طريق الحاج فاخذهُ عمرو ووضعهُ تحت رأسهِ حفظاً لهُ ونام ثم انتبه فلم يجدهُ فهل الإضمان عليهِ .

ج : نعم ولو نام ووضع الوديعة تحت رأسهِ او جنبه فضاعت لا يضمن وكذلك ان وضعها بين يديه وهو الصحيح واليه مال الإمام السرخسي قالوا واذا

لا يجب الضمان في الفصل الثاني اذا نام قاعداً اما اذا نام مضجعاً كذا ذكرهُ في الذخيرة وذُكر في العدة لو نام واضعاً جنبهُ على الارض فضاعت الوديعة يضمن . وان نام قاعداً لا يضمن وفي السفر لا يضمن في الوجهتين . عمادية من الفصل ٣٢ .

قال المنقح : مضجعاً يضمن هذا اذا كان في الحضر اما اذا كان في السفر فلا ضمان نام قاعداً او مضجعاً صح .

سادساً : الاجارة

س : في اجارة الدار من مؤجرها فهل تكون غير جائزة.

ج : نعم اذا اجر من المؤجر لا يجوز وبطلت الاولى . وقال الحلواني لا تجوز الثانية ولا تبطل الاولى لان الثانية فاسدة فلا ترفع الصحيحة وهو الاصح اه منح في مسائل شتى وتقدم في البحر عن الجوهرة ما يخالفهُ اقول ووفق في الدر المختار بين ما في الجوهرة وما قبله بما فيه نظر كما اوضحته فيما علقته عليه وكتبتُ فيه ان الاظهر ما ذكره شمس الائمة لما ذكرهُ من العلة ولتصحيح قاضي خان لهُ وتوله في المضمرات وعليه الفتوى وكتبت ايضاً ما نصهُ وفي التارخانية استأجر الوكيل بالايجار من المستأجر لا يجوز لانه صار آجراً ومستأجراً. وقال القاضي بديع الدين كنتُ افتي بهِ فرجعت افتي بالجواز . اقول يظهر من هذا حكم متولي الوقف لو استأجر الوقف ممن اجرهُ له وقد توقف فيه بعض الفضلاء وقال لم ارهُ . تأمل اه .

قال المنقح : وهو الصحيح بزازية المستأجر ان يؤجر من غير مؤجره ومنه اي من مؤجرهِ لان الاجارة تمليك المنفعة والمستأجر في حق المنفعة قائم مقام المؤجر فيلزم تمليك المالك هكذا عللهُ بعض الشرّاح . وفي خلاصة الفتاوى قال في النوازل المستأجر اذا آجر المستأجر من الآجر لا يجوز وبطلت الاجارة الاولى . وقال شمس الائمة الحلواني لا تجوز الثانية ولا تبطل الاولى لان الثانية فاسدة فلا ترفع الصحيحة وهو الاصح اه .

سابعاً – الذبائح

س : في ذبيحة الذمي الكتابي هل تحلُّ مطلقاً ام لا .

ج : تحل ذبيحة الكتابي لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم او دعوي كالكتابي ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله وتحل مناكحته فصار كالمسلم في ذلك ولا فرق في الكتابي بين ان يكون ذمياً يهودياً او نصرانياً حربياً او عربياً او تغلبياً لاطلاق قوله تعالى : وطعام الذين اتوا الكتاب حلّ لكم . والمراد بطعامهم مزكاهم . قال البخاري رحمه (اي رحمهُ الله) في صحيحه قال ابن عباس ومن طعامهم وذبائحهم ولان مطلق الطعام غير المزكّى يحلّ من اي كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصهُ بالمزكى وهذا اذا لم يُسمع من الكتابي انه سمّى غير الله كالمسيح والعُزير .

أمّا لو سُمع فلا تحلّ ذبيحتهُ كقوله تع (تعالى) وما اهل لغير الله به وهو كالمسلم في ذلك . وهل يُشترط في اليهودي ان يكون اسرائيلياً وفي النصراني ان لا يعتقد ان المسيح اله . مقتضى اطلاق الهداية وغيرها عدم الاشتراط وبه افتى الجد في الاسرائيلي وشرط في المستصفى لحل مناكحتهم عدم اعتقاد النصراني ذلك . وكذلك في المبسوط فانهُ قال : ويجب ان لا يأكلوا ذبائح اهل الكتاب ان اعتقدوا ان المسيح اله وان العُزير اله ولا يتزوجوا نساءهم . لكن في مبسوط شمس الائمة وتحلّ ذبيحة النصراني مطلقاً سواء قال ثالث ثلاثة او لا ومقتضى الدلائل واطلاق الآية الجواز كما ذكرهُ التمرتاشي في فتاويه والاولى ان لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم إلّا لضرورة كما حققهُ الكمال ابن الهمام والله ولي الانعام.

قال العلّامة قاسم في رسائله : قال الإمام ومن دان دين اليهود والنصارى من الصابئة والسامرة اكل ذبيحته وحلّ نساؤهُ . وقد حكي عن عمر رضي الله عنه ان كُتب اليه فيهم او في احدهم فكتب مثل ما قلنا فاذا كانوا يعترفون باليهودية والنصرانية فقد علمنا ان النصارى فِرقٌ فلا يجوز اذا جمعت النصرانية بينهم ان نزعم ان بعضهم تحلّ ذبيحته ونساؤهُ وبعضهم يحرّم إلّا بخبر ملزم ولا نعلم في هذا خبراً فمن جمعتهُ اليهودية والنصرانية فحكمه حكم واحد . اه بحروفه .

س : في الكبد والطحال هل هما طاهران قبل الغسل ام لا .

ج . هما طاهران وان قبل الغسل حتى لو صلى بهما وجبه الخف وصلى جازت صلاته كما صرح بذلك قاضي خان في فصل النجاسة تصيب الثوب او الخف وهما حلالان كقوله صلعم (صلى عليه وسلم) احلّت لنا ميتتان السمك والجراد ودمان الكبد والطحال اه وهو بكسر الطاء. والمكروه تحريماً من الشاة سبع : ١ً الفرج ٢ً والخصية ٣ً والغدة ٤ً والدم المسفوح ٥ً والمرارة ٦ً والمثانة ٧ً والذكر . وقد نظمها بعضهم بقوله :

اذا ما ذكّيت شاةٌ فكلها سوى سبعٍ ففيهنّ الوبالُ
فقاءٌ ثمّ خاءٌ ثمّ غينٌ ودالٌ ثمّ ميمانٍ وذالُ

اقول وكنتُ نظمتُها بقولي :

انّ الذي من الشاة يُحرَّم يجمعهُ حروفُ فخذ مدغم

هذا ما رأينا ان نبسطهُ للقراء من بعض مواضيع هذا الكتاب . وقد جاء في آخره ما هو بالحرف الواحد :

« وهذا آخر ما يسّر المولى القدير . على عبده العاجز الحقير . من العقود الدرّية في تنقيح الفتاوى الحامدية التي سُئل عنها علّامة عصره ونتيجة دهره صدر الافاضل والاكابر . مَن ورث العلم كابرًا عن كابر . مولانا حامد افندي ابن علي افندي العمادي . سقى الله ثراه صوب غمام الرحمة النادي . وهي التي أفتى بها وجُمعت في حياته في مدة قيامه بمنصب الافتاء في دمشق الشام . ذات الثغر البسّام . ثمانية عشرة سنة ١١٣٧ الى ١١٥٥ . ولما ابتليتُ بعاثات امانة الفتوى . التي هي في زماننا من اعظم البلوى . رأيتُ هذه الفتاوى من احسن ما يُعتمد عليه . ومن انفع ما يجنح عند المراجعة اليه لتأخر جامعها وسعة اطلاع واضعها . وتحريره ما اعتمده المتأخرون الثقاة . وذكره لعامة الحوادث الواقعات في هذه الاوقات . إلّا انه رحمه (اي رحمهُ الله) لم يلتزم فيها الترتيب المعتبر . ولم يُسقط منها ما تكرر او اشتهر . وكثيرًا ما يذكر الجواب في محلّ ويذكر النقل المناسب في محلٍّ آخر ولذا صرف عنان العنان نحو تنقيحها واختصارها . والاقتصار على ما يفوح من طيب عرارها . بترك ما اشتهر من الاسئلة وظهر . واسقاط ما أُعيد منها وتكرر . واختصار بعض الالفاظ

بعبارات محررة . وحذف بعض النقول المعادة المكررة .. حتى جاء اقلّ من نصف الاصل حجما . واكثر من ثمره وافادة ونمى .. بما حواه زيادة على الاصل . في كل بابٍ وفصل . من التنبيه على مواضع هي محض وهم اوكبا فيها جواد القلم . وتحقيقات بديعه وتحريرات منيعه . وحلّ شكالات عويصه . واستخراج خفيَّات غويصه . انا ابو عذرها . ومُعاني حلوها ومرِّها . لم يحمْ حول كشفها سابق . ولم تفتح مقفلاتها قبلي لطارق .

قد خبأ المولى استخراج كنوزها لعبدهِ الضعيف . واظهر اشارات رموزها على يد هذا العاجز النحيف . حتى حقَّ ان ينشد الناظر . كم ترك الاول للآخر . واعتقادي ان حكمة ذلك الظاهره . هي اظهار القدرة الباهره . فان هذا العبد فكرتهُ كليله . وقريحتهُ قريحة عليله . وبضاعتهُ مزجاة قليله . مع ما امتزج بالبال . من عظائم البلبال . وتراكم الهموم والاهوال . وفقد المسعف . وعدم المنصف . وتسلط الحساد . بالسنةٍ حداد . وغير ذلك مما يورثُ الوهن . وكلال الذهن . ولكن لله درّ من قال . وابدع في المقال :

ان المقادير اذا ساعدت الحقتِ العاجزَ بالقادرِ

فدونك كتاباً قد اعملتُ فيهِ الفِكر . والزمتُ فيهِ الجفن السهر . قد غرستُ لك فيهِ من فنون التحريرات افناناً . وفتحتُ لك فيهِ من عيون المشكلات اجفانا . واودعتُ فيه من كنوز الفوائد . عقود الدرر الفرائد . وبسطتُ فيهِ من اعظم المقاصد احسن الموائد . وجلوتُ فيهِ على منصَّة الانظار . عرايس ابكار الافكار . وكشفتُ فيهِ بتوضيح العبارات قناع مخدَّراتهِ . ولم اكتفِ بتاويح الاشارات لاجل تحريرات خفيَّاتهِ . وليس يدري فضلهُ سوى عالمٍ فقيهٍ . فاضلٍ نبيه . اجرى سُفُن انظارهِ في سفن بحرهِ . واجرى جواد افكارهِ في شيح بَرِّهِ . واني أُعيذ بالله تعالى من شرّ كلّ غمرٍ جاهل . او حاسد متغافل . على اني لا ابرك[1] نفسي . فاني مقرٌّ بعجزي وبخسي . ارتجي ممن وقف فيهِ على عثرةٍ ان يتداركها بالعفو والاحسان . فان الانسان محل الخطاء والنسيان .

---

١) كذا في الاصل . وهي غلطة فرطت من القلم . والصواب : لا ابرّئ نفسي .

واني الجأ الى الله تعالى الذي امتنَّ عليَّ بذلك وتفضل ومن فيض فضله اطلب واسأل ان ينفع بهِ كلَّ قاصٍ ودان . ويهبَ لجودهِ الحسان كلَّ كفؤٍ محسان . وان يغفر لي ما طغى به القلم . او زلّت بهِ القَدَم . وان يتجاوز عن عثراتي . ويعفو عن سيئاتي .

قال المؤلف رحمه (رحمهُ الله) وقد فرغتُ من تحريرهِ وتنسيقه وتحبيرهِ لثمان عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٨ ثمان وثلاثين ومائتين والف للهجرة »

وتأتي بعد هذه الكتابة هاتان العبارتان وهما :

« صح توفى منقحها سنة ١٢٥٢ »

« وكان ختام كتابتها سنة ١٢٦٧ » .

في سرّ الزواج

لنيوفيطوس روديتس

نشره الاب إغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

مقدمة

في لائحة مخطوطات المكتبة الشرقية تحت علامة ٥٠٠ يلفت الاب لويس شيخو الانظار لمؤلف من نيوفيطس روديتس عنوانه : « الجواهر النفيسة في لوازم الكنيسة » وهو موجود في آخر كتاب « الامانة المستقيمة » للقديس يوحنا الدمشقي. وينعته الاب شيخو بانه مؤلف قيّم[1]. وهو بحث عقائدي ادبي كتبه احد قادة الكنيسة اليونانية الارثوذكسية في القرن السابع عشر.

وفي إعدادنا لائحة جديدة بالمخطوطات الباقية التي لم يسمح العمر للاب شيخو بتنسيقها او بتلك التي ابتيعت بعد وفاته، عثرنا على نصين آخرين للمخطوطة ذاتها. وهذا ما يدلنا على اهمية هذا المؤلف الذي تنوقل مرات عديدات وعلقت عليه الشروح[2].

ونعرف كاتبه نيوفيطوس روديتس بما تركه لنا المترجم (وقد تُرجم الكتاب من اللغة اليونانية سنة ١٧١٥) : «وبعد فيقول العبد الحقير المعترف لله بالذنب والتقصير الياس بن فخر الشهير بابن الفخر الطرابلسي الاصل والوطن والملكي الارثوذكسي الملة والسنن . لما وقفت على كتاب الذمة في علم الفقه المسيحي الذي الفه الاب الفاضل والعالم العامل فخر الملة المسيحية وجمال الكنيسة الارثوذكسية الكاهن في الرهبان كير ناوفيطوس روديتس القبرسي السيناني الغيور في انتشار صحة امانته

1) Catalogue raisonné des Manuscrits de la Bibliothèque Orientale, Beyrouth, 1926, p. 209, n. 500.

٢) راجع الاب لويس شيخو : كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، بيروت ١٩٢٤، ص. ٢٠٤، عدد ٧٨٦

الحريص على تثقيف كهنة الروم من ابناء ملته فرأيته كتاباً مفعماً حكمة سامية تنير العقول المظلمة بالجهل الصريح وتهدي المتعلم الراغب الخلاص الى اسد الطريق الصحيح لانه يتضمن كلما هو ضروري الى معرفة خلاص الذمة في طريق الفقه الشرعي وبه يهتدي الكاهن المعرف والعامي المعترف الى معرفة خبايا الخطايا المستترة في زوايا الذمة ... » (المقدمة ق ١' — ٢') .

وبما ان هذا المؤلف يظهر لنا بمكان من الاهمية وتعميماً لفائدته رأينا ان ننشر فصلاً منه يبحث في سر الزواج ونكتفي بما في هذا الفصل من وضوح فلا نزيد عليه تعليقاً[١] . ويلاحظ القارئ من خلاله آراء المؤلف في الطلاق .

الفصل التاسع

من الكتاب الاول « في سرّ الزيجة »

« هذا الترتيب لكثيرين[٢] من المعلمين الذين يعدون السبعة اسرار الكنيسة ويعقبون[٣] سر الزيجة في آخر الكل . وهذا السر على ما يقوله بولس الرسول لسرّ عظيم . كان سرّاً عظيماً ، لكونه يدل على اتحاد المسيح مع الكنيسة . وهذا السر يدعى زواجاً[٤] وعقداً واقتراناً قد رتبه الله تعالى لما جبل آدم ووضعه داخل الفردوس وضع بعد ذلك حوى[٥] واعطاها للانسان امرأةً له ومعينة لاجل التناسل ونمو جنس البشر . ولما حضر بعد ذلك السيد المسيح[٦] الى[٧] العرس الذي صار في قانا الجليل جعله سرّاً ليس بالاعجوبة[٨] التي فعلها فيه فقط بل لكونه وجد فيه بنفسه . فانه اعطاه قوة لان يكون سرّاً من اسرار الكنيسة ايضاً . واما الزواج فهو شيء مكرم ومقدس على ما يقوله الطوبان بولس : ان الزواج مكرم في الجميع ومضجعه غير دنس . اما غيره من اسرار

١) اتخذنا حروفاً ترمز الى النصوص الثلاثة وتفينا من التطويل : ب (المخطوطة الذي تكلم عنها الاب شيخو) ج ح (النصّان الآخران) . ذكر الاب جوجي كاتبنا مرتين في كتابه : *Theologia dogmatica christianorum orientalum Ab Ecclesia Catholica dissidentium*. Paris, 1930, III. pp. 81, 413.

٢) ج ح : لكثير. ٣) ج يعقوب. ٤) ج زواج. ٥) ب حوي.
٦) ح يزيد الذي. ٧) ج ح في. ٨) ب لاعجوبة.

الكنيسة فقد صارت بعد سقوط آدم الّا ان الزواج قد رتبه الله اولًا وامر به من داخل الفردوس قبل سقوط ادم منه وجعله ليس لاجل لذة جسدانية بل لاجل التناسل ونمو جنس البشر خلواً من انزعاج ولا رداوة اصلا . واما بعد سقوط ادم[1] ومعصيته فانه اعطاه الزواج اولًا لاجل نمو جنس البشر وثانياً لكون الناس لا تقدر ان تمسك ذواتها[2] عن الزناء . فليكتفي كل رجل بامرأته وكل امرأة برجلها . ولمحذور الزناء قال بولس الرسول: ان كل رجل[3] له امرأته وكل امرأة لها بعلها . فالزواج[4] اذًا هو عقد وجمع الرجل مع الامرأة دايم ابدي عديم الحل والانفصام . واقترانها واتحادهما الواحد مع الآخر هو ليعيشا معاً حياتهما كلها . وقد يقال ان الزواج هو عقد دايم غير منحل ولا منفك اصلًا لكونه حسب ارادة الرجل والامرأة والكنيسة ، قد[5] اقترن كلاهما واتحدا برضاهما لا يقدر[6] احد على ان يفرقهما ما دامهما احيا كما امر به المسيح القايل ما قد جمعه الله لا يقدر ان يفرقه انسان لان الرجل الذي يترك امرأته ويأخذ غيرها يزني . فالحاجة تدعو الى انهما يقيمان بعضهما مع[7] بعض حياتهما كلها . واما اذا عرض بينهما عارض[8] عثرة ما[9] سوا كان الرجل او الامرأة فلا يعود يمكنهما السكنى معاً فليفترقا من السكنى في مكان واحد الّا انهما مع هذا كله يلزمهما ان يمكثا بلا زيجة الرجل والامرأة كلاهما حتى يتصالحا ويتحابا ويعيشا بعضهما مع بعض ويتفقا بالسكنى ايضاً كما كانا[10] اولًا وهذا الذي نقوله هو تعليم بولس الرسول الذي قاله عن لسان المسيح بقوله هكذا[11] اقول للمزوجين ، ليس انا بل الرب ان المرأة[12] لا تعتزل عن زوجها وان هي اعتزلت عنه فلتقم بلا زوج او فلتراجع بعلها . والرجل لا يطلق امرأته . وما قد جمعه الله لا يقدر ان يفرقه انسان . فالمفهوم من مناشدة بولس هذه عن الزيجة الناموسية التي لا يداخلها سبب من الاسباب الذي يجعل تلك الزيجة خارجة عن الشريعة لانها اذا كانت خارجة عن الناموس فحلها

١) ب يعيد السطر السابق . ٢) ج ذاتها ٣) ج نسي الكلمة .
٤) ج الزوج . ٥) ب وقد . ٦) ب بقد . ٧) ب على .
٨) ب عارف . ٩) ج اسقطها . ١٠) ب ج كان .
١١) ج اسقطها . ١٢) ج الامرأة .

يمكن الكون رباطها بئس الرباط . واما اذا لم يداخلها سبب من الاسباب المانعة شرعاً ولا يمكن الفرقة فيها ولا ان يصير طلاق ولا انفصال بينهما اصلاً حسب مناشدة المسيح وبولس الرسول بقدر وثاق رباط الزيجة السرية . وقد اوضح بولس الرسول الرباط الوثيق والاتحاد الدايم الذي في الزيجة السرية وكيف ينبغي حفظه غير منحل ولا مفترق اصلاً بمثل عجيب حيث قال كيف ان الرجل رأس المراة[١] كما ان المسيح رأس الكنيسة . ومن هذا بيان ان المسيح كما انه لم يشاء ان يفترق عن الكنيسة البتة لاجل ما عاهدها[٢] به من انه يكون معها دائماً حيث قال انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر . هكذا لا يقدر الرجل ان يفترق عن امرأته ان كانت زيجته ناموسية لاجل العهد الذي عاهده. والشرط الذي اشرطه على نفسه قدام الله بانه يُقيم معها[٣] حياته كلها. ومثله المرأة فانها لا تقدر ان تفترق عن زوجها كما ان الكنيسة لا تفترق عن المسيح[٤] ختنها . فمن الواجب على الكهنة اذاً ان يعرفوا ما قد علمه[٥] المسيح عن هذا الافتراق وكيفية الطلاق وما علمه[٥] بولس الرسول والاباء القديسون[٦] معلموا الكنيسة وانهم لا يفسخون الزيجات الناموسية الشرعية بعلة من العلل ولا بسبب من الاسباب ولا يطلقون لاولئك المطلقين ان يتزوجوا على مقتضى اهوايهم لان الرجل اذا تزوج امرأة اخرى وزوجته الاولى الناموسية كانت حية وكذلك المرأة اذا تزوجت رجلاً آخر وبعلها الاول الناموسي كان حياً فهو زنا محض ظاهر وخطية دايمة وليس بسر البتة . ولا يجوز للامراة ان تعطي اذناً لزوجها ليأخذ غيرها برضاها كما ظن بعضهم جهلاً وشناعة فظيعة[٧]. ولا يجوز للرجل ايضاً ان يعطي اذناً لزوجته لتأخذ غيره برضاه لان ذلك ليس بمفوض له على ما يقتضي هوايه . ولا المراة ايضاً لكونهما لما تزوجا عاهدا الله والكنيسة بانهما يقيمان بعضهما مع بعض ، لا يفرقهما سوى الموت وحده . والرسل القديسون[٨] يحرمون ويفرزون كل من كان هذا الفعل فعله بقولهم في القانون الاربعين ،

---

١) ج الامرأة. ٢) ب عداهلها. ٣) ب ح اسقطا معها .
٤) ب اسقط المسيح . ٥) ب عمله . ٦) ب القديسين.
٧) ب ح فظيعاً . ٨) ب ح القديسين .

هكذا[١] : اي رجل علماني اخرج امرأته عنه واخذ غيرها او تزوج مطلقة من اخر فليكن[٢] محروماً . والقديس باسيليوس الكبير يقول في قانون الثامن والاربعين هكذا[١] : المراة المعتزلة عن رجلها[٣] فلتمكث هكذا وان اخذت غيره تكن زانية حسب قول الرب[٤] . والقديس امبروسيوس يقول في تفسيره بشارة لوقا ان هذا زنا ظاهر محض لاسيما يقول هذا القديس انه ان[٥] كان الرجل يجد على زوجته زلة ينبغي له ان يصفح عنها لاجل محبة اولاده التي هي امهم. وهذا بعينه يعلمه القديس يوحنا فم الذهب في المقالة السابعة من تفسيره بشارة متى . فمن هنا يتضح قبح انحراف عقول بعضهم الذين يكتبون اراء وخيمة تنفي اقوال المسيح والرسل[٦] والاباء والقديسين[٧] وتضادها ، اخذين عن بعض المحدثين الذين كتبوا وفسروا بعض القوانين الناموسية بالتدليس[٨] على ما تقتضيه آراؤهم واهواء انفسهم لاهلاك كثير من الناس ويعطون سماحاً[٩] في الطلاق وفي افتراق الزيجات الناموسية ويضعون الناس تحت هذا المقدار من الحرومات . اقول[١٠] ايضاً انه لا يجوز لاحد ان يترك امرأته ويأخذ غيرها وتلك المرأة حية من غير علة عدلة شرعية البتة . ولا يجوز للمرأة ان تأخذ غير رجلها وهو حي ولو اراد كلاهما فان ذلك لا يمكن على ما يقوله بولس الرسول[١١] اي انهما لا يمكنان بعضهما مع بعض معاً . لكن لا يطلق لهما الافتراق والانفصال اصلاً وذلك مراعاة لرباط سر الزيجة الوثيق[١٢] . مادة[١٣] هذا السر هما الاشخاص الناموسية اعني الرجل والمراة اللذين باتفاقهما وحسن رضاهما جمعتهما الكنيسة ليكون كلاهما اثنين في جسد واحد ليلدا الاولاد[١٤] ويعيشا بعضهما مع بعض[١٥]

---

١) ج اسقط هكذا . ٢) ب فليكون .
٣) ب زوجها . ٤) ج اسقط الرب وزاد يريد بقوله المرأة المعتزلة عن رجلها اي الملتفة لا المطلقة .
٥) ج اسقط ان . ٦) ج اسقط الرسل .
٧) ب ج اسقطا « الواو » . ٨) ج التدليس ٩) ج يزيد في ذلك .
١٠) ج اسقطها . ١١) ب اسقطها . ١٢) ج اسقطها .
١٣) ج اسقطها . ١٤) ب اولاداً .
١٥) ج يزيد الرجل والامرأة .

معاً[1] دايماً[2] . اما[3] صورته فهي اقوال اولئك المزوجين اعني قول الرجل للمراة هل تريديني زوجاً لك وقول المراة نعم اريدك . فلاجل ذلك تستحسن وتمدح عادة البيعة حين يسأل الكاهن في الوقت الذي يصير فيه الاكليل ويستفهم من العريس قدام الاشابين قايلاً له يا فلان هل تريد فلانة زوجة لك ناموسية مباركة حسبما تأمر به كنيسة[4] الله[5] المقدسة والعريس يجاوب قايلاً نعم اريدها . ومثل ذلك يسأل العروس[6] ان كانت تريد فلاناً بعلاً لها ناموسياً مباركاً وهي تجاوب عن ذلك بالقول كان او بالاشارة انها تريده . والسبب الذي تتزوج الناس لاجله[7] الاول وهوَ الاخص لاجل التناسل ونمو جنس البشر . والثاني لاجل الفرار من الزنا وقد نلاحظ في سر الزيجة ثلثة اشياء.[8] الاول هذا اي التناسل واتلاد[9] الاولاد . الثاني صدق المراة مع الرجل[10] وصدق الرجل مع الامراة[11] . الثالث الرباط الوثيق الدايم الغير المنحل والغير المنفصم[12] اصلاً الذي ترابط به اثنانهما ليمكثا بعضهما | مع بعض ويبقيا ما دامها احيا . وانهما يحب بعضهما|[13] بعضاً كما احب المسيح الكنيسة . اما الشباب المحدثون[14] البالغوا السن الشرعي[15] لهم ان يتزوجوا من غير ارادة اهلهم واقاربهم لكنهم[16] يخطون غالباً حين لا يسمعون نصيحة اهلهم واقاربهم الذين يحبونهم ويريدون لهم الخير والرأي الجيد . ومع هذا كله[17] فان زواجهم تام . وهو[18] ناموسي بحسب الشريعة ولا يجوز لاحد ان يفرته ولا يفسخه اصلاً لانه صار باتفاق ورضى من الجانبين . وكما ان الاهل والاقارب لا يقدرون ان يلزموا الشباب في الزيجة خصوصاً اذا كانت قصده الرهبانية هكذا لا يقدرون ان يطلقوه من زيجته حين يتزوج بغير رضاهم حيث لم يكن مانع من الموانع الشرعية التي تمنع الزواج بالحقيقة . اعلم انه توجد موانع تمنع صيرورة الزواج ويمكن حله

١) ب اسقطها . ٢) ب يزيد ابداً . ٣) ج اسقطها .
٤) ج الكنيسة . ٥) ج اسقطها . ٦) ج العريس .
٧) ب وضعها قبل تتزوّج . ٨) ج اسقطها . ٩) ج الاتلاد .
١٠) ب بعلها . ١١) ج المراة . ١٢) ب ح منفصم .
١٣) ا — ا ب اسقطها . ١٤) الحدثوا . ١٥) ب يزيد ليس .
١٦) ح اسقط الجملة من لكنهم الى اقاربهم . ١٧) ب ح كلهم . ١٨) ج اسقطها

وفسخه اذا صار وتبيح لذاك الشخص ان يتزوج من ساير الوجوه من غير ان ينافي ويضاد تعليم المسيح ولا يناقض رباط سر الزيجة الوثيق[١] الدايم . وهي اثنا عشر مانعاً . ونحن نسردها[٢] هنا مانعاً مانعاً بطريقة مختصرة[٣] موجزة[٤] . المانع الاول يدعى خديعة . وهو ان يخدع الواحد الاخر ويهزو به ويضحك عليه في عقد الزيجة . وذلك[٥] لا يعقل ولا يعلم ماذا يفعل لكونه اما انه صغير حدث السن وليس له معرفة ولا ادراك ولا يتصور فيما يعمله او انه مجنون ابله او متشيطن من الارواح الخبيثة او فيه مرض من الامراض الطبيعية المعضلة ولاجله لا يقدر ان يقيم بعضهما مع بعض معاً . وهذا المنع يكون لمن كان هذا الحال حاله سوا كان الرجل او المراة[٦] . المانع الثاني لما يظن احد بانه يتزوج امراة حرة ويزوجونه[٧] امة او[٨] امراة حرة تتزوج رجلاً مملوكاً بغير علمها والسبب في ذلك هو ان الانسان لا يلتزم ان يصير بنيه عبيداً فلاجل ذلك يمكن حل تلك الزيجة وفسخها . واما اذا كانا عارفين بهذا وراضيين به قبل الزيجة ثم تزوجا فزواجهما شرعي . المانع الثالث العهد اي اذا عاهد الله احد قبل ان يتزوّج على انه[٩] يصير راهباً او المراة[١٠] تعاهد الله بانها تصير راهبة او انهما[١١] ينذرن بان يعيشا في البتولية مدة حياتهما فان كان بعد لم يصير[١٢] ذاك الرجل راهباً ولا تلك المراة راهبة بل ندما وتزوجا فذاك الزواج ليس بناموسي ويمكن حله وفسخه . واما اذا كان الشخص الواحد منهما عمل ذلك العهد وحده فلا ينحل ذلك الزواج اصلاً الا ان ذلك الشخص الذي عمل العهد لا يقدر ان يلتمس استحقاقه من الشخص الاخر الذي لم يعاهد في العفاف . لكن ذلك الشخص الذي لم يعمل العهد له ان يلتمس استحقاقه من ذالك الشخص الذي عمل العهد ويحتاج ذلك[١٣] ان يعطيه ملتمسه . تنبيه اعلم ان اولئك الذين عاهدوا الله ونذروا[١٤] على انفسهم ان يحفظوا ذواتهم ويصونوها

١) ب بقول والوثيق . ٢) ج نورد ب نورد . ٣) ج مقتصرة .
٤) ب ج وجيزة . ٥) ب ج وذاك . ٦) ب الامراة .
٧) ب يزوجوه . ٨) ب اسقطها . ٩) ج اسقطها .
١٠) ب امراة . ١١) ب اسقطها . ١٢) ج يصر .
١٣) ب ذاك . ١٤) ب ج نذروا .

من اللذة الجسدانية . ثم نكثوا بعد ذلك[1] ولم يحفظوا ما عاهدوا به فالمجمع الرابع يفرزهم في القانون السادس عشر كالعصاة المارقين . وبولس الرسول يقول عن مثل هولاء انهم رفضوا ايمانهم الاول . المانع الرابع القرابة . اعني ان تزوج احد قرابته . ولم يحفظ درجات القرابة التي امرت بها الكنيسة . المانع الخامس اذا كان الرجل مزوجاً امراة ناموسية او امراة مزوجة رجلا ناموسياً . ويمضي احدهما الى بلدة اخرى يكون مجهولا فيها . فيتزوج . المانع السادس اذا كان رجل غير معمد[2] وتزوج امراة مسيحية معمدة او امراة غير معمدة تزوجت[3] رجلا مسيحيا معمدا وهذا يمنع الزواج من ان يصير واذا صار يمكن حله وفسخه على كل حال لا محالة لانه لا يجوز جمع المعمد مع الغير المعمدة ولا المعمدة[4] مع الغير المعمد لكيلا يصير[5] اولاد المسيحي كفرة[6] بلا ايمان . واما اذا كان الشخصان معمدين ومعترفين بالثالوث الاقدس غير ان احدهما اراطيقي فزيجتهم شرعية لا يجوز حلها ولا فسخها اصلا . واما اذا كان الشخص الواحد كافرا والاخر مؤمنا ويتفقان بان يمكثا بعضهما مع بعض على نية ما يقوله بولس الرسول ان المؤمن يجذب الكافر الى الايمان فيمكن مكثهما بعضهما مع بعض واما اذا لم يتفقا يلزم افتراق بعضهما من[7] بعض وذلك[8] بأخذ غيرها . وتلك تأخذ[9] غيره على[10] ما يقوله بولس الرسول نفسه هكذا[11] ان كان الذي لا يؤمن يريد الفرقة فلتفارقه لان الاخ او الاخت ليس تلزوم للعبودية في هذا . المانع السابع . اذا كان رجل فسق بامراة غيره ثم اخيرا قتل زوجها الناموسي وتزوجها ليتمكن منها بالكلية فهذا لا يجوز له ان يتزوج تلك المراة التي كان يفسق[12] بها في حياة زوجها . واذا تزوجها فزواجه هذا خارج الناموس ويمكن حله وفسخه لا محالة . المانع الثامن ان تزوج احد[13] كرها وجبرا من غير ارادته بل التزم بذلك من احد المردة الظالمين[14] وذوي

١) ج اسقط بعد ذلك . ٢) ب معتمد . ٣) ج وتزوجت .
٤) ب المتعمدة . ٥) ج تصير ب يصيروا . ٦) ج ح كفرا .
٧) ب ح مع . ٨) ج ذلك . ٩) ج اسقطها . ١٠) ب وعلى .
١١) ج اسقطها . ١٢) ب فسق . ١٣) ب احدا . ١٤) ب المتصبين .

السطوة خوفاً من ان يقتلوه . المانع التاسع ان كان احد من اصحاب الدرجات الكهنوتية نذر وعاهد الله لما تشرطن ايبودياكنا او شماساً انجيلياً او قسيساً انه لا يتزوج اصلاً فهذا لا يقدر بعدها ان يتزوج وان تزوج فزواجه ليس بناموسي بل خطية الزنا الدايم بل انها خطية باهظة[1] تدعى فجوراً بالالهيات . المانع العاشر ان يتزوج احد ولم يحفظ درجات الشبونية التي صارت بواسطة المعمودية اي ان احداً يتزوج من له علاقة شبونية . المانع الحادي عشر ان يتزوج احد وهو عاجز عن المجامعة من ضعف طبيعي ولهذا لا يولد له اولاد واما اذا كان ذاك الرجل معقوداً بسحر وما يشاكله من الحيل الشيطانية التي يعملها بعض من لا يخاف الله فلا ينحل ذلك الزواج ولا ينفسخ لان قوة الشيطان لا يمكنها تبقى زماناً طويلاً . وان كان احياناً يبطي ذاك السحر لسبب من الاسباب . اما لموت[2] الذي عقده من غير ان يفكه وان ذاك السحر معمول الدوام وقد[3] مضى[4] عليه زمان[5] كثير ولم ينحل . فالكنيسة لها النظر والحكم في[6] ذلك . واما الذي يكون عاجزاً من تلقا ضعف طبيعي عن المجامعة فليتوقف له ثلث سنين وبعد انقضا مدة الثلث سنين ويمكن افتراق المرأة عنه ولها ان تتزوج غيره وهذا مفوض لرأي الاسقف وارادته . وان كان الرجل يعرف زوجته ولو لم يأتِه منها اولاد فلا يجوز حل ذاك الزواج ولا فسخه البتة . وان كانت المرأة تعطي زوجها احياناً اذناً لان يصير راهباً فلا تقدر[7] تلك المرأة على ان تتزوج غيره بحال من الاحوال اصلاً ما دام زوجها في الحياة[8] ولو كان راهباً بل فلتمكث بلا رجل او انها[9] تصير راهبة ايضاً ولاجل ذلك يقول بولس الرسول[10] هكذا[11] ان كنت يا هذا مقيداً بزوجة فلا تطلب فرقتها . وان كنت خاوياً من زوجة فلا تطلب زوجة . ومن يعمل خلاف هذا فانه يقيم دائماً في الخطية المميتة . المانع الثاني عشر ان كان يفسخ احد المتزوجين عقد الزواج[12] الشرعي تعدياً ويتزوج شخصاً اخر فذاك الزواج ليس بناموسي

١) ج باهضة . ٢) ج الموت . ٣) ج اسقطها . ٤) ج ومضى .
٥) ب زماناً . ٦) ج بذلك . ٧) ج يقدر . ٨) ج حياً .
٩) ب ج وانها . ١٠) ب اسقطها . ١١) ج اسقطها . ١٢) ــ الزيجة .

بل هو فسق ظاهر وزنا محض وقد ينبغي لكل رجل اتى[1] بلدة وهو فيها مجهول ويريد ان يتزوج في تلك البلدة فلا يكلله الكاهن ما لم يستفحص عنه بقدر الامكان حذرًا من ان[2] يكون مزوجًا في بلدته . وان كان لا يتحقق امره كما ينبغي فلا يكلله لاجل هذه العادة الواجبة المستحسنة يلزم الكاهن قبل ان يصير الاكليل باحدين او ثلثة ان ينادي في كل احد في القداس قدام الشعب عن ذلك الزواج ان كان احد يعرف ان فيه مانعاً من الموانع الشرعية فليعلم به الكاهن والاكليل[3] ينبغي ان يصير في الكنيسة بعد القداس كما يفسره الافخولوجيون . ومن[4] الواجب والمستحب[5] والمستحسن ان العريس والعروس يعترفان ويتقربان قبل الاكليل ليكونا موجودين في نعمة الله ليعطيها[6] الله تلك النعمة التي يسديها في سر الزيجة هذا بالترويج الناموسي . لان هذا السر يدعي سر الاحياء ايضاً . والواجب على من يتناوله ان يكون معترفاً وحيًّا في نعمة الله تعالى وايضاً[7] ان تلك الايام التي تمنع الكنيسة ان تصير[8] فيها الزيجات لا يجوز ان يصير[9] فيها اكليل الزيجة . ولكن مع هذا اذا صار فيها زواج فهو ناموسي ولا يجوز حله ولا فسخه اصلاً غير انه يلزم تأديب ذلك الكاهن الذي كلل[10] في تلك الايام الممنوعة حسب العادة الكنايسية تأديباً كنايسياً والايام الممنوعة هي الصوم الكبير المقدس وصوم الميلاد وصوم السيدة الكلية القداسة[11] وصوم الرسل القديسين . حاشية[12]

اعلم ان منع عقد الزواج في الاربعة الاصوام المذكورة هي عادة جارية في بلاد الروم ويباح فيما عداها من الايام . واما في[13] البلاد الغربية الكنيسة تمنع عقد الزواج فيما عداها من الايام[14] في الصوم الكبير وصوم السيدة وتبيح عقده في صوم الميلاد وصوم الرسل ثم تمنع ايضاً في الاثنا[15] عشر يوماً التي من عيد الميلاد الى عيد الظهور الالهي وفي سبة الفصح وسبة العنصرة وقد يجب حفظ العادة في كل اقليم على ما هي جارية من القديم[16] »

١) ب يزيد الى . ٢) ح انه . ٣) ج اسقط الواو . ٤) ج اسقط الواو .
٥) ج اسقطها . ٦) ب ليعطيها . ٧) ج اسقط الواو . ٨) ب ج يصير .
٩) ب تصير . ١٠) ح ب اسقطها . ١١) ج اسقط صوم الميلاد وصوم السيدة الكلية القداسة . ١٢) ج يقول تنبيه . ١٣) ج اسقطها .
١٤) ح اسقط فيما عداها من الايام . ١٥) ح الاثنتا . ١٦) ج يزيد انتهى .

نزوح الامير بشير الى مصر

في سنة ١٨٢٢

بقلم الاستاذ ميشال شبلي

« يظهر قريباً في عالم الطباعة مؤلف باللغة الافرنسية بقلم الاستاذ ميشال شبلي عن تاريخ لبنان من سنة ١٦٣٥ حتى سنة ١٨٤١ اي منذ نهاية عهد فخر الدين معن حتى زوال حكم الشهابيين .

وقد شاء المؤلف ان يلخص لنا باللغة العربية هذه الصفحة من كتابه : »

ونشب النزاع في تلك السنة (١٨٢٢) بين عبدالله باشا الخازندار حاكم عكا وبين درويش باشا حاكم الشام .

وقد كانت الاقطار العثمانية الفت مثل هذه المنازعات بين الحكام تدفع اليها المطامع والفوضى وضعف السلطة المركزية التي لم يكن لها من هم سوى استدرار المال بارهاق الشعوب الخاضعة لها .

اما في هذا النزاع فان التاريخ يروي له سبباً مباشراً يدعو للدهشة . فهو قد اثاره صيارف يهود انتقاماً . وحكاية ذلك هي ان عبدالله وكان فتى نزقاً تسلم الحكم في عكا في سنة١٨١٩ وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من سنيه بمعاضدة « المعلم حاييم اليهودي » وكان هذا يدير خزنة عكا منذ عهد الجزار .

ولما بلغ عبدالله اربه كافأ المعلم حاييم بان خنقه ورمى جثته في البحر دون ما ذنب اقترفه .

وكان للمعلم حاييم اقارب في دمشق هم الصيارف سلمون ورافايل من عائلة فارحي فاضمروا لعبدالله الانتقام . وكان هذان من ذوي النفوذ بسبب وفرة مالهم يكتسبون به من يشاؤون من رجال الدولة وقد رووا عن مبلغ نفوذهم انه لما اراد احد رجال الدولة ارهاقهم ضبط دفاترهم وارسلها الى الاستانة لاجل فحص قيودها ولكن ما لبث ان اعيدت اليهم دون اي ارهاق. ويمكننا

تفسير ذلك اما بصحة قيودها واما بكون المدققين لم يفهموا منها شيئاً واما على الارجح بان الرشوة لعبت دورها التقليدي لدى الحكام .

وقد استخدم سلمون ورافايل درويش باشا اداة لانتقامهم من باشا عكا وحماوه على محاربته وتجريد قوى الدولة عليه .

وكان على درويش ان يأمن اولاً جانب الامير بشير في حربه هذه وهو يعلم ان بشيراً تربطه بعبدالله رابطة صداقة وتحالف . فحاول اولاً تهديد بشير وارهابه بالاعتداء على قرى البقاع ولكن بشير جابهه بالقوة وبعد ان اوعز الى اهل البقاع بان يرحلوا الى قرى الجبل والى زحله ارسل ابنه الامير خليل على رأس رجاله فطرد المعتدين واسر عسكراً من الاكراد .

اما درويش فالقى القبض على اهالي الجبل الموجودين في الشام وارسل يخابر بشيراً بالمصالحة على الشروط الآتية :

١ً — رفع الضبط عن قرى اللبنانيين في البقاع على ان يكون الحاكم فيه « من تحت امر الامير كما كان قديماً ».

٢ً — يكون حكم وادي التيم للامير من آل شهاب وحكم بلاد بعلبك للامير من آل حرفوش يختارهما بشير .

وكل ذلك بغية ان يظهر بشير عدم تضامنه مع باشا عكا ..

ولكن بشير كان يعتقد بقوة هذا الاخير وكان قد بنى سياسته على موالاة حاكم عكا بعد ما ذاق الامرين من معاداة الجزار فولى وجهه شطر عكا .

وكان درويش يدرك صعوبة النيل من بشير في عرينه جبل لبنان وقد التف حوله الحزب الجنبلاطي واخلص له الامراء اللمعيون فضلاً عن مؤازرة الموارنة . اجل ٠ان الحزب اليزبكي يرئسه آل عماد كان قليل الولاء للامير يعاضده بعض الامراء الشهابيين مثل فارس وسلمان ولدي سيد احمد وحسن ابن الامير اسعد وهم من ابناء عمومة بشير الذين يطمعون بالحكم ويزاحمون عليه . فارتأى درويش ان يستميلهم فقصدوا اليه وعين الامير فارس على حكومة وادي التيم وهي الطريق المؤدية الى عكا .

فاثار هذا التصرف قلق بشير واثار على الاخص قلق عبدالله الذي ارسل

عساكره لاحتلال راشيا . وقد خاطبهم بهذه الرسالة التي نقلها الينا حيدر في مؤلفه وهي تدل على اللغة التي كان يستعملها الولاة آنئذ . ومنها :

« ماذا يكون هذا الكلب الذي في راشيا حتى يقف قدامكم هـذا الموقف . . . فا مضى مضى واضربوا راشيا بفرد راس . . . » الخ .

ولكن عساكر عبدالله باءت بالفشل في هذه الدورة الاولى من المعركة وقد ترك لنا الشدياق وصف انكسار عبدالله فيما قال :

« حينئذ همهمت الفرسان واطلقوا العنان وزمجرت الشجعان واصطدم الجحفلان وانصب على الفريقين الرصاص كالبرد ونعب غراب البين الذي لم يكن له مثيل وجردت السيوف اللمع وشرعت الذوابل الطلع ونصب غبار الدخان عليهم سرادق وخيلت ضوضاؤهم اصوات صواعق وما زالت ريح الحرب تهب السموم وتعطل نـار السموم حتى استظهر الاميران (فارس وسلمان سيد احمد) على عسكر عكا . . . »

اما بشير فلما بلغه ذلك اطلق التنبيه بجمع الرجال وسار على رأس اربعة آلاف مقاتل قاصداً راشيا . « فتيقن عسكر الشام ان ليس له قدرة على القتال وعرض على الامير ان يقوم من راشيا بدون معارضة . فقبل الامير بذلك . ولما عادت العساكر الى الشام مخذولة صارت رجه وخوف عظيم وعزلوا جميع قرى الشام لداخل المدينة حتى الصالحيه والميدان . . . . » وقد روى الشدياق ان درويش استشاط غيظاً من هذا الاستسلام وشتم قادة عساكره وطرد الامراء اللبنانيين وزعماء الحزب اليزبكي من معسكره .

فازداد يقين درويش باشا بصعوبة النيل من عبدالله باشا ما دامت مؤازرة بشير له مستمرة وطريق لبنان موصدة دون زحفه . فاختار الوصول الى عكا عن طريق نابلس ووجه اليها قواته بقيادة كاخيته فيزو باشا . وحسب للامير منزلته فاخذ يفاوضه مجدداً للوقوف على الحياد لان « الدولة وجهت عليه (على درويش) ولاية عكا . . . » ثم ارسل اليه مع اسكندر كاتب رسالة « ليكون مطمأن البال وكل ما يطلبه منه يصير حسب ارادته حيث انه يتسكن في محله ولا يبدو منه اسعاف الى عبدالله» ولكن بشير كان قد عزم على ربط مقدراته بمقدرات حليفه في عكا فاعاد رسول درويش بدون جواب بل كان جوابه ارسال رجاله بقيادة ابنه خليل لمعاونة عبدالله فرابطوا على جسر بنات يعقوب .

لقد اخطأ بشير في موقفه هذا لان خطة الحياد التي سار عليها سابقاً في سياسته خصوصاً عند زحف بونابرت على عكا كانت الخطة المثلى للبنان كل ما استطاع سلوكها .

نعم ان الامير تظاهر مع عبدالله حفظاً للعهد الذي قطعه ولكنه كان يعلم ان الحكمة تقضي بعدم التورط في محاربة درويش اذا عزمت الدولة على معاضدته . فذهب الى عكا لمقابلة عبدالله « ودخل المدينة في عراضه وعز عظيم وقوست له المدافع والابراج » وهناك يقول حيدر نصح الامير حليفه « بعدم الزحف على الشام لانها باب الكعبة » بل كان مرامه من هذا كما قلنا نصح عبدالله بعدم التهور ضد الدولة .

عندئذٍ دفع الغرور عبدالله الى عمل ندر وقوعه في التاريخ وقد يكون اقدم عليه لاجل حمل بشير على المحاربة في صفوفه ذلك انه «زور فرماناً سلطانياً باسناد حكم الشام اليه» وهو عمل يدل على غرور ذلك الشاب من جهة وعلى الفوضى في امور الدولة العثمانية آنئذٍ وسقوط هيبتها وارتباك امورها .

وبعد ان « اختلى الامير بشير بالوزير عبدالله نحو ثلاث ساعات » خرج الامير من عكا في مقدمة رجاله ورجال عكا وزحف على الشام عن طريق جسر بنات يعقوب وكان ذلك في ربيع سنة ١٨٢٢

اما عساكر الشام فخرجت وتحصنت في محلة المزه واجابت على محاصرة بشير باطلاق المدافع والزمبركات عندئذٍ شدد الامير الحصار من كل جانب واختار من رجاله نحو الالفين هجم معهم « هجمة واحدة فملكوا المزة وكانت خسائر اعدائه نحواً من ٢٥٠ قتيلاً و ٥٠٠ اسير واستولى عسكر بشير على وطاق العدو والجبخانه والمدافع وجميع الخيل ».

ولم تكن هذه المرة الوحيدة في انتصار بشير على ابواب دمشق بل اننا نعلم انه دخل المدينة فاتحاً في سنة ١٨١٠ ضد يوسف كنج باشا .

وقد كان بين الاسرى اتباع اليزبكيه من اللبنانيين فاطلق الامير سراحهم ولهذا« نسب اليهم الدمشقيون الخيانة واتهموهم بعدم محاربة مواطنيهم من اهل الجبل ...»

وبعد هذا الانتصار ارسل بشير قوة بقيادة ابنه خليل يرصد الطريق على فيزو باشا وعساكره دون الودة من نابلس فتم لخليل النصر عليهم في قرية مرجانه.

○

كانت عاقبة هذا الفوز سيئة على بشير وعلى عبدالله باشا ذلك لان درويش اعرض للباب العالي عن موقفها فصدرت الاوامر الى باشا حلب والى باشا مرعش وسواهما للمبادرة الى اعانة درويش بقوة تجاوزت العشرين الف رجل . فلم يبقَ امام بشير سوى العودة من ضواحي الشام الى بتدين ينتظر الحوادث وقد يكون ادرك آنئذٍ حيلة عبدالله بتزوير الفرمان السلطاني وقد سبق السيف العذل ...

اما درويش باشا فكان عليه دائماً ان يأمن جانب امير لبنان عند زحفه على عكا ولم يكن ذلك هيناً عن طريق امتشاق الحسام فعمد الى سياسة التفريق وابعاد الزعماء عن بشير وكان ذلك اولا بمعاضدة الاميرين حسن وسلمان شهاب المطالبين بالحكم يؤازرهم الحزب اليزبكي فولاهما على لبنان ونزل بعساكره على نبع عنجر في البقاع « احتساباً على الجبل ... » — ولما كان يعلم ضعف الحزب اليزبكي سعى باستمالة الشيخ بشير جنبلاط العضد الاكبر للامير وكان ذلك بواسطة المعلمين سلمون ورافايل فارسلوا الى الشيخ الجنبلاطي «بان يوجه لهم من قبله شخصاً يعتمد عليه لكي يفهموه المتوقع فوجه لهم يوسف العكاوي وبعد مفاوضات رجع بكلام مناسب تحت بعض الشروط ...»

ذلك ان هم بشير جنبلاط كان كبيراً بتلافي سيادة الحزب اليزبكي وهو خصمه الالد . وكان الشيخ مخلصاً للامير في موقفه هذا كما كان طيلة سيرته السابقة فحاول اولاً المصالحة بين الامير وباشا الشام عن يد سلمون اليهودي ودامت المراسلة بهذا الصدد شهراً. ولكن الامير « ابى ذلك لانه لا ينكث عهده مع عبدالله باشا ... » — عندئذٍ فكر الشيخ بتولية امير شهابي موالٍ للحزب الجنبلاطي اقصاء للحزب الاخر ووقع الاختيار على الامير عباس الذي كان قد تولى الحكم اكثر من مرة في عهد الجزار.

اجل ان بشيراً قبل عن مضض هذا الحل ولكنه اضمر للشيخ الجنبلاطي الحقد الكامن من جراء موقفه هذا وقد انتقم منه بعدئذٍ الانتقام الهائل بالاعدام .

○

كان درويش ناصباً خيامه مع عسكره في قرية المرج في سهل البقاع عندما اقبل اليه الامير عباس مع مائة خيال من رجال الشيخ جنبلاط « سر درويش سروراً زائداً حيث انه كان فاهماً انه لا يقدر على تملك الجبل ولا على تغيير الامير بشير وان ما وعده الحزب اليزبكي هو أفك وبهتان... »
ولم يكن بوسع الاميرين حسن وسلمان وكانا مقيمين في جديتا سوى الامتثال لهذا التدبير فسارا في ركاب عباس عند عوده الى الجبل « حتى مفارق الطرق فودعوه وذهب حسن الى وادي شحرور وسلمان الى الحدث ودخل عباس دير القمر حاكماً ... وقد فرح الاهالي بذلك التدبير لانهم كانوا خايفين انه اذا حكم الاميران سلمان وحسن يدخل عسكر الدولة الى البلاد ويكثر الظلم والتعدي... »

فاعرض درويش للدولة « بانه تملك جبل لبنان بالسيف وهدم قلاعه الحصينة ... » على ان جل ما فعل هو هدم قلعة قب الياس التي كان قد حصنها فخر الدين ثم الشهابيون بعده ولم يدخل درويش المذكور اراضي الجبل .

○

اما بشير فقد كان يود البقاء في الجبل ينتهز الفرص للمقاومة كما قاوم حليفه عبدالله باشا في عكا وفاز بالنهاية . ولكن تصرف بشير جنبلاط فت في عضده فغادر الجبل واراد الاعتصام في بيروت ولكن اهل بيروت « كانوا لا يرضون تملك اهل الجبل فاوصدوا دونه الابواب واعلنوا الموالاة لدرويش باشا » .

لقد روى بعض المؤرخين ان بشير قد خابر محمد علي باشا وطلب اللجوء اليه منذ عوده من معركة المزه احتساباً للطوارئ وكان لمحمد علي اطماع ومرام في البلاد منذ زمن طويل فرحب بحضوره وبعد ان اقام بشير مع رجاله زهاء خمسة ايام في حرش بيروت استأجر في اثنائها المركب الافرنسي بواسطة التاجر اوبان لكي ينقله الى مصر فأبحر اليها من ساحل خلده بتاريخ ٦ آب سنة١٨٢٢ مع ولديه الاميرين امين وخليل وزهاء المائة من رجاله .

هذا بينما كانت عساكر الدولة تضع الحصار على عكا ذلك الحصار الذي استمر تسعة شهور وانتهى بفوز عبدالله بفضل مداخلة الامير بشير لدى محمد علي باشا . وهذا موضوع بحث آخر .

قضية مراكش واثرها في السياسة العالمية
في مطلع القرن العشرين

لمحة تاريخية

بقلم الاستاذ ن. ص.

أثيرت قضية مراكش في مطلع القرن العشرين ، وحلت بين الدول الكبرى بسلسلة من الاتفاقات والمعاهدات ، بدأت بالاتفاق الافرنسي — الانكليزي في نيسان عام ١٩٠٤ وانتهت بمعاهدة فرساي في حزيران ١٩١٩ وقد كان الباعث العميق الى اثارتها وحلها على الشكل الذي نعرفه اليوم ، ان الدول الغربية الكبرى — انكلترا وفرنسة والمانيا — بعد ان استكملت جهازها الصناعي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، جدت في التسابق الى منابع المواد الاولية في سائر انحاء العالم ، وفتح اسواق واسعة لتصريف منتوجاتها الصناعية وتوظيف رساميلها الضخمة ، واحتلال مراكز ستراتيجية تمكنها من المحافظة على ممتلكاتها وتضمن سهولة الدفاع عنها عند الاقتضاء . وما كانت مراكش ، وارضها تزخر بالثروات المعدنية والكيماوية والزراعية ، وشواطئها تنبسط تجاه جبل طارق ، عـلى مئات من الاميال ، واصلة البحر المتوسط بالمحيط الاطلسي ، الا لتسترعي انتباه الدول الكبرى وتوقظ مطامعها . فانكلترا ، وقد مدت شبكتها الامبراطورية على جبل طارق وجزيرتي مالطه وقبرص ، وعلى مصر والسويس ، وعلى بلـدان عديدة من افريقيا الشرقية والجنوبيـة والغربية ، وجزر في المحيط الهندي والمحيط الباسيفيكي وبرما وغيرها من البلدان ؛ وفرنسة ، وقد احتلت تونس بعد الجزائر ، والكونغو ، والسنغال ، ومدغسكر ، والهند الصينية ؛ والمانيا ، وقد توصلت الى غربي افريقيا واواسطها ، والى الشرق الاقصى ومحيط الباسفيك ، مستولية على كل جزيرة

وكل منطقة نجت من الاحتلال الانكليزي او الفرنسي ؛ كل هـذه الدول الاوروبية الغربية — حتى ايطاليـا الحديثة العهد بالاستعمار ، واسبانيا التي لم تنطفئ شعلة طموحها بعد — كانت تنظر الى بلاد المغرب بيقظة وانتباه .

غير ان فرنسـة كانت تفوق جميع هذه الدول اهتماماً بمراكش . فلها تونس والجزائر على المتوسط ، ولها ، على الكونغو والنيجر ، نواة امبراطورية واسعة ، لو اتصلت بالمتلكات الشمالية ، لالفت كتلة قوية لا يضارعها ، في جميع انحاء الارض ، من حيث المناعة والثروة ، سوى بلاد الهند ، دعامة الامبراطورية البريطانية ومصدر عزها وازدهارها .

فعملت فرنسة على تذليل الصعاب . والصعاب لم تكن قائمة في مراكش نفسها ، وسلطانها مشغول عن تدبير امور رعيته بالبذخ واللهو ، وقواها ضئيلة لا يقام لها وزن ، وشعبها مقسم ممزق مغفل ، لم تنبعث بعد روح العصبية القومية فيه . افلم يتقيد السلطان بقروض مالية ضخمة خيل اليه انه انتزعها من باريز عقيب توقيع اتفاق بينه وبين الحكومة الفرنسية (٢٠ تموز ١٩٠١) ، وهي في الواقع اعباء تثقل كاهله وقيود تكبل يديه ؟ ام هل حرك الشعب ساكناً يوم اغارت على بلاده ، في عام ١٩٠٢ ، فرق الكولونيل ليوتي (Lyautey) ، منطلقة من الجزائر بحجة حماية الرعايا الاوروبيين وتأمين الامن ، فاحتلت واحات كثيرة ، ونثرت المخافر والثكنات عبر الحدود ، تمهيداً لحملة عسكرية مقبلة ؟

لم تقم الصعاب في مراكش بل في اوروبة ، واوروبة وحدها ، في تصارع المطامع الاستعمارية وتعديل كفة التوازن الدولي .

وقد وجه الفرنسيون اهتمامهم ، في بدء الامر ، الى التحالف مع ايطاليا واسبانيا ، متجنبين مجابهة الخصمين الكبيرين : الانكليزي والالماني . فعقدوا مع الحكومة الايطالية اتفاقاً سرياً في كانون الاول عام ١٩٠٠ ، اعترفت فيه ايطاليا ، « بمصالح خاصة » لفرنسة في مراكش ، واعترفت فرنسة « بمصالح ايطاليا الخاصة » في طرابلس الغرب . ثم فاوضوا مدريد سراً على اساس تقسيم مراكش الى منطقتي نفوذ ، واحدة منهـا لاسبانيا ، وهي تتألف من مدينة فاس والمقاطعات الشمالية ، والثانية لفرنسة ، وهي تشمل جميع المناطق الاخرى .

تسربت اخبار المفاوضات الى لندن ، ولم يرض الانكليز ان تجرى الصفقة بدون ان يشتركوا بها ، فاوعزوا الى الاسبانيين ان يتخلوا عنها فتخلوا .

فلم يكن بد للحكومة الفرنسية ، في هذه الاحوال ، من ان تبحث الامر صراحة مع حكومة لندن . وكان الظرف مؤاتياً اذ ذاك . فانكلترا ، وهي الحريصة منذ وجدت على تأمين التوازن الاوروبي — اي على ايجاد قوى متعادلة متنافسة في اوروبة ، لا تستطيع واحدة منها ان تطغي على الاخرى ولا ان توحد القارة الاوروبية في وجه الجزر البريطانية — اخذت تنظر بقلق ، منذ السنوات الاخيرة للقرن التاسع عشر ، الى انتشار النفوذ الالماني وازدياد القوة الالمانية في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية معاً . وضاعف قلقها ان المانيا اخذت تباشر تأسيس امبراطورية جديدة ما وراء البحار ، وتبني اسطولاً حديثاً وتزاحم التجارة الانكليزية في اسواق العالم قاطبة ، حتى في الاسواق التي كانت تعتبر من قبل معقل التجارة الانكليزية الحصين .

فكان محتماً ان تسعى انكلترا الى معاضدة فرنسة وشد ازرها وتشجيعها على الصمود في وجه التوسع الجرماني . وقد اثبتت الاتفاقات المعقودة في لندن في ١٨٩٦ و١٨٩٨ و١٨٩٩ ، وهي اتفاقات حددت فيها مناطق النفوذ في افريقيا الوسطى والمحيط الهندي ، ان مصالح الامبراطوريتين الفرنسية والانكليزية قابلة للتسوية والتوفيق . فجرت المباحثات في لندن وباريس ، في عام ١٩٠٢ والعامين التاليين ، بقصد تسوية المشاكل الامبراطورية المعلقة والتمهيد ، من وراء ذلك ، الى عقد تحالف سياسي عام . وساهم في انجاح المفاوضات مساهمة فعالة رجال من اصحاب النفوذ الواسع ، كالملك ادوارد السابع واللورد كرومر في انكلترا والوزير دلكسيه (Delcassé) والسفير بول كامبون (Paul Cambon) في فرنسة ، كانوا من المؤمنين ايماناً راسخاً بضرورة التحالف بين البلدين لخدمة مصالحها المشتركة . فذللت العقبات بعد جهد طويل ووقعت الاتفاقات في ٨ نيسان ١٩٠٤ ، وكان توقيعها فاتحة عهد جديد في السياسة الاوروبية والامبراطورية معاً ، عهد طبع بطابع «التفاهم القلبي» (Entente cordiale) بين انكلترا وفرنسة .

واتفاقات ١٩٠٤ تحل جميع المشاكل الامبراطورية بين البلدين : في الهند

الصينية ومدغسكر وغيرهما من البلدان والجزر التي تعتبر قواعد الامبراطوريتين في العالم ، وعلى الاخص في مصر ومراكش ، وقد ربطت قضيتا مصر ومراكش ربطاً وثيقاً وجرت تسويتها في ميثاق واحد ، تنص بعض مواده على اعتراف فرنسة بالنفوذ الانكليزي في مصر، وينص البعض الاخر على اعتراف انكلترا بالنفوذ الفرنسي في مراكش. والنفوذ الفرنسي معناه ان انكلترا تعترف لفرنسة بحق التدخل في مراكش لتأمين الامن والمساهمة في تحقيق « الاصلاح » في الادارة والمالية والتنظيم العسكري . على ان الدولتين المتعاقدتين اعلنتا عن رغبتها في احترام « استقلال » البلاد « وسيادتها » . اما ما كانت تضمرانه لها ، وقد اتفقتا عليه في ملحق سري ، فان تطلق يد فرنسة في احتلال مراكش وحمايتها اذا « اضطرتها الظروف » الى ذلك ، على ان تترك لاسبانيا منطقة نفوذ خاصة في الجهة الشمالية المقابلة لجبل طارق . وهذا الشرط الاخير موافق للمصالح الانكليزية . فما كانت انكلترا لتقبل بان تحتل دولة كبيرة كفرنسة منطقة قريبة من جبل طارق ، تمكنها من تهديد الحصن الانكليزي الشهير في حالة وقوع خلاف بين الدولتين .

وما كاد التفاهم يتم بين انكلترا وفرنسة ، حتى استؤنفت المفاوضات مع مدريد وادت الى عقد اتفاق فرنسي اسباني في ٣ تشرين الاول ١٩٠٤ ، على تحديد منطقتي النفوذ في مراكش وفقاً لاتفاقات نيسان ١٩٠٤

ولم يبقَ الا ان توافق المانيا على ما تمّ . وكيف توافق عليه ، وهي تعلم ان التفاهم بين انكلترا وفرنسة على قضايا المستعمرات ، انما هو مظهر من مظاهر سياسة « التطويق » التي يسعى جيرانها الى تحقيقها ؟ فمن جهة ترى تحالفاً فرنسياً روسياً وثيقاً ، عقد في الاعوام الثلاثة الاخيرة من القرن التاسع عشر ، ومن جهة ثانية « تفاهماً قلبياً » بين فرنسة وانكلترا مبنياً على اساس متين . فسعت المانيا الى تصديع كلتا الجبهتين . واخذت تضرب تارة الى يمين وتارة الى يسار ، ضربات عنيفة هوجاء ، احدثت دوياً هائلاً في العالم ، غير انها لم تصب الموقع الحساس ، وآبت في النهاية بفشل ذريع .

سددت الضربة الاولى الى التحالف الانكليزي الفرنسي قبيل توقيعه بايام

قليلة . وخيل الى رئيس الحكومة الالمانية ، البرنس دي بيلوف (Bülow) ان صلب هذا التحالف قضية مراكش ، فاذا تمكن من اخراج موقف فرنسة وزجها في مشاكل معقدة في المغرب ، فلا شك ان انكلترا تتخلى عنها ، فتغضب فرنسة ، فينحل التفاهم .

وكانت فرنسة ، على اثر تعاقدها مع انكلترا واسبانيا ، قد اسرعت في إرسال بعثة الى فاس ، في تشرين الثاني ١٩٠٤ ، لحمل السلطان عبد العزيز على القبول ببعض « الاصلاحات » في شؤون الادارة والمال والجيش . فاوعزت الحكومة الالمانية الى ممثليها التنصليين بان يحملوا السلطان على الرفض ، وينادوا بوجوب احترام سيادة البلاد ، ويثيروا حركة مقاومة شاملة في وجه التدخل الفرنسي . ووافق ان الامبراطور غليوم الثاني كان في تلك الاثناء يقوم بجولة في البحر المتوسط على يخته الخاص . فاقنعه « بيلوف » بان يزور مدينة طنجه زيارة رسمية ، ويعلن فيها بشكل حازم ان المانيا ستصون مصالحها في مراكش وانها تعتبر السلطان سيدًا حرًا لا يجوز التعدي على حقوقه . فتمت الزيارة في ٣١ اذار ١٩٠٥ . وردد الامبراطور بلهجة غاضبة صاخبة ما كان قد املاه عليه وزيره فاحدث تدخله على هذا الشكل العنيف ضجة عظيمة في جميع انحاء العالم .

وعبثاً حاول دلكسيه وزير خارجية فرنسة ان يسوي المشكلة بهدوء . فعرض على الحكومة الالمانية ، في نيسان ١٩٠٥ ، ثلاث مرات متوالية ، ان تدخل في مفاوضات ثنائية بشأن مراكش . فكان يجاب طلبه بالرفض في كل مرة . اذ ان غاية الحكومة الالمانية كانت ان تعقد القضية لا ان تمهد حلها ، وان تعرضها على مؤتمر دولي عام تتصدى فيه مباشرة للسياسة الفرنسية فتقلم اظافرها وتفصل ما بينها وبين حليفتها الجديدة انكلترا . وما طال الامر بالسياسة الالمانية حتى احرزت فوزًا باهرًا هزت به المحافل السياسية الفرنسية هزًا . فتدخلت رسمياً في السياسة الداخلية في فرنسة ، وطلبت في ٢٠ ايار ١٩٠٥ اقالة وزير الخارجية « دلكسيه » بحجة ان بقاءه في الحكم يحول دون تقرب وجهتي النظر بين الحكومتين . فكان لها ما ارادت وذهب

« دلكسيه » في ٦ حزيران ١٩٠٥ وتولى المفاوضات بعده رئيس مجلس الوزراء روفيه (Rouvier) ، وهو رجل ضعيف الثقة بانكلترا ، حريص على التفاهم مع المانيا خوفاً من نشوب الحرب . وفي اليوم نفسه ، كشفت الحكومة الالمانية عن حقيقة نياتها ، ودعت الى مؤتمر عالمي عام للنظر في مشكلة مراكش ، واتبعت هذا الاقتراح بتهديدات صريحة موجهة الى فرنسة، فاذعنت الحكومة الفرنسية في اول تموز ١٩٠٦ ، وقبلت بانعقاد المؤتمر .

وسنحت في الشهر نفسه فرصة فريدة لالمانيا ضربت فيها ضربتها الثانية، متعمدة هذه المرة تصديع الجبهة الروسية — الفرنسية وتوحيد القوى السياسية في اوروبة في ظل النفوذ الالماني . ففي ٢٣ تموز اجتمع غليوم الثاني امبراطور المانيا في مدينة «بيوركي» (Bjorkö) في فنلندا بنيقولا الثاني امبراطور الروس ، واقنعه بان يوقع سراً معاهدة تحالف روسي - الماني دون ان يستشير احداً من اعضاء حكومته . فوقع القيصر الوثيقة المعروضة عليه ، وهي تتضمن تعهداً بالتعاون المتبادل في حالة اشتراك احد الطرفين في حرب دفاعية ، ووعداً من قبل روسيا باشراك فرنسة في الحلف الجديد . واصبحت خطة المانيا بعد ذلك ، ان تتساهل مع فرنسة في قضية مراكش ، وتثبت لها «حسن نيتها» ، ليتسنى لها اجتذابها الى الحلف الروسي — الالماني . فتساهلت بالفعل ، وعقدت اتفاقاً مع الحكومة الفرنسية ، في ٢٨ ايلول ١٩٠٥ حددت فيه صلاحيات المؤتمر الدولي ، فحصرتها بشؤون اقتصادية ومالية وادارية صرفة ، دون ان تتعرض الى جوهر القضية ، الى الوضع السياسي الخارجي .

وما من شك في ان الخطة الالمانية ، لو كتب لها النجاح ، لكانت بدلت وجه اوروبة والعالم . ولكنها لم تعمر سوى اربعة اشهر . ففي ٢٣ تشرين الثاني طلب القيصر ان يعاد النظر في المعاهدة السرية ورفض التخلي عن التحالف الفرنسي . فانهارت مشاريع السياسة الالمانية دفعة واحدة وتبدل موقف المانيا فجأة من فرنسة. فبعد ان كانت قد اغرقت في التساهل ، طمعاً منها باجتذاب جارتها الى الحظيرة الالمانية ، عادت الى الوعيد والتهديد. وعقد رجال حكومتها المسؤولون اجتماعاً في ٢٣ كانون الاول ١٩٠٥ ، قرروا فيه ان يسموا بشتى

الوسائل الى قهر فرنسة سياسياً في المؤتمر الدولي ، حتى ولو جرهم ذلك الى الدخول بنزاع مسلح ضدها .

وافتتح المؤتمر اعماله في « الجزيرة » واشتركت فيه معظم دول الارض بما فيها الولايات المتحدة الاميركية . ويجدر تخصيص الولايات المتحدة بالذكر لانها لعبت دوراً هاماً لم تكن المانيا تتوقعه على ما يظهر ، عندما رسمت خططها واعدت عدتها للدخول في المعترك . فقد اخذت الولايات المتحدة بناصر فرنسة ، مشاركة انكلترا مشاركة فعالة في تفنيد المقترحات الالمانية والعمل على اسقاطها . ففازت وجهة النظر الفرنسية باستمرار في جميع القضايا الهامة ، وعلى الاخص في قضية تنظيم قوى الامن في مراكش ، واعترف المؤتمر لفرنسة واسبانيا وحدهما — دون الدول الصغرى كما كانت تود المانيا — بحق الاشراف على تنظيم هذه القوى وقيادتها . وانفض المؤتمر بعد مناقشات طويلة ادت الى « ميثاق الجزيرة » في ٧ نيسان سنة ١٩٠٦ ، وهو ميثاق تاريخي خطير سجل انتصار المصالح الفرنسية ، ومتانة « التفاهم القلبي » وخذلان المناورات الالمانية .

على ان فرنسة ، بالرغم من انها صمدت في وجه العاصفة وحافظت على مركزها السابق ، لم تفز بكل ما كانت تتمناه في البدء اي بموافقة المانيا على اطلاق يدها في مراكش بدون قيد ولا شرط . فالمؤتمر لم يسمح لها الا بالتدخل ولم يجز ما اجازه الاتفاقان السريان المعقودان سابقاً مع انكلترا واسبانيا ، من « تعديل للوضع الخارجي » ، واقتسام للارض ، وامكان احتلال وحماية دائمين .

وبقيت المسألة معلقة بين فرنسة والمانيا خمس سنوات اخرى ، كثر فيها الاخذ والرد . فبعد ان ارتضت المانيا عقد اتفاق اقتصادي في ٩ شباط سنة ١٩٠٩ يشركها في استثمار اقتصاديات مراكش ، عادت مجدداً الى سياسة التهويل في صيف عام ١٩١١ . وكانت المناسبة ان قامت ثورة في مراكش في ربيع تلك السنة وادت الى حصار فاس فاعتبرت فرنسة نفسها مسؤولة عن المحافظة على الامن وحماية الرعايا الاوروبيين المحاصرين في العاصمة المراكشية ، وارسلت فرقاً مسلحة في ايار ، اخترقت الحدود ووضعت حداً للاضطرابات . فثارت ثائرة

المانيا ، واتهمت فرنسة بخرق الميثاق الدولي ، وارسلت باخرة حربية رابطت في مرفأ اغادير في اول تموز ١٩١١ . وكانت ترمي من وراء ذلك كله الى اكراه فرنسة على الدخول بمفاوضات جديدة تخرج منها المانيا بارباح سياسية وتكسب مناطق نفوذ جديدة في الاراضي المجاورة للمستعمرات الفرنسية في افريقيا الغربية . فبدأت المفاوضات في منتصف تموز ، وكشفت المانيا عن حقيقة ما تضمر ، فطالبت لقاء اطلاقها يد الفرنسيين اطلاقاً تاماً في مراكش ، ان تعطي الكونغو الفرنسي برمته ومناطق اخرى تمكنها من احتلال اواسط افريقيا باجمعها ، من الغرب الى الشرق ، فتفصل بين الممتلكات البريطانية في الشمال والجنوب وتصل ما بين الاطلسي والمحيط الهندي . فتدخل الانكليز عند ذاك تدخلاً فعالاً ، واوعزوا الى اسطولهم الحربي ان يتأهب للقتال ، فتراجعت المانيا عن قسم كبير من مطاليبها ورضيت بربح يسير في مستعمراتها ، فوسعت الحدود في ناحية ، ونالت منفذاً الى البحر في ناحية ثانية ووقعت في ٤ تشرين الثاني ١٩١١ عهداً باطلاق يد الفرنسيين في مراكش ، واعترفت لهم سراً بحق فرض «حمايتهم» على البلاد .

فكان للسياسة الفرنسية ما ارادت ولم يبق لها ، بعد ان فازت بموافقة ايطاليا (كانون الاول ١٩٠٠) ، وانكلترا (٤ نيسان ١٩٠٤) ، واسبانيا (٣ تشرين الاول ١٩٠٤) ، والمانيا (٤ تشرين الثاني ١٩١١) ، سوى ان تفرض حمايتها صراحة ، فحملت سلطان مراكش على توقيع معاهدة الحماية في ٣٠ اذار ١٩١٢ . ثم اعادت النظر في علاقاتها مع ايطاليا واسبانيا ، فعقدت مع الاولى معاهدة جديدة في ٢٨ تشرين الاول ١٩١٢ تنازلت ايطاليا بموجبها تنازلاً نهائياً عن كل مطلب في مراكش ، وعقدت مع الثانية معاهدة في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٢ خططت الحدود ، وحددت حقوق الدولتين صاحبتي الحماية .

وبعد انهزام المانيا في الحرب العالمية الاولى ، افرد فصل خاص في معاهدة « فرساي » (حزيران ١٩١٩) تنازلت فيه المانيا تنازلاً تاماً عن كل حق اعطي لها في اتفاقات تشرين الثاني ١٩١١

وفي ١٨ كانون الاول ١٩٢٣ وقع ميثاق دولي حدد فيه وضع طنجه ، ثم ادخلت عليه بعض التعديلات في ٢٥ تموز ١٩٢٨ .

ما قبيل النهضة

مظاهر الأدب
في بلاط ضاهر العُمَر

بقلم فؤاد افرام البستاني

ننتقل في هذا الحديث ، من دمشق وصور حيث شهدنا ، في اوائل القرن الثامن عشر ، تلك المساجلات الدينية بالشعر الصوفي بين الشيخ عبد الغني النابلسي والشيخ احمد الحُرّ [1] ، الى مدينة عكا ، فنشهدُ في منتصف القرن المذكور ، ما شاده بين أطلال القامة القديمة ، مغامرٌ جري، عرف ان يستغلّ ، الى أبعد حدّ ، تنازع الأمراء والولاة المحلّين في مصر ولبنان والشام ، وتطاحنَ المطامع الدولية في البحر المتوسط . فأركز على هذا التوازن المضطرب إمارةً مستقلة كان لها قدرها في حساب الدول فترةً من الزمن . حتى اذا استقرّ التوازن ، تهافتت تلك الإمارة المصطنَعة ، وعاد اربابها كما بدوا ، زعماء عشائرهم فحسب . هو الشيخ ضاهر العُمر الزيداني ، سيّد الزيادنة الضاربين في برّ عكا ، فعامِلُ الامير بشير الأول على صفد وضواحيها ، فسيِّد القلعة التاريخية المنيعة ، فشريك علي بك الكبير في التواطؤ على السلطان ، فحليف كاترين الثانية ، وعدوّ الدولة العثمانية ، فقتيل الغدر والخيانة في أسوار قلعته، سنة ١٧٧٥ .

بيد انّ ما يهمّنا في هذا الكلام ، لا تسلسل الاحداث السياسية ، وان يكن فيها تبصرةٌ وتوضيح لما يجري كلّ يوم في الشرق الادنى، انما هو مظاهر ما نجرؤ على تسميته بالادب في تلك البيئة . ولا بأس بهذه التسمية ما دُمنا أسبغنا نعت الأدب على آثار النابلسي والحرّ وشاكر الأبلول .

---

[1] اطلب « مشرق » هذه السنة ص ٧١–٨٠

كان في بَلاط عكا — ان جاز لنا ان نسمّيه بلاطاً — كاتب متطبّب من نصارى عكا الملكيين هو ابراهيم الصبّاغ. وكان ، على ما يبدو ، يحتكر المعارف جميعها اذ ذاك ، فيسهر على صحة ضاهر العُمر الجسدية والمالية ، والسياسية ، فيداوي أسقامه ، ويضبط حساباته ، ويدبّر شؤونه كلّها . فلا يُخالَف له قول . الا ان وصفته السياسية الاخيرة لم تنجح ، إذ نصحه بمحاربة حسن باشا القبودان ، قائد الحملة العثمانية البحرية، فأغضب احمد اغا الدنكزلي ، احد رجال ضاهر المتواطئين مع الباشا المذكور . وما هو ان أعلن ضاهر عزمه على الحرب ، حتى دبّر الدنكزلي المكيدة لاغتياله ضمن الأسوار ، وسهّل دخول القلعة لحسن باشا .

وكان من ضحايا النصيحة صاحبها الطبيب نفسه . فاعتقله القائد العثماني واقتاده « بالذلّ والهوان » — على لفظة الامير حيدر — الى قبرص ثم الى القسطنطينية . وهناك قتله « معلّقاً بشراع بعض السفن كيلا يُخبر بما غنمه من الأموال الوفية والتحف السنيّة . »[1]

ولم ينجُ الدنكزلي من انتقام حسن باشا ، على ما كان من خيانته لمولاه وقد خاف منه الباشا وشاية عليه بما نهبه من اموال عكا . فقتله في القلعة نفسها . فسوّى الموت بين الأمانة والخيانة .

وترك ابراهيم الصبّاغ ذريّة حفظت تقاليد العلم ، بعد انتقالها الى مصر . وأشهر من يُذكر من هذه السلالة حفيداه عبّود وميخائيل اللذان اتّصلا بعلماء الحملة الفرنسوية على مصر وساعداهم في كثير من الدروس والتآليف . ثم لحقا بهم الى فرنسة . ولهما في مكاتب اوربة حتى اليوم ، آثار في الشعر العربي والتاريخ لا تزال في اكثرها مخطوطة . انما هي تخرج عن موضوعنا هذا ، لبعدها عن بلاط عكا .

اما هذا البلاط فأنس بشاعر أمير ، لولا تقليده الضيّق الأفق ، لكان

---

١) الامير حيدر الشهابي : الغرر الحسان — طبعة اسعد رستم وفؤاد افرام البستاني — ١ : ١١٧

صورةً خافتة الالوان لابي فراس الحمداني ، او لأسامة بن منقذ.هو ابن ضاهر العُمَر ، الشيخ عثمان . وقد كان للشيخ ضاهر عدة اولاد كما يُستنتج من إشارة للامير حيدر الى أنه « تزوج جملة نساء ، وأتاه منهن اولاد ذكور . وطلع بهم ذكر مشهور في الشجاعة والقوّة والبراعة»[1] يُعرف منهم صالح ، وصليبي ، وعبّاس ، وعلي ، وكلهم من رجال السيف ، وعثمان هذا من رجال السيف والقلم . ولعلّه الوحيد بين اخوته في جمعه بين المتناقضين في مجتمعه ، في عكا ذاك المجتمع المُجنَّد بكامله ، المتحفّز ابدًا لهجوم او لدفاع . ينتهز فترات السلام والطمأنينة المتقطعة ، فيكبّ على دفاتره يتثقف بما فيها من شعر قديم ويُمرّس قريحته بتسطيره ومعارضته . حتى يحدث ما يؤدّي الى تنافر بينه وبين ابيه ، فيعتقله الشيخ مدةً . وحينما يخلص من حبسه ، يغضب على ابيه ، ويهرب لاجئاً الى لبنان ، شأن الكثيرين من المضيَّق عليهم في البلاد المجاورة ، على اختلاف العصور . فينزل على الامير منصور سنة ١٧٦٦ . والامير منصور صديق ضاهر العُمَر ، كما كان ابوه الامير حيدر من قبله . فيستقبل الشاعر الشاب ، ويطيّب خاطره ، ويسعى فيُصلح الحال بينه وبين ابيه .. ولا يُهمل الامير حيدر ان يصوّر لنا الشاعر فاذا هو « حسن الصورة ، طويل القامة » .

اما شعره ، فينبوعه جاهليٌّ محض ، وإخراجه مَتين فيه شيء من روعة التركيب ، الّا انها روعة القِدَم المُقلَّد لا روعة الجِدّة والابتكار . وجديرٌ بالذكر ان هذا التقليد لا يأخذ باساليب العباسيين او الانحطاطيين ، وهي من السهولة بمكان ، انما يرقى الى الجاهلية ويكاد ينحصر بها كأن لم يكن هناك تجدّد عباسي ، او تنوّع أندلسي ، او ميعة انحطاطية . ويكاد ينحصر ، من الجاهلية ، بباب الفخر والحماسة ، وهو امرٌ معقول بالنظر الى أمير عاش عيشة الشيخ عثمان في بيئة ابيه وزمانه . واذًا فمن الطبيعي ان يكون مثاله الأعلى الشعر العنتري ، وان تكون افضل قصائده تلك التي يترسّم فيها خُطى ابي الفوارس في المعلّقة .

[1] الامير حيدر : الكتاب المذكور ؛ ص ٧٨

كم غادرَ الشعراءُ من متردّمِ ! وعرفتُ ربعَ الدارِ ، قبلَ توهّمي .
كيف الضلالُ عن المجرّةِ ، والرجا كالنّقِ لناظرِ مقلةٍ غيرِ العمي !
دارٌ لمشرقةِ الجبين ، كأنّها بدرٌ أنارَ بجُنحِ ليلٍ مظلمِ ،
عهدي بها ، وبها الظباءُ أوانسٌ يرفُلن بالوشي الزَّهيّ المُعلَمِ .
من كلّ مُخطفةِ الحشاءِ ، أدعجٍ ، تزهو بطرفٍ ناعسٍ ، وبمبسمِ ،
بلهاءَ ، فاتنةٍ ، لعوبٍ بالنُّهى ترمي لواحظُها القلوبَ بأسهمِ .

ولا ينقص هذا النسيبَ شيءٌ من الصور الجاهلية ، بل من ألفاظها وتعابيرها :

برهاءَ ، بارعةِ المحاسنِ ، غادةٍ ، ترنو بعيني جُوذُرٍ لم يُفطمِ ،
ميّاسةٍ ، لعبَ الدلالُ بعطفها ، فترنّحت كالراغبيّ اللهذمِ ؛
ريّةِ اللحظاتِ واللفتاتِ ، بل خمريّةِ الوجناتِ والمتبسَّمِ .

ويخطر على باله تشبيهات من آثار الشعر الصوفي فيضيف الى وصف آنسته :

روحيّةٌ ألفاظُها ، لو كلّمت جدَثًا لقام الى حياةِ المُنعَمِ .

وينتقل الى الفخر التقليدي كذلك :

اني من النفرِ الذين اذا اعترى ضيمٌ ، أبوه بكلّ عضبٍ مخذمِ ؛
واذا الخطوبُ دجَت بكلّ مَهولةٍ ، بزغوا شموسًا في الظلمِ المظلمِ ؛
واذا السنون ترادفت أزماتُها ، سالوا سيولَ سماحةٍ وتكرُّمِ .
قتلوا الزمانَ تجاربًا وتجاربًا ، وجرَوا على سَنَنٍ بمجدٍ أقدمِ .
هم ينقشون على الأنامِ فِعالَهم ، وفِعالُهم مرضيّةٌ لم تُنقمِ .
كم بينهم من أصيدٍ ذي رفعةٍ ، أو أصيدٍ ذي نعمةٍ ، او منعمِ ؛
او أبلجٍ قد يستضاءُ بوجهه ، وبرأيه في المدلهمّ المُبهمِ ؛
لو فاخرتْهُ النيّرات ، لبذّها بمنيرِ فكرٍ في الملمّ مُلمّمِ ؛
او ساجلته الغادياتُ بسحّها لثنّى عليها جودُها المتصرّمِ .
من كان منهم مفتخرًا ، فرزاله رعشامه ، والناسُ تسألُ بالفمِ .
شُمٌّ على كيدِ الزمانِ ، وغيرهم متضائلٌ في الحادثِ المتجهّمِ .

قد يؤخذ على الشيخ عثمان تقلقلٌ في بعض القوافي ، وجاهليةٌ في بعض

الأبيات ، وتساهلٌ في الصيغ والقوافي احياناً . انما لا يُنكر عليه ايمانه الشعري ، واخلاصه ، وهذا النفس الطويل السائل المستند الى القوالب العنترية حتى ليُدفَعُ الى استعمال الفاظ يجرّها التقليد ، ولا معنى لهـا ، ولا مُبرّر الّا ورودها على صيغ محفوظة في الشعر القديم .

واشدّ ما يكون هذا النفس اندفاعاً في الفخر بنفسه ، والإشادة بشجاعته وبطشه في المعركة ، اذ يستشهد بفريدة ، وهي عروس شعره وعبلة معلّقته ، فيقول :

هَلّا سألتِ بني أبينا – إذ أتوا يتآمرون على جيادٍ نُزَّمِ ،
يتبادرون الى الوطيس ، كوابساً ، وحواسراً ، يُزجون كلّ مَطيّهم ؛
حيثُ التقى الجمعانِ ، واتّسعت بنا حَربٌ ضَروسٌ – كيف كان تقدّمي ؟ . . .
لمّا تَراأوا زُرْقُهم بِتَمامةٍ رَزَمَت صواعقُها بنوءٍ مُعجِمِ .
وساعِرِ الِفوا الحروبَ ، كأنّهم أُسْدٌ تَزَأَرُ وسطَ غِيلٍ مُسْهِمِ ،
من كلِّ خوّاضِ العجاج ، مُقذَفٍ نجِعٍ الى داعي النزالِ غَشَمشَمِ .
ما زلتُ أرميهمْ بصدرِ فتيّةٍ قَرواءَ ، تنقضُّ انقضاضَ الأقدمِ ،
شمّاءَ ، مُهْضَمَةِ الخواصرِ ، ضَمرةٍ ، تنحطّ فيهم كالقضاء المُبرَمِ ،
حتى تراجع جمعُهُمْ مُتكاعباً ، واستَنّ فارِطُهم لضنكِ المَهْزَمِ ؛
متسابقين الى الفرار ، كأنّهم لم يسموا بجوانِ مَن لم يُقدِمِ ؛
يتناجُمْ من بينِ كلِّ مُثقَّفٍ صَدْقٍ ، وتضرب كل عَضْبٍ أخذَمِ ،
طَعنٌ كأفواهِ المَزادِ ، يحفُّهُ ضربٌ كأشداقِ المخاضِ الهُيَّمِ .

وفي هذه المعلقة ابيات صارخة في الشكوى من قومه لسوء معاملتهم اياه لعلّ افضلها قوله :

ما غدرُ قومي لي ، وقد سالمتُهم ، إلّا سواداً في وجوه الأنجُمِ !

هذه الشاعرية الفطرية ، هذا النَّفَس المندفع ، هذه الرغبة في الجمع بين حياة السيف ، وحياة الفكر ، في إحياء البيئة الجاهلية بما امتازت به من شجاعة

وكم ؛ لم ينقصها لتبلغ مستوى الفنّ سوى استقرار المجتمع ، واتساع الافق التفكيري ، والاتجاه بالثقافة جهة الكمال الإنساني . وهي شروط لم يكن بالإمكان تحقيقها في عكا في القرن الثامن عشر . فكفى البلاط فخراً أن كان له شاعر ، وشاعر أمير ، يتناسب شعرُه وسائر المظاهر الأدبية في عصره .

وثائق تاريخية عن المجمع اللبناني

بقلم الخوري باخوس الفغالي

الأذون في اللاهوت

والدكتور في الحق القانوني، والمحامي الروتالي

تمهيد

طلب الينا حضرة الاب المحترم انطونيوس عبده خليفه رفيق الدراسة والمشرف الآن على ادارة مجلة « المشرق » المعروفة ، ان نساهم في تحريرها ، فشكرنا له هذا التقدير وعرضنا عليه ان نكتفي الآن بتعريب ونشر بعض الوثائق التي نسخناها بكل دقة من الخزائن الفاتيكانية وهي غير منشورة وجزيلة الفائدة ، يتعلق معظمها بالمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ .

وقد قرّ رأينا ان نبدأ بمقال الاب تشاسكا وهو على ما نظن آخر ما كتب مما يستحق الذكر في هذا المجمع ويشير الى كثير من الكتابات التي سبقت وطرقت نفس الموضوع ويستند اليها باجمعها تقريبا كما يبدو لمطالعه . وقد آلينا على نفسنا ان نعرّب وننشر ايضا ما نراه موافقا من الوثائق المشار اليها فيه ، مراعين بذلك اللغة الاصلية الطليانية كما نقلناها حرفا حرفا دون ما تغيير البتة في المتن او الحواشي . اما في النص للمعرّب الحاضر فقد انزلنا في الحواشي المصادر التي يذكرها المؤلف في المتن وزدنا عليها ما لا بدّ منه تارةً بين هلالين وطورًا بين نفس حواشي المؤلف وميزنا الحواشي عن بعضها بنسبتها الى المؤلف او المعرّب . وهدفنا من ذلك خدمة العلم والتاريخ بقدر ما يتيسر لنا ، وحسبنا ان ننال رضى القرّاء وتشجيعهم ، ونحظى بحلمهم وصفحهم عن كل تقصير .

مقـــال

المستشار الاب الجزيل الاحترام اغسطينوس تشاسكا
من رهبانية القديس اغسطينوس بصدد اختلاف النشرتين العربية واللاتينية
للمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ والمسائل الناجمة عن ذلك
والمتعلقة بسلطان البطريرك الماروني

(خزانة مجمع البروبغندا المقدس الموكولة اليه امور الطقس الشرقي
تلخيص السادس والعشرين من حزيران سنة ١٨٨٣
المتعلق بالمجمع الاقليمي الماروني المنعقد سنة ١٧٣٦)

VOTO

del Consultore Rmo Padre Agostino Ciasca dell'Ordine di S. Agostino
sulla discrepanza dell'araba dalla latina edizione del Sinodo Libanese del 1736,
e le conseguenti questioni sulle facoltà del Patriarca Maronita.

(Archivio della S. C. de Propaganda per gli affari del rito orientale.
Ponenza del 26 Giugno 1883, sul Sinodo Provinciale Maronita del 1736)

ايها السادة السامو النيافة والاحترام

١) في الاجتماع العام المنعقد في ٢٣ ك ٢ سنة ١٨٨٢ أُخضع لحكم نيافاتكم سؤال زواجي يتعلق بصحة زواج عُقد بين جميلة عبده وذوي قرباها[1] مخول ضاهر اولاً ومسعود ثانياً وكلهم موارنة من ابرشية طرابلس في سوريا . وقد فسّح البطريرك الماروني من مانع القرابة الدموية في الدرجتين الثانية والاولى وفسّح الكرسي الرسولي من مانع القرابة الاهلية في الدرجتين الاولى والثانية. الا انه شُك في صحة هذين التفسيحين لان التفسيح البابوي اعطي استناداً الى عروض كاذبة وناقصة ايضاً . والتفسيح البطريركي مُنح خلواً من السلطة اللازمة . وهذه السلطة يمنحها للبطريرك الماروني النص العربي للمجمع اللبناني (١٧٣٦) بينما النص اللاتيني لنفس المجمع يمنعها عنه .

١) حاشية المعرّب : ان النص الطلياني يحتوي على لفظي cugino و cognato وقد عربناها بذوي قرباها ولفظة cugino معناها ابن العم والعمة او الخال او الخالة ودرجة القرابة الدموية بين هولاء هي الثانية في الحساب اللاتيني والرابعة في الحساب الشرقي. والدرجة الثانية والاولى في الحساب اللاتيني هي الدرجة القائمة بين الابنة وخالها او عمها وفي الحساب الشرقي تسمى الدرجة الثالثة . وعليه فلا تصح ترجمة cugino هنا بلفظة ابن العم او الخال ولم نرَ في المعجمات الطليانية ان لفظه cugino معناها القريب او النسيب مثل لفظة cognato فان معناها الصهر وابن الحمى والقريب او النسيب وعليه نظراً للدرجات المذكورة قد تكون جميلة تزوجت اولاً من خالها او عمها وثانياً من صهرها الذى هو ابن شقيق او شقيقة زوجها .

Eminentissimi e Reverendissimi Signori.

1) Nella generale adunanza dei 23 Gennaro 1882 fu sottoposta al giudizio dell'EE. VV. una questione matrimoniale sulla validità de' sponsali contratti da certa Giamilè Abdu prima col suo cugino Maccul Daher, poi col suo cognato Massaud, tutti Maroniti della Diocesi di Tripoli in Siria. E poichè erano concorse nel caso le dispense dagl'impedimenti di consanguinità, in secondo grado col primo, concessa dal Patriarca maronita, e di affinità in primo grado col secondo, data dalla S. Sede, si dubitò del valore di dette dispense: della pontificia per surrezione, od anche orrezione: della patriarcale per difetto di facoltà: giacché il Patriarca maronita ne sarebbe investito se si stasse alla redazione araba del Sinodo Libanese del 1736, ne sarebbe privo secondo il testo latino dello stesso Sinodo.

٢) ان سيادتكم وسكم بعد ان اعلنتم بطلان التفسيح البابوي من مانع القرابة الاهلية قررتم ان تلتمسوا من قداسته ان يتنازل ويصحح بمقتضى الحاجة التفسيح البطريركي المعطى كما ذكرنا آنفاً . وبعد ذلك نحول انتباه نيافاتكم الى موضوع شديد الخطورة وهو اختلاف النصين العربي واللاتيني للمجمع المذكور وعليه امرتم « انَ يعمل تلخيص يشتمل على اختلافات النص اللاتيني للمجمع اللبناني عن الترجمات العربية ولن يبحث خاصة في مسألة سلطة التفسيح من درجة القرابة الدموية الثانية التي تحق للبطريرك استناداً الى الترجمات المذكورة . وان يُنظر فيا يجب اتخاذه من تدابير » وقد حكمتم ايضاً بانه يعود في هذه الاثنا. الى امين السر والى الكلي القداسة ان ينظرا فيا يتعلق بالماضي والمستقبل .

٣) وتنفيذاً لهذا القرار تكرم سيادة امين السر وكلفني بان ابحث في هذا الامر واحقق :

اولاً : اي هو بالتدقيق نص المجمع الماروني الذي ثبته الكرسي الرسولي

ثانياً : هل يحق للبطريرك الماروني ان يفسح من درجة القرابة الدموية والاهلية الثانية بموجب احكام المجمع المذكور او غيرها من مستندٍ مهما كان نوعه او تفويض . ولهذه الغاية سلمني ابحاثاً في الموضوع اخصها التي قام بها

---

2) L'EE. VV. dopo aver dichiarata la nullità della dispensa pontificia sull'impedimento di affinatà, decisero *Supplicandum SSmo*, perchè si degnasse convalidare, *quatenus opus sit*, la dispensa come sopra data dal Patriarca. Dopo ciò si volse l'attenzione dell'EE. VV. sul gravissimo argomento della discrepanza tra la redazione araba ed il testo latino del detto sinodo; su che ordinarono «Che *fiat positio* sulle discrepanze fra il testo latino del Sinodo Libanese e le versioni arabe; e *nominatim* si proponga la questione sulla facoltà di dispensare nel secondo grado di consanguinità etc. attribuita al Patriarca in forza delle dette versioni, e sul modo di provvedervi.» E che intanto *quoad praeteritum et futurum ad Secretarium cum Sanctissimo.*

3) In esecuzione di tale disposizione Mons. Segretario mi dava l'onorevole incarico di esaminare questo affare per riconoscere:

1° *Quale sia precisamente il testo del Sinodo Maronita approvato dalla S. Sede.* 2° *Se il Patriarca Maronita abbia la facoltà di dispensare nel secondo grado di consanguinità ed affinità, sia per le disposizioni di quel Sinodo, sia per altro qualsivoglia titolo o concessione.* Ed all'effetto mi transmetteva gli studii fatti

سيادة ڤالرجا[٢] السعيد الذكر ومفكرة كتبها البطريرك الحالي[٣] وملحوظتين خزانيتين قديمتين[٤] وردت كلها في المجمل[٥] . ولكي اقوم بهذه المهمة اتجرّد للتوسع في السؤالين المذكورين آنفاً وهما موضوع هذا الملخّص .

٤) ولطرق هذا الموضوع الدقيق طرقاً على شيء من الوضوح يُرى موافقاً ان يقسم هذا البحث الى اربعة فصول يتضمن اولها تاريخاً موجزاً لانعقاد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ولطبعتيه العربية واللاتينية . ويدور البحث في الفصل الثاني على اختلافات النصين وتعيين الشرعي منها اي الذي ثبته الكرسي الرسولي . واما في الفصل الثالث فعلى سلطة التفسيح من الموانع الزواجية المعطاة للبطريرك الماروني وفي الفصل الرابع على ما يجب القيام به لمنع التشويش الناتج عن النصين المختلفين لنفس المجمع ولترتيب النقاط الموافقة في النظامين القانوني والطقسي.

٢) حاشية المعرب : بطريرك اورشليم اللاتيني والقاصد الرسولي في سورية بالنيابة

٣) 〃 〃 : بولس مسعد (١٨٥٤ – ١٨٩٠)

٤) 〃 〃 : الملحوظة الخزانية كتابة في موضوع ما يعرض على المجمع المقدس كانتخاب الاساقفة مثلاً يكتبها احد المتخصصين مستنداً الى الوثائق المحفوظة في الخزانة .

٥) حاشية المعرّب : المجمل هو مجموعة المستندات والوثائق من رسائل وغيرها يستند اليها في ترتيب الملخّص .

su tale argomento specialmente da Mons. Valerga di f. m. con una *memoria* dell'attuale Patriarca Maronita unitamente a due antiche note di Archivio. quali tutte si riportano in *Sommario*. In adempimento di tale incarico, mi accingo allo svolgimento de' suaccennati due quesiti, che formano l'oggetto della presente Ponenza.

4) Per trattare una questione si delicata con una qualche chiarezza, si crede espediente di dividerne la trattazione in quattro capitoli, nel primo si darà breve storia della celebrazione del Sinodo Libanese del 1736, e delle sue edizioni araba e latina.

Nel 2° si dirà delle varianti fra le due redazioni e si cercherà quale sia l'*autentica*, ossia quella che venne approvata dalla S. Sede.

Nel 3° Della facoltà di dispensare dagl'impedimenti matrimoniali attribuita al Patriarca Maronita.

Nel 4° Dei provvedimenti da prendersi per togliere l'anomalia dei due diversi testi dello stesso Sinodo e per regolare gli analoghi punti di disciplina: sia canonica che liturgica.

الفصل الاول

تاريخ وجيز لانعقاد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ولطبعتيه العربية واللاتينية .

البحث الاول

في انعقاد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦

٥) ان البطريرك الماروني يوسف بطرس الخازن واساقفته رغبةً منهم في اصلاح بعض خروق تسربت تدريجاً في طائفتهم ولاجل النهوض بالتهذيب الكنسي الساقط التمسوا في اليوم الثامن والعشرين من تموز سنة ١٧٣٤ من اكليمنت الثاني عشر الطيب الذكر ليتفضل وينفذ اليهم سيادة يوسف سمعان السمعاني الشهير بصفة زائر لكونه من افراد الطائفة المارونية ومتضلع من واسع العلم وله المام كامل بما يختص بطقس الكنيسة المارونية وعاداتها . ولأنه اصلح من غيره لهذه الغاية[٦] .

٦) ولذلك اجتمع المجمع المقدس وفحص عرائض البطريرك والرؤساء

٦) حاشية المؤلف : المجمع اللبناني الطبعة اللاتينية سنة ١٨٢٠ صفحة ٢ و٣ (الطبعة العربية تعريب سيادة المطران يوسف نجم صفحة ٢ و٣)

Capo I

Breve istoria della celebrazione del Sinodo Libanese del 1736, e delle sue edizioni araba e latina.

Articolo I

Della celebrazione del Sinodo Libanese del 1736.

5) Il Patriarca Maronita, Giuseppe Pietro Gazzeno, una co' suoi Vescovi, affine di emendare alcuni abusi insensibilmente introttisi (sic) nella sua Nazione, e di rialzare la disciplina ecclesiastica già scaduta, ai 28 Luglio del 1734 supplicò Clemente XII di sa. me. a volere colà mandare in qualità di Visitatore l'illustre Mons. Giuseppe Simone Assemani, come quegli che, Maronita di Nazione, e fornito di non mediocra dottrina, non che di perfetta scienza intorno al rito ed alle consuetudini della Chiesa Maronita, avrebbe meglio di ogni altro corrisposto allo scopo (*Sinodi Libonese, ed. lat. del* 1820, p. II-III).

6) Adunatasi a questo fine la S. C., ed esaminate le predette istanze del

المارونيين المذكورة فالقى الملخص الكردينال زنداداري تقريره وصدر القرار التالي بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٧٣٥ : « ينبغي ان يُجاب السادة الآباء المحترمون بطريرك انطاكية ورؤساء اساقفة الطائفة المارونية واساقفتها الى امانيهم التقوية وان يُنفذ اليهم بحسب التماسهم السيد يوسف سمعان السمعاني المحترم بصفته قاصداً رسولياً.»[٧] . وصادق صاحب القداسة اكليمنت الثاني عشر على القرار المذكور وارسلت الموجزات الملائمة[٨]. منها واحد موجه الى السمعاني بتاريخ ٢٦ ك ٢ من السنة المذكورة وهو يتضمن ما يلي : « ثم اننا نحثك ونوصيك ان تبذل جهدك وتستنفد وسعك بموآزرة المذكورين اي البطريرك يوسف بطرس ورؤساء الاساقفة فتقرر باحكام وتأمر بضبط بكل ما تراه عائداً الى حفظ التهذيب الكنسي وتجديده واثائه وتوسيع نطاقه الميمون في تلك البلاد واذا

٧) حاشية المؤلف : تقرير قصادة سيادة السمعاني الرسولية لدى الطائفة المارونية الى مجمع الانتشار المقدس : عدد ٤ وهو موجود في الخزانة في المجلد الثاني عشر من المختلفات المارونية (سننشر هذا التقرير وتعربه. والمختلفات المارونية تحتوي على ما يتعلق بالمجامع والطقوس الطائفية) .

٨) حاشية المعرب : لم يجد المعربون الى الان لفظة عربية غير لفظة براءة لتعريب الكلمتين اللاتينيتين Brevis و Bulla . وقد رأينا ان نشذ عن هذه القاعدة ونحفظ كلمة براءة لتعريب Bulla ونعرب لفظة Brevis بكلمة موجز . كما ان اللغة الافرنسية تقول Bref وكلمة موجز كما لا يخفى هي ترجمة حرفية للفظة Brevis او Bref

Patriarca e Prelati Maroniti, Referente o Ponente il Card. Zondadari, li 24 Luglio 1735 fu emanato il seguente Decreto: *Annuendum esse piis eorumdem RR. PP. DD. Patriarchae Antiocheni, Archiepiscoporum et Episcoporum nationis Maronitarum votis, et mittendum, ut petitur, praedictum R. P. C. Josephum Simonium Assemanum, tamquam Ablegatum Apostolicum»* (1). Approvato il detto decreto dalla S. di Clemente XII, furono spediti i relativi Brevi, in uno de' quali, diretto il 26 Novembre dello stesso anno all'Assemani, dicevasi: «Deinde te hortamur atque monemus, ut quaecumque ad disciplinae ecclesiasticae in iis partibus conservationem, restaurationem ac incrementum, felicem progressum pertinere intellexeris, omni ope, ac studio cum praedictis Josepho Petro Patriarca, ac Archiepiscopis et Episcopis rite, recteque statuenda atque ordinanda cures; sin autem ita se occasio tulerit, aut res exegerit, ut ad haec

(1) *Relazione dell'Ablegazione Apostolica alla Nazione de' Maroniti di Mons. Assemani alla S. C. di Propaganda §. IV. esistente nell'Archivio Tom. XII delle Miscellanee de' Maroniti.*

اقتضى المقام عقد مجمع اقليمي لاجل ترتيب هذه الامور من اصلح وجه فاننا نخوّلك السلطان على النداء به وعقده.»[٩] ودفع الى السمعاني المذكور علاوة على الموجزات التي ذكرنا ارشاد من المجمع المقدس يعين عشر موادٍ تتعلق بالاصلاح المنوي اجراؤه في الكنيسة المارونية[١٠].

٧) حمل السمعاني تلك الوثائق وغادر روما في ١٧ من كانون الاول من السنة المذكورة ١٧٣٥ فوصل الى بيروت في ١٧ من حزيران من السنة التالية. وتلبية لدعوة البطريرك انتقل من بيروت الى قنوبين الكرسي البطريركي حيث: «قُرئت في الكنيسة في اول تموز ١٧٣٦ الموجزات الرسولية ورسائل المجمع المقدس بحضور البطريرك ورؤساء الاساقفة والاساقفة... وابدى البطريرك والرؤساء والرهبان والاكليروس والشعب رغبتهم اولًا في اقتبال البركة الرسولية بكل احترام وثانياً لكي يظهروا استعدادهم للخضوع لكل مراسيم الكرسي الرسولي والمجمع المقدس التمس كل من البطريرك والرؤساء من القاصد ان يدفع اليهم المجلد اللاتيني حيث كتب بناء على ارشاد المجمع المقدس ما ارتآه

٩) حاشية المؤلف: المجمع اللبناني الطبعة اللاتينية صفحة ٤ (تعريب نجم صفحة ٧)

١٠) حاشية المؤلف: تقرير قصادة عدد ٧ (سنعرب وننشر هذه المواد والارشاد المذكور.

---

salubrius peragenda Synodus Provincialis congreganda sit, illam indicendi, et celebrandi facultatem concedimus». (Sin. Ed. lat. p. IV). Una co' suddetti Brevi fu data altresi al sullodato Assemani un'istruzione della S. C., nelle quale venivano determinati dieci articoli spettanti alla riforma da farsi in quella Chiesa (*Relazione dell'Ableg.* §. VII).

7) Munito l'Assemani di tali documenti, partiva da Roma il 17 Decembre del predetto anno 1735, e giungeva a Bairut ai 17 Giugno dell'anno seguente. Di là, dietro invito del Patriarca, si recò alla Sede Patriarcale di Canubin, ove «letti nella Chiesa il 1 Luglio 1736 li Brevi Apostolici, e le lettere della S. C. in presenza del Patriarca, degli Arcivescovi, e Vescovi... volse Mons. Patriarca colli suddetti Prelati, Monaci, Clero e popolo, primieramente ricevere con tutta divozione la benedizione apostolica...., e poi per dimonstrare la prontezza, ch'aveva di seguire tutti gl'ordini della S. Sede, e della S. C., dimandò all'Ablegato, si esso Mons. Patriarca, si li suoi Prelati, che gli consegnasse il *volume latino*, in cui stava steso ciò, ch'esso Ablegato secondo la

ضرورياً لان يعرض على المجمع لتثبيته . واجهدوا النفس ليوقعوه . اما القاصد الرسولي فلم يرضَ . . . بل قال انه ينبغي اولاً ان يُعرب ليطالعوه ويتفهموه وبعد ذلك يسمح بتوقيعه[11] ، وتم الاتفاق على عقد المجمع في كسروان في الخامس عشر من شهر آب القادم . وعندما صرف البطريرك القاصد طلب اليه : «ان يرتب في هذه الاثناء مواد المجمع ويعربها كلها»[12] . ويُستخلص من ذلك ان السمعاني حمل معه من روما مشروعاً لاعمال المجمع العتيد واحكامه مكتوباً باللغة اللاتينية وقد عرّبه في الشرق .

٨) واعلن البطريرك انه بداعي الاهتمام بامور كرسي قنوبين لن يتمكن من الشخوص الى كسروان في ١٥ آب ولذلك تأخر موعد انعقاد المجمع الى شهر ايلول . فانزوى السمعاني في هذه الاثناء في دير سيدة لويزة التابع للرهبان اللبنانيين حيث انهى نقل مشروع المجمع من اللسان اللاتيني الى اللسان العربي

١١) حاشية المؤلف : تقرير قصادة ١٣
١٢) حاشية المؤلف : المحل المذكور عدد ١٥

istruzione della S. C. avea stimato necessario per esser proposto ed approvato nel Sinodo: e fecero gran sforzo per sottoscriverlo: ma l'Ablegato apostolico non si contentò... dicendo, che bisognava prima che fosse tradotto in arabo acciocchè lo leggessero, ed intendessero, e poi, avrebe permesso che lo sottoscrivessero». (Relazione dell'Ableg. §. XIII). Dopo ciò fu convenuto di tenere il Sinodo nel Kesroan pel 15 Agosto prossimo; ed il Patriarca nel licenziare l'Ablegato, lo pregò, «che intanto disponesse la materia del Sinodo, traducendo il tutto in lingua arabica» (l. c. §. XV). Dal che risulta che l'Assemani portò seco da Roma lo *schema* degli Atti e Decreti del futuro Sinodo, scritto in lingua latina, e che in Oriente ne fece la traduzione araba.

8) Intanto, avendo significato il Patriarca che per gli affari della Sede di Canubin non si sarebbe potuto trovare nel Kesroan per il 15 Agosto, la celebrazione del sinodo fu differita al mese di Settembre. L'Assemani in questo frattempo si ritirò nel Monastero della *Madonna* di *Loaize*, spettante ai Monaci Libanesi, ove terminò la traduzione dello schema latino del Sidono in lingua arabica, ed attese la venuta del Patriarca (l. c. §§. XVI-XVII). Questi difatti sul principio di Settembre si portò nel Convento di Raifun, lontano circa due ore da quello di Loaize, ove si recò a restituire la visita all'Ablegato, ed intendersi intorno al Sidono. Circa il quale si convenne, che tutti quelli che doveano intervenirvi, si portassero al Convento di S. Sergio, detto

بانتظار قدوم البطريرك[١٣] ، الذي انتقل فعلاً في بدء ايلول الى دير ريفون وهو يبعد مسير ساعتين عن دير اللويزة . وقصد البطريرك هذا الدير ليرد الزيارة القاصد ويتفق معه على ما يتعلق بالمجمع . واتفقا على ان يذهب الى دير مارسركيس ريفون كلُّ من ينبغي اشتراكه في المجمع و « هناك يُبحث في جميع المواد المكتوبة باللغة اللاتينية والتي عُربت فيما بعد لتذاع في المجمع.»[١٤]

٩) وفي الرابع عشر من ايلول سنة ١٧٣٦ اجتمع في كنيسة مارسركيس ريفون المذكورة البطريرك والقاصد ورؤساء الاساقفة والاساقفة ما عدا اربعة منهم بداعي المرض والمسافة والرئيسان العامان لرهبانيتي مار اشعيا وجبل لبنان وتلامذة روما واخيرًا المرسلون اللاتينيون « الا انه نظرًا لما تمسك به البطريرك من ادعاءات بصدد توزيع الميرون ونظرًا لاختلافه مع الاساقفة على بعض المسائل[١٥] اعلن انه عدل عن عقد المجمع وانه لا يريد ان ينفذ شيئاً يصدر

١٣) حاشية المؤلف : المحل المذكور عدد ١٦ و١٧

١٤) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ١٩

١٥) حاشية المؤلف : تجد اشارة الى هذه الاختلافات في الطبعة اللاتينية للمجمع صفحة ١٥ (تعريب نجم صفحة ٢٢) وشرحاً اوسع لها في رسالة مطران بيروت الى الكردينال زنداداري ، المحل المذكور صفحة ٤٥٥ (تعريب نجم صفحة ١٦٥) وفي رسالة الاب ايدفنسو الكرمليتاني في نفس المحل صفحة ٤٥٧ (تعريب نجم صفحة ١٦٩)

Raifun; ed «ivi si esaminassero tutti gli articoli, stesi già in latino, e poi tradotti in arabo, i quali aveano da pubblicarsi nel Sinodo» (l. c. §. XIX).

9) Di fatti, il 14 Settembre 1736 convennero nella predetta Chiesa di S. Sergio di Raifun il Patriarca, l'Ablegato, gli Arcivescovi e Vescovi, quattro eccettuati per causa d'infermità e di lontananza, gli Abati generali delle congregazioni di S. Isaia, e del Monte Libano, gli Alunni di Roma, e finalmente i Missionarii latini. «Ma per causa di certe pretensioni di Mons. Patriarca intorno alla distribuzione della Cresima, e per alcune contese colli Vescovi (1), protestandosi il medesimo Patriarca di non voler più far Sinodo, nè eseguir cosa alcuna proveniente da Roma, fu costretto l'Ablegato a ritirarsi nel Convento di Loaize il 17 Settembre» (l. c. §. XX). Se non che, dopo otto giorni, tornato il Patriarca a più sano consiglio, si portò anch'egli al Convento

(1) Di queste contese si ha un cenno nell'edizione latina del Sinodo, p. XV ; e più diffusamente se ne parla nella lettera del Vescovo di Bairut al Card. Zondadari, ibid. p. 455, e nell'altra del P. Ildefonso Carmelit. ibid. p. 457.

عن روما . ولذلك اضطر القاصد الى ان يعود الى دير لويزة في السابع عشر من ايلول[١٦] . ولكن البطريرك عاد الى الصواب وبعد ثمانية ايام انتقل الى لويزة وقابل القاصد « واخذ منه النسخة العربية لكل احكام المجمع العتيد ليبحث فيها ويثبتا بالاشتراك مع كل الاساقفة المارونيين وتلامذة روما . وبحث فيها ونقض منها وغيّر ما شاء وما رآه موافقاً كما يظهر من النسخة الاصلية المقدمة الى المجمع المقدس وذلك بغياب القاصد الرسولي وافراد كل الرهبانيات من لاتينية ومارونية[١٧] . » والحرية هذه التي استعملها البطريرك والاساقفة في فحص مشروع المجمع قد اثبتها البطريرك الحالي[١٨] .

١٠) وانتهى البحث في المشروع بمدة ثلاثة ايام[١٩] واصدر البطريرك والقاصد امراً بالتئام المجمع المزمع عقده في كنيسة سيدة لويزة في الثلاثين من ايلول واليومين التاليين كما حدث فعلاً : « قرئت الاحكام جهراً واذيعت في ثلاثة ايام متتابعة وعقدت جلستان كل يوم في ٣٠ ايلول والاول والثاني من

١٦) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ٢٠

١٧) حاشية المؤلف : المحل المذكور عدد ٢١

١٨) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ٣

١٩) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٥ صفحة ٩٢ اول ملحوظة خزانية.(المعرب ونشر هذه الكتابة)

Loaize a trovare l'Ablegato: «Da cui ricevuta la copia arabica di tutti li Decreti del futuro Concilio, per esser esaminati, ed approvati, esso Patriarca con tutti li Vescovi Maroniti, e con gli Alunni di Roma... esaminò, cassò e mutò quello che gli parve conveniente, siccome apparisce *dall'originale che si esibisce alla* S. C., senza che l'Ablegato Apostolico, o li Religiosi di alcun'Ordine latino, o maronita si fosse trovato presente» (l. c. §. XXI). Questa libertà, usata dal Patriarca e da' Vescovi nell'esame dello schema del Sinodo, viene constata (sic) ancora dall'attuale Patriarca (*Som.*: n II, p. 3).

10) Terminato in tre giorni l'esame dello schema (*Som. n.* V, p. 92, prima Nota d'Archivio), il Patriarca insieme all'Ablegato fece l'editto della celebrazione del Sinodo da doversi tenere nella Chiesa della Madonna di Loaize il 30 Settembre, e ne' giorni susseguenti, come di fatti avvenne. «Letti in pubblico li Decreti, furono pubblicati in tre giorni continui, tenendosi due sessioni il giorno, il 30 Settembre, 1. e 2. Ottobre 1736, e l'approvarono colle proprie

تشرين الاول سنة ١٧٣٦ وثبتها بتوقيعه وختمه الرسمي كل من البطريرك ورؤساء اساقفة الموارنة واساقفتهم الاحد عشر واسقفان من طائفة السريان وآخران من طائفة الارمن احدهما بنفسه والآخر بواسطة نائبه ومثله في المجمع واثنان من رؤساء الرهبان الخ[٢٠]... » وبعد انعقاد المجمع واذاعة احكامه كتب البطريرك والاساقفة الى روما رسائل مختلفة تاريخها الرابع من تشرين الاول الى قداسة اكليمنت الثاني عشر والمجمع المقدس والكردينال زنداداري الرئيس[٢١] والكردينال بلوغا وامين سر المجمع المقدس يعلنون فيها انهم عقدوا المجمع ويلتمسون من الكرسي الرسولي ان يثبته وقد قالوا في الرسالة الموجهة الى المجمع المقدس ما يلي : « قد قبلنا وسلمنا بالاجماع اولًا بتلك القضايا التي جزم بها وحددها الحبر الاعظم وثانياً بالكتاب المنقسم الى اقسام اربعة وكل ذلك اثبتناه بتوقيع يدنا ذاتها ووضع اختامنا ونطرحه على اقدام الحبر الاعظم حتى اذا نظر فيه يقضي به بمقتضى حكمه ورأيكم الثاقب . واما ما رسمناه

٢٠) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ٢٣

٢١) حاشية المعرب : كذا ولكن الكردينال زنداداري هو محامي الطائفة المارونية . اما رئيس المجمع فهو الكردينال بطرا . راجع ذيل المجمع اللبناني تعريب غم صفحة ١٦٤ و١٦٣ .

sottoscrizioni, e sigilli autentici il Patriarca, undeci Arcivescovi, e Vescovi Maroniti, due Vescovi Soriani, altrettanti Vescovi Armeni, l'uno de' quali per se stesso, e l'altro intervenne per mezzo del suo Vicario; due Abbati de' Monaci etc...» (Relazione dell'Ablegazione §. XXIII). Celebrato, e publicato il Sinodo, il Patriarca ed i Vescovi in data de' 4 Ottobre scrissero a Roma diverse lettere alla Santità di Clemente XII, alla S. C., al Card. Zondadari Prefetto, al Card. Belluga ed a Mons. Segretario della S. C., nelle quali significavano di aver celebrato il Sinodo, e supplicavano per la conferma della S. Sede. «*Unanimi autem consensu, così parlavano nella lettera alla S. C., admisimus ac recepimus, prima quidem propositiones illas, quas Sanctissimus Pontifex Maximus definierat: deinde librum in quatuor partes divisum: quae omnia propriae manus subscriptione, nostrisque appositis sigillis confirmantes, Pontificis Summi pedibus submittimus, ut ea perpendens, pro sua sententia, vestroque prudenti judicio decernat. Id vero, quod in nostra Synodo a vestrarum regionum more alienum statutum est, idcirco admisimus, quod esset hisce partibus conforme et necessitatibus earumdem opportunum*» (ed. lat. del Sinodo, p. 445 segg.).

في هذا المجمع من الرسوم التي لا تنطبق على عادة بلادكم فانما وضعناه نظرًا لموافقته لعادة هذه البلاد وملائمته لحاجاتها.»[٢٢]

١١) وبعد ذلك عين البطريرك والقاصد نفرين لينسخا عن النسخة الاصلية العربية، وهي المزمع اخضاعها للكرسي الرسولي، نسخات لكل من البطريرك والاساقفة تتقابل بصورة صحيحة وتحفظ للذكر المستقبل. وهكذا كان. اما النسخات هذه فدفعت الى المطران طوبيا ابن عم البطريرك وامر القاصد ايضاً بان تنسخ نسخة ترجمها هو من اللسان العربي الى اللسان اللاتيني ليقدمها الى المجمع المقدس.»[٢٣] وهذه النسخة العربية الاصلية والنسخة التي ترجمها القاصد من العربي الى اللاتيني اشار اليها ولا شك في كلامه في العدد السابق[٢٤] من التقرير المذكور حيث يقول: «وكل ذلك من عربي ولاتيني يخضع للمجمع المقدس بصورة صحيحة.» وينتج عن ذلك مما تحسن ملاحظته ان السمعاني كتب تقريره المذكور بعد رجوعه الى روما ودفع الى المجمع المقدس النسخة العربية الحاملة تواقيع واختام آباء المجمع والنسخة التي ترجمها من

٢٢) حاشية المؤلف: الطبعة اللاتينية صفحة ٤٤٥ (تعريب نجم صفحة ١٦٠)
٢٣) حاشية المؤلف: تقرير قصادة عدد ٣٠
٢٤) حاشية المؤلف: تقرير قصادة عدد ٢٣

11) Dopo ciò il Patriarca e l'Ablegato «deputarono due soggetti per ricavarne dall'*originale arabico*, che dovea umiliarsi alla S. Sede, altrettante copie, cioè per il Patriarca, e per li Vescovi le quali, collazionate in forma autentica si doveano conservare a futura memoria: ciò, che seguì, e le copie si consegnarono à Mons. Tobia fratello cugino del Patriarca: *ed intanto l'Ablegato fece fare una copia da esso tradotta dall'Arabo in Latino, per esser presentata alla S. C.*» (Relaz. dell'Ablegaz. §. XXX). Ed è appunto dell'*originale arabico*, e della *copia tradotta dall'Arabo in* Latino, che lo stesso Ablegato avea parlato nel precedente § XXIII della citata *Relazione*, dicendo : « *Il tutto in forma autentica, si Arabico, come Latino, umiliasi alla S. C.*» Dal che risulta, e qui giova prenderne nota, che l'Assemani, ritornato in Roma, giachè egli scrisse la detta *relazione* dopo il suo ritorno, ha esibito alla S. C. l'*esemplare arabo*, sottoscritto e sigillato da' Padri del Sinodo, e la *copia da lui tradotta dall'arabo in latino*; onde è fuor di dubbio non aver egli presentato alla prelodata S. C. lo *schema* latino, che seco avea portato nel muovere per l'Oriente, edal quale tradusse l'esemplare arabico, come si è di sopra accennato (§§. 7-8):

اللسان العربي الى اللاتيني . وعليه فانه ولا شك لم يقدم الى المجمع المقدس المذكور المشروع اللاتيني الذي استصحبه في انتقاله الى الشرق والذي عنه ترجم النسخة العربية كما ذكرها آنفاً[٢٥] بل الترجمة اللاتينية المنقولة عن النسخة العربية وهذه نفسها فحصها آباء المجمع وتباحثوا فيها ونقحوها وثبتوها [٢٦]

١٢) وفي نفس الوقت تقريباً الموافق رجوع السمعاني الى روما وذلك سنة ١٧٣٨ إنفذ البطريرك ، الذي قد يكون ندم على توقيع المجمع ، الى روما

٢٥) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ٧-٨

٢٦) حاشية المؤلف : يوافق ان يُشار هنا الى التباس وقع فيه كما يظهر مؤلف اول ملحوظة خزانية (مجمل صفحة ٩٣) فقد قال ان السمعاني سلم الى المجمع المقدس نسختين احداهما عربية والاخرى لاتينية ويثبت قوله مستنداً الى رقعة تاريخها ١٦ آب سنة ١٧٤١ وقد كتبها الكردينال الرئيس وهي تتضمن ما يلي : «أنفذ السمعاني الى الطائفة المذكورة بصفة قاصد وحمل الى البطريرك سلطة ليعقد مجمعاً ولما رجع جاء بمجلدين كبيرين يحويان قوانين المجمع المذكور وجاء علاوة على ذلك بطلبٍ لتثبيته الرسولي وقعه البطريرك والاساقفة.» وقد ظن مؤلف الملحوظة ان هذين المجلدين الكبيرين هما نسختان للمجمع بلغتين مختلفتين العربية واللاتينية . واما المجلدان الكبيران فهما النسخة اللاتينية ليس إلا وهي المترجمة كما ذكرنا عن النسخة العربية وهي مقسومة الى مجلدين كبيرين وسيظهر ذلك بجلاء فيما بعد .

---

ma bensi la tradizione latina fatta, com'egli afferma, dall'arabo esemplare. il quale era stato esaminato, discusso, emendato ed approvato dai Padri del Sinodo (1).

12) Quasi contemporaneamente al ritorno dell'Assemani in Roma, che avvenne nel 1738, il Patriarca pentito forse di aver sottoscritto il Sinodo, spedì in Roma uno dei Segretarii dello stesso Sinodo, certo Don Elia Saad

(1) E qui sarà bene indicare un equivoquo, in cui sembra caduto l'autore della prima nota d'Archivio (Som. p. 93). Dopo aver egli detto che l'Assemani consegnò alla S. C. due essemplari, uno arabo, l'altro latino, cita in conferma il biglietto del Card. Prefetto dei 16 Agosto 1741, così concepito: « Essendo ritornato Mons. Assemani inviato Ablegato alla detta nazione con facoltà di congregarsi un sinodo dal Patriarca, portò seco due grandi tomi contenenti i canoni di detto Sinodo celebrato, con supplica del Patriarca e Vescovi per la conferma apostolica del detto Sinodo.» L'autore della nota ha creduto che quei due grandi tomi fossero due esemplari del Sinodo in lingua diversa, latina ed araba, mentre essi non constituivano che l'unica copia latina, tradotta, come si è detto di sopra, dall'arabo, e divisa in due grandi tomi, come meglio apparirà in seguito.

احد كتاب اسرار الجمع المشار اليه المدعو الياس سعد مكلفاً اياه بان يحمل على عمل السمعاني نفسه وعلى شرعية المجمع ولا حاجة بنا للتوقف على ايراد ما قدمه الفريقان الى المجمع المقدس من ادعاآت وكتابات لانها خارجة عن الموضوع ويكفي ان نورد على مدى اوسع الرقعة المذكورة منذ هنيهة [٢٧] التي كتبها الكردينال الرئيس في السادس عشر من آب سنة١٧٤١ الى الكردينال الباني لتكون لدى نيافاتكم فكرة صحيحة عما يتعلق بالتحقيق الذي قام به الكرسي الرسولي في فحص المجمع المقول عنه وتثبيته . وهاك مضمون تلك الرقعة : « ان الكردينال رئيس مجمع الانتشار يرى من واجبه ان يعلم الكردينال الباني الكلي النيافة والمفوض الجديد للبحث في الاجتماع الخاص في دعوى المجمع الماروني بحال هذه الدعوى وهي الآتية : « أنفذ السمعاني الى الطائفة المذكورة بصفة قاصد وحمل الى البطريرك سلطة ليعقد مجمعاً ولما رجع جاء بمجلدين كبيرين يحويان قوانين المجمع المذكور وجاء علاوة على ذلك بطلب لتثبيته الرسولي وقعه البطريرك والاساقفة . وعين اكليمنت الثاني عشر مجمعاً خاصاً لهذه الغاية وكان الملخص السيد الكردينال رزونيكو . وقُدمت كتابات من قبل البطريرك يحمل بها على ثلاثة قوانين [٢٨] واخرى من قبل القاصد لتثبيت المجمع. وطرقت

٢٧) حاشية المعرب : اي في الحاشية ٢٦ .

٢٨) حاشية المؤلف : ان القوانين الثلاثة المختلف عليها تتعلق اولاً بتوزيع الزيوت المقدسة ، ثانياً بملكية الرهبان للراهبات، ثالثاً بثبات الاساقفة في ابرشياتهم (معرب ونشر كتابة السمعاني تتعلق بهذه القوانين الثلاثة) .

(Felici), col mandato di combattere l'operato dello stesso Assemani, e la legittimità del Sinodo. E senza star qui a narrare le contese e le scritture *hinc inde* presentate alla S.C., perchè fuor proposito, basterà riportare per *extensum*, il testè citato biglietto dell'Emo Card. Prefetto dei 16 Agosto 1741 al Card. Albani, per potere le EE. VV. formarsi un esatto concetto del processo tenuto dalla S. Sede nell'esame ed approvazione del Sinodo in parola: «Il Card. Prefetto di Propaganda (così il biglietto) stima suo dovere il significare all'Emo Card. Albani, nuovo deputato nella Congregazione Particolare della causa del sinodo de' Maroniti, lo stato di detta causa, che è il seguente. Essendo ritornato Mons. Assemani Inviato Ablegato a detta Nazione con facoltà di congregarsi un Sinodo dal Patriarca, portò seco due grandi tomi contenenti i canoni del detto Sinodo celebrato, con supplica del

الكتابات كثيراً من المواد الوضعية ولذلك امرت قداسة سيدنا المجمع بان يتابع عمله من الوجهة المدنية وان يعيّن فاحصاً جنائياً يهتم بالامر الجنائي . وقد انتخب لذلك السيد اينوسنتزي . وعرضت بالتالي الدعوى المدنية المذكورة وكان ملخصها الكلي النيافه المشار اليه وذلك في الثلاثين من ايار الماضي وارتأى المجمع لكون المسألة تتعلق بمجمع اقليمي انه لا يكفي ان يقتصر البحث على القوانين الثلاثة المختلف عليها بل يجب ان يتناول ايضاً النظر في المجمع باجمعه ليتحقق الكرسي الرسولي عملاً بواجب الوظيفة اذا كان عليه ان يثبت المجمع جملة وتفصيلاً[٢٩] ولذلك عين سيدنا المطرانَ جبرائيل حوا رئيس اساقفة قبرص الماروني والاب توما البودي رئيس الرهبان اللبنانيين العام والاباتي رودوتا كاتب المكتبة الفاتيكانية ليبدوا النظر في المجمع المذكور . وقدم هولاء تقاريرهم[٣٠]

٢٩) حاشية المعرّب: لم نجد افضل من هذا لتعريب الالفاظ اللاتينية In parte. et partibus لاعتقادنا بوجود غلط في النسخ قد يكون وقع بابدال لفظة in genere بلفظة in parte .

٣٠) حاشية المعرب: سنعرب وننشر هذه التقارير .

Partiarca. e Vescovi per la conferma apostoliva di detto Sinodo. Deputata sopra di ciò una Congregazione Particolare da Clemente XII, fù destinato Ponente il Sig. Card. Rezzonico, ed intanto furono fatte delle scritture per parte del Patriarca impugnando tre Canoni (1), e per parte dell'Ablegato per l'approvazione; e perchè in dette Scritture si entrava in molte materie obiettive, la Santità di Nostro Signore ordinò, che rispetto al Civile continuasse detta Congregazione, e rispetto al Criminale si deputasse dalla medesima un Revisore Criminale, e fù eletto il Sig. Innocenzi. Propostosi pertanto detta Causa Civile dal detto Emo Ponente sotto li 30 Maggio passato fù stimato dalla Congregazione, che trattandosi di un Concilio Provinciale, non si dovesse stare solamente ai tre Canoni controversi, ma si dovesse esaminare, e rivedere tutto il Sinodo per riconoscersi ex officio se in parte, et partibus deva essere detto Sinodo confermato dalla S. Apotolica, onde in sequela di tale risoluzione N. S. deputò Mons. Gabriele Eva Arcivescovo Maronita di Cipro, il Padre Tommaso Budi Generale de Monaci Libanesi, e l'Abbate Rodotà Scrittore della Biblioteca Vaticana, a rivedere detto Sinodo,

(1) I tre controversi riguardano, 1° la distribuzione dei Santi Olii, — 2° la coabitazione de' Monaci colle Monache — 3° l'amovibilità dei Vescovi dalle loro Diocesi.

ومن ثمّ توجب على المجمع ان يبحث في المسائل المرسلة الى نيافتكم مشاراً اليها بالحرف A الخ...»

١٣) وعُقد الاجتماع في ٢٧ آب سنة ١٧٤١ بحضور الكليّ القداسة وعُرضت للبحث المسائل الآتية :

١ — هل يثبت ان المجمع المشار اليه شرعي —

٢ — هل يعتمد الى القانون القاضي بتحريم سكنى الراهبات او النساء مع الرهبان وكيف يجب تعديله .

٣ — هل يعتمد ويستحق التثبيت القانون الناهي البطريرك عن اخذ شيء ايًا كان بحجة توزيع الزيت المقدس على كهنة الرعايا.

٤ — هل يجب تثبيت القانون القاضي باستقرار الاساقفة الموارنة في نفس الكنائس الاسقفية المرسومين عليها وما القول في الفصل ٤١ من ذيل المجمع المشتمل على تقسيم كراسي الاساقفة وبيان حدود الابرشيات المارونية هل يجب تثبيته بشأن توزيع الابرشيات على الاساقفة بحيث لا يسوغ للبطريرك ان ينزعها منهم .

---

e questi avendo date le loro relazioni, doveranno esaminarsi in Congregazione i Dubi (sic) che si transmettono all'E.V. segnati lettera A etc» (1).

13) Tenutasi la Congregazione ai 27 Agosto 1741 *coram SSmo*, e proposti i dubbi:

1. *An constet de legitimitate dictae Synodi.*

2. *An Canon quoad cohabitationem prohibitam Monialium seu Mulierum cum Monachis sustineatur, vel quomodo moderandus.*

3. *An Canon prohibens Patriarchae quamcunque exactionem in distributione Olei sancti Parochis sustineatur, et mereatur confirmationem.*

4. *An canon quoad residentiam Episcoporum Maronitarum in propriis Titulis Ecclesiarum Episcopalium sit approbandus, et quid quoad appendicem Synodi Cap. 41, in quo adest divisio Sedium Episcopalium cum limitibus Dioecesum Maronitarum, sit approbandus pro distributione Dioecesum in tot Episcopis, ita ut non possint amoveri a Patriarcha.*

---

(1) *T. XII delle Miscellanee Maroniti dell'Archivio di Propaganda.*

٥ – هل يجب ان يقدم الرأي الى قداسته ليثبت المجمع المذكور بموجز رسولي ايضاً . وفي نفس الاجتماع الخاص أُجيب على هذه الاسئلة كما يلي :

على الاول : بثبوت شرعية المجمع وذلك باجماع الرأي .

وعلى الثاني : بتثبيت القانون من غير تثبيت الاديرة .

وعلى الثالث: بوجوب تثبيته وبان على الحبر الاعظم ان يتنازل ويعني بالسيد البطريرك من وجه آخر .

وعلى الرابع : بتثبيت القانون القاضي باستقرار الاساقفة وبان يُرجع الى الاب الاقدس فيما انطوى عليه الفصل ٤١ من ذيل المجمع من تعيين كراسي مطارنة الموارنة واساقفتهم وحدودها .

وعلى الخامس : بوجوب الاتجاه الى الاب الاقدس ليتنازل ويثبت المجمع بموجز رسولي بعد ان يزاد على النسخة الاصلية بعض ملاحظات واصلاحات في بعض القوانين كما هو مذكور في صفحة أُفردت لهذا الغرض . وقد عهد الى الكردينال الملخص السامي الاحترام تنفيذ ما ذكر بحيث يشتمل الموجز الرسولي على تثبيت النسخة الاصلية دون ان يُؤتى فيه بذكر الاصلاح الآنف الذكر

---

5. *An sit consulendum SSmo pro approbatione dictae Synodi etiam per Breve Apostolicum.*

Ai quali dubbi venne risposto nella stessa Congregazione particolare come segue:

Ad 1. Constare de legitimitate Synodi omnibus suffragantibus.

Ad 2. Pro approbatione Canonis, citra tamen approbationem Monasteriorum.

Ad 3. Approbandum (sic) et ad SSum qui dignetur alio modo providere D. Patriarchae.

Ad 4. Pro approbatione Canonis demandantis Residentiam Episcoporum, et ad SSum quoad contenta in Appendice Cap. 41 in quo proponuntur Metropolitanorum, et Episcoporum Maronitarum Sedes, et limites.

Ad 5. Ad SSum, qui dignetur approbare Synodum cum Brevi Apostolico, postquam in Originali fuerint adiectae aliquae adnotationes et reformationes in quibusdam Canonibus, sicut in folio ad partes, cujus executio commissa fuit (sic) Rmo Cardinali Ponenti, ita ut in Brevi fiat approbatio Originalis

وبحيث يثبت في الموجز نفسه القيود العمومية بمقتضى عادة التثبيتات الرسولية[٣١]

١٤) وصدر الموجز الرسولي « اهتمام الاحبار الرومانيين الفريد»[٣٢] مثبتاً المجمع بتاريخ اول ايلول سنة ١٧٤١ ودُفع مع غيره من موجزات الى الكاهن الآنف الذكر الياس سعد الذي تسلّم ايضاً نسخة المجمع العربية المخطوطة والتي وقعها وختمها الآباء ليحملها الى بطريركه حتى ينقلها ويعيدها بعد ذلك الى المجمع القدس . وتشتمل خزانة المجمع على دليلين لذلك لا مردّ لها . اولهما النسخة الاصلية لرقعة كتبها الكلي السمو بطرا وهي تتضمن امرًا موجّهاً الى حافظ الخزانة يشير بتسليم المخطوط المذكور الى سعد وهاك مضمونها : « ان حافظ الخزانة يستطيع ان يسلم الى السيد الاب الياس سعد وكيل البطريرك الماروني النسخة العربية المخطوطة لمجمع جبل لبنان الطائفي . هذا النهار ٤ تموز سنة ١٧٤٢ . وعليه ان يأخذ وصولاً بذلك وتعهداً بايصالها الى البطريرك » .

الكردينال ف. بطرا الرئيس . ان الكلمات المشار اليها بخط كتبها نفس

٣١) حاشية المؤلف : قرار الاجتماع الخاص بتاريخ ٢٧ آب ١٧٦١ وهو موجود في النشرة اللاتينية صفحة ٤٧٢ (نجم صفحة ١٨٩ من ذيل المجمع) .

٣٢) حاشية المؤلف : مجموعة براءات البروبغندا المجلد الثالث صفحة ٣

absque mentione dictae emendationis, et in eodem Brevi apponantur clausulae generales juxta solitum eiusmodi approbationum Apostolicarum (Decreto della Congregazione Particolare dei 27 Agosto 1741 esistente nell'ed. lat. p. 472).

14) Spedito il I Settembre 1741 il Breve Apostolico, *Singularis Romanorum Pontificum* (1), confermativo del Sinodo, fu consegnato una con altri Brevi al sullodato sacerdote Elia Felici. Cui pure fu affidato il manoscritto arabo dello stesso Sinodo, firmato e sigillato dai Padri del medesimo, perchè lo avesse portato al suo Patriarca affine di copiarlo, e quindi rimandarlo alla S. C. Di ciò si hanno in Archivio due ineluttabili argomenti. Uno è l'originale del biglietto dell'Emo Petra, col quale si dava l'ordine all'Archivista di consegnare al Felici il suddetto manoscritto, del seguente tenore: «l'Archivista di Propaganda potrà consegnare al Sig. Don Elia Felici Agente del Patriarca dei Maroniti il Sinodo Nazionale del Monte Libano manoscritto in lingua Araba. Questo di 4 Luglio 1742 *con lasciarne ricevuta ed obbligo di portarlo*

(1) *Bull. Prop. Tom. III p. 3.*

اليد التي وقعت الرقعة ولذلك فان الكردينال الرئيس هو الذي اضافها . والكتابة الثانية هي الوصول الذي تركه المدعو سعد وهذه عباراته : « انا الموقع بذيله قد تسلمت من السيد دومينيك بياردي حافظ خزانة مجمع انتشار الايمان المقدس كتاب مجمع جبل لبنان الطائفي المنعقد سنة ١٧٣٦ : خط عربي، ١٩٢ صفحة، جلد احمر . وقد دفعه اليّ حافظ الخزانة المذكور بمقتضى امر السيد الكلي السمو الكردينال الرئيس فتعهدت بايصاله الى بطريركي لينقله وبعد ذلك يرجعه الى المجمع المقدس . للبيان حرر . هذا النهار ٥ تموز سنة ١٧٤٢ . الياس سعد رسول سيادة يوسف الخازن بطريرك انطاكية الماروني »[٣٣] . ولكن المخطوط المذكور لم يرجع قبل سنة ١٨٦٦ كما تشهد بذلك ملحوظة وُضعت على صفحة حافظة[٣٤] لنفس الدفتر هذه عباراتها : « نسخة عربية بيد المؤلف للمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ وقد اعادها الى القاصد الرسولي (ڤالرجا) في سوريا البطريرك الماروني وذلك في تشرين الاول سنة ١٨٦٦ . » وهذا الدفتر موجود الآن في خزانة البروپغندا وهو جامع لكل الصفات المشار اليها في وصول سعد

٣٣) حاشية المؤلف : ان الكتابتين الاصليتين محفوظتان في المجلد الخامس من المختلفات المارونية .

٣٤) حاشية المعرب : هي ورقة توضع كغلاف للدفتر لتحفظ الاوراق الاولى والاخيرة من التلف .

---

a Mons. Patriarca. V. Card. Petra Prefetto. Le parole in corsivo sono della stessa mano della firma autografa, perciò aggiunte dal Card. Prefetto. L'altro documento è la ricevuta rilasciata dal nominato Felici cosi concepita: «Io sottoscritto ho ricevuto dal Sig. D. Domenico Baiardi, Archivista della S.C. de Propaganda Fide il Libro del Sinodo Nazionale del Monte Libano celebrato nel 1736: in lingua Arabica, di facciate 192: in pelle rossa la qual consegna mi è stata fatta dal suddetto Archivista per ordine dell'Emo Sig. Card. Petra Prefetto; obligandomi ancora di portarlo a Mons. mio Patriarca a fine di copiarlo, e dopo che sarà copiato rimandarlo alla detta S. C. in fede. questo di 5 Luglio 1742 Elia Felici Inviato di Mons. Giuseppe Pietro Gazeni, Patriarca Antiocheno de Maroniti» (1) Se non che, il detto manoscritto non si potè riavere prima del 1866, come rilevasi da una nota apposta sul foglio di guardia

(1) *Tutti e due i documenti originali sono nel T. V Miscellanee Maroniti.*

المذكور[٣٥]. وعليه فلا سبيل للارتياب بانه هو هو وسيظهر ذلك في محله بجلاء اكثر. ويوافق الآن ان نشير الى انه بينما كان المخطوط العربي في الشرق قبل ان نسخة المجمع المؤما اليه الشرعية والمكتوبة باللاتيني أبقيت في خزانة مجمع الانتشار وذلك في الصفحة الرابعة من تقرير طبع في رومه سنة١٧٤٤ عنوانه : « فيما يتعلق ببعض حوادث جرت في سوريا لدى الطائفة المارونية الخ . . . »

١٥) وعاد الكاهن الياس سعد الى لبنان بعد غياب ٤ سنوات تقريباً وكان البطريرك الخازني قد توفي وانقسم الاساقفة الى حزبين وانتخبوا بطريركين . فتحول حق الانتخاب الى الكرسي الرسولي وعمد بنديكتوس الرابع عشر الى قطع دابر الشقاق فابطل الانتخابين السابقين وعين بطريركاً مارونياً سمعان عواد رئيس اساقفة دمشق ودفع سعد الى البطريرك الجديد الموجزات الرسولية

٣٥) حاشية المعرب: غير اننا لما كنا في روما السنة الماضية بحثنا عنها في خزانة مجمع الانتشار المقدس ولم نعثر عليها .

---

dello stesso codice nè' (sic) termini seguenti. *Autografo Arabo del Sinodo Libanese del 1736 restituito a Mons. Delegato Apostolico* (Valerga) *della Siria dal Patriarca Maronita nell'Ottobre* 1866. Questo codice, esistente ora nell'Archivio di Propaganda, ha tutti i connotati designati nella surriferita ricevuta del Felici; e perciò non si può dubitare della identità, come meglio vedrassi a suo luogo. Intanto giova avvertire che, mentre il manoscritto arabo era già stato portato in Oriente, nella *Relazione* stampata in Roma nel 1744 «*Sopra alcuni accidenti accorsi* (sic) *nella Siria* presso la Nazione Maronita etc. (sic) si dice a pagina 4 esser rimasta nell'Archivio di detta Congregazione di Propaganda la *copia autentica* di detto *Sinodo* in lingua latina.

15) Dopo circa quattro anni di assenza fece ritorno al Libano il Sacerdote Felici, ma ivi trovò che il Patriarca Gazzeno era morto, e che i Vescovi, divisi in due partiti, avevano eletto due Patriarchi. Devoluta alla S. Sede la elezione del Patriarca per terminare lo scisma Benedetto XIV, annulate le precendeti elezioni, nominò a Patriarca de' Maroniti Simone Evodio Arcivescovo di Damasco. Al novello Patriarca consegnò il Felici a mezzo del Delegato Apostolico, Padre Giacomo da Lucca, tanto i Brevi quanto l'esemplare arabo del

ونسخة المجمع العربية[٣٦] وذلك بواسطة القاصد الرسولي الاب يعقوب دالوكا.
واستلمها البطريرك مع اساقفته وقبلوا تثبيت المجمع وساروا كلهم بوجبه[٣٧]

البحث الثاني

لمحات تاريخية في الطبعتين العربية واللاتينية للمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦

١٦) لم ينشر المجمع اللبناني بواسطة المطابع الا مرتين[٣٨] ففي المرة الاولى طُبع باللغة العربية سنة ١٧٨٨ بعناية البطريرك الماروني سيادة اسطفان . وفي المرة الثانية باللغة اللاتينية ١٨٢٠ بامر المجمع المقدس ولا بد من لمحة تاريخية في الطبعتين تزيد موضوع بحثنا ايضاحاً .

٣٦) حاشية المؤلف: قد أخذ كل ذلك عن الكتابين الرسولتين « انه ليس بحكم بشري » بتاريخ ١٣ اذار ١٧٤٣ و « اخيراً لتهدئة » بتاريخ ١٦ من ذات الشهر والسنة. (ان الرسالة الثانية هي : Nuper ad sedandas وليس Nuper ad Nos كما يقول المؤلف)

٣٧) حاشية المؤلف: مجمل عدد ٢ صفحة ٥

٣٨) حاشية المعرّب: لا يغرب عن البال ان المؤلف كتب ذلك سنة ١٨٨٣

Sinodo (1). Ed il Patriarca una co' suoi Vescovi ne prese consegna, ed accettò la conferma del Sinodo cui uniformarono tutti la loro condotta (Som. N. II, p. 5).

Articolo 2

Cenni storici sulle edizioni araba e latina del Sinodo Libanese del 1736.

16) Due sole edizioni a stampa sono state fatte del Sinodo Libanese. La prima in arabo nel 1788 a cura del Patriarca Maronita Mons. De Stefanis, l'altra in latino nel 1820 per ordine della S. C. Dell'una e dell'altra è necessario dare breve relazione storica per maggior chiarezza della questione di cui si tratta.

(1) *Rilevasi tutto questo dalle lettere apostoliche* Quod non humano *dei 13 Marzo 1743,* e Nuper ad Nos *(sic) de' 16 dello stesso mese ed anno.*

في الطبعة العربية

١٧) بالرغم من تثبيت هذا المجمع بموجز خاص اصدره الكرسي الرسولي وبالرغم من وعد الرؤساء المارونيين بالسير بموجبه لم تأتِ النتيجة مطابقة للآمال المعقودة ولا كانت مراعاة المجمع ، مهما كان السبب ، فورية كما كان يُرجى. ومما شوش النظام في ذلك الوقت شقاق مؤسف وكثير الخطورة نشأ بين الرهبان المدعوين جبليين لكونهم يقطنون اعالي لبنان والرهبان الحلبيين القاطنين بجوار حلب ، وطالت كثيراً مدة ذلك الشقاق فاثار شكوكاً جمة لما تُوغل فيه من مخالفات للنظام عظيمة ولما تُمسك به من احتقار للتأديبات البطريركية . فهاجت الامة هيجاناً وهاج اعيانها وكذلك اساقفتها فناصروا هذا الحزب او ذاك من الرهبان المنشقين . وهكذا تخلخلت ممارسة السلطة البطريركية وضعفت . فرأى المجمع المقدس ان يتداخل مباشرة فكلّف حافظ الارض المقدسة الاب لويس دي بستيا بان يسعى للتوفيق بين المنشقين بالاتفاق مع البطريرك والاساقفة الاكثر نفوذاً على الاقل .

١٨) وطرب البطريرك طرباً عظيماً لهذا التدبير وشعر بنفسه قوياً باستناده

Dell'edizione araba

17) Benchè quel Sinodo fosse stato confermato con apposito Breve della S. Sede, e i Prelati Maroniti ne promettessero l'osservanza, tuttavia l'effetto non corrispose alla preconcepita speranza, nè l'osservanza del medesimo, qualunque ne fossero i motivi, fu cosi pronta come si sarebbe desiderato. Tra i disordini del tempo ebbe a deplorarsi il gravissimo dissidio che si eccitò fra i Monaci detti Montagnoli, perchè residenti nelle alture del Libano, e gli Aleppini, perchè àbitanti nei pressi di questa città. Dissidio che fu ben lungo e scandaloso, avando proceduto a notevoli infrazioni di disciplina con pertinace disprezzo delle censure inflitte dal Patriarca, con molta agitazione della nazione, de' suoi Notabili ed anche de' Vescovi che prendevano parte per l'una e per l'altra fazione de' Monaci dissidenti. Reso cosi vacillante ed incerto l'esercizio dell'autorità del Patriarca, la S. C. stimò intervenire direttamente commettendo al Custode di Terra Santa P. Luigi di Bastia la conciliazione dei dissidenti, da procurarsi con intelligenza del Patriarca e de' Vescovi almeno più influenti.

18) Lietissimo il Patriarca di questa dispozione e sentendosi rafforzato

الى معاضدة الاب الحافظ من قبل السلطة الذي كان يتمتع ايضاً بنفوذٍ شخصي كبير . وعليه فقد رأى البطريرك موافقاً ان يغتنم الفرصة ويعقد مجمعاً يداوي به التهذيب الكنسي الساقط . والتأم المجمع في ايلول سنة ١٧٦٨ في دير مار يوسف غوسطا وشاء البطريرك ان يحضره الاب الحافظ بصفته قاصد الكرسي الرسولي . وبعد ذلك تمت بخيرٍ مصالحة الرهبان . ويستحق الذكر القانون الثامن عشر من قوانين هذا المجمع وهو التالي: « اتفقوا الآباء جميعهم بقلبٍ واحد ورأيٍ واحدٍ بانهم قابلين المجمع اللبناني المقدس وكل القوانين والرسوم التي حددها فيه الآباء . . . وذلك لكونه ضرورياً ومفيداً لنظام طائفتنا المارونية سيما لكونه مثبت من الكرسي الرسولي المقدس وعزموا بانهم يحفظوه جميعاً . . . بغير خلاف ولا عذر ، وكل من الاساقفة يحفظ عنده نسخة المجمع ليتأملها جيداً حيناً بعد حين ويحرز كهنة رعيته على حفظ ما يخصهم من ذلك وكذلك فليُتلى في ديورة القانونية في المائدة اقله في العام مرة »[٣٩] .

١٩) ان اعمال هذا المجمع التي دُعي بمجمع غوسطا والقوانين التي وضعت

٣٩) حاشية المعرب: لم يُعرب هذا القانون عن النص الطلياني بل نُسخ حرفياً عن نسخة عربية للمجمع.

dall'autorevole intervento del P. Custode, che godeva anche molta personale influenza, stimò opportuno profittarne per tenere un Sinodo a fine di provvedere anche alla decaduta ecclesiastica disciplina (sic). Il Sinodo si tenne nel Settembre 1768 nel monastero di S. Giuseppe di *Agosta*, e volle il Patriarca v'intervenisse il Padre Custode qual Delegato della S. Sede; dopo che si riuscì felicemente alla riconciliazione de Monaci. Fra i canoni dello stesso sinodo è rimarchevole il seguente n. 18 «Sono convenuti concordemente tutti li Padri con unanime consentimento di accettare il santo Sinodo Libanese, e tutti li canoni e decreti fatti in esso... essendo esso necessario e proficuo per il buon'ordine della nostra nazione Maronita, specialemente perchè fu confermato dalla S. Sede Apostolica; e tutti hanno risoluto di osservarlo... senza veruna scusa, pretesto e trasgressione: ciascheduno de' Vescovi tenga presso di sè una copia di esso Sinodo per ben considerarla in ogni tempo, e per far notare ai Sacerdoti della diocesi quello che spetta ad essi di osservare: e parimenti si legga ne' monasteri in tempo della mensa, almeno una volta l'anno».

19) Gli atti del Sinodo di *Agosta*, che così fu chiamato, e i canoni in esso

فيه دفعت الى المجمع المقدس ليفحصها كما جرت عليه العادة واصحبها البطريرك والاساقفة برسالة. وهاك ما ورد عنها في ملخص التقرير المتعلق بالمجمع بتاريخ ٢٤ تموز ١٧٦٩ : «ان سيادة البطريرك وكل اساقفة الطائفة المارونية يشكرون بكل تواضع الخ... ويقولون انهم عقدوا مجمعاً خاصاً وسنوا فيه قوانين مختلفة يرجون الكرسي الرسولي ان يثبتها ويضيفها الى المجمع اللبناني الذي ثبته بندكتوس الرابع عشر الطيب الذكر وذلك رغبة منهم في اتقان النظام الكنسي ونظرًا لما هم عليه من احترام وخضوع للاوامر الرسولية ولتعليمات المجمع المقدس بصدد العمل بموجب المجمع اللبناني ... فمن جهة اولى انه لا بد من ان يقتني نسخة للمجمع المذكور ليس فقط كل من الاساقفة بل من الكهنة ايضاً ومن رؤساء الاديرة لان كل الخير الروحي وحسن نظام الكنيسة يتعلقان عليه . ومن جهة ثانية انه يصعب جداً الحصول على تلك النسخة نظرًا لعدم وجود الطباعة ولبهظ مصروف النسخ بخط اليد . فلذلك ان البطريرك والاساقفة يتقدمون معاً من نيافاتكم بألح الطلبات والحا لتتنازلوا وتأمروا بطبع المجمع الذي يشاؤون طبعه باللغة اللاتينية واللغة العربية بحرف[٤٠] سرياني».

٤٠) حاشية المعرب: اللغة العربية بالحرف السرياني هي ما نسميه الكرشوني

fatti furono rimessi alla S. Sede pel consueto esame con lettera dell'Episcopato e del Patriarca. Ed ecco come nel Ristretto della relativa Ponenza (24 Luglio 1769) se ne dava relazione «Essi Mons. Patriarca poi e tutt'i Vescovi della nazione Maronita rendono umilissime grazie etc... e dicono che appunto in ossequio degli ordini apostolici e delle istruzioni della S.C. riguardo all'osservanza del Libanese concilio, e all'esattezza della ecclesiastica disciplina, hanno adunato un sinodo particolare, e stabilito vari canoni che desiderano siano confermati dalla S. Sede e *aggiunti al Concilio Libanese*, già approvato dalla sa. me. di Benedetto XIV... Siccome però da una parte è necessario che di detto concilio ne abbiano copia non solo i Vescovi, ma anche i Curati e i Superiori de' Monasteri, dipendendo da esso tutto il bene spirituale e il buon'ordine della Chiesa; e dall'altra è molto difficile il poterlo avere per mancanza della stampa, e per le (sic) grave spesa che ci vuole a farlo trascrivere; così il Patriarca unitamente a suoi Vescovi porge all'EE. VV. le più efficaci istanze, affinchè si degnino di ordinare la impressione, la quale desiderrebbero che fosse fatta in due lingue, latina ed araba col carattere siriaco».

٢٠) واضاف البطريرك في رسالة خاصة[٤١] قائلًا: «وانا اكثر من الكل ارجو نيافتكم بكل الحاح ان ترتضوا وتأمروا بان تطبعوا معاً المجمع اللبناني والقوانين التي وُضعت حديثاً وذلك لازدياد منفعة هذا الاكليروس فيمتنعوا عن الاعتذار بالجهل متى سنحت الفرصة لذلك.» وكتب ايضاً الاب لويس دي بستيا المذكور[٤٢] الى الحبر الاعظم والتمس منه ان يثبت بسلطانه الرسولي المجمع المشار اليه المنعقد في غوسطا وان يأمر بنفس الوقت بدفعه للطبع مع المجمع اللبناني ويطبع لهم منهما ما يشاؤون من النسخ. لان ذلك ضروري جداً جداً لاعادة قليل من التهذيب الكنسي المفقود تقريباً في تلك البلاد الشقية المفتقرة خاصة الى الكتب. ان الكرسي البطريركي يرزح تحت الديون الباهظة ... ولذلك الاساقفة ... يلتمسون المصروف اللازم». وقد طُرح السؤال التالي (الثاني) في اجتماع الرابع والعشرين من تموز سنة ١٧٦٩: «هل يجب ان يُؤمر بطبع المجمع اللبناني لمنفعة الطائفة المارونية» وأُجيب عليه بالنفي. ولم يتوصل حافظ الخزانة[٤٣] رغم الجهاته الكثيرة الى معرفة سبب ذلك الرفض.

٤١) حاشية المؤلف: تاريخها ١٠ ك ١ سنة ١٧٦٨
٤٢) حاشية المؤلف: بتاريخ ١٠ ك ١ ١٧٦٨
٤٣) حاشية المعرب: ولكن النص الطلياني يقول: لم تتوصل الخزانة.

20) Il Patriarca, con speciale lettera (10 Xbre 1768) aggiungeva «ed io più di tutti ne prego istantemente l'E. V. a voler far si che *venga stampato in uno coi canoni ultimamente fatti il Libanese concilio* per maggior comodo di questo clero e per toglier loro all'occorrenza la scusa della ignoranza». Anche il suddetto P. Luigi da (sic) Bastia, (10 Decembre 1768) scrivendone al sommo Pontefice, lo pregava di confermare coll'Apostolica sua autorità il citato loro Concilio di Agosta (sic) e farlo *dare nel tempo stesso alla stampa unitamente all'altro concilio Libanese* in quella quantità che bramebbero, e che veramente sarebbe molto necessario per ristabilire alquanto la ecclesiastica disciplina, che in questi miseri paesi è quasi morta per la penuria che hanno specialemente di libri. E siccome in oggi la Sede patriarcale si trova sotto un grave peso di debiti... perciò i Vescovi... ricorrono per la necessaria spesa». Nella congregazione tenuta li 24 Luglio 1769 fu proposto il dubbio (2°): «Se debba ordinarsi la stampa del concilio Libanese per commodo (sic) della nazione Maronita» al quale si rispose *Negative*. Nè l'Archivio (sic), ad onta di molte ricerche, è riuscito a conoscere qual fosse il motivo di tale rifiuto.

٢١) وطال اجل الخلافات الخطيرة والبلبلات التي اوجدها بين الموارنة انتخاب الاساقفة خاصة وغير ذلك من مخالفات خطيرة للمجمع اللبناني . ولذلك عُين قاصدًا رسوليًا سيادة جرمانوس آدم مطران حلب الملكي . وهذا ارسل الى المجمع المقدس بتاريخ ٢٧ تموز ١٧٨٩ تقريرًا ضافيًا ذكر فيه ان البطريرك يقول انه لم يُقبل قط قرار المجمع اللبناني المذكور القاضي بفصل الرهبان والراهبات لان هذا القرار لا يمكن موافقته للحالة في جبل لبنان . واضاف (سيادة آدم) ما يلي: « لذلك صار بيني وبين سيادة البطريرك المشار اليه كلام كثير بصدد العمل بموجب المجمع اللبناني . فاجاب ان المجمع هذا رتبه سيادة المرحوم السمعاني وان البطريرك يوسف الخازن بطريرك الوقت رفض ان يشترك فيه فالتجأ سيادة السمعاني المذكور الى الحاكم وهو الامير ملحم فأوفد عشرة جنود ليجبروه على حضور المجمع. والبطريرك سمعان خليفته بين للكرسي الرسولي انه لا سبيل الى العمل بموجب بعض قوانين ذلك المجمع فلم يؤبه له؛ وسجن رسوله مع الاب توما البودي النائب العام للرهبان اللبنانيين . واما نسخة المجمع المقدمة فقد حُرفت في الملاحظات المكتوبة على الهامش حيث ابدلت العبارات والقرارات بغيرها . ولذلك فالنسخات المأخوذة عن النسخات الاصلية يختلف بعضها عن بعض ولا توحي الثقة بتاتًا . وبالرغم من ذلك فان

21) Non cessando i gravi dissidi e disordini che venivano presso i Maroniti, specialmente sulla elezione de' Vescovi ed altre gravi trasgressioni del Sinodo Libanese, fu destinato Delegato Apostolico Mons. Germano Adami Vescovo Melchita di Aleppo. Questo in data 27 Luglio 1789 inviò ampia relazione alla S. C., in cui dopo aver riferito, che il Patriarca asseriva, non esser mai stato accettato l'ordine del detto Sinodo Libanese circa la divisione de' Monaci dalle monache, e non esser tale disciplina adattabile allo stato del Monte Libano, aggiungeva quanto segue «Perciò fu tenuto lungo discorso tra me e il predetto Mons. Patriarca in ordine alla osservanza del Sinodo Libanese. Egli rispose che il Sidono fu composto dal gia Mons. Assemani, e che il Patriarca Giuseppe Gazeno allora vivente non voleva intervenirvi, e il detto Mons. Assemani ricorse all'Emir Melhen (sic) allora Governatore, il quale mandò dieci soldati per obbligarlo di star presente al Sinodo. Ed il Patriarca Simone suo successore rappresentò alla S. Sede l'impossibilità di osservare alcuni canoni di quel Sinodo, ma non fu inteso, anzi il suo Delegato fu messo nelle carceri insieme col Padre Tommaso Budi Vicario Generale

البطريرك قد دفع للطبع في مطبعة مار يوحنا الشوير نسخة تُعد صحيحة واصلية وقد بوشر طبعها الذي ربما انجز بعدة قصيرة[٤٤] وقد اجبر الرهبان على ذلك المرحوم السيد غندور سعد الخوري الذي اخذ المصاريف على عاتقه . وانا قد زرت السيد غندور مستعيناً على ذلك بافرادٍ من عظماء طائفته واشعرته بان هذه النسخات لا توحي الثقة بتاتاً لاختلافها فيما بينها . وانه على كل حال يحسن صنعاً بارسال المال الى روما ليطبع هذا المجمع وفقاً للنسخة المذيلة بامضاآت القاصد والبطريرك والاساقفة ولكنه لم يرقه الانحياز الى رأيي مستنداً الى مشورة المعاكسين . وبعد ذلك طلبت من سيادة البطريرك النسخة الاصلية لارى فيها بعض نصوصٍ في اول المجمع وآخره فاجابني انه لا يستطيع التخلي عنها اكثر من يوم او يومين فقط . وانا اعلم ان لديه نسخة غيرها . واذا شاءت نيافاتكم

٤٤) حاشية المؤلف : انه من الصعب ان نفهم ما كتبه سيادة آدمُ في ٢٤ تموز سنة ١٧٨٩ قائلاً انه بُوشر طبع النشرة العربية بينما هذه النشرة تحمل تاريخ ١٧٨٨ (ربما حلت الصعوبة اذا فرضنا ان السنة ١٧٨٨ هي تاريخ بدء الطبع لا تاريخ غايته) .

de' Monaci Libanese; e la copia del Sinodo presentata fu alterata in que' luoghi ch'erano stati notati in margine, e cambiati con altre espressioni e decreti, e perciò le copie fatte sopra gli originali sonó diverse l'una dall'altra, nè meritano alcuna fede. Con tutto ciò il Patriarca ne ha presentata una copia esatta alla stamperia di S. Giovanni in Soairo, e come fosse l'originale: se n'è già cominciata la stampa e tra breve si spera di vederla finita (1), e che li monaci sono stati a ciò obbligati dal fu Signor Gandhur Sadel Curi, il quale s'incaricò delle spese; ed io ho visitato il Signor Gandhur per mezzo di persone ragguardevoli di sua nazione con avvertirlo che tali copie essendo tra loro differenti non meritano alcuna fede, e che in ogni modo sarebbe meglio di mandare il denaro a Roma per stampare quel sinodo secondo la copia sottoscritta dal Delegato dal Patriarca e dalli Vescovi. Ma egli non ha voluto aderire alla mia insinuazione appoggiato al parere de' contrari. Io di poi richiesi a Mons. Patriarca l'originale per rincontrare alcuni luoghi nei principio e nel fine di esso Sinodo. Egli rispose di non poter lasciarlo fuori di sue mani, se non che per uno o due soli giorni, quantunque io so che egli ne ha una seconda copia. Che se l'EE. VV. vogliono ne manderò loro un'esem-

(1) *Non può facilmente spiegarsi, come M. Adami ai 24 Luglio 1789 scrive, essersi cominciata la stampa dell'edizione araba, mentre questa porta la data del 1788.*

فاني مرسل لكم نسخة عندما ينتهي الطبع فتطلعون حينئذٍ على الاختلاف القائم بين هذه النسخات والنسخة الاصلية المحفوظة لدى المجمع المقدس».

٢٢) وأبرز ذلك التقرير في اجتماع السابع من حزيران سنة ١٧٩٠ حيث طرح مع ما طرح من الاسئلة السؤال التالي (الثالث عشر): «ما الذي ينبغي ان يجاب به سيادة القاصد بصدد طبع المجمع اللبناني الذي يقوم به السيد غندور» فاجاب المجمع: «يجب ان يرسل الى المجمع المقدس نسخة من الطبعة قبل انتشارها.» وكُتب ذلك الى سيادة آدم في ١٩ من حزيران ١٧٩٠ كما يلي: «انه بسبب الاضطراب العظيم الناتج عن الحرب في جبل لبنان يبدو بعيدًا عن التصديق ان احدًا باشر او اقله يتابع طبع المجمع اللبناني الذي امر به السيد غندور. وبالرغم من ذلك فان المجمع المقدس لا يكلفك فيما اذا تم ذلك العمل الا بان ترسل حالًا الى رومة نسخة منه معلقًا في هذه الاثناء توزيع النسخ الباقية الى ان تتم المقابلة بينها وبين النص الاصلي الموجود هنا في خزانتنا. ويمكنك ايضًا ان تنبه البطريرك وغيره من الاساقفة ليتمنعوا من ان يساعدوا في انتشار هذه الطبعة الى ان يُعترف بانها شرعية وصحيحة.» اما سيادة ادم[٤٥]

٤٥) حاشية المؤلف: «الاوراق الواردة». «الموارنة». مجلد ١٣ (الاوراق الواردة هي كتابات متعلقة باحدى الطوائف تصل الى المجمع المقدس فيوردها في اجتماعاته ويبحث فيها.

plare quando sarà finita la stampa; e allora comprenderanno la *diversità che passa tra queste copie e l'originale che si conserva presso la S. C.*».

22) Riferita questa relazione nell'Adunanza dei 7 Giugno 1790, fu proposto tra gli altri il seguente dubbio (n. 13) «Cosa debba rispondersi a Mons. Delegato intorno alla stampa del Sinodo Libanese, che si fa fare dal Sig. Gandhur». E la S. C. rispose «*Transmittatur exemplar S. C. antequam publicetur*». Il che fu scritto a Mons. Adami li 19 Giugno 1790 come appresso «Quantunque non sembri verisimile, che in tanto turbamento cagionato dalla guerra nel Monte Libano siasi messo mano, o almeno si prosegua la stampa del Sinodo Libanese ordinata del Sig. Gandur (sic), con tuttociò se mai ciò fosse, questa S. C. non le dà altra incombensa (sic) se non di transmettercene subito a Roma un esemplare, sospendendo intanto la pubblicazione degli altri, fintanto che possa farsene il confronto col *testo originale che abbiamo qui vel nostro archivio*. E di ciò potrà anche avvisare Mons. Patriarca e gli altri Vescovi, acciocchè non diano mano al divulgamento di questa opera.

فقد اجاب في ٢٩ آب (حساب قديم) ١٧٩٠ بصدد هـذه المسألة بالعبارات التالية :« اما طبع كتاب المجمع اللبناني وما يتعلق به فقد انتهى وقد اصدرت امرًا بالا يُوزّع شيء من النسخات الى ان يحل امر نيافاتكم ومتى سافر احد من جهاتنا قاصدًا روما ارسل لكم نسخة مطبوعة . وقد طلبت من سيادة البطريرك الذيل الموضوع في آخر اعمال المجمع فاجابني بانه لا يوجد لديه نسخة واحدة منه ولم يطالعه عند احد . وقد عملت ما بوسعي لاصل اليه فلم اجده الى الآن عند احد.» وقد غادر سيادة ادم لبنان سنة ١٧٩٢ ولم يعلم احد اذا كانت النسخة العربية المذكورة ارسلت الى روما .

٢٣) وفيا يتعلق بشرعية المخطوط العربي المدفوع للطبع يقول كاتب المفكرة التاريخية[٤٦] انه نُسخ عن النسخة الاصلية العربية بخط المسجّل البطريركي جرجس حبيب الحاقلاني . لان هذا قد ترك في آخر المخطوط المذكور الكتابة التالية: « تم وانتهى في الرابع والشرين من كانون الاول سنة ١٧٣٦ بيد كاتبه حبيب

٤٦) حاشية المؤلف: بجمل عدد ٢ صفحة ١١ (قد نشر هذه المفكرة نقلًا عن نسخة بخط المطران بطرس البستاني الخوري بولس عبود الغسطاوي في كتابه : « بصائر الزمان في تاريخ البطريرك يوسف اسطفان : بيروت ١٩١١ ص ١٢٤–١٥١ من ذيل الكتاب .

fin tanto che non siasi riconosciuta autentica e genuina». Mons. Adami (1) li 29 Agosto (stil. vecch.) 1790 rispondeva su questo argomento ne' seguenti termini «Circa la stampa del libro degli atti del concilio Libanese già è terminata. Ho fatto un'ordine che non si distribuisca veruna copia finchè verra l'ordine delle (sic) loro EE. e quando partirà qualcheduno dalle nostre parti verso Roma manderò una copia stampata. Ed ho chiesto da Mons. Patriarca l'appendice messa nell'ultimo degli atti del concilio, mi ha risposto che non si trova presso di lui veruna copia affatto, e non l'ha letta presso nessuno; ed ho fatto il possibilie per trovarla e non l'ho trovata fino al presente presso alcuno». Mons. Adami partì dal Libano nel 1792, e non si conosce, che la detta copia araba fosse stata inviata a Roma.

23) Intorno all'autenticità del manoscritto arabo consegnato alle stampe, l'autore della *Memoria storica* (Som. II, p. 11) dice essere stato trascritto dall'originale arabo dal Notaro Patriarcale Giorgio Habib Echellense, di cui in fine di detto manoscritto trovavasi la seguente epigrafe: «E stato finito.

(1) *Cart. Rifer. Maroniti vol. 13.*

الحاقلاني في دير سيدة لويزة بكسروان . » وفي الاسفل تواقيع سبعة من المطارنة المشتركين في المجمع وهم يصرحون :

« لقد اتضح بعد المقابلة ان هذه النسخة مطابقة كل المطابقة للنسخة الأصلية التي ثبتها كل الحاضرين جلسات المجمع ووقعها وختمها سيادة البطريرك الكلي الاحترام ورؤساء الاساقفة والاساقفة الجزيلو الاحترام دون زيادة او نقصان في شيء بل نسخت كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ويشهد الله بذلك . أعطي في الايام الاخيرة من كانون الثاني سنة ١٧٣٦» . اما النسخة المطبوعة والمحفوظة الآن في الخزانة فانها كانت تخص البطريرك حبيش المنتخب بطريركاً في ٢٥ من ايار سنة ١٨٢٣ . وبيان ذلك كتابة في جبهة النسخة : « من كتب الحبيشي . » واخرى في آخرها : « من كتب الكرسي البطريركي الماروني » وهي تحتوي ليس فقط على كتابة الخطاط بل وعلى تصريح الاساقفة المذكور . وعليه فلا سبيل للارتياب بان النسخة المدفوعة الطبع هي احدى النسخات التي امر بنقلها السمعاني والبطريرك حالاً بعد المجمع[٤٧] . وفضلاً عن ذلك ان مؤلف المفكرة

٤٧) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١١ (من هذا المقال).

e terminato ai 24 Decembre 1736 col pugno dello scrivente Habib Echellense. nel convento della Madonna di Loaize del Chesroano». Sotto poi vi erano le firme di sette Vescovi intervenuti al Sinodo, i quali dichiaravano: «E stato collazionato questo esemplare, e si è trovato interamente conforme all'originale che fu approvato nel Sinodo alla presenza di tutti nelle sessioni, e che fu firmato, e sigillato dal Rmo Mons. Patriarca, e dagli Archivescovi e vescovi molto Reverendi senza aggiungervi, e togliere cosa alcuna, *ma ad verbum et litteram*, come Dio ne è testimonio dato gli ultimi giorni di gennaro dell'anno 1737». Nella copia stampata che ora conservasi in Archivio, la quale appartenne al Patriarca Habaisci, creato Patriarca il 25 Maggio 1823, come rilevasi dalla iscrizione in fronte: *Ex libris Habaisci*, ed in fine: *Ex libris Sedis Patriarcalis Maronitarum*, si leggono tanto l'epigrafe del calligrafo, quanto il surriferito attestato de' Vescovi. Onde non può dubitarsi che la copia data alle stampe non sia una di quelle ordinate dal Patriarca e dall'Assemani appena terminato il Sinodo (§. 11). Inoltre il sullodato autore della *Memoria storica* afferma nel citato luogo che il suddetto esemplare.(sic) presentato alle stampe, non differiva dall'originale arabo, sottoscritto dai Padri del Sinodo, e mandato in Roma, se non «in alcune espressioni non importanti, le quali erano state

التاريخية المشار اليه يقول في المحل المذكور ان النسخة الموما اليها والمدفوعة للطبع لم تكن لتختلف عن النسخة العربية الاصلية التي وقعها آباء المجمع وأرسلت الى روما الا في بعض تعابير تافهة كان شطب فوقها في النسخة الاصلية المذكورة وقد اعيدت لها قوتها ابان النقل (قد يكون السمعاني وآباء المجمع عندما قوبلت النسخات كما ذكر رأوا حسناً ان يفعلوا ذلك) مما يسهل ظهوره للمتفحص بامعان .»[٤٨] فهذا ، والحق يقال ، ليس صحيحاً بكامله (كذا يقول سيادة ڤالرجا الذي فحص في الشرق المخطوط المذكور) اذا صح ان الطبعة العربية نُقلت بامانة عن المخطوط الثاني هذا . لانه يظهر من مجموعة الفقرات المختلفة ان الطبعة العربية تنقل مراراً كثيرة فقرات من النص اللاتيني مشطوباً فوقها في النص الاول العربي الشرعي[٤٩] . وقد يدل ذلك على ان اصلاحات كهذه اتى بها آباء المجمع في الاجتماعات التي سبقته ثم عدلوا عنها فيما بعد اما ابان انعقاده اما بعده »[٥٠] .

٤٨) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ١٢

٤٩) حاشية المؤلف : ان سيادة ڤالرجا يسمي باستمرار شرعياً المخطوط او المشروع العربي الذي فحصه وثبته اباء المجمع بتواقيعهم واختامهم .

٥٠) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤ مقطع ١٤

---

scancellate sull'originale suddetto e le quali nel copiare furono restituite al loro vigore (forse che l'Assemani, ed i Padri nel collazionare gli esemplari, come abbiamo detto, hanno poi creduto bene di fare così) come si può vedere da chi lo considera bene». (Som. N. II, p. 12). Il che a vero dire (sono le parole di Mons. Valerga, il quale ha esaminato in Oriente il detto manoscritto) non è del esatto, se è vero che l'edizione araba rappresenti fedelmente questo secondo manoscritto; poichè, come può scorgersi nella raccolta delle varianti, l'edizione araba non rade volte riproduce passi del testo latino che si scorgono cancellati nel primo autentico (1) arabo, il che sembrerebbe indicare che simili correzioni fatte nei congressi preliminari, vennero poscia abbandonate dai medesimi Padri, o nella celebrazione del Sinodo, o dopo di esso» (Som. n. IV, §. 14).

(1) *Mons. Valerga chiama costantemente autentico il manoscritto ossia schema arabo esaminato ed approvato colle sottoscrizioni, e sigilli dai Padri del Sinodo.*

٢٤) ولكن ملاحظة سيادة ڤالرجا تستند الى افتراض مغلوط فيه اذ انه يسلم بان كل الفقرات التي تظهر الآن مشطوباً فوقها او مضافة في المخطوط العربي الاول قد شطب فوقها او اضافها الآباء في الاجتماعات السابقة المجمع . بينما ان المخطوط عندما كان في روما قيد التثبيت لم يكن يحتوي على نصف الشطب والزيادات التي ترى فيه اليوم ويُظهر ذلك تقريرُ الاب توما البودي فاحص المجمع . وبالرغم من ذلك فانه على جانب عظيم من الصحة ان الطبعة العربية بدلاً من ان تبتعد عن النص اللاتيني تقترب منه اذ انها تركت في مواضع كثيرة اصلاحاً او شطبة حواها المخطوط العربي . واثباتاً لذلك يُعرض على نيافاتكم بعض الامثلة لتنظروا فيها :

١ — في الطبعة العربية صفحة ٢٧ يُذكر بين الاعياد المتنقلة عيد جسد المسيح كما في الطبعة اللاتينية صفحة ١٦[٥١] واما في المخطوط العربي فانه مشطوب فوقه[٥٢] .

٢ — ان الطبعة العربية صفحة٥٢ تحوي مقطع الطبعة اللاتينية بكامله[٥٣] :

٥١) حاشية المعرّب: راجع تعريب نجم صفحة ٣٦

٥٢) حاشية المعرّب: سنرى سبب تلك الشطبة عندما نعرب وننشر تقرير الاب البودي

٥٣) حاشية المؤلف: صفحة ٣٢ عدد ٦ (تعريب نجم صفحة ٥٢).

24) Quantunque l'osservazione di Mons. Valerga poggi sopra un falso supposto; nel concedere cioè che *tutti i testi, i quali si vedono ora cancellati od aggiunti nel primo manoscritto arabo siano stati cancellati od aggiunti dai Padri nei congressi preliminari*, imperocchè, come si vedrà dalla relazione del P. Tommaso Budi revisore del Sinodo, quando il manoscritto trovavasi in Roma per l'approvazione, appene conteneva la metà delle cancellature od aggiunte che oggi si scorgono in esso; ciò non ostante, è pur troppo vero, che l'edizione araba, anzichè allontanarsi dal testo latino, in molti luoghi ha abbandonato o la correzione o la cancellatura del manoscritto arabo, e si è avvicinato a quello. In conferma di ciò si sottopongono all'esame dell'EE. VV. alcuni esempi:

1) L'edizione araba p. 27, annovera tra le feste mobili *Festum Corporis Christi*, come si ha nell'edizione latina p. 16; ma nel manoscritto arabo si trova cancellata.

2) Edizione araba p. 52, contiene tutto il paragrafo d'elledizione latina

« اما مسحة التثبيت الخ . . . » وهو مقطع وجيز جداً في المخطوط ولا يعبّر الا عن المعنى المهم .

٣ — قسم ٢ باب ٧ [٥٤] عدد ٧ : ان مقطع الطبعة اللاتينية : « اما الرهبان المرخص لهم في اذّخار الزيت المقدس لحاجاتهم فقط . . . والا حلّت بهم العقوبات الشديدة التي يحتكم بها الرئيس المكاني » موجود بغير نقص في الطبعة العربية ولكنه مشطوب فوقه في المخطوط او المشروع العربي .

٤ — قسم ٢ باب ١٤ عدد ١٩ : ان الطبعة العربية والنص اللاتيني يحويان : (لا يجوز رسامة المجنونين . . .) « الا ان يفسح لهم السيد البطريرك السامي الاحترام . ولكن هذا التفسيح ينبغي ان يقتصر على النادر . . . وان لا يتناول غير الذين ينعهم الناموس البيعي من الدرجات المقدسة » : فالجملة كلها مشطوب فوقها في المخطوط العربي .

٥ — المحل نفسه عدد ٥٠ تطابق الطبعة العربية والنص اللاتيني في اهمال الملاحظة التالية في هامش المخطوط : « ولكن السيد البطريرك يحق له ان يرسم في مجمع اساقفته اياً كان من الكاثوليكيين ومن اية امة كان ولا مانع في ذلك البتة » .

٥٤) حاشية المرتّب : الصواب باب ٨

٥٥) حاشية المؤلف : صفحة ١١٩ (نجم صفحة ٢١٠).

p.33.n. 4 : *In psa vero confirmandi unctione* etc. quale paragrafo è assai conciso nel manoscritto, e non rende se non il senso principale.

3) Parc. II, cap. VII, n. 7, il paragrafo dell'edizione latina: Monachis vero, quibus in proprium tantum usum haberi sanctum oleum permittitur... sub gravibus poenis arbitrio ordinarii, trovasi integralmente nell'edizione araba, ma è cancellato nel manoscritto ossia *schema* arabo.

4) Parc. II, cap. XIV, n. 19, l'edizione araba legge col testo latino (Ordinari non possunt furiosi...) *sine dispensatione Rmi Dni Patriarchae, quae tamen raro... et iis tantum concedenda est, quos jus Ecclesiasticum a sacris arcet Ordinibus*. Nel manoscritto arabo vedesi cancellato tutto il periodo.

5) Ibid. n. 50 L'edizione araba si è attenuta al testo latino nell'omettere la seguente nota marginale del manoscritto: *Sed Dus Patriarcha potest ordinare in Synodo Episcoporum quemcumque catholicum cuiuscumque nationis. Et in hoc nullum adest impedimentum.*

٦ — قسم ٣ باب ٢ عدد ٣ : ان الطبعة العربية وفقاً الطبعة اللاتينية[٥٦] تورد هذا المقطع بكامله :« جرياً على رسوم آبائنا هذه انا نثبّت للخوارنة الاسقفيين ولرؤساء الاديار الكهنة المذكورين آنفاً سلطة رسامة القارئين والمرتلين الخ ... » فان هذا المقطع مشطوب فوقه في المخطوط وقد كتب بدله ملاحظة على الهامش وهي :« اما الآن فان هذه الرسامات محفوظة للاساقفة ولا تمنح قط للمذكورين سابقاً .

٧ — المحل نفسه باب ٤ عدد ١٧[٥٨] «ان هذه الجملة من الطبعة اللاتينية: « اما الذين قضوا مدة طويلة في الرهبنة وعليهم مسحة تقى فعلى السيد البطريرك ان يتسمح معهم في الفترات المار ذكرها .» فقد شطب فوقها في المخطوط ولكنها ذكرت في الطبعة العربية .

٨ — المحل نفسه عدد ٢٨ . يتفق الطبعة العربية والنص اللاتيني[٥٩] في عبارات نهي الزائرين عن ان يطلبوا ابان زيارة الابرشيات اكثر مما جرت العادة عليه :« وان تجاسر احد (لا قدر الله) ان يأخذ شيئاً فوق ما ذكر في كل المواطن السابقة الذكر فليغرم برد ضعف ما اخذه في خلال شهر ويعاقب بعقوبات

٥٦) حاشية المعرب : والصواب ١٦ راجع نجم صفحة ٣٧

٥٧) حاشية المؤلف : صفحة ٢٤٣ (تعريب نجم صفحة ٣١٦) .

٥٨) حاشية المؤلف : راجع الطبعة اللاتينية صفحة ٢٤٧ (تعريب نجم صفحة ٤٠٢) .

6) Part. III, cap. II, n. III. L'edizione araba conformemente alla latina p. 191, riporta tutto il paragrafo: *His igitur Patrum sanctionibus inhaerentes, Chorepiscopis et Abbatibus praesbyteris supradictis potestatem ordinandi lectores et cantatores confirmamus* etc.; quale paragrafo è stato cancellato nel manoscritto, e sostituito dalla nota marginale: *Sed nunc huiusmodi ordinationes reservantur Episcopis, et non amplius supradictis conceduntur.*

7) Ibid. cap. IV, n. 17. Il comma dell'edizione latina p. 227: *Pie vero diuque in Monachorum Ordine versatis, tempora a Patriarcha contrahi possunt*, cancellato nel manoscritto, è riportato nell'edizione araba.

8) Ibid. n. 28. Parlandosi della proibizione fatta ai Visitatori di esigere nella visita della Diocesi più di quello che vien concesso per consuetudine, l'edizione araba è unisona còl testo latino, p.242: *Quod si quisquam (quod absit) aliquid amplius in supradictis omnibus casibus accipere praesumserit, is praeter*

أخرى عـلى مقتضى رأي الاسقف او المتروبوليت او السيد البطريرك السـامي الاحترام من غير ان يأمل العفوَ والصفح . » فكل هذا قد شطب فوقه في المخطوط العربي .

٩ — المحل نفسه عدد ٣٢ من الطبعة اللاتينية[٥٨]. وكذلك قل عن الفقرة التالية : « يكفي الاسقف (عندما يمضي في محاكمة الاكليريكيين الى حـد الحطّ) ان يستعين برؤساء من ذوي التاج والعصا » فانها ذكرت في الطبعة العربية بالرغم من انه مشطوب فوقها في المخطوط .

١٠ — المحل نفسه عدد ٣٤. وكذلك قل ايضاً عن جملة النص اللاتيني[٥٩] التي تذكرها الطبعة العربية بامانة : « وكذا حكم القانونيين الذين وان كانوا لا يلتزمون ان يؤدوا العشور للاساقفة عن العقارات والاملاك القديمة . بيد انه يتحتّم عليهم اداؤها بالنظر الى الامـلاك التي اكتسبوها حديثاً الا ان يحظوا بانعام من السيد البطريرك السامي الاحترام.» فقد شطب فوقها اولاً في المخطوط ثم عُدّلت كما يلي : « يتحتم على القانونيين ايضاً اداء العشور للاساقفـة عن العقارات والاملاك القديمة وعن التي اكتسبوها حديثاً . »

٥٩) حاشية المؤلف: راجع الطبعة اللاتينية صفحة ٢٥٤ (تعريب نجم صفحة ٤١٢).

dupli restitutionem citra mensem faciendam, aliis etiam poenis arbitrio Episcopi. aut Metropolitani, seu Rmi Dni Patriarchae absque ulla spe veniae multetur. Tutto questo è stato cancellato nel manoscritto arabo.

9) Ibid. n. 32. Lo stesso si è verificato del comma, edizione latina p. 247: *Episcopus* (procedendo contro i Chierici *usque ad depositionem*) *adhibeat assistentes sibi Abbates usum Mitrae et baculi habentes*; che viene riportato dall'edizione araba, quantunque cancellato nel (sic) manoscritto.

10) Ibid. n. 34. Parimenti il periodo del testo latino, p. 254, riferito fedelmente dall'edizione araba: *Idem dicendum de Regularibus, qui etsi non tenentur de antiquis agris et praediis decimas Episcopis solvere, ratione tamen praediorum de novo acquisitorum debent decimas Praelatis, nisi a Rmo Dno Patriarcha privilegium obtinuerint*; nel manoscritto fu prima cancellato, e poi modificato come segue: *Item Regulares tenentur decimas Episcopis solvere tum de antiquis, tum de novo acquisitis agris et praediis.*

١١ – قسم ٣ باب ٦ عدد ٢[٦٠] : « ان يسير (البطريرك) امامه راية الصليب اينما كان ما عدا مدينة روما وحيث حل الحبر الاعظم او قاصده متقلدًا شارات المقام الرسولي . » ان الكلمات المشار اليها بخط شطب فوقها في المخطوط واما في الطبعة العربية فقد ذكرت بكاملة.

ويمكن ان يضاف الى كل ذلك المقطع الذي يعود الى تركيز الصليب البطريركي في كنائس الاديرة[٦١] وكل المقطع المتعلق بادارة راهبات رهبنة جبل لبنان[٦٢]. فهذان المقطعان بالرغم من انه مشطوب فوقها في المخطوط قد ذكرا بكاملها في الطبعة العربية.

تكفي هذه الامثلة القليلة لتثبت ان الموارنة كانوا بعيدين عن اخراج طبعة مباينة لمشروع المجمع العربي ومختلفة عنه. وقد حاولوا بالعكس ان يقربوها من النص اللاتيني وذلك بالرغم من انها بقيت مختلفة عنه كل الاختلاف في بعض النقاط كما سيظهر في الفصل التالي..

٦٠) حاشية المؤلف : راجع الطبعة اللاتينية صفحة ٢٦٠ (تعريب نجم صفحة ٤٣٢).
٦١) حاشية المؤلف : قسم ٤ باب ٢ عدد ٢ صفحة ٢٨٥ من الطبعة اللاتينية (تعريب نجم صفحة ٤٦١–٤٦٢).
٦٢) حاشية المؤلف : المحل نفسه باب ٣ عدد ٣ صفحة ٣٠٨ وتوابعها من الطبعة اللاتينية (نجم صفحة ٥٠٠).

11) Parte III, cap. VI, n. 2. p. 260 dell'edizione lat. *Crucem ante se deferre potest* (Patriarca) *ubique terrarum, excepta Urbe Roma, et ubicumque Summus Pontifex praesens extiterit*, AUT EIUS LEGATUS UTENS INSIGNIIS APOSTOLICAE DIGNITATIS. Le parole rimarcate, cancellate nel manoscritto, sono fedelmente riportate nell'edizione araba.

A tutto ciò si potranno aggiungere il brano che riguarda il modo d'innalzare avanti le Chiese de' Monasteri la Croce patriarcale (Part. IV, cap. II, n. 2, p. 285 dell'edizione latina); e tutto il paragrafo concernente il Regime delle Religiose della Congregazione del Monte Libano (ibid. cap. III, n. 3. p. 308 seg. ed. lat.); i quali, sebbene cancellati nel manoscritto si leggono integralmente nell'edizione araba.

Bastano questi pochi esempi per dimostrare, che i Maroniti, lungi dal fare un'edizione infedele, e discordante dello *schema* arabo del Sinodo, hanno anzi procurato di avvicinarla al testo latino, quantunque sia rimasta da questo in altri punti immensamente discorde, come si vedrà nel Capo seguente.

لبنان على مفترق الطرق

هل يعرف ان يضع لنفسه بناء اجتماعياً متيناً ؟

بقلم الاب اندره لوجنيال اليسوعي

في عودتي الى لبنان العزيز بعد غياب سنين كثيرة ، ارغب في ان ادعو هنا اصدقائي الكثيرين من اللبنانيين الى التفكير في مشكلة ذات اهمية حيوية لبلادهم . وان كنت اسمح لنفسي بهذا التجاوز الطفيف في امورهم الوطنية ، فذلك لاني اعتبره ايضاً كوطني . فهم بالحقيقة يعرفون جيداً اني ان لم اكن لبنانياً بالواقع فانا من زمان طويل لبناني بالقلب • فهم يدركون اني سأكلمهم بصراحة كلية في سبيل مصلحتنا العامة .

منذ ان تبوأ لبنان مقامه في عداد الامم المستقلة ، قد تحققت فيه مشاريع عدة لا يجوز ان نقلل من اهميتها .

ففي الحقل الدولي اولاً ، فرض لبنان نفسه على الاجانب بقيمة ونشاط ممثليه خصوصاً في المجالس الدولية الكبرى • ففي هذا الحقل اظهرت ميزات العنصر اللبناني اجلى نشاطها ، ونلاحظ بسهولة ان لبنان قد احتل مقاماً يتجاوز كثيراً اهمية البلاد الحقيقية نظراً لمساحة ارضه وعدد سكانه .

وفي الحقل الداخلي قد قامت الجهود الحسنة لفتح الباب على مصراعيه لاستقبال الغرباء كما كانت الحال قبل الحرب • وها ان عدد السياح الذين يؤمون لبنان يزداد كل سنة بفضل التدابير التي تتخذها الحكومة .

وتحسنت شبكة الطرقات حول مراكز السكن الكبرى وفي الجبل . واهم المدن يتنابها نشاط عظيم في البناء ، نشاط لم يكن معهوداً الى الآن .

وهناك مطار كبير يقع في إطار فريد ويمكنه ان يستقبل اضخم الطائرات . وهو يجعل من لبنان احدى النقاط المهمة في الطيران الحديث .

ومصب الخط الجديد لانابيب البترول قرب صيدا يحسّن مؤكداً اقتصاد البلاد ان في تلك المقاطعة او في البلاد كلها .

واتساع شبكة الري اوافى على المنطقة الساحلية غنى جديداً كما تشهد بذلك تلك الزراعات الزاهرة المتنوعة التي تزيد بجماله .

والتجارة التي تتأثر دائماً بتقلبات الحياة السياسية والاقتصادية الدولية تبقى المورد الاساسي لارباح القسم النشيط من السكان.

وفي الحقل الفكري يبقى لبنان اميناً على تقاليده . وهو اذ يبقى منفتحاً على الثقافات الغربية ، يظل في المقدمة في الثقافة العربية التي يوسّع ايضاً درسها في معاهده .

وعلى عكس ذلك، في الحقل الاجتماعي، اذ لا يبدو ان التوجيهات والتدابير التي اتخذتها الحكومة قد حسنت بنوع عميق حالة الطبقات العاملة . والتوازن الذي يتوق اليه ابناء البلاد المستنيرون لم نبلغه بعد . لذلك رأيت من المفيد ان افتش هنا عن بعض الوقائع التي تؤخر التقدم الاجتماعي الذي يرغبه الجميع .

١ ــ الواقع اللبناني الاجتماعي

لنترك جانباً كل الفوارق الدينية والقومية التي تقسم الشعب اللبناني ، ولنعتبر فقط الجهة الاقتصادية — الاجتماعية.

ان كنا لا نريد الحكم على حالة الشعب اللبناني الا نظراً للعدد الوفير من السيارات ، وبينها من افخم طراز اميركي ، او نظراً للبنايات الجميلة التي ترتفع حالياً في العاصمة ، لوجب القول بان اللبنانيين يتمتعون بسعة كبيرة من العيش . لكن زيارة بعض الاحياء الجرباء في المدينة الكبيرة تظهر بوضوح ان الثروات الضخمة تسكن في هذه البلاد قرب الفقر المدقع . وهذا الفقر قد يصعب مراراً اكتشافه لان اللبناني يعتبر من المحافظة على ابائه وشرفه ان يعتني بمظهره الخارجي . ولذلك يستحيل غالباً ان نكتشف وراء تلك الثياب المتقنة الجميلة التفصيل ، المشتراة غالباً بالدين ، الفقر او البؤس المختبئ فيها .

فيمكن القول ان لبنان، مدة الحرب، قد اغتنى من الرأس ، والثروات الكبيرة الموضوعة قبل الحرب في التجارة والصناعة والملكية العقارية قد تضخمت بالعموم بدرجات متفاوتة . ونتجت ثروات اخرى عن اشغال الحرب

المثرة . لكن الغنى لم ينتشر نسبياً الا قليلاً في الطبقة الوسطى والعاملة.

فينتج من ذلك ان التباين اصبح اعمق من الماضي بين البرجوازية المثرية . ومجموع الامة .

فالتجارة المتوسطة والصغيرة لم تتبدل هيئتها الا قليلاً . فهي وقف على جماعة متقلقلة من محترفي البيع والشراء البارعين او من المبتدئين بمباشرة اعمال الكسبون ، وهم يفتشون عن باب يفتح لهم طريق الثروة. فهناك جو يسوده التسابق والتناحر والتنافس القوي والتطبيقات التي لا تساعد على التفاهم والتعاون وحيث المبادئ الادبية والاخلاقية تحتقر مراراً وتطرح جانباً .

ثم تأتي الطبقة العديدة المؤلفة من الذين يعيشون من اجرتهم ، كالموظفين والعمال . لهؤلاء ميزة عامة وهي انهم ينتظرون اخر الشهر بفارغ صبر ان لم يكن بقلق وهم . وبالحقيقة ان كبار موظفي الحكومة والشركات الكبيرة انفسهم لا يتوصلون الا بصعوبة لتطبيق ميزانيتهم ان كانوا مكلفين بالقيام بأود عائلة كبيرة وليس لهم ثروة شخصية حسنة . فبالأحرى اذاً كم نصادف من صغار الموظفين من يطير راتبه بسرعة لدفع الديون المستعجلة لاصحاب المحلات والدكاكين ، وكم من الذين ينكد عيشهم المرابون القليلو الذمة ، وهم تحت التهديد الدائم بحجز امتعتهم القليلة. وهذه الوضعية هي تقريباً نفسها عند العمال اليدويين. فالعمال الاختصاصيون يقبضون بالعموم راتباً كافياً . ولكن هناك غيرهم الوف من العمال تراهم مجبرين على تقنين مؤونة العائلة وعلى السكن في بيوت غير صحية بسبب فقدان المعدل الادنى للاجرة الضرورية ، وهم ضحايا دائمة لتقلقل الاسعار . فلبنان كان ، قبل الحرب ، من البلدان التي يسهل فيها العيش. اما حالياً فبالعكس ، لان سوقه واقعة تحت تحكم مضاربات المستوردين ومخزني البضائع ومناورات رفع الاسعار حالاً عندما ترتفع غيمة صغيرة في الافق الدولي .

وقد حاولت الحكومة مراراً ان تكافح هذا التقلقل لكنها لم تصل دائماً الى نتيجة مرضية .

واصحاب الحرف يؤلفون الطبقة الاكثر عدداً في المدن . وهم نشيطون

مقتصدون، ولكن ارباحهم زهيدة وليست حياتهم اكثر امناً من الاخرين رغم تمتعهم ببعض الاستقلال . وضعف رأسمالهم لا يسمح لهم بتخزين المواد الاولية فهم ايضاً ضحايا تقلبات السوق .

اما القرويون فحالهم اقل سوءاً مما في بقية بلدان الشرق الادنى . لان الملكيات المتوسطة والصغيرة قد انتشرت في لبنان اكثر مما في هذه الاقطار . ونحتفظ بالكلام عنها لمقال ات، لكن نقول، من الآن، ان هذه الالوف من العمال الزراعيين هم في حالة غير مستقرة وهم محرومون من فوائد الشرائع الجديدة للعمل .

فنقتصر الكلام في هذا المقال الاول على العمال اللبنانيين . ونجرب اولاً بان نحدد اسباب عدم الاستقرار في وضعيتهم لكي نشير بعدئذ الى بعض الوسائل التي يمكنها ان تساعدنا على تلافيها .

٢ ــ وضعية العمال اللبنانيين

ازدحام سوق العمل :

من اهم الاسباب لعدم الاستقرار الحالي بين العمال في لبنان هو الحالة الحاضرة لسوق العمل . فاليد العاملة كثيرة بالنسبة الى مطاليب ارباب العمل . فقد اشارت منذ عهد قريب احدى الجرائد اليومية البيروتية الى ان عدد العاطلين عن العمل يبلغ خمسين الفاً (٥٠ ٠٠٠) . وهي تضم في هذا العدد، كما ارجح، عمال الزراعة وعمال الصناعة . ومهما يكن من صحة هذا التقدير فهناك حقيقة اكيدة وهي ان سوق العمل تنوء تحت تدفق اليد العاملة الغير الاختصاصية . ووصول اللاجئين الفلسطينيين زاد الموقف حرجاً منذ ثلاث او اربع سنين . فهم في لبنان يزيدون على مئة الف يطلبون عملاً ليعيشوا . والمساعدة الدولية التي ينالونها ساعدت على تحسين احوالهم تحسيناً طفيفاً فهم على استعداد للعمل باي سعر كان . وفوق ذلك حدث تدهور اكيد لقيمة العمل اليدوي . ورغم التعيين رسمياً للمستوى الادنى للمعيشة ورغم جهود النقابات، نرى كثيرين من العمال يقبضون اجوراً لا يكفي قطعاً، ان نظرنا من الوجهة الانسانية الى الاعباء التي تثقل كواهلهم .

من جهة اخرى نرى ان الصناعة المحلية قليلة الانتشار ولا تشغل نسبياً سوى عدد قليل من العمال. والحوادث الحالية في السياسة الدولية لا تشجعها على التقدم. وهي لا تتوصل الى مزاحمة الانتاج الاجنبي في السوق الداخلية اذا لم تتخذ التدابير لحمايتها . وبما انها متعلقة بالخارج في الحصول على اكبر كمية تحتاجها من المواد الاولية فليس بامكانها ان تمتد بل هي تهتم اولاً بالمحافظة على كيانها .

عدم الاطمئنان في العمل

فالوضعية الحاضرة لسوق العمل تجعل العامل تحت التهديد الدائم. فيمكن لرب العمل ان يصرفه ، عندما يريد وفي اي وقت كان. خصوصاً ان كان ممن تقدم بهم العهد في العمل وتحسنت اجرتهم ، فمن مصلحة رب العمل الاقتصادية ان يستبدله بعامل جديد يقوم بالعمل نفسه باجرة زهيدة . وللعامل المفصول حق بتعويض الصرف ، يحدده القانون . لكن الاختبار اظهر ان بعض ارباب العمل لا يقيمون وزناً الّا لمنفعتهم الشخصية فيعملون بدهاء للبقاء خارج نطاق القانون ليتخلّصوا من دفع التعويض المذكور . مع ان هذا التعويض يكون زهيداً للعامل الذي بقي زماناً غير طويل في العمل وهو لا يشكل في ميزانيته الا مساعدة وقتية .

ان أصيب العامل بمرض غير متأتٍ من وظيفته تحمل وحده كل تكاليف التطبيب والمداواة . لكن القانون يعطيه الحق بان يقبض اجره كاملاً لمدة تتغير بحسب قدم عهده بالعمل (من عشرة الى ٢٧ يوماً في السنة عند اصحاب الحرف ، ومن شهر الى شهرين ونصف في بقية الصناعات). فنرى بوضوح كم هي ثقيلة، على ميزانية العامل،هذه التكاليف المتأتية عن المرض، وهو ذو الميزانية الواقعة بالعموم تحت العجز . ولكن لحسن الحظ نرى ان بعض ارباب العمل يأخذون على عواتقهم كل تكاليف التطبيب ، او بعضها على الاقل. ولكن عدد هؤلاء ليس كبيراً .

عندما يُصاب العامل بمرض متأتٍ عن صنعته او يقع ضحية حادث متأت عن العمل ، يعطيه المرسوم التشريعي رقم ٢٥/ET بتاريخ ٤٣/٥/٨ حماية خاصة.

ورب العمل يقوم بكل تكاليف التطبيب ويدفع للعامل ثلاثة ارباع اجرته لطول المدة التي يبقى فيها عاجزًا عن العمل .

ولكن نلاحظ ان الاكثرية من العاملين عند اصحاب الحرف لا يستفيدون من هذا القانون . ومن جهة اخرى عندما يصبح العامل عاجزًا بالكلية عن العمل نرى رب العمل يتحرر من واجباته نحوه بان يدفع تعويضاً يتغير مع عمر العامل المصاب بالحادث . فالتعويض لابن ٤٥ سنة فما دون يساوي ست سنين من الاجرة الاعتيادية . وينقصُ بالتالي كلما زاد العمر حتى يصل الى اجرة اربع سنين لابن ٥٠ سنة. فهنا ايضاً نتحقق ان ليسْ للعامل الضمانات الكافية.

ونصل الى الاستنتاج نفسه فيما يتعلق بحماية الشيخوخة عند العامل . فاذا بلغ عمر الستين او قضى ٢٥ سنة في العمل ، يُعطى تعويض صرف يُعادل اجرة عشرة اشهر في المهن الحرة والتجاريـــة والحرف وعشرين شهرًا في الصناعة.- ويبقى بعد ذلك دون اي ايراد شخصي . فان لم يجد عملًا هيناً يعطيه بعض الايراد بقي عبئاً على اولاده او على الحكومة .

سوء حماية عائلة العامل

وهذه النقطة هي اكثر اهمية لانها تقيد مستقبل الطبقة الكادحة النشيطة في لبنان. فمجموع اجرة العامل يجب ان يكون عادةً كافياً لتأمين مركيان العائلة العاملة بكاملها . وهذا مبدأ تقبله الآن كل شرائع الدول الصناعية في الغرب. اما في لبنان فعدم وجود صناديق التعويض للرواتب العائلية والتنظيمات الناقصة المفروضة بمرسوم رقم ET/٢٩ بتاريخ ٤٣/٥/٢٢ ، دعت في كثير من المشاريع الى اتخاذ طرق لاستئجار الفعلة لا يمكن قبولها قطعياً . فالقانون يفرض على رب العمل ان يدفع لرب العائلة زيادة في الاجرة تتراوح شهرياً من عشر ليرات ل. لولد واحد الى ٣٥ ل.ل. لخمسة اولاد . وهذا عبءٌ على رب العمل ، عبءٌ غير ثقيل جدًا لكنه ينقص من ارباحه ، او يدفعه لرفع سعر البيع في مصنوعاته . ولذلك يضع كثير من المستخدمين اصحاب العيال جانباً ولا يستأجرون سوى العازبين . فالنتيجة الطبيعية لاستخدام العازبين خاصة من شبان وشابات ، انها تدفع برب العائلة الى الكسل .

ويتضح ايضا ان أم العائلة ترى نفسها مجبرة على العمل في فروع لا يُطبق فيها القانون لزيادة الاجرة للمتزوجين . ويجب القول ايضاً ان شغلها يُفضل على شغل الرجل في كثير من الوظائف لان اجرتها اقل من اجرة الرجل. ومع ذلك فقد قبلت الحكومة اللبنانية منذ سنة ١٩٤٣ بمبدأ المساواة في اجرة الرجل والمرأة . وعندما انعقد في بيروت مؤتمر هيئة الامم المتحدة المتعلق بشؤون المرأة في نيسان سنة ١٩٤٩ ، اظهر الوفد اللبناني توصياته ، في البند الثالث ، طالباً تطبيق قرار الحكومة الذي بقي حبراً على ورق .

اما فيما يتعلق بحماية المرأة والولد في العمل، فقد اظهر المشترع اللبناني انه مندفع باحسن النيات اذ يمنع شغل الليل والعمل في بعض الصناعات الخصوصية. وقرر للعمل حدّاً اعلى من الوقت لا يمكن ان يتخطاه . ووضع ايضاً للاولاد حدّاً من العمر لا يمكن قبول من هم دونه في الشغل . ولكن، يا للاسف، نتأكد ان كثيراً من الصناعيين يتصرفون بهذه الاوامر على هواهم ، وتبلغ المخالفات حدّاً يقف امامه مفتشو العمل عاجزين عن فرض احترام القانون .

ونتيجة ذلك بيّنة : قتل الصحة للاطفال وتهيئة مستقبل محزن للعمال .

. عدم كفاية الحماية الطبية

يوجب القانون على الصناعيين ان يضعوا في مؤسساتهم كل لوازم التأمين وأن يبنوا معامل يدخلها الهواء كفاية وتسود فيها النظافة الكاملة . ومفتشو العمل مكلفون بالسهر على ذلك. وهو يجبر كل معمل يستخدم اكثر من عشرين عاملاً باقتناء خزانة الادوية . ويرسم ايضاً ان كل يافع مجبر عند دخوله العمل بان يقدم شهادة طبية . ولكن لم يُعيَّن قطعاً ، كما اعلم ، في هذه القوانين ، ان على الهيئة الطبية السهر بانتظام على صحة العمال ومكافحة الامراض واتخاذ التدابير اللازمة . فهناك نقص مؤسف ، لان هذه المراقبة المتابعة بواسطة بطاقات طبية منتظمة تساعد على تجنب مضار كبيرة تحيق بصحة العامل وظهور اوبئة تؤثر في المعمل كله .

وفي بيروت ولبنان لحسن الحظ عدد من الاطباء ذوي الغيرة والتجرد ، يغدقون على عدد كبير من العائلات العاملة عنايتهم ومعالجاتهم دون اي اجر .

فهم بذلك يعطون خير مثال نجبة . ولكن ذلك لا ينسينا ان الاسعاف الطبي غير منظم كفاية. ولنعتبر كم هو مذل ومحط من قدر ذلك العامل المستقيم، ذي الضمير الحي ، ان يظهر بمظهر المتسولين عندما يكون بحاجة الى بعض العناية.

الحياة النقابية نسبياً لا تأثير لها

فلبنان هو احد البلدان التي تضع القيود الكثيرة على تأليف النقابات . وبالحقيقة لا يمكن تأسيس نقابة دون سماح دائرة الشؤون الاجتماعية الرسمية واستئذان وزارة الداخلية. ورغم هذا التقييد، قد نشأت بعض النقابات المختصة بارباب العمل او العمال بعد نشر قانون ١٩٤٦ .

ليس لنا هنا ان نحكم على التدابير التي اتخذها المشترع اللبناني ، ففي هذا المجال تتصل المسائل الاجتماعية بالمسائل السياسية. وهناك بلا شك اعتبارات خارجة عن نطاق المهنة دفعت بالدولة لاتخاذ هذا الموقف . فان تركنا جانباً هذه الرقابة المذكورة، نرى ان تدابير القانون النقابي تسهل العمل فتسمح بتأليف نقابات سليمة فعالة . وبالواقع نرى ان النقابات اللبنانية منذ اربع سنوات لم تلعب سوى دور ضعيف جداً في الحياة المهنية، ولم تؤد خدمات جليلة للطبقة العاملة. وتعليل ذلك انها ، لاسباب عدة يطول بحثها ،لم تتمكن من جمع شمل العمال في صف واحد ولا من إفهامهم اهمية وفائدة الاندفاع والاخلاص المتجرد في سبيل خير المهنة العام. ويظهر ايضاً انه ينقصها قواد نقابيون حقيقيون ، جديرون بتوجيه النشاط ضمن النطاق المهني وحده، الذي هو ضرورة ميدان النشاط النقابي.

زد على ذلك ان الحكومة اللبنانية بدأت بان تضع القواعد والقوانين لحياة بعض ارباب المهن، كالاطباء والصيادلة والمحامين والمهندسين والصحافيين الخ... بنصوص اشتراعية حديثة سيحكم المستقبل بتأثيرها . اما فيما يختص بتحسين وضعية الطبقات العاملة ، فرغم بعض الجهود المشكورة لم تنقطع البطالة ، والاجرة في اكثر الاحيان غير كافية والعائلة العاملة في وضع سيء. والتأمين في العمل غير متمم كما يجب وصحة العامل غير محمية كفاية .

ولنلاحظ اخيراً، ان مسألة سكنى العامل يجب ان تبنى من جديد على اساس واسع وحديث .

بهذا كله يجعلنا ان نفهم كيف ان قسما من الشعب العامل في المدن يتخبط في فاقة اكيدة. مما دفع بهمة بعض الاشخاص الى العمل على الترفيه عنه، فحققوا قسماً مهماً من مشاريع الاسعاف والمحبة : كالجمعيات الخيرية لمساعدة الفقراء، المنتشرة في كل الجماعات ، والمستوصفات المجانية في الاحياء الفقيرة ، والمياتم والمصحات ، والعناية بالامهات والاطفال والمدارس المهنية المجانية وتوزيع الثياب والادوية الخ . . .

فكل هذه الاعمال تظهر وتقدر روح المحبة المندفعة في قسم من ابناء الطبقة المثرية . لكنها اعجز من ان تقتلع اصول الداء. فهذه وسائط مسكّنة بينما نحن بحاجة الى اصلاح الاوضاع من اساسها. لاننا متأكدون بان الطبقة العاملة بقدر ترقيها بمجموعها ضمن نطاق الامة ، بقدر ذلك سترفض العيش المستند الى الاسعافات والحسنات . وهي ستطالب بحقها باكثر الحاح في السنوات المقبلة. اليس ذلك معقولاً ومنطقياً في حضن الديموقراطية المستقلة ؟ فهناك حركة اساسية لا يمكن رفضها ولا تجنبها .

فالحكمة اذاً تقتضي بان نحسن باسرع وقت ممكن، وضعية البلاد الاجتماعية التي تسمح للعائلة العاملة بسعة من العيش كافية . فارتفاع مستوى المعيشة يقوي روح التفاهم والاتحاد في الحقل الوطني، وله نتيجة اخرى وهي انه يقوي التقدير العام للعمل اليدوي الذي يؤلف احد الموارد الرئيسية في غنى البلاد.

ولكي نساعد بحسب امكانياتنا الضعيفة ، على البلوغ الى هذا الهدف ، نسمح لنفسنا باقتراح بعض التوجيهات التي يمكنها ان تحدث تقدماً اجتماعياً سريعاً وعميق الاثر .

٣ ـ العلاجات الممكنة

سياسة مشاريع الاشغال الكبيرة

ان اردنا ان ننزع او نخفف على الاقل البطالة المستحكمة بين العمال اليدويين غير الاختصاصيين ، وجب علينا ان نقوم بمشاريع الاشغال العامة الكبيرة المفيدة للبلاد ، كما حدث ذلك في اوربا في عهود الازمات .

وقد سار لبنان في هذا الاتجاه اذ يعمل على تحسين شبكة الطرق. ولكن ذلك ليس الا بداية ، وهو برأيي غير كاف .

ويظهر لي ان المجهود يجب ان يتابع في اتجاهين : استثمار الثروة المائية والرجوع الى الارض .

فمسألة الرجوع الى الارض هي مشكلة يجري الكلام عنها في مقالتنا الثانية فلا نتوقف عندها هنا. ولكن يظهر لنا بوضوح تام ان عدم تعلق القروي بارضه ، اذ يدفعه الى الهجرة نحو المدن ، يكون احد الاسباب المهمة لتضخم وكساد سوق العمل ، وهو احدى العلل الرئيسية للفاقة الضاربة اطنابها بين سكان المدن من العمال .

ولنعد الى الكلام عن التجهيز المائي . فلبنان يتمتع بموارد مائية كبيرة وهي الاكثر سهولة للاستثمار في الشرق الادنى . فهذه الامكانية الكبيرة الغنى مطروحة حالياً في معظمها في احدى زوايا النسيان والاهمال .

فيمكن البدء بسلسلة اولى من الاشغال التي تهدف لري الوف من الهكتارات البائرة جزئياً والتي يمكن استغلالها الزراعة الخصبة بتهيئة بعض الينابيع العالية في لبنان . وهذا الشغل يسمح فوق ذلك بتكميل ري المناطق الساحلية غير المسقية كفاية .

ومما يؤدي المنافع الجمة لاقتصاديات البلاد هو الاهتمام بترتيب المراكز الكبرى للثروة المائية — الكهربائية . فبنيان السدود الكبيرة التي تتطلبها وحفر الاقنية الموصلة ، ووضع المعامل المولدة تقتضي استخدام عدد كبير من العمال .

فتتحسن الاقتصاديات من جهتين : من جهة اولى يوقف استخدام القوى المحركة الكهربائية في مجمل البلاد استيراد المقادير الهائلة من المحروقات من الخارج . ومن جهة ثانية يتوصل الانتاج الكهربائي سريعاً ، ان كان مدروساً جيداً ، الى ان يفيض عن حاجة البلاد ، فيمكن حينئذ ان نفكر بتصدير القوى الكهربائية اللبنانية الى البلدان المجاورة .

ومن الاكيد ان المهندسين والاختصاصيين فكروا ، منذ زمان طويل ، بهذا التقدم الذي يخطوه الاقتصاد اللبناني وقد وضعت بعض التصميمات ، ولكن

التحقيق لا يزال الى الآن نادراً وضعيفاً. واسباب هذا التوقف عديدة واخصها، كما يظهر لي، هو نفور الرأسماليين اللبنانيين من دعم هذه المشاريع. والحكومة لا تقدر حالياً ان تقوم وحدها بعبء تمويل هذه المشاريع، فهي بحاجة الى مساعدة الرساميل الخاصة. وها ان الاختبار يبرهن لنا ان المتمول اللبناني يفضل غالباً ارسال رأس ماله الى الخارج حيث يمول المشاريع الاجنبية من ان يحصره في البلاد. قد يكون ذلك لفقدان الثقة، ولكن ذلك متأتٍ خصوصاً من عدم التفهم وعدم الالتفات الى مصلحة البلاد الحيوية. فالذي يقدم راس المال في لبنان يرغب في ان يلمس الارباح الحسنة والسريعة. وهذا لا يعني انه يخاف من المخاطرة فهو شغوف بالمضاربات، وخصوصاً مضاربات البورصة. وهو عندما يشتري حزماً كبيرة من البضائع مسقطاً من حسابه ارتفاع الاسعار القريب في السوق الدولية، يعرف ان يقوم بالمغامرات الجريئة التي تقربه بعض المرار من الافلاس. وعلى ظني انه لو عرف الراسماليون اللبنانيون بالتدقيق ما قيمة الثروة الكبيرة التي يجرها للبنان في مدة عشر او خمس عشرة سنة، تصميم في جبار لانتاج القوى الكهربائية لما ترددوا ابداً عن القيام بالتضحيات الضرورية. فنحن هنا نشير الى الواقع ببساطة، راجين ان تدرك جيداً البرجوازية اللبنانية مصلحتها وواجبها الوطني في هذه المسألة.

تجديد قانون العمل

يتفق الجميع على القول بان قانون العمل اللبناني يحتوي نقائص هامة. وفوق ذلك تبقى بعض التنظيمات الكبرى من هذا القانون حبراً على ورق او تطبق بطريقة سيئة لانها تضع على كاهل رب العمل عبئاً ثقيلاً دون أي بدل. فاختيار قانون متلاحم، كامل، يرضي العامل ويخفف عن رب العمل.

فانشاء صناديق التعويض للرواتب العائلية، اذ تضم كل صناعة البلاد، يخفف من القسط الشهري الذي يجب ان يدفعه رب العمل ويساعد على دفع تعويضات لا بأس بها لاصحاب العيال العاملة. وهو فوق ذلك يلغي استثمار الشبيبة العاملة بأن يفتح باب العمل على مصراعيه لاصحاب العيال.

وترتيب التأمينات الاجتماعية على المستوى الوطني لكل اخطار الحياة

العاملة ، يساعد على ازدياد الدفع ويخفف رسم الاقساط التي يدفعها العامل ورب العمل . ولذلك نتائج اجتماعية حسنة منها انه في المسائل الصحية ، يتوصل صندوق التأمينات بسهولة الى ان يقدم للعامل المصاب بحادث في العمل وبعجز دائم ، راتباً لمدى الحياة بدل مبلغ وقتي وغير كاف . ويمكنه ايضاً ان يهتم بالامراض غير المهنية وان يحسن مساعدة الامومة ، الموجودة حالياً ، بدفع مصاريف التوليد .

وتأسيس تأمين الشيخوخة يقود الى تحوير القانون المتعلق بمسألة الصرف من العمل . ويضمن للعامل المتقاعد معاشاً منظماً اجزل فائدة له من اجرة العشرة او الخمسة عشر شهراً التي يجب حالياً ان يدفعها رب العمل للعامل عند تركه العمل. وهكذا تخف تكاليف رب العمل وتتحسن ميزانية المشروع او العمل.

وقد بدأ المشترع اللبناني بوضع صيغة قانون للتأمينات العمالية فنرجو ان تأتي سريعاً بحل كامل التوازن.

سياسة انشائية لسكنى العامل

من يمر لاول مرة في بعض الاحياء في اطراف بيروت ، لا يمكنه الا ان ينقبض صدره عند نظره حالة السكن السيئة التي تقيم فيها مئات من العائلات العاملة .

والحكومة قلقت لتوسع هذه الاحياء «الطفيلية». وليس حدوث هذا الامر خاصاً بلبنان بل نجده في كثير من مدن الشرق الادنى ان لم نقل في غيره ايضاً . وقد صادق المجلس على قانون يسمح للحكومة بان تشترك في تأسيس شركات لبناء المنازل بسعر مقبول ، بالتعاون مع الرساميل الخاصة . فيبقى الآن ان ندرس افضل تشريع للشركة المناسب تأسيسها في لبنان . وبعدئذ ندعو الرساميل الخاصة لتحقيق هذه الحواضر العمالية الحديثة .

مهما كان الحاحنا شديداً في طلب تحقيق هذه الامور فهو اقل من الواجب. ولكي نعيد لعائلة العامل كرامتها ونشجعها على العمل المثمر لا نرى اجدى من ان نساعدها على ان تعيش في نطاق لطيف وسليم. ومن اللازم ايضاً ان يدرك

كل اصحاب الارادة الطيبة الذين في لبنان ، وهم كثيرون ، الضرورة الحيوية للبلاد بان يشتركوا بتأليف مثل هذه الشركات بتشغيل قسم صغير او كبير من رساميلهم. وعندما يُهيء لبنان للعامل المسكن اللطيف الصحي ويعممه له ، تتغير هيئة البلاد ليس فقط من الجهة المادية بل من الجهة الادبية والروحية ايضاً . وتتحسن ايضاً كثيراً الحالة الصحية واقتصاديات البلاد .

وهنا ايضاً نظهر تمنياتنا بان يأتي هذا المشروع الحكومي المفيد بالثمار السريعة .

تأليف الدوائر الطبية للعمل

- اشرنا سابقاً الى نقص الحماية الطبية للعمال . ويظهر ان التحسين في هذا المجال سهل التحقيق ، ففي لبنان عدد كبير من الاطباء الماهرين والمستعدين للخدمة .

واول تطبيق للرقابة الطبية يجب ان يكون في متعلقات الصحة العامة في مباني العمل . والبند ٦٣ من القانون اللبناني يعين مفتشي العمل لاجراء هذه الرقابة . وان اردنا ان نجعل هذه الرقابة فعالة ، وجب علينا ان نعين طبياً للتفتيش ، او ان نرفق المفتش بطبيب . وبما ان القيام بهذه المهمة يتطلب بعض المعارف الخصوصية ، يحسن ان يتهيأ طلاب الطب لها وان توضع ، كما في اوربا ، شهادة خاصة لطب العمل .

ومن جهة ثانية يجب ان تؤلف الدوائر الطبية للعمل . ففي المشاريع والمعامل الكبيرة ، يجب ان يفرض القانون وجود دائرة طبية مستقلة بتقدير شغل ١٥٠ ساعة في الشهر للطبيب الواحد . اما المشاريع والمعامل التي هي اقل اهمية ، فتجبر على الانضمام الى دائرة طبية مشتركة .

وتكون وظيفة هؤلاء الاطباء اولاً القيام بالفحوص الطبية المنتظمة للاشخاص : عند دخول العمل ومرة في السنة للراشدين ومراراً عديدة للفتيان وللعمال الناقهين من الامراض . ثم يهتمون بان تكون البطاقات الطبية متممة في اوقاتها . ويعطون رأيهم لرب العمل في كل ما يتعلق بتحسين الشروط الصحية في العمل .

وطريقة دفع الاجرة لهذه الهيئة الطبية الاختصاصية يجب ان يحددها القانون . وتجدر الاشارة ايضاً الى ان العمل الطبي ، كما في اوربا ، يمكنه ان

يضاعف بمساعدة الاسعاف العام ، الذي سيزداد الشعور بالحاجة اليه يوماً عن يوم في المستقبل . خصوصاً للعناية بالنساء والاولاد والزيارات البيتية فهو يؤدي خدماً ثمينة لم تقدر ايضاً حق قدرها في لبنان .

دفع العمال نحو التخصص

يخرج العدد الوفير من الاولاد من المدرسة الابتدائيـة وينـدفعون حالاً الى الشغل دون ادنى تخصص ، لنيـل الربح في اسرع وقت ممكن . واذ تنقصهم الجدارة ، يذهبون من معمل الى اخر يفتشون عن مكان ينـاسبهم وقـد يظلون على هذه الحال مدة سنين . وهكذا يهيئون لنفوسهم في العمل حياة متأرجحة وقد تكون تعيسة . فيجب اذاً قبل الابتداء بمهنة مـا ، ان يكون باستطاعتهم تعلم صنعة بقليل من التكـاليف او مجاناً . فمن المهم اذاً ان تهتم الدولة والافراد اهتماماً خاصاً بزيادة عـدد المدارس المهنية . فمن النتائج الحسنة لهذه المدارس انها تنظم سوق العمل بفضل الفتيان العاملين ، وتقدم للبلاد اليد العاملة الاختصاصية الكبيرة القيمة ، وتحقق للمستقبل انشاء عائلات اكثر متانة وسعادة ، لان رب العائلة الذي يتقن صنعته يعيش بايسر حال .

التنظيم القانوني للاجور

في كل البلدان الصناعية تقرر قيمة ومعدل الاجور بالتشاور والاتفاق بين الهيئات العمالية وارباب الاعمال والدولة ، بصورة اتفـاق عمومي او بصورة تنظيم مباشر تصادق عليه السلطة . اما في لبنان فتسود الحرية التامة في هذه المسألة . لذلك نجد مراراً ان الاجرة المدفوعة هي اقل من المعدل المناسب الادنى للحياة . والمرسوم الاشتراعي رقم ٢٩/ET بتاريخ ٤٣/٥/١٢ ، حدد كمبلغ ادنى للاجرة ٧٥ ل.ل. في بيروت و ٧٠ ل.ل. شهرياً خارج بيروت . ومنذ ذاك الوقت ارتفعت كل الاسعار . فهل تبعت الاجور هذا الارتفاع ؟ يا للاسف ، لا يمكن ان نعطي جواباً ايجابياً وعاماً .

وبما ان الاتفاقات العمومية غير موجودة في لبنـان ، فيجدر بالحكومة ان تهتم في اوقات معيّنة بتقرير تغييرات الحد الادنى للاجرة بالنظر الى تكـاليف

غلاء المعيشة . وقد بدأت بعض المؤسسات الكبيرة باتخاذ طريقة تطبيق الاجور المباشر على تكاليف المعيشة . فلماذا لا تعين الحكومة لجنة رسمية لتكاليف المعيشة ، تعمل على حساب التطورات الطارئة بانتظام ، وبالتالي يكون رب العمل مجبراً على تطبيق اجور العمال عليها ؟

ادارة احصائية

لكل هذه الاصلاحات تقتضي معرفة عميقة ومراقبة دائمة لمحيط العامل ولتطوره . وصحة المعلومات هي احسن كفيل لوجود الاصلاحات العادلة .

ووضع نظام معقد متشابك كنظام التأمينات الاجتماعية مثلاً ، يقتضي معرفة عميقة لكثير من الارقام والمعلومات المتعلقة باهمية دنيا العامل الحقيقية وبالنزعات والفرق التي يؤلفها وبالحالة العائلية الخ . . .

فلكي تقوم الحكومة اللبنانية بعمل مفيد في الحقل الاجتماعي ، عليها قبل كل شيء ان تعتمد على درس سابق رصين للاحصائيات، هذا الدرس يجب ان يتابع دائماً بدقة من قبل اختصاصيين ممتازين .

لهذا نسمح لنفسنا بان نوحي بفكرة تزويد لبنان عاجلاً بمثل هذه الدائرة لكي ينجح عمل التنظيم والاصلاح الذي بدأه والذي يقصد بان يتابعه .

❖

والنتيجة من هذه الاعتبارات هي ان لبنان يستطيع جداً، ان اراد ، ان يحسن سريعاً وضعية الطبقة العاملة . وهو يملك الوسائل المالية ، خصوصاً اذا قبلت الرساميل الخاصة بتقديم المساعدة للمشاريع الكبيرة في نهضتنا الاجتماعية .

ولكن من الجهة النفسانية ، يظهر ان الروح الوطنية ، الى الان ، ليست على قسط وافر من الصفات الضرورية للقيام بنهضة سريعة .

ولنشر الى اهم عناصر النفسانية الوطنية اللازمة : منها اولاً روح التفاهم والتعاون المخلص في الحقل الاجتماعي ، بين جميع العناصر الشعبية دون استثناء . .

والاقتناع العميق باهمية الواجب الاجتماعي في حياة كل فرد، وبالتضحيات التي تتطلبها .

والثقة الاكيدة بمفعول المجهود الاجماعي لايقاف عادة الانتقادات المفرطة ضد بعضنا ، المنتشرة تقريباً في كل مكان .

وروح النظام لاتباع اوامر الرؤساء. ونزع تلك العادة المؤسسة فينا بان يعمل كل واحد على تدبير امره اولاً، وعلى حساب الاخرين ان لزم الامر.

واخيرًا الثبات في العمل الذي نكون قد بدأنا به .

من الاكيد ان نفسية شعب لا تتبدل في نهار واحد. فمن الواجب المحتوم على المربين والمدرسين اذًا ان يهيئوا الشبيبة لان تفكر وتشعر اجتماعياً ، ومن واجب الحكومة خاصة ان تنير السبل وتعطي الارشادات وتتدخل لمنع المظالم ، وان تباشر الاعمال وتعطي مثالاً في الارادة الثابتة لبلوغ الهدف.

وفي لبنان، لحسن الحظ، عدد وفير من اصحاب الارادة الطيبة . فعندما يدركون اهمية الواجب الاجتماعي الذي يفرض نفسه عليهم حالياً ، يقبلون ، بلا شك ، على ان يغيروا وجه لبنان بنفس الحماس الذي يظهرونه عادة في تسيير امورهم الشخصية .

اما انا ، فلي رجاء وطيد بان السنين المقبلة سترى في لبنان تحقيق توازن اجتماعي اكمل ، يكون مورد سلام وتفاهم واتحاد ، تقبل اليه الطبقات العاملة لاغتراف الفرح وهناء العيش .

وجوه من الشرق

الحب الصاعد في نفس ابي شبكه

بقلم ميشال حايك

« لي الى الله في حنانك مرقا
ةٌ ولي صوتك الشجيّ سلالم ...
سوف تمحى رؤىً وتنهار احلا
مٌ وتبلى مقً وحيّ دائم ... »
(الى الابد)

نحن في سنة ١٩٤٠ . كنت حينذاك تلميذاً في معهد الرسل في جونيه . وقادتنا النزهه الى الذوق؛ وعلى احدى دروب تلك البلدة مرّ بنا شاب نبّهني اليه احد رفاقي مشيراً باصبعه : « هذا هو الشاعر الياس ابو شبكة . » وما حفظت في ذاكرتي منه سوى لونٍ اسحم ومشيةٍ متوترة . ما اذكره الا كما يذكر الغريب بلداً بعيداً مرّ فيه ، او كما يذكر الاعمى خيطاً من النور مشلولاً . وانطبعت فيّ تلك التقاطيع الفقيرة وما تزال مع الزمان تكتسب سراً مجدداً وستظل تحوم فوق نظري حتى يخبو فيه الضياء تحت الانطباقة الاخيرة .

ما رأيت في تلك الفرصة المسرعة غير شكل ابي شبكه الخارجي. واراني الان بعد عشر سنوات اجلس في غرفة موحشة كنفس ذلك الشاعر واقلب صفحات آثاره فارى ، لا رسمه الذي اضمحل فاصبح تراباً في قبر ، بل ارى روحه الفتيّة البيضاء لا ينال منها الفناء منالاً وتتكسر دونها الايام والليالي ، لانها ابعد من ان تطمس جمالها غبرة السنين . وما ذاك الا لان ابا شبكه باقٍ ، موجودٌ بيننا يتكلم الينا فتصغي اعماقنا الخاشعة الى كلام الحب المتقطر من شفتيه الملتهبتين : الحب الهاوي ، والحب الصاعد .

الحب مفتاح حياته وموته ومدخله الى الخلود . والحب كلمة معقودة النبرات في فم الانسان منذ كان ، يحاول النطق بها فيكون نصيبه الفشل ،

اذ تعجزه الاصوات والحروف وتبقى تلك الكلمة جرساً خفياً يرنّ في الاعماق فلا تجمعه الظنون ولا تجسّده المقاطع المادية الفانية . وما اكثر الذين اعتزموا الحب فما وجدوا سوى ذات مبعثرة ضائعة تبحث عن ذاتها : انهم الخطأة . وما اقل الذين غرّقوه في الحب العظيم ، في الله ، فوجدوه حقيقةً اسمى واطهر واكثر شمولاً : انهم القديسون .

وابو شبكه هو من الاثنين : هو مجرم وبار ، هو خاطىء وقديس كانت خطيئته طريقاً اوصله الى القداسة في الحب، اوصله الى نكران ذاته ، وهل القداسة سوى نكران ذات متواصل ؟ اذا كان هوى حتى اسفل الوادي فلانه احب الصعود الى القمة الحاذية . وكم من الذين لم يتعرّفوا الى حرية القمم الا بعد ان يكونوا تمرّغوا في السهل وجرّحوا ايديهم وارجلهم بين صخور الوهاد الشائكة !

من هؤلاء كان ابو شبكة . فهو طاهر حتى في خطيئته لان الخاطىء كما حددته تلك القديسة الساذجة برناديت ، هو الذي يحب الشر . وابو شبكه ما احب الشر ابداً . انه ما كتب ليفسد اخلاقاً او يبلبل طهارةً . بل كان مخلصاً لواقعه عبّر عنه تعبيراً صادقاً واندفع الشعر على فمه دماً جارياً من قلبه ، أكان ذلك القلب ملوثاً بالاثم او مشتاقاً الى السماح ، او مستقراً في الطهارة . ان ادب ابي شبكه اعتراف ، فيه من اعترافات الفرد ده موسه (de Músset) ومن اعترافات القديس اغوسطينوس الشيء الكثير : فجور وطلب مغفرة ، مرارة وتقوى ، استسلام الى الاثم وانفتاح على الخير .

ما اذنب نظير موسه ولا طَهُر نظير اغوسطينوس ولكنه بقي على الدرب بين الاثنين . لم يقنع بالوادي الموجع الموعر نظير الاول ، ولم يبلغ القمة نظير الثاني . لقد ظل متأرجحاً بين الوادي والقمة ، بين الاثم والقداسة ، بين الجحيم والنعيم فطال مكوثه في مطهر العذاب . وهذا ما يجعله قريباً من القلوب . ففي كل انسان هذا المثنّى من المتناقضات . ولذلك نستقبله ونتعرّف فيه بعض الاحيان الى ذاتنا اذ انه يعبّر عن هذا النزاع النفساني المستمر في داخلنا بين ارادتين متعاركتين : ارادة الخير وارادة الشر . واذا

به حين يروي قصته الشخصية ، يقفز ، ككل شاعر انساني حق ، وراء حدود الذات الضيقة ، ليجتمع بهذا المجرم والقديس ، بهذا الحيوان والملاك اللذين يهجعان في قرارة نفس كل انسان .

شعر ابي شبكة كروحه قلق متألم : تارةً يتزو فيكاد يجعل الحلم حقيقةً مجسدة فتشيع الغبطة في كلماته وتهدر السماحة والغفران بين مقاطعه ، صواحب الجرس الخفيّ الناعم ، وطوراً يصطدم بالواقع المرير القلّاب فاذا الشعر قطع من روح متحطمة ممزقة ، فتبكي السطور وتنتحب القوافي .

شعر ابي شبكة قصة قلبه المجسّدة في حروف وكلمات : تارةً تنعم الليالي عليه بصفو لقاء واجتماعٍ مرقوب بين غفوة الزهر وارتعاشات الدوالي المخمورة ، فاذا الشعر فناء في الحبيب ونسيان لكل ما يذكّر بغير حمرة خدين ولهبة انفاس ، ولكل عين سوداء تطلب سوءاً :

لاحسَّ في الدنيا لانسانِ
فالناس كالاشباح قد راحوا
ولم يزل الّا خيالانِ
حيّين ، والباقون اشباح ... ١)

وطوراً الم فراقٍ ووحشةٌ مريعة وعزلة جوفاء . فاذا الشعر قطرات دموعٍ وسبحٌ في يمّ ذكرى تفرّ الحقيقة منها كالحلم الشرود :

هي هذي شاهد الامس ، لكن ابن زهوي ، واين قلبي الحقيقي ؟ ٢)

ما اعرف شاعراً من بين شعرائنا اللبنانيين اخلصَ لواقعه في شعره كما اخلص ابو شبكه . واذا كان اصدق الشعر أكذبه فما أبعد ابا شبكه عن الشعر الحقيقي الصادق . انه لم يكذب في شعره على حياته بل عاشه فيها وعاشها فيه :

هم يشتون بشعرهم اما انا فبأدمعي
بدمي باعراقي بروحي بالشباب المدرع ٣)

١) نداء القلب .
٢) الالحان .
٣) نداء القلب .

لم يكذب لانه احب حقيقةً والحب دائماً صادق حتى في الوحلة لانه صورة الله فينا . وان نحن لوثناها في المستنقعات والبؤر الفواجر فانها تظل ، وإن مشوهةً ، صورة الله الذي ما أبدعنا الاّ عن حب ومـا ارادنا الا للحب القويم .

وابو شبكه ادرك ذلك حين هتف في اخر « افاعيه » ، كتاب الحب الآثم ، صارخاً :

ان في الحب صورة الله لكن اين في الخلق صورة الخلّاق (١)

تراه كان يتكلم عن نفسه بعد تلك العاصفة الهوجاء التي اجتاحته ؟ من يدري . ولكننا نعلم انه كان يشعر بانتقاص في روحه عن دعوتها الحقيقية ، وبالمسافة التي قطعها بعيداً عن الذي وحده يشبع النفس الجائعة . كان يحس بالفرق اللامنظور بين ما يشتهي حقيقةً وبين ما يتلهّى به . وكان هـذا الاحساس يتفجر مرارةً وشكوى . مأساة ابي شبكه داخلية وعراكه اعمق من ان يكون حباً لامرأة يحاول ان يخلص لها بينما الاخرى تستغويه . ان قصته هي قصة ملاكٍ وحيوانٍ متعاركين في نفس انسان ، الاول يشدّ به الى فوق والثاني الى اسفل الجحيم . واذا كان لبّى الدعوتين ، فان الملاك كان له النصر في النهاية .

مراحله

في حياة ابي شبكه مراحل ثلاث رواها لنا شعره الصادق . الاوليان وعرتا المسالك ، ضيّقتا الشعاب ، لقي فيهما من الالم الواناً وكاد اليأس الاسود يستولي لولا بقية من النور احتفظ بها بين نيران قلبه المشتعل . اما المرحلة الثالثة فهي درب صاعدة نحو القمة ، فيها الكثير من غصص الذكريات الماضية الموجعة ، وفيها على الاخص الكثير من القبول والارتياح والطمأنينة بعد اهوال الماضي وصخب لياليه .

مراحل ثلاث قطعها وما من رفيق له غير جراحات قلبه التي كانت تلتئم

(١) افاعي الفردوس .

شيئاً فشيئاً على اوكسيجين الثلة . انه عاش في وحشة حتى قرب التي اعطاها قلبه الكبير . عاش في وحشة لان كل عظيم في الارض مستوحش منفرد يحمل عظمته عبئاً ثقيلاً على كتفيه . واذا كان اشرق ، قرب ساعة الرحيل ، قبس رجاء بين عينيه ، فلانه ، حتى في جحيمه ، احتفظ بشيء من القداسة ما نالت منها يد الغاوية .

وسنرافقه على الطريق الصاعد ، وما هي مرافقة شخص وهمي ، بل قلب ينزف دماً احياناً ودموعاً اخرى وشيئاً من البلسم المعزي . واذا قدر لنا ان نكون من المخلصين نتعرف الى قلبنا مع ما فيه من عثرات وضعف واستسلام اثيم وما فيه ايضاً من نهوض بعد السقطة وشجاعة بين اهوال القفر المريعة .

في الجحيم

ابو شبكه في « افاعي الفردوس » يحترق في نار . انها يجتاز مرحلةً من اعنف مراحل حياته واقساها . ذلك القلب الفتيّ النابض بالحياة ، الذي يقابل الحياة بأنفة وكبرياء ، يُجرح في صميم انفته وكبريائه . وما شمشون الذي صوره لنا الا رسم له . هو العزيز النفس ، الأبيّ ، تستعبده دليلة اخرى . ويحاول ان يهدّم « دعائم الكذب الجاني » ويتفلت من القيود التي تكبل حريته :

هيكل الاثم لم أبحْ لك ذلي شبح الرقّ لم اسلك نيري (١

ولكنها ليست سوى محاولة مخفقة فالشاعر تعجّ في صدره « الشهوات الحمر » الطاغية ويصطخب احساسه بها . في قلبه نار الجحيم او بالاحرى قلبه هو الجحيم . فلا فرق بين الاثنين بعد ، كما قال احد ابطال دستويفسكي :

« أسليلة الفحشاء نارك في دمي فتضرمي ما شئتِ ان تتضرمي
انا لست اخشى من جهنم جذوةً ما دام جسمي يا سدومُ جهنمي (٢ »

وما ترى الجحيم ؟ أليس العجز عن العمل بحرية ؟ أليس الاسر في سجن

١) افاعي الفردوس .
٢) افاعي الفردوس .

تودّ لو تحطمه النفس وتقوّض دعائمه ؟ أليس هو تلك الغرفة الضيقة المنتنة حيث تنكمش النفس على ذاتها في فراغ موعر . ذلك ما صوّره لنا ، في هذا العصر الفيلسوف الوقح حين قال على لسان الجست احد ابطاله : « انا قشرة فارغة : لقد مصّتْ جوفي احدى الحشرات ولم اشعر[1] ... » واذاً فالجحيم هو موطن كل شمشون أكلت دليلة — النار داخله ، فاصبح سجين الفراغ والوعورة والوحشة الابدية . الجحيم سجن وعبودية لذات انية :

«اصبح الليث في يديكِ اسيرًا فاطرحيه سخريةً للحمير
ان قاضي المستبدين لبدٌ وقضاةٌ عززٌ قضاةُ الصور ...[1] »

وما ترى الجحيم غيرُ تلك الرسوم المتشنجة الالوان وذلك الخوف المستبد :

« أخاف في الليل من طيفٍ يسيل على موجات عينيك حيناً ثم يقترب
طيف من الشهوة الحمراء تنزله خمر الليالي وفي اعماقه العطب».[1]

وما ترى الجحيم سوى تلك الصور المحمومة وذلك الكبريت المحرق الأكّال المتفجر :

« في صدرك المحموم كبريتٌ اذا لعبت به الشهوات فجّر أضلعهُ ...
وأثرتِ حنجرة الفجور فاطلقتْ حمماً على نغم الجحيم مرقّمه
اغنيةٌ حمراء انشدها الخنى مزّقاً على اوتارك المتقطعه ...
بؤر مسترة الفساد بخدعةٍ نكراء بـالمتز الشهيّ مرقّعه ...»[1]

وبعد ان عرفنا اخلاص شعر ابي شبكه لحياته ، تدرك ولو قليلًا شدة الألم الذي كان يعانيه . ومهما تكن شاعريته قد تسامت لما استطاعت وصفاً لتلك المشاهد المرعبة والصور الجهنمية التي جسّدها امام عيوننا بحروف نارية لو لم يكن احسّ بخطوطها ترتسم في قلبه . وكل من يقرأ قصيدته «القاذورة» يشعر بتلك الغيبوبة التي ضاع فيها ويحسّ بذلك الدوار المحموم الذي أسكر اعصابه وهدر في اعراقه المخمورة . واذا بالشاعر يطوّف قارئه في دنيا غير حقيقية في الواقع الملموس ولكنها حقيقية في قلب كل اثيم مجرم : انها جهنم،

(١ J. - P. Sartre. Théâtre p. 72

٢) افاعي الفردوس .

تلك التي شاهد دانته على بابها هذه الكلمات المروّعة: «ايها الداخلون هنا، القوا عنكم كل امل». والشاعر اللبناني، كالشاعر الايطالي، قرأ الكلمات ذاتها :

قرأت عليه احرفاً خطّها اللظى ويروعك منها أثنان : سحن مؤبدُ
فطوّفت في غمر من الليل والمنا يمربد والارجاس ترغي وتزبدُ
وللحيا النائي نشيشٌ ورغوةٌ كأن الورى مستنقعٌ يتنهّدُ...
فثمة جرذان ترى النور آفةً فتوثر او جار الظلام وتلبدُ.»(١)

وتتابع الصور الحالكة السواد، صور «الجرذان» «والخفافيش» «والجرادات العطاش القوارث» «والانسر» «والصراصير» وتلك «الارواح الممسوخة» وذلك «الضمير المدوّد». فيحتل اليأس من شاعرنا المكان المعتم فيودّع عذارى الحب البيضاء ويستسلم الى النيران التي تُحرق ولا تُفني :

«وداعاً عذارى الحب في جحيم الهوى جمالكِ محظورٌ وعدلكِ موصدُ.
ألا اغلقي الفردوس في وجه شاعرٍ يضمّ ضماير الجحيم وينشدُ.»(١)

هكذا كان شاعرنا يصطلي بنار ذاته، بنار شهواته. ومن عجيب ما في تلك الشهوة انها تشتد لجأً وجوعاً كلما شبعت. وانها لتصبح كلِباً كلما اكلت من فؤاد الانسان.

لو وقف ابو شبكه هنا، لو استقرّ كل حياته في هذا المكان الموبوء لكان اعنف وأوجع شاعر عرفه الادب العربي. ولكنه، لحسن حظه، لم يستقر طويلاً في هذا الجحيم. لم تكن تلك السنوات القاسية على فؤاده سوى معبر شائك خَطِر دخل فيه ليخرج منه الى الحياة.

في المطهر

قلب ابي شبكه بناء متهدم إثر عاصفة هوجاء اجتاحته ولم يبقَ فيه من جمال العمارة المرصوفة، عمارة النقاوة، سوى خشبات محترقة :

لا تجسي قلبي فلم يبقَ فيه من بناء الماضي سوى اخشابِ(١)

١) افاعي الفردوس.

ولكنه سوف يعارك امواج البحر المائجة ويطفو عائماً على احدى هذه الاخشاب حتى يبلغ المرفأ الامين ، حيث الهدؤ والسلام . اجل انَّه مهَّد للشر سبيلًا الى قلبه ، فدخلته بنت لوط وافعى الفردوس ، ودليلة الفاتنة ، فاصبح قاذورة تمجّ بالمطالب المتكالبة وتحرق النار الازلية التي اشعلها الحب السماوي في الانسان . ولكن بقي في قلبه مطرح مقدس ، هو حرَمُ نفسه ، لم يسمح للفساد ان يدبّ اليه بظفرٍ ومخلب ولم يرد ان تمسَّه كف ملوثة بالعار. ومع انه اعطى شفتيه قرباناً على مذبح الخطايا ، فقد احتفظ بزاوية من قلبه سيّجها وحصَّنها وخفر ساهرًا على بابها ليله الطويل :

« يا ابنة الاثم هذه شفتايا   فارشفي منها رحيقَ الخطايا
واعمري ما استطعت قلبي فقلبي   لم يزل فيه من غرامي بقايا
وتوقي احدى زواياه لا تمتــي   لي حرمةً باحدى الزوايا
ان في قلبيَ البغيّ خيالًا   من عفافٍ ما فاجرتْه البقايا
ان تكن حفنتي المدمّاةُ ملكي   فخيال العفاف ملك سرايا » . (١

هذه الاشعار الخشنة التي ترد بعد قصيدة « الشهوة الحمراء » تحت عنوان « الخيال النقي » هي اصدق صورة للشاعر في تلك الحقبة من عمره التعبان . خيال من ذاك الذي يحوم بين عينيه الملتهبتين ؟ أترى هي « غِلواء » النقية الطاهرة التي ما تزال تجيء قرب جحيمه فتفرش بساطاً من الامل في موطن اليأس الدامي ؟ لا شك في انه خيالها . فقد كان الشاعر يؤلف كتاباً باسمها ولكن قلبه ، كما يقول الاستاذ بطرس البستاني ، كان يجتاز ، ازمة عنيفة حالت دون ظهور الكتاب في وقته . اما طيفها فما زال يمرّ كالومضة في جفنيه فيتذكر النقاوة والطهر ويحِنّ اليها .

وبدأت الامه تتطهر من جراثيم اليأس ، على ان هنالك حرقة ملازمة كانت ترافقه ، لان ماضيه اثيم يقرّ به ويعترف بانه جوّع نفسه حين اطعمها من الهوى الفاني ، من الشهوة التي تمسخ الشهوة الحقيقية ، هذه التي تطلب الله لتستقر فيه :

---

١) افاعي الفردوس .

«.. عدوتُ الى كدرٍ جائرٍ   حوّلت نفسي وشمت الهوى العالي
نبتُّ في الناس اهواءً محرّمةً   وقلتُ للناس قولاً عنه نهاني (١

هي مرحلة العراك الدامي في نفس الشاعر : عراك الارادتين في الانسان الواحد : لقد تعرف اليه القديس بولس حين هتف : « من يخلصني من جسد الموت هذا . . . اصنع الشر الذي لا اريد والخير الذي اريد اياه لا اصنع[٢] » لقد تعرّف اليه القديس اغوسطينوس حين صوّر لنا عاداته السيئة تحاول ان ترجعه عن قصده واهتدائه : « وكانت صواحب الامس تشدّ بذيل جسدي اللحمي ، وتهمس بي قائلة : أتطردنا ؟ ماذا ؟ لن نكون معك منذ الان وصاعداً ولن يحق لك ان تأتي هذا العمل او ذاك الى الابد ؟[٣] » وهذا راسين (Racine) الشاعر الفرنسي الناعم يعبّر لنا عن هذا القلق الداخلي وهذا التناقض الموجع . أما قال في « اناشيده الروحية » :

Mon Dieu, quelle guerre cruelle !
Je sens deux hommes en moi . . .

Hélas en guerre avec moi-même
Où pourrais-je trouver la paix ?
Je veux et n'accomplis jamais,
Je veux, mais (ô misère extrême !)
Je ne fais pas le bien que j'aime
Et je fais le mal que je hais !
O grâce, ô rayon salutaire
Viens me mettre avec moi d'accord ! . . . (٤

وابو شبكه ككل نفس كبيرة شعر بذلك الانقسام الداخلي الذي جرّح نفسه . يسمع صوت الله يناديه لينهض من الوحلة ، فيريد تلبية الصوت ولكن الخطيئة أسدلت ستراً على عينيه فكاد لا يبصر :

ترى مشيئتك العليا تناديني   بثورة النار في تلك البراكين ؟

١) افاعي الفردوس .
٢) روميه ٧ : ١٩
٣) اعترافات ٨ : ١١ — ٢
٤) *Cantiques Spirituels*

رباه ! هل ينثني حلمي بارقة من اللهيب ويخبو الطين في الطين ؟
أعرضتُ عنك غداة القلب ضللني كأن شهوة قلبي عنك تغنيني
وحين أوقظتُ من سكر الهوى خجلاً بحثت عنك ، وكاد النار يخفيني ... (١

وهكذا كانت تلك النفس الخاطئة الطاهرة تعارك ذاتها لكي تتفلت من القيود التي كانت تربطها ، فاذا بها تتصاعد رويداً رويداً من هوّة اليأس الى الامل وتسمو فوق دعوات اللحم والدم . انها نفس جائعة الى غير الخبز الذي لا يستطيع وحده ان يشبع الانسان .

في هذه الفترة من حياته الموجوعة ، تطلّع ابو شبكه ، لكي ينسى اوجاعه ، الى صباه ، الى قريته ، الى الفلاحين والحصادين والرعاة ، الى برهات المغيب الخيّم فوق « الزوق » ، فبدت له اضواء حبيبة واذا الحياة كلها لحن تبث الطمأنينة والصحو في النفس المتألمة . وتمنى الشاعر لو يرجع الى ماضيه فينسى هموم الحاضر واتعابه ويدعو نفسه الى الصلاة لترتاح قليلاً :

اسجدي لله واصلّي فترةً ذكرى العذابْ ...
واستعيدي ذكرياتٍ لأويقاتٍ عِذاب
لم يكن ماضيكِ كالحاضر مرتاباً كئيب ... (١

ويودّ لو يرجع لبنان كله الى الماضي الجميل ، الى السعادة التي غبرت ، حيث كان « الضمير الهني وراحة الوجدان » حيث :

ذاك النبيذ العتيقْ في الخابيهْ
وذلك الابريق يمش في الزاويهْ
والنرجس المستفيق في الآنيهْ
والريح لصٌّ مرقْ على رؤوس الحبقْ
كأنه ما سرقْ كأنه ما جنى
يا دهر أرجعْ لنا ما كان في لبنان ... (٢

ويصرخ مستحلفاً الدهر بان يُرجع « الرفش والمعول والموقد والصاج

١) افاعي الفردوس .
٢) الالحان .

والحزن والفلاح الغادي والموسم المقبل وراحة البال » ، يطلب من الدهر ان يُرجع « لنا وجهنا » :

واسترجع الكهربا وكاذبات المنى -
يا دهر ارجعْ لنا ما كان في لبنان ... (١

ويطول بنا الحديث ان اردنا ان نستخرج كل ما في « الالحان » من جمال وروعة . هنا ظهرت كل روح ابي شبكة النقية الناعمة الشفافة . كما أن العاصفة المفاجئة اذا هبّت بغتة على روضة تترك بعدها هدوءاً اعمق من الهدوء وصحواً أطيب من الصحو العادي ، هكذا نفس ابي شبكه بعد ان عصفت فيها تلك الزوبعة الاخرى العاطفية .

ويجيء بعد « الالحان » ، « نداء القلب » الذي هو كتاب البحث عن الحب الحقيقي . حقاً ان قلبه ينادي ، ينادي الوجه الطاهر الذي فقده في مطلع شبابه ، ينادي ، من بحيرة الالام ، حلم الجمال العفّ والرسم الذي شوّهت حية الفردوس صفاءه ونضارته . قصائد ابي شبكة في هذه البرهات تتفلّت شيئاً فشيئاً من الواقع ، لتجتمع بالحلم ، تترك الماضي لتتوجه الى المسكن العتيد ومغنى الهوى الحقيقي . قصائده في هذا العهد ، هذا بعض عناوينها : « الأنداء » ، « الناسكة » ، « انت لي » ، « احبك » ، « الناسك » ، « العفاف المغوي » ، « استغراق » . اين هذه الكلمات الصوفية من من تلك العناوين ، ايام شقائه في الجحيم : « القاذورة » ، « الافعى » « في هيكل الشهوات » ، « سدوم » ، « الشهوة الحمراء » ، « الطرح » .

لنتوقف قليلًا امام « الناسكة » ، انها خلاصة حالة الشاعر . لقد نسي او اصبح على وشك ان ينسى مطهره ، فيخيّل اليه انه على رابية ، يفتح نوافذ قلبه للحب ، ويوصد بابه دون الورى ويعيش في مغنى الجمال فترةً تنجلي فيها كل الثورات القديمة الجامحة . وهناك في تلك « الغفلة الواعية » تمر يقظته روح ملائكية مرفرفة من عل فتنتشي احلامه من سحر وخمرة سرية . واذا

(١ الالحان .

به ، وقد بدأت الالام تضمحل ، يسمع الصوت الذي خنقت نبراته ضجات امسه القديم :

واسمع صوتاً كهمس عميق فـامني انسم اعاقيه (١

على طريق النعيم

انه الصوت الذي ما برح يناديه ، من بين فحيح الافاعي ، الى المكوث في ارض الميعاد « الى الابد » . الصوت الداوي في قرارة كل وجدان ، وكم هم الذين يسمعون ؟ لقد سمعه ابو شبكه من بين ضجيج قلبه المحموم ونيران جسمه الطاغية. وما كانت حياته الا محاولة لتلبية ذلك الصوت الداخلي وهذا الهمس العميق . واذا توقفنا عند الكلمات فقط لا ندرك من نفس ابي شبكه الا القشرة الظاهرة ، ويفوتنا القلق النفساني . لقد كان قلقاً اجل . وهو من تلك النفوس الكبيرة التي تعجز الارض عن تحقيق رغائبها ، فلا التراب ينبت زهراً على، تعطشها للعطر ، ولا القفر يرع بالحوض فيروي ظمأها . ولهذا تنفلت من الواقع ، الى ما وراء الواقع ، من اليوم الى الزمان ، من الزمان الى الابدية ، من الفرد الذاتي الى الانسان الشامل . من النثر اليومي الى عالم الشعر الحقيقي ، لان الشعر وحده يستطيع ان يعبّر عن الحقيقة ، وما الحياة اليومية الا كذب ومساومة على الحقيقة .

انه الهرب . الهرب امام الماضي ، الهرب من قسوة الزمان ، الهرب امام المدى المحدود ، امام الحياة ، الهرب صوب الابد ، صوب الله .

وسوف يهرب الى الله فيحتمي به من ضراوة الحب المفترس ، لا بل يبدله بحب آخر يفرش على الناس الذين اساؤوا اليه سماحة وغفراناً . وهكذا سترافقه على طريقه الصاعد الذي سوف يشرف به على جنة النعيم . قد انتهى طور التردد والاضطراب بين ما يشد بـه الى اسفل من ذكريات مسعورة ، وبين ما يدعوه الى تسلق القمة حيث ينقى الهواء ويطهر الحب . لقد كان مخلصاً لدعوة الفوق فصعد رغم صعوبة الصعود ووعورة الطلعة .

---

١) نداء القلب .

ان آخر شعر من « نداء القلب » يطل بنا على تلك الأرجاء الفسيحة حيث الشاعر يحط انظاره :

« لم يكن ماضيَّ في الحب سوى مطهرٍ أفضى الى هـذا النعيم »

اين هو ذلك النعيم الذي يشير اليه ؟ انه امامه منبسط الفسحات مخضوضر الدروب . فليتلاشَ فحيح الافـاعي التي نفثتْ سمومها في جسمه ، ولتخمد النيران المحرقة ، نيران حبه القديم . اما الان فقد اشرقت على عينيه اضواء منهمرة من عل تنقي ارجاس لحمه ودمه وتشفي الجروح المعدوبة ببلسم جديد وحبٍ ازليٍ جديد .

يقول القديس يوحنا الصليبي : « انسَ كل شيء قديم ، حتى النعمة القديمة التي أعطيتَها ، وامشِ الى الامام ، فان الله في الامام . » وابو شبكه سوف ينسى القديم ولياليه المحمومة ؛ وعندما تذكّره مليمة « الى الابد » بالماضي ، يجيبها : -

. . . . لو جئتِ لألفيتِ في ترابي جماجمْ
كان قلبي يا ليلَ يدفن ماضيه فلم تبتلي بتلـك المآثم
كان روحي إذ أقبلتْ يتعرّى الحقد فيـه وكان حبي ناقم
فالأفاعي لم تبقِ الا سموماً في جنـاني وفي ضميري سائم . . .
حبّهـا كان مطهرًا لعذابي قمت منه الى نعيمٍ قائم

وفي هذا النعيم يودّ الشاعر ان يستقر ولا تبدّله بعد ضجات الكائنات . وما عنوان كتابة « الى الابد » غير الدليل الصريح على قصده المكوث في هذا النعيم . ولكن هناك ثلاثة اعوام قبل الوصول الى جنة الافراح . لقد سَمّى العام الاول « الحلم الجميل » ترد من خلاله ذكريات الامس ولكنها لا تؤلم نفس الشاعر التي صُهرت في مطهر العذاب . اما العامُ الثاني فهو ، ما نستطيع ان نسميه « اللقاء » حيث يرفل الحاضر العذب بالاماني الطيبة التي لا اثر للألم فيها . والعام الثالث هو انفتاح على المستقبل السعيد حيث يود الشاعر كبطرس على الجبل يوم التجلي ، ان يصنع خيمةً ويثبت هناك لانه شعر بغبطة البقاء على تلك القمة . ويبتدئ هذا العـام بنشيد يفيض رقة وعذوبة :

غن عدن وهم مكان مريبُ شنئتْ فيه أعينٌ وقلوبُ
سكب الحبُّ رحمةَ الله فينا فالسنى مائجٌ بنا والطيوبُ
كل اعراقنا السعيدة للايمان مجرى وللرجاء دروبُ
تتناهى بنا الى الغبطة الكبرى فتفنى بسحرها وتذوبُ (١

واذا بهما يتحدّيان صروف الزمان وشرائع الارض . ويعزمان على الاخلاص والوفاء المتبادل حتى ولو تجندت تلك الصروف والشرائع للحؤول دون ذلك . ويستنجدان الجمال الذي توطد السماء دعائمه في الارض :

ان بيتاً على الجمال بنيناه لتأبى السماءُ ان ينهارا (١

وهكذا سيثبتان رغم انف العواذل والحساد ويستمد الواحد من الآخر قوة الاستمرار في ذلك النعيم :

يا حبيبي كما حييتُ سأحيا ان بي من نعيمكَ استمرارا ...
كلما غرّق الظلام عيوني أطلعَ الحب في دمي انوارا (١

اعتادت الكنيسة الكاثوليكية ان تصلي على قبور الموتى وتقول : « الراحة الى الابد أعطهم يا رب » . وها هو يستريح في حبه الجديد . ولكن الموت قد بدأ يكتله وينشب في قلب الشاعر اظفاره القاسية وما كانت راحته سوى وحي للراحة الابدية المزمعة الذي نأمل ان يستفيق منها على حب آخر غير هذا الفاني الترابي الذي اضاعه .

ابو شبكه في « الى الابد » بلغ قمة شعره . فكأن حياته كلها ما كانت سوى اعداد لهذه المرحلة . « الى الابد » هو الكلمة الكبرى ، كلمة الحب الواعي ، الذي فاه بها قبل ان تخمد فيه شعلة الاحساس . وقلبه كان تلك البحيرة الصافية التي ، بعد ان عكّرت مياهها اسراب من الجنيات البواهر ، عادت الى صفائها الاول . « الى الابد » هو صحوٌ بعد عصف شتاءات شديدة ، وشروقٌ بعد الخبط في ليل بهيم حالك ...

مركز « غلواء »

امّا « غلواء » فكانت تلك النجمة البيضاء التي لم تغوّرها الغيوم المتلبدة ، بل ظلت تشع من بعيد لتهدي الشاعر الى مسكن السلام . لقد بقيت ، في

١) الى الابد .

تبه الموت . ذلك « الخيال النقي » خيال العفاف والوداعة . انها « بياتريس » التي قادت « دانته » من الجحيم الى المطهر فالنعيم ، او تلك التي ، في انياذة فرجيل ، قادت « إينه » بين منعطفات مملكة « هادس » حتى اوصلته الى مراتع السعادة . والانسان الحديث كالانسان القديم يشعر ، في تفتيشه عن السعادة ، بان ليس غير الطهارة تستطيع ان تدخله الجنة ، تلك الطهارة التي تجسمها الكنيسة في شخص ام الله وام البشر .

و « غلواء » هذه هي اجمل ما في نفس الشاعر ، لانها مثال الجمال الطاهر الذي تطلبه نفسه حتى « في هيكل الشهوات » ومستنقع الفجور . فهو يذكرها ويستنجدها على زحمة اشباح الرجس :

وحقِّ روحك يا غلوا ولو غدرت   بيَ الليالي وأصمتْ قلبيَ النُوَبُ
ان كنت في سكرةٍ او كنتُ في دعرٍ   ومرّ طيفك مرّ الطهر والادبُ (١

ولأجلها ما قنع بالخطيئة واستسلم اليها بكليته ، وذلك ما جعله يأمل بالنجاة ، ذلك ما نجّاه حقيقةً :

اما انا ولو استسلمت امسِ الى   خمر الليالي ، فقلبي ليس ينشعبُ
قد أشرب الخمر لكن لا أدنسها   واقرب الأثم لكن لست ارتكبُ (١

وغلواء كانت لقلبه الغريق في اللجة كخشبة الخلاص تعلّق بها فأوصلته بعد جهدٍ مرير الى المرفأ .

لقد ابى ابو شبكه وهو بعد في الوحلة ان ينشر كتاب « غلواء » لانه كان مخلصاً لذاته . فكيف ينشر كتاب النقاوة والطهر وقلبه مليء بسموم الافاعي الحمر ؟ أتراه يكذب على ذاته وعلى الآخرين ؟ لم يكذب ابو شبكه .

امّا بعد ان وصل الى الطمأنينة واحس بان ليس بعد ما يهدده بالغرق فقد كانت « غلواء » آخر مؤلفاته الشعرية . وكأني به بعد تعب المسالك ووعورة الطريق نظر من اعلى قمته مستعيداً المراحل التي قطعها ذاكرًا يد السماء الملائكية التي رافقته فنشلته . فليس عليه الا ان يرسم ملامحها النقية ويتوارى وراء حدود الآفاق .

---

١) افاعي الفردوس

احكام مشوّهة

رحم الله ابا نصيف وبرّد قلبه ومثواه . لقد كان من فطرته لا يحب ان يجادل احد بشعره ونثره فيضع بينهما فارقاً وتفضيلاً . وما ذاك الا لانه كان يشعر وينثر عن اخلاص ، فشعره ونثره يتقطران من معين واحد ، من قلبه . ولكنه قد مات ، فقالوا فيه الشيء الكثير وحكموا عليه اعتباطاً فشوهوا وجهه الشعري .

لقد قيل انه متأثر ببودلير . ولماذا يريدون ان يكون كل شعر تظهر فيه عضّة الواقع الجارحة ابناً لبودلير ؟ واذا كانت « زهور الشر » « وافاعي الفردوس » كلتاهما ترسمان الصور الجانشة المضطربة التقاطيع ، فان بينهما فرقاً وسيعاً من حيث الاستيحاء . « زهور الشر » قصة اليأس والقلق المرير ، وهذا ما يجعلها خطيرة تهدد اجمل ما في نفس الانسان ، تهدّد تذوّقه الحياة ، تهدّد أمله بالانهيار . اما « افاعي الفردوس » ، وان لم تقلّ خطراً عن اختها ، فانها تُسمعنا من مرة الى اخرى بعض صلوات تدل على ان صاحبها لم يستسلم تماماً الى مرارة القنوط . « زهور الشر » هي استقرار في اليأس ، و « افاعي الفردوس » هي عراك مع اليأس . الاولى حرقة مزمنة لا شفاء منها ، والثانية وجع عمّا قريب يزول . اين القائل :

. . . « L'espoir
Vaincu, pleure ; et l'Angoisse atroce, despotique
Sur mon crâne incliné plante son drapeau noir ».1)

من ذاك الذي استطاع ان يسمع صوت الله في بركة العذاب :

ادعوك والظلمة الحمراء تغرقني . . . .

فلم تمل قلبك الرحمن عن المي وقلت : «تطلبني بين المساكين»

وبودلير الباحث عن الجمال ككل شاعر ما وجد لدى المرأة غير جمال خائن كاذب فتشاءم بها واذا به يستنجد مخيلته على خلق جمال فني حتى من

1) Spleen

٢) افاعي الفردوس

مشاهد القبح ويرسم صورة « الجيفة »[1] المتهرئة تعربد الديدان فوقها . وفي هذا الجمال القبيح كان يحاول ان يستقر رغم اشمئزازه منه . اما المرأة – دليلة في ابي شبكة فقد كانت افعى تستأجر جمالها للخداع :

ملقيه عنك المأجور وادفعيه للانتقام الكبير
ان في الحسن يا دليلة افعى كم سمعنا فحيحها في سرير (٢

فاذا المصر كله سدوم اخرى فاجرة توقع هـذا الخداع بجمال شهي ولكنه فاسد :

بؤرة سترة الفساد بخدعة نكراء بالمنز الشهي برقّبه (٢

فبين بودلير وابي شبكه اذاً فرق في الاستيحاء رغم التقارب من حيث الاوصاف الصاخبة المتصادمة التقاطيع ، الناشزة الرسوم .

وما ابعد ايضاً ابا شبكه عن الرومنطيقية التي هي مرضٌ محبوبٌ في القلب ومغالاةٌ في الواقع . فابن « الزوق » لم يرض قلبه عن رضى وقبول ، بل كان يودّ الشفاء من الميكروب.. اما هتف مرةً :

أرجع لنا ما كان يا دهر في لبنان
كانت لنا احلامنا والمنى
وكان صفو الزمان
كان الضمير الحي من كثرنا المزمن
وراحة الوجدان . . . .

أما طلب من الدهر ان يُرجع
الى القلوب اليأس الى العيون الجمال
وعزةً للنفس وراحة البال ...(٣

ولم يغالِ في واقعه بل سرده علينا باخلاص مع ما فيه من ثورات لحم ، وتشنج عصب ، ونزوات دماء ، وغرق في الاثم ، ومع ما فيه ايضاً من

١) Une charogne
٢) افاعي الفردوس
٣) الالحان

اطمئنان الى النقاوة وتكفير عن الخطيئة ، ومعاندةٍ للفؤاد الجامح . وان يكن فيه شيء من الرومنطيقيين ففي ذلك الاحساس الملتهب الذي جعله كل ساعة عرضةً لكل عاطفة وعاصفة .

لم يتغنَّ ابوشبكه بالقبر وبالراحة المشتهاة في جوانبه كما تغنى الرومنطيقيون ولم يحاول ان يطمئن الى الذكرى من حيث هي ذكرى يجتلها فيتخذها ينبوعاً لشعره وشحذاً لقريحته ، بل كان لا يعرض لها إلا إعداداً للقاء او الماً من الفشل فيه . واذا كان ارتاح الى كل ما هو ديني ، موضوع الرومنطيقيين المزيّف ، فلأن نفسه كانت في اعمق قرارتها دينية لا تبدأ ولا تستقر الا في لفظة الله وفي كل ما يذكرها به على الارض من شموع مضاءة ، وقباب معابد ، ورنين اجراس ، وتمتمات شفاه في الصلاة .

كفاه انه اخلص لواقعه لكي لا يكون رومنطيقياً بما في هذه الكلمة من ابتذال .

فليس فيه من الرومنطيقية الا بقدر ما في الرومنطيقية من تعبير عن خلجات الانسان . وانه انسان قبل ذلك ، خاضع لسنة التراب التي اقضّت مضجع رسول الامم « فخاف ان يُرذل وهو الذي بشّر الاخرين » ، انسان مجبول من لحم ودم واعصاب ، فطوراً يطغى الروح على الجسم فيعذب الكلام ويطهر النفس ، وتارة يفرض الجسد سلطانه على الروح فيتعرف الى السقطة كالملاك الهاوي ، ولكنه لا يبرح « يتذكر دوماً سماءه » كما قال لامرتين .

وظنّ البعض « انه مات قبل ان يقول كلمته الكبرى[1] . » وانه لزعم أجوف كأن ابا شبكه ما كتب « الى الابد » ، وكأنه ما اراد ، بعد تلك التنقلات ، ان يستقر دون تبديل في عالمه الذي سماه « مغنى الجمال » ، وكأنه ما عبّر لنا عن وفائه الذي شاءه ابدياً :

يا حبيبي سيلاً الحب سجني فليشيدوا الحصون والاسوارا

---

١) دراسات وذكريات ص ٥٠

ربابنيك فيه جسماً وروحاً وحناناً وعفةً ووقارا
أبوسع السجون ان تحرم القلب رؤاه وتحجب التذكارا (١

لقد كان على ابي شبكه بعد ان كتب « الى الابد » واتبعها « بغلواء »
إقراراً بجميل الملاك الطاهرة التي نشلته من الهاوية ، كان عليه ان يتوارى ،
والا لسمعناه يردّد علينا كلمات الحب ذاتها .

كلمته الكبرى تلفظ بها بعد ان حاولت شفتاه طويلاً ان تتمّا مقاطعها ،
فاذا المقاطع اولا « فحيح » لم يرضَ عنه ، واذا هي بعد ذلك « نداء » يبحث
عن مجهولة :

جمالك هذا ام جمالي ؟ فانني ارى فيك انسان جميل الهوى مثلي
وهذا الذي احيا به ، انت ام انا ؟ وهذا الذي اهواه شكلك ام شكلي؟ (٢

وسيعترف فيما بعد انه كان يبحث عن الوجه المنتظر :

كم سمعت الفضاء يخفق حولي أترى كان يلتقي طيفانا ؟
كنتِ بي قبل ان اراك بعيني فدمي كان يرتوي احيانا (٣

الى ان اهتدى اخيراً الى احدى الواحات فاستقر فيها ولن يفارقها الى
غيرها ، فهو من تلك النفوس السخية التي ان اعطتْ لا تملك بعد العطاء شيئاً
غير القدرة على تجديد العطاء . وهكذا لم يبقَ عليه الا ان يسامح الذين
أرجفوا بحقه وحقها :

نحن يا ليلَ اسعد الناس فلنغفرْ لهم كلَّ ما يقولون عنا (٤

وأن يخاطب قلبه ، تلك الشعلة التي سوف يحجبها الضباب ، فيقرّ بان
« غلواء » هي التي أوحت اليه آخر كتبه :

لاجل غلواء واجل العذابْ ، كتبت لي في الحب هذا الكتاب ،
يا شعلةً محجوبةً بالضبابْ ،
يا قلبي .... (٣

وهذه كانت اكبر كلمة قالها ، لانها تختصر حياته كلها .

لم يكن ابو شبكه لمدرسة معينة من مدارس الشعر ، فقلبه كان مدرسة
شعره ، « جرحه وسقى منه قلمه[٢] » . وكل ما ظهر في آثاره ، من عنف

١) الى الابد ٢) نداء القلب ٣) الى الابد ٤) غلواء

احياناً ومن نعومة ورقة احياناً اخرى ، تلقّنه في تلك المدرسة . وكثيراً ما كانت الامثولات قاسية صعبة .

فاذا كان فيه من لامارتين وبودلير — وهذان الشاعران على نقيض — فلأنه اختبر في نفسه القلقة متناقضات عديدة وما كتب الا عن اختبار شخصي صادق . ولذلك فاني اعتقد انه اقرب الى موسّه (Musset) منه الى غيره . ومع انّ الميكروب كان ذاته ، فقد كانت صحته اجمالاً احسن من صحة زميله . ولكن هذا ما منع ان كانت قسمته من الحياة ثلاث سنوات اقل من قسمة صاحب « الليالي » . رحمهما الله .

الشاعر المسيحي

لقد كتب الياس ابو شبكه في مذكراته (١٠ شباط ١٩٣١) هذه العبارة : « صرفت ساعتين من مساء اليوم في التأملات ... وبكيت[1] » . لماذا بكى الشاعر؟ لا شك في انه بكى حياته تهرق كل يوم في غير السبيل الذي اراد ان يختطه قلبه الكبير ! لقد بكى من حرقة ولهفة لان نفسه المتطلبة غذاء غير غذاء الحب المجوّع كانت تلجّ وتسرف في تعذيبه ! بكى لأن الدمعة نعمة ، ولأن الدمعة راحة ، ولأن الدمعة توبة ، ولكنه لم يكن بعد قد تاب ، فامامه طريق وعر وسنوات عديدة سوف يصرفها بغير التقوى والعبارة . وكانت دمعته في مساء العاشر من شباط سنة ١٩٣١ عجزاً ! عجزاً عن التفلت من الكبول التي تقيّده ، عجزاً عن إشباع روحه من غير ما تلهّى به حتى الان من حطام واصداف فارغة . بكى لانه عزم على قطع العلاقة مع ربه فقد كلفه ذلك ساعتين في التأملات ودمعة .

وبعد ثلاث سنوات ، في اول نيسان ١٩٣٤ ، كتب بين مذكراته هذه العبارة الثانية : « حضرت اليوم ذبيحة القداس بعد ان هجرت الكنيسة ثلاث سنوات . لا اعلم اي دافع يدعني عن القيام بالواجبات المفروضة على المسيحيين[2] ... »

---

١) الياس ابو شبكه : دراسات وذكريات . ص : ١٩٨

٢) دراسات وذكريات ص : ٢٠٤

اما نحن فنعلم ما كان ذلك الدافع . لقد كان اخلاصه ، ذلك الاخلاص الذي جعله يسير كل حياته عزيز النفس على حرمان ، ملوّث القلب على طهارة ، وفياً حتى الجود بالروح ، حتى الدماء . ويتابع في مذكراته قائلاً : « ففي نفسي عوامل متناقضة ، منها يحاول إبعادي عن المراسيم الدينية ، ومنها يحاول تقريبي منها[1] ».

اما تلك العوامل التي كانت تبعده عن مراسيم دينه فاولها هو ايضاً ذلك الاخلاص وعدم الرياء . كان يعلم ان الحياة التي يعيشها لا تتفق مع متطلبات المسيحية التي تفرض الاستقامة في حياة القلب . وابو شبكه شعر بان قلبه زاغ وكفر ، ولهذا لم يشأ المداهنة وإظهار التدين والورع .

واخلاصه ايضاً لدعوة قلبه السامية كان من العوامل التي كانت تقرّبه من دينه . لقد قيل ان كل شاعر حقيقي يؤمن بالله ولا شك في ان ابا شبكه كان شاعراً حقيقياً . وكان عليه ان يلبي صوت ايمانه بالله . وقد عرفناه سخياً حتى في الخطيئة ، ان تورّط فيها فلكي يصل الى اعماقها ، فيستطيع ان يقول مع اغوسطينوس : « يصعب عليّ ان اكون في الوسط ، بينَ بينَ » . فاذا به من جهة يحاول ان يكون مخلصاً لنداء ضميره ، صوت الله فيه ، ولكنه ، من جهة اخرى ، كان يطيع نداء الفؤاد المنحرف . وهكذا بدأت المأساة في نفسه .

كان ابو شبكه شاعراً مسيحياً لن نحكم عليه بقولنا ، كما قيل عن « فيدر » (Phèdre) بطلة راسين ، انه مسيحي نقصته النعمة لاننا نعلم ان النعمة لا تنقص احداً ، بل هي بالاحرى تتبع بالحاح كل انسان . نقول انه مسيحي لانه لم يرضَ ابداً عن قلبه الجامح الذي قوي على روحه . ومن يقرأ سطوره يشعر بذلك القلق الداخلي المستمر الذي كان يهيب به الى الاقلاع عن كل ما كان يجعله احطّ منزلةً من مسيحيته . وكل شعره عابق بتلك الاجواء الروحية المسيحية ، فهي تارةً غائمة الالوان من جراء الإثم وطوراً مستقرةً صافية . وكأنّ كل تذكار ديني يعود الى مخيلته كان يغرس في نفسه وروداً من الامل الاخضر فيشيع الهدوء فيها وتغمر السكينة والطمأنينة تلك النفس التعبة الموزّعة بين الدعوات العديدة المتّبعة . واذا كان اروع شعره في تلك

١) دراسات وذكريات ص ٣٠٤

الاوصاف الصاخبة المضطربة لقوى الشر الكامنة في جسمه الناري ، فان شعره الأكثر تأثيرا ووقعاً في القلوب والاقرب اليها ، هو في تلك الابيات الناعمة الخفيّة الصلوات ، الشجية الاصوات ، حيث تصطف الكلمات كأنها عذارى طاهرات حول القافية الملكة التي تناديها . من يستطيع ان يمحو من ذاكرته تلك الابيات الهادئة التي تمشي المذوبة والصحو بين مقاطعها ، كأنها حقيقةً صحو « المغيب » وعذوبة انسداله فوق ضياع لبنان :

اسمع الاجراس في قبّة دير الراهبات
يحمل الوادي صداها للنفوس الراهدات
فيه اصوات حنانٍ وبقايا زفرات
صدَّقها راهبات الدير قدام الصليب
اسجدي لله يا نفسي فقد وافى المغيب (١)

ولنلاحظ هنا استعمال حروف العلة وخصوصاً الالف التي تعطي الصوت مدىً متصلاً وتغمر الابيات بموسيقى عذبة وحنان واشواق مجنحة الى ديار مجهولة الحدود .

واتمثله غارقاً في بحران تأمل عميق ، على صخرة في « الذوق » يسمع جرس كنيسة عينطورا يرن في الوادي حاملاً الراحة على رناته المتقطعة بين الكروم والغابات ، ثم تنحل متلاشيةً مع آخر انفاس العطور ، مع آخر نفس في شبابة الراعي ، وتموت كانها ذلك الشعاع الاخضر ، بلون الأمل ، تلفظه الشمس عند الغروب لكيلا يحتضر الامل في القلوب . ويرى بعين الخيال راهبات حفر التقشف تجعُّداتٍ في وجوههن جاثياتٍ في معبدٍ مهجور الّا من نفثاتهن يحملنَ المصلوب اوجاع الارض ويساقطنه نجاوى الحب الملحاح المذيب .

واعتقد ان الاجراس كان لها وقعٌ خاص في نفس ابي شبكه فكثيرًا ما تتردد اصداؤها في شعره . ولا عجب أليستَ الاجراس هي تلك الدعوات الى المجهول حيث يتيه حلنا وحيث تودّ نفس الشاعر المعذّبة ان تستقر منفلتةً من هموم الوجود واتعابه ؟ أليستْ هي التي تذكّر الانسان باجمل ساعات النهار : الشروق والغروب ؟ فكأنما دقاتها المضجة امل بالحياة ورنينها في العشية استسلام لضجعة الموت ، مفزع الشاعر التعبان . أليست نفس الشاعر الحساس

(١) الألحان .

رنة خافقة تلتقي بذاتها متى سمعت رنة أخرى مادية اجل ولكنها اقل الاشياء مادية ؟ كذلك نفس ابي شبكه كانت تستيقظ وتتصل في تلك الرجعات المرنّة المديدة ، بحقيقة سامية ، بالله الهامس في قرارة الضمير :

ورنة صدى الاجراس في كبد الضحى يهيب بارواح العباد فتسرع ...(١
اسمي الاجراس من قبة دير الراهبات ...(٢
اسمع في الوادي رنين الجرس يذيب روح الله في المتعبين...(١
وذكرت أخيلة الماء ورنة الاجراس في الهواء...(١
وكانت قبة الجرس المقيمة على عمدي كنيستها القديمة...(١
اسمع اجراسك من بعيد فهي تناديني الى السجود (١

وهكذا كان صاحب « الى الابد » يصغي الى الصدى الذي يهيب به ولا يسرع فيسي تلك الروح مضطربها . وهناك في داخله وحدة منفرطة الحلقات يهم بان يعقدها فيخفق وينطوي من جديد على الم جديد . وما يستشعر بشيء من الراحة الا حين ينفى ذاته ، ساعة تغمره اسرار الدين ، ذلك المنبسط الرحب حيث ترتاح النفوس الكبيرة .

ما ترك ابو شبكه دينه حتى في ساعة الاهمال والعصيان . ولو اراد ذلك لما استطاع . فانه قد عاش في بيئة مسيحية . الاديار حوله مزروعة على كل ربوة والكنائس ترفع قبابها في كل ساحة قرية ، والثياب السوداء يلتقي بها على كل درب ، وتأثير الاباء العازريين يهيمن على افكاره وثقافته ، وما يبرح طيف رئيسه القديم الاب سرلوت يواكبه فيبدو مثالاً يجمع الشعر والدين معاً ، شعراً قوياً وتديناً عميقاً .

الى ما هنالك من حفلات دينية حضرها وما زال عبير المباخر يعبق في انفه وانغام الطقوس تتردد في طوايا فؤاده :

الناس في المتكف المقدس يطلون قد بخور الأنفس
وللنفوس صوتها المسموع ،
وأذرع المجامر المرتجفة كأنها مدارج منكفة
جفت على قمتها الشموع

١) غلواء . ٢) الألحان .

وصوات كمن التصبر يديب روح الله في النفوس
قال بصوت خافت . « ابانا انزلْ على شعوبك الغفران . » ١)

ذلك الغفران الذي كانت تطلبه نفس الشاعر لتشفى من اوجاعها. فكم مرةٍ أسمعنا ذلك النداء المحموم طالباً العفو عن آثامه ، وما تلك «الصلاة الحمراء» التي كتبها وتلك « الدينونة » سوى الدليل عمّا كان يحزّ في نفسه من الندم وما يتخوف منه ، ساعة تظهر السيئات امام العيون . واذا به يصرخ من اعماق نفسه المجروحة :

ربـاه عفوك ! اني كافرٌ جانٍ . . . ٢)

قيل عن تأثير التوراة على شاعرية ابي شبكه . ان ذلك لصحيح . فاذا كان الشاعر ذكر « سدوم » « وشمشون » « وحواء » « وعذاب الضمير » فلانه كان حقيقةً متأثرًا بتلك الفصول التي قرأها وخصوصاً لانه كان يجد لها صدى في نفسه التي فجرتْ مرةً كسدوم ، وكشمشون زاغت عن دعوة الله القدسية وكحواء تطفت الثمرة التي نهى عنها الخالق . وبما ان العهد القديم من الكتاب المقدس هو ، نوعاً ما ، تاريخ الانسان المطرود من جنة النعيم ، كان المعبّر عن تاريخ ابي شبكه ، ذلك الشاعر المطرود من جنة الافراح ونعيم السلام ، ولكن الى عهد . لانه بعد ان رجعت الطمأنينة الى نفسه ، أطبق السفر القديم وفتح صفحات الجديد حيث وجد الغفران يتقطر على شفتي الشافي الاكبر ، مبرّر الخاطئة ومهدّم قبور الرياء الكلسية التي يمشي الناس فوقها ولا يعلمون . هو عهد « الى الابد » « وغلواء » حيث تنزل عينان حبيبتان من سماء الحب منًّا وسلوى فوق صحراء الشاعر . لقد ادرك ابو شبكه في هذه الاونة ان الالم هو الذي يقود الى الله وان« الذي يجهل الالم لن يتعرف الى الحب » كما قال نوڤاليس (Novalis) ذلك الكاتب الألماني المتشائم . لقد ادرك ان ما من احدٍ يستطيع ان ينعم « بشعاع الله » ما لم يصعد الى قمة الالام :

---

١) غلواء .
٢) افاعي الفردوس .

من ليس يرقى ذروة الجلجلة ولم يسمر في الهوى أنمله
ويرفع العلقم والحنظل له،
من يعرف السمر على المخمل، ولا يذوق البؤس في الاول،
لن يعرف، العمر، شاع الاله ... !

ان آخر شعر ظهر لصاحب «الى الابد» كان هذا :

وشفيت غلواء من اوهامها لكنها لم تشف من آلامها (١

اما اوهامه هو فكانت تلك المراحل المظلمة التي قطعها، وتلك الضلالات التي انخدع بها حين اعترم الحب . لقد شفي اخيرًا منها . وقد بقيت الالام فلم يشفَ منها، وستقوده وهو في ريعان الشباب واخضرار العمر الى ظلمة الرمس الباردة وهناك استراح قلبه التعبان الراحة الكبرى في غفوة ما استفاق بعدها الّا على غير الصحارى الموحشة ...

عبرة

ان ابا شبكه باختباره الوجيع لحالة تتزلق اليها الارجل المديدة ينيرنا في طريق هفواتنا وضعفنا . واذا كان من امثولة تتخذ من شعره فهي توجيه الى درب الخير والادراك ان ما من شبع الا بالله الذي يستطيع وحده ان يملأ فراغ قلوبنا وليالينا . لا شك في انه ليس بمثال يُقتدى به في الحياة لأن الألم ظفر بحياته وسحبا، وما كان ذلك الالم سوى نتيجة السقطة التي جرّعته المرارة . ولكن عناصر الخير كثيرة في شعره للذين يفهمون وللذين لا يتوقفون عند الاوصاف التي قد يضطرب لها القلب الفتي، بل يتعدونها الى ذلك العراك النفساني المتواصل بين ما كان يشدّ به الى التراب وبين ما كان يدعوه الى العلاء . ولا شك في ان امام كل انسان مثالًا للانسان الكامل يسعى الى تحقيقه . وما دام لا يصل اليه فهو قَلِقٌ تَعِبٌ ينطوي على ذاتٍ مقروحة مهشمة . كل انسان يسعى الى تحقيق ذاتٍ عظمى كامنةٍ فيه غير ذاته الواقعية الكاذبة، أكان فيلسوفًا او شاعرًا او سياسيًا او عاملًا . تلك هي قصة القلق الوحيدة التي ترويها لنا العصور منذ علّقها الله بجبال واهية فوق

(١ غلواء .

هوة الابدية . القلق يسكن في جوف العامل الذي يقتلع الحصى على الطريق في الهاجرة كما يمر دماغ الفيلسوف السابح وراء تأملاته . القلق يزحف الينا ويدب في قلوبنا ففي كل خليقة عاقلة له مجال وغمرة عراك . ولذلك ليس من راحة لانه ما من خلاص من براثن القلق الضارية طالما رأسنا يتأرجح بعد في الهواء ويحاول ان يقطع الاجواء البعيدة بينما هو عالق برجلين مقيدتين باغلال التراب الثقيل .

اما الشاعر، صدى المسكونة وكاهن الانسانية الحامل اتراحها وافراحها، يأسها وآمالها، جحيمها ونعيمها، فيشعر اكثر من غيره بما يحدث في نفس كل انسان . ولذلك فالحزن والحرقة قسمته لانه يختبر بحس ارهف من حواس اخوانه العاديين، يختبر في داخله إخفاق البشرية لدى محاولتها الوصول الى بشريتها المثلى . وان تلك المحاولة مخفقة دائماً . ولم يكن من انسان زعم انه حققها غير نيتشه (Nietzsche) . ولكنه جنّ لانه اراد ان يحمّل طبيعته اكثر مما تستطيع ان تحمل، اراد ان يقفز فوق ظله فهوى في فراغ سحيق .

وما كان ابو شبكه الا احد المحاولين ردم الهوة التي تفصل بين ما كان حقيقة وبين ما كان يريد ان يكون . فاذا به بعد تردد وتيهان يشرف على الربوة المطلة على ارض الميعاد، وكموسى لم تطأها قدماه بل نظر اليها من بعيد . ابو شبكه ككل انسان على الارض لاحت له السعادة فتنعّم قليلاً بخيالها العابر ولكنه لم يتملكها . وما اجمل ان نأمل انه بعد غفوته الاخيرة استقر في سمائه الى الابد . ولقد اخبرنا الاستاذ ميخائيل نعيمه انه في ليلة قضاها عند ابي شبكه « شاهد مضيفه يستوي في سريره ويصلي بحرارة المؤمن[1] . » هي تلك البرهات القصيرة في عمر الشاعر التي تشجعنا على هذا الامل . ولقد اطبق عينيه هو على هذا الرجاء المعسول النير المخذول بعد ان هتف بكلمات تقطّعها حشرجة الموت المقبل، تلك الكلمات التي تتصاعد من صدر كل انسان غريب عن وطنه الاول :

« من الاعماق صرخت اليك يا رب ! »

(1) دراسات وذكريات .

الذئرة السياسية

ان اتحاد الامم الديمقراطية الذي ولد في ميادين القتال واصبح في ما بعد منظمة الامم المتحدة بات منذ نهاية الحرب بطريق التصفية .

وبينما تجري المباحثات لضم اعداء الامس كاليابان والمانيا الغربية الى صف موقعي الميثاق الاطلنطي تنزع سياسة الكرملين الى جمع اعظم عدد ممكن من الدول وراء الستار الحديدي .

ولقد امتد التوسع الشيوعي السوفياتي في اوربا الوسطى « السلاف » اولاً ومن ثم في جزء من « المانيا الشرقية » وانتقل بعدها الى آسيا . والمعاهدة الروسية الصينية الشهيرة المعقودة في العام الماضي تضمنت تهديداً سافراً للرأسمالية الدولية في هذا الجزء من العالم وغايتها طرد آخر ممثلي الغرب من آسيا . وليست حرب كوريا الا فصلاً من تحقيق هذه الخطة لتظهر للوهلة الاولى انها ليست الا مقدمة لحرب عالمية ثالثة .

وما كان اشد سرعة ردة الفعل في الولايات المتحدة التي اجتذبت وراءها معظم الدول الاوربية وان اصطدمت بالدبلوماسية البريطانية المرنة التي لم تكن تعتقد ان الساعة قد حانت لاستلال السيف من غمده كما اصطدمت بتحفظ بعض الدول كالهند ودول الجامعة العربية الراغبة في تجنب نتائج الحرب ولو مهما كلف الامر .

ولكن حكومة واشنطن احتفظت بموقفها وعززت تعزيزاً حاسماً مواقع جيوشها على مقربة من خط العرض الثامن والثلاثين بعد انتصارات وهزائم كما نعلم وعلى رغم تعقد التدخل الصيني .

ولقد كان علينا ان تقوم بمجهودات كبيرة لان الجيوش الكورية الصينية كثيرة العدد ومدربة تدريباً حسناً وقد اظهرت صبراً باعثاً على الدهشة واستخفافاً بالموت .

وفي معسكر الغربيين عوضت الاسلحة الحديثة الهدامة التي تنتجها المصانع الاميركية بكميات كبيرة عن الاكثرية العددية في الجنود فلذلك لم تستطع

جيوش ماوتسي تونغ توطيد اقدامها في ضواحي ساوول عـلى رغم بطولتها فاضطرت الى التراجع في بعض النقاط .

والجدير بلفت النظر انها ترجع على اعقابها بعد كل هجوم منهوكة الجهود والقوى مما كابدته من خسائر في الرجال والعتاد .

ولقد فقدت لهجة الزعيم الشيوعي الصيني كثيرًا من قوتها منذئذ فكانت مقابلته الاخيرة استالين تتوخى معرفة مدى المساعدة التي يستطيع هذا الاخير تقديمها له في الظروف القائمة لانه لم يعد في مقدوره الاكتفاء ببعض الطائرات والدبابات وان كانت من احدث طراز روسي فهو بامس حاجة الى مساعدة كبرى واذا شئنا القول الى مساعدة مباشرة .

ومن المشكوك فيه ان يندفع ستالين كل الاندفاع في هذه المغامرة . اما موقفه السلبي من الزعيم الصيني فقد يكون له نتائج جسيمة .

ها هو ذا ماوتسي تونغ يسمع منه انه قد ينسحب اذا دعت الحاجة الى وراء الحدود المنشورية وذلك اذا لم يشعر بانه قد سوعد .

وبالاستطاعة القول بان الحرب الكورية هي محك قوة العقيدتين اللتين تتنازعان العـالم ؛ فبعد ان كانت هذه الحرب تشكل فوزًا الدبلوماسية السوفياتية قد تحولت الان الى غير مصلحة سادة الكرملين . فهل تؤدي تجربة السلاح هذه الى اصطدام مباشر بين كتلتي الدولتين ام انها تفضي في نهاية الامر الى نتيجة اتقاء القتال ؟ وهل تبعد شبح حرب عامة ام انها ستثير لظاها ؟

•

وتوقعاً لهذا الاحتمال الاخير شرعت الولايات المتحدة تستعد عسكرياً كل الاستعداد فدعت عددًا كبيرًا من الجيوش لخدمة العلم واخذت المصانع الحربية الاميركية بتزييد انتاجها . هذه هي ابرز الحوادث في الاشهر الاخيرة من جهة.

ومن جهة ثانية تبدي الدبلوماسية الاميركية نشاطاً كبيرًا في كل مكان: كاجتماع الوزراء المفوضين في تركيا واتصالاتهم المتوالية بالدول الشرقية والزيارات والمؤتمرات التي قام بها وعقدها ممثلو الحكومات الثلاث في باريس

ولندن وواشنطن واسفرت عن تعاون اوثق بينها . وتمت ضعف محسوس وما يشبه تبعثر العمل الشيوعي في الغرب ولا سيا في ايطاليا وفرنسا .

ومما لا شك فيه ان الاختلافات وتضارب الاراء والمنازعات القائمة في تشيكوسلوفاكيا سببها هذا النشاط الذي ابداه الاتحاد الغربي والانتصارات التي احرزتها قوات الامم المتحدة في كوريا وبخاصة اعلان الدول الغربية ضمانتها ليوغسلافيا ضد كل اعتداء . وليست قضية كليمنتي الا دليلاً على مدى الاضطرابات وعمقها التي ستنجم لاقل فرصة في اوربا الوسطى .

وهذا الشكل الجديد والوجه الجديد لقضية الشرق الذي لم ينقطع عن ان يكون مرجل البارود الحقيقي قد تخفيان مفاجآت عديدة للايام المقبلة .

٥

وفي الوقت الذي تجتمع فيه على هذه الصورة الدول في الكتلتين تحسباً للطوارئ المقبلة ما برحت دول الجامعة العربية حائرة مترددة في اختيار الجهة التي تنحاز اليها . فهل تنحاز الى معسكر الغربيين ام انها تريد تجنب معاداة الروس في حالة نشوب النزاع ؟ ان هدفها الحياد الباسم الذي يخولها من جهة ان تبقى في مأمن لدى هبوب العاصفة ومن ناحية ثانية اجتناء الفوائد الى اقصى حد، تلك الفوائد التي ستقدمها لها احدى الكتلتين . فهل ينتهي بها الامر الى تقرير موقفها ؟

هذا مما يبدو قليل الاحتمال في الوقت الحاضر فمصر تريد اكثر من العراق ان تنهي اولاً جميع القضايا المعلقة بينها وبين انكلترا وهي القضايا التي كانت موضوع محادثات عدة بين هذه الدول ولم تفض الى نتيجة ذات قيمة .

والحقيقة ان الولايات المتحدة تريد ان تتوسط بين الجانبين في تسوية حسية والدليل على ذلك الرحلة التي قام بها السيد ماغي .

ويظهر ان انكلترا مستعدة ان تسلم امر حراسة قناة السويس الى قوات مختلطة انكليزية ومصرية ، ومع ذلك ، وعلى فرض ان هذه القضية قد وجدت حلاً لها فثمت قضايا اخرى تتطلب حلاً قبل الشروع صراحة ببحث ادخال الشرق الاوسط في كتلة الاطلس الغربي .

الفرد نقاش

الاخبار العالمية

اخبار العالم الكاثوليكي

روما : في اليوم الثالث من حزيران المقبل يتصدر قداسة الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر حفلة اعلان سلفه البابا بيوس العاشر طوباوياً وهو منذ اعلان قداسة بيوس الخامس سنة ١٧١٢ اول بابا يحتفل بتطويبه .

* في اليوم السادس من نيسان قدم فجأة الى الفاتيكان لزيارة الحبر الاعظم اول رعاة كنيسة بولونيا يصحبه اثنان من الاساقفة .

* في الثالث عشر من الشهر عينه قامت بزيارة رسمية للحبر الاعظم اليزابيت ولية عهد انكلترا بصحبة فيليب دوق ادنبورغ زوجها فاستقبلها قداسته في مكتبه الخاص ودامت الزيارة نصف ساعة ثم اهداها صورة منقوشة من المصوغات ، وللامير اهدى ايقونة سنة حبريته الاولى .

فرنسا : للمرة الاولى منذ سنة ١٩٠٦ اجتمع في باريس في الثالث والرابع من نيسان كرادلة واساقفة فرنسا للمداولة في الشؤون الدينية وكان موضوع مداولتهم الاخص التعليم الحر في بلادهم ومن ثمّ واجبات الحكومة ازاء حقوق العائلات والكنيسة في تعاليم اولادهم .

تركيا : عند مناقشة المجلس التركي بخصوص ميزانية وزارة الخارجية اخذت السيدة نازلي طلابة نائبة استانبول تطالب الحكومة باقامة العلاقات السياسية مع دولة الفاتيكان ليست هذه المرة الاولى يهتم فيها الرأي العام في تركيا لذلك . وكثيراً ما منذ عهد اتاتورك عبرت الجرائد عن الرغبة في اقامة هذه العلاقات . ولا عجب فان موقف الكرسي الرسولي ازاء الشيوعية وسلطته السامية في الدفاع عن حقوق الانسان تؤيد تأييداً تامّاً اصابة رأي المطالبين بإنشاء هذه العلاقات .

الصين : ازدادت مضايق الكنيسة في الصين الشيوعية في هذه الاشهر الاخيرة فقد اخضعت السلطة الشيوعية اعمال الرسالة لرقابة عنيفة واحتلت كثيراً من المباني الدينية ووضعت يدها على مدارس عديدة ابتدائية وثانوية ومهنية وابعدت عن البلاد الصينية كثيراً من المرسلين والكهنة والراهبات وطنيين واجانب او اضطرتهم بسوء معاملتها على تركها .

اخبار عالمية

كوريا : في ١٦ اذار اذاع الجنرال ماك ارثر بالراديو دعوة ملحة وجهها الى السلطة الصينية العسكرية المحاربة في كوريا للاجتماع به والمفاوضة لكن دعوته بما تضمنته من تحذير ووعيد كانت اشبه بالانذار بحرب شاملة عنيفة . بعد ذلك عاد الجنرال الى توكيو ومنها ارسل الى قائد الجيش الثامن اوامره باجتياز الخط الثاني والثلاثين اذا قضى ذلك سلامة المحاربين او حسن تدبير القتال .

وفي ١٦ اذار اذيع بالراديو جواب الصين برفض الدعوة واعلان مثابرتها على القتال طالما لم تُردّ اليها جزيرة فورموزا ولم تُقبل هي في جمعية الامم المتحدة

ثم في ١ نيسان اجتاز الجيش الاميركي الخط الثاني والثلاثين

* ان موقف الصين في كوريا ونواياها والتناقض الظاهر في حركاتها الحربية كراً وفرّاً لا تزال امراً غامضاً لمن يتفحصها . ليس من يشك بان ما تسميه هي محاربين متطوعين ليسوا بالحقيقة الا من جيوشها النظامية . فما أربها اذن في دخولها الى كوريا هل انها تريد حماية حدودها ام المحافظة على ما لها من مصالح في منشوريا وكوريا او انها ليست الا آلة بيد الحكومة السوفياتية تديرها كما تتطلبه مصالحها ولو نتج من ذلك حرب عالمية .

* وهذا رأي صحفي هندي في الصين الشيوعية ارسله الى جريدة « بريس تروست اوف انديا » وهو السيد سينارام : « ان حكومة ماوتسي تونغ تعتبر نفسها بيد الكرملين آلة لا غير والشيوعية الصينية ليست بالحقيقة الا صورة الشيوعية السوفياتية تماماً مع كل ما ينتج منها من نتائج وخيمة اعني انفكاك اوصال العائلة والهيئة الاجتماعية وملاشاة الاعمال والمشاريع الخاصة . كذلك تعتبر الصين الجديدة نفسها شريكة روسيا السوفياتية في الجهاد للاستيلاء على العالم فتكون رسالة جيوش « الانقاذ » الصينية - وعددها يربو على الخمسة ملايين من الجنود - اجتذاب العالم الاسيوي الى الشيوعية كما ان تدبير مصير اميركا واوروبا هي مهمة روسيا السوفياتية .

ماك ارثور : مساء التاسع عشر من نيسان اذاع رئيس اركان الحرب الاميركي نبأ تجريد الجنرال ماك ارثور من قياداته في الشرق الاقصى واعلن بان الرئيس ترومان اقرّ ذلك بناء على توصية مستشاريه المدنيين والعسكريين ورؤساء اركان الحرب المشترك وقد عيّن الجنرال ريدوي قائد الجيش الثامن خلفاً له في القيادة

* ما سبب هذه الاقالة : قيل ان سببها نصر زوج الانقياد في الطيران للسلطة المدنية . وانه بدعوته الحائية الى الصين قد جاوز حدود سلطته . ولا يخفى على المطالع ما احتوته هذه الدعوة من تهديد لا ينطبق مع السياسة السلمية التي اتخذتها الامم المتحدة

* عاد الجنرال الى اميركا من فوره بعد غياب اربع عشرة سنة وقد قضى في السلك العسكري اثنين وخمسين سنة فاستقبلته اولا واشنطن ثم نيويورك استقبال الملك الظافر وقد ُعدّت الجماهير المتراصّة للاحتفاء بقدومه بالملايين . واراد مجلس الشيوخ أسماع اليه وقابل خطبته بحماسة شديدة والتصفيق الحاد

ايران : صباح الاربعاء ٧ اذار ُقتل في طهران في جامع السلطانية على يد عضو من شيعة « الفدائية » اداريّ عظيم الجنرال رازمار . هذا الاعتداء على شخصيات بارزة في ايران ومنها الشاه نفسه هو الاعتداء الخامس من نوعه .

* لم يكن رازمار اداريًا حاذقًا حازمًا فحسب بل كان ايضًا جنديًا باسلًا مظفرًا فاليه يرجع الفخر بانقاذ اذربيجان يوم اشتدت فيه الاضطرابات مطالبة بالانفصال

* في هذا الحادث المؤسف ترى الصحافة نتيجة من نتائج المنافسة الشيقة القائمة بين الغرب وروسيا السوفياتية في احتكار الزيوت المعدنية فقد ُقتل رازمار ثلاثة ايام فقط بعد اعلانه في الراديو عن عزمه برفض تأميم المشاريع الزيتية ثم غداة يوم وفاته أقرّ المجلس هذا التأميم رغم تمنع انكلترا وسخطها ورغم الاعتصابات والمظاهرات التي رافقته .

اليابان : يقوم السيد دولس مرسل ترومان الخصوصي مع حكومة توكيو بمفاوضات تنظر اليها الصين الشيوعية بتحذر وامتعاض فقد ينتج منها ما لا تحمد اعقابها بعد مرور سنة واحدة قد ترى قائمًا في وجهها لهيروهيتو جيش منظم قوي علاوة على جيش شاي كاي شيك في فورموزا وعدد مقاتليه يبلغ نصف مليون . لذلك كتبت الجريدة البولشفية برافدا مهددة : هذا لن تسمح به روسيا ابدًا . ما كان بالحقيقة دخول الشيوعية الى كوريا الا لمنع هذا الحادث الخطير فان كوريا هي لها خير موثب للانقضاض على اليابان .

كشمير : من زمن الى اخر تأتي اخبار قلاقل واضطرابات في كشمير وهي لا تزال الهند تحتلها احتلالا عسكريًا

* ليست مشكلة كشمير مشكلة اليوم فقد نشأت سنة ١٩٤٧ فانه في نيسان من تلك السنة عند انسحاب الانكليز حدث في الهند كلها وفي كشمير خصوصًا حوادث دامية وقد تمكن عندئذ رجل مسلم الشيخ محمد عبدالله رغمًا عن الشعب والاضطرابات

السائدة ان ينظم حكومة وقتية لكنه اذ كان من القائلين بوحدة الهند والعاملين المجاهدين لها ارسل الى الحكومة الهندية يطلب مساعدتها فبعثت اليه من جيوشها ومنذ ذاك بدأ بين الهند والباكستان نزاع لم يتوقف الا في اول كانون الثاني ١٩٤٩ لكن الاتفاق النهائي لم يتمّ بعد.

سوريا : في ٨ اذار سُمع على الحدود السورية الاسرائيلية في منطقة الحولة تبادل اطلاق الرصاص بين حرس الحدود فان الاسرائيليين كانوا قد شرعوا باشغال تجفيف مناقع بحيرة الحولة الشرقية والغربية في ارض لم يُجزم بعد تخصيصها

وفي ٤ نيسان حاولت فرقة اسرائيلية دخول قرية الحمة في منطقة الحرام هذه ورفضت الارتداد بل اجابت باطلاق الرصاص على الشرطة الدولية والحرس السوري لكنها اضطرت اخيرًا الى التقهقر تاركة وراءها سبعة قتلى وجريحًا واسيرًا .

وفي ٥ منه تعاقبت خمس طيارات اسرائيلية مدة ساعة فوق قرية الحمة وضربتها بقنابلها لكن دون الحاق ضرر في الاهالي .

وفي ٧ منه نسف الاسرائيليون بالديناميت ثلاث قرى سورية .

* من هذه الحوادث الاستفزازية يستنتج المسؤولون في اسرائيل ضرورة الاسراع الى عقد معاهدة السلم وتعيين الحدود نهائيًا : تكفي اللبيب اشارة

المندوبون الاربعة : في ١ اذار اعلنت روسيا السوفياتية رضاها بالاجتماع التمهيدي الذي عرضته عليها دول الغرب الثلاثة اعني اميركا وانكلترا وفرنسا وفي ٥ اذار عقد الوزراء الاربعة في باريس اجتماعهم الاول ثم تعاقبت الاجتماعات عديدة وطويلة لكن دون جدوى فقد ابدى كل من الطرفين تمسكًا بموقفه لا يتزعزع وقيل بان الوفد السوفياتي قد اجهد نفسه عبثًا للتوصل الى فصم وحدة الجبهة الغربية .

الولايات المتحدة : في ٢٢ اذار اذاع الجنرال مارشال بالراديو بان عدد المجندين في الولايات المتحدة قد بلغ مليونين وتسعمئة الف وهذا العدد هو ضعف ما كان عليه منذ تسعة اشهر اي منذ بدء هجوم كوريا .

ايطاليا : لا تزال انسحابات جمة من الحزب الشيوعي تتتابع في ايطاليا خصوصًا في صفوف الطبقة العاملة ولكن الحزب مسيطر بعد على ثلث البلديات الايطالية ومن الاهم فيها .

لبنان : جرت في لبنان بتاريخ ١٥ نيسان وغت في ٢٢ منه انتخابات المجلس النيابي الجديد في نظام وهدوء لم يكن في الحسبان رغمًا من الحوادث المؤلمة التي سبقتها بايام وقد اجمع الرأي العام على انها كانت حرة فاثنى على همة وزارة الانتخابات وصدقها واظهر اعجابه

برئيسها حسين العويني . لا تخفى اهمية هذا الحادث السعيد للبنان فسوف يكون هذا المجلس ممثلا صحيحاً له ومشترعاً مستقلا لا ينقاد الا حرًّا طليقاً وراء اية وزارة جاءت اذ انما هي تكون المنبثقة منه لا هو منها .

* من النواب القدماء لم يعد الى المجلس الا ثلاثون فيكون عدد الجدد فيه سبعة واربعون .

الشرق الادنى ودول الغرب

كان الشرق الادنى في الجيل التاسع عشر ولم يزل الى اليوم موضع قلق الدول الاوروبية واطماعها ومنازعاتها وسبب ذلك كان قديماً وجود « الرجل المريض » السلطنة العثمانية المحتضرة واخص اسبابه اليوم اثنان اولهما ما لموقع الشرق الادنى الجغرافي من اهمية حربية والثاني غناه بالزيوت المعدنية .

بالشرق الادنى نعني بلاد تركيا وايران واسرائيل والدول السبعة التي منها ألّف ميثاق القاهرة سنة ١٩٤٥ الجامعة العربية اي مصر وسوريا ولبنان والاردن والعراق والسعودية واليمن .

لا تخفى اهمية موقع الشرق الادنى الجغرافي فهو الممرّ الطبيعي من الغرب الى الشرق الاوسط ومرصد خطير على شرقيّ البحر المتوسط ومجاز قناة السويس طريق الهند والشرق الاقصى وهو علاوة على ذلك عرافته مصبّ مقادير جسيمة من الزيوت التي لا يمكن للغرب الاستغناء عنها في حالة حرب .

هذا ما يحمل الغرب على بذل جهوده ليكوّن من دول الشرق الادنى وحدة متماسكة الاجزاء قوية يمكنها الصمود بوجه العدو اذا اقتضى الامر ذلك يريدها حاجزاً حصيناً منيعاً يقوم بوجه اي فاتح يحاول مفاجأتها ومهاجمتها للاستيلاء عليها . لكنه في جهوده هذه يلاقي صعوبات ومقاومات جمّة اعظمها الخلاف المستحكم بين الجامعة العربية واسرائيل إثر حرب لم تنطفىء بعد نيرانها ولو ظهرت ساكنة خامدة وهو خلاف يصعب على الغرب حلّه خصوصاً والجامعة العربية تعتبر الغرب المسؤول الاول عما حدث في فلسطين من تجزئة وما حلّ بسكانه الابرياء من تشتيت وعن وبلايا بعد ان اضطروا مكرهين الى مغادرة بلاد هي بلادهم تركوا فيها بيوتهم واملاكهم وهم يعيشون اليوم مهاجرين في بلاد لا مأوى لهم فيها ولا مال . هذا فضلًا عما آلت اليه الجامعة العربية نفسها من ضعف لارتخاء الروابط التي تربط دولها بعضها ببعض من سبب منافسات واطماع داخلية لا تخفى على متبصّر لبيب .

اما غنى الشرق الادنى بالزيوت المعدنية فعظيم وهذا ايضاً مما يجعله كبير الاهمية عند وقوع

حرب عالمية جديدة فان حركات القوى المحاربة البرية والجوية والبحرية هي في حاجة كافية الى مقادير حسيبة من هذه الزيوت فاذا لم تتوافر لاحد العسكرين المحاربين فالهزيمة والانكسار .

ان الشرق الادنى هو الثالث في العالم بزيوته المعدنية . قد بلغ انتاج العالم من هذه الزيوت سنة ١٩٥٠ خمسمائة وثلاثة وعشرين مليون طن انتجت منه الولايات المتحدة اكثر من نصفه وانتجت فينزويلا — وهي الثانية في الانتاج — ثمانين مليون طن والبلاد السوفياتية سبعة وثلاثين مليونا وخمسمائة الف طن والمملكة السعودية سبعة وعشرين مليون طن وايران اكثر من ثلاثين مليون طن والكويت عشرين مليون طن اما انتاج العراق فقد أضرّ به الحرب لكن المأمول لسنة ١٩٥٢ انه سوف يبلغ خمسة وعشرين طناً .

وتدل الاختبارات الاخيرة على ان ثمانية وخمسين بالمئة مما تدخره بعد اعماق الارض من الزيوت هو في الشرق الادنى والأغنى فيه هي الاراضي الايرانية .

لهذه الاسباب واسباب اخرى يزداد من يوم الى يوم اهتمام دول الغرب الاوروبي بمشكلة الشرق الادنى وبعض دلائل ذلك الاهتمام تمسك بريطانيا العظمى بابقاء حاميتها على ضفاف قناة السويس ثم المؤتمرات العديدة حيث يجتمع هنا تارة وهناك اخرى خبراء سياسيون وعسكريون لمداولات ومناقشات مهمة وكذلك العناية المخصوصية التي يبديها الاميركان والانكليز والفرنسيون بخطوطهم الجوية ومطارات الشرق الادنى .

o

مطبوعات شرقية

بقلم ميشال شبلي

١ ـ « تاريخ ابرشية قبرص المارونية »

تأليف المحامي ابراهيم عواد

بيروت ١٩٥٠ – مطبعة فاضل وجمّال

لا ريبة بان لتاريخ المقاطعات وتاريخ الاسر في البلاد اهمية كبرى في تأليف تاريخ البلاد وهذا ينطبق خصوصاً على البلاد اللبنانية . وقد اتحفنا الاستاذ ابراهيم عواد ببحثه هـذا وهو يقع في زهاء التسعين صفحة نشرته الجمعية الخيرية لابرشية قبرص المارونية ألمّ فيه بلمحة تاريخية موجزة عن تلك الابرشية ثم ذكر سلسلة الاساقفة الذين تعاقبوا عليها واتبع ذلك بترجمة بعض المشاهير منها في القرنين الاخيرين . وقد كنا نود من المؤلف الذي له في عالم الطباعة اثار معروفة ان يكون قد تبسط في بحثه هذا بالحادث الهام في تاريخ تلك الابرشية وهو اعتناق العائلة الكبيرة فيها آل ابللمع الديانة المسيحية على المذهب الماروني لما لهذا الحادث من اثر في تاريخ الابرشية وتاريخ لبنان .

٢ ـ « الاخت رفقا الريس الراهبة اللبنانية »

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

جونيه ١٩٤٨ – مطبعة المرسلين اللبنانيين

ان لحضرة الكاتب ابحاث شيقة بانشاء سهل لبق ومن ذلك هذا الدرس عن حياة الراهبة رفقا في ٥٨ صفحة فاطلعنا على حياة هذه الراهبة الفاضلة التي ولدت في قرية حملايا قرب بكفيا في سنة ١٨٣٣ وفي سن العشرين رفضت طلبات الزواج وتركت العالم ودخلت رهبنة المريمات بادارة الاباء اليسوعيين ثم بعد انحلالهـا دخلت الرهبانية اللبنانية وقد انتقلت الى رحمة الله في سنة ١٩١٤ عن واحد وثمانين عاماً . وقد افتقدها الله بالمصائب الفادحة من فقدان

لبعض ومن تكساح باحتملت ذلك بصبر عجيب لا يمكن تفسيره سوى بايمانها المسيحي . وقد توفيت برائحة القداسة وحصلت بعد وفاتها عدة خوارق ذكرها المؤلف في درسه هذا الذي نشكره عليه .

٣ — « اليزيدون في حاضرهم وماضيهم »

السيد عبد الرزاق الحسني

صيدا ١٩٥١ — مطبعة العرفان

لقد تعددت الكتب والابحاث عن الطائفة اليزيدية في جميع اللغات وقد تكون مجلة المشرق قد سبقت سواها بنشر الدرس القيم عن هذه الطائفة في سنتها الثانية منذ ١٨٩٩ بقلم الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي . اما مؤلف هذا الكتاب السيد الحسني الذي له آثار عديدة نافعة في تاريخ بلاده العراقية فقد المّ الماماً كافياً بموضوعه هذا واستقى المعلومات الصحيحة اما بذاته واما عن المؤلفين الثقاة الذين ذكرهم وقد نشر في كتابه ، وهو يقع في ١٠٨ صفحة ، عدة صور عن اليزيديين فجاء تاليفه كبير الافادة لمن يريد ان يطلع على تاريخ تلك الطائفة الصغيرة ذات المعتقدات الغريبة التي يتراوح فقط عدد افرادها ، حسب قول المؤلف ، بين العشرين والثلاثين الف نسمة .

٤ — « المشايخ آل الشمر »

بقلم الاب اغناطيوس طنوس الخوري

لقد اشرنا اعلاه الى اهمية تاريخ الاسر والمقاطعات في تكوين التاريخ اللبناني وقد اتحفنا مؤلف هذا الكتاب (١٣٢ صفحة) بنبذة تاريخية عن اسرة آل الشمر المارونية فاستحق الثناء . اما الافادة في مؤلفه فهي بنشره تلك الوثيقة الخطية عن تاريخ تلك العائلة وتعليقه عليها . وتلك الوثيقة تستدعي الانتباه بما جاء فيها عن اصل تلك العائلة من العاقوره ونزوحها الى الزاوية حيث بلغت مجداً وجاهاً يذكر وقد كانت تلك الاسرة تنتسب في السياسة الى الحزب اليمني ولذلك خطب الحكام ودها في خلال القرن السابع عشر اي بعد نكبة فخر الدين المعني ثم تبدلت الايام وعاد الحزب القيسي

الى مجده ومع ذلك ظلت تلك الاسرة في زعامتها بدليل ما ورد في الوثيقة المنشورة من نزول الامير يوسف الشيابي حاكم جبيل عليها وطلب مؤازرتها ومن تفرّد احد افرادها الشيخ يوسف الذي « كان يلبس فروًا اخضر ويمشي في اسواق طرابلس »

ولكن هذا الجاه كان سبب قتل الشيخ المذكور .

ومما ورد في تلك الوثيقة اخبار المنافسة بين هذه العائلة وبين عائلة الضاهر . وكل ذلك يشكل مصدرًا تاريخيًا هامًا لمن يريد التعمق في حوادث تلك الايام . فنشكر المؤلف على ما نشر .

◆

٥ ـ « سميراميس على المسرح . مأساة ادبية اخلاقية »

بقلم الاب يوحنا خليفه

جونيه ١٩٦٧ — مطبعة المرسلين اللبنانيين

قال المؤلف ان على المسرحية « ان تلذّ وتفقه » فاقتبس عن الافرنسية حوادث المسرحية التي وصفها . اجل ان المسرحية هي من اهم ابواب الادب والفن وينقصنا جدًا في لبنان ان نعير هذه الجهة العناية الكافية . ولكن من الاوفق والاجدى ان نقتبس ذلك عن تاريخنا اللبناني وفيه الصفحات المجيدة التي يمكن ان تعير مواضيعها الوطنية للمسرحيات بل ان نقتبس عن القواعد الدينية غاية المسرحيات التي نتطلبها .

فندعو لحضرة المؤلف مواصلة جهوده حتى بلوغ التوفيق الكامل .

◆

٦ ـ « وجهاً لوجه مع روسيا السوفياتية »

تأليف فلوديمير بنتشوفسكي

معربة عن الانكليزية — بيروت ١٩٦٨

لقد تعددت الكتب في جميع لغات العالم عن روسيا السوفياتية وعن نظامها الشيوعي . ومن عداد ذلك هذا الكتاب وهو يقع في ٢٣٠ صفحة بحث فيها المؤلف روح الحركة الشيوعية والسياسة الروسية واغراضها المدنية والدينية الخ . فاظهر مراميها وغاياتها الدفينة التي اصبحت اليوم معلومة .

اجل ان الموالين للشيوعية يحسبون كل ما لا يوافقهم في هذه المؤلفات الى الدعاية السياسية والتحامل ولكن فاتهم امر بسيط وهو ان روسيا تكاد توافق ضمناً على ما يكتب ضدها وذلك باسدال الستار الحديدي على بلادها وعلى كل بلاد خاضعة لها فلا تسمح للكتاب والباحثين من اجتياز تلك الحدود والاطلاع على ما تكن الحسنات التي يزعمون . في حين اننا ندين بالآية القائلة « لا يوقد سراج فيوضع تحت مكيال » ميشال شبلي

تاريخ دير سيدة النجاة اي دير الشرفة

تأليف الخوري اسحق ارملة – مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونيه ١٩٤٦ ، ص ٦٣٦

لا يزال حضرة الخورفسقفوس اسحق ارملة الهمام يطرفنا بمؤلفات قيمة تنطوي غالباً على اخبار الكنيسة السريانية ومعاهدها ومؤسساتها ومشاريعها . وهذا كتاب جديد يستحق الاعتبار ضمّنه اخبار دير سيدة النجاة المشهور بدير الشرفة منذ تأسيسه عام ١٧٨٦ على يد الطيّب الآثار مار اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة بطريرك السريان الانطاكيّ (١٧٨٢ — ١٨٠٠) . طالعنا هذا الكتاب الجميل الثمين بلذة فائقة فوجدناه مطابقاً لما عرفناه في مؤلفه من الهمة وسعة المعرفة والخبرة . ولا سيا لانه اعتمد فيه على محفوظات الدير وصكوكه وآثاره الكتابية فاجاد في ما نقله عن رؤسائه وتلامذته وشامسته . وديّجه برسوم احبار رومية العظام الذين ساعدوا المؤسس وخلفاءه المغبوطين في تعزيز الدير . واضاف اليها رسوم البطاركة والاساقفة وجميع الذين تثقفوا في هذه الاكليريكية وخدموا الابرشيات السريانية في مختلف البلاد والقرى . ونوّه بذكر اقطاب الدولة الاسبانية الذين ساعدوا المؤسس مساعدة سخيّة . ولم يغمض كذلك عن ذكر امراء لبنان الشهابيين واللمعين ومؤازريهم ولا سيا الشيخ غندور سعد الخوري قنصل فرنسا الطيّب الذكر وسائر الذين جادوا على الشرفة بعوارفهم وخدمهم . فجاء كتاباً مستوفى يذكر الخلف بصنائع السلف الصالح . واستحق المؤلف ثناء جزيلاً على ما اداه لاكليريكية تثقف فيها . فنحث ابناء الطائفة السريانية الكرام ان يقتنوا هذا الكتاب النفيس فيطّلعوا على خلاصة اخبار آبائهم الاجلاء وكهنتهم الفضلاء .

الشمس الحزينة : حياة غاندي

بقلم محمد كاظم

دار الاهرام يوليو ١٩٤٨ — صفحة ١٥٠

يكتب المؤلف حياة رجل الهند العظيم خصوصاً من جهتها الاجتماعية ، فيتكلم عن والديه وتربيته ؛ والده كان رئيس وزارة بوربادار ، ذو اباء وشمم وكرم نفس ، وامه تقية محبة للسلام ، تستعمل الصيام عندما يحدث خصام او انشقاق بين اعضاء العائلة . تربى غاندي على حب الخير والتقوى وتزوج بعمر ١٣ سنة . لكنه تابع علومه وسافر الى لندن لدرس الحقوق . عاد الى الهند لمزاولة المحاماة وكانت له اولى الدروس في حقيقة الاستعمار لشعبه ، وذهب الى جنوبي افريقيا لمتابعة احدى الدعاوى وهناك شاهد ما يحل ببني قومه من الذل والاستعباد ، فبدأ يبشر بمذهبه : قوة الحق ، ويقاوم المظالم بطريقته السلمية حتى حرر العمال من الاستعمار الثاني ، وعاد الى بلاده يعمل بالكلام والاعمال لرفع نير المستعمر الظالم ، فدخل السجون وتحمل الاهانات ، حتى تحققت احلامه وخضعت قوى الاستغلال والظلم لقوة الحق ، واقر للهند باستقلالها .

في هذا الكتاب نلاحظ ان المؤلف اختار من حياة غاندي ما يوافق فكرة الجهاد لانتصار الحق . وهو في وصف جهوده مؤثر جذاب ، يرافق بطل الكتاب في الامه وانتصاراته . ولكن اعطى تفاصيل وافية عن جهود في قسمها الاول ، اي في لندن وجنوبي افريقيا ، وكان دون الوافي في القسم الثاني والاهم ، اي في الهند نفسها .

الطريقة في الانشاء سلسة ، سهلة ، والكتاب حسن التبويب يسهل المطالعة . يحسن بالشبان اقتناءه ومطالعته بامعان . ي . ص .

❖

تاريخ بشمله وصليما

تأليف الخوري اسطفان البشعلاني

كتاب تاريخي ديني اجتماعي ، يتضمن تاريخ هاتين البلدتين واسرهما والاسر التي خرجت منها واخبار المغتربين منها الخ . ٦٠٠ صفحة ق٨ صغير فضلاً عن الرسوم ، بيروت ١٩٤٨ مطبعة فاضل وجميل ، الدوره — ثمنه ١٠ ل . ل .

لم يقدم المؤلف على وضعه هذا الكتاب الا بعد ان استعد له السنين الطوال تنقيباً وجمعاً وتحريراً ظهرت منتوجاتها بالطباعة . وهذا الكتاب على ضخمه غير ممل ، لذيذ المطالعة ، يرى به القارئ نفسه كفي حلقة من الخلان والاهلين يتوسطها الخوري اسطفان مغتبطاً بالكلام عن مسقط رأسه وبلاده فيطرب السامعين ببحث اصول التاريخ وذكر رجالات كان لهم دورهم الخطير في حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرهم من افراد لا يهتم لهم الا ذووهم اذا شاؤوا احصاء ابنائهم بالتمام .

ما هي الحقيقة من تاريخ الاسر اللبنانية ؟ قال المؤلف ص ٢٠ ، ٢٢ : « ترى الباحث المنصف اذا بلغ القرن السادس عشر او الخامس عشر ، فقد المراجع الراهنة والمصادر الاكيدة في تحقيق النسب وانقطعت حلقات السلسلة التي تربط الاسرة باجدادها الماضين الذين لا يعرف من تاريخهم القديم سوى التقاليد » فضلا عن ان تنقلات الاسر المتعددة والاخذ بالكنية دون اسم العلم العائلي يحول دون اتباع الانساب ابا عن جد ما لم يكن هناك زعيم كبير كان له دوره في مشيخة او امارة وهؤلاء قليلون. ومع ذلك فقد وفق المؤلف بفضل التقليد والبحث الى وضع شجرات عائلية مفيدة جداً لمعرفة الاسر المسيحية ومهد السبيل اليها بفهرس هجائي واسع ؛ اما كون البعض منها من الغساسنة ففي القول النظر لان الغساسنة كانوا من المونوفيسية ولا ادري هل بقي للمونوفيسية اثر في بلاد بشعله وصليما وقد يكون قد بقي لو تأكد امر تحدرهم من بني غسان .

وهذا الكتاب حافل بالتعليقات القيمة المفيدة عن تاريخ البلاد الى ما وراء حدود مقاطعات بشعله وصليما لاتصال اهاليها بحكام سورية ولبنان وبغيرهم من رواد ومرسلين ولهؤلاء مدارسهم المشهورة التي نبغ فيها جيل كان في طليعة النهضة الادبية العصرية. وان يضيق بنا المقام في الكلام عن الذين اشتهروا في هذه الانحاء فلا اقل من ان ننحني لذكر المقدم ابي رزق البشلاني واطوار حياته الغريبة وعذابه واستشهاده عسى ان تؤدي العناية الالهية الوسائط لنراه مرفوعاً على المذابح في كنائسنا وقدوة لنا اجمعين في بذل النفس والنفيس في سبيل ايماننا . ف. ت.

H. Fleisch S. J. — *Etudes de phonétique arabe.* in Mélanges de l'Université Saint-Joseph T XXVIII (1949-1950.) fasc. VI. Imprimerie Catholique Beyrouth. 228-285.

دراسات في الصوتيات العربية

للاب هنري فليش

منشورات جامعة القديس يوسف . المجلد الثامن والعشرون . الجزء السادس

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٤٩ – ١٩٥٠

يوالي الاب هنري فليش ، في معهد الاداب الشرقية – بيروت – القاء المحاضرات القيمة في فقه اللغة العربية خصوصاً ، وفي الفقه المقارن للغات عموماً. وهو يقوم من حين الى آخر ، تعميماً للفائدة ، بنشر نتائج ابحاثه ودراساته ، ومن هذا النوع ، الكتيب الذي نحن بصدده الان .

يحتوي هذا الكتيب على دراستين : الاولى في الحروف العربية الصامتة ووصفها ، والثانية في المظاهر الصوتية البارزة للغة العربية .

فمن الدراسة الاولى يتفرع فرعان :

١ – وصف الحروف الصامتة ، وفقاً لتعريفات نحاة العرب القدماء. سيبويه (+ ١٧٧ ﻫ) – الزمخشري (+ ٥٣٨ ﻫ) – ابن يعيش (+ ٦٤٣ ﻫ) ومن خلال ابن جني (+ ٣٩٢ ﻫ) – وفي هذا الفرع جدولان وصفيان ، رتبت فيهما الحروف عموماً ، وبحسب المخارج (حلقية ، لهوية ، شجرية ، ذولقية ، اسلية ، نطعية ، لثوية ، شفوية) ثم يلي ذلك تقسيم للحروف بحسب الصنف (مجهورة ، مهموسة) وتحديد لها بحسب النوع (رخوة ، شديدة ، بينية) ويعقب هذا التحديد تحفظ بصدد المرتبة الاخيرة .

٢ – بيان بالعربية للحروف الصامتة في علم الصوتيات الحديث ، ينتقل المؤلف بعد هذا العرض لعلم الصوتيات العربية عند سيبويه وتابعيه الى تمحيص هذه المعلومات على ضوء علم الصوتيات الحديث . مشيراً الى الفرق بين الحروف الصامتة Consonnes والحروف المصوتة Voyelles . ويذهب مذهب

Bravmann الى ان العرب اشاروا الى هذا الفرق قديماً . ثم يتعرض لبحث مسألة المخارج ، فاذا اجتهاده يقوده الى تثبيت بعض المسميات كاللثوية للاحرف (ط ، ت ، ل) والى تنحية غيرها كالاسلية للاحرف (ص، س، ز) مفضلاً عليها الاسنانية المعنى نفسه ، وربما ذهب الى ابعد من ذلك ، مستعيناً بآراء المحدثين من الباحثين ، مع المحافظة دائماً على روح اللغة واصولها ، فيستحسن ، بعض المسميات الحديثة ، دون مثيلتها القديمة ، لانها في رأيه لم تعد مؤدية لمناها الحقيقي ، فاذا الحنجورية Pharyngales والمزمارية Glottoles تقوم مقام ما سماه العرب احرفاً حلقية في حين لم يكن للتشريح هذا الرقي . ثم يقدم في ختام بحثه ، جدولين في وصف الصامتات، وترتيب الحروف بحسب المخارج قديماً وحديثاً .

اما الدراسة الثانية : المظاهر الصوتية البارزة في اللغة العربية ، فيقسمها الى ثلاثة اقسام :

١ – من حيث المقاطع : وينقسم الى قسمين

ا – تشدد الفئات في المقاطع المطلقة والمقفلة ، ويحيل القارئ الى كتاب كانتينو في الصوتيات العربية .

ب – كراهية ابقاء المصوت الممدود Voyelle longue او المصوت المزدوج Diphtongue في المقطع المقفل .

يلاحظ المؤلف ان العرب كرهوا امثال ذلك على الغالب، الا انهم اجازوه في النثر (الضالين مثلاً في اخر سورة الفاتحة) وغيرها ، اما في الشعر فالبيت التالي ، وقد جاء في كامل المبرد :

فذاك القصاص وكان التقاصّ فرضا وحتما على المسلمينا

هو الوحيد من نوعه ، كما يقول نولدكه . ثم يعرض للاشكال التي يلجأون اليها ، فاذا هم يجمعون رامٍ على رامين – رامون – والقياس ان يجمع على راميين – راميون الخ ... كما استغنوا عن الياء كراهية لتعاقب المصوتين.

وكذلك هي الحال في هدىً ، وما يدخل في وزنها ، وما يدخل تحته في الفصحى والعامية .

٢ – من حيث التنافر

يلاحظ المؤلف في هذا القسم ، سيرًا مع علماء اللغات السامية ، كراهية تكرار الحرف الصامت ، عندما يكون مفصولًا بصوت مقصور ، وهو ينقسم الى قسمين :

ا – كراهية تكرار الحرف الصامت مرتين : ويذكر هنا ان النحاة العرب اشاروا الى هذه الظاهرة ، اذ الادغام ، في رأي سيبويه ، لم يكن الا لتلافي هذا التكرار . ويعدد ما قيل بهذا الصدد ، عن التضعيف ، وهو في رأيهم ان يكون اخر الفعل حرفان من موضع واحد ، ثم يشرح عملية الادغام في الافعال ، كفرَّ مثلًا واصلها فرر قياساً ، وغير ذلك ؛ وفي الاسماء كموادّ مثلًا ، وقياساً ينبغي ان تكون موادد على وزن مفاعل ، ولكن كراهية التكرار بررت هذا الادغام .

ب – وهنا يتكلم عن اسقاط احد الصامتين Haplologie في الافعال ، كما جاء في القرآن مثلا في اسطاعوا بدلا من استطاعوا وظلتم بدلا من ظللتم وقد حذفت التاء ليخف اللفظ كما يقول الازهري .

اما في الاسماء فقد يؤدي هذا المبدأ الى سقوط الهمزة في بعض الكلمات مثلا : الناس من الاناس ، والناقة من الاناقة ... الخ وقد يتعدى ذلك الى بعض الصيغ الجامدة ، فتصبح على عَ ، ومن مِ ، وبينما بينا ، في امثلة واردة في مفصل الزمخشري والاغاني .

ثم يشير الى الحصر الجاري في القياس الصرفي لبعض الاوزان في الافعال : كافعلّل ، وفي الاسماء كفُعلّل ، وفَعلّل ، وانما قلت هذه الامثلة كراهية للتضعيف كما يقول الزبيدي .

٢ – التنافر بين الصامتة والمصوتة . وقد يحدث نوع من القلب كراهية لالتقاء المصوتين ، كقلب العرض المؤدي الى الهمزة ، في قولك قائل بدلا من

قاول ، وبائع بدلا من باوع . وكذلك هي الحال في بعض جموع التكسير على وزن مفاعل وفواعل فنقول حوائض بدلا من حوايض وعجائز بدلا من عجاوز ، وجزائر بدلا من جزاور الخ ... وكذلك القول في الاوزان الاخرى ، كفعال ، وتفعال ، وفُعال ، وفِعال ، وافعال ، وفعّال ، وفُعّال ، فقد قلبت فيها الواو او الياء همزة في قولهم : سواء ، وتعداء ، وبكاء ، وكساء ، واعداء ، وبناء ، وغزاء الخ .

وقلب الجواز في الكلام على المشابهة بين الواو والضمة ، والياء والكسرة ، والالف والفتحة في قولهم : قوؤل — غوؤر على وزن فعول ، في همزة مع الضمة ... ويذهب قدامه في كتاب نقد النثر الى القول : وكل واو انكسرت في اول الحرف فهمزها جائز ، نحو وشاح واشاح الخ . .

ويتفرع عن هذا ما لوحظ عند بعض القبائل العربية من كسر اوائل الافعال المضارعة ، ولكن الجميع على كراهية هذه الكسرة

٣ — من حيث طبيعة الحروف الصامتة : وفيه يتكلم المؤلف عن ظاهرة سقوط الواو والياء الواقعين بين المصوتات . كسبيل لتفسير طائفة من المسائل الصرفية ، كسقوط الواو في قام واصلها قَ وَ مَ ورمى واصلها رَ مَ يَ في الافعال . وسقوط الياء في باعة واصلها بَ يَ عَ ة على وزن فعله ، في الاسماء . ثم يرى ان هذه الظاهرة طبيعية بالمقابلة بين اللغات السامية ، ويستدرك بان هذه القاعدة لا تخلو من شواذ في الشعر ، وربما في غيره ، اما الاحاطة بكل ذلك فغير ميسورة بالمعلومات التي بين ايدينا عن عصر ما قبل الاسلام .

وانه لمن الحق علينا ، وقد قدمنا للقارئ خلاصة هاتين الدراستين المفيدتين ان نقول ، ان ما اوصل اليه الدرس العميق ، والطريقة العلمية المتزنة ، مما تتصف به ابحاث الاب هنري فليش ، لجزيل النفع للباحثين في شؤون اللغة العربية وقواعدها من جهة ، وفي اصول علم التجويد من جهة ثانية ، فعسى ان يجنوا الافادة منها ، وذلك يحق افضل ما تثاب به جهود العلماء .

احمد مكي

المشرق
بيروت

السنة الخامسة والاربعون

تموز – ايلول ١٩٥١

تمهيد

لا يستطيع الفرد البشري ان يتحرر من الالم ألّا بفقدان حريته . هذا ما قاله بردياييف في كتابه « روح دوستويفسكي » .

اذا كان من المؤكد ان الانسان يستطيع ان يفقد كل شيء اذا ما صدمته اسباب خارجية قاهرة او احتياجات داخلية ، فمن المؤكد ايضاً ان لا شيء في العالم يستطيع ان يُفقده ذلك الكنز الحقيقي الوحيد الذي يملكه في الارض ، الا وهو حريته . لا المادة ولا المصنع ولا تعسف من اي نوع كان يستطيع ذلك . ولكن الانسان ذاته بوسعه ان يفقد حريته اذا رفض المحنة والالم الذي هو الطريق الى الحب .

اضعفته وحقرته المتناقضات ، واحزنته الخيانات التي يستهدف لها من كل جانب ، واستعبدته الضرورات اليومية ، وغلّته مطالب القوت اليومي المقلق ، وزعزعه التهالك المتواصل على اللذة التي لا تشبع جوعاً ولا تروي ظمأ ، واتخمته الاموال وخيور الدنيا ، ولكن الانسان ما برح في جوع ، يتشوق الى ابعد من كل ذلك مدفوعاً بقوة داخلية لا تُدرك ولا تُحدّ ، يتشوّق الى تحرير القيم التي تؤلف كيانه العميق ، الى تحرير حريته الانسانية التي تأبى الموت . وهذه الحرية ترفض اليأس ولا تعنو له . وكل انسان مهما كان معوزاً او مثرياً يدرك ان له في هذا المجال عملاً جبّاراً عليه ان يؤديه ، ويدرك ايضاً انه لن يؤدي عمله الحقيقي الّا من الداخل . ولهذا فان عالم اليوم الذي اقصى الانسان عن ذاته هو وحده المسؤول عن هذا الفراغ الذي نشعر بكثافته حولنا . عالم اليوم هو بحاجة الى روح . وكم يحاولون ان يعطوه اياها حين يعأون احساسه بالتسليات العابرة . ولكن ما تستطيع هذه التسليات امام هذه الحقيقة الجبارة ، حقيقة داخلية الانسان التي تقدر وحدها ان تجد الله فتعطي قيمة للانسان وللمدنية التي يمثلها . اقول يمثلها ، لانه احياناً لا يمثل شيئاً . ارادوا من الانسان ان يعتقد بان له في التكاسل واللهو والتغاضي ما يشبع متطلبات نفسه المتوثبة ، فقدموا له شاشة بيضاء ومرسحاً وملهىً ومخدراتٍ اخرى عديدة ، وتناسوا ان جوع الانسان هو روحي وانه في غير هذا الجو الروحي يختنق اذ يستولي عليه اليأس . وكم تجهر مدنيتنا عالياً بهذا اليأس . وكم من تآليف تحمل هذا العنوان . وسيطول هذا الى عهد ، ولكن اليأس لن يظفر في النهاية . لان الانسان سيستمد من شجاعته قوّة توجّهه نحو الينابيع التي تروي والاشعة التي تنير ، وسيجد وجهة مصيره في ما وراء المادة وما وراء المستعبدات . وما ذاك الّا لأنه سيجد حريّته التي لن يلاشيها شيء ، بعد ان حاول كل شيء ملاشاتها .

وهذه الحرية تنمو في مصهر الالم والبلاء . وهكذا تجد ذاتها مطهرة من كل مزيج ، محررة من الشر الذي يريد ان يخنقها في اللذة والمادة وفي كل ما هو غير الحب . والحب يظهر البلاء والالم .

- فاذا كان المسيح مات ليسترجع من اكف الشر حرية استعبدها الشر ، على الانسان ان يفهم ان ذلك لم يكن الّا امثولة له . فعليه ان يتبع المسيح عن كثب او فيشاركه عن كثب او عن بعد . ولكن من الداخل على كل حال ، يشاركه في الم الجبار . وهكذا يظفر بالتحرر الاكمل لذاته ولاخوانه البشريين الذين يؤلف معهم وحدة لا ينفرط عقدها . هذه هي الحقيقة الوحيدة . وبعد أليس من المؤكد ان الانسان الذي اصبح هكذا حرًا بالالم والمحنة يتعرف الى الفرح الذي هو نتيجة عراك ، وهل من عراك دون ألم ؟ قد يضمحل الجسم وقد لا يصبح غير غطاء شفّاف للنفس المسكينة المتطهرة البيضاء . ولكنه لن يوقف نهم الفكر الذي يتطلب المطلق وينشد الحرية الداخلية .

*

كم يحاولون اليوم ان يطعنوا حرية الانسان ويجردوه من هذا الخير الاسمى الذي يغار عليه ، وهو على حق في ذلك ؟ ألا يحاولون بكل الاساليب والوسائط ان يلاشوا معنى الحياة ، معنى الحب الحقيقي ، اساس الحرية ! اذا كنت تكلمت في العدد الثالث من المجلة عن فقدان تذوّق الحياة ، فما ذاك الّا لأن انسان اليوم فقد — ولن يفقد تماماً — معنى حريته التي هي اساس عظمته . لقد فقد العلاقة المباشرة مع الواقع المتحب ، المنتظر الخلاص ، وفي هذا الواقع ينبسط الصليب حتماً ، شئنا ام ابينا . ولكن انسان اليوم رفض ان يصغي الى النداء المتصاعد من الحياة الواقعية ولم يفقه منه سوى ما هو سطحي ثانوي .

*

وانما لضرورةٌ ملحة ان يتعاضد ذوو الارادة الصالحة ليقفوا سداً بوجه الشر الطاغي . انما لضرورةٌ ملحة ان تحتفظ المدنيّة بوجهها الانساني . وكيف تستطيع ذلك اذا كان وجه الانسان ذاته اصبح مشوّهاً . فمن كل الآفاق – لو تسمّعنا قليلاً – يتردّد نداء اخرس يدعو الى استرجاع معنى الحرية المفقود . ولن يكون للنداء جواب الّا بقدر ما يرضى انسان اليوم بان يمرّ بين خيور الارض دون ان يتوقّف عليها ، يرضى بألّا يتوقّف على المحدود المغوي لكي يصل ، عن طريق الالم المتواصل والعراك الداخلي الوجيع ، الى حريته الكاملة الملأى .

الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

من الخزانة الشرقية — بقلم حبيب زيات

دفائن الخزائن

ديوان محمد بن نصر القيسراني

التعريف

في دار الكتب المصرية مجلد صغير لا يتجاوز ٤١ ورقة في كل صفحة منها ١١ سطرًا بخط واضح جميل تتضاعف به لذة القراءة لولا ما ينغّصها احيانًا من اخترام الأرضة بعض الالفاظ ولا سيما في اسافل الصفحات وانتثار سلك النظم بضياعها وفي ما يلي الصفحة الستين نقص يسير لا يدرى مقداره بالتحرير لعدم رقم الديوان قبل التجليد ومما يزيد في قيمته ما ورد في آخره : « هذا ما اختاره محمد بن نصر بن صغير القيسراني من شعره » فلدينا اذن صفوة شعر القيسراني كما كان يراه هو بنظره الثاقب وصاحب البيت ادرى بالذي فيه ولا شيء في الختام يدل على اسم كاتبه او ناسخه وقد ذكر ابن خلكان انه ظفر بديوانه في حلب ونقل منه اشياء حسنة رائقة (وفيات الاعيان ١ :٣٦١ طبعة ١٢٩٩) وممن نقل عنه ايضاً ياقوت في معجم الادباء (٧ :١١٢–١٢١) وعماد الدين الاصبهاني الكاتب (خريدة القصر رقم ٣٣٢٩ من خزانة باريس).

واول المجلد في الدار (رقم ١١٨٤ ادب):

« قال محمد بن نصر بن صغير القيسراني يمدح الوزير الاجل جلال الدين صدر الاسلام ابا الرضى محمد بن صدقة انشده اياها بالجزيرة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة :

في طاعة الحب ما انفقت من عمري وفي سبيل الهوى ما شاب من شعري

(٣٥ بيتاً ص ٢–٧) وتليها امداح اخر لبعض الوزراء والقضاة والكبراء استغرقت سائر الصفحات ٨ الى ٤٨ لا ننقل منها شيئاً لضيق المقام بها هنا وتليها اوصاف واغزال قليلة تبلغ ٥٠ بيتاً ختمها بقوله في مجلسه ارتجالاً وقد سُئل ان يعمل على وزن ابن هانئ المغربي: « الصبر حيث الكلّة السيراء» فقال:

أرأيت ما فعلت بنا الصهباء   من حيث تسبي العقل وهي سباء

(١٩ بيتاً ص ٥٣ — ٥٥) وتأتي بعدها مقاطيع عملها عند قفوله من العراق الى الشام يتشوق فيها السكن والوطن وذلك سنة سبع وعشرين وخمسمائة نختار منها قوله في الانبار وفيه شاهد على انه كان مقيماً في دمشق وفيها توفي سنة ٥٤٨ ودفن بمقبرة باب الفراديس :

أنت بالانبار ذا لوعة   مقسومة بين حبيبين
اشتاق اهلي بدمشق وفي   بغداد حظ القلب والعين
ففي لفائي ذا فراق لذا   قل لي متى اخلو من البين (ص ٥٥)

وقد اكثر في هذه المقاطيع من الحنين الى الشام والتحسر على فراق بغداد فقال حين مرّ بجوراح [1] وسُوَى :

احب الشآم واهوى العرا   قَ فخلفي هوى وامامي هوى
فيا معشر الشام اشكو الفرا   مَ اليكم فهل عندكم من دوا

وقال ايضاً حين مرّ بديار بني عدي :

مررنا في ديار بني عدي   يجاذب لوعتي شرق وغرب
يتيمني بارض الشأم حب   ويعطفني على بغداد حب
غرام طارف وهوى تليد   لكل صبابة في القلب شعب
ولا وأبيك ما هوّمت الا   سرى لها خيال لا يغب
فكل هوى يطالبني بقلب   وهل لي غير هذا القلب قلب (ص ٥٩)

وقال ايضاً لما نزل بالزواجر :

ولما نزلنا بالزواجر هاجني   خيالان منها مُعرق وشآمي
فبتُ وهذا آخذ بشكيمتي   اليه وهذا جاذب بزمامي
تجاذبني الاهواء شرقاً ومغرباً   فقلبي ورائي تارة وامامي
وتسألني الحسناء عن طول غيبتي   فقلت لها عام لديك بعام
تباعد عن ذات السوارين روحتي   فلم يبقَ من لياه غير لمام
فيا انا ان بغداد هاجت صبابتي   بعثت الى دار السلام سلامي (ص٥٩—٦٠)

---

١) راح قاع في طريق اليامة الى البصرة (معجم البلدان ٢ : ٧٢٦ طبعة اروبة) ذكره ابو فراس فقال :

لقد اخذ السُرى والليل منا   فهل لك ان تريح بجوّ راحِ
(ديوانه طبعة الدكتور دهان ٢ : ٦١)

وسُوى اسم ماء لبهراد من ناحية السادة (معجم البلدان ٣ : ١٧٢)

ومن ذلك ايضاً :

أتت فلم يقض المنام لُبانــةً ... وسرت وقلبي عندكم غير سائر
اسائل اعلامَ السماوة عنكم ... فيخبرني عن بعدكم حجر الخرائي
فما رأيت الوجد ليس بنافعي ... زجرت فؤادي عنكم بالزواجر
وآنس مني لوعة القلب صاحبي ... فأسبل ماء الدمع بين المحاجر (ص ٦٠)

وهذه الابيات تدل على انه كان كثير التنقل لا تستقرّ به حال من القلق وانه وان كان عكاوي المولد حلبي المنشأ والتأدب بغدادي الهوى والمقام ظلّ دمشقي الدار الى يوم وفاتــه وكان قد عرضت له حاجة في انطاكية سنة ١١٥٥/٥٤٠ فدخلها وطاف بسككها واحيائها وغشي بيوت لهوها وحاناتها ومجالس قيانها وطرب لسماع غنــائهن العربي وطاف الكنائس ايضاً وشاهد الراهبات فيها والنساء الصليبيات والروميات ووصف كلّا منهن ابدع وصف واعذبه في مقطعات وقصائد له دعاها :

الثغريات

وهذا نص ما كتبه في مختاراته منها في مجلده بالحرف وقد روينا بعضاً منها في مقالتنا السابقة «النساء الفرنجيات في عهد الصليبيين» (المشرق ١٩٤٩ ، ج ١ : ٢—٣)
قال عند دخوله انطاكية ومروره بالمواصم يذكر مواضع استحسنها وهي الثغريات (ص ٦١)

فمن ذلك :

كم بالكنائس من مبتلّة ... مثل المهاة يزينها الخفر
من كل ماجدة لصورتها ... لو انصفت[1] سجدت لها الصور
قدّيــة في حبل عــاتقها ... طول وفي زنارها قصر
غرس الحياء بصحن وجنتها ... ورداً سقى اغصانه النظر
وتكلمت عنها الجفون فلو ... حاورتها لاجــابك الحور
وجلت مدارعها غدائرها ... فاراك ضحى ليلــه قمر

ومن ذلك في المكشوف احد هياكل انطاكية :

كم لي بانطاكية من هوى ... لا انثني عنــه بتعفيف
اذ لا أُجيل العين الا على ... جيش من الاقمار مصفوف
من كل بيضاء مسيحية ... ما عندها البدر بموصوف (٦٣)

١) في خريدة القصر للعماد الكاتب : لو انصفت .

تجري ثناياها اللآلي فما تلحظ طرفاً غير مطروف
فالعين خوف العين مصروفة عنها وما القلب بمصروف
هذا وكم وجه كشمس الضحى بالهيكل المكشوف مكشوف

ومن ذلك يصف انطاكية :

واحربا في الثغور من بلد يضحك حسناً كأنه ثغر
به قصور كأنها بيع ناطقة في خلالها الصور
هالات طاقاتهن آهلة ببسم عن كل هالة قمر
سوافر كلما شمرن بنا برقهن الحياء والخفر
من كل وجه كأن صورته بدر ولكن ليله شعر
فور اذا ما الساو حاربه كان لتلك الضفائر الظفر
فيا عذولي فيهن دع كلفي وانظر الى الشمس هل لها نظر (٦٣)
وكن معيني على ذوي خدع ان سالم القلب حارب النظر
سرت وخلفت في ديارهم قلباً تثبت انه بصر
ولم ازل اغبط النعيم بها للقرب حتى غبطت من أسروا

ومن ذلك :

أمعظمة الصليب وددت اني ودين الله عندكم صليب
اذا اقبلت قبلني حبيب أسر به وعانقني حبيب
وهل بيني وبين العود فرق يرى الا التفجع والنحيب
هبيني صورة يحنا عليها أجيب اذا دعيت ولا تجيب
فلم يسمع باطرف من فتاة من الرهبان قوتها اديب
فلو قديسها ناجاه لفظي لامسى والصليب له نسيب (٦٦)

ومن ذلك :

ماذا باطراف الثغر من بارق على ثغر
وما بانطاكية من بشر يسبي البشر
وكم بها من فتنة تلقاك في الف قمر
من ظبية تأنيثها ينظر من عيني ذكر
واغيد تذكيره له من العين الحور
حتى اذا اجلت في تلك الديارات النظر
لم تر الا صوراً ساجدة الى صور
سبحان من ابدعها جند القضاء والقدر

ومن ذلك :

. . . رى في الثغور من الثغور وفي نحر العدو من النحور

... نجمة باسم عفرد. ففي افواههم ... في الصدور (٦٥)
على اردانها قضبان ... غبن فاتنات اللحظ صور
اذا اتصت فاقطار الدراري وان مالت فاملاك البدور
فلو منطقتها بلى يديها حرت تلك الحصور على الخصور
سمين بن سكن بيوت شعر فامرزن المحاسن في الشمور
واسرجن النواظر في وجوه مترهة الخدود عن الخدور
تريك الحسن غير مبرقعات الا ما في البراقع من غرور
فلو خادعت طرفك لم تمرّج به الا عـلى أثر منير
فدعني من منـازلة البوادي في شغل بسكان القصور

ومن ذلك :

لقد فتنتني فرنجيّة نسيم العبير بها يعبق
ففي ثوبها غصنٌ ناعم وفي تاجها قمر مشرق (٦٦)
فان تكُ في عينها زرقة فان سنان القنا ازرق

ومن ذلك في كنيسة القسيان :

يا غزال الثغور بالقسيان انت من غال ذكره نسياني
اسأل السائلات عنك نهارا فاذا الليل جنّ جُنّ جناني
كيف يصغي الى السلوّ جماحي بعدما اطلق الغرام عناني
حبذا يوم باكرتنا الزنا نير تربنا القضبان في الكثبان
وعلى موقف الاساقف ظبي يفرس الأسد من بني الفرسان
غصن نابت من المرس المنضو دِ في غير منبت الاغصان
اخرته النفوس عن . الصد رِ وحطته في صدور الاماني .
..... عليّ به الدهر فيا هل لذلك اليوم ثان (٦٧)
فارى من اراني الشـــ شا سا على الارض تالي الالحان

وقال في كنيسة السيدة وهي قبة شاهقــة البنيان عجيبة الوضع لنصارى نطاكية خاصة دون الافرنج :

اني رأيت بانطاكية عجباً معرّس الفكر فيه غير مشترك
على اسم مريم فيها هيكل صلف سماؤه ذات انوار من الحبك
تدري اذا اذن الناقوس معركة لعسكر الحسن فيها اي معترك
ناهيك من صورة تنمو لصورتها حسناً ومن ملك يومي الى ملك
لما رأيت بها الاقمار طالعة عجبت كيف اقاموا قبة الفلك (٦٨)

ومن ذلك فيها ايضاً :

أصاح متى عُجتَ بالسيدة فسَلْ عن فؤادي ا فقده

وقلبَ حذّره من ان يُحا   دَ فان حا للهوى مصيده
وجوه تباهي قناديلها   بهجة نيرانها الموقده
ترى كل مستضعف خصره   اذا ما دعا طرفه اغده
وذات روادف عند القيا   م تحسبها انها مقعده
وبدر من الشعر في غاسق   يضاحك ابيضه اسوده
فيالي من ذلك الزبرقا   ن اذا زرفن الليل او جعّده
على حيال اذ ما رأيت   امرده قلت ما امرده
سرّح عين كخيل الظبا   تمالج غادته اغيده
به كل نشوانة لحظها   يطرّق بين يدي عربده
صوارم قاطعة في الجفو   ن فهي مجرّدة مغمده (٦٩)
فيا انا من في سبيل الغرا   م اورده الحب ماءً اورده
فهل لدمٍ فات من طالب   وهيهات اعجز يوم غده
وكيف يجازى بقتل النفو   س من لم يمدّ اليها يده

ومن ذلك في بربارة وهي كنيسة للافرنج خاصة :

فديتكَ يا قسّ بربارةٍ   وما بتّ تتلوه في الحندس
أجرني من الصور الناطقا   تِ متى قمن حولك في مدرس
اذا هنّ اقبلن وقت الصلا   ة في كل لون من الاطلس
وجالت مناطق اوساطها   وضاقت بها حلل السندس
وأجلسها ثقل اردافها   فيا لي من ذلك المجلس
فلولا التحرّج في ملتي   طلعت عليهن في برنس (٧٠)
وقمت أُلحّن قدامهنّ   م غير بليد ولا اخرس
ولم تكُ فرسانها في الطعا   نِ باشجع مني ولا افرس
الا حبذا ما استثار الهوى   بتلك الكنائس من كُنّس
ترى كل فاتنة وجهها   مرّى بشمس الضحى مكتسي
تكاد التماثيل من حسنه   تنور بناطقة الانفس
فرنجية ساكن عقدها   وزنارها قلق المجلس
اذا قبّلت صورة اقبلت   عليها بناظرها الاشوس
فيا ليتني عندها دمية   تراني ولا ريب في ملمسي
فأقسم لو انني استطيع   تحولت صورة مرجرجس (٧١)

ومن ذلك في اشمونيث وهي للفريرية والنصارى :

لو كنت ثالثنا باشمونيثا   حتى ترى التوحيد والتثليثا
لرأيت منا اعيناً طمّاحة   تستحسن التذكير والتأنيثا
... محض يجاذب ردفه   فكأنه احتلب الرمال الميثا

ومهفهف لعب الصبي بعوامه | حتى توهمت الشباب حديثا
لما سألت علالة من ريقه | ملأ الزجاجة ثم جاء حثيثا
قلت اسقيني من فيك ان رضابه | قد رد اطيب ما حملت خبيثا
قال اعتبر قرع المزاج نسيه | ما عند ثغري تهم الثالوثا
وبدا يناظرني به عن دينه | فقطعت ليلا بالجدال مكيثا
فحدى عيسى بالصلاة واطنق | لوطا وتذكرنا المدامة شيثا
والبدر مبتسم كرجه خريدة | قرنت به فرعا عليه اثيثا
يا ليلة افردت طرفي فجرها | عتقا يكون به المطي حديثا (٧٢)

ومن ذلك في دير سمعان وهو على فرسخين من انطاكية لهم به اجتماع في عيد الصليب :

يا هل سمت بدير سمعان | وما به للعيون من عان
أموقف للصلاة هيكله | ام منبت من منابت البان
في كل غصن تفاحتا خجل | تلفاك من مثله ببستان
من ذات بشر يلوح في بشر | وذات جان علا على جان
يرمي فيصمي عن غير نائلة | ما كل قوس ترمي بإرنان
في ليلة لم تزل ... حرقي | نافح نيرانهم بنيران
كأن بهرام من توقدها | بات زعيماً بحرب كيوان
نار ونور كأن انسها | في الليل ما آنس آل عمران (٧٣)
حتى انجلى الصبح في كآبتها | عن كل نشوانة ونشوان
تسجد للشمس وهي مرضة | في الافق عنه بوجه غيران
وانصرفوا والفؤاد افئدة | مع كل نصرانة ونصران
يا حسن عيد الصليب لو ان | كان الدهر فيهم اعياد صلبان

ومن ذلك في جارية من مولدات انطاكية اسمها ماريا من احسن الناس خَلقاً وخُلقاً تغني بالدف ومن اصواتها التي تغايظ بها النصارى وتستميل قلوب المسلمين :

علقت بحبل من حبال محمد | امنت به من طارق الحدثان

تعني النبي صلى الله عليه وسلم

ألا يا غزال الثغر هل انت منشدي | علقت بحبل من حبال محمد (٧٤)
ويا هل لذاك اليوم في الدهر ليلة | تعود ولو عادت علينا بلا غد
فالنتاك فيها هادي الكأس حاديا | وحسبك من ساع بها ومغرّد
الا حبذا عاري المحاسن عاطل | علّى بانواع الملاحة مرتد
اذا ما الاماني ما طلتني بوعدها | ذكرت له وصلاً على غير موعد

وقد نام عنا الدهر حتى كأنه عداة التقينابات شارب مرقد
فيا حسن ذاك الوجه اذ ريع روعة تمزّقه منها بتصليبة اليد
وعهدي بها ريا سقى الله عهدها بما عندها من حاجة الهائم الصدي
وفي ذلك الزنار تمثال فضة تنقط خديه العيون بعسجد
وقد غلب المصباح منها على الدجى سنا قمر في جنح ليل مجند
وكنت اذا عفت الزجاجة موردًا ستقني رضابًا في اناء مورد
فيا لي من وجه كقنديل فضة عليه من الصدغين محراب مسجد (٧٥)
لقد اسرتني حيث لا ابتغي الفدا فقل في اسير لا يسرّ بمفتد

ومن ذلك فيها :

اذا ما زرت ماريًا فما معدى وما رئيا
فتاة كقضيب البان يثنيها الصبى طيا
تلوّى كالمواعيد اطالت عمرها ليا
لها وجه مسيحيّ ترى الميت به حيا
اذا ما قابلته الشمس لم تبصر له فيا
فيا احسن من اعرض ادلالًا ومن حيا
اثنين وحياك فتى قلت له هيا
فلو يظهر وسم الحب ابصرت له كيا
هوى الا يكن رشدا فما احسنه غيا (٧٦)

ومن ذلك في خمارة بجسر الحديد على باب انطاكية :

ان كان لا بد من السكر فمن يدي خمارة الجسر
خمارة تطلع من خدرها جمّارة بيضاء من خمر
تمشي فتسعى الراح في راحها تهديهنا الشمس الى البدر
حتى اذا دارت على شربها الحاظها اغنت عن الخمر
ما زرتها الا وباتت يدي اولى من الزنار بالخصر
وبت اسقى من جنى ريقها كأسًا من الثغر الى الثغر

ومن ذلك :

واحيائي وقد مررت بحُمّ من مسيحية دعتني بعمي
ابن عمر الشباب ايام اد عوها صبيًا بجدتي وبامي (٧٧)

ومن ذلك :

عرّجا بالاثارب كي اقضي مآربي
واسرقا نوم مقلتي من جفون الكواعب
واعجبا من ضلالتي بين عين وحاجب

رب كأس ... من ... الحباب
اسكرتني ... ساعل العراب

ومن ذلك وقد اجتاز بعزاز من ضواحي حلب وهي مع الافرنج :

اين عزّي من روحتي عزاز وجوازي على الظباء الجوازي
واليعافير ساحبات الذيل فيها علينا كالزبرب المجتاز
بعيون كالمرهفات المواضي وقدود مثل القنا الهزّاز (٧٨)
وثغور تقلدت شذور ريقها ذوب سكر الاهواز
ووجوه لها نبوة حسن غير ان الإعجاز في الأعجاز
كل خمصانة تثنت طرف الز نار من تكة على هواز
ذات خصر يكاد يخفى على القا ومن منه مواقع الهاز
لاحظتني فانقضّ منها على قلبيَ طرف له قوادم باز
وسبتني لها ذوائب شعر عقدتها تاجاً على ابرواز
من معيني على بنات بني الاصفر غزواً فانني اليوم غاز

ومن ذلك :

احبن سالي في السلوّ سبيل توكل لي بالاخترين(١ وكيل
اغنّ ضعيف الخصرين جفونه من اللحظ ماضي الشفرتين كليل
له خيمة بالتلّ غير وخيمة يفيء لها ذل عليه ظليل (٧٩)
تدافع عنه غيرة الشمس بالضحى والظبي في ظل الكناس مقيل
يقولون لي نوم الطليل مشرّد فلم نال منه الطرف وهو عليل
يسائلني ما حاجتي وهو عالم ورب جواب ما اليه سبيل
واطمع منه في الوصال ودونه دلال على الهجران منه دليل
متى سمحت عين لعان بفدية فلا فاتني من ذا الجمال جميل

ومن ذلك في مولّد من مولدي الافرنج ابصره بباعو من بلاد الشمال :

وشحنة كالهلال في باعو عيناه جند لـه واتباع
والٍ والبانيا ولايته ومُقطع والقلوب اقطاع
اذا بدا اذعنت له حدق وان شدا ملكته اسماع
يجسّ اوتار عوده بيد ابتاعها بالنفوس ابتاع (٨٠)

قال وقد اقتُرح عليه الوزن والمعنى :

لا تخدعنّ ذا الحسام المرهف الا الذي يملوه جفن اوطف
واذا رأيت الطرف يسلل في الحشا عمل الاسنّة فالنوام مثقف
ويح المحب اما يخالس نظرة الا هفا بالقلب ظبي اهيف

---

١) الاخترين من قرى حلب

باالله يا نفحات انفاس الصبا ما بال غصن البان لا يتعطف
يا مُسكري وجداً بكاس جفونه قل لي انالك لواحظ ام قرقف
بادر جمالك بالجميل فربما ذوت الملاحة او أبلّ الموقف
واسبق عذارك باعتذارك قبل ان يأتي بعزل هواك منه ملطف

وقال ايضاً :

يا عارضاً نفسه وعارضه يضرب دون الوصال بالحُجُب
ابنت منه لـلوتي سبباً يا هاجري قبل ذا بلا سبب (٨١)
فالقَ به قطع كل ذي صلة هذا كسوف بعقدة الذنب

وقال :

اودعتكم قلبي وودّعتكم لا آمن البعد على قلبي
وعدت ادعو الله في قربكم وقد أُجيبت دعوة الرب
فاعتبروا مشتاقكم في الهوى هل زلّ عنه خاتم الحب

وقال ايضاً :

من لقلب يألف الفكرا ولعين ما تذوق كرى
ولصبّ بالغرام قضى ما قضى من وصلكم وطرا
ويح قلبي من هوى قمر انكرت عيني له القمرا
حالفت اجفانه سنة قتلت عشاقه سهرا
يا خليلي اعذرا دَنِفاً يصطفي في الحب من عذرا (٨٢)
وذراني من ملامكما ان لي في سلوتي نظرا

وقال ايضاً :

كلما خالسته نظري رد جفنيه على حَوَر
وابلائي من مفوّقة ليس ترمي النابَ عن وتر
كيف لا تصمي واسهمها واقعات من يد القدر
بأبي من في عمامته قمر في هالة القمر
يا عديل النفس محتملاً وتزيل الطرف في الحضر
انت من هذا المحل وذا ابداً في وحلتي سفر

وقال ايضاً :

ويلاه من قلبه صخرة في زند قلبي ابداً قادحة
كأنما كأس جنى ريقه بعد الكرى نافجة نافحة (٨٣)
تالله هل في خده حمرة ام خمرة ام جمرة لافحة
لو لم تكن مقلته في الحشا جارحة ما سميت جارحة
تقضي صلاتي كلها باسمه فلا تسل عن سورة الفاتحة (٨٤)

هذا آخر ما اختاره محمد بن نصر بن صغير القيسراني من شعره

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

بدء الدولة السلجوقية في فارس

في السنة ١٣٤٧ لليونان (١٠٣٦ م) برز قوم من الهونيين او الترك ومعهم امراء سلجوقيون من مرقانة مدينة بارض الخزر شمالاً. وقد كتب عنها بالتفصيل مار ميخائيل البطريرك القديس قال: هم بنو ماجوج بن يافث بن نوح. عنهم تنبأ حزقيال اذ قال: «هكذا قال السيد الرب هنذا اليك يا جوج رئيس روش وماشك وتوبل. فأديرك وأجعل حلقة في فكك وأخرجك انت وجميع جيشك خيلاً وفرساناً من كلّ لابس. ثياباً فاخرة جمعاً كثيراً ذا مجانب ومجانّ من كلّ قابض سيف. ومعهم فارس وكوش وفوط. وكلهم ذوو مجانّ وخُوَذ. ومعك جومر وجميع جيوشهم وآل توجرمة واقاصي الشمال وجميع جيوشهم وشعوب كثيرون... فانك بعد ايام كثيرة تُفتَقد وفي آخر السنين تأتي» (حزقيال ٣٨ : ٣—٢٨).

وقد طالعتُ انا الحقير كتاباً فارسياً عنوانه «ملك نامه» ذكر مؤلفه انه سمع اميراً كبيراً وشيخاً هرماً اسمه اينانج بك يقول: لمّا ظهر بيغو خاقان الخزر كان بخدمته رجل محاربٌ اسمه توقاق أُطلق عليه بسبب بسالته لقب تمورياليغ اعني صاحب القوس الحديدية. فهذا ولَد ابناً أسماه سلجوق. وبعد زمن وجيز (٢١٨) مات الامير توقاق فاحتضن الخاقانُ سلجوقَ وربّاه في بلاطه وأحبّه حباً جمّاً. وزار سلجوق يوماً الخاقان كعادته فخامر الملكة ريبٌ في أمره وقالت للملك: يخال اليّ ان لهذا الصبيّ دالّةً كبرى عندك الآن. فما يكون من أمره يا ترى متى نمى وترعرع؟ وقد اطلع سلجوق على ذلك

سرًا فخرج خفيةً مستصحباً ابناء قبيلته وارتحل في خيل وإبل وغنم وبقر كثير من ارض توران التركيّة الى ارض ايران الفارسيّة شكل راعٍ . ولما شاهد بلاد فارس عامرة بالمسلمين عقد مشورة مع رجاله وقالوا : إلمَ ننضمّ الى دين ابناء البلاد التي عِشناها لا يتبعنا احد بل ننقص ونبقى منعزلين . ثم اتفقوا وارسلوا الى مدينة زندة بخوارزم وهي قريبة من البرّية التي اناخوا بها وسألوا سلطانها ان يرسل اليهم معلماً يلقّنهم عبادة الله عزّ وجلّ . فلبى طلبهم وسيّر معهم شيخاً في الطائف وهدايا فانضمّوا الى الاسلام . واقاموا ثمّ اعواماً ونموا وكثروا جدًا . ورُزق الامير سلجوق اربعة بنين ذكور وهم : ميخائيل وبيغو وموسى وارسلان . ورُزق ميخائيل ابنان : محمّد طغرل بك وداود جغري بك . وحشد جغري بك عسكرًا كثيرًا من التركمان وزحف الى بعض بلاد ارمينية وخراسان وغزاها وعاد يخبر اخاه طغرل بك ويقول : ان ههنا سلطانين كبيرين . خوارزمشاه هرون ومسعود بن محمد بن سبكتكين ولا سبيل الى التغلب عليهما . فالاجدر ان نرحل الى خراسان وارمينية لانه ليس فيهما من يعارضنا كما عرفتُ . فامتثل اخوه المشورة ونهضا وعبرا نهر جيحون ووصلا الى مدينة دمقان وافتتحاها . واستأنفا الزحف الى مدينة سمنان وقهرا كذلك (٢١٩) الجيش العربيّ والفارسيّ ودخلا مدينة الريّ وأخرباها بأسرها . ثم زحفا الى قزوين فامتنعت عليهما ففرضا عليها الجزية وارتحلا .

اما ما ذكره الشيخ المغبوط (البطريرك ميخائيل) عن كلبٍ كان يهديهم مذ غادروا وطنهم فلم نعثر عليه في غير تاريخه . ولعلّه نقل الخبر عن السماع او عن تاريخ لم نظفر به نحن لاننا لم نطالع التواريخ باجمعها .

وفي السنة ٤٢٧ للعرب (١٠٣٥ م) ماتَ الطاهر خليفة مصر بداء الاستسقاء وظلّ هذا الداء متأصلا به منذ صباه مدّة عشرين سنة . وخلفه المستنصر ابنه وعقد هدنةً مع ميخائيل ملك الروم وأطلق خمسين الف مسيحي كانوا معتقلين في مصر . ورخّص لملك الروم ان يجدّد بنيان كنيسة القيامة باورشليم . فوجّه الملك رجلًا خبيرًا في كمّيّة وافرة من فضة وذهب فرمّمها كما كانت من قبلُ .

وفي هذه السنة توفي الشيخ الرئيس ابو علي حسين بن سينا . تاجرَ بالوزنة الارسطوطاليّة فربح خمسين وزنة بدلاً من خمس وزنات . وكان ابوه من بلخ ثم انتقل الى بخارى واستوطنها وحينما بلغ ابنه الخامسة من سنه وضعه في المدرسة . ولما اكمل العاشرة أحكم القرآن والقراطيق واللغة العربية . واخذ يختلف الى حانوتيّ بائع بقلٍ يأخذ عنه رقم الحساب الهنديّ . ثم يمّم بخارى الفيلسوف ناتلي وجعل يدرّسه الايساغوجي . ولمّا وصل الى تحديد الجنس الذي يُطلق على انواعٍ كثيرة قال لمعلمه : هل يُطلق الجنس على كلٍّ من الانواع فردًا فردًا ؟ (٢٢٠) قال المعلم نعم . اعترض الفتى فقال : اذا سألني سائلٌ مَن هو الانسان وقلتُ له هو حيوان فقط فهل يكون جوابي صائباً ؟ قال المعلم نعم . ناقضه التلميذ وقال : لستُ اوافقك اذ لستُ بلا رويّةٍ حتى اذا سألني سائلٌ عن الحيوان الناطق مَن هو اكتفي بالقول : انه حيوان وأسكت . ومنذ إذٍ ترك المعلم وجعل يطالع على حدة ويتفهم ما يقرأ . ولما بلغ السادسة عشرة نبغ في الطبّ حتى اخذ شيوخ الاطباء يختلفون اليه ويقرأون عليه . ثم جعل يعودُ المرضى حتى احكم معالجتهم .

ولما بلغ الثامنة عشرة صنّف كتابه الكبير المشهور بالقانون واردفه بكتاب الشفاء الضخم في علوم الفلسفة الاربعين واتى عليه في عشرين يوماً وضمّنه علوم الطبيعيّات والالهيّات . وبلغت تآليفه المشهورة المتداولة اثنين وتسعين كتاباً وضع اغلبها وهو في السجن . ونقلت انا الحقير عن العربية الى السريانية كتابه البديع « الاشارة والتنبيه » . وقد قبض عليه في اثناء فتنةٍ اثارها اميرٌ على الامير الذي كان يخدمه وحُبس في حصنٍ قال لمّا دخله : لا ريب في دخولي هنا اما خروجي منه فهو في ريبٍ اكيد . وظلّ محبوساً اربعين يوماً حتى وافى اميرُه واحتلّ الحصن وأطلقه . وحُبس غير مرّة ايضاً . وعلى غزير فضله فقد كانت القوة الشهوانيّة متغلّبة عليه فضعف جسمه بسبب ذلك وانحرف مزاجه وانتابه داء القولنج في اواخر ايامه فاحتقن ثماني مرات في يوم واحد وأوصى خادمه ان يلقي في الحقنة دانقين من بزر الكرفس لكنه ألقى خمسة دراهم (٢٢١) فحدث له قرحة في الامعاء وانتابه صرعٌ قد يتبع القولنج احياناً . وأمر

ان يركبوا له علاجاً وضع فيه خادمهُ كمية وافرة من الافيون استعمله غير مرة حتى خمدت حرارته الطبيعية واغمض عن المعالجة وقال : ان مدبّر جسمي قد كلّ عن تدبيره ولن يستطيع الى شفائي سبيلاً بعد . وظل كذلك بضعة ايام حتى توفي ودُفن في همذان وعاش ثماني وخمسين سنة .

وفي السنة ٤٢٩ للعرب (١٠٣٧م) زحف الغزّ تكراراً الى ارمينية وقتلوا خلقاً كثيراً من اكرادها وعربها واحتووا على غنيمة وافرة . ثم زحفوا الى اورمية باذربيجان فانحدر اكراد الجبل وناوشوهم فانتصر الغزّ وأجهزوا على عدد وافر منهم .

ولما رأى الامير ابن وثّاب صاحب سورية وارمينية انه عاجز عن مقاتلة الروم والاتراك معاً عقد الصلح مع الروم وتخلّى لهم عن الرها فاستعمروها وازدادوا فيها .

وفي السنة عينها دوّخ الغزّ مراغة واحرقوا مسجدها الكبير وقتلوا واعتقلوا الكثيرين من اهاليها . فاحتشدت قبائل اكراد الجبل وناوشوا الغزّ واخرجوهم عن اذربيجان وانقلبوا تكراراً الى خراسان ودوّخوا طوس وفتكوا باكثر من مائة الف نسمة . وقتلوا في ضواحيها نحو عشرين الفاً واعتقلوا نحو مائة وخمسين الفاً . فزحف اليهم سرباشي سلطان خراسان في ثلاثين الف فارس فانكسر وانهزم واتجه الاكراد نحو نيسابور وحاولوا نهبها فنهاهم طغرل بك بسبب دنوّ صوم رمضان . ثم أشخص الخليفة القائم سفيراً اليهم يعاتبهم ويقول: كيف يجوز لكم ان تعاملوا العرب ابناء دينكم مثل هذه المعاملة ؟ واعتزم جغري بك ان يحاصر نيسابور بعد الصوم فصدّه طغرل بك (٢٢٢) تنفيذاً لرسالة بعث بها اليه خليفة بغداد الاكبر . فناهضه جغري بك . فأخذ طغرل بك سكيناً وقال له : اذا فعلت هذا انتحرتُ فسكت واستنزف خمسمائة الف درهم من اهاليها وعدل عن حصارها .

وكتب طغرل بك جواباً الى الخليفة هكذا : من طغرل بك بن ميخائيل عبده وخادمه . وكتب مثله تزل صبره زوج اخته هكذا : من تزل بن يحيى عبده وخادمه . وامتنع جغري عن الكتابة . وسار طغرل بك الى نيسابور

وجلس على عرش السلطان مسعود . واقام جغري بمدينة سركس ونزل صهره بمدينة الريّ .

وفي السنة ٤٣٠ للعرب (١٠٣٨ م) اثلجت في بغداد وظلّ الثلج بعلوّ شبر في الشوارع اياماً تبعه في كانون برد شديد وجمدت المياه ستة ايام . وفيها جيّش السلطان مسعود جيوشاً ضخمة من فارس الداخليّة ومن الهند الخارجيّة وأطبق على الغزّ بجانب مرو — رود وقهرهم وقتل نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة وانهزم البقيّة الى الصحراء مع طغرل بك وجغري بك . واستقرّ السلطان في خراسان نحو سنتين وترك جيوشه هناك وعاد الى غزنة بخوارزم . وما ان سمع الغزّ حتى زحفوا تكراراً الى خراسان عام ٤٣٢ للعرب (١٠٤٠ م) واحتلوها دون قتال واحتلوا اذربيجان كذلك .

وفي هذه السنة زحف الروم الى سورية فلاقاهم الامير انوشتكين بجوار حماة وتغلّب عليهم واوثق ابن عمّ الملك وقتل حاجباً كبيراً .

وارتحل في السنة عينها السلطان مسعود الى الهند كعادته في الشتاء هرباً من برد خوارزم الشديد ونقل نساءه واهل بيته واخاه محمدًا الضرير الذي سبق فسمل عينَيه يوم كانا (٢٢٣) نازلين عند نهر حالم . ووثب انوشتكين على مسعود في الف عبد واوثقه ومضى به الى اخيه محمد الضرير واجمعوا على ان يملك الضرير . فقال الضرير لاخيه مسعود : لستُ اصنع بك ما صنعتَ بي ولكن اختر لك مكاناً تذهب اليه فيمن تشاء من ذويك . فاختار مدينة كاسا وانتقل اليها مخفورًا بمظاهر التكريم . وبعد هذا تشاور الزعماء وانتزعوا بحيلة خاتم محمد الضرير وارسلوه مع بعض الجند الى حاكم كاسا ففتح لهم الباب فدخلوا واجهزوا على السلطان مسعود . وكان مودود ابنه في خوارزم فلما سمع بما جرى لابيه حشد خمسة آلاف رجل ووثب على عشرين الفاً كانوا مع عمه فانتصر عليهم وقتل عمه . وثقب مفاصل قَتَلَةِ ابيه وربطها بالحبال فسحبهم الجند على الارض حتى ماتوا . وانقلب هو الى غزنة واستقرّ في ملك أبيه سوى خراسان واذربيجان اذ كانتا للاتراك .

وفي السنة ١٣٥٣ لليونان (١٠٤٢) و٤٣٣ للعرب توفي ميخائيل ملك الروم

دون عقب . وتولى شؤون المملكة ابنتــاه زواي وثيودورا ثلاثة اشهر . ثم عقد الاقطاب المشورة وانتقوا منهم ثلاثة اشخاص كفوئين وكتبوا اسماءهم في اوراقٍ وضعوها في صندوقة وختموهــا بالشمع وأحضروا صبياً مدّ يده واستخرج احداها وبها اسم مونوماخس . فزفّوا اليه ثيودورا المــذكورة ونادوا به ملكاً باسم قسطنطين . وأسنت ثيودورا لاختها زواي تسعة قناطير ذهباً بدلًا من المُلك . وكان قسطنطين هذا متّصفاً بالشهامة والسخاء ومصاباً بداء النقرس .

وفي السنة ٤٣٦ للعرب (١٠٤٣ م) حدثت زلزلة مريعة في تبريز (٢٢٤) قوّضت قلعتها وسورها واغلب دورها وحمّاماتها واتلفت تحت الانقاض خمسين الف نسمة . اما صاحبها فقد افلت من النائلة لانه كان متفيئاً في الحديقة . فلبس المسح وجلس على الرماد حداداً على خراب المدينــة . ثم انهزم فتحصّن في احدى مدنهِ خوفاً من الغزّ الــذين استحوذوا على خوارزم . وتولى خراسان ابرهيم بن يوسف اخو طغرل بك من أمه . وكتب رسالة الى بغداد مؤدّاها : ان شاهنشاه الكبير اعني طغرل بك الساجوقي ملك الملوك قد احتلّ خراسان وخوارزم وهو مصمّم ان يوجّه الجيوش الى بغداد اذ بلغه تعدّي المدّيين على الحجّاج المتوجّهين ليسجدوا في بيت الله واكثارهم من السبي والنهب . فيجب ان تستقبلوهم بالتكريم والعطاء كما تستتبّ الطمأنينة في كل الاطراف . ثمّ رسم على الرسالة شكل قوس وسهم وبعث بها مع سفيرهِ .

وسقط في هذه السنة بَرَد ضخم وزن الحبة رطــلًا بغدادياً او رطلين واكتسح اكثر من ثلاثين قرية بضواحي بغداد .

وفي السنة ١٣٥٤ لليونان (١٠٤٣ م) ظهر في بلاد الروم ميناخوس الخارجي وانضمّ اليه نحو عشرين الفاً . فوجّه الملك قسطنطين اليه كرسطفور الحاجب في اربعين الفاً فاجهز عليه وعلّق رأسه في قصبة واركب اكثر من مائتي رجل من اصحابه على حميرٍ موثقين ووجوههم معكوسة في اذناب الحمير . وجعل في جبين كل منهم اربع خصى ورئة وكبداً من اعضاء القتلى . وأمر المنادين ان ينادوا امامهم في شوارع العاصمة : هذا عقاب من يعصى الملك ويتمرّد عليه . وبعد

هـذا أشفق عليهم وسرّحهم وهو يقول : اذهبوا الى حيث شئتم . ودفع الى كلّ من الجنود سبعين دينارًا او خمسة وثلاثين دينارًا مكافاة لجهادهم .

وفي السنة ٤٣٥ للعرب (١٠٤٣ م) (٢٢٥) وجّه طغرل بك سفيرًا الى الخليفة القائم يقول : اني خادم لإمام الدولة العربية . وقد اذعت المناداة باسم الخليفة في البلاد التي ملكتُها . وأنقذت الناس من مظالم السلطان محمود والسلطان مسعود اللذين سبقاني ولستُ أضعف منهما . فقد كانا هما من عبيد الخليفة ثم استبدّا بالسلطنة . اما انا فاني حرّ ومن عترة الملوك الهونيّين . فاذا عززتموني مثلهما اصبحتُ افضل منهما بطاعتي وتقادمي .

قيل ان طغرل بك كان يجلس على كرسيّ عالٍ ووراءه تروس وارماح وامامه قوس معتبرة وبيده سهان يلعب بهما . وكان يلبس ثيابًا بيضاء قطنيّة ويصوم يومَي الاثنين والخميس ويثابر على تلاوة الصلوات الخمس . ووصف أقضى قضاة بغداد ذكاءه فقال : لمّا زرتُهُ بنيابة سفير كتبتُ رسالةً سريّةً الى بغداد اوردتُ فيها عبارات عن عتوّهِ وفظاظتهِ وريائهِ في صلاتهِ وهجرتُه هجرًا مرًّا . ودفعت الرسالة الى رجل من امانتي فسقطت منه عفوًا وعثر عليها احدهم ونقلها الى طغرل بك . فاطّلع على كلّ ما بها وظلّ يؤانسني ويكرمني . ولم اشعر بما جرى حتى أطلعني على الحقيقة كاتب صديقي كنّا سائرَين معًا في الطريق فأكّد لي ان ناقل رسالتي الى طغرل بك قد أضاعها في الطريق .

واعتاد الجنود ان يتوافدوا كلّ يومٍ فوجًا فوجًا ليؤدّوا الطاعة لطغرل بك . يتألف كلّ فوج من الفي شخص . وكانوا ينحدرون عن خيلهم من بعيد ويقبّلون الارض ويقفون . ثم يشير الحاجب اليهم بان تحيّتهم قد قبلت . فكانوا يقبّلون الارض ثانيةً ويركبون وينصرفون فيأتي فوجٌ ثانٍ . ولم يكن يدنو منه احدٌ او يحادثه . وتعوّد الجنود التخريب والسبي والقتل اينما اتّجهوا . ولم يسع الناحيةَ التي يقيمون بها احتمالهم اكثر من اسبوع واحد بسبب كثرتهم . وطالما اضطرّوا ان يتوجهوا من ناحية الى ناحية انتجاعًا لقوتهم وعلف خيلهم .

وساروا في تلك الغضون وعاثوا في بلد نصيبين وميافرقين وسنجار والخابور

وقتلوا في آمد ريك حاكمها ، ثم زحفوا الى الموصل وطالبوا معتمد الدولة صاحبها خمسين الف دينار ليتركوها وينصرفوا . فلم يلبِّ الطلب فاحتلّوا المدينة وانهزم هو من بابٍ تحت الارض ينفذ الى دجلة . وقصد الغزّ داره واحتووا على ما ساوى مائتي الف دينار واقتسموا سبع عشرة نسائه العربيات والكرديات وجواريه الكثيرات . ثم نهبوا المدينة سوى حي شهرسوي فان اهله ادّوا لهم خمسة عشر الف دينار. واشترى نساء معتمد الدولة آباؤهن واقام الغزّ ولاةً في الموصل وانطلقوا الى مدينة بلد فامتنعت عليهم .

وتحرّش احد الغزّ بعد ايام وجيزة بصبي موصلي وطعنه بالرمح . فسخطت امه وكانت صخّابة مهذارة فلطخت وجهها بالدماء وخرجت تنادي في الشوارع ان الغزّ قتلوا ابني وابنتي واوقعت صيحة عظيمة استفزّت العرب فوثبوا الى الغز وقتلوهم . فبادر سائر الغز من بلد الى الموصل واثخنوا في الفي شيخٍ وفتى وظلوا اثني عشر يوماً يغزون ويقتلون. وكانوا يقولون لكلّ من قبضوا عليه : اشترِ نفسك . هكذا استنزفوا كلّ ما كان في الموصل من فضّةٍ ظاهرًا وخفيًا ثم نادوا بالامان . وبعثوا الفلاحين الى مزارعهم وامروهم ان يحرثوا اراضيهم . وما مرّ القليل حتى استجمع المعتمد قواه وحشد المدنيين وناوش الغز وقهرهم وقتل منهم خلقاً كثيرًا وانهزم من تبقّى منهم الى اذربيجان .

وفي سلخ تشرين الاول ١٣٥٥ لليونان (١٠٤٤ م) توفي ابو الفرج الراهب النسطوري والفيلسوف الفاضل الحميد الاثر . وقد نقل (٢٢٧) العهدين القديم والجديد وتصانيف ارسطو الى اللغة العربية . وتطرّف لذمّ جثالقة النساطرة بسبب تغاضيهم عن العلوم البيعيّة وغيرها . غير انه فيما اظنّ لم يكن متضلّعاً من السريانيّة اذ عثرتُ في بعض شروحهِ على اغلاط أذكرُ منها لفظة ܡܢܛܪܬܗ الواردة في سفر ايوب بضمّ الحاء وتغليظ التاء بمعنى نظرتُهُ . ففهمها هو ܡܢܛܪܬܗ بفتح الحاء وتليين التاء وشرحها بمعنى آخرتهِ .

وفي هذه السنة زحف جيش عرمرم من الصقالبة اعني الروس الى عاصمة الروم بحرًا وبرًّا فأنجد الله عزّ وجلّ الروم وأضرموا النيران في سفن العدوّ

واحرقوها مع مَن فيها واغرقوهم واوثقوا الكثيرين من عساكر البرّ وبتروا ايديهم اليمنى وانتصروا عليهم انتصارًا باهرًا .

واستفحل في تلك الغضون أمر الدخلاء من الارمن والعرب واليهود في قسطنطينية فثار الوطنيون واحتشدوا بباب بلاط الملك قسطنطين يدّعون بانه فتك بالملكتين ثيودورا وزاوي وحاولوا ان ينهبوا البلاط ودور الزعماء . فاجتمع الملك بالاقطاب واستدعى الملكتين فبرزتا رافلتين بالحلل الملكيّة . وما ان شاهدهما الثوار حتى اطمأنت خواطرهم وكفوا . ولما بحث الملك عن سبب الفتنة الجوهري قيل له . ان الدخلاء أثاروها قصد اجتياح المدينة . فاصدر الأمر بترحيل كلّ من مرّ عليه في العاصمة ثلاثون سنة ويبدل عني من يبقى منهم فيها . فغادرها حالًا نحو مائة الف نسمة .

وفي السنة ٤٣٦ للعرب (١٠٤٤ م) وجّه الخليفة القائم سفيرًا الى طغرلبك في اربع مسائل : الاولى ان امير المؤمنين يقول لك يكفيك ايها الامير طغرل بك محمد ما احتللته من البلاد . فلا تطمعنّ بسائر بلاد ملوك العرب ولا تؤذينهم . والثانية : ان تطيعنا وتحلف لنا شرعًا بانك ان خالفت امرنا لزمك ان تُطلّق نساءك الشرعيات وتعتق عبيدك وتزكي اموالك كلها (٢٢٨) . والثالثة : ان تلازم العدل وتحجم عن الظلم ولا تولِّ الظلّام شؤون ابناء الرعية . والرابعة : ان تبعث لنا كلّ سنةٍ بجزية البلاد التي اغتصبتها كعادة من سبقك . فاذا نفذت ذلك عززناك بتحفٍ والقابٍ كريمةٍ واصبحت سلطنتك شرعية منزّهة عن الظلم والغدر .

اصغى طغرل بك الى تلك المسائل وقال في الجواب الاول : ان جنودي كثيرون لا تكفيهم هذه البلاد . قال السفير : لانكَ انت أخربتَها . فلو ملكتَ الارض كلّها واخربتَها لما كفتك وكفت شعبك . وقال في جوابه الثاني : ان هذا النوع من الحلف يكاد يجهله العلماء. فكيف يتيسّر لي الترقّي في تصرُّفاتي الامور الزهيدة ؟ قال السفير : حسبك ان تعرب بكلّ قلبك عن طاعتك وتلزم العدل فلن تزلّ . وقال في جوابه الثالث : اني افرغ الجهد قدر طاقتي في ان الزم العدل في حكمي . ولكن ما حيلتي اذا اذنب احد

الجياع اشد معي ؟ وقال في جوابه الرابع : أطلعني على مقدار الجزية أدفعها ان تيسّر . على ان الحقيقة هي ان طغرل بك لم يقبل مسئلة واحدة من المسائل الاربع .

وفي السنة ١٣٥٦ لليونان (١٠٤٥ م) غرقت بيوت مدينة ارزنجان كلها سوى بيت آل قرياقس السريان . فاصبح كجزيرة لم تدخله المياه . ذلك لِمَا امتازوا به من الحسنات والتصدّق على الفقراء .

وفي السنة ٤٣٨ للعرب (١٠٤٦ م) دوّخ الغزّ مدينة الحلّة واحرقوها واضطرّوا الاهالي حتى اكتشفوا المطامير كلّها واحتووا عليها وارتكبوا المنكر من النساء والعذارى وانقلبوا .

وفي هذه السنة وجّه مطران النساطرة من سمرقند رسالةً الى الجاثليق تُليت في دار الخليفة منطوقها ان شعباً غفيراً يحاكي الجراد كثرةً اخترقوا ثُرعةً في جبلٍ ما بين تبت و كوتن (٢٢٩) كان اسكندر الكبير فيما ذكرت الاخبار السالفة قد سدّها فخرجوا ووصلوا الى كشكر يتولّاهم سبعة ملوك مع كل ملك سبعمائة الف فارس . واسم كبيرهم ناصرت اعني المسلّط باسم الله . وهم سودٌ كالهنود لا يغسلون وجوههم ولا يمشطون شعورهم لكنهم يضفّونها كاللبّاد ويتّخذونها بمثابة ترس يحرسهم . وهم محنكون برمي النشّاب ويكتفون لطعامهم بالقليل العاديّ . وهم رحماء مستقيمون وخيلهم تأكل اللحم .

وعند قراءة الرسالة قال احد الوجهاء العرب : لا يُصدَّق ان الحصان يأكل اللحم . فعارضه وجيهٌ ثانٍ وقال : لا يدهشك ذلك فقد شاهدت بعيني حصاناً عربياً يأكل لحماً وسمكاً مطبوخاً . قلنا : لعلّهم ينشّفون اللحم ويدقّونه كالتبن ويلقمونه الخيل . لان الصيد في تلك الاطراف كثير والعشب قليل .

وفي السنة ٤٣٩ للعرب (١٠٤٧ م) ظهر رجلٌ في راس العين اسمه الاصغر ادّعى ان القرآن ذكر عنه انه سيشرّف دين العرب . وتوغّل مرتين يتلصّص ببلاد الروم وغزا غزوةً وانقلب . فكتب ملك الروم الى ابن مروان يقول : بما ان بيننا وبينك صلحاً وولاء لزمك ان تمنع هذا اللصّ ان كان من عبيدك . والّا فأفدنا لنعمل ما نرى . فاستدعى ابن مروان بعض الامراء المعدّين

وقال لهم : يظهر ان هذا الاصفر يحاول ان يحرّش بنا الروم فاذا زحفوا ازعجونا وازعجوكم . فالرأي عندي ان تحتالوا وتقبضوا عليه . فحمل عليه المعدّيون وجعلوا يحذون نشاطه وهمته بشأن العرب . ثم ركبوا وركب معهم وجعلوا يطاردون متفاخرين بفراستهم ريثما ابتعدوا عن القرى . ثم اطبقوا عليه ومضوا به الى ابن مروان فاعتقله وسجنه وجدّد الصلح مع الروم .

واستفحل المرض والوباء هذه السنة في كل الإقليم الرابع حتى (٢٣٠) بيعت زهرة الينوفر بدرهم بغدادي وبيع فرخ الحجل بدرهمين فضّة . ولم يكترث البغداديون للقمح والشعير اصلًا . واشتدّ الجوع والمرض والوباء في الموصل بسبب الجراد حتى بيع كور الحنطة بستين دينارًا

وفي السنة ٤٤٣ للعرب وهي السنة ١٣٦١ لليونان (١٠٥٠ م) وجّه السلطان طغرل بك سفيرا الى ابن مروان صاحب ارمينية في الطاعة لامره . فرحّب به وأدّى له ثلاثين قطعة من القماش الفاخر وخمسمائة دينار وخياماً وعشرة بغال موسقة بضائع وحصاناً عربياً واسيرًا من بطارقة الروم كان الروم قرّروا ان يؤدّوا له ثلاثين الف دينار دية عنه . ثم قال للسفير : ليس عندي تقدمة اخرى توافق السلطان . فاقتنع بها السفير وعقد معه صلحاً وموادعة وانطلق .

سمع قسطنطين الملك بما جرى فارسل الى ابن مروان يرغب اليه كي يسعى لانقاذ البطريق وقال له : اني عارف انّ السلطان طغرل بك صاحب مروءة وشهامة وان يمنعه عني ان طلبتَه باسمي . فكتب ابن مروان الى السلطان فأبدى السلطان شهامةً كبرى ووجه البطريق مع سفير الى قسطنطين دون ان يطالبه بثمن او تعويض . فسُرّ الملك سرورًا عظيماً وجدّد مسجد العرب الكبير في عاصمته وعلّق فيه القناديل واقام له مُصَلّين عرباً عيّن لكلّ منهم معاشاً . ثم سيّر الى طغرل بك الف قطعة أطلس وخمسمائة ثوب مختلفة الاشكال وخمسمائة حصان وثلاثمائة جحش مصريّ وألف عنزة عيونها بيضاء وقرونها سوداء وكانت الجحاش ضخامة .

وفي هذه السنة تضايق اهالي اصفهان بسبب محاصرة طغرل بك لمدينتهم

تسعة اشهر فارسلوا يتوسلون الى خليفة بغداد ليكتب له في الافراج عنهم . وكان طغرل بك سبق فسأل الخليفة ان يشرّفه بالقاب ملكية . فرأى الخليفة ان يتساهل معه وكتب اليه رسالة سيّرها مع سفيره نعته فيها بالملك الشرعي وملاذ المسلمين وركن الدين . وسأله بشأن اهالي اصفهان . وكان السلطان يتوقع مثل تلك النعوت فلبّى طلب الخليفة وارسل اليه عشرين الف دينار باسم خزانته والفي دينار باسم حاشيته . وجعل منذ إذٍ يرسم شكل قوس في طغرائه ويسجّل فيها الطغرائي النعوت المومأ اليها .

وفي السنة ٤٤٣ للعرب (١٠٥١ م) وجّه قسطنطين ملك الروم سفيرًا الى القائم خليفة بغداد في رسالة بالرومية تخلّلت سطورها ترجمتها بالعربية . ورُقمت بحروف ذهبية على قطعة ارجوانية افتتحها بهذه العبارة : قسطنطين الملك المؤمن المعظّم القدير بالمسيح الله اغوسطس موناخس الوحيد في دولة الروم . الى الصديق الودود الكريم ابي جعفر إمام المسلمين وامير المؤمنين . الى غير ذلك من عبارات الولاء .

وفي السنة ٤٤٦ للعرب (١٠٥٤ م) اصبحت بلاد فارس جميعها خاضعة للسلطان ركن الدين طغرل بك فوجّه الالحاظ نحو بلاد الروم وزحف الى قلعة منازكرد وضيّق عليها زمناً طويلاً ولم يتمكنّ منها فغزا البلد وسار الى ارضروم وهي للروم وغزاها كذلك وعاد ليشتّي في اذربيجان ناوياً العودة ثانيةً الى بلاد الروم .

وفي كانون الثاني ١٣٦٥ لليونان (١٠٥٤ م) توفيّ قسطنطين الملك زوج ثيودورا وتولّت هي تدبير المملكة سنةً واحدةً ووجّهت سفيرًا الى خليفة بغداد وجدّدت عهود الصلح بجزية تطوّعت بها .

وفي السنة عينها ارسل السلطان ركن الدين طغرلبك سفيرًا الى الخليفة يقول : اودّ لو احضر الى بغداد واتشرّف بالخدمة النبوية (٢٣٢) ثم احجّ مكّة واصلّي فيها واقطع دابر المعدّين المتلصصين في طريق الحجّ ثم أتوجه الى محاربة الخوارج في سورية ومصر ان شاء الله . فكتب له الخليفة على كرهٍ منه كتاباً اثنى على همته في سبيل الدين واستعجله على القدوم الى بغداد . غير

مخطوط قديم ثمين في طب العين

كتاب تذكرة الكحّالين

للعالم العلّامة عيسى بن علي بن جزله

تعريف لهُ

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

قد رأينا ان ننشر على صفحات المشرق تعريف كتاب خطيّ ثمين قديم، في امراض العين وعلاجاتها، يسمّى: «تذكرة الكحّالين» تأليف العالم العلّامة عيسى بن علي بن جزله، عثرنا عليه اثناء وجودنا في عيندارا لالقاء رياضة روحية في كنيسة القديس جرجس المارونية، في تشرين الاول سنة ١٩٤٩ عند حضرة الوجيه الصيدلي السيد فارس غر بدر من عيندارا.

وكتاب تذكرة الكحّالين هذا يقع في ١٦٧ صفحة، مجلّد بجلد احمر وعلى وجهيه نقشة جميلة، مال الى الاسوداد بتقادم الزمن وكثرة تداول الايدي لهُ، وقد مرّت على نسخهِ ٢٤٠ سنة، وأُضيف اليه «صفة ادوية مستعملة في البيارستان ببغداد» في ٧ صفحات، ثمّ «صفة اكحال واشياف منقولة من كتاب الكافي في امراض العين منقولة بالحرف من غير زيادة ولا نقصان مع حذف بعض نسخ الاكحال» في ٢٠ صفحة، وهي الاخيرة من هذا الكتاب.

وجميع صفحات هذا الكتاب بخط قلم واحد، مكتوب بالحرف العربي بحبر اسود، وعناوين ابوابه بالحبر الاحمر بخط رفيع دقيق، وورقهُ مائل الى الثخانة. طولهُ ١٧ سنتيمترًا بعرض ١١ سنتيمترًا، وعرض هامشه ٣ سنتيمترات ونصف سنتيمتر، والصفحة منهُ تحتوي على ٢٥ سطرًا، والسطر على نحو ١١ كلمة، وهو ثلاث مقالات.

وقد جاء في آخر المقالة الثالثة ما يلي بالحرف الواحد بخط ناسخه :

« تمّ الكتاب بأسره والحمد لله حمدًا دائمًا كما هو اهلهُ ومستحقهُ ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين امين ، على يد الفقير محمد بن عمر الميداني * غفر الله لهُ ولوالديهِ والمسلمين ، في الثالث والعشرين من شعبان سنة ثلاث وعشرون ومائة والف » (الموافقة سنة ١٧١١ م)

وورد على هامش هذه الصفحة مقابل اسم الناسخ ما يلي بالحرف :

« قوبلت تذكرة الكحّالين من اولها الى آخرها على نسخة صحيحة ، ثم قوبلت مرّة أخرى على نسختين والحمد لله وحدهُ » .

وقد استدرك الناسخ ، بعد مقابلته نسختهُ هذه على الاصل ، ما فاتهُ من كلام المتن بان رقمهُ على الهامش بعد ان وضع لهُ علامة .

وكتب على هامش هذه الصفحة بحبر احمر : « سنة ١١٢٣ الموافقة ١٧١١م » وهي السنة التي انتهى فيها الناسخ من نسخ هذا المخطوط .

وعلى هامش صفحة ١٣ : « بلغ مقابلةً » .

وكتب الناسخ اسمهُ ايضاً في ذيل الصفحة التاسعة الاخيرة من صفحات « ادوية يسيرة مستعملة في البيمارستان ببغداد » ، هكذا :

« وقع الفراغ على يد كاتبه محمد ابن الشيخ عمر الميداني في شهر شعبان سنة ثلاث وعشرون ومائة والف ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ واصحابه امين » .

وعُلقت هذه العبارة على هامش هذه الصفحة مقابل اسم الناسخ وهي :

« قوبلت بحسب الطاقة البشرية من اولها الى آخرها » يعني ان هذه النسخة قد قوبلت على نسخةٍ صحيحةٍ . وكتب مرارًا على هامش هذا الكتاب انه : « بلغ مقابلةً » .

وقد خطّ الناسخ هذا ، بعض وصفات تتعلق بالعين على هامش هذا الكتاب وربما كانت من متنهِ .

وجاء في بياض اول صفحة من هذا الكتاب بخط مختلف ، هاتان العبارتان وهما ، الاولى : « ثمّ دخل في ملك الفقير محمد بن عثمان الحكيم من مسوق مالهِ »

الثانية : « نظر فيه (طالع فيه) موسى جمال الله محمد الطبيب عفي عنهُ » .

ان عساكر الديلم والاتراك ضجوا وعجّوا وقالوا : لا نقبل البتّة ان يوافي الغزّ الى العاصمة والّا فلا بدّ لنا من مناوشتهم . لكن ضجّتهم هذه لم تجدهم نفعاً لان جيوش الغزّ تدفقوا وبلغوا حدود بغداد . وخرج زعيم الزعماء وقاضي القضاة واغلب الاعيان الى لقاء السلطان وتحفّوا له في كلّ مكان حلّه وبلّغوه عواطف الخليفة الطيّبة ورغبوا اليه ان يحرّج على جيوشه العيث في ارض بغداد لكونها عاصمة الخلافة ومعزّزة الشرع الدينيّ .

رحّب السلطان بهم واقتنع بحديثهم ومشورتهم . ولمّا قرب من باب الشماسيّة ضجّ الديلم والاتراك وبعض العامّة وامتشقوا السيوف على الغزّ اذ رأوهم قد دخلوا المدينة ليبتاعوا لهم طعاماً ولخيلهم تبناً وعلفاً .. فسخط امراء الغزّ ودخلوا المدينة وفتكوا بالثوار وقبضوا على زعمائهم وذهبوا بهم الى السلطان فامر باعتقالهم لديه في الخيام . وارسل الى الخليفة يشكو ما اثاروه من الفتنة وأعلمه ان فريقاً من الديلم اصحابه قُتلوا وفريقاً ضاعوا . ثم قال : لولا كرامتك لاجتاح عسكري المدينة كلّها بالسيف . فسُري عن الخليفة واطمأنّ قلبه وارسل مع حجّابه وحشمه الهدايا الى السلطان ولمّا شارفوا المعسكر أمر السلطان باعتقالهم وابتزاز كلّ ما معهم .

وصباح الغد دخل الغزّ بغداد (٢٣٣) وقبضوا على الكثيرين من المدنيين واغرقوهم في دجلة . وانهزم اغلب الاهالي من بيوتهم الى جوار بلاط الخليفة فاحتلّها الغزّ . وبعث الخليفة برسالةٍ الى السلطان يقول : ما كنتُ أومل منك ذلك بل كنتُ اعتقد ان شرفي يزداد بقدومك ويتعزّز الدين بقربك . ولكني لمّا شاهدت خلاف ذلك تأثرت جدًّا والقيتُ اتكالي على الله تعالى .

فاجابه السلطان يقول : اني طائع لأمرك . وانت تعلم ان الذي حدث انما حدث بسبب الاتراك الاردياء القائمين بخدمتك . فلا لوم عليّ . ثم امر فوجّه الفيلة على الاتراك الشرة الذين اثاروا الفتنة فوطئتهم وبطشت بهم . ثم احتلّ العاصمة واقام بها من رجاله حرّاساً وجباةً . وامسى الاتراك خبّازين وبيّاعي بقول وسجّاري حمّامات . هكذا احتلّ الغزّ جميع البلد وعاثوا فيه وأبطلوا الحراثة حتى بيع ثور الفدّان بعشرين درهماً والجحش بعشرة دراهم .

ثم انشأوا سكة دراهم ودنانير باسم سلطانهم . وبعد هذا اضاف السلطان الى ما كان يخصصه الديلم والاتراك العبيد بالخليفة من الارزاق خمسين الف دينار وخمسمائة كور حنطة . واقسم له انه لولا كثرة جيوشه المعززة للدين العربي لرد اليه كل ما كان الاتراك يقبضونه . فطابت نفس الخليفة واحب ان يصاهر الغز فزفت اليه خاتون السلجوقية ابنة جغري بك اخي السلطان طغرل بك . وشاد لها عمها قصراً بجانب بلاط الخليفة وبعث الخليفة بعرش مذهب مرصع بالحجار الكريمة رُكِزَ هناك واستوى عليه السلطان وراح الاقطاب يتوافدون الى زيارته .

(له صلة)

ثمّ جاء على قفا الورقة الثانية من اول هذا الكتاب : « من كتب الفقير علي بن عبد الرحمن [العثماني] عفى الله عنه سنة ١١٧٥ » .

وهذه هي مقدمة الكتاب بحرفها الواحد :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذه تذكرة الكحّالين للعالم العلّامة عيسى بن علي بن جزله

جواباً عمّا سأله بعض اخوانه في تعريف امراض العين وعلاجاتها وأدويتها . قال :

وصل كتابك ايها الاخ الفاضل ، حفظك الله برأفته ، وأرشدك الى الصواب برحمته ، تسأل عن جوامع كتب جالينوس في امراض العين وعلاج كل مرض منها ، لان الاسكندرانيين ذكروا عدد الامراض ولم يذكروا علاجاتها . وقد رأيتُ ، اسعدك الله ، ان اؤلف كتاباً في العين اذكرُ فيه جميع ما سألتني عنه باختصار وايجاز ، فان الاختصار اذا جمع ثلاثة اشياء احدها الاستقصاء في الصفة والثاني الاستتمام للمعنى والثالث الايجاز في الكلام ، كان افادة ذلك ابلغ . وجعلته ثلاثة (ثلاث) مقالات وأسميتهُ تذكرة الكحالين ولاني بيّنتُ فيه جميع ما يُحتاج اليه في علاج امراض العين ، وذلك انه قد تدعو الضرورة في بعض الاوقات الى النظر في الكتب الكبار في علاج مرض من الامراض فيُستغنى به عن النظر في الكتب الكبار[1] ، ويصلح ايضاً في الأسفار لانه يغني عن حمل الكتب الكثيرة . وقد جمعتُ فيه جميع الطرق الطبّية المحتاج اليها في علاج امراض العين مع ذكر الدلائل والاسباب والمداوات لجميع امراضها المتشابهة الاجزاء منها والآلية وما يكون منها من تفرّق الاتصال . واسأل الله عزّ وجلّ اتمام ما ذكرتُ .

١) ان لمؤلف هذا الكتاب المختصر ، كتاباً آخر مطوّلا يسمّى : « تذكرة الكحالين الكبرى » على ما ورد في ذيل وصفة ذرور انها منقولة عنهُ ، سيأتي ذكرها ؛ لذلك كان هذا الكتاب مختصراً عن ذاك .

المقالة الاولى اذكرُ فيها حدَّ العين وتركيبها وتشريحها وعدد طبقاتها ورطوباتها واعصابها وعضلاتها وغلظاتها ومن اين نبات كل طبقة منها وابتداؤها والى اين انتهاؤها ، واين موضعها من العين وما منفعتها ، ومن اين يأتي غذاؤها، ولماذا أعدَّت .

واذكر في المقالة الثانية عدد امراض العين الظاهرة للحسّ واسبابها وعلاماتها ليسهل ذلك عليك .

واذكر في المقالة الثالثة علل امراض العين الخفية عن الحسّ واسبابها وعلاماتها ، ثمَّ حينئذٍ اذكر علاجاتها ونُسخَ ادويتها ، والتقطتُ ما في هذا الكتاب ، من كُتُب الاوائل ولم أضف فيه شيئاً ، أَلَّفْتُهُ من تلقاء نفسي سوى اشياء يسيرة شاهدتُها من شيوخ زماننا وبلوتُها في اعمال هذه الصناعة وذلك بعد ان نظرتُ في كُتُبٍ كثيرةٍ من كُتُب المشهورين بالحذق وخاصةً من كتب الفاضل جالينوس . وتآليفات حنين ايضاً ، نيّح الله تعالى ارواحهما ، لانهُ اجتنى نوار جميع الكتب التي وضعها مَن كان من عهد جالينوس ومَن بعده من الحذّاق ، واخترتُ منها احسن ما وجدتُ فيها ، وليس هذا مما يعيب ، لان الفاضل جالينوس ألَّف في كتبهِ من قول ديسقوريدوس ، وهكذا جعل ابن سرافيون اشياء كثيرة من قول قرلس ، وجعلتُها اصلاً ودستوراً لكتابي هذا، وجعلتُ ذلك ابواباً ليسهل عليك طلب ما تحتاج اليه . وبالله المعونة والتوفيق .

واليك ابواب مقالات هذا الكتاب الثلاث :

المقالة الاولى : واحد وعشرون باباً

اذكرُ فيهِ امر الرطوبة الجليدية وما فعلها . الباب التاسع : اذكرُ فيهِ امر الرطوبةِ الزجاجية ومنفعتهُ بهِ . الباب العاشر : اذكر فيه حال الطبقة الشبكيّة وما منفعتها . الباب الحادي عشر : اذكر فيهِ امر الطبقة المشيمّة ومن اين نباتها . الباب الثاني عشر : اذكرُ فيهِ الطبقة الصلبية . الباب الثالث عشر : اذكر فيه امرَ الطبقة العنكبوتيّة وما فيها . الباب الرابع عشر : اذكر فيهِ امر الرطوبة البيضيّة ومنفعتها . الباب الخامس عشر : اذكر فيهِ امر الطبقة العنبيّة . الباب السادس عشر : اذكرُ فيهِ امر الطبقة القرنية . الباب السابع عشر : اذكرُ فيهِ امر الطبقة الملتحمة . الباب الثامن عشر : اذكرُ فيهِ كم عدد عضل العين ورباطهُ واين مواضعهُ . الباب التاسع عشر : اذكرُ فيه امر العصب النُوري والعصب المتحرك للعين وكيف يكون منشأهما . الباب العشرون : اذكر فيهِ من اين ابتدأ الروح النفساني وكيف يكون تولّدهُ وكيف يكون به البصر . الباب الحادي والعشرون : اذكر فيه حال الاجفان والشقيقة .

المقالة الثانية : ثلاث وسبعون باباً

اذكرُ فيها امراض العين الظاهرة للحسّ واسبابها وعلامة كل مرض منها وعلاجها .

الباب الاول : اذكرُ فيه اصول ودستورات يُدلّ عليها في علاج امراض العين . الباب الثاني : اذكر فيهِ القوانين الذي يجب على الطبيب استعمالها عند كل استقراء . الباب الثالث في عدد امراض الجفن وهي اثنان وثلاثون مرضاً . الباب الرابع : في امراض الجرب وعلاجهِ . الباب الخامس : في البَرَدة وعلاجهِ . الباب السادس : في التحجر وعلاجهِ . الباب السابع : في الالتصاق وعلاجهِ . الباب الثامن : في انواع الشترة وعلاجهِ . الباب التاسع : في الشعيرة وعلاجهِ . الباب العاشر : في الشعر الزائد وعلاجهِ . الباب الحادي عشر : في انقلاب الشعر وعلاجهِ . الباب الثاني عشر : في انتثار الهدب وعلاجهِ . الباب الثالث عشر : في بياض الهدب وانتثار الحواجب وعلاجها . الباب الرابع عشر : في القمل والقمقام والقردان وما اشبه ذلك وعلامتهِ .

الباب الخامس عشر : في انواع الوردينج وعلاجه . الباب السادس عشر : في السلاق وعلاجه . الباب السابع عشر : في الحكة العارضة للجفن وعلاجها . الباب الثامن عشر : في الجسا العارضة للجفن وعلاجها . الباب التاسع عشر : في الغلظ العارض للجفن وعلاجه . الباب العشرون : في الدمل العارض للجفن وعلاجه . الباب الحادي والعشرون : في الشرناق وعلاجه . الباب الثاني والعشرون : في التوتة العارضة للجفن . الباب الثالث والعشرون : في الكمنة العارضة للجفن . الباب الرابع والعشرون : في الشري العارض للجفن . الباب الخامس والعشرون : في القملة الحادثة للجفن . الباب السادس والعشرون : في السعفة العارضة للجفن . الباب السابع والعشرون : في الثآليل العارضة للجفن . الباب الثامن والعشرون : في الانتفاخ العارض في الجفن . الباب التاسع والعشرون : في التآكل والقروح العارضة في الجفن . الباب الثلاثون : في السلع العارضة في الجفن . الباب الحادي والثلاثون : في استرخاء الجفن . الباب الثاني والثلاثون : في موت الدم والخضرة في الجفن . الباب الثالث والثلاثون : في عدد امراض المآق . الباب الرابع والثلاثون : في الغرب وعلاجه . الباب الخامس والثلاثون : في الغدة وعلاجها . الباب السادس والثلاثون : في السيلان وعلاجه . الباب السابع والثلاثون : في عدد امراض الملتحمة . الباب الثامن والثلاثون : في انواع الرمد وعلاجه . الباب التاسع والثلاثون : في الطرفة وعلاجاتها . الباب الاربعون : في علاج ما وقع في العين . الباب الحادي والاربعون : في الظفرة وعلاجها . الباب الثاني والاربعون : في الانتفاخ العارض للملتحمة . الباب الثالث والاربعون : في الجسا العارض للملتحمة . الباب الرابع والاربعون : في الحكة العارضة للملتحمة . الباب الخامس والاربعون : في السبل وعلاجه . الباب السادس والاربعون : في الورقة وعلاجها . الباب السابع والاربعون : في الدمعة وعلاجها . الباب الثامن والاربعون : في الدبيلة العارضة للملتحمة . الباب التاسع والاربعون : في التوتة الحادثة في الملتحمة . الباب الخمسون : في علاج اللحم الزائد . الباب الحادي والخمسون : في تفرق الاتصال العارض للملتحمة . الباب الثاني والخمسون : في

عدد امراض القرنية . الباب الثالث والخمسون : في انواع القروح وعلاجها . الباب الرابع والخمسون : في البثر الحادثة في القرنية . الباب الخامس والخمسون : في الاثر والبياض الحادثين في القرنية . الباب السادس والخمسون : في صبغ الآثار وزرقة العين . الباب السابع والخمسون : في السلخ العارض للقرنيه . الباب الثامن والخمسون : في الدبيلة العارضة في القرنية . الباب التاسع والخمسون : في السرطان العارض في القرنية . الباب الستون : في الحفر العارض في القرنية . الباب الحادي والستون : في تغير لون القرنية وعلاجها . الباب الثاني والستون : في رطوبة الحجاب القرني . الباب الثالث والستون : في يبس الحجاب القرني وعلاجه . الباب الرابع والستون : في كمنة المدّة خلف القرنية . الباب الخامس والستون : في الفرق بين نتوء القرنية وبين نتوء الحادثة منها . الباب السادس والستون : في انحلال الفرز العارض القرنيّة وهو انخراقهـا . الباب السابع والستون : في عدد امراض العنبيّة . البـاب الثامن والستون : في الاتساع الحادث للحدقة . الباب التاسع والستون : في ضيق الحدقة وعلاجها . الباب السبعون : في النتوء العارض في العنبيّة وعلاجه . الباب الحادي والسبعون : في انخراق الحدقه وهو انحلال الفرز العارض للعنبيّة . الباب الثاني والسبعون : في الفرق بين نتوء العنبيّة وبين النتوء الحادث في القرنيّة . الباب الثالث والسبعون : في الماء وقدحه وعلاجه .

المقالة الثالثة : سبعة وعشرون باباً

اذكرُ فيها امراض العين الخفيّة عن الحسّ واسبابها وعلامة كل مرض منها وعلاجاتها

الباب الاول في الفرق بين الخيالات التي تكون عن الماء وبين الخيالات التي تكون عن ألم المعدة وبين التي تكون عن ألم الدماغ وعلاج كل واحد منها . الباب الثاني في امراض الرطوبة البيضيّة . الباب الثالث في امراض الرطوبة الجليدية والعنكبوتية . الباب الرابع في امراض الروح الباصر . الباب الخامس في علاج من يرى من بعيد ولا يرى من قريب ، ويري ما عَظُمَ ولا يرى ما صغر . الباب السادس في من يرى من قريب ولا يرى من بعيد ،

وفي من يرى ما صغر ولا يرى ما كبُرَ . الباب السابع في العشى وهو الشبكره ، وهو من يبصر نهارًا ولا يبصر ليلًا . الباب الثامن في الجهر وهو الزمدكور ، وهو من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار . الباب التاسع في عدد امراض الرطوبة الزجاجية وعلاجهـا . الباب العاشر في امراض الطبقة الشبكيّة . الباب الحادي عشر في عدد امراض العَصَب الاجوف النُوري . الباب الثاني عشر في امراض الانتشار وعلاجه . الباب الثالث عشر في السدّة والضغط والورم الذي يعرض في العصب النُوري وفي علاجـهِ . الباب الرابع عشر في تفرّق الاتصال الحادث للعصبيّة . الباب الخامس عشر في علل العضلات الثلاث التي في فم العصبية النُورية . الباب السادس عشر في علاج نتوء جملة العين وهو جحوظها الى الخارج . الباب السابع عشر في علاج هزال العين . الباب الثامن عشر في امراض الطبقة المشيميّة . البابُ التاسع عشر في امراض الطبقة الصلبية . الباب العشرون في امراض العضل المحرّك للعين . الباب الحادي والعشرون في علاج الحَوَل . الباب الثاني والعشرون في ضعف البصر وعلاجه . الباب الثالث والعشرون في حفظ صحّة العين . الباب الرابع والعشرون في الصداع والشقيقة التابعة لوجع العين . الباب الخامس والعشرون في سلّ شريان الصدغين وقطعها وكيّها . الباب السادس والعشرون في علاج المواد المنحدرة الى العين . الباب السابع والعشرون في قوى الادوية المفردة المستعملة في علاج العين .

واننا ننقل امثلةً من هذا الكتاب الخطيّ ، نقدّمها لقرّاء مجلّة «المشرق» عامّةً وللاطباء العين خاصةً ليقفوا على سياق هذا الكتاب ونهجه وليتحققوا ان الطب العربي القديم كان يأتي بالطرائف والبدائع ، وان العرب لم يدعوا فنًّا وعلمًا من العلوم الّا ومارسوه وبرعوا فيهِ ونشروا عوارفهُ ومعارفه وقدّموا حقائق ساطعة على حذقهم وذكائهم وتضلّعهم منهُ . ولا يخفى ان بعض وصفات الطب العربي هي اسدّ واسرع الى شفاء كثير من الامراض من وصفات الطب الغربي الذي يقف عندها عاجزًا ومقصّرًا كما دلّنا على ذلك الامتحان والاختبار[1]

١) لديَّ مجموعة طبيّة خطيّة نفيسة ، تشتمل تقريبًا على ذكر جميع الامراض وعلاجاتها ، قد انتقيتُ وصفاتها من عدة كتب طبية عربية خطية نادرة الوجود ، واثبتُّ

وكثيرون يعرفون هذه الحقيقة ويعلنونها بدون تهيّب او تحرّج، جرياً على هذه القاعدة الذهبية : عند الامتحان يُكرم المرء او يُهان .

وهاك الامثلة من هذا المخطوط الثمين :

المقالة الاولى

جاء في اولها ما يلي : انه قد يجب على من اراد ان يداوي العين مداواة صواب، ان يكون عارفاً بحدّ العين وطبيعتها ، وذلك لان نفي العلل عن كل عضو انما يكون بردّه الى طبيعته التي خرج عنها ، ولذلك صار غرض الطبيب من الطب حفظ الصحة الموجودة او ردّ صحة قد فُقدت ، ولذلك ابتدأتُ بحدّ العين .

الباب الاول : في حدّ العين

أمّا حدّها ، فانهُ عضوٌ حسّاس كمّلته الطبيعة لحس البصر . وقال آخر : انها عضوٌ حسّاس الى باصر مركّب من طبقات ورطوبات واغشية ورباطات وأوراد واعصاب وعضلات وشريانات .

فهذه هي أتمّ حدودها وأكملها . وكل شيء يُحدّ بحدّين جوهريّ وعرضي . وهذا حدّها الجوهري .

الباب الثاني : في منفعة العين وفعلها

أمّا منفعة العين فهي ان ترقي البَدَن من الآفات الواردة عليها من خارج وترشده حيث يسير طبيعته وأحبّ ، ولذلك جُعلت في أعلى البدن كالحافظ للبستان. وأمّا فعلها فليحسّ الالوان والاشكال والاجسام ما عظم منها وما صغر .

فيها وصفات علاجات مجرّبة التقطها عن امتحنوها بانفسهم وصحّت معهم . وهذه المجموعة تقع في نحو ١٣٠٠ صفحة ، وكلها بخط يدي . وقد طلب المرحوم ريشا قرقاز ، في المعاملتين، جونية ، ان يبتاعها مني بألف ليرة لبنانية ، فأحببتُ ان احتفظ بها في خزانة كتبي كأثر خطيٍّ نفيس .

الباب الثالث : في طبع العين ومزاجها

أمّا طبع العين الخاص فيها فحارٌ ، وأمّا مزاجها الطبيعي فرطبٌ ، وذلك نشؤها من الدماغ وهي لذلك رطبة . وأمّا حرارتها فلكثرة ما يخالطها من العروق والشرايين وهي لذلك سهلة الحركة ، وقد يغلب على مزاجها البرودة ولكن الاشبه ان به البرودة عرضية لا اصلية ، ولكن ليس هو بالطبع الخاص بها . ومما يُستدلّ بهِ على مزاج العين انه حارٌ ، بسرعة حركتها وسعة عروقها ويكون لونها احمر وملمسها حارًا . فأمّا أبا بردة المزاج فانه يستدل عليها بابطاء حركتها وضيقة العروق ويبس ملمسها . وكذلك يُستدل على رطوبة مزاج العين بلين ملمسها وكثرة رطوبتها . وكذلك يستدل على يبس مزاجها بصلابة ملمسها وتكون يابسة جافة . وقد يُستدل ايضاً على مزاج العين بلونها ، فان العين الزرقاء اقلّ حرارة ، وهي الى البرودة أميل وأقلّ رطوبةً واكثر يبساً ، ولذلك يُبصَر بالليل لِمَا يُرطّب العين عند برودة الهواء . ومما يدل على ان العين الزرقاء باردة المزاج مثل أعين الصقالبه باردة ، لان الغالب على بلادهم ومزاجهم البرودة ، فأعينهم زرق. ومما يدلّ ايضاً على ان العين الزرقاء باردة المزاج ما يعرض للمشايخ (الشيوخ) من زرقة العين اذ غلب على مزاجهم البرد واليبس.

وأمّا العين الكحلاء فهي اكثر حرارة واكثر رطوبة ، ولذلك اكثر ما يعرض لها علل البخارات وعلل الماء لكثرة حرارتها ورطوبتها . وكلما كانت العين أشدَّ سوادًا كانت اكثر حرارةً ورطوبةً ، والدليل على ذلك أعين الحبشة وسوادها ، فالغالب على بلادهم ومزاجهم الحرارة .

وأمّا العين الشهلاء والشهلاء فانها معتدلتا المزاج .

الباب الرابع : اذكر فيه من كم سبب تكون العين كحلاء

تكون العين كحلاء من سبعة اسباب وهي : إمّا من نقصان الروح الباصرة ، وإمّا من كدورته ، و إمّا من صغر الرطوبة الجليدية ، و إمّا من انخفاضها ، و إمّا من كثرة الرطوبة البيضيّة ، و إمّا من كدورتها ، و إمّا من شدة اسوداد الطبقة العنبيّه .

الباب الخامس : اذكر فيه من كم سبب تكون العين زرقاء

العين الزرقا. تكون ايضاً من سبعة أسباب، وهي ضد الاسباب الاولى المذكورة في الكحل . وهي : كثرة الروح الباصرة، وصفائها، وعظم الرطوبة الجليدية، وجحوظها، ونقصان الرطوبة البيضيّة، وصفائها، ونقصان سواد الطبقة العنبيّة .

وأمّا العين الشهلا. والشعلا. فانه اذا التأمت بعض الاسباب الفاعلة للكحولة مع بعض الاسباب الفاعلة للزرقة كان ما ذكرت ، واللون الأشهل يدلّ على ان الروح الباصرة اكثر صفاء منهُ مع الاشهل ، وان اخذتُ اوسع القول في امثال هذه الاشيا. طال الكلام وكبر الكتاب وهو مختصر ، فيجب ان ابتدى. بالقول في طبقات العين .

الباب السادس : اذكر فيه كم هي طبقات العين

اعلم ان العين مركّبة من سبع طبقات . الطبقة الاولى يقال لها الصلبيّة وهي لاصقة بالعظم . والطبقة الثانية يقال لها المشيميّة . والطبقة الثالثة يقال لها الشبكيّة . والطبقة الرابعة يقال لها العنكبوتيّة . والطبقة الخامسة يقال لها العنبيّة . والطبقة السادسة يقال لها القرنيّة . والطبقة السابعة يقال لها الملتحمة.

وقد اختلف قومٌ في عددها وذلك في اللفظ لا في المعنى ، ولكنّ قوماً قالوا انها ستّ طبقات، وذلك انهم لم يروا ان يسمّوا الطبقة الشبكية طبقةً ، وذلك انهم احتجّوا بان قالوا : ان الطبقة منفعتها ان تَوَقّى ما هي عليه مطبقة ، وليس الشبكية كذلك . واحتجّوا بحجّة أخرى وذلك انهم قالوا : انا أُعدّت لتغذية العين فقط ، وقوم زعموا انها خمس طبقات ، وذكروا ان الغشاء الذي على نصف الجليديّة ليس بطبقة لسببين ايضاً وذلك انهم قالوا انها جزءٌ من الجليديّة لا من غيرها . والثاني انهم قالوا ان ما يغشى الجليديّة وما لا يغشى الكل لا يقال له طبقة . فأما الذين قالوا انها اربع طبقات فانهم لم يروا ان يسمّوا الملتحمة طبقةً لعلّتين احداهما لانها شبيهة بالرباط للعين . والثاني (والثانية) انها لا تغشى العين ولا تنطبق عليها فلا يقال لها طبقة . وأمّا الذين قالوا انها ثلاث طبقات فانهم زعموا ان العنبيّة والمشيميّة طبقة واحدة . وأما الذين قالوا ان طبقات

العين طبقتان ، وزعموا ان القرنيَّة والصلبيَّة واحدة . وأمَّا جالينوس وشيعتهُ فانهم يقولون إنَّا نعدُّها سبع طبقات ونجعل قشرات القرنيَّة الاربع ايضاً طبقات.

الباب السابع : اذكر فيه كم هي رطوبات العين واعضاؤها وعضلاتها

أمَّا رطوبات العين فانها ثلاث وهي : الزجاجيَّة ، والجليديَّة ، والبيضيَّة . وأمَّا عضلاتها فتسع وسوف اذكرها في مواضعها ان شاء الله تعالى لان بها يكون البصر وباقي اجزاء العين .

الباب الثامن : اذكر فيه امر الرطوبة الجليديَّة

واذ قد تكلمتُ عن عدد طبقات العين ورطوباتها ، فنأخذ الان في بيان كل واحد منها ، وما منفعتها ، ومن اين يأتي غذاؤها ، فابتدئ بالرطوبة الجليديَّة اذ كانت اشرف اجزاء العين لان بها يكون البصر ، وباقي اجزاء العين انما أُعدَّت لتخدم تلك الرطوبة الشريفة ، إمَّا لتدفع عنها آفةً ، وإمَّا لتؤدي اليها منفعةً . فأمَّا هيئتها فاقول : انها بيضاء صافية نيّرة مستديرة وليست بمستحكمة الادارة بل فيها عِرضٌ يسير . وأمَّا موضعها في وسط العين كنقطةٍ توهمتها في وسط كُرَةٍ . وأمَّا بياضها ونورها فيقبل الاستحالة من الالوان والاشكال، والدليل على ذلك ان الشيء الابيض الصافي النيّر كالزجاجة الصافية والبلورة يسرع اليها قبول الالوان . وأمَّا استدارتها قليلًا فلئلا تسرع اليها الآفات ، وذلك ان كل شيء سوى المستدير تسرع اليه الآفة لِما فيه من الزوايا . والدليل على ذلك دوام سلامة الفلك فانهُ لا تلحقهُ الآفات لِما قد عدم الزوايا . فأمَّا عِرَضها فلتلقى من المحسوس اجزاءً كثيرةً ، وذلك انهُ لو كانت مستحكمة الادارة او دقتها لَما لقيَ منها المحسوس إلَّا شيئاً يسيرًا . فأمَّا الشيء المسطَّح فانهُ يلقى (يتلقى) مما عاشهُ اكثر مما يلقى (يتاقّى) من الشيء الكروي . فأمَّا الدليل على ان موضع الجليديَّة في وسط العين كما ذكرتُ ، وذلك ان جميع ما في العين انما خُلق ليدفع عنها آفةً . أمَّا ليؤتي اليها منفعة ، مثال ذلك ان الرطوبة الزجاجيَّة تغذّيها ، والطبقة القرنيَّة تدفع عنها الآفات الواردة عليها من خارج ، ولذلك احاطت بها الاجزاء من كل جانب

وصارت في الوسط . والدليل على ان بها يكون بصر لا بغيرها من اجزاء العين، ان الماء اذا حال بينها وبين المحسوس بطل البصر، فاذا أزيل عنها بالقدح عاد البصر . وأمّا طبعها فباردة يابسة وهي كالجامد . وأمّا غذاؤها فانّه يأتيها من الرطوبة الزجاجيّة ولذلك جُعلت . وساذكر برهان ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

الباب التاسع : اذكر فيه الرطوبة الزجاجية وما منفعتها

واذ قد اتصل القول بالرطوبة الزجاجية، فابتدئ بما خلف الرطوبة الجليديّة فاقول : ان خلف الرطوبة الجليديّة ، الرطوبةُ الزجاجية وهي بالقرب منها ، وطبعها الى الحرارة أميَل قليلاً وهي كالزجاج الذائب ، ولونها ابيض يضربُ الى اللون الأدكن ، وان احتيج اليها لسببين ، احدهما ان يؤدي الى الرطوبة الجليديّة غذائها ، والسبب في تغذيتها ان كل عضو من اعضاء البَدَن لا بدَّ لهُ من غذاء يخلف عليهِ عوضاً عما يُحلَّل منهُ بالحرارة الغريزيّة التي من داخل وحرارة الهواء من خارج فهو مضطرٌ لا محالة الى ما يخلف عليهِ عوضاً عمَّا يتحلَّل منهُ بالحرارة ، ولا يخلف عليهِ ما يتحلَّل منهُ إلّا ما كان شبيهاً بما تحلَّل منهُ وذلك شبيه بطبيعة العضو ، وأسرع الشيء استحالةً الى الشيء الذي يميل اليهِ ما كان قريباً من طبيعتهِ ولان الرطوبة الجليديّة احتاجت لا محالة الى غذاء وكانت على ما وصفت من البياض والصفاء لم يمكن ان يكون غذاؤها من الدم بالتوسط ولو كان يجيئها الغذاء من الدم بغير متوسط كان يعرض للانسان ان يرى في كل وقتٍ تغتذي الجليديّة بالدم ، الاشياء كلها بلونِ الدم فاحتاجت الى متوسط يُحيل الدم الى طبيعتها التي هي عليهِ الجليديّة ، وذلك المتوسط هي (هو) الرطوبة الزجاجية لانها أقرب الى البياض وأنقى من سائر الطبقات التي من داخل . ولهذا السبب قربتْ من الجليديّة وصارت ماسّة لها فصارت الجليديّة مغرقةً فيها الى نصفها بمنزلة كُرَةٍ توهمتها قد غرق نصفها في ماء . والسبب الثاني في بياضها ايصالها النور الى الجليديّة[1] . وأمّا غذاؤها ، اعني الزجاجية ، فانهُ يأتيها من الطبقة الشبكيّة التي تحويها . فهذا ما يجب ان اذكرهُ في الرطوبة الزجاجيّة .

---

١) ان يوصّل النور الى الجليديّة (عن الهامش)

الباب العاشر : اذكر فيه الطبقة الشبكية ومنفعتها .

أمّا الطبقة الشبكيّة فانها مؤلفة من شيئين ، احدهما من العصبيّة المجوّفة ، والثاني من عروق وأوراد ، وطبعها معتدل وهي اقلّ حرارةً من المشيميّة وألين . وأمّا نباتها فمن طرف العصب الاجوف التي تجري فيها الروح النفساني اعني من ذاته ، وان هذا العَصَب اذا صار الى وراء الرطوبة الزجاجية وقف هناك واستمدّ من الغشاء الرقيق الذي عليه عروق دقاق (دقيقة) فتلك العروق اذا انتهت اليه احاطتهُ وتقسّمت منهُ بعروق أُخرى دقاق كثيرة ومازجت ذات العصب ثمّ يشتبك به بعضها ببعض فيصير منها الطبقة الشبكية التي لا تبلُ الزجاجية والملتحمة في النصف من الجليديّة على هذا المثال . ولهما منفعتان احدها (احداها) انها تغذّي الرطوبة الزجاجية بما فيها من الأوراد والعروق . والأخرى انها تؤدي القوّة الباصرة الى الجليديّة بما فيها من العصب بتوسّط الزجاجيّة ، فلذلك صارت ماسّة لها . وأمّا غذاؤها فمن الطبقة المشيميّة .

الباب الحادي عشر : اذكر فيه امر الطبقة المشيميّة ومن اين نباتها

انّ على الدماغ غشائين يسمّيها اليونانيّون ملحمين ، احدها رقيقٌ لينٌ ومنفعتهُ تغذية الدماغ بما فيه من العروق والأوراد . والآخر غليظٌ صلبٌ على القحف ، ومنفعتهُ ان يوقي الدماغ من العظم ، وكل عصبةٍ تخرج من الدماغ فهي مغشّاةٌ بكلا الغشائين الى ان تخرج من العظم ، وكذلك تجد العصبة المجوّفة المؤدية الى العين حسّ البصر مغشّاةً بهذين الغشائين ومنفعتها لها ان الباطن الى العين منها يغذو (يغذّي) العصبيّة الباصرة والظاهرة بتوقّيها من عظم الرأس حتى اذا برزت العصبة من العظم الذي هو فيه فارقت بعضها بعضاً فصار من تلك العصبة الطبقة الشبكيّة على ما بيّنتُهُ قبل (قبلاً) ، فصار من ذلك الغشاء الرقيق الذي يليه، طبقةٌ يقال لها المشيميّة. وانما سُمّيت بهذا الاسم لانها تشتمل على ما تحويه وتلتحم به في الموضع الذي تلتحم فيه الشبكيّة على النصف من الجليديّة .

وأمّا طبعها فالى الحرارة والرطوبة أميَل والى اللين اكثر . ولها منفعتان ، احداها انها تغذّي الشبكيّة. والثاني (والثانية) انها توقيها من الآفات التي ترد

عليها من خلفها. واحتيج اليها ايضاً لمنفعة ثالثة وهي ان يُلطّف الدم فيها ويرق ثم يدفع به الى الشبكيّة ثم يلطّف هناك ايضاً ويُلزق ثم يُدفع الى الزجاجيّة ثم يُلطّف من الزجاجيّة فيرقّ فيندفع به الى الجليديّة. وأمّا غذاؤها فمن العروق التي فيها.

الباب الثاني عشر : اذكر فيه امر الطبقة الصلبيّة

أمّا الطبقة الصلبيّة فان نباتها وابتداءها من الغشاء الصلب الذي يلي العصبة المجوّفة. وطبعها بارد يابس ولونها ابيض. ومنفعتها ان توقي العين من العظم الذي هي فيه لئلا تضرّ بها صلابتهُ وخشونتهُ، وهي كالرباط للعين من داخل مثل الطبقة الملتحمة من خارج.

وأمّا غذاؤها فهو الغشاء الذي نباتها منهُ. فهذا ما امكن شرحهُ من امر الطبقات الثلاث والرطوبة الذي (التي) من وراء الجليديّة، على غاية ما قدرت عليه من الاختصار. فأبتدئ الآن بعون الله عزّ وجلّ بصفة الطبقات والرطوبة التي قدّامها فاقول :

الباب الثالث عشر : اذكر فيه امر الطبقة العنكبوتيّة

اعلم ان قدّام الرطوبة الجليديّة، نصف طبقة يقال لها العنكبوتيّة لانها شبيهة بنسيج العنكبوت . ونباتها من الرطوبة الجليديّة . وقوم ذكروا انها من الشبكيّة ، ولونها ابيض مصقول شديد الصقالة ولذلك اذا أحدق (حدّق) بانسان الى العين يرى صورة شخص انسان في العين لانه يرى وجهُ في صقالها وصفائها.

وأمّا طبعها فبارد يابس وهي اقلّ يبساً من الطبقة العنبيّة. فأمّا غذاؤها فمن الرطوبة الجليديّة . ولها ثلاث منافع ، احداها انها تحجز بين الرطوبة الجليديّة وبين الرطوبة البيضيّة لئلا تختلطان. والثانية ان توقي الرطوبة الجليديّة من العلل التي تعرض للبيضيّة . والثالثة انه كلما غلب على الجليديّة فضل (فضلة) غذاء دفعتهُ الى العنكبوتية ، فمنهُ (فمنها) غذاؤها.

الباب الرابع عشر : اذكر فيه حالة الرطوبة البيضيّة

أمّا الرطوبة البيضيّة فانها قدّام العنكبوتيّة وهي ذائبة شبيهة ببياض البيض الرقيق ولونها ابيض . وأمّا طبعها فباردٌ رطب . وأمّا غذاؤها فمن الطبقة العنبيّة . ولها اربع منافع احدها (احداها) ان ترقي الجليديّة وتسديها

لئلا تجفَّ من الحرارة الطبيعية من داخل وحرارة الهواء او من خـارج . والثانية ان تغذي الطبقة العنبيَّة لئلا تجفَّ وتصلب من الحرارة الطبيعية فتضرَّ بالجليديَّة اذا لاقتها . والثالثة ان للعنبيَّة خمل (خملًا) وخشونة من داخل فتمنع خشونتها ان تلحق الرطوبة الجليديَّة فتنشف بخشونتها ورطوبتها. والرابعة انها تقبل القوَّة الباصرة من داخل وتؤديها الى خارج . وتقبل ايضاً المحسوس الذي تلقّى هذه القوَّة من خارج وتؤديها الى داخل . وذكر الفاضل جالينوس انه ليس في شيء من هذه الرطوبات التي في عِرَق العين لا ضارب ولا غير ضارب والابياسوس يقول في المقالة السابعة من كتابهِ: انها تغتذي من طريق الرشح.

الباب الخامس عشر : اذكر فيه امر الطبقة العنبيَّة

أمَّا الطبقة العنبيَّة فانها قدَّام الرطوبة البيضيَّة، وطبعها الى الحرارة والرطوبة أميَل، وهي لينة لئلا تضرَّ بالجليديَّة ملاقاتها . وهي طبقتان مثل المعدة من داخل لها خملٌ وتقعير، ولذلك لها منفعتان، احداهما ان تجمع الرطوبة البيضيَّة اذا كانت رقيقةً . والثانية يتعلَّق الماء في وقت القدح بالخل، ومن خارج أملس لئلا يضر بالقرنيَّة اذا ماسّها، وفي وسطها ثقبٌ يسمّى الحدَقة ومنفعتهُ ان ينفذ فيه الروح الباصر ليلقى المحسوسات .

وأمَّا نَبَاتها وغذاؤها فمن الطبقة المشيميَّة ايضاً . ولها خمس منافع، احداهنَّ ان تغذّي الطبقة القرنيَّة بما فيها من الأوراد والعروق وذلك ان الطبقة القرنية ليس فيها من الاوراد والعروق ما يكفي تغذّيها لرقتها وصفائها . والثانية ان تغذّي الرطوبة البيضيَّة . والثالثة تحجز بين الجليديَّة والقرنيَّة لئلا تضرَّ بها بصلابتها . والرابعة تجمع الروح الباصر بلونها من داخل لئلا يتبدَّد، والدليل على ذلك انهُ اذا حدث في ثقب العنبيَّة اتساعٌ تبدَّد النورُ وبطل البصرُ. والخامسة ان تجمع الرطوبة البيضيَّة لئلا تسيل الى خارج من غير ذكر عند القدح فتأمل.

(له صلة)

وثائق تاريخية عن المجمع اللبناني

مقال الاب اغسطينوس تشاسكا (تابع)

بقلم الخوري باخوس الفغالي

المأذون في اللاهوت
والدكتور في الحق القانوني، والمحامي الروماني

في الطبعة اللاتينية

٢٥) وكانت الطبعة العربية المذكورة متداولة في لبنان. وهي الطبعة الوحيدة التي صدرت الى الآن. ولم يتوصل مجمع البروبغندا الى الحصول عليها قبل سنة ١٨٣٤[1]. اما في روما فكان يعتبر كنسخة شرعية للمجمع المذكور سابقاً المخطوط اللاتيني الذي اتى به السمعاني[2]. وقد دُفع للطبع لاول مرة سنة ١٨٢٠ وذلك بامر المجمع المقدس الصادر في السنة السابقة. وكانت مسائل شديدة الخطورة عُرضت على نفس المجمع ليبحث فيها، بعد انعقاد المجمع اللبناني

١) حاشية المؤلف: راجع الملحوظة الخزانية الضمومة الى تلخيص كانون الثاني ١٨٨٢ صفحة ٢٣

٢) حاشية المؤلف: راجع المقطع الحادي عشر (من هذا المقال)

Dell' edizione latina

25. Intanto che nel Libano circolava l'edizione araba suddetta, la quale è l'unica che sia stata fatta finora, e di cui la Propaganda non venne in possesso prima del 1834 (*Nota di Archivio annessa alla Ponenza di Gennaro* 1882 p. 23), in Roma si teneva per norma, come *copia autentica* del Prefato Sinodo, il manoscritto latino portatole dall'Assemani (§. 11), il quale non prima del 1820 fu messo a stampa per ordine della S. C. dato nell'anno antecedente. Molte questioni anche gravissime erano state agitate avanti la stessa S. C. dopo la celebrazione e conferma del Sinodo Libanese. Una di queste, che allo scopo di cui si tratta giova ricordare, fu proposta li 13 Settembre 1819 *Sull'appello dei Vescovi Maroniti contro il loro Patriarco*; e *risposta del medesimo con altri an-*

وتثبيته، منها المسألة الآتية التي لا تخلو اعادتها من فائدة لما نبحث فيه. وهي تتعلق باستنابة اساقفة الموارنة على بطريركهم وبجواب البطريرك وبغيرها من من الامور العائدة الى ذلك، وقد عرضت في الثالث عشر من ايلول ١٨١٩.

وعلى السؤال الاول: «اي اعتبار ينبغي ايلاؤه للشكايات المبرزة على البطريرك الماروني وتبرئته نفسه. وما التدبير الواجب اتخاذه لمنعه من تجاوز حدود سلطته» اجاب المجمع المقدس: «ينبغي ان تكتب رسالة عامة الى البطريرك ورؤساء اساقفة واساقفة الطائفة المارونية تحثهم على العمل بموجب المجمع اللبناني المنعقد ١٧٣٦. ورسالات خاصة الى كل من القاصد الرسولي والبطريرك والاساقفة بما يعتبر موافقاً لمضمون السؤالات التالية. ويجب ان تطبع في مطابع المجمع المقدس النسخة اللاتينية للمجمع اللبناني الموجودة في خزانة المجمع المقدس.»

٢٦) اما سبب ذلك القرار فلا سبيل الى استخراجه الا من ملحوظة خزانية ملحقة بالتلخيص المذكور. وينسب كاتب الملحوظة هذه كل بلبلات الكنيسة المارونية الى عدم العمل بموجب المجمع اللبناني. ويختم كلامه هكذا: «يبدو اذن ضرورياً لاعادة السلام والنظام والخضوع المتبادل الى تلك الطائفة ان تشدد نيافاتكم الاوامر للكنسيين على اختلاف درجاتهم ليعودوا بكليتهم الى العمل بموجب مجمعهم اللبناني. لانه يظهر من حركاتهم نفسها ومن تشبثهم

---

nessi. Nella quale al 1°. dubbio «Qual ragione debba aversi tanto delle accuse dedotte contro il Patriarca dei Maroniti, quanto delle sue discolpe, e quale provvidenza adottarsi per impedire, ch'egli non trascorra i limiti della sua autorità». La S. C. rispose «Scribantur litterae Encyclicae Patriarchae, Archiepiscopis, Episcopis nationis Maronitarum super accuratissima observantia Synodi Libanensis habita (sic) anno 1736; nec non litterae particulares Delegato Apostolico, Patriarchae et Episcopis ad opportunitatem, prout in sequentibus dubiis expedire videbitur. *Et typis S. C. publicetur exemplar Latinum ejusdem Synodi, qui extat in archivio S. C.* »

26. Qual fosse il motivo di tale disposizione non potrebbe rilevarsi, che da una Nota di Archivio che accompagnava la detta Ponenza. Nella qual Nota dopo essersi detto, doversi ripetere dall'inosservanza del Sinodo Libanese tutti i disordini della Chiesa de' Maroniti, si concludeva così: «Parebbe dunque necessario per richiamare in quella nazione la pace, l'ordine e la vicendevole subordinazione, che l'EE. VV. inculcassero e prescrivessero

انهم لا يعيرونه حالياً اقل اهتمام او على الاكثر انهم يؤولونه كما يشاؤون . وذلك مما يدعم الظن بانه بعد مضي ثمانين سنة تقريباً لم يبق لديهم منه نسخة واحدة شرعية . واذا وُجدت فانها محرَّفة بمعظمها . ويبدو ضرورياً كل الضرورة لازدهار النظام القديم واتحاد نفوس اولئك الكهنة المختلف بعضهم مع البعض ان يعاد طبع المجمع اللبناني المذكور وان ترسل منه نسخات مع الامر بان يُعمل بموجبه بكل دقة . ويمكن ان يكون هذا الطبع نبراساً لنيافتكم (٢) عندما يتوجب عليكم البحث في قضايا هذه الطائفة » . ويحتوي مجمل هذا التلخيص على دليل لهذه الفائدة الاخيرة لانه طُبع فيه ٥٤ صفحة تشتمل على بعض ابواب المجمع المتعلقة بها المسائل المبحوث فيها وذلك (كما قال حافظ الخزانة) ليتمكن الآباء السامي احترامهم من مطالعتها مطبوعة .

(٢) حاشية المؤلف : يقال في احدى الملحوظتين الخزانيتين الواردتين في المجمل صفحة ٩٨ : « لقد تقرر طبع المجمع المذكور سابقاً في الاجتماع المنعقد في الثالث عشر من ايلول سنة ١٨١٩ . . . لانه كان معلوماً ان تلك الطائفة تتداول عدة نسخات مختلفة فيما بينها ومحرفة اقسام عديدة منها . » ولكن هذا السبب لا دليل عليه البتة . وعدا عن ذلك فلا اثر له في تلخيص سنة ١٨١٩ .

a quegli Ecclesiastici di ogni ceto, che onninamente tornassero alla primitiva osservanza del loro Sinodo Libanese. E siccome dalle medesime loro mosse e procedere si scorge chiaramente, che ora non ne fanno conto veruno o al più lo interpretano a loro capriccio, può dubitarsi fondatamente, che dopo il lasso di circa ottanta anni non siane rimasto fra loro alcun autentico esemplare, o se alcuno ve n'è, sia restato nella massima parte corrotto. Per far dunque rifiorire l'antica disciplina e riunire gli animi di quegli Ecclesiastici tanto fra loro discordi, sembra onninamente necessario di far nuovamente stampare il detto Sinodo Libanese, e trasmettere colà degli esemplari, ordinandone la precisa osservanza: tale stampa potrebbe altresì servire di lume all'EE. VV all'occasione di dover trattare affari di quella Nazione» (1). E di questo ultimo vantaggio si aveva prova nel Sommario della stessa Ponenza, perchè vi furono stampati in 54 pagine vari capitoli del Sinodo ai quali si riferivano le questioni

(1) In una delle due Note di Archivio riportate in Sommario p. 98 si dice, che « Nell' adunanza generale del 13 Settembre 1819 fu decretata la stampa del suddetto Sinodo...perchè si sapeva che diverse copie in molte parti alterate e fra loro discordanti circolavano presso quella nazione.» Ma di tale ragione, che altronde non ha riscontro nella relativa Ponenza del 1819, non si reca prova veruna.

٢٧) اية نسخة مخطوطة دفع المجمع المقدس للطبع ؟ ان القرار[٤] المتعلق بذلك يقول : « المجمع ذو النسخة الوحيدة باللغة اللاتينية وهي محفوظة في خزانة المجمع المقدس » وهذا القول اعيد في رسالة الكردينال « بدتشيني » الى البطريرك بتاريخ ٢٤ من شباط سنة ١٨٢١ . وهذه النسخة بقيت محفوظة وحدها الى الايام الاخيرة لان الملحوظة الخزانية الاولى[٥] لا تذكر الا نسخة لاتينية واحدة مقسومة الى ثلاثة مجلدات مجلدة تجليدا شرقيا بجلد اسود . يحتوي المجلدان الاولان منها على اعمال المجمع والثالث على ذيله . ويوجد الآن ثلاث نسخات . الاولى قطع ربع[٦] ومجلدة برق ابيض خطها واضح وخالص من الشطب ولا اشارة فيها الى ما يجعلها شرعية . « ان هذا الدفتر[٧] كُتب بدون شك بعد الاثنين الآخرين . ويكفي للدلالة على ذلك ان نشير الى انه في آخر قوانين المجمع واحكامه ، وبعد قرار المجمع المقدس في دعوى

٤) حاشية المؤلف : قرار الثامن من ايلول سنة ١٨٢٠ . راجع المجمل عدد ٧ ، صفحة ١٠٣

٥) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٥ صفحة ٩٥ ، حاشية ٣

٦) حاشية المعرّب : in quarto

٧) حاشية المؤلف : قد قال هذا الكلام الصائب سيادة فالرجا . راجع مجمل عدد ٤ مقطع ١٥

---

di cui si trattava, affinchè (scrivera l'Archivista) gli Emi Padri l'avessero *sotto gli occhi stampati.*

27. Ma quale esemplare manoscritto consegnò alle stampe la S. C.? Nel relativo decreto (²) si legge *cuius* (Synodi) *unicum tantum exemplor latino idiomate extat in S. Cnis archivio*, il che viene ripetuto nella lettera del Cardinale Pedicini al Patriarca, scritta ai 24 Febbraro 1821. E questo esemplare si è conservato solo sino agli ultimi tempi, giacchè nella prima nota d'Archivio (Som. n. V p. 95, nota 3) non si parla, se non di un solo manoscritto latino, diviso in tre Tomi con legatura orientale in pelle nera, de' quali i primi due contengono gli atti del Sinodo, il terzo l'appendice. Al presente n'esistono tre: uno in quarto, legato in carta pecora bianca, scritto nitidamente senza veruna cancellatura, e privo di autenticazione. «Questo codice, giustamente osserva Mons. Valerga (Som. n. IV, §. 15) è evidentemente posteriore agli altri due, ed a provarlo, basta osservare che ad calcem dei canoni e decreti

(2) *Decreto degli 8 Settembre 1820, Som. n. VII, p. 103.*

مجمع الموارنة بتاريخ ٢٣[٨] آب ١٧٤١ ، وبعد حكمه فيما يتعلق بالاصلاحات الواجب القيام بها[٩] قد وضعت نبذة عنوانها : «من ذيل مجمع جبل لبنان الموجود في الدفتر الاصلي لهذا المجمع . ثلاثة مجلدات مجموعة بواحد . التواقيع . المجلد الثاني » . سنرى حالاً ايّاً هو الدفتر الاصلي المقسوم الى ثلاثة مجلدات . وينبغي ان نشير هنا الى ان قرار المجمع المقدس المشار اليه آنفاً وحكمه ما هما الا نسخة بخط نفس اليد التي كتبت كل الدفتر .

٢٨) والمخطوط الثاني هو كتاب كبير قطع ربع مجلد على الطريقة الاوربية بجلد احمر وعلى وجهه زخارف مذهبة . وهو كالسابق لا يحتوي على كتابة السجل والتواقيع والذيل وفيه فوق ذلك شُطب مختلفة وطويلة مع زيادات اضافتها يد ثانية وما احتوى عليه ايضاً من قرار المجمع المقدس وورقة الاصلاحات ما هو الا نسخة فقط خالية من كل ما يجعلها شرعية . وقد قابل سيادة ڤالرجا شطب واصلاحات هذا المخطوط اللاتيني بالمشروع العربي ودوّن ذلك في ورقة منفردة

٨) حاشية المؤلف : اما في المخطوط فيقرا ٢٧ آب (وهو الصواب)
٩) حاشية المعرب : في نص المجمع

---

del Sinodo, dopo il decreto della S.C. *in Causa Synodus* (3) *Maronitarum* 23 (il ms ha 27) Agosto 1741, e le decisioni della medesima intorno alle correzioni dd farsi, segue un estratto che porta per titolo: Ex appendice ad Synodum Montis Libani. Extat in codice originali eiusdem Synodus (4). Tomi tres in unum Signat. Tom. II. Or ora si vedrà quale sia il codice *originale*, diviso in tre tomi. Qui è da notare che tanto il decreto della S.C. succitato, quanto la decisione della medesima sono semplici copie fatte dalla stessa mano che ha scritto tutto il codice.

28. Il secondo manoscritto è un grosso volume in quarto, legato all'europea in pelle rossa, con ornamenti e fronte dorati. Esso non contiene, come il precedente, nè il rogito del Notaro e le sottoscrizioni, e nè l'appendice; inoltre ha varie e lunghe cancellature, ed aggiunte fatte di seconda mano. Anche in questo il decreto della S.C., e l'annesso foglio delle correzioni sono semplici copie senza veruna autentica. Mons. Valerga ha collazionato le cancellature ed emendazioni di questo manoscritto latino collo *schema* arabo,

(3) *Il manoscritto legge rettamente : Synodi.*

(4) *V. la nota precedente.*

ضمت الى المجامل[١٠] واستخلص :« ان هذا المخطوط هو الذي اتى به السماني من روما وبه كما يقول كان يقابل ما اصلح وزيد في النسخة العربية . وبهلا ان كل الشطب الموجودة فيه تطابق تاما الاصلاحات والمحذوفات التي ازالت في المخطوط العربي . ومع ذلك فان المخطوط العربي يتضمن من التصحيحات والشطب والفقرات المحذوفة عدداً يفوق بكثير ما يتضمنه اللاتيني »[١١]

٢٩) والمخطوط الثالث مقسوم كما قيل الى ثلاثة مجلدات قطع نصف[١٢] وهي مجلدة بجلد اسود تجليداً شرقياً . فالمجلد الاول فيما يلي الورقة الحافظة والعنوان يحوي « فيما جرى قبل المجمع » ثم يتبع خمس ورقات بيضاء ثم يراجع العنوان مغيراً في ترتيبه بخط السماني ويلي :« فهرست ما تتضمن هذه التنظيمات المجمعية » . ويلي ذلك ورقة لا رقم لها كتبتها اليد الاولى وتتضمن قرار البطريرك باذاعة المجمع . ويأتي اخيراً القسمان الاول والثاني من القوانين والاحكام وهما يحتلان ٥٥٤ صفحة . وبعد ورقتين بيضاوين تأتي ورقة ثالثة مكتوب عليها :« فهرست اعمال مجمع جبل لبنان » . وينتهي المجلد بورقتين

١٠) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ ٨

١١) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤ مقطع ١٥

١٢) حاشية المعرّب : in folio

notandole in un foglio a parte, che si riporta in *Sommario* (N. III A.), e ne ha conchiuso: «questo manoscritto essere precisamente quello che l'Assemanni (sic) portava seco da Roma, e sul quale, come egli narra, collazionava ciò ch'era stato corretto ed aggiunto nella copia araba. Infatti tutte le *cancellature* che si riscontrano in questo manoscritto, corrispondono esattamente alle correzioni, o soppressioni che ebbero luogo nell'arabo; sebbene nell'arabo trovisi un numero di gran lunga maggiore di correzioni, cancellature, testi soppressi etc. che non si trovano nel latino (*Som.* N. IV §. 15).»

29. Il terzo manoscritto è diviso, come si è detto, in tre Tomi in folio, legati in pelle nera con legatura orientale. Il primo tomo, dopo un foglio di guardia ed il titolo, contiene: *quae Synodum praecesserunt*; quindi, lasciati cinque fogli vuoti, da mano dell'Assemani si ripete il titolo ma con ordine diverso, cui succede: *Index eorum, quae Synodalibus hisce constitutionibus continentur*; poscia segue un foglio non numerato, scritto dalla prima mano, e contenente il decreto di promulgazione del Sinodo, fatta dal Patriarca.

حافظتين اكلهما العث قليلاً كما اكل بعض أوراق غيرها من النص . واما المجلد الثاني ففيه بعد ورقة حافظة ما يلي : « القسم الثاني » مع رقم الصفحة وهو ٥٥٨ تباعاً لنمر صفحات المجلد الاول . وقد ادى ذلك بكاتب الحاشية عن الدفتر الاول المار وصفه[١٣] ان يسمي المخطوط الذي نفحصه ثلاثة مجلدات مجموعة بواحد . وينتهي الجزء الرابع في الصفحة ١٢٤٩ الحاملة تواقيع آباء المجمع ولائحة الاعيان الذين شهدوه . وفي الصفحة ١٢٥٠ كتابة رسمية عن اعمال المجمع بشهادة المسجل حبيب وقد كتبتها بكاملها نفس اليد التي وصفت كل الدفتر وهذه هي الكتابة : « انا جرجس حبيب الحاقلاني المسجل الرسمي بسلطان البطريرك واحد مسجلي المجمع الحاضر بناء على التماس السيد اسطفان عواد السمعاني الجزيل الاحترام رقيب المجمع قد نظمت كتابة رسمية بذلك وكتبتها ورقمتها واذعتها وختمتها بختمي المألوف . جرجس حبيب » . ولا يرى بعد ذلك ختم البتة انما يليه رأساً شهادة السمعاني بتاريخ : جبل لبنان في دير لويزه ٤ تشرين الاول سنة ١٧٣٦ معززة بختمه وتوقيعه بخط يده وفيها يوافق على ان جرجس الحاقلاني المذكور هو مسجل رسمي واحد المسجلين اللذين شهدا المجمع الا انه لم يذكر بتاتاً ما اذا كانت النسخة الحاضرة ترجمة مطابقة للمخطوط العربي او اقله انها قوبلت به بصورة شرعية وصحيحة . وبعد الورقة

١٣) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٧ (من هذا المقال)

Finalmente succedono la prima e la seconda parte de' canoni e Decreti, che occupano 554 pagine: e dopo due fogli vuoti, ne segue un terzo su cui è scritto: *Index Actorum Synodi Montis Libani.* Due fogli di guardia un poco tarlati, come sono alcuni altri del testo, chiudono il primo tomo. Nel Secondo, dopo un foglio di guardia, segue «Pars III» col numero di pagina 558, seguendo la paginazione del primo tomo, il che ha dato occasione all'autore della nota sul primo codice descritto (§ 27) di chiamare questo ch'esaminiamo: *Tomi tres in unum.* La quarta parte termina alla pagina 1249 colle sottoscrizioni dei Padri del Sinodo e l'elenco de' Notabili intervenuti allo stesso. Quindi a pagina 1250 v'è il *Rogitus Actorum Synodi* coll'attestato del Notaro Habib, rogato interamente dalla stessa mano che ha descritto tutto il codice: *Ego Georgius Abibus Echellensis publicus Patriarchali auctoritate Notarius, et unus ex duobus praesentis Synodi Notariis, ad instantiam Rmi Dni Stephani Evodii*

الحاملة توقيع السمعاني بخيطت ، بنوع يحمل الى الظن ان الجلد فُك لتضم اليه ، الورقة الاصلية المدونة فيها الاصلاحات التي قررها المجمع في اجتماعه الخاص المنعقد في ٢٧ آب سنة ١٧٤١ والقرار المتعلق بها وكلاهما معزز بختم وتوقيعَي الكردينال ف . پطرا الرئيس و«فيلبوس دي مونتي» امين السر بخط يدهما . والمجلد الثالث عدد صفحاته ١١٩ . وقد كتبه السمعاني بخط يده كما اشارت الى ذلك بصواب الملحوظة الخزانية الاولى[١٤] وهو يحتوي على ذيل المجمع ، والذيل هذا ليس من نص المجمع ، وعلى ورقة مضمومة اليه كتبتها يد غريبة وعنوانها التالي : «من ذيل المجمع اللبناني ٤١. كراسي مطارنة واساقفة الموارنة وحدودها . » وكتب ادناه بحرف اصلي : فيما يتعلق بالذيل المذكور راجع قرار المجمع الخاص الموضوع ادناه . ف. كردينال بطرا رئيس.

١٤) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٥ صفحة ٩٥

Assemani Promotoris Synodalis de praedictis rogatus publicum instrumentum confeci, scripsi subscripsi publicavi, meoque solito signo signavi. Georgius Abibus.» E, senza vedersi alcun sigillo, segue immediamente sotto l'attestato dell'-Assemani, in data del Monte Libano nel Monastero di Loaize 4 Ottobre 1736, munito del sigillo e della firma autografa dello stesso, col quale fa fede che il predetto Giorgio Echellense era publico Notaro, ed uno de' due intervenuti al Sinodo, senza fare la minima menzione se il presente esemplare sia una traduzione conforme al manoscritto arabo, od almeno se sia stato collazionato collo stesso in forma legale ed autentica. Dopo il foglio in cui contiensi la firma dell'Assemani, sono cuciti, in modo da far supporre che per inserirveli sia stato scòmposto il volume, il foglio originale delle correzioni decretate dalla S.C. Particolare dei 27 Agosto 1741, ed il Decreto relativo alle stesse, tutti e due muniti di sigillo, e delle firme autografe di V. Card. Petra Prefetto, e di Filippo de Monti Segretario. Il terzo tomo di 119 pagine, scritto di mano dell'Assemani, come rettamente si osserva nella prima nota d'Archivio, (Som. n. V, p. 95), contiene l'appendice del Sinodo, la quale però non fa parte dello stesso, meno un foglio inseritovi, e scritto *aliena manu* col titolo: *Ex Appendice ad Synodum Montis Libani XLI. Metropolitanorum, et Episcoporum Maronitarum sedes et limites*, nel cui calce di carattere originale è scritto: *Quoad dictam Appendicem vide Decretum Congregationis particularis infra positum. V. Card. Petra Prefetto.*

٣٠ ويظهر بوضوح من ذلك الوصف الوجيز ان هـذا المخطوط هو نفس النسخة التي ترجمها السماني من العربي الى اللاتيني ليرفعها الى المجمع المقدس[١٥] وهو ايضاً المجلدان الكبيران (ما عدا الذيل) المتضمنان قوانين المجمع كما عبر عن ذلك الكردينال الرئيس في الرقعة المذكورة[١٦] واخيراً انه نفس المخطوط الذي دفع للطبع سنة ١٨٢٠ .وقد قوبل هذا الدفتر بكل تدقيق[١٧] بطبعة سنة ١٨٢٠ فوجد مطابقاً لها كل المطابقة . انما هناك فروق قليلة اكثرها املائية ومطبعية . وقد اتت الطبعة مطابقة للمخطوط الى حد انها اعادت بعض اغلاطه وقد جرى ذلك اولاً : في الصفحة ٨ من الطبعة حيث كتب ١٨٢٥ بدلاً من ١٧٣٥ وهو تاريخ الموجز الثاني الموجه الى السماني . فنقل خطأ عن المخطوط . ثانياً في الصفحة ١٤٨ السطر السابع نقل خطأ عن المخطوط supensus بدلاً من suspensus . ثالثاً في الصفحة٢١٧ جاء في السطر الرابع عشر persequutus كما في المخطوط بدلاً من prosequutus . رابعاً واخيراً في الصفحة ٣١٧ السطر الحادي عشر حيث كتب كما في المخطوط nun بدلاً

١٥) حاشية المؤلف : راجع مقطع ١١ (من هذا المقال)
١٦) حاشية المؤلف : راجع مقطع ١٢ (من هذا المقال)
١٧) حاشية المؤلف : ان هذا الدفتر مكتوب بحرف جلي ومفهوم وشطبه واصلاحاته قليلة جداً

30. Da questa breve descrizione chiaramente risulta, esser questo manoscritto quella *copia tradotta* dall'Assemani dall'Arabo in Latino, *per esser presentata alla* S.C. (§. 11): esser questi i *due grandi tomi* (oltre l'appendice) *contenenti i canoni* del Sinodo, come si espresse nel citato biglietto (§ 12) il Card. Prefetto; e finalmente esser questo stesso manoscritto quello che fu consegnato alle stampe nel 1820. E per vero, collazionato scrupolosamente questo codice (scritto con carattere nitido e intelligibile, con pochissime cancellature o correzioni), coll'edizione del 1820, ad eccezionedi piccole varianti, per la maggior parte ortografiche o tipografiche, si è trovato con essa pienamente conforme. Anzi l'edizione è talmente fedele, da riprodurre alcuni errori del manoscritto, come è avvenuto: 1°. a p. VII dell'edizione, ove nella data del secondo Breve all'Assemani è scritto erroneamente, come trovasi nel manoscritto, MDCCXXV, in vece di MDCCXXXV — 2°. a p. 148, linea 7, ha copiato l'errore del ms. *supensus*, per *suspensus* — 3°. a. p 217.

من nunc واما الاختلافان المذكوران في اول ملحوظة خرانية[١٨] والمتعلقان بالتصحيحين الثاني عشر والثالث عشر اللذين امر بهما في الاجتماع الخاص بتاريخ ٢٧ آب سنة ١٧٤١ فلا يمكن ان نقول انهما يشكلان اختلافاً لانهما لم يكونا موجودين في المخطوط بل اشير اليهما فيه بحاشية على هامش المحل المقابل للاصلاح المنوي ادخاله وذلك كما يأتي : « راجع ورقة الاصلاحات الموضوعة في الآخر الاصلاح عدد . . . » وبناء على ذلك يمكنا ان نجزم جزماً قاطعاً مؤكدين ان المجمع المقدس قد طبع نفس المخطوط الذي حمله اليه السمعاني باعتباره النسخة الشرعية للمجمع اللبناني .

٣١) ولما انتهى الطبع ارسل الكردينال « بدتشيني » امين سر البروبغندا آنذاك عشرين نسخة الى يوحنا الحلو بطريرك الموارنة وكتب اليه في الرابع والعشرين من شباط ١٨٢١ قال : « نظراً لقرار المجمع المقدس بدفع المجمع اللبناني للطبع وهو الذي عقد سنة ١٧٣٦ وليس له الا نسخة واحدة باللغة اللاتينية محفوظة في خزانة المجمع المذكور . وبناء على ما تقرر من ارسال

١٨) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٥ صفحة ٩٨

---

linea 14. ha *persequutus* come nel manoscritto, invece di *prosequutus* — e 4°. finalmente a p. 317, linea 11 legge col manoscritto *nun* per *nunc*. Le due variazioni poi designate nella prima nota d'Archivio (Som. n. V. p. 98) riguardanti le correzioni 12 e 13 ordinate dalla Congregazione Particolare de' 27 Agosto 1741, non si possono dir tali, perché non esistevano nel manoscritto, ma soltano nel margine del luogo corrispondente alla correzione da introdursi in nota: *vide in folio correctionum in fine posito, correctionem N.* etc... Dopo ciò si può con tutta certezza asserire, avere la S.C. riprodotto colle stampe quello stessissimo manoscritto portatole dall'Assemani, *come copia autentica* del Sinodo Libanese.

31. Eseguita la stampa, il Card. Pedicini, allora Segretario di Propaganda, ne mandò 20 copie al Patriarca dei Maroniti Giovanni Dolci, cui scriveva ai 24 Febbraro 1821: «Avendo deciso questa S.C. di dare alle stampe il Sinodo Libanese celebrato nell'anno 1736, di cui una sola copia in lingua latina esisteva nel suo Archivio, e di mandare delli esemplari al Patriarca, e Vescovi della Nazione Maronita per le ragioni indicate nel Decreto (Som. n. VII, p. 103) posto in fronte alla stampa del detto Sinodo, mi fo un dovere di trasmettere a V. S. Illma e Rma 20 copie, affinché, ritenutane una per se, si compiaccia

نسخات الى البطريرك واساقفة الطائفة المارونية . ووفقاً للاسباب المذكورة في القرار[١٩] الموضوع في اول طبعة المجمع المشار اليه ارى من واجبي ان ارسل الى سيادتكم المعظمة والكلية الاحترام عشرين نسخة تحتفظون منها بواحدة وتتفضلون بتوزيع الباقي على اساقفة الطائفة »[٢٠] وصلت النسخات المذكورة الى البطريرك فلم يأبه لها احد[٢١] لانه ما من احدٍ من الموارنة كان آنئذٍ يعرف اللغة اللاتينية ما عدا اثنين . ولم « يدر بخلد احد ان هذه النسخات تختلف عن النسخة العربية »[٢٢] . ويُظهر صدقَ ذلك الحادث التالي : كان المجمع المقدس منح سنة ١٨٢٩ سيادة البطريرك الجديد يوسف الحبيشي سلطات مختلفة منها سلطة التفسيح من الدرجة الثانية من القرابة الدموية والاهلية فرفضها البطريرك سنة ١٨٢٩ . ولما سُئل عن السبب برسالة وُجهت اليه بتاريخ ٨ ايار سنة ١٨٣٠ اجاب ان هذا السلطان يحق له بقوة المجمع اللبناني كما يظهر من المخطوط العربي الاصلي ومن غيره من النسخات الخطية والمطبوعة المأخوذة عنه»[٢٣] .

٣٢) ويبدو انه بهذه المناسبة اضطرّ المجمع المقدس الى ان يكتب في

١٩) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٧ صفحة ١٠٢

٢٠) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ١٦

٢١) حاشية المؤلف : المحل نفسه صفحة ١٣

٢٢) حاشية المؤلف : المحل نفسه صفحة ١٣

٢٣) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ١٤

a distribuire le altre ai Vescovi della Nazione.» (Som. n. II, p. 12) Giunte le dette copie al Patriarca, niuno ne fece conto (ibid. p. 13), perchè nessuno de' Maroniti, ad eccezione di due, conosceva allora la lingua latina, e nè «venne alla mente di alcuno ch'essa fosse differente dall'esemplare arabo». (Ibid.) E quanto ciò fosse vero, apparisce dal fatto che, avendo la S.C. nel 1829 rimessa a Mons. Giuseppe Habaisci, novello Patriarca, una con altre la facoltà di dispensare nel secondo grado di consanguinità ed affinità, se la vidde restituita nel 1829. Ed interrogatone il Patriarca con lettera degli otto maggio 1830, dallo stesso si ebbe in risposta, aver egli detta facoltà in forza del Sinodo Libanese secondo l'originale manoscritto arabo, e gli altri esemplari tanto manoscritti, quanto stampati, fatti su quello». (Som. n. II, p. 14).

32. Fu questa a quanto pare l'occasione che nello stesso anno spinse

نفس السنة الى سيادة لوزانا النائب الرسولي في حلب والقاصد الرسولي في جبل لبنان « ليقابل بكل ضبط الترجمة العربية والنص اللاتيني ويقدم تقريرا دقيقا بذلك للمجمع المقدس »[٢٤] . وبينما المجمع المقدس ينتظر التقرير المطلوب من القاصد الرسولي صدرت عنه كتابة الى بطريرك الموارنة بتاريخ ١١ ك ٢ سنة ١٨٣١ جاء فيها : « ان المجمع المقدس قد اطلع على انه يوجد لدى الموارنة نسخة عربية للمجمع اللبناني مختلفة عن النسخة اللاتينية لنفس المجمع وان المجمع المقدس لا يعرف غير النسخة اللاتينية وان على البطريرك ان يأمر اساقفة طائفته بان يمشوا بموجبها[٢٥] . لم يجاوب البطريرك على هذه الرسالة انما كلف شخصاً متضلعاً من اللغتين ليقابل النشرة العربية بالنشرة اللاتينية ويدون الفروق القائمة بينهما[٢٦] . ولا يمكن الجزم بما كانت نتيجة المقابلة التي امر بها البطريرك . ولكنه من الثابت ان القاصد لوزانا ارسل الى المجمع المقدس بتاريخ ٢٩ نيسان سنة ١٨٣١ بلائحة تتضمن كل الفروق والاختلافات التي وجدها في الطبعة العربية[٢٧] . وقد رتبت هذه اللائحة فيما بعد وقسمت الى ثلاثة اقسام

٢٤) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٥ الملحوظة الثانية
٢٥) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ١٤
٢٦) حاشية المؤلف : المحل نفسه
٢٧) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٥ الملحوظة الثانية

la S.C. a scrivere a Mons. Losana Vicario Apostolico di Aleppo, e Delegato Apostolico al Monte Libano, «acciò fatto un esatto confronto della versione araba col testo latino, le ne desse un diligente rapporto.» (Som. n. VI *seconda nota d'Archivio*). Intanto in attenzione del rapporto domandato al Delegato Apostolico la stessa S.C. ai 14 Gennaro 1831 scriveva al Patriarca Maronita che «la S.C. è venuta a sapere che si trova presso i Maroniti un esemplare rabo del Sinodo Libanese, differente dall'esemplare latino di questo stesso Sinodo, e che la S.C. non conosce che l'esemplare latino e che il Patriarca dovesse ordinare ai Vescovi della sua Nazione di camnare (sic) a norma di esso» (*Som.* n. II, p. 14). A questa lettera non replicò il Patriarca, ma invece adiede incarico a persona che conosceva le due lingue di confrontare le due edizioni araba e latina, di prender nota delle differenze che vi si trovavano. (Ibid.) Non consta quale sia stato il risultato del confronto ordinato dal Patriarca; è certo però che il Delegato Losana ai 29 Aprile 1831 mandò alla S.C. uno specchio di tutte le variazioni. (sic) e discordanze rinvenute nella

وفقاً لانواع الاختلافات الثلاثة التي لوحظت في هذه الطبعة . والفروق تعود الى فقرات ناقصة وغيرها مختلفة وغيرها زائدة . ثم طُبعت اللائحة في تلخيص كانون الثاني ١٨٣٢ عندما عقد اجتماع خاص بهذا الامر وطُرحت فيه السؤالات التالية :

١ : هل يجب قبل اتخاذ بعض التدابير بشأن الطبعة العربية الغير الصحيحة لاعمال المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ ان يُؤمر القاصد الرسولي او البطريرك الماروني بان يرسل الى المجمع المقدس بنسخة اعمال المجمع المذكور التي طبعت هناك باللغة العربية ايتسنى للمجمع المقدس ان يحصل على النص الاصلي الذي هو وثيقة الاثبات في هذه الدعوى .

٢ : هل يوافق ان تُتخذ في هذه الاثناء تدابير تمنع الطائفة المارونية من ان تعتبر ان المجمع المقدس ثبّت اعمال المجمع اللبناني المطبوعة باللغة العربية والمختلفة عن الطبعة اللاتينية التي فُحصت وثُبتت .

٣ : هل يجب اتخاذ بعض التدابير وايها لدفع البطريرك والاساقفة المارونيين الى ان يطابقوا اعمالهم تمام المطابقة (وذلك فيما يتعلق بالمواد التي

versione araba (*Som. n. V, 2a nota d'Archivio*). Questo specchio, coordinato poi e distinto in tre parti secondo le tre classi delle differenze notate nell'edizione araba, cioè di cose omesse, di variazioni, e di testi aggiunti, fu stampato nella ponenza del Gennaro 1832, quando se ne tenne apposita Congregazione, nella quale vennero proposti i seguenti dubbi:

1) Se prima di prendere qualunque provvedimento sull'infedele edizione araba degli atti del Sinodo Libanese dell'anno 1736, si debba ordinare al Delegato Apostolico, o al Patriarca Maronita di mandare alla S.C. un esemplare dei detti atti colà stampati in Arabo, perchè presso la S.C. sia l'Originale documento, che in questa causa forma come il corpo del delitto.

2) Se intanto sia opportuno di prendere qualche provvedimento, perchè presso la Nazione Maronita non corrano come approvati dalla S.C. gli atti del Sinodo Libanese stampati in arabo, e non conformi all'edizione latina esaminata ed approvata.

3) Se intanto si dia luogo a qualche provvidenza, e quale, perchè il Patriarca, e Vescovi Maroniti relativamente alle cose trattate nel detto Sinodo

يبحث فيها المجمع المذكور) لطبعة اعمال المجمع اللبناني التي نشرتها البروبغندا والتي ثبتها وحدها الكرسي الرسولي .

٤ : هل يوافق استخدام القاصد الرسولي في هذه المناسبة وكيف يُحتاط لتفادي خطر تجديد النفور بين الاساقفة الشرقيين وبينه .

وقد أجيب على هذه الاسئلة :

على الاول : بالايجاب . وليُكتب الى البطريرك والى النائب الرسولي لارسال نسخة هذا المجمع المطبوعة في جبل لبنان .

وعلى الثاني : بالايجاب ونظرًا للنية . والنية هي ان يُكتب الى البطريرك ويُعرض له ان المجمع المقدس اطّلع على ان الاكليروس والشعب الماروني يتداولون طبعة للمجمع اللبناني مختلفة باشياء كثيرة وجد خطيرة عن الطبعة التي طبعها المجمع المقدس . ولذلك يرغب هذا الى البطريرك ان ينبه كل اساقفة واكليروس بطريركيته ليهملوا الطبعة المذكورة ويتركوها لانها مزوّرة وغير صحيحة وينكبوا على السير بضبط بموجب المجمع اللبناني المطبوع في رومه .

وعلى الثالث : عُني به في الجواب السابق .

---

intieramente si uniformino alla edizione degli atti pubblicatti dalla Propaganda, *che sono i soli approvati dalla Santa Sede.*

4) Se convenga servirsi in questa occasione dell'opera di Mons. Delegato Apostolico, e con quali cautele per evitare il pericolo di nuovi disgusti tra i Vescovi Orientali e quel Prelato.

Ai quali dubbi fu risposto:

Ad primum: Affirmative, et scribatur tum Patriarchae, tum vicario apostolico pro trasmissione (sic) exemplaris synodi eiusdem in Monte Libano impressae.

Ad secundum: affirmative, et ad mentem. Mens est, ut scribatur Patriarchae, eique exponatur S.C. certiorem factam esse circumferri apud clerum, populumque Maronitarum editionem synodi libanensis in multis, et gravioris momenti rebus aberrantem ab ea, quae typis S. C. excusa (sic) fuit, velle proinde S.C., ut idem Patriarcha omnes sui Patriarchatus episcopos, clerumque moneat, ut, posthabita et reiecta illa spuria, atque infideli editione sedulo in observantiam synodi libanensis Romae impressae incumbant.

Ad tertium: Provisum est in antecedenti.

وعلى الرابع : يجب ان ترسل الرسالة الى البطريرك بواسطة القاصد[٢٨] .

٣٣) يبدو واضحاً من السؤالات المطروحة ومن الاجوبة عليها ان المجمع المقدس لم يقصد المخطوط العربي الاصلي الذي وقعه آباء المجمع بل طبعته وحدها التي ينعتها بالمزورة والغير الصحيحة لاعتقاده انها لم تنقل المخطوط نقلاً مضبوطاً. ويُستخلص ذلك ايضاً من الاحداث التالية: كان سيادة اوڤرن القاصد الرسولي بناء على امر المجمع المقدس قد وجه الى البطريرك الماروني اسئلة بشأن قضية المجمع . فدفع البطريرك واساقفته معاً الى نفس القاصد عريضة تتعلق بشرعية المخطوط العربي المحفوظ في الخزانة البطريركية . وارسلوا عنها نسخة مماثلة الى المجمع المقدس . واتبعوها في التاسع والعشرين من حزيران من نفس السنة برسالة يشكون فيها ان يكون المجمع المقدس آثر الطبعة اللاتينية على النص العربي الاصلي الذي نقلته بكل امانة الطبعة العربية المتداولة فيما بينهم . وعلى اثر ذلك كتب المجمع المقدس بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٨٣٥ رسالة الى البطريرك يحثه فيها بحق لطفه وضميره على ارجاع الى خزانة البروبغندا النسخة الخطية العربية التي دُفعت سنة ١٧٤٢ الى الياس سعد مع الالتزام بردها .

٢٨) حاشية المؤلف : بحسل عدد ٥ الملحوظة الخزانية الثانية

Ad quartum: Transmittendas esse litteras ad patriarcham per delegatum apostolicum (Som. n. V, 2a nota d'Archivio).

33 . Dai dubbi proposti e dalle relative risoluzioni evidentemente apparisce, la S.C. non aver avuto di mira il manoscritto originale arabo, sottoscritto dai Padri del Sinodo, ma solo l'edizione fattane, la quale vien dichiarata *spuria ed infedele* nella persuasione (sic), che la stessa non fosse un'esatta riproduzione del medesimo manoscritto. Ciò risulta altresì dai fatti seguenti. Nel 1834 il Delegato Apostolico Mons. Overgne avea per ordine della S.C. interpellato il Patriarca Maronita intorno alla questione del Sinodo: e questi unitamense (sic) ai suoi Vescovi avea presentato allo stesso Delegato un esposto sull'autenticità del manoscritto arabo che si conservava nell'archivio patriarcale. Una copia identica del medesimo esposto mandarono alla S.C., cui ai 29 Giugno dello stesso anno fecero seguire una lettera, nella quale si lamentavano per avere la S.C. preferita l'edizione latina al testo originale arabo, di cui l'edizione araba, che circolava presso loro, era fedele espressione. In seguito a ciò la S.C. ai 24 Novembre 1835 scrisse al Patriarca una lettera, nella quale impegnava la delicatezza e coscienza di lui a restituire

وختمت الرسالة هكذا : « ان سيادتك ترى كم يهم خزانة المجمع المقدس ان تسترجع هذا المخطوط الذي أعير بنية سليمة . ولذلك اني منتظره في رومة في اقرب وقت لنتمكن اخيرًا من مقابلة المخطوط العربي والمخطوط اللاتيني ونقضي بعد ذلك دون ما تحيّز وبعد الاطلاع على الحقيقة على هذا الجدال القائم بصدد الفروق بين الطبعة العربية الصادرة في جبل لبنان والطبعة اللاتينية الصادرة في رومة[٢٩] .

٣٤) ولم يجاوب البطريرك من فوره على هذه الرسالة . ولا ارتأى ان يرد المخطوط العربي . وذلك لسببين يذكرهما مؤلف المفكرة التاريخية[٣٠] . الاول هو خوف البطريرك من ضياع النسخة المذكورة ابان هذا السفر الطويل . والثاني هو اعتقاده ان المخطوط هذا ما أعيد الى لبنان بصفة عارية بل ليحفظ في الخزانة البطريركية . وفضلًا عن ذلك انه من السنة ١٧٤٢ الى هذا الوقت لم يطالب احد بارجاعه . ثم ان هذا البطريرك واساقفته اجابوا في شهر آذار سنة ١٨٣٦ على رسالة المجمع المقدس المذكورة وضموا الى جوابهم مفكرة وافية بشأن الطبعة العربية . وارتأى المجمع المقدس آنذاك الا يردّ جوابًا على

٢٩) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ١٦

٣٠) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ١٦

(sic) all'archivio di Propaganda l'esemplare manoscritto arabo, consegnato nel 1742 a D. Elia Felici coll'obbligo della restituzione, e conchiudeva: «Vede bene V.S. di quanta importanza sia che l'archivio della S.C. ricuperi questo manoscritto che in buona fede ha prestato; e quindi io l'aspetto in Roma quanto prima. Così finalmente potremo noi fare un confronto del manoscritto arabo col latino, e definirvi in appresso con imparzialità, e conosciuta verità questa controversia delle differenze tra l'edizione araba del Monte Libano, e la latina di Roma.» (*Som.* n. II, p. 16).

34. A questa lettera il Patriarca non rispose subito, nè pensò di restituire il manoscritto arabo; e ciò fece per due ragioni, come afferma l'autore dell *Memoria storica* (*Som. ibid*): per il timore cioè, che in un viaggio così lungo non venisse a smarrirsi il detto esemplare; e per la persuasione in cui era il Patriarca, che il manoscritto non fosse stato rimandato al Libano in forma di prestito, ma bensì per conservarsi nell'archivio patriarcale; molto più che dal 1742 fino a quell'epoca non n'era stata domandata la restituzione.

ذلك . انما جرى في اجتماع ٩ كانون الاول العام سنة ١٨٤٥ الى فحص اعمال انتخاب سيادة يوسف الخازن بطريركاً جديداً . وبان من هذه الاعمال ان النص العربي يكلف العلمانيين بحجابة المجمع مما لا يرى له اثر البتة في النص اللاتيني . وعليه اجاب الآباء الكليو النيافة بالايجاب على السؤال الثالث : «هل يجب ان يجدد الامر بالامتثال للقرار الذي يثبت نسخة المجمع اللبناني اللاتينية» . واستناداً الى ذلك كتب الرئيس الكلي النيافة الى البطريرك الجديد بتاريخ ٦ شباط سنة ١٨٤٦ مذكراً اياه بما قد كتب الى سالفه بشأن طبعة المجمع اللاتينية التي بها وحدها اعترف المجمع المقدس . ويرغب ان يرى الموارنة يستعملونها . فاجاب البطريرك الجديد في شهر نيسان من نفس السنة مؤكداً انه لا يمكن ان تكون الطبعة اللاتينية هي الطبعة الشرعية او ان يدخل استعمالها في الطائفة . واستند في ذلك الى ما عرضه سابقاً سالفه على نفس المجمع المقدس[٣١] . وهذه المرة ايضاً اعتصم المجمع المقدس بالسكوت . ولكنه في شهر ايار سنة ١٨٥٥ كتب الى البطريرك الحالي بولس مسعد الذي

(٣١) حاشية المؤلف : عمل عدد ٢ صفحة ١٧

Nel Marzo poi del 1836 lo stesso Patriarca, una co'suoi Vescovi, rispose alla prefata lettera della S.C., e vi accluse una diffusa memoria intorno alla questione dell'edizione araba, cui la S.C. stimò bene allora di non replicare. Però esaminandosi nell'adunanza generale de' 9 Decembre 1845 gli Atti della elezione di Mons. Giuseppe Gazzeno a nuovo Patriarca, e rilevandosi dai medesimi che il testo arabo concede ai laici la custodia del Sinodo, mentre nel latino non se ne fa punto menzione, al terzo dubbio: *Se nuovamente debba, ingiungersi l'osservanza. del decreto che sanziona l'esemplare latino del Sinodo Libanese*: gli Emi Padri risposero = *Affirmative*. Ed in conseguenza di ciò l'Emo Prefetto ai 6 Febbraro 1846 scrisse al nuovo Patriarca ricordandogli ciò che era stato scritto al suo predecessore intorno all'edizione latina del Sinodo, sola riconosciuta dalla S.C., la quale desiderava che se ne facesse uso dai Maroniti. Il nuovo Patriarca replicava nell'Aprile dello stesso anno, sostenendo non esser possibile che l'edizione latina fosse l'autentica, o che ne fosse introdotto l'uso nella Nazione, invocando in appoggio ciò che avea esposto il suo predecessore alla stessa S. Congregazione. (*Som*. n. II, p. 17). Anche in allora questa serbò il silenzio, ma nel Maggio del 1855, scrivendo all'attuale Patriarca Paolo Massad, succeduto nell'anno precedente al Gazzeno tra le altre cose gli diceva: «Così parimenti è volontà del S. Padre che le si

عدد الخوري في نسخة السابقة . وبه قاله ما يأتي : « يريد الحبر الاعظم ايضاً ان احثك على الامتثال التام لقرارات المجمع اللبناني بشأن اعطاء التفسيحات الزواجية وبان تحصرها بهذه الدرجات فقط التي يتسمح لك فيها المجمع المذكور . والا تمنحها الا متى وجدت اسباب صوابية وقانونية وفقاً لاعلان المجمع المشار اليه سابقاً ». ولم يُشر المجمع المقدس (هذا ما يقوله مؤلف المفكرة التاريخية)[٣٣] « الى طبعة المجمع اهي اللاتينية ام العربية التي شاء الحث على العمل بها ».

٣٥) والى هذا الالتباس في تفهم كلام المجمع المقدس المشار اليه استند البطريرك ليتابع استعمال الطبعة العربية . اما المجمع المقدس فقد طاب له ان يبالغ في الاستفسار عن ذلك فكتب الى نفس البطريرك في شهر آذار سنة ١٨٦٥ سائلاً اياه بصراحة اذا كان الكرسي الرسولي منحه السلطان لان يفسح من مانع الزواج في الدرجة الثانية من القرابة الدموية والاهلية . فاجاب البطريرك انه يملك هذا السلطان بقوة عادة لا يذكر بدؤها وبقوة المجمع اللبناني نظراً لطبعتيه العربية واللاتينية . ورجا اخيراً الا يُحرم من هذا الانعام . فاجابه المجمع المقدس بتاريخ ٤ نيسان سنة ١٨٦٦ واعداً اياه باخضاع عريضته لحكم الآباء السامي احترامهم في اجتماع عام قريب . وبابلاغه بالتالي

٣٣) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ١٧

---

inculchi una esatta osservanza delle prescrizioni del Sinodo Libanese sulla concessione delle dispense matrimoniali, limitandola a quei soli gradi che Le sono permessi in detto Sinodo, e nei casi nei quali concorrono giusti motivi, e canonici, secondo le dichiariazioni del Sinodo predetto». Sanza che la S.Congregazione li dicesse (cosi osserva l'autore della *memoria storica*, *Som.* n. II ibid) «di quale edizione di detto Sinodo, se cioè dell'araba, o della latina, intendeva che si inculcasse l'osservanza«.

35. Dall'ambiguità con cui furono intese le citate parole della S.C., il Patriarca se ne valse per continuare ad usare l'edizione araba. Però la stessa S.C. a meglio indagare la cosa, nel Marzo dal (sic) 1865 diresse al medesimo Patriarca la domanda esplicita: se avea cioè dalla S.S. la facoltà di dispensare dall'impedimento matrimoniale in secondo grado di consanguinità, ed affinità: cui il Patriarca rispose, avere detta facoltà dalla consuetudine immemorabile, ed in forza del Sinodo Libanese secondo la doppia edizione araba e latina; ed in fine pregava che non gli si togliesse un tale privilegio. La S.C. gli rispose ai 4 Aprile 1866 (sic), che ciò ch'egli esponeva sarebbe stato sottoposto al

النتيجة[٣٣] . وقد كلّف المجمع المقدس في السنة المذكورة سيادة ڤالرجا بطريرك اورشليم والقاصد الرسولي في سوريا بالنيابة ان يسأل البطريرك عن هذا الامر وخاصة عن المخطوط العربي للمجمع الذي اعيد من رومة بواسطة السيد الياس سعد . وذكرت لسيادة ڤالرجا في نفس الوقت علامات هذا الدفتر التي استُخلصت من الوصول المتروك في الخزانة[٣٤] . وقصد ڤالرجا البطريرك في تموز من نفس السنة وعرض عليه ما كُلّف به . واطلعه البطريرك على ملاحظاته بشأن الطبعتين العربية واللاتينية . واراه المخطوط المبتغى . وعند ذلك طلب منه القاصد بالنيابة ان يجمع معاً كل الوثائق المتعلقة بالمجمع اللبناني ويبني عليها مفكرة بهذا الشأن . ودفعت الى القاصد المفكرة المذكورة في حزيران سنة ١٨٦٧ وهي التي تجدها في المجمل عدد ٢ . اما المخطوط فقد دفع اليه كما ذكر في تشرين الاول من السنة السابقة . وكان ذلك الرئيس الشهير في رومة سنة ١٨٦٨ فكلّفه مجمع الانتشار ان يدوّن الاختلافات المبسة القائمة بين المخطوط المشار اليه والطبعتين اللاتينية والعربية . وبتاريخ ٥ حزيران من نفس السنة[٣٥]

٣٣) حاشية المؤلف : المحل نفسه صفحة ١٩
٣٤) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١٤ (من هذا المقال)
٣٥) حاشية المؤلف : مجمل عدد ١

giudizio degli Emi Padri in una prossima Congregazione generale, e che quindi gli si sarebbe fatto conoscere il risultato (*Som.* n. III, p. 19). Di fatti nel predetto anno la S.C. incaricò Mons. Valerga Patriarca di Gerusalemme, e Pro-Delegato Apostolico della Siria, d'interpellare in proposito il Patriarca, specialmente intorno al manoscritto arabo del Sinodo, rimandato da Roma per mezzo di Don Elia Felici, significandogli in pari tempo i connotati dello stesso codice, come risultavano dalla ricevuta rilasciata in Archivio (§. 14). Il Valerga nel Luglio dello stesso anno si portò presso il Patriarca, e gli espose l'incarico ricevuto; e questi, dopo avergli comunicate le sue osservazioni sulla duplice edizione araba e latina, gli mostrò il desiderato manoscritto. E fu allora che lo stesso Pro-Delegato chiese che si mettessero assieme tutti i documenti riguardanti il Sinodo Libanese, e se ne stendesse un'apposita memoria. Detta memoria gli fu rimessa nel Giugno 1867, ed è quella che si trova in *Sommario* N. II; mentre il manoscritto gli era stato consegnato, come s'è detto, nell'Ottobre dell'anno precedente. Trovandosi poi in Roma lo stesso illustre Prelato nel 1867, fu incaricato dalla Propaganda di notare

دفع برقعة الى السيد الكردينال الرئيس ومعها اولاً : المذكرة التاريخية للبطريرك مسعد . وثانيا : شغله اي مجموعة الاختلافات المهمة القائمة بين النسخة العربية الشرعية والطبعتين اللاتينية والعربية[٣٦] وورقة تتضمن الاصلاحات والزيادات الموجودة في المخطوط اللاتيني مما مرّ الكلام عنه في المقطع ٢٨[٣٧] وورقة أخرى عن الاوامر باختتام المجمع[٣٨] . وزاد على ذلك ملحوظتين خزانيتين قديمتين[٣٩] ونسخة الموجز الرسولي لاكليمنت الثامن وقد اخرج لهذه الغاية من امانة سر الموجزات وهو يتعلق بالسلطان المعطى للبطريرك الماروني ليفسح من بعض الموانع الزواجية[٤٠] وهذه هي جميع الوثائق اللازمة لاصدار حكم شامل بشأن قيمة الفروق بين النصين العربي واللاتيني التي هي موضوع كلامنا في البحث التالي .

(له صلة)

٣٦) حاشية المؤلف : محل عدد ٣

٣٧) حاشية المؤلف : محل عدد ٣ A

٣٨) حاشية المؤلف : محل عدد ٤

٣٩) حاشية المؤلف : محل عدد ٥

٤٠) حاشية المؤلف : محل عدد ٦

le principali varianti esistenti tra il detto manoscritto e le due edizioni araba e latina. Ed egli con foglio dei 5 giugno dello stesso anno (*Som.* n. I) rimetteva al Sig. Card. Prefetto 1. la *memoria storica* del Patriarca Massad, unitamente al suo lavoro, cioè, 2. la *Raccolta* delle principali varianti, che si rinvengono tra l'*autentico* arabo, e le due edizioni araba e latina (*Som.* n. III), non che un foglio di correzioni ed aggiunte che si trovano nel manoscritto latino ci ui (sic per: di cui) s'è parlato al §. 28 (*Som.* n. III, A), ed un altro foglio degli *ordini per la chiusura del Sinodo* (*Som.* n. III. B), 3. finalmente le sue Osservazioni in proposito (*Som.* n, IV). Aggiungendo a questi due antiche note d'Archivio (*Som.* n. V) e la copia del Breve Apostolico di Clement (sic) VIII, fatta appositamente estrarre dalla Segretaria dei Brevi, sulla facoltà concessa al Patriarca Maronita di dispensare da alcuni impedimenti matrimoniali (*Som.* n. VI), e si avranno tutti i documenti necessarii per dare un adequato giudizio sulla portata delle variazioni tra i due testi, arabo e latino, del quale ci andiamo ad occupare nel seguente articolo.

تاريخ الاسر المارونية

تأليف

الخوري سلطان البشعلاني

هو معجم او موسوعة تاريخية للاسر المارونية جملة تقع في بضعة مجلدات عني بوضعها مرتبة على حروف المعجم مؤلفها البحاثة المعروف بطول الباع في التاريخ الوطني وتحقيق اصول الاسر اللبنانية وانسابها . وصدّرها بخلاصة تاريخ لبنان والموارنة وتوطئة في الاسر والانساب اللبنانية ومؤرّخيها واصولها ومواطنها واحوالها الدينية والاجتماعية بصورة لم يسبق اليها . وقد رغبنا الى حضرته ان يتحفنا بشيء من فصول كتابه القيّم الذي يعدّه للطبع فاجاب مؤلّنا بطيبة خاطر لانه صديق قديم لهذه المجلة وله فيها مقالات تاريخية وادبية . وهذا ما نأخذه اليوم من « توطئة » كتابه نشره شاكرين له لطفه وسائلين الله ان يأخذ بيده ليتمكن من نشر هذا الاثر الخالد

(المشرق)

١ — الاسر والانساب

رابطة القرابة : ليس في الروابط الطبيعية اشد واقوى من رابطة القرابة فهي رابطة العاطفة والمحبة ، بل هي رابطة الدم . والدم اكثف من الماء ، وقد قيل : الدم لا يصير ماء . وهي اعز واغلى على قلب الانسان من الرابطة القومية التي تربطه بابناء وطنه . فاهله اكثر عنده من سائر مواطنيه ، واعضاء اسرته احب الناس لديه ، لانهم اشدهم قرباً اليه . فهم انصاره في الشدة والرخاء ، واعوانه في السراء والضراء . بهم يشتد ازره ، وفيهم يفاخر ويعتز . واذا اجتمعت رابطة الدم مع رابطة الدين زاد هذا الاجتماع كلًّا منهما قوة وتمكيناً . ومن الخطأ القول «اخوك في الدم ولا اخوك في الدين» لما فيه من المخالفة لمبادئ الدين الصحيح بل الوطنية والاجتماع . وهو قريب من مبدأ «العنصرية»

ـدي رداء الدين . فكم من رجل يحب اخاه في الدين وإن لم يكن اخاه في الدم .

الاجتماع والاسرة : ومعلوم ان الانسان مدني بالطبع ، يحب الالفة ويميل الى الاجتماع بغية التعاون على المعاش والتعاضد على دفع العوادي . فالاجتماع حاجة القلب البشري ، وهذا الميل غريزي في الحيوان لكنه قد بلغ الغاية في الانسان . حتى ان الامم الهمجية تنفر من الوحدة وتعيش قبائل وعشائر . ومنشأ الجماعات العائلة فهي منذ القديم المظهر الاول للمجتمع الانساني . والعروة الوثقى للحياة الادبية انما هي الزواج الشرعي ، فاذا انفصمت تضعضعت دعائم المجتمع وسادت الفوضى وتفاقمت الرذائل ولم يبقَ للمحبة اثر . واصبحت كلمة الولد لغواً وذهبت لذة الاخوّة وماتت العواطف النبيلة والاميال الشريفة ، وزالت من النفوس عوامل العمل والجهاد ، وانفصمت الروابط العائلية بين الناس ، لان العائلة هي التي تشرّف الانسان وتجعله نافعاً للبشرية .

فالاستمساك اذاً بعرى القرابة ، والاحتفاظ بالصلات الاهلية من اهم دواعي الالفة والتعاون ، واكبر وسائل الاتحاد والتضامن مما هو اساس العمران والحضارة . ومن دواعي الاسف ان هذه الروابط اخذت تتراخى مع الايام ، وكادت تتفكك وتنحلّ بسبب التناسي مما ادى الى ضعف المحبة الاهلية . فهناك ثورة على النواميس الطبيعية مثل كل ثورة ، الامر الذي كان له نتائج سيئة وعواقب وخيمة في مجرى الحياة الاجتماعية ، لانه تبلبل لسنة الله وقلب لنظام الخالق عز وجلّ .

معرفة الانساب : وقد توصل فريق الى القول بترك هذه الروابط ، وان الانسان حريّ بان يكون ابن نفسه لا ابن جنسه ، وان الخليق به التخلي عن كل علاقة قرابة باهله واسرته ، اذ لا فائدة من الاعتماد على ذوي القربى في مذهب هؤلاء الثائرين على النواميس الطبيعية والشرائع الاجتماعية ، لانها في عرفهم تقاليد موروثة بالية . ومن ثمّ فالاهتمام بمعرفة التواريخ العائلية والعناية بجمع شتات الانساب ، كل ذلك عندهم من الامور العقيمة التي لا نفع منها

الافراد ولا للمجتمع . وبذلك تضيع الانساب التي طالما كان السلف الصالح يفاخرون بها ويحافظون عليها . ولا يبعد ان يؤدي هذا الامر الى التنكر جملةً وتناسي صلة القرابة . ولا يخفى ان تاريخ الاسر هو تاريخ الامة والوطن لانهما يتألفان من مجموع الاسر .

وقد رأينا الامم العريقة في الحضارة حتى في ايام جاهليتها حريصة على تاريخها معتنية بحفظ انسابها . وفي التوراة مثالٌ من انساب الشعوب وتفصيل للسلالات البشرية ولا سيما اسباط بني اسرائيل . واول شيء نراه في الانجيل سلسلة نسب السيد المسيح من آدم حتى المسيح نزولاً ومن المسيح حتى آدم صعوداً . وكان العرب احرص الامم على ضبط انسابهم والاحتفاظ باحسابهم وكل قبيلة من القبائل العربية تفاخر بنسبها وحسبها حتى اشتهر العرب بعصبيتهم والمحافظة على طيب عنصرهم وعلى جودة اصل خيولهم . وكثيراً ما نراهم يتباهون في خطبهم واشعارهم بالحسب والنسب والانتماء الى القبائل مما يقوم عندهم مقام الوطنية عند الامم الغربية . ومن هذا القبيل ما جاء عن مالك بن مسمع احد رؤسائهم يفاخر بقومه وسؤدده : انه لو غضب لغضب معه مائة الف سيف لا يسألونه في اي شيء غضب .

والقبائل للعرب كالاسباط لبني اسرائيل ، وقد كانوا احوج الى الاحتفاظ بانسابهم ليكونوا متضافرين على خصومهم ، متناصرين على من عاداهم ، ولان ذلك احد اسباب الالفة . ومن اقوالهم : ان تعاطف الارحام وحمية الاقارب يبعثان على التناصر ، ويمنعان من التخاذل انفةً وتوقياً من تسلط الغريب . وجعلوا معرفة الانساب من الفروض ، وقد تكون احياناً من المستحبات والنوافل ، وحثّوا على الالفة وكفّوا عن الفرقة . وقد سفّه كثير من علمائهم رأي القائل بان علم النسب معرفته لا تنفع وجهله لا يضر . قال امامهم علي بن ابي طالب « اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير ، واصلك الذي به تصير ، ويدك التي بها تصول » وللعرب تآليف كثيرة في علم التاريخ والانساب .

وليس الامم المتمدنة غربية او شرقية باقل حظّاً من العرب في معرفة

الانساب وحفظها ، ولهذا العلم عندهم المقام الرفيع ، وهو احد فروع علم التاريخ ، ترى فيه سلاسل انساب الملوك والعظماء والاسر ، وخصوصاً في باب التراجم . وعلى الجملة فان كل امة من الامم لها تاريخها وانسابها ، وجميعا تقدر قدر هذا العلم وتقول بضرورته للشرائع والاحكام الدينية والزمنية ولا سيما في قضايا الزواج والمواريث .

الاسر وفروعها : الاسر جمع الاسرة وهي العائلة او العيلة والعشيرة والعترة والقبيلة والطائفة والبيت . وهي تدل على مجموع الافراد الذين هم من دم واحد واصل واحد وجد واحد ، كالاولاد والاخوة واولاد العم وسائر الاقارب كثروا او قلوا . اما الاسرة التي هي موضوع كتابنا فهي مجموع الاسر او البيوت الصغيرة المنسوبة الى اصل واحد والمعروفة باسم واحد . وتقسم الاسرة الى اصول وفروع فالاصل هو الجد الاصلي العام الذي تسمى الاسرة كلها باسمه او بلقبه او بكنيته . وكل فرد لا يتحدر من هذا الاصل ولا يرتقي بالتسلسل الى الجد الاعلى الجامع لا يكون من الاسرة التي تنتسب وتنمى الى هذا الجد ، والا كان دخيلاً على الاسرة ، او انه يُنمى اليها من جهة الام او غيرها من الجهات تغلباً او تقرباً او تقوياً .

والفرع او « الجب » هو الجد لقسم من الاسرة الكبرى ، وقد اصبح كالاصل لما بعده من الفروع الصغيرة التي تتألف من البيوت والافراد . فيكون الاصل كأصل الشجرة ، والفروع الكبيرة او « الجباب » هي كالجذوع النابتة من اصل الشجرة ، والفروع الصغيرة هي كالاغصان وما فيها من الاوراق والاثمار . وقد شبهوا الاسرة ايضاً بالجسم وفيه : الرأس والبطون والافخاذ الى غير ذلك مما شرحه علماء الانساب .

المشجرات والسلاسل : وقد اعتاد الناس ان ينظموا انساب اسرهم بهيئة « شجرة » يذكرون فيها تصويراً اسماء اصولهم وفروعهم او بطون اسرهم او افخاذها لما فيها من التشابه بينها وبين الشجرة او الجسم . ويسمونها ايضاً « سلسلة » لانها تتألف من حلقات يتصل بعضها ببعض كالسلسلة .

وتعرف عندهم بالعريشة فيقولون « عريشة العائلة » لانها تشبه عريشة كرم العنب . ولقد حرص كثير من اللبنانيين على هذه الشجرات او السلاسل او العرايش الى اليوم ، ودوّنها بعضهم فكانت خير ما ابقاه الاباء للابناء . وعني كثيرون بطبع هذه المشجرات التي رُسمت على صور واشكال مختلفة لتحفظ في بيوت الاسر ، وتبقى اثرًا جميلًا لها ولذراريها في الوطن وفي المهجر

وكنا نتمنى ان تكون هذه المشجرات عند كل الاسر ، وان تكون مبنية على الحقائق دفعاً لما دخل على تواريخ الاسر من المغالط والاوهام . وتفنن العرب بوضع سلاسل انساب قبائلهم على اشكال مختلفة وصور رائعة بديعة،ونشروا كثيرًا منها بالطبع.وقد اجتمع لدينا طائفة من مشجرات لبعض الاسر اللبنانية منها مطبوع ومنها مخطوط.ومنها ما يظهر بصورة جميلة ولكنها تحتاج الى تحقيق وتسديد ، لان العبرة لا للصور البديعة والاشكال الرائعة بل للحقائق الراهنة والنصوص الاكيدة . وقد اورد صاحب كتاب « اخبار الاعيان » الشيخ طنوس الشدياق الحدثي اللبناني انساب الاسر التي ذكرها من اعيان لبنان بقوله : فلان ولد له فلان الى اخره بصورة موجزة بسيطة .

الانتساب والتكني : وكان اللبناني يفاخر بنسبه واسرته ، ويعتز باصله وبلدته فيقول : انا فلان ابن فلان الفلاني من بلدة كذا ومن عائلة كذا . وربما تكنى احدهم بالامير او الشيخ الذي هو من رجاله وخاصته . وكانوا يقولون:هذا البيت من عهدة اوصنيعة الامير او الشيخ الفلاني، فضلا عن انتسابهم قديمًا الى الحزب القيسي او الحزب اليمني ، ثم الجنبلاطي او اليزبكي ، ثم الاحمدي او العثماني ، ثم الكرمي او الداوودي .

واذا كان الرجل بين اهله في بلدته فلا يُعرف الّا باسم ابيه او جده او فرع اسرته ، ذلك تمييزًا له عمن يدعى باسمه من اسرته نفسها . اما اذا كان خارجاً عن بلدته وسئل من اين انت ومن اية عائلة ؟ اجاب من مكان كذا من العائلة الفلانية مصرحاً باسم اسرته . ولهذا فان نزوح الافراد والاسر من مواطنهم وتغربهم عن بلادهم كثيرًا ما يجعلهم ان يصرحوا باسماء اسرهم

المعروفة في وطنهم والتي لا يحتاجون الى ذكرها والتلقب بها الا في الخارج وفي المهجر قريباً كان او بعيداً . وهذا كان من اهم الاسباب الداعية للانتماء الى الاسر الاصلية التي اشتهر الناس بها .

وهناك اسباب اخرى منها اختلاط القوم بالغربيين والاقتداء بهم في كثير من الازياء والعادات ، فقد قلدوهم بان يذكر احدهم اسمه واسم اسرته فقط . وبفضل هذا وغيره صرنا نسمع بذكر اسماء الاسر الاصلية التي كانت مهجورة مجهولة او منسيّة . ومما يجب ذكره ان الانتساب الى الاسرة دون ذكر الاب او الجد او فرع الاسرة ، مع ما فيه من الاختصار والاقتصار على ذكر اسم الاسرة الكبرى ، قد يؤدي احياناً الى الالتباس والغموض بحيث لا تتضح حقيقة الشخص الا بذكر والده وجده الى اخره . ولكل من الامرين فائدة اذ لكل مقام مقال .

الجامعات العائلية : وفي البلاد اليوم نهضة قومية لا بأس بها ، وهي ان الاسر اخذت تؤلف جمعيات او جامعات عائلية غرضها جمع شتات الافراد والفروع في الاسرة وتوحيد كلمتها واسمها بحيث ان تضامنها وتعاونها فيهما القوة والنجاح ، وعني بعض المفكرين بتأليف مشجرات وتواريخ للاسر مما لا تخفى فوائده . على ان بعض هذه الجامعات مع ما توخته من حسن القصد وشرف الغاية لم تؤسس على مبدأ صحيح بل على وحدة الاسم المشترك بين اسر تتفق اسماً وتختلف اصلاً ونسباً . وذلك لانها لا تتحدر من جد واحد ، فلا قرابة تجمع بينها ولا رابطة نسب . وقد يكون بعضها مشكوكاً كثيراً في صحة انتمائه الى الجد الجامع للفروع ، او بالحري مغلوط لانه مبني على الوهم او لغرض سياسي . واذن لا فائدة من هذه الجامعات اذا كانت على هذه الصورة سوى تعدّد الاحزاب والفِرَق مما نحن في غنى عنه . والاولى ان تؤلف الجامعات العائلية المؤسسة على وحدة الاصل والاسم ، فتهتم بتحقيق تاريخها وانسابها ، وتعنى بمصالح اسرتها المادية والادبية . ويكفي ان يحتفظ كل فرع منها بلقبه الخاص بشرط ان يعرف علاقته واتصاله بالاصل الجامع وسائر فروع الاسرة .

التحريف والتبديل : وهناك امور يجب التنبه لها وهي تحريف اسماء الاسر وتبديلها وتغييرها لاسباب غير صحيحة وبعيدة عن الحقيقــة والصواب . فقد جرت العادة ان تضاف الى اسم الاسرة لفظة « أل » كأن يقال الحدّاد والصائغ والخيّاط والحمصي والحموي والاهدني والحصروني . فان « ال » لازمة لها لانها وُضِعت في اصلها وَضْع الصفات لتحقيق معانيها فيمن أُطلقت عليه اولاً ، ثم غلبت على اصحابها غَلَبة الاعلام ولَزِمت اسرهم من بعدهم ، بخلاف ما وُضع منهــا وضع العَلَم كفاضل (انظر الضياء للشيخ ابراهيم اليازجي ٨ : ٤٩٨)

الا ان بعضهم يحذفون « ال » من اسماء الاسر ويقولون : حدّاد وخيّاط وحمصي واهدني الخ ، ويغيرون هذه الاسماء المشهورة بالحذف على خلاف الاصول. وهاك مثلا اسم بيت البشملاني ، وهي اسرة مؤلف هذا الكتاب ، فانهم حذفوا منه اولاً لفظة « ال » فصار بشملاني. وعمد غيرهم الى الابدال فقالوا : المشملاني . ثم اتى الاخرون بالتحريف ابدالاً وحذفاً وقالوا مشملاني . وهكذا اصبحت هذه الاسرة بفضل هذا التحريف اربع اسر : البشملاني وبشملاني والمشملاني ومشملاني ؛ مع انها اسرة واحدة مشهورة في التاريخ من قديم الزمان تنسب الى قرية بشمله في اعالي بلاد البترون . وقد ذكر البطريرك اسطفان الدويهي المشهور في كتابه « تاريخ الازمنة » اخبار جدها ابي رزق البشملاني واخيه ابي صعب وسلالتها يوم اقامتهم في مدينة طرابلس منذ ثلاثة قرون ، ثم رحلوا الى كسروان ومنها الى صليما المتن ، فضلا عما كتبه عنهم كثيرون من الشرقيين والافرنج . ولم يكتفِ المحرّفون بما فعلوه بل زادوه اوهاماً تبريراً لعملهم بان نسبوا هذه الاسرة الى اماكن لا وجود لها .

ومنهم من كان ينتسب الى جد معين فنسبه بعض مدّعي التاريخ الى اسرة من الاسر الكبرى بحجة ان جده هو فرع من فروعها والعكس بالعكس، وذلك دون دليل سوى وحدة الاسم او بناء على رواية وهمية . ومنهم من يحذف من كنية اسرته لفظة « ابو » فيقول : بيت رزق عن بيت ابي رزق مثلا ، والحال ان هذه الكنية لا يصح اطلاقها الا على سلالة رزق فقط ، لانه اذا

كان لابي رزق الجد الجامع اولاد غير رزق فلا يدخل منهم بهذا الاسم الا رزق بخلاف كلمة ابي رزق فانها تشمل سلالة رزق وسلائل اخوته — وهكذا يحذف كثيرون لفظة «ابو» من اسماء اسرهم العريقة التي كان اكثرها يبدأ بهذه اللفظة .

المآخذ والمصادر : واغرب من هذا كيفية اخذ الاخبار عن الاسر عند بعضهم ، وهي ان يلتقطها دون تروٍ ولا تحقيق ، او يتلقاها عن غير ثقة ، او يغير ويبدل فيها على حسب اهوائه او لغاية في النفس قصد المفاخرة بجودة الاصل وطيب العنصر ، فيعزو الى اسرته ما هو انبهها من الصفات والاخبار . ومنهم من اذا سألته عن تاريخ اسرته وعما كان يقوله ابوه وجده واهله بشأن اصلها فيجيب : ان البطرك بولس مسعد كان يقول عنا كذا وكذا ، او ان الاستاذ عيسى المعلوف وجد تاريخ اسرتنا كذا وكذا . ان البطريرك مسعد كان يروي كثيرًا من اخبار الاسر ولكننا لا ندري اذا كان ما قيل عن لسانه قد رواه ثقة . اما الاستاذ معلوف فربما له معرفة بتاريخ الاسر اكثر من غيره لتجرده لهذا الامر وتنقيبه عن تاريخ الاسر ، ولكن اعتماده في الدرجة الاولى كان على الاخبار المروية بالخصوص عن العارفين من ابناء الاسر ، لان صاحب البيت ادرى بالذي فيه . فالاولى عند تضارب الاراء واختلاف الروايات الرجوع الى روايات الثقات في الاسر بعد معارضتها مع بعضها وتمحيصها ونقدها نقدًا صحيحاً مجردًا عن كل غاية وغرض .

الاسماء في الاسر : ومن العادات الجارية في الاسر العريقة المحافظة على الاسماء المألوفة وهي ان يسمي الاب بكره او غيره من اولاده باسم ابيه . فحنا بن منصور يسمي ابنه باسم ابيه منصور ، ومنصور هذا يسمي ولده باسم ابيه حنا . ومثله ابو ناصيف الياس وابو انطون فارس بحيث انه اذا ذكر اسم انطون تبادر الى الذهن انه ابن فارس وابو فارس جريًا على العادة المألوفة . وهكذا تبقى الاسماء التقليدية محفوظة في الاسرة على هذا الشكل اجيالًا وقرونًا . وقد ورد في الانجيل ان اليصابات لما ارادت ان تسمي ولدها يوحنا

قالوا لها « ليس احد في قبيلتك يدعى بهذا الاسم » مما يدل على هذا التقليد المتبع في الاسر قديماً وحديثاً .

وهناك اسماء خاصة متغلبة في بعض الاسر او محصورة في بعض القرى قلما توجد في غيرها ، بحيث يستدل الباحث ان المسمى بها من الاسرة الفلانية او القرية الفلانية ، واذا وجدت في غيرها كانت غالباً مكتسبة . اما الاسماء المنتشرة بين اسر مارونية لبنانية كشيبان ونبهان وشهدان ، فانها كثيراً ما تدل على وحدة الاسر اصلاً ومحتداً . وقد يتخذها بعضهم شاهداً على ان هذه الاسر عربية الاصل ، الا ان تعدد هذه الاسماء في تلك الاسرة لا يكون وحده دليلا على صحة هذا المذهب الافتراضي ، لان هذه التسمية اتصلت الى الاسر المذكورة على الارجح من اختلاطها بالاسر والاوساط العربية قديماً او حديثاً ، كما ان تعدد الاسماء الافرنجية اليوم بين الاسر اللبنانية لا يكون دليلاً على انها من اصل افرنجي بل ان السبب في هذا هو الاختلاط والتقليد الذي هو عريق في الآدميين ولا سيما فينا .

ومعلوم ان هناك اسماء مشتركة بين الناس على اختلاف اديانهم كيوسف وابراهيم ومنصور ، كما ان هناك اسماء خاصة بكل فرقة من الفرق الدينية مثل حاييم وراوبين لليهود وبطرس وطانيوس وحنا للمسيحيين ومحمد وعلي للمسلمين ، فلكل طائفة لها اسماء خاصة عدا الاسماء العامة . الا انه مع هذا قد يتسمى بعض هذه الفرق بما هو خاص بغيره من الاسماء ، فان متنصرة العرب ومستعربي السريان كانوا يتكنون بكنى المسلمين في عهد حضارتهم مع احتفاظهم باسمائهم الخاصة كحنين وبختيشوع واسحاق فيطلق عليهم ابو المعالي وابو البركات (انظر الخزانة الشرقية لحبيب الزيات في المشرق) وكان الامراء اللمعيون يكنون كواخيهم المشايخ بني كساب النصارى في صليما « ابو علي بشير » « وابو حسين يوسف » وكان الامراء الشهابيون يكنون اسرة الشيخ فارس الشدياق في حدث بيروت « بيت ابو حسين يوسف » ولا يزال بين اسماء مشايخ بني حبيش والخازن والدحداح اسماء اسلامية عربية مثل محمود وطالب ،

اتخذها بعضهم دليلاً على ان هذه الاسر عربية اصلاً اسلامية ديناً مما يخالف الواقع . اما بقاء اسماء محمدية بين الشهابيين واللمعيين الذين تنصروا فهو لان الشهابيين كانوا مسلمين واللمعيين كانوا دروزاً .

وقد رأى بعض المتحمسين للوطنية ان تصير مشاركة الطوائف في الاسماء توحيداً للكلمة وتقريباً للقلوب فسمى الاستاذ مارون عبود الماروني ولده محمداً وسمى صديق له مسلم ولده مارون . لكن ذلك لم يزد المحب والمتساهل حباً وتساهلاً ولم ينقص المتعصب والبغيض تعصباً وبغضاً . وقد كان العرب المسلمون في عهد الخلفاء العادلين يخالطون النصارى ويؤاخونهم ، لا يمنعهم اختلاف الاسماء وتفرّق الاديان من الالفة والمسالمة ، فعاش النصارى في الدول الاسلامية آمنين كما يعيش المسلمون اليوم في المستعمرات والمهاجر تحت حكم الدول النصرانية بتمام الراحة والحرية خلافاً لبعض الدول المتعصبة .

على ان اختلاط اللبنانيين بالاجانب حمل كثيراً منهم على تقليد الغير في عاداتهم وازيائهم ولغتهم ، وتناسى بعضهم تقليدات اسرهم في امور كثيرة . على اننا مع هذا لم نعدم في الوطن والمهجر وجود كثير من ابناء الاسر اللبنانية الاصيلة ممن يصونون العهود ويحافظون على كل عادة شريفة وتقليد كريم من عادات وتقليدات الاباء والجدود ، فانهم مع اقتباسهم الكثير من اسباب الرقي والحضارة يحافظون جهدهم على المستحب من ادابهم وعاداتهم الشرقية ، كما ان نبهاء المغتربين منهم يحرصون على دينهم ولغتهم وتاريخهم وانسابهم ، ويحنون الى وطنهم مشاركين اهلهم واسرهم على البعد والقرب في السراء والضراء .

٢ ـ تاريخ الاسر المارونية

الغموض والاوهام : لا يخفى على العارف البصير ما في تاريخ الاسر اللبنانية من الغموض والالتباس ، وما دخل على اصولها وانسابها من الخرافات والاوهام . فليس هنالك مصادر موثوق بها ، ولا يمكن الركون الى الاخبار

مروية والتعاليم المعروفة وحدها . وليس من تواريخ عامة او خاصة يرجع اليها في هذا الشأن ، ولا اثار خطية تكشف القناع عن حقيقة تاريخ كل اسرة ، ما خلا بعض الاسر الشريفة التي جمع بعض المؤرخين اخبارها من مصادر مختلفة او ورد ذكرها في التواريخ العامة . وما سوى ذلك فمعظمه روايات متضاربة ومخطوطات خاصة لا ينال الباحث غرضه منها ، ان لم يكن له من سعة الاطلاع ووفرة الحفظ ونافذ الفهم ودقة النقد ما يتمكن به من التمييز بين الصحيح والباطل والتفريق بين الغث والسمين .

ضياع التاريخ : وان ما نُكبت به القبائل الشرقية ، وما اصيب به لبنان وعشائره ، ولا سيما المارونية ، من النكبات المتوالية ، كان من اكبر الاسباب في ضياع تاريخها ، وتشتت اخبار اسرها . واخر المصائب توالي النكبات على الموارنة بعد رحيل الصليبيين من هذه البلاد (سنة ١٢٩٨ م) وخراب كسروان (١٣٠٧ م) ونزوح النصارى الى الشمال ، ثم رجوع بعضهم الى كسروان في ولاية الامراء العسافيين ، وتنقلهم تدريجاً الى المتن والشوف والجنوب على عهد الامراء المعنيين . فبهذه الرحلات والتنقلات المتعددة اضعفت تلك العصبية القديمة ، وفككت روابط الاسر وفرقت حلقاتها ، فضاع كثير من الاصول والانساب .

الالقاب والكنى : وكان من جرّاء ذلك ان تبدلت الالقاب والكنى في الاسر ، فلقب بعضهم باسم القرية التي نزحوا منها ، كبيت الاهدني والحصروني والبشعلاني والحدثي والحدثوني والحدشيتي والطرابلسي والكفوري راده . وسمي غيرهم باسم وظيفتهم ومهنتهم كبيت الحداد والخياط والفرّان والعشي والشدياق والخوري والقاضي . ولقب بعضهم بما لقب به جدهم لحادث او واقعة او صفة اطلقت عليه كبيت باز وغانم وديب والاسمر والاصفر والشمالي . واطلق على اخرين اسم جدهم النازل البلد مثل بيت رزق وباخوس واسطفان وعون . وعلى الجملة فان هذه الالقاب الحديثة كانت ايضاً سبباً لضياع كثير من الانساب والاصول في لبنان . ولم يبقَ سوى ما توارثه القوم

وتناقلوه عن جدودهم ، وما تناولوه عن بعض الثقة من الاحاديث ، مما نكاد نشك في صحته لتشابه الروايات ومشاركة الالقاب في اسر عديدة ، بحيث اختلط الصحيح بالباطل والحقيقة بالوهم مما يستلزم نقداً وتمحيصاً لهذه الروايات المتناقضة .

التباس الاسماء : وهنالك تشابه الاسماء واتفاق الالقاب ، فالاسماء : رزق وكرم والخوري وامثالها تطلق على اسر كثيرة متباعدة النسب ، لا قرابة تجمع بينها ولا رابطة سوى وحدة الاسم . وهناك قرابة الخؤولة وقرابة الدخيل على الاسرة والمنتمي اليها بحيث يضيع النسب بهذه القرابة ويفقد اسم الاسرة الحقيقية ، اذ يتغلب على الشخص اسم اسرة والدته او خاله الذي رباه . وان يتخذ الدخيل والنزيل على الاسرة لقبها تقرباً اليها وتقوياً بها فيطمس ذكر اسرته مع الايام . وقد تلقب الاسرة باسم الام او الزوجة كبيت خضرا وبيت زهرة ، فضلا عن الالقاب التي اطلقت على بعض الاسر سواء كانت بحسب واقع الحال او تقليداً مثل بيت القاضي والحكيم . فكل هذا يقتضي الاستقراء وطول البحث والتنقيب .

الرواية والتقاليد : ولعل الناقد يأخذ علينا اننا لم نتوصل في تاريخ اسرنا الى مدى بعيد ، وان اخبار معظم هذه الاسر وتواريخها مرجعها التقاليد والروايات التي تقرب من الاساطير . ولكن لنا اسوة بكثير من الامم التي قلما يخلو تاريخها القديم من الخرافات والاساطير ، بل هناك اسر عديدة لا تاريخ لها من قبل مئة او مئتي سنة . واسر لا تعرف نسبها قبل ثلاثماية سنة ، وقليلون جداً الذين يعدون حلقات سلسلة اسرتهم الى اربعمائة سنة ، وهذا نادر لا يوجد الا عند الاسر العريقة الحريصة على تاريخها وانسابها . اذن لا لوم علينا اذا قلنا ان ليس لدينا من اخبار الاسر المارونية من قبل القرن الخامس عشر او السادس عشر غير التقاليد المروية التي نذكرها ونحن في ريب من امرها . لان الباحث المحقق اذا بلغ هذا الحد من التاريخ فقد المراجع الراهنة والمصادر الاكيدة في تحقيق النسب ، وانقطعت حلقات السلسلة التي

ترتبط الخدمة بجدود الماضي الذين لا نعرف من تاريخهم سوى خبر لا يمكن الاطمئنان الى صحتها .

ثقات الرواة : على ان فريقاً من جدودنا كثيراً ما كانوا يتحدثون عن ماضي احوالهم وحوادثهم المشهورة بصورة اكيدة جازمة ، لكنهم لم يدونوها فضاع منها الشيء الكثير . وعرفنا جماعة من الشيوخ المعمرة ، وفيهم فريق من نوابغ عصرهم ومن حفظة الاخبار الثقات يسردون الوقائع والحوادث واحوال الاسر واصولها وفروعها ومشاهيرها بدقة وضبط ، وهذه الروايات الصحيحة هي التي نعتمد ونحرص عليها ونستعين بها في تدوين اخبار الاسر وانسابها واحوالها .

عهد التدوين : هذا وقد كان من حسن الحظ ان بعض المفكرين في ذلك العصر كانوا يدونون الحوادث والاخبار بصورة موجزة وعبارة ساذجة على هوامش الكتب الدينية وغيرها لقلة خبرتهم بقواعد التاريخ . وقد وُجدت هنالك شذرات منثورة واخبار متفرقة وتعاليق وحواشي مدونة في اوائل هذه المخطوطات واواخرها لا تخلو من فائدة تاريخية مما استفاد به المؤرخون في مباحثهم وتآليفهم . ولم نعدم وجود مفكرين من علماء الموارنة وقد بحثوا ونقبوا عن تاريخ امتهم ، لكنهم انصرفوا الى تحقيق اصلها وجمع اخبارها العامة . واعظمهم البطريرك اسطفان الدويهي ابو التاريخ الماروني بل اللبناني فقد كان همه تحقيق اصل طائفته وصحة معتقدها ونشر مفاخرها والدفاع عن حوزتها . وهكذا فعل علماء الموارنة واتباعهم ، اذ نسجوا على منواله ولم يتهيأ لهم وضع تاريخ يضم اصل واخبار كل اسرة من اسرهم . والسبب هو ما ذكرنا من تشتت الشمل وتعدد المظالم والتنقل والهجرات المتتابعة بسبب الفتن والاضطهاد والجور . زد على ذلك الفقر والبلاء والضيق مما حلَّ بهذه الامة فشغلها عن وضع تاريخها ومعرفة اصلها وفصلها ، وقد اصبح همها الوحيد الاحتفاظ بدينها واستقلالها الداخلي في هذا الجبل الضيق . والمرء لا يبحث عن تاريخه الا اذا خلا من الهم وزالت عنه الشدائد .

هذا وهنالك اخبار ومعلومات تاريخية عن الاسر المارونية في عصورها القديمة ، لكنها ضاعت كما ضاع كثير من تاريخ هذه الامة في اول نشأتها ، منها اثار اثنين من علمائها القدماء المشهورين وهما : تيوفيل الرهاوي المتوفى ٧٨٥ م وقيس الماروني الذي عاش بين القرنين التاسع والعاشر . وقد ذكرهما ابن العبري في تاريخه السرياني (ص١٢٦) الذي نقله الى العربية العالم الخورسقف اسحاق ارملة ، وفي كتابه تاريخ الدول (٢٢) والمسعودي في تاريخه (١٥٤) كما فقدت اخبار كثير من البطاركة المارونيين الاولين ، وضاعت اثارهم لطول العهد وتقلبات الايام . على ان فيما كتبه الدويهي والسماعنة وغيرهم من علمائنا عما عرفوه او نقلوه من اخبار الطائفة المارونية واثارها واحوالها الاجتماعية والدينية ، نبذات وشذرات هي على قلتها وايجازها لاتخلو من فائدة لها قيمتها في تاريخ الافراد والجماعات .

التواريخ الخاصة : من البديهي ان اول ما يفكر فيه الانسان نفسه ثم اسرته ثم امته ، فيريد ان يعرف قبل كل شيء اصله ومنشأ اسرته وتاريخ طائفته وامته ووطنه ، ويتمد نظره الى ابعد من ذلك الوقوف على انباء البعيد والقريب عنه . وقد عثر الباحثون على نبذات وشذرات منثورة تكاد كلماتها تطمس لطول العهد ، تحتوي على اخبار بيت او اسرة وضعها احد افرادها او غيره ، فهذه وان تكن تواريخ خاصة ، فلا بد منها لتأليف تاريخ الاسر العام الذي يتألف من التواريخ الخاصة ، ويكوّن مجموعة تاريخية للاسر . حتى اذا كانت مرتبة على حروف المعجم دعيت قاموساً او موسوعة او دائرة معارف تاريخية للاسر ، وهي التي عليها يدور البحث الان والسعي لتحقيقها .

ومن التواريخ الخاصة « تاريخ العينطوريني » الذي لا يزال مخطوطاً وقد انشأه الشيخ انطونيوس ابي خطار العينطوريني (١٨١٧ م) وهو اول من نشر تاريخاً عن اصل الاسر الشريفة بلبنان ، فضلاً عما فيه من اخبار الحوادث اللبنانية . وتاريخ الاعيان للشيخ طنوس الشدياق الحدثي وهو مطبوع حوالي ١٨٥٩م وتاريخ بيت الخازن المخطوط انشأه الشيخ شيبان الخازن في اوائل

القرن الماضي وفيه الغث والسمين . وقد وضع البطريرك بولس مسعد تاريخاً موجزاً لبيت الخازن نشر بالطبع . ومن التواريخ الخاصة كتاب « دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف » طبعه مؤلفه المؤرخ البحاثة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف سنة ١٩٠٨ وفيه معلومات موجزة عن كثير من الاسر ، وله كتاب « في تاريخ زحلة » وكتاب « في تاريخ الاسرة اليازجية » وغيرهما من الكتب التاريخية الخاصة والعامة . ومن التواريخ الخاصة المطبوعة « المقاطعة الكسروانية » للخوري منصور الحتوني . وتاريخ « البقعة الشبابية » للخوري ميخايل غبريل ، « وتقويم بكفيا الكبرى » للشيخ أدمون بليبل . « وتاريخ دوما » للخوري قسطنطين الباشا . « وتاريخ بسكنتا » للخورسقف بطرس حبيقه . وتاريخ دلبتا للخوري بطرس روفايل . ولكاتب هذه السطور كتاب مطوّل في « تاريخ بشمله وصليما » نشره بالطبع منذ بضع سنوات الى غير ذلك من التواريخ الخاصة باسرة او بلدة او مقاطعة . هذا فضلاً عما نشرته بعض المجلات والجرائد من تواريخ وابحاث عن الاسر اللبنانية على اختلافها ، والقليل الذي ورد في كتاب « دائرة المعارف » للعلّامة بطرس البستاني .

التواريخ العامة : اما تواريخ الاسر اللبنانية العامة التي هي موضوع كلامنا فلا نعلم ان قد ظهر منها كتاب حتى الان . ويظهر ان بعض المفكرين حاولوا سد هذه الثلمة ، ولعل الدويهي حاول ذلك فلم يتوفق ، كما توفق في محاولته سد الحاجة الى تاريخ عن لبنان والموارنة . وقد انتشر كتابه هذا مخطوطاً ، الى ان نشرته المطبعة الكاثوليكية سنة ١٨٩٠ وتولى نشره يومئذ المعلم رشيد الخوري الشرتوني . واليوم جدد نشره على الطريقة العلمية حضرة الاب توتل احد فضلاء الاباء اليسوعيين وعلمائهم في مجلة « المشرق » فكان عمله اجل خدمة للتاريخ اللبناني . على ان الذين حاولوا بعد ذلك وضع تاريخ عام للاسر لم يوفقوا لانجازه حتى اليوم . والذي علمناه بهذا الشأن هو ما قد شاع وذاع ان افراداً من اللبنانيين كان لديهم مجموعات مخطوطة موضوعة او منقولة تحتوي تواريخ كثيرة او قليلة عن اصل الاسر ولا سيما المارونية .

وهذه التواريخ او المجموعات كما قيل هي ستة: ١ً : تاريخ القس (المطران) جرجس مارون الاهدني ، ٢ً : تاريخ القس يوسف اسكندر القرطباوي ، ٣ً : تاريخ البطريرك ميخائيل فاضل ، ٤ً : تاريخ البطريرك بولس مسعد ، ٥ً : تاريخ الخوري الزناتي الحصاراتي ، ٦ً : تاريخ خوري بلّا المنداري . وهذه التواريخ التي شاع ذكرها ونقل عنها الكثيرون تاريخ اسرهم ، لا تزال صحة اخبارها والمنقول عنها تحت البحث والريب كما سوف نفصله في باب « مؤرخي الاسر » ان شاء الله تعالى .

(له صلة)

العادات والتقاليد

اصلها ـ تأثيرها ـ اقسامها ـ تطورها ـ اصلاحها

بقلم لحد خاطر

العادات والتقاليد كلمتان يشدّ احداهما الى الاخرى رابط معنوي يكاد يجعلهما في حكم الكلمة الواحدة ، بحيث يصح القول ان كل عادة تقليد وكل تقليد عادة .

ولعلّ في هذا ما يبرر اتخاذهما عنوانًا لموضوع واحد تعالجان فيه معًا معالجة كثيرًا ما يتسامح فيها بنسبة ما يقال عن هذه الى ما يقال عن تلك ، وفي تعريف كل منهما ، وما تدلان عليه من معنيين متقاربين متداخلين بيانٌ لا زيادة فيه لمستزيد .

ما هي العادة ؟

فالعادة لفظة مشتقة من العود . يقال عاد فلان الى كذا اي صار اليه ، ورجع ، وارتد بعد ترك .

وقد يراد بالعود مطلق الصيرورة ، فيقال عاده اي انتابه وبدأه ثانيـاً وصيّره عادةً .

والعادة هي الديدن والدأب ، سُميت كذلك لان صاحبها يعاودها اي يرجع اليها مرةً بعد اخرى .

ومنهم من عرفهـا باستمرار الناس على حكم المعقول ، وعادوا اليه تكرارًا ، ويراد بها هنا ما استقرّ في النفوس من الامور المتكررة المقبولة عند الطبائع السليمة .

ويقول العامة من اللبنانيين : العادة طبيعة خامسة ؛ ذلك لان الطبائع في

عرف الاقدمين اربع : « الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة » وقد نسبوا اليها التحكم في الاجسام تحكماً لا غنى عنه ، لان فيه قوامها، وجعلوا العادة خامسها بمعنى اشتمالها على مثل ذلك التحكم .

اما الافرنج فيقولون : « العادة طبيعة اخرى » والكلمة اساساً لارسطو، وهي على ما فيها من مباينة للكلمة الاولى في الظاهر ، تكاد تلتقي واياها ممتوياً على صعيد واحد ، لان الطبيعة هي الكون وما وضع له من نظم لا يحيدُ عنها ، فاذا قيل : « ان العادة طبيعة اخرى » كان المعنى انها كون اخر يتحكم في الاجسام ، وهو ما جاء في العبارة الاولى نفسه سواء بسواء .

العادة في امثال العامة :

ومن امثال العامة في العادة ، وهي فلسفتهم الشعبية الخاصة المعربة عن اسلوبهم في النظر الى الامور ، قولهم : «عاده في البدن لا يغيرها الا الكفن — كل شي عاده حتى العباده — العاده بتقطع خرزة البير — كل بلاد ولها زيّ وكل شجرة ولها فيّ — من غيّر عادته بتقل سعادته — كل عمرك يا زبيبه في قفاكِ عود — كل عمره هـا الخدّ معوّد على ها اللطمه — اللي معوّد على خبزاتك كلما شافك بيهزّ زناره — يا معوّد لا تبالي ... — عوّد جسمك على ثوبين ، ولا تعوّد بطنك على رغيفين ... » وما الى ذلك من اقوال شعبية تدل على تحكم العادة تحكماً يصعب الافلات منه

العادة في اقوال الشعراء :

وللشعراء في العادة ابيات متناقلة نذكر منها :

ان للعادة سرّاً طيّه ضرٌّ ونفعُ
فيها للبعض خفضٌ وبها للبعض رفعُ
وهي بالتكرار خُلقٌ زانه بالفضل وضعُ
فلذا الامثالُ قالتْ : «عادة الانسان طبعُ»

وقال آخر :

عوّد لسانك قولَ الصدقِ تحظَ به ان اللسانَ لما عوّدتَ معتادُ
موكّلٌ بتقاضي ما سننتَ له في الخيرِ والشرِ فانظرْ كيفَ ترتادُ

وقال غيره :

عادة الانسانِ سلطانٌ عليه   مطلقُ الحكمِ على الطبعِ اعتلى
وقواه كجنودٍ بذلٍ   خدمته وبه نال العلى

وقال الفرزدق :

وانتَ امرؤٌ عُوِّدتَ للمجد عادة   وهــل فاعلٌ الا بما يتعوّد

وقال المتنبي :

لكلِ امرئٍ من دهره ما تعوّدا   وعادةُ سيفِ الدولةِ الطعنُ في العدا

تعريف التقليد :

اما التقليد فمن قلّد المرأةَ قلادةً اي جعلهـا في عنقها ، وهي متابعة الانسان غيره فيما يقول وما يفعل من غير نظر وتأمل في الدليل ، كأن هذا التابع جعل قول الآخرين وفعلهم قلادةً في عنقهِ وأحكم ربطها فيها احكاماً بليغاً حتى تكاد لا تفارقهُ .

وفي تعريف آخر حُدّد التقليد بكونه كل ما يقلد فيه المرء مَن تقدّموه جيلًا بعد جيل ، في شؤونٍ اتصلت اليه منهم بالمثل او الحديث خلوًا من اية شريعة مكتوبة او قانون مسطور .

والتقليد عند النصارى واليهود هو ما تسلّموه وتداولوه من عقائدهم وشعائر دينهم ، خلفاً عن سلف ، جيلًا بعد جيل ، مما لم يدوّن في كتبهم المنزلة .

وفي تداول التقليد سواء أكان قولًا ام فعلًا عودٌ اليه ، ومن هنا نشأ ما يربط العادة بالتقليد ويسهل على الباحث بحثهما معًا بدون خلاف .

والتقليد عند العامة هو تشبه الاصاغر بالاكابر على غير مقدرة واهلية ، ويضربون على ذلك مثلًا الغراب الذي راح يقلد مشية الحجل ، فلم يتقنها ونسي مشيته الخاصة فساءت حاله ، وهم يرمون في ذلك الى توقع مثل هذا المصير لكل ضعيفٍ يحاول التشبه بقوي ، في حين لا شيء لديه من وسائله ومقدّراته .

وقد نظم احد الشعراء قصة محاولة الغراب تلك في ابيات شعرية ذهبت في شهرتها مذهب المثل وهي هذه :

ان الغرابَ وكان يمشي مشيةً ... فيما مضى من سالف الاجيالِ
حسد القطاةَ ورامَ يمشي مشيها ... فاصابهُ ضربٌ من العقالِ
فاضلَّ مشيتهُ واخطأ مشيها ... فلذاك سمّوه ابا مرقالِ

الملكات والاخلاق :

ويتفرّع من العادات والتقاليد الملكات والاخلاق ، فكلُّ عادة يطول الاستمرار عليها تسمى « ملكة » ، لانها تتملك الارادة بما يحدثه تكرارها في الدماغ من اثر لا يسهل محوه .

والملكة صفة راسخة في النفس تكسبها هيئة خاصة بسبب فعل من الافعال ، ويقال لتلك الهيئة حالة نفسية ما دامت عرضة للزوال ، فاذا تكررت ومارستها النفس حتى ترتسخ فيها اصبحت ملكةً ، وبكلمة اخرى اصبحت عادة وخلقاً . والخلق من معانيه العادة والسجية والطبع ، وهو في عرف العلماء ملكة تصدر بها الافعال بسهولةٍ اي دون اي اجهاد او اعمال رويّة .

ويراد بعلم الاخلاق علمُ حسنِ السلوك

تأثير العادات والتقاليد :

وللعادات والتقاليد تأثير كبير وفاعلية ممتازة في حياة الامم والافراد ، لانها تقوّي في المرء شعوره بما يربطه بوطنهِ وقومهِ وبيئتهِ من علاقات ، وتنبه احساسهُ الى واجبهِ في التعاون مع اخوانه على ما فيه خيره ومصلحته ، وتدفع المجتمع الى التنظيم والتناسق في الحركة والاتجاه والاوضاع ليمشي الجميع على نمطٍ واحد في التفكير والعمل ، ويسيروا الى اهدافهم على شكل ثابت لا يطرأ عليه تبديل اقتداء باسلافهم ، مما يربط ماضيهم بمستقبلهم ويحملهم على الاتعاظ بما مرّ بهم ، ليقتبسوا منه ما يحتاجون اليه في غدهم تحسيناً لحالهم ، واصلاحاً لمعيشتهم ، وعلى ذلك اذا ترقت العادات وجمُلت كانت من اضمن الذرائع للرقي والتقدم .

اقسام العادة :

والعادة اقسام يتميز بعضها عن بعض بما يقوم بينها من تباين في المصدر والاثر والغاية ، ومن علماء النفس من بالغوا في تعداد هذه الاقسام ، والمأثور قسمتها الى :

١ً – بسيطة ومركبة
٢ً – ايجابية وسلبية
٣ً – جسمية ونفسية
٤ً – فردية ودينية واجتماعية
٥ً – مزاجية واكتسابية

العادات البسيطة والمركبة :

تكون العادة بسيطة فيما اذا حصلت بحركة واحدة لا يرافقها غيرها ، فاذا تعددت الحركات وتباينت دراكاً اصبحت مركبة . مثال ذلك : اعتياد سائق السيارة سوقها فان عمله يستدعي عدة حركات تتم معاً ، من مثل تحريكه المقود بيده ، وضغطه على اللجام برجله ، ونظاره الى الطريق بعينه ، ومحادثته الى الركاب بلسانه ، فان كل حركة من هذه الحركات تعد عند التحليل عادة بسيطة او مفردة ، فاذا ضمت كلها معاً وجمع بعضها الى بعض اصبحت مركبة وهي المقصودة هنا . واكثر العادات هي من هذا النوع المركب لان المرء يكاد لا يأتي واحدة منها الا وقد اشترك فيها غير واحدة من قواه العقلية والجسمية بحركات كثيرة ، وعلى وجوه متباينة ، تجعلها مصداقاً للتركيب والتأليف .

يمثل على ذلك دورة الجندي على قدميه ، فان حركته على بساطتها تبدو عند التحليل مركبة من عدة حركات ، تعاونت القوى العقلية والجسمية على اتمامها . ومن اخص القوى الجسمية الرجلان ، فان كلًّا منهما عمل على حدة في اول الامر ، وبعد ذلك اشتركا معاً ، ويقاس على هذا غيره من اعمالنا ، وهو كثير لا يمكن حصره .

العادات الايجابية والسلبية :

تدعى عادة ايجابية تلك التي تستدعي منـا عملاً ذاتياً يصدر عن قوانا الداخلية ، نحو ما نباشره كل يوم من اعمالنـا المنزلية والمهنية والفنية ، وهو كثير نكتفي بالاشارة الى بعضه على سبيل المثال :

من ذلك اعتيادنا الاغتسال عند صبيحة كل يوم ، وارتداء الملابس ، وتناول طعام الافطار ، والتحول الى مباشرة اعمالنا ايًا كان نوعها .

اما السلبية فتلك التي لا تستدعي جهدًا ذاتياً ولا حركة شخصية داخلية، ولكنها تتمّ ببعض تأثرات خارجة ، مثاله : ان نتعود العيش في المناطق الحارة او الباردة ، او نألف نوعاً خاصاً من الاطعمة الحرّيفة او السامة ، او ندمن تناول الكحول حتى القوية منها كالوسكي والفودكا ، او المنبهات كالتبغ والكوكايين ، او نطيل الاقامة في بيئة اجتماعية خاصة كالمستشفيات ومصانع العقاقير الطبية ، ونعتاد تحمل ما فيها من دواعي المضايقة والازعاج .

العادات الجسية والنفسية :

العادة الجسية هي مـا كانت متعلقة بالجسم : كالطعام ، والشراب ، واللباس ، والنوم ، والتدخين ، وما لكل انسان من اسلوب خاص في السير والجلوس والنهوض والتحدث ، وما يرافق ذلك من اشارات وحركات .

والعادة النفسية ما كانت متصلة بقوى النفس : كالصدق ، والكذب ، والامانة ، والخيانة ، والحب ، والبغض ، وغير ذلك من العادات الصادرة عن القوى العقلية بالتكرار والتمرن ، وهي تقتضي من اجهاد العقل ما تقتضيه من حركات الجسم ، كتحصيل مختلف انواع العلوم والفنون ومزاولتها .

وللعقائد الدينية علاقتها ايضاً بالنفس ولها اثرها المحسوس في اعمال المرء الباطنة والظاهرة الروحية والمادية الخاصة به وحده ، او العائدة الى علاقاته مع غيره .

وهذان النوعان من العادة يستطاع توحيدهما على اعتبار ان الحركات الجسية وجدت في الانسان خاضعة للقوى النفسية ، وان الله وهبنا الارادة الحرة لجاماً

نكبح به جماح اعمالنا ، ونعوّد انفسنا الخضوع للعقل الواجب ان يكون رائداً لنا في كل امورنا .

العادة الفردية والدينية والاجتماعية :

وتدعى العادة فردية فيما اذا اختصت بفردٍ وكانت دليل امياله ومظهر طباعه ، وهذه تختلف باختلاف حالة كل انسان وبيئته وطرق اكتسابه ومكانته في دنياه ، مثال ذلك : ما يروى من غرائب العادات في بعض المشاهير من الرجال . منه ما قيل عن هايدن المؤلف الالماني انه لم يكن يقدر على الكتابة الا اذا دخل غرفته ولبس احسن ثيابه وكانت ريشته جميلة وغرفته متقنة النظام تسودها النظافة ، وعن فوكيه المصور الفرنسي انه لم يكن يقوى على اتقان التصوير الا اذا تقلّد اسلحته وتمنطق بسيفه على عادة الاشراف في ايامه ، وعن المشرع الشهير كوجاس انه لم يكن يحسن الكتابة الا اذا تمدّد منبطحاً على بطنه وانتثرت كتبه واوراقه ما حوله .

والعادة الدينية هي ما تبحث بما له علاقة بالدين وشؤونه على اختلافها ، اخص ذلك ما تعلق باحتفالات الاعياد وتذكارات المواسم الدينية عند كل طائفة مع ما فيها من رموز ومعانٍ .

والعادة الاجتماعية هي ما استعملها المجتمع في امة او اقليم او في العصور عامة ، مما اتفق عليه الناس وألفوه اما بدافع المصلحة او العقيدة الانسانية او ظروف الزمان والمكان ، واكثر ما يجري ذلك بطريقة المتابعة لمن تقدمونا واورثونا عاداتهم فتلقفناها عنهم في الغالب دون فحص او تروٍّ . مثال ذلك : ما عند كل امة من عادات وتقاليد يسلّم افرادها بانها من اختصاصاتهم ، ولو كانوا لا يستعملونها هم بانفسهم ، من هذا النوع ما عندنا نحن معشر اللبنانيين من عادات اطلاق النار عراضة في الاعياد والاعراس والمآتم ، وما الغناء من الطرق في رقص «الدبكة» ، و«شيل القيمة» ، واستقبال الضيوف في اية ساعة جاؤوا ، والالحاح عليهم بمشاركتنا في الاكل والشرب والاكثار منهما ولو تضرروا ، الى ما هناك من قراءة القصص ، وحكاية الحكايات في السهرات ،

ورواية الخبر الحي والمدربت ، و[illegible] من التاحيص .

ومن العادات الاجتماعية ما يتبدل بتبدل الظروف والمحيط والحالة ، مثاله ذلك : ان نلبس الملابس الصوفية والاكسية المبطنة الثقيلة ، ونتناول المشروبات الكحولية المدفئة في المناطق الشديدة البرد ، ونرتدي الغلالات البيضاء الرقيقة ، ونشرب المثلجات والمبردات في المناطق الشديدة الحرّ .

ومنها ما اعتاده سكان المناطق الاوربية التي يتوافر نزول الثلج فيها من جعل سطوح منازلهم على اشكال هرمية ، ليسهل انزلاق الثلج عنها ، فلا تتأذّى ، بينا نحن سكان المناطق الحارة نصنعها على اشكال مسطحة افقية ؛ لان الثلج في بعضها قليل محول ، وفي بعضها الاخر معدوم فلا خوف منه عليها .

اما ما نراه في لبنان من سطوح القرميد المسنمة فكله حديث مقتبس عن الاوربيين، من باب التقليد والمباهاة اكثر مما هو من باب الاضطرار والحاجة .

يلتحق ايضاً بهذا القسم اعتياد الناس في القديم اشياء لم يكن لهم سواها لقوام حياتهم، وقد الفوها فسهلت عليهم وتحولنا نحن ابناءهم عنها الى ما يفضلها من مستنبطات العصر، فاصبح من الشاق علينا بل من المحال العود الى ما كان لهم .

كان مثلاً جدودنا في القديم يلبسون الطربوش المغربي والدامر او الكوبران والسراويل الجوخية او الخامية المصبوغة بالنيل ، ويحتم علينا العصر الجديد ارتداء غير هذه الملابس .

وكانوا يسافرون ويتنقلون على ارجلهم او على ظهور الدواب، اذ لم يكن لهم ما عندنا اليوم من مركبات وسيارات وطرق معبدة مفروشة بالزفت .

وكانوا يستصبحون بانوار القش وزيت الزيتون والشمع ، اذ لم يكن لهم ما جاءتنا به الاختراعات الجديدة من الزيوت النفطية وقناديل اللوكس ثم الكهرباء وما لها من نعم عديدة كادت تجعل ما كان يحلم به مؤلف الف ليلة وليلة حقائق حسية ملموسة . ومن الطبيعي ان ابناء اليوم لن يعودوا الى ما كان عليه جدودهم ، الا اذا وجدوا في مثل حالتهم، ولذلك قالوا : «للضرورة احكام ! » .

اثر العقائد والآراء في العادات الاجتماعية :

اما تباين العادات والاعمال بتباين العقائد والآراء فمثاله : ان الذين يعتقدون بالتقمص والتناسخ والعود الى الحياة قلما يأبهون للموت . ويقال ان نابليون سعى في نشر هذه العقيدة بين جيشه في حملته على روسية ليحمله على المفاداة واللامبالاة في مجابهة الموت ، وان اعتقاد قدماء المصريين بالخلود هو الذي حملهم على تشييد الاهرام قبورًا لملوكهم ، وعلى استنباط التحنيط الذي حفظ لنا حتى اليوم مومياءاتهم وابقى لنا في دفائنهم ، تلك الكنوز الاثرية نموذجاً لما كانوا عليه من رقي وحضارة .

وان فكرة الاقدمين في بقاء الاقوى ودوس كل ضعيف هي التي ادت الى انتشار الاسترقاق والتسخير واستثمار الانسان للانسان ونبذ الفقير والعاجز ووأد البنات والتضحية بالاطفال ودفن المرأة حية مع زوجها ، الى غير ذلك مما هو في عادات الاقدمين من هذا الطراز ، وقد قضى عليه ما طرأ على الافكار والآراء على توالي الايام من تطورات جديدة .

العادات المزاجية والاكتسابية :

ما كانت العادات لتحسب مزاجية بالحصر الا من جهة تأثرها بما ركب في المرء من مزاج ، وفطر عليه من طبع وخلق وسليقة ، فان فريقاً من علماء النفس والاطباء والفلاسفة يذهبون الى ان عادات المرء يستمد نوعها وجوهرها مما يتألف منه جسمه من عضلات وغدد واعصاب ، ويجري في شرايينه واوعيته الدموية من كريات حمراء او بيضاء ، تتكيف بها حركاته وعواطفه واعماله . وهذا ما يسمونه المزاج ، وغالباً ما يرث المرء مزاجه عن سلالته ، ولا سيما والديه ابيه وامه ، وبعد ان يبصر النور ينمو فيه ذلك المزاج ويقوى بما يتناوله من غذاء وطعام ويتوافر حوله من اسباب للحركة والقوة ومقومات الحياة ، فاذا ترعرع ظهر فيه ميل خاص واستعداد فطري لهذه العادة او تلك ، ومفعولات هذين الميل والاستعداد هو مما اردنا تسميته بالعادات المزاجية .

ويتمثل العامة من اللبنانيين ، تأييدًا لمذهبهم في هذه العادات ، بولدين احدهما

ابن ملك والآخر ابن غجري من القوم المعروفين عندنا « بالنور » المشهور امرهم في لبنان ، ضاعا وفي اثناء ضياعهما لاذا بكنف رجل تبناهما واكب على تثقيفهما معاً على نمطٍ واحد ، حتى اذا شبا تباينت اخلاقهما فظهرت في الاول الصفات الخاصة بالملوك ، من حب الضرب بالسيف ، وركوب الجياد ، وميل الى الكرم والجود ، والسيطرة على الاتراب ، والتحكم فيهم ، والفصل في ما يقع بينهم من منازعات .

اما الآخر ابن الغجري فقد قاده مزاجه الى المهارة في الرقص والغناء وعمل المناخل وسرقة الدجاج ، مما كان يزاوله ابوه وامه من قبله ، وذلك دون ان يتعرف احد منهما الى ذويه او ان يتصل به ايُ شيء عن اصله وفصله .

وبهذا يقول العامة من اللبنانيين في امثالهم : «الاصل عون — دور الدوره ولو دارت وخُــذ الاصيله ولو بارت — عليك بالاصيله ولو على الحصيره — الاصل بيعين ولو من جبِّ تين .»

وكثيراً ما سمعتهم يتمثلون في هذا المعنى بقصة جرو ذئب اصطاده راعٍ وضمه الى غنمه فحنت عليه شاة وغذته بحليبها ، حتى اذا كبر استيقظت فيه غريزة الشر والشراسة فبقر بطنها وافترسها فقال فيه الراعي :

بقرتَ شويهتي وفجعتَ قلبي وانت لشاتنا ولدٌ ربيب
غُذيتَ بدرّها وربيتَ فينا فمن انباكَ أن اباك ذيبُ
اذا كان الطباعُ طباعَ سوءٍ فما لبنٌ يفيدُ ولا حليبُ

ومثلهم هذا لا ينطبق تماماً على العادات المزاجية ، لانه بالشكل الذي اوردناه ، يشير الى الغريزة ، والغريزة تفترق عن المزاج بكونهـا لا تخضع للاعتياد ، والمزاج يخضع له .

اخصُّ الامزجة :

والامزجة في الناس كثيرة تتبدل بتبدل مظاهر هياكلهم الجسدية وانواع بنيتهم واخصها اربعة : الدموي واللمفاوي والعصبي والصفراوي .

فيغلب في الاول التقلب في الرأي ، والتسرع في الحكم ، مع شيء من الصلاح وجودة القلب ..

واكثر ما يكون الثاني خامل الهمة ، قليل التأثر ، يلازم اعماله في الغالب السأم والاهمال .

ويعرف الثالث بالذكاء ، والنشاط ، وسرعة الخاطر ، ودقة الاحساس . واشهر ما يقال في هذا الصنف انه سريع الغضب سريع الرضى .

اما الرابع فينسب اليه حسن الرأي ، والدأب على العمل ، وطول الصبر والاناة . ويقال ان اكثر الذين لمعوا على مسرح الحياة واحصوا بين النوابغ العباقرة كانوا من هذا الصنف .

ام السلالات :

وتقسم السلالات ايضاً اربعة اقسام :

الاولى البيضاء او القوقاسية وهي تمتاز بجمال الوجه والسحنة ، وسعة الجبين ، وتوازن العينين ، وطول القامة ، ونعومة الشعر ، ورباطة الجأش ، وحدة التصور ، والقابلية للرقي ، وحذق العلوم ، والثبات في الاعمال .

والثانية الصفراء او المنولية وهي تعرف بصفرة اللون او سمرته ، وبعلو الوجنتين ، وبروز الفك ، وصغر العينين ، وقصر الانف والقامة ، وخفة شعر اللحية . ويغلب فيها التحفظ ، والحيلة ، وصلابة الارادة ، وقساوة القلب ، والبراعة في التقليد .

والثالثة السوداء او الزنجية المتصف اصحابها بسواد البشرة ، وجعودة الشعر ، وكبر الانف ، وغلاظة الشفتين ، وصفرة الوجنتين ، وطول الايدي ، وعرض القدمين . ومن ميزاتها الامانة ، وكمون الحقد ، ومفاجأة من يسيء اليها بانتقام غير منتظر ، وقلة ما فيها من وسائل الرقي والتقدم .

والرابعة الحمراء النحاسية ومنها الهنود الاميركيون وعددهم لا يزيد على عشرة الاف ، يغلب فيهم الحذر ، والنفور السريع ، والصبر العجيب على احتمال المكاره والالام .

دور الفراسة في الاستدلال على الاميال والاخلاق :

ومن الناس من ينزلون الفراسة منزلة الامزجة والسلالات في الاستدلال على الاميال والاخلاق ، وقد وضع بعض العلماء كتباً مطولة في هذا العلم ، تلمع

الى ما تدل عليه الملامح والسمات وجه من الاستعدادات والرغائب

ويسند هؤلاء مذهبهم الى ما جاء في اقوال الحكماء من عبارات ذهبت مذهب المثل منها قولهم : « الوجه مرآة القلب — الظاهر دليل الباطن — العين نافذة النفس — سيماؤهم في وجوههم »

على ان المعول عليه في هذا الموضوع هو ان الظواهر كثيرًا ما تخدع . وقد قيل عن داخل المرء انه صندوق مقفل لا مفتاح له الا التجربة . اجل قد تدلّ الملامح على بعض الاميال ، ولكن وراء ذلك العقل والارادة فانهما المحركان الاساسيان للاعمال ، وكل ما يتم بمعزل عنهما هو شيء بارد تافه لا قيمة له ولا شأن في عالم المعنويات .

كيف تكتسب العادات والتقاليد ؟ :

وتكتسب العادات والتقاليد تدريجـاً منذ الصغر بان تنتقل عن طريق الحواس الى المخيلة حيث تنطبع بصورها واوضاعها في صفحة الذهن ثم يأتي التكرار فيزيدها مكنةً ورسوخاً .

وللاكتساب وجوه كثيرة اخصها « القدوة » وهذه قد تكون حسنة ، فيما اذا كان الموضوع المقتدى به صالحاً مفيدًا ، يقود الى عمل الخير ، ومجانبة الشر ، ورعاية الخير والواجب ، وتكون سيئة فيما اذا كان ذلك الموضوع ضارًا رديئاً ، يقود الى الشر ، والحاق الاذى بالناس ، والاستخفاف بالواجب .

ومنها « العشرة ، والبيئة ، والتعامل ، والقراءة » وهذه قد تكون مفيدة وضارة ، ولا يفوت اللبيب كيف ينبغي عليه ان يميّز بين الامرين فيما اذا سعى الى ذلك تحت رقابة العقل ، اكتساباً للعادات الفاضلة والتقاليد الراقية .

ومن وجوه الاكتساب « التربية » باطوارها الثلاثة : البيتية ، والمدرسية ، والاجتماعية ، فانها في جميع ذلك اساس للعادات والتقاليد ، وعامل اولي لترقية المبادىء ، وتهذيب الاخلاق ، وتوسيع المعارف والمعلومات .

اما الاولى فهي بمثابة الركن من البناء ، فان حسنت كانت بشيرة بالهناء ، وان ساءت كانت نذيرة بالبؤس والشقاء ، والولد فيها يكون كالمرآة ينعكس فيه

كل ما يراه ولا سيما من مربيه . والمربون الاولون هم الوالدون ، ولا خلاف في ان للام الاثر الاعظم في التربية البيتية ، لان الولد ينشأ بين يديها ويترعرع في كنفها تحت ناظريها .

وتأتي بعدها التربية المدرسية وفيها يطبق العلم على العمل ، برعاية الاساتذة الذين يحلون محل الوالدين في تثقيف النشء ، واصلاح ما قد يكون نال تربيته البيتية من مفاسد تخل بجمال الفضيلة ، وتمس بصحة المبادئ وسمو الاخلاق . وقد قالوا : « لولا المربي ما عرفت ربي — واملأوا المدارس تفرغ السجون — والامم التي لها ارقى المدارس هي ارقى الامم »

وليس للتربية الاجتماعية مربون خصوصيون ولكنها تتم بالمخالطة ، والتعامل ، والتأثر بالمحيط والبيئة ؛ ويسميها اللبنانيون « مدرسة الدهر » ومن امثالهم في ذلك : « ابنك لا تعلّمه ، الدهر بيعلّمه » . اجل ان الدهر هو المعلم الاكبر لا تكمل لامرئ تربية ولا تأديب الا اذا عاركه ودرس عليه ، لانه ، وهو فرد في مجموع ، مضطر حكماً الى دخول هذه المدرسة ، التي هي العالم ، ومشاركة طلبتها ، وهم الناس على اختلاف طبقاتهم ، في تحصيل شتى المعلومات في كتاب لم تطبعه مطبعة ولم تخطه يد ، وهو كتاب عبر الازمان وطوارق الحدثان .

ركن العادات والتقاليد :

وللعادات والتقاليد ركن تستند اليه في الحكم على ما لها من حسن او رداءة ومن فائدة او ضرر ، وما اشبه هذا الركن بميزان تعاير به العادات والتقاليد وتزاز ليعرف ثقيلها من تافهها ، بل هو المحك الذي تنتقد به او تضرب عليه ليظهر صحيحها من زائفها .

ومن الناس من يجعل ركن هذه العادات والتقاليد « الذوق » الذي يميل بداهة الى كل جميل ، ولكن «الذوق» يختلف في الناس اختلافهم في البيئة ، والعافية ، والاحساس ، والتربية ، والمذهب ، فلا يصح اتخاذه سنداً للحكم .

ومنهم من يجعل هذا الركن « حكم الجمهور » وهو زعم باطل لان هذا اي « حكم الجمهور » لا يسهل التوصل الى معرفته ، واذا سهل فقد يضل

كحكم الفرد ، وفضلا عن ذلك ، فان حكم جمهور في استحسان شيء لا يمكن ان يكون علة لحسنه ، بل هو معلوله والمعلول لا يصح ان يكون ركناً .

والقول السديد في هذا الشأن هو ان « الواجب الادبي » قد جعل بكثير من الصواب اصح ركن للعادات والتقاليد ، لانه في الكون ذلك النظام السرمدي الشامل المعقول الذي يأمر بالخير والمعروف ، وينهى عن الشر والمنكر ، بل هو ذلك الوازع الداخلي الذي يزن القيم بميزان العدل ، ويدعو الى الصلاح والفضيلة ، عملاً بناموس محفور على حنايا الصدور ، لا يقوى احد على محو حرف من حروفه ، ولا على تعديل اية كلمة من سلك كلماته .

فعلى كل امة ان تستند الى هذا « الركن» المكين في الحكم على عاداتها وتقاليدها ، لتنزهها عن الشوائب والمعائب ، وتبعدها عن الاسفاف والسخف والخرافة والبدعة ، وتجعلها الخمامة متدفقة بعطر الاخاء والمحبة والعدالة ، وهي العوامل التي يشيد عليها صرح الاخلاق ، ويرقي المحيط ، ويتسع المجال للاستفادة من ذخائر الكون ومكنوناته .

تطور العادات والتقاليد :

ومن لاحظ العادات والتقاليد في سياق الاجيال ، رآها خاضعة لسنة التطور والتبدل ، تبعاً لمقتضيات العصور والحوادث .

فمنها ما ينحط من ذاته ويضعف تدريجاً الى ان يزول ويحل غيره محله .

ومنها ما تطغى عليه ظروف قاهرة ، تضطر المجتمع الى تركه ، واكثر ما يقع ذلك في الجلاءات والمهاجرات اثر الحروب ، والثورات والجوائح الطبيعية ، التي لا تقوى يد الانسان على صدها او تخفيف تبعاتها .

ومن ثم يكتسب من تكون تلك حالهم عادات وتقاليد جديدة تكون طوراً لخيرهم ، وتارة لضررهم ، واكثر ما يكون التطور الضار ، فيما اذا جاء عن طريق مستعمر ، يحاول استعباد البلاد بمحو عاداتها وتقاليدها ، واحلال غيرها محلها .

ففي مثل هذه الحال يتحتم على الشعب المستضعف، الذي يحاول الاقوياء التهامه بمثل هذه الذرائع، ان يستمسك بعاداته وتقاليده، لتظل دعامة لكيانه، واساساً لاستقلاله وسلطانه .

ان التطور في العادات والتقاليد امر لا بدّ منه ، ولكن الفطنة توجب علينا بالّا نتسامح بوقوعه الا بتؤدة وحذر مع المراعاة لظروف الزمان والمكان والمحيط ، وما يترتب على التسامح به من نتائج وتبعات .

ان تبديل العادات صعب لكنه ليس بالمستحيل، فيما اذا استهدف بقوة ارادة وطول اناة ، وكان ما يدور حوله على تلاؤم مع الحضارة الناشئة ، وملابسات المعيشة ، والنهضة التقدمية والعلمية .

دور الزعامة في تطور العادات والتقاليد :

وقد كان للزعامة دورها المؤثر في تطور العادات والتقاليد ، فهي التي بنفوذها تساعد على تنقيتها من الشوائب ، ووضعها في شكل موافق لخير الجمهور ، هذا فيما اذا كانت منزّهة القصد ، ذات رأي حقيق بالاتباع ، وكان القائمون بها ممن لهم كلمة نافذة ، ورغبة محضة للخير ، وقد عرفوا بالوجدان الصحيح ، والضمير الحي والعقل الراجح ، واتصفوا بالرصانة والحكمة وحسن البصر في الامور ، واهتموا بوقف زعامتهم على خدمة الوطن ونشر افضل ما تنتجه الحضارة العالمية بين ابنائه .

والزعامة اللبنانية الموروثة في خدمة العادات والتقاليد تاريخ حسن ، حافل بذكريات ومآثر كثيرة ، قام بها زعماؤنا في الامس ، اصلاحاً لبعض ما كان يعتور عاداتنا وتقاليدنا من شوائب ومساوئ .

وها نحن نذكر من ذلك على سبيل المثال : —

اولاً : ما أمر به الامير بشير الكبير عند وفاة اخيه الامير حسن من ترك بعض العادات المأتمية الكثيرة التكاليف ، التي كانت دارجة في جنازات الكبراء ، والاعتياض عنها بما هو اسهل منالاً واقل كلفةً وعناء

ثانياً : ما فعله المطران طوبيا عون مطران ابرشية بيروت ، من سنة

١٨٤٤ الى ١٨٧٠ ، يحببه على نساء رشيته، في اثناء دورة رسمية قام بها سنة ١٨٤٧ ، ان يتركن لباس الرأس المعروف بالطنطور ، تخفيفاً لما كان يسببه لهن من ازعاج ولازواجهن من نفقات .

جمعية لاصلاح العادات والتقاليد :

ولقد تضاءلت الزعامة اليوم وتبدل حالها ولم يبقَ لها مثل نفوذها من قبل، ليرجى منها الاهتمام باصلاح ما اختل من تقاليدنا وعاداتنا ، فيخلق بنا والحال ما ذكر ان نعنى بتأليف جمعية ينخرط في سلكها نخبة من مفكري الطوائف واصحاب الشأن تسدّ مسدّ الزعامة المستضعفة المتوارية ، في درس تلك العادات والتقاليد ، والاشارة باستبقاء ما يحسن منها ، والاعراض عما يقبح وذلك بقرارات تتخذها بالاكثرية ، بعد مناقشات قانونية ، وتستعين بالحكومة ورجال الدين على انفاذها ،لان هذين المرجعين هما الآن اكثر هيئات البلاد وزعاماتها استطالة وقوة .

وليكن من اهداف هذه الجمعية ايضاً تقريب العادات والتقاليد بعضها من بعض ، فيجعل مثلاً نظام واحد عند جميع الطوائف ، للاجتماعات العيلية ، وتقاليد الولادات ، وحفلات التنصير ، والتطهير ، والخطبة ، والاعراس ، والمآتم ، وينتقى زيٌ واحدٌ للبس تجمع عليه كل الطوائف ، فلا نظل نحمل في الشارع ما يدل على عنعناتنا المذهبية ،ونفتح قاعات بيوتنا لاستقبال الاصحاب من اي طائفة كانوا ، فان ذلك مما يشدّ بيننا اواصر الاخاء والتفاهم ، ويعود على مجموعنا ومدنيتنا بما يجمع الشمل ويوحد الاهداف والمنازع .

توحيد العادات والتقاليد :

اما ترى كيف ان عاداتنا وتقاليدنا ما زالت حتى اليوم فوضى ، تختلف باختلاف الدرجات والمناطق والمذاهب، مما يحمل الغريب على النظر الينا بملاحظة الدهش، والظن بان بلادنا مسرح تمثل عليه نموذجات لمختلف الاجناس والقوميات؟

نجد هاهنا فئة تعيش بيننا على اساليب محض اوربية، في اطعمتها وملابسها ومعاملاتها وطرائق تفكيرها .

وهنالك فئة اخرى نصف اوربية ونصف لبنانية، يريد بعضها الافلات من عاداته وتقاليده العريقة في القدم، ولكن بعضها الآخر يمسك بتلابيبها ويؤخر سيرها ويلجئها الى البقاء على حالها الى ما لا يعلمه الا الله .

وهنالك فئة ثالثة ما زالت تعيش كما كان يعيش جدودنا من مئتي عام، لا يريدون عما هم فيه تحولاً، ولا يرضون عن اساليبهم العتيقة بديلاً .

ومما يؤسف له ان هذه الحالة كادت تؤدي الى انقطاع الصلات الوطنية، بين هذه الفئات، لانها بينا اجتازت احداها مراحل بعيدة في مضمار الحضارة والرقي، وقفت الاخرى جامدة حيث كانت، وهو مما يباعد بين ابناء الوطن الواحد، بل يكاد يفرقهم ايدي سبا .

فاذا رُبطت هذه العادات والتقاليد بعضها ببعض، زادنا ربطها وحدة وقوةً، ولا يخفي ان التباين في عادات البشر يبعث بهم على الجفاء والمقاطعة والمدابرة، وان التماثل والتشابه فيها يحبب بهم الى المؤانسة والممازجة في العواطف، والاتحاد في القلوب والرغائب، فالمرء من طبعه ينفر ممن يخالفه في مظاهره، ويرغب في موالاة من يشابهه فيها، ويوافقه عليها، وبقدر ازدياد المشابهة بين فريقين يزداد الولاء بينهما استحكاماً، وبقدر ازدياد المخالفة تزداد النفرة استفحالاً .

ترى الى مَ يبقى هذا التباين باللباس في اسواقنا واجتماعاتنا — القنباز الى جانب، والسراويل الاوربية الى جانب آخر — القبعة الاوربية من جهة، والعقال والكوفية من جهة اخرى .

اجل ليس ما يمنع ان تكون للبنانيين عامة مظاهر واحدة في اللباس يتمشون عليها جميعاً، طالما ليس في هذا التوحيد ما يخالف العقائد المذهبية، وانما هو تقليد اجتماعي وضع اكثره اولياء الامر، منذ القديم، وكانوا يميزون فيه بعض الطوائف على بعض، ليقيموا بينها الفواصل والفوارق، زيادةً في تباعدها وتخاذلها، ولئلا تتحد ضدهم، وتقوى عليهم، فكان مثلاً بعض الحكام يأمرون بان يلبس ابناء المذهب الفلاني غير ما يلبسه ابناء المذهب

الاخر ، وذلك لما عرفوه من ان التفريق بين ابناء [illegible] في اللباس يباعد بين قلوبهم ، راجين استغلال ذلك فيما هو من مصلحتهم الخاصة ، لا من مصلحة سواهم .

تلقين العادات والتقاليد الحسنة في المدارس :

وهناك طريقة اخرى لاصلاح العادات والتقاليد ، هي ان يُلقنها النشء في المدارس ، ويؤدي عنها امتحاناً ، وذلك يستدعي وضع كتب مدرسية لمختلف درجات التعليم ، يبحث فيه الموضوع على شكل جديد ، يوافق روح المجتمع العالمي العصري ويلائم نزعتنا الشرقية وبيئتنا اللبنانية ويتناسب من الوجهة الاجتماعية مع مقدسات كل طائفة ، فيقترب اللبنانيون بذلك بعضهم من بعض وتتشابه احوالهم وتتمازج عواطفهم ويصبحون امةً موحدة المشارب ، والاذواق ، والمناحي ، تجمعها طرّاً تلك السمة اللبنانية العزيزة ، التي نمتاز بهـا ونحملها بفخر ، ونبذل النفس والنفيس للحفاظ عليها .

الطيران وعلم الآثار

البحث عن الحضارات البائدة

بقلم الاب انطوان بوادبار اليسوعي

ظهرت الطائرة منذ الوهلة الاولى من استخدامها انها من خير الادوات فائدة للجغرافية التي تبحث منذ زهاء ثلاثين عاماً عن وسائل جديدة لاكمال معداتها. وكانت فائدة الطائرة من ناحية الجغرافية الطبيعية او درس طبقات الارض التي تتزحزح من مواطنها ليحل غيرها على التبادل محلها ومن الناحية الجيولوجية والجغرافيتين الانسانية والاقتصادية كليهما. وقد بدت انها باستطاعتها ان تؤدي خدمات جلى.

فهي مرصد متحرك سريع التنقل توسع مدى الرؤية وتحددها وتوجيها بحسب ما يفتقر اليه المراقب والمصور وتحولها التقاط مشهد البلاد التي تحلق فوقها التقاطاً واقعياً يجنب الغين والنقل مواطن الزلل اذ تظهر تشابك خطوطها ونتوءات تركيبها وكيفية دحوها وشكل سلاسل جبالها وشبكة مجاري مياهها وتسامق غاباتها وشتى ضروب زراعتها وكيفية توزيع مساكن قبائلها ووسائل مواصلاتها وخطوط تبادلاتها الرئيسية وبكلمة واحدة انها تريها وجه الارض الحقيقي وكيفية تكوين كل حياتها الاقتصادية السابق.

وامام هذه الساخرة بالابعاد ما من مسافة يعتد بها وليس من عقبة تقف في وجه جناحيها – ولقد استعصى مرتقى جبل إفرست الشاهق على اشهر المتسلقين ان يتوقاوه وهم من الذين لم تخر لهم عزيمة عن بلوغ قمته. على حين ان الطائرة التابعة للمصلحة الفنية الاختصاصية الجريئة والبعيدة النظر في وقت واحد قد سجلت انتصارها الرائع في هذا الباب. ففي اليوم الثالث من نيسان سنة ١٩٣٣ حلق الكولونيل ل. ف. ص. بلاكر (L. V. S. Blacker) فوق

هذه [illegible] الحضارة وكادت بالاسم [illegible] في حالق فوق هذا الطود الذي لم تطأه رجل [illegible] سان وجلب معه من عمله هذا الباهر فلماً سينمائياً مؤثراً .

وبعد ان ابلت الطائرة البلاء الحسن وكانت السبيل المحقق للآتي التي تتطلب الاقدام طلب اليها الفكر ان تساهم في حل رموز التاريخ القديم على الارض فتقدم مساعدتها للجغرافية التاريخية او هـذا العلم الذي هو عون علم الآثار ومحصله في آنٍ واحد .

وعلى هذه الرقوق حيث ازدهرت قديماً حضارات راقية فان الارض لشبيهة برق سطرت عليه كتابات اثرية تحت نص كتب حديثاً فلا تزال تحتفظ بابعد الوثائق القيمة قدماً اذ نرى بابهام اثر الكتابات المكدسة بعضها فوق بعض .

وفي سبيل اكتشاف سر هذه الرقوق التي طمست كتاباتها القديمة وكتب فوقها من جديد ، قد استنفد العلماء المتخصصون بقراءة الكتابات الاثرية جميل صبرهم وذكائهم . فتوصلوا باستخدام المكبرة وشبحية التصوير الشمسي والتظهيرات الكيمائية والاشعة وراء البنفسجية الى ان يقرأوا سطراً فسطراً وكلمة فكلمة نصوصاً مطموسة . واذا اتفق لهم تارة ان ذهبت اتعابهم بدون جدوى فانهم قد فازوا طوراً بافضل مكافآت على جهودهم .

ان كتاب الارض لمثقل بخطوط الحضارات المختلفة التي تتابعت في البلدان نفسها . — وما اكثر تكديس هذه الكتابات بعضها فوق بعض — فبواسطة اية ادوات يستطاع تمييز الخطوط المرسومة تحت غيرها منذ عهود خالية وهي خطوط احدث منها عهداً ؟

وباستخدام اية مادة كيمائية يستطاع ارجاع الرسوم المطموسة لتعود الى بروزها بروزاً يسمح بقراءة الصفحات الممحوة ؟

ولقد كان لا بد من بحث هذه المسألة التي دُرِست وحُلَّت ومع ذلك لم يكن طبعاً بالاستطاعة ان تسفر عن نتائج قيمة الا في المكان الذي لم يطمس فيه الحاضر الماضي طمساً كاملاً تحت استواء التراب الذي جعل جميع التنقيبات بدون جدوى تقريباً . اما الصحراء التي شهدت الحضارات البائدة فان طائرة

الاستكشاف والتصوير الجوي الشمسي قد اسفرا بها عن نتائج باعثة على الاعجاب .

طريقة البحث الجوّي في الصحراء

لقد بسطنا نتائج اعمالنا الاولى سنة ١٩٣٤ في كتاب نشر بمساعدة وزارة الطيران[1] وندوة الاثار والاداب وكان المؤلف الاول من سلسلة مؤلفات عددها ثلاثة كتب[2] لما تتم .

وكما تغنم المبارة في الصيد سانحة الحظ كذلك خدمت الظروف العالم الجغرافي فكان عليه ان يستفيد منها ويتلخص الملحوظات التي عرضت له وهي لا تقل عن نواميس المراقبة الجوية التي استخدمها الطيارون العسكريون في حرب ١٩١٤—١٩١٨[3] الا وهي العناصر الاولى لطريقة المراقبة والتصوير الشمسي الجوي في منطقة الفلاة الصحراوية وقد خولت ضبط هذه المراقبة التحليقات العديدة التي قاموا بها عن قصد في اوضاع جوية مختلفة ضبطاً نهائياً .

ولنشر باقتضاب الى مراحل هذه الاعمال التي كان لا بد من استمرارها طوال سبع سنوات (١٩٢٥—١٩٣٢) فنقدم عنها جدولاً موجزاً وعما اسفرت عنه من نتائج . ولقد بدأت الجائنا الجوية في المنطقة التافهة بين دجلة والفرات

---

(1) A. Poidebard, *La trace de Rome dans le désert de Syrie. Le Limes de Trajan à la Conquête arabe. Recherches aériennes (1925 - 1932). Introduction de Franz Cumont.* Ouvrage publié avec le concours de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres et du Ministère de l'air. Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner 1934. Un volume et un atlas.

(2) A. Poidebard, *Un grand port disparu. Tyr. Recherches aériennes et sous-marines 1934 - 1936*. Paris. P. Geuthner 1949. Un volume et un atlas.

R. Mouterde et A. Poidebard. *Le Limes de Chalcis. Organisation de la steppe en Haute Syrie Romaine. Documents aériens et épigraphiques.* Paris. Paul Geuthner, 1945. Un volume et un atlas.

(3) Dans *La Trace de Rome*, p. 14 s. on trouvera résumée la genèse de la méthode aérienne et la part qui revient spécialement aux aviations militaires de la guerre 1914 - 1918.

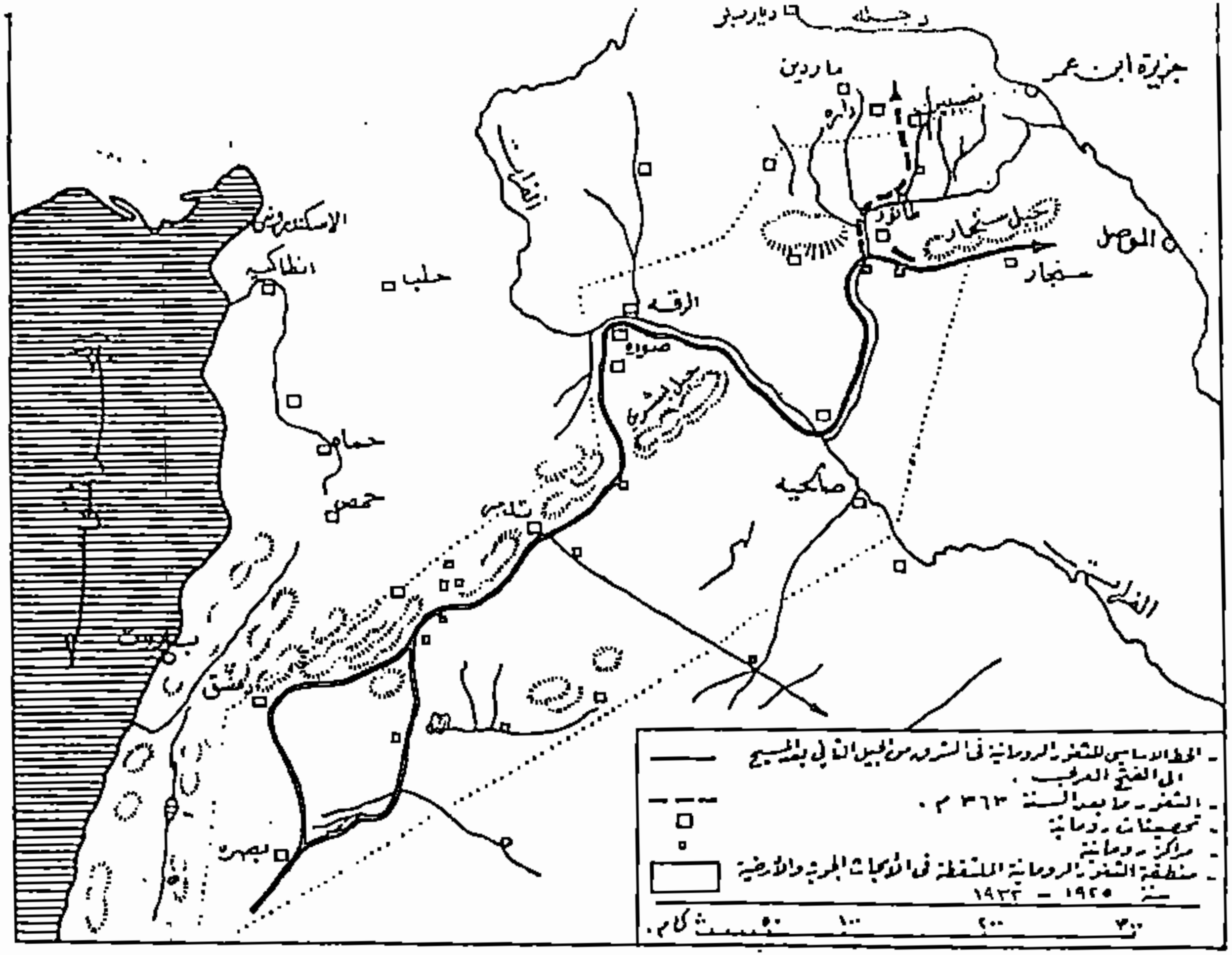
دجلة
ديار بكر
جزيرة ابن عمر
ماردين
نصيبين
دارا
الموصل
جبل سنجار
سنجار
الفرات
الرقة
حلب
الإسكندرونة
انطاكية
حماة
حمص
صالحية
تدمر
جبل بشري
بيروت
دمشق
بصرى
الخط الأساسي للثغور الرومانية في الشرق من القرن الثاني بعد المسيح إلى الفتح العربي .
الثغور ما بعد السنة ٣٦٣ م .
تحصينات رومانية
مراكز رومانية
منطقة الثغور الرومانية المستقطة في الأبحاث الجوية والأرضية سنة ١٩٢٥ – ١٩٣٢
٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٥٠ كلم.

وكان عدد الفوز بالوثائق الاثرية والتاريخية التي دونت على خريطة بلاد غير مأهولة اليوم ولكنها كانت مكتظة السكان في السابق ولم تنقلب الى صحراء الا عقب غزوات المغول .

وتحقق للطائر رائد البحث الجغرافي مذ اولى تحقيقاته ان في متناوله اداة بحث من الطراز المعلم .

وفي الواقع لقد ساعدت الطائرة على بلوغ المناطق التي كانت مأهولة قديماً واصبحت الان بعيدة عن المسالك المطروقة وباتت لا يستطاع الوصول اليها بوسائل النقل العادية كما ساعدته على التحليق فوقها والحط فيها عند الحاجة الى القيام بدروس وتنقيبات سريعين .

وبوسعه ايضاً من دون ان يحط على الارض اي وهو قائم على متن مرصده المتحرك ان يجلي اثار التنظيم القديم على الخريطة البارزة المنبسطة تحت جناحي طائرته وذلك بغضه الاوقات المناسبة واستخدامه اشد الانوار مواقة فيرى من علُ الاثار التي تكاد لا ترى ونحن على الارض ويستخدم المقياس الذي يريده .

والطائر يكشف من علُ احدى المدن القديمة المستوية ارضها كما يكشف خطوط موقع حصين بائد اندرست معالمه وشبكة طرقات مطموسة تتشعب نحو مراكز الماء وموضع احدى الاقنية المتردم الذي لا يُشعر به بعد ان تهدم ترابه وذلك في المنطقة التي لو قطعها على ظهر جواد او متن سيارة لما استطاع ان يميز فيها شيئاً .

ولقد كان هذا الفتح الاول مدعاة لفتوحات اخرى ابعث على الدهشة . اجل ان الارض لتنفطر امام المراقب الذي غدا اشد انتباهاً وامام عدسة آلة تصويره الشمسي التي احكم توجيها لتفشي اليه سر الاثار الدفينة برمتها .

واوشكت جميع آثار الحضارات القديمة بين الدجلة والفرات كما وفي صحراء سوريا، ان تكون مطمورة بعد استواء الارض وذلك من جرّاء اعمال التهديم المتتالية التي خلفتها الغزوات وراءها .

والارض التي اسفتها الرياح منذ الف سنة قد غطت العذاة[1] بطبقة موحدة الشكل الظاهري فلم يبق على سطحها الا النزر القليل من الاثار .

وقلما تجاوز سمك هذه الطبقة الصالحة للنبات الثلاثين والاربعين سنتمترا وذلك بعد ان تأكلتها الرياح وان نتت الاثار المطمورة تحتها عن بعض الاخاديد اما المسافر الذي يجتازها فتلتبس في نظره التموجات الخفيفة مع حركة العذاة ليظل كيفما تقلبت الحال عاجزا عن تمييز شكالها .

ولترتفع الطائرة ولتخط دوائر تحليقها كجوارح الطير فوق السهل الرتيب[2] ففي ساعات الصباح وما بعدها وبمساعدة النور المنحني الذي يلامس خطوط الشمس غير المرئية عند شروقها ومغيبها تتضح له هذه الخطوط بجلاء. وتنتظم المجموعة التي لا تتميز منها وتتخذ شكلا مقروءا .

وها هوذا محيط احدى المدن مع اسوارها وابراجها وخنادقها (pl. III-IV) وها هناك منجم روماني بتخطيطاته الخاصة به الشبيهة بعضها ببعض من تخوم جرمانيا حتى حدود الصحراء الشرقية (pl. II) .

وتمت اختبارات وتحقيقات واكتشافات اخرى ، ففي مطلع امطار الخريف تسترد العذاة الصهباء فجأة نضارتها ويجد راعيا الابل والشاء اللذان يسوقان امامهما ماشيتهما الى الجها العشب الجاف الذي تقضمه بشهية انعامهما بعد الصيام ، اما الطيار الجاثم فوق مرصده فقد ميّز والتقطت اداة تصويره الشمسي الوانا مختلفة كما مكنته طبيعة الارض سواء من حيث رسوبها وسواء من حيث تحديدها ، نعم لقد ميّز لون العشب النضير النابت فوق ارض تخفي الاثار في جوفها وانه يبدو قاتما بسبب قلة رسوب الارض وبسبب انحلال كلس الاسوار القديمة الذي اعاق نموّه اما حيث يتجعد وجه الارض بسبب قيام طبقتها فوق سد او خندق قديمين فتبدو نضارة النبات مائلة الى الحلوكة ويظهر العشب نفسه اعظم نموا لان انخفاء الارض ولو لبضعة سنتمترات كان كافيا لتغذية عشب

١) العذاة : في اللغة معناها التربة الكريمة النبت البعيدة عن الأحساء والنزوز وقد استخدمناها لترجمة لفظة (steppe) الفرنسية .

٢) الرتيب ما كان على نمط واحد وقد استخدمناها كالمصريين لترجمة لفظة (monotone)

اشد اكتظاظاً . اما اذا حلّ اولّ حرّ الربيع فيفضي تأثير الشمس القطيع الى تجفيف النبات في بضعة ايام ويعيد الصحراء الى سابق عهدها .

وهذا ما يعتري شكل العذاة . فهنا يصفرّ العشب بسرعة ، وهناك ينتفض بضعة ايام قبل ان ييبس . وعلى هذه الصورة يشير اخضلاله بدقة هندسية الى مواضع الآثار المدفونة والى تخطيط الطرقات والخنادق والاتنية .

وثمت ظاهرة اخرى ابعث للغرابة الا وهي: ان صفيحة التصوير الشمسي التي تحس اكثر من العين بادق التفاصيل وبتنوع الالوان الارضية المألوفة لتبحث ايضاً بدقة اعظم العذاة وتكشف فيها اثاراً لا تراها ابداً المراقبة من على الارض (pl. I).

ولتحط الطائرة على الارض وليأخذ الطيار فأس التنقيب ومقياس المهندس فلا يسفر تفحصه الارض وسبرها الّا عن النتائج التي فاز بها وهو فوق متن مرصده الجوي .

وتكفينا هذه الادلة لادراك مبادئ الطريقة التي حققناها بما فزنا به من نتائج باهرة في صحراء سورية وعذاة الجزيرة العليا .

ولا يتسع المجال في مثل هذا المقام لخوض جميع تفاصيل هذا الفن الذي لم يبلغ درجة استحكامه الا شيئاً فشيئاً . وبعد ان تدرّج في تطوراته وتحوّلاته حتى وصل الى مرحلة كماله الاخيرة .

والآن ، فما هو خير ارتفاع مناسبة للقيام بهذه الابحاث ؟ واية فائدة نستطيع ان نجنيها من التحليق وراء ستار من الغيوم ؟ وماذا في مقدورنا ان ننتظر من العمل الجري الذي يحتقر — احياناً طريقة التصوير القديمة — ليباشر المصور بواسطة نور اصطناعي بحثه في حالة كون الشمس الساطعة قبالة رجهه .

وفي مثل هذه الاوضاع المغايرة للمألوف كيف نفسر هذا العمل (المارق) « اذا كان في الاستطاعة ان تطلق عليه هذه الصفة » انه يفضي الى اعطائنا « كليشهات » متقنة كل الاتقان على حين ان التقاط المشاهد وفق القاعدة لا يسفر الّا عن صور مترجرجة غير بارزة وذلك اذا كانت الشمس وراء ظهر المصوّر ؟

— -

وما هو التأثير الذي يحدثه غبار الرمل المتناثر كالضباب في اشعة الشمس ؟

وعلى اثر اية اشعة جديدة نرى نفسنا ؟ واي تأثير خفي اخذت ظاهراته بالتكوين ؟

وقصارى الكلام ما هو العلم الذي تحول بواسطته « الكليشهات » الى المقياس المختار وهي قد التقطت من ارتفاعات مختلفة منها ما هو شديد الانحناء ومنها ما هو قليله ؟

ان كثيرًا من هذه الاسئلة يراها الاختصاصيون في هذا الفن مبسوطة في المؤلف المشار اليه وفي مجموعة الرسوم المضافة اليه .

موضوع الابحاث الجوية

تشوق سواد الجمهور دقة الطريقة التي انتهجها اقل مما تشوقه النتائج التي فاز بها بواسطتها .

ولقد اخذنا على عاتقنا درس المسألة التالية : اقامت الامبراطورية الرومانية تخومها وثغورها[1] (son Limes)[2] في الشرق كما اقامتها في افريقيا وبريطانيا وعلى الرين والدانوب ولم تكن تشبه في شيء تخوم الدول الحالية التي تفصلها عن بعض . والغار كان خط الثغور الرومانية منطقة تُحمى بواسطتها الامبراطورية من البرابرة وطريقًا محميًا يوافق تنقلات الجيوش السريعة وكان مؤلفًا عادة من مجموعة طرقات محصنة : اولًا طرقات موازية لتخوم البلاد وغالبًا ما كانت مقصورة قليلًا الى الوراء . ومن ثم طرقات موغلة بخط مستقيم في الطرقات الاولى وذلك في بلدان البرابرة والخليقة او المفترحة لتؤلف سفحًا امام الحصون يقي الاراضي الرومانية

١) كانت العرب تسمّى الحدود التي بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية « الثغور » وكانت ممتدة من ملطية الى اعلى الفرات والى طرطوس : وقد اخذنا هذه الكلمة لترجمة (Limes) الرومانية .

(2) Le terme « *Limes* » est un mot d'origine latine spécialement employé pour désigner la limite extérieure, la frontière du territoire d'Empire.

وهنا ... كان يسمونه من منطقة « ثغور » (Limes) بيد ان الرومانيين قد عرفوا ان يشيدوها بمهارة باعثة الاعجاب ويوفقوا بينها وبين خصائص البلدان الجغرافية ومزايا الشعوب المعادية الحربية التي لا بد لهم من الانفصال عنها او التي كان عليهم ان يدافعوا ضدها عن انفسهم .

فما هو الحلّ العملي الذي اعتمده اختصاصيوهم عـلى تخوم امبراطوريتهم الشرقية ؟ انه لم يتفق قط ان اشتملت هـذه المسألة على مثل هذا القدر من العناصر التي يجب التوفيق بينها .

وليس من مكان آخر وجدت فيه هذه المسألة حلّاً لها يدلّ على عبقرية الاختصاصيين بفن التحصين ومبلغ تحكمهم به كما فعلوا على رغم صعوبة هذا الامر من الوجهة العملية اذ كان من الواجب عليهم التوفيق بين المقتضيات الجغرافية والحاجات الاقتصادية والسياسية والضرورات العسكرية « انظر الى الخريطة التالية »

ولم يكن يقوم في منطقة الحدود من الوجهة الجغرافية غير حاجزين طبيعيين ففي الجنوب كان فرع سلسلة جبال لبنان ولبنان الشرقي « Anti-Liban » الساحلي وفي الشمال مجرى نهر الخابور وسلسلة جبال سنجار التي كان خط الثغور الرئيسي يتصل بها كما كان يتصل بها ايضاً الطريق المركزي الكبير من تلك الشبكة. وكان ثمت سلسلة من المراكز الحصينة على طول الطريق من بصره عاصمة الولاية العربية الى حميدة (دياربكر) القلعة المركزية في سلسلة جبال ارمينية مع نقاط متوسطة للوقوف : هي دمشق وتدمر ودوره وسيرسيزيوم وثانور وسنجارا .

وهذا القطر الكبير الذي يتحكم به الشكل الجغرافي الطبيعي كان من مزاياه ان يقطع الناحية الصحراوية ويمرّ تماماً بالمنطقة الممطرة فيها بحيث كان بالاستطاعة تنظيم مواقع الماء بسهولة تلك المياه الضرورية للحاميات .

وقد كان لمجموعة هذه الخطوط التي من حسن الطالع قد انجز تحقيقها تماماً من الوجهة الفنية مزايا اخرى سواء من حيث الناحية الاقتصادية او السياسية

فانها كانت تقطع عرضاً منطقة انتقال الرعاة في الصحراء .

وكانت تنتقل دائماً من جانبي الحدود كاليوم شعوب بدوية كبيرة وذلك وفق فصول السنة تسوق قطعانها العظيمة امامها لتجد تارةً ارتياحاً الى العذاة متى كان الفصل ممطراً وطوراً لترحل بعيداً الى النجود حول المنطقة الصحراوية. اما عندما كان فصل الجفاف يطرد اولئك البدو الى المناطق الرطبة المناخ فكان لا بدّ من مراقبتهم في مدّهم وجزرهم الفصلي فلذلك كان خط الثغور يقطع ممرات سلاسل الجبال ومناهل الماء ليصبح من السهل القيام باشراف فعليّ على اولئك الجيران النزّاعين الى الشغب والقتال وللحفاظ بواسطة انشاء هذا الخط على طمأنينة اراضي الامبراطورية كما انه كان سهلاً ايضاً بانتهاج سياسة لبقة ان تستمد منهم النجدات وتضم الى جانب القوات الرومانية في سبيل الدفاع عن الحدود .

ولما كانت المبادلات التجارية مع الامبراطوريات المجاورة تسلك طرقات الصحراء الطبيعية التي كان يسلكها البدو في تنقلاتهم الفصلية كان من مزايا هذا الخط ايضاً انه يسيطر على طرقات القوافل القادمة من سوق بلاد العرب الداخلية ومن مدن البرتيين والساسانيين التجارية في بلاد ما بين النهرين السفلى والفرس تلك القوافل التي كانت تصحب بضائع اسيا الوسطى والقصوى نحو موانئ البحر المتوسط السورية ومدن سلسلة جبال ارمينية او نحو سورية العليا .

اجل انه لنجاح اقتصادي وسياسي ولكن خط الثغور لم يكن انشاؤه باقل دقة وضبطاً من ذلك بالنظر الى حاجات الحدود الشرقية العسكرية .

وربما كان على الرومانيين ان يصدوا غزوات فرسان البرتيين والساسانيين السريعة التي قد يعززها العرب البدو من فرسان وهجانة .

وحيال هذه القضية العسكرية الستراتيجية كان لا بد للجيش الروماني من اتخاذ وسائله للردّ فوراً عليها فلذلك عزّز قوات فرسانه الخاصة واكثر مراكزه التي ارتآهــا تحول دون تسرب الانصار الخطر وتحطم هجوم بعض الفرسان الكبيرة .

هذه هي خطة البحث التي عملنا في استكشافاتنا الجوية طول ثماني سنوات (١٩٢٥ — ١٩٣٢) باتباع منهج وبعزيمة لا تعرف الملل على تحديد تفاصيلها فلم تكذبنا النتائج وانما جاءت تزيد عما كنا نأمله . وفي الواقع لقد اكتشفنا على الارض من هذا الخط الخيالي ، وذلك من علٍ ، مجموعة الخطوط الحقيقية بكل تنظيمها .

وهذه السلسلة التي لم نكن نعرف عنها الا شذرات قليلة في الماضي لا لحمة بينها واقعية اصبحنا الان نمسك حلقات ارتباطها واحدة واحدة : اي اننا عرفنا الخط الرئيسي مع نقاط ارتكازه والخطوط الثانوية التي تجعله مزدوجاً والمتاريس التي تعززه وخطوطه المعترضة التي توطد مجموعه .

وخولنا تفحص الابنية على الارض والمخيمات الباقية والمراكز والقصور وابراج المراقبة ان نؤرخ لبعض عناصر اسلوب هذه الحصون . وبفضل هذه المراقبة قد عينت الجغرافية في التاريخ : حركة الحدود بتقدمها وانكفاآتها وقدمت لتاريخ حدود الامبراطورية الشرقية العسكرية مساعدة قيمة .

وائن اقتصرنا على الخطوط الرئيسية فلا مندوحة لنا عن الاقتناع بالاشارة في مثل هذا المقام الى ان مراقباتنا الجغرافية قد تناولت جبهة تمتد على طول الف كيلو متر واستطعنا ان نعيد رسم تأليفها مفصلاً من جديد وذلك على عمق يتراوح من مئة الى مئتي كيلومتر على طول المنطقة المحصّنة . »

ولقد كان بالاستطاعة ان نعيد رسم جميع تنظيمها العسكري والاقتصادي ونعطي بذلك ميزات فن الاحتلال الروماني . واذا ما بدأنا من الجنوب من عند طرف الولاية العربية فهناك ملتقى طرقات بصره الهام مع مجموعة طرقات تربط اهمها بوسطره بتدمر عن طريق دمشق او مباشرة بجبل سايس .

وهذا المثلث لذو اهمية ستراتيجية من الدرجة الاولى اذ يؤلف مجموعة ضخمة ترتبط بمعقلي بوسطره ودمشق وتضغط ضغطاً قوياً مناطق حوران وحرّا والصفا البركانية .

وبالاتجاه صعداً نحو الشمال الشرقي ثمت خط جديد مزدوج يستند الى معقل جبل بشري الكبير للدفاع عن كوع دقيق الموقع وتبتغي المحافظة عليه .

واذا ما ادرنا الوجه نحو الصحراء حيث تنحدر طرق القوافل وتتوغل عبر البلدان المجاورة المشكوك في صداقتها غالباً فان خط الدفاع الرئيسي تحميه المواقع الرومانية التي تقبض كل القبض على مراكز المياه .

وهذه المواقع القائمة اينما كانت في نواح تسيطر على غيرها يمتد منها النظر الى بعيد مما يجعلها الاتصال بغيرها بواسطة النيران او الاشارات المرئية .

ومن دون ان تفتقر القيادة الرومانية الى استخدام عدد عظيم من الرجال كانت تقبض على الصحراء بهذه الصورة . وبفضل هذا التنظيم الذي ينمّ عن مهارة بوضع الخطط العسكرية العليا كان بمقدورها ان تؤمن حماية القوافل على مسافة بعيدة من متشردي العذاة وتحافظ على اتصالها بالقبائل المسلحة هذه القبائل المسالمة بطبعها ولكنها تفتقر الى الشعور بشدة المراقبة الفعلية عليها كما انها كانت تقوى على مراقبة كلّ حشد فرسان مشبوه فتشل هجماتهم وذلك بفصلهم عن مواضع الماء .

وكان مجموع هذه الثغور يكتمل بين الدجلة والفرات ، اما سهول ما بين النهرين السفلى فكانت اضعف نقطة في هذا الخط المفتوح .

وكانت تسد الطريق على زحف الفرسان البرتيين والفرس المتدفقين من الشرق مجموعة طرق كاملة تستند الى المواقع الحصينة كيرسيزيوم وثانور وسنجار

هذا هو هيكل الثغور الشرقية للامبراطورية الرومانية قد أرجع الى خطوطه الكبرى كما يعاد الرسم الى خطوطه الاولى .

وكذلك اتخذ كتابنا اثر روما في صحراء سورية هذا الطابع الى ابعد حدّ اما التحليل فيبين ، اكثر مما يعرض ، وفرة المعلومات التي كشفنا عنها بالطريقة الجدية في قراءة النص وانعام النظر وحدها فيه وفيما اشتمل عليه الكتاب من صور تبدو من خلالها صعوبة المسائل التي حُلّت وكثرة الاكتشافات المتنوعة التي كان بالاستطاعة تحقيقها .

وفي سبيل ايفاء الكلام حقه اكثر من ذلك، ما من مندوحة عن الاشارة اولاً الى دراسة الطرقات التي تدلل نماذجها المختلفة على ذكاء اولئك الاساتذة

، ورومانيين بتخطيطها : فهي طرقات مرصوفة من بلاط منحوت ولم تتحرك من مواضعها منذ ثمانية عشر قرناً ، وطرقات ارضية بجوش تمسكها وحبال في وسطها تخط امام العجلات لحين[1] او ثلاثة بخطوط متوازية فكانها للحيلولة دون كل ازدحام ، وثمت طرقات للقوافل اكثر بساطة في صنعها وكل ذلك حيث استطاع مهندسو الطرقات الوصول الى الممرات الصعبة .

ففي اي مكان اتجهت جسور ومعابر انهار جعلوها صالحة للمرور وابراج للحراسة ولاعطاء الاشارات وقبل المسالك الخطرة تبليط مستدير الشكل قطره من ٦ الى ١٠ امتار ترشد رجال القوافل الى النقاط المعينة بالضبط التي يستطيع الحراس البعيدون ان يروا منها نيرانهم الليلية .

وينبغي ان لا يغيب عن الانتباه الابحاث التي قمنا بها لدرس تنظيم مواقع الماء . فمن بصره الى الفرات : ترى هنا اباراً محفورة مزدانة ومفروشة ببلاط منظم وهناك حياضاً واسعة وجباباً عظيمة وهنالك اعمالاً لجمع مياه الينابيع البعيدة وجرّها .

واتخذت القيادة الرومانية كل الاحتياطات لتأمين حاجات الحاميات كشرب سريات الفرسان المرابطين في الصحراء وتموين القوافل بالماء وريّ المنظمات الزراعية القائمة تحت حماية اهم المراكز وذلك كما يبدو من الرسم الذي استطعنا ان نعيد هيكله في ابحاثنا مما يستثير شعورنا بالقوة والمرونة وبخصائص حضارة عظمى .

❖

في عام ١٩٣٤ ظهرت خريطة الثغور الرومانية في صحراء سورية (بالاستناد الى المراقبات الجوية والتحقيقات الارضية ١٩٢٥ — ١٩٣٢) واكملها كتابان الجزء الاول منهما تلخص نصوصه جميع المعلومات التي كان بالاستطاعة الفوز بها ، والثاني يشتمل على اللوحات والصور الجوية والتصميمات .

واثبتت الحجة الاختبارية على ان المراقبة والتصوير الجوي يصلحان ليكونا

١) اللاحب واللاحب ، الطريق الواضح

قاعدة البحث عن الحضارات القديمة بعد ان اصبحت الطائرة اداة بحث الجغرافية التاريخية الحقيقية .

ويعترف المؤلف بتواضع بانه لم يكن يستطيع البرهنة على نظريته من دون مؤازرة جميع الذين ساعدوه فيها مساعدة واعية حازمة: اي لولا مساعدة ندوة الاثار والاداب ووزارة الطيران ومصلحة الجيش الجغرافية والطيران الفرنسي في الشرق وفصائل هجانة الصحراء. ويتجه باعترافه بالجميل الى الرعيل من الرفاق في بدء الاعمال الصعبة .

وبعد ان تحققت طريقة البحث رغبت ندوة الاثار والاداب في استخدامها لدرس كيفية تنظيم الغذاة في سورية العليا الرومانية للاستزادة في تعميق الدرس

واخذ الطيار الذي تآزر مع حضرة الاب رينه موترد ، اختصاصي الشرق الروماني المعروف على عاتقه ان ينقل كل ذلك التنظيم الاقتصادي وشبكة الطرقات ومواقع الماء ومناطق الحراثة وترتيب المراعي في المنطقة الصحراوية على الخريطة .

وفي سنة ١٩٤٥ ظهر كتاب ثغور كالسيس (Limes de Chalcis) الذي يدرس كل سورية العليا التي قوامها حول انطاكية عاصمة الشرق الرومانية وسجل نتائج ابحاثه فيها .

واستمرت اعمال الاستكشافات من الجو وفي الارض من سنة ١٩٣٥ الى ١٩٤٩

وبوشر عام ١٩٣٤ بمساعدة البحرية الفرنسية درس موانئ الساحل الفينيقي القديمة وظهرت دراسة مرفأ صور سنة ١٩٣٩ ، وفي عام ١٩٤٦ بدأت دراسة مرفأ صيدا من الجو ومن تحت البحر مع دوائر الاشغال العامة للجمهورية اللبنانية .

وظهرت الطريقة الجديدة شديدة الجدوى لبحث الاثار التي تحت الماء على قدر جدواها في البحث عن الاثار الدفينة في الارض ، واننا لنأمل ان نقيم عليها الحجة في مقال اخر ننشره في المشرق .

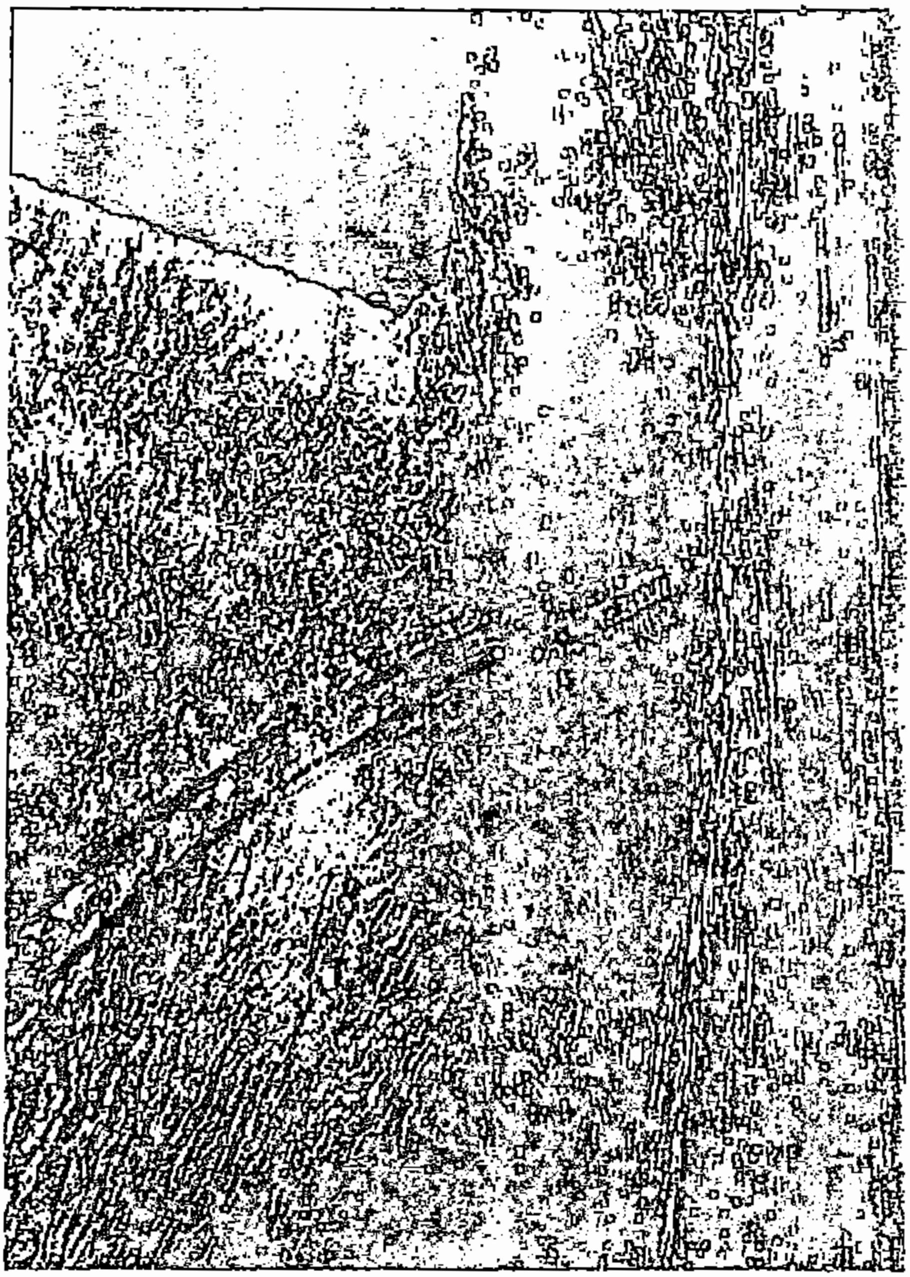

تصوير ايرو ارفان

«قانون العقوبات اللبناني وحماية القاصرين»

بقلم مبارك عون
« محامي اتحاد حماية الاحداث في لبنان »

مقدمة

لقد كثر التحدث عن قضية الحدث بعد الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ، لما رافقها وتبعها من اسباب اقتصادية واجتماعية ، كان من نتيجتها المحتمة انحلال الرباط الزوجي وانحطاط الأسرة وايصال الحدث الى حالة لم تعد تمكنه من النمو جسدًا وعقلًا ونفسًا ، في جو طبيعي . فشعر الرأي العام العالمي والمحلي بخطورة مشكلة الولد وجاءت المؤسسات العالمية والهيئات المحلية تعالجها بحكمة وتنهم ساعية الى ايجاد نظام شامل للقضاء على كل ما يعوق الحدث من ان يصبح عنصرًا صالحًا في تكوين المجتمع .

وكان ان اوجد الشارع في سائر البلدان المتقدمة قوانين اراد من ورائها ان يقضي على اسباب التسول والتشرد والانحراف في الاخلاق المؤدي الى الاجرام ، فاتبع سياسة اجتماعية رشيدة لرفع مستوى الأسرة والقضاء على الطلاق وانحطاط الاخلاق ، ثم تعداها الى ايجاد العلاج ، فبنى معاهد الاصلاح للذين شذوا عن الصراط المستقيم ، وشجع انشاء المدارس المهنية ، الصناعية والزراعية ، لابعاد الحدث عن البطالة والطريق .

ولقد تكاتفت سائر الهيئات والمنظمات المحلية بعضها مع بعض فتعدى عملها الدائرة الوطنية فنشأت هيئات عالمية ، واوجدت شرعة لحماية الطفولة والحداثة واخذت تحث الجميع ، حكومات وافرادًا ، على الاعتناء بقضية

الحدث . وتكاثرت النشرات والمجلات والكتب ، وجميعها تعنى بشؤون الطفولة والحداثة سواء أكان ذلك من الجهة الصحية او الاخلاقية او الاجتماعية .

وقد تيسر لنا ان نكون على اتصال مع بعض هذه الهيئات كـ « الاتحاد العالمي لحماية الطفولة »[1] في جنيف ، و « عصبة هاورد للاصلاح الجزائي »[2] ، في لندن ، كما انه سبق وكلفنا بجمع بعض المعلومات العائدة الى قضية الحدث في بلادنا ، وذلك بناء على اسئلة وجهت الى السلطات المحلية من قبل « هيئة الامم المتحدة » ، وبعده من قبل « منظمة الاونسكو » . وقد كان بغية هتين المنظمتين الاطلاع على الانظمة المعمول بها في سائر البلدان ، ثم العمل على تعريف الصالح منها للجميع ، حتى يتمكنوا من الاسترشاد بها .

الا اننا بعد ان انحنينا على درس الناحية القانونية من نظامنا وعملنا في « اتحاد حماية الاحداث في لبنان » ، ومثلنا باسم هذا الاتحاد لدى محاكم الاحداث وسائر الدوائر الرسمية ، تبين لنا انه يوجد فرق شاسع بين التشريع وبين الواقع بحيث انه قد يخشى على من لا يطلع على قضية الحدث عندنا الا من خلال نصوص القوانين ، ان يتخذ فكرة خاطئة عنها . ولذا فقد شعرنا بضرورة الإتيان على جميع ما يعوقنا في تطبيق القانون الموضوع لمصلحة الحدث، ولدى تشعب هذه المشكلة ، فقد حصرنا البحث في تحليل النقاط الواردة في قانون العقوبات وقانون اصول المحاكمات الجزائية ، وليس دأبنا في ذلك ، بعد اعترافنا بما عملته السلطات في هذا الحقل منذ سنة ١٩٤٤ ، الا مساعدتها لاتمام مهمتها .

ملاحظات عامة :

ولكن لا بد ، قبل الانتقال الى النصوص ، من ذكر بعض الوقائع :
من منا لم يلاحظ هذا العدد الوافر من القاصرين المهملين الذين يتسولون

(1) *Union Internationale de la Protection de l'Enfance*. 16, rue du Mont-Blanc, Genève.

(2) Howard League. *For Penal Reform*. Parliament Mansions, Abbey, Orchard Street, London S. W. 1.

ويتشردون في شوارع المدينة طوال النهار ، ثم يأوون ليلاً الى منحرفات او مقاهٍ او سينمات او محلات مشبوهة ، يتلقنون فيها طرق الفساد ؟

من منا لم يسمع بتلك العصابات المؤلفة من قاصرين قادتهم ظروف عديدة ، اقتصادية واجتماعية ، الى ارتكاب الاخطاء ، واتخاذ السرقة مهنة لهم ، شأن تلك العصابة المعروفة « بعصابة شم النسيم » ، المختصة بسرقة الشوادر ، ثم نصبها في محل ما ، والتنعم في ظلالها بما درت عليهم سائر مغامراتهم ؟

لقد سمعنا بكل ذلك كما سمعنا شيئاً عن تسييب الاولاد ، واهمال الواجبات العيلية ، والاعتداء على عرض القاصرين ، وحضهم على الفجور والدعارة ، ودفعهم الى التسول والتشرد ، فالى الاجرام .

فتساءلنا عما اذا كان هنالك نظام ما يحمي هؤلاء القاصرين ؟ فوجدنا قانون العقوبات يشير الى هذه الامور جميعها ، وينص بنوع خاص على مسؤولية الاولياء والاوصياء واسقاطهم من الولاية او الوصاية ، ولكن تبين لنا ان الشارع لم يشر الى التدابير الفعّالة الواجب اتخاذها لمصلحة القاصرين الا اذا كانوا من المجرمين ، وترك جانباً جميع الذين هم جديرون بالعناية والحماية ، فكان قانوننا قانون علاج لا قانون وقاية كما هو الحال في سائر البلدان المتقدمة . وكذلك فقد تبين لنا ان النصوص المتعلقة بالقاصرين الخاطئين لا يمكن تطبيقها بسهولة .

وهذا ما سنسعى لاثباته ادناه :

تحليل النصوص القانونية :

١) في تسييب الولد : (المادة ٤٩٨ ق . ع . : قانون العقوبات)

« من طرح او سيّب ولداً دون السابعة من عمره او اي شخص آخر لا يملك حماية نفسه بسبب حالة جسدية او نفسية عوقب بالحبس من ثلاثة اشهر الى سنة »

« اذا طرح الولد او العاجز او سيب في مكان [illegible] عن الحبس من سنة الى [illegible] سنوات . »

ولا بد من الاشارة الى امرين :

فمن جهة ، لا يشمل النص السابق الا الاولاد الذين هم دون السابعة من العمر مع انه كان اجدر بالشارع الّا يميّز بينهم وبين القاصرين على وجه الاطلاق .

ومن جهة ثانية ، فالقانون اذ يقتص من المجرم لا يشير الى الطريقة العملية التي بها يؤمن مستقبل الولد المسيّب . فاذا سجن المجرم وشددت العقوبة بحقه لا سيما اذا كان احد اصول الولد ، او احد الاشخاص المولين حراسته او مراقبته او معالجته او تربيته ، (المادة ٥٠٠ ق. ع.) فاية خدمة نكون ادينا للولد المسيّب واين نضعه لابعاده عن محيطه ؟

أفي احد المياتم ، والكل يعلم انها ملأى ، ولا تقبل الا من كان يتيم الاب ؟ ام في معهد اصلاح ، والولد لم يقدم على ارتكاب اي خطأ .

ام في مدرسة صناعية ، والمدارس الصناعية قليلة العدد ، صعبة الولوج الا للحائزين على بعض المعلومات الاولية المؤهلة لاتباع الدروس ؟

ام في مدرسة ابتدائية ، والمدارس الابتدائية غير اجبارية ، وغير متوجب عليها مراقبة الولد خارج جدرانها ؟

فهذا السؤال يطرح علينا كل يوم دون ان نتمكن من حله .

وليست القضية اقل صعوبة اذا نظرنا الى نقطة ثانية من قانون العقوبات ، الى اهمال الواجبات العيلية :

٢) اهمال الواجبات العيلية : (المادة ٥٠١ ق. ع.)

« ان الاب والام اللذين يتركان في حالة احتياج ولدهما الشرعي او غير الشرعي او ولدًا تبنياه سواء رفضا تنفيذ موجب الاعالة الذي يقع على عاتقهما او اهملا الحصول على الوسائل التي تمكنهما من قضائه يعاقبان بالحبس مع التشغيل ثلاثة اشهر على الاكثر وبغرامة لا تتجاوز المئة ليرة » .

فالمشكلة هنا ايضاً هي هي ، مشكلة صعبة الحل : ما سوف يكون مصير الولد المهمل ؟ واذا كانت الظروف الاقتصادية او الصحية لم تمكن الوالدين من الاعتناء به ، فماذا تكون النتيجة عملياً وما هو التدبير الذي ينبغي ان يتخذ لمصلحته ؟

٣) الاعتداء على العرض : (المادة ٥٠٦ فقرة ١ ، ق. ع.)

« اذا جامع قاصراً بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة من عمره احد اصوله شرعياً كان او غير شرعي او احد اصهاره لجهة الاصول وكل شخص يمارس عليه سلطة شرعية او فعلية او احد خدم اولئك الاشخاص عوقب بالاشغال الشاقة المؤقتة » .

فاذا كان المجرم الوالد او الوالدة ، فما هو التدبير الواجب اتخاذه لمصلحة المجنى عليه ؟ لقد عرضت علينا قضية كان الجاني فيها الوالد ، والمجنى عليهما ، ابنتاه الصغيرتان ، غير المتجاوزتين ، الاولى ، العاشرة ، والثانية ، الثالثة عشرة من العمر . كما اننا درسنا قضية شخص في السابعة عشرة من عمره ، جنى على شقيقته القاصرة ولما تتجاوز السابعة من عمرها .

وكان من الطبيعي ان نسعى لابعاد هؤلاء القاصرين المجنى عليهم عن محيطهم البيتي ، فراجعنا القانون دون جدوى ، اذ تبيّن لنا انه لا يحق للمحكمة ان تسلمهم الى غير ذويهم الا في حالة الاسقاط من الولاية او الوصاية . وهذا ما سنأتي على ذكره بعد قليل ، فنشير الى الصعوبات التي تعترضنا كلما سعينا لاتخاذ تدبير يؤمن مستقبل القاصر .

٤) في الحض على الفجور : (المواد ٥٢٣ الى ٥٣٠ ، ق. ع.) .

تشمل النصوص المذكورة اعلاه جميع الاشخاص الذين اعتادوا حض شخص او اكثر ، ذكراً كان او انثى لما يبلغ الحادية والعشرين من عمره على الفجور او الفساد او على تسهيلهما له او مساعدته على اتيانهما . . .

واذا كان المجرمون ممن وُصفوا في المادة ٥٠٦ ق. ع. ، اي كانوا احد الاصول او احد الاصهار لجهة الاصول او احد الاشخاص الذين يمارسون على

القاصر سلطة شرعية او دملية ، تشدد العقوبات المطبقة بحقهم كما هو مبين في المادة ٢٥٧ ق. ع.

ولكن اذا اقتصصنا من المجرمين فاية خدمة نكون اديّنا للقاصرين ؟ .

٥) في دعارة القاصرين : (المادتان ٥٣٥ و ٥٣٦ ق. ع.) .

«كل قاصرة لم تتم الثامنة عشرة من عمرها اعتادت تعاطي الدعارة تطبق عليها تدابير الاصلاح الواردة في المواد الـ ٢٣٩ الى الـ ٢٦٦ ق. ع. بحق مرتكبي الجنحة من القاصرين ما خلا الوضع في معهد تأديبي» .

«لا يُقضى بوضع القاصرين في مؤسسة خاصة او في مدرسة اصلاح ما لم يوجد معهد او جناح مخصص بالفتيات التائبات يمكن قبول القاصرة فيه» .

فهذا النصّ يتطلّب التعليقات الآتية :

اولاً : ان الموادّ ٢٣٩ الى ٢٦٤ الغيت بكاملها بموجب قانون ٥ شباط سنة ١٩٤٨ واستبدلت بالمادة ٢٣٨ المعدّلة بقانوني ٥ شباط سنة ١٩٤٨ و ٢٤ أيار سنة ١٩٤٩ . وقد نصّت هذه المادّة ٢٣٨ — وسنعود الى تحليلها ادناه — على التدابير المتخذة بحق القاصرات بعد تعاطيهنّ الدعارة . وتدور هذه التدابير جميعها حول الوضع في معهد اصلاح خاص بالبنات التائبات .

ثانياً : اذا كانت الخاطئات مسيحيات ، ارسلن الى دير «الراعي الصالح» واذا كنّ من المحمديات وجدنا انفسنا امام صعوبة كبرى ناشئة عن عدم وجود معهد مماثل اذ ان المادة ١٢٣ (الفقرتان ٢ و ٣) من قانون العقوبات اوجبت ان تكون المؤسسات المعدّة للخاطئات من الطائفة التي تنتمي اليها تلك القاصرات .

فاما ، اذن ، ان توضع القاصرة في سجن النساء وليس فيه جناح خاص كالذي نص عليه القانون ، فتكون عرضة فيه للمعاشرات الرديئة ، واما ان تعاد الى اهلها فتشذ مجدّداً ، وفي كلتا الحالتين نكون خالفنا القانون .

ثالثاً : لقد وردت في قانون العقوبات نصوص متعلقة بالاغتصاب (المادة ٥٠٣

وما يليها) الا انها لم تشر الى التدابير الواجب اتخاذها بحق المتغيبين

٦) الاحداث المتشردون والمتسولون : (المادة ٦١٦ ق. ع.) .

«كل حدث دون الثامنة عشرة من عمره ترك من مدة اسبوع منزل والديه او وصيه او الامكنة التي وضعه فيها من هو خاضع لسلطانهم وشرد بدون عمل يكون عرضة لتدابير الاصلاح المبينة في المادتين ٢٦٢ و ٢٦٣ » (وعدّ الغاؤهما في المادة ٢٣٨) .

اما المادتان ٦١٦ و ٦١٧ فانهما تنصان على العقوبات المنزلة بالاشخاص الذين يكونون تركوا القاصر مشردًا او دفعوه الى التسول جرًا لمنفعة شخصية ، سواء اكانوا اهله او اشخاصاً غرباء عنه .

قلنا ان التدابير المتخذة لمصلحة هؤلاء القاصرين انما نصّت عليها المادة ٢٣٨ المعدّلة بقانوني ٥ شباط سنة ١٩٤٨ و ٢٤ ايار سنة ١٩٤٩ . الّا اننا لم نشر الى الصعوبات التي تعترضنا في تطبيقها .

جاء في هذه المادة انه اذا كان القاصر دون الثانية عشرة من عمره فتتخذ بحقه التدابير المنصوص عليها في المادة ١١٩ ق. ع. اي انه يسلّم الى ابويه ، او الى احد اصوله ، او احد افراد عيلته ، او لغير ذويه .

ولكن فما العمل اذا كان ابواه الدافعين ؟ وقد درسنا مرارًا قضايا تسول تبين لنا من خلال التحقيقات الاجتماعية المجراة ان الوالد والوالدة يرتزقان مما يدر عليهما تسول ولدهما .

ثم اذا فكرنا بتسليم القاصر الى احد اصوله او الى احد افراد عيلته ، وقد يكون هذا في حالة ضيق وعوز ، فمن يتحمل نفقات المعيشة ؟

ثم ماذا عنى الشارع بقوله : «تسليم القاصر الى غير ذويه ؟ » فاذا اشار الى المؤسسات وجدنا ان شروط الدخول اليها صعبة ، هذا اذا وجدت ، واذا اشار الى اشخاص معروفين بميلهم الفطري لمساعدة القاصر تبين لنا انهم قليلو العدد ان لم نقل غير موجودين . فقد يكون الشارع استعان بنصوص عائلة

معمول بها في بلاد الغرب ، في انكلترا وفرنسا والبلدان الشمالية مثلاً ، الا ان السلطات هناك تدفع اجرًا يوميًا معينًا عن كل حدث مُسلَّم لغير ذويه .

ومن جهة ثانية ، فان المادة ٢٣٨ المذكورة تنص على انه اذا كان عمر القاصر يتراوح بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ، فانه تطبق بحقه تدابير التأديب المنصوص عنها في المادة ١٢٠ ق. ع. اي انه يرسل الى معهد اصلاح او الى معهد تأديب . ولكن قد يكون اندفاع القاصر للتشرد او التسول في بعض الاحيان ، ناتجاً عن اضطراب عصبي نفساني ينبغي معالجته طبيًا او نفسانيًا ، بحيث يكون جو المعهد الاصلاحي غير ملائم قطعيًا لطبعه ومزاجه كما قد يكون هذا الانحراف ناتجًا عن عناد يمكن ان يزول اذا ما عالجته المساعدة الاجتماعية بحكمة وروية .

وقد كان اجدر بالشارع ان يترك هذا الامر الى القاضي فينظر اليه بحكمته مستندًا الى تحقيق تقوم به المساعدة الاجتماعية ، وتظهر فيه اسباب الانحراف ، وتقترح فيه التدبير الذي تراه موافقًا لمستقبل الولد .

اما الطريقة المتبعة للقبض على هؤلاء المتسوّلين فالمقام يضيق بنا لوصفها . ألا اننا نكتفي بالقول بانهم يقادون الى محجر صحي يكملون فيه دراسة فنّ التسوّل والفساد الى ان يعادوا الى ذويهم لقاء ضمانات مالية ضئيلة ويحالوا الى محاكم الاحداث فيصعب عليها ، كما بيّناه اعلاه ، اتخاذ تدبير عملي فعّال يضمن لهم مستقبلهم .

٧) تسوّل وتشرُّد الغرباء : (المادة ٦٢١ ق. ع.) .

«كل غريب حكم عليه بمقتضى الموادّ الواردة في هذا الفصل (اي بمقتضى المادة ٦١٦ وما يليها) يمكن ان يُقضى في الحكم بطرده من البلاد اللبنانية » .

ولكن الى اين نطرد الفلسطينيين ؟

وما يعوق السوريين لأن يعودوا ثانية ؟

هكذا يتبيّن انه ، في غالب الاحيان ، يكون ذور القاصر مسؤولين عما صدر عنه من تصرفات شاذة ، فنتساءل اذن عما اذا كان من شأن الاسقاط من الولاية او الوصاية أن يؤمن مستقبل الولد .

٨) الاسقاط من الولاية او من الوصاية : (المواد ٩٠ الى ٩٣ ق. ع.) .

ا – تعريفه : « الاسقاط من الولاية او من الوصاية يوجب الحرمان من جميع الحقوق على الولد او اليتيم وعلى املاكه » . (المادة ٩٠ ق. ع. الفقرة الاولى)

« يكون الاسقاط كاملاً او جزئياً ويكون عاماً او محصوراً بولد او يتيم او بعدة اولاد او ايتام » . (المادة ٩٠ ق. ع. الفقرة ٢) .

ب – شروطه : يُمكن حرمان الاب او الام او الوصي من الولاية او الوصاية اذا حكم عليهم بعقوبة جنائية وتبيّن انهم غير جديرين بممارسة سلطتهم على الولد او اليتيم » . (المادة ٩١ ق. ع.)

يتعرّض هؤلاء الاشخاص للتدبير نفسه :

١ : اذا حكم عليهم بعقوبة جنائية او جنحية من اجل جناية اقترفوها بحق الولد او الفرع او اليتيم او بالاشتراك معه .

٢ اذا اقترف القاصر الذي في عهدتهم جناية او جنحة تسبّبت عن تهاونهم في تهذيبه او عن اعتيادهم اهمال مراقبته » . (المادة ٩٢ ق. ع.)

ج – مدّته : «يكون اسقاط الولاية او الوصاية لمدى الحياة او لاجل يتراوح بين ثلاث سنوات وخمس عشرة سنة » .

« ولا يمكن في اي حال ان يُقضى به لمدة ادنى لما حكم به على الاب او الام او الوصي من عقوبة او تدبير احترازي مانعين للحرية» .
(المادة ٩٣ ق. ع.)

د – التدبير العملي : « تنتقل ممارسة الولاية او الوصاية الى وصي وفاقاً لاحكام الاحوال الشخصية » . (المادة ٩٠ الفقرة ٣ ق. ع.)

اما التجربة ، فهي للتطبيق ، ولا سيّما في الاحوال التي يصعب فيها تسليم القاصر الفقير الى احد الاصول او الاقـارب وكان محتماً علينا ارساله الى مؤسسة ما . ولن نعطي على ذلك الّا مثلًا واحدًا :

وصلتنا اخيرًا قضية قاصرة دفعها والداها الى معاطاة الدعارة السرّية . وقد اظهر التحقيق الاجتماعي انه اذا حُكم على الابوين بالاسقاط من الولاية بقيت قضية القاصرة هي هي : عدم تمكّن ارسالها الى دير الراعي الصالح لانها غير مسيحية ، وعدم ملائمة وضعها في سجن النساء ، لا سيّما وان القانون يشير الى جناح خاصّ بالبنات التائبات وان هذا الجناح غير موجود ..

***

وهنا نصل الى معالجة قضية الحدث الذي لم يعد في حالة خطر معنوي فحسب ، بل اصبح « مجرماً » على حد تعبير القانون :

٩) القاصرون « المجرمون » :

يقسم قانون العقوبات القصَّر الى اربع فئات :

ا — القصَّر الذين هم دون السابعة .
ب — القصَّر الذين هم دون الثانية عشرة .
ج — القصَّر الذين هم دون الخامسة عشرة .
د — القصَّر الذين هم دون الثامنة عشرة .

ا — القاصر دون السابعة :

« لا يلاحق جزائيًا من لم يكن قد اتمّ السابعة من عمره حين اقتراف الفعل » . (المادة ٢٣٧ ق . ع .)

ب — القاصر دون الثانية عشرة :

« لا عقاب على القاصر الذي لم يتم الثانية عشرة من عمره حين اقتراف الفعل » . (المادة ٢٣٧ ق . ع .) .

« الا انه تفرض عليه تدابير الحماية المنصوص عليها في المادة ١١٩ بموجب حكم يصدر عن محكمة الاحداث الى ان يتم الثانية عشرة من عمره ، واذا تمرّد على تدابير الحماية فيحكم بوضعه في دار الاصلاح لمدة سنة على الاقل الى ان يتم الثامنة عشرة من عمره على الاكثر ».
(المادة ٢٣٨ الفقرتان ١ و٣ المعدلتان بقانون ٥ شباط سنة ١٩٤٨) .

اما تدابير الحماية المنصوص عليها في المادة ١١٩ فهي كما اشرنا اليه اعلاه :

- تسليم القاصر الى أبويه .
- تسليمه الى احد اصوله او احد افراد عيلته .
- تسليمه الى غير ذويه .

* * *

اما الصعوبات ففي التطبيق ايضاً :

ففيما يتعلق بتسليم القاصر الى ابويه ، ينبغي ان نشير الى ان القاصر ينتمي في غالب الاحيان الى اسر متفككة الرباط بسبب الفقر والطلاق وغيرهما حتى انه يتعذر علينا وضع القاصر مجدداً في الجو الذي تنشق فيه روح الرذيلة .

وفيما يتعلق بتسليمه الى احد اصوله او احد افراد عيلته ، فالصعوبة هي هي ، اذ لا نجد اناساً يريدون ان يأخذوا على عاتقهم تربية قاصرٍ خاطئٍ قد يسعى ابواه بشتى الوسائل ان يسترجعاه .

هذا فضلاً عن ان الصعوبات الاقتصادية ليس من شأنها تشجيع الناس على ادخال عنصر ، ولو قريب ، الى داخل البيت ، وتحمل مصاريف قد يستنكف او يعجز الابوان عن دفعها .

وكذا القول عن « غير ذويه » ، وقد اظهرنا اعلاه كيف ان الشارع استمان بما هو مألوف في سائر البلدان دون ان يكون اهتم بطرق التنفيذ .

ومن جهة ثانية فالمؤسسات الطائفية تعج بالمسلّمين لها وترفض كل الرفض اولاداً مثلوا امام المحاكم باعتبارهم خطرين على غيرهم .

والحل الوحيد اذن هو تسليم الولد الى ابويه ، اي عمليا ، اعادته الى الجو الذي قاده الى الفساد .

وكل ذلك ناتج عن عدم توفر المؤسسات ، وعن صلابة في القانون تسربل يدي المنحنين على قضية الحدث . وقد كان الحل الاوفق ان يترك للقاضي حق اتخاذ التدبير الذي يراه موافقاً بعد اخذ رأي مندوبي « اتحاد حماية الاحداث في لبنان » .

قد يقال بانه « اذا تمرد القاصر على تدابير الحماية ، فرضت عليه تدابير الاصلاح » . ولكن ما هي السلطة التي لها الحق بان تثير القضية مجدداً لدى القاضي؟

فليس لدى قاضي الاحداث ولا لدى النيابة العامة الاشخاص المهيأون لمراقبة الحدث بعد تسليمه الى وليه . وقد يأخذ « اتحاد حماية الاحداث في لبنان » على عاتقه تعقب هؤلاء القاصرين ، انما ليس لديه العدد الكافي من المندوبين . اذن فلا مجال لابدال تدابير الحماية بتدابير الاصلاح الا في حالة واحدة : عندما يمثل القاصر ثانية او ثالثة امام قاضي الاحداث ولما يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، اذ برجوعه الى الخطأ يكون تمرد على التدابير التي اتخذت بحقه سابقاً .

هذا مع العلم بان التسليم الى الابوين او الى احد الاصول او الى غير ذوي القاصر لا يمكن ان يكون فعالًا الا اذا اقترن « بالحرية المراقبة » . فعلى المندوب ان يتحرى الحدث ، ويتتبع خطاه يوماً بعد يوم ، ويسهر على مصالحه ، حتى اذا تمرد او مال عن الخطة التي فرضت عليه ، حق للمندوب اثارة قضيته مجدداً ، بناء على تقرير يقدمه لقاضي الاحداث . فهذا معمول به في فرنسا وانكلترا وغيرهما من البلدان المتقدمة في هذا الحقل . وقد يكون الشارع عرف ذلك عندما قال في الفقرة الثانية من المادة ١٢٢ :

« على الشخص الذي يسلّم اليه القاصر ان يتعهد باتباع ارشادات المندوب لحماية الاحداث » .

الا انه لم يشر الى الطرق التي يمكن المندوب ان يلجأ اليها في حال تمرد الاهل او القاصر .

وقد اكتفى بالقول بانه « يمكن القاضي ان يطلب الى اهل الولد تأدية كفالة احتياطية لمدة التدبير الذي يقضي به » ، وان الاهل « يتعرضون لغرامة تتراوح بين عشر ليرات وخمسين ليرة اذا اقترف القاصر جريمة اخرى وهو في عهدتهم » (المادة ١٢١ الفقرتان ٢ و ٣) . وكذلك الاصول الذين سُلم القاصر اليهم ، وليس في ذلك ما يدفعهم الى قبوله ، (المادة ١٢٢ ، الفقرة الثالثة منها .) الا ان هـذه الوسائل بقيت دون فائدة اذ الإقتصاص من الاهل لا يساعد القاصر على التقدم في طريق الصلاح .

ج — القاصر دون الخامسة عشرة :

« ومن اتم الثانية عشرة من عمره ولما يتم الخامسة عشرة وكان جرمه من نوع الجناية او الجنحة تفرض عليه تدابير التاديب المنصوص عليها في المادة ١٢٠ حتى بلوغه الثامنة عشرة من عمره » .

« واذا كان جرمه من نوع القباحة او يستحق عقوبة الغرامة فقط تفرض عليه في المخالفتين الاولى والثانية تدابير الحماية وفي المخالفة الثالثة تدابير التأديب حتى بلوغه الثامنة عشرة من عمره . »

المادة ٢٣٨ ، الفقرة الثالثة ، المعدلة بقانون ٢٦ ايار ١٩٤٩

اما تدابير التأديب المنصوص عليها في المادة ١٢٠ ق. ع. فهي :

— الوضع في اصلاحية

— الوضع في معهد تأديبي .

الوضع في اصلاحية :

يوجد معهد اصلاح حكومي للاحداث يديره اشخاص مأخوذون من سلك التعليم الابتدائي ، كنا وددنا ان يكونوا مهيأين لهذا العمل الشاق ، كما كنا وددنا ان تكون المهن منظمة بشكل يؤمن للحدث ، لدى مغادرته المعهد ، وجود عمل دون مشقة .

كما انه يوجد معهد اصلاح للفتيات المسيحيات ، تديره بما لديها من غيرة وخبرة ، راهبات الراعي الصالح . الا اننا نأمل ان تكون مساعدات الحكومة لتلك المؤسسة كافية ، حتى تتمكن الراهبات من توسيع اعمالهن ، فتخلق مدرسة منزلية تدرس البنات فيها شؤون المنزل والخياطة والتفصيل حتى اذا غادرت المعهد كان بامكانها الارتزاق من المهنة التي تكون قد درستها .

هذا وقد بينا اعلاه كيف اننا نفتقر الى معهد اصلاح للفتيات المحمديات بحيث نجد انفسنا مرارًا تجاه امرين كلاهما مخالف للقانون : اعادة القاصرة الى اهلها او سوقها الى سجن النساء .

الوضع في معهد تأديبي :

في فكرة الشارع ، كان ينبغي ان يكون ذلك المعهد لاولئك الاحداث الذين قد يخشى منهم على غيرهم ، نظرًا لاسبقياتهم . فالنظام فيه اشد قساوة مما هو عليه في معهد الاصلاح . الا ان الاحداث يتعلمون فيه شأن اخوانهم في معهد الاصلاح ، «احدى الحرف التي اختاروها على ان يراعى في ذلك عمرهم وحالتهم البدنية والعقلية ويتكاملون تعليمهم المدني والديني . »

(المادة ١٢٥ ق. ع.)

فنظرًا لعدم وجود هذا المعهد نجد انفسنا امام امرين كلاهما مخالف للقانون: فاما ان يرسل المحكومون لدار التأديب الى معهد الاصلاح مع ما في ذلك من خطر على غيرهم فيه ، واما ان يساقوا الى بعض قاعات السجون ، فيتمون فيها خبرتهم في فن السرقة والرذيلة .

* * *

ومن جهة ثانية ، فان الفقرة الثالثة من المادة ٢٣٨ تُقيد حرية القاضي بشكل لا يؤمن مصلحة القاصر . ففي بعض الاحيان ، يظهر التحقيق الاجتماعي انه يفضل تسليم القاصر الماثل امام المحكمة لابويه ، ولا سيما اذا ثبت مثلًا ان الخطأ انما وقع عرضاً وان البيئة المنزلية صالحة لتربية القاصر . غير ان هذه الملاحظات لا تفيد القاضي اذ يبقى مقيدًا بنص المادة ٢٣٨ المذكورة .

د – القاصر دون الثامنة عشرة :

(المادة ٢٣٨ ق. ع. المعدلة بقانون ٥ شباط سنة ١٩٤٨ ، الفقرة الخامسة وما يليها)

نكتفي بالدلالة الى هذه المادة اذ ان القاصر بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة من عمره لا يعود خاضعاً لتدابير الحماية او التأديب ، بل تجري محاكمته وفقا للاصول العادية وامام المحاكم الجزائية التي تكتفي بانزال العقوبـة او بابدالها بغيرها اخف منها .

« فاذ كانت جريمته من الجنايات المستحقة عقوبة الاعدام او الاشغال الشاقة المؤبدة او الاعتقال المؤبد فانه يوضع في الحبس اصلاحاً لنفسه مع التشغيل من خمس سنوات الى عشرة » (الفقرة السادسة من المادة المذكورة .)

هذا مع الاشارة الى ان قانون العقوبات المنشور سنة ١٩٤٤ ، كان قد اعتبر الحدث قاصراً حتى الثامنة عشرة من عمره ، الى ان جاء قانون ٥ شباط سنة ١٩٤٨ وعدل المادة ١١٨ ق. ع. معتبراً سن البلوغ في الخامسة عشرة .

وسوف نعود الى درس هذه النقطة في مقام آخر ، الا اننا نشير منذ الان الى ان تدابير الاصلاح واجب اتخاذها بحق القاصرات خاصة بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة . فيكون قانون ٥ شباط سنة ١٩٤٨ اعادنا اذن الى الوراء .

١٠) محكمة الاحداث : (قانون اصول المحاكمات الجزائية تاريخ ١٨ ايلول سنة ١٩٤٨ ، المادة ٢٣٧ الى ٢٥٠ ، وقانون التنظيم القضائي الصادر بتاريخ ١٠ ايار ١٩٥٠ المادة ٣ منه .)

لن نأتي على ذكر جميع ما ورد في هذا القبيل ، بل نتوقف على نقطة واحدة استافتت نظرنا لكونها مخالفة لمصلحة القاصر ، هي مسألة التوقيف الاحتياطي السابق للمحاكمة :

« لا يحق لمحكمة الاحداث ان تقرر بقاء القاصر الذي اتم الثانية عشرة من عمره قيد

التوقيف الا اذا استحال اتخاذ تدبير آخر . وفي هـذه الحالة يجب وضع القاصر في محل توقيف خاص بالاحداث . »

« ولا يحق لقاضي التحقيق توقيف هذا القاصر الا في القضايا الجنائية وبمقتضى قرار مفصل الاسباب »

(المادة ٢٦٥ ق . ع . اصول المحاكمات الجزائية)

يستفاد من هذه المادة امران :

اولاً : عدم توقيف القاصر الا في القضايا الجنائية معناه اعادته مجدداً فور اخذ افادته وافادة الشهود الى البيئة التي نشأ فيها وتعود فيها الاقدام على اقتراف الجرائم اذ انه بين اكمال التحقيق من قبل الشرطة ، واحالة القضية الى محكمة الاحداث واجراء التحقيق من قبل المساعدة الاجتماعية ، ومثول الحدث لدى المحكمة ، يوجد فترة من الزمن اقلها شهر او شهران يتمكن القاصر في خلالها من الانقياد مجدداً الى الخطاء قد نكون ابعدناه عنها لو كنا وضعناه في محل توقيف خاص .

ولكن نصل هنا الى الامر الثاني :

ثانياً : لا يوجد محل توقيف خاص بالاحداث

وكثيراً ما نرى القاصر الموقوف قبل اجراء المحاكمة يقضي نهاره وليله في سجن الرمل بجوار من هم اخبر منه في طرق الاحتيال والرذيلة ، فيتمرن على يدهم ويخرج وفي نفسه ميل زائد الى الاجرام .

* * *

الخاتمة

هكذا يتبين لنا ، في ختام هذا البحث ، ان مصلحة القاصرين المنحرفين غير مؤمنـــة في بلادنا ، اذ نعتبر ان النصوص الواردة في قانون العقوبات وقانون اصول المحاكمات الجزائية ، لم تستنتج من فكرة عامة شاملة مستوحاة من الطرق الحديثة المعمول بها في سائر البلدان المتقدمة . وذلك لاننا لم نشأ ان ننظر الى هذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة من جميع نواحيها .

— ٥ —

الى اليوم ، وقد شاء لبنان ان يساهم مساهمة فعالة في تقرير شرعة حقوق الانسان ، فمن واجبه المقدس ان يتبع سياسة اجتماعية مستوحاة من هذه الشرعة ، هذا اذا اراد ان يكون في مصاف الدول الراقية .

فعندما ننظر الى هـذا العدد الوافر من القاصرين المتسولين والمشردين والسائرين الى الاخطاء ، ينبغي ان ندرك خطورة مشكلتهم وان نكون مستعدين لان نراهم في المستقبل القريب ، عناصر هدامة ، تعوق لبنان للسير على طريق الرقي .

وعندما يتيسَّر لنا ان نزور محلات التوقيف « الخاصة بالقاصرين » ، داخل السجون اللبنانية ، او نلقي نظرة على تلك المآوي المعدة لقبول المتسولين والمشرّدين ، نتساءل عما اذا كنا حقاً في القرن العشرين .

مشكلة القاصرين المنحرفين مشكلة اكثر اهمية مما يتصوره البعض . واذا اردنا ان نجد لها حلاً فلا بد من ان نأخذ بالملاحظات التالية :

١ً — ينبغي ان ننشئ دائرة خاصة تناط بها جميع الامور المتعلقة بالقاصرين المنحرفين ، على ان تكون هذه الدائرة على اتصال دائم مع وزارة العدلية ووزارة التربية الوطنية ووزارة الشؤون الاجتماعية والصحة والاسعاف العام ، وان تتعاون تعاوناً وثيقاً مع سائر الجمعيات الاهلية فتمد بالمال من هي بحاجة ماسة اليه كما هو الحال في بريطانيا وفرنسا مثلاً .

٢ — قبل انشاء جامعة وطنية ، ينبغي ان نعمم التعليم الابتدائي ونجعله اجبارياً مجانياً ، ثم نتبعه بتعليم مهني صناعي وزراعي .

٣ — ينبغي ان نجعل نصوص قانون العقوبات سهلة التطبيق وذلك باعادة النظر فيها ، وانشاء معاهد اصلاح متعددة ، وتسليمها الى اناس مؤهَّلين مدربين لذلك العمل ، وان ننشئ محل توقيف خاص بالقاصرين خارج جدران السجن .

* * *

واننا لننهي هذا البحث بما جاء في شرعة حقوق الولد ، التي نشرهـا

سنة ١٩٢٣ الاتحاد الدولي لاسعاف الاولاد ، والتي تبنّاهـا الاتحاد الدولي لحماية الطفولة ، لما فيها من عبرة :

١ – ينبغي ان نمكّن الولد من ان ينمو بصورة طبيعية ، ماديًا ومعنويًا .

٢ – ينبغي ان نطعم الولد اذا جاع ، وان نعتني به اذا مرض ، وان نشجّعه اذا تأخر ، وان نرجعه اذا انحرف ، وان نلتقطه ونساعده اذا اصبح يتيمًا او متروكًا .

٣ – الولد هو اولى الناس بالمساعدة في وقت الضيق .

٤ – علينا ان نمكّنه من ان يكسب عيشه وان نحميه ضد كل استغلال .

٥ – علينا ان نفهمه انه ينبغي ان يضع احسن مزاياه في خدمة اخوانه .

رئاسة بطرس في شعر رومانس

بقلم الاب نيقولاوس قادري ق. ب.

ان القديس رومانس المرنم ليس بلاهوتي وانما هو شاعر. وبالرغم من ان اناشيده كلها تدور حول مواضيع دينية واحتفالات ليتورجية فقد سيطرت عليها مسحة الشعر الصافي وجرأة الخيال الطليق وروعة المسرحية النفسية.

وهذه الاناشيد لا ينفسح فيها المجال الكامل لابراز الحقائق اللاهوتية بكل دقائقها وصورها وتحديداتها. ولو كانت فقط مظهراً للتعاليم المسيحية لكانت هذه القصائد من الشعر التعليمي الديني لا قيمة ادبية لها وما كان رومانس تبوأ هذه الزعامة الادبية في حلبة الشعراء اقرانه فقد دعاه النقاد والعلماء «ملك الشعراء الدينيين في كل العصور وإمام المرنمين الكنائسيين[1]».

فقصائد رومانس هي مجموعة من شعر غنائي ومسرحي وملحمي وهي غنية بالتحليل النفسي الذي قلّ من ضارعه فيه في هذا الميدان من الشعراء على مر العصور والاجيال.

لقد احسن ذلك الكاتب الافرنجي بقوله عن رومانس: «انه شاعر وليس بلاهوتي[2]». وان أصغر براءة من الملك المشترع يوستينيانوس تحوي حقائق لاهوتية اكثر مما تحمله قصيدة من قصائد رومانس الشاعر الديني.

انه شاعر وليس بلاهوتي. غير ان رومانس يبقى في انطلاقاته الشعرية من رماة الافكار يزرع الخصب في العقول وينثر النور في ظلمات الشك والارتياب وهو، علاوة على ذلك، شاهد امين لبيئة عاش فيها وتأثر بتفكيرها واتيانها فحمّل

(1) Edmond Bouvy : *Poètes et Mélodes.* Nimes 1886, p. 347.

(2) C. Chevalier S. J. : *Mariologie de Romanos dans R.S. Relig.* T. 28, 1938, p. 48.

الشاعر اذن قصائده بعض التعاليم الشعبية والحقائق الدينية التي كانت منتشرة في عصره وبين اهل محيطه ومعاشريه . اجل ! كان رومانس يجتهد ان يكون بوق الكنيسة وفم الشعب وكان الشعب « يحب شاعره[1] » لانه كان يعمل على ايصال الحقائق الى مسامع ابناء المسيح عن طريق الانشاد والموسيقى فينقلها لهم وللاجيال السحيقة على اجنحة الخيال ومركبة الشعور يقودها الفكر السديد في انطلاقاتها البعيدة ووثباتها الطليقة الحرة .

ومن هذه الحقائق المتغلغلة في اناشيد رومانس ومقطوعاته تلك الشهادات الصريحة في رئاسة القديس بطرس وقد جمعناها في هذا الدرس باقة من زهر تفوح بعبير تضوّع من جنة الحقائق الانجيلية ولا يزال هذا العبير ينسم في اجواء الكنيسة الجامعة وينسجم مع تلك الاطياب التي تفوح في كل آن واين وتؤرج أثير الكنيسة الكاثوليكية على مر القرون .

ولهذه الشهادات في رئاسة القديس بطرس قيمة علمية وادبية تهمُّ كثيراً ارباب الشأن وهي شهادات من فم شاعر يوناني عاش في بيزنطية على عهد الامبراطور يوستينيانوس (٥٢٧ — ٥٦٧)

ولا يزال صدى اناشيد رومانس يدوي في كنائس الشرق البيزنطي ويعبّر عن ايمان الشرقيين بعقيدة أحبها رومانس كثيراً وعلّمها لابناء بيزنطية فاما ان تكون لهذه الشهادات قيمة ومعنى واما ان تكون اصداء تطير في مهب الرياح بحيث لا يعيرها اربابها اقل انتباه . ونحن نعلم ان الكنيسة اليونانية « ادخلت الشعراء الى هياكلها وقدس اقداسها ، علماً منها ان الشعراء هم ايضاً من ابناء المقادس يحملون تعاليمها الى قلوب ومسامع الشعب »[2] عن طريقة الجمال الشعري والادب الرائع وعن طريقة الموسيقى التي تقود الى الله .

والكنيسة البيزنطية تسمي رومانس في صلواتها « بوق الكنيسة ، ومعزفة الروح الالهي ، والبلبل الصدوح المفرّد بالنشائد الالهية . المصباح الكلي الضياء

(١) Cf. D. Cabrol : *l'Hymnographie de l'Eglise Grecque*, 1893, p. 17.
(٢) Pitra : *Hymnographie de l'Eglise Grecque*. Rome, 1867, p. 23.

والقيثار لشجي الالحان والوتر المرن بقول الروح » فشاعر رومانس اذن يمثل بتعاليمه وعقائده تعاليم وعقائد الكنيسة اليونانية التي كان «بوقها وقيثارها» وهو شاهد ثقة على ما كانت تعلمه بيزنطية في القرن السادس قبل الانفصال .

ويعتبر الشاعر رومانس الكنيسة المسيحية جماعة من المؤمنين والرعاة المنتظمين تحت رئاسة واحدة وفي رعية واحدة اذ يعدون كلهم لراع واحد . ولهذا لا يريد ان يبقى رسل المسيح بعد القيامة مشتتين من الخوف بل يجب ان يجمعهم فيصرخ بالسنتهم نحو يسوع : « تعالَ الينا ، ايها الراعي ، واجمعنا اليك نحن المشتتين من الخوف ، دس الموت واحضر الينا نحن المشتاقين اليك يا مانح الواقعين القيام .»[1]

ويشير رومانس بان الرسل بدون رئيس هم « كالنعاج وكحملان الغنم » تتبدد اذا لم يكن لها راع . وهذا الراعي هو في نظر شاعرنا بطرس عينه وهو نائب المسيح راعي الرعاة . وقد برهن رومانس على هذه الحقيقة حينما صوّر يوحنا الحبيب وبطرس يسارعان الى القبر ولكن يوحنا وصل قبل بطرس ولم يدخل احتراماً لرئيسه الاكبر : « ولم يلج يوحنا القبر لكنه انتظر الزعيم لكي يتبع الحمل الراعي »

Οὐκ εἰσῆλθεν ἔνδον μονώτατος,
Ἀλλὰ ἀνέμεινε τὸν κορυφαῖον,
ἵνα ὡς ποιμένι ἀκολουθήσῃ ὁ Ἀμνός. (٢

وبطرس الراعي لكل الخراف والغنم والنعاج التي تمثل جميع ابناء النصرانية من رؤساء ومرؤوسين ومؤمنين ، هو الرئيس الذي يتكلم باسم المسيح يوم العنصرة فيبدأ مبحثه بهذا الخطاب : « فقال لهم كيفا بما انه رئيسهم (ὡν ὁ κορυφαῖος ὑπάρχων) يا عاشقي المكرت لترفع قلوبنا الى الذي ينتظرنا ويقول : انا ارسل اليكم الروح الكلي قدسه .»[4]

---

١) راجع كتاب المنارة العربي ، اول شهر تشرين الاول في صلاة العروب ، ص ١٠١

٢) نشيد القيامة مقطوعة ٢٣

٣) نشيد القيامة مقطوعة ٦

٤) نشيد العنصرة مقطوعة ٦

وفي شعر رومانس ينطق الرسل انفسهم بهذه الحقيقة فيصرحون بلسانهم بهذه الرئاسة المختصة بزعيمهم وراعيهم بطرس الرسول الاول فيقولون بفم واحد للمسيح ساعة جمعهم على جبل الزيتون واراد ان يفارقهم ويودعهم قبل صعوده عنهم انهم يقولون له: « نحن قد تركنا الحياة وهجرناها لاجلك مائت. وعلى الارض صرنا مغتربين ومسافرين . فبطرس رئيسنا الاول (ὁ ἡμῶν Πρῶτος Πέτρος) بعد ان غدا صديقك تغرب عن كل الاشياء التي كان يحوزها[1] . » اذن رومانس يعتقد بهذه الرئاسة وهذا الاعتقاد واضح من اقوال الرسل انفسهم وكلمة رئيس تدل عليها باليونانية كلمة أول فبطرس هو الاول في رئاسة التلاميذ وهو بلا شك رئيس تلاميذ الرب

وليست هذه الرئاسة ولا تلك الزعامة لبطرس رئاسة شرف او زعامة مجد خارجي بل هي رئاسة حقيقية وزعامة ذات سلطان لتدبير ابناء المسيحية على مر العصور . وينفرد بطرس بهذه الزعامة عن باقي التلاميذ والرسل كما يصرح الشاعر رومانس في نشيد خيانة يهوذا يصرح بهذه العقيدة الاساسية في تدبير شؤون الكنيسة فيقول رومانس في نشيده المذكور :

اما بطرس رئيس احبائك Πέτρος δὲ ἡ ἀρχὴ τῶν φίλων σου.
وقاعدة الذين يتبعونك Ὁ κανὼν τῶν ἀκολουθούντων σου.
وقائد جماعتك[2] Ὁ στρατηγὸς τῆς φαμιλίας σου.

فالاوضاع اليونانية التي يعبر بها رومانس تدل على رئاسة حقيقية ذات سلطان ونفوذ وتدبير . وكل الذين يريدون ان يخضعوا لنير المسيح عليهم ان يخضعوا لرئاسة بطرس ، اذ هو الرئيس لكل اصدقاء واحباء يسوع وهو القائد الامين لكل الذين يتبعون المسيح ، وبطرس هو القاعدة الادبية التي يجب ان يرتكز عليها دستور المسيحية . وايمان بطرس هو الاساس في مملكة يسوع الارضية وهو المبدأ لكل احباء المسيح ἡ ἀρχὴ τῶν φίλων σου

فلا عجب اذا ما وجدنا في تعليم رومانس الشاعر اليوناني تلك الحقائق

١) نشيد الصعود مقطوعة ٧
٢) نشيد خيانة يهوذا مقطوعة ٩

التي نجد لها أسًا في كتاب الانجيل والعهد الجديد . وروماس يرتكز على الكتاب المقدس ويستوحي منه افكاره وايانه وايمان الشعب الذي كان يمثله في بيزنطية في اوج مجدها . وايمانه في رئاسة بطرس الحقيقية لا يقبل ترددًا أو شكًا . فبطرس في نظره هو الاول ، هو الرئيس ، هو المبدأ في رئاسة الكنيسة المنظمة لكل احباء المسيح وقد يعترف بطرس نفسه بهذه الرئاسة حين نسمعه يقول للمعلم الالهي حين غسل الاقدام : « لا يكفي باني حزت الوقار امامك وباني ادعى الاول بين احبائك[1] ? Καὶ πρῶτος τῶν φίλων σου κέκλημαι ; ويبتغي بطرس ان يتمنع من غسل اقدامه فلا يرتضي تواضعه وحبه لمعلمه ان تغسل اقدامه فيمانع ويصرح بتلك العاطفة الشديدة التي تساور قلبه وحبه فيصرخ : « أأنت تغسل قدمي ? لا ! لا ! فاليد التي أبدعتني ان تغسل قدمي الى الابد ! »[2] وهذا التواضع العميق يصرح به بطرس حين يتابع قوله : أأنت يا جابل العالم ، أأنت ايها الفادي تروم غسل اعضائي الفاسدة ودموعي ? »[3] يتمنع هذا الرسول عن غسل اقدامه ولكنه يخضع اخيرًا خوفًا من ضياع نصيبه في ملك يسوع فيترك « جابلَ العالم » يغسل اقدام « الاناء الخزفي » ويريد آنذاك ان يغتسل بكليته فيصرخ نحو معلمه : « اغسلني كثيرًا ان شئت لكي لا ابتعد عنك »[4]

ولا يريد بطرس ان يبتعد عن المسيح لئلا يخسر نصيبه في مُلك يسوع لان المسيح قد نبهه قائلًا : « ان لم اغسلك الان فليس لك معي نصيب وانا اسميك عدوًا . »[5] أيرضى بطرس ، يا ترى ، ان يحسب عدوًا ليسوع ? لا لا ! ان يُحسب الحبيب عدوًا ولا يرضى بديلا عن الفادي فيهتف للحال « بخوف وارتعاش : ربي اذا غسلت فلا تغسل قدميَّ فحسب بل جسدي كله ! »[6]

١) خيانة يوذا مقطوعة ١٠
٢) خيانة يوذا مقطوعة ٩
٣) خيانة يوذا مقطوعة ٣
٤) خيانة يوذا مقطوعة ١١
٥) خيانة يوذا مقطوعة ١١
٦) خيانة يوذا مقطوعة ١١

ويجب بطرس – كما يظهر من نشيد رومانس – يجب ان يذهب مع يسوع حتى الى الالام والموت : « انا وان صعدت على الخشبة وان نزلت الى القبر تألم وغوت معك »[١]. واذا ما بردت محبة بطرس للسيح فانما كان ذلك تحت تأثير الخوف الشديد « فان بطرس اضطرم بالحب اولاً ، ولم يلبث بعد قليل ان بردت محبته تحت تأثير الخوف » . وفي تلك اللحظة الرهيبة يتذكر بطرس ذلك الشرف الوسيم الذي أولاه اياه المعلم فيقول ليسوع : « ماذا تقول يا معلم ، أانا انكرك ؟ أانا اهملك واتركك وانسى دعوتك لي والشرف الذي أوليتني ؟ »[٢] وقد نعجب مع الشاعر من صدق بطرس وشدة عاطفته عندما نسمعه يبرهن على محبته للسيح وشدة تعلقه به وكيف انه لا ينسى احسانات المعلم السامية بل يتذكرها فيقول له: « انني لا ازال متأثراً. ألم تغسل قدمي؟ وانت تقول ايها القادي اني مزمع ان انكرك ؟ انني لا ازال اذكر، يا مخلص كيف حملت المطهرة وتقدمت عند قدمي ؛ انت الحامل الارض والمسند السماء، لقد غسلت قدمي باليدين اللتين بهما خلقتني وتقول اني سوف انكرك !»[٣]

ويعرف بطرس انه كاهن المسيح فينفر من نكرانه ويصرح لمعلمه الالهي انه يفضل الموت على الخيانة ، على النكران : « ان طعم وليمتك ، ايها المنزه عن الخطأ ، لا يزال في حلقي فكيف استطيع ان انكر عطيتك ؟ ويحي لو كنت انا كاهنك مزمعاً ان أصير خائناً ، لخير لي ان أموت من ان أحيا .»[٤] ويبرهن بطرس على استعداده وثباته في محبة يسوع بقسم حافل يُشهد عليه السماء والارض : « اني امام الملائكة والبشر وامامك ايها الخالق وامام البرايا العاوية والسفلية اعلن في هذه الساعة اني لو ألجئت الى ان اموت ما انكرتك ايها القادي . فاني معك اريد ان أحيا وبدونك لا استطيع ان اتمتع بالحياة .»[٥]

١) نشيد نكران بطرس مقطوعة ٣
٢) نكران بطرس مقطوعة ٣
٣) نكران بطرس مقطوعة ٣
٤) نكران بطرس مقطوعة ٤
٥) نكران بطرس مقطوعة ٧

وقد اراد رومانس ان يجد السبب في سقوط بطرس فلاقاه في غيرته المفرطة وجرأته : « ان الغيرة المفرطة دفعت الرسول فانضم الى الجمع ودخل بجرأة فرأى هنالك نارًا تتقد وأناساً جالسين حولها والمسيح ماثلاً أمام رئيس الكهنة فتألم لهذه الكارثة وجعل يبكي ويقرع صدره وقال في نفسه بصمت : ايها المسيح، انت مقيد تتحمل الآلام وانت قوي . »[1]

فبهذه الحمية الشديدة كانت تقوى في قلب بطرس فيصرخ من اعماق قلبه حين يرى معلمه مهاناً فلا يقوى على الصمت فيستدعي القوات السماوية الدفاع عن المسيح المتألم امام الجميع : « يا معلمي ، انت تلطم وانا لا ازال حياً بقربك ؟ انت تشتم ، يا محب البشر ، والارض ترى ذلك وتتحمله ، ولا تفغر فاها لتبتلع مبغضيك ؟ انت تزدرى والسماء تنظر ولا تهبط وساكنوها لا يقومون ، وميخائيل لا يغضب فيما تتحمل انت النكال ، وجبرائيل يعبر ولا يذيب اعداءك[2] واذا ما صمتت قوات السماء فبطرس لا يصمت لانه يرى ولا يقدر على الاحتمال فيصرخ : « ها ان جميع القوات العلوية تصمت أما انا فارتعش واكتب هاتفاً : اسرع وخلص ايها القدوس رعيتك . »[3] هـذا هو بطرس المحب والغيور يظهره لنا الشاعرُ بكامله فيبدو لنا في محبته وجرأته وغيرته وسخطه ، ثم لا يلبث رومانس ان يعلنه لنا في ضعفه وهبوط عزيمته ، فينكر بطرس معلمه من شدة الخوف والحب ويلاقي الشاعر طريقة يحسن التخلص من هذه الورطة فيقول لبطرس : « ألا تعرف الرجل ، يا بطرس وتقول ذلك ؟ الا تعرف الرجل ؟ لعلك تعني بذلك انك لا تعرف فيه انساناً فقط بل الهاً ايضاً ؟ »[4] ويجعل رومانس من بطرس الخائن آنذاك معلماً للحقائق : « لعلك تحاول ان تعلم هؤلاء الذين لا شريعة لهم ان المصلوب إله ! »[5]

---

١) نكران بطرس مقطوعة ٨
٢) نكران بطرس مقطوعة ٩
٣) نكران بطرس مقطوعة ٩
٤) نكران بطرس مقطوعة ١٦
٥) نكران بطرس مقطوعة ١٦

وفي هذه الآونة الرهيبة التي سجلت في تاريخ الانسانية امرًا فريًا ، نكران بطرس التلميذ للمسيح معلمه ، يشعر بطرس بجسامة اثمه ويفهم ان سبب خيانته هو كبرياؤه القديم ، فيطلب الصفح للحال من اله المحبة فيصرخ وهو الضعيف: « انت قوتي ومجدي ، يا محب البشر ، فلا تتخلَّ عني » هكذا قال بطرس بدموع لما ظهر من جديد بين تلاميذ الخاص ، فقد وضع يديه على رأسه وصرخ قائلًا : «ويحي ، يا خدام المسيح ، فقد حققت نبوءة المسيح في جحودي اياه فانكرته ثلاثا .» ثم يستدعي بطرس جميع اصدقائه لينوحوا معه على خطيئته : « نوحوا معي وقولوا بدموع اين المحبة والغيرة ؟ اين العزم والايمان ؟ الى ايّ حدّ بلغت بك الكبرياء ؟ »[1]

ولا يرينا الشاعر رومانس شخصية بطرس الضعيفة فحسب بل يحلل بتدقيق وتوسع نفسية تلميذ يحب معلمه حتى النكران وما نكران بطرس الا برهان محبته ليسوع وانما الجبانة والخوف سيطر على عقل بطرس فدفعته « غيرته المفرطة وكبرياؤه واتكاله على ذاته الى ارتكاب ما لا يجب ولا يهوى . اراد ان يتبع المعلم حتى الموت لانه لا يعرف لذة في الحياة اذا كان متغرّباً وبعيدًا عن معلمه : « اني معك اريد ان احيا وبدونك لا استطيع ان اتمتع بالحياة . »[2]

هذه هي نفسية بطرس الرسول يحللها الشاعر رومانس ويظهرها في ضعفها وكبريائها ، في محبتها وجرأتها النادرة في ابان المحنة الصعبة ، مع ذلك لا يغيب عن فكر امام المرنمين ان بطرس في حالته هذه الشديدة لا يزال في زعامته وان تخللت حياته بعض الظلمات ، ساعة انكر سيده عن ضعف وجبانة ، فقد تبدت بنظر الشاعر هذه الظلمات كانها ضباب ساقه الريح فتبدد عند ما اشرقت انوار القيامة واذا بالمسيح يصفح لبطرس ويعيد اليه مجده وزعامته ورئاسته الشاملة لكل الخراف . ففي نشيد الرسل الذي يمثل المسيح والرسل على جبل الزيتون قبل صعود يسوع الى السماء يرينا الشاعر رومانس المسيح الراعي تحيط

١) نكران بطرس منظومة ١٧

٢) نكران بطرس منظومة ١٧

به اغنامه الرسل كما يتضح رمز ذلك من النقوش الرومانية قديمة . يستعرض المسيح اغنامه ونعاجه واحدة واحدة ويكلم كل رسول اوحده ويسأله ويسمع منه الجواب ثم يوجهٔ اليهم المشورات والاقوال العذبة فتثير اعجاب الرسل وتولد فيهم الحماس والايمان الجهوري .

ففي هذا النشيد الدراماتيكي يعيد رومانس على ذاكرة مستمعيه عظمة بطرس المثبتة بفم المسيح نفسه اذ يقول له يسوع : « انظر اليّ ، يا بطرس ، وتأمل كيف تؤدب الناس ، فكر بخطيئتك وتألم مع الجميع برفق .»[1]

ولا ينسى المسيح ان يذكر بطرس بخطيئته لكي لا تنفخه الكبرياء وعظمة الوظيفة فيقول له : « واذا ما نفختك الكبرياء فتذكر صياح الديك واذكر دموعك التي غسلتك انا بجاريها ، انا العارف وحدي ما في القلوب .»[2]

ولا يخفى على رومانس مشهد الحوار الرشيق الذي ذكره يوحنا الرسول في انجيله بعد قيامة يسوع . فالشاعر البيزنطي يعود بذكرياته الى تلك الكتابات والاقوال .ويستوحي فيها ما يروق لمخيلته وما يستطيبه من الحقائق التي تلائم موضوع النشيد . ففي هذه اللحظة التي يستلها رومانس من مدى الزمن يواجه يسوع وبطرس وآنذاك يقول يسوع المعلم لبطرس تلميذه ونائبه : « يا بطرس أتحبني ؟ اصنع ما قلته لك » . ثم يسلمه رعاية الكنيسة رعاية مطلقة ويسلمه تدبير امورها وسياسة اعضائها على اختلاف طبقاتهم وميزاتهم : « ارعَ رعيتي واحبَّ الذين احببتهم انا .»[3] ثم يذكر رومانس في نشيده عاطفة فريدة يجب ان يختلج بها قلب كل رئيس ويفكر بها مليّاً عقل صاحب كل سلطان ، الا وهي الرفق بالمرؤوس الضعيف : « فكر بخطيئتك وتألم مع الجميع برفق .»[4] وخصوصاً يريد المسيح من بطرس ان يتألم مع الخاطئين : « تألم مع الخاطئين وتذكر عطفي اليك لاني قبلتك بعد نكرانك لي ثلاثا .»[5]

١) نشيد الرسل مقطوعة ٤
٢) نشيد الرسل مقطوعة ٤
٣) نشيد الرسل مقطوعة ٥
٤) نشيد الرسل مقطوعة ٥
٥) نشيد الرسل مقطوعة ٥

ولا تغيب عن ذهن رومانس سلطة المفاتيح التي تعبّر عن معنى السلطة ، عن معنى الحل والربط فيذكرها الشاعر في نشيد القيامة وفي خيانة يوذا . يذكر رومانس سلطة المفاتيح لانها اساسية في رئاسة بطرس الحقيقية والوضعيّة : « لان لبطرس قد قيل يا بطرس الحبني ? ارعَ خرافي كما تشاء . ولبطرس قد قيل : طوبى لك يا سمعان ، ساعطيك مفاتيح الملكوت ، ولبطرس اخضعت الامواج التي مشى عليها مانح القيام .»[1]

ففي هذه المقطوعة المثبتة بالتعاليم والحقائق يذكر رومانس الانعامات الخاصة ببطرس دون سائر الرسل ، فاليه وحده اسندت « رعاية الخراف كما يشاء » لانه الراعي وبقية الرسل هم « الحملان والنعاج » الذين اسندت رعايتهم لبطرس وقد اثبت رومانس هذه الحقيقة بقوله عن يوحنا الحبيب الذي سبق بطرس الى القبر ولم يدخل ،و ومانس يشرح سبب تهيّب يوحنا وتوقفه خارج القبر واحجامه عن الدخول : « لم يلج القبرَ بل انتظر الزعيم لكي يتبع الحملُ الراعي .»[2] فبطرس هو اذن زعيم الرسل وراعيهم وهم مع يوحنا الحملان والغنم النطقية الذين يخضعون لرئاسة راعيهم وزعيمهم بطرس الاول .

وليست هذه الزعامة زعامة شرف فقط كما يزعم البعض بل هي قبل كل شيء زعامة فعلية وضعيّة في المصف الرسولي وقد سجلها رومانس على صفحات اناشيده وفي ابيات قصائده المتعددة . وهي شهادة متينة تدل على معتقد الكنيسة اليونانية برئاسة بطرس الحقيقية الكاملة ذات السلطة والنفوذ وهذه الشهادة من فم الشاعر رومانس ، وقد جسّد في عقليته وايانه ايان سورية حيث نشأ وترعرع في كنيسة القيامة ببيروت وكان بوقها الصادح واخيراً يمثل ايان الكنيسة البيزنطية وخصوصاً القسطنطينية في عزها واوج مجدها .

وهذه النبرات اليونانية من فم شاعر سوري ولبناني وبيزنطي عاش قبل الانفصال تدلّ على ان ايان الجميع كان واحداً وهذا الايان الواحد كان يعترف برئاسة بطرس ويقرّ بان المصف الرسولي لم يكن كله متساوياً بالسلطان والنفوذ

١) نشيد القيامة مقطوعة ٢
٢) نشيد القيامة مقطوعة ٢

الواحد بل انما هناك زعامة مثلى تجمل بطرس الزعيم لجميع الرسل والمؤمنين كما برهن عليه رومانس بقوله عن يوحنا الرسول : « ولم يلج القبر – مع انه سبق بطرس اليه – انتظر الزعيم لكي يتبع الحملُ (يوحنا) الراعي (بطرس) » . فلو كانت السلطة متساوية فيا بين مصف الرسل لما كان دُعيَ بطرس « راعياً وزعيماً » ويوحنا « حملاً » وبقية الرسل مرؤوسين لبطرس وبطرس الزعيم هو صاحبُ المفاتيح ايضاً لانه اليه اسندت ابواب الملكوت، اسندها اليه المسيح اذ قال له : « اللصُ اصبح بوابَ الفردوس يشجعك فارسل الى الفردوس من تريد .»[1] اذن يحق لبطرس وحده ان يرسل الى الملكوت « من يريد وكما يشاء » . ولا يغيب عن بال الشاعر رومانس تلك الشخصية القديمة وأول خلق الله ، شخصية آدم التي تظهر وتمثل رومانس في كل اناشيده وبلسان آدم نفسه يصرح رومانس برئاسة بطرس اذ يقول له المسيح : « بك يا بطرس سيعود آدم اليَّ صارخاً : ان الخالق اعطاني اللص بواباً وكيفا صاحبَ المفاتيح .»[2] آدم اذن يشهد بهذا السلطان المسلم لبطرس بالمفاتيح التي ترمز الى الولاية التامة المطلقة .

وهذا هو السلطان الضروري لتدبير شؤون الكنيسة وسياسة اعضائها . ومن هذه الشهادات العديدة وغيرها يتبين لنا بوضوح ما كان دور بطرس في شعر رومانس وما هي المهمات التي القيت على عاتقه فهو مدبر الكنيسة ويرأسها كيف شاء . وهذه الرئاسة تسمو بانطلاقها وحريتها المطلقة لا تختلف عن سلطة الملك بشيء . فهي متوحدة ومحصورة في شخص بطرس وهي رئاسة حقيقية كاملة وذات سلطان شامل ونفوذ قوي حتى ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها .

وقد بيّن رومانس في اناشيده التي هي مظهر لاعتقاد الشعب والكنيسة اليونانية في بيزنطية في الجيل السادس ، وهي شهادات صريحة تأتلف مع الروح الليتورجية التي تنادي برئاسة بطرس في المصف الرسولي وهي ايضاً اثباتات واضحة تدل على ما كان يعتقده الشرق والغرب قبل الانفصال من ان

---

١) نشيد الرسل مقطوعة ٦

٢) نشيد الرسل مقطوعة ٦

الكنيسة هي رعية واحدة وراع واحد يرئسها نائب يسوع المسيح في العالم المنظور وهذا النائب يمثل الاجيال في شخص بطرس وخلفائه .

وليس لنا امنية نبديها لارباب الشأن ولاخواننا المنفصلين عن وحدة الكنيسة الجامعة غير امنية المسيح في صلاته الوداعية : « ايها الآب القدوس احفظ باسمك الذين اعطيتهم لي ليكونوا واحداً كما نحن واحد ... ليكونوا مكملين بالوحدة . »[1] فهذه الوحدة التي تنشدها الكنيستان الشرقية والغربية في الصلوات الطقسية هي غاية الاماني وأمل الابناء . قرّب الله بين الابناء المشتتين وحقق أمنية الشاعر روءانس الذي يتغنى بامجاد بطرس ليضم ابناء المسيحية الى وحدة الايمان وتحت راية الصليب الواحد وبادارة راع واحد وايمان واحد هو ايمان بطرس رئيس الكنيسة وصاحب المفاتيح والمتقدم في كراسي الرسل وخازن الملكوت السماوي .

---

(1) يوحنا ١٧ — ١١ ، ٢٢

وجوه من الشرق

قلق الحدود[1] في شعر فوزي معلوف

خواطر في الشعر

بقلم ميشال حايك

« مقلةٌ ترتمي التراب واخرى
في السهى وهو سادر حيرانا
ابدًا يطلب انتكاسًا من الارض
ويمشي مكبلًا حيرانا
والثرى ممسكٌ به ابدَ
العمر الى ان يضمه جثمانا »

(صلاح لبكي)

وضحكت يا شاعر الشباب الغير القانع بمعطيات الوجود البخيل عرائس صغتها من الحلم المجسّد في ليلة قمراء من ليالي « عروس البقاع » . وكأن صوتك الآتي من وراء بحرنا الابيض كنفوسنا ، الازرق كاحلامنا ، كأن صوتك الاتي من بعيد المنفى يرجع صدى جبابرة قدماء راحوا كلٌ على خشبة من الارز العنيد ، وكل خشبةٍ على موجةٍ عنيفة ، راحوا « يفلّون في البحار الكنوز » و « يرحون على جسر بحر اكسين على رحمة الرياح النواهم[2] » كما قال مواطنك

اولئك الجبابرة كان قلقهم شبيهاً بقلقك وحلمهم بالوسيع وسيعاً كحلمك — اولئك الذين شردتهم البحار في سرحة الافاق القصية كانوا جدوداً لكَ يا من اغتربت وشردتَ في الاعالي ، تصارع رخوة الجسم الترابي لتنهض به على سلم

(1) Impatience des limites.

(2) سعيد عقل : قدموس

السماء – واذا بالطيور تتألب حولك حمامات تبغي افتراسك والنجوم تتهامس حائرات مستطلعات اخبارك . واخيراً تجتمع بروحك العارية الحرّة قبل الاوان فتجلسان معاً على بساط من السحائب الندية تتناجيان :

« ووقفنا معاً بقلب السماء
تتملى
من القُبَل !
« احبّ اللقاء بعد التنائي
فهو اشهى
من الامل ! »

انت وروحك حبيبان غريبان، انت عبد في التراب تذيب ايامك في سجن الجسم الفاني ، وهي حرة في الجوّ البعيد وراء مبيت الشعاعات الزرق .. وكانت ليلة حلم مجنون اجتمعت فيها بروحك بضع دقائق هربت سريعاً ككل احلامنا الهاربات :

« تلك بضع من الدقائق مرّت
في خضم
من الخلود
هي مثل الاحلام زارت وفرّت
ايّ حلم
ترى يعود ؟ »

واذا انت على الارض بعد الاستفاقة من غيبوبتك الكبرى ، ترجع لتقاسي مرارة السجن واسر الحدود :

« واذا بي اهوي الى الارض وحدي بعد حريّتي اكابد رقّا
تركتني روحي وعادت لمأواها تشق الشعاع في الجوّ شقّا »

ولكن لن يطول عليك فراق اشتقته فستجتمع بها بعد سنوات قلائل عندما تنفض عنك وحول وادينا المكبّلة ، ولن يعكّر ذلك الاجتماع عليكما لا ضجة ولا لجاجة قلب جوعان . اما الان ، بعد ان هويتَ من شاهق حلمك فانت في وحشة مرة لا تجد فيها من السلوى غير يراع ينتحب ومحجر يتنزّى الدمع منه اسود فيسيل حبر على طرس :

« فرأيتُ اليراع قربي يزاييي ويبكي !! لغيث والفى ...
يا يراعي وانت خير صديقٍ لي منذ امتزجتَ بي ورفيقي
كم حبيبٍ سلا وعهدك باقٍ دهو اوفى من كل عهدٍ وابقى
رب دمعٍ كفكفتَه من عيوني سال حبرًا في الطرس يخفق خفقا »

كذا تبعثرت احلامك وتناثرت كاسراب من النحل تتطاير عن اقاحٍ ، بعد ان غمرتك بشفق موّرد يغري بالتعلة الكاذبة :

« عمرته الاحلام بالشفق الوردي يغريه بالمنى تعليلا
وتلاشت حلمًا فحلمًا الى اللاشيْ تمشي به قليلًا قليلا »

وماذا بقي لك بعد ذاك ؟ لا شيء سوى حفرةٍ باردة خمدت في جوانبها اشواقك التي لا تُحصى ولا تُجمع :

« ونوتى يقوده ... الداء الى القبر في ربيع شبابه »

وهناك ، ابعد من مرمى عينيك ، في لبنان ، في النفافة غصن على شجرة ، سكت طائرٌ على عبرةٍ خرساء متمردة لانه احسّ بشيء من جمال الوجود يتالم عن الوجود ، والوت زهرةٌ بيضاء عنقها الذي ما عانق غير ثغر النسيم المذريّ ، واستولى عليها النعاس قليلًا قليلًا فأغفت وما استفاقت لان شيئاً من الندى تبخّر وتلاشى !

يومذاك كنت تغمض عينيك في البرازيل وكان الفراغ يتّسع في لبنان...

*

خلع فوزي معلوف مقلتين جديدتين على الحياة فوجدها مصفرّةً شاحبة الالوان . كذلك يجدها كل من يغور الى اعماقها ولا يتوقّف على بروق لامعة وخيالاتٍ عابرة تطلّ بين الفينة والفينة على جفون الناس فيُخدعون . لقد علم انّ كلّ ما نهاية له قصير الامد ولو طال ، وان الوجود ما يعطي الّا ليمنع ولا يُسعد الّا ليُشقي. لقد ادرك ان الانسان ، وهو تلك الجذوة التي لا تشتعل الّا اذا تطاولت لهبتها الى فوق ، وجد الانسان ينطفئ في اوجار ظلمةٍ عميقة القرار ، كفانوس يشحّ زيته ، فاراد ان يعيش في مأمنٍ من عصوف الفناء ، اراد التخلص من كل ما يحول دون الخلاص — ولذلك فقد حنّ الى الفوق ، فوق كل دعوات التراب ، فوق كل هموم الثرى ، فوق كل المطامع المكبّلة ،

فوق كل الممتلكات تلك التي تفترس ممتلكيها كما قال الفيلسوف الفرنسي غبريل مارسل (Gabriel Marcel) . واذا به يطلب جناحين يعلو بهما وكانت تلك « الرحلة على بساط الريح » :

« فوق طيارة على صهوات الريح راحت تروّض المستحيلا
هي طير من الحديد كأن الجنّ في صدرها تحثّ خيولا
حمحمت تضرب الرياح بنعليها فشقّت الى السماء سبيلا
ثم مدّت الى النجوم جناحين وجرّت على السحاب ذيولا . . . »

هكذا روّض الشاعر التراب الثقيل وعلا به ولكنّ سقطته على الحضيض كانت مريرة بعد سكرة الارتفاع — وهكذا تبعثر الحلم الكبير كالدخان في ليلة ريح شمال ، وما بقي من آثار الشعلة غير كومة رماد .

كان حلم فوزي معلوف ارحب من ان يحمله التراب وشوقه الى المجهول اقسى من ان يسمح له بالبقاء طويلاً بيننا . وما ترك من الآثار غير القليل الضئيل مما كان في نفسه العظيمة ، وما ذاك الا لأن قصة الانسان الحقيقية لا تحشر بكلمات ولا تستطيع الاوزان ان تتحمّل فواجعها ، لأن الحروف تحترق ان لامست لهبة النفوس ، والحروف لا تلتقط الا رماداً وذرات من السعير الداخلي المتأجج . كل شعور يتجسم في حرف يفنى . ولن يستطيع شاعر ان يعبّر عن شوقه ، ولذلك فهو يكتب قصيدة وراء اخرى وتنقضي حياته في محاولة حظّها الإخفاق في كل آن . فالشاعر يخون ذاته كل مرة غمس ريشةً في دواة وكتب ، وكل مرة ألقى بين يدي القارئين العاديين اشعاره . فرب كلمة له او حرف او نقطة ظنّ انه يشحنها احساسه ويمرّ عليها القارئ الوثني ولا يتوقف . الشاعر وحده يستطيع ان يقرأ اشعاره ولا يخون ذاته ولا الاخرين . فهمت الآن معنى عبارة كتبتها شاعرة شرقية الى الذي اهدته واحدةً من قصائدها الصوفيّة ، وتلك العبارة الفرنسية لن اترجمها لعجزي عن ذلك . لقد قالت :

« Surtout, ne lisez pas : il
s'agit d'une pénétration. »

هذا الاندماج بنفس الشاعر ان يستطيعه احد ، ولا الشاعر ذاته يستطيع

ذلك تماماً ، لا يستطيع ان يندمج مع ذاته بعد ساعة الالهام ، لان النفس نهر سابح لا تغتسل بمياهه ذاتها مرتين كما قال « هراكليت » (Héraclite) أو كما تأوهت تلك الشاعرة الفرنسية الحساسة ده نويل(Comtesse de Noailles)

« Nous n'aurons jamais plus notre âme de ce soir » (1)

لو ادرك كلُّ شيء في الوجود ان هذا الاحساس ، ان هذا الإلهام هو في هرب مستمر امام الشاعر الراكض وراءه لكي يستجمعه ، أتوقف كلّ شيء في الوجود عن الصخب والضجيج ساجداً لدى مرور النعمة في الارض ، موفراً للشاعر كل القوى لاستجماع تلك النعمة — لو الزهور أدركت ذلك لوقفت عن التنفس ونشر العطور إجلالاً ، ولخشع الطائر فوق الغصن ، ولصمت العالم فترةً ، وانها لفترة صمت يوسعها ان تخلص العالم ، لأن واحداً من العالم ، هو الشاعر ، يقتبل في تلك الفترة الصامتة نعمة الإلهام أي روح الله !...

ولكن الإلهام لن يتجمع في حروف ، ولن يتجسد في كلمات ، وإلّا لاصبح الشاعر الهاً، اذ ان الله وحده استطاع ان يلفظ كلمة ذاته ، ان يقول ذاته : والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا ، كما يصلي الملايين من الكاثوليكيين ثلاثاً في النهار .

وما كان فوزي معلوف سوى واحد من الشعراء الذين حاولوا تجسيم احلامهم في كلمات ، فقتلتهم المحاولة — وتلك هي الشهوة الكبرى التي ما برحت تعتاج في قلب الانسان ، شهوة الى التلفظ بما لا يُقال ، شهوة الى اللامحدود تتطاول حتى الله ثم تنكفئ في تعب نحو المحدود ، نحو الانسان . فـاذا بالنتيجة وجيعة ، واذا في نفوسنا تلك المطامع المتكالبة المتطاحنة كانها تلك الآلهات الاغريقية التي لا تشبع ، تلك المطامع المتداخلة المتكاثفة والمتفارقة المتلاطمة ومسرحها النفس الانسانية الجرحة . فنفوسنا هي دومـاً ساحة عراك وهي عدوة وحليفة لذاتها في الوقت الواحد . تنهب العلاء صعداً تارةً ، وتشد نحو الثرى احياناً ، ولكنها لا تقنع ابداً عن ذاتها ولا ترتضي لها مقرّاً الّا حيث لا تستطيع ان تبني مقرّاً وتسكنه . محاولتها الاولى والاخيرة هي الوصول الى اقصى ذاتها .

(1) Le Cœur Innombrable

لقد قال نيتشه (Nietzsche) : « انا عليّ ان اتخطى دائمًا انا . » فيردد صداه الفيلسوف الوجودي المعاصر غبريل مرسل (Gabriel Marcel) فيقول : « شعاري ليس : انا ، بل فوق انا » . هذه هي قصة القلق الوحيدة ، قصة الشهوة الانسانية الاولى التي تمتمت مقاطعها شفاه الانسان عند بزوغ الدهر ساعة ارادت حواء ان تتخطى حدود ذاتها لتساوي الله بالمعرفة والمقام . وكان الفشل الاول الذي لا يبرح كل مخلوقٍ جديدٍ يختبره من جديد ...

ان حلم فوزي معلوف كان حلم الانسان ، ولم يُكتب على حقيقته . « على بساط الريح » كانت اثرًا هزيلًا للملحمة اخرى مـا استطاع شاعر الطيارة كتابتها بحروف مادية وعنوانها : « على بساط الروح » ، والروح خلف الكلمات والحروف ...

فاجعة الانسان تبدأ حين يبدأ بالتساؤل ، بالتكلم مع نفسه والاصغاء اليها ، حين يبدأ يعرف ان هنالك عالمًا اكبر من عالمه الضيّق . عند ذاك يبدأ القلق ، لان الانسان يشعر بان عليه ان يستقر في ذلك العالم الكبير الوسيع ولا يستطيع الى الاستقرار فيه سبيلًا ولا عنه تعبيرًا .

كذا كان فوزي معلوف : عاش طموحاً الى عالمه الكبير ، وقلقاً عن عجز ، ثم ابتعادًا عن الطموح والقلق الى حيث تجتمع النفوس باشواقها الجبّارة وتهدأ من اضطرابها — شاعر مات والشمس في المطلع وامامها الآفاق تناديها الدوران — مات وزهر الربيع واخضرار وروده تقول للشباب ان يفتحوا نوافذ قلوبهم لطيور الاحلام . ولكنه كان كتلك الزهيرات التي تلوي عنقها الساحر عند الصباح لتموت ، وكالثمرة تهوي الى الثرى قبل رفيقاتها مثقلةً باللذائذ الناضجات — ومن يستطيع ان يعلم ايّ عذابٍ تقاسيه الثمرة الاولى لتنضج ؟ وصمتها الطويل القاتل هل هو غير وجعٍ اخرس يضنيها لأنها تحاول ان تتجسد عطاء . وبقدر ما يطول صمتها وعذابها تكون لذتها وعندما تبلغ اقصى امنيتها تموت . من يستطيع ان يعلم اي ألمٍ مبرّحٍ تعانيه العصفورة كي تقدر على البوح بالنغم؟ وبقدر ما يطول ألمها تطيب انغامها للسامعين . ومتى باحت باجمل نغم تطوي جناحيها وتصمت في ضجعة الموت . كل شيء في الوجود يحاول

هذا التخطي، ويشعر بهذا العجز الشامل ، والا لما معنى دورة الافلاك وهمسات الليل ، وأنات اعماق الاودية الحالمة بقمم الجبال ؟

كل شيء في الوجود قلقٌ ونحن اكثر ما في الوجود – وشوقٌ الى ابعد . أترى كان ارسطو الفيلسوف الاول يريد ان يعبّر عن هذا حين تكلم عن الافلاك المتحركة شوقاً الى المحرك الاول ، الى الله ؟ لا شك في ان القديس اغوسطينوس كان اوضح معنى واعمق اختباراً حين هتف من قلبه في اول الاعترافات : « خلقتنا لك يا الله وسيظل قلبنا قلقاً حتى يستقر فيك » .

*

بعد ان اوحى الله بانه جوهر مثلث ، كل شيء يبدو لي مثلثاً في جوهره الواحد .

تساؤلٌ فقلقٌ فإخفاق ، هكذا تبدو الحياة : تساؤل عمّا وراء حدود النفس والكون ، قلق في البحث عن حقيقة ثابتة ، إخفاق في معرفة تلك الحقيقة كاملةً وفي التطوع الكامل لاجل متطلباتها . فاذا الانسان واحد من ثلاثة : انسان يولد ويموت في قلق واضطراب ، انسان ينطوي على إخفاق وتشاؤم . ومن الناس الافراد القلائل مَن تجمعت فيهم هذه المراحل الثلاث فكانوا عظماء الانسانية لانهم اختبروا كل ما تستطيعه الانسانية من اختبار فاذا بهم حين يتكلمون عن ذاتهم يجتمعون مع كل شخص في بقعةٍ من بقاعه الداخلية . من هؤلاء كان فوزي معلوف ، من تلك النفوس الساهرة التي كانت لا تستطيع الغفوة اذا الناس ناموا لان ارقها شوق الى اللامحدود ، من تلك النفوس التي تكلم عنها شوبنهور (Shopenhauer) حين تكلم عن ذاته قائلا : « يُقلقني أن لا يكون شيء يقلقني » . وهذا الأرق وهذا القلق المسيطران على نفس الشاعر هما معنى لكل ما في الوجود من نقص وحرمان . فلولا غصة في نفسه لما أنّت الرياح وانتحب الشجر ، ولما وقف دمع على ضفة جفن او التوى فانكسر اماودٌ في مهب عاصفة ، ولولا كؤوس حبه المتحطمة لما التمعت النجوم كالشظايا الدامعة ، ولولا خفقة الشوق في قلبه لما اغرورقت عينا الزهرة بالدموع ولما تشاكت عصفورتان مشتاقتان :

« ما ابي الريح غير زفير نزعته الرياح من رئتيه
ونواح الطيور غير عويل نفثته الطيور عن اصغريه
وبريق النجوم غير شظايا كاس حب تحطمت في يديه »(١

بارك الله رفات ارسطو القائل: « ان النفس البشرية تستطيع ان تكون كل شيء. » ولكان اصدق لو قال : النفس البشرية هي كل شيء . تنظر الى الوجود فيحيا الوجود في نظرتها مستعيراً له منها لوناً ، وهذا اللون متحب الخطوط كل ساعة : اذ ان النفس في قرارتها حزينة مجهشة ، محيرة الحدود، فاعماقها مخيفة ، كلما وقف الانسان على شاطئها استقل به الدوار ، لان لا شاطئ ولا اعماق لها .

على ذلك الشاطئ القصي ، فوق تلك الاعماق اللامتناهية ، وقف فوزي معلوف يتسمع الى اصداء اللجة المتجاوبات التي كانت تناديه الى الغوص والرحيل وما هي لجة في اسفل ، بل هي هوة في علاء :

« غربة في العلاء ما برح الانسان فيها يغالب المستحيلا . »(٢

لقد غالب شاعر الطيارة المستحيل فصرعه المستحيل وهوى على الارض بعد نشوة الغربة في العلاء ، فاذا هو محطوم الحلم ، مهيض الجناح ...

تساؤل

انفتحت عينا فوزي على الكون ، فاذا الكون خرافة يتغنى بها الانسان واذا الحياة ارجوحة تهزها يد الابدية ، ويوقع الحانها الموت امام سرير الانسانية . الموت هو تلك المعجزة التي ما استطاع فك رموزها حين سائل ذاته عنها : « الموت ! الموت ! كلمة رهيبة مكتوبة في كل مكان : على اديم الغمام ، على صفحة الارض ، على متن الرياح ، على كم الزهرة ، على جذع الارزة ، على جبهة الانسان ! » هذا ما كتبه الشاعر وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وسيكتب بعد ست سنوات :

« ... قف يا موت واشفق على قلبي ودعه مرة يخفق

١) على بساط الريح
٢) سعيد عقل : قدموس

دعْ مناقي نبكي قبيل النوى ، نبكي على الورد ، على الزنبق
نبكي على روض غرامٍ ذوى ما فيه من زاهٍ ومن رَيّقٍ ... »

وبقدر ما يثبت خطوته في الحياة ، تتشابك الاسئلة المزعجة عن الموت في نفسه ولا يدرك لها حلّاً :

« كيف جئنا الدنيا ؟ ومن اين جئنا ؟ زائل اى عالمٍ سوف نُفضي ؟
هل حيينا قبل الوجود ؟ وهل نُبعث بعد الردى ؟ وفي ايّ ارضٍ ؟
هو كنه الحياة مـا زال سرًّا . . . . »

وهكذا فقد اصطبغت كل اشعار فوزي معـلوف بتشاؤم اسود يطاول اليأس، فاذا حياته كلها سؤال معقود على شفتيه كلما حاول الجواب عليه خانته الكلمات ؛ فشعره شهقة الى ما وراء الطبيعة او غصّة ميتفيزيقيّة كبت منها اكثر ممّا أسمع .

قلق الغربة

هذا التساؤل العميق عن كنه الحياة والموت ادّى بالشاعر الى قلقٍ نفساني وجيع. فبعد ان خشي الموت بدأ يتطلبه ، لأنه اراد التحرر من القيود الترابية التي توثقه :

« والآن يا موت اليَّ اقتربْ يـا رحبًا بالموثق المنزقِ
منتق نفسي من قيود الاسى ، موثق جسي في المدى الضيقِ ...
لم يبقَ لي في الارض من بغيةٍ ما الارض الا جثّة الاحمقِ ...»

وما كانت رحلة فوزي معلوف على طيارة فوق سماء « كرايوجا ـ ريو دهجانيرو » الا العرض السطحي لرحلات عديدة قام بها على جناح خياله المديد نحو الموت . ما كانت رحلته في الجو غير تمرين على الموت ، وصعود اليه ، لان الموت صعود ، صعود الحياة الى قمتها ؛ فموت الانسان ذروة حياته، وموت الثمرة نضوجها ، اكتمالها ، اختمارها . ولكن هناك حوائج ثقيلة تعيق الشاعر عن الصعود وتشد به نحو الارض ، وتلك الحوائج هي « المال » و« السيف » و« العلم » و« الناس » وكل ما في الوجود من هموم وعادات ومطامع متكالبة واهواء مقيّدة . امّا هو فيريد الانفكاك من اغلال الحدود ، من كبول

التراب ليعيش حرًا ولذلك فقد زهد بكل ما يتعبّد له الناس . فالمال المريز بين يديه يصبح تراباً اصفر ، والشهرة في نظره عبودية ، وليس يثبت غير الحرية، حرية الروح، بعد ان ينحل الذهب ويذم الجمال وتُمحى الشهرة العابرة.

ولكن كيف يستطيع الصمود والتحرّر ما دامت الصعوبات تقف امامه في الجو كالصخور المسنونة الاطراف . فكان كلما علا تثاقل وبدت له المرحلة شاقة . فهناك النسور ، رمز القوى الغاشمة ، تتألب حوله تريد ان تمزّقه بمخالبها الحادّة :

« واذا بي ما بين اجنحةٍ سودٍ على الافق حجّبت وجه بدرهْ
طوّقتني بكل فاغر شدقٍ صامدٍ لي بمخلبيه وظفرهْ ... »

ولكنه يتغلّب عليها اذ يستمد القوة من حلمه الكبير بالراحة الكبرى والانفلات من اغلال التراب :

« لا تخافي يا طير ما انا الّا شاعر تطرب الطيور لشعرهْ
زارك اليوم متعباً ينشد الراحة في هدأة السكون وسحرهْ
فرّ عن ارضه فرارك عنها من اذى اهلها وتنكيل دهرهْ ... »

وتتبع رحلاته . الى اين ؟ الى حيث تقصد كل نفس يحزّ فيها القلق فلا تقنع بالوادي والسهل الموحش ، الى حيث يقصد كل انسان كبير الاشواق ، جبار الاماني ، الى قمة الموت حيث حاول الرواقيون (Stoïciens) ان يبنوا لهم معتصماً من الالم ، الى تلك النرفانا (Nirvana) التي تخيّلها بوذا للتخلص من براثن العذاب .

لقد داس العقبة الاولى ، عقبة الجهاد المضنك الذي تمثله النسور وعلا في الجو حتى دانى النجوم فذعرت منه اولًا ثم سخرت به وبجداوله العقيمة . هذه هي عقبة اليأس تستولي على كل قاصدٍ امرًا عظيماً :

« هو تحت السديم أعجز عن ان يبلغ انجم فوق متن رياحهْ ...
لا تخافي منه وخليه يعلو فقريباً يهوي صريع كفاحهْ ... »

على انه يبارك اليأس ويجند كل ما لديه من قوى لكي يقطع هذه المرحلة الصعبة . ان لديه حلماً كبيرًا كم تلهّف في وجعٍ وحرقةٍ للوصول اليه واذا به

يخاطب النجمة بكلمات تشيع فيها عذوبة النجوم الزرقاء الالوان مخبرًا اياها عن شوقه المزمن الذي كان يبثها اياه في الليالي الطويلة :

« ايه يا نجمتي ألم تعرفيني شاعرًا ينصتُ الدجى لنواحه ؟
كم ليالٍ في الروض احييتها ابكي واشكو اليك بين اقاحهْ !
سامح الله فيكِ قلبًا نسيًا . . . . »

سامحها وسار بعيدًا وراء مبيت الاشعة ، وراء مرقوب الظنون . هو وحده في ذلك القفر العريض يراوده اليأس ويخال ان طموحه كان مغامرةً تكاثر فيها الوهم ، فيندب حظّه ووحشته القاسية :

« نجمةَ الليل رحمةً ، فضلوعي
من شجوني
تتمزّق . . .
واذكريني بين الكواكب وادعي لي ، عسى يهتدي اليَّ السلامُ . . . .
ليت شعري والليل يعقبه الفجر ، متى يعقب البكاءَ ابتسامُ ؟
ضاع عمري سيًا وراء رسوم خطّطتها في الشاطئ الاقدامُ . . . »

هذا التعب المهدّم صوّره لنا شاعر آخر اسمه سوللي برودم (Sully Prudhomme) في قصيدته « Le Zénith » حيث وصف عراك النفس الطامحة الى العلاء والجسد الطالب الثرى مقرًّا :

« . . . L'éternelle dispute, agonie incessante :
La chair, au sol vouée, implore la descente,
L'esprit ailé lui crie un « Sursum » infini . . . »

أترى هل لذاك الاغتراب هدوء واستقرارٌ في واحة خضراء؟ أترى يجتمع بالحلم الذي خطّطت اقدامه رسومًا شواحب في الارض ؟ . . . ولكن ها قد بدا من بعيدٍ « عالم الارواح » . . .

حفنةٌ من ترابٍ واهية تفرش فوق النجوم جناحين شدّدهما امل الألتقاء بالمجهول ، وتتصاعد حتى العالم الفاقد الارواح بعضها ببعض مشدودةً بخيوط الحب اللّاب . والشاعر هو في كل آنٍ ذلك الجبار العنيد ، « نمرود » الذي صوّره لنا « فيكتور هيغو » ذاهبًا الى « اكتساح السماء » فها هي الارواح ترف حائمات بين يديه . هي آماله العظيمة الرحيبة التي تأوي بيتًا ما صنعته

كفّ من التراب المضمحل ، وتبيت في جزيرة الشعاعات البواسم ، هي آماله المجنحة كأنها النحل يطنّ في اذنيه :

ولما كاختلاج اجنحة النحل أزيزٌ يطنّ في أذنيّا . .
فتنبهت من ذهولي واصغيت لعلي اجلو هناك خفيّا
فسمعت الذي نرشوشه الارواح عني ، وما تنكر فيّا . . . »

وهنا يصغي الشاعر الى تمتمات الارواح وما تنكر في بني الانسان الذين يملأ قلبهم « فحيح الافاعي » و « ينهش الحسد نفوسهم » و « ينسون الخير ويوغلون في الشر » و « يدوسون الضمير » ويحكّمون « الطمع » « والانانية » اولئك الذين « نطقهم اذى » و« ارضهم جحيم » و« علمهم هدم » و« عمرانهم خراب »[1] . ولكن الشاعر لا يشارك بني قومه بهمومهم السافلة ولا يقاسمهم المطامع الارضية ، بل هو يكفر عنهم ويهرق عمره ذوباناً كالشمع على الهيكل لكي يهدي الناس ؛ وهو فوق ذلك يسكن عالماً غير عالمه ولو خيّر لما اختار غير ظلمة القبر :

« هو بالرغم عنه من عالم الارض ترابًا بشكل ابناء جنسهْ
سكن الارض مرغماً وهو لو خُيّر ، ما اختار غير ظلمة رمسهْ . .
يتلاشى كالشمع كي يعطي النور — على هيكل الخلود وقدسهْ . . . »

والتقى اخيراً الشاعر بروحه ، بحلمه الكبير ، بعد ان هجر الارض فترة . . أترى ينعم باضواء النجوم وتمتماتها الشاردة غير الذين تخلصوا من اغلال الارض التي تقيد كل نفس عطشى الى النور ؟ أترى يلمح شعلات الافاق المجهولة غير الذين قبلوا بان يودّعوا الشاطئ ويرحلوا الى بعيد البعيد المغلق ؟

وما هي غير دقائق معدودات اختلى فيها الشاعر بروحه ، دقائق ملأى بقبلات الشوق ترجع صداها عذارى الارواح من بعيد و « يسكب النسيم العليل فوق لظى انفاسها ندى نفثاته » :

« اذا خلسنا على بساطٍ من السحب يفوح الغرام من جنباتهْ . . .
وعذارى الارواح تنشد من بُعدٍ بصوتٍ ، ألقهُ في نبراتهْ . . . »

---

[1] على بساط الريح النشيد الحادي عشر .

إخفاق

وصحا الشاعر من سكرته فوجد ذاته على الارض « يكابد بعد حريته الرق والعبودية » . لقد كتب بعد ذلك « شعلة العذاب » تلك التي ألهبت قلبه وحولت اشواقه الى رماد . فاذا به يركع « في هيكل الذكرى » يستعيد المراحل التي قطعها ويندب ماضيه السعيد : -

« ارجعي القهقرى أيا ذكرياتي
ان قلبي
ذوى ومات
فانا عائش بماضي حياتي
فهو حبي
من الحياة . . .

« ليس فكري الا صحائف بيضاء عليها الذكرى تخط وتمحو . . .
طويت بسمة لينتشر دمع وخبت بهجة ليلمع جرح . . . »

لقد « سقط على اشواك الحياة فجرحته » كما قال « الشاعر الملائكي » شلي (Shelley) :

« I fall upon the thorns af life ; i bleed »

وما اجمل ان نستعيد كلمات سولي برودم من القصيدة ذاتها التي ذكرناها :

« Mais épuisée enfin, la chair plie et s'affaisse,
Et comme un feu sacré dont se meurt la prêtresse,
L'esprit abandonné s'abat évanoui . . . »

اما الشاعر فهو ذلك المخلوق المختار ، تلك الجبلة الوديعة ينحني فوقها الفنان الاكبر ، الله ، يجبلها ويكملها حتى تصبح شبيهة به واهلاً لأن ينقلها اليه . يموت الشعراء شباباً لانهم من جبلة طيعة تلبي انامل الله فتجبل وتكمل بسرعة فائقة ، فيهوي التراب الى التراب وتتابع الروح رحلتها حتى الوصال الاخير . . .

لقد سكت فوزي معلوف ، وفي غابة من غابات لبنان كان طير سحري لم ينظره احد يصمت في ظل غصن ليتأمل بسكتة اخرى ابدية . . .

لقد سكت ليتابع في الصمت حلمه ، بعد سكت ليعيد ويحيا سكتة الحمامة بعد انشودة في ايك دفيء، سكتة لحلم عريض لرحيل راحل لا يقف ...

بعد ان أسمعنا صرخات انسان ، سكت ليسمع حديث الله . السكوت وحده يسمع اما الكلام فحماقة وهذيان محموم يتالم . .

كان كعصفورة اغتربت وعاودها الحنين الملح الى عشها البعيد فحطت قليلًا على غصن رطيب واندفعت بانشودة شوق وغربة ثم رحلت تاركةً في الجو رجع انغامها ...

كان كشجرة نضجت باكرًا وانحنت بثقل نضوجها المعطي الرقاب – كذا اعطى فوزي الحياة اكثر مما اخذ منها وكل عظيم في الارض هو سخي .

اذا كانت حياته قصيرة ، فانها طويلة القصر ، وامامها الخلود يكسبها ما لا تُقاس به الأعمار المحدودة . اما هو فكان ضحية شوقه الى اللامحدود . عظماء الدهر لهم تاريخ يتلمه تاريخ الدهر الفاني ، اما ضحايا الشوق للخلود فلهم حياة مشحونة بالخلود والبقاء ...

الشعر حضور

وانطوى بعد ذاك ولكنه ما برح حاضرًا باقيًا بيننا ، لأن الشوق القديم الذي ألهب حياته ما زال جديدًا يُلهب جذور حياتنا . ونجتمع به كل مرة قُدر لنا ان نتفلّت من هموم ترابنا وملاهيه الجوفاء . لنجتمع بذاتنا وباشواقنا الحقيقية ... الشعر عجلة البقاء ! ينطوي جناح الشاعر ويخمد ضرم الاحساس فيه ولكن سبب اضطرامه هو الباقي ، لانه هو هو في كل نفس في كل عصر في كل رقعة ارض .

ترى هل كان ازميل « فيدياس » الّا كسائر الازاميل ، والرخام الذي بين يديه الا كسائر الرخام ؟ ومات «فيدياس» ومدت الايام يدها الطاحنة تضرب على تماثيله فتقطّعها ، ولم يبقَ غير روح « فيدياس » الانسانية الشاملة تحاول ان تجسّد شهوةً لا حدود لها ، تحاول من حجر ان تصنع انسانًا ، تحاول من

الفاني ان تبني البقاء . وها نحن بعد ثلاثة وعشرين جيلاً نلتقي به كلما أصغينا الى نفوسنا التي تروي القصة الواحدة ، قصة كل النفوس ...

وريشة « ميكل انج » كانت ككل ريشة بين اصابع كل رسام ، وسقف كنيسة «السكستين» كان ككل سقفٍ في كل كنيسة . ومات «ميكل انج» ووعت سوسة الزمان اذيال رسومه ، اما ما بقي فشهوة انسانٍ دُعي عرضاً «ميكل انج » وكان يستطيع ان يُدعى غير ذلك ، شهوة انسانٍ مثلنا يحاول ان يختم بالالوان الاحساس الانساني اللامحدود الذي يضطرم في اعراق كل بشري طامعٍ باكثر من بشريته ...

و« بياتريس » تلك الفتاة الساذجة النظرات كانت ككل صبايا فلورنسا وانفتح قلب « دانته » على سر حبها فاختلى بذاته يحاول ان يبدع «بياتريس» جمالًا لا غبرة قبحٍ عليه . ومات « دانته » و« بياتريس » ، مات الحبيان وبقية الجذوة المشتعلة ، الحب . ونحن لا نعجب «بدانته» الا بقدر ما نكتشف ذاتنا في شعره . وبقدر ما نستطيع الحب ، نستطيع فهم الشاعر . ولو استكمل الحب ذاته في كل النفوس ، لتعارفت كل النفوس وتحابت ، فجاء الملكوت وحضر الله الذي قال عنه يوحنا الحبيب « انه حب ». ولكن الحبّ لن يكمل الا بعد ان يمرّ بالموت فيتكرس ويصبح ابدياً . طالما نحن في الحياة فالقلق وعدم الاستقرار نصيبنا الموجع وقسمتنا المبلبلة . ولذلك فني اعمق كياننا شهوةٌ للكمال ، للاستقرار ، شهوةٌ للموت . ولقد صدق دوهامل (Duhamel) حين قال : « دلني على الانسان الذي لا يشتهي ان يموت . »

◆

العجز الانساني

والشاعر هو الذي يطلع في برهةٍ مجفلةٍ من الزمن على سرّ الحياة والموت والابدية ، وهو يمسي جريحاً كلما عاد من رحلته وحاول ان يستعيد مراحلها . الشاعر يقف على اسرار الكون مستعيناً بعقله وحسه ويحاول ان يعبّر بكلماتٍ فانية عن تلك الاسرار التي هي اعمق من العقل والحس . ويكون العجز دائماً نصيبه والفشل قسمة محاولته . يقول حروفاً ويتمتم مقاطع مبعثرةً مضطربة

ولكن الحقيقة تبقى حبيسة الوادي النفساني الذي لا قرارة له . وما ذلك الا لأن قصة الانسان الحقيقية لن تُتلى واذا ببعض الشعراء وقد امضهم هذا العجز يقلعون عن الكلمات العادية الفاشلة ويريدون خلق جو من اجواء احساسهم الكبير ، فاذا الكلمات لا معنى لها واذا الجوّ يتلون بموسيقى حروفهم : فهنالك لفظةٌ او حرفٌ او وقفةٌ على شاطىء قافية او تنفّسٌ على منعطف شطر ، او نظرةٌ صامتةٌ الى نقط ثلاث ، تزدحم فيها الاسرار التي لا يُباح بها : هؤلاء الشعراء هم السورياليون (Surréalistes)

وهذا العجز ما هو الا نتيجة متطلبات الالوهة في النفس البشرية وقد يؤدي الى سأم ويأس ولقد اختبر كثير من الفنانين هذا العجز عن اداء الاصوات التي تصغي اليها مسامعهم الداخلية ، تلك الاصوات التي لا ترتسم بصورة ولا تتميّز بلون . أما قال «سوزو» (Suso) ذلك المتصوف الالماني العميق الفؤاد : « أنّى لي أن اعطي رسماً لما ليس له رسم ؟ فما من تشبيه او مقابلة تساعفني في ذلك».

ومنهم من آثر السكوت العنيد على الكلام المجدّف على قدسية النفس واشواقها القاصية . فبعد ان حاول « رمبو » (Rimbaud) التعبير عن جوع روحه المذيب نطق بهذه العبارة الملأى بالعبارات التي ما استطاع التلفظ بها : « انا افهم واحس ، ولاني لا استطيع ان اعبر عن احساسي بغير الكلمات الوثنية ، ارغب في السكوت ». ولقد سكت حقيقةً على وجع هائل وغصة جبارة وكبرياء ذليلة ...

وهناك من انتحر لانه عجز عن التفوّه بالكلمة العظمى التي حمّلتها نفسه الكبيرة . وما انتحار « رينه كروفيل » (René Crevel) الا نتيجة المأساة الداخلية التي لا تُقال . فبين صمت الشفاه ونداء النفوس تسمع كلمات الشاعر الخرساء التي هي مجبولةٌ من صمت وتمتمة، وصمتها اعمق وابعد غورا من تمتمتها.

فمها حاول الانسان ، لن يستطيع ان يقول كلمته ، ان يلفظ ذاته . فما استطاع ذلك غير الله القائل : « انا هو الذي هو » .

. وما كلمات الشاعر الّا الصدى الضعيف ، الا الرجع الهزيل الذي يكاد لا يُسمع ، للكلمة التي ناداه بها الله منذ الازل ليستفيق على الحياة. وما حسّ

الشاعر الا شيء مما شعر به يوم مدّ الله ابهـامه الى التراب العديم الاحساس لينهضه من كثافة العدم . وما شوق الشاعر الى اللانهاية غير اثر للشعلة التي ، في مطلع الزمن ، تركها الله حين نفخ في الطين والماء . ولا يزال يبحث عن تلك الكلمة الاتية من الاعماق الانسانية ، ويفتش عن ذلك الاصبع الالهي وعن تلك النفخة الخالقة ، حتى يجدها وتكون العبادة التي لا تنقضي في ابد مشبع ومغموس بالصمت المترنم ، لانه ملئ بالله ... هكذا كانت نهاية فوزي معلوف ، ففي ذمة الله يا ابن لبنان !

* * *

حلم الخير

تراودني في بعض الغفوات اشباح من الشرق ما عرفتها الا قطعاً هزيلةً في اثار تركوها على ورقات باليات .

كان ذلك سنة ١٩٤٤ ، في ليلة مقمرة من ليالي الصيف ، في قرية نائية من قرى الجبل مستلقية على جوانب مثلث اخضر . غفوت وفي اعماق النفس تتجاوب اصداء « عـلى بساط الريح » فحلمت اني في « قصر الحمراء » في الاندلس اقطف وردةً بيضاء مشعشعة البتلات واغرسها على قبر ابيض الطلاء لأفي بأمنية باح بها فوزي معلوف لصديقه الشاعر « فرنسيسكو فيلاسباسا ». وأزعج البيـاض المبهف عينيّ ففتحتها واذا بي على سريري والقمر الحيران يتمايل بين اشعة بيضاء باردة، وفي البعيد من الافق غيوم شاردات كانها نماج ترعى او مراكب فينيقية ترجع « الى البلد الوادع الاسمر » محمولةً على موجات بحر عريض . لقد أجفل حلمي بعيدًا وكم كنت اودّ لو طال لانعم به . فذكرت اذاك قول الشاعر ذاته :

« يا لها فرصةً مضيئـةً سنحت مرةً ولم تعـد
كنت فيهـا قرب السعادة لو شئت طوّقت جيدهـا بيدي
كنت كالطير عنـد ساقيةٍ آمهـا ظامئاً ولم يرد ... »

ورب حلم يبخل الواقع بمثله — اجمل ما فينا نحن ابناء الشرق هي الاحلام واشنع ما فينا هو الواقع . ولا بدّ من يوم آخر يجتمع فيه واقعنا بحلمنا ، عند ذاك نصبح مستحقين نعمةً اخرى كفوزي .

أعطنا ان نستحق عطاياك يا رب ! ..

ارق نفس . . .

بقلم ميشال حايك

انه « الشعر الروحاني » المطل من شرفة المستقبل عندنا . . . بين الواقع التنير الضاري وبين الحلم الجميل المدمّى ، توجد نفس الشاعر القلقة ، المضطربة ، التي لا تنام . تريد ان تتفلّت من الواقع لتجلس على مائدة الحلم بالحب الشامل الذي فيه تتعارف وتتحاب كل الارواح ، ولكن قيوداً من تراب تكبّلها فتمسي على حنين مستمر . تبني كل يوم عالماً جديداً تأوي اليه ولكنه ينهار سريعاً ويبقى الالم القاسي . . . وهذه ثلاثة مظاهر من هذا القلق النفساني يقدّمها شاعر . . .
« المشرق »

أَرصدتِ نافذة الافقِ ، خبا نور الليالي !
انتِ في هذا الدجى تمشين في إثر المحالِ ،
ظبيةً شاردةً بين غاريب الجبالِ
فارجعي ! ما أوحش السكنى بدنيا ! تعالي !

☙

انتِ يا نفسي حنينٌ ليس تفنيه الليالي
إثرَ مجهولٍ خفيٍّ دقَّ عن مرمى الخيالِ
فاستقري ، ان ما تبغيه صعب المنالِ . . .
هدَّم الشوق محيَّاك فامسى في هزالِ

☙

هل تجسّدتِ ؟ فكفّي لمست جسماً ترابي
أترى جسمك هذا ، ام ترى جسم السحابِ ؟
هل تُرى عيناكِ هاتان بجوٍّ من ضبابِ
تحت شعرٍ لونُهُ لون ظلامٍ وعذابِ ؟ . . .

☙

كيف أزمعتِ على هجر الثرى والارتحالِ ؟
هلْ دنياكِ الاماني ومواعيد الوصالِ . . .
كيف تمضين وفجر العمر يشدو في التلالِ ؟
هل سئمتِ الارض واشتقتِ الى غير جمالِ ؟

☙

منذُ انتِ استفاقتْ ، قبل ميلاد الزمانِ
من منام الحب ، في جسمٍ ترابيٍّ مُهانِ ،
لم يزل فيك بقايا بعدُ ، يا بنتَ الثواني ،
من عذارى الجنة الاولى وفردوس الحنانِ . . .

☙

اي حلم بين عينيك غريب ،
تمتمات الزوايا وارتعاشات الدروب !
انت كالصخر لماذا ! لا تردين سؤالي ؟
اطرقيني ساحدا عفرت وجهي في الرمال . . .

*

هل ترى أقضي حياتي كلها إلف الظلام ،
ساهرًا قربك في العتمة مفقود الكلام ،
خفقة منك لها ألف دويّ في عظامي !
نام كل الناس في الارض ، لماذا لم تنامي ؟ . . .

الحلم البعيد

هل يا تُرى أنا يجيء الغدُ ، ذاك الخيال المرتجى الأبعدُ ،
تفلتُ من كفّي المنى يا تُرى وتجفل الاحلام والموعدُ ؟
يا غم ، يا ثكلي آتربي ان ذوى حلمي غدًا ، وولولي يا يدُ !
ويا قراناتٍ كسالى آرحلي ؟ قد عاش ذاك العنق الأغيدُ
وجفّ شرٌّ فوق اطيابه كان ترابيك وكان السددُ . . .

*

لا ! حلمي اقضي معاني على شرفة احلامي ، هنا أسعدُ ،
– انهي مواعيد المنى موعدٌ منتظرٌ يدنو ويبتعدُ –
حتى اذا الليل انطوى واتحتْ غيمة امسي في الضحى ، ازقدُ . . .

*

خلف بحيرات الدراري لِمَنْ يا ليل ؟ – يا غيبوبة تحتدُ
هل من مفرٍّ بين اظلالها لا امس لي فيه ولا لي غد ! . . .

نجوى

اسمي !
من حشا الصمت واعماق السكون
تتعالى همسات . . .
أتراها شهقة من اضلع
تستفي في الليل غصّات المنون ؟
ام تراها كلمات

من هوى ، باح بمن العاشقون
حملتها النسمات
شهوة الليل فخانتها جنون ؟
ام صدى اشواقنا والادمع ؟
ام نعي ؟

*

اسهري !
قد تكون الآن عبر الافق
مقلة شدت الى
مقلتينا بحبال القمر !
انها مقلة انسان شقي
مثلنا ، يمشي على
عبرة مزمنة في الحدق !
خففي عنه البلا
والسامره بليل الأرق !
لتنم كل عيون البشر
فاسهري !

*

احملي
جسمي العالق في غل الوجود ،
في قيود من تراب ،
حيث يبكي ذلك الجفن الذي
من هموم الأرض ، من سجن الحدود !
لي اخ رهن العذاب
(واخي كل شقي ووحيد)
فاحمليني لا اريد ،
طالما في الأرض انسان مصاب ،
ان انام الليل مل المقل !
لست لي ! . . .

الاخبار العالمية

اخبار العالم الكاثوليكي

مؤتمر عالمي ثاني للعمل الكاثوليكي : يجتمع هذا المؤتمر في روما من ٧ الى ١٤ تشرين الثاني من السنة الحالية وقد اعدّ بيان اهمّ مواده نخبة من ممثلي البلاد الكاثوليكية اجتمعوا لهذه الغاية في المدينة الخالدة في ١٨ و١٩ كانون الاول ١٩٥٠

الكثلكة في الولايات المتحدة : جاء في كتاب موجز الحوادث الكاثوليكية في الولايات المتحدة لسنة ١٩٥١ ان عدد الكاثوليك اللاتين فيها وفي الاسكا وفي جزائر هاواي بلغ ثمانية وعشرين مليوناً وستمئة وستة وثلاثين الفاً وثمانمئة وثمانية وسبعين . فيكون اذن عددهم قد ازداد في السنة الاخيرة ثمانمئة وستين الفاً وسبعمئة وسبعة وثلاثين . احدى اسباب هذا النموّ ازدياد عدد المواليد ونقصان في الوفيات يضاف اليها مئة الف اهتداء الى الكنيسة الكاثوليكية . في الولايات المتحدة اربعة كرادلة واربعة وعشرون رئيس اساقفة ومئة وستة وخمسون اسقفاً

الحالة الدينية في بولونيا : ازاء قوة الكنيسة الكاثوليكية البولونية وشدة مقاومتها للشيوعية اخذت الحكومة تبدل اساليب عملها العدائي ضدّها طلباً للاشاقها . فانها لما تأكدت عدم مقدرتها على اقتلاع اصول الايمان الكاثوليكي الراسخة في اعماق قلوب البولونيين صارت تسمح للشيوعيين بالتردّد الى الكنائس بكل حرية . تريد بفعلها هذا ادخال الروح الشيوعية في الشعب الكاثوليكي . وان صمود السلطة الروحية الكاثوليكية قبال المناورات الشيوعية امر يزعج الحكومة البولونية ويشل أفكارها ويقف ازاءها في نضالها ضد الكثلكة حاجزاً لا يتعدّى

اضطهاد الكثلكة في الصين الشيوعية : كانت الحكومة الصينية الشيوعية بادئ بدء متحذّرة في مناهضتها للديانة الكاثوليكية لكنها منذ شهر كانون الاول ١٩٥٠ قد اشهرت عليها حرباً علنية تستعمل ضدها كل وسيلة يمكنها استعمالها خصوصاً الكذب والشدة : تشهّر بجرائدها عن المؤسسات الخيرية اشنع الافتراءات وتتهدد وتخوّف : تحجز على المدارس وتضع يدها على المستشفيات وتغلق المستوصفات وتضبط الكنائس وتطرد المرسلين او ترميهم في سجونها كما فعلت بالمطارنة الخمسة . وهي تسعى الآن بكل جهدها لانشاء كنيسة مستقلة منفصلة من روما

اليابان وروما : مرّ بروما السيد تاكيو كوروكاوا وزير الاقتصاد الياباني في سفره الى جنيف لتمثيل بلاده في اجتماع منظمة الصحة الدولية العام وقد حظي بمقابلة الحبر الاعظم فانتهز هذه الفرصة واعلن لقداسته شكرانه للاعمال الجليلة التي تقوم بها الرسالات

الكاثوليكية في اليابان قائلاً : حينا دعتني وظائفي الوزارية في بلاد اليابان عجبتُ لما وجدت فيها من مشاريع الاسعاف الاجتماعي الكاثوليكية من مستشفيات ومستوصفات ومآوي البرص ومياتم مزدهرة وهكذا فأ كدت انا بذاتي روح التفاني الذي يعمل في قلوب المرسلين الكاثوليك ومذ ذاك لم ازل اعلّل نفسي بالاستفادة من اول سفر اقوم به الى اوروبا لأحيء انا بذاتي اقدم عنها لقداستكم تشكراتي

وقد اثر هذا الكلام في نفس الاب الاقدس فقدم للوزير تذكارًا لزيارته الايقونة الفضية الكبرى التي ضُربت بمناسبة اعلان عقيدة انتقال العذراء الى السماء

عدم استقرار حالة الاديرة الرهبانية والخورنات والمدارس في اسرائيل : منذ شهر نيسان ١٩٤٩ كفّ اسرائيل عن السماح لاحد بالدخول الى فلسطين الا بصفة سائح اي لمدة محدّدة : لشهرين او لستة اشهر . فباي وسيلة اذن اذا دامت الحال على ما هي تستطيع البيوت الرهبانية والخورنات ان تجد من يخلف فيها الذين يتوفّون او يضطرون الى مغادرة البلاد لاي علة كانت فانه ليس في فلسطين دعوات رهبانية وكهنوتية كافية لذلك

اما المدارس فقد أغلق اكثرها لسبب هجرة العائلات الكاثوليكية يوم اجبرتها الحوادث على ترك فلسطين . والمدارس التي ظلت مفتوحة كالتي في حيفا مثلًا فاكثر تلاميذها اسرائيليون وهذا يعرّضها لمضادة عنيفة ولو خفيّة من قبل حكومة اسرائيل التي ليست راضية من رؤية العائلات اليهودية ترسل اولادها الى مدارس مسيحية

لكن ليس من ينكر على دولة اسرائيل عدم اضطهادها للكهنة والراهبات بل بعكس ذلك ان دوائرها الرسمية لا تزال تراعي حرمتهم وتعاملهم معاملة حسنة وهكذا يصحّ فيهم قول احدى الراهبات : انهم لا يضطهدون الاعمال والعائلات الكاثوليكية لكنهم يخنقونها شيئًا فشيئًا .

افسس محجّ للزوار والسيّاح : افسس مدينة قديمة جليلة الآثار تريد الحكومة التركية ان تحدث فيها طرق مواصلات عصرية تسهيلًا للزوار والسياح فتجعلها هكذا محجًا آخر للمسيحيين ولمحبي الآثار القديمة هدفًا جديدًا

من الآثار المسيحية في افسس نخص بالذكر الكنيسة التي اجتمع فيها آباء المجمع المسكوني الشهير سنة ٤٣١ كنيسة ماريوحنا الملكية ثم البيت الذي أوته العذراء بعد الصعود وفيه توفيت حسب رأي بعض المؤرخين وهو رأي ينكره غيرهم كثيرون ورأيهم ان العذراء بعد الصعود عاشت في اورشليم وفيها ماتت . وقد تأتي الحفريات التي يقوم بها اليوم بعض العلماء بنتائج تضع حدًا لهذا الجدال

روما واثينا : في ١٥ شباط من هذا العام بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لقدوم بولس الرسول الى بلاد اليونان وجّه رئيس اساقفة اثينا السيد سبيريديون كتابًا الى الحبر الاعظم فيه يدعوه الى ارسال بعثة تمثل الكنيسة الكاثوليكية في احتفالات هذه الذكرى فاجابه المونسنيور مونتيني باسم قداسته بعدم امكان قبول هذه الدعوة ومن اسباب هذا الرفض

ذكر عدم رضى قداسته عن سوء موقف الشعب اليوناني ازاء الكرسي الرسولي فان اليونان لا تزال قائم في اقامة ممثل دائم له فيها ولو للشؤون الدينية المحضة . وقد اساء السيد جان بولتيس وهو من موظفي الدولة في وزارة الخارجية ومعه بعض الجرائد في تأويل هذا الردّ فعاد الكرسي الرسولي واضاف اليه ايضاحات ما بيّن اغلاط المؤوّلين المنتقدين نذكر شيئاً منها بنصه : . . . ان اصرار الحكومة اليونانية على رفض ممثل روحي دائم لهو امر صعب فهمه الا على من لا يجهل بان موقفاً كهذا هو خصوصاً ناتج من تعصب بعض الدوائر المناكسة للكثلكة في اليونان .

اخبار دولية

لبنان : في ١٥ و٢٢ نيسان تمّ انتخاب المجلس الجديد وعدد اعضائه سبعة وسبعون بزيادة اثنين وعشرين نائباً على عدد نواب ٢٥ ايار المنتهية مدته . وقد عقد المجلس الجديد جلسته الاولى في ١٢ حزيران ثم قدمت وزارة الانتخابات الثلاثية استقالتها وشكّل السيد عبدالله اليافي الوزارة الجديدة

* اضحت مسألة حقوق المرأة اللبنانية بالانتخاب موضوع بحوث ومطاليات متشددة ملحّة ويبين انها لا بد ان تقرّ رغم اعتراضات الرجعيين وجلبة صخبهم . اما رأي الكنيسة المسيحية في هذه الحقوق فمعروف فانها ترى في تحرير المرأة المدني امراً يفرضه الانصاف فرضاً جلياً فالبابا بندكتوس الخامس عشر سنة ١٩١٩ اعلن قائلاً : اننا نودّ ان نرى المرأة في كل البلاد متمتعة بحقوق الانتخاب.

الخلاف السوري الاسرائيلي : لم تُحل بعد المشكلة السورية الاسرائيلية حلًا نهائياً فالاسرائيليون مصمّمون على تجفيف بحيرة الحولة وعلى مواصلة عملهم لذلك . ليس هذا الخلاف الا مظهراً من مظاهر الخلاف الجوهري الشديد القائم بين العرب واليهود منذ يوم اعلان بلفور المشهور سنة ١٩١٧ وليس من يجهل الاضطرابات الدموية العديدة التي عقبت هذا الاعلان وبالاخص يوم تجزئة فلسطين بين هؤلاء واولائك

* في الاجتماع الذي عقدته مؤخراً في دمشق لجنة الجامعة العربية السياسية تقدمت اليها بعثة فلسطينية بمذكرة فيها طلبُ تجنيد جميع الفلسطينيين القادرين على حمل السلاح والالحاح بتحقيق قرار الامم المتحدة باعادة اللاجئين الفلسطينيين الى بلادهم

المندوبون الاربعة : تتابعت اجتماعات المندوبين الاربعة في باريس عديدة لكن دون جدوى . اذا كانت بالحقيقة غاية الحكومة السوفياتية — كما يدّعي بعضهم ذلك — المماطلة وكسب الوقت فقد اتخذت للوصول اليها خير وسيلة فان هذه المناورات والمحادثات المملة هي ايضاً نوع من الحرب «الباردة» القائمة منذ سنين بينها وبين الحلفاء علاوة على

الحرب «الخامية» التي لا تزال تدور رحاها في كوريا ففي هذه الحرب وتلك اضعاف قوى الحلفاء المادية والمعنوية بانتظار السنة واليوم اللذين تختارهما لمفاجأتهم بالضربة القاضية

كوريا : بعد ان وصل الشيوعيون بهجومهم الاخير الى ضواحي ساوول عند منتصف شهر ايار وقفوا فجأة ثم اخذوا من جديد طريق الارتداد الى الشمال من حيث جاؤوا والحلفاء يتعقبون آثارهم مرة اخرى الى ان بلغوا الخط الثامن والثلاثين واجتازوه من جديد في الجهة الغربية .

* ما تكون نية الذين دفعوا بالصينيين الى الحرب الكورية الملكية فانهم يجرون من الانتصار كمن يخاف نهاية هذه الحرب ولا يريدها بل لا يريد منها الا مداومتها لانهاك قوى العدو وربما ايضاً لاضعاف قوى حليف يمكنه يوماً الصمود امامه ومناوئته . . .

* ان دول الغرب ومنظمة الامم المتحدة ترغب رغبة شديدة في وجود حلّ سلمي لمشكلة كوريا والتخلص من حربها وتعمل لذلك تساعدها الجرائد باعداد الرأي العام على قبوله ، اما جزيرة فورموزا التي تطالب الصين الشيوعية بها فلا ترضى الولايات المتحدة الا ببقائها مستقلة منها ولن تسمح ابداً بان تتم جبراً في حوزة منتصب ايًا كان

* الحّت الولايات المتحدة على منظمة الامم المتحدة بان تقرر حظر امداد الصين الشيوعية بالمولدّ الصالحة للحرب وقد اتهم ماك ارثور انكلترا في خطابه بانها قد قدمت لها عُدداً حربية اما مباشرةً او بالسماح بذلك لتبرها من الدول على طريق هونغ كونغ . وبنوع اجلى وجّه اليها التهمة عينها النائب الاميركي ارمسترونغ الجمهوري امام المجلس قائلاً بان انكلترا في هذه السنين الثلاث الاخيرة قد ادخلت بواسطة بريطانيين الى الصين الشيوعية كل المواد الصالحة لانشاء مصنع قنابل ذرية . . .

ايران وبريطانيا العظمى : من يوم قرر المجلس الايراني تأميم شركة الزيوت الانكليزية الايرانية قامت بين حكومته وحكومة لوندرة مشادة عنيفة وخلاف شديداقلقا العالم ولا يزالان يقلقانه . فانه رغم توسط الولايات المتحدة ونصائحها للحكومتين ورغم ما ابدته الحكومة البريطانية من الاناة والتساهل لم يمكن بعد الوصول الى اتفاق مرضي والوصول الى هذا الاتفاق يظهر من يوم الى يوم ابعد واصعب خصوصاً والشعب الايراني مجمع ومصمم على مناصرة حكومته بعزم وشدة بعملانها هي نفسها نوعاً ما مضطرة الى اتمام مطاليبه غير قادرة على ايجاد قوة تمنعه خصوصاً ووراء الحريق منتصب من يهمه ان يزيد في اضطرام نيرانه بمدها بالوقود صامتاً مستتراً

مصر وبريطانيا العظمى : كانت الحكومة الانكليزية رغبةً منها في ارضاء مصر قد عرضت عليها ابدال معاهدة ١٩٣٦ بأخرى جديدة تكون لصالحتها معاً فأبت مصر الدخول معها في محادثات في هذا الشأن الا بالشروط الآتية اولاً : ان يترك الانكليز قناة السويس في خلال السنة . ثانياً : ان يسحبوا جيوشهم من مصر وهذا الشرط جوهري لا تهاون يمكن دونه . ثالثاً : الحاق السودان بمصر .

* اما الاسباب التي تجعل الحكومة المصرية مصرّة على المطالبة بجلاء الجيش البريطاني عن مصر والقناة فهي اولاً : تمسكها بفكرة الحياد في حالة وقوع حرب دون وجود جيش اجنبي في اراضيها يعرّض حيادها للخطر . ثانياً : انها ترى في وجود جيش غير المصري في بلادها اخلالاً بسلطتها السامية وهذا امر لا يرضاه معظم المصريين . فاذا فهمنا ذلك فهمنا سبب الانتقاد العنيف الذي انتقدت به حكومة لوندرة مؤخراً في المجلس المصري فان بعض اعضائه ومنهم السيد محمد صلاح الدين وزير الخارجية تكلّموا بها واتهموها بانها هي التي ارادت دولة اسرائيل وانشأتها ولا تزال ترسل اليها السلاح بينما تراها ترفضه على مصر ليمكنها ان تُعلن بان الجيش المصري ضعيف غير قادر على حماية مصر وقناتها ومن ذلك تستنتج ضرورة بقاء القوات الانكليزية في مصر

<u>كشمير</u> : لم تجد بعد مشكلة كشمير حلّاً نهائياً فان الهند لا ترضى بالاستفتاء الذي قرّرته منظمة الامم المتحدة فهي لا تجهل بان اكثرية سكان كشمير هي من المسلمين فيكون الاستفتاء ضدها . والاخبار الاخيرة تتكلم عن انتخابات مجلس تأسيسي تكون في شهر ايلول المقبل

مطبوعات شرقية

الشدياق واليازجي

مناقشة علمية ادبية

جمعها ونسّقها الاب انطونيوس شبلي اللبناني

٢٥٢ ص. متوسطة – مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونية ، ١٩٥٠ – الثمن : ٣٥٠ غ . ل .

هي المناظرة اللغوية المشهورة بين الشيخين احمد فارس الشدياق وابراهيم اليازجي المنشورة اصلاً في جريدة « الجوائب » ومجلة « الجنان » سنة ١٨٧١ ، جمعها الاب المؤلف في هذا الكتاب تسهيلاً لفائدة طلّابها من المشتغلين بالشؤون اللغوية والراغبين في الاطّلاع على تطوّر تاريخ الادب العربي في القرن التاسع عشر . وقد قدّم عليها الجانأ في حياة كلّ من المتناظرَين وفي آثارهما ، آخذاً ترجمة الشدياق عن يولس مسعد ، وترجمة اليازجي عن كرّاس نشرته جريدة « لسان الحال » . واردف المناظرة بنقود واهاجيّ للشدياق في المعلّم بطرس البستاني الذي نشر في « الجنان » ردود اليازجي على الشدياق . ثم بردّ مسهب على اليازجي نشره الشدياق في كرّاس على حدة . وختم المؤلف الكتاب بمنتخبات من آثار الشدياق ولا سيّما رسائله ، وبمنتخبات من آثار اليازجي كذلك . فجاء المجلّد ، على ما فيه من فرائد وشوارد لغوية ، واساليب منطقيّة قد يشوبها شيء من التحامل العاطفي ، مجموعة مفيدة ، ومحطة من محطات تاريخ الادب ، وصورة جليّة لما كان يشغل بال بعض ادبائنا في القرن الماضي .

ف . ا . ب .

اغاريد ، اصداء ، الابراج

تأليف أحمد قنديل

مطابع نصار ، بيروت – ١٩٥١

هي ثلاثة دواوين شعرية للأستاذ احمد قنديل تتناسب تقريباً في الحجم وتتساوى من حيث جمال الورق والطبع. في « اغاريد » يرينا الشاعر كيف كان « شباباً واملاً » تعصف في قلبه مطامع الحب وآماله فيطوّفنا في دنيا « النجوى والوصال فالحرمان فالذكرى » وكلها حالات وعواطف بشرية هدرت في اعراق كل الناس . وفي « اصداء » يدخل معمعة الحياة ، مسرح « الجهاد والعمل » ، مع مـا فيها من « نشيد نصر وخيبة وغربة » فاذا نفسه تحمل بؤس الناس وافراحهم ، يأسهم وامالهم ، فكأنها الصدى المرنّ لدى كل خفقة . وفي « الابراج » يخبرنا بانه قد اصبح « حياةً وملّلا » ، فتسير « الذكرى » متهادية امام « رقصة الموت » . فكأن الشاعر وقد خمدت فيه نزوات الشباب الطموح يدلنا على الطريق الذي قرّرته له الايام : « هذا سبيلي » عنوان احدى قصائده.

واذا كان من حكم نصدره ، بكل اقتناع ، على هذه الدواوين الثلاثة ، فهو القول بان عناوين القصائد هي اجمل من القصائد ذاتها ، فان هذه ضعيفة الخيال والاحساس اجمالا . فكثيرا ما يتعب النَفَس عند الشاعر فيهبط بقارئه بعد نشوة الصعود الى وادي النثر السحيق فيخيب امل القارئ المفجوع . شعر الاستاذ قنديل إطلالٌ على جنة الشعر ووقوفٌ على الباب المرصود لا تسمح له الالهة الملهمة بالدخول ليغرف من جمالها ويخبر الناس عمّا رأى واحسّ وعاد به.

ميشال حايك

بين لبنان وفرنسا

تأليف اتناس حاج قب

المطبعة البولسية ، حريصا — ١٩٢٨ — ٢٢١ ص

هي مشاهد وعبر رسمها الكاتب أثناء رحلة قام بها مع رفاق له تركوا لبنان على دمعة نحو القطر المصري ثم الى ايطاليا حيث شاهدوا رومية وآثارها، كنائسها ودياميسها . واذا بهم يترجهون بعد ذلك الى فرنسة حيث يقفون طويلاً امام متاحف وقصور مدينة الجمال والنور ويتأملون عن كثب بكل النواحي الاجتماعية والادبية هناك وبادوار المؤسسات الاكليريكية في النهضة الروحية الحديثة في فرنسة . ويسيرون نحو لورد الشهيرة بعجائبها ثم نحو الشمال الى بريطانيا ثم الى أرس مسقط رأس الكاهن القدّيس . ويعودون ادراجهم مارّين بمرسيلية وايطالية ، وها هم بعد عاصفة في البحر يرجعون الى القرية الصغيرة الهانئة في لبنان .

لا تبرح ذكرى لبنان تطلّ على خيال الكاتب امام المشاهد المتنوعة التي رآها . فكأنه ما قام برحلته الا ليطلع ابناء بلاده على جمالات الغرب وعلى التأثيرات التي انطبعت في نفسه خلال الرحلة .

كتاب كنا بحاجة اليه بين ضجيج الكتب المتساوقة التي لا يحيد اكثرها عن موضوع غراميات كاذبة سهلة وقصص لا يمتّ الا القليل منها بشيء الى ما هي عليه الحياة الحقيقية .

مكتبتنا العربية تعوزها اخبار رحلات منزّهة عن غايات سياسية وعقائدية . فما اجمل هذا المثال بين يدينا !

الكتاب متقن الطبع جميل الورق صغير الحجم . اسلوبه ناعم رائق يدل على نفسية هادئة عند الكاتب . وان فيه من المرونة والطلاوة ما يجعلنا ننتظر امثاله من ادبائنا .

ميشال حايك

F. M. Pareja, *Con la collaborazione del Dott.* A. Bausani *e del Dott.* L. Hertling. *Islamologia*. Orbis Catholicus, Rappresentanza Herder. Romae, Piazza Montecitorio, 117, 1951, in 8°. 842 pp., 48 cartes, dessins et tableaux synoptiques.

لا يسوغ لنا القول إنّا في افتقار الى مؤلفات تعنى بدراسة الاسلام لانها عديدة في كل الارجاء ، ولكن ليس بيننا مؤلف قيّم كالمؤلف التي نتصدى للكلام عليه سواء أكان ذلك من حيث سعة مادته ام من حيث دقته العلمية وانسجام مجموعه او من حيث رصانة احكامه ووضوحه وبعده عن الحشو وحرص المؤلف التعليمي فيه فلم نرَ اي كتاب كان يضارعه في مجموعه .

وواضع هذا الكتاب هو الاب فيلكس م. باريجا (P. Félix M. Pareja) اليسوعي الاسباني استاذ التاريخ الاسلامي في الجامعة الغريغورية في روما . وقد وضع الفصل الجغرافي للبلدان الاسلامية فيه الاب ل. هرتلنغ (R P.L. Hertling) استاذ التاريخ الكنسي في الجامعة نفسها . اما القسم الثالث منه الذي عني ببحث الاداب الاسلامية فبقلم الدكتور السندرو بوزاني (D^r Alessandro Bausani) مقرئ الفارسية في جامعة روما وهو الذي عهدت اليه ترجمة هذا الكتاب عن اصله في الاسبانية الى اللغة الايطالية .

ولا ريب في ان كتاب الاب باريجا هو المرجع الذي لا يستغنى عنه لتفهم روح الاسلام تفهماً راسخاً — والكتاب يشتمل على ٨٥٠ صفحة — وادراك الوجهة العلمية الغربية فيها على هذا الصعيد .

ولا ينقص هذا المؤلف شيء مما يتعلق بالجغرافية والتاريخ والانظمة والثقافة ولا سيما في الحقل الاسلامي حيث لا نقوى على الفصل بين الدين والثقافة .

وقد اردف المؤلف قائلاً وقد اصاب كل الاصابة : ان غاية الدراسة الاسلامية ليست في الحكم على قيمة الاقوال المسلم بها دينياً وانما في بسطها فقط .

ويتناول القسم الاول من الكتاب المتعلق بالتاريخ البلاد العربية قبل الاسلام

واخريات الحوادث التي تتصل به وذلك بعد ان يصف المؤلف وصفاً دقيقاً موضوعياً الاقطار الاسلامية : فقد تصدّى الى حرب اسرائيل وقضية سورية الكبرى والهند والباكستان .

ونقع في هذا المؤلف على تاريخ الشرق الادنى المشبع بحثاً كتاريخ مصر بتقلب حوادثه ، وذلك على قدر ما يسمح به المقام في كتاب تتداوله الايدي. اما تاريخ سورية ولبنان من عهد الانتداب فستوفي التفاصيل الضرورية .

. ومما يجدر بنا ان نلفت النظر اليه هو تاريخ الهند الذي خصّه المؤلف بفصل وبحثه بحثاً لم يتعدّ الى مثله مؤرخ قبله حتى بروكلمان نفسه في كتابه القيّم.

ولئن اثنينا على حضرة الاب باريخا فلأنه كان السبّاق الى وضع هذه المأثرة القيمة وان وددنا لو كان المع في فصوله المتماسكة التنسيق الماعاً اكثر تفصيلا الى ما كانت ترمي اليه الفتن في خلافة عثمان والى مقتل هذا الخليفة وان لم يهمل ذكرهما .

ولقد بحث المؤلف الاسس الدينية ، « الانظمة » ، كالقرآن والسنة والعلم الديني (اللاهوت) الاسلامي واللاهيولية بحثاً تدعمه الحجج المستمدة من العلوم الحديثة وكان واضحاً موزوناً مفعماً حيوية .

وضرب الاب باريخا مثلًا على كلفه بالامور الموضوعية « المحسوسة » ببحثه الحج بحث العالم القابض على ناحية فنه (ص. ٤١٢ — ٤١٧) ، فلم ينقص شيئاً سواء اكان من حيث نشأة الحج او معناه ام من حيث تصوير شعائره وملابسات ظروفها الحسية وكيفية ممارسة تلك الشعائر وابرز ذلك في لوحة جلية لا يحاكي جلاءها وضوح حتى يخيل اليك انك تتابع يوماً فيوماً ومكاناً فمكاناً كيفية ممارستها . اما بحثه العقائدي فسمته التنقيب الدقيق المرتبط بالظروف التاريخية من دون تعقيد .

ولقد بسط علم الكلام كما اجمع عليه في مرحلته الحاسمة وفق ما جاء في كتاب الغزالي « الاقتصاد » وادرك اهمية المعتزلة التي لم يفهموها فهماً

صحيحاً في الماضي على اننا كنا نودّ ان نراه اكثر تفصيلاً لها وايضاحاً لما هو ولا سيما في منشئها التاريخي واخلاصها « للامّة »

والفصل الذي خصّه بالتصوف هو فصل يمتع حقاً باقتضابه وبموضوعيته بعيد عن سيطرة عواطف المؤلفين وعن التحيّز الى الاصطباغ بصبغة ذرائع الدفاع المسيحية .

وفي هذا الفصل نرى اصول التصوف والنواة القرانية والمؤثرات الغريبة وقد تناولها المؤلف باعتدال ورصانة كما نرى التعاليم والمذاهب التي ابرز صورها وعلاقاتها بالاسلام الرسمي والدور الذي مثله الغزالي .

وافرد المؤلف فصلاً للطريقة والاولياء والشعائر المذهبية والاعياد ومناهج الاتصال بالله الخ . اما الفصل الذي تكلّم فيه على « محمد في الاسلام » فذو معنى عميق ، وقد نقل فيه نصاً طويلاً عن كتاب المولد الرائع لسليمان الشلبي بشأن المعجزات وقصيدة وجيزة تتعلق بالموضوع نفسه لاحد مؤلفي المغرب (ص. ص. ٥٤٣—٥٤٥) وختم هذا الجزء بفصل في الفِرَق وتعاليمها وانظمتها واتبعه بجدول ثبت لها .

والجزء الثالث من الكتاب وضعه الاستاذ بوزاني وخصّه بدراسة الاداب الاسلامية وافرد فيه ثلاثة فصول متتابعة خصها بالادب العربي والفارسي والتركي .

وفي هذا الجزء فصل يطلعنا على الادب الاوردي والاداب « الفرعية » الباشتو « Paštō » والبالوشي « Balūči » والكردية والبربرية والهوزا « Hausa » والسواحيلي « Swahili » .

وما خلا المصادر القيّمة التي اعتمدها المؤلف ثمت مختارات عديدة لمؤلفين كثيرين في ثناياه وتزيد في رونقه . حيث نقع على شرح مفصل مستحب « لزجل » ابن قزمان ، هذا الادب العربي الشعبي المشوب بلهجة اسبانية وقد اورد المؤلف مثلاً شيئاً منه في كتابه هذا . ولا شك في ان الجزء العربي له رائع وقد لمع فيه بوزاني ولكنه كان المع في الفرع الفارسي .

وهنا نتوق ان نرى بين عدة عبارات التي تمرها بالكتب مقالة المرحوم جويدي الرائعة في دائرة المعارف الايطالية .

ويشتمل الجزء الرابع الذي يلي على العلوم والفنون التي درس المؤلف اولاً بيئتها التاريخية التي نشأت فيها العلوم العربية ليقف عند المناهج الفلسفية ويبحث تياراتها المختلفة والشخصيات البارزة في المحيط الاسلامي فيها ليعقبها بالعلوم الطبيعية والطب والفيزيائية الرياضية .

وانتقل في نهاية الامر الى بحث الفنون فبدأ فصله هذا باعتبارات كانت في طاياها نشأن نشأة بعض مزايا الفن الاسلامي ذي الطابع الخاص «ورسخ كفن عظيم» على الرغم من الضروب العديدة التي استمدها من غيره. ومن ثم تصدى المؤلف الى ايراد لمحة عن نماذج اثار البناء وصناعة التزيين مفضلاً في قسمه الوصفي اتباع النهج الجغرافي لا التاريخ مستقرئاً الاقطار الاسلامية الكبرى من دون ان يهمل تطور اي قطر كان منها تطوراً تاريخياً .

وعقب وصفه للابنية التاريخية في البلدان المختلفة افرد بعض الصفحات لضروب الفنون الفرعية وهي وان كانت قليلة فانها جوهرية .

وهذا الكتاب غزير المادة مفعم بالفائدة لدرجة لم يكن بوسع المؤلف الا ان يبقى وفياً لمبدإ كلفه بالامور المحسوسة . ولذلك قد ذيل الفصل المخصص للفنون بتصاميم مساجد سبعة واضحة كل الوضوح .

ولن نقوى على ان نذكر جميع محاسن كتاب الاب باريخا ، هذا الكتاب الذي استوجب حتماً اعادة النظر فيه لانه من المستحيل ان يكون الامر على غير ذلك ولا سيما عند شعورنا بان المؤلف لم يسند كلامه الى السماع قط وهذا ما جعله يعاني المشقات في درس خير المؤلفات الغربية التي تبحث الدراسات الاسلامية لتأتي اقواله فيه اقوال العليم بالامر. فعند كل نقطة تحتاج الى الشرح لا يتورع عن الوقوف امامها ليفيها حقها: اذ رأيناه ملماً حقاً بكل شاردة وواردة في الموضوعات التي كانت مثار المناقشات في اي فرع كان من فروع الدروس الاسلامية لكي لا يهمل معالجتها متى عنّت له السانحة من دون ان يؤخذ مأخذ عليه فيها ليظل ضمن النطاق الذي فرضه عليه كتابه فرضاً .

وباستطاعتنا ان نعدّ كتابه بمثابة دائرة معارف حقيقية لا نضوب فيه لسهولة العودة اليه بفضل فهارس فصوله وتبويب ثبت اسماء اعلامه التي تربو اكيدًا على اكثر من ستة الاف اسم .

ومما لا ريب فيه ان اصدار مؤلف واسع كل هذا الاتساع تدعمه الوثائق القوية والحكم الناضج والاتزان الشديد يستغرق وقتاً طويلاً .

واننا لنحرص على التذكير — ونحن نكتب في الشرق — بان المؤلف قد دلل على وسع عقل كبير : اذ اعترف بالمؤثرات الخارجية في الاسلام كتأثير المسيحية مثلاً ولكنه لم يقل كلمة واحدة لا يرتاح اليها مسلم سواء اكان سنيًا ام شيعيًا بل على العكس من ذلك فانه رغب دائمًا في ذكر الناحية الايجابية في الاسلام لعلمه ان المسلمين هم «مسلمون» لا «محمديون» كما يسمونهم غالباً في الغرب ، وان دينهم «الاسلام» لا «المحمدية» كما اكد ذلك صراحة من الصفحة الاولى في كتابه .

والاب باريخا الذي يعرف الردود التي استطاعوا ان يأتوها حول صدق النبي قد بحث عن ايجاد نصوص خاّها . اما فيما يتعلق بقضية تعداد الزواج وهي حجرة العثرة في الغرب فقد صرح بجياً يتهكم لاذع « اما بشأن الميل الظاهر الى النساء فليس هو الوحيد بين كبار شخصيات التاريخ» واردف بعدئذٍ هذه العبارة التي قد تبدو جريئة : « يجب ان لا ننسى ان محمدًا كان واسطة السمو الروحي لشعبه فتعليمه حمل الى الكثيرين معرفة التوحيد والعقاب الاخير ولولاه لما كانوا يعرفونها. ولذلك نعتبر ان كتاب «الدراسات الاسلامية» الذي وضعه الاب باريخا ومعاونوه العلماء جدير بان يتخذ كقاعدة للدراسات الاسلامية لا في الجامعات الاوربية فحسب بل ينبغي له ان يلاقي اقبال البلدان الاسلامية عليه : فالاختصاصيون المنقطعون الى هذه الدراسة يسعهم ان يروا في كتاب واحد محصل مجموعة نتائج العلم الغربي ، والمسلمون المتعلمون وهم ليسوا من ذوي الاختصاص سيجدون في هذا المؤلف الذي لا تحيّز فيه وجهة نظر المستشرقين . وانه لمن الخدمات الجلّى للشرق والغرب ترجمة هذا الكتاب

الى العربية . اما اخراجه فجميل ولاسيما عندما بدا اهتمام المؤلف وحرصه على ان يكون تعليمياً .

وفيما خلا الفصل التمهيدي الذي حدّد فيه مفهوم الدراسات الاسلامية واوضح مبادئ دراسة المناهج الخاصة لمختلف العلوم والتعليمات العامة بشأن دراسة الاسلام والمؤسسات العلمية وادوات العمل قد اتبع الكتاب بذيل لتعريف الكتب المختارة وضم اليه مجموعة خرائط جغرافية تناهز الاربعين عداً مع رسوم عديدة وضع معظمها بنفسه وثبت مختصر لفصوله . اما الغلاف فتزينه صورة محمد الثاني بريشة بليني « Bellini » .

أ. لاتور اليسوعي

المشرق

السنة الخامسة والاربعون — ت ١ – ك ١ ١٩٥١

تمهيد

الى من نروح نشكو استعباد الانسان العصري وفقدانه روحيته ؟ الى من نروح نشكو هذا التقهقر النفساني امام عالم هو عدوّ الحرية الانسانية الحقة ؟ الى من نروح نشكو هذا القلق العقلي امام عقم الانسان وإهماله لكل ما يتعلق بمصيره وسيره في الوجود ؟ اترى باستطاعته بعد ان يقرر ذلك المصير وان يعطيه وجهاً انسانياً ؟ اترى باستطاعته بعد، دون كذب وتدجيل، ان يتعرّف الى ذاته في عالم جرّده من كل جمال حين حسبه اداة ميكانيكية بسيطة ؟ ايستطيع بعد ان يسترجع تلك النظرة المتنبهة، النافذة الى اسرار الكون لتجد سرّ خالق الكون، وسرّ ذاتها الانسانية ؟

الى من يشتكي مشكو الانسان ويبيّن له عقم الخطة التي ينتهجها ، اذ انها لا تؤدي الا الى الخراب . لقد اصبح يعيش خارج ذاته ، سطحياً في افكاره ، لا يستطيع الاختلاء فترةً بقلبه ليقرأ هناك متطلبات الضمير الصارمة ومتطلبات الطبيعة المتشوقة دائماً الى اكثر ، الى الفوق الذي لا يبرح يناديها ويريد منها اجابة . يظهر ان داخل الانسان يريمه فاذا به ، في اللهو العابر ، يحاول ان يتناسى جوعه وعطشه اللذين لا سبيل الى اخفائهما . كيف نلتجئ الى الانسان ضد الانسان ؟

عندما يزعم الانسان العصري انه يبني امة لا روحَ ولا شريعة لها الا شريعة الغاب حيث يصبح الانسان ذئباً لاخيه ، عندما يريد ان يحوّل الكون الى جنة ساحرة لكيلا يفتكر بتلك الجنة الاخرى التي لا يبرح يحنّ اليها رغماً منه ، يبرهن بذلك عن افلاسه وعن عقم فكرة جوفاء لا حياة فيها ، يبرهن بذلك عن رغبته الفاشلة في خنق تلك القوى الجبارة المتدافعة من اعماق ذاته صوب الينبوع الذي يروي وحده الظمأ . وفي هذه الحالة تراه بوجه انساني متنوّر ، ولكنه من الداخل فريسة بين مخالب اليأس والعوز ، ليس له ، لانه لا يريد ، قوة ضمير مستقيم .

الى من نروح نشكو الانسان ، بعد ان حاول فاخفق ان يخنق صوت ضميره ؟ نروح الى الضمير ذاته الذي ما برح يرنّ ويتكلم لانه صوت الله ورجع همساته .

* * *

ان الازمة الدينية التي يتخبط فيها جيلنا تترك الانسان حيران متسائلاً . ماذا تكون نتيجتها عليه ؟ وهل بوسعه ان يكتسب منها عمقاً وخبرة ؟ هنا المعضلة كلها . هذا الاله الذي لا يعلم الانسان اين يضعه ، هذا الاله الذي اصبح يريد ان يتخلص منه ، هذا الاله الذي كم اخبروه منذ العصور القديمة عن قدرته وابوّته ، دون ان يختبر شخصياً تلك القدرة ولا تلك الابوّة ، تُرى هذا الاله

بوسعه بعد ان يصمد بوجه التقدم حيث العقل يدّعي القدرة على الخلق نظير الله ، فتسكره الاكتشافات المتتابعة التي يقوم بها فينبذ القوة التي تعلوه ويزعم ان لا حاجة له بها من بعد ؟ وهل العالم هو بحاجة بعد الى الله بعد ان اصبح الانسان سيد العالم ؟ كان هذا الاله يروق للاجيال القديمة ، لتلك القرون الوسطى المتخوفة ، الجاهلة ، المتعبدة ، المتطلبة القوى الفائقة الطبيعة. اما العالم الحالي فانه يتحرر من الله لان الله ، على زعمه ، كثير الاغراض والحاجات . فعلى العالم لا ان يمحو اسم الله بل ان يهمله في زاوية حيث يهتم بذاته وبقدرته الفائقة ، ويمكنه ان يعجب بهما الى الابد.

٭

ان عصرنا بمعتقداته التي هي ، ويا للاسف ، اختبار وجيع لليأس ، ليس الا نتيجة العصور التي سبقته ، خصوصاً منذ « ديكارت » مرّاً « بكنت » و« هيجل » و« مركس » الذي اوجد « الانسان الاجتماعي » موضوع الجبرية الاقتصادية.

لقد توصل الانسان ، بمراحل متتابعة ، الى ان ينكر انه ابن الله ، دون ان يحسب حساباً لنتائج هذا النكران المريع . لقد اصبح عدوّاً لاخيه لانه رفض ان يكون ابناً لله ، وذلك بارادته لا بارادة الله الحليمة التي ما ابدعته الّا عن حب وتظل كذلك . وهكذا ابتدأ الاستعباد . فالطبيعة التي تجمّلت وتغيّرت على يد الانسان الذي حلّ فيها محل الله اصبحت فريسة مطامعه ، واحياناً واسطة لانتقاماته وفتوحاته . اراد الانسان ان ينكر الله فخسر الارض.هنا قلقه والمه ، ومع هذا فهو لا يعلم كم هي عميقة جراحه الداخلية ، ولا يدرك سبباً لهذا التفسخ المريع الذي فرّق بين البشر وربهم ، وقتل التعاون بين الناس : فاذا بالانسانية بعد هذا مختومة بطابع الموت.

٭

من الضرورة ان يكون القليلون الذين حفظوا شيئاً من معنى العدالة امامي هذا العصر المظلم الذي نعيش فيه . ومن الضرورة ان توقظ العدالة الانسانية الانسان من نومه الثقيل المجرم قبل حلول يوم العدل الاخير المحتوم . يجب على كل الذين حفظوا بعد شيئاً من حرية العقل ، الذي هو ملجأ البشرية ، وآمنوا بقيمته الفلّابة ، يجب عليهم ان يحاولوا إيقاظ العقل في عالم ميت وضمائر مظلمة ، وانها لمهمة عاجلة في كونٍ يصير الى الانهيار .

هذا لا يعني انه يجب على العالم ان يرجع الى عهد طفولة شاملة . فليدع الماضي وشأنه . انه لن يستطيع احياءه ولو اراد ذلك . انما عليه أن يُحيي كلّ شيء يمسّ بهذا الروح الذي هو الشرط الوحيد لاستقامته وخلاصه .

الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تاريخ الدول السرياني

- تأليف ابي الفرج الملطيّ - (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

وفي السنة ٤٤٨ للعرب (١٠٥٦ م) اشتدّ المرض والجوع في بغداد حتى بيعت الرمّانه بدينار. وفرغت المدينة من الادوية وازداد (٢٣٤) الذباب وفسد المناخ وهلك اكثر من ثلث الاهالي. وحدث مثل ذلك في سورية وفي مصر ولاسيما في فارس حتى شُيّع كلّ يوم في بخارى ثمانية عشر الف نعش. وأُحصي عدد موتاها مدة ثلاثة اشهر فكان الف الف وستمائة وخمسين الفاً. ومات في سمرقند مدّة شهرين مائتان وستة وثلاثون الفاً. وعلى ما يظهر لم يحدث طاعون كهذا منذ بدء الخليقة.

وفي السنة ٤٤٩ للعرب (١٠٥٧ م) التحم القتال بين المدّيين والغزّ بجوار الموصل فانكسر الغزّ وباد منهم الف ومائتا رجل وانهزم قتلمش قائدهم مع فريق منهم الى جبل سنجار. فسدّ السنجاريون الابواب واستهزأوا بهم. فسمع السلطان وانتوى ان يكرّ بذاته على الموصل. لكنّ الخليفة ثبّطه وارسل يقول له ان يتربّث ريثما يصل جيوشه من فارس. فسخط السلطان جدًّا وقال: الآن عرفت ان نيّة الخليفة غير صافية فقد اشار اول بدء ان اقتصر على ارسال الجيوش فارتضيت وهلك اغلبهم. والآن يشير عليّ بمثل ذلك.

ظلّ السلطان ثلاثة عشر شهرًا في بغداد وغادرها دون ان يواجه الخليفة. وأمر ان تُنقل خيامه الى ظاهر المدينة. وتألّب جنوده واخربوا دور الجانب الشرقيّ من العاصمة واتخذوا جسورها ليعملوا منها متاريس. وسار السلطان الى تكريت وحاصرها وسأل الاهالي مساعدةً فقالوا: نحن معدّيون ولا يتيسر لنا ان نساعدك ما لم يأمرنا البساسيري زعيمنا. فثار السلطان سخطاً ووضع

فيهم السيف وسبى كثيراً من النساء والفتيان . وبعد هذا خضع التكريتيون وصالحهم وانطلق الى بيت وازيق وساعده اهلها . ثم توجه الى الموصل وكان البساسيري (٢٣٥) والاغنياء قد هجروها . فاقام السلطان اياماً في البلاط وقصد مدينة بَلَد فالتمس منه هزاراسب القائد ان لا يغزوها . فقال السلطان: انت ترى ان خزائننا فارغة وان الذين معنا جياع متضايقون فلا بدّ لنا من الغزو . فعليك اذن ان ترحّل الى الموصل كبارها وصغارها مع كلّ ما يمكنهم ان يحملوه معهم من بيوتهم . ولما تمّ ذلك دخل الغزّ ونهبوا المدينة . وأُحصي عدد الراحلين فكان عشرة آلاف سوى النساء والصبيان وبعث هزاراسب معهم من يحرسهم في الطريق .

امّا زعماء المدنيين سوى البساسيريّ الذي انهزم الى سورية ولاذ بالمصريين فلما عجزوا عن مقاومة الغزّ ارسلوا يطلبون الصلح . فرحّب بهم السلطان والبسهم ثياباً حسنةً واعتزم الذهاب الى بلد ابن مروان بارمينية . فسأله المدنيون ان يغفر له كما غفر لهم . فقال : انكم انتم اقررتم بذنبكم فغفرنا لكم فاذا اقرّ هو كذلك غفرنا له . وانتهى السلطان الى جزيرة قردو فاطاعه اهلها وادّوا له ذهباً كثيراً فلم يغزهم .

وسار عشرون فارساً من الغزّ الى دير النساطرة المعروف بدير كتول وفيه اربعمائة راهب فذبحوا منهم مائة وعشرين راهباً وافتدى البقية نفوسهم بستة اكيال ذهباً وفضةً .

امّا ابن مروان فوجّه الرسل الى السلطان خاضعاً خانعاً وراضاه بمائة الف دينار فانقلب السلطان الى سنجار وحاصرها ودوّخها وقتل اربعة آلاف من رجالها حتى سالت دماؤهم كالسواقي واحرق مسجدها الكبير واجتاح دورها كلّها . فانتشرت روائح الجثث وافسدت المناخ وارتحل السلطان الى تل عفر فتوسل اليه (٢٣٦) الزعماء ان يعدل عن مذبحة سنجار فارتضى شرط ان لا يبقى فيها نافخ نار . عند ذلك خرج جميع من اختفى وتشتتوا في مختلف البلاد واقفرت المدينة من السكان . وكان حفظة السلطان يمنعون التعدي على الهاربين . جرى ذلك كلّه بسبب ما قذفه السنجاريون بالغزّ من الشتائم لمّا هربوا من وجه المدنيين .

وارتحل السلطان من هناك الى الموصل واستعمل عليها سيف الدولة ابرهيم اخاه من امه . وكان هذا رجلًا عادلًا جاءه يوماً عشار موصليّ وسأله ان يقرّر له كلّ يوم مائة دينار ذهباً يقبضها ممّن يبيعون ويشترون في السوق . فجمع الزعماء وقال لهم : هل انتم راضون بهذا العشّار ؟ قالوا نعم اننا راضون به اذا كففتَ عنا يد ضبّاط العجم وجباة الترّ . فأشفق عليهم وقال : لقد كففناهم عنكم ولن نطالبكم باكثر من ضريبة الغلال والثمار في وقتها . وامر المنادين فنادوا باعفاء الشارين والبائعين . فهتف الجميع بحياة سيف الدولة واثنوا على طول اناته .

وانحدر السلطان من الموصل الى بغداد ولمّا شارفها وجّه الخليفة وزيره الكبير الى لقائه وقدّم له كأساً خسروانيّة ذهبيّة مطعّمة بحجار ثمينة من ياقوت وزمرّد وفيروز وقال له : لقد سرّ امير المؤمنين جدّاً بانتصارك وابتهج بقربك وهلمّ جرّا . فشكر السلطان للخليفة وقال : انا خادمٌ لهذه الدار شاكرٌ لما غمرتني من الالطاف السنيّة ولم يبقَ لي الّا التشرّف بمقابلة الخليفة والتمتّع برؤيته النبويّة ولا يسعني حرمانها بعد هذا . فقال الوزير : لا مانع من ذلك وقد اصبحنا بيتاً واحداً وامتزجنا معاً بالمصاهرة . ثم ودّعه الوزير وعاد فاخبر الخليفة بما جرى . وتوجّه السلطان الى الدار الجديدة التي سبق فشادها (٢٣٧) .

وبعد ايام دُعي السلطان الى بلاط الخليفة فركب يتقدّمه حُشمه ابناء الاسرة المالكة راجلين . ولما دنا من باب القصر وقف برهةً راكباً ثم فُتح له ودخل الفناء . وخرج رجالات الخليفة الى لقائه وكشفوا السّجف فدخل الدار الاولى ثم كشفوا السجف الثاني فدخل وشاهد الخليفة مستوياً على عرش يعلو عن الارض نحو سبع اذرع وكان معمّماً بعمامةٍ سوداء وموشحاً برداء اسود . بمثل هذا كان يتوشّح بنو العبّاس ويوشّحون اقطابهم خلافاً لخلفاء مصر فانهم يتوشّحون بثياب بيضاء عمم واقطابهم . وكان بيد الخليفة صولجان ذهبيّ والى جانبيه حاجبان .

انحنى السلطان عندما شاهد الخليفة وسجد مرارًا وأمر الخليفة فأصعدوه الى عرش ثانٍ اوطأ من عرشه نحو قامة رجل . وقال الخليفة للترجمان : قل

للسلطان : ان امير المؤمنين يثني على همتك وعلى اتعابك وقد ابتهج بزيارتك، وهو الآن يستودعك كل ما استودعه الله تعالى من الرعايا والبلاد . فعليك بتقوى الله والعدل في مملكتك واشكر الربّ ما انعم به عليك . فنهض السلطان وانحنى الى الارض وهو يقول : اني عبد طائع لامرك واثقٌ بالله ان يعضدني في انجاز رغبتك . فامر الخليفة فوشحوه بسبعة ثياب سوداء ذات زيق واحدٍ . ووضعوا برأسه عمامةً سوداء مذهّبةً يعلوها تاج مدبّجٌ بياقوتتين ثمينتين رُصعت كل منها بلآلئ فاخرة جداً . وجعلوا في معصميه دملجين ذهبيّين . امّا الطوق الذهبيّ فلم يرَ السلطان ان يتقلّده بل جعله في طبق حمله حاجبٌ امامه . ورام ان ينحني ثانيةً فلم يتيسر له ذلك بسبب التاج الثمين الذي برأسه . ثم دفع له الخليفة ثلاث رايات ارجوانيّة كُتب فيها كلمات ذهبيّة وأنيطت بارماح واضاف اليها الخليفة فرماناً ملكيًّا وامر المنادين ان ينادوه ملكاً للشرق والمغرب . ولمّا أُمِرَ السلطان بالذهاب سأل الخليفة ان يمدّ اليه يده فقبّلها مرّتين وأمرّها بجبينهِ وخرج . فاركبوه احد احصنة الخليفة وذهبوا به في حفاوة وكبكبة الى داره .

وفي شتاء السنة ١٣٦٩ لليونان (١٠٥٨ م) زحف الى ملطية ثلاثة آلاف تركيّ وكان سورها متداعياً منذ احتلّها قرياقس من العرب . فقتلوا الاهالي وكوّموهم كوماً كوماً وراحوا ينكّلون بن بقي ويريدونهم على ابراز المطامير . واجهزوا من الجملة على الشماس بطرس معلم الصبيان وهو ينسخ كتاب الصلوات القانونيّة وقد وصل الى هذه العبارة « يُشبه راس يوحنا عنقوداً قطفته هيروديا » فاذابوا شمعاً صبّوه على هامته ووضعوا على صدره طستاً ملوءاً جمرات ناريّة . وما ان شاهد النيران عالقة بقدميه حتى قال : طوبى لكما لانكما تطيران ! قال هذا وفاضت روحه . وظلّ الاتراك عشرين يوماً في ملطية يجتاحون وينهبون ويحرقون . ولمّا انقلبوا باغتهم شتاء قاسٍ وهم بجانب جبل السناسنة فهبط عليهم الارمن وفتكوا بهم قاطبةً . وعاد من نجا الى المدينة المهشمة في جملتهم الراهب يوسف وقد نظم ثلاث قصائد في هذا الصدد ونظم يوحنا بن شوشان كذلك اربع قصائد منها قصيدتان بوزن مار افرام الساعي وقصيدتان بوزن مار بالاي

الخاسي . وخرب دير برجاجي في هذه الجائحة ولم يتعمّر بعدُ .

وفي السنة ٤٥٠ للعرب (١٠٥٨ م) حشد البساسيري قائد المدّيين وقريش القائد الثاني جيوشاً ضخمة من عرب وعجم واتراك ممّن يتّسون الى خليفة مصر وزحفوا الى تلّ عفر فانهزم اينانج قائد الغزّ الى قلعة الموصل فلحقه المدّيون وحاصروا المدينة . وحدث فيها غلاء شديد حتى أكل الغزّ خيلهم وبغالهم وجعلوا يقوّضون البيوت (٢٣٠) ويحرقون الاخشاب والجسور ثم انهزموا الى بغداد والحّوا على السلطان ليسير بنفسه ويقاتل المدّيين . فغادر بغداد وسمع البساسيريّ فاجتاح المدينة وانهزم الى البرّية . ولمّا وصل السلطان رأى المدينة قد خربت بالمرّة . وقيل له ان ابرهيم ينايل اخاه من أمّهِ يُضمر خلع طاعته وان بينه وبين خليفة مصر مراسلة. فخاف السلطان ان يحتلّ ابرهيم العجم ويضمّ اليه عساكر الغزّ التركمان فارتحل حالًا الى همذان واستقرّ بها وسيّر الجيوش ليقاتلوا ابرهيم في جبال شهرزور فقبضوا عليه وأودوا به .

ولما سمع البساسيري وقريش بسفر السلطان سارا الى بغداد واحتلّاها بسهولةٍ وقبضا على الخليفة القائم وأركباه ناقةً الى الحديثة ونهبا بلاطه ونادیا بالمستنصر خليفة مصر وضربا باسمه سكّة دنانير ودراهم . واقاما قضاة وفقهاء ومؤذّنين ألبساهم ثياباً بيضاء كزيّ المصريين بدلًا من ثيابهم السوداء . امّا كبير الوزراء وهو الذي استدعى الغزّ الى بغداد فوضعاه ضمن جلد ثورٍ سُلخ حديثاً وخاطاه عليه وتركا وجهه فقط وجعلا قرنَي ثور على رأسه وألقيا صنّارات في فكّهِ وظلّ اليوم كلّه يتقلّى ويتلوّى والاهالي يبصقون عليه ويشبعونه شتماً ولعناً لانه كان سبب تلك الشرور كلها .

وارسلت والدة الخليفة القائم من مخبإها الى البساسيريّ تقول: اكاد أموت جوعاً فارجو ان ترحمني . فاستحضرها واسكنها في احدى غرف البلاط وخصّص بخدمتها جاريتَين وعيّن لثلاثتهنّ كلّ يوم اثني عشر رطلًا خبزاً واربعة ارطال بغدادية لحماً . وكانت هذه المرأة ارمنيّة المحتد . امّا ارسلان خاتون امرأة (٢٤٠) الخليفة فكانت عند قريش وبعث السلطان يطلبها فارسلوها اليه مكرّمةً معزّزة .

وفي هذه السنة مات داود جغري باك اخو السلطان طغرل بك وخلّف

ثلاثة بنين اكبرهم ألب ارسلان . ووجه السلطان سفيراً الى قريش يشكر له اهتمامه بارسال ارسلان خاتون وقال له : ارجو ان تردّ الخليفة الى عاصمته وتتولى انت تدبير شؤونه. وكن على ثقة باني لن اعود الى بغداد لاني منصرف الى تدبير شؤون مملكة العجم . واذا تعذّر عليك اقناع البساسيريّ لزمك ان تلوذ باحدى القلاع او البراري حرصاً على نفسك الكريمة وعلى آلك لئلا يلحق بهم جنودنا أذًى دون تعمد وهم زاحفون الى تلك الاطراف . فلقد مننتَ علينا بمنة كبيرة اذ ارسلت الينا ولدنا ولا سبيل لنا الى مكافأتك مهما بذلنا لك .

فكتب قريش الى البساسيريّ وهو في واسط يقول : عَلامَ هذه المصارعة كلها ؟ ألأجل المصريّ الذي لم يتنزل ان يبعث الينا برسالة اعتيادية مع اننا أذعنا المناداة به في بغداد عينها ؟ فالخليق بنا ان نتفق مع السلطان ونعيد الخليفة الى عاصمته . غير ان البساسيريّ لم يذعن لمشورة قريش . فاضطرّ هذا ان يرحل الى البرية في أهله . ثم زحف السلطان في جيوشه الى حدود بغداد . ولما شارف الحديثة سارع اليه اميرها مستصحباً الخليفة اذ كان محبوساً عنده. فوجّهه السلطان الى بغداد بتظاهر الاجلال واعتذر لـه قائلاً : اني بسبب وفاة اخي جغري بك وتنظيم بنيه وخروج ابرهيم اخي الثاني عليّ تأخرتُ عن استدراك مسألتكَ . فابتهج الخليفة وسرّي عن قلبه الهمّ . وبعد هذا وجّه السلطان عساكره نحو البساسيريّ فوثبوا اليه وهو منهزم وحزّوا رأسه وجاؤوا به الى السلطان فأمر ان يربطوه برأس قصبة ويعلقوه على باب البلاط . هكذا استراح السلطان من عداء المعدّيين (٢٤١) وقفل راجعاً الى خراسان .

وفي السنة ٤٥٥ للعرب (١٠٦٣ م) توفيت خاتون امرأة السلطان طغرل بك . وكانت عزيزة على قلبه جداً . اذ كانت كلّ الشؤون الدولية بيدها . وارسل الى الخليفة في خطبة ابنته فأبى ان تُزَفّ ابنة عربية الى غريب عن قبيلته وعن أسرته . فارتاب السلطان وعاتبه عتاباً مرّاً وتظاهر بالعداء له . فتخوّف الخليفة وزفّ اليه ابنته على كره منه وشرط ألّا تغادر البلاط وان يكون السلطان عندها كلما زار العاصمة . وبعد اخذ وردّ رخّص لها ان تنتقل الى الدار التي ابتناها السلطان حديثاً . ثم يمم السلطان بغداد وأدّى مائة الف

دينار ذهباً ومائة وخمسين الف درهم واربعة آلاف قطعة قماش فاخر بمثابة جهاز . ولمّا زُفّت اليه العروس ودخلت داره نهض السلطان وحشمه ورقصوا كعادتهم يركعون تارةً وطورًا يقفون ويغنّون اغاني تركية وهي مستوية على عرش ذهبيّ . وركع السلطان كذلك امامها وهي متقنّعة ولم يجلس بل تركها ومضى . وظلّ كذلك سبعة ايام . واصبح العرس مجلبةً لبهجة السلطان وكمد الخليفة ولاسيما لمّا غادر السلطان بغداد الى خراسان واستصحب ابنة الخليفة امرأته قسرًا خلافاً لما أبرمه من العهود ببقائها في وطنها .

وفي هذه السنة١٣٧٤ لليونان (١٠٦٣ م) زحف الروم الى آمد وحاصروها اياماً كثيرة . وتألب الأتراك والعرب وتناوشوا وهلك الكثيرون من كلتا الناحيتين وترك الروم المدينة ورجعوا .

وفي ٧ ايلول هذه السنة ماتَ طغرل بك (٢٤٢) في الريّ بفارس بالغاً السبعين قضى منها ثلاثين سنة ملكاً وثماني سنوات في بغداد . وأوصى بالمملكة لسليمان بن جغري بك . لكنّ اخاه الب ارسلان زاحمه وملك مكانه ونودي بضياء الدين سلطاناً في بغداد وغيرها .

وفي السنة ٤٥٦ للعرب (١٠٦٣ م) حدّث بعض الصيادين الأكراد ببغداد انهم لما كانوا في البرية يقتنصون شاهدوا خياماً سوداء وسمعوا اصوات عويل ونوح وبكاء. فقصدوا المكان وسمعوا صوتاً يقول : اليوم مات بعلزبوب رئيس الجنّ . فالذي لا يقيم الحداد عليه اياماً ثلاثة يُنقض بيته من اساسه . فسمعت نساء بغداد تلك الخرافة وهرولنَ الى المقابر ومكثنَ ثلاثة ايام ينحنَ ويندبنَ ويمزّقنَ ثيابهنَ وينتفنَ شعورهنَ ويسخّمنَ وجوههنَّ بسواد القدور كأنّهنَ يسترضينَ الابالسة لئلا تبطش باعزائهنَّ . وانتشر مثل هذا الخبر في ارض سنجار والموصل وارمينية .

وفي هذه السنة سار السلطان الب ارسلان الى مدينة آني وهي أُولى مدن الروم بناحية ارمينية ودوّخها واحدث فيها مذبحةً فظيعةً . وآني هذه مدينة عامرة يحيط بثلاث نواحيها نهر أراس الكبير وفي ناحيتها الرابعة خندق عميق تجري فيه مياه ذلك النهر يعبره الاهالي على جسر نادين راكبين . وكانت

تشتمل على سبعمائة الف دار وعلى الف كنيسة . على ان الاتراك لما آيسوا هبط بغتة احد ابراجها باشارة علويّة فوضعوا جسرًا ودخلوها . واطلقوا على سلطانهم بسبب ذلك لقب ابي الفتح .

ومنذ تشرين الاول حتى كانون الاول تلك السنة حدث حرّ لافح في بغداد لحقه مرض ووباء حتى بيع منّ التمر الهنديّ باربعة دنانير ذهبية (٢٣١) وحدث في كانون الثاني برد شديد وجمد دجلة وهبط في بغداد ثلج كثير .

وفي السنة ٤٥٨ للعرب وهي السنة ١٣٧٧ لليونان (١٠٦٦م) سار السلطان الب ارسلان الى خوارزم واستعمل عليها ابنه سلادشاه وعاد الى نيسابور .

وفي هذه السنة اجتمع ثلاثمائة لصّ ارمني بقيادة خزريج كبيرهم واخذوا يكمنون في جبال ملطية ويغزون بلد جوباس وقاودية وينهبون الاديار . فكرّوا على دير سرجيسة وبعثروا عظام الشهداء واخذوا صندوقتها . وساروا الى قرية سنجاس بجوار دير ماديق واستنزفوا من المؤونة ما قيمته الف ومائة دينار سوى البقر والحمير وخمسمائة دينار نقدًا . وقرّر زعماء ملطية ان يؤدّوا لهم جزية عن جوباس وعن قاودية . ثم ارسل الارمن الى الملك فوجّه اليهم فرمانًا بامتلاك اربع قرى شرط ان لا يعودوا الى النهب والغزو . لكنهم لم يكفّوا عن التعدي بل انتووا ان ينهبوا دير برصوما ويتحصنوا به واذا صوت بباغتهم بوصول الاتراك الى ملطية تكرارًا . فانهزم اهالي قلوديا الى الدير المذكور في عشرة من اللصوص الارمن وظلّ بقيّتهم في الجبل وتمّ الاتفاق على ان اولئك العشرة يفتحون لهم الباب ليلًا ليدخلوا الدير ويتحصّنوا به . فشعر الراهب ايونيس بالمكيدة وانتقى رجالًا اشداء من قرية تل تورا المباركة وكانوا يومئذ في الدير فقبضوا على اولئك العشرة والقوهم من شرفة الدير دون علم الرئيس وشوهدوا في الصباح صرعى بلحف الجبل وانهزم اصحابهم الارمن . وبعد ايام يمّم الدير رهبان ونسّاك من ملطية فوثب اليهم اولئك اللصوص وبطشوا بثلاثة منهم . وبعد ثلاث سنوات ابتنى الرهبان (٢٤٤) البرجين العاليين وابتنوا برجًا ثالثًا ما بينهما بعد اثنتين وثلاثين سنة . وفي السنة ١٤٧٥ لليونان(١١٦٤م) شيّد البطريرك ميخائيل المذبوط البرج الجنوبيّ وحصن الدير العالي .

وفي السنة ٤٥٩ للعرب (١٠٦٦ م) سار كوشتكين القائد التركي الى الرها وتغلّب على الدوقاس وأوثقه فافتدى نفسه بعشرين الف دينار وعاد الى المدينة. واحتلّ كوشتكين حرّان وسروج والرقّة . ثم توجّه يريد زيارة السلطان الب ارسلان وعند وصوله الى خلاط سخط على احد امرائه وبطش به وكان لهذا الامير اخ اسمه افشين . هذا عمد الى كوشتكين وأجهز عليه وهو سكران. وبعد هذا حشد الاتراك وزحف بهم الى انطاكية يغزو ويسبي .

وفي هذه السنة زُفّت ابنة اخت فقراط ملك الكرج في ابكاز الى السلطان الب ارسلان واحتفلوا بالعرس في همذان وما مرّ القليل حتى دفع لها كتاب الطلاق واقترن بها احد العظماء .

وفي السنة ٤٦٠ للعرب (١٠٦٧ م) برز ارسطاكيس البطريق الارمني من حصنهِ وسار في مائتي رجل الى حصن امنع خيفةً من الاتراك . فوثب اليه الامير بشروانشاه التركي فهلع الارمن وقالوا له اننا ماضون الى السلطان لنجاهر بالاسلام بين يديهِ . فسيّرهم اليه مكرّمين وجاهروا بالاسلام مرغمين واختُتنوا . وقرّر السلطان ان يدفع للبطريق كل سنة عشرين الف دينار لمعاشهِ . غير ان اولئك الارمن ما عتم ان عادوا الى ارمينية الداخلية ورجعوا الى ديانتهم النصرانية .

وتوفي قسطنطين دوقاس ملك الروم وخلفه رومانس ديوجنيس . فزحف عام ١٣٨٠ لليونان (١٠٦٩ م) في مائتي فارس الى سورية وقاتل المعدّيين بني كلب وقهرهم واحتلّ (٢١٥) قلعتي عِم وارتح وكانتا للعرب . وانتشر الروم في ضواحي منبج وانهزم اغلب اهاليها الى حلب . وبلغ كراء الجمل من منبج الى حلب ثانين ديناراً ذهباً . واحتلّ الروم منبج وقتلوا خلقاً كثيراً وتوفّروا سورها وابتنوا بحجارهِ قلعتها القديمة . وفشا الغلاء فيهم اذ لم يستطيعوا امتيار الغلال من حدود الاتراك المتورّدين الغزو والنهب فصار رطل الخبز بدينار وست حفنات شعير بدينار . وحدّث بعض المعدّيين انهم قتلوا رجلًا روميًا وبقروا بطنه فعثروا على حبّات شعير صحيحة . وبلغ الملك ان افشين التركي زحف الى بلاد الروم واحتلّ عمودية فاقام حرّاساً في القلعة التي احدثها في منبج وعاد الى بلاده.

وفي السنة ٤٦٢ للعرب (١٠٦٩ م) حدث غلاء في مصر حتى اكل الناس بعضهم بعضاً . ولم يبقَ فيها سوى ثلاثة احصنة للخليفة وأكل سائر الخيل والبغال والجحاش اصحابها . وبيع الكلب بخمسة دنانير وعشرة دراهم . وبيعت وزنة البصل بدرهم فضة . ونزل الوزير يوماً عن بغله ليزور الخليفة فسارع ثلاثة رجال وخطفوا البغل من يد الصبي وذبحوه واكلوه . وبلغ الخليفة الخبر فأمر بشنق الثلاثة . فاقبل تحت الليل رجالٌ انزلوهم عن الاخشاب وذبحوا لحمانهم وانصرفوا . ووجدت عظامهم صباحاً مجرّدة مكوّمة تحت تلك الاخشاب . وقد امتدّ الجوع الى بلاط الخليفة نفسهِ حتى اضطرّ ان يبيع امتعته الملكية باثمان بخسةٍ . وبيعت عشر لآلئ وزنها عشرة مثاقيل باربعمائة دينار . وكان في تنيس وهي صاغان احدى مدن مصر (٢٤٦) ثلاثمائة رجل يؤدون الجزية فأمسوا اقلّ من مائة حين الغلاء .

وفي السنة ٤٦٣ للعرب وهي السنة ١٣٨٢ لليونان (١٠٧١م) زحف السلطان الى اركسطيا وهي ارغش ودوّخها وفتك بالكثيرين من اهلها واحرز غنائم وافرة بعث بها الى خراسان . وأجرى مثل ذلك في مدينة منازكرد . ثم ارتحل الى ميافرقين وهي للعرب واستنزف من صاحبها اكثر من مائة الف دينار وانطلق الى آمد ودنا من سورها وتبرّك بحصانته . وسار الى سويرك وهي للروم وأخذ من اهلها الف دينار وتركهم . ثم توجّه الى الرها وحاصرها اياماً كثيرة ولم يفتحها فقطع اشجارها وأتلف بساتينها ووعده الرهاويون بخمسين الف دينار شرط ان يرحل عنهم . فارتضى السلطان فقال له الرهاويون : لن ندفع شيئاً ما لم تحرقوا المنجنيقات وتتلفوا سائر ادوات الحرب لاننا نخاف ان تطمعوا بالذهب وتستأنفوا الحرب . فأمنهم السلطان واتلف ادوات القتال . غير ان الرهاويين لم يدفعوا له شيئاً فتركهم السلطان حاقداً وعبر الفرات .

وعند ذلك وصل سفير الملك ديوجنيس وقال للسلطان : بما انك تركتَ وطنك وأتيت فنحن نردّ لك منبج وانتم تردّون لنا ارغيش ومنازكرد . ونؤدي لكم الجزية المتعادة حولاً فحولاً . فرضي السلطان وعاد الى خلاط فارسل اليه الافشين يقول : اني زحفت الى بلاد الروم ورجعت في غنائم وافرة دون

ان يعارضني احد . فاستجمع السلطان قواه وانقلب مسرورًا الى بلاد الروم وهلك في الطريق اغلب جماله الموسقة ذخائر بسبب جريها السريع . وتوغل الافشين (٢٤٧) في تلك البلاد حتى وصل الى ساحل البحر الذي يمر بقسطنطينية وغزا وسبى وانطلق الى مقدونية . ولما وصل الى سيناذر باغته الثلج المتراكم فارسل الى امرأة يونانية اسمها مريم كانت متولية القلعة يسألها السماح للجيش التركي كي يدخل القرى والمدينة لابتياع المؤونة . وهددها بقلع الاشجار والكروم والبساتين ان أبت . ولكنها لبّت طلبه .

اما الملك ديوجنيس فحشد الفيالق وبرز من ناحية ارمينية متغطرساً متعارفاً ووصل الى منازكرد وكشف عنها اصحاب السلطان دون أذى . فسمع السلطان وعدل عن الزحف الى بلاد الروم بسبب قلة عسكره . ووجه سفيره سوتكين ليعقد الصلح مع الملك ويزيده بتّم ويعود كلٌ الى وطنه . لكن ديوجنيس تجبّر وقال : لا يتيسّر لي الرجوع بعدما افرغت خزائني من المال وطوّحت بجنودي واصبحت الغلبة بجانبي . كلّا ليس لكم عندي الّا السيف !

عند ذلك عزّز الله سبحانه المذلّ المتكبّرين عزائم السلطان فجهّز جنوده ونفخ فيهم روح البسالة والشجاعة . وألقى عنه القوس والسهم ولبس الدرع وقبض على الخنجر والرمح وربط ذنب حصانه وركب الاتراك مثله ورتبوا الى الروم يوم الجمعة وقت الظهيرة وهم بين خلاط ومنازكرد وتنشبوا فيهم وهم يضجّون ويعجّون . فهلع الروم ايّ هلع وقتل الاتراك كثيرين منهم واعتقلوا غيرهم وانهزم بقيتهم . وعند المساء اقبل كهريا الحاجب التركي وقال للسلطان : ان احد عبيدي قد اعتقل الملك ديوجنيس وهو عنده . وكان هذا العبد من المغضوب عليهم وقد منع قائده عنه المعاش . فقال له كهريا انه هو هو (٢٤٨) الذي اعتقل الملك فلا تستهزئ به . اما السلطان فعلى رغم ارتيابه في الامر سيّر الشاب شادي فورًا ليطّلع على الحقيقة . وكان شادي المذكور قد ذهب غير مرّة الى قسطنطينية مع السفراء وشاهد الملك بامّ عينه . فذهب ورأى ديوجنيس معتقلًا وانحنى امامه . ثم عاد مسرعًا الى السلطان فأكد له انه هو الملك ذاته . فأمر السلطان ان ينصبوا لديوجنيس خيمة ملكية معتبرة

وعضوا به اليا . واوثقوا يديهِ وعنقه واقاموا مائة تركي يخفرونه . وعند الصباح أمر السلطان باحضاره وصفعه اربع صفعات بيده وقال له : لماذا رفضت طلبي وقتما سألتك الصلح والموادعة ? وكان ديوجنيس حكيماً خبيراً فاجابه بكلام متزن وقال : لقد صنعتُ ما امكنني ولم اتعدَّ ما يصنعه الملوك مثلي . غير ان الله اكمل مشيئته . فالآن دع العتاب واصنع ما بدا لك . فقال السلطان : قل لي الآن ما كانت نيّتك ان تصنع بي لو وقعتُ بيدك ? قال الملك : كلّ سوء اذ ما من عدوّ يلاقي عدوّه الّا ليُسيء اليه . قال السلطان : صدقتَ في ما نطقت . ولو اجبت غير هذا الجواب لما صدّقتك . فقل لي الآن : ما ظنّك ان اصنع بك انا ? قال الملك : واحدةً من ثلاثٍ : الاولى ان تقتلني . والثانية ان تفضحني فتطوف بي في بلادك ليطّلع الناس على غلبتك ونصرتك . والثالثة لا حاجة الى ذكرها . لان ذلك وهمٌ بعيدٌ جدًّا عن الحقيقة. قال السلطان : ما ضرَّك لو قلتهُ لي ? قال الملك : ان تعيدني الى وطني معزَّزًا فاغدو كاحد بطارقتك : اذا دعوتني لبّيتك واذا امرتني اطعتُك . قال السلطان : لا انوي الّا انجاز هذا الامر الثالث الذي قطعتَ (٢٤٩) منهُ املك .

ثم طلب السلطان من ديوجنيس عشرة آلاف الف دينار فديةً . فقال الملك : لو وهبتُ لك مملكتي كلها لكانت كلا شيء نظرًا الى نجاتي . ولكن لا يخفى عليك اني أفرغتُ خزائن الروم برمّتها منذ توليتُ امرهم وأنفقتها على الجند الذين استخدمتهم . واخيرًا أطلق السلطان سبيله على ان يؤدي الف الف دينار ديةً عن نفسه وثلاثمائة وستين الف دينار كلّ سنةٍ جزيةً . ثم أمر فحلّوا وثاقه وأجلسهُ على الكرسي الذي انتزعه منه وأكلا وشربا معاً . ثم طلب السلطان إنطاكية والرها ومنبج ومنازكرد فقال الملك : متى رجعتُ الى مملكتي أرسلْ انت جنودك ليحتلوها وانا اكتب الى اصحابها ليسلّموها . والّا فاذا كتبتُ لهم الآن لا اظنّ انهم يطيعوني . فاذا احببت ابعثني الآن الى بلادي قبل ان يقيموا ملكاً بدلًا مني . والّا فلا يتيسّر لي ان انجز شيئاً من هذا كله . وبعد هذا أمر السلطان ان يركب مع الملك مائة عبدٍ واميران الى قسطنطينية . وودّعه هو نفسه مسافة فرسخ ولمّا عوّل على الرجوع احبَّ الملك

ان ينزل عن حصانه ليودّعه فاستحلفه السلطان ان يظلّ راكباً وهكذا تلاثما وتعانقا راكبَين وافترقا .

هكذا رأينا هذا الخبر في نسختين احداهما عربية والثانية فارسية . غير ان البطريرك ميخائيل المغبوط ذكر ان ابن اخت السلطان هو الذي قبض على الملك وان رجلاً كردياً وثب فقتله واوثق الملك كأنه هو الذي أحرز الغلبة. وان السلطان لما سأل الملك ما كانت نيتك ان تصنع بي لو وقعتُ بيدك ؟وان ديوجنيس قال له : كنت أحرقك بالنار . فعلى ما يظهر ان عبارة كهذه لا يعقل ان يقولها ملك لملك . زد عليه ان رجلاً كردياً لا يتيسّر له ان يقتل ابن اخت السلطان ويخطف الملك من يده مدّعياً انه هو الذي اوثقه . اذ كان هذا الكردي يخشى (٢٥٠) اقله ان يفضح الملك كذبه .

امّا اليونان فلما بلغهم ما حدث لديوجنيس نادوا بميخائيل بن قسطنطين ملكاً وهذا قبض على امّه التي كانت امرأة ديوجنيس وجعلها في الدير قسراً . واقام عمه ايونيس مدبراً للمملكة . ولما وصل ديوجنيس الى العاصمة وسمع ما جرى قصد قلعة دوقية واقام بها ولقي هناك مائتي الف دينار بعث بها الى السلطان مع الاميرين اللذين صحباه وأخبره بما جرى . ثم توشح باسكيم الرهبنة هناك وبعث يقول لميخائيل الملك : حسبي اني جاهدتُ جهاداً حسناً في سبيل المسيحيين حتى الآن . فلتكن لك المملكة مباركة فهي جديرة بك وقد احسنتَ في ما صنعت . واشير عليك مشورة امين صدوق بان تقرّر الصلح مع السلطان والّا فلن ترتاح ولن يرتاح المسيحيون . فشكره الملك وصرّح بانه يمتثل مشورته.

غير انه بعد ايام اضطرّه البعض فكتب الى ديوجنيس يقول : ان كنت راهباً حقيقياً لزمك ان تترك القلعة وتنقطع الى احد الديورة فترسل نحن من يحرسها . فسخط ديوجنيس وقال : ألا استحقّ قلعة واحدة من كل المملكة الرومية ؟ ثم نزع ثوب الرهبنة واستقرض النقود من تجار دوقية وجمع جيشاً . ثم جاءه ابن سنحاريب بطريق اومينية الصغرى فقبض عليه وسمل عينَيه واستنزف منه ثانين قنطاراً ذهباً . هكذا اشتدّ ساعده وسار الى ملطية وارسل الى السلطان الب ارسلان يستنجده فوعده بان يوافي بذاته الى نجدته كلما دعت

الحاجة . ثم انتقل ديوجنيس من ماطية الى قيليقية ففاجأه ايونيس عمّ الملك وحصره في اطنة وقبض عليه وأخبر الملك ميخائيل فكتب له الملك ان يحضره اليه بكل اكرام وتحفظ ليضعه في احد (٢٥١) الديورة . غير ان ايونيس فقأ عيني ديوجنيس قبل ان يوصله الى العاصمة فظلّ ديوجنيس يضرب رأسه في الجدار حتى لفظ روحه . وقد ارتاب الملك والاقطاب وحنقوا على ايونيس لانه فعل ما فعل دون امر الملك .

وفي هذه السنة انتزع الفرنج صقلية من العرب . وكان حاكمها قد ابتاعها من خليفة مصر .

وفي السنة ٤٦٥ للعرب (١٠٧٢ م) مات السلطان ألب ارسلان وخلفه ابنه ملكشاه . وتمت وفاة السلطان هكذا : كان شمس الملك بن طباجاج متولياً أمر بخارى وسمرقند وسائر ما وراء نهر جيحون من البلاد . وكان الياس بن ألب ارسلان متولياً خوارزم . فتحرّش احدهما بالآخر وثار ابن طباجاج على امرأته وهي بنت السلطان ورفسها برجله غير مرّة حتى أجهز عليها وهو يقول : لست امرأتي بل جاسوسة عندي تثيرين اخاك ليأتي ويتلف بلادي . وما ان سمع السلطان بقتل ابنته حتى اخذته النخوة فحشد الجنود وعبر النهر واقام الحصار على مدينة كان حاكمها خوارزمياً ناوشه القتال واغواه بالوعود ثم عزله . فأمر ان يوتقوا يديه ورجليه باربع مسامير ويرشقوه . فاحتدم الخوارزمي سخطاً وجعل يشتم السلطان الى ان قال : ويحك ايها المخنث أهكذا تقتل من كان مثلي ؟ فارت دماء السلطان وقال للجنود : دعوني ارشقه دون وثاق واقتله . فتركوه فرشقه سهماً واحداً فاخطأه . ووثب الخوارزمي على السلطان وطعنه بسكين في خاصرته عثر عليه هناك . وألقى احد الحجّاب بنفسه على السلطان فتركه الخوارزمي وجعل يطعن الحاجب بسكينه . عند ذاك بادر رجل ارمني ممن يخدمون الخيام مسرعاً وضرب الخوارزميّ على يافوخه بمرزبة وبطش به . اما السلطان فلم يعش بعد تلك الضربة الّا اياماً معدودة ومات وشيّع الى مرو ودُفن (٢٥٢) بجانب ابيه جغري بك . وأوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه . واقترن اخوه قاروت بك بخاتون امرأته وتولى بلد شيراز سوى القلاع فقد

ظلت في حوزة السلطان .

اما قاروت بك وكان يتوقع وفاة اخيه من امدٍ مديد فلمَّا نُعي اليه سارع في السفر من كرمان بحرًا في الشتاء. ووصل الى شيراز . ثم قصد خراسان وحشد الجنود ليقاتل ملكشاه ابن اخيه. فتهيأ ملكشاه لمحاربة عمه وتغلب عليه واعتقله وفتك به . وفقأ عيون ابنائه الخمسة وتوفي الابنان الصغيران وعاش الثلاثة عميانًا وهم : سلطانشاه وتركانشاه وورودنشاه . ولو ظلَّ ملكشاه في وطنه لازداد اعتبارُه كالسلطان اخيه .

وفي السنة ٤٦٦ للعرب وهي السنة ١٣٨٤ لليونان (١٠٧٢ م) هبطت أمطار غزيرة متواصلة منذ تشرين الثاني حتى ٢٤ شباط . وفاضت الانهار وطفحت المياه في ارض بغداد وتفجرت وقوّضت دورًا شتى . وانهزم الاهالي الى غربي المدينة . وغمرت الامواه دار الخليفة عند باب نوبة الذي يحرسه الحجّاب النوبيّون . فانهزموا هم والجواري وكل من كان في الغرف وهي الف وخمسمائة غرفة . وخرجوا سابحين وانطلقوا الى ناحية بغداد الغربية واعتصموا ببيوت العامّة . وغمرت المياه سرير الخليفة فانهزم نحو الباب ولم يتيسّر له العبور فاقبل احد الحجّاب وحمله ووضعه في زورق ووضع معه كذلك نساءه وبعض ما امكنه ان يأخذه من الاثاث تملصاً من الغرق . واتّشح الخليفة بقميص نبيّهم وقبض على الصولجان كمن يحاول منع طغيان المياه دون جدوى . واقام الكثيرون في القوارب بلا طعام حتى ان الخليفة ذاته ظلّ يومين لا يصيب طعاماً .

وحدث مثل ذلك الوزير اذ ظلّ يومين دون طعام وهو في قارب ملقى على الاخشاب . وغمرت المياه الصحراء. وأغرقت كثيرين من المدنيين . قيل ان بدويًا لمّا دنت منه المياه اركب امرأته حصاناً وابنته حصاناً ثانياً وركب هو حصاناً ثالثاً فطفحت المياه واغرقت امرأته وابنته وخنقتها . وبادر البدوي الى شجرة قريبة تسلّقها وترك الحصان وظلّ كذلك اياماً حتى قلّت المياه . وشوهدت سباعٌ وجواميس واقفة في قمم الجبال مبهوتة وقد اكتنفتها المياه ولم يؤذِ بعضها بعضاً .

وفي السنة ٤٦٧ للعرب (١٠٧٤ م) توفي الخليفة القائم بداء الخُناق ليلة

الخميس لثلاث عشرة من شعبان . وعاش خمساً وسبعين سنةً . وكان اصفر اللون بسبب اكثاره من اكل البالبون ؟ وخلفه ابنه المقتدي وعلى زعم المنجمين انه كان في خطر الموت تلك الليلة لان طالعه كان المريخ وقد هبط تلك الليلة من برج العقرب الى برج الجوزاء في دائرة زحل ببرج القوس . ووصلا كلاهما الى برج الاسماك وبه كان انقضاء تلك السنة .

(له صلة)

مقالة في اليزيدية

بقلم الراهب جنام الموصلي السرياني
اليزيدي اصلاً الكاثوليكي مذهباً

عُني بنشرها
الاب انطونيوس شبلي اللبناني

توطئة

تعددت الأديان في العالم وانتشرت في أرجائهِ ، ودانت كلُّ فئة من الناس بدينٍ مؤثرةً بنهيهِ وزجرهِ ، متمسكةً بتقاليدها وعوائدها منشأةً على خطةِ آبائها واجدادها ، فيدين الابن بدين ابيهِ وجدّهِ ، لانهُ ترعرع وشبَّ عليهِ ولا يتأثر إلّا خطى والديهِ ، فيصبح هذا الدين قبلة إنظارهِ ومطمح افكاره ومسرح الحوارهِ ، لاعتقاده ان دينهُ هذا هو الدين الصحيح ، وما سواه وهمٌ باطل ، ويرى الحيد عنهُ عارًا وجرمًا لا يُغتفر ، والأخذ بغيرهِ من الأديان لا ينبغي ان يُؤبه لهُ او يُعتبر . وكلٌّ يقول ما قالهُ المعرّي يوم كان في اللاذقيَّة :

في اللاذقيَّةِ ضجّةٌ ما بين أحمدَ والمسيح
هذا بناقوسٍ يدقُّ وذا بمأذنةٍ يصيح
كلٌّ يعظّمُ دينَهُ يا ليتَ شعري ما الصحيح

غير ان كثيرين من ارباب الفكر والفهم لا ينثنون عن البحث والتنقيب في الأديان ومعارضة بعضها ببعض « وبضدّها تتبينُ الأشياء » ليقفوا على الحقيقة بنت البحث ، فاذا ما كشف لهم العلم الصحيح والعقل النيّر الستارَ عنها وتجلّت لبصيرتهم عاريةً بروعتها وجمالها ، أبوا ان يجروا على سنن التقليد الأعمى واستطابوا ذيّالك الدين الذي درسوهُ وغربلوهُ وغلوهُ ومحّصوهُ فعوّلوا عليهِ واتجهت افكارهم اليهِ فدانوا بهِ وسلّموا بصحّة عقيدتهِ وركنوا الى قوّة حقيقتهِ .

ومن هذه الطبقة البحّاثة المتنوّرة الراهب جنام الموصلي اليزيديّ اصلاً الكاثوليكي مذهباً الذي جحدَ اليزيديّة وأخذ بدين النصرانيّة وانضوى الى رهبانيّة السريان الكاثوليك في دير الشرفة ، بدرعون ، لبنان ، وكتب هذه المقالة الطريفة في اليزيديين ومعتقدهم وطرائقهم واخلاقهم وعوائدهم في اعراسهم ومآتمهم الخ الخ . . . فكان كلامهُ عنهم مما يُركن اليهِ ويُعوّل عليهِ ، وهل يُنبئك مثل خبيرٍ هو منهم وأعرف بهم ؟

وطالما شغلت الديانة اليزيدية بال عدد من الباحثين والمنقّبين فكتبوا عنها الفصول الطوال منها العلّامة الشهير الطيّب الأثر الاب انستاس ماري الكرملي البغدادي(١) وسواه من هواة الابحاث التاريخية العلمية(٢) ، فكانت مقالة الراهب جنسام الموصلي هذه في اليزيدية أسدّ رأيًا وأصدق روايةً ، طبقًا لهذا المثل : « صاحبُ البيت أدرى بالذي فيه » لذلك كانت جديرةً بالاعتبار حريّةً بالانتشار.

ولمّا كنا في خريف السنة ١٩٢١ في ديرنا سيّدة النصر ، نسبيه ، في غسطا كسروان ، أخبرنا احد آباء رهبانيتنا بانهُ تعرّف الى الراهب جنام الموصلي في دير الشرفة القريب من دير نسبيه وأعطاهُ هذه المقالة التي وضعها في اليزيديّة ليطالعها ، وهي من انشائهِ وخطّه بالحروف السريانيّة (الكرشونيّة) التي تُلفظ بالعربيّة ، كتبها بالحبر الاسود ، واما عناوينها فبالحبر الاحمر ، ولم تزل الى الآن في يد الاب الموما اليهِ وقد علّق مُنشِئها في آخرها هذه العبارة بخطّه العربي وهي بحرفها :

« كمل هذا الكتاب بدير سيدة النجاة اي دير الشرفة في قرية درعون ، بيد الفقير الراهب بهنام الموصلي وذلك في ٧ كانون الثاني سنة ١٩١٦ مسيحية »

فمن هذه النسخة الأصليّة نقلنا نسختنا بالحرف الواحد وانتهينا من كتابتها في ٨ ايلول سنة ١٩٢١ في دير نسبيه. وظلّت هذه المقالة مطويةً بين مخطوطات خزانتنا في دير سيدة المونات بجبيل طيلة ثلاثين سنة الى ان نشيتها لها وقيّض الله تعالى لنا نشرها ، على صفحات مجلّة « المشرق » الغرّاء ، والامور مرهونة بأوقاتها ، فنقدّمها لقرّائها الألباء ، غير متعرّضين لاصلاح ما جاءَ في خلالها من الاغلاط التي تتنافى هي واصول اللغة ، لتبقى على مبناها وصيغتها كما صدرت من قلم مؤلّفها. وفي تضاعيف سطورها ورد بعض عبارات بلغة اليزيديين الكردية أُشكل علينا فهمها فرسمناها كما خطّتها انامل صاحبها.

فعسى هذه المقالة التاريخية القيّمة تروق اهل البحث فتقع منهم موقع القبول والرضى.

جبيل — دير سيّدة المونات الاب انطونيوس شبلي
في ٢ تموز سنة ١٩٥١ اللبناني

(١) راجع مجلّة « المشرق » : ٢ [١٨٩٩] : ص ٣٢ — ١٥١ ، ٣٠٩ ، ٣٩٥ ، ٥٤٧ ، ٦٥١ ، ٧٣١ ، ٨٣٠.

(٢) صدر في هذه السنة كتابٌ جديد عنوانهُ : « اليزيديّون في حاضرهم وماضيهم » للسيّد عبد الرزّاق الحسني ، ١٢١ صفحة بقطع كبير . مطبعة « العرفان » صيدا ، لبنان ، سنة ١٩٥١ م

ديانة اليزيدية

طريقة اليزيدية وعوائدهم

ان اليزيدية يعتقدون باله واحد ضابط الكل، بيده كل ما في السماء وكل ما على الارض ويسمونه بالكردية : خودا اي الله ، وبالعربية رب العالمين ودونه الملك الطاوس او الطاووس الملك ويسمّيه عامّة اليزيدية طاووس ملك والشيخ عادي ويزيد . وهؤلاء ثلاثتهم ليسوا الّا واحدًا من الرتبة الثانية في ثلاثة فروع لا غير .

فالفرع الاول هو اذًا الطاووس الملك ، ويسمّى ايضاً عندهم الكاروبيم وهو بعد ربّ العالمين سيّد الكل وضابط ورازق الكل ، بيده اليمنى الخير وبيده اليسرى الشرّ ، يعطي الخير لمن يشاء ويلقي الشرّ على من يشاء ويزيله عمّن يشاء . وهو ليس بالحقيقة الّا الشيطان اللعين الرجيم اذ يقولون في اصله : ان ربّ العالمين غضب يوماً على الطاوس الملك ونفاهُ من الجنّة وهو اليوم خارج عنها ، لكن في آخر يوم الدين يتصالح معه ربّ العالمين فيرجع الى عليّين مـا كان عليه في بدء خلق الارضيين ماشياً في صراط الحق المبين ومن حوله جماعة الملائكة والاولياء القديسين يعظّمون قدرهُ ويمتثلون امرهُ . فلهذا ترى اليزيدية يترضّونهُ كل الترضّي ويتقصّون في اكرامه كل التقصّي ، وقد اقاموا لهُ اياماً مشهودة واعيادًا معدودة وطوافات معلومة وحفلات عندهم مرسومة . ويقولون انما نكرّم الطاووس الملك دون ربّ العالمين لان هـذا الطاوس مصدر كل الشرور والنحوس فان لم نستلفت انظارهُ علينا لم نخلص من انتقامه ، واذا ترضّيناه فزنا بسعادة الدنيا والاخيرة . اما رب العالمين فهو عين الخير الصلاح لا يرى فيه اذن عيب او وصمة بل هو العصمة والجود والرحمة لا يحقد على احد الى الابد حتى انه يتصالح مع الطاووس الملك وكل من لعنهُ في حياته فقد هلك وعليه فانهم يقولون بجلاء الكلام الخالي من ابهام : اننا لا نعبدهُ بل نترضّاهُ ونسترشدهُ ، والعياذ من هذا الكفر . وكما انهم يكرّمون الشيطان

يريدون ايضاً ان يكرّمهُ غيرهم . عندهم لفظة شيطان هي احتقار واذلال وكفران فلهذا لا يلفظونها البتة ولا يريدون يلفظها الغير امامهم واذا قال احد كلمة شيطان حلّ قتلهُ عندهم بل وعلى يدهم . وليس فقط لا يلفظون هذه الكلمة بل ولا كل ما يشابها اشتقاقاً او لفظاً او رويّاً او احرفاً . فلا نقل ابدًا امامهم مثلًا : الشط والبط والخيطان والبستان والرطان والسطانة ، وهو اسم الحلزون في تلك الاصقاع ، واللعنة والنعل ولا الخس والاهانة وهو الملفوف او البزنب ولا كل ما يقرب من هذه الالفاظ في لغتهم الكردية مثل اللوبياء والفاصوليا والباميا ونحو ذلك ، بل ولهذا السبب عينهِ يُحرَّم عليهم اكل هـذه الخضورات كلها (ما عدا البامية) واذا اراد احدٌ ان يهين يزيديًا او يشتمهُ يقول لهُ او امامهُ : خسٌ الموصل في فمك . لان هذا الكلام هو اعظم كفر يمكن الكافر ان يتلفظ بهِ .

اما اذا اراد الانسان ان يتكلم عن هذه الاشياء المحرَّم ذكرها فيستعمل الاشتمام اي يذكر المعنى بطرائق متشعبة او بعبارات مستطيلة للعدول عن الكلم المحرَّم عليهم لفظها والتخلُّص منها . فاذا ارادوا ان يعنوا الشيطان مثلًا يقولون: هو او ذلك الرجل ، اي المعهود بيننا . واذا ارادوا الشطّ قالوا : الماء الكبير وغير ذلك من المصطلحات والكنايات والرموز والاستعارات .

اما الفرع الثاني فهو الشيخ عادي وهو على زعمهم الروح المقدسة والمنزّهة الانفس ، وهو يحلّ على الانبياء ويحي (ويوحي) اليهم الحقائق الدينية ويخبرهم بالغيب . والانبياء عندهم لا انقطاع لهم ويسمّونهم بالخواجك ، جمع خوجك كما سنشرحهُ في محلهِ . فهذا هو المعتقد الاصلي الاساسي لدينهم . والآن نذكر اشياء اخرى من معتقداتهم فمنها التقمُّص بانواعه من ؤصعب وهو انتقال النفس الناطقة المزمنة من بدون الانسان الى الاجسام النباتية ٥صحصب وهو انتقال النفس المزمنــة من بدون الانســان الى اجسام الحيوانات بموجب الاوصاف التي اتصفت بها في حياتها فتذهب نفس الشجاع مثلًا في جسم الأسد ونفس الجبان في جسم الارنب ٥ؤصعب ٥صحصب وهو انتقال النفس الناطقة الى الجمادات ٥صحصب وهو انتقال النفس الناطقة من بدن انسان الى بدن انسان آخر .

ويروي البعض عن سبب اعتقادهم التقمّص : ان واحــداً من أئمتهم لا يُعرف اسمهُ مات ، وبعد وفاته ودفنهِ اخذت روحهُ تطلب مقرّاً فجاءت على وجهِ الماء وفي تلك الاثناء جاءت ابنتهُ لتستقي ماء وبعد ان ملأت جرّتها سارت في الطريق مسافة عطشت فشربت من جرّتها ، وبعد ان مضى على شربها تسعة اشهر ولدت ابناً واذا هو بالإمام عينهِ فاستدلوا بذلك على التناسخ.

ومن معتقدهم ان الملك الطاروس لم يفرض عليهم الّا صوم : ܣܐ ܪܘܙ : اي ثلاثة ايام : لا ܀ ܣܝܗ ܪܘܙ ܀ اي ثلاثين يوماً ولهــذا السبب لا يصومون في السنة الواحدة الّا هذا العدد من الايام .

ومن معتقدهم ان الله لما اباد خلقهُ بالطوفــان العرمرم اراد ان يحفظ من الغرق نوحاً ܘܡܠܟܬܗ فركبوا الفلك باذنهِ تعالى وطافوا على الماء فلما نقصت المياه وغارَ جانبٌ عظيم منها اصطدمت السفينة بسنٍ من جبل جودي فَثُقِبت فقال نوح : من لنا يسدّ هذا الثقب . قالت الحيَّة : انا اقوم بذلــك بشرط ان تسلِّم بين يدي ابن آدم لامتصَّ دمهُ . فقال لها نوح : قد رضيتُ بذلك، فلما تحوَّت ورتقت الثقب وتجا من كان في السفينة تقدمت الحيّة وقالت لنوح: انجز ما وعدتَ به . فخاف نوح على من كان من جنسهِ واخذ طريقــةً اخرى لحلّ المعضلة فأخذ الحيَّة وأحرقها بالنار وذرّ رمادها في الهواء فجاءت عنهــا البراغيث التي تمتصُّ دم ابن آدم ܦܝܫ فهذه الدويبات لا تفعل فعليا الّا لان نوح امرها بذلك ܦܟܠ ܦܟܡ ܡܢ ܐܘܡܟ لا يُعلم الى اليوم كيفية وجود هذه البراغيث فيها . ان ديانة اليزيدية قد حلّت لنا هــذا المشكل العويص فلله درّهم من علماء لا يُشقّ غبارهم .

وقد تقدم القول بان اليزيدية يذهبون الى ان في العالم مبدأين فلا حاجــة الى الاعادة . وهم يكرّمون ايضاً الظواهر الجوّية على اختلاف انواعها والنار والخبز والسراج والارواح القديمة وهي ما عَظُمَ من الاشجار من اي نوعٍ كانت .

ومن معتقدهم ايضاً ان الله كان قد خلق جهنّم منذ الأزل لابنــاء آدم الخطأة العصاة . واذا كان آدم اول من أخطأ من الناس وعرف مــا يكون من حالهِ عمل لهُ بقبوقاً ويريدون به الكوز المبقبق لتُحفظ به دموعهُ فــامتلأ

الكوز في السنة السابعة فأخذه من فوره وأفاض على نار جهنم فانطفأت نيرانهُ للحال ونجا بهذه الصورة هو وذرّيّتهُ من لهب النار الحامية .

ويزعمون ان الله لم يطرد آدم وحوَّاء من الفردوس لعصيانهما عليهِ عزَّ وجلَّ بل لانهما دنَّسا جنَّة النعيم ببرازهما بعد ان أكلا من سنابلها فأتخما وتألَّما من التخمة ܦܠܐܦܘܠ عنهما غراب ܕܦܠܡܬܐ منفذًا في جسديهما وأراحهما بذلك طبيعتهما . فبئس قومٌ عدلوا عن صحيح الروايات الى أوخم الترهات .

وفي معتقدهم شيءٌ كثير من اخبار التوراة والانجيل قد حرّفها اصحابها وانتحلوا معانيها وعبثوا بها كل العبث وذيّلوها بكل بذيءٍ يُستحى منهُ حتى يصعب علينا ايرادها لما أدخلوا فيها من المبذيات او من التآويل التي تتجافى عنها النفوس الابيَّة وتتكرها الأسماع النقيَّة . وقصارى الكلام اننا روينا من هذه الخرافات والرطازات أطهرها ذيلًا وأنزهها قولًا ، فلينظر العاقل الى ما هناك من الاقاصيص التي تشوّهُ محاسن الآداب والاخلاق ومن ذلك يتضح لك بان ديانتهم لعبت بها هوج الرياح فأصبحت قفرًا ܠܚܢܘܟܝܡܢ ܐܘܪܥ ܘܐܚܕ .

أمَّا من طرف الكتاب الديني الذي يتمسكون به تمسك الانسان بالكتاب المنزل فهو : ܡܨܚܦ ܪܫ : ورش هي كلمة كردية معناها : مصحف الأسود . وهو عبارة عن بعض صحف من القرآن حرّفوها بان حذفوا منها اسم الشيطان ولفظة اللعنة ونحو ذلك ، ولم يطلع عليه احد الى يومنا هذا حتى من اليزيديَّة غير الفئة الاكبر بمنزلة الملأ الاكبر عند الامير الاعظم .

وفي مطاوي سنة ١٨٦٢ اراد الفريق عمر باشا ان يعرف ما في هذا الكتاب حتى اذا تحقق ان ليس فيه شيءٌ أبقاهُ عندهُ وإلّا أحرقهُ ، فسأل عنهُ فقيل لهُ عند فلان فذهب من سمّاهُ الاول فقال لهُ : عند ذلك فلما جاءهُ قال له : عند ابن فلان . فلما رأى انهم يضحكون منهُ اخذ المتقدّمين بينهم وتهدَّدهم بالضرب ان أصرّوا على اخفاء المصحف فلم يجيبوهُ ببنت شفةٍ فأعمل فيهم السياط والسيف فصبروا عليها ولم ينال بمرغوبه . فلا حرج علينا اذًا ان قلنا : ونحن نجهل ايضاً ما في هذا المصحف الاسود .

اعتقاد اليزيدية في المسيح ومعتقدات المسيحيين

ولليزيدية في المسيح ، لذكره المجد ، اعتقادات غريبة لعلهم ورثوهــا عن شيع قدماء الهراطقة . ويروي بعضهم في قرية او قريتين لا اكثر بان واحدًا من اليزيدية لمّا رأى ان المسيح لاسمه السجود يُعلّق على خشبة الصليب ويُسمَّر عليها ، سرق واحدًا من هذه المسامير لكي لا يتمّ وطر اليهود من صلبه . ويؤمن اليزيدية بان يسوع المسيح كان نبيًا عظيماً بل من اعظم الانبياء . وانه كلّم الناس من اول يوم ميلاده ولم ينقطع من التكلم معهم وان كان في المهد ، واظهارًا للناس بان العذراء حبلة (حَبلت) بهِ بنوعٍ خارق العادة .

ܝܫܘܥ ܐܠܗܐ كان قد توفي منذ الف سنة ولمــا ترعرع اخذ يلعب كسائر الاطفال بالطين ويتخذ منهُ تماثيل بهيئــة حيوانات وطيور ودويبات فكان كلما أتمّ صورة واحدٍ من هذه المجبولات لبست به الحياة وطارَ من يديهِ ، ولمّا اكتهل أظهر لاهــل العلم بانهُ من اعظم الانبياء فكان يشفي الاكمه والابرص والمقعد ويبعث كثيرين من الاموات كانوا قد توفوا منذ الوف سنين .

ويعتقدون بعض جهلاء اليزيدية ان يزيد والمسيح اسمان لمسمًّى واحد ، غير ان العقلاء فيهم ينكرون هذا الخبط والخلط . وعند اليزيدية بُليــدة صغيرة وتسمَّى ܒܥܫܝܩܐ بقرب ديار بكر سنَّة تشبه سنَّة القربان المقــدس عندنا ، وذلك انهم بينما هم مجتمعون حول المائدة يأخذ المقــدم بينهم كأسًا مملوءةً خمرًا فيسألهُ الآكلون : ܗܘ ܡܢܐ : اي ما هــذا . فيقول لهم : ܗܘ ܟܣܐ ܕܡܫܝܚܐ : اي هذا كأس المسيح . ثمّ يقول لهم : ܗܘ ܡܫܝܚܐ ܝܬܒ ܒܓܘܗ ، اي المسيح قاعد وموجود فيها : وبعد ان يشرب منها الزعيم يديرها على الجلّاس فيمص كلٌّ منهم مصَّة حتى اذا انتهت الى الاخير ارتشفها ، وحينما يقول ذلك الكلام يقف الشارب وقوفًا ينطق بالوقار والاحترام لهذه السنَّة . وهذه الشعيرة من شعائرهم ، لا تجري عند جميعهم بل عند جماعة منهم كما ذكرناها سابقًا .

العماد والختان عندهم

وعند اليزيدية العماد والختان معاً ويقولون في هذا الصدد اننا نُجري هاتين السنَّتين لانه ان كانت أولاهما قد أُلغيت ولم يكن فيها فائدة افادت الثانية وإلَّا فان يلغي الختان بالعماد ولا يضرّ الانسان . أمَّا العماد فيكون بالصورة بعد ان يكون قد مضى على الطفل اسبوع او اكثر وربما طالت المدة الى شهر أو شهرين بل الى سنة أو سنتين اذا طالت ܐܠܥܡܪ دون القيام بالواجبات الدينية يؤتى بالولد ليُعمَّد ، ولا يُعمَّد إلَّا في عين ماء موجودة في مزار الشيخ عادي ، وهو مدفنة مبنيّ بهيئة كنيسة في وسط دير كبير ، وعمق هذه العين متر تقريباً وقصرها متران ، ويسمّونهُ عندهم عين البيضاء ، لان الشيخ عادي كان جاء الى هذا المحلّ ولم يرَ فيهِ ماء فطلب منهُ المتشيّعون له ان يجترح له آية ، فأخذ الشيخ عكازتهُ وضرب الصخرة وقال الماء بالعربية زم زم . وفي روايةٍ انهُ قال : أريدُ ماء زمزماً اي كثيرًا فكان كذلك . ثمَّ قال لتلاميذه : وكلُّ من يؤمن بي ويعتقد باقوالي ويعتمد بهذا الماء المبارك يكون من الخالصين في يوم الدين . وقال آخر : ان الشيخ عادي بعدما أنبع الماء أجرى اليها شيئاً من ماء القدس الشريف ، وقال آخر : بل من ماء الاردن .

وقد بُنيَ على هذه العين قبَّةٌ مظلمة وبابها صغيرٌ جدًّا واطي ويلتزم داخلها (الداخل اليها) ان ينحني كلَّ الانحناء ليجوزه ، فبعد ان يدخل الشيخ وحده تلك القبَّة وبيده الطفل مجرَّدًا من ثيابهِ يغطّهُ في الماء ثلاثة طرقات ثمَّ يضع الشيخُ يدهُ على رأس المتعمِّد بعد المرَّة الثالثة ويدمدم عليهِ بالصلاة قد يسمعها بعض الـذين في الخارج وهي : يقول الشيخ : ܗܘܐ ܗܘܠܐ ܫܗܝܕܐ ܐܡܝܢ ܠܘܟܘ ܝܠ ܟܝܢܠ ܐܡܝܢ ܫܝܢܕܠ ܘܡܠ ܐܡܝܢ ، اي بالحرف الواحد : لقد صرتَ خروفاً ليزيد فهناك تكون شهيدًا لطريقة يزيد . وبعد ان يعمَّد يعطي ابوهُ عنهُ ثلاثة غروش صاغ اذا كان ذكرًا ، وغرشين ونصف صاغ اذا كانت أنثى . أمَّا الاب والأم فيبقيانِ دائمًا خارج الباب ولا يُؤذن لهما ان يدخلا قبَّة العين .

وبعد الميلاد بعشرين يوماً اقلّ او اكثر يُختن الطفل ، ولختانه يلزم شيخان الواحد يمسكهُ في حضنهِ والثاني يختنهُ . وأمّا الذي يمسكهُ في حضنهِ وهو الشيخ الكبير الذي بقرية بعشيقا وقبل ذلك يقول الخاتن للولد : قلْ ما يأتي : ܐܢܐ ܚܪܘܦ ܝܙܝܕ ܡܢܝܪ : اي ، انا خاروف يزيد المنير . واذا كان المقتبل لا يُحسن التكلم يكرر تلك الالفاظ الشيخ الماسك الطفل . اما الأبوان فيحضران هنا ومعها من يريدانِ من الاصدقاء وغيرهم ليحضرون تلك الحفلة ، ومن حولهم الطبالون والزمّارون والرقاصون ليلهي المختون بهِ . وبعد ان يتمّ الختان يرجع الجميع الى بيت اهلهِ ليتناولون المذبرة سويّةً ، وهي عبارة عن الوانٍ مختلفة بعث بها الاصدقاء والانسباء وزاد عليها اهل المختون . وتدوم هذه المذبرة سبعة ايام بدون ان ينقطع الايقاع على آلات الطرب ، وعند انقطاع هذه الايام السبعة يعطي الشيخ الخاتن مجيديا واحدًا وثوباً .

اما من زعم ان عندهم شبه سرّ التوبة ، فاذا تقاتل اليزيدية فيما بينهم ثمّ ارادوا الصلح ينهض الذي عرف بخطأه ويغطي وجههُ بيديهِ ويذهب منحنياً باحترام امام الشيخ المقدّم بين الحضور ويقرُّ بذنبه امام الحضّار جهارًا فينصحهُ الشيخ الزعيم نصحاً شافياً ثمّ يصلي على رأسهِ ويخلّي سبيله آمرًا اياهُ ان يلثم يد خصمهُ وأيدي جميع افراد الطائفة (اي الشيوخ) الكهنوتية الحاضرين . وان لم تنتهِ العداوة عند هذا الحدّ فعلى من أذنب للمرّة الثانية (ان) يذهب الى بيت الشيخ الاعظم لتجري عليه السنّة المتقدم ذكرها . وبعد ذلك يعهد الاثيم بذبح جزورٍ وكل يوم عند شروق الشمس ينهض اليزيدي ويتجه نحوها وهو حافٍ ويخرّ راكعاً على وجههِ ثلاث ركعات اكرامًا للشمس . واذا كان من حولهِ اناس يخجل من ان يجهر بفرائض دينهِ أمامهم ينزوي في مكانٍ خالي من الناس للقيام بواجباته براحةٍ وهدوءٍ وطمنان البال .

اليزيدية يكرمون جميع القديسين الذين أسست على اسمائهم الاديرة والكنائس المشيّدة في تلك البلاد ، ويذهبون في قداسة هولاء الاولياء انهم بلغوا هذه الدرجة من نزاهة النفس بقدر ما حلّ بانفسهم الطاووس الملك ،

ويزعمون ان هذا الطاوس سكن في نفس موسى الكليم مدّةً طويلة لكنّهُ سكن مدةً أطول في نفس المسيح ابن مريم . ولهذا السبب يعدّون المسيح عندهم من أعظم الانبياء الذين وُجدوا على وجهِ الارض .

واليزيدية يعتبرون اعظم الاعتبار اديرة النصارى وكنائسهم وفيها يتخشّون ويلثمون عتبتها وحيطانها وحجارتها اجلالًا للقديس المؤسسة على اسمهِ ، ولا يفعلون ذلك اذا لم يكن القديس مشتهرًا عندهم وربّما نذروا نذرًا الى الكنائس قيامًا بوعدهم أو عهدهم أو طلبًا لتحقيق مرادهم . وهم لا يدخلون جوامع المسلمين ، وليس لليزيدية ذبائح يتقرّبون بها من الله ، ولا صلوات عمومية بل لهم صلاة خصوصية . أمّا من ان بعض النصارى قد شنّعوا عنهم انهم اذا اجتمعوا اخذوا يصلّون سويّةً صلاةً جمهوريةً وهي عبارة عن كلمتين وهي : ܡܪܝܐ ܡܚܘܝܠܐ . اي ربّنا او سيّدنا : ربٌّ او سيد قويٌ .

اما صلاة الخصوصية فهي موجودة عندهم في بعض اعمالهم وسننهم ولكنهم لا يسمّونها ابدًا بالصلاة ، إذ الصلاة محرَّمة عندهم . غير اننا نسمّيها بالصلاة لوجودها فرضهم لاسمي المسمّى لا يعدم المسمّى من هذه الصلاة الخصوصية صلاة الصباح ، وكل يزيدي متديّن يتلوها بعد استيقاظهِ من النوم . واليك الصلاة :

ܫܶܡܫ ܠܫܡܣܐܝܬ ܙܡܦܐ ܪܘܢ ܗܐܬܐ ܗܐܬ ܒܐ ܒܪ ܣܚ
ܕܫܠܐܕ ܡܣܟܝܢܐ ܪܐܫܗܕܐ ܫܗܐܕܐ : ܫܗܕܐ ܕܝܢܐ ܥܝ ܐܢܐ
ܐܠܠܗ ܘܐܚܕ ܗܡܠܟ ܫܝܚ ܚܣܢ ܐܠܠܗ ܚܒܝܒ ܐܠܠܗ
ܣܠܐܡ ܡܣܠܡܟ ܘܡܚܒܬ ܫܝܚ ܥܐܕܝ ܣܠܐܡ ܥܠܝܟ ܡܐܫܗ
ܚܠܝ ܫܡܣܐܕܝܢ ܘܚܠܝ ܫܝܚ ܦܪ ܥܐܠܝܗ : ܘܡܫܚ ܐܘܪܡܣ
ܘܫܝܪ ܘܫܝܟܐܕ ܕܝ ܘܫܝܟܕܐ ܟܐܪ ܡܠܐܐ ܕܝܐܪܗ ܙܒܠ
ܕܒܐܬܐܗ ܕܪ ܫܝܚܢ ܘܡܚܒܝ ܐܒܕܠ ܘܐܟܪܐ ܕܝܢ : ܐܡܝܢ :

واليك تعريبها :« طلعت عليّ الشمس وجاءة عليّ اثنان من الجلّادين فيا مسكين قمْ واشهد شهادة الدين وهي ان الله واحد ، والملك الشيخ حسن هو حبيب الله ، وسلّم سلامًا على الشيخ عادي وعلى أمّتهِ والقبّة الكبيرة

الموجود تحتها وعلى قبة الشيخ توريس وعلى فخر الدين (وهو اسم الشمس عندهم) وعلى الشيخ ۞ (والبير) وعلى المزار دير اصور) واشهد بانهُ بقوّة ذراع الشيخ ، اي ذراع الشيخ يزيد التي رفعها صار الناس يزيديّة .»
وبعد تلاوة هذه الصلاة يُنصب حجرٌ وهو الهيكل عندهم ويلثمونه ويدورون حولهُ .

يقول اليزيديّة : ان الجبل المقلوب نهض عن الارض بالطاووس الملك ليتمكن من ان يسلّم على الشيخ عادي ، وهو المزار المشهور على بُعد مسير يوم واحد من جبل المقلوب فسلّم عليه ، لانّ اليزيديّة يزعمون ان يزيد لمّا جاء بلادهم جذبهم الى الايمان برفع ذراعهِ . وقد قال في وقتهِ : كلّ من يتبعني يأتي تحت ذراعي . فتسارع الى ذلك اليزيديّة فكانوا ما هم عليهِ اليوم .

صوم عند اليزيديّة

وليس لهم الّا صوم واحد كما مرَّ يدوم ثلاثة ايام ويقع في شهر كانون الاول ، ويؤمنون بدينونة العامة وبالحياة الابدية وبموت السرمدي . ويقولون: ان كلّ عملٍ صالحٍ يُكافئ في السماء ، وكلُّ عملٍ قبيح يجذب على صاحبهِ الويل والثبور والموت والعذاب في جهنم . ويؤمنون بالمطهر ويسمّونهُ بالكردي: اجنه وه ۊه ، اي نار او نور الاخيرة .

وقصارى الكلام ان لليزيدية اعتقادات أُخرى يرجع اصلها كلّها الى مأخذها من الاديان ، وهي اعتقادات مأخوذة من النصارى والاسلام ، لكنّهم عبثوا بها كلّ العبث حتى ابتعدت عن أمّهاتها بجدّة غير معروفة . وعليه لا نتعرّض لذكر اكثر من هذا القدر واللبيب تكفيهِ الاشارة . غير انهُ مما يجدر بنا ذكرهُ هنا هو ان هذه الاعتقادات تقلُّ او تكثر وتكون بهذه الصورة او بتلك الصورة حسب الاصقاع والقرى والمدن التي يسكنونها أو حسب الناس الذين يخالطونهم . فلهذا لا يمكن ان يحصل منها شيء تتأكد منهُ معتقداتهم على قياسٍ واحدٍ عام .

طوافات اليزيدية

وعند اليزيدية طوافات عديدة وهي بمنزلة الاعياد عند سائر اهل الاديان. ومن هذه الطوافات طوافاً يكون في شهر ايلول وهو اكبر الطوافات عندهم، ويعرف بطواف الشيخ عادي ابن مسافر الشامي وهو واجب على جميع اليزيدية يهرعون الى هذا المشهد الحافل من جميع البلاد بل ومن كل صقع وناد ومن كل حزنٍ ووادٍ . فيهم الشيوخ والكهول والاولاد والخوانك والخواجك والزها والعجّز والنُصف والاراد بل يشهد هذا اليوم من اليزيدية من هم في بلاد الروس من اهل الشيعة واهل العباد ، وربما انضمّ الى هولاء العباد زرافات من الاكراد فيشاركونهم بالاحتفالات والاعياد . وجميع هولاء الناس يلبسون افخر ثيابهم وتتزيّن النساء بافخر حليهنّ ، وبعد ان يجتمعوا في معبدٍ يعيّنه لهم الشيخ الاعظم يتوجهون الى المزار بالطبول والمزامير وهم يموجون كالبحر الغطمطم وبايديهم الاطعمة والاشربة من مسكرة ومخدرة ومرطبة ، وعندما يبلغون المزار يأكلون قليلاً ويشربون دون الختار ثم يأخذون بالرقص على شكل دائرة او هلال حول الزمّار والطبّال وقد مسكت النساء بايادي الرجال ثم يطوفون حول المعبد مرات معدودة في ساعةٍ محدودة ويبقون في القصف والهواء (والهوس) والغناء الى المساء وعند رجوعهم الى بيوتهم يبدون السدّة شيئاً من التقود وقلوبهم مملوءة فرحاً بما اتوا في هذا اليوم المشهود .

أمّا ما كان من الشيخ عادي المعتبر عند اليزيدية كلّ الاعتبار ، فقد رأيتُ في كتبهم وربّما سمعتُ منهم من هو اي انهُ مصلح هذه الشيعة . واما كيفية وجوده في هذا المزار المبني بيئة بيعة وسط ديرٍ كبير ، فاليك ما رأيتُ انا بذاتي ذلك الدير المدفون فيه اليوم الشيخ عادي . وكما يقولون ان هذا الدير كان للرهبان النصارى مشهوراً بقداسة ساكنيه . فيه بيعةٌ مبنيّةٌ على اسم القديس آدي أو ادي فنفث الطاووس الملك في صدور الرهبان ان يتركوا الصلاة والاصوام والعيشة القشفة لان الله تعالى قد غفر لهم خطاياهم كلّها واعدّاً لهم

مقاماً سامياً في جنة الخلود فسوّل اليهم ان يتزوّجوا وأن يأكلوا خبزهم بعرق وجههم . فبينما كانوا قد خرجوا يوماً من البيعة وفي مقدمهم الصليب ليطوفوا ثلاثة ايام حول البيعة استدراراً لنعمه تعالى بالشكر وتبرّكاً بالعيد العظيم رأوا طرساً معلّقاً باعلى الشجرة التي كانت موجودة في فناء الدار فوقف الطواف عند ذلك وامر رئيس الدير ان تنزل تلك الصحيفة وتقرأ فلما أنزلت وجدوا مكتوباً فيها ما يأتي : ايها الرهبان الاتقياء ان الله قد غفر لكم كبارکم وصغاركم فلا تعودوا تقشّفون انفسكم بل اهجروا الدير وتأهّلوا وآتونا بولدان (بولدين) نجباء والسلام .

فلمّا وقف الرهبان على ما انطوت عليها هذه الصحيفة عجبوا كلّ العجب فقالت طائفةٌ منهم : ان هذا من الشيطان الرجيم . وقال آخرون : إن هذا إلّا من الرحمان الرحيم . ومن ثمّ ثارت الشحناء بين الفريقين ، ولما كان الغد وفعلوا ما فعلوهُ امس رأوا طرساً آخر وفيهِ مكتوبٌ ما قرأوهُ البارحة ثمّ رأوا نفس هذه الأشياء في اليوم الثالث فاتفق جميع الرهبان على ان يهجروا الدير ويفعلوا بما قرأوهُ فتفرّقوا وتزوّجوا ودانوا باليزيدية . وفي مطاوي تلك الحوادث كان الشيخ عادي قد انبأ اليزيدية الذين بتلك النواحي ان رهبان الدير المذكور يهجرون ديانتهم ويتمسكون بالطريقة اليزيدية ويعودون الى الدنيا فيتزوّجون فيها ويرزقون اولاداً نجباء . ثمّ قال : وفي تلك الاثناء امرت فادفنوني في البيعة في محلّ المذبح الاعظم بعد ان تهدموهُ . فلما تحقّقت نبوءتهُ عن الرهبان توفي بعد قليلٍ من الزمن فأدرجت جثّتهُ في الاكفان ودُفنت في ذلك المكان بأبّهة لم تسمع بمثلها الآذان . ومنذ ذلك الحين اخذ اليزيدية يتقاطرون الى ضريحهِ في كلّ سنةٍ من السنين وحوّلوا اسم القديس آدي بالشيخ عادي .

وثمّ انهُ كان بهذا الموضع يوجد في داخل هذا المزار تاريخ يُذكر فيهِ بالكلدانية مؤسس البيعة وفي عهد اي من البطاركة بُنيت وعلى اسم من شيدت ونحو ذلك ممّا هو معهودٌ في مثل هذا الرقيم . غير ان اليزيدية نزعوهُ من محلّه خوفاً من ان يزورهُ احدٌ من النصارى فيدّعي بتلك الدير والكنيسة وأخفوهُ

ودفنوه عند مدخل باب المزار في محلٍ لا يعرفهُ إلا الامير الاعظم والفقيه .
وفي مزار الشيخ عادي سُرُجاً توقد كلها كلَّ ليلةٍ وتسع الواحدة اوقية من
الزيت او سراج . وفي هذا المزار خوابي لحفظ الزيت الذي يؤتى بهِ من جميع
قرى تلك الاصقاع فليحتفظ بهذه الافادات عند الحاجة . ولهم ما عدا مزار
الشيخ عادي مزارات أُخرى عديدة ولكلِّ صقعٍ مزارٌ فيهِ واحدٌ من اوليائهم
المصطلح عليهِ عندهم بل بالشخص ولكلِّ واحدٍ من هؤلاء الاشخاص يوم
خصوصي للطواف حول مزارهِ ويجتمع اليهِ اهل تلك القرية وربما اهل القرى
المجاورة لها . ففي قرية بعشيقة اشخاصٌ منها شخص الشيخ محمد . وفي قرية
بحزاني شخص ابي بكر الصدّيق وشخص سعد ومسعود ، وشخص شيخ مشأَلح
الصغير في بعشيقا ، وشخص سيّدة نفيسة بقرية بعشيقا ، وشخص ملكي ميران ،
وشخص راس العين ، وشخص الدراويش بطريق الموصل . ولكلٍّ منهم يوم
معلوم في نيسان يكون فيهِ طوافٌ لاكرامهِ . وفي قرية ختاد شخص ناهش ،
وفي قرية بابير شخص باطي ، وفي قرية كوبجن الشيخ عترروت والشيخ
شمس الدين تودس فى جبل سنجار والشيخ سياته في قرب الشيخان . وفي
قرية بعشيقا الشيخ سجادين والشيخ ملكي بيرا والست خديجة الكبرى
وبيرقات والشيخ حسن فردوش والشيخ خفيرا ريا والشيخ امادين والشيخ
المشألح ، وكل من يحلف بهِ بالكذب يشلحهُ اي ينزع منهُ جميع ما عنده من
الاموال والارزاق ولا يُبقي شيئاً . والشيخ متى لليعاقبة بجبل شامخ المعروف
بجبل المقلوب ليس لليزيدية ، بل لليعاقبة والشيخ خضر المعروف بمار بهنام الشهيد
وغيرهم لانهم يعيّدون لهم اعياداً ، ولجميعهم معابد خصوصية يعلوها قبّة كبيرة
أو صغيرة بموجب مقام الولي أو الشيخ .

سناجق اليزيدية

يوجد عند اليزيدية سناجق كثيرة كبار وصغار ، أمّا الكبار هم ستة
سناجق والصغار تقريباً عشرون وهم نظير المكوك واما الكبار بيئة
الديك او طاوس من النحاس ، ولكلِّ جنسٍ هيئة تختلف عن هيئة سنجق

الآخر وكلها مركّبة . وموصلة بلوالب شتى وبصفة عجيبة ، ولكلّ سنجق محلٌ خاصّ في قصر الامير وسرير صغير من النحاس واناء بهيئة الهاون موضوع امام السنجق لوضع الفلوس ، والشموع توقد امامهُ صباحاً ومساء وليل ونهار وتحرق لهُ البخور العطرة على الدوام . ولكلّ سنجق بلاد وُضعت في كنفهِ ، ففي جناح السنجق الاول موضوعة بلاد الشيخان وهي قرى اليزيدية الموجودة في اطراف الموصل ونواحيها ، وفي كنف السنجق الثاني جبل سنجار ، وفي ظلّ السنجق الثالث قرى الخالته ، وهي قضاء في اقضيـة ديار بكر . وفي ذراع السنجق الرابع المورتّة ويسمّونها ايضاً بالكراجر وهم الرُحّل من الاكراد اليزيدية كالبدو عند العرب . وفي ستر السنجق الخامس المليـة وهم يزيدية في اطراف حلب وسوريا ونواحيها . وفي دفئ السنجق السادس السرحدار وهي يزيدية في بلاد الروس وغيرها من البلاد الخارجة عن املاك آل عثمان . فاذا جاء الربيع أخرج خدَمة الدين سنجق الشيخان وطافوا بهِ بين يزيدية تلك الاصقاع فيجتمع القوّالون الخصوصيون بالشيخان ، ويراد بالقوّالين عندهم المغنّون والمزمّرون فينشدون حينئذٍ الاناشيد الخاصة بذلك السنجق . ثم يأتي كلاچمة الاعظم وهو كالنقيب عند الاسلام او كالكاهن عند النصارى وكلاچمة كلمة فارسية ومعناها الشيخ او الشائب ، وتُطلق لفظـة كلاچمة ايضاً على رئيس الدراويش فيقابلها حينئذٍ عند النصارى كلمة الاسقف . وللحال يأمر المير وهو الامير الاعظم فيزتّى بسنجق الشيخان باحترام ووقـار ويوضع في هكچة وهي نوع من (الخُرج) او الجوالق عندهم والهجبة ، كلمة تركية ، ثمّ تُحمل على جواد مطهّم وهو جواد كلاچمة الاعظم ، وعندما يقترب الموكب من احدى القرى يرسلون امامهم فارساً مفرّاً ويبشرهم بقدوم السنجق وهو ينادي كالكردي « سنجق هات » ومعناها جاء السنجق ، فحالاً يقومُ اهل القرية يلبسون انظف ثيابهم وأحسنها ويخرجون لاستقبال السنجق في ارض البيادر فيصطفّون صفّين متقابلين ، فيقدم السنجق والقوّالون يزمّرون بالمزامير وينقرون بالدفوف وينشدون الاناشيد والاغاني باللغة الكردية فتجيبهم النساء بالملاهل حاملاتٍ مجامر موقودة وفيها البخور . وثم ينادي كلاچمة :

ܡܢܘ ܡܢܟܘܢ ܕܡ ܡܘܣܦ ومعناها بالعربية : من منكم يضيف السنجق . فيقول واحد من الحاضرين : السنجق ضيفي بمئتي غرش : ويقول الآخر : السنجق ضيفي بمئتين وخمسين غرشاً صاغاً . والآخر ينادي : بثلاثمائة غرش ، وهلمّ جرّاً ، الى ان تنقطع رغبة المزائدة فيه فاذا تمّ ذلك يتقدّم الابجمة ويأخذ من على ظهر الجواد الهجبة وما فيها ويعلقها برقبة الذي انتهت اليه المزائدة فيه .

(له صلة)

وثائق تاريخية عن المجمع اللبناني

مقال الاب اغسطينوس تشاسكا (تابع)

بقلم الخوري باخوس الفغالي

المأذون في اللاهوت

والدكتور في الحق القانوني، والمحامي الروتالي

الفصل الثاني

في الفروق القائمة بين النصين العربي واللاتيني
وفي النص الشرعي الذي ثبته الكرسي الرسولي

البحث الاول

في الفروق القائمة بين الكتابتين العربية واللاتينية للمجمع اللبناني

٣٦) لا يبدو ضرورياً ان نورد هنا لائحة الاختلافات التي جمعها سنة ١٨٣١ سيادة لوزانا والتي طبعت في تلخيص كانون الثاني سنة ١٨٣٢[1] لان مجموعة سيادة ڤالرجا الثمينة[2] تتضمنها وهي اكثر دقة ووضوحاً منها.

١) حاشية المؤلف: راجع المقطع ٣٢ (من هذا المقال)
٢) حاشية المؤلف: مجمل عدد ٣

CAPO II

Delle varianti fra il testo arabo e latino, e dell'autentico approvato dalla S. Sede

ARTICOLO I

Delle varianti esistenti fra le due redazioni, araba e latina, del Sinodo Libanese

36. Non si crede necessario di riportare qui lo specchio delle varianti raccolte nel 1831 da Mons. Losana, e stampato nella ponenza del Gennaro 1832 (§. 32), perchè le stesse si trovano nella pregevole *raccolta* di Mons. Valerga (*Som.* N. III) con maggiore chiarezza e precisione.

Detta raccolta è disposta in tre colonne; nella prima si pone il testo della

والمجموعة المذكورة مرتبة على ثلاثة اعمدة وضع في اولها نص الشرة العربية المطبوعة سنة ١٧٨٨ . وفي الثاني نص طبعة سنة ١٨٢٠ اللاتينية. وفي الثالث ترجمة نص المخطوط العربي الذي يسميه سيادة ڤالرجا شرعياً ولكنها تسمية غير مناسبة . وبما ان الرئيس الشهير لم يعرض في كتابته غير الفروق المهمة فقد رأيت مناسباً لاكمال عدد الفروق هذه ان اقابل مجدداً بين المخطوط المذكور والطبعتين . وقد تسنى لي في هذه المقابلة ان اثبت تثبيتاً قاطعاً ما توصل اليه سيادة ڤالرجا واكثر للغاية عدد الفروق. والفروق هذه باجمعها تخضع لحكم نيافاتكم الصائب[3] وهي مجموعة الفروق التي قدمها سيادة ڤالرجا مضافة اليها في حاشية الفروق التي وجدت حديثاً .

٣٧) وينبغي قبل كل شيء ان اقول كلمة في طبيعة هذه الفروق . ولا يمكني اذ ذاك الا ان اوافق تمام الموافقة على ما صرح به من رأي سيادة ڤالرجا المشار اليه في ملاحظاته المتينة بعلمه[4] فانه، بعد ان توسع في كلامه عن شرعية المخطوط العربي التي سنتكلم عنها في البحث التالي ، يعطي في المقطع التاسع بياناً صحيحاً وتاماً عن طبيعة النص العربي والفروق القائمة فيه . وقد

٣) حاشية المؤلف : نفس المحل

٤) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤

---

edizione araba, stampata nel 1788, nella seconda quello dell'edizione latina del 1820, e nella terza si traduce il testo del manoscritto arabo, che Mons. Valerga impropriamente chiama *autentico*. Siccome però l'illustre Prelato non ha esibito nel suo lavoro, che le *principali* varianti, a completare meglio il numero di queste, ho creduto opportuno di collazionare nuovamente il detto manoscritto e le due edizioni; dal qual confronto non solo si è potuto pienamente confermare il risultato ottenuto da Mons. Valerga, ma si è di gran lunga accresciuto il numero delle variazioni. Le quali tutte, tanto le presentate dal Valerga, quanto le nuovamente ritrovate collocate in nota alle prime, si sottopongono all'illuminato giudizio dell'EE.VV.RR. (*Som.* N. III).

37. Anzitutto però sarebbe da dire qualche cosa intorno alla natura delle stesse varianti; ed in ciò non posso non uniformarmi pienamente all'opinione espressa dal sullodato Mons. Valerga nelle sue dotte *Osservazioni* (*Som.* N. IV). Dopo aver egli diffusamente parlato dell'autenticità del manoscritto arabo, intorno alla quale questione si discorrerà nell'articolo seguente, al §. 9. da un

لاحظ بصواب اولًا ان النص العربي المذكور هو ترجمة النص اللاتيني ليس الّا وزاد قائلًا « انما هي ترجمة لم يُعتَنَ بها وهي ناقصة وبعض الاحيان ايضاً غير مطابقة لمعنى النص اللاتيني وانه لمدهش حقًا ان يكون كاتبها السمعاني الواسع الشهرة والعلم وصاحب المؤلفات الذائعة الصيت » . وفعلًا ان النواحي التعليمية التي في النص اللاتيني والسابقة احكام القوانين « قد أُهملت تامًا (في النص العربي) وذلك مرارًا عديدة وأُبعدت بعض الاحيان عن معناها وترتيبها لدرجة اصبح من الصعب معها ادراك الرابطة فيما بينها وبين النتيجة الترتيبية المتعلقة عليها . ويبدو مرات كثيرة انه أسيء فهم النص اللاتيني فعُرِّب تعريباً غير صحيح . ويظهر ذلك من مجموعة الفروق(٥) ». والى كل ذلك يجب ان يضاف اهمال كلي او جزئي لكثير من قوانين المجامع القديمة منها التريدنتي ، والتباس في موارد القوانين المذكورة التي أُخطئ مرارًا في نسبتها ، وعدم الاكتراث التام تقريباً لما يتعلق بالطقوس في توزيع الاسرار . ويفترض سيادة ڤالرجا ، رغبة منه في اعطاء سبب محتمل لهذا الالتباس ، ان السمعاني لم يعرّب النص اللاتيني مترويًا بل املى شفهياً هذه الترجمة « مرتجلًا اياها كما يقولون بكثير من

٥) حاشية المؤلف : المحل المذكور

rapido ma esatto prospetto generale della natura del testo arabo, e delle varianti in esso contenute. E primieramente a buon diritto osserva, il detto testo arabo non essere, se non una traduzione del testo latino; «traduzione però, egli soggiunge, così trascurata, imperfetta, e qualche volta anche mal consona al senso del testo Latino, che reca veramente sorpresa che essa sia parto del celebre ed eruditissimo Assemhani, autore di chiare opere.» E difatti, le considerazioni dottrinali che nel testo latino precedono il dispositivo dei canoni «sono spesse volte (nell'arabo) del tutto omesse; altre volte ne è distaccato il senso e la constituzione in guisa che appena si scorge il nesso che passa tra di esse, e la conseguenza dispositiva che se ne deduce. Non rare volte il testo latino sembra essere stato mal compreso, e quindi è tradotto inesattamente, come può scorgersi nella raccolta delle varianti.» (*L. c.*). A tutto questo bisogna aggiungere l'omissione totale o parziale di parecchi canoni degli antichi Concilii, compreso il Tridentino, la confusione nella citazione spesso erronea dei sudetti canoni, e l'omissione quasi completa della parte liturgica nell'amministrazione dei Sagramenti. Per dare una probalile ragione di tanto *chaos*, Mons. Valerga suppone che l'Assemani non abbia ponderatamente tradotto in arabo il testo

سرية ليختصر عمله ⁰. وفي ذلك شرح كاف ليس فقط للاهمالات والاختصارات والمعاكسات القائمة في الترجمة بل ايضاً لما تجاوز من الباب الرابع من القسم الاخير عدد ٧ الى الباب الخامس عدد ٨[٦] مما ادّى الى اختلاط البابين فاصبحا واحداً ، وتناول التجاوز الاعداد السبعة الاخيرة من الباب الرابع والسبعة الاولى من الباب الخامس[٧] .

٣٨) وبعد ان عرض حالة الترجمة العربية عرضاً عاماً انتقل سيادة ڤالرجا[٨] الى الفروق التي تحتوي عليها تلك الترجمة مقابلة بالنص اللاتيني فرتبها بكل دقة وقد اعتبر في ذلك ثلاثة اوجه اي ما يتعلق باصلها او صاحبها وشكلها واخيراً مادتها . فنظراً للوجه الاول يمكن ان تقسم الفروق اولاً الى فروق ادخلها في النص نفس المترجم اما سهواً واما قصداً رغبةً منه في اختصار العمل او في حذف بعض القوانين او تبديل مضمونها . ثانياً الى فروق وضعها على هامش المخطوط او بين اسطره اول ناقل له ، وذلك يظهر واضحاً من تماثل

٦) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٧١
٧) حاشية المؤلف : المحل المذكور
٨) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤ صفحة ١٠

---

latino, ma abbia di viva voce dettatane la traduzione, «facendola come si suol dire sù due piedi con molta fretta, ed accorciando di proposito il lavoro. Con siffatta maniera verrebbe data sufficiente spiegazione non solo delle omissioni, accorciature e controsensi, che occorsero nella versione, ma eziandio del salto che occorse dal n. 7 del capo 4 dell'ultima parte al N. 8 del capo V (*Som.* III, p. 71), in guisa che i due capi sono confusi in uno, e vennero così saltati nulla meno che gli ultimi sette numeri del capo IV, ed i primi sette del cap. V» (*l. c.*).

38. Dopo di aver esposto in genere la condizione della versione arabica, passa Mons. Valerga (*Som.* N. IV §. 10) a classificare con molta aggiustatezza le varianti che presenta la stessa versione, collezionata (sic) col testo latino. Egli considera le stesse sotto un triplice rapporto: in quanto cioè all'origine, ossia autore, in quanto alla forma, e finalmente rispetto alla materia. Sotto il primo aspetto le varianti possono subdividersi: 1. in quelle introdotte nel testo dal traduttore medesimo, o per inavvertenza o di proposito, allo scopo di accorciare il lavoro, o di sopprimere qualche canone o di modificarne il tenore: 2. in quelle apposte nel margine del manoscritto, od in mezzo alle linee dal primitivo calligrafo, come può verificarsi dall'identità della scrittura, o dai

الخط ، او آباء المجمع وهذه الفروق تصلح الترجمة المعمولة وتردها احياناً الى معنى النص اللاتيني او تغيّر الحكم والمعنى الاصلي . وثالثاً واخيرًا الى فروق بين السطور او هامشية كتبتها يد حديثة وغايتها ايضاً تغيير النص . ومما يجب الانتباه اليه هو ان تلك الاصلاحات هامشية كانت او بين السطور التي ادخلتها في المخطوط العربي اليد الاولى او الثانية لم تنقلها كلها الطبعة العربية التي تحتوي ايضاً على فقرات غير قليلة شُطب فوقها في المخطوط[٩].

٣٩) ونظرًا للشكل فان الفروق القائمة في الدفتر العربي تعود الى اهمال مقاطع كاملة او جمل او عدة جمل معاً او الى شطب فوق نصوص يختلف طولها او الى زيادات او اصلاحات او تصحيحات . وقد نقلت بضبط الترجمة (كذا وربما وجب القول : الطبعة) العربية القسم الاكبر من هذه المغايرات .

٤٠) ونظرًا للمادة فقد قسم سيادة فالرجا المغايرات المذكورة الى ستة اصناف[١٠]. واننا نهمل الاصناف الثلاثة الاولى التي تحتوي على المغايرات التي ادخلت حباً بالاختصار او للوفاق بين النص اللاتيني والطقس الشرقي او سهوًا كالاهمال القائم من العدد ٧ من الفصل الرابع الى العدد الثامن من الفصل

٩) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٤ (من هذا المقال)

١٠) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤ مقطع ١٢

Padri del Sinodo; le quali o correggono la traduzione già fatta, riducendola qualche volta al senso del testo latino, ovvero modificano il dispositivo ed il senso primitivo; e 3. finalmente nelle varianti interlineari o marginali scritte da mano recente e tendenti anche queste a modificare il testo. È da notare però che non tutte queste variazioni marginali od interlineari, introdotte nel manoscritto arabo dalla prima o dalla seconda mano, sono state riprodotte nell'edizione araba; anzi in questa si leggono non pochi brani cancellati nel manoscritto (§. 24).

39. Per rapporto alla forma, le varianti che presenta il codice arabo sono: omissioni d'interi paragrafi, periodi o frasi; cancellature di testi più o meno lunghi; addizioni, correzioni ed emendamenti. La maggior parte di queste varietà trovasi esattamente ripprodotta nella versione (sic) araba.

40. Relativamente alla materia, Mons. Valerga distribuisce le suddette varianti in sei categorie (*Som.* n. IV, §. 12). Omettendo le prime tre, in cui si annoverano le varietà introdotte per amore di brevità, o per rendere il latino

الخامس . وقد ذكرنا ذلك في المقطع ٣٧ . ولا تخفى على حكمة نيافاتكم العلية خطورة المغايرات التي تتضمنها الاصناف الثلاثة الاخيرة وهي موجودة في المخطوط العربي وطبعته . وتعمد اولاً الى توسيع حقوق الاساقفة وسلطانهم على حساب البطريرك . وثانياً الى توسيع انعامات البطريرك وسلطته بالنسبة الى الإساقفة والاكليروس . وثالثاً واخيراً الى زيادة انعامات البطريرك وامتيازاته بالنظر الى الكرسي الرسولي والحبر الاعظم . ويوافق ان نأتي ببعض الامثلة من تلك الاصناف الثلاثة :

١ — الصنف الاول : .

ا) جاء في الطبعة اللاتينية[١١] : « الا اننا نعلن ان للسيد البطريرك السامي الاحترام ان يأذن للكهنة عند الضرورة بتلاوة عدة قداديس في عدة مواضع » اما في النص العربي فيقال ان ذلك لا يجوز فعله الا باذن الاسقف[١٢] .

ب) يقال في النص اللاتيني[١٣] : « لا يسوغ لاحد الاكليريكيين ان يتعاطى الطب والجراحة الا باذن صريح من لدن السيد البطريرك السامي

١١) حاشية المؤلف صفحة ١٣٩ سطر ٢٢ (تعريب نجم صفحة ٢٣٥)
١٢) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٥١
١٣) حاشية المؤلف : صفحة ١٨٣ السطر الاخير (تعريب نجم صفحة ٢٩٧)

consono al rito orientale, ovvero per oscitanza, come è avvenuta l'omissione dal n. 7 del capo IV al n. 8 del capo V, segnalata al §. 37, non può sfuggire all'alta sapienza delle VV.EE. la gravità delle varianti contenute nelle tre ultime categorie, e comuni al manoscritto ed alla edizione araba, come quelle che tendono: 1. ad ampliare i diritti e le facoltà de' Vescovi in pregiudizio del Patriarca: 2. ad estendere i privilegi e l'autorità di questo rispetto ai Vescovi ed al clero: 3. e finalmente ad accrescere i privilegi e le prerogative del medesimo Patriarca in riguardo alla S. Sede ed al Romano Pontefice. Delle quali tre classi giova qui riportare alcuni esempi.

I. Ed in quanto alla prima: 1. l'edizione latina, p. 139, linea 22 legge: *sed penes Rmum D. Patriarcham esse declaramus, ut ex urgente necessitate Sacerdotibus permittat plures in diversis terris Missas celebrare.* Il testo arabo invece dice ciò potersi fare *nonnisi de licentia Episcopi* (*Som.* N. III, p. 51).

2. Ove il testo latino, p. 183, linea ultima, dice: *Medicinam autem aut chirurgiam facere sine expressa Rmi D. Patriarchae facultate nemini clerico liceat*; l'arabo

الاحترام » . اما النص العربي فيبدل البطريرك بالاسقف قائلًا : « الا باذن صريح من لدن الاسقف[١٤] » .

ج) لا يجوز بمقتضى النص اللاتيني[١٥] ان تبنى اديار جديدة للراهبات الا برضى الرئيس المحلي وباذن خاص من السيد البطريرك . امـا النص العربي[١٦] فيكتفي لذلك برضى الرئيس المحلي .

د) انه في الطبعة اللاتينية[١٧] يؤمر بشأن انشاء الاخويات : « ان لايقدم احـد بامرة نفسه ودون مشورة السيد البطريرك السامي الاحترام على انشاء الاخويات في كنائس بطريركيتنا ومعابدها . . . ولا يجسرنَّ على ادخال ما كان منها منشأً في الخارج عند ابناء طائفتنا الا برخصة خاصة من لدن السيد البطريرك السامي الاحترام » . اما في النص العربي فقد ابدلت في المحلين لفظة بطريرك بلفظة اسقف .

٢ – ويمكن الاشارة الى الفروق التالية من الصنف الثاني .

ا) في النص اللاتيني[١٨] يحرم على الكهنة ادخال طقوس جديدة او اعمال

١٤) حاشية المؤلف : مجـل عدد ٣ صفحة ٥٨

١٥) حاشية المؤلف : صفحة ٣٠٨ (تعريب نجم صفحة ٤٦٦)

١٦) حاشية المؤلف : مجـل عدد ٣ صفحة ٧٠

١٧) حاشية المؤلف : صفحة ٣١٨ (نجم صفحة ٥١٥)

١٨) حاشية المؤلف صفحة ٣٠٤ عدد ٩ (نجم صفحة ٣٣٢)

al Patriarca sostituisce il Vescovo: *sine expressa Episcopi licentia* (*Som.* N. III, p. 58).

3. Secondo il testo latino, p. 308, non si potrebbero istituire nuovi Monasteri senza il consenso dell'Ordinario, e *l'indulto speciale del Patriarca*; l'arabo (*Som.* N. III. p. 70) non richiede, se non il solo consenso dell'Ordinario.

4. Parimenti, mentre l'edizione latina, p. 318 n. 2, parlando dell'erezione di confraternite (sic), ordina: *Nemo privata auctoritate, et inconsulto Rmo D. Patriarcha erigere audeat Confraternitates in Ecclesiis vel Oratoriis totius Patriarchatus... neque alibi erectas, praesumat apud nostros introducere sine speciali ejusdem Rmi D. Patriarchae indulto*; nell'arabo in ambedue i luoghi al Patriarca si sostituisce il Vescovo.

II. In quanto alla seconda categoria sarebbero da notarsi le seguenti varianti: 1. Nel testo latino p. 204 n. IX si proibisce ai Parrochi d'introdurre

تقوية خلواً من اذن صريح من لدن الرئيس المكاني . اما في النص العربي فيقتضي لذلك رضى البطريرك[19] .

ب) جاء في النص اللاتيني[20] «متى كان دخل الكنيسة الكاتدرائية غير وافٍ لرعاية المقام الاسقفي ولا كافٍ لسد حاجات الكنائس وجب على السيد البطريرك السامي الاحترام ان يستدعي من يعنيهم الامر الى مجمع اساقفة ... » اما النص العربي فقد اهمل هذه العبارة : الى مجمع اساقفة .

ج) ويعتبر اشد خطورة ما غُيّر في النص العربي على حساب الامتيازات الاسقفية وهو يتعلق بما تحوي الطبعة اللاتينية في الصفحة ٦٢ : « اما سلطان التبريك على الزيت المقدس فاول ما يناط امره بالاساقفة » . وقد نقل ذلك الى النص العربي على هذا الشكل : « ان التبريك على الزيت المقدس من خصائص السيد البطريرك» .ولو اكتفى الرؤساء اللبنانيون على حد قول سيادة ڤالرجا الصائب[21] بان يقولوا ما قيل ادناه في نفس النص العربي : « لقد جرت العادة الا يبارك احد على الزيت المقدس غير السيد البطريرك » لكان بامكاننا

١٩) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٦٠

٢٠) حاشية المؤلف : صفحة ٢٣٢ (مجم صفحة ٢٧٧)

٢١) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤ مقطع ١٣

nuovi riti od esercizi di pietà senza l'espressa licenza dell'Ordinario; nell'arabo al contrario si richiede la facoltà del Patriarca (*Som.* N. III, p. 60).

2. Ove il testo latino, p. 232 legge: *Quum igitur Cathedralis Ecclesiae reditus Episcopali dignitati nullo modo respondent, neque ecclesiarum necessitati sufficiunt, examinet Rus D. Patriarcha in Episcoporum synodo vocatis iis, quorum interest...*; l'arabo sopprime *in episcoporum synodo.*

3. Più grave è da considerare la variante introdotta nell'arabo in pregiudizio delle prerogative episcopali, la quale riguarda ciò che leggesi nell'edizione latina a pag. 62 *benedicendi Olei potestas primario et principaliter penes Episcoporum residet*; mentre l'arabo traduce: *Benedictio Chrismatis propria est D. Patriarchae.* Se i Prelati Libanesi, come rettamente osserva Mons. Valerga (*Som.* N. IV, §. 13) si fossero limitati a dire come più sotto leggesi nello stesso arabo: *Consuetudo est, quod nullus omnino praeter D. Patriarcham conserat oleum sanctum*, si sarebbe potuto considerare questa consuetudine come un fatto, e quale restrizione e

ان نعتبر هذه المادة كأمر واقعي ، و ن ذلك الحصر والاحتفاظ اوتي بهما لصالح البطريرك كما يجري في الحوادث المحفوظة . اما ان يكون هذا التبريك من خصائص البطريرك بينما النص اللاتيني يعلّم انه اول مـا يناط بالاساقفة فيبدو ان هذا تعبير يمس بالمبدأ .

د) ويعود اخيرًا الى هذا الصنف اهمال جاء في النص العربي[٢٢] في نقل محل من النص اللاتيني[٢٣] هذا فحواه : « فيقتضي الحق الحاضر اذن يناط بالسيد البطريرك السامي الاحترام انتخاب المطارنة والاساقفة ورسامتهم ولكن بمشورة ورضى مجمع الاساقفة والمطارنة ... ثم يختار ممن رشحوهم من يريد هو صادرًا عن رأي المجمع ومشورته ». فالنص العربي لا يذكر الكلام المشار اليه بخط وبذلك يمنح البطريرك سلطة لا حد لها في انتخاب الاساقفة .

٣ – ويستحق الذكر من الصنف الثالث :

ا) التغيير القائم في الصفحة ٢١ عدد ١٢ من الطبعة اللاتينية حيث يؤمر البطريرك بان يعهد الى رجال من ذوي العلم نقد سنكسار الكنيسة المارونية

٢٢) حاشية المؤلف : محل عدد ٣ صفحة ٦١

٢٣) حاشية المؤلف : صفحة ٢٢٥ عدد ١٥ (نجم صفحة ٢٦٦)

riserva fatta a favore del Patriarca, come accade nei casi riservati. Ma il dichiarare che questa benedizione *propria est Patriarchae,* mentre il latino insegna *che primario et principaliter penes espiscoporum residet,* sembra una mutazione che affetta il principio.

4. Finalmente appartiene anche a questa categoria l'omissione che fa l'arabo (*Sum.* N. III, p. 61) nel periodo del testo latino, p. 225 n. 15, ove leggesi: «Ad Rmum igitur D. Patriarcham solum jure praesenti spectat Metropolitanorum et episcoporum electio et consecratio, *requisito tamen consilio et assensu synodi Episcoporum et Metropolitanorum...* et ex illis, quos ipsi postulaverint, quem ipse *cum assensu et consilio synodi* voluerit eligat.» Nell'arabo mancano tutte le parole in corsivo; con che si concede al Patriarca un'autorità illimitata nell'elezione dei Vescovi.

III. Relativamente alla terza categoria sono degne di nota:

1. La variante apportata alla p. 21, n. 12 dell'edizione latina, ove, dopo aver ordinato al Patriarca di fare emendare da persone perite il *Synaxarium*

ثم يضاف : « والنسخة التي يصححونها تحريرًا وتهذيباً يجب رفعها الى الكرسي الرسولي المقدس ليحكم بتصديقها او بتنقيحها » . اما في النص العربي فانه لا يؤتى على ذكر الكرسي الرسولي بل يُرسم ما يلي : « ولترفع بعد ذلك الى السيد البطريرك ليثبتها ويرخص بتلاوتها في الكنائس »[٢٤] .

ب) وخطير هو ايضاً الاهمال الوارد في النص العربي[٢٥] والمتعلق برسوم القوانين القديمة الناظرة في الدعاوى المقامة على الاساقفة . والعبارات المهملة هي[٢٦] : « وهؤلاء كلهم (الاساقفة المتشون في مجمع) يحق لهم أن يسيروا في تحقيق دعوى الاسقف الى اختتام التحقيق فقط لانه محفوظ لقداسة الحبر الروماني ان يصدر الحكم النهائي بالتبرئة او بالتجريم » .

ج) وفي نفس المحل ايضاً يدور الكلام على مراسيم التريدنتي في نفس الموضوع وقد جاء في النص اللاتيني : « فبدلاً من ثلاثة او ستة اساقفة ... يمكن حضور قدرهم عدداً من رؤساء الاديار ممن يحق لهم استعمال التاج والعصا بانعام رسولي » . اما النص العربي فيقال فيه : « ... بانعام من الكرسي الرسولي او البطريرك . »

٢٤) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٢٥
٢٥) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٣٣
٢٦) حاشية المؤلف : الطبعة اللاتينية صفحة ٥٣ عدد ٥

---

seu Martyrologium della Chiesa Maronita, si soggiunge: *Exemplar autem ab ipsis revisum, ac emendatum Sanctae Sedis Apostolicae iudicio probandum vel emendendum transmittatur*: nell'arabo non si fa punto menzione della Sede Apostolica, ma semplicemente si prescrive: *Postea transmittatur ad Dum Patriarcham, ut illud probet, eiusque lectionem in ecclesiis permittat* (*Som.* N. III, p. 25).

2. Grave è pure l'omissione avvenuta nell'arabo (*Som.* N. III, p. 33) delle disposizioni degli antichi canoni relativi alle cause contro i Vescovi, massime delle parole (Edizione latina, p. 53, n. 5): *Qui omnes* (Episcopi in synodo congregati) *poterant procedere contra Episcopum ad conclusionem tantum, quum definitio tam circa condemnationem, quam absolutionem, reservata esset SSmo Romano Pontifici.*

3. Inoltre nello stesso luogo, parlandosi delle disposizioni del Tridentino sul medesimo soggetto, ove nel latino si ha: *loco trium, vel sex episcoporum... adhibendos esse totidem Abbates, usum Mitrae et baculi ex privilegio apostolico habentes;* l'arabe legge: ...ex privilegio *Apostolicae Sedis et Patriarchae.*

د) وشبيه هو بالمذكور منذ هنيهة الاهمال الاخر المتعلق بنفس الموضوع وبراسيم التريدنتي[٢٧] وهو يقع في الصفحة ٥٤ من النص اللاتيني حيث مدار الكلام على التفويض الذي يمنحه الحبر الروماني للقيام بالتحقيق في دعاوى الاساقفة وقد جاء بعد هذا الكلام ما يأتي : « بحيث يقتصر على تحقيق الواقع » فان هذه العبارة لم تذكر في النص العربي[٢٨] .

ه) وهناك اهمال اخر يتناول عبارات النص اللاتيني[٢٩] : « للبطريرك دون غيره ان يترخص تفسيحاً بقوة ما له من اطلاق اليد الموكول اليه من لدن الحبر الروماني في الموانع المبطلة للزواج وفي نذر العفة الدائمة ودخول الرهبانية الموصوفين بالبساطة .» وقد اهمل النص العربي : « بقوة ما له من اطلاق اليد الموكول اليه من لدن الحبر الروماني .» وجاء ادناه في النص اللاتيني : « فاذا كان مريدا الزواج متقلبين في حالة الفقر وجب على الرئيس المحلي ان يسعى لدى الكرسي الرسولي او لدى معتمده في التماس رخصة التفسيح لهما مجاناً كما يطلب للفقراء ويصح ايضاً بل يجوز . . . لانه في مثل هذه الضرورة يُقدّر ان الحبر الاعظم او معتمده لا يريد الاستئثار برخصة التفسيح » اما النص العربي فانه

٢٧) حاشية المؤلف : جلسة ٢٤ باب ٥ في الاصلاح
٢٨) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٣٣ . حاشية ١
٢٩) حاشية المؤلف : صفحة ٨٤ (نجم صفحة ١٣٥)

4. Simile alla poc'anzi riferita omissione è l'altra riguardante lo stesso soggetto e le prescrizioni del Tridentino (*ses. 24 cap. 5 de Ref.*), a p. 54 del testo latino; ove, dopo aver parlato della delegazione fatta dal Romano Pontefice per l'istruzione del processo nelle cause de' Vescovi, si soggiunge: *nec unquam plus his tribuat, quam ut solam facti instructionem sumant*, le quali parole vengono omesse nell'arabo (*Som.* N. III, p. 33 nota 12).

5. Altra omissione è fatta nel periodo del testo latino, a p. 84: *Solus Patriarcha ex concessione Romani Pontificis dispensare potest circa impedimenta dirimentia, et circa votum simplex et absolutum perpetuae castitatis et religionis*, in cui l'arabo ha soppresso: *ex concessione Romani Pontificis*. E più sotto, ove il latino legge: «Si vero partes penuria laborent, debebit Ordinarius dispensationem *apud Sedem Apostolicam vel Delegatum* prosequi in forma pauperum ut gratis obtineatur... valet etiam et licita est... in illis enim angustiis censetur *Summus Pontifex, aut ejus*

يترك الكلمات المشار اليها بخط والمعبرة عن الكرسي الرسولي ومعتمده ويبدلها بلفظتي البطريرك ونائبه[٣٠]

و) لا يختلف عن السابق الاهمال الواقع في نقل عبارات النص اللاتيني صفحة ٢٥١ حيث قُرر ما يلي: « يحق للسيد البطريرك السامي الاحترام بمقتضى التفويض الخاص من لدن الكرسي الرسولي ان يفحص ... عن الدعاوى الجنائية الكبرى الموجهة على الاساقفة. » فقد ترك النص العربي العبارات التالية « بمقتضى التفويض الخاص من لدن الكرسي الرسولي[٣١]. » على ان هذه العبارة قد رددت في غير محل . وينبغي ان يشار الى ان هذه العبارة قد زادتها يد غريبة في المخطوط اللاتيني الذي حمله السماني الى الشرق واستند اليه في كتابة النص العربي .

ز) وجاء كذلك في النص اللاتيني[٣٢]: « للبطريرك ان يتقلد الحلى والحلل البطريركية. » واما في النص العربي فيقال : « حلى وحلل الحبر الروماني. » وانه لعدل ان يمنح البطريرك تقلد حلى وحلل الحبر الروماني بعد ان اعطي كل

٣٠) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٤٠

٣١) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٦٣

٣٢) حاشية المؤلف : صفحة ٢٦٠ (نجم صفحة ٤٢٣)

Delegatus dispensationem sibi minime reservari velle.» L'arabo all'espressioni in corsivo, e riguardanti la Sede Apostolica ed il Delegato, ha sostituito *Patriarca e suo Vicario* (*Som.* III, p. 40).

6. Non dissimile alla precedente è l'omissione fatta nel periodo latino. (sic) p. 251, ove si stabilisce: *causae criminales graviores contra episcopos.... ex speciali commissione Sedis apostolicae a Rmo D. Patriarcha cognoscantur*. L'arabo ha soppresso: *ex speciali commissione Sedis Apostolicae* (*Som.* N. III, p. 63), sebbene tal clausula si trovi ripetuta altrove. E' da notare però che nel manoscritto latino, portato seco dall'Assemani in Oriente, e sul quale fu composto il testo arabo, la stessa clausula si vede aggiunta *aliena manu*.

7. Similmente, laddove nel latino, p. 260, è detto: *Patriarcha potest patriarchalibus insigniis et ornamentis uti*; nell'arabo si legge... *potest insigniis et ornamentis Romani Pontificis uti*. Era troppo giusto che, dopo aver concesso al Patriarca quasi tutte le facoltà del Romano Pontefice, gli si dessero anche le insegne!

سلطانه تقريباً ! ولا بد من الاشارة هنا ايضاً الى ان المخطوط اللاتيني المذكور كان يشتمل على نفس الكلام الذي نُقل عنه بالتالي الى النص العربي .

ح) وجاء اخيرًا في النص اللاتيني الكلام التالي[33] : « لا يجوز للبطريرك ان يباشر امرًا مهمًا او كبيرًا بغير اذن الحبر الروماني » واضاف عليه النص العربي هذا القيد : « وذلك في الامور المتعلقة بالايمان وبما قيل سابقاً عن حط الاساقفة » . وغير خافية هي ولا شك عن ادراك نيافاتكم الثاقب خطورة هذه الزيادة المقيدة سلطان الحبر الروماني المألوف .

٤١) ويمكن ان يضاف الى المغايرات المذكورة آنفاً غيرها لا تقل عنها اهمية منها :

١) تلك التي تتناول القانون السادس المعروف من مجمع نيقية . فان النص اللاتيني ينقل بصواب ما يلي[34] : «لترعَ العادة القديمة في مصر . . . بحيث يكون لاسقف الاسكندرية سلطان على كل هذه . فان لاسقف رومية مثل هذه العادة .» اما النص العربي فقد نقل : « لترعَ العادة القديمة في مصر . . بحيث يكون لاسقف الاسكندرية سلطان على كل هذه . وليكن مثل هذه العادة

٣٣) حاشية المؤلف : صفحة ٢٦٣ (تعريب نجم صفحة ٤٢٨)

٣٤) حاشية المؤلف : صفحة ٢٦٠ (نجم صفحة ٣٤٨)

Però anche qui è da notare che la stessa lezione si trovava nel suddetto manoscritto latino, e da questo per conseguenza passò nell'arabo.

8. Finalmente alle parole del testo latino, p. 263: *Patriarchae non liceat sine auctoritate Romani Pontificis arduum et grave negotium suscipere*; nell'arabo fu aggiunta la restrizione: *in rebus fidei, et in his, quae supra dicta sunt de depositione Episcoporum.* La gravità della quale restrizione fatta alla potestà ordinaria del Romano Pontifice, non può certamente sfuggire all'illuminato giudizio dell'EE. VV.

41. Alle sopraccenate varianti potrebbero aggiungersi altre di non minore entità, come sarebbe: 1. quella fatta al celebre canone 6. del Concilio Niceno, imperocchè ove il latino, p. 214, rettamente legge: *Antiqua consuetudo servetur per Aegyptum... ita ut Alexandrinus Episcopus horum omnium habeat potestatem: quia et Urbis Romae Episcopus parilis mos est»*, l'arabo traduce: *Antiqua consuetudo servetur per Aegyptum... ita ut Alexandrinus Episcopus horum omnium habeat potestatem. Et ut*

لاسقف روميه » ويقول سيادة فالرجا بصواب[٢٥] « انه ينتج عن ذلك التحرير اولًا ان الاباء النيقاويين عينوا حدود سلطة البطريرك الاسكندري قبل تعيين حدود سلطة الحبر الروماني وثانياً، وهذا اشد خطورة، ان مدى سلطة الحبر الروماني لم يعينه المسيح بل هذا المجمع .

ب) ولن نضرب صفحاً عن المغايرة المتعلقة بانتخاب البطريرك لانها قد تسبب جدالاً[٢٦] فان الطبعة اللاتينية[٢٧] تقضي بضرورة ثلثي الاصوات لتعيين الاشخاص المنتخبين اما النص العربي فيكتفي بالاكثرية اي بالنصف المنحاز اليه واحد .

ج) ويستحق الذكر الالتباس المرتكب في تعريب العبارة التالية من النص اللاتيني[٢٨] حيث يتعلق الكلام بما يحق للبطريرك والاساقفة من سلطة لان يحفظوا لنفوسهم الحل من بعض الخطايا : « وللاساقفة باجمعهم كل منهم في ابرشيته . . يجوز وذلك باعتبار ما لهم من السلطان على مرؤوسيهم والسيادة على من هم دونهم رتبة من الكهنة ولا سيما في شأن الحوادث الملق عليها تأديب الحرم »

٢٥) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٦٠
٢٦) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٦٦ حاشية ٢
٢٧) حاشية المؤلف : صفحة ٢٦٩ (تعريب نجم صفحة ٤٢٦)
٢٨) حاشية المؤلف : صفحة ٤٥ عدد ١ (نجم صفحة ٧٢-٧٣)

Urbis Romae Episcopo parilis mos sit. Dalla quale redazione non solo risulterebbe, come con ragione osserva Mons. Valerga (*Som.* III. p. 60), che i Padri Niceni abbiano definito i limiti della giurisdizione del Patriarca Alessandrino prima di quelli del Romano Pontefice; ma anche, e ciò sarebbe più grave, che la giurisdizione di questo sia stata determinata da quel Sinodo, non già da Cristo.

2. Non è da passare sotto silenzio la variante che riguarda l'elezione del Patriarca, come quella che potrebbe dar causa a contestazioni (*Som.* N. III, p. 66 *nota* 2a); giacchè mentre l'edizione latina (p. 269; 342 XVII) richiede due terzi dei suffragi per la designazione delle persone eligende, l'arabo si contenta della maggioranza, cioè della metà più uno.

3. Parimenti è da rilevare l'ambiguità con cui fu tradotto il seguente brano latino (p. 45 n. 1), nel quale si fa parola della facoltà residente nel Patriarca e nè Vescovi di riserbarsi l'assoluzione di certe colpe: *et episcopis omnibus in sua cuique Dioecesi... liceat pro tradita illis in subditos supra reliquos inferiores sacerdotes*

وقد عرب ذلك الكلام بما يلي[٣٩] : « وكذلك الاساقفة وكل رئيس بالنظر الى مرؤوسيه لان سلطة الاساقفة على مرؤوسيهم هي اكبر من سلطة الكهنة البسيطين على مرؤوسيهم ولا سيما في شأن الحوادث المعلق عليها تأديب الحرم». قد يُستنتج من هذا التعريب انه يحق لكهنة الرعايا ايضاً ان يحتفظوا لنفوسهم بالحل من بعض الخطايا .

د) وايضاً لم يُبالَ كثيراً بتعريب مقطع النص اللاتيني[٤٠] المتعلق بالمانع الزواجي الناتج عن الخِطبة او الادب العمومي فقد اهملت اولاً الكلمات التالية : « ومتى كانت الخطبة صحيحة فان مانع الادب العمومي ينافي الزواج ويبطله في الدرجة الاولى . » وقد اهملت ايضاً الكلمات الاتية : « وتسمى الادب العمومي » الواردة في الجملة التالية : « واما بحسب الشريعة المدنية فتنشأ القرابة الاهلية ايضاً عن الزواج المقرر وان كان غير مكمّل وتسمى الادب العمومي »[٤١] اما النص العربي، والحق يقال، قد حافظ على كل العدد الحادي عشر من الطبعة اللاتينية[٤٢] وهو يتعلق بالمانع المذكور وفقاً لفكر المجمع التريدنتي .

٣٩) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ - صفحة ٣١

٤٠) حاشية المؤلف : صفحة ٧٣ و٧٧ (نم صفحة ١٢٢ و١٢٧)

٤١) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٣٨ حاشية ٢

٤٢) حاشية المؤلف : صفحة ٧٦ (نم صفحة ١٢٧)

---

auctoritate, praesertim quoad illa, quibus excommunicationis censura adnexa est. Il qual periodo vien così tradotto in arabo (*Som.* III, p. 31): *Similiter Episcopi, et omnis superior in suos subditos. Auctoritas enim eorum* (episcoporum) *in suos subditos major est auctoritate simplicium sacerdotum in suos subditos, praesertim in casibus, quibus excommunicationis censura adnexa est.* Dalla quale traduzione deriverebbe forse anche nei Parochi il diritto di riservarsi l'assoluzione di certi peccati.

4. Troppo trascuramente si è altresì tradotto nell'arabo la parte del latino (p. 73 e 77). relativa all'impedimento matrimoniale *iustitiae publicae honestatis,* poichè, primieramente si sono omesse le parole : *et ubi sponsalia valida fuerint, iustitiae publicae honestatis impedimentum, initas in primo gradu nuptias irritas ac nullas facit*; e poi anche trascurate le altre: *quae publica honestas vocatur,* nel periodo seguente: «Secundum legem vero civilem nascitur quoque affinitas ex matrimonio rato, licet non consummato, *quae publica honestas vocatur* (*Som.* III, p. 38 *nota* 2)». E' vero peraltro essersi ritenuto nell'arabo tutto l'articolo XI, che

ه) وبما اننا نتكلم عن الموانع فلا يخلو من فائدة ان نشير ايضاً الى ما رُسم[٤٣] وفقا لقوانين المجمعين اللاتراني والتريدنتي بشأن اجراء المناديات الثلاث ، وتعيين صيغتها ايضاً ، التي يجب ان تسبق الاحتفال بالزواج . وقد حذف في النص العربي كل العدد المذكور واستعيض عنه بمعنى العدد الذي بعده[٤٤] من النص اللاتيني وفيه ينزل الحرم بالذي لا يقوم بالمناديات[٤٥] ويبدو واضحاً ان المعرّب لم يهمل سهواً الامر بالمناديات بل عمداً لانه لم يحذف فقط العدد ٢٠ بل ايضاً الاعداد الثلاثة التالية[٤٦] التي تعين طريقة القيام بالمناديات . وقد حذف ايضاً من العدد ٣٠ القسم المتعلق بواجب الكاهن ان يكتب في سجل الزواجات ان « اذا كان قام بالمناديات كلها » . وان اضرب صفحاً ايضاً عن مغايرة اخرى تتعلق باشراك العلمانيين بحجابة الجمع المنعقد لانتخاب البطريرك الجديد . وهذه المغايرة لفتت نظر الآباء السامي احترامهم في اجتماع التاسع من كانون الاول سنة ١٨٤٥ عندما عُرض للبحث انتخاب الاساقفة للبطريرك يوسف الخازن[٤٧] .

٤٣) حاشية المؤلف : الطبعة اللاتينية صفحة ٨٨ (نجم صفحة ١٤٣ عدد ٢٠)

٤٤) حاشية المؤلف : عدد ٢٤

٤٥) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٤١

٤٦) حاشية المؤلف : وهي الاعداد ٢١ و٢٢ و٢٣

٤٧) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٦ (من هذا المقال)

trovasi a p. 79 dell'edizione latina, relativo al prefato impedimento secondo la mente del Tridentino.

5. E poichè trattasi degl'impedimenti, non sarà inutile notare altresì come a p. 88 dell'edizione latina, paragrafo 20, si prescrivono a norma dei canoni de' Concilii Lateranense e Tridentino le tre denunziazioni, e perfino la formola di esse, da premettersi alla celebrazione del matrimonio; ma nell'arabo trovasi soppresso tutto il suddetto paragrafo, e si trova invece sostituito il senso del susseguente n. 24 dell'edizione latina, ove s'infligge la scommunica a chi non denuncia (*Som.* III, p. 41). Si scorge evidentemente che il traduttore arabo non *oscitantia*, ma *studio* ha omesso il precetto delle *publicazioni*. Poichè traslacia non solo il paragrafo 20, ma anche i tre susseguenti 21-23, ne' quali si prescrive il modo delle dette denunziazioni; come pure ha soppresso nel paragrafo 30 la parte che riguarda l'obbligo del Parroco di scrivere nel libro dei Matrimonii: *si denunciationes omnes fecit.* Non credo altresì passar sotto silenzio altra variante relativa all'intervento de' laici alla custodia del Sinodo nella elezione del nuovo

ج. في الطبعة اللاتينية[٤٨] بهذا الصدد : « اذا كان اليوم التاسع فليختر من حضر من الرؤساء ثلاثة من الكهنة يُعين اثنان منهم كاتبي اسرار المجمع والثالث حاجباً .» اما الطبعة العربية[٤٩] ، فانها بعد « والثالث حاجباً » تزيد : « وليعيّن معه حاجبان آخران من الاعيان العلمانيين » وينبغي كذلك ان نلفت نظر نيافاتكم الى الخطأ التعليمي المرتكب في النص العربي والمتعلق بسلطة الكنيسة في التفسيح من موانع الزواج . تقول الطبعة اللاتينية[٥٠] : « وهذه الموانع المبطلة المار ذكرها آنفاً لا تستطيع الكنيسة ان تترخص فيها تفسيحاً لانها من اوضاع الناموس الالهي والطبيعي بخلاف مما سواها من الموانع التي بُدئ بذكرها آنفاً من العدد الاول الى العدد الرابع عشر فان للكنيسة ان تترخص فيها تفسيحاً لانها مما رسمه شرع الكنيسة الوضعي » فالنص العربي يصرح بعكس ذلك قائلاً : « فهذه الموانع المبطلة لا تستطيع الكنيسة ان تترخص بشيء منها تفسيحاً لانها من اوضاع الناموس الطبيعي الالهي وهي التي عددناها من العدد الاول الى العدد الخامس عشر . واما الموانع الأخرى فان

٤٨) حاشية المؤلف : صفحة ٢٦٧ عدد ٤ (تعريب نجم صفحة ٤٢٤)
٤٩) حاشية المؤلف : صفحة ٣٩٩
٥٠) حاشية المؤلف : صفحة ٨٣ (نجم صفحة ١٢٣)

Patriarca, come quella che richiamò l'attenzione degli Emi Padri nella generale adunanza dei 9 Decembre 1845, quando fu esaminata la elezione fatta dai Vescovi del Patriarca Giuseppe Gazzeno (§. 34). Nell'edizione latina p. 267 n. IV si legge in proposito: *Nona die a Praelatis, qui reperti fuerint, eligantur tres Sacerdotes, quorum duo erunt Secretarii synodi, ac tertius ianuae custos.* L'edizione araba, p. 399, dopo le parole: *ac tertius ianuae custos* aggiunge: *et cum eo duo notabiles laici, ut ianuam custodiant.* Parimente è da richiamare l'attenzione delle EE.VV. sull'errore dottrinale occorso nel testo arabo circa l'autorità della Chiesa di dispensare dagl'impedimenti matrimoniali. Intorno a che l'edizione latina, p. 83, legge: *In supra enumeratis impedimentis dispensare nequit Ecclesia quia juris sunt divini et naturalis. At in reliquis etiam dirimentibus quae supra recensimus a numero primo usque ad decimum quartum, et multo magis in aliis, quae sunt mere prohibentia, potest Ecclesia dispensare; eo quod sunt juris ecclesiastici positivi.* Il testo arabo al contrario così si esprime: *In supradictis impedimentis dirimentibus non potest Ecclesia dispensare quidquam, proveniunt enim ex lege naturali divina, et sunt ea quae numeravimus a numero primo usque ad decimum quintum. In reliquis vero impedimentis Ecclesia dispensat;*

للكنيسة ان تترخص فيها تفسيحاً لانها مما رسمه الشرع الكنسي الوضعي»[٥١].
وينبغي ان نشير اخيراً الى ان المخطوط العربي وطبعته لا يشتملان مطلقاً على الاصلاحات الخمسة عشر التي امر بها المجمع المقدس بقرار اتخذه في الاجتماع الخاص بتاريخ ٢٧ آب سنة ١٧٤١[٥٢]. وسنتكلم باسهاب في الفصل الثالث عن التحريف الشديد الخطورة الذي يتناول براءة اكليمنت الثامن التي تمنح البطريرك الماروني سلطة لان يترخص تفسيحاً في بعض موانع الزواج .

٤٢) وكان التلخيص الحاضر ابان الطبع لما وصلت الى السيد الكردينال الرئيس السامي النيافة بعض اوراق ارسلها سيادة بياقي القاصد الرسولي في سوريا بتاريخ الخامس عشر من نيسان القريب الغابر. وقد اجاب بها على الطلب الذي وجهه اليه الرئيس السامي النيافة المذكور في شهر آب سنة ١٨٨٢ ودون فيها المغايرات القائمة ، بين الطبعتين العربية واللاتينية المجمع المتول عنه ، في الفصل الحادي عشر من القسم الثاني في سر الزواج . وقد ذُكِر القسم الاكبر من هذه المغايرات في المجمل[٥٣]. واما الاخريات فاننا نرى موافقاً ان نوردها هنا بكاملها بالرغم من انها ضمن ما لم تذكر مما اشرنا اليه في المجمل السابق الذكر.

٥١) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٣٩

٥٢) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١٣ (من هذا المقال)

٥٣) حاشية المؤلف : عدد ٣ صفحة ٢٥ و٣٧–٤٣

---

quia sunt juris ecclesiastici positivi (*Som.* N. III, p. 39). E' da notare in fine, che tanto nel manoscritto quanto nell'edizione araba, mancano assolutamente le 15 correzioni ordinate dalla S. Congregazione Particolare colla decisione de' 27 Agosto 1741 (§. 13). Della gravissima interpolazione fatta alla Bolla di Clemente VIII relativa alla facoltà concessa al Patriarca de' Maroniti di dispensare da alcuni impedimenti, si parlerà diffusamente nel Capo terzo.

42. La presente Ponenza stava in corso di stampa, quando sono pervenuti all'Emo Sig. Card. Prefetto alcuni fogli di Mons. Piavi, Delegato Apostolico della Siria, in data dei 15 Aprile p.p., nei quali, corrispondendo all'invito fattogli dallo stesso Emo Prefetto nell'Agosto 1882, nota le varianti tra l'araba e la latina edizione del Sinodo in discorso nel capo 11mo, Parte II «De matrimonio». La maggior parte di dette varianti è riportata già in *Sommario* n. III, p. 25 e 37-43; le altre, quantunque siano comprese nelle reticenze accennate nello stesso *Sommario*, pure si crede opportuno di qui riportarle interamente:

ان طبعة «لاتينية[٥٥] تقول في ذكره السبب الثامن لفسخ الخطبة : « بروز خصومة شديدة بين الخطيبين ». اما النص العربي فلم يهمل فقط: «بين الخطيبين» بل اضاف ايضاً : « وغيرها من الموانع التي سيأتي ذكرها في محلها ».

وفي المحل نفسه العدد الرابع يقول النص اللاتيني : « فليعتن الاساقفة بفرض العقوبات ... في جانب الخطيبين ما داما لا يتمان عقد الزواج في الحال بموجب طقس الكنيسة منعاً لهما لا عن الاقامة معاً فقط بل عن مبادلة كل معاشرة ومخالطة بينهما باي نوع كان » . اما النص العربي فانه يكتفي فقط بما يلي : « على الخطيبين ان يمتنعا عن الاقامة معاً وفقاً لعادة الكنيسة » . وفضلاً عن ذلك فان النص اللاتيني يحفظ للرئيس المكاني الحل من خطيئة الخطيب مع خطيبته فقط اما النص العربي فانه يحفظ خطيئة الاثنين معاً .

وفي المحل نفسه من النص اللاتيني يحرض كاهن الرعية على تسجيل الخطبة في سجل خاص ثم يضاف : « ونريد ان تعتبر شهادة كاهن الرعية المنقولة عن هذا الدفتر اعتبار بينة قاطعة على انعقاد الخطبة وفسخها » اما النص العربي فيقول : « يجب ان تكتب هذه الشهادة على ورقة وتدفع الى الخطيبين متى فسخت خطبتهما لبيان ما قد جرى » .

---

٥٥) حاشية المؤلف : صفحة ٧٣ سطر ١٣ (تعريب نجم صفحة ١١٧).

L'edizione latina p. 73, linea 13, notandosi l'ottava causa per cui possono sciogliersi i sponsali, dice: *ex subortu capitalium inimicitiarum inter sponsos*. L'arabo non solo omette *inter sponsos*, ma aggiunge: *et impedimenta alia, quorum recordatio fiet proprio loco*.

Ibid. n. 4 ove il latino dice: «Episcoporum cura sit poenis... sancire, ne sponsi, priusquam matrimonium in Ecclesia per verba de praesenti ex ritu celebraverint, non modo simul non habitent, sed ne ullo quidem modo mutua consuetudine, commerciove utantur.» L'arabo invece ha solo: *Sponsi abstineant simul cohabitare juxta consuetudinem Ecclesiae*. Di più mentre ivi il latino riserva all'Ordinario soltanto il peccato dello sposo colla sposa, l'arabo riserva la culpa di ambedue.

Ibid. n. 5 inculcandosi al Parroco nel testo latino di segnare in apposito libro i sponsali, si soggiunge: *Ex quo libro extractam Parochi fidem, tum contractorum, quam dissolutorum sponsalium plenam probationem facere volumus*. L'arabo dice: «Hoc

وفي المحل نفسه[٥٥] من النص اللاتيني يسن ما يلي : « اذا كانا يريدان التعاقد طوعاً واختياراً وبقتضي الاهلية المطاوبة للسر » اما النص العربي فيقول: « اذا كانا راضيين ام لا » .

وفي نفس المحل[٥٦] من النص اللاتيني يقال : « يتوجب (على كاهن الرعية) ان يعرف ما هي الموانع القانونية لعقد الزواج او المبطلة له وما هي درجات القرابة الدموية والاهلية » . اما النص العربي ففيه ما يلي : « يتوجب (على كاهن الرعية) ان يعرف ما هي الموانع القانونية المانعة من عقد الزواج او التي تمنعه بعد عقده اي ما هي درجات القرابة الاهلية والدموية » .

والنص اللاتيني في كلامه عن اختلاف الدين يقول[٥٧] « ولا يسمح بعقد خطبة مع اليهود او الوثنيين» اما النص العربي فقد كُتب فيه « زواج » بدلا من « خطبة » .

ويقول النص اللاتيني في كلامه عن الخطف[٥٨] « الا اذا اظهرت المخطوفة رضاها للخاطف بعد حصولها على مأمن وحرية » اما النص العربي ففيه ما يلي :

٥٥) حاشية المؤلف : عدد ٦
٥٦) حاشية المؤلف : عدد ٧
٥٧) حاشية المؤلف : صفحة ٧٨ (تعريب نجم صفحة ١٢٥)
٥٨) حاشية المؤلف : صفحة ٨٠ عدد ١٤ (نجم صفحة ١٢٩)

---

testimonium scribatur in charta et tradatur sponsis solutis in fidem corum quae acciderunt.»

Ibid. n. 6 Ove nel latino si prescrive: *utrum sponte, libere, et secundum honestatem sacramenti velint contrahere*: l'arabo dice: *utrum consentiant, nec ne.*

Ibid. n. 7 Edizione latina «Noverit (Parochus) quae sint canonica impedimenta matrimonii contrahendi, et quae contractum dirimant, et qui sint gradus consanguinitatis, et affinitatis.» L'arabo ha: «noverit... quae sint impedimenta canonica impedientia matrimonium contrahendi, aut quae impediunt post contractum; *id est qui sint gradus* affinitatis et consanguinitatis.»

Pag. 78 parlandosi della disparità di culto, il testo latino ha: «At vero cum Judaeis aut paganis sponsalia permitti non posunt.» L'arabo invece di *sponsalia*, ha *matrimonium.*

Pag. 80, n. XIV. Ove il latino parlando del ratto, dice «nisi rapta tuto,

« الا اذا حصلت مخطوبة على محل لا خوف فيه عليها من احد »

وفي الصفحة ٨٢ عدد ١٠ [٥٩] القانون التريدنتي الاتي : « من قال ان درجات القرابة الدموية والاهلية التي وردت في سفر اللاويين هي وحدها تمنع عقد الزواج وتبطله بعد انعقاده وانه ليس للكنيسة ان تترخص تفسيحاً في بعضها او ان تزيد عليها موانع اخرى معلّقة او مبطلة الخ ... » اما النص العربي فقد أساء تعريب هذا القانون بما يلي : « من ظن ان الكنيسة لا يمكنها ان تبطل زواجاً معقوداً وتمنع عقد زواج بموانع درجات القرابة الدموية والاهلية التي يذكرها سفر اللاويين وان الكنيسة لا يمكنها ان تترخص تفسيحاً في بعضها او ان تضع غيرها مما يماثلها الخ ... »

وفي نفس المحل [٦٠] العبارة التالية : « بحكم الناموس الطبيعي الغلط في الشخص ... والخوف او خطف احد عنوة » وقد عُرّبت هكذا : « بحكم الناموس الطبيعي الغلط في الشخص والخوف الشديد اي ذاك الذي يصدر عن الخطف عنوة او عن القتل » .

وفي الصفحة ٨٣ عدد ٤ [٦١] يقال : « ان في الشريعة الانجيلية ... »

٥٩) حاشية المعرب : تعريب نجم صفحة ١٣٢

٦٠) حاشية المؤلف : عدد ١

٦١) حاشية المعرّب : تعريب نجم صفحة ١٣٢

et libero loco constituta consensum raptori praebuerit»; l'arabo ha: «nisi rapta constituta sit in loco, ex quo nullus ex nulla parte sit timor in ea.»

Pag. 82 n. 10. Il canone Tridentino: «Si quis dixerit, eos tantum consanguinitatis et affinitatis gradus, qui in Levitico exprimuntur, posse impedire matrimonium contrahendum, et dirimere contractum, nec posse Ecclesiam in nonnullis illorum dispensare, aut constituere, ut plures impediant, et dirimant, etc.» viene così malamente tradotto dall'arabo: «Si quis opinatus fuerit Ecclesiam non posse dirimere matrimonium contractum, vel impedire contrahendum impedimentis graduum consanguinitatis et affinitatis, quorum mentio fit in Levitico; neque Ecclesiam posse dispensare in aliquibus illorum, aut alios similes illis constituere etc. (sic).

Ibid. I. Le parole latine: «Iure naturali error personae, et metus... sive violenta alicuius abductio»; sono tradotte: «Iure naturali error personae et timor gravis, id est timor qui provenit a violenta abductione et occisione.»

يوجب اطلاق بطلان الزواج المنعقد بين ذوي القرابة الاهلية . » اما النص العربي فيكتفي بهذا القول: «لا يجوز الزواج المنعقد بين ذوي القرابة الاهلية».

واشار سيادة القاصد الى اختلاف آخر[٦٢] يتعلق بالاسباب الدافعة الى التفسيح الزواجي ومنها اجتناب ضرر كبير . اما النص العربي فيشير في هذا المحل الى التفسيح من النذر فقط لا من القرابة الدموية .

ويقصر كذلك النص العربي في تعداد الاسباب التي تسوغ طلب التفسيح بحيث لا يميّز بين الاسباب التي توجب اعطاء التفسيح والتي تسوّغ طلبه .

ويهمل كذلك النص العربي العبارات التالية من النص اللاتيني[٦٣] « ومن اجترأ على عقد الزواج بحضرة كاهن محول على الحضور بالخداع او بالاكراه فليكن محروماً عند الفعل . ويتناول هذا التأديب نفسه كل من ساعد ومالأ على ذلك او اشار به على اطلاق الوجوه والاحوال » .

ان الزواج المقرر بحسب النص اللاتيني[٦٤] « هو الذي ينعقد مرعي الاحكام

٦٢) حاشية المؤلف : صفحة ٨٤ سطر ٣ (تعريب غم صفحة ١٣٤)
٦٣) حاشية المؤلف : صفحة ٩١ عدد ٢٨ (تعريب غم صفحة ١٤٧)
٦٤) حاشية المؤلف : صفحة ٩٥ عدد ٣٢ (تعريب غم صفحة ١٥٢)

Pag. 83. IV. In lege evangelica... invalidae semper fuerunt nuptiae inter affines initae: L'arabo si contenta di dire: «Non licent nuptiae inter affines initae.

Altra variante vien notata da Mons. Delegato alla p. 84, linea 3 relativamente alle cause che motivano la dispensa matrimoniale *ad evitandum ingens damnum*, ove l'arabo accenna soltanto la dispensa del voto, non già della consanguinità.

Parimenti manca l'arabo nell'enumerare le cause che rendono lecita la domanda della dispensa, col non far distinzione tra le cause, per le quali *concedenda est dispensatio*, e quelle che rendono lecita la domanda della dispensa.

Similmente l'arabo tralascia il seguente comma del testo latino (p. 91 n. 28): «Qui Parocho dolose, seu per vim adesse compulso matrimonium celebrare praesumpserint, sint ipso facto excommunicati; eademque poena teneantur, qui auxilium, opem, et consilium quoquomodo praestant.»

Pag. 95, n. 32. Secondo il latino il matrimonio rato è quello «quod servatis servandis per mutuum viri, ac mulieris de praesenti consensum initur.» Ecco

بتبادل رضى الرجل والمرأة في الحال » وحيث ما يقوله النص العربي : « اننا نميز الزواج الذي يثبته الكلام فقط وذلك على اثر تبريك الخطيبين. والزواج الذي يثبته العمل اي الجماع ». ويضيف القاصد ان لفظة « الكلام » وضعت هنا بالنظر الى لفظة « العمل » وليس للتعبير عن الرضى في الحال الذي يظهره الكلام . وهذا واضح مما يتبع لفظة « الكلام » من شرح وهو « وذلك على اثر تبريك الخطيبين » وعليه فان الزواج المقرر بنظر النص العربي هو الذي يعقد بالتبريك دون ان يصار فيه الى التكميل . وفي نفس المقطع يرسم النص اللاتيني انه في حالة الزنى « يسوغ للزوج البار ابعاد الزوج المذنب عن مهاد الزواج » اما النص العربي فيقول : «ان اسباب الفصل (بين الزوجين) هي اولاً زنى احد الزوجين او كليهما . وعليه فقد يتسنى هكذا للزوجين الزانيين ان ينفصلا وهذا لا يبدو موافقاً لا للنص اللاتيني ولا للاداب الصحيحة »

٤٣) وفي الرسالة المضمومة الى اوراق المغايرات المذكورة يحاول سيادة بياڤي المشار اليه ان يبرهن على ان الموارنة اصلحوا نص المجمع اللبناني عندما اقبلوا على نشره باللغة العربية . الا انه لم يكن في متناول سيادته شيء من الوثائق الضرورية لذلك والموجودة في خزانة مجمع الانتشار ولذلك كان اهم ما استند اليه البرهان التالي : « اذا كان النص العربي مترجماً عن اللاتيني فلا

---

invece cosa dice l'arabo: «Distinguimus matrimonium quod firmatur *verbo* tantum, idest post *benedictionem sponsorum*; et matrimonium quod firmatur *opere*, id est *copula*.» Qui la parola *verbo*, soggiunge il Delegato, non fu messa per esprimere il consenso de praesenti espresso colle parole, come è evidente dalla spiegazione che soggiunge «*idest post benedictionem*, ma per contrapporla all'*opere*: così che matrimonio rato è, secondo l'arabo quello che si fa *colla benedizione* senza che sia seguito dalla consumazione. Nello stesso paragrafo, ove il latino prescrive che nel caso di adulterio «coniugi innocenti licitum est nocentem a toro dimittere», il testo arabo dice: «*causae separationis sunt*: 1. *adulterium unius, vel amborum coniugum*» (sic) «così che parebbe che i due coniugi adulteri potrebbero separarsi, il che non sembra conforme non solo al testo latino, ma neanche alla buona morale».

43. Nella lettera poi che accompagna i suddetti fogli delle varianti, il sullodato Mons. Piavi, destituito com'è dei necessarii documenti che si hanno nell' archivio di Propaganda, si studia di provare che i Maroniti nel curare

يكفي ان تشرح الفروق بنسبتها الى جهل المعرب للغة... واذا كان النص العربي هو نفس النص الذي رتبه الاساقفة ووقعوه فيجب، والحالة هذه، ان يقال ان النص اللاتيني الذي اعده السمعاني لم يقبله الاساقفة بكامله او انه ترجمة مزورة للنص العربي وهذا يبدو بعيد الاحتمال لانه اذ ذاك لا يمكن ان يُنزه المجمع المقدس عن تهمة «الاشتراك بهذا التزوير او عن تهمة التواني، على الاقل، لانه ارتضى بهذه الترجمة دون ان يفحصها». وقد اثبتنا اثباتاً كافياً في المقطع الرابع والعشرين ان الموارنة لم يصححوا نص المجمع اللبناني عندما طبعوه وسيظهر فيما بعد ان ما يراه سيادة القاصد بعيد الاحتمال هو شيء واقعي .

باستطاعتنا الآن ان نتساءل عما اذا كانت كل المغايرات القائمة في النص العربي بالنسبة الى النص اللاتيني قد ادخلت فيه بامر آباء المجمع ورضاهم ام انها تحريفات حصلت فيما بعد في المخطوط ومنه انتقلت الى الطبعة العربية . ومما ينبغي الاشارة اليه بهذا الصدد ان القسم الاكبر من هذه المغايرات المذكورة هو من نوع النقص او الاهمال والباقي ناتج عن تعريب منحرف عن معنى النص اللاتيني. وهذان النوعان من المغايرات يجب ان يُنسبا بدون شك الى المعرب

l'edizione araba abbiano corretto il testo del Sinodo Libanese. Ed a tale scopo si serve principalmente del seguente argomento. «Se l'arabo è una traduzione del latino, le differenze non si possono spiegare per ignoranza di lingua nel traduttore... Se poi l'arabo è il testo che fu compilato e firmato dai Vescovi, allora dovrà dirsi o che il testo latino è quello preparato dall'Assemani, e non accettato per intero dall'Episcopato; ovvero rappresenta una traduzione falsificata del testo arabo. *La qual cosa sembra affatto improbabile; imperocchè non si potrebbe scusare la stessa S.C. di complicità, o almeno di negligenza, che avrebbe accettata quella traduzione senza esame.*» Nel §. 24 si è a sufficienza dimostrato che i Maroniti non hanno corretto nell'edizione il testo del Sinodo; ed in seguito apparirà che quel che sembra *improbabile* a Mons. Delegato è un fatto.

44. Ora si potrebbe domandare se tutte le varianti esistenti nel testo arabo in relazione al latino, siano state introdotte per ordine o consenso dei Padri del Sinodo, ovvero siano interpolazioni posteriormente eseguite nel manoscritto, e da questo passate nell'edizione araba. Su che primieramente è da osservare, che la maggior parte delle suddette varianti sono lacune, ossia omissioni; e che altre derivano da traduzione non consona al testo latino; ambedue queste sorti di variazioni sono certamente d'attribuirsi allo stesso traduttore. In quanto alle aggiunte marginali, le più rilevanti sono scritte dalla prima mano, o dai

نفسه . اما الزيادات الهامشية فان اهمها قد كتبته اليد الاولى او آباء المجمع كما ذكر في المقطع ٣٨ ولذلك فانها كلها مما امر به المجمع نفسه وثبته . ويمكن الارتياب مما يتعلق بباقي الزيادات التي يظهر انها ادخلت حديثاً في المخطوط العربي الاصلي ومنه انتقلت الى الطبعة العربية ولكن ليس باجمعها . وفضلاً عن ذلك ان سيادة فالرجا يؤمن لنا طريقة كافية لان نصدر حكمنا عن اصل هذه المغايرات المذكورة . فان هذا الرئيس الممتاز يقول[٦٥] انه فحص في عين ورقا المخطوط العربي الذي دُفع للطبع سنة ١٧٨٨[٦٦] ثم يضيف : « وينتج مما بسطنا سابقاً ان كل هذه المغايرات القائمة معاً في النص الشرعي والطبعة العربية يجب ان تعتبر كاصلاحات وتبديلات ادخلها الاباء ابان المجمع او انهم ثبتوها بعده واتفقوا عليها قبل الرابع والعشرين من كانون الاول من نفس السنة وهو التاريخ الذي انتهت فيه النسخة الثانية . وانا تفحصت جيداً هذه النسخة ولم اعثر فيها على ما يُشير الى شُطب او اصلاحات . وينتج ايضاً ان كل المغايرات الاخرى بين السطور كانت او هامشية والتي لم تنقلها الطبعة العربية يمكن اعتبارها بحق كتحريفات حصلت فيما بعد في الدفتر عن يدٍ غريبة دون ان يشعر بذلك آباء المجمع . وعلى كل فان هذه المغايرات قليلة جداً ».

٦٥) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤ مقطع ١٤

٦٦) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٣ (من هذا المقال)

Padri del Sinodo, come si è detto al §. 38, e perciò tutte ordinate ed approvate dallo stesso Sinodo. Il dubbio pertanto rimarrebbe circa le altre addizioni che sembrano di mano recente introdotte nel manoscritto originale arabo, dal quale però non tutte passarono nell'edizione araba. Oltre a ciò, Mons. Valerga somministra un mezzo abbastanza sicuro per giudicare intorno all'origine delle suddette varianti. Dopo aver detto (*Som.* N. IV, §. 14) di aver esaminato in Ain Warca quel manoscritto arabo, che fu dato alle stampe nel 1788 (§. 23), l'esimio Prelato soggiunge: «Dal fatto sopra esposto consegue che tutte quelle varianti le quali sono comuni al testo autentico ed alla edizione araba dovrebbero considerarsi come correzioni o modificazioni, se non introdotte conciliarmente dai Padri, certo approvate dai medesimi dopo il Sinodo, e concertate non più tardi del 24 Decembre di quell'anno, epoca in cui fu terminato il secondo esemplare; essendo che questo da me ben osservato non offre alcun segno di cancellature o di correzioni. Ne segue eziandio, che tutte quelle altre varianti, o interlineari, o marginali le quali non si trovano riprodotte nella edizione araba possano a buon diritto considerarsi come interpolazioni, inserite nel codice di mano ignota nei tempi posteriori, ed inscii i Padri del Sinodo. Del resto siffatte variazioni sono assai poche.»

٤٥) ورأي سيدة قارجا هذا يثبته جزئياً تقرير او قول احد فاحصي المجمع الاب توما البودي رئيس الرهبان اللبنانيين العام[٦٧] وقد كتبه سنة ١٧٤١ اياماً قليلة قبل الاجتماع الذي صار بحضور الحبر الاعظم لتثبيت المجمع المشار اليه . والتقرير هذا محفوظ في خزانة مجمع الانتشار في المجلد الخامس من المختلفات. وكان الاب البودي يقصد في تقريره اثبات ما نعم به آباء المجمع من حرية في فحص المشروع العربي وذلك ليدحض مزاعم رسول البطريرك السيد الياس سعد الحامل على شرعية المجمع مستنداً الى عدم حرية الاباء . ولكي يسقط هذا الادعاء عمد الاب البودي الى فحص المخطوط العربي فحصاً دقيقاً ودون كل ما رآه فيه من شطب وزيادات (ولم يهتم للمغايرات الخطيرة التي ادخلت في النص) ولم تكن اذ ذاك تتعدى المئة والخمسين . اما الان فانها بكلا نوعيها تبلغ الثلاثمائة والثلاثين . ويستخلص من ذلك انه من وقت فحص الدفتر الى رده سنة ١٨٦٦ قد ادخل فيه من المغايرات ما لا يقل عن المائة والثمانين . انما هذه المغايرات (والحق يقال) اهميتها تافهة جداً واكثرها لم تنقله الطبعة العربية . وعليه فانه لا يمكننا ان نعتبر ان الموارنة بعد عقد المجمع قد حرفوا نص هذه الطبعة عن نية سيئة .

(له صلة)

٦٧) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٤ (من هذا المقال)

45. Questo giudizio di Mons. Valerga viene in parte confermato dalla relazione, o voto di uno dei Revisori del Sinodo, Padre Tommaso Budi Abbate generale dei Monaci Libanesi (§. 24) scritta nel 1741, pochi giorni prima che se tenesse *coram SSmo* la Congregazione per l'approvazione dello stesso Sinodo, e conservata in Archivio di Propaganda nel T. V. *delle Miscellanee*. In cotesta relazione il Padre Budi ha per scopo di provare la libertà goduta dai Padri nell'esame dello *schema* arabo, contro l'asserto dell'inviato del Patriarca, D. Elia Felici, il quale per combattere la legittimità del Sinodo, accampava la mancanza di libertà nei Padri. Il Padre Budi per ribattere simile assersione (sic), esaminò minutamente il manoscritto arabo, e vi notò tutte le cancellature e le addizioni, (senza curarsi delle gravi varietà inserite nel testo), (sic) esistenti nel medesimo, le quali a quel tempo non superavano le 150. Ora al contrario se ne contano fra le une e le altre circa 330; d'onde sarebbe da conchiudere che da quell'epoca sino alla restituzione del codice, avvenuta nel 1866, ve ne siano state inserite non meno di 180. E' vero però che quest'ultime sono di pochissimo conto, e per la maggior parte non riprodotte nell'edizione araba; il cui testo per conseguenza non si può stimare adulterato per malizia de' Maroniti posteriormente alla celebrazione del Sinodo.

المجمع الخلقيدوني

اليوبيل المئوي الخامس عشر

(تشرين الاول ٤٥١)

بقلم الاب بولس موترد اليسوعي

حوالي نهاية القرن الرابع تغنى « ܩܘܪܝܠܘܢܐ » قوريلونو احد تلاميذ القديس افرام على ما هو مرجح بورع مسيحي بلاده وبما احرزه الانجيل من انتصارات بين ظهراني شعوب العالم المعروف آنذاك. ولقد تغنى ذلك الرجل الذي لم تنقف عنه بيضة ضمير بقصيدة تمد من عيون الادب السرياني : « هوذا تعليمك ينتشر في فارس ورسالتك تزدهر نامية في اشور ، ها هوذا توما يعلّم في الهند وسمعان يبشّر في روما وها هم ذو الاغارقة يذيعون اسرارك والرومانيون يفسرون اقوالك ، ها هوذا صليبك تحكم بين الملوك ومحبتك تنتشر بين المملكات هوذا الكون يخضع لسلطانك والعالم يستقرّ في حبك » صلاة للوقاية من الجراد .Ed. Bickell Z. D M. G XXVII
(1873), p. 590.)

ولقد تغافلت هذه النظرية التفاولية عن ان تشير الى ما كان يظلم وجه ذلك الجو في عهدها ، حيث شهد العالم المعروف آنذاك الوثنيين المتصلبين في عنادهم والمنشقين والاريوسيين والنوفاسيين واتباع ابوليناير وماني واللاادريين والمارسيونيين المتأخرين ، تلك الفرق المعارضة التي نزلت بها ضربة قاصمة فاخذت تتضاءل وتنحل شيئاً فشيئاً .

وفي ذلك العهد كانت مجموعة المسيحيين تنعم بالوحدة الاخوية من افريقية واسبانيا وبلاد الجلالقة « فرنسة القديمة » الى الخليج الفارسي وما وراءه : وحدة لم تترك لنا الا ذكرى الحنين اليها والتهيم بها .

وعجت تلك الوحدة المشيّة بعد قليل ثلاث ضربات كبرى لم تسد محجو تـ .
لان منازعات القرنين الخامس والسادس حول طبيعتي المسيح كانت نتيجتها
انفصال النساطرة واصحاب القول بالطبيعة الواحدة عن الكنيسة ، كما افضى
انشقاق فوتيوس وميشال سرولير الى انفصال بقية الشرق والشعب السلافي
عن رومة .

ولقد جاء في القرن السادس عشر لوثير وكالفان وهنري الثامن والفئات
البروتستانتية تزيد في بلة الانشقاقات انشقاقات جدّية لا تقل عنها خطورة .

❖

نكاد لا نفكر اليوم في تلك الخصومات حول طبيعتي المسيح بقدر ما
نفكر في الانشقاقين البيزنطي والبروتستانتي وذلك بصرف النظر طبعاً عن
ضروب الالحاد والاستخفاف بالدين القائمين في عصرنا . اجل لقد كانت تلك
المخاصمات في ايامها ازمة خطيرة حقًا لاننا ما برحنا نشعر بمؤثراتها حتى الساعة .
فهي مردّ انعزال الكنائس الاشورية والنسطورية والسورية الارثوذكسية او
اليعقوبية والارمنية والقبطية والحبشية عن الكنيسة الرومانية .

ولقد نجم عن ذلك الشر بعض الخير اذ في وسط تلك التقلبات التي لا
نستطيع ان نلمّ الينا الّا باقتضاب في مثل هذا المقام اوضح المجمع الخلقيدوني
الذي افتتح في الثامن من شهر تشرين الاول سنة ٤٥١ مفهوم عقيدة التجسد
الرئيسية ايضاحاً اشد جلاء .

وبمناسبة انقضاء خمسة عشر قرناً على المجمع الخلقيدوني ما علينا الّا ان
نرحب بعمله ذلك العظيم .

❖

طبعاً من المؤكد ان اكبارنا بحق نتيجة المجمع المبرورة لا تكفينا عن بعد
لنستعيد ذكراه وانّا لا بدّ لنا من التصريح انه قلما اتفق ان اشتد تماسك
الاحداث ليأخذ بعضها برقاب بعض في حياة الكنيسة مثلما اشتد في تلك الفترة
حتى كانت سبباً لتدخل الكثيرين من ذوي النفوذ فيها فزادوا طينة سوء
التفاهم بلّة وعملوا على تجسيمها .

واذا كانت قضية الاعتقاد والايمان بتجسد كلمة الله التي على كل مسيحي ان يدين بها بعيدة عن ان تكون السبب الوحيد لتلك المشادات والاضطرابات، فانها لم تكن فقط في الواقع، من الذرائع التي توسل بها الاساقفة لبلوغ سؤلهم والاحتفاظ باولية كراسيهم تحفزهم الى ذلك وطنيتهم المصرية او السورية او من جراء سياسة الاباطرة البيزنطيين الخرقاء التي كانت لا تستقر على حال .

ومنذ مطلع عهود الكنيسة كان المؤمنون الحقيقيون الذين استمدوا تعليمهم من الانجيل ورسائل القديس بولس يفهمون يسوع المسيح انه انسان حق واله حق وابن الانسان وابن الله ومع ذلك لم يكن الا مسيحاً واحداً . اما الذين ينكرون الوهية المسيح ويعتقدون ان الفقراء وحدهم يستطيعون الخلاص « Ebionites » والذين ينكرون طبيعته الانسانية الحقيقية اللادريون « Docètes » فهؤلاء ليسوا مسيحيين قط ولا يجوز ان نعدهم حتى بين المنشقين « الهراطقة » .

وفي اثناء احتدام المناقشات ربما نسبوا الى النسطورية المذهب العقلي الفظ الذي ينكر الوهية المسيح او ربما نسبوا مذهب الذين ينكرون طبيعته الانسانية الى القائلين بالطبيعة الواحدة وفي كلتا الحالتين لم يتفق للانشقاق « الهرطقة » ان اوغل الى هذا الحد في الضلال .

ولما كانت القضايا الجوهرية اصبحت مسلماً بصحتها كان لا بد من التوفيق بينها ، واتخاذ فكرة شديدة الوضوح عنها لما اتاح الفرصة للتردد وقيام ضروب الضلال وسوء التفاهم اذ قام النساطرة والارثوذكسيون والقائلون بالطبيعة الواحدة يراشق بعضهم بعضاً التهم ويدعي بعضهم ان الفريق الآخر على ضلال جسيم وهم يعتقدون انهم يدافعون بعملهم هذا عن الحقيقة .

ولئن المعنا الى هذه الامور فانه ليس من سبيل للشك في ان حرصهم على الايمان الحقيقي لم يكن العامل الوحيد الذي اثر على العقول وان الخصام على اثبات قضايا لاهوتية او نقضها لم يكن نوعاً الا ذريعة لاعلان خصومات اخرى تهدف الى غايات ثانية .

وكانت السلطة مدنية تتدخل في كل شؤون الحياة الكنسية في الامبراطورية البيزنطية من الامبراطور نفسه الى وزرائه وحتى المقربين منه . وفي الواقع انه منذ عهد مجمع نيقية لقد كان الامبراطور هو الذي يقرر الدعوة لعقد مجمع وهو الذي يسهل التئامه او يعاكس ما اتخذ من تدابير فيتولى بنفسه اتخاذ شتى التدابير الكنسية ويقرّر حتى المبادئ الاعتقادية ليجعلها تحلّ محلّ غيرها .

وهذه السيطرة المدنية كانت تتوخى مباشرة تعزيز التعليم الـذي يعتنقه الامبراطور — الذي لم يكن دائماً تعليماً مستقيماً ، كما كانت تهدف الى مماشاة رغائبه الشخصية ووجهات نظره السياسية لتوجد بصورة غير مباشرة سبباً خطيراً جد الخطورة للمناقشات والمنازعات في كل الكنيسة وذلك منذ اليوم الذي جعل فيه قسطنطين بيزنطية عاصمته الجديدة .

وقديماً لم تكن هذه المدينة ذات شأن خطير اذ لم يكن فيها مركز هام لاحدى الاسقفيات وانما كانت تابعة لكرسي نيكوميديا الاسقفي اما الكنيسة الجامعة فلم تكن تعرف مع روما في الغرب الا كرسيي اسقفية في الشرق هما انطاكية والاسكندرية المدينتان اللتان كانتا في قرني الكنيسة الاولين من اعظم المدن من حيث عدد سكانها ومن حيث دورهما في السياسة الرومانية، وقد امتازتا في كونهما تمتان في اصلهما الى كون الرسل قد اتخذوا فيها مقرًا اذ كانت انطاكية مقر الكنيسة الاول بعد اورشليم عقب ان جاءها بطرس وتولّى رئاسته فيها شخصياً اما الاسكندرية ففخرها قائم على كونها كانت كرسي القديس مرقس تلميذ القديس بطرس ومن ثم اعتزت بذكرى القديس اثناسيوس الشهيرة .

وحيال تلك الاوضاع التي بدت كراهنة لم يكن من اسقف القسطنطينية الذي كان تابعاً بسيطاً لكرسي اسقفية نيكوميديا من الوجهة الحقوقية الا ان شعر بنفسه وهو راعي المدينة الامبراطورية القائم على مقربة من الملك ذي الجبروت الحسنة علائقه به انه الرئيس المدعو لتزعم جميع الكنائس بسبب نمو القسطنطينية بسرعة نموًا عظيماً لتصبح مركز جميع الشؤون فانه لم يشعر بنفسه انه مستقل عن اي متروبوليت كان فحسب بل انه المدعو لتدين له جميع الكنائس المجاورة التي كانت تتألف مجموعة ، حتى ذلك العهد ، حول كراسي

الابرشيات البسيطة . فلم يطل الامر بالقسطنطينية حتى اصبحت مقرًا اسقفيا ثالثًا ومقرًا بطريركيًا الى جانب انطاكية والاسكندرية فتجاوزت على حقوقهما تدريجاً ومن ثم هددتهما بالتفوق عليهما كما هددت ايضاً خليفة بطرس اسقف رومة بان تأخذ الاولية على كرسيه .

أوَ لم تكن القسطنطينية رومة الجديدة اشد قوة من القديمة واعظم ازدهارًا .

ولقد احتدم الجدل الاعتقادي بين الاسكندرية والقسطنطينية وعظمت المنافسة بينهما وساد التفاهم بين هذه الاخيرة وروما .

ومما كان له تأثيره العميق الخفي في ذلك التنافس وتلك المشادات الناجمة بخاصة عن ازمة اصحاب القول بالطبيعة الواحدة في المسيح حافز وطنية المصريين والسوريين الذين شعروا بانهم ليسوا اخوانًا لسادتهم في بيزنطية ولا من جنسهم .

⁂

لا سبيل الى فهم الاوضاع التي عقد بسببها المجمع الخلقيدوني ولاسيا زيغان اوطيخا الذي كان السبب في التئامه اذا لم نربط بين حوادث تلك الظروف وتاريخها الطويل . فقبل الاريوسية ارتقى الى سدة البطريركية الانطاكية اسقف قليل الجدارة هو بولس السيساطي (٢٦٠—٢٦٨) الذي تبين بعدئذٍ ضلاله « هرطقته » وكان من اشهر رجال البدع . واقواله في الثالوث تكاد تحاكي ضلال سابليوس وبدا كانه اوهنَ جد الوهن الصلة بين الطبيعتين الالهية والانسانية في المسيح وذلك اذا ما استندنا في حكمنا عليه الى الفقرة التي عزاها اليه ليونس البيزنطي « الكلمة من اعلى والمسيح انسان من اسفل . . . فمريم لم تلد الكلمة بل ولدت انسانًا مساوياً لنا وافضل منا في كل شيء لان النعمة التي تحلّ عليه من الروح القدس كما يؤخذ من الوعود واقوال العهدين المكتوبة » وما هو الّا قرن حتى كان ابوليناير اسقف لاوديسة ، اللاذقية اليوم ، على نقيضه تماماً فقال : لم يكن المسيح الّا الجسد من الانسان والنفس النباتية والنفس الحاسة « [illegible] » اما شخص الكلمة ذاته فيمارس فيه اعمال الجزء الاعلى من النفس الانسانية « [illegible] » وفكّر ان الوهية المسيح ووحدته ظلتا سليمتين على هذه الصورة .

وما قول بولس السميساطي باتحاد طبيعة المسيح الانسانية اتحاداً ادبياً محضاً مع شخص الثالوث الثاني وما منهج ابوليناير القائل بان المسيح ليس حقيقة انساناً الا « هرطقتان » تتميز احداهما تمام التمييز عن الثانية اما الاولى فيخيل الينا انها هرطقة نسطور وتلاميذه ومن قبلهم تيودور موبسيست (Théodore de Mopsueste) وحتى ديودور الترسي (Diodore de Tarse) اما الثانية فيبدو انه كان يميل اليها القديس كيرللوس الاسكندري والقائلون بالطبيعة الواحدة .

وفي سبيل اعطاء حكمنا بانصاف على الاولين والآخرين لا يسوغ لنا مطلقاً ان ننسب اليها مثل هذا الزيغان بدون تروٍّ . فعلماء الكنيسة الانطاكية الذين لم يكونوا قط ورثة افكار بولس السميساطي وانما شهروا باسم القديس يوحنا فم الذهب الكبير وعرفوا بالتفسير وبحرصهم على التفسير الحرفي قد كانوا اشد استشعاراً بحقيقة انسانية المسيح وبحقيقة الوهيته ولم يترددوا قط عن التدليل على هذه الثنائية بالعبارة : « طبيعتان » حتى يبدو ان شعورهم بالاتحاد شديد الوثوق وسام كل السمو بهاتين الطبيعتين في مسيح واحد قد كان مرهفاً كل الارهاف . ولقد اشاروا الى هذا الاتحاد بعبارة « شخص » على شاكلة ما فعل الترببون تماماً ومن ثم المجمع الخلقيدوني ، ولما كانوا يستندون الى تمييز الطبيعتين في تبحّرهم ولما كانوا شديدي الانهماك بدحض اقوال اللادريين والمارسيونيين والابوليناريين لم يكن مفهومهم عن هذا الاتحاد في الشخص واضحاً .

واليك مثلاً مستمداً من مواعظ تيودور موبسيست في التعليم المسيحي « اجل لم يفكر آباء مجمع نيقيه ان طبيعة الابن الوحيد الالهية قد ولدت من امرأة وان بدءها كان من هذه الولادة . . . فهم يتبعون الكتب المقدسة التي تتكلم باختلاف عن الطبيعتين وتعلّم شخصاً واحداً بسبب الاشتراك التام الذي نجم عن اتحاد الطبيعتين وخشية ان يبادر الى الاذهان انهم يقسمون الاشتراك التام الذي نتج للطبيعة الانسانية من جراء اتحادها بالاله.[1] » « فلو كانت كل

1) Studi e Testi 145. — *Les Homélies catéchétiques de Théodore de Mopsueste*. Reproduction phototypique du Ms. Mingana. Syr. 561, traduction, introduction, index par Raymond Tonneau O.P en collaboration avec Robert Devreesse. Città del Vaticano. Bibl. Ap. Vatic. 1949. Homélie VI, p. 135.

واحدة من الطبيعتين ابناً ورباً لكان في مقدورنا القول انها ابنان وربان بحسب ما فيها من عدد اشخاص وبما ان احداهما هي ابن ورب بطبيعتها على حين ان الاخرى ليست لا الهاً ولا رباً وانما نعتقد ان الطبيعة الانسانية قد اتخذت هذا اللقب بسبب التحامها التام مع الابن الوحيد الاله الكلمة ، فلذلك نعترف بان الابن هو وحيد »[1] .

وظل الاعتقاد سائداً وقتاً طويلاً بعد وفاة تيودور موبسيست انه قد كان مصدر ضروب الاضلال النسطورية نفسه وقد نسب اليه مجمع القسطنطينية الثاني ، سنة ٥٥٣ ، اقوالاً عدة تختلف نغمتها كل الاختلاف عن الاسطار التي ذكرناها .

ولن نكون من المغامرين اذا جعلنا حقيقة تلك النصوص موضع البحث بالنظر الى الظروف التي انعقد فيها المجمع وان نتساءل عما اذا لم تكن في المؤلفات التي حفظتها لنا منه الكنيسة الكلدانية شهادة اصدق على فكرته. ويظهر الى جانب اعتقاده المرهف بحقيقة وجود انسان كامل في المسيح ، له نفس الطبيعة التي لنا والى ايمانه الوطيد بالوهيته ، الوهية الابن المولود من الآب قبل كل الدهور ، تأكيده الذي لا يعتريه ريب للوحدة الحقيقية في المسيح ، هذه الوحدة الذي تجعله شخصاً واحداً .

ولقد ظل علينا ان نعرف ماذا كان تيودور ومدرسة انطاكية التي كان احد رؤسائها يفهمان بهذه العبارة نفسها . ما من شيء يخولنا الحكم على انهم لم يكونوا يرون فيها الا « شخص اتحاد » ورباطاً ادبياً محضاً او اتحاداً بالنعمة من نمط الاتحاد الذي يوحد انفس الابرار مع الله وان لم يكن بالدرجة ذاتها. بيد ان الفكرة التي لازمت بعدئذٍ عبارة كيرللوس « اتحاد بحسب الاقنوم » لطبيعة المسيح الانسانية بدون وجود خاص بها فقد ظلت غريبة عنه وليس لنا ما نواخذه به عليها .

وفي مثل هذا المقام هل توصل علمنا اللاهوتي الذي تبنى هذه الفكرة وعمقها باذلاً مجهودات جبارة في تصورها تصوراً متافيزيقياً الى التمييز تمييزاً

1) Ibidem Homélie VIII, page 209.

حقيقي بين الجوهر والوجود او هل توصل الى ازالة سر ... ليبرهن بسعة انه قد احاط بها عن كثب ؟ من المؤكد كلا .

ويبدو ان مدرسة الاسكندرية قد اقرّت منذ البدء بالوهية الكلمة وبوحدة المسيح المطلقة وسلمت بان فيه انسانية وانسانية كاملة لا التباس مطلقاً بينها وبين الالوهية وعقب عملها هذا رفضت كل بحث وكل محاولة لايضاح تميز الاله عن الانسان باية صورة كانت .

وشاء نكد الطالع ان يصادف الناطق باسم هذه المدرسة كيرللس اقوالاً منسوبة الى القديس غريغوريوس العجائبي والبابا القديس يوليوس والقديس اثناسيوس ويقبلها كصحيحة وقد كانت مستوحاة من اتباع ابوليناير ومن فكرة ضالة ولا يصح استخدامها لتفسير مستقيم حقاً ومن جملتها العبارة التي قررها القدر وهي : « واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسدة » .
« Μία φύσις θεοῦ τοῦ λόγου σεσαρκωμένη ».

وهذه العبارة المنسوبة الى اثناسيوس مكذوب هي بلا ريب من اقوال ابوليناير نفسه وتعرب بذاتها عن فكرة ضالة ولا سبيل لقيام الحجة الدفاعية المنطقية عن قولها : ان المسيح مركب من شخص الكلمة ومن انسانية غير كاملة على شاكلة النفس والجسد اللذين يؤلفان الانسان الكامل . اما كيرللس واتباعه فلم يقرأوا فيها هذا وانما باعطائهم لكلمة « φύσις » معنى قوياً جداً قد فهموا انه اذا ما اريد بها المسيح فمن الواجب ان نفهم بها انه من طبيعة ليست كاملة فحسب ولكنها موجودة بذاتها ، فلو كان بمقدورنا اذن ان نتكلم ، في اثناء برهة من التعقل سابقة للاتحاد بين الكلمة وانسانية المسيح ، عن طبيعتين ، فلن يكون ذلك الا كفراً جديراً ببولس السيساطي واليهود والزنادقة الذين ينبغي لنا ان نقتهم اذا ما تكلمنا عن طبيعتين بعد ان تمّ التجسّد ، عن طبيعتين في يسوع المسيح . والمشادة التي استحكمت بين نسطور ، وارث لاهوت انطاكية الاخرق ، وبين كيرللس عالم الكلمة المتجسدة ، الذي لم يطاوعه معجمه الغريب ، لم تفض بهذا الاخير ولا بانصاره جميعهم الذين شدهتهم عبارة ابوليناير الزهوق وهم على اعتقاد اكيد انهم على الصراط

المستقيم الى ادراك فكرة اللاهوتيين الانطاكيين المستقيمة الا بكل صعوبة تلك العبارة التي جاءت تعرب بشكل آخر في استخدامها عن لفظة الطبيعتين.

ولقد توصل كيرللوس ، بما له من فكر واسع وزكانة لم يكونا لمحيطه ، الى فهم هذه العبارة والاتفاق مع الانطاكيين بعد مجمع افسس. اما في حياته واما بعد مماته خاصة فلم يقتنع انصاره لا بلاهوت انطاكية-ولا-بتمايم كتاب ليون الصريح « Tome de Léon » الذي يحاكي لاهوت الانطاكيين ولا بتعريف خلقيدونيه لاعتقادهم المكين انهم اصحاب الحق اذا كانوا اقل ذكاء من معلميهم ، اما اوطيخا وديوسكور وكنيسة الطبيعة الواحدة فلم تكن الا من النتائج المشؤومة لنقطة الانطلاق هذه الرئيسية وللعبارة القدسية التي كادت تكون مستحيلة والتي يصعب شرحها شرحاً وافياً ، عن طبيعة واحدة في المسيح.

❖

وكان ارتقاء نسطور سدة كرسي القسطنطينية ، في سنة ٤٢٨ ، مطالع عهد الاذى ، اما انطاكية التي بعثت الى هذا الكرسي قديماً وخطيباً يستعبد الاسماع هو يوحنا فم الذهب فقد ارسلت اليه ايضاً خطيباً آخر هو نسطور الذي كانت تحليه مزايا كثيرة ولاسيما الحزم .

وهذا الرجل الذي سيبدو بعدئذٍ من اعظم عناصر الضلال قدْ وصل الى القسطنطينية تفعم فؤاده الغيرة ضد الضلال والضالين بجرمانه الاريوسيين والمقدونيين واتباع ابوليناير والنوفاسيين وبقية الفرق التي كانت لا تزال تحتفظ في احياء القسطنطينية بمعابد واتباع مبعثرين في ارجاء العاصمة .

ولما كان يستخدم الشدّة استصدر ببضعة اسابيع بعد سيامته مرسوماً امبراطورياً صارماً جد الصرامة ضد جميع المنشقين ، وكان قد حمل معه من انطاكية تعاليم لاهوت كنيستها التي لم يكن تمثلها كل التمثيل وعبادة ضئيلة جداً لمريم العذراء .

ولا يعزب عنا خلوّ مواعظ القديس يوحنا فم الذهب نفسه من الاشارة الى اي نوع كان من التعبد لمريم العذراء على حين ان الامر لم يكن كذلك في

عبر موضع ولاسيا في ادسس حيث كانوا يعتقدون اعتقاداً خاصاً بحسب جميع ما تنمّ عنه الظواهر ان قبر والدة المسيح كان عندهم . اما كلمة « Θεοτόκος » « التي ولدت الاله » وهي تنمّ عن تعبّد قوي لمريم العذراء فيبدو انها امر جديد وقعه على مسامع نسطور بعد ان وصل الى القسطنطينية .

ألم تكن هذه الكلمة التي يستخدمها المؤمنون خارجاً عن تعليم نسطور تنم عن فكرة ضلال ؟ ألم تقل أوَ لم توشك ان تجعلنا نسلّم بان مريم هي التي نقلت الى ابنها الالوهية نفسها ؟ أوَ لا تفرض على الاقل ان هـذا الطفل لم يكن انساناً حقيقة ؟ ألا تخفي تحتها شبح ابوليناير وغيره من رجال البدع الذين كان سئمهم الزعاف اشدّ وبالاً من سمّه ؟

ومن هذه الكلمة المتعلقة بمريم كانت ابتـداء المعركة التي ازمع نسطور خوضها والتي غالى فيها كل المغالاة .

وفي سبيل تفادي كل غموض وربما في سبيل اشباع رغبته بفرض وجهات نظره على الشعب المسيحي قد اراد ان يقولوا : « Χριστοτόκος » « التي ولدت المسيح » .

وبسط نسطور والناطقون باسمه ومن جملتهم الكاهن انستاز وجهة نظرهم بعنف حيال ردة فعل المؤمنين والاكليريكيين القوية المتمسكين بما تعوّدوه من عبادة لمريم العذراء . ولم يكن ذلـك من دون ان يشفّ عن تعليم بشأن التجسد اسوأ منه بحيث كاد يزول بهم اهتمامهم لايضاح حقيقة انسانية المسيح الكاملة الى ان لا يتركوا علاقة بين الطبيعتين غير علاقة شديدة الغموض: «اننا نريد تكريم الطبيعة التي هي لباس الله كما نريد في الوقت نفسه تكريم الطبيعة التي تستخدم هذا اللباس وبينا نفصل الطبيعتين لا نفصل بين تكريماتنا ؛ ونعترف به كانه مزدوج ولكننا نبتهل اليه كانه واحد » .

ولئن كان من الصعوبة بمكان التثبت من صحة هذا القول فقد اعرب فيه عن فكرة لا يستطاع التسليم بها فكرة مسيح اله وانسان مزدوج من حيث الكينونة ، وواحد فقط من حيث الوحدة الادبية ، الخارجية .

فالى اية درجة جعل نسطور العلاقة بين طبيعتي المسيح متراخية وكيف كان

اوّلا كأنما بفكرته الشخصية ؟

وانه بمقدورنا ان نتساءل قائلين : لو كان غير صاحب السدة المنافسة لسدة القسطنطينية قد قام بهذه المناقشات بصورة ودية أفلم يفز باعتراف منه بالعقيدة المستقيمة ؟ بيد ان نكد الدهر قد شاء ان تتخذ هذه القضية مجرى آخر .

- وفي رومة عهد البابا القديس سلستين « S^t Célestin » بدرس اوراق هذه الدعوى الى جان كاسيان « Jean Cassien » المعروف بكفاءته والمشهور بمواعظه عن اباء الصحراء « Pères du Désert » وقد بدا الحكم الذي اصدره هذا الاخير الذي كان مطلعاً على امور الشرق اكثر من غيره حكماً صارماً كل الصرامة على تعليم اسقف القسطنطينية .

وكانت وساطة كيرللوس الاسكندري الاكثر تضلعاً بين علماء الكنيسة اليونانية والراعي الغيور اليقظ اشد خطورة ولكنه كان ابن شقيقة سلفه تيوفيلوس الانطاكي خصم يوحنا فم الذهب اللدود المتحيز ضد الذهبي الفم فكان حتى في ادارة شؤون كنيسته نفسها على شاكلته متطرساً واحياناً متعسفاً مما افضى سلفاً الى ان تلاقي تنبيهاته وتحذيراته بشأن الايمان صعوبة ليقبلها اسقف القسطنطينية الذي كان اصله هو ايضاً من انطاكية كسلفه الشهير ضحية تيوفيلوس .

وكان كيرللوس محقاً كل الحق في هذه القضية ان يطالب علناً باسم الايمان المسيحي باعتراف صريح بوحدة حقيقية من حيث الكينونة لا من الوجهة الادبية او الخارجية فأيده البابا سلستين القديس « S^t Célestin » تأييداً تاماً وامر موفديه بان ينحازوا الى جانبه في المجمع الذي كان مزمعاً عقده .

وفي نهاية عهد تشابكت حوادثه من كل جانب افضى مجمع افسس المنعقد في ٢٢ حزيران ٤٥١ الى عزل نسطور والمناداة بتعليم كيرللوس وبفضل سكان تلك المدينة خاصة الى انتصار التعبد المريمي والمناداة بجهاسة بكلمة « Theotokos ».

والظروف التي تمت فيها هذه الامور لم تكن عادية تاماً لان نسطور وكيرللوس قد اتيا باساقفتهما التابعين لهما معهما وبانصار مستعدين الّا يستنكفوا

عن اي عمل كان اذ حشدوا معها حتى الحامين ومثل حامات قسطنطينية والاسكندرية العامين . وعقب انتظار طويل ممل استعجل كيرللوس افتتاح دورة ٢٢ حزيران وذلك قبل وصول بطريرك انطاكية والاساقفة الذين يصحبونه، وما انقضى يومان حتى وصل هؤلاء . وغاظهم ان تفتتح الدورة ولا ينتظروهم فجاوبوا على ذلك بعقد مجمع ضده اسقطوا فيه كيرللوس وممنون الافسسي . وآلت النتيجة الى قطيعة الاتصال بين الاسكندرية وانطاكية . اما نسطور فظل وحده معزولاً .

وفضلاً عن ذلك الانقلاب اخذ الاساقفة الشرقيون الذين انعقد المجمع بغيابهم على كيرللوس حرماناته الشهيرة وهي اقل تدخلاته توفيقاً . ففي تلك القوانين التي اصدرها قبيل مجمع افسس وارغم نسطور على توقيعها كانت العبارات التي استخدمها والمشتبه بها انها كانت تحوي تعليمه الضال عرضة على التداول لحرماناته ، وقد كان الانطاكيون يتعرفون فيها من جهة الى لغتهم الخاصة مع انهم كانوا يستشعرون ايضاً كل الاستشعار معرفتهم لمسيح واحد كما كانوا يرون من جهة ثانية في العبارات التي عارض بها كيرللوس نسطور مصطلحات قريبة جد القرب من مصطلحات اتباع ابوليناير ومن جملتها عبارة « الوحدة الطبيعية» التي كانت لا تزال موضع البت فيها «Canon 3. Denzinger 115».

وعقب مشادات دامت سنوات عدة توصلوا اخيراً الى وصل ما انقطع وانتهى الامر بكيرللوس الى قبول عبارة « الطبيعتين » التي كان ينفر منها وان استخدام اشياعه لها لم يكن ضلالاً وقد شُهر ذلك الحدث برسالة مفعمة بالحماسة : « لتفرح السماوات ولتهز الارض بالغبطة » (١٢ نيسان ٤٣٣) .

❖

لم يتحقق اتحاد الرئيسين الودي يوحنا الانطاكي وكيرللوس على صعيد واحد لا لدى جميع الاسكندريين ولا عند جميع الانطاكيين .

وعلى اثر افسس ما لبثت ان تلت النسطورية في اورفه ومن ثم في نصيبين من اعمال فارس وكانت تعليمها الرسمي وان لم يكن شاملاً وقد ضاعف زيغانها وغلواءها مذهب ناكري وجوب النعمة واصبحت التعليم الرئيسي لكنيسة فارس

الذي ظلّ حتى الآن تعليم الاشوريين .

ومن جملة انصار كيرلس ظل عدد كبير يجهل صك اتحاد سنة ٤٣٣ ولا يعترفون به ويرون في عبارة « الطبيعتين بيسوع المسيح » انها من النسطورية والالحاد ولو وجدت في اي نص كان ولو كان اصحابها من اشد الانصار للايمان بوحدة شخصية الاله الانسان الكاملة . وبحسب رأيهم كان ذلك امتهاناً باطنياً لحرمة سر الاتحاد الذي لا يحيط به وصف واعتراف بمسيحين واحلال اربعة اقانيم محل الثالوث .

وراجت في تلك الاوساط التي لم يكن يلتقي فيها لاهوتيون متضلعون متنوّرون مطاعن كثيرة من هذا النوع ولم تكن تلك الحماسة الحرقاء التي كانت محترمة الا من صنيع الكثيرين من الرهبان لان المنظمات الرهبانية في تلك الحقبة لم يترقَّ فيها الى درجة القسوسية الّا اصحاب الحياة النسكية . وهي وان كانت تحث على الفضائل العالية والحياة النسكية لم تكن تدرب رجالها خير تدريب .

❖

وكان خير نموذج يمثل طائفة الرهبان تلك الارشمندريت اوطيخا «Eutychès» الذي كان قد انقضى عليه حتى سنة ٤٤٨ سبعون سنة يمارس الحياة الديرية وكان متقشفاً ورعاً . وتولى رئاسة دير في القسطنطينية عدد رهبانه ٣٠٠ راهب وكان كمثل رؤساء سائر رهبان المدينة الامبراطورية . وقد رأى فيه كيرللوس في عهد نسطور خير مناصر له . والى جانب المواهب العملية التي اوصلتهُ الى الرئاسة قدكان ذا ذكاء قليل ومرهبات ضعيفة لادراك المسائل اللاهوتية الصعبة ككثير من رؤساء الاديار في زمانه . ولما كان يضايقه بحث عقيدة التجسد في عبارات غير عبارات كيرللوس ، فقد اضاف اليها عن جهل على ما يظهر من تلقائه وفي احاديثه الكثيرة الرواج التي كانت مسموعة كثيراً عبارة من اضعف الاقوال التي يمكن الدفاع عنها . ألم يخطر له ببال ان ينكر ان المسيح مساوٍ لنا بالجوهر ؟ ومن المحتمل كل الاحتمال انه قد ارسلها في حالة ضعف عقلي زادتها ضعفاً على ضعف شيخوخته ومن دون ان يدرك النتائج التي يستطيع حتى المنطق البسيط

استنباطها منها . اما الكنيسة فلم تجاوز بحثها ، ففي القسطنطينية حيث كانوا يعربون عن عقيدة التجسد عامة على الطريقة الانطاكية معترفين بالطبيعتين . اما انصار كيرلس ، القائلون بالطبيعة الواحدة فكانوا اشد تعصباً لارائه منه وكان يهولهم ان يفرضوا عبارة « الطبيعة الواحدة » .

وكان هؤلاء يبلون بصورة مستقيمة ككيرلس نفسه بان في المسيح انسانية كاملة على شاكلة انسانيتنا لا التباس بينها وبين الالوهية ولا يرون حرجاً ان يعطوها بكلمة طبيعة او بما يعدلها اية دعامة مباشرة كانت وان يرفضوا كل تفسير يطابقة هذه الانسانية الكاملة لوحدة الطبيعة الالهية المتجسدة المطلقة . ومن ثم لم يعترفوا بأوطيخا كاب لتعليمهم بل بالعكس من ذلك قد حرموه مع بعض المخالفين واخرجوه من كنيستهم كمن دافع في المسيح عن اختلاط بين الاله والانسان .

ولما بلغت قضية اوطيخا اسقف القسطنطينية فلافيان « Flavien » والشك الذي سببه باقواله استدعاه امام مجمع اسقفية العاصمة سنة ٤٤٨ وحكمه بعد ان حاول عبثاً ان يحمله على توقيع عهد يلزم به نفسه بالاعتراف بالايمان المستقيم ، وهكذا دين مع اوطيخا عقيدة الطبيعة الواحدة وعميدها الجديد ديوسكور « Dioscore » الاسكندري وذلك بعد ان ادخل فلافيان في صورة صك الاعتراف عبارة « الطبيعتين » .

وان كان اوطيخا قد استحق هذا الحكم فانه كان مطلع ازمة خطيرة دينية وسياسية بآن واحد في كل الشرق .

وعرف الكرسي الاسكندري برئيسه ديوسكور رجلاً حزوماً مستعداً لاستخدام مسانديه في البلاط الامبراطوري وطاعة اساقفته الاجماعية وتعصب رهبانه وحتى تأهب رجاله لاتيان كل امر وذلك الى اقصى حد ممكن . وكان قد اكتسب تماماً تيودور الثاني المسكين العاجز وان كان ذا جبروت عظيم .

وقد كان البابا حينذاك القديس ليون «Léon» الذي عرضت عليه قضية اوطيخا فاسفر بحثها عن الوثيقة الجليلة وهي الرسالة «Tome» الى فلافيان التي كانت طبعاً باللغة اللاتينية غير المستخدمة في الشرق وبها نستسيغ ما فيها من عمق وجمال تعبير .

وعلى قدر حسن صنيع تيودور موبسيست فقد دلل البابا برسالته على تميز الطبيعتين وحقيقة الطبيعة الانسانية ووحدة الله والانسان في شخص واحد هو شخص الكلمة .

«كل طبيعة اذاً من الطبيعتين لها ذاتها الخاصة مع انها يتحدان في اقنوم واحد . فالجبروت اتحد بالتواضع ، والقدرة بالضعف ، والميتونة بالازلية والطبيعة السامية بالطبيعة القابلة الالم وذلك لتدفع ثمن طبيعتنا البشرية . وهكذا لكي يقدم دواء لامراضنا ، كان يسوع المسيح الانسان والوسيط بين الله والناس ، خاضعاً للموت من جهة ومن جهة ثانية لا يموت . وهكذا لقد تجسد الله في طبيعة انسان حقيقي كاملة سامية فكان الهاً حقاً وانساناً حقاً . (Denzinger 143) » .

ومن دون ريب كان من الواجب كما كان بالاستطاعة انجاز كل امر وتسويته على ضوء هذه الرسالة وقد عوّل القديس ليون في ذلك على فلاڤيان وشجعه تشجيعاً قوياً .

وكان ثمت ديوسكور الذي آزره عدة انصار متعصبين في جملتهم رهبان مصر والقسطنطينية وسورية كما عضده مساندون اقوياء جد القوة في البلاط وحتى تيودور الثاني شخصياً .

وذلك الامبراطور الذي كان يسيّره مقرّبوه ولا سيما خصيّه كريزاف « Chrysaphe » لم تجد لديه وساطة طول ايامه لينيل القديس ليون « S^t. Léon » مطالبه المنصفة وقد اظهر عجزاً مشهوداً عما كان يجري في ظل سلطانه من شذوذ ومخالفات .

وقد وجه بمعزل عن القديس ليون الدعوات لعقد مجمع جديد ليستأنف درس القضية من اولها وكان المرشح سلفاً لرئاسة هذا المجلس ديوسكور، ذلك المجلس الذي ابعدوا عنه ابرز اسقف من الاساقفة الشرقيين الا وهو تيودوره دسير « Thèdoret de Cyr » لانهم اعتبروه كنسطوري وقرروا سلفاً عزله ودعوا خاصة لحضوره الارشمندريت برصوماس الدّ خصومه . اما القديس ليون الذي لم يكن بمقدوره ان يرفض عقد ذلك المجمع فاوفد اليه ثلاثة سفراء لينوبوا منابه وعهد اليهم بتراءة رسالته « Tome » الى فلاڤيان فيه .

ولم تعزب عنا النتيجة التي اسفر عنها اذ اجتمعوا بافسس في ٨ آب ٤٤٩

بالكنيسة نفسها التي عُقد فيها مجمع سنة ٤٣١ واجمع رأيهم على الصاق التهمة بفلاڤيان .

وكان مع ديسكور من المسيطرين على المجمع اليبديوس « Elpidius » اولوجيوس « Eulogius » يمثلان الامبراطور . وقد منع هذان الاخيران كل بحث حقيقي في قضية اوطيخا ولم يسمحا قط بقراءة رسالة القديس ليون وما اكتفوا بارجاع اوطيخا الى مقامه السابق وما كان له من الحقوق ولكنهم اصدروا حكماً فوراً ضد فلاڤيان الذي ما كاد يحتج حتى امر ديسكور بفتح ابواب الكنيسة وادخل مع رجال الشرطة رهبان برصوماس والنوتيين وغيرهم من انصاره المصريين فانتزعوا فلاڤيان من على المذبح واشبعوه اهانة فمات بعد ايام قليلة .

وفي المجمع الخلقيدوني كان لا بد من القاء تبعة هذا الموت على عاتق الارشمندريت برصوماس . اما المجمع نفسه فلم يكن مجمعاً قانونياً . ولما اطلع القديس ليون على الامر من احد موفديه الذي استطاع بصعوبة كلية الهرب من المجمع والوصول الى ايطاليا نعته البابا القديس « بمجمع اللصوصية » وظل هذا الاسم يصم ذلك المجمع اللاشرعي بوصمة العار .

٥

وفي حياة تيودور لم يكن يرجى ان يعوّض عن تلك المظالم فالقديس ليون وان كان قد سنده امبراطور الغرب ڤالنتينيان الثالث « Valentinien III » لم يفز بجواب على مطالبه الا بالنتيجة السلبية وهي عدم قبولها فكان ذلك ظفراً لديسكور وفوزاً للكرسي الاسكندري فوزاً مبيناً اكثر من ذي قبل على منافسيه فبلغت به الجرأة الى ان يصدر حكماً بالحرم حرماً غير شرعي على القديس ليون شخصياً . فلم يثبط ذلك عزيمة القديس ليون بل حاول ان يحمل صاحب كرسي القسطنطينية الجديد اناتول « Anatole » ، الذي عينه الامبراطور على قبول رسالته « Tome » والتوقيع عليها متعهداً بالزام نفسه بها .

وربما لم يقدر لتلك المحاولة النجاح من دون حدوث انقلاب يبدل الحالة بطناً لظهر . ففي الثامن والعشرين من تموز ٤٥٠ توفي تيودور الثاني من جراء كبوة

جواده ولم يخلف له وريثاً وكانت الامبراطورة اودوكي « Eudocie » غائبة آنذاك عن القسطنطينية اذ كان على خلاف معها فتسلمت شقيقته بولشيري « Pulchérie » زمام السلطة وكانت لا تزال بدون زواج وشديدة الاخلاص والتمسك بالعقيدة المستقيمة فما كان منها الا ان بدلت بشكل سرعة سياسة اخيها وانتهجت سياسة جديدة على طرفي نقيض من سياسة الامبراطور المتوفى . وفي سبيل توطيد حكومتها لم تتأخر عن الزواج باحد رجال مجلس الشيوخ مارسيان « Marcien » الطاعن بالسن وامرت بالمناداة به امبراطوراً في الرابع والعشرين من شهر آب التالي.

وفي عهدهما الجديد حدثت تبدلات جمة اذ امضى اناطول والاساقفة سواه في نهاية شهر تشرين الاول من السنة نفسها رسالة « القديس لاون والزموا النفس بمضمونها واظهر اناطول ذاته حماسة — ربما كان مرغماً على ان يوقعها ايضاً في مناطق اخرى. اما مكسيم اسقف انطاكية فلم ينقص في اعماله شيئاً عن اناطول ورجع عدد عديد من رجال « عصابة لصوص افسس » عن اقوالهم واقروا بضلالهم .

o

ربما كان بالاستطاعة تسوية كل امر من دون عقد مجمع جديد كما كانت رغبة القديس لاون الشخصية اما الامبراطور مارسيان « Marcien » فاصرّ على عقد مجمع فتقرر واعدّ المجمع الخامس المسكوني الذي عقد في خلقيدونية اي في قاضي كوي الحالية القائمة على ضفة البوسفور الاسيوية قبالة القسطنطينية .

o

كان عدد آباء المجمع يربو على خمسمئة ، جميعهم شرقيون ما عدا موفدي القديس لاون واثنين آخرين من افريقية . وجرى افتتاحه في الثامن من تشرين الاول ٤٥١ في كنيسة القديسة اوفيميا « Euphémie » وعقدت آخر دوراته في الايام الثلاثة الاخيرة من الشهر نفسه. اما قضية اوطيخا فلم تبقَ بحاجة الى ان تُفضَّ منذ ارتقى مارسيان العرش وبعد ان اسدل عليها الستار نهائياً.

وكان لا بدّ للمجمع من وضع حدّ للقضيتين اللتين ما برحتا قائمتين وهما : الاولى الفراغ من اقرار صيغة عبارة ايمان الكنيسة بمعتقد التجسد اقراراً حاسماً والثانية انهاء قضية الاساقفة الذين عُزلوا بدون حق في افسس والاساقفة

الذين حكموا عليهم ظلماً . بيد ان الامر لم يكن سهلًا لانه على رغم ما كان من ثقل، لمساندة الامبراطور، في الميزان قد ظل هناك عدد كبير من الاساقفة لا يميلون قلبياً الى تأييد رسالة القديس ليون والتعهد بالزام النفس بها، تلك الرسالة التي اعلنت الطبيعتين، كما ظلّ منهم من يعارض معارضة قوية في ارجاع بعض الذين جردوا من حقوقهم الى مناصبهم كتيودوره دسير «Thédoret de Cyr» واياس الاورفي «Ibas d'Edesse» خاصة .

وكما جرى في افسس من قبل سنتين فقد كان هناك من اعلنوا تأييدهم ولكنه كان تأييدًا خاليًا من كل حماسة وكان من بين هؤلاء حتى اشد المتواطئين في افسس مع ديوسكور كجوفنال المقدسي « Juvénal de Jérusalem » الطموح، ومع ذلك فان بعضهم اخلص في عمله واعلان اذعانه وموافقته .

وقصارى القول لقد تمكنوا بمهارة من اظهار الاتفاق الحقيقي القائم بين تعليم كيرللوس الاسكندري صاحب النفوذ العظيم في نظرهم وبين رسالة القديس ليون .

وذلك الاتفاق الحقيقي الذي كان يقوم بين تعليم كيرلوس ورسالة القديس ليون واستنبطوه بمهارة لم يكن فهمه سهلًا في الشرق كله على اولئك الذين كانوا قليلي التعليم ولاسيما على الاكليريكيين والرهبان او العلمانيين الذين كانوا لا يزالون متمسكين بالقول بطبيعة واحدة في يسوع المسيح .

وما خلا هذا فقد ظل هناك معارضون صعبي الشكيمة فديوسكور الذي لم يكن يرجو مطلقاً العفو عنه قد رفض بعنجهية الانصياع وجرّ وراءه بمثله الاساقفة المصريين وبعض اساقفة ولاية ايليري « Illyrie » .

وفي غضون الدورة الثانية سُمعت من بين هتافات المجتمعين المتعالية العبارة الشهيرة التالية « تكلم بطرس بفم ليون واعلن الشرق هكذا باجمعه ان اسقف روما هو خليفة امير الرسل .

ومما اثار مقاومة موفدي القديس ليون ارادة آباء المجمع ان لا يقصروا عملهم الاعتقادي على توقيع رسالة البابا والموافقة عليها وانما كانوا يفتقرون الى صيغة للعقيدة وقد توصلوا اليها مع بعض المشقة واقروها كما كانت اختصارًا حسناً لتعليم القديس ليون .

« نعترف كلنا بصوت واحد ان نعترف بابن واحد [illegible] ربنا يسوع المسيح ، ذي الالوهة الكاملة والبشرية الكاملة ، الاله الحق والانسان الحق ، الحامل نفساً عاقلة وجسداً ، المساوي للآب في الألوهة ، المساوي لنا في البشرية ، الذي شابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة ، المنبثق من الآب قبل كل الدهور حسب الالوهة ، الذي نزل في الايام الاخيرة لاجلنا ولاجل خلاصنا حسب البشرية وتجسد من مريم العذراء ام الله . وهو المسيح الاله الابن المولود ذو الطبيعتين الغير المختلطتين ، فلا تبادل بينهما ولا انقسام ، ولا تدرك الواحدة منهما دون الاخرى ؛ وهما متحدتان اتحاداً مطلقاً لا انفصال فيه بينهما مع ان كل طبيعة لها ذاتها الخاصة وينتج عنها اقنوم واحد ووجود واحد لا اقنومان متجزآن او منفصلان ، بل واحد هو الابن المولود الاله الكلمة يسوع المسيح . كما قال عنه الانبياء من قبل هكذا هو ذاته يسوع المسيح علمنا وورثنا منه قانون الاباء» (Denzigner 148).

وكان لا بد لتعريفهم هذا من ان يكون العبارة الحاسمة بشأن عقيدة تجسد يسوع المسيح وايمان الكنيسة بها فكان واضحاً كل الوضوح ولم يبقَ من سبيل معه لنشوب حوادث جديدة او بدع على شاكلة التي كان زعيمها ابوليناير او نسطور .

ولم يكن ، من سوء الحظ ، بالامكان الاحتفاظ في هذا التعريف بطابع لغة كيرللوس القائلة بالطبيعة الواحدة وبعبارة انطاكية وليون والغربيين اجمع القائلة بالطبيعتين . وفي سبيل التعرف الى الوحدة القائمة في الفكرة المستقية في لغتي كيرللوس والقديس ليون لا بد من بعض حدة في الذهن . اما انصار لغة كيرللوس التي لم يقبلها المجمع فلا بدّ من تواضع لاختيار الكنيسة دستوراً آخر لهذه العقيدة .

وعرف كيرللوس ان يقيم الاتحاد موقتاً بما خفض من جناحه ولو قدرت له الحياة بضع سنين ايضاً لعرف من دون شك ان يجتث النزاع او ان يخففه .

وعقب ديوسكور الذي عزله بحق المجمع الخلقيدوني ونفاه وتحول في نظر انصاره الى بطل او ما يشبه الشهيد نشبت ردة فعل باسم الطبيعة الواحدة في المسيح بمصر وجزء كبير من سورية وارمينية وكانت الثورة والانشقاق .

وكان القسط الاعظم من الشر في تاريخ حركة الطبيعة الواحدة يعود غالباً الى تدخل السلطة المدنية تدخلاً اخرق .

ولم يكن رائد تلاميذ اوطيخا المسكين الّا الانفصال عنه وعن ضلاله ، ذلك الضلال الذي يصعب تعريفه ، بما يتعلق بانسانية المسيح . ولم تعارض رسالة القديس ليون ولا تعريف خلقيدونية شيئاً من تعليمهم وهو تعاليم

القديس كيرللوس؛ ولم يتراجعوا عن ان يرشقوا الاثنـين بالحرم على زعم منهم انهم قد وجدوا فيها نسطور نفسه . ولم يعرفوا او انهم لم يريدوا ان يعرفوا علماً لاهوتياً وان كان مستقيماً واضح الاستقامة وان اثبته المجمع المسكوني لانه ابى بعلمهم ولا يستخدم عباراتهم .

ولنذكر في هذا الصدد ان تعريف خلقيدونية قد استمد عبارة من القديس كيرللوس باعترافه بان الطبيعتين في المسيح تتوحدان بشخص واحـد واقنوم واحد. فان عبارة «وحدة اقنومية» مردها الى كيرللس وهي موجودة في الحرم الثاني من حرماناته (Dz 114) اما لفظة شخص فحجوبة المعنى لدى بعض النساطرة وحتى انها غامضة نوعاً لدى علماء انطاكية اللاهوتيين واما لفظة اقنوم فتدلّ اين يجب وضع وحدة المسيح ، في شخص الكلمة نفسه الموجود بذاته والذي يدعم الطبيعة الانسانية التي تكوّنت في احشاء مريم العذراء ، تلك الطبيعة التي لا وجود لها بذاتها . ان جميع علومنا اللاهوتية بشأن التجسد ما برحت تستنير به وترسخ حول هذه النقطة الرئيسية .

٥

ولا نستطيع النسيان ان هذا المجمع نفسه الذي نادى بالقديس ليون خلفاً لبطرس في احدى جلساته التي كان موفدو البابا غائبين عنهـا نصّ في القانون الثامن والعشرين على امتيازات كرسيّ القسطنطينية فاحتج عليها ليون وكان من نتائجه يوماً القطيعة بين بيزنطية وروما .

وبمناسبة هـذه الذكرى المئوية الخامسة عشرة لانعقاد المجمع العظيم على رغم ما صودف فيه من مقاصد بشرية شتى وما رافقـه من نقصان في التنظيم وما نجم عنه من ردّات فعل مؤلمة وانشقاقات، ألا يجدر بنا ان نحتفل به وبالعمل التعليمي العظيم الذي قام به ؟

ان من واجب حياتنا الدينية اليوم، حيال عالم انحرف بعض الانحراف عن المسيحية ، ان نتقرب شخصياً من المسيح اكثر من الماضي وان تتحول قوتنا الى ان نجعله معروفاً في انجيله وفي كنيسته ، وعلينا ان نستمدّ النور من عقيـدة خلقيدونية التي تجعلنا نجده مسيحاً واحداً الهاً حقيقياً وانساناً حقيقاً فنحبه .

— -

اللغة الدولية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

ان آلافاً مؤلفة من الشرقيين ، حتى المتنورين انفسهم، لا علم لهم بوجود مشكل اللغة الدولية ومسيس الحاجة الى حله على وجه معقول، ولاسيما بعد الحرب الاخيرة الهائلة، المبرهنة باجلى البراهين على وجوب الاتحاد بين كل الشعوب ، لتبادل المنافع المادية والادبية ، بل لاتقاء شرور عاصفة هوجاء جديدة ، تهبّ على العالم ، فتحول دماره الحالي الى خراب كلي ، لا تكاد عصور عديدة تكفي لتشييد صرح مدنية اخرى على رائع انقاضه .

ذلك ما حدا بنا الى كتابة هذه المقالة ، كي نُطلع بها لفيف الناطقين بالضاد على تلك المسألة الحيوية،التي لا سبيل لغض النظر عنها في الوقت الحاضر . ولعلّ اقوى شاهد على صحة قولنا هذا،الذي ربما نسبه بعض القراء الى المغالاة، ان عصبة الامم القديمة قد وجهت عنايتها الى مشكل اللغة الدولية ، وان جمعية من العلماء، مركزها في الولايات المتحدة ، تجري منذ عدة اعوام التحقيقات اللازمة وتجمع المعلومات المفيدة ، لتحيط بكل اطراف تلك المعضلة الخطيرة ، فتتمكن ، بعد طول التنقيب ، من اكتشاف حلّ موافق لها . وغايتنا ، على اثر تلك الديباجة التمهيدية ، ان نلقي رائد النظر على اهم الحلول التي عرضها على العالم المتمدن جهابذة الباحثين والمفكرين في القرون الثلاثة الاخيرة .

ربما رأرأ القارئ بعينيه عند كلماتنا الاخيرة ، فسألنا ، وقد اخذت منه الدهشة كل مأخذ : « هل كرّ على المرور ثلاثمئة عام ، والمفكرون لا يألون « جهدًا في محاولة فك معضلة اللغة الدولية ؟ ان ذلك من الغرابة بمكان ! » فنجيبه : « اجل ثم اجل ؛ واليك الحجج الدامغة على صحة قولنا تراها مدونة « في تاريخ العمران الحديث، على اننا قبل عرضها على محكّ انتقادك ، نتوسل « اليك ان تنبذ نبذ النواة ما علق حتى الآن بذهنك من الاوهام الباطلة ، « السابقة للنظر العلمي ، في شأن المشكل الهام الذي نعالجه . أجل صائب « الفكرة في الشواهد التي نسردها عليك موجزةً ، ثم احكم سديد الحكم :

« اولًا هل مسألة اللغة الدولية من الترهات التي لا طائل تحتها، فضلًا عن تعديها
« حدود الامكان ؟ ثانياً هل يوجد لها الآن ، على فرض كونها مفيدة وفي
« دائرة المستطاع ، حلٌ مُرضٍ كل الارضاء ؟ »

١ — ضرورة اللغة الدولية

من المعقول ، بل من البديهي ، لزوم النظر في فائدة مشكل عملي كهذا، قبل البحث في طُرُق حلّه ؛ والا ذهب سعي الذهن ادراج الرياح . اذًا يجب علينا اولًا الاجابة على سؤال جوهري ، وهو : هل اللغة الدولية ضرورة ماسة؟ نجيب بدون اقل ارتياب : « انها حاجة لا غنى عنها ، في دور تمدننا الحالي ، « بسبب النمو المتواصل في العلائق السياسية والتجارية والعقلية بين جميع الدول . » هلم بنا لنسرح انظارنا هنيهةً في تلك الميادين الثلاثة ، وهي ملتقى كل الشعوب ولن تزال . ولنبدأ بالعلائق العقلية ، فان لها المقام الاسمى ، بالنظر الى سموّها الواضح . لا يخفى عن احد المطلعين ان من اشد العقبات الكؤود ، الحائلة دون سعي العلماء وسائر هُواة العلوم ، كثرة اللغات الغنية بآلاف من الكتب والنشرات العلمية ، الجليلة الفوائد ، التي لا يفتأ عددها يتزايد يوماً فيوماً ، بسرعة قلما خطرت ببال . دليل ذلك مثلًا ان المانية في سنة ١٩١٨ ، مع انها الرابعة من سنوات الحرب الكبرى ، قد نشرت ١٤٧٤٣ كتاباً ، بدلًا من ٣٥٠٧٨ في سنة ١٩١٣! وقس على ذلك ما نُشر في انكلترة وفرنسة وايطالية والولايات المتحدة وغيرها . وقد صرح اللغوي الفرنسي مايا (Meillet) ، الطائر الصيت ، انه يوجد في جيلنا على الاقل عشرون لغة تُطبع فيها مؤلفات علمية يُعتدّ بها . فلعمري مَن من العلماء وطلاب العلوم يجد في حياتنا العصرية ، الكثيرة الاشغال والشواغل ، وقتاً كافياً لدرس ربع ذلك العدد من الالسن التي تعرض علينا كنوز معارف للخوض في كل مطلب علمي ؟ وايم الحق انه لأهون جدًّا ان يتبحر ابن القرن العشرين في اي علم كان من ان يتضلع من نصف اللغات العلمية. ثم ان كثرة تلك اللغات تحول دون نجاح المؤتمرات الدولية، وقد بلغ عددها سبعة واربعين في سنة ١٩١٤ . انه لامر مشهور ان بعض

حضرب يخرجون من ستدى كل رأت لغة جديدة في الخطابات الملقاة او المقالات المتلوة . افليست، والحالة هذه، حاجة العالم المتمدن ماسة الى اتخاذ لغة دولية، لازالة كل تلك العراقيل المانعة للتفاهم الكامل وتبادل كنوز المعارف على وجه تام ؟

فلننظر الآن الى ضرورة اللغة الدولية في التجارة . يعرف القاصي والداني ان في المحلات التجارية الكبرى ، في كل الاصقاع ، آلافاً من كتبة الرسائل تقتضي وظيفتهم معرفة ثلاث لغات على الاقل ، نعني الانكليزية والفرنسية والالمانية ، ومن المعلوم انه ، اذا وُجد بعض الشبه بين الاوليين ، فشتان ما بين الآخريين. ولذلك ترى اولئك المستخدمين يبذلون اقصى الجهد واثمن الوقت فضلاً عن الاصفر الرنان ، للحصول على معرفة يسيرة للغات التجارية الثلاث ، التي لا مندوحة لهم عن درسها . ومن الواضح انه يتحتم على التجار دفع اجور عالية لاولئك الكتبة ، حتى يعوضوا شيئاً فشيئاً عن النفقات التي تحملوها في تعلم الالسن . ولا سبيل الى ازاحة تلك العوائق العظيمة والنفقات الجسيمة سوى تواطؤ الشعوب على اتخاذ لغة دولية .

لا بد من ذلك ايضاً لتسهيل العلائق السياسية . لا نجهل ان الفرنسيين يفتخرون بكون لسانهم هو، منذ عصور عديدة، نسيج وحده، لاتفاق الساطين السياسة على استخدامه في محاوراتهم . مهما يكن نصيب ذلك الادعاء من الصحة ، فلا يختلف اثنان من ذوي النظر البعيد في كونه يحط من كرامة سائر الدول ، ولا سيما الكبرى ؛ فهو فاحش ان كان حقيقياً. ما عدا ذلك ، أمن الصواب ان يُسام ساسة كل البلاد سوى فرنسة عبء تعلم الفرنسية ، وهي من اصعب الالسن نحواً وصرفاً ، لفظاً وكتابة ؟ فيُستنتج من كل ذلك ان استخدام لغة دولية ، غير الفرنسية ، ضرورة ماسة لتيسير العلائق السياسية ، التي لا تزال تنمو في جيلنا ، ولا سيما بعد الحرب الاخيرة ، كثرةً وتعساً وخطورة وتعقداً .

يسوغ لنا اذاً بعد اجالة النظر في اوسع ميادين الصلات الدولية ، نعني ميادين العلم والتجارة والسياسة ، ان نصرح تصريحاً جازماً بشدة افتقار

الشعوب الراقية الى لغة واحدة ، مشتركة بينهم اجمعين ؛ فهي وحدها تضمن لهم سهولة التفاهم وكمال التآس المادي والادبي، وتمام الاقبال العمراني، المؤسس على تبادل كل ضروب الخيرات .

٢ — الشروط المطلوب استيفاؤها من اللغة الدولية

الشرط الاول ان تفي بلوازم الحياة الاجتماعية المعتادة ، ثم بحوائج التجارة والعلوم والفنون ، على اختلاف انواعها . ومن ثم ينبغي ان تكون اللغة الدولية غنية بكل الكلمات الضرورية للتعبير عن كل متعلقات التمدن الحاضر ، بدون استثناء.. الشرط الثاني ان تكون قريبة المنال لذوي الثقافة المتوسطة، ولاسيما لاصحاب الحضارة الاوربية. الشرط الثالث ألا تكون احدى اللغات الوطنية.

اما الشرطان الاولان فلا يحوم على وجوبها ادنى شك . والثالث قد اشرنا فيما سبق الى لزوم استيفائه ، من وجهين على الاقل ، احدهما الصعوبة الشديدة التي يعانيها دارسو اللغات الوطنية، اية كانت ، بسبب وفرة قواعدها وكثرة شواردها ؛ وكل من له بعض الخبرة في هذا الشأن لا يتمالك ان يزيد صحة قولنا . الوجه الثاني ، وهو الاهم ، كون كرامة الامم تُمس باتخاذ لغة احداها بصفة لغة دولية. لا يخفى ان اللغة الوطنية هي من اجل واعز ما يتمسك به كل شعب من الاملاك الادبية ، الموروثة من اجداده ؛ فهو يذود عن حياضها ببذل النفوس والنفائس ، ولا يرضى بعقد اتفاق صريح او ضمني ، يتخلى فيه عنها ويقبل لغة الاجانب ، ولو كان استخدامها محصورًا في نطاق العلائق الدولية . حاشا ان تحتمل امة شريفة نفسها مثل ذلك النير المذلّ ، الآئل الى استعبادها المعنوي ، بل المادي ، تجاه القوم الذي اتخذت لسانه .

ماذا حال سوى ذلك ، في القرن المنصرم ، الذي بلغت فيه المواصلات العالمية المتنوعة شأوًا فائق التصور ، دون تواطؤ الشعوب المتمدنة على اختيار الانكليزية او الفرنسية او الالمانية ، بصفة لغة دولية لتسهيل كل معاملاتها واعلاء منار حضارتها ؟ وهل نسينا ان المندوبين الفرنسيين قد عرضوا لسانهم على جمعية الامم السالفة ، لتتخذه وحده في كل اشغالها وجلساتها ، فقام الانكليز وتمدوا بازاء ذلك الطلب الجور ، ورفضوا ارعاء ذلك الاقتراح

المهن تعمم ؟ ومما يؤيد استحالة تخلي الشعوب عن عنتها واتفاقها على اختيار لسان امة ما ، وان تكن جليلة الشأن، بصفة الواسطة الوحيدة الرسمية للتفاهم في كل العلائق الدولية ، هو ان الباحثين عن حل مُرضٍ لمشكل اللغة الدولية في القرون الثلاثة الاخيرة ، قد ابتكروا نحو مئة وخمسين لغة صناعية للوفاء بالغرض المطلوب ! فلماذا لم يخطر ببالهم اتخاذ احد الالسن القومية ، الواسعة الانتشار ، بدلًا من اجهاد قرائحهم عبثًا في استنباط لغات جديدة ؟ أمن المعقول ان يكون جميعهم قد ضلوا سواء السبيل ؟ لا لعمري ، فذلك هتر هاتر في عين المتبصر ، العالم بطبائع البشر ونواميس الاذهان. انما اغمض هؤلاء المبتكرون طرفهم عن اللغات القومية ، اذ لاح لهم ، كالشمس في رائعة النهار ، امتناع اقتراح احدى هذه اللغات على كل الامم . فلا بد ، والحالة هذه ، من التسليم بضرورة وضع لغة دولية صناعية .

٣ — اشهر اللغات الدولية الصناعية المبتكرة من سنة ١٦٢٩ الى ١٨٧٩

كان الفيلسوف والرياضي الفرنسي ديكرت (Descartes) ، وهو اشهر من نار على علم ، من اول الذين اعملوا فكرتهم الوقادة لحل مشكل اللغة الدولية ، بل هو القائل ، في سنة ١٦٢٩ ، بامكان صوغ لسان في غاية البساطة والسهولة ، لحل تلك المعضلة؛ وكفى رأي ذلك العلّامة تأييدًا لما ارشدنا اليه مجهود الصواب من امتناع موافقة لغة قومية للغاية المنشودة . وكان ليبنتس (Leibnitz) ، معاصر ديكرت ونده في الفلسفة والرياضيات ، يعتقد مثله ضرورة لغة دولية ، غير انهما لم يتوفقا الى ابتكارها . ثم كر على ذلك نحو قرنين ونصف ، تعاقبت فيها عشرات من اللغات الدولية الصناعية ، فبقي كلها تقريبًا حبرًا على ورق ، وهي في الوقت الحاضر نسي منسي عند جميع الناس ، ما خلا بعض الاختصاصيين . فنجتزئ هنا ، طلبًا للايجاز ، بذكر اللغة الدولية الاولى التي حظيت باقبال الجمهور ، في الامم الراقية ، ضاربين صفحًا عن اسلافها التي لم تخرج الى حيز الوجود ، من الوجهة العملية ، التي عليها وحدها المعوّل في موضوعنا . تلك اللغة الميمونة الطالع هي الفولابوكية (Volapuk) ، وقد صاغها ، سنة ١٨٧٩ ، الكاهن الكاثوليكي الالماني شلاير (Schleyer) ، مقتبسًا اكثر جذورها من

الانكليزية ، وحاصرًا صرفها ونحوها في قواعد قليلة ، لا شواذ لها . مع ذلك كان في لسانه عيب جوهري ، وهو بثابة سم ناقع، سار في اصوله ومنذر بقرب فنائه ؛ نعني تشويه الجذور الانكليزية باختصارها المفرط ، الى حدّ جعلها كالالغاز الغامضة في عين الانكليز انفسهم .

دونكم بعض الامثلة على ذلك : flen بمعنى صديق (من friend) ، nim بمعنى حيوان (من animal) ، Melop بمعنى اميركا (من America). مع تلك الشائبة الكبرى قد اصابت الڤولاپوكية السيئة الفهم رواجاً شديداً في الاقطار المتمدنة ، فقد طُبع نحوها في خمس وعشرين لغة ، وأُنشئ لها مئتان وثلاثة وثمانون نادياً ، كان اعضاؤها يُحصون بعشرات الالوف . وما اسفاه ، بعد انعقاد المؤتمر الڤولاپوكي الدولي الثالث ، سنة ١٨٨٩ ، انكسفت شمس تلك اللغة في افق الحضارة ، فلم يعد يشاهَد لما فيه من بزوغ .

قبل ذلك التاريخ المشؤوم بعامين كان شاب يهودي بولوني، اسمه زامنهوف (Zamenhof) ، قد وضع لغة دولية جديدة ، ونشر قواعدها في كُتيِّب اتخذ فيه اسم Esperanto المستعار—ومعناه راجٍ—تعبيراً عن رجائه اقبال ارقى الشعوب على درس لسانه الصناعي، فدُعيت لغته بذلك الاسم ذاته. وقد تاسى صاحبها الامرّين في تعريفها ، جائلًا من قُطر الى آخر ، وهو يُلقي في المدن الكبرى محاضرات عديدة على صفوة العلماء والادباء ؛ وبعد بذل تلك الجهود المتواصلة نال بعض مُناه بانتشار لسانه في فرنسة ؛ ولم يتم ذلك الا بفضل الهمة القعساء التي ابداها المركيز لويس ده بوفرون (de Beaufront) ، العالم الكاثوليكي الفرنسي .

لم يمضِ على ذلك وقت طويل حتى امتدت فتوحات الاسبرنتية الى انكلترة واسبانية وسائر اقطار اوربة حول سنة ١٩٠٣ . صرف تلك اللغة ونحوها بسيطان جداً ، بحيث يمكن حصر كل قواعدها في نحو عشرين صفحة ! اكثر جذور كلماتها مقتبس من اللغات اللاتينية ، ولا سيما الفرنسية، والنزر اليسير من الالسن الجرمانية ، وعلى الاخص من الانكليزية والالمانية . وبما ان عدد الناطقين باللغات اللاتينية والجرمانية في انحاء العالم قد بلغ وتنيف زهاء خمسة

ميون ، اصبحت الاسبرنتية في عرف الامم الراقية شبه درة يتيمة ، بل واسطة العقد الذي انتظمت في سلكه الطويل ، منذ ثلاثة قرون ، نحو مئة وخمسين لغة صناعية .

بيد ان الاسبرنتية كانت موصومة بعيب كبير ، تجلى شيئاً فشيئاً لذوي الافكار المسبقة ، وهو ان زامنهوف لم يختر جذور كلمات لغته وفقاً لمبدإ معقول ، ثابت ، بل اقترضها ، كما عنَّ له ، من اللغات اللاتينية في الغالب ، وبعض الاحيان من الالسن الجرمانية . لذلك نرى مئات من الكلمات الاسبرنتية لا تشبه ما يقابلها في اشهر اللغات الاوربية شبهاً كافياً ، يسهل فهم معانيها فوراً للشعوب الناطقة بتلك اللغات .

مع ذلك الخلل قد راجت الاسبرنتية في المشارق والمغارب رواجاً شديداً هو من اجلى الشواهد على مسيس حاجة الامم الراقية الى لغة دولية . سنة ١٨٨٨ لم يوجد في المعمور سوى نادر اسبرنتي واحد ، وفي سنة ١٩١٠ بلغ عدد الاندية الفاً وخمسئة ! فضلاً عن ذلك قد التأم اكثر من اثني عشر مؤتمراً اسبرنتياً ، توافد اليها الآف اتباع تلك اللغة ؛ ومن جملتها المؤتمر المعقود في عاصمة هولندة ، بُعيد الحرب العالمية الاولى ؛ كان عدد اعضائه ٣٩٩ ، وهم يمثلون ثلاثاً وعشرين دولة .

سنة ١٩٠٨ تأسست الجمعية الاسبرنتية العامة ، التي غايتها خدمة اعضائها ، ولا سيما السيّاح منهم ، اكبر الخدم بالمراسلة او المواجهة ، وذلك بواسطة ممثليها في اهم مدن اوربة وغيرها من القارات ، حتى في اقاصي الارض ، مثلاً في اميركة الجنوبية واسترالية والصين واليابان[1] . قد كان عددهم ١٢١٠ ، سنة ١٩١٤ ، ثم هبط الى ٦٥٠ بُعيد الحرب العالمية الاولى .

---

١) قد استقبلنا ممثلو تلك الجمعية ، بين السنتين ١٩١٠ و١٩٢٠ ، بارق مظاهر الحفاوة والسخاء ، في نحو ثلاثين من مُدن اوربة في هذه البلاد الشهيرة : فرنسة ، انكلترة ، اسبانية ، البرتغال ، المانية ، دانيمرك ، المجر ، يوغوسلافية ، بلغارية ، تركية . فاختبرنا في احاديثنا الطويلة معهم ومع غيرهم من الاسبرنتيين ، سهولة التفاهم التام بلغة زامنهوف ، بل قد شعرنا الذ الشعور بقوة عاطفة الحب الطبيعية ، التي تربط كل بني آدم ، مع اختلاف اديانهم وجنسياتهم ودرجات تمدنهم .

اما ازدهار الآداب الاسبرنتية ، منذ فجر القرن العشرين ، فحدّث عنه ولا حرج ، فقد نُقلت اشهر مؤلفات العالم المتمدن الى لغة زامنهوف ، وطُبعت فيها زهاء اربعين مجلة في نحو ستة عشر من اقطار المعمور .

مع تلك المآثر الغراء ، التي لا يستطيع انكارها مكابر ، قد افضى عيب الاسبرنتية ، المشار اليه منذ هنيهة ، الى انقسام اتباعها الى حزبين متضادين : المحافظين المتعامين عن ذلك النقص الفاحش ، والاصلاحيين المجاهرين بضرورة ازالته ، لئلا يحول دون سرعة انتشار تلك اللغة الدولية . وقد بلغ صوت الحزب الثاني عنان السماء ، فتحتم على زامنهوف نفسه ان يقترح سنة ١٨٩٤ عدة تحسينات خطيرة للاسبرنتية ، لا يختلف كثير منها عن مميزات اللغة الدولية الإيدية (Ido) ، التي ابدعها المركيز ده بوفرون سنة ١٩٠٧ . بيد ان معظم الاسبرنتيين قد رفضوا الاصلاح المقترح عليهم، زاعمين انه يمنع زيادة شيوع لغتهم العزيزة، فأدى ذلك التصلب في الرأي الى انشقاق اليم بينهم فور ظهور الايدية، وقد حان لنا ان نبيّن مزاياها الفريدة ، الخالية من كل شائبة ، مبرهنين على انها ، بدون ادنى شك ، اللغة الدولية النهائية .

٤ — اللغة الدولية النهائية : الايدية

يليق بنا بيان ظروف نشأتها لما في ذلك من العبر المفيدة . سنة ١٩٠٠ اذ فُتح معرض باريس العام الطائر الشهرة ، التأم في عاصمة فرنسة عدة مؤتمرات دولية ، فشُعر فيها جليًا بمسيس الحاجة الى لغة دولية هيهات ان تأتي بدونها المؤتمرات بكل نتائجها المطلوبة لترقي العلوم والشعوب . فانتخب بعض المؤتمرات الباريسية نوّابًا وكلوا الى همّتهم ودرايتهم حل معضلة اللغة الدولية . فاجتمع هؤلاء في كانون الثاني ١٩٠١ واسسوا مجلسًا لبلوغ مأربهم ، فأجرى التحقيقات اللازمة وعرّف غايته لكل الامم ، نحبذها ١٢٥٠ شخصاً من اعضاء المحافل العلمية والادبية واساتذة الكليات في جميع اصقاع المعمور ، فضلًا عن ٣١٠ جمعيات وشركات شتى . كان كل ذلك بين رأس سنة ١٩٠١ ومنتصف سنة ١٩٠٧ ، وهو برهان جديد لا مرد عليه ، يُثبت شدة ضرورة اللغة الدولية للمجتمع

البشري . بعد تلك السنوات السبع التمهيدية رأى عس ان يتم في دريس لجنة دعا اليها اشهر اللغويين في اوربه واطرفهم باعاً، حل مشكل اللغة الدولية على اساوب علمي ونهائي . فالتأمت تلك اللجنة في تشرين الاول سنة ١٩٠٧ وفي اثناء ١٨ جلسة طويلة القت نظر الانتقاد الصائب على كل الالسن الصناعية المعروضة لفحصها ، وعددها يناهز العشرين ، وفي مقدمتها الاسبرنتية ، وكانت حينئذ في اوج عزها . هاكم الفتوى التي اصدرها بل امضاها كل اعضاء اللجنة دون استثناء ، وبعضهم اسبرنتيون :« قررنا اختيار الاسبرنتية نظراً الى كمالها الجزئي ، ولكن ينبغي تحسينها من عدة اوجه وفقاً لمشروع اللغة الايدية . » لفظة مشروع المستخدمة في نص هذا الحكم تدل القارئ اللبيب على كون المركيز ده بوفرون ، مبتكر الايدية ، لم يقترحها على اللجنة بصفة لغة كاملة الاجزاء ، بل اكتفى بعرض مبدئها العلمي ، وهو ناموس الدولية العظمى (maximum d'internationalité) ، ثم ملخص غراماطيقها وبضع مئات من مفرداتها وجملها . لجنة اللغويين قد استحسنت الايدية اي استحسان وحكمت بلزوم ادخال كل كمالاتها الخاصة في الاسبرنتية . ولما كان مثل ذلك الاصلاح يقلب هذه ظهراً لبطن ، والاسبرنتيون يهنئون انفسهم قبل فتوى اللجنة بالظفر المبين، فار فائرهم حين وقفوا على خيبة آمالهم وهدم ركن عزهم الشامخ . فقاموا كرجل واحد بل كجيش جرار في وجه العدد القليل من طالبي الاصلاح المشار اليهم واستباحوا ضروب الاراجيف والنمائم وذرائع الارهاب لمنع ادنى تحسين يراد ادخاله في لسانهم ، مدعين ادعاء الحق بل الجنون انه لسان حي لشعب حي ، فمن المستحيل مسه ، ومنكرين وجود سلطة ، ولو علمية وادبية ، في اللجنة المتجاسرة على الطعن في لغتهم الحية وتفضيل الايدية عليها، مع انهم قد اعلنوا استعدادهم لقبول حكم تلك اللجنة قبل صدوره ا خلاصة الامر ، نعني بذلك السبب الحقيقي لازباد الاسبرنتيين وارغائهم ، ان كثيراً من زعمائهم كانوا مؤلفي مئات من الكتب الاسبرنتية ، فرأوا في اتخاذ الايدية نموذجاً لتقويم مــا اعوج من لغتهم وتحسين ما شاء وفقاً لفتوى لجنة اللغويين، خسارة مالية جسيمة يلتزمون بحمل عبئها الباهظ ، فآثروا مصالحهم الخاصة على

مصلحة جمهور الاسبرنتيين بل جميع الشعوب. وكم أرانا التاريخ من امثال تلك الاثرة الشائنة ! على كل حال ان كثيرًا من الاسبرنتيين المعدودين ، الذين لم يُعمهم الغرض الشخصي ، قد انضموا لاول وهلة تحت علم الايدية وانفصلوا عن اخوانهم الجهلة او المتجاهلين انفصالًا تامًا، فأنشأوا محفلًا فوضوا الى اعضائه المتخبين من بلاد كثيرة مهمة اغناء معجم لغتهم بما يلزمها من الكلمات لتجاري ارقى الالسن، ثم تحسين غراماطيقها في بعض نقط ثانوية . فقام بتلك الوظيفة خير قيام من سنة ١٩٠٧ الى ١٩١٣ ، وبلغت الايدية اشدها واوج كمالها .

سبق لنا القول ان تفوق الايدية على الاسبرنتية ناجم عن كون الاولى وحدها قد اقتبست كل جذور الفاظها من اوسع الالسن الراقية شيوعًا بتطبيق مبدإ علمي ليس فيه لعيّاب معاب ، وهو ناموس الدولية العظمى الذي يقتضي ان تكون كل جذور الكلمات والسوابق (préfixes) واللواحق (suffixes) على اتم الشبه بما يوجد منها في اشد اللغات الراقية انتشارًا وهي : الانكليزية ، الالمانية ، الفرنسية ، الايطالية ، الاسبانية والروسية . الايدية بعكس الاسبرنتية ، لا تحيد ادنى حياد عن الناموس المذكور ، فنجد في الفرنسية ٩١ في المئة من جذور الايدية و٨٣ في المئة فقط من جذور الاسبرنتية ، وفي الانكليزية ٧٩ في المئة من جذور الايدية و٧١ في المئة فقط من جذور الاسبرنتية.

فبل من مكابر يتجاسر ، بعد معاينة هذه الارقام التي لم يجد الاسبرنتيون سبيلًا الى انكارها ، على نفي تفوق الايدية العظيم من جهة سهولتها وسرعة فهمها ؟ لها ايضاً غير ذلك من المزايا دون رصيفتها، فهي اغنى منها جدًا بعدد كلماتها ولا سيما العلمية والفنية . عدد جذورها نحو ثمانية الآف ، وقد اشتُق منها اكثر من خمسين الف كلمة. اما الاسبرنتية، فمع كونها سبقت الايدية بعشرين سنة، لا ينطوي معجمها الكامل، المنشور سنة ١٩١٠ ، على اكثر من نحو عشرين الف كلمة . ومن الاكيد الذي لا يختلف فيه اثنان ان لغة زامنهوف لم تغتنِ بالالفاظ اغتناء يُذكر منذ العام المذكور . اضف الى ذلك ان لفظ الايدية اسهل جدًا من لفظ رصيفتها،وقواعدها ابسط، وبينما حروف الايدية هي الحروف الانكليزية الموجودة في كل مطابع العالم وآلات الكتابة، نجد خمسة

من حروف الاسبرنتية تعلوها العلامة المعروفة عند الفرنسيين باسم accent circonflexe، ومن البديهي انها ليست في كل المطابع وآلات الكتابة . لعمري ان ذلك العيب وحده كافٍ لتشويه الاسبرنتية ومنع انتشارها في كل البلاد . لكي يستطيع القراء بعض المقارنة بين اللغتين المتزاحمتين نعرض على محك انتقادهم نصاً ايدياً منقولاً الى الاسبرنتية ثم الى العربية :

الايدية	الاسبرنتية	العربية
Kande omna ti qui volas la suceso de la linguo internaciona konocos omna kondicioni di la problemo solvenda, lore la selekto dil maxim bona linguo divenos min desfacila.	Kiam chiuj tiuj kiuj volas la sukceson de la linguo internacia konos chiujn kondichojn de la problemo kiun oni devas solvi, tiam la elekto de la plej bona linguo ighos malpli malfacila.	متى عرف كل مريدي نجاح اللغة الدولية جميع شروط المشكل المقصود حله ، حينئذ يصبح اختيار افضل لغة اقل صعوبةً .

فليحكم الآن القارئ الذي له ادنى المام بالانكليزية او الفرنسية اي اللغتين الدوليتين ارخم لفظاً واوضح معنى .

بقي علينا ان نوجه انظارنا هنيهةً الى انتشار الحركة الايدية في العالم . ذلك الانتشار لا بأس به ، ولا سيما ان الايدية قد نشأت سنة ١٩٠٧ ولم تكمل قبل سنة ١٩١٣ ، وقد كادت الحربان العالميتان تلاشي ما فازت به الايدية من الرواج ملاشاة الاعاصير لنحيف الاشجار التي لم تتأصل ارومتها في اعماق الارض . اليوم نرى آلاف الايديين في البلاد الآتية على الاخص : انكلترة ، فرنسة ، المانية ، النمسة ، المجر ، تشاكوسلوفاكية ، هولندة ، بلجيكة ، دانيمرك ، اسوج ، ايطالية ، فنلندة ، الولايات المتحدة واوسترالية .

قد طُبع في الايدية نحو مئتي كتاب على الاقل ، منها كتيب ترجمنا فيه اثنتين واربعين قصيدة لطائفة من اشهر شعراء الاقطار العربية المعاصرين ، فانتشرت نسخه بسرعة في اكبر الاقطار الاوربية وغيرها ، وقد بلغنا صدى اعجاب قرائها بغُرر قريضنا الحديث . سنة ١٩١٤ كان للايديين نحو سبع عشرة نشرة ومئتي جمعية ؛ اما الآن فنرجح نقصان ذينك العددين الناتج عن

الحربين العالميتين . وقد صدر في استوكهولم جدول مراسلة الايدية يحتوي عنوانات زهاء ثمانمئة شخص من اتباع تلك اللغة الساكنين في ثلاثين بلداً . قد اختبرنا مراراً شدة فائدة تلك المراسلة ، فقد حصلنا بواسطتها على كتب عديدة في لغات شتى .

سهولة الايدية وسرعة تعلمها تفوقان التصور ، وقد تحققنا ذلك في ذاتنا وفي بعض تلاميذنا ؛ قد اكب احدهم خمسة ايام ، لا غير ، على دراسة تلك اللغة ، فاستطاع ان يكتب بها مقالة ذات صحيفتين لم نجد فيها سوى نحو عشرة اغلاط . الحق يقال : ان ذلك الشخص شديد الذكاء ، ولكن يسوغ التصريح بان كل متوسط العقل يمكنه التوصل الى قراءة الايدية بل الى كتابتها في ظرف اربعة اشهر ؛ كفى شاهداً على ذلك رواج تلك اللغة في طبقة العمال ، فقد انشئت لهم عدة اندية ايدية في مدن كثيرة من اكبر الاقطار الاوربية .

رب سائل يسألنا معترضاً : « اسلّم وفقاً لفتوى الثقات بتفوق الايدية على « الاسبرنتية ، ولكن ماذا يضمن لي ان احد الباحثين المبتكرين لا يأتينا « غداً بلغة دولية جديدة من بنات افكاره ، فيُثبت انها تفوق الايدية ؟ بل « ربما وليه مستنبط آخر وجاء بلسان اكمل من سلفه . فاين المحطة الاخيرة في « ذلك الترقي المتواصل ، وهل من الحكمة ان نخص الايدية باختيارنا ونُقبل « على دراستها ونحن غير موقنين ببقائها ولو بضعة اعوام ؟ »

نعم الاستفهام وحبذا الاعتراض ، وها نحن نجيب عليه بكل الطمأنينة . لا تخشى ، يا صاح ، وقوع المحذور الذي اشرت اليه ، لان ابتكار لغة دولية اكمل من الايدية لاشد استحالةً من بيضة الديك ؛ اليك برهاناً جلياً على ذلك ، يلقم كل مكابر الحجر . الايدية ، كما صرّحنا غير مرة ، قد عيّنت كل جذورها ومشتقاتها ، بل اكثر قواعد صرفها ونحوها ، وفقاً لناموس الدولية العظمى ، فهي اذاً اسهل وابسط لغة دولية يمكن استنباطها في دور تمدننا الحاضر ؛ وقد شهد اللغوي الدانيمركي النابغة اوتو يسبرسن (Otto Jespersen) شهادة ضمنية على انتصارها النهائي وخلودها بقوله : « خير لغة دولية هي اسهل لغة لاكبر عدد من الناس . »

حق الملكية الخاصة

بقلم اسكندر وهبه

لقد تعددت النظريات الحقوقية هذه الايام نظرًا لتعقد العلاقات الاجتماعية وتنوّعها . وكانت مشكلة حق الملكية الخاصة من اهم واصعب المشاكل الحقوقية . فقد اقرّت هذا الحق القوانين القديمة والبسته لباس القدسية وحصنته بالحواجز لصيانته والمحافظة عليه . وجاءت المبادىء الاشتراكية تهدم هذه الحواجز وتكشف ستار القدسية عنه حتى الغته ولم تقر به اطلاقاً .

وبين النظريات الحقوقية القديمة وتصلب المحافظين بالدفاع عنها ، وبين النظريات الاشتراكية المتطرفة لا نجد من الهين او السهل ان نكوّن افكارًا صحيحة عن طبيعتها مع انها تشكل السؤال الهام والموضوع الاجتماعي الاساسي في الساعة الحاضرة .

لنضرب صفحاً عن دقائق النظريات او الاغلاط المتنوعة التي تعرقل هذا البحث . ولنتحوّل فورًا الى صميم الموضوع .

فان بين الخاص والعام يوجد فرق اساسي . اذ ان من طبيعة العام شيوعه بين كثيرين بينما الخاص لا يقبل هذا الشيوع والا فقد صفته .

كل شيء على الارض هو في الاصل مشترك بين افراد البشر بطبيعة وجوده . ولكن كل منهم يملك من هذا الشيء مقدارًا يختلف عن الاخر بطريقة تملكه . وتلك العوامل الفارقة — عند تجمعها — تؤلف انانية الفرد وشخصيته .

فالحق هو مزية ادبية تمكن من عمل الشيء او الامتناع عنه . من الاحتفاظ به أو التخلي عنه . من الحصول عليه او التجاوز عن امتلاكه . فان اساس حق الملكية هو وظيفة طبيعية للفرد البشري .

ووجود الانسان على هذه البسيطة يجعل حياته وبقاءه وتطوراته الطبيعية -

مرتكزة حتى على عالم الخلائق الخارجي محيط به . وبما ان له حق الحياة فله ايضاً ان يحصل على عوامل بقائه بسعيه وراء ما يتجه العالم الجمادي والنباتي والحيواني . فاذا حصل عليها يضمها الى شخصه ويصبح مالكها . وهو حقه بتملك ما هو خصوصي له بصورة خاصة . ونظرية التحديد هذه جد طبيعية وصحيحة وموافقة للذوق السليم ، والتكون الاجتماعي العادل .

فالتملك يصبغ الشيء المملوك بالميزات الطبيعية ذاتها التي هي ميزات الشخص المالك . وهو سيطرة الانانية على الاشياء التي تصبح ملكها بواسطة تملكها الادبي . ومن ذلك يتضح ان حق الملكية طبيعي وغير قابل للتغيير .

فهو طبيعي لانه صادر صدوراً فورياً . وضروري وبدون وسيط . وواجب الاحترام المطلق للشخصية البشرية . ويقضي باقرار ما تملكه بعملها وبصلتها مع غيرها . واذا كان للمجتمع – بحجة الصالح العام – ان يقرر انتزاع الحق الخاص من مالكه فهو خروج على سير النظام العام لحاجة تأتي عرضاً . ولكن على المجتمع ان يعوض ببدل مرض عن انتزاعه الحق الخاص من مالكه الحقيقي .

وللمالك ان يقضي على الحواجز الادبية الحامية ملكيته بان يبيع هذا الملك او يهبه او يتصرف به كيفما شاء لانه يملكه بصورة مطلقة .

واهم الانتقادات واكثرها تأثيراً على حق الملكية الخاصة تتناول شروط العمل به فانما ممارسة حق الملكية هو عمل عارض وهو يختلف عن الحق الطبيعي .

فالاشياء الارضية في اول تجمع الانسان ، تجمعاً اجتماعياً ، كانت مشتركة تحت تصرف من اراد ان يتملكها ويتصرف بها . وهنا ينتهي عمل الطبيعة التي لم تكلف نفسها تقسيم الاشياء وتقرير حقوق الافراد عليها . اذ يتقدم الفرد الاجتماعي فيتملك ما يتملكه لقاء تضحيات او اتعاب لم يقدمها غيره . وهكذا يحدث التملك بان تدخل الاشياء في نطاق شخصيته وتوسم بطابع انانيته .

واذا قيل بان اشياء الارض مشتركة بين الجميع فهو يعني اشتراكاً سلبياً عاماً غير محدد . وتخرج صفة الاشتراك عند قيام الفرد بعمل ايجابي اي بتملك الاشياء الارضية موضوع البحث .

وتجدر الملاحظة بان الحق الوضعي بالحياة لا يفترض مطلقاً الاشتراك الايجابي في الاشياء. ولكنه يفترض حق تملك ما هو ضروري او نافع للعيش المادي . اذاً فالتملك هو حدث انساني حرّ بسبب وقوع حق الملكية على شيء معين فيخرجه من الاشتراك السلبي ويدخله في نطاق شخصية بشرية معينة .

وان حق الملكية بحد نفسه ليس له حدود معينة فهو ككل حق وككل فضيلة عليه شروط وحدود موضوعه الخاص المادية. ولكن لا تؤثر ابداً او تحدد حق الملكية بذاته فيظل له امكانية التوسع اللانهائي في كل ظرف عادل موافق .

فكما لا يعقل ان ينكر على عالم حقه في استخدام علمه فلا ينكر على متملك حق ملكيته التي قدم لقاءها تضحيات واتعاب مشروعة ، اذ لا يمكن ملافاة عدم المساواة في الثروات المادية وفي اكتساب العلم .

واذا اردنا ايجاد دواء او على الاقل مسكن لفروقات التملك والعلم ، ورغبنا توزيعاً افضل للثروات والمؤهلات العلمية بين الناس ، فعلينا ان نفتش عن ذلك في الظروف الخارجية العارضة لا في تحديد حق الملكية في ذاته وحق اكتساب العلوم .

وان تعيين القوانين لحدود ممارسة حق الملكية ضمن نطاق مصلحة الجماعة لا يتنافى مع روح العدل اذا لم تقسُ فتهدم حقوق الملكية لاعتبارها غير واجبة او تتناقض مع حفظ كيان المجتمع البشري . لان المجتمع لا يتم تشييده الا على اساس الملكية الخاصة . هذا الحق الذي يعلن حرمة الحرية الشخصية واحترام الانسان لذاته . لا لانه قطعة مسيرة ضمن آلة المجتمع العام .

فالضرائب المتصاعدة المباشرة هي طريقة غير مباشرة تضع حداً لتجمع الثروات . وان تنافت مع حرية اطلاق الملكية فانها تقيدها ضمن قواعد منطقية . لان الضريبة ناتجة عن واجب شرعي عادل يقضي على جميع المواطنين بمساعدة المصالح العامة لانهم يفيدون من وجودها .

وبما ان التهامل في استغلال الملكية يعتبر تخلياً من مالكها عنها واعتبارها خارجة عن دائرة انانيته فتستعيد صفتها الاولى اي شيوعها لمصلحة المجتمع .

وبذلك تعلن الشريعة وجود وراع في ملك مالك ناتج عن تخليه عنه بسبب اهمال استغلاله .

واما في حالة الاستملاك للمصلحة العامة فانه حد لحرية ممارسة الحقوق الشخصية وليس هو طعن بهذه الحقوق . فهي تختفي موقتاً لا لسبب عدم وجوب وجودها بل لسبب خارجي عنها هو الخير العام دون ان يؤلف طعناً مباشراً في حق الملكية . وتظهر صحة هذا بان السلطة المستملكة ترى من واجبها التعويض بسخاء على من نزعت ملكيته . وهو اقرار بانها ولو ابدلت موضوع الملكية فانها تعترف بوجود حق الملكية . وباحترامها المطلق لهذا الحق .

بمثل هذه السبل العائدة الى مصلحة المجتمع يمكن ان نحد من خطر تجمع الثروات . والافادة من نشاط الافراد للخير العام . وبدون ان تتناقض هذه الاجراءات مع نشاط الفرد واستخدام حريته وحقوقه الشخصية . ويظل المجتمع قائماً متعالياً على دعائم قوية من المنطق والعدل . وتظل حرية الفرد ضمن نطاق المصلحة العامة مصونة لا يتعدى عليها .

الشهادة الطبية قبل الزواج

بقلم الدكتور مارسل ادقيه احد اساتذة المعهد الطب الفرنسي ببيروت

شرع كثير من الدول رغبة منها في ان تتفـادى انتشار الامراض الوراثية في العيال وتجنباً لانتقال جراثيم العدوى بين المتزوجين بان لا يتيح عقد الاقتران الا بعد شهادة الطبيب الصحية .

والبلدان التي تبنت هذا التدبير لا تعمد جميعها الى انتهاج طريقة واحدة في تطبيقه على حين ان الطبيب ملزم في اي بلد كان ان يسلم الى من عاينهما شهادة خاصة اطلق عليها اسم شهادة الفحص الطبي قبل الزواج .

وقبل الاقتراع على هذه القوانين التي تررت ايجـاد الشهادة المشار اليها كان امر تبنيها موضوع مشادات ومثار ضروب الجدل والمناقشات بين انصار وضعها والمعارضين في ذلك .

واذا كان الرأي العام لم يُعِرْ تلك المناقشات الانتباه الذي تستحقه فقد ادرك الاطباء جلالة قدرها لان فحصهم الطبي السابق للزواج والشهادة الملزمين باعطائها بموجب القوانين تخلق لهم مشكلة ادبية لا يستهان بامرها ألا هي مشكلة احترام سر المهنة .

وكان ثمة دواع اخرى جعلت امر الشهادة الطبية السابقة للزواج موضوع دراسات عدة في مجتمعات الاطباء . فوضعوا بشأنها تقارير شتى ولا سيما في مؤتمر الاطباء الكاثوليكيين الدولي الرابع المنعقد برومافي ايلول سنة ١٩٤٩ واجمع فيه الرأي الى نبذ الشهادة السابقة للزواج اذا كانت تؤدي الى ابطاله اي الى منع الاقتران او تأجيله على غير مشيئة الجانبين الراغبين فيه على اعتبار ان ذلك انتقاص لكرامة الشخص الانساني وحريته .

ولقد كان من الواجب ان لا تثار المناقشات والمشادات حول هذه النقطة

التي لا تختلف فيها التعاليم الادبية المسيحية عن بقية التعاليم الاخرى لانها تعترف بانه يحق لكل انسان ان يتزوج . فالبراءة « Casti Connubii » الصادرة في ٣١ كانون الاول سنة ١٩٣٠ تذكر بهذا الحق بالعبارات التالية : « لا يستطيع اي قانون بشري كان ان ينزع من الانسان حقه الطبيعي والاولي بالزواج » .

وجاء في المادة السادسة عشرة في اعلان جمعية الامم المتحدة لحقوق الانسان العامة في ١٠ كانون الاول سنة ١٩٤٨ « انه يحق للرجل والمرأة اذا ما بلغا سن الزواج ان يتزوجا بصرف النظر عن كل قيد وشرط سواء أكان ذلك من حيث العرق ام القومية ام الدين وان يكونا اسرة » .

وتذرع الاطباء بحجة هامة اعترضوا بها على هذه الشهادة المبطلة الزواج اي التي قد تمنع في بعض الظروف اتمامه . وما اعتراضهم هذا الا كون الشهادة المشار اليها قد تقضي الى عدم احترام سر المهنة اذ ينبغي لتقرير استحالة الاقتران ان يوضح الطبيب خصائص الداء او العجز الذي يجعله مستحيلاً . واذا ما سُمح له بان يعتصم بالصمت عن ذكر السبب الحقيقي في شهادته فانه لن يكون اقل خطأ اذا صرح بوجود السبب الذي يحول دون عقد القران لانه يسبب بذلك ضرراً جسيماً للشاب او للفتاة باعلانه عن احدهما انه لا يصلح لانشاء عيلة سواء أكان ذلك لوقت معين او لا يصلحان ابداً .

ولتمكين هذه الاعتبارات بامكاننا الان ان نضيف اليها ايضاً ذريعة اخرى كانت من بنات النتائج الناجحة في البلدان التي شاءت تجربة العمل بوجب شهادة سابقة الزواج تقضي اما بتأجيل عقد القران واما بمنعه بتاتاً ، تلك النتائج التي جاءت تخيب كل الخيبة ما كنا نبغي الفوز به اذ ان منع الزواج لسبب طبي بدلاً من ان يؤدي الى النهوض بالمستوى الصحي في العيال افضى الى اكثار القران الحرّ والمواليد غير الشرعيين وجعل اكتشاف العلل وامر مداواتها اشد صعوبة ، هذه العلل التي اخذوا على النفس تقضية استئصالها واجتثاثها .

هذا ما ابانه مؤتمر روما اطباء دول اميركا الجنوبية وكان لبلاغهم هذا وقع شديد على الحاضرين .

ولا يخلو من الفائدة ان نلفت النظر الى ما جاءت به الحوادث من برهان

جديد على قيمة المبادئ المسيحية وقواعد الطب الادبية فربما لن تعود الى نسيانها في مستقبل قريب ، في البلدان التي ما برح التشريع فيها بشأن هذه الشهادة قيد الدرس .

وللفحص الطبي السابق للزواج طريقة لفهمه تحترم حقوق الانسان الطبيعية وكرامته استصوبها الاطباء لانها لا تفضي بهم الى نسيان واجبهم وانتهاك سر مهنتهم وهي على شاكلة الطريقة المعمول بها في فرنسا وذلك بعد ان اصبحت الشهادة السابقة الزواج الزامية منذ بضع سنين :

وفيما يلي نصوص القانون المعمول بموجبها بتلك البلاد : على الطبيب الذي عاين الشخصين المزمعين الزواج ان يتعهد بانه قد قام عمليًا بهذه المعاينة وان لا يعلم السلطة ذات الصلاحية لعقد القران بنتيجة معاينته لان الشارع قد توخى ان يتداوى سلفًا جميع الراغبين بالزواج وان يستفيدوا من النصائح الطبية التي تتطلبها حالتهم الصحية .

وحسب شهادة الطبيب انه قد اجرى المعاينة السابقة للزواج ليصدّق ، من دون ان يكون ملزمًا ان يحدّد ذلك ، انه قد تولى امر العناية بصحة من طلب اليه ان يعاينه قبل اقدامه على انشاء اسرة . والشهادة التي يجب ان ترفع الى السلطة الادارية وتعطى الى كل من الخطيبين بمفرده لا بد لها من ان تكون بشكل مختصر وسرية . وهذه شكليتها « اصرح اني فحصت اليوم الفلاني السيد فلان او السيدة فلانة الراغبين في الزواج واطلعت على نتائج فحصي الاشعة والدم اللذين اجراهما لفلان او لفلانة الاختصاصي هذا او ذاك »

ولقد رأينا ان شكلية الشهادة الطبية هذه لا توضح شيئًا مما كان للطبيب ان يطلع عليه ، حتى ولا سبيلًا للظن انه قد تحقق امرًا كان باستطاعته ان يتحققه مما يرضى اشد المتحاملين على ان تكون الشهادة السابقة للزواج اجبارية ، على حين ان الفحص بواسطة الاشعة وفحص الدم المشار اليهما يخولان الثاني اكتشاف الداء الزهري والاول تصوير رئتي المصابين واكتشاف السل ، ولا يستطيع اجراءهما الا الاختصاصيون الماهرون الذين يجب ان تكون اسماؤهم معروفة . اما شهادة تحليل الدم واما الصورة بالاشعة فوثيقتان سريتان تظلان في حوزة

من تتمتقان بهم ولا يطلع عليها الا الطبيب وحده الذي لا يبين مضمونها وتأويلها الا الى الشخص الذي يعنيه امرها فقط .

ويجري فحص كل واحد من الراغبين بالزواج على انفراد وعلى يد طبيب خاص وبدون شهود واذا تولى فحص الاول طبيب وفحص الثاني طبيب آخر فيجهل كل واحد منهما نتائج معاينة زميله ، اما اذا قام بمعاينة هذين الشخصين طبيب واحد فيقوم بعمله كما لو كان كل من الخطيبين غريباً تماماً عن الاخر ؛ والملحوظة الوحيدة حيال هذا الاسلوب لمراقبة الزواج الطبية هي كما انها لم تكن ، ولئن كان هذا الاعتراض صحيحاً فلا بد من الاستنتاج ان البلاد التي تبنّت قوانين على هذه الشاكلة هي بلاد لم تغيّر في الواقع شيئاً من نظامها السابق وانما كان جلّ عملها في تخمة تشريعها بنصوص لا جدوى منها .

وهل الامر حقيقة على هذه الصورة ؟

ولم يكن الاعتقاد ان الفحص الطبي الالزامي الذي يجب ان يبقى طي الكتمان المطلق ، وهو لا يقوى على ان يحول دون عقد القران ، اعتقاداً بدون سبب ولا سيما بعد ان اعتبره الراغبان بالزواج شكلية لا اهمية لها ، وقصارى القول ، ربما اتفق لبعض الناس ان ينسج في تفكيره على هذا المنوال ليعتقد ان الرجل او المرأة اللذين يأتيان الطبيب لانجاز هذه الشكلية لا يتمنيان الا التخلص منها باسرع ما يمكن .

ولا يتقدم طالب الزواج احياناً الى الفحص الطبي دون ان يرى فيه ازعاجاً له لانه قد يكشف له عن مرض كان جاهله او عن علة كان يروم اخفاءها .

وقد يتفق في معظم الاوقات ان تكون مخاوف هذا الرجل في محلها اذ يكتشف الطبيب في اثناء فحصه داء لم يكن يحلم به او داء مكتوماً . فان كان من الادواء التي تكون خطراً على مستقبل الاسرة لانه قد ينتقل بطريق العدوى الى القرين الثاني او عن طريق الوراثة الى النسل فماذا يكون موقف الطبيب وما يكون بمقدوره ان يفعل ؟ فهل لديه غير تأثيره الشخصي لحمل المريض على قبول العمل بموجب نصائحه ؟

ومن المحتمل ان لاينصاع المريض الى نصائح الطبيب ويظل مصرّاً على

الزواج وان يرفض التداوي الضروري له . وعلى الرغم من ذلك يفوز بالشهادة التي يطلبها والتي لا تدل الا عن الفحص الذي تم، ولا يستطيع الطبيب المقيد قيداً شديداً بقانون سر المهنة، حتى في مثل هذه المناسبة، ان يبوح لاحد بما تحققه ولا ان ينبه القرين المهدد بالعدوى قريباً . ولا ان ينذره بانه ستعتريه غصة حرمان الاولاد او انه اذا رزق ابناء سيكونون من ذوي العاهات . وربما شهد الطبيب، وهو صامت ، انجاز عمل غير مستحب ولا يوافق عليه ابداً وهو قائم امامه لا يبدي ولا يعيد وليس له صلاحية الحيلولة دون وقوعه ...

وما من طبيب في فرنسا لا يعرف انه قد يتفق له ان يرى نفسه امام مثل هذا الموقف الاليم، ومع ذلك ليس من بينهم طبيب يريد ان يُسمح له بان يعلن ما يعرفه تفادياً من احتمال كهذا في مثل المناسبات المشار اليها .

ويعرف الاطباء ، ورثة التقاليد التي ايد حكمتها اختبار الذريات وانتقلت اليهم منذ العصور ، ان نتائج تصريحهم بالادواء قد تكون اوخم عاقبة من سكوتهم عنها بيد ان تيقنهم هذا لا يزيلما تقطعت له نفسهم حسرة ولا يسكن وخز ضميرهم عندما يخشون انهم ان يستطيعوا تفادي الامراض التي توقعوها ولذلك لن يألوا جهداً في سبيل حماية الذين قد يكونون من ضحاياها وقلما يتفق لهم ان يخفقوا .

ان الشهادة الطبية كما هي في عرف التشريع الفرنسي لتدبير شديد الجدوى من الوجهة العملية وقد يكون لها تأثير حقيقي واقعي وسنستطيع الحكم عليها بعد بضع سنين حكماً افضل .

وبامكاننا ان نفقه منذ الان ان النتائج النهائية التي ستتحقق، تتوقف في ان واحد على قيمة الاطباء الذين انيط بهم امر القيام بمهمة صعبة بهذا القدر وهي ان يرشدوا بنصائحهم الزوجين قبل قرانهما وعلى ثقافتهما الاخلاقية التي تلقوها من ذويهم ومن معلميهم .

وجميع الذين انعموا النظر في الشهادة الطبية قبل الزواج قد توصلوا الى هذه النتيجة . ان الصحة وفق احدث تعريف لهذه الكلمة : هي العافية

الطبيعية والعقلية والاجتماعية التامة ولا سبيل بالفوز بها الا على شرط ان نلقن البشر منذ عهد حداثتهم مفهوم واجباتهم .

ولا تنجم الشوائب التي تمرض مستقبل العيال الى اشد الاخطار الّا عن جهل المبادئ واحتقارها ، هذه المبادئ التي ترتكب الخطأ غالباً في يومنا الحاضر فتنكر قيمتها وفائدتها . واذا ما وُضعت القواعد الادبية التي لا سبيل لفصلها عن القواعد الصحية الطبيعية والعقلية موضع العمل بموجبها لكان بالاستطاعة تجنب امراض مسالك البول وادمان الكحول وادواء التسمم ، فان التقدم الحقيقي يقوم على العودة الى تطبيقها لا على الانعتاق منها .

وفي المجتمع الذي يتبادل اطباؤه ومرضاه الاحترام والثقة على الاساس الواحد لمفهومي الخير والشر يكون للشهادة الطبية السابقة للزواج نتيجة كاملة، وذلك باحترامها احتراماً تاماً حرية الفرد وحقوقه فتقل الاوضاع التي ينهى فيها عن الزواج وحسب الطبيب العودة الى معنى الواجب في معارضته لعقد قران فيه ما فيه من الاضرار بمستقبل الاسرة ليكون مسموعاً مطاعاً .

ويتوقف احقاق هذه الامور في كل مكان وفي مستقبل قريب على مشيئة الناس وحدهم .

وجوه من الشرق

رابندرانات طاغور

الرحالة والمواطن العالمي

بقلم ميشال حايك

« انسان انا وكل ما هو انساني ليس بغريب عني »
(تيرانس)

« عندما اموت قل لمملكة الارض الجميلة اني
احببتها اكثر مما اجترأت على ان ابوح ... »
(جورجيو برنانوس)

« كلا لن تستطيع ان تجعل البرعم ينفتق
هزّه واضغطْ عليه ، فلن تستطيع ان تفتحه !
قد تحطمه يداك وقد تهشم بتلاته وتنثرها بين الغبار
ولكن اللون لن يجري به ولن يفشي العبير !
اواه ! انك لن تستطيع ان تصيّرهُ زهرة ...
اما الذي يفتح الزهرة فيعمل ببساطة !
يلقي عليها نظرةً فيمشي النُسغ في اعصابها مترعًا ،
وعلى انفاسه تفتح جناحيها وتتأرجح بين اكف النسيم ؛
ينبض اللون خافقًا كانه شهوةٌ من فؤاد
ويسري عبيرها كانه بوح بسر هوى ...
ان الذي يفتح الزهرة ، يعمل بكل بساطة ! » (١)

اول ما قرأت لطاغور كانت هذه الابيات . ومنذ تلك الآونة بدأت البحث عنه كاني افتش عن وجه بعيد عرفت ملامحه من زمان ونسيتها مع الزمان . واية غرابةٍ في ان يتحسس ابن الشرق بنفحةٍ من عبير شرقه فيتتبع

١) سلة ثمار : النشيد الثامن عشر .

العبير حتى يصل الى الزهرة التي تملأ بعطورها الآفاق ? وطاغور هو تلك الزهرة التي اكتشفتها ، بلل حواشيها ندى الشرق ، واستفاقت صباح يوم تحت جذع شجرة في الهند مثقلة بالاثمار ، والارض حولها تخطر بابهى الحلى كانها في عرس ، وفي الجو اغاني عيد ونشوة طرب ، والحياة صبيّة يجنّ من مرّها الوجود ، كانها فينوس التي وصفها « لوكرس » في مطلع نشيده « الاشياء »[1] « مرفرفة الجناح فوق قلوب الخلائق ، فاذا في كل قلب وكل مهجة رغبات تتدافع وثورات فتية تتغنى بطيرة صاخبة لاجة .

وطالعتُ من طاغور ، وشبح الحرب يترصد على ابواب البشر ويلقي على صدر كل حيّ حملاً من الاسى ، فعشتُ آمالي وايقنتُ من ان زيغان العالم ليس غير نوع من البحث عن الحقيقة ، وان ظلماته نوع من العطش المضنك الى النور ، فصدّقت اذ ذاك كلمةً قالها احد كتّاب فرنسة ، وقد ذهب ضحية الحرب ، حينا هتف : « عندما يمشي الاعمى نحو النور ، يكون قد وجد النور[2] . »

لا شك في ان الـذين قرأوا طاغور احسوا بذات الشعور وذات الغبطة وذات الامل : شيء من الهدوء يحلّ في قرارة النفس ، والوان وورود مزهرة امام العيون المبتلّة ، وصحو بعد عزيف شتاءات ، وتقشيع زرقـة في كبد آفاق مضرجة بالدم الاسود .

وهذه الثقة بخلاص العالم النباني رافقت طاغور كل حياته — لقـد وثق بمحبة الله للارض ، ووثق بالطبيعة ، ووثق بطبيعة الانسان ولم ييأس ، بينمـا العالم مرجل تغلي باليأس لتطعمه ابناءها ، من ان القيم لن تهلك ولو هلـك الناس . حربان عالميتان ، قدمت كل امة في الارض لقمةً لسعيرهما ، ما اضعفتا ثقته ، فما انهار بل وما وهى ركن الآمال في نفسه .

وما ذاك الا لان نفس طاغور هادئة متفـائلة دائماً ترقب الخير كل حين ولو طال مجيئه ، وتعرف ذاتها انها ترنيمة في فم الطبيعة ، وتعرف الطبيعـة ترنيمةً في فم الله ؛ ولذلك فانها تعرف ان النظام ازلي واذا افسدته الارادات الطالبة السوء ، فالى حين وسيعود مستقرّاً الى الابد .

1) Lucrèce ; *De Natura Rerum* : I
2) Antoine de Saint - Exupéry : *Lettre à un Otage.*

اخلاقه

شاهدت مَن لمس بكفّه كفّ طاغور وكلمني بحرارة عن تلك الحرارة والرعشة التي سرت في جسمه من ملمس ذلك الرجل العظيم .

وُلد للقيادة في مظهر يوحي الاحترام والثقة والنعومة في الوقت الواحد . قامته الكبيرة الجليلة ، صوته الحلو ، بسمته العذبة ، ضحكته الصريحة العريضة ، هيئته المهيبة كانت تترك على محياه مسحةً من القداسة يخشع دونها الناظرون اليه . لم يكن طاغور من اولئك الشعراء الذين تغير عليهم الايام فتزيد في مرض روحهم عللًا في الاجسام ، اما هو فقد كان لا علة فيه ، فما احس طول حياته كما قيل بألم في الرأس بالرغم من الجهود الجبّارة التي بذلها . وهذه الصحة العقلية والجسمية وضعها طاغور في خدمة مثله الاعلى : خدمة الانسان في العالم. فلا يستريح نهاره مطلقاً بل ينتقل من عمل الى آخر بحماس وغيرة واندفاع ، يعلّم تلاميذ ، ويكتب قصائد وروايات ، ويوقّع تلاحين ، ويدرس ساعات متواليات ، ويقرأ الرسائل العديدة التي لم يهمل يوماً الاجابة على واحدة منها ، ويستقبل الزائرين من كل البلدان ؛ فكم من قصيدةٍ او رواية او اغنية قوطع الالهام فيها عليه فأهملت ودُفن شيء من النور في اكفان العدم . يجادل في كل مشكلةٍ ، علمية او فنية ، ويشرف على الصلاة او يعظ في الاجتماعات مرشدًا الى الصلاح ، او يدرّب تلاميذه على رواية اعدّها ، او يرأس حفلة ادبية او فلسفية او موسيقية . وفي كل ذلك كان هادئاً يساير الحياة ولا تسيّره الحياة ، يعيش يومه ولا يضغط على يومه ولا يظهر امام الناس بمظهر المسرع الكثير الهموم ، بل كان في حضوره فيضاً من الراحة والطمأنينة ، ينصرف الى عمله الحاضر دون لفتةٍ موجعةٍ الى ما فات ، او خشيةٍ مما سيأتي .

لقد حفظ طاغور كل عاداته كل حياته وما اقلع عن واحدةٍ منها لعلمه ان كل ما تهب الطبيعة خير وجمال . فكان دائماً ذلك المغني الموسيقار الجميل الصوت ، وذلك الراقص الرشيق التنقلات ، وذلك الرياضي الماهر الذي كم قطع نهر « الغانج » سابحاً وكم قام برحلة شاقة بين الجبال الوعرة لا يستعين بغير عصاه . وما كانت المناخات الاوربية بقساوتها لتردعه عن عاداته ؛ ينهض قبل

الفجر ويروّض جسمه باعمال متعبة يستحم بعدها في الماء البارد ويستريح بالتأمل المعتاد ، ثم ينصرف الى الكتابة والتأليف والتعليم والارشاد . وعند المساء قرب غياب الشمس كان يدرس اللغة السنسكريتية وعلم النجوم الى ساعات متأخرة في الليل . وكم من عمل وجهد بين شروق شمسه وغروبها .

طاغور كان بعيدًا عن ذلك المتصوف اللاواعي الذي نتصوره غالبًا ، بل كان عاملًا نشيطًا عصبيًا يحمل الالم بصبر ويرى الحياة بواقعها فيقبلها عالمًا انها جميلة رغم المتاعب ، وهكذا يصبر على متاعبها . في ليلة من الليالي العواصف، نهض من فراشه ليوصد شباكه فانطبق الشباك على اصبعه فانتزع ظفره وجُرح جرحًا بليغًا ولكنه لم يشأ ان يزعج احدًا بل سهر طول الليل يداوي بالتأمل والفرح الداخلي آلامه المرة . وفي الصباح لم يمنعه الضماد الثقيل عن الكتابة ولا يزال تلاميذه يحفظون تلك الصفحات الضخمة الاسطر التي خطّتها يمناه المجروحة .

هذا يدلّنا على ان طاغور لم يهمل يومًا واحدًا رسالته ، رسالة الشاعر المتطلّبة المرهقة . لقد كان الالهام يتبعه دائمًا ، وكان يكفيه ان يخلو قليلًا بنفسه لتطلع في خاطرته دنيا من السحر تعبق بشميم الجمال وعطر انفاسه . فكأنما ربة الشعر على ميعادٍ معه متواصل لا يخلو قليلًا الّا وتأتيه بجوٍّ من ضباب يتوضح فيه رسوم الجمال ويسمع منه عزف موسيقى سحرية . فما انبتّ في قيثارته وترٌ ابدًا ، فهي دائمًا مُحكمة في انتظار ويكفيه ان يلامسها بطرف اصبع لينبجس منها سيل دفّاق من النغمات .

من المؤسف الموجع ان يجهل الكثيرون هذا الوجه الشرقي ، اوضح وجوه الشرق والمعها تقاطيع . ومن عرفه شوّه جماله بغير الحقيقة والواقع . منهم من جعلوا طاغور متصوفًا حالمًا يقضي لياليه في سمر مع النجوم ونهاراته في عزلة بين الجبال . لقد كان اجل متصوفًا ولكن واعيًا ينظر الى الحياة نظرة حقيقية فيراها كما هي ، ثم يجمّل الحياة بغنى من جمال نفسه : وهنا سرّ معنويته وتفرّد عبقريته . لقد كان من عصره ، لا قبل ولا بعد ، بسيطًا في القول والعمل وطريقة العيش ، كانه عاديٌ من الناس . ولكنه كان فوق العاديين من الناس . هو من الافراد القلائل الذين يطبعون اجيالهم بسمة خاصة يعلق بها شيء من

م . نفوسهم الممسوسة بالانوار . هو من الافراد العظام الذين عرفوا ان يكتشفوا في ترافه الحياة المادية المتسقة اعجوبةً جديدة في كل يوم جديد . اذا كان في مطلع شبابه آثر الخلوة على الاندماج بين الناس فما كان ذلك الا اختزاناً لقوى روحية سيكرسها لخدمة القادمين معه دروب الزمان . لقد قيل في الشاعر الفرنسي الذاهل : « ماذا كان صنع لافونتين لو لم يسمح له اولًا بان لا يعمل شيئاً . » اما طاغور فعزلته كانت تأملًا (هل التأمل بطالة ؟) ، تأملًا بجراحات البشرية وبالدواء الذي يعزم على تقديمه لها . واذا بطاغور يقترب من الناس يوماً عن يوم فيشكو معهم على مساند الافراح والاحزان ويعبر عنها وعن كل مشكلة ومعضلة تتخبط بها بلاده او تثقل على تفكير العالم :

« لا ابغي الموت في هذا العالم الجميل .
بل احب العيش بين ظهراني البشر
فافسحوا لي مجال العيش في نور الشمس
في هذه المدينة الزاهرة ، بين القلوب النابضة . . .
دعوني ابني دار خلود بقصائد انسجها
من اناشيد الناس في افراحهم واحزانهم . . . »

كل ما له علاقة بالانسان لم يكن غريباً عن طاغور ؛ وقد تقضت حياته في اكتشاف ذاته واحدًا من الكون يمشي في ركاب الاجيال وتمشي حياة الانسانية فيه :

« ان الحياة المتدفقة ، الزاخرة في عروقي نهارًا وليلًا ، هي نفسها تزخر في الكون نابضةً ، موزونة ، راقصة ،
وهي نفسها تتاوج مدًّا وجزرًا في اليم ، مهد الولادة والموت .
انه لجدّ لاعظاني ان الامس عالم الحياة هذا ، وانه لجد لدمي ان ترقص فيه ، هذه الساعة ، حياة خفقت بها الاجيال(١) . »

هذا التآخي مع كل ما في الوجود ، هذه العلاقات الانسانية الاساسية الحية جعلت من طاغور انساناً عالمياً واسع الفكر والقلب « لا يغلق بابه بوجه

(١) قربان الاغاني ، النشيد : ٦٩.

احد » كما يقول ، ولا بوجه فنٍ من الفنون . في الموسيقى والتصوير والشعر والفلسفة كانت له رنات ورنيات ورعشات وآراء صائبة . نبوغه العالمي ادهش العالم ويدهشه . فكل موجةٍ ونزعةٍ وخفقةٍ مرّت بالانسان ، فتح طاغور لها قلبه ، فما تعصّب لدين على دين وعادى علماً من العلوم ولا حصر همه بفن من الفنون او حقيقةٍ من الحقائق ، ولقد قال مرةً : « اذا اوصدتَ بابك بوجه كل الضلالات بقيت الحقيقة خارجاً . »

لقد كان طاغور قيثارةً مشدودةً الى غصن شجرة كلما مرّت نسمةٌ حنّ فيها وتر وانفلتت نغمات .

وهذه السهولة وهذا النبوغ في كل الفنون قد يشرحها ، اذا صحّ ان النبوغ يتأثر بظروف عارضة ، ميراث طاغور العائلي : فهو قد ولد في عائلة كل اعضائها مفنون وشعراء ومصوّرون .

حياته :.

سنة ١٨٦١ ، يوم الاثنين في السادس من شهر ايار ، في «جوروسنكو» قصر الجدود ، في قلب مدينة كلكوتا ، شاهد طاغور الشمس لاول مرة . وسمّاه ابوه « رابيندرا » اي الشمس قائلاً :« ان هذا الطفل سينير العالم يوماً.»

كانت عائلة طاغور ذات مجدٍ وشهرة وجاه وعدد فجدّه الامير«دوراكانات» كان « ميسين » عصره يناصر الآداب والفنون ويدافع عن اصحابها ، وابوه « دافندرانات » لعب دورًا عظيماً في تاريخ بنغاليا الديني وحمل اسم « مهاراج» اي القديس .

ورابيندرانات كان اصغر اخوته الثمانية الذين سوف يصبح اكثرهم فيما بعد شعراء وفنانين وموسيقيين تذيع الهند اسمهم. واحدةٌ من اخواته كانت اول امرأةٍ كاتبةٍ في اللغة البنغالية ، ألّفت عددًا كبيرًا من القصص والدراسات . فكأنما ربة الشعر والعلم والسعادة حلّت في ذلك البيت وهيّأت مكاناً يليق بمن سيصبح عن قريب مطرب العالم ومفيق آمال البشرية في برهات بؤسها ويأسها . وما تحركت رجلاه للمشي وتحرك لسانه الا وسأله اهله ان يقول شعرًا .

نشأ الفتى رابيندرانات في ذلك الجوّ العائلي الغني روحاً ونسباً وثروةً ،

ولم يندمج بباقي الاطفال ليمزق ثيابه بين الادغال ويهشم جسمه الندي على الصخور والاشواك ، ذلك ان عائلته ارادت ان تعنى بتثقيفه كل الاعتناء . فأرسل الى المدرسة ، ولكن الفتى لم يكن من الذين يستطيعون الخضوع لنظام المدرسة الصارم ، فنزعته الشديدة الى الحرية ، واحساسه الشديد التأثر ، وافكاره الحيرى المتشردة لم تكن اتساعفه في الانكباب المجهد على الدرس فكان تلميذاً طائشاً . فاخذ ابوه على نفسه تعليمه واحضر له معلمين ليدرسوه السنسكريتية والانكليزية .

كان رابيندرانات في الثانية عشرة من عمره عندما ذهب الى سانتي نيكاتان Shanti Nikeian (موطن السلام) ، وهي بيت للخلوة والتأمل اسسه ابوه ، وذهب بعد ذلك الى جبال حملايا . وهناك اخذت تلك النفس الفتية الرحبة تنظر رحباً الى العالم من اعلى قاته . وعاد من رحلته الى كلكوتا مدهوشاً حاملاً في نفسه رنين الجبال الحالمة بلقاء الله وفسحة السهول حيث تربض ظلال الملاء على الارض تحت اقدام اشجار الصحاري البعيدة .

في السنة التالية ماتت امه ، فكان لهذا الحدث اعمق اثر في طفولة الفتى ولم يندمل الجرح الذي اصابه طول حياته وسيحمل حزنه على امه حتى « حافة المجهول » ولا يسلوها . ذلك الذي سيتغنى بسعادة الامهات قرب الاسرة ، بحديث الاطفال الى الامهات ، الذي سينشد اجمل اغاني الامومة والطفولة ، لم يعرف تماماً ، وهو طفل ، ما هي الامومة :

« سانظم بدموع الامي عقوداً من الدرر ازين بها عنقك
يا امي . . .
وحزني سيبقى لي وحدي . . .
لقد انطفأ المصباح الذي كان ينير طاقي . . . »

وسيتذكر امه تذكاراً موجعاً بعد سنوات فيقول على لسانها :

« انا يا بني نتراق مسرعين في نهر الوجود .
وعما قليل ستهجرنا الحياة .
وسيسدل النسيان استاره على حبنا . . . »

ولكنها ستتذكره كما يتذكر الجبلُ الراسخ النهرَ الذي تمرّغ على اقدامه وذهب بعيدًا :

« النهر يجري مسرعًا مرتلًا اغنيته ،
يشق طريقه بين السدود والصخور ؛
ولكن الجبل الراسخ يظلّ قائمًا يتذكر ،
ويرافق النهرَ بانظاره من بعيد ، وقلبه طافح بالحب . . . . »

كان رابيندرانات في الرابعة عشرة حينما بدأ ينتقي من دفتره الازرق المشهور الذي كان يكتب عليه قصائده ، بعض مقطوعات من شعره ويرسلها الى اشهر مجلة ادبية في كلكوتا ، فاخذت الانظار تحوم حوله . لكنه ظلّ على الاخلاق التي تعوّدها ، سابح الافكار ، ذاهلًا عن الدروس . اما ابوه فلم يكن بالذاهل عنه ، ولم تكن لتكفيه شهرة ابنه العابرة ، فارسله الى معهد مار فرنسيس كسفاريوس الذي يديره يسوعيون من بلجيكا، وذلك طمعاً بتليين اخلاقه ؛ ولكن الشاعر الصغير ظلّ يعشق الاحلام والحرية وينبذ كتبه. وفي تلك الحقبة من عمره بدأت تطلّ شعلات النبوغ فظهرت فيه موهبة الكاتب ونظم معزوفاته الاولى التي كان يغنيها بصوته الرائق الجميل يعاونه اخوه فيزعجون الاهل ويزعجون الناس بالغناء . لم تطل اقامة رابيندرانات في معهده الجديد فتركه ، وقد كتب بعد خمسين سنة هذه الكلمات :

« احفظ ذكرى مؤثرة من معهد كلكوتا ، هي ذكرى الاب « بنوراندو » . لقد كان قليل العلاقة بنا ، واظن انه اخذ علىّ احد المعلمين في صفنا . وفي وقت المسابقات كانت افكاري ، والريشة في يدي ، تشرد هنا وهناك . ذات يوم بينا كان الاب يناظرنا ويمشي ذهاباً واياباً مدى المقاعد ، لاحظ ان ريشتي لم تتحرك منذ وقت في يدي . وفجأةً وقف ورائي وانحنى واضعاً يده على كتفي قائلًا بهدوء ونعومة : « أتحس بمرض يا صغيري ؟ » انه لسؤال بسيط ولكني لم استطع ان انساه ابدًا . لست اعلم ما كان شعور التلاميذ في حضرته اما انا فكنت اشعر بحضور نفس كبيرة ، وما برحت حتى اليوم ذكرى تلك الروح تدعوني الى ان ألج خلوة هيكل الله . »

هكذا كان رابيندرانات الصغير يرى الكبير في الارض ويحفظ له ذكرى. لم يحفظ في ذاكرته رسم معلمه ولا شكله الخارجي ، ولكنه حفظ ذكرى روح كبيرة قديسة « ما برحت تدعوه الى ان يلج خلوة هيكل الله » .

وستكون حياته كلها خلوة بين الله و طبيعة ونفسه . وقد اعترف احد اصدقائه الذين قضوا معه اكثر من خمس وعشرين سنة ، بان قليلًا من الناس قضوا شبابهم في خلوة كخلوته في القرى وعلى ضفاف السواقي وظلال الاشجار. لا شك في انه بعد تلك الخلوة الاولى قد انتقل الى معمعة العالم والى ضجيج ساحاته وعواصم بلدانه ولكنه لم يفقد مرة في حياته تلك القدرة على التأمل والاختلاء بالرغم من الصخب ، فظل فتيّ النفس ، وظل كالطبيعة المتجددة التي احبها ، ينهض كل صباح وفيه عزم جديد الى دخول حقل الحياة الواسع. وهذا ما يشرح لنا ايضاً تلك القدرة الغريبة على التأليف حتى على حافة القبر.

وهكذا تمضي السنوات الاولى من مطلع شبابه متمتعاً بجمال الطبيعة ، شاردًا ، متفلتاً من قيود المدرسة وتدجيل الناس ، يدور في مقاطعات الهند متأملًا يحسّ بالسعادة تتغلغل في كل مخاوق من الوجود :

« اني ازرع الطريق وحيدًا عبر الحقول والشمس تجمع اشتها
وتنثر ذهبها المنثور على الارض كانها بخيل شحيح ،
وضوء النهار يغرق رويدًا رويدًا في اعماق الظلام . . .
وفي المنازل . . . قلوب الامهات ، ومصابيح الليل ، والاطفالُ في سعادة وحبور ،
سعادة مَن لا يعرف شيئًا عن قيمته للعالم . »

لم يرضَ والد رابندرانات عن تلك الاخلاق النازعة الى التحررُ ، المجفلة من الاساتذة ، ولم يكن الولد ليلين ، الى ان أُرسل وهو في السابعة عشرة الى انكلترا ليدرس الحقوق . فسُجل اسمه في « بريتون » (Brighton) ثم التحق بجامعة لندرا ومكث هناك اربعة عشر شهرًا يفتح قلبه للآداب والموسيقى الاوربية فيقرأ شكسبير وملتون ووليم بلايك وشلي وتروقه الالحان الارلندية القديمة ، ولكنه لا يدرس الحقوق .

ويعود الى الهند ليطلع بأناشيد وقصائد ومحاولات عديدة يُفرغ فيها كل قلبه الوثاب المحبّ الحياة وشوقه الى وجهٍ مجهول وجمالٍ امثل يحنّ الى الاجتماع بها وتعجز الارض عن تقديمها له :

« بين ضجيج العالم الصاخب الجموح، يا ربة الجمال ، المحفورة في الصخر ، تظلين هادئة صامتة ! ·

الرمان يركع على قدميك متمتماً :
« تكلمي ، حدثيني ، ايتها الحبيبة ! »
ولكن حديثك سجينٌ في الحجر ،
يا ربة الجبال اللامتغيرة ! »

انتحى طاغور زاويةً من قلبه ابتعد فيها عن مسايرة الناس في اذواقهم الادبية وفي تقليدهم الرث ، فاطلّ كتابه « اغاني الغروب » وفيه اليأس يمشي في موكب الامل ، وفيه ايضاً كآبة ناعمة تندمج بفرح زاهٍ فلا تُعرف أهي كآبة ام فرح أهي غبطة بالحياة ام قلق وخشية :

نومة الليالي اللاّئي بالنور والربيع ،
ستعود لنا ، ستعود .
ولكن الذي هجرنا لن يعود لنا ، لن يعود
ولن نراه ابداً . »

لم يهتدِ بعد طاغور سبيله . انه في تلك الزاوية المعتمة من فؤاده الوحيد الذي يقطنه كل شاب في عمره . ولكن سوف يقطع تلك المرحلة التي تفصله عن باقي اخوانه في معركة الحياة وستندمج عواطفه بعواطفهم حين كان ذات مساء — كما يقول في ذكرياته — يتمشى على سطح داره . في تلك الفترة الهادئة نسي طاغور ذاته الفردية فبانت له الحياة في شمولها واخوّتها الكبرى ، فكتب تحت تأثير تلك الغبطة قصيدته :

« الينبوع المستفيق » الحالم بفيض على كل القرى والسهول :

« آه ! خفقة الماء الصاعدة الفيّاضة ،
ثورة قلبي وحبي للحياة ، لن اصمد امامها !
اريد ان اهدّم هذا السجن الصخري
فاسكب سيلاً فيّاضاً
وأغرق العالم بانغامي المجنونة المحمومة ! . . . »

احس طاغور منذ تلك الآونة بالرباط الوثيق الذي يشدّ بنفسه الى العالم ، فاذا بذلك الاتصال لشدّة ما هو مرهف دقيق « يكاد يكون مؤلماً . »

وفي هذا الجو الاحساسي كتب طاغور « اغاني الشروق » فدخل في عالمه الرحب حيث سيظل كل الحياة يكتشف كل يوم لوناً جديداً من الوانه ؛

وهذا العالم هو الكون باسره ، هو الانسانية مع كل ما تعصف بها من ثورات .
وهكذا ذاعت شهرة طاغور .

وبعد اربع سنوات كتب قصائد رائعة في « الجمال الامثل » ، الكتاب الذي هو من اجمل ما كتب . لقد صفت لغته من الغموض الذي كان يشوبها وانجلت رسوم الاحلام التي كان يتعقبها . فالجمال الذي يبحث عنه لن يريده بعد اشباعاً لانانيةٍ ضيقة ، بل مثالاً سامياً تتعاقد فيه كل الارواح . ولكن هنالك مسحة سرٍّ وخيالٍ تطغى على قصائده وتجعل لها طابعاً خاصاً . ولكن هذا الطابع الشخصي كان ابعد من ان يحصر طاغور في الاثرة المحدودة نظير الرومنطيقيين الاوربيين . انه يحاول ان يعبّر عن الشوق اللامتناهي وعن الحياة والقوة الخلّاقة التي تمشي في النفس الفردية وتمشي في الوجود .

في سنة ١٨٨٣ تزوج طاغور « مريناليني داڤي » . وكان ذلك الحدث عهداً في حياته مملوءاً بالصحو والامن بعد زوبعةٍ سرية عصفت في فؤاده . واذا به يتحي الجبل مقرّاً ويعيش في خلوةٍ هادئة ينظم اشعاراً واغاني ترافقه زوجه في إنشادها ، بينما هو ينقر على العود ؛ ومن ثم انتقل الى « شليدا » لادارة مقاطعة عائلية ورثها .

كان طاغور في التاسعة والعشرين حين توجه ثانية الى اوربة فدار في ايطاليا وفرنسة وانكلترة وعاد من رحلته هذه فذاعت شهرته في الاوساط الثقافية في كلكوتا وعُيّن حال رجوعه وكيلاً عن رئيس اكادمية الآداب البنغالية .

وهنا بدأ طاغور حياة العراك والكفاح واندفع في خضم المجتمع يحاول بفنه ان يداوي ادوا. بلاده المتأصلة فيعلم بني امته في القصص التي يكتبها جمال التضحية وخدمة الوطن ، ويلهب بخطبه النارية الصاعقة قلوب المندبين داعياً اياهم الى نبذ التطاحن والتخاذل والوقوف على ابواب الامم حفاة عراة ؛ وباغانيه الشعبية كان يوقظ فيهم روح القومية والنهضة . ولكن مرحلته السياسية لم تطل ، لان هناك توافه الحياة واعوجاجات الساسة وتهترها وتصنعها تفسد على الفنان جمال فنه وحلمه وروعة الهدف الذي يصبو اليه. هكذا انكفأ من المعركة الى العزلة ، وقد تعلّم من هذا الاختبار المضّ ان الشعب لن

ينهض ويتابع نهضته اذا لم يكن له من ثقافة روحه داع يهيب به كل حين الى النهوض ومتابعة الجهاد .

عاد ادراجه ولكنه لم ييأس . يريد خدمة بلاده عن طريق اثبت وآمن . يريد تهذيب الشعب وفتح روحه المغلقة على العالم كله . ولقد علم ان للايام دوراً في نشوء الامم وارتقائها ، وان ساعة التفتح لا تأتي بسرعة او بقطع مسافات الزمن ، بل بالتريث والانعكاف اليومي على نحت الذات وصقلها ، وبعثها اخيراً الى النور . وذلك يتطلب شهوراً وسنين .

وفي سبيل ذلك سيكرّس طاغور نصف عمره تماماً ، وهو في الاربعين .

*

ترك كلكوتا وجوّها السياسي حيث تتخبط المشاحنات واعتزل في الخلوة التي اسسها ابوه في « سانتي نيكاتان » (Shanti Niketan) وهناك بدأ التلميذ القديم الذي رفض نظام المدرسة وصرامتها ، يدعو التلاميذ الى العلم ويهيء لهم السرور والحرية والتعليم حسب الطبيعة وحسب دعوة كل في الحياة . ارادها لا حانوتاً ضيقاً تضيع فيه الشخصية الفتية ضمن نظام يستبد ، بل مرجاً واسعاً يقطف الفتى منه الزهرة التي توافق ميله ويزرعها في حقل نفسه ويتعهدها فينمي العطية الاساسية التي اسبغتها عليه السماء .

وبدأت الحياة تجحف بحقه فاتت زوجته (١٩٠٢) ومات معها في نفس الشاعر شيء من الحنان والغبطة . وتتابعت عليه المصائب الهائلة الفادحة . فقد ابنته الصغرى (١٩٠٤) وكم يخلّف الاصغرون اذا غابوا من حرقة في قلوب الاهل ، وفقد اباه الرجل الحازم « القديس » (١٩٠٥) وفقد ابنه الاكبر (١٩٠٧) . ترى اية تعزية لرجل الفن في الآونة العصيبة غير فنه ؟ اذكر ما قرأت ان « موزار » ، يوم كان الفقر يعضه بانيابه القاسية ويصادر الجنود اثاث بيته الرثّ البالي رغم ولولة الزوج ونحيب الاطفال ، كان مع آلته الموسيقية يضرب الحاناً يتسامى بها الواقع المؤلم المرير ويخلق بها دنيا من العدالة والرفق بالانسان اجمل من دنيانا . كذلك كان طاغور يسهر الليل الطويل قرب فراش ابنته العليلة يكتب اشعاره ويعيش الامال المحتضرة مع الصغيرة المحتضرة . قرب ذلك الفراش ، كتب الشاعر ديوانه « الطفل » طالباً في الفن وفي عالم

الطفولة سلوى عن الطفولة التي يحدثها [illegible] وسيودي به عمّا قليل وكتب ايضاً « التذكار » ، وهو يحوي ارقّ اشعر قيلت في رثاء فقيد :

« كل شيء حولي ظل على ما كان عليه :
الاشجار والتراب ، المياه والشمس ، القمر والنجوم ،
انما الشخص الذي كان الصق بحياتي من كل هذا ،
قد توارى في لحظة كما يتوارى الحلم . » —

قد تضعضع المدينة قلب الرجل العادي ، اما رجل الفن فاذا هاله الواقع يغنّي فتحمل الكلمات آلامه ويبقى في نفسه الامل بالحياة .

*

عندما بلغ طاغور الخمسين من عمره احتفلت الهند كلها بذكرى مولده في عيد شعبي حافل . فنشر كتابه « قربان الاغاني »[1] وترجمه بذاته الى الانكليزية ، فقفزت شهرته وراء حدود بنغاليا والهند اتتصل بالعالم كله نظير ذكائه الوسيع وصدره الرحيب .

لا يسعنا ان نتتبع طاغور في كل مؤلفاته وان ندرسها ، نظراً لغزارتها ، فان ذلك يتطلب مجلداً ضخماً ، بل نقتصر على سرد حياته والالماع الى بعض مؤلفات اخرى غير التي ذكرنا .

١٩١٣ — لا هم لطاغور بعد الآن الا جامعة (Shanti Niketan) فسيكرس كل جهوده في سبيلها . لقد ترك بلاده ورحل نحو الولايات المتحدة يحاضر ويقنع الامة الاميركية بحرارة القلب والاخلاص بضرورة ما يسعى لاجله . ثم توجه نحو انكلترة يلقي المحاضرات العديدة فيحالفه النجاح في لندرة حيث ظهر بالانكليزية ايضاً كتاباه « بستاني الهوى » و « الهلال » . وكان ان اعجب الشاعر الايرلندي (Jyeats) « بقربان الاغاني » فقدم طاغور الى اعضاء الجائزة نوبل فاعطيت الجائزة له بعد ان تُرجم كتابه الى اللغة الاسوجية بقلم الكاتبة (Andréa de Butenschön) . وهكذا لفت الشاعر الهندي الكبير انظار العالم . فتكررت شهرته ، وتنافست جامعة كلكوتا تلميذها القديم الكسول فنحته لقب دكتور شرف .

---

١) راجع « قربان الاغاني » ترجمة يوحنا آبر . مطبعة المرسلين اللبنانيين .

١٩١٤ — وتتابعت منشوراتــه ، والغرب المحموم يغلي بالدماء الثائرة المتفجرة . فمن « دورة الربيع » الى « سلة ثمــار » الى « المحاربة » مرأ « بالبيت والعالم » ، اجمل روايات طاغور على الاطــلاق . بطل الرواية هو طاغور نفسه في المعترك السياسي حيث ينمى عليــه الثورويون اعتداله ، وينعى عليه المحافظون ثورته ، امــا هو فيملن دائماً صوت الحق والعدالة الانسانية التي تقبل بالواقع وتجمّله ... وانها الرحلة الرابعة تدعوه فيسير الى اليابان والى الولايات المتحدة من جديد وتقذف به الضرورة الى السياسة مرة ثانية بالرغم منه فاذا هو رئيس المؤتمر الوطني الهندي في كلكوتا .

ولكنه ما كان ليتناسى فكرته التي كرس حياته نهائياً من اجلها ، ألا وهي توسيع نطاق جامعته ، وجعلها نقطة التقاء وتفاهم بين الامم ، بين امم الشرق والغرب لكي تفنى المنازعات المستمرة التي ما برحت بلاده منذ ١٩٠٧ تقاسي البلايا من جرّائها . وفي سبيل فكرته هذه قدّم ريع جائزة نوبل التي اعطيت له ، وقدم كل حقوقه على مؤلفاته بالبنغالية ومقاطعة (Shanti Niketan)) ملك اجداده .

وبينما كان غاندي ينحني على واقع بلاده المرير ليحاول ابعاد مصيبة الساعة الحاضرة ، كان طاغور ينظر الى المستقبل فيبنيه يوماً يوماً ويحــاول ان ينهض بالواقع الموجع الى جمال المستقبل الضاحك .

لن يرتاح طاغور طول حياته ما دامت فكرته تلحّ عليه . هو على اهبة الانطلاق دائماً الى اقاصي العالم لكي يطلع العــالم على مشروعه ويقنعه بان التفاهم ضرورة انسانية لا سبيل الى الاغضاء عنها . فها هو يدور في البلدان يخطب ويحاضر بلهجة حارة واقتناع ملتهب في انكلترة وفرنسة وهولنــدة وسويسرة والمانية والدانمرك واسوج والنمسة وتشكوسلوفاكيا .

١٩٢١ — طاغور في الستين من عمره — امامه عشرون سنة بعد سوف يملأها بالرحلات والاعمال والتآليف . هو يستعد لتدشين جامعتــه فترسل الدول ممثلين الى تلك البقعة النائية في الهند ، البعيدة عن صخب المدنية الكاذبة ، الى الطبيعة الحقة ، فكانت اول خطوة في التفاهم بين الناس .

من « عصبة الامم » الرامية الى اقرار السلام في العالم ، وما أثرت سلاماً ، الى « هيئة الامم المتحدة » الرامية الى الغاية ذاتها والعائدة بالفشل ذاته ، الى « الاونيسكو » ، التي ما افلحت بعد في تهدئة الخواطر العالمية الهائجة ، في كل هذه المحاولات فات المحاولين ان التفاهم والسلام لا يستقران بين ليلة حرب وضحاها ، فهما بناء صابر يتطلب اياماً وشهوراً وسنين . الاونيسكو يجب أن تكون نتيجة تهذيب عقلي وتعليم طويل ، والنتيجة لن يبلغ اليها بغير الوسائل ، والوسيلة الوحيدة هي تثقيف الشعوب بتثقيف أبنائها ، فالنخبة الدولية المتفاهمة لا تكفي . وفكرة طاغور هي الكافية لانها تعنى بالاساس .

في (Shanti Niketan) مدرسة تعليم ابتدائي ، ومعهد عال ، ومركز للابحاث العلمية ، ومعهد للفن والموسيقى ، ومكتبة ضخمة تحوي ستة وثلاثين الف كتاب من جميع لغات العالم . وتصدر منها مجلة تبحث في الفن والادب والفلسفة :

« هنا حقل لالعاب « التنيس » ، هناك فتيان او فتيات من أمم مختلفة يتحادثون بكل المواضيع ويشربون الشاي ؛ هذا هو المختبر الجديد يرفع جدرانه اللامعة تحت اشعة شمس محرقة ، وهذا عالم صيني ينحني فوق مخطوطة ، تلك عربة علوءة حصى يقودها عمال نشيطون . الحركة في كل الجهات . هنا الغناء ، هنا الرقص ، هنا الرسوم الفنية ، هنا النحت ، هنا العمال القرويون بصناعتهم المختلفة من نسج وحياكة و و . . . »

هذه الحياة التي تضج في تلك البقعة ، هي قبس الامل الطالع يبشر بالاتفاق والتفاهم والايمان بقيمة الشخص البشري ، وطاغور هو المحرك الاول ، المرسل الاول ، الواثق الاول .

٢٥ — ١٩٢٤ — طاغور ، السائح الكبير ، الرحالة الذي لا يتعب يسير في رحلة سادسة تستغرق اربعة شهور الى الشرق الاقصى : من ماليزيا الى الصين الى اليابان ، ثم يتوجه بعد ذلك الى البيرو والارجنتين وبعدها الى ايطاليا .

ثم يعود الى كلكوتا حيث يعين رئيس المؤتمر الفلسفي للهند . أثرت هذه الرحلات الشاقة على صحته فساءت بعض الشيء ، وقطع عليه المرض بعض لياليه . ولكنه لن يتعب ويدعوه الداعي مجدداً فيمشي الى ايطالية وسويسرة والنمسة وفرنسة وانكلترة ونروج واسوج والدانمارك والمانية وتشكوسلوفاكيا

وهنغاريا ويوغوسلافيا وبلغاريا ورومانيا وتركية واليونان ومصر .

ترى ما الذي اقعده عن المرور بلبنان ؟

١٩٢٧ — هي رحلته التاسعة الى ماليزيا وجاوا وبالي والسيام .

١٩٢٨ — الى ماليزيا والصين واليابان وكندا والهند الصينية حيث استقبلته الحكومة رسمياً في سايغون .

٣١ — ١٩٣٠ — طاغور في السبعين من عمره يتوجه الى فرنسة وانكلترة والدانمارك والمانية وروسية والولايات المتحدة .

اما غايته من كل هذه التنقلات فهي ان يعرّف العالم بجامعته ويجمع لها اسعافات ويبشر بفكرة السلام — وان طاغور رجل السلام العالمي يحمل من كل بلدٍ مرّ به شيئاً من عبقرية ذلك البلد وينقله الى الآخر فيحلّ شيء من التفاهم بين الامم بشخصه . لقد كان هو الجامعة الذي صهر كل العبقريات في نار ونور روحه ، وحمل هموم العالم من قطب الى قطب بين اضلاعه — طاغور ، ابن العالم ، لم يعرف حدوداً لنفسه ، فهي بنت الله اللامحدود ، وهي مُقادة ابداً بظما اخرس لا تعرف له هدوءا :

« إن نفسي تلبس اليوم رداء المسافر وتهيم
يلحّ عليها ظمأ ثائر ،
فهي متلهفة الى الاندفاع في الطريق . »

هو ذلك المجهول يدعوها اليه فتمشي مفتشة ، باحثة . هي تبحث عن سر العلاقة بين الامم ، عن سر المحبة الذي يعقد الناس ببعضهم ، يبحث في النهاية عن الله ، ولقد عرف ذاته بعد هذا كله وعرف الله في ذاته قريباً ، محباً :

« ايام اسفاري طويلة ، وطريقي بعيد .
خرجت في موكب الشعاع الاول ، وجبت العوالم المظلمة
وتركت شيئاً مني على الوف النجوم والكواكب
ولكن أبعد الطرق أقربها اليك . . .
على المسافر ان يطرق على كل باب قبل الوقوف على باب نفسه ،
وعليه ان يهيم في مسرح العوالم الخارجية قبل ان يهتدي الى قدس اقداسه!
عيناي كم جابتا من فضاء قبل ان اغمضها واقول : انت هنا !»

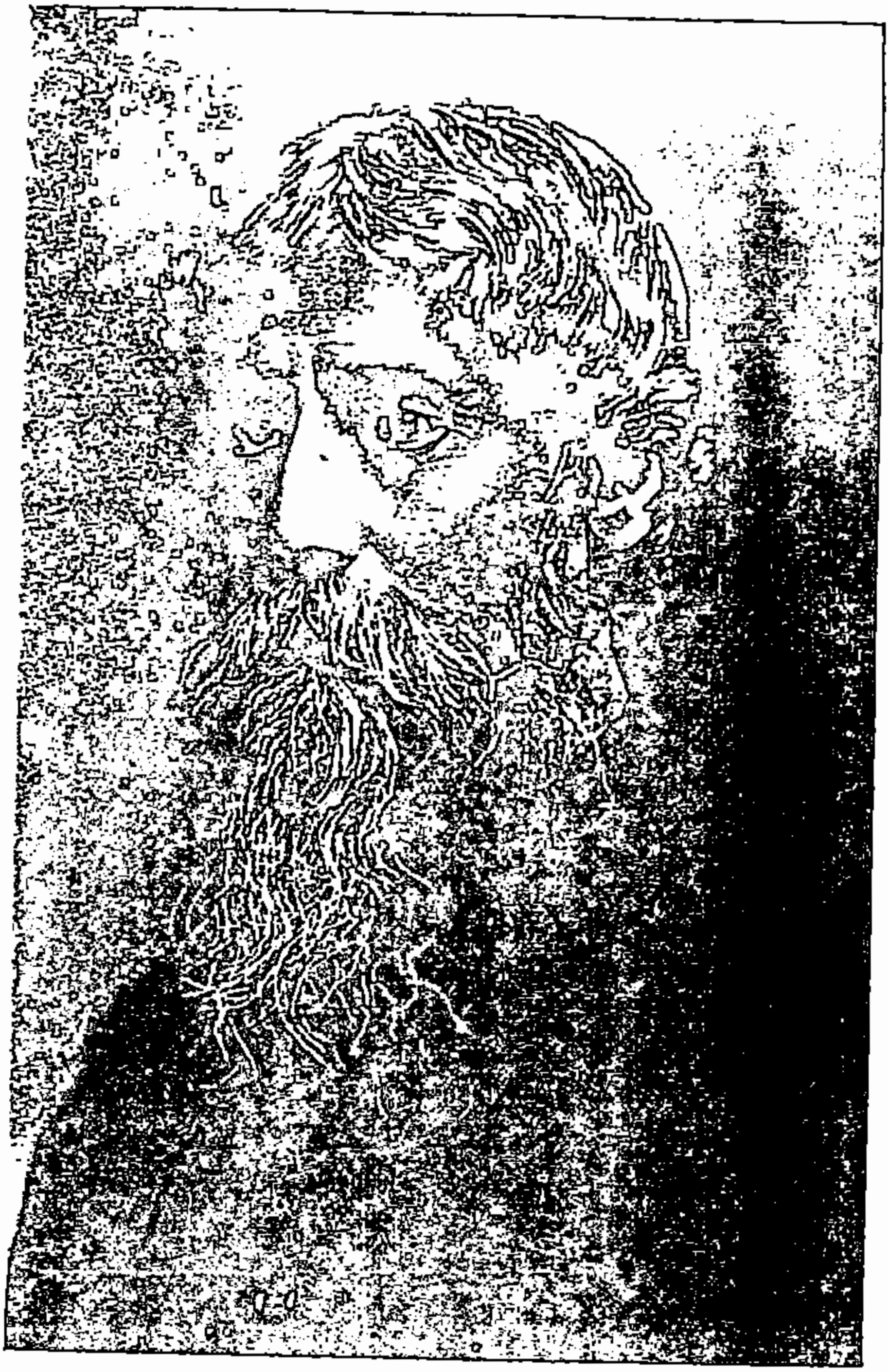

« ايها القلب النهيم ، أفأستطيع ان اقبض على الدنيا كثمرة ناضجة لاضعها بين يديك الورديتين ؟ »

(طاغور)

ازفت ساعة الرحيل . . . اني اسافر فارغ اليدين طافح القلب بالامل . . .
طير يحلق في الفضاء، لا ليذهب في تحليقه الى الخلاء ، بل ليرجع ثانية الى ارضه
ظمى . . . !

« انت هنا ! » هي الكلمة العظيمة التي قالها شاعر الهند . اذا كان «هنا» فما حاجة بعد الى الذهاب بعيداً . واستقر طاغور في المقر الذي سعى في انشائه السنين الطويلة . ولكنه ما برح يتابع نشاطه فينشر في السنة الاخيرة من حياته ، خمسة دواوين شعرية ، وتأتيه من جميع الانحاء جموع المعجبين به فيستقبل الكل بتلك المهابة التي عرف بها وبتلك الابتسامة التي رافقت دوماً محيّاه .

منذ ذلك الحين اصبحت جامعته المركز الرسمي حيث تتلاقى الآن صفوف من جميع امم الارض ؛ اما ادارتها فهي بيد ابنه رآتيندرانات طاغور . . .

لم يبقَ له من العمر الا سنةٌ واحدة ، سنة قسا الالم فيها عليه . فكانت فرصةً للتأمل ليس بالمه الفردي ، بل بآلام الجماعة البشرية ، رفاقه السائرين معه على الطريق ، المنشدين في معزوفة الحياة المتجددة كل حين . والالم عند طاغور هو الدواء الذي يغسل النفس من الارجاس التي علقت بها اثناء رحلتها على مسرح الحياة . والحياة غسل وتطهير متواصل ينتهي بالموت ، والموت ان هو الا نغمة من انشودة الحياة المنفلتة من عند الله ، والتي تتجدد دوماً في اطار ابدي .

عاش طاغور آخر ايامه في بساطةٍ كاملة . فكان يقطن بيتاً صغيراً من تراب بناه تلاميذه بايديهم النقية . وكثيراً ما كانت العواصف تهزم في ذلك البيت الحقير فتزعزع جوانبه الواهية ويوشك الشاعر العظيم ان يموت .

« في ذات يوم » اشتد المرض على جسمه الناحل ، فنقل الى كلكوتا ، الى البيت الذي شاهد فيه الشمس لاول مرة ، وهناك اغمض عينيه لاخر مرة . ذلك الذي سمّاه ابوه « الشمس لان العالم سيهتدي بنوره » فتح عينيه اذ ذاك فابصر الشمس الحقيقية التي لا يعروها كسوف ولا نقصان .

« في ذات يوم » ، كذا كان يبدأ بالكثير من قصصه ، انتهت القصة الرائعة التي عاشها ، ومات رابيندرانات طاغور :

« كيف تستطيع ان تحطم سلسلة الحب التي تجمعنا ؟ . . .
انت سيدي وانا عبدك .

منذ الازل حتى انقضاء الاجيال ،
كان الحب بينك وبيني منفرداً .
ان حباً كهذا كيف تخمد شعلته ؟ . . . »

. . .

« من عرشه الازلي
نزل المسيح الى الارض
وفي كأس الموت المرير
سكب حياته الابدية
للذين لبّوا نداءه
وللذين ظلوا الى الوراء . . . »

. . .

« من هو ؟
نحن ما عرفناه وما رأيناه ابداً
ولكننا نعلم
انه غاية الانسان
واليه نمشي في الليالي المظلمات ،
تحت الزوابع والرعود
وفي مدى الاجيال . »

. . .

« خلصهم ! انتَ ، يا ذا الحياة الابدية
وليسمعوا صوت الرجاء ، صوتك الازلي ! . . . »

. . .

الشاعر الفيلسوف

لقد كدّ طاغور وتعب فلاقى انتصارات وعرف اخفاقاً . اعطته الحياة ومنعت عنه . ولكنه لم ييأس منها بل احبها حتى العبادة . وان مـا كان من شأنه ان يجعله يوماً بالحياة متشائماً ، زاده حباً للحياة وتعلقاً وفرحاً بجمالها . لقد احس بانه واحد من هذا الكون العظيم ، له قيمته التي لا تعوّض ؛ واحس بان هذه العلاقة التي تربطه بالخلائق ليست الا نتيجة وحدة اساسية تضمّ الكل

اليها في نظام ابدي لن يفسد . وفي كل فلسفته وكل شعره وموسيقاه وتصويره ، يحاول طاغور ان يعبّر عن تلك العلاقة التي تشده الى الكون ، وتشد الكون الى الله .

وهذا الاحساس اورث عند كثير من الشعراء والفلاسفة قلقاً مريعاً . فهم اذ يشعرون بانهم على صلةٍ بكل الخلائق ، بآلام البشر وآمالهم باحزانهم وافراحهم ، يشعرون ايضاً بان كل مخلوق هو اعزل امام مصيره يكوّنه وحده بينما الخلائق في لهو عنه ، والاشياء في غفلةٍ لا تنتبه اليه : هذه هي كل مأساة الوجوديين المصريين . اما هذا الاحساس عند طاغور فكان سبب فرح عظيم غمر نفسه اذ تلاشت الحواجز التي تقيمها الارادات المتنافرة سدوداً بوجه الحب الموحد ، وانهارت رويداً رويداً امام العلاقات الاساسية التي بها يستطيع الانسان ان ينادي كل مخلوق : يا اخي . اي شبهه هنا بالقديس فرنسيس الاسيزي !

وهذا ما جعل طاغور ينظر الى الحياة فيراها جميلة ، جميلةً لا حد لجمالها ، فوثق بمملكة الأرض واحبها حتى يصل بها الى الله ، عن طريق الاتحاد بين العناصر الثلاثة : الأنا ، الكون ، الله .

تشعر وانت تقرأ طاغور بذلك الاتحاد مع الطبيعة ، مع اثمارها واشجارها ، اشواكها وورودها ، تراباتها وصخورها ، اتحاد مع كل هبة نسيم ، وخفقة غصن على ضفة ساقية ، وانة جدول على نعومة صخور ، اتحاد في النهاية مع الذي ابدع كل هذا .

لقد احس بانه اخ الفلاح الضارب في الحقل ، اخ الفيلسوف ، اخ البرهمي ، اخ المرذول اللاملموس ، اخ العالم باسره . فاذا تألم في الكون وتر كان في قلبه صدى الم داخلي عميق الغور ، واذا انتشى طائر على غصن ، ترنمت في فؤاده اعوادٌ واستفاقت مزامير . وهنالك شاعر آخر اسمه (Ladislas Mècs) احس بتلك العلاقة الودية بين الكل :

« انا مرآةٌ تنعكس فيها كل الابتسامات .
انا ما هي من الحياة الا ان أرجع تلك البسمات ،

الى الزهور والفراشات ، والادغال والاحلام .
ان ارحمها . . . ،
الى النور والنجوم والنسر ، والى الاغنياء والفقراء ،
الى الآلام والافراح ، والبؤس والسعادة .
الى الورد والشوك ، الى الصليب ،
ان ارجع بسمة الكل الى الذي هو الكل ،
بسمة الله الى الله . »

وكما قال « سوللي برودوم » في المعنى ذاته ولكن مع شيء من التشاؤم :

« Tout mon être est lié à des fragiles nœuds
Au moindre ébranlement qu'un souffle cause en eux,
Je sens un peu de moi s'arracher à moi-même. »

وهذا التفاؤل بالحياة جعل فلسفة طاغور تمر بالحلولية . ولكن الشاعر اذ اصبح فيلسوفاً من الصعب عليه ان يتفلت من فكرة الحلول وان لم يكن حلولياً مؤمناً . اما متى عرفنا ان اعتقاد طاغور الديني كان مزيجاً وانتقاء من جميل ما في كل الاديان ، وان شعره كان رحابة وذكاء يقتبل كل آثار العلم الفنية ، وان عقله كان يوسع مقراً لاضعف مخلوقات الارض ، فندرك ما في فلسفته من الاتصال بكل ما في الوجود من موجود .

بينما الهنود اجيالاً لا يتعرفون الى غير ذاتهم المحدودة كان طاغور مواطناً عالمياً بافكاره ورحلاته . قد يكون ارحب فكر واكبر رحالة عرفه التاريخ، وقد يكون اعظم من رأى الحياة جميلة بهذا المقدار ، وانشط من سعى الى تجميل الحياة اكثر فاكثر عن طريق الثقة بالارض والعبادة لله . ولم يخشَ عند ساعة الفراق ان يكون خالي اليدين ، فان في قلبه نور الامل ، فرحلته الاخيرة اجمل الرحلات :

« هذه ساعة الرحيل فادعوا لي بالتوفيق ، انتم يا احبائي !
الفجر احمرار يشع في السماء ، والدرب فسيحة ساحرة
لا تسألوني عما احمل . اني اسافر فارغ اليدين ،
طافح القلب بالامل ! . . . »

فمنده كل شيء جميل كاغنية جميلة : الحياة اغنية والموت اغنيــة والنفس قيثارة ترن على اوتارها اغاني الموت والحياة ، وتأتلف مع اغاني الارض كلها لتغور في الاغنية العظمى التي ينشدها الله في فرحه الابدي ...

*

الموسيقي

كان طاغور جميل الصوت ، حلو الأنشودة ، يؤلف القصائد ويلحنهـا ويغنيها . وكثيرًا ما كان يمثل ادوارًا في رواياته فيبدع في التمثيل والغناء . وحين يغني طاغور — حينما غنى في العراق قصيدته « الطائر المكسور الجناح » — يتوارى ذلك المحدث الهادئ الناعم فيظهر الموسيقار يتلوى مع النغم تارةً في ثورةٍ جامحة وطورًا في خفوتٍ يحاكي هديل الورقاء .

ولا عجب فبنغاليا هي بلاد موسيقى تستمد مواضيعها من «جبالها وانعكاس سواقيها المتلألئة المياه ، وهدوء ضياعها المستكين ونعومة فتياتها . وخصوصاً من دياناتها » . وطاغور ألف في كل هذه المواضيع فأبدع وكان مجيئـه عصر الموسيقى الذهبي ، ومن بعده اخذ هذا الفن في التقهقر .

كل ما في طاغور نغم عذب مستطيل . فـاذا شعر كان في نثره حنين رائق لا تستطيع الترجمة رغم وثنيتها وبربريتها ان تلاشي رجعاته . وفي ذلك قالت احدى البنغاليات المعجبات به ، وقد عنت ترجمة شعره : « ان الفراشات المصبّرة في وعاء ، تحت غطاء من زجاج ، تحتفظ على الاقل بشيء من الألوان المتنوعة التي كانت تلقي على تلك الفراشات ثوب الجمال . » والشعر عند طاغور موسيقى ، لانه تعبير عن النفس ، والنفس لحن من انشودة الخلائق المترنمـة بتسبيحة الجمال الاول وبحلاوة السكنى في الارض .

وطاغور اذا نثر ، كان لفكرته رنة خاصة . ففكرته دائمًا موسيقيـة تدخل الى القلب قبل ان تصعد الى الرأس — فكرته ملأى لا بذلك الجفاف العقلي وتلك البرودة المنطقية الغربية ، بل بالاقناع الناعم الذي يتقبلـه الفؤاد كما تقبل الاسفنجة الجافة قطرات الماء .

وطاغور اذا رسم[1] كان موسيقي الخطوط ، هادئ المقاطع حيناً وثائرها حيناً آخر . قدّر لي ان اقع على صفحة من كتاباته يتخللها رسم تبرز فيه كل قوى الفنان الموسيقية من حرارة ودفء وفي ، كأنما تلك الصفحة دعتني لا الى قراءتها بل الى ان اغنيها .

وطاغور اذا نظر الى الحياة متفلسفاً شاهدها قيثارة توقع عليها البشرية الحانها ووجد ان كل انسان في الارض يوقع لحنه الخاص الذي اذا اجتمع بانغام الخلائق الاخرى لا يحدث من ذاك تشويش واضطراب بل ائتلاف وكمال . كأنما الكون كله آلة موسيقية متعددة الاوتار متآلفة النغمات في معزوفة الحب لله ، الحبيب الاول ، وهكذا شبه طاغور قلبه : « ان قلبي قيثارة تنقر عليها اصابع حبيبي . »

ولقد شعر طاغور بهذه الهبة التي أوتيها وعلم انه سيخلد بها على الاقل في قلوب مواطنيه حين قال :

« يستطيع اهل بلادي ان ينسوا فلسفتي وشعري ولكنهم سيتذكرون دائماً اغانيّ . »

وكيف ينسونها والفلاحون في اراضيهم والقاذفون بالمجاذيف على مياه الغانج ، والامهات قرب مهود اطفالهن ، والفتيات في خلوات احلامهن ، والاطفال اللاعبون اللاهون ، والجنود الناضبون لكرامة استقلالهم الوطني ، وبنغاليا كلها اليوم وغداً كلما عصفت بها رياح اليأس او جرى في نجودها نور الامل تعبّر عن عواطفها باناشيد من طاغور .

وان طاغور قد ترك في الموسيقى آثاراً مدهشة وكتباً عديدة : « اغاني » ، « لحون الشرود » ، « تراتيم » ، « الجدول » ، « رياضة في الغناء » وثلاثة دواوين موسيقية . فله اكثر من ألفي اغنية ألفها ولحنها .

ولا عجب في ذلك « فالشعراء الحقيقيون ، كما قال ، يحاولون ان يتصوروا الكون تصويراً موسيقياً ، لان الموسيقى هي اكمل انواع الفن ، واصدق معبرة عن الجمال . »

---

١) كان بوسعنا ان نتكلم عن طاغور المربي ، والممثل ، خصوصاً الرسام الذي ترك الوفاً من اللوحات المصورة مع انه لم يتكرس لهذا الفن الا عند السبعين من عمره ، ولكن ضيق المجال لم يسمح لنا بذلك .

« والجمال حاصر في كل شيء وكل شيء بوسعه ان يملأنا فرحاً ؛ وعندما نعرف ان ندرك الجمال احسن مما ندركه ، كل خلل وتشويش ظاهر يبدو لنا نغماً موقتاً ... واخيراً نعرف انه يأتلف مع سائر الانغام كلها . »

هذه الوحدة ، هــذا الائتلاف الشامل راود فكرة طاغور ؛ فلم يكن يستطيع ان يؤمن بما لا وحدة فيه : الكلمات تتوافق وتتحد بنوع من النغم ينادي تلك الكلمة الى تلك الاخرى ، والقلوب تتعاقد كالانغام والشرق والغرب قلب متتابع النغمات ، فالانسان نغمة في العالم ، والعالم نغمة الله ونشيد فرحه الازلي .

*

طاغور وغاندي بين الشرق والغرب (١

طاغور هو الذكاء الرحيب المنفتح على كل ثقافات العـالم ، وغاندي هو النفس المتقشفة الخيّرة . وكل منهما اعجب بالآخر وقدّر له الاحترام والمحبة ، فقال طاغور في غاندي اجمل ما قيل فيه : « لقد ظهر المهاتما غانــدي ، واقفاً على اكواخ الالوف من المحرومين ، يرتدي ثياباً كثيابهم ويكلمهم بلهجتهم . وهكذا فان اسم المهاتما (النفس الكبيرة) الذي اعطي له هو اسمه الحقيقي . من غيره شعر بان ابناء الهند كلهم هم لحمه ودمه . . . فلنعظم المهاتما الذي فيه تجسمت قوة الحقيقة ... »

وغاندي من جهته كان يكنّ التقدير لطاغور ويستودعــه اولاده حين يذهب الى انكلترة ، ويحلو له مراراً ان يقضي في (Shanti Niketan) اياماً عديدة فيستقر هناك كأنه في منزله الخاص .

وكلاهما ابغضا — اذا صحّ انهما استطاعا البغض — ظلامــات الغرب وديكتاتوريته المستقرة ومصانعه الحديدية التي تستعبد الانسان .

ولكن التفاوت الفكري بين الرجلين العظيمين بدأ بعد رجوع طاغور من اوربة فأحس بالحمى تضرب في الرؤوس إثر جرائم بنجاب واعلان « اللّاتضامن » مع الانكليز ، وكان غاندي قائد حركة « اللّاتضامن » و « اللّاعنف » . اما

١) لم يؤمن طاغور بكلام رويدارد كيلنغ الذي صار مثلاً :

« East is east, And west is west
And shall both never be at rest. »

طاغور فكان يرفض كلمة « لا » ، وهو القلب الواسع الذي يرحب بكل الصلات من حيث اتت . الموضوع العزيز على قلبه ، الذي هو اساس فلسفته ، هو موضوع الوحدة مع الطبيعة والخلائق ؛ والوحدة ليس فيها « لا » ورفض وانكماش :

« الوحدة هي اتصال كل شيء بكل شيء ، فلن تُدرك عن طريق السلب والرفض . »

لقد قال مرة للذاهبين من بلاده الى اوربة :« عودوا الينا حاملين كل قوى الغرب الروحية . ان نفسنا هي بحاجة الى نفسهم ، كما ان نفسهم بحاجة الى نفسنا . فالانسانية واحدة في جوهرها : وما الشرق والغرب الا خفقات متتابعة من قلب واحد . كل خفقة تتقدم الاخرى وتليها . »

وان « اللاتضامن » الغاندي كان يجرح ذكاءه في الصميم وهو المرسل الذي يدور في القارات يدعو الى تأييد جامعة عالمية تتهدم فيها الحدود الورقية، فيتفاهم الناس وتضمحل المنازعات المورثة الخراب . ولقد ادرك خطورة موقفه امام الغرب حين قال وهو في اوربة :

« اية مهزلة من القدر تدعوني الى ان ابشر هنا بالتضامن بين الشرق والغرب ، بينما يُبشر باللاتضامن هناك . »

قد كان طاغور يدعو الى نهضة كبرى تشترك فيها كل الامم في العالم فيقول :

« ان المعضلة اليوم هي معضلة عالمية . فلن ينجو شعب دون شعب . فاما الخلاص معاً واما الهلاك معاً . »

وحينما علم ، وهو في انكلترة ، ان الطلاب الهنود اضربوا عن درس الانكليزية كتب الى مدير « سانتي نيكاتان » وكيله ، يلقي المسؤولية على الحركة اللاتضامنية التي يتزعمها غاندي :

«ان المحاولة الحاضرة لابعاد عقلنا عن عقل الغرب، ان هي الا محاولة انتحار روحي.»

اما غاندي ، رجل الواقع الموجع ، فكان يجيب بهدوء انه قبل تعاون الامم كلها ، يجب التعاون الداخلي بين افراد الامة الواحدة ، « وقبل الزراعة يجب تنقية الارض واستئصال الشر منها . »

يتكلم طاغور عن التريث والاحتمال ، والتطلع الى المستقبل الجميل الذي

يسعى اليه شباب الهند في يقظتهم القومية لخدمة العالم ، فيجيبه غاندي :

« عندما تشتعل النار في البيت ، على الكل ان يحملوا الماء لاطفائها . هذا هو الواجب اليوم ، اما الغد ، فالله يهتم له . . . ان الشعب الهندي يموت . . . فعلى الهند ان تتعلم كيف تحيا لاجل العالم قبل ان تتعلم كيف تموت لاجله . »

هذا هو شبح الواقع اليومي الشنيع يقف بوجه طاغور ، رجل الفن فيفقد عليه جمال احلامه الشاردة الى عالم الامل المعزي . اذ ذاك تكفيه صرخة اخرى رائعة فيها نشوة وغبطة وفيها شيء من الاخفاق :« ان امجاد الانسانية هي امجادي . . . ولن يدرك الانسان شخصيته اللامتناهية الا بتوافق عظيم بين شعوب الارض كلها . » بعد هذا انتحى طاغور زاوية أبعدته عن السياسة المباشرة ، وكان عنده من الاتضاع والمحبة الشيء الكافي ليترك لغاندي قيادة النهضة ، فدعي « الوطني الكئيب . »

وتابع الرجلان العظيمان وجهتهما في الحياة ، كلٌّ في طريقه فكان صوت طاغور يتضاءل في عالم السياسة حتى سنة ١٩٤١ فيختفي الى الابد ليرتفع أعمق واشمل في قرارة نفس الانسانية ؛ وكان صوت غاندي يدعو الى « اللاتضامن » مع الاخر و « اللاعنف » او التسامح معه بالوقت ذاته ، الى ان انطوى ضحية الانسان الذي جرّد حياته لخدمته في العالم فرفعته الانسانية مثالًا اعلى للحياة .

غاندي وطاغور قلبان محبان ما ابغضا ابدًا ، وان غاندي ذاته رغم الاضطهادات التي لحقت ببلاده قال يومًا : « ان « اللاتضامن » الذي ادعو اليه ليس هو عداء للغرب بل لتلك الثقافة المادية التي تستثمر الضعيف . . . واني اترك ساحة الجهاد اذا شعرت بان هناك بغضًا للانكليز : فلنبغضْ كل ما هو شيطاني ولنحببْ الشيطان . »

هي هذه الناحية الخفية الواسعة من نفس غاندي يجتمع فيها بطاغور الوسيع القلب ، حين يهتف :

« انا لا اريد ان احصر بيتي من جهاته الاربع ولا ان توصد نوافذه . اريد ان تسري انفاس ثقافات كل الامم بحرية في مسكني ولكني لن ادع تيارها يجرفني . والدين الذي اعتنقه لا اريده سجنًا ، بل امهد فيه مقرًا لادنى خلائق الله . فانا لا اغلقه الا بوجه حماقة الكبرياء العرقية والدينية واللونية الضيقة . »

تحت كلمات كهذه يجتمع قلب الرجلين العظيمين . ولكن الغرب لم يفهم هذه الناحية المقدسة العابدة الكبيرة من نفس غاندي ، بل هاله ما في تلك النفس من تجردٍ وقنوتٍ وقهر ذاتٍ وحرمان قوتٍ على الجسد الناحل.

والغرب احب طاغور اكثر لانه شعر بشيء فيه من « ليوناردو دي فنشي » و« غوته » . اذ ان طاغور قد احب المعرفة والعلوم ولم يستعبده علم او معرفة بل رفرف عليهما بجناحيه الطليقين . وهكذا اجتمعت فيه العبقريتان : إلهام الشرق وحدسه الصادق ، وتواكل الغرب على سلطان المعرفة وقدرتها النهائية الخلّاقة .

في سلّم حياة الهند الصاعدة رجلان : غاندي في اسفله يماشي الناس ويؤاكلهم ويعايشهم ليقنعهم بعدم الأركان الى الخمول وليرفعهم معه ، وطاغور في اعلى السلم يدلهم على الهدف الذي يجب ان يسعوا اليه . غاندي وطاغور يدان تتعاونان في خدمة الانسان ولا تفضل الواحدة الاخرى .

اذا كان عالم اليوم لم يشاهد رجلًا اكثر تضحية واعمق محبة وتجردًا من غاندي ، فانه لم يشاهد ايضاً رجلًا ارحب نفساً واشمل ذكاء من طاغور . أن يكون في النصف الاول من القرن العشرين مثل غاندي وطاغور ، فذلك ما يجعلنا نؤمن بان النصف الثاني من جيلنا سيبلغ موطن السلام ولن يُهلك البغض ابناءه ، ذلك البغض المورث التلاشي والاضمحلال ! . . .

٭

سرّ الفرح

في هذا العالم حيث تتلاقى الانانيات فتتلاطم وتتنافر الارادات ويتضعضع اساس الايمان بالحقائق السامية ، تتصاعد كلمات الشاعر صرخةً ضد حقيقة لا تستقر بغير المادة ، ومعرفة لا ترى لها مصدرًا غير عقلٍ باردٍ جاف . اما الشاعر فهو ابن العلاقات الازلية ، يحس بان عقله شعلة من اضطرام المعرفة الاولى المبدعة للكل نظاماً وحدوداً ، ويحس بان حقيقته هي في تلك العلاقة التي تمتد كالجسر الغير المنظور بين الارض والسماء ، والتي لا يمكنه رفضها . فاذا ما تطلّع الشاعر الى الارض ورأى جمالها وقبحها ، ورأى اوديتها وقممها ، ورأى

آلامها وافراحها المتجسدة ، لا يستطيع ان يظل جامداً ؛ فان هذا الجمال وهذا القبح ، وهذه الآلام والافراح ، وهذه الاودية والقمم ، هي كلها صورته ، صورته في ظروفها المتنوعة ظاهراً ، ولكنها الموحّدة بالنظام المستتر الذي شاءه الله .

وكلما جلس الشاعر الى الطبيعة ، على ثغره سؤالان : يستفسرها عن نفسه ، وعن سر خضوعها لله . فهو دائماً يقف على بابها مستعطياً منتظراً :

« ألم تسمع وقع اقدامه المرساء ؟ انه آتٍ آتٍ آتٍ ابداً !
في كل ثانيةٍ وزمن ، في كل صباحٍ وليل ، .
في ليالي تموز العاصفة السوداء ، على مركبةٍ من الغيوم ،
هو آتٍ آتٍ آتٍ ابداً !
تضغط خطواته على قلبي فتتدافع في قلبي الغيوم ،
وتلامسني قدماه ، فاطير من فرحٍ ونشوة ! »

هو ذلك الفرح الكبير يحس به الشاعر في تعرّفه الى حقيقة ذاته المتصلة بالله . وقد ينغّص ذلك الفرح عليه كل رفضٍ وجحودٍ وبخل :

« ان في قلبي حسرة . فهو ينوء بثقل الخيرات التي لم يقدمها لك . . .
« وبكيت بكاءً مرًّا وقلت في نفسي : ليت قلبي اعطاك كل ما له ! »

ولكنها فترات حزنٍ عابر في نفس الشاعر ، اذ انه يعود حالًا الى الاحساس بذلك الوصال الحاضر ، الذي هو صورة الوصال الابدي المزمع ، وتعود الغبطة الاولى مغنيةً تلك الالحان الموزونة المتآخية ، مترنمةً بالاناشيد الجبارة المكبوتة في احشاء الدهور منذ وُلدت الانسانية الى ان تفنى في جوف الارض ، اهراء الحياة الصامتة الخفقات التي لن تتلاشى الى ابد الآباد !

كذا يبقى الانسان لان جوعه الى اللانهاية لا نهاية له الا بالاستقرار في حضن الله .

وهذا هو سرّ فرحنا الجبّار ! . . .

غيوم وامواج

– لطاغور –

اماه ، هؤلاء الذين يعيشون فوق السحب نادوني قائلين : « اننا نلعب من الصباح حتى المساء . اننا نلعب مع الفجر الذهبي ، والقمر الفضي . »

سألتهم : « ولكن كيف استطيع ان اصعد اليكم ؟ »

فاجابوني : « تعالَ الى حافة الارض ، وامدد يديك الى السماء وسوف تُحمل عالياً الى السحب . »

قلت : « ان امي تنتظرني في المنزل فكيف استطيع ان أتركها وأصعد اليكم ؟ » عندئذ ضحكوا وسبحوا في الفضاء البعيد ...

ولكني أعرف لعبةً أبدع وأجمل من العابهم يا اماه !

ساكون السحب وتكونين أنتِ القمر .

سوف اغطي وجهك بيديَّ وستكون السماء الزرقاء قمة منزلنا ...

*

وهؤلاء الذين يعيشون في الامواج نادوني :

«نحن نغني من الصباح حتى المساء .. نحن نسافر بعيداً ولا نعلم الى اين نسير.»

سألتهم : « ولكن كيف أستطيع أن انضم اليكم ؟ »

اجابوني : « تعالَ الى حافة الشاطئ ، وقف معصوب العينين ، فتُحمل عند ذاك على متن الامواج . »

قلت لهم : « ان امي تنتظرني دائماً في المساء . فكيف اتركها وامضي معكم ؟ » عندئذٍ ضحكوا ورقصوا ومضوا بعيداً .

ولكني اعرف لعبةً اروع من العابهم يا اماه !

ساكون الامواج وتكونين انتِ الشاطئ .

فامضي وأرحل رحلاتٍ بعيدة ، ثم اعود فانفجر ضاحكاً بين احضانك ولن يعرف انسانٌ في العالم اين نحن ! ...

زهرة « اللوتس »

ماتت زهور « اللوتس » لقسوة الصقيع ولم يبقَ غير زهرة وحيدة في حديقة « سوداس » البستاني .

لقد ذهب الى القصر ليبيع زهرته الوحيدة وهناك رأى تاجرًا مثريًا اعجب بها .

« ساشتري زهرتك لاقدمها الى الاله بوذا »

اما « سوداس » فطلب قطعةً من الذهب ثمنًا لها .

وبينا التاجر يتردد في دفع الثمن ، خرج الملك من قصره في طريقــه الى المعبد ، ولمح الزهرة البيضاء في يد البستاني فدهش وقال : « ساشتريها من اجل بوذا . فكم ثمنها ؟

اجاب البستاني : « لقد بيعت يا مولاي بقطعةٍ من الذهب . »

فقال الملك : « اني ادفع عشر قطع ذهبية ثمنًا لها . »

وقال التاجر : « انا ادفع عشرين قطعة . »

واشتدت المنافسة بين الملك والتاجر من اجل الحصول على الزهرة ، وتصاعد الثمن .

أصغى البستاني ثم قال في نفسه : « انهم يطلبون الزهرة من أجــل الاله بوذا . فاي ثمنٍ نفيس احصل عليه من الاله نفسه مقابلها ؟ »

« عفوًا ايها السادة ، لن ابيعهــا . » وانبسطت يداه في توسل ورجاء ثم اسرع الى حيث يجلس بوذا في سلام يظلله وشاح الالوهة .

رآه البستاني على هذه الصورة ، فوقف مبهوتًا لا يساعفه لسانه ولا يستطيع حراكًا . ثم القى بنفسه على اقدام مولاه وقدم اليه الزهرة .

انبسطت اسارير بوذا وقال : « ما امنيتك ؟ »

فاجابه البستاني في لهفةٍ وحرارة :

« لا شيء سوى قبضةٍ من تراب قدميك ! »

النهاية

آن وقت الرحيل يا اماه وها انا ذاهب !

وعندما تمدين يدك في شحوب الليل والفجر يبدد ظلمته تلمسين طفلك في سريره ، ساقول لك :

« الطفل ليس هنا . . . » انا ذاهب يا اماه !

ساصير هبة نسيم ناعمة اعانقك وادللك ، وسأكون سقسقة الماء عندما تستحمين واقبلك مرات ومرات .

وفي الليل العاصف الممطر عندما يتساقط المطر على الورقات ، ستسمعين في سريرك همساتي وستمتزج ضحكاتي بالبرق الخاطف المتلألئ داخل حجرتك المفتوحة النوافذ .

واذا اضطجعت يقظى تفكرين في طفلك الى ساعة متأخرة من الليل ، فسوف اغني لك من النجوم قائلا :

« نامي يا اماه نامي ! . . . »

وسانسل الى سريرك في اشعة القمر الشاردة واغفو على صدرك يا امي وانت غارقة في عالم الكرى .

وساصبح حلما انزلق بين جفنيك ، وعندما تستيقظين ، وتنظرين حولك مذعورة ، سوف امرق كومضة خاطفة واغيب تحت سدول الظلام .

وعندما يأتي الاطفال المجاورون في عيد « بوجا » الكبير ، ويلعبون حول منزلنا ، عندئذ ساذوب في نغمات المزامير وانبض طول النهار في قلبك المحروم .

وعندما تأتي عمتي حاملة هدايا العيد وتسألك : « اين طفلنا يا اختاه ؟ » ستجيبنها يا امي بعذوبة ناعمة :

« انه في سواد العين

انه في دمائي

انه في روحي ! . . . »

احياء لذكرى

اغناطيوس كراتشكوفسكي

١٨٨٣ - ١٩٥١

بقلم الاب يوحنا مصريان اليسوعي

وصلنا مؤخرًا النبأ الموجع بوفاة اغناطيوس جوليانوفتش كراتشكوفسكي الذي كان من اكبر المستشرقين واوسعهم انتاجاً ونشراً بالروسية لما يتعلق بالادب العربي وخصوصاً الادب العربي المصري وبتاريخ الدروس العربية في روسيا .

وُلد في « فيلنو » في ١٦ اذار سنة ١٨٨٣ وانهى دروسه في مسقط رأسه ثم التحق سنة ١٩٠١ بمهد اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرج وظلّ فيها حتى سنة ١٩٠٥ . وهناك تثقف على يد علماء روسيين ماهرين نظير ميدنيكوف (Miednikov) ، وشميد (Schmidt) ، وبرتولد (Bartold) م ، وكثيرين غيرهم خصوصاً البارون روزن (Rosen) ، الذي سمّاه في احد مؤلفاته «مؤسس المدرسة الجديدة للدروس الشرقية في روسيا» قبل الثورة السوفياتية . وتحت ارشاد هذا العالم الكبير ، سيتابع كراتشكوفسكي دروسه وابحاثه حتى تموز سنة ١٩٠٨ ، حيث انتدب للذهاب الى الشرق في بعثة علمية للاطلاع عن كثب على اللهجات العربية الحية وعلى الادب العربي وثقافته وخصوصاً للاتصال بتعليم الادب العربي الذي باشر به معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف في بيروت والاتصال ايضاً بالحركة العلمية في المعهد المذكور .

وتزى كراتشكوفسكي في بيروت منذ تموز سنة ١٩٠٨ حتى تموز سنة ١٩١٠ يتبع دروس تاريخ الادب العربي التي كان يلقيها الاب لويس شيخو وتاريخ محمد بواسطة الاب هنري لامنس . يدرس اللهجات العربية

على الاب لويس رونزڤال (Ronzevalle) والعبراني على الاب بولس جوون (Jouön) ، ويصحّح اغلاط الطبع في ديوان الاخطل وهكذا يساهم مع الاب صالحاني في نشر ديوان الشاعر .

وسيحفظ كراتشكوفسكي حتى آخر حياته ورغم كل الصعوبات السياسية تذكارًا وفيًا لاساتذته في جامعة بيروت وسيبقى على اتصال بالجامعة المذكورة ويسر ، في مؤلفاته ، بان يمدح اساتذته القدماء. كما تشهد بعض مقاطع من كتبه التي سنتكلم عنها بعد قليل .

ويغتنم كراتشكوفسكي فرصة إقامته في الشرق ليزور لبنان وسوريا وفلسطين ومصر ، ثم يصبح احد اعضاء لجنة المجتمع الروسي المسمى الفلسطيني التي كانت تعضد وتموّن مدارس الشرق الادنى التي أسسها وجاد عليها القياصرة بمالهم وعنايتهم.

هذه الاقامة والرحلات في الشرق أفادت كراتشكوفسكي معرفة كاملة للعالم العربي وجعلته واحدًا من المستشرقين الروس الأكلين — وتشهد بذلك قصة احد مسّاحي الاحذية المصريين ، وقد اخبرها كراتشكوفسكي ذاته : فبعد ان حاول ان يزور مكتبة تيمور باشا وكان هذا غائبًا اذاك ، وقف في احدى المحطات من ضواحي القاهرة ، ينتظر وصول السكة الحديديّة ، فاخذ يتحدث الى احد مساحي الاحذية واظهر له الأسف على تركه مصر الى روسيا دون ان يتمكن من مشاهدة مكتبة الباشا : « عليّ ان ارجع الى بيتي في روسيا ، لانني روسي. » فضحك المسّاح المشعوذ واجاب : « انت لست فرنجي ولا مصري ، انت سوري . عرفت هذا من لهجتك . . . مع السلامة وسنلتقي في الشام. » وما اخفى كراتشكوفسكي السرور الذي شعر به لدى سماعه حكم المشعوذ المصري على معرفته بالعربية.

نال كراتشكوفسكي الاعجاب عندما قدّم اطروحته في ٣٠ ايار سنة ١٩١٥ ، وتنقّل بعد ذلك من مهنة التعليم في جامعة بطرسبرج الى مقاعد

التدريس في المعاهد الشرقية المختلفة ثم عُيّن عضوًا في اكادمية العلوم وفي الشركات العلمية للاتحاد السوفياتي الذي انتدبه مرات الى بعثات في جامعات الاتحاد السوفياتي نفسه .

وقد واصل النشر منذ سنة ١٩٠٤ حتى وفاته دون انقطاع . وقد نشر فهرست كتبه في طبعة جديدة سنة ١٩٤٩ وكان يحمل ٤٣٤ اسماً لمؤلَّف وذكرت فيه مؤلفاته الاخيرة المتعلقة بالرُّقُم العربية وقد ظهرت بالروسية في المجلة السنوية المدعوة : « الرقيم الشرقي » ، تلك التي تديرها زوجة كراتشكوفسكي نفسها العالمة بالكتابات القديمة .

وزد على ذلك مؤلفاً ظهر سنة ١٩٥٠ تحت عنوان « دروس في تاريخ العربية في روسيا » (٢٨٨ ص . موسكو — لينغراد ، بالروسية) — فبعد مقدمة هذا الكتاب (ص ٥ — ٩) ، يوجد بحث مخصص « لما قبل تاريخ العربية في روسيا » حتى اواخر الجيل الثامن عشر يبحث فيه المؤلف عن كل الدروس التي لها علاقة بالعربية تلك التي ازدهرت في كياف وموسكو وبطرسبرج . اما موضوع الكتاب فينقسم الى قسمين :

١) العربية في روسيا (ص . ٧٣ — ١٩٨) اي قبل الثورة السوفياتية .

٢) العربية في الاتحاد الروسي الاشتراكي السوفياتي من ١٩١٧ الى ١٩٤٨ (ص : ٢٠١—٢٦٩) مع تعليق وفهرست (ص ٢٧٣—٢٩٨).

وقد اهدى هذا الكتاب «الى ذكرى مرور مائة سنة (١٨٤٩ — ٥ اذار ١٩٤٩) على مولد المستشرق « فيكتور رومانوفتش روزن » مؤسس المدرسة الجديدة للدروس الشرقية قبل الثورة ، ذلك الذي احبَّه مارّ (Marr) ، وبرتولد والدنبورغ (Oldenbourg) ، وكوكوتسوف (Kokoutsov) وتثقفوا عليه .

لا شك في ان بطلَي الاستشراق العربي في روسيا كانا فران (Fraehn) في النصف الاول من الجيل التاسع عشر (١٧٨٢ — ١٨٥١) والبارون روزن في النصف الثاني منه (١٨٤٩ — ١٩٠٨) — ولكن عندما يذكر كراتشكوفسكي اسماء تلاميذ هذين العالمين يهمل اسمه الذي له حق الصدارة. ويكفي ان نلقي نظرة على تعليق المصادر في اخر الكتاب (٢٧٣ — ٢٧٩)

لنتيقن من انّ مؤلفات كراتشكوفسكي ذاته لها المكان الاوسع : فهو ذاته المؤرّخ الكبير للدروس الشرقية وخصوصاً العربية منها في اللغة الروسية.

ولا بدّ لنا من كلمة عجلى في اطروحة كراتشكوفسكي في جامعة بطرسبرج ، اذ انها قد أثارت انتباه العصر حينذاك وموضوعها : « ديوان ابي الفرج محمد بن احمد الغساني الملقب بالوأوأ الدمشقي ٣٩٠ ﻫ ٩٩٩ م. » (بتروغراد ١٩١٤ — ١٩٢٤ — ١٥٣ صفحة من النص العربي و٣٧٨ صفحة بالروسية). ولم يعجب العلماء بالدقة التي رافقت طبع الثلاثمائة والشرين مقطوعة شعرية للوأوأ بقدر ما اعجبوا بالدراسة التي رافقتها وعنوانها : « لوازم الإبداع الشعري » حيث حلّل كراتشكوفسكي تكنيكية مهنة الشعراء في عصر الحمدانيين في حلب ، عصر المتنبي.(راجع الاب شيخو في المشرق ١٩٢٤/١٢ ص ٤٧٥).

•

وهناك مؤلف آخر لكراتشكوفسكي لا شكّ في ان قراء هذه المجلة يهتمون له.وهو كتاب صغير الحجم لم تمض على نشره بعض سنوات الا وصحّح واعيد النظر فيه وطبع ثلاث مرات متواليات.ولقد نشرنا في « شذرات جامعة القديس يوسف » (١٩٤٤/٢٦ — ١٩٤٦/ص ٩—١٣٨) كلمة من درس طويل عنه بمناسبة طبعه للمرة الثانية.وعنوان وهذا الكتاب:« فوق المخطوطات العربية » يوحي لنا الشيء الكثير . ونفضّل على هذه الترجمة الحرفية لكلمات العنوان الاولى ترجمةً اخرى تعبّر عن فكرة الكاتب:« انحناء على المخطوطات العربية- ذكريات كتب واشخاص.» نشرته اكادمية العلوم السوفياتية — موسكو — لينينغراد — الطبعة الاولى : ١٩٤٥ — والثانية: ١٩٤٦ ، ١٧٠ ص— والثالثة: ١٩٤٨— عدد الصفحات ٢٠٢ مع ١٣ رسماً منفردًا —).

عندما ظهر الكتاب في طبعته الاولى سنة ١٩٤٥ كان يحوي خمسة فصول كُتبت اثناء الحرب من ١٩٤١ الى ١٩٤٣ بعيدًا عن المكاتب العمومية وعن مكتبة المؤلف الخصوصية التي كان قد نقلها الى صناديق حرصاً منه عليها .

اذًا فقد كان من المستحيل عليه ان يراجع المصادر . ولكن لما تقلّص الحرب وعاد كراتشكوفسكي من جديد الى الجلوس الى « الكتب والمخطوطات ، اصدقائه القدماء الاعزاء » زاد على كتابه فصلين جديدين (الثالث والسابع) ظهرا في الطبعة الثانية سنة ١٩٤٦ ، ولم تلبث الطبعة الثالثة ان ظهرت نظرًا للنجاح الذي لاقاه الكتاب . واننا حين نعرضه الان نذكر صفحات الطبعة الثانية وبين هلالين صفحات الثالثة .

فالسبعة فصول التي تؤلف الكتاب هي بالاحرى « تذكارات » سبع ، متنوعة الالوان . فهي حينًا فنية ، واحيانًا تعنى بسرد اخبار وتخطيط رسومه ، أملتها البساطة والعذوبة . فاذا بها تجمع حول مراكز الدروس العربية وتحت عناوين غامضة معلومات جزيلة النفع عن الكتب والمخطوطات والعلماء حتى وعن افراد الناس العاديين كاولئك القرويين اللبنانيين مثلًا الذين حظي الكاتب الروسي بمعاشرتهم مدة رحلته العلمية الى الشرق . ولقد استدرك هو الامر بذاته فقال ان في كتابه « كثيرًا من العاطفة والشعر . » ولكي نعلم انه قال الصواب يكفي ، على ما اعتقد ، ان نقرأ المقطوعة الاخيرة من الفصل الاول التي خطّها سنة ١٩٤١ — حيث نستمع الى الحوار بينه وبين مولاته المخطوطات . ولا يخشى كراتشكوفسكي في هذا انتقادًا لانه يعيش الآن بالتذكار كتابةً ويلقيه بين يدينا كما عاشه يومًا بعد يوم مدة اربعين سنة « انحناء على المخطوطات العربية . » وهذه بالمجاز ، عناوين ومحتويات تلك التذكارات السبع .

يدور الفصل الاول ص ٧ — ١٤ (٩ — ١٧ من الطبعة الثالثة) حول مخطوطات مكتبة جامعة بطرسبرج تحت اشراف ا . ا . بتشكوف (Btchkov) المدير الشهير (١٨٥٨ — ١٩٤٤) ويخبرنا عن علاقاته بالمخطوطات العربية منذ ١٩٠١ حتى يومنا الحاضر . وفيه ايضًا إلماع الى مخطوطة من الخوري انطون البغدادي في الجيل التاسع والى مخطوطتين اخريين من كمال الدين (الجيل الثالث عشر ثم الخامس والسادس عشر) مع بعض تعليقات على ابي العلاء المعري ، ثم يتكلم عن شخص لبناني الاصل من الجيل التاسع عشر ، اسمه رزق الله حسون ،

المعروف بحنكته ودرايته السياسية وخصوصاً بنسخه لمخطوطات ثمينة.

اما في الفصل الثاني ص ١٥ — ٣٧ (١٨ — ٤٤) فيتكلم كراتشكوفسكي عن « تشرّده في الشرق » (بين بلدان الشرق) وقد دام سنتين ١٩٠٨ — ١٩١٠ ؟. ويمتد الحديث بالكاتب في هذا الفصل حتى سنة ١٩٣٢ . ويفيض حديثه ابتهاجاً وسروراً حين يتكلم عن اقامته في لبنان وخصوصاً عن تمضيته فصلي الشتاء في جامعة القديس يوسف التي هي ، كما يقول ، نصف فرنسية ، ونصف عربية . » فيرسم لنا بجمل صارخة اللهجة شديدة الصدق ملامح اساتذته القدماء في المعهد الشرقي التابع للجامعة . فليُسمح لنا بترجمة بعض اسطر منها : « لامنس ، مؤرخ لامع ، محاضر ذو وقع ، بلجيكي الاصل . رونزڤال الفرنسي مدرّس اللهجات الشرقية بدقة ، يجمع كنزاً ضخماً من الفكاهات ، ولكنه فريسة الم داخلي مستمر . بقي الصديقان الجانبان دائماً : شيخو وصالحاني . فالاول مرديني الاصل من بلاد ما بين النهرين العليا ، بطيء في الظاهر ولكنه ذو مزاج سريع وترحيب بشوش ، يحمل في يديه دائماً ملفات مطبعية من « المشرق » ، مغموس كالاسفنجة في الادب العربي ، دائماً على استعداد ليجيب بتفانٍ على كل سؤال . وصالحاني : وجه شاميّ مهيب ، له معرفة دقيقة بالشعر « والف ليلة وليلة » . قد يتابع حتى التسعين من عمره بحوثه المتعلقة باشعار عزيزه الاخطل رفيق يوحنا الدمشقي في صباه . » ويتابع كراتشكوفسكي تخطيط رسومه « اولئك الذين سطعوا كالكواكب بالنسبة الى اسلافهم » ، فيبدأ اولاً بالمستشرقين الغربيين الذين مرّوا بالشرق : ليتسبرسكي (Litsbarsky) غوتكيل (Gottkheil) ، نالينو (Nallino) پيترس (Peeters) ، من مؤسسة بولند ، الاوربي الاول الذي سبق فأدرك نبوغ مارّ (Marr) وكان المعجب الكبير بدستويفسكي اذ انه قرأه بلغته الروسية» . ثم يتكلم بعد هذا عن الشرقيين : زيدان ، قسطنطين بين ، محمد كرد علي وغيرهم . ويعود باسهاب في هذا الفصل وفي الفصول التالية الى ذكر الاب لويس شيخو والى اثره الكبير في خلق «المكتبة الشرقية» ، والى منشوراته ونظرته الثاقبة في صحة الآثار او فسادها . ويكرّس كراتشكوفسكي فصلاً كاملاً في آخر كتابه عن الاب صالحاني ، سنعود اليه

في حينه. ولا ننسى في هذا الفصل الفني الفائدة كلام المؤلف عن مكتبة بطريرك الشام الارثوذكسي غريغوريوس الحداد ، تلك المكتبة التي ، كما يقول ، انتقلت الى موسكو . فانه ، مدة اقامته في بيروت ، حاول عبثاً ان يسمح له البطريرك الارثوذكسي بالاطلاع على مخطوطات البطريرك مكاريوس وابنه بولس الحلبي ، اذ ان هذه المخطوطات تحوي قصة الرحلة التي قام بها مكاريوس الى روسيا في الجيل الثامن عشر . ولكن عندما اقام كراتشكوفسكي في بطرسبرج كُلف بعرض وترتيب تلك المخطوطات التي حاول ان يطلع عليها في الشام ، وكان البطريرك غريغوريوس الحداد قد قدّمها هدية للقيصر.

وموضوع الفصل الثالث ص ٣٨ — ٥٥ (٤٥ — ٦٥ في الطبعة الثالثة) يدور حول « الكتاب العربيين والمستشرقين الروسيين. » وهو واحد من الفصلين الجديدين اللذين زيدا في الطبعة الثانية ، وهذا ما يشرح لنا الاهتمام الذي يبديه اليوم الاتحاد السوفياتي بالعالم العربي . يتكلم فيه كراتشكوفسكي عن كُتّاب العربية المعروفين في لبنان وفي مصر نظير امين الريحاني الذي رجع من اميركا الى بيروت يومَ كان فيها الكاتب الروسي . يتكلم عن « الفلاح » الارستقراطي في القاهرة ذي المكتبة الكبيرة محمد تيمور باشا . ويطول ايضاً كلامه عن ميخائيل نعيمه البسكنتاوي الاصل ، الذي عاد من اميركا الى بلاده وكان على مراسلة مع كراتشكوفسكي الذي كانوا يدعونه في لبنان وسوريا وفلسطين « المتشرد الروسي » او « غنطوس الروسي » (اغناطيوس الروسي) . الى ان انتهى به الكلام الى المدارس العديدة التي كانت حكومة القياصرة تغذّيها في الشرق الادنى قبل الحرب العالمية الاولى — ويظهر من هذا كله ان هذا الفصل يخالف قليلاً موضوع الكتاب الاساسي.

وينتقل بنا الفصلان الرابع ص ٥٦ — ٧٩ (٦٦ — ٩٤) والخامس ص ٨٠ — ١١٥ (٩٥ — ١٣٧) الى لينينغراد نفسه يكلمنا عن المتحف الاسيوي فيها وعن مكتبة الجامعة.

اما الفصل السادس ص ١١٦ — ١٣٩ (١٣٨ — ١٦٥) فيحتوي على

ذكريات تمتد من سنة ١٩٢٨ الى ١٩٤١ . وعنوانه غامض وهذا هو : « نحو الصيّاد الطريدة ذاتها تسرع . » وهذا المثل الروسي معناه ان الصيّاد الماهر يجد دائماً طريدة يصطادها . وهنا يتكلم الكاتب عن بعض مخطوطات واشياء ذات قيمة كبرى وُجدت ومصدرها اليمن « بلاد ملكة سبأ » ، وسوغديان ولا ينهي حديثه قبل ان يخبرنا عن كتاب القرآن بالخط الكوفي كان في حوزة عجوز سنة ١٩٣٦ . فطالما اخذت الثمن الذي عُرض عليها انسحبت متخفيةً لئلا يُشتهر امرها وتُطارَد .

اما الفصل السابع ص ١١٠ — ١٥٦ (١٦٦ — ١٨٥) الذي هو الاخير في الطبعتين فيحمل عنواناً يدلّ على روح الكتاب باجمعه : «رفات الاجداد.» لقد أفرغ الكاتب من قلبه في هذا الفصل اكثر مما في باقي ذكرياته . في المقطع الاول يذكر كراتشكوفسكي « ريسك (Reiske) المنقطع النظير ، شهيد الادب العربي » (١٧١١ — ١٧٧٤) الذي كان اول من تنبه الى كتاب الحماسة للبحتري ، ويذكر ايضاً الاب لويس شيخو « استاذ العربية واستاذه » الذي اعدّ طبع ديوان الحماسة نقلاً عن المخطوطة الوحيدة الموجودة في لايد (Leyde) — وفي المقطع الثاني يحيي تذكار الاستاذين الروسيين الشهيرين : كوكاس الناعم (doux Guirgas) (١٨٣٥ — ١٨٨٧) والبارون روزن (Rosen) (١٨٤٩ — ١٩٠٨) — ونستطيع ان نقول ان المقطع الاخير هو مكرس لدرس شخص واحد :

عنوان هذا المقطع هو : « نصف جيل مع مخطوطة واحدة ، » خصّصه كراتشكوفسكي كله بذلك الذي جعل من تلك المخطوطة الواحدة موضوع بحوثه ورغباته مدة خمسين سنة ، ألا وهو الاب انطون صالحاني . فيخبر المؤلف عن النشاط الذي بذله الاب صالحاني في خدمة الاخطل الشاعر بالتفاصيل الدقيقة . كان العالم الانكليزي رايت (Wright) يقضي نحبه ، سنة ١٨٩٩ ، دون ان يستطيع سبيلاً الى طبع آثار شاعر بني امية . « اذاك كان الاب صالحاني مشهوراً في العالم العلمي كلغويٍّ متين وعارفٍ دقيق بآثار الادب الوطني » فوقعت بين يديه

النسخة التي نقلها رزق‌الله حسون افندي تكلفنا عنه سابقا عن مخطوطة بطرسبرج. فاذا بعمال المطبعة الكاثوليكية في جامعة القديس يوسف وباكنانها تتحرك للعمل والطبع . وارسلت الاوراق المطبوعة في بيروت الى البارون روزن في بطرسبرج ليقابل بين النصين ، اذ لم يكن في ذلك الحين تصوير شمسي ولا إعارة مخطوطات . وهكذا اثمرت الطبعة الاولى في بيروت بسرعة فائقة — وهنا يحلو لكراتشكوفسكي ان يعيد مثله الروسي : « الصياد الماهر يجد ما يصطاده » ، وبالفعل لقد عُثر بعد ذاك على مخطوطات تحوي آثار الشاعر ذاته. ففي سنة ١٩٠٥ نشر الاب صالحاني صورة مخطوطة بغداد طبعاً على الحجر.

وفي سنة ١٩٠٧ طُبعت المخطوطة التي وجدت في اليمن بعناية الدكتور غرفيني (Griffini) في المطبعة ذاتها وبالنوع ذاته — واخيرًا في سنة ١٩٣٨ كان الاب صالحاني ، وهو في الحادي والتسعين من عمره ، يكرس كتيباً تذكارياً بثلاثة وستين صفحة « للمخطوطة الجديدة لديوان الاخطل » التي وجدت في طهران وكان كراتشكوفسكي نفسه قد هدى صديقه القديم اليها . وهنا يفيض المؤلف الروسي بكلام قصصي رائق عمّا قلناه بايجاز ولا ينسى ابدًا كيف التقى للمرة الاولى بالاب صالحاني « ذي العينين الوقّادتين » فيخبر عن علاقاتهما الطويلة ومراسلاتهما العذبة الجليلة بعد ذاك . وعندما اعلنت الحرب الكونية الثانية وانقطعت المراسلات ، ما برح كراتشكوفسكي يظن ان صديقه القديم توفي بعد ان قارب المائة من السنين. ولكن الاب صالحاني،ذلك العالم المعتبر الجليل القدر، مات في العاشر من آب سنة ١٩٤١ وهو في الرابعة والتسعين . وعلى كل فالمستشرق الروسي لم يخطأ حين قال عنه انه قضى نصف عمره في ملازمة مواطنه الاخطل ، شاعر بني امية ، وملازمة مخطوطة لينغراد الحاوية اثار الشاعر المذكور.

لقد حافظ كراتشكوفسكي في طبعات كتابه الثلاث على صفحتي الخاتمة التي تحمل عنوانًا بحروف لاتينية : « الراحة الدائمة » (Requiem Aeternam) لقد كتبها سنة ١٩٤٣ تذكارًا مؤثرًا للموتى . . .

هذه الامثلة الوجيزة التي قدّمناها تكفي لان تعطي فكرةً عن هذا الكتاب الزاخر بالفائدة والحياة . وكم من منافع كان يوسعنا بعد ان نلتقطها خصوصاً عن العلماء الروسيين الذين لم نذكر الّا بعض اسماء منهم . ففي اخر الكتاب ، بجانب الشروح والمصادر ، توجد اسماء اعلام واسماء كلمات عربية مقرونة بتعليقات ترمي الى افادة عددٍ اكبر من القراء باللغة الروسية .

الاخبار العامة

اخبار العالم الكاثوليكي

الذكرى المئوية للمجمع الخلقيدوني المسكوني (٤٥١ – ١٩٥١) : عزمت روما على الاحتفال بالذكرى المئوية الخامسة عشرة لمجمع خلقيدونيا المسكوني الذي انعقد سنة ٤٥١ في عهد البابا القديس ليون الكبير وحدّد عقيدة الطبيعتين بالمسيح . تبدأ احتفالات هذه الذكرى في ١٤ من الشهر الجاري بقداس حبري يقيمه نيافة الكردينال اغاجنيان بطريرك قيليقيا للارمن الكاثوليك وتُختتم في اليوم الاول من تشرين الثاني بالذبيحة الإلهية ايضاً يقربها قداسة الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر في كنيسة القديس بطرس . وفي اثناء اعياد هذه الذكرى يُحتفل بوضع الحجر الاول لكنيسة حديدة تُشاد على اسم البابا القديس ليون الكبير .

البابا والمجاعة في الهند : ارسل قداسة البابا سبعة آلاف ليرة سترلنغ لاسعاف ضحايا المجاعة في الهند الى ابرشيات مدراس ورانكي وبانتنا .

في لبنان : قانون الاحوال الشخصية : قام المحامون في لبنان بحملة شديدة على قانون الاحوال الشخصية لغير المسلمين الذي اقرّه المجلس في ٢ نيسان الماضي فانتقدوه في اجتماع عقدوه في ٢٣ ونبذوه وطالبوا الحكومة بالغائه . فماذا يكون يا تُرى الدافع الخفي الذي حملهم على ذلك . والقانون هذا هو متفق مع الحق القانوني المسيحي يضع غاية لحالة شاذة بل جائرة كان من الضروري ان تزال اذ ان الطوائف الاسلامية كلها كانت تتمتع بملء حقوقها الشرعية فيما يخص الاحوال الشخصية خلافاً لبقية الطوائف والطوائف كلها لبنانية على السواء لها الحقوق عينها . فالمجلس اللبناني اذن لم يعمل بقبول هذا القانون الجديد الا ما هو واجب لاقرار المساواة في الحقوق للجميع دون شذوذ .

زيارة منظمة «سلام المسيح»(١) الدولية لسيدة لورد : هي من اقدم المنظمات الدولية المجدّة في توطيد السلام في العالم فقد تأسست في باريس في ١١ اذار ١٩٤٥ . وقد قامت هذه المنظمة بتاريخ ٢٥ – ٢٨ تموز بزيارة عمومية لمعبد سيدة لورد وكان عدد الزوار ثمانين الفاً اتوا من مختلف البلاد من المانيا وايطاليا وانكلترا وهولاندا وسويسرا والسار واللوكسمبرغ وغيرها من البلاد . شعارها خدمة السلام العالمي بالصلاة والبحث والعمل .

1) « Pax Christi »

فرنسا وحرية التعليم : وافق المجلس الوطني الفرنسي في ٥ ايلول بغالبية وسبعين صوتاً ضد مئتين وتسعة وثلاثين على مشروع قانون ينصّ بمنح مساعدات مالية للتعليم الحر في فرنسا ولمنشآته المدرسية كما للتعليم الرسمي.

مصير القدس : عادت الى البحث معضلة مصير المدينة المقدسة . أيمكن ان تبقى المدينة كما هي اليوم مقسومة الى شطرين الى منطقة عربية ومنطقة اسرائيلية يحدّها ويحجز بينها خطّ محايد . فالمعابد الدينية والمنشآت المسيحية المختلفة مشتّتة بينها ولا اصعب للزوّار من التجوّل فيها والانتقال من احدى المنطقتين الى الاخرى فالمرور من هذه الى تلك يقتضي معاملات رسمية عسيرة للغاية.

ماذا سيكون اذن حلّ هذه المشكلة النهائي فانه يهمّ العالم بأسره فالقدس مدينة يحج اليها المسيحيون والمسلمون والاسرائيليون سواء.

منذ يوم اتخذ الاسرائيليون القدس قاعدة لدولتهم زاد واشتد تمسكهم بها وصار ابعادهم عنها الا بالقوة امرًا مستحيلًا . اما العرب — وقد نستثني منهم الاردنيين — فقد اظهروا استعدادًا حسنًا لقبول وضع المدينة المقدسة تحت ادارة دُولية كما كان مجلس الامم المتحدة قد اقرّ ذلك والمجلس يبدو اليوم مترددًا متحيرًا في تنفيذ قراره الماضي . فهل يكون لديه مشروع آخر يؤمن السلام معاً ويحافظ على الحقوق القديمة الثابتة.

حزب مسيحي جديد في مصر : تأسس مؤخرًا في القاهرة « الحزب المسيحي الشعبي المصري » يؤلف لجنةَ ادارته اعضاء من الكاثوليك والاورثوذكس والبروتستانت معاً وقد وضع في بيانه النقاط الآتية : اولًا — في مصر ايجاد سياسة مؤسسة فقط على الوطنية المصرية لا تضم الدين الاسلامي ،وضع دين الدولة الرسمي . ثانياً : انضمام مصر الى شرعة حقوق الانسان . ثالثاً : فصل الدين عن الدولة . رابعًا : منح النساء حقوق الانتخاب كما للرجال . خامساً : التعطيل الرسمي ايام الاعياد المسيحية . سادساً : حرية تغيير الدين للجميع دون تمييز بين دين ودين . سابعاً : معاملة جميع الاديان معاملة واحدة في النشر والراديو . ثامنًا : في التعيين للوظائف الرسمية الغاء كل تمييز ديني.

اخبار دولية

عمان : في ١٦ تموز اغتيل رياض الصلح رئيس الوزارة اللبنانية سابقًا في مدينة عمان حيث كان ضيفًا للملك عبدالله منذ يومين . قتله اربعة اشخاص — قيل انهم من الحزب السوري — عند الساعة الرابعة بعد الظهر في ذهابه الى المطار عائدًا الى بيروت . وما

وحشت بيروت جدا النبأ الفاجع حتى اهتزت له واضطربت وفي احد شيعت الفقيد الى موطنه الاخير جماعات عديدة هائلة.

اربعة ايام بعد اغتيال رياض الصلح في ٢٠ تموز قُتل الملك عبدالله قتله امام الجامع الاقصى شاب عمره احدى وعشرون سنة يُسمى شكري قيل انه من حزب مفتي القدس القديم السيد امين الحسيني . واذ كان اذ ذاك طلال بكر الملك عبدالله متغيباً في سويسرا للمعالجة عُيّن اخوه الاصغر نايف نائب الملك . اخيرًا في ٧ ايلول عاد طلال من سويسرا الى عمان فاستقبله بلاده باّجة وابتهاج وأُعلن خليفة لابيه ملكاً على الدولة الاردنية . وقد شاع هنا وهناك بان الامر لم يتم الا بعد اتفاق شخصي سابق مع الحكومة الانكليزية.

بلجيكا : في ١٧ تموز تبوأ بودين الاول خامس ملوك بلجيكا عرش ملكه وقد اقسم بالامانة للدستور في بلاط الامة حسب العادة باللغتين الفرنسية والفلامندية . وها نص اليمين : اني اقسم بالمحافظة على دستور الشعب البلجكي وشرائعه وبصون استقلال الوطن وتمام اراضيه . وبعد القسم ألمح الى ما تضمّنه عمل ابيه من عظمة وتجرد بتخليه عن ملكه واخى خطابه قائلًا : لقد القى ابي في ذهني احترام الدستور فسأمكث امينًا له امانة تامة . اعانني الله على توطيد سعادة الوطن .

مصر وبريطانيا العظمى : في ٢٦ آب قامت في القاهرة والاسكندرية مظاهرات حماسية صاخبة بمناسبة الذكرى السنوية لماهدة ١٩٣٦ الانكليزية المصرية وفي ذلك دليل جلي عن اشتداد الازمة بين مصر وانكلترا . فقد اجتاز شوارع القاهرة المتظاهرون الوفًا يصرخون مطالبين بالغاء المعاهدة المذكورة يردّدون ادوارًا عدائية ضد الانكليز .

وفي اليوم عينه اجتمع في القاهرة مؤتمر الحزب الاشتراكي المصري وطالب هو ايضًا باجماع الآراء بان تُعتبر معاهدة ١٩٣٦ باطلة من اصلها فان مصر لم توقعها بملء حريتها بل تحت تأثير الاحتلال ثم دعا البلاد الى نقض ميثاق ١٨٩٩ بخصوص السودان — كل هذا فضلًا عن مشكلة حرية الملاحة في قناة السويس وصدود الحكومة المصرية ازاء المعترضين.

العراق وهجرة اليهود : قد بلغت هجرة يهود العراق العامة الى فلسطين نهايتها وهكذا اضمحل من شواطئ دجلة والفرات عنصر قديم استوطنها دون انقطاع منذ اكثر من الفي سنة . ان ذهاب اليهود من هذه البلاد — ونعرف ما هم عليه من المهارة والقوة في الاعمال التجارية — قد يؤثر تأثيرًا عظيمًا في الاعمال ولو وقتيًا.

نزح عن العراق اكثر من مئة الف يهودي نقلتهم الى فلسطين طيارات ضخمة مئةً مئة

لجنة التوفيق : تتابع لجنة التوفيق بين البلاد العربية واسرائيل اجتماعاتها في باريس وقد رفض مفوّضو البلاد العربية كل مفاوضة مباشرة مع اسرائيل ووضعوا شرطًا اساسيًا

اوّلياً للاتفاق حول قضية المهاجرين الفلسطينيين : اعادتهم الى وطنهم واملاكهم ثم التعويض عما لحق بهم من خسارة وضرر . اما عقد صلح مع اسرائيل فليس من يرضى ولو بالتلميح اليه .

ماذا تكون نتيجة هذه المناورات . ان دلّ ما مضى على ما هو آت قلنا بان التوصل الى نتيجة عملية حاسمة شاملة يظهر غير محتمل لا لغد ولا لشهور . فالبلاد العربية تعارض مبدئياً وجود دولة اسرائيل وهي في ذلك متحدة متضامنة

مؤتمر سان فرنسيسكو : وُقّع في ٨ ايلول صك معاهدة الصلح اليابانية وقّعه ثماني واربعون دولة في مؤتمر سان فرنسيسكو وقد امتنعت عن التوقيع روسيا السوفياتية وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا .

الحرب في كوريا : المفاوضات في كوريا لا تزال بين مدّ وجزر تبدأ ثم تنقطع ثم تعود وكل هذا دون جدوى والمصادمات الحربية دائمة برّية وجويّة وهذه تشتد يوماً وتضعف يوماً فهل يريد المتفاوضون ارادة صادقة وضع حدّ لهذه الحرب ام ليست غايتهم من مفاوضاتهم الا المماطلة والمخادعة . وقد يكون عدم الثقة المتبادلة هو السبب الحقيقي لعدم الوصول الى الاتفاق النهائي .

الازمة البريطانية الايرانية : اشتدت الازمة بين الحكومتين رغماً عن وساطة الولايات المتحدة واصبحت الحالة خطرة صعبة فايران صامدة لا ترجع عن ادعاءاتها بل تتمسك وتبالغ فيها الى حدّ انها اصبحت مما يمتنع على انكلترا القبول به بتاتاً . اما اذا اضطرت الى استعمال القوة وانزال القوات العسكرية للمدافعة عن حقوقها فالخطر على السلم عظيم .

فرنسا : في ٢٣ تموز في جزيرة يو حيث كان سجيناً منذ سنة ١٩٤٥ ، توفي المارشال بيتان وله من العمر خمس وتسعون سنة . الى التاريخ وحده يرجع الحكم العادل في هذا الرجل الذي وقّره مشايعوه وابغضه خصومه الى ما لا حدّ له وقد اجملت حياته في الحربين الاخيرين أثقال مسؤوليات رهيبة .

في كتاب لكرادلة فرنسا غداة وفاته نقرأ ما يأتي :

« اننا نرى امام ضريح هذا الشيخ وقد لحق به من المجد والمذلّة ما لحق ، انه لا يليق التلفظ الّا بكلمات سلام » . ورأي مجلة الابحاث (١) الفرنسية ان الحكام لم ينصفوا بيتان في دعواه فانها تقول :

« يلزم ان نجاهر جدا وهو ان الدعوى وقد تجاوزت حدود استناداتها في قضائها بالخيانة المريعة ثم الحجز الشديد الذي فُرض على شيخ مسنّ جليل ليسا مما يشرّف وطننا . »

(١) « Etudes ».

مطبوعات شرقية

الاب شربل مخلوف ــ بقاع كفرا

احد آباء الرهبانية البلدية اللبنانية المارونية ، ناسك محبسة دير عنايا من اعمال (بلاد جبيل)

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونيه ، لبنان ، سنة ١٩٥٠

ما شرعت بهذا الايضاح الا ورائدي الاحترام والعطف فلولا الكتاب المشار اليه الحاوي معلومات شتى تتعلق بالاب شربل وكلها ذات فائدة ، قد لا يستغنى عنها لكانت ذهبت هذه المعلومات الى الابد وتركت المؤرخ وقد أُسقط في يده .

واذا كان ثمة داع للاسف بمناسبة صدور هذا الكتاب فالاسف الوحيد هو انه لم يصدر من قبل . ويعود الفضل في حفظ كل العناصر الضرورية وضبطها وبسطها وجمعها بصورة لائقة مناسبة الى حضرة المؤلف لانها ضرورية لقضية لها الحظ بالنجاح (وذلك بعد رأي السلطات العليا المفضل فيها وهو المعول عليها في قول كلمة الفصل من دون ان نسبقها) فانّ عمله يفرض بعد نظر ومجهودات سخية سيشكره عليها يوماً ، كما ارجو ، جميع محبي الاب شربل والكنيسة كلها جمعاء .

وحسب القارئ ان يتتبع الاحداث الاخيرة ليعلم ان قضية الاب شربل ليست من القضايا التي تطوى في عالم النسيان بعد انقضاء فترة الحماس الاول . ومن المؤكد ان المؤرخ الحذر بداعي المهنة يدرك مدى الاعجاب العظيم بالراهب الذي مارس فضائل الابطال بالدرجة التي بلغتها عند الاب شربل ويبقى ذلك صحيحاً كيفما تقلبت الاحوال . ويشتمل الكتاب على ١٨٥ صفحة مرقومة ما عدا الصفحات الثلاث الاخيرة التي ما برحنا نجهل سبب عدم ترقيمها .

ولقد شرع المؤلف بعد تنبيه الاول الضروري الى ان مقصده هو ان لا يستبق، كيفما كان الامر، حكم الكنيسة الاخير . وشرع بعد مقدمته بعرض

القضية ملماً بايجاز الى تاريخ الدير وعجبته ومن ثم يتبعه من الصفحة (١٠ — ٢٩) بتاريخ موجز لحياة الاب شربل يبدو لنا شديد الاقتضاب ما لم تكن نية المؤلف ان يدع الشهود انفسهم يقصّون حقيقة حياة المؤرخ له .

ويتبادر الى الذهن ان المجال كان فسيحاً امامه وامام الشهود وذلك لو استغنى عن افراغ بعض التفاصيل في قوالب بيانية — وعلى كل ، فالامر ليس بذي شأن — .

والصفحات المرقومة من (٢٩ — ٩١) ، وكلها قيّمة يظهر فيها جميع الاشخاص المنتسبين الى اعضاء أسرة الاب شربل في حياته (لا ننسَ انه توفي سنة ١٨٩٨) وجميع الرهبان والاباء والكهنة والعلمانيين ومن جملة هؤلاء من كان من سواد الناس ولكنهم عرفوه شخصياً او سمعوا من يتحدث عنه ممن اسعدهم الحظ ان عاشوا معه بعض الوقت او انهم اتصلت بهم اقوال المحظوظين بطريقة اكيدة .

والكتاب في الوقت نفسه غزير المادة كثير الدقة جزل العبارة متين . نعم انه متين لان الشهادات المستقلة احداها عن الاخرى تتفق جميعها في جوهرها ولان اللهجة الريفية التي تقع عليها عند منعطف كل عبارة تزيد انتفاء المدخول والتنميق ولان اصحابها ، باستثناء واحد او اثنين منهم ، وكلهم جبليون رصينون ، لا يستطيعون استخدام العبارات البيانية الجوفاء ، ولان بعضهم قال بعذوبة البساطة كل ما يعرفه وما رآه وما سمعه من دون زيادة او نقصان .

ولقد ترك حضرة الاب شبلي شهوده يتكلمون او (يكتبون) ويسجل اقوالهم كما هي من دون ان يصلح فيها شيئاً كما طلب اليهم تدوين عبارة ايمانهم وتوقيعاتهم حسب المعتاد .

ومما يفضي الى تأييد المؤرخ باقتناعه بانه لمس الحقيقة : التباين الظاهر والغرابة وحتى المجون في بعض التفاصيل .

واذا لم نشأ تعداد التفاصيل الصغيرة لكي لا تضعف رغبة القارئ والباحث في الاستزادة من القراءة ، ولكي نحفظ لكتاب الاب شبلي روعة كنز ثمين يستحق ان نزوره بانفسنا فلاننا نعترف له بان اقاصيص كاقاصيص (عيد شليطا نكد) حفيد ابن شقيقة الاب شربل (ص. ٨٨ وما يلي) هي ذات قيمة لا

تقدر ولا سيما اذا ما فكرنا في انه لولا حضرته لكانت جميع هذه الامور عرضة للضياع .

وذكر المؤلف من الصفحة (١٩١—١٩٤) اربع وثلاثين «اعجوبة» (وانا لم اضع كلمة اعجوبة بين معترضتين هنا الا اعراباً عن طاعتي لفحص السلطات فيما بعد) .

ومن بين هذه الاعاجيب العظيمة الفائدة التي جرت مع المرضى المنسوبة الى شفاعة الاب شربل ولا سيما منذ موته، بعضها قديم وبعضها حديث العهد تدعمها شهادة بيد صاحبها .

وعلى الجملة فالاعاجيب مختارة اختياراً حسناً في هذا الجزء من الكتاب الكثير الفوائد والعظيم الاهمية والمتين طبعاً .

ولقد خصص الجزء الاخير بايراد بعض الوثائق والقصص والوصف وفهرست المواد .

ولو سمح لي بان ابدي، بهذا الشأن، تحفظين :

ان حضرة الاب شبلي ترك الشهود يتكلمون — وحسناً فعل — وسجل اقوالهم بكل امانة وذلك ما هو احسن . اجل انه من المفيد ان لا نشوّش الشهود في اثناء ادائهم شهاداتهم، فان تشويشهم لذو خطرٍ شديد قد تفضي نتائجه الى تضليل ذكرياتهم او تضييق مجال القول عليهم واذا ما ترك لهم الحبل على الغارب ظهرت ميولهم وما ينزعون اليه وهذا ما نود ان تحويه الشهادة فلا تفقد بيان الحقيقة . واذا كانت الشهادة كما يجب ان تكون فلماذا لا نطرح الاسئلة على صاحبها ونطلب اليه زيادة الايضاح وتقديم الادلة ؟ فهناك تفاصيل لا تأتي من نفسها . اما اذا وقف المحقق وألحّ في الاستنطاق فتتدفق بكل سهولة من اعماق الشعور المستغلق حيث كانت تغط في سباتها .

ويظهر ان حضرة الاب شبلي لم يطلب في اي فصل كان من كتابه هذه الايضاحات الا كالية وذلك في نظري له مضارّه الجسيمة اذ ربما افاد التاريخ بتدقيقه وجعل قضية الاب شربل رائجة اذ ما من شيء يستحق الاهمال في هذا الباب .

وان ثمت اموراً مهمة يبدو لي ان ضرراً لا علاج له قد نزل بها من جراء هذا النقص كقضية الانوار المرئية مثلاً فوق ضريح الاب شربل الاول ، هذه الانوار التي حملت اخوانه القدماء المقتنعين الآن كل الاقتناع بان الله اراد ان يكرّم خادمه البطل حملتهم على ان يشيدوا زفاته الغالي تبرّاً اعتنوا به اكثر من ذي قبل .

ان المؤرخ يرى في هذه الشهادات المتعلقة بالانوار كثيراً من الغموض ولا يجرأ على اعطاء رأيه .

ولربما قدّر للاعاجيب التي جرت في حياة الاب شربل التوفيق وذلك عن طريق استدراج الشهود في استنطاقهم استدراجاً يجبرهم على التصريح بكل ما يستطاع الفوز به من حقائق .

وربما لما يفت الوقت لسدّ هذا الخلل ولو جزئياً . واننا نشجع من كل قلبنا حضرة الاب شبلي على ان يستأنف عمله ويصدر مؤلفاً ثانياً يشتمل على كل الايضاحات ، لان الشهادة المؤداة عفواً والتي أدرجت خطياً كما يجب ، واستدراج الشهود الى التصريح بكل ما يعرفون لا خطر منها البتة .

ومما يحملني على الاعراب صراحة عن أسفي هو كون حضرة الاب شبلي جعل مكاناً مرموقاً في كتابه لصورة الاب شربل المزعومة التي ظهرت على عدسة المصور في ٨ ايار سنة ١٩٥٠ ونقلها في صدر كتابه وفي آخره .

ويبدو لي ان هذا التكريم سابق لأوانه وانه وربما كانت له مضارّه .

كلا ثم كلا ، انني لا اتحيز باختياري صراحة هذه الاعجوبة وانما كما يبدو لنا العمل نفسه (واريد بذلك جميع ملابسات ظروفه) فانه مثير لاعتراضات خطيرة لان ابسط المؤامين بالصور اذا ما وقعت انظارهم على هذه الصورة اعتراهم الانزعاج .

وعلى كل ان الذي لا ريب فيه هو ان الصورة ستخضع عاجلاً او آجلاً لتظهير فني رصين وان التحقيق سيتوسع فيه كل التوسع .

وكان من رأينا انه من الافضل انتظار نتيجة هذين العملين كليهما .

امّا الكتاب فمتقن الطبع اتقاناً يعود شرفه الى مطبعة المرسلين اللبنانيين . فهو واضح القراءة كل الوضوح والعناية به عظيمة واغلاط الطباعة تكاد تكون

مفقودة بيد انني لم ارتح الى الصور، التي فيه، ارتياحي الى طباعته وذلك فضلًا عن ان الكتاب خالٍ من الصور التي ربا كانت اشد فائدة لنا كصورة داخل دير عنايا والمحبسة . وثمت صور اخرى في هذا المؤلف قليلة الوضوح .

وعملًا بفكرة التروي والانتظار العلمي كليهما قد كان من الافضل ان نعوّض بالصور التي اهمل مع الاسف نشرها واشرنا اليها سابقاً عن صور السلطات التي ربا كانت موافقتهـا على قضية الاب شربل العامة قريبة وهي لمّا تتخذ شكلًا رسمياً حاسماً وانما يبدو اننا نحاول بعض المحاولة انتزاع موافقتهم هذه .

ج. اندره اليسوعي

النجوى

للخوري يوسف الحداد – مباحث في الوطن نظرية - اخلاقية

مطبعة الاتحاد ١٩٥١ ، ٩٦ ص

انه الجزء الثاني من « النجوى » يُطبع بعد وفاة الحداد بسنتين . انها لتأملات امام الطبيعة وامام الله ، يتخيل صاحبها شخصاً آخر يخاطبه بحنان الام ووداعتها ويلقنه اسرار الجمال المكتوب في الخلائق . فتارةً هي نبرة وادعة ، نبرة الام تعلم ابنها كيف السير على طريق الحقيقة القويم ، وطورًا هي نبرات الاستاذ يصلح بقساوة المحبة ما اعوج من تفكير تلميذه . واحياناً هي كلمات فيلسوف نبي دخل حتى اعمق اختبارات الانسان ، يجادل ويقنع بالبرهان عقل الناشىء الفتي .

« النجوى » تجاوب على حاجة ملحة فينا وتعيد الى اللبناني ذكرى رسالته الاولى . رسالة حبه للأرض ، تلك الثروة الكبرى التي بدأنا بإهمالها . ومن الارض ايضاً جمال وغنى روحاني بوسعنا ان نسترجعها اذا ما رجعنا الى العلاقة القديمة معها .

الحداد معلّم ماهر يحبّ وطنه ويريد ان يدل ابنـاء وطنه على الدرب السويـة . ليت الحكام والمحكومين ، ليت الصحفيين والفلاحين ، ليت المتكاسلين والدجالين يقرأون « النجوى » ليعلموا اية رسالة على كل واحد منهم

ان يقوم بها ليخدم بلاده . « انا وانت وهو » ، هذا هو الاقنوم المثلث المتبادل المحبة والفهم ، الذي ينهض بالوطن .

من اراد ان يفهم « النجوى » عليه ان يجلس لا في غرفة موصدة الكوى ، في جو المدينة ، بين ضجيج الباعة المتكالبين وعواء السيارات ، بل ان يجلس في الحقل ويقرأ عالياً ليتزج صوته بحفيف الغصون وسجع الطيور ، وعليه ان يتأمل اكثر مما يقرأ ، فكل كلمة من « النجوى » هي عصارة ساعات من التأملات .

وعلى القارىء ان يتمثل صورة الله محفورة امامه في الكتاب ومؤلف الكتاب وفي الطبيعة ، فعساه يهتدي الى الله في نفسه ، ويكون الحداد اتم رسالته وغنى كلمته . فالحداد ، قبل ان يكون كاتباً ، هو رسول الله ولبنان .

ميشال حايك

MAXIME CHRÉTIEN : *Histoire de l'Egypte moderne.* — Collection « Que sais-je ? » Presses Universitaires de France. 1951. — 128 pp.

انه لحقيقة تاريخ مصر الجديدة يبتدىء سنة ١٨٠١ حتى سنة ١٩٥٠ .

بعد ان يتكلم المؤلف في التمهيد عن مصر القديمة ومكافحتها في سبيل الاستقلال ويستعرض بلمحة عاجلة الفتح اليوناني والروماني والعربي والتركي، ينتقل بنا الى صلب موضوعه : مصر الحديثة .

يقسم الكتاب الى ثلاثة اقسام : اولاً مصر في يد الاتراك (١٨٠١ — ١٨٨٢) تطل منه رسوم محمد علي باشا وعباس وسعيد والخديوي اسماعيل وتوفيق وما كانت سياستهم تجاه السلطان وتجاه البلدان الاخرى .

في القسم الثاني يتكلم المؤلف عن العهد الانكليزي في مصر وقد امتد من سنة ١٨٨٢ الى ١٩٢٢ : كانت مصر في الظاهر مستقلة ، اما بالفعل فخاضعة للنفوذ الانكليزي الى ان انتقلت بعد الحرب الكونية الاولى الى حماية انكليزية بحتة لم ترض عنها ابداً .

وفي القسم الثالث : مصر بين يدي المصريين الذين توصلوا الى التحرر السياسي فولدت الملكية مع فؤاد الاول ، ثم فاروق الاول الذي عقد معاهدة اتحاد مع المحتلين القدماء . ثم تعلن الحرب الكبرى الثانية فتقف مصر على

حذر لا تطيع الحلفاء بشهر الحرب على دول المحور . اما بعد الحرب فقد صارت مصر عضواً في الجامعة العربية وفي هيئة الامم المتحدة .

امـا الفصل الاخير فيخصصه الكاتب بالمشكلة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في مصر فيكاد يقول كل شيء عنها ببعض صفحات .

يعترف المؤلف ذاته بان في كتابه نقصاً وثغرات واسعة . لقد صدق ولكن فيه من الحسنات الشيء الكثير مما يعطي فكرة كاملة شاملة عن مصر الحديثة ويشرح اهم مشاكلها وكيف توصلت بعد العراك الطويل الى التحرر نوعاً . ولكنه يحذرها من الغيرة المبالغة على الاستقلال حتى الانغلاق ! فهذا مـا يهددها .

ميشال حايك

ATULANANDA CHAKRABARTI, *Not by politics alone*, in-8°, 160 pp. Thacker, Spink & Co. (1933) Ld., 3, Esplanade East, Calcutta, 1944.

مما يشرح لنا الصدر هو ان نسمع اصواتاً تتعالى في الشرق لتنضم الى صوت الغرب في سبيل الدفاع عن قضية وحدة الانسانية ولاسيما في مثل الساعة الراهنة التي تصخب فيها ضوضاء الحرب .

لقد صدر هذا الكتاب الصغير سنة ١٩٤٤ ولم يفقد شيئاً من جدّتـه بل على العكس من ذلك عقب ان اوجدت الحوادث السياسية – في الهند ايضاً – بؤر الفتن .

والكتاب يشتمل على فصول عشرة تتناول الافكار الانسانية والثقافيـة والجماعية . وهناك فصل طويل يصف مبدأ الانسانية وتطوّر الهند الى جانب تاريخ الفتوحات حيالها .

ولا بدّ ان يستشعر المطالع بعد تقليبه صفحاته الطافحة بالاخلاص والنظر الصائب بدافع بشدّة الى الاستزادة من قراءته لان المؤلف اعرب عن افكاره اعراب المقتنع بها وبدون اي ميل وانحياز وبلغة تحاكي المقطوعات الشعرية .

ولئن تمنينا على الله شيئاً فاننا لنرجو ان تلاقي افكاره التي رائدهـا نشر المبادئ الانسانية والمحبة الانجيلية رواجاً واسعاً في كل ارجاء العالم .

ا . لاتور اليسوعي

C. E. J. Whitting, Al Fakhri on the systems of government and the moslem dynasties, composed by Muhammad son of 'Ali son of Tabataba, known as the rapid talker, may God have mercy on him. Translated bey C. E. Whitting. Luzac & Company Ltd., London, 1947, in-8°, 326 pp.

لا نزال في افتقار الى تعريف كتاب ابن الطقطقى الشهير بعد ان طبع مرتين في اوربة ومرة في القاهرة وتُرجمت بعض اجزائه مرات عديدة وعقب ان ترجمه اميل امار (Emile Amar) بكامله (دار المحفوظات التاريخية المراكشية رقم ١٦ سنة ١٩١٠) .

والذي جعل للكتاب شهرته لم يكن طابع المؤلف الخاص بل طلاوة عبارته وفوائده الجليلة وبعده عن الاسهاب الممل حتى بات لا مندوحة عن اقتناء ترجمته الانكليزية بقلم السيد (Whitting) الذي صمّم على نقله الى الانكليزية بعد ان فقدت من الاسواق النسخة الفرنسية .

ولقد رأى السيد (Whitting) ان يستغني عن التقديم للكتاب مكتفياً بالتمهيد الذي وضعه ديرنبورغ (Derenbourg) وامار اللذان لم يتركا فيه زيادة لمستزيد . وبينا ان الترجمة الانكليزية قد توخت ان تحاكي نفسية الدهماء . ولذلك كان على المستشرقين ان يعتمدوا الطبعة العربية او الترجمة الفرنسية كانت الهوامش فيها مقصورة على الضروري منها فقط .

واكتفى المترجم بان يؤرخ للمؤلف موطناً وبالاشارة الى المنهج الذي انتهجه في ترجمته .

ا . لاتور اليسوعي

الشروح الجلية للمبادئ الفلسفية : المجلد الثاني والثالث

تأليف الاب طوبيا عون

مطابع سميا – بيروت ٥٧٦ ص و ٤٧٢

لقد ظهر الجزءان الثاني والثالث من « الشروح الجلية للمبادئ الفلسفية » اصدرها الاب طوبيا عون الداموري في حلة انيقة تليق بالموضوع الذي يبحث فيه . يقسم الجزء الثاني الى قسمين : اولاً علم النفس البشرية . يتكلم المؤلف

في هذا القسم عن قوى الانسان الحسية والنشوئية والعقلية وعن ماهيـة النفس واتحادها بالجسد ووحدتها ومركزها . والقسم الثاني يبحث في اللاهوت الطبيعي فيثبت حقيقة وجود الله حسب الادلة الفلسفية المتوارثة ويتكلم بعد هذا عن ماهية الله وكمالاته المطلقة والاضافية .

اما الجزء الثالث فموضوعه الفلسفة الادبية من حيث هي عامـة وخاصة . فالاولى تبحث عن المبادئ العامة والعلل الشاملة للافعال البشرية . والثانيـة غايتها تطبيق تلك المبادئ على احوال الانسان المختلفة وعلاقاتـه الفردية والاجتماعيـة . فمن حيث ان الانسان هو شخص فردي وشخص اجتماعي ، له حقوق وعليه واجبات نحو ربه ونحو ذاته ونحو المجتمع الذي يعيش فيه .

لا يسعنا الّا الثناء على همة المؤلف والجهود الكبيرة التي بذلها في تذليـل اللغة العربية واخضاع تعابيرها للفلسفة التي سبقت اليوم لغتنا بعـد ان كانت لغتنا هي السابقة قبلًا في هذا المضمار .

اغلب الاحيان يبني المؤلف براهينه وادلتـه على براهين وادلة ارسطو والقديس توما الفيلسوفين المتكاملين اللذين دُعيـا ، الاول « الفيلسوف » على الاطلاق ، والثـاني « المعلم الملائكي » . فكتاب الاب عون يسير حسب الفلسفة المشائية ولا يحيد عنها قيد شعرة بل يعبّر عنها بصدق وامانة . على اننا كنا نودّ لو وسّع موضوع بحوثه فعبّر عن الجاري الفلسفية الحديثة كالماركسية والوجودية وغيرها وعن علاقات هذه بتلك . ولكن هـذا يستغرق جهودًا جبارة ومجلدات ضخمة . فكفى الاب عون ان يكون اعطى هذه الكتب الثلاثة المدرسية ليستطيع كل المشتغلين بالفلسفة ان يعودوا اليها فلا تخون طلبهم بل يرجعون غانمين .

ا.ع.خ

فهارس المشرق

للسنة الخامسة والاربعين

١٩٥١

فهرس اول

لمواد اعداد السنة الخامسة والاربعين من مجلة المشرق ١٩٥١

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الخامسة والاربعين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

٢ — مطبوعات اوروبية

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الخامسة والاربعين للمشرق

على طريقة حروف المعجم

اصلاح بعض اغلاط وقعت في المشرق

ص	سطر	خطأ	صواب
٢٩٦	١٠	انما	انه
٢٩٧	١٣	المنفجر	المتفجر
٢٩٨	٧	او جار	اوجار
٣٠٠	١٦	m'accomplis	n'accomplis
٣٠٣	١١	زهوًا	زهرًا
٣٠٥	٢١	البواهر	الجواهر
٣٣٧	١٨	ابحاث	ابحاثًا
٣٦٧	١٢	اذًا	اذا
٣٧٣	١٨	البون	البدن
٤٨٠	٢٨	حبر	حبرًا
٤٨٣	١	النفس	النفس
٤٩٥	٢٦	رب	رب

OCTOBRE-DÉCEMBRE

JUILLET-SEPTEMBRE

TABLE DES SOMMAIRES

XLV^e ANNÉE, 1951

JANVIER-MARS

AVRIL-JUIN

JUILLET-SEPTEMBRE

TABLE DES SOMMAIRES

XLV^e ANNÉE, 1951

JANVIER-MARS

AVRIL-JUIN

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE TRIMESTRIELLE

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Quarante-cinquième année
1951

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1951

المشرق

السنة السادسة والاربعون

ج ٢ - شباط ١٩٥٢

تمهيد

لقد كانت السنة الماضية موضوع نشاط مثمر لمجلتنا لاقى لدى الجميع استحساناً جنينا منه التهاني الحارة . ونحن نجاوب على هذا بنشاط جديد فنطلع « بالمشرق » مرة كل شهرين وهكذا نكون اكثر اتصالاً بقرّائنا .

نريد من هذا ان نفتح المجال اوسع ليس فقط لدى علمائنا الشرقيين ورجالاتنا المثقفين ، بل لدى عدد اوفر من العلماء الاوروبيين الذين سيجدون عندنا المقالات والبحوث القيمة وسنوفر لهم مكاناً ينشرون فيه دراساتهم بلغتهم الاصلية ، عندما تقضي الحاجة .

ان مؤتمر المستشرقين الاخير الذي انعقد في اسطنبول اظهر لنا تقدير البحاثين في امور الشرق لمجلة « المشرق » وللخدمات التي تؤديها لهم . وفي هذه المناسبة نرفع شكرنا واحترامنا لكل الذين اشرفوا على ادارة هذه المجلة منذ تأسيسها ونعرب لهم عن تقديرنا لجهادهم المستمر المخلص . وما علينا الا ان نتابع نهج الخطة الموروثة .

٭

ان المبادئ التي لفتنا اليها نظر القراء في السنة الماضية نجد اليوم عندنا تطبيقاً عملياً .

فالمشاكل المتنوعة والمعضلات التي يتخبط فيها الشخص البشري تتطلب حلّا ملائماً على ضوء هذه المبادئ التي ذكرنا . فهذا ما يدعو اليه الوجدان ويفرضه شيء من التنبه الانساني لحاجات الآخرين .

لن نكون منطقيين الى درجة تجعلنا لا نتأثر الّا بالاحصاءات وحدها . فان هنالك حقائق تفرض ذاتها فرضاً وعوض ان نداويها بشيء زهيد من الرفق والاحسان يسكن الضير الى وقت ، علينا ان نجد الدواء اللازم في العدالة وفي شرائعها : عدالة في تبادل العلاقات بين الناس ، عدالة في توزيع الخيرات التي ليست سوى ودائع اؤتمنا عليها لنساهم في تقدم المجتمع الانساني ورقيه ، عدالة في إشراك العامل او تمثل العامل بادارة العمل ، عدالة في السهر على راحة العامل المادية والروحية معاً ، في السهر على الفقير وعائلته المعوزة ، في السهر على تهذيب اولاد العائلات البائسة ، عدالة تعطي الانسان المحروم من خيور الارض ، تعطيه معنى لانسانيته ورغبةً في ان يعيش محافظاً على مكانته .

مشكلة العامل عندنا هي مشكلة الفقر المدقع مع نتائجه . وانها لسذاجة ان نحصرها في هذا فقط . ولكنه الواقع يجعل حالة العامل عرضة للانهيار . فهذا العامل الزهيد الاجرة ، الذي عليه ان يجابه حياةً صعبةً واسعاراً متصاعدة

كل يوم ، والذي ، في لبنان ، يجب ان يعيش في مجبوحة ، تعوزه مع عائلته الطمأنينة المادية والادبية .

وما علينا الا ان نلقي نظرة واعية على ضواحي بيروت لنرى الفقر المسيطر بين ارجائها . ومع ذلك فلا يحق لنا ان نمنع الاهل عن التناسل ، في مصلحة الامة . ومع ذلك فهؤلاء الاولاد ذوو الاطمار البالية لهم حق بالحياة . وليس على ثغر الحياة ابتسامة وعدٍ لهم . لقد فتحت الحكومة مدارس مجانية لتسهل على الاولاد من كل الطبقات اقتباس شيء من المعرفة ولكي تكافح الامية والجهل . ولكن بقي على رب العمل ان ينظر نظرة جديدة ، ليس فقط نظرة كافية ، الى الظروف الصعبة لا بل الموجعة . فهناك اولاد يشتغلون اثنتي عشرة ساعة في اليوم . فماذا يُرجى من اولاد كهؤلاء عندما يشبون ؟ فانهم يكونون قد فقدوا معنى الكرامة البشرية ومعنى كرامة العمل ذاته .

فاذا لم يكن العمل سوى ضريبة لا سبيل الى الحياة بدونها ، خلق عند العمال حتى وعند الاولاد هذه العقلية الثورية التي ستصبح عاجلاً او آجلاً شوكة يتألم منها الجميع .

واذا امعنا البصيرة في الاجرة التي تعطى لهؤلاء الاولاد نجدها اقل من زهيدة . وبصعوبة كلية تستطيع احياناً ان تكفي حاجات الاسبوع او تكفي الطبيب الذي تستدعيه ام مريضة او والد عاجز . فالوالد اذاً يرسل الى العمل اولاده وهم بعد اطفال ليقدر ان يسد الحاجات العديدة التي تتطلبها عائلته الكبيرة العدد . أليس في هذا شذوذ ؟ فان العامل ايضاً له الحق المقدس ان يعيش في جو من الفرح والهدوء الداخلي ، وان ينمو في موطن طمأنينة وراحة ليستطيع ان ينظر الى الحياة بغير عين الجريح الثائر على الحياة .

نحن لا نزعم ان تحويل المجتمع الى طبقة واحدة امر مستطاع . فهذا مستحيل

وهذه ليست فكرتنا بل هو وهم الشيوعيين الباطل . فهذا التساوي الذي يرمون اليه معناه وضع الطبقة المسودة على ذات القدم مع الطبقة السائدة وبالوقت ذاته جعلها سائدة بدورها وهكذا نعود الى المشكلة عينها ، مشكلة العراك بين الطبقات . واظن ان هذا العراك لن يستمضي الى هذا الحد الظاهر اذا تفهمت الطبقة المثرية واجباتها الاجتماعية وادركت معنى الملكية ومعنى الثروة . لا اقصد من وراء هذا ان على الغني ان يتصدق على الفقير . فهذا الحلّ إن هو الّا حلّ عابر لا يدوم . بل اعني ان الغني يتوجب عليه ، من حيث غناه ومن حيث الثروة التي بين يديه ومن حيث الواجب المقدس والوجدان ، يتوجب عليه ألّا يستعمل ثروته كما يشاء ، بل ان يشرك فيها الجماعة البشرية حيث يعيش . فعليه ، لانه غني ، ان يساهم في إغناء مجتمعه . وعلى الغني ، ان يدرك هذا بالتفاهم مع الفقراء الذين هم عندنا العدد الاوفر قبل ان يجعل الفقر والادقاع حاجزًا بين الطبقتين ، حاجز حقد وبغضاء لا تمحى اثارهما .

٭

يجب ان يكون العمل واسطة لجعل الانسان انساناً حقاً . وكثيرًا ما يكون العمل ، كما ذكرنا ، واسطة لفقدان الانسانية من الانسان ومع ذلك فبالعمل يستطيع الانسان ان يبرهن عن قدرته وقوته الخلاقة مساهماً مع الخالق الاوحد في تجميل وتحسين الخليقة التي أُقيم عليها سلطاناً . وانه مستحيل ، مهما صنعنا ، ان نعطي العمل نبعه الانساني اذا لم يجد الانسان في العمل استكفاء وقبولًا . ولن يجدهما طالما يثقل العمل الباهظ على مناكبه وطالما لا يأتيه بلذة ومحبة وشوق . لا اقول بنزع كل صرامة وشدة عن العمل . فان سنة الحياة تقضي بذلك على كل عامل في اي عمل كان . ولكن العمل الذي لا يدع للانسان فرصة يتأمل فيها بذاته ، العمل الذي يستعبد الانسان هو هذا الذي

انتقده لانه يوجد عندنا في لبنان . فالعمل الذي لا يرفع الانسان ولا يعطيه الوقت والقوة ليحوّل المادة ويُخضعها ، العمل الذي يغرّق الانسان ويذوّبه ويمنع عنه التذوّق بجمال قوته الخلاقة التي يُظهرها مرارًا عديدة في النهار ، هو هذا الذي انتقده . فالعمل الذي ينزع عن العامل كل معنى للمسؤولية ويفقده كل لذة بجمال ما يعمل ، هو هذا الذي انتقده ، وهو هذا الذي نجده احياناً في لبنان .

فالعمل الذي لا يؤمّن وبالوقت ذاته لا يؤمن للعامل قوت غده ، العمل المتحرر من كل رابطة ، الذي يسمح لنفسه ان يطرد العامل قبل ان يحق له التعويض ، هو هذا الذي انتقده . فهذا العمل يجعل الانسان في قلق مستمر على غده . أمن العدل ان يعيش الانسان في هذه الخشية المتواصلة والخوف الدائم من شبح البطالة التي تهدد ايامه ؟ فكيف يتهرب القانون والشريعة عندنا من الاجابة على هذا السؤال ، ان مصير العامل المسكين في هذا الجواب .

وهذا ما يقوله البابا بيوس الحادي عشر في براءته المشهورة Quadragesimo anno : « خلافاً لاهداف العناية الالهية ، يميل العمل الذي إنما أعد ، حتى بعد الخطيئة الاصلية ، للسمو بالانسان ادبياً ومادياً ، لقد اصبح هذا العمل يميل ، في ظروفنا ، الى ان يصير واسطة للحط بالانسان . فالمادة العجماء تخرج من المصنع مشرّفة سامية ولكن بعد ان تكون حطّت بالانسان وافسدته » .

وعلى هذا الاعتبار اريد ان انهي تمهيدي هذا راجياً ان اكون لفتّ نظر رؤسائنا واصحاب مشاريعنا لفتةً كافية الى مشكلة لم يكونوا ليجهلونها ؛ انما هي تتطلب حلّا عاجلًا وعادلًا . ترى هل تحمل الينا هذه السنة الطالعة بشرى التحسينات في عالم العمل المتنوع ؟ ما علينا الا ان نأملها . فالعالم ، كما قالوا مرارًا ، يتمخض متألمًا من انقلابات جبارة عتيدة ، وسوف يلد عنصرًا جديدًا . فما عساه يكون هذا العرق الجديد ؟

ان هذا العنصر الفتيد سيكون عنصر الاخوة ، عنصر المدنية الجديدة حيث تتعاضد الايادي الاكثر ابتعادًا وتجاهلا ، حيث يتماشى الناس اجمعين اخوة اصدقاء . وسيكون الكل ، الحقير والمهمل والمرذول والغني ، يدًا واحدة في بناء هذه المدنية . وغدًا ستعرف كل كفٍّ أنها ، على حقارتها ، تبني عمارة الاخاء في كل نقرة ازميل على صلابة حجر .

وهذا الاخاء وحده سيكون حلًا لكل معضلاتنا الانسانية ومشاكلنا الاجتماعية . وعبثًا نحاول ان نجد حلًا غير هذا في غير هذا الاخاء .

الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

بعد القائم المقتدي ابنهُ

تولّى تسع عشرة سنة وخمسة اشهر . وفي السنة ٤٦٨ للعرب (١٠٧٥م) انتزعوا قلعة منبج الجديدة من الروم · وقد اقام الروم فيها ثاني سنوات لا يفتر العرب من محاصرتها حيناً فحيناً . وحدثت حرب شديدة عام ٤٦٩ للعرب (١٠٧٦ م) في سورية بين عساكر التركمان والمصريّين . وتبع الحرب غلاء ووباء ولا سيّما في دمشق اذ هلك سكّانها كلّهم تقريباً . وكان مجموعهم فيما سبق ثلاثمائة الف نسمة فأمسوا ثلاثة آلاف نسمة فقط . وكان فيها مائتان واربعون خبّازًا فلم يبقَ فيها سوى خبّازَين لا غير . وبيعت الدار التي كانت قيمتها ثلاثة آلاف دينار بدينار واحد ولم يكن من يشتري . ولمّا صار فيها رخص تفاقت الفيران على الاهالي بسبب موت الخنافس (٢٥٤) . وكان لامرأةٍ دمشقيّة داران اشترت الواحدة بثلاثمائة دينارٍ والثانية باربعمائة دينار. فباعت احداهما بسبعة دراهم فقط واشترت قطةً لتنجو من أذى الفيران ·

وفي السنة ٤٧٠ للعرب وهي السنة ١٣٨٩ لليونان (١٠٧٨ م) اصبح ميخائيل الملك عاجزًا عن سياسة الدولة لِما عرض له من داء الحصاة . فانزوى في البلاط وانصرف الى معالجة جسمه ولم يستطع ان يقابل احدًا . وشذّ عن طاعته نيقيفور البستانيّ وكان هذا فلّاحاً ترقّى رويدًا رويدًا حتى تولّى جزيرة قبرس فانطاكية . ثم عُزل وغدا في دقماء الفاقة . فاتفق مع اميرٍ يتحدّر من الأسرة السلجوقيّة اسمه قتليش ابن ينغو ارسلان بن سلجوق وكان قد فرّ من وجه السلطان الب ارسلان ولاذ ببلاد الروم وحاصرا معاً قسطنطينية اربعة

اشهر حتى شمل القحط اهاليها وبيع رغيفا الخبز بدينار والدجاجة بدينار وخمس عشرة بيضة بدينار . وتبع القحط وباء . وذكر رجل ممن يشيّعون الموتى الى مقبرة الكنيسة الكبرى ان تلك المقبرة ضاقت عن استيعابهم فجعلوا يلقون الجثث في البحر من باب يشرف عليه ويقبضون عن كل ميت فلساً واحداً . قال : قبضتُ في هذه الاشهر الاربعة مائة وستين الف فلس . قلنا : ان كميّة كهذه وافرة غير قابلة التصديق . وقد نقلنا ما نقلنا عمّن سبقنا . على ان البطريرك والاعيان لمّا رأوا ان الملك ميخائيل عاجز عن مقاتلة المحاصرين فتحوا ابواب العاصمة وسلّموها الى نيقيفور فدخلها وسار اليه الملك ميخائيل مترجّلاً حاملاً التاج الملكيّ بيده وقال له : خذ التاج واكفف عن محاربة الاهالي بالسيف . فلو طلبته مني لاعطيتكهُ دون نزاع . فأمره نيقيفور ان يقص شعره ويذهب . وانقطع عن اكل اللحم فتعافى وقضى حياته زاهداً .

وحنق نيقيفور على ابنَي الملك ميخائيل فانتزع خصيتيهما (٢٥٥) واقترن بامّهما . فاشمأزّه الاهالي جميعاً وغادرته النعمة وملكه الرعب فلزم البلاط ولم يخرج الى حرب البتة .

امّا السلطان ملكشاه فوجّه عبدهُ برسوق في جيشٍ ليبيدَ تتليش . ولمّا شارف قسطنطينية ارسل يطلبه من نيقيفور . فقال له نيقيفور : ان ديننا لا يسمح لنا ان نسلّم من استجار بنا ولئن مُتنا كلّنا . وبعد هذا تبارز تتليش وبرسوق وباد الكثيرون من الاتراك من كلتا الجهتين . ثم ارسل برسوق يقول لتتليش : الى مَ هذا النزاع بيني وبينك ؟ هلمَّ نتصارع معاً فالذي يغلب صاحبه يتولّى امر الجميع . فوافقه تتليش . واحتال برسوق فألبس أحد عبيده ثوبه وسلاحه واركبه حصانه الخاصّ وسيّره ليبطش بتتليش وظلَّ هو واقفاً مع عشرين فارساً كأنه يشرف على مسرح . فتطاعن الخصمان وحمل تتليش على العبد وجندله عن حصانه وانحدر ليقطف رأسه . فبادر برسوق ووثب اليه هو ومن معه وأجهزوا عليه . ولم يرَ ان يعود الى السلطان الّا بالقليلين من اصحابه خوف ان يبطش به بسبب غدره بتتليش . امّا سائر الجيوش فقد انضمّوا الى سليمان بن تتليش وغادروا بلاد الروم وزحفوا عام ٤٧٥ للعرب

(١٠٨٢ م) الى بعض المدن الساحلية كانطرطس وطرسوس وفتحوها واحتل سليمان بعد ذلك انطاكية .

وفي السنة ٤٧٦ للعرب (١٠٨٣ م) احتلّ شرف الدولة بن قريش مدينة حرّان وفتك بقراصي صاحبها . وفي ٢٣ ايلول تلك السنة انتزع فيلردس الارمنيّ مدينة الرها من الاتراك . وسنأتي بعد هذا على ذكره قريباً (٢٥٦).

امّا نيقيفور فقد اساء التصرّف في الرعيّة مدة سنتين حتى كاد يفضي بها الى الدمار . فعقد القائد الكسيس قمنينس سرّاً مع الاقطاب وانطلقوا الى مكان ملائم خارج العاصمة ونادوا به ملكاً . ثم عادوا الى المدينة مسرعين دون ان يعارضهم احد. ودخل الكسيس البلاط فغادره نيقيفور وعوقب حسب عمله وأُشبع شتماً وسبّاً .

وفي السنة ٤٧٧ للعرب (١٠٨٤ م) كان ابن مروان متولّياً من الموصل حتى سواحل الفرات واثقاً بالعساكر المعدّيين لا يخضع كما يجب للسلطان ملكشاه. فارسل السلطان الى الامير ارتق ليحشد جنود التركمان ويتأهب للقتال . فسمع ابن مروان وأرسل الى شرف الدولة بن قريش امير المعدّيين الكبير يستنجده. فاحتشدوا وشارفوا آمد واقبل ارتق كذلك . ولمّا رأى شرف الدولة كثرة التركمان أرسل يقول لارتق : اني انا وابن مروان عبدان للسلطان فعلامَ هذا النزاع ؟ ارجو اذًا ان تعودوا فأعود انا ايضاً ويتمّ الصلح بيننا . فوافق الامير ارتق لكن التركمان تذمّروا لانهم عائدون فارغين دون غنيمة يغتنمونها . وركبوا عند نصف الليل وحملوا على المعدّيين صباحاً وفتكوا بالكثيرين منهم وانهزم شرف الدولة مايوساً الى آمد ولاذ بابن مروان . وسار التركمان الى خيام المعدّيين واوثقوا النساء والفتيان واحتووا على ما فيها . ثم ربطوا اعناق الامراء المعدّيين ومضوا بهم نحو سور آمد وباعوا البعض بعشرة دنانير والبعض باقلّ من خمسة دنانير . وبيع الحصان العربي الجيد بخمسة دنانير والناقة بدينار والجحش بخمسة دراهم والخروف بنصف درهم . وحطّموا اكثر من عشرة آلاف رمح واحرقوها تحت القدور . ثم ثار نزاع ما بينهم (٣٥٧) فتركوا آمد وانصرفوا . وانطلق شرف الدولة الى الرقة .

وضعفت دولة الروم يومئذٍ اذ كان الاتراك يغزون بلادها في كلّ مكان. واجتمع زهاء خمسين رجلًا من رجال الحرب الأرمن واصطلحوا على دخول البلاد وسلبها . ولمّا وصلوا الى مرعش صادفهم فتًى ارمنيّ اسمه فيلردس اطّلعوا على دهائه وبطشه وشجاعته في الغزو والقتل فولّوه هدايتهم واقاموه زعيماً عليهم . وما عتم ان استفحل امرهم ونشوا يسلبون امكنة حصينة ببلاد قيليقية . فسمع ملك الروم وارسل الخلع الى فيلردس فانطلق الى قسطنطينية ورحّب به اليونان وجادوا عليه بالذهب والسلاح ورقّوه الى رتبة سبسطس . فخرج واحتلّ قيليقية وانطاكية ثم احتلّ كذلك مرعش والكيسوم ورعبان والرها وجيحان وملطية.وانضمّ الى اصحابه الارمن رجالٌ من العجم والاتراك. واسترسل في الظلم والعتوّ حتى قبض على زعماء انطاكية واغتصبهم اموالهم ووزّعها على عساكره . فأبغضه الانطاكيون بغضاً شديداً وولّوا عليهم حاكمًا فارسيًا يقال له اسمعيل فغادرها فيلردس وانصرف .

وسمع سليمان بن قتلمش الذي قُتل ابوه في العاصمة كما ذكرنا أن فيلردس انتزح عن انطاكية فجهّز السفن وزحف من انطرطس وطرسوس الى انطاكية من جهة الجبل واحتلّها بمساعدة حاكمها اسمعيل المذكور . وفتح كنيسة القسيان الكبرى واحتوى على امتعتها وآنيتها الذهبيّة والفضيّة وعلى ما اهداه اليها الانطاكيون من التحف الوافرة وحوّلها الى مسجد . ونادى بالأمان في المدينة وحرّم على الاتراك الضرب بالسيف ودخول ايّ بيت من بيوت المسيحيين ومصاهرة بناتهم على الاطلاق . وفرض عليهم ان يبيعوا كلّ ما غنموه من الانطاكيين في (٢٥٨) انطاكية عينها وبثمنٍ بخسٍ . وهكذا طيّب قلوب الاهالي وولّى الحاكم حراسة القلعة . فاستراح الانطاكيّون وتمتعوا بالطمأنينة اكثر من ايام فيلردس النصرانيّ بالاسم .

وزحف سليمان كذلك الى بلاد الروم واحتلّ نيقية ونيقومدية وقونية واقام بها ابنه قلج ارسلان وعاد الى انطاكية . اما سبسطية وقيسارية والبنطس فقد تولّاها في تشرين الثاني ٤٧٧ للعرب و١٣٩٦ لليونان.(١٠٨٥ م) الامير اسمعيل بن دنشمند وسُمّيَ ذلك المكان باسمه حتى يومنا .

وفي السنة المذكورة انتزع شرف الدولة من الارمن سميساط وسبى خال ابن قتلميش التركيّ بلد ملطية .

وفي السنة ٤٧٨ للعرب (١٠٨٦ م) حشد سيف الدولة الجنود المدّيين وسار الى انطاكية فبارزه سليمان بن قتلميش وأجهز على اصحابه وفتك به .

امّا الامير ارتق الذي ذكرنا انتصاره على المدّيين في آمد فلمّا أحسّ انقلاب السلطان ملكشاه عليه ارتحل في جيشه الى سورية . ولمّا وصل الى الموصل وجّه اليه السلطان شخصين من زعمائه في ثياب ملكيّة وحصانٍ وفرمان بخمسة آلاف دينار ليستميله اليه . لكنه أبى وقال : ان في خدمة السلطان خصماً لي لا يدعه ان يُخلص لي المودّة . وهٰذا قاصدٌ سليمان بن قتلميش كي أنهيه عن التعرّض لبلاد السلطان . فوافقه الزعيمان وعادا راجعَين .

وفي هذه السنة استفحل الوباء في العجم وفي سنجار وسورية . واقفرت من السكّان قرى كثيرة . وكان اذا وقف الشخص هنيهة اخذته القشعريرة فسقط ميتاً . ولم يمهل الداء فتكه بكائن من كان اكثر من ستة أيّام (٢٥٩) . وأخبر احد الخيّالة الاتراك قال : مررتُ بباب بيت في قرية موحول بجانب بغداد فأبصرتُ فتاةً تبكي وتقول : من ينقذني من الموت ويأخذني ؟ فقد دخل الوباء بيتنا وأتلف ابي وامّي واخوتي واخواتي . فدخلتُ واحصيتُ هناك تسعة موتى وخفتُ وخرجت . ثم تعطفتُ على تلك الفتاة وعدتُ لأنقذها فلمحتُها ساقطةً على حضن امّها ميتةً .

وفي ٢٧ ايلول ١٣٩٦ لليونان (١٠٨٥ م) عصفت ريحٌ سوداء في بغداد واكفهرّ الجوّ وارتفع غبار كثيف في الفضاء وسار مثل جبلٍ ضخمٍ . وهلك كثير من البشر والبهائم وحيوان القفر . ودخل المشعوذون الحمّامات وخطفوا ما فيها من ألبسةٍ ونهبوا الاسواق . وغرقت سفن كثيرة .

وفي السنة ٤٧٩ للعرب (١٠٨٦ م) نشبت حرب بين الامير ارتق بك وبين سليمان بن قتلميش صاحب انطاكية وقُتل سليمان في تلك الحرب . قيل انه لمّا شاهد انكسار اصحابه انتحر بالسكّين وشوهد مجندلاً والسكين مغروسة في بطنه . ولمّا سمع السلطان ارتحل من خراسان الى سورية وسار

الامير ارتق الى اورشليم ووضع عياله وامواله في برج داود وتحصّن به . ولمّا وصل السلطان الى الرها وصاحبها يومئذٍ فيلردس سلّمه اياها الاهالي بسهولة . على ان فيلردس سبق فعرف ما يضمره له الرهاويّون من البغضاء. فسار الى خراسان ليقابل السلطان لكنّ السلطان لم يشاهده اذ كان قادماً في طريق اخرى . وبعد ما احتلّ الرها اقبل فيلردس ووعده بتأدية الجزية والمناداة باسم الخليفة والسلطان . وما عتم ان مرق من دينه وأسلم على يد السلطان واختتن وانتابه المرض وجعل يطوف مع عساكر السلطان في رحلاتهم.وظلّ الرهاويّون حاقدين عليه (٢٦٠) فأعطاه السلطان مرعش بدلًا من الرها فذهب اليها ومكث بها زماناً حتى مات تعساً . قيل انه عاد فتنصّر وآمن بالمسيح ومات.

وسار السلطان من الرها الى قلعة جعبر وفيها جمهور من اللصوص خرجوا الى مقاتلة الاتراك . فتسلّق السور ثلاثة اتراك من جانبٍ لا يتبادر الى ظنّ احد ان هناك مكاناً للتسلّق . ونادوا باسم السلطان . فدهش اولئك اللصوص واستحوذ عليهم الرعب وارتخت عزائمهم . فقبض عليهم الاتراك وفتكوا بجعبر زعيمهم . وهبطت امرأة شجاعة من السور وتغلغلت الريح في ردائها حتى وصلت الى الارض دون أذى.وذهبوا بها الى السلطان فسألها: علامَ صنعتِ هكذا ؟ قالت فضّلتُ الموت على ان يمسّني احد غير زوجي . فسألها : من أين انتِ؟ قالت : انا دمشقيّة . فأمر ان يمضوا بها الى أهلها سالمةً .

وارتحل السلطان من هناك الى حلب وانطاكية واحتلّها . وعاد الى بغداد بسبب اشتداد الغلاء والجوع في سوريّة . وزفّ ابنته الى الخليفة . ثم استأنف السير الى خراسان . واستعمل الامير بوزان على الرها وعلى ملطية والامير آقسنقور على حلب .

وفي السنة ٤٨٥ للعرب (١٠٩٢ م) غادر السلطان خراسان الى بغداد . وحصل خلاف بينه وبين الخليفة . ذلك انه سأل الخليفة ان يخلفه ابنُهُ الذي ولدته زوجتهُ ابنة السلطان فتمنّع . فارسل السلطان يقول له : يجب ان تغادر بغداد . فقال الخليفة : اني ممتثل أمرك فتمهّل عليّ عشرة ايّام ريثما اتهيّأ للرحيل . وفي اليوم التاسع ادركت السلطان حمّى محرقة قضت على حياته .

وقيل ان عبده كرديك سقاه سماً فمات . وكانت امرأته تُركان خاتون رزينة عاقلة فاستحوذت على شؤون الدولة ونادوا بابنها محمود بن (٢٦١) ملكشاه سلطاناً في بغداد وهو في الخامسة من سنيه ووصف بعضهم رزانته فقال : ارسل الخليفة ووشحه ببزة ملكيّة واجلسه على العرش . فلم يمدّ يده ولا رجله ولم يغمض عينيه ولم يتحرك ولم يشكُ بل ظلّ هامداً كالصخر حتى أدهش الحاضرين . وبعد هذا اخذت تُركان خاتون ابنها السلطان محموداً وانطلقت الى اصفهان. فاحتشد بعض الاتراك وأحضروا تركيارُق ابن السلطان ملكشاه وكانت امه ابنة عمّه وبايعوه بالسلطنة . وانضمّ اليه عشرة آلاف من الجند والى محمود اخيه عشرون الفاً.ولمّا التقى الفريقان غدر بمحمود اصحابُه وانضمّوا الى جيش تركيارق واصبحوا معه .

وتولّى تاج الدولة تتش اخو السلطان ملكشاه الموصل ونصيبين وميافرقين وسورية ودمشق . ثم توجّه الى اذربيجان وخرج الى استقباله السلطان تركيارق ابن اخيه ورحّب به في قرية سعد آباد بتبريز . ثم عاد تتش الى دمشق . وظلّ آقسنقر وبوزان الاميران خاضعين للسلطان تركيارق . ثم سار تركيارق الى بغداد فرحّب به الخليفة ووشّحه بحلّة ملكيّة وكتب له فرماناً ونادى باسمه سلطاناً .

وفي السنة ٤٨٧ للعرب (١٠٩٤ م) اذ كان الخليفة المقتدي على مائدته يتغدّى دجاجة مشويّةً غُشِيَ عليه فقال للجارية الواقفة امامه : مَن هم هولاء الداخلون دون رخصة ؟ فالتفتت الى ورائها ولم تشاهد احداً . ثم عادت فرأته قد استلقى على ظهره ميتاً قبل ان يغسل يديه . هكذا مات الخليفة بغتةً وخلفه ابنه المستظهر .

بعد المقتدي المستظهر ابنهُ

تولّى الخلافة خمساً وعشرين سنة وخمسة اشهر . وفي هذه السنة توفيت تركان خاتون ام السلطان محمود . وكانت شجاعةً حكيمة (٢٦٢) يتّصل نسبُها بافداسياب رأس الملوك الهونيّين . وابوها طفراج ملك الخزر . ولم يبقَ

لابنها الا اصفهان فقط . وبعد قليل سار السلطان تركيارق الى اصفهان في شرذمة من جنوده فاغلق زعماء اخيه السلطان محمود الابواب في وجهه . ثم نووا ان يُدخلوه ويقبضوا عليه . ولمّا فتحوا وادخلوه اقام يوماً واحداً فانتابت اخاه محموداً حمى حادّة قضت عليه في اليوم عينه وهو في السابعة من سنه . فاتفق الزعماء مع تركيارق وملّكوه اصفهان كذلك .

وفي السنة ٤٨٨ للعرب وهي السنة ١٤٠٦ لليونان (١٠٩٥م) اقبل قلجَ ارسلان بن سليمان سلطان قونية الى ملطية وحاصرها . وارسل احد الزعماء بمثابة سفير ليحادث مطران المدينة سعيد بن صابوني الذي دُعي صاحب السدرات. وكان رجلاً قديساً وملفاناً خبيرًا . فكلّمه الزعيم بحضور جبرائيل اليوناني صاحب المدينة باللغة اليونانيَّة وقال : ان السلطان يريد ان تسلّموه المدينة فيُحسن معاملتكم والّا فسيأخذها بالسيف وسيطالبكم الله تعالى بدمكم ودماء الاهالي جميعاً . فقال له المطران : لا تهذر فان مدينتنا لا يستطيع احد ان يدوّخها بعونه تعالى . لان فيها خبزًا يكفيها اكثر من عشر سنوات ومياهها تجري وتخرج منها . وفيها رجال حرب كثيرون مثلما تشاهدون . ولمّا كان المطران يحدّث الزعيم كان جبرائيل اللعين واقفاً وراءه ينصت لكلامه . ولمّا انطلق الزعيم قال المطران لجبرائيل : لقد اصغيتَ يا مولاي الى ما قلتهُ . فالخليق بنا ان نرحّل السلطان عنا بكلمات طيّبة وهدايا موافقة . وانت ترى ما يعاني الاغنياء والفقراء من الضيق (٢٦٣) . فحنق اللعين على المطران وأمر في الغد بقتل احد الضبّاط . فسمع المطران وسارع الى جبرائيل يتوسّل اليه بشأن الضابط وقد شاهده راكباً حصانه ما بين سورَي المدينة . غير ان اللعين سخط على المطران وشتمه وانقضّ عليه وضربه بسيفٍ كان بيده وأجهز عليه. ولم يتيسّر للمؤمنين ان يشيّعوه ويدفنوه في الكنيسة الا بعد يومين . امّا السلطان فلمّا بلغه قدوم الفرنج ترك ملطية وانصرف راجعاً.

وفي السنة ٤٨٩ للعرب وهي السنة ١٤٠٧ لليونان (١٠٩٦م) قدّر المنجّمون حدوث طوفان كطوفان ايام نوح . فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عيسون المنجّم واستطلعه طلع الخبر فقال : ان الكواكب السبعة السيّارة اجتمعت

ببرج الاسماك في عهد نوح فحدث ذلك الطوفان العرمرم . غير انه في هذه السنة لا اثر لزحل في ذلك البرج فلو كان مع تلك الكواكب لحدث فيما اظن طوفان نظير ذلك الطوفان . ولكنه ستحتشد جماهير غفيرة في مكان ما وسيجرفهم الغمر ويغرّقهم قاطبةً . وما عتم ان وصل الخبر بان الزوّار القاصدين الحجّ في مكّة باغتهم سيل جارف واغرقهم جميعاً .

وفي هذه السنة حمل جبرائيل اليوناني صاحب ملطية على ابي سالم الرئيس القويم الايمان صهر آل عمران وسقاه سمّاً أودى بحياته . ثم أجهز اللعين عينه على التجّار المؤمنين الاتقياء وهم برصوما ابن الراهبة وابنته وباسيل حوّا وسهدو شمّاس طانطيني وابتزّ من بيوتهم ومن بيت ابي منصور بن ملكا ذهباً وفضة وبضائع . وانتزع من كنيسة المطران صلباناً ومباخر وقنينة ميرون وغير ذلك من الاثاث واخرب الدور وابتنى القلعة والسور .

(بدء الحرب الصليبية)

وفي السنة ١٤٠٨ لليونان (١٠٩٧ م) برز ملكان فرنجيان وسبعة قامصة واقبلوا الى انطاكية وانتزعوها (٢٦٤) من يد الاتراك . وسبب قدومهم ان التركمان بعد ما احتلّوا سورية وفلسطين وغيرهما من البلاد جعلوا يعاملون اغلظ معاملة جمهور المسيحيين القادمين ليصلّوا في اورشليم ولا سيّما الحجّاج الوافدين من ايطالية واصقاعها . لذلك تحمّسوا وحشدوا الجنود وتوجّهوا اول بدء الى اسبانيا واحتلّوا مدنها واراقوا دماء الكثيرين من العرب وبتروا آذانهم ومناخيرهم وشفاههم وسملوا أعينهم . ثم زحفوا الى قسطنطينية فلم يسمح لهم الكسيس ملك اليونان ان يمرّوا من هناك . فظلّوا يحاصرون العاصمة سبع سنوات ثم خرجوا واقبلوا الى انطاكية واحاطوا بها تسعة شهور ولم يقووا على أخذها . وبعد هذا تعاقدوا سرّاً مع رزباه الفارسيّ حارس البرج الذي بجانب مخاضة كشكروف ووعدوه بذهب . وكان ذلك البرج مؤسساً على قضبان حديديّة فاتاوا ليلاً ودخلوه وتسلّق بعضهم السور بالحبال . ولمّا ازداد عددهم هتفوا بالابواق في الهزيع الاخير من الليل . فاستيقظ جيغان الحاكم التركيّ ظانّاً ان

الفرنج احتلّوا القلعة واضطرب كل الاضطراب وفتح باب المدينة وانهزم في طريق حلب مع ثلاثين رجلًا . ولمّا أصبح جعل يعضّ انامله ندماً ويقول : كيفَ تركت المدينة واهلي واولادي واموالي وخرجتُ ؟ وجعل يلتفت نحو انطاكية ويبكي . ولشدّة كدّه سقط عن حصانه فاركبه اصحابه غير مرّة فسقط فتركوه وانصرفوا . واقبل رجل ارمنيّ كان يقطع حطباً في الجبل فوثب اليه وفلق هامته ومضى بها الى الفرنج .

هكذا احتلّ الفرنج انطاكية ونهبوا مَن فيها من عربٍ واتراكٍ وفتكوا بكثيرين منهم وولّوا عليها بوهيمند (٢٦٥) احد قامصتهم وظلّوا ثلاثة عشر يوماً لا يظفرون بما يأكلون حتى أكل الكثيرون لحم خيلهم . ولمّا بلغ الامر السلطان تركيارق سيّر الى انطاكية مائة الف فارس فوصلوا الى بغراس وحطّوا رحالهم هناك .

ورأى احد ملوك الفرنج حلماً فحفروا موضعاً في بيعة القسيان عثروا فيه على مسامير صليب ربنا يسوع فصاغوا منها صليباً وسنان رمحٍ واتخذوهما بمثابة رايـة وزحفوا الى الاتراك . فمنحهم الربّ الغلبة حتى ملأوا الارض من جثث القتلى .

وبعد هذا ساروا الى المعرّة واحتلّوها وفتكوا باكثر من مائة الف نسمة بها وظلّوا اربعين يوماً راحتروا على غنيمة وافرة . ثم توجّهوا الى جبل لبنان وفتكوا بخلقٍ كثيرٍ من النصيريّة . ثم اقبلوا الى عرقة بجانب طرابلس وحاربوها اربعة اشهر فامتنعت عليهم . فغادروها الى شيزر فأطاعهم صاحبها ابن منقذ العربيّ وأدّى لهم الجزية فتركوه وانتقلوا الى حمص فخرج جناح الدولة صاحبها الى لقائهم وادّى لهم الخضوع فتركوه وساروا الى اورشليم وبها افتخار الدولة من قبل المصريين وحاصروها اكثر من اربعين يوماً وابتنوا برجين خشبيّين الواحد من الناحية الجنوبيّة بصهيون والثاني عند باب مار اسطفانس الشرقيّ : وألقى العرب النيران ببرج صهيون وما كاد ينتهي الحريق حتى وقعت صيحة بان الفرنج دخلوا من الناحية الشرقيّة . ثم وضعوا السيف في الاهالي اسبوعاً كاملًا . وقتلوا في هيكل سليمان اكثر من سبعين الفاً من العرب .

وانتزعوا من عند الصخرة اربعين قنديلاً فضيَّة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم . وأخذوا كذلك مائة وخمسين من القناديل الصغيرة بينها عشرون قنديلاً من الذهب المصريّ . وأخذوا كذلك (٢٦٦) منارةً فضيَّة وزنها اربعون رطلاً سوريًّا يساوي كلّ رطلٍ ستَّة ارطال بغداديَّة . الى غير ذلك من الاواني والزخارف الوافرة . واول من ملك اورشليم غودفروا عام ١٤٠٩ لليونان (١٠٩٨ م) تولّى سنتَين وتوفي وخلفه بغدوين سبع عشرة سنة .

ولمَّا درى المصريّون بما جرى زحف الافضل ابن القائد الكبير في جيش كثيف ولاقاه الفرنج عند عسقلان وانتصروا عليه وفتكوا بعدد جمٍّ من رجاله . وسار الفرنج بعد ذلك الى عسقلان فدفع لهم الاهالي اثني عشر الف دينار فتركوهم وعادوا الى اورشليم .

وفي السنة ٤٩٢ للعرب (١٠٩٨ م) انتقض على السلطان تركيارق اقطاب الاتراك يحاولون الانتقام من الوزير مجد الدولة لانه كان يعنّتهم ويشدّد عليهم . فبطشوا به واغمضوا عن تركيارق وقصدوا محمداً اخاه وبايعوه بالسلطنة . ووافق الخليفة عليه وكتب له فرمان الرضى وسُمّيَ غياث الدنيا والدين ابا شجاع محمداً . وفرَّ تركيارق الى بغداد وتتبّع اخاه محمداً . والتقى الجيشان غير مرة ينتصران وينكسران .

وفي السنة ٤٩٣ للعرب (١٠٩٩ م) مات يحيي الطبيب البغداديّ ابن جزلة مؤلّف كتاب المنهاج الشهير الذي تتداوله ايدي اطبَّاء عصرنا . ينطوي على الادوية والاغذية البسيطة والمركَّبة . وكان نصرانيًّا قرأ المنطق على ابي علي ابن الوليد . فموّه له ابو عليّ السفسطيّ ان الاتحاد الحبّي والاقنوميّ على زعم النساطرة لا يتيسّر تصوره في الطبع الالهيّ . وهكذا حسّن له الاسلام فأسلم وكان يحيي غنيًّا ولم يَعُد مريضاً بغير عوض (٢٦٧) الَّا اصدقاءه المرضى فقط .

وكان الامير ابن دنشمند يلحّ على جبرائيل اليونانيّ صاحب ملطية في الطلب ويُقبل في اثناء الصيف من سبسطية ويعيث في البلد ويأكل غلاله وينصرف في الشتاء . فكتب جبرائيل الى الفرنج وحلف لهم ثلاثاً بانه يسلّمهم المدينة . فوثقوا بكلامه وسار الملك بوهيمند مطشناً ليحتلّها .

وكان فريق من الارمن منذ ايام فيلردس يتولّون بعض امكنة منهم كوغ باسيل اعني اللصّ صاحب الكيسوم ورعبان . وابناء روفين اصحاب بعض نواحي ارمينية . فهؤلاء خشوا ان يستولي الفرنج عليهم ويخرجوهم من نواحيهم فكتبوا سرًّا الى اسميل بن دنشمند ليكمن لهم . امّا جبرائيل الملعون فلمّا وصل بوهيمند الى قرية جفنة فوق ملطية جعل علته ويؤجّله من يوم الى يوم ريثما وصل ابن دنشمند واقام الكمناء تجاهه ثم قبض عليه وبعثه الى سبسطية واقبل هو الى ملطية وشدّد عليها . وظلّ جبرائيل الاثيم يسترسل في شروره وينهب الاهالي دون رحمة حتى سخط عليه ضابطان ودفعا المدينة الى الاتراك يوم الاربعاء ١٨ ايلول ١٤١٣ لليونان (١١٠٢ م) وفي النسخ العربيّة عام ١٤١٢ لليونان (١١٠١ م) .

دخل الاتراك ملطية المنكودة الحظّ وانتهبوا ثروتها برمّتها ورخّص ابن دنشمند لجنوده ان يضعوا الايدي على اموالها دون اهاليها اذ دافع عنهم كأنهم خاصته وردّهم الى بيوتهم ولم يُقتل احد منهم . ونقل من بلده حنطةً ونيرانًا وحاجيات أخرى ووزعها عليهم . ورتع الملطيّون في بحابح المعيشة في ايامه . واستعمل على المدينة رجلًا عادلًا تقيًّا اسمه باسيل وارتحل .

امّا جبرائيل فقد غضب الله العادل عليه فأخذ الاتراك ينزلون به أفدح الاعذبة . وطالما ذكّره النصارى بمساوئه وتعدّيه على المطران البارّ وعلى الزعماء المظلومين وفتكه بهم . وبعدما (٢٦٨) أشبعوه شتمًا سار به الاتراك الى قلعة قطيعة حيث كانت امرأته . وأمروه ان يبلّغها لتسلّمهم اياها . غير انه ظلّ يراوغهم فقال لها : سلّمي القلعة وهذه لكِ اشارة منّي : اني قبل ايام ارسلتُ اليكِ فتى اسمه ميداس . وميداس لفظ ارمنيّ يراد به لا تسلّمي . وما ان اطّلع الاتراك على الحقيقة حتى بطشوا به وألقوه للكلاب .

واستدعى ابن دنشمند الى ملطية بوهيمند ملك الفرنج وأطلقه بمائة الف دينار فعاد الى انطاكية وتخلّى عنها لابن أخته وقفل راجعًا الى وطنه .

وفي السنة ١٤١٤ لليونان (١١٠٣ م) كان سان جيل في طرسوس وبلغ العربَ ان جنوده قليلون فاجمعوا على مبارزته واقبلوا من طرابلس ودمشق وحمص

ولم يكن مع سان جيل الّا ثلاثمائة فارس لا غير وجّه المائة منهم نحو الدماشقة والمائة نحو الطرابلسيّين والخمسين نحو الحصنيّين وأبقى الخمسين لموازرته . ولمّا التقى الصفّان لاذ الحصنيُّون والدمشقيُّون بالفرار نحو الجبال وكانوا اكثر من خمسة آلاف وظلّ الطرابلسيُّون وهم ثلاثة آلاف فشدّ عليهم سان جيل في مَن معه وهم خمسون وطحطحهم وتتبّع المنهزمين وقتل من العرب نحو سبعة آلاف وغادر قيليقية الى طرابلس وشدّ عليها واحتلّ انطرطس وفتك بكل من بها من العرب . ودوّخ عدّة قلاع . واقبل يومئذٍ قمّص آخر في البحر وحاصر عكّة وضيّق على اهاليها . واحتلّ الفرنج الرها وصاروا يسبون ويغزون ما في حوزة العرب من البلاد السورية .

وفي السنة ٤٩٨ للعرب (١١٠٤ م) تفاقمت على السلطان ركن الدين تركيارق (٢٦٩) امراض مختلفة كالسلّ والبواسير وغيرها من العاهات فأحسّ الموت واستحلف الاقطاب بشأن ابنه ملكشاه الصغير ووجهه الى بغداد . ونودي باسمه جلال الدين ملكشاه وهو في ربيعه الرابع . وتوفي تركيارق ابوه ودفن في اصفهان. ولمّا كان في بغداد وافى عمّه السلطان محمد فاضطرب البغداديّون جدًّا وتخوّفوا ان يحدث خلاف بين السلطانين ويُستهدَفوا للسبي والنهب. وكان الامير اياز وصيُّ الملك ملكشاه متّصفاً بالفطنة ومتوليًّا قيادة جيوش تركيارق وهي خاضعة له ومؤتمرةٌ بأمره . فقصد السلطان محمدًا واستحلفه وقال له : ان هذا الفتى هو ابن اخيك فيجب ان تعتني به كلّ الاعتناء. وتوطده في ملك أبيه وإرثه اكثر مني . فقال السلطان : ان ملكشاه هو ابني . ووعده خيرًا فودّعه الامير اياز وزار السلطان ملكشاه فرحّب به كلّ الترحيب : وفي الغد اعدّ الامير مأدبةً وسأل السلطان ان يحضرها فلبّى وذهب . واتفق لسوء الطالع ان حضر كاتبٌ متمنطقٌ بدرع تحت ثيابه وهو واقف يخدم لا يتحرّك الّا متثاقلًا. فتفرّس فيه السلطان واشار الى عبدٍ صغيرٍ ممن كانوا واقفين ان يذهب ويتجسّه وينظر ما به وما سبب تعثّره في ذهابه وايابه . فذهب الخادم وجسّه كمن يلاعبه ثم عاد وأخبر السلطان بانه متمنطق بدرعٍ ضمن قميصه . فقال السلطان ما زال الكتّاب يتدرّعون فما قولنا عن الفرسان الاتراك ؟ وغلب على

ظنه ان اياز يضمر له الغدر فأمر سيافاً واقفاً امامه ان يفلق هامته. وسمع الاتراك اصحاب اياز فأخذوا ما تيسّر من مالهم ومن مال غيرهم وانهزموا الى سورية.

وفي اذار ٤٩٩ للعرب وهي السنة ١٤١٧ لليونان (٤٧٠) (١١٠٥م) فاضت الانهار ولا سيّما الفرات واخرب دوراً كثيرة في بغداد. وبلغت المياه شرفات دار رجل غنيّ حتى كادت تغمرها فأعدّ سفينتين ملأهما امواله ونساءه واولاده وجواريه. وأمر الملاحين ان يمضوا بهم الى مكان عالٍ. وما ان عبروا قليلاً حتى غرقت احدى السفينتين وكان فيها تسع جوارٍ غاليات الثمن وفتاةٌ هزمتها امّها معهنّ فاختنقنَ جميعاً وغرق كل ما معهنّ من الامتعة. امّا السفينة الثانية فلمّا شاهد الذين فيها ما جرى عادوا الى دارهم. وصباح الغدّ قلّت المياه فأدّى الشكر لله تعالى جميع الناس ومجّدوا احكامه غير المدركة وعرفوا ان خلاص البشر دونه تعالى باطلٌ.

وفي هذه السنة مات في سبسطية دنشمند وتولّى ملطية سنتين. فاقبل بعد ذلك قلج ارسلان وحاصرها في ٢٨ حزيران واقام المنجنيقات على البرج المدوَّر شرقي شمالي المدينة واحتلّها بقسمٍ وليس بالسيف ذلك بعد معارك طاحنة. وتمّ ذلك في ٢ ايلول ١٤١٧ لليونان (١١٠٦م) ولم يُلحق أذى باحد من الاهالي مذ تولّى أمرها.

وفي السنة ٥٠٠ للعرب (١١٠٦م) كان جكرميش الامير التركيّ متولّياً الموصل فانتوى الخروج على السلطان محمّد. امّا السلطان فأعدّ الامير جاولي التركيّ وولّاه مكان جكرميش وأنجده بجيش كافٍ. وما ان انتهى الى اربيل حتى حشد جكرميش عساكره وزحف اليه فقهره جاولي واعتقله. فبعالف المواصلة زنكي بن جكرميش وتأهّبوا لمنازلة جاولي وأرسلوا الى قلج ارسلان ابن سليمان بن قتلميش سلطان قونية يستنجدونه: امّا جاولي فدخل الموصل وجكرميش في قبضته مأسوراً وحفر جبّاً هناك ودلّاه فيه خيفة ان يسرقه الاهالي وفيه قضى انفاسه (٢٧١).

وكان ابو طالب بن كُثيرات الموصليّ في وقعة جكرميش وهرب الى اربيل. فارسل جاولي يطلب من ابن موسك صاحبها ليرسله اليه فلبّى طلبه.

وبعث جاولي الى صاحب اربيل ابنه وكان مأسورًا عنـده . ولمَّا وافى ابن كُـيرات ليزور جاولي وعده بان يسلّمه الموصل ويجمع له كميةً من الذهب ممن يعرفـه هو . فتحفَّى له جاولي واكرمه . غير ان ابن ودعان قاضي الموصل وكانت العداوة متأصلة بينه وبين ابن كـيرات أرسل الى جاولي يعده بتسليم المدينة على شرط ان يفتك بخصمهِ فنفَّذ جاولي شرطه وبعث اليه برأس عدوّهِ. فاغتاظ اتراك الموصل ووثبوا الى ابن ودعـان وبطشوا به وجوزي في ايَّام معدودة شرًّا بشرّ .

وشخص يومئذٍ قلج ارسلان من بلاد الروم الى جزيرة قردو ففرَّ جاولي الى مدينة بلد وغزاها ثم انتقل الى سوريّة . ووصل قلج ارسلان الى الموصل واحتلّها دون مناهضة . وتساهل مع زنكي بن جكرميش ومع اصحابه ولم يَمْسَسْ احدًا باذًى. وأمر ان كلّ من رافع احدًا لديه افتراءً فتك به فتكًا . ثم ردَّ القاضي عبيد الله بن القاسم الشهرزوريّ الى منصبه . وأبطل المناداة في الموصل باسم السلطان محمّد فجعلوا ينادون باسم قلج ارسلان بعـد الخليفة . واقام في القلعة محافظًا اسمه بزميش . ونادى باسم ابنه ملكشاه ملكًا وهو في السنّ الحادية عشرة . واقامه هناك مع امّه في البلاط وارتحل الى الخابور في خمـسة آلاف فارس .

اما الامير جاولي فاتفق مع رضوان صاحب حلب وحشد اربعة الاف فارس من الشجعان الاقوياء وزحف بهم الى الخابور. وانتشبت الملحمة بينه وبين قلج ارسلان . وقد ابدى هذا بسالة عجيبة غريبة اذ خرق صفوف (٢٧٢) جاولي وضرب يد حامل الراية وبترها وضرب جاولي نفسه بالسيف الّا ان درعه حفظه سالمًا . على ان اصحاب جاولي ورضوان لمَّا شاهدوا قلج ارسلان متبسلًا دون اصحابه كرّوا عليهم ومزقوهم شرّ ممزّق . فاضطرب قلج ارسلان على حياته اذ بقي وحده واعتقد انهم ان عفوا عنه واعتقلوهُ ومضوا به الى السلطان فلن يتركه في قيد الحياة ولا سيا لانه ألغى المناداة باسمه في الموصل. بناء عليه القى نفسه وهو راكب حصانه في نهر الخابور يطعن بنشابه كل من لحقه في الماء . وكان درعه الحديدي ضخمًا فاستثقله هو وحصانه وظل يجاهد برشق نشابه

حتى تعثر الحصان في محل عميق وغرقا كلاهما . وبعد ايام لفظته المياه الى الشاطئ وانبل البعض فنقلوه ودفنوه في الشمسانية .

وسار رضوان الى اطراف الرقة وانقلب جاولي الى الموصل وفتح له العامة ابوابها فدخلها وقبض على احد حجاب جكرميش واستنزف منه اربعين الف دينار ذهباً . وبعث الى بزميش ليسلمه القلعة ويرد كل ما اصابه من المواصلة وكلّ ما عنده ويرحل سالماً الى بلده . فلم يرَ ان يعارضه ولا سيما لان موت قلج ارسلان مولاه خيب آماله. فانحدر فوراً من القلعة واخذ امرأة قلج ارسلان وجميع اهلها واهله وانطلق الى ملطية . امّا ملكشاه الفتى ابن قلج ارسلان فكان جاولي قد سبق فسيّره الى السلطان . وبعد هذا انطلق جاولي الى الجزيرة وضغط على اهاليها فدفع له حباشي بن جكرميش ستة الاف دينار وحصاناً عربياً فتركها وانقلب الى الموصل وعزل القاضي ابن شهرزوري واقام بدلاً منه ابا بكر الاربلي . وعلى اثر غلبته هذه تجبّر وتكبّر (٢٧٣) وخلع طاعة السلطان غياث الدين محمد ولم يرسل اليه كالعادة شيئاً ممّا غنمه مما حمل السلطان على الارتياب في امره فوجّه اليه الامير مردود وغيره من الامراء في جيش كثيف عام ٥٠٢ للعرب (١١٠٨م) . فلما عرف جاولي حصّن المدينة وترك فيها امرأته وهي اخت برسوق احد اولئك الامراء القادمين الى الموصل واقام محاربين في السور وخرج من المدينة لئلا يحاصر فيها وسار كمن يريد ان يأتي برجال لمساعدته. واخذ معه كذلك بغدوين القمص الفرنجي وكان مأسوراً عنده . وفرض عليه ان يؤدي سبعين الف دينار ويعتق من عنده من الاسرى العرب ويأتي الى نجدته مع الفرنج كلما دعت الحاجة . ثم ارسله الى قلعة جعبر ليقيم فيها ريثما يتم العهود . فاستدعى بغدوين ابن اخته جوسلين وجعله رهينة مكانه وانطلق ليُعدّ الذهب .

اما امرأة جاولي التي ظلّت في الموصل فقد أنهكت الاهالي بالضرائب وسار بعض عَمَلة الجصّ الى برج من ابراج المدينة وأوقعوا صيحةً صاخبةً يقولون : فليحيي السلطان الكبير محمد غياث الدين . ثم دخل الامير مردود واصحابه واحتلوا المدينة . وخرجت امرأة جاولي الى اخيها برسوق. وسار جاولي يريد

ايلقازي صاحب نصيبين وماردين وكان يومئذٍ في دعبان قرب الخابور . وافرغ الجهد في اقناعه ليتفق معه فأبى وتركه وتوجه الى قلعة ماردين . وسار جاولي الى الرحبة وحاصرها سبعين يوماً وبعث في استحضار جوسلين من قلعة جعبر ووشحه بحلةٍ ملكيةٍ واعطاه حصانه ووجهه الى بغدوين خاله ليسارع في تهيئة الذهب واعتاق الاسرى. ولما وصل جوسلين الى انطاكية دفع الى طنكريت ملكها (٢٧٤) ثلاثين الف دينار ارسلها الى جاولي في مائة اسير عربي رجالاً ونساء من بلد حلب .

وغادر جاولي الرحبة الى الرقة وحاصرها اياماً كثيرة. وارسل اليه السلطان غياث الدين الامير حسين بن اتابغ في الطاعة والعودة الى الموصل كالسابق فأبى وانطلق الى بالس وحصرها ودوخها وغزاها واكثر فيها الدمار . ولما رأى رضوان صاحب سورية ما احدثه جاولي في بلاده ارسل يستنجد طنكريت ملك انطاكية فاقبل اليه في الف وخمسمائة فارس فرنجي وستمائة فارس تركي من اصحاب رضوان عينه. وارسل جاولي كذلك الى بغدوين وجوسلين ليأتيا الى نجدته . فاقبلا وانتشبت المعركة عند تل باشر فانتصر الفرنج واتراك رضوان على الفرنج وعلى اتراك جاولي وطحطحوهم. وهلك الكثيرون من الاتراك في المعمعة . ولم يقتل الفرنج بعضهم بعضاً بل كانوا يكتفون بالقاء الواحد عن ظهر حصانه . وبعد هذا انهزم بغدوين وجوسلين الى تل باشر في بعض اصحاب جاولي وعالجوا الجرحى واعادوهم اليه .

ولمّا خارت عزائم جاولي لم يرَ وسيلة الّا الاستغاثة ثانية بالسلطان . فبدّل هيئته وغيّر اسمه وسارع في بعض اصحابه من سوريّة الى خراسان وقطع ثلاثمائة وستين فرسخاً في سبعة عشر يوماً . ولما وصل الى المعسكر قال لحفظة الطرق انا هو جاولي ارجو ان تقضوا بي الى خيمة الامير حسين وكان قد سبق فعرفه في الرحبة . ثم مضى به حسين الى السلطان وهو حامل كفنه . فاشفق عليه وصالحه واتخذه لخدمته .

اما بزميش فأخذ امرأة قلج ارسلان من الموصل الى ملطية ونادى بطغرل ارسلان بن قلج ارسلان الفتى سلطاناً (٢٧٥) . وكان هناك اميرٌ ثانٍ اسمه

ارسلان فشرطت عليه امّ الفتى ان يفتك بابنها ويتزوجها . فمتّش مشورتها وبالغ في التحكم في الملطيين ليجمعوا له الذهب. ثم اتفقت ام الفتى مع البعض فقبضوا على ارسلان وسجنوه وتبادر الى الظن انهم بطشوا به. لكنهم اطلقوه بعد سنة وارسلوه الى السلطان غياث الدين بخراسان. وهذا ارسل الى ملطية السلطان ملكشاه بن قلج ارسلان ونادوا به ملكاً وخلع طغرل اخاه الصغير وحبس اخويه مسعوداً وعرباً .

واقام ملكشاه اعواماً في ملطية يضايقه ابن دنشمند . فسار يريد الكسيس ملك الروم لينجده . فرحب به واجزل له العطاء . ولما عاد وضع له ابن دنشمند كمناء قبضوا عليه واحضروه اليه فسمل عينيه . وعند ذلك اخرج امراء ملطية مسعوداً من السجن ونادوا به سلطاناً . فترك مسعود اخويه عَرَباً وطغرل ارسلان في ملطية وانطلق الى قونية واتخذها عاصمة له .

وفي السنة ١٤٢١ لليونان (١١١٠م) احتل الفرنج طرابلس وانتزعوها من يد العرب بعد حصار استغرق سبع سنوات. وفي القابل سار طنكريت ملك انطاكية في جيش كثيف من الفرنج واستحوذ على حصون كثيرة من العرب وفتك بكل من فيها . وارتحل الى منبج فلم يشاهد فيها احداً وكذلك في بالس فاحرقها وعاد الى طرابلس لترعى المواشي الكلاء ويعود .

وامسى عرب سورية في خطر عظيم وتعذر عليهم مهادنة الفرنج الا بالذهب فوجه رضوان صاحب حلب الى طنكريت اثنين وثلاثين الف دينار وعشرين حصاناً عربياً واربعين قطعة قماش فاخر . وارسل اليه صاحب صور سبعة الاف (٢٧٦) دينار . وصاحب عسقلان اربعة الاف دينار . وابن منقذ صاحب شيزر اربعة الاف دينار . وعلي الكردي صاحب حماة الفي دينار . وعقدوا الهدنة الى زمان الحصاد فقط على ان يقدموا الغلّة للفرنج .

وفي هذه السنة ضرب الفرنج الجنويون الوفاً كثيرة من العرب القادمين من تنيس ودمياط . واعتقلوا سبعين تاجراً عربياً وباعوهم باثمان غالية . وانتزعوا منهم اربعمائة صندوق مملوءة سكراً مصرياً وخمسين حملاً اقمشة دمياطية وغير ذلك من الامتعة .

ووصل في تلك الغضون من حلب الى بغداد فقيه حلبي يبكي ويندب ما صار اليه العرب بسبب تغلب الفرنج عليهم . فاحتشد الاهالي في المسجد الكبير يوم الجمعة وحطموا المحراب وأبطاوا الصلاة يتذمرون من الخليفة ومن السلطان لانهما يتغاضيان عن مسئلة دينهم . وما ان سمع السلطان حتى هيأ ابا الفتح مسعوداً ابنه والامير مودود في جيش كثيف ووجههما الى الموصل ليستمدوا لمناوشة الفرنج .

وفي السنة ١٤٢٢ لليونان (١١١١م) انتزع اتابك سلطان ملطية بلد جيحان من الفرنج . وفي السنة عينها زحف الامير مودود صاحب الموصل الى سورية في جيوش ضخمة واحتل في طريقه بعض حصون شبكتان وقتل من فيها من الفرنج . ثم انتهى الى الرها وحاصرها زماناً ولم يتيسر له احتلالها فغادرها الى تل باشر وهي للفرنج ولم يقوَ كذلك على اخذها فغادرها الى حلب . فاغلق رضوان ابوابها في وجهه فتركها واستأنف السير الى دمشق فخرج الى لقائه الامير طغتكين واعرب له عن اخلاصه . لكنه خاف ان يغدر به ويحتل المدينة فارسل الى الفرنج يهادنهم مزدرياً به .

وفي هذه السنة مات الغزالي (٢٧٧) العلامة العربي الكبير ودفن في طرسوس قيليقية . وطالما قرّع في تصانيفه العرب بسبب اهتمامهم بالغسل وتطهير الجسد فقط واغماضهم عن تنقية القلب من حيث تنفجر الخطايا . فكان يحثهم على الزهد والعفاف ويورد لهم البراهين الجمة من سير الاباء السياح في مؤلفه الضخم ولذا ذكرناه .

وفي السنة ١٤٢٤ لليونان (١١١٣م) خرجت الخاتون امرأة قلج ارسلان سلطان ملطية وسارت الى بلك صاحب قلعة بولا تريد الاقتران به وقالت له : قد سمعتُ السلطان يثني عليك دائماً مصرحاً بانه ليس في امراء الاتراك احكم واشجع منك لذلك آثرت ان اقدم اليك لتحفظني وتحفظ ابنائي . فلبى بلك طلبها وعظم امره لاقترانه بامرأة السلطان . ولما عادت الخاتون الى ملطية طردت اتابك واستقلت هي وابنها بالقلعة . ثم ان رجلاً تركياً كان متولياً حصن زايد فضيق عليه بلك حتى اشتراه منه سلطان ملطية . وما عتم ان

شخص ابن محمود سلطان خراسان وانتزعه منه . وفي هذا الزمان ابدى الملطيون عطفاً جزيلاً فاشتروا من الاتراك اسرى كثيرين من اهالي حصن زايد ومن بلد عرقا واعتقوهم .

وفي السنة ٥٠٧ للعرب وهي السنة ١٤٢٥ لليونان (١١١٤م) توفي طنكريت صاحب انطاكية وخلفه رُجير . وتلاقى مودود في سبعة الاف فارس مع بغدوين وجوسلين في الفي راجل وفارس فقط بناحية طبرية . فانكسر الفرنج وقتل منهم الف وثلاثماية راجل . وعلى اثر ذلك وصلت اليهم نجدة من طرابلس بقيادة سان جيل واقبل كذلك رجير ملك انطاكية في جيشه . وقصد الفرنج جبلاً هناك يُشرف على العرب . واقام الجيشان ستةً وعشرين (٢٧٨) يوماً دون ان يقابل احدهما صاحبه . ثم انحدر الفرنج الى نهر الاردن .

وارتحل العرب الى ضواحي دمشق لان الجوع نهكهم لبعدهم عن مدنهم وتوجه الامير مودود الى المسجد ليصلي يوم الجمعة. ولما انتهى من الصلاة قبض على يد الامير طغتكين وجعلا كلاهما يتأملان في ابنيته العجيبة . وحين ذاك اندس اليهما رجل اسمعيلي وضرب مودود بالسكين اربع ضربات فحملوه الى دار طغتكين وتوفي هناك. ثم وثب عبيد مودود على الجاني وقطعوه إرباً إرباً. وظن البعض ان رضوان صاحب حلب هو الذي بعث الاسمعيلي ليقتله وقال البعض الاخر ان طغتكين نفسه هو الذي اعدّ القاتل وكان محبوساً لديه بسبب شروره ووعده بجائزة ان اجهز عليه اذ كان يتخوف ان يحتل مدينته . وعلى اثر قتله خلفه في القيادة الامير آقسنقر برسوق . وهذا كرّ على الرها وحاصرها شهرين في خمسة عشر الف جندي .

وكان الفرنج في السنة ٥٠٨ للعرب (١١١٥م) يواصلون الخروج من الرها ويجهزون على العرب . وقبضوا ذات مرة على احد عشر عربياً واستاقوهم الى المدينة وبتروا ايديهم وارجلهم وعلّقوا جثثهم على السور تجاه الاتراك . فسخط آقسنقور واجهز على خمسين اسيرًا فرنجياً. ولما اشتد الجوع على الاتراك غادروا الرها الى سميساط وكانت امرأة كوغ باسيل الارمني متولية امرها وامر رعش والكيسوم ورعبان. وقد عاملت الرعية بالحسنى بعد وفاة زوجها وحشدت

جيشاً ضخماً من خيالة ورجالة وجعلت تدفع لكل خيال اثني عشر ديناراً ذهباً ولكل راجل ثلاثة دنانير .

اما حكومة الارمن آنئذ فكانت على هذه الصورة . ذلك ان اليونان لمّا اشتد ساعدهم استرجعوا بعض بلادهم من العرب (٢٧٩) ولكنهم لم يتيسر لهم ان يناهضوا الاتراك بل ظلوا في داخل بلادهم واتخذوا الارمن عملاء لهم . فتحصنوا في الجبال وفي الاماكن الحريزة . فكان الاخوان إبنا قسطنطين ابن روفين في قيليقية . وميخائيل وارهنيس في جرجر وبيت بولا . وكوغ باسيل اعني السارق في الكيسوم ورعبان وبيت حسنة ورومي قلعة . وقسطنطين وتبتوغ وبيستفور ابناء سنبل في كورة سميساط وهؤلاء كانوا سرياناً انضوا الى كوغ باسيل وللى باسيل الفتى الذي ربّته امرأة كوغ باسيل وكان يدبّرها كرديك الشرير مبغض السريان . فهو الذي اغتصب ديرهم المعروف بالدير الاحمر بجوار الكيسوم ووهبه لغريغوريوس جاثليق الارمن وحوّل خمسة اديارهم التي في بيت قنايا بجبل زاباز الى قرى . وطرد رهبان دير عرنيش واقام فيه جنوداً وحراساً وضغط على رهبانه حتى استنزف منهم الفي دينار .

وظلّ طنكريت ملك انطاكية يحاصر الكيسوم سنتين حتى اخذها . وكان كرديك المذكور آنفاً داهيةً حيّالاً لم يتمكّن الفرنج من التغلب عليه حتى استمالوه اليهم وزفوا اليه كلاماري الفرنجية اسرة بالفلسطينيين وتمشون وهي التي سقته السم وقتلته .

اما امرأة كوغ باسيل فلمّا رأت الجيش التركي يعيث ببلدها ارسلت الى آقسنقور امير الخابور ولاطفته ووعدته بالمساعدة . فوجه اليها سنقور درار الطويل بثابة سفير . وسبقت فاستوت على العرش الملكي واقامت حواليها الفتيات جواريها رافلات بالحلي والحلل . فدخل سنقور وجلس على كرسي تجاهها واخذت تحادثه حديثاً لطيفاً ممزوجاً بالدهاء وقالت له : مُر جيوشك المقيمين في الخيام ان يدخلوا المدينة (٢٨٠) ولا يبيتوا خارجاً فقد اخبرني جواسيسي ان الفرنج مستعدون للهجوم . غير ان سنقور لم يعبأ بكلامها وظل متغطرساً متعجرفاً حتى انقض سبعمائة فارس فرنجي واجهزوا على اصحابه الاتراك ولم يفلت منهم الّا النزر اليسير . وبعد هذا اعادته الى الامير آقسنقور في تحف وهدايا فسار الى

-روج وحصرهـا خمسة ايام وافنى عـاكره زروعها وغلالها . ثم انطلق الى شبـكان واعـدّ هناك وليمةً فاخرةً وجاء اليه من حرّان الملك مسعود ابن السلطان إذ كان باقياً هناك ولم يذهب مع مودود . وبعد هذا اعتقل سنقور اياز بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين . وغزا بلده .

وفي ٢٩ تشرين الثاني من السنة ١٤٢٦ لليونان (١١١٥م) و٢٩ من الشهر السادس العربي حدثت زلزلة عنيفة جدًّا اجتاحت مرعش برمّتها وامست مقبرة لاهلها . وسقطت دور كثيرة في سميساط وقتل فيها قسطنطين صاحب جرجر مع كثيرين . وسقط من سور الرها ثلاثة عشر برجاً وقسم من سور حرّان ومائة دار في بالس ونصف قلعتها . وقوّضت في الكيسوم كنيسة مار يوحنا وكنيسة الاربعين شهيدًا ثم تجدّد بنيانها بمساعي السيد ديونيسيوس اسقفها .

وفي السنة ٥٠٩ للعرب وهي السنة ١٤٢٧ لليونان (١١١٦م) انقضّ رجير صاحب انطاكية في خمسمائة فارس على الامير آقسنقور ما بين حلب والمعرّة . فانهزم مع زنكي اخيه الى احد التلال وواصل الفرنج فتكهم بالجيش التركي وغزوا من معهم من التجار والسوقة . وفرّ آقسنقور واخوه مع عدد قليل . فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ولم يدركوهم فعادوا واعتقلوا ثلاثة الاف تركي وحطموا صناديقهم واعمدة خيامهم واضرموا فيها (٢٨١) النيران . واحرقوا الصبيان والشيوخ الضعفاء غير القادرين على العمل . واستاقوا البقية الى انطاكية

وفي السنة ٥١٠ للعرب (١١١٧م) مات السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه في اصفهان وخلفه ابنه السلطان محمود. ومات كذلك الخليفة المستظهر في بغداد وخلفه ابنه المسترشد الصغير. وفي آب السنة عينها مات الكسيس ملك اليونان وكان حكيماً شجاعاً حافظ برصانته على عاصمته ولم يدع الفرنج ان يدخلوها . وخلفه ابنه ايوني فغدر به اخوه واخته وأمه ولم يستتب له الملك الّا بعد ما نفى اخاه واخته وقص شعر امه واقامها في الدير . وفي هذه السنة كذلك مات صاحب مصر وصاحب غزنة . وبعد قليل قُتل رجير صاحب انطاكية . ففي هاتين السنتين توفي ثلاثة عشر ملكاً سبقت وفاتهم الزلزلة الهائلة كما ذكرنا .

(له صلة)

مقالة في اليزيدية (١) (تابع)

بقلم الراهب جنام الموصلي السرياني
اليزيدي اصلاً الكاثوليكي مذهباً

عُني بنشرها
الاب انطونيوس شبلي اللبناني

في شيوخ اليزيدية واصحاب الرتب عندهم

الخوجك : ان اليزيدية يعتبرون الخوجك بمنزلة نبيّ ، وزد على ذلك ان الخوجك اذا اراد ان يتنبأ يلتحف بعباءةٍ ويضطجع على الارض ثمّ يدمدم فينام فيغفي فيروي للحاضرين ما تراءى لهُ في الرؤيا النبوية ويقول : اني اعرف كل ما يحدث في العصور الخالية والوقائع الماضية من ايام آدم وحوّاء الى يومنا هذا .

والخوجك ايضاً بمنزلة الطبيب عندهم ، فانهُ اذا سمع بمريض واحد يعودهُ للحال ليصف لهُ الدواء المناسب لدائه وكيفية استعماله . وهذا الدواء هو واحد لا يتغيّر للعاهات ، وهذا الدواء العام هو تراب من المزار الفلاني حسب اختلاف المرض ، وهذا التراب يضعهُ الخُوجك نفسهُ في الجبهة او على بطنهِ او على صدرهِ أو ما بين كتفيهِ بموجب حالة المريض ونوعيّته .

أمّا القوّال فليس من الذين يتقلّدون المناصب الدينية بأُبهةٍ خصوصية، بل هو بمنزلة المغنّي او المرتّل عند الصغم . ܫܡܫܢܐ فلا يحتفل بتنصيبه بنوعٍ خصوصي بل يُشترط ليكون كذلك ان يكون من سلالة بعزَّية ؟ فهي اذًا وظيفة وراثية والبيورة كلهم عاميّون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة إلّا عزمة واحدة من سلالة الشيوخ تسكن بقرية بعشيقا وهي قرية واقعة في حضيض جبل مقلوب ولها وحدها بين جميع اليزيدية من هذه البلاد او من البلاد الاجنبية ، الحقّ والامتياز اذ يتعلّم فيها الابناء القراءة والكتابة .

١) راجع اليزيدية قديماً وحديثاً . وهي ثلاثة فصول في معتقدات اليزيدية وعاداتهم وبعض حوادث تاريخهم وسيرة احد امرائهم المعاصرين لاسماعيل بك چول امير اليزيدية في سنجار ، عُني بنشرها الدكتور قسطنطين زريق . المطبعة الاميركانية ، بيروت ، سنة ١٩٣٤

واذا كان الابناء عديدين فالبكرُ وحدهُ يحقّ له الامتياز بذلك الانعام ليكون بمنزلة الفقيه او الملا الاكبر عند الامير المعظم ، والكتابُ الذي يطالع بـه هذا الفقيه هو مصحف رش المـذكور سابقاً وهذا مؤكد لا ريب فيه بل لا يختلف في امر صحّتـه . وفوق البير يوجد الشيخ الاعظم ورتبته وراثية ايضاً ، وهو بمنزلة حبر الاحبار عند النصارى، وسائر الاحبار هم بقيّة الشيوخ، ومقرّهُ في قرية الشيخ عادي ، وهي بُليـدة قريبة من باعذرى وبيد هذا الشيخ الحلّ والعقد ، الامر والنهي ، في كل ما يتعلّق بالشؤون الدينية ، يأتيه اليزيدية من جميع الانحاء والاصقاع ليستفتوه .

ويعتقد اليزيدية ان اجداد الشيوخ الموجودين اليوم احياء على الارض نزلوا من السماء شيوخاً التمست فيهم انواع الفضائل التي تميّزهم بعضهم عن بعض . وكلّ عزمـة من هؤلاء الشيوخ تمتاز باجتراح نوع من الآيات والعجائب لا يجترحها من كانوا من غير تلك العزمة . والدليل عندهم على ان هؤلاء الشيوخ شرف الدين ، وهو القمر عندهم ويُلقّب جدّ شيخ آخر . أمّا دين وهو عماد السماء والدين . ومنهم من يُلقّب جدّهُ بشيخ الشمس . اما سلالة الشيخ منت فقد مُنحت من تؤتي العجائب والخوارق في رصد الحيّات والعقارب ، ويزعمون انهم اذا مسكوا الحيّات الخبيثة لا تؤذيهم وهم يأكلون لحومها ، والبعض من هؤلاء الشيوخ يُلقّب بالشيخ المهدي ، ويقولون : انهُ يأتي المهدي او المسيح الدجّال . ولسلالة هذا الشيخ قوّة وهي انهُ اذا حدث وباء او طاعون او نحو ذلك من الامراض ، جاء الشيخ القرية ورسم فانعدان دائرة حولها زاعماً بذلك انهُ افتداهم من هذه الاوبئة فلا تعود تفتك بهم لانهُ قدّم نفسهُ قرباناً للطاوس الملك ، بل وبعض الاحيان هذا الطاوس يعفو عنهم بدون توسّط الشيخ اذا رأى ذلك مناسباً لامرهم . ولكلّ شيخ من شيوخ اليزيدية مريدون ومحبّون لهُ ومحسنون اليه ، فاذا كان لذلك الشيخ مريدون كثيرون واغنياء عديدون ، كان الشيخ بذات الحال اغنى . وأمّا الذين مريدوهم فقراء او قليلون فتكون عيشتهم عسرة ، لان العادة عندهم ان كلّ شيخ يطوف مرّتين في كلّ سنة على مريديه فيجمع منهم غنماً وبقراً وسمناً وصوفاً ونحو ذلك ان كانوا من اهل الزرع وإلّا فيجمع حنطةً وشعيراً وقطناً وأرزاً

وبصلًا اذا كانوا من ܟܘܚܠܐ اي من الرحّل فيجمع بسطا ونقودًا اذا كانوا من الاغنياء. وكلُّ من لا يُرضي شيخهُ يُحرم. واذا أُبسل يُعدّ كسقط المتاع الذي لا يشرى ولا يباع ولا يكالمهُ احد ولا يؤاكله يزيديًا طالما هو في هذه الحالة .

ومن شيوخ اليزيدية من يُلقّب بشيخ جروه ، وخوارقه متوقفة على طرد العقارب بقوة الماء ، فانهُ يدمدم عليه بعض صلوات ثمَّ ينضحهُ في زاوية البيت فيعوّض اهله عن تعبه بان يدفعوا له دراهم غير قليلة . ومن هؤلاء الشيوخ من يُلقَّب بشيخي ومخطه اي شيخ الديك ، فهذا مهنتهُ ان يجول القرى وفي اي بيتٍ وجد دجاجة ܡܚܕܝܢܐ ܘܣܠܐ اخذ منها فرُّوجاً واحدًا فيجمع بهذه الصنعة اكثر من ٣٠ فرُّوجاً من كلّ قريةٍ فيبيع كلَّ واحدٍ منها بقرشين او ثلاثة غروش صاغ . ولكلّ واحدٍ من اليزيدية شيخ خصوصي وܒܚܢܐ خصوصي يكون لهُ بمنزلة الاخ في الآخرة ويقال لهم بلسانهم : ܚܕܐ آخرة ، اي اخ الآخرة ، فاذا مات اليزيدي يجيء شيخهُ ويغسلهُ ويكفّنهُ ويكون ܠܒܚܢܐ لهُ في بادية الآخرة اخاً والشيخ دليلهُ في ذلك السبب ، وهذا الشيخ قد مهر في هذه الصناعة لانه تلقَّنها عن جدّه الذي نزل من السماء فحينئذٍ يرشدهُ ويهديه في الطريق المؤدية الى الجنَّة . وܚܕܐ اجنة يرافقه ويشجعهُ لئلا يضلّ جهلًا او خوفًا. لكن يا للعجب العجاب ان ܠܒܚܢܐ نفسه لا بل للامير ذاته ، بل ومن العجب ان الشيخ ܒܚܢܐ خصوصيًا وشيخًا خصوصيًا لهذه الغاية . فيالهم مبصرين عمي ، وهذا من اغلب الاضداد . هذا من طرف الرئاسة الدينية ، أمَّا من جهة رئاسة الدنيوية فان لليزيدية ميرًا وهو الامير الاعظم . ويدعى امراء هذه السلالة من نسل يزيد الابن الحبيب للطاوس الملك ، فان المير الحالي هو من اسرة ميرزا بك واسمهُ بشير بك ابن مرزا الذي قتلوهُ سنة ١٩١٣[1] ، ولهذا الامير تؤدّى جميع الخيرات والارزاق والاموال ، ولهُ تتعدُّ الفلوس في الايام المعينة وبالوسائط المرتبة عندهم من قديم الزمان كوسائط السناجق التي مرَّ ذكرها ، وهذه السناجق منها اليوم مضبوطة بيد الحكومة منذ ايام عمر باشا الفريق، وسلطة هذا الامير تمتد الى جميع رعيته ان في البلاد العثمانية وان

١) ان امير اليزيدية الحالي هو تحسين بك ابن سعيد بك ، تولّى الامارة بعد وفاة ابيه سعيد ، في اواخر تموز من سنة ١٩٤٤ .

في البلاد الاجنبيــة ، ومقرُّهُ في قصر عظيم في باعذرى على حدود دهوك ، وهي قرية تبعد عشر ساعات عن الشمال الشرقي من مدينة الموصل ، وسلطتهُ مطلقة ويوصلها الى الروس بواسطة رجال تحت امره ، وهؤلاء الرجال يبلّغونها الى رعيته المنتشرين في جميع البلاد ، وان الدولة العليَّة العثمانية تعتبر هذا المير الاعظم اميرًا مطلق السلطة .

المحرَّمات عند اليزيدية

من المحرَّمات عندهم كل التحريم الصلوات العمومية . أمَّا الصلوات الخصوصية فهي وان كانت ايضاً محرَّمة شرعاً فانها تُستعمل فعلاً في اعمال خصوصية ، او يستعملها الافراد كلٌّ على حدتهِ كما تقدم القول ܒܠܚܘܕܘܬ يتلون الصلوات شفاهيًا خَلَف عن سَلَف ولا يجهرون بها بل يدمدمون بها دمدمةً .

ومن المحرَّمات تعلُّم القراءة والكتابة . ويُحرَّم من اللحوم لحم الخنازير ، ومن الاطعمة كل ما ذكرناه في باب طرائقهم وعقائدهم ، وربَّما وُجد بينهم قوم يأكلون اللوبياء . أمَّا الخس ولحم الخنزير ܒܠܚܘܕܝܗ ܠܚܣܐ او الملفوف فرؤيتها وحدها عندهم حرامٌ ، وبالاخص الخسّ فانهُ عندهم من اخسّ ما خلقه الله على وجه الارض ، ومجرَّد رؤيته حرامٌ حتى اذا ارادوا ان يعنوهُ قالوا : ذاك الوحش . ولا يأكلون السمك على اختلاف انواعهِ لانهم يقولون ان يزيد حين برح بلدهُ طالباً بلاد اليزيدية انتظم السمك تحت اقدامه انتظاماً عجيباً حتى انهُ تمكن من المشي على ظهره في البحر الى ان وصل البرّ فزال حينئذ من تحت اقدامه الشريفة .

ومن المحرَّمات عندهم انهم لا يشربون من كوزٍ أو جرَّة أو قارورةٍ تبقبق لانهم يزعمون ان ما يبقبق هو روح حيَّة موجودة فيها . ويُحرَّم عليهم حلق الشوارب واستئصالها بالمقص ، بخلاف اللحية فيجوز كلُّ ذلك لكن يجوز ان تُحفظ الشوارب ، ويُستحب ان تُعفى اللحى . والقاعدة المطردة عندهم ان تحلق عامة الرجال لحاها وتعفى شواربها . اما الشيوخ من العامة فلا يجوز لهم ذلك ، بل من المحتوم عليهم ان يعفوا الشوارب واللحى . ويُحرَّم عندهم البصاق بصوتٍ يخرج من الفم او الشفتين لانهم يتخذون ذلك شتماً للطاوس الملك اي الشيطان . ويزولون غاية الباصق بهذه الصورة ، توجيه التفلة الى الطاوس الملك .

ويُحرَّم على اليزيدية لبس الثياب الزرقا. ويُحلَّل لهم بل ويُلزمون بلبس الثياب البيضاء ان كان من العامة ، ولبس الثياب السودا. اذا كانوا من خَدَمَة الدين ، وقد تقدمت الاشارة الى ذلك . ويقولون بهذا الخصوص : ان الابيض يمكن ان يُصبغ باللون الازرق ، أمَّا الازرق ليس لهُ هذه الخاصية ، ووراء ذلك معنًى وهو : كل من يُولد خارجاً من الديانة اليزيدية لا يمكنهُ ان يصير يزيدياً ، كما ان الازرق لا يمكنه ان يكون ابيضاً . أمَّا اليزيدي فيمكنهُ اذا حاد عن طريقهِ ان يتدين بديانةٍ أخرى ، كما ان الابيض يمكن ان يُصبغ بلونٍ آخر .

ولا يجوز لهم ان يلبسوا السراويل بعد الغسل وهم وقوف ، لكن ذلك يجوز بعد قضاء الحاجة ، ولا يقضون الحاجة الطبيعية في المحلّ المبني لهذه الغاية اي في الكنيف بل في الفضاء وفناء الدار ونحوهما ، لانهم يزعمون ان غير اليزيدية يهينون الطاوس الملك دائماً بافتكارهم الي. انهُ موجود في الكنيف فاذا دخلوها وقضوا الحاجة فيهِ يكون كأنهم فعلوا ذلك على طاووسهم ، وهذا اثمٌ دونه كلّ اثم .

أمَّا الثياب الحمراء فليست محرَّمة عليهم لكنَّهم لا يلبسونها إلَّا النساء وذلك قليلون .

الملبوس والزيّ عندهم

ان ملبوس الرجل ثوب ابيض يزردهُ من الوراء وصدره مُجوبٌ جوباً مستديراً الى قدّام ، ويفعلون ذلك تلميحاً الى النور الذي نزل على الشيخ عادي بهيئة قرصٍ مستديرٍ بعد ان صام اربعين يوماً ، وهذا الجوب يسمّى طوق يزيد وما عدا الثوب يلبسون سراويلَ بيضاء على هيئة الشروال السوري . وأمَّا عمرتهم اي ملبوس الرأس عندهم فهي عمامة بيضاء صغيرة الحجم ، ويلبسون في ارجلهم الحبالات والنساء يلبسن دشداشة طويلة وتحتها شراويل وعليهن ملحفة تسمّى عندهنَّ ميزر (والميزر في تلك البلاد يلبسها جميع الملل ، وهي مكان الوزرة في سوريا) وتلبس الميزر بارسال الطرف الواحد منها تحت الابط الأيسر واخراج طرفهِ الآخر من الجهة الاخرى حتى يلتقي مع الطرف الاخر على الكتف من اليمين ، ثمَّ يعقد ويُترك الجانب الايمن من المرأة من فوق الى تحت

غير محجوب ، والفقيرات من النساء يمشين حفيات ، واما اذا كنّ غنيات فيلبسن في ارجلهنّ الجوارب . واما عمرة النساء فهي عبارةٌ عن شيء يشبه عمامة الرجل لكن بوضعٍ خصوصي بهنّ ، وهي تكون بيضاء او سوداء ، كلُّ امرأةٍ يجب اختباؤها ، والسوداء تسمّى عندهنّ ܟܣܟܣ ، وهي عندهم كلمة ܟܣܟܣܐ التركية ومعناها عمامة خفيفة ܘܟܣܟܣܐ التركية مأخوذة من ܟܣܟܣܘܐ الفارسية ومعناها غطاء او ستر او لبس ...

الزواج عند اليزيدية

لا يباح لابناء الشيوخ ان يتزوجوا غير بنات الشيوخ ، ولا يحلّ لابناء البيورة ان يتزوجوا غير بنات اللاتي من مقامهم ، ولا يباح لعوام اليزيدية ان يتأهلوا بنات الشيوخ او البيورة لكن يؤذن لهم ان يتأهلوا بنات القوّالين والخواجك ويجوز لابناء القوّالين والخواجك ان يتأهلوا بنات العوام من اليزيدية . وايُّ شيخ او شيخة وبير او بيرة اتى او اتت واحدًا او واحدة من غير طبقة او طبقتها قتل يقتل او تقتل ، وايُّ واحد أو أية واحدة وُجد او وُجدت مضاجعاً او مضاجعة شيخةً او شيخاً بيريةً او بيرًا موتاً يموت . ويُحرّم عليهم الصلاة وغسل الرأس وغزل بالدولاب في ليلة كلّ اربعاء .

أمّا طريقة الزواج فتتوقف على الرضا بين الابن والابنة ، ثمّ تكاشف البنت والدتها بما في قلبها وتذكر لها اسم الابن فتذهب الأمّ وتخبر بذلك قرينها قائلة : ان ابنتنا تطلب فلاناً ، فيتراجع اب البنت مع اب الابن ليتم الرضى بين الجانبين ، ثمّ بعد ذلك يهتم الفريقان بامر الخطبة فيأتي اهل الابن واهل البنت فتلبس هذه خاتمًا، ثمّ يُقضى جانبٌ عظيم من الليل في اللهو والقصف وشرب المسكرات واكل الزبيب الاسود ممّا لا يستغنى عنهُ في مثل هذه الاحتفالات . واذا تمّ ذلك يشرع الفريقان منذ اليوم الثاني بتهيئة الجهاز والثياب ونحوهما ويُنقد اهل الابن لاهل البنت ستمائة او سبعماية فرنك لاعداد اللازم لها . ثمّ بعد يخبر بعض الاصدقاء الى عدد عشرين واحد ليستعدوا لشهود العرس في اليوم المعيّن فيفهمون بذلك انهُ من الواجب عليهم ان يخيّر كلُّ واحدٍ منهم منديلًا من الابريسم او غير ذلك من هذا القبيل ليديه الى

العروس . واذا جاء اليوم المعيّن يأتي اهل القرية الى بيت الابن فيقدم لهم اشربةً من المسكرات من مثل العَرَق ونحوه ومعها النقل وبالاخص الزبيب ، ويُدعى الطبّال والزمّار وغيرهما فيوقعون اغانياً بالاتهم مدة ثلاثة ايام . واذا تم ذلك تركب النساء الدواب كل امرأتين دابّة وكذلك الرجال ومع كل رجلٍ ولدٌ راكبٌ ردفهُ . ثمَّ يتوجّه هذا الموكب الحافل الى بيت البنت فاذا وصل الرجال الى الدار اطلقوا الآلات النارية التي بايديهم طلقاتٍ متعددة على البيت نفسه بدون رصاص ليخبروا من فيهِ انهم قدموا اليهم ، فيخرج اب البنت ويقول : ما تريدون ؟ يقولون : نريد الابنة . فيدخل الاب ويخبر الأمَّ بذلك . ثمَّ يوضع كلُّ ما يخصُّ الابنة خرجاً ويُؤخذ ازار خصوصي في مثل هذا المقام يسمّونهُ « خيلية » يكون احمر في الغالب ويُلقى على العروس من رأسها الى قدميها . ثمَّ يأخذ الولدانُ ارداف الرجال ملاعق من بيت الابنة ويشكّها كلٌّ منهم في رأسه ويأتون بيت الابن ويوقّع الاهل الات الطرب على معازفهم ثانيةً مدّة ايامٍ متوالية بحضور العروس ، ولا يدخل الرجل بعروسهِ إلّا في الليلة الثالثة. وقبل انقضاء تلك الليلة الاخيرة بساعاتٍ يأتي الشيخ ليلًا الى بيت الرجل ويأخذ بيد الشاب ويدخله حجرة عروسهِ ثمَّ يجعل يد الابنة في يد الابن ويُلقي على الاثنين خيليَّةً واحدة ، ثمَّ يسأل الشيخ الابنة : من انتِ . فتقول مثلًا : انا بنت عليّ او حسين. ثمَّ يقول للشاب : وانتَ ابن مَن. فيقول مثلًا : انا ابن حسن او جحي . فيقول الشيخ : أتريد الابنة امرأةً لك . وانتِ ايتها الابنة أتريدين هذا الشاب رجلًا لك . فيقول كلٌّ منهما : نعم . ثمَّ يأخذ الشيخ شيئاً احمر يشبه الحبر ويعلّم بهِ ما بين كتفي الابنة والابن ثمَّ جبهتهما ، ثمَّ يأخذ قضيباً طوله شبران او ثلاثة أشبار ويجعل طرفيهِ بين يدي العروسين ، ثمَّ يقول لكلٍّ منهما : اكسر هذا القضيب . فيلوي كلٌّ واحدٍ منهما الطرف الذي بيده فينكسر القضيب من وسطهِ ويبقى النصف الواحد بيد الابن والنصف الثاني بيد الابنة . ثمَّ يقول لهما الشيخ : وهكذا انتما تبقيان متحدين الى ان يفرق بينكما الموت كما فرّقت القوّة بين طرفي هذا القضيب الذي كان واحدًا . وهذا يدلّك على ان وجود الطلاق نادرٌ او لا يحدث إلّا لدفع ملمّةٍ او لعلّةٍ كبرى كالزنا . ولا يحضر حفلة القران إلّا الشيخ وحدهُ

وبقيّة الناس ينتظرون خارجاً في ساحة الدار لان الشيخ يمنع دخول من كان.
وبعد ان يتم الشيخُ زواج العروسين يخرج خارجاً ويغلق الباب عليهما ، وبعد
مدّة من الزمان يذهب الابن الى الباب ويقرعهُ من الداخل ثلاث قرعات متوالية
ليخبر بذلك الشيخ الموجود في الخارج ان الاقتران قد تمّ فعلاً ، فيطلق هذا
المرتين التي بيده طلقةً واحدة ثمّ يتأثرهُ الحضور بالتصفيق ، وبعد ذلك ينادي
الشيخ انهُ قد تمّ الاحتفال فيرجع كلٌ منهم الى بيتهِ ويبقى العروسان بدون
شغلٍ مدّة سبعة ايامٍ ، ثمّ بعد ذلك يأخذ كلٌ منهما بمباشرة الاعمال .

دفن الموتى عند اليزيدية

اذا مات الوحد عندهم من العامّة وكان شابًا او عزيزًا او مكرّمًا عند
اهله يأخذون خشبةً وينحتونها بهيئة انسان، وهذا يسمّونهُ عندهم بلفظة الشكل
ويُلبسونها الثياب التي كان يلبسها صاحب الشكل في حياته . ثمّ يأتي الطبّال
والزمّار وسائر المطربين ويضربون على الاتهم نغمة الحزن والموت والناس حول
الميت يبكون ويندبون وهم وقوف من كبارٍ وصغار ومن اناثٍ وذكور. وبعد
مدّةٍ معهودة بينهم يأخذون بالطواف حول هذا الشكل ويركمون لهُ ويتبركون
بهِ ، ثمّ يتقدم الاجانب ويقولون لاهلهِ : ما عندكم . فيقول اصحاب الميت :
نحن نزوج ولدنا . وهذه هي حفلة عرسهِ الجديد ، ويقيمون هذه السنة الغريبة
ثلاثة ايام ، وبعد ذلك يوزّعون الخيرات عن روحهِ ويجدّدون كلّ ذلك في
اليوم السابع واليوم الاربعين وفي مثل يوم موته . ثمّ انهم يأخذون صحن لونٍ
من الطعام عليه قرصة خبزٍ ويطعمونهُ للفقيرِ يوماً بعد يوم زاعمين في ذلك انهم
يطعمونهُ بشخص الفقير وهم يفعلون ذلك الى ان تمضي سنةٌ على موتهِ .

أمّا اذا كان الميت غير عزيز فلا يُفعل لهُ شيء من ذلك ، بل اذا مات
الواحد وكان رجلاً يغسلهُ واحدٌ من الرجال او اذا كان الميت امرأةً تغسلها
واحدةٌ من الاناث وذلك بعد ساعة او ساعتين من موته او موتها . ثمّ يذهبون
بالميت الى غرفةٍ من غرف البيت ويضعونهُ على شيءٍ يُشبه باباً من خشبٍ ، ثمّ
يُلبسونه ثيابهُ ويكفنونهُ وبعد ذلك يتقدم الشيخ ويصلي عليه . واذا انتهى
من الصلاة يأخذ حبّةً من الحبّ المتخذ من تراب (وهذا التراب يسمّى برانت)

قبر الشيخ عادي ويحكها ثمّ يعجن حكاكها في قليل من الماء ويجبل من هذه العجنة شيئاً على وسط جبهته وتحت ابطيه وعلى عينيه وعلى قلبه، ثمّ يعدّ الشيخ الصلاة وعندما يفرغ منها يجعل الميت في تابوت وبلسانهم يسمّى ܘܐܘܗ ܟܬܟܬܐ ثمّ يودع التابوت القبر وكل من يرافق ܠܓܘܐܘܗ ܟܬܟܬܐ او يشيّع الجنازة يأخذ عند دفن الميت تراباً ويلقيه على تابوته قائلاً : يا انسان كنت تراباً ورجعت اليوم الى التراب . وبلسانهم الكردي (ܠܗܘܐܝ ܟܬܫ ܘܠܗ ܦܫܠܡܘ ܐܝ) ثمّ يقول لهم الشيخ: اننا لمّا نرجع الى بيوتنا ونقول قبل ذلك انقم ولنذهب الى بيوتنا يقول الميت من عنده ايضاً لأقم ولأذهب الى البيت مع الجماعة وحينئذ لمّا يريد النهوض ليرجع الى بيته معنا يصدم رأسه حجرًا وهو الحجر الذي وضعناهُ على رأسه لكي لا ينهض وحينئذٍ يقول : ܐܝ ܗܘܐ اني من عداد الاموات . ويسمّون هذا الحجر : ܟܐܦܐ ܡܡܘܬ . ثمّ يرجع الجميع الى بيوتهم .

أمّا اذا كان الميت واحدًا من اليزيدية وكان شيخاً فلا يبكي عليه احدٌ ولا تقام لهُ علامات الحداد كمألوف عادتهم بل يدعى المطربون والمغنّون ، وبعد ان يوفوهُ حقهُ يرجعون من حيث اتوا مبينين بذلك ان نفسهُ دخلت جنّة الخلد عند موته رأساً فلا حاجة الى ما لا يستغني عنهُ اليزيدية لكن بعد سنة الدفن تذبح الذبائح من غنم وبقر وتوزّع على الفقراء والبائسين، وأفقر اليزيدية لا يذبح في مثل هذه الايام اقلّ من اربع او خمسة غنمات . أمّا الاغنياء فاقل ما يذبحون خمسين نعجة .

اخلاق اليزيدية وعوائدهم

ان اليزيدية يمتازون بالصدق في كلامهم والقيام بعهودهم، وانما هذه الخصال الحميدة فيهم لتحكّمهم في دينهم خوفاً من انهم اذا كذبوا او خانوا عهدهم يُلعن الطاووس الملك من جرّاء ذلك . واذا لعن واحدٌ امامهم الشيطان يغضبون عليه اشد الغضب ولا يتركون اللاعن ما لم يقتلوهُ قتلاً ذريعاً وقتلهُ واجبٌ عندهم دِمّةً اينما كان وحيثما يجدونه ووقتما تمكنهم الفرص من الفتك به لا بل ويعدّون قتلهُ من من اعمال البرّ السامية .

واليزيدية يجلون النصارى كل الاجلال ولا يتعرضون لهم ابداً الا اذا سب احد النصارى الطاووس الملك فحينئذٍ يستحل قتلهُ لكنهم لا يذهبون ابداً الى كنائس النصارى ليصلّوا فيها ، واذا ذهب النصارى عند اليزيدية ليزوروهم فينزلون ضيوفاً مكرّمين فيقدمون لهم انواع المرطبات والفواكه . ومن عوائدهم الحلف وهم يحلفون بالله وبطاوس ملك وبالثياب السود وبلابسيها وبرؤوس اصحابها وهم لا يحلفون بيمينهم. واذا اراد الواحد ان يتأكد امراً من صاحبه بغير طريقة اليمين يرسم حوله دائرة ويقول لهُ : ها انت في كيس يزيد ، اي في دائرتهِ وطريقتهِ وسنتهِ فان كنت صادقاً فيما تقوله وتدعيهِ قول (قل) اخرج من كيس يزيد على ان ما اقولهُ هو عين الحقيقة . فاذا كرّر هذا المسجون في الدائرة هذا الكلام تحقّق صاحبهُ انهُ لا يكذب وليس من الممكن ان واحداً من اليزيدية يكذب بهذه الطريقة ما خلاصته اذا اخط الواحد خطّة حول اليزيدي لا يعود هذا يخرج منها اذا عفا اثرهـا رجل آخر وبذات الوقت اذا لعن الراسم الشيطان امام اليزيدي فاليزيدي لا يبدي حراكاً ولا يخرج من دائرتهِ ، والفرق بين الروايتين ظاهرٌ لكل ذي عينين .

امرٌ منكر عند اليزيدية

وعند اليزيدية يوجد امرٌ منكر ، وهذه الفظيعة هي انهم يجتمعون ليلة معينة عندهم في كلّ سنةٍ عند مدخل مغارةٍ سريّة يحيونها في الاكل والشرب واللهو اكراماً للطاوس الملك وهي الليــلة المعروفة عندهم بليلة الحفشة ثمّ يختمونها بارتكاب اشنع المنكرات واقبح المساوئ . وقد اشاع هذا الخبر نصارى تلك النواحي بدون ان يتحققوا ما يذيعونهُ عنهُ . وان هذا الامر هو مؤكد لا ريب فيه لاني انا حضرت تلك الحفلة[1] بل في سنّتهم ان كل امرأة او رجل يزني برجل او امرأة اجنبي عن ديانتهم قتلوهُ ان تمكنوا من اغتيالهِ وألّا يُقبل ولو تاب توبة نصوحاً . اما الذي يزني بابناء دينهِ فيعاقب عقاباً شديداً لكن لا يُقتل . واذا كان الرجل زنى بامرأةٍ متزوجة فعليهِ ان يرضي زوجها . أمّا اذا كانت ارملةً فالمرتكب الاثم يرضي المتولي امرها بموجب حكم الامير

[1] في قرية بعشيقا من اعمال الموصل

الاعظم. أمّا اذا وقعت المناجمة بين الذكور او بين الاناث فقتل الاثنين واجب للحال، واذا لا يستطيع افراد الحائبة من الفتك بحياة المجرمين يُطرد الاثيان من اليزيدية طردًا ابديًا ويُبعدان عن بلادهم. ومن هنا ترى ان العفّة ونزاهة الاخلاق مشهورةٌ عندهم.

صنائعهم

ليس لهم شيءٌ من الصنائع التي يمتازون بها ولا عهد لهم بالبيع والشراء او التجارة لانهم يعلمون ان مثل هذه الامور تدفع الانسان الى الكذب والغش والمكر فتكون وسائط معقود بها السبُّ واللعنُ والشتم ونحو ذلك راجعة اغلبها الى طاووس ملك ، ولهذا يجتنبوها كلَّ الاجتناب عن بُعدٍ كما عن قربٍ ، ويرتزقون من الحراثة والزراعة وتربية الاغنام والانعام لا غير.

اقسام قبائل اليزيدية

وتُقسم اليزيدية الى قبائل عديدة ، منها مستقلّة بنفسها يسوسها اميرٌ مستبدٌ برأيهِ وحكمهِ ، ومنها خاضعةٌ للامير الاعظم . فمن هذه القبائل قبيلة الشيخان ܘܩܒܝܠܬ ܕܡܠܝܬ ܘܩܒܝܠܬ ܕܠܘܝܬ ܘܩܒܝܠܬ ܟܟܠܡܝܬ ܘܩܒܝܠܬ ܟܦܠ ܘܩܒܝܠܬ ܣܘܪܝܬ ܘܩܒܝܠܬ ܓܠܟܠܝܬ ܘܩܒܝܠܬ ܦܪܝܬ ܘܩܒܝܠܬ ܓܠܘܢܝܬ وغيره ممّا لا يُعدُّ ولا يُحصى ، وكلهم يمتازون بالحماسة والنخوة وشدّة البأس والبسالة والابلاء البلاء الحسن في الحرب ولا سيما امراؤهم .

ومن رذائل هذه القبائل الحسد فيما بينها واستسهال القتل ، فكم من اخ اغتال اخاهُ ، وكم من ابٍ قتل ابنهُ، وكم من ولدٍ قتل والدهُ، وكم من صديق ضرب عنق حميمه، وكلُّ هذا طمعاً برئاسةٍ او امارةٍ او نحوها. ثمّ انهُ قرأت سنة ١٩١٢ في بعض كتبهم التاريخية فيقول: انهُ قبل بضع سنين قتل حسين بك ابن عمه جاسم بك ، وحسن بك ابن حسين بك ، وهو ابن اخت جاسم بك المذكور ذبح حسين بك القاتل اخذًا بثأر خالهِ . وفي حادثةٍ اخرى قام ميرزا بك وقتل اخاهُ حسن بك وصار اميرًا مكانهُ . واذا اردنا ان نورد المقاتل والمذابح يقتضي لنا كتابٌ برأسهِ ويظنُّ القارئ ان هذه المذابح يقوم بها رجلٌ واحد لكن الحقيقة انمّا يأتيها رجالٌ متعدّدون باسماء متشابهة .

أسلحة اليزيدية

من أسلحتهم الاسلحة النارية المستعملة عند الجميع. وأمّا قبل خمسة عشرة سنة فكان من اسلحتهم [illegible] وهي البارودة المروّسة الانبوب من الداخل، وكانت من اهول البواريد المعروفة في تلك البلاد يومئذٍ، والبندقية قصيرة خفيفة واسعة الفم، والفرد (القرقار) وهو معروف . وما كان لهم عهد بغير هذه الاسلحة النارية . أمّا الواح السلاح فمنها الرماح والسيوف والقامة .

محل وجود قراهم ومدنهم

يؤخذ مما ذكرناهُ في مطاوي هذه المقالة ان من اليزيدية مَن هم موجودون في الهند وهم المعروفون باسم البكوس ، ومنهم من هم في بلاد الروس في بلاد السحدار ، ومنهم من هم في شمال شرقي سوريا وهم المليّة ومنهم من هم منتشرون في بلاد ما بين النهرين او الجزيرة وهم المعروفون باليزيدية . اما مدنهم فمنها سنجار تبعد عن الموصل ثلاثة ايام، والشيخان، وهي ارضٌ واسعة فيها قرى عديدة تربي على الخمسين قرية ، وهي كلمة فارسيّة ومعناها الشيوخ أي بلاد الشيوخ . وبعشيقا وهي قرية على مسير ست او سبع ساعات من مدينة الموصل ، باعذرى، بحزانى، عنسفنى ، طفتيا ، جابارا ، خورزا ، بوزان ، بجوار القوش ، المدينة الكلدانية، شيخدرى اي قرية الشيخ خضر . باقصرى سينا ، بيتنارى ، خانخو ، قباك ، خطاره ، المامان ، دوكاتا ، سريشا ، قيدى ، بيدبوبى ، والمنى ظاهر اي قرية البير المسمّى بوبى المدفون فيها غفانا ، محوده بيريخا ، ومعناها بالكردية مكان الجرح . ويوجد غير هذه القرى أضربنا عن ذكرها حبًّا بالاختصار .

بعد ان ذكرنا قرى اليزيدية بوجه خاص لننظر اليها بوجهٍ عام فنقول : ان كلّ قريةٍ من هذه القرى تشتمل على بيوت لا يتجاوز عددها السنين. ويوجد يوجد منها الى مائة بيت فيها مزارع وبساتين تكثر فيها انواع الفواكه وكلّ هذه القرى المجاورة وهي عند حضيض جبل الشيخ عادي وتسمّى بلاد الشيخان آمين .

نصٌّ قديم بالعربية

لمجمعَي قنوبين سنة ١٥٩٦

بقلم الخورأسقف عمانوئيل الرِّجي

حافظ الخزانة والمكتبة البطريركية

لهذين المجمعين نصوص ونسخ عديدة ، باللاتينية والعربية ، وليس منها واحدة تحمل تواقيع الآباء وسائر المجتمعين فيها .

وقد تقرر في المجمع الاول منها ان يُحفظ الحل من بعض خطايا للسيد البطريرك ، ومن بعضها للسادة الاساقفة (قن ٦) ، وان تُعين الاعياد الواجبة بطالتها (قن ١٧) . غير ان جدولي الخطايا المحفوظة لا يردان الا في بعض النسخ العربية ، وبعبارةٍ موجزة . اما جدول الاعياد فقد خلت منه كل النسخ على الاطلاق.

والنصوص العربية المعروفة إمَّا ترجمات للاصل اللاتيني ، وإما تلخيص لنص آخر مترجم عن هذا الاصل ومزيدٍ فيه . والنوعان حديثان ، يرتقي اقدمها الى اوائل القرن الثامن عشر .

وقد وفقنا الله الى العثور ، في الخزانة البطريركية ، على نص بالعربية لهذين المجمعين ، ورد فيه ، بعد ترجمة الاصل اللاتيني ، جدول الاعياد بالتفصيل ، وجدولا الخطايا المحفوظة بالاسباب ، واخيرًا تواقيع المجتمعين بصيغتها التقليدية . وكل القرائن والدلائل تسوّغ لنا ان نؤمّل لهذا النص من القدم ، ما يصل به الى زمان عقد المجمعين.

٥

يروي حكاية هذين المجمعين ويورد اعمالها ومقرراتها الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي ، قاصد البابا اكليمنت الثامن الى الموارنة ، وذلك في الكتاب الذي وضعه بالايطالية عن اعمال قصادته ورحلته الى المشرق ، وطُبع بعد

وفاته[1] . فانهما عُقــدا بحضوره ، الواحد في ايام البطريرك سركيس الرزي (١٥٨١—٩٦) ، والآخر في ايام خلفه ابن اخيه البطريرك يوسف (١٥٩٦—١٦٠٦)؛ الاول من ١٨ الى ٢٠ ايلول سنة ١٥٩٦ والثاني في الثالث من تشرين الآخر من السنة نفسها ، بحسب الحساب اليولي القــديم ؛ وهذا التاريخ يوافق في الحساب الغريغوري ٢٨—٣٠ ايلول و١٣ تشرين الثاني .

وقد ذكر الاب دنديني ما كان من امرهما (ص ٩٠—١٠٥ و١١٥—٢٠) ، وزاد فاثبت باللاتينية ايضاً مقرراتهما وبعض اعمــالها (ص ١٢١—٣١) . وفي الرواية الايطالية وحدها ما سبق عقد المجمعين ورافقــه وعقبه من مساعٍ واجتماعات وبحوث ومناقشات . وهي اكــثر اسهاباً فيما يلامس المجمع الاول وخاصة في الكلام عن القضايا الثلاث عشرة على وجهها الصحيح . فقــد جيء بعد كل منها بجملة او اكثر في شرحها وما يعرف عنها عند الموازنة (ص٩٥—٨) ، وليس في النص اللاتيني سوى عبارة تحديدها مجردة عن كل ما سواهــا (ص ١٢٢—٢٣) . وفي جدولي هذه القضايا بالايطالية ، على الوجــه المغلوط ثم على الوجه الصحيح ، تقديم وتأخير في الاعداد . فالعدد الـ٤ في الاول اصبح الـ١٣ في الآخر ، والعددان الـ٥ والـ٦ جعلا الواحد مكان الآخر (ص ٩١ و٩٦ و٩٨).

على ان الفرق الهام بين النص اللاتيني ورواية الكتاب ان هــذه تـرد بالتفصيل والاسباب الخطايا الواجب حفظها للسيد البطريرك والسادة الاساقفة (ص ١٠١ قن ٦) وتعين الاعياد الواجبة بطالتها واحدًا واحدًا (ص ١٠٤ قن ١٧) ، ولا شيء من ذلك في النص اللاتيني ، الذي يقرر فقط وجوب حفظ الحل من بعض الخطايا (ص ١٢٥ قن ٦) وضرورة تعيين الاعياد (ص ١٢٧ قن ١٧) ، حاثاً ان يحصى بينها عيد الثالوث الاقدس ، وعيد القربان الاقدس ، وعيد جميع القديسين .

وفي كلٍّ من المجمعين ، بالنصّ اللاتيني ، عبــارة في الآخر عن انفضاضها اكثر اسهاباً واوفى تفصيلًا (ص ١٢٨ و١٣٠) .

---

(١) الاب دنديني *Missione Apostolica al Patriarca e Maroniti del Monte Libano* — Cesena. 1656.

اما رواية الاب دنديني عن اعمال المجمعين ومقرراتهم ، فلا تجدها الا في كتابه عن قصادته[1] . وقد ترجمه بتصرف الى الافرنسية ، ما عدا قسمه الثاني المختص بزيارة الاراضي المقدسة ، الكاتب ريشارد سيمون وعلق عليه حواشي وشروحاً قيمة[2] . وعن هذا الاخير ترجمه الى العربية الخوري يوسف المشيتي بتلخيص واختصار[3] . اما النص اللاتيني فقد أُورد ، علاوةً على ذلك ، في العددين الـ ٢ والـ ٣ من ذيل المجمع اللبناني المعقود سنة ١٧٣٦ ، في الطبعة اللاتينية الصادرة عن مجمع نشر الايمان في رومية سنة ١٨٢٠ (ص ٣٥٣ — ٩) وسائر الطبعات التي تلتها[4] . والنص واحد فيها وفي كتاب الاب دنديني .

٥

من البديهي ان يكون هذا النص اللاتيني قد تُرجم بالضبط الى العربية ، ذلك لانه النص الاصلي الوارد في كتاب الاب دنديني واضع المجمعين ، والنص الرسمي المنشور في ذيل الطبعة الرومانية للمجمع اللبناني الكبير . على ان ترجمة كهذه لم تتم ، بحسب معلوماتنا الحاضرة ، الا على يد المطران يوسف نجيم ، وقبله في عهد البطريرك بولس مسعد .

لدينا في الخزانة البطريركية مخطوط ، عدده ٦٨ مكرر ، عنوانه على ظهره هكذا : « مجموعة المجامع المارونية » . ولا عنوان في داخله ، ولا ذكر لاسم جامعه او ناسخه . عدد صفحاته ٣٣٠ ، بقطع الثمن (١٦/٢٢ سنتيمتراً) . وفي كلٍ من الصفحات المنسوخة ٢٢ سطراً . وهو يحتوي على نصوص ثمانية مجامع مارونية ، بعضها اصلية او مصدقة ، اولها مجمع البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٩٦ وآخرها مجمع بكركي المعقود في ايام البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٦ . والمجمع الاخير مع « حواشيه » اي ملحقاته وذيوله ، يؤلف اكثر من

[2] *Voyage du Mont Liban*, traduit de l'italien, du R. P. Jérôme Dandini, par R. S. P. Paris, 1675.

[3] رحلة الاب ايرونيموس دنديني الى لبنان سنة ١٥٩٦ ، عربها الخوري يوسف يزبك المشيتي . بيت شباب — لبنان سنه ١٩٣٣

[4] *Mansi Concil*, t. XXXV Coll. 120-128; — Collectio Lacencis II. Coll. 410-416.

نصف صفحات « المجموعة » . والناسخ ، على ما نرجح ، الخوري يوسف فريفر ، الذي كان مسجل هذا المجمع : وبذلك كله دليل على ان « المجموعة » قد تمت بايعاز هذا البطريرك الجليل وتحت اشرافه ، ولهذا نعزوها اليه في مقالنا الحاضر.

في صدر «المجموعة» نص المجمعين اللذين نحن بصددهما (ص١—٧و٧—٩)، مترجمين عن النص اللاتيني ، ويلحق بهما كلمة عن الاعياد ، وجدولا الخطايا المحفوظة ، والاشارة الى توقيع المجتمعين مع تسمية البعض منهم (ص ٩—١٠) . ولدينا في الخزانة البطريركية مسوّدة هذه الترجمة عينها ، بخط المطران يوسف المريض ، وعلى حواشيها وبين سطورها التصحيحات بخطه . وهي تقع في اربع ورقات بقطع الثمن ، وقد بقيت الصفحة الاخيرة منها بيضاء . الا انها خالية مما جاء في « المجموعة » عن الاعياد والمحفوظات والتواقيع .

ومن المعروف ان المطران يوسف نجم قد ترجم الى العربية النص اللاتيني للمجمع اللبناني المعقود سنة ١٧٣٦[٥] . فجاء بترجمة جديدة لمجمعَي سركيس ويوسف الرزّي الموردَين في ذيل المجمع (ص ٩—١٩) .

وكلتا الترجمتين مصوغة بلغة صحيحة فصيحة ، وقد ضُبطت بكل دقة على الاصل اللاتيني ، وعُنيت في اخراجه بالمعنى المقصود منه ، وبلغة اقرب ما يكون الى ايفاء هذا المعنى حقه .

ودونك شيئاً من كلتيهما ، يمكن من مقابلة الواحدة بالاخرى والحكم بنوع عام بأيهما الفضلى :

ترجمة مسعد		ترجمة نجم
(عدا المعاقين شرعاً)	Cœteris legitime impeditis	ما خلا الذين حال دون اجتماعهم مانع شرعي
الرسالة الرسولية	Litteræ Apostolicæ	الرسائل الرسولية
اخذ البطريرك يتشكى	Conquestus est	... يحتج

٥) المجمع الاقليمي الذي عقده في جبل لبنان . بطريرك الموارنـة الانطاكي ... سنة ١٧٣٦ ... ترجمه عن النسخة اللاتينية المطبوعة في رومية ... سنة ١٨٢٠ المطران يوسف نجم ، مطران عكا النائب البطريركي . طبع في مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٠

ترجمة مسعد		ترجمة نجيم
يزاد صلب الثالوث	Crucifixionem... interponi	تحوي صلب الثالوث
لايوجد محل ما للتطهير	Nullum esse purgatorium locum	لا وجود لمكان يعرف بالمطهر
ولا تتنعم به بخير	Nec bono quoquam laetentur	ولا تنتفع بخير
يمكن نكران الايمان بالفم	Posse ore negari fidem	ان المؤمن يجوز له ان ينكر الايمان بشفتيه
قد انقضى حياته	Extremum diem clausit	توفي الى رحمة مولاه
بحسب اقتضاء حالة جميع المائتين	Ut est mortalium om. conditio	شأن جميع الناس
كما يؤمل بتقوى (عن انتقاله الى السماء)	Ut pie creditur	كما يعتقد لفضله

ولم يترجم نجيم لقب الاب دنديني الذي يُنسب به الى بلدته شيبينا ؛ واثبته مسعد عن النص اللاتيني هكذا : « دنديني شيسيناتي » . وقد ورد تاريخ المجمعين مغلوطاً في ترجمة نجيم ، فجاء للاول « في ثاني ايلول » (ص ٩ من الذيل) ، وللثاني « في ثالث تشرين الاول » (ص ١٧ و ١٩ منه)

وقد لخص المطران يوسف الدبس في كتابه « الجامع المفصل »[٦] اعمال هذين المجمعين ومقرراتها عن ترجمة نجيم ، كما اشار الى ذلك بصراحة (ص ٣٠٦) . وعلى منواله نسج الخوري ميخائيل غبريل الشبابي في كتابه « تاريخ الكنيسة المارونية »[٧] ، حيث يعلن انه اخذ النصوص التي ينشرها عن المؤلفين الذين سبقوه ، « بعد مقابلة بعضها ببعض وبما لدينا من نصوص هذه الجامع الخطية» (ص ١٨٨ و١٨٩) . وتراه نقل ترجمة النص اللاتيني الاصلي ببعض تصرف في ايراد مقدمة المجمع الاول ، وبزيادة كلمة «من الاعياد» ، ومع ايراد جدولي الخطايا المحفوظة ، وذكر التواقيع فقط في آخرها (ص ٢٠٦—٨) .

*

ولدينا في الخزانة البطريركية نص آخر بالعربية لهذين المجمعين ، في كراس

٦) الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ، للمطران يوسف الدبس ، بيروت سنة ١٩٠٥ ، ص ٢٠٥-٩

٧) تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية ، مجلد ٢ ، قسم ٣ ، بعبدا سنة ١٩٠٨ (ص ١٩٤-٢٠٨)

بقطع الثمن (١٥/٢٠ سنتيمترًا) عدد اوراقه ثمانٍ، بقيت الاربع الاخيرة منها بيضاء، وفي كل صفحة منها ٢٤ سطرًا ولا ارقام لصفحاته، ولكن بيان ان نحه لاحق لسابق، اذ يبدأ هكذا: «وفي سنة....» وخطه رقعي كنسي. ولغته صحيحة فصيحة، وترجمته تفي بالمعنى المقصود مضبوطة على النصّ اللاتيني وهو يحتوي ما عدا المجمعين على المجمع الآخر الذي عقده البطريرك يوسف الرزي سنة ١٥٩٨

وقد نشر الخوري جرجس منش الحلبي هذا النص عينه[٨]، بعد ان نظر في عبارته فاصلح منها الاغلاط الصرفية والنحوية فقط، مصرحاً بان قد «جمع رسوم [هذه المجامع] الفيلسوف العلامة الخوري بطرس التولاوي الشهير». (١٦٥٧–١٧٤٥). ومن المستغرب انه لا يذكر المستند الذي يسوّغ هذه النسبة(ص٣) لكننا نتمسك بها، على فرض صحة مستندها، الى ان يبان العكس.

وهذا النصّ يختصر الاصل اللاتيني. ويكفي بياناً لذلك مقابلة بعض المقاطع فيه بمثالها في ترجمة نجم:

ترجمة نجم	نص التولاوي
اعمال المجمع المنعقد في جبل لبنان لعهد السيد سركيس بطرس بطريرك الموارنة الانطاكي السامي الشرف والاحترام سنة ١٥٩٦. في ثاني ايلول اجتمع، بحضرة السيدالبطريرك السامي الشرف، رؤساء الاساقفة الفائق احترامهم، ما خلا الذين حال دون اجتماعهم مانع شرعي (وهنا يسمي خمسة اشخاص باسمائهم) بحضور الاب ايرونيموس دنديني اليسوعي، قاصد سيدنا الاب الاقدس اكليمنت الثامن.	وفي سنة الف وخمساية وستة وتسعين، في اليوم الثامن من ايلول، عقد مجمعاً في جبل لبنان البطريرك سركيس، بطريرك الملت المارونية، بحضور الانبا ايرونيموس دنديني النفس اليسوعي.
ان الخطيئة الاصلية لاحقة بجميع الناس متسلسلة من آدم، وعليه فلا خلاص للاطفال الغير المعمودين.	انه بدون العماد لا يمكن الخلاص اصلًا.
وخادم [سر التثبيت] العادي انما هو الاسقف. وفيه يعطى الروح القدس وملء النعمة التي تولينا الثبات على الاعتراف بالايمان.	خادم [سر التثبيت] الخصوصي ـــــــــــــــــــــــ و الاسقف.
يجب على الاساقفة جميعاً ان يوزعوا سر التثبيت المقدس في ابرشياتهم مرة واحدة في كل سنة على القليل، قياماً بالخطة الموكولة اليهم من السيد المسيح الراعي الاعظم والاول.	فليثبت الاساقفة مرة في كل عام اهل رعاياهم.

---

٨) التحفة الادبية في ثلاثة مجامع مارونية. جونيه، ١٩٠٦ (ص ١٧–٣٧)

ومن خصائص هذا النص انه لا يورد جدول الاغلاط المعزوة الى الموارنة، في المجمع الاول ، بل يبدأ بجدول القضايا الثلاث عشرة على وجهها الصحيح فبعد المقدمة التي اوردنا نصها اعلاه ، يقول :« وبعــد تلاوة المنشور الرسولى وفحص بليغ ، حرروا ثلاثة عشر قانوناً في الامور الدينية ، وحكموا انها هي اعتقاد الملت المارونية منذ ابتداء الديانة النصرانية » . وبعدئذ يثبت القوانين الاصلاحية ، بدون ذكر سببها ، ممهّداً لها هكذا : « ثم رتبوا عشرين راساً في التهذيب » . ولا ذكر للقانون الـ ٣ الاصلي ، القاضي بتمبين اشبين [عراب] في التثبيت . والقانون الـ ١٤ الاصلي ، المنطوي معاً على صورة عقــد الزواج وعلى وجوب اجراء المناديات قبله ، جعل هنا قانونين: الـ ١٣ للزواج والـ ١٤ المناديات ، وهكذا استُعيض عن القانون المحذوف . وما جاء في القانون الـ ٢١ الاصلي عن اختتام المجمع ، ورد في النص الجــديد بدون عدد . واخيراً اشير الى توقيع الاباء والشدياقين والكهنة والقاصد اشارة فقط .

وعلى هذا النمط ، كان ما خصَّ المجمع الثاني . غير انه قــد زيد ، بعد تاريخه ، جملة عن تعيين الاعياد ، وأُدرجَ فيه جدولا الخطايا المحفوظه كما ورد في كتاب الاب دنديني ، ولكن بعد ايجاز عبارتها ، واخيراً ذكر الذين امضوا « هذه الاوامر » ، وقد سُمِّي البعض منهم . ولا شك في ان ما جاء من مثل ذلك في « مجموعة المجامع المارونية » ، على ما سبقنا فقلنا ، مأخوذ عن هذا النص .

◆

اما توقيع المجتمعين على اعمال المجمعين ومقرراتها ، فلا شيء منه او عنه في النص اللاتيني ، ولا في الترجمة المضبوطة عليه .

وهاك ما جاء في نص التولاوي ، بهذا الشأن ، عن المجمع الاول : « وقد امضاه البطريرك وثلاثة مطارنــة مع شدياقين متولين الحكم وكهنة كثيرين والقس دنديس قاصد اقليمنس الثامن » (كراس بكركي ور ٢ والتحفة الادبية ص ٢٩) ؛ وعن المجمع الثاني : « وقــد امضا هذه الاوامر البطريرك يوسف ومطران قزحيا وشدياق خاطر الوالي وشدياق فرج ومطران يونان وموسى العنيسي مطران تنوبين والخوري عطا الله والخوري حوشب والشدياق يوسف وكهنــة

اهدن وحدشيت وبشري والحدث وايطو وبقرزلا وكفرزينا والزاوية وطرابلس وادنيت » (كراس بكركي ور ٣ والتحفة الادبية ص٣٧ ومجموعة المجامع ص ١٠)

وفي هذه الرواية ما يستوجب القول ان الراوي نظر بامّ عينه هذه التواقيع في احدى نسخ المجمعين ، فتكلم عنها ونقلها بطريقة الاخبار ، عوضاً عن ان يثبتها بحرفيتها . على انه لم تُعرف بعد او تُنشر نسخة واحدة تحمل هذه التواقيع .

ويستفاد امر التوقيع من رواية الاب دنديني نفسه . فقد ذكر انه ، في المجمع الاول ، لما رأى الآباء يطلبون بالحاح ان يثبّت قداسة البابا قوانين المجمع ، اراد ان « توقَّع بخطّ يد البطريرك والاساقفة والسادة الشدايقة ، حكّام هذه البلاد الزمنيين ، وان توسم بالخاتم البطريركي » (ص ١٠٦) ؛ وعن الثاني :«ان القوانين الجديدة كلها تليت على المجتمعين ، فراقتهم كثيراً ، فاسرع كل منهم الى تصديقها» (ص ١٢٠) . وقد اورد في مناسبة اخرى انه ، بعيد انتخاب البطريرك يوسف ، ذكّره بانه قد وقّع اسمه على مجمع البطريرك المتوفّى (ص ١١٧)

ولا اعتراض بعدم ورود شيء من ذلك في النص اللاتيني . فان الاب دنديني يكون قد اكتفى بما ذكره عن التواقيع في روايته بالايطالية ، وفكّر بكل صواب ان لا كبير فائدة من ايراد التواقيع بحرفيتها لقرائه ابناء وطنه .

ومن المعلوم ان المجامع قديماً وحديثاً كانت توقَّع بامضاءات المجتمعين فيها . وهذا ما جرى في مجمع البطريرك ميخائيل الرزي سنة ١٥٨٠ ، قبيل مجمعينا بسنين قليلة ، فانه يحمل تسعة تواقيع (الجامع المفصل ، ص ٣٠٥) ؛ وفي المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ، فانه ينتهي ، في ترجمة نجيم ، بسبع صفحات حافلة بالتواقيع (ص ٥٥٦—٦٢) . وكفى بهما مثالاً وبرهاناً . فلا بدّ اذاً من القول بتوقيع مجمعَي سنة ١٥٩٦ على هذا الشكل .

ولم يعُد من مجالٍ للشك في هذا الامر ، بعد ان وجدنا هذه التواقيع على اصلها وكيانها في النص الذي اشرنا اليه في صدر هذا المقال .

٥

لهذين المجمعين في الخزانة البطريركية نصٌ قديم بنسختين ، احداهما عربية والاخرى كرشونية .

ان النسخة العربية يحواها كراس لم يُنشر بعد او يُشر اليه احد . وهو

مكتوب بالحبر الاسود والاحمر ، على ورق بقطع ١٨/٢٤ سنتيمترًا . عدد ورقاته ثمانٍ ، تبدأ الكتابة فيها على قفا الورقة الاولى وتنتهي في آخر الصفحة السابعة، ولم يكتب شيء في الباقي منها . وفي كلٍ من الصفحات الثلاث الاولى ١٥ سطرًا ، والصفحات الاخرى ١٦ سطرًا . والخط جلي بسيط من النوع العادي، ليس بالجيد ولا الرديء . وليس اسم الناسخ فيه ، ولا زمان او مكان نسخه.

ووردت النسخة الكرشونية في آخر المخطوط المرقوم بالعدد ٧٧ ، وعنوانه : « كتاب مقطوف الاسرار النصرانية ... تأليف الاب المكرم مطران يوحنا الحصروني ، الراهب الدومينيكاني (ور ١ من الكراس الاول) . وقد كتبه بالكرشونية سنة ١٦٧١ و ١٦٧٢ المدعو مخايل من بسبعل (اخر الفهرست سنة ١٦٧١ بالعربية ؛ وآخر الكتاب سنة١٦٧٢) . والكتاب بحبرين اسود واحمر، مؤلف من ٢١ كراساً وبعض الكراس ما عدا الفهرست . وكل كراس ١٠ ورقات ، بقطع الثمن (١٦/٢١ سنتيمترًا) وفي كل صفحة ٢٢ سطرًا وقد عمل العث عمله في اطراف الورقات ، بدون ان يعطِّل شيئاً من النص . والخط بالحرف السرياني الغربي الماروني جميل جدًّا . ونص المجمعين يقع في الورقات الست آخر الكتاب (كراس٢١ ، ور ٧ –١٠ والكراس الاخير ور ١و٢)[٩].

وقد قابلنا النسختين العربية والكرشونية الواحدة بالاخرى فاذا نصها واحد ، ما عدا بعض قرآآت مختلفة قليلًا . وترى واضعه قد التزم الاصل اللاتيني التزاماً شاذًّا غير مفروض ، فعمل على اخراجه بترجمة جد حرفية ، تنسلخ سلخًا عن الاصل وتبقي بعض المرار على التراكيب اللاتينية ، وذلك بلغة لا تخلو من السخافة وبعبارة ركيكة جدًّا .

٩) نشر المعلم سعيد الشرتوني نص المجمعين عن هذا المخطوط البطريركي ، مصلحاً عبارته ، موردًا من المجمع الاول ١٤ قانونًا فقط ومن الثاني القانونين اﻟ٥ واﻟ٦ . ومشيرًا اشارة فقط الى جداول الاعياد والخطايا المحفوظة والتواقيع . وما يؤسف له انه لم يذكر المحل المحفوظ فيه المخطوط ، بل اكتفى بذكر ناسخه وتاريخه ومؤلفه ، ومن هنا عرفنا انه المخطوط البطريركي . وما يؤسف له اكثر ان الرواية لا تمكن المطالع من ان يدرك اذا كانت هذه الاشارات اي الاختصارات من الناسخ نفسه او من الناشر . ولم نتحقق انها من الاخير الا بعد الاطلاع على المخطوط . وقد نشر هذا النص المجزوء في كتابه « تاريخ الطائفة المارونية » للدويهي . بيروت ، سنة ١٨٩٠ (ص ٢٨٧–٩١)

وهذا ما يحملنا نفرض ان واضع النص قد يكون احد تلاميذ المدرسة الحبرية المارونية العائد حديثا من رومية ، ولما يُتقن العربية او يُحسن استعمالها . وقد افاد الاب دنديني ان اربعة من هؤلاء التلاميذ كانوا قد عادوا الى لبنان، ولا شك في انهم حضروا المجمعَين وهم : موسى العنيدي ويوحنا الحصروني وجرجس عميره وسركيس الرزي (ص ١١٥ و١١٨) . ونعرف من تعليمات الاب العام اليسوعي التي زوّدها الاب دنديني ورفيقه الاب برينو ، انه عيّن لهما ترجمانين هما موسى العنيدي السابق ذكره والشاب يوسف ليان الحلبي تلميذ المدرسة[١] الذي عاد الى وطنه برفقتهما، كما ذكر الاب دنديني نفسه (ص ٨)

يحملنا ايضاً على هذا الظن ما جاء في كتاب الاب المذكور حيث يفيد انه « كتب بحضرة المجتمعين قوانين [المجمع الاول] باللاتينية ، فقبل بها جميعهم ، ثم عُني بان يترجمها البعض منهم الى العربية ويكتبها بالوقت نفسه بكل امانة مع اللاتينية » (ص ١٠٥ و١٠٦) . ولعمري لم يكن آنئذٍ احد كفوءا لهذه المهمة غير خريجي المدرسة المارونية الرومانية. ايكونون قد تعاونوا جميعاً على القيام بها ، ام يكون قد تفرّد بها احد الترجمانين العنيدي او ليان ، او تكون من صنع يوحنا الحصروني ، بدليل اضافتها الى تآليفه في المخطوط البطريركي ، فيما اذا كان هذا المخطوط مأخوذاً من نسخة المؤلف الاصلية ؟ !

وبكل حال ، ان النصّ التي نُعنى بهِ قديم جداً . فهو اقدم النصوص العربية بدون مشاحة . فنص مسعد ونجيم ترجمة حديثة : وفي نص التولاري († ١٧٢٥) رواية فقط عن التواقيع مع تسمية كثيرين من الموقعين (ص ٥ و ٦ اعلاه) . وهذه الرواية تستوجب وجود نص كامل يحمل التواقيع على اصلها ، مثل نصنا . فيكون اقدم منها . ولما كان نصنا موردًا ، في مخطوط كتب سنة ١٦٧٢ بعد عقد المجمعين بست وسبعين سنة فقط ، فلا يبعد ان يكون منقولاً عن النسخة الاصلية او عن اخرى قريبة منها كثيراً . وقد يرتقي ، بحسب رأينا الضعيف ، حتى زمان عقد المجمعين . وليس ما يمنع من

---

[١] P. Ant. Rabbath. *Documents Inédits*... I. Beyrouth. 1905, pp. 170-3.

القول انّهُ هو الذي اطّلع عليه آباء المجمع فوافقوا على مضمونه وصدّقوه بتوقيع امضاءاتهم عليه بخط ايديهم. وهذا يزيد قيمة هذا النص الذاتية.

وقد يكون من جملة الادلة على ما رجحه لهذا النص من درجة القدم هذه، انه لا يورد المجمع الاخر للبطريرك يوسف الرزي المعقود سنة ١٥٩٨ . فتكون على الغالب النسخة الاصلية المأخوذ عنها سابقة لهذا التاريخ .

وما يرجح هذا الرأي بعض التعابير الواردة في النص ، العائدة الى تلك الحقبة من الزمان. منها «عيد قداس الماء» اي عيد الدنح او الغطاس . فقداس ، هنا ، من اللفظة السريانية المماثلة لـ ܩܘܕܫܐ : (قودشا) ومعناها التقديس اي التبريك . وفي عيد الغطاس ، يباركون الماء باحتفال ، فاطلقوا على العيد هذا الاسم : عيد قداس اي تبريك الماء .

ومنها هذه الالفاظ : الفافا او فافا (٦ مواضع) ، البابية الرومانية (مرة واحدة) ، بترك (مرتين) ، بطرك (١٠ مرات) ، عوض لفظة البطريرك التي وردت مرة واحدة في النسخة العربية وحدها .

ومنها كلمة العراريب ، جمع عراب ، والتعاويق بمعنى موانع الزواج ، وعلم النية اي اللاهوت ، ودستور بمعنى اذن وتفويض ، و « ريسه » جمع رئيس (?) اي من يجبون مال الحكام ، والمتيكة والعامة يستعملونها حتى اليوم للدلالة على عمل شائن ، والمُتكة بالفصحى بمعناها . وقد عنى بها المترجم « الخطية مع الاهل الخ » .

❖

وما لا بدّ من الاشارة اليه ، فيما يلامس مقابلة هذا النصّ بغيره ، انه ، في مقدمة المجمع الاول ، لا يلقب الاب دنديني بنسبته الى بلدته شيسينا ؛ وفي جدول القضايا الثلاث عشرة المفاوطة يقسم العدد الاول عددين ويضمّ الخامس الى السادس ؛ وفي جدول هذه القضايا الصحيحة يجعل العدد الـ ١٢ عددين ، فيصبح العدد الاخير تحت الرقم ١٤

وليست القوانين في التهذيب ، وعددها ٢١ في الاصل اللاتيني ، سوى ١٦ في نصنا ، يضاف اليها القانون الاخير الغير المرقوم بعدد فتصبح ١٧ . وعليه فالقوانين المهملة عمداً فيه هي المرقومة في الاصل اللاتيني بالاعداد : ١٢ : في

مادة الآنية المعدة لحفظ الاوخارستيا ؛ ١٣: في السن المفروضة في طلاب الزواج ؛ ١٤ : في صورة عقد الزواج ووجوب المناديات قبله ؛ ١٥ : في تحريم الزواج المختلط . أفيكون يا ترى نقص هذه القوانين الاربعة في نصنا ناتجاً عن ان المشروع الاول للمجمع كان خالياً منها ، او بالاحرى ان البطريرك سركيس لم يقبل بها بادئ ذي بدء ، وهذا الاصح ؟

وليس في نصنا ما يستحق الذكر عمّا يعود الى المجمع الثاني . لكن ما يجب لفت النظر اليه ، هو انه ، بعد تاريخ هذا المجمع ، يرد فيه جدول الاعياد الواجبة بطالتها كاملًا ، « بحسب القانون الـ ١٧ [وهو في نصنا الـ ١٣] من المجمع اللبناني » السابق . وهذا الجدول لا يختلف عمّا في كتاب الاب دنديني الّا في اهماله عيد ميلاد السيدة ، وفي جعله عيد الرسولين فيلبس ويعقوب ، عيدين اثنين ، لكل منهما عيده الخاص . ثم يرد فيه جدولا الخطايا المحفوظة ، مطابقين لما في كتاب الاب دنديني ، ما عدا اختلافاً في فهم العدد الاول . فضلًا عن ان هذه الجداول لم تثبت في مكانها من المجمع الاول ، كما هي في رواية الاب دنديني بالايطالية ، بل عُقب نصّ المجمعين .

وقد أقحم امضاء البطريرك «بطرس سركيس» بين جدول الاعياد وجدولي المحفوظات . وبعد هذين الاخيرين ، توالت التواقيع بجذافيرها وعباراتها الاصلية التقليدية . وتوقيع البطريرك يوسف في وسطها في النسخة العربية ؛ وفي اولها في النسخة الكرشونية . وجُمعت هذه التواقيع كلها ، ما عدا توقيع البطريرك سركيس ، في موضع واحد ، آخر الجداول .

وفي هذا كله نظر . اما ايراد الجداول في مكانها الحالي ، وليس في محل ورودها في كتاب الاب دنديني ، بعد القانونين الـ ٦ و الـ ١٧ من المجمع الاول ، فدليل على ان هذا الامر لم يتمّ الاتفاق عليه مع البطريرك سركيس ، الذي نعرف قوة شكيمته وصلابة مقاومته في امور كثيرة ، مما رواه عنه الاب دنديني نفسه (ص ٥٧ و١٢١ وسواهما) . فبعد وفاته ، تيسر الامر على ما يظهر ، فاضيفت الجداول الى المجمعين . ويثبت ذلك من القانون الـ ١٧ عن تعيين الاعياد . فانه موضوع بنص واحد باللاتينية والايطالية ، محتوماً فيه

تعين اعياد خاصة للثالوث الاقدس والقربان الاقدس وجميع القديسين (ص ١٠٤ و ١٢٧) . ثم اضيف اليه ، في الرواية الايطالية وحدها ، جدول بثلاثين عيداً ، ومنها هذه الاعياد الثلاثة نفسها المذكورة في بدئه (ص ١٠٤) . وهذا غير طبيعي ، مفاده انه لو امكن ، وقت عقد المجمع ، وضع الجدول مع القانون ، لكانت هذه الاعياد الثلاثة ذكرت مرة واحدة وليس مرتين.

اما التواقيع فقد يكون القسم الاول منها عائداً لمجمع البطريرك سركيس ، والقسم الاخر لمجمع ابن اخيه البطريرك يوسف . فيجوز لنا القول ان الناسخ وضع سهواً ، بعد جدول الاعياد ، امضاء البطريرك سركيس ، ثم عاد الى وضع بقية تواقيع مجمعه بعد جدولي المحفوظات. واخيراً اثبت تواقيع البطريرك يوسف ومن يليه مما يعود الى المجمع الثاني ، وذلك بحسب النسخة العربية .

وقد يكون ايرادها جميعاً في موضع واحد معاً ، نتيجة رغبة في ضم المجمعين الواحد الى الاخر ، كما ضمها الاب دنديني في كتابه . وربما زاد هذه الرغبة ان يشمل التثبيتُ بالتواقيع المجمعين والجداول معاً ، فجعلت الامضاءات في عقبها . والنسخة الكرشونية تنفي كل ريب في امر ضم تواقيع المجمعين معاً. فان فيها امضاء البطريرك يوسف ويليه بدون فصل امضاء « مطران يوسف الحبيس» ؛ وليس « الحقير مطران يوسف الحبيس» في المجمع الاول سوى «الحقير يوسف بسم بطرك » في المجمع الثاني . فتأمل !

واصحاب التواقيع الأولى هم البطريرك سركيس ، ويوسف [اخوه] رئيس محبسة قزحيا ، ويوسف [السرّاني] مطران دير قزحيا ، والشدياقان خاطر وفرج ، والمطران يونان [اخو يوسف السرّاني] . وفي مقدّمة المجمع الاول بنصّه اللاتيني اسماء من ذكرنا ، ما عدا يونان ، يضاف اليها اسماء موسى مطران بشري، وكهنة كثيرين ، والاب دنديني . وقد ذكر الدويهي مطراناً لبشري باسم « موسى بن ايوب بن قمر» من عائلة المقدمين المناحلة ، في حوادث سنة ١٥٥٦ [١] فهل كان لا يزال حياً زمن عقد المجمع بعد اربعين سنة ، ام المقصود موسى

---

١) تاريخ الازمنة للبطريرك اسطفانوس الدويهي ؛ نشره الاب فرديناند توتل اليسوعي . المشرق ، السنة ٤٤ / ١٩٥٠ – ص ٢٦١ . – « الجامع المفصل » ص ٢١٨ .

آخر، ام يونان سمي موسى غلطاً، وهذا بعيد التصور ؟ ولم يذكر احد هنا من الكهنة الكثيرين الذين حضروا المجمع الاول، كأنما اكتفي بوضع تواقيعهم مرة واحدة بعد المطارنة في آخر تواقيع المجمع الثاني.

واصحاب هذه التواقيع الاخيرة هم البطريرك يوسف، وموسى العنيسي المسقف جديداً، والشدياق يوسف من حصرون وهو ليس سوى خاطر، والشدياق فرج من حدشيت، وكهنة قرى كثيرة من الجبة والزاوية. على انه في مقدمة المجمع الثاني بنصه اللاتيني، لا يسمّى احد من المطارنة بل يذكرون عموماً هكذا: «بعد استدعاء الاساقفة انفسهم»، اي الذين حضروا المجمع الاول، وقد سُمي دنديني وحدهُ، ولا ذكر فيها للشدياقين والكهنة. ويمكن الظن ان تواقيع المطارنة اهملت هنا في نصنا لورودها فيما قبل، وانما اثبت توقيع العنيسي لكونه مطراناً جديداً. وما اعادة توقيع الشدياقين إلا لانهما يُذكران هنا مع كهنة بلدتيهما، وليس منفردين كما في السابق.

أما اهمال توقيع الاب دنديني، فقد يكون ناشئاً عن انه مكتوب باللاتينية فلم يتمكن الكاتب، ناسخ نصنا، من قراءته ونقله بالعربية. والله اعلم.

❁

وها نحن نورد هذا النص القديم، عن نسختي بكركي، متقين، عند اختلافهما، القراءة الفضلى، وموردين الاخرى بين ( ) واذا زاد او نقص شيء في احداهما، اشرنا اليه بين هلالين كذلك. وقد زدنا بين معكوفين [ ] الايضاحات التي لا بدّ منها. وما عدا ذلك فقد تركنا النص على علاته، باغلاطه ونقائصه، ولغته السخيفة وعبارته الركيكة. والعليم من أقرّنا على ذلك، والكريم من عذر.

والكلمات المكتوبة فيه بالحبر الاحمر، وضعنا تحتها خطاً. وتسهيلاً لقراءته وتفهمه، قسمناه مقاطع مقاطع، وزدنا علامات الوقف. واعتبرنا النسخة الكرشونية كأنها مستقلة كالكراس العربي، وقوامها ست ورقات.

واختصرنا بعض الكلمات على هذا الشكل :

عرَ = النسخة العربية ؛ كرَ = النسخة الكرشونية ؛ ورَ = ورقة .

٢َ = الورقة ؛ وجهها ؛ ٢ً = الورقة ٢ قفاها . وعلى الله الاتكال.

[عر: ور ١ ؛ كر : ور ١] بسم الثالوث المقدس

تبدأ نكتب امور مجمع (عر : المجمع) جبل لبنان المفعولة
من الشريف المكرم السيد سركيس بطرس (كر: من السيد
الشريف المكرم سرجيس بطروس) بطرك (عر : بترك)
انطاكية على طايفة (عر : انطاكية) الموارنة بسنة
(كر : في سنة) ، نص و [١٥٩٦] سبحية .

التئموا ، في يوم تامن (كر : التامن) عشر من ايلول ، امام البطرك الشريف ، السادات (عر : الشريف) المطارنة المكرمين ، اذ الاوخار [الاخرون] كانوا متورقين ، اعني الحبيس يوسف ، القاطن في دير قرحيا (كر : قوزحيا) ، المطران يوسف، القاطن في دير مار انطونيوس (كر : انطانيوس)، المطران موسى المتوكل على بشرى (كر : بشراى) والاسياد (كر : الاسياد) الشدايقة : الشديق يوسف المتكنى خاطر من قرية حصرون ، والشدياق (كر : الشدياق) فرج من قرية حدشيت ، وايضاً [حرف ض يرد دائماً ظا في كر ؛ نكتفي بالاشارة الى ذلك مرة واحدة هنا] كهنة كثيرة ، بحضور الاب جرونيوس (عر : غرونيموس) دنديتوس ، كاهن من رفقة الايسوعية ، قاصد سيدنا الاب الاقدس ، فافا قليوس (التامن (كر : اقليوس التامن باسمه) .

اولاً : انقرت [قرئت] الورقة الرسولية . وبعد ذلك عاتب كتير البطريك (كر : البطرك ، واغتاظ لاجل المجمع الذي صار في السنين السالفة ، ونكران ذلك المجمع صار (كر : ما صار) منه او من (كر : او) اخيه البترك ميخائيل (عر : مخايل) ولا على رضاه ورضا اخيه .

وبعد الاخر رفض وحرم بعض غلطات بالزور ماقولاة (كر : ماقولات) [مقولة] عليه وعلى طايفته من بعض ناس ، وحرم جميع تابعينهم .

فالغلطات كانت هولاى هم (كر : هولاى الغلطات كانت) :

اولاً . (كر ... دون حبر احمر للاعداد حتى ثالث عشر) : واحدة بالمسيح طبيعة (كر : واحدة طبيعة بالمسيح) .

ثانياً . مشية واحدة وفعل واحد .

ثالثاً : روح القدس [عر : ور ٢] . ينبثق من الآب وحده .

رابعاً : في التقديسات موضوع صلبوت كله [كل الثالوث] .

خامساً : (كر : خامس ، وهكذا سادس حتى عاشر) : ما فيه [لا يوجد] مطهر (كر : مطهار) .

سادساً : ما فيه خطية اصلية . والانفس (كر : اما الانفس (الخارجات من العالم) قبل يوم الدين ، ما هم متلذذات (كر : متلذلذات) ، ولا ايضاً متعذبات ، [كر : ور ٢] لكن قاطنة في موضع ، ما تحتمل عذاب (عر : تحتمل) ولا تفرح بخير .

سابعاً : الانسان يستطيع (عر : يسطيع) ينكر الامانة في فمه ، يمسكها (كر : بعد يمسكها) في قلبه .

ثامنتاً [ثامناً] : سر التثبيت ما هو مفروز من العماد .

تاسعاً : في عمل الميرون ، مع الزيت والبلسم واجب ان بعض اشيا تخلط (كر : تختلط) .

عاشراً : بالخبز واجب ان يتقدس جسد المسيح .

حادي عشر : لم يستعملون الزيت المقدس يوم خميس الكبير في مشحة المرضا ، بل ذلك الذي (كر : ذلك) اينا [اي] كاهن كان يباركه .

ثاني عشر (كر : الثاني عشر) : صورة جميع الاسرار عندهم كامله (كر : عندهم) ، [في الاصل : غير كاملة] ؛ وهي بنوع الطلبة .

ثالث عشر (كر : الثالث عشر) : لاجل الزنا واسباب اخره [اخرى] ، ولاجل المرض الدائم ، الامراة تتطلق ، ويستطيع الرجل ياخذ امراة اخره ، اذ هي بالحياه [المرأة] الاوله .

هولاى الغلطات (كر : الغالطات) جميعهم واحدة وواحدة (كر : واحدة

واحدة) انفححت . وكل واحد شرح رايه وراى طايفته وامانتها (عر : وامنتها) عليهم كلهم ، فى الزمان الحاضر والسالف . فامانتهم كانت هـذه (عر : كانت هذه هي) :

فى المسيح اولا : اقنوم [عر : ور ٢] واحدًا الاهي ، طبيعتين ومشيتين وفعلين الاهية وناسوتية .

ثانيًا : (كر : الاعداد كلها بدون حبر احمر) : روح القدس من الاب والابن ، كمن بدوًا [مبدأٍ] واحد ، ينبثق .

ثالثًا : التقديسات بنوعين فى كتبهم تجد [توجد] . فلما تقال على الاقنوم الثانى ، لاجل التجسد ، تضاع عليهم [يزاد فيها] الولادة ، الصلبوت والموت .

رابعًا . فيه [يوجد] مطهر (كر : مطهار) . ولاجل ذلك سدقات [صدقات] وطلبات (كر : طلبات وسدقات) وقداديس تصير لاجل انفس الموتى ، خامسًا : [وضع العدد هنا غلطًا] حتى من هناك يخلصون .

[خامسًا] : من ادم جميع الناس يقتبون الخطية الاصلية (كر : الإصلي) . ولاجل ذلك الصغاو بغير العماد لم يرجوا الخلاص .

[سادسًا] : الانفس الخارجة من هذه الحياة (كر : الحيات) ، اما الوقت [عاجلًا] يمضون الى السما ليتلذذون (كر : ليتلذذون) بالله ، اما ينزلون الى عذابات الجحيم الابدية (كر : الى الجحيم وعذابها الابدي) ، اما الى [كر : ور ٢] عذابات المطهر الزمنية (كر : المطهار الزمني) .

سابعًا : ما يمكن لاحدًا ينكر الامانه فى فمه ، كما يشهد الانجيل : « من ينكرني امام الناس انكره انا امام ابي الذى فى السماوات (كر : بالسماوات) » .

ثامنًا : سر التثبيت هو مفروز جدًا من العماد ، وخادمه المختص هو الاسقف ويعطا فيه روح القدس وامتلا النعمة التى (كر : الذي) فيها نتقوى ، ونثبت (كر : ونثبت) باعتراف الامانه .

تاسعًا : عمل الميرون ما يختلط فيه شى ، دون الزيت والبلسم (كر : والبلسام) ، الذي [اللذين بهما] تتين طبيعتين المسيح .

عاشراً : بالفطير دائم كانوا (كر : يكونوا) يتقدسوا .

حادى عشر : واجب ان المرضا ، اذ متشرفين على (كر : الى) الموت ، [عر : ور ٣] يُمسحون بالزيت الذى يقدسه الاسقف بيوم خميس الكبير .

ثاني عشر : صورات (كر : صورة) الاسرار التين [التي] يستعملونهم ، ما هم مفترقة من عادة (عر : عادت) كنيسة روميه ، وتبين فعل الخادم .

ثالث عشر : [وضع العدد هنا غلطاً ، ولا محل له ، لان ما ورد فيه راجع للقضية السابقة ، وهو :] : انا معمداً لك . والباقى .

رابع عشر : ولو بعض دفعات يعطا طلاق الفراش والسكنة ، لكن عقد (كر : عند) الزيجه لم ينحل دون الموت ، كما هو مكتوب واضح بالانجيل : « الذى يطلق امراته وياخذ اخره [اخرى] يفجر ، والذى يأخذ مطلقة يفجر » .

هولاى كلهم يشهدون كتبهم الحقانين والخصوصيين . والقس جورنيوس دنديا تبث ان ما وجد فيهم شي مضادد .

ولاجل ذلك ، اذا [اذ] امانتهم لم كانت (عر : كانة) تفرق من امانة رومية القاتوليقية (عر : القاتوليقة) الرسولية : [و] لاجل خصايل كثيرة (كر : خصال كثيرين) التين [التي] ، ام لاجل [عدم] معرفة الكهنة ام لاجل قرب واختلاط الامم الغير مومنة من الهراطقة والمنفصخين [المنفسخين اي المنشقين] ، دخلت في بعض مواضع ؛ الابيات الطاهرين والمومنين الذين اجتمعوا ، هولاى القوانين ، برضا جميعهم ، صاروا :

اولاً : سر العماد هو ضروري [كر : ور ٣] جداً لكل احد ، لاجل الخلاص . وواجب يعطى عاجلاً الصغار . ولا يتأخر لبعد عشرة ايام ، ام اثني عشر يوم . ويكون عند الكاهن الذى يعمّد ، كتاب مكتوب فيه اسامي المعمودين (عر : المعودين) والعراريب .

[عر : ور ٣] ثانياً : (كر : الاعداد غير مكتوبة بالحبر الاحمر) : الاساقفة جميعهم يعطون سر التثبيت المقدس ، بالاقل مرة واحدة فى (عر : كرة واحد) كل سنة ، فى رعيتهم (كر : برعيتهم) ، ليفعلوا ما هم

متسلمين من السيد المسيح الراعى الاول العظيم (عر : العظيم) .

ثالثاً : فليكون (عر : فيكون) حاضر العراب الذى يمسك المثبت ، واحد ام واحده .

رابعاً : فى اوجاه [اوجه ، وجوه] القرابة الروحانية ، التى تصير فى العماد والتثبيت ، ينحفظ ما فى المجمع الطرنتانى بحكما انحدد [بحكمة تحدد] . فلذلك هو ان بالعماد بين العراب والعرابة والمعمود وابيه وامـه ، وايضاً بين المعيد والمعمود ، تصير القرابة المذكورة فقط . والقرابة التى تحصل من التثبيت ، تكن فقط بين المثبِّت والمثبَّت وبين ابيه وامه والعراب . اذ تترك جميع التعاويق [الموانع] ، بين باقية اقانيم [اشخاص] هذه (كر : هذى) القرابة الروحانية ، من الزيجة .

خامساً : (كر : خامس) : هولاى الـذين هم متوكلين على شعب الله [و] عليهم ان يرعونه بالكلام والاسرار ، ليس ينبغى انهم يكونوا قليلي العلم والمعرفة ؛ لاجل ذلك ، فى الكنايس المختصة [الكبيرة ، المرموقـة] ، بايام الحدود ، يجب ان تصير قراءة علم النية ، والبا يجتهدون بالمجى جميع كهنة المواضع القريبة . ويصير عاجلاً كتاب [كتابة مسائل] علم النية (عر : النيا) ، حتى كلهم يقدرون (كر : كلهم) يستعملونه (عر : يستعملون) .

سادساً : خطايا تنحفظ للاساقفة التى بغير دستوره «م ، الكهنة مـا يقدروا يحلوها . وتنحفظ ايضاً خطايا عظيمة للبطرك ، التى بغير دستور» ه ، ما تنحل ، [ما وُضع بين علامتين « » ناقص في كر :]

سابعاً : (كر : سابع) : لاجل ان ما يستطاع ان يعطا [عر : ور ٤] جسد المسيح المكرم (كر : المسيح) للصغار ، بغير قلة لياقة وقلـة توقير ، يتحضرون [يُحذَّرون] ، من اليوم وطالع ، [كر : ور ٣] الكهنة جميعهم ان يعطا لاحداً ان كان ما يصالوا [الى سن] معرفة الخير والشر .

ثامناً : جميعهم يقدسون في كتاب القداس المطبوع برضا سيـدنا البابا المقدس ، ومبعوث الينا . ولا يستعملوا كتاب آخر ، ان كان ما يحضروه الى

عند (كر : لعنـد) البطرك ، ليتصحح كالكتاب المطبوع ، ويضع خط يد البطرك عليه ، ويتثبت بختمه .

تاسعًا : ليس بيان لايق ولا [عر : ولم] موافق لعادة الكنيسة ، عادة بعض الكهنة (كر : كهنة) ، الذي بزى الطهارة والعبادة يقدسوا حافيين . ولهذا يتفهمون الكل ان هذا ما هو واجب فعله ولا حفظه .

عاشرًا : واجب ايضاً ان الاصابع ، الـذين فيهم يتمسك جسد المسيح بالقداس بعد التقديس ، ان لا يسطعوا (كر : يصطعوا) [يلمسوا] شي ، ومن هناك (كر : هنا) وطالع انهم يكونوا مجتمعين [اي الاصابع] .

حادي عشر : ان تناول [يتناول الكاهن] جسد ودم المسيح كل واحد وحده [اي فاصلًا بين تناول الجسد والـدم بمناولة غيره] . واجب لكمال (عر : الكمال) التقدمة [ان] الكاهن [يتناولها قبل مناولة غيره ؛ وعكس ذلك] ما هو واجب يعود يصير .

ثاني عشر : (كر : يب اي ١٢ ، وهكذا بقية الاعداد وبالحبر الاحمر) : استعمال الما المبارك الذي هو [استعمال] طاهر وقديم في (عر : وفي) البيعة ، بكنايسنا [يجب ان] يكون . ويتبيرون المواضع والانا الذى فيهم يضع لايق [بلياقة] لكل الشعب .

ثالث [عشر] : بكثرة الحرص والقداسة ، تتحفظ ، من اليوم وطالع ، ايام الاعياد . فتمدد (كر : فتحدد) وتشهر (عر : وتنشهر) الذين (عر وكر : الدين) واجب [عر : ور ٤] وصية (كر : واجب) حفظهم . وايضاً بينهم يتعد عيد الثالوث المقدس وعيد جسد المسيح وعيد جميع القديسين .

رابع عشر : تمنع جدًا سداجة النسا وعاداتهن ، التي فيها ، بزمان الحرمانية واربعين يوم بعد الولاده ، ينقطعون عن الدخول للكنيسة .

خامس عشر : واجب يكون كل حرص واجتهاد ان عند البطرك والاساقفة ، وايضاً في جميع المواضع المختصة [الهامة] ، تكون [كر : ور ٤] الكتب المقدسة ، اعني العهد العتيق والجديد ، التي عليهم خاصياً ماسة [خصوصاً مؤسسة] امانتنا .

سادس عشر : لاجل انها مضرة عظيمة [ان] تكون فى (عر : تكون) اياديهم كتب المراطقة والمنفصخين ، بحرص عظيم واجب تفتيشهم ، [و] عند البطرك [فى] موضع يتسكر [يقفل عليهم] وينحفظون . ولا تعطى قرايتهم الا الفاهمين ومعلّمين علم اللاهوت ، الذين يستطيعون ويفرقون بين الحق والباطل .

هولاى جميعهم ، كما انحددوا بقداسة من مجمعنا (كر : مجمعنا اللبناني) ، هكذا بجميع الانواع يجتهدوا الاساقفة والكهنة حتى يحفظون بحرص من المومنين بالمسيح ؛ اذ يأخذون [يقاصون] المخالفين ، كما هم مستحقون .

فلما ما كان لهم [بعد] شيء ليتكلمون عليه ، انقرت هولاى القوانين دفعة ثانية بصوت عالي مفهوم (عر : علي ومفهوم) على الابهات ، ومنهم تثبتت . وطلبوا جدًا يتثبتون من الاب المقدس الفافا . ولما وعدهم القس جرونيموس دنديني انه يجهد يعتني [عر : ور ٥] فى تثبيتهم ، انفل [انصرف] المجمع بعشرين يوم من شهر ايلول سنة ١ نص و [١٥٩٦] مسيحية .

تانى مجمع زياده على المجمع السالف

فى ايام يوسف بطرس (كر : بطروس) البطرك

اذ هولاى تكملة [كملت] ، البطرك سركيس ، كالناموس (عر : كاناموس) المحدد على الناس جميعهم ، من هذه الحياة انتقل الى [حياة اخرى] اخره احسن ، كما ان [كل] واحد يحسن يفكر . وموضعه ، فى رضا الشعب جميعهم ، صار بعده بطرك يوسف [ابن اخيه] حبيس قرحيا .

وهذا فليس فقط (كر : قط) المجمع السابق وجميعًا فيه متظمن [وجميع ما فيه متضمن] ثبت ، وراد انه يحفظ من المجمع [الجميع] ، بل ايضًا صاح [دعا] ثانيًا الاساقفة وراد [وزاد] هذه القوانين ، بحضرة الاب جرونيموس دندينوس (عر : دنديونوس) ، قاصد الكرسى الرسولى :

[كر : ور ٤] قانون الاول : سمعنا ان بعض ناس فى القداس ، قبل يلبسون اللبس المقدس ، يقدمون الخبز والنبيذ ؛ [وان] اوخار [اخرين] اولا

يلبسون (عر : يلبسون) وبعد ذلك يقدمون – اد واجب ان (كر : واجب) تكون عادة واحدة لشعب واحد وطايفة واحده ، واجب ايضاً ان يكون نوع الخدمة الالهية (عر : نوعاً الخدمة لالهك ؟) [واحداً] . فهو ايضاً موافق جداً الراي والعادة الكنايسية ان الكاهن يلبس (عر : لابس) اللبس المقدس [و] يتقدموا (كر : ويقدس) [ويتقدم] للمذبح (عر : المذبح) .

القانون الثاني (كر : قانون الثاني ، وهكذا كل الاعداد) : ذلك الذى البابية الرومانية لكهنتنا وللناس (عر : والنـاس) الكنايسية يعطون حتى يتزوجون ، ويفهمون [فليفهم] الجميع انها موهبة ليس وصيـة . وليس هكذا يتأخذ (كر : يتاكد) منا [يفهم منا] حتى ان كان ما هم يتزوجون ، مـا يجب عليهم اخذ [عر : ور ٥] الدرجات المقدسة وتدبير الشعب وعطاية الاسرار . لان اقدس جداً هو واكثر واجبة (كر : اكثر) شهوته [ومشتهى كثيراً] ان الذى معهم موهبة من الله ، فى طهارة يعيشون . وذلك الذى مار بولس (كر : براص) الرسول شوراً اعطـاه (كر : اعطاهم) لجميع (عر : الجميع) المسيحيين ، حتى ليس بافتراق [بانقسام] بل بكمال وخلوة [وبالكلية] يستطيعون ويخدمون الله واموره ، ينبغي جداً [بالاحرى] للناس (عر : الناس) الكنايسية « والذى سلموا الله ذاتهم » [ما بين علامتين « » ناقص فى كر :]. لاجل ذلك هذا [الامر] يترك ليدبر بخاطر كل واحد . ولا احداً الزاجـة (عر : الزاجة) [للزيجة] ينسحب [يُدفع] ام يُغتصب .

القانون الثالث : واجب ان اوليك الذين هم فى الدرجة الاسقفيـة ، واجب ان (عر : واجب) يتوقرون بلياقة من جميع الشعوب ، ومن الاوخار ينفرزون . لاجل ذلك ، ام يكونون [سواء كانوا] مدبرين الديورة ام الشعوب ، يستعملون [ليستعمل] اللبس المعتاد للاساقفة (عر : الاساقفـة) ، هولايك (عر : هوايك) الذين لتلك الدرجة من اليوم وطالع يرتفعون . ولا فى موضع واحد ، ودون البطرك ، اساقفة كتار ايضاً يسكنون (كر : يسكنون ايضا).

القـانون الرابع : بكلمة الله جداً واجبة هي رعـاية خراف الله المسيحيين المسلّمين لحرصنا ، حتى يتعلمون الامانه ، [كر : ور ٥] والموايد [الاداب]

يتأدبرن . ولهذا يتحددوں (كر : والهدا ويتحددون) المواضع الـذين فيهم واجب على كل واحد انه يبشر كلمة الله وايام الحدود والاعياد الكبار . ولا احد يجاسر يعمل ذلك بكنايسنا ، ان كان ما يكون مرسول من البطرك ام من اسقف الموضع .

القانون الخامس: «لا احدا يحارب من شان الله ويشرك روحه في الامور العالمية » ، كما بالقداسة مار بولس (كر : بولص) اوصانا . فهو الحق عمل طالح وليس واجب [عر : ور ٦] ولايق ان الكهنة يصيروا ريسه [يعني جباة]، ويجبون المال للسلمين (عر : المسلمين [بالايطالية Turchi ؛ باللاتينية Turcis : دنديني ص ١٢٠ و١٣٠ والطبعة اللاتينية الرومانية للمجمع اللبناني ، ص ٣٥٩؛ ترجمة سعد : للغير المومنين : مجموعة المجامع ص ٩ ؛ ونجم : الولاة الغير المومنين : ص ١٩ من الذيل] . وذلك من اليوم وطالع البتة لا يصير .

القانون السادس : واجب ان موضع الرهبان ، الذي تركوا العالم [و] داخل الديورة وحبسوا ارواحهم ، يكونوا بعيدين من رفقة النسوان . ولهـذا ولا واحده منهم داخليا يعبرون ، دون وقتاً [ألا حين] بالهيكل يسمعون الاشيا الالهية ، موضع ووقت [حيث ومتى] بيان البطرك [للبطرك مرافقاً . ولكن] ابداً هناك لا يأكلون ولا ينامون [اي النساء] .

. فهذه ما تحددت [فهذه لم تتحـدد، لان [في] الازمنة (عر : الزمنة) السالفة عندنا ابداً ما كانت واكثرها [اكثرها] محفوظة ؛ بـل لان كثيرين الان ما كانوا يستعملوها ، راد مجمعنا ان الجميع يفيقون عليها [يتذكرونها ، و] في حرص كل [واحد يحفظها] حفظها .

اذ هو [اي مجمعنا] ذلك مترجيا (كر : مترجيا ذلك) في [من] عبادة طايفته وطاعتها المعتادة ، [و] من الله العظيم والصالح بتخشع يطلب (كر : يطلبون) .

باليوم الثالث من تشرين الاخر بسنة ، نص و [١٥٩٦] مسيحية .

ايضا (كر : ثم ايضا) ايام الاعياد القديسين الذين تلزم بطالتهم

تحت وصية الجميع (عر : المجمع) [تحت الوصية لجميع] المومنين

حسب القانون السابع عشر (كر : يز اي ١٧) من المجمع (عر : بدون : من) اللبناني (كر : البناني) سنة ١ نص و [١٥٩٦] مسيحية

اول ذلك عيد الختان، وهو راس السنة [كر : ور ٥] والشهر. عيد قداس الما. عيد دخول سيدنا الهيكل. عيد مار تماتيا الرسول. عيد بشارة السيدة. عيد مار فيلبس (كر : فيليفوس). عيد مار يعقوب. عيد مار يوحنا المعدان. عيد مار بطرس وبولص. عيد مار يعقوب الرسول. عيد التجلي. عيد نياح السيده. [عر : ور ٦]. عيد مار برتولماوس. عيد مار متى. ارتفاع الصليب. عيد مار ميخايل (عر : مخاييل). عيد مار سمعان ويهودا. عيد جميع القديسين. عيد مار اندراوس. عيد مار توما. ميلاد سيدنا. عيد مار اسطفانوس. عيد مار يوحنا الانجيلي. حدود كل السنة. عيد الفصح (كر : القيامة) مع اليومين تابعينه. صعود (عر : سعود) سيدنا الى السما. عيد العنصره مع (كر : و) اليومين تابعينه. عيد الثالوث الاقدس. عيد جسد الرب. عيد قديس القرية.

فاما (عر : :١) لازم لجميع (عر : الجميع) الكهنة ان فى ايام الحدود فى القداس يحضرون [ينبهون] الشعب على اعياد تكون ايامهم في تلك السبة، ان كان يجوز الذى بطالة (عر : بطالته) ايامهم تكون محدودة وموصية [؟ ! : لا اصل لهذه الجملة الاخيرة في كتاب الاب دنديني، حيث يتكلم عن الاعياد، ص ١٠٤ و ١٢٧].

انا بطرس سركيس (كر : بطروس سرجيس) الانطاكى الموارنه

الخطايا المحفوظة للبطرك

التين (كر : الذين) [التي] ليس يقدروا يحلوا [يقدر يحل] منها احد (كر : احدًا) من الاساقفة :

اولاً : كل ما يوجد فى المكتوب الذى يظهره القافا يوم خميس (كر : الخميس) الكبير . [في الاصل : وسائر الحوادث الاخرى التي تحتوي عليها البراءة [اي البوله التي بدؤها] في عشاء الرب . دنديني ص ١٠١].

ثانياً : (عر : ثاني) : الهرطقه والانفصاخ عن كرسي روميــة ظاهراً ، ومن يعلمها (كر : علمها) لغيره ، ام من يفعل افعالها (عر : افعــاله ما) ، ام يعامل مع المسلمين [بالايطاليــة في دنديني ص ١٠١ Turchi ؛ التولاوي يهلها] ام مع المنفصخين ، من شان دينهم الباطل .

ثالثاً : ضرب الكهنة ام الشمامسة بضرة ثقيلة .

رابعاً : من يعوق الحرومات لئلا يصالوا للمحرومين حينئذٍ بهم .

خامساً : استعمال اسرار البيعة في تعزيم ام حرز آخر شيطاني .

سادساً : [كر : ور ٦] من يعامل المسلمين [بالايطاليــة في دنديني ص ١٠١ : Turchi ؛ التولاوي : الحكام : مجموعة المجامع ص ٩ وكراس بكركي والتحفة الادبية ص ٣٧] وفى واصطتهم (كر : وساطتهم) يغصب النسا بالزواج (عر : الزواج) ، ام كهنــة يباركهم [يباركونهم] ويصلوا عليهم .

سابعاً : من يشتكى على احد باطل عند المسلمين [دنديني ص ١٠٢ Turchi؛ التولاوي : للحكام الاجنبيين : مجموعــة المجامع ص ٩ وكراس بكركي والتحفة الادبية ص ٣٧] [عر : ور ٧] ويتعاون عليهم .

الخطايا المحفوظة للاساقفة (كر : الخطا المحفوظة للاسقف)

التين [التي] الكهنة الاوخار ليس تقدر تحلها

كحسب القانون (كر : القوانين) السادس من المجمع (كر : المجمع اللبناني) الذى صار بسنة ١ نص و [١٥٩٦] مسيحية :

اولاً : الهرطقة والانفصاخ عن كرسي رومية باطناً وخفياً .

ثانياً : (كر : ثاني وهكذا حتى الاخر) : السحر والتمزيم وباقى الحروزات .

ثالثاً : ضرب الكهنة والشمامسة كلهم [يريد « بكلهم » كل انواع الضرب اية كانت] .

رابعاً : القتل بالارادة (عر : بالاردة) ام بنوع اخر بذنب واسية [واذية] .

خامساً : الخطا (كر : الخطايا) مع الحيوانات .

سادساً : خطية اهل سادوم مع ذكر ام انثى (كر : ذكر وانثى) .

سابعاً : المتيكة (عر : المتكية) اعنى الخطية مع اهله وقرايبه ام مع اهل امرأته .

ثامناً : [مَن] لا يعطى البركة البطرك ام مــا (عر : ام) يستحقوا المطارنة والكهنة .

تاسعاً : مَن تموَّد يجدِّف .

عاشراً : مَن يعطى ويعامل بالربا .

« انا بطرس سركيس الانطاكى الموارنه [اعلاه] »

(كر : انا الحقير يوسف بسم بطرك ... [ادناه]) .

انا الحقير مطران يوسف [الرزي] الحبيس ، اثبت هولاى وارضا بيهم [هو نفسه البطريرك يوسف] .

انا الحقير يوسف [السمراني] مطران دير مار انطونيوس (كر : مطران انطانيوس) قزحيا ، فى جبل لبنان ، اثبت هولاى وارضا بيهم .

(كر : انا ... موسى العنيسي ... [ادناه]) .

انا الحقير الشدياق يوسف المتكنى بخاطر ، من قرية حصرون ، ارضا بيرلاى .

(كر : انا مطران يونان ... [ادناه]) .

انا الحقير شدياق فرج ، من قرية حدشيت ، ارضا بهولاى .

انا الحقير مطران يــونان [السمراني ، اخو يوسف] اثبت هولاى وارضا بهم .

انا الحقير يوسف بسم بطرك اثبت هولاى واطلب من قداسة (عر : من) سيدنا القافا يثبتهم .

انا الحقير موسى العنيسي ، بسم مطران قنوبين ، اثبت كل مــا قيل أعلاه (عر : اعلا) .

انا الحقير الخورى [عر : ور ٧] عطا الله ، والخورى حوشب ، ويوسف بسم (كر : باسم) شدياق [هو هو خاطر : اعلاه] ، من قرية حصرون (كر : شدياق ، فقط) ، راضين بذلك .

نحن الكهنة والشمامسة فى [كر : ور ٦] قرية (عر : قريت) اهدن ، راضين بهولاى (كر : اهدن ، فقط) .

نحن الحقيرين فى الكهنة : القس هــارون ، والقس ايوب ، والشدياق فرج ، من قرية حدشيت (كر : ايوب ، فقط) ، رضينا بهولاى .

نحن الحقيرين فى الكهنة ، الخوري شحــاده (كر : شحاده والقس) ، وباقى كهنة بشرى (كر : بشراى) ، رضينا بيولاى .

حضرت انا (عر : حضر) الخورى شحاده ، والقس شحاده ، الحقيرين فى الكهنة ، من قرية الحدث (كر : وقس شحاده ، كهنة قرية الحدث) ، راضيين بيولاى .

نحن الحقيرين فى الكهنة : القس يوحنا (عر : يحنــا) ، والقس داود ، من قرية ايطو (كر : ايطوا) ، راضين بهذا الاعتقاد (كر : راضين كما قيل اعلاه) .

(كر : انا . . . الخوري سركيس . . . [ادناه]) .

انا الحقير فى الكهنة : الخورى (كر : الحقير خورى) موسى من قرية بقرزلا ، راضي بذلك .

نحن الحقيرين (كرَ : انا الحقير) في الكهنة : الخوري سركيس ، والخوري يوحنا (كرَ : يحنا) ، من قرية كفرزينــا ، مع باقى كهنة الزاوية ، راضين بهولاى .

انا الحقير فى الكهنة (كرَ :الحقير) الخورى يوسف ، القاطن في طرابلوس ، ارضا بهولاى .

انا الحقير فى الكهنة ، القس يوحنا (كرَ : يحنا) ، من ادنيت ، راضى بهذا الاعتقاد .

(عرَ : صح)

وثائق تاريخية عن المجمع اللبناني

مقال الاب اغسطينوس تشاسكا (تابع)

بقلم الخوري باخوس الفغالي

المأذون في اللاهوت

والدكتور في الحق القانوني ، والمحامي الروماني

البحث الثاني

في نص المجمع اللبناني الشرعي

٤٦) لقد تسنّى لنا في المقطع ٢٣ وتوابعه ان نتثبت من وحدة الذات القائمة ، فيما عدا نقاط قليلة موافقة للنص اللاتيني ، بين الطبعة العربية الوحيدة والمشروع الاصلي الذي تناقش فيه الآباء وثبتوه في جلساتهم الست ، والذي حمله السمعاني الى رومة ومنها اعيد الى الشرق[1] . ثم أرجع الى خزانة مجمع الانتشار ١٨٦٦ . وقد ثبت ايضاً ثبوتاً قاطعاً[2] ان الطبعة اللاتينية الوحيدة بتاريخ ١٨٢٠ نقلت بكل امانة ، رغم بعض اختلافات املائية ، نص المخطوط

١) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١٤ (من هذا المقال) .

٢) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٣٠ (من هذا المقال) .

ARTICOLO II

Del testo autentico del Sinodo Libanese

46. Nel § 23 e seguenti si è potuto constatare, ad eccezione di pochi punti favorevoli al testo latino, l'identità esistente tra l'unica edizione araba e lo schema originale, discusso ed approvato dai Padri nelle sei sessioni, e portato in Roma dall' Assemani, quindi rimandato in Oriente (§. 14), e finalmente restituito all'archivio di Propaganda nel 1866. Parimenti è dimostrato ad evidenza (§. 30) che l'unica edizione latina, fatta nel 1820, rappresenta fedelissimamente, meno alcune poche varietà ortografiche, il testo contenuto nel ma-

المقسم الى ثلاثة مجلدات وضمنه ذيل المجمع[٣]. وهذا المخطوط قد سلمه السماني الى المجمع المقدس على اثر رجوعه من لبنان[٤] ويُستخلص من ذلك ان لدينا المصدرَين الاصليّين العربي واللاتيني اللذان صدرت مباشرة عنها الطبعتان العربية واللاتينية . ويُستخلص ايضاً انه لا الموارنة في اصدارهم الطبعة العربية ولا السيد الاباتي « كنشيليري » المشرف على اصدار الطبعة اللاتينية[٥] قد حرّفوا النصّين الاصليّين تحريفاً جوهرياً . واننا نغض النظر عن مسألة النص اللاتيني، فيما اذا كان مترجماً عن العربي، لانها بعيدة عن الموضوع ، ونقول انه ثابت ان المخطوطَين قد جاء بهما السماني من الشرق وسلمهما الى المجمع المقدّس بصفتها اعمالاً اصلية للمجمع اللبناني[٦]. وثابت هو ايضاً ان المجمع المقدس قد فحص وثبّت نص المجمع المذكور في اجتماع السابع والعشرين من آب ١٧٤١ [٧] ولا يمكن الافتراض ان المجمع المقدّس هذا قد ثبّت معاً نصّين يختلفان عن بعضهما كل هذا الاختلاف وعليه لا بد من « ان نتحقق ايهما هو النص الشرعي بحصر المعنى

٣) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٩ (من هذا المقال) .
٤) حاشية المؤلف : راجع المقطعين ١١ و١٢ (من هذا المقال .
٥) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٥ . الملحوظة الخزانية الاولى .
٦) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١١ (من هذا المقال) .
٧) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١٣ (من هذا المقال) .

---

noscritto diviso in tre tomi, compresa l'appendice del Sinodo (§. 29), quale manoscritto fu dall' Assemani consegnato nel suo ritorno dal Libano (§§. 11-12). Da ciò risulta che noi possediamo le due fonti originali, araba e latina, da cui sono derivate immediatamente le rispettive edizioni. Risulta altresì che nè i Maroniti nel curare l'edizione araba, e nè il Sig. Abbate Cancellieri, che diresse la stampa dell' edizione latina (*Som. n. V prima nota d'Archivio*), alterarono in cose sostanziali i testi originali. Prescindendo pertanto dalla questione, se cioè il manoscritto latino sia una traduzione dall'arabo, perchè aliena dallo scopo, è cosa positiva che ambedue i manoscritti vennero dall' Assemani portati dall' Oriente, e consegnati alla S. C. come *Atti originali* del Sinodo Libanese (§. 11); come altresì è certo che la S. C. ha esaminato ed approvato il testo dello stesso Sinodo nella Radunanza dei 27 Agosto 1741 (§. 13). Ma siccome non si può supporre che la stessa S. C. abbia approvato ambedue i testi, tanto discordanti tra loro, ne deriva la necessità di «riconoscere quale sia e debba tenersi per

وبعبارة اخرى اي هو بتدقيق النص الذي ثبته اولًا المجمع المقدس ثم بندبكتوس الرابع عشر بموجزه المعروف »[٨]

٤٧) ويوافق هنا ان نبدأ بتحديد صحيح لما يقصد بلفظة شرعي . ان اللفظة اليونانية « اوتنتيكون »[٩] نظرًا الى اشتقاقهــا تدل اولًا على « ما له سلطة ثابتة وشرعية » او على « ما يصدر عن السلطة او ما تعترف به السلطة ». وعليه فالفقهاء يسمّون شرعية المستندات والكتابات الحاصلة على سلطة ثابتة وصحيحة . ويُسمّي القانونيون « كتاب الشرعيات » مُحدثات يوستينيانوس[١٠] لانها تمنح السلطة للسنن السابقة او تأخذها عنها او تصوغها صوغًا جديدًا . وبالمعنى نفسه يقال ان الكتب المقدسة هي شرعية لانها معزّزة بالسلطة الالهية. وثانيًا تسمّى شرعية الكتابة الاولى[١١] بالنظر الى النسخة المنقولة[١٢] عنهــا

٨) حاشية المؤلف : رقعة سيادة الشهير امين السر للامور الشرقية وقد ارسلها الى الكاتب (لهذا المقال) .

٩) حاشية المعرّب : وهي التي نعرّبها بلفظة شرعي .

١٠) حاشية المعرّب : محدثات يوستنانوس هي السنن الحديثة التي اصدرهــا هذا الامبراطور وهي تؤلف الجزء الاخير من المجموعة القانونية (Corpus Juris) .

١١) حاشية المؤلف : وتسمّى باليونانية ديكايورة (δικαίωμα) .

١٢) حاشية المؤلف : وتسمّى باليونانية انتيغرافون (ἀντίγραφον) .

---

autentico nel senso rigoroso della parola, ossia quale sia precisamente il testo che fu approvato prima della (sic) S. C., e poi dalla s.m. di Benedetto XIV col suo noto Breve». (1)

47. E qui anzitutto verrebbe a proposito di determinare il significato genuino dalla voce *autentico*. Il greco αὐθεντικόν = *authenticum*, in forza della sua etimologia, primieramente significa «quod auctoritatem indubitatam et legitimam habet», ovvero «auctoritatium, auctoritate receptum». Onde presso i giureconsulti: authentica instrumenta et scripta dicuntur, quae certam et justam habent auctoritatem; ed i canonisti chiamano *authenticorum librum* le *Novelle* di Giustiniano, perchè queste conferiscono, o detraggono autorità, o danno nuova forma alle precedenti Costituzioni. Nello stesso senso le sacre scritture diconsi *autentiche*, perchè insignite di autorità divina. Secondariamente si chiama autentico = instrumentum primarium = δικαίωμα, per oppositione all' esemplare o copia, ἀντίγραφον; ed in questo senso S. Gregorio Magno distingue fra *authentica*

(1) *Biglietto dell'Illmo Mons. Segretario per gli AA. OO. allo scrivente.*

وهذا ما يعني القديس غريغوريوس الكبير بقوله الكتابة الشرعية والنسخات[١٣]
وثالثاً تسمى شرعية الكتابة الغير المنقوصة وهذا المعنى[١٤] يقصده ترتليانوس
بقوله «رسالات الرسل الشرعية» ويعني بها تلك الرسالات المحفوظة لدى
الكنائس الرسولية بالنظر الى الكتابات التي حرّفها الهراطقة . واذا جئنا
الآن نستعمل هذه المعاني المختلفة لما نحن بصدده فاننا لا نستطيع ان نعتبر
شرعياً بمعنى الكلمة الحصري اي المعنى الاول الا نص المجمع اللبناني الذي ثبته
وقرره الكرسي الرسولي لانه وحده بقوة ذلك التثبيت تسنّى له ان يحصل على
سلطة ثابتة وصحيحة . وعليه فان الابحاث الآتية لن تتوخّى الوصول الى معرفة
اي نص من نصّي المجمع المذكور هو الشرعي الاصلي او الغير المنقوص ، بل
اي النصّين فحص وثبّت المجمع المقدّس ثم السعيد الذكر بنديكتوس الرابع
عشر . وهذا هو السؤال الذي طرحه بكل دراية سيادة امين السر .

٤٨) ويجمل بنا ان نبدأ ببسط ما يستند اليه من اسباب سيادة البطريرك
السامي الاحترام[١٥] ليثبت شرعية النسخة العربية اي نص المشروع الذي فحصه

١٣) حاشية المؤلف : الكتاب الاول . الرسالة ٤٢ .
١٤) حاشية المؤلف : في رور الزمن فصل ٣٦ .
١٥) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ١٨ .

cartula ed *exemplaria* (1). In terzo luogo si appella autentica una scrittura integra, come Tertulliano (2) chiama *autenticas* (sic) *Apostolorum litteras* quelle conservate presso le Chiese apostoliche, in relazione alle scritture interpolate dagli eretici. Applicando al caso nostro queste varie significazioni della voce *autentico*, non potrà ritenersi come tale nel senso rigoroso della parola, ossia nella primitiva significazione, se non quel testo del Sinodo Libanese il quale venne approvato e confermato dalla S. Sede, perchè esso solo in forza di tale approvazione potè conseguire indubitata e legittima autorità. Le ulteriori ricerche pertanto non saranno dirette a riconoscere quale dei due testi del predetto sinodo sia l'autentico originale, ovvero *integro*; ma piuttosto quale dei due sia stato esaminato ed approvato prima dalla S. C. e poi dalla sa. me. di Benedetto XIV, come Mons. Segretario ha saviamente posta la questione.

48. E primieramente sarà bene di esporre le ragioni addotte dal Rmo Mons. Patriarca maronita (*Som. N.* II, p. 18), per provare l'autenticità del testo arabo, -

(1) *Lib. I ep. 42.*
(2) *De praescrip. cap. 36.*

وثبته آباء المجمع وهو الذي نقلته طبعة سنة ١٧٨٨ العربية . اما الاسباب فهي الآتية[١٦] : « آ – لانهـا (النسخة العربية) هي التي على موجبها عقد السينودوس نفسه فقبل بها اباؤه وامضوها وختموها بعد ان كانوا هذّبوها وغيّروا بها مـا رأوه موافقاً بجمعيات متقدمة على عقده . ب – وهي التي تقدمت للكرسي الرسولي بالصورة التي تهذّبت بها ليثبتها فثبتهـا سنة ١٧٤١ . ج – وهي التي سلكت الطائفة على موجبها من ذلك الحين الى الآن ولا عرفت ولا تعرف غيرها . د – وعلى موجبها طُبعت كتب رتبها وكتب قداسها في رومة وعملت مجامعها . ه وبالاجمال نقول انه لا امكن ولا يمكن ان النسخة اللاتينية اية كانت تدعى الاصلية الصحيحة للسينودوس اللبناني بل العربية لانه عقد في اللغة العربية واثبته وقبله الآباء في هذه اللغة لا باللاتينية . و – كما انه لا يمكن ان يظن ان الكرسي الرسولي قصد ان يثبت غير

(١٦) : حاشية المعرّب : لم نعرّب عن النص الطلياني هذا الكلام بل نقلناه عن النص العربي لهذه المفكرة المذكورة مراراً وقد نشرها كما قلنا الاب غسطاوي (راجع المشرق سنة ١٩٥١ صفحة ٢٦٨ حاشية ٤٦) .

come trovasi nello *schema* esaminato ed approvato dai Padri del Sinodo, e quindi trasportato nell' edizione araba, fatta nel 1788. Esse sono: «a) Perchè a norma di essa (3) è stato celebrato lo stesso Sinodo, e fu approvato dai Padri del medesimo, e da essi fu sottoscritta e sigillata dopo averla riformata, e ciò in varii congressi precedenti la sua celebrazione; b) e perchè essa è quella che è stata trasmessa alla S. Sede in quella forma, nella quale fu riformata, per essere confermata, e ne è stata realmente confermata l'anno 1741; c) e perchè essa è quella, a norma della quale ha camminato da quel tempo fino al dì di oggi la Nazione, la quale non ha conosciuto, nè conosce altra copia; d) e perchè a secondo di essa sono stati stampati in Roma i Rituali, e Missali di essa Nazione, e furono celebrati nella medesima nazione varii Sinodi, e) ed in generale diciamo, che nè è stato, ne (sic) è possibile, che la copia latina qualunque ella fosse si potesse chiamare l'originale autentico del Sinodo Libanese, ma bensì l'araba, perchè esso è stato celebrato in lingua araba, ed in questa lingua fu approvato, ed accettato dai Padri del medesimo, e non nella latina, f) come anche non è possibile a credersi che la S. Sede avesse inteso di confermare altro che i Decreti,

(3) *Mons. Patriarca chiama* copia araba *il predetto manoscritto, ossia* schema *esaminato dai Padri del Sinodo.*

الرسوم المحتواة في النسخة[١٧] العربية التي اتفق عليها آباء السينودس اللبناني نفسه » .

٤٩ — ان الاسباب المذكورة آنفاً تعمد الى اثبات شرعية المخطوط العربي بمعنى انه الاصلي اي ذلك المشروع الذي فحصه وثبته الآباء اللبنانيون . ومنه الاسباب تزداد قوة بما يعطي سيادة ڤالرجا من براهين قاطعة . وفعلاً يبدو الارتياب غير ممكن « من ان ذلك المخطوط ما هو الا الكتابة الاصلية الشرعية للمجمع اللبناني التي هُذبت في الاجتماعات السابقة ثم قُرئت باحتفال في الجلسات الست العلنية التي عقدها الآباء في كنيسة دير لويزة ووقعها وختمها اخيراً كل اساقفة الطائفة المارونية الذين حضروا المجمع . ان علامات هذا المخطوط تتفق تماماً مع التي تُنسب الى المخطوط الذي حمله السمعاني معه الى رومة والذي بعد ذلك دُفع بصفة عاريــة الى وكيل البطريرك والذي طُلب رده مراراً عديدة . وكذلك عدد الصفحات والشُطب والاصلاحات القائمة في كل صفحة تقريباً ولون الجلد المجلّد به واختام الاساقفة التي لحد الآن تُقرأ

١٧) حاشية المؤلف : ان سيادة البطريرك يسمّي نسخة عربية المخطوط المذكور اي المشروع الذي فحصه آباء المجمع .

e le Costituzioni contenuti nella copia araba, nella quale convennero i Padri del medesimo Sinodo».

49. Le suaccennate ragioni, tendenti a provare l'autenticità del manoscritto arabo, nel senso ch'esso sia l'*originale*, ossia *schema*, esaminato ed approvato dai Padri Libanesi, vengono convalidate da Mons. Valerga con argomenti del tutto convincenti. E di fatti, non sembra potersi revocare in dubbio: «che quel manoscritto sia appunto l'originale autentico del Sinodo Libanese, corretto nei congressi preliminari poscia letto solennemente nelle sei sessioni publiche tenute dai Padri nella Chiesa di Loaize, e finalmente sottoscritto e sugellato (sic) da tutti i Vescovi della Nazione Maronita presenti a quel Sinodo. I connotati di questo manoscritto convengono perfettamente con quelli che sono stati segnalati nel manoscritto che Mons. Assemhani (sic) portò seco in Roma; che poscia venne rimesso a titolo di prestito al procuratore del Patriarca maronita, e del quale tante volte era stata chiesta la restituzione. Il numero delle pagine: le cancellature e correzioni che in esso si scorgono presso che ad ogni pagina; il colore della pelle onde è legato; i sigilli dei Vescovi tuttora perfettamente leggibili; la stessa mancanza dei sigilli dei due Vescovi assenti di Sarepta, e di Sidone;

بوضوح وعدم وجود ختمي الاستقفين الغائبين اي اسقفي صرفة وصيدون ، وغياب هذين ثابت ليس فقط من المذكرات التاريخية بل ايضاً من نفس الرسائل التي وجهها آباء المجمع حالاً بعد انعقاده الى الحبر الاعظم والى نيافات آباء المجمع المقدس والى الكردينال زنداداري السامي احترامهم . واخيراً كتابة مسجّل المجمع الشرعية وهي في آخر المجمع فان كل ذلك لا يدع مجالاً للشك في شرعية الدفتر الا اذا حتمنا على انفسنا بان نسلم بامر فظيع غريب ومستحيل معاً وهو الافتراض ان بطريركاً واثني عشر اسقفاً وغيرهم من كهنة وعلمانيين... قد تواطئوا على قصد شنيع وهو ان يصنعوا مخطوطاً بنفس حجم المخطوط الذي حمله السمعاني الى رومة وبذات الخط وعدد الصفحات والتجليد ويختموه باختامهم ويعلنوه صحيحاً بكتابة المسجّل الرسمي وينثروا فيه ثلاث او اربع مائة شطبة ومغايرة ... وهم ليسوا بحاجة الى كل تلك العدة من التزويرات لانه اسهل عليهم ان يدخلوا في المخطوط الشرعي ، دون ما حاجة الى تزوير ، تلك المغايرات والاصلاحات التي يريدون[١٨] .

٥٠) وبعد ان اثبت الرئيس الشهير اثباتاً قاطعاً استحالة الافتراض المشار اليه عمد الى براهين انتقادية صحيحة يدحض بها الصعوبات التي ربما أُعترض بها

١٨) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤ مقطع ١

la cui assenza è constatata non solo dalle memorie storiche, ma dalle stesse lettere indirizzate al Sommo Pontefice, agli Emi Padri della S. C., ed all'Emo Card. Zondadari, dai Padri del Sinodo immediatamente dopo la di lui celebrazione; finalmente il rogito autentico del Notaro dello stesso Sinodo a *calcem* (sic) del medesimo, non permettono di dubitare della autenticità del codice, senza cadere nella necessità di ammettere un enorme ed assurdo paradosso; di supporre cioè che un Patriarca con 12 Vescovi ed altri Sacerdoti e secolari... abbiano cospirato nell'infame disegno di fabbricare un manoscritto del medesimo sesto, scrittura, numero di pagine, legatura di quello che era stato dall'Assemani portato seco in Roma; apporvi i loro sigilli; autenticarlo con istrumento di pubblico Notaro; e spargerlo di tre o quattrocento, tra cancellature e varianti..., mentre senza tutto questo apparato di falsificazioni, nulla sarebbe stato ad essi più facile che di introdurre nel manoscritto autentico, senza bisogno di fabbricarne un falso, quelle varianti, o correzioni che avessero voluto». (*Som. N.* IV, §. 1)

50. E dopo aver l'illustre Prelato solidamente dimostrata l'assurdità dell'

على شرعية المخطوط المذكور وهي ان أسماء الاساقفة كتبت فيه بخط واحد وان المخطوط خالٍ من توقيع الاسقف الارمني وتواقيع الرئيسين العامين والمرسلين اللاتين والاعيان والقاصد الرسولي نفسه وانه اخيرا يوجد تباين بين مضمون كتابة المسجل الموضوعة في المشروع العربي وتلك التي ترى في المخطوط اللاتيني ذي القطع النصف[١٩] . وبعد ذلك يختم كلامه قائلاً بصواب : « ومهما يكن من امر فانه يبدو لي خاليا من كل ريب ان النص العربي المشار اليه يجب اعتباره النص الحقيقي الشرعي الذي وقعه الاساقفة وارجعه السمعاني معه »[٢٠]

٥١) ويبدو لي ايضاً منذ الآن ان هذا الامر ثابت ثبوتاً قاطعاً بحيث لا يصح فيه اقل ارتياب ولا يصلح الجدال وهو ان المخطوط العربي المذكور هو حقاً ذلك المشروع الذي اخضعه السمعاني لفحص الاساقفة المارونيين . فغيروا فيه وثبتوه ووقعوه في جلساتهم الست العلنية وبعد ذلك حمله السمعاني بنفسه الى روما وسلمه الى المجمع المقدس الذي بدوره دفعه في الخامس من تموز

١٩) حاشية المعرّب : in folio .
٢٠) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤ مقاطع ٢ – ٨ .

---

accennata supposizione, passa a confutare con argomenti di sana critica le difficoltà, che per avventura si potrebbero opporre all'autenticità del prefato manoscritto, sia dal trovarsi nello stesso i nomi dei Vescovi tutti scritti dalla medesima mano; sia dalla mancanza delle sottoscrizioni del Vescovo armeno, degli Abbati generali, dei Missionarii latini, dei magnati e dello stesso Ablegato Apostolico; sia finalmente dalla diversità che scorgesi tra il tenore del rogito notarile apposto allo *schema* arabo, e quello che si legge nel manoscritto latino in folio. Dopo ciò a ragione conchiude: «Checchè sia di ciò, sembra a me posto fuori di ogni dubbio, che il testo arabo in discorso debba considerarsi come il vero autentico sottoscritto dai Vescovi, e recato seco dall'Assemani (sic)». (*Som. N.* IV, §§ 2-8).

51. Anche a me sembra ormai cosa del tutto positiva, da non potersi menomamente revocare in dubbio, e neppure formare oggetto di discussione, che il suddetto manoscritto arabo sia realmente quello schema sottoposto dall'Assemani all'esame dei Vescovi Maroniti, e da questi modificato, approvato e sottoscritto nelle sei pubbliche sessioni, e quindi portato in Roma dallo stesso Assemani, e consegnato alla S. C.; la quale inoltre ai 5 Luglio del 1742 fece consegnare al Sacerdote Elia Felici, perchè lo portasse al suo Patriarca a fine di copiarlo, e

سنة ١٧٤٢ الى الكاهن الياس سعد ليحمله الى بطريركه لينقله ثم يرجعه الى مجمع الانتشار . انما لا يمكن ان نستنتج من كل ذلك سوى ان شرعيـة المخطوط المذكور يُقصد بها انه المشروع العربي الذي فحصه وثبته الاباء اللبنانيون وانه غير منقوص لكونه لم يحرّف ولم يزوّر بعد انعقاد المجمع . وبعبارة اخرى يُستخلص ان المخطوط المذكور مرارًا عديـدة هو نص المجمع الشرعي والغير المنقوص والاصلي ولكنه ليس شرعياً صحيحاً وحاوٍ على سلطة وتثبيت الكرسي الرسولي بمقتضى المعنى الاول للفظة شرعي.[1] واذا استندنا الى الوثائق التي لدينا يمكننا ان نستخلص عكس ذلك وهو ان نص المجمع اللبناني الشرعي بالمعنى المبسوط منذ هنيهة هو بالضبط المخطوط اللاتيني ذ والمجلدات الثلاثة والموصوف في المقطع ٢٩ والذي صدرت عنه بامانة طبعة ١٨٢٠ اللاتينية .

٥٢) والامر الثابت الذي يجب الاشارة اليه قبل كل شيء هو ان المجمع المقدس لا يحيد عن مبدأ مشى الى الآن بموجبه وهو انه يثبت ويعترف فقط بالنص اللاتيني للمجامع المكتوبة اصلياً بغير هذه اللغة وذلك بالاخص اذا كان الامر يتعلق ليس بفحص بسيط وحسب بل بتثبيت تفصيلي بعد التدقيق كتثبيت مجمعنا هذا . وليس من عادة المجمع المقدس ايضاً ان يبت امر اعمال او وثائق

(١) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٤٧ (من هذا المقال) .

---

poscia restituirlo alla Propaganda. Ma da tutto ciò non altro conseguirebbe, se non che l'autenticità del predetto manoscritto arabo nel senso di essere lo *schema originale*, esaminato ed approvato dai Padri Libanesi; ed anche nel senso di essere *integro*, in quanto che non sia stato dopo la celebrazione del sinodo corrotto ed adulterato; cioè a dire, ne deriverebbe che il più volte nominato mansocritto sarebbe *l'autentico integro ed originale* del prefato sinodo, non già *l'autentico valido, autorevole, approvato* dalla S. Sede, secondo il primario significato della voce *autentico* (§ 47). Anzi dai documenti che si hanno si è autorizzati a conchiudere, che il testo *autentico* del Sinodo Libanese, nel senso poc'anzi esposto, sia precisamente il manoscritto latino in tre tomi, descritto al §. 39, dal quale derivò fedelmente l'edizione latina del 1820.

52. E per fermo, anzitutto è da osservare che la S. Sede per massima constantemente ritenuta non suole riconoscere ed approvare, se non il testo latino dei sinodi scritti originalmente in altra lingua, specialmente quando si tratti di positiva e specifica approvazione, come nel caso nostro, e non di semplice revi-

او يوقعها اذا كانت مكتوبة بلغة غريبة وبالاخص شرقية. وعليه يجب ان تتمسك بقولنا ان المجمع المقدّس الخاص المفوض اليه فحص المجمع المذكور لم يخرج عن المبدأ المشار اليه وانه بالتالي لم يفحص ويثبت غير النص اللاتيني الذي عرضه له القاصد القائل انه سلّم الاعمال اللاتينية بصورة صحيحة.[٢٢] ويظهر هذا فضلًا عن ذلك من الوثائق التالية.

٥٣) ويحتل المقام الاول بين هذه الوثائق مضمون رقعة الكردينال رئيس مجمع الانتشار وقد اوردناها في المقطع ١٢ وفيها يقال ان السمعاني حمل مجلدين كبيرين يحتويان على قوانين المجمع المذكور[٢٣] وسلمها الى المجمع المقدّس. فالنسخة ذات المجلدين الكبيرين ما هي اذن غير النسخة اللاتينية التي مرّ وصفها[٢٤] والتي عنها صدرت طبعة سنة ١٨٢٠ لان الكردينال الرئيس لم يكن بوسعه ان يشير بهذه العبارة الى النسخة الاخرى اللاتينية التي يسمّيها سيادة ڤالرجا النص

٢٢) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١١ (من هذا المقال).

٢٣) حاشية المؤلف : ان نيافة الرئيس يتكلم عن الاعمال وحدها اي قوانين واحكام المجمع اللبناني وهي فعلًا ضمن مجلدين لان الذيل وهو ضمن المجلد الثالث للمخطوط المذكور لا يحتوي على اعمال المجمع نفسه كما ذكرنا في المقطع ٢٩.

٢٤) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٩ (من هذا المقال)

---

sione. Anzi la stessa S. Sede non suole giudicare o firmare atti, ossia documenti, scritti in una lingua straniera, massime orientale. E' da ritenere pertanto che la S. C. Particolare, deputata alla revisione del Sinodo in parola, non abbia del certo decampato dalla suddetta massima, e quindi non abbia esaminato ed approvato se non il testo latino presentatole dall'ablegato; molto più che questi afferma averle esibito gli atti latini in *forma autentica* (§. 11), come del resto risulta dai seguenti documenti.

53. Fra questi tiene il primo posto il tenore del biglietto del Card. Prefetto di Propaganda, riferito al. §. 12, nel quale dicesi aver l'Assemani portati e consegnati alla S. C. *due grandi tomi contenenti i canoni del detto sinodo.* (1). Ora l'esemplare in due grandi tomi non è altro, se non quello latino già descritto (§. 29), da cui derivò l'edizione del 1820; imperocchè il Card. Prefetto non

(1) *L'Emo Prefetto parla dei soli Atti, canoni e decreti del Sinodo Libanese, i quali in realtà si contengono in due Tomi, giacchè l'Appendice che costituirebbe il terzo Tomo del prefato ms non contiene atti dello stesso Sinodo, come si è detto nel* §. 29.

اللاتيني الشرعي[٢٥] لان هذا في مجلد واحد ، ولا الى المخطوط العربي لانه ايضاً في مجلد واحد وهو فضلاً عن ذلك لا يستحق كالسابق ان يدعى كبيراً . وتتفق تقريباً مع هذا القول الشهادة الموجودة في النسخة اللاتينية للمجمع المجلدة برق ابيض والتي يعتبرها بصواب سيادة ڤالرجا احدث النسخات[٢٦] وقد اشرنا في المحل المذكور الى ان هذه النسخة تحتوي، بعد نسخة قرار المجمع المقدس في دعوى مجمع الموارنة وبعد حكمه ، على نبذة عنوانها التالي وهو بحرف كبير : «من ذيل مجمع جبل لبنان» وتحته بحرف صغير : «يوجد في الدفتر الاصلي لهذا المجمع . ثلاثة مجلدات مجموعة بواحد . تواقيع . مجلد ٢ » وهذا الدفتر ذو الثلاثة مجلدات حيث توجد النبذة المذكورة ليس هو غير الدفتر الذي نتكلم عنه والذي يُسمّى هنا اصلياً .

٥٤) وينبغي ان يشار ثانياً الى العبارات المستعملة في التقرير المطبوع في رومة سنة ١٧٤٤ وهو يتعلق ببعض حوادث جرت في سوريا لدى الطائفة المارونية . . . وقد اورده مؤلف المفكرة التاريخية.[٢٧] ان هذا التقرير يقول في

٢٥) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٨ (من هذا المقال) .
٢٦) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٧ (من هذا المقال) .
٢٧) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ٧ .

---

poteva con quella espressione alludere all'altro esemplare latino, chiamato dal Valerga *l'autentico* latino (§. 28), sendo (sic) questo in un sol tomo; nè al manoscritto arabo, il quale, oltre l'essere anch'esso in un sol tomo, non può meritarsi come il precedente l'appellativo di *grande*. A questo è quasi conforme l'altro attestato che ci somministra la copia latina del Sinodo legata in pergamena bianca, la quale giustamente da Mons. Valerga vien reputata la più recente (§. 27). In essa come si è fatto osservare al citato luogo, dopo la copia del decreto della S. C. *in causa Synodi Maronitarum*, e dopo la decisione della medesima, segue un estratto che porta per titolo in lettere maiuscole: *Ex appendice ad Synodum Montis Libani*, e sotto in carattere minuscolo: *Extat in codice originali eiusdem Synodi. Tomi tres in unum. Signat. Tom.* II. Questo codice in tre tomi, nel quale realmente trovasi il citato estratto, non è altro, se non quello di cui parliamo, e che qui si chiama *originale*.

54. In secondo luogo sono da notare le espressioni usate nella *Relazione*, stampata in Roma nel 1744, *di alcuni accidenti occorsi* (sic) *nella Siria presso la Nazione Maronita etc.*, e citata dall'autore della *memoria storica* (*Som. N.* II, p. 7).

صفحته الرابعة : «وقسم ايضاً هذا المجمع الى ثلاثة مجلدات اثنان منها يحتويان على اعمال المجمع واحكامه والثالث على زيادات تتعلق ببعض التنظيمات المتخذة خارجاً عنه ولكنها تعود الى ما أمر فيه . وقد دفعه سيادة السمعاني المذكور الى مجمع الانتشار المقدّس والتمس بنفس الوقت تثبيته بالسلطة الرسولية» وينتج عن ذلك ان السمعاني عندما سلم المخطوط اللاتيني ذا المجلدات الثلاثة الى المجمع المقدس شاء ان يتناوله عينه الفحص والتثبيت الرسولي .

٥٥) وفضلاً عن ذلك فان الدفاع عن المجمع اللبناني الذي كتبه فيوراڤانته سنة ١٧٤١ مجيباً على الكتابة التي تقدمت الى المجمع المقدّس باسم البطريرك الماروني [٢٨] . يقال فيه [٢٩] : «واذا تنازلتم نيافاتكم وفحصتم الاعمال الاصلية للسينودوس التي دفعت الى المجمع المقدس فانكم ترونها موافقة للشكليات التي يتطلبها عادة اللاهوتيون والقانونيون لاقدس مجامع كنيسة الله. واول ما يرى بين الاعمال المذكورة القرار المعلن انعقاد المجمع وقد اصدره البطريرك الانطاكي بالاتفاق مع سيادة القاصد وذلك ليس فقط بقوة قرار من هذا المجمع المقدّس بل ايضاً بقوة موجز حبري» . الا ان القرار المعلن انعقاد

٢٨) حاشية المؤلف : ان هذا الدفاع وما يتعلق به من اوراق يوجد في المجلد الثاني عشر من المختلفات المحفوظة في الخزانة .

٢٩) حاشية المؤلف : مقطع ٥ .

In essa relazione a pagina 4 si legge: «Inoltre diviso lo stesso sinodo in tre tomi, due dei quali contenevano gli atti, e Decreti, ed il terzo le addizioni di alcune ordinazioni fuori di esso, ma bensì al medesimo confacienti, fu dal detto Mons. Assemani trasmesso alla S. C. di Propaganda, e supplicato *eodem tempore* per la conferma apostolica». Da ciò rilevasi che l'Assemani, nel consegnare alla S. C. il manoscritto latino *in tre tomi*, intendeva che l'esame e la conseguente conferma apostolica cadesse sullo stesso manoscritto.

55. Inoltre nella *Difesa del Sinodo Libanese*, scritta dall'Avvocato Fioravante nel 1741 *contro la scrittura esibita alla medesima S. C. sotto il nome del Patriarca de' Maroniti* (1). al §. 5 si dice: «Infatti quando si degnino l'EE. VV. di considerare gli *Atti originali del sinodo presentati* in questa S. C. gli osserveranno uniformi nelle solennità ricercate comunemente da Teologi e Canonisti alli Concili più

(1) *Questa difesa con altre carte relative trovasi nel T. XII delle* Miscellanee *di Archivio.*

المجمع لا اثر له البتة في المشروع العربي ولكنه موجود في النص اللاتيني، وقد ذكرته الطبعة اللاتينية ايضاً[٣٠]. ان الاعمال الاصلية اذن التي يقال انها قُدمت الى المجمع ما هي الا الاعمال اللاتينية القائمة في الدفتر المعروف ذي المجلدات الثلاثة. وفضلاً عن ذلك فقد جاء في المقطع السادس من الدفاع المذكور ما يلي: «انهم (الآباء) ثبّتوا باتفاق الرأي كل الاحكام التي وضعها المجمع ووقعوها وبناء على طلب الرقيب كُتبت وثيقة رسمية بخط المسجل الرسمي كما ترون نيافاتكم بوضوح[٣١]» هذا وقد وردت في العدد الثاني من المجمل تواقيع آباء المجمع وكتابة المسجل. ويسبق التواقيع التصريح التالي: «نحن اصحاب التواقيع في ذيله نقبل الخ...»[٣٢] ويتبع ذلك الحاشية التالية المشار اليها بخط: «في اعمال المجمع المقدمة باعتبارها اصلية الى المجمع المقدس» وهذا التصريح يوجد في النص اللاتيني بخلاف النص العربي[٣٣] وعليه فان اعمال المجمع باللغة اللاتينية هي التي قدمت الى المجمع المقدس باعتبارها اصلية. ويصح نفس القول عن كتابة المسجّل الواردة في مجمل الدفاع المذكور وهي مطابقة

٣٠) حاشية المؤلف : صفحة ١٥ (تعريب نجم صفحة ٣٢).
٣١) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢.
٣٢) حاشية المؤلف : الطبعة اللاتينية صفحة ٣٤٢ (تعريب نجم صفحة ٥٥٥).
٣٣) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ٧١.

sacromanti della Chiesa di Dio. Comparisce primieramente negli atti suddetti il solenne Decreto dell'indizione fatta dal Patriarca Antiocheno col consenso di Mons. Ablegato, e ciò non solamente in vigore d'un Decreto di questa S. C., ma anche di un Breve Pontificio». Se non che, il decreto dell'indizione non comparisce affatto nello *schema* arabo, ma esiste nel latino, come è riportato nell'edizione latina p. XV, dunque gli *Atti originali* che qui si dicono presentati alla S. C., non sono altro se non i latini contenuti nel noto codice in tre Tomi. Di più, al §. 6 della stessa *difesa* si legge: «*Unanimi consensu* approvano (i Padri) tutti i Decreti stabiliti nel Sinodo, e poi li sottoscrivono et ad istanza del Promotore fiscale si riduce in publico instromento rogato da un publico Notaro, come potranno l'EE. VV. chiaramente osservare»; *Som. n.* 2 — Nel *Sommario* difatti n. 2. si riportano le sottoscrizioni dei Padri del sinodo, ed il rogito del Notaro; ma le prime sono precedute dalla dichiarazione: *Nos subscripti suscipimus, admittimus* etc. (come nell'edizione latina (p. 342)(sic), e seguite dalla nota in corsivo: *Negli atti del Sinodo esibiti originalmente alla S. C.*; quale dichiarazione trovasi

كل المطابقة لتلك التي يتضمنها المخطوط اللاتيني وتختلف كثيرًا عمّا في المخطوط العربي . وورد اخيرًا في مجمل الدفاع المقول عنه[٢٤] رسائل البطريرك والاساقفة الى البابا والى المجمع المقدس بتاريخ ٢٧ و ٢٨ تموز سنة ١٧٣٤ وفي آخرها الحاشية التالية : « قد ضُمت هذه الرسائل الى اعمال المجمع وقُدمت الى المجمع المقدّس». وهي موجودة فعلًا في المخطوط اللاتيني المشار اليه ولا اثر لها البتة في المخطوط العربي . على انه صحيح ايضًا ان هذه الوثائق التي يذكرها كاتب الدفاع قدمت ايضًا الى المجمع المقدّس بدورها مع اعمال المجمع المكتوبة باللغة العربية وهي الآن محفوظة خطًا في المجلد الخامس من المختلفات المارونية الموجودة في الخزانة . واستنادًا الى ذلك يمكن الافتراض ان الاعمال الاصلية المشار اليها في الدفاع المذكور هي الاعمال العربية لا اللاتينية . ولكنه ثابت ان هذا الافتراض لا يستند الى شيء وذلك لان الوثائق المذكورة وردت في مجمل الدفاع المشار اليه بنصها اللاتيني لا العربي وهي مطابقة كل المطابقة لتلك التي يتضمنها المخطوط اللاتيني ذو المجلدات الثلاثة والطبعة الصادرة عنه سنة ١٨٢٠ وهي تباين مباينة غير تافهة الوثائق العربية التي يتضمنها المجلد الخامس المذكور

٢٤) حاشية المؤلف : عدد ٦ .

bensì nel manoscritto latino, ma non nell'arabo (*Som. Num.* III. p. 71); *dunque gli atti esibiti originalmente alla S. C. erano i latini*. Lo stesso dicasi del rogito riportato nel sommario della detta difesa, il quale è pienamente conforme a quello del manoscritto latino, ed assai discorde dall'arabo. Finalmente al n. 6 del *Sommario*, aggiunto alla *difesa* in discorso, si riportano le lettere del Patriarca e dei Vescovi al Papa ed alla S. C. in data dei 27 e 28 Luglio 1734, ed al calce delle stesse si nota: *sono inserite queste lettere negli atti del Sinodo e già esibite alla S. C.* Difatti esse si trovano nel manoscritto latino in parola, mentre non compariscono punto nell'arabo. E' vero per altro che i medesimi documenti, citati dall'autore della *Difesa*, vennero presentati alla S. C. anche negli *Atti* del Sinodo in lingua arabica, come si vedono attualmente manoscritti nel Tomo V delle *Miscellanee Maroniti* di Archivio; donde potrebbe supporsi che gli *atti originali*, cui si appella nella prefata *Difesa*, siano appunto gli arabi e non i latini. Ma tale supposizione si addimostra destituita di fondamento, nella considerazione che i detti documenti riportati nel *Sommario* della nominata *Difesa* sono in Latino, e non in arabo; mentre si scorgono pienamente conformi a quelli esistenti nel manoscritto latino in tre tomi, e nella derivata edizione del 1820, si discostano non poco dagli arabi

من المختلفات . وفعلاً ان التصريح السابق تواقيع الاساقفة والموجود في الدفاع المذكور آنفاً[٣٥] قد صيغ كما يلي : « نحن اصحاب التواقيع في ذيله تقبل ونثبت كل ما اصدره هذا المجمع المقدس وقد قبلنا وامضينا كل ما يشتمل عليه هذا الكتاب الجامع القوانين منقسماً الى اربعة اقسام . اولها يشتمل على خمسة ابواب والثاني على اربعة عشر باباً والثالث على ستة ابواب والرابع على سبعة . ونعاهد الله ونعده انا سنبذل وسعنا في رعاية هذه كلها بعمومها وخصوصها » . اما الوثيقة العربية فتحوي ما حرفه : « نحن الموضوعة ادناه امضاؤنا واختامنا نقبل ونثبت كل ما حدده هذا المجمع اللبناني المقدس وكل ما يشتمل عليه الكتاب المنقسم الى اربعة اقسام اولها يشتمل على ٥ ابواب والثاني على ١٤ باباً والثالث على ٦ ابواب والرابع على ٧ . ونعاهد الله جلّ جلاله بان نراعيها تماماً » . ويصح نفس القول في كتابة المسجل لان التي ضمت الى الدفاع هي نفس الواردة في المخطوط اللاتيني المذكور ذي المجلدات الثلاثة وفي طبعته الصادرة سنة ١٨٢٠[٣٦] اما كتابة المسجل الموجودة في الاعمال العربية فهي مطابقة بكل شيء للكتابة الواردة في المشروع العربي[٣٧] . وعليه فانه ثابت ان الاعمال المقدمة الى المجمع

٣٥) حاشية المؤلف : صفحة ٤٦ وفي الطبعة اللاتينية صفحة ٣٤٢ (نجم صفحة ٥٥٥) .
٣٦) حاشية المؤلف : صفحة ٤٦٨ (نجم صفحة ١٨٣ — ١٨٥ من الذيل) .
٣٧) حاشية المؤلف : مجل عدد ٣ صفحة ٧٢ .

contenuti nel predetto T. V delle *Miscellanee*. E di fatti: la dichiarazione preposta alle sottoscrizioni de' Vescovi quale trovasi nella precitata Difesa p. 46. e nell' edizione latina p. 342, è così formulata: *Nos subscripti suscipimus, admittimus, et confirmamus omnia quaecumque ab hac Sancta Synodo sunt definita, et quidquid continet iste liber Canonum a nobis admissus, et subscriptus, qui nimirum in quatuor partes est divisus, eiusque prima pars complectitur Capita 5, secunda pars capita XIV. tertia Capita VI., et quarta Capita VII. Spondemus autem, ac Deo promittimus haec omnia, et singula nos pro viribus observaturos.* Il documento arabo al contrario letteralmente suona: *Nos, quorum nomina et sigilla infra sunt apposita, suscipimus et admittimus quaecumque haec Sancta Synodus Libanensis definivit, et quidquid continet liber, qui in quatuor partes est divisus; prima pars continet capita quinque, secunda, capita quatuordecim; tertia, capita sex; et quarta septem. Promittimus autem altissimo Deo nos ea perfecte observaturos.* Lo stesso dicasi del rogito del notaro: giacchè quello inserito nella *Difesa* è identico all'altro riportato nel citato manoscritto latino in tre tomi, e nell'edizione del 1820, p. 468, mentre il rogito esistente negli *Atti* arabi è in tutto conforme all'

المقدّس والتي يسمّيها الدفاع المشار اليه مرارًا اصلية ما هي الا الاعمال المكتوبة باللغة اللاتينية .

٥٦) ويبدو مما قيل الى الآن اننا نستطيع ان نستخلص بصواب ان اعمال المجمع باللغة اللاتينية قدمت الى المجمع المقدّس ليفحصها ويثبّتها بهذه اللغة. ولننتقل الآن الى النظر فيما اذا كان المجمع المقدّس وضع على بساط البحث الاعمال اللاتينية . وسنتوصل الى ذلك بالرجوع الى تقارير الفاحصين[٣٨] والى خلاصتها بقلم الملخص السامي الاحترام . وفيما يتعلّق بهذه التقارير نقول ان اول ما نقع عليه منها هو تقرير سيادة جبرائيل حوّا اسقف قبرص الماروني . فهذا التقرير يشتمل على صفحتين فقط ولا يتضمن الا اربع ملاحظات عامة ولا يمكن ان نتوصل بواسطتها الى معرفة النص الذي كان بين يديه بالرغم من قوله: « قد طالعت مرارًا وبكل انتباه المجمع اللبناني وتأملت فيه وفحصته فوجدت ان صلاحه لا يقل عن منفعته وانه يوافق الاكليروس وسياسة النفوس الروحية ولا يخالف القوانين المقدسة » .

٣٨) حاشية المؤلف : ان هذه التقارير توجد في المجلد الخامس والثاني عشر من المختلفات المحفوظة في الخزانة

altro riferito nello *schema* arabo. (*Som. N.* III, p. 72). Onde rimane certo che gli *atti* esibiti alla S. C., i quali nella più volte citata *Difesa* si dicono *originali*, sono precisamente i latini.

56. Dal fin qui detto sembra potersi a buon diritto conchiudere, essere stati presentati alla S. C. gli atti del sinodo in latino, perchè venissero nello stesso idioma esaminati ed approvati. Ora passeremo a vedere, se la S. C. abbia realmente sottoposto all'esame gli stessi Atti latini, il che risulterà dalle relazioni de' Revisori, e dal ristretto fattone dall'Emo Ponente. Ed inquanto alle relazioni de' Revisori (1) prima ci si presenta quella di Mons. Gabriele Eva Vescovo Maronita di Cipro. Essa consta di due sole pagine, e non contiene, se non quattro osservazioni generali, senza potersi dalle medesime rilevare quale testo abbia egli avuto nelle mani, sebbene dica: «avendo più volte attentamente letto, considerato, ed esaminato il Sinodo Libanese, l'ho ritrovato essere non meno buono, che utile, e decoroso si per il Clero, che per il governo spirituale delle anime, ne repugnante ai Sacri Canoni».

(1) *Le relazioni de' Revisori si trovano ne Tomi V e XII delle* Miscellanee *di Archivio.*

٥٧) والتقرير الثاني كتبه الاباتي رودوتا من طائفة الايطالو - يونانيين .
والتقرير هذا يمتاز بواسع النقد والعلم ويظهر منه ان مؤلفه فحص المخطوط العربي متوخياً اثبات ما تمتع به الآباء من حرية في محوٍ واصلاح وزيادة ما شاؤوا فقال : « ان نظرة تلقى على الاعمال الاصلية المكتوبة باللغة العربية والتي قُدمت الى مجمع الانتشار المقدس ، وفيها عدد كبير من التحريفات المتناولة ما كان القاصد صاغ من احكام ، تكفي لازالة الارتياب بكل ظواهره وتعفيني من واجب تكديس براهين اخرى لاوضح انه لم يوقع اقل قسر بارادة الآباء » .
والاباتي رودوتا قال ذلك باعتبار القاء النظر فقط . وهذا يمكن ان يقوله كل من يلقي نظرة على صفحات هـذا المخطوط ولو كان يجهل لغته . انما يظهر بوضوح من تقرير الاباتي رودوتا انه لم يفحص غير المخطوط اللاتيني . ويستخلص ذلك اولاً من النبذات اللاتينية الطويلة التي يوردها مأخوذة عن الدفتر ذي المجلدات الثلاثة المعروف والذي يذكر بدقة صفحاته ٣٨ مرة . ويستخلص ثانياً من رأيٍ عام في مضمون المجمع يُعبّر عنه بما يلي : « ان الابواب كلها مطابقة لعقائد ديننا المقدس ولقوانين التهذيب وكتابتها متصفة بواسع العلم وسهولة التعبير والحكمة والغيرة » ويبدو جليًا من مجموعة المغايرات ان كل ما يتعلق بالمقيدة قد حذف من النص العربي ولم يبقَ فيه ما يشير الى واسع العلم وبالاخص الى سهولة التعبير[٣٩] وعليه يمكن ان نستخلص ان الآباتي رودوتا لم

٣٩) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٣٧ (من هذا المقال) .

57. La seconda relazione è dell'Abb. Rodotà italo-greco, la quale è fatta con molta critica ed erudizione. Da essa si scorge che l'autore ha avuto sott' occhi il manoscritto arabo, poichè volendo provare la libertà dei Padri del Sinodo nel cassare, emendare ed aggiungere ciò che vollero, dice: l'ispezione oculare degli atti originali scritti in lingua arabica presentati alla S. C. de Propaganda, ne' quali si ravvisa un gran numero di alterazioni fatte ai Decreti, che l'Ablegato avea formati, tolgono ogn'ombra di dubbio, e mi dispensano dall'obligo di cumulare altre prove per render palese, che non sia stata recata menoma violenza alla volontà dei Padri». (sic) Però il Rodotà avrà ciò detto per la sola Ispezione oculare, come potrebbe asserire chiunque, ignorandone la lingua, dasse un' occhiata alle pagine dello stesso manoscritto; perocchè dalla sua relazione apparisce evidentemente non aver egli esaminato se non il manoscritto latino.

يفحص غير النص اللاتيني . وزد على ذلك انه يذكر الصفحة ٣٨٢ [٦٠] من المخطوط اللاتيني حيث يُحفظ للبطريرك ان يمنح لداعي الضرورة الكهنة اذناً بتلاوة قداسين في يوم واحد . ويعلق الفاحص على ذلك قائلاً : « ان هـذا الاذن يعود حق اعطائه الى سلطة الاساقفة لا الى البطريرك وحده » . ولو كان نحص المخطوط العربي لما احتاج الى هذا التعليق لان النص العربي يبدل في هذا المحل لفظة بطريرك بلفظة اسقف . ويصح نفس القول في ملاحظة اخرى يتناول بها الصفحة ٤٧١ [٦١] من نفس المخطوط اللاتيني حيث يشير بان تحذف كلمة تقليد الواقعة بعد هذه العبارة « ولمّا كان من . . . » ويوضع محلّها لفظة عادة وقد امر فعلاً المجمع المقدّس بذلك في الاصلاح الثاني عشر . وما كان جرى ذلك لو وقع الفحص على المخطوط العربي حيث تُقرأ لفظة عادة وليس غيرها . وقد علّق نفس التعليق على الصفحة ٥٢٦ [٦٢] حيث اشار بزيادة لفظة انطاكية [٦٣] بعد هذه العبارات من النص اللاتيني : « ان الروح القدس يدعوك

٦٠) حاشية المعرّب : تعريب نجم ٢٢٥ .

٦١) حاشية المعرّب : تعريب نجم صفحة ٢٦١ (اما سيادة نجم في تعريبه فقد حفظ اللفظتين معاً) .

٦٢) حاشية المعرّب : تعريب نجم صفحة ٤٢٧ .

٦٣) حاشية المعرّب : في لفظة « سدتها » يقوم الضمير مقام لفظة « انطاكية » في اللغة العربية .

E primieramente ciò risulta dai lunghi brani latini da lui riportati dal noto codice in tre Tomi, di cui ben 38 volte cita esattamente le pagine. In secondo luogo rilevasi dal giudizio generale, che ne' seguenti termini proferisce sul tenore del Sinodo: «I Capitoli, esso dice, sono tutti uniformi a' dommi della nostra santa Religione, ed a' Canoni di disciplina: sono stesi con molta *erudizione e facondia*, saviezza, e zelo». Ma dalla raccolta delle varianti chiaro apparisce, essere stato soppresso nell'arabo quasi tutto il dottrinale, e non rimanere in esso *erudizione*, e molto meno *facondia* (§. 37); perciò deve conchiudersi che il Rodotà non esaminava, se non il testo latino. A ciò si aggiunga che, citando egli la pag. 382 del manoscritto latino, ove si riserba al Patriarca di concedere ai Sacerdoti la facoltà di celebrare due Messe nel medesimo giorno *urgente necessitate*, osserva ciò appartenere all'autorità dei Vescovi non già al solo Patriarca, il che non avrebbe osservato se avesse letto il manoscritto arabo, nel quale in questo luogo al Patriarca si sostituisce il Vescovo (§. 40, 1). Lo stesso dicasi dell'altra osserva-

لتكون بطريركاً على انطاكية الكبرى وعلى كل خطة السدة الرسولية » وقد امر ايضاً المجمع المقدس بتلك الزيادة في الاصلاح الثالث عشر . وما كان الاباتي رودوتا ارتأى ان هـذه الزيادة لازمة لو كان فحص المخطوط العربي الذي كما سنرى في المقطع ٦٠ يستميض عنها بالضمير ويعين بذلك السدة الرسولية التي يدور عليها الكلام . ويستخلص من كل ذلك ان الفاحص رودوتا لم يفحص غير الدفتر اللاتيني ذي المجلدات الثلاثة .

٥٨) ولا يصح نفس القول عن الفاحص الثالث الاب توما البودي رئيس الرهبان اللبنانيين العام الذي ما كان بين يديه المشروع العربي فقط بل انه ، كما ذكرنا في المقطع ٤٥ ، دوّن كل ما وجده فيه حينذاك من شطب وزيادات ولكنه لم يعمد البتة الى اجراء مقابلة من اي نوع كانت بين النصّين العربي واللاتيني . وقد نقل الى اللغة الطليانية الزيادات التي ادخلها الآباء في النص العربي وهذا مما يجيز لنا ان نستخلص غير مخطئين انه لم يستعمل قط النص اللاتيني . ويبدو ذلك واضحاً اذا اعتبرنا ان بين الشُطب والزيادات التي دوّنها عشرين تقريباً لا اثر لها في النص اللاتيني ، وهي بالتالي تكوّن عشرين مغايرة

---

zione fatta dal Rodotà alla p. 471 dello stesso manoscritto latino, in cui, dopo le parole: *omnium sit*, consiglia doversi togliere la parola *traditio*, e porvi *consuetudo*, come di fatti ordinò di poi la S. C. nella correzione 12a. Ma ciò non sarebbe avvenuto se si fosse esaminato il manoscritto arabo, il quale legge precisamente *consuetudo*. Identica a questa è l'altra annotazione fatta alla pagina 526, ove doppo le parole *ut sis Patriarcha super civitatem magnam Antiochiae, et ditionem universam Apostolicae Sedis*, opinava doversi aggiungere: *Antiochenae*, come parimenti venne disposto dalla S. C. nella correzione 13a, quantunque tale addizione non sarebbe stata giudicata necessaria, se il Rodotà avesse esaminato il manoscritto arabo il quale, come si vedrà al §. 61, coi pronome possessivo determina chiaramente quale sia la sede apostolica, di cui si parla. Da tutto ciò può conchiudersi, che il revisore Rodotà non ha esaminato altro, se non il codice latino in Tre tomi.

58. Non può dirsi lo stesso del terzo revisore, P. Tomaso Budi, Abate generale dei Monaci libanesi, il quale non solo ha avuto in mano lo *schema* arabo, ma, come si è detto al §. 45, ne ha notato tutte le cancellature ed addizioni allora esistenti. Però egli non ha punto istituito un confronto qualsiasi tra l'arabo ed il latino; anzi dal perchè traduce in italiano le addizioni inserite dai Padri nel testo arabo, si potrebbe a ragione conchiudere, non aver egli affatto consultato

بين النصين العربي واللاتيني . ولو كان الاب البودي اجرى مقابلة بين النصين لما فاته ولا شك ان يذكر هذا الاختلاف لئلا يضر بقصده . لأنه توخى ان يثبت ان آباء المجمع استعملوا حريتهم التامة في فحص القوانين والاحكام التي بسطها لهم السمعاني ، ولذلك عرض على انظار المجمع المقدس كل الشطب والزيادات القائمة في الدفتر بصفتها من صنع هؤلاء الآباء ومنها ايضاً تلك التي لم تنتقل الى المخطوط اللاتيني . ولو كان فحص هذا المخطوط لرأى بسهولة ما يفقد برهانه من قوة . لان آباء المجمع الخاص السامي احترامهم لو بحثوا عن تلك العشرين نبذة ولم يجدوهـا في النص اللاتيني لكانوا ولا شك ارتابوا بكل برهنة الاب البودي ومن ذلك يستنتج ان المجمع المقدس كلف الاباتي رودوتـا بفحص النص اللاتيني والاب البودي بان يبدي ملاحظاته في النص العربي . وقد يكون المجمع المقدس فعـل ذلك لاعتباره ان النصين متطابقان كل المطابقة بحيث لا تلزم المقابلة بينهما . وفضلاً عن ذلك فان المقابلة كانت تقريباً غير ممكنة مادياً لان المجمع المقدس ، كما ذُكر في المقطع ١٢ ، ارتأى وجوب تعيين الفاحصين في اجتماع ٣٠ ايـار سنة ١٧٤٠ فقط وفي العاشر من تموز من نفس السنة قدم الفاحصون تقاريرهم كما يبيّن ذلك تاريخ كتابة رودوتا

il testo latino. Il che apparisce evidentemente se si consideri che tra le cancellature ed addizioni da lui notate, ve ne sono circa 20 le quali non sono state eseguite nel testo latino, e perciò costituiscono altrettante varianti tra questo e l'arabo. Ma se il Padre Budi avesse fatto una collazione tra i due testi, avrebbe certamente notato una tale discordanza, la quale ridondava in pregiudizio del suo assunto. Egli infatti avea di mira il provare che i Padri del Sinodo ebbero tutta la libertà nell'esame dei canoni e decreti proposti dall'Assemani; e perciò mette sotto gli occhi della S. C. tutte le cancellature ed addizioni esistenti nel codice come eseguite da quei Padri, tra le quali anche quelle non passate nel manoscritto latino. Ora se questo fosse stato sotto i suoi occhi, si sarebbe agevolmente accorto che il suo argomento perdeva di forza, perchè se gli Emi Padri della Congregazione Particolare avessero riscontrate nel testo latino quelle 20 citazioni, non trovandole, avrebbero del certo dubitato di tutta la sua argomentazione. Donde si può dedurre che la S. C., mentre commetteva al Rodotà l'esame del testo latino, incaricava il Padre Budi di fare le sue osservazioni sull'arabo, stimando forse che l'uno fosse la fedele espressione dell' altro, e perciò, non esservi bisogno di confronto. Il quale per altro addiveniva quasi materialmente impossibile; giacchè, come si è notato al §. 12, la S. C. stimò doversi nominare i revisori

الذي سلم تقريره بعد رفيقيه وربما كان ذلك لانه اطول وانضج . وعليه نظرًا لعدد المغايرات الكبير لا يعقل ان يكون الفاحصون المذكورون تمكنوا بمدة اربعين يومًا من ان يقابلوا كل بدوره النصين ويعطوا بذلك علمًا للمجمع المقدس . بيد انه لا حاجة بنا الى الافتراضات لكونه ثابتًا بالاستناد الى التقارير المشار اليها ان المقابلة لم يجرها احد البتة . وينتج عن ذلك ان مجمع الانتشار لم يخامره اقل ريب في كون النصين يختلفان . صحيح ان السمعاني يقول في يومياته المكتوبة باللغة العربية انه مكث في اليوم الرابع من كانون الثاني سنة ١٧٣٧ في دير لويزه « قائمًا بمقابلة نسخات المجمع الذي انعقد »[٤٤] . ولكنه لا ينتج عن ذلك انه قابل النص العربي باللاتيني وبالاخص انه اشعر المجمع المقدس بذلك .

(له صلة)

٤٤) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ٦ .

soltanto nell'adunanza dei 30 Maggio 1741, ed ai 10 Luglio dello stesso anno, come rilevasi dalla data dello scritto di Rodotà, il quale fu l'ultimo a consegnare il suo lavoro, perchè forse più lungo e più elaborato, i revisori consegnarono le loro relazioni. In uno spazio di 40 giorni sarebbe stato impossibile, avuto riguardo al gran numero di varianti, che i detti revisori avessero fatto separatamente il confronto dei due testi, e resane consapevole la stessa S. C. Del resto, senza ricorrere ad ipotesi, è certo, come risulta dalle accennate relazioni, che il confronto non fu giammai fatto. E da ciò rilevasi che la Propaganda non ebbe il minimo sospetto sulla dissonanza dei due testi. È vero che l'Assemani nel suo *Diario*, scritto in arabo, dica esser rimasto il 4 Gennaro del 1737 nel Convento di Loaize, «occupato nel collazionare gli esemplari del Sinodo che era stato fatto». (*Som.* N. II, p. 6), ma non risulta che abbia collazionato l'arabo col latino, e molto meno che ne abbia informata la S. C.

تيارا فلسفة الحقوق

المبادئ الفردية والاجتماعية

بقلم الاب فليكس سوانيون اليسوعي

كان باسكال يقول : ان للخير الاسمى ٢٨٨ تعريفاً ولقد ذُكر في تعريف الحقوق ما لا يقل عن هذا العدد .

ان فلسفة الحقوق اشبه بميدان قتال ، واذا كان حقاً إنَّ احتكاك الافكار يولّد نوراً جديداً فقد كان من نصيبنا ان يعترينا البهر . اما من حيث الواقع فان تضارب الآراء في هذا الشأن ما هو الّا ضباب تجد شمس الحقيقة بعض المشقة في اختراقه .

ويبدو تاريخ فلسفة الحقوق للوهلة الاولى كانه من جمجمات الادمغة ولكن اذا انعمنا الروية فيتضح لنا ان ثمت ما يشبه المحورين قد دارت حولهما المشادات واصبحا على ممر الاجيال قطبي التطوّر .

واراني لا اتحدث عن اولئك الذين ينكرون وجود فلسفة حقوقية : كابيقور ومن حذا حذوه من خلفائه لان انكارهم الجازم ليس الّا مفهوماً فلسفياً يستند الى جعل الحق قائماً على القوة اما غيرهم فجميعهم يتأرجحون بين الفردية والاجتماعية .

ولم اتخذ على عاتقي بحث تاريخ هذين التعليلين وانما اردتُ ان ابسط لمحة خاطفة عنهما لاجلو احدهما بالآخر واوضحهما بذلك وابيّن الحاضر بالماضي .

وكما انه لا بد لنا اذا اردنا معرفة احدى الاغراس من ان نعرف خاصتها الجنسية التي تنزع الى استتمام نموّها بموجبها فكذلك نستطيع فهم اشكال الفردية والاجتماعية الاصلية اذا ما عرضناهما كما هما الان .

فما هي الفردية وما نفهم بها ؟ : ان الفرد الانساني هو كائن تام بذاته

حرٌ ومستقل بطبيعته . والبشر قد كوّنوا المجتمع على تفاوت في الحرية لان وجودهم سبق وجوده فلذلك هو غير طبيعي وتركيب اصطناعي من اجزاء متماسكة . والذي نزعمه كائناً اجتماعياً ليس الّا وهماً حقوقياً جسّمه عقلنا .

ويدحض وجدان الافراد وحريتهم كل مركب متجسم لاحق وما من مبدإ حيوي يزيد وجود هذا المركب من اجزاء ما برحت محتفظة باستقلالها التام .

وينجم من نظرية الكائن الاجتماعي هذه نتائج سنراها تنبثق شيئاً فشيئاً ،

اما الرأي المعاكس فباذا نسميه ؟ : لقد اطلقوا على اشكاله المتطرفة اسم (الدولة العضوية) « Organicisme » و(الاجتماعية في الدولة) «Etatisme» و (الامبراطورية المستبدة) «Césarisme» و (الدولة الجامعية) «Totalitarisme» الخ . . . وثمت من هذه الآراء رأي اشد اعتدالاً واعظم فائدة ولكن من سوء الحظ لم يجدوا له اسماً غير الاجتماعية « Socialisme » وهو الاسم الذي ينطبق عليه تمام الانطباق بالنظر الى اشتقاقه اللغوي وانما قد قصرنا معناه على تعليم خاص ما هو بالواقع الّا انحراف بلفظه عن معناه الاصلي وقد اخذ يستغله احد الاحزاب — وانني لا ارى سبيلاً الّا الاحتجاج على هذا التجاوز اللغوي — وسوف اطلق كلمة «اجتماعي» في بحثي هذا على التعليم الذي يزيد اولية الاجتماع .

وها هي ذي خطوطه الرئيسية : ان الفرد الانساني هو اجتماعي بطبيعته اعني انه لا يكتمل الّا بغيره وهو بصفة كونه فرداً ليست انسانيته الا بجزأة مقسّمة وما الانسان الحقيقي الّا جزء من الكل الاجتماعي سواء أكان ذلك من حيث حياته الحيوانية ام حياته العقلية — ولم يخرجه من حيوانيته المحض الا النطق وهو لا يمارس قواه الا في المجتمع وليست العلوم والفنون والصناعات والسعادة نفسها الّا اموراً اجتماعية وبما ان طبيعة الفرد هي بمثابة الجزء من المجموع فالكل الذي يتكون منها هو اذاً طبيعي اما الوجدان والحرية فليسا عائقين ليحولا دون هذا المركب وانما هما رابطتان من الروابط الشديدة التأثير .

وقد ترتب على نظرية الكائن الاجتماعي هذه نتائج مهمة نجمت عنها . واننا سنعمد الان الى النظر في الاشكال التي اتخذتها على مر التاريخ

١ — العهد اليوناني الروماني القديم

ا – الفردية

كان شكل الفردية المعروف في الغرب الشكل الابيقوري. فعندما شرع ابيقور (٣٤٢—٢٧٠) يعلّم وذلك حوالي سنة ٣٣٨ اي بعد موت ارسطو بستة عشر عاماً كانت البلاد اليونانية برمتها من اثينا الى ثيبة فاسبارطه قد سقطت تحت سيطرة مقدونية فانقطعت فيها الحياة السياسية والقومية واخذ الايغال في القومية بالزوال فانقطع ابيقور ليحيا لنفسه بعد ان سئم الجدل المتافيزيقي الذي استغرق مجهودات الجيل السابق الجبارة وشرع بالبحث فقط عن قاعدة عملية للسلوك مكتفياً باسنادها الى احد المناهج السابقة لسقراط. فشيّد علم الاخلاق على نظرية ديموقريطس الذرية التي مؤداها ان المجتمع هو مجموعة من الذرات الانسانية كانت اتفاقاً وتربطها بعضها ببعض المنفعة، فالقاعدة الواحدة للحياتين الخاصة والعامة هي البحث عن اللذة العظمى الممكنة لانها النزعة الطبيعية. وما العدل الّا في توازن المنافع وما الحق الا عقد لتحقيق هـذا التوازن اما الحياة العامة فمصدر الملل فلذلك يجب التخلص منها باسرع ما يمكن.

وليست الابيقورية الّا فلسفة جميع ضروب الانحطاط وهي التي كانت فلسفة الانهماك باللذائذ عند نهاية الجمهورية الرومانية والملكية الفرنسية.

وكان رفاق هذا الفيلسوف في روما (اتيكوس) «Atticus» و(هوراس) «Horace» وبعض الرجال السياسيين والانتهازيين وغواة الموسيقى والفنون. واسبغ لوكرس (٩٨ — ٥٤) Lucrèce على تعليم ابيقور وشاحاً رائعاً واضاف اليه علم اجتماع اشد اتساعاً. وقال في هذا الشأن: لقد قبع البشر ردحاً طويلاً من الزمن في حياتهم الانفرادية حتى تنظموا في ممالك تحولت الى طغيان ولم يطل به الوقت حتى كان مجلبة للثورة والفوضى. فلم يكن امام البشر للخروج من هذا المأزق الّا ان وضعوا « العقد الاجتماعي ».

« cf. De Natura Rerum, L. V, ٣٣, 928, 1134, 1141 »

ولقد خفّف لوكرس بصفة كونه رومانياً حقيقياً من غلواء فرديته الاجتماعية بوطنية واقعية.

ب – الاجتماعية

يُعدّ افلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧) جد الاشتراكية « Collectivisme » ومن اقواله في هذا السبيل ان المدينة هي جهاز عضوي طبيعي تكونت كما تكوّن الفرد تماماً .

والانفس الثلاث في الانسان : العقل الاسمى « νοῦς » والعقل الاوسط الحيواني « θυμός » والعقل المنحط النباتي « ἐπιθυμία » تقابلها الطبقات الثلاث الاجتماعية وهي طبقة الفلاسفة والمحاربين والمزارعين ، وكمال المدنية في وحدتها التي ينبغي لها ان تتحقق تمام التحقيق ولذلك لا بد اولاً من اخضاع الطبقات بعضها لبعض اخضاعاً كاملاً فيجب ان تقوم طبقة الفلاسفة في الرأس لان العقل هو الذي يسيّر العالم . ثانياً الغاء الاثرة (الانانية) بجميع ضروبها اي الغاء ما هو لك وما هو لي في كل الامور فليس من ملكية خاصة والمدينة عيلة واحدة فاطفالها ونساؤها شائعان بين الجميع .

والفرق بين اشتراكية افلاطون واشتراكية يومنا يقوم على ان افلاطون يريد ان يشيّد مملكة العقل والمحبة اما الآن فيريدون تشييد المساواة واستقلال الافراد المتبادل على الماديات . وتقد ارسطو (٣٨٤–٣٢٢) استاذه في كتابه السياسة (الجزء الثاني ف.ف ١–٢) نقداً رائعاً وقال في هذا الشأن: الوحدة ليست الخير الاسمى ولا الايقاع جمال الموسيقى الاسمى ، فالعيلة هي اساس المجتمع وفيها تتخذ المحبة جذورها لتمتد منها الى اقطار المدينة اما المنفعة الخاصة فهي حافز ضروري وما جمهورية افلاطون الا وهم من الاوهام .

وها هي ذي جمهوريته .

ان غاية الحياة الانسانية او السعادة في جوهرها هي العلم . وما من سبيل لبلوغ هذه السعادة الا بالمجتمع الذي لا يستطيع الافراد والعيال الازدهار الّا فيه فاذلك هو طبيعي ولا يعني قولنا هذا انه غريزي محض لان الانسان يفكّر ويريد ما تطلبه طبيعته . وما على الجهود التي يبذلها المجتمع الا ان تنزع الى تعزيز الحياة العقلية ولا سيما حياة النخبة المفكرة فاحترام النظام الاجتماعي في سبيل المصلحة العامة هو العدل « κοινωνικὴ ἀρετή » خير الفضائل .

ولا محل في قسمة ارسطو للحق الفردي ولكن من دواعي الاسف انه اردف قائلاً ان اليونانيين هم الشعب الوحيد المتمدن في الارض وان الطبيعة تسمح بمطاردة العبد . ولقد رأينا ان الاوضاع السياسية بعد ارسطو لم تفسح المجال لضروب الجدل النظرية العليا فلذلك اصبحت الفلسفة عملية فقط . وبينما انحاز ابيقور الى انتهاج طريق اللذة السهل وانصرف بيرون «Pyrrhon» الى تأسيس مدرسة غواة الموسيقى والفنون فان بعض ذوي العقول السامية انحازوا الى تأييد العقل . وزينون مؤسس هذه المدرسة هو احد ابناء قبرص وهو فينيقي الاصل قد تبنى الاعريقية .

نعم لقد علّم زينون (٣٣٦ — ٢٦٤) في اثينا حوالي سنة ٢٩٢ في رواق مزدان بالزخرف والنقش (stoa) وناقض ابيقور في كل تعاليمه تقريباً ، ومن اقواله : ليس الانسان والعالم مجموعة متماسكة الاجزاء كان حدوثهما على سبيل الاتفاق وانما هما كائنات منظمة نسّقها العقل «Logos» الشامل الالهي الذي هو ضرب من الاثير الدقيق العاقل . فكل نفس هي جزء من هذا العقل ولذلك جميع البشر اخوان فالحدود السياسية والفوارق الاجتماعية مبتدعات اصطناعية وما القانون الّا تعبير العقل الشامل الالهي «Logos» فاذن هو شامل وطبيعي . اما الحقوق الوضعية الخاصة فهي من المبتدعات الاصطناعية وليس للحكيم الّا وطن هو الكون .

وافضت به محبته للانسانية جمعاء الى ان يلتقي مع فردية ابيقور . وقد تبيّن الاخاء الانساني واقام الدليل على صحته بفلسفة متافيزيقية ، اما عبادة الانسانية البعيدة فتعوّض عن خدمة القريب الذي يعايشنا والزينوني انسانٌ فوق الانسان وهو لا يختلط بالبشر الّا اقل ما يمكنه الاختلاط بهم . وكانت هذه الفلسفة السامية المتزهدة اقل شعبية من الابيقورية ومن جراء مرورها بروما اتخذت ميزة اشد انسانية .

وقد اعارها شيشرون (١٠٦ — ٤٣) «Cicéron» اولا ضوته الجمهوري . ففي منتصف القرن الاول قبل المسيح وحوالي السنة الخمسين كانت الجمهورية الرومانية تسير في طريق الانحلال . وبسبب اعادة تشييدها تشييدًا واضحاً منذ عهد سيلّا المستبد (٨٢ — ٧٨) فقد نزلت بها الضربة القاصمة سنة ٦٠ بتأسيس

الديكتاتورية الثلاثية . وبعد وفاة كراسوس (٥٣) «Crassus» لم يبق من ذلك المثلث الا قيصر وبومبيوس ، وعقب موت بومبيوس قامت تحت ستار الديموقراطية الامبراطورية المستبدة استبداداً مطلقاً (Césarisme) لان قيصر عبر نهر ريبيكون « Rubicon » سنة الـ ٤٩ وعيّن سنة الـ ٤٥ ديكتاتوراً مدى الحياة وفي ذلك العهد ظهر في روما مؤلفان عظيمان في فلسفة الحقوق: الجمهورية (de Republica) ، والقانون (de Legibus) وواضعها شيشرون وقد بسط في الاول نظريته حول سلطة الجمهورية في الوقت الذي كانت تسير فيه الى الانهيار وفي الثاني نظريته حول القانون والحقوق بينما كانت تتآزر الدكتاتورية والفوضى على تجاهل القانون .

وكان شيشرون فارساً وديماً ومحامياً كبيراً ومن ثم رجلاً سياسياً فعيّن قنصلاً وهو في الثالثة والاربعين من عمره وأطلق عليه لقب «اب الوطن» بسبب انقاذه له من الفوضى (يذكرني بموسوليني) ولكنه كان اقل لباقة وقوة من خصومه فعُزل ونُفي ، وبعد عودته الى روما في عهد الامبراطورية الثلاثية عُيّن بروقنصلاً في كيليكية وجعل نفسه محبوباً فيها على غير ما كانت عليه العادة.

ولقد شهد بعد موت قيصر قيام ديكتاتورية انطونيوس التي كانت شراً من سابقاتها فناضل مناضلة الشجعان والقى خطبه الرائعة «les Philippiques» ولقي حتفه في سبيل الدفاع عن قضية الحرية والعدل ، واذا ما تكلم حقّ علينا ان نصغي الى اقواله .

ومردّ الفضل الى شيشرون في ايجاد اللغة الفلسفية اللاتينية التي نستشعر فيها شيئاً من شبابه ، ولقد دافع عن فلسفة زينون واكد امام الابيقوريين الذين يعتبرون الفضيلة والحقوق اصطلاحات نافعة مرنة ميزتها المطلقة وعوّل على الاسباب نفسها التي اوردها الاستاذ ومما قاله في هذا الصدد : الانسان من اصل الهي وعقله يجعله نسيباً للآلهة ومن مواطنيها فهو اجتماعي بطبيعته كما يدلّل على ذلك الشبه الجوهري بينه وبين البشر والمحبة الغريزية التي يضمرها لهم اما الفوارق بين الافراد فناجمة عن الفساد الطبيعي وليس من الطبيعة اما الانسان فيشعر في نفسه انه مواطن للناس برمتهم . « Civem totius mundi quasi unius urbis » (de Legibus, I. ch, 10, 11, 23)

ومع ذلك لم يبلغ به الحد الى انكار الوطن الموضعي (ibid. II. 1)
ولقد قال : ان الحقوق هي النظام الاجتماعي وهدفها وحدة الجميع (ad com-
municandum... justos natura nos esse factus (ibid. ch. 12)

فهي اذاً طبيعية بجوهرها لا صلة لها باية معاهدة وباية منفعة كانت .
(ibid. I. 15)

وكان شيشرون بعيداً عن اتخاذ لهجة المجاملة للتدليل على نظرية المنفعة الابيقورية :
« Jus esset latrocinari... si haec suffragiis aut scitis (décrets) multitudinis probarentur » (ibid. c. 16).

ومما قاله : ان اساس الحقوق المباشر هو المحبة : « Natura propinqui sumus ad diligendos homines, quod fundamentum juris est » (ibid. c. 15)

وهذا ما يسفر عن ان ما يأمر به القانون هو طبيعي فـاذاً هو شامل وضروري لا يتغير وسابق لكل تشريع وضعي فالقانون هو عقل الحكيم الذي وجد تعبيراً عن ذاته ولم يزد عليه ما كتبه شيئاً . « Ante nata quam scripta, orta simul cum mente divina » (ibid. L. II, c, 4)

وهو امر العقل الشامل اما القوانين البشرية فليست الا احكاماً للتنفيذ (ibid. c. 6) فاذا ابتعدت عن القانون الطبيعي كانت لصوصية محضاً فمهمة القاضي اخطر شأناً من مهمة القانون . « Dici potest magistratum legem esse loquentem, legen autem mutum esse magistratum » (ibid. L. III. c. 1)

انها لنظرية لا ينقصها المظهر على رغم ما فيها من ثلمات . نعم ان فيها ثلمات : اولها واشدها خطورة عدم استقرارها . اجل لم يسبق لاحد قديماً ان تكلم على الحقوق وكان افصح من هذا المحامي الكبير في مدافعاته ، ولكن أنرى نظرية واحدة من نظرياته الكبرى لم تساوره يوماً الشكوك حولها الباعثة على القلق، فان عباراته الخطابية لا تنطبق دائماً على اعماله وذلك خلا ما ينقصها من الدقة والبراهين وان كانت على الجملة فلسفة العقل الرشيد وقـد اصطبغت بصباغ علم مـا وراء الطبيعة الزينوني واعني بذلك انها مرتكزة على اساس سريع الانهيار . وزد على هذا ان شيشرون قد تجاهل طبيعة الحقوق الوضعية الحقيقية. وقد اغرق في اطرائها اغراقاً جعلها تغيب معه عن الابصار اذ انتزع منها التقط الانسانية الفرضية بواقع الحال . فكان على شاكلة جميع الوثنيين

القدما . على رغم العبارات الشاملة التي ابدى بها رأيه اذ المحبة التي قال بها ضيّقة جد الضيق عنده عملياً » اي انها محبة كلامية اكثر مما هي عملية « « Censent antem sapientes sapientibus etiam ignotis esse amicos » (ibid. I. c. 44: et de Legibus I. IX. ch. 12).

ونرى فلسفة زينون تتخذ مع سينيكا « Sénèque » (٤ — ٦٥) لوناً جديداً . ومما ورد في كتاب « السياسة لارسطو ٣ — ٢ » العبارة التالية : « بالقانون الحكم للعقل وبدونه للطبيعة الحيوانية » .

ولقد صح قول ارسطو كل الصحة في العصر الذي عاش فيه سينيكا ، اذ كان بالاستطاعة في عهد الاباطرة السابقين ايضاً التحدث عن الحقوق والمساواة اما في عهد نيرون فانقضى الامر ، وكان الفيلسوف استاذاً لهذا الامبراطور وعرفه عن كثب وذلك قبل ان يكون من ضحاياه

وعبارات سينيكا الاديب الطنانة تشير الى انه كان من الاسبان المثقفين ثقافة اغريقية وتوضح سبب احتقاره للمجتمع الروماني .

وعلى رغم كون سينيكا محامياً وفيلسوفاً كشيشرون فقد قصر عمله على الفلسفة الاخلاقية لان السياسة كانت مغلقة في وجهه حتى كانت الفلسفة معه عملية اكثر من اي وقت مضى فكان مرشداً للنفوس ، اما رسائله الى الشاب لوسيليوس « Lucilius » فشهيرة .

وكان يرى ان علم الاجتماع يقوم على مبدأ التضامن العظيم الشامل ولذلك اعرب عن هذا الرأي بعبارة رائعة Membra sumus corporis magni, ... natura nobis amorem indidit mutuum et sociabiles fecit,... in commune nati sumus » (Lettre 95) .

واذا كان قد ارخص شؤون السوق الرومانية فلكونه اسبانياً « Patriam nobis mundum professi sumus » (de Tranquillitate c. 3) — «meliores erimus singuli» و

واستند سينيكا مفهوم ارسطو بصدد غاية الانسان : غاية الحياة هي العلم، واضاف الى مساوئ المدرسة الزينونية شيئاً من الكبرياء والاثرة (الانانية) المتأصلة وانما لنا ثمت ما يحملنا على الشك في صدقه كما نستشعر ذلك من ذرائعه

الخطابية مستعملا ما فيه من الريب وكم نراه لا يتورع عمليا عن قبول فض الخلافات بطريقة التسوية او لا نراه قد اسدى ذلك الفتى الغني نصيحته قائلا له ان يحتفظ باموال ليتعود عدم الاهتمام لها

وكانت خاتمة حياته العادية ان مات ميتة الابطال اما تأثيره الذي كان ضئيلاً في حياته فقد تدنى فوراً الى الصفر بعد مماته .

ويعدّ من الزينونيين ايضاً فيلسوفان اخران معروفان هما : ابيكتيت (٥٠ - ١٢٠) (Epictète) الذي وضع نظرية الحرية الداخلية ولم يتعرض للحرية الثانية والثاني مارك اوريل (١٢١ - ١٨٠) (Marc-Aurèle) الذي جهد جهده في ممارسة السلطة من دون ان يفلسفها .

٢ — ما قدمه الشرق اليهودي المسيحي في هذا الباب

اثّر الشرق على الفلسفة في اتجاه جديد اذ جماها اشد عمقاً بتقديمه لها في آنٍ واحد اساساً متافيزيقياً ودينياً وطيداً . فالحقوق في معتقد اليهود دينية وفي جوهرها اجتماعية لان كلمة الله هي التي انشأتها فأخذ بها الشعب لا الافراد : ذلك الشعب الذي اختير لها واندفع اليها وكوفئ بها وعوقب بحسبها وغفرت له مساويه بموجبها

ولم يتفق لعبادة قانون قط ان رفعت الى منزلة اسمى من هذه المنزلة وانما كان قانوناً موقتاً سنّ لشعب تقوم مهمته في الحفاظ على ايمانه بانتظار الوحي الجديد الحاسم وقدبلغ به الكبر عتياً ، اما الجديد الذي جاء به الانجيل فلم يكن بحثاً نظرياً وانما الحياة قبل كل امر اخر .

وتقوم هذه الحقيقة الحية على كون الحقوق السامية قد شيدت نهائياً على حكمة الله وارادته الالهية لا على « لوغوس » الكلمة الغامضة اللاشخصية وانما على « لوغوس » الكلمة الحقيقية .

والخالق الذي صار انساناً وتجسّد ليتمم بشخصه كل عدل وليضع اساساً جديداً للاخاء الانساني وليكمل الحقوق الطبيعية بحقوق فائقة الطبيعة لا تنافي الاولى قد جعل منها اداة لغاية سامية كل السمو .

ولم تكن الفلسفة في غضون عهد اباء الكنيسة لتتميز عن علم اللاهوت بيد ان الحياة المسيحية العملية ومباحثات الاباء النظرية قد افضت الى السير قدماً بالنظرية الاجتماعية الحقوقية ، ولا يعجز الاختصاصي الاتيان بالبرهان على ذلك .

واراني اعمد الى الانتقال الى الذي نظم هذه المواد التي كانت قد جمعت قبله

٣ ــ القديس توما الاكويني (١٢٢٦ ــ ١٢٧٤)

رأى القديس توما النور تحت سماء ايطالية الصافية ومارس مهنة التعليم في باريس وبصفة كونه من ورثة الفلسفة اليونانية وروما القديمة فقد كان لاهوتياً وفيلسوفاً عقلياً مؤمنـاً بمعنى الكلمة الصحيح كما كان عالماً من علماء ما وراء الطبيعة دقيق الملاحظة اكثر مما يدور بخلدنا .

ولقد تبنى القديس توما نظرية علم الاجتماع على طريقة ارسطو ولم ينتهجها ليكون عبداً لها وانما اصلحها واكملها .

ونسخ بادئ بدء من نظرية علم الاجتماع عنصر الفردية فقال ان المجتمع لم يكن لاسعاد بعض المثقفين المحظوظين ولاستتمام كمالهم وانما الذي لا ريب فيه هو ان غاية الانسان الاخيرة هي المعرفة والغبطة والكمال نعم انها المعرفة التي هي اسمى من جميع معارف العلماء ، ولا يستطيع الانسان في هذه الارض الا ان يتأهب لها ولا سيما عن طريق المحبة التي هي في متناول الجميع .

وقد اعرب عن علاقة الفرد بالمجتمع بما يشير الى ماهيتها الثانية والتركيبية فقال ان المجتمع كلٌ طبيعي والفرد بطبيعته جزء من هذا الكل .

وان الجنس الحيواني هو حقيقة واقعية اسمى من الفرد واذا كان الانسان بنفسه الخالدة اسمى من المجتمع فذلك لا يحول دون ان يكون جزءاً منه في حياته الزمنية . وان غايته بصفة كونه احد اعضاء المجتمع هي الغبطة الناقصة الممكن تحقيقها في الارض . فهي اذاً شبيهة بغاية كل المجتمع فعليه ان يخضع نفسه لكل امر وان يضحي بها عند الحاجة في سبيل الدفاع عن هذه الغاية فالخير العام فوق الخير الخاص الذي يشتمل عليه .

ان الحقوق لامر اجتماعي ، وان مـا هو عدل ويأمر به العدل الاجتماعي ينطبق على الخير العام . اما الحقوق الفردية فلم يتعرض لها اكثر مما تعرض لها ارسطو ؛ وهو من الاجتماعيين .

ان القديس توما هو من فلاسفة القرون الوسطى المدرسيين وانا لم اورد الاستشهادات وانما ينبغي لنا ان نرى جميع فلسفته .

٤ — عصر النهضة والاصلاح

لقد رفعوا الفردية الى السماك الاعزل في القرن السادس عشر وذلك بعد ان جاءت جميع العوامل تعززها : من النهضة التي تقدس الانسانية الى الاصلاح البروتستانتي الى الفوضى السياسية فاجتاحت جميع الاجواء وتماسكت جميع اشكالها الدينية والادبية والاخلاقية والاقتصادية والسياسية في تشابكها وعملت كلها معاً على تقويتها . فالاصلاح البروتستانتي وضع الانسان وجهاً لوجه مع الخالق[1] ، فالكنيسة ليست عندهم جسماً اجتماعياً منظوراً وانما هي جماعة الارواح وجملة المعدودين من قبـل . وجعلت حريةُ البحث السلطة الكنسية بدون فائدة . ولقد اعترت السلطة المدنية ازمة ايضاً وهي الازمة التي عزّزها لوتير في المانيا اولاً وقواها عندما قلّدها الاضطلاع باعبـاء المصالح الدينية حتى ما كاد ينقضي بعض الوقت لتشتعل الثورة باسم الدين على الامراء فأخضعوا سلطتهم لحرية البحث واكتشفوا انها تستمد منشأها من الشعب ، وقد تبنّت الرابطة الكاثوليكية هذا التعليم عندما تصبح طاعة الملك خطراً على الايمان .

وفي الادب تجيء اهاجي رابليه (Rabelais) واعتماد الطبيعة في استلهامه كل شيء منها ولم تعد شكوك مونتاين Montaigne جوّاً صالحاً للفلسفة .

وحسبنا ان نقرأ الفصلين الاولين من كتاب القوانين لسوارز « De Legibus de « Suarez » لنعلم ما احرزته فكرة الفردية من غنم منذ عهد القديس توما .

1) G. Neyron : *L'individualisme et la société spirituelle*, in *Revue Apologétique*, t. 65, (1937). p. 385.

واليك فيما يلي نقطة الانطلاق ومحور فكرة هذا الكتاب الضخم .

« Jus est facultas quaedam moralis quam unusquisque habet vel circa rem suam vel ad rem sibi debitam ». (L. I, ch. 2 et L. II, ch. 17).

هذه هي الحقوق الفردية التي اجلسوها على عرش العلم ، ولقد اخذ عليه بعضهم نظريته الديموقراطية في اصل السلطة بيد انها ليس فيها شيء من الفردية قط وإن غالى بعض المغالاة في ذكر ميزة ارادة ذي السلطان في امر منشأ السلطة .

وعندما كلفه السفير البابوي في مدريد ان ينقض نظرية حق الملك الالهي التي توسل بها جاك الاول ملك انكلترا ليبرر الموانع التي تحول دون وصوله الى العرش « كما فعل من قبل الاباطرة وفيليب الجميل » وضع سوارز تعليماً وهو تعليم « Vittoria » الذي يحاكي تقريباً تعليم القديس بيلارمان« Bellarmin ».

وهناك لاهوتي اخر دو لوغو « de Lugo » من جمعية الآباء اليسوعيين علّم في روما واشتهر فيها وقد رقّاه البابا اوربانوس الثامن الى رتبة كاردينال سنة ١٦٤٣ قد عرّف الحقوق الفردية بقوله التالي :

«Praelationem quamdam moralem qua hic homo praefertur moraliter aliis in usu talis rei propter peculiarem connexionem quam res habet cum eo ».

وانه لتعريف لا يستطيع كل السطوع ولكنه كان ايضاً نقطة الانطلاق لكتابه « de Justitia ».

*

والى اي شيء آلت اجتماعية الاقدمين ؟ نعم ان لها بعض الانصار . بينهم الطوباوي توماس مور بطابعه المبتكر الشريف ، الذي مات في سبيل الايمان الروماني سنة ١٥٣٥ فقد وصف مثله الاعلى في جمهوريته (ايتوبيا) Utopie التي لا وجود لها وقد استوحى جمهوريته من افلاطون وخاصة من الانجيل .

وفي القرن التالي ظهرت مدينة الشمس لكامبنلا (١٥٥٨-١٦٣٩) ومن ثم انزوت الاجتماعية في جوّ الحلم .

(له صلة)

مؤتمر المستشرقين الدولي

الثاني والعشرون

استانبول ١٥ – ٢٢ ايلول ١٩٥١

بقلم فؤاد افرام البستاني
من وفد جامعة القديس يوسف

تمهيد

من ضفاف السين[1] الى ضفاف البوسفور، ينتقل المستشرقون بمؤتمرهم الثاني والعشرين، مقتربين من هذا الشرق الفسيح موضوع ابحاثهم، وقبلة اتجاهاتهم، ومحط رغائب الكثيرين منهم. فينزل نحو الثلاثمائة والخمسين عالماً[2] مدينة استانبول حتى تضيق فنادقها، فيوزّع آخر الواصلين على بعض المعاهد والكليات. ويبالغ اعضاء لجنة الاستقبال، ومَن يعاونهم من طلاب الجامعة وطالباتها، في استقبال القادمين ومرافقتهم الى مختلف المراكز من دوائر الجمرك، الى الفنادق، الى مكاتب المؤتمر، فيستحقّون كل شكر، على قلة مستعملي التركية من القادمين، وعلى قلّة العارفين باللغات الاوربية من موظفي هذه الدوائر.

بيد انه سرعان ما يألف المستشرقون لغة استانبول. واكثرهم على معرفة بالفرنسية والعربية. فاذا درسوا تصاريف الافعال التركية وقواعد تركيبها، وأنسوا بالاعلانات، ولوائح المطاعم والفنادق، ومناهج جلسات المؤتمر، مكتوبة بالحرف اللاتيني، سهل عليهم جدًّا فهم هذه اللغة العصرية التي تتناول مفرداتها

[1] اطلب مقالنا في المؤتمر السابق المنعقد في باريس سنة ١٩٤٨، في « المشرق » ٤٢ [١٩٤٨] ٤٨١ – ٥٠٠

[2] بلغ عدد المشتركين في المؤتمر ٦٦٠ عضواً. الّا ان الكثيرين منهم لم يحضروا الجلسات لاسباب متنوعة.

من حيث امكنها ، مشبعةً عن كثير من الاعتبارات التقليدية . وهكذا لم نستغرب ان نقرأ : XXII Beynelmilel Müsteşrikler Kongresi اسماً لمؤتمرنا.

وعلى هذا الاسلوب حلّ الاتراك مشكلتهم اللغوية بالنظر لاحداث العصر ، وتشعّب العلوم والفنون ، وتقدم الثقافة عامة ، فاقبلوا على النقل والاقتباس ، دون تردّد ، ولا حذر . واذا بجرائدهم لا تتلكأ في خوض موضوع ايّة كانت صعوبته الفنية ، ولا تحار في ترجمة تعبير ايّة كانت جدّته على المطالع الوطني . انما تنقله بشكله وحرفه ، اذا تعذّر عليها نقله بمعناه. واذا بمكاتبهم حافلة بالترجمات عن مختلف اللغات قديمة وحديثة ، حتى لا يكاد المتأدب يسمع بظهور كتاب مشهور في اوربة الّا رآه في مكاتب استانبول منقولاً الى التركية . وحتى تبلغ الكتب الكلاسيكية — او المزعومة كذلك — المقرّرة ترجمتها عن لغات العالم، منذ السنة ١٩٤٧، ما لا يقل عن ٨٠٠ كتاب. اكثرها عن الفرنسية (٢١٠) ، ثم عن الالمانية (١٤٥) ، وعن الانكليزية (١٢٠) ، وعن اليونانية القديمة (١٠٠) ، وعن الروسية (٧٣) ، وعن الايطالية (٤٠) ، وعن اللاتينية (٢٤)، وعن الفارسية (١٨) ، وعن الاميركية (١٦) ، ولم تفتهم الآداب السكنديناڤية والمجرية ، ولا الاسبانية والبرتغالية ، ولا الصينية والهندية ، حتى انهم قرّروا نقل ملحمة كلكميش عن البابلية . اما الآداب العربية فقرّروا ان ينقلوا عنها اثني عشر مؤلفاً فقط : معلقة امرىء القيس ، الف ليلة وليلة ، ديوان المتنبي ، منتخبات من آثار الفارابي ومن آثار ابن سينا، لزوميات المعرّي ، لامية العرب للشنفرى ، لامية العجم للطغرائي ، حماسة ابي تمام ، مقامات الحريري ، فصوص الحكم لابن عربي ، أبسال وسلامان لابن طفيل .

ولم يكن اقبالهم على نقل آثار العلم، في مختلف فروعه ، باقل من اقبالهم على نقل آثار الادب . بل لا نبالغ اذا قلنا ان المنشورات العلمية ، وهي في اكثريتها الساحقة مترجمة ، تزيد اضعافاً كثيرة على المنشورات الادبية . من الاثريات والتاريخ الى الحقوق والسياسة ، الى الاقتصاد والاجتماع ، الى الطبيعيات والكيمياء، الى العلوم النفسانية ، واصول التربية والتعليم، والرياضة

البدنية ، والموسيقى ، والمسرح ، سلسلة متابعة من المؤلفات تعمل مع منشورات الادب على توجيه هذه الثقافة الصاعدة في تركية العصرية . ولا يضيرها الا قلة المنشورات في شؤون الدين والاخلاق ، حتى يتساءل الباحث قلقاً عن مستقبل الناشئة. ولا تكاد تطمئنه بعض المحاولات الحيّة التي يباشرها رجال الدين في المدة الاخيرة ، من نشر كتب التفسير والاخلاقيات التي تظهر، في شكلها الخارجي وترتيبها الداخلي ، بعيدة عن مضاهاة سائر المنشورات ، وبالتالي عن مجاراتها في مطالبات الشبيبة .

هذا ما كان يتردّد في ذهننا، في اثناء زياراتنا مكاتب استانبول ومعاهدها ومساجدها ، واتصالاتنا برجال الفكر والتربية فيها ، وتحرّياتنا شؤون الشبيبة ومشاكلها تجاه الحياة العصرية ، في تلك الفترات القليلة التي كنا نختلسها، قبل انعقاد المؤتمر وخلال جلساته، فتنقلنا تارةً الى التنعم بالمناظر الطبيعية— واستانبول في طليعة الروائع العالمية موقعاً ومشهداً — جائلين بين آسية واوربة، على زرقة البوسفور الهادئ ، تنزلق بنا السفينة في اشعة القمر الشاحب بين اخضرار الضفتين الادكن، تزينه الوف الانوار المنتشرة على غير نظام من بيوت اسكودار الى قصور بيوك ديريه الى دارات سيرايار ، حتى تنتثر عقودها على صفحة البحر متكسرة بتقلبات الامواج الخفيفة؛ وطوراً الى زيارة الآثار،والمؤسسات،والمعارض، والمتاحف ، والمساجد ، والمقابر ، والاسواق والخانات ، تضيع فيها الساعات تلو الساعات في تفقد تراكم المدنيات ، وتتابع الثقافات، وتوالي النظرات المتعاقبة، على غير تشابه ، في الحياة وفي مُثُلها وأهدافها . حتى يدعونا واجب المؤتمر . واذا بنا نستعيد الاحاديث المنقطعة منذ السنة ١٩٤٨، مغتبطين بمشاهدة الزملاء القادمين من مختلف انحاء الشرق والغرب ، من الدانمرك وفنلندا ، من الهند والباكستان ، ذاكرين بالرحمة من سبقونا الى ديار الخلود .

اقسام المؤتمر ومحاضراته

وقد دفعت وفرة المواد واتساع الابحاث منظِّمي هذه الدورة الى تقسيمها خمسة عشر قسماً بدل العشرة الاقسام التي تناولها المؤتمر السابق . وكان من هذه الاقسام ما شُعب الى شعبتين بل ثلاث واربع . وهذه في ما يلي تفاصيل

الاقسام وشعبها ، مع ذكر الاستاذ المعيّن رئيساً مسؤولاً عن كل قسم :

١ – الشرق القديم — ا. غوتسه A. Goetze ، من نيوهافن
٢ – الاناضول القديم :
ا – الاثريات — شيفر C. F. A Schaeffer ، من باريس
ب – الالسنية — لاوي J. Lewy ، من سنستاتي
٣ – الدروس السامية — لاوي ديلّا فيدا G. Levi Della Vida ، من رومة
٤ – الشؤون الاسلامية :
ا – اللغة العربية وآدابها — گيب H. A. R. Gibb ، من آكسفورد
ب – التاريخ والثقافة — ماسينيون L. Massignon ، من باريس
ج – الدين — غليوم A. Guillaume ، من ابنغدين (انكلترة)
د – الاجتماعات — ماسيه H. Massé ، من باريس
٥ – الشرق الاقصى :
ا – الصين واليابان — هينيش E. Haenisch ، من أوبربيرن (المانية)
ب – مالاية واندونيسية — مالّيريه L. Malleret ، من هانوي
٦ – آسية الوسطى — بايلي D. R. S. Bailey ، من كمبردج
٧ – الشؤون التركية :
ا – التاريخ — روسّي E. Rossi ، من رومة
ب – الالسنية — غرونبيخ K. Groenbech ، من غنتوفت (دانمرك)
ج – الاجتماعيات — تاشنر F. Taeshner ، من مونستر (المانية)
٨ – الشؤون الهندية — تورنير R. L. Turner ، من ستوردفورت (انكلترة)
٩ – الشؤون الايرانية — حكمت A. A. Hekmat ، من طهران
١٠ – الشرق المسيحي — فؤاد افرام البستاني ، من بيروت
١١ – العهد العتيق — رولي H. H. Rowley ، من مانشستر
١٢ – الشؤون الافريقية — لوكاس J. Lukas ، من هامبورغ
١٣ – الدروس المصرية — لاكو P. Lacau ، من باريس

١٤ - بيزنطية والاسلام غريغوار H. Grégoire ، من بروسيل

١٥-الفنون الاسلامية :

ا - عموميات كوهنيل E. Kühnel ، من برلين

ب - تركية وايران اتنهوسن E. Ettinghausen ، من طهران

فيكون من الاقسام المُضافة : الاناضول القديم ، وبيزنطية والاسلام ، والتوسع في الدروس التركية ، والفنون الاسلامية في تركية وايران . وكلها يبررها عقد المؤتمر في استانبول. وكذلك اضيف قسم الشرق المسيحي، والعهد العتيق ، وهي من مقررات المؤتمر السابق .

وكان من مقررات الدورة السابقة ان تكون اللغة العربية لغةً ثالثة للمؤتمر مع الفرنسية والانكليزية . بيد ان لجنة التنظيم لم تعنَ بهذا القرار . بل اكتفت رسميًا باللغة التركية تردفها الانكليزية ، معرضة حتى عن الفرنسية في اكثر الاحيان. مما سبَّب بعض التذمر وحال بين التفاهم وبين بعض الاعضاء. ولا يخفى ان اكثر المحاضرات أُلقيت باللغة الفرنسية ، وكان الفرنسيون اوفر اعضاء المؤتمر نشاطًا ، واهتمامًا بالسهر على حسن تنظيمه .

اما عدد المحاضرات في مختلف الاقسام والشُعَب فكان المعلن عن موضوعاته منها لا يقل عن ٣٢٣ محاضرة. بيد ان الكثير منها لم يُلقَ امَّا لتغيب اصحابه، واما لضيق الوقت وتعذر تنظيم الموادّ في فترة المؤتمر القصيرة (١٥–٢٢ ايلول) بالنظر لوفرة الابحاث . وقد لوحظ ان علماء الاتراك من جامعتي استانبول وانكرة ساهموا بعدد لا بأس به من الابحاث . وهو امر طبيعي ، والمؤتمر يُعقد في بلادهم. وقد قام كذلك بالنصيب الوافر مستشرقو فرنسة وانكلترة، واسبانية ، وبلجيكة ، وبعض علماء الهند . اما بيروت فكان من نصيبها خمس محاضرات : اربع القاها اساتذة جامعتنا : الآباء لاتور ، وفليش ، ومصيريان ، وكاتب هذه السطور ، وواحدة القاها الدكتور نقولا زياده من اساتذة الجامعة الاميركية .

وها اننا نشير الى اهم الابحاث وفقًا لترتيب اقسام المؤتمر .

١ – الشرق القديم

ألقي في هذا القسم ما لا يقل عن خمس عشرة محاضرة تناولت مظاهر الحكمة الشومرية ، واصول التوقيت في التاريخ القديم ، والسياسة الاشورية في القرن التاسع ق.م. ، ومنحوتات تل حلف ، ومنقوشات بابل القديمة ، ومدينة برسيبوليس من حيث انها مركز ديني طقسي ، ودرس لبعض النقوش في « ناووس النوادب » من متحف استانبول . وكان اشهر الباحثين في هذا القسم الاساتذة كرامر (S. N. Kramer) من فيلادلفيا ، وكراوس (F. R. Kraus) من فيينّة ، ولامبير (M. Lambert) من باريس ، وغوسنس (G. Goossens) من بروسيل ، ومورتغات (A. Moortgat) من برلين ، وپوپ (Pope) من نيويورك ، وديل ميديكو (H. E. Del Medico) من باريس .

٢ – الاناضول القديم

ا – الاثريات

ألقي في هذه الشعبة من الدروس المتعلقة بالاناضول القديم نحو العشرين محاضرة من اهمها ملخص التحريات الاثرية في فريجية للاستاذ غبريال (A.Gabriel) من نزلاء استانبول ، وخاتم ملكي مكتشف موخرًا في اوغاريت للاستاذ شيفر (C. Schaeffer) من باريس ، ومعلومات عن بعض الآثار المكتشفة في كاراتيبه للاستاذ محب درغا (Darga) من استانبول وقام الاستاذ بادر ألكيم (U. Bahadir Alkim) من استانبول كذلك ، بعرض نتائج الحفريات الحديثة في دموزتيبه ، كما لخص الاستاذ ديل ميديكو المذكور سابقاً الحالة السياسية في جنوبي شرقي آسية الصغرى في زمن سرجون الثاني على ضوء الرقم الخثية المستحدثة .

ب – الالسنية

كان من انجاثها نقد لحل رقم كاراتيبه المزدوجة اللغة للاستاذ فريدريخ (J. Friedrich) من برلين ، ومحاولة لتحديد موقع سموخه للاستاذ سيدات ألپ (Sedat Alp) من انكرة .

٣ – الدروس السامية

هي من اهم اقسام المؤتمر بالنظر الينا ، بعد قسم الدروس الاسلامية توالى فيها ما لا يقل عن خمس عشرة محاضرة كان من اوفرها فائدة بحثا الاستاذين ميلياس ڤاليكروسا (J. Millás Vallicrosa) وبوش غيمبيرا (P.Bosch-Gimpera) الاسبانيين . تناول الاول بالشرح المفصَّل الاعلام الجغرافية الفنيقية الاصل في اسبانية امثال إبيسة (في جزر الباليار) وبرسة، وقادير، وسلاميلا، ومالقة ، واشبيلية ، وقرطبة ، واسم اسبانية وهو من إ (= ارض ، جزيرة) + شفان (= ارنب) ، إ + شفانيه = ارض الارانب ، لوفرة ما صادف الفنيقيون الاولون من الارانب في تلك الارض. وعرض الثاني لبعض القضايا العويصة في التاريخ الفنيقي في الغرب الاقصى منذ القرن الثاني عشر ق. م. فصاعداً . وكذلك القول عن محاضرة الاستاذ دي لانيه (R. De Langhe) من لوفن في آثار راس شمرا ، ملخصاً باسلوب موجز واضح دروساً ومحاولات ونظريات وفرضيات قام بها اختصاصيو الدروس الاوغاريتية مدة عشرين سنة . وللاستاذ ريكمانس (G. Ryckmans) ، من اساتذة لوفن كذلك ، بحث في قراءة الرقم الصفوية . وفي هذا القسم تُلي بحث الاب فليش (H. Fleisch) من اساتذة جامعتنا في احكام الاسم على وزن فَعَل بمعنى الفاعل .

٤ – الشؤون الاسلامية

١ – اللغة العربية وآدابها

كان من المنتظر ان يُلقى في هذا القسم ٢٠ محاضرة الا ان تخلف بعض الاعضاء جعل الابحاث لا تتجاوز ١٥ من اهمها بحث الاستاذ غرسيا غومث (E. Garcia Gómez) ، من مدريد ، في الاصول الشرقية «لطوق الحمامة» لابن حزم القرطبي . وبحث الاب قنواتي، من القاهرة، في كتاب «الحكمة العروضية» لابن سينا . وتعريف للاستاذ فاضل بن عشور، من تونس، بمخطوط نادر في الفقه قد يكون لابن حزم في الرد على الحنفية . وفي هذا القسم ألقى الاب لاتور (E. Lator) من اساتذة جامعتنا ، آراءه في تسهيل تدريس اللغة العربية . وعرض الاب باريخا (F. M. Pareja) مشاكل نقل العربية بالحروف اللاتينية . وكان من نصيب

الاستاذ محمد نظام الدين ، من حيدر اباد ، ان يتكلم عن آثار الهندية في الادبين الفارسي والعربي .

ولم يخلُ درس اللهجات من ابحاث متنوعة رأينا ان نشير اليها في هذا القسم، وان يكن بعضها قد أُلقي في غيره من الاقسام. من ذلك محاضرة الاستاذ كولن (G. S. Colin) من باريس، في منزلة اللغة المالطية من اللهجات العربية الحاضرة. وبحث الاستاذ حاج صداق من الجزائر ، في الالفاظ الفرنسية المستعملة في اللهجة الجزائرية. وعرض الاستاذ كوينس (Ch. Kuentz) من نزلاء القاهرة، للاطلس اللغوي في مصر بيّن فيه تنوّع اللهجات المحكية والحدود الجغرافية لكلٍّ منها. وفي موضوع اللهجات هذا ، القى كاتب هذه السطور محاضرته في درس اللهجة اللبنانية التي لا يزال يتكلها فريق من سكان جزيرة قبرص اللبناني الاصل . وهي لهجة مختلطة العربية بالسريانية ، متأثرة بجاورتها لليونانية والتركية والانكليزية. يتفاهم بها سكان كورماحيت (في الطرف الشمالي الغربي من الجزيرة) منذ عهد الصليبيين . ولا يخفى ما في درسها — فوق فائدته الالسنية السامية — من نور يُلقى على اللغة التي كنا نتكلم بها قبل سبعة قرون .

ب — التاريخ والثقافة

نذكر من المحاضرات العشرين التي تضمنتها هذه الشعبة بحث الاستاذ كانار (M. Canard)، من الجزائر، في البروتوكول على عهد الفاطميين. ومحاضرة الاستاذ زياده ، من جامعة بيروت الاميركية ، في موضوع الادارة في سورية على عهد المماليك ، وملاحظات الاستاذ ماسيه (H. Massé) من باريس ، « في الفتح القسي » لعماد الدين الاصفهاني . ومن الموضوعات التاريخية ابحاث الاستاذ سرنللي (T. Sarnelli) من نابولي ، في الجبر ؛ وفي حالة الدروس الطبية الحاضرة بين العرب وسائر الشعوب الاسلامية . ومما يتناول التاريخ والثقافة معاً مقابلة الاستاذ خليل ينانج (Halil Yinanç) من استانبول بين طبعة ليڤي بروڤنسال لكتاب «جمهرة الانساب» لابن حزم ومخطوطته المحفوظة في استانبول؛ وكذلك بحث الاستاذ مينورسكي (V. Minorsky) نزيل كمبريدج ، في رسالة ابي دُلف الثانية .

ج – الدين

كانت المحاضرات في هذه الشعبة قليلة جدًا. نذكر فيها بحث الاستاذ أصغر حكمت من طهران، في شخصية مير سيد علي، وبحث الاستاذ سعدي من لكناو في حركة المعتزلة على عهد المأمون.

د – الاجتماعيات

ابرز محاضرات هذه الشعبة ما تناول الفقه الاسلامي في اصوله وتاريخه، ومذاهبه واثره في التضامن الاجتماعي. كابحاث الاستاذ برنشويغ (R. Brunschvig) من بوردو، والاستاذ غوث (M. Ghouse) من حيدر اباد، والاستاذ محمد يوسف الدين من حيدر اباد كذلك. وفي هذه الشعبة القى الاستاذ ماسينيون (L. Massignon) محاضرته القيّمة في الفتوّة: معناها وتطورها في التاريخ الاسلامي.

٥ – الشرق الاقصى

يلي ذلك قسم الشرق الاقصى وقد قُسم شعبتين بلغت الابحاث فيها نحو العشرين كان اهمّها:

ا – الصين واليابان

الاساتذة:

ديبون (P. Dupont) سايغون: الفن البوذي.

بردجمان (R. F. Bridgeman) باريس: اصول الطب الصيني.

كول (H. Colle) سان فرنسيسكو: نظم الدروس الاميركية المتعلقة بتاريخ الصيدلة والطب في آسية.

ب – مالاية واندونيسية

الاساتذة:

ديديه (H. Deydier) هانوي: ترجمة لاوسية للرامايانا.

بزاسيه (L. Bezacier) هانوي: في تصميم الثغور او المدن الحصينة قديمًا في شمالي الفيتنام.

ماليريه (L. Malleret) هانوي : اثر رومة في الهند الصينية .

٦ – آسية الوسطى

من المحاضرات القليلة في هذا القسم نذكر بحث الاستاذ دوڤيليه (J. Dauvillier) من تولوز ، في نصارى الكلدان في آسية الوسطى في القرن الثالث عشر. وبحث الاستاذ كليڤيس (F. W. Cleaves) من هرڤرد ، في الوثائق المنغولية في متحف طهران.

٧ – الشؤون التركية

تعددت الابحاث في هذا القسم ، متفرّعة الى الشعب الثلاث : التاريخية ، والألسنية ، والاجتماعية ؛ حتى تجاوزت الاربعين محاضرة القى الكثير منها اساتذة انكرة واستانبول . وكان مما لفت الانظار في الشعبة الاولى :

ا – التاريخية

بحث الاستاذ جمال توكين (Cemal Tukin) من استانبول ، في معاهدتي استانبول سنة ١٧٩٨ وهنكار اسكليسي سنة ١٨٣٣ ؛ وبحث الاستاذ شيدر (H. H. Scheader) من غوتنغن ، في تاريخ الأبر . يتمه بحث الاستاذ غوبير (M. Goubert) من رومة، في الترك والأبر في القرن السادس وكذلك محاضرة الاستاذ عثمان طوران ، من انكرة ، في اهمية تركية في القرون الوسطى من حيث تاريخ التجارة ، ومحاضرة زميله الاستاذ عمر لطفي بركان من استانبول ، في جداول احصاء الدولة العثمانية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

ب – الألسنية

اما في الشعبة الألسنية فنشير الى محاولة الاستاذ دني (J. Deny) من باريس وواشنطون، في تنسيق الحروف التركية المصوّتة ، ودرس الاستاذ احمد جافروغلو (Caferoglu) من استانبول ، للغة سرّية في لهجات الاناضول ، وبحث الاستاذ فاخر عِز (Fahir Iz) نزيل لندن ، في ترجمة للقرآن الى اللغة الشاغاتية القديمة. ثم بحث الاستاذ بسالتي (F. Psalty) من استانبول ، في انشودة للعذراء مريم باللغة التركية ترقى الى اواخر القرن الثاني . وكان للاستاذ حكمت ارتايلان

(Ertaslan) من استانبول ان يلخص اعمال شعبة الدروس التركية من كلية الآداب.

٥ – الاجتماعيات

واما في الشعبة الاخيرة وهي الخاصة بالمظاهر الاجتماعية فنُشير الى محاضرة الاستاذ ضيا اولكين (H. Ziya Ülken) من استانبول، في التطوّرات الاجتماعية في التاريخ التركي، والى محاولة الاستاذ ستيرلنغ (P. Stirling) من اكسفرد، في درس قرية تركية.

٨ – الشؤون الهندية

اهم محتويات هذا القسم البالغة ٢٩ درساً ابحاث الاساتذة:

غروسليه (B. Groslier) هانوي: كيف تصوّر الاسكندريون الهند – ثم العناصر الديونيزية في التصوير اليوناني- البوذي.

لوكش شاندرا (Lokesh Chandra) ناكبور: ابحاث براهمانية.

سركار (I. Sarkar) برن: مقطع من آثار تابين سن، الشاعر البنغالي.

فليوزا (J. Filliozat) باريس: تصوّرات الذاكرة في العقائد الهندية.

٩ – الشؤون الايرانية

جمع هذا القسم عشر محاضرات كانت في اكثرها جزيلة الفائدة. اهمها ابحاث الاساتذة:

ألتهيم (F. Altheim) برلين: زرادشت والاسكندر الكبير.

بنفنيست (E. Benveniste) باريس: المفردات الدينية في الأفستا.

هنينغ (W.B.Heninng) لندن: الرقيم الفهلوي في فيروزاباد.

ماريك (A. Maricq) بروسيل: ماني وسابور الأول.

وندنغرين (G. Windengren) اوبسالا: الإقطاعية الايرانية في العصور القديمة.

١٠ – الشرق المسيحي

كان من اهم دروس هذا القسم المستحدث ابحاث الاستاذ غريفوار

(H Grégoire) من بروسيل ، في فريجية وتأثيرها في المسيحية ، وتعاليقه على استشهاد تيودوت صاحب خمّارة في انقرة او انكرة القديمة . وحديث الاستاذ داليجير (E. Dalleggio) من اثينة ، عن اكتشافه مقبرة قديمة في نيقوميدية . ومحاضرة الاب تاريه (J. Tarré) من باريس ، في تدوين النظم الكنسية اليونانية القديمة في بحر اكسين . ومحاضرة الآنسة ماتيو (A. Mathieu) من بروسيل ، في النورمانديين في الاناضول قبل الزحفة الصليبية الاولى . وحديث الاب ا. فان لانسكوت (A.van Lantschoot) من الفاتيكان،في آخر التطورات في مجموعة الرقم المسيحية الشرقية في لوفن وواشنطون.

١١ – العهد العتيق

وكذلك القول عن دروس هذا القسم المستحدث كذلك ، فانها كانت وافرة الاهمية على الغالب . من ذلك ابحاث الاساتذة فن دير بلوغ (J.Van der Ploeg) من نيميغ ، وسوكنيك (E. L. Sukenik) من اورشليم ، وليثين (J. Leveen) من لندن، وديل مديكو (H. E. del Medico) من باريس. وكلها دارت على مهارق المخطوطات المكتشفة في منطقة البحر الميت ؛ من حيث تاريخها ، وخصائصها الاملائية ، وحالة الدروس والتحريات بشأنها . ومن ذلك بحث الاستاذ كاسترو (C. Castro) من مدريد في المخطوطات الكتابية العبرية في اسبانية . وبحث الاستاذ رولي (H. H. Rowley) من مانشستر ، في موسى والوصايا الاثنتي عشرة.

١٢ – الشؤون الافريقية

كانت الابحاث قليلة جدًّا في هذا القسم حتى لا نكاد نشير الّا الى بحث الآنسة بانيتا (E. Panetta) من رومة في ابطال الادب الشعبي في «افريقية البيضاء» وفي «افريقية السوداء» . وبحث الاستاذ لوكاس (J. Lukas) من هامبورغ في قضية الالسن السودانية . ولعلّ هذا القسم الجديد تتسع الابحاث فيه في الدورات المقبلة.

١٣ – الدراسات المصرية

وكذلك القول عن قسم الدراسات المصرية في ما خصّ قلة ابحاثه . فانها

لم تكد تتجاوز العشر المحاضرات في هذه الدورة ، بينا نراها بلغت ٤٣ في الدورة السابقة المنعقدة في باريس . ولعلّ من اهمها رأي الاستاذ جيلبرت (P. Gilbert) من بروسيل ، في ان القبب المصرية والجزرية كانت في اسّ القبب الرومانية والبيزنطية . وعرض الاستاذ لاكو (L. Lacau) من باريس ، لمشهدين في هيكل سيزوستريس الاول في الكرنك . وبحث الاستاذ دو بروين (P. de Bruyn) من باريس كذلك ، في حكاية حية النحاس الواردة في الكتاب المقدس وآثارها في النصوص الدينية المصرية.

١٤ – بيزنطية والاسلام

اهم ما تضمن هذا القسم بحث الاستاذ آبيل (A. Abel) من بروسيل ، في المعاني السياسية والدفاعية للرؤى في العالم الاسلامي المسيحي في القرون الوسطى. وبحث الاستاذ لوميرل (P. Lemerle) من باريس ، في الامبراطور جان السادس وإمارة آيدين . وبحثا الاستاذين ماريك (A. Maricq) من بروسيل ، ورستم دريوران (Rustem Duyuran) من استانبول ، في موقع ميدان السباق في استانبول . ومحاضرة الاستاذ مظفّر رمضان اوغلو (Muzaffer Ramazanoğlu) في درس القضايا المتعلقة بهندسة كنيسة ايا صوفيا والتطوّرات التي تتابعت في بنائها منذ عهد قسطنطين الكبير ، الى زمن كونستانس ، الى عصر يوستنيانوس الاول . وقد مهّد الاستاذ رمضان اوغلو ، وهو الاختصاصي المعروف بدرس ايا صوفيا منذ السنوات العديدة ، لمحاضرته هذه بزيارة الكنيسة الفسيحة ، العجيبة التصميم والتحقيق ، الرائعة النقوش والصور ، قاد فيها جمهوراً من المستشرقين يدلّهم على مختلف اقسام الهيكل أسساً واركاناً ، وطبقات ، وممرّات ، وحنايا ، وهياكل ، وصوراً ، ونقوشاً ؛ يفصّل كل ذلك بالشروح الضافية ، والمقابلات الرصينة ، والنظريات المقبولة مدة اربع ساعات كاملة تحققنا خلالها ايّ اثر عجيب اقام البيزنطيون على ضفاف البوسفور ، وايّ كنز هندسي وفني لا يزال يشتغل علماء الترك في جلائه كاملاً . وهو معروف ان كنيسة ايا صوفيا تحوّلت الى جامع على اثر الفتح العثماني فطُمست صورها ونقوشها بالكلس حتى امر كمال اتاتورك باخلائها وجعلها متحفاً . فاخذ العلماء

الفنيون يعملون على ازالة الكلس عن فسيفسائها ورفع ما تراكم فيها من اضافات نافلة خلال العصور، حتى يعيدوها كما كانت في هندستها الاصلية. ولا يزالون على هذا الجهد منذ عشرات السنين، ولا يزال امامهم المجال فسيحاً، ولا تمرّ بهم فترة الّا اكتشفوا نقشاً جديداً او صورة من الفسيفساء لا تزال، تحت الكلس، على روعتها البيزنطية الوهّاجة. ولهم خير قائد موجّه بشخص الاستاذ رمضان اوغلو.

١٥ – الفنون الاسلامية

جمع هذا القسم نحو خمس عشرة محاضرة في شعبتيه:

ا – عموميات

فكان في عمومياته بحث في واجهة قصر المشتى للاستاذ اردمن (E. Erdmann) من استانبول، وبحث للاستاذ ماير (L. A. Mayer) من اورشليم في ظاهرة من ظواهر الفنّ الاسلامي تقوم باغفال ذكر الفنانين في آثارهم.

ب – تركية وايران

واما في الشعبة الثانية الخاصة بآثار تركية وايران فاننا نشير الى بحث الاستاذ غبريال (A. Gabriel) نزيل استانبول، في درس الزينة الملوّنة في آثار بروسه. ودرس الاستاذ لوبلاي برون (G. Le Play Brown) من باريس، لأثر الفن العثماني في الفنّ المغولي في الهند. كما نشير الى محاضرة الاستاذ معين تايانج (M. Muin Tayanç) من استانبول، في القيمة الزينية لقبريّات مدافن استانبول. واخيرًا الى محاضرة الاستاذ نور الله برك (Nurullah Berk) من استانبول كذلك، في فن التصوير التركي الحاضر والتقاليد الشرقية.

الزيارات

هذه لمحة خاطفة على اشهر ما أُلقي من ابحاث ومحاضرات وأُعدّ من درس في الايام السبعة التي عُقد المؤتمر في اثنائها. وقد تخلل المؤتمر زيارات منظمة لاهم متاحف استانبول، واشهر ابنيتها الأثرية، واروع مواقعها الجغرافية مما

يطول بنا ذكره ، وان إلماماً سريعاً . الّا انه لا بدّ من الاشارة الى متاحف سراي طوب كابو ، قصر الامبراطرة البيزنطيين ومقرّ السلاطين من بعدهم ، وقد جُمعت فيها كنوز آل عثمان ومخلّفاتهم في مختلف مظاهر الحياة من قاعة العرش ، الى دار الحريم ، الى الحمامات ، الى المطابخ ، الى المكاتب . وفي القصر بنايات خاصة بالآثار القديمة ، واشهر روائع المتحف الاثري ما نقلته الدولة العثمانية من مكتشفات صيدا في اوائل هذا القرن. واهم ذلك الناووس المعروف بناووس الاسكندر ، وناووس النوادب ، وناووس تبنيت الذي كان لا يزالُ محتفظاً بمومياء صاحبه ملك صيدون . ولا تزال هذه المومياء معروضة للخاصة في متحف استانبول . ولا بد من الاشارة كذلك الى ما يحفظ في مكتبات استانبول من المخطوطات العربية . وقد نُظم لها معرض جامع في احدى بنايات جامعة استانبول ، قريباً من قاعات المؤتمر. ولا يخفى ان استانبول تجمع وحدها من المخطوطات العربية اكثر مما يحفظ في سائر انحاء العالم.

وبعد المؤتمر ، نُظمت رحلات الى مختلف الاماكن الاثرية في الاناضول .

❦

وختم المؤتمر جلساته مساء الثاني والعشرين من ايلول بخطاب للاستاذ ماسنيون . على ان يعقد دورته المقبلة بعد ثلاث سنوات في انكلترة.

اخبار العالم

اخبار دينية

الذكرى المئوية الخامسة عشرة لانعقاد مجمع خلقيدونيا المسكوني (تشرين ٤٥١) :

بمناسبة هذه الذكرى نُشرت في اليوم الثاني عشر من ايلول الماضي رسالة جامعة بعث بها قداسة الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر الى العالم المسيحي بامره. تذكر هذه الرسالة اولاً الظروف التاريخية التي ادت الى التئام هذا المجمع الشهير وتتكلم عن اهميته التعليمية ثم يوجه قداسته نداء ابويًا مُلحًا الى الابناء الذين انفصلوا منذ خمسة عشر قرنًا عن امهم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فيقول : من يا ترى لا يأخذه الجزع ازاء الضغينة والجور اللذين يجاهر بها اعداء الله مهدّدين بمحو كل ما هو الهي او مسيحي مُجدّين في استئصاله : تجاه هذه الجحافل المتجمّعة كيف يستطيع الذين وُسِموا بسمة المعمودية المقدسة ان يسيروا منقسمين وكان عليهم من الواجب ان يكونوا متحدين ليجاهدوا الجهاد الحسن .

يُنهي الرسالة بتحريض ابوي لتبّاع اضاليل الشيعتين النسطورية والمونوفيزية فيوجه اليهم هذا الكلام : ليكونوا متأكدين باننا نعتبر نفسنا قد حصلنا على اثمن جواهر اكليلنا الرسولي اذا أعطينا بان نضم بحبنا واكرامنا هؤلاء الذين قد زادت حزّتنا لهم بقدر ما طال افتراقهم عنا فزاد في قلوبنا التشوق اليهم .

عدد النواب الكاثوليك في مجلس العموم البريطاني : لفتت الجرائد الكاثوليكية انتباه قرائها الى ان عدد النواب في هذا المجلس بعد الانتخابات الاخيرة اصبح ثلاثة وعشرين منهم خمسة عشر من حزب العمال وستة من حزب المحافظين واثنان من الوطنيين الارلنديين .

الباكستان والكرسي الرسولي : رغبة في الاحتفاظ بالعلاقات الودية القائمة عزم الكرسي الرسولي وحكومة الباكستان على مبادلة ممثلين سياسيين بينهما فيكون حسب نص الاتفاق للكرسي الرسولي مفوضية في الباكستان وللحكومة الباكستان سفارة في روما

للرسالة الكاثوليكية اليوم في الباكستان سبع مناطقات كنسية وتدل الاحصاءات الاخيرة على ان عدد الكاثوليك هناك قد بلغ مئتين وخمسة وعشرين الفًا وعدد الموعوظين المهيئين للعماد اربعة وسبعين الفًا . يقوم بخدمتهم مئتان واربعة وخمسون كاهنًا منهم ثلاثة وستون باكستانيًا .

تركيا والكرسي الرسولي : في ٣ تشرين الاول من هذه السنة حظي بمقابلة الحبر الاعظم النائب التركي اندره فيرام ليحييه ويعبّر له عن تقدير الحكومة التركية لقداسته باسمه الشخصي وباسم رئيس الجمهورية التركية ورئيس وزرائها . ثم بعد هذه المقابلة صرح لبعض محرري الجرائد الايطالية ان كثيرًا من اقطاب السياسة وممثلي الشعب في تركيا يتطلعون بانتباه واعجاب الى ما يقوم به الفاتيكان من اعمال للدفاع عن الحرية والسلام في العالم وانه يوجد في بعض المقامات العليا من يفكر جديًا بانشاء علاقات سياسية بين الحكومة التركية والكرسي الرسولي .

الاضطهاد الديني في الصين : تكاثرت مؤخرًا في الصين حوادث توقيف الاساقفة والمرسلين الكاثوليكيين وما غاية الشيوعيين بالقبض عليهم وزجهم في السجون او ابعادهم عن البلاد الا حرمان الشعب الصيني الكاثوليكي من رؤسائهم الدينيين وخدمتهم الروحيين ليجبروهم بذلك على الخنوع لهم وترك الدين الكاثوليكي وقد توسلوا باقبح الوسائل للتشنيع بصيت المرسلين والمرسلات وتحقيرهم في اعين المسيحيين لانتقامهم منهم اذ نسبوا اليهم جرائم لا تصدّق عن أكبر الجناة وحكموا عليهم في مجالس شعبية اجبروا المسيحيين على حضورها .
وقد استولوا على دور الاساقفة والخورنيات والمعاهد والمجتمعات الكاثوليكية المختلفة .

وعدد الاساقفة المسجونين اليوم في الصين اثنان وعشرون وغيرهم ستة موقوفون في مساكنهم والتسعة الآخرون أبعدوا قهرًا من الصين .

رومانيا والكنيسة الكاثوليكية : بالحكم على السيد باشا اسقف تيميسوارا اتمّت الحكومة الرومانية حملاتها على اساقفة رومانيا الكاثوليك من الطقسين الشرقي واللاتيني وكانت قد ابتدأتها سنة ١٩٤٦ في اواخر تشرين الاول ولم يبق اليوم اسقف واحد من الطقسين الا وهو في السجن . وقد اوقفت ايضًا وكلاء الاساقفة الذين كانوا يدبرون الكنيسة باسمهم لتنفي في محاكم كهنة خاضعين لارادتها فتقضي بذلك على الدين الكاثوليكي في رومانيا .

اخبار عالمية

انقلاب رابع في سوريا : في صباح اليوم التاسع والعشرين من تشرين الثاني عند الساعة الثالثة حدث في سوريا انقلاب سياسي جديد قام به الكولونيل شيشكلي وذلك بعد انقضاء عشرين يومًا على استقالة السيد حسن الحكيم وتعقّد الازمة الوزارية بعده فأوقف السيد دواليبي رئيس الوزارة الجديدة ومعه وزراؤه الا اثنين منهم . ثم بعد شيء من التردّد والتصلّب قدّم الدواليبي استقالته وعقبه بعد ذلك بالاستقالة رئيس الجمهورية هاشم الاتاسي بعد ان حاول عبثًا تدبير الامور شرعيًا وقد ذهب مأسوفًا عليه . حينئذ تسلم الكولونيل شيشكلي مسؤولية الحكم فأصدر الامر بحل المجلس ثم ترك الحكم للكولونيل فوزي سلو وعهد اليه بالسلطتين التشريعية والتنفيذية وبتهيئة الشعب لانتخابات جديدة كلها باقرب وقت ممكن ترجع البلاد الى حالتها الطبيعية . اما السوريون وفي مقدمتهم الجرائد فقد قبلوا الحكومة الجديدة وتدابيرها بكل هدوء واطمئنان

وقد اعترفت الدول العربية ما عدا العراق بوضع سوريا الجديد واعتبرت الانقلاب حدثاً داخلياً محضاً . وهكذا فعلت فرنسا وبريطانيا العظمى وغيرهما من الدول

اما سبب استقالة وزارة السيد حسن الحكيم التي آلت الى الازمة والانقلاب فقد زعموا انه موقفه من مشروع الدفاع الاربعي فقد احدث اعلانه بقبول المفاوضة في المشروع ضجة عظيمة في المقامات السياسية السورية . خصوصاً اذا صحّ ما قيل عن موقف رئيس الجمهورية المخالف لهذا الرأي

قناة السويس : ويسموها قناة الملوك الاربعة . يعود تاريخ خرق هذه القناة الى اربعة الاف سنة تقريباً . اول من حاول فتح هذا المجاز المائي بين البحرين المتوسط والاحمر هو الفرعون سني الاول وبعده رمسيس الثاني ورجمت الرمال بعدها فغمرته . وفتح من جديد على عهد الفرعون نيشاوو ثم على عهد الملك داريوس ثم انسدّ من جديد برجوع الرمال وعني بفتحه بعد هؤلاء الملوك الاربعة تراجانوس قيصر روما . ثم بعد سبعة اجيال احتلّ العرب مصر فحاولوا هم ايضاً اعادة هذه الطريق المائية الى الملاحة لكنهم لم يبطئوا ان اهملوها . اخيراً في القرن التاسع عشر بين السنتين ١٨٥٩ و١٨٦٩ قام المهندس لسبس الفرنسي باتمام مشروع خرق برزخ السويس مجدداً ومنذ ذاك الحين لم تزل القناة مفتوحة للملاحة وهي اقصر طريق من الغرب الى الهند والشرق الاقصى

تدير القناة « الجمعية العمومية » مقرّها القاهرة ومكاتبها في باريس وسوف ينتهي امتيازها سنة ١٩٦٨ فتترك القناة للحكومة المصرية على شرط ان تعوّض عليها بدفع قيمة ادواتها وعُدَدها

وقد حدّد ميثاق باريس سنة ١٨٨٢ بان تكون القناة مفتوحة دون تفريق لسفن جميع الدول تجارية وحربية في زمن السلم كما في زمن الحرب

واليوم قضية الاحتلال الانكليزي العسكري للقناة هي مع مشكلة السودان سبب المشادة الدائبة التي نشبت بين مصر وانكلترا بعد ان قرر المجلس المصري الغاء معاهدة ٢٨ آب ١٩٣٦ بخصوص القناة واعلن اتحاد مصر والسودان والملك فاروق ملك مصر والسودان فالغى بذلك اتفاق سنة ١٨٩٩ القاضي باشتراك الطرفين المتفقين في حكم السودان

المشروع الغربي للدفاع عن الشرق الاوسط : في اوائل شهر تشرين الثاني بعثت الدول الاربع اعني الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا العظمى وتركيا الى الدول العربية مشروعاً مشتركاً بخصوص الدفاع عن الشرق الاوسط اهم ما جاء فيه ايجاد قيادة عسكرية موحدة للمساعدة في الدفاع عن البلاد عند اقتضاء الامر ثم العمل معها لتقدّمها اجتماعياً واقتصادياً بالتحاشي عن التدخل في شؤونها الذاتية والتعهد لها بعدم انزال جيش اليها او محاولة تنقله فيها الا بملء رضاها دون ادنى مساس باستقلالها الوطني وسلطتها المطلقة . ويظهر انه لولا رفض مصر للمفاوضة في هذا المشروع من سبب اختلافها القائم مع انكلترا لقبلت به سائر الدول العربية وهي الى الان لم ترفضه رفضاً جلياً ولا تميل الى رفضه .

مطبوعات شرقية

تاريخ الآداب المسيحية العربية

لمؤلفه جورج غراف

وصف وتحليل بقلم الاب فرديناند تونل اليسوعي

G. Graf. — *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*. Erster Band, *Die Uebersetzungen*. (Studie Testi, 118). Zweiter Band, *Die Schriftsteller bis zur Mitte des 15. Jahrhunderts*. (Studi e Testi, 133). Dritter Band, *Die schriftsteller von der Mitte des 15. bis zum End des 19. Jahrhunderts, Melchiten, Maroniten.* (Studi e Testi 146). Vierter Band, *Die Schriftsteller von der Mitte des 15. bis zum Ende des 19. Jahrhunderts, Syrer, Armenier, Kopten,Missionsliteratur, Profanliteratur*. (Studi e Testi 147). In-4°, XLIV-662. XXI-512 ; XXXIII-525 ; XXXVI-338 pp. Citta del Vaticano, Bibl. apost. Vaticana,1944, 1947,1949,1951.

الابحاث والنصوص

في دار الكتب الفاتيكانية حركة نشر وتأليف بدأت مع هذا القرن وتواصلت الى يومنا بعنوان « الابحاث والنصوص » Studi e Testi صادرة من مدينة الفاتيكان ومن المكتبة الرسولية الفاتيكانية فانتجت سلسلة من الكتب بحجم ٢٥×١٨ سنتمترًا ومنها هذا المؤلف : تاريخ الآداب المسيحية العربية بقلم الكاهن الفاضل والعامل الكبير جورج غراف الدكتور بالفلسفة واللاهوت والاستاذ شرفًا لمعهد اللاهوت في كلية مونيخ والعضو المراسل لجمعية الآثار القبطية في القاهرة .

وأهدي الكتاب الى المشرق منذ ظهور مجلده الاول فارجأنا وصفه الى ان وصل الينا مجلده الرابع وفيه ختام البحث اما المجلد الخامس الذي سيليه ولم يزل تحت الطبع فيُخصص بالفهارس .

نشأة الكتاب وغرضه في فكر المؤلف

قال المؤلف في المقدمة ان اطلاعه على منشورات جامعة القديس يوسف في

بيروت وخاصة على مجموعة مجلة المشرق التي ظهرت منذ ١٨٩٨ بعث فيه الرغبة بدرس موضوع كتابه هذا فاخذ يجمع في سبيله المواد من الجانه الشخصية فيما كان يتعلم على فريتز هومل في جامعة مونيخ فاثمرت من ثم جهوده برسالتين طبعهما سنة ١٩٠٥ وعنوان الاولى «الآداب المسيحية العربية الى عهد الصليبيين» (آخر القرن الحادي عشر) والثانية « لغة الآداب المسيحية العربية القديمة » فكانت الاولى اساساً للبناية الفخمة التي ظهرت في هذا الكتاب الجليل .

لقد تكبد صاحبه مشقات الاسفار في التفتيش على المخطوطات وفي مراجعة المصادر فاقام زماناً في بلاد الشرق في اورشليم وبيروت وحلب وفي ديورة لبنان وخاصة في القاهرة وذلك في ١٩١٠ — ١٩١١ وبين ١٩٢٦ — ١٩٣٢ وفي ١٩٣٦ . وزار باريس وفلورنسا وروما متردداً على مكاتبها فضلاً عن مكاتب المانية. وكان اذ ذاك في الخدمة الرعائية. ولما رُفع حملها عن كتفيه انصرف الى استغلال ما جمعه من التعليقات والمواد وخصص ايامه لهذا التأليف.

وان هـذا الكتاب موضوع اولاً لاهل الاختصاص من العلماء الشرقيين والمستشرقين ولكنه مفيد ايضاً لكل من يهمهم الاطلاع على الدروس الكنائسية الشرقية وقد افتتحها المؤلف بمقدمة واسعة في بدء المجلد الاول من كتابه وددنا لو وفق الى تعريبها بكمالها احد ادبائنا المتضلعين من اللغة الالمانية على اننا نعرض لأهم محتوياتها قبل ان نأتي على تحليل كل من المجلدات الاربعة التي بين يدينا .

خلاصة المقدمة : الادب المسيحي العربي

ان المكان الذي نشأت وتطورت فيه الآداب المسيحية العربية هو الجزيرة العربية ثم في البلاد الخارجة عنها اما زمانها فيمتد من عهد اول ظهورها في القرون الحوالي الى يومنا هذا .

وذهب المؤلف في تحديد معنى الادب المسيحي العربي باعتبار مصادره ومواده فقال : (١ ص٢ — ٦) : في اعتبار المصادر يكون الادب المسيحي العربي مجموع ما وضعه العرب المعروف عنهم انهم مسيحيون سواء بكونهم من اصل عربي ومن قبيلة عربية او بكونهم استعملوا اللغة العربية فمن ثم تدخل

في تاريخنا الكتب التي لا علاقة لها بالدين من شعر ونثر واساطير وقصص وتاريخ وعلوم طبيعية وغير ذلك .

اما في اعتبار المواد فيشمل الادب المسيحي العربي مجموع ما كتب باللغة العربية وكانت غايته في الغالب دينية وهي مع ذلك تعالج مواضيع غير دينية وقد يكون بعيداً عن الصواب ان نعزل عن تاريخ الآداب المسيحية العربية ما وضعه المسيحيون من المؤلفات التي لا علاقة لها بالدين طالما اعتبرها المسلمون ذاتهم كمسيحية نسبةً الى اصحابها ودونوها باسم المسيحيين كتب تاريخ الادب العربي المشبع بالمواد الصادرة من مصادر اسلامية والحاوية المواضيع الاسلامية

وضمن المواضيع الواجب اعتبارها مادة لتاريخ الادب العربي المسيحي ما كان مبعثاً للبحث ومقبساً للنور في تطور الحركة الفكرية العربية ومنها نشأ علم الكلام والكتب الموضوعة في الجدل بين المسيحيين والمسلمين فكانت منهجاً سار فيه اللاهوتيون والفلاسفة العرب متأثرين بالتراث الفكري المسيحي ليفتحوا فتوحاتهم العقلية . وفي المجلدات الاربعة التي ظهرت سوف يجد القراء الاشارات الوافرة الى المراجع العديدة جداً التي استند اليها المؤلف وجاءت شاهداً على حسن اختياره موضوعه وعلى طول باعه في العمل بقوة وصدق ونجاح.

انتشار العربية بين المسيحيين

ومن امهات المسائل كيفية اعتناق المسيحيين من سريان ويونان واقباط وحبشة لغة الفاتحين العرب وكيفية حياة وتطور اللغة العربية بين المسيحيين في البلاد التي سادها الاسلام .

ومن اول مظاهر العربية عند النصارى اتخاذ اعلام الاسر والاشخاص من كلمات عربية اسوة بالعرب فقالوا مثلاً عيسى عوض يسوع واستعملوا التركيب والكنية واللقب اسوة بالعرب فقالوا عبدالله وابو الفتح والجميل والمكين وابو قرة وابو البركات .

ودخلت اللغة العربية في استعمال الصلوات والرتب الطقسية في الكنائس فنقلوا اليها المواد من اليونانية والسريانية والقبطية ، وفي الزمان القريب منا ، من اللغات الاوروبية . فحفظوا لنا تراثاً لا يستهان به من الروحيات الراجع

عهدها الى اوائل المسيحية فضلاً عما ابتكروه بالعربية من منتوجات عقولهم.

العربية الفصحى

وظهرت في هذه المؤلفات اللغة العربية على علاتها كما كانت في استعمال العامة في زمانها ومكانها لكنها بلغت ايضاً مستوى اللغة الفصحى المراعية حقوق الصرف والنحو فليس من الصواب في القول ان لغة المسيحيين كانت دون لغة المسلمين فصاحة لانهم كتبوا كما كان يكتب سائر العرب في ايامهم وترى بان في قوله هذا رد العلامة غراف على المثل السائر عند الذين ينكرون على المسيحيين المقدرة في ضبط قواعد العربية فيقولون متهكمين : « النصراني اذا نحّى ».

اقدم الآثار المسيحية العربية

مضى صاحب الكتاب واضعاً خطط تاريخ وجغرافية البلاد التي ظهرت فيها الآداب المسيحية العربية قبل الاسلام اخذاً في بدء تاريخ المسيحية في بلاد العرب من العهد الروماني فقال (١—ص١٢ وما بعدها) : ان العدد الوافر من البنايات الكنائسية في المدن والارياف وغير ذلك من الكتابات الاثرية المؤرخة او الغير المؤرخة شاهد يعرّفنا بمراكز الاساقفة وغيرهم من الاكليروس على مختلف درجاته وكانت الارثوذكسية مذهب الدولة وكانت مذاهب غيرها تسعى في ان يكون لها مقام في البلاد ...

اهل الحضر

وكان السكان معظمهم من اصل روماني او يوناني او سرياني وكان التفوق بينهم لليونان في الحياة الاجتماعية والفكرية . وعاش العرب في الارياف واخذوا يتحضرون . ورجال الدين كانوا ينشرون الثقافة اليونانية على قدر ترقيهم في درجات الاكليروس فتيتوس (نحو سنة ٣٦٣) وانتيباتر (نحو ٤٦٠) واسطفانوس (في بدء القرن الثامن) اساقفة بصرى كتبوا باليونانية . ودخل اقليم « عربية » في حكم الاسلام بعد انتصار الفاتحين في موقعة اليرموك (٢٦ آب ٦٣٦) وعمرت بعض الكنائس ولم يحل دون عمارتها دخول البطريركية في حكم الشريعة التي قالت بمنع اهل الذمة عن عمار الكنائس .

اهل الوبر

وبالقرب من العرب المتحضرين كان البدو وعليهم امراؤهم من حيرة وغسان وهم « الفلاركة » وقد دخلت بينهم الثقافة المسيحية مع اتصالهم بملوك بيزنطية والحبشة وبفضل الرهبان المبشرين من رحالة او من شخصيات بارزة كسمان العمودي .

وضرب الاستاذ غراف لائحة القبائل العربية المتنصرة بجملها او بفئة منها واهمها (اص٢٥—٢٧) ١)قراعة وفروعها سليم وكلب وتنوخ٢)جذام ٣)تغلب ٤) بكر ٥) اياد ٦)تيم ٧) الحارث بن كعب ٨) كندة وحدد مواطن اقامتها في البلاد واخذ من ثم يفتش عن اوليات الاثار الادبية المسيحية العربية .

ليس بين ايدينا اثر للكتابة للقبائل العربية المسيحية الرحالة الا ما حفظ في الديورة وفي حلقة الاكليروس المثقف اما المحررات التي بلغت الينا من المنتوجات الفكرية الصادرة من المتحضرين فلم تكن باللغة العربية ولكن باليونانية وكانت الحركة الفكرية نشيطة في الديورة الواقعة في بلاد الحيرة وغسان ومنها صدرت مخطوطات وآثار كلها باللغة الآرامية الى ان حلّت فيها اللغة العربية محلها مع انتشار الكتابة العربية على يد المسيحيين كما يشهد على ذلك المؤرخون المسلمون .

شعراء النصرانية

وهناك مشكلة الشعر الجاهلي وشعراء النصرانيـة قبل الاسلام . فلم يوافق العلامة غراف الاب شيخو في سائر اقواله اثباتاً لنصرانية الشعراء لان قصائدهم بقلبها وقالبها لا تكاد تتميّز عن قصائد غيرهم من الشعراء غير المسيحيين ولا يكفي ما يرى فيها من الاشارات الى الطقوس المسيحية او ما يأتي فيها من الاصطلاحات اللغوية المسيحية لاثبات ان اصحابها كانوا من النصارى .

اما الشعراء المسيحيون اي هؤلاء الذين لا سبيل الى الشك في حقيقة دياناتهم استناداً لشواهد غيرهم عنهم او اخذاً بصيغة اسمهم وقد عاشوا قبل الاسلام وفي قرنه الاول فهم : عدي بن زيد وكان من اسرة نبيلة نشأ في بلاط ملوك الحيرة ثم مات نحو ٦٠٤ وله شعر في الخمريات والزهديات ؛ ويحيى ابن متى معاصر محمد لم يترك شعراً من تأليفه لكنه روى شعر الاعشى الاكبر

(بعد سنة ٦٢٩ م) وهذا كان من « عباد الحيرة » ؛ وعبد المسيح بن بقيلة الذي عاش في الحيرة في القرن السابع والاخطل التغلبي شاعر الامويين المتوفى سنة ٧١٥

تعريب الكتب المقدسة

ومضى المؤلف من ثم باحثاً في ترجمة الكتاب المقدس والصلوات الطقسية الى اللغة العربية وعالج المشكل بكثير من الاطلاع والنقد فاذا ذكر ورقة بن نوفل وما قاله عنه المؤلفون المسلمون انه قرأ التوراة بالعبرانية فسّر لفظة عبرانية بمعنى انه قرأ التوراة بحرف عبراني او كرشوني وبلفظ ولغة عربية . واذا روى خبر عمر بن سعد بن ابي وقاص وطلبه الى البطريرك يوحنا اليعقوبي في ان يترجم التوراة من السريانية الى العربية استند اليه ليبين انه كانت في ذلك العصر آثار عربية للكتاب المقدس لكنه لم يبت في امرها واكتفى بان وجه اليها نظر الباحثين مسهلاً لهم طريق البحث بذكر مراجع علمية وافرة وكذلك فيما يخص كتب الصلوات الطقسية فروى نظرية باومستارك في قوله ان كتباً دينية مسيحية سبقت ظهور القرآن لكن امرها لا يتضح اتضاحاً يجزم في تعريف كمية المواد المعرّبة .

ولا بد من القبول بالرأي القائل بانه لما ظهر القرآن كانت بين ايدي الناس قطع معربة من الكتاب المقدس ومن كتب الصلوات والطقوس وذلك بيّن في بعض الالفاظ الواردة في القرآن وفي بعض النصوص التي يرويها البخاري والطبري وغيرهما .

اضف الى ذلك ما يأتي به من الشواهد المؤلفون المسيحيون كابي قرة الملكي وابي رائطة اليعقوبي والكندي النسطوري فاذا قابلت بين مؤلفاتهم رأيت انهم يختلفون في رواياتهم آيات الكتاب المقدس فينتج من ثم انه لم يكن هناك ترجمة عربية للكتب المقدسة مقبولة من الجميع قبل القرن الحادي عشر المسيحي .

خلاصة التاريخ وتقسيم الكتاب

وفي البند الخامس من المقدمة جاء المؤلف بخلاصة تاريخ الشرق السياسي منذ الهجرة الى آخر عهد المماليك ثم اخذ يعرض لتاريخ الادب عند الطوائف

المسيحية ملكيين وموارنة والنسطوريين واليعاقبة والاقباط وختم مشيراً الى اقسام كتابه فتناول اولاً ما نقل الى العربية عن غيرها من اللغات ثم المؤلفات المبتكرة للكتبة منذ القرون الاولى الى منتصف القرن الخامس عشر . ثم في القرن السادس والسابع عشر ظهر عصر النهضة في الآداب المسيحية العربية وكان فجره في العلاقات التي جرت بين مسيحيي الشرق والغرب في مجمع فلورنسا وفي اعمال المرسلين واجتهاد الشبيبة الشرقية التي رحلت من بلادنا الى رومة لتدرس فيها .

واليك نظرات سريعة في محتويات المجلدات الاربعة عسى ان يتشوق منها القراء الى مراجعة الكتاب واستيعاب مواده بتمامها .

المجلد الاول

يحوي البحث في ترجمة الكتاب المقدس بكماله من القرن التاسع من عهد حنين بن اسحاق الى النسخة الملكية فالقبطية الى نسخة باريس ولندن فترجمة البروباغنده وترجمة روفائيل الطوخي القبطي فالمطبعة البروتستنتية فالدومينيكانية فاليسوعية » ثم يتكلم على كل سفر من اسفار العهد القديم والجديد وعلى كتب القراءات ثم على الكتب الروحية « المنحولة » المعروفة « بالابوكريف » عن اخبار المسيح والقديسين ثم على كتب الآباء اليونان والسريان والقبط وعلى كتب الطقوس والليتورجيات وعلى كل فصل من هذه الفصول قدم المؤلف بالنظرات العامة قبل ان يأتي على ذكر المؤلفات من مطبوعة او غير مطبوعة .

المجلد الثاني

فيه تاريخ المؤلفات المبتكرة التي وضعها الكتبة المسيحيون الى منتصف القرن الخامس عشر وقد صنفهم العلامة غراف بحسب طوائفهم فالملكيون ومنهم تيودورس ابو قرة وقسطا بن لوقا ويوحنا بن البطريق واغابيوس محبوب بن قسطنطين وابراهيم بن يوحنا الانطاكي وابو الفتح عبدالله بن الفضل وغيرهم ؛ والموارنة ومنهم قيس وتوما كفرتاب وتيودوروس العاقوري ويوحنا الناسك واغناطيوس اسقف قبرس ويوحنا مارون ؛ والنساطرة ومنهم اسرة بختيشوع وحنين والحجاج وعيسى بن حكم مسيح وابو زكريا يوحنا بن بطريق وابو نوح الانباري واليا

الجوهري وعبد المسيح الكندي وابو الفرج عبدالله بن الطيب العراقي والمختار يوانس بن بطلان وغيرهم ؛ واليعاقبة حبيب بن خدمة ابو رائطة وابو سهل يحيى بن يحيي المسيحي الجرجاني وابو نصر يحيي بن جرير وغريغوريوس ابو الفرج ابن العبري ؛ والاقباط ساويروس بن المقفع ومرقوس بن القنبر وميخائيل الضباطي والرشيد ابو الخير بن الطيب والمكين جرجس بن العميد وكيرلس ابن لقلق ويوحنا اسقف سمنود واولاد العسال وغيرهم من العشرات الذين لا يسع المقام ذكرهم .

المجلد الثالث

وفيه ذكر الكتبة من منتصف القرن الخامس عشر الى منتهى القرن التاسع عشر وهو مكتظ بالاعلام القريبة عهداً منا ونستأنس بتلاوتها على مختلف الطوائف في سائر نواحي التأليف بين التعريب والابتكار فمن الملكيين ملاتيوس كرمه الحموي ومكاريوس بن الزعيم وبولس الحلبي واثناسيوس دباس والياس فخر وعبدالله زاخر ونقولا الصايغ وجرمانوس آدم وغريغوريوس عطا وغيرهم وغيرهم .

ومن الموارنة جبرائيل ابن القلاعي وجرجس الاهدني وسركيس الـرزي وموسى العنايسي ويوحنا الحوشبي واسطفانوس الدويهي ويوسف بن جرجس الباني وبطرس التولاوي وعبدالله قرألي وجرمانوس فرحات والسماعنة وغيرهم من تلذ القارئ مطالعة اسمائهم مع ترجماتهم وتعداد مؤلفاتهم وفيها ما يذكر بآية الانجيل عن الجدد والعتق .

المجلد الرابع

وفيه ذكر السريان : اغناطيوس نوح وعيسى المزار واندراوس اخيجان واثناسيوس سفر وميخائيل جروه ، ثم الارمن : مكرديج الكسيح وانطون خانجي وبولس بليط، ومن النساطرة يوسف الثاني البطريرك وخضر الموصلي،ومن الاقباط سلسلة من رجالات العلم والفضل حسبنا الاشارة اليهم بالاجمال وكذلك

الى امثالهم من المرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين والكرمليين واللعازريين وغيرهم من رجال الارساليات البروتستنتية ومن الكتبة والمؤرخين والشعراء واللغويين وحملة الاقلام في عالم الصحافة .

فكانت العربية نصرانية قبل اسلامها

وقد يأخذ منك الاعجاب مما تراه في هذه المجلدات الجليلة الضخمة من التعليقات والابحاث الدالة على جهاد متواصل على مدى حياة قضيت في التفتيش والتحبير والتدوين وكل صفحة من صفحاتها تكاد لا تخلو من الحواشي الدالة على المراجع والشاهدة على صدق الرواية اضف الى ذلك الاصابة في الحكم والتوازن في التعبير مما يرتاح اليه القارئ .

فهذا الكتاب بحر جدير بان يغوص في اعماقه المشتغلون في هذه الناحية من الآداب العربية فيحصلون منه على لآلئ غالية الثمن ويستنبطون من غناه كنوزاً تؤدي مادة لعمل المجتهدين على مدى الاعوام . هو تراث اجدادنا المسيحيين نفاخر به ونرد به قول من قال « ابت العربية ان تتنصر » فانها كانت مسيحية قبل اسلامها ولم تزل .

ولا يسعنا في الختام الا ان نذكر مع كتاب تاريخ الآداب المسيحية العربية لغراف كتاب تاريخ الآداب العربية لبروكلمان فمن كليهما تتكون مجموعة اساسية تشيد بامجاد الثقافة العربية وتستحق لمؤلفيها الشكر ما دامت اعلام الثقافة خافقة على الناطقين بالضاد .

المشرق

السنة السادسة والاربعون

اذار - نيسان ١٩٥٢

من الخزانة الشرقية

بقلم حبيب زيات

المستطاب من اخبار القبقاب

كانت عادة احتذاء القبقاب شاملة كل ديار الاسلام في الشرق والغرب. ومن الابيات التي حُفظت في وصفه بالمغرب ما كتبه ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن البناء الاندلسي من مدينة وادي آش (Guadix) وقد اهدى « قباقيب خشب جوز » الى لسان الدين الخطيب المشهور. قال فيها :

هاكها ضُمَّرًا مطايا حسانا · نشأت في الرياض قضبًا لِدانا
وثوت بين دوحة وغدير · مُرضعات من النمير لُبانا
لابسات من الظلال برودًا · دوحها الغضّ رقّةً وليانا
ثم لما اراد إكرامها الله · وسنّى لها المُنى والاماني
قصدت بابك العليّ ابتدارا · ورجت في قبولك الاحسانا (١

(١) نفح الطيب ٣ : ٤٧٥

واجود منها البيتان الآتيان نسبها البدري في « محاسن الشام » لابن هانئ الاندلسي وابن حجر العسقلاني وابن تغري بردي لأقوش البيسري وهما مما كان يكتب على القبقاب :

كنتُ غصناً بين الرياض رطيباً مائل القد من غناء الحمام .
صرت احكي عداك في الذل اذ صرتُ مهاناً أداس بالاقدام

وكانت دمشق من اشهر الحواضر التي عُرفت بصناعة القبقاب ولم تبرح الى اليوم محفوظة فيها ولها سوق مخصوصة وراء الجدار القبلي من الجامع الاموي تُعرف «بالقباقيبية» ومن دمشق كانت تُجلب مصنوعاتها الى مصر ولذلك عدّها البدري في جملة القاقات التي تُحمل من دمشق للديار المصرية[1] .

واختلفت انواع القبقاب ولم يُحفظ من اسمائها القديمة الا « الزحّاف » ورد. ذكره في ترجمة قاضي القضاة زين الدين التفهني الحنفي من اهل القرن الثامن للهجرة قال تقي الدين المقريزي : وواقعته مع الميموني مشهورة من حكمه بسفك دمه وعقد بسبب ذلك مجالس والميموني يحاجيه عن نفسه ويقول له : أتق الله يا عبد الرحمن أنسيت قبقابك الزحّاف وعمّتك القطن ؟[2] ولا يزال هذا الاسم باقياً بدمشق يقال له الزحّافي واحياناً الجركسي او المُهاجر لاتخاذ الجراكسة له المهاجرين في الصالحية وهو اقل الانواع ارتفاعاً والصقها بالارض واخفها ثمنا .

وهنالك نوع آخر كان يقال له فيما يظهر « قبقاب سجك » اشار اليه ابن اياس في وفاة قاضي القضاة محيي الدين بن النقيب بمصر سنة ٩٢٢/١٥١٦ قال : كان سبب موته انه كان يمشي في الاسواق بقبقاب سجك فتوجه الى خان الخليلي فرفسه فرس فوقع على فخذه فانكسر فحملوه الى خلوته التي في المدرسة المنصورية فاقام بها اياماً ومات[3] .

ومن اسمائه الشائعة اليوم في الفيحاء . « الشبراوي » لارتفاعه شبراً او نحو ثلث ذراع و « المكاوي » وهو دونه علواً لا يُدرى هل سمي كذلك لاتخاذ

١) ترجمة الانام في محاسن الشام ٣٦٤
٢) المنهل الصافي لابن تغري بردي . باريس ٢٠٧١ ج ٦ : ٤٥
٣) بدائع الزهور لابن اياس ٣ : ١٧

اهل عكا له او لانه ربما كان يصنع قبلًا في مدينتهم و « الكندرة » لشبهه بالحذاء المعروف بهذا الاسم بين العامة.

وربما اناف ارتفاع القبقاب على نصف ذراع كان يرغب فيــه من بُلي بالقِصر المفرط او أُغري بحب العظمــة والظهور . ومن الاقزام الذين وصلوا قامتهم بطول قبقابهم الحسام اقوش المؤذّن بالجامع الاموي من صلحــاء القرن السابع للهجرة « عُمل له قبقــاب عالٍ جدًّا ليرفعه من الارض كان يطلع به جرياً في سلالم كل مأذنة واعتاد ذلك »[1] ونقــل رضي الدين ابن الحنبلي في ترجمة رمضان فتح الدين المتوفي نزيل حلب من اهــل القرن العاشر انه « كان مشهورًا بالميل الى العظيم من كلّ شي. وكانت عمامته عظمى واكمامــه في غاية الاتساع وجبته المصقولة في غاية الصقالة وقبقابه في غاية الارتفاع »[2].

وكان « الزحاف » اكثر الاشكال رواجاً لرخصه وسهولة المشي والجري به ولذلك رغبت به العوامّ ولمــا توفي ابن تيــمية بدمشق سنة ١٣٢٨/٧٢٨ « ذهبت النعال من ارجل الناس وقباقيبهم ومناديل عمائمهم لا يلتفتون اليها لشغلهم بالنظر الى الجنازة »[3] واعتاده قوم فكانوا يصعــدون الجبال او يسافرون مشياً به . حكى ابو شامة في ترجمة الشيخ ابي عمر شيخ الصالحيــة والمقادسة المتوفى سنة ٦٠٧/ ١٢١٠ انه « كان يصعد يوم الاثنين والخميس الى مغارة الدم (في جبل قاسيون) ماشياً بالقبقاب فيصلي فيما ما بين الظهر والعصر »[4] وروى ايضاً في كلامه على الشيخ الشهاب محمد بن خلف بن راجح المقدسي احد شيوخ الصالحين المتوفى بسفح قاسيون سنة ٦١٨/١٢٢١ قال : قال ابو المظفّر : كان سليم الصدر من الابدال ما خالف احــدًا قط رأيته يوماً وقد خرج من جامع الجبل فقال له انسان : ما تروح الى بعلبك ؟ فقال له : بلى نمشي من ساعته الى بعلبك بالقبقاب »[5]

١) تالي كتاب وفيات الاعيان للصفاعي . باريس ٢٠٦١ ص ٨٥

٢) در الحبب في تاريخ اعيان حلب . باريس ٢١٤٠ ص ٦٠–٦١

٣) البداية والنهاية لابن كثير . خزانة اكسفرد Marsh. 676 f° 121b

٤) ذيل الروضتين . باريس ٥٨٥٢ ص ٧٦–٧٧

٥) « « « « ص ١٤٣

ومن اغرب ما حكي ان احد ارباب الملاعيب من حلب حضر الى مصر سنة ١٥١٨/٩٢٤ « ونصب في بركة القرع التي بالحسينية صواري وحبالاً وكان يوم الجمعة فلما صعد على الحبال اظهر اشياء غريبة منها انه مشى على الحبل وفي رجله قبقاب وتحته الواح صابون »[1].

واغرب ما زعموه ان الشيخ ابا العباس احمد بن قدامة المقدسي المدفون سنة ١١٦٣/٥٥٨ في سفح قاسيون « كان صاحب كرامات ... مشى على نهر يزيد بالقبقاب فلم يبتل »[2].

واكثر ما كان يلبس القبقاب في الاسواق والازقّة اتّقاء للوحل ايام الشتاء. ولذلك قال ابو الحسين الجزّار :

لئن قطع الغيث الطريق فبغلتي وحاشاك قبقابي وجوخي الدار[3]

واعاد هذا المعنى في قصيدة له اخرى فقال :

جبّتي في الامطار جلدي ولُبّا دي ثوبي وبغلتي قبقابي[4]

وكان القبقاب يُصطنع من خشب الجوز والمشمش والتوت والصفصاف والزان ويُطعّم بالاصداف والعظم وتُمدّ فيه الاسلاك من القصدير او الرصاص ويغلب استعماله مدهوناً ولم يكن يلبسه من الخشب الابيض الا المعسرون والفقراء ومن خانهم الدهر من الاغنياء والعظماء واشهر من احتذاه من الخلفاء القاهر بالله العباسي ومن الفاطميين المستنصر بالله بعد ان خرج من جميع ما يملكه في القصر . ولما قدم ناصر الدولة بن حمدان الى مصر سنة ١٠٧٢/٤٦٤ وحكم فيها « سيّر الى المستنصر يطلب منه المال فقدم اليه الرسول فاذا هو جالس على حصير وفي رجله قبقاب من خشب ابيض من غير دهان ولا سير وحوله ثلاثة من الخدم »[5].

١) بدائع الزهور ٣ : ١٦٢
٢) حدائق الانعام في فضائل الشام لابن عبد الرزاق الدمشقي . الخزانة الظاهرية بدمشق
٣) فوات الوفيات لابن شاكر ٢ : ٢٩٨
٤) الرابع من المُغرب في حُلى المَغرب لابن سعيد ١٥٦
٥) الكامل لابن الاثير ٨ : ٢٢٢–٢٢٣ واخبار مصر لابن ميسر ٢١

وربما اتخــذ القبقاب احيانا من الرخام لثقله ليلبسه المتسابقون في العوم والسباحة وممن تميّز بذلك في ايام السلطان الملك المؤيد شيخ المعلّم مؤمن من معلمي النشاب شوهد « وهو يعوم في النيل بحضرة السلطان المؤيد المذكور . وفي رجله قبقاب من الرخام وقد علّق برقبته قفّة فيها آلات طبيخ المأمونية ومنها كانون بنصاب من اسفله ومعه قوس موتور شبكه على رأسه وفي فمه سهم نشّاب وهو يطبخ في الكانون المذكور بلطافة في قالب لطيف من النحاس مأمونية . . . فاذا نضج ذلك قرب بالعوم من الشاطئ . وافرغ ذلك في آنية لطيفة والسلطان ناظر اليه . وبعث به الى السلطان فيأكل من ذلك ثم يعود هو بالعوم على هيئته الاولى شارعاً في الطبخ ثانياً . ثم يدخل نصاب الكانون في فمه . ويأخذ السهم بيده مكان الكانون وهي اليد اليمنى ثم يتناول القوس من على رأسه بيده اليسرى ويضع السهم في الوتر ويستوفيه ثم يطلقه وهو عائم على تلك الحالة »[1] .

وهذه غاية الغايات في الحذق والقدرة والرشاقة .

وانفرد الاغنياء والامراء والملوك باتخاذ القبقاب من الذهب المرصّع بالجواهر قال المقريزي في كلامه على الملك الناصر محمد بن قلاوون : استجدّ النساء في ايامه القباقيب الذهب المرصعة بالجوهر[2] : وبيع في تركة الامير علاء الدين اقبغا عبد الواحد « قبقاب وسرموزة وخفّ نسائي بمبلغ خمسة وسبعين الف درهم فضة عنها زيادة على ثلاثة آلاف دينار »[3] . ولما ماتت ابنة الناصر خوند زوجة الامير طاز « تركت مالا عظيماً . . من جملته قبقاب مرصّع باربعين الف درهم عنها الفا دينار مصرية »[4] وفي سنة ٧٧٤/١٣٧٢ قدم الامير منجك نائب الشام الى مصر وكان في حملة هديته للسلطان « ثلاثة قباقيب نسائية من ذهب فيها اثنان مرصّعان بالجوهر قيمتها مائة وخمسون الف درهم عنها نحو ثمانية آلاف مثقال من الذهب »[4]

---

١) الروض الباسم لعبد الباسط ابن خليل الحنفي . خزانة الفاتيكان ٧٢٨ ص ٤٧

٢) السلوك للمقريزي . باريس ١٧٢٦ ص ٤٩٧

٣) « « « « ص ٦٠٣

٤) « « ١٧٢٧ ص ٧٤

ومن هذه الشواهد يتضح ما وصلت اليه صناعة القبقاب بدمشق خصوصا من الاتقان والبذخ والابداع .

واتفق احياناً أن كان القبقاب سبباً للهلاك والموت . ومن تلف به قاضي الحنفية بمصر برهان الدين ابرهيم بن الكركي سنة ٩٢٢/١٥١٦ « كان ساكناً على بركة الفيل فنزل يتوضأ على سلم القيطون . وفي رجله قبقاب فزلقت رجله فوقع في البركة وكانت في قوة ملئها ايام النيل »[1] و « لم يتفق احد يسعفه . فاستبطأوه وطلبوه فوجدوا عمامته عائمة وفردة القبقاب على السلّم »[2] . وفي سنة ٨٥٧/١٤٥٣ « دخل رجل من العوام جامع الازهر . فامسكه المجاورون برواق الارياف وذكروا انه اخذ لهم قبقاباً وتكاثروا عليه وضربوه حتى مات »[3] .

ومن اغرب ما استُعمل فيه القبقاب تسمير اللصوص عليه وقتل القتلة تشنيعاً في العقاب . « ففي خامس عشر ربيع الاول سنة ٧٧٨ (١٣٧٦ م) سُمّر من رجال المنسر[4] ثانية عشر على جمال وثلاثة سمّرت ايديهم في الخشب

١) بدائع الزهور لابن اياس ٣ : ٤٤

٢) شذرات الذهب لابن العماد ٨ : ١٠٤

٣) منتخبات من حوادث الدهور في مدى الايام والشهور لابن تغري بردي . طبعة ليدن ص ١١٣

٤) المنسر في اللغة هو للطير الجارح كالمنقار لغير الجارح ويطلق ايضاً على قطعة من الخيل او قطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكثير ويراد به هنا عصابة من اللصوص والسرّاق كانت تجتمع لمهاجمة البيوت والمحالّ ليلاً والعبث والفساد سُمّيت كذلك فيما يظهر اخذاً من المعاني الثلاثة المذكورة وهي جدا الوجه غير واردة في المعاجم ولا في تكملة دوزي . وبقيت هذه العصابات الى القرن العاشر للهجرة قال ابو السرور البكري في كتابه «الروضة الزهية في ولاة مصر والقاهرة المعزية (من خزانة الفاتيكان رقم ٧٣٤) في كلامه على ولاية مسيح باشا من سنة ٩٨٢ الى ٩٨٧ » يقال انه قتل في هذه المدة نحوا من عشرة آلاف نفس وغالبهم من اهل الفساد لان المناسر كانت في زمن حسين باشا كثيرة فقطعها مسيح باشا المذكور ومن بعدها الى الآن انقطع اثر المناسر والسراق الا القليل (ص ٢) ثم قال في ولاية الوزير مصطفى باشا البستنجي : في زمنه كثرت المناسر بمصر وعم البلاء منهم فصارت المناسر في كل ليلة تأخذ محلاً واستمر الامر متزايداً ابداً من المناسر ورحلت الناس من وطانها (ص ٧٩)

والبسوا في ارجلهم قباقيب خشب ثم سُمرت ارجلهم فيها وأكرهوا حتى مشوا وهم مسمَّرون كذلك وشهروا جميعاً بالقاهرة »[١] قال ابن قاضي شهبة : « ولم يسمع بمثل ذلك[٢] » . وفي سنة ٦٥٥/١٢٥٧ توفي السلطان المعزّ ايبك التركاني وكان قد تزوج بشجر الدر حظيّة استاذه الملك الصالح ثم ارسل خطب ابنة صاحب الموصل . فلما تحققت شجر الدر ذلك أغرت به الخدام في الحمام وجعلت الجواري ترفسه وشجر الدر تضربه بالقبقاب الى ان مات[٣] ثم أُقيم من بعده ابنه الملك المنصور نورالدين عليّ فحُملت شجر الدر الى أمه فضربها الجواري بالقباقيب الى ان ماتت[٤] واقتدَيْن بذلك بنسا. الخليفة الظافر لما فتك به نصر بن عباس ووقع بعد هربه بين ايدي الفرنج فبعث الملك الصالح طلائع بن رزّيك يطلبه منهم وبذل لهم اموالا . « ولما وصل سلّمه الى نساء الظافر فاقمن يضربنه بالقباقيب والزرابيل اياماً وقطعن لحمه واطعمنه اياه الى ان مات ثم صُلب »[٥] . وكذلك فعل الملك الظاهر بالملك المغيث ابن الملك العادل لما وصل اليه في مخيّمه في بيسان « امسكه وجهّزه الى مصر وكان آخر العهد به . وقيل انه جهّزه الى امرأته فضربته جواريها بالقباقيب الى ان مات[٦] ولما قتل الأمير كتبُغا الامير سنجر الشجاعي وزير الملك محمد الناصر رسم بان يُطاف برأسه في مصر والقاهرة « وكان اكثر الناس يكرهون سنجر الشجاعي فصاروا يعطون المشاعلية شيئاً من الفضة ويأخذون منهم الراس ويدخلون بها الى دارهم ولا يزالون يصفعونها بالقباقيب والنعال حتى يشتفوا منه »[٧] .

وآخر ما خُتم به تاريخ القبقاب انه دخل في ادوات التعزير فكان يعلّق في عنق المشهَّرين ففي سنة ٨٥٣/١٤٤٩ « عُزِّر شخص امشاطي وطيف به على

١) السلوك للمقريزي . باريس ١٧٢٣ ص ٧٤

٢) الذيل . باريس ١٥٩٩ ص ١٤

٣) عيون التواريخ للكتبي . الخزانة التيمورية ج ٢٠ : ٨٦-٨٧

٤) السلوك ١٧٢٧ ص ١٢٥

٥) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي طبعة ليدن ٣ : ٦٤

٦) روضة المناظر لابن الشحنة بهامش الكامل لابن الاثير ١٢ : ١٥٣

٧) بدائع الزهور لابن اياس ١ : ١٢١-١٢٢

حمار وفي عنقه قبقاب »[1] . وفي هذا المعنى وضع امين الدين الدمشقي الصالحي الهلالي المتوفى سنة ١٥٩٥/١٥٩٦ جزءًا في هجاء بني الخطاب الذين كانوا قضاة مالكية في دمشق سمّاه « قرع القبقاب في قرعة بني الخطاب » وفيه كل عجيبة وكل مسبّة غريبة[2] .

جاري وزراء دمشق وجرايتهم في دولة المماليك

الجاري في اصطلاح المولدين هو المال الذي كان يُطلق مُشاهرة للعمال وكتاب الدواوين وسائر رجال الدولة والدين قال ابو اسحاق الكراني يخاطب عضد الدولة :

أمن الرعاية يا ابن كل مملّك رُفعت له في المكرمات منار
ان تقطع الجاري اليسير عن امرىء ردفت كتابته لك الاشعار [3]

وهذا المعنى لم يُنبّه عليه في كتب اللغة وكان يُعبّر عنه قبلًا باسم « الرزق » وغلب عليه اخيرًا في الدولة المصرية لفظ « المعلوم » و « المعاليم » وقيل في معناه ايضًا « الراتب » و « المرتّب » و « الجامكيّة » و « المقرّر » و « القرار » قال ابن العديم في كلامه على حصار الملك الناصر صلاح الدين لحلب سنة ١١٨٣/٥٧٩ « وجدّ الملك الناصر بسبب اخيه على محاصرة حلب ايامًا فاجتمع اليه الاجناد من العسكر والرجال وطلبوا منه قرارهم فطلبهم فقالوا : قد ذهبت اخبازنا ونحتاج لغلاء الاسعار الى ما لا بدّ منه . . . وكان الحلبيون يخرجون على جاري عادتهم ويقاتلون اشد قتال بغير جامكية ولا قرار نخوة على البلد »[4] والجامكية لفظة فارسية وفي معناها اليوم « الماهية » في اصطلاح العامة نسبة الى الماه وهو الشهر بالفارسية .

وكانت الارزاق فيما عدا النقود تشتمل ايضًا على مقادير من الطعام والادام

١) التبر المسبوك للسخاوي ٢٦٧
٢) خلاصة الاثر للمحبي ٤ : ٣٥
٣) معجم البلدان ٤ : ٢٤٨
٤) زبدة الحلب خزانة باريس ١٦٦٦ ص ٢٠٢-٢٠٣

والتوابل والكسوة والحوائج كان يُطلق عليها خصوصاً اسم « الجراية » و « الوظيفة » و « الراتب » ايضاً واهم ما فيها للجنود الخبز ولذلك غلب على رزق الجندي اسم « الخبز » كما تقدم من كلام ابن العديم وهو يرد كثيراً في « خطط » المقريزي وتواريخ الدولة المصرية ولابن نباته يطلب جراية خبز :

جاءت الى باب الامير وظله وفارقت ذلي اذ وصلت الى العز
واصبحت من جند المحامد والثنا ولا بد للجندي من طلب الخبز [١]

وقد اشار الطبري عرَضاً الى هذه الارزاق في الاعصر الاولى ونقلها عن الجهشياري فقال :

« كانت ارزاق الكتاب والعمال في زمان ابي جعفر (المنصور) للرؤساء ثلاثمائة درهم للرجل ونحو ذلك . وكذلك كانت في ايام بني امية وعلى ذلك جرت الى ايام المأمون فان الفضل بن سهل (وزير المأمون) وسع الجاري [٢] وربما كان رزق احد الكتاب في الدواوين عشرة دراهم حكى يوسف بن صُبيح انه كتب كتاباً للمنصور املاه عليه ثم قال له : كم رزقك يا يوسف في ديواننا قال : فقلت عشرة دراهم فقال لي : قد زادك امير المؤمنين عشرة دراهم » [٣] ومـا زالت الارزاق ترتفع وتنمو مع الايام حتى بلغت التوسعة والزيادة مبلغاً فاحشاً في خلافة المعتضد والمقتدر ومن جاء بعدهما ولما خلع المتوكل على عبدالله بن يحيى بن خاقان وأهّله للوزارة « اجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم » [٤] (٦٦٧ ديناراً) . وفي خلافة المعتضد كان حامد بن العباس يتقلد فارس برزق الفين وخمسمائة دينار فجعلها المعتضد ثلاثة آلاف » [٥] واجرى المقتدر على ابي علي محمد بن خاقان وابي الحسن علي بن عيسى لما اسند الى كل منهما الوزارة خمسة آلاف في كل شهر [٦] وكذلك كان رزق الوزير ابي

١) ديوان طبعة مصر ٢٦١
٢) كتاب الوزراء والكتاب ١٤١
٣) كتاب الوزراء والكتاب ١٥٠
٤) نشوار المحاضرة للتنوخي ٨ : ١٢
٥) تاريخ الوزارة للصابئ ٨٣
٦) تاريخ الوزراء ٢٦٣ و٢٨٣

العباس الخصيبي[١] ورزق ابي الحسن بن الفرات ولما وزر ابن الفرات للمرة الثالثة للمقتدر « وفر الجاري ولم يأخذه وتقدم بردجاري اصحاب الدواوين وكتّابهم وكتابه الى ما كان عليه في ايامه الاولى فاضعف ذلك وصار جاري ديوان السواد وكتابه مع ثمن الكاغد والقراطيس نحو سبعة آلاف دينار في كل شهر[٢] ويظهر ان هذا المقدار كان ايضاً جاري الوزارة في ايام المقتدر قال الصابئ : « عرّج ابن مقاتل الى احمد ابن يحيي كاتب الوزير ابي الحسن علي خاصة فقال له : كم يرتزق الوزير في الشهر قال : سبعة آلاف دينار قال : قسط اليوم فيها مائتان وثلثة وثلثون ديناراً وقسط الساعة نحو عشرين ديناراً[٣] ومن هذه الملحة يتضح ان رزق الوزير في اواخر الدولة العباسية في الساعة الواحدة كان يوازي رزق العامل في اوائلها في الشهر كله ولا عجب فان الارزاق كانت تتطوّر بتطوّر اسباب المعيشة واختلاف قيم النقود وتغير وتبدل بتبدل الدول وتمكن العمال وحظوتهم او تخلفهم وقد اتفق للهلال الصابئ تفصيل جملة الجواري والنفقات في ايامه في الخلافة العباسية ساقه في كتابه تحفة الامراء (ص ١٤—٢٢) ولكنه اجمل ولم يفرد قسط كل منصب وديوان على حدة كما فعل المقريزي في الكلام على ديوان الرواتب (الخطط ٢ : ٢٤٢—٢٤٤) والقلقشندي في الفصل الذي عقده في كتابه صبح الاعشى لتعريف ارزاق الوزراء وحواشي الخليفة وارباب الرتب والقضاة وكتاب الدواوين والمستخدمين والفرّاشين والركابية (٣ : ٥٢٥—٥٢٧) ولا نعلم ان مؤلفاً غيره نبّه على مثل ما نبّه عليه ولا توسّع مثل توسّعه في تعيين الرتب والخِدَم وتفصيل جاري كل منها في دولة الفاطميين ولكنه لم يتعرض لذكر ما كان يصحب هذه الجواري من الوظائف والجرايات والاكسية ففاتنا في هذا الاهمال فوائد شتى ذات بال في تاريخ الغلال والموائد والثياب وانواعها وما كان ينسج منها في البلاد او يجلب من الآفاق ولا يخفى محل ذلك كله في تعريف ماضي الزراعة والصناعة ووصف الحضارة العربية .

١) تجارب الامم لابن مسكويه ٥ : ١٥٥
٢) تاريخ الوزراء ٣١
٣) « « ٢٥١

وقد اطلنا البحث والتنقيب عما كانت عليه ارزاق النواب والوزراء بدمشق منذ انتقلت الخلافة منها الى بغـداد فلا ندري اليوم كم كان جاري ابرهيم بن المهدي مثلًا حين قلّده اخوه الرشيد على دمشق وقد سكت الصفدي عن ذكر شيء من ذلك في كتابه « تحفة الالباب في من ولي دمشق من الملوك والامراء والنواب » ولم يتفق لابن القلانسي مرة الإلماع الى رسوم الدولة الفاطمية في ما كانت تطلقه لقُوّادها وامرائها في ولايتهم دمشق وقد خلا كتابه « ذيل تاريخ دمشق» من اقل اشارة الى ارزاق العمال في ذلك العهد وغاية ما عثرنا عليه في هذا الباب قول عام لشهاب الدين العمري في كلامه على ارباب الاقـلام في الدولة الناصرية في القرن الثامن للهجرة قال في مسالك الابصار :

« اكبرهم كالوزير له في الشهر مئتان وخمسون دينارًا جيشيّة(١ ومن الرواتب والغلة ما اذا بُسط وعُيّن كان نظير ذلك ثم دون ذلك ودون دونه ولاعيانهم الرواتب الجليلة من اللحم والخبز والعليق والشمع والسكر والكسوة ونحو ذلك الى غير ذلك مما هو جارٍ على العلماء واهل الصلاح من الرواتب والاراضي المؤبدة وما يجري مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف مما لا يوجد بمملكة من الممالك ولا مصر من الامصار » ٢)

وهذه الجواري والرواتب كانت تُعيّن دون ريب في كل ولاية وتقليد وتُفصّل في التوقيع الشريف الذي كان يُرسم به لمن تولى احـد المناصب في الدولة المصرية وقد حفظ من نسخ الكتابات السلطانيـة عدة امثال كانت تكون من انفس الآثار واثمن الذخائر لمعرفة ما كان يتعلق بتاريخ الخِـدَم الديوانية من الارزاق والوظائف والشؤون الخاصة وما كان يطرأ عليهـا من تضييق او توسيع ولكن مصنفو كتب المُصطلح الشريف لم ينظروا اليها الا من الوجه اللغوي فقط ولم يحتفلوا منها الا برواية ما كانوا يعدّونه قدوة وقاعدة في منهج الانشاء واسلوب الفصاحة واطّرحوا كل ما عدا ذلـك من الشروط والملحقات والفوائد الواردة فيها واهملوا احيانًا ضبط السنين والايام التي كتبت

١) الدينار الجيشي مسمّى لاحقيقة وانما يستعمله اهل ديوان الجيش في عبرة الاقطاعات بان يجعلوا اقطاع عبرة دنانير معينة من قليل او كثير . . . وكأنه على ما كان عليه الحال من قيمة الذهب عند ترتيب الجيش في الزمن القديم . . . فيكون عن كل دينار اثنا عشر درهمًا وهو صرفه يومئذ (صبح الاعشى ٣ : ٤٤٢-٤٤٣)

٢) صبح الاعشى ٤ : ٥١

فيها وتسمية من خوطب فيها من العمال والاعلام فلم يخلص لنا منها الا هذه القشور من الفقرات والاسجاع التي ذهب لبها ودرج فتها ولم يبقَ منها للمؤرخ الا جمجمة دون طحن .

وكنا قد وقفنا في خزانة باريس على مجلد من كتاب «اعيان العصر واعوان النصر» لصلاح الدين الصفدي ذكر فيه ترجمة الصاحب امين الملك عبد الله بن تاج الرئاسة القبطي الاصل وزير الديار المصرية والشامية وساق فيها نسخة توقيع سلطاني له بنظر النظّار بدمشق مكان الصاحب شمس الدين غبريال القبطي والاسلمي نظيره من انشاء الصفدي نفسه صرّح فيه بما لا مزيد عليه من البيان والتفسير بقدار «معلوم» ناظر النظار بدمشق في ايام الامير تنكز المشهور في دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن حسن الحظ ان الجزء الذي ورد فيه هذا التوقيع متقن الخط جيد الضبط عارضه المؤلف على الاصل كما يؤخذ من الكتابة التالية باوله بقلم الصفدي .

« قرأ علي هذا الجزء الثالث وما قبله من كتابي اعيان العصر واعوان النصر الامام المحدّث البليغ نور الدين ابو بكر احمد بن علي بن محمد بن ابي الفتح المنذري الحنفي عرف بابن القصوص نفع الله به من اصل كتابي بخطي وانا اعارض بهذا الجزء . . . وكانت القراءة بالحائط الشمالي بالجامع الاموي المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسه وكتب خليل بن ايبك بن عبدالله الصفدي الشافعي في سابع عشر شهر الله المحرم سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٧ م) حامداً ومصلياً »

ومع هذه القراءة والمعارضة لا يخلو هذا الجزء من اماكن فيها بياض او نقص او اغلاط يسيرة بعضها لا ريب من سهو الناسخ ذهل المؤلف او شغل عن تصحيحها عند المراجعة وبعضها وهو الاقل لا يبعد ان يكون من قلم الصفدي نفسه على فضله وجلالة علمه وهي صدى بعض اللهجات والملاحن العامية وندر ان يسلم منها كاتب من كتبة دولة المماليك المصرية .

وقد اغفل الصفدي ذكر تاريخ هذا التوقيع ويُرجّح ان يكون سنة ٧٣٢ للهجرة (١٣٣٢ م) وهي السنة التي سخط فيها الملك الناصر محمد بن قلاوون على الصاحب شمس الدين غبريال وورد فيها المرسوم للامير تنكز بالقبض عليه

ومصادرته[1] . ففيها دون شك ولي الوزير امين الملك بن تاج الرئاسة مكانه بدمشق الى ان لقي مثل جزائه ومات تحت العقوبة سنة ١٣٣٩/٧٤٠

واتفق لنا بعد ذلك ان عثرنا على نسخة هذا التوقيع في الجزء الثاني عشر من « صبح الاعشى » (ص ٨٦—٨٩) فبادرنا لمعارضتها على نص « اعيان العصر » فاذا القلقشندي قد تصرف فيها بعض التصرف واسقط منها عدة فقرات وعبارات متفرقة واهمل ما ينيف على عشرة سطور من الخاتمة فضلًا عن القطعة باسرها التي اشتملت على تعداد « المعلوم » و « الراتب » فرأينا من الصواب والامانة ان نثبت هنا متن الاصل بتمامه لفائدته التاريخية والادبية ولاسيما انه فيما نعلم التوقيع الفرد الذي جاءت فيه صورة المرسوم السلطاني كما صدرت من قلم منشئه في الديوان دون اقل اختصار او اختلاف . قال الصفدي :

« لما رُسم للصاحب امين الدين بنظر النظار بدمشق كنت اذ ذاك في ديوان الانشاء بالديار المصرية وكتبت له توقيعًا شريفًا ونسخته :

الحمد لله الذي جعل ولىّ ايامنا الزاهرة امينًا واحلّه من ضمائرنا الطاهرة مكانًا ابدًا توضّحه وجده مكينًا وخصّه بالاخلاص لدولتنا القاهرة فهو (" 25 ") يقينًا يقينا وعضد بتدبيره ممالكنا الشريفة فكان على نيل الامل الذي لا يمين يمينا وفجر خلال خلاله نهرًا اصبح على نيل السعود معينًا مُعينا وزيّن به آفاق المعالي فما دجا امر الا وكان بفكره صبحًا مبينا وجمّل به الرتب الفاخرة فكم قلّد جيدها عقدًا نفيسًا ورصّع في تاجها درًّا ثمينًا واعانه على ما يتولّاه فهو الاسد الاشدّ الذي اتخذ الاقلام عرينا

نحمده على نعمه التي خصّتنا بولىّ تتجمّل به الدول وتغنى الممالك بتدبيره عن الانصار والخوّل وتحسد ايامنا الشريفة عليه ايامُ من مضى من الملوك الأوَل وتحل السعود حيث حلّ اذ لم يكن لها عنه حول ونشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة نستمطر بها صوب الصواب ونرفل منها في ثوب الثواب ونذخر منها حاصلًا ليوم الحساب ونعتدّ برها واصلًا ليوم الفصل والمآب ونشهد ان سيدنا محمدًا عبده الصادق الامين ورسوله الذي لم يكن على الغيب بضنين وحبيبه الذى فضل الملائكة المقربين ونجيّه الذي اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى حجّة على الملحدين

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صحبوا ووزروا وآيدوا حزبه ونصروا وبذلوا في نصحه ما قدروا وعدلوا في ما نهوا وامروا صلاةً تكون لهم هُدًى ونورًا اذا حُشروا ويضوع صا عَرفهم في الغُرَف ويطيب نشرهم اذا نُشروا وسلّم تسليمًا كثيرًا الى يوم الدين

1) الرابع من المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي . باريس ٢٠٦٨ ص ٢٠

وبعد فان اشرف الكواكب ابعدها دارا واجلها سرى واقلها سرارا وادناها مبارًا واعلاها منارا واطيب الجنات جنابًا ما طاب أرجًا وثارا وفُجّرَ خلاله كل نهر تروع حصاه حاليته المدارى (26) ورنّحت معاطفَ غصونه سلافةُ النسيم فتراها سكارى وقدّ ظلال الغصون فتخال انها على وجنات الاشجار تدبّ عذارا وكانت دمشق المحروسة لهاهذه الصفات وعلى صفاها قبّ نسمات هذه السمات لم يتصف غيرها بهذه الصفة ولا اتفق اولو الالباب الا على محاسنها المختلفة فهي البقعة التي يعارب الاوصاف حالها الجاد والبلد الذي ذهب بعض المفسرين الى انها إرم ذات العماد وهي في الدنيا انموذج الجنة التي بها وُعد المتقون ومثال النعيم للذين عند ربهم يُرزقون

وهي زهرة ملكنا ودرّة سلكنا وقد خلت هذه المدة ممن يراعي مصالح احوالها ويرعى نجوم اموالها ويدبّر امر مملكتها اجمل تدبير ويحمي حوزتها ويحاشيها من التدمير فيسم منها غُفلا ويحلي عُطلا ويملأ خزائنها خيرًا يُجلى اذا ملأنا ساحتها خيلًا ورجلا فتعيّن ان تنتدب لها من خبرناه بعدًا وقربا وهززناه مثقّفًا لدنًا وسللناه عضبا وخبأناه في خزائن فكرنا فكان اشرف من ندّخر واعزّ ما نخبا

كم نص في الايام وامر وكم اشد ازرًا لنا ووزّر وكم غَنيت بهِ ايامنا عن الشمس ولياليتا عن القمر وكم رفعنا راية مجد تلقاها عَرابة فضله بيمين الظفر وكم علا ذُرى رتب تعزّ على الكواكب الثابتة فضلاً عمن يتنقل في المباشرات من البشر وكم كانت الاموال جمادى فاعادها ربيعًا غرّد به طائر الاقبال وصفر .

وكان المجلس العالي القضائي الوزيري الصاحبي الاميني هو معنى هذه الاشارة وشمس هذه الهالة وبدر هذه الدارة ترل من العلياء في الصميم وفخر باقلامه التي هي سُمر الرماح كما فخرت بقوسها تميم وتحفظت الاموال في دفاتره (26) التي يوشّيها فآوت الى الكهف والرقيم وقال لسان قلمه « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » .

عقم الزمان بان يجيء بمثله ان الزمان بمثله لعقيم

وتنبّه به اقوام فبانوا وبادوا وقام منهم عباد العناد فلما قام عبد الله يدعوه كادوا اردنا ان ينال الشام فضله كما نالته مصر فما يساهم فيه سواهما ولا يقول لسان الملك لغيره :

حللتَ بهذا حلّةً ثم حلّةً بهذا فطاب الواديان كلاهما

فلذلك رُسم بالامر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري اعلاه الله وشرّفه ان يُفوّض اليه تدبير الممالك الشريفة بالشام المحروس ونظر الخواصّ الشريفة والاوقاف المبرورة على عادة من تقدمه في ذلك وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور الى آخر وقت وهو في الشهر مبلغ : اربعة آلاف وست مائة وثلثة وسبعون درهمًا . تفصيله :

عن نظر المملكة الشريفة بالشام المحروس : اربعة آلاف ومائة وثلثه وثلثين وثلثين (١) (كذا) :

مبلغ : الفان وسبع مائة وثلثة وثمانون وثلثين
ثمن لحم وتوابل : الف وثلث مائة وخمسون درهماً
قمح : غرارة ونصف

عن نظر الخاص الشريف :

مبلغ ثمن لحم وتوابله ثلثة ارطال بالدمشقي : خمسمائة واربعون درهماً

غلات عن الوظيفتين : تسع وعشرون غرارة تفصيله :

قمح : تسع غرائر
شعير : عشرون غرارة

اصناف المشاهرة بالوزن الدمشقي :

سكر بياض : اثنان وعشرون رطلاً ونصف
حطب : تسع قناطير

وفي اليوم بالدمشقي :

خبز : خمسة عشر رطلاً
شمع : اوقية ونصف (" 27 م)
ماورد : اوقية ونصف
صابون : اوقية ونصف
زيت طيب (٢) : نصف رطل

والكسوة والتوسعة والاضحية والاتبان على العادة كمن تقدمه في ذلك .

فليتلق هذه الولاية بالعزم الذي نعهده والحزم الذي شاهدناه ونشهده والتدبير الذي يعترف له الصواب ولا يجحده حتى تثمر الاموال في اوراق الحساب وتربد غزراً وسمواً فتفوت الامواج في البحار وتفوق القطر في السحاب مع رفق يكون في شدته ولين يزين مضاة حدته وعدل يصون مهلة مدته والعدل يعمر والجور .

---

١) في الامثال القديمة : ابرد من يستعمل النحو في الحساب ولا شك ان الصفدي تذكر به حين حكى لحن العامة في الاعداد . واضافة «الثلثين» زيادة لا يصححها التفصيل .

٢) الزيت الطيب هو زيت الزيتون خاصة تمييزاً له عن بقية الزيوت ولا تزال هذه التسمية معروفة بمصر ومن الغريب عدم ذكر السمن والدهن في جملة الجرايات .

يدّر ولا يثمر بحيث ان الحقوق تصل الى اربابها والمعالم تطلع بدورها(١ كملة في كل هلال على اصحابها والرسوم لا تُراد على الطاقــة في بابها والرعايا يجنون ثمر العدل متشابها واذا انصنا على بعض اوليائنا بعمل(٢ فــلا تكدّر بان تؤخَّر واذا استدعينا لابوابنا بهم فليكن الإسراع يخجل البرق المتألّق في السحاب المسخَّر فما اردناك الّا لأنك سهم خرج من كنانه وشهم لا يثني الى الباطل عنانه ولا عنانه فاشكر هذه النعم على منائحها وشنّف الاسماع بمدائحها متحققاً ان في التُنقــل بلوغ العز والامل وانه لو كان في شرف المأوى بلوغ منًى لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل فاستصحب الفرح والجذل بدل الفكر والجدل وسِرْ على بركة اراتنا الشريفة وقلْ : وفي بلادٍ من اختها بدل واختَرْ ما اختارته لك سعادة (دولتنا) المؤبدة المؤيدة فطرفهــا بالذكاء مكتحل :

ان الســعادة في ما انت فاعلهُ وُفقتَ مرتحلاً ام غير مرتحل

فما آثرنا توجهك الى الشام الا ليأتيك المجد من هنّا ومنُنّا لانك اذا كنت منا في المعنى فما غبتَ في الصورة عنّا وابسط املـك انك اليوم لدينا ("٥ 27 "٣) مكين أمين ونزّه نفسك فقد آويت الى ربوة ذات قرار ومعين والوصايا كثيرة وانت ابن بجدتها علماً وسريرة وفارس نجدتها الذي لا يقدم على امر حتى يعرف مصرفه فما نحتاج ان نرشدك منها الى علَم ولا ان نشير اليك فيها بأنملة قلم وتقوى الله عزّ وجــلّ هي العروة الوثقى والكعبة التي من تطوّق بها فلا يضلّ ولا يشقى فمُضّ التاجز عليها وضُمّ يديك على مِعْطَفَيها والله يتولى ولايتك ويبين درايتك بالامور وعنايتك والخط الشريف اعلاه الله وشرّفه اعلاه حجّة لثبوته والعمل بما اقتضاه ان شاء الله تعالى

ولا تخفى مكانة هذا التوقيع بين آثار دمشق. وقد فاتنا فيه معرفة انواع الكسوة التي كانت تطلق للوزراء وليت الصفدي ألهم تفصيل « العادة » فيما لفائدته اليوم وغنائه في تاريخ الثياب في عهد المماليك . وكذلك جهلنا اصناف التوابل التي كانت تُجيِّزبها الاطعمة لموائد عمّال الدواوين ومن العجيب انه لم يرد ذكر للفاكهة في جملة الرواتب على وفرة الاثمار بدمشق. وكان الوزراء بمصر في عهد الفاطميين تُحمل لهم في كل شهر سلال منها وهو ما نقله الصيرفي في كلامه على امين الدولة الحسن بن عمار قال :« لما أفضت الخلافة الى الحاكم بامر الله في سنة ست وثمانين وثلثمائة (٩٩٦ م) استوذن في الجرايات التي كان

١) في صبح الاعشى « تطلع بدور بدرها »
٢) في الاصل « بعمل » وفي صبح الاعشى « بمحَل »

العزيز بالله امر اقامتها في كل شهر لامين الدولة هذا وهي خمسمائة دينار للحم والتوابل والفاكهة مع ما كان يقام له خاصاً وهو سلة في كل يوم وحمل ثلج بين يومين فامر باجراء ذلك »[1] ومعلوم ان هذا الثلج الـذي كان يوزع بمصر كان يحمل اليها من دمشق فكيف لم يكن يعطى منه شيء للوزراء بدمشق على شدة الحر في اشهر الصيف ومما انفرد به عمّال الدواوين في العراق دون عمّال مصر والشام فيما يظهر وظائف الكاغـد والقراطيس كما سبق من لفظ الهلال الصابئ .

ومن الغريب في نظرنا اليوم ان تكون الدولة وقتئذ بدلًا من تقدير جملة الارزاق ووزن قيمتها نقداً اختارت صرف جانب منها بالدراهم وتحمـل عبء جراية جانب آخر من الغلال والاطعمة والحوائج وهو ما كان يقتضي طبعاً وجود مؤونة كافية منها في حواصل ودور لها تبتاع فيها ما يلزم تحت إشراف عمّالهـا ولا شكّ ان هذه الحواصل هي التي كانت تدعى «خزانة الطُعم» او «الحوائج خاناه» في مصر و «دار الطعم» بدمشق .

ولا حاجة الى التنبيه على ان كل هذه الارزاق والرواتب التي عددهـا التوقيع لم تكن تفي ابدًا بنفقات الوزراء بدمشق ومع ذلك لم يكن احدهم يلي هذا المنصب حتى ينكفئ عنه بثروة طائلة ومقتنيات عريضة كانت تترامى شهرتها احياناً الى مسامع السلطان فلا يلبث ان يأمر باعتقال الوزير ومصادرته حسبما نقلناه من نكبـة الصاحب شمس الدين غبريال سلف صاحب التوقيع في وزارة دمشق . قال ابن تغري بردي :

« ورد المرسوم بالقبض عليه فأمسك بدمشق وأُخذ منه اربعمائة الف درهم ثم طلب الى القاهرة وأُخذ خطه بالف الف درهم فأُفرج عنه بعد ان وزن المبلغ المذكور ما خلا مائتي الف درهم فاستطلق له قوصون ذلك من السلطان ثم تغير خاطر السلطان ثانياً . وقيل عنه ان له ودائع في دمشق فكتب السلطان الى تنكز فتتبّع ودائعه فظهر له شيء كثير ولما مات سنة اربع وثلاثين وسبعمائة (٧٣٤ — ١٣٣٣ م) ظهر له ايضاً جملة مستكثرة »[2]

ولا شك ان هذه الملايين الراهنة كان الوزراء اكثر ما يجمعونهـا من

---

١) الاشارة الى من نال الوزارة ص ٣٦

٢) المنهل الصافي الجزء الرابع . باريس ٢٠٦٨ ص ٢٠

الخيانات والمظـالم ومصادرات التجار والكتاب في كل عزل وولاية وعلى الخصوص من التقادم والرشى نعم ان الامير تنكز نائب السلطنـة بالشام في ايام شمس الدين غبريال كان قد منع وامتنع من قبول التقادم والهـدايا على الاطلاق وانصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الامراء ولكنه مـا عتم ان أُصيب بنفس الداء الذي اراد استئصال شأفته قال المقريزي : « فلما كانت آخر ايامه صادر جماعة كثيرة من كتاب السرّ وغيرهم ومن الضمّان والعرفاء واتخذ الاملاك واخذ عدة اوقاف من اولاد الملوك حتى كانت غلة املاكه كل سنة مائة الف درهم »[1] ومن جملة هؤلاء الكتاب الـذين استباح اموالهم فريق من اعيان النصارى كانوا في خدمة بعض الامراء وديوان الجيش اتّهمهم بانهم احرقوا الجامع الاموي سنـة اربعين وسبعمائة (١٣٣٩ م) ليتمكن من نكبتهم واستصفى منهم ما يزيد على مليون درهم بعد ان افحش في تعذيبهم ورسم ان يُصلبوا ويطاف بهم يومين حول المدينة وفي الصالحية بطولها مسمَّرين على الجمال ثم امر بانزالهم وتوسيطهم اي قطعهم من اوساطهم وهم احد عشر نفراً واضطرت حينئذ جماعة من النصارى ان تدخل في دين الاسلام[2] » فكتب السلطان (الناصر محمد بن قلاوون) الى تنكز يُنكر عليه قتـل النصارى وان في ذلك إغراء اهل قسطنطينية بمن يَرِد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ويأمره ان يحمل ما وجد لهم من المال »[3] . وهو ما يدل على ان المنكوبين كانوا من نصارى الروم الملكيين وهم اعظم فِرَق النصارى بدمشق فابى تنكز ان يرسل شيئاً من المال فغضب السلطان لذلك قال ابن قاضي شهبة . « وكانت احد ذنوب تنكز عند السلطان »[4] وما لبث ان امر بالاحتياط عليه ونكبه اشدّ نكبة

---

١) السلوك لمعرفة دول الملوك . خزانة باريس المجلد الاول ١٧٢٥ ص ٤٨٨

٢) عن السلوك للمقريزي ومسالك الابصار للعمري . ودرة الاسلاك في دولة الاتراك لابن حبيب وتاريخ ابن اسباط المغربي

٣) السلوك ص ٤٨٢

٤) ذيل ابن قاضي شهبة . باريس ١٦٠٠ ص ٣

مخطوط قديم ثمين في طب العين

كتاب تذكرة الكحّالين [1] (تابع)

للعالم العلّامة عيسى بن علي بن جزله

تعريفٌ له

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

الباب السادس عشر : اذكرُ فيه امر الطبقة القرنيّة

أمّا الطبقة القرنيّة فانها قدّام العنبيّة ، وهي بيضاء صافية صلبة كثيفة ، وجُعلت بيضاء لينفذ فيها النور ، وهي اربع قشرات . وأمّا طبعها ، فان كلّ قشرةٍ منها لها طبعٌ ومزاجٌ . والقشرة باردة يابسة صلبة . وأمّا التي من داخل فان فيها حرارة يسيرة وخشونة ليجتذب بخشونتها الغذاء من العنبيّة . وأمّا القشرتان اللتان في الوسط فانها معتدلتان وأمّا نباتُها فمن الطبقة الصلبيّة. وأمّا غذاؤها فمن الطبقة العنبيّة. وأمّا منفعتها فتستر الجليدية وتوقيها من الآفات الخارجة من خارج .

الباب السابع عشر : اذكرُ فيهِ امر الطبقة الملتحمة

أمّا الطبقة الملتحمة فانها جسمٌ غضروفيٌ غليظ صلب وطبيعتهُ باردة يابسة. وأمّا نباتها ومنشأها فمن الغشاء الصلب الذي فوق قحف الرأس ، لان على القحف غشاء تحت جلدة الرأس فتولّد (فتولّدت) هذه الطبقة من هذا الغشاء الذي تحت الجلد . وأمّا غذاؤها فمن الطبقة الصلبيّة التي هي داخل العين لان بينها عروق . وقومٌ ذكروا ان غذاءها من الغشاء الذي نباتُها منه .

وأمّا منفعة هذه الطبقة فانها تربط العين وتشدّها من خارج كما تربط الصلبة من داخل ، وهي ملتحمة بالقرنيّة فلذلك سُمّيت الملتحمة . فهذا جملة ما في العين من الطبقات والرطوبات .

[1] راجع المشرق ٤٥ (١٩٥١) ص ٢٦٥–٢٨٠

الباب الثامن عشر : اذكر فيهِ عدد عضل العين ورباطه واين مواضعهُ

أمّا العَضَل فان عددهُ تسع عضلات ، وطبعهُ معتدل ، وهو الى البرودة أميل لان الغالب عليهِ العصب . وأمّا مواضعهُ فواحدة من جانب المآق الاكبر تحرّك العين الى ما يلي الانف . والأخرى في اللحاظ تحرّك العين الى جانب الصدغ . والأخرى من فوق تحرّك العين الى فوق . والأخرى من اسفل تحرّك العين للاسفل . وعضلتين (وعضلتان) فيهما اعوجاج يديران العين الى فوق والى اسفل وعنة ويسرة ، وثلاثة في فم العصبة النُّورية تشدّ فمها وتمنع من ان تتسع فيتبدّد النور الباصر وفيها منفعة المجوّفة ، وذلك انها تشدّ وتربط جملة العين ، ويأتي هذا العَضَل الحركة من الروح ، والثاني من العَصَب الذي يأتي من الدماغ الى العين ويفترقان فيها ويوصل اليها قوّة الحركة . وسأبيّن كيف يكون منشأها من الدماغ بعد قليل ان شاء الله تعالى .

الباب التاسع عشر : اذكر فيهِ امر العصب النُّوري وكيف يكون منشاؤه من الدماغ وامر العصب النُّوري المحرّك وكيف يكون منشاؤهُ

أمّا العَصَب النُّوريُّ فمنشاؤهُ من جانبي خريطي الدماغ المقدّمين فاذا نشأ لا يمضيان على استقامتها لكنهما يتعوّجان في جوف عظم الرأس ثمّ يتصل احدهما بالآخر بالقرب من المنخرين حتى يصير ثقبها ثقباً واحداً . وذكر قومٌ انهُ بهذا الاتصال يكون حاسّة الشمّ . وقومٌ قالوا بنفس الدماغ يكون حاسّة الشمّ ، ثمّ يمتزج كل واحدٍ منهما بالآخر ثمّ يفترقان بعد اتصالهما على المكان حتى انهما يصيران على شكل الخاء في كتابة اليونانيين وهو هذا : (×) ثمّ يذهب كلّ عصبة منها الى العين المحاذية لمبدأ هذا منشأها من الدماغ ، العصبة اليمنى للعين اليمنى والعصبة اليسرى للعين اليسرى من غير ان ينقص من قوّتها شيء وهو عَصَب لَيّنٌ ، وكلما بَعُدَ عن الدماغ خلقٍ خارجها فقط شيء يسير فاذا دخلها فانهُ يبقى على حالتهِ ليّن (ليّناً) . وأمّا انتاؤهُ فانهُ ينتهي الى الرطوبة الزجاجيّة ثمّ يعرض هناك وينتج ويصير شبيهاً بالشبكيّة . ومن اجل ذلك يسمّى هذا الموضع الطبقة الشبكيّة ، على ما ذكرتُهُ فيما تقدّم .

وهذا العصب اعظمُ عَصَبٍ في البدَن وأشرفهُ .

وأمّا الدليل على اشتراكها وان يصير ثقبها ثقباً واحداً ، فهو ان عمدتَ الى احدى العينين فغمضتها وتركتَ الأخرى مفتوحةً وأصرفتَ همتك الى العين المفتوحة رأيتَ الثقب قد اتسع وأبصرت تلك العين بصراً قويّاً أقوى مما كانت عليها قبل ذلك ، فلذلك يرى مَن فقَدَ احدى عينيهِ بصرهُ بالاخرى وى . وكذلك يرى ايضاً مَن اراد ان ينظر الى الشيء اللطيف كيف يعمد الطبيعة من تلقاء نفسها الى تغميض احدى العينين والتحديق بالأخرى فيكون بصرهُ بالأخرى أقوى مما كان . وأمّا الفائدة في اتصاله واشتراكهِ فما ذكرتهُ من اجتماع النور اذا فقدتَ عيناً واحدة ورجعتَ الى العين الأخرى . والفائدة الأخرى فليخرجا جميعاً من الدماغ على حدٍّ سواء ليتمَّ ان يبصر الانسان الشيء الواحد هو بعينهِ ، وإلّا كان ينخفض واحدٌ منها فكان ينظر الى الشيء الواحد فيرى شيئين.

وأمّا غذاؤها فقد ذكرتهُ في ذكر الطبقة المشيميّة . وأمّا طبعها فباردةٌ رطبة على مزاج الدماغ . وأمّا العَصَب المحرّك للعين فمنشأوهُ من خلف منشأ الروح الاول الذي يؤدّي حاسّة البصر الى العين ، وتفترق كل عصبة منها في عَضَل العين وتوصل اليها قوّة الحركة ، على ما تقدّم ذكرهُ .

الباب العشرون : اذكرُ فيهِ من اين ابتدأ الروح النفساني وكيف يكون تولّدهُ وكيف يكون بهِ البصر

يجب ان تعلم ان الكبد اذا طبخت الغذاء ارتقى منهُ (منها) بخارٌ فعمدت الطبيعة الى ذلك البخار فهذّبتهُ وجعلتهُ الروح الطبيعي التي مسكنها الكبد ، ثمَّ تعمد الطبيعة فتأخذ صافي هذا البخار الذي هو الروح الطبيعي فتبعث بهِ الى القلب فيكون منه الروح الحيوانيّ ، ثمَّ تبعث بهِ الى القلب ايضاً صافي هذا الروح الحيوانيّ بامتزاج الهواء الواصل الى القلب من الرئة الى الدماغ في عرقين يصعدان من القلب الى الدماغ ، فاذا صار الى قلة الدماغ انقسما انقساماً شتى ، ثمَّ اتصلت وابتلعت تلك الاقسام وانضمَّ بعضها الى بعض فصار منها غشاء شبيهاً بالمشيمة ويسمّى مسحس وغليظ ، ثمَّ يتفرّع من

ذلك الغشاء عروقٌ أدقّ مما فيهِ واكثر الى بطنهِ ، ثمّ تنقسم تلك العروق ايضاً باقسام شتى ثمّ تشتبك بعضها ببعض ويصير منها غشاء شبه شبكة الصيّاد . ولذلك يسمّى هذا الغشاء ، الشبكي ويسمّى المسحس .

وأمّا منفعة المسحس الغليظ ، فانهُ يوقي الدماغ من العظم وانهُ يلطّف فيهِ الروح . فأمّا المسحس الثاني فانهُ يغذو (يغذي) الدماغ وانهُ يلطّف فيهِ ايضاً الروح ، وذلك ان الروح الحيوانيّ يدور في التشبيك الاول ويلطف فيهِ ويرقّ ثمّ يهبط الى الغشاء الشبكيّ الذي دونهُ فيدور فيهِ ايضاً حتى يلطف هناك ثمّ يصير الى الوعائين اللذين في مقدّم الدماغ وهما بطنا التخيّل من الدماغ اللذان يخرج منهما العصبيّة ويمكث هناك حيناً حتى يلطف وتبقى الطبيعة عندما يخالطهُ من الفضول الى المنخرين ويقال لها الروح النفسانيّ . ولهذا السبب قال جالينوس : ان قوى النفس تابعة لمزاج البدَن . ثمّ ينفذ في العصب الأجوف الى العين نفوذاً متصلاً فيكون بهِ قوّة البصر ، وذلك ان الطبيعة اذا ارادت استقصاء انضاج المادّة تحتاج لها لبثاً طويلة المدّة في الآلات التي تنقلهُ فيها . وكذلك لما كان هذا الروح النفسانيّ يحتاج من النضج الى ما هو اشدّ استقصاء ، جعل لهُ مسالك طويلة ومنافذ ضيّقة لينضج فيها باستقصاء .

وأمّا كيف يبصر بهذا الروح ، فهو ان يخرج من الدماغ الى العصب ويخرج الى الهواء كما ذكرتهُ من توسّط الجليديّة ووضع البيضيّة وغيرها ويتصل بالهواء الخارج ويحيط بالشيء المتصور بمشاركة النور الخارج ، ثمّ يعود ثانيةً فينطبع في الرطوبة الجليديّة فيتم البصر بذلك . وقد بيّنتُ من امر الروح النفسانيّ وكيف يكون ابتداؤه بحسب الطاقة .

الباب الحادي والعشرون : اذكرُ فيه حال الاجفان

أمّا الاجفان ، فان في الجفن الاعلى ثلاث عضلات واحدة تسيلهُ او توقعهُ لئلا يقع ثقلهُ على العين عند النوم ويوضعها بالقرب من عظم الحاجب ، وعضلتين تحطّهُ ليلًا عند النوم وعند الارادة وتحفظهُ نهاراً ، ومنفعة ذلك لئلا تتزايد على العين البخارات والغبار فيؤذي ذلك العينَ ، وموضعها من الجفن في الماقين مما يلي اصول الشعر .

وأمّا الجفن الأسفل فلا عَضَل فيه ، وان تحرّك فعَضَـلُ الجبهة يحرّكه .
وأمّا منفعتهـا وهي ان تحفظ العين في وقت النوم من التراب وفي وقت الحرّ من حرارة الهواء والشمس لئلا تذيب رطوبتها . وأمّا اشفارها فلها منفعتـان احداهما ان تدفع عن العين ما لطف من الآفات مثل الغبار وما اشبه ذلك .
والثانية ان يقوى البصر بسـوادها . فهذا ما امكن ذكرهُ من تشريح العين ، وآخذ الآن في علاج امراض العين ، وبالله التوفيق . تمّت المقـالة الأولى من تذكرة الكحّالين ، والله أعلم .

المقالة الثانية

الباب الاول: في اصول ودستورات يُعمل عليها في علاج امراض العين

قـد يجب على من اراد علاج شيء من امراض العين ان يكون عارفاً باجناس امراض العين وهي ثلاثة : إمّا مرض بسـيط مفرد . وإمّا مركّب . وإمّا انحلال القوّة . وقد يقال ايضاً إمّا في القوّة الفاعلـة للبصر . وإمّا في الآلة التي يكون بها البصر . وإمّا في الحسّ والحركة باصنافها ايضاً وهمـا : صنفان . إمّا جوهريٌ وإمّا عرضيٌ ، وبانواعها وهي كثيرة ، وان تُعرف كيفيّة المرض المفرد ونوعه وكمّيّة المرض المركّب وجنسه

ويجب ان تعلم ان الامراض شفاؤها باضدادها ، والصحة تدوم بالمشابهة والمشاكلة ، إلّا ان دوام صحّة العين يكون بما ينشّف رطوباتها الزائدة ويقويها فقط ، لانهُ اذا قويت دُفعت عنها الألم ودامت صحتها ، ولذلـك يقول جالينوس : الاشياء المشبهة الكيفيّة والمفرطة في العين تضرّ بهـا ، والاشياء المخالفة لها تنفعها .

ويجب ان تعرف حدّ المرض ما هو ، وذلـك ان حدّ المرض هو اضرار بالفعل بلا متوسط ، وان تعرف العلامات التي تعرف بها المرض المفرد الذي هو الحارّ والبارد والرطب واليابس والمركّب منها وما معه مادّة وبغير مادّة ، ولا فرق بين العرض والعلامة إلّا في جهة الاستعمال لانها عند المريض عَرَضٌ وهي بعينها عند الطبيب علامة ، وان يعرف كيف تحصل المادة في العضو ، وان ذلك

يكون بخمسة اشياء : إمّا لقوّة العضو الدافع ، وإمّا لضعف العضو القابل ، وإمّا لكثرة المادة . وإمّا لضعف القوّة المغذية . وإمّا لسعة المجاري . وقد يكون ايضاً اذا كان العضو انتقل او كانت مجاريه ضيّقة فيجب ان تنظر ايّما هو من ذلك بسبب المرض فيُعمل لدفع ذلك السبب ، وان ينظر ايضاً في اسباب علل العين الى كثرة المادة وقلّتها والى شدّة لذعها والى حمرة العين وكثرة الدم في العروق التي في العين وقلّتها والى الالوان الحادثة فيها والى خشونة الاجفان والى نوع الوجع ، ومما يجب ان يكون الكحال عارفاً به ايضاً ان كان غرضه افادة الصحة فهو مضطرٌ الى معرفة مادة الصحة . ومادة الصحة على ضربين : احدهما الذي يكون فيهِ الصحة وهي العين او البدَن بأسرهِ ، والآخر الذي يكون بهِ الصحة وهي الأدوية وسائر الآلات التي يكون بها الصحة . فانت مضطرٌ الى معرفة الادوية التي يُعالج بها الامراض الحادثة في العين ومعرفة قواها وفي اي مرض يُستعمل كلّ واحدٍ منها واجناسها وانواعها . واجناسها سبعة وهي : مسدّد ، مفتّح ، مجلي ، معفّن ، قابض ، منضّج ، مخدّر . فأمّا المسدّد فهي على ضربين : منها ارضيَّة يابسة ومنها ارضيَّة لزجة .

وأمّا الادوية الارضيَّة اليابسة فتصلح للتجفيف وللسيلان الحادّ اللطيف ولاسيما اذا كان مع قرحةٍ بعد استفراغ البدن والرأس وانقطاع المادة وهي كالنشاء والاسفيداج والاقليميا والتوتيا المغسول والرصاص المحرق وطين ساموس فانها تجفّف بلا لذع . ويجب استعمالها والمادة قد انقطعت، لانها ان استُعملت قبل ذلك منعت التحليل وهاج (ويهيج) الوجع اكثر ، لان صفاقات العين تتمدّد لكثرة الرطوبة وربما انخرقت وتأكلت ، إلّا ان تكون في القروح او تأكّل القرنية فانها (فانهُ) حينئذٍ يُضطر اليها لانها عظيمة النفع هنا ولا دواء لهُ غيرها .

أمّا الرطوبة الزجة فانها تدخل في ادوية العين لاربعة اسباب : الاول منها لانها غير لذّاعة . والثاني انها تغري بلزوجتها الخشونة الكائنة عن الحدّة وتغسلها . والثالث انها تبقى في العين اكثر من الرطوبة المائية ، وقد يُحتاج للبقايا في العين لئلا تضطر ان تُغلق العين بتواتر فتح الجفن . والرابع ان العين عضوٌ كثير الحسّ ، واكثر الادوية التي تعالج بها العين حجريّة لِما يُراد من

بقائها فيها وكل حسّ اذا لقيَ اكثر الحسّ آذاهُ ، فلذلك اختارت الاطباء ان يُخلَط في ادوية العين اشياء لطيفة تليّن خشونتها مثل بياض البيض وماء الحلبة واللبن وماء الصمغ والكثيراء . وقد يخالف بعضهـا بعضاً ، فان لطيف بياض البيض يغسل الرطوبات بلا لذع وتعري وتملس خشونـة العين فقط ولا يسخن بل يبرد لانهُ لا يرشح ولا يلحج في المسامّ .

وأمّا ماء الحلبة فان فيها تحليلاً واسخاناً معتدلاً . فأمّا اللبن[1] فـان فيه جلاء للمائيّة التي فيها . وأمّا الادوية التي في الجنس الثاني اعني الفتاحـة للسدد والمحلّلة فانها تصلح للبثر ، والمدّة الكائنة خلف القرنيّـة اذا ازمنت لم تحللها الادوية المنضجة وهي الحلتيت والسكبينج والفربيون والدارصيني والوج وما اشبه ذلك . ومما يصلح للماء من هذا الجنس مثل المرارات وماء الرازيانج وبالجملة كلها يسخّن اسخاناً قوياً من غير ان يُحدث في العين خشونة . .

وأمّا الادوية التي في الجنس الثالث اعني الجلاية فمنها يسيرة الجلاء وتصلح للأثر الذي ليس بغليظ وللقروح كالقليميا والكندر وقرن الأيـل والصبر ، والقليميا معتدل بين الحرّ والبرد وهو يسير الجلاء ، ولذلك هو موافقٌ لإنبات اللحم في القروح . ومنها شديدة الجلاء تصلح للظفرة (للظفر في العين) والجَرَب والأثر الغليظ لانهُ يلطّفها ويجلوها كتوبال النحاس والزنجار والقلقطار والنوشادر والنحاس المحرق . وهذه كلها لذّاعة .

وأمّا الادوية التي في الجنس الرابع اعني المعفنة فانها تصلح لقلع الخشونـة ولجَرَب اذا أزمن وصلُبَ وقلع الظفرة الصلبة وهي الترنجان والزنجار والزاج .

وأمّا الادوية التي في الجنس الخامس وهي الادوية القابضة فمنها معتـدلة القبض تصلح لدفع السيلان في الرمد والبثر والقروح كالورد وبزره وعصارتـه والسنبل والساذج والزعفران والماميثا وعصارة لحية التيس (عشبة تسمّى بهذا الاسم) ودقاق الكندر . وأمّا القاقيا وماء الحصرم فانهما أقوى من هذه قبضاً ، ألَا انها عصارات يسرع سيلانها في العين . ومنها ما يُقبض قبضاً شديداً وقلّ ما تُستعمل لان مضرّتها اكثر من منفعتها لا تُحدث في العين خشونة ، ولكنّها

---

[1] اظنّ انهُ يريد باللبن ، الحليب

قد يكفى منها في بعض الادوية التي تحدّ البصر شيء يسير ليجمع جرم البصر ويقوّيه ، وهي تقلع خشونة الاجفان كالخلّ والعفص الفج وقشور الكندر والبنج .

وأمّا الادوية التي في الجنس السادس وهي المنضجة لاورام العين فانما تُستعمل في الاورام والقروح في سائر آلام العين التي مع رطوبة وفي البثور والمدّة الكامنة خلف القرنيّة في الابتداء والانتهاء ، وهي المرّ والزعفران والجنديبدستر والكندر وماء الحلبة والحضض الهندي والانزروت والباورد واكليل الملك . فهذه كلها محلّلة ، والمرّ اكثر منها تحليلًا .

وأمّا الادوية التي في الجنس السابع وهي المخدّرة فتُستعمل اذا افرط الوجع حتى يُخاف على المريض من التلف ولاسيما اذا كان ذلك من تأكّل وحدة وقروح ، ولا ينبغي ان تُتخذ هذه الادوية لانها تضعف البصر وربما اتلفته ، يجب ان لا تُتخذ هذه إلّا عند الضرورة الشديدة ولا يصلح استعمالها إلّا الشيء اليسير منها وهو الافيون وماء اللفاح . فهذه جملة اجناس الادوية . أمّا انواعها فكثيرة .

يجب ان يعرف أوقات المرض وهي اربعة: الابتداء . والتزيد . والانتهاء . والانحطاط . فحدّ الابتداء هو ان تكون الافعال الطبيعية قد نالها الضرر وتكون القوّة لم تبتدئ بعدُ في انضاج السبب الفاعل للمرض .

وحدّ التزيد هو ان يكون المرض يزيد ويقوى والقوّة تضعف بزيادته وتكون القوّة قد بدأت تعمل في المرض، إلّا ان عملها يجري على غير ترتيب ونظام .

وحدّ الانتهاء ، هو ان المرض يقف بلا تزيد وتكون القوّة قد اظهرت علامات تدلّ على قهر الطبيعة للمرض .

وحدّ الانحطاط ، هو ان يكون المرض قد انحطّ وتحلّل وتكون الطبيعة مع انضاجها قد دفعته وحلّت عقدته ، فيجب ان يعالج كل واحد من الامراض في وقتٍ بحسبه ، وهو ان يستعمل في الابتداء ما يدفع فقط ، وفي الانحطاط اذا سكنت الحدّة والحرارة وتحلّل اللطيف وبقي الغليظ ، يجب ان يستعمل ما يرخي ويحلّل فقط . وأمّا في الزمانين اللذين بينهما فتكون بأدوية ممزوجة

بما يُقبض ويُحلّل ، إلّا انهُ ينبغي ان يكون ما يُقبض في الصعود اكثر وفي الانتهاء أقل . وكلّ واحدٍ من هذه الاوقات لهُ ثلاث مراتب : أولى، واخيرة، ووسط . فتكون الادوية بحسب المرتبة . مثال ذلك : اذا كان المرض حارًا في الابتداء ، فيكون علاجك في اول الابتداء بما يبرد ويقبض ويخدر . وفي الوسط بما يبرد اقل من الاول وفي آخر الابتداء بما يبرد اقل ولا يكون بما يخدر ، إلّا ان يكون التبريد يدلُّ على الكثرة ، وقد يمنع الوجع مرارًا كثيرة اذا كان الوجع مفرطًا في الصعوبة من استعمال الادوية القابضة في الابتداء او يضطر الامر الى استعمال الادوية المسكنة . فأمّا متى كان الوجع ليس بمفرطٍ فليس ينبغي لنا استعمالها ، فيجب ان يعلم ان ادوية العين منها من النبات ومنها من المعادن ومنها من الحيوان . فالذي من النبات منها صموغ مثل الحلتيت والسكبينج والفرابيون . ومنها عصارات كالماميثا والقاقيا . ومنها ثمرة كالعفص . ومنها ورق مثل الساذج . ومنها خشب مثل السليخة .

وأمّا المعدنيّة فهي الشادنج والتوتيا والملح والنوشادر والبورق والزرنيخات وما اشبه ذلك .

وأمّا التي من الحيوان فبعضها من رطوباتها مثل المرارات والالبان وبياض البيض . وبعضها من اعضائها كالقرون والجندبادستر . وسوف اذكر قوّة كل واحد من هذه الادوية وخاصيتها ومنفعتها وجميع الادوية التي تصلح للعين في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى .

وقد يجب ان اذكر كيف يجب ان يستعمل كل واحد من هذه الادوية، وكيف تُدقّ ، وفي اي وقت ووصف من الزمان تؤلّف ادوية العين ، وكيف أجودُ ما يكون من صنعتها فأقول :

كلّ ما اردت استعمالهُ من المعدنيّات مثل الشادنج والتوتيا والروسختج والمارقشيثا والأثمد ، فينبغي ان تنعم سحقها وتُنخل بحرير وتربى بالماء وتصوّل دفعات عديدة . وما كان منها حجريّة مثل سوار السند والقليميا والزاجات ، فلا تستعملها إلّا بعد حرقها في كوزٍ حديد ، وأطلْ سحقها وتصويلها فانها أجود

وأمّا الاصداف مثل الشنج والحلزون وغيرهما فاحرقها ايضاً في كوز حديد وأطل سحقها وارمها بالماء وصولها .

وأمّا الاسفيداج فاسحقهُ اولاً واغسلهُ بالماء لئلا يكون فيه شيء من الحموضة.

وأمّا التوتيا والتوبال فيُغسل وهو صحيح بالماء دفعات .

وأمّا اللولو فاسحقهُ بالماء سحقاً جيّدًا وكذلك الروسخنج .

وأمّا السنبل فيُقرض بالمقراض ويُسحق بالدستج في الهاون .

وأمّا الاشنه فيُفرك باليد فركاً جيدًا حتى يتقشّر قشرهُ الاسود ويبيض ويُطرح في الهاون ويُطرح عليهِ الماء ويُدقّ حتى يصير مثل المخ ويُجفّف ويُعاد سحقهُ .

وأمّا الزنجار فلا يكثر من استعماله فانهُ يهتك حُجُب العين ويأكلها وخاصةً أعين النساء والصبيان ، إلّا بعد خلطك كثيرًا من الاسفيداج معهُ .

ويجب ان تعجن الاشيافات في الربيع فانهُ احمد عاقبة ، وتسحق الذرورات والاكحال في آخر الربيع حتى تصير في حدّ الغبار وإلّا كانت الادوية المضرّة بها اكثر من المنفعة .

وأمّا ما يربّى بماء الحصرم وماء الرازيانج وغيره ، فيجب أن يعصر ماؤهُ ويُترك في الشمس اياماً كثيرة ويُصفّى وتربّى به الادوية دفعاتٍ .

وما كان من الصموغ مثل الأشق والسكبينج يُنقع ويُدعك في الهاون حتى ينعم وينحلّ .

وأمّا الصمغ العربي والكثيراء فيُنقع في الماء ويُصفّى في خرقةٍ ويُعجن به الادوية اذا كان منفعتـهُ في الادوية ، ان يجمع اجزاءهُ إلّا ان تكون في الأشياف الابيض ، فان الغرض في الصمغ والكثيراء فيـه ان يبرّد ويغرّي ويملس خشونة الرمد ، فينبغي ان ينعم سحقها ويجيد نخلها ويُطرحان في الهاون ويطرح عليها من بياض البيض الرقيق بمقدار ما يعجن بهِ بقيّة الادوية ويدعكهُ بالاستج الى ان ينحلّ ويملس ويطرح عليه باقي الادوية .

وأمّا الأفيون فيجب ان يُقلى بان يؤخذ صفيحة نحاس وتحميـا ويُطرح عليها الافيون مكسّرًا صغارًا ولا يكون على جمرٍ واحد . وان يحترق فيبطل فعلهُ . واذا اردتَ اخلاط دواء فيجب ان تكون عارفاً بتنافع ذلـك الدواء

ولماذا يصلح من الامراض ، فان كان من الأدوية التي منافعها كثيرة وهو جليل القدر مثل التوتيا الهندية وغيره ، فيجب ان يُطرح منهُ المقدار الكثير ، وان كان قليل المنافع مثل الصمغ طُرح منهُ اليسير ، وان كان حاداً شديد القوة مثل الزنجار والنوشادر طُرح منه اليسير ، وان كان ضعيف القوة مثل الاسفيداج طُرح منهُ الكثير .

وأمّا الادوية المفردة تُلقى في الدواء المركّب لاسبابٍ مختلفة ، فبعضها يُلقى بسبب المرض الذي رُكّب لهُ ذلك الدواء. مثل ما يُطرح السكبينج والحلتيت في اشياف المرائر ، فان لها فعلًا قويًا في تحليل الماء . ومنها ما يُراد بهِ تقوية الدواء. مثل ما يُطرح ماء الرازيانج في اشياف المرائر . ومنها ما يُراد بهِ ان يوصل الدواء الى طبقات العين بسرعة بمنزلة ما يُطرح المسك في ادوية العين . ومنها ما يُراد بهِ ثبات الدواء في العين بمنزلة ما يُطرح الكافور في ادوية العين . ومنها ما يراد بهِ حفظ قوّة الدواء بمنزلة ما يُطرح الافيون في الادوية الجلائية . ومنها ما يراد بهِ كسر حدّة الدواء بمنزلة ما يُخلط الاسفيداج بالزنجار .

ويجب ان تختار من الادوية ما كان منها جيدًا طريئاً لا عتيقاً ولا مغشوشاً، وان يُسحق كل واحد من الادوية على حدتهِ ثمّ يزن من المسحوق المنخول الوزن المذكور في نسخة ذلك الدواء ، ولا يجمع سائر الادوية ويدقّها فانهُ غلطٌ ، لان من الادوية ما يحتاج ان يطال سحقهُ مثل المعدنيّات . ومنها ما يحتاج الى سحقٍ قليل مثل العصارات . ومنها اذا سُحق زيادة على ذلك المقدار الذي ينبغي ان يفعل انتقل عن طبعهِ واحتدّ مثل النشاء فانهُ يُطرح في آخر الامر ، ثمّ حينئذٍ يخلط ويسحق سحقاً معتدلًا ليختلط . وان كان الدواء من الادوية التي يجب ان تُعجن ليشيف ، فيجب ان يلقى عليهِ الماء قليلًا قليلًا ويُدق لتختلط سائر الادوية بعضها ببعضٍ وتُعجن عجناً معتدلًا وتنشّف وتجفّف في الظلّ لئلا تنحلّ قوّة الدواء في الشمس .

واذا عالجت العين بدواءٍ حادّ فيجب ان تصبر حتى يزول مضضهُ وأثرهُ البتة ثمّ تتبعهُ بميلٍ آخر ، فان ذلك ابلغ وأجود من يردف بعضهُ على بعض فيبطل فعل الاثنين فيصير الدواء لا من الحارّ ولا من البارد ، وليكن الميل مملّاً غليظاً

أملس. واياك ان تستعمل دواء حادًا وفي الرأس امتلاء، بل يجب ان يكون نقيًا من الاخلاط الرديئة والمؤذية، لان بقراط يقول: ان الابدان غير النقيّة كلما غذّوناها زدناها شرًا، وكلما عالجت بدواء حادّ جلبت على المريض آفة عظيمة.

مطلب في التكحيل بالميل

واذا اردت ان تحطّ (تضع) الدواء في العين فافتح العين اليمين بالابهام من اليسرى والسبّابة من اليد اليمنى وتُمسك الميل بالابهام والوسطى ثمّ تضع الميل من المآق الاكبر الى المآق الاصغر ثمّ تُنحّي السبابة وتخفّف ابهام اليسرى على الجفن وتحطّهُ في العين بفتلةٍ فانهُ اصوب، وذلك ان الميل يماسّ جميع اجزاء العين من جميع جهاتها والدواء من جميع جهات الميل ومن الاطباء من يغمز المآق الاكبر برأس الميل الذي فيه الدواء، وذلك ان ذلك الموضع فيهِ ثقبٌ وفي هذا الثقب مسامّ دقاق يصل منها الى جميع طبقات العين قوّة الدواء في جميع اجزائها. والعين اليسرى تُفتح بالخنصر من اليد اليمنى والابهام من اليسرى ويحطّ الميل من المآق الاكبر الى المآق الاصغر ويفتلهُ.

وأمّا قلبُ الجفن، فتمسك شعر الجفن بالابهام والسبّابة من اليد اليسرى وتجذب الجفن اليك ويُكبس وسطهُ بملعقةِ الميل حتى ينقصم وينقلب ويحكّهُ باستقصاء بسكونٍ لا بعجلةٍ. فاذا قلبتَ الجفن فيكون قليلًا قليلًا ولا تُخلّنَّ يدك، ليرجع من تلقاء نفسهِ فانهُ رديء. واذا اردتَ فتح العين فترفع الجفن وتشيلهُ (ترفعهُ) بسهولةٍ وتردّهُ برفقٍ ولا تعجّل ردّهِ.

مطلب في قانون الذرور

واذا اردتَ استعمال الذرور فيجب ان تضعهُ في الماقين بين الاجفان ولا يُحطّ (يوضع) الميل الى ارض العين بل تدعهُ وتفتل الميل الى اسفل فيبقى فيها الذرور، ولا يُدخل الميل الى العين في الرمد الصعب الشديد الوجع بل يبسطهُ فانهُ أجوَد وانفع وأسلَم.

❖

وأمّا عند قلع الآثار فتغمز بالدواء الأثرَ وتحكّهُ بهِ وتمرّهُ عليهِ فانهُ ابلغ.

وكلّ علّةٍ معها ضربان ووجعٌ شديد فعالجها بالادوية اللينة والرطبة وبأيسر تخفيف كالرمد والقروح . وكلّ علّةٍ عتيقة مزمنة لا وجع معها كالجرب والسبل والكمنة والظفرة والسلاق ، فبالأدوية الجلاّية المنقية على قدر مراتبها وما يحتاج اليه من قوتها . ومتى اجتمع مرضان في العين ، مرضٌ حادٌ مع مزمن ، فابدأ بالحادّ حتى ينصرف ولا تغفل عن المزمن فيقوى ثمّ تعود الى علاج المرض المزمن .

وأما الوجع الشديد في العين الذي يعرض من اورامها فانهُ يكون إمّا لحدّة الرطوبة التي تورّمتها وتلدعها ، وإمّا لامتلاء صفاقاتها وتمدّدها ، وإما لاجتماع رطوبة غليظة ، وإمّا لسبب رياحٍ صنانيّة منتفخة ، فان كان من حدّة الرطوبة فينبغي ان تستفرغ عنها بالادوية المسهلة لها وبجذبها الى اسفل البدن وان تغسلها ببياض البيض الرقيق . فاذا نقّيتَ البدن وبدأ الورم ينضج ، فان الحمّام نافعٌ لمثل هذه العلّة . وان كان الوجع من امتلاء الصفاقات وتمدّدها فينبغي ان يُعالج باستفراغ البدن بالفصد والاسهال وباجتذاب المادة الى اسفل بدلكِ الاعضاء السفليّة وربطها ، ثمّ بعد ذلك تُكمّد العين بالماء العذب المعتدل الحرارة . وبالجملة ان انواع التمدّد يُعالج باستفراغ البدن كلّهِ والرأس وتُجتذب المادة الى اسفل ، ثمّ باستعمال الادوية المحلّلة مثل التكميد وتقطير ماء الحلبة . فأمّا قبل استفراغ البدن فلا ينبغي لك ان تستعمل دواءً محلّلًا لانهُ يجذب اكثر مما يحلّل . فان كان الوجع لاجتماع رطوبة غليظة فينبغي ان تلطّف ذلك الخلط الغليظ ثمّ تستفرغهُ . وأمّا الحادث عن الرياح المنتفخة ، فان الاشياء المحلّلة نافعةٌ لها مثل الحمّام وغيرهِ . وربما عرض في العين وجعٌ من دمٍ غليظ يرتكب في عروق العين من غير امتلاء في البدن كلّه ، فينبغي ان يُعالج بشرب الشراب الصرف ، فانّ لهُ قوّة تسخين وتفتيح وتسفر عنهُ بشدّة حركتهِ من تلك العروق التي قد لجّ فيها وذلك من بعد الدخول الى الحمّام . فاذا عرفتَ المرض ورأيتَ العلاج لا يسرع نجحهُ فدُمْ عليهِ فانهُ ربما كان لريحٍ متضاغطة في منافذ ضيقة ، وربما كان الخلط شديدٍ غليظ فيحتاج الى زمانٍ طويل في تلطيفهِ وتوسيع المنافذ والمسامّ .

٥

واعلم ان الجفن محمودٌ في جميع انواع الرأس كلّهِ ، ولكن ينبغي ان تكون

قوته ، ومتى كان مع بعض علل العين صداعٌ شديدٌ مبرِّح فلا تعالجْهُ حتى تُسكِّن الصدغين وذلك بعد استفراغ البدن وتنقية الرأس وتقويتــه وإلّا جلبت على المريض بلاءً عظيماً .

ومتى كانت الموادّ تنصبُّ الى العين دائماً فعلاجها في نفسها باطل . فانظر اولًا هل ذلك من جميع البدن او من الرأس خاصةً ، فاستفرغ البدن او استفرغ الرأس . وقد تنصبُّ الموادُّ الى العين من الأوراد والعروق ، فاعمد لاستفراغها فقط . فان كانت المواد تسيل من خارج القحف فاطله بالأطلية المخفّفة مثــل ماء العلّيق والفوتنج والشوك وتشدُّهُ بالعصابة ، فــان لم ينجح فاقطع الشريانين اللذين في الصدغين . وان كانت تسيل من داخل القحف ، وعلامتــهُ العطاس المؤذي والحكّة واللذع ، فعليك بالفصد والاسهال واستفراغ الرأس .

ومن امراض العين ممّا لا بــدّ من استفراغ البدن مثل الرمد والقروح والسبل اذا كان معهُ ورمٌ وانتفاخ . ومنها ما لا حاجة الى استفراغ البدن في علاجهِ مثل قلع الآثار فانها تحتاج الى جلاء فقط ، وكذلك سائر الاوجاع التي لا يظهر معها امتلاءٌ ولا انتفاخ عروق العين ولا كثرة رطوبة سائلة .

فهذا ما احتجتُ ان اقدّم ذكرهُ ، فآخذ الآن في علاج الامراض الحادثة في العين فاقول : ان منها ما يظهر للحسّ ومعرفتها سهلة . ومنها مــا لا يظهر للحسّ ومعرفتها عسرةٌ ، بل تعرف ذلك بعلامات من الفكر الصحيح والحدس من الصانع . وإنّا نبتدئ بما يظهر منها للحسّ ، وابتدئ (في) اول ذلــك بالامراض الخفيّة عن الحسّ والله أعلم .

٥

قد رأيت مما تقدّم اننا أصبنا بانتقائنا من هذا المخطوط ابواب المقالة الاولى واثباتها ، المتضمنة تفصيل طبقات العين ، والباب الاول من المقالة الثانية الذي يحتوي على مبادئ ومراشد عامة تنير الطبيب وترشده الى طُرُق معالجة العين بعد وقوفهِ على انواع امراضها ، وهو درسٌ لا بدّ من معرفتهِ والاحاطة بمضامينهِ . واننا نثبتُ الآن مثالًا من وصف بعض امراض العين وتقدمة علاجاتها معاً ، ليطلع القارئ على سياق هذا المخطوط الثمين ونهجهِ .

(لهُ صلة)

كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان . (مخطوط)

النسخة الاصلية ، وهي اثر أُنف لم ينشر قبلُ

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني

شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس الخوري

الراهب اللبناني

توطئة

وقعت في حوزتنا نسخة من هذا الكتاب ، سنة ١٩٢٧ ، وهي خط «كرشوني» (اي عربي بالحرف السرياني). وكانت ملكاً لنسيبنا المرحوم الاب يوسف الياس المنداري ، الراهب اللبناني[1]. فتكرم علينا بها في دير تنوبين الشهير ، كرسي بطاركتنا الموارنة القديم . واذ تدبرنا هذا المخطوط ، وجدناه على اغلاط ، تنقص نصوصه كلمات وعبارات مما يرجرج المعنى ويستعصيه. فقابلناه على نسختين له ، الواحدة في المكتبة الشرقية للجامعة اليسوعية في بيروت ، وهي بالحرف العربي ، والاخرى « كرشونية » الخط عند احد شركاء ديرنا قزحيا الشهير ، في قرية هذا الدير القائمة قربه ، والحاملة اسمه « عربة قزحيا » . وكلتا المقابلتين لم تجدنا النفع المنشود .

١) قريته كفور العربة – شمالي لبنان – وكله المغفور له البطريرك الحويك بالكرسي البطريركي . فدبر املاكه وخدم مصالحه بمنتهى الامانة والدراية ، مدة ٣٥ سنة (١٩٠١ – ١٩٣٥) . ومن آثار ادارته الرشيدة واشرافه الامين ، قصر الديمان المقيم ، نفذ في تصاميمه الفخمة وابنيته الجبارة ، ارادة مولاه الحويك الخطير ، رحم الله الموكل والوكيل ، واجزل ثوابها بين امثاله الابرار .

ونحنا نتريث ونتقصى ، حتى وقعت لنا النسخة الاصلية الرسمية من هــذا الكتاب ، وبذلنا الجهد اللازم ، خلال سنة كاملة (١٩٤٤) ، حتى اشترينا هذا الكتاب الاصيل من احفاد صاحبه في عينطورين ، بخمس وثلاثين ليرة لبنانية ، واعرناه من الاهمية والاهتمام ما يستحق ، واعددناه للنشر — على ما سبلي — في اول فرصة ممكنة .

بيد ان الظروف لم تؤاتنا لذلك النشر الا عقيب رجوعنا مؤخراً الى لبنان العزيز من رحلتنا الطويلة المعهودة ، طيلة السنتين الاخيرتين ، الى اقطار اوربة واميركا . وما كدنا نطأ ارض الوطن ، في اوائل ايلول الاخير ، حتى آنستنا برؤية صديقنا وودادنا العلامة الجليل ، الاب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، رئيس تحرير هذه المجلة ، الذي يضفي عليها من علمه وعنايته ما ارجع لها قيمتها والثقة بها ، كما كانت في عهـد مؤسسها ومحررها ، صديقنا المرحوم العلامة الاب لويس شيخو اليسوعي ، صاحب المكتبة الشرقية والافضال الجزيلة على العلم والاستشراق ... وطلب الينا حضرة الاب خليفة شيئاً ما لمجلته هذه . فتبادر الى ذهننا حالاً « المخطوط العينطوريني » هذا الذي ننشره الآن ، فوعدناه به . واعدَّ له حضرته هذا المقام من « المشرق » ، بعـد ان اختاره بين مواده التي انبأ بها القراء في الصفحة الاخيرة من العدد الاخير . واردفنا وعدنا هــذا بوعد آخر ، سنحققه — انشاء الله — بنشر مخطوطات اخرى قيمة ، سيأتي الانباء بها في الاعداد الآتية من هذا « المشرق » الاغر ، والله من وراء كل عمل وقصد ، انه التوّاب الرحيم .

مؤلف الكتاب في التاريخ[1]

لقد ذكر مؤلف الكتاب اسمه ونسبه على الصفحة الاولى منه[2] هكذا : « قد اعتنى في تأليف ونسخ هذا التاريخ الوجيز ، الشماس انطانيوس ابن الشيخ

١) كل ما نكتب عن المترجم الان ، نستمده من كتابنا المخطوط « تاريخ طرابلس وابرشيتها المارونية» . والمترجم هو من رجالات هذه الابرشية وعظائها ، الذين دعنا لكل منهم فصلاً خاصاً .

٢) انظر الرسم رقم ١

بر خطار الشدياق ، من بيت الحاج عبد النور ، من قرية عين طورين ، في جبة بشري ، باعمال طرابلس . . . »

واول من ذكر هذا المؤرخ الثقة ، العلامة الكبير المطران يوسف الدبس . فكان اسبق المؤرخين الى ذلك ، ولو باقتضاب خاطف ، اذ اخذ عن كتابه هذا حوادث مشايخ جبة بشري ، وطردهم المتاولة الحاديين منها ومن سائر البلاد كما سيأتي[1] .

ونستغرب نحن ان يغفل المؤرخون ذكر هذا الشيخ الجليل وكتابه هذا ، على رغم انه كان عميدًا خطيرًا في لبنان ، يلفت الانظار الى جاهه وزعامته. ويكفينا الدليل الصراح على ذلك ، انه كان جد بطل لبنان العظيم ، يوسف بك كرم لوالدته ، وحائزًا لقب « شيخ مشايخ الجبـة » اولاه اياه اجماع معاصريه على قدره واعتباره . ولعل موقفه السياسي ضد الامير بشير ، الذي اناله حتفه — على ما سيأتي — نكب بمعاصريه عن ذكره وتدوين اثره .

ولم يعقب العلامة الدبس في هذا الامر المعتبر ، الا العلامة الاب شيخو ، فسلط من عله شعاعًا — ضئيلًا ايضًا — على شخصية « الشيخ العين طوريني » وكتابه هذا ، وذلك في هذه المجلة (٤ ؛ ١٩٠١ ؛ ص ٧٦٩) حيث اقتطف نبذة من التاريخ عن اصل الاسر النبيلة في لبنان ، من امراء ومشايخ ، امثال الامراء : المعنيين والتنوخيين ، وبيت علم الدين ، والشهابيين واللمعيين ، والارسلانيين ، وآل عساف وسيفا حكام غزير . ثم المشايخ الحاديين ، وامراء الكورة (الايوبيين) والمراعبة (في عكار) ، وآل خازن وحبيش ودحداح والضاهر (حكام الزاوية) وبيت العازار[2]

وحذا حذو الاب شيخو ، صديقنا البحاثة الخليل الخوري اسطفان البشملاني ، في كلامه عن والدة بطلنا كرم ، الست مريم ابنة المترجم[3] . — ثم جئنا نحن ، مع حقارتنا ، نضع على المنارة هذه الشخصية اللبنانية الفذة ،

---

١) المطران الدبس ، تاريخ سورية ، مجلد ٨ ، ص ٥٠٣ و ٥٠٤ .

٢) الاب شيخو ، المشرق ٤ (١٩٠١) ص ٧٦٩ — ٧٧٥ و ٨٢٠ — ٨٢٧ .

٣) الخوري اسطفان البشملاني ، لبنان ويوسف بك كرم ، طبعة سنة ١٩٢٥ ، ص ١٠٥

فاخرجناها الاخراج الوافي من طي الخفاء والمجهول الى حيز العلم و الاشراق ، اولاً في كتابنا « المشايخ آل الشمر » طبعة سنة ١٩٤٨ ، ص ٢١ ، حيث خصصناها بتفصيل لا بأس به ، كان الاول من نوعه . وها نحن نغتنم الان فرصة نشر هذا الكتاب ، فنفي مؤلفه الجليل حق الايضاح والتعريف .

اصل المؤلف واسرته

بين معلوماتنا في كتابنا المخطوط ، « تاريخ طرابلس وابرشيتها المارونية » ، ان هذا الشيخ كان حاكماً اقطاع قريته عينطورين وما يليها ، وارثاً ذلك عن ابيه الشيخ مخايل ابي خطار ، واجداده[1] . واسرة هؤلاء المشايخ الاقطاعيين هي عريقة في عينطورين . جدها الاعلى عبد النور . هجر لبنان الى دمشق ، نزولا عند محن وظروف . ولما اجتاح سورية ، سنة الف واربعمائة م ، الطاغية تيمورلنك ملك التتر الشهير (١٣٣٥—١٤٠٥) ، وفتح دمشق منزلاً باهلها ضروب النكبات والاهوال ، وانهزم معظم سكانها الى المواطن الآمنة ، هربت اسرة عبد النور الى برمانا دمشق فنزلتها حيناً . ثم يممت لبنان موطنها الاصلي . وقطن احد افرادها ، عبد النور بن جرجس عبد النور ، قرية عينطورين في سقي اهدن من اعمال جبة بشري .

واشتهر من احفاد عبد النور ، الشدياق توما فاطلق اسمه على سلالته « بيت الشدياق » . ومن هؤلاء تحدر المشايخ آل ابي خطار ، ولم يزالوا الى يومنا في عينطورين . ومن اشهرهم الشيخ مخايل بو خطار ، والد المترجم الشيخ انطونيوس ، وشقيق الحاج رفول ، جد المشايخ آل رفول في قرية اجبع قرب اهدن ، الذين منهم الست مكيلدا والدة غبطة البطريرك الحالي مار انطون عريضه الكلي الطوبى ، واختها الست طروز والدة المثلث الرحمات المطران بولس عواد ، رئيس اساقفة قبرس واحد مشاهير عصرنا ، وهما ابنتا الشيخ يوسف الحاج رفول . ونبغ من آل رفول ايضاً احد رجالات لبنان واقطابه ، الاباتي يوسف رفول رئيس عام رهبانيتنا اللبنانية (١٩٠٤—١٩١٠)

١) تاريخ سورية المذكور ، المحل نفسه .

ومن ابنـاء عبد النور ايضا ، بيت عيدي مخول وبيت رزق ، في قرية بنشعي ، موطن الموقعة الشهيرة في حرب يوسف بك كرم والدولة العثمانية في ٢٨ ك٢ ١٨٦٦ .

ومن دلائل وجاهة مترجمنا هذا ، اولًا لقبه « الشماس » . وهذا لعمري تقليد عريق في لبنان الماروني ، اذ كان الرؤساء الروحيون ينعمون على مقدمي لبنان ، وبعض حكامه الاخرين واعيانه النبلاء ، بدرجة الشدياقية او الشماسية ، ويرقونهم اليها استكمالًا لدواعي اجلالهم في اعين رعاياهم اولًا ، وادماجاً لهم في مصاف الاكليروس ، فيتوفر لهم حق الجلوس معهم في خورس الكنيسة ، تمييزاً لهم عن عامة الشعب . ولذلك نرى التاريخ الماروني ينطوي على كثيرين من حكام لبنان خلال الاجيال ، حاصلين على هاتين الدرجتين الاكليريكيتين المقدستين ، امثال الشدياق يعقوب البشراني ، اول مقدمي بشري الايوبيين حول سنة ١٣٩٧ م ، والشدياق الشيخ انطانيوس ابن الرز (الضاهر) حاكم زاوية رشعين – لبنان الشمالي – في عهد البطريرك الدويهي (١٦٧٠–١٦٠٤)[1]، والشدياق سركيس ابن الخازن[2] ، والشماس فرنسيس كرم ، جد والد بطلنا يوسف بك كرم[3] ، ثم مؤلف هذا الكتاب ، وقد سمى نفسه بالشماس ، كما تقدم ... وغيرهم كثيرون ... والشماس في الكنيسة المقدسة هو كالكاهن في توزيع بعض الاسرار واقامة بعض الرتب ، والزامه بتلاوة الفرض الكهنوتي تحت طائلة الخطأ المميت ، مما يشكل دليلًا آخر على اعتصام المترجم بحبل الدين والتقوى.

ويزيد ايضاً في خطورة مؤرخنا هذا ، كونه والداً لام اللبنانيين في عهدها ، الست مريم ابي خطار كرم ، والدة بطل لبنان الكرمي العظيم . وكانت مشهورة بحصافة عقلها ، وكبر اخلاقها وفضيلتها ووقارها ، تساعد عقيلها الشيخ بطرس كرم على حكم اقطاعة اهدن وما يليها ، واستقبال عظماء الشرق

١) الدويهي ، تاريخ الطائفة المارونية ، طبعة رشيد الشرتوني ١٨٩٠ ، ص ٤٤١
٢) الدويهي ، تاريخ الازمنة ، طبعة الاب توتل اليسوعي ١٩٥١ ، ص ٣٥٧
٣) كتابنا « البيت الكرمي في اهدن ... » طبعة ١٩٣٥ ، ص ١١

واشعرب في البيت الكرمي امثال الموسى ذي الامرتين ، وابراهيم باشا المصري الفاتح الشهير وغيرهم ... على ما هو مفصل في كتابنا « البيت الكرمي في احدى مزار العظماء » ، ونشأت وندها ، ظللنا الاعظم ، على ما يوافق لبنان من كل الوجوه ، فكان من امره ما يعرفه لبنان وسواه ، ويذكره له مدى الدوران بمنتهى الاعتزاز والمباهاة ...

وفوق ما تقدم ، خطورة اخرى كانت لهذا الشيخ الشماس ، استمدها اولا من كرم محتده البارز في ثراء اسرته الوسيع ، وقد كانت املاكها تملأ الشمال : قرى ومزارع ، كقرية كفرفو قرب كرسي مطرانية طرابلس في كرمسده ، وغيرها من القرى التي حررها اهلوها وتملكوها ... ثم من اثره الخالد بارزاً في كنيسة سيدة عينطورين ، وهي اروع كنائس عصره في لبنان ، شادها شيخنا هذا وجهّزها بالاثاث الواني ، واغناها بالاوقاف ...

اما لقبه « شيخ مشايخ الجبه » ، فيقول فيه الرواة نقلاً عن معاصريه ، ان اهل بشري عصوا يوماً على الامير بشير الكبير ، وابوا تأدية خراج زاده على البلاد . فوكل الامير الى الشيخ انطونيوس امر اخضاعهم على ما يرى . فاضطلع الشيخ بالمهمة وحل المشكل من وجه اعجب الامير ووافق الاهلين ، مدللاً على بطولة واخلاص وحنكة ورشاد . فكافأه الامير بذلك اللقب « شيخ مشايخ الجبه » ولا يزال مشهوراً به الى ما شاء الله .

نهايته ووفاته

تكاثفت اطماع الحساد الاشعبية ، واقدار الزمان ، فاوصلت شيخنا هذا – على رغم ما تقدم له من مكانة ومهابة ومجد – الى نهاية كانت مأساة فاجعة ارتجت لها البلاد ، وما زالت ترجع اصداءها المدوية على السن التقليد والنقل . هذا التقليد – وهو اجماعي في موطن المترجم والشمال – يقول ان شيخ المشايخ هذا سولت له خطورة مكانته ، وما كان له من جاه ونفوذ وثراء ، السعي لدى مصطفى آغا بربر « متسلم » طرابلس وبعض اعيان هذه المدينة ليستأثر بحكم الشمال . ودرى به الامير بشير فجابهه بتشديد النكير

والنهي الزاجر ، وهدده بشد العقاب صرامة ، آخذاً عليه عهداً مغلظاً .
والمعروف ايضاً ان المترجم كان منحازاً وصهره الشيخ بطرس كرم ، حاكم اقطاع اهدن وما يليها ، ووالد يوسف بك كرم ، مع مصطفى بربر الآنف الذكر ، الى حزب اولاد الامير يوسف شهاب ، اخصام الامير بشير ومزاحميه. ولا يزال ذكر ذلك يتردد في الشمال الى اليوم[1].

واخيراً تمادى حساد المترجم في الوشاية به ، فاقنعوا ابا سعدى ان محسودهم يعمل مع صهره المذكور على سلخ شمالي لبنان عن الامارة واتباعه الى طرابلس ، ليتسنى له بسط نفوذه فيه والاستئثار بمقدراته ، وان بعض اعيان طرابلس يزازرون الشيخ وصهره لدى « الاستانة العليـة » . ففار غضب الامير بشير فوران المرجل ، وجاء برجاله الى الجبة فاعتقل الشيخ انطونيوس هذا وصهره الشيخ بطرس كرم ، واقتادهما مكبلين بالاصفاد ، بعد ان غرمهما بخمسمائة كيس ، والكيس خمسمائة غرش اذ ذاك . واذ بلغ بهما الى قرية عين بطرام — مسقط رأس الشيخ شارل مالك ، وزيرنا المفوض حالياً في واشنطن — افتدت الشيخ بطرس سيدة افرنسية بالمال اللازم ، فاطلق الامير سراحه ، واكتفى بالمترجم ، فسجنه في قلعة جبيل ، وامر بقتله من دون محاكمة ، عاهداً بتعذيبه الى بعض دروز من بيت عبد الملك اذاقوه امرّ العذابات بضعة ايام ، ثم وضعوه على حديد تتأجج تحته النار ، واصموا آذانهم عن عويله ، وصغّروا اكبادهم حيال شيخوخته الطاعنة ووقاره المهيب ، حتى لفظ انفاسه ضحية الطمع والاستبداد والهمجية وافدح الاوجاع !! ... ودفن في جبيل .

---

١) لا يجهل المؤرخون وعارفو الامور تلك الحزبية الهوجاء ، التي كانت بين الامير يوسف شهاب ونسيبه الامير بشير الكبير ، انتصر فيها هذا الاخير الانتصار الكامل ، فكان من ضحاياها اولاً : الامير يوسف ومدبره الشيخ غندور السعد ، وسمعان البيطار ، وغيرهم . . . سنة ١٧٩١ ، ثم عميد لبنان الشيخ جرجس باز الشهير واخوه الشيخ عبد الاحد ، خليفتي خالهما الشيخ سعد الخوري في رعاية حزب الامير يوسف ، وتدبير اولاده حسين وسعد الدين وقاسم . والشيخان البازان قتلهما الامير بشير في ساعة واحدة سنة ١٨٠٧ . ثم غل اعين اولاد الامير يوسف وقطع السنتهم ، مبعداً اياهم عن نبالهم ، على ما هو مشهور ومفصل ايضاً في كتابنا « تاريخ مصطفى آغا بربر » الذي سنشله بالطبع قريباً انشاء الله .

اما تاريخ وفاته فهو مدون في آخر كتابه هذا ، في جدول وفيات ابنه هو ، كما سيأتي ، حينما نصل من نشر هذا الكتاب الى هذا الجدول ، حيث واصل احد معاصريه من اهله او غيرهم اكمال الجدول فكتب عن وفاة المترجم ما نصه : « سنة ١٨٢١ توفي انطانيوس الشدياق في ١٢ ك١ نهار الاربعة في مدينة جبيل بانطش الرهبان اللبنانيين من بعد ما طلع من الحبس».

على ان هناك معاصراً جليلاً لمقتل الشيخ العينطوريني هذا ، وشاهد عيان عالماً لاحداث زمانه ، هو العلامــة الشدياق متى شهوان ، من بلدة غوسطا بكسروان (١٧٩٦–١٨٧٩) ، معتمد البطاركة : يوسف حبيش (١٨٢٠ — ١٨٤٥) ، ويوسف الخازن (١٨٤٥–١٨٥١) وبولس مسعد (١٨٥٤–١٨٩٠)، في المجمع المقدس برومية العظمى . وقد ترك مذكرات له دوّن فيهــا وقائع عصره في لبنان وغيره ، منها مقتل المترجم اثر ثورة شمالي لبنان على الامير بشير المعروفة « بعامية لحفد » سنة ١٨٢٠ . ورواية متى شهوان تتفق جوهراً مع التقليد المتقدم ، وتختلف عنه تفصيلاً وظروفاً كما سيبين . وقــد نشر هذه المذكرات الخوري باسيليوس قطان[1] وكيل رهبانيــة الشويرية الملكية في رومية ، وذلك في مجلة «كوكب البرية» المختصة للرهبانية الانطونية المارونية ، في سنتها الاولى (١٩١١ ، ص ٤٧٢–٥٠١)

مقدمات هذه المأساة ومسبباتها

ويجدر بنا هنا ، قبل ان نورد ما خص مقتل العينطوريني من مذكرات متى شهوان هذه ، ان نترك كاتبها المعاصر يحدثنا ، بلغة عبارته في زمانه ، عن مقدمات تلك المأساة اللبنانية ومسبباتها ، قال ما نصه[2] :

« في مناصفة السنة ١٨٢٠ ، ارسل عبدالله باشا ، متولي منصب عكا ،

---

١) مطران بيروت الملكي الكاثوليكي سابقاً ونزيل رومية العظمى حالياً

٢) صفحة ٤٧٦–٤٨١ من مجلة « كوكب البرية » المذكورة اعلاه . وهذا النص قد وضعنا له – نحن – كل ما لزمه من فواصل ونقاط ، ورجوع الى السطر ، تيسيراً لفهمه من الوجه الاسهل .

فطلب من الامير بشير الشهابي ، حاكم جبل لبنان ، مبلغاً باهظاً من المال . فلما ان الامير لم يستطع الاعتفاء من تأديته هذه الجريمة الغير الاعتيادية ، عزم على ان يستجرها من اهالي البلاد والاديرة ، ولكن بنوع يفوق على ما طلبه الباشا بهذا المقدار ، حتى ان الفقير الذي لا يملك شيئا اصابه ما ينيف على المائة غرش ، عدا الاكلاف الاخر التي تندفع للحوالية ، وخلا ما اختلسه المتوكلون على جمع المال ، والفوايد التي سلبها التجار والدافعون المال لطالبيه منهم – وبالنتيجة قد افتقر من هذا الظلم اغلب سكان الجبل المتوسطي الحال، فناهيك اذاً عن الفقراء الذين لم يستثنوا من هذه النايلة . ومع كل ذلك لم يصر الاقتناع بهذا فقط ، بل ان حاكم الجبل المذكور ، عقب هذا الامر ، ارسل فطلب الاموال الاعتادية ، كالميري ، عشرة اضعاف زيادة عما كانت في اصلها القديم ، حتى بلغ الخراج ايضاً ضاعفه .

« فمن الحادث الاول والثاني ، ومما سلف قبلًا وتأتى حالًا ، نفرت قلوب سكان لبنان واضطروا الى رفض الخضوع لحاكمهم ، وارتبطوا حينئذٍ معاً ، وعملوا قومة عامية ، واجتمعوا نحو من عشرين الفاً ، في محل قريب لسيف البحر يقال له انطلياس من معاملة بيت شباب ، وُ قاموا عليهم رأساً واحدًا من مشايخ بيت الخازن يدعى فضل ، اسماً لا فعلًا . وهناك رؤساء العامية مع رأسهم المشار اليه ، قطعوا يمناً امام ايقونة القديس الياس ، بألا يخون احدهم الآخر ، وان يكون سعيهم خاصة لاجل الصالح العمومي ، وان يرجعوا الاقلام الميرية الى اصلها ، ويخففوا سائر المظالم الاخر ، ويزيلوا البلص والجرائم.

« هكذا على هذا النوع اتفقوا ، وعزموا على ان يرفعوا الامير المشار اليه من الحكومة ، ويحكموا خلافه . فلذلك ارسلوا معتمدًا مصحوباً بعرضحال الى باشا عكا ، به يشكون له حالهم وعجزهم عن دفع الجرايم ، مقررين عدم امكانهم على الثبات تحت حكم الامير بشير . فالباشا قبل تشكيهم ، وبعث فاحضر اليه رأسهم الشيخ فضل ، واخلع عليه ، جاعلًا اياه رأساً للعامية . فلما الامير بشير رأى ذاته في الخطر ، ارسل وسايط ليصطلح مع اهل البلاد . واذ لم ينل اربه ، التزم للفرار مصحباً معه راس امة الدروز ،

الشيخ بشير (جنبلاط) الى نواحي حوران . حينئذٍ ارسل عبدالله باشا فلبّس الخلاع للامير عباس الشهابي ، جاعلاً اياه حاكماً على البلاد ، ولبس معه ايضاً الامير وحسن اخاه الامير سليمان ، ليكونا مسعفين له في تدبير الحكومة .

« الا ان العامية لم ترضى ان هؤلاء الثلاثة يكونوا حكاماً على البلاد ، ما لم يحلفوا قبلاً بتتميم كل ما صار عليه القسم من العامية ذاتها : فلذلك حلف المذكورون ، واعدين بالتتميم وعدم الخيانة . لكن لا هولاء ولا اولئك وقفوا على حفظ حلفانهم ، بل نكثوا به . وبعد مرور عدة اشهر ، شرع الحكام الثلاثة ان يجدوا (يحذوا) حدو الامير النازع ، ويجرموا البلاد كما قبلاً .

« فلهذا ابتدأت القومة من جديد ، حتى ان بسببها استهز (استنهز) الامير بشير فرصة وكاتب البعض من رؤساء العامية الموجودين في الشوف والمتن ، لا (لكي) يتحدوا معه ، واعداً برفع كافة الاسباب التي من اجلها صارت القومة . فلما هولاء الروس جاوبوا بالايجاب ، توجه حالاً الى عكا ، ولبس من جديد على البلاد ومن الباشا ، وكان ذلك في سنة ١٨٢٢ . ثم من هناك توجه الى تخت الحكومة المدعو دير القمر ، واستقبله اهل البلاد بالفرح والسرور . حينئذٍ انفرد الحكام الثلاثة كل الى مسكنه مظهرين الرضى في الخارج برجوع الامير بشير ، لكن في الباطن ممتلين حنقاً وغيظاً ، لخسارتهم حلاوة التأمر والنهي والامر .

« ثم اجتمع الامير بشير بتقدمي بلاد الشوف والمتن ، الذين كانوا من جملة روّوس العامية ، وبمعزل عن متقدمي بلاد كسروان ، وبلاد جبيل والبترون والجبة ، اتفق معهم وراضاهم ، واعداً اياهم بان يخفف عنهم المظالم . فالمذكورون اتوا (قبلوا) معه مرتضين بتوفيق صالحهم ، ولم يبالوا بصالح اهالي باقي البلاد . فبذا خانوا باليمين الذي حلفوه سوية ، ومعهم خان ايضاً الشيخ فضل الخازن ، مرتضياً بعلاقة تعينت له .

« فلما اهالي كسروان وجبيل والبترون والجبة شاهدوا تلك الخيانة ، تحزبوا معاً ، واظهروا المضادة وعدم الطاعة للامير المذكور ، وتجمعوا بمكان يقال له لحفد ، من معاملة جبيل ، واخذوا ان يكاتبوا اعيان البلاد ، والامرا الثلاثة المار ذكرهم ، ليتحدوا معهم ، ولم ترجع مكاتبتهم فارغة ، لان هؤلاء

ارتضوا لا بل كانوا منتظرين وقوع هذه الفرصة .

« اما الامير بشير ، فلمعاينته ان التحزبات ضده تكاثرت وتجسمت ، خشي من ان المرة الثانية تكون اشر من الاولى . ولهذا ركب وصحبته نحو من الفين عسكري ، متوجهاً الى بلاد جبيل ، ليخمد نار الانقسام والتحزب ، اما قهراً ان قدر ، واما رفقاً ان استطاع . ففي مروره على حدود مقاطعة كسروان ، بعث فاستدعى اليه البعض من الاعيان الذين لهم صوت في العامية، ورغب ان تداول معهم ، وطلب منهم ان يسعوا لدى الجمعية بالصلح ، واعداً ان يرفق بحالهم ، جاز الى مقاطعة جبيل بالقرب الى مكان اجتماع القوم ، حيث هناك وجد الجمعية معتصبة ضده بعدد يفوق على عسكره ، قاصدة ان تصلي نار الحرب عليه . حينئذٍ اخذ ان يرمي وسايط للمهادنة ، حتى ان اتصل متنازلاً معهم ليسجل الشروط التي هم يرغبون كتابتها . اما هم فبرعونة وعدم فطنة ، ليس انهم لم يرتضوا بالمهادنة ، بل ابتدأ جهلاؤهم ان يرموا النار على صيوانه حيث كان نازلاً . وهكذا على هذا المنوال اضطرمت الحرب بين الجبتين ، ووقع جملة قتلا من الفريقين ، وباتت الغلبة على اهل العامية ، مع انهم كانوا اوفر عدداً من الفريق الآخر .

« الا انهم تجمعوا ثانيةً في اليوم المقبل ، وازدادوا عدداً ، وجروا باثر الامير بشير الذي كان بالامس باعن ذلك المكان ، وتوجه الى ساحة مدينة جبيل التي لم يقدر ان يدخلها لانها كانت بيد العصاة ، وهناك مربعمل متاريس لحماية ذاته ، وبعث فطلب من الشيخ بشير الدرزي لان يجمع عساكر من بلاد الشوف ، ويسرع لمعنته . فهذا لم يتباطأ عن اجابة مطلوب الامير . بالحال جمع نحو من عشرة آلاف واقتادهم ، مسرعاً في سيره . واذ كان ماراً بالقرب من وادي شحرور ، شعر بان الامير سليمان مع اخيه الامير حسن ، كانا كاتبا اعيان كسروان ليوافوهما بعسكر الى نهر الكلب ، لكي يحجزوا معاً مرور الشيخ بشير ، ويصدوه عن التوجه لمساعدة الامير ، كما بالحقيقة كان ذلك اكيد ، لانه كان وافاهما نحو من خمسماية نفر الى النهر المذكور ، ارسل جوقة من عسكره وكبسها ليلاً ، وبالكاد امكنها النجاة من يدهم ، وفرا هاربين الى قاطع بيت شباب .

« اما اولئك الاناس الذين كانوا يتوقعون موافاتها الى نهر الكلب ، فلما رأوا اعاقة ورودهما ، بدون ان يعرفوا مـا جرى لها ، رجع اغلبهم كل الى بيته ، ولم يبقَ هناك الا نحو من ماية وخمسين نفرًا . فهولاء بعد ان اضرموا نار الحرب غلطاً ضد الشيخ بشير ، بنحو ساعة من الزمان ، ولم يمكنهم ان يصدوا اجتيازه ، فروا هاربين من وجه العدو ، وقتل منهم شابان بكى عليهما الجمع ، وقتل ايضاً واحد من العدو . »

« ثم اجتاز العسكر ، ونهب زوق مصبح التي على كتف نهر الكلب ، وامسك احد الكهنـة يدعى الخوري نوهرا من راس المتن[1] . هذا كان اتى لاستقبال الاميرين المقدّم ذكرهما ، وكان ينهض همة اهـل كسروان ليصدوا اجتياز الشيخ بشير . فلما احضروه امام هـذا الشيخ ، امر بقتله وحريقه على شاطي البحر . من هناك زحف المذكور بعساكره . وحينما وصل الى جبيل حيث كان ينتظره الامير ، انهزمت العامية . وبالوقت ذاته غزت العساكر بعض الضيع ، واتبعوا النهب بالحريق ، واستأسروا اناساً كثيرين من العامية . وحينئذٍ الامير ، بشور الشيخ بشير افحش بتجريم (تغريم) تلك البلدان ، وافقر اناساً كثيرين .

« ثم من هناك زحف الامير بالعساكر نحو بلاد الزاوية ، ومنها الى جبـة بشري . غير انه التقى صعوبة كلية تدخوله بلاد الجبة ، لان اهاليهـا اظهروا العداوة ، غير مريدين اقباله . ولقد كانوا بصعوبة منعوه عن الدخول لولا يرمي عليهم وسايط البعض من الاكليروس العال ، الذين اقنعوهم بالقول ان قصـد الامير والشيخ هو المرور ليس الاقامة . وهكذا بهذه الحيلة استطاع الدخول ، واستقام نيفاً عن شهر زمان .

« ولكيلا اطيل الشرح ، اقول ان الدثار والفواحش المرتكبة من العسكر الدرزي المطوّح العنان ، في تلك المدة ، لا يمكن رقمهـا في قلم . وبالاختصار اقول ، ان المساكين اهل بشري اصبحوا بفقر لا جبر له ، وانكسر تامهم (كذا) ، بعد ان كانت ارضهم بكرًا لم تدوسها رجل غريبة . ثم بعد ان

[1] هو الخوري نوهرا ابي جوده من دير الحرف ، قرب راس المتن ، حسب تحقيق حضرة البحاثة العلم الخوري اسطفان البشلاني .

رتب هذان المذكوران جريمة ثقيلة على اهل الجبة ، انتقلا بالعساكر ، مارين في البلدان . وحيث كانا يوسيان يخليان مكان اقامتها نظير ذريعة غزتها الجراد ، الى ان اخيراً بلغ كل منها الى مقره . اي الامير الى بتدين ، والشيخ الى المختارة .

« فيا بعد ، شرع الامير بشير ، بمشورة الشيخ المذكور ، في باص البلاد من جديد ، وتمسيك جميع الذين اختلطوا بالعاميـة ، بنوع انه قضى بالسجن على المسوكين ، والتعذيب الصارم ، مع دفع مبالغ من المال . اما الـذين انهزموا من حكمه ، ولم يقدر على مسكهم ، فامر بضبط ارزاقهم ومداخيلهم .

اعدام الشيخ العينطوريني

« ففي هذا المحل لم يدعني القلم ان اصمت عن رقم القساوة الصارمة التي جرت على احد اعيان قرية عينطورين في جبة بشري يقال له الشيخ اسعد ابو خطار[1] ، رجل متقدم في السن ، ذو اهابة وخصال حميدة ، معتبر ومكرم من الجميع . فهذا اذ امسك عليه صوج (كذا) اختراعي من احد المبغضين ضد الامير بشير ، صدر الامر عليه في الحبس ، في قلعـة جبيل ، واقيم على تعذيبه واحد من اوحش الكفار واشر القساة ، درزي الذي تارة كان يعذبه بضرب العصي ، وتارة بوضع الحديد المحمي على رأسه ، وقتاً بوضع نسر القصب تحت اظافيره ، ووقتاً بالجلد . وبالنتيجة ان هذا الكافر الجهنمي اخترع لـه اصنافاً من العذابات الفادحة بهذا المقدار ، حتى انه اماته بها . فبئس المعذب والعذاب . لاننا بذلك رأينا صورة الوثنيين الذين كانوا يذيقون تابعي المسيح اشد العذابات واشرها . . »

١) ذلك ضلال مبين يعلوه ما يردده الى اليوم اهل عينطورين وسائر الشمال ، من ان هذا الشيخ هو المترجم الشماس انطونيوس ، لا اسعد ، الذي لم يذكره ولا يعرفه احد قط . ولعل صاحب هذه المذكرات قد ذكر – سهواً او عن جهل – اسم اسعد بدل انطونيوس ، لبعده عن الشمال حينـذاك ، اذ كان مقيماً مع بطريرك السريان بطرس جروه ، في دير مار افرام الرغم قرب قرية الشبانية في المتن ، حسبما ينول هو في مذكراته هذه (ص ٤٧٦ و ٤٨٥) من مجلة « كوكب البرية » الآنفة الذكر . وحجتنا على ذلك انما هي تاريخ وفاة الشيخ انطونيوس ، دونته في حينها احد معاصريه ، من اهله او غيرهم ، على ما اسلفنا في الصفحة ١٦٨ من هذا البحث .

المخطوط واصليته

ويبين الوهم صراحاً في ما ادعى الطيب الاثر ، الاب شيخو[1] ان نسخة مكتبته الشرقية لهذا الكتاب بالخط العربي، هي الاصلية . ولا يرتاب اي عاقل في اصلية نسختنا هذه ، اولاً لخطها الكرشوني الدارج في عهد المؤلف اكثر من العربي ، ثم لحفظها ذخيرة عزيزة عند اولاد المؤلف واحفاده الى يومنا ، في موطنهم عينطورين ، حيث اتصلت الينا . وفوق ذلك ايضاً ما على آخرها من حواش ومذكرات بخط المؤلف عينه ، امثال جدول الوفيات المعهود وغيره ، كما سيأتي ، واقرار نساخها الثلاثة ، المدونين اسماءهم في آخرها[2] الذين عهد اليهم المؤلف بتبييضها — على اثر فراغه من تأليفها — فكتبوها في داره ، وتحت نظره ورعايته ، واحدهم من عينطورين نفسها ونسيب المؤلف ، والآخران من اهدن وكفرصغاب المحاذيتين لعينطورين ، على ما هو مبين من نص الخاتمة.

وكان وهماً صراحاً ايضاً قول الاب شيخو في المحل المذكور ، ان المؤلف بدأ تأليف كتابه هذا في شباط ١٨١٩ ، وانجزه في ت٢ ، ١٨٣٥ . فان نص الختام هنا صريح ينفي اي ادعاء بالخلاف . ويظهر ان الاب شيخو استند في قوله هذا الى الكلمة الاخيرة من الصفحة الاولى[3] القائلة : « وكان الابتداء في ٢٠ خلت من شباط ١٨١٩ » وقد فاته ان يفطن لان « الابتداء » هذا كان بنسخ الكتاب لا بتأليفه ، على ما هو واضح كل الوضوح .

وكذلك ينتفي قوله ايضاً — رحمه الله — « ان المؤلف انجز كتابه ١٨٣٥» ، وذلك بتعيين وفاة المؤلف سنة١٨٢١ ، على ما ينطق به جدول الوفيات المعهود، كما تقدم وكما سيجيء .

مواد الكتاب

ان مواد هذا الكتاب منظومة كلها في فهرس كامل يغنينا عن تفصيلها ،

---

١) المشرق ٦ : ٧٦١.

٢) انظر الرسم رقم ٢

٣) انظر الرسم رقم ١

سيأتي اثباته عما قليل . فنبدأ الآن باثبات نص الرسمين المصورين (رقم ١ ورقم٢) . ثم نعقب ذلك بالفهرس ، ونتبعه بنص الكتاب ، مع ما يبدو لنا من ايضاحات وتعاليق ، واضعين لكل ذلك ما يلزم من حواش ونقاط وفواصل واهلّة ، ورجوع الى السطر ، مما لا عهد به للمخطوطة . ونضع ايضاً بين هلالين مقرنين هكذا [ ] ارقام صفحات المخطوط الاصلية ، وهي منمرة من أ الى ؤ (اي من واحد الى مائتين) اي مائتي صفحة ، ما عدا صفحة المقدمة المصورة في الرسم رقم ١ وورقتها ملصقة على جلد الكتاب من الداخل ، ثم صفحتان وتسعة سطور تحويان الفهرس . وطول الكتاب ٢٤ س . وعرضه ١٧ . واليك الآن نص المقدمة في الرسم رقم ١ :

(بالحبر الاحمر) بسم الله الواحد الازلي وعليه اتكالي
وبه ثقتي وهو عوني

(بالحبر الاسود) قد اعتنا في تأليف ونسخ هذا التاريخ الوجيز ، الشماس انطانيوس ابن الشيخ ابو خطار الشدياق ، من بيت الحاج عبد النور ، من قرية عين طورين في جبة بشري ، باعمال طرابلس الشام . وقد قاسى من جرا ذلك اتعاباً جزيلة في مدة طويلة . حتى قدر انه يطلع على كافة التواريخ الموجودة في جبل لبنان ، من نصارى واسلام . قد دام في هذا العمل والتعب مدة ستة عشر سنة حتى قدر ان يصفه كل جملة بما يناسبها ، لاجل المطابقة والمساواة لبعضه . وقد لقبه بمختصر تاريخ جبل لبنان . (بالحبر الاحمر) وكان (بالاسود) ذلك بمساعدة ومناظرة ومطالعة قدس السيد الجليل ، والمعلم الفاضل النبيل ، المطران يوسف اسطفان ، معلم ومثقف مدرسة عين ورقة .

(بالاحمر) وقد جرى ذلك بايام رياسة الاب الجليل ، مار يوحنا بطرس البطريرك الانطاكي ، الحلو كنوتاً وعملاً دامت رياسته امين .

(بالاحمر) وكذلك (ثم بالاسود) في ايام رياسة قدس السيد المعتبر ، المطران جرمانوس (ثابت) مطران ابرشيتنا يومئذاً ، الثابت كنوتاً وامانتاً ، دامت سيادته امين .

(بالاحمر) وقد كان ذلك (ثم بالاسود) في ايام تولي وحكومة سعادة امير الامراء الفخام ، وهام الحكام العظام ، الامير بشير قاسم الشهابي الافخم ، ادام الله تعالى دولته زماناً طويلاً آمين . . .

(بالاحمر) ثم اني (بالاسود) انا مؤلفه المذكور اسمي اعلاه ، اترجى واتأمل من كل قاري وناظر الى هذا المختصر المذكور ، ان وجد فيه غلطة ام زهقة ، لا يلوم حقارتي بذلك ، لكونني لست اهلاً الى عمل مثل هذا . وبما اني نقطة وجيزة من ابحار المطمين الجزيلة ، كذلك هـذا المختصر ، كما قال الفيلسوف الحكيم ان الكتاب يدل على معرفة كاتبه . ونحن بالنسبة لا نوازي احد المؤلفين ، بل قصدنا نسخ هذا المختصر تسلي وقت ، واطلاع ما يمكن اطلاعه . وكان الابتدا (بنسخه) في ٢٠ خلت من شهر شباط سنة ١٨١٩ م .

نص الرسم رقم ٢ وهو ختام الكتاب ونهايته

قد تم نسخ هذا الكتاب ، المختصر اللبناني ، نهار الاربعة الواقع في اربعة ايام خلت من شهر آب الذي هو من شهور سنة الف وثمانماية وتسعة عشر مسيحية ، المساقبة (الموافقة) الى ثلاثة عشر يوم خلت من شهر شوال الذي هو من شهور سنة الف ومايتين واربعة وثلاثين هجرية . وكانوا النساخ في هذا الكتاب ، الشماس اليشع الشدياق من قرية عينطورين ، والشدياق نعمة باسيم من قرية اهدن ، والياس قسطنطين من قرية كفرصغاب . وكل منهم كتب جزواً ، تم

فهرس الكتاب

[١] (بالاحمر) علم فيرس ما يتضمن هذا الكتاب من التواريخ الذي فيه عدة اوجاه (اي ارقام الصفحات) .

صفحة

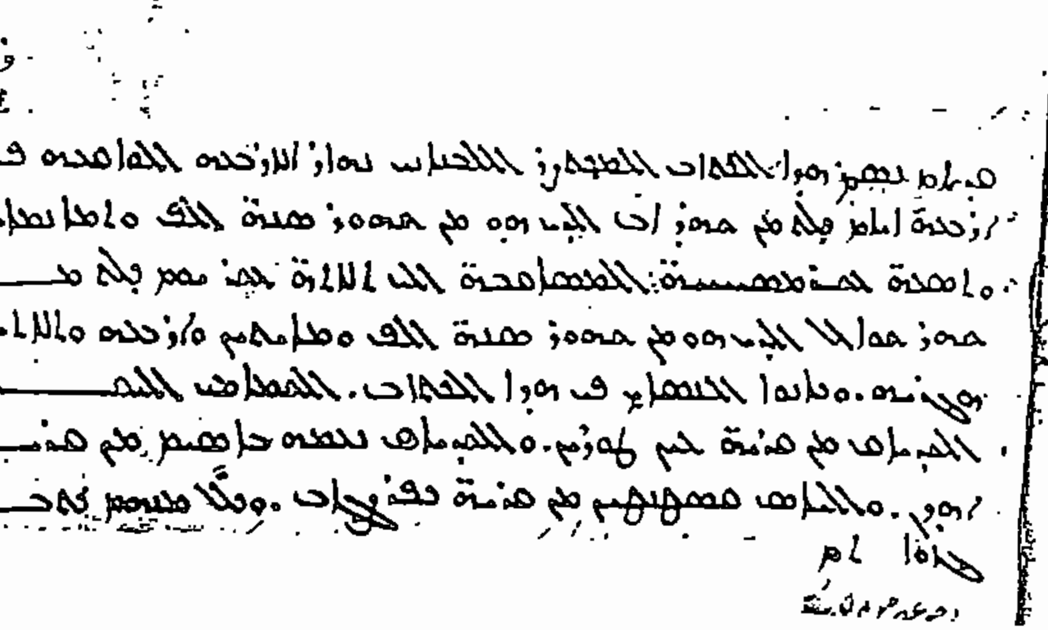

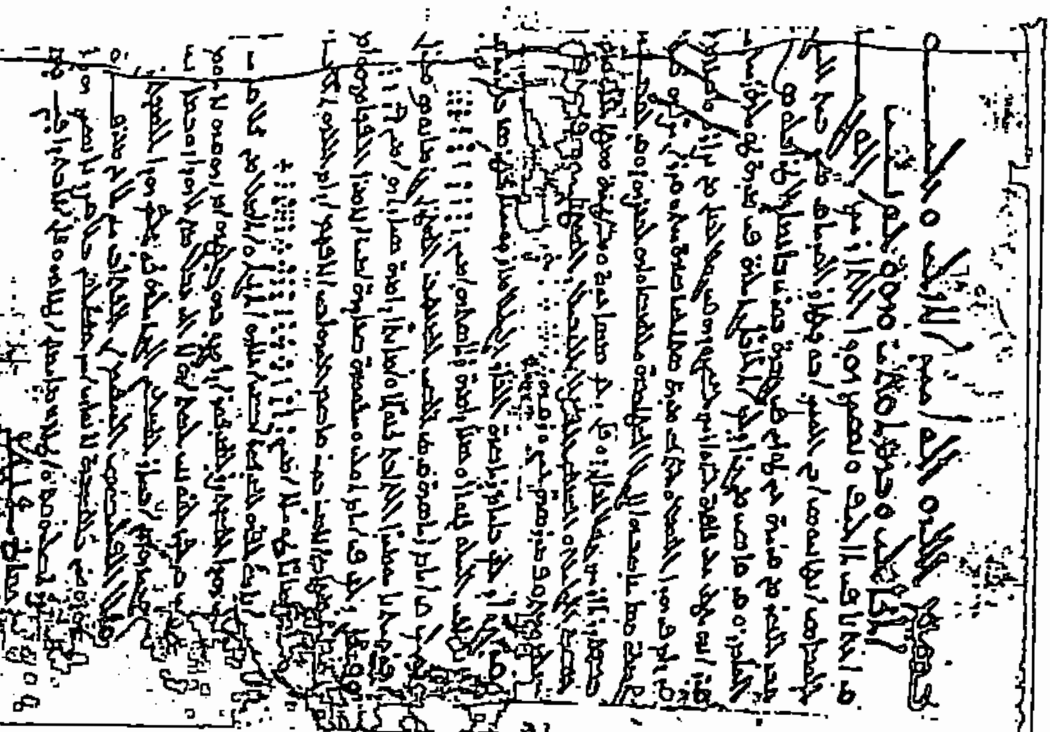

صفحة

صفحة

ىـ (٥٠) ... صورة بوردي (بويُرولْدو Boyrouldou) امر (اي مرسوم من السلطات العثمانية) من المذكور (الجزار) لجبل الدروز (منطقة الشوف بلبنان) .

[٢] يا (٥٢) ... حصار جبيل .

ىح (٥٣) ... كنيسة افقا وحصن المنيطرة ، وحوادث في طرابلس .

ىو (٥٤) ... اخذ قبرس ، وكرسي مار بطرس ، وتاريخ مجمع اللبناني .

ىه (٥٥) ... وضع كراسي الموارنة ، وتواريخ البطاركة (سلسلة البطاركة) .

ىط (٥٩) ... ذخيرة مار سركيس عرجس ، والاذن في اكل اللحم والسمك ، وابن القلاعي .

ف (٨٠) ... البطاركة الذين سكنوا قنوبين ودفنوا بيا .

فا (٨١) ... تواريخ المدارس .

فز (٨٧) ... حكام جبة بشرّه ، مقدمين وغيرهم .

ل (٩٣) ... حوادث في جبة بشرّه على زمان بيت حمادة .

ص (١٠٠) ... حوادث في جبة بشرّه قديمة وحديثة .

صو (١٠٦) ... تاريخ الرهبان اللبنانيين والحسنين .

صيو (١١٦) ... تاريخ دير قزحيا .

صيح (١١٨) .. تاريخ الفرنساوية .

صكا (١٢١) ... وصية الملك لويس .

صكه (١٢٥) ... تاريخ ملوك الافرنج ، وتاريخ المزاة (كذا) .

صكز (١٢٧) ... تاريخ الطاعون .

صل (١٣٠) ... تاريخ الغلا .

صلد (١٣٤) ... تاريخ الشتي والثلج والبرد .

صلط (١٣٩) ... تاريخ الجراد .

صم (١٤٠) ... تواريخ مفرقة وجزئية .

(بالاحمر) اعلم

(ثم بالاسود) ايها الاخ الحبيب الواقف على هذا الفهرس، اننا عملنا كامل الجهد في اختصاره على هذا الصفا (هذه الصفة اي هذه الحال). لانه لو نكتب كل جملة وخبرية ، لطال بنا الشرح . واذا قصدت اطلاع جملة ام خبرية ، اطلبها من المكان الذي يناسبه حسب المساقية، كما ذكر اعلاه. (بالاحمر) تم تم.

تاريخ ابينا آدم

[١] (بالاحمر) قال الكتاب المقدس (بالاسود) ان الله تعالى خلق ابانا آدم في الفردوس الارضي، ناحية الشرق ، نهار الجمعة ، في سادس ساعة من النهار . وقال بعض العلما : انه خلق آدم في شهر اذار الذي هو الشهر الاول ، بالشهر واليوم الذي تبشرت به مريم العذرا . وبالشهر واليوم الذي انصلب به السيد المسيح . واستقام آدم في الفردوس بالبر الاصلي ثمانية ايام ، اعني من نهار الجمعة التي خلق بها ، الى نهار الجمعة الاتية . وحين خالف آدم امر خالقه ، واكل من الشجرة ، كما يوضح ذلك الكتاب المقدس ، طرده الله تعالى من الفردوس . وقال بعض العلماء : انه طرده الى مغارة الكنوز قرب الفردوس واستقام آدم جملة سنين ينوح ويبكي على خطيته . وبعد ماية سنة من عمره

اولد قاين وهابيل . وبعد ماية وتسعة وعشرين سنة قاين قتل هابيل . وبعد قتل هابيل ، ولد له ولده شيث عوضه . وشيث اولد اولاداً ، ومنهم اخنوخ الذي ارتفع عن وجه الارض ، وهو باقي حيًا الى الان . وكان ارتفاع اخنوخ سنة ٩٨٧ للخليقة .

وقاين ايضا اولد اولاداً . ومن اولاد شيث ، خلق نوح الذي هو الثامن من اولاد آدم. وعاش آدم تسماية وثلاثين سنة ، ومات بشيخوخة صالحة ، ودفن في مغارة الكنوز . (بالاحمر) وبعد ذلك ، حين ذلك الجيل تمردوا في الخطية، ما عدا نوح وبنيه ، اراد الله ان يجلب طوفاناً على الارض ليبيد العالم . وشاء الباري ان يبقى اناساً لاجل تجديد العالم . وامر نوح البار ان يصنع سفينة . وحين بدأ نوح في عمل السفينة ، كان عمره خمساية سنة . وكان اولد اولاده: سام وحام ويافث . ودام في عملها ماية سنة . وحين ابتدا في عملها ، كان تاريخ (بالاحمر) سنة ١٥٥٦ . وبعد ان اكملها ، دخل نوح وبنيه، ونسا بنيه . وادخل معه السفينة من الطيور والبهايم ، كما يخبر الكتاب المقدس . وكان طولها ثلاثماية دراع ، وعرضها خمسين دراع ، وعلوها ثلاثين . وهي ثلاث طبقات. وحينئذٍ [٢] نزل الطوفان على الارض سنة ١٦٥٦ . وكان نوح إدخل معه عظام آدم الى السفينة . واستقام المطر يهطل على وجه الارض اربعين يوم. واستقام في السفينة سنة وعشرة ايام . وبعد جف الماء عن وجه الارض، خرج نوح ومن معه من السفينة ، وقدم قرباناً لله . وحينئذٍ اقسم الارض على اولاده . فاعطى سام قسم بلاد اسيا ، وسوريا الكبيرة ، وسوريا الصغيرة . واعطى حام اقليم مصر وفونيقي حد العاصي ، ولحد انطاكية ، اي الشطوط البحرية. واعطى يافث بلاد اوربا، اي بلاد الغرب وما يليها، حد اسلامبول، اي البحر الاسود ، وهلم جرًا . واعطى سام الجمجمة بما انه الاكبر . وجرى ذلك في العهد سنة ١٧٥٧ .

في ذلك الزمان، تملك نمرود الذي هو اول ملوك العالم. ومن هناك ابتدت الملوك ، والصنايع والشرايع ، وعلم الفلك . وكان في ذلك العهد تعمر برج بابل ، الذي به تبلبلت السن الخلق ، وكان ابتدا عمارته سنة ١٦٥٧

ولما مات نوح ، كان عمره تسعماية وخمسين سنة ، بعد الطوفان بثلاثماية وخمسين سنة . فتكون سنين الخليقة ، الفين وست سنين . وفي سنة ٢٠٤٨ ولد ابراهيم اب الآبا . وهو اول من عرف الله من بعد جيل نوح . ومن بعد ستين سنة من عمره ، دعاه الله من بين النهرين الى ارض كنعان ، وعرّفه بنواميسه ، ومشي بها . وولد له ابنه اسحق من بعد ماية سنة من عمره ، سنة ٢١٤٨ . وكانت حياة ابراهيم ماية وخمس وسبعين سنة . ومات بشيخوخة صالحة ، في سنة ٢٢٢٣ للخليقة . وبعد مولد اسحق بخمسة وسبعين سنة ، دعاه الله للتقدمة ، وافداه بالحمل ، وعاش اسحق ماية وثمانين سنة ، وتوفي سنة ٢٣٣٣ ، بعد ان اولد عيسو ويعقوب .

ولما كان عمر يعقوب خمسة وعشرين سنة ، اختلس البركة من ابيه [٣] اسحق . وبعد ذلك اولد يعقوب اباءنا الاولين الاثني عشر منهم يوسف العفيف الذي رأى الاحلام سنة ٢٣٧٦ . وباعوه اخوته الى تجار مصر سنة ٢٣٨٩ . واستقام في خدمة فوطيفار عشر سنين . وحبس من جرا تهمة حرمة سيده ؛ البري منها ، ثلاث سنين ، ثم اخرجه فرعون من الحبس ، لكي يفسر له احلاماً رآها وملّكه على مصر وما يليها . وبعد تملكه ، ارسل احضر اباه واخوته الى مصر سنة ٢٤٠٣ .

واستقاموا بني اسرائيل في مصر بكل راحة ماية واربع سنين . ولما مات يعقوب في مصر ، كان عمره ١٤٧ سنة . وحين مات يوسف في مصر ، كان عمره ماية وعشرة . بعدها ابتدوا المصريين يقهروهم ويضايقوا عليهم . فالتزم موسى هرب من جور المصريين الى ارض كنعان . وبعد حين ما ، ظهر له الرب في العليقة بطورسينا ، وامره يتزل يخلص شعبه من العبودية . فاطاع امر الله ونزل الى مصر ، هو ونساه واولاده . واستقام في نزاع فرعون اثني عشر سنة ، واخرج شعب الله من مصر ، بعد اقامتهم بها مايتين واربع عشر سنة فيكون خروجهم سنة ٢٦١٢ . وعالهم موسى في البرية اربعين سنة . وحين اشرف على ارض الميعاد ، توفي موسى . وفي تلك السنة دخلوا بني اسرائيل الى ارض الميعاد .

وبعده اقام تحشون اخبار سنة ٢٨٨٧ ثم تملك شاول سنة ٢٩٦٩ . وبعده تملك داود ، وكان له من العمر خمسة عشر سنة . وكان تملكه سنة ٢٩٩٠ . ودام في الملك اربعين سنة ثم تملك ابنه سليمن سنة ٣٠٠٥ . وبعد ان تملك سليمن بخمسة سنين ، ابتدا في عمارة الهيكل الذى كان احضر له ابوه داود ، كافة لوازمه . ودام في عمله ثمانية سنين . وكان هيكلاً ، كما يشرح عنه الكتاب المقدس . وكان ذلك سنة ٣٠١٨ للخليقة .

وقام اليا النبي ، وكان ارتفاعه عن وجه الارض سنة ٣١٣٩ . وقام بعده اليشع النبي . وقاموا انبيا جملة ، واحد بعد واحد ، كما يوضح عنهم الكتاب المقدس [٤] ، الى ان اتى السيد المسيح في عهد اغوسطوس قيصر سنة ٤٠٥١ للخليقة ، كما قال بارونيوس . وقال بعض المورخين انه كان تاريخ العالم . ازود من ذلك ، وقال غيره اقل . ولكن الاصح ما قاله هذا المعلم . ويلزمنا التصديق له ، لكون الكنيسة المقدسة قابلة هذا الرأي .

واما شرح تجسد المسيح وحياته وعجايبه والامه ، وموته وقيامته وصعوده ، عدلنا عنه ، لكون الكتاب المقدس والاباء القديسين كشرح عن ذلك بالكفاية وتعلن عن الرسل وحلول الروح القدس عليهم وتفريقهم للبشارات ، وعن جلوس بطرس في كرسي انطاكية ، ونقله الى مدينة رومية ، وعن خلفايه الى يومنا هذا ، فلا نحتاج الى شرحنا . لانه اولاً يطيل (يطول) الشرح ، ولا امكان الى ذلك .

ثم يذكر غريغوريوس ابن العبري في تاريخه ، ان السيد المسيح اعتمد في ليل الاحد ، ام ليل الاربعة ، في ستة كانون ، وانصلب نهار الجمعة في ١٤ من قمرية الشهر الاول الذي هو ادار ، وكان تاريخ العالم سنة الاربعة الاف ومايتين وعشرين . ويقول ايضاً (ابن العبري) انه رأى في تواريخ السبعين معلم ، الذين فسروا الكتاب المقدس لملك مصر ، انه كان تاريخ العالم حين تجسد المسيح سنة ٥٥٨٦ ، والله اعلم .

يذكر المؤرخ ان السيد المسيح طبعت صورته امرار شتى بانواع شتى . اولاً طبعت في منديل ، وسلمها للقديسة وارينا يوم صلبه . ثانياً طبع صورة يديه

ورجليه في بستان، حين كان يصلي قبل صلبه . ثالثاً طبع صورة رجليه في الصخرة الذي صعد عنها ، في طور تابور . رابعاً وجد في بلاد الشرق حجر من يشم[١] مصور فيه وجهه حياً تاماً مكللاً بالشوك . خامساً يوجد في شجرة ، المدعوة موسى ، صورة صليب ، وعليها مصلوب .

يقول مؤلف المنارة ، اي البطريرك اسطفان الدويهي ، ان الخشبة التي انصلب عليها السيد المسيح ، خرجت مع آدم [٥] من الفردوس ، واخذها نوح ، ومنه سام وملكيزادق ، حتى وصلت الى موسى ، ومنه الى سليمان . ويذكر ايضاً ان القبر كان ليشوع ابن نون ، وصار لسيدنا يسوع المسيح من واحد الى واحد ، الى ان صار ليوسف يوليطي ليدفن فيه يسوع . ويذكر ان سمعان الشيخ ابن يشوع ، ابن يوزاداق الكاهن ، عاش خمساية وخمسين سنة ، وهو احد الثنين والسبعين ، الذين ترجموا التوراة ، ونقلوه من العبراني الى اليوناني لملك مصر . وان سمعان لما انتهى بالتفسير الى نبوة اشعيا ، حيث يقول ان العذراء تحبل وتلد ابناً ، فبقي مشككاً ، وخشي ان الملك ينكر هذه الآية . فاتاه صوت بانه لا يذوق الموت حتى يعاين ابن العذراء ؛ فعاش اربعماية سنة الى ان جاء المسيح .

سنة ثلاثة واربعين للمسيح ، عندما كانوا اليهود مجتمعين من كل البلدان ، طيطوس ملك رومية حاصر اورشليم ، وشد عليها الحصار حتى اكلوا بعضهم بعض . ثم فتح المدينة قهراً ، ودكها الى الارض ، وحرق هيكلها ، ولم يتركوا فيها حجر على حجر . ويذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي ، انه كان في عدد الموتى والقتلا احدى عشر كرة . والذين استأسرهم تسع كرات وسبعة الاف . وكان بدو الحصار من نيسان الى تسعة في آب . والمومنين كانوا في سلامة . وسبب سلامة المومنين ، حين كانوا اليهود مجتمعين من اقاصي الارض الى اورشليم ، في العيد حسب عوايدهم ، طردوا المومنين ليلا يتنجسوا منهم . وفي هذه البرهة ، حضر الملك طيطوس وحاصر اورشليم ، وكانوا المومنين غايبين عن المدينة ، فتخلصوا لاجل هذا السبب . ويذكر ايضاً (يوسيفوس)

١) اليشم لفظة فارسية معناها حجر قريب من الزبرجد ، لكنه اصفى .

في تاريخه ، انه في سنة الف ومائة وتسعين ، الملايكة حملت بيت السيدة من الناصرة الى مدينة الاردن ، في بلاد النصارى ، وهو باقي الى الآن على الهيئة الذي كان فيها في الناصرة .

[٦] علم التواريخ

(بالاحمر) المدن والقلع الذين معمرين سابقاً ، وانقلاب اساميهم.

(بالاسود) تاريخ قلعة بعلبك

يذكر صاحب التاريخ ، اي البطرك اسطفان الدويهي ، ان قلعة بعلبك في جبل لبنان ، اقدم من جميع البنا الذي على الارض . اعني ان قاين ابن آدم ، حين اعتراه الارتعاش ، امر في بناها في سنة مائة وثلاثة وثلاثين لكون العالم (للخليقة) ، ولقبها باسم ابنه اخنوخ ، واسكن فيها الجبابرة والمهترجية (اصحاب السفاهة والشموذة) . ولكثرة فواحشهم ، ارسل الله طوفان الماء على الارض . وبعد الطوفان ، ارسل نمرود الجبار وجددها . وبعده سميت بعلبك بالنسبة الى باعال اله الموابيين والسمرة .

ثم ان سليمن ابن داود نصب فوق القلعة قبة ، ورسم بها دايرة الشمس في ابراجها ، وسكنت في مدينة الشمس . ثم ان سليمن بنا قلعة تدمر في البرية ، وهي عظيمة البنيان جداً . واخذ لها ماء في قنا عجيب من بلاد بعلبك ، مسافة ثلاثة ايام ، وباقي رمنها الى الان ، تتقاطر الناس الى ان يروها ، لعظم بنيانها . وفي سنة ١٦٥٧ للخليقة ، اجتمع نسل نوح واولادهم وارادوا ان يصنعوا لهم برجاً لكي يصالوا (يصلوا) به الى السما ، بزعمهم وخوفهم من طوفان ثاني . وعمروا به مدة سنين . وهم بهذا العمل ، فرّق الله الستهم ، حتى ما عاد ولا واحد يفهم من الآخر . حينئذٍ تفرقوا في العالم . وكل منهم توجه الى مكان ، شرقاً وغرباً . وبدد الله فعلهم بسوء نياتهم.

(له صلة)

لبنان على مفترق الطرق[1]

هل يستطيع ايجاد بناء اجتماعي وطيد ؟

٢ ـ المعضلة الزراعية

بقلم الاب اندره لوجنيل اليسوعي

تثير الزراعة في لبنان الحديث معضلة اجتماعية تفوق اهميتها اهمية معضلة عمال الصناعة بسبب كون الشعب زراعياً في الدرجة الاولى كما سيجيء معنا حتى اصبح استقرار البلاد السياسي وازدهارها الاقتصادي مرهونين في الآتي وقبل اي امر آخر بتنظيم تعاون الفلاحين تنظيماً سليماً .

ويبدو انه من الاهمية بمكان ان نتوقف خاصة وبانتباه على المعضلات الكثيرة التي تضعها امامنا الآن اوضاع لبنان الزراعية .

ولقد كانت العادة حتى السنين الاخيرة عندما كانوا يتحدثون عن الزراعة في هذه البلاد ان يخلطوا في دراسة واحدة بين سورية ولبنان . اجل ان بين البلادين لشبهاً فاقتصادياتها تبدوان في بعض المناحي كأن احدهما متمّ للآخر على ان هذا الامر ليس الّا مغالطة في عين اللبناني لان وجهة النظر السورية تختلف أيّما اختلاف عن وجهة النظر اللبنانية .

وفي الساعة الراهنة لقد قضت مصادفة الامور السياسة بفصل الاقتصادين فلذلك دُعينا الى النظر في المعضلة اللبنانية على حدة وتحت شكل خاصّ .

ولا بدّ لمن يطوف لبنان من ان يرسخ في ذهنه ان البلاد ليست بالاجمال ذات املاك كبرى على نقيض بقية بلدان الشرق الادنى ولا يصلح فيها للزراعة الكبرى الا سهل البقاع وحده وربما جزء من سهل عكار لان تكوينها اشبه بالسهول السورية الكبيرة المجاورة لحمص وحماه وحلب . ولقد فرض وضع لبنان الجغرافي الضيق على البلاد تجزئة الاستثمار الزراعي فيها . اما جملة مساحتها فعشرة آلاف كيلومتر مربع وعدد سكانها فيناهز المليون والمائتي الف نسمة اي بمعدل

١) راجع المشرق ٤٥ : (١٩٥١) ص ٢٧٦-٢٩٢ ، معضلة عمّال الصناعة للمؤلف نفسه .

مئة وعشرين شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد. واذا كانت سلاسل جباله الرائعة تغدق عليه مباهج لا مثيل لها فانها قد انتزعت من يد المزارع مساحات واسعة.

والارض الصالحة للزراعة في لبنان مساحتها ٢٥٠٠ كيلومتر مربع لشعب مزارع يناهز عدده الـ ٧٠٠ الف ساكن. مما يجعل كثافة السكان في الكيلومتر المربع الواحد ٢٨٠ شخصاً. ومن النظر الى هذه الاوضاع ندرك ان الملكية اللبنانية لن تستطيع الا ان تكون عظيمة التجزئة.

ولو شئنا فهم طبيعة القضية الاجتماعية الخاصة الناجمة عن هذه الاوضاع لكان لا مندوحة لنا عن الالماع الى هذا الاعتبار الاساسي.

وبمقدورنا ان نقسم بايجاز لبنان الى ثلاث مناطق زراعية يتميز بعضها عن بعض كل التمييز: الاولى منطقة ساحل البحر المتوسط والثانية هضبات السلسلة الساحلية والثالثة السهل الداخلي القائم بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي. فالمنطقتان الاولى والاخيرة هما منطقتا السكان والتقدم اما الثانية فتعيش على ماضيها وتسير الى الاقفار من اهلها.

وخصائص هذه المناطق الثلاث من حيث انها آهلة بالسكان ومن حيث الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية تتميز تميزاً ظاهراً. فالمنطقة الساحلية كان معظمها قديماً مغروساً من الاشجار التي لا تفتقر الى الري كاشجار الحمضيات والزيتون والتين والكرمة الخ . . . بيد ان اعمال الري التي نفذت في خلال السنوات الاخيرة قد ساعدت على انتشار زراعة المواد الغذائية واغراس الموز الى جانب الاشجار القديمة. اما الارض فشديدة التجزئة. وقد انضم الى السكان الاصليين منذ خمسة عشر عاماً جمهرة كبيرة من الجبليين الذين اجتذبتهم صورة حياة اشد سهولة في ارض اوفر ثروة. وقد حوّل احتكاك الملاكين الصغار والخول[1] بسكان مدن الساحل القريبة المتواصل الى انتصاف مدنيّين فارتفع مستوى معيشتهم كما يظهر الآن عن مستوى حياة بقية مزارعي البلاد. واذا ما تسلقنا منحدرات الجبل عرتنا الدهشة من المجهودات التي بذلها الفلاح

١) الخوَل جمع خوليّ وفي القاموس: الخولي هو الراعي الحسن القيام على مال صاحبه وقد استعملناها بمعنى المرابع

على ممر القرون ليستمر مزروعات هزيلة بالسفوح الوعرة الحصباء . « فالجاول » التي انشأها بقوة ساعديه تتدرج مرتفعة عندة كيلومترات . وفي بعض القرى ترتفع رحوم الحدى التي انتزعها من الارض الى اعلى من بيوتها وتغطي مساحات اوسع من مساحات الاراضي المزروعة . وثمت اراض كثيرة مستشمرة على هذه الشاكلة لا ترويها الا مياه الامطار شتاء ، ويستحيل على الفلاح احياناً ان ينشئ حول منزله حديقة البقول التقليدية التي تخوله تأمين خضار اسرته . ولذلك كان عليه ان يكتفي بمحصولاته من الزيتون والتين والعنب . فكان مستوى معيشة هؤلاء الجبليين منحطاً كل الانحطاط . وتبين من تحقيق قام به رجال اختصاصيون سنة ١٩٣٨ ان دخل المزروعات في بعض قرى الجبل يبلغ ١٥ ليرة لبنانية للشخص في السنة . وقد كانت اغراس التوت وتربية دود الحرير تزيد في الماضي دخله زيادة محسوسة حتى كانت المزاحمة الاجنبية فقتلت عملياً صناعة الحرير فاقتلعت اشجار التوت واقفلت « الاخصاص » التي كانت معدة لتربية دود القز . ومنذ ان وضعت الحرب اوزارها تجدد السعي لانشاء الزراعة الجبلية فغرست اشجار التفاح العديدة والاشجار المثمرة في المناطق التي كان بالاستطاعة ريها فيها . وانما لنتمنى ان تتكلل هذه المجهودات بالنجاح وينتعش وضع الاسرة الجبلية ، ومما يجب ان لا يعزب عن ذهننا هو ان الفلاح اخذ يغادر قريته ليقيم في الساحل او في المدينة او يسافر الى المهجر وذلك بعد ان اصبحت حالة الامن لا ترغمه على اللجوء الى معاقله الجبلية . ومما لا ريب فيه ان اكثر من ثلث السكان لا يزال متمسكاً باراضيه الجبلية وان حياتهم قد تكون تعيسة لو لم ترسل المساعدات القريرة بصورة مستمرة من اعضاء العيلة الذين هاجروا الى المدن او الى افريقية واميركا .

واذا ما اوغلنا في الداخل وعبرنا في الربيع الجبل واشرفنا على المنحدر الشرقي رأينا قائماً امامنا مشهداً قلما يحاكي جماله جمال بحيث يخيل الينا ان ننتقل الى بلاد جديدة لدى رؤيتنا سهل البقاع ممتداً امامنا كبساط سندسي اخضر طبع عليه تنوع مزروعاته المختلفة مجموعة كاملة من الاخضرار المتلالئ تحت اشعة الشمس .

ولئن بلغنا منطقة الملكيات الكبرى فلا تخدعن بها اذ تعترضنا فيها اشد اوضاع الفلاح تناقضاً فالى جنب كبار المالكين يعيش اتعس الفلاحين الذين

تغلغلت بينهم جمرة من صغار المستثمرين ومتوسطيهم ولم يعدموا حيلة لنيل نصيبهم من ذلك القرص المثمر .

وهذا السهل الذي كان يعدّ في العهد الروماني من اهراء رومة قد اجتاحته المستنقعات في العهد العثماني ولاسيما في جنوبه . اما اليوم فقد استردّ خصبه القديم واصبح صالحاً لشتى ضروب المزروعات وسيزيد ثروته اليوم انتشار زراعة القطن.

ويؤخذ من هذه الصورة العامة الخاطفة ان مختلف طبقات الشعب المزارع اللبنانية تتمثل على الشكل التالي :

عدد قليل من كبار الملاكين لا يستثمرون الا جزءاً قليلاً من الارض المزروعة . وجماعة من متوسطي الملاكين وصغارهم وعدد كبير من الخول « المرابعين » وفئة من العمال الزراعيين هي حقيرة لو قيس عددها بمثيلتها في سورية ومصر . ومما لا مندوحة عن ملاحظته هو ان معظم العمال والعاملات الزراعيين الذين يأتون الى الاشتراك في الحصاد وقطاف العنب وجني الاثمار ينتمون الى عيال صغار الملاكين المجاورين او انهم يفدون من الجبل او من المناطق الفقيرة التي يملكون فيها منازلهم وقطعة صغيرة من الارض .

شوائب الزراعة اللبنانية الحالية

مما لا شك فيه ان مجهودات كثيرة قد بذلت منذ ٢٥ سنة لتحسين الزراعة اللبنانية وكانت لها نتائجها . ومع ذلك فقد اتفق جميع الاختصاصيين في الشؤون الزراعية على التأكيد ان محصولات فروع زراعية عديدة كانت اقل عما تستطيع ان تعطيه ، كالحنطة مثلاً التي كان باستطاعة انتاجها ان يصبح اربعة اضعاف عما هو عليه .

ولسنا ندعي كفاءة الاختصاصي الفني بالزراعة فلذلك ندع امر التبسط في ذكر الذرائع الآئلة الى تحسين الزراعة للاختصاصيين في هذا الباب بيد انه غير خاف حتى على الذين يجهلون العلم الزراعي ان نجاح الزراعة هو الاصلاح الاول الذي ينبغي لنا تحقيقه اذ باستطاعة مجهودات جميع الفلاحين المتفقة مع مجهودات الدولة ان تؤدي الى زراعة اوفر جدوى والى نتيجة هامة في الحقل الاجتماعي : اي انها تفضي الى رفع مستوى حياة الفلاحين . ومن هذه الناحية

زوم النظر الى المعضلة الزراعية فنستميح للنفس الحق بالاشارة الى اهم العقبات التي تحول دون تقدم الفلاح الاجتماعي :

- استثمار ثروات البلاد الطبيعية استثماراً غير كافٍ .
- عدم وجود رؤوس الاموال لادخال الاساليب الحديثة في الاستثمار .
- نقص تعليم الفلاح تعليماً فنياً وجيهاً .
- تنظيم اسواق الاستهلاك الداخلية والخارجية تنظيماً سيئاً .
- عدم وجود تشريع ملائم للحماية .
- فقدان روح التعاون بين اعضاء الجمعية الزراعية .

الثروات الطبيعية

في سبيل الاقتصار على الجوهري فقط لنجهر بالقول ان الثروة الكبرى الرئيسية للزراعة في الشرق الادنى هي الماء . ولبنان حصن للماء ان صح القول. ولقد قال احد المهندسين المائيين خاتماً كلامه بعد ان درس قبل الحرب طبيعة لبنان من هذه الناحية دراسة مفصلة : ان الجبل اللبناني يشبه اسفنجة مفعمة ماء وفي باطن ارضه كميات احتياطية كبرى منه ومجار ذات ثروة مدهشة . ولكن لا بدّ من البحث عن الماء في باطن الارض وعن استثمار ماء الشتاء استثماراً علمياً حيال تعذّر وجود اليد الجبارة لضغط هذه الاسفنجة لاستثمار الماء الراشح الى ابعد حد . وما عدا ذلك ثمة خطوة واسعة في هذا الباب لا مندوحة عنها في سبيل السير الى الامام .

وفي الواقع ليست الارض المرويّة الا ثلاثين الف هكتار من مئتي وخمسين الف هكتار من الاراضي القابلة للزراعة على حين ان الفائدة البسيطة الناجمة عن ماء الامطار كما يدلّ على ذلك المقياس المائي تمكن بكل سهولة ريّ مئة الف هكتار مما يستدعي اولاً احياء شبكة المياه اللبنانية احياء منسقاً بعمل تشترك فيه الدولة مع ذوي رؤوس الاموال الخاصة وفي شرقي السلسلة اللبنانية قد افضى تنظيم بركة اليمونة الى تحسين زراعي ملحوظ في منطقة بعلبك .

ان نهر الليطاني المنحدر انحداراً بطيئاً من البقاع يستطيع ان يروي ريّاً منظماً عشرات الالوف من الهكتارات لو كانت اعمال الري فيه قد نظمت

تنظيماً مفيدًا ، ونحن نرغب من صميمنا ان تقوى الحكومة على ان تضع باسرع ما يمكن موضع التنفيذ التصاميم التي كانت لهذه الغاية وما برحت قيد الدرس .

وفي غرب السلسلة الجبلية وعلى سفح البحر المتوسط جداول عدة تجري مياهها وقد انشقت من الينابيع العالية فجعل لبعضها اقنية عند مجراها الاسفل فانتشرت بسببها الزراعة انتشارًا الى درجة تغيّر معها وجه الساحل تغيّرًا تامًا .

ومما يجب الَّا ننساه هو ان الفلاحين الذين يقيمون على المرتفعات المشرفة على الساحل ويتراوح علوها من ١٠٠ الى ٢٠٠ والى ١٥٠٠ متر ما برحوا عامة يتعاطون الزراعة البعلية الضعيفة ذات المحصول الضئيل لان اشجارهم لا تعرف في غضون الاشهر الثمانية من السنة الَّا رطوبة الليل تتجدّد قليلًا تطريتها فمن السهل نسبيًا ان يجلب الى هذه المناطق المتوسطة ماء الجبل العالي الذي يتدفق بغزارة في نقاط عديدة وذلك بواسطة اقنية وفروع لها .

ولئن نُظّم الريّ واضيف اليه انشاء المراكز الكهربائية التي المعنا اليها في مقالنا السابق فتكون فائدة الدائنين منه كبيرة ويكون مجلبة الخصب الى هذه المناطق خصباً لم تعهده من قبل ويوقف في الوقت نفسه تدفق سيل المهاجرين الذين يؤمون العالم الجديد سعياً وراء حياة اقل عناء .

ومن الناحية الداخلية فان اهمية مثل هذا المشروع الاجتماعية هي عظيمة لانها تمنع اولاد الفلاحين الذهاب الى المدن لتضخيم عدد الشغيلة فيها حيث يسدرون في وضع اقرب الى البؤس منه الى الرفاه ولانها ترجع الارض الى خصبها فتصبح قابلة للبيع والشراء اما في الساعة القائمة فما اكثر الملاكين — وان كانوا كبارًا في هذه المناطق — الذين عضهم العوز وعجزوا عن ايجاد شارين لحقولهم القليلة الخصب الحصباء التي اورثهم اياها جدودهم .

ويجب ان نضيف الى سوء استخدام المياه النقص في استثمار الارض . ومما قاله السيد جان دبانه المعروف بمقدرته في الشؤون الزراعية في المحاضرة التي القاها ببيروت في اثناء اجتماع عقدته ندوة الاسبوع الاجتماعي سنة ١٩٤٢ : « ان مختلف ضروب زراعتنا اذا ما اعتني بها اعتناء بمعدل العناية بها في المناطق الاخرى فانها تعطي من حيث الكمية وخاصة من حيث النوعية معدل انتاج

يفوق معظم المناطق الاخرى فنواحينا الاشد فقرًا باستطاعتها الازدهار وذلك بفضل زراعة موجهة توجيهاً ملائمًا ومشجعة تشجيعاً حسناً اما اذا كانت اصناف الانتاج عامة اقل جدًا من معدلها العادي فلكون طريقة الزراعة ما برحت غالباً عاجزة من بعض المناحي» .

ولقد المنا فيا تقدم معنا الى مَثَل الارض المعدودة للحنطة ولم تمطِ الا ربع الانتاج الذي كان مقدرًا لها ان تعطيه .

ومما يفضي الى تضاؤل المحصولات عدم استخدام السماد الكافي وحراثة المزارعين للارض حراثة في غير محلها او « تنظيمها » بصورة لا تردّ معها شيئاً في خلال سنة او سنتين على حين انه لو احسن استغلالها لكانت انتجت محصولات وافرة ومنظمة . ويتفق غالباً ان لا يطبق الفلاح تطبيقاً ملائمًا اصناف المزروعات على طبيعة الارض اذ يتكل على الاساليب القديمة البالية التقليدية فلا يفكر في توزيع الاغراس ولا بايجاد امكانيات جديدة في الاستثمار ولا يعرف ان يختار افضل البذار ولا البذار الملائم لتربة الارض .

وقد يكون الفلاح معذورًا بعض العذر في ذلك لان الحكومة لم تنشئ مراكز اختبار لتوجيهه توجيهاً مفيدًا وتقدم له خير البذور الملائمة لتربة الارض.

نقصان رؤوس الاموال للاستثمار وفق المنهج الحديث

ليس مردّ النقص في استغلال الثروات الطبيعية الذي شهدناه الى تقصير الفلاح وعدم كفاءته في بعض الظروف بل الى نقص رؤوس الاموال ايضاً ؛ وفي مثل هذا المقام يتصل العامل الزراعي بالعامل الاقتصادي سواء اكان ذلك متعلقاً باقتصاديات المستثمر الشخصية ام باقتصاديات البلاد العامة . فالملاك الصغير والمزارع محاصة تنقصهما عادةً رؤوس الاموال : الاول لتحسين زراعته ولدرء قسوة سنيّ القحط والثاني ليقوى على الوفاء بشروط عقده « مقاولة » وذلك اذا لم يدهمه ما ليس بالحسبان ويثقل اعباءهُ وعلى كل انهما سيضطران كنتيجة طبيعية الى الاستدانة واذا ما استدانا من احد المرابين فانهما يعرضان نفسيهما الى خسارة كل ما يملكانه واذا ما استدان الحولي من صاحب الملك تحرّج موقفه وبات تحت رحمته واوشك ان يجعله نصف رقيق له ، فالفلاح يفتقر الى

ايجاد دائن مجرد عن المطامع ليساعده من دون ان يستغله وليست القضية خاصة بلبنان بل بصرف التسليف الزراعي اما الحلول المرتآة لها فتنوعة وقد عهد بها اما الى شركات مصرفية واما الى الدولة نفسها او الى تعاونيات تسليف.

ولقد بوشر تحقيق هذا الامر في لبنان ولكنه ما برح غير كاف لانعاش الزراعة حقاً . ففي سنة ١٩٣٧ اوجد مصرف سورية ولبنان شركة التسليف الزراعي والصناعي اللبنانية اما القروض التي ارتأى اعطاءها المزارعين فلم تتجاوز تتساقط الـ ٤ ٪ من انتاج البلاد السنوي وهو ما زال ممسكاً بهذه المشكاة ويؤمن كل عام للدولة اللبنانية سلفة قدرها ستة ملايين ليرة لبنانية. وقد انشأت الدولة مصلحة القروض الزراعية اما في البدء فكانت الاموال تسلّف بدون حدّ معين اما اليوم فان القانون لا يبيح قرضاً اكثر من ٥٠٠٠ ليرة لبنانية على ان يسدّد في خلال خمس سنوات وذلك مقابل رهن . ولقد جاء هذا العمل سادّاً للحاجة الى حدّ تدفقت معه طلبات القروض بالالوف من كل نواحي البلاد على هذه المصلحة .

وقد عمدت الدولة بعض المرات الى تخفيض معدل القرض الى الفي ليرة وحتى الى الف ليرة لبنانية ليستطيع معظم طالبي القروض الاستفادة منها فتسكن الفلاح الصغير ان يستفيد من القروض على الصورة المرغوب فيها غير ان المساعدة المقدمة له هي قليلة جداً اما مجموع القروض المرتأى لكل سنة فلا يبلغ الـ ٣ ٪ من قيمة مجموع الانتاج الزراعي السنوي في لبنان اما معدل الفائدة فخمسة بالمئة . ويخيّل الينا اذا شئنا ان تتقدم الزراعة انه لا مندوحة عن تعليق اهمية كبرى على مؤسسة التسليف الزراعي . ولماذا لا يتبنى لبنان المنهج التعاوني في التسليف وهو المنهج الذي يؤدي خدمات كبرى في البلدان الاخرى ومن مزاياه انه قد اوجده واداره رجال المهنة وتولوه باقتصادياتهم وهو يفرض ما عدا ذلك ان المزارعين يفقهون ضرورة الاتحاد بينهم ليساعد احدهم الآخر وان يكون اكثرهم ثروة مستعدين ليضعوا في خدمة القضية الزراعية الوطنية اللبنانية جزءاً من رؤوس اموالهم . ان الاختبار كما يبدو قد برهن على ان هذه الروح لما تنضج في لبنان لتحقيق مثل هذه المشروعات .

ولقد رخص المرسوم الصادر في الـ ١٩ من شهر كانون الاول سنة ١٩٤١ بانشاء الشركات التعاونية وتنظيمها وكما اتصل بنا لم تقم منذ ذلك التاريخ الا تعاونيتان زراعيتان عملياً ما برحتا تعملان ايضاً ولكن بصعوبات كثيرة وما هما بمعنى الكلمة بتعاونيتي تسليف . ويبدو لنا انه لا بد من مباشرة عمل اقناع مهم وافهام الفلاحين ان مساعدهم الحقيقي هو انفسهم وذلك على قدر ما يعرفون ان يتفاهموا ويتحدوا لتنسيق مجهوداتهم وتزيد امكانياتهم المالية.

والجمعية التعاونية قد كانت في بعض البلدان عاملاً من عوامل التقدم العظيم وبوسعها ان يكون لها اهداف متنوعة : كالتسليف – وشراء الاسمدة وضروب البذار وبيع المنتجات الزراعية – وشراء الادوات المحركة الخ . . . ومن اجل فوائدها انها تخرج الفلاح من عزلته وتجعله يستفيد من منافع العمل المشترك وجدواه .

نقصان التثقيف الفني

يتطلب كل علم من العلوم الانسانية في الاساس تثقيفاً نظرياً وعملياً جدياً وعلم الزراعة كغيره . ومن جملة العوامل المعدودة التي تبقي الزراعة اللبنانية على جمودها نوعاً نقصان الثقافة العلمية ففي جميع درجات السلم الاجتماعي لطبقة الفلاحين اللبنانيين ما برح عدد الاختصاصيين ذوي الكفاءة الجدية ضئيلاً جداً المتؤولة فلو كانوا اكثر عدداً مما هم عليه الآن لاستطاعوا اسداء النصح الى مواطنيهم وارشادهم ولعرفوا ان يزيدوا انتاج الارض ولنوّعوا الزراعة وجعلوها تماشي الاوضاع المحلية وبكلمة واحدة لكان الاقتداء بهم درساً حياً من دروس علم الاشياء .

وفي لبنان كما في غيره من البلدان قد ورث الفلاح عن اسلافه تقاليد عديدة متطاولة الاجيال وليدة الاختبارات العلمية السابقة ومنها المفيد ومنها المضرّ عن جهل وعدم فهم . وقد ذكر السيد دبانه في محاضرته التي اشرنا اليها مثلاً نموذجياً في هذا الباب : كطريقة قطاف الاثمار في بساتين الزيتون الساحلية وعقب قائلاً : يباشر الفلاح عمله بطريقة تتلف الاشجار في كل موسم اذ يقضي على قسم كبير بعمله على موسم السنة التالية . فالمدرسة وحدها تستطيع ان تزيل شيئاً فشيئاً هذا الخطأ وتثقف المزارعين الشباب تثقيفاً راسخاً . ويسنا القول ان الحكومة لمّا توجه تعليم مدارسها الى ثقافة تعنى بالارض

توجيهاً حقيقياً وانها لثلة لها اهميتها لان هذا التثقيف بوسعه ان يشمل زهاء ثلثي طلاب المدارس فلذلك من الواجب توسيعه على قدر المستطاع لكي يكون مجدياً وان يحتوي على عدة درجات ليطبق على مختلف طبقات السكان. ويبدو ان الحاجة الماسة تدعو الى نشره في البدء في المرحلة الاوليـة التي من واجب المدرسة فيها ان لا توزّع تعليماً مفرغاً في قالب واحد تستوي فيه المدن والارياف وابناء الضياع والعمال واولاد الفلاحين ويجب ان يشتمل برنامج مدارس القرى على جزء توجيهي نحو التثقيف الزراعي النظري والعملي وان يكون الفحص النهائي محتوياً على امتحانات نظرية وعملية زراعية وذلك من خير الوسائل لحمل ابن الفلاح على الرغبة بالارض والتعلق بها .

والتعليم الابتدائي الذي نفهمه على هذه الصورة بالاستطاعة اكماله في مزارع مدرسية يرى الشباب فيها عملياً تحقيق ضروب الزراعة النموذجية التي سيعانيها في ارضه بالمستقبل . ويترجب التعليم الزراعي تنظيم مرحلة ثانوية فيصبح بالامكان ان تقدم للبلاد رؤوساء ومرشدين ووكلاء بالاستنابة عن صاحب العمل ورؤوساء مصالح لمشروعات الاستثمار خبيرين . ويجب توزيع هذا التعليم بحكمة ولا يصلح لاحد ان يدخله الا بعد امتحان دقيق لا تجتازه الا النخبة.

وبما ان عدد الملكيات الكبرى في لبنان قليل جداً فينبغي لنا ان لا نصطدم للمرة الثانية بالصعوبات الناجمة عن التعليم الثانوي المدرسي الحديث الذي اصبح عدد حاملي شهادته – البكالوريا – لا يستطيعون الا بكل صعوبة ايجاد عمل لهم بسبب كثرة عددهم .

وبالاستطاعة انشاء منفذ طبيعي لاستنفاد ايدي طلاب هذه المرحلة الثانوية بواسطة ملاك موظفي الزراعة . ومن المستحسن ان تفكر الحكومة في ايجاد ادارة منظمة وذات كفاءة للشؤون الزراعية وان يكون في كل قضاء فريق من الموظفين الكافي عددهم النشيطين مهتهم كمستشارين ومراقبين للزراعة .

وينبغي للتعليم الثانوي الزراعي ان يُبلغ خيرَ الطلاب درجة عليا ولذلك من الواجب التفكير في انشاء مؤسسة زراعية عليا يتولى التعليم فيها اساتذة اكفاء وذوي خبرة ومنها تتخذ الحكومة كبار موظفيها الزراعيين . وفي مقدور

كبار الملاكين ان يثقفوا ابناءهم وهم في اراضيهم التثقيف الزراعي الضروري لكي يصبحوا في المستقبل مديرين حاذقين لاملاكهم الواسعة ومستشارين ومرشدين لفلاحي منطقتهم وعليهم مدار الامر في الحركات التعاونية ويكونوا قطب الرحى في الحض على الاصلاحات الادارية الضرورية لانجاح الزراعة.

ولا شك في انه ينجم عن كل هذه الامور تحسين المهنة واحياء محبة الارض وازدهار عظيم عام وتوازن داخلي لاقتصاديات البلاد اوفى بالغرض. ويخيّل الينا انه من الفائدة ان نشير الى الطريقة المتبعة في احقاق التعليم الريفي وتطبيقه على حاجات البلاد.

ولقد قرأنا في مقالة عنوانها « المدرسة الابتدائية والحقيقة المراكشية » ما يلي : ان ميزة التعليم الفرنسي الاسلامي الريفية آخذة بالرسوخ عن طريقة تنظيم استخدام الوقت استخداماً خاصاً وايجاد حديقة بالقرب من المدرسة اشتغلها الطلاب بانفسهم بتطبيق الطرق والاساليب الحديثة على الزراعة التقليدية.

وعلى هذه الصورة نشأ تعليم زراعي في مدارس البلاد يفي بالتثقيف الزراعي الحديث. والمدرسة الابتدائية قد قامت بدورها اذ جعلت التعليم ابن الجوّ الريفي فلبّت بذلك الرغبة بان لا ينفصل الاولاد عن محيطهم وعن مشاغل ذويهم الجوهرية فلا ياقون بدون تمييز بتعليم غامض غير ملائم الى احتقار ما يتعلق بمهنة المزارع اذ من الواجب اشراب عقول الطلاب الاساليب الزراعية المعقولة وتعليمهم استخدام مياه الري التي ما زالت قليلة في هذه البلاد على خير الوجوه فلا يسرفون فيها وان نغرس في انفسهم منذ صغرهم مبادئ العمل المعتنى به المنظّم وفق الاساليب الحديثة وان ندربهم على استخدام الاسمدة ومحبة الاشجار والحيوانات واحترامها اشراباً نظرياً ولكنه حسي على قدر المستطاع، وقد ارتبط به التعاون المدرسي المتبادل الذي يساعد بفضل الارباح الناجمة عن بيع المنتجات الزراعية لكل مدرسة ريفية على منح طلاب هذه المدارس الجوائز وبعض النقود المتوفرة باقتطاعها من اثمانها وبعض هبات من الالبسة وتحسين وجبات اكلهم في مطعم المدرسة. وما عدا هذا ثمة في ملاك التعليم الفرنسي الاسلامي مرتبة عليا عملية زراعية في مختلف المناطق

فراكشية الزراعية يقابلها ١٧ فرعاً زراعياً... وبعد ثلاث سنوات من الدرس العملي الجدي يدرس في خلالها الطالب عشرين ساعة عملية في الاسبوع وعشرين ساعة يتلقى فيها التعليم العام ينال شهادة التدريب الزراعية[1] .

تنظيم اسواق الاستهلاك

اننا لا نجهل الاهمية التي تتخذها المبادلات التجارية في حياة لبنان فعلى قدر ما تكون ناشطة يكون اقتصاد البلاد سليماً والمنتجات الزراعية يسعها ان تكون مادة تبادل ذات فائدة حيوية للبلاد. ولما كان باطن الارض في لبنان لا ينتج شيئاً ولما كانت صناعته ضعيفة لا تصدر الا القليل كانت المحصولات الزراعية وحدها المصدّرة بكثرة هي التي يسعها انعاش الميزان الاقتصادي انعاشاً محسوساً فلذلك ينبغي لسياسة الحكام ان تجعل من اول اهدافها ايجاد الاسواق الاستهلاكية لهذه المنتجات اذ لا فائدة للفلاح من توسيع ضروب زراعته واتقانها اذا لم يجد امامه منافذ لاستهلاك منتجاتها فالطبيعة قد ساقت الى لبنان مهراً بامكانيات تنوع مزروعاته تنوعاً كبيراً وباستطاعته ان يجلب الى تربته اثمار البلدان الحارة: كالبلح والموز والحمضيات وشتى مزروعات الاقاليم المعتدلة والباردة كالتفاح والاجاص والمشمش الخ ... وجميع انواع الحبوب . اما بلدان الشرق الادنى الاخرى كسورية ومصر والعراق وشرقي الاردن فهي من البلدان التي تشتري هذه المحصولات ولكنها تشتري جزءاً منها من اوروبة والآخر من اميركة والسبب في ذلك هو ان تحسين هذه الانواع في لبنان لمّا يعرف ان يفرض نفسه فرضاً . فثمة اذاً ما يدعو الى ايجاد منافذ طبيعية هامة وعلى الحكومة ان تساعد في هذا العمل وتبذل مجهوداتها لتزيد امكانيات المبادلات واستقرارها .

ومن واجبها ان تعمد في هذا السبيل الى عقد اتفاقات رسمية مع الدول المجاورة واجراء تنظيمات داخلية مجدية وعلى المزارع ان يحاول اكتشاف الزبائن عن طريق استقامته بقيمة منتجاته وبانتظامها وعرضها ولقد شهدنا في خلال السنوات الاخيرة خللاً في هذا الباب الا هو فقدان النظام فاذا لم يصلح المنتج اللبناني نفسه فسيتعرض في المستقبل الى كساد بيعه كساداً يفضي الى

(1) Cf. *Bulletin d'Information*, N° 5, du 5 Mars 1951

اتلاف محصولاته . ومحصول التفاح في لبنان بالنظر الى المساحات الجديدة المغروسة من اشجاره يقتضي له ان يزداد ازدياداً طبيعياً عشرة اضعافه في السنين المقبلة فيصبح تصدير محصوله هذا ضرورة لا محيد عنها اما اذا استحال تصديره فسوف يضطر عدد كبير من الفلاحين الى الافلاس .

وفي المحاضرة التي القاها السيد ليون مراد في ندوة الاسبوع الاجتماعي سنة ١٩٤٢ في بيروت قال بتنظيم السوق المحلية التي ما برحت راسخة اكثر من غيرها وبالتفاهم الواسع مع بلدان الشرق الادنى واعرب عن رأيه كما يلي: « اننا نهتم خاصة بتحقيق كتلة اقتصادية بين مختلف بلدان الشرق الادنى ذات مصلحة متضامنة ترغمنا على توحيد نماذج زراعتنا وتوزيع المنتجات ذات الطابع الاكمالي وايجاد مناطق خاصة للانتاج ومستوى مشترك لنماذج التصدير وتنسيق تعريفات جماركنا واباحة حرية التجارة داخل هذه الكتلة على قدر الامكان. . . »

ويخيل الينا واضحاً كل الوضوح ان اللبناني بمهارته التقليدية في قضية المبادلات الدولية ينبغي له ان يفرض انتاج زراعته على سوق الشرق الادنى ولو تكلف بعض المشقة.

الاصلاحات القانونية

ما زال بعض العراقيل التقليدية البالية تحول دون نمو الزراعة اللبنانية لان هذه التقاليد التي تنظم علاقات الافراد بعضهم ببعض ما فتئت قائمة منذ عهد الامبراطورية العثمانية وهي تعود في بعض الاحيان الى قبل ذلك او الى وضع اجتماعي من اوضاع القرون الوسطى فباتت لا تماشي ابداً الاوضاع العلمية الحديثة حتى اصبح التجدد يفرض نفسه فرضاً . وعلى رغم كل ذلك لا بد من الاعتراف بان اعمالاً تقدمية قد تم تحقيقها في ناحيتين فاخذت تعتق الفلاح من شبكة قيوده المضنية التي سجنته ضمنها القرون المتطاولة . ان ايجاد المساحة لفكر صائب قد ساعد على تحقيق تجزئة الملكية العقارية تجزئة معقولة وعلى توزيع الاراضي توزيعاً افضل منه في الماضي . وجاء القانون الحديث بشأن التعاونيات التي تكلمنا عليها يخول الفلاح ايجاد شركات وجماعات مصلحية بشكل حديث . . . والظاهر انه لم يدرك بعد كل فائدتها . والى جانب ذلك تقاليد زراعية عديدة

ذات طابع خاص منبثقة من ضرورات الحياة واوضاع السكان والاوضاع الجغرافية ما برحت من عوامل الشلل بسبب رسوخها على مر القرون .

واليك مثلاً يظهر بعض نقاطها المفتقرة الى الاصلاح المفيد . فقد كان قديماً في سوريا ولبنان ضرب من ملكية احدى القرى يقال له « المشاع » وقد جزئت هذه العقارات في سبيل تحقيق مساواة كبرى في استثمارها بين جميع من لهم حق فيها تجزئة يبلغ بها الافراط احياناً الى درجة لم يتمكن معها الثوران اللذان يجران الحراث الا بكل صعوبة المرور على قطعة من هذه الارض بسبب ضيقها كل الضيق . واكمل هذه التجزئة تنقل الاراضي تنقلاً دورياً منسقاً ومرتباً ترتيباً قانونياً بين المستثمرين فكانت هذه الطريقة بلا ريب من العراقيل في وجه استغلال الارض استغلالاً معقولاً الى ابعد حد ممكن . وهذا الضرب من الملكية المشاعية آخذ بالزوال ولاسيما في الاراضي الصالحة للزراعة فكان انشاء المساحة الفرصة التي اختارتها السلطات لتوحيد العقارات بالاتفاق مع زعماء القرى فخصوا لكل رئيس عيلة انصبة متجانسة معقولة يكفي انتاجها المعيشة المنظمة . اما في الامكنة التي ما برحت فيها اراض مشاعية فهناك مجال لمتابعة اعمال التقدم التطورية التي بوشرت لتأمين ملكية ثابتة شخصية لجميع الفلاحين الذين لهم حق بذلك « المشاع » . ولقد انشأت بعض الجماعات القروية الاخرى تفادياً من تجزئة الارض تجزئة مفرطة ضرباً من شركة مشاعية لاستغلالها فكان كل فرد من افراد الشركة ينال في نهاية الموسم نصيبه من الاتحاد بيد ان هذه الطريقة قد اظهرت انها من العراقيل المثلة لانها تتيح الفرصة لكثير من ضروب الاحتيال بين افراد الشركة مما كان خطره شديداً على شاكلة الشركة بدون عقد « كالحول ووكلاء اصحاب الاملاك وشراء المحصولات او ريعها الخ ... » التي لم يكن بالاستطاعة عقد مقاولة بينها وبين الشخص الثالث بدون اتفاق سابق بين اعضاء الجماعة كلها بدون استثناء . فلذلك اخذت هذه القاعدة الاستثمارية بالتقهقر الصريح تقهقراً يبدو لنا حسناً . واكثر العقود الزراعية انتشاراً في العلائق بين الملاك والمزارع مقاولات الحول التي لها اشكال عديدة واساليب تطبيق كثيرة لا نستطيع بسطها في مثل هذا

المقام وانما نذكر ان تمدادها نفسه هو مصدر عدم استقرار الحقوق المتبادلة وفرصة سنحت للمظالم وذلك اذا كان الملاكون من ذوي الوجدان الضئيل . وزد على ذلك انه اذا ما سقط الحولي في بعض المناطق الفقيرة تحت دين لملمه عليه فقد يستفيد هذا احياناً ليرغمه على الثبات عنده ثباتاً اجبارياً فيصبح وضع الحولي اشبه بنصف رقيق . فمن الفائدة بمكان ان يبسط القانون مواده لعقود الحول ويوحدها ويجعلها مستقرة .

وعقد المغارسة يسبب ايضاً مساوئ ومظالم ولاسيما اذا لم يتناول الا المشاركة في الاشجار المغروسة فيبدو في مثل هذا المقام انه على الدولة ان تسن القوانين تعزيزاً لتعميم عقد المغارسة لا من حيث الاشتراك بملكية الاشجار بل من حيث الاشتراك بملكية العقار المغروسة فيه اذ ينجم عن ذلك ان تزداد رفاهية الحولي ازدياداً سريعاً وتستقر حياته العيلية لانه شرع يتخذ شيئاً فشيئاً مقامه في عداد صغار الملاكين .

ولا تعطي هذه الامثلة الوجيزة الا فكرة ضعيفة عن كثرة اشكال العقود التقليدية التي لا تزال سارية المفعول في الزراعة اللبنانية «كعقود تربية الماشية والمراعي والتسميد والري واستئجار الارض والوكلاء عن اصحاب الاملاك . . .» ولكنها تخولنا ان ندرك ان حياة الطائفة المزارعة في لبنان تقوم على اساس اشكال عقود اكل الدهر عليها وشرب وقد اصبحت غير صالحة ولا تماشي مقتضيات التطور التقدمي .

ويظهر ان اهم الاصلاح المفتقرة اليه البلاد افتقاراً ماساً يستدعي اعادة التفكير في كيفية بناء المهنة الزراعية العام ليسيرها بقانون حديث كما تم ذلك في بقية المهن بلبنان .

وبالاستطاعة ان يتخذ هذا القانون شكل اتفاق اجتماعي كما في بعض البلدان اي اتفاق وضع بعد المناقشة والتفاهم بين نقابات اصحاب الاملاك والعمال والدولة . اما النقابية الزراعية في لبنان فما برحت في حالتها الجنينية فلذلك لا تستطيع ان تتكلم باسم جميع المهن . ويبدو ان ثمة طريقة اشد جدوى الا هي تأليف لجنة من الحقوقيين والمهندسين الزراعيين غايتها سن مشروع تنظيم قانوني عام بموافقة الدولة عليه ، وانما يجب ان لا يتوخى هذا التنظيم القانوني ليكون مثمراً ومفيداً وجهات نظر هذه المعضلة الحقوقية والفنية والاقتصادية فقط بل من واجبه ان يتصدى بكل جرأة لمعضلة الفلاحين برمتها .

وهذه المعضلة الاجتماعية تختلف الاختلاف كله عن معضلة العامل الاجتماعية فلذلك تتطلب تشريعاً خاصاً وان لم يستطع ان يكون مفصلاً في ذرائعه كتشريع العمال المحض بالنظر الى اوضاع الفلاح الحيوية فانه على الاقل يتمكن ان يمنح المزارع حماية مجدية في بعض الامور الجوهرية . وينبغي لهذا القانون ان يقوى على تأمين المزارع ولا سيما العامل الزراعي ضد بعض الاخطار في حياته ، في عمله . وان يؤمن له مستوى معيشة لائقة ويعزز نمو عيلة الفلاح وازدهارها .

واشد الاخطار اهمية في حياة الفلاح العملية الحوادث والامراض . اما بشأن هذه الحوادث فبالاستطاعة تطبيق قانون العمل (مرسوم رقم ٢٥/ET في ٤ ايار ١٩٤٣) (المادة ٢ — الفقرة ٩) على الزراعة . وفي الاستثمار الذي يستخدم التراكتورات والادوات ذات المحركات فالمصاب ينعم بالفوائد التي نصّ عليها هذا القانون ولكن كما يبدو انها الحالة الوحيدة التي يستطاع فيها تطبيق قانون العمل اللبناني على الشؤون الزراعية لان جميع القوانين الاخرى تستثني صراحة بنصوصها المهنة الزراعية . وفي الواقع ان المادة ٧ بفقرتها الثانية كانت مبعثاً للامل ان يكون التعاون الزراعي موضوع تشريع خاص بيد ان الفلاح اللبناني ما برح ينتظر عبثاً تحقيق هذا الامل، وانه لمن الظلم والسياسة الخرقاء ان يظل الفلاح بعيداً عن التطور القانوني ، فمن الضرورة على ما يلوح لنا ان تشمل القوانين التي سترى النور في المستقبل الفلاحين كلما كان ذلك مستطاعاً . فاذا بُدئَ مثلاً بوضع ضمان ضد المرض فمن المرغوب فيه ان يشمل هذا الضمان الفلاح ليستفيد منه اما دفع رسم الاكتتابات الشهري فربما كان تنظيمه اشدّ صعوبة لدى الفلاحين مما هو لدى الصناعيين ومع ذلك ليست هذه القضية مستعصية الحل . اذ بالامكان بسهولة ادخال شرط في صك عقد مقاولات وكلاء الملاكين ومستأجري الارض والحولة ينصّ على كيفية دفع هذه الاكتتابات اما العامل الزراعي المحض فيجب ان يزوّد يوماً ما ببطاقة عمل اصلية تكون اساساً لدفع اكتتابات ضمانه ، ولن يكون الضمان ضد المرض مفيداً للفلاح الا اذا كان في متناول يده الاطباء والمستشفيات لكيلا يضطر الى هبوط المدن. ولذلك يقضي الواجب بتعديل المصلحة الصحية وتنظيمها تنظيماً

يسدّ حاجات المنطقة .

وهذا الامر هو من النقاط المهمّة التي ينبغي للقانون ان يتناول تنظيمها الجديد تنظيماً جديًا . اما فيما يختص بمستوى معيشة الفلاح فمن الصعب ان تسن له القوانين بفرض حدّ ادنى للاجر كعامل المصنع لان العامل الزراعي غالباً ما يكون مسكنه ومأكله مؤمناً عند سيده ولو على الاقل لمدة عمله طالت ام قصرت في السنة . اما اجرته فغالباً ما يقبضها عيناً . ويبدو انه من الممكن للتشريع الجديد ان يعزّز تبني اجر هذا العامل نقداً فيستفيد سواء أكان ذلك من حيث حريته ام من حيث استقراره وعلى الاختصاصيين الزراعيين ان يجدوا الوسائل الناجعة في سبيل الوصول الى هذه النتيجة . وحادى القول ان حماية اسرة الفلاح هي اهم نقطة في هذه القضية فلو كان الضمان المرضي منظماً والاجر محتماً فباستطاعة العيلة ان تستفيد فائدة كبرى من هذه الاصلاحات . ويبدو صعباً في الساعة القائمة الراهنة تقرير اجر عيليّ منسّق عن طريق ايجاد صناديق تعويض . والذي يبدو ممكناً كل الامكان هو ان يدخل في عقود مقاولات « الاستنابة عن صاحب الملك — واكتراء الارض - والحول — وتأجير الخدمة » مبدأ نفقات العيلة . ولئن ادخل يوماً الى البلاد ضمان الامومة لكان من المناسب ان يشمل طبقة الفلاحين فيكون عوناً كبيرًا لاب العيلة . اما اذا استحال اقرار هذا الضمان فعلى التنظيم القانوني الجديد ان ينصّ على ان تدفع الدولة او الجمعيات التعاونية مرتبات لطائفة من القابلات ليقمن بعملهنّ في قرى كل قضاء . وعلى كل فان اكثار مستوصفات التطبيب للاعتناء بالامهات والاطفال هو ضرورة حيوية للبلاد .

ومما في الاستطاعة اتيانه في سبيل حماية العيلة بجدوى هو المسكن ، وحسبنا الطواف في القرى لنرى عدم توفر الراحة المنزلية والشرايب الصحية وحالة المنزل الشبيهة بالمساكن القديمة الاولية هذه المنازل التي تعيش فيها عيال الفلاحين وتتكاثر .

وفي سبيل حلّ معضلة منزل الفلاح يجب ان لا ننظر اليه بالنسبة الى وجهة النظر الموضعية بل بالنسبة الى الوجهة الوطنية . وتتطلب هذه المعضلة رؤوس

اموال كبرى وايجاد مشروع واسع منسق غير ان بناء هذه المنازل الريفية لاسهل غالباً من تشييدها في المدن وذلك بالنسبة الى رخصها .

ولقد توصلت بعض البلدان الى نتائج باهرة في هذا الصدد . فلماذا لا ينجح لبنان ايضاً في هذا الباب ؟ ولا بدَّ للتنظيم القانوني الجديد في سبيل اتيانٍ عمل مستوفٍ من ان ينصَّ على ايجاد مدارس زراعية ومزارع مدرسية كما سبق لنا ان اشرنا الى ذلك اذ لا يكفي تعزيز العيال الكثيرة العدد بل علينا ان نزوّد ابناءها بالمعدات لحياة العمل التي ستكون حياتهم وبذلك تكون مساعدتنا مجدية لاسرة الفلاح اساس الازدهار اللبناني الاشد رسوخاً .

ولنرجونَّ ان تهتم الفئات المختارة في البلاد اهتماماً اعظم لمعضلة فلاحي وطنهم . ولئن كان الكثيرون من ابناء المدينة لا يعرفون الجبل الا بالمباهج التي يقدمها لهم في اثناء فصل الاصطياف فهولاء قد احتكُّوا بالفلاحين من دون ان يعلموا ما في حياتهم من صعوبات ومشقات . ويجهلون ايضاً ان ما يبدونه من فخفخة يحمل الفلاح على الاستسلام للاحلام فيعتبر ذاته من منبوذي المجتمع فتتأصل في نفسه الرغبة في هجر كل شيء ليذهب نحو المدينة حيث يظن انه يجد فيها حياة هينة ولا يلاقي غالباً لاستقباله غير البؤس .

وابناء المدن الذين يحملون شهادة البكالوريا او ما يعادلها ، العاجزون عن ايجاد مركز لائق، عليهم ان يفكروا في تحويل انظارهم نحو الارض. اما اذا شئنا ان يظل ابناؤنا اقوياء فمن واجبهم ان يتعلقوا تعلقاً وطيداً بارضهم ، فجدودنا قد كانوا لنا خير عبرة بجلدهم وثبات عملهم وكرامة حياتهم. فعلى الشباب ان لا يفكروا في انهم ينحطّون في حراثة ارضهم .

ولا يؤدي اقفار الارياف من السكان الّا الى الخراب ، لان ازدهار حياة الفلاح هو عنصر لا يستغنى عنه للثروة الوطنية . ففي اليوم الذي ينصرف فيه الشباب بكليته بحماسة الى الارض تصبح المعضلة الاجتماعية التي اوجدتها طائفة الفلاحين اللبنانية في طريق الحل نهائياً .

واننا لنتمنّى على الله ان لا يتأخر ذلك اليوم كثيرًا ولننسق مجهوداتنا لتعجيل حلوله .

بناء جديد في هيكل بعلبك

بقلم الاب رينه موترد اليسوعي

ما فتئت مصلحة الآثار اللبنانية تواصل ابحاثها وتتابع عمل رفع الانقاض المفيد في هيكل بعلبك. فمنذ عهد غير بعيد باشرت اعادة ترميم صُفّة[1] في الجهة الشمالية من ساحة الاضاحي الفسيحة كما ارجعت بناية صغيرة توشك ان تكون مكعبة وذلك في الباحة نفسها. وهذا البناء الصغير متماسك رصف الحجارة وخالٍ من الزخرف وقائم عند قاعدة السلم الكبرى التي كانت تؤدي الى هيكلّ هليوبوليس لجوبيتر وقد سارت بعملها سيرًا حسنًا.

ولا مندوحة عن التصريح بان اعادة ترميم هذا البناء الاخير تفضي الى اعجاب الزائرين المعتادين حتى الان المشهد الفسيح للفناء الطليق الذي ينتهي عند اسفل فرجة الهيكل والاعمدة الستة الجبارة والى لفت نظرهم.

ولئن لوحظت قاعدة بناية كبرى بين هذا البناء الصغير ومدخل الفناء لازدادت الدهشة لانها تحجب بحجمها واجهة الهيكل عن عبدة الاله الذين كانوا يؤمونه.

فكيف نفسّرُ هذا التطبيق الغريب الذي صنعه مهرة العمال المدينين لهم بهيكل بعلبك.

ولقد سنا مفتاح هذا اللغز السيدان بول كولار (Paul Collart) العالم الاثري والاستاذ في جامعتي جنيف ولوزان وبيير كوپل (Pierre Coupel)

---

[1] الصُفّة : موضع مظلل في المسجد واهل الصُفّة كانوا اضياف الاسلام وكانوا يبيتون في مسجد النبي وقد اخذنا هذه الكلمة لترجمة لفظة exèdre الفرنسية ومعناها ردهة المحادثات ذات المقاعد.

المهندس المعماري الاسبق لدى مصلحة الآثار في كتاب رائع دبجه يراعتهما معاً وعنوانه مذبح بعلبك العظيم[1] .

ومما يثير اعجابنا هو صدور اول كتاب حول مذبح بعلبك الكبير سنة ١٩٥١ على حين ان التنقيبات الالمانية قد سبقت هذا التاريخ بخمسين سنة وصدر كتابان يصفان نتائجها ، ولكن عناصر الهندسة البنائية فرد اكتشافها الى ما عقد النيـة عليه السيد هنري سيريج (Henri Seyrig) سنة ١٩٣٠ عندما كان مديراً للآثار فدرس تلك العناصر الاستاذان كولار وكوبل وكان العزم على انتزاع الكنيسة البيزنطية التي حُفظ تصميمها وطرازها تماماً وذلك للبحث تحتها عن بقايا الابنيـة الوثنية التي كانت تحجبها فتبيّن لهم فوراً ان الكنيسة برمّتها المبنية بحجارة ضخمة كانت حجارتها مستعملة في بناء عظيم ما زالت قاعدته واسسه قائمة في موضعها وقد أُخذت منه ، وكان عدد الانقاض الموجودة بعد اعادة الترميم في وضع يخول تجديد هذا البنـاء الذي وصفه الاستاذان كولار وكوبل الان بالمذبح العظيم او « مذبح هليوبوليس — بعلبك البرج » . واسفرت الاعمال التي انجزت على نفقة الحكومة اللبنانية سنة ١٩٣٠ عن ٣٣٦ قطعة مزخرفة وعن زهاء ٣٠٠ قطعة اخرى وجدت كل لوحدها ، فأُخذ مقياس كل حجر من تلك الاحجار الضخمة كما اخذ رسمه وصُوّر تصويراً شمسياً .

ويعرض الكتاب الجديد اولًا لائحة جميع هذه المواد ويقترح مجموعـة (بالرسم فقط) لحجارة الجزء الاعلى من البناء الضخمة ، ما يطلعنا على رسم هذا البناء وعاوه .

وبالاستطاعة تقدير الزخرف وطراز النقوش الناتئة وتحديد تاريخ البناء عن طريق دراسة الاول وبخاصة دراسة طراز النقوش لنحاول بعدئذٍ تعيين الدور

(١) P. Collart et P. Coupel. *L'autel monumental de Baalbek.* (Institut français d'archéologie de Beyrouth. Bibl. arch., LII), VI-154. pp. in-f°, 96 pl. Paris, Geuthner, 1951.

الذي يمثله البناء في اقامة الطقوس الدينية التي كانت تجري في هليوبوليس .

وهذه الطريقة كما يلوح لنا لا يعتورها خطأ فلذلك يسعنا الارتياح كل الارتياح الى ايجاز نتائجها .

ومن المؤكد ان برجاً متراص رصف الحجارة كان يقوم على ارض مستوية التربيع ضلعه من العشرين الى الواحد وعشرين متراً لترتفع طبقاته الخمس في علوها الى الثانية عشر متراً امام سلم هيكل جوبيتر الكبيرة ويحجب كل الواجهة عن الداخل الى المكان المقدس بطريق الباحة المسدسة الاضلاع .

ولقد كان البناء مشيداً بحجارة كبيرة جد الكبر وثقيلة وفق الطريقة التي كانت متبعة باتخاذ الحجارة الضخمة لهيكل جوبيتر وكان ثمة بابان على الواجهتين الشمالية والجنوبية يفتحان من جانب ومن اخر مع سلسلة ادراج انشئت لتأمين السير المزدحم وتسهيله وذلك من الارض الى السطح ومن السطح الى الارض اما السطح فكانت تدعمه عضادة قوية بارزة .

ولم يكن للبناء المتراص الحجارة غير اربعة ابواب قد اشرنا اليها ومنافذ صغيرة مقوس شكلها .

وكان يلطّف منظر البناء الخارجي الشديد الخراشة التغشية بالشبه البرونز (كما يثبت ذلك وجود فرجات ملبّسة بالصفائح المعدنية وآثار رباط من الشبه التي حفظت على الحجارة الضخمة) . اما تيجان رؤوس الاعمدة التي كانت مغشاة بالشبه (برونز) فربما كانت من خشب الارز الذي لا ينال منه الاندثار منالاً وبالاستطاعة ان نزيد على ذلك انه من المحتمل ان يكون الشبه موشّى بالذهب كتيجان اعمدة الاروقة الداخلية وكغيرها من اشياء الامكنة المقدسة الكثيرة في الهياكل السامية.

فايّ مشهد وهّاج لم يتخذ ذلك البرج تحت اشعة شمس بعلبك !

فالصفائح المعدنية قد اندرست منذ اجل بعيد في برتقة ذوي المطامع .

اما النقوش المحفورة بالحجر التي كانت تزين السقوف فوق سلالم البناء الداخلية فما برحت موجودة . والزخرف المصنوع على اشكال هندسية سداسية الاضلاع خاصة واشكال اخرى غيرها وفي وسطها رسوم ازهار واقنعة مسرحية ورسوم وردية بشكل اقواس فهي ذات فائدة علمية .

ومن السهل ان نميّز بدون ريب وجود يد فئتين من الصناع قد اشتغلت بسرعة في آنٍ واحد فنقوش الواجهة الشمالية ذات « الطراز الخشن » هي من صنع العمال المحليين المستقل صنعهم كل الاستقلال عن النماذج الغربية اما نقوش الواجهة الجنوبية فالامر فيها على العكس فهناك فئتان عملتا جنباً لجنب في نحت النقوش البارزة « ذات الطراز المسطح » « وذات النحت الجميل » الذي يظهر فيه تأثير الفن الروماني للقرن الاول بعد المسيح .

ويقيم شغل فئة العمال الاولى البرهان على ان التقاليد السورية قد كان لها نصيبها في المجهود الفني العظيم الذي ندين له بوجود بعلبك ، وفي هذا دحض جديد لنظرية العالم الالماني اد . ڤيغاند (Ed. Weigand) الذي لم يشأ ان يرى في هندسة المكان المقدس وزخرفه الّا اموراً مستعارة من فن الامبراطورية الرومانية .

وما عدا سقوف المذبح العظيم التي نستطيع ان نؤرخ لها عن طريق المقارنة ثمة في بعلبك سقوف حجرية اخرى . فزخرف الفئة المحلية او «الطراز الخشن» قريب جدّ القرب من النقوش الناتئة التي تدلّص[1] قبة الردهة السفلى القائمة تحت ارض الهيكل من الجهة الجنوبية اما تاريخها فيعود الى النصف الاول من القرن الاول المسيحي . اما فنّ صناعة القبب الحجرية الشهيرة التي تتوّج رواق « هيكل باخوس » الداخلي المشيدة حوالي ١٦٠ سنة بعد المسيح فاكثر تقدماً وحداثة من فنّ صناعة سقوف المذبح البرج ، واحدث من فن هذا الصنع ايضاً سقف (الهيكل المستدير) . واستناداً الى النقوش الناتئة نستطيع التأكيد ان المذبح البرج قد بُني في عهد اسرة فلافيان في النصف الثاني للقرن الاول

١) دلّصَ : ليّن وملّس ، والدلِص : اللين البرّاق وماء الذهب .

المسيحي . وقد كان ذلك العهد الزمن الذي انجز فيه القسم الاهم من هيكل جوبيتر العظيم الذي ترتفع واجهته الباذخة ورواقه الداخلي فوق مستوى البلاط بعلو ٣٨ متراً .

فمن تجرّأ اذن على ان يقيم هذا البناء المتراصّ الرصف الذي جئنا على وصفه كحاجب يحجب انظار اولى العبادة ؟ ان لم يكن الكهنة سدنة المكان المقدس وحفظة التقاليد الدينية ؟ اجل انهم هم وحدهم الذين اقاموا هذا البناء امام الهيكل المشيّد على الطراز الروماني حرصاً على طقوس الذبيحة الجوهرية.

ومنذئذٍ يسعنا ان نتخيّل طقسين دينيَّين يقامان في بنايتين في باحة الاضاحي فالمذبح الصغير القريب من الهيكل الذي اعادت انشاءه مصلحة الآثار وهو على « شكل برج ايضاً » من المحتمل انه كان مذبح الاضاحي الكبرى التي كان يقرّبها الكهنة. اما المذبح الكبير فقد كان مخصّصاً لاحتفال ديني اشد بساطة يأتيه بنفسه المؤمن الذي كان يقدّم قربانه من البخور والعسل وربما من الطيور وصغار ذوات الاربع .

والجماهير في روحتهم وجيئتهم المتواترتين وهي تحمل قرابينها قد ابلت درجات السُلَّم لانها كانت تقوم (بالقربان على السطوح) اعني على الابراج والمصطبات. وعلى ما يبدو ان القربان على السطوح كان رائجاً في جميع الشرق القديم اذ كانت الفكرة الاولى للقيام بالعبادة ترى من المناسب ان يرقى المرء جبلاً او برجاً .

ومن رأي الاستاذ ر. ديسو (R. Dussaud) ان الشعار الديني الذي جاءت على وصفه قصيدة رأس شمرا في القرن السادس عشر قبل المسيح عندما ذكرت تقريبات الملك قريت قد انتشر في لبنان . ويفكر الاستاذان كولار وكوبل في ان هذه الطقوس الدينية كانت تجري ايضاً على برج « فقره » (Faqra) قرب فاريا ، فهل نشاطر هؤلاء المؤلفين الرأي في ان القربان على البرج كان (قرباناً مشتركاً) ؟ اننا لنحجم متردّدين عن الاخذ بمثل رأيهم لانــه

صعب كل الصعوبة حمل لحم الاضاحي المذبوحة من المذبح الصغير الى قمة البرج. اما المصطبة فكانت ضيقة كل الضيق لتستوعب مأدبة الاديان الشرقية المقدسة .

وبمناسبة ظهور البناية الجديدة لا بد من ان تعترضنا مشكلات عدة ! فكيف السبيل اذن لتعليل وجود رسم ديني واحد مرات كثيرة بين النقوش الناتئة كقضيب عطارد مثلاً ؟ وهذا القضيب نفسه يظهر كما تعلم في مخالب النسر الذي يزين السقف المزخرف فوق باب « هيكل باخوس » حيث كان يجري بخاصة تكريم الاله عطارد — ادونيس .

فهل نعتبر الاله ابن ثالوث هليوبوليس الاله الاكبر الموحد الذات مع هرمس — عطارد هادياً ومُدخلاً لذوي العبادة الصاعدين للتضحية على البرج ؟

وان كتاب الاستاذين كولار وكوبل ليثير التفكير في امور عدة فهو يوضح بخاصة اهمية العبادة التقليدية والكهنة الوثنيين الذين اصرّوا على ان يقوم امام الهيكل الجبار الذي بنته جوالي بيروت وهليوبوليس الرومانيتين على الطراز الغربي برج المذبح المتراصّ الذي يبيّن تصميمه ومركزه وتغشيته بالشبه « البرونز » وقسم من نقوشه فنون الشرق القديم .

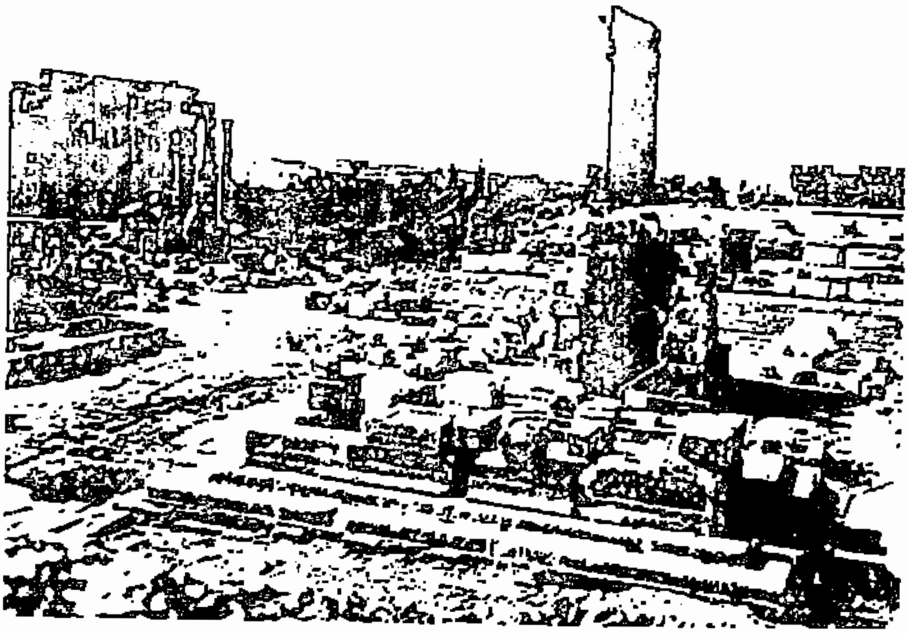

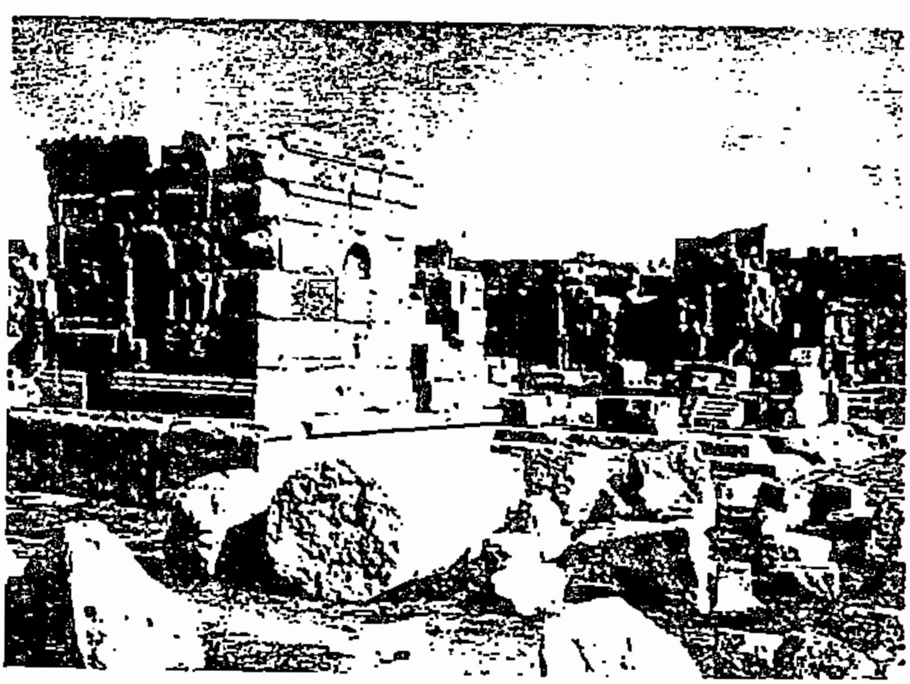

مذابح هيكل بعلبك : ١ ــ قاعدة المذبح العظيم بشكل برج . ويأتي في الدرجة الثانية المذبح الصغير وقد رؤي من جهة الشرق والدرج الكبيرة الصاعدة الى الهيكل
٢ ــ المذبح الصغير وقد رؤيَ من الجنوب الشرقي .

لوحة ٢

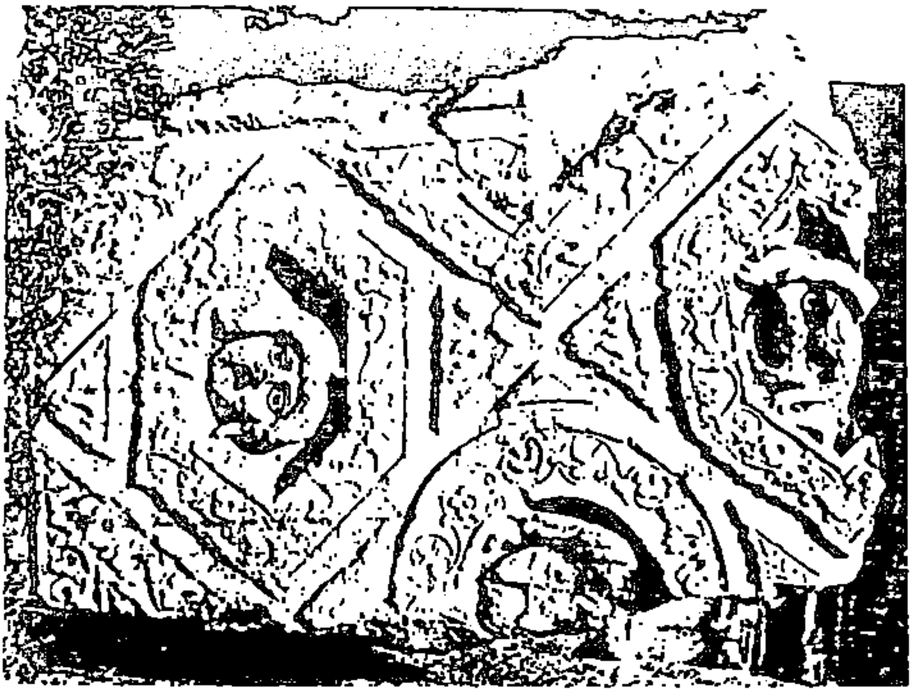

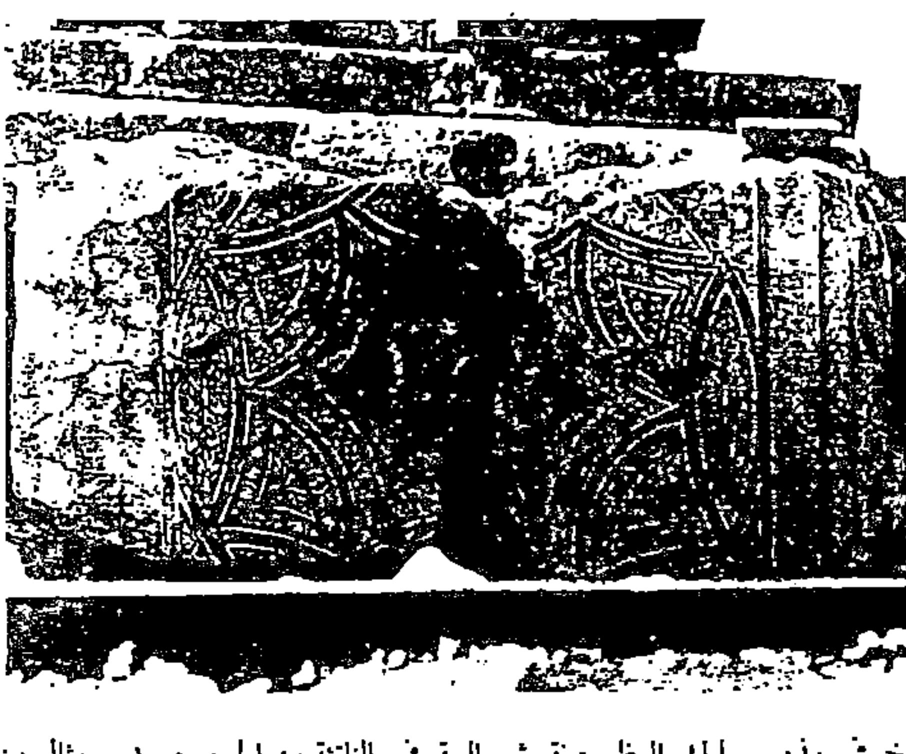

زخرف مذبح بعلبك العظيم « نقوش السقوف الناتئة من الحجر » ١ — مثال من « الطراز الخشن » ٢ — مثال من « الطراز المسطح » والطراز الجميل الخليط .

من شعراء القرى

أميّة بن ابي الصلت الثقفيّ

÷ - ٦٢٤ م ؟

بقلم بطرس البستاني

الطائف وبنو ثقيف

ليس في شعر أميّة واخباره المتفرقة ما يلقي نورًا على ولادته ونشأته . وانما نعلم أنه من اهل الطائف من بني ثقيف ؛ وانه حذق القراءة، واطلع على الكتب الدينية عند النصارى واليهود . والطائف بلدة في الحجاز على مسيرة يوم واحد للطالع من مكة الى جنوبها الشرقي ، في بطن جبل مجاور لليمن ، يقال له غزوان ، شمالية يجمد فيها الماء ، وليس مكان غيرها بالحجاز يجمد الماء فيه . ولما سور حصين يردّ الغزاة عنها ، سمّي الطائف لطوافه بها ، فحملت اسمه بدلًا من وَجّ اسمها القديم .

وكان معظم سكانها من بني ثقيف ، قبيلة يختلف النسّابون في أصلها ، فيرفعها بعضهم الى مضر وغيرهم الى إياد . وينكر آخرون نسبتها في العدنانية ، فيجعلونها من بقية ثمود من العرب البائدة . والاقوال في ذلك كثيرة متضاربة ، متأثرة على الغالب بعوامل دينية وسياسية لما عُرف عن هذه القبيلة من أخبار في الجاهلية والاسلام لا تتلاءم وشواعر المسلمين . فهم يروون ان صاحب الفيل أبرهة الحبشي ، عندما بلغ الطائف بجيشه يريد الكعبة ليهدمها ، خاف بنو ثقيف على ربّتهم اللّات ، فصرفوه عنها بالحسنى ، وبعثوا معه رجلًا منهم يدعى أبا رِغال ليدله على مكة ، فمات هذا الرجل في الطريق . قيل مرّ النبي بقبره ، فامر برجمه فرجمته العرب ، فكان ذلك سنة في الاسلام[1] ! ولم تكن ثقيف أقل غلظة على محمد من قريش ، فانه ذهب بعد موت عمه ابي طالب الى

(١) الاغاني : ٤ – ٣٠٢

الطائف يلتمس النصرة منهم . فاغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، فاخذوا يسبّونه ويصيحون به حتى اخرجوه من بينهم . ولبثت ثقيف محالفة لقريش ، تقاوم الاسلام ولا ترضى ان تنزل عن دينها ، وتأسف كما يأسف القرشيون ألّا يكون قد نُزِّلَ القرآن على رجل من القريتين عظيم . ويريدون به الوليد بن المغيرة بمكة ، او عروة بن مسعود الثقفي بالطائف . وهي الى ذلك ممتنعة بحصونها لا ينال الحصار منها ، فلم تُسلِم الا في السنة التاسعة للهجرة بعدما فُتحت مكة واسلم من حولها العرب ، فخافت ان يتألبوا عليها ، فآثرت ان تنتحل الدين الجديد ، ولكنها اشترطت على النبي ألّا تحطم اربابها بأيديها .

وعرفت ثقيف بالذكاء والدهاء ومضاء العزم وجرأة النفس وانطلاقها . واخرجت للعرب طائفة من رجال الفكر والادب والسياسة ، فمنهم شاعرنا أُمية ، والحارث بن كلدة طبيب العرب ، والمغيرة بن شعبة ، وزياد ابن ابيه ، وهو من الطائف ثقفي النشأة والروح ، ان لم يكن ثقفي النسب ، وابنه عُبيد الله ، والمختار بن عُبيد صاحب الدعوة والثورة ، والحجاج بن يوسف ، وابو محجن الشاعر السكير الماجن . وفيهم اربعة من كبار رجال الدولة الاموية ناهضوا اهل البيت النبوي ، واخلصوا الخدمة للعرش السوري ، وأيدوه بسيفهم ولسانهم . فالمغيرة هو الذي اشار على معاوية بان يجعل يزيد وليًا لعهده ، وزياد انشق عن حزب علي بعدما استلحقه معاوية ، وانضمَّ اليه فساق له العرب بعصاه . وعبيد الله قاتل الحسين بن علي في كربلاء ، والحجاج بن يوسف هادم الكعبة بالمنجنيق ، وقاتل عبد الله بن الزبير ، يجور على اهل البيت ، ويختم ايدي جماعة من الصحابة بالرصاص ، ويوطئ المنابر للامويين بعد نبوِّها عنهم . فغير عجيب ان تكون ثقيف عرضة لسخط السياسة الهاشمية من علويّة وعباسيّة ، فتقضي باتهام ابنائها ، والطعن فيهم لتشويههم والتنقص منهم .

وكان امية بن ابي الصلت من اشد قومه اذىً للاسلام ، في زمن النبوة ، فقد حالف قريشًا وحرضهم بشعره على المسلمين ، ورثى قتلاهم في موقعة بدر :

ماذا ببدرٍ والعقنقلِ من مَرازبةٍ جَحاجِحْ

ولم يقف عمله عند هذا الحد بل طمع في النبوة يريدها لنفسه ، وينكرها

على الرسول ، فكان يقول قبل موته : انا اعلم ان الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد[1]

فاجتماع هذه السيئات لبني ثقيف ، لا جرم ، يثير الحفيظة في صدور المسلمين الاول ، ولا سيا الهاشميين ، ويجعل للروايات والاحاديث مجالا يختلط فيه الصحيح بالموضوع . فقد روى الزُهري حديثاً للنبي يقول فيه : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يحب ثقيفا ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يبغض الانصار .»[2] وزعموا ان قسيّ بن مُنبّه جد الثقفيين الاعلى هو من بقية ثمود ، وانه كان عبداً لرجل يقال له ابو رِغال او كان ابو رِغال والده . وقالوا ايضاً ان ابا رِغالٍ كان ملكاً بالطائف يظلم رعيته ، فاغتصب يوماً عنزة لامرأة تُرضع ابنها اليتيم بلبنها ، فمات الطفل جوعاً . ورمى الله ابا رغال بقارعة الطريق فاهلكه ، فرجمت قبره العرب . وهناك رواية ، كما قدّمنا ، تجعل ابا رغال دليل صاحب الفيل الى مكة ، وقد رجم قبره لذلك ، وهذا أحدث زمناً من الاول فلا يصح ان يكون الجد الأعلى لثقيف .

فالروايات ، كما يتبيّن ، مختلفة الوجوه ترمي في اكثرها الى التنقص من الثقفيين وتشويه نسبهم ، بادية النقمة عليهم ، لا تهدي الباحث الى نتيجة يمكن الاطمئنان اليها . ويرى الأب لامنس ان العلويين والعباسيين وضعوها على الثقفيين كرهاً بزياد وعبيد الله والحجاج وسواهم من اهل الطائف الذين حازبوا الامويين ونصبوا للسياسة الهاشمية. وهو ، الى ذلك ، يزعم ان قبر ابي رغال حرَم معبود أزرى به الاسلام ، ولم يكن رجمه في الجاهلية للتحقير بل للتعظيم شأن رمي الجمار في منى ، وشأن لحودهم تحمل فوقها الحجارة قبل ان يعرفوا بناء القبور . ولكن اذا عدنا الى شعر امية بن ابي الصلت ، نجده في مجمهرته يفتخر بان قومه هم الذين قتلوا العبد ابا رغالٍ :

وهم قتلوا السبي أبا رغـالٍ بنخلةَ حين إذ وسَق الوطينا[3]

---

١) الاغاني : ٤ - ١٢١

٢) الاغاني ٤ - ٣٠٧

٣) الوطين : حزام الراحلة : يقال : وسق الوطين ، كناية عن الجمع للغزو .

وواضح انه يشير هنا الى دليل ابرعة لينفي التهمة عن قبيلته، ويخرج هذا الرجل الرجيم منها . وهو في تلك القصيدة كما في غيرها ، يرفع نسب ثقيف الى إياد لا الى مضر ، وكلتاهما نزارية عدنانية .

دينه امية

يتفق الرواة على ان امية لبس المسوح تحنثاً ، واعتزل عبادة الاوثان، وآمن بالآله الواحد ، منتحلاً دين الحنيفة ، وفي ذلك يقول :

كلُّ دينٍ يومَ القيامةِ عند — الله ، إلّا دينَ الحنيفة ، زُور

والمفهوم من الكتب العربية القديمة ان الحنيفية هي ملّة ابراهيم ، على بساطة التوحيد قبل نزول الشرائع ، اي انها ليست اليهودية ولا المسيحية . غير ان المستشرقين الذين عُنوا بتقصّي آثار هذه الجماعة أثبتوا انها فرقة متنصرة دخلت عليها عقائد غريبة عن النصرانية . وكذلك الاب لويس شيخو دلّ على مسيحيتها بشواهد من الشعر الجاهلي ، وبما جاء في التواريخ الركينة كسيرة ابن هشام عن تنصر بعض المتحنفين امثال ورقة بن نوفل ابن عم خديجة زوج الرسول [1] .

والظاهر ان مكة كانت آهلة بطائفة من هؤلاء المتحنثين من قريش . ويزعم الرواة ان عبد المطلب اول من أدخل الحنيفية الى مكة ، فكان اذا اهلّ رمضان ، صعد الى جبل حِراء يطعم المساكين ويرفع من مائدته للطير والوحوش الى رؤوس الجبال . وهذه عادة مسيحية تنبّه لها المستشرق كليمان هيوار في كتابه « تاريخ العرب » .

ويعلم من يطّلع على اخبار مكة والطائف ما بين البلدين من علاقات اقتصادية ودينية ، ومصاهرات ومحالفات . فقد كانت تجارة مكة رائجة في سوق الطائف ، وفواكه الطائف تحمل الى مكة وتباع فيها . والموسرون من قريش يتخذون الطائف مصيفاً لهم ، ويملكون فيها البيوت والمزارع . وهم يعظمون اللات ربّة ثقيف ، كما يعظّم الثقفيون انصاب الكعبة واصنامها .

١) الاب شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١١٨ — ١١٩

وأفضت العلاقات بينهم الى ان يتصاهروا ويتحالفوا . فرأى القرشيون من بني ثقيف اعواناً لهم على المسلمين . فكان من الطبيعي ان تدخل الحنيفية الى الطائف ، فينتحلها قومٌ من ثقيف اسوة بانسبائهم وحلفائهم ، ويكونَ أمية ابن أبي الصلت بعض منتحليها ، وهو شاعر على شيءٍ من العلم شأن كثير من ابناء الطائف ومكة ، قرأ الكتب الدينية ، واطلع على ما خلص اليه من العقائد اليهودية المسيحية . وكان يختلف الى مكة متصلاً بالقرشيين ، وامه قرشية من عبد شمس ، فغير عجيب ان يتأثر بتحنفيهم فيسلك طريقتهم في التحنث ولبس المسوح . وقد يصحب تجارهم الى سورية ، فيزور معهم الاديار والكنائس ، ويخالط الرهبان فيأخذ عنهم ، مما يدل على ما في نفسه من تورع عن الشرك ، وميل الى التنصر وعبادة الله وحده . وقيل انه حرَّم الخمرة على نفسه ، مع انهم يروون انه شربها قبل موته ، فاذا صحَّ هذا التحريم ، فيمكن حمله على محمل الزهد وترك الملذات ، او هو من العناصر الغريبة التي حضنتها الحنيفية المتنصرة . وفي شعر امية بينات واضحة على نصرانيته لا يصح معها ان تعتبر الحنيفية مقصورة على ملة ابراهيم قبل نزول الشرائع ، وان تكن مسيحيتها غير خالصة من شوائب البدع التي تفشّت في جوانب جزيرة العرب ، تمازجها العقائد اليهودية ممازجة قوية ، كنصرانية الاحباش ، وكان منهم في مكة طائفة كبيرة ، تجار وعبيد . فهي ، على ذلك ، شديدة التعلق بالكتاب المقدّس في عهده القديم ، تكثر من الالتفات اليه ، والتحدث عنه . ولا تخلو من اثر التقاليد التلمودية ، يظهرها شعر امية في وصف السماء والملائكة، وسوق الهالكين الى النار وهم ينادون بالويل والثبور :

وسيق المجرمون ، وهم عراةٌ ، الى ذات المقامع والنكالِ
فنادوا : ويلنا ويلاً طويلاً ! وعجُّوا في سلاسلها الطوالِ

وله عدة قصائد مستوحاة من التوراة والتقاليد العبرية في الكلام على الخليقة ، والطوفان ، وخراب سدوم ، وطاعة ابراهيم لربه ، يوم عزم على التضحية باسحق حتى فداه الله بذبح عظيم :

بينا يخلعُ السرابيل عنهُ ، فكّهُ ربُّهُ بكبشٍ جُلالِ

ولكنه يخالط قصة الطوفان بعقائد غريبة عن التوراة تزعم انه كان ينطق يومئذ كل شيء ، وان الديك كان نديماً للغراب ، فشربا مرة عند خمّار وليس معهما مال، فرهن الغراب الديك وذهب ليأتي بالثمن، فخان صاحبه ولم يرجع، فبقي الديك محبوساً :

بآبةٍ قام ينطقُ كلُّ شيءٍ ، وخان امانةَ الديكِ الغُرابُ

على ان الحنيفية لا تغفل العهد الجديد ، ولعل الحث ، في تركيبها على القديم ، وامية في شعره يعطينا الشواهد على يهوديتها المتنصرة ، فنسمعه يذكر الحيوانات المحيطة بالعرش الالهي ، فاذا هو مردد ما جاء في رؤيا يوحنا :

زحل وثور تحت رجل يمينه ، والنسر للأخرى، وليثٌ مرصَدُ

وورد ذكر المسيح عنده مراراً ، منها قوله في رجعته :

أيامَ يلقى نصاراهمْ مسيحَهُمُ ، والكائنينَ له وُدًّا وقُربانا

وقوله في انتصاره على المسيح الدجال :

إذِ المسيحُ يقتل المسيحا

وروى له الأب شيخو[1] قصيدة عن كتاب البدء للمقدسي تكلم فيها على ميلاد الخاص ، ويسميه عيسى بن مريم :

وفي دينكُمْ من ربِّ مريمَ آيةٌ منبئةٌ بالعبدِ عيسى بنِ مريمِ

ولا يخفى ان لفظة العبد تقال للمسيح مستنكرة عند النصارى . ولا تدل على مسيحية صافية. وكذلك اورد في القصيدة نفسها اخباراً عن الطفل الالهي وامه العذراء، لا تثبتها الاناجيل الصحاح ، فردها الاب شيخو الى الاناجيل المنحولة ، كقوله ان يسوع تكلم في المهد تبرئة لامه عندما عرف ذووها بانها حامل فأوسعوها لوماً :

وقال لها مَن حولها : جئتِ منكَرًا ، فحقٌّ بأن تُلحَيْ عليه وتُرجمي
فأدركَها من ربِّها ثمَّ رحمةٌ بصدقِ حديثٍ من نبيٍّ مُكلِّمِ
فقال لها : إنّي من الله آيةٌ ، وعلّمني ، والله خيرُ معلّمِ

---

[1]) الاب شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١٨٧

وأرسلتُ ، لم أُرسَل غويًّا، ولم اكن شقيًّا ، ولم أُمسْ بفحشٍ ومأثمِ

ويوسعنا ان نضيف هذه الابيات الى شاعر في الاسلام ، لانها تتفق وما جاء في القرآن عن ميلاد عيسى وتكلمه في المهد ، وفيها من الالفاظ والتعابير ما يُشعر انه مأخوذ من سورة مريم . هذا ، ونحن لا نستطيع ان نقبل شعر أمية جملة دون ان يساورنا الشك في بعضه ، فهناك قصائد تروى له ولغيره ، وقصائد عباسية اللغة ، قوية الروح الاسلامية . فمن المعقول ان يكون قد وضع عليه شعر ليس له يد فيه ، كما وضع على غيره من شعراء الجاهلية ، خصوصاً ان الرواة صرفوا معظم عنايتهم الى التحدث عن حياته الدينية ، جاعلين لها صلة ببعث الرسول العربي ؛ فلا يستغرب ان ينحلوه شعرًا دينيًا مستوحى من القرآن ، كما نحلوه قصيدة في مدح النبي ، ضعيفة التركيب ، بيّنة التوليد ، وزعموا انه اراد ان يسلم ، فمنعته قريش ، شأنها مع الاعشى ، وذكّرته قتلى بدر ، وفيهم عُتبة وشَيبة ابنا خاله ربيعة بن عبد شمس ، فترك الاسلام ، وجدع انف ناقته ، وشق ثوبه وبكى ، ورثاهم بقصيدته المشهورة .

على ان امية مع تعبده وتنسكه واطمئنانه الى دين الحنيفة ، لم يلبث ان غلب عليه جوّ زمانه ، فحمله مثلما حمل غيره من معاصريه الكهان على الطمع في النبوة ، إلّا ان سعيه خاب ، وعادت صفقته خاسرة .

نبوة

يستوقف الباحث في تاريخ الجاهلية ما يلقى من اسماء عشرات الكهان والعرافين ، وما يقرأ عنهم من الاساطير والخرافات ، حتى ليجد من نفسه رغبة ملحّة في اجتلاء هذه الظاهرة الروحانية خلال المادّية الغالبة ، في عصر يعدّ ابناءه للانتقال من الشرك الى التوحيد . ومعظم هؤلاء الكهان يسكنون المدن والقرى المعمورة حيث ترتكز العقائد الدينية ، بخلاف ما هي عند البدو المترحلين . وكان العرب يعتقدون ان لكل كاهن رئيًا من الجن يسترق له احداث المستقبل من كلام الملائكة ، فيلقيها في اذنه ؛ وجاء في القرآن ما يُشعر بتصديق هذه العقيدة فانتقلت الى المسلمين ، وهي تشبه ما تقول به

الكنيسة من ان الارواح الشريرة بوسعها ان تقف على شيء من المستقبل فتوحي به الى بعض الاشخاص .

والبلاد الشرقية هي اخصب الاقطار لظهور الكهانة وانتشارها ، ذلك بانها موطن الانبياء ومهد الاديان ، فطبيعي ان يصبح في ابنائها تشوّف الى الرجم بالغيب ، واستطلاع خبايا المستقبل . وطبيعي ايضاً ان يكثر الكهان في جزيرة العرب، او على اطرافها ، وهي محاطة بشعوب عرفت عندها الكهانة منذ العصور القديمة كالبابليين والكلدانيين والمصريين وسواهم . اضف الى ذلك ما في الجزيرة من اليهود والنصارى ، وما كان لهم من يد في نشر الكهانة ، وتوجيه الانظار الى النبوّة . فالتواريخ الاسلامية القديمة تكثر من التحدث بنبوات رهبان النصارى واحبار اليهود عن البعث المنتظر . وكان يرجعون بذلك الى كتب عندهم ، عرف منها في القرن الاول للهجرة كتب دانيال وكتب الملاحم وسواها . فاليهود ينتظرون مجيء المسيح المخلص ، ويبثون هذه الفكرة فيمن جاورهم من العرب . والمسيحيون يقولون برجعته قبل الدينونة . وهؤلاء واولئك هم اهل الكتاب ، عندهم من العلم ما ليس عند غيرهم . فلا بدع ان يكون لاقوالهم تأثير في نفوس العرب الذين خالطوهم في الشام والعراق والحجاز واليمن ، فيكثر الكهان بينهم ، ويقوم فيهم من يطلب النبوة ، كما اثرت من بعد في العصور الاسلامية فاوجدت فكرة المهدي الذي يأتي ليطهر الارض ويملأها عدلاً بعد ما ملئت جوراً وفساداً . يدل على ذلك انه ما كاد محمد يظهر رسالته ويدعو العرب الى ترك الاوثان وعبادة الاله الواحد ، حتى قام عدة اشخاص يدّعون النبوة طمعاً فيها او حسداً كمسيلمة الكذاب باليمامة ، والاسود العنسي في صنعاء ، وسجاح بنت الحارث التميمية بين النبرعن ، وهذه تنبأت بعد موت الرسول . وظهر قبل بعثه رجل من بني عبس يقال له صفوان بن خالد كان على منهج الملة الحنيفية ، فدعا الناس الى التوحيد ، فآمن بعض العرب بنبوته ، قيل ان ابنته جاءت الى محمد ، فسمعته يقرأ : قل هو الله احد . فقالت : قد كان ابي يقرأ هذا .

فالشعب العربي مضطرب بين الشرك والتوحيد ، تتمشى في وثنيته عقائد

مسيحية مبتدعة وغير مبتدعة ، وعقائد يهودية خالصة او غير خالصة ، فيأخذها كلها أخذاً قوياً يختلط بعضه ببعض ، فاذا هو حائر متردد في عبادته ، يذكر الله ويريق الدم على الانصاب ، ويجل اللات والعزى ومناة ، الغرانيق العلى ، بنات الله الشفيعات . ويستسلم الى القدر واحكامه فيقع في الدهرية لغموض مصير النفس عليه . ويلجأ الى الكهان والعرافين مستكشفاً عندهم عن اسرار الغيب . وكأن امية بن ابي الصلت قد عبّر عن نفسية هذا الشعب بقوله :

الا نبيٌّ لنا منّا فيُخبرَنا ما بعدَ غايتنا من رأسِ مَحيانا

ولعله كان يفكر ويتنذ في نفسه فيتمنى بعث نبي من العرب يخرجهم من حيرتهم ، ويطلعهم على مصير النفس بعد الحياة . وقد يكون هذا البيت مصنوعاً لان سائر شعره ، على ما فيه من ذكر الانبياء ، لا ينطق بتشوفه الى النبوة. فلربما وضعه الرواة ليدلوا به على حاجة الناس في ذلك الزمن الى رسول يهديهم ، ثم ليؤيدوا ما تناقلوا عن امية من اخبار تنبئه . فهم ينكرون عليه النبوة اصلاً، ولكنهم يضيفون اليه الخوارق، ويعدّونه في طبقة الكهان الذين لهم رئيّ من الجن يوحي اليهم . ويتنبأ كأكثرهم عن البعثة ، ويشارك في التبشير بها ، راجياً ان تكون له لا لغيره . وقد عني الزهريّ بنقل هذه الاخبار عنه ، وهو من الائمة الذين اشتغلوا بتدوين الحديث في خلافة عمر بن عبد العزيز . روى ان امية كان له رئيّ من الجن يتبعه ويوحي اليه . فخرج مرة في سفر ، فرُفعت له كنيسة ، فانتهى اليها ، فاذا شيخ جالس ، فقال لامية حين رآه : انك لمتبوع ، فمن اين يأتيك رئيك ؟ قال : من شقّي الايسر . قال : فأي الثياب أحب اليك ان يلقاك فيها ؟ قال : السواد . قال: كدت تكون نبيّ العرب ولست به . هذا خاطر من الجن وليس بملك . وان نبي العرب صاحب هذا الامر يأتيه من شقه الايمن ، واحب الثياب ان يلقاه فيها البياض .

وروى ايضاً ان امية اتى ابا بكر فقال : يا ابا بكر عمي الخبر . فهل احسست شيئاً ؟ قال : لا والله . قال : وجدته يخرج العام .

ويحدثنا صاحب الاغاني عن الحرمي ان امية علم ببعثة الرسول من راهب

في الشام . وكان فيها ومعه جماعة من العرب ومن قريش . فمر بكنيسة فدخلها ثم خرج ومضى . ثم عاد اليها ثانية وخرج منها بأسوإ حال . فسأله ابو سفيان بن حرب عن امره . فقال : ان هاهنا راهباً عالمًا أخبرني انه بعد عيسى ، عليه السلام ، ست رجفات، وانا اطمع في النبوة واخاف ان تخطئني. فلما رجعت ثانياً قال لي : قد كانت الرجفة ، وقد بُعث نبي من العرب . فيئست من النبوة ، فاصابني ما رأيت اذ فاتني ما كنت اطمع فيه .

وهكذا كان امية كلما مر بكنيسة يعلمه راهبها ان النبوة لغيره ، فيبوء بالخيبة واليأس . ومع ذلك نجد من الرواة محاولة جميلة لاعطائه اياها يتولى تقديمها اليه ملكان بصورة الطير ، فلا يقبلها منهما لانه ليس هو المعدّ لها . اخبرنا الزهري ان امية دخل يوماً على اخته ، وهي تهيئ أدَماً لها . فادركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت . واذا بجانب من السقف قد انشق ، وطائرين قد وقع احدهما على صدره ، ووقف الاخر مكانه . فشق الواقع صدره ، فاخرج قلبه فشقه . فقال الطائر الآخر : اوعى ؟ (اي أحفظ ما ما القي اليه ؟) قال : وعى . قال : أقبِل ؟ قال : أبى . فرد عليه قلبه. ثم عاود التجربة الجراحية مرتين أخريين . وفي كل مرة يعي ولا يقبل ، ويتبعهما طرفه ويقول :

لبَّيكُما لبَّيكُما ها انذا لديكما !

فلما يئسا من قبوله بعد ثلاث تركاه ، وانطبق السقف ، وجلس امية يمسح صدره ، ويشكو حرًا فيه . وهذه القصة فيها شبه بما يرويه ابن اسحق من ان ملكين بصورة رجلين بثياب بيض ، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجاً جاءا النبي محمدًا وهو غلام ، فشقا بطنه ، واستخرجا قلبه ، فشقاه وطرحا منه علقة سوداء ، ثم غسلاه بالثلج حتى انقياه .

ويضيفون الى امية من الخوارق ما يُضاف الى سليمان، وهو معرفته بلسان الحيوان والطير ، فيذكرون انه كان ذات يوم جالساً مع قوم ، فمرت بهم غنم ، فثغت شاة ، فقال للقوم : هل تدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا . قال : انها قالت لسخلتها : مرّي لا يجئ الذئب فيأكلك كما اكل اختك عام

اول في هذا الموضع . فقام بعضهم الى الراعي فقال له : اخبرني عن هذه الشاة التي ثغت ، ألها سخلة ؟ قال : نعم ، هذه سخلتها . قال : اكانت لها عام اول سخلة ؟ قال : نعم ، واكالها الذئب في هذا الموضع .

ورووا انه بينا كان يشرب مع اخوان له في قصر غيلان بالطائف ، اذ سقط غراب على شرفة ، فنعب نعبة ، فزجره أمية . فقال اصحابه : ما يقول ؟ قال : يقول انك اذا شربت الكأس التي بيدك مت . ثم نعب الغراب نعبة اخرى ، فعاد امية الى زجره . فسأله اصحابه عن الخبر ، فقال: زعم انه يقع على المزبلة ، اسفل القصر ، فيستثير عظماً فيشجى به فيموت . ثم وقع الغراب على المزبلة ، فأثار العظم ، فشجي به فمات . فانكسر أمية ، ووضع الكأس من يده ، وتغير لونه . فقال له اصحابه : ما اكثر ما سمعنا بهذا وكان باطلًا . وما زالوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال الى جنبه واغمي عليه . ثم افاق فقال : لا بريء فاعتذر ، ولا قويّ فانتصر ، واسلم الروح.

وكأن الرواة ارادوا بهذا المتاف الأليم، يخرجه الشاعر في ساعته الاخيرة، ان يظهروه بمظهر النادم الخائف ، معترفاً بذنبه وضعفه بعدما طمع في النبوة ، وقاوم لاجلها الاسلام . فقوله هذا بمثابة تكذيب لادعائه ما ليس له .

على ان هناك رواية اخرى تقول انه مرض قبل موته ، فجعل يقول : قد دنا اجلي ، وهذه المرضة منيتي ، وانا اعلم ان الحنيفية حق ، ولكن الشك يداخلني في محمد . ثم اخذ يستغفر ربه فيقول : لا بريء فاعتذر ، ولا قويّ فانتصر ، وينشد اشعارًا في ذلك منها قوله :

ان تغفرِ اللّهمَّ تغفر جمّاً وأيّ عبدٍ لك لا ألمّا

الى ان قضى نحبه وهو على اشد ما يكون من الخوف والندامة .

مراجع البحث

ابو الفرج الاصفهاني : الاغاني ٣ – ٤ – ٨

الجاحظ : الحيوان ٣ – ٤ – ٧

ابو زيد القرشي : جمهرة اشعار العرب

ابن قتيبة : الشعر والشعراء

ابن سلام : طبقات الشعراء

البحتري : الحماسة

ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢ – ٣

ياقوت : معجم البلدان

ابن هشام : السيرة النبوية

البغدادي : خزانة الادب ١

الاب لويس شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

« « « : شعراء النصرانية

فان فلوتن : السيادة العربية (ترجمة حسن ابراهيم حسن ومحمد زكي ابراهيم – مصر)

H. Lammens : *L'Islam*. Imprimerie Catholique. Beyrouth, 1941.

H. Lammens : *L'Arabie Occidentale avant l'Hégire*. Imprimerie Catholique. Beyrouth, 1928.

H. Lammens : *Études sur le siècle des Omayyades*. Imprimerie Catholique. Beyrouth, 1930.

G. Contenau *La Divination chez les Assyriens et les Babyloniens*. Payot. Paris, 1940.

A. Cohen : *Le Talmud*. Payot, Paris, 1933.

Cl. Huart : *Histoire des Arabes*. Geuthner. Paris, 1912.

الأميرة هيفآء والامير فخر الدين الكبير

رواية لبنانية تاريخية ادبية

بقلم

الاب مبارك ثابت اللبناني

رئيس دير المخلص في البرامية

تصدير

نقدم لابناء الضاد الكرام هذه الرواية الطريفة اللطيفة التي دبّجها يراعُ كاتبٍ عبقريٍ خدم الدين والعلم والوطن بلسانهِ وقلمهِ طيلة نصف قرنٍ ، بما نظم ونثر ونقّح وهذّب وعرّب وصنّف من مباحث وروايات وكتب ومقالات يترقرق فيها ماء الطبع ويرتفع لها حجاب القلب والسمع ، هو الاب مبارك ثابت الذي يرشّ قلمه الخصاب ندى فرائد الفوائد الدينية والوطنية والعلمية والتاريخية ، جائلاً في جميع الميادين الادبية ونائلاً أولى جوائز المباريات القلمية ، يسقي ذلك القلم من محبرة الدير ويجريهِ على الطروس ، فيخطُّ بياناً وسحرًا لاعباً بالعقول وبالنفوس : « لعب المدامة بالتريف الشارب ».

وما فتئَ هذا القلم الجمُّ المحاسن البعيد عن المطاعن الذي سوّد في الحرب الكبرى الماضية اكداساً من الورق ، ناضرًا فتيًا بالرغم من شيخوخته يمشي على سجيّته لا يزلُّ ولا يكبو ولا يفلُّ ولا ينبو ولا يرتخي ولا يسهو ولا ينالهُ كلل او فتور ، ولا تحول دون اضطراده عقباتٌ او حؤول ، يتدفّق من انبوبهِ معينُ الآداب الصافية تدفّقَ سلسبيل رقراق على جنّاتٍ خضراء ، فيضحكُ الزَّهرُ مفترًا عن الدررِ .

وطالما عشق هذا القلمِ لبنان فتغنّى بمحاسنه ومفاتنه وعظائمه ومفاخره في

صحافة الوطن والمهجر ، مصوّراً ابدع تصوير مطلع فجره وسحر شروق شمسه وغروبها ومصابيح قره ونجومه ، وطيب مائه وهوائه وصفاء سمائه وجمال ارزه وكل مناظره ، يبسطها امام عينيك بحقيقتها وروعتها ، عاقداً في كل ذلك وبي فصول لبنان الاربعة ، الفصول الطرائف الظرائف ، ومنشئاً من الروايات الادبية الاخلاقية الوطنية ما يصحُّ ان يقال فيها انها بدائع وروائع بما خلع عليها من رشاقة العبارة وجودة المعنى وجمال الوصف ودقّة التصوير وكساها من ثوب موشّى بالنضار يسترعي الابصار ويستهوي الافكار .

وما رواية « الاميرة هيفاء وفخر الدين الكبير » الا حلقة من حلقات رواياته الذهبية ، وحسناء من حسان لبنان ذوات الحسن الباهر والقدّ الأهيف الزاهر التي انبتتها تربة لبنان ولم تفتح عينيها على غير مشاهده الفاتنة وأمجاده الخالدة ، ترسم لك ايها القارئ ريشة الاب ثابت الناعمة تلك الفتاة بالوانها وخطوطها كما أبدعها الله غادةً هيفاء ساحرةً فتانةً حييّةً نفوراً من الريبة ، فكأنّ عينيك تتنقل في مباهجها على بُسُطٍ من سندسٍ خضر ، لا تسترقفك في تضاعيفها كلمةٌ نابية ولا عبارةٌ ركيكة ولا معنًى سخيف ، بل تستدرجك بغرياتها الى الاستمتاع بلذّة بريئة طاهرة فتنتشي بنشوتها كما انتشيتُ وتثني على ناسج بردتها كما اثنيتُ وتتمنّى كما تمنّيتُ ان يظلّ ذيّالك القلم الذي خطّها ، مرهف الحدّ لا يدانيه صدأ او مشيب ، يرفد العالم العربي اسلاك الدرر ومجالي الغرر يستنزلها ويستلهمها من سماء دارة قمر دير القمر .

جبيل – دير سيدة المعونات
في ٢٠ تموز سنة ١٩٥١

الاب انطونيوس شبلي
اللبناني

توطئة

غنيّ عن البيان ان مطالعة التاريخ مدرسة مفتوحة الابواب مجّانة سهلة الورود . مدار تعليمها على تهذيب الاخلاق وتطهير العواطف وتقويم السيرة وتمشّق الفضيلة وتنكّب الرذيلة مع مـا يلحق ذلك من تقوية نظر العقل ، وإذكاء جذوة الفهم ، وتوسيع نطاق المعرفـة وإرهاف باتر العزم في معارك المنافسة في الخير ، قطعاً لعوائق التشبه بالكرام ، ودكّا لحواجز البلوغ الى مراتب العظام . الى سائر ما يجني المطالعُ من تطوف الفوائد اليانعة في بساتينها الناضرة ، وما يقترفه الواردُ من سلسبيل ينابيعها الغزيرة الصافية .

غير ان كثيراً من شبان عصرنا مُعرضون عن هذه المطالعة الحافلة بالفوائد انقياداً لما عندهم من ميل الى مطالعة ما تغريهم به اللذّة دون اكتراث لخسارة النافع وربح الضارّ .

فمجاراةً لاهوائهم ورغبةً في نفعهم نزفُّ اليهم هذه الرواية جامعين فيها بين النافع واللذيذ ، حتى اذا اخذوا في قراءتهـا تجتذبهم اللذّة البريئة الى الفائدة ، وتقودهم بيدها الناعمـة الى موطن الإلمام ببعض الحوادث التاريخية الخطيرة التي كان مسرحها وطننا اللبناني الكريم عهد اميره الخطير فخر الدين المعني الثاني الملقب بالكبير[1] . الرواية تاريخية باحداثها واشخاصها ومواقعها الا ما أُدمج في بعض فصولها من مبتدعات الخيال ، من مقتضيات التزيين والتشويق والتكميل .

تلك خدمة للوطن وتاريخه المجيد وابنائه الاعزّاء ، لا نسألهم لها الا الحظوة والقبول .

١) وُلد فخر الدين المعني الثاني الكبير عام ١٥٧٢ ، وحكم لبنان عام ١٥٩٠ ، وقُتل عام ١٦٣٥

١
نزعة الى الفتح

صبيحة يوم من شهر ايار من عام ١٦٠٠ كان يوسف باشا سيفا جالساً على مقعدٍ في احدى علالي داره في عكّار[1] ينظر من طاقةٍ الى الطبيعة عروس الربيع الحسناء. وقد برزت في حلّةٍ من السندس تهزهزها ايدي الصبا تحت برنسٍ شفافٍ من ذهب الاشعة خلعته عليها الغزالة اول إشراقها من فوق الجبال. وفي الجهة المقابلة من القاعة باب مفتوح، منه الى النافذة مجرى هواء يلاطف ما هنالك من اثاثٍ وشعاعٌ على الطنافس المفروشة نافذ من الباب بحجم اتساعه وطرفهُ على قدمي الباشا يمثل بساطاً من ذهبٍ وعاج مُدَّ في وسط القاعة. ومنه على علو مترٍ شبه ستارٍ متموجٍ نسج من هباآتٍ مرئية متلونة تروح وتجيء في سرابٍ اصفر وهي متشابكة متداخلة في كل صوب.

وكأنَّ هذا المشهد الجميل استرق عين يوسف فجعل يتأمله وقد القى في نفسه خواطر فأسند رأسه بانامله وغاص في لجة التبخر. وانه لكذلك اذ دخل عليه غلامٌ يحمل طبقاً من ذهب بنقشٍ عجميٍّ عليه فنجان كبير من خزفٍ صينيٍّ ابيض في ظرفٍ من فضةٍ مثقّبٍ من الصياغة المعروفة « بالكرشفت » وفي يده ابريقٌ من فضة ايضاً بديع الصنع فيه قهوة بنٍّ تنبعث منها رائحة تنعش الفؤاد. حيا سيده وصبَّ القهوة وناوله واخذ غليوناً من خزفٍ احمر حشاه تبغاً وجعل عليه جذوة فأخذه الباشا من يده وامتصَّ امتصاصةً من القهوة وتلاها بمصّةٍ من طرف الماسورة وهي انبوب طويل من خشب الابنوس، فخرج من فيه ومنخريه دخانٌ ابيض كثيف طيب العرف صعد متلوياً في الهواء. وقال للغلام: عليَّ « بالكاخية » المدبّر. فأدخل عليه رجلاً ربع القامة ابيض الوجه والشعر، لامع العينين بادي الهيبة والوقار فأجلسه يوسف الى يمينه وامر له بالقهوة والغليون وقال: انظر يا ناصر الى هذا الشعاع كيف تلعب فيه الهباءات المتراكمة هكذا تلعب بفؤادي الافكار. فقال ناصر:

---

[1] كانت عكار القديمة شرقي قرية ببنو هدمها الامير فخر الدين المعنيّ عام ١٦١٨ للميلاد، وقد اخلاها يوسف باشا سيفا منهزماً من وجهه الى قلعة الحصن كما سيجيء.

– ماذا يقلق سيدي ولم تطمح نفسك الى مجد إلا وطأ لك ظهره وعنت لك رقابه . قال :

– هيهات ان اتفيأ ظلّ الراحة ولي همّةٌ شمّاء لا ترتضي النجم مقعداً . لقد ضربت اطنابي على امرٍ ولست بناكصٍ عنه وان كان دونه خرط القتاد . قال :

– الى اية منزلةٍ تنزع همتك وقد بلغت الى رفعةٍ لا تسامى وعزة لا تُغالب . وبسطت رواق حكمك على الشطر الاكبر من لبنان . ورفعت عَلَمك المظفَّر خافقاً على السهول والجبال . وحملت على الحكام الاعزّاء فجدعت انف عزّهم وقوّضت سرادق مجدهم . واستأصلت شأفة اكثرهم وقمّصت من بقي منهم الذلّ والهوان . وصرت المسيطر على البلاد من مفقس الموج الى مرمى الثلج . من نهر الكلب الى النهر الكبير الى تخوم انطاكية فماذا تروم بعد هذا الفتح العظيم الذي ألبسك مهابةً تخشع امامها العيون وجلالةً تعنو لها الجباه ؟ قال :

– من رضي من دهره بنصف النصيب فان هو الا نصف انسان . ان نفسي تطمح الى غايةٍ تتراجع عنها سوابق الهمم .

وجعل يده على مقبض سيفه وقال : بهذا السيف استوليتُ على لبنان الشمالي وبه اريد الاستيلاء على لبنان الجنوبي .

يوسف باشا سيفا علم من اعلام اسرة سيفا الكردية . جرت بينها وبين آل شعيب وقائع دامية تنازعاً على حكم طرابلس والاقاليم الشمالية . وذلك ان المماليك وكلوا الى آل سيفا حراسة جون عكار وسهل بلاد طرابلس وعوّلوا عليهم في تأمين الطريق من تعديات النصيرية والمكاريين الجبليين فزاحمهم على السلطة بنو شعيب فاستنفر عليهم سيفا الامراء من بني عساف فناصروه عليهم حتى كسر شوكتهم واخضع رقابهم وضرب عليهم الذل فخلا له الجو بعدهم من منازعٍ وخصيم .

وأصل الامراء العسّافيين من اسرةٍ تركمانية ولاهم المماليك حراسة كسروان فجعلوا قاعدتهم غزير وبنوا لهم فيها ثكنةً ومساكن . ثم انهم ضافروا

السلطان سليماً الاول على المماليك فاتزعّم على كسروان وبسط ولايتهم على بلاد جبيل فقويت شوكتهم واشتدّ بأسهم وكان اشهرهم الامير منصور عساف تربّع في دست الامارة من عام ١٥٢٢ الى عام ١٥٨٠ وهو رجل عالي الكعب واسع الصدر شديد البأس كثير الحيلة حسن التدبير مدّ حكمه من بيروت الى عرقا .

وكان في كسروان اسرة مارونية تعرف ببيت حبيش اصلهما من قرية يانوح في لبنان الشمالي نَجلت الى كسروان فرارًا من غزوات المتاولة آل حماده وجد عندها الامير منصور جراةً واخلاصاً فقرّبها وكتب الى كبيرها « الاخ العزيز » فاصبح شيخاً وسرى لقب شيخ ، الى جميع اعضائها[1] واصطفى الامير منصور من رجالها مؤازرين واعواناً يأنس بناحيتهم ولا يصدر الا عن رأيهم ومشورتهم . فسلكوا معه مسالك الصدق والوفاء وسهّلوا السبيل الى التفاهم بينه وبين المسيحيين .

فلمّا هوى نجم آل شهيب وسقط عزّهم وصار الحكم من ايديهم الى آل سيفا الذين حالفوا عليهم بني عسّاف فحملوا عليهم حملات شديدة فشتّتوا شملهم واستولوا على بلادهم ، قام العسّافيون على السيفيين ينازعونهم السيطرة على البلاد استقلالًا بالحكم وحالف الظفر رايات الامير منصور فاستولى على الاقاليم الشمالية الى اللاذقية ثم انقلبت عليه حكومة الاستانة فولّت عدوّه سيفا على طرابلس وألقت اليه بمهمة الاشراف على بلاد النصيرية الى تخوم انطاكية عام ١٥٧٢ فاستفحل النزاع بين الاسرتين الحاكمتين واشتدّ بينهما القتال وكُبِدت البلاد من جرّا، ذلك رزايا تسحق العظام . وما زال السيفيّون يتقدمون والعسافيون يتقهقرون حتى تولى هؤلاء العجز وضربت عليهم المذلّة وتفتحت لابتلاعهم اشداق الفناء . وخلا الجو لآل سيفا وقبضوا ازمّة الحكم بلا منازع من نهر الكلب الى نواحي انطاكية . غير ان الموارنة لبثوا مستقلين عن حكم السيفيين يتولّى شؤونهم حكّام منهم يختارونهم هم انفسهم ويلقبونهم

١) كان الحكام في ذلك العصر اذا ارادوا تشريف احد بلقب شيخ يكتبون له « الاخ العزيز » فيصير شيخاً بقوة هذه الكتابة.

بالمقدّمين لتقدمهم في الرتبة والمقام . وكان المقدمون يجمعون الاموال الاميرية من الشعب المنوط بهم ويفرغونها في كيس جابر تركي فتُحمل الى خزانة الدولة عن يد حاكم طرابلس .

فالى هذه الحوادث التي انتهت باستيلاء السيفيين على جبيل وطرابلس وما يليها الى الشمال اشار المدبر ناصر بالكلام الذي قاله ليوسف باشا سيده .

فلمّا جاهر يوسف سيفا بطموح نفسه الى لبنان الجنوبي استكبر ذلك عليه وخشي ان يواجهه بما في نفسه فيجرح تصلفه فقال :

— ما اتمنى لسيدي الا ان تلين له اعطاف الامور ويكون مطلبه داني المنال ويصير امامي الى الحال التي يصحّ له معها القول : أعرض لك الصيد فارمه . فقال الباشا :

— ما دعوتك لتسعدني بالتمني والدعاء بل بالمشورة الصالحة والرأي الاصيل . قال :

— ان المشير الصادق الضمير من أبعد عن مظانّ الندم وانأى عن مواقف اللوم فسبيلي وانت مخلدٌ اليَّ بثقتك ألّا أدلس عليك الرأي وازيّن لك المحال . فان شئت ان اتكلم بما في نفسي فعلت . قال :

— تكلم . فانك لمشير صدقٍ وهادٍ الى مناهج الرشد . قال :

— ان الامر الذي ترومه لا يفوت ذرعك مهما يكن عزيز المنال فانّ لك من ماضي العزيمة وعلوّ الهمة ما تذلل به العقاب وتروّض الصعاب . غير ان الحرب مجلبة الخراب فلا يحسن اضرامها إلا عن اضطرار . وقد سئمها رجالك ومالت نفوسهم الى الراحة . وبما طالما سمعتهم يرددون قول الشاعر العربي :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتمُ   وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ

على ان الخصم الذي تروم قتاله وانتزاع السلطة من يديه ليس بالقُبَّل الهيَّاب وانت قد عجمت عوده فأسفر امره عن رجلٍ جمع ثيابه على اسد وابن كريهة خوّاض غمرات . ألا اين قواتنا من قوات فخر الدين المعني وهو اذا صفر صفرةً تألّب حوله خمسون الف مقاتل من السكبان[1] ومثلهم من رجال

---

[1] السُكبان ويقال السُكبان بمعنى (حامي الكلب) قيل لهم ذلك لانهم يتقدمون الامراء في الصيد .

الاقاليم الخاضعة لامارته وكلهم ابطش من ليوث الغاب . وله المقام الارفع والكلمة النافذة في البلاد ومن ورائه المسيحيون ولا سيما الموارنة رجال قتال لا يدخل قلوبهم الرعب . ألا ترى كيف اكتسح الولايات واستولى على حوران وعجلون ونصب اعلامه على حصن نابلوس وبسط حكمه على شواطئ الاردن وابلغ فتحه الى اورشليم وضرب خيامه على ابواب دمشق ، وما اخاله الا مشرئبا الى الاستانة نفسها . قال ابن سيفا :

لا يغرّنك يا ناصر لمعان ابن معن فان هو الا برقٌ خلّب وسراب يتوارى من امام وجهك كلما اقبلت اليه . لئن رفعته التقادير الى اعلى منازل السماء فلاسقطنّه الى اخفض ما وُطئ من الارض. اجل لقد حالفه الدهر وتلق براياته النصر ، بيد ان الدهر ابو الخير والغدر ، والايام يومٌ لك ويومٌ عليك . وان فلّ سيفي من قراع الكتائب فلي به رأيٌ لا يفلّ وعزمٌ لا يكلّ . وحيلة لا تنفد ومكيدة لا تضلّ . كيف اتخلّى له عن حكم البلاد وأنا أنا صاحب السيف الطويل والرأي الاصيل . قال :

الرأي يا مولاي قبل السيف . والتدبير اقرب الى الظفر من حشد الجيوش. ان خصمك لقويٌ وليس في البلاد قوةٌ تجرؤ على مواجهته . فدع سيفك في غمده ورجالك في مراتع طمأنينتهم وحالف الامير ليأمن خروجك عليه . ويتقوّى ركونه اليك . فتثبت في الحكم قدمك وهذا حسبك الى ان تتغيّر الحال . قال :

اني وان كنتُ اميل الى القتال لا احب ان اخوض معمعةً وانا على شكٍّ من الظفر . والعاقل من اذا اقدم على امر نظر الى مخرجه قبل النظر الى مدخله . وان الباب العالي لن يصبر على تطاول المعنيّ واطماعه فما هي الا نفخةٌ انفخها في جذوة حقده عليه حتى تشبَّ من الاستانة نارٌ تلفُّ على المعنيّ واتباعه لهيب الفناء . لقد لمت بوارق النجح . قال ناصر :

الرأي وجيه غير ان للباب العالي شاغلاً عن لبنان في هذه الايام من شؤون البلقان فليس يوجّه حملةً على الامير ما لم يقع في نفسه انه خارجٌ عليه ، وان خروجه عليه في هذه البلاد خطرٌ لا بد من دفعه . فينبغي ان تدخل الى هذا

الغرض من ابوابه وتستعين بوالي الشام على ادراكه ولا يأخذكما ونى في بث السعاية به حتى تفوزا . واذا تقربت الى الامير ودالسته دفعاً للشبهة عنك وحملاً له على الاخلاد بالثقة اليك فذلك افضل فانه اذا استراب بك فقد يفسد سعيك عليك .

فاطرق يوسف برهةً ثم ضرب جبينه بكفه وقال : سالتمس بغيتي من مظانها واركب فيها كل صعب وذلول . ولا بد قبل الشروع من التجهز للامر بجهازه لانه قد قيل : دَمِّث لجنبك قبل النوم مضطجعاً ، وسأجمع اقطاب البلاد واشاورهم في ما عزمت عليه . قال :

لا طاش سهمك ، ولا أفل جدُّك .

٢

الاميرة هيفاء [1]

فتاة في سنّ العشرين فتانة المحاسن ، هيفاء القوام ، بيضاء الوجه ، سوداء الشعر ، كأنَّ محياها البدر طالعاً من غلاف الظلام . تمشّت برهة في قاعة كبيرة في دار ابيها يوسف باشا سيفا التي في طرابلس قاعدة حكومة الاقاليم الشمالية من لبنان وعلى جسمها الناعم ثوبٌ طويل من نسيج القلاووس تسحب ذيوله على الطنافس العجمية وتسمع له خشخشةً كأنما هو من ورق صقيل . وكان في قلبها خاطرٌ مزعج تعالج إقصاءه ولا تستطيع ، وتجاه عقلها عقدة عاصية تحاول حلها فلا تنحلّ . وطال ذلك عليها حتى احرج صدرها وكسر من نشاطها . فجلست على مقعد من حرير احمر والقت وردة خدها على اصابع من عاج واطرقت تلعب بقلبها الافكار . وانها لكذلك اذ دخلت عليها فتاةٌ حسناء كأنما هي دمية من دمى القصور . وقمت عليها وقبلتها وقالت : هيفاء احبيتي ما بالك مشغولة القلب منقبضة الصدر . بروحي انت بمَ تشكين ؟

---

[1] مبنى هذا الفصل الحقيقة التاريخية وهي ان الامير فخر الدين كان متزوجاً بابنة من آل سيفا قيل هي بنت يوسف باشا سيفا . وقيل بنت عليّ اخيه والقول الاول اقرب الى التقليد الوطني . وكان حسين بن يوسف باشا سيفا متزوجاً بنت فخر الدين المعني .

— اواقدر ان ابوح بما في صدري لانسان ؟

— ما عهدتك تستوحشين من ناحيتي وانا اكتم لسرك من نفسك .

— اذا اطلعتك على امري فهل تعدين بدفنه في حفرة الكتمان ؟

— ان استطعتُ ان اكتمه حتى على نفسي فعلت .

— كأني بابي قد وطن النفس على تزويجي .

— سنة الله في عباده . أمكان ان تُسرّي تلتحين ؟

— اتدرين بمن ؟

— نعم وقد اتيت لاشاطرك المسرة والهناء .

— هيهات المسرة وهيهات الهناء !

— عجباً ! من أليق بابنة يوسف باشا سيفا من محمد بن حسين باشا جبلاط[1] . ماذا عيك عنه وهو اذا صحّت شهرته فتى محمود الشمائل شريف المساعي كريم النسب رفيع المنصب كبير الثروة مرهف الذهن واقر الجنان . فضلاً عمّا يزينه من ملاحة الصورة ونضارة الشباب .

لست انكره من سوء وانما القلب لمن يهوى .

— اويعلم ابوك انك لا تميلين الى محمد ويحب ان يعقد لكِ عليه ؟

— لقد عرض عليّ عشرات الطلاب من امراء البلاد واعيانها فرفضتهم وهو لا يلحّ عليّ فلما أنس مني عدم الرضى بمحمد اربدّ وجهه والحف عليّ في القبول . وقال : ان الجبلاطيين قوم بنو عزّ وجاه له بمصاهرتهم فوائد جليلة . وقد ازوج كبيرهم علي باشا اختي زمرّدة[2] واتخذ ياقوتة اخت علي زوجة لاخي حسين .

---

١) حسين باشا جبلاط كان والي كلس وهو عمّ علي باشا جبلاط الذي كان والي حلب وما يجاورها .

٢) ان علي باشا الجبلاطي والي حلب كان ليثَ عرينةٍ وغواص غمرات تطمح نفسه الى الاستقلال . وكان ان الدولة عام ١٦٠٣ وما يليها شغلت بثورة الانكشارية (الانكشارية اي العسكر الجديد . انشئوا في القرن الرابع عشر فاقلقوا الدولة بشكاتهم وثوراتهم وما زالوا حتى نُكبوا عام ١٨٢٦) فجعل يزرع الفتن ويثير القلاقل في ايالتي حلب والشام . وكان الامير فخر الدين قد استولى عام ١٦٠٣ على بلاد صفد وما اليها وامتدّ نفوذه وتسيطرهُ على عجلون وحوران بالصولة والمحالفات فتحوّل الى الشمال

— ان اراك لاوسع حكمة وابعد نظرًا فالنزول على ما يريده الصواب .

— انا اطوع لابي من بنانه واتبع له من ظله عير ان الزواج اساسه المحبة فما شأن السياسة فيه ؟ على انَّ المحبة لا تُغتصَب فان ازوجني بمن لا احبُّ فقد غمس حياتي في الشقاء .

— المحبة بنت المعرفة والمعاشرة فمتى عرفت محمدًا وعاشرتهِ وقعت محبته في قلبك .

— لسلخ الجلد عن البدن اهون من سلخ قلب المحبوب عن المحبوب .

وتقرَّب من علي باشا الجنبلاطي الذي كان مناوئًا ليوسف باشا السيفي حاكم طرابلس. وكان بين هذا وبين الامير المعنيّ منازعة على الحكم ووقائع وثارات فاشتبك بينهما القتال في جونية وانتهى بتغلب المعني وانهزام السيفي فولّى المعني الشيخ ابا نادر الخازن حكم كسروان والشيخ يوسف المسالماني حكم غزير وكلاهما من اعوانهِ عام ١٦٠٥ وكان في دمشق حافظ من قبل الدولة يُدعى احمد باشا وهو المعروف بالحافظ رجلٌ متغطرسٌ جبسٌ فتّاك مطبوع على الشدة والظلم اغرتهُ النفسُ الامّارةُ بمحاربة الامير يونس الحرفوشي حاكم بعلبك والامير احمد الشهابيّ حاكم وادي التيم فاستنجدا بالامير فخر الدين فأنجدهما متصدّيًا للحافظ فوقعت بينهما عداوةٌ شديدة وجعل الحافظ لا يجد بابًا الى نكاية المعني إلّا دَخَلَهُ ولا سبيلًا الى السعاية به إلّا سلكهُ . فامسى الامير بين عدوّين يوسف باشا سيفا وحافظ دمشق فانحاز الى علي باشا جنبلاط عدوّ الاثنين فوشى به السيفيُّ الى السلطان والتمس الى ان يُسند اليه قيادة عسكر الشام لينكّل بالجنبلاطي فأنيل الملتمس وامّل انهُ سيفتُّ في عضد المعني مفرّقًا عنهُ اعوانَهُ ومرهقًا مناصريهِ . فحشد جيشًا عرمرمًا في ارض حماة وانضمّ اليهِ انكشارية دمشق بقيادة احمد باشا الطواشي فاستظهر الجنبلاطي عليهم ومزّق صفوفهم وفرّ ابن سيفا الى طرابلس فنفّره منها الامير المعنيُّ فارسل اسرتهُ الى دمشق وامر الى اللجون في فلسطين فاجارهُ اميرها احمد بن طرباي واوصلهُ بطريق حوران الى دمشق .

وكان الحج كيوان ضمه ضو الديراني الماروني مُدبّر الامير المعني فاستحثّهُ لتضييد على باشا جنبلاط في محاصرة يوسف باشا سيفا في دمشق فجهّز جحفلًا جرارًا من السكان ومن رجالهِ المسيحيين والدروز والمسلمين واجتمع بالجنبلاطي عند منبع نهر العاصي قرب الهرمل فارسلا درويش بن حبيب جنبلاط شقيق حسين باشا الى طرابلس فضبطها واطلق فيها ايدي النهب إلّا قلعتها التي تحصّن فيها يوسف مملوك السيفي فامتنعت عليهِ . وزحف المعنيّ والجنبلاطيُّ بجيوشهما على دمشق وخيّما في البقاع واطلقا عسكرًا على بعلبك فنهبوها.

وجمع السيفيُّ عشرة آلاف مقاتل في وادي بردى وسار بهم الى ارض مرّاد بنواحي حماه حيث التقى بجيش عدوّيهِ المتحالفين واستمال الحج كيوان زعماء الجند الشامي الى سيّده واغراهم بالفرار عند اشتباك القتال . فلما اصطدم الفريقان تمزّق شمل الجند الشامي

— انا سي القلب قلباً لتقلبه . فكم محبة جديدة تمحو القديمة .

— اذا وقع مثل هذا فلغيري . أمّا انا فليس يصحّ عليّ غير قول الشاعر : ان المحبة للحبيب الاول .

— ان كان لك نصيبٌ تؤثرينه وهو صالح فما اظنّ اباك يقيم حائلًا دون ذلك النصيب .

— أو أجرؤ ان اذكره لابي وهو يعدّه عدوًا لدودًا ؟

— يا للغرابة ! اتقع المحبة بينك وبين عدوّ لابيك !

— متى صرت زوجةً له تنقلب العداوة الى صداقة ويصبح العدوّ حليفاً لابي وابناً أبرّ .

— من هذا الذي تؤثرينه على الامير الجنبلاطي ؟

— هو خلاصة الكرم ، ومُلحة الظرف، ومعدن المروءة ، وقلب الاسد . هو الذي : الخيل والليل والبيداء تعرفه والسيف والرمح والقرطاس والقلم . هو عين هذا الزمان الذي سارت بذكره الركبان واشاد بصيته الرواة .

— ما أراك تعنين بهذه الاوصاف الشائقة غير الامير فخر الدين المعني . أإياه تعنين ؟

وصُرع منهم كثيرون وأُسر كثيرون . وتأثر الجنبلاطي والمعني فلول الكتائب الشامية فخيما في قرية المزّة ودخل محمد باشا الطواشي المدينة بالقارين وحصن ابراجها واراد السيفيُّ الخروج بجماعتهِ فتصدّى لهُ قاضي قضاة الشام المولى ابراهيم بن علي الازنيقي وحسن باشا الدفتري واعيان المدينة ومنعوه من الخروج ما لم يدفع اليهم فدية المدينة فنقد القاضي مئة الف قرش فاطلق وفرّ الى حصن الاكراد .

واغضب الجنبلاطي اطلاق الشاميين للسيفي فصاح بالسكبانية وسائر رجال المعني فاندفعوا ينهبون خارج المدينة ويفتكون وهاجموا محلّة القبيّات والميدان وسويقة المحروقة وسوق ساروجا ومحلة السودان والصالحية مدة ثلاثة ايام . ثمّ طلب الجنبلاطيُّ غرامةً فأدوهُ مئة وخمسة وعشرين الف قرش وطلب المعنيُّ ولاية البقاع وبعلبك للامير يوسف الحرفوشي فكان لهُ ذلك . وزحف الجنبلاطيُّ على حصن الاكراد فضيق عليهِ الحصار فاسترضاهُ يوسف باشا سيفا بثلاث كرات من القروش وأزوجهُ بنتهُ زُمُرّدة واتخذ اخت الجنبلاطي زوجةً لابنهِ الامير حُسين وخمدت بينهما جذوة العداء وكرَّ الجنبلاطيُّ راجعاً الى حلب . وعاد المعنيُّ الى الشوف يُحرقُ الارم لنجاة عدوّهِ وتمزّز جانبه بمصاهرة الجنبلاطي.

قالت : اياهُ . قال : يا لهُ نصيباً تُحسدين عليه . الك في قلبه مثل ما في قلبك ! قالت : ذلك وزيادة . قال :

— لا اسألكِ عن مبدأ المحبة بينكما مع ما بينهُ وبين ابيكِ من الزحام على الحكم لاني واقفة على ما ازدرع عندكِ من المعروف . قالت :

— كان ينبغي على آل سيفا ان لا يجحدوا نعمتهُ ويخفروا ذمتهُ غير ان مطامع السياسة أبت الاّ الجنوح براكبها عن جادَّة الوفاء . قالت :

— لقد كنتِ في حوزة الامير فكيف اطلقكِ ولك الحظوة عندهُ ؟ قالت :

— ان الامير أرفع خلقاً واعزّ نفساً من ان يأخذ له زوجةً على غير المألوف من رضا مَن لهُ الحق ان يزفَّها اليهِ . ولو سامني مثل هذه الخطة لامتنعتُ .

— الم يُضطرّ ابوكِ لاسترضائهِ بكِ يوم القلعة كما استرضى الجنبلاطي بشقيقتكِ ؟

— تعزّز موقف ابي برضا الجنبلاطي ومصاهرته فلو شدَّد المعنيُّ يومئذٍ على ابي في امري لما استطاع اكراههُ وقد صار الجنبلاطيُّ في جانبهِ . وضعيفان يغلبان قوياً .

— لقد كنتِ في حوزتهِ ولم يضبطكِ وعدتِ الى بيت ابيكِ ولم يخطبكِ ، ونفسهُ ارفع من ان يأخذكِ إلّا برضا ابيكِ وابوكِ لن يعرضكِ عليه . فكيف تؤمّلين اقتراناً بهذا الذي تحبّين !

— ألم يبلغك ان الامير المعنيّ قد أوفد الى ابي وفداً من اعيان الشوف برئاسة مدبرهِ ابي نادر الخازني . فاكرم ابي وفادتهم وتقبّل هداياهم ولمّا وقف على قصدهم قال للشيخ ابي نادر : انَّ لي بمصاهرة الامير لفخراً غير اني اكرهُ ان يصير لي ابناً وتكون بيننا المنازعة على الحكم . وانت تعلم ان السيفيين والمعنيين متشاقون في طريقة الحكم فهم يدعون الى الاستقلال عن حكومة السلطان ونحن لهذه الحكومة موالون وعلى بسطة سلطتها في البلاد عاملون . وانَّ نفس الامير طامحةٌ الى توحيد الامارة وحصرها في قبضتهِ وقد شنَّ الغارة على بلادي وحاول انتزاع السلطة من يدي ولولا حوّل الحدثان دون بغيتهِ لكنتُ اليوم من عمّالهِ او لكنتُ مقتلاً من ارض الاحياء ، فاذا عاهدني على

السلم وأقسم لي انهُ لا يتصدَّى لاقاليم الشمال فانا مصاهرهُ ومحالفهُ ومناصرهُ إلّا في ما اذا سوَّلت له النفس الخروج على الباب العالي فلي موقف الحياد ما استطعت الى ذلك سبيلًا . فاستعظم الشيخُ هذا المُهرَ وقال : نحمل الجواب الى الامير . وحملهم ابي اليه من انفس ما لديه وشيَّعهم مكرَّمين .

ولمَّا اطلع الامير على شرط ابي استغلظهُ ووقع في حيرة من امره ووجد نفسهُ بين عاملين متضادين إن رفض الشرط فقد طعن قلبهُ ومحبوبتهُ طعنةً لا تندمل على الدهر . وان رضيهُ فقد نكث العهد الذي قطعهُ للبنان انهُ لا يغمد حسامهُ حتى ينيلهُ استقلالهُ ويضرب كلَّ رقبةٍ مشرئبةٍ اليه . ولبث برهةً يتردد بين الخطتين ولا يجرؤ على التضحية باحدى المحبتين . هيفاء والوطن . كلاهما جميلٌ وكلاهما عزيزٌ وكلاهما مشوق . لكنهما لا يجتمعان . هما بمثابة العينين فايّهما يقتلع ؟ تهادتهُ الغموم وتنازعتهُ الهموم . وحرج صدرهُ وتبيَّن الكمد في وجهه . فأطلَّ رأسهُ من نافذة القاعة وتنفَّس الصعداء وتنشَّق شمَّةً من الهواء وسرَّح نظرهُ في الفضاء ومدَّ يمناهُ وجعل يُسراهُ على صدره وقال : أي لبنان المحبوب ! لله عليَّ ان لا احبَّ عليك بشرًا ولا شيئًا . ولا ادَّخر في سبيل استقلالك تعبًا ولا راحةً . انتَ بعد الله معبودي الكريم . انتَ انتَ قبل الوالدين والاخوة والزوج والمال والنعيم . ان نسيتكَ فلتنسني عيني . وان عشتُ لغيرك فلا عشتُ وان لم أُعلِ مجدك فليلتصق وجهي بالتراب . وان أضعتُ ذمَّتك فليضمني بنوك ويطأني اعداؤك ، ولا يذكرِ اسمي في سجلِّ ابطالك وحماة ذمارك وليرث ارزك العظيم .

وانت يا هيفاء لا يَرعكِ صدُّ ابيكِ فستصيرين ربَّة بيت المنيّ وجنَّتهُ الحيَّة ورفيقة حياته ولبوءة اشباله شاء ابن سيفا أو أبى . ولم يعد يطلبني الى أبي . وما برحت رسائلهُ تردني متتاليةً منذ ذاك اليوم وكأنهُ يفرغ فيها خفة روحه ورقة حواشي طبعه وشريف عواطفه ولطيف فكاهته فاقرأ فيها قلبهُ الطافح حبًا ويخيَّل لي انهُ قد خطَّ سطورها بمداد مهجته . ولولا تلك الرسائل لأسلمني التجلّد وسئمتُ الحياة وصرتُ الى اليأس المخيف ولكن هي الامال تخفف الآلام .

أُعلّلُ النفسَ بالآمالِ أرقبها ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الاملِ

ورفعت بنتُ ناصر نظرها اليها فاذا على وردتي خديها لؤلؤتان من الدمع درتت لها واغرورقت عيناها بالدموع وقالت : طيبي نفساً يا سيدتي واعتمدي عليَّ فسأطلع أمي على امركِ وهي تحضُّ أبي ليصرف أباكِ عن عزمه . وابوك لا يصدر حكماً إلّا عن رأي مدبّره ولا يقطع امراً دونه. فيزيّن له مصاهرة الامير المعنيّ ويصرفهُ عن مصاهرة الجنبلاطي . فتذرعي بالصبر وتوقّعي قربَ الفرَج .

فمسحت هيفاء على عينيها بمنديل من حرير ابيض مزركش الاطراف بخيوطٍ ذهبية اللون . وبلعت ريقها وتنفّست وقالت : شكرًا لكِ يا عزيزتي طيّبة . غير اني اكرهُ ان تبوحي لاحدٍ بما علمتِ من صبابتي وجواي .

— كلي الامرَ الى فطنتي ، واعلمي انَّ مدبّر ابن سيفــا أوسعُ حكمة واكرمُ شيمةً من ان يقول او يفعل ما يحطُّ من شأنكِ ويسوق اليكِ الملام .

٣

على نهر ابي علي

كان بنو شعيب مسيطرين على الاقاليم الشمالية اللبنانية في ما وراء طرابلس وقاعدتهم عرقا . وكانت بينهم وبين آل سيفا عداوة شديدة منشأها التنازع على الحكم والمزاحمة على ولاية طرابلس . وسياسة الباب العالي الدائرة على التقسيم في العمال والرعية ايهاناً لهم بالتفرق حتى لا يتيسر لهم الخروج على الدولة . فوقع بين الاسرتين معارك دموية في اوقات مختلفة واشتدت حملات الشعيبين على السيفيين سنة ١٥٢٨ وكادوا يسحقونهم فاستنجد السيفيّون بالامير فخر الدين الاول وقد نزعوا من عكّار الى الباروك ، فأنجدهم الامير المعني بتوسط الامير منصور العسّافي والي كسروان وجبيل وسيّر معهم الى عكّار ثلاثمئة مقاتل من اشد رجاله بأساً انضموا الى رجال الامير منصور واطبقوا مع السيفيين على آل شعيب ففتكوا بهم فتكاً ذريعاً ، وتولى السيفيّون حكمهم. ثم سعى الامير منصور بقتل زعيمهم محمد آغا الشعيبي فقُتلَ هو وابنهُ حمدان ، فاستتبَّ حكمُ طرابلس للسيفيين وتشتّتَ بنو شُعيب في انحاء البلاد وفرَّ جماعة

منهم الى حوران وفي صدورهم حزازات . فلمّا استقرَّ بهم المكانُ عقدوا القلب على الثأر من اعدائهم بما تصل اليهِ أذرعهم وباتوا يتحيَّنون الفُرص . وكان بعد زمان ان اربعة من رجالهم هبطوا الى طرابلس متنكرين ومعهم امرأتان دجّالتان تدّعيان علمَ البختِ واقامَ جميعهم في المدينة يرتقبون سنوحَ الفرصة للانتقام بقتلٍ او سلبٍ او إحراقٍ فلم يتيسَّر لهم شيءٌ من ذلك . وكان انَّ نساء يوسف باشا سيفا خرجنَ ذات يومٍ الى بستانٍ على نهر ابي علي لترويح القلب وتنشُّق الهواء النقيّ ، وعند منتصف النهار مُدَّت لهنَّ مائدة في ظل شجراتٍ فجلسنَ حولها على بساط العشب الاخضر في الفيء ، يأكلنَ ويشربن مسرورات طربات . وبينا هنَّ كذلك اذا بدويّتان وقفتا عليهنَّ وغنتا لهنَّ اصواتاً مُطربة على نقر الدفّ ، ورقصتا امامهنَّ رقصاً حسنَ في عيونهنَّ . فقدَّمنَ لهما طعاماً فلما استوفتا قالت احداهما للاميرات : مَن مِن سيداتي تحبُّ ان اكشف لها عن بختها فاني بارعةٌ في علم الابراج ولي معرفة واسعة بالمجهولات والخفيّات ، وما عليَّ إلّا ان احدّق في خطوط الجباهِ والاكفِ ، فأرى الخطوط بارزةً من ظلمة الخفاء باسطعِ اشعةِ الجلاء ، فاقبل كلهنَّ عليها وقلنَ بصوتٍ واحد : أنا ، وعَرضنَ لها اكفهنَّ ، فتحيرت في ايهنَّ تبدأ . وقالت : ما لكنَّ والزحام انَّ لي في اكتشاف البختِ مزيَّةً لا يملك مثلها غيري من مبرّجين ومبرّجات . ها انا أبرّجُ لكلكنَّ دفعة واحدة واجعلُ كلَّ سيدةٍ منكنَّ تعرف بختها وبخت رفيقاتها في اسرعِ من ردّ الطرف . في آنٍ واحدٍ يرتسم في اذهانكنَّ الماضي والحاضرُ والمستقبلُ من كل ما وقع وسوف يقع لكنَّ . وشرطي عليكنَّ ان تطاوعنني في ما أوعزُ بهِ اليكنَّ . وما زالت بهنَّ حتى حملتهنَّ على شيءٍ من الثقة والتصديق وحصلت لهنَّ رغبة في اختبار علمها الفريد ، فقلنَ لها : نفعلُ ما تُحبين . قالت : اذن ، أعصب على عيونكنَّ وأحرق بخورًا مقدساً في نار أوقدها بيدي ، وانتنَّ تتنشَّقنَ من دخان ذلك البخور وانا اتلو آياتٍ روحانية لا تفهمنها ولا مثلها سَمِعتنَّ . فاذا انتهيتُ من تلاوتي تعرفن من تلقاء انفسكنَّ غوامض عجيبة واسرارًا قاصية الغور كانت مكتومة عن علمكنَّ . وتعلمنَ ايضاً كلَّ سعيٍ لكنَّ او

عليكنّ، وكلّ ما تخبئهُ الايامُ لكنّ وكلّ عاطفة تختلج في صدور بعولكنّ. وكانت تتكلم بصوتٍ رخيم ولفظٍ انيق ولسانٍ طليق. حتى خلبتهنّ وسحرتهن فقلنَ لها : افعلي ما شئتِ .

فشدّت عصائبَ على اعينهنّ واحرقت سحيقاً على نارٍ أوقدتها ونشّتهنّ وهي تدمدمُ وتُتمتمُ وتهمهمُ وتذكرِ أسماءً غريبة وتستدعي ملائكة وشياطين. فما هي الا بضع دقائق حتى انقلبَ كأهنّ وفارقهنّ الوعيُ ولم يبقَ عندهنّ من مظاهر الحياة إلّا النفَسُ في أنوفهنّ. حينئذٍ طلع من وراء السياج اربعة فرسانٍ مدجّجين بالسلاح وقعوا عليهنّ وسلبوا كلّ ما كان عليهنّ من زينةٍ غالية وحلي نفيس . وافرغوا على هيفاء لباس بدويّة ، وحملها احدهم على ظهر جواده من ورائه ، وتوارى الاربعة الفرسان والبدويّتانِ .

٤

في حوران

لبثت هيفاء تحت سيطرة المخدّر ترى الاحلام المزعجة وتتالى على مخيلتها الاشباح المرعبة حتى انتهى بها السابون الى سهول بعلبكّ ففتحت عينيها فاذا هي على فرسٍ وراءَ بدويٍّ فارتجزت رعباً وقالت : اين انا ؟ وظنّت انها حالمة ففركت عينيها وجسّت جسمها فسقط ظنّها وايقنت انها مستيقظة والتفتت الى ما حولها فوقع نظرها على ثلاثة خيالةٍ مدججين بالسلاح احدهم امامها والآخران وراءها فارتاعت. وشاهدت ارضاً غريبةً ومشاهد لم تقع عينها عليها قط . فاستوقفت البدويّ الذي يحملها على فرسهِ فلم يقف . فحاولت ان تلقي بنفسها الى الارض فاذا هي مشدودة الى ظهر الرجل برداء معقودٍ الى صدرهِ فاستصرخت وما من مجيبٍ والجواد يطوي بها السبل كما يطوي العقاب فسحات الفضاء . واحسّت بحرارة قاسية وعطش مذيب . فمن اين الماء ترطّبُ بهِ لسانها إلّا ما يسيل من وجهها ومقلتيها من عَرَق الخوف البارد ودمع الاغتمام السخين. وما زالت على هذه الحال حتى اسبل الليل ستار الظلام وحلّ التعب بالخيل وضايقها الجوعُ والظمأ ولم يعد يقوى على اثارة نشاطها وخز المهاميز ولا ضرب

السياط . فترجل الفرسان في مضيق بين جبلين ومشوا الهوينا بخيلهم وهيفاء في الوسط كمجرمة يخفرها الجندُ حتى انتهوا الى خان ميسلون في وادي القرن فحطوا رحالهم على مسيرة بضعة اميالٍ منهُ واتوا بالماء والطعام والعلف فاكلوا إلّا هيفاء. كرعت جرعةً من الماء فقط فحاولوا تسكين روعها وتملقوها بالكلام الحسن والملاطفة لتأكل وتسند قلبها فامتنعت وكانت بينهم تتجوز كالارنب احدقت به كلابُ الصيد فاشعلوا غلايينهم وجلسوا يتحدثون الى منتصف الليل. ثم وثبوا على ظهور الخيل كشواهين على نسور وأردفوا هيفاء وراء احدهم وما زالوا يجدُّون في السير وينهبون الارض حتى اقبلوا على دمشق فمالوا عنها جنوباً في طريقٍ غيرِ مطروقة انتبذت بهم الى حوران. فنزلوا عند خيامٍ مضروبة وخرج للقائهم رهطٌ من سكانها وفيهم رجلٌ طويل القامة مرسل اللحية قليل اللحم اسود العينين تحيط بسوادهما حمرةٌ فاتَ عِقدَهُ الخمسين يدعى الامير اسماعيل شعيب والى جانبه ابنه الامير عزام وهو شابٌ ظريف الهيئة معتدل الاعضاء شديد الاوصال يناهز سنَّ الخامسة والعشرين. فرحبا بالقادمين واثنيا عليهم واطنبا في مدح جرأتهم ودهائهم. واخذ اسماعيل الفتاة من يدها وادخلها الى بيته وعلى وجهها صفرة الموت كمن تُدخل حيَّةً الى الرمس. ثم نادى بزوجته اسماء وقال : اليكِ هذه الاسيرة تكون معك في خبائك مصونةً ومكرَّمةً الى ان ننظر في امرها. وحدَّق عزّام في وجه الصبيَّة على نور مصباح فأعجبهُ شكلها ووقعت من قلبه وآلمه ما بها من غمَّةٍ وانكسار. وقال في نفسه : ما ذنب هذه المخلوقة الجميلة كروضةٍ، النقيَّة كزنبقة، ما ذنبها فتُقصى عن وطنها وتُنزع عن ثدي لذّات بيتها. متى حملت علينا سلاحاً، او لنا حقدًا فنثأرُ منها لانفسنا بالسبي والجلاء! لعلَّ الله أرسلها اليَّ لامر به صلاح! لاجل ان اتخذها زوجة لي فتكون سبباً للتقرُّب بين الشُّعَيبين والسيفيين، فتزول العداوة من بيننا ونعود الى أرضنا واملاكنا آمنين. وتربةِ اجدادي لأُطيّبنَّ نفسها واجعلها سيّدة هذا البيت، واميرة آل شُعيب. فان فارقها استيحاشها واحبَّت الدخول في أُسرتنا وإلّا ردَدتُها الى بيت ابيها فتكون لمن تهوى. فتعلم ويعلم الناس كلُّهم ان بني شعيب اكرم شيمةً من ان يأخذوا

فتاة مجروحة اجدادها او يحذفوا بحجارة الأذى من لم يثر على ثيابهم غبار اذاه.

اثاب اسماعيل رجاله الاربعة بعطايا مرضية وصرفهم الى خيامهم واوصاهم بكتم السر . ولما افترّ ثغر الصباح دخل اسماعيل خباء الحريم وقال لهيفاء : ما اتينا بك الى هذا البلد البعيد لشرّ نوقعه بكِ او نزيدك عليه . بل نكاية الكبراء أسرتك الذين فتكوا برجالنا وشتتوا نساءنا ويتّموا اطفالنا وضبطوا املاكنا وانتزعوا الحكم من ايدينا وانزلونا عن ذروة عزّنا ، فستمكثين عندنا اسيرةً لكن لا عبدةً وستكونين اجنبية لكن لا مسومةً هواناً ، ولن يطلقك من هذا الاسر إلا أحدُ حادثين او كلاهما : موت ابيك او رجوعنا الى ما كان لنا من عزٍ وثروةٍ وجاه .

فحدّقت فيه بعينيها الواسعتين وقالت : أمكث عندك مكرهةً واصبر على مضض الغربة والاسر حتى يفتح الله باب الفرج . وما دام نفَسي في أنفي فلن يأخذني سلوٌ عن اهلي والوطن . ولأن اكون اجنبيةً في بيتك احبُّ اليَّ ، ومـا اقدر إلا ان أكونه وانتَ عدوُّ ابي وجدّي وآسري لا ببطشك وقوة ذراعك ولا بذريعة عادلة وشريفة بل بأخسّ الوسائل والحيَل . ولا اسألك مراعاة واحساناً الّا ان تحبس عليَّ في موضع خلوة حيث اجعل الغم جليسي والدمع انيسي ولا يكون لي تسلية إلّا الأنـين والهديل . قال إن احببتِ العزلة على الإقامة معنا فذلك اليكِ . اليومَ تُنصب لكِ خيمة ويُقام لحراستكِ امرأتان . قالت أسماء : أسألك ياسيدي ألّا تفعل فان الصبيّة مستوحشة ، كِلْ امرها اليَّ فانا أوانسها حتى تركن بنا فان استعصى نفورها فهي الجانية على نفسها ، ومَن لا يرحم نفسه فمَن يرحمه . قال : افعلي . وخرج .

فطفقت أسماء تلاطفها وتهوّن عليها وتؤمّلها بقرب الفرج فما يزيدها ذلك إلّا اغتماماً . لم تستطع ان تلوي عزمهـا عن الاعتزال . واقبلت عليها وطفاء بنتُ اسماعيل وقالت بصوتٍ متملّقٍ رخيم : لا تبكي يا أُخيَّة ، فانا وأمي وسائر هؤلاء النسوة نحبُّكِ ولا نعدكِ غريبةً بل كواحدةٍ منا تقيمين معنا ولا نفرقكِ عن أنفسنا ، وأدنت فمها من أذنها وهمست هذا الكلام : ستصيرين اختي وابنةً لأبي وسيّدة هذا البيت ، وبكِ تُنقض العداوة القائمة بين أُسرتنا

واسرتكِ فطيبي نفساً وقرّي عيناً . ووقعت عليها وقبّلتها ووعدتها بان تجعلها معها في خيمةٍ تنصب لها وحدها . وما زالت بهما حتى سُرّيَ عن قلبها وسكنت اليها .

وفي صباح الغد ضُربت خيمة من شعر على بُعد خمسين خطوة من خيمة اسماعيل وسُميت خيمة وطفاء ، أوت اليها الفتاتان وطفاء وهيفاء وكان بينهما التماثل اخلاقاً وسناً فامتزجت روحهما اي امتزاج واستحكمت بينهما الصداقة وتوثقت رُبط الاخاء . اعتصمت هيفاء بالتصوّن فلم تكن ترفع نظرها الى رجلٍ ولا تأذن للسانها بتحديث رجل إلّا اذا اضطرت لمجاوبة اسماعيل . فوقعت هيبتها على كل اسرة شعيب واحبوها على ما بهم من المقت لآل سيفا وانزلوها من انفسهم منزلة الاكرام .

غير ان ذلك كله لم يُنقص من شعورها بذلة الأسر ولا خفّف ما بقلبها من عذاب الفراق . فكانت احياناً تسند رأسها الى صدر صديقتها وطفاء فتحرقه بالزفرات وتبلّه بالعبرات حتى تبكي وطفاء لبكائها وتعالج تسليتها بكل ما عندها من فكاهة الاخلاق ورقّة الشمائل وتطامن الجانب وحلاوة اللسان وملاحة النكات ، فتجيبها هيفاء : لا تمنّي النفس يا صديقة ، فانه كيف يصفو للاسيرة عيش او يفارقها غمٌّ وينقطع لها دمعٌ وهي كالطائر انتزع من العش وحبس عليه في قفص ؟ لقد عاهدت اذنيَّ ان لا تستلذا نغمةً ولو من نغمات السماء حتى يقرعها صوت والديَّ واخوتي الذين في ظل محبتهم ربيتُ . وقلت لعينيَّ فقيها ان استجملتا مشهدًا حتى تعاينا تلك الوجوه المحبوبة وتقعا على مشاهد الوطن الرائعات . سقياً لكِ يا طير السماء فانك في يسير من الحين تشقين الهواء وتطوين فلوات الفضاء وتدوّمين فوق عكار وطرابلس البلدين البهيّين وتصفقين باجنحتك الخفيفة طرباً فوق قصور آل سيفا الشاهقة فوق حصون الجبابرة المنيعة . يا نسيم الصبا الا تحملنَّ سلامي الى ارباب تلك القصور والحصون . انه لطيف مثلك فليس يثقل عليك أيها النسيم . بالله يا ريح الجنوب اذا بلغت طرابلس وهزهزت اشجارها وتنشقت عرف رياحينها في بساتينها الناضرة وحدائقها الغنّاء ألا اخبرتِ حاكم طرابلس امير عكار عن

حال بنته هيفاء . وتجتر بما بقلبها من لوعة الشوق وحرقة الفراق ، اين انتم يا ابطال سيفا يا اسود الوغى يا أباة الضيم يا حماة الحريم ! –

وكان عزام يجيء احياناً فيجلس في باب الخيمة يحدث اخته ويحاول ان يسترق من هيفاء نظرة حبٍ او كلمة تودّدٍ ومؤانسة فلا يفوز منها بمأربٍ . وعرفت اخته ان الفتاة آخذة بمجامع قلبه ، لانه كلما اتى الخيمة ينظر الى وجهها المليح وقدّها الرشيق بعين تفضح اسرار محبته وتروي عن حديث مودّته يلقي عليها الاسئلة المطوّلة بكلامٍ رقيق الحواشي معجونٍ بعسل اللطف فترد عليه بالفاظٍ موجزةٍ تفرغها في قالب الرزانة ملحوفة بشيء من اليبوسة فيؤلمه ذلك فيتنهد ويفرك يديـه وتنقلب سحنته ويطرق برأسه صامتاً يفكر وعيناه جامدتان ، اخذ النحول ينال من جسمه وقلّ اكله ونومه وزهد في الضحك والفرح وكثيرٍ من التسليات . وكانت وطفاء تنظر الى ذلك القلق وتحب ان تخرج اخاها من تلك الحال ، لكنها تأبى العمل على رفع كربه قبـل ان يكاشفها بما في نفسه من محبة هيفاء ، فلما يئست من بثه ما في صدره من تلقاء نفسه وخافت مصيره اذا لبث على تلك الحال ، جلست مقابله ذات يوم ومسّت باناملها العاجية اسفل ذقنه وقالت له : اراك أخا كلفٍ بالصبيّة فهلّا تروم الاقتران بها فأطلعها على بغيتك ? فتبسّم واجاب : لقد نمّ وجهي عن حديث فؤادي فما ينفع ان اكتم كلفي . اني لمولعٌ ولهان فافعلي . فأوقفت صديقتها على حاله وافاضت في الكلام تزييناً وتشويقاً . فلما اشتد الحاحها احمرّت وجنتا هيفاء وقالت : عَدّي يا عزيزة عن هذا الحديث فان كان لي محبة في قلب اخيك فليردّني اولًا الى بيت أبي ثم اذا جبر كسري واطلقني من اسري فحينئذٍ يجوز له ان يخطبني بوسيلة الاحسان اليَّ والى والديَّ . أمّا ما دمت في ارض الغربة فحديث النعش والرمس احبّ اليَّ من حديث الزواج والعرس .

– اذن انت لا تحبين عزّاماً وهو اخي ?

– احبه لانه اخو حبيبتي وان كان ابن عدوّي وعدوّ ابي . غير اني احبه كأخٍ لا كنصيب .

— لو شئتِ لاحببته كما يحبك ولآلت محبتك اياه الى سعادتك .

-- لو ساغ للاسيرة ان ترتاح الى سعادة غير سعادة الرجوع الى وطنها لما رددت خطبته وخيبت املك وكلاكما عزيزٌ عليَّ .

— لأبي ان يكرهك اذا اراد ، فانت قيد سلطانه ولا مفلت لك من طاعته .

— لابيك يا وطفاء سلطان على حياتي لضعفي وقوته. أمّا على ارادتي فليس لاحدٍ من سلطان . فان غصبني على امري فقد اشقى ابنه وأشقاني وما اخاله يبتغي لابنه الشقاء .

— بعيشك يا هيفاء تحوّلي عن هذا العزم فاني مشفقةٌ عليك من سخط قومي اذا لم يلن جانبك . أيقني ان المحبة اذا قارنها اليأس انقلبت الى لددٍ وبغضاء .

— قلبي مستعدٌ لكل كارثة وبنت سيفا لا يطمعها تجاه الواجب وعدٌ ولا يرهبها وعيد . اغريبة واسيرة ومخطوفة واعاهد على زواج مَن ابوه عدوٌ لاسرتي وغادرٌ بي ومقطع اكباد والديَّ وعشيرتي حزناً عليَّ . ردّوني الى بيت ابي فاشاور قلبي الحرّ في الاجابة الى ما تسألون .

— لو كان الامر اليَّ او الى اخي لفعلنا ولكن ارادة اسماعين اصلب من الحديد .

— وارادة بنت سيفا اصلب من الجلمود والماس .

— اذن تهيَّإي للشقاء .

— هيِّئوا حفرتي وادفنوني حيةً فذلك اشرف لي واهون عليَّ من خيانة قومي الذين سيعرفون كيف يثأرون لي .

فتغيرت سحنة وطفاء تجاه هذا العناد والقت على صديقتها نظرة اشفاق ورحمة ومسحت عن خدّيها خاطين من لؤلؤ الدمع وقالت : لا مفر من المكتوب !

ومنذ ذلك اليوم امسى الجميع ينظرون الى هيفاء شزرًا ويوسعونها هُجرًا ويكثرون لها عن ناب العداء . وامسى عيشها ضنكاً وصفوها كدرًا وجعل غمّها يتكثر واكلها يقلّ وجافى مقلتيها الوسن واستولت عليها الهواجس وسيطر على جسمها الهزال .

(لها صلة)

اخبار العالم

اخبار دينية

الفاتكان : في ١٨ كانون الثاني حظي بمقابلة البابا بيوس الثاني عشر جلالة الملك طلال يصحبه ولي العهد الاردني وقد سُرّ قداسته بهذه الزيارة وأعرب لجلالته عن تمنّياته الصحيحة للعائلة الملكيّة وأوصى برعاياه الكاثوليك وعبّر عن أمانيه باستتباب السلام في العالم بمعاضدة كل ذوي النيّة الصالحة . دامت المقابلة نحو عشرين دقيقة.

يوغسلافيا والكنيسة الكاثوليكية : رغمًا عن إطلاق السيد ستاباك مطران ابرشية زغرب تحت شروط معلومة لم تزل حياة الكاثوليكيين في يوغوسلافيا صعبة أليمة . فالحريّات الدينية لا تزال مقيّدة هناك والسيد ستاباك لم يكن وحده سجينًا بل يوجد بعد في السجون السيد كول راعي كنيسة موستر ومئتان من الكهنة ثم ان نصف المعاهد الاكليريكية باقية بعد بيد الحكومة ولا يزال رهبان وراهبات عديدون مبدّدين بعد ان ضُبطت اديرتهم . اما النشرات الكاثوليكية فقد اضمحلّت فعلًا وقد أُخضعت حريّة العبادة لقوانين صارمة خانقة.

المسيحيون في مصر (عن وكالة فيداس بايجاز وتصرّف) : قلق المسيحيون كثيرًا لما حدث لهم مؤخرًا بفرصة الاضطرابات والفتن في مصر فقد رأوا انفسهم عرضة لاحقاد ما كانوا يتصوّرونها ولمطاردات شديدة واحيانًا دامية من جهة مشاغبين متطرّفين يقودهم تعصّب ديني لا يرضاه منصف . هل يوجد بعد من يشك بوطنيتهم وقد شاركوا في المظاهرات واعلنوا عن اخلاصهم قولًا وفعلًا . ومن يجهل بان الوطن المصري هو وطنهم بل ولهم فيه الاولية.

أتت الاخبار تباعًا عمّا جاهر به كثيرون من المتظاهرين من عدوان ضد المسيحيّين ودسّ المكايد ضدهم والتعرّض لكنائسهم في القاهرة وهيليوبولس ودمنهور ثم هدم الكنيسة القبطية في الاسكندرية وما حدث لهم من الاضطهاد في السويس خصوصاً اذ قام الرعاع بمطاردتهم في طرق المدينة ونهب الكنيسة القبطية واحراق اثاثها امام مدخلها على جثة دامية صار بعضهم يضعون من دمها على الاعلانات التي كانوا يحملونها . وضحايا هذه الفتنة الشنعاء ثلاثة اشخاص ماتوا حرقًا وعشرة لا يُعرف مصيرهم ميتة او حية وجرحى في مستشفى الحكومة لا يُرخّص لأحد بالاتصال بهم وقد يكون سبب ذلك ما قد يؤدّونه من شهادة لا تُشرّف البلاد.

ثم قد أبدت الحكومة المصرية كبيرًا لهذه الحوادث واستنكرتها وجاهرت باشئنها منها وحاولت ارضاء الشعب المسيحي الجريح. لكن لا يمكن للمسيحيين ان يكتفوا بالاقوال ومظاهر عواطف لا غير. انهم يريدون وبكل حق ان تثبت الحكومة اخلاصها لهم بمنحهم حقوقهم الوطنية تامة دون تمييز بينهم وبين مواطنيهم المسلمين والا فما معنى ما يتشدقون به من اتحاد وطني.

اما هذه الحقوق فقد طالب بها بكل صراحة القمص سرجيوس الوكيل البطريركي للاقباط الاورثوذكس في جريدته وهي اولاً : حرية بناء المعابد. ثانياً : التعليم الديني في المدارس الرسمية للمسيحيين كما للاسلام. ثالثاً : منع خطف الاولاد المسيحيين القصّر لجعلهم مسلمين بتزويجهم مع مسلمين. رابعاً : عدم التفريق بين المسلم والمسيحي في قبول موظفي الحكومة والشركات.

فما يكون جواب الحكومة على هذه المطالبة وما رأيها فيها.

الاضطهاد الديني في الصين : لا تزال هذه الاضطهادات عنيفة وهي تستعمل من الوسائط الشنيعة ما هو عار على البشرية.

في منتصف شهر كانون الثاني وجّه قداسة البابا الى الاكليروس والشعب المسيحي في الصين رسالة يدحض فيها اكاذيب المضطهدين ويؤكد بانه لا هدف للكنيسة في الرسالات الا ممارسة اعمالها الروحية والمشاركة في الخدمة لسعادة البلاد ورقيها. وان لا غاية للمرسلين الاجانب فيها الا إعداد خدَمَة روحيين يقومون يوماً مقامهم في الصين وطنهم ويديرون هم انفسهم كنائسها ومعاهدها ومؤسساتها. يشهد على ذلك سيامة خمسة مطارين صينيين في روما سنة ١٩٢٧ وتعيين البابا الحالي لاول كردينال صيني سنة ١٩٤٥.

بهذه المناسبة نضع تحت نظر قرائنا نبذة من رسالة بعث بها طلبة كلية «الفجر» الصينيون في شنغاي جنشون بها راعي كنيستهم الصيني كونغ بين ماي بفرصة عيد السنة الجديدة:

«. . . لقد مرّ العام الماضي لكن كم حيٌّ هو هذا الماضي وما أملاه من معنى. رغماً عما في هذه المرحلة من دم ودموع فانّ في الاحتمال حلاوةً ورجاءً وفي التضحية حبّاً وفرحاً. باداراتك يا صاحب السيادة تبدأ ابرشية شنغاي اجمل حياة . . . ان العراك يتطلب تضحيات ويطلب النصرُ ثمنَهُ. تتطلّب حماية الايمان دماً ودموعاً ورغماً عن ان العراك والتضحية أليمان فلا يزال الفرح يملأ قلوبنا. لسنا نحن من يخافون وسوف نمشي الى الأمام دون فزع: ان آثار ابطالنا الدموية هي ترينا الطريق. . .»

اخبار عالمية

انكلترا : ليلة اليوم الخامس من شباط توفي فجأة الملك جورج السادس ودُفن في اليوم الخامس عشر وقد أظهرت انكلترا عظيم تقديرها له وتأثرها لفقدانه وشيّعته في مأتم فخم. وكان ايضاً في تشييعه الى مقره الاخير خمسة ملوك وسبع ملكات وثلاثة رؤساء

دولة ومئات من الامراء واصحاب الرتب ، وفي ٦ شباط أعلنت خلفاً له ابنته الكبرى السيدات الثانية

القطر المصري : صباح يوم الاحد الواقع في ٢٧ كانون الثاني قامت في القاهرة ثورة شديدة دامت ساعات وانتهت عن اكثر من مئة قتيل . وقد ناهز عدد المتظاهرين خمسين الفاً قاموا تحتاط «٥٠ فرق الانقاذ» يجولون في شوارع المدينة يضجّون ويصرخون ضد انكلترا مطالبينّ بإشهار الحرب عليها وباستمداد الاسلحة من روسيا لمحاربتها . وتدلّ هذه المطالبات عن مصدر هذه الفتنة وغايتها الحقيقية .

اتّجه المتظاهرون اولاً الى شوارع حيّ المجلس النيابي ورئاسة الوزارة ومنها قصدوا قصر عابدين وقد أخذ منهم الهياج كل مأخذ فكانت النيران تلتهب وترتفع حيثما مرّوا فدُمّرت المخازن ونُهبت وخُرّبت منشآت عديدة . . . واذ احسّت الحكومة بان الامر خرج من يدها جدّت في قمع الفتنة بالقوة فتدخلت الشرطة لمكافحة المشاغبين وأطلقت بادىء بدء بواريدها في الفضاء تهويلاً ثم اضطرّت الى مطاردة المتظاهرين فهاجمتهم بعنف فتبدّدوا بعد ان وقع عدد منهم قتلى . لكنهم بعد الظهر عادوا فتجمعوا حاملين المشاعل وابتدأت حينئذٍ حرائق عديدة . . .

اخيراً عند الساعة الخامسة مساء تمهر الجنود وأخمدوا الثورة . اجتمع اذ ذاك مجلس الوزراء واعلن الحكم العسكري . ثم في ليلة الاثنين عند الساعة الثالثة والشرين أصدر الملك فاروق امره باقالة حكومة النحاس باشا وتعيين السيد علي ماهر باشا لتشكيل الوزارة الجديدة . والسيد علي ماهر باشا من حزب المستقلّين

السودان : من مطاليب مصر ضمّ بلاد السودان اليها وذلك خصوصاً لمعظم اهميتها بنظر مصر لمرور النيل فيها قبل وصوله الى القطر المصري .

يسكن بلاد السودان شعوب ليست متجانسة بل تختلف اختلافاً كلياً بعضها من بعض . فالشمال وهو ثلثا البلاد هو جغرافياً جزء من افريقيا الشمالية الصحراوية ويسكنه اكثر من خمسة ملايين من المسلمين يتكلمون اللغة العربية . اما الجنوب فبلاد فيافي وغابات ومناقع يسكنها نحو مليونين ونصف مليون من السودان الوثنيين منهم نحو مئة الف مسيحي كاثوليكي . عندما ألغت الحكومة المصرية معاهدتها مع انكلترا في تشرين الاول الماضي اضطربت في السودان الحالة السياسية وانقسم اهاليه الى ثلاثة احزاب : الاول وهو « حزب الامة » يطالب بالاستقلال التام وباتحاد نوعي مع انكلترا . والثاني يريد الانضمام الى مصر دون قيد ولا شرط . والثالث وهو حزب السود سكان الجنوب ومعهم عدد كبير من المسلمين الشماليين ذوي النفوذ يطالب بانتداب انكليزي وقتيّ .

لبنان والفلسطينيون المهاجرون : لا تزال مشكلة المهاجرين الفلسطينيّين تشغل السياسة الدولية وخصوصاً العربية وبالاخص اللبنانية . وفي هذه الايام الاخيرة قد كثر التحدث بإبقاء المهاجرين في البلاد التي استوطنوها واعطائهم الحقوق الوطنية فيها

قيل ان بعض اعضاء الجامعة العربية وعدداً من سياسيي لبنان يريدون ان ينتهزوا هذه الفرصة للتوصل الى الإخلال بالتوازن الطائفي في لبنان وذلك بفرضهم عليه عدداً ضخماً من المهاجرين غير المسيحيين . لكن المسؤولين اللبنانيين الصادقين المخلصين لوطنهم يرفضون ذلك ويلاحظون بان لبنان بلد صغير وهو آهلٌ الى حدّ انه لا يمكنه قط استيعاب سكان جدد . فان مساحته لا تتجاوز عشرة الاف كيلومتر مربع وسكانه مليون وثلاثمئة الف اي ان الكيلومتر المربع الواحد في لبنان يسكنه مئة وثلاثون نسمة مع ان في سوريا والاردن والعراق مساحات عظيمة لا يتجاوز عدد سكانها خمس عشرة نسمة في الكيلومتر المربع . ويلاحظون علاوة على ذلك ان المواليد وحدها تزيد كل سنة في عدد سكان لبنان من عشرين الى خمسة وعشرين الف نسمة وان البطالة والهجرة قد استفحل امرهما وان المهاجرين — وقد بلغ عددهم مئة وثلاثة واربعين الفاً — قد أخذوا الآن يفتشون على شغل مهما كانت اجرته لكي يزيدوا شيئاً على النزر الذي يصيبهم من المساعدات الدولية وهكذا يزاحمون العامل اللبناني ويجعلون حالته تزداد استياءً من يوم الى يوم

تركة ستالين : منذ ١٦ تشرين الثاني تواترت الاشاعات عن مرض ستالين وحالته الخطرة وعن إنشاء حكومة تخلفه في موسكو لادارة الامور مركبة من ثلاثة أعضاء هم السادة مولوتوف وبيريا ومالنكوف .

مما يسند حقيقة هذه الاشاعات ان ستالين—وهو رئيس الحكومة وامين الحزب الشيوعي— لم يحضر في ١٧ تشرين الثاني الاعياد التقليدية لمناسبة ذكرى الانقلاب الروسي الكبير . وكذلك في كانون الاول لم يظهر قط في حفلات الافراح التي جرت لذكراه السنوية الثانية والسبعين . ولا بد انه يقضي الآن فصل الشتاء بعيداً عن برد موسكو القارس في سواحل البحر الاسود

والاشخاص الثلاثة المذكورون اعلاه هم من اعضاء البوليتبُرو الشيوعي التسعة وهم : ستالين ومولوتوف ومالنكوف واندرو وكاغانوفيتش وفوروشيلوف وبيريا وفوشينسكي وكروستشف .

ستالين واليابان : بمناسبة السنة الجديدة بعث ستالين الى الشعب الياباني رسالة فيها يُعبر من « تأثره الصادق لما تكابده اليابان ضحيةُ احتلال الغرب » . فكان جواب رئيس الوزارة اليابانية ان اليابان تنتظر من ستالين لا كلاماً فحسب لكن اعمالاً : تطلب منه تحرير ثلاثمئة الف سجين حرب لا يزالون الى اليوم معتقلين في روسيا .

☆

مطبوعات شرقية

بيزنطية والعرب*

بقلم الآب جان مصريان اليسوعي

لقد لابس باستمرار تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، وذلك زهاء خمس مئة سنة من القرن السابع الى القرن الحادي عشر المسيحي ، تاريخ الخلافة العربية التي كانت عاصمتها اولاً دمشق ومن ثم بغداد . فلا بد اذاً للمؤلفات الخاصة بكلتا الدولتين من ان تعتمد ما دوّنته مظانّ الامبراطوريتين من وثائق لتكون اوفى موضوعاً واشد واقعية على الاخص .

ومما لا شك فيه ان بعض الدراسات الواسعة ذات القيمة الكبرى قد استمدت قسطاً وافراً من مصادر الامبراطوريتين ومن مختلف المظانّ المدونة باللغات الشرقية ولاسيا العربية في ترجماتها الى اللغات الاوربية . وحسبنا الاشارة الى اهم هذه الدروس التي نحن بصددها .

منها تاريخ شارل له بو (Charles Le Beau, *L'Histoire du Bas-Empire*) للامبراطورية الشرقية الحديثة الموضوع في القرن الثامن عشر وقد طبع ثانية من سنة ١٨٢٤ الى سنة ١٨٣٦ بعد ان اعاد النظر فيه وافاد من المصادر الشرقية المستشرقان سان مارتن (Saint-Martin) الاختصاصي بالمظان الارمنية وبروسه (Brosset) الاختصاصي بالمصادر الجيورجية .

(*) A. A. Vasiliev : *Byzance et les arabes*, Tome I, *La dynastie d'Amorium* (820-867), édition française préparée par Henri Grégoire et Marius Canard. In-8°, XV+451 pp., Bruxelles, 1935. — Tome II, *La dynastie macédonienne* (867-959). édition française, 1re partie, sous presse; 2e partie, *Extraits des sources arabes*, traduits par Marius Canard. In 8°, X+440 pp., 1950. — Tome III, *Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches* von 363 bis 1071, par Ernst Honigmann, In-8°, 269 pp., et 4 cartes.

وكذلك حوالي نهاية القرن التاسع عشر قبس العالم الفرنسي غوستاف شلومبرجه (Gustave Schlumberger) المشهور باختصاصه بالتاريخ البيزنطي من ترجمات المصادر الشرقية ليضع مؤلفاته الاربعة الرائعة التي عنوانها امبراطور بيزنطي في القرن العاشر : نقفور فوكاس (Un empereur byzantin au Xe siècle: Nicéphore Phocas) والملحمة البيزنطية في نهاية القرن العاشر « ثلاثة مجلدات »

ثم هناك مؤلفات جيبون (Gibbon) وفينلي (Finlay) وبري (Bury) بالانكليزية وكرومباخر (Krumbacher) وغلزر (Gelzer) بالالمانية وڤازلياف (Vasiliev) واوسپنسكي (Ouspenskij) بالروسية وكلها مؤلفات اصيلة ذلك ما عدا المؤلفات العامة التي لا يحصى عددها التي صدرت من خمسين سنة ولاسيما بعد الحرب العالمية الاولى .

ويستحق من بين جميع هذه المؤلفات مؤلف العالم الروسي فازلياف انتباهاً خاصاً . ومما اتاح لنا الفرصة لنشير اليه بمقالنا هذا لقراء مجلتنا هو اعادة طبعه مترجماً الى اللغة الفرنسية .

ان الكسندر الكسندروفيتش ڤازيلياف (Alexandre Alexandrovitch Vasiliev) الذي كان سابقاً استاذاً في جامعة سان پترسبورج (Saint Peters-bourg) وهو الآن استاذ في جامعة ماديسن وسكنسن (Madison-Wisconsin) من اعمال الولايات المتحدة الاميركية قد نشر كتابه منذ زهاء خمسين سنة بالروسية » بعنوان عام « بيزنطية والعرب (Byzance et les Arabes) في جزءين. فعالج في الجزء الاول الصادر سنة ١٩٠٠ دراسة عهد الاسرة العمورية (La dynastie Amorienne) (٨٢٠ — ٨٦٧) وفي الثاني المطبوع سنة ١٩٠٢ عهد الاسرة المقدونية (La dynastie Macédonienne) وذلك في اثناء القرن الاول من حكمها فقط اي من ٨٦٧—٩٥٩

على ان اباطرة الاسرة المقدونية استمروا على عرش بيزنطية اكثر من قرن آخر وكان لهم من المآتي السياسية والعسكرية ما يبعث على الاعجاب كرومان ليكاپان (Romain Lécapène) وجان تزيمسكاس (Jean Tzimiskès) وباسيل

الثاني (Basile II) بينما كانت الخلافة العربية قد اخذت تفقد تماسكها فانقسمت الى امارات ينافس بعضها الآخر وصارت بغداد العاصمة نفسها العوبة بين ايدي المرتزقة الاتراك القادمين من الصحارى الاسيوية . فالحقبة التي درسها ڤازلياف في جزءيه وهي تمتد من سنة ٨٢٠ الى ٩٥٩ كانت زمن مساجلات عسكرية يتعاقب فيها العز والذل على كل من الامبراطوريتين بالتناوب .

في ذلك العهد افتتح العرب كريت وصقلية وتاوس وسالونيك حتى ان اسطولهم استطاع الاقتراب من القسطنطينية كما ان جيوشهم بلغتها بعد قليل عن طريق البر .

وما عسانا نقول عن موقعة عمورية الشهيرة القائمة في قلب الديار البيزنطية والتي رأى فيها النور امبراطور بيزنطية في ذلك العهد . اراد الخليفة المعتصم ان ينتقم للهزيمة التي مني بها سنة ٨٣٨ . فاعدّ في السنة التي تلتها حملة على عمورية التي كانوا يصفونها بانها امنع حصون الروم واعزها . فالاستعدادات وحصار العرب للمدينة وسقوطها نهائياً في ايديهم بسبب الخيانة ثم ما تلا ذلك من الاهوال كل هذا يؤلف فاجعة حقيقية استطاع ان يضعها السيد ڤازيلياف امام اعين القراء في صورة مركزة مستنداً الى وثائق عديدة استنفدت ثلثي صفحاته حواشيَ .

لكن الجيوش البيزنطية لم تعدم من جهتها القيام بردّات افعال ظفرت فيها فاستردّت جميع الاراضي التي خسرتها وزحفت حتى ملطية وانزها (اورفه) ونصيبين ، ومن ثم الى انطاكية والى ابعد منها جنوباً وشرقاً فكان ذلك العهد بدء ما يسمونه الصليبية البيزنطية الاسرة المقدونية . فتحدى السيد ڤازيلياف الى سرد الانتصارات البيزنطية بما لا يقلّ دقّة وحيوية عن ذكره لانتصار العرب .

ولمؤلف السيد ڤازيلياف الذي اشرف على اعداده الاستاذان الروسيان الكبيران ڤازيل ڤازيليڤسكي (Vasil Vasilievskij) الاختصاصي بالدروس البيزنطية والبارون روزن (Baron Rosen) المستشرق باللغة العربية ميزة رآها رجال الاختصاص في ذلك الحين امرًا طريفاً وهي انه قد دوّن في نهاية كل

جزء مقتطفات مطولة من النصوص العربية التي عول عليهـا في وضع رواياته مترجمةً الى اللغة الروسية بحيث انه كان بوسع المطالع بان يتحقق بنفسه مـا تفيد المصادر اليونانية من المصادر العربية من تأييد او توضيح لا بل من تصحيح .

◆

وعلى ما لمؤلف السيد ڤازيلياڤ من محاسن فلم يستفد منه الّا عدد قليل من المؤرخين في ذلك العهد حتى ايامنا لعدم انتشار اللغة الروسية وناهيك عن هذا فان الكتاب اصبح مفقودًا . ومن جهة اخرى لقد تحسنت بعد نشره سنتي ١٩٠٠ و ١٩٠٢ دراسة المظان العربية واكتشفت مخطوطات جديدة وزد على على ذلك لقد اصبح مستطاعاً ايضاح بعض المنـاحي النفسية او التاريخية عن طريق دراسة المنظومات الشعرية العربية وبخاصة شعر الملاحم الذي عرف حديثاً وعمقت دراسته مجددًا .

فما كانت هذه الاعتبارات لتعزب عن نظر السيد هنري غريغوار (Henri Grégoire) الثـاقب وهو العامل الاقوى في بلجيكا على احياء الدراسات البيزنطية والمشرقية فعقد النية على ترجمة مؤلف ڤازلياڤ الى الفرنسية واستكماله بمعاونة بعض الاكفاء . وهم المرحوم نللينو (C. Nallino) والسيد ارنست هونيغمان (Ernst Honigmann) وبالاخص السيد ماريوس كانار (Marius Canard) .

كان صدر الجزء الاول المختص باسرة عمورية (٨٢٠–٨٦٧) منـذ سنة ١٩٣٥ وهو يقع بـ ١٥ + ١٥١ صفحـة ، وقد اجمع الرأي في الحكم على اخراجه وعلى ما عُلّق عليه من هوامش مستفيضة وما الحق به من ذيول وملحوظات كثيرة انه مستوف الغاية وكانت نتيجة الدراسات المستحدثة في الـ ٤٧ سنة ، ان زيد على الـ ٢٤٣ صفحة المخصصة لبسط الاحداث السياسيـة وللملحوظات المدوّنة على الهوامش ١٨٢ صفحة اخرى تنقـل الينا مقتطفات من المؤرخين العرب وبعض الملحوظات الاكمالية يعود الفضل في جمعهـا الى عدد من رجال الاختصاص والى السيد كانار خاصة .

افليس الاولى ان يقال والحالة هذه ان مؤلفاً مجددًا قد وضع في متنـاول الطبقة العالمة ؟

لذا كنّا نتشوّق الى صدور الجزء الثاني مجدداً على غرار الجزء الاول . وهو مخصّص بالنصف الاول من الاسرة المقدونية الممتدّ من عهد الامبراطور باسيل الاول حتى عهد قسطنطين بورفيرجنت (Constantin Porphyrogénète) (٨٦٧ — ٩٥٩) .

وقد كان هذا الجزء الذي طال بنا انتظاره جاهزاً منذ سنة ١٩٣٩ على انه لم يصدر الّا في سنة ١٩٥٠ وذلك جزئيًا لان الجزء الذي في متناول الطبقة العالمة ليس الّا القسم الثاني من الجزء الثاني اي القسم المشتمل على مقتطفات الكتبة العرب ، ولقد ازداد هذا القسم وهو الذي يحوي المراجع الى اكثر من ضعفين بالنسبة الى الطبعة الروسية فغدا يؤلف كتاباً من ٤٥٠صفحة والطبعة الحالية ، فضلًا عن انها تطيل بعض مقتطفات ڤازيلياڤ التي نقلها عن مؤرخي العرب ، فانها تضيف عليها مقتطفات لخمسة عشر مؤرخاً جديدًا وثمانية شعراء وستة جغرافيين .

ومما يزيد من اهمية هذه الوثائق هو انها مسبوقة بترجمة لحياة الكتبة وبملاحظات كتبية على مؤلفاتهم هي في غاية الملاءمة لما قد تم من مختلف الابحاث والدراسات من اقدمها الى احدثها .

وتؤلف هذه الملحوظات وحدها شبه موجز لآداب التاريخ والجغرافية عند العرب وحسبنا على دليلًا ذلك تمدادها .

فالطبعة الجديدة تحوي في ذيول الجزءين اسماء ٦٠ اديباً عربيًا من مؤرخين وجغرافيين وشعراء قد خُصّ خمسة عشر من بينهم بترجمة لحياتهم وافادات عن مؤلفاتهم .

وها هي ذي اللائحة المستمدة من كلا الجزءين مرتبة بحسب السياق التاريخي في قسمين : المؤرخون اولًا وهم الكثرة الكبرى مع الجغرافيين ، وثم الشعراء مع اسماء ثلاثة مؤلفين أُخر .

ولقد اعتمدت في سبيل ترتيب اسمائهم تاريخ وفاتهم الحقيقي او المرجّح لان تاريخ الولادة مجهول لمعظمهم .

ثبت اسماء المؤرخين والجغرافيين والشعراء

ا – المؤرخون والجغرافيون

الاسم		التاريخ
١ – ابن قتيبة	المتوفى سنة	٨٨٤–٨٨٥ او ٨٨٩
٢ – البلاذري	«	٨٩٢–٣
٣ – ابن طيفور	«	٨٩٣
٤ – اليعقوبي	«	في نهاية القرن التاسع
٥ – الطبري	«	٩٢٣
٦ – سعيد بن بطريق	«	٩٤٠
٧ – الصولي	«	٩٤٧
٨ – المسعودي	«	٩٥٦–٧
٩ – الكندي	«	٩٦١
١٠ – حمزة الاصفهاني	«	٩٧٠
١١ – ابن روسته	«	الثلث الاول من القرن العاشر
١٢ – عريب	«	في النصف الثاني من القرن العاشر
١٣ – رياض النفوس	«	في النصف الثاني من القرن العاشر
١٤ – ابن حوقل	«	الثلث الاخير من القرن ١٠
١٥ – المقدسي	«	نهاية القرن العاشر
١٦ – اسحق بن الحسين	«	القرن العاشر
١٧ – المؤلف المجهول لتاريخ «كمبردج»	«	مطلع القرن الحادي عشر
١٨ – ابن مسكويه	«	١٠٣٠
١٩ – البيروني	«	١٠٤٨
٢٠ – الياس برسينايا	«	١٠٥٦
٢١ – يحيى بن سعيد	حوالي	١٠٦٦
٢٢ – الخطيب البغدادي	المتوفى سنة	١٠٧١
٢٣ – ابن الهمذاني	«	١١٢٧
٢٤ – ابن الازرق	بعد	١١٧٦
٢٥ – ابن ظافر	المتوفى سنة	١٢٢٦
٢٦ – ابن الاثير	«	١٢٣٣/٤
٢٧ – سبط بن الجوزية	«	١٢٥٧
٢٨ – كمال الدين	«	١٢٦١
٢٩ – ابن اصيبعة	«	١٢٧٠
٣٠ – المكين	«	١٢٧٣
٣١ – ابن سعيد	«	١٢٧٤ او ١٢٨٦
٣٢ – ابن شداد	«	١٢٨٥
٣٣ – المؤلف المجهول لكتاب العيون (ط. de Goeje)	«	القرن الثالث عشر
٣٤ – ابن العذري	«	نهاية القرن الثالث عشر
٣٥ – بيبرس منصوري	«	١٣٢٥
٣٦ – ابو الفداء	«	١٣٣١
٣٧ – نويري	«	١٣٣٢
٣٨ – برزلي	«	١٣٣٩
٣٩ – ذهبي	«	١٣٤٨
٤٠ – يافعي	«	١٣٦٧
٤١ – ابن كثير	«	١٣٧٣
٤٢ – ابن الخطيب	«	١٣٧٤
٤٣ – ابن خلدون	«	١٤٠٦
٤٤ – المقريزي	«	١٤٤٢
٤٥ – العيني	«	١٤٥١
٤٦ – ابو المحاسن	«	١٤٦٩
٤٧ – السيوطي	«	١٥٠٥
٤٨ – المقري	«	١٦٣٢

ب – الشعراء والمؤلفون المفردون

٤٩ – ابو تمام المتوفى سنة ٨٤٦
٥٠ – البحتري » ٨٩٧
٥١ – ابن المعتز » ٩٠٨
٥٢ – المتنبي » ٩٥٥
٥٣ – ابو فراس » ٩٦٨
٥٤ – ابن هانئ » ٩٧٣
٥٥و٥٦ السريّ والنامي شاعران

في بلاط سيف الدولة
٥٧ – ابن نباتة المتوفى سنة ٩٨٥
٥٨ – التنوخي » ٩٩٤
٥٩ – ابن النديم » مطلع القرن الحادي عشر
– وبعض المظان الاخرى

* * *

ولقد ضبطت مقتطفات هؤلاء الكتبة العرب الستين وفق طبعات حديثة او وفق مخطوطات ما عدا الذين لم يكن بالمستطاع ايجاد نصوصهم الاصلية التي استخدمها فازيلياف حوالي سنة ١٩٠٠ – وهم قليلون – وهولاء الآخرون وحدهم قد تُرجمت مقتطفاتهم عن الترجمة الروسية الى الافرنسية اما البقية جميعهم فضبطت نصوصهم وفق الترجمات الموجودة وغالباً تُرجمت من جديد .

وفي سبيل القيام بعمل لغوي على هذه الشاكلة كان لا بدّ من مؤرخ مطّلع على الاحداث البيزنطية وقابض على ناصية اللغة الروسيــة ومتضلّع في الوقت نفسه من اللغة العربية ومن آدابها وكانت هذه الشروط مجتمعة في السيـد ماريوس كانار (Marius Canard) الاستاذ في معهد الاداب بجامعة الجزائر الذي سبق له ان ساهم في اعداد الجزء الاول .

وفي الواقع ان الجزء الجديد برمّته هو من صنعه وجدير بكل تقريظ .

ويشوقنا ان لا يتأخر القسم الاول من الجزء نفسه – وفيه الاستخلاص الجامع لكل الكتاب – عن ان يكون في متناول العلماء كما وعد بذلك السيـد هنري غريغوار (Henri Grégoire) في توطئته منذئـذٍ ليكون بين ايدي الاختصاصيين بالشؤون البيزنطية ومستشرقي اللغة العربيـة خير ذخيرة قيّمة يرجعون اليها . لاسيما ان السيد غريغوار قد كان موفقاً حين ضم الى نسخـة فازيلياف الفرنسية جزءاً ثالثاً صدر منذ ١٩٣٥ بقلم الاختصاصي ارنست هونيغمان (Ernst Honigmann, Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches) وهو بحث

علمي واف يستند الى المصادر اليونانية والعربية والسريانية والارمنية تفحص فيه واضعه التبدلات الطارئة على التخوم بين الامبراطوريتين البيزنطية والعربية في خلال مدة اطول جداً من المدة التي نظر اليها العالم الروسي اي حتى افول سلطان كل الاسرة المقدونية .

ملحوظ — نشر السيد كانار مقالاً قيّماً عنوانه « الحمدانيون وارمينية » (Les Hamdanites et l'Arménie) في حوليات « معهد الدروس الشرقية » (Annales de l'Institut d'Études Orientales) لمعهد الاداب في جامعة الجزائر ، ٧ : ١٩٤٨ ص ٧٧–٩٤ .

◆

F. Galtier, S. J. — *LE MARIAGE* : *Discipline Orientale et Discipline Occidentale.* La Réforme du 2 mai 1949. Beyrouth : Université Saint-Joseph, 1950, XXIV + 450 pp.

ان قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر ، بناء على التماس قصاده والرؤساء الشرقيين ، اذاع قانون الزواج الشرقي الجديد الذي اصبح نافذاً منذ الثاني من ايار سنة ١٩٤٩ . وقد توخى فيه ، بعد استشارة الرؤساء المذكورين ، توحيد القانونين الغربي والشرقي على قدر الامكان وذلك فيما يتعلق خاصة بموانع الزواج تجنباً لكثير من المشاكل التي تثيرها الزواجات المنعقدة في مختلف انحاء العالم بين ابناء الطائفة الواحدة او بين ابناء مختلف الطوائف الكاثوليكية الذين ينتقلون اليوم بكل سهولة من اقصى الارض الى اقصاها . وجاء القانون الجديد يلغي الفروق الهامة التي كانت قائمة بين الطوائف الشرقية نفسها ويحمل كثيراً من الاحكام التي يتضمنها القانون الغربي في نفس الموضوع .

ولكن القانون مهما كان كاملاً لا يقضي على الصعوبات باجمعها ولا ينفي المشاكل كلها بل ربما زادها تعقيداً ولذلك لا بد من علماء يشرحون القانون ويهدون السبيل الى فهمه . وعليه قام الاب غالتيه المعروف بمحبته للشرق وللشرقيين وبواسع العلم في كلا القانونين الغربي والشرقي فاتحفنا بكتاب ثمين باللغة الفرنسية هو مفتاح لكل ما أغلق علينا فهمه يعطينا الجواب الوافي الشافي

على اهم المعضلات واكثرها تعقيدًا لان الطريقة التي سار عليها المؤلف هي الطريقة عينها التي رسمها القانوني العظيم البابا بنديكتوس الرابع عشر القائل : « ان افضل الطرق لشرح القانون يقوم بان نفسره بذاته ونعيده الى وضعه الاصلي ونبين تطوره مع العصور في المجامع واحكام الاحبار الرومانيين وبان نجلو ما لحقه من تفسيرات متتابعة في النص على مر الازمان » .

وغني عن البيان ان كتاباً كهذا اصبح المرجع الوحيد لكل الطوائف الكاثوليكية من شرقية وغربية يمكن ان يستفيد منه الطلاب والمحامون والمعرِّفون وكهنة الرعايا واعضاء الدواوين وغيرهم لان كلًّا منهم يجد ما يوافقهُ من حيث الطريقة العلمية والحلول العملية للمشاكل المتعلقة بوظيفته .

الخوري باخوس الفغالي

◆

F. Galtier, S. J. — *Code Oriental de Procédure Ecclésiastique.* Lettre - Préface de S. E. Mgr. Joseph Beltrami, nonce apostolique au Liban. — Beyrouth : Université S^t-Joseph, 1951, XXIV+581. pp.

ومر اقل من سنة على نشر قانون الزواج المذكور فبادر صاحب القداسة المشار اليه الى نشر قانون اصول المحاكمات الشرقية بناء على طلب الرؤساء نفسهم المتعطشين من زمن بعيد الى قانون موحد يلغي المراسيم القديمة الصعبة التطبيق والعديمة الفائدة نظرًا لتطور الاحوال . الا ان هذا النشر وحده لم يفِ بالغاية المقصودة لان الكثيرين من ابناء الطوائف الشرقية في بلادنا يجهلون اللغة اللاتينية وهم فضلًا عن ذلك بحاجة الى شروح وافية وعملية لهذه القوانين ، التي هي عصارة القوانين الرومانية البيزنطية والعصرية ، تسهل استعمالها وتطبيقها في الدواوين الكنسية . وكان السفير البابوي المثلث الرحمات سيادة السيد مارينا قد لمس لمس اليد فائدة كتاب الاب غالتيه في الزواج فطلب اليه كتاباً آخر في اصول المحاكمات . ولبى الاب الغيور الطلب بجهود تذكر فتشكر واتحفنا بكتاب جديد كنا باشد الحاجة اليه . ولم يحد المؤلف عن الطريقة التي اختطها في كتابه السابق الذكر فاظهر بعد مقابلة دقيقة الفروق القائمة بين قانون

الكنيسة الغربية وقانون الكنيسة الشرقية في هذا الموضوع مبيناً كيف استفاد منسقو القانون الشرقي مما صدر من قرارات وارشارات لشرح القانون الغربي ومن اجتهادات المحاكم الرومانية . ولا بد لكل من يريد ان يدرك مدى التشريع الجديد وكنهه ويتفهمه بمعناه الصحيح من ان يعمد الى مؤلف الاب غالتيه الذي تحاشى التطويلات المملة دون ما تقصير في الشرح على الطريقة العلمية التي لا ينقصها شيء من الوضوح والسهولة والدقة . وانك لتجد فيه عند الاقتضاء امثالاً عديدة اكتسبها بخبرته وطويل تعليمه في جامعة القديس يوسف.

انا نثني على جهود الاب غالتيه ونشكر له هاتين التحفتين الغاليتين وندون له بمداد الذهب هذه الخدمة التي اداها لابناء شرقنا العزيز وندعو الجميع الى اقتناء هذين الكتابين النفيسين .

الخوري باخوس الفغالي

المشرق

السنة السادسة والاربعون — ايار – حزيران ١٩٥٢

مخطوط قديم ثمين في طبّ العين

كتاب تذكرة الكحّالين[1] (تابع)

للعالم العلّامة عيسى بن علي بن جزله

تعريفٌ لهُ

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

الباب التاسع والثلاثون

من المقالة الثانية

في الطرفة وعلاجاتها

أمّا الطرفة فانها دمٌ ينصبُّ الى حجاب الملتحمة مع انخراق الأوراد التي فيه. ويعرض ذلك من ثلاثة اسباب، احدها من احد الاسباب البادية التي

(١) راجع المشرق ٤٥ (١٩٥١) ص ٢٦٥—٢٨٠ و٤٦ (١٩٥٢) ص ١٤٧—١٦١

تنصبّ الى العين فتخرق الملتحمة ، والآخر دمٌ ينسكب الى (على) الملتحمة من شدة رطوبة تصيب العين من غير ان تنخرق فيه عروق . والثالث يعرض بغتةً من غير سببٍ بادئ ، ويكون ذلك من دمٍ حارّ ينصبّ الى الملتحمة ، وربما عرض ايضاً عقب قذفٍ شديد . وقد يكون ايضاً في الفرو من خارج بنفتق (كذا) .

العلاج : ان كنت حذرًا من حدوث ورَم ، فيجب ان تبادر بفتح القيفال (وهو عِرق) وتقطر في العين لبن جارية . وان كانت الحمرة والورَم والدم زائدًا ، فاقطر في العين بياض البيض الرقيق وضمّدها بالاشياء المانعة . وان لم يكن للورم أثر ، فيجب ان تقطر في العين في الابتداء لبن جارية ، او دمَ فرخٍ بعصره من اصل الريش الصغار التي تحت الجناح ، او بدم السنانق وحده ، او مع الطين الارمني ، او شيء من الرخام ، الزجاج الذي يوجد في الطين الاخضر ، فان تحلّل (كان به) وإلّا فاسحق الكندر وأذِفه بلبن (حليب) امرأةٍ واقطره في العين ، فان تحلّل (كان به) وإلّا فاقطر فيها ماء التانخواه او ماء الملح الاندراني وكمّد العين بما قد طُبخ فيه صعتر وورق زوفا يابس ، فان تحلّل كان وإلّا فاقطر فيها ماء الفجل ، وضمِّد العين ايضاً بقشور الفجل والزبيب مع ذرق الحمام ، فان كانت الضربة قد خرقت الملتحمة فامضغ ملحاً وكموناً واقطره في العين .

ومما ينفع ايضاً الطرفة ، زرنيخ احمر يُسحق ويُطرح في الماء ويُفتّر ويُطرح ما صفا منهُ في العين . وقد تبخَّر العين بكندر واخثاء البقر فتبرئ الطرفة.

ومما ينفع ايضاً الطرفة هذا الاشياف .

صفتهُ : يؤخذ شادنج مغسول ، ثلاثة دراهم نحاس محرق درهمين ، بُسّد ، ولولو غير مثقوب من كل واحد درهم ونصف . صمغ عربي وكثيراء ، من كل واحد درهمين ونصف . فوفل محروق على حدةٍ اربعة دوانق ونصف . اسفيداج الرصاص درهم . زرنيخ احمر ، ودم الاخوين ، وزعفران ، وكهربا ، من كل واحد نصف درهم . تجمع هذه الادوية مسحوقة منخولة وتُعجن بدم الفراخ وتشيَّف وتُداف في وقت الحاجة بلبن جاريةٍ ، ويستعمل جملة الادوية (هذه) الاثني عشر (جزءا المذكورة) .

وان كان عن فتقٍ خارج فعالجهُ بالاشياف الابيض ، او بالشياف الابازيج

صفة اشياف الابار

نافع من وجع العين الشديد والحرارة المفرطة والطرفة

يؤخذ اقليميا الذهب ، ونحاس محرق ، من كل واحد درهمين. دم الاخوين وبسد ولولو ، من كل واحد اربعة دراهم. كثيرا ، ومرّ ، وزعفران ، ونشا ، وعروق ، واقاقيا ، من كل واحد دانقين . زرنيخ ، وسكّر طبرزد ، من كل واحد نصف درهم . جملة الادوية (هذه) ثلاثة عشر (جزءا) تدقّ وتنخل وتعجن وتشيّف وتستعمل . نافع ان شاء الله .

وقد علّق ناسخ هذا الكتاب محمد ابن الشيخ عمر الميداني ، وصفةً أخرى من اشياف الابار ، على هامش هذه الصفحة نقلها عن كتاب الكافي وذيّلها باسمه وهي :

وصفة ثانية من اشياف الابار

وفي كتاب الكافي . اشياف الابار. صفتهُ : اقليميا ، واسفيداج ، ونحاس محرق . من كل واحد اربعة دراهم . مرّ صافي ، وافيون من كل واحد درهم ، يُسحق ويُعجن بماء المطر ويُشيّف ويُستعمل .(لكاتبه محمد) .

الباب الاربعون : في علاج ما قد وقع في العين

يخرج ما قد وقع في العين من الدخان والغبار وغيره ، بان يُقطر في العين لبن النساء عدّة مرّات ، او ماء عذبٌ ، فانهُ ينقّيه ويُخرج جميع ما قد وقع في العين . وان كان مثل تبن او رمل ولم يتبيّن لك ، فاقلب الجفن الأعلى فانك تراهُ ملتصقاً فيهِ ، فخذهُ برأس الميل ، او لفّ على اصبعك خرقة كتّان وامسحها على الجفن فانهُ يزول سريعاً . فـان كان في الجفن او في ارض العين شيءٌ ، تعلّق بها لشدّة خشونته كشياف السنبل وما اشبه ذلك فيجب ان تنحيه بالشعر وتقطر في العين لبن (حليب) جارية .

الباب الحادي والاربعون : في الظفرة وعلاجها

أمّا الظفرة فهي زيادة عصبيّة في الصفاق الملتحمة تنبت في المـاق الاكبر وتنبسط قليلاً قليلاً الى الحجاب القرني وربما تنبت في المآق الاصغر ، وربمـا

تنبت في المآقين جميعاً ، وهي ضارّة بالعين لانها تمنعها من حركتها ، وربما امتدّت على الملتحمة والقرني حتى تمنع البصر ، وربّما انبسطت على الملتحمة وحدها . وما كان منها رقيقاً ابيض كانت سهلة البرء ، وما كان منها صلباً احمر كانت بطيئة البُرء .

العلاج : ان كانت الظفرة في اول ابتدائها رقيقةً فعالجها بالادوية الحادة التي تجلو مثل النحاس المحرق والنوشادر والقلقديس والملح الاندراني ومرارة الخنزير والماعز . وذكر جالينوس ان أصلَ السوس نافعٌ لها .

ومما ينفع ايضاً الظفرة واللحم الزائد اشياف قيصر ، وصفتهُ .

وصفةُ اشياف قيصر

يؤخذ شادنج مغسول ، اثنا عشر درهماً . صمغ عربي ، ونحاس محرق ، من كل واحد ستة دراهم . قلقطار محرق ، وزنجار ، من كل واحد درهمين . يُدقُّ الجميع ويُنخل ويعجن بشراب او بماء الرازيانج ويشيَّف ويُستعمل . والباسليقون الكبير نافع . وانفع من هذا كلّهِ الروشنايا ، ومعناهُ جلّاب النور .

صفة الروشنايا

النافع من السبل والظفرة والجرب والظلمة والدمعة وقلع الآثار والبياض

يؤخذ شادنج مغسول ، ونحاس محرق ، واقليميا الفضّة . وملح اندراني ، وملح هندي ، وبورق ارمني ، وزنجار ، ودار فلفل ، من كل واحد اربعة دراهم . فلفل ابيض واسود ، وزبد البحر ، من كل واحد ثمانية دراهم . صبر اسقطري ، وسنبل الطيب ، وقرنفل ، من كل واحد اربعة دراهم ونصف . زنجبيل ونيلج وهوالنيل ، من كل واحد درهمين . زعفران ، ونوشادر من كل واحد درهم . جملة (هذه) الادوية (الاجزاء) سبعة عشر . تُدقّ وتُنخل وتُخلط وتُعاد الى السحق الى ان تصير في حدّ الغبار ، ويُستعمل .

ومما ذكرناهُ وقد جرّبناهُ فوجدناه بالغ النفع : ان يؤخذ دهن لبّ حبّ اليقطين ، ويؤخذ خزف الغضار فيقشر عنهُ الغضار ويُدقُّ الباقي ويُخلط بالدهن ويُدلكُ بهِ الظفرة في النهار دفعاتٍ فانها تذوب وتغني عن العلاج بالحديد .

ويجب ان يُستعمل الدواء بعد دخول الحمّام ليلتين ، فان كانت الظفرة

قد كبرت وصلبت ومضى لها زمان ، فعالجها بالحديد ، وهو ان تأمر العليل باستفراغ البدن على العادة التي جرت ، ثمّ تنوّم العليل وتأمر انساناً بفتح الجفنين، ثم يعقلها (اي الظفرة) في وسطها بصنّارةٍ ويمدّها الى فوق ، فان احتجت ان تزيدها بها صنّارة ثانية وثالثة فافعل . وان كانت غير ملتصقةٍ التصاقاً شديداً ، انجذبتْ الى فوق بسهولةٍ ولم تبعث في وقت سلخها ، فيجب ان يُدخل تحتها المهت او ريشة وتسلخها . وان كانت ملتحقةً ، فاقطع من جانبها رأس المقراض موضعاً ليكون مدخلًا للآلة التي تُسلخ بها . وأدخل تحتها المهت (اسم آلة) واسلخها عن الملتحمة برفقٍ ، والريشة أسلم ولا تعقر ، وارفق بالغشاء القرني ان كانت عليه الى ان تحصل في المآق الاكبر فاقطعها بالمقراض ولا تدع من الظفرة شيئاً ، لانها ان بقيت منها بقيةٌ عادت ثانيةً . واحذر ان تستعصي على اللحمة التي في المآق فيعرض منها الرشح ، بل تقطع الظفرة فقط ، ويكون الابتداء والقطع من ناحية المآق الاكبر ، بان تدع المقراض على الانف ولا تقطع مما يلي المآق الاصغر . والفرق بين الظفرة واللحمة التي في المآق ، وهو ان الظفرة بيضاء صلبة عصبيّة ، واللحمة حمراء ليّنة لحميّـة . ثمّ تقطر في العين ماء الملح والكمّون الممضوغة وتشدُّ عليها صفرة البيض مع دهن ورد ، ولا يُكثر من الدهن فانهُ يُرخي ، وتأمر العليل ان يُكثر من تحريك العين وهي مشدودة لئلا يعرض التصاق ، فاذا كان من الغد حلّها فاقطر فيها ماء الملح والكمّون ثانيةً ، فاذا جاز اليوم الثالث عالجت (عولجت) بسائر الادوية الحادّة مثل الباسليقون والروشنايا وغيرهما . فان عرض ورَمٌ حارٌّ استعملت ما يسكّن الوَرَم.

ويجب ان تعلم ان الظفرة ربما استمسكت بصفاق العين ، فاذا جذبتها انجذبت الصفاق معها فان قُطع كان منهُ خوفٌ ، فالواجب ان لا تقطعه بل تكشط منها يُكشط مما ليس بالملتصق بالحجاب، ثمّ تعالج الباقي بالادوية الحادّة لتنقّيه . ويُحتاج ان تعلم ان غشاء الملتحمة جسمٌ صلبٌ غضروفيٌ لا تعلق به صنّارة ، فان تعلّقت به الصنّارة في لقط السبل او كشط الظفرة بشيء ليّن ، فانهُ من الامراض لا من الغشاء . فاعلم ذلك .

ومما ذكر المؤلف في الباب الخامس والخمسين ، في الأثر والبياض الحادث في قرنيّة

العين ، وان الأثر على نوعين ، الاول يعرض في ظاهر القرنية ويسمّى أثرًا ويسمّيه بعض الناس سحابا ، والثاني يعرض في عمق القرنية ويسمّى بياضاً ، هذا العلاج قال :

ومما ذُكر انه مجرَّب وعجيب في قلع البياض العتيق ، ذرق الخطاطيف يُداف بشهد (بعسل) ويكحل بهِ العين .

الباب الحادي والعشرون

من المقالة الثالثة

في علاج الحَوَل

الحوَل العارض للصبيان عند الولادة يزول بوضع البرقع الرفيع على الوجه ليكون نظرهم على الاستقامة من قبل ان يعرض الحَوَل عن تمدُّد العَضَل المحرِّك لمقلة العين . ويُعالج ايضاً بسراج يُوضع بازائهم ، ولا تجعل ضوءهُ من الجانب الآخر . فان كانت العين مائلةً الى ناحية الانف ، يُلصق على المآق الذي يلي الصدغ صوفاً احمر او اسود ليكون نظرهُ اليهِ فتستوي عيناهُ . واذا كان الحَوَل حادثاً فانهُ يعرض من الحرّ واليبس ، وكثيرًا ما يُستدلُّ بهِ على مرض الرأس مرض كالصداع والسَّدر والدُّوار او صداع مبرِّح . وان اخذتَ الرئة ودققتها وعصرتَ ماءها وربَّيتَ بها الكحل واستعملته ، نَفَعَ الحول . وان كان للحَوَل عرض عن اليبس ، فعالجهُ بعلاج الطرفة مثل دم الحمام والحلب (والحلبة) ومما ينفع الحول عصارة ورق الزيتون .

ومما عُلِّق على هامش هذا الباب وصفه كحلين للحَوَل ربما ان ناسخ هذا الكتاب قد نقلها وليس هما من الاصل وهما :

كحل نافع للحَوَل مجرَّب

نقلتهُ من خط القاضي فتح الدين ، رحمهُ الله

يؤخذ كحل اصفهاني مصوَّلًا ، اربعة مثاقيل . سنبل هندي وكهربا عظمي وسندروس ، من كل واحد درهم . يدق السنبل الهندي وحدهُ وهو الترمة ، يُسحق كل واحد بمفردهِ ويُحرَّر وزنهُ ، ويُجمع ويُربَّب بماء ورق الزيتون المستقطَر دفعاتٍ ويُرفع ويُجفَّف ويُمسَّك بعنبر خام ومسك عراقي ان وُجد ، والّا فهندي ، من كل واحدٍ مثقال ويُرفع . نافع .

كحل آخر للحَوَل مجرَّب

يُؤخذ السندروس الصافي اللونّ يُسحق ويُجعل في خرقةٍ ويُعمل فتائل ويُجعل في صحفةٍ فيها دهن ورد ميلجي ، ويُكبّ عليها طاسة نحاس نظيفة حتى يعلق فيها الدخان ويُجمع بريشة ويُشَق بمسك خام وعنبر خام ويكتحل به فانه نافع.

مثال

من « صفة ادوية يسيرة مستعملة في البيمارستان ببغداد »

صفة سورنجان

نافع من الحفر في الفم ومن الحبّ

يؤخذ هليلج اصفر وقشور رمّان ، من كل واحد عشرة دراهم . عروق وثمرة الطرفاء ، من كل واحد خمسة دراهم . شبّ الحمرة ، درهمين ونصف . بزر الورد درهم . يُدقّ ويُنخل ويُستعمل ، يتسوّك بهِ ، ويتمضمض بعده بخلّ خمر مغلي فيه ورق السمّاق والآس (الريحان) وورق الزيتون ، او أيها اتفق ، ويتمضمض بعد الخلّ بدهن ورد . نافع ان شاء الله تعالى .

صفة برود الورد

النافع من حمّى اللثة

يؤخذ كسفرة محرقة ، وبزر بقلة ، من كل واحدٍ خمسة دراهم . ورد ، وثمرة الطرفاء (شجرة) ، من كل واحد خمسة دراهم . قاقلة ، وطباشير ، من كل واحدٍ درهم . ورق السمّاق ، وجلنار ، من كل واحد اربعة دراهم . يُدقّ ويُنخل ويُستعمل . نافع ان شاء الله تعالى .

صفة دواء يابس

يقطع الدم من الجراحات الطرية

يؤخذ انزروت ، جزئين . ودم الاخوين . من كل واحد جزء . وقشور الكندر ، جزء ويُجمع ويُدقّ ويُستعمل .

صفة دواء للسعفة الرطبة

يؤخذ اسفيداج الرصاص ، وقنبيل ، وقرظ ، وطباشير ، وجلنار، وعفص ، ومرداسنج ، من كل واحد نصف رطل(على حساب الاوقية الطبيَّة ثمانية دراهم)، جلنار، اوقيَّة، خزف التنُّور، رطل . يُدقّ ويُعجن بدهن ورد وخلّ خمر ويُستعمل .

صفة دواء للسعفة اليابسة

يؤخذ جلنار ، وعروق صفر ، ومرداسنج ، من كل واحد ثلاثة ارطال . راتينج ، وعدَس ، ومرّ ، وماميران صيني ، وزراوند طويل ، من كل واحد اوقيتين ، يُدقّ ويُعجن بخلّ خمر ودهن ورد ويُستعمل .

وقد علّق على هامش هذه الصفحة ناسخ هذا المخطوط محمد الميداني، وصفتين ايضاً للسعفة الرطبة وللسعفة اليابسة وذيّل الثانية باسمهِ وهما :

الأولى صفة طلاء للسعفة الرطبة

الكائنة في البدن او الرأس

اسفيداج ، وقنبيل وقرض (وقرظ) ، وطباشير ، وجلنار، من كل واحدٍ نصف اوقية. خزف التنُّور، اوقية، يُنعَّم سحقاً ويُعجن بدهن ورد وخلّ خمر ويُطلى بهِ .

الثانية صفة طلاء للسعفة اليابسة

جلنار ، وعروق صفر ، ومرداسنج ، من كل واحد جزء . وراتينج ، وعدَس، وماميران ، وزاوند طويل ، من كل واحد نصف جزء . يُنعَّم سحقها ويُعجن بخلّ . من كتاب الكافي في امراض العين . لكاتبه محمد الميداني

صفة مرهم الاسفيداج

المستعمل عند ثقل الجراحات والقروح ولنبات (ولانبات) اللحم في القروح والمواد الغائرة ولحرق النار ايضاً واللحام (وللالتحام) والجراحات التي تغلب عليها الحرارة

يؤخذ اسفيداج الرصاص خمسة دراهم ونصف ، ورد خمسة عشر درهماً ، شمع ابيض اربعة دراهم ، كافور قيراطين ان امكن ، والّا يُسحق الاسفيداج

في الهاون والكافور ، ويُغلى الشمع والدهن ويُطرح على الاسفيداج ويُدعك بالدستك حتى يلتئم ويُستعمل . فان لم يُحضَّر دهن ورد قام مقامهُ شيرج طرى ، فان سُحق مع الاسفيداج درهمين او ثلاثة مرداسنج مولّد كان اكبر نفعاً وشفاء ان شاء الله .

صفة مرهم الخلّ

النافع للقروح الحادثة من الاخلاط السوداوية والصفراوية المحرقة والسعفة في الرأس وفي جميع البَدَن وللسواد المزمنة

يؤخذ خمسة دراهم مُرداسنج مولّد ، يُدقّ ناعماً ويُربّى في الهاون بعشرة دراهم زيت ويُسقى عشرة دراهم خلّ خمر ثقيف (بكر) ويُربّى جيداً ويُستعمل .

صفة مرهم الزفت

النافع من شقوق السفل المزمنة والشقاق (التشقق) العارض في اليدين والرجلين المزمن

يؤخذ زفت رومي اربعة دراهم ، علك خمسة دراهم . يُجمع ذلك في طنجرة نحاس ويُغلى على الجمر ، الى ان يُداف ، ويُغلى ويُخلط ويُطرح على ثلاثة دراهم راتينج محروق ناعماً في هاون ويُدعك الجميع حتى يستوي ويلتئم ويُستعمل . نافع ان شاء الله .

شربة مسهلة

تنفع وجع الظهر والمفاصل وعرق النسا والنقرس وجميع المفاصل

بسفايج ، وسورنجان خراساني من كل واحد ثلاثة دراهم . تربد ، وغاريقون ، وحجر ارمني مغسول ، من كل واحد اربعة دوانيق ، سنامكي ثلاثة دراهم ، صبر اسقطري درهم . انيسون ، وبزر الكرفس ، وملح هندي ، من كل واحد دانقين ، يُجمع ذلك مدقوقاً منخولاً ، ويُفرك فيه دانق وحبّتين سقمونيا انطاكي مشوي ، ويُستفّ ، او يُعمل بنادق (حبوباً ، الحبّة بحجم البندقة) ويؤخذ نافع ان شاء الله تعالى .

مثال

من « صفة اكحال واشيافات منقولة من كتاب الكافي في امراض العين
بالحرف من غير زيادة ولا نقصان مع حذف بعض نسخ الاكحال »

صفة اشياف ابيض

من كتاب الحاوي ينفع من الرمد الحاد جداً والقروح

اسفيداج يسحق بماء ورد ويُطلى بهِ قَدَح ويبخّر بكافور ، ويُعمل ذلك ثلاث دفعات في ثلاثة ايام . ويؤخذ من اربعة دراهم كثيراء بيضاء ، ثلثي درهم نشادر ، يُعجن بماء ورد ويُشيَّف ويجفَّف ويُستعمل .

صفة اشياف يسمَّى اليوميَّة لجالينوس

يستعمل في ابتداء الارماد

نحاس محرق ، واقليميا الذهب ، وتوتيا،من كل واحد اربعة دراهم. قاقيا ، وصمغ عربي ، من كل واحد ستة دراهم . زعفران ، وافيون ، من كل واحد درهم يُنعَم سحقها ويُعجن ببياض البيض الرقيق ويشيَّف ويُجفَّف ويُستعمل .

صفة اشياف نافع من القروح والنتوء

توتيا اوقية ، شحم رمَّان حلو ، وشحم رمان حامض،وقرض (وقرظ) يماني، وعفص مرضوض،من كل واحد ستة دراهم . زرّ ورد منزوع الاقماع ، وسمَّاق ، من كل واحد ثلاثة دراهم . مرسين اخضر ، وورق زيتون اخضر، من كل واحد درهم ، يغلى الجميع في رطل ونصف ماء ورد حتى يبقى نصف رطل واتّهراً شحم الرمان ويترك من منخل بعد ان تنقَّى التوتيا وتسحق ناعماً ، ثمَّ يضاف الى الادوية ويُمرس (ويُموث) بقيَّة الثفل ويصفَّى ويُؤخذ ما صفا منها ويرتب به التوتيا وشحم الرمَّان ، فاذا جفَّ يضاف اليهِ توتيا مصوَّلة وطرائيث ، من كل واحد درهم ، ثمَّ يُعاد سحقهُ . ويؤخـذ منهُ ويُضاف اليهِ وزن ثمنهِ كثيراء بيضاء ويُعجن بماء ورد بلدي ويشيَّف ويجفَّف ورائحه (-كذا-) يبقى ذروراً . فاذا أُريد استعمالهُ يُحكُّ الشياف بماء ورق الزيتون ، او بمـاء مرسين اخضر

وُيقطر في العين ويتبع بذرة من الذرور الذي يبقى وتُوقد العين . واذا قويَ العضل يُستعمل الذرور خاصةً من غير تقطير .

صفة اشياف

يُلحم القروح بسرعة

شادنج مغسول خمسة دراهم ، شبح مُحرق مغسول اربعة دراهم ، قشر بيض نعام مغسول ممسوح بخرقة صوف اربعة دراهم ، صمغ عربي نصف درهم . يُنعَم سحقها ويُعجن بماء ورد بلدي ويشيَّف ويجفَّف ويُستعمل .

صفة اشياف الطرائيث

يردُّ النتوء ويُلحم القروح الحادثة في القرنية

توبال النحاس مغسول ، وتاقيا من كل واحد درهم ، شادنج مغسول نصف درهم ، سنبل ربع درهم ، طرائيث ربع درهم . يُنعَم سحقها ويُعجن بماء ورد ويُشيَّف ويُستعمل .

صفة اشياف يُسمَّى التفَّاحي

نافع من البثور والقروح الغائرة الوسخة والموسوج والمادة الكثيرة والطل الحادَّة القريبة العهد

اقليميا محرق مطفّى بلبن (حليب) النساء او لبن الأتن ستة عشر مثقالاً. اسفيداج ثمانية مثاقيل ، زعفران اربعة مثاقيل ، كُثيراء بيضاء مثقالين . يُنعَم سحقها ويُعجن بماء المطر ويشيَّف ويُجفَّف ويُستعمل .

صفة اشياف حيّ العالم

نافع من بقايا الارماد والسلاق والحكَّة والدمعة والسبل

توتيا مربّى بماء حيّ العالم عشر دفعات ، عشرة دراهم ، عروق صفر عشرة دراهم ، ماميران صيني ، ودار فلفل من كل واحد درهمين ، خولان هندي ثلاثة دراهم ، زنجبيل ، وزعفران من كل واحد مثقال ، لحاء هليلج اصفر خمسة دراهم ، صمغ عربي اربعة دراهم . يُنعَم سحقها ويعجن بماء حيّ العالم ويُشيَّف ويُجفَّف ويُستعمل .

صفة كحل اصبهاني

يقوّي العين ويحفظ صحتها

حجر اصبهاني ، وتوتيا هندي ، من كل واحد مثقال ، لولو كبّر درهم ، اقليميا الذهب نصف درهم . تُجمع بعد تصويلها وتربّب بماء عوسج . وماء رازيانج اخضر وماء ورد . يُعاد سحقهُ ويُضاف اليه قيراط مسك ويُستعمل .

ووجدنا على هامش هذه الوصفات وصفتي ذرور للاطفال . جاء في ذيل الوصفة الاولى انها منقولة : « عن تذكرة الكحّالين الكبرى » وهما :

الأُولى وصفة ذرور للاطفال ويقال لهُ المنجح الصغير

انزروت مربّى درهمين ، ششيزج مقشور نصف درهم . يُنعَم سحقها ويُستعمل ويُحفظ في اناء زجاج « من تذكرة الكحّالين الكبرى »

الثانية وصفة ذرور تستعملهُ الاطباء بمصر في ارماد الصبيان والوردنج

ويظهر اثر نفعه لوقته وهو جيّد بالغ النفع عجيب الفعل

انزروت مربّى بلبن (حليب) أُتن عشرة دراهم ، كشيزج ثلاثة دراهم . يُسحق ويُستعمل ذروراً . نافع .

صفة ذرور يجلو البياض (عن العين) مجرَّب

ذُكر انهُ مجرَّب دفعاتٍ عديدة ونجح نجاحاً حسناً . زنجار ، وأشق ، وسرطان بحري محرق ، من كل واحد خمسة دراهم . شحم حنظل درهمان ونصف . مرارة ثور ، وبورق ارمني ، من كل واحد درهمان . ملح اندراني ثلاثة دراهم . فلفل ابيض عشرون درهماً . زبد البحر اربعة دراهم . قشر بيض الفراريج ساعة خروج الفروخ منه ، ثلاثة دراهم . سحالة المسنّ الاخضر الحجازي ، خمسة دراهم . بعر الضبّ ، عشرة دراهم . لولو بكر ، اربعة دراهم . يُنعَم سحقها ويُخلط جيّداً ويُستعمل .

صفة طلاء ينفع من التآليل وانتشار الهدب

نُوره ، وزرنيخ ، وقلي ، ورماد البلّوط ، وملح ، من كل واحد جزء .

أشق ربع جزء . يُنعَم سحقهُ ويُعجن بسكر الزيت ودهن السوس ويُستعمل طلاء ، نافع من انتشار الهدب . دخان الكندر جزء . اسفيداج جزء . فربيون سدس جزء . يُعجن بماء قد نُقع فيه قسط ويُستعمل .

كحل للغشاوة

توتة هندية درهم . سكّر ثلاثة دراهم . عنزروت درهم . قشر بيض النعام درهم . يُسحق ناعماً ويُكحل بهِ ذرّاً او ميل . نُقل ذلك عن رجل مغربيّ وجُرِّب فصحّ . وهل محمّد ام رمضان ؟ (كذا) .

وصفة للحمّى

وجدنا هذه الوصفة مسطّرة على هامش الصفحة التي ننقل عنها وصفات الذرور والكحل ، واننا نعتبرها خرافةً ، وهذه هي بحرفيّتها :

يُروى عن بعض الصالحين ان كل من قرأ هذه الابيات في وقت حلول الحمّى ببدنهِ ، ثلاث مرّات فانها تذهب عنهُ ولا تعود اليهِ ، باذن الله تعالى . وهذه هي الابيات :

زارت ممحّصة الذنوب وودّعت   اهلًا بها من زائرٍ ومودّعِ
باتت معانقتي وبتُّ ضجيعها   وزفيرُها ولهيبُها في أضلُعي
قالتْ وقد عزمتْ على ترحالها   ماذا تريدُ ؟ فقلتُ ان لا ترجعي
لا ترجعي لا ترجعي لا ترجعي   لا ترجعي لا ترجعي لا ترجعي

صفة كحل

عن الشيخ النووي ، رضي الله عنهُ ، لوجع العين من اي جهةٍ كان
والله ثمّ والله ، كل ميل منهُ يساوي مئة دينار .

يؤخذ على بركة الله ، شبّ ، وراسخت ، ونشادر ، وزعفران ، وفلفل ، وزرنيخ اصفر ، وتوتيا ، وقرنفل . يُسحق الجميع سحقاً جيدًا . ثم تأخذ على بركة الله تعالى ، خلًّا حادقاً ويُعصر فيهِ ماء بصل ، وزيت طيّب ، وقطران . ويُخلط ويُسقى من ذلك الماء (اي تسقي هذا المعجون) ويجفّف السقي ولا

يزال يسقيه ثلاث مرات ، ويُجفَّف في الظل ويُسحق ويُرفع في اناء زجاج ويُستعمل . نافع ان شاء الله تعالى .

صفة دواء مجرّب

لجميع ما يطلع (ينبت) في الجسم من الرأس الى القدَم

يؤخذ زرّ ورد ، زرنيخ اصفر ، زرنيخ احمر ، حصالبان ذكر ، درهمين ، حنّاء قتل درهمين ، مرتك اربعة دراهم ، زفت ثلاثة دراهم . يُسحق الجميع ويُعمل مرهماً مربّى بدهن ورد ويُستعمل بعد الحمّام ، فانهُ مجرّب .

صفة دواء للربْة التي تنبت في رؤوس الاطفال

يُؤخذ شمع عسلي ، وسيرقون ، واسفيداج ، وقلفونة ، وزفت ، وزرنيخ احمر ، اجزاء سواء ، تسحق الجميع وتذوّب الشمع بالشيرج وتلقي عليه الاجزاء ، ويُرفع على نارٍ ليّنة ويُدهن بهِ بعد الحمّام ، فانهُ نافع ان شاء الله تعالى .

صفة مرهم للداء الذي عجزت عنهُ الاطباء

يُؤخذ علك البطم ، ولادن عشرة دراهم ، وتوبال النحاس والحديد من كل واحد خمسة دراهم . وجاوشير ، وكندر ، من كل واحدٍ سبعة دراهم . يُسحق الجميع ناعماً ، ويُحلّ الجاوشير بخلّ خمر حادق وتُخلط بقية الاجزاء وتُستعمل .

صفة دواء

تُطلى به اليدين اللتين فيها الشقاق (التشقّق) ويسيل منهُ الماء الاصفر

يُؤخذ ورق الخروع يُدق ويُعصر ويُتخضّب بهِ فانهُ يُبرئ ، ويُوضع منهُ على ~~الركب واوجاع المفاصل فانهُ~~ يبرئها باذن الله تعالى .

مرهم الزفت ويُعرف بمرهم الباسليقون

يُنبت اللحم في القروح الغائرة ويُلحم الجراحات الرطبة ويُدملها

شمع ابيض جزءان ، زفت وراتينج من كل واحد جزء ، ويحلّ الجميع بثلاثة امثالهِ زيت عتيق الى ان يختلط . وقد يُضاف اليهِ مقدار الشمع الابيض ، شحم خنزير عتيق ، فيكون اقوى في التحليل وتعديل المزاج .

ذرور الملكايا

معناهُ انهُ منسوب الى الملائكة لسرعة اثره وظهور نفعهِ ، فينفع من الرمد ويبرئهُ في يومهِ اذا استُعمل عند ظهور النضج وينفع الوردينج

انزروت مربّى بلبن (حليب) اثنا عشرة دراهم ، كشميزج ، وهو البشمة وتُعرف عندنا بالحبة السوداء ، وعند بعض الناس بتنقال ، نشا ، وسكّر نبات ، من كل واحد ثلاثة دراهم ، يُسحق الجميع ويُتخذ ذرورًا ويُرفع ويُستعمل . نافع ان شاء الله تعالى . (منقول بالحرف من كتاب مجهول لكنهُ نافع) .

اشياف الفاخرة

عن الرشيد بن منير رحمهُ الله

أشنة ، وكابلي مقشوراً ، وسمّاق مسحوق ، من كل واحد درهمين ، تُنقع هذه الحوائج (الاجزاء) في اوقية ماء ورد بلدي يوماً وليلة . ويصفّى ويُربّب فيهِ توتيا كرماني واذروحي مصوّلين ، من كل واحد ستة دراهم . لبّ حبّة السوداء درهمين ، ماميران وكثيراء بيضاء درهم .

اشياف قحطيّة

منسوبة الى ابن قحط عن القاضي ضياء الدين بن الفقاعي

توتيا مرازبني نصف اوقية مسحونة مصوّلة تربّى بماء ورد قد نُقع فيهِ اهليلج اصفر مثقالا . سمّاق مثقال ، أشنة نصف درهم ، يُنقع يومين وليلتين ، ويُمرث مرساجيد او يُصفّى من خرقة وتضاف اليه التوتيا المذكورة وماميران عراقي درهم ويُترك حتى يجفّ .

وفي نسخةٍ أخرى : انزروت درهم ، حبّة السوداء نصف درهم . فان اردتهُ ناشفاً فارفعهُ ، وان اردتهُ اشيافاً فأضف اليهِ كثيراء درهم ونصف.

صفة دواء للخراز

ومن وضعيّاتنا ، يعني الشيخ داود (الضرير الانطاكي) المجرّبة : رماد حشيش وشعير وسمسم ، من كل واحد جزء ، صبر ، وحنّاء ، ومرداسنج ، ومرتك ، من كل واحد نصف جزء . تُعجن بالخلّ والقطران ودهن الحبّة

الخضراء. وتقلى ليلة. وتُغسل الحرازة بطبيخ لب البطيخ والحمّص والكرسنّة. ثمّ ست . وكذا الدالك بعصارة قثاء الحمار (عشبة).

ومن الفوائد الغريبة ، ان شحم القنفذ والأوز اذا مُزج بدم الحمام وطُلي بهِ أذهب الحراز وأنبت الشعر (من تذكرة داود)[1].

دواء لقروح رؤوس الاولاد

زاج وزرنيخ وبورق محرقات وكبريت معجونة بالميمة ، طلاء .

صفة دواء لقروح الرأس وغيرها

يؤخذ عفص ، وزفت ، وصبر ، وهندي شعيري ، وقلفون ، وتوتية هندية ، وجلّنار ، اجزاء سواء ، يُسحق ويُسخّن السمن وتُلقى فيهِ هـذه الحوائج (الاجزاء) ويصير مرهماً ويُدهن بهِ الرأس ، يبرئهُ باذن الله تعالى .

وايضاً لقروح الرأس

وهو ابلغ من الاول

يؤخـذ زيبق درهمين ، رصاص اسود درهم ونصف ، كافور درهمين . يُلغم الزيبق بالرصاص ويُسحق مع الكافور ويضع عليهم شيرج وميعة سائلة خمسة عشر درهماً ويدهن بهِ الرأس ، يبرأ باذن الله تعالى .

وايضاً لقروح الرأس مجرَّب

يؤخـذ بزر قطن ويُحمّص حتى يحترق ويُدقّ ويُربَّب بزيت ويُطلى بهِ الرأس مرارًا يبرأ باذن الله تعالى ، مجرّب .

صفة كحل يسوّل البطن

سقمونيا درهمين ، زنجار خمسة دراهم ، اقليميا الفضّة ثلاثة دراهم ، صمغ عربي درهمين ، أشق سبعة دراهم، يدقّ الجميع ويكحل بهِ العين عشرة اميال. وهذه الادوية من الاشياء المكتومة عن العامة . من كتاب الحريري المتطبب.

---

[1] ان لداود الضرير الانطاكي هذا كتابًا يسمّى «تذكرة داوود» قد طُبع في مصر طبعتين ، وهو مجلّد كبير .

دواء للجَرَب مجرَّب

درهم زيبق ، وخمسة دراهم اسفيداج ، وعشرة دراهم شيرج ، ومثلهُ ميعة .
تُمرهم هذه الاجزاء ويدهن به ثلاث مرّات في ثلاث ليالي ، ويدخل الحمّام بعدها .

ذرور للبياض في العين

يُوْخذ زجاج اخضر فيُسحق بالماء حتى يلين ، ويُوْخـذ منهُ جزء ، ومن بورق ابيض جزء ، ومن سكّر طبرزد جزء ، ومن قشور البيض مغسولة منظفة مجفّفة مسحوقة ويذرّ في العين ، او يلحس العين ويذرّ فيـها بعد اللحس سكّر طبرزد . من كتاب الشمسيَّة في الطبّ .

للعَلَق الناشب في الحلق

يغر (من الفرغرة ، المضمضة) بالماء او الخل ، تُرمى العلقة الى الداخل .

استخراج دهن الافتيمون السكّري

يُوْخـذ من الافتيمون والسكّر اجزاء سواء ويسحق الجميع ويُقطَّر بالافلاطوني . وهو ينفع جميع الامراض الخارجة والداخلة . نُقل ذلك من (عن) كتاب الطبّ الكيماوي لهراكلـوس .

فائدة للحمَّى مجرَّبة

رأينا هذه الوصفة مسطَّرة بخطٍّ مختلف ، على قفا آخر ورقةٍ من هـذا الكتاب وهي : يُوْخذ من الترياق اربعة دراهم ، ومن الدودة درهم ، ومن دم الثوم ثلاثة دراهم ، ومن النشادر عشرة دراهم . يُعجن بماء الليمون ويوضع على نقرات الظهر ، من العنق الى الصلب . فانـهُ يُزيل الحمّى من اي نوع كانت من الحمّيات في اربع وعشرين ساعة ، باذن الله تعالى .

وصفة كحل روشنايا للغباشة في العين

رأينا هذه الوصفة ايضاً بخط مختلف على ورقة بيضاء في آخر هذا المخطوط وهي : نحاس محرق درهم ٤ ، اقليمات الفضة درهم ٤ ، ملح هنـدي درهم ٤ ،

بورق ارمني درهم ٤ ، رنجاره درهم ٤ ، دار فلفل درهم ٤ ، فلفل ابيض درهم ٨ ، فلفل اسود درهم ٨ ، زبد البحر مقشور درهم ٨ ، صبر اسقطري درهم ٤ ونصف ، سنبل الطيب درهم ٤ ونصف ، قرنفل درهم ٤ ونصف ، زنجبيل درهم ٢ ، نيل درهم ٢ ، زعفران درهم ١ ، نشادر درهم ١ . يُسحق ويُنخل في رقعة شاش حتى يصير مثل غبار الطاحون ويُكحل به للغباشة .

هذا ما رأينا ان ننقلهُ عن هذا المخطوط الثمين المسمّى: « تذكرة الكحّالين » ليطلع القارئ على سياقهِ ونهجهِ ، وان بهذا القدر حدّ الكفاية ولا حول ولا قوّة الّا بالله[1] .

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

تنبيه

ان اجزاء الادوية المفردة التي تتركّب منها العلاجات ، الواردة في مخطوط « تذكرة الكحّالين » هذا ، تجدها كلها عند الشيخ عبّاس ، عميد العطّارين في مصر ، حارة العطّارين . وتجد بعضها ايضاً في مخزن دبُّوس ، سوق ابي النصر في بيروت .

---

١) في خزانة مخطوطات دير الشير بكفرشيما — سوق الغرب — للرهبان الحلبيّين الملكيين ، نسخة خطيّة من هذا الكتاب معنونة « تذكرة الكحّالين في علم العين وما يتعلّق بها » . جاء في اوله ما يلي: « ابتدا رسالة عيسى بن علي المطبّب في امراض العين وعلاجها ، المعروفة بتذكرة الكحّالين وهي ثلاث مقالات . وصل كتابك ايها الاخ الفاضل حفظك الله . . . »

هذا الكتاب خطّهُ بالعربي على ورق معتدل في السمك ، مجلّد بكرتون ، يحتوي ثلاث مقالات ، يقع في ٣٠٨ صفحات طولهُ ٢٣ سنتمترًا بعرض ١٧ سنتمتر ، وعرض هامشه ٤ سنتمترات ، الصفحة منهُ تضمّ ١٧ سطرًا ومنها ١٨ سطرًا . وعُلّق على ورقة بيضاء في آخره وبخط مختلف نبذة وجيزة عن داء الجذام وعلاجه .

وردت في ذيل المقالة الثالثة وهي آخر الكتاب ، هذه العبارة التي ضمّنها ناسخ هذا الكتاب اسمهُ ولقبهُ وتاريخ نسخه وهي بحرفها : « تمّ الكتاب الحمد لله حمدًا دايمًا ابدًا الى يوم القيامة وكان الفراغ منها يوم الخميس في شهر رمضان المبارك سنة خمس وسبعين وتسعماية (١٥٦٧ م) على يد افقر عباد الله ابرهيم بن محمد بن الداني من قرية سرجة ، غفر الله لهُ ولوالديه ولكل المسلمين اجمعين سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين »

وثائق تاريخية عن المجمع اللبناني

مقال الاب اغسطينوس تشاسكا (تابع)

بقلم الخوري باخوس الفغالي
المأذون في اللاهوت
والدكتور في الحق القانوني ، والمحامي الروتالي

٥٩) وبعد ان قدم الفاحصون المنتدبون تقاريرهم عمد السيد « الكردينال الرئيس (بطرا) السامي الاحترام الى تلخيصها وقد عينه ملخصاً الحبر الاعظم بدلاً من السيد الكردينال رزونيكو المتغيب وذلك للتخفيف عن المصوتين السامي احترامهم»(٤٥). وقد جاء في صدر ذلك التلخيص ما يلي: «لا سبيل الى الارتياب من ان المجمع الاقليمي المنعقد في جبل لبنان سنة ١٧٣٦ التأم وفقاً للقوانين وذلك نظراً للسلطة التي امرت بانعقاده او للحرية في متابعته وانهائه وتوقيعه . لانه واضح من الاعمال السابقة لانعقاده ان البطريرك ورؤساء الاساقفة قدموا عريضة الى قداسة اكليمنت الثاني عشر الطيب الذكر والى مجمع انتشار الايمان المقدس ... يلحّون فيها بوجوب ايفاد سيادة السمعاني

٤٥) حاشية المؤلف : هذا ما جاء في بداية المختصر الموجود في المجلد الحادي عشر من المختلفات الخزانية .

59. Dopo che i tre deputati revisori presentarono i loro voti, ne fu fatto un ristretto dall'Emo Sig. «Cardinale Prefetto (Petra) e Ponente destinato da N. S. in luogo del Sig. Cardinale Rezzonico assente per minore incomodo degli Emi Votanti» (1), in principo del quale si legge: «Non può revocarsi in dubio, che il Sinodo provinciale raunato nel Monte Libano l'anno 1736 sia stato canonicamente celebrato, o si consideri rispetto all'autorità con cui fù intimato, o rispetto alla libertà, con cui fu proseguito, terminato e sottoscritto. Poichè dagli Atti preliminari del medesimo risulta l'istanza avanzata dal Patriarca, Arcivescovi e Vescovi alla s.m. di Clemente XII. alla Sag. C. di Propaganda Fide...di

(1) Come si legge in capo del Ristretto, esistente nel T. XI delle *Miscellanee* d'Archivio,

اليهم ليصلح ما فسد من التهذيب المشفي على السقوط . واوضح ايضاً . . . الامر بانعقاد المجمع الصادر عن البطريرك بالاتفاق مع القاصد . . . وواضح تعيين كل الموظفين اللازمين للمجمع وواضح اخيراً وجود رسائل عديدة وجهها البطريرك ورؤساء الاساقفة والاساقفة الى الكرسي الرسولي ملتمسين منه ان يتنازل ويدعم اعمال هذا المجمع بالسلطان الرسولي . وفي الايام الثلاثة التي سبقت . . . البطريرك ورؤساء الاساقفة والاساقفة غيروا ومحوا وزادوا بحرية تامة . . . كما يذكر سيادة عبدالله في ذيل المجمع صفحة ١٠٥ [٤٦] . . . ولم يمانع (القاصد) البتة في ان يستعملوا حريتهم في فحص الاحكام والقوانين كما يستخلص من الرسالة التي وجهها بكل تواضع البطريرك والاساقفة بتاريخ ٤ تشرين الاول سنة ١٧٣٦ الى اكليمنت الثاني عشر الطيب الذكر ، وقد اوردت في ذيل المجمع صفحة ٩٨ [٤٧] » . ويبدو واضحاً مما بسطه الكردينال الرئيس السامي الاحترام ان المجمع المقدس لم يفحص غير النص اللاتيني الموجود في المخطوط المنقسم الى ثلاثة مجلدات ، لان هذا المخطوط يحتوي على الاعمال السابقة لانعقاد المجمع ومنها التماس الرؤساء الموجه الى البابا والى المجمع المقدس والامر بانعقاد المجمع وتعيين موظفيه ولا اثر لكل ذلك في المخطوطين

٤٦) حاشية المعرّب : تعريب نجم صفحة ١٦٤ - ١٦٧ .

٤٧) حاشية المعرّب : تعريب نجم صفحة ١٥٦ .

doversi loro inviare Mons. Assemani, affine di porre riparo agli abusi della caduta disciplina. Risulta pure... l'intimazione del Sinodo fatta dal Patriarca col consenso dell' Ablegato... Lo stabilimento di tutti gli ufficiali necessarii alla celebrazione del medesimo... ed infine molte lettere del Patriarca, Arcivescovi e Vescovi trasmesse a questa S. Sede, nelle quali la supplicano di degnarsi avvalorare con autorità Apostolica gli Atti del mentovato Sinodo. Ne tre giorni precedenti... il Patriarca, Arcivescovi e Vescovi... moderarono molti Decreti, cancellarono e supplirono con piena libertà... secondo che rapporta Mons. Abdalla nell' Appendice del Sinodo p. 105... Non mai però sottrasse (l'Ablegato) alla di loro libertà la revisione de' Decreti e canoni, desumendosi ciò dalla lettera de' 4 Ottobre 1736. umiliata alla s.m. di Clemente XII. dal Patriarca, e Vescovi, rapportata nell'Appendice del Sinodo p. 98». Da questo esposto dell' Emo Card. Prefetto evidentemente risulta, che la S. C. non prese ad esaminare se non il testo latino, come si trova nel manoscritto diviso in tre tomi: imperocchè in

الآخرين اللاتينيين ولا في المخطوط العربي ايضاً . وكذلك توجد فقط في هذا المخطوط اللاتيني في الصفحة ٩٨ والصفحة ١٠٥ [٤٨] رسائل البطريرك والاساقفة التي لمح اليها الرئيس المذكور السامي الاحترام . وصحيح ان صاحب النيافة المذكور رغبة منه في اثبات الحرية التي تتمتع بها آباء المجمع في فحص القوانين والاحكام يستعمل فيما بعد نفس الكلام الذي استعمله الفاحص رودوتا [٤٩] وهو : «واخيراً ان نظرة تلقى على الاعمال الاصلية المكتوبة باللغة العربية والتي قدمت الى مجمع الانتشار المقدس ، وفيها عدد كبير من التحريفات المتناولة ما كان القاصد قد صاغ من احكام» . انما لا يدل ذلك على ان الفحص تناول الاعمال المكتوبة باللغة العربية بل فقط ، كما اشير في المقطع ٥٧ ، على ان رودوتا القى نظرة على المخطوط العربي فبان له ما فيه من شطب عديدة ، وذلك دون ان يشير بتاتاً الى ما لها من اهمية ودون ان يقابلها بالنصّ اللاتيني .

٦٠) والمخطوط اللاتيني المذكور مراراً لم يكن فقط موضوع فحص الفاحصين والتلخيص الذي اخضع لحكم الآباء السامية نيافاتهم قبل اجتماع

٤٨) حاشية المعرّب : تعريب نجم صفحة ١٥٦ وصفحة ١٥٩ .
٤٩) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٥٧ (من هذاالمقال) .

questo manoscritto, e non negli altri due latini, e molto meno nell'arabo, esistono gli *Atti preliminari del Sinodo*, di cui fan parte l'*istanza dei Prelati* al Papa ed alla S. C.; l'*intimazione del Sinodo*; e lo *stabilimento* degli ufficiali del medesimo. Parimenti, soltanto in questo manoscritto latino, *et quidem* a pag. 98 e 105, si leggono le lettere del Patriarca e de' Vescovi, cui alludeva l'Emo Prefetto, E' vero che più sotto lo stesso Emo, a provare la libertà usata dai Padri del sinodo nell'esame dei Canoni e Decreti, si serva delle stessissime parole usate dal Revisore Rodotà (§ 57), cioè: « E finalmente l'ispezione oculare degli atti originali in lingua arabica presentati alla S. C. di Propaganda, ne' quali si ravvisa un gran numero di alterazioni fatte a Decreti, che l'Ablegato avea formato»; ma ciò non vuol dire che si siano esaminati gli Atti in arabo; soltanto indica, come si è notato al citato § 57, avere il Rodotà guardato il manoscritto arabo, e constatato le molte cancellature in esso esistenti, senza averne in alcun modo rilevata l'importanza, e collazionata col testo latino.

60. Se non che, il più volte nominato manoscritto latino non solo formò l'oggetto dell'esame de' Revisori, e del Ristretto sottoposto al giudizio degli

السابع والعشرين من آب سنة ١٧٤١ المعروف بل انه وحـده كان هدف الاجتماع المذكور وهذا اكيد لانه طُرح فيه السؤال الخامس التـالي : «هل يجب ان يقدم الى قداسته الرأي بتثبيت المجمع المذكور بموجز رسولي ايضاً.» واجيب عليه بما يلي : « يجب الاتجاه الى الاب الاقدس ليتنازل ويثبت المجمع بموجز رسولي بعد ان يزاد على النسخة الاصلية بعض ملاحظات واصلاحات في بعض القوانين كما نبهنا الى ذلك في صفحة افردت لهذا الغرض وقد عهد الى الكردينال الملخص السامي الاحترام تنفيذ مـا ذكر بحيث يشتمل الموجز الرسولي على تثبيت النسخة الاصلية دون ان يذكر فيهـا الاصلاح الآنف الذكر » . والصفحة المفردة هي بخط المؤلف وقد خيطت في آخر المجلد الثاني من المخطوط اللاتيني المعروف[٥٠] ويؤمر فيهـا بادخال خمسة عشر اصلاحاً في النصّ ويعيّن فيهـا علاوة على ذلك القسم والباب والعدد والصفحة ايضاً من المخطوط حيث يجب ادخالها . وينتج عن مقابلة هذه الاماكن الخمسة عشر انها توافق تماماً صفحات المخطوط اللاتيني المذكور لا المخطوط العربي . وعليه فان النسخة الاصلية التي يجب « ان يُزاد فيهـا بعض الملاحظات والتي ينبغي تثبيتها دون ان يذكر فيها الاصلاح الآنف الذكر » ما هي الا نفس المخطوط

٥٠) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٩ (من هذا المقال) .

Emi Padri prima della nota Congregazione de' 27 Agosto 1741, ma esso solo altresì fu avuto di mira nella medesima Congregazione. E per fermo: nel Decreto in essa emanato, al quinto dubbio: «*An sit consulendum SSmo pro approbatione Synodi etiam per Breve Apostolicum*, vien risposto» (sic), *ad SSum ,qui dignetur approbare Synodum cum Brevi Apostolico, posteaquam in Originali fuerint adiectae aliquae adnotationes, et reformationes in quibusdam canonibus, sicut in folio ad partes, cuius exequutio commissa fuit Emo Card. Ponenti, ita, ut in Brevi fiat approbatio Originalis absque mentione dictae emendationis*». Ora nel folio *ad partes*, il cui autografo trovasi cucito in fine del secondo *tomo* del noto manoscritto latino (§.29), si ordinano 15 correzioni da introdursi nel testo, e si citano, oltre la parte, il capo ed il paragrafo, benanche le pagine del manoscritto, in cui devono porsi le dette emendazioni. Confrontate tutte queste 15 citazioni, n'è risultato ch'esse corrispondono esattamente alla paginazione del suddetto manoscritto latino, non già a quella dell'arabo; donde si deduce che l'Originale, in cui si doveano aggiungere *aliquae adnotationes*, e la cui approvazione dovea farsi *absque mentione dictae emendationis*,

اللاتيني المشار اليه . ولا عبرة بما قاله خلاف ذلك كاتب الملحوظة الخزانية الاولى[٥١] الذي استنادًا الى عبارات القرار المشار اليها يرى تمكننا ان نحمل على الاعتقاد: «بان المجمع المقدس كانت نيته ان يثبتَ البابا مباشرة النسخة العربية التي تستحق ان تسمى اصلية بحصر المعنى». والاعمال اللاتينية ايضاً كما رأينا في المقطع ٥٥ سُميت اصلية وبهذه الصفة دفعها السمعاني الى المجمع المقدس . ويثبت ذلك ايضاً كلام المجمع المقدس الموما اليه في السؤال الرابع وجوابه عليه . وهاك ما جاء في هذا السؤال[٥٢] : «هل يجب ان يثبت القانون القاضي باستقرار الاساقفة . . . وما القول في الملحق بذيل المجمع في الفصل الحادي والاربعين المشتمل على تقسيم كراسي الاساقفة» . . . اما الجواب فهو : «يجب تثبيت القانون . . . والرجوع الى الاب الاقدس فيما انطوى عليه الفصل الحادي والاربعون في ذيل المجمع» . والذيل والفصل الواحد والاربعون لا اثر لهما في المخطوط العربي بل انهما ضُمَّا الى المخطوط اللاتيني المشار اليه آنفاً . وعليه فان هذا المخطوط وحده تناوله فحص الكرسي الرسولي وتثبيته بصفته النص الاصلي للمجمع اللبناني .

٥١) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٥ .
٥٢) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١٣ (من هذا المقال) .

non altro sia, se non lo stesso manoscritto latino. Nè vale l'osservazione fatta in contrario dall'estensore della 1ª nota d'Archivio (*Som.* n. V), allorchè dalle riferite espressioni del Decreto, dice potersi essere indotti a credere «che la S. C. intendesse, che si approvasse direttamente dal Papa l'esemplare arabo, il quale parlando a rigore meritava la qualifica di originale.» Imperocchè anche gli atti latini, come si è veduto al §. 55, venivano chiamati *originali*, e come tali consegnati dall'Assemani alla S. C. Ciò viene altresì confermato dall'enunciazione e risposta data nella medesima S. C. al quarto dubbio. In questo si diceva (§. 13): *An canon quoad residentiam Episcoporum... sit approbandus, et quid quoad Appendicem Synodi Cap.* 41, *in quo adest divisio sedium Episcopalium... e fu risposto: Pro approbatione Canonis... et ad SSum quoad contenta in Appendice Cap.* 41. Ma l'appendice col cap. 41 non esiste nell'arabo, bensì nel su menzionato manoscritto latino; dunque questo e non altro costituiva l'oggetto dell'esame e dell'approvazione della S. Sede, come *originale* del Sinodo Libanese.

٦١) وزد على ذلك ان الاصلاحات الخمسة عشر التي امر المجمع المقدس بادخالها في النص الاصلي لم يدخل منها في النصّ العربي اثنان وهما الثاني عشر والثالث عشر . وقد ذكرنا ذلك في المقطع ٥٧ . فالاصلاح الاول يتعلق بالعبارات التالية : « ولما كان من التقليد القديم عند عامة الشرقيين ان ذوي الدرجات الصغيرة والشدادقة والشمامسة والقسوس يستبقون حتى في حالة الكهنوت النساء اللواتي كانوا قد اقترنوا بهن[٥٣] » . وقد امر المجمع المقدس ان تبدل لفظة « تقليد » بلفظة « عادة » . واما النص العربي فانه يحتوي على لفظة « عادة » بالذات وليس على لفظة « تقليد » . وامر في الاصلاح الآخر ان تزاد لفظة « الانطاكية »[٥٤] على العبارة التالية : « ان الروح القدس يدعوك لان تكون بطريركاً على انطاكية الكبرى وعلى كل خطة السدة الرسولية »[٥٥] .

وهذه الزيادة لا لزوم لها البتة في النصّ العربي حيث جاء : « ان الروح القدس يدعوك لتكون بطريركاً على انطاكية الكبرى مدينة الله وعلى كل خطتها وسدتها الرسولية »[٥٦] . ويُبان هكذا ان الضمير « ها » يعيّن بدقة في النص

٥٣) حاشية المؤلف : صفحة ١٦١ عدد ٣٥ (تعريب نجم صفحة ٣٦١) .

٥٤) حاشية المعرّب : راجع الحاشية ٤٣ .

٥٥) حاشية المؤلف : صفحة ١٧١ عدد ٤٧ (والصواب عدد ٢٠) (تعريب نجم صفحة ٤٢٧) .

٥٦) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٥٦ حاشية ٢ .

61. Inoltre, tra le 15 correzioni ordinate dalla stessa S. Congregazione nel testo *originale*, ve ne sono due, la 12e la 13, che non hanno luogo nel testo arabo come si è notato al § 57. La prima riguardava le parole: «*Quum vetus Orientalium omnium sit traditio, ut earum* (sic) *Clerici, Subdiaconi, Diaconi, et Presbyteri uxores etiam in Sacerdotio retineant*» (Ed. lat. p. 161, n. 35); ove la S. C. dispose che alla parola *traditio* si sostituisce *consuetudo*. Ma nell'arabo v'è appunto *consuetudo*, e non *traditio*. Coll'altra correzione si ordinava che al comma: «*Spiritus Sanctus vocat te, ut sis Patriarca super civitatem magnam antiochiae, et ditionem universam Apostolicae Sedis* (Ed. lat. p. 171, n. 47), si aggiungesse «*Antiochenae*».(sic) quale addizione non è punto necessaria nel testo arabo, il quale legge: «*Spiritus Sanctus vocat te, ut sis Patriarcha super civitatem Dei magnam antiochiae* (sic), *et ditionem eius et super Sedem* EIUS *apostolicam*». (*Som.* n. 111, p. 56, *nota* 22). Come si scorge, col pronome possessivo *eius* si determina esattamente nell'arabo quale sia la Sede

العربي السدة الرسولية المقول عنها . ولذلك لم يكن هناك من حاجة اصلًا الى الزيادة المقصودة . وعليه فان المجمع المقدس عندما طلب من البابا ان يثبت المجمع » بعد ان يزاد على النسخة الاصلية بعض ملاحظات واصلاحات « لم يقصد بقوله غير النص اللاتيني لنفس المجمع .

٦٢) وصحيح ايضاً ان موجز التثبيت[٥٧] ، لا يشير اصلًا لا الى النص اللاتيني ولا الى النص العربي وقد جاء فيه فقط : » ونحكم بان تكون رسالتنا هذه والمجمع بما اشتمل عليه من الرسوم والاوضاع والاحكام والقوانين ثابتة راسخة على الدوام نافذة في الحال والاستقبال حاصلة على مفعولها من وجه التام والكمال مرعية عند الجميع وعند كل واحد ممن تتعلق بهم في الحال والاستقبال رعاية سالمة بكل اجزائها ومشتملاتها « . وبالرغم من ذلك فان الاعمال المكتوبة باللغة اللاتينية اعتبرت في روما بعد التثبيت ايضاً وحدها شرعية واصلية . وهذا واضح اولًا مما كتبه نفس الحبر بنديكتوس الرابع عشر مُصدر الموجز المذكور في كتابه » في مجمع الابرشيات «[٥٨] حيث يتكلم عن اشتراك العلمانيين بالمجامع ويستشهد لذلك بالمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦

٥٧) حاشية المؤلف : » اهتمام الاحبار الرومانيين الفريد « عدد ١٠

٥٨) حاشية المؤلف : قسم ٣ باب ٩ مقطع ٥ .

Apostolica, di cui è parola, e perciò non vi era affatto necessità dell'addizione proposta. Dunque la S. C. proponendo al Papa di approvare il Sinodo, *postquam in* ORIGINALI *fuerint adiectae aliquae adnotationes et reformationes*, non altro ebbe in mira, se non il testo latino dello stesso Sinodo.

62. È vero per altro che nel Breve confermativo (*Singularis RR. Pontificum* n. 10) non si fa alcuna menzione nè del testo latino e nè dell'arabo, ma semplicemente si dice: «*Decernentes easdem praesentes litteras, ac Synodum, in eaque edita statuta, ordinationes, decreta, et canones huiusmodi semper firma, valida et efficacia existere, et fore, suosque plenarios, et integros effectus sortiri, et obtinere, ac ab omnibus, et singulis ad quos spectat, et pro tempore quandocumque spectabit, in omnibus, et per omnia inviolabiliter et inconcusse observari*». Ciò non ostante, gli Atti latini sono stati considerati in Roma, anche dopo l'approvazione, come i soli *autentici originali*. E primieramente ciò risulta dallo stesso Pontefice Benedetto XIV, ch'emanò il surriferito Breve, il quale nell'opera *De synodo Dioecesana*, lib. III, cap. IX, § V, parlando dell'intervento dei laici nei Sinodi, cita in proposito il Sinodo Libanese dell'anno

مورداً لائحة الاعيان الذين حضروه ومضيفاً ما يلي : « وقد تصدر هذه اللائحة الكتابة التالية : الاعيان الخ ... ويلي ذلك اسماؤهم . واعمال هذا المجمع لم تُطبع بعد بل انها محفوظة خطاً في خزانة مجمع انتشار الايمان المشار اليه . ونتيجة ذلك ان مخطوطنا اللاتيني حيث دوّنت[٥٩] اللائحة والكتابة المشار اليها « الاعيان » كان يعتبره الحبر متضمناً اعمال المجمع المذكور المثبت لانه لم يكن باستطاعته التكلّم عن المخطوط العربي الذي كان نقل الى الشرق وهو لا يشتمل على اللائحة المذكورة .

٦٨)[٦٠] وفضلاً عن ذلك فقد كتب المجمع المقدس بتاريخ التاسع عشر من حزيران سنة ١٧٩٠ الى القاصد الرسولي سيادة ادم[٦١] يأمره بالحؤول دون انتشار الطبعة العربية « الى ان تنتهي مقابلتها بالنص الاصلي الموجود في خزانتنا » وهذا النص الاصلي هو النص اللاتيني لا العربي الذي كان آنذاك في الشرق . وزد على ذلك انه في تلخيص كانون الثاني سنة ١٨٨٢ المتعلق بالطبعة العربية[٦٢] اطلق باستمرار على الاعمال (المكتوبة) باللغة اللاتينية اسم الاعمال الاصلية

٥٩) حاشية المؤلف : صفحة ١٢٤٧ .

٦٠) حاشية المعرّب : كذا والصواب ٦٣ .

٦١) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٢ (من هذا المقال) .

٦٢) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٣٢ (من هذا المقال) .

1736, adducendo il catalogo dei Magnati che in esso intervennero, e soggiunge: *Cui quidem catalogo sequens inscriptio praefixa est*: *Magnates* etc. *Tum Subiiciuntur eorum nomina. Huius Synodi Acta nondum typis edita sunt, sed manuscripta asservantur in Tabulario supradictae Congregationis de Propaganda Fide*». Dal che rilevasi che il nostro manoscritto latino, nel quale è registrato, a pag. 1247, il catalogo colla succitata iscrizione *Magnates*, era considerato dal Pontefice come contenente gli Atti approvati del detto Sinodo; giacchè non potea parlare dell'arabo, e perchè già riportato in Oriente, e perchè non contenente il detto catalogo.

68. (sic) Inoltre nella lettera dei 19 Giugno 1790, che fu scritta al Delegato Apostolico Mons. Adami (§.22), la S. C. ordinava che venisse sospesa la publicazione dell'edizione araba «fintanto che possa farsene il confronto col *testo originale che abbiamo qui nel nostro Archivio.*» Questo *testo originale* non poteva essere l'arabo, il quale allora trovavasi in Oriente, era bensì il latino. Dippiù, nella Ponenza del Gennaro 1882, *sull'edizione araba* (§.32), gli atti latini vengono cons-

التي وحدها ثبتها الكرسي الرسولي . وهذا ما دعا المجمع المقدس الى الاعتقاد الراسخ بانه ثبت فقط النص اللاتيني . ويبدو هذا الاعتقاد اكثر جلاء مما كتب الى البطريرك بتاريخ الرابع عشر من نفس الشهر وهذا مآله : «بناء على ان طبعة المجمع اللبناني اللاتينية يجب ان تعتبر وحدها شرعية وحاصلة على التثبيت الرسولي فالمجمع المقدس لا يمكنه ان يسمح للاساقفة المارونيين بان يعيروا اقل اهمية لتلك الطبعة العربية[٦٥] وعليه ينبغي ان تتلطفوا سيادتكم وتأمروا اساقفة طائفتكم ان يمتنعوا في الاحكام الكنسية وسياسة ابرشياتهم عن استعمال نسخة المجمع اللبناني المذكورة والمطبوعة باللغة العربية والا يبتعدوا عن معنى الطبعة اللاتينية لنفس المجمع ... الذي يجب ان تُعتبر وحدها شرعية لانها تتضمن احكام المجمع المشار اليه بهذه الصيغة التي بحسبها ثبتها وقررها الكرسي الرسولي بعد ناضج الفحص[٦٦] . وفضلاً عن ذلك قد ذُكر في المقطع ٣٤ انه في الاجتماع العام المنعقد في التاسع من كانون الاول سنة ١٨٤٥ عُرض على بساط البحث انتخاب البطريرك الجديد يوسف الخازن الذي قام به مجمع

٦٥) حاشية المؤلف : وكان قد مرَّ ذكرها قبل ذلك بقليل باعتبارها مباينة للطبعة اللاتينية .

٦٦) حاشية المؤلف : الملحوظة الخزانية المضمومة الى تلخيص كانون الثاني ١٨٨٢ المشار اليه . مجمل صفحة ٢١ .

tantemente chiamati *gli originali ed i soli approvati della* (sic) *S. Sede*. Donde si desume la ferma persuasione della S. C. di aver approvato il solo testo latino, quale persuasione meglio apparisce dalla lettera scritta il 14 dello stesso mese al Patriarca, così concepita: «Essendo la edizione latina del Sinodo suddetto quella sola che deve riguardarsi come *autentica ed approvata* dalla S. Sede, non può la S. C. permettere che dai Vescovi maroniti si faccia conto alcuno di una tale edizione araba (erasi nominata poco prima come discordente della (sic) latina). Laonde V. S. si compiacerà di ordinare ai Vescovi della sua Nazione che nelli giudizii ecclesiastici, e nel governo delle loro Diocesi si astengano dal far uso del suddetto esemplare del Sinodo Libanese stampato in arabo, e non si discostino dal senso della edizione dello stesso sinodo in lingua latina... che è la sola che deve considerarsi come *autentica* essendo questa che contiene i decreti del detto Sinodo in quella forma in cui dopo un maturo esame *sono stati approvati e confermati* dalla S. Sede (*Nota d'Archivio nella citata Ponenza di Genna.* 1882, *Som.* p. 21). Di più, come si è notato al §.34, nell'adunanza generale de' 9 Decembre 1845,

الاساقفة . وقد لوحظت طريقة الانتخاب فبان منهـا ان هناك فرق جدير بالذكر بين النصين العربي واللاتيني . ولذلك اجاب المجمع المقدس بالايجـاب على جميع نقاط السؤال التالي : « هل يجب ان يجدد الامر برعاية القرار المثبت النسخة اللاتينية للمجمع اللبناني . وهل يجب بالتالي ان يمنع العلمـانيون من الاشتراك بحجابة المجمع » وعليه بناء على ارادة نفس المجمع المقدس كتب الرئيس السامية نيافته بتاريخ ٦ شباط سنة ١٨٤٦ الى البطريرك الجديـد ما يلي : « يوافق بهذه المناسبة ان يُذكر احد الفروق الجسيمة القائمة بين النسختين العربية واللاتينية لنفس المجمع اللبناني . . . لم يكتفِ اذن رفاقي السامية نيافتهم بحصول الحرية الكاملة في الانتخابات . . . بل شاؤوا ايضاً في هذا الظرف المناسب ان يتحاشوا الاضرار التي تنتج غالباً عن الاختلافات الجسيمة التي تُرى بين النسختين . وعليه فقد امروا بان يُصرح لسيادتكم بما قد اعلم بـه سالفكم تبعاً لقرار التاسع من كانون الثاني سنة ١٨٣٢ القاضي بان يُحذر (سالفكم) الاساقفـة والاكليرس باجمعه من استعمال الطبعة العربية لكونها محرّفـة ومزوّرة . وبانه على الجميع ان يستعملوا النسخة التي طبعها المجمع المقدّس في رومية [٦٥] » . وينتج بوضوح عن نهج المجمع المقدس هذا

٦٥) حاشية المؤلف : المحل نفسه .

esaminandosi la elezione del nuovo Patriarca Giuseppe Gazzeno fatta dal Sinodo de' Vescovi, e notandosi dal metodo tenuto in detta elezione esservi rimarchevole differenza tra i due testi latino ed arabo, al terzo dubbio: «*Se nuovamente debba ingiungersi l'osservanza del decreto che sanziona l'esemplare latino del Sinodo Libanese, e quindi escludere l'intervento dei laici alla custodia del Sinodo,*» venne risposto: *Affirmative in omnibus*. E quindi ai 6 Febbraro 1846 l'Emo Prefetto per volontà della stessa S. C. così ne scriveva al nuovo Patriarca: «In questa occasione convenne notare una delle notabili differenze che si trovano tra gli esemplari latino ed arabo dello stesso sinodo Libanese... Non soddisfatti quindi gli Emi miei Colleghi d'aver provveduto alla piena libertà delle elezioni... si volsero benanche in tale opportuno incontro a provvedere ai gravi inconvenienti, cui non di rado dan luogo le notabili discrepanze, che si osservano fra i due esemplari. Ordinarono quindi che si notificasse a V. S. quanto già si era fatto conoscere al di Lei predecessore in seguito di una risoluzione dei 9 Gennaro 1832 in forza della quale doveva egli ammonire i Vescovi e tutto il clero; onde più non si usasse l'araba edizione qualificata come spuria ed infedele: ma bensì venisse da tutti adoperata

المتماثل والمستمر انه لم يعتبر قط شرعياً بحصر معنى هذه العبارة غير النص اللاتيني وحده للمجمع اللبناني[٦٦] .

٦٤) ومما قيل الى الآن يمكن بكل صواب ان نختصر بما يلي تاريخ تثبيت المجمع المشار اليه : « رجع السمعاني من الشرق ودفع الى المجمع المقدس النصين العربي واللاتيني للمجمع المذكور . ثم تداخل البطريرك حاملاً على شرعيته وانشغل المجمع المقدس بفحص الكتابات العديدة المتقدمة من كلا الطرفين بشأن القوانين الثلاثة المختلف عليها[٦٧] . وقرر نفس المجمع المقدس في اجتماع الثلاثين من ايار سنة ١٧٤١ ان يصار الى فحص المجمع كله فعين البابا ثلاثة فاحصين احدهم ليفحص النص اللاتيني والثاني ليفحص النص العربي فقط بحيث يدوّن الشطب والزيادات دون ان يجزم باهميتها . واما الثالث فقد كتب اربع ملاحظات لا اشارة فيها الى النص الذي كان بين يديه . وينتج عن ذلك بوضوح ان الفاحصين لم يجروا مقابلة البتة بين النصين . وبعد ذلك عمد الرئيس السامي النيافة الى تلخيص التقريرات المقدمة واخضع عمله لفحص المجمع المقدس

٦٦) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٣٧ (من هذا المقال) .

٦٧) حاشية المؤلف : راجع المقطعين ١١ و ١٢ (من هذا المقال) .

---

quella che stamposi già in Roma per cura della S. C...» (Ibid.). Da questa condotta uniforme e constante della S. C. evidentemente risulta, aver essa mai sempre tenuto il testo latino come il solo autentico del Sinodo Libanese, nel senso rigoroso della parola. (§. 47)

64. Dal fin qui detto si potrebbe con tutta ragione riassumere la storia dell'approvazione del predetto Sinodo nel modo seguente: Ritornato l'Assemani dall'Oriente, consegnò alla S. C. il testo arabo e latino del mentovato Sinodo; intervenuto l'appello del Patriarca contro la legittimità del medesimo Sinodo, la S. C. si occupò ad esaminare le molteplici scritture dall'una e dall'altra parte prodotte circa i tre Canoni controversi (§§. 11-12). Nella radunanza dei 30 Maggio 1741 la stessa S. C. determina di far esaminare tutto il Sinodo, ed il Papa nomina tre revisori, dè quali uno esamina il solo testo latino, l'altro il solo arabo per notarne le cancellature e le aggiunte, senza pronunziarsi sulla portata delle medesime; il terzo fa in genere quattro osservazioni che non rilevano quale testo abbia egli avuto nelle mani; d'onde risulta evidentemente non avere i Revisori eseguito alcun confronto tra i due testi. Dopo ciò l'Emo Prefetto fa un ristretto delle relazioni esibite, e lo sottopone all'esame della S. C. Particolare: questa

الخاص ، الذي ثبّت بعض ما استنتجه الفاحصون المذكورون وامر بانه يجب ان يدخل في النسخة الاصلية خمسة عشر اصلاحاً وعيّن الصفحة التي يجب ان تحتلها . والمحلات المذكورة توافق تمام لموافقة صفحات المخطوط اللاتيني الذي فُحص ووضع بعد ذلك في خزانة البروبغندا واستشهد به الحبر بنديكتوس الرابع عشر وهو نفس النص الذي سُمّي في اجتماع سنة ١٨٣٢ العام اصلياً وشرعياً لانه وحده مثبّت . ولا بد ان نستخلص من كل ذلك ان الكرسي الرسولي ثبّت نص المجمع الذي يعرفه وهذا لم يكن غير النص اللاتيني الذي نقل بامانة في طبعة سنة ١٨٢٠ .

٦٥) ولو كان الامر خلاف ذلك لتوجّب علينا ، بغض النظر عن مبدأ الكرسي الرسولي وهو انه لا يثبّت المجامع المكتوبة بلغة غريبة ، ان نقول ان المجمع المقدّس والبابا بتثبيتهما المجمع اللبناني قد ثبّتا ما يجهلان وذلك مستحيل . وصحيح انه ليس هناك من وثيقة تشير الى انه جرت مقابلة بين النصّين العربي واللاتيني وقد يُستدل على عكس ذلك مما قيل في المقطع ٥٨ . ولا اثر البتة في النص اللاتيني لما يُستدل منه على ان النص اللاتيني هو ترجمة

approva alcune conclusioni degli stessi Revisori; ordina doversi introdurre nell'originale 15 correzioni, e cita le pagine ove quelle doveano collocarsi: detta citazione corrisponde esattamente alla paginazione del manoscritto latino che era stato esaminato, e che poscia collocato nell'Archivio di Propaganda, vien citato dal Pontefice Benedetto XIV, e chiamato *originale autentico e solo approvato* nella generale adunanza del 1832. Da tutto ciò non può non conchiudersi, la S. Sede aver approvato quel testo del Sinodo che l'era noto, e questo era appunto il latino, riprodotto fedelmente nell'edizione latina del 1820.

65. Se non fosse così bisognerebbe dire, prescindendo anche dalla massima della S. Sede di non approvare Sinodi in lingua straniera, che la S. C. ed il Papa, approvando il Sinodo Libanese, avrebbero approvato l'ignoto, ciò che sarebbe assurdo. E per vero, da niun documento risulta essersi fatta collazione tra il testo arabo ed il latino, anzi da ciò che si è detto al §.58 apparirebbe il contrario; nel testo latino non esiste veruna prova, d'onde possa conchiudersi essere il medesimo una traduzione fedele ed autentica dell'arabo; l'Assemani dice nella sua Relazione (§.11) di aver fatto copiare nel Libano il testo latino da sè tradotto: e di averlo esibito una coll'arabo alla S. C. come *testo originale*, senza constatarne l'uniformità. Dunque alla Propaganda non constava punto la consonanza del testo arabo col latino, e perciò, approvando quello, avrebbe approvato l'ignoto.

امينة وصحيحة للنص العربي . فالسماني يقول في تقريره[٦٨] انه استنسخ في لبنان النص اللاتيني الذي ترجمه ثم قدمه مع النص العربي الى المجمع المقدس باعتباره النص الاصلي ولم يتحقق الموافقة . وعليه فجمع الانتشار لم يكن البتة على بينة من اتفاق النصّين العربي واللاتيني ولذلك تثبيته النص العربي هو تثبيت شيء مجهول . واذا شئنا ان نتجنب هذا الامر المستحيل بقولنا ان المجمع المقدس كان يعرف النص العربي نقع في امرٍ اكثر استحالة وهو بان نسلّم بان بابا سامي الحكمة كبنديكتوس الرابع عشر ثبّت بمعرفة تامة مجمعاً يهمل تقريباً كل القسم التعليمي ويحرّف قوانين المجامع القديمة واقوال الآباء والاحبار الرومانيين ويحذف منها ويفسد ما بين الاساقفة والبطريرك وما بين هذا والبابا من علاقات . ويساوي ايضاً البطريرك والبابا ويشتمل اخيراً على عبارات ملتبسة ومبهمة تناقض عقيدة الكنيسة وآدابها وتهذيبها مما تبينه مجموعة المغايرات .

٦٦) انما هناك اعتراض وهو ان الكردينال رئيس البروبغندا امر سنة ١٧٤٢ وذلك بعد تثبيت المجمع بان يدفع الى الاب الياس سعد رسول البطريرك نص المجمع العربي مع موجز التثبيت ملزماً اياه بان يسلمه الى البطريرك المشار اليه لينقله[٦٩] . ويستدل من ذلك ان الكرسي الرسولي قد ثبّت ايضاً النص

٦٨) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١١ (من هذا المقال) .

٦٩) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١٤ (من هذا المقال) .

Se poi si volesse evitare un tale assurdo, col dire che la S. C. conosceva il testo arabo, si cadrebbe in un altro assai più grosso. Si verrebbe cioè ad ammettere avere un Papa sapientissimo, qual'era Benedetto XIV, approvato ad occhi aperti un Sinodo, il quale omette quasi interamente la parte dottrinale; tronca ed altera i Canoni degli antichi Concilii, i testimonii dei Padri e dei Romani Pontefici; perverte le relazioni tra Vescovi e Patriarca, e tra questo ed il Papa; anzi quasi eguaglia quello a questo; ed in fine presenta tali e tante dubbie ed equivoche espressioni da urtare il domma, la morale e la disciplina della Chiesa, come può vedersi dalla raccolta delle varianti.

66. Ma si potrebbe opporre: nel 1742, dopo l'approvazione del Sinodo, il Card. Petra Prefetto di Propaganda fece consegnare a Don Elia Felici, inviato del Patriarca, il testo arabo una col Breve di conferma, coll'obbligo di portarlo al Patriarca medesimo affine di copiarlo (§. 14). Dal che risulterebbe, avere la

العربي وانه امر برعايته عندما قضى بنسخه . ان النتيجة شرعية وما من جواب مقنع عليها غير التالي : ان المجمع المقدس والبابا اعتقدا عفوًا او بناء على قول الغير ان النصّين متماثلين تمامًا وهذا الامر لم يكن صحيحاً .

(له صلة)

S. Sede approvato *anche* il testo arabo, e comandando di copiarlo, averne ordinata l'esecuzione. La conseguenza è legittima, cui non si può dare altra convincente risposta, se non che: la S. C. ed il Papa credettero o si fece loro credere l'uniformità dei due testi, la quale non esisteva.

من ميامر مرقس الناسك

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

مقدمة

ان القطعة التي ننشرها هنا هي ترجمة عربية ترقى الى القرن التاسع من مجموعة لتآليف مرقس الناسك . ومرقس هذا راهب عاش في القرن الخامس في انقره من آسيا الصغرى وكان لا شك تلميذاً للقديس يوحنا فم الذهب . وقد اشتهر بعراكه ضد بدعة «المصلّين»[1] من حيث الوجهة اللاهوتية والروحية ومن حيث قيمة النعمة ومعنى التبني الالهي الحقيقي . وما كان عراكه الا حفاظاً على تعليم الكنيسة من الخلل . ولكن اسمه بات مدة من الزمن طويلة ضحية الاهمال والنسيان ، حتى انه أُحصي مع المبتدعين ، مع ان تآليفه ترجمت مراراً الى السريانية والعربية .

من مدة وجيزة نشرنا في الجزء الثامن والعشرين من « شذرات جامعة القديس يوسف »[2] ترجمة اخرى من مصدر آخر لبعض تآليف مرقس الناسك ، نجد فيها قسماً من الترجمة التي ننشرها الان ، اعني « التوبة » ، « الشرع الروحاني » ، « الاعمال المبررة » . ولكنها كانت تحوي، زيادة على هذا، مقاطع من « المعمودية » ومن « المحاورة مع المحامي» بينما الترجمة التي ننشرها الان تجمع مقطوعات طويلة من « تساؤل النفس مع ذاتها » وهي ابعد في الزمن من الاولى التي ترقى الى القرن الخامس عشر .

هناك اسباب متنوعة حدت بنا الى نشر الاولى قبل الترجمة الثانية الاقدم عهداً . من تلك الاسباب انها الأطول وانها تضم مقاطع اكثر من الثانية . وزد على ذلك فانها ظهرت وضوحاً وصموداً بوجه اعتداءات الايام بينما الترجمة القديمة المنشورة الان

١) راجع المشرق ٢٢ (١٩٢٤) ص ١٨١ .

٢) Cf *Mélanges de l'Université Saint-Joseph*, t. XXVIII. (1949-1950), fasc. 3, pp. 117-224.

تظهر معطّلة مهشّمة في بعض نواحيها بحيث تستحيل قراءة بعض الكلمات منها .

واذا كنا ننشرها الان فلكي نقدم طبعة كاملة لتآليف مرقس الناسك . والذي يدفعنا ايضاً الى ذلك هي رغبتنا في إظهار نوع اللغة العربية للقرن التاسع . وانها لمنفعة جزيلة لنا ان نطّلع على ما كانت عليه اللغة العربية في ذلك العصر البعيد . لن نهتم الان بتحليل هذه الشذرة ولا بتحليل كلماتها فقد فعلنا ذلك في الجزء المذكور من «شذرات» عندما احتجنا الى مقابلة بين الترجمتين وما وجدنا بينهما فروقاً كبيرة من حيث الانشاء .

فلكي نضع صلة بين الترجمتين ، سنذكّر بالمقاطع الموجودة في كلتيهما . فالمقاطع المختصة بالترجمة القديمة وحدها ، التي نحن بصددها الان ، تحمل العلامة — والمقاطع التي تتفق للترجمتين معاً فعلامتها = . امّا المقاطع التي لا تتفق الا جزئياً في الترجمتين فقد دللنا عليها بالعلامة — = .

من ميمر مرقس القديس الذي على التوبة (fol. 130 r)

= ($970\ D_5$)[1] — املك تقول ليس لي مال كيف ارحم المسكين فان لم يكن لك مال فان لك هوا فاقطعه فانك تعمل بقطعه الخير .

= ($970\ D_6$) — ا. تقدر تعمل الخير بيديك الجدانية فاصنعه بمشيتك اليمين .

— ($969\ D_7$) — إذا اخطا اليك اخوك (fol 130 v) فاغفر له كما قال الربّ وذلك يحسب لك صدقة عظيمة :

— ($969\ D_9$) — انا ان كنّا نطلب المغفرة من الله فينبغي لنا ان نغفر لكل من اخطا الينا لكيما تتم كلمة ربّنا الذي يقول اغفروا ويغفر لكم :

— ($969\ D_{12}$) — كبير شريف للذي له مال ويتصدّق على المساكين : ولكن اكبر منه واشرف واسرع للمغفرة اذا اخطا اليك اخوك وغفرت له ورحمته :

= ($972\ A_1$) — وكما ان النفس في طبعها اشرف من الجسد :

---

١) تدلنا الاعداد على صفحات مجموعة (Migne) للآباء اليونانيين . وقد حوى الجزء الخامس والستون منها مؤلّفات مرقس .

— (974 C) — ليس منجل (من اجل) كثرة شرنا يدينا الله : ولكن منجل انا لا نريد ان نتوب ونعرف اناجيب الله كما قال في الانجيل : اتظنوا ان الذين اخلط بلاطس دماهم مع الـذبايح انهم كانوا اخطا من الناس اجمعين ؟ لا اقول ذلك لكم ولكن وانتم ان لم تتوبوا هكذا تهلكوا : والثمانية اعشر الذي وقع عليهم البرج في سلوان وقتلهم انهم كانوا اخطا من الناس الذين يسكنو اورشليم : لا اقول ذلك لكم : ولكن وانتم ان لم تتوبوا كذلك تهلكوا .

— ($974\ D_1$) — الا ترا كيف قد استبان لك انا انا نُدان اذا لم نتوب : فالتوبة كما اظن ليس تجد الا بالاعمال ولا بالايمان : ولكن حدّها العمل بوصايا ربّنا المسيح .

= ($974\ D_2$) — فمن الوصايا وصايا جامعة (fol. 131 r) تجمع الوصايا الوحدانية وتقطع بمرة سر (×) وبيان ذلك انه مكتوب كل من سالك فاعطيه وكل من اخذ متاعك فلا تمنعه : وكل من طلب منك قرض فلا ترده : فهذه وصايا وحدانية : فالوصية الجامعة لهذا كله هي ان تبيع كل شيء لك واعطيه المساكين وخذ صليبك والحقني : فالصليب هو احتمال الشدايد التي تحل بك : فكل من فرق ماله للمساكين واخذ صليبه فقد جمع بهذه الوصية الوصايا الوحدانية التي سمينا.

وايضاً يوصي في الكتاب ويقول اريد ان يكونوا الرجال يرفعوا اياديهم ويصلوا في كلّ حين وموضع . وايضاً يقول في الانجيل ادخل فيطونك وصلي سرا . وبولس يقول : صلوا دايماً : فكل من دخل الى فيطونه الذي هو عقله ويصلي دايما فقد جمع كل الصلاة في كل موضع.

= ($975\ A_{10}$) — وقال : لا تزني : لا تفجر : لا تشهد شهادة زور وما يشبه هذه الوصايا الوحدانيات.

وايضا بولس يقول : ابطلوا فكر السوا : فكل من ابطل افكار السوا (fol. 131 v) فقد جمع هذه الوحدانية : ولذلك احبا الله التايبين بالامانة يكرهوا نفسهم في عمل هذه الثلثة وصايا الجامعة لكل وصية : وهم ان لقيهم من الوحدانيات شي لم يطرحوه بل يعملوه :

= ($975\ B_1$) — فقد ظهر الان من هذا ان عمل التوبة بهذه الثلثة وصايا الجامعة تنسجم :

—($975\ B_5$) — ان نبطل افكار السوا : وان نصلي دايمًا وان نصبر على الشدايد الاتية :

— ($979\ A_{11}$) — ولعلك تقول لي بغير شك ان الذين ارضوا الله وبلغوا التمام اي توبة ايضاً يحتاجوا : فانا اقول لك : اما ان يكونوا اناس قد بلغوا ما قد قلت من تمام رضا الله فاني ما انكر ما قلت ولكن اسمع مني وافهم وانت تعرف كيف وهم ايضاً محتاجين الى التوبة :

— ($979\ B_1$) — الكذب قد شهد الله عليه انه من الشيطان ❊

والذي يبصر مره فيهواها فقد حُسب عليه زنا ❊ والذي يغضب على اخوه فقد أقرن بالقتل ❊ ومن اجل كلمة بطالة تُدان عليها يوم القيامة .

≡ ($979\ B_6$) فمن ذلك الانسان الذي لم يكذب قط . ولا دخلت عليه شهوة من بصره ولا غضب على اخوه: ولا تكلم كلمة بطالة قط fol. 132r حتا نقول انه ليس يحتاج الى توبة : فان وجدت انسان قد ضبط هذه الخصال الآن: فقد تجده قد كان فيها قديمًا. فالتوبة عليه واجبة حتا الموت :

— ($979\ B_{12}$) — واجعل انك تجد انسان بري من هذه الخصال وهو من بطن امه غريب من كل شر مع ان هذا امر لا يكون ❊ لان بولس قال ان الناس كلهم قد اخطوا او عدموا مجد الله وانما يزكوا مجان بنعمته : ولو انهم كانوا ازكيا كما وصفت فانهم من ادم ونسله وهو من تحت خطية المعصية ومن اجل هذا قضي عليهم بالموت ولا يقدر يخلصوا الا بالمسيح : فلما صُلب واشترانا بدمه وفدانا ❊ ثم ان المخلص وضع حدا واحدا جامع عام لوصاياه كلها : وقال لتلاميذه : قولو لهم توبوا فان ملكوه السما قد دنت.

— ($979\ C_{12}$) — ووضع وصايا تتم بها التوبة وحد تمام الوصايا هو الموت : وقال كل من يهلك نفسه منجلي ومنجل الانجيل الى الحياة الدايمة يحفظها ❊ وقال ايضاً اكفر بكل شي لك : ثم يعيد ويقول وبنفسك : ثم يختم ذلك ويقول كل من يُحل واحدة من هولا الوصايا الصغار ويعلم

الناس هكذا صغير (fol 132 v) يُدعا في ملكوة السما : فان كان قد اخذ التوبة الى الموت كما قد استبان : فكل من يقول انه يتمها قبل الموت فقد حل الوصية .

— (979 D_{10}) — لذلك التوبة واجبة على الصغير والكبير ليس لها حد تام حتا الموت . فان كنا لا نقدر نبلغ تامها بالفعال : فينبغي لنا ان نطلب ذلك في الغاية ليلا تكون في التيه بحل الوصية ونوجب علينا الدين ونُدعا صغار في ملكوة السما : فتش كل هولا الذين سبقوا وخرجوا من الدنيا وانت تجد انما تم لهم سر عبادتهم في رضا الله بالتوبة : ولم يستوجب احد قط الدين الا كل من رفضها . ولا زُكى احد قط الا من لزمها .

— (982 A_{12}) — ان كان الشيطان لا يكفّ من قتالنا ولا نحن ايضا ينبغي لنا ان نبطل من التوبة ❖ القديسين يكلفو ان يتوبوا عن القريب لانهم ما يقدروا يكونوا تامين الا بالحب الحقاني .

وايضاً من قول مرقس القديس كلام مختار من الميمر الذي على الناموس الروحاني .

= (905 B_1) ان الانسان المتضع الذي له عمل روحاني اذا قرا الكتب القديسة فهو يتفهمها بعيوب نفسه ولا بعيوب اخرين.

= (905 C_8) — (×) ان تكون تلميذ لانسان تراه يمدح نفسه (fol. 133 r) ليلا تتعلم بدل الاتضاع عظمة :

= (908 B_{16}) — السهر والصلاة وصبر على البلايا هم يسحقوا القلب سحقان نافع لا ياتي منه خسارة ❖

= (908 B_{17}) — القلب الذي يحب اللذات هو حبس وسلسلة للنفس في ساعة الموت ❖ فاما القلب الذي يحب التعب فانه للنفس في ساعة الموت باب مفتوح :

= (909 A_{27}) — القلب المتحنن بلا شك يُتحنن عليه والرحوم يُرحم : وكذلك ايضاً يقابلا بالحق من لا يرحم ولا يتحنن كذلك يصيبه ❖

— (909 D_{33}) — الذي قد كف عن خطاه وتراه قد لزم التوبة فلا توبخه وان كنت تقول اني من اجل الله اوبخه . فاظهر انت شرك وعيوبك اولا ❖

= (912 A_{11}) — صنعت خير اذكر ربك وسيدك اذ يقول في الانجيل انكم من دوني ما تقدروا تعملوا شي من الخير :

= (912 A_{12}) — انما أعد الخير كله للناس بعلة الاحزان والشدايد : كذلك ايضا والشر بعلة الغفلة هي للناس ❖

= (912 B_{15}) — كل من يصلي على من ظلمه فهو يلدن العدو ❖ فاما الذي ينتقم لنفسه من ظلمه فان الشيطان يقوا عليه ويبلكه ❖

= (912 B_{18}) — عار الناس هو يحزن القلب ولكنه يصير سبب للعفة لمن يصبر عليه ❖

= (912 C_{23}) — اظهر نفسك وامورك لسيدك بافكارك (fol. 133 v) لان الانسان انما يبصر الوجه من برا : والله انما يرا القلوب.

= (912 D_{27}) — كل حزن يصيبك من غير هواك فليكون ذلك لك معلم لذكر الله وليس يفوتك ابدا علة للتوبة ❖

= (913 B_{64}) — كل امر يقدر عليه الانسان من عمل الخير فان التواني هو الذى يمنعه منه : ولكن الرحمة والصلاة هما يردا المتواني ❖

= (913 B_{66}) — لا تقول انك تقدر تستفيد شي من الخير بغير شدة وحزن: لان كل شي يجي من الراحة فهو مرذول ❖

= (913 C_{73}) — تريد أن تُمدح من الناس مدحة لا يديك الله عليها حب من قبل ذلك التوبيخ على خطاياك ❖

— (916 C_{85}) — لا تقول في نفسك اني ليس اعرف ما ينبغي وليس ادان عليه اذا لم اعمله ❖ انا اقول لك لو انك تعلم كل ما تعرف من الخير لكان يظهر لك ما لا تعرف : ان تحسن ما لا تعرف :

= (916 C_{86}) — لان المعرفة تنفخ الانسان من اجل بطلانها : فاما الحب فانه يبتني لانه يصبر لكل شي .

= (916 C_{87}) — اقرا الكتب بالعقل ولا تستكبر تفهم كثرة كلام بطال.

= (916 D_{90}) — عملت وصية فتوقع تلحقها بلية لان حب المسيح انما يجرب بالشدة ❖

= (917 A$_{99}$) — اصل الشهوة انما هو من مدحه الناس ✣ وكذلك ايضا اصل العفة من التوبيخ والهوان : (fol. 134 r) ليس اذا كنا نسمع ذلك ولكن اذا كنا نقبل ذلك بفرح.

= (917 C$_{102}$) — علة الشر كله من الاعجاب واللذة فكل من لا يبغضها ما يقدر يبغض ولا يغلب شي من الاوجاع.

= (917 C$_{103}$) — العقل يعما من هذه الثلثة الاوجاع : حب الفضة والاعجاب واللذة :

= (917 C$_{106}$) — لان الغضب والحمية والقتال والقتل وكل شي من اصناف الشر من هذه الثلثة اوجاع تجي وتقوا على الناس جدا ✣

= (917 D$_{107}$) — من اجل ذلك ينبغي ان نبغض حب الفضة وسبح الباطل واللذة الذين هم اصول الشر ومرذولات للخير.

= (917 D$_{108}$) — ومن اجل هولا الثلثة الاوجاع امرنا في صحيفة يحنا تلميذ ربنا المسيح الا نحب العالم ولا شي مما فيه : وليس يعني في ذلك ان نبغض خلائق الله جزاف : ولكن لنقطع علل هذه الثلثة اوجاع.

= (920 C$_{118}$) — تريد الا تأتي عليك بلية لا تصنع شر لانه بلا شك هذا يلحق ذلك لانه على قدر ما يزرع الانسان كذلك يحصد ✣

= (920 C$_{120}$) — اخطيت فلا تلوم العمل : ولكن العلة من الفكر : لانه لولا ان العقل سبق تفكر بالخطيئة لم يلحقه الجسد :

= (921 A$_{121}$) — كما لا يمكن ترعا الغنم مع الذياب جميعا : كذلك لا يرحم الله انسان يغش قريبه.

= (921 A$_{126}$) — وكما يخالف اجتماع الما للنار كذلك (fol. 134 v) يخالف تزكية الانسان نفسه للاتضاع ✣

= (921 A$_{127}$) — كل من يطلب مغفرة الخطايا فليحب الاتضاع : فاما الذي يدين صاحبه فقد ختم على شره ✣

— (921 C$_{133}$) — ان الذي يتوب بالحقيقة يهزوا به الجهال. وهذه هي علامة رضا الله ✣

= (921 C_{138}) — اذا انت مدحت واستكبرت فتوقع القهاة تلحقك لانه مكتوب كل من يرفع نفسه فهو يضع ❖

— (917 D_{110}) — كلمن يغضب على اخوه منجل مال او نياح جسداني فانه حتا الان لم يعرف ان الله بعدل يدبر الامور ❖

= (920 A_{111}) — سمعت الرب يقول في الانجيل كل من لا يترك ماله ويلحقني فليس هو لي باهل : فلا تظن انه منجل المال فقط : ولكن اعنا كل شي من اصناف امور الشر ❖

= (920 B_{114}) — كل من يخطى خطا ظاهر ولا يتوب منجله ولا يصيبه شي من البلايا حتا يخرج من الدنيا فليعلم انه يُدان في الاخرة دين بلا رحمة ❖

= (929 B_{116}) — خسرت او عيرت : او طُردتَ من احد فلا تتفكر في شي مما اصابك الان : ولكن توقع ما تستانف فانك تجد ذلك الانسان قد سبب لك خير كثير بما فعل بك : ليس في هذه الدنيا فقط : ولكن وفي الاخرة :

— (920 B_{117}) ❖ كما ينفع الانسان السقيم المرور شرب الدوا : كذلك ينفع الخبيث الخُلق (fol 135 r) القهاة والشدايد ❖ اما السقيم فهو يصح: واما الخبيث الخلق فان الاحزان التي تصيبه ترده الى التوبة ❖

= (924 C_{132}) — كل من يبغض التوبيخ فانه يُخبر ان نيته تحت الاوجاع ❖ فاما الذي يحب التوبيخ فانه يُخبر عن نفسه انه انما يقع بغير هواه من عادة قديمة :

= (924 C_{134}) — أبلغت كلام سوا لوم نفسك ولا تلوم الذي يبلغك : لان سماع السوا انت يا خادم السوا كسبته لنفسك :

= (924 D_{136}) — اذا رأيت انسان يدحك في وجهك برااياه فتوقع منه القهاة.

— (924 D_{138}) — اذا صنع انسان بك خير وظننت في نفسك ان اصل ذلك الخير من عند ذلك الانسان وليس من الله : فان مصير ذلك الانسان يكون اشر الناس لك :

— (924 D_{139}) — لان كل خير يأتي من عند الله بتدبير ❖ والذين يعطوهم خدام الخير بامر الله ❖

= (925 A₁₆₃) — من القلب الذي يحب الاوجاع تنبت الافكار السوا كما يُعرف الحطب من دخانه.

= (925 B₁₆₄) — ان انت لازمت فكرك لم تُبتلا بالبلايا : فاما ان انت خرجت من ذلك وتركت الفكر جزاف فهي نفسك للصبر على البلايا :

= (925 B₁₆₅) — صلي الا تأتيك بلية فان هي اتتك فاقبلها مثل شي حولك وليس بغريب :

— (925 B₁₆₇) — الذي يقول في نفسه انه يعرف فخاخ الشيطان كلها فقد حقق على نفسه انه ليس (fol. 135 v) يعرفها كلها ❖

= (925 D₁₇₅) — لا تظن ان كل شدة تأتي على الناس انما منجل خطاياهم فقط : لان اناسٌ كثير يعملوا رضا الله ويبتلوا كما هو مكتوب ان المنافقين الجايزين على الناموس يُطردوا : وايضاً الذين يريدون يحيون بالعبادة للمسيح يطرُدوا ❖

= (928 A₁₇₈) — من قبل ان تستاصل الاوجاع من قلبك لا تطيعه لانه على قدر ما فيه : كذلك يُطلب منك الزيادة ❖

= (925 D₁₇₇ fin) — اذا ابصروا الناس انسان جيد التدبير لامور الدنيا سموه حليم : وانما الحليم الحقاني الذي يقطع هواه ❖

= (928 D₁₉₀) — كل من يتعاطا ان يغلب البلية التي تأتي عليه من غير صبر وصلاة فانها تزداد عليه تشكيك ❖

= (928 D₁₉₁) — الرب مختبي في وصاياه وكلمن طلبه على قدر ما يعمل ذلك الانسان من الوصايا يجد الرب ❖

= (928 D₁₉₂ milieu) — انا اقول لك انك قد وجدت معرفة وصدق كما يُقال في الكتاب : اما الذين يطلبونه بالحقيقة فهم يجدون السلم :

= (928 D₁₉₃) — والسلم هو الخلاص من الاوجاع : وليس يوجد الا بروح القدس كما يقول بولس.

= (928 D₁₉₄) — ان عمل الوصية شي ورضا الله شي اخر وان كانا يأخذا علل الخير بعضها من بعض.

= (A_{19} (929) – اما عمل الوصية فهو ان تعمل ما قد أُمرت به (fol. 136 r)
واما رضا الله فهو ان تعمل تلك الوصية التي امرك بها كما يجب ويرضا ❊
وايضا من قول مرقس القديس أُختير من الميمر الذي على الذين يظنوا انهم يزكوا من اعمالهم ، ولا يرون ان عمل الخيرات واجب عليهم.

= (C_{2} (929) – لما زاد الرب ان يوري ان كل وصية من وصاياه واجبة علينا : وان المولد الثاني انما وهب للناس بدمه ❊ قال اذا انتم صنعتم كل شي أُمرتم به حينئذ قولوا انا عبيد مامورين وكل شي كان يجب علينا عملناه . فتجل ذلك ليس تُعطا ملكوة السما بكرا الاعمال ولكن بنعمة السيد يُسرت للعبيد المومنين.

= (D_{4} (929) – مات المسيح كما في الكتب منجل خطايانا وكلمن خدمه نعما وهب له الحرية كما هو مكتوب في الانجيل : تعال يا لعبد الصالح الامين كما كنت امين على القليل اقمتك على الكثير ، ادخل الى فرح سيدك ❊

= (A_{5} (932) – ان الذي يثبت في العلم وحده بغير عمل فانه ليس بعبد امين : ولكن الذي يطيع المسيح سيده الذي اوصاه ويامن به ❊

= (A_{6} (932) – ان الذي يكرم سيده هو الذي يعمل كل شي امره به : فان هو اخطا او عصا صبر ما يلحقه بلايا (fol. 136 v) واذا انه قد استوجبها :

= (A_{7} (932) – ان كنت تحب التعليم فحب ايضاً العنا والتعب بالفعال : لان العلم وحده ينفخ الانسان ❊

= (A_{8} (932) – البلايا التي تأتينا بغتة هي بتدبير من الله يعلمونا العنا والتجربة ويجرونا ان شينا وابينا الى التوبة ❊

— (B_{9} (932) – الاحزان التي تلحق الناس انما هي من اولاد شرهم فان نحن صبرنا لها بالصلاة لحقتنا من بعد ذلك امور فرحه ❊

= (D_{15} (932) – وكل من اراد يعمل شي خير ام شر ولم يقدر فقد حسبه الله عليه واجب.

= (D_{16} (932) – العقل من غير جسد يصنع خير كثير وشر كثير : فاما الجسد بغير عقل ما يقدر ان يصنع شي ❊

— (A_{19} (933) – ان كان المسيح قد مات عنا كما هو مكتوب فليس نحن

احيا لانفسنا : ولكن للذي مات منجلنا وقام ⁘ فلهذا الخير قد وجب علينا ان نخدمه حتا الموت . فكيف نريد ان نقول ان المولد الثاني واجب لنا ⁘

= (933 A_{10}) — المسيح سيدنا بالطبيعة : وسيدنا بالتدبير : اما في الطبيعة فخلقنا مما لم نكون واما بالتدبير لانا متنا بالخطية واشترانا بدمه وكل من يامن به هكذا فقد وهبت له النعمة ⁘

= (933 B_{22}) — الذين قد استاهلنا المولد الثاني من المعمودية وليس نعمل الاعمال الصالحة منجل المكافاة : ولكن لكيما نحفظ (fol. 137 r) النعمة الذي أعطينا :

= (933 B_{33}) — وكل عمل صالح نعمله في طبيعتنا فهو يبعد عنا عدوا من الشر : فاما يزيدنا قدس من غير النعمة ما يقدر ⁘

= (933 C_{14}) — الذي يمسك نفسه فهو يُبعد عنه الحنجرة ⁘ والذي يقتني ضبط الرغبة ويسكت فقد ضبط كثرة الكلام ⁘ والذكي قد ضبط حب اللذة ⁘ والعفيف قد ضبط الزنا ⁘ والذي يكتفي بالدون فقد ضبط حب الفضة . والسهل قد ضبط الربسة ⁘ والمتواضع قد ضبط سُبح الباطل : والذي يصلي قد ابعد عنه حب (؟) الرجا : لا ترا ان كل عمل صالح نعمله حتا الموت فانما يبعدنا من الخطية فقط : فالبعد من الخطية هو عمل الطبيعة ليس هو مبادلة ملكوة السما ⁘ فالانسان اذا حفظ عمل الطبيعة فقد (×) . فاما المسيح بصليبه فهو وهب لنا المولد الثاني.

= (936 D_{10}) — انت تجد خطية للموت كما هو مكتوب في صحيفة يوحنا القديس : (×) الموت من الخطية التي لا يتوب عليها صاحبها حتا لو ان قديس صلا عليه ما سمع الله منه اذ لا يوازره بالتوبة ⁘

= (936 D_{11}) — كل من يتوب مستقيم ولين (fol 137 v) غايته بتعبه منجل الخطايا القديمة ولكن يرضى الله بتعبه

= (936 D_{12}) — لانه ان كان كلما تستطيع طبيعتنا بعمل كل يوم من الخير فذلك واجب علينا ان نفعله : فايشى الذي تستطيع تعمل له منجل خطاياك القديمة التي عملت :

= (936 D_{13}) — كلما قدرت ان تزيد اليوم من الخير هو توبيخ لك من التواني فيما سلف منك: وليس هو مكافاة بما قد سلف منك من الذنوب ❖

= (937 A_{15}) — فضل شريف هو ان يكون الانسان بصبر لما ياتي عليه من الشدايد ويحب الذين يبغضوه. كما قال الرب ❖ علامة الحب الصحيح الذي ليس فيه مرايا بان تغفر لكل من ظلمك :

= (936 A_{27}) — الذي يريد يسلك البحر العقلاني الذي هو الرهبانية يطول روحه ويتضع ويسهر ويعفف نفسه : فانه ان (×) يتعاطا يجوزه من غير هذه الاربعة خصال فانه يسجس قلبه ولا يقدر يجوزه ❖

= (936 B_{32}) — عقل يصلي بلا هم ولا سجس فهو يحزن القلب ويسحقه والقلب المسحوق المتضع ليس يرذله الله.

= (936 B_{34}) — كل امر عملناه ونعمله من غير صلاة وحسن (fol. 138 r) الرجا فانه لا يتم واخرته مزرية ❖

= (936 C_{36}) — ان انت مللت او ضجرت من كثرة ما يحزنك اصناف الشر فاذكر خروج نفسك وعذاب الاخرة ❖

= (936 C_{37}) — اخير لك ان تلصق بالله بالصلاة وحسن الرجا ولا تتشاغل بافكار برانية وان كانت جيدة ❖

= (936 C_{39}) — ليس هو بضابط لنفسه الذي يعد الافكار ويسترخي لها لانها وان كانت افكار نافعة فليس هي بانفع من الرجا.

= (937 A_{47}) — ليس يهلك شي اذا انت تركته منجل الله ❖ ولكنك تجده في زمان حاجتك اليه مضاعف ❖

= (937 C_{53}) — علامة المعرفة الحقانية هي الصبر على الاحزان ولا (×) الانسان في نفسه ان علة احزانه وبلاياه من الناس بل هي من نفسه ❖

= (937 C_{54}) — كل من يصنع خير ويطلب مكافاته فذلك ليس يخدم الله انما يخدم هواه ❖ ومنجل هواه فعل ذلك الخير وليس منجل الله : ليس احد يقدر يفلت من مكافاة الخطية التي عملها الا بتوبة كما ينبغي لذلك الامر ❖

= (937 C_{35}) — ناس يقولوا ليس نقدر نعمل خير ان لم تاتنا قوة نعمة روح القدس ظاهر : لان الذين هم ملازمين اللذات بهواهم ابدًا فالذي الذي قد(×) قوة عمله من الخير ❖ فمن عجزهم (fol. 138 v) و(×) يفوتهم عمله ويعتلوا بالباطل :

= (937 D_{36}) — لان النعمة تُهب سرا لكل من اخذ المعمودية : فعلى قدر نفاذ الانسان بالوصايا تظهر فيه وهي في السر ايضاً لا تمتنع من عوننا فهو الينا ان نعمل الخير : او لا نعمله قدر قوتنا ❖

= (940 B_{61}) — اذا اصابك من الناس قماة فتفكر من ساعتك فيما يلحق ذلك من التسبحة من عند الله. فانك اذا تفكرت بهذا لم يحزنك القماة : ايضاً اذا جتك التسبحة من عند الله لم تدان عليها لانك القيت صبر كريم لاحتمالك القماة.

= (940 B_{63}) — كما ان الزرع لا ينبت الا في الارض والما : كذلك ما ينتفع الانسان الا بعون الله مع عناه وتعبه بمشية نفسه.

= (940 C_{66}) — اذا وقع للانسان سوا وشهوة في شي من الاشيا فان هواه(×) يشبه حجر ثقيل قد سقط من شرف فليس له قرار ابدا حتا يبلغ منتهاه :

= (940 C_{67}) — كذلك هو الانسان مثل عجل ليس له تجربة وهو يلحق العشب ويرعا حسبما وجد فلا يدري الا وقد وقع في موضع هوية . كذلك النفس تطغيها الحسيات اذا كانت تتبعها قليل قليل : فلا تدري الا وقد وقعت في هوة الهلاك.

• = (940 D_{69}) — مثل الذي في السفينة في البحر يستلذ حرارة الشمس : كذلك الذين لا يحبون الشر يحبون التوبيخ : لان الخصلتين مخالفتين : اما الحزن فخالف (fol. 139 r) للارواح والعرق . واما التوبيخ فهو مخالف للاوجاع والخطايا.

= (940 D_{71}) — ليس احد اطيب ولا ارحم من الله : فكل من لا يتوب فليس يغفر له ❖

= (940 D_{72}) — كثير تحزن على الخطايا : فاما علتها فتحبها وتقبلها بلذة❖

= (941 A_{75}) – اذا كانت النفس الخاطية لا تقبل ما يصيبها من الاحزان والشدايد فان الملايكة تصيح منجلها وتقول : داوينا بابل فلم تبرا ❖

= (941 A_{76}) – العقل الذي قد نسي المعرفة الحقانية فهو منجل الامور المخالفة التي هي مرزبة يخاصم الناس منجلها ويلاججهم ويقول انها نافعة جيدة ❖

= (941 B_{77}) – كما ان النار ليس له بقا في الما : كذلك ولا الافكار السوا تصبر في قلب الانسان المحب لله : لان جميع احبا الله هم يحبون العنا والتعب : والتعب الذي يكون من مشية الانسان هو في طبيعته عدو اللذات والشهوات ❖

= (941 B_{78}) – كل وجع استرخا له الانسان بديا في العقل بهواه فان ذلك الوجع اخر شي يقهر ذلك الانسان من غير هواه ويهزمه ❖

= (941 B_{79}) – نحن نحب علل الافكار التي تجينا من غير هوانا ولذلك هي تاتي منجل حبنا عللها :

= (941 B_{80}) – واما العظمة فهي علة التجديف وحب الفضة والاعجاب : ومنها علل المراياه وقلة الرحمة :

= (941 C_{81}) – والفكر السوا اذا احتبس في (fol. 139 v) قلب الانسان فهو يخبر عن ذلك الانسان انه يحبه ❖ فاما الذي يطرده سريعا فهو يعلم ان له ثم قتال وخلاف :

= (941 D_{82}) – يثبت في معرفة كل احد بالحقيقة اذا كانت السهولة والحب والاتضاع في الانسان ❖

= (944 A_{83}) – تكون لك صلاة على حده منجل كل امر تريد تصنعه : لكيما تعرف بالحقيقة انك لا تقدر ان تتم شي من عمل الخير الا بعون الله ❖

= (944 A_{84}) – ليس شي اقوا لموازرة الانسان على عمل الخير من الصلاة : ولا شي انفع للانسان منها الذي يطلب يعمل رضا الله ❖

= (944 B_{85}) – صلاة الانسان الذي يُسبا عقله فيها هي علامة حب ذلك الانسان لله : فاما الذي صلاته بتواني وسبوه عقل فعلامة ذلك الانسان انه يحب الشهوات واللذات ❖

= (944 B_{n}) — الذي يسهر ويصلي بنشاط فانه يصير ماوا لروح القدس ❊ فاما ان كان يصبر للصبر والصلاة بخبث نفس فهو ايضا ياتيه العوز سريعا اذا هو صبر ❊

= (944 C_{n}) — نعم الشي ان تكون تنفع لكل من سالك عن كلمة : وارفع من ذلك ان تكون ذلك الانسان على عمل رضا الله وتصلي عليه. فاذا فعلت ذلك فقد نفعت نفسك بسبب منفعتك لاخرك ❊

= (944 C_{91}) — ان كنت تريد ان تنفع الانسان الحريص على خلاص نفسه بكلمة تصده: فاوريه صلاة وامانة مستقيمة وان يصبر على الاحزان.

— (957 A_{173}) — لان (fol. 140 r) كل من يعلم الناموس الروحاني نعم فهو يفزع من المسيح الذي وضعه ويتوكل عليه ويبتعد من كل شر ❊

= (957 A_{175}) — لا تكونن ذوا لسانين ؛ واحد بالكلمة واخر بالفكر لان الذي هو هكذا فهو تحت لعنة كما في الكتاب .

= (957 B_{176}) — تحفظ الا تكون كلمتك بفخر وفكرك باعجاب فيخليك الله لذلك وتعمل بالخلاف : لان ليس من انسان وحده فقط يتم الخير : ولكن من الله الذي يعرف السراير ❊

— (957 C_{178}) — الافكار السوا هي تقع في قلب الانسان من غير هواه: فانما تنبت من خطية سبقت منه : فاما الافكار التي تاتي من هواه فانما هي من مشية سلطان نفسه: ومنجل ذلك صارت هذه الافكار الثابتة التي تحل بهواه علة لتلك التي تجى بلا هواه ❊

= (957 C_{180}) — الانسان الذي يشتهي اللذات الهوان والتعب يجريه : واما الذي يحب الله فهو يحزن اذا مدح : او رغب بشي من امور الدنيا ❊

= (957 D_{181}) — الذي لا يعرف ديون الله فهو يسلك بعقله في طريق الاهوال ومع كل ريح سريعا ينقلب وان مُدح افتخر واعجبته نفسه : وان اُهين تزمر وحزن وان تنيح فهو يتدنس بالزنا: وان تعب فهو يحزن (fol. 140 v) وان فهم الاشيا اظهر ذلك : وان لم يفهم فهو يُراى بانه قد فهم : وان استغنا غناه استكبر : وان افتقر فانه يُراى بانه ليس بفقير : وان شبع

جفا وقسا : وان صام اعجبته نفسه : وان وبخ خاصم الذي يوبخه : وان أعذر في خطاه فانه يوري ان هولايك الذين عذروه ليس لهم عقول : فان لم يقتني الانسان بنعمة الله معرفه صحيحه وخوف الله فانه ليس من الاوجاع فقط يُجرح : الا ومن المصايب :

= (960 A₁₈₂) — اذا اردت ان تحل امر تراه متشبك فاطلب الذي يرضى الله في ذلك الامر وانت تجد حله هين ❖

= (960 D₁₉₁) — ان كنت تريد الا تتفكر افكار سوا فاقبل الهوان في نفسك والتعب في جسدك وهذا ليس مرة مرة ولكن في كل موضع وزمان وامر ❖

= (961 A₁₉₇) — من غير سحقان القلب لا تقدر ان تفلت من الشر كله : وسحقان القلب هو ياتي من ثلثة خصال : من السهر : والصوم : والتعب : لان فضل الرقاد : والنعيم : ونياح الجسد منه يجي لذة الاوجاع : ومن لذة الاوجاع تنبت الافكار السوا : وهي تضادد الصلاة والخدمة في طاعة الله وسيره.

= (961 B₁₉₉) — الابيات انما تشبه البلية التي تاتي على الانسان (×) (fol. 141 r) السوق الجامع : فمن كان يحسن يتجر فهو يربح كثيرا ومن لم يكون يحسن يتجر يخسر كثيرا ❖

= (961 B₂₀₀) — الانسان الذي من كلمة واحدة لا يطيعك فلا تلاججه : ولكن الربح الذي طرح عنه فخذه انت لنفسك لانه اكثر مما كان يدخل على ذلك من المنفعة التي ابا ان يقبلها ويطيعك : يدخل عليك من احتمالك اياه :

= (961 C₂₀₁) — ولكن اذا ابصرت ان شره ومرزيته يشتعل في اخرين ليس ينبغي ان تطول روحك عليه ولا تطلب ربح نفسك ولكن ربح الجماعة : لان ربح الجماعة انفع لك من طلبتك ربح نفسك وحدها :

— (960 A₁₈₁) — كل ما يضادد البلايا التي تاتي عليه فهو من حيث لا يعلم يضادد امر الله : فاما الذي يقبلها بمعرفة صحيحة ويرا انه اهل لها : فهو يصبر لله كما هو مكتوب.

= (960 A₁₈₅) — اذا اتتك بلية فلا تفتش وتقول ليشى ومنجل ايشى اتتني

هذه البلية : ولكن اقبلها بشكر واصبر ولا تحقد على احد ❊

— (960 C_{191}) — كل شبهة تاتي على الانسان فهي تجرب هو الانسان الى اين يميل يمنه او يسره : ومنجل ذلك سُميت بلية لانها تبلو الانسان وتعلمه ان يبلوا هواه المكتوم الى اين يميل ❊

= (960 C_{192}) — خوف (fol. 141 v) الله يكلفنا نقاتل الشر : فاذا نحن قبلناه فان نعمة الله تستاصله عنا :

— (961 D_{205}) — ليس احد يدرك التعب والنوح الذي منجل الله ان لم يحب اولا عللهم.

— (961 D_{206}) — فاما علل النوح فهو خوف الله والصبر على التوبيخ: والسهر: والصوم هما سبب العنا.

= (964 B_{211}) — حب الله وحب القريب هو جامع الوصايا كلها: وانما تقوعه الزهد بمتاع الدنيا وبهذه الافكار ❊

مشورة عقل مرقس القديس مع نفسه

1104 — اسمعي يا نفسي الناطقة شريكتي في المشورات : اني اريد احدثك امر سر هو شرك لي ولك: ليس منجل اني اتلقيت من الاوجاع وادركت هذا : ولكن بنعمة المسيح كفت علي قليلا : قد عرفت اني انا وانت يا نفس خارج من الطبيعة نعمل: وذلك الينا دائما: منجل ذلك نلوم الاخرين على خطايانا ونقول ان شرنا من خارج ياتي فمرة نعتل بادم : ومره نعتل بالشيطان: ومرة نعتل بالناس : ونظن في هذا كله انا نقاتل الاخرين وانما نقاتل انفسنا ونظن انا نوازر انفسنا انا وانتي وانما نتسلح على هلاك بعضنا بعض : واظن انا وانتي انا محسنين الى بعضنا بعض وانما نعذب بعضنا بعضا : كهيئة الناس يبذوا لا يدروا ما (fol. 142 r) هم فيه. والقا انا وانتي تعب وتعير بلا منفعة يصيبونا بحق ❊

اما الوصايا فنحبها كما نظن: واما عللها فقد ابغضناها ❊ فالان قد عرفتي يا نفسي بالحقيقة انه ليس احد يكرهنا لا على خير ولا على شر: ولكن من ساعة تاخذ العمودية في بدى الامر ان نحن خدمنا الله بهوانا فهو يجرنا الى

ما قبله بمدل ﴿ وكذلك ايضاً ان نحن خدمنا الشيطان جرنا الى ما قبله :

فبتدا الامور هي خصاتين خليتا تَرعا فينا من غير هوانا . اما واحده.
فنياح الجسد : والاخر أُسبح الباطل . فهما من قبل هوانا : ليس هما خير ولا شر ولكنهما توبيخ لنا توريا فينا الى اي الجانبين نميل الى ربنا المسيح المبارك اسمه : او الى الشيطان : اما ربنا المسيح فهو يسلنا ان نكون في التعب والهوان : واما العدو الشيطان فخلاف ذلك . يريد منا ان تكون في نياح الجسد والمدحة : فاذا زرع الشيطان هاتين الخصلتين فينا وقبلناهما بفرح فقد استبان ان هوانا قد مال مع الشيطان الذي يحب اللذات وعصينا الرب : واذا هما زُرعا فينا ورفضنا بذلك (fol. 142 v) فقد استبان فينا انا قد ملنا بهوانا الى الرب . اذا نحن احببنا الطريق الضيقة التي هي التعب والقهاة : ومنجل ذلك خليتا هاتين الخصلتين على الناس تَزرعا فيهم ابدا لكيما كل من كان يحب وصية المسيح ويبغض هاتين الخصلتين ويميل بهواه الى المسيح وجد المسيح له عنده مدخل فهدا عقله الى الحق ﴿ وكذلك ايضا الخلاف لهذا . ان كل من احب سُبح الناس ونياح الجسد فقد جعل للشيطان فيه مدخل : والشيطان يجره الى (×) . فعلى قدر ما يتفكر الانسان بهما بلذة يزدادوا ويكثروا ابدا حتا يبغضها الانسان من قلبه كله : فاما نحن فقد صرنا خلاف لذلك من شدة حبنا لها بدل ان ندخل فينا بدلها فعل الفضل ونعمله. صرنا نبدل واحدة بواحدة . فرة نتعب الجسد (×) لكيما يمدحونا الناس : ومرة نفضل القهاة لكيما ندرك بذلك نياح الجسد : فاذا نحن تهيينا لها بفرح : حينئذ نطلب لها كل شي ينبتها وينيحها : فالامر الذي يربيها وينيحها ولا يستطيا شي الا به فهو حب الفضة الذي هو اصل كل شر كما قال بولس ﴿ ولا اشك يا نفسي وحبيبتي انك تقولين لي انه ليس (fol. 143 r) لنا ذهب ـكنوز ولا متاع : فانا اقول لك انه ليس من الذهب ولا من المتاع تدخل علينا المرزية : ولكن مثل ما سبقت وقلت منجل سوا تدبيرنا بالوجع : انا اعرف ناس كانوا اغنيا بلا وجع وارضو الله : مثل ابرهيم وايوب وداود : ونحن ايضا نعرف ناس الذين نحن منهم

من غير غنا ولا ذهب وبامتعات محقورة لا تسوا شي يستبين فيهم حب الفضة : ولذلك صرنا اشقا من هولا الذين لهم القنا الكثير :لانا تركنا طريق التعب المستقيمة وبالمكر والمراياه نتعب نخادع الله ❊ اما حب الفضة كما نقول فقد هربنا منه : واما حب اللذة فلم نهرب منه : ليس لنا كنوز ذهب ومتاع سقط الدنيا المحقور نجمع ❊ رياسة ليس لنا : فاما مدحتها لمن كل صنف تتصيدها ❊ قد تركنا الاقتنا : فاما البنا الذي يجي منه فلم نتركه :فان بدا لنا نتركه فليس غايتنا في ذلك ان نفر من الزعبه .ولكنا نفسل خلايق الله : فانتي يا نفسي وحبيبتي اذا سمعتي عن معصية ادم وحوا في البدى فامني واعلمي اني انا وانتي في مثلها : الان بالعقل :هولايك اصابهم بالشبه . وكُتب ذلك لنا عظة الى اخر الزمان : ونحن في (fol. 143 v) المعمودية ولدنا وغُرسنا في فردوس الكنيسة وقد عصينا وصية ابونا وخالقنا :لانه اوصانا ان نحب كل من في الكنيسة من اخوتنا وكل ما ياتي منهم من الثمرة أُمرنا باكله بالصبر كما اقيل لادم: من كل شجرة في الفردوس فكل : واما نحن فقد اتخذنا افكار الحية ان نحن ابصرنا انسان صالح احبيناه منجل صلاحه : وان ابصرنا انسان سوا ابغضناه لشره . وهذه هي الشجرة التي تعرف الخير والشر التي نهى عنها ادم : فاذا نحن ذقناها بالعقل متنا كما مات ادم : ليس ان الله صنع الموت ولكن الانسان ابغض اخوه ❊ ان الله ما صنع موت : ولا يفرح بهلاك الاحيا : ولا يتحرك برجع غضب : ولا يتفهم امر بمكافاة : ولا يتبدل نحوا كل ما يستاهل كل احد : ولكنه كل شي بحكمه صنع : سبق ووضع ان الاشيا كلها تُدان من الناموس الروحاني :فاما نحن الذين قد تعلمنا جزوا منه : فينبغي لنا ان نكون نعرف ان كل من بغضناه منجل انه انسان سوا : وكذلك بالسوا نُبغض من الله مثل اناس سوا : وكل من اخطا الينا ولم نغفر له : وكذلك بالسوا لا يغفر لنا ❊ فهذا الناموس وضعه المسيح وقال: لا تدينوا لئلا تدانوا :اغفروا يُغفر لكم : هذا الناموس (fol. 144 r) ايضا عُرف من بولس اذ يقول الذي يدين

اخوه بنفسه يدين ❊ وايضا داود النبي لم يسقط عنه هذا : اذ يقول لله انك يا رب تكافي كل احد كنحوا عمله :

فانني اريد ان اكثر عليكي : واحدة واحدة من الكتب القديسة العتيقة والحديثة : وخاصة المزمور الكبير يحقق ويرينا هذا الناموس الروحاني : لكيما اذا نحن وجدناه نكون نخاف كل ما زاغ احدنا : لذلك سبق ووضعه : ليس ظاهر في العلانية فقط : ولكن بالافكار في السر انه على قدر ذلك يصيبنا : فمنجل ذلك ينبغي لنا ان نحرص في حب اخوتنا ابدا : فان هذا ليس ناموس موسى الذي يدين الظاهرات : ولكنه الناموس الروحاني الذي يوبخ السراير ❊ فربنا وسيدنا المسيح هو الذي وضع ناموس موسى في زمانه كما كان ينبغي : وهذا الروحاني ايضا هو وضعه ليتم ذلك بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي قال لم اجي احل الناموس ولكن اتمه : فمنجل ذلك ينبغي لنا في كل امر يقع بيننا وبين كل انسان يظلمنا بكلمه مره واحده : ثم بعد ذلك نغفر له ، كانت لنا عليه حجة ام لم تكون : واعلموا انه ليس في الاعمال الصالحة شي اكبر اجر من المغفرة لمن اسا اليكم : ولكن يمنعنا (fol. 144 v) من ذلك عادة الخطية القديمة التي استولت علينا فينبغي لنا ان نطلب من الله بالصبر وتعب الجسد الشديد حتا يغفرها لنا : وناخذ قوه لنغفر لكل من اسا الينا وظلمنا ❊ فالان يا نفسي اذ قد استبان لنا من هذا : ينبغي لنا ان تكون غايتنا واحدة في كل زمان وفي كل موضع وفي كل امر ان نكون نُظلم من الناس باطل على غير شي ونفرح ولا نحزن ولا يكون فرحنا بهيمي بغير راي ولكن نكون نعرف انا قد وجدنا علة ان نغفر للذي قد اخطا الينا لكيما تُغفر خطايانا : فهذه الخصلة هي مغفرة الله بالحقيقة الجامعه لكل معرفه : الذي بها نستطيع نطلب من الله ويسمع منا . فهذه الخصلة هي ثمره الصلاه وفيها تظهر الامانة بالمسيح وبها نقدر ناخذ صليبنا ونلحق المسيح ❊ فهذه ام الوصايا الكبار كلها وريستهم : وبها نستطيع ان نحب الله من كل قلوبنا ولا قربانا :

التسبحة والعظمة لسيدنا المسيح الى دهر الداهرين . امين .

كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان (مخطوط)

النسخة الاصلية ، وهي اثر أُنف لم ينشر قبلُ

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني

شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس الخوري

الراهب اللبناني (تابع)

سنة ١٧٥٧ للخليقة، تعمرت مدينة نينوى، اي الموصل . وفي سنة ١٧٧١ للخليقة، سام عمر مدينة القدس ، ووضع جمجمة آدم — الذي طلعت قسمته من ابيه بما انه الاكبر — في جبل الجلجلة ، حتى ركز صليب السيد المخلص، ودعا اسمه اولاً يابوس . وبعده سميت مدينة داود ، ثم اورشليم ، ثم دعيت القدس الى يومنا هذا .

وفي سنة الفين وسبعة وعشرين ، سام عمر دمشق ، وبعد ذلك سميت الشام . وفي هذا العصر (اي السنة المذكورة) عمر مدينة حمص ، وكانت تدعى قديماً اماصا وهي [٧] من مدن سوريا .

مصر مملكة مشهورة للغاية ، في كل الدنيا . واسم مصر مشتق من مصرين ابن كوش الذي عمرها ، في عهد مايتين سنة بعد الطوفان اي سنة الف وثمانماية وخمسين للخليقة . وفي سنة الفين وماية وعشرة ، تعمرت مدينة صور . وفي سنة الفين وماية وخمسين ، تعمرت مدينة تيبايس . وفي سنة ٢٧٣٢ ، تعمرت مدينة صيدا . وفي سنة الفين وسبعماية وثمانية ، كان عمل المسلات (اعمدة طويلة) في اسكندرية وغيرها . وفي سنة الفين وثمانماية وعشرين ، تعمرت قبور الهرام (الاهرام) في مصر وغيرها .

وفي سنة ثلاثة آلاف وثمانية عشرة، كانت عمارة هيكل سليمن . وفي سنة ثلاثة آلاف وتسعين ، تعمرت مدينة السامرة ، اي نابلوس . وفي سنة

٣١١٢ ، تعمرت مدينة قرطجنة ، اي الجزائر . وفي سنة ثلاثة آلاف وخمسماية وخمسين، تعمرت مدينة رومية العظمى، ام كافة مدن ايطالية ، وسميت رومية الى يومنا هذا . وفي سنة ثلاثة آلاف وسبعماية واربعين ، الملك اسكندر العظيم ، عمر مدينة اسكندرية ، وسماها باسمه . ويذكر (يوسيفوس ايضاً) في تاريخه ، ان في هذا العصر (اي السنة المذكورة) ، عمروا وزراه عدة مدن ، اي عكا ، وطرابلس واللادقية وحما ، في فونيقية . فعكا كانت تسمى اولاً طوليمايدة ، وطرابلس كانت تدعى طروبيلي (Trypoli) اي ثلاث مدن : الواحدة في البحصاص ، والثانية بين الميناء والمدينة ، والثالثة في السرقتانية على حد بيت عمور . واما التي هي الآن طرابلس ، كانت تسمى وادي الكنايس .

وبعد فتوح الاسلام المدينة المذكورة ، هدمت الثلاث مدن المذكورين ، وحولوا كنايسها الى جوامع ، كما تلوح (تظهر) في شهرتها . والموادن (المآذن) التي هي شاهقة ، كانت موضعاً للجراس ، والمدارس لم تزل مدارس لهم ، والكنايس جوامع . وكل كنيسة ومدرسة بقي وقفها لها الى يومنا هذا .

واللادقية كانت تدعى قديماً ارماطوليتا . ومدينة انطاكية كانت قديماً راس مدن سوريا . بناها الملك لوكوس ، احد خلفاء اسكندر ، واسماها [٨] اولاً انطانية ، باسم انطيوخوس . وهي معمرة على شاطي نهر اورنتيوس (Oronte) اي العاصي . وفي الازمنة القديمة ، حُسبت الثالثة من مدن العالم الكبار . لكن الآن لم يبقى منها الا جزء ، كما بيان من دايرة صورها . وتدعى الآن انطاكية .

(بالاحمر) عمارة القسطنطينية .

تعمرت قديماً مدينة صغيرة . وكانت تسمى بيزنطية . وحين قام الملك قسطنطين من رومية ، وسلّم ايطالية الى الحبر الاعظم ، اتى الى بيزنطية ، وبناها مدينة عظيمة ، على سبعة جبال ، طولها ينوف عن ساعة ، وعمر بها كنيسة عظيمة ، اي اجيا صوفيا . وسماها القسطنطينية . وكان ذلك في سنة ثلاثماية وثلاثين مسيحية . ولما اخذوها الاسلام من ملوك الروم ، سميت اسلامبول ، اي مدينة الاسلام .

وجود اكي دنيا سنة ٤٩٣ م. — ديار بكر كانت تسمى قديماً آمد . — بغداد كانت تسمى قديماً بابل . — برصه كانت تسمى قديماً بروسه . — حلب كانت تدعى قديماً بيروا (ܚܠܒ) . — بانياس كانت تدعى الحولة . — مرعش كانت تدعى بنيح . — معلولا كانت تدعى المداين . — نابلس دعيت شكيم ، ثم السامرة ، وفي ايام السيد المسيح دعيت سوكار . — مكة كانت تدعى عمان .

فونيقية الاولى في سوريا ، كانت تنقسم قسمين ، اي فونيقية الخاصة ، وكانت تحوي بيروت وصور ، وصيدا والباقي ... — وفونيقية الشام ، اي فينيقية جبل لبنان التي كانت تحوي هيليت يوالين ، اي بعلبك والشام ، والباقي ... — الموصل كانت تدعى نينوى . — بيروت كانت تدعى دربي . — جبيل كانت تدعى لوسترا . — البترون كانت تدعى فونيقية لبنان . — انفه ، قرب مدينة طرابلس ، كانت تدعى ترياريس . — طرابلس كانت تدعى طابرياسة . — القدموس كانت تدعى ءالاطوس .

واما مدينة جبيل ، كانت في القديم مدينة عظيمة ، مبنية فوق جبل لحد دير البنات . وبعد ان دثرت من طول الزمان ، جدد عمارها في المينا الملك حنا ، وعمّر بها كنيسة عظيمة على اسم يوحنا مرقوس .

[٩] (بالاحمر) تاريخ قلعة فقرة (بالاسود) الذي فوق مزرعة كفرديان في جرود كسروان

يذكر في بعض تواريخ انه في سنة ٣٨٢٧ لكون العالم ، ان الملك بطلماوس السادس من ملوك مصر ، الحب ام الالهة لسبب مساعدتها له على تكميل مقصده الردي ، وكان باني لها معبداً في مصر عظيماً ، مزين بالذهب والمعادن . وهذه الام النجسة ظهرت في الحلم لهذا الملك الخبيث ، قايلة له : اريد منك تبني لي معبداً في جبل لبنان ، والى اولادي الستة ، لكل منهم معبداً . وكان هذا الحلم على ثلاث ليالٍ . وفي الليلة الثالثة سألها الملك قايلاً : اريد منك ان تعرفيني المكان الذي تريديه لهذا العمل . فقالت له : اجعل تمثالي على ضهر ناقة ، ووجّه معها احد وزرائك الذي يقدر الى تمام هذا العمل ،

ويمشي وراء الناقة الى موضع تنوخ ولا تعد تقوم ، فهناك يبني لي معبداً .
فلما اصبح الصباح ، باشر الملك بما امرته به ، ووضع تمثالها مع تمثال اولادها
على ضهر ناقة مزينة بالحرير والذهب والارجوان ، ووجه معها احد وزرائه
بالجيش الوافر . ولم تزل هذه الناقة سارية (سائرة) ، وهم يتبعونها الى المحل
المذكور اعلاه . وحين وصلت الى هذا المكان ، نخت الناقة ، ولم تعد ان
تقوم . فتحقق قايد الجيش ان هذا المحل الذي تريده ، كما افهمت السيدة .
فحالاً باشر بيناء معبد عظيم ، مشيد مزين بكمال الزينة الفاخرة والبناء العظيم
الرفيع الشان ، الذي ما حصل مثله في ذلك العصر ، في جبل لبنان .

وكان له في راسه قبة عظيمة من نحاس سيدوية مطلية بالذهب الابريز .
وكانت النظر اليها عند شروق الشمس . ومن عظم ارتفاع هذا المعبد، كانت
تصل فيته (ظله) مسافة ساعتين عند شروق الشمس . وكان هذا القايد يحث
ويأمر كافة عباد الاصنام في زيارة هذا المعبد ، امرار شتى في السنة ، كما اومر من
الملك سيده . واما هذا المعبد ، مع طول المدة والسنين ، وتلاشي (ملاشاة)
عبادة الاوثان ، خرب [١٠] هذا البنا وتلاشى ، وبقيت رمته ، وبعض اشارات من
عماره تدل على عظم بنيانه . وهذه الرمة باقية في المحل المذكور الى يومنا هذا .

واما اولاد الام المذكورة الستة ، عمر لهم القايد هياكل . اولاً ارطاميس،
عمر له معبد في اسفل قاطع بيت شباب . وبعد ان تلاشي ، اقيم عوضاً عنه
ديراً على اسم سيدة طاميش . وهو الان بيد الرهبان اللبنانيين ، من جملة
ديورتهم المشهورة ، كرسياً لاب عامهم (لرئيسهم العام) .

الثاني ابولون ، بنى له معبداً تحت عجلتون (بكسروان) . وبعد ان
تلاشى ، صار مكانه مزرعة تسمى بلوني ، بيد المشايخ الخوازنة .

الثالث عجلون ، بنى له معبداً فوق بلوني . وبعد ان تلاشى ، صار قرية
تسمى عجلتون ، يسكنوها بيت الخازن .

الرابع رافان ، بنى له معبداً بقرب عجلتون ، وهو الآن دير لسكنة
(يسكنه) الرهبان العباد والمطارين ، ويسمى الآن دير ريفون .

الخامس ، بنى له معبداً في جبة المنيطرة ، في قرية افقا ، بجانب نبع نهر

ابرهيم ، كانوا يصيفوا فيه البعض من اهالي الساحل وجيرته ، ويرتكبوا به كافة الفواحش . يخبر اوسابيوس القيصري ان الملك قسطنطين الكبير امر بهدمه، واقام عوضه برجاً مثنى على اسم السيدة، لكي ينههم عن هذا الفعل الردي.

السادس عمر له معبداً في قرية حدشيت ، في جبة بشري . وهذه (اي حدشيت) لفظة سريانية ، معناها احد الستة . وحين تلاشى (المعبد) عمروا مكانه كنيسة على اسم القديس ماوي رومانوس . وبعد مدة من الزمان ، حين ارادوا اهل القرية يعمروا حايط الذى كان انهدم في الكنيسة ، وجدوا هذا الصنم من حجر رخام ، كبير الجثة والهامة . فكسروا رأسهُ ووضعوا جثته في اساس حايط الدير (الكنيسة) . وهذا التخبير من جملة اناس اختيارية القرية ، كما تحققوا من سلفايهم الاقدمين .

ابتدا تواريخ السنين

من آدم الى تواريخ اليونانية ، ثلاثة آلاف وسبعماية واربعين سنة . من تاريخ اليوناني الى مجيء المسيح ثلاثماية و ١١ سنة . من مجيء المسيح الى الشهدا ٢٨٤ سنة ، ومن الشهدا الى الهجرة ثلاثماية سنة وسنة [١١] . فيكون من آدم الى الآن (١٨١٩) خمسة آلاف وثمانماية وسبعين سنة . ومن تاريخ اليوناني ، اي تاريخ الملك اسكندر ، الى الآن الفين وماية وثلاثين سنة . ومن تاريخ السيد المسيح الى الآن ١٨١٩ سنة . ومن تاريخ الشهدا الى الآن ، اي السنة الذي قتلوا بها شهدا لا يحصى عددهم ، وصار التاريخ ، ١٥٣٥ سنة . ومن تاريخ الهجرة الى الآن ١٢٣٥ (سنة ه . ١٨١٩ م . سنة انجاز هذا الكتاب كما تقدم) .

ابتداء ظهور الاسلام

في سنة خمساية وخمس وثمانين م . ظهور محمد . وكان مولده في ربيع اول . ومات سنة ٢٥ ه . (٦٤٥ م .)

علم الخلفاء

اولهم ابو بكر الصديق ، عبدالله . وكانت خلافته سنتين . ومات في عمر ٦٣ سنة . الثاني عمر ابن الخطاب ، وقتل في سنة ٢٣ هجرية (٦٤٣ م.)

وهو اول من اندعى باسم امير المؤمنين. الثالث عثمان ابن عفان ، وقتل في سنة ٣٥ ه . (٦٥٥ م .) في عمر ٨٣ سنة . وكانت خلافته ١٢ سنة الرابع علي ابن ابي طالب . وقتل في عمر ٦٣ . وكانت خلافته ه (اي خمسة اعوام).

الخامس الحسن ابن علي ابن ابي طالب ، وكانت خلافتـه نصف سنة . وتنزل بخاطره .

السادس معاوية ابن ابي سفيان . ومنه ابتدا الدولة الاموية ، اي بني مريا (أمية) . والخلفا من هذه الدولة اثني عشر خليفة ، ابتداهم معاوية المذكور ، ابن ابي سفيان ، وآخرهم مروان ابن محمد ، ابن مروان ابن الحاكم (الحكم) الذي قتل في صعيد مصر. وكان مدة تملك دولة بني مريا الف شهر ، اي ثلاثة وثمانون سنة واربع اشهر ، من سنة صا (٤١ ه . ٦٦١ م .) الى سنة هلا (١٣١ ه . ٧٤٨ م .)

دولة بنو عباس

اول الخلفاء منهم عبدالله ابن السفاح ، من سلالة آل هاشم . وخلفايهم ٤٨ خليفة . وابتدا دولتهم من سنـة هلا (١٣١ ه .) الى سنة هحو (٨٢٩ ه . ١٤٢١ م .) تكون اقامة خلافتهم صرىى (٦٩٣) سنة .

[١٢] دولة الفاطميون في مصر

وكان تملكهم في زمان الخلفاء العباسيون الذين في بغداد . ابتدا تملكهم في القيروان ، ثم انتقلوا الى مصر في ايام العزيز من اهل طولون والاخشيد. وهم اربعة عشر خليفة . منهم تسعة خلفا في مصر . وكان زوال دولتهم في سنة بصصف (٥٦٨ ه . ١١٧٢ م .). تكون خلافتهم مايتين وعشر سنين. ثم تولى مصر نور الدين محمود ، ويكنى الملك عادل ابن زنكي ، وكان والياً من قبل العباسيون على الشام ، في ايام تملك الفرنج على بيت المقدس.

دولة الايوبيين

اولهم صلاح الدين يوسف . وآخرهم صلاح الدين طورنشاه يوسف ، ويكنى الملك السعيد . وعدة خلفايهم ثمانية . وابتدا تملكهم من سنة ىى

(٥٣٠ ه . ١١٣٥ م .) الى سنة ههحس (٦٤٨ ه . ١٢٥٠ م .) . تكون مدة خلافتهم ٧٨ سنة .

دولة الشراكسة في مصر وهم دولة الاتراك

اول ملك منهم عز الدين ايبك التركاني في سنة ههحص (٦٥٦ ه . ١٢٥٨ م .) الى سنة رحب (٩٢٢ ه . ١٥١٦ م .) وآخر من تملك منهم ، الملك الاشرف النوري . وهم تسعة واربعون ملك . ثم تملك مصر السلطان سليم العثماني . وكان مدة تملكهم ههحس (٦٤٨) سنة .

دولة آل عثمان

اول ملوكهم السلطان عثمان ، وكان اول جلوسه في مدينة ايقونية ، في سنة ٦٩٩ ه . (١٢٩٩ م .) . وكانت اقامته بها ٢٧ سنة ، ونقل الى برصه في سنة حهه (٧٨٦ ه. ١٣٨٤ م.) . واستقام التخت في برصه من سنة حهه (٧٢٦ ه. ١٣٢٥ م.) الى سنة ه‍لي (٨٣٣ ه . ١٤٢٩ م .) .

السلطان محمد ابن مراد اخذ القسطنطينية في ٢٩ ايار يوم الثلثا سنة ههد (٨٥٧ ه . ١٤٥٣ م .) . وهو اول من تملك بها من آل عثمان . اخذ قبرس من البنادقة السلطان سليم الثاني ، ابن بايزيد ، في سنة رحه (٩٢٦ه. ١٥١٩م.) وفي سنة رحس (٩٢٨ ه . ١٥٢١ م .) ، المذكور (السلطان سليم) فتح بلاد سورية ، اي حلب [١٣] والشام وطرابلس واورشليم ومصر ، وباقي تخوم العرب ، وقسمة من بلاد اليمن .

فيكون عدة تملك آل عثمان ، من اول تملكهم في ايقونية سنة ٦٩٩ ، الى يومنا هذا ، سنة أوحه (١٢٣٥ ه . ١٨١٩ م .) . يكون مدة تملكهم ىلحم (٥٣٤) سنة . ومن مدة اول تملكهم في القسطنطينية ، الى يومنا هذا حهه (٣٧٦) سنة . وعدة (عدد) سلاطين آل عثمان ، من اول تملكهم الى الآن (١٨١٩ م .) ، كما هم محررين ادناه ، من اول تملكهم في ايقونية واحد بعد واحد :

١ عدة سلاطين عثمان ، الذي اخذوا الكنوة منه ، وهو اول من جلس

في تخت ايقونية سنة ٦٩٩ (٦٩٩ هـ . ١٢٩٩ م.) وكانت اقامته في التخت ٢٧ سنة .

٢ اورخان ابنه ، كان اول جلوسه في برصه سنة ٧٣٦ هـ . (١٣٣٥م.) استقام في التخت (الملك) ٣٥ سنة.

٣ مراد ابن اورخان جلس في برصه . اقامته ٣١ سنة وسمي الظافر . هذا اخذ كابولي وادرنة وفيلبة .

٤ ابي زيد ابن مراد ، اقامته ١٤ سنة . هذا اخذه التمرلنك يسيرًا (اسيرًا) الى بلاد العجم . وبقي كرسيه بلا ملك ١٧ سنة .

٥ محمد ابن بايزيد ، اقامته ثمان سنين .

٦ مراد ابن محمد ، اقامته ٢٣ سنة .

٧ محمد الثاني ابن مراد ، اقامته سنتين .

٨ مراد الثالث ابن محمد ست سنوات . هولاء دفنوا في برصه .

٩ محمد ابن مراد ، اقامته ٢٢ سنة . هذا في ايامه اخذت القسطنطينية ، ونقل التخت العثماني اليها سنة ٨٥٧ (٨٥٧ هـ. ١٤٥٣ م.) .

١٠ ابا يزيد الثاني ابن محمد ، اقامته ٢٣ سنة .

١١ سليم ابن بايزيد ، اقامته تسع سنوات . هـذا الذي فتح سوريا وغيرها ، كما محرر اعلاه .

١٢ سليمان ابن سليم ، اقامته ٤٨ سنة . هذا الذي اخذ قبرس سنة ٩٢٦ (٩٢٦ هـ . ١٥١٩ م.) .

١٣ سليم ابن سليمان ، اقامته ثمانية اشهر .

[١٤]١٤ مراد الثالث ابن سليمان ، اقامته عشرون سنة وثمانية اشهر .

١٥ محمد ابن مراد ، اقامته اربع وعشرين سنة .

١٦ مصطفى ابن محمد، اقامته ثلاثة اشهر وثلاثة ايام ، وانزلوه عن التخت .

١٧ عثمان الثاني ابن محمد ، اقامته اربع سنين وشهر .

١٨ مصطفى ابن محمد ، اقامته سنة واربعة اشهر .

١٩ مراد الرابع ابن محمد ، اقامته سبعة عشرة سنة . هذا اخذ بغداد من الفرس .

٢٠ ابرهيم ابن محمد ، اقامته تسع سنين وتسعة اشهر .
٢١ محمد ابن ابرهيم ، اقامته واحد واربعون سنة . اخـذ كريت من البنادقة سنة ١٦٤٨ م .
٢٢ سليمان ابن ابرهيم ، اقامته ثمانية اشهر و ٢٢ يوم .
٢٣ احمد ابن ا هيم ، اقامته ثلاث سنين وشهرين .
٢٤ مصطفى الثاني ابن محمد ، اقامته ثمان سنين وتسعة اشهر وعشرة ايام .
٢٥ احمد الثاني ابن محمد ، اقامته ثمانية وعشرون سنة وثمانية عشر يوماً .
٢٦ محمود ، اقامته ستة وعشرين سنة .
٢٧ عثمان ابن مصطفى ، اقامته ستة اشهر .
٢٨ مصطفى ابن محمد ، اقامته ستة عشر سنة .
٢٩ عبد الحميد ، اقامته ستة عشر سنة .
٣٠ سليم ابن مصطفى ، اقامته ٢٢ سنة . هذا الذي اخذ منه الفرنساوية مصر في سنة أوجي (١٢١٣ هـ . ١٧٩٨ م .) ، واستقاموا بها الى سنة أوصل (١٢١٧ هـ . ١٨٠٢ م .) . وخرجوا منها بمساعدة الانكليز ، وركز الحال . وبعده تملك السلطان عبد الحميد[1] ، وهو الحادي والثلاثون من ملوك آل عثمان ، وهو الجالس يومئذ سنة أوحج (١٢٧٤ هـ . ١٨٥٧ م .) .

[١٥] صورة مكتوب من السلطان عبد الحميد الحادي والعشرون من ملوك آل عثمان الى امراء البندقية

انها لم تحصي ولم تدرك العقول مراحم الله تعالى خالق البرية ، ومانح كل عطية ، الذي لا يتغير بل ثابت في ذاته الازلية . لا تدرك عدة (عدد) آياته ، ريس الانام ، سيد الاوليا محمد ، خلد الله عليه وعلى كل ذريته واتباعه جميع البركات العلية . —

---

١) هذا السلطان قد زيد على السلسلة بعد وفاة المؤلف التي وقعت سنة ١٨١٩ ، كما تقدم . وذلك واضح من تاريخ جلوس هذا السلطان سنة ١٨٥٧ ، على ما لا يخفى الذهن اللبيب .

اني من قبل الجود الاعلى ، خادم ومدبر اكبر الانصار وافخر الامصار ، مدناً شاسعة وبلدان واسعة . تعطف عليها بانذهال الازمان والاخيال (لعلها الاجيال) . تزورها الانام وتهديها النذور باحترام ، اي مكة الطاهرة واورشليم الزاهرة .

اني السلطان الكلي العدل ، وملك الملوك الكلي الفضل ، مالك المدن العظام المأخوذة من ساير الحكام ، اي القسطنطينية وادرنة وبرصه ، ودمشق الطرية المقضية ، وكل بلدان العرب والبلقان والقيروان ، وحلب الشهباء ومديتين ، وبلد الكلدانيين المشهورين ، وفارس ومارس وسيواز ، وادنة والقرمان ، وحافظ العبر وساير الصيد ، والصعيد والحبش وتونس وكل يونس ، وقبرس ورودس ، وكريت والمورة ، والتركمان والكراد ، والارمن والكرج ، وجميع تخوم الارناووط ، والبشناق العالي المكان ، وقلعة بير الاغراب المأخوذة من ملك السويس ، ومدن اليقين ، وكل الفلاك والملاك وجميع حدود القربية ، وتخوم الهندية ، واماكن وحصون ، واساكل ومتون ، التي تهمل عدتها لزيادة كثرتها .

انني الشاه ، سلطان ابن السلطان خان محمد . شاه جلّ الذي ولاه . انني ابرزت هذا الدستور المفخم الى فخر الدول المسيحين المفخمين ، الذي تلتجي اليه بالصحيح شرف عباد المسيح فيزجل نظامهم [١٦] وتدبير احوالهم السارة ، السادات الجليل قدرهم ، الشريف ذكرهم ، العالي احترامهم ، اي حكام وامارة البندقية ، جعل الله لهم النهاية السعيدة ، مع الهداية المصيدة ، الى سبيل الخلاص الى الحياة القيدة آمين .

اننا نوضح لكم بان قد درج بالوفاة الى سعادة مولاه الاعظم ، اخي الاكبر السلطان مصطفى شاه ، تمجده الخالق بنور مجده الفايق ، واسبغ عليه انعامه الواهية (الكثيرة) ومراحمه الازلية بقوة النير الامين ، محمد فخر العالمين ، والانبيا، والمرسلين ، وشفيع امته يوم الحشر والدين . فبموجب حقوق الخلافة المستقيمة ، والقوانين القديمة ، ارتقى المختار بكل عدل وانتصار ، الى تخت العز وتخت الانتصار ، بشادة العدل القهار . وكان ذلك يوم الجمعة السعيدة ، في غاية قمر ذي القعدة ، جديد بجميل ، حيث المؤمنين الى الله تعالى يعبدون .

وبعده ، درجنا اسمنا التنيل باسم سلطان ، ونذرنا الملوكية ، اي السكة

السلطانية ، وانذرنا بجميع حكمنا بقيامنا وعدلنا ، ورفضنا حكم الكثيف باجراء عدلنا المنيف . وبموجب العوايد من سلفاينا القدم الكرام ، اوجب اننا نعلن جلوسنا الجليل على السدة الملوكية ، الى اصحاب الدول العلية ، المرتبطون معنا في الصداقة الحقيقية .

لاجل ذلك ، نوجه كتابنا هذا الشريف من ديواننا المنيف ، للسيد المعظم ، الامير المفخم ، المشهور بالعز واليقين بين اولية المسيحيين . اعني به بولس دينا خان ، والي البندقية ، ذي المناقب الملوكية ، ختم الله نهاية حياته التقية بسعادة الابدية ، والى ساير الامراء الكرام ، والاراكنة الفخام ، اصحاب الدول المشهورة ، في البندقية المعمورة ، حتى يحصلوا على افراح جلوسنا السعيد ، وقيامنا المجيد ، بموجب العهود والاتفاقات والشرطنامات ، والشروط القانونية المرتبطة من بلاطنا الملوكي ومن بابنا العالي ، حتى يقدروا يوضحوا لنا حبورهم ، ويشهروا لنا سرورهم .

الى ارباب الدول الذين في حكمهم ، حتى من طريهم يضبطوا على [١٧] حفظ الشروط المذكورة ، وعلى اتصال العمل بها ، وقيام الشروط القديمة من حكمنا السعيد . ولا يبدأ من طرفهم شيء يفسد السلامة . فمن نحو جلالتنا الملوكية ، لا يمكننا نفعل شيئاً حديثاً ضد ما اوضحناه، لكيما المحبة الخالصة، والصداقة الكاملة التي بيننا ، تنمى وتزداد ، التي مسجلة من الطرفين ، لاجل زود الراحة وتطمين القلوب .

حجة العهد للنصارى من محمد

هذا عهد الله لكافة النصارى ، ولساير الاماكن ، حفظاً منا لهم ، ورعاية لنجاتهم ، لانه وداعة الله في خلقه ، ليكون الحجة له عليهم . ولا يكون للناس حجة على الله بعده . وجعل ذلك ذمة منه وحفظاً لامر الله العزيز الحكيم ، اكتبه وامر ساير المرليين الامور من اهل ملته بعده ، ان يتناوه ويعملوا كل من انتحل دين النصرانية . ودعوا بها من مشرق الارض ومغربها وقبليها ، وبرها وبحرها ، وقريبها وبعيدها ، وعربتها وعجتها ، ومعروفها ومجهولها ، عدلاً منه وسنة لهم ، ليحفظوها ويراعوها كل المتولين

الامور ، ممن هو للامور متمسكاً ، ولطاعة الامر بها تابعاً ومتمسكاً ومتأهلاً .

ومن نكثها وتعداها وخالفها ، وضيع العهد الآمر به وغيّره ، وفعل بخلاف ما رسم به الآمر ، كان لعهد الله ناكثاً ، ولميثاقه ناقضاً ، وبذمته مستهيناً ، واللعنة مستوجباً ، سلطاناً كان او غيره من المؤمنين والمسلمين .

وقد بدأت بالعهد على نفسي ، والميثاق الذي سألوني ، ومن ملتي من المسلمين ، ان اعطيهم عهد الله وميثاقه ، وذمة انبيائه واصفيائه واوليائه من المؤمنين . وسائر المسلمين من الاولين والآخرين . وذمتي وميثاقي وما اوجبه الله تعالى من الطاعة ، وايثار الفضيلة والوفاء بالعهد الذي هو عهد الله تعالى ، ان احفظ اراضيهم بخيلي ورجالي وسلاحي ، وقوتي واتباعي من [١٨] المسلمين . وفي ناحية من القرب والبعد ، وان احمي كنايسهم وضياعهم ، وبيوت صلواتهم ، ومساكن الرهبان منهم ، ومواضع السواح حيث كانوا . من جبل ووادي ومغارة ، وعمار او صومعة ، او سهل او رمل . وان احفظ ذمتهم وملتهم اينما كانوا . شرقاً وغرباً ، وبحرياً وقبلياً ، كما احفظ به نفسي وخاصتي ، واهل ذمتي وميثاقي ، واماني في كل حين . واصدّ عنهم كل اذى ومكروه وتبعة . وان اكون ذاباً عنهم من ورائهم ، وادفع عنهم كل عدو ومؤذي ، وافديهم بنفسي واعواني واتباعي واهل ملتي ، لانهم رعيتي . وعليّ رعايتهم وحفظهم من كل مكروه . ولا يصل اليهم حتى يصل الى اصحابي الذابين عن نصرة الاسلام ، وان اعزل عنهم الاعدا في المواطن التي تحمل على اهل العهد من المادة بالخراج الّا ما طابت به انفسهم . وليس عليهم جور ، ولا اكراه على شيء من ذلك . ولا يغير من ذلك اسقف عن اسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا قسيس عن قسوسيته ، ولا نصراني عن نصرانيته ، ولا زاهد عن صومعته ، ولا سايح من سياحته . ولا يهدم بيت من كنايسهم ، ولا شيء من ضياعهم . ولا يدخل شيء من منازلهم في شيء من المساجد ، ولا من منازل المسلمين بطريق القهر .

ومن تعدى ذلك فقد نكث عهد الله ، وخالفنا فيما رسمنا به وحررنا . ولا يكلّف الرهبان والاساقفة والمتوحدين منهم بلباس الصوف . ولا السكان

منهم في البراري والجبال والمواضع المنعزلة عن الابصار . ولا يطالبوا بشيء من الجزية . ويقبض من النصارى الغير رهبان من لا يتعبد . ولا سايح عليه من الجزية ، سوى اربع دراهم فضة في كل عـام ، او ثوب لطيف الثمن . ومن كان محتاجاً منهم فلتعينه المسلمون من بيت المال . وان لم يسهـل عليه الثوب ، حُمِل عنه .

ولا يـكلفون الا ما طابت به نفوسهم استطاعة قدرتهم وحالهم [١٩] . ومن كان منهم تاجرًا في البحر،والغواص في اخراج المادن من الجوهر والذهب والفضة ، وذوي الاموال والعقارات من المتحلين دين النصرانية ، يكون عليهم في جزيتهم اثني عشر درهم فضة في كل عـام . اذا كانوا بالمواضع قاطنين ومقيمين ، ولا يتعرضوا على عابر الطريق . ولكن ليس هو قاطن بالبلاد ، ولا يعرف موضعه الا من كان بيده ميراث مواريث الارض ، يجب عليهم حق السلطان ، فيؤدي مثل ما يعطي ملته . ولا احد من المسلمين يجور عليـه ، ولا يحمل منه الا على قدر طاقته وقوته على حوايط الارض وعماراتها ، وامثال ثمراتها . ولا يـكلّف شططاً ، ولا يتجاوز احد اصحاب الخراج ان ينظر اليه.

ولا يـكلّف اهل الذمة منهم الخروج الى الحرب بقتال العدو مع المسلمين، لانه ليس على الذمة مباشرة القتال . ولا يـكرهوا على تجهيز احد من المسلمين الى الحرب الذي لا يـكون فيها عدوهم لقوة السلاح ، الّا ان تبرع من تلقاء نفسه بذلك ، اذا كان لا بدّ لك قدرة عليه . ويـكون يقوي به المسلمين من ذلك اذا كان على سبيل العادة . ويضمنه بيت المال الى ان يرده عليه . فان اوتي ، او غيّره عليه ، وقلع منه ، فيمّن له من قيمته من طلبة بيت المال ، ويرد على صاحبه ، ولا يُتَجبر على من كان في الملة النصرانية كرهاً على الاسلام، ويُقهر غصباً . ولا يتجادلوا الا بالتي احسن . ويحفظ لهم جناح الرحمـة ، ويـكف عنهم الاذى والمكروه حيثما كانوا ، واينما حلوا .

وان حرم واحد من النصرانية لاية خيانة كانت ، فعلى المسلمين نصرتـه ومعونته ومساعدته والدفع عنه ، وخلاصه من حرمتـه ، والدخول في الصلح بينه وبين من جاء اليه ، اما بالمساعدة ، او بانقاذه . ولا يجـادلوهم ، ولا

يخاصموهم ، ولا يرفضوهم ، ولا يتركوهم هملا . لاني اعطيهم العهـد الذي استوجبوه حق الزمام . وان يرفع عنهم كل مكروه ، ويدخل بهم تحت كل رفق . ويكون المسلمون شركاءهم في كل ما يحـل بهم . ولا يحملوا من النكاح بما لا يريدونه . [٢٠] ولا يكره البنت منهم ترويج المسلمين . ولا يتضادوا بذلك ترويج خاطبة الأبطيب نفوسهم وهواهم ، ان اختاروا ورضوا به . وان صارت النصرانية عند المسلم ، فعليه ان يرضى بنصرانيتها ، ويعينها على بلوغ هواها ، والاقتداء على راي روساها ، والاخذ بعلم دينهـا . ومن خالف ذلك ، فقد خالف عهد الله ، وعصى ميثاقه ، وهو عندنا من الكاذبين .

وان احتاجوا الى مرمة (ترميم) مواضعهم ، لا يكون عليهم بذلـك ذنب ، لان تقويتهم لهم على ذمتهم ودينهم ، اقامة لهم [٢١] بالعهـد الذي هو وهبة منا لهم. ولا يكره احد من النصرانية ان يكون في الحرب ، ولا رسولا لاعداء المسلم ، ولا في شي. مما يليق بالحرب . ومن فعل ذلك باحـد منهم ، كان لله ظالماً ، ولنا غاضباً ، ومن دينه خالعاً . الّا اتام الوفا لهم بهذه الشروط التي اشرطناها لاهل ملة النصارى . وليس لاحد ان يخرج عنها ، ولا ينقض عهدنا والشرائط التي اشرطناها عليهم في امور ذمتهم وديانتهم،والتمسك بها ، والوفا بما عاهدناهم ، وهو ان لا يكون احد معيناً لاحد من اهل الحرب على احد من المسلمين ، في سر ولا في علانية . ولا يأووا في منـازلهم عدواً للمسلمين ، ولا يقروهم بشي. من آلات الحرب ، لا خيل ولا مال ، ولا رجال، ولا غير ذلك . ويُلفوا من ينزل عندهم من المسلمين ثلاثة ايام ولياليهـا . ويقومون بهم من حيثما كانوا وحيثما حلوا . وان يبذلوا لهم ما يأكلون،ويحاروا عنهم الاذى والمكروه.

وان اختفى عندهم احد من المسلمين، يأووهم ويسوسوهم حيثما كانوا، مكتفين ومقيمين. ولا يظاهروا للعدو عليهم .ويحملوا عنهم ثقل ما يجب عليهم . فاذا عملوا بمقتضى هذه الشروط ، ولا يخرجوا عنها ، ويكرموا في كل الارض بقية ما يدومون فيها آمنين على نفوسهم، ويدومون على ديانتهم .ولا يغصبون على الخروج من مذهبهم قهراً ، بل ترعى لهم ذمتهم ، ويعاملوا بكل الرفق والاحسان .

ومن ينكث شيئاً من هذه الشروط ويتعداها ، او يفعل غير ما امرنا به ، فقد تعدى ونقض عهد الله وما امرنا به ، وقد سلمنا لكم العهد والمواثيق ، وما امرنا به ، بيد الرهبان اماناً مني عليهم . والايمان مني على نفسي لهم ، والوفا بهم اينما كانوا ، واينما حلوا بما قررت لهم عليه وعلى كل المسلمين من [٢٢] الرعاية بهم والرأفة عليهم ، والرحمة لديهم ، والعناية بهم ، والوفا بما يؤيدهم الى الانتهاء . حتى تقوم الساعة وتنقضي الدنيا . ومن ظلم بعد ذلك ذمياً ، ونقض العهد ورفضه ، كنت انا خصمه يوم القيامة من جميع المؤمنين والمسلمين كافةً .

ويشهد بهذا الكتاب والعهد الذي امر به صاحب الامر لجميع النصارى ، الذي اشرط لهم وعليه ، اذ كتبت لهم هذه العهدة شاهدًا نقلت . وهذه اسماؤهم الجل قدرهم :

ابو بكر الصديق . — عمر ابن الخطاب . — عثمان ابن عفان . — علي ابن ابي طالب . — ابو ورد . — عبدالله ابن مسعود . — ابو الهريرة .. — عبدالله ابن عباس . — عباس الزميرة . — طلحة ابن عبد الله . — سعد ابن معاذ . — فضل ابن عمر . — ياسين ابن قيس . — زيد ابن كليب . — سعد ابن عبادة . — عبد الله ابن بدير . — ابو صوص ابن قاسم . — امير ابن ابرهيم . — امامة ابن طلحة . — شهل ابن عمر . — عبد العظيم ابن حسين . — عبد الله ابن عبد الواحد . — عثمان ابن عير . — عبد ابن منصور . — ابو حنيفه . — هاشم ابن عبد الله . — معصم ابن موسى . — حسان ابن ثابت . — ابو الصادر .

وكتب هذا العهد علي ابن ابي طالب في رق غزال ، في العشر الأول من محرم الحرام ، سنة اثنين بعد الهجرة . وهم ثلاثة نسخ ، احداهما في خزينة السلطان ، باقية الآن ، ونسختان بيد الرهبان ، الواحدة بدير الطور ، والاخرى بجبل النطرون (بمصر) ، وهم بختم الآمر بهم . وهذه النسخة من احدى الثلاث نسخ . — تمت والحمد لله .

[٢٣] تاريخ تمرلنك[١]

يذكر ابن الحريري في تاريخه ، انه لما كان سنة الف واربعماية م ، الموافقة

١) هو الملك التتري الشهير . ولد سنة ١٣٣٥ م . في مدينة الكش قرب سمرقند . وينتسب نسائياً الى جنكيز خان ، اول ملوك المغول . تولى الملك سنة ١٣٧٠ م . وملك خراسان واصفهان . واجتاح بلاد فارس والعراقين والجزيرة والهند متزلاً جما الوبال .

لسنة ثمانماية وثلاثة هجرية ، تملك تمرلنك العجم ، والفرس والديلم ، والعراقين، وطبرستان ، وارمينية ، والموصل والجزيرة . وجمع عساكره بشبه الجراد ، وقصد بلاد الشام . فلما بلغ من الدهر مراداً ، ارسل الى السلطان رسلاً ومعهم هدية وكتاب فلما وصلوا الى رحبة مالك ابن طوق ، وثب عليهم كمش بغا النائب فقتلهم ، وارسل الى السلطان الهدية والكتاب . وهذه نسخة الكتاب المذكور :

« بسم الله الرحمن الرحيم . القوة لله . قل اللهم فاطر السماوات والارض ، عالم الغيب والشهادة ، انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه مختلفين . اعلموا انا جند خلقنا الله من سخطه ، وسلطنا على من حل عليه غضبه . لا نرق لشاكٍ ، ولا نرحم عبرة باكٍ . قد نزع الله الرحمة من قلوبنا . فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا . قد خربنا البلاد ، ويتمنا الاولاد ، واظهرنا فيها الفساد . وخيولنا سوابق ، ورماحنا خوارق ، وسهامنا موارق ، وسيوفنا صواعق ، واخويتنا سواحق . وعددنا كالرمل ، وقلوبنا كالجبال . من رام سلمنا سلم ، ومن نال حربنا ندم . فكتنا الابرام ، وجاء زمان الابطام (كذا ؟) . فان انتم قبلتم شرطنا ، كان لكم من مالنا ، وعليكم ما علينا . وان انتم ابيتم ، وعلى بغيكم غاديتم ، فلا تلوموا الا انفسكم . فالحصون من يدينا لا تمنع ، والعساكر لقتالنا لا ترد ولا تنفع ، ودعاكم علينا لا يستجاب ولا يسمع . لانكم اكلتم الحرام ، وارتكبتم الآثام ، وضيعتم الجمع ، وغرقتم ببحر الطمع ، وسلكتم طريق البغي والعدوان ، فابشروا بالمذلة والاهوان (الهوان) .

« اليوم تجزون عذاب الهوان ، بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق ، وكما كنتم تفسقون . وقد ثبت عندكم اننا كفرة . وقد ثبت عندنا انكم فجرا . وقد سلطنا عليكم الله بيده امور [٢٦] مقدرة واحكام مدبرة . فعزيزكم لدينا ذليل . وكثيركم عندنا قليل . فاننا ملوك الارض شرقاً وغرباً ، وآخذون كل مدينة غصباً . وقد اوضحنا لكم طريق الصواب . فاسرعوا الينا برد الجواب ، من قبل ان ينكشف الغطاء ، ويقع الحرب والسطا ، وتوقد الحرب نارها ، وترمي عليكم شرارها ، ولم تبق لكم بقية . وينادي عليكم منادي الفنا . هل تحس منكم من احد ، او تسمع لكم ركزاً (ركزاً : الصوت الضئيل) . قد انصفناكم اذ راسلناكم ، ونثرنا لكم جواهر هذا الكلام ، والسلام » .

فاجابه السلطان بكتاب ، من انشاء بعض الكتاب ، قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم . قال الله مالك الملك : تؤتي الملك لمن تشاء ، وتنزع الملك

ثم غزا سورية سنة ١٤٠٠ وخرب حلب ودمشق ، ونهب بعلبك . وبعد دمشق تملك ماردين وبغداد . وحارب بايزيد السلطان العثماني سنة ١٤٠٢ . وسنة ١٤٠٤ حمل على الصين بمائتي الف مقاتل ، فهلك في الطريق سنة ١٤٠٥ . (تاريخ سورية للمطران الدبس ، مجلد ٦ ، ص ٤٧٠ – ٤٧٤)

من تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير ، انك على كل شيء قدير . ورد الله الذين كفروا لم ينالوا خيرًا . وا كفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويًا عزيزًا .

«وصل الكتاب المخبر عن الحضرة الايغانية (…) ، والسدة العظيمة الفنية .
تقولون انكم مخلوقون من سخطه ، مسلطون على من حل عليه غضبه ، لا ترقون لشاكٍ ، ولا ترحمون عبرة باكٍ . قد نزع الله الرحمة من قلوبكم . فذلك من اكبر عيوبكم . وهذه من صفات الشياطين ، لا من صفات السلاطين . وكفى بهذه الشهادة عليكم واعظًا ، وبما وصفتم به انفسكم ناهيًا وآمرًا .

« قل : يا ايها الكافرون ؛ لا اعبد ما تعبدون . ففي كل كتاب لُعنتم ، وبكل قبح وُصفتم ، وعلى لسان كل رسول رذلتم . وعندنا خبركم من حين خلقتم . وزعمتم انكم كفرة ، الا لعنة الله على الكافرين . من تمسك بالاصول فلا يبالي بالفروع . فنحن المؤمنين حقًا ، والقائلون صدقًا . لا يداخلنا عيب ، ولا يصدنا ريب . القرآن علينا نزل ، وهو رحيم بنا لم يزل . وتحققنا تنزيله ، وعلمنا تأويله . انما النار لكم خُلقت ، ولجلودكم حرقت . والجحيم لكم سُعرت اذا السماء انفطرت . ومن اعجب العجب تهديد الرنوت(١) بالتوت ، والسباع بالضباع ، والكماة بالقراع .

« فنحن خيولنا رقية (٢) وسيوفنا يمانية ، ورماحنا خطية (كذا) ، وسهامنا خلنجية (…) (٣) ، والويتنا مصرية . وكافنا شديدة المضارب ، وصيتها في المشارق [٢٥] والمغارب . فلا بد ما نأتيكم بخيل جياد ، وسيوف جداد ، وارماح مداد . اذا هجموا على البحر نرقوا امواجه ، وعلى البر الاقفر خرقوا الفجاجه . قوام بالليل ، صوّام بالنهار . لا تهولهم الباس ، ولا بعد الديار . قد نشأوا على الحرب والقراع ، وألفوا الفروسية من عهد الرضاع . فليس بيننا وبينكم سوى نظرة العين ، ونعقة غراب البين . فان قتلناكم فنعم البضاعة . وان قُتلنا فبيننا وبين الجنة ساعة .

« ولا تحسب الذين قُتلوا في سبيل الله امواتًا ، بل احياء عند ربهم يرزقون . واما قولكم : قلوبكم كالجبال ، وعددكم كالرمال ، فالقصّاب لا يبالي بكثرة عدد الغنم ، وان كثيرًا من الحطب يكفيه قليل من الضرم . فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين .

« الفرار من الرزايا ، لا من المنايا . فنحن ، المنية عندنا غاية الامنية . ان عشنا ، سعداء ؛ وان متنا ، شهداء . الّا ان حزب الله هم الغالبون . أبعدَ امير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، تريدون منا الطاعة . ليست لكم ولا طاعة . وطلبتم ان يتبكم امرنا قبل ان ينكشف الغطا ، ويقع الضرب والسطا ، هذا كلام في نظمه تركيك ، وفي سلكه تفكيك . لو كشف الغطا لبان . أنقصٌ بعد تبيان ، أكفرٌ بعد ايمان ؟

---

١) رنوت الناس : عليهم وسادتهم (القاموس) .
٢) اي تمشي وتصعد بقدر ما تطيق .
٣) رومية وهندية .

« ثم اتخذتم الله ثاني (كذا) ، لقد جئتم شيأً . اذاً تكاد السماوات تنفطران ، وتنشق الارض وتخر الجبال(او وتكر .) هدًا. قل لكاتبكم الذي وصف رسالته ، ورصف مقالته : وصل كتابه ، فكان كصرير باب وكطنين ذباب . سنكتب ما يقول ، ونمد له من العذاب مدَّة . والحمد لله وحده ، والسلام ».

فلما تواردت الاخبار بقدوم التمرلنك والجيوش التترية ، على جهات الامصار الحلبية ، كثرت الارجاف والضنك . فخرج سنبغا بالعساكر المصريه . وجمع سودون جند الشام ، وخرج بهم من دمشق في اول شهر صفر . فقام على برزة مدة جمة ، وانتقل الى حمص . فاجتمعوا النواب عليه من صفد وبيروت وطرابلس وغيرهم . ثم خرج من حمص ودخل الى حلب في اول شهر ربيع الاول . فنزل تمرلنك بجيوش التتر لمرج دابق ، وكانوا كالجراد ، الذين ما عليهم مزاد . فارسل تمرلنك الى نايب حلب تأييداً وتاجاً مرصع ، وسيف [٢٦] محلّى ، وترخاش ، وهدية من مفاخر القماش .

فلما وصل الرسل الى حلب ، تسلمهم النايب ، ولم يرد للتمرلنك جواباً . وارسل الهدية والكتاب الى السلطان . فلما بلغ ذلك تمرلنك ، شمل به الغضب ، وجرد بالعساكر الى ناحية حلب . فتلاقت الجمان خارج المدينة ، وكثر الضرب بينهم . فانكفت عساكر الشام ، وانهزمت للمدينة . فقتل منهم تمرلنك واسر شيئاً لا يعد . وتفرقت جماعته ، فغنموا ونهبوا ما يفوت الحد . ثم نصب المناجيق (.المجانيق) والنفط والنار ، وحاصر حلب اشد الحصار ، فذلت قلوبهم ، ونكست روسهم ، وحالت احوالهم ، وهُدمت انفسهم واموالهم . وقويت شوكة التتر والعجم . وانضمت اليهم العساكر والاعلام . فتسلكوا المدينة ، وتغيرت بها الزينة . عظمت بها الاهوال ، وخطفت منها الاموال . هدر دماها ، ودرست اسماها . ولم يرَ بها الا الفتك والنهب والضرب ، والقتل والصياح والصرخات من اربعة اركانها .

فصعد الامراء والنواب الى القلعة وتحصنوا بها . ورحل تمرلنك الى المعظم، فحاصر المدينة اشد حصار . وفي يوم الاربعا نصف الشهر طلبوا الامان . ونزل الى عنده خيتم التركماني ، وسنبغا الداوادار ، فسلماه القلعة ومفاتيحها . فخلع عليهم وردهم الى القلعة بالامان . ثم نزل الى عنده النواب والامرا بلسرهم،

فاودعهم بالقيود ، وصعد القلعة بنفسه ، واخرج منها الاموال ، وقتل ونهب واسر شيء لا يحصى ، ولا يوصف .

ثم خرج تمرلنك بالعساكر قاصداً دمشق . فوصل الى المعرة ، فانجفلت اهل دمشق من سمع ذلك جفلة شديدة . وكثر صياح النساء وصراخ الصبيان. وخلت قلوب الناس ، وتشتت الاعيان والعساكر . وقصدوا البعض قلعة ارنون . والبعض قلعة شقيف تيرون . وآخرون المواضع الحصينة . واخذ الناس اعيالهم ، وجعلوا تحت الردم اموالهم . وكان كري (اجرة) البغل الى بيروت بماية ، والى الرملة بثلاثماية . وحارت الناس بامرها .

ثم اجتمعوا الناس بدار السعادة . وشرعوا بالقتال ، واستنجدوا بالعساكر المصرية . فاخذوا الاموال من التجار ، واشتروا آلات الحصار ، ونصبوا المدافع على الاسوار . واجروا [٢٧] مياه في خنادق الانهار ، ونادوا بمنع السفر . وان من هرب تنتهب ارزاقه . وكثر بينهم النهب والضرب بالقيس (القوس) والنشاب . ثم وصلت الاسرى من جهة الشمال واخبروهم بما شاهدوا من القتل والفسق والمنكرات . فامتلت قلوب الناس خوفاً . وانهزموا بشبه السيل الدافق . وتركت الناس اموالهم ونعمتهم ، وتشتتوا في اماكن مختلفة .

ثم هرب السنيقا الدوادار ، ونواب صفد وطرابلس وبيروت ، وهم لابسون الخلقان ، ينادوا في العالم الفرار الفرار ، ويعلموهم بكثرة التتر وكفرهم ، وبما صنعوا بحلب واهلها . عند ذلك امر الحاجب ان تنزع الشرط السلاح ، ولا احد يحمل قوساً ولا نشاب . ولما تحققت الناس بهلاك عساكر الشام ، وعدم خروج المصريين ، فضاقت بهم ، وزادت بقلوبهم الرعبة ، لما شاهدوا النواب والامراء لم يرجعوا الا بطوق العبا ، او في لباد ، او في الخلقان . وفر ناظر الجيش وكاتب السر ، وبقية الاعيان والاماثل . ولم يبقا الا المساكين والارذال .

ثم ان تمرلنك ارسل ولديه : مهران شاه ، وماردين شاه الى فتح حماة . فلما دنوا منها ، تلقاهم اهلها بالضيافة . فرضوا منهم ، واستنابوا عليهم نائباً ، واخذوا الهدية التي قدموها لهم ، ورحلوا عنهم . ثم ان وثب آل حماة على

النايب ، فقتلوه . فلما بلغ ذلك مهران شاه ، وماردين شاه ، فرجعوا بالجيش ، فقتلوا ونهبوا واحرقوا اغلب البلد ، وحاصروا القلعة حصاراً شديداً . واستنجدوا بتمرلنك ، فارسل لهم عشرين الف مقاتل ، فملكوا القلعة ، والقوا من تحصن فيها في المهالك . وخربوا وعلقوا وقتلوا وحرقوا . فدرست محاسنها ، وانبدلت معالمها ، وازتاد (ازداد) الجفل والرعب باهل الشام ، فخرج نصفهم من البلد.

ثم تواترت الاخبار بخروج السلطان من مصر ، وقدومه الى بلاد الشام . فتطمن الناس وتهيوا للحصار ، واجروا في الخنادق الامياه . وجمعوا العساكر ، وفتحوا الحواصل ، ونادوا بالجهاد . فتمسك الناس ببعضهم ، ودخل السلطان الى دمشق ، وتبلته اهلها [٣٨] بفرح شديد . فنزل بالقلعة وحصّنها ، وفرّق على الناس السلاح والغلال . واشتدوا كلهم للقتال وحصل من ذلك على تمرلنك خوف شديد . وعزم على الهرب والرجوع لبلاده ، في وصول السلطان . وصار ان دخل على السلطان شخص من خواصه ، وخوّفهم من الاعدا وشدتهم ، وقال : لا بد ان تمرلنك يملك على الشام فتفوتك مصر ، فلا تتأخر ، ولا تنام . فحصل ذلك الراي على السلطان ، وخشي[4] على مصر ، فخرج من قلعة دمشق ليلاً ، وترك الشام وراءه ، وطلب الرجوع الى الديار المصرية . وذهب على طريق البقاع العزيزة ، وجعل طريقه على الجبال . فبات ثاني ليلة بسفح جبل لبنان الى جهة الغرب ، بمكان يقال له الصفصاف ، بين قريتي نيحا وجباع الحلاوى ، لئلا يعلم به احد ، وتوجه الى طريق الساحل ودخل على مصر . فلما بلغ تمرلنك ذهاب السلطان ، داخله الطمع ، واحتاط المدينة بالعساكر ونصب خيامه من قبة يلبغا الى الربة الى ميسلون .

ويقول ابن الحريري ان اشتد الحصار والقتال ، ورأت آل دمشق من المضايق والاهوال ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على بال . وجرى من الحروب ما لا جرى بين الملوك الاكاسرة ، والعرب والقياصرة ، وخلفاء الاسلام ، وسلاطين العراق ، ومصر والشام ، ولا سابور مع القيصر . ولا الاخشيد مع القايد جوهر ، ولا لبني امية مع ابا مسلم ، ولا النعمان ابن خالد مع جبلة الغساني ، ولا القايم مع ابن كيداد ، ولا الامين مع المأمون

ببغداد، الخ . . . ما حدث على الاسلام من الضنك في وقعة الطاغي تمرلنك .

وقاتلت اهل دمشق بقتال شديد لم يعهد مثله . وباتت دمعة من يخاف الله لا ترقا ولا [٢٩] تجمد . واشتد القتال وكثرة الاهوال ، وذهبت الارواح والاموال . فيا لها من مصيبة ما اعظمها ، ومن محنة ما اولها (آلمها) . ثم دخل تمرلنك المخذول الاعرج المشلول الى دمشق ، ووطأها ، واسفل اهاليها واوطاها ، واهان امانها ، واذل اعيانها ، ونهب وقتك وفضح ، وهتك وشتت ، وفرق ومزق الاحشا ،وحرق واسر اهلها،وخربها عن آخرها واصلها، وقتل اعيانها، وهتك نسوانها ، واحرقها من اربعة اركانها. احرق الجامع الاموي وسائر المساجد والمعابد ، وتركها اطلال بلاقع ، لا اسواق ، ولا جوامع . وقطع اشجارها ، واباد اثارها ، وهدم قلقها . ودرست نعمتها ، وتغيرت محاسنها . وبالجملة يضيق هذا المختصر عن تمرلنك وما فعل ببلاد الشام من القتل والاسر والحريق ، والنهب والفسق ، في الحريم والبنات والاولاد ، وقتل الاطفال واخذ الاموال. وقيل انه كان يأمر بجمع الاطفال ، ويرميهم في بئر حتى يمتلي من الاطفال ، ثم يرمي عليهم الحجار العظيمة ، فتسمع لهم صراخاً عظيماً .

وكان يجمع الاولاد ويضعهم في الخنادق ، ثم يدوسهم بالخيل والبقر . ولم يخرج تمرلنك من دمشق حتى جاها جراداً عظيماً غطّا السما وملأ السهل والوعر ، فاستمل النبات والاشجار ، وامتلت منه العيون والانهار . وتبعه الغلاء العظيم والقحط الجسيم ، وعدم القوت اصلًا (البتة) . واكلت الناس اولادهم وعبيدهم وجواريهم . ولم يوجد القوت بمال ، ولا بحال من سائر الاحوال . فلما نظر ذلك تمرلنك الاعرج ، رحل من دمشق ولم يبق منها ساكن . وجميع ذلك بعدل الله واحكامه ، لاجل كثرة خطايا اهلها ، وارتكابهم الفواحش مع الاناث والذكور .

ويقول المطران يعقوب من قنيا ، في كتاب الناموس الذي كتبه في دير السيدة بارض لحفد ، باسم المطران داود ابن جرسلين الحدشيتي في سنة ١٧١٣ يونانية (١٤٠٢ م .) ، بان بتلك السنة جاء فناء حتى بقي ناس كثيرة بلا دفن . وجاء غلا حتى مات ناس كثيرة من [٣٠] الجوع . وابصرت الناس ضيقه

شديدة وشدة عظيمة ، وهم وجوع وحزن وبلا ، لم يكن مثله منذ ابتدا العالم . وان قبل ذلك بسنة ، خرج من الشرق الملك تمرلنك واخذ مدينة سمرقند بعساكر متوافرة ، واسبى واحرق واخرب ، واستأسر ناس كثيرة ، ولم احد اشهر بوجهه سيف . وعاد لبلاده بغنايم جزيلة . في سنته ظهر الجراد في ٢٩ آذار ، واكل الزريعة ، وبقيت الارض كما كانت في الكوانين . ثم اخلف (نبت من جديد) الزرع ، وحملت الكروم حمل زايد .

وفي ١٢ من ايار طلع الزحاف ، فارتعى الزروع والكروم والاثمار والاشجار ، حتى الحرش والغابات ، وعرّى الارض بالكلية . وغليت الاسعار ، حتى ان شنبل القمح زاد عن الخمسين[1] ، والدخن (حبوب دقيقة) عن الثلاثين ، وفنيت اكثر الماشية ، وجاء على الناس ضيقة شديدة جداً .

وفي سنة الف واربعماية وواحد ، استقر في نيابة دمشق الامير اقبغا الجمالي ، وشرع عمارتها . وبعد منها نقلوا الشيخ محمود الحاصخي من نيابة طرابلس الى دمشق ، وشرع في عمارتها . وفي نيابة دمشق استقر الامير دقمق الحاصخي وسعى في عمارتها . وفي سنة ١٤٠٢ وصلت رسل تمرلنك مع هدايا عظيمة للسلطان فرج ، واعتذر بما صدر منه ، ووقع بينهما .

اخذ طرابلس من الافرنج وتسليمها للاسلام

في سنة ١٢٨٧ م . توفي بيومند البرنس صاحب طرابلس . وهو الذي بنى دير بلمند فوق طرابلس ، وجعله سرايا يتنزه بها . فلما اخذ خبره السلطان قلاوون ، سار بالجيوش المصرية ، وكاتب حسام الدين يلاقيه في الجيوش الشامية على فتح طرابلس . فاجتمعوا يوم الجمعة ، مستهل ربيع الاول ، ونصبوا عليها المجانق الكبار والصغار من جهة الشرق . واشتد عليها الحصار والقتال نحو ثلاثة وثلاثين يوم . وفتحها بالسيف نهار الثلاثة في ٢٥ نيسان . فقتل عليها كثير [٣١] من المسلمين ، ومن الرجال الذين قدموا لنجدتها من الجبال . وقتل

[1] الشنبل وزن قدره ستون رطلاً .

السلطان غالب رجالها ، وسبيت ذراريهم ، وغنم العسكر غنيمة عظيمة . ولم ينجا من الافرنج الا القايل .

ويقول ابن ايوب صاحب التاريخ المختصر ، كالذي كان حاضر : اقتحم عسكر الاسلام البحر وعبروا بخيولهم سباحة الى جزيرة سنطماس (سان توماس : اي القديس توما) التي تسمى الآن جزيرة النخل، قبال (تجاه) المينا . فقتلوا جميع من بها من الرجال والنسا والصبيان، الذين كانوا هربوا بوقت حصار المدينة . ثم بعدما نهبوها العسكر ، امر السلطان بحريقها وهدمها الى الارض . ثم بنيت على نصف فرسخ منها ، في وادي الكنايس . وجعلوا كنايسها جوامع . ومدارسها بقيت مدارس للاسلام . والوقف الذي كان للمدارس والكنايس ، بقي على حاله الى الآن . وسكنوها الاسلام . وكان مدة ولاية الافرنج على طرابلس ماية وثمانية وسبعون سنة ، منذ سنة الف وماية وثمانية ، الى الف ومايتين وسبعة وثمانين .

وبسبب ان الكساروة والجرديين تولوا على نجدة الافرنج، امر حسام الدين لاجين نايب دمشق ان قرا سنقر يجمع العساكر الشامية ، ويزحف بهم على استئصالهم . ويقول ابن سباط ، ان من جملة المطالعات ، كتب الى امرا غرب بيروت ، جمال الدين حجي ابن محمد التنوخي ، والى زين الدين ابن علي ، ان اذا بلغها توجُّهُ المقر الشمسي ، سنقر المنصوري ، بالعساكر المنصورة الى جهة كسروان والجرديين ، يتوجهوا اليه بجموعها واهتبها . وان من نهب امرأة تكون له جارية ، او صبياً كان لـه مملوكاً . ومن احضر منهم راس ، له دينار . وان سنقر توجه لاستئصال شأفتهم ، ونهب اموالهم ، وسبي ذراريهم وانفسهم .

ومن ذلك الحين خربت كسروان . والذي بقي من بعد القتل ، تشتت شمله . وسكنت الاسلام سواحل كسروان ، مثل الزوق وغادير ، وساحل علما وغزير . والمتاولة امتدوا الى جرد البلاد ، مثل حراجل وميروبا ، وفاريا وما يليهم . واما بقية البلاد الوسوط ، صارت خراب مدة مستطيلة .

[٣٢] تاريخ اصل طوايف مثل امرا ومشايخ وغيرهم[1]

١ً اصل بيت معن

آل معن جدهم الاول هو الامير معن ، امير العرب الايوبية . وهم فصيلة من بني ربيعة الفرس . كانت منازلهم اولًا في نجد وديار ربيعة ، ثم نهضوا الى الجزيرة الفراتية .ثم ظهر الافرنج،فغزاهم الامير معن على الديار الانطاكية، وذلك سنة ٥١٣ هـ. (١١١٩م.) . ولازم الغارة عليهم ، فاشتهر اسمه . ثم استفحل امر الافرنج في تلك الديار ، فرحل الامير معن بالعرب الايوبية ، فنزل البقاع من الديار الشامية . فاتخذهم طغتكين التركي ملك الشام يومئذ احلافاً له ، وامر الامير معن ان يقوم بعشيرته من البقاع ، ويصعد من الجبال العالية من لبنان ، المشرفة على ساحل البحر ، ليطلق الغارة على الافرنج الذين في الساحل البحري .

فنهض الامير معن بمن معه ونزل الشوف ، وكان في ذلك العصر قفرًا خالياً من السكان . فكان حلوله في صحرة قرية بعقلين ، وجعل مقره فيها وتوطنها بنوه بعده. واشتهرت امارتهم في جبل الشوف الى ان ظهر منهم الامير عثمان ، وابنه الامير فخر الدين بعده ، وهو اشهرهم ، وصاحب الدعاء المشهور لمولانا السلطان الاعظم والخنكار الافخم ، السلطان سليم العثماني ، فاتح مصر حين قدم عليه.

ثم ظهر بعده من بنيه الامير فخر الدين المشهور الذي قتلته الدولة العلية . وبعد ان كان اشتدت شوكته ، وعظمت شهرته ،وطأ برجل خيله غالب الديار، وشاعت مهابته في كثير من الاقطار ، وحوادثه ومواقعه كثيرة . واشتهارها يغني عن ذكرها. ثم بنوه بعده الى ان ظهر منهم الامير احمد،الذي هو آخرهم، وبه انقطعت امارتهم . وكانت وفاته سنة ١١٠٩هـ. (١٦٩٧م.) .ولم يترك ولدًا.

٢ً اصل بيت تنوخ

هم على ما روي ، انهم ينتسبون الى الملك النعمان ابن المنذر ، ابن ماء

---

[1] ان المؤلف هو السابق الاول الى الكتابة عن تاريخ الاسر اللبنانية . وعنه اقتبس الشيخ طنوس الشدياق (حدث بيروت) في كتابه الشهير «تاريخ الاعيان . . .» طبعة سنة ١٨٥٩ ، وغيره من بعده . . .

السماء ، الى لخم وجدام . ويقولون انه لما [٣٣] قتل كسرى النعمان ، وتفرقت بنو النعمان بين قبائل العرب ، فنزل منهم قحطان الى قبيلة من قبائل تنوخ ، ولد له عندهم ولد ، فسماه التنوخ . فقام اميرًا عليهم واطاعوه . وتلك القبيلة هي اول الطوائف الواردين الى لبنان . وكان نهوضهم اولًا من البرية الى الجبل الاعلى ، ومنه الى غربي لبنان . وكذلك سنة ؤ (مائتين ه .) فتوطن الامير تنوخ حصن رحمول الواقع في مقاطعة الغرب التحتانية ، وكانت قفرا .

وتفرقت الطوايف في تلك البلاد . وكان الامير تنوخ يلقب بالمنذر . فجعل يحكم بينهم ، وبنوه من بعده الى ان ظهر منهم تنوخ ايضاً . فعظمت شوكته وضم الكل اليه ، وقام فيهم اميرًا . وثبتت الامارة لبنيه من بعده ، حتى ظهر منهم الامير ظهير الدين كرامة ، ابن بحتر ، وبه سادت الامارة التنوخية . وبنوه لا يتجاوزونه بانتساب . ولم يشهر منهم قبله . ثم قام بعده ولده حجة ، ثم بنوه بعده . وسكن في قرية عبيه ، في الغرب الفوقاني ، وعمر بها سرايا عظيمة لا يوجد في تلك الايام مثلها ، في جبل الشوف . وهي باقية الى عصرنا من زود حسن بناها ، الى ان اشتدت الفتنة بين القيسية واليمنية . وغار الامير علي ابن علم الدين اليمني عليهم ، في قرية عبيه ، فدهمهم وهم في الحمام ، فقتل منهم جماعة . ثم دهمهم الى منازلهم وقتلهم من كبيرهم الى صغيرهم . ولم يبق منهم احد ، وذلك سنة ١١٣٥ .

٣ اصل بيت علم الدين

هؤلا فرع من امراء التنوخية . الجميع كانوا ساكنين عبيه . حصل بينهم منازعة . ونقل منهم واحد وسكن عرامون الغرب ، وعمّر وخلف الامير حسان . والمذكور خلف الشيخ مظفر . واشتدت سطوة بيت علم الدين ، وقويت شوكتهم .

والشيخ مظفر خلف الامير علم الدين صاحب السطوة الكبرى . وكان هذا الامير ذو شجاعة وسخاوة عظيمة . وضرب في شجاعته وسخاوته المثل . وله وقايع حروب عديدة . وحضر حصار بغداد مع السلطان مراد . وهو اول من جاب راس من بغداد ، وكان فتوحها عن يده . وحصل له حظ وشان

عند الملك . وانعم عليه بخط شريف في حكومة بلاد [٣٤] الشوف . وهو الذي قتل امـارة (امراء) تنوخ الاربعة في عيد بساعة واحدة . وتلاشت دولة آل تنوخ عن يده . واستقام يخابط ويشالش (يجالد) في الشوف ، الى ان صارت هوشة عندارة بين القيسية واليمنية ، وتلاشت دولة بيت علم الدين .

٤ً اصل الامراء الشهابيين

جدهم الاول الحارس بنو هشام المخزومي القريشي — رضي الله عنه . والحارس المذكور قدم من الحجاز اميرًا على جيش بني مخزوم سنة ١٥ (خمس عشرة) صحبة الجيوش التي وجهها ابو بكر الصديق الى فتوح الشام . وحرر جميع المواقع التي جرت في اليرموك ، ومرج الصفر ، في اراضي حوران . وكانت المواقع جميعها مع الروم . ثم استشهد الحارس المذكور ، في حصار مدينة الشام ، في السنة المذكورة . فقام بعده ولده يحضر الغزو والجهاد الى ان فتحت دمشق فانتقل مالك باهله وعشيرته الى حوران ، بامر عمر ابن الخطاب ، وتأمر فيها ، وبنوه بعده . وهو الملقب بشهاب . لان اباه الحارس كان تزوج بابنة من ذرية شهاب ، ابن عبد الله ، ابن ابي زهرة القريشي ، من رهط آمنة ام النبي (محمد). فولد له منها ولده مالك هذا ، فلقبه شهاب تبريكاً بجده شهاب ابن عبدالله . فلذلك يقال لبنيه بني شهاب .

ثم انتقل بنو شهـاب من حوران ، الى بلاد وادي التيم ، بسبب يطول شرحه ، وذلك سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م .) . فاستولوا عليهـا عنوة من الافرنج ، وتأمروا فيهـا بعهد من السلطان نور الدين محمود زنكي ، الشهير بالشهيد ، ملك الشام يومئذ . وكان الامير فيهم ، منقذ . فتوطن البلاد المذكورة اميرًا ، وبنوه من بعده . وكانت اقامته في حاصبيا الى عهد الف وستة هـ (١٥٩٧ م .) .

(لها صلة)

التشريع والقضاء في عهد الامراء

بقلم المحامي ميشال شبلي

من المعلوم الراهن ان هـذه البلاد الجبلية وهي لبنان كانت منذ القديم موئلاً للاقليات وملجأ للحرية تعتصم على هضابها وقننها وفي سفوحها ووديانها الطوائف العديدة المختلفة الاصل والعادات المتباينة المذاهب والمعتقدات تعيش كل منها منفصلة بشحة خاصة مستقلة بطابع ممتاز تتجاور مع بعضها ولكن بدون امتزاج نظراً لتباين الاصل والمعتقد .

وجاء الامراء من فخر الدين المعني في اوائل الجيل السابع عشر حتى بشير الشهابي في اواسط الجيل التاسع عشر يوفرون ايضاً لتلك الطوائف سبل العيش معاً بالتفاهم والسكنى جنباً الى جنب يحترم بعضها عقائد وتقاليد وعادات البعض الاخر ويحتمل بعضها بعضاً في سبيل الغاية العليا وهي الامن والحرية في كنف اولئك الامراء الذين ادركوا حاجات الجيل هذه .

فتعدد الطوائف والملل في لبنان وتشبث كل منها بمعتقداته وتقاليده وميزاته المذهبية كل هذا من العوامل والاسباب الجوهرية في تكوين هذا الوطن بل من شروط التوازن في كيانه حتى اصبح من الراسخ في الاذهان ان كلًّا منا ينتسب الى طائفته قبل ان ينتسب الى بلاده وهي حقيقة راهنة .

ولا ريبة بان من اهم تلك التقاليد والعادات كان بعد حرية المعتقد والدين حق الرؤساء الروحيين في ممارسة القضاء الشامل في طوائفهم حسب شرائعهم الخاصة .

واننا اذا تكلم في بحثنا هذا عن ممارسة ذلك الحق في الطائفة المارونية وهي اكثر طوائف الجبل عدداً واكبرها نفوذاً في عهد الامراء فكلامنا

يشمل من حيث المبدأ سائر الطوائف التي كان لرؤسائها كذلك ممارسة حق القضاء بين رعاياها .

ونقسم بحثنا هذا الى قسمين الاول في القضاء والثاني في التشريع .

القسم الاول — في القضاء

ان النصوص والقواعد المكتوبة تنقصنا بوجه عام في هذا العهد لاتخاذها مداراً للبحث واساساً للدرس . وهذا النقص لا ينحصر بالقضاء والتشريع بل كان يشمل جميع مناحي الحكم بل اهمها مثل نقص قاعدة توريث الحكم بين الامراء مما فتح باب النزاع بينهم على مصراعيه وكان لذلك اسوأ العواقب.

فلم يك ثمت سوى العرف والعادة تسير عليها الامور . انما لدينا النزر من المعلومات والمستندات والاصول في ما يتعلق بالقضاء والتشريع حفظها لنا الاسلاف وبذلك امكن معها استنباط بعض القواعد الراهنة على الوجه التالي :

١ — في عهد المعنيين وهو القرن السابع عشر ، كان للرؤساء الروحيين في الطائفة المارونية حق ممارسة القضاء المطلق بين رعاياهم كما شهد بذلك الرواة الثقاة من الرحالة المعاصرين ومنهم الاب اوجين روجه اذ قال عن ذلك ما تعريبه : « وليس لهذا الشعب من قضاة سوى البطريرك والاساقفة يفصلون كل الخلافات وهكذا فــلا علاقة للسلطة العثمانية بالدعاوى التي تنشأ بين الموارنة » . (كتابه صفحة ٤٣٦) . ومنهم بحاثة آخر ايطالي في ذلك القرن ايضاً هو دومينيكو بولونازي كتب في سنة ١٦٧٨ « بان جميع الدعاوى من روحية وزمنية يفصل بها القضاء الكنسي » (ذكره الاستاذ ابراهيم عواد في كتابه صفحة ٦٣) .

٢ — وفي عهد الامراء الشهابيين ازداد حق الرؤساء الروحيين رسوخاً في سلطة القضاء باستثناء المواد الجزائية التي كانت من صلاحيات الحكام الزمنيين

قال جودت باشا الوزير العثماني في ما يتعلق بالمواد الجزائية ما نصه :

« واصحاب المقاطعات في لبنان مأذونون في الحكم بالحبس والضرب واما العقوبة في عظائم الامور فهي للامير الحاكم لا لغيره واجراء المواد المهمة كالقتل مثلاً لا بد ان يكون بمعرفة العمال المنصوبين من طرف الحاكم . . وكان الشهابيون في ادارتهم واحكامهم ، مستقلين فلا يقدر احد من حكام الدولة ان يتداخل في امورهم حتى ان اهل الجنايات الذين كانوا يلتجأون اليهم يأمنون على نفسهم ... » (تاريخ جودت صفحة ٣٥٢ و٣٥٤) .

اي ان الامير الشهابي الحاكم كان حسب قول فولني « رئيس القضاء . . »

٣ — اما في المواد الاخرى من حقوقية واحوال شخصية فكان حق القضاء فيها للرؤساء الروحيين بين رعاياهم ولم ينازعهم فيه منازع بل كان الامير الحاكم يؤيد ذلك يدلنا على هذا كتاب الامير ملحم الى البطريرك الماروني سمعان عواد — ويجب ان يكون تاريخه حوالي سنة ١٧٥٠ — وقد جاء فيه بخصوص قضية عقارية كانت ناشئة بين الشيخ سنتو الخازن والرهبان انه يعتب لفصلها « بغير حضور الخصين » (حسب زعم احدهما) فهو يطلب من البطريرك سماعها والحكم بها قائلاً ما له اهميته من حيث المبدأ : « لان ما يمكن نخلي النصارى يشرعوا الا عند ارباب دينهم » . (عن مخطوطات خزانة بكركي ، ذكره المونسنيور يوسف زياده في كتابه عن القضاء الماروني صفحة ٧٤) .

٤ — وقد مارس الرؤساء الروحيون الموارنة هذا الحق وكانوا يسعون لتنظيم ممارسته حسب الامكان كما يدلنا على ذلك القرار الذي اتخذه البطريرك والاساقفة في تموز ١٧٤٤ بتعيين صلاحية سلطة كل منهم الموقعية « في رعيته فقط » وما قرره بعد ذلك مجمع بقعاتا المنعقد في سنة ١٧٥٦ في قانونه الثامن عشر من « تعيين قاضي واحد لاجل فصل الدعاوى الزمنية » .

وكان ذلك تنظيماً لقضائهم وحرصاً على حسن سيره .

٥ — ولكن لم يكن بد من ان تتدخل يوماً السلطة الزمنية في ممارسة

هذا الحق كيف لا والقضاء هو من اهم مستلزمات الهيئة الاجتماعية واحد اركان السلطة الثلاثة . واول تدخل من هذا القبيل حصل حسب علمنا في عهد الامير يوسف اذ روى الشيخ شيبان الخازن في مخطوطه « ان ظاهر المطران جرمانوس ادم في عهد الامير يوسف فاقامه غندور السعد قاضي على النصارى في كسروان وعين حوالة لديه لاجل التنفيذ بدون مراجعة دير القمر ... » (ومن هذا يبدو ان التنفيذ كان منفصلاً عن القضاء)

فالمطران ادم هذا من الطائفة الملكية حلبي الاصل وكان « معلم مليح ولسانه فصيح » وظل في القضاء زهاء الخمس سنوات من ١٧٨٠ حتى ١٧٨٥ ونذكر بهذه المناسبة انه ترأس حوالي سنة ١٧٨٧ مجمع بكركي باسم الكرسي الرسولي لاجل انباء مسألة الراهبة هندية .

٦ — وبعد المطران ادم عاد الرؤساء كل يقضي في رعيته . ولكن لم يكن قيامهم بهذه المهمة خالياً من الانتقاد والشكوى بدليل ما كتب الاميران قعدان وحيدر — وكانا الحاكمين معاً — الى البطريرك الماروني في سنة ١٧٩١ بخصوص منع استيفاء محصول عن الدعاوى من قبل الاساقفة لان ذلك « سنّة غير عادلة وظلم على رعايانا لزم امرنا ابطالها ... » ثم الطلب من البطريرك بحصر حق القضاء « بيد البطريرك ومن يقوم مقامه وانه يقضي ويحكم على جميع الدعاوى الذمية (اي الروحية) والعالمية التي تحصل في بطركيته ... » (من محفوظات بكركي) زياده صفحة ٥٩) .

وقد تبع هذا الكتاب اجازة الاميرين بتعيين المطران يوسف تيان قاضياً يقوم مقام البطريرك بهذه المهمة ... ويبدو من الحظر الوارد في هذا الكتاب ان القضاء كان مجانياً اي بدون محصول .

٧ — اما في عهد الامير بشير الكبير فقد دخل تاريخ القضاء اللبناني في دور جديد سواء من حيث ممارسة حق القضاء او من حيث ادخال الشريعة الاسلامية كما سيأتي بيان ذلك .

فمن حيث ممارسة السلطة القضائية توصل الامير بشير بدون نزاع ولا صخب الى الاستئثار بتعيين قاضيين الواحد للموارنة والاخر للدروز ولكن

استدرك بفطنته ودهائه بان يختار القاضي الماروني من الاكليروس ومن مصاف الاساقفة عادة وبذلك تلافي نشوب الخلاف بينه وبين السلطة الروحية .

وقد كفل الامير لقضاته نفقاتهم – لا سيما وكان عليهم الانتقال في المقاطعات تسهيلًا للمتقاضين – سواء بمعاش سنوي قدره خمساية غرش « يأخذه القاضي من الصراف عن امر الحاكم ... » (زياده صفحة ٦٤ نقلًا عن الاب يوحنا السبعلي) او كما ذكر الامير بكتاب تعيين الخوري مارون العضم وهو بدون تاريخ « ولاجل معاشكم سمحنا لكم تأخذوا محصول حسب العوائد القديمة » (زياده صفحة ٦٦) ولا يخفى ان هذا المحصول كما ذكرنا اعلاه كان الاميران حيدر وقمدان قد نهيا عنه في سنة ١٧٩١ .

كما وان الامير بشير عزز مكانة القضاة اذ جعل في مجلسه مرتبة الذي يتولى القضاء كمرتبة امراء البيت الحاكم كما ذكر لنا ذلك الشيخ ناصيف اليازجي .

٨ – ان لدينا عن القضاء في عهد بشير المعلومات الجمة نقتطف منها ما يلي :

قال لامارتين في رحلته : « ان اصحاب الاقطاعات يحكمون في الدعاوى واحكامهم تخضع للاستئناف في ديوان الامير الذي له الاشراف الاعلى على سير القضاء . وهذا القضاء بعضه من حق الامير والبعض من حق الاساقفة فهناك اذا نزاع في الصلاحيات . فالبطريرك الماروني له حق القضاء في كل مسألة يتعارض فيها الشرع المدني مع الشرع الديني . والامير يبدي كل مراعاة للبطريرك والاساقفة لان نفوذهم كبير لا نزاع به ... » (لامارتين رحلة جزء ١ صفحة ٤٥٥) .

فالقضاء المذهبي كما يقول جوبلين ايضاً « كان وحده الصالح للنظر بكل الدعاوى المتعلقة بالمعتقد وفي كل القضايا التي يتعارض فيها القانون المدني مع الشريعة الدينية ... وعليه فكان يكفي الاسقف بان يقول عن القضية انها تمس الدين او الادب لكي تصبح من صلاحيته ينظر فيها بدون مراجعة .. » (جوبلين صفحة ١٤٠)

وقال هنري غي وكان قنصل فرنسا آنئذ في بيروت بهذا الموضوع ما يلي :

« ان حق القضاء في الجبل هو بيد السلطات الثلاث : الامير الشهابي في الجرائم والقضايا الهامة. والقاضيين الاثنين المعينين من قبله. وبطاركة الطوائف الاربعة الموارنة والروم والارمن والسريان » .

اما ما كان من حق الامير فقد ذكر حيدر في تاريخه بانه « قد سلم في سنة ١٨٣٠ تدبير الاحكام الى ولده الامير امين لاجل استماع دعاوى الناس ويقضي فيما بينهم وكانت تتحرر الاوامر باسم والده كما يراها موافقة فيمضيها بختمه واما الامور المهمة فكان الامير امين يعرضها على ابيه قبل امضائها » (حيدر صفحة ٧٩٩) .

٩ — وما ان افل نجم بشير وزال حكمه بعد حوادث سنة ١٨٤٠ حتى قام البطريرك الحبيشي يطالب بحقه السابق بتعيين القضاة في طائفته وقد جاء في المذكرة التي قدمها الى الدول العظمى في سنة ١٨٤١ متضمنة مطاليب طائفته المطلب التالي تحت عدد ٨ وهو : « وللبطريرك الماروني ان ينصب قضاة من طائفته لفصل دعاوى الشعب والاكليروس ليقضوا في الدعاوى المدنية بمقتضى الشريعة في الاشياء التي لا تخالف مرسوم دياناتهم » . (ذكره الاستاذ اسد رستم الاصول العربية جزء ٥ ص ٢٠٨) .

ويبدو من هذا النص ان البطريرك مع مطالبته بحق تنصيب القضاة في طائفته يوضح لنا احدث الامير بشير من جهة ثانية بالعمل حسب الشريعة الاسلامية « في الاشياء التي لا تخالف مرسوم الديانة » كما سيأتي بيان ذلك في القسم الثاني .

١٠ — فيبدو مما تقدم ان حق السلطة الروحية في ذلك العهد بممارسة القضاء كان شاملاً الدعاوى الروحية والزمنية منذ عهد لا يدرك بدؤه وقد يكون ذلك من باب الامتياز ومراعاة التقاليد والمعتقدات ولكنه كان ولا ريب عبئاً ثقيلاً وهو من الاعباء التي تتحملها الدولة عادة .

القسم الثاني — في التشريع

اما وقد بسطنا ما كان من ممارسة حق القضاء في ذلك العهد فلا بد بعد هذا من التساآل تكملة الافادة عن ماهية النصوص والقواعد الشرعية التي كان يتمشى عليها القضاة الموارنة في اصدار احكامهم آنئذ وذلك في الدعاوى والمسائل الزمنية اي الخارجة عن نطاق المعتقد والتهذيب الديني او عما يسمونه الاحوال الشخصية .

وسنحاول المجاوبة على هـذا السؤال مسترشدين كما في القسم الاول بالمعلومات والنصوص التي امكن الاطلاع عليها ومنها يمكن استنباط القواعد الآتية :

١ — جاء لبنان قادماً من حلب في السنوات الاخيرة من القرن السابع عشر رجل شاب ذوعلم وصلاح هو عبد الله قرآلي احد مؤسسي الرهبنة المارونية الجديدة « وكان قد درس الشريعة على فقهاء حلب فصار الناس يستفتونه في المشكلات الشرعية » (المطران شبلي في تاريخ الدويهي صفحة ١٨٥) . وما عتم هذا العالم ان كتب مؤلفين في القضاء هما ما سماه « مختصر الشريعة المسيحية » و « الفتاوى » والاول هو الكتاب المهم .

فما هو كتاب المختصر وما هي اصوله ؟

٢ — ان هذا الكتاب يتألف من ٣٢ باباً منها اربعة ابواب في اصول المحاكمات تبحث عن القاضي وعن الشهود وعن الاقرار وعن الصلح . ومنها ستة عشر باباً تبحث عن مختلف العقود والحقوق كالبيع والهبة حتى الطرق والازقة . ومنها بابان يتعلقان بالمسؤولية وهما عن الغصب وجناية الحيوان ومنها عشرة ابواب تتعلق بما نسميه الاحوال الشخصية بما فيه الوقف والوصية والتوريث والرق والعتق (؟) الخ . واخيراً الباب الاخير يحتوي على « عقوبات المعتدين على وصايا الله وشريعته » .

٣ — اما عن اصول كتاب المختصر فقد اصاب حضرة المونسنيور يوسف زياده في قوله الاتي :

« ان من توخى درس هذا الكتاب بطريقة علمية اتضح له ان مصدره انما هو الموارد القانونية الممتزجة بالشرع الروماني التي كانت متداولة في الكنيسة الشرقية فانه منقول بلا ريب عن الكتاب المعروف « بكتاب الناموس » الذي يرجع وضعه الى سنة ١٠٥٨ . اما كتاب الناموس فان مواده المدنية مستمدة من قوانين الملوك الرومانيين التي ضمت الى مجموعة ثاودوسيوس ثم الى مجموعة يوستينيانوس ويرجح انها اخذت بنوع خاص عن الكتاب المعروف :

Coutumier ou livre Syro - Romain

« ... وقد عارضنا كتاب « المختصر » بكتاب الناموس فتبين لنا ان فصول المختصر قد اخذها المطران عبدالله قرآالي بمناوينها ومحتوياتها عن كتاب « الناموس » في الغالب بحرفيتها وقد اختصرها بعض الاحيان ولم يخالفها الا نادراً وذلك استناداً الى العادات المرعية او الى ما كان دخل في الاستعمال من الشرع الاسلامي » (زياده — القضاء الماروني صفحة ٦ و٧) .

٤ — فينتج من هذا البحث عن اسناد مختصر الشريعة المسيحية الى كتاب الناموس ان التشريع الذي كانوا يعملون بـه قبل تآليف قرآالي اي قبل الجيل الثامن عشر كان ولا ريبة كتاب الناموس المستمد « من التوراة والانجيل والدسقلية (اي قوانين الرسل) وتحديدات المجامع العامة والخاصة ولا سيما قوانين الملوك الرومانيين ... » (زياده)

اضف الى كتاب الناموس العادات والعرف والتقاليد او ما يرشد اليه العقل والضمير فيشكل لنا كل ذلك دستور القضاء قبل مؤلفات قرآالي .

ولا بد هنا الى الاشارة بان بعض المجامع المارونية في القرن السابع عشر كمجمع حراش المنعقد سنة ١٦٤٤ تطرق الى وضع بعض القواعد المتعلقة بالتشريع المدني كالميراث لتكون دستوراً للعمل (نشره سيادة المطران بستاني في المشرق ١٩٠٣ صفحة ٨٩١ وما يلي) .

٥ — ولما انعقد المجمع اللبناني في سنة ١٧٣٦ كان عليه ان يبحث في التشريع المدني ولكن السيد السمعاني ممثل الحبر الاعظم وكان قد اطلع على مؤلفات المطران عبدالله قرآالي احد اعضاء المجمع وربطته بالمؤلف العلاقات

المتعددة لم يشأ بحكمته ان يبحث بهذا التشريع العلماني بل ترك هذه المسألة بدون حل عملي مكتفياً في الباب الثالث من القسم الاول من المجمع بان يشير بما يلي :

« ويجب على السيد البطريرك ان يعهد الى رجال اكفاء من ذوي الاطلاع والرسوخ في العلم ممن برعوا في معرفة اللغات ان يضعوا مجلة في الناموس القانوني والمدني تكون دستوراً للاساقفة الذين يتولون بحكم عادة الشرقيين تسوية الدعاوى بموجب كلا الناموسين . »

فكلمة « يجب » ظلت من باب التمني ولما اتخذ البطريرك والاساقفة قرارهم المنوه عنه اعلاه بتاريخ تموز سنة ١٧٤٤ بخصوص الصلاحية القضائية الموقتية قالوا « والكتب التي نشرع فيهم هي مختصر الشريعة والفتاوى لاخينا المطران عبد الله ... »

٦ — جاء الامير بشير حاكماً كبيرًا فاعار اهتمامه الى حسن سير القضاء وهو السلطة الهامة في الدولة فاستحوذ كما رأينا اعلاه على حق تعيين القضاة من جهة « وعدل من جهة اخرى النظام التشريعي بادخال الشرائع الكتابية واعتماد الشرع وعين القاضيين الواحد للموارنة والاخر للدروز على ان يطبقا احكامهما على وفق الشرع مع احترام العادات المحلية التي تكون مخالفة له » (الشيخ فيليب الخازن — دوام استقلال لبنان التشريعي والقضائي صفحة ٥).

وقد كان الامير يذكر في تعيين القضاة وجوب الحكم « بموجب الشريعة الاسلامية ... »

ويحق لنا بهذه المناسبة ان نتساءل عما كانت غاية الامير بشير من احداث هذه الوضعية الجديدة في لبنان ؟ اجل ، قد يمكن القول بخصوص التشريع ان الامير قد يكون اراد بذلك التودد الى السلطنة العثمانية دولة الخلافة آنئذ . وقد يمكن القول بخصوص تعيين القضاة ان الامير قد يكون سعى بذلك الى بسط سيطرته وسلطته على القضاء .

ولكن مهما يكن من هذا القول او ذاك فما لا ريبة فيه ان ما اقدم

عليه الامير في حقلي القضاء والتشريع كان مأثرة له وكان اصلاحاً مستحباً لاخراج القضاء السابق من خبطه بدون دليل ولا ضابط في سراديب نصوص التشريع والاجتهادات .

كيف لا وقد وافق الكرسي الرسولي على ما احدث الامير فلم يعد من مجال للجدل . ذلك ان ما احدث بشير في بدء القرن التاسع عشر كما ورد اعلاه كاد ان يثير النزاع بينه وبين البطريركية المارونية لجهة تطبيق الشرع الاسلامي في عدة امور واخصها التوريث لان العادة عند الموارنة كانت تقضي بعدم توريث الابنة مع وجود الابن وبتوريث ابن الابن فلا يحجبه الابن الخ .

فبادر البطريرك يوسف التيان الى عرض المسألة على الكرسي الرسولي ولدينا فتوى المجمع المقدس بهذا الشأن وهي بتاريخ ٧ ايار ١٨٠٣ وقد جاء فيها :

« اما والمسألة في هل يجوز القضاء براحة ضمير بموجب الشريعة المدنية المسيحية ام يجب ان تقضي بموجب الشرائع التركية وان لم يكن من وراء عدم رعايتها ادنى خطر في الشؤون الروحية او في الشؤون الزمنية فالجواب عليها ان هذا المجمع المقدس قد ارتأى انه من الواجب على المسيحيين ايضاً ان يرعوا الشريعة المحلية بشرط ان لا يكون فيها شيء مخالف للعادات الحميدة اولاً لانهم مرؤوسون وثانياً لوجوب المساواة ما بين ذوي التبعة الواحدة ... »
(عن محفوظات بكركي ذكره زياده صفحة ٦٣)

٧ — مضت على هذا الجواب السنوات الطويلة الى ان اعاد البطريرك الحبيشي الكرة واثار المسألة من جديد لدى الكرسي الرسولي بموجب عريضته المؤرخة في ايلول ١٨٢٦ ومما ورد فيها الفقرات الآتية :

« ... منذ مدة تقارب السبعة وعشرين سنة اخذ القضاة في جبلنا هذا حتى الاكليروس منهم يفصلون الدعاوى المدنية بموجب رسوم وحدود الشريعة الاسلامية ما عدا الامور المختصة بالايمان والاداب بخلاف سلفائهم الذين كانوا يعتمدون على كتاب مختصر الشريعة للثلث الرحمات المطران عبد الله قرآلي وعلى سواه ... وهذا الكتاب مع باقي الاستنادات والنصوص كان يستند

عليها الاباء والرؤساء السابقون لفصل الدعاوى وكان بعضها طبق الشرائع المسيحية والضمير وبعضها بموجب الاصطلاحات والعوائد المقبولة هنا ... فالان وقع السجس والاضطراب بسبب هذا التغيير وبالاخص لجهة توريث البنات... فنستمد ارشادكم لنكون على بصيرة بما نتدبره : (محفوظات بكركي — زياده صفحة ٥٦) .

اما جواب الكرسي الرسولي فلم نعلمه بهذا الشأن ولكن يبدو انه كان بتأييد فتوى المجمع المقدس السابقة في سنة ١٨٠٣

٨ — يدلنا على ذلك موقف البطريرك الحبيشي بعدئذ بموافقة الامير بشير على تدريس الفقه للقضاة الموارنة . وقد روى لنا طنوس الشدياق في تاريخ الاعيان حكاية الطالبين الاولين الشيخ بشاره الخوري من رشميا وهو جد فخامة رئيس الجمهورية وحبيب الخوري من بتدين اذ كلف الامير بالاتفاق مع البطريرك الشيخ لطوف الدحداح بان يجد لهما استاذاً يلقنهما الفقه فاتفق الدحداح مع الشيخ يونس البزري من بيروت على ان يدرس ذينك الطالبين الشريعة تحت شروط ثلاثة هي : ١ — اجرة وقدرها ثمانية عشر الف قرشاً منها خمسة الاف قرشاً لقاء كراء الكتب . ٢ — التدريس في بيت خارج اسوار المدينة كي لا يطلع احد على الامر . ٣ — التظاهر بتدريس الصرف والنحو وليس الفقه .

ولكن الله حال بين الشيخ يونس والاقدام على هذا التدريس فتوفي قبل المباشرة به .

عندئذ قصد الطالبان مدرّساً في طرابلس هو الشيخ الزيلعي الذي لم يمت حالاً كالسابق فتخرج عن يده الشيخ بشاره الخوري القاضي المشهور في القرن الماضي وحبيب الخوري الذي صار المطران يوحنا حبيب مؤسس جمعية المرسلين اللبنانيين .

٩ — واخيراً نقول انه مع وجود القضاة المعينين فقد ظل قضاء الاساقفة محترماً عندما يجري فيوافق عليه الامير بشير استرضاء لهم وحفظاً لودهم وولائهم حتى ولو كان الرئيس الروحي غريباً عن لبنان كما حصل في قضية عقارية حكم

بيا القاصد الرسولي وهي تتعلق بعقار كان في زغرتا فكتب الامير الى الشيخ بطرس كرم في سنة ١٨٣٤ بهذا الشأن ما نصه :

« وحيث ان هـذا الرزق وقف للرهبنة اليسوعية ومن حيث ان جميع الرهبان هم تحت امر الحبر الاعظم والقاصد نائب عنه وقد حكم بتسليم هذا الرزق الى اللعازارية فما بقي لاحد فيه دعوى ... » (محفوظات بكركي — زياده صفحة ٨٠) .

◆

اما وقد انتهينا من بحثنا في قسميه فبقي علينا الجاوبة عن سؤال طالما يتبادر الى الذهن وهو كيف كان سير القضاء من حيث العدالة واحقاق الحق في ذلك العهد ولا سيما في زمن بشير الكبير ؟

قد يقولون ان اهل الحاضر ميالون الى رؤية الماضي عصراً ذهبياً. ولكننا مع المحاذرة من هذا التخيل نقول بدون تردد ولا خشية بان القضاء في ذلك العهد كان حسناً مستقيماً كفل معه الامراء بعدلهم الامن والحرية والحقوق في ارجاء هذا الجبل .

فالامير الذي كان له القول الفصل بالجرائم المنكرة طالما بطش بالاثمة والمجرمين دون هوادة كما فعل الامير ملحم في سنة ١٧٥٨ عندما نهب الرعاع في مدينة بيروت دير اللاتين لان بعض القرصان اعتدى على مركب لهم في البحر . « فغضب الامير ملحم من ذلك التجري وقبض على الذين ابتدوا بالحركة وشنق اثنين منهم واستخلص ما كانوا سلبوه من دير الرهبان ... » (حيدر صفحة ٩٤) وكان ذلك في اشد ايام الخلافة العثمانية ظلماً وتعصباً .

اما بشير فقد « حكم حكماً عادلاً ناصفاً المظلوم من الظالم غير محاب بوجه انسان . واضعاً عنده متشرعاً لفصل الدعاوى التي ترفع اليه حذراً على ذمته » . (مخطوطة قطان) . اجل كان بشير غير محاب وكلنا يعلم الحكاية التي تعرف عنه وقد رواها لنا الاستاذ فؤاد البستاني وهي ان احد المتنفذين من اتباع الامير جاءه ليلة يشفع بمجرم اثيم والوساطة كالرشوة هي من آفات

العدالة والقضاء . فاحسن الامير وفادته وقال له بان الجواب على ملتمسه يجده صباحاً في الخرج على زاملته فبات ذلك الوجيه وهو يحسب ان ذلك الجواب انما هو العفو عن المجرم واذا به في الصباح يجد في الخرج رأس الشقي بعد اعدامه ليلاً .

وكذلك كان سير القضاء المدني مع تعدد اصحاب السلطة القضائية فيه . فقد كان ارقى من القضاء في الولايات المجاورة وحسب هذا العهد بذلك فضلاً وميزة .

فالقضاء في الولايات المجاورة كان في احط الدرجات كما روى لنا ذلك البحاثة الثقات ومنهم فولني وهنري غي وسواهم .

قال فولني في رحلته في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ما تعريبه : « لا يوجد بلد في العالم فسد فيه القضاء كالبلاد العثمانية فالرشوة رائجة علنا بكل قحة ويمكن المتقاضون ان يساوموا القاضي على دعواهم كالمساومة على سلعة تباع وتشترى » (فولني جزء ٢ صفحة ٢٥٨) .

وقال القنصل الفرنسي هنري غي وقد عرف البلاد في اوائل القرن الثامن عشر : « وعلى المتقاضين ان يبذلوا الدرهم سراء لاستصدار الاحكام لهم او للتملص من الاحكام عليهم » (جزء ١ ص ١٣٠). ثم يقول بتهكم مؤلم : « ومن نعم الله في خلقه بان جعل القضاة في البلاد العثمانيــة مطبوعين على الرشوة ولولا ذلك لما امكن المرء ان يتوصـــل الى حقه ... » (جزء ٢ صفحة ٤٩).

اما كيفية الارتشاء فقد ذكر الكاتب مازحاً قصة القاضي العثماني الذي بعد ان توافق مع صاحب الدعوى على مبلغ من المال رفض قبضه منه طالباً اليه ان يضعه على الارض فيأخذه القاضي حتى اذا ما سئل يوماً امكنه القسم بانه وجد المال في الارض فالتقطه ...

•

يروى ان احد المتقاضين في عهد الامير بشير خسر دعواه لدى القاضي

فراح يقرع جرس الكنيسة حزناً . ولما تساءل الناس عن المتوفي صعد الى سطح داره ونادى : هو الحق والعدل ... ولما بلغ بشير هذا الحادث امر بالتحقيق عن الشكوى حتى يعود الحق الى نصابه .

وقد علق احدهم يوماً على هذه الحكاية فقال : لتقرع الاجراس حزناً بعد بشير في الغدو وفي العشية ، في الليل وفي النهار لعلها تصل الى اذان الذين بوسعهم ان ينصفوا المظلوم الضعيف من الظالم القوي .

رحم الله عهد الامراء .

تحويل المادة الى طاقة والطاقة الى مادة في المختبر وفي الكون

بقلم الاب فرنسوا دوبره لاتور اليسوعي

من جملة القوانين التي ارتكز عليها علم الكيمياء القديمة او الكلاسيكية طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قانون يدعى قانون لاڤوازيي وبالرغم من ان لاڤوازيي لم يصرح به مرة واحدة ، الا ان تعليلاته وتدليلاته كانت كلها مبنية على افتراض صحة هذا القانون ، فكان من الصواب ان ينسب اليه . ومؤداه ان كتلة جرم ما ، او كتلة مجموعة ما من الاجرام باقية هي هي لا تزيد ولا تنقص مهما طرأ على الجرم او المجموعة من تحويلات فيزيائية وكيمائية .

وجاءت نظرية اينشتين في النسبية مزيدة بتجارب عديدة فحورت النظرية القديمة القائلة بثبات الكتلة . لانه بناء على ما كتب اينشتين سنة ١٩٣٨ يُستنتج من النظرية النسبية الخاصة اي الفرعية ان بين الكتلة والطاقة ارتباطاً وثيقاً بحيث تكون الكتلة طاقة والطاقة ذات كتلة . فالنظرية النسبية توفق بين قانوني ثبات الكتلة والطاقة فتجمعهما في قانون واحد شامل لهما معاً ، هو قانون ثبات المجموع اعني الكتلة والطاقة. وضبط اينشتين بنفسه نسبة المبادلة بين الكتلة والطاقة على هذه الصورة :

ط (طاقة) = ك (كتلة) X ع^2 (مربع سرعة النور)

غير ان لاڤوازيي كان هو الآخر على صواب وكان قانونه صحيحاً لا غبار عليه انما في حدود المراقبة المقصورة على الظواهر المحسوسة وفي حدود ما يمكن الميزان ان يعطي من الدقة . لكن علم الفيزياء الحديثة اظهر ان هذا القانون ليس الا فرعاً خاصاً لقانون اشمل واعم .

فهو لا يصدُق على عالم الذرة حيث لا الكتلة ثابتة بمفردها ولا الطاقة بمفردها بل الثبات يلازم المجموع من الكتلة والطاقة ليس غير . وتتوفر لدينا التجارب العملية لاثبات هذا الرأي منها تجربتان بليغتان بنوع خاص لانهما تصدمان اعتقاداتنا السائدة الا وهما : إحداث كتلة من صميم طاقة وملاشاة كتلة لفائدة طاقة. ويعتمد في كلتا الحالين معالجة اصغر كتلة كتلة الكهيرب او الالكترون

ولننظر في الحالة الاولى اي احداث كتلة من اصل طاقة : من الاشعة المنبعثة عن العناصر المشعة اشعة غما γ، فضلًا عن الاشعة الجُسَيمية الفا وبيتا α و β . واشعة غما طبيعتها كهربائية — مغناطيسية اي انها مجانسة لاشعة النور وللاشعة السينية (إكس) . فاذا اخترق شعاع من اشعة غما ، وهو ذو موجة قصيرة جداً اي ذو ذبذبة عالية جداً ، حاجزاً من الرصاص مثلًا ، تولد عنه ، في بعض الحالات زوجا كهيربات ، كهيرب سالب وكهيرب موجب

ولقد دلل على هذه الحقيقة تجريبياً السيد والسيدة جوليو — كوري في سنة ١٩٣٤ . فالاشعة غما المنبثقة عن جرم مُشِع ، هو الراديوثوريوم ، تحدث عند اختراقها حاجزاً رقيقاً من الرصاص ازواجاً من الكهيربات . وتجري التجربة في « غرفة التمدد » او « غرفة ولسون » . وهي عبارة عن اناء اسطواني من زجاج ركبت على قعره غشاوة رقيقة من المطاط ، وفي داخله هواء وبضع نقط من الماء. فاذا جُذبت غشاوة المطاط جذبة سريعة برد الهواء المحصور في داخل الاناء وتكثف بخار الماء نقطاً دقيقة على ممر الكهيربات . فاذا التقطت صورة فوتوغرافية للغرفة في تلك اللحظة ظهرت عليها المسارات التي اتبعتها الكهيربات . وبما ان الغرفة موضوعة بكاملها بين قطبي مغناطيس كهربائي ، فالمجال المغناطيسي يحوّل مسار الكهيربات المستقيم الخط الى اقواس دائرة يمكننا قياس نصف قطرها من معرفة الطاقة الحراكية لكل واحد من الكهيربات

والطاقة الضرورية لاحداث زوجي كهيربات والتي تتلاشى حتماً عند ظهور الكهيربين ، يجب ان تعادل ، وفقاً للمعادلة التي وضعها اينشتين ، نحو مليون كهيرب — فولط (ويلخص هكذا : ١ م ك ف = 1 Mev.) اي ما يكاد يعادل

اقصى طاقة تشحن كهيرباً ما داخلَ انبوبة اشعة X عندما يُسلَّط على الانبوبة جهد كهربائي يبلغ المليون فولط والتثبت من ذلك ميسور اذ ان طاقة الشعاع « غما » معلومة والحناءة المسارَين في المجال المغناطيسي تمكننا من قياس ما تبقى من الطاقة في شكل طاقة حراكية ، بعد تحول جزء منها الى مادة . فنجد ما يلي :

طاقة الشعاع = ١ مإف + طاقة الكهيربين الحراكية

ولقد اجريت تجربة معاكسة يقصد منها ملاشاة الكهيرب قام بها في آن واحد منفردين السيد والسيدة جوليو كوري في مختبر معهد الراديوم من جهة ، والسيد تيبو في مختبر الدوق دي بروى من جهة ثانية

من خصائص الكهيرب الموجب الذي ذكرنا انه لا يعيش الا جزءاً قصيرًا جدًا من الثانية . وذلك لان المادة خصبة بالكهيربات السالبة فسرعان ما يلتقي الكهيرب الموجب واحدًا منها ، فيتلاشى اذ ذاك مجموع الكهيربين الموجب والسالب ويظهر شعاعان غما ؛ تعادل طاقة كل منها ٠٫٥ مإف تقريباً . ولقد تمَّ لنا تسجيل هذا الاشعاع اما بواسطة عدادات اما بواسطة التصوير الفوتوغرافي نجاء مطابقاً من حيث قوة اختراقه وزخمه لما كان متوقعاً نظرياً .

فهاتان اذًا تجربتان مثبتتان عمليًا احداهما إحداث للمادة والثانية ملاشاة لها . والمادة في هذه الحالة هي الكهيرب . وليس هنا في الواقع احداث او ملاشاة بالمعنى الفلسفي بل مجرد تحويل من طاقة الى مادة وبالعكس . ولا نظنن ان هذا التحويل ضرب من الشذوذ عن القاعدة بل هو القاعدة في تكون الذرات لان مسألة ثبات نوى الذرات وتحطيمها مرهونة بامكان هذا التحول المتبادل بين المادة والطاقة .

فالنواة في الذرة هي جزؤها المركزي الموجب كهربائيًا والذي تدور حوله الكهيربات . وبينت لنا احدث الابحاث ان النواة كروية الشكل على وجه الاجمال ويتناسب حجمها تناسباً طردياً مع (ا) ، باعتبار ان ا هي عدد النوكليونات او الذريرات . وهذه النوكليونات تتألف من بروتونات عددها

(ب) ومن نوترونات عددها (ا — ب) ومجموعها يكوّن البناء النووي ، وهي تتراص في داخل النواة لزازاً . (تشبه النواة نقطة من سائل بالغ الكثافة : ١٠^١٤) . لان البروتونات ذات الشحنة الموجبة اذا كانت تتنافر عندما تُراد على التقارب بعضها من بعضها لما تكون المسافة الفاصلة بينها نحو ١٠^-١٢ من السنتمتر ، فانها عندما تضيق المسافة الى ١٠^-١٢ من السنتمتر تكتسب قوة تجاذب اعظم قدراً من قوة التنافر فتنقاد هذه لتلك دون ان تتلاشى. ويحصل في امثال هذه المسافات الضئيلة ان يجتذب البروتون النوترون وتجتذب النوترونات بعضها بعضاً .

ويحدث بازاء هذه الطاقة الارتباطية « نقص كتلة » في مجموع البناء النووي . فيتحتم ارجاع هذه الطاقة اذا اريد تفكيك مقومات النواة . ونسبة « نقص الكتلة » الى عدد الذريات يكوّن ما يسمى « كسر التحزم » . وكلما ازداد مقدار هذا الكسر ازدادت النواة ثباتاً ومتانة اذ تحطيمها يستهلك مزيداً من الطاقة .

ويدل المنحنى البياني ان ثبات النواة يبلغ نهاية قصوى حوالي ا = ٥٠ (اي عند مرتبة الكروم) . وكل ازدياد في الكتلة يوافق نقصاً في الثبات ، حتى اذا بلغت الكتلة حداً ما اصبحت كل العناصر مشعة ، اي اصبحت غير ثابتة بالطبع .

هذا وازدياد مجموع الكتلة يستدعي نسبياً ازدياد التنافر الالكتروستاتيكي (الكهربية الساكنة) ، مما يشكل عاملاً جديداً لعدم الثبات. فتبدو اذ ذاك ظاهرة جديدة = ظاهرة الانفلاق عندما يزيد حاصل $\frac{ب^2}{ا}$ عن ٤٥ ($\frac{ب^2}{ا}$ > ٤٥) فحسب هذه النقطة الكروية المتضخمة ان يطرأ عليها عندئذ ادنى اضطراب حتى تنفلق الى شطرين .

* * *

دعنا ننتقل من عالم الذرة الى عالم النجوم

ما فتئ الانسان منـذ القدم يشغل باله امر الكوكب الذي يمده بنوره وحرارته في النهار ، ونعني به الشمس ، كما ان النجوم قد حيره دأبها على الاشعاع دونما وهن او كلال .

سبق للقدماء ان اعتقدوا في شأن الشمس انها جرم متوقد آخذ في الخمود. ولقد اثبتت المراقبة والحسابات الرياضية ان الشمس ، البالغة حرارة طبقتها الخارجية ٦٠٠٠ درجة وحرارة مركزها ٢٠ مليون درجة ، تشع سنوياً ما يوازي ٢،٨٥ × ١٠^٣٣ سعرًا صغيرًا. ولما كانت كتلتها ٢ × ١٠^٣٣ ، بينما حرارتها النوعية تقل حتماً عن الوحدة ، فمن المحتم ان ينتج عن الاشعاع هبوط في الحرارة يعادل ١،٥ درجة في السنة . على انا نجد ان تغيرًا لم يطرأ على المزروعات على الارض منذ عهد المملكة المصرية القديمة مثلًا ؛ وكان محتماً ايضاً على الشمس وفقاً لنظرية الخمود ان تنخفض حرارتها خلال خمسة الاف سنة ٥٠٠٠ × ١،٥ = ٧٥٠٠ درجة . وهذا ضرب من المحال

ثم قالوا بان هناك احتراقاً. لكنه لو قدر ان الشمس مكونة من الفحم وتوفرت تغذيتها بالاوكسجين ، لما دامت ٦٠٠٠ سنة . ولقد بيّن اللورد كلفن (Kelvin) حسابياً ان شمساً من قطن لهاب اي مشبع بمادة قابلة للالتهاب السريع تفنى في مدى ٨٠٠٠ سنة .

في سنة ١٨٤٨ تقدم ماير بافتراض قوامه ان رُجُماً تقع على الشمس كما تقع على الارض انما بكثرة اوفر فتتحول طاقة الرجم الحراكية الى حرارة . لكن كتلة الشمس تكون في هـذه الحالة على تزايد متواصل فينجم عن ازدياد الكتلة قِصَر في السنة معلوم القدر نستطيع احتسابه على اضبط وجه. على انا لا نتحقق شيئاً من هذا .

وارتأى هلمهولتز Helmholtz في سنة ١٨٥٤ ان استمرار الاشعاع الشمسي عائد الى تكاثف في الشمس يُحدث في داخلها احتكاكاً تنشأ عنه الحرارة .

انا تبين الحسابات اذ ذاك ان حياة الشمس لن تتجاوز في المستقبل ١٥ مليون سنة . وهذه مدة تبدو قصيرة جداً .

وما اصبح ممكناً حل هذه المعضلة الا يوم عُرفت التحويلات الذرية وما يصدر عنها من حرارة عظيمة جداً . والنظرية المتلم بها اليوم هي نظرية دَور بيته cycle de Bethe او دَور الكربون cycle du carbone الذي يطبّق على الشمس ما اعطته تجارب المختبَر من تفاعلات بين النوكليونات .

فالذرة تحتوي ، كما سبق لنا ان ذكرنا ، على نواة مركزية ذات شحنة كهربائية موجبة تحدق بها غالباً كهيربات سالبة تتحرك في افلاك دائرة على النواة . اما في الشمس فان الذرات في حركة دائبة سريعة للغاية بسبب حرارة الشمس العالية (٢٠ مليون درجة في داخل كتلتها) ، وان التصادمات المتعاقبة على الذرات قد تؤينها اي قد تسلبها بعض كهيرباتها .

وتبعاً لهذه الحركة تستطيع البروتونات الوفيرة في الشمس ان تحطم نويات الكربون التي تلتقيها . ثم تتحطم النواة الجديدة بدورها وهكذا دواليك . فيحصل اذ ذاك سلسلة من التفاعلات يكون للهيدروجين فيها نصيب ابدًا . ونجد في النهاية نواة الكربون وقد اصابها تحويل اول ونجد معها ذرة هليوم ، كأن كل ما في الامر ان اربع نويات هيدروجين تكثفت في نواة هليوم واحدة . ويقابل هذا التكثف « نقص في الكتلة» نسترده في شكل حرارة أطلق عقالها . وعلى هذا المنوال يخف جرم الشمس اربعة ملايين طن في الثانية.

وينبغي ألا تقلقنا ضخامة هذا الرقم لان تناقص الشمس على هذه الوتيرة جزءًا من الف يستغرق ٢٠ مليارًا من السنين .

فتحول المادة الى طاقة في العالم ليس اذًا الا ظاهرة جد مطروقة ومبذولة كل يوم .

ولنلاحظ كذلك التحول المعكوس اي تحول الطاقة الى مادة . يحدث هذا خاصة في الاشعة الكونية . كان قد لوحظ لسنوات خلت ان الالكتروسكوب او الكاشف الكهربائي ذا الورقات الذهب اذا شُحن بالكهرباء فقدَ شحنته

عفوًا في الهواء وفي شيء من السرعة ، مهما احتيط في عزله . ذلك ان اشعاعًا كان لا يزال مجهول الطبيعة آنذاك ، يجعل الهواء موصلًا للكهرباء .

وسرعان ما فطن البحاث الى ان هذا التأثير التام كان يزيد مع العلو في الجو وينقص مع الهبوط تحت سطح البحر . فاستنتجوا ان الارض ليست هي مصدر هذه الاشعة . ولذلك دعوها الاشعة الكونية .

لا يتعدى درس الاشعاع الكوني درساً جدياً الثلاثين سنة الاخيرة . وتقدم البحث في هذا الباب تقدماً ملحوظاً منذ نهاية الحرب ، لما استنبطه العلميون من طرق فنية ووسائل جديدة كالمعجونات الفوتوغرافيـة والمناطيد والصواريخ البالغة الى طبقات الجو العليا ، او الجو الطباقي

ويسود اليوم الاعتقاد ان الاشعة الاولية ، وهي التي تسير في الفضاء بين السيارات ، مؤلفة من بروتونات ونوى ذرات اشد ثقلًا . لكن هذه النوى قلما تنفذ الى جوّنا، لتفاعلها مع الذرات الغازية التي تعترض طريقها ، فتتفكك الى بروتونات ونوترونات . اما البروتونات فانها تخترق النويات الغازية وتحطمها فلا تعتّم ان تخلف وراءها بروتونات ونوترونات فحسب .

وهناك دقائق اخرى تدعى الميزونات . وهي جسيمات تتراوح كتلتها بين كتلة الكهيرب وكتلة البروتون . فتعادل كتلتها كتلة الكهيرب نحو ٢١٥ ضعفاً في الميزون الذي من نوع μ ، ونحو ٢٨٠ ضعفاً في الميزون من نوع π ، ونحو ١٠٠٠ ضعف في الميزون من نوع

هذه الميزونات لا وجود لها في الاشعاع الكوني الاولي ، بل هي وليدة تصادم الدقائق الاولية ذات الطاقة الكبيرة بالذرات الغازية في الجو الاعلى . وحياتها قصيرة جداً . وهي تتحول اما الى ميزونات اخرى اما الى كهيربات.

ليست ظاهرة إحداث الميزونات هـذه بواسطة الدقائق الاولية الظاهرة الوحيدة التي تُلاحَظ في الاشعة الكونية . فالاشعة الاولية تولّد ايضاً ، فضلًا عن الميزونات ، كهيربات ذات طاقة قوية ، فيتألف منها « باقات » على النحو التالي :

عندما يمر كهيرب ذو طاقة كبيرة على مقربة من نواة ذرة ، فانه ينحرف انحرافاً عنيفاً بتأثير من المجال الكهربائي القوي الذي يكتنف النواة . فتغيّر هذه « الصدمة » اتجاه الكهيرب وسرعته فينطلق عندئذ عنه شعاع كهرطيسي .

يتولّد عن شعاع γ (غمّاً) هذا عند تحوله الى مادة زوجان من الكهيربات احدهما موجب والاخر سالب . ثم يأخذ هذان في الاشعاع بدورهما وهلمّ جرا . هكذا يتكون ما يدعى « باقة » كهيربات بعد ان لم تكن موجودة اساساً في الاشعاع الكوني ، لكن احدثتها عمليات ثانوية .

لقد تمكن العلميون من تحويل الكهيربات والميزونات الخفيفة الى مادة في المختبر مستعينين على ذلك بالات قوية تدعى السنكروترون synchrotrons فاستطاعوا بذلك تكرار جزء من الظواهر الملاحظة في الاشعاع الكوني .

ان تبادل التحول بين المادة والطاقة يضطرنا عندما نسلط تفكيرنا الفلسفي على الظواهر الطبيعية الى اعادة النظر في صحة مدركاتنا ، لانها ان لم تزدد مرونة لن تستطيع الانطباق على الحقيقة كما اخذت تبدو في تجاربنا ومشاهداتنا في هذه السنين الاخيرة .

ولا محيد عن الاعتراف بان العلم الحديث قد اراد عقولنا على كثير من المرونة بما طالعنا به من فتوحات وتحقيقات جديدة لو انها عرضت لفلاسفة الامس الغابر لاولتهم الحيرة . منها عدم اتصال الطاقة التي — كالمادة — ليست قابلة للتجزؤ الى ما لا نهاية ، واستحالة تعيين الوضع والحركة في آن واحد لاي جسم كان ، واستحالة تخصيص الجسيمات الداخلة في مجموع ما بذاتية منفردة ومستقرة ، والعثور على « فوتونات » اي وحدات ضوء (photons) متحيزة تتركز فيها طاقة سطح الموجة ، وايلاج الرجحيات في صلب الحتمية ، فهذه كلها عقبات تعترض سبيل العقل اذا ما افرط في التمسك بالنظريات التقليدية المأثورة .

لكنها تنقلب باعثاً على الاعجاب لمن ينعم النظر في صرح معلوماتنا الجديد . فانه لن يتمالك عن الانشاد مع صاحب الزبور :

ما الانسان حتى تذكره
وما ابن البشر حتى تفتقده
لقد نقصته من الله قليلاً
وكللته بالمجد والكرامة

* * *

سلطته على اعمال يديك
واخضعت كل شيء تحت قدميه
ايها الاله ربنا
ما اعظم اسمك في كل الارض !

غير ان العالم الحق لا يملك الا ان يستشعر الرهبة والتهيب امام سر الطبيعة الذي يظهر العلم بُعد غوره .

اود ان اختم هذه المقالة بصفحة لعالم من اكبر علمائنا هو الامير لويس دي بروي :

« العلم ماض في طريق التقدم . فهو سائر بسرعة سوف تتزايد مع الايام الى تفهم ظواهر الطبيعة تفهماً اصح. ويمكن البشرية ان تتوقع نجاح كل امالها من هذا القبيل كما انها سوف تجني ثمار الجهود التي بذلها عقل الانسان خلال اجيال متصلة طمعاً منه في استجلاء صفحات جديدة من غوامض الكائنات . والعلم له جمال في ذاته وقيمة معنوية فضلاً عما ييسر للناس من اسباب الرقي وعما يبعث في النفوس من نشوة العرفان. فهذه لا ريب فضائل تبرر التحمس له

غير ان الانصاف يحتم علينا ان نذكر بازاء ما للعلم من فضل ما قد يكون عليه من مأخذ . فاذا كان حلالاً مشروعاً لرجل العلم والفكر ان يباهي ويفاخر عندما يرى انه يعمل على زيادة معارفنا وزيادة نفعها ، فانه لزام عليه الا يتجاوز الى الزهو والعُجب فيستهين كل عمل ونشاط لا يدخل في نطاق العلم . اذ انه حقيق الا ينسى ان علمنا بلغ ما بلغ سيظل محدوداً بينما جهلنا لا حدود له . فحسبه هذا الاعتبار باعثاً على بعض الخشوع حيال المهمة العظيمة التي لا تزال تقتضي اهتمامه وسعيه

على اولي العلم ان يذكروا ابداً ان طبقة الناس المنصرفين الى الناحية العملية من الحياة ، وعامة الذين على جبلهم العلم واسراره يقومون بواجباتهم كل يوم بنفس سخية ، يسدون للمجتمعات البشرية خدمة ما احوجها اليها لتسير سيرًا منتظماً . فكلٌ من هؤلاء واولئك عامل من جانبه من عوامل الرقي . فلا شيء يخوّل العالم او المفكر مهما علا شأنه ان يعتقد بان القيم الحقة لا تتمثل الا في التفوق العقلي او في سعة المعارف . كلا ليس له ان يستخف بما في التفاني والامانة على القيام بالواجب من العظمة ، ولا ان يستهين بما في مختلف الاعمال من النفع » .

الأميرة هيفآء والامير فخر الدين الكبير

رواية لبنانية تاريخية ادبية (تابع)

بقلم
الاب مارون ثابت اللبناني
رئيس دير المخلص في البرامية

٥

في بيت يوسف سيفا

كان يوسف باشا سيفا يحبُّ ابنته هيفاء حبًّا رقيقاً مُفرطاً فوق محبته لسائر وُلده حتى الذكور ، وكان يُجلسها في مجالس انسه واحياناً في مجالس مشورته ويُخرجها معه الى الصيد ، وقد دربّها على ركوب الخيل وعلّمها الرماية وراضها في حمل السلاح والدرع الحديدية ، وكانت على جمال صورتها قوية البنية ممتلئة العضل ، اذا برزت الى ميدان السبق تلبس لباس الرجال ، وعلى رأسها إمّا كوفيّة وعقال من قصب الذهب مُسبّل الطرفين على الكتفين وإمّا خوذة من نحاس اصفر بثلاث ريشاتٍ من ذهبٍ قائمة فوق الرأس ، وتحت الخوذة شعرها الذهبيُّ مدلّى على المنكبين الى اسفل الظهر تلاعبه الريح على رداء من حرير بلون السماء . ولها في الفروسية طرائق واساليب تدهش الناظرين وتحيّر الفرسان السابقين . وكان ابوها معجباً بقوّتها ورشاقتها وظرفها ولا سيما بخلالها واخلاقها العالية ولا يناديها باسمها بل بالكنايات والاستعارات من مثل يا غزالة السماء ، يا ظبية الغاب ومقلة المهاة ودمية القصر وما اشبه . هذه الدرة اليتيمة اختطفتها يدٌ أثيمة ! جانية ! وبتفريط صاحبها اذ لم يكن محتاطاً لها لكونه الاحمق الى الايام ! لو أن فتاته سبيت في حربٍ او ذهبت تطوّعاً لهان الامر . أما أن تؤخذ اختلاساً ومكرًا وهي مكرهةٌ كاذلّ الجواري والإماء ، ولا يُعرف لها مذهبٌ ولا مقرٌّ فذلك سهمٌ نافذٌ الى الصميم وعارٌ ما وراءه عارٌ ،

لذلك اقسم ليدركنّ خاطف ابنته ولو تحصن في معاقل النجوم . بثّ العيون في كل صوب وارسل الفرسان فرقاً في السهول والجبال . وانفذ الرسل الى الحكام والزعماء ، ورادت رسله القرى الساحلية والجبلية متنكرين وولجوا بطون المغاور واوغلوا في الغاب ، وسألوا عن ضالتهم جوارح الوحش وكواسر الطير وحيتان البحر فلم يقفوا لها على اثر . حار ابن سيفا في امره وخفيت عليه وجوه الحيلة وامسى منزله بيت مناحة يجافيه الفرح والضحك وتلازمه الكآبة والغموم .

لم يكن يجهل انّ البدويتين اللتين القيتا مخدّرًا في انوف السماء قد كان من ورائهما رجالٌ أشدّاء اختطفوا الفتاة غير انه لا يعلم هويتهم ولا بغيتهم ولا منبتهم ولا منفذهم الى طرابلس ولا مخبأهم قبل الحادث وبعده . ولشدّ ما كان من قلقه اذ قام في وهمه ان اولئك الخطفة الاثمة قد مثلوا بالفتاة وواروا جثتها في التراب . فلا هو يعثر عليهم فيثأر ولا على قبرها فيتعهده بغيث الدموع . تخالفت التهم وتباينت الظنون وتتالت الاخبار لا متآلفة ولا متلاحمة . فقيل رُؤيت بين رجالٍ مشرّقين وقيل بين مشتلين . وقال بعضهم سمعنا ان حضرية كانت بين بدويتين في طريق الشهباء وقال آخرون في طريق دمشق وقيل ظهرت جثة فتاة عند مصب نهر الكلب ، وقيل وجدت بقايا جثة مفترسة في غابة الشعرة . الى غير ذلك من الاقوال .

كان ابن سيفا يستقصي عن هذه الاخبار فلا ينتهي الى شيء . وقيل له انها مخبوءة في بعض مناسك قديشا اثارةً لخاطره على المتزهدين سكان الكهوف او في دير قزحيا خبّأها بعض المقدمين ، فركب في نفرٍ من رجاله وطاف الوادي المقدس فدهش من قداسة النساك وما يعانوه تطوّعاً من طول التأمل والسجود والصلاة وما يكبدونه انفسهم من ضروب الحرمان والجوع والعطش والجلد ولبس المسوح ، فحسدهم على حياتهم السماوية ، واعظمَ ايمانهم وطلب دعاءهم من اجل الفوز ببغيته ، وانصرف الى دير قزحيا وكان هناك اسقف وجماعة من الرهابين المتنسكين فلاقاه الاسقف الى الباب وسأله ان يخلع سلاحه رعياً لحرمة المكان ففعل وأمر رجاله بانتظاره عند المدخل وصحبَ الاسقف الى قاعة فسيحة فيها من الاثاث ما يُنبئ بالزهد ويتلاءم والفقر، وقرع الناقوس

فأقبل الرهبان في ملابس الصوف الخشنة وهم يمسحون العرق عن وجوههم آتين من اشغال الزراعة المتنوعة فسلموا على ابن سيفا مرحبين وجلسوا له وحدثوه فلما وقف على سيرتهم النسكية الضيقة وشاهد ملابسهم الزهدية الخشنة وعرف انصرافهم الى الصلاة وعكوفهم على الحراثة والزراعة تحصيلاً لقوتهم بكد ابدانهم ، ورأى في وجوههم امارات السذاجة والصدق وصفاء الطويّة استحيا ان يخبرهم بسبب قدومه اليهم وقال انه آتٍ ليزور مقام القديس انطونيوس التامسَ ان يهديه الى ابنته الضائعة واوقفهم على ما كان من امر اختفائها الا ما قيل له من انها قد تكون مخبوءة في ديرهم . فحزن جميعهم لحزنه وتألموا لمصابه ودعوه للصلاة معهم امام مذبح القديس فاجابهم الى ذلك . ثم اخرج كيساً معقودًا على نقدٍ والقاه على درجة المذبح وخرج في قلبه شيء من التعزية والرجاء وعُرض على الطعام فامتنع شاكرًا وودّع المطران والرهبان وكرَّ راجعاً الى منزله فبلغه بعد غياب الشمس وطلب طعاماً فاكل واتته حاجة النوم فرقد ، ولما استغرق رأى في الحلم كأنّ انطونيوس الذي عاين صورتهُ في كنيسة الدير يُشير بعكازه الى الجنوب ويقول لهُ :أرأيت هذا الرجل القصير القامة المهيب المنظر ، انه مخلّص ابنتك، طب نفساً انها ستعود اليك . قال: شكرًا لك يا سيدي لقد أرجعتَ روحي اليَّ ، واستيقظ . فجعل يردّد في ذهنه ما رأى وما سمع ويعارض صورة الرجل الذي قيل عنهُ « إنه مخلّص ابنتك » فلا تماثل وجهاً من الوجوه التي يعرفها ، ثمّ قصَّ حلمهُ على مدبّره منصور فقال مدبّرهُ : أبشر يا امير ! انّ حلمك من الله فتوكّل عليه وابعث رسولًا الى الامير فخر الدين لعلَّ الاميرة هيفاء في بعض انحاء امارته . فان كانت ثمَّ عنده او في بلد آخر ممَّا لهُ عليه سيطرة ونفوذ، فما هو إلّا القليل حتى يسكن خاطرك وتدرك منيتك . ان الرجل كبير المروءة مِعوانٌ على الخطوب ولهُ في الرعية علمٌ لا تفوتهُ شاردة ولا واردة . فقام الباشا لساعته وكتب رسالةً انفذ بها رسولًا الى فخر الدين ، وبعد ثلاثة ايام جاءه هذا الجواب :« أُسكنْ الينا فعد بثّنا العيون ، حبذا ان تكون ضالتك في أرضنا فيكون العثور عليها ميسورًا وقصاصُ المعتدين صارماً رادعاً». فأمّل ابن سيفا خيرًا . ثمَّ كرَّت الايامُ وما ازدادت القضيَّة إلا غموضاً .

٦
آل معن

الامير المعني فخرالدين الثاني هو سلالة الاسرة المعنيَّة الكريمة . استوطنت لبنان منذ القرن الثاني عشر وتعاقب امراؤهـا على حكم الشوف الى اواخر القرن السابع عشر . نشأت في بلاد نجد وديار ربيعة من شبه جزيرة العرب من سلالة ربيعة الفرى بن معدّ بن عدنان المنتسبة اليه العرب المستعربة الذين ينتهي نسبهم الى اسماعيل بن ابراهيم الخليل . ومن النجبت قبيلة ربيعة الامير ايوب الذي اشتهر ببسالته ونفوذ كلمته وأعقب أحد عشر ولدا ماثلوه بسالةً وسطوةً وعزًا . فلما عظم شأنهم وذاع صيتهم حسدهم سادات ربيعة ومـا زالوا يناوئونهم حتى نفَّروهم الى العراق فنزل الايوبيُّون الجزيرة الفراتيَّـة واستوطنوها وتكاثروا الى ان نبغ منهم الامير ربيعـة فهجر الجزيرة وخيّم في الجبل الاعلى من الديار الحلبيَّة وأحرز شهرةً بعيدةً . وخلفـهُ ابنهُ معنٌ وهو جدُّ الاسرة المعنيَّة تزوَّج بابنـة الامير نعمان التنوخي من معرَّة النعمان واصبح التنوخيُّون من حلفائه وانصاره . وكان أخا جرأةٍ وحزم واقـدام فذهب له صيتٌ . وأرسله غازي أمير الترك عام ١٠٩١ لقتال بلدوين الفرنسي احد ملوك الافرنج الصليبيّين في الجبل الاسود قرب انطاكيـة ، فخانه الحظ ومزّق الصليبيُّون جنوده فانهزم ببقيَّةٍ من رجاله واعتصم بطغتكين صاحب دمشق الذي كان يحارب الافرنج في ضواحي حلب فأرسله بعشيرته وأحلافه الى البقاع من اعمال دمشق ومعهُ الامير منذر ابن حميه نعمان التنوخي فخيَّموا في ذلك الاقليم وكان حكَّامه الجنادلة فقاتلوهم في مواقع كثيرة . ولمَّا عـاد طغتكين الى دمشق صارحهُ معن برغبته في استيطان هذه البلاد ، فقال اذن تترك السهل الى مشارق لبنان لشنّ الغارة على الافرنج في الثغور البحرية ، فسار بقومـه الى جبل لبنان وأنزلهم في صحراء بعقلين وجاء قرية عبيه وهي مقرّ الامراء التنوخيّين فاكرموا مثواه لما بينهم وبينهُ من المصاهرة منذ كانوا معًا في الديار الحلبيَّة . واستنجعهم محلًا لسكناه فصعد به الامير بحتر التنوخي أمير الغرب الى « مُطَيْر عبيه » واراه البقعة الواقعة بين نهري الصفا والباروك وكانت بلقعًا وقال لهُ :

« شوف » بلغة العامة فسمّي الموضع « الشوف » . قال الاديب الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف صاحب مجلة الآثار : وربّما هي محرَّف الجوف لوقوع تلك البقعة في جوف لبنان . أو الشعوف أي رؤوس الجبال . ولم يكن قبلهم مأهولاً من الشوف إلا نواحي الغرب والجرد حيث اقامت القبائل التي قدمت لحراسة السواحل كالتنوخيّين وفروعهم .

وللشوف اقسامٌ واسماء . وهي شوف صيدا ومنه عين زحلته . وشوف الحراذين ومنهُ عينبيت في البقاع والشوف البياضي (غربي البقاع) ومنهُ زحلة . ومن أسمائه جبل ابن معن وجبل الدروز ، ومن اسماء بعض نواحيه الشوفان والشويفات . وكان في القديم سبع مقاطعات : الشوف السويجاني والحيطي والمناصف . والشحّار . والغرب الاعلى والادنى . والجرد . والعرقوب الاعلى والادنى . والمتن[1] .

وعاد الامير معن الى قومه في صحراء بعقلين ولبثوا مدّة في الخيام ، ثمَّ اختطوا بلدة بعقلين وجعلوها قاعدتهم وبنوا المساكن الحجريّة واستعمروا تلك النواحي بمساعدة التنوخيّين ، واشتهروا بالكرم وحسن الجوار فتقاطر الناس الى بلادهم من انحاء حوران والشام وحلب ونواحي لبنان هرباً من الافرنج فأسكنوهم بينهم وتولّى معنٌ امارة الشوف مدى ثلاثين سنة وتوفي عام ١١٤٩ وخلفهُ ابنهُ يونس فنسج على منواله في تعشّق المكارم والدفاع عن احلافه فاستتبّت الامارة للمعنيّين .

ولما نزح الشهابيُّون من حوران الى وادي التيم ، بدر الامير يونس لمحالفة زعيمهم الامير منقذ ، وكان هذا بطلاً شديد المراس قاتل الافرنج واكرههم على الجلاء عن تلك الجهات فأمّره عليها السلطان نور الدين عام ١١٧١ ، وفي السنة الرابعة لامارته استقدمه الامير يونس فقدم بألفي فارس من قومه أناخوا جمالهم قرب نهر في صرود الشوف فسمّي الباروك اي المركع . وخفَّ الامير يونس برجاله للقائهم ورحّب بهم واقامَ لهم مهرجاناً عظيماً مدّة ثلاثة ايام . ثمَّ أتى بهم الى داره في بعقلين وعقد لطيبة بنته على محمد بن منقذ ، وجُددت المحالفة بين الاسرتين . وكان الشهابيُّون ظهراء المعنيّين في حروبهم . اغتالت المنون الامير يونس في هذه السنة وخلفهُ يوسف وخلف هذا ولدهُ سيف الدين .

---

[1] عن مجلة الآثار

وظلت الامارة تنتقل بالخلافة من والدٍ وحيدٍ الى ولدٍ وحيد ، من سيف الدين هذا الى الامراء عبدالله فعليّ فحمّد فسعد الدين فعثمان فأحمد فملحم . وهذا خلّف ولدَين يوسف وعثمان، وتوفي يوسف بلا عقبٍ وانحصرت الامارة بعثمان وخلفهُ ولدهُ فخرالدين الاول وخلف هذا ولدهُ قرقماس وتوفي عن ولدين فخر الدين الثاني الملقب بالكبير (محبوب هيفاء وعدوّ ابيها) ويونس أخيه . ورزق فخر الدين اولاداً لم يبقَ بعدهُ منهم الا الاميرِ حُسين في الاستانة ولم يعد الى لبنان .

بنى المعنيُّون حكمهم على العدل وسوَّروهُ بالكرم فرسخ وعلا ، وكانوا محبوبين في الرعيّة لاستقامة مسلكهم فيها وقيامهم بمصالحها وحفظهم لها من مظالم العدوّ ومطامعه . فكان الشعب ملتفًّا من حولهم مرتاحاً الى حكمهم مسلِّما اليهم مقاليد أموره ، فاذا دُعي لردّ غارةٍ او لغزوٍ او فتحٍ هبَّ كلُّهم هبَّةً واحدةً وانقضُّوا على العدوّ انقضاض الصاعقة ، مفتدين الوطن والامير بالارواح والمهج . وكذلك حلفاء المعنيين كانوا يحبونهم ويركنون اليهم لما يتجلَّى لهم من اخلاقهم الكريمة ورعايتهم العهود واستمساكهم بالولاء والوفاء وبذلهم المعروف فوق اعطائهم الحقوق . فيلاقي المعنيُّون منهم ما عدا الموالاة والمصافاة ، المبادرة الى مناصرتهم في الحروب .

أبعدُ الامراء المعنيين شهرةً فخر الدين الاول وحفيده فخر الدين الثاني، فالاول كان على حكم الشوف لمَّا فتح البلاد السوريّة السلطان سليم الاول عام١٥١٦ . وفي ذلك الزمان كان على سوريا والٍ من قبل المماليك يُدعى الغزاليّ غدرَ بهم وانضمَّ الى العثمانيين فولّاهُ السلطان سليم على دمشق وقلّده نيابة حمص وفلسطين . فتعقَّب المماليك الى مصر وانتزعها من أيديهم وكرَّ عائداً الى حلب ، وقبل ان يدخلها اشتعلت الثورة في سوريا فقتل الغزاليُّ رجلين من زعمائها غدراً هما ابن الحنش زعيم العرب وابن حرفوش زعيم البقاع . ثمَّ قاتل غيرهما من الثوَّار وظاهرهُ فخر الدين الاول فحالف النصر ألوية الغزالي فسُرَّ السلطان من الامير . ولمَّا نزل الامير الشام للتسليم على السلطان فتنهُ بفصاحة منطقه وطلاقة لسانه وجمال خلاله ، فأقرَّهُ على حكم الشوف وقدَّمه على سائر حُكَّام لبنان . فعظُم شأنه وتجلَّت هيبتهُ . وشمَّر للفتح ، فمدَّ سلطانهُ

من حدود يافا الى طرابلس، وأمن البلاد، وحكم العدل، فتفيأ الناس في عهده ظلّ الراحة، وارتووا من سلسبيل السلام، وكان اميرهم فخر الدين قد وشحه السلطان سليم بلقب «سلطان البرّ» مكافأةً على انتصاره لهُ في موقعة مرج دابق[1].

وترتقت بين المعنيّين والدولة العثمانيــة عُرى الولاء، غير ان والي الشام كاد للامير فخر الدين فتمكن من قتله عام ١٥٤٤. فخلفهُ ابنهُ الامير قرقاز. وكان يكره العثمانيين كرهاً شديداً لاغتيالهم اباهُ ولما يرتكبهُ عمّالهم وجنودهم من الجور والنذالة والافساد. وكان بينهُ وبين بعض الامراء من حكّام لبنان عداوة ومنافسة ومنازعة على السلطة أفضت الى وقائع دامية وحزازات دائمة، ولم يكن ليسالم أحداً من عمّال العثمانيين وأحلافهم.

صرف من همه الى تأسيس حكومة نظاميَّة في لبنان، ونسج على منوال ابيه في التوفيق بين الرعيَّة واستمالة المسيحيّين واقامة العدل وتأدية الجزية للحكومة واكرام الفضلاء وتقريب الشعراء الى سائر ما يُجمِّل الحاكم ويثبّت حكمهُ ويحبّبهُ الى رعاياه. وكان نظام الاحكام ان ينتخب الامير الاقطاعيّين فيتولّوا الفصل في الدعاوى الحقوقية والجزائية وهو يتصرَّف في الاحكام العليا من قتل ونفي وتمليك ارض وضبط مال وما اشبه. وكان الناس في ذلك العهد حزبين: القيسي وعلى زعامته المعنيّون واليمنيّ وعلى زعامته السيفيّون. وعلَمُ القيسيّين احمر وشارتهُ قرنفلةٌ حمراء. وعلَمُ اليمنيّين ابيض وشارتهُ زهرة

[1] جرت هذه الموقعة بين العثمانيين والماليك في مرج دابق عند حلب في ٢٦ آب سنة ١٥١٦ وذلك ان الاتراك كانوا قد استولوا على الاناضول والقسطنطينية من عام ١٤٥٣، وعظموا صولةً وطولاً فطمحت نفس السلطان سليم الاول الى ضبط الخلافة في قبضته بعد ان يضم اليها ممتلكاتها والى الاسلام وحدته السياسية. فأبرم عزمه على مهاجمة المماليك، فاتهمهم بمحالفة الفرس الشيعيّين على المسلمين السنيّين وبالقعود عن تأمين طرق الحج. فزحف بجيوشه على حلب، وزحف الغوري سلطان المماليك بعساكره فالتقى الجيشان في مرج دابق، واشتد القتال بين الفريقين واستبسلا وتضافر على المماليك بأس الانكشارية وخيانة خاير بك نائب حلب، فعلق النصر برايات العثمانيين، وتوارى السلطان الغوري وفتحت المدينة ابوابها للسلطان سليم فدخلها بغير قتال. ودانت له سائر المدن من حماة وحمص الى دمشق وطرابلس وصفد ونابلس واورشليم، فطرد منها المماليك وضبط املاكهم، ثم انقضَّ على مصر، فأذعنت الطاعة ونصب فيها رايته المظفرة. وجاءه شريف مكّة خاضعاً والقى اليه مفاتيح الحرمين.

خشخاش بيضاء) وكانت سوريا في عهد المماليك مقسّمة الى ستّ ممالك ونيابات . هي حلب ودمشق وحماة وطرابلس وصفد والكرك شرقي الاردن. فخلّاها السلطان سليم بعد فتحها على هـذا التقسيم ، وأقرّ الغزالي على نيابة ~~دمشق وولّاهُ سائر النيابات إلا نيابة حلب~~ أسندها الى باشا تركي . فلما توفي السلطان سليم نادى الغزالي بنفسه ملكاً لسوريا بلقب (الملك الاشرف). فسيّر عليه السلطان سليمان حملةً من الانكشارية بقيادة فرهاد باشا فقتلوه في قابون قرب دمشق في شهر كانون من سنة ١٥٢١ ، واجتاحوا المدينة وضواحيها وأنزلوا باهلها العِبَر ، والقوا الرهبة على سكان البلاد حتى صار اسم الانكشارية هَولًا وفزعةً . ولفظا « انكشاري وقبضاي » لا يزالان في لبنان مترادفين الى اليوم. وعند ذلك قسموا سوريا ثلاث ولايات :الشام وطرابلس وحلب وجعلوا ولاتها من الاتراك . ولعلّ السلطان سليم نفسه قد قسم سوريا الى خمس ايالات : حلب والشام وطرابلس وصيدا وفلسطين ، وقسم الايالات الى ألوية ، وكان الامراء والمقدّمون والمشايخ يتولون المقاطعات (مجلة الآثار . وفي سبيل لبنان)[1] .

وفي عهد امارة قرقماز اضطرب حبل الامن في انحاء لبنان باحتدام المنازعات بين القيسيّين واليمنيّين ولاسيما في شماليه بين السافيّين والسيفيّين ، وكانت سياسة الباب العالي لا تتصدى لما يحدث من التقاتل بين الحكام في

---

(١) كانت عشائر لبنان أربع طبقات : الامير فالمقدم فالشيخ . وكان من امرائه في ذلك العهد التنوخيّون قيسيّين وعميّين . والارسلانيّون والمعنيّون والشهابيّون وآل علم الدين من حكام جنوبيّه ، والسيفيّون والسافيّون والمرعبيّون والراسخاشيّون من حكّام شماليه . والحرفوشيّون من حكام بعلبك والبقاعين . ومن مقدميه اللمعيّون في كفرسلوان والصوافيّون في الاشبانية والمزهريّون في حمانا ، وبنو علي الصغير في بلاد بشاره ، والشاعريّون في تولا البترون . ومن مشايخه الحاديّون والعاديّون والنكديّون والتلحوقيّون . وبينهم طبقات أُخر . منهم الامراء الحنشيّون سكان فتقا والمبراء ومقدمو الازواق التركمانيّون في كسروان والمشايخ الحماديّون في جبيل ، وغيرهم من المسلمين والشيعيين والدروز ، واشهر مقدمي المسيحيين مقدمو جبّة بشري وجاج والماقوره وأيطو والشاملة وغيرهم . ينحازون جميعهم الى احد الحزبين القيسي واليمني . ومن مشاهير الامراء المجاورين آل طريه الحارثيّون الطائيّون في فلسطين وآل الاعوج في حماة وما اليها ، وغيرهم . (عن مجلة الآثار)

سوريا ولبنان فتخلّيهم يتطاحنون ، وهمّ السلطان مقصورٌ على جمع الضرائب والحؤول دون ثورة الحكّام عليه . فاذا آنس من احـدهم تقصيرًا في اداء المال المفروض أو خشي منهُ خطرًا على جانب من المُلـك ، أثار عليه عدوًا وناصرهُ عليه حتى يكسر من شوكته ويُسلمـه الى الذلّ والهوان . وكان للدولة معتمدٌ في طرابلس برتبة باشا بيده مقاليد حكم المدينـة والاقليم مع مراقبة بلاد النصيريّة وجبل لبنان وتأمين الطريق الى حلب ولاسيَّما عند جون عكار حيث كانت القوافل لا تـأمن الخطر . وكان جميع الامراء اللبنانيين راضين بحكم السلطان العثماني يؤدونه الجزية وهو راض بهذا القدر من الخضوع غير متصدٍّ لاستقلال بعضهم بالحكم على عادة اهل البلاد . واكثر اللبنانيين استقلالًا الموارنة والنصيريّة فلم يكن أمرهم الى العثمانيين بل الى مقـدَّمين وطنيّين عليهم للعثمانيّين جباية الضرائب ، وما زالت الحـال على ذلك الى ان تصدَّى لصوصٌ في جون عكّار لقافلة انكشاريّة حاملة مال الضريبة من مصر وسوريا الى الاستانة فسلبوهم ووسعوهم ضربًا وتهشيماً عـام ١٥٨٤ . فأمر الباب العـالي جعفر باشا الطواشي حاكم طرابلس بان يصادر السيفيّين امراء عكّار فحطّمهم وأحرق منـازلهم . ثمّ وشى بالمعنيّين والشافعيّين متهماً اياهم بالتمرّد وبالغ في ايغار صدر الدولة على المعنيّين فثار ثائرها وأوعزت الى ابراهيم باشا والي مصر وهو صهر السلطان مراد ابن السلطان سليم ، ان يجتاح الشوف بحجة ان المعنيّين يحصـون المجرمين اللاجئين اليهم من سوريا ومصر . فزحف ابراهيم بعساكر من مصر وقبرس وحلب ودمشق وخيّم في مرج عرجوش تحت زحلة وأرسل الى الامير قرقماز يطلب منه تسليم مالي الخزينة ونفقة العساكر . وكان قد قطع طريق البحر والبقاع وضايق الدروز وقتل خلقاً كثيرًا . ولم يكن للشوفيّين قِبَلٌ بصدّ جيشه الواثب كالنسرة ، ففرّ الامير قرقماس ببعض رجاله الى شقيف تيرون المعروف بقلعة نيحا على مسيرة ساعـة من جزين الى الشمال . وما لبث ان توفي . قيل من شدة تأثره من تخلّي امراء لبنان عنهم وانحيازهم الى ابراهيم باشا . وقيل بالسمّ انتحارًا . وقيل ان الاعداء اهتدوا الى دواة مطمورة كانت الماء تجري فيها من معينٍ الى بئر في القلعـة ، فألقوا

في الماء سمّاً أو دماً ففسد ماء البئر فهلك الامير . والاصح انه مات من الغم والفزع . ثم ان وفداً من الدروز قدموا الى عين صوفر لمفاوضة ابراهيم باشا والنظر في مطالبه لاجل ان يمكنوه من ميسورها فيرحل بعساكره عن بلادهم فأبت نفسه إلا القدر فأمرَ بهم فتذبحوا عن آخرهم وكلُّهم من الاعيان . ولم يترك امامهُ الا الامراء آل تنوخ . وخلّف قرقماز ولدين حدثين فخر الدين ويونس ، فاشفقت عليهما أُمّهما من الباشا ابراهيم فطلبت الى الحاج كيوان نعمه الديراني مدبّر ابيهما ان يُخبّئهما ، فسرى بهما الى قرية بلّونه في كسروان ونزل بهما على صديقه الشيخ أبي صقر ابراهيم الخازن من اعيان الموارنة فتخفّى لهم وحضن الاميرين وربّاهما احسن تربية . غرس في قلبيهما الفضائل الادبية والاخلاق العالية ولبثا عنده مجهولين الى ان شبّا . فاخذهما خالهما سيف الدين التنوخي وردّ عليهما امارة الشوف ارثهما من الاجداد . فصارت الى اكبرهما سناً فخر الدين .

(لها صلة)

العروض

بحث وتنقيب

بقلم الاب فرنسيس قندلا اليسوعي

كان للشعر عند العرب اهمية وتأثير فائقان . في وصفه قال ابن قتيبة : الشعر معدن علم العرب وسفر حكمتها وديوان اخبارها ومستودع ايامها والسور المضروب على مآثرها والخندق المحجوز على مفاخرها والشاهد العدل يوم النفار والحجة القاطعة عند الخصام ومن لم يُقم عندهم على شرفه وما يدّعيه لِسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميد بيتاً منه شذّت مساعيه ولو كانت مشكورة ودرست على مرور الايام وان كانت جساماً ومن قيّدها بقوافي الشعر وأوثقها باوزانه وأشهرها بالبيت النادر والمثل السائر والمعنى اللطيف أخلدها على الدهر وأخلصها على الجحد ورفع عنها كيد العدو وغضّ عين الحسود :

وقد اوجز ابو تمام هذا الوصف بالبيت المأثور :

ولولا خلال سنّها الشعر ما درى بُناةُ العُلى من اين تُؤتى المكارم

هذا مما يجعل البحث في شعر العرب كبير الاهمية في تعلّم لغتهم وتذوّق عذوبتها وتفهّم مناقبهم واخبارهم وايامهم .

انّنا في هذا المقال لا ننوي بحثاً تدريسياً في علم الشعر تعريفاً وفناً فالطالب يجده بسهولة في كتب اللغة . ليست غايتنا الا إسداء شروح وابداء آراء[1]

١) لقد استنأ في هذا المقال ببحث موجز للمرحوم الاب بولس ماترن اليسوعي

قد يكون لها شيء من الفائدة لمن شاء التعمّق في خصائص العروض العربي وعوارضه .

قبل ان ندخل في موضوع بحثنا لا بدّ من تذكير القارئ معلومات عمومية ضرورية لفهم ما قصدنا عرضه عليه في مقالنا .

حدّدوا الشعر فيما يختص بصيغته : كلام ذو اجزاء تساوت فيها مقاطع الالفاظ عددًا ونوعاً . يقوم اذن علم العروض بمعرفة اوزان الشعر وانواعه . فالنظم عند العرب ليس مقطعياً كما هو الحال في اللغات الحديثة لكنه قياسيّ لا يكتفي بتوازي عدد مقاطع الكلام المنظوم لكنه يطلب مراعاة انواعها وفقاً لاوزان موضوعة . وتتركب اوزان الشعر من مفاعيل يسونها ادوارًا منها يتركب بيت الشعر بشطريه وهما المصراعان : الصدر والعجز . والادوار تتركب من عنصر جوهري هو الوتد ومن الاسباب والفواصل[1] . والوتد جوهري في الدور لانه لا يقبل التغيير ابدًا في حشو البيت فاذا دخله التغيير في عروض البيت او ضربه تغيّر بذلك قياس الشعر فظهر هذا التغيير وجوباً في كل ابيات القصيدة . اما الاسباب وفيها الفواصل فتدخلها التغييرات من تخفيف وتقصير وتمديد وحذف وزيادة دون مسّ في القياس . ويكون الوتد امـا مجموعاً (متحرك فمتحرك فساكن نحو : دَرَى) او مفروقاً (متحرك فساكن فمتحرك نحو : أَينَ).

والادوار اما خماسية تتركب من الوتد وسبب واحد وإلا فهي سباعية .

وبحور الشعر عند العرب ستة عشر عرف منها الخليل واضع العروض

١) قسموا الفاصلتين الى صغرى وكبرى . والاصحّ ان الكبرى (متحرك فمتحرك فمتحرك فمتحرك فساكن) لا توجد في تركيب الادوار . ولا نرى لاي غاية ذكرها العروضيون . اما الصغرى (متحرك فمتحرك فمتحرك فساكن) فليست بالحقيقة الا سببين متتابعين ثقيل وخفيف .

خمسة عشر ثم زاد عليها الاخفش بحر المتدارك وهو السادس عشر وهي تُقسم الى ثلاثة اقسام الاول يحتوي احد عشر بحرًا لا يدخلها الا ادوار سباعية وهي : الرجز والمنسرح والمقتضب والرمل (التام) والخفيف والمجتث والهزج والمضارع والكامل والوافر والسريع – والثاني يحتوي بحرين مركبين من ادوار خماسية وهما : المتقارب والمتدارك – والثالث يحتوي اربعة بحور ممتزجة وهي : الطويل والبسيط والمديد .

الادوار الاصلية عشرة منها اثنان خماسيان : فعولن وفاعلن : والثانية سباعية :

مفاعيلن فاعلاتن(١ مفاعلتن فاعلاتن مستفعلن(٢ مستفعلن مفعولاتُ متفاعلن

هذه معلومات موجزة عن فنّ العروض ارسلناها قبل مقالنا للتذكير

٥

جدول اول : في الادوار العروضية الاصلية : ترينا بان كل ترتيب قياسي ممكن قد تمّ بهذه الادوار العشرة الموضوعة :

اولًا : الخماسي

١ :	وتد مجموع قبل سبب	فعولن	(٧ –) –
٢ :	وتد مجموع بعد سبب	فاعلن	– (٧ –)

١) يختلف موقع وتد هذا التفعيل ونوعه حسب البحور فانه في المضارع يأتي مفروقًا قبل السببين : فاعلاتن وفي الرمل مجموعا بين السببين : فاعلاتن .

٢) كذلك هذا التفعيل يختلف موقع وتده ونوعه حسب البحور فانه مفروق في الخفيف والمجتث حيث يقع بين سببين : مستفعلن . وهو وتد مجموع في الرجز يقع بعد السببين : مستفعلن .

ثانياً : السباعي

٣ :	وتد مجموع قبل فاصلة	مفاعلتن	— ٧٧ (— ٧)
٤ :	وتد مجموع بعد فاصلة	متفاعلن	(— ٧) — ٧٧ ،
٥ :	وتد مجموع قبل سببين	مفاعيلن	— — (— ٧)
٦ :	وتد مجموع بين سببين	فاعلاتن	— — (— ٧) —
٧ :	وتد مجموع بعد سببين	مستفعلن	(— ٧) — —
٨ :	وتد مفروق قبل سببين	فاعلاتن	— — (— ٧)
٩ :	وتد مفروق بين سببين	مستفعلن	— (٧ —) —
١٠ :	وتد مفروق بعد سببين	مفعولات	(٧ —) — —

ملاحظات : اولًا : لا بد في كل دور من وتد وهو يظهر فيه ظهور العلة الفاعلة للايقاع .

ثانيًا : اذا كان البيت مركبًا من ادوار مختلفة يجب ان يكون موضع الوتد واحدًا في كل منها اي ان يكون في اول الدور او في وسطه او في آخره فلا يتركب اذن البيت مثلًا من فعولن ومستفعلن لكن من فعولن مفاعيلن او مستفعلن فاعلن . . . .

ثالثًا : لا يدخل التغيير على الوتد اما الاسباب والفواصل فيجوز فيها التغيير فيتحول مثلًا — الى ٧ او ٧٧ الى — فيصير مثلا مستفعلن : مفاعلن او مفتعلن . . .

جدول ثانٍ : البحور الاصلية

اولًا : البسيطة تقوم بتكرار دور واحد . وهي سبعة :

١) المتقارب : فعولن فعولن فعولن فعولن
٢) المتدارك : فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن
٣) الهزج : مفاعيلن مفاعيلن
٤) الرمل : فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
٥) الرجز : مستفعلن مستفعلن مستفعلن
٦) الوافر : مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن
٧) الكامل : متفاعلن متفاعلن متفاعلن

ملاحظة : ولا يمكن ايجاد غير هذه البحور السبعة البسيطة. فان الاجزاء الاصلية ولو كانت عشرة فانواعها سبعة اذ تُعتبر مستفعلن ومفعولاتُ نوعاً واحداً لان عدد الاسباب في كليها واحد ومركز الوتد بالنسبة الى السببين هو هو في الجزئين اما كون الوتد مجموعاً في مستفعلن ومفروقاً في مفعولاتُ فليس متوّماً لنوعية الاجزاء .

ثانياً : الممتزجة المؤلّفة من ادوار خماسية وسباعية — هي ثلاثة :

١) الطويل : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن
٢) المديد : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن(١
٣) البسيط : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

ملاحظة : يمكن استنباط اوزان ثلاثة اخرى بتغيير نظام التفاعيل : مثلاً (للطويل) : مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن . وكذلك للمديد والبسيط .

ثالثاً : الممتزجة المؤلّفة من ادوار سباعية(٢ فقط — وهي ستة :

١) المضارع : مفاعيلن فاعلاتن
٢) الخفيف : فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
٣) المجتث : مستفعلن فاعلاتن
٤) السريع : مستفعلن مستفعلن فاعلن(٣
٥) المنسرح : مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن
٦) المقتضب : مفعولاتُ مستفعلن

ملاحظة : انتبه لمحل الوتد في ادوار كلّ من البحور فانه مجموعاً كان او مفروقاً يلزم دائماً عين المحل فلا يدخل ابداً في تركيب بحر واحد ادوار تختلف فيها مواقع الوتد والا اختلّ فيه الوزن وارتبك الايقاع .

---

١) مجزوء
٢) وهي تتركب من وتد وسببين
٣) مقطوف

جدول ثالث : ما يمكن من الادوار العشرة الاصلية مزجها لتركيب اوزان البحور باعتبار موقع الوتد المجموع او المفروق فيها :

موقع الوتد	سبب واحد	سببان	فاصلة
١ – في اول الدور :	فعولن – (– ٢)	مفاعيلن – – (– ٢) فاعلاتن – – (٢ –)	مفاعلتن – ٢٢ (– ٢)
٢ – بعد السبب :	فاعلن (– ٢) –	فاعلاتن – (– ٢) – مستفعلن – (٢ –) –	
٣ – في آخر الدور :		مستفعلن (– ٢) – – مفعولاتُ (٢ –) – –	متفاعلن (– ٢) – ٢٢

٥

جدول رابع : البحور والاوزان حسب موقع الوتد في الادوار العشرة الاصلية :

		البحور البسيطة	البحور الممتزجة
اولاً–١ : الوتد قبل سبب	: فعولن	: المتقارب	الطويل
٢ : الوتد بعد سبب	: فاعلن	: المتدارك	البسيط
ثانياً–٣ : الوتد قبل فاصلة	: مفاعلتن	: الوافر	
٤ : الوتد بعد فاصلة	: متفاعلن	: الكامل	
ثالثاً–٥ : وتد مجموع قبل سببين	: مفاعيلن	: الهزج	الطويل

٦ : وتد مفروق قبل سببين : فاعلاتن(١) :		المضارع
٧ : وتد مجموع بين سببين : فاعلاتن :	الرمل	المديد والمجتث والخفيف
٨ : وتد مفروق « « : مستفعلن(١) :		المجتث والخفيف
٩ : وتد مجموع بعد سببين : مستفعلن :	الرجز	السريع والبسيط والمقتضب والمنسرح
١٠ : وتد مفروق « « : مفعولاتُ :		السريع والمقتضب والمنسرح

ملاحظات : اولاً : كما هو ظاهر في هذا الجدول لا يمتزج من الادوار لتركيب اوزان البحور الا التي ذكرناها على سطر واحد فان موقع الوتد يجب ان يكون واحداً في جميعها - ثانياً : لكي يكون مصراع الوزن كاملاً يجب ان يكون عدد ادواره اذا كانت خماسية او ممتزجة اربعة واذا كانت سباعية ثلاثة والا فيعتبر مجزوءاً .

من بحثنا هذا يتضح ان للوتد في اوزان العروض العربي اهمية عظمى وانه في الدور كالروح في الجسد منه يقتبس حركة حياة منتظمة وكمال الاتساق والتوازن ورنّته المتينة العذبة ونغمة ايقاع موسيقي فريدة لا تجدها البتة في سائر اللغات القديمة والحديثة .

لكن كثيراً ما قد اساء الاستفادة من خلال الشعر النادرة هذه قائلو الشعر العربي فوضعوا فيها كل جماله واهملوا ما هو الاثمن والاسمى فيه اعني المعاني البديعة الجليلة التي تختلج في الفاظه الموزونة وبها تلج الى النفس والقلب فاننا نسمعهم في قولهم الشعر يضحون للذة رنته ما تحتويه معانيه من ثورات حسية وهزات العواطف السامية الشريفة فهم لا يعبأون البتة فيما تقتضيه هذه المعاني من حسن الوقف حيث يجب الوقف وتغيير نبرات الصوت مع اختلاف

١) نرى صواباً رأي الاب خليل اده بان يُميّز بين فاعلاتن (المضارع) وفاعلاتن (الرمل والمديد والخفيف والمجتث) فيُسمى الاول مثلاً مفعلاتن ويحفظ الثاني باسمه - كذلك التفعيل : مستفعلن (الرجز والسريع والبسيط والمقتضب والمنسرح) ومستفعلن (المجتث والخفيف) فيسمى الثاني : مفعولتن .

المعنى عاطفةً وتأثيرًا فيقطّعونه كما يقطع التلميذ الادوار عند تعلمه علم العروض تفعيلًا تفعيلًا مضحّين المعنى للوزن — والخدمة المعنى أوجد الوزن — مضحّين الروح للمادة والجوهر للعَرَض[1] .

---

١) وقد اعتاد كثيرون حتى في قراءة الكلام المنثور وفي الخطب نفسها ان ينشدوه انشادًا على لحن واحد ونغط واحد وهم يشبعونه تفخيمًا متلذذين بسماع الفاظه وتراكيبه غير مهتمين لما يحتويه من معانٍ كمن لا يفقه ما يقول ولا يرى فيما يقرأ الا جمال اللفظ والرنّة وهذا في القارئ امر عائب وللسامع مصدر تعب وسآمة .

اخبار العالم

اخبار دينية

عدد الكاثوليك في الولايات المتحدة : بلغ عدد الكاثوليك في الولايات المتحدة ٣٧ مليونًا اي انه ازداد ٨٨ بالمئة منذ سنة ١٩٣٦ اي بربع قرن وهكذا اصبح الكاثوليك في الولايات المتحدة اكثر عددًا من سائر الجماعات المسيحية الاميركية متفرقة .

تشيكوسلوفاكيا : في اواخر شباط الماضي كان يوجد بعد في تشيكوسلوفاكيا ثمانية اديرة فُرضت فيها السكنى الاجبارية على الفي كاهن خُصّص البعض منهم باشغال الحقول والاخرون بالعمل في معادن الاورانيوم . ومن اجل قلة الغذاء الذي يُعطَونه يُصاب عدد كبير منهم بداء السل. ولا يُسمح لهؤلاء الكهنة قط باقامة ذبيحة القداس الالهي لكنهم يُلزَمون على حضور محاضرات يومية تُعرض عليهم فيها المبادىء الشيوعية .

دعوة الى تكتل اسلامي أسيوي – عربي : بذل السيد ظفر الله خان جهودًا عظيمة لايجاد تكتل اسلامي اسيوي – عربي يصمد كقوة ثالثة ازاء العالم الذي انقسم الى شطرين غربي وشرقي. لذلك بعد عودته من اوروبا اخذ يتجول زائرًا دول الجامعة العربية الواحدة بعد الاخرى ثم تركيا وايران. قيل ان الاتراك لم يصغوا الى دعوته الا بكثير من التحفظ وقد اظهروا عدم ارتياحهم اذ سمعوه ملحًا باعلانه ضرورة القرآن كالاساس الوحيد الذي عليه يجب ان يرتكز بناء التمدن العالمي.

وكانت غاية ظفر الله في تجولاته هذه اعداد مؤتمر اسلامي يعقد في آخر اذار في مدينة كراتشي قاعدة العالم الاسلامي يحضره اعضاء الجامعة العربية السبعة مع اندونيسيا وايران وافغانستان وتركيا .

وام مساعي الوزير الباكستاني في هذه الفكرة الدكتور فاضل الجمالي وزير الشؤون الخارجية سابقًا في العراق.

المسيحيون في مصر : كانت حوادث ٢٦ كانون الثاني قد ادخلت الريبة والرعبة الى قلوب المسيحيين في مصر فاذا بالقائد الاعظم لحزب الاخوان المسلمين - وهو اليوم حزب سياسي قوي – قام يتغنى باخوة المسلمين والمسيحيين في مصر ويدعو هؤلاء الى السكون والسلام . وعقبه مفتي مصر الجديد مُعلنًا بان المسيحيين لا يمكنهم الا ان يحسوا بالاطمئنان والثقة في « حماية » المسلمين (كذا) : كلام ليته يتثبت بالاعمال لكن الاعمال لا يزال

المسيحيون يتطرفون عبثًا بل وقد حدث في هذه الايام ما ليس دليلًا على فاعليتها . تكلم قائد الاخوان المسلمين عن الاخوّة وهل اخوّة صادقة الا حيث العدالة والمساواة . اذن ما معنى مطالبة رئيسهم الاعلى حكومة بلاده بان تفرض في مصر « شرائع القرآن وفضائله وآدابه ركنًا وحيدًا للحكم واعتبارها الاساس الوحيد للعمران » ثم الاعلان « بانه لن يرضى قط بمساعدة اية حكومة مصرية لا تبني عليها وعليها وحدها بناء العمران والحكم » .

بالحقيقة لا ملامة على انسان يتمسك بعباداته ومعتقداته الدينية بل ان ذلك مما يشرفه . لكن ان يوجب فرضها على وطن هو للجميع وفيه للجميع الحق كما له الحق بالتمسك بعباداتهم ومعتقداتهم فان ذلك عين التعصب واذمّه .

هوذا حادث يسوءنا ذكره لكن لا بد لنا من اطلاع قرائنا عليه لاظهار صواب تخوف اخواننا المسيحيين في مصر :

منذ اسابيع قليلة اشترت شركة قبطية في شوبرا في ضاحية القاهرة ارضًا لبناء كنيسة واذا بجماعة من ذوي التعصب يسطون عليها ويأخذون ببناء جامع فيها . فرفع اصحاب الارض دعواهم الى القضاء فحكم لهم وردّ الارض اليهم . لكن المشاغبين عادوا واستردوا الارض بالقوة وتابعوا البناء وليس من يردعهم ويوقفهم عن العمل . . .

اخبار عالمية

الوزارة الجديدة في مصر : يظهر ان سبب استقالة الوزارة الماهرية في ٢ اذار خلاف نشب بين رئيسها والقصر . فان الملك بعد حوادث ٢٦ كانون الثاني رأى من الضروري ملاحقة المسؤولين عنها والمشتركين فيها ومعاقبتهم بصرامة ايًا كانوا ومهما ارتفع مقامهم . والحال ان بين هؤلاء شخصيات من اعضاء الحكومة الوفدية السابقة لم يرض ماهر باشا ان يتعرّض لهم .

اما رئيس الوزارة الجديد هلالي باشا فقد كان سابقًا من اعضاء الحزب الوفدي ومنذ سنة فُصل عنه لاستيائه من تصرف الحكومات الوفدية وقد اعلن منذ استلامه في ٣ اذار زمام الحكم بانه مصمم على اجراء الاصلاح الداخلي والتشديد في معاقبة مجرمي حوادث ٢٦ كانون الثاني .

ثم في ٢٥ اذار حلّ المجلس ولم يُعين بعد تاريخ للانتخابات الجديدة .

عدد سكان الارض : بموجب احصاء الاونسكو الرسمي كان عدد سكان الارض سنة ١٩٠٠ مليارًا وستمئة مليون والان بعد نصف قرن قد بلغ مليارين وثلاثمئة وتسعة عشر مليونًا : فتكون الزيادة سبعمئة وتسعة وسبعين مليونًا .

المهاجرون الفلسطينيون في لبنان : في سجلات لجنة الاسعاف بموجب الاحصاء الاخير يبلغ عدد المهاجرين الفلسطينين اليوم في لبنان مئة الف وثلاثة وثلاثين الفًا ومئة . منهم فقط ثلاثة الاف وتسعمئة وسبعون من الجنسية اللبنانية . وقد وجد عدد كبير منهم منازل لجأوا اليها الا خمسة وعشرون الفًا لا يزالون يأوون الخيام .

ينقسم هؤلاء المهاجرون الى مسيحيين وعدد هؤلاء تسعة وعشرون الفًا وستمئة وواحد وخمسون . اما عدد المحمديين فهو مئة الف وثلاثة الاف واربعمئة واربعون بينهم قليل من الدروز .

الاولاد اليونانيون المخطوفون : من هؤلاء الاولاد الذين سباهم الشيوعيون من بلادهم عاد في اذار المنصرم الى عائلاتهم اربعة وثمانون : فقط اربعة وثمانون من عشرين الفًا كانوا قد نزعوا بالقوة من وطنهم واهاليهم . والباقون اين هم وماذا يكون مصيرهم وما تكون تعاسة امهاتهم اللواتي لا يزلن يسفكن الدموع المرة على فقدهم . . .

هذا تمدّن عالم لا يعبأ بعد بشريعة انسانية كانت او الهية ولا بشرفه الانساني نفسه : لا يدين الا بمبادىء المنفعة المادية الذاتية . ان ذلك لرجوع بخجل الى حالة البربرية تفوق غيرها بشراستها اذ تستند في طغيانها الى قوى « المدنية العصرية ».

اسبانيا والجامعة العربية : لا تزال دول الغرب مُصرة على معاملة الحكومة الاسبانية معاملة شاذة وتنحيتها عن السياسة الدولية . لذلك قامت في هذه المدة الاخيرة تحاول الخروج من عزلتها حريصة على تمام حريتها ازاء الكتلة الغربية تأبى الانتماء اليها والتقيد المطلق بها .

هذا على ما نرى هدف زيارات السيد ارتاخو والبعثة الاسبانية التي يرئسها للدول العربية لمحادثة حكوماتها وتوقيع الاتفاقات الرسمية مع كل منها . وهكذا تظهر الحكومة الاسبانية ظهور وسيط بين الكتلة الغربية والشرق العربي .

بدأ السيد ارتاخو هذه الزيارات بلبنان في ٣ نيسان ومن لبنان انتقل الى سوريا في ١٨ منه ومن دمشق طار الى بغداد وسيتابع هكذا زياراته الى عواصم الدول العربية الاخرى .

مطبوعات شرقية

Choucri Cardahi : *Droit et Morale*, Le droit moderne et la législation de l'Islam au regard de la morale. — t. 1er : analyse critique et synthèse comparative des éléments de la responsabilité délictuelle en matière civile. — Annales de la Faculté de Droit — Beyrouth, 1950. 458 pp.

مأثرة قيمة في عالم المطبوعات

الحقوق وعلم الاخلاق – نشر الاستاذ قرداحي تحت هـذا العنوان في حوليات المعهد الحقوقي الفرنسي الجزء الاول من مؤلفه الواقع في جزءين وقد خصه بهذا البحث .

والعنوان الثاني : الحقوق الحديثة والتشريع الاسلامي في نظر علم الاخلاق يوضح ما يشتمل عليه الكتاب ولقد خصّ الجزء الاول ببحث المسؤولية المدنية ومبادئها . اما الجزء الثاني فيبين كيف كان الحقوقيون وعلماء الاخلاق يطبقون قواعد الحقوق التاقدية .

وفي توطئة مسهبة رائعة هي ثبتٌ للتعاليم والنظريات حول اساس علم الاخلاق وغايته سرد لنا المؤلف تاريخاً جليل الفائدة بعد ان عرض المسألة الجوهرية على الشكل التالي : ما هي الاسس التي تستند اليها الحقوق الوضعية ؟

وقد جهد علماء الحقوق مجهوداتهم في سبيل بحث هذه القاعدة الاساسية . اما الاستاذ قرداحي فلم يتوخَّ – كما قال – درس فلسفة النظام الحقوقي بذاته مجردًا عن كل اعتبار اخر بل هدفَ الى الاشارة الى النقاط التي يلتقي فيها القانون الغربي الصريح او الشرقي والتي يختلفان حولها مع مبادئ علم الاخلاق مهما كانت الناحية التي ينحاز اليها الحقوقي في ما يتعلق بمسألة اساس الحقوق الدقيقة وغايتها .

والملاحظة الاولى التي دبجها يراع الاستاذ قرداحي هي ان المدرسة العصرية الاميل الى المثالية تكتفي بان تطلب من الحقوق الطبيعية بعض المبادئ الجوهرية لتدع اهل الفن يستنبطون منها القواعد الفرعية فيطبقونها على الفروع الحقوقية على نقيض بعض المؤلفين كـكروتيوس (Grotius) وتلامذته الذين افرطوا مغالاةً بدور العقل وزعموا انه يحدّد القواعد الشاملة التي تتناول جميع الفروع الحقوقية.

ويلمح الاستاذ قرداحي في هذا الصدد الى اسماء اربعة مشاهير هم : جني (Gény) وهوريو (Hauriou) وريبرت (Ripert) وجوسران (Josserand) ويقيم التقارب بين تعاريف لوفور (Le Fur) الثانية وتعريف القديس توما لها وكلهم تفهم ان الحقوق تتجه نحو المصلحة العامة وتفرض سلفاً احترام القانون الطبيعي — وقد بسط مقابل ذلك قواعد الحقوق الاسلامية وخصائصها بالنسبة الى القانون الطبيعي كما تصدّى الى الحلول التي تطبقها المذاهب القرآنية الكبرى في هذا الموضوع . امـا التشريع الوضعي فانه من سوء الحظ يتجاهل احياناً اوامر الوجدان القاطعة من دون ان يستند الى مصدر اسمى على زعم منه انه كافٍ بنفسه ، على حين ان القانون كما يقرر القديس توما ليس امراً عددياً لان ذلك لا يدخل تحت طائل علم الاخلاق وانما هو ايضاح للعدل وتنظيمه في مجموعة قوانين لولاها لاصبح العدل طغياناً .

وعلى ما في تقارب بين علمي الحقوق والاخلاق فانهما يختلفان في نقـاط عدة كما اوضح الاستاذ قرداحي في اثناء استيفاء بحث موضوعه ... اما علم الاخلاق المسيحي فلا يعتبر عامةً اساساً للمسؤولية المدنية الا الخطأ اللاهوتي بينما يلقي القانون الوضعي المسؤولية الخارجية احياناً على عاتق الفرد من دون ان تكون ثمة هفوة حقيقية منه كما هو الامر في نظرية الطوارئ .

وقد عمد الاستاذ قرداحي في هذا الشأن الى تحليل غزير المعلومات متعرضاً لاحكام القضاء العديدة مستشهداً من جهة برأي المؤلفين ومن الاخرى برأي اللاهوتيين .

واننا لنعجز في هذه السطور الوجيزة عن ان نفي ما لهذا المؤلف القيم من اهمية فلذلك نلفت اليه انظار جميع من يعنون بهذا الموضوع — وهم كُثُر — ونتوجه بتهانينا الحارة الى العلّامة المؤلف . ا. ن.

تاريخ العرب قبل الاسلام

تأليف جواد علي

الجزء الاول (القسم السياسي) بغداد ١٩٥١ مطبعة التفيض ، ٤١٨ص ، ٢٤ × ١٦،٢ سم .

هذا اول جزء من سفر سوف يملأ عدة مجلدات ، في تاريخ العرب قبل الاسلام ، قد تبناه المجمع العلمي العراقي واخذ في نشره في مطبوعاته وعلى نفقته

والسفر سوف يتألف كاملًا من ثلاثة اقسام يتنـاول القسم الاول منه الحالة السياسية للعرب قبل الاسلام ، والجزء الذي نحن بصدده هو الاول من هذا القسم وسيقع في اجزاء ، وسيتناول القسم الثاني الحالة الدينية ، والقسم الثالث الحالة الثقافية وحضارة شبه الجزيرة العربية .

انا نرحب بمثل هذا البحث ويجب عليّ كل صديق للعرب وغيور على استطلاع تاريخ البشر ولا سيا في بقاع هذا الشرق ان يشاركنا هذا الشعور وان يشكر واضع الكتاب على مجهوده العلمي والمجمع العراقي على مؤازرته وتشجيعه.

ليس معظم هذا الجزء الا تمهيدًا واسعاً لما سيتلوه من اجزاء يذكر المؤلف فيه مصادر تاريخ الجاهلية ويستعرضها استعراضاً شاملًا ومرتباً ترتيباً علميًا لا نعرف له مثيلًا في العربية . ومن هذه المصادر النقوش والكتابات الحجرية التي عثر عليها العلماء فكانت لهم حافزًا على المضي في البحث والتنقيب، ومنها ما ذكرته التوراة والتلمود والتفاسير والكتب العبرانية ، ثم ما ذكره مؤرخو اليونان والرومان والنصارى الروم والسريان، واخيرًا ما جاء به مؤرخو العرب المسلمون في هذا الباب . وهو ، كما يقول المؤلف (ص١٠) اضعف قسم طرقه كتبة العرب فيعوزه التحقيق والتدقيق والغربلة . لانهم انصرفوا عن الاهتمام بتاريخ العرب قبل الاسلام لاعتقادهم ان الجاهلية افسدتها الوثنية وان الاسلام يهدم ما قبله . ولما توطدت اركان الاسلام وتلاشى خطر الوثنية على الدين الجديد راح المسلمون يتفقدون آثار الجزيرة انما اجتزأوا بآثار اللغة التي تيسر عليهم تفهم القرآن فحسب. فاذا استثنينا الاحاديث التي يرتاح المؤلف في الجملة الى صحتها في حدود معينة فلا يمكننا ان نرجو كبير فائدة من آثار اخباريي المسلمين . ومما يجدر ان ننوه به ان المؤلف لا يكتفي باستعراض المصادر انما يرفقها بنقد وجيز رصين يبين صحة كل منبا وقيمته العلمية. فالقارىء يجد في الفصل الاول مختصرًا جامعاً لاسماء السياح المستشرقين والالسنيين وللابحاث والمؤلفات التي وضعوها عن الجزيرة منذ القرن الثامن عشر الى ايامنا هذه حيث اخذت البعثات العلمية تزداد نشاطاً وتشوقاً الى استجلاء ماضي العرب القديم .

ويتبع ذلك فصل ثان في طبيعة الجزيرة الجيوغرافية والجيولوجية وفي مختلف

اقساما من حرار ونفود ودارات وانهار واودية وجبال . ثم يفرد فصلًا عن صلات العرب بالساميين فيستفتي العلماء رأيهم في اصل الساميين ، اتراهم خرجوا قديمًا من جزيرة العرب ام جاؤوها من الشمال ذاكرًا رأي نلدكه القائل بان اصلهم في افريقيا ، ورأي فلبي القائل بان اصلهم في جنوب الجزيرة ، ورأي موسيل القائل بان الادلة الجيولوجية والتاريخية واللغوية غير وافية للبت في الموضوع . فيشير المؤلف بالتوقف في الرأي ريثما تتوفر الادلة الثابتة القاطعة . ثم يعرض لاصل الاقلام العربية ويعدد ما عثر عليه البحاث من اقلام كالمسند والثمودي والصفدي واللحياني والنبطي وينتهي الى ان اصل القلم العربي قبل الاسلام لا يزال سرًا ينقصه التعليل الوافي . ثم ينتقل طبعاً الى اصل الابجديات ويعالجه بنفس المنهج الدقيق وبتوسع فيذكر الابجديات المتفرعة عن اصل هيروغليفي او مباري (راس شمرة) ويبحث صلة القلم المسند بها فلا يخلص الى نتيجة حاسمة . انما هيأ ببحثه لرغيب العلم الاطلاع على الحالة كما تبدو اليوم للعلماء وانار الطريق لمواصلة السير الى الامام في التنقيب .

ولعل اطرف فصل في الكتاب هو الفصل الرابع الذي تصدى فيه الى درس اصل قبائل العرب وطبقاتهم وانسابهم درساً دقيقاً جديداً الى حد كبير فيرى ان تقسيم العرب الى قحطانيين وعدنانيين تقليد لا يستند الى علم . وان الانساب مستقاة في الاسلام من معين ولحد هو اهل الكتاب مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام، ثم اختلطت روايات هؤلاء بروايات فارسية فاندمج ادم في « كيومرث » ونوح في « افريدون » الخ . . . ويتصفح بعد ذلك ما بلغنا من المعلومات عن العرب البائدة مثل عاد وثمود الخ . . ويبين كيف خلط الاخباريون في منشأها ومقامها ، وعن قحطان او العرب العاربة وما يعتور تاريخها من غموض وتلفيق وتشويش اذ لا نعرف عن قحطان اكثر مما يردده الاخباريون اخذًا عن اليهود بانها يقطان التوراة . اما حضرموت فمعلوماتنا عن هذا الشعب حسنة بفضل الكتابات الجاهلية التي ترجم عددًا منها المستشرقون (ص ٢٧٤) وسوف يتحدث عن حضرموت في فصول الكتاب المقبلة . ثم انه يذكر شيئاً عن الحياة الاجتماعية كالمفاخرات والثمار والاحلاف والعصبية والحرية. ويختم هذا الفصل بقوله : « جعلت هذه الفصول تمهيدًا للفصول القادمة عن تاريخ

العرب قبل الاسلام ، وهذه الفصول التي سترينا صورة جديدة غير مألوفة عند الكثير منا عن تاريخ العرب ، سترينا ان ما قيل عن جهل العرب وعزلة شبه جزيرتهم وانكماشها عن بقية اجزاء العالم وعن عدم مشاركتها في التاريخ العالمي وفي الثقافة الانسانية قبل الاسلام ، هو شيء لا يستند الى اساس » (ص٣٧٢). ويشرع بعد هذا التمهيد الطويل في فصل اخير (ص ٣٧٥–٤١٣) في الكلام على تاريخ الدولة المعينية بحصاً ما نعرف عن اسمها ورقعتها وملوكها والهتها وعن نشأتها ثم ازدهارها فافولها .

فالكتاب يشبه موسوعة زاخرة بالمعلومات التي تكاد تكون شاملة لما كتب علماء الغرب عن الجزيرة من المان وانكليز واميركان خاصة . ويسير المؤلف على المنهج العلمي الحديث الذي يتميز بعرض الاراء بامانة ونزاهة وبمناقشتها مناقشة دقيقة مع الدلالة على مواضعها في الكتب . لذلك كثرت في الكتاب الحواشي والمراجعات حتى كادت تتساوى مع النص ودلت على جهد كبير اقتضى من المؤلف خمس عشرة سنة بذلها في جمع هذه المعلومات وترتيبها. ولم يكن الامر بالسهل لان المادة غزيرة متشعبة ولا تزال « عاماً » الى حد كبير. لكنه شق الطريق وعبدها ما امكن لمن يحسّ من نفسه ميلاً الى اقتفاء اثره ومواصلة السعي بعده .

ونشير الى ان الكتاب مزين بخريطة الجزيرة وبجداول للابجديات العربية وبتصاوير مختلفة لكتابات ونقوش ومذبح . ولا يخلو كتاب كهذا من بعض اغلاط وتشويش في بعض صفحاته على انا نأسف لتأجيله سرد اسماء الكتب التي استعان بها والرموز التي وضعها لها لان القارىء كثيراً ما يضطر الى اعادة تقليب الصفحات ليهتدي الى المرجع المشار اليه باختصار . كما انا نرغب اليه في زيادة عدد الخرائط وتقسيمها الى اجزاء مكبرة تتناسب مع الفصول . لان جغرافية الجزيرة مجهولة لغالبية القراء .

ي . ع .

المشرق

السنة السادسة والاربعون

تموز – آب ١٩٥٢

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

بعد المستظهر المسترشد ابنه

تولّى سبع عشرة سنة وثمانية شهور . ولمّا بويع بالخلافة حطم خوابي خمر وافرةً كانت لابيه وأتلفها . وطرد المطربين والمطربات من البلاط . ورأى أباه في الحلم يقول له : أخرِجني من عندك لئلّا آخذك اليّ . فاضطرب ونقله ودفنه في مكانٍ آخر . وجعل بيدي التصرّف . وكبس دار المحامي ابي طاهر ابن احمد وعثر فيها على بيعة بما فيها من آنية المذبح وقال له : ما هذا ؟ فقال : كانت لي زوجة نصرانيّة صنعت ذلك دون معرفتي .

وفي السنة ٥١٢ للعرب (١١١٨م) احتلّ (٢٨٢) حرّان الامير ايلغازي بن ارتق وأورتق شيوخها المشاهير رقاضيها . وكان صاحب حلب قد سبق فدفع لرجير صاحب انطاكية ذهباً وافراً ولم يقدر ان يهادنه الّا اربعة اشهر فقط ريثما أقبل الحصاد ورُفعت البيادر فعاد رجير الى حلب وحاصرها فاستغاث الحلبيُّون بالامير ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين فحشد سبعة آلاف تركيّ واقبل يناوش الفرنج حتى كسرهم وقُتل رجير في المركة وانهزم سائر الفرنج الى انطاكية . فزحف اليها الاتراك واحتلّوا ضواحيها وفتكوا برهبانٍ كثيرين في الجبل الأسود . وبلغ بغدوين الثاني ملك اورشليم مما صار فتتبّع الاتراك . وكان كناؤهم قد اجتاحوا الرجّالة الفرنج وانقضّ عليهم وبطش بهم قاطبة . ثم عاد يريد ايلغازي واستنقذ الغنيمة من يديه ورجع بها الى انطاكية . وذكر البطريرك ميخائيل المغبوط ان غازي بن دنشمند هو الذي كسر الفرنج وقتل رجير . ولعلّ تشابه الاسمين اوقعه في الخطأ والغلط .

وفي هذه السنة احتلّ صاحب ملطية بلد جيحان وابلستين وقلعة قطيمة . وفي شباط تلك السنة غزا الفرنج بلد ملطية وغزا الاتراك بلد جرجر . وغزا صاحب ملطية بلدة قاح فسار صاحبها الى طرابزون واستغاث باليونان فبعثوا معه القائد جبراس . فناوشه صاحب ملطية وبلك وظفروا به واعتقلاه فدفع لهما ثلاثين الف دينار وعاد الى وطنه . وانتزع ايونيّ ملك قسطنطينية ثلاثة حصون من الاتراك . وأحرق ايلغازي غلّات بلد الرها . وغزا ضواحي انطاكية . ومات طغتكين صاحب دمشق وخلفه ابنه فحمل عليه التنطاش التركيّ وبطش به وتولى مكانه .

وفي السنة ٥١٥ للعرب (١١٢١م) انتقض الملك مسعود في الموصل على اخيه السلطان محمود دون موافقة الامير زنكي . وحشد الجيوش ونازل اخاه السلطان فكسره السلطان وقبض عليه واوثقه بالأغلال . وولّى الامير برساقي بلاد الموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبعثه اليها .

وارسل ملك قسطنطينية اليوناني في تلك الغضون الى ايلغازي بن ارتق يقول : ان جماهير غفيرة من الفرنج خرجوا من البحر الى سوريّة فيجب ان

نستمدّ لمقاتلتهم . واذا احتجتَ فاني منجدك بثلاثين الفاً . فسارع ايلغازي وسدّ الموانئ واجهز على الكثيرين من الفرنج وتقهقر البقيّة الى فروجية . وتمّ ذلك بدسيسة اليونان المكّارين.

وكان ارمن جرجر يتلصّصون يومئذٍ في اطراف حصن زياد وبولا وملطية فأرسل بلك الامير التركيّ الى ميخائيل الارمنيّ صاحب جرجر يعده بان يؤدي له كلّ سنة الف حمل حنطة وثلاث قرى من قراه بشرط ان يمنع اصحابه عن التلصّص. فأقسم له ميخائيل في ذلك غير مرّة ولكنّه حنث في قسمه فكانت الحنطة تصل اليه ولصوصه يواصلون احراق القرى في هنزيط . وعند ذلك عبر بلك جليد الفرات الى جوبلس في شباط وكانت الثلوج متراكمة في الجبال فوجّه الف حصان قطعت جبل قريونا الشاهق وشقّت الثلوج فسارت الجيوش التركيّة ووصلت في يوم واحد الى دير برصوما . وفي تلك الليلة شق الاتراك جبل الجدار في جرجر وانقضّوا صباحاً على ملطية المنكودة الحظّ وغزوا ضواحيها يوم الاثنين اوّل كانون الثاني ١٤٣٢ لليونان (١٢٢١ م) واجتاحوا الاهالي والبهائم وانطلقوا . وأشفق بلك على الفلّاحين المسيحيّين وترك لهم مالهم كلّه وذهب بهم الى هنزيط وشدّد عليهم الأمر بان لا يعودوا الى جرجر والّا فانه متى اقبل ثانيةً الى تلك النواحي فلن يشفق عليهم.

وفي السنة ١٤٣٣ لليونان (٢٨٤) (١١٢٢ م) وجّه السلطان محمود جيشاً ضخماً من الاتراك الى بلد الكرج فأوصد الملك الثغور وفتك بالكثيرين منهم. وغزا جوسلين الفرنجيّ بلد جوبلس . وفي هذه السنة مات ايلغازي بن ارتق.

امّا جوسلين فبعد وفاة امرأته اقترن بابنة رجير صاحب انطاكية واراد ان يأخذها معه الى الرها . لكنّ بلك اقام لها كمناً. قبضوا عليها ومضوا بها الى برلا . وتخلّى ميخائيل الارمني للملك بغدوين عن جرجر على اثر تغلّب الاتراك عليه واكتفى بموضع آخر.

وفي السنة ٥١٧ للعرب (١١٢٣م) شخص ابن شهرزوريّ قاضي الموصل الى بغداد وأدّى للخليفة خمسة آلاف دينار واحتلّ غربي دجلة كلّه من حدود الموصل حتى البصرة.

وكان الفرنج في السنة ١٤٣٤ لليونان (١١٢٣ م) مخيّمين في شاطئ نهر سنجا فانقضَّ عليهم كمين بلك الامير التركي وناوشهم وقبض على الملك بغدوين يوم الاربعاء من اسبوع البياض . وتأهب القمصان جوسلين وغالران كل الصيف لمنازلة الاتراك حتى تلاقى الجيشان في ايلول . فانكسر الفرنج واعتُقل القمصان ليلة عيد الصليب وسجن بلك ثلاثتهم في جبٍّ بقلعة خرتبرت وهي حصن زياد . ولمَّا عرف بعض القَتَلة الارمن ان ليس في القلعة الَّا القليلون احتشدوا في بابها يتذمَّرون بسبب اجرتهم . ثم وثبوا وانتزعوا ما هناك من السيوف وفتكوا بالحرَّاس الاتراك . وسادعوا الى الجبّ فانتشلوا الملك بغدوين وجوسلين وغالران واجهزوا على العرب واحتلّوا القلعة . ثم احتال جوسلين فغادر القلعة ليلًا مع رجل ارمنيّ وذهب ليأتي بجيشٍ يحتلّ القلعة ان تيسَّر او ينقذ الملك بغدوين . غير انه ما كاد يخرج جوسلين (١ ٢٨٥) حتى وصل بلك وصوَّب المنجنيقات نحو القلعة واحتلها وقتل سبعين من الفرنج والارمن. واخذ الملك بغدوين وابن اخته غالران ومضى بهما الى منبج وحاصرها فرماهُ احدهم من السور بسهم قضى عليه وانهزم عساكره الى حلب وولّوا تيمورطاش ابن عمّه زعامتهم فباع الاسيرَين بمائة الف دينار . وعاد بغدوين الى اورشليم . وتولّى حصن زياد سليمان نسيب بلك وتولّى صاحب ملطية ساروا وجرجر .

وظهر نجم ضخم طوله من الجنوب الى الشمال . وعرضه كرقبة حصان وظلَّ مدَّة شهرين .

ويوم الجمعة ١٣ حزيران ١٤٣٥ لليونان (١١٢٤م) انقضَّ على ملطية الامير غازي بن دنشمند صاحب سبسطية واجتاح ضاحيتها كلّها وحصر المدينة شهرًا واحدًا . ثم ترك في قرية سامان ابنه محمّدًا مع جيشٍ كثيفٍ وأمر بمتابعة الحصار دون ان يَدَع احدًا يدخل المدينة او يخرج منها. وكان عَرَب صاحبها غائبًا يتلصّص بلد دنشمند ويجتاحه . وتفاقم جوع الملطيّين حتى بيع قفيز الحنطة اعني حمل الجحش بستّة وثلاثين دينارًا ذهبًا . وفني القوت اخيرًا بالمرَّة وجعل الاهالي يَبلّون الجلود الليّنة وغُلُفَ الكتب والأحذية ويسلقونها ويأكلونها . واضمحلَّت السنانير والكلاب والحمير اضمحلالًا تامًّا . هكذا انتابت ملطية

التاسعة ثلاث ضربات أليمة : السيف يفتك بكل من يغادرها والجوع يجتاح مَن في داخلها وايزابيل الثانية امّ السلطان التي فرّت من الموصل تشدّد على الاعيان لتسلبهم الذهب وتنهزم او تجتاحهم قاطبةً وتنطلق .

وظهرت يومئذٍ نجوم تتساقط من السماء .

وحين ذاك تحنّن الربّ (٢٨٦) على خصاصة المسيحيّين فارتحلت تلك الملعونة مع ابنها ليلة الاربعاء عاشر كانون الاوّل ١٤٣٦ لليونان (١١٢٥ م) ودخل الامير غازي وشاهد البقيّة الباقية كأنّها خارجة من القبور بسبب الجوع. وأبدى للجميع كلمة التشجيع والتسلية وأعطى الفلّاحين حنطة ليزرعوها واستحضر البقر والثيران والاغنام حتى انتعشت المدينة .

وذكر البطريرك ميخائيل المغبوط ان الخليفة المستظهر مات في هذه السنة وخلفه ابنه المسترشد . ولعلّه اخطأ في روايته بسبب اختلاف سَير اعوام العرب القمريّة واعوام اليونان الشمسيّة .

وفي السنة ١٤٣٧ لليونان (١١٢٦ م) فتك الفرنج في كفرطاب بصاحب حماة واحتلّوا جبلة وشدّدوا على صور حتى وصلت مراكب البندقيّين الفرنج واقبل ملك اورشليم الى مساعدتهم واحتلّوا المدينة بعد معارك طاحنة.

وحشد الملك عَرَب جنوده وحمل على اخيه مسعود سلطان قونية لاتفاقه مع ابن دنشمند . فانهزم مسعود الى قسطنطينية ورحّب به ابوتي ملك اليونان ترحيباً جميلاً واعطاه ذهباً وجيشاً كثيراً فخرج قاصداً غازي ثم انطلقا معاً يريدان عَرَب فانهزم عرب الى بلد تورس الارمنيّ صاحب قيليقية.

وفي السنة المذكورة ظفر عشرة اسمعيليّين على آقسنقور برسوق أمير الموصل وهو في مسجدها الكبير القديم فنهض وبطش بثلاثة منهم ثم حمل عليه بقيّتهم وقتلوه . وخلفه عزّ الدين مسعود ابنه في الموصل وجزيرة قردو وما بين النهرين وحلب وحماة وغيرها . وعاش سنةً واحدة ومات . وخلفه اخوه الصغير يناظره الامير جاولي التركيّ احد عبيد ابيه برسوق . وهذا جاولي ارسل أبا الحسن عليّ بن شهرزوريّ قاضي الموصل وصلاح ياجوبساني بمثابة سفيرَين الى السلطان

في بغداد تأييداً لابن برسوق الصغير في الولاية . غير انهما قالا للسلطان : ان الموصل في حاجة الى رجل (٢٨٧) منجذ في الحرب يستطيع مناهضة الفرنج الذين زعزعوا العرب جميعاً . وأشارا الى اتابغ زنكي بن قاسم الدولة آقسنقور وكان شحنة في واسط وبغداد . فوافقهما السلطان وكتب له فرماناً ووجّهه الى تلك المدينة . فمرّ ببلدة بيت وازيق واحتلّها ولمّا بلغ الموصل بعث جاولي الى الرحبة وولّى صلاح ياجوباني حراسة القلعة ونصب ابن شهرزوري قاضياً على الموصل وملحقاتها يخلفه في القضاء نسله على كرور الزمان . وتولّى زنكي كذلك الجزيرة واربيل وسنجار والرحبة وحلب وحماة وحمص.

وفي السنة ١٤٣٨ لليونان (١١٢٧م) أقتتل غازي وعَرَب كذلك فانكسر عَرَب ولحقه غازي وابتزّ خيامه وانطلق الى قومانة وانقرة وحاصرهما حصاراً شديداً حتى احتلّها وأخرج محمّداً ابنه وكان ملك عَرَب قد حبسه هناك . ثم حشد عَرَب الجيوش ثانيةً وزحف يريد غازي فانكسر وانهزم الى بلاد اليونان وضاع خبره .

وفي السنة المذكورة أقبل من رومية بوهيمند بن بوهيمند الفرنجيّ ووصل الى انطاكية وتولّى امرها . وثار خلاف بين الفرنج فغزا جوسلين ضواحي انطاكية كلّها . فسخط عليه بطريركهم وأغلق ابواب الكنائس وأبطل قرع النواقيس والصلوات ريثما ردّ جوسلين الغنيمة بأسرها .

وفي السنة ١٤٣٩ لليونان (١١٢٨م) قرّر الحلبيّون ان يؤدّوا لجوسلين كلّ عام اثني عشر الف دينار خوفاً منه لئلّا يضيّق عليهم . واذ ذاك أغوى بعض اتراك حلب فريقاً من طبّاخي الفرنج ودفعوا لهم ذهباً فسقوا جوسلين وستّة من فرسانه سمّاً قضى على حياة الستّة وصانت العناية الالهيّة جوسلين وعالجه الاطبّاء حتى تعافى فقتل الذين سقوه السمّ وفتك باولادهم جميعاً .

وفي هذه السنة سار طغرل ارسلان الى ملطية (٢٨٨) وكانت قد انتُزعت من يده فغزا اطرافها الخارجيّة وانقلب وضاع خبره .

وفي السنة ١٤٤٠ لليونان (١١٢٩م) وصل جوسلين الى آمد وغزا التركمان والاكرادَ في جبل آشوم ونهب قرى آمد حتى بابها .

وفي السنة عينها بلغ زنكي ان السلطـان ينوي ان ينصب دُبَيس زعيم المدّيين اميرًا بدلًا منه في الموصل . فانحدر الى بغداد وتذلّل له وأدّى له مائة الف دينار وتوسّل اليه ليؤيده في مكانه . وقدّم للخليفة هدايا وافرة كي لا يَدَع لدُبيس مكانًا يتولّاه البتة. وكان قد جرى بين الخليفة ودُبيس وقائع كثيرة حتى انضمّ الى السلطان وازدراه وسار الى بغداد وجعل يركب غاديًا رائحًا مطمئنًا مستحقرًا الخليفة . ولمّا مرض السلطان سرق دُبيس ابنه الصغير وانهزم فغزا الكوفة والبصرة والحلّة وحشد ذهبًا وافرًا وضمّ اليه عشرة آلاف فارس مضى بهم الى البرّية . وقس على ذلك حِيَلًا جمّة لا يسع هذا المؤلّف الوجيز استقصاءها فاضربنا عن سردها . وقيل انه في عراكٍ جرى بين الخليفة ودُبيس انكسر دُبيس وسقط اصحابه جميعاً وأفلت وحده وعبر الفرات على ظهر حصانه . فشاهدته عجوزٌ مدّية وقالت له بطمأنينة : هل حضرت يا دُبَير ؟ اعني يا تاعس الحظّ . فتبسّم دُبيس ولم يسخط عليها وقال لها : ان التاعس الحظّ هو من يتغيّب ولا يحضر !

ودارت رحى الحرب في هذه السنة بين الفرنج والاسمعيليّين واجتاح الفرنج منهم زهاء عشرة آلاف واحتلّوا ما كان بيدهم من الحصون الكثيرة في فينيقية. ووقع رعب الفرنج في قلوب عرب سورية جميعاً . وسار الفرنج الى دمشق وضيّقوا عليها ثم فرضوا على اهاليها عشرين الف دينار في السنة جزيةً وتركوهم (٢٨٩) وانصرفوا.واستولى الفرنج في تلك الاثناء على جميع البلاد من ماردين وشبكتان حتى عريش مصر.ولم يبقَ للعرب في سورية الّا حلب وحماة وحمص ودمشق تؤدّي باجمعها الجزية للفرنج . فكانوا يأخذون من حلب نصف غلّاتها حتى من الرحى التي بباب الجنائن . ووجّهوا وفودًا الى دمشق أحصوا كلّ من فيها من العبيد النصارى ونقلوا كلّ من لم يشأ الاقامة مع العرب دون ان يدفعوا شيئاً من الاثمان لمواليهم.ووصلت جيوش الفرنج الى آمد ونصيبين وراس العين . وأمسى اهالي الرقّة وحرّان بسببهم في ضنكٍ شديد. وتعذّر على العرب السفر من المشرق الى دمشق الّا في طريق البادية.

وفي السنة ١٤٤١ لليونان (١١٣٠م) مات تورس والي تيليقية وخلفه لاون

اخوه وناوشه بوهيمند الفرنجيّ صاحب انطاكية.

وفي ٨ اذار السنة عينها وهي السنة ٥٢٤ للعرب حدثت زلزلة عنيفة في بغداد قوّضت مساكن كثيرة. وظهرت في الموصل سحابة كثيفة صبّت وابلًا من الامطار تبعتها جمرات نارية هائلة هبطت من الجوّ الى الارض واحرقت دورًا شتى مع اثاثها.

وفي هذه السنة سار قسيانس الزعيم اليونانيّ يريد غازي بن دنشمند وسلبه حصونًا كثيرة في بلاد البنطس وتولّى قبدوقية باجمعها وحشد جيوشًا كثيفة وزحف الى قيليقية ليغزوها. وحدث ان بوهيمند صاحب انطاكية دخلها من ناحية اخرى دون ان يشعر احدهما بصاحبه. وعند ذاك اشتعلت الحرب بين الاتراك والفرنج وظلّ لاون الارمني قابعًا لم يتعرّض للخصمين. فتغلّب الاتراك واجهزوا على بوهيمند يجهلون انه الملك. امّا لاون فأغلق الثغور تجاه الاتراك وفتك بكثير منهم.

وفي السنة ٥٢٥ للعرب (١١٣٠م) قبض صاحب دمشق على دُبيس المدنيّ وأوثقه وبعثه الى زنكي (٢٩٠) صاحب الموصل واسترجع ابنه المأسور لديه.

وفي السنة ١٤٤٢ لليونان (١١٣١م) اقبل ملك اورشليم الى انطاكية وجاء اليها كذلك جوسلين من الرها فأغلق الانطاكيّون الابواب في وجههما حتى أبرما بقسم ان تبقى المدينة لابنة بوهيمند ريثما تترعرع وتتزوّج فيكون زوجها خلفًا لوالدها في انطاكية.

ودخل الامير غازي بن دنشمند قيليقية ودوّخ بعض الحصون. فتدخّل له لاون الارمنيّ وحالف ان يمنع لصوصه عن العبث في بلده. وان يؤدّي له الجزية سنةً فسنةً. لكنه أخلف في قسمه ثانيةً ولم يؤدِّ له شيئًا.

وسار اسحق اخو ملك اليونان الى قيليقية وزفّ ابنته الى لاون المذكور واعطاه المَصيصة وآطنه بدلًا من جهازها. ثم حصل بينهما نزاع وانهزم اسحق وابنه الى بلد سلطان قونية.

وتوفّي جوسلين وخلفه في الرها جوسلين الثاني. وفي تلك السنة غادر السلطان محمود مدينة بغداد وتوجّه الى خراسان. فاقبل اليه مسعود اخوه

واستعطفه وحمل امامه غطاء السرج فتلاثما. وولّاه السلطان محمود شؤون البلاد والعساكر وركب الى همذان ومات هناك بالغّا الثامنة والعشرين. فثارت الخصومة بين داود ابن السلطان محمود وبين مسعود وسلجوق شاه وطغرل وكان طغرل مع الملك سنجر عمّهم . وارسل الثلاثة الى الخليفة يطلب كلّ منهم السلطنة لنفسه . فوافق الخليفة اوّل بدء على سنجر وبعث الى البقيّة يقول : فليأتِ اليَّ مَن يوافق عليه ويدفع له كتاب الرضى فاقبله انا كذلك . ثم كتب الى سنجر يقول: اننا لن نريد غيرك ولن نسمح لاحد ان يتسلّط دونك. ولمّا بلغ مسعودًا جواب الخليفة سار الى الموصل يريد زنكي وسأله(٢٩١)ان يسعفه بمالٍ يؤدّيه للخليفة ويسلّمه لدُبيس زعيم المدّيين ليذهب به اليه وبذلك يصنع اليه جميلًا. امّا زنكي فقال : اني ادفع خمسين الف دينار ذهبًا وكلّ ما تشاء من عبيد وجوارٍ وخيل ولكني لا اسلّم دبيس اصلًا لان السلطان سنجر نهاني عن تسليمه ولا يتيسّر لي ان اخالف امره . فارتاب مسعود وخرج فاقام غربي الموصل. واغلق زنكي ابواب المدينة ورحّل جميع المساكين الذين يتعذّر عليهم ان يعيشوا في الحصار وتحصّن هو في القلعة. امّا مسعود فلم يحارب الموصل بل انحدر الى بغداد وارسل يقول للخليفة : ان ناديتم باسمي اصبحتُ صديقًا وطائعًا والّا فليس لكم عندي الّا السيف .

فبرز عساكر بغداد وتعاركوا مع عساكر مسعود فكسروا وانكسروا . وجاءت الاخبار في اثناء المعركة بان سنجر قادم الى بغداد في جيوش ضخمة. فتخوّف البغداديّون ورأى الخليفة ان مسعودًا أقوى من سنجر فعاهده وأدخله وأقامه في القصر الملكيّ واتّفق الجميع على مناوشة سنجر.

وفي السنة ٥٢٦ للعرب (١١٣١م) وصل سنجر الى همذان واحتلّها ونادى فيها باسم طغرل بن محمود وكان معه . امّا مسعود قائد جيش الخليفة فتوجّه كذلك الى همذان متتبعًا جيوش سنجر . وارسل الى الخليفة ليذهب بنفسه الى مقاتلته . ولمّا تهيّأ للرحيل وصل الخبر بان زنكي ودُبيس المديّ قد اتّفقا وعوّلا على النزول الى بغداد . فعاد الخليفة الى داره لتستعدّ لمحاربتهما . ثم برز في الفين من جيشه وتغلّب عليهما . وانهزم زنكي الى تكريت ودُبيس الى

سواحل الفرات . وارسل زنكي القاضي ابن شهرزوري الى الخليفة يستغفره وينتظر أمره ليذهب (٢٩٢) اليه ويتولى شحنة بغداد من قبل سنجر . فقال الخليفة للقاضي : ان سنجر لا سلطنة له عندنا ولا نقبل له شحنة . واذا احب زنكي مصالحتنا لزمه ان يسلمنا دُبَيس ويمكث هو في الموصل مطمئناً والّا فاننا زاحفون اليه .

وفي الشهر الاوّل من السنة ٥٢٧ للعرب (١١٣٢م) دخل السلطان مسعود بغداد ونودي بعد الخليفة وابنهِ باسمه واسم سنجر واسم داود معاً : ثلاثتهم سلاطين . وزحف الخليفة المسترشد الى الموصل وحاصرها ثمانين يوماً فامتنعت عليه . وبلغه الخبر بان السلطان مسعوداً انتقض عليه فترك الموصل وكرّ عائداً الى بغداد .

امّا جوسلين الثاني فاحتلّ قلعة شبكتان وقوّضها تماماً . وزحف ايرنيّ ملك اليونان ودوّخ حصن قسطونة وانتزعه من الاتراك صلحاً . واحتلّ حصنَين آخرين عنوةً . واحتلّ بغدوين ملك اورشليم الفرنجي قلعة القصير بجانب انطاكية عنوةً . وسار الى عام فاحتشد هناك الاتراك كالجراد ليقاتلوا الفرنج . وانهزم الفرنج في اول الامر حتى استدرجوا الاتراك الى البقاع ثم انحدروا وتصالحوا وتصافحوا وحملوا جميعاً على الاتراك حملة واحدة وضربوهم ضربةً قاضيةً حتى المساء . وتمّ ذلك عام ١٤٤٥ لليونان (١١٣٤م) .

وفي تلك السنة ظهر جراد كثير ببلد الرها . واستغاث المسيحيّون بالصفي برصوما[1] وارسلوا فاستحضروا صندوقة ذخيرتهِ . فارتحل عنهم الجراد باعجوبةٍ ولم يؤذِ البلد كلّه اصلاً . فظنّ الروم وسخطوا وحرّضوا بيبوس مطران الفرنج ليفتح الصندوقة ويشاهد الذخيرة . لكن الرهبان أبوا ذلك فجعل الروم يستهزئون (٢٩٣) ويقولون : لا شيء في الصندوقة . واضطرّ الرهبان اخيراً ان يفتحوها في بيعة الفرنج . وحدث للحال رعدٌ هائل وتلبّدت سحب سوداء في الجوّ وهبط

١) ان برصوم هذا كان من الراهبين بالطبيعة الواحدة . وقد حرمه المجمع الخلقيدونيّ المسكونيّ عام ٤٥١ بحضور ستمائة وستة وثلاثين اسقفاً . وكان ابو الفرج الملطيّ مؤلف هذا التاريخ من ناصري ذلك الزعم .

بَرَد قتّال ملأ الشوارع واخذ الشعب كافّة يصرخون كيريالسون ارحمنا يا صفي الله ! امّا اليونان فانهزموا واختفوا . ولمّا انقطع البَرَد احتشد الاهالي وثابروا الصلوات ثلاثة ايّام . ولمّا شاهد العرب الحرّانيون تلك الاعجوبة سألوا ان تُنقل اليهم الذخيرة لكنَّ الفرنج لم يلبّوا سؤلهم بل ردّوها الى الدير باكرام. ثمَّ اقبل الملطيُّون ونقلوها اليهم في الاناشيد والصلوات . ورُبط فم الجراد ولم يؤذِ الزروع اصلًا .

وفي ٢٣ ايلول أحرق الرعد سبعة ثيران وصبيًا .واحرق صبيًا آخر في سينادرو. وحدثت زلزلة قويّة في ارمينية اجتاحت مدينة دكودوف . وحدث في ملطية شتاء قاسٍ واثلجت ثلجاً أحمر.

وفي السنة ١٤٤٦ لليونان (١١٣٥ م) أقبل من ايطالية ريموند دي فوتيرس وزفّت اليه بنت بوهيمند صاحب انطاكية وتولّى امارتها . وفي السنة عينها مات بغدوين الثاني ملك اورشليم وزُفّت ابنتهُ الى فُلك فخلفه في مكانه.

وفي السنة عينها سيَّر زنكي صاحب الموصل ابنه الى بغداد مع مفاتيح المدينة وبعض نسائهِ بمثابة ودائع.وأقسم بالطاعة فحاز الرضى والقبول.واصطلح الخليفة والسلطان سنجر كذلك وارسل اليه الخليفة تاجاً وطوقاً وحصاناً بنعلَين ذهبيّين . فنهض سنجر وقبّل حوافر الحصان وأبدى الطاعة للخليفة.

وفي تلك الغضون خرج ابن جبّارا جاثليق النساطرة (١١٣٣ — ١١٣٥) ليلًا الى الحديقة فوطئ حيّةً لدغته ومات . وذكر بعضهم ان الحيّة لم تلدغه لكن الرعب قضى على حياتهِ .

وفي السنة ذاتها ارسل الخليفة طوقاً ذهبيًا الى الامير غازي بن دنشمند (٢٩١) دلالة على العبوديّة وصولجاناً ذهبيًا واربعة بنود سوداء وطبولًا تدقّ امامه وسمّاه الملك غازي . ولمّا وصل السفراء شاهدوه مريضاً وما عتم ان مات. فاقاموا ابنه محمّدًا خلفاً له وعادوا . وهذا الملك محمّد جدّد قيسارية قبدوقية التي كانت قد تهدّمت منذ امدٍ طويل واتخذها عاصمةً له . ثم سار الى ملطية متخوّفاً اتفاق الزعماء مع اخيه ونقلَ معه الهدايا للأحرار ثم انقلب فوثب الى اخيه بياجان وقتله وغزا دَولتُ اخوه الثاني بلد ملطية .

وفي الشهر السابع من هـذه السنة ألغى الخليفة المسترشد المناداة باسم السلطان مسعود . وحشد سبعة آلاف عسكري لمقاتلته وقد بلغه ان ليس مع السلطان الّا الف وخمسمائة عسكريّ لا غير . لكنه بعد هذا اصبح مع الخليفة خمسة آلاف ومع مسعود خمسة عشر الفاً واصطدم الجيشان فانكسر جيش الخليفة واعتُقل الخليفة ذاتُه . ونُهبت الثروة التي كانت معه وهي سبعون حمل بغل ذهباً وفضّةً وخمسة آلاف حمل جمل واربعمائة حمل بغل اقمشة وثياباً وسائر لوازم الطريق في جملتها اربعون الفاً من عمامات وطرابيش واقمصة باكمامها كاملة الخياطة. ثم أمر مسعود ان ينادى في الجيش بان لكم الاموال والامتعة ولي الدماء . وانّ من قتل رجلًا تقتلهُ بدلًا منه . ولذا لم يُقتَل الّا خمسة اشخاص فقط . ونادى المنادي كذلك بان من يبقى هُنا من حزب الخليفة يُقتَل . فازدحم البغداديّون وانهزموا عراةً حفاةً يَمنةً ويسرةً . وارسل السلطان مسعود يقول للخليفة ان يكتب كتاب الرضى ويصرّح للبغداديين بانه متمتّع في بحبوحة من العيش لديه وانه لن يتأخر عن القدوم اليهم . غير ان البغداديين عرفوا ان الخليفة قد كتب ما كتب (٢٩٥) خوفاً . فأحدثوا ضجّة قُتل في اثنائها نحو مائة وخمسين من العامّة ثم هدئوا كيفما كان .

واخذت الزلازل تنتاب بغداد في تلك الاثناء كلّ يوم خمس مرات او ست مرّات . فارسل السلطان سنجر سفيرًا الى السلطان مسعود في رسالتين الاولى سرّية ضمّنها سبًّا وشتماً لانه لم يفتك بالخليفة في اثناء المعمعة. والثانية مفتوحة يقول فيها : اذا طالعتَ هذه السطور يا بُنيَّ غياث الدنيا والدين مسعود فاقصد امير المؤمنين وقبّل الارض امامه واستغفره عن ذنبك . اذ لا يسعني الصبر عمّا يحدثه الله سبحانــه بسبب ذلك من آيات السماء والارض : كالرياح والصواعق والبروق والزلازل الارضيّة وقد أمسى العرب قـاطبة حزانى والتفت الصلوات وأُغلقت ابواب المساجد في بلاد العجم وسنار جميعاً. أعِدْ اذن الخليفة باكرام الى كرسيّه دون تمهّل او تبجّح . وادفع له دُبَيس ليجري به ما شاء لانــه سبب هذه الفتن بأسرها .

ولمّا اطّلع مسعود على ذلك كلّهِ أمر فنشروا خياماً كبرى واقاموا الخليفة

هناك . وحملوا امامه الاغطية نحو نصف فرسخ ثم جاء به مسعود الى خيمته الملكيّة الكبرى واستغفره عن ذنبه . وقدّم له دُبَيس موثقاً ومعه سيف وكفن وقال : ان هذا هو الذي اجترم كلّ هذه الشرور وهنذا اسلّمه لك فمُر ان يُعاقَب حسب جرمه . الّا ان الخليفة أدرك ان تلك العبارات صادرة من الفم لا من القلب فغفر لدُبَيس . ولذا اضطرّه مسعود ان يذهب الى بغداد . لكنّ الخليفة أبى الذهاب وقال : لستُ اذهب إلّم تأتِ معي. فقال مسعود اني مرسلٌ معك أمراء يخدمونك لتذهب بكلّ اجلال وتجلس في دارك. لكنّ الخليفة لم يرضَ لخوفه من ان يضعوا له كميناً في الطريق ويبطشوا به سرًّا اذ لا يسعهم (٢٩٦) ان يقتلوا جهرًا إمام دينهم.

واعتزم مسعود ان يتوجّه الى اذربيجان ليقاتل داود ابن اخيه وتوجّه معه الخليفة كذلك . ثم ارسل سنجر وفوداً الى مسعود من مراغة وهو عند بابها وحرّضه ان يردّ الخليفة الى بغداد دون تريّث . وكان في جملة اولئك الوفود سبعة عشر من الاسمعيليّين . ويوم الخميس وقت الظهيرة ١٦ الشهر الحادي عشر عام ٥٢٩ للعرب (١١٣٤م) وثبوا اليه وهو يطالع كتاب القرآن في الخيمة وفي ايديهم السكاكين واجهزوا عليه وعلى ثلاثةٍ من حشمه. فركب مسعود واحدق بالخيام وقتلك بالقتلة . قيل ان سنجر لم يكن عنده علمٌ بالاسمعيليّين لكنّ الحقيقة هي انه هو الذي ارسلهم دون علم مسعود .

بعد المسترشد الراشد ابنه

تولّى سنةً واحدةً . ذلك انه على اثر قتل ابيه المسترشد ارسل السلطان سنجر الى شحنة بغداد يأمر ان يجتمع الاقطاب والقضاة ويبايعوه بالخلافة ويجلسوه مكان أبيه . فنفّذوا امره . وفي تلك الاثناء غدر دُبيس بن صدقة بالسلطان مسعود فكتب رسالة الى زنكي يقول : اني مترقب الفرصة لاغادر هذا واتوجّه اليك واحشد من الجنود المعدّين ما يقابل رمال شاطئ البحر ثم نتّفق معاً ونفعل مع مسعود فعلاً يخلّد ذكره الى الاجيال التالية . وقد وقعت تلك الرسالة بيد من أوصلها الى مسعود . ولمّا اجتمع الاقطاب لديه يوماً

وسقاهم ماء السكّر كالعادة ونهضوا ليودّعوه اشار الى دُبيس ان يتربّص وقال له ان لي معك كلمةً سرّيّة . فوقف ونهض مسعود ودخل الخيمة الداخليّة ودفع رسالةً ما الى عبدٍ ارمنيّ حاملٍ سيفاً وقال له : امضِ فادفعها الى دُبيس وعندما يبدأ قراءتها اضربه من ورائه (٢٩٧) وافلق هامته. فخرج العبد وشاهد دُبيس يضرب باصبعه في الارض ويقول : الموت خيرٌ لي من حياةٍ مضطربةٍ . فقدّم له الرسالة فاخذها وفتحها وجعل يقرأها ففاجأه العبد بضربةٍ في رقبته من ورائه وحزّ هامته . وهكذا انتهت حياة هذا الرجل المراوغ المصارع . وتمّ قتلُهُ بعد خمسة وثلاثين يوماً مرّت على قتل الخليفة المسترشد خصمه .

وفي السنة ١٤٤٧ لليونان (١١٣٦م) وهي السنة ٥٣٠ للعرب أخلف ميخائيل الارمني بوعده للفرنج اذ كان قد سبق فباعهم ايامَ بلك قلعة جرجر وخرج عنها فانقلب وانحرف عنهم وجعل يغزو قراهم . فادركه الاتراك يوماً في قرية كور زيزونا على ساحل الفرات واحدقوا به من كلّ صوب ولم يستطع ان يفلت منهم . فألقى بذاته من علوّ الصخر الى النهر وكان متنطقاً بدرع حديديّ فغرق في الماء. ثم طفا وتقلّص الى جهة النهر الثانية ولم يغرق ولم يُلقِ من يده الترس على ما قيل . وبعد هذا تخلّى لجوسلين الثاني عن مدينة جرجر وأخذ بدلًا منها موضعاً يقال له سَفرس . ثم اشتراها باسيل اخو جاثليق الارمن من جوسلين . فحشد ميخائيل العسكر وسار الى الكيسوم وغزا ضاحيتها فترصّد له الفرنج وفتكوا به . ثم توجّه دغا باسيل يريد لاون في قيليقية وصاهره . وحشد بعض الارمن وانقلب ليناوش الفرنج في كفر زمان فتلف الكثير من اصحابه .

وفي كانون الثاني من هذه السنة اشتدّ البرد خصوصاً في آمد ففرّت الى المدن صنوف الطيور الجبليّة كالحجل وما شاكله وحيوان القفر كالغزال وغيره . وأمر الحاكم جميع الاهالي ان لا يؤذوها. فجعلوا يقدّمون لها القوت حتى شهر نيسان ثم سرّحوها .قيل ان تلك الطيور والحيوانات جعلت منذ الخريف تدخل المغاور كأنّها سبقت فشعرت بحدوث البرد منذإذٍ مما يدلّ على (٢٩٨) انه تعالى قد

غرس في طبائع الحيوان معرفة تقلّبات الفصول قبل حدوثها.

وفي هذه السنة سيّر السلطان مسعود الى الخليفة الراشد سفيرًا يطالبه بثلاثمائة الف دينار سبق فوعده بها والده المسترشد يوم كان عنده . وثلاثمائة الف دينار غيرها يجب ان يجمعها من البغداديين مساعدةً له ويضمّ اليها حقوق الخلافة الجديدة كالعادة . فاجتمع الخليفة باقطابه وشاورهم في الأمر وانتهوا بان يحشد الخليفة جيوشه وينازل مسعودًا. فارتضى الخليفة وفتح خزائنه واخرج ذهبًا وافرًا واستخدم عساكر كثيرة . ثم ارسل يقول للسفير : انّما وعد ابي ما وعد من الذهب لاجل نجاته ولكنكم قتلتموه . بناء عليه لا بدّ لي من الانتقام وليس لكم عندي الّا السيف . وما ان سمع السفير هذا الكلام حتى ترك الخليفة وانقلب عائدًا . وجعل الخليفة يدأب في بنيان الأسوار وترميم الأبراج . واقبل يومئذٍ زنكي صاحب الموصل لينجده . ووصل كذلك داود ابن اخي السلطان مسعود . وحاول الخليفة ان يلغي المناداة باسمه وينادي باسم داود لكن زنكي أبى وقال: لا تتحرّشوا بمسعود بل قولوا لداود ان يذهب ويقابل عمّه فاذا تأيّد نادينا باسمه . غير ان الخليفة رفض قول زنكي وألغى اسم مسعود ونادى باسم داود سلطانًا . فارسل مسعود الى الخليفة يقول : قد اصبحنا في غنىً عنك وأقمنا خليفةً موافقًا لنا من سلالة عليّ فابحث عن مكان آخر واخرج وامضِ حيث شئت .

اضطرب الخليفة وأرسل الى بهروز امير تكريت وأخبره انه متوجّه اليه ليتحصّن في قلعته . فكتب له بهروز : انا عبدٌ لمسعود ولا سبيل لي ان اخالفه اذا طلبك مني . فاضطرّ الخليفة ان يُعدّ العدّة لمحاربة مسعود وبعث بخيامه الى ضواحي بغداد وابقى عنده زنكي وسائر الاقطاب . ووصل اذ ذاك (٢٩٩) الخبر بان مسعودًا قادمٌ في جيوش كثيفة. وخاطب زنكي الاقطاب فقال : عرفتم ما جرى للمسترشد بسبب انتقاض اقطابه فلم يستفد هو ولا هم شيئًا . فقولوا لي إذن : هل نيّتكم مستقيمة ؟ وهل انتم مستعدّون بطيبة خاطركم لمحاربة السلطان مسعود ؟ اني اريد ان اعرف ذلك والّا فليرجع كلٌّ الى بلده وليُضرِب عن التصادم والنهب والحرب وليكتف كلٌّ بما له .

افحم الاقطابَ خطابُ زنكي ولاذوا بالصمت وجعل كلّ واحد يحدّق في صاحبه وتحقَّق لزنكي خداعهم وأخبر الخليفة . وبعد هذا نهضوا جميعاً ودخلوا المدينة ونصبوا خيامهم داخل السور وتركهم زنكي وشأنهم وعاد الى الموصل . ولم يرَ الخليفة الآن ان ينهزم معه اذ تعذَّر عليه ان يشطهم عن الحرب . ودخل اذ ذاك السلطان مسعود بغداد وأحسن الى اهاليها ونهى ابتزاز ايّ بيت كان . ثم اجتمع بكلّ الاقطاب وعرض عليهم صكّ الخليفة الراشد مكتوباً بخطّ يده وفيه يصرّح قائلًا : اني يومَ احشد الجنود واخرج الى مبارزة امير من امراء السلطان مسعود اصبح خليعاً عن الخلافة . وكان حاضراً في حملة اولئك الاقطاب ثلاثة شهود ممّن امضوا ذلك الصكّ بتواقيعهم وأيدوه بشهادتهم . وبناء عليه خلعوا الراشد شرعاً وذكروا من الجملة شكاوى اخرى بحقّه منها انه خرق حرمة جواري ابيه وعاقر الخمرة واعرض عن الصلوات ولعب بالكعاب وتمادى في الظلم والغدر وسفك دماء زكيّة .

(له صلة)

الورد وماء الورد بدمشق

بقلم حبيب زيات

من خصائص دمشق الورد والماء الذي يُستقطر منه قال العمري في كلامه على دمشق : «والى وردها وبنفسجها النهاية حتى انه عطّل وردها وما يستخرج من مائه ما كان يذكر من جور ونصيبين وماء الورد ينقل الى غالب البلاد»[١] وقد اشار بعض زوّار الفرنج الى هذه المزيّة فقال: «ورد دمشق لا نظير له وله عطر يفوق ما عندنا»[٢] وقال آخر: «بدمشق ورد ابيض لم ارَ له مثيلاً.»[٣]

ولم يذكر البدري من انواع الورد بدمشق الا ستة فقط واستثنى الاسود ولكنه عاد فعد الاسود منها وهي : الابيض والاصفر والاسود والقحابي والجوري والاصفر المطبق والحق بها اخيرًا الورد النسريني[٤] وضرب صفحاً عن الاسود فلم يصفه بشيء. وهو ما يدل على انه لم يكن معروفاً بدمشق ولذلك قال ابن الساعاتي الدمشقي في مغنية سودا. تدعى وردة :

سوداء حالكة تُلقب وردة   وعجيبة الايام ورد اسود(٥

واقتصر البدري من تعريفه على ايراد بيتين للشريف الرضي في وصف ورد اسود :

وورد اسود خِلناه لما   تضوّع نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غضّ وفيها   بقايا من سحيق الزعفران(٦

وروى السيوطي البيتين الآتيين فيه لابي احمد الطرازي :

١) مسالك الابصار ، خزانة باريس ٢٣٢٥ ، ص ١٦٦
٢) Jean Thenaud : *Voyage d'Outre Mer*. Paris, 1888.
٣) *Voyage de Ludovic di Varthema*, Paris, 1888, p. 15.
٤) محاسن الشام ١٠٤–١٢٠
٥) ديوانه ١ : ١٢٤
٦) محاسن الشام ١١٦

قد اسود ورد ظل يلحظنا من الرياض باحداق اليعافير
كأنه وجنات الزنج نقّطها كف الامام باصناف الدنانير(١

ولعله لم يوجد في الحقيقة الا في مخيلة الشعراء.

والقحاني من الورد ما كان ظاهره اصفر وباطنه احمر كما يستدل من قول ابي بكر الخالدي :

وردة بستان فحايسه زينت من الحسن بنوعين
باطنها من قشر ياقوتة وظهرها من ذهب عين(٢

ولكن جاء في كتاب «شدّ الظهر لذكر ما يُحتاج اليه من الزهر» ليوسف ابن عبد الهادي المعروف بابن المبرد الدمشقي المتوفى سنة ٩٠٩/١٥٠٣ وهو من مخطوطات خزانتي بقلم مؤلفه : الورد القحاني منه اصفر الداخل والخارج. ومنه احمر الداخل والخارج . ومنه احمر الداخل اصفر الخارج . وكله لا ينتفع به غير النظر » ولعله وهم في عدّه النوعين الاولين من الورد القحاني لان القحاني ما كان ذا لونين . وما كان لوناً واحداً كاللذين وصفهما كان احق ان يُعدّ في جملة الاصفر والاحمر . وقد فاته ما كان اصفر الباطن احمر الظاهر اي عكس النوع الذي شبّهه الخالدي بالذهب الاصفر فوق الياقوت الاحمر. وقد اشار الى مثله ابن المعتز بقوله :

وذي لونين نشر المسك فيه يروق بحمرة فوق اصفرار
كمشوقين ضمّهما عناق على حدثان عهد بالمزار

فجعل الحمرة فوق الصفرة.

واجود الورد بدمشق واذكاه عطراً هو الجوري نسبة الى جور مدينة في فارس . وربما قيل لهُ النصيبي نسبة الى نصيبين ويعرف اليوم بدمشق بالورد البلدي وهو احمر دائماً . وفي الكامل لابن الاثير انه كان يسمى الورد « الكاسكاري » نسبة الى دهقان بنواحي مرو و«القصراني» نسبة الى قصران قرية بالريّ و« الجوري » (٨: ٣٧)

واكثر ما كان يُغرس الورد قبلاً في بلدة الزبداني ولذلك سمّاها البدري

١) حسن المحاضرة ، طبعة الموسوعات ٢: ٣٢٩

٢) محاسن الشام ١١٧

« قلعة الورد » . ومثلها المزة وهي معدنه قديماً اشتهرت بكثرة ما يُستخرج منه فيها . وفيما عدا هذين البلدين كان الورد كما وصفه احد من زار دمشق في النصف الاول من القرن السابع عشر وهو الاب برناردَن سوريوس شديد الانتشار في البساتين والحقول والجبال يعبق الهواء بعرفه الطيب وله محصول وافر حتى انه يباع حمل جمل منه بقرش واحد (اي بما يقرب وقتئذٍ من قيمة فرنكين ذهباً patagon) قال :« وسكان الجبال يحملون منه يومياً الى السوق نحواً من مئة جمل ويكدسونه اكداساً كالتبن . وللاتراك (اي للمسلمين) شغف به شديد يزينون به عمائمهم وغرفهم وفرشهم وموائدهم وطاقات منازلهم ويبسطونه في بيوتهم في ارتفاع ثلاثة او اربعة اقدام وينغمسون فيه الى حد اعناقهم ويتقلبون فيه بغاية من التلذذ والطيب »[1]

ومن السنين التي كثر فيها جنى الورد ورخصت اسعاره حتى استرعت نظر المؤرخين سنة ١٣١٩/٧١٩ قال المفضّل بن ابي الفضائل : « في ربيع الاول أُبيع الورد بدمشق كل عشرة ارطال بدرهم ونصف . وهذا شيء لم يعهد من رخص الورد خصوصاً في نيسان »[2]

وكان لزهر الورد او لازراره كما يقولون تجارة واسعة اضمحلت اليوم ولم يبقَ الا ظلّ منها ضئيل « يحمل زهر الورد المزّي الى الهند والى بلاد السند والى الصين والى وراء ذلك ويسمى هناك الزهر . ومما ارّخوه انه كان لقاضي قضاة الحنفية ولاخيه الحريري قطعة بارض تسمى « شور الزهر » طولها مائة وعشر خطوات وعرضها خمس وسبعون خطوة . اباع منها عشرين قنطاراً باثنين وعشرين الف درهم وذلك سنة خمس وستين وستمائة (١٢٦٦/٧م) وهذا لم يسمع بمثله »[3] وكان لماء الورد الدمشقي شهرة طائرة ايضاً في اوربة حتى كانوا يحرصون على تقليده فيها لرغبة الملوك والعظماء به[4]

---

١) *Le Pieux Pélerin au voyage de Jérusalem* par le R. P. Bernardin Surius. Bruxelles, 1666, p. 337.

٢) النهج السديد ، باريس ٥٥٢٥ ، ص ١١٨

٣) نخبة الدهر لشيخ الربوة . طبعة بطرسبرج ١٩٤-١٩٨

٤) W. Heyd : *Histoire du Commerce du Levant.* II, p. 458.

ومن غشّ بيع ازرار الورد ما حكاه ابن الحاج قال : « يشترون الورد فيزيلون عنه بعض الورق الذي ورته فيحمر الزر بذلك ويبيعون ما اخرجوه من الورق بزيادة في الثمن للمتسببين في الناطف وغيره ويبيعون ما بقي منه على الزر بسمره صحيحاً قبل ان يؤخذ منه شي. »[1]

واهم ما كان يغرس الورد لاجل استقطاره واستخراج مائه المشهور. وكان ما يُجلب من مائه للقاهرة ومكة وغيرهما من البلاد يُستخرج خصوصاً في الزبداني[2] وفي المزّة . وقد وصف شيخ الربوة طريقة اخراجه في الكركات في المزّة فقال : « تُلقى حُراقته على الطرقات وفي دروبها وازقتها كالمزابل فلا يكون لرائحته نظير ويكون اذ من المسك الى مدة انقضاء الورد... ويحمل الورد المستخرج بالمزة الى سائر البلاد الجنوبية كالحجاز وما وراء ذلك »[3]

وبعد هذه الشهادة الصريحة يُستغرب جداً قول ابن المبرد في كتابه المخطوط «شد الظهر» المذكور آنفاً: ومن« الاحمر ايضاً الجوري ويقال له المزّي وهو شديد الحمرة ولا رائحة له ولا يعمل منه شي. غير انه يُيبَّس ويعمل منه زرّ ورد » فهل اختلفت غراس المزة في القرن التاسع للهجرة ؟ وعنده ان ماء الورد كان يستخرج في زمانه من الورد الابيض المضعف . قال :« وهو كثير الورق طيب الرائحة لطيف ابرد والطف من الاحمر . ويستخرج منه ماء يقال له ماء الورد بلدي جيد للاورام الحارة والرمد الحار ».

ومن القاهرة كان يرسل ماء الورد على الظهر الى السويس ويصل بعد ثلاثة ايام فيُحمل من السويس في سفن صغار تسمّى جَلبات الى جدّة وينقل منها في المراكب الى قاليقوط في الهند في جملة البضائع التي كانت تشحن اليها لقاء ثمن ما كان يرد من الهند من الافاويه والعطور »[4]

وكان استعمال ماء الورد والتطيّب به قد عمّ الشرق حتى بلغ زيلع ومقدشو

١) كتاب المدخل ٣ : ١٢٥

٢) محاسن الشام ١١٨

٣) نخبة الدهر ١٩٤

٤) *Historia do Descobrimento e conquista da Yndia pelos Portugueses.* (Journal Asiatique, Juillet-Septembre 1920, p. 18).

من بلاد البرابرة السودان. ولما زار ابن بطوطة مقدشو قال: «خرج بعض الفتيان (من دار السلطان) وجاء بقمقم من ماء الورد الدمشقي فسكب عليّ وعلى القاضي»[1]

ولا شك ان استعمال ماء الورد كان شائعاً بدمشق قبل قدوم العرب والامويين . وكان في عهد العباسيين يُصبّ على ايدي الاضياف والمترفين وهو ما ذكره الصابئ في كلامه على جلساء الوزير ابي الحسن علي بن الفرات وكتّابه اذا انتهوا من الطعام . قال : «ينهضون الى مجلس في جانب المجلس الذي كانوا فيه ويغسلون ايديهم والفراشون قيام يصبُّون الماء عليهم والخدم وقوف على ايديهم المناديل الدبيقية ورطليات[2] ماء الورد لمسح ايديهم وصبّه على وجوههم»[3] ووصف ابن مسكويه اجتماع البريدي بياقوت سنة ٣٢٤ فقال: «انزله داره وخدمه بنفسه وقام بين يديه الى ان طعم وغسل يديه فناوله الماورد والمنديل وبخّره بيده.»[4] وعدّ ابن الحاج هذه العادة في زمانه من البدع فقال: «من البدعة بل المحرّم ما يفعله بعض الناس من غسل الايدي بماء الورد وتنشيفها بالمناديل والفوط الحرير»[5]

وحكى الاب برناردن المذكور آنفاً ان اهل دمشق اعتادوا غسل رؤوسهم ولحاهم وايديهم بماء الورد وتقديمه لضيوفهم في جملة مـا يخصونهم به من انواع الاكرام والالطاف .

وقد ضرب المتنبي ماء الورد مثلاً للخلف يقوم مقام السلف فقال في مديح علي بن محمد بن سيّار بن مكرم التميمي :

فان يكُ سيّار بن مكرم انقضى فانك ماء الورد ان ذهب الورد

ولمحمد بن طولون الصالحي الدمشقي جزء سمّاه «عرف الند في ما قيل في الورد[6]».

---

١) رحلته ١ : ١٥٢

٢) الرطلية اناء يسع رطلاً كالألفيّه المعروفة اليوم بدمشق لاشتمالها على مقدار الف درهم وقد وردت قديماً بهذا المعنى كقول الجهشياري : دعا له برطلية جُعلت بين يديه (كتاب الوزراء والكتاب ٢٦١) وقول ابن مسكويه : وحمل اليه صينية اخرى فيها رطلية بلور فيها شراب مطبوخ عتيق » (تجارب الامم ٥ : ٢٥٩) .

٣) تاريخ الوزراء ٢٤٠

٤) تجارب الامم ٥ : ٣٤٢

٥) المدخل ١ : ١٩٢

٦) الفلك المشحون في احوال محمد بن طولون ٤١

دار البطيخ بدمشق

ورسوم الفواكه والبقول فيها وفي دار الطعم

وصفنا دار البطيخ سنة ١٩٢٩[١] ونبهنا على مكانها بين اسواق الخضارة ولا بأس ان نعيد الكرة عليها ونضيف الى هذا الوصف ما وقفنا عليه بعد من من الفوائد والنوادر. وقد اخفق جهدنا في البحث عن الزمن الذي دخلت فيه هذه التسمية في اللغة ولا نشك انها كانت اموية قبل ان تصبح عباسية وتعم سائر البلاد والامصار . ولعلها اول ما بدأت بدمشق لكثرة ما كان يزرع في ضواحيها وبرها من اصناف البطيخ وشدة اقبال الناس على التبرّد به في فصل الحرّ ومن دمشق انتقلت الى مدن الشام كحلب مثلًا وقد نبه البشاري المقدسي في كتابه احسن التقاسيم على ان حلب لها سبعة ابواب احدها باب دار البطيخ (١٥٥) ولما بنى الخليفة جعفر المنصور بغداد اقام فيها دار البطيخ بين اسواق المدينة في درب الاساكفة ودرب الزيت ودرب الحاج ثم حُوّلت في ايام المهدي الى الكرخ[٢] . واشتهرت دورها ايضاً في البصرة والكوفة وسرّ من رأى وتخطت العراق الى بلاد فارس وخراسان ونشأت في كل مكان حتى شاهد البشاري في الريّ دارًا للبطيخ عند الجامع (٣٩١) .

وندر ان تنسب هذه السوق الى غير البطيخ من الفواكه نظير دار التفاح بمصر « وهي فندق كان تجاه باب زويلة ترد اليه الفواكه على اختلاف اصنافها وبها حوانيت ما بينها مسقوف حتى لا يصل الى الفواكه حر الشمس »[٣] .

وغلب على العامة لفظ « دار بطيخ » باسقاط لام التعريف على سبيل التركيب المزجي . قال النوري في كلامه على الاهواز :« نهر البط نهر كانت عنده مراع للبط فقالت العامة « نهر بط » كما قالوا دار بطيخ »[٤] . وقد جمع

١) المشرق ١٩٢٩ / ١٠ ص ٧٦١-٧٦٤

٢) معجم البلدان لياقوت ٢:١٧ه٥

٣) الخطط للمقريزي ، طبعة النيل ٣: ١٥٣

٤) فتوح البلدان للبلاذري ، طبعة ليدن ٣٨٤

ابن لتكلك بين اللفظين المركب المزجي الغير المتصرف للعلمية والمضاف حيث قال يهجو ابا الهيذام كلاب بن حمزة :

انت ابن كل البرايا لكنهم اقتصروا على اسم حمزة وصفاً غير تنسيخ
كدارَ بطيخَ تحوي كل فاكهة وما اسمها الدهرَ الا دارُ بطيخ(١

وممن استعمل مرة المركب المزجي ياقوت في معجم البلدان في كلامه على قنطرة « دار بطيخ » بدمشق (٢ : ٥٨٩).

ومع اختصاص هذه الدار باسم البطيخ كانت تشمل ايضاً كل الفواكه بالاجمال. ولما مدح ابن الرومي ابا الصقر اسماعيل بن بلبل وزير المعتمد بقصيدة نونية طويلة اولها :

أجنتْ لك الوصل اغصان وكثبان فيهن نوعان تفاح ورمان
غصون بانٍ عليها الدهر فاكهة وما الفواكه مما يحمل البان

سمى الناس هذه القصيدة « دار البطيخ » لكثرة ما فيها من ذكر الفواكه. قال ابن الطقطقي: وكان الموضع الذي تباع فيه الفواكه يسمى دار البطيخ[٢].

وفي كتاب الامثال للثعالبي ان « دار البطيخ تباع فيها جميع الفواكه والرياحين وتنسب الى البطيخ وحده »[٣]. واغفل ذكر البقول فيها في جملة الكثيرين الذين لم يشيروا الى شيء منها واوحد من نصَّ على بيع الخضراوات فيها شمس الدين محمد بن ابرهيم الجزري في كتابه «تاريخ حوادث الزمان وانبائه» وعدَّ منها الخيار والقثاء والقرع واللوبيا والثوم والبصل والخشخاش والحمص الاخضر وغير ذلك والقنبيط والقلقاس وذكر الفول الاخضر في جملة بواكير الفواكه التي تدخل الدار اولًا . ويظهر ان بيع هذه البقول كان في « ارض » الدار كما قال : « فكانت من ثم دار البطيخ سوقاً عامة للاثمار والازهار والخضراوات كالسوق المعروفة اليوم باسم هالّ (halles) وكان في ما عداها دار اخرى للبقول خاصة كما يؤخذ من قول الصفدي «ابطل الملك العادل نور الدين المكوس والمغارم كدار البطيخ ودار البقل . . .»[٤] وسمى ابن القلانسي هذه

١) يتيمة الدهر للثعالبي ، طبعة دمشق ٢ : ١٢٢

٢) الفخري ٢٢٦

٣) كتاب الامثال ، خزانة الجامعة الاميركية ببيروت ، رقم M.S. 398.9 T. 35 ص ٣٩٩—٤٠٠

٤) دار الكتب المصرية رقم ٩٩٥ ، المجلد الثالث ٤٦٦

الدار «عرصة البقل» في كلامه ايضا على ابطال هذه المكوس سنة ٥٥٣/١١٥٨[1].

وكان لبيع الفواكه والبقول مراكز اخرى تباع فيها الفواكه والبقول طول النهار «بخلاف دار البطيخ فانها من بكرة الى الثانية وتنفض» وعدّ الجزري هذه المراكز في المدينة وهي: «مركز الصالحية. والعقيبة. وحكر السماق. وزاوية الشيخ ثابت. وميدان الحصا. وباب الصغير اول الشاغور. والباب شرقي. وباب توما. وعند المدرسة الزنجبيلية. ومسجد القصب وغيره»[2]

واكثر ما كانت البيوع في الدار بالمناداة عليها كاليوم في كثير من المدن الشامية. وفي هذه الدار اكتسب الوأواء الشاعر الدمشقي اول شهرته قال الثعالبي «من اعجب شأنه ما اخبرني به ابو بكر الخوارزمي قال: كان الوأواء منادياً في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه»[3] ومن بواعث الاسف ان تكون فاتتنا لذة معرفة الفاظ هذه المناداة العامية وما كان يُرتجل فيها ويظهر انها كانت لا تخلو من بعض التحرش بالحرفاء والتعريض بالاحزاب الدينية والسياسية المتعادية وهو مـا يستفاد من قول ابن المبارك «من اراد الشهادة (اي الموت شهيداً) فليدخل دار البطيخ بالكوفة وليقل: رحم الله عثمان بن عفان»[4] ونظيره قول ابي عمر الهذلي «قلت لرجل من اهل الكوفة: خير موضع بالكوفة اين هو؟ قال: مسجد الجامع. قلت: وسوء موضع عندنا دار البطيخ. فلو قال رجل في خير موضع عندكم «رحم الله عثمان» قُتل. ولو قال في سوء موضع عندنا «رحم الله معاوية» قُتل. فشر موضع عندنا خير من خير موضع عندكم»[5]

وللمنادين في كل عصر ومصر خوارق وفواحش في الصياح والجلبة تصم الآذان وتثقل على الطباع ولذلك قال سعيد بن المسيِّب يعني بغداد «ان الله اذا ابغض عبداً جعل رزقه في الصياح... اما ترى الى اهل دار البطيخ والملّاحين ودويّهم»[6].

---

١) ذيل تاريخ دمشق ٣٥٢-٣٥٣

٢) تاريخ الجزري رقم ٩٩٥، المجلد الثالث ٤٦٦

٣) يتيمة الدهر، طبعة دمشق ١: ٢٠٥

٤) تاريخ بغداد للخطيب ١: ٤٧

٥) تاريخ بغداد ١: ٤٧

٦) عيون الاخبار لابن قتيبة ١: ٢٥٣

وكان للسلطان في دار البطيخ حقوق ومكوس على كل مبيع فيها . وقد فاتنا علم شيء مما كانت عليه في الخلافتين الاموية والعباسية فلا ندري هل كانت جائزة كاكثر الضرائب السلطانية . وكان استيفاؤها يقتضي طبعاً تعيين ديوان خاص بها لم يرد له ذكر في ما وقفنا عليه الا في ما رواه الجزري في حوادث سنة ٦٩٧/٩٨–١٢٩٧ قال بلهجته العامية « فيها انتقم الامير سيف الدين جاغان من نائبه نائب الشد بدمشق جمال الدين الجرتاني والعلم ابن العسال مستوفي دمشق ومن ديوان دار البطيخ وانتقم منهم غاية الانتقام واخذ جميع ما يملكوه »[1] ومن كتبة هذا الديوان « الاديب الامشاطي احمد بن عثمان قيم الشام في نظم الزجل . . . كان كاتباً في دار البطيخ وتوفي سنة ٧٢٥[2] (١٣٢٥ م)

واختصت وظيفة استيفاء رسوم الدار في آخر عهدها بارباب السيوف « يولى بها اجناد بتواقيع من النائب بدمشق وتسمى هذه الوظيفة « شدّ دار البطيخ والفاكهة » وهي معدودة في جملة الشدود الصغار »[3] ولم نوفق للعثور على صورة هذا التوقيع في جملة ما نقله العمري والقلقشندي والصفدي من صور الولايات السلطانية ومناشيرها في دولة المماليك

ومن الشقاء انه لم يتفق لاحد من المؤرخين والكتاب تفصيل مقادير الضرائب الموضوعة على الفواكه والبقول بدمشق في احدى الدول التي تعاقبت على المدينة لقلة احتفالهم دائماً بمثل هذه الشروح والتفاسير التي لم يكونوا

---

١) تاريخ الجزري ، باريس ٦٧٣٩ ص٢٤١ ٢) شذرات الذهب لابن العماد ٦ : ٦٦

٣) صبح الاعشى للقلقشندي ٤ : ١٨٨ ، ويراد بالشد في لغة الدواوين قديماً المشارفة والمراقبة اي ما يقرب من معنى « تفتيش » اليوم ولم ينقل في معجمات اللغة بهذا المعنى . وهو عندهم دون « النظر » او النظارة ومن بديع تورية ابن الوردي قوله في مليح نصراني :

قال زنار خصره كم كذا ترحم البصر قلت لا تنفرد به لك شد ولي نظر

(روض الآداب للحجازي ، خزانة المدرسة الاحمدية بحلب رقم ١١٧٠)

ويظهر انه وضع في الاصل لتقوية الضعيف من اعمال الديوان اخذاً من قولهم : شدّ منه اي عضده وقواه . وجاء بهذا المعنى في لغة القرن الثالث للهجرة وهو قول الوزير ابي الحسن علي بن الفرات : ناحية كذا . . . عاملها ضعيف ينبغي ان يشد بمشارك او مشارف (تاريخ الوزراء للصابئ ص ٩) ويقال للعامل فيه الشادّ وربما قيل المُشِدّ مع انه لم ينقل اشد بمعنى شد . ولكن روى الزمخشري في الاساس : رجل شديد مشِدّ (١ : ٤٨٢)

يقيمون لها وزناً ولا يعرفون لها ضرورة . ويغلب على الظن ان فتنها بدأت تزداد منذ استيلاء الاتراك والاكراد على دمشق لتفاقم نفقاتهم وافتقارهم الى الاموال حتى لم يتحرجوا من استخراجها من ضمان الفجور والخمور والقيان[1]

وكان من جملة هذا الضمان ايضاً ضرائب دار البطيخ وقد حفظ لنا شمس الدين الجزري اسم احد ضمّان الدار سنة ٧٣٦/١٣٣٥ وهو ابو بكر بن همام الدين وله نائب يدعى زين الدين شقيق له اجتمع به مؤلف تاريخ حوادث الدهر وابنائه وعنّ له لحسن الحظ ان يسأله عن ضمان الدار مدفوعاً برغبته استطلاع كل ما يتعلق باخبار وطنه دمشق ولذلك انفرد في كتابه بذكر فوائد وحوادث لا نلقاها في روايات غيره من المؤلفين وهي مزية تدعو الى التفتيش عن تاريخه وطبعه . وهذا نص ما رواه بحرفه قال :

فسألته عن ضمان دار البطيخ فذكر ان سنتهم في الضمان من اول نزول الشمس الى برج الحمل والى آخرها سنة شمسية يبلغ مايتي الف درهم وستة وثمانين الف درهم . فقلت له اريد ان تكشف لي الضريبة وتفصل كل صنف بمفرده لانه مشارف الدار ونائب اخوه في الديوان

وكان ينتظر بعد هذا السؤال ان يرد الجواب بتفصيل الفواكه المحمولة الى الدار صنفاً صنفاً مع مكس كل منها بمفرده ولكنا لسوء التوفيق لا نجد في رواية الجزري الا سياق قسم منها فقط وخلوّ قسم آخر من تعيين الضريبة الموضوعة عليه كضرائب الخوخ والتفاح والكمثرى ولكن الجزري عوّضنا عن هذا الاغفال بذكر ما كان يستخرج من بعض الفواكه من الاشربة كالتفاح والسفرجل ومن الاعناب كالدبس وعدّ منه اربعة اصناف وكالملبن البعلبكي وحكى صفة عمله وكالزبيب . واضاف الى ذلك توسعاً مكس الثلج مع انه لم يكن من واردات الدار وقد حرصنا على نقل كل هذه الملاوات لفائدتها

ومن قابل بين اسماء الفواكه التي نقلها الجزري وما ورد منها في كتاب ثمرات الاوراق لابن حجة الحموي التي استمدها من الجزء العشرين من تذكرة الصفدي وخصوصاً ما استوفاه منها البدري في « محاسن الشام » او ما جاء منها عرضاً في بعض الكتب الطبية ككتاب جامع الغرض ودفع المرض لابن

١) ذيل الروضتين لابي شامة خزانة باريس ٥٨٥٢ ص ١٣٠ والبداية والنهاية لابن كثير رواية الطبراني باريس ١٥١٦ ص ١٢١

القف الطبيب المسيحي الملكي من مخطوطات خزانة بريتيش موزيوم (رقم Or. 3690 الفصل ٤٣) يدرك كثرة ما اهمله الجزري من اصناف الفواكه الدمشقية الداخلة الى الدار في ايامه . قال بعد ما تقدم :

« اول شيء يدخل الى الدار من السنة الجديدة اللوز العماني والورد والتفاح السكري والفراصيا والفول الاخضر : يؤخذ من كل سبع الدراهم درهم . هذه الاصناف عشرين الف درهم وسمها الليمون خمسة آلاف درهم والنارنج خمسة آلاف درهم . ومن بعدم المشمش ذكر اصنافه وكذلك جميع الفواكه حتى تكون الفواكه مكملة

المشمش

الاول السنديانى . يتبعه الحموي . ويلحقه البلدي الكبار يكون الرطل ستين حبة ويتبعه الخراساني المائي الحالي الذي ليس في الدنيا مثله . » ويتبعها الوزيري شبه الخراساني الا الا ان قلبه مر . والكلابي اصناف كثيرة فيه صغار وكبار ومائي وناشف . وفيه صنف يسمى ضراط البخاتي سمعت من جماعة من مشايخ دمشق ان بني الحسين بن علي رضي الله عنها لما كانوا بدمشق عبر عليهم اطباق المشمش وهي مغطاة فسألوهم ما هذه فقالوا ضراط البخاتي . قالوا اطعمونا منها فاخذوا بعر الجمال عملوه في طبق وغطوه وجابوه لهم مغطى .

فائدة ان الله تعالى جعل المشمش الذي يسمى ضراط البخاتي والكلابي يباع كل عشرة ارطال بدرهم ويباع اكثره سلال كل سلة بربع درهم يكون زنتها رطل ونصف .

وفي آخر المشمش يجي مشمش صغار القد صلب الحب وقلبه حلو وهو مائي الى حد غاية . ذكروا انه هو كان اصل المشمش البلدي والخراساني . وبعض السنين اذا كان اللوزي مقبل ما يباع الكلابي . يسطحونه على الارض ييبس فيصير منه قناطير مقنطرة يباع القنطار بعشرين درهم(١

ومكس المشمش الذي يباع بدار البطيخ غير المراكز خمسة وثلاثين الف درهم وما يأكلوه اصحاب البساتين والفلاحين وما يهادوه لبعضهم بعضاً ويطعموه والمراكز يباع فيها جميع اصناف الفواكه طول النهار بخلاف دار البطيخ فانها من بكرة الى الثانية وتنفض . والمراكز فيها كتاب وامنا وشدين ويحمل كل مركز ما اخذوه الى الديوان الكبير والضامن وهي مركز الصالحية . والدنية . وحكر السماق . وزاوية الشيخ ثابت . وميدان الحصا . وباب الصغير اول الشاغور والباب شرقي (ص ٤٦٤) وباب توما . وعند المدرسة الرغيبية . ومسجد القصب والقنية وغيره . وضريبة المراكز اربعين الف درهم . وزنار البلد ضريبته عشرين الف درهم

التوت

واما التوت فهو نظير المشمش وما عليه مكس ولا معارضة . وهو يستوي قبل المشمش

١) يستفاد من قوله : « يسطحون الكلابي على الارض فيبس» انهم لم يكونوا وقتئذ يتخذون منه القمردين . ولم يذكر القمردين في جملة واردات دار البطيخ او دار الطعم كما ذكر الزبيب والدبس واللبن . ولعل القمردين من محدثات القرن التاسع للهجرة في الغالب .

عشرة ايام ويبقى بعده بنحو عشرة ايام . والصيف هو عبارة عن التوت. والمشمش وباقي الفواكه عيلة عليها . ويشتري التوت على الفراضي اول باول . قلت وهو ثلاثة اصناف الاول يقال « الماصي كُلي ولا تماصي » . وهو ثلاثة الوان احمر واسود وابيض حلو طيب . ويتبعه بنحو عشرة ايام التوت السلطاني حلو كبار ومن كباره وطواله يصفّون منه خمسة تجي شبر ابن آدم واما ستة وثمانية فكثير يهدونه للامراء والاكابر . واكثر الناس يرحجونه على المشمش لان فيه حرارة لطيفة ما ترخي المدة ويستحل سريعاً ويقيم التوت خمسين يوماً والثالث التوت الشامي الاسود الذي يقوم مقام الشراب . .
ويتبعها :

الخوخ

الاسود . والخوخ الزجاجي الابيض . والشتوي وزن الخوخة الشتوية من اوقية الى عشرين درهم . والقبرصي دونه . والذي يطبخ باللحم عين البقر والدب ويعمل منها المزاوير (جمع مزورة) للمرضى
ويجي في زمانهم :

التفاح

الشعاي . والخراساني . والبديدي . والجناني طيب الطعم صغار والفضّي يطبخ باللحم لحمضه . والمجهول . والاحمر . والشتوي الذي يأكلوه في الشتا ويسافروا به الى البلاد وهو الحديثي ابيض مشطب بالحمرة . والفتحي الذي يعمل منه الشراب وخميرة التفاح ويوكل طول السنة . والزبداني وغيره
وفي الصيف ايضاً :

التين

منه الرومي لا يشبه حلاوته شيء . والبرزي . والمثيني وغيره . وضريبته عشرين الف درهم

البطيخ الاصفر

ضريبته ثمانية وعشرين الف درهم

البطيخ الاخضر

ضريبته عشرين الف درهم تستخرج من اصحابها من الضياع من كل ضيعة بكم يمت مقاثيها . كل تسعماية : درهم

الرمان

ضريبته في كل سنة عشرة آلاف درهم

ذكر اصنافه : السامر (المسافري ?) بلا عجو . واللس (اللبي) وخو العجو . وشوكي (شويكي) ونندمري . وكوفي . ولفّان مثل الشراب بفرط ويخلط بالحلو ويوكل يغني عن الشراب . واما طبخه باللحم عجب من العجايب . والحامض للطبخ ومنه الحب رمان

السفرجل

ضريبته عشرة آلاف درهم . وهو صنفان : البرري الحلو . والآخر العصي الذي يطبخ باللحم . ومن خواص السفرجل اذا أكله المسهول على الريق عقل بطنه ومالك اسهاله . قلت والسفرجل يعمل منه شرابين احدهما يقطع صنار (٦٦٥ه) ويقشر باطنه وظاهره ويوضع في الدست ويوضع عليه الجلاب ويطبخ فاذا نضج واستوى يترك على حاله الى ثاني يوم يرخي مائيته فيرفع على نار لينة الى ان حيث ينعقد عليه الجلاب يحط في البراني ويستعمل . والشراب الخام منه يقطع ويدق بقشره ويعصر ماه ويوضع مع الجلاب ويطبخ بنار لينة حتى ينعقد يقطع الاسهال ويعمل منه معجون يقطع ويدق ويطبخ بالخلاف او العسل او الدبس بنار لينة مثل الحلاوة فاذا استوى يوضع عليه الآنسون واطراف الطيب نافع لهضم الطعام واصلاح المعدة وغير ذلك . ولولا خوف الاطالة لذكرت في أكثر الفواكه خواص كثيرة ذكروها الحكماء

الانجاص هو الكمثرى

اوله البيلاني . ويتبعه السكري وهما لطاف الحبة . والمشق كبار ولونه احمر . والعثماني الصيفي هولاء سعرهم غالي : رطلين الى رطل ونصف بدرهم والحلاني قشره اخضر وباطنه ابيض وتلحقه حموضة واذا بات حلا وهو يخشن المعدة ويقطع الاسهال وسعره رخيص من ثلاثة ارطال الى اربعة ارطال بدرهم . واما خشبه فله قيمة جيدة يعملوا منه القطع الذي يحلجوا عليها القطن الجوب ويستخرجوا منه حبه وما في الاخشاب ما يقوم مقامه. والسقلاني قشره اسود وهو حلو كبار . والسمرقندي كبار اصفر واكثر الناس يعملوه في الخل ويضيفه الى المخللات . والملكي . والصيني اصفر كبار . هذا جميعه صيفي . واما الشتوي الذي يعلق ويسافر به البلاد فهو يقال له الرحبي والعثماني

وذكر ارض الدار ومكسها سبعة آلاف درهم وهو الخيار والقثا والقرع واللوبيا والثوم والبصل والخشخاش والحمص الاخضر وغير ذلك والتنبيط مكسه خمسة عشر الف درهم والتلقاس مكسه (بياض) وهو صنفان البلدي والطرابلسي مثل المصري في طعمه وجودته

الدراقن

أسماه اللوزي الكبار . كل واحدة اوقية . وحبه حلو . والزهري احمر واصفر ورائحته طيبة تشد الفواد . والزّيبق ما يوكل الا منقطع بالسكين ومنشر او ينهش بالاسنان القوية . والمجهول كثير واصنافه كثيرة . منه المظفري . ولحم الجمل وغير ذلك . والجميع طيب ينفع الشاب ويضر بالشايخ

العنب

ذكر ان مكسه في السنة اربعين الف درهم . يوخذ منه كل حمل درهم ونصف . كل فردة نصف وربع درهم . وزن كل فردة من خمسة واربعين رطلا الى خمسة وثلاثين رطلا .

ويبع كل فردة من عشرين درهم الى خمسين الدراهم . وبقية الحمل وجمه وحمله الى دار الشب ثلاث الدراهم ومكسه درهم ونصف . وقباني ومنادي : نصف يبقى الحمل خمس الدراهم . يحصل ثمن الحمل بعد المصروف من عشرين درهماً الى الاربعين

اصناف العنب واسماؤه كثيرة . فاول ما يقدم الى دمشق العنب الداراني لونه احمر يسبق جميع الاعناب بعشرة ايام . ثم يتبعه الاصابعي وبيض الحمام كبار ابيض . الزردي . ومخ العصفور . وقسيبي . وخناصري . وجوزاني . وعبيدي . والعبيدي هو الذي يطلوه في المخازن في الشتاء ويبيعوه زمان زهر اللوز والثمار . قلت والشيخاني . والبيتوني والعاصي ياخذوا مكسه كل سبع دراهم درهم(١

ويباع العنب مدة ستة شهور كل يوم من ثلثماية حمل الى اربعماية وخمسين حمل . وبعض الايام يصل الى خمسماية حمل . هذا من غوطة دمشق . واما الجبلي فمكسه لدار الطعم مع الثلج في السنة سبعين الف درهم يضاف لدار الطعم خمسة وثلاثين الف درهم . والثلج بخمسة وثلاثين الف درهم

قلت وهذه ضمان الفواكه التي يستخرج مكسها مايتين الف درهم . ويتبعها كتاب وجامكيات ومشدين وحوالة وما يسرقوه ويخفوه اكثر من عشرين الف درهم . فيكون ثمن المبيوع غير ما ياكلوه اصحاب الثمار ويحادوه ويخفوه ويدخلوا به الى بيوتهم اكثر من ثلاث الف الف درهم . . .

تتمة اخبار الاعناب

(بخط غير خط الكتاب وهي بمعنى ما سبق وفيها زيادات قليلة)

(كالكلام على الدبس والزبيب والملبن والثلج)

اول ما يدخل الى دمشق العنب الداراني وهو احمر اللون مدوّر حلو شبه السكر يبقى دون شهر وحده . ثم يتبعه البزري ابيض اصابعي ومدور . ويتبعها بقية الاعناب خمسة ستة الوان . وامير العنب العاصي . ويدخل الى دار العنب في كل يوم من ثلثماية حمل الى خمسماية حمل نحو شهرين . الحمل فردتين . وزن كل فردة خمسين رطل الى خمسة وثلاثين رطل . تباع كل فردة من عشرين درهم الى ثمانية وسبعة . يؤخذ من كل حمل درهم ونصف مكسه اربعين الف درهم . والعنب الذي يجي من الجبل هو لدار الطعم . مكسه في السنة

---

١) من الغريب جداً انه لم يذكر العنب الريني . وهو غير الاصابعي . وغير البرزي وغير العاصي . وقد ذكره في عصره صلاح الدين الصفدي كما يؤخذ من تذكرته التي اشرنا اليها من نقل ابن حجة الحموي . وذكر « الريني » بعده البدري في كتابه محاسن الشام (٢٢٣) وقد فات الجزري كثير من اصناف الفواكه الداخلة الى الدار فضرب عنها صفحاً واهمل تعداد ضرائبها بوجه التفصيل والترتيب واضاع بعض فوائد روايته التي انفرد بجزئيتها واهميتها . ولا نرى لها لسوء الحظ بديلا ولا تكملة في ما وقفنا عليه من الاثار الباقية

خمسة وثلاثين الف درهم . وهو ثلاثة الوان احمر كبار صلب . وابيض مدور يسمى قصيف حلو كبار . وبيض الحمام كقدر البيض ينبم الى ان تزهر الاشجار . يباع من رطلين الى رطل بدرهم وهو مليح جدا حلو طيب الى الغاية

الدبس

هو لدار الطعم . مكسه في السنة اربعين الف درهم . يؤخذ من كل قنطار سبعة ارطال . وحق الدار سبعة الدراهم . وهو اربعة اصناف . الاول الشديد الذي يعمل منه القطايف بقلب الجوز . والثاني اصفر يشبه العسل اللبن . والثالث المرتحل يشبه السكر المفتوت منه . والرابع السايل وهو صنفين . احدهما يزغلوه مع القطر النبات في عمل الكنافة والقطايف . والاخر يعمل منه جميع الحلاوات . يؤخذ عشرة ارطال دبس توضع في القدر وتنصر بياض البيض والنار فتبقى ستة ارطال ويضاف اليها قلب جوز ستة ارطال او دونها بقليل او (٦٦٢) يقوم بوزنه ويعقد حلاوة جوزية . او منقوشة . او سمسية . وتحط في العلب ويسافروا بها الى اكثر البلاد ومصر وبغداد وغيرها

الذي يباع بدار الطعم ثمنه اكثر من مايتي الف درهم خارجاً عن كروم اهل البلد الذي في الجبل والامراء والاجناد

الزبيب

نحو خمسة ستة الوان : الدريلي . والجوزاني . والاسود . والصغار بلا حب . وغير ذلك . ومكسه عشرين الف درهم . ويؤخذ منه مثل الدبس سبعة ارطال وسبعة دراهم .

الملبن البعلبكي

مكسه عشرة الاف درهم . وصفة عمله : القنطار من ماء العنب اذا وضع في القدر وأوقد عليه يبقى ستين رطلاً . يضاف اليه ثمانية ارطال نشا ورطلين قلب جوز وفستق ولوز ويسافر به الى جميع البلاد

الثلج

يؤخذ منه للسلطان الربع . وينقص من اول النهار الى آخره الربع . مكسه في السنة خمسة وثلاثين الف درهم . وضامن وديوان وغيره خمسة الاف درهم تكملة اربعين الف درهم . يباع في الشتا . يوضع على الفقاع وما يشرب بالماء في الصيف ماية الف درهم وستين الف درهم (٦٨٦)

وكانت كل هذه الرسوم ثقيلة الوطأة على الرعية لكثرة من كان يقتات بها من العامة والفقراء . ولذلك لما دخل السلطان نور الدين دمشق في العاشر من صفر ٥٤٩/١١٥٤ م رأى ان يتقرب من قلوب اهلها باسقاط مكس الدار في

جملة حقوق اخرى سلطانية[1] قال ابن القلانسي : ثم احضر بعد عد ذلك اليوم اماثل الرعية من الفقها. والتجار وخوطبوا بما زاد في ايناسهم... ثم تلا ذلك ابطال حقوق دار البطيخ وسوق البقل والانهار وانشأ بذلك المنشور وقرئ على المنبر بعد صلاة الجمعة. »[2] وزاد الصفدي « ابطال مكوس الكيالة وسوق الغنم وغير ذلك »[3]

ولكن ابطال هذه الحقوق لم يتجاوز اربع سنوات اواخر رجب سنة ١١٥٨/٥٥٣ حتى قام قوم من سفها. العوام وحسنوا للسلطان نورالدين اعادة ما كان سامح به اهل دمشق من مكوس دار البطيخ وعرصة البقل والانهار وضمنوا له القيام بعشرة آلاف دينار عنها والحوا بذلك حتى أجيبوا . فلما شرعوا بفرضها على ارباب الاملاك والاعيان والرعايا ضج الناس واستغاثوا بالسلطان فامر باسقاطها ثانية وتعفية اثرها . واضاف الى ذلك فيما رواه ابن القلانسي ابطال ضمان المريسة والجبن واللبن تبرعاً من نفسه[4]

على ان امد هذه المسامحة لم يكن طويلاً لشدة طمع الملوك والنواب في اموال الرعية وحرصهم على تتابع الجبايات والضرائب سداً لنفقاتهم الطائلة وربما اجتمع لهم منها على الاسواق والاملاك ما كانت ترزح تحت ثقله . فكانت الولاة لا ترى بدأ من مدة الى اخرى من التخلي عن البواقي منها وابطال هذه المظالم باسرها . ولعل رسوم دار البطيخ كانت في جملة ما اسقطه الملك العادل سيف الدين بن ايوب منها في ما نقله ابو المظفر سبط ابن الجوزي[5].

١) في خزانة اسكريال (Escorial) في جوار مدريد بين مخطوطاتها العربية مجموع غفل من اسم جامعه (رقم ٥٦٧) وفيه في الصفحات ٤٦ - ٤٨ نسخة توقيع كتب عن السلطان نور الدين بابطال المكوس في البلاد التي تولاها عُدّدت بلداً بلداً وفي مقدمتها دمشق كانت مكوسها السابقة في ازمنة مختلفة مئتي الف وعشرين الفاً وخمس مئة وثلثة وثمانين ديناراً . وكانت بتاريخ التوقيع خمسين الفاً وسبع مئة وثلثين ديناراً

٢) ذيل تاريخ دمشق ٣٢٧ — ٣٢٩

٣) تحفة ذوي الالباب . خزانة باريس ٥٨٢٧ ص ١٤٠

٤) ذيل تاريخ دمشق ٣٥٢ — ٣٥٣

٥) الوافي بالوفيات للصفدي . باريس ٥٨٦٠ ج ١ : ٤١

وفي سنة ١١٩٦/٥٩٢ « اسقط الملك العزيز المكوس من سوق الرقيق وما هو مقرر من المكوس في سوق الدواب ودار البطيخ والملاهي »[1]

وجاء ابطال رسوم الدار ايضاً سنة ١٤٠٣/٨٠٦ على اختلاف في تاريخ الشهر ذكر المقريزي انه في ١٦ جمادى الاولى نودي فيه في دمشق بابطال مكس الفاكهة والخضراوات[2] . ونقل ابن قاضي شهبة انه في ربيع الاول. قال : « نودي فيه بابطال مكس الفاكهة والخضراوات بامر النائب . وكان يؤخذ على المقاثي وغيرها . وكتب في ذلك الى مصر ليجيء مرسوم السلطان بذلك . وذلك بعدما احتال واشهد على المقطعين من الاجناد انهم راضون بذلك . فجاء المرسوم على حسب مكاتبة النائب في ذلك وبطل واستمر »[3]

وفي ١١ صفر سنة ١١٥٢/٩٢٧ « نادى الغزالي جان بردي نائب الشام « بابطال المكوس وما يؤخذ على البضائع بالخان ودار البطيخ »[4]

وكان بدمشق داران للبطيخ اشار ابن شاكر الكتبي الى موقع الاولى منها في كلامه على الكنيسة التي كانت بحضرة سوق الفاكهة وقال انها « كانت في دار البطيخ العتيقة »[5] وعيّن ابن عساكر مكانها عند قناة الثلّاج[6] وهي السبيل المعروف بحارة الثلاج قريباً . من كنيسة مريم ، وفي جوارها كانت قبلًا سوق الفاكهة . وذكر ابن شداد في جملة المساجد القديمة « مسجداً عند رأس درب التيمي في سوق دار البطيخ[7] . وموقع هذا الدرب كان بقربة من درب الحبّالين ودرب الفرّاش اي غير بعيد من الحارة المشهورة ببستان القط عن يمين الشارع الذي فيه الكنيسة المريمة . ولما وسّع الطريق في تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ ظهر وراء سبيل الثلاج قنطرة رومانية قديمة ترى اليوم من بقايا

١) نهاية الارب للنويري : جامعة ليدن Arab. 2ᶦ Gol. f° 214

٢) السلوك لمعرفة دول الملوك . باريس ١٧٢٧ ج ٣ : ٤١

٣) كتاب الذيل . باريس ١٥٩٩ ج ٣ : ٢١٣-٢١٤

٤) حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين لمحمد بن عيسى بن كنان خزانة برلين Wetzst II n° 117 f° 73 r°

٥) عيون التواريخ ١٥٨٧ باريس ٩٣

٦) مختصر بدران ١ : ٢٤٨

٧) الثالث من كتاب الاعلاق الخطيرة . بريتش موزيوم Add. 23335 f° 43

دار البطيخ العتيقة . ولم يذكر احد المؤرخين الزمن الذي بطلت فيه هذه الدار

واما موقع الدار الثانية فكان تحت القلعة اشار اليها ياقوت في ما رواه من الاخبار القديمة عن شيوخ دمشق وقال ان دار شداد بن عاد « كانت في سوق التبن ... وانه كان يزرع له الريحان والورد وغير ذلك فوق الاعمدة بين القنطرتين قنطرة دار بطيخ وقنطرة سوق التبن . وكانت يومئذ سقيفة فوق العمد »[1] . ولا يزال اسم سوق التبن معروفاً اليوم يدخل منه الى سوق خان الباشا اي الى سوق دار البطيخ . وقديماً زالت العمد والقنطرتان ولم يبق الا ساحة الدار وفيها الآن سوق الفاكهة حيث كانت قبلاً

ومن الاشارات ايضاً الى مكان دار البطيخ الثانية قول ابي شامة في كلامه على وفاة معين الدين أُنُز سنة ٥٤٤/١١٤٩ ان قبره « في قبته بمقابر العُوَينة شمالي دار البطيخ الآن »[2] . وقول ابن قاضي شهبة ان عمارة بهادر كانت سنة ٧٩٣/١٣٩١ « في سوق الغنم خلف دار البطيخ »[3]

وآخر ما ورد ذكر دار البطيخ في قول البدري من المتأخرين : ان « من محاسن الشام تحت قلعتها ... وهي ساحة سماوية ... تحفها الدور وتعلوها القصور ... فيها دار البطيخ الذي (كذا) يباع فيه جميع فواكه البلد . وبه العين المشهورة المُجمع[4] على برودة مائها وعذوبته وخفته »[5]

وممن ذكر دار البطيخ في القرن العاشر يوسف بن عبد الهادي في جزء له سمّاه كتاب الاعانات على معرفة الخانات قال : « دار البطيخ بها ثلاثة خانات الاول الشامي . والثاني عند باب المسجد قبلة . والثالث فوقه وبابه شامي . » وفي مكان هذه الخانات خان الباشا المشهور اليوم

ولم يتفق لنا العثور في كل مطالعاتنا على الزمن الذي بنيت فيه بالضبط دار البطيخ الثانية

١) معجم البلدان ٢ : ٥٨٩ وتصحف فيه اسم سوق التبن بسوق التين

٢) كتاب الروضتين ١ : ٦٤ والبداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٢٢٦

٣) كتاب الذيل ١٥٩٩ باريس ٢ : ٦٥ — ٦٦

٤) في المتن المطبوع « وبه العين المشهورة بالمجمع » وهذه الطبعة وافرة الاغلاط

٥) نزهة الانام في محاسن الشام ٦٣

نصّ قديم بالعربية

لمجمعي قنوبين سنة ١٥٩٦

للخوراسقف ميخايل الرجي (ملحق)

في القسم السرياني من المكتبة الوطنية بباريس ، كراس كرشوني يحتوي على نص مجمعي قنوبين سنة ١٥٩٦ . وقد تكرم صديقنا في باريس حضرة الخورسقف يوسف القفالي فارسل الينا ، بناء على طلبنا ، نسخة عن صورة منه محفوظة لديه . فراينا افادة في ارداف مقالنا السابق بهذه العجالة[1]

ذكر هذا الكراس العلامة زوتنبرج في فهرست القسم السرياني من مخطوطات المكتبة الوطنية ، تحت العدد ٢٢٩ ، واورد عنوانه كاملًا ، وافاد انه يتالف من ١٢ ورقة[2] . ويوم طالعناه في صيف سنة ١٩٤٩ ، قرأنا في اعلى الصفحة الاولى منه انه من جملة المخطوطات المتروكة عن العلامة رينودوت (Fonds Renaudot) . وذكرنا في مفكراتنا عنه انه « كله بخط سرياني قديم ولغة عربية قديمة ، وقد يكون من عهد البطاركة آل الرزي » . فنوضح الان، بعد ان قابلناه بنسختي بكركي، ان ما سبقنا فقلناه في هاتين النسختين، من حيث الترجمة واللغة والعهد ، ينطبق عليه تاماً[3] .

ولسنا نتوخى هنا ايراد كل ما كان مختلفاً في كراس باريس عن مثله في نسختي بكركي ، بل نكتفي بما يأتي :

١ً — نورد بعض ما جاء فيه اوضح واتمّ واصحّ :

١) المشرق : السنة ٤٦ : عدد كانون الثاني – شباط ١٩٥٢ ، ص ٤١ – ٦٨ .

٢) H. Zotenberg, *Catalogues des Manuscrits Syriaques et Sabéens de la Bibliothèque Nationale* Imprim. Nat. 1874, p. 176. col. 2.

٣) مقالنا السابق ص ٥٠ و ٥١ .

– العددان ١ و٢ جعلا واحداً (ص ٥٦ س ١ – ٣ من مقالنا السابق) .
– في التقديسات موضوع صلبوت الثالوث كله (ص ٥٦ س ٥) .
– العدد ٦ جعل اثنين (ص ٥٦ س ٨) .
– صورة جميع الاسرار عندهم غير كاملة (ص ٥٦ س ٢٠) .
– كل واحد شرح رايه وامانته (ص ٥٧ س ١) .
– التقديسات بنوعين . . . فلا تقال على الثالوث ، ما يزاد عليهم شيء . فلا تقال على الاقنوم . . (ص ٥٧ س ٨) .
– الاعداد فيه ١٣ فقط ، اذ جعل العددان ١٢ و١٣ واحداً ، كما هو الواجب (ص ٥٨ س ٤) .
– اذ امانتهم (ص ٥٨ س ١٣) .
– ام لاجل قلة معرفة الكهنة (ص ٥٨ س ١٥) .
– العراب . . . واحد ام واحدة ، ام بالاكثار واحد وواحده (ص ٥٩ س ٣) .
– في المجمع الترتناني بمكسة العدد . . فذلك هو بالعماد بين العراب ، اما [ام] العراب والعرابه ، والمعتد وابوه وامه ، وايضاً بين المعتد والمعمود وبين اب وام المعمود تصير القرابة (ص ٥٩ س ٥ وما بعد) .
– لان تناول جسد ودم المسيح كل واحد وحده واجب لكمال التقدمة ، الكاهن ما هو واجب انه يسرقها اذ يقرب الكهنة والشعب . بل هو اولاً يأخذ الجسد والدم وبعد ذلك يقرجم من القيات التي هي بالكاس ام منطسه بالدم ، ام بمع قليل من الدم (ص ٦٠ س ٩ وما بعد) .
– ايام الاعياد . . الذين تحت وصية واجب حفظهم (ص ٦٠ س ١٩) .
– مضرة عظيمة تكون لانفس الساذجين اذا كانوا في ايديهم (ص ٦١ س ١) .
– اذ يأدبون [يؤدبون] المخالفين (ص ٦١ س ٧) .
– بل بكمال وكلية يستطيعون يخدمون (ص ٦٢ س ١٦) .
– دون عند البطرك (ص ٦٢ س ٢٦) .
– ولهذا يتحددون اولئك الذين هم قد [قدر ، كنز] هذا الامر المقدس والذي للخلاص ، ويتحددون المواضع (ص ٦٢ س ١) .
– ومن الله العظيم والصالح (ص ٦٣ س ٢٢) .
– تحت وصية لجميع المؤمنين (ص ٦٤ س ١) .
– من لا يعطي البطرك (ص ٦٦ س ١١) .

٢ – ذكرنا ان القوانين الـ ١٢–١٥ من المجمع الاول بنصّه اللاتيني غير واردة في نسختي بكركي وقدرنا انها مهملة عمداً[1] . ولما كانت مرودة بكاملها

١) مقالنا السابق ص ٥١ .

في كراس باريس ، فبيان ان ناقلي نسختي بكركي تركاها سهوًا . ولا بدّ من ان ارقام الاعداد التالية في النسخة الناقصة الاولى بقيت كما كانت في الاصل اي ١٦ — ٢٠ ، ولم تجعل ١٢ — ١٦ ، كما في نسختي بكركي ، الا في النسخ المأخوذة بعدئذٍ عن الناقصة .

وهاك نص هذه القوانين :

١٢ً : الانا [الانية] الذي فيهم تحفظ الذخيرة المقدسة في الكنائس ، واجب انهم يكونوا ام من فضة ام من ذهب ام من مادة اخرى جيده . لكن ان كان ما يمكن ان يكونوا من هولاي ، بالاقل لا يصيروا من عود بل من نحاس ام قصدير وما اشبه ذلك .

١٣ً : الزاجه ما تصير انكان ما العريس ما يكون ابن اربعة عشر سنة ، والعروس بنت اثني عشر سنة . لكن قبل هذا الزمان ، يقدر يصير وعد وخطبة .

١٤ً : قدام كاهن الرعية المختص والشهود يقدون كلهم الجاذه . ويكون مع الكاهن المذكور كتابًا يكتب فيه اسامي المتزوجين والشهود والموضع واليوم . — وايضًا بثلاثة ايام اعياد متصلة يشهر الزواج المزمع في الكنيسة بالقداس .

١٥ً : غير لايق جدًا الحق هو ما سمعنا انه صار من بعض ناس الذين يزوجوا بناتهم للهراطقة وللمنفصلين عن الكنيسة . يتحطروا الاساقفة حتى ابدًا هذا لا يعود يصير .

٣ً — ترد التواقيع في كراس باريس بعد المجمع الاول ، مقصورةً على البطريركين والاساقفة والشدياقين ، دون الكهنة ، بنصها في نسختي بكركي باستثناء ما نورده هنا منها ، وبالترتيب التالي :

« انا بطروس سركيس بطرك الموارنه » . المطران يوسف الحبيس . المطران يوسف رئيس دير قزحيا « في جبل لبنان ، مثبت من قديم الزمان بهولاي رسوم كنيسة رومية وفي الزمان الماضي والقابل والعتيد برضاي والان الى الابد » . الشدياق خاطر . الشدياق فرج . المطران يونان . « انا الحقير المطران ابراهيم اثبت وارضا بهولاي » . « انا الحقير المطران موسى اثبت هولاي وارضا بهم » . البطريرك يوسف ، المطران موسى العنيسي .

ان بين هذه التواقيع اثنين جديدين ، ليسا في نسختي بكركي : توقيع المطران موسى المتوكل على بشري ، الوارد اسمه في مقدمة المجمع الاول بنصه اللاتيني ، وتوقيع المطران ابرهيم الوارد ذكره ، بعرض المجمعين ، هنا فقط .

فمن هو هذا المطران ابرهيم ؟ فتشنا فلم نقف في تواريخ الطائفة على اثر لمطران بهذا الاسم في هذه الحقبة . ويُعرف مطران بهذا الاسم في لحقبة التي تليها . ذكر الدويهي رسامته ووفاته ، هكذا : في سنة ١٦٥٥ « كانت قسمة [رسامة] الاسقف ابرهيم السمراني » ، وفي سنة ١٥٧٧ « في الثامن عشر من شهر ايار ، انتقل الى رحمة ربه الاسقف ابرهيم بدير قزحيا »[١]

فترجح ان كراس باريس قد كُتب في دير قزحيا ، بدليل ما زيد فيه على توقيع رئيسه المطران يوسف السمراني من عبارات تشيد بغيرته المفرطة في قبول رسوم كنيسة رومية ، كما هو معروف عنه وعن ذويه واصحابه في ذلك العهد ؛ وانه قد كُتب في عهد المطران ابرهيم السمراني المذكور ، فزاد الناسخ، وقد يكون المطران ابرهيم نفسه ، توقيعه اسوةً بالمطرانين يوسف ويونان اللذين كانا من عائلته ومن سلفائه في دير قزحيا . والله اعلم .

٤ — قبل ان يغادر الاب دنديني لبنان ، عقب عقد المجمعين ، ترك الى البطريرك يوسف الرزي « مذكرة خطية » بخمسة عشر بنداً ، تدور على امور لم يُؤتَ على ذكرها في المجمعين ، بل كان قد خاطب البطريرك بشأنها مشافهةً فقط ، كما صرّح بذلك في رواية رحلته ، حيث يورد البنود الـ ١٥[٢]

فالكراس الباريسي الذي نحن بصدده يورد قبيل اخره ، بعد قوانين المجمع الثاني وقبل لوائح الاعياد والمحفوظات ، صورة كتاب بعشرة بنود ، بدون اسم في عنوانه ولا عنوان في اخره ، كما سترى ، لكنه بدون ريب ترجمة كتاب من الاب دنديني الى البطريرك يوسف ، وما هذا الكتاب سوى « المذكرة الخطية » المحكى عنها ، بتصرف يسير ، مع اهمال بنديها السادس والسابع . واليك نص الكتاب :

ايها السيد الشريف المكرم

تكون سيادتك راضية بتذكار الاشياء التي انا واياك اتفقنا عليهم بيني

---

١) تاريخ الازمنة ، طبعة الاب توتل ، المشرق ٤٤ (١٩٥٠) ، ص ٣٥١ و٣٧٣ .

٢) دنديني ، ص ١٣٠ — ١٣٢ .

وبينك ، وبحضرة بعض من الاساقفة ، وبحضرة السيد الشدياق خاطر ، لاجل خدمة الله وعون الطائفة التي هي متسلمة لتدبيرك .

اولًا : كثرة الحرص باحتفاظ جميع القوانين المتطمنة بالمجمعين . ولاجل ذلك تكون نساخة [نسخ] كثيرة عند الاساقفة وعند الكهنة ، خصوصياً في المواضع المختصين : (Terre principali) .

ثانياً : وقتاً تبعثون اولاد المدرسة [المارونية في رومية] ، لا يكونون اقل من اربعة عشر سنة بالعمر ، وسنة يكونون متدربين بالغراماطيقي والقراية والكتيبة . وبعد ذلك يمشون بالخفي بقلة خسارة وخطر من المسلمين (دنديني : Turchi ؛ ويزيد : بدون تعريج السفينة على قبرس ، او اقله بدون النزول اليها) .

ثالثاً : انكم تشغلوا التلاميذ الذين يرجعون من رومية بانتهاء المدرسة (Conforme al fino del Collegio) بشوغلٍ [بشغلٍ] واجب (ما يتبع مفصلًا هنا هو مجمل في دنديني بعبارة : كشل الاشغال المحكى عنها فيما سبق) كشل الاسقفية للعلم ، وبالاكثر بتدبير الكنائس والكرز والاعتراف وعلم تعليم المسيحي للاولاد ، بقراية امور النية ، بكتيبة بعض من الكتب الضروريين للطائفة ، بوقوفهم عند البطرك ام الاساقفة ، ليجاوبرن بالصعوبات التي تعرض ويرافقهم بالزوران [زيارة الرعية] ، ام الى هذا الزوران مرضهم يرسلون .

رابعاً : يصيرون اساقفة للمواضع الذين معتادين يكونون فيها (دنديني : للمواضع الخالية وبالاخص لقبرس) . ولاجل ذلك واجب الكتيبة الى رومية في شأن رسامة غبريال ام يوحنا لينبعث الى قبرص (دنديني : في شان رسامة وتكريس احد تلاميذ المدرسة وردّه الى وطنه) . الان ينبعث احدًا في اذار المزمع حتى يزور ويسلّي المواونة الذين هم في تلك الجزيرة وياخذ معه كتاب [كتب] قداس الذين هم في طرابلوس وزيت مقدس وطبالبط وصمدات .

خامساً : يصير نياع [؟ : ينسام] اسقف في العاقورة . والان ينبعث احدًا يزورها .

(في دنديني فقط : سادساً : مشورة بارسال وفد الى رومية لتقديم الطاعة باسم البطريرك

الى الحبر الاعظم وطلب التثبيت والدرع ؛ - سابعاً : طلب تعيين شخص كفوء لوضع الكتب اللازمة لخدمة الجلال الالهي ولفائدة الطائفة ، وعرض اسم المطران جرجس عميرة كشخص كفوء كل الكفاءة لهذه المهمة)

سادساً (دنديني:٨) : يترستاق [يقيض] للرهبان زمان الصلاة العقلية ، فكل ما يمضوا على بكره لاعمال الجسد [الاشغال اليدوية] وعلى قبل النوم.

(دنديني : ٩) : بغير اختصاص واذ ما يكونون وتعطيهم عازاتهم (؟؟ ؛ دنديني : يجرد الرهبان من حق التملك ويقدم لكل منهم الطعام واللباس وسائر حاجاته) .

(دنديني : ١٠) ويحفظون الطاعة الى رئيسهم بالديور .

(دنديني : ١١) وياكلون كلهم جملة في قراءة الكتب المتادة للرهبان . وكل ما [منهم] ينام بقلايته ، ولا يختلطون [في المنام] مع العامية .

سابعاً (دنديني : ١٢) : بالدخول للرهبنة تصير التجربة بمدة سنة بالاقل ، تحت تدبير وعلم انسان روحاني ام معلم . وبعد ذلك ظاهراً يعمل على روحه نذر المسكنة والطهارة والطاعة .

ثامناً (دنديني : ١٥) : ان يكون دايم امامك توقير وعون الانفس التي تحت تدبيرك، اذ انت فاكر دايم بشغلك الذي هو المجهد [الاجتهاد] بتدبير الرعية الذي فيه روح القدس وظكم [وظعكم=وضعكم] لتدبيرها بيعة الله التي ربجهابدمه.

تاسعاً (دنديني : ١٣) : تتحظر في تمويق الكنائس . ولا في مولاى بالهينه تحلل خصوصاً مع الزوك [الزوط = الحول] واوحاشات الجسد الكبيرة (دنديني : في الرسامات يجب الانتباه الى العجز الكنسي فلا يفسح منه بسهولة ، وخصوصاً للحول ولسائر المصابين بعاهة جسية مماثلة هامة) .

عاشراً (دنديني : ١٤) : تجتهد وتتكلم مع الاسياد الشدايقة حتى يخلصون من الجوالي والخراجات (dal tributo della testa) مولاي التلاميذ الذين هم ان [إماً] متوكلين في خلاص الانفس و [اماً] مزمعين ان يتوكلون لان هاكذه الشدايقة قايلين (hanno promesso) .

بستة من تشرين الآخرى بسنة الفص و [١٥٩٦]

انجيل خطي قديم

تعريفٌ لهُ

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

عثرنا في سنة ١٩٢١ ، على هذا الانجيل الخطي القديم ، عند المرحوم الشيخ يوسف فرنسيس ابي جبر الخازن (شقيق الكاتب الشهير الشيخ شاهين الخازن المتوفى في الاستانة) في بلدة غوسطا ، كسروان ، يحتوي على اناجيل الرسل الاربعة ، متى ومرقس ولوقا ويوحنا . وهو كتابٌ ضخم يقع في ٩٥١ صفحة كبيرة ، في حقلين سرياني وكرشوني الملفوظة حروفه بالعربية ، مجلَّد بمجلد متين ومنسوخ على ورق عبادي سميك بخط القس يوسف ابن القس سليمان مبارك من مزرعة بطحا الملاصقة غوسطا ، نسخهُ سنة ١٦٧٧ م في عهد بطريركية الطيّب العين والأثر اسطفان الدويهي على الطائفة المارونية ، على ما سيأتي ذكرهُ . وفي بداءة كل انجيل للمبشرين الاربعة نقشةٌ جميلةٌ بالحبر الاسود والاحمر ، وتُعيّن قراءة كل انجيل من هذه الاناجيل الاربعة للآحاد والاعياد وآحاد الصوم وايام اسبوع الآلام . ولم يذكر الناسخ النسخة التي نَسَخَ عنها .

جاء في بداءة الانجيل الاول في هذا الكتاب :

« باسم الثالوث الاقدس الآب والابن والروح القدس الاله الواحد . نبتدئ بكتابة الانجيل المقدس لبشارة متى الرسول صلاتهُ معنا امين» .

واننا ننقل هنا الانجيل الذي يُتلى في يوم عيد الغطاس كمثل يستدلُّ به القارئ على سياق هذا الكتاب وهو منقول عن نصهِ السرياني الذي مقابلهُ حرفيًا :

« وفي تلك الايام جاء يوحنا المعمداني يكرز في بريّة جوذا ويقول توبوا فقد اقتربت منكم ملكوت السماء لان هذا الذي قيل في اشعيا النبي اذ يقول صوت صارخ في البريّة اعدّوا

طريق الرب وسهّلوا سبلهُ . وكان لباس يوحنا من وبر الجمل ومنطقة جلد على حقويه وكان طعامهُ حشيش يسمّى نجريد وعسل برّي، وكان يخرج اليهِ من اورشليم وكل اليهودية وجميع كور الاردن معترفين بخطاياهم وكانوا يتعمدون منهُ في نهر الاردن . فلما رأى كثيرًا من الفريسيّين والزنادقة يأتون الى معموديتهِ قال لهم : يا اولاد الافاعي مَن دلّكم على الهرب من الرجز الآتي اعملوا الآن ثمرة تستحق التوبة ولا تظنوا وتقولوا في نفوسكم ان ابانا ابراهيم ، الحق اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة بنين لابراهيم ، وهذا الفأس موضوعة على اصول الشجر فكل شجرة لا تثمر ثمرًا صالحًا تُقطع وتلقى في النار . انا اعمدكم في الماء للتوبة والذي يأتي بعدي هو اقوى مني ولست استحق ان احلّ سيور حذائهِ فهو يعمدكم بروح القدس والنار وبيدهِ الرفش ينقّي بها بيادرهُ ويجمع القمح في الاهراء والتبن فيحرقه في نار لا تُطفى . حينئذٍ اتى يسوع من الجليل الى الاردن الى يوحنا ليتعمد منهُ فامتنع يوحنا منه وقال : انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تأتي اليّ . اجاب يسوع وقال لهُ : دع الآن هكذا يجب لنا ان نكمّل كلّ البرّ . حينئذٍ تركهُ ، فلما اعتمد يسوع للوقت وصعد من الماء انفتحت بهِ السماوات ونظر روح الله نازلة كمثل حمامة جائيًا اليهِ واذا صوت من السماوات قائلًا : هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سررت ».

وجاء في آخر انجيل متى بالحبر الاحمر ما هو مسطّر بحرف سرياني يُلفظ بالعربي ، وهو :

« كمل كتابة انجيل متى الانجيلي المتكلّم بلسان عبراني في فلسطين » .

ثمّ بخط عربي :

« ولله الحمد وعلينا رحمتهُ دائمًا الى الابد امين » .

ثمّ تلي هذه الزجلية في الكهنوت ، بخط كرشوني وهي :

هذه يات (ابيات) على الكهنوت

اول افتهم يا كاهن ولا تكون متهاون
في خدمتك لربّك انك دُعيت لهُ كاهن

❖ ❖

الكاهن ينال كاروبي في خدمته منصوبي
جسد المسيح مطلوبي من كل من هو كاهن

❖ ❖

وانت المسيح اختارك وعملك سراج لجارك
استقيم بافكارك واعرف طريق الكاهن

❖ ❖

هو صنعته القدّاس الماسة لهُ حرّاس

وجسد المسيح بكرّس ويفشمهُ الكـاهن

❁ ❁

اربع جواهر ينعم فيهـا دلايل تُعلم
لا تنص بقال ولا ظلم لاهوت وناسوت باين

❁ ❁

المسيح رأس الكهنه قسم جسده بمنه
اعطاه لنا الكهنه وعلّمك يا كاهن

❁ ❁

وقال للكلاب لا تعطيه ولا للخنـازير ترميه
وانت متصرّف فيه وأمين عليه يا كاهن

❁ ❁

ولا تقول هو محصور ولا نقصاً او مكسور
ذا سرّ هو نور من نور صحيح اقبل يا كاهن

❁ ❁

اول خـاصي لذاتك تذكارًا لايمـانك
ومن طلب بصلاتـك تقدر تعطيه يا كاهن

❁ ❁

تمام من ما يخصّك المحبة تريد ليس نفسك
وجهدك وكل حرصك مع والديك يا كاهن

❁ ❁

الثاني يقـال خاصّي لمن تاب وقد كان عاصي
وابنا واقنـا كاسي ولبسك يـا كاهن

❁ ❁

الثالث لمن هو القدّاس ولمن حضر في القدّاس
ولكل اولاد الناس احيا واموات خـازن

❁ ❁

هـذا عظيم الاجرا عالي تراه في الحضرا
تناولهُ وندمى بالقدرا تتصرّف به يا كاهن

❁ ❁

الرابع ثبت بارسال لامنا اليمه ونتقـال
هي وحدها به نمثال ما هي بتصريف كاهن

❁ ❁

لكنه بتصريف البـاب مع الروسا والاصحاب
هم ينفقوه على الاحباب افتهم ذا يـا كاهن

❁❁❁

وجاء في آخر انجيل مرقس ما يلي ، وبالحبر الاحمر :

«كمل الانجيل المقدّس المقدس كرازة مرقس البشير المتكلّم بالرومي في مدينة رومية ».

ثم بحرف كرشوني :

«فلمّا كان تاريخ سنة ܐܠܦܨܚܫ (١٩٨٨) يوناني كمل هذا الكتاب المبارك الانجيل المقدس في ايام سكانة الدير المعمور مار سركيس ريفون في بلاد كسروان(١ في مملكة الشام الكهنة القس عازار والقس يوسف والقسيس سليمان واثنا عبد الرب والشدايقة الشدياق سركيس واندراوس وجبرايل ، وفي ايام الشيخ ابو قانصواه (الخازن) والمطران جرجس حبقوق البشعلاني . الله يأجرهم دنيا واخرى » .

ثم تأتي هذه النبذة وهي :

« وفي تلك السنة (١٩٨٨ يوناني) جاء الجرد وزحف وأكل الزرع وما خلّا شيء ، وكان محل عظيم في جميع الغلات وغلا شديد كان في تلك السنة » .

وورد في آخر انجيل لوقا :

« كمل انجيل لوقا البشير المتكلّم باليوناني في سكندرونه بمعونة الله تعالى » .

ثم جاء في الحقل السرياني ما ترجمته :

« صلّوا على الخاطئ يوسف من بيت مبارك الذي كتب انجيل ربنا » .

وعلى هامش احد اناجيل يوحنا صفحة ٨٥٠ ، ورد اسم ناسخ هذا الكتاب ضمن حلقة مستديرة مرسومة على شبه الختم ، وفي محلٍ آخر على هذا النمط ايضاً بالعربي والكرشوني :

«يوسف باسم قسيس ابن القسيس سليمان ابن مبارك(٢ من قرية غوسطا بطحا ١٦٧٧م».

---

١) راجع مقالاً للخوري ابراهيم حرفوش : الاديار القديمة في كسروان – دير مار سركيس ريفون . المشرق ٨ (١٩٠٥) ، ص ٢٤٧،٦٧-٢٥٣ ومقالاً للاب انطونيوس شبلي : جولة في كسروان . دير مار سركيس ريفون . المشرق ٢٦ (١٩٢٨) ص ١٢٨ .

٢) أطلعنا السيد الفرد عبده مبارك من ريفون ، رئيس محاسبة في وزارة الاشغال العامة، على كتاب خطيٍّ كُتب بالحروف السريانية (بالكرشوني) التي تُلفظ بالعربية يسمّى : « تفسير انجيل ماو يوحنا الرسول لأبينا المكرّم كورنيلوس بن كورنيلوس الحجري الراهب اليسوعي أجزل الله فضله » . تحتوي مقدّمته ثلاثة فصول ، وهو مجلّد ضخم ، مكتوب على ورق عادي بحبر اسود وعناوينه بحبر احمر ، قد خرق الحبر ، لكثرة الزاج فيه ،

وجاء في آخر انجيل يوحنا بالخط الكلداني ما يلي :

« كمل كتاب الانجيل المقدس بشارة يوحنا المتكلم في اليوناني بافسس ».

ثم وردت هذه الكتابة بالسرياني وهي :

[illegible]

[illegible]

بعض سطور صفحاته . علق ناسخه نبذةً في آخره ، تتضمن اسمه ونسبه وبعض افادات ، وهو من سلالة القس يوسف ابن القسّ سليمان مبارك ناسخ كتاب الانجيل الذي نحن في صدده . واليك النبذة المذكورة بالحرف الواحد :

« اللهمّ لاحظنا بنعمة التوفيق ووفّق لنا الخلاص بنعمتك امين . ولا تسمح بابتعادنا من كنيستك المقدسة الرومانية التي أقمت رأساً عليها ماري بطرس سليحك وسائر خلفائه أحبارك الرومانيين . وانا الناقل المترجم الحقير اعترف انني أحيا وأموت على هذا الايمان خاضعاً لتلك الكنيسة المقدسة المعصومة من الغلط والدنس ، ولرأسها الذي يملك يومئذٍ علينا وهو الكليّ الغبطة بيوس التاسع . دامت رياسته علينا امين . وبأيام غبطة السيد البطريرك ماري بولس بطرس مسعد العشقوتي الكليّ الطوبى . وبأيام السادات المطارين : المطران عبدالله بستاني والمطران بولس موسى والمطران يوسف رزق والمطران نقولا مراد والمطران يوسف جعجع والمطران اسطفان الخازن والمطران يوسف المريض والمطران بطرس البستاني والمطران طوبيا عون والمطران بطرس مسعد عشقوتي (شقيق البطريرك مسعد) . ثم بقلم كاتبه سركيس ابن جبرايل مبارك ابن سركيس ابن شمعون ابن الخوري ابراهيم ابن الخوري جرجس ابن القس سليمان ابن أبو يوسف مبارك . وذلك في مدرستنا ماري سركيس ريفون بأيام عمي الخوري صالح ريس المدرسة وبأيام عمّي الشمّاس الرسايلي فرنسيس ابن الخوري جبرايل . وكان ذلك في اول يوم من شهر نوّار (ايّار) سنة الف وثمان مائة وتسعة وخمسين مسيحيّة . وكانت سنةً ضيّقة سنة ضُربت الكروم والتوت وانباع رطل الحمر بعشرة قروش ودرهم بزر القزّ بثلاثين قرش . وكانت سنة حركات (حرب وقتال) وغوشات في كسروان ما بين المشايخ الخوازنة والفلّاحين وكلٌّ يتعلّل بما عنده والحق أعلم به . وكُتب (هذا الكتاب) من يدي لاجل الضرورة والعازة ولا تلومني اذا وجدتَ غلط إصلحه يا ايها القاري لانني متعلّم لستُ بمعلّم . وهو اول كتاب كتبتُ الله يصلح حالك . واحذر بما تقول ، عنك يُقال . وفي هذه السنة كان ابتدا عمار مدرستنا ريفون عن يد المعلّم سمعان حريق شويري خيار أحد الجديد وكان بطرقوني وبرد وكان كرارجي (متسلّم بيت المؤنة) عندنا في المدرسة القس قرنتيوس الفقير ابن مرتينوس ابن الخوري طانيوس الفقير ريفوني الراهب بلدي لبناني » .

ܘܒܨܝܪ ܘܫܝܛ ܙܒܠܗ ܕܟܠܗ ܐܢܫ ܚܛܝܐ ܘܦܚܘܬܐ
ܡܗܝܪ̈ܐ ܘܡܠܦܢ̈ܐ ܒܨܘ̈ܝܐ ܘܩܪ̈ܘܝܐ ܘܡܦܢܝܢ̈ܐ
ܢܗܝܪ̈ܐ ܘܡܦܫܩܢ̈ܐ ܡܠܝܛ̈ܐ ܘܥܬܝܪ̈ܐ ܚܦܝܛ̈ܐ ܥܠ
ܒܨܝܪܐ ܘܗܕܝܘܛܐ ܘܒܥܝܪܐ ܘܚܝܘܬܐ ܘܫܛܝܐ ܘܫܒܪܐ
ܘܫܝܛܐ ܘܚܣܝܪܐ ܒܝܕܥܬܐ ܘܐܒܠܐ ܕܟܠ ܐܢܫ ܘܚܛܝ
ܛܒܐ ܝܘܣܦ ܒܫܡ ܩܫܝܫܐ ܒܪ ܩܫܝܫܐ ܣܠܝܡܘܢ
ܡܢ ܒܝܬ ܡܒܪܟ ܡܢ ܩܪܝܬܐ ܪܚܡܬ ܡܫܝܚܐ ܒܫܢܬ
ܣܛܚܐ ܐܠܦ ܫܒܥܝܢ ܠܡܪܢ ܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܕܠܗ ܫܘܒܚܐ
ܘܠܐܡܗ ܒܬܘܠܬܐ ܐܝܩܪܐ ܠܩܕܝܫ̈ܘܗܝ ܐܝܩܪܐ
ܘܠܥܕܬܗ ܙܟܘܬܐ ܥܠ ܒܥܠܕܒܒܝܗ ܘܠܚܛܝܐ
ܪ̈ܚܡܐ ܘܥܘܕܪܢܐ ܕܐܫܠܡܗ

ترجمة هذه الكتابة السريانية

كمل (الكتاب) بعون الثالوث الغير المتجزئ ، على يدي انسان اخطأ من كل بني البشر وزبل كل انسان وأدنى واضعف. صلّوا اطلبوا يا اخوتي الاحياء والصادقين الماهرين والملافنة الفاحصين والقارئين المجيبين والحكماء المستنيرين والمفسّرين الحاذقين والاغنياء المجتهدين ، على الحقير والجاهل والبهيم والحيوان والاحمق والطفّال والجاهل الناقص الدنيء وقاية كل انسان والخاطئ كثيراً (١) ، باسم القس يوسف ابن القس سليمان من بيت مبارك من قرية محبة للمسيح سطحا بسنة ١٣٧٧ لربنا يسوع المسيح الذي له المجد والمديح ولأمه البتول والاكرام لقديسيه وليبعته الانتصار على اعدائها وللخاطئ المراحم والمساعد الذي انجزه .

ثم جاء في الحقل الثاني مقابل هذه النبذة السريانية المذكورة ما يلي بالحرف الواحد :

« وكان الفراغ من هذا الانجيل المقدس في شهر تموز المبارك من شهور سنة ١٦٧٧

(١) قد اعتاد نسّاخ الكتب الاقدمون ان ينعتوا انفسهم بمثل هذه الاوصاف والنعوت الدالّة على روح التواضع المتأصل فيهم .

مسيحية ، في ايام رئيس الاحبار البابا اينوشنسيوس الحادي عشر ، وفي ايام الاب المختار (المختار) رئيس الرؤساء مار اسطفانوس (الدوحي) البطريرك الانطاكي المتولّي على ملّة المارونيّه ، وفي ايام ساداتنا المطارنة المكرّمين المطران جرجس (حبقوق) البشعلاني والمطران جبرايل البلوزاني والمطران يوسف الحصروني والمطران بطرس (مخلوف) النوسطاني والمطران يعقوب الرامي والمطران بولس المدناني والمطران يوحنا التولاني والمطران ابراهيم السرالي . هؤلاء المذكورين الله يديم رياستهم زمانًا طويل ويرحمنا الرب في بركة صلاتهم آمين » .

وعلى ورقة بيضاء في آخر هذا الكتاب حجّة رسميّة بالزام تقدمة قداديس معيّنة بخط الشيخ فيّاض الخازن وتوقيعه وختمه بالحروف العربية . واليك نصّها بالحرف الواحد :

وجه تحرير الاحرف : هو ان (انا) انّنا نحن والكهنة الذي (الذين) في دير ريفون وهم الخوري يوسف والخوري سليمان واولاده القس يوسف والقس سركيس والقس ايوب والقس اندراوس واندراوس الدرعوني وكل من يكون يخدم في هذه (هذا) الدير المبارك المسمّى بدير مار سركيس ريفون وعلى اسم ستنا العذرى والقديس مار الياس والقديس مارجرجس(١) وكل من يخدم هذه الهياكل المقدسة ، ان يكون على اسم كاتب هذه الاحرف ابو قانصوه فياض ابن ابو نوفل قداديس مها يكون موجود كهنة في الموضع المذكور . يوم الجمعة الى والدته ويوم السبت ويوم الاحد يكون على اسمه لنفسه . وكذلك يوم الاثنين والثلاثاء يكون على اسم المطران جرجس حبقوق لانه كان معتني في عمارات الموضع وحائط من اكلافه وصار باتفاق على رضا الجميع المذكورين والله الوكيل بين الجميع . والكل يكونوا مجتهدين في عمار هذا الموضع وكل من له اجرة على قدر تعبه .

ولما تمّ الحال على هذا المنوال كتبنا هذه الاحرف شهادة لاجل ما (من) يأتي بعدنا من الكهنة ويسكنوا هذا الموضع كيف يكون سلوكهم وقوانينهم . ونحن كذلك نوصي اولادنا ودريتنا اضم دايين (دائمًا) يكونوا مساعدين وناظرين على عمار هذا المقام بكل قدرتهم وجهدهم والله الموفّق .

حرر ذلك سنة الف وستماية وواحد وثمانين مسيحيه في خامس عشر شهر نوّار من السنة المذكورة نهار عيد الستّ السيّدة وهو يوم تكريس المذابح المقدسة المذكورين على يد سيدنا المطران جرجس حبقوق في التاريخ المعيّن اعلاه . ويكون فاضل من الجمعة يوم الاربعاء والخميس يكون الى القسوس والرهبان الذي (الذين) في الدير صح صح صح(٢)

كاتبه

فياض ابن الخازن

(الختم)

١) قد شيّدت ثلاثة مذابح في كنيسة هذا الدير على اسم هؤلاء القديسين الثلاثة.

٢) ان هؤلاء القُسُس والرهبان الذين ذكرهم الشيخ فياض الخازن في هذا الصك

والمطران جرجس (حبقوق) عاد سمح الى الرهبان في يوم الثلاثا ولا يكون له إلّا يوم الاثنين لا غير . وكذلك شارطنام ان لا يكون راهب ولا راهبة في الدير إلّا على رضانا وخاطرنا . وكذلك الريّس الذي يكون لا يفعل شي من امور تلزم المشورة إلّا بشورنا . وبعدنا يكون هذا الشي في يد الكبير من اولادنا واولاد اولادنا ، ومتى ما حضر من درّيتنا احد في هذا الدير المبارك يكون هو المتكلّم ولا يكون فوق يده يد . وعلى هذا وقع الشروط والاتفاق والله الوكيل بين الجميع .

صح . وكذلك شرطوا الرهبان على حالهم انهم يعملوا قوانين الرهبنة ولا احد منهم يعمل له رسال ولا مقتنى بكل جميع ما دخل لهم يكون الى الدير . وهذه شروطهم بحضور حضرة سيدنا المطران جرجس(١

كانوا يتقيدون بنظام الرهبان المبأد في دير مارسركيس ريفون ويخضعون مباشرةً امّا لسلطة البطريرك وإمّا لسلطة مطران الابرشية المتولّج شؤونها من قِبل السيد البطريرك ، كما كانت طريقة عيشة النسّاك والزهّاد القديمة في جبل لبنان، قبل نشأة الرهبانية البلدية اللبنانية المعترف بها من الكرسي الرسولي المقدس .

١) يظهر من ذلك ان كتاب الانجيل هذا الذي نحن في صدده كتبه الناسخ القس يوسف في دير مارسركيس ريفون واتصل بالشيخ فياض الخازن المعروف بابي قانصوه وحصل عليه الشيخ يوسف فرنسيس ابي جبر الخازن من احد سلالة الشيخ فياض . وهذا الملك المبيّنة فيه القداديس والمكتوبة فيه هذه الشروط نقله بحرفه الشيخ فياض المومأ اليه على احدى اوراق هذا الانجيل، من النسخة الاصلية الحاملة توقيعه وتوقيع المطران جرجس حبقوق والرهبان المذكورين دلالةً على اتفاقهم على هذه الشروط .

كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان (مخطوط)

النسخة الاصلية ، وهي اثر أُنف لم ينشر قبلُ

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني

شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس الخوري

الراهب اللبناني (تابع)

فاشتدت الفتنة بين الامير علي ، واخيه الامير احمد . ثم اصطلح الامر بينهما على انهما يقتسمان بلاد وادي التيم بينهما نصفين . فتولى [٣٥] الامير علي حاصبيا ، واستقر فيها . وتولى الامير احمد راشيا ، واستقر فيها الى عصرنا هذا . الا انه ، لما كانت سنة الف ومائة وتسعة هـ. (١٦٩٧ م.) ، توفي الامير احمد المعني ، وانقطعت به السلالة المعنية ، اجتمع وجوه جبل الشوف واكابره ، واحضروا الامير بشير ابن الامير حسين ، ابن الامير احمد ، امير راشيا ، لانه كان ابن شقيقة الامير احمد المعني ، واحضروه الى الشوف ، وجعلوه عليهم . وتولى مكان آل معن ، فاستقام له الامر بعد امر يطول شرحه . واستقر في دير القمر ، واضعاً يده على جميع عقارات آل معن ، واقطاعهم وولايتهم ومتروكاتهم ، الى ان توفي بعد ولاية تسعة سنين . وكانت وفاته سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م.) .

ولما توفي نهض وجوه الشوف ومشايخهم ، واحضروا الامير حيدر ، ابن الامير موسى ، من امراء حاصبيا ، وجعلوه والياً عليهم ، مكان الامير بشير. وكان هو الاحق بالولاية ، لانه كان ابن ابنة الامير احمد المعني المقدم ذكره . استقر والياً واميراً يكسو الامارة ثوب الصيانة ، واميناً ادى الولاية حتى

الامانة . فتملكها بافي سعده ، واورثها لبنيه من بعده . وبقي اميرًا الى ان توفي سنة ١١٤٣ هـ. (١٧٣٠ م.) بعد ولاية ست وعشرين سنة . وترك تسعة اولاد ذكورة . فتولى بعده اكبر اولاده ، وهو الامير ملحم ، وبقي حاكما خمساً وعشرين سنة . فتولى بعده اخوته : الامير منصور ، والامير احمد سنة ١١٦٧ هـ. (١٧٥٣ م.)

والامير ملحم توفي سنة ١١٧٣ هـ. (١٧٩٥ م.) . ثم تغلب الامير منصور على الامير احمد ، بعد مدة قليلة ، وانفرد بالولاية ، الى ان تغلب عليه ابن اخيه الامير يوسف ، ابن الامير ملحم ، واتخذ الولاية منه ، وذلك سنة ١١٨٥ هـ. (١٧٧١ م.) . وكانت وفاة الامير منصور سنة ١١٨٨ هـ. (١٧٧٤ م.) .

واستقام الامير يوسف والياً . وكان سابقاً اخذ من وزير طرابلس ولاية بلاد جبيل سنة ١٧٦٣ م. وكان حاكم عادل حليم رحوم. وعمر البلاد ، ومشى به ديوس . ورد النازحين ، وسن سنن وطرايق عادلة ، ومشى الحال باحسن منوال [٣٦] . واستقام حاكم مدة سنين . ومن جرى اطوار الجزار ، والي صيدا ، سلم الحكم بخاطره لابن عمه سعادة افندينا الامير بشير ، ابن الامير قاسم ، ابن الامير عمر الشهابي ، في سنة ١٢٠٣ هـ. (١٧٨٨ م.) .

وسعادته (الامير بشير) حكم تحت دير القمر ، وبلاد جبيل وتوابعها ومشى كل عدل وحلم ، واجرى الاحكام الشرعية على العالي والدون . ولم قام من قبله حاكم عادل مثله . ومشى الحق والسابلة . ولا يقبل رشوة ، ولا يحابي مع احد . وكان اغلب دعاوى رعيته يسمعها بذاته . وحقيق من مثله يسمى ملك من ملوك العدل . نسأله تعالى يطيل في ايام دولته لراحة عبيده . وهو امير هذا العصر والاوان ، ادامه الله الى منتهى الزمان امين[1] . وكانت

[1] لعمري ان هذا المديح يخصه المؤلف بالامير بشير ، ان هو الا نزول عند واقع الحال اضطرارًا . وتلك سنة يرعاها الناس في جميع العصور ، فيمدحون حكام عصرهم ، ولو على غير الحقيقة ، خوفاً من بطشهم . . . وقد رأيت في ترجمة المؤلف ، في مستهل هذا الكتاب ، كيف فتك به الامير بشير ، لانه كان من غير مواليه . وما هو هنا يمدحه بهذا الاطراء المبين . . .

وفاة الامير يوسف في عكا سنة الف ومايتين هـ. (١٧٨٥ م.) بعد ولايته ستة وعشرين سنة .

٥ً اصل بيت ابللمع

يقال ان اصلهم من بني فوارس ، احدى الطوايف العشرة ، القادمين من الديار الحلبية الى غربي لبنان . ومن سلايل فوارس كان ابو اللمع . وسكن بنو اللمع ، بعد تفريق المذكورين في الديار اللبنانية ، في متن لبنان ، الى ان قويت شوكتهم ، فصاروا مقدمين . وبقيوا على ذلك الى ان قدم بنو شهاب الى الديار اللبنانية ، وظهر منهم الامير حيدر ، وحصل حرب بين اليمنية والقيسية . فاشتهرت شجاعة بني اللمع فيوم عين دارا ، وذلك سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١م.) . فأمَّرهم الامير حيدر ، واطلق اسم الامارة على كبيرهم وصغيرهم. وهم باقون على ذلك الى عصرنا .

٦ً اصل بيت رسلان

جدهم الاول هو الامير مسعود ابن رسلان ، ابن مالك . وهو الذي قدم مع الطوايف العشرة المذكورين . وعند قدومه ، سكن في ارض سن الفيل ، الواقعة على نهر مدينة بيروت . ثم نهض منها الى قرية الشويفات ، فعمَّرها ، وتوطن فيها ، وبنوه من بعده الى عصرنا هذا .

[٣٧] ٧ً اصل بيت عساف وبيت سيفا ، حكام غزير

فلما الاسلام اخذوا كسروان وما يليها ، وحرقوها ، وبقيت خراب مدة سنين ، كما هو مشروح عنها في تاريخ المطران جبرايل القلاعي اللحفدي . وحين طال هذا الخراب ، التزم ملك الشام (واليها) الى محافظة سواحل البحرية من العساكر الافرنجية. فارسل كراد وتركمان الى حماية هذه الاماكن ، منهم امارة (امرا) الكراد الذين في كورة طرابلس . ومنهم كراد وتركمان سكنوا سواحل كسروان ، مثل زوق مكايل ، وزوق مصبح ، وزوق الخراب ، وغير اماكن في شطوط البحر . وبدا ملك الشام يمدهم ويقويهم في عساكر وذخاير ودراهم ، مدة مديدة . فظهر من هؤلاء الذين في الزواق ،

رجل يقال له عساف ، كان صاحب بطش وذو مال . فأخذ السكنة في قرية غزير . وكان يومئذٍ يسكنوها عيلة يقال لهم حبيشية ، الذين هم بها سكان الى يومنا هذا .

وعساف المذكور ابتنى سرايا في القرية المذكورة، وبجانبها جامع . واشتد بأسه في قرية غزير ، وتأمر ، وحكم ، واشتد حكمه من حد نهر الموت ، الذي ما بين انطلياس والبوشرية ، الى حد نهر البارد والضنية . وتقوى بأسه وعظم مقداره ، واجرا كل عدل . وكان يومها يحكموا من تحت يده ، في بلاد جبيل والبترون وجبة بشري ، مقدمين ، كل بمكانه ، تحت طاعة الامير عساف . وقضى مدة حياته . وخلف ولد يقال له الامير مصطفى . وتوفي الامير عساف في شيخوخة . واقتفى اثاره ولده الامير مصطفى ، وتولى جميع الاماكن والارزاق التي كانت بيد والده . واستقام حاكمًا مدة حياته . وخلف ولدًا يقال له الامير محمد . وكذلك المذكور تولى مكان ابيه .

وفي ايامه سلم حكومة بلاد جبيل الى بيت حمادة ، بسبب قتلهم مقدمين جاج ، كما هو موضح في تاريخ بيت حمادة . وفي ايامه ، قاموا بيت الشاعر من تولا الى المرقب[1] وولى بيت حماده بلاد البترون . واستقام في غزير حاكمًا . وتوفي متوسط العمر . ولم يترك زوعًا .

فالشيخ ابو منصور حبيش، الذي كان كاتخدا الامير محمد ، توجه الى مدينة عكار ، واحضر محمد ابن سيفا ، وجوزه حرمة الامير محمد عساف . وتولى هذا الامير تحت بيت عساف ، مع ايالتهم وارزاقهم واسبابهم . وتولى جملة سنين . وتوفي بشيخوخة . وتولى ولده مكانه كم [٣٨] سنة . وحصل بينه (بين ولده) وبين الامير فخر الدين ابن معن ، حاكم جبل الشوف ، جملة شرور (معارك) . ورو موا قصات (كذا) في ارض نهر الكلب ، وارض جونيه ، واستقام مدة سنين في هذه الحال والمضاغنة ، تارة يغلب ، وتارة ينغلب .

١) لا يزال نسلهم هناك حيث يدعون بيت هدرا . وقد نزح رهط منهم الى طرابلس فتوطنوها الى الان ، على ما فصلنا بايفاء في كتابنا « تاريخ طرابلس » المعد للطبع قريبًا انشاء الله .

وتوفي (ابن محمد سيفا) ، واقام ولده بعده . واستكن الحال بينه وبين امرا جبل الشوف ، الى ان قام الامير احمد ابن معن ، رجع واشتهر نار الحرب بينهم ، كما كانت سابقاً . وصار بينهم جملة شرور . في هذا الاثنا توي الامير محمد معن ، وطرد ابن سيفا من غزير ، وحرقها . وبعده رجع ابن سيفا الى غزير ، وحصلت مهادنة بينه وبين الامير احمد . واستقام ابن سيفا في غزير ، الى ان ظهر في بيت سيفا نفر (نفور) عام من قبل الدولة العلية ، واقامهم من عكار وسير وغزير . وتلاشت دولتهم من كل محل . وتبعت قرية غزير وكسروان الى حاكم الشوف، ولم تزل تابعة تحت جبل الشوف الى يومنا هذا .

٦ً اصل مشايخ بيت حمادة

هم قوم من العجم ، من بكارة . وكان جدهم حماذة من بعض اهلها . فنشأ فيها واشتهر بين اهلها . ثم اراد الخروج الى سلطان تلك الديار . فوجه اليها السلطان جيشاً ، فقتل من تعصب له . وفر حمادة باهله وعشيرته ، فقدم جبل لبنان، ونزل الحصين من تلك الديار . ثم كثر بنوه، وتولوا تلك الامصار ، كما يأتي ذكره في محله .

ومن بعد حضور الشيخ حماده الى قز (بصرود كسروان الشمالية في جوار افقا) ، تفرقت طوايف عشيرته ، الذين حضروا معه ، في جبة المنيطرة ، ووادي علمات . وكان له اخوة ، وهم : احمد ابو قانصوه ، الذي فيما بعد حكموا اولاده الهرمل . والحاج يوسف ، والنضبان الذي منه تسمت المناضبة ، اي بيت حسن ملحم . وبيت الحاج يوسف ، وبيت ابو قانصوه ، وبيت حسن ملحم ، صار يحرر لهم للشيخ لسماعيل اولاد العم .

والشيخ حماده خلف سرحال ، واحمد « ابو زعزوعه » الذي فيما بعد اولاده حكموا جبة بشري . وخلف ايضاً ديب ، الذي فيما بعد اولاده حكموا الضنية . واعطى ابنتيه الى مقدمين جاج ، الذين كانوا حكام بلاد جبيل ، وهم اسلام سنية . هؤلاء المقدمين ، لا بد حصل منهم عصاوه على الامير احمد ابن عساف ، حاكم غزير . وحين طالت هذه [٣٩] المنافرة بينهم ، ارسل الامير احضر اولاد الشيخ حماده ، واختلى مع احمد وديب سراً ، وتكلم

معهم انهم يقتلوا مقدمين جاج ، ويعطيهم حكومة بلاد جبيل . فما قبلوا بذلك ، لسبب انهم (مقدمو جاج) آخذين خياتهم . وحين رجعوا لعند اخيهم الذي لسبب صغره ما كان حاضر الجمعية (المؤامرة) ، لزّ عليهم (الحّ) ، احكوا له . فاستقفاهم (استنفلهم) وتوجه لعند الامير سرا ، وتدرّك له (تعهد) في قتل المقدمين ، واخذ منه حجة في حكومة بلاد جبيل .

وتوجه هو واخوته الى جاج بحجة لمة معزه . وارتصدوا الفرصة ، حين حصلت لهم ، وقتلوا المقدمين ، واشهروا امر الامير ، واخذوا روسهم وتوجهوا الى غزير .. والامير لبس الشيخ سرحال على بلاد جبيل . والمذكورين احضروا بيوتهم (عيالهم) الى جاج ، وحكموا واستقاموا مدة .

والشيخ سرحال خلف الشيخ حسين . ونقل هو واولاده الى قرية تسمى فرحت ، في وادي علمات . وبوقتها كانوا المقدمين بيت الشاعر حكام في قرية تولا (البترون) ، معمرين بها سرايا عظيمة مليحة . فتطارفوا عليهم آل حماده حتى يقدروا يقيموهم . فما انقاموا معهم . عملوا عليهم حرفة ، هم وسميتهم (اتباعهم) ، وصاروا يضيفوهم كل يوم مرة او مرتين ، حتى ضعفت قواهم من الخرج (الصرف) ، وما بقي عندهم شي . فالتزموا قاموا من تولا وبلاد البترون ، وتوجهوا الى بلاد المرقب ، واستقاموا عند حكامها .

ولزيادة نشاطهم وكرمهم ، انعرفوا في تلك الديرة ، وعند الدولة . وحين تغلظ خاطر والي اللاذقية على حاكم المرقب ، راسل بيت الشاعر سرًا ، انهم يقتلوا حاكم المرقب ، ويحكمهم موضعه . فقتلوه في الصيد ، وتسلموا القلعة ، وحكموا بلاد المرقب . ولم يزالوا اولادهم من بعدهم حاكين المحل المذكور الى يومنا هذا .

واما المشايخ بيت حمادة ، حين قاموا بيت الشاعر من بلاد البترون ، تسلموا البلاد ، وصاروا حكام بلاد جبيل وبلاد البترون . وصار منهم صولة عظيمة . وفي غضون ذلك ، حكموا اولاد ابو قانصوه الهرمل . والشيخ حسين خلف الشيخ سرحال . وهذا نقل الى ايليج ، اي ميفوق ، وعمّر بها عماره [٤٠] وسكنها .

وفي ذلك الحين ، الشيخ احمد حكم جبة بشري . واولاد الشيخ ديب حكموا الضنية . وامتد حكم بيت حماده الى حد عكار . وصار لهم اجازة على كامل المقاطعات ، على بر الشام ، لحد بوابة حماه . وعملوا رمية (فريضة) على كل ضيعة من تلك البلدان .

وحسين في ايليج خلّف اسماعيل وابرهيم وعيسى . واستقاموا مدة في ايليج . وكانت البلادين شرك (شراكة) . وتوفي الشيخ سرحال ، ودفنوه في ايليج . وبعده صارت خلفية بين الاخوة ، اسماعيل واخوته ، وقسموا بينهم : ابرهيم وعيسى اخذوا بلاد البترون حصة ، بما انه كان عامر . وبلاد جبيل برقتها كانت مدقّره (متأخرة) احواله . فاخذه اسماعيل مع وادي علمات ، والفتوح وجبة المنيطرة . وسمية بيت حماده تبعه (خاصة اسماعيل) ، وتدفع ميرتهم ويدفع نفع السمية .

ونقل من ايليج لسبب قربتها للدولة وسواحل البحر . وعمر سرايا في قرية لاسا (قرب افقا) في جبة المنيطره ، وسكنها ، واشتد بأسه في كامل المقاطعات . وصارت تهابه كافة حكامها . وبقي امره نافذ الى حد حلب ، من خوف الناس منه . واشتدت شوكة بيت حماده ، لان صار لهم جايز (نفوذ) على كافة المقاطعات . واخذوا من الكوره والزاوية مزارع وارزاق ، وبقيوا بكليك (اي مالك الدولة) ليومنا هذا .

والشيخ اسماعيل خلّف تلات اولاد ، وهم : عبد السلام ، وعبد الملك ، ونَصّر . واستقاموا في طاعة والدهم ، واشتدت شوكتهم ، وتعاظمت دولتهم ، وصاروا مليجا الى الصادي والغادي . وامتد جايزهم لحد بلاد بعلبك . واخذوا شطار بكليك لهم ، واستقام الحال معهم مدة سنين . وبعد وفاة اسماعيل ابيهم ، قسموا بلاد جبيل بينهم متالتة (ثلاثة اقسام) . اما السمية بقيت بيد الشيخ عبد السلام وتحت امره ، بما انه الاكبر . وهؤلاء الثلاثة اقتفوا اثار ابيهم ، وتملكوا مكانه .

وبعد مدة ، وهم بهذا الحال ماشيين ، حصل منهم ومن اتباعهم واولادهم ، تغير بشلدقة (اعتداء) وبشاعات في حق الفلاح . ولم يسلكوا آثار ابيهم في

العدل والرحمة. ومن جور (جراء) ذلك ، التزمت اهل المقاطعات تقوم عليهم، لاجل رفع [١١] هذا الجور عنهم . فقاموهم (طردوهم) اولًا من بلاد عكار. واهالي الضنية قاموا اولاد حسين ديب من الضنيه ، بعد جملة شرور (مواقع حرب) قتل من الفريقين .

وبعد مدة ، اهالي جبة بشري قاموا على اولاد احمد ، وصار بينهم جملة شرور ،وجملة قتل من الفريقين.وقاموا من الجبة سنة ١٧٥٩ م.واما باقي شرح قيامهم من الجبة ،طويل، يأتي ذكره في الكفاية في تواريخ (الكلام عن) الجبة.

يذكر ايضاً انه في تاريخ سنة ١٧٥٢م ، انعزل محمد باشا من طرابلس ، وصار قيمقام الدولة . وكتب الى باشا الوزير ليركب (ليهجم) على بيت حماده . فهربوا من قدامه الى بلاد بعلبك . ولحقهم وقتل منهم ناس كثير ، ودنق منهم ناس في الثلج، في الجرد. واما بيت حماده الذين كانوا في عكار ، والضنية والجبة ، رجعوا استقاموا (سكنوا) في بلاد جبيل ، بنوع ساكن للغاية. وبقيوا اولاد الشيخ اسماعيل حكام، كما كانوا في بلاد جبيل والبترون وقصر اقتدارهم . الى ان في سنة ١٧٦٣م حكم الامير يوسف الشهابي من والي طرابلس ، كما مر ذكره، في محله .

واخذ بلاد جبيل والبترون ، وجبة بشري . وتولى الارزاق التي كانت بيدهم ، في المقاطعات المذكورة، والمقاطعات البرانية . وبدت تضعف شوكتهم. وصار بينهم وبين الامير يوسف جملة شرور . الى ان تضعضعت احوالهم ، وتشتت شملهم . ونزح البعض منهم الى بلاد بعلبك ، والبعض الى الهرمل والقيرانية . وبقي لهم رزق قليل في بلاد جبيل . ولم صمد بيدهم محل سوى الهرمل ، بما انه طرف البلاد . وصاروا ياخدوها من الامير يوسف ، ويدفعوا ميريا وعبوديتها ، وجميع تكاليفها ، بنسبة (مثل بقية) البلاد .

واما بقية شيعة (اتباع) بيت حمادة ، بقيوا كل منهم في محله ، بنسبة الفلاحين ، في جبة المنيطرة ووادي علمات ، هم والطوايف . واما جب الشيخ اسماعيل ، اولاد حمادي الاول ، واخوته ، صاروا متفرقين ، كما ذكرنا ، ليومنا (الى يومنا) هذا ، الذي هو سنة ١٨١٨ .

٧ً اصل امارة (امراء) الكراد (الاكراد) حكام الكورة

— هم قوم اكراد وضعهم السلطان سليم العثماني ، في مقاطعة الكورة ، محافظين للثغور البحريه ، في ذيل لبنان ، وذلك سنة ٩٢٥ ه. (١٥١٩ م.). فنشى (كَبُرَ) امرهم ، الى ان صاروا امرا المقاطعة المذكورة . وسلايلهم لم تزل باقية الى الآن .

٨ً اصل بيت رعد [٦٣]

هم ، على ما قيل ، انهم من حوران . وقدم منها جدهم الاول رعد ، الى ديار طرابلس ، وولاتها يومئذ آل سيفا . فانتمى اليهم . ونجب في خدمتهم ، فولوه مقاطعة الضنية من قِبلهم . فنجب في تلك الولاية . وتخلف بعده ولده محمد ، وبنوه من بعده ، الى عصرنا .

٩ً اصل المراعبة (آل مرعب في عكار)

هم قوم امجاد . وعلى ما قيل ، ان اصلهم من بعض طوايف الاكراد الرشوانية. ومنازلهم بين مدينتي مرعش وبسنا . وكانوا مقدمين على عشيرتهم. ويقال لهم في اللغة التركية « بيك اوغلي » اي بنو الامير . وقدم من بني الامير هؤلاء، مرعب ، الذي هو جدهم الاول ، ومعه بعض اخوته ، الى الديار الطرابلسية . وكان ذو مال . وتقرب الى وزيرها في العصر (يومذاك) . فات اخو مرعب ، وبقي مرعب وحده . وطاب له المقام فيها (نواحي طرابلس) الى ان توفي بعد شهرته .

فقام ولداه ناصر وداود، فاقتفيا آثار والدهما بالتقرب الى ذوي الصدور . وتوطنا في سهول ديار عكار . فخلف داود اولادًا شهروا باسمه ، فقيل لهم الداودة . وخلف ناصر اولادًا شهروا باسم جدهم ، وقيل لهم « المراعبة » . ومن اولاد ناصر ، شديد الذي شاع ذكره بالفروسية ، والشجاعة . وكانت ديار عكار، بعد انقطاع آل سيفا، تولاها بنو حمادة . ولم يستقم امرهم فيها . فتولاها بعدهم ولاة متفرقون . فآل امرها بعد ذلك الى شديد المذكور ، فاستولى عليها ، وشيَّد حماها . وهو الذي قتل عيسى كبير الحمادية ، في دير حماطورة (في الزاوية — شمالي لبنان) ، في ٢٢ ادار سنة ١٧١٩م . ثم مات

شديد المذكور بعد مدة من عمره . وخلّف عدة اولاد . وقويت شوكتهم ، الى ان صار باشا ومتسلمين في طرابلس . واولادهم تكنوا بيكاوات . وتملكوا عكار الى عصرنا هذا .

[سه] ١٠ً اصل مشايخ بيت الخازن

يقول مؤلف المنارة (البطريرك الدويهي) في تاريخه ، انه في تاريخ سنة ١٥٤٥ (م.) نقلت اهالي قرية جاج من بلاد جبيل الى بلاد كسروان ، لما حاصل به من العدل والامان. فالشدياق سركيس الخازن سار الى قرية البوار وسكن مدةً ما . وطلع منها وسكن مزرعة بلونة ، التي في ارض قرية عجلتون . ثم هذا الشدياق المذكور سكن بلونة عدة سنين ، وصار له بنين ، وظفر بالنعمة من امراء بيت معن ، حكام تحت دير القمر ، لسبب انه سابقاً ربّى ولد منهم عنده في المزرعة المذكورة .

وصار الشدياق (سركيس) واولاده كواخي بيت معن . وقويت شوكتهم وسطوتهم عند الدول والحكام ، شرقاً وغرباً . وعمروا بلاد كسروان ، وسكنوه ، وصاروا حكام فيه . واقاموا منه الامم البرانية (غير المارونية). واقتنوا به ارزاق ساحل جرد .

وبعد تلاشي بيت معن ، حضروا امرا بيت شهاب ، وحكموا تحت دير القمر . ولم يزالوا بيت الخازن كواخي عندهم ، من حاكم الى حاكم . حتى لشدة سطوتهم ، استحقوا ان يتحرر لهم من بيت شهاب « الاخ العزيز » مثل مشايخ الديرة (البلاد) الكبار ، وحضروا جميات (اجتماعات سياسية وادارية) البلاد مثلهم . واقتنوا رزق في سواحل بيروت وبلاد جبيل ، شي كثير . وصاروا ملجا ومقصد للجميع . ومن جرا مساواتهم (سلوكهم او تدبيرهم) الحسن ، التجت اليهم كافة الطوايف التابعين الكنيسة المقدسة ، وعمروا ديورة ، مثل بطرك الارمن وبطرك السريان ، وبطرك كواثلة الروم . وجملة رهبان من هذه الطوايف عمروا ديورة ، وسكنوا كسروان ، وعمروا جملة مدارس .

وفي ايامهم ايضاً ، يذكر مؤلف المنارة ، انه في سنة ١٦٢٨ م. ،

اهتم القس حنا ابن القس يوسف ، من بيت محاسب ، من قرية غوسطا ، في تجديد بناية دير مار شليطا مقبس في بلاد كسروان (قرب غوسطا) . وصار الاول في ساير الاديرة ، التي انشئت في بلاد كسروان . وكان اخوه (اخو القس حنا) القس سركيس مترهب بدير مار انطونيوس قزحيا . انتقل الى عنده . وصار بلاد كسروان ملجا للجميع .

والمشايخ المذكورين ذاع صيطهم في بلاد الفرنج ، وفي المجمع المقدس (في رومية) . وحضر لهم منه جملة تحارير ، من الاحبار الرومانيين ، يمدحوا غيرتهم ، ويوصوهم بان يحرصوا على طايفة [٤٤] الموارنة . وتوجه منهم ناس الى بلاد الافرنج ، ونالوا من ملوكها وامراهــا انعاماً جزيلة . ومن الجملة تشرفوا من الملك لويس ، ملك فرانسا ، ومن الدولة العثمانية بقنصلية بيروت ، كما محرر في رسالة الخوري يوسف مارون الدويهي ، عن اخبار الموارنة ، في الوجه (صفحة) ٧٩ . وحقيق هذه الطايفة (الخازنية) تستحق كل مديح ، لعظم ما جرى منها من اعمال الخير ، وعمارة الديورة ، ووقفهم رزقهم . وكذلك قام منها جملة بطاركة[1] ، ومطارنة ، وروسا رهبنات . ولم تزل تنمو وتزداد ليومنا هذا

١١ اصل مشايخ بيت حبيش

اولهم من قرية يانوح ، بقرب قرية المغيرة (قرب العاقورا) ، في جبة المنيطرة . وحين صارت الدشمنة (العداوة) بينهم وبين العاقورة ، وخربت يانوح ، توجه جدهم الى قرية غزير ، بارض كسروان ، وسكن بها مدة . وصار له اولاد . وعمروا عماير ، واقتنوا ارزاق . وصاروا عيلة معروفة عند الجميع . وحين حضر عساف ، اول بيت عساف ، وسكن غزير وحكمها ، وامتد حكمه قبلي وشمال ، وجد المشايخ المذكورين سكان غزير . وتقدموا عنده ، كما يذكر في اصل تاريخ بيت عساف ، وبيت سيفا ، المحرر اعلاه ، في هذا الكتاب .

---

[1]) البطريرك يوسف ضرغام الخازن ، رئيس المجمع اللبناني ، سنه ١٧٣٦ (١٧٣٣ – ١٧٤٢) . والبطريرك طوبيا الخازن الراهب اللبناني (١٧٥٦ – ١٧٦٦) . والبطريرك يوسف راجي الخازن (١٨٤٥ – ١٨٥٤) .

وصاروا المشايخ المذكورين كواخي عند عساف واولاده من بعده ، مدة دولتهم في غزير . وبعدها حكموا بيت سيفا عوضهم ، ولم يزالوا بيت حبيش كواخي عندهم . وحين انقضاء دولة بيت سيفا ، حكم الشيخ ابو منصور حبيش قرية غزير ، من بيت معن ، واستقامت بيده ولاولاده من بعده . وقويت شوكتهم وسطوتهم وتعاظمت ، وانعرفوا شرقاً وغرباً . واقتنوا ارزاق في غزير ، وبلاد جبيل ، والفتوح ، تحرز . وصاروا من مجاويز بيت الخازن . وذاع اسمهم وصيطهم . وتوجه منهم جملة اناس الى بلاد الغرب ، ونالوا من ملوكها واشرافها خيرًا جزيل . ورجعوا الى غزير . ولم يزالوا بهذا الشان الى يومنا هذا .

١٣° اصل مشايخ بيت الدحداح

جدهم الاول من العاقورة . وكان له معرفة وافراز ، وحظ معتبر . توجه الى بلاد بعلبك ، وصار يازجي (كاتب) عند بيت الحرفوش مدة . وبعده رجع الى بلاد جبيل . وتقدم عند الشيخ سيمين (اسماعيل) حمادة ، وسلمه[٤٥] كلشي بيده . ثم سكن في طرابلس ، وعلّم ولده ابو ابراهيم لسان التركي والخط ، وصار بارعاً فيه .

ثم سكن قرية سلفد ، وصار له اولاد . والجميع تقدموا عند الشيخ سيمين واولاده ، كما كان والدهم . وبعد ما توفي الشيخ سيمين ، استقاموا مدة عند اولاده ، حسب عادتهم . واقتنوا ارزاق في بلاد جبيل والفتوح . وكان جميع رزقهم منعاف من قلم الميري . وبعد مدة توجهوا لسكنى قرية عرامون في بلاد كسروان . واقتنوا بها ارزاق وعماير . وبقيوا يدبروا في بلاد جبيل والبترون ، كما كانوا .

ثم توجهوا الى دير القمر ، وتقدموا عند بيت الشهاب . وكبرت دولتهم ، وصار لهم صيت حسن ، وانعرفوا عند الجميع . وهم عيلة اجواد اكرام ، يحق لهم كل مديح وشكران ، لانهم محضر خير ، مساعدين ومسخين لقضاء الاغراض لجميع الناس . وتقدموا عند الحكام . وصاروا من مجاويز بيت الخازن ، وبيت حبيش ، لسمو فضلهم ، وعلو شأنهم . واستحقوا ان يتحرر لهم من بيت

الشباب « الاخ العزيز » مثل مشايخ الديرة ، وبيت الخـازن . ولم يزالوا بهذه السطوة والشان ، الى يومنا هذا .

١٣° اصل وتاريخ مشايخ بيت ضاهر

اصلهم الاول من قرية بقوفا التي في جبة بشري ، ما بين بشري واهدن، وهي الآن خراب . والمذكورين عيلة اجواد اشراف ، مستقيين الديانة . وظهر منهم اربع بطاركة[1] . وكانت كثرة عيلتهم في بقوفـا ، بيت الرز . وظهر من عيلتهم ايضاً جملة حبسا ، سكنوا في وادي قزحيا وغيرها .

وحين خربت بقوفـا ، من كثرة الثلج ، وجور الحكام ، نزلوا الى قرية كفرحورا في الزاوية (في جوار زغرتا) ، وسكنوا بها ، في عهد (سنة) الف وستماية م . وقام منهم واحد يقال له الشدياق مخايل ، صاحب عقل ومعرفـة . وله خط حسن ، وبارع بكاشي . هذا عمل يازجي عنـد حاكم الزاوية ، مدة سنين . وانعرف عند الدول والحكام ، وذاع اسمه .

ولما تغير حاكم الزاوية ، حكم الشدياق (مخايل) مقاطعة الزاوية ، من وزير طرابلس . وصار الوزير له عليه خاطر . واستقام حياته كلها . ثم اولاده من بعده ، صاروا حكام الزاوية ، واقتنوا بها ارزاق بتحرز . وقويت شوكتهم وسطوتهم وبأسهم . واستحقوا ان يتحرر لهم [١٦] من حكام تحت ديرالقمر « الاخ العزيز » ، مثل مشايخ الشوف ، وبيت الخازن ، وبيت حبيش ، وبيت الدحداح . وصاروا من مجاويز المذكورين . وتقـدموا وكبروا عند الوزر (الوزرا.) وغيرهم .

وظهر واحد (منهم) يقال له كنعان الضاهر . وكان بطلًا شديدًا بكامل الاوصاف . وكان عظيم الشان والنخوة، والشجاعة والفروسية والخفة (الرشاقة)، احسن اهل عصره . حتى ضرب في اوصافه المثل . وله وقايع وامور شتى ، اهملنا كتابتها لزيادة عدتها . فانحسدوا منه اسلام طرابلس ، واشكوا عليـه

[1] هذا على زعم المؤلف وحده . فان الدويهي لم يذكر الا ثلاثة بطاركة من اسرة الرزي . وقد يكون المؤلف على حق . فان الدويهي يقول انه لم يظفر باسماء جميع البطاركة . (اطلب تعليقنا على هذه سلسلة البطاركة في موطنها من هذا الكتاب)

للوزير ، عبد الرحمان باشا . فمسكه وحبسه مدة ايام . واعرضوا عليه انه يسلم ويصير عنده من كبار دولته . فما قبل ذلك . واجرا عليه كافة العذابات ، ولم كان يتزعزع عن ايمانه .

وحين عرف ان مراد الباشا يقتله ، عمل كامل الظروف ، وبعناية الباري تسهّل له كاهن بالحبس ، اي الخوري مخايل من اهدن ، وعرّفه اعتراف عام . وثاني يوم ناوله جسد الربّ . وثالث يوم امر الباشا بقطع راسه ، عند باب التبانه . ومات شهيدًا . وظهر من جسده ، بعد موته ، جملة عجايب . واخذوا يده ووضعوها في سيدة الحارة ، في طرابلس . وكان دايمًا يظهر منها عجايب . وكان انتقاله في ٢ شباط سنة الف وسبعماية واربعين م .

وبعده لم يزالوا بيت ضاهر،واولادهم من بعدهم حكام الزاوية ليومنا هذا.

١٦ً اصل مشايخ بيت العازار (في اميون الكورة)

حضر جدهم الاول من قرية ازرع،في بلاد حوران ، من برّ الشام المذكور. حضر الى قرية اميون ، التي في كورة طرابلس ، وسكن بها واولاده من بعده. واقتنوا بها جملة رزق . وانعرفوا عند الجميع ، لا سيا عند دولة طرابلس . وحكموا تلك الكورة ، شركة مع امارة الكراد . واستقاموا على هذا الحال مدة سنين .

وبعدها قسموا الكورة ، هم والامرا المذكورين . واخذوا بيت العازار الثلث ، وهو اميون وتوابعها . واشتد بأسهم وقويت شوكتهم عند الوزير وغيره ، وعند حكام الجبل . وصاروا يكفلوا للدولة كامل المقاطعجية . ومنهم مرعب حكم بلاد عكار سبع سنين وحده . وكانوا عيلة اجياد معروفين . وتقدموا عند كافة اقرانهم في ايالة طرابلس . وكانوا اصحاب شور ومعارف . ولم يزالوا حكام في عهدتهم ، اي اميون وتوابعها ليومنا هذا .

(له صلة)

تيارا فلسفة الحقوق (تابع)

المبادئ الفردية والاجتماعية

بقلم الاب فليكس سوانيون اليسوعي

٥ — القرن السابع عشر

ان اول من نحييه هو هيغو كروتيوس (١٥٨٣—١٦٤٥) (Hugo Grotius) الذي اطلق عليه من يجهلون تاريخ الحقوق لقب « اب الحقوق الطبيعية » . وفي الواقع انه قد اوقظ تعاليم قديمة كل القدم .

وها هم ذو مفكرون آخرون كانوا اشدّ غرابة في آرائهم : لقد كان هوبس (Hobbes) (١٥٨٨—١٦٧٩)وولد وعاش في عهد الخوف ففي ايامه كانت حرب العمارة الاسبانية (الارمادا) والفوضى الانكليزية وحكم كرمويل وظهر كتابه القهر (Léviathan) سنة ١٦٥١ ، وقد كان هذا العالم تجريبياً في علم النفس ومادياً في علم ما وراء الطبيعة اي انه قد كان له ما ينبغي ان يكون ليجبل الكائن الاجتماعي والحقوق ومما قاله : ان الانسانية تخضع لقوتين متناقضتين: هما المنفعة والخوف ولقد انتهى الامر بالافراد لكي يتخلصوا من الخوف الذي يدبّه الانسان في قلب الانسان بان يتجمعوا كالقطعان ويضعوا انفسهم تحت حراسة طاغية يمنعهم من ان يمزّق احدهم الآخر ، وان قوة الامير هي التي تصنع الحق (Might is right).

وانه لامر شديد الغرابة ان يكون لتعليمه الكالح هذا تأثير في فرنسة اكثر منه في انكلترة . امّا ديكارت فابتعد عن تعاطي السياسة ، ومما قاله: « من الواجب احترام الانظمة على ما فيها من شوايب.»انه من الصعب اذا ما هوت هذه الاجسام العظيمة ان ننهضها او ان نمسكها لكي لا تسقط ، اما تدهورها فقد يكون قاسياً جداً » (Discours, 2e partie) .

والاصلاح الذي حاوله شخصي محض ، وهو اصلاح فكره الخاص . لان مبادئ احد الافرادـقد تكون ذات مستوى شامل . اما طريقـة ديكارت فصحيحة لكل الازمان وفي جميع الاجواء . والعقل الفردي هو قاضي الحقيقة الاعلى وليس ذلك فقط بسبب ان وضوحها الشخصي هو الدليل الصادق عليها ولان الاقدمين كانوا يسلمون بها وانما يستطيع كل فرد ويجب عليه ان يجـد وحده كل الحقيقة بصرف النظر عن التقليد والشهادة وبدون اية مساعدة كانت وان يضرب صفحاً كاملاً على كل مـا استطاع الآخرون ان فكروا او يفكروا فيه .

ولقد طبق روسو واصحاب المذاهب الفلسفية الثورية هذا المبدأ في علم الاجتماع والسياسة ولماذا لا ؟ فقد ضربوا صفحاً كاملاً على كل الانظمة ليعيدوا تشييد الدولة من جديد بقوة العقل ... والمقصلة ...

وجعل ديكارت مبدأ الفردية العقلي هذا اشد خطورة بطريقته الرياضية (Mathématisme) ، اي انه زعم استنتاج كل امر بواسطته وانه لن يستخدم لتشييد البناء العلمي الا افكاراً واضحة جلية كالافكار الرياضية . واذا كانت ثمة اجواء لا يصلحُ فيها تطبيق هذه الطريقة فذلك هو جو الحياة ولا سيا الحياة الاجتماعية ، ولقد قيل ان روسو هو اب الثورة والمذهب الفردي الحديث وجدّها ديكارت الذي ظهر كتابه (Le Discours) سنة ١٦٣٧ .

باسكال (١٦٢٣–١٦٦٢)، لا نستطيع ان نحصر بسهولة فكرة باسكال ونعبّر عنها بايجاز، اذ انّ لفلسفته وجهين. ففي نطاق الطبيعة هو من الذين يعتقدون ان الوحي هو مبدأ المعارف وقد تبنى مذهب مونتاين (Montai ne) الشكوكي ومذهب جانسينيوس التشاؤومي . ومن رأيه اننا عاجزون عن معرفة الحقيقة وصنع الخير بدون الايمان والنعمة ومن قوله : في الواقع — ماذا نعرف عن الفلسفة الاجتماعية ؟ ان الانسان العامي يعتقد ان القانون عادل والسلطة مشروعة .
(Cf. Pensées, édit. Havet, V,2,7 ; VI, 40).

ولكن ما من امر عادل بذاته كما يقول العقل (III, 8, 13) . وليس عدلنا المزعوم الا قضية زيّ (VI, 6) . فهو متقلب بحسب الزمان والمكان : « ان

ارتفاع ثلاث درجات من القطب تقلب كل علم الحقوق رأساً على عقب ، وان خط عرض واحد يقرّر بشأن الحقيقة فللحقوق عهودها . ان دخول زحل من برج الاسد يطلعنا على اصل الجريمة الفلانية . . . وان حقيقة في جانب البيرنيه (Pyrénées) هي خطأ في جانبه الآخر (III,8) . وفي سبيل احلال السلام فلنطع القوة . واذ عجزنا عن ان يكون العدل قوياً فكانت القوة العدل (VI, 8) . ان المنفعة هي التي توطد اركان المجتمع . و «لقد استخدمنا الشهوة كما كان بمقدورنا لنجعلها في خدمة المصلحة العامة» (V, 21) .

هذا هو الوجه الاول لفلسفة باسكال وهي على طريقة هوبس . واليك وجهها الثاني : «بما ان الله قد صنع السماوات والارض وهما لا تشعران بسعادة كيانهما فقد اراد ان يصنع مخلوقات لتعرفه وتؤلف جسماً من اعضاء مفكرين» (XXIV, 59) والاعضاء بينما تريد خير الجسم فانها تريد في الوقت نفسه خيرها (id. 60). فعلينا اذاً ان نختار المصلحة الشاملة (XII, 33) و«لكي نجعل الاعضاء سعداء كان لا بدّ من ان تكون لهم ارادة وان يجعلوها تماشي الجسم» (XXIV, 6 ter)

ولقد بسطنا هنا بملامح واضحة صورة افضل المذاهب الاجتماعية. ولكن من نكد الطالع ان باسكال لم يعرف ميزة هذه الفلسفة العقلية ومع ذلك فقد كتب « ان القانون لم يهدم الطبيعة ولكنه علمها والنعمة لم تهدم القانون وانما جعلته تيد الممارسة » (id. 6) .

اما المسؤول عن هذه الشوايب فبادئ جانسنيوس.

٦ — القرن الثامن عشر

في هذا القرن كان هيوم (١٧١١-١٧٧٦) (Hume) ، وكوندياك (١٧١٥— ١٧٨٠) (Condillac) مع فلسفتها التجريبية الجديدة ؛ وهلفيتيوس (١٧١٥ — ١٧٧١) (Helvetius) وهولباك (١٧٢٣ — ١٧٨٩) (Holback) وكابانيس (١٧٥٧—١٨٠٨) (Cabanis) مع فلسفتهم المادية المجددة، وفولتير والانسكلوبيديون والفلسفة المزعومة «pseudo-philosophie» ولويس الخامس عشر واعتزال السلطة،

وخروج جانسنيوس (Jansénius) على الكنيسة : اعني ان الارض كانت ممهدة في ذلك العهد لنمو جميع بذور الضلال .

وقد كان روسو مكبر صوت المذهب الفردي الحديث (١٧١٢-١٧٧٨) اما علم الاجتماع الذي وضعه فمعروف . فلذلك ساكتفي بايراد بعض اقواله : لقد تكوّن الافراد بطبيعتهم تكويناً كاملاً قبل ان يعيشوا مجتمعين بيد ان المصادفة والاحداث الالية قد افضت بهم الى حياة الاجتماع حيث شرع البشر يفقدون صلاحهم الاصلي . وما عتمت حياتهم الاجتماعية حتى هدمت شيئاً فشيئاً الحرية والمساواة الطبيعيتين وجرّت وراءها جميع ضروب الرذائل . فلذلك يقضي الواجب باعادة تنظيم المجتمع على اسس كاسس الطبيعة اي ان يصان استقلالهم ومساواتهم ، فالذي يحتاج اليه الفرد هو ان يتحرر من الطغيان وان يصان من الظلم .

هذه هي الغاية التي كانت هدف مؤلفه « العقد الاجتماعي » : بالتخلي الشخصي عن الكل للجميع فكلّ يجعل الارادة العامة ارادته . والشعب هو وحده السلطان الشرعي ، وتنقطع الارادة المشتركة عن ان تكون ارادة عامة عندما لا يصبح هدفها مصلحة الجميع ضمن نطاق المساواة المطلقة . وحينئذ يستطيع كل فرد إمّا ان يسترد حريته وإمّا ان يرضى بالاستعباد ، امّا المجتمع السياسي فمجموعة متماسكة الاجزاء قد اوجدها الافراد بحريتهم وحافظوا عليها ، وهذا هو التماسك الذرّي الاجتماعي التام .

ومن الصعب ان نذهب الى ابعد من ذلك في هذا النحو الذي لا يعقبه الا الفوضى المحض ، ولقد حاولت الثورة الفرنسية ان تضع تعليم روسو موضع العمل به فهدمت اشياء كثيرة صالحة وغير صالحة وجردت خاصة الافراد من ملاجئهم حيال البلوتوقراطية (سلطة الاغنياء) ، وبذلك مهدت الطريق امام شكل جديد لاستعباد عمال القرن العشرين .

وعقب ذلك اخذ مذهب الفردية يتدهور من اجواء الجدل النظري الى ارض الحياة العملية .

وشاطر روسو تفاؤله بالطبيعة وثقته بها الاقتصاديون الذين اطلقوا عليهم

اسم الفيزيقراطيين «هم الذين يرون ان الارض وحدها هي موارد الثروة» اما القول «دع الامور تجري في اعنتها» فهو شعار المذهب الاقتصادي الحر الذي يعتبر مونتسكيو من اتباعه .

ولا مندوحة عن ان نضع كانت(١٧٢٤–١٨٠٤) (Kant) في عداد القائلين بمذهب الفردية لان الحقوق في نظره هي توازن الحريات الفردية التي اقرها القانون وصانتها الدولة . ومن اقواله ان غاية القانون حماية الشخص .

٧ ــ القرن التاسع عشر

ان مفهومي المذهبين الفردية والاجتماعية ليصدم احدهما الآخر ضمن اطار الحياة الاقتصادية حيث يتفوق الثاني على الاول شيئاً فشيئاً ويتخذ شكل تجمعات تزداد في تعقدها وتسير في انحرافات خاطئة ولاسيما في الانحراف القائل بنضال الطبقات وبمذهب الاجتماعية في الدولة (Étatisme) .

ا – مذهب الفردية

يبدو المذهب الفردي في شكلين متقاربين هما : مذهب رأس المال الحرّ في فرنسة والمذهب الاقتصادي الحر في انكلترة . وبالاستطاعة تعليل المذهب الاول بعاملين اقتصاديين متبادلين : استخدام الآليات التي كان اتقانها يزداد يوماً فيوماً وحشد الصنائع اولاً في مؤسسات الصناعة ومن ثم في المعامل والمراكز الصناعية وتكديس الشركات لرؤوس الاموال وحشدها وارتفاع عدد العمال وازدياد شقة التباعد بين طبقتي المستخدِمين والمستخدَمين . وقد افضى السباق في الانتاج الرخيص الى دفع اجور متدنية لا تكفي العامل فكان الفقر وعدم الاستقرار والعمل الشاق .

ونتائج التقدم المادي افضت الى الاستعباد كما يؤخذ من التحقيقات الرسمية التي اوضحت اجراءات يندى لها الجبين .

وجاء في تصريح لوزير التجارة الانكليزي هوسكيسون (Huskisson) في مجلس العموم :« ان رجال صناعة الحرير في بلادنا يستخدمون الوف الاطفال في معاملهم ويجبرونهم على الشغل من الساعة الثالثة صباحاً الى العاشرة مساء»

تحت رقابة مناظرين في ايديهم السياط ليضربوهم بها اذا ما توقف احدهم قليلاً عن العمل (Ami du Clergé, 30 mai 1918, p. 523) . ولقد أُشير الى مثل هذه الحوادث في فرنسة .

ولقد وُجد اقتصاديون استحسنوا هذا النظام كجان. ب. ساي (١٧٦٧—١٨٣٢) (J. B. Say) وشارل دونويه (١٧٨٦—١٨٦٢) (Charles Dunoyer) وفردريك باستيا (١٨٠١ — ١٨٥٠) (Frédéric Bastia) وكانوا يقولون ان توازن القوى الاقتصادية يستقر استقرارًا « اوتوماتيكيًا » . فمن الخطر التدخل بشأنها .

وبعد سنة ١٨٤٨ كان هناك اقتصاديون يقولون ان البؤس محتوم وهو من عمل العناية الالهية على شاكلة اثراء نخبة من الناس .

وها تحت نظري وريقة دعاية بقطع ١٣×٨ تبيّن نفسية بعض الاوساط « الحسنة التفكير » « bien pensants » ظهرت في ليل(Lille) ولا تاريخ لها وهي بلا ريب من المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر واليك محتواها : في سبيل هداية العمال نراهم يمتدون امتدادًا كبيرًا بمؤسسات المساعدات الاجتماعية ؛ اجل انها وسائل مفيدة ولكنها نافلة ليس الا وبالاستطاعة الاستغناء عنها تماماً ... لانها ليست غير علاجات مسكنة ... ان عظة قوية على الجحيم لاشد فعلاً في نفوس العمال المارقين لارجاعهم الى الكنيسة اكثر من جميع مؤسسات المساعدة الاقتصادية في العالم . اما البابا لاوون الثالث عشر فليس من هذا الرأي . وما هي ضروب الجدل النظرية التي رافقت العوز الانكليزي المخيف ؟ انها آراء اقتصادي المذهب الذي اطلق عليه اسم المذهب الاقتصادي المدرسي .

ويُقال ان ادام سميث (١٧٢٣—١٧٩٠) (Adam Smith) الذي كان صديقاً لهيوم هو الذي اسس العلم الاقتصادي وعلم ان المصالح الفردية لا بدّ لها من ان ينسجم بعضها مع بعض وفق نواميس محتومة على شاكلة نواميس القوى الطبيعية .

وحدّد جرمي بنتام (١٧٤٨—١٨٣٢) (Jérémie Bentham) الحقوق بقوله : انها قيام الائتلاف بين التحاسد ائتلافاً قد يتحقق احياناً بواسطة ضغط

الملك ، مما يحمل على الاعتقاد ان الاثرة «الانانية» هي اساس المجتمع. على حين ان ريكاردو (١٨٠٦–١٨٧٣) صاحب نظرية « القيمة » يقول بحرية التبادل ويرفض تدخل الدولة في الشؤون الداخلية. اما ستوارت مل (١٨٠٦–١٨٧٣) (Stuart Mill) فمعروف بانه عالم نفساني اكثر منه اقتصادي ومع ذلك فانه يفهم الانسان والعالم مفهوماً مستنداً الى النظرية الذرية .

ب – تصاعد المذاهب الاجتماعية

لا تقل اهمية الوقائع في هذا الشأن عن التعاليم النظرية وربما كانت هذه الوقائع هي التي ادت الى وضع النظريات اكثر مما تنبثق منها ولذلك سنبدأ بالقاء نظرة عليها .

ففي اذار سنة ١٧٩١ الغى المجلس التأسيسي جمعيات التعاون بعد ان نفرت الشعب منها لسوء تنظيمها وبدلاً من ان يعمد الى انشاء جمعية غيرها لتحل محلها فقد حظر قيام اية منظمة عمال كانت وذلك بينما كان تقدم الاليات يسير سيراً مطرداً الى الامام ليفضي الى تمركز رؤوس الاموال .

وجاءت نتيجة ثورة العمال سنة ١٨٤٨ اخفاقاً لهم كما ان الثورات الاخرى التي لم يقدر لها النجاح افضت الى تزييد خطورة الاكراه والبؤس، وقد ظلّ قيام الجمعيات ممنوعاً وان كانت مسالمة الى سنة ١٨٦٤ ، ومنذ ذلك العهد اخذت فكرة انشاء الجمعيات تتقدم تقدماً مستمراً ، فقد اعترف القانون الصادر سنة ١٨٨٤ بالنقابات التي كوّن معها اندماج مؤسسات العمل واتحاد نقابات العمال العام « C. G. T. » الذي انتصر معه سنة ١٩٠٦ مبدأ نزاع الطبقات والعمل المباشر للوصول الى تحرر الجمعيات وانشق عن هذا الاتحاد فرع كان منه المذهب الاجتماعي البرلماني .

ومن وجهة التعاليم النظرية فكانت ثمة ردة الفعل على روسو والثورة الفرنسية، ولمع في هذا الميدان جوزف دي مستر (١٧٦٠– ١٨٢١) (Joseph de Maistre) القائل : ان المجتمع هو جهاز عضوي طبيعي ينمو وفق نواميس كالنواميس الحيوية « بيولوجية » وتخيّل تخيلاً غامضاً قيام جامعة امم .

سان سيمون Saint Simon (١٧٦٠ـ١٨٢٥)

غالباً ما كانوا يطلقون عليه لقب الوهمي لان المبادئ التي اعلنها كانت تقوم على طرفي نقيض مع ما كان مألوفاً عملياً في عصره ومع ذلك فقد كان لافكاره تأثير عظيم . ولقد اعلن افضلية العمل وان اعترف بضرورة وجود فئات فضلى وطالب بتنظيم معقول للملكية .

كونت Comte (١٧٩٨ـ١٨٥٧)

لقد اخذ كونت عن استاذه سان سيمون الذي تتلمذ عليه حتى سنة ١٨٢٤ وعن جوزف دي مستر (Joseph de Maistre) الـذي كان يضمر له احتراماً شديداً وهو اي كونت من اقوى مفكري عصره . اما فلسفته لما وراء الطبيعة التي كانت موضوع سخرية (فلسفة ما وراء الطبيعة حسب عقلية محيطه) فاضرت بشهرته ، واسس على مذهبه الافكاري الوضعي الذي يجحد بكل شيء علم اجتماع مرموقاً حاملاً على الخطأ ليلتقي – تاركاً مذهب فردية روسو وديكارت والاصلاح البروتستانتي – بتيار فلسفة القرون الوسطى والقديمة الاجتماعي :وفرض دائماً بتناقضات موقتة ما اعلنه انه غير ممكنة معرفته او تستحيل معرفته : الغائية وموضوعية المثل الاسمى وقيمة العقل . وقال ان كل شيء يخضع لناموس النظام والتقدم المزدوج من المادة الى الحياة الى الفكر والى المجتمع،والفرد الذي هو إضمامة قوى ونزعات متسلسلة المراتب لا يتمّ الا في المجتمع :المنظمة العضوية الصحيحة. اما غاية الفرد فتنطبق على غاية المجتمع لانها اتباع النزعات الاجتماعية. والواجب قبل الحق . وما الحقوق الا محصّل الواجبات المتبادلة .

هذا هو التوازن الاجتماعي في عرف كونت ((Comte)) ، الذي من سوء الحظ يكتمل بقوى العناصر المادية المنسقة في عملها ويوجزه قانون الحالات الثلاث الشهير : اللاهوتية والمتافيزيقية والموضوعية .

برودون Proudhon (١٨٠٩ـ١٨٦٥)

عُرف برودون بكلمته الشهيرة « الملكية هي السرقة ». اما تعليمه الشتيت العناصر فقد استمده من المذاهب الفردية والاجتماعية وقد كتب حاملاً على

الشيوعية مؤلفه « فلسفة البؤس » وردّ عليه كارل ماركس بان وضع كتاباً سماه « بؤس الفلسفة » .

كارل ماركس (Karl Marx) (١٨١٨ـ١٨٨٣)

لا يقاس تأثير كارل ماركس بقية افكاره. اما تعليمه الذي جاء به فقد وضعه تحت تأثير بؤس محيط العالم الواقعي ، انعشته صوفية جذابة : فهو حياة. وتعليم ماركس هو شعار الاراء الاجتماعية وانما في معنى خاص اي المطالبة بالتساوي والحصول على المساواة بين الافراد بوسائل العنف .

ولا يخلو تحليله للاقتصاد الراسمالي ولاسيما لسنة ١٨٥٠ من بعض الحقيقة. اما اليوم وعلى ضوء الوقائع الاخيرة فقد أنكرت عليه نقاط عديدة ، ولقد اقترح كعلاج نضال الطبقات وتحطيم المجتمع الراسمالي ودكه رأساً على عقب . اما القسم الثاني من منهجه فما برح مبهماً وغير محدود .

ولا ريب في ان نبذه للعامل الروحي لن يخوّله الاتيان بشيء وطيد ولن تستطيع الاشتراكية الحياة على الاساس المادية .

وصفوة القول ان الماركسية لم تقدّم الفلسفة الاجتماعية وجلّ ما في الامر انها نشطت التطور الاجتماعي واسرعت به .

وقبل الانتقال الى الكلام على المذهب الاجتماعي في الدولة (Étatisme) ، لا بد من الاشارة الى مذهب وسط بين تياري الاجتماعية والفردية : واريد به علم الاخلاق للرجل المتفوّق او للفرديات القوية فرينان (١٨٢٣ — ١٨٩٣) (Renan) كان الرجل المتفوق عقلياً ونيتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٠) الرجل المتفوق عملياً . ولم ينشئ هذان الرجلان مذهباً بالمعنى الصحيح.

اجل ان كثيراً من البشر يكتشفون في انفسهم دعوتهم للعبقرية. والمثل الذي ضربه هذان الرجلان ليس فيه شيء من الخلابة الجذّابة ومع ذلك فقد سحر مذهب رينان عدداً من الفرنسيين كما سحر مذهب نيتشه عدداً اكبر من الالمان.

ج – مذهب الاجتماع الالماني في الدولة

هيجل (Hegel) (١٧٧٠—١٨٣١) ، اصدر هيجل كتابه «فلسفة الحقوق»

سنة ١٨٢١ ، وملخص ما جاء فيه : بما ان الكائن هو الروح التي تحققت فكذلك الحقوق هي الارادة الحرة التي قيد التحقق ، والحقوق نوعان: الحقوق اليونانية وهي كجهاز عضوي والحقوق الغربية المؤلفة كتركيب الذرات. ولقد تفوق مع ديكارت وكنت مذهب الاجتماعية الفردية الذي يجب التأوه ؛ اما الفكر فيصل شيئاً فشيئاً الى الوجدان والحرية اولاً بواسطة العيلة والإضمامة وثانياً بواسطة الدولة وما الدولة الا جهاز عضوي ذراتها الافراد الذين لا قيمة لهم الا اذا كانوا مندمجين و« منظّمين » وهي تستخدم ضروب الاثرة «الانانيات» الفردية لغايتها . فسلامتها قبل كلّ امرٍ آخر . اما الابطال والديكتاتوريون الذين يحزرون سير الروح فهم اركان سلطانها . وعلى الفرد ان يكون احد اعضائها وان يحيا حياة عامة ، فالحياة الخاصة ضرر والارادة الفردية اذا كانت معقولة كانت شبيهة بإرادتها .

ان التاريخ هو الروح السائرة في طريقها والدولة الخاصة هي فترة تطور الروح ، واليوم يمثل العنصر الجرماني هذه الفترة والنصر مقطع الحق ، ويمثل هذه الفكرة كل التمثيل في وقت ما من الزمن ، الشعب الذي يحوز الغلبة.

وانما لنرى الشخص في هذا الجهاز العضوي يختفي كل الاختفاء.

ولقد عاد اثر هيجل مسيطراً على عقول الكثيرين بعد ان غاب مدة . ولا يغربُ عنا ما احرزه من نجاح .

د – علم الاجتماع الفرنسي

ليس ديركهايم (١٨٥٨–١٩١٧) (Durkheim) مؤسس مذهب علم الاجتماع الفرنسي الا دخيلاً قليل الثقافة عرف كيف ينشر افكار غيره التي اضاف اليها ضروب ضلاله الشخصية : كانكاره المثل الاسمى وجحوده بكل علم له قواعده الراهنة ونفيه الثانية :

ولقد اتحفنا ديركهايم مع ذلك ببعض الضوابط حول نقطتين : اولاً ماهية الاجتماعي وكونه وواقعه وكانت ايضاحاته في هذا الباب لا تقوم على جمع حقائق واقعية فردية ولكنها من القضايا الخاصة به . وثانياً توزيع العمل والتعاون فيه تعاوناً عضوياً وما ينجم عن ذلك من نتائج .

ه – اشتطاط الفردية عددًا

اضفى الاستاذ ديجي (Duguit) ، المعدود من اشهر الحقوقيين الفرنسيين شكلًا على الفردية يبدو جديدًا في ظاهره . ومن اقواله : المجتمع هو وجهة نظر عقلية وليس شخصاً معنوياً ولا موضوعاً حقوقياً . وما من شيء مرئي وما من امر حقيقي تستطاع ملاحظته الا العمل الفردي .

(Cf « son traité du Droit constitutionnel », 1931, t. I, pp. 59, 130, 252, 329).

ان الحقوق الفاعلية اي سلطة ارادة على ارادة اخرى ليست شيئا بالاستطاعة رؤيته فهي وهم اثرته مخيلة الانسان وبقايا كائنات اعطاها اللاهوت المدرسي جوهرًا متميزًا عن غيره (l. c. p. 253) وعلى العكس منها الحقوق الموضوعية لانها واقع ، فما هي الّا قاعدة السلوك التي يفضي انتهاكها الى ايجاد دفاع قابل للتنظيم (id. p. 26, sq) . انها القاعدة التي لا تشتمل على اية اوامر كانت ولا على اي واجب، بالمعنى المتافيزيقي ؛ فهي امر غير حقيقي كالوجدان والنفس ولا تقوم قوتها الّا على كونها « قاعدة» سنها سير الاكراه الاجتماعي وضمنها (id. p. 71) .

وان الدولة ايضاً هي واقع وسلطتها هي القوة العظمى المسيطرة على ضعف الضعفا . (id. p. 50) . هذه هي الفلسفة الوضعية التي ظلت تتوالى اقيستها الذهنية دراكاً الى النهاية حتى بلغ بها الحد الى انكار كل امر .

ولذلك يشعر تلاميذ ديجي (Duguit) كالاستاذ ريبرت (Ripert) بالحاجة الى اكمال هذه النظرية التي يقولون فيها – انها نظرية علمية – الى التوسل بالايمان

.(Cf. Annales de la Faculté d'Aix, 1918, p. 38 et « La règle morale dans les obligations civiles. article et ouvrage de Ripert »)

ولكن وفاقاً لايّ منطق ؟

و – موراس (Maurras)

هو النقطة التي التقت فيها جميع روافد الضلال فقد اقتبس عن كونت (Comte) فلسفته الوضعية واذ كان منطقياً اكثر منه لم يخرج منها واقتبس عن رنان (Renan) مروقه وطبعه بطابع كره وبغض للمسيح العبراني وانه لطابع لم يكن

لربنان مثله واقتبس عن الالمان معظم نظرياتهم في علم الاجتماع وعن هيجل—وان كان يحتقر علمه ما وراء الطبيعة -- نظرية الاجتماعية في الدولة ، وعن نيتشه تهتكه وكرهه الخاص للقواعد الاخلاقية الانجيلية وفضيلة المحبة،معتقد المسيحية الاساسي . وليست الهتلرية والموراسية الا خدنين لان تعليمها واحد مع فارق هو تبديل الالفاظ التي اقتضاها كلّ منهما : فكلاهما يقوم الدين عندهما على وحدة الدم وكره الاجنبي وانكار العهد القديم والمسيحية السامية ، ويجزم بان المسيحية الرومانية المتأخرة تصدر عن مأتى وطني وثني .

وفي زعمه انه اعلنها حرباً على الفردية فاستعار منها ضلالها المزدوج الرئيسي وهما المادية والاثرة «الانانية» .

ولم يتفق ان انكر احدٌ الاخاء الانساني الذي تراءى لمعتنقي مذهب زينون والقت عليه المسيحية نوراً وهاجاً انكاراً جازماً كموراس .

وليس مذهبه بؤرة شوائب فقط لا بد لنا من ان نرثي معه فلسفته وانما هو المفاسد بعينها . فموراس لم ينكر الخالق فحسب بل انكر العقل وناقض الحقيقة في نقاط عدة اساسية من علم الاجتماع . حتى كان لا بدّ من تدخل حكمة روما لتمد الينا يد المساعدة في جهلنا .

ز – الوجودية

طالما لا تبرح سوق الوجودية رائجة لا بد لنا من ان نلقي عليها نظرة :

لقد زعم سارتر (Sartre) انه توسط بين نظريتين الاولى نظرية البورجوازيين الذرية التي تضحي المجتمع في سبيل الفرد والثانية نظرية الاجتماعية المركسية التي تضحي الفرد في سبيل المجتمع.

(Cf. « Présentation des Temps modernes » reproduite par la Presse de France à Beyrouth, numéros 48-49, le 16 Novembre 1945, pp. 46-51).

ونظرية سارتر « الموحدة» بشأن تركيب الانسان والمجتمع يعتورها الغموض اذ ما من شيء فيما واضح غير الوجوديّ الذي اسرته انانيته ولا يهمه امر الا ان يُنقذ حريته التي لا تنزع الى شيء . اما وجود غيره فيبدو له «جحيماً» .

وليست هذه النظرية الا الفردية الباعثة الفوضى. (له صلة)

الاجرة العدل[1]

بقلم الاب بطرس مازاس اليسوعي

ابائي المحترمين ، سيداتي ، سادتي

لقد استمعتم الى السيد تلياك يبسط «بحث نظرية الاجر الجديدة» متصدياً لعرض الوجهة النظرية او اذا شئتم القول الى بسط تفسير علمي ، اما حديثنا اليوم فكفى بعنوانه « الاجرة العدل » ليشير صراحة الى انتهاجنا وجهة مخالفة له لان القضية لا تقوم على « عرض ما هو موجود » بقدر ما تقوم على « بحث ما يجب ان يكون موجوداً » .

ويدور بخلدنا ان الفرق القائم بين التعليم والنظرية هو ان الثانية تضع قياساً لامور واقعة على حين ان التعليم يرشدنا الى طريق ننتهجها . ولئن تحدثنا عن الاجرة العدل فلا مندوحة لنا عن الاستناد الى فكرة « العدل » وبعد ان نكون خرجنا عن دائرة الشروح العلمية انتقلنا حتماً الى الناحية التعليمية .

ولا بدّ لنا من مثل هذا المقام من ان نلتقي بادئ بدء بالمذهب الاقتصادي الحر القديم الذي يعلمنا سواء آكان ذلك من حيث السعر ام من حيث الاجرة انه ما من سعر عدل ولا من اجرة عدل الّا اسعار السوق فقط التي يقررها قانون العرض والطلب فالاجرة العدل يجب ان لا تتكلم فيها فهي التي يعينها تقلب هذا القانون نفسه لتنطبق عادة على مستلزمات العدل — بيد اننا لم نرَ شيئاً يوضح شروطها وينطبق على مثلنا الاعلى للعدل .

وثمة تعاليم اخرى تبتّ بتّاً جازماً بشأن الاجرة : فمنها ما يقول : الاجرة تتعلق ضرورة بالجزء الذي يستطيع ويريد اصحاب رؤوس الاموال تخصيصه بالمال فما علينا والحالة هذه الا ان نقسم هذه القيمة على عدد من يريدون استخدامهم . ومنها ما يكتفي بجعل الاجرة محدودة جبرياً بمستوى لا يزيد الا

---

[1] نص المحاضرة التي القاها الاب مازاس في سلسلة المحاضرات الدينية التابعة لمعهد الدروس الشرقية .

قليلًا عن احتياجات العامل الحيوية ، وجلّ ما استطاعوا ان يأتوا به هو تأرجحهم بعض التأرجح حول خطة مثلى اطلقوا عليها اسم « الحد الادنى الحيوي » .

وهذان التفسيران المزعومان علميين لا يسعيان الى ايجاد الاجرة العدل وليسا الا تفسيرين ينافيان كل المنافاة الروح الانسانية وان زعما ان الاجرة مرهونة بقوانين اقتصادية لا تتبدل ولا دخل لاي اعتبار اخلاقي كان في تحديدها اذ انها رهن تقلب سوق العرض والطلب البعيدين عن متناول اشراف الوجدان الانساني عليهما.

وبعد ان نقد السيد تلياك في محاضرته السابقة نظرية لاسال (La loi d'airain) بشأن ما يتطلبه الانتاج وبشأن تخفيض الاجور الى ادنى حد ضروري ممكن لمعيشة العامل وذويه لن نرانا بحاجة الى العودة اليها .

وحرصاً على تجنيب النفس الانتقاد اذا قلنا ان الاجرة المرتضى بها هي عدل لا بد لنا من ان نردد بصراحة ان العامل الذي يرتضي مرغماً باجرة لا تكفيه وتكفي ذويه هو غير حرّ حقيقةً . ان المسافر المتأخر الذي يقدّم بطواعية محفظة نقوده للسلابين فلكي يتخلص من شر اعظم . فهل هو حرّ او هل لديه هذه الحرية الادبية التي يصبو اليها كل انسان ؟ وكذلك العامل الذي يرتضي بارادته باجرة لا تسد حاجاته وحاجات اسرته فهو ليس حرًا ولم يكن ارتضاؤه بها الّا لينجو من شر اعظم ، وليست اجرته الا ظلماً وان رضي بها . ولذلك كان علينا ان نجد مقياساً اخر لتعيين الاجرة العدل.

٥

ولقد افضى بنا الامر لنرى النفس امام التعليم الاجتماعي الكاثوليكي الذي لا نتردّد عن مباشرة بسطه الان . ينجم عن فكرة هذا التعليم ان الحتم في قضية تحديد الاجور ليس امرًا مطلقاً فهناك قوانين ادبية في هذا الباب من مصلحة المتعاقدين الشخصية تنظيها وفق قاعدة سامية لان مصلحتهم تخضع لاشراف الارادة الحرة عليها .

ومبادئ التعليم الاجتماعي الكاثوليكي تشتمل عليها البراءات البابوية التي يعرفها جميع الناس وهي البراءة المدعوة (Rerum Novarum) التي اصدرها البابا لاون الثالث عشر سنة ١٨٩١ وبراءة بيوس الحادي عشر المدعوة (Quadragesimo anno)

سنة ١٩٣١ . والبراءة المدعوة (Casti connubii) ١٩٣٠ ، والبراءة (Divini Redemptoris) ١٩٣٧ تشتملان ايضاً على حلول هذه المعضلة والتفكير بها .

٥

ومما قاله البابا لاون الثالث عشر : « في سبيل تحديد الاجرة العدل عدة وجهات نظر لا بدّ من اخذها بعين الاعتبار » . واوضح الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر الذي اتخذ الفكرة نفسها قائلًا « من المستحيل ان نقدّر العمل بقيمته العدل وندفع عنه اجرة مضبوطة اذا اهملنا ان نأخذ بعين الاعتبار شكله الفردي والاجتماعي معاً » . فما هي اذاً النقاط التي لا بد من اخذها بعين الاعتبار ؟ انها ثلاث : اولًا تأمين حياة العامل مع عيلته . ثانياً اوضاع المصنع وماهية الفوائد التي يستطيع ان يفوز بها صاحبه . ثالثاً مستلزمات المصلحة العامة . فاذا اهمل اخذ هذه النقاط الثلاث بعين الاعتبار لما كان هناك من اجرة عدل .

ولن نسهب هذا المساء في النقطة الاولى لانها ستكون موضوع بحثنا يوم السبت القادم وقد جاء في البراءة (Quadragesimo anno) « من الواجب أن ندفع للعامل اجرة تمكنه من تأمين حياته وحياة عيلته » . وما من سبيل الا ان نبرز بكل سهولة المطالبة باجرة حيوية للعامل التي لا يستطيع احد على الشك بصحة ذلك لان العمل يقضي طبعاً الى استنفاد قوة حيوية . فالانتاج المتأتي عن العمل عليه ان يوفر للعامل سبيلًا لاسترداد قواه وهذا اقل ما نستطيع ان نعطيه اياه . والعامل الذي يشتغل وجدانياً وبدون انقطاع طول ثمان ساعات ليتخلى عن ثمرة اتعابه ينبغي له ان يرى في اجرته ما يسدّ حاجاته الحيوية ويتناسب مع كرامته الانسانية . ولا يحدّد سعر الاشياء العدل ويفصل فيها الا التخمين العام . وهذا هو الحد الادنى الحيوي للاجور كي تكون عدلًا . ولا يقف الامر عند هذا الحد فقط وانما ينبغي للعامل الذي يتناول اجرة ان تكون كافية لسد حاجات زوجته واولاده . وفي المحاضرة الثانية سنتحدث عن هذه الامور .

٥

لا تتوقف الاجرة العدل على حاجات العامل وحاجات اسرته فقط ولكنها

تتعلق في الدرجة الثانية بوضاع المصنع . ولا بد لنا من ان نلفت النظر مع البابا بيوس الحادي عشر الى ان مطالب العمال حدًّها مرهون بحياة المصنع وازدهاره لنشير بعدئذٍ الى ما هو من الطبيعي ان نؤمنه للعامل في حالة الازدهار كي يكون بالمستطاع اعتبار اجرته كعدل .

* * *

وجاء في البراءة (Quadragesimo anno) بشأن تحديد الاجور انه«لا بد من الاخذ بعين الاعتبار حاجات المصنع وحاجات من يضطلعون باعبائه ومن الظلم أن نطلب من هؤلاء اجوراً مفرطة الارتفاع لا يقدرون على تحملها من دون ان يتعرضوا الى الدمار الذي يؤدي بالعمال معهم الى الكارثة » .

وهذا الحل يفرض طبعاً ان ادارة المصنع رشيدة ولذلك اردف نص البراءة يقول:« اذا حقق المصنع ارباحاً قليلة بسبب تهامل صاحبه وتكاسله وعدم اهتمامه اهتماماً كافياً بتقدمه الاقتصادي والفني فلا يستطيع ان يتخذ من هذه الظروف سبباً مشروعاً لتخفيض اجرة العمال » .

واذا فرض ان اسباباً لا تتصل ايّما اتصالٍ بارادة صاحب المصنع اوجبت عليه ان لا يدفع اجرة عدلًا لعماله فما هو الحلّ ؟

اذا اضطر صاحب العمل الى امر من اثنين : اما ان يقفل مصنعه ويسرّح عماله واما ان يواظب على استخدامهم باجور ادنى مما يتطلبه العدل الاجتماعي فباستطاعته ان يعرض على معاونيه هذا الامر وهؤلاء بمقدورهم ان يقبلوا لوقت ما الاجور المخفضة تفادياً من البطالة وتخلصاً من خطر اعظم . ومن البديهي ان صاحب رأس المال عليه ان يضحي،والحالة هذه،بصلحة رأس ماله قبل اقدامه على تخفيض الاجور الى اقل ما يقتضيه العدل الاجتماعي عادة لان حقّ العامل في اجره قبل حقه في ربح رأس المال فباستطاعته ان يشتغل ايضاً وان لم يؤمن له راس ماله ما يفتقر اليه ليعيش فان العامل الذي حرم اجرته لا يبقى لديه ذريعة يؤمن بها حياته .

واذا ما تعرّضت البراءة الى هذه الحالة الشاذة التي لا تقوى على الدوام فقد قال الحبر الاعظم :« على العمال كما على ارباب الاعمال ان يبذلوا مجهوداتهم

ويوجهوا ابصارهم باتحاد تم الى الظفر بكل الصعوبات والتغلب على كل العقبات . وعلى السلطات العامة ان توفّر لهم مساعدة السياسة الرشيدة في سبيل الغاية الناجمة .

واذا لم يقدر لنا النجاح في تلافي الازمة علينا ان نعرف فيا لو كان من واجبنا المحافظة على المصنع ، واذا كان علينا من ناحية اخرى تأمين اليد العاملة . ففي مثل هذه السانحة الشديدة الخطر طبعاً من الضروري ان يسرد الاتحاد الوثيق والتفاهم القلبي المسيحي بين ارباب العمل ومستخدميهم ليعربوا عن ذلك بمجهودات مجدية . » (Quadragesimo anno, n° 80)

واحياناً يؤدي تصلّب العمال في عنادهم الى اخفاق مشروعات استئناف التنظيم التي ربما كان من نتائجها تبديل العسر باليسر بعد انقضاء وقت الازمة .

ويأبى الذين يستخدمون العمال احياناً ان يخففوا من آلامهم التي يؤدي اليها تسريح جزئي منهم بان يتخذوا تدابير خصوصية او انهم ينبذون اقتراحات اتفاق مع مصانع اخرى شبيهة بها مع ان مثل هذا الاتفاق قد يكون الوسيلة الوحيدة للابقاء على حياة المصانع .

* * *

ولقد نظرنا في الفرض الذي لا يستطيع معه المصنع ان يعطي العمال موقتاً ما يسميه « التخمين العام الذي يقوم به رجال احرار ذوو كفاءة واستقامة » الاجرة العدل : واعني بها الاجرة التي تسدّ جميع حاجات العامل وعلى كل ليست هذه الاجرة قاعدة عامة . فلذلك علينا ان نبحث الآن عما ستكونه الاجرة العدل فيا لو لاقت اعمال المصنع التجارية رواجاً وعما اذا كان بمقدور العامل ان يصبح له حق في نصيب من الارباح وذلك اذا كان المصنع قد اخذ سلفاً الاجور المناسبة .

وفي مثل هذا المقام لا بد لنا من معرفة فكرة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر بشأن الاجور في براءته (Quadragesimo anno) . اجل ان الطريقة القائمة على اعطاء العامل اجرة اي مكافأة اكيدة مباشرة محدودة سلفاً تجعله في مأمن من تقلب الحدثان هي اجرة عدل بذاتها وخيّرة للعامل اما الحبر الاعظم فينصح بان « يعدّل عقد العمل بادخال بعض بنود في صلبه مستمدّة من عقد الشركة » . وهذا ما بدأوا عمله باشكال متفرّقة — ولقد اردف يقول : ان هذا الامر

لم يكن بدون فائدة محسوسة للعمال واصحاب رؤوس الاموال ، فالاولون مع المستخدمين يرون انفسهم مدعوين للاشتراك نوعاً في ملكية المصنع وادارته وارباحه التي يجنيها » .

ولنعتبر بالحكمة التي دللت بها البراءة على هذا التوجيه اذ اوضحت ايضاحاً جلياً انه ليس من مصلحة العامل ان يكون شريك صاحب العمل في معنى الكلمة الحقوقي فقط . وحيال وضع العمال وذوي رؤوس الاموال الصعب في يومنا الراهن وفي سبيل تأمين اتحادهم اوعزت البراءة فقط بان تزكى كل محاولة من شأنها ان تقرّب وتوحد الاشخاص والفوائد المتقابلة خاصة بما يخوّل العمال والمستخدمين أن يشتركوا في الارباح .

وتنطبق هذه النظرة الانسانية على مبادئ المدرسة الاجتماعية الكاثوليكية العامة وذلك فيما يتعلق بشأن عقد العمل وهي لا تعتبر الاجور بمثابة اكراء العمل لقاء اجرة معيّنة وانما تشركها بطبيعة الشركة القائمة بين الافراد الذين يستفيدون جميعهم من ارباح العمل العام كل بحسب منزلته منه .

ولا مندوحة لنا عن ان نعود الآن الى تبيان الوسائل المختلفة التي تخيّلوها لتحقيق هذا المثل الاسمى : « ان يُعدّل عقد (مقاولة) الاجرة ببنود مستمدة من عقد الشركة » .

وما يهمنا من بين جميع الوسائل التقليدية في هذا الباب وسيلتان فقط : اولاً الاشتراك في الارباح وذلك بان ينال العامل في نهاية السنة عن طريق اجرته نصيباً من الارباح . ثانياً المساهمة العمالية اعني اعطاء العمال اسهماً في العمل تبعاً لطرق مختلفة. وانكم تتأكدون بوضوح ان في استخدام احدى هاتين الوسيلتين تتحوّر طريقة اجرة العامل . وسوف نتصدى لذكر بعض هذه الاساليب الحديثة لتوزيع الارباح .

* * *

يقوم الاشتراك في الارباح كما تعلمون ، على ان يضاف الى الاجرة — التي تكوّن مكافأة العامل الرئيسية وهي مكافأة محدودة مضمونة — زيادة مقتطعة من الارباح وذلك متى كانت هذه تفوق نوعاً الحد الادنى . وكان احد الصناعيين البلجيكيين الذي جعل من نفسه داعية لهذه الطريقة يقول : ثمة ثلاثة عناصر لا بدّ

من التمييز بينها في المصنع : رأس المال ، والعقل المنظم او الادارة والعمل . وهذه العوامل الثلاثة في الازهار لا مندوحة عن مكافأتها بادئ بدء . فللعامل الاجرة وللعمال المتقنين المرتبات والمعاشات ولصاحب رأس المال الفائدة الطبيعية لما قدمه من قرض تزاد عليه نسبة مئوية لتغطية ما يتعرض له من خسائر .

واذا ما وقفت هذه الاجور لكل منهم وعندما تحسم النفقات السنوية فاذا تبقى هناك رصيد من الارباح فلن يذهب الى جيوب اصحاب رؤوس الاموال وحدهم وانما يقتسمه هؤلاء مع الادارة والعمال الآخرين .

اما النسبة المئوية التي تصيب كلاً منهم فمن الواجب ان تقرر بعناية — ولا يزال الكلام هنا للصناعي البلجيكي ذاته — وبما قاله ايضاً :« من الصناعات ما يتأتى ربحها عن مهارة عمل رئيسها خاصة وعن تنظيمه (كصنع المنتجات الكيماوية مثلاً) ومنها ما يكون ربحها ناجماً عن مهارة العامل الذي هو عنصر رئيسي فيها (كبعض الصناعات الفنية مثلاً كصناعة خشب الابنوس التي يعود الدور الرئيسي فيها الى اليد العاملة) ، فمن الواجب ان نمنح صاحب العمل العقلي مركزاً ممتازاً كالمخترع او الرئيس الذي يعدّ محور المصنع وروحه » .

وختم هذا الصناعي كلامه بقوله : « نريد مع احتفاظنا بنصيب مشروع لرأس المال — الاعتراف بقيمة العمل وان نخصص له مركزاً في وليمة نهاية السنة» . (P. Dessart)

ومن الوجهة النظرية ان طريقة التوزيع هذه لمشروعة وبوسعها اصلاح في الاجرة المحدودة من جمود ونقصان ، فاذا ما اشترك العامل ورب المصنع في اقتسام الارباح (ويوصف المأجور انه في مأمن من الخسارة دائماً) فعليها والحالة هذه ان يسهرا فقط على ان ينطبق اقتسام الارباح على ما اتاه كل واحد وذلك بانصاف على قدر المستطاع .

ومن الوجهة العملية ان الاشتراك بالارباح يصطدم بصعوبات خطيرة . فمن الوجهة النفسانية ، ربما اعتبر — وذلك خطأ — بمثابة اكرامية من صاحب العمل لعماله ، على حين ان هؤلاء يسعون سعياً حثيثاً للتخلص من سخاء ارباب الاعمال ليعالجوا شؤونهم على قاعدة العدل الاجتماعي . او ربما اثارت طريقة الاقتسام من ناحية اخرى مخاصمات على مبلغ الارباح . فما ينبغي لنا ان نفهمه بالربح الصافي وما هو

الجزء الموافق منها الاحتفاظ به لاستهلاك الديون والاحتياط وتوسيع العمل وبشأن ما يجب ان تخصصه منها لدفع الحصص . وفضلاً عن هذه المشادات ربما ادّى ايضاً الى اختلاف بشأن تصفية ميزانية الارباح وادارة العمل والنصيب الذي يستحقه كل عامل من عوامل الانتاج .

ولئن كانت هذه الصعوبات غير مستعصية الحلّ فانها تجعل انتهاج هذه الطريقة صعبة العمل تقريبا ، وصفوة القول ان المشاركة في الارباح لا توفّر لنا الّا نطاقاً محدوداً ضيقاً كل الضيق : فلا يصح التفكير فيها في اثناء المدة التي يُنشأ فيها المصنع وقد تكون هذه المدة طويلة الامد كثيراً ولا في السنين العجاف ولا في خلال الاعمال التي لا تؤدي ارباحها الى تحويلها اجتناء الارباح لدفع نصيب رأس ماها وتغطية ما تتطلبه منشآتها من استهلاكات وايجاد الاموال الاحتياطية الضرورية :لان معارضة العمال في تخصيص هذه الاستهلاكات والاموال الاحتياطية من شأنها ان تسمم العلاقات بين الادارة واليد العاملة بدلاً من ان تحسنها حتى يصبح من الحكمة غالباً ان يُعطى العمال منحة شهر اضافي — الشهر الثالث عشر في نهاية السنة — تفادياً من الدخول في مناقشات لا نهاية لها ولا تفضي الّا الى الوصول الى نتيجة عملية واحدة . ولذلك يجب ان تؤلف الاجرة الحقيقية — المكافأة المضمونة الاكيدة المحددة سلفاً — كل دخل العامل تقريبا لانه لا يستطيع ان ينتظر السنين ذات الارباح فهو حريص قبل اي امر آخر على ان يكون وضعه مستقراً ثابتاً وفي الخلاصة ان الارباح المنويّ توزيعها لن تكون في مجموعها الا ذات اهمية ضئيلة بالنسبة الى عدد الشركاء .

ولئن اجملنا القول حول هذه النقطة فهو ان الاشتراك في الارباح اذا اعتبرناه بمثابة عمل عدل اجتماعي وليس كآتي سخاء من شأنه ان يسفر احياناً عن ان يستخدم استخداماً مفيداً بسبب ما قد يكون له من تأثير ادبي. وذلك على رغم ما يجرّ اليه من صعوبات اذ بفضل طريقة التوزيع هذه يستشعر العامل ان شخصيته باتت اشد انسانية وانه معنيّ بالعمل كانه عمله الخاص به وانه اصبح اقرب الى صاحب المصنع المشترك معه بعض الاشتراك بسبب اخذ بنود عقده (مقاولته) الذي ادخل فيها .

ولئن ظــلّ عقد العامل عقد عمل فقط لانه لا يساهم ابدًا فيا يتعرض له المصنع من خسائر فانه يجعله يستشعر ان وضعه اصبح اميل الى وضع انسان وانه قد ابتعد شيئاً فشيئاً عن وضع الآلة !

*

ولقد سبق لنا القول « بتعديل عقد الاجرة بادخال بند مستمد من بنود عقد الشركة » وثمة ذريعة اخرى وهي ان تؤمن للعامل نصيباً في العمل عن طريق اسهم العمل . وفي مثل هذه الحالة لا يقوم الامر على اشراك العمال في الخسائر الممكن حدوثها ولكن بالارباح المحتمل تحقيقها فقط . وتقوم هذه الطريقة على اعطاء العمال اسهماً خاصة يقال لها اسهم العمل : كاشتراكهم في الارباح او كمكافأة على القدمية او بشكل (اكرامية) وتكون هذه الاسهم اما ملكاً فردياً لكل من له نصيبٌ واما ملكاً مشتركاً لمجموع العمال او لفئة منهم تألفت لهذه الغاية وتخول هذه الاسهم اصحابها حق الدخول في مجالس المساهمين ومجالس الادارة كما تخولهم ان يكون لهم صوت فيها .

وليست تعنينا النقطة الاخيرة في مثل هذا المقام ولا وضع العمال المساهمين الذين اشتروا انصبتهم بثمن نقدي . وانتا نعلم ان العامل في مثل وضعه هذا وقد التزم ان يدفع الثمن ليحصل على سهم لا بد له من ان يرى نفسه في مستوى مساهم آخر واذا ما اشترك بعض الاشتراك في ادارة العمل(بالنسبة الى عدد ما يملكه من الاسهم) فيخضع لتحمل الخسائر: لان الاسهم التي إشتراها بطريقة فرضية (par hypothèse) قد تثمر الارصدة ومن المحتمل ان لا تثمر ابدًا .

والامر الصريح الذي سيلفت منا الانتباه هو قضية العمال الذين يتناولون علاوة على اجورهم وبصفة مجانية (اما كاشتراك بالارباح واما كمكافأة على القدمية او كاكرامية) اسهم عمل .

ومما قيل«ان مساهمة العامل في المصنع من شأنها ان تفضي الى انهاضه معنوياً وعقلياً ، اذ يجب ان لا يبقى ذلك الانسان المهمل الـذي انجبه نظام رأس المال لما قبل حرب ١٩١٤–١٩١٨ وانما عليه ان يصبح المعوان الفعـال للعمل

(ويهتم بنتائجه) . فلن يظل الخادم الذي يشتغل بيديه فقط ولكنه الشريك (ولو بقسم على الاقل) فيندفع الى الشغل بيديه وعقله وقلبه ويعزز نشاطه في المصنع الذي هو جزء من ملكه وذلك في فائدة كبرى لكل فرد من افراده.» وهكذا ينشأ بدل الجشع تضامن ثمين اساسه المنفعة الشخصية والعدل (P. Dessart) . وحادى القول ان ما يحمل العامل على ان يكون شديد الاهتمام بمصير المصنع هو اشراكه بما يتعرض له من خسائر بشكل اسهم عمل اكثر مما يحمله اشتراكه بالارباح بشكل رصيد على ذلك

ولئن رغبنا في تقدير ما لهذه الطريقة من قيمة ينبغي لنا القول بداءة بدء ان هدفها هو نفساني وادبي بصورة خاصة ، تعطي العامل حقاً معيناً كل التعيين ومحدّد تدخله في الادارة بالتدخل الذي يحقّ لكل مساهم ، وتنهض مهمته الاجتماعية من دون ان تدخله في قضية اقتسام الارباح الشائكة سوى بصفة ثانوية .

ولهذا السبب راجت المساهمة العمالية في انكلترة رواجاً واسعاً . فاسهم العمل تخص عامة فيها الافراد لا فئات عمال . وعلى العكس من هذا فقد انتشرت في بلجيكا المساهمة النقابية — هي النقابة المالكة للاسهم — وقد اتسعت فيها . وفتحت مجالس المساهمين في وجه ممثلي طائفة العمال الذين استطاعوا ان يذكّروا رأس المال بما عليه من واجبات ومسؤوليات اجتماعية تذكيراً مفيداً .

٥

ان قضية المساهمة في الارباح في سبيل اضافة زيادة الى موارد العامل لتجعل اجرته قريبة من بعض مُثُل العدل تقودنا بديهياً (وذلك بتركنا على حدة كل حالات المساهمة التي لا عمل لحصص الدخل فيها) ، الى اشكال توزيع الربح الحديثة

في احد المصانع وساكتفي بان لا اورد منها الا ثلاث حالات تبدو لي اشد اهمية لان معظم الحالات الباقية ليست الا فروعاً لهذه الاساليب الكبرى الثلاث.

وان المنهج الاول منها هو المعروف باسم منهج شولر (Système Schueller) او الاجرة النسبية . وقد ورد ذكر ذلك برمته في مؤلف السيد لويس ماير (M. Louis Maire) «ما وراء اوضاع المأجورين — تنظيم العمل الاجتماعي» بايو ، ١٩٤٥ .

ولا يغمض منهج التوزيع هذا الذي يتوخى ازالة عدم طمأنينة الطبقة الكادحة العين على المبادئ التقليدية بشأن الاجرة وهو ليس منهجاً اشتراكياً قط بل يحاول فقط ان يؤمن للعمال طراز حياة اشد تقدماً وان يتقن طرق توزيع منتجات العمل ليضمن لهم منها نصيباً اوفر من دون ان يغير طبيعة الاجرة في عنصرها الاساسي .

وعقب عودة شولر من زيارته لبلدان الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٤١ اصدر كتاباً عنوانه « ثورة الاقتصاد » . ومما جاء فيه : « ان عالمنا الحالي لم يبق ما كانه سنة ١٩٢٠ فان تقدم العلم الفني قد ساعد ويوسعه ان يساعد على انتشار الانتاج انتشاراً لا يقابله اليوم زيادة محسوسة في مقدرة الجماهير الشرائية فمن الضروري البحث عن ايجاد نسبة بين حجم الاجور وحجم الانتاج . لان زيادتها ستسفر في دورها عن ازدياده . ومن الطبيعي ان تتجنب المصانع تدنياً محسوساً في اثمان منتجاتها لكي لا تصبح هذه العملية سبباً لافلاسها لانه اذا تدنت اسعار المنتجات تدنياً محسوساً بسبب وفرة البضائع وفرة كبيرة كانت مرغمة على اختصار انتاجها وتسريح عمالها فتضل الهدف . ومن الواجب ان يصحب ارتفاع الاجور نوع من ثبوت الاسعار ، وليس من سبيل الاستغناء عن ادارة الاقتصاد فهي ضرورية على شاكلة المشاريع السوفياتية ولكن يجب ان تكون بروح اخرى .

وبعد بسط هذا المبدإ اردف شولر قائلاً : عندما كانت الاجرة معدودة اجرة عدلاً حتى الحرب التي اندلعت سنة ١٩٣٩ كانت تستند قبل كل امر آخر الى اساس كونها تسد حاجات العامل واسرته .

ويعتقد شولر وهو لم يتخلَّ عن وجهة نظره هذه انه من الواجب ان تقوم اجرة العامل اليوم على احصاء لانتاجه لان انتاج المصنع يظهر بصورة حسية في رصيد اعماله التجارية ومفاد ذلك انه من الواجب اقرار نسبة بين الاجور المدفوعة وبين رقم الاعمال التجارية كثلاثة وعشرين في المئة مثلاً ، ومن ثم يصار الى توزيع رقم هذه الاجور الكتلة الواحدة على العمال بالنسبة الى انتاج كل منهم وذلك على قدر ما نستطيع ان نعين انتاج كل فرد من افرادهم . ومن هنا كان اسم الاجرة النسبية التي تطبق في هذا المنهج على احد فروع الاجرة الاربعة .

واذا انشئت النسبة بين الاجور ورقم الاعمال التجارية ، فمن اي شيء تتألف اجرة العامل ؟ انها تشتمل على اربعة اقسام : ١ً : الاجرة – العقد التي حسبت بصورة تسد على الاقل مختلف حاجات العامل الشخصية . ٢ً :الاجرة – العائلية الممدة لحاجات العيلة (نفقات عيلية وضمان الحياة) . ٣ً : الاجرة النسبية المتوقفة على رصيد اعمال المصنع التجارية والموزعة نسبياً الى الاجرة – العقد . ٤ً : جزء من الاجرة وضع على سبيل الاحتياط تأمين العامل ضد الازمات .

ولقد تبنت بعض المصانع هذه الطريقة كمؤسسات بوريل (Borel) للانشاءات الجوية التي وزعت سنة ١٩٤١ كما قال السيد لويس ماير (M. Louis Maire) على عمالها ٣٦ ٪ من رصيد اعمالها التجارية وكانت تبلغ الاجرة النسبية احياناً حتى ٥/١ الاجرة العقد .

ومما لا شك فيه ان تطبيق الاجرة على هذه الشاكلة لامر حسن جداً في ذاته لان العمال يرون انفسهم اصبحوا يملكون مقدرة شرائية زائدة . ومع ذلك لا بدّ من ان تعترضنا ملحوظات عدة :

١ً : يقضي الواجب ببذل مجهودات لتزيد القوة الشرائية لدى بقية طبقات الشعب والا كان لا بدّ من قيام عدم التوازن : الذي سنعود الى النظر فيه . ٢ً : من الواجب اتخاذ الحيطة لئلا يقضي الاغراق في الانتاج الى بعث الازمات . ٣ً : من الواجب ان نجعل السعر مستقراً . بيد ان الاختبار قد اظهر صعوبة هذا الامر . وكيف نتمكن من اتباع سياسة الاسعار من دون ان نحددها تحديداً تفرضه السلطة ؟ اننا ننتقل الى اعتناق الاقتصاد الاشتراكي من دون ان نريد ذلك . واعتقد شولر ان الواجب يدعو الى محاولة تطبيق طريقته وتعميمها شيئاً فشيئاً وقال ان « ثورة الاقتصاد » ستنفحنا «بالاقتصاد في الثورة» .

*

اما منهج دوبرل (Dubreuil) فينتقل بنا الى تطبيق الاجور تطبيقاً مغايراً كل المغايرة . فالعقود الاجماعية اذا ما تضمنت بنوداً بشأن الاجرة – وهذا ما لا يتفق ان يتم دائماً – تمكّن العامل ان يكون بنجاة من اهواء صاحب العمل الطائشة في تحديد الاجور ولا تدع عاملاً ضعيفاً تحت رحمة صاحب مصنع قوي .

ولا ريب في ان منهج « دوربل » يقدم للعامل ميزة اشد ضماناً .

واقام هياسنت دوبرل عشر سنوات في الولايات المتحدة وكتابه الرئيسي عنوانه « الجمهورية الصناعية » وقد صدر عام ١٩٢٤ ؛ وفي سنة ١٩٣٦ اصدر مع ريميلهو (Rimailho) « رجلان يتحدثان عن العمل .. مساهمة في درس تنظيم منصف للعمل » وسوف ترى كيف يؤثر تنظيم العمل هذا على الاجرة .ومما قاله « ان العامل انسان حر وليس عبداً فمن الواجب ان يكون له نصيبه من المسرة » وهذه هي الفكرة القائمة في اساس تنظيم « المصانع المستقلة » او « شركة العمل المضاربة » . ولا تلتبس الطريقة التعاونية التي امتدحها دوبرل مع « تعاونيات الانتاج » القديمة التي كان يقدم فيها العمال جزءاً من رأس المال او كانوا يحاولون على الاقل الحصول على جزء من رأس المال الموضوع في العمل . ولم يسعَ الى تحويل العامل الى صاحب مصنع او الى رأسمالي لانه كان يعرف حق المعرفة انهُ ليس اهلاً لذلك ولكنه قد توخى فقط في تعاونية العمل ان يقضي على وسيط مزعج : الا هو نائب صاحب المصنع المأجور الذي يذهب للتفتيش عن العمال ويكتفي بمراقبة شغلهم وتنسيقه واراد ان توزع اجرته بين عمال الفرقة اما العامل نفسه فيظل عاملاً ليس الا .

اما شركة العمل المضاربة فهي فئة من العمال قد حزموا امرهم والفوا فرقة تأخذ على عاتقها ان تنجز عملاً معيناً من قبل بسعر محدود سابق بدون وسيط وليس لفرقتهم وسيط بينها وبين صاحب العمل وكلهم عمال رئيسهم منهم قد اختاروه بانفسهم وقد انضم بعضهم الى بعض بحريتهم وهم لا يفتقرون بانضمامهم هذا الى طلب معونة فئات اخرى ويوزعون الشغل بعضهم بين بعض تحت اشراف الرئيس العامل . وبما ان السعر محدود سلفاً فلا حاجة بهم الى من يتولى مراقبتهم . وذلك خلا المراقبة التي يقوم بها رجال فرقتهم على التبادل . اما جملة الاجور التي تشرف عليها الفرقة فقدر لها ان تكون اجرة عدلاً ومرتفعة وذلك بعد ارجاع النفقات الخارجية الى ادنى حد وبعد ان اصبح من مصلحتهم ان يمتنوا بمجداتهم .

ويقتسم اعضاء الفرقة هذه الاجور بعضهم بين بعض بالنسبة الى انتاج كل

منهم وأي الزمن الذي استغرقه احدهم في العمل تحت اشرافهم . أوَ لا نرى ان لدينا بهذه الشركة طريقة تخمينية متقنة كل الاتقان. اما نفقات العيلة فتدفع على حدة .

ووضعت طريقة دوبرل موضع العمل في ديجون (Dijon) بمصنع روينــه (Rounet) « معمل الاحذية » المقسوم الى ستة معامل مستقلة فافضت الى زيادة في الاجور والعنــاية بالآلات والادوات والى تنظيم العمل تنظيماً اسبوعياً بشكل اشد مرونة . امّا من حيث ناحية الاجرة فلا تناقض هذه الطريقة المفهوم الدارج بشأن الربح لانها لا تمسّ فائدة صاحب العمل .

ان « مشروع ارباب الاعمال المسيحيين المشترك لاصلاح المصنع » (١٩٤٤) يفضي بنا الى افكار اعرق تأملاً وذات تأثير اعظم طبعاً في اجرة العامل . اما منهج « اقتسام الاثمار » فمردّه الى النقاط الاربع التالية :

١ً : يجب ان تشرك رأس المال والعمل في مغانم المصنع التي ينبغي ان لا تظل وقفاً على صاحبه فقط مما يفيد في معنى الكلمة الحصري ان « الغنم » الذي كان حتى الآن من نصيب صاحب العمل يجب ان يعود جزء منه الى المأجورين.

٢ً : لا يتمّ هذا التوزيع بموجب تشريع خارجي عن المصنع وانمــا بتنظيم داخلي . فالمصنع جمعية عمل غايتها مصلحة جميع المشتركين فيه (من دون ان تنسى مصلحة المجتمع عامة) : فعلى مجلس المصنع الذي للعمال كلمتهم فيه ان يقوم بتوزيع عدل .

٣ً : ن العامل هو شريــك رب المصنع . فاشتراكه بالغنم يضمن له نوعاً من الملكية الخاصة التي ستظل اساس المنهج الاقتصادي وذلك ما عدا المشاريع الكبرى الصائرة الى التأميم اذا ما دعت المصلحة العامة الى تأميمها . اما هذه الملكية الخاصة فسيكون توزيعها التوزيع الافضل .

٤ً : وسيجري توزيع الغنم بين صاحب المصنع والعمال بالنسبة الى مجهودات كلّ منهم . اما رئيس المصنع الذي اختاره « ذوو رؤوس الاموال» و«العمال» في آنٍ واحد فمستقل بإدارة مصنعه بيد ان عدة امور هي من اختصاص المجلس ولاسيما قضية منح الغنم .

ولقد وضعت طريقة « اقتسام الاثار » التي من نتائجها تزييد مقدرة الجماهير الشرائية واعادة توزيع الدخل نوعاً لافادة المصانع المتنوعة كل التنوع موضع التنفيذ عملياً في منهج ديوا (Dubois) بحيث وزعت جميع ارباح المصنع بين المشتركين بعد تأمين النفقات الاحتياطية والاستهلاكات من دون ان يبقى هناك رصيد سواء اكان كبيراً ام صغيراً — كان العمال دائماً يجاوزونه — ليعود الى جيب رئيس المصنع وحده .

٭

لقد قلنا ان الاجرة العدل تتوقف في الوقت نفسه على حاجات العامل واسرته وامكانيات المصنع فبقي علينا ان نبين باقتضاب انها تتوقف ايضاً على بعض مقتضيات الصالح العام .

ان الاجرة العدل لن تحدد ابداً بصورة حسابية محض (كما يريد احد المذاهب الواقعية) وما هي مطلقاً مسألة عاطفية صرف (كما لو كانت المحبة والرفق يستطيعان الوصول الى تحديد معدلها) . لان ثمة كثيراً من العوامل لا بد من اخذها بعين الاعتبار . . . مثلاً « ان الصالح العام يقضي كما تقول البراءة (Quadragesimo anno) بان يكون في متناول كل اعضاء المجتمع امكانية كافية للعمل وان تجنب الجميع،وعلى قدر المستطاع،غصة البطالة . وتتعلق هذه الامكانية تعلقاً كبيراً بمعدل الاجور التي تتيح السوانح العديدة للعمل طالما لا يزال ضمن حدود معقولة . اما ابتعاده عنها فينقص فوراً هذه السوانح ويقللها » .

والصالح العام يتطلب ايضاً قيام نسبة عدل بين مختلف درجات الاجور . اذ يجب ان لا يكون عمال الصناعات الكبرى هم الوحيدون الذين يستطيعون « ان يدخروا جزءاً من اجورهم ليجعلوا منه احتياطاً يخولهم انشاء راس مال صغير » ، كما تقول البراءة بل يجب ان تكون هذه الامكانية سانحة امام الجميع ومنظمة بعض التنظيم اذ لا ازدهار عام وان كانت الاجور المدفوعة في الصناعة كافية،وذلك اذا لم يتناول عمال الارض والصناع اجراً كافياً ولا يرون مقدرتهم الشرائية مستمرة ضمن حدود ضيقة كل الضيق .

٭

ان كل ما ذكرنا يكفي ليبيّن تعقيد هذه القضية . ولئن كان من السبل

وضع نهج للسير عليه : اجور كافية تسد حاجات العامل واسرته واجور تتناسب مع ارباح المصنع واجور تأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الصالح العام فانه لمن الصعب غالباً ايضاح التفاصيل التي لا بد من اقرارها. وفيما يختص بشأن السعر العدل— ولا ننسَ ان الاجرة هي سعروان لم تكن ثمن بضاعة وحدها فقط — لا تكفي حرية المتعاقدين ولا المقابلة الحسابية بين نفقات الانتاج واثمان البيع ولا الرغبة « التي هي من الخصائص العاطفية » في تنزيل قيمة الغنم الذي يعود الى رئيس العمل تنزيلاً على قدر المستطاع ، بل يجب الالتجاء للحكم في جميع الادلة التي وفّرتها الظروف الى تخمين الرجال الاحرار ذوي الكفاءة المستقيمين العام ،

وانا لا نعتقد فيما يتعلق بالاجرة ان حرية الطرفين هي ضمان مطلق ولا بعض الرغبة التي هي من الخصائص العاطفية في اقتسام الغنم اقتساماً منصفاً ولا المقارنة الحسابية بين نفقات الانتاج وارباح المصنع وانما ينبغي لنا ان نرجع فيها بحسب تعليم قديم يعود الى القديس توما الى تخمين الرجال الاحرار ذوي الكفاءة المستقيمين العام ليقضوا بكل انصاف في مختلف العناصر المعروضة عليهم .

والبراهين التي اوردها الاب دي باساج (du Passage) في مقالته بمجلة (Etudes) ٢٠ ايار سنة ١٩٢١ على نقض هذه التعاليم المسماة « بالواقعية » كما يقول جورج ڤالوا (Georges Valois) وضرورة العودة الى قاعدة التخمين العام تبدو لي براهين حاسمة .

ويجب ان تكون الاجرة كافية لسد حاجات العامل (هذا هو الحد الادنى لها) ومن ثم ان تزداد كلما ازداد تقدم المصنع وان يظل معدلها منطبقاً على مقتضيات الصالح العام . فان وجدان ذوي الكفاءة النيّر هو وحده الذي يقوى على الوصول الى منتهى البت الضروري فيها لا الحساب القامض : وانما للخلاصة التي تفرض نفسها فرضاً كنتيجة لبحثنا هذا . فالعلم الفني لا يكفي ابداً . فكل حلٍّ مقبول بشأن قضية الاجرة العدل يتطلّب في كل حال تدخل الوجدان المستقيم الذي يوازن العدل بين جميع المصالح المتضاربة .

ولنا رجاء وطيد ان يكون هذا الوجدان الوجدان المسيحي القليل الخوف والتهور ليُعنى بمصالح الكل كما يُعنى بالمجتمع عامة .

نشيد الرسل القديسين

للشاعر رومانس المرنم

عرّبه عن اليونانية

الاب نيقولاوس قادري ق. ب.

توطئة

اننا نعجب اليوم في عصرنا المادي والذي بسرعته الصاخبة يقتل فينا حياة الروح نعجب اذا ما سمعنا ان المسيحيين الأولين كانوا يقضون في الكنائس الساعات الطوال. ونذهل من ان صلواتهم الهادئة المتابعة كانت تتغلغل الى اعماق الليل وطلوع الفجر فكانوا بذلك شهودًا لشمس المغيب وشمس الشروق.

ذلك لاننا نجهل كم كانت صلواتهم متنوعة واحتفالاتهم غنية ومرتبة مصطبغة بلون الدقة والجمال والاتزان الكامل . فكانت فروضهم واناشيدهم بجمالها وعظمتها وحسن اتساقها مسيطرة على العقول والارادات تصعد بالانسان الى ما فوق هذا العالم المادي بحيث وهو بعيد عن الاضطراب والقلق كان يتحد بالله الراحة المتسعة . ومن هذه الجمالات الساحرة التي كانت موضوع اعجاب المؤمنين اناشيد رومانس وكانت اصداء مقطوعات الاناشيد تتجاوب في قلب العاصمة البيزنطية وبين حنايا كنيسة آجيا صوفيا . .

اجل تفوق رومانس على جميع من سبقه من الشعراء الدينيين ولم يعرف التاريخ من بعده شاعرًا دينيًا حبته الطبيعة مزايا الشعر الصافي وصفاته كما عرفنا في شاعر الملوك ومتوج القديسين رومانس المرنم. تفوق رومانس بعبقريته الشعرية الحقة وبسطة خياله وسعة معارفه وغنى لغته ومرونة الفاظه وجمال الوحي النضير واتزان الالهام وتجمع موضوعات الشعر في اناشيده . كل هذه الصفات تجعل منه شاعرًا مجيدًا وعبقريًا وحيدًا فريدًا .

واننا نتقدم من قرائنا اليوم ونزف اليهم نشيدًا جديدًا لهذا الشاعر معربًا عن اليونانية ليقفوا على جمال هذا الوحي الخصيب .

ان نشيد الرسل هو مسرحية دينية كاملة وهو علاوة على ذلك احد الاناشيد الملحمة الكبرى من مجموعة تآليفه بل قل هو ملحمة صغيرة يؤلف وحدة فريدة. نظمه الشاعر رومانس لعيد الرسل الواقع في الثلاثين من حزيران . تخيل الشاعر المسيحي وهو في تأملاته العميقة وصلواته الخاشعة وسجوده المتناهي ذلك المشهد البسيط الذي مرّ امام باصرته ولوحة خياله حيث جمع يسوع تلاميذه على جبل الزيتون وودعهم وسلمهم رعاية الاغنام والسهر على النفوس ونشر التعاليم في كل الارض .

فكأني بالشاعر العبقري ينظر بعين خاطفة للالوان النفسية وقلب يشعر بدقة المواطف فيرى جمع الرسل يتألب حول معلمه ويسمع كلامه فكأنه حاضر للمشهد الذي تم منذ خمسة قرون على جبل الصعود وينتبه بروح الحماس الى تلك الحوادث التي مرت منذ القدم فيعيرها من جديد ذلك التأمل وتلك الحياة فيجسدها بدقائقها وحركاتها واصواتها . وهذا التأمل يثير قوى الشاعر فيحرك قلبه ويلهب خياله بنار اليقظة الكبرى فيتفتح عقله على دقائق الحقائق فيسمعها من فم يسوع يفوه بها ويعلمها لتلاميذه الاحباء. فيغرق آنذاك بالسجود والحمد والشكر وينتقي لذلك الايقاعَ الجميل والمقاطع الموسيقية والاتساق اللذيذ والنبرات الشعبية التي تغذي نار عبقريته المقدسة فيسكر سامعيه بخمرة الشعر ورحيق الموسيقى ويصعد بهم الى ارقى ذرى الوحي حيث تتلاشى الاوهام وتتفكك الاغلال المادية ويزول الزمن المتقطع ولا يبقى الا الجمال الثابت والازل المتجدد .

يبدأ النشيد بمقدمة هي صرخة القلوب دعاء ليسوع الاله : « ايها المسيح الاله انت بحجتك السامية للانام اوضحت الصيادين اوسع علماً من الخطباء »[1] وتلي هذه المقدمة مقطوعة ثانية ربما نظمها الشاعر في ظرف آخر او سنة اخرى وهي تحمل فكرة العيد الاساسية وعرض الاشخاص على المشهد : « الكارزين البواسل بالكلمة الالهية وهامات رسلك دعوت ايها الرب . »

ثم يسير النشيد بالمقطوعات الاربع والعشرين على نغمة عذبة ورصينة وترتبط المقطوعات باللازمة وبالوزن وخصوصاً بالتوزيع الملخص هكذا « مزمور الحقير رومانس » : Τοῦ Ταπεινοῦ Ῥωμανοῦ ψαλμός.

---

١) مقطوعة ١

وبهذا النشيد يبدأ الشاعر مقطوعته الاولى بالاستلهام فيستوحي رومانس كما كانت عادة الشعراء الغنائيين في اناشيدهم وملاحمهم ان يستلهموا ربة الشعر كما نجد ذلك في مطلع الالياذة : «ربة الشعر عن اخيلا بن فيلا» ومطلع الانياذة للشاعر اللاتيني فيرجيل :

« Musa, mihi causas memora, quo numine laeso ».

كذلك الشاعر رومانس يستوحي نشيده من اله الوحي من يسوع الخاص «اوضح لساني ، يا مخلصي ووسع فمي واملاه Τράνωσόν μου τὴν γλῶσσαν. Σωτήρ μου

وبعد عرض الاشخاص والمكان والزمان يأخذ العمل المسرحي مسيره بأناة وهدوء. فيربط الشاعر موضوعه بالفكر الرئيسي ويجمع بين المسيح « الراعي » وبين الرسل « النعاج » وآنذاك يضع الشاعر على المشهد المسيح نفسه ويعطي لشفتيه الالهيتين نصوص الكتاب المقدس . ويستعرض يسوع رسله ويخاطبهم كلام الطهر والحب ثم يرسلهم الى متابعة الرسالة الالهية ويوجه الى كل واحد منهم كلاماً خاصاً ومشورات شخصية يستوحيها الشاعر من مشاهد الانجيل وآياته البينات.

ويعرف رومانس كيف يُلبس اناشيده إهاباً من المسرحية جميلاً : « ان الراعي جمع بعد القيامة النعاج التي كان الخوف قد بددها حين الصلب . » ثم يوجه كلامه لبطرس : انظر الي يا بطرس ، انظر كيف تؤدب الناس . فكر بخطيئتك – وانت يا اندراوس فتش عن الضليل – يايوحنا بيّن العمل – وهكذا اصنع انت ايضاً يا يعقوب – اذهب يا فيلبس – يا توما عندما تمحو كلمات الارتياب القديم بايمانك الحاضر – البث عشارًا ، يا متى » ولا يرينا رومانس الا سبعة من تلاميذ يسوع لئلا يسأم السامع ولكن الشاعر بحسن لباقة يختصر حديثَ يسوع لجميع الرسل « لئلا يتعب » فيكلمهم خطاباً شاملاً جامعاً . أجل يصور رومانس بريشته مشهدَ الراعي تحوط به نعاجه[1] كما في التصاوير والنقوش الفنية الرومانية القديمة ويتراءى المسيح يستعرض تلاميذه واحداً واحداً ويكلمهم ويسألهم ويجاوبهم ويوجه اليهم ارشاداته الرصينة وكلماته العذبة : ثقوا فانا وحدي غلبت العالم ، انا وحدي بددت الذئاب ، ما كان مني لحدٍ بل كنت

[1] مقطوعة ٤

وحدي انا العارف وحدي اسرار القلوب .»[١] فهذه الكلمات تولد في قلوب الرسل وعلى شفاههم اقرارًا جميلًا رائعًا بايمانهم الحي بيسوع العارف وحده اسرار القلوب فيقولون له : « انت اله انت وقبل الدهور وبغير فناء ، إننا نعرفك الهًا واحدًا مع أبيك والروح»[٢].

بينما يتبسط النشيد بعظمته الساحرة تأخذ المقطوعات حلتها من المسرحية المشبعة بالحياة والحركة فيتناوب الاشخاص على المشهد بدون سأم ولا ضجر وتتفجر الحياة بالحوار الرشيق وتتدفق فيه الجمالات فيسأل السامع والقارئ ماذا يقول لهذا او لذاك ولا يلبث النشيد ان يتفلت من قيود القصة والاغنية ليصبح مسرحية حقيقية كاملة .

على انه وان يكن للنشيد صفة المسرحية فهو مغناة رائعة لما فيها من المقاطع والاهجنة الموسيقية الساحرة

Ἐκάλεσας μᾶλλον φίλον τῇ ποίμνῃ
Θάρσος διδούς, καὶ μικρὸν ὡς δειλός (٣)

واجمل حكم على جمال الالفاظ ان تقرأ النشيد باللغة اليونانية ومعلوم انه من الصعب لا بل من المستحيل ان نحكم على شاعر من ترجمة نثرية حتى ولو قرأنا ذلك الشاعر بلغته يبقى على الاديب ان يعيش في تلك الفترة من الزمن الذي عاش بها الشاعر والبيئة التي كان يحمل عواطفها وايمانها وثقافتها وبذلك يستقيم الحكم على الشاعر وشعره .

وافكار رومانس سامية وصوره بديعة . اسمعه يقول بفم المسيح لبطرس: «فكر بخطيئتك تألم مع الجميع برفق واذا ما نفختك الكبرياء فتذكر صياح الديك واذكر دموعك التي غسلتك انا بمجاريها .»[٤] ثم نسمع المسيح يقول لاندراوس « فتش عن الضليل . بصنارة كنت تصطاد قبلًا فتعلم الان ان تصطاد بالصليب »[٥] . وهذه الافكار السامية نراها تتحلى بالصور الرمزية الفنية : « يا يوحنا احفر لي خندقًا بلسانك كما بمعول » — فآتي اليك عندما تشاء . واسقي زرعك وارويه هلا نثرت اقوالك كحبات الحنطة فاضاعف حصادك »[٦] وهناك صورة الكرمة

١) مقطوعة ٤ ٢) مقطوعة ٢٤ ٣) مقطوعة ٥
٤) مقطوعة ٥ ٥) مقطوعة ٧ ٦) مقطوعة ٨

والحرث واذا « بالرسل اغصان كرمة المسيح وخطوط الفنان السماوي .»[1]

وهناك افكار سامية ينثرها الشاعر في نشيده هناك الرفق بالخطأة : « تألم مع الجميع برفق .»[2] هناك الغيرة على النفوس والبحث عن الضليل : « فتش يا اندراوس انت ايضاً عن الضليل .»[3] ومحبة الرسالة : « هلا نثرت اقوالك، يا يوحنا، كحبات من الحنطة .»[4] ولهذه الافكار الفنية عظمة وسمو ترفع بالقارئ الى مستوى الشاعر نفسه وترتقي به لتدخله في جو مشبع من الجمال الالهي.

ويجمل بنا ان نذكر ان هذا النشيد مشبع بالتعاليم اللاهوتية الواضحة فهنا مساواة الاقانيم: « انا والاب في الروح الواحد.»[5] وهناك اتحاد الابن بالآب: « لا تفصلني عن ابي ، لا تقل اني رأيتُ الابن واما ابوه فما ابصرته ، لقد ابنت الك أنَّ الاب فيَّ وانا في الاب.»[6] وقد نرى تعاليم قيمة في الجسم السري « عندما تقفون امام القضاة تنظروني في وسطكم وحينما تقيَّدون انتم فانا أُقيَّد معكم .»[7]

والنشيد رائع بلون البساطة، رائع بفيض الصفات والمزايا، رائع بخياله الشعري ورومانس يبقى في قصائده العبقرية الفياضة بالحرارة والحياة والقوة والجرأة في الأوضاع والالفاظ الفنية « بالسينات » والتعابير الواضحة والاسلوب الرصين والمشاهد الخصيبة بالفن والدرس النفسي العميق كل ذلك يجعل من قصائد رومانس مجموعة جمالات تتوارد على خاطره فيسجلها قلمه وتبقى مقطوعاته سلسلة من الالواح الخيّرة بالمعاني والالفاظ الموسيقية والخيال الطليق على عالم من النبرات والصور ومن الصعب جداً ان لا يتأثر القارئ او السامع لقصائد رومانس بتلك المجموعة من الاهجنة الرنينة دائماً وبذلك الاتساق والايقاع الذي خلق عظيماً وسامياً ليردد في اجواء القطمة البيزنطية على ممر الاجيال ، يحكم اذن ان النصرانية لا تحسد الاجيال السالفة على شعرائها الغنائيين فلها بشخص رومانس شاعرها وقيثارها المطرب في كل العصور .

---

١) مقطوعة ٣ ٢) مقطوعة ٥ ٣) مقطوعة ٧
٤) مقطوعة ٧ ٥) مقطوعة ١٠ ٦) مقطوعة ١٠
٧) مقطوعة ١٧

نشيد الرسل القديسين[١]

للشاعر رومانس المرنم

مقدمة ثانية	مقدمة اولى
الكارزين البواسل	ايها المسيح الاله ،
بالكلمة الالهية	انت بعجبتك السامية للانام
وهامات رسلك	أوضحت الصيادين
دعوتَ ، ايها الرب ،	اوسع علماً من الخطباء ،
الى التمتع بخيراتك	وأرسلتهم يبشرون
والراحة الابدية ،	في الأرض كلها .
وقبلت أتعابهم وموتهم	فانت بهم ثبّت كنيستك
افضل من كل الذبائح	وامطر بركاتك على المؤمنين ،
ايها العارف وحدك	ايها العارف وحدك
اسرار القلوب .	اسرار القلوب[٢] .

Pitra : Hymnographie de l'Eglise Grecque, pp. I-X—(...

٢) يوحنا : ٢١-١٧ ؛ سفر الملوك الثالث : ٨-٢٩ ؛ سفر اخبار الايام الثاني : ٦-٢٠

١ أوضح لساني ، يا مخلصي ،
ووسع فمي واملأه
وامنح قلبي تخشعاً
لكي أتبع ما اقول ،
واعمل اولاً
ما اعلّمه
فقد قيل :
ان كل من يعمل
ويعلّم
فهذا هو العظيم[1]
لاني اذا كنت اقول
ولا اعمل ،
فانا أعدّ كصنج يطن[2] .
لذا هبني القول السديد
والعمل المفيد ،
ايها العارف وحدك
اسرار القلوب !

٢ هكذا في القدم ،
كان تلاميذك
يتممون تعاليمك اولاً
ويعلّمون ما يعملون
وبكل قوة
كانوا معاً يبشرون
بتعليمك
وسياستك
فمن كان يراها
ويسير عليها
كما سار رسلك
فذلك هو العظيم .
فالتجرد عن خيرات الأرض ،
والاهتمام الدائم بالسماء ،
وحمل الصليب على الاكتاف[3]
هو فرح عند الموت ،
كما رتبت انت ،
ايها العارف وحدك
اسرار القلوب !

---

١) متى : ٥ - ١٩
٢) ١ كور ١٣ - ١
٣) متى : ١٦ - ٢٤

٣ ايها المؤمنون ،
ان تبيان فضائل الرسل
لموضوعٌ بهي
يعطر الأرض كلها ،
فالرسل اغصان كرمة المسيح[1]
وخطوط الفنّان السماوي .
صيادون قبل المسيح ،
وصيادون بعد المسيح[2] .
والذين كانوا يترددون الى البحر
ها هم الآن يفيضون
عذب الكلام .
قبلاً كانوا
يصيدون الاسماك ،
والآن علمتهم صيدَ الناس
انت ايها العارف وحدك
اسرار القلوب .

٤ ان الراعي جمع
بعد القيامة
النعاج التي كان الخوف
قد بددها حين الصلب .
ولما وقف بهم
في العلاء على الجبل
أسمعهم لحناً مطربا
وبث الشجاعة
في الرعية .
كلّمهم قليلاً كجبناء[3]
وهتف قائلاً :
« ثقوا فانا وحدي
غلبت العالم[4] ،
انا وحدي بددت الذئاب
ما كان معي احد
بل كنت وحدي ،
انا العارف وحدي
اسرار القلوب . »

---

١) يوحنا : ١٥ — ٥
٢) متى : ٤ ، ١٨ — ١٩
٣) يوحنا : ١٤ — ١
٤) يوحنا : ١٦ — ٣٣

٥ اذن اذهبوا الى الامم كلها
وانثروا في الارض
زرع التوبة
ورووها بالتعاليم.
انظر اليّ ، يا بطرس
انظر كيف تؤدب الناس ،
فكّر بخطيئتك
تألم مع الجميع برفق ،
بسبب هذه الجارية
التي زعزعتك.
واذا ما انفختك الكبرياء ،
فتذكر صياح الديك[1]،
واذكر دموعك
التي غسلتك انا
بمجاريها ،.
انا العارف وحدي
اسرار القلوب.

٦ يا بطرس ، اتحبني ؟
اصنع ما قلته لك.
ارعَ رعيتي[2] ،
واحبب الذين احببتهم انا ،
تألم مع الخطأة ،
وتذكر عطفي اليك :
اني قبلتك
بعد نكرانك لي ثلاثاً
انت احرزت اللصَّ
بوّابَ الفردوس ،
هو يشجعك.
فارسل اليه من تشاء.
بكم أنتم سيمود
آدم اليّ صارخاً :
ان الخالق اعطاني
اللص بواباً
وكيفا صاحب المفاتيح
انه العارف وحده
اسرار القلوب.

---

١) متى : ٢٦–٧٥
٢) يوحنا : ٢١ – ١٥ ، ١٧

٧ وانت يا اندراوس، بي تقوّ ا
كما وجدتني اولاً[1]
وجدتك انا
فتش انت ايضاً عن الضليل،
ولا تنسَ المهنة الأولى
لاني بها سأعلمك
المهنة الثانية[2] .
كما كنت قبلاً عارياً في البحر
فالآن الآن تمرُّ
عن الحياة
فتعلّم الان أن تصطاد بالصليب
بصنارة كنتَ تصطاد
بالشص كنت تقتنص قدماً
فمنذ اليوم سأعلمك
القنصَ بجسدي
انا العارف وحدي
اسرار القلوب

٨ يا يوحنا بيّن الآن العمل .
الآن الآن ليعلم الجميع
اني ما اسندتك
الى صدري باطلاً[3]
فاصنع أتلاما
لينبوعي،
فيدفق حبك
مجاريه :
احفر لي خندقاً
بلسانك، كما بمول،
فآتي اليك عندما تشاء
واسقي زرعك وارويه.
هلّا نثرت اقوالك
كحباتٍ من الحنطة
فأضاعف حصادك
واكثره
انا العارف وحدي
اسرار القلوب .

---

١) يوحنا ١ : ٤٠-٤١
٢) متى ٤ : ١٨-١٩
٣) يوحنا ١٣-٢٥

٩ وهكذا اصنع
انت ايضاً ، يا يعقوب :
لا تهمل التبشير
حين تذكر اباك زبدى
الذي فضلتني عليه
انت تعلم كيف تركت
اباك في السفينة[1]
واحببتني انا الخالق .
الا أكل ارادتي مع رفاقك !
لا تخف الخونة
فقد بددت مشوراتهم ،
وعندما يقطعونك
بالسيوف[2]
فكر فيّ انا من
طعن جنبه بحربة
انا العارف وحدي
اسرار القلوب .

١٠ اذهب ، يا فيلبس مع هؤلاء
وبشر بي كما تراني
وتسمعني الآن .
لا تفصلني عن ابي ،
لا تقل اني رأيت الابن
واما ابوه فما ابصرته[3]
لقد ابنت لك
انّ الآب فيّ وانا في الآب.
انا لم افارقه ،
بل اتمم ما يريد
وهو يتمم ما اشاء.
انا والآب في الروح الواحد .
سارسلك بشير الروح
والحامي عنه
انا العارف وحدي
اسرار القلوب

---

١) متى : ٤ ، ٢١–٢٢
٢) اعمال : الرسل ١٢–٢
٣) يوحنا : ١٤ ، ٨–٩

١١ يا توما، عندما تمحو
كلمات الارتياب القديم[1]
بايمانك الحاضر،
بشر بالذي فتشته.
قد اقترب الزمان
الذي كنت دائماً
تتوق اليه،
لتجابه شعب العبرانيين.
لديك الآن بجلاء
ضمانات قيامتي.
نظرت مواضع المسامير،
وراقبت آثار الحربة[2]
فما لك بعد من عذر،
فقد ازلت عنك كل ريبة
انا العارف وحدي
اسرار القلوب.

١٢ البث عشاراً، يا متى،
وعشّر عدوّ آدم،
كما كنت تفعل قدما[3]
بالعابرين. ٥
لا تُشفق حتى تقبض منه
آخر فلس.
واجلس وراقب
الطريق المؤدي
الى الجحيم،
واذا وجدت
قاتل الانسان
خارجاً من منازلي
فاجلس وعشّر
واظهر قاتل الانسان عارياً،
كما امرتك
انا العارف وحدي
اسرار القلوب.

١) يوحنا: ٢٠-٢٥
٢) يوحنا: ٢٠-٢٧
٣) مرقس: ٢-١٤

١٣ هوذا كلامي واحد
انطق به للجميع
حتى لا اتعب
حين اعلم تلاميذي
واحدًا فواحدًا .
مرة قلت لقديسي
اذهبوا الى العالم اجمع
وتلمذوا لي الامم
والملوك[1]
فقد دفع اليّ ابي كل شيء ،[2]
ما فوق وما اسفل
التي كنت اسود عليها
قبل ان اخذت الجسد
والآن فاني ملكت
على الجميع واخترتكم لي
نخبةً مقدسةً
انا العارف وحدي
اسرار القلوب .

١٤ فاذهبوا اذن
الى كل الامم ،
وانثروا في الأرض
زرع التوبة ؛
وروّوها بالتعاليم[3] .
سمع المسارون هذا
ونظر بعضهم الى بعض
وحركوا رؤوسهم :
من اين لنا
الصوت واللسان
حتى نخاطب الجميع ؟
من يعطينا القوة
ان نجابه الشعوب والامم ؟
فنحن اميون ، ولا علمَ لنا
من اين لنا كل ذلك
لنفعل ما امرتنا به
انت العارف وحدك
اسرار القلوب ؟

---

١) مرقس : ١٦–١٥ ، لوقا ١٠–٢٢
٢) متى : ١١–٢٧ ، متى ٢٨–١٨
٣) متى : ٢٨–١٩

١٥ لا يضطرب قلبكم الآن[1] ١٦ مع ذلك ساعطيكم قوة

ولا يظلم العدوّ عقلكم ،	قوة تقيم كثيرين من السقوط
لا تفكروا كالاطفال ،	ساعطيكم لساناً
بل كونوا حكماء	يقطر الحكمة
كالحيات[2] .	فقولكم يقطع قول ديموستين
من اجلكم	لقد غلب الجليليون
انا ارتفعت كحية[3] .	الاثنائيين
لا تهملوا تبشيري	وكيفا ، بطرس نفسه
بسبب الخوف ،	يهدئ الآخرين ،
انا لا اشاء	عندما يبشر بي .
ان اغلب بالقوة ،	واما القول « ماران اتى » ،
انما انا اغلب بالضعف .	فيبدد الاقوال الشاردة
انا لا افرح بالمتفلسفين ،	والخرافات ،
فقد أحببت	والناصرة ترعزع كورنتس
حماقات العالم ،	وعندما انتم تنطقون ،
انا العارف وحدي	فانا اشددكم ،
اسرار القلوب ـــــ	انا العارف وحدي
	اسرار القلوب .

١) يوحنا : ١٤-١
٢) متى : ١٠-١٦
٣) اشارة الى ما جاء في قول المسيح : وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي ان يرفع ابن البشر . يوحنا : ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢١

١٧ بالشتائم جميعكم تغسلون ،
وفي السجون تحبسون ،
وبالسلاسل بعنف تقيدون ،
وللولاة تسلمون[1] ،
لكني لا أدعكم يتامى .
فانا معكم حتى المنتهى[2] .
وعندما تقفون
امام القضاة ،
تنظروني في وسطكم ،
وحينما تقيدون أنتم ،
فانا اقيد معكم .
ألا احتملوا كل شيء
معي وبي !
واستمروا على عزمكم
فأجاهد انا بكم ،
انا العارف وحدي
اسرار القلوب !

١٨ عندما سمع التلاميذ الحكماء
كلمات المعلم الحكيم
اجابوه عليها :
انت تبشرنا
بكل ما هو قاس ،
ومفعم خوفاً وموتاً
قد كنا نفكر الآن
في الهرب من هذا
لنتحد بك .
وان انت اسلمتنا
الى القساة ،
فانت بالحقيقة تخلصنا
تدعونا الى الراحة .
وها انك
تتقدمنا الى الجهاد ،
انت العارف وحدك
اسرار القلوب .

١) متى : ١٠ : ١٦-٢٤
٢) متى : ٢٨-٣٠

١٩ هوذا الحظ يدعوكم
الى الجهاد ،
وشريعة المحبة
تطلب منكم
ان تظهروا عمل الحب
تألموا لأجلي كأحباء ،
كما انا تألمت
من اجل الأحباء ،
من غير ان أكون مديناً لاحد.
ما كان من داع
ليدعوني الى الموت ،
انما قبلت الموت ،
وصبرت على الصليب
كمدين .
انا ، انا البري.
رفعت دينكم الابوي طوعاً ،
انا العارف وحدي
اسرار القلوب.

٢٠ فاذهبوا اذن
الي العالم أجمع ،
وانثروا في الأرض
زرع التوبة
ورووها بالتعاليم
كيلا يبقى انسان
خارج شباككم .
فانا ابتهج
بالراجعين اليّ .
واعلموا انتم ايضاً :
ان لو عاد اليّ
بعد التسليم ،
ذاك الذي أسلمني ،
لمحوت له خطيئته
واتحدته بكم ،
انا العارف وحدي
اسرار القلوب .

٢١أبغضوا الحزن واليأس ،
فهما يدفعان كثيرين
الى الموت كما تبين
هذا في يهوذا
فاعرفوا كيف ان اليأس
حبك ليهوذا الدافع
حبل المشنقة .
بالحقيقة ان احبولة
الشيطان غريبة
حتى في هذا الأمر .
لانه عوقب في الحال .
وبدلاً من الاسخريوطي
سأدعو الكيليكي ،
وبدلاً من المحتال
سأدعو الصادق ،
وبدلاً من الدافع
سأدعو بولس ،
انا العارف وحدي
اسرار القلوب .

٢٢يا أخلائي الاحباء واخوتي
ادعوكم اخلائي
ولا اسميكم بعد عبيداً ،
فانتم ابنائي
وارثون معي .
انتم كواكب المسكونة كلها ،
انتم اشعة شمسي المنيرة ،
انتم حرسة امناء
تحرسون مفاتيح كنوزي ،
انتم وسطاء للمواهب
المتدفقة مني
لآدم التائب .
انتم اعمدة كنيستي
الذين انتشلتهم
انا من البحر ،
انا العارف وحدي
اسرار القلوب .

١٢٣ كرزوا بي
في العالم هكذا ،
واظهروا اما انا عليه ،
واتركوا اذن
الامثال والاحاجي ،
وقولوا : اني اله ،
اخذت صورة عبد
بطريقة لا تفسر .
بيّنوا كيف اختصصت
لذاتي جراح الجسد طوعاً .
ولو غير مائت ،
بما اني إله ،
فقد اتيت الى الموت
بالجسد .
ولو اني دفنت كمحكوم عليّ
فقد سبيت الجحيم كسيد ،
انا العارف وحدي
اسرار القلوب .

٢٤ خلصوا العالم اذن
بهذه التعاليم ،
وعمّدوا باسم الآب
والابن والروح القدس .
فتشجّع الرسل
بهذه الاقوال
وقالوا للخالق:
انت اله أنت ،
وقبل الدهور
وبغير فناء .
اننا نعرفك
الهاً واحداً
مع ابيك والروح ،
ونكرز بك ، كما أمرت .
فكن انت معنا
ولأجلنا ،
انت العارف وحدك
اسرار القلوب .

ESSAI SUR LA TRIBU DANS LE PROCHE-ORIENT

par

PIERRE RONDOT

Docteur en Droit

L'observateur oriental qui aborde le Proche-Orient est d'emblée frappé par l'abondance, la diversité, l'imbrication des groupements humains. Leurs très nombreux cloisonnements, en effet, se superposent, si l'on peut dire, et divisent la masse humaine, comme par des quadrillages surajoutés selon diverses entités: tribu, confédération, clan ou faction (1), communauté, cité. Ainsi se trouve offerte une matière très abondante aux études monographiques, qu'il est indispensable d'accumuler tout d'abord, et auxquelles il serait peut-être sage de se borner tant qu'elles n'auront pas été produites en nombre suffisant pour permettre de solides synthèses; mais ce terme est encore très lointain.

Sans attendre qu'il soit échu, cependant, ne serait-il pas possible, ne serait-il pas utile d'esquisser quelques traits généraux de ces phénomènes de cloisonnement, et de chercher à reconnaître et à caractériser quelques-unes de ces entités, faction, communauté ou tribu? Ne servirait-il qu'à préciser quelques idées, ou même qu'à faire apparaître les lacunes de notre information, un tel essai vaut peut-être d'être tenté; on nous excusera de le faire ici, et d'en soumettre d'autant plus volontiers les résultats à la critique que nous les savons très incomplets. Nous bornerons, au demeurant, cette tentative à l'esquisse d'une morphologie de la tribu; des avis et des réflexions ultérieurs décideront s'il convient de poursuivre cet essai sur d'autres plans.

LE CLOISONNEMENT URBAIN

Il est bon de commencer l'observation du cloisonnement dans le cadre où il est le plus apparent, c'est-à-dire dans celui de la ville. Ici apparaît déjà une particularité de l'Orient: tandis que dans la ville occidentale les compartiments sociaux se font indiscernables, souvent même se dissolvent, ils apparaissent jusque dans la structure matérielle de la ville orientale traditionnelle.

---

(1) Nous empruntons, dans ce sens, le vocable de faction à Volney, pour désigner les divisions traditionnelles de nature non tribale, telles que Qaisi et Yemeni dans le monde arabe ancien, Yezbeki et Jumblatti dans le Mont Liban, Mil et Siliv chez les Kurdes, etc. Très différente de celle de tribu, bien que connexe, la notion de faction ou clan n'est nullement envisagée, malgré son importance, dans la présente étude.

Voici la maison sans presque d'issue visible, largement ouverte seulement sur la cour intérieure, si bien faite pour abriter, dirait-on, la famille patriarcale et fermée; le jardin sans perspectives extérieures, clos de hauts murs, l'antique «hortus conclusus»: jardin de Saadi qui «séduit le cœur», jardin de l'âme, prolongement d'elle-même. Voici, plus vaste et plus complexe, mais à peine moins close, la cellule du foyer religieux dans la gangue des édifices aveugles, desservie seulement par quelque couloir voûté et coudé, s'ordonne, pareille à un géode ou à une ruche, une petite cité où s'ouvrent les uns sur les autres l'église, la résidence de l'évêque et son divan, la maison du sacristain, le parvis avec son arbre et son puits, l'école, le séminaire. S'il s'agit d'un foyer du culte musulman, il sera moins dérobé, mais l'architecture implicite n'en paraîtra pas différente, avec le sanctuaire, la fontaine, la citerne, les mausolées, la cour où déborde la classe coranique, le terrain vague et l'arc sans emploi, et toutes les chambrettes agrégées des hommes qui animent cet espace. Damas, Istanbul, Jérusalem, Alep offrent encore au voyageur le spectacle de ces alvéoles à demi dérobées, parfois figées et dévastées, parfois vivantes encore, et qui laissent ingénuement apparaître le mécanisme de leur développement sans tentacules que le dehors ne sollicite pas.

Souvent jadis, lorsqu'il s'agissait de cultes minoritaires, les foyers religieux ont formé le centre de quartiers, clos eux aussi de murs et de portes à verrous, qui sauvegardent farouchement leur individualité à l'intérieur de la ville. Mais, tandis que la ruche autour du sanctuaire évoquait retraite et recueillement, c'est ici défense, solidarité de destin qu'il faut penser. Cependant, les correspondances que les formes suggèrent sont-elles toujours vaines? Rien qui soit plus semblable à un monastère, aux cellules ouvertes sur un cloître, que le caravansérail qui littéralement renferme voyageurs et marchands. Et, dans la ville orientale traditionnelle, on sait que la concentration commerciale est de règle: la qisarya groupe étroitement les orfèvres, les joailliers; certes ceci est fait tout d'abord pour la sûreté, mais ce groupement obligé engendre, avec le coude à coude, des complexes d'estime et de défiance, cimente des mœurs et des traditions, forge de puissantes communautés instinctives. Une logique particulière étaye ce groupement topographique par spécialités des artisans et des commerçants, qui surprend l'Occidental attentif surtout aux conditions de la concurrence et féru d'aventure individuelle. Aussi, à l'instar des foyers religieux, les centres commerciaux du vieil Orient, vastes comme l'immense bazar d'Istanbul, ou minuscules comme le souk damascène d'Ali Pacha, ruelle de fruitiers et de gargotiers, vivent-ils de leur vie propre, distincts au premier regard, comme des îles irréductibles au milieu de l'océan urbain.

LE CLOISONNEMENT TRIBAL — LE CONCEPT DE LA TRIBU

La ville rend sensible, de la sorte, l'existence et la vigueur de la cellule orientale. Mais bientôt un œil attentif n'aura plus besoin, pour discerner de pareilles cellules, que quelque chose soit bâti autour d'elles et leur fasse de visibles coquilles. Entre les murs naturels, mais irréguliers, mal définis, des plis de montagne, la tribu kurde est aussi ramassée, aussi cohérente, aussi bien centrée que dans son enceinte de maçonnerie l'antique communauté chrétienne d'Alep. Et dans la steppe apparemment indéfinie, mais jalonnée pour elle de pistes, éclairée de puits, de pâturages, de terres de parcours, la tribu arabe que le nomadisme étale sur des centaines de kilomètres reste à proprement parler rassemblée.

Dès que l'on quitte les villes, l'on s'en avise en effet: l'armature de ces corps sociaux traditionnels est faite moins de murs construits, de carapaces de pierre, que de coutumes, de tendances, de mœurs, de desseins volontaires, mouvants et vivants, réalité intime dont l'architecture n'est que le signe occasionnel. Ces petits mondes sont clos en pensée, en volonté, avant de l'être en figure et en fait. Lorsque d'ailleurs l'homme de tribu bâtit, fût-ce provisoirement, il construit spontanément des cellules visibles tout semblables à celles des villes: campement de nomades

ou village de recents sédentaires, c'est encore le cercle de tentes, le groupement autour du parc et du point d'eau, images spontanées d'un monde suffisant et clos.

De ce rapide inventaire, si incomplet qu'il soit, une notion ressort, celle de clôture. Clôture autour de ceux qui ont les mêmes adversaires, parce qu'ils ont les mêmes intérêts: une identique conception de la vie, les mêmes buts, une préférence instinctive ou nécessaire pour les mêmes moyens d'action. Au delà du fait de la clôture, chercher à reconnaître les raisons qui l'ont suscité, les forces qui le maintiennent, ce sera peut-être une chance de pénétrer dans l'esprit de la tribu.

Définir, s'il se peut, la tribu, constitue l'objectif même du présent essai: mais il nous faut, provisoirement, en retenir ici une notion courante sur laquelle chacun puisse s'accorder, afin qu'il n'y ait point d'ambiguïté sur le sujet de cette étude. «La tribu, écrit W. R. Hay à propos des Kurdes de l'Iraq septentrional, est une communauté ou une confédération de communautés qui existe pour la protection de ses membres contre une agression extérieure et pour le maintien des vieilles coutumes raciales et du genre de vie» (2). Groupe humain conscient, cohérent, très individualisé, la tribu apparait bien distincte dans le peuple dont elle fait partie; elle est plus que la famille, moins que la nation. Parmi les entités sociales spontanées de l'Orient, c'est précisément la plus sociale, d'où l'intérêt que peut offrir son étude. A la différence de la communauté et souvent même du quartier, elle n'est pas d'abord religieuse; à la différence de la corporation, elle n'est pas d'abord économique. Elle dépend même relativement peu des conditions physiques: dans son essence, en effet, elle ne diffère guère selon qu'elle est semi-sédentaire en montagne ou nomade en steppe. C'est de l'homme qu'elle dépend: elle est à sa mesure.

L'IDEE DE TRIBU CHEZ L'HOMME DE TRIBU

L'homme de tribu se reconnaît d'emblée à la fierté qu'il tire de cette qualité; il n'est pas de plus sûr critère. W. R. Hay le note très justement: dire que l'on est un homme de tribu, c'est proclamer: «je suis citoyen romain», «civis romanus sum». De nos jours encore, où tant d'entités sociales plus vastes et plus puissantes: la nation, l'Etat, semblent devoir primer la tribu et la priment en effet dans tous les domaines de la vie pratique, le prestige tribal demeure très grand: le bourgeois des villes se pare volontiers d'une ascendance bédouine, goûte la pureté de la langue des nomades, apprécie leur sens de l'honneur, saisit volontiers l'occasion de suivre quelque mode née sous la tente.

Pour que la sensibilité tribale s'impose ainsi au dehors, il faut que l'élément affectif revête, dans la tribu, une importance extrême. L'homme de tribu, en effet, se relie à la tribu par un sentiment que nous qualifierions volontiers de patriotisme tribal pour faire ressortir, par ce terme quelque peu excessif, tout ce qu'il y a là d'instinctif, d'immédiat et de profond. Cet attachement adhère non seulement à des traditions, à des croyances, à des droits qui forment le «patriotisme tribal», il s'accroche aussi à des signes sensibles, à des images. Ainsi l'idée, même controuvée et mythique, que la tribu se fait de son origine, vaut par sa force émotive; l'ancêtre éponyme, le signe (par exemple, le palanquin sacré des émirs Rouallah), le proverbe qui célèbre une vertu de groupe («Cherwan avec son épée, Kherzan avec sa bravoure...», dit-on chez les Kurdes), marquent l'esprit simple et vif des gens de tribu et le déterminent.

Nourrie de la sorte, la conscience de l'appartenance au groupe est très vive chez tous les membres de la tribu. L'exiguïté même de cette société, dont la faible extension limite l'horizon propre, favorise cette concentration du sentiment et de la pensée. Aussi chaque tribu est-elle for-

(2) «Two years in Kurdistan», Londres, 1921, page 65.

rement individualisée, elle ne ressemble à aucune autre, elle est irremplaçable; son histoire ou sa légende la distingue très fortement des autres tribus et des groupes sans caractère tribal qui ont cependant en commun avec elle la race, la langue, la religion. Elle se place donc, sans contestation possible, au degré qui lui revient dans la hiérarchie des tribus. La fierté tribale peut pousser, comme la fierté nationale, à la recherche du succès matériel, de la conquête, de la fortune; ces avantages éventuels ne peuvent influer sur la grandeur véritable, classée, de la tribu, grandeur déterminée non par son succès actuel mais par son origine, son honneur antique et ses fastes. Notre ami très regretté, Albert de Boucheman, étudiant les rapports des Maoualis et des Haddidynes (3), a parfaitement évoqué le complexe édifice de préséances, de dépendances, de clientèles tribales, qui demeure ainsi vivant dans les tribus en marge et même en dépit des faits; et il lui a fallu, en vue de rendre compréhensible au lecteur cette structure cependant si familière aux gens de tribu et toute naturelle pour eux, recourir à des représentations graphiques ingénieuses et compliquées.

LES OBJECTIFS DE LA TRIBU

L'objectif essentiel d'un organisme social aussi marqué, ce sera de persévérer dans son être; il n'en saurait aller autrement.

Il lui faut donc organiser la sauvegarde de ses intérêts de groupe, si sensibles à tous, si conscients et immédiats pour tous; en somme, conserver ces biens acquis, objets du patriotisme tribal. La tribu est donc essentiellement traditionnelle et conservatrice.

Pour subsister telle qu'elle désire être, la tribu ne saurait vraiment compter que sur elle-même. Groupe social clos et économie fermée vont de pair; il serait assez vain de rechercher lequel de ces deux éléments, à l'origine, a conditionné l'autre; leur association est immémoriale. D'ailleurs, si cette autarcie primitive n'était pas une nécessité d'ordre nourricier, elle serait vite devenue une obligation de sécurité: comment conserver la jalouse autonomie d'un faible petit groupe, si l'on ne peut tirer du sol même qu'il domine toutes les ressources essentielles? Pâturages d'hiver et d'été, cultures de vallées et alpages, points d'eau, artisanat élémentaire suffisent à presque tous les besoins courants; l'exportation ou la contrebande de quelques produits de choix: chameaux de course, étalons, fins tissus de la steppe, noix de galle et mohair de la montagne, suffisent à permettre les rares importations de luxe nécessaires au prestige des chefs et surtout l'indispensable achat des armes perfectionnées qu'il faut bien acquérir au dehors, seule mais redoutable brèche dans l'autarcie tribale; brèche qui menace, il est vrai, toutes les tribus à peu près également.

Car la défense des intérêts tribaux implique souvent la lutte par les armes. L'honneur, le plus exigeant de ces intérêts, ne se nourrit que de combat; c'est lui, bien davantage que la vulgaire nécessité, qui pousse au rezzou, du moins dans le principe; c'est lui qui entretient d'interminables chaînes de vendettas, car la tribu met en commun l'honneur de chacun des siens: et il n'est point d'affront, point de préjudice, donc point de riposte ni de défense qui ne soient ipso facto affaire de tribu. La tribu est en quelque sorte, si l'on nous permet l'expression, une coopérative de respectabilité et de défense, comme elle est une coopérative de sentiment et de subsistance.

Mais la plus grave menace pour la tribu n'est pas issue des tribus elles-mêmes: les rivalités tribales ont quelque chose de tonique et de bienfaisant. L'adversaire vraiment redoutable, c'est le monde non tribal: c'est le sédentaire décrié, dépourvu aux yeux de l'homme de tribu des

---

(3) «Revue des Etudes Islamiques», Paris, 1934.

qualités viriles, mais qui prend sournoisement l'avantage comme marchand, comme propriétaire foncier, comme prêteur, gens auxquels la difficulté des temps oblige de recourir c'est l'autorité religieuse, qui modifie l'ordre des valeurs et, partant, parfois bouleverse l'édifice du commandement; c'est l'Etat surtout, qui prétend au pouvoir exclusif et entend assumer la défense de tous les intérêts, mais qui ne saurait comprendre les profonds attachements instinctifs de la tribu et qui désagrège les traditions. Contre de tels adversaires, la meilleure sauvegarde de la tribu, celle qui lui permettra peut-être de survivre moralement, dans quelque mesure, à son écroulement matériel, c'est son prestige.

LES INSTRUMENTS DE LA TRIBU: LA COUTUME, L'AUTORITE

Soutenue par sa fierté et sa volonté d'autonomie, mais servie par des hommes en nombre toujours trop faible et des ressources toujours précaires, la tribu trouve ses instruments propres dans la coutume et l'autorité.

La coutume est l'expression juridique du groupe tribal: à ce titre, elle le caractérise complètement. Sa force est telle que, non seulement elle rend peu concevable toute loi civile extérieure, mais encore qu'elle supplée parfois, dans ses conséquences sociales, la loi religieuse elle-même. Ainsi les tribus assyriennes, chrétiennes, ont-elles pu jadis vivre en symbiose avec des tribus kurdes, musulmanes, tandis que, pour s'insérer dans ce système, le patriarcat nestorien avait dû en quelque sorte se modeler selon le type tribal, et voir l'efficacité de son intervention le céder parfois à celle d'un petit chef de tribu.

Hors du temps de crise, la coutume suffit parfaitement à maintenir l'édifice tribal, au sein duquel le chef fait ordinairement figure de simple arbitre. Mais, la crise étant fréquente dans l'ambiance tribale, la contrainte y apparaît souvent nécessaire; l'organisme tribal ne se concevrait pas sans autorité. Dans une certaine mesure, comme nous avons essayé nous-même de le faire à propos des tribus kurdes (4), on peut envisager l'ensemble des affaires de tribu sous l'angle de l'autorité; cette autorité, toutefois, est originale dans sa source, son caractère, son exercice.

Le commandement de la tribu n'est pas absolument héréditaire: dans la famille que son rang consacre, ou, comme c'était par exemple le cas chez les Assyriens tribaux, dans les familles qui sont appelées à alterner au pouvoir, le chef n'est pas toujours désigné par la primogéniture; il y faut aussi le choix ou du moins le consentement des notables, et sa propre énergie, qui devra éventuellement aller jusqu'à la suppression du frère ou du cousin rival. Tacitement au moins, il faut que le chef soit accepté, et le perpétuel accès direct que les hommes de tribu ont auprès de lui atteste une sorte d'égalité tribale autant qu'il consacre le loyalisme.

Une fois le chef admis, son autorité, normalement limitée à l'arbitrage selon la coutume, n'a plus en temps de crise d'autre borne que ce consentement tacite. C'est dire qu'un chef ne peut qu'être fidèle à l'idéal tribal et ne peut qu'être efficace: sinon, il cesse de soutenir son personnage, et bientôt il n'est plus. C'est dire aussi que du style du chef, de son caractère, dépend le prestige de la tribu et le degré de sa survie: elle s'effrite si le chef médiocre est justement contesté par des rivaux; elle amalgame, au contraire, des groupes voisins, si le chef est assez adroit et assez fort pour les attirer dans son orbite.

(4) «Bulletin d'Etudes orientales» de l'Institut Français de Damas, tome VI, Le Caire, 1937.

ESSAI D'UNE DEFINITION DE LA TRIBU

Au terme de cette rapide analyse, on souhaiterait ramasser en quelques lignes concises une description de la tribu, aussi proche que possible de la définition de son type.

La tribu, pourrait-on dire, est un groupement humain spontané, disposant accessoirement d'une assiette territoriale; c'est un organisme fortement individualisé, inspirant à ses membres un vif attachement sensible et le sentiment d'une supériorité spécifique, reconnue parmi les groupements non tribaux; tendant fortement à persévérer dans son être, elle a vocation de garder les traditions, les modes ancestraux de vie, l'honneur de chacun et de tous, les intérêts communs; elle recherche sa survie par l'autarcie et la défense coopérative; méfiante envers l'étranger comme envers l'innovation, elle se réalise juridiquement par la coutume et se gouverne par une autorité de nature et de choix spécial, qui tend à exclure toute autre autorité.

Est-il besoin d'ajouter que, dans le monde moderne, nul organisme ne saurait subsister qui réponde entièrement à toutes ces caractéristiques? Mais dans l'Orient beaucoup de groupes humains placent encore, plus ou moins consciemment, l'un ou l'autre de ces traits au premier rang de leurs idéaux. Mieux encore, bien des groupements dont l'origine, tout à fait moderne, n'a rien à voir avec les tribus, empruntent aux vieilles conceptions tribales des éléments qui, adaptés à leurs nécessités propres, concourrent à leur force, à leur durée, à leur prestige. Si la tribu à l'état pur, la tribu traditionnelle est du passé, cent formes pseudo-tribales, paratribales, sont bien vivantes et prolifèrent; elles s'imposent quotidiennement à l'attention du sociologue et, requérant de lui la connaissance de la tribu en-soi, confèrent un intérêt permanent à l'étude de ce qui subsiste encore des tribus traditionnelles.

اخبار العالم

اخبار دينية

المؤتمر القرباني الدولي الخامس والثلاثون : أحتُفل بهذا المؤتمر في مدينة برشلونة (اسبانيا) وكان افتتاحه في اليوم السابع والعشرين من ايار المنصرم واختُتم احد العنصرة في اليوم الاول من حزيران بتطواف مهيب وخطاب اذاعه من محطة الفاتيكان قداسة البابا بيوس الثاني عشر . وقد ترأس المؤتمر ممثلاً الحبر الاعظم نيافة الكردينال فديركو تدسكيني وحضره من الكرادلة ستة عشرون من الاساقفة ثلاثمئة وعدد غفير من الزوار ينيف على الثلاثمئة وثمانين الفاً . دارت ابحاث المؤتمر حول هذا الموضوع : الاوخارستيا والسلام .

آخر حفلات المؤتمر جرت وسط ميدان جبل خوميش في ٣١ ايار السبت امس يوم اختتام المؤتمر وقد كانت اكثرها تأثيراً وهي فريدة من نوعها الى اليوم في المؤتمرات القربانية بل وفي تاريخ الكنيسة وهي سيامة ثمانمائة كاهن : اسبانيين وفرنسيين وارجنتيين وصينيين وبيرويين : قام بها في الوقت عينه واحد وعشرون اسقفاً ثم قدموا معاً ذبيحة الاوخارستيا وبصوت واحد تلفظوا بالفاظ الكلام الجوهري .

المرسلون في سجون الصين : من ١ كانون الثاني سنة ١٩٥١ الى ١٧ نيسان ١٩٥٢ بلغ عدد المرسلين الذين طُردوا من الصين او أُضطروا الى مغادرتها الفاً وسبعمئة وثلاثمئتين . فلم يبق اذ ذاك في الصين الا الف واربعمئة وخمسة وثلاثون مرسلاً منهم الف وثمانية عشر اسقفاً وكاهناً وثلاثمئة واثنان وستون راهبة ومن الاخوة خمسة وخمسون . من هؤلاء المرسلين مئة وخمسة واربعون هم في السجون اي سبعة عشر اسقفاً ومئة وسبعة كهنة وسبع عشرة راهبة واربعة اخوة . كذلك يوجد في السجون من الاكليروس الصيني اسقفان ومئتان وعشرون كاهناً .

اليابان والكرسي الرسولي : في ٢٨ نيسان يوم بدأ تنفيذ معاهدة الصلح مع الحلفاء اقامت اليابان علاقات رسمية مع الكرسي الرسولي فعينت ممثلاً لها لديه الدكتور اوغوستان مساهيد كانايايا . اما تمثلها لديه قبل الحرب الاخيرة من سنة ١٩٤٢ الى ١٩٤٥ فلم تكن له صفة رسمية لكنه كان تمثلاً خصوصياً لا غير .

اخبار عالمية

المانيا الغربية : منذ ٢٧ ايار انتهى فيها مبدئياً نظام الاحتلال بعد توقيع اتفاقها مع الدول الغربية . وقد اثار غضبَ الاتحاد السوفياتي اشتراكُها في معاهدة التحالف الدفاعي

وزرقيها اياه في باريس مع فرنسا وهولاندا وبلجكا ولوكسمبورغ . وقد اظهرت روسيا استياءها بتدابير عنيفة عدائية اتخذتها في برلين خصوصاً ازاء الدول الغربية .

تريستا : سلم الحلفاء رسمياً الى ايطاليا ادارة احدى منطقتي تريستا التي كانت مباشرةً تحت ادارتهم وقد فعلوا ذلك دون مشاورة الحكومة اليوغوسلافية . فاستاء تيتو من هذا الامر وأخذ هو ايضاً يشدد سلطته في المنطقة الثانية منها وقد اعلن بانه يعتبر اتفاق لندرة بهذا الخصوص غير شرعي .

عمان : ان مرض الملك طلال – حقيقياً كان او مزعوماً – وذهابه الفجائي الى اوروبا قد اوجدا في عمان وفي الشرق كله ارتباكاً شديداً بل ازمة خطيرة خصوصاً من سبب تدخل الحكومة العراقية في شؤون بلاده تدخلاً أراب الدول العربية واسرائيل معاً . لكن حكومة عمان قد اظهرت تجاه المتنفعين حزماً وثباتاً اعادا نوعاً ما الطمأنينة والثقة .

سوريا : في ٢٣ ايار تحدث العقيد الشيشكلي عن انشاء حزب واحد في سوريا سماه الحزب التقدمي . ثم انه اعلن بان الحكومة القائمة اليوم سوف تبقى في الحكم الى ان تعطي البلاد نظاماً جمهورياً وطنياً صحيحاً . وقال ايضاً بان اهتمام الحكومة الحاضرة هو ايجاد الاموال الضرورية لانماء الجيش السوري وتقويته وفتح مدارس جديدة والعناية الجدية في تقدم الزراعة والتجارة والصناعة .

– منذ ٩ حزيران أُنشئت في سوريا وزارة بستة اعضاء يرئسها الزعيم سلو وقد اختارهم من الرجال الذين لم يلعبوا الى اليوم في البلاد دوراً سياسياً وهم من اصحاب الاختصاص .

اسرائيل . حسب الاحصاء الاخير للسنة الماضية بلغ عدد سكان اسرائيل في اوائل كانون الثاني ١٩٥٢ مليوناً وخمسمئة وستة وسبعين الفاً . منهم مليون واربعمئة وخمسة آلاف يهودي . والباقون مئة وثلاثة وسبعون الفاً غير يهودي ، تسعة وستون بالمئة منهم مسلمون . ولا يزال عدد اليهود المهاجرين الى فلسطين يزداد دون انقطاع رغماً عن الازمة الاقتصادية المتمكنة هناك .

– يوجد اليوم في العالم من اليهود احد عشر مليوناً يعيش ثلاثة وخمسون بالمئة منهم في الاميركتين وثلاثة وعشرون بالمئة في اوروبا والباقون في اسرائيل .

المشكلة المصرية الانكليزية : رغم توقف المحادثات المصرية الانكليزية بخصوص الخلاف المستحكم بين الحكومتين يظهر لمتتبع الامور ان مسألة القناة قد توصلت الى حل مبدئي يرضي الطرفين . بقيت اذن مشكلة السودان وهي صعبة جداً فان انكلترا لا تقبل بمساس الاستقلال الذي اقرته للسودان على رضاها . لكنها الان قد تركت للحكومة المصرية معالجة الامور مباشرة مع السودانيين فاذا تمّ اتفاق بينهما عادت فنظرت فيه معهما .

فاجابة الى طلب من الحكومة المصرية قدم الى القاهرة من الخرطوم في ٢٩ ايار مندوبون من السودان يمثلون حزب الاستقلال في بلادهم وبعد محادثات عديدة عادوا الى السودان دون ان يرتبطوا مع محادثيهم باي عهد كان .

مطبوعات شرقية

الكتاب المقدس

العهد العتيق والعهد الجديد

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥١

قاموس افرنسي — عربي

يوحنا باتيست بلّو

اشرف على تجديد طبعه الاب رفائيل نخله اليسوعي – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٢

ما برحت المطبعة الكاثوليكية تواصل ما درجت عليه من تقاليد حميدة في سبيل خدمة العلماء ذرائع العمل التي لا مندوحة عنها وتخرجها على خير ما يُرام .

فهذه التوراة بقطعها الصغير الحجم والتي بالاستطاعة استخدامها بكل سهولة ليست الّا تلك الطبعة الكبيرة المشهورة . — لقد رغبت المطبعة الكاثوليكية بان تضع في متناول الجمهور كتاب كلمة الله سدًّا لثلمة جهلنا اسس الدين فاخرجته على ورق رقيق وبحرف واضح اخراجاً يستهوي القارئ ويسهّل عليه مطالعته . — ولقد كان يشوقنا ان لا تكون سطور هذا الكتاب متلازّة كما هي عليه وان يكون اشدّ تبويباً في تقسيمه ، تشجيعاً للقارئ على مواصلة دراسته .

اما معجم بلّو فالامر فيه على العكس . فهو كما يبدو بقطعه الكبير وحجمه الذي زيد زيادة ملحوظة بعد ان اعيد فيه النظر وضُمّت اليه مفردات علمية كثيرة قد اصبح متعة للعالم اذا ما تصفّحه ومعيناً للطالب لا تنضب فوائده اذ يجعله يألف المفردات العربية وما يقابلها بالفرنسية ، تلك المفردات التي ربّما خيّل اليه انه لا وجود لها .

اجل لقد خطا معجم بلّو في هذا المضمار خطوات واسعة وبات شديد الجدوى للكثيرين وذريعة من افضل ذرائع العمل التي لا يستغنى عنها .

وممّا لا ريب فيه ان اعادة النظر في هذا المعجم قد كلفت صاحبها مجهودات شاقة ولكن هذا العمل قد عوّض على المنقّح بدل الاتعاب التي كابدهـا بما

اشتمل عليه من مفردات جمعها من معاجم شتيتة واستقاها من مجلات علمية عديدة.

وربما ادّى اختيار المؤلف لمفردة واحدة من بين عدة مترادفات الى ايجاد ضرب من التوحيد العلمي لفروع عديدة .

ولكننا نجهل السبب الذي من اجله لم تجد العبارات الفلسفية مقاما في هذا المعجم وزد على ذلك فقد كان بوسع المنقح ان يبذل بعض مجهودات اضافية لايجاد مفردات بسيطة لترجمة الكلمات الفرنسية . فقد استخدم في بعض المواضع عبارات ثقيلة من المؤكد انها لا تفيد لا العلماء ولا الطلاب ، وثمة ايضاً اخطاء كثيرة في نوعية المفردات وهي واضحة كما ان هناك تراكيب افرنسية خاطئة .

ولا شك في ان الشوايب الاخرى التي نستطيع الالماع اليها ستنقح في الطبعة الثانية .

ومهما يكن من امر فان هذه الشوايب لن تقلل من قيمة المعجم واذا ما نقدناها فلكوننا نودّ نجاح هذا العمل وذلك ما اهاب بنا الى الاشارة اليها.

يباع هذان الكتابان في المكتبة الشرقية ساحة النجمة بيروت

ا. خ.

مجلة الحوليات الاثرية السورية

تبحث في اثار سورية وتاريخها

تصدرها مديرية الاثار العامة – دمشق – سورية . المجلد الاول ١٩٥١

الجزء الاول ، مطبعة الترقي . ١٧٦ صفحة عربية ؛ ١٤٤ صفحة افرنسية

يلذ لنا ان نقدم للجمهور الجزء الاول من مجلة الحوليات الاثرية السورية. فاخراج هذه المجلة الذي لا غبار عليه ودقة تحليلها وكفاءة كتبتها تجعلها بين افضل المجلات من نوعها في العالم المثقف . اما افقها الفسيح فيفتح امامنا باب الامل لنرى فيها اداة ثقافية فضلى .

وشاء كتبتها ان يقدّموا لنا لمحة على علم الاثار السورية منذ البدء الى ايامنا الحالية وليس ذلك كثيراً على مؤلفين اشتهرت اسماؤهم في هذا المضمار من العلم. وسيصير بالامكان الان العودة الى معالجة دروس اشدّ دقة في قرون اخصب

من غيرها من القرون الماضية بالاثار في سورية التي مرت فوق ارضها جيوش امم شتيتة الاجناس .

ومما يجدر بلفت النظر ان نشر المقالات بعدة لغات مما يسهل على هذه المجلة ولوج مكتبات الاستشراق .

واننا نلمع فيما يلي الى اسماء الكتبة الذين ساهموا في اخراج هذا الكتاب النفيس :

اعادة تشييد جناح قصر الحير الغربي في متحف دمشق للدكتور سليم عادل عبد الحق
تدمر والشرق لهنري سيريغ
الحفريات الاثرية في سورية خلال نصف قرن للامير جعفر الحسني
التنقيب عن آثار اليمن للدكتور كامل عياد
الخطط والآثار في بعض بلاد الشام للاستاذ وصفي زكريا
عناصر السكان في انطاكية في العصر الكنعي للدكتور جورج حداد
طعام الموتى والوليمة الجنازية في تدمر لهنري سيريغ
الخانوقة ، تمهيد جغرافي تاريخي لموقع حلبية اج. لوفري
المعبد السوري في ديلوس لارنست ويل
تحريات اثرية عن عصور ما قبل التاريخ في القلمون للاب جوزيف نصرالله

مع ما هناك من لمحات اجمالية على الحفريات في مناطق شتى من سورية ولوحات تبرز للناظر الثروة العظيمة المكتشفة .

ا. ع. خليفه

تاريخ الادب العربي

تأليف حنا الفاخوري

المطبعة البولسية . حريصا . لبنان ١٩٥١

الكتاب الذي نطالع به القارئ مجموعة يرتاح اليها الناقد ويلتذ بها القارئ . لان الاسلوب الذي انتهجه المؤلف يحملنا على الاعتقاد انه اطلع على المظان ومن ثم اضفى عليها من غزارة علمه الواسع منبسط موضوعاته على نمط واحد من النظام وعالجها بنظر ثاقب ومن دون تسرّع .

وافضت بنا تحليلاته النفسانية العميقة التي تصدى لها لنطلع على نفسية الشعراء والكتاب وميزات انشائهم واسلوبهم الخاص بهم . امّا اذا ما اعتور تفاصيل هذه الدراسات المختلفة بعض الغموض فذلك لا مندوحة عنه . وفي

معرض ايضاحنا لهذا المؤلف لا يسعنا الّا نقول فيه انه كتاب اخلق بالاستاذ منه بالطالب وان قامت رغبتنا على ان نرى المصنف يتوسع في دراسته بعض الادباء — كابن خلدون وصاحب الاغاني مثلًا — توسّعه في دراسة غيرهما لانهما خليقان بان يكونا موضوع بحث اشد تعمقاً . اما الموضوعات التي ذيّل بها كل باب من ابوابه فرائدها ان يستفيد الطالب من هذا الكتاب الجزيل النفع فائدة ترسخ في عقله . اما الرسوم التي تزين صفحاته فقد جاءت تزيد في جمال النص وتبعث الراحة للعين .

ومها يكن من امر فلا يسعنا الّا تشجيع المؤلف على مواصلة الحسافنا بآثره التي قلنا انها ان دلّت على شيء فانها تدلّ على غزارة علمه وتضلّعه من مظان الادب العربي . ا.ع. خليفه

الخلاصة في الادب العربي

تأليف حنا الفاخوري

فنون ادبية ، تاريخ ، بيان ، عروض ، وفقاً لمنهج الشهادة التكميلية الجديد . المطبعة البولسية . حريصا . لبنان ١٩٥٢

يبدو لنا ان هذا الكتاب الحديد قد جاء حاكياً عقلية الطالب ونفسيته. اما ما فيه من افكار وطريقة علمية فمن الطراز المعلم . ولقد حذف المؤلف عددًا غير يسير من التوسيعات التي قد تكون زادت في الغموض . ولهذا فعلى كل طالب ان يقتني هذا الكتاب فيكون مدرّبه في التفتيش وفي الكشف عن ثروة طالما بقيت بعيدة عن فهمه. واذا اجتهد ودرس المواضيع التي تكرّم بها عليه المؤلف فيكون انتفع من هذا الكتاب وزادت رغبته في اقتناء المجلد الواسع الذي درسناه فيما سبق . اذ لا يعرف الادب العربي الّا من درسه عن كثب . ا. خ

شوقي

تأليف عمر فروخ

الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥١

هو كتيب من سلسلة كتب ... هو في الواقع دراسة مفصّلة للشاعر

الكبير لا ينقصها لا الاتزان ولا الصحة لتضع حداً فاصلاً للانتقادات التي تعرض لها الشاعر .

وفي جميع الاقوال المفصّلة التي ذكرها بحق الشاعر نستشف العطف الذي يكنّه المؤلف له. اما مظهر دراسته العام فدعاة لارتياحنا اليه وان لم يمنعه هذا العطف عن ان يبين في فصوله المتتالية التي تتناول كل مآثر شوقي (دينه ونثره ومسرحه) ونقاط الضعف عنده والنقاط التي ستستمر على مجرى العصور لتصبح خالدة مألوفة . ا.خ

الفارابيان — الفارابي وابن سينا

تأليف عمر فروخ

الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٠

لا تختلف ميزات هذه الدراسة التاريخية الصغيرة عن ميزات الدراسة السابقة من حيث الضبط والدقة والوضوح وصحة النظر وحقيقة المقارنة . فالكاتب بعد ان مهّد مطالباً باقامة احتفالات للفارابي لا تقل ابهة عن الاحتفالات التي اقيمت هذه السنة لابن سينا شرع بدراسة الفيلسوفين .

وبعد ان فصّل المؤلف كل مظاهر غنى الفكر وبيّن خصائص كل شكل من اشكالها جعل كلًا من الفيلسوفين في حيّزه . اما النتيجة فقررت ما بينهما من تفاوت وتقارب .

وقد كان يشوقنا ان يتوسع المؤلف توسعاً زائداً في بعض النقاط التي دافع عنها « كالحكمة المشرقية » عند ابن سينا .

وثمة امور ما برحت معلقة تتابع على ذكرها المؤلفون ولم يعتوا منها جوهر المعضلة .

وعلى كل لا مندوحة لنا عن الاعتراف للسيد فروخ بانه استطاع ان يجعل غوامض الفلسفة بلغة في متناول الطلاب . ا.خ

تراث مصر في الحضارة الاسلامية

تأليف عبد الرحمن زكي

دار النيل للطباعة، ١٩٥١، ٤٦٠ ص

عرف الكاتب ان يتحفنا في بضع صفحات بلوحة اشتملت على القسط الاوفر مما قدمته مصر للثقافة والادب الاسلاميين . ولا نستطيع ان نطلب من المؤلف ان يسدينا دراسة جامعة شاملة من جراء عمله الذي ليس الا ذكرى مقتضبة فقط وان كان جوهرياً بالنسبة الى الاديب الذي درسه من جميع النواحي بميزاته الاشد بروزاً . اما هذه النواحي فهي التي كان فيها للادباء المصريي الاصل القدح المعلّى وهم كثر .

ولقد كنّا نروم ان تكون اشارته الى المراجع اكمل مما هي لتكون فائدتنا من دراسة اوفى كما كان يشوقنا ان يستوفي بحثه في بعض النواحي استيفاء اوسع فيشير الى التأثير المسيحي وتأثير الادباء المسيحيين المصريين . افلم يخدم الاسلام في تطوره وازدهاره جميع اولئك المصريين القدامى واولئك الرهبان الذين كتبوا وكتبوا كثيراً وكل اولئك الاقباط الذين احدثوا مصر وافرغوا وجيها في قالبه . ومهما يكن من امر فان هذا الكتيب لمفخرة لمؤلفه .

ا.خ

خزائن الكتب العربية في الخافقين

تأليف الفيكنت دي طرازي مؤسس دار الكتب اللبنانية

المجلد الرابع . طبعته لجنة تكريم المؤلف

لقد وصلنا الجزء الرابع من تاريخ المكتبات العربية في العالم وهو يشتمل على قسمين يتحدث اولهما تارة باخلاص وطوراً بتفصّ عن تاريخ مكتبة بيروت الوطنية وما رافقها من تقلّبات وذلك منذ عهد تأسيسها الذي كابد في سبيلها الفيكنت النفقات الطائلة والرحلات الشاقة ليقدم لبلاده مركزاً لاستكمال اعمالها ويخدم وطنه لبنان خدمة ثقافية واخلاقية تقدمية .

. ومما قاله لنا المؤلف ان مجهوداته لم تلاقِ دائماً المكافأة من الذين كان عليهم ان يكافئوها بيد انه لا يجهل ابداً ان عمر الخلق يقوم على راحة الضمير الباطنية لكونه خدم وطنه خدمة نصوحاً وبدون انقطاع . اما القسم الثاني فيتناول مجموعة الاعمال التي أشير اليها في اثناء الاحتفال الذي اقيم على شرفه وقد اصاب كل ما قيل فيه كبد الحقيقة واستحقه صاحبه كل الاستحقاق .

ا. خ

الموارنة في لبنان . اقدميتهم واسرهم

ملاحظات على كتاب « اصدق ما كان عن تاريخ لبنان
وصفحة من اخبار السريان » للفيكنت فيليب دي طرازي

تأليف الخوراسقف بولس قرألي

مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونيه ، ١٩٢٩
ويليها تذنان خطيتان للبطريرك اسطفان الدويهي ، ١٦٩ ص

يشتمل كتاب المؤلف على قسمين يجيب في الاول منها جواباً قاسياً على مؤلف الفيكنت دي طرازي وهو حديد الانشاء مع انه هادئ الافكار . اما حدة انشائه فجواب على لغة الفيكنت التي لا تخلو في دورها من الحدة .

وما كان اشدنا رغبة في ان تظل هذه المناقشة ضمن نطاق تبادل الاراء الودي الاخوي . فالبحوث التاريخية حول اصل الموارنة ينبغي لها ان تعرض كحقيقة لا تفتقر الى ثورة الحمية للاعراب عنها .

ولقد كان على الاراء المعارضة ان تنهج الطريقة نفسها اذ كلنا يدأب في السعي وراء الحقيقة فلذلك علينا ان توحّدنا المحبة .

اما القسم الثاني فيحوي وثيقتين للبطريرك الدويهي بشأن زعماء لبنان الشمالي وبشأن اليعاقبة في لبنان ولم ينشرا .

وقيمة بحوث المؤلف التاريخية لا تحتاج الى تأييد فلذلك نقبل على مطالعتها بلهفة كبرى ، فهو عالم ثقة بما يقول يتحفنا بحجج الكفؤ في الموضوعات الشائكة . اما تعليقاته على النصوص التي ينشرها فتؤلف احياناً مقايسات مفيدة تلقي في الذهن اموراً كثيرة .

ا. خ

جولة في دور الكتب الاميركية

مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥١ — ١١١ ص

المخطوطات العربية في دور الكتب الاميركية

مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥١ — ٤٥ ص

تأليف كوركيس عواد

هما كتيبان يتم احدهما الآخر قص علينا فيهما المؤلف الجولة التي قام بها لزيارة مكتبات اميركا ولم يكتم الدهشة التي عرته حيال الكنوز التي تشتمل عليها تلك المكتبات.

ولقد عرّفنا المؤلف الى جميع محافظيها الذين صادفهم والى كل علمائها المعنين بآثار الشرق والمخطوطات القديمة. وتصدّى الى المقارنة بين مكتبات تلك البلاد الكبرى ومكتبة بغداد الوطنية وبيّن مدى التقدم العظيم الذي عرف الاميركيون ان يحققوه للعلم والفنون من جرّاء انشاء هذه الردهات الفسيحة للعمل.

ولقد كنا نود لو ان المؤلف نشار من وقت الى آخر بثبت ابجدي الى بعض المخطوطات الموجودة في مكتبات العالم الاخرى التي لا دليل كبير يعرفنا اليها كل المعرفة.

ومهما يكن من امر فالكتيبان على ما هما عليه يسديانا خدمة جلّى لتحقيق بعض المخطوطات. ا.خ

مسألة المسائل في لبنان : مسألة الاحوال الشخصية

بقلم الخوري منصور عواد

بيروت ١٩٥٢ - مطبعة النسر — ٩١ ص

هذا الكتاب هو مجموعة تلك المشادات التي اثارت الرأي العام اللبناني واستفزته في غضون الشهرين الاولين من السنة الحالية ١٩٥٢.

وبالاستناد الى السلطة التي خوّلها رؤساء مختلف الطوائف المسيحية والطائفة الاسرائيلية للاب منصور عواد سرد تاريخ هذه القضية وفنّد اقوال المحامين المتطرفة والخاطئة احياناً وطالب بمساواة جميع ابناء البلاد الواحدة تجاه القانون.

ولنا من شهرة المؤلف الواسعة في هذا الباب الذي انعكف على دراسته ما

يغنينا على التعريف به فلذلك لا يسعنا الا ان نحض الجمهور على مطالعة كتابه المشحون بالوقائع والجزيل الفائدة . ا.خ

Exercices d'arabe classique, seconde édition revue et corrigée par R. Blachère et Marie Ceccaldi. — Adrien-Maisonneuve, Paris, 1952, 174 pp.

لسنا نجهل دقة الطريقة التي ينتهجها السيد رجيس بلاشير . فكتيب التمارين الذي وضع تصميمه كما يقول – والكتاب في تصميمه – سيؤدي خدمات جلى لطلاب اللغة العربية لان النصوص التي اختارها وراعى فيها التدرج من السهل الى الصعب ليعود المتمرن صعوبة اللغة توضح القواعد الصرفية والنحوية.

ولا تقتصر فائدة هذه التمارين على هذه الناحية فقط بل تؤهل الدارس الذي يود ان يكتب في المستقبل لتفهم حسن الجملة العربية . ا.خ

Jacques Caillé, *La ville de Rabat, jusqu'au protectorat français, histoire et archéologie*. In 4°. — I, texte, 596 pp., avec un index des mouvements étudiés, un index des noms propres et une bibliographie ; II, plan et dessins, 12 pp., 187 pl. ou fig. ; III, phototypies, 12 pp., 180 pl. — Publications de l'Institut des hautes Études Marocaines, tome XLIV, Vanoest, Paris, 1949.

ليس لنا من الكفاءة ما يخولنا ان نحكم على هذا المؤلف الكبير الذي اطراه الاختصاصيون بتقاريرهم الرائعة . واننا نود بعد تهنئة السيد كايه على مأثرته الجديدة وشكر السيد هنري تيراس على هديتها السخية ان نشير في هذه الاسطر الوجيزة الى بعض ما يحويه هذا الكتاب من غزارة علم كان لها تأثير عميق في نفسنا .

اجل ان المؤلف لم يقتصر على الوقوف عند حد الوصف والاستفاضة في دراسة الابنية الاثرية ولا سيما البناءان الشهيران قصبة اوديا (Quasba Oudaïa) ومسجد حسن وبرجه في صفحات خاطفة بل ارجع الحياة الى هذه الاثار ودبها في سكانها وبعثها في دور القناصل والتجار الاوروبيين في مراحل تحولها وتطورها وخصص فصلا بهذا الشكل الجديد من الجهاد الذي هو حرب «السباق»

ولقد عكف السيد كايه منذ عهد بعيد وهو الحائز على لقب دكتور في الاداب والحقوق ومدير الدروس في معهد الدراسات العليا المراكشي على تاريخ مراكش الموجز والمفصل وعلى استقرار كل القصص التاريخية التي تتصل عن

بعد او عن كثب بالبلاد التي تبنأها فدرس الاثار المنقوشة على الاحجار او المخطوطة على ورق البردي بدقة العالم المخلص وبروح الانسانية .

ولا يسعنا الّا الاعجاب بمقالاته ودراساته العديدة التي خصها بموضوع واحد وبمؤلفاته التي نسج يراعه بردتها ومجوته . ولقد اكمل معلوماته الشخصية الواسعة هذه بمعلومات زملائه الفرنسيين المراكشيين في معهد رباط والقى بخاصة ضوءا على الدور الذي قام به السلطانان المنشئان عبد المأمون وابو يوسف يعقوب المنصور في تحوّل هذا المعقل (الذي استمدت رباط اسمها منه[1]) الى مدينة الموحدين الكبرى .

ورباط المدينة بوجودها وبقائها الى التاريخ اكثر منها الى الجغرافية والقائمة على اتصال بمراكش الجنوبية ومراكش الشمالية الى جانب الدار البيضاء المركز الاقتصادي الذي يحتك بغربنا اكثر من احتكاكه بفاس او مراكش قد تراءت سنة ١٩١٢ للجنرال ليوتي ان تصبح عاصمة مراكش الادارية وعاصمة الامبراطورية الشريفية المتجددة المستحدثة . ٥٠ش

H. Serouya. *Maïmonide*, sa vie, son œuvre, sa philosophie. Paris 1951. Presses univ. de France . 152 pp. 12 × 18 cm.

موسى بن ميمون

تأليف ه. سرويا

يؤلف هذا الكتاب عن موسى بن ميمون حلقة من السلسلة الفرنسية المسماة «الفلاسفة» والتي ظهرت حديثاً تحت اشراف اميل براهيه (E. Bréhier) الغرض منها تعريف الجمهور بكبار المفكرين، وذلك بترجمة لحياتهم ومؤلفاتهم واثرهم في تاريخ الحضارة تكون في غاية الايجاز والدقة معاً ثم ترفق بمنتخبات من خير ما صنفوا وخلفوا بحيث يتاح للقارىء المتسرع ان يكوّن لنفسه فكرة صحيحة وان مقتضبة عنهم : وهذا ما نرى المؤلف حققه هنا فذكر في فصل اول اهم مراحل حياة ميمون ، مولده في قرطبة في سنة ١١٣٥ واعتناقه الاسلام تقية ثم توجهه الى المغرب فمصر حيث اقام حتى وفاته سنة ١٢٠٤ ونال في مصر مكانة

[1] الرباط او الرابطة: هو بيت للدين يعتزل فيه المسلمون للصلاة ويتأهبون به للجهاد .

عالية في الدين والطب والفلسفة ودخل في خدمة الايوبيين الذين مكنوه بما كان لهم من السماحة من الجهر بدينه العبراني دونما خشية على حياته حتى بعد ان رماه صديق قديم له بالردة لان وزير صلاح الدين القاضل – طبق عليه حكم العدالة والقرآن القائل بان لا اكراه في الدين . وفي فصل ثان سرد لمؤلفاته وتحليل لها يبين ما كان لابن ميمون من الفضل على ملته في الحقل الديني لانه بسط التلمود وتعاليقه العويصة في موجزات وافية ووضع قانونا مختصراً للايمان في ١٣ بنداً اعتمده مجمل اليهود فيما بعد دستوراً لهم . ويدرس المؤلف بشيء من التوسع كتابه الشهير « دلالة الحائرين » الذين حاول ابن ميمون ان يجمع فيه بين الدين والفلسفة متأثراً بالتوراة وبارسطو عن طريق فلاسفة العرب . ومعلوم انه كان لهذا الكتاب شهرة وفائدة حتى ان القديس توما قد اطلع على شيء منه في ترجمة لاتينية . وقد يكون استفاد منه كما استفاد من محك يساعد على شحذ الذهن وجلو الافكار لا اكثر . ونجد بعد ذلك ثبتاً لمؤلفات ابن ميمون التسعة عشر ومنتخبات تملأ نصف الكتاب، نخص بالذكر منها ما يبحث في النبوة وضرورة صفاء المخيلة . شأنه في ذلك شأن فلاسفة الاسلام .

ي. ع.

EDMOND MAOUAD. - *De l'image et de l'acte.* introduction aux problème de la pensée. — Beyrouth, 1952, 145 pp.

ينقسم هذا الكتيب الآخذة افكاره بعضها برقاب بعض الى قسمين وتوطئة ويحملنا على ان نتوسم في مؤلفه ثماراً جديدة من نبات عبقريته الفذة .

حاول المؤلف الجاد فلسفة كاملة للصورة والفعل لدى شتى الادباء على تنوع عقليتهم وانشائهم فلم يخطئه التوفيق .

ولقد توصل الى الايغال الى اعماق الشعور الانساني الى هذا الوجود الذي لم يبرح في نظره سراً مغلقاً لا يسبر له غور وذلك بتحليله جميع العناصر التي تكوّن صورة المدركات في باطننا .

والقسم الاول من كتيبه قد غشيه بهذه العبارة التي لا تخلو من بعض

التشاؤم : «الانسان يحمل معضلة لن يحلها وهو كالنبي المقتنع برسالة لن يقدر لها النجاح » ص ٩٢–.

وبكل دقة وفي استيفائه بحث هذه المعضلة عمد في القسم الثاني الى تحليل الصورة في تحققها بيد اننا كنا نودّ ان نرى في هذا القسم تصميماً اجمع واشمل واشد اتباعاً ، اما ما اشتمل عليه الكتاب وان عكس قليلاً من الفلسفة الحديثة وربما كان من دون استشعار المؤلف فانه لا يخرج عن كونه مفيداً ويحدو الفكر على متابعة مختلف ضروب تحليلات المؤلف .

وقصارانا اننا كنا نتوقع نتيجة يوضح فيها المؤلف غاية بحوثه وربما المنطق لتوسيع فكرته . ا.خ

=

اهدت مديرية المعارف والثقافة في تطوان (المراكش الاسبانية) الى ادارة هذه المجلة الكتب التالية اسماؤها :

مجموعة القوانين المغربية ، تعريب موسى عبود

الكوميدية الكلاسيكية الاسبانية وطيرسو دي مولينا لنجيب ابي ملهم . مطبعة المخزن . تطوان ١٩٤٩

سرفانطيس امير الادب الاسباني لنجيب ابو ملهم وموسى عبود . مطبعة المخزن . تطوان ١٩٤٧

رابطة المصالح لجسنتو بنافنتي . مطبعة المخزن . تطوان ١٩٥٠

سيرة الشاطر تعريب موسى عبود . مطبعة المخزن . تطوان ١٩٥٠

واحة الفكر . عبدالله كنون . تطوان ١٩٤٨

ذكريات مشاهير رجال المغرب (١٤ جزءاً) معهد مولاي الحسن . لعبدالله كنون . تطوان

عبد الرحيم جبور : حياة الصوفي التطاوني الشريف السيدي عبد السلام ابن ريسون وكراماته . دار الطباعة . تطوان

خوليو كولا البريك : امام الذكرى المئوية السابعة لوفاة ابن البيطار . مطبعة كريماديس . تطوان ١٩٤٨

ضون انخل كثالث بلنسيا ١٨٨٩–١٩٤٩ . دار النشر المغربية . تطوان ١٩٥٠

دراسة سلالات شمال افريقيا . مطبعة بوسكا المراتش ، تطوان ١٩٤٨

بنو عباد باشبيلية . عبد السلام احمد الطود . مطبعة كريماديس ؛ تطوان ١٩٤٦

دليل مؤرخ المغرب الاقصى . عبد السلام بن سردة . المطبعة الحسنية ، تطوان ١٩٥٠

العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين . محمد المنوني . تطوان .

المشرق

السنة السادسة والاربعون | ايلول - تشرين الاول ١٩٥٢

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

بعد الراشد المقتفي عمّه ابن المستظهر

تولّى اربعاً وعشرين سنة وشهرين . بعدما خُلع الراشد استدعى السلطانُ الوزيرَ شرفَ الدين زيني وفوَّض اليه امر انتخاب خلف له . فاختار عم المعزول لكونه صهره زوج ابنته. وسار السلطان مسعود الى البلاط في اقطابه وأحضروا المقتفي ووافقوا عليه بعد ما قرّر ان يدفع للسلطان مائة (٣٠٠) وعشرين الف دينار. ولم يكن يومئذٍ في خزانة الخليفة دينار واحد . انما كان للمقتفي قبل خلافته عشرة آلاف دينار انفقها في حفلة مبايعته بالخلافة: والتفت الخطبة للراشد وللسلطان داود وتأيدت للمقتفي وللسلطان مسعود . قيل ان

السلطان لمّا غادر البلاط استدعى اوزير زيني وعاتبه بسبب انتخابه للمقتفي وقال له : لقد اسأت بانتخابك رجلًا كاملًا كهلًا عاقلًا . فلو انتخبتَ فتى وربّيته لَنظرَ اليك نظرة امتنان وشكر وأصبح أمر الخلافة وسياستها بيدك زمانًا مديدًا ريثما يبلغ الرشد . والآن فكن على ثقةٍ من ان زمان وزارتك لن يطول مع هذا الذي اصطفيته وسترى حقيقة ذلك .

ولما دخلت السنة ٥٣١ للعرب (١١٣٦ م) ارسل ابن دنشمند صاحب ملطية سفيرًا الى السلطان في بغداد يتوسّل اليه ان يعيده الى منصبه . ولمّا مضوا بالسفير ليقبّل الاعتاب كالعادة تمنّع وأبى وقال : لستُ أقبّل اعتاب دارٍ طُرد منها صاحبها .

امّا زنكي فقد حشد جيشاً وسار الى تكريت وناوش قطيع السلطان مسعود وانقلب الى الموصل . فأرسل اليه المقتدي ووعده بعشرة اماكن معتبرة بشرط ان يكفّ عن معاضدة الراشد . فقال زنكي : لقد أقسمتُ بان لا اسلمه اليكم ولكن اذا اعطيتموني تلك الاماكن خطبتُ باسمكم وكففتُ عن مساعدته ولكني لن اسرّحه من عندي . فاعطاه الخليفة تلك الاماكن العشرة ومنها حربي وحاصرة وصاريفين والحلّة وغيرها . وقد خطب زنكي للمقتفي وللسلطان مسعود وترك الراشد لديه في دار الذهب بالموصل .

وظهر في تلك الاثناء عجوز تخدم بيت تاجر بجانب باب الأزج ببغداد . وسافر التاجر ليتاجر (٣٠١) وظلّت امرأته وابنته والعجوز المذكورة في البيت . ثم اتفقت العجوز مع ابنها وبعض السرّاق فاقبلوا ليلًا ودخلوا الدار ونهبوا كلّ ما فيها . ولمّا خرجوا قالت العجوز وامرأة التاجر : نشكر الله تعالى الذي أعمى عيونهم ولم يفتحوا الصندوقة . فسمع السرّاق وانقلبوا ففتحوها وأخذوا منها اربعة آلاف دينار وحجارًا كريمة ولآلئ وانصرفوا .

وتبارز مسعود وداود فانكسر مسعود وقُتل الكثير من رجاله .

وفي السنة ١٤٤٨ لليونان (١١٣٧ م) سار ايونيّ ملك اليونان الى قيليقية ساخطاً على لاون الارمني ودوّخ طرسوس وآطنة والمصيصة وقبض على لاون وعلى امرأته واولادهما ورحّلهم الى قسطنطينية. ثم توجه الى انطاكية فامتنعت

عليه . وأقبل اليه جوسلين وتمَّ الاتفاق بان الفرنج يعطونه انطاكية متى احتلَّ حلب وسورِيَة وتخلى لهم عنها . ثمَّ زحفا معاً الى حلب واحتلا بزاعة واقاما محاربين يحاصرون شيزر .

واقبل حين ذاك مسعود سلطان قونية الى قيليقية واحتل آظنة وأجلى اهاليها جميعاً مع اسقفهم واساقبهم الى ملطية. فسع ايونيَ واحرق المنجنيقات وانقلب الى قيليقية وهادن مسعوداً وعاد الى عاصمته .

امّا محمود صاحب ملطية فقد طرد اخاه دولة وانتزع من يده ابلستين وجيحان . وسار دولة الى هنزيط فآمد وزار جوسلين وجعل يطوف البيوت بيتاً بيتاً .

وظهر يومئذٍ الامير عيسى صاحب سويرك وكان يمتُّ بصلة الى بوغوص الارمنيّ الذي سار الى بغداد ودخل في دين الاسلام . فحشد الجند وانطلق الى جرجر ليغزوها فشاهدها خربةً . فوجَّه انظاره الى الاديار والصوامع وانقضَّ على دير مار (٣٠٢) ابحاي المعروف بدير السلالم ولم يتيسَّر له الوصول اليه من ناحية شاطئ الفرات فتسلَّق الصخر وأحدَرَ اليه رجاله فانهزم الرهبان فاحتلَّ الدير واحتوى على ما به من امتعة وكؤوس واطباق فضيَّة وصلبان واقتلع قناة الماء التي وضعها البطريرك يوحنا بن عبدون(١٠٠٤ – ١٠٣٠) وبعث الربَّان داود الناسك الى دير شيرا ولم ينجُ سوى دير ابي غالب المعروف بدير مائدة الملوك وهو باطراف آمد .

وفي السنة ٥٣٢ للعرب (١١٣٧ م) انطلق الراشد الخليفة المعزول من الموصل الى خراسان ليزور السلطان داود . فتحفَّى له السلطان وسارا معاً الى همذان وانتزعاها من يد السلطان مسعود . ثم توجَّه الراشد الى اصفهان فادركه داء عضال ووثب اليه وهو طريح الفراش اربعة خراسانيّين وفتكوا به . ولو لم يفتكوا به على ما قيل لعاجلته المنيَّة بسبب دائه وقد سُقي سمّاً ثلاث مرّات. ودفنوه بباب اصفهان حيث صُرع . وقد قُتل والده كذلك عند باب مراغة .

ولمّا كان الاتراك يحاصرون الرها عام ١٤٤٩ لليونان (١١٣٨ م) حشد الفرنج ثلاثمائة فارس واربعة آلاف راجل وساروا من سميساط لينقلوا المؤونة

الى الرهاويين. فونب اليهم كما. تيمورطاش صاحب ماردين وفتكوا بكثيرين من المسيحيين واستاقوا البقية عبيداً وفي جملتهم الشماس ابو سعد الطبيب الفيلسوف وميخائيل ابن شومنا وابنه . وانتزع تيمورطاش كذلك قلعة كسوس من الفرنج . ودخل مسعود سلطان قونية بلد الكيسوم وغزاه وأحرق القرى .

وفي الشهر الثاني من السنة ٥٣٣ للعرب (١١٣٨ م) حدثت زلزلة هائلة في غزنة ببلاد العجم واهلكت مائتين وثلاثين الف نسمة وقوضت المدينة برمّتها وانبثق من أرضها مياه سوداء . وخرج الذين نجوا من الهائلة (٣٠٣) وأقاموا في المقابر يندبون اهاليهم .

وفي السنة ١٤٥٠ لليونان (١١٣٩ م) زحف الملك محمد صاحب ملطية الى قيليقية واحتلّ حصن هاجاي وحصن جينوفيرت وسار الى قاسينوس وهي على ساحل بحر بنطس فغزاها وأجلى اهاليها جميعاً وباعهم عبيداً .

وفي السنة التالية انفخت ارض الرقّة وبلعت اربعين فارساً مع افراسهم ونجا احدهم كان قد ذهب يتغوط . وظلّت اصوات البشر وزمجرة خيلهم تدوي مدّة مديدة .

وفي السنة ٥٣٤ للعرب (١١٤٠ م) صحّ ما قاله السلطان مسعود للوزير شرف الدين وهو انه لم يُصب في انتخاب الخليفةالمقتفي اذ نشم هذا يتصرّف في شؤون السياسة دون استشارة الوزير وانزوى الوزير في بيته . فاستحضره الخليفة وانتوى في حقّه نيّة خبيثة وكفّ يده عن اعمال شتى وما عتّم ان عزله بالمرّة .

وفي تشرين الاوّل ٥٣٥ للعرب وهي السنة ١٤٥٢ لليونان (١١٤١م) سار اتراك ملطية الى اديار زابار وهي اديار قنايا ونهبوها . واقبل الفرنج في اثار ليثأروا ووصلوا الى زبطرة وعَرقة ونهبوا اموال المسيحيين كما نهبها الاتراك . ثم زحف الفرنج الى أبلستين ونهبوا المسيحيّين وفتكوا بكثير من الاتراك واعتقلوا اولادهم ونساءهم فسخط الاتراك وزحفوا من هنزيط وصادفوا مطران قليسورا القدّيس في جبل ابدهور فقبضوا عليه واعتقلوه هو ومن معه وحاولوا ان يقتالوهم فباغتهم الفرنج وهزموهم وفكّوا المعتقلين وسرّحوهم .

وزحف ايونّ ملك اليونان الى نوقيسارية وظل معسكره ومعسكر الاتراك ستة اشهر لا يناوش احدهم الآخر ثم انفرطوا دون حرب . وكان الاتراك يومئذ يجيزون على كل نصراني يلفظ اسم ملك (٣٠٤) اليونان او الفرنج كيفما كان وقد فتكوا بكثيرين من الملطيين لهذا السبب .

وفي السنة ٥٣٦ للعرب (١١٤١ م) أرسل خوارزم شاه الى ملك الهونيين الذين لم يُسلموا وكان العرب يسمّونهم «كافر تُرك» كي يتازل السلطان سنجر قاتل اخيه . فتأهب اولئك الهونيّون وهم ثلاثمائة الف وناوشوا مائة الف من اصحاب سنجر عند نهر جيحون واهلكوهم قاطبةً . ولم يُفلت سنجر من سيوف الهونيين الّا في ستة فقط من رجاله فيما قيل وتوجّه الى بلخ . وقد أجلوا امرأته وابنة بنتهِ مع اربعة آلاف امرأة . وهكذا اتلفوا المائة الف قتلًا وسبياً .

وفي السنة ١٤٥٤ لليونان (١١٤٣ م) مات الملك محمد في قيسارية وأوصى بالمملكة لابنه دُوألنون . لكن امرأته الخاتون استدعت اخاه يعقوب ارسلان واقترنت به وولّته سبسطية . فانهزم دوألنون الى سينادو وتولّى قيسارية. امّا الاخ الآخر اعني دولة فقد اتفق مع يونس صاحب حصن مسارا وسارا الى ملطية وحاصراها فامتنعت عليهما فغادراها الى عرقة . وارسلت اذ ذاك الخاتون الفي جنديّ الى ملطية ليحرسوها ويخرجوا مَن فيها من الاتراك ويرحّلوهم الى سبسطية . فثار ثائر الاتراك وحطموا بالفؤوس باب المدينة وهو باب بوزيديه على رغم الحاكم وهزموا الزاحفين وارسلوا فاحضروا دولة في اليوم عينه وولّوه المدينة . وعند ذاك زحف مسعود سلطان قونيــة الى سبسطية ودوّخها واخربها وانقلب الى ملطية وحاصرها في سابع عشر نيسان وصوّب اليها المتاريس وضايقها . امّا دولة فجعل ينكّل بالمسيحيين ويطالبهم بالاموال ليدفع الى المحاربين . وبعد ثلاثة اشهر (٣٠٥) احرق السلطان بغتة المجانيق وارتحل ليلة عيد الصليب ١٤ ايلول واستراح الاهالي .

وفي نيسان تلك السنة خرج ايونّ ملك اليونان للقنص . فثار خنزير بري واجهز عليه . واوصى بالمملكة لابنه منوئيل الفتى وكان ابنه الكبير غائباً .

وتولى الفتى المملكة في نيسان ١٤٥٥ لليونان (١١٤٤م) ولمّا دخل العاصمة رحب به اخوه وادّى له التحية والاكرام وايده في منصبه .

وكان ملك اورشليم الفرنجي كذلك يقتنص وسقط عن الحصان فقضى . وخلفه بغدوين الثالث ابنه الصغير وتولّت امه سياسة المملكة بسبب حداثته .

وفي السنة المذكورة مات داود صاحب حصن زياد وخلفه قرا ارسلان ابنه الصغير . وكان ارسلان طغميش ابنه الكبير عند زنكي بالموصل . فاقبل زنكي ليبعد قرا ارسلان ويقيم مكانه اخاه . فاستنجد قرا ارسلان بالسلطان مسعود في قونية فانجده بعشرين الف فارس عاد بهم ليبارز خصمه فانقلب الى الموصل بلده . ثم اقبل مسعود المذكور الى ملطية وحاصرها ثلاثة اشهر ثم تركها وارتحل .

انتزاع الرها من يد الفرنج

في السنة ١٤٥٦ لليونان (١١٤٥م) كان جوسلين صاحب الرها في انطاكية . فكتب الحرّانيّون الى زنكي بان المدينة لا عسكر فيها . فاقبل زنكي في جيش جرّار الى الرها يوم الثلاثا ٢٨ تشرين الثاني وحلّوا في ضواحيها وخيموا عند باب الساعات قرب كنيسة المعترفين . واقاموا سبعة منجنيقات ضخمة وصغيرة . واقام رهبان الجبل على السور يحاربون . والنساء هناك يقدّمن لهم الحجار والماء والطعام . وحفر الاتراك تحت الارض حتى بلغوا السور (٣٠٦) وحفر الرهاويون كذلك وبرزوا لمقاتلتهم وفتكوا بمن صادفوه في الحفرة . وعادوا فابتنوا سورًا ثانيًا تجاه الحفرة . امّا الاتراك فحفروا برجين . ولمّا تخلخلت سائر الابراج وكادت تسقط ارسل زنكي يقول للرهاويين : خذوا منّا رجلين وابعثوا لنا رجلين ليشاهدا الابراج قد تداعت وسلموا المدينة قبلما تؤخذون بالسيف .

غير ان (المطران) بيبوس رئيس الفرنج في الرها سخر بزنكي واثقًا بان جوسلين وملك اورشليم يوافيان قريبًا لمساعدة المحاربين : وعند ذلك اضرم الاتراك النيران باخشاب الابراج فسقطت وجعلوا يدخلون الثرعة ووقف هناك

الرهاويون وبيبوس والاساقفة معهم ليصدّوهم عن الدخول . وامتلأت تلك الترعة من جثث القتلى الاتراك والرهاويين . وتجمهر الرهاويون جميعاً عند الترعة ورأى الاتراك ان المحاربين قد غادروا السور فوضعوا السلالم وتسلقوا فارتخت عزائم الرهاويين وجعلوا ينهزمون الى القلعة . لعمري اي فم يمكنه ان يتكلم ام اي اصبع لا ترتعد اذا حاولت ان تخط ما جرى من الفوائل والاهوال في الساعة الثالثة من يوم السبت ثالث كانون الثاني ! فقد دخل الاتراك وسيوفهم مسلولة تشرب دماء الشيوخ والفتيان والرجال والنساء والكهنة والشمامسة والرهبان والنساك والراهبات والعذارى والرضعان والعرائس . يا لها رزيئة السيئة مرّة ! مدينة ابجر خليل السيد المسيح أمست موطئاً للاقدام بسبب اثمنا ! يا للضيق والشدة ! كفر الابناء بآبائهم والآباء بابنائهم . نسيت الام عطفها على صغارها وسارع كل واحد الى قمة الجبل .

امّا الكهنة الشيوخ فكانوا حاملين صناديق ذخائر الشهداء وهم يقولون مع ميخا النبي : « اني احتمل غضب الربّ لاني خطئتُ اليه » (ميخا ٧ : ٩) فواظبوا على الابتهال ولم ينهزموا حتى اسكتهم (٣٠٧) السيف . وشوهدوا بعد ذلك وقد تضرجت بدلاتهم بدمائهم . وهناك امهات كثيرات جمعن اولادهن كما تجمع الدجاجة فراريجها ينتظرن الموت جميعاً بالسيف او السوق الى العبودية .

امّا الذين انهزموا الى القلعة فقد اغلق الحراس ابوابها تجاههم وهم يقولون : لن نفتحها لكم إلمّ نشاهد وجه بيبوس . ولكن بيبوس تعذر عليه القدوم مع الاولين وقد اهلك الازدحام كثيرين وتراكمت الجثث كوماً كوماً عند باب القلعة ولما وصل بيبوس اصيب بسهم ارداه .

ولمّا شاهد زنكي تلك الاهوال امر بالكف عن القتل . وشوهد المطران باسيليوس عرياناً حافياً يجرّه تركي بالحبل . وما ان رآه زنكي ولمح النعمة التي على وجهه حتى سأله من انت ؟ ولمّا عرف انه هو المطران أمر فالبسوه ثوباً ومضى به الى خيمته وجعل يعاتبه ويلومه لان الرهاويين لم يشفقوا على انفسهم ويسلموه المدينة . فقال له المطران : ان العناية الربّانية شاءت ان تمنحك الغلبة وتذيع اسمك بين الملوك رفاقك وتولينا نحن الاذلاء دالّة لديها لاننا ما غدرنا

ولا حنثنا بأيماننا . فاستحسن زنكي كلامه وقال له : قد صدقت في ما قلت ايها المطران . فان الله تعالى والبشر كذلك يكرمون من يحافظون على أيمانهم ولا سيما اذا ثبتوا بها حتى الممات .

وبعد يومين طلب الامان من كان في القلعة وسلّموها . وفتك الاتراك بكل من شاهدوا من الفرنج واغمضوا عن السريان وعن الارمن . على ان لساننا قاصر عن الاسترسال في ذكر تلك الداهية الدهياء . ولارميا النبي ونظرائه ان يفيضوا في المراثي ويستدعوا النائحات النادبات لينظمن مثلهم وينحن على الشعب المستحق العطف والشفقة .

وقد التهمت النيران يوم فتح الرها دير القراريط ببلد خرشنة واتلفت غرفه باسرها واجهزت على راهب شيخ وأفلت سائر الرهبان افلاتهم من كور النار . واحترقت في اليوم ذاته قرية ببلد مرعش . وسقطت نار في دير (٣٠٨) مار برصوما واتلفت ثلاث غرف ريثما تمكنوا من اطفائها . وقد نظم في فتح الرها هذا ديونيسيوس ابن الصليبي قصيدتين وباسيليوس مطرانها ثلاث قصائد وخمستها بوزن مار يعقوب .

وبعد ما احتل زنكي الرها سار الى البيرة وهي قلعة حريزة للفرنج تطل على الفرات وحاصرها حصارًا شديدًا . ووافاه اذ ذاك الخبر بان فتنة وقعت في الموصل وقُتل نائبه ناصر الدين . فترك البيرة وانقلب الى بلده . اما الفرنج فخافوا ان يعود زنكي فكتبوا الى حسام الدين تيمورطاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب ماردين وسلّموه اياها . وخاف ايلغازي ان يزحف زنكي الى بلاده ويحتل قلاعه وسائر ولايته فقوّض قلاعاً كثيرة منها قلعة حور عبار وقلعة تلبسما وقامة توما وقلعة تل شيخ وقلعة المرأة التي بجانب دير مار حنانيا . واقام تيمورطاش يحاصر قلعة المتساخ سنة واربعة اشهر حتى انتزعها من صاحبها الكردي وهادنه ودفع له كمية من الذهب وتخلى له عن بعض القرى .

وخرج ارسلان طغميش بن داود صاحب حصن زياد من عند زنكي وسار الى بلد تل ارسانيوس وسأل اصحابه ان يسلّموه اياه فأبوا لان اولادهم كانوا رهائن في حصن زياد . فحارب البلد واحتله واستعبد اهاليه وهم خمسة عشر

الفاً مع اسقفهم طيناوس وباعهم .

وفي السنة ٥٤٠ للعرب (١١٤٥م) وجه زنكي جنوداً الى قلعة فنك المجاورة لجزيرة قردو او هي جزيرة ابن عمر . وهي قلعة حريزة تطل على دجلة احتلها الاكراد البشنويون منذ ثلاثمائة سنة .

وفي السنة ٥٤١ للعرب (١١٤٦م) اصلح زنكي ذات البين في الموصل (٣٠٩) على اثر مقتل نائبه ناصر الدولة واقبل الى حلب وهي له وحشد الجنود وزحف الى قلعة جعبر . ولما كان يوماً في خيمته احضر اليه الصناع طبقاً ذهبياً لينظره فحنى رأسه وجعل يتأمله فامتشق احد حملة سلاحه سيفه وضربه من ورائه وحزّ هامته . وكان فيما قيل سكرانَ غارقاً في النوم ليلاً . وان ثلاثة من عبيده اسرعوا الى اسفل القلعة وقالوا للحراس : اسحبونا اليكم لنبلغكم بشرى تبهجكم . فدلّوا زنبيلاً وسحبوهم واحداً فواحداً فأخبروهم بما صار وقالوا لهم : انفخوا بالابواق ونادوا من في اسفل القلعة وقولوا لهم انهضوا واذهبوا فاقبروا مولاكم قبل ان ينتن . فسارعوا اليه وشاهدوه مذبوحاً .

امّا محمود بن زنكي الذي دُعي نور الدين وكان مع ابيه فقد شدّد القتال على القلعة حتى كلَّ هو والمحاصرون . ثم قال لهم : سلّموني قَتَلة ابي وانتم كونوا في طمأنينة. فسلّموه اولئك الثلاثة فاجهز عليهم واحرق جثثهم . وخلّف زنكي اربعة بنين وابنة واحدة وهم : سيف الدين غازي ونور الدين محمود وقطب الدين مودود ونصرة الدين امير اميران واختهم . وشاد في الموصل دوراً ملكية اذ لم يكن بها قبله الّا دار ملكية واحدة تجاه الميدان . وقد عمق اساسها ووطّد اسوارها . وفتح باباً يقال له باب عمادي غرس الحدائق حوله . وكانت الثمار ولاسيما العنب قليلة جداً في الموصل قبل زمانه حتى ان الحانوتي كان اذا باع عنقود عنب قطعه بالموسى لئلا تقع عنبة منه على الارض (٣١٠) . وقد ازدادت الثمار في الموصل بعد ذلك . وكان لزنكي اصحاب في بلاط السلطان يخبرونه سرّاً بما يجري هناك ليل نهار . وكان اذا وافاه سفير ما، نهاه عن محادثة الجنود والاهالي .

ودُفع يوماً لاحد عبيده طبيخاً وقال له احفظه لديك . فاخذه ولفّه بمنديل

ووضعه في عبّه وظلّ معه سنة كاملة وعند انتهائها سأله زنكي : اين الطبيخ ؟ فأخرجه نوراً من عبّه وقدمه له . فاعجبه ذلك العمل وقال : الى مثلك ينبغي ان افوّض حراسة البلد . ثم ولّاه قلعة كواشي وسيّره اليها .

ولزنكي صفات اخرى تدلّ على زهده وعلى بطشه بالمجرمين انما كانوا ضربنا الصفح عنها حبًا للاختصار . وقد ملك سورية تسع عشرة سنة . وكان لديه حينما قتل في قلعة جعبر امير كبير عاقل اسمه اسد الدين شيركوه . هذا قال لنور الدين بن زنكي : يلوح لي ان وزير ابيك يحاول ان يستميل الجيوش الى اخيك سيف الدين ويأتي به الى الموصل . فالاجدر ان اذهب بك الى حلب لتتولّاها انت وتتولى سورية معها . وبعد هذا يسهل عليك احتلال الموصل واقليمها وبلاد المشرق .

ولمّا تمّ ذلك اجتمع نور الدين بجيوش سورية ومضى بهم الى حلب وتولّاها مع قلعتها . ثم ارتحل اخوه سيف الدين الى الموصل وتولّاها وأيّده السلطان مسعود اذ كان يُخلص له المودّة . وسبق نور الدين فأدّى له كذلك خدماً جلّى يوم كان والده حيًا يُرزق . وارسل السلطان الى سيف الدين حلّة ملكيّة تأييداً له في منصبه . وكان نور الدين يخاف اخاه المذكور (٣١١) فيبعث اليه بالهدايا معرباً له عن اخلاصه متحذراً ملاقاته . وبعد ما حلف احدهما للاخر سار سيف الدين الى سورية وبادر نور الدين اليه فانحدر لما شاهده وقبّل الارض امامه . وانحدر سيف الدين كذلك وتعانقا وبكيا . وقال سيف الدين لاخيه : لماذا لم تأتِ اليّ هل خفت مني ؟ ثق يا اخي بانه لم يخطر ببالي ما خطر ببالك . وماذا تنفعني الحياة والبلاد اذا اسأتُ الى اخي ؟ هكذا اتفق الاخوان وعاد كل منهما الى بلده .

وعلى اثر مقتل زنكي سار ريموند صاحب انطاكية الى اطراف حلب وحماة وفتك بكثيرين من العرب وغنم غنائم وافرة . وعند عودته ادركه شيركوه واستردّ منه الغنائم . وسار مجيد الدين صاحب دمشق الى بعلبك وشدد عليها حتى انتزعها من نجم الدين ايوب والد صلاح الدين وترك له بعض القرى وعاد الى دمشق .

وفي تشرين الاول من السنة ١٤٥٨ لليونان (١١٤٧ م) شخص جوسلين وبغدوين صاحب الكيسوم الى الرها وتسلق رجالة الفرنج البرجين ليلاً بحيلة عقداها مع بعض الارمن حارسي السور . فانهزم الاتراك الى القلعة . وعند الصباح فتح باب الماء ودخله جوسلين . وما كاد يمر على ذلك ستة ايام حتى باغتهم نور الدين قادماً من حلب في عشرة الاف تركي . فشدّ جوسلين على الرهاويين المساكين واستاق الرجال والنساء والفتيان والفتيات قسرًا في الساعة الثانية من الليل . ولما اصبح الصباح ادركهم الاتراك ووضعوا فيهم السهام كالبرَد وهم يرشقونهم رشقاً أليماً . فيا لسحابة السخط والغضب ! تباً ليوم خال من الرحمة ! تباً لليلة جائحة وصباح جهنمي ! فقد انقضّ الاتراك على الرهاويين الاذلاء ابناء المدينة المغبوطة ! وتركهم الفرسان الفرنج وانهزموا اذ عجزوا عن المقاومة (٣١٢) اما رجّالتهم فتعذرت عليهم الهزيمة وقصدوا حصناً خراباً يُدعى حصن كوكب واستجاروا به . وظلّ الرهاويون المظلومون والسيف يسحقهم سحق النار للهشيم . ولم يكتفوا بالقتل بل اخذوا ينزعون احذية الباقين وثيابهم ويوثقونهم بالحبال ويستعجلونهم على الركض حفاة عراة رجالاً ونساء ويضطرونهم ان يتبعوا الخيل . وقد أوفى عدد القتلى في المرّتين الاولى والثانية على الثلاثين الفاً . واستعبد الاتراك ستة عشر الفاً ولم يُفلت مع الرّجالة الفرنج الذين انهزموا الى حصن كوكب سوى الف رجل فقط . وقد باع الاتراك كل من استاقوهم في مختلف البلدان وأمست الرها خاوية خالية مخضّبة بدماء اولادها ممتلئة من عظامهم تهجم عليهم وحوش القفر ليلاً وتتغذى بلحومهم . وامست مأوى لبنات آوى .

وقد فُقدت جثة بغدوين صاحب الكيسوم وأفلت جوسلين اللعين الى سميساط . وانهزم باسيليوس مطراننا وقُبض على مطران الارمن مع كثيرين من جماعته . ولما سمع سائر الفرنج بما جرى من الغوائل في الرها تدفقوا من ايطالية واقبل ملك الالمان[1] في تسعين الف فارس وملك فرنسا[2] الذي يدعوه

١) كونراد ملك النمسة

٢) لويس السابع (١١٣٧—١١٨١)

العرب فوتش في خمسين الفاً سوى الرّجالة الذين بلغوا حد الكثرة . وتوجهوا في السنة ١٠٤٩ للبونان (١١٤٨م) الى قسطنطينية وحاربوها حرباً شديدة اذ اطّلعوا على خيانة اليونان وغدرهم. وبعد ما دفع لهم الملك منونيل ذهباً وافراً وأقدم ان يهديهم الطرق بامانة غدر بهم وارسل مَن دلّهم على طريق وعرة وجبال قاحلة لا ماء فيها. وظلّوا تائهين خمسة ايام وانهزم اليونان هداتهم فقضى ربوات منهم عطشاً هم وخيلهم . وسمع الاتراك فانقضوا على المشتّتين (٣١٣) في الجبال وجعلوا يفتكون بهم فئةً فئةً حتى امتلأت بلادهم من الغنائم وبيعت وزنات الفضة في ملطية بيع الرصاص .

اما الفرنج الذين افلتوا وعادوا الى سواحل بحر بنطس فقد اخذ اليونان الجشاء يخلطون كلساً في القمح ويطعمونهم . فكانوا اذا اكلوا سقطوا كوماً كوماً وقضوا . وقد نجا ملك الالمان في ثلاثة من القامصة لا غير وسار الى اورشليم وصلّى وتبرّك بقبر المخلّص واقام بضعة ايام ثم زحف الى دمشق في عشرة آلاف فارس وستين الف راجل . وكان عدد الاتراك والعرب نحو مائة وثلاثين الف راجل سوى الفرسان . ولما عرف الفرنج انهم على كثرتهم لا قوّة لهم اخذتهم النخوة والشجاعة فحملوا عليهم حتى وصلوا الى الانهار ودخلوا الجنائن .

أيس المعين صاحب دمشق فارسل سرًا الى ملك اورشليم وخدعه بالكلام والذهب وقدّم له مائتي الف دينار من نحاس ملطوخة بذهب مصري. وارسل كذلك الى صاحب طبرية خمسين الفاً من الذهب المزيّف وقد اطّلع الفرنج على ذلك وادركوا الخيانة . على اني طالعت خمسة كتب عربية مختلفة لم اعثر فيها على حكاية هذا التزييف . غير ان البطريرك ميخائيل المغبوط ذكرها في تاريخه . ولما اطّلع ملك الفرنج على الغش والخداع ترك دمشق وعاد الى وطنه يتفطّر قلبه غمًّا واسفاً . تلك كانت عاقبة اولئك الجنود الفرنج الكثيري العَدَد والعُدَد .

له صلة

كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان (مخطوط)

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني
شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق
الاب اغناطيوس طنوس الخوري
الراهب اللبناني (تابع)

[٤٧] تواريخ بعض الحوادث في ايام حكومة الامير يوسف الشهابي

١ً تاريخ ابو الذهب

المذكور كان اولاً من اكبر المقدمين عند علي بيه (لعلها بيك) عزيز مصر. فارسل ابو الذهب المذكور ، الذي كان يسمى احمد بيك ، على اخذ الديار الشامية . بقصده ان يتبعها الى تخت مصر ، كما كانت سابقاً ، ان حدود حكومة مصر كانت الى شغر (جسر الشغور) حلب . فالمذكور توجه من مصر بعساكر لا تعد ، بترتيب وطقم واتقان ، كمثل عرضي همايون. وتوجه الى ديار الشامية ، واخذ الشام ودخل اليها ، واستقام بها خمسة ايام . وزنجت منه كافة اقطار الشامية والحلبية .

وبعد الخمس ايام المذكورة ، قام ليلاً ورجع الى مصر ، بالطريق التي اتى بها . ولم علم احد ما هو سبب رجوعه ، لكونه من غير سبب محوج . وكان دخوله الى الشام ، ورجوعه ، سنة ١٧٦٧م . واستقام في مصر سنتين . وبعده جهّز العرضي الذي كان حضر فيه سابقاً عينه ، وقام به قاصداً الديار الشامية ، كمقصوده السابق . واما هذه الخطرة ، جعل دربه بحرًا ، واخذ غزه والرملة ويافا ، ووصل الى سهل عكا . وكان حاصل بينه وبين ضاهر العمر وسيلة

(صلة صداقة) . ولاقاه المذكور هو واولاده الى المرضي برات (خارج) عكا . واستقام مدة وجيزة ، وصار له سطوة ورهبة زايدة ، في كافة امصار الشامية والحلبية .

ومن الجملة الامير يوسف الشهابي ، حاكم تحت جبل الشوف ، ارسل تقادم وهدايا يستعطف خاطره عليه . وبعد هذه المدة الوجيزة مات المذكور (ابو الذهب) في المرضي . وسبب موته ، وهو مار في الطريق ، على القديس مار الياس في الكرمل ، امر بنهبه والاهانة الى سكان الدير ، ونهب جميع ما به . وبعد وصوله الى سهل عكا امر ثانياً في هدم الدير المذكور ، ووجه من قبله معتمد لكي يهدمه . وبعد توجه المعتمد في تلك الليلة عينها ، ظهر له القديس مار الياس ، وخنق ابو الذهب عياناً . وفي ذلك الحين قد تشتت شمل عسكره ، واخذوا من المرضي ما هو خفيف الحمل وغالي الثمن . وما بقي من ذلك المرضي ، اغتنمه ضاهر العمر ، وجابه الى عكا . وكان حضور ابو الذهب وموته سنة الف وسبعماية وسبعين .

[٩٨] ٣ً تاريخ هوشة (معركة) اميون مع التفكجية

في تاريخ سنة ١٧٦٩ م حصل نزاع ما بين محمد باشا ، وسعادة الامير يوسف (شهاب) . وسبب ذلك انه قتل قتيل في قرية داريا من ابن عمه . والقرية المذكورة تابعة الزاوية ، التي كانت يومئذ تابعة الدولة . وهذه القرية نفسها كانت بكلبك للشيخ اسماعيل حماده . فحين قتل القتيل ، قصد محمد باشا بانه ياخذ جنية ، ويغرم اهالي القرية ، كما كانت جارية العادة عن الدولة سابقاً .

فمنعه الامير يوسف عن ذلك ، وترايدت النزاعات بينهم ، وتعاظمت الفتنة . وارسل محمد باشا ولحضر بيت حماده الى عنده لطرابلس . وكان مراده ان يلبسهم (يعينهم في الحكم) ، ويرفع يد الامير يوسف عن مقاطعة بلاد جبيل . وجمع عسكر الى طرابلس من كافة المقاطعات الباقيين تحت امره . ووقتئذ طلع الشيخ سلمان من بيت الشيخ احمد ، بزعمه انه يهيّب اهالي مقاطعة بلاد جبيل ، ويخدعهم ، وينزل منهم اناس لعند الوزير . فالتقوه رَبع (جماعة)

الامير يوسف في قرية كفرعقا ، في الكورة ، ومسكوه ولمن معه ، وترجهوا به الى عند الامير ، لعين الحمام في اللقاوق . لان وقتيذٍ كان حضر الامير المذكور ، من دير القمر جودي (عن طريق الصرد) ، ومعه عسكر مقدار عشرة الاف ، من بلاد الشوف وتوابعها ، لكون بانه ما حصل من الوزير ، اي احضار المتاولة ، وجمع عسكر في طرابلس .

ولما كان قصده (قصد الوزير) مجي المرابيط من عند الامير يوسف ، تاني يوم شنقهم (الامير) جميعهم ، وتوجه بالعسكر الى مقاطعات طرابلس الذين ما هم بيده . فوصل اولاً الى قرية اميون . فوجد بها تفكجية الوزير ، وكانوا مقدار ثلاثماية رجل . وسبب حضورهم لاجل احتفاظ الكورة ، لان يومها كانت تابعة الدولة . وكان عقيد العسكر التفكجية حاج عبد تفكجي باشا . وحين وصل عسكر الامير ، وقع الشر بينهم من قبل الظهر ، الى ساعتين بالليل . وقتل من التفكجية جملة قتل . وان لم يكونوا محاصرين في البرج الذي في وسط القرية ، لما كان احد بقي منهم . فطلبوا القيرة والامان ورفع النزاع والعدوان .

فاعطاهم (الامير) الامان ، وفك عنهم العسكر ، وانهزموا ونزلوا في الليل الى طرابلس . فما صمد منهم الا القليل . وفي تاني يوم قطع الامير في عسكره الى ارض الزاوية ، ووصل بنفسه الى كتف نهر جوعيت . وعسكره تلي (ملأ) الزاوية لحد نهر البارد . فطلعت له مكاتبة من المدينة . ورجع تاني يوم الحد (الاحد) تطلعت (ارسلت) له الخلاع (اثواب الولاية) وشرطنامات البلاد ، عن يد الشيخ يوسف شمر . ورجع في العسكر لمقر حكومته في دير القمر .

[٦٩] ٣ تاريخ هوشة العاقورة ، (والكورة)

انه في سنة الف وسبعماية واتنين وسبعين ، صارت هوشة عظيمة في العاقوره ، بين الامير بشير ، عم الامير يوسف ، وبين المتاولة . لان المتاولة نزلوا الى الامير بشير ، الى العاقورة ، وعملوا معه شر عظيم . واستقام بينهم الحرب ، من شروق الشمس الى غروبها . وكان مع الامير وقتئذ ، من الجبة ، الشيخ

عيسى الخوري من بشري ، والخواجه يوسف كرم[1] من اهدن ، ومعهم رجال قلال. فانكسرت المتاولة. وتاني يوم انطرح الصوت على الجبة . فمضى الشيخ ابو سليمان عواد ، والشيخ حنا ضاهر ، وكامل رجال قاطعهم .

وحين شاهدوا المتاولة ان الرجال عند الامير بشير قد صارت زايدة، ما عاد لهم (للمتاولة) قدره عليه . فالتزموا في الليل قاموا ، في (مع) جميع حريمهم وسحتهم (امتعتهم) ، مشايخ وطوايف (عائلات) ، من جبة المنيطرة ، ومن وادي علمات ، ونفذوا الى قرية درب عشتار التي في الكورة .

فحين علموا مشايخ جبة بشري ذلك ، وهم : الشيخ يوسف بولس (الدويهي - اهدن) ، والشيخ ابو يوسف الياس (اسطفان - كفرصغاب) ، والشيخ ابو خطار الشدياق (عينطورين ، والد المؤلف) ، جمعوا رجال الباقين من البلاد ، وتوجهوا الى دير مار جرجس حماطورة (للملكيين المنفصلين). وفي ذلك الليل ، وصل الشيخ سعد الخوري ، كاخية الامير يوسف ، ومعه عسكر مغاربة. وعلق الشر فيما بينه وبينهم (بين المتاولة) ، في درب عشتار ، من الظهر الى غروب الشمس . فقتل من عسكر سعد الخوري ، من المغاربة ، خمسة عشر قتيل ، ومن المتاولة قتيلين . فرجع (الشيخ سعد) بات ذالك الليل في بزيزا . وطرح الصوت على الجبة . فنزلوا المشايخ الذين كانوا في حماطورة ، وتوجهوا مشايخ الجبة الذين كانوا في العاقورة . والفريقين وصلوا الى بزيزا نصف الليل .

فحين عرفوا المتاولة بوصولهم ، هربوا في الليل ، ونزلوا بحرًا (بطريق البحر) . تاني يوم لحقهم الشيخ سعد الخوري ، والعسكر الذي معه من المغاربة ، ومن الجبة. واصطلى الشر بينهم من برغون التي فوق انفة ، ولا زالوا وراهم ، والشر بينهم مشتعل ، الى حد القلمون . وحين دخلوا الى قرية المذكورة ، برجا اهلها ، رجع سعد عنهم العسكر ، بعد ان راح من المتاولة جملة قتلى ومجاريح. وغنم العسكر في اسحاتهم (امتعتهم) واسبابهم وطرشهم (ماشيتهم). وانمسك منهم الشيخ علي بتحَصّر (حمادة) ، في قرية قلحات .

---

١) هو جد بطل لبنان الكرمي ، والد ابيه .

واما عسكر الشيخ سعد ، قتل منه واحد من حصرون ، لا غير. والمتاولة جاءوا من القلمون على طرابلس . وموضع الذي تبقى معهم شي من السحت [٥٠] اخذوه اهالي طرابلس ، وصاروا يراي (كذا) لها . واما الشيخ سعد الخوري اخذ الشيخ علي مربوط (اسير) ، ومعه سبعة مرابيط ، الى جبيل . ثم بعده حضر الشيخ ميلانَ الخازن ، وترجى في الشيخ علي ، وفكه ، واخذه معه ، وسكّنه في ساحل علما .

تاريخ احمد باشا الجزار

ان هذا كان اولًا كاشف في مصر . وكان جبار قهار ذو بطش ، سفاك دما . ولاجل ذلك سمي « الجزار » اي دبّاح . ومن جرا افعاله ، قاموا عليه سناجق (حكام) مصر ، وراموا قتله ، فهرب سرًّا وحضر للشام ، ومعه خادم لا غير ، يسمى سليم . ومن الشام حضر لطرابلس بحال الذل . ومنها نقل الى بيروت ، وسكن مدة في حالة يرثى لها . فشفق عليه الامير يوسف ، والد الامير ملحم الشهابي ، لان وقتئذٍ كان (الامير) حاكم جبل الشوف ، وعين له خرج يومي من الديوان .

وبغضون ذلك ، حصلت فتنة بين الامير يوسف ، وعمه الامير منصور . فارسل ولّج الجزار ، وسلمه بيروت ، بنوع محافظ . واستقام في طاعة الامير يوسف مقدار سنة. وبعده تمرد على من كان سبب نعمته ، وبدا يحصن بيروت ويمنع دخول اهل الجبل . وعمل جملة قضايا ضد الامير يوسف ، وضبط جميع مداخيل بيت شهاب ، في بيروت . وقتل جملة اناس من اهل الجبل وغيره . وضبط ضد التجار ، وابدع كامل البغو والعدوان .

فالتزم الامير يوسف ، جاب مراكب المسكب ، وحاصره في بيروت جملة ايام . وبعده طلع من بيروت ، بواسطة الشيخ ضاهر العمر ، الذي كان وقتئذ حاكم عكا وحين طلع الجزار من بيروت ، توجه للشام ، ومنها الى اسلامبول. ورجع مع وزير البحر وحاصر ضاهر العمر !! . . . وبعده اخذ تواك (كذا) صيدا ، وصار وزير في صيدا ، في سنة ١٧٧٣ م. وصار اغلب سكنته في

عكا . وطلع (صار) اكبر وزير جبـار قهار ، لا يصطلي له نار . رجل غضوب حقود ، عنيد سفاك دما ، ناشي الظلم والتعدي . وما حضر وزير من الدولة الى عرب بستان (لبنان وسوريا وما اليها) مثله .

ومن خيانته قتل الامير يوسف وكاخيته الشيخ غندور (سعد) الخوري ، اللذين كانا سبب نعمته . وابدا احوال واشغال يطيل شرحها . وكان دائماً يمشي عساكره الى جبل الشوف ، ولا يدعه يهدا ، ولا سنة واحدة من غير فتوح . وسكن عكا وحصّنها غاية ما يكون . حتى انه لقي (قاوم) فيها حرب الفرنساوي وابونابرت ، جملة ايام ، ورجعوا وما قدروا اخدوها .

وبهذا الشرح ، اختصرنا عن كامل احواله واشغاله ، واهملنا عدتها لزيادة كثرتها . وان بدينا نشرح كافة اشغاله واطواره وتسطيه (اعتداؤه) على ايالة الوزر اقرانه ، شي يطيل شرحه . ولا يتكن نقدر [٥١] نحيفه على حقيقته ، مثل حصار جبيل ، وحصار محمد باشا ابو مرق في يافـا ، وتمشي عساكره على ايالة طرابلس ، ضد خاطر اصحاب المنصب ، وعلى ايالة الشام ، واشيا مثل هذه وغيرها ، التي بدها (يلزمها) مجلد كبير ليحصيها . ولكن عملنا هذا المختصر نقطة من بحر ، لكونه تعدا اشيا ما سلفت من وزر غيره . وتوفي في عكا سنة ١٨٠٤ م (الف وثمانمائة واربع) .

صورة بولوردي (مرسوم) من احمد باشا الجزار

ارسلها الى جبل الدروز (الشوف) تهديد الى اهل الجبل المذكور ، في حكم الامير حيدر والامير قعدان (شهاب)

سنة ١٢٠٥ هـ (الف وسبمائة وتسعين م .)

صدر المرسوم المطاع ، الواجب القبول والاتباع ، الى امرا ومشايخ عقل ، وعقال ورعايا ، وسائر سكان الشوف والمتن وكسروان ، بوجه العموم ، يحوطون علماً .

نعرفكم انه لما عزمنا على مسير طريق الحج الشريف ، وزيارة نبينا السيد البشير النذير — عليه افضل الصلاة والتسليم من العلي القدير ، قد كشف الله

لنا عن ما هو لا بد ان يتوقع ويصير . فانذرناكم وحذرناكم غاية التحذير . وذلك قبل تحرك ركابنا السعيد من صحراء المزاريب . عرفناكم عن هذه الافعال السيئة الردية ، والطرقات المعوجة الغير المرضية . فلا بد عن مسيركم بها وسلوككم في شوارعها . فأخذتم المشترى وهاروت (اسماء اصنام) عشيرة ودينا ، وبعدتم عن قول الحق المبين ، يا ايها الذين آمنو ، طيعوا الله والرسول واوليات اصحاب الامور . فتزحزحتم بغرور انفسكم عن ذلك . واقتفيتم ثر من تقدمكم من الظالمين ، ونسيتم ما حل بهم من العذاب الاليم . واشهرتم الجور والاعتساف . وتركتم الصواب والانصاف . وسعيتم بالارض بالفساد ، وما جزاء الذين يسعون بالارض بالفساد ، الا ان يقتلون او يصلبون ، او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف (كذا) . فكان ذلك ابدًا لتحكم بجنسكم .

وروى الله : الذين كفروا ولم ينالوا خيرًا ، فتراكت النحوسات عليكم . ما ازددتم الا شرًا . وكنا نظن في حلول ركابنا السعيد من الخاج الشريف ، ان يتغير الخبث الذي بانفسكم ، ان الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بنياتهم . فبقيتم على ما انتم عليه من الطغيان ومزيد البهتان ، وفي غيابنا طلب منكم افتخار الامرا الكرام ، ولدنا الامير بشير شهاب ، الخدامة حكم (حسب) قولكم . فاذ كنتم بمعزل عنها ، وصدق عليكم يا ايها الناس ان بغيكم على انفسكم .

وكان يلزمكم اطاعة خليفة رسول الله ، مالك ذمة الحقيقة [٥٢] ، شمس فلك الدولة العثمانية ، السلسلة الخاقانية ، ملك البرين والبحرين ، اسكندر ذو القرنين . فاظهرتم التباعد والتنافر . ووضعتم في عقلكم اني بهذه المسافة لست راجع . فكل منجم كذاب . فاعلموا واعرفوا وتحققوا ، ان سلكتم في قدم الطاعة ، وكنتم مطيعين وخاضعين الى ولدنا الامير المشار اليه ، فعليكم من طرفنا امان الله ، وامان رسوله ، ثم اماننا ، ولم تشاهدوا منا الا المسرة . وان بقيتم وثبتم على حالكم ، وسوء اعمالكم ، فبعناية الملك القاهر ، اني بكم الظافر ، ولاتركنكم كالامس الغابر ، ولادمرنكم بكل دامر . سلموا تسلموا .

وان ندمتم ، تندموا ولا تدخلوا في حيز قوله تعالى : من نكث لا ينكث على نفسه . واياكم والمكر ومخافة الصواب ، وايقاع انفسكم في هلكات الحساب . واعتبروا قول رب الارباب : « فوقاه الله السيئات ما مكروا ، وحبوا با آل فرعون اشد العذاب » .

والباغي بغيه يرجع في رحله (كذا) . فانهضوا الى الطاعة والتسليم ، تحظون انشاء الله تعالى بالمرام والتكريم ، وغيروا من انفسكم هذا الوسواس الاليم . وتوكلوا على الله . واذا تنحيتم عن الاطاعة ، تنشر اعلام الحرب نحوكم . ونوجه عساكرنا الزاجرة كالبحور الزاخرة ، سالّين بواترهم بايديهم ، وسمر القنا ساحبين ، والدما ساكبين . فمن قتل منهم فالى جنة رضوان خالدين . ومن قتل منكم ففي سعير جهنم متقلبين . فانظروا الى انفسكم الخلاص . فاذا كنتم من اهل السنة والجماعة ، فادخلوا في حيز الاطاعة . وان ابيتم ، تروا اوخم الاحوال والتنكيد . والله حسبنا ونعم الوكيل .

تاريخ حصار جبيل

انه في سنة ١٧٧٩م ، في ١ تشرين الاول ، نهار الاثنين ، كان ابتدا حصار جبيل من احمد باشا الجزار ، براً وبحراً . عسكر البر كان عقيده الامير سيد احمد ، اخو الامير يوسف (شهاب) ، ومعه عسكر متاولة ، وعسكر من الشوف . وعسكر البحر ، كانت غلياطات (سفن) الجزار ، معهم مقدار عشرين قطعة في البحر . والعسكر الذي كان داخل جبيل ، كان عقيده الامير حيدر ، اخو الامير يوسف (ايضاً) ، ومعه داخل الحصار الشيخ عثمان شديد (المرعبي) بعسكر عكار ~~ومشايخ بيت رعد~~ بعسكر الضنية . ومشايخ بيت الدحداح برجال بلاد جبيل والفتوح . ومشايخ بيت ضاهر ، ومشايخ الحبة ، ومشايخ الكورة بيت العازار ، وكامل رجال المقاطعات المذكورين .

وفي التاريخ المقدم ، ابتدا الشر براً وبحراً . وانتصب ميزان الحرب ، واشتد البلا والحرب من كل الجهات . وما عاد يعرف قواس من قواس ، من اصوات المدافع والبارود . ولم يزل الحرب والشر دايم ، ليل مع نهار [٥٣]

مقدار ثلاث عشر يوم . وفي غضون ذلك ، كان متسلم طرابلس ، اسعد آغا شديد (المرعبي) ، وجَّه لمساعدة الذين داخل الحصار ، عسكر من ايالة طرابلس . فصده عن ذلك العسكر الذي كان مع الامير سيد احمد ، في المدفون . وكسره ورده الى خلف . وبعد ثلاث عشر يوم المذكورة في الحصار ، رضي الجزار على الامير يوسف ، وفك الحصار عن جبيل . والذين كانوا بها ، كل منهم رجع الى محله . وحصل الامان والراحة ، في كافة المقاطعات .

تاريخ كنيسة افقا

انه في سنة الف واربعماية وثمانين م. قوي عزم المتراحية في المنيطرة ، وعزلوا اولاد قصاص من المشيخة . وبقرب من المنيطرة ، الى نبع نهر ابرهيم بارض افقا ، كانوا الحنفا من قديم الزمان ، بنوا هيكل للاصنام ويطلعوا يصيفوا هناك . ويرتكبوا كل الفواحش .

ويخبر اوسابيوس القيصري ، ان الملك قسطنطين امر بهدمه ، واقام عوضه برجاً متنى (كذا) على اسم السيدة ، لكي يمنعهم عن هذا الفعل الردي .

تاريخ اخذ حصن المنيطرة

في تاريخ احمد ابن سباط ، انه في سنة ١١٤٦ م فتح نور الدين ، احمد ابن زنكي الشامي ، حصن المنيطرة وكان بيد الافرنج .

بعض تواريخ حدثت في طرابلس وما جرى بها في عصرنا هذا وغيره

اولا حصار عبدالله باشا العظم ، الذي جرى في سنة ١٨٠٢ م (الف وثمانمائة واثنتين م.) . وسببه ان مصطفى آغا بربر كان مستقيم في قلعة طرابلس ، ومتولي حكومتها . لانه قبل ذلك كان طلع على القلعة ليلاً في سنة الف وثمانماية واستقام بها ، وحكم المدينة ببطشه وشجاعته . لانه كان رجل ذو بأس ، وفروسية وشهامة . ويرغب بجزّي (اجراء) الحق والعدل من غير محاباة . ولا يقبل رشوة .

وكان اصله من قرية برسا . وله قرابة مع امـارة الكراد الايوبيين ، حكام الكورة . فهذا الآغا المذكور ، حين حكومته في طرابلس ، تغير عليه خاطر عبدالله باشا المذكور اعلاه . وحضر بعسكره الى طرابلس سنة ١٨٠٢ ، وحاصر المدينة ، وشد عليها الحصار مقدر ثلاث اشهر . وبعده قام عن حصارها ، لسبب انه انعزل عن منصبتها ، وحضر منصبها (تبعت ولاية) الى احمد باشا الجزار ، والي صيدا .

واستقام مصطفى آغا بربر متوليها من قبـل الجزار . وبعد موت الجزار (سنة ١٨٠٤ م) ، صارت تابعة لوالي الشام . وفي سنة ١٨٠٨ (الف وثمانمائة وثمان) ، تغير خاطر كنج يوسف باشا ، والي الشام ، على مصطفى بربر [٥٤]. وحضر بعسكر ، وحاصر طرابلس مقدار خمسة اشهر . وكانوا اهاليها ، قبل وصوله ، طلعوا من المدينة ، وتشتتوا في الاقفار من بر ومدن . وتركوا البلاد (البلد) خالية على عروشها (كذا) . وتركوا بعض اسبابهم (امتعتهم) في المدينة . وما بقي بها سوى مصطفى آغا ومن يتبعه في القلعة .

واشتد الحصار على القلعة المدة المذكورة . وعسكر الوزير ملك المدينة ، واخذ منها اسحات وارزاق واموال ، شي لا يحصى عدده ، ولا يمكن رقمه ، يفوق ويعسر عن وصف جمعه . وبعد هذا تواسط امر طرابلس سليمان باشا (العادل) والي صيدا بعد الجزار ، واخذ مصطفى بربر من القلعة لعنده لصيدا . وتسلم يوسف باشا طرابلس وقلعتها ، وحط بها متسلم علي بيك الاسعدي ، ابن شديد مرعب حاكم عكار ، الذي كان متقدم ومساعد قدام الوزير ، في حصار قلعة طرابلس .

ورجع يوسف باشا الى الشام . وبعد ذلك بسنتين اي ١٨١٠ (الف وثمانمائة وعشر) ، حضر منصب (تحولت ولاية) الشام الى سليمان باشا ، والي صيدا المذكور اعلاه . واذ لم يقدر على مقاومة يوسف (باشا) وقيامه من الشام ، استعان بمساعدة سعادة الامير بشير الشهابي ، البطل الشجيع والليث الجسور . وسعادته توجه بعسكر من الشوف ، مقدار عشرة آلاف . وتلاقى مع سعادة سليمان باشا . وتوجهوا جملةً لقرب الشام .

فطلع اليهم يوسف باشا بعسكر عمل معهم هوشة (معركة) وباتت الكسيرة عليه (انكسر) ورجع الى الشام. وفي تلك الليلة، ولّى هارباً من الشام. وتاني يوم دخل سعادة الوزير، وسعادة الامير بشير، بعساكرهم الى المدينة. وتولوا احكامها وتدبيرها. واستقام سعادة الامير بشير كم يوم في المدينة، ورجع الى مقر حكومته، الى دير القمر. وبعد مدة وجيزة، سعادة سليمان باشا رجّع مصطفى آغا بربر الى طرابلس متولي بها، كما كان بها سابقاً. واما القلعة لم سلمه اياها. بل ليستقيم في المدينة، ويتولى احكامها كما شاء. وكان رجوعه الى طرابلس سنة ١٨١٠. ولم يزل حاكماً بكل عدل وانصاف الى يومنا هذا (١٨١٩). ويدوم الى وقت يريده الله.

تاريخ فتح جزيرة ارواد (وبعض حوادث)

انه في سنة ١٣٢٥ م فتحت جزيرة ارواد، التي قبال طرطوس، في البحر. حاصرت يوم واحد. وقتل من الافرنج نحو الفين. واخذوا منها الى دمشق نحو خمساية يسير (اسير).

[٥٥] وفي تاريخ سنة ١٣٣٩ م، نزلت نار سماوية، في اعمال طرابلس، فاحرقت كثير من الشجر والزرع.

اخذ جزيرة قبرس: في سنة ١٥٢٣ م السلطان سليمان اخذ جزيرة قبرس وقتل من عسكره، ومن المدينة، قتلاً كثير.

باشوية طرابلس: في سنة ١٥٧٩ م ابرز السلطان امرًا بان تكون طرابلس باشوية لتنكسر شوكة ابن عساف. وتولى بها يوسف ابن سيفا التركماني. وهو كان اول باشا قام على طرابلس. ~~لان قبلها (قبلئذٍ) كان~~ يحكمها سنجق. وبرها مفرق بيد حكام البر، واكثر مراجعتها لوالي الشام. لكون كان بها جملة ضيع تماربة (كذا) لعيان الشام.

تاريخ كرسي مار بطرس وغيره

اولاً قيام كرسي مار بطرس، في انطاكية سنة ٣٨ م واستقام بها سبع

سنين . ونقل كرسيه الى روميه ، سنة ٤٥ م واستقام بطرس في كرسي رومية خمس وثلاثين سنة . وتنيح (توفي) . وصار كرسي الروماني بيد خلفايه الى يومنا هذا . ويدوم بنعمة الله الى انقضاء العالم .

ويذكر ايضاً ، في كتاب « نزهة رومية » المطبوع في سنة ١٧٨٤ ، الذي وجدناه عند قدس سيدنا المطران اسطفان الدويهي ، وقدسه نقل هذا التاريخ من الفرنجي للعربي ، في ٩ آب سنة ١٨١٧م . ويذكر في هذا الكتاب عينه عن عدد البابوات ، الذين قاموا في كرسي رومية ، من سنة سبعين ، بعد نياحة مار بطرس الى الآن ، اي الجالس يوميذ البابا بيوس السابع ، في سنة ١٨١٧ . جملتهم ٢٥٥ (مائتان وخمسة وخمسون) بابا .

ويذكر في هذا الكتاب عينه ايضاً ، عن كنيسة مار بطرس . طولها ضو ، اشبار عدة ٨٤٠ (ثمانمائة واربعون) . ادرع ٣٣٦ . وعرضها ، اشبار ٦٤١ . ادرع ٢٩٦ . وعلوها ، أشبار ٢٢٥ . ادرع تسعين .

ويذكر في هذا الكتاب عينه ، عن عدل الميل ، قصب ، عدة ٦٦٢ . وكل قصبة ، اشبار عدة ١٠ (عشرة) . تبلغ اشبار ذلك عدة ٦٦٧٠ (ستة الاف وستمائة وسبعين) . وعن كل عشرة اشبار ، اربعة ادرع . يكون طول الميل مسافة ادرع ٢٦٦٨ . تم .

تاريخ المجمع اللبناني

التأم في سيدة لويزة ، في زوق مصبح ، من اعمال كسروان . التامه في اول شهر ايلول سنة ١٧٣٦م ، في رياسة البطريرك يوسف الخازن ، رئيس المجمع . وكان بحضور المنسنيور السمعاني الحصروني ، الذي حضر قاصد رسولي لالتئام ونظام هذا المجمع . وكان في ذلك المجمع مطارين طايفتنا المارونية عدة ١٣ . وكذلك روسا عام الرهبنات ومديرينهم ، واعيان [٥٦] الطايفة ، والمرسلين الذين انوجدوا في بلاد سوريا .

واثبت هذا المجمع الحبر الاعظم اكليمنضوس الثاني عشر ، بموجب برآت

رسولية محررة في ايلول سنة ١٧٤١ . وكذلك اعتنى بطبعه عربياً الشيخ عندور الخوري . وانطبع في مار يوحنا الصابغ الملقب بالشوير ، في معاملة كسروان سنة ١٧٨٨ .

تاريخ كراسي ملتنا المارونية

كما يذكر في المجمع اللبناني ، انه في سنة ٦٨٦ م الى سنة ١٧٣٦ ، لوقت المجمع اللبناني ، وضعت بطاركتنا كراسيها ثلاثة اماكن ، وهي ابرشية جبيل ، وابرشية البترون ، وابرشية طرابلس . فاولاً قام كرسي البطركية في دير مار يوحنا مارون ، في قرية كفرحي ، في ابرشية البترون ، في ايام رياسة البطويرك يوحنا مارون .

ثم نقلت ثانياً الى سيدة يانوح ، في ابرشية جبيل ، في ايام البطرك يوحنا ، ابن اخت البطرك يوحنا مارون . ثم نقلت ثالثاً الى دير سيدة ميفوق ، في وادي ايليج ، في ابرشية البترون سنة ١١٢٠ م (الف ومائة وعشرين) . ثم نقلت رابعاً الى مار الياس لحفد ، في ابرشية جبيل ، بايام البطرك يوحنا اللحفدي . ثم انتقلت خامساً الى دير سيدة هابيل ، في ابرشية جبيل . ثم انتقلت سادساً الى سيدة يانوح ، في ابرشية جبيل ، في رياسة البطرك ارميا سنة ١٢٠٩ م (الف ومائتين وتسع) . ثم نقلت سابعاً الى دير مار قبريانوس كفيفان . ثم نقلت ثامناً الى دير مار يوحنا مارون ، في كفرحي . ثم تاسعاً الى دير مار جرجس في الكفر ، في ابرشية جبيل . ثم نقلت عاشراً الى دير سيدة يانوح . ثم نقلت حادي عشر لسيدة ميفوق . ثم نقلت ثاني عشر الى دير مار سركيس حردين . ثم نقلت ثالث عشر الى دير سيدة قنوبين ، في جبة بشري في سنة ١٤٤٠ (الف واربعمائة واربعين) ، كما يذكر مؤلف المنارة (الدويهي) في تاريخه . وكان ذلك في ايام رياسة يوحنا الجاجي ، وهو اول بطرك سكنها (سكن قنوبين) .

تاريخ بطاركتنا الذين سكنوا هؤلاء الكراسي كما محرر اعلاه

هؤلاء اسامي بطاركة الموارنة ، منقولة من تواريخ مار بطرس في رومية ، من اللاتيني الى العربي .

[٥٧] ١ً البطرك بولس تاواغان ، الذي هو الثامن والستون ، من عدد البطاركة السابقين هذا البطرك . وهو حكم اربع سنين . وتوفي سنة ٦٦٥ م .
٢ً البطرك يوحنا مارون سنة ٧٨٧، وتوفي سنة ٨٠٧ . هذا من رهبان القديس مارون .
٣ً البطرك كوريوس ، ابن اخت مار يوحنا مارون
٤ً البطرك جبرايل . هذا قطن كفرحي
٥ً البطرك يوحنا من دملصا . قطن سيدة يانوح
٦ً البطرك توفيلوس
٧ً البطرك غريغوريوس من حالات
٨ً البطرك اسطفان
٩ً البطرك مرقوس من انطاكية
١٠ً البطرك اوسابيوس
١١ البطرك يوحنا من حمص
١٢ البطرك غريغوريوس
١٣ البطرك تاوفيلكتوس
١٤ البطرك يشوع من الشام
١٥ البطرك ديمطوس من بيروت
١٦ البطرك يوسف من جبيل سكن سيدة يانوح
١٧ البطرك جرجس من البترون سكن ميفوق
١٨ البطرك بطرس من سار جبيل قام سنة ١١٢١ ، سكن ميفوق
١٩ البطرك اثناسيوس من عكا
٢٠ البطرك غريغوريوس من اهدن
٢١ البطرك مرقوس من صور
٢٢ البطرك أكليمنضوس من انطاكيه
٢٣ البطرك مخايل من تولة البترون
٢٤ البطرك بولس من كفر صارون الجبة
٢٥ البطرك سمعان من الشام
٢٦ البطرك زكريا من بان
٢٧ البطرك صاموئيل من بقوفا ، من بيت الرز
٢٨ [٥٨] البطرك يوحنا من عقتنيت
٢٩ البطرك دانيال من طرابلس
٣٠ البطرك بطرس من سار جبيل
٣١ البطرك موسى من كفرزينا
٣٢ البطرك بولس من حيفا
٣٣ البطرك يوسف من شدرا
٣٤ البطرك مارون من بكفيا
٣٥ البطرك ابرهيم من الناصرة
٣٦ البطرك حزقيال من درب السين (فوق صيدا)
٣٧ البطرك انطون من لحفد
٣٨ البطرك الياس من حاقل
٣٩ البطرك اندراوس من بيروت
٤٠ البطرك كيريلس من قبرس
٤١ البطرك اثناسيوس من صور
٤٢ البطرك يوياقيم من القدس
٤٣ البطرك الياس من البترون
٤٤ البطرك لوقا من راسكيفا

٤٥ البطرك مخايل من بيروت . هنا حتى هذا اضطهاد البطاركة
٤٦ البطرك يوحنا من حمص
٤٧ البطرك شمعون من القبيات
٤٨ البطرك ارميا من يافا
٤٩ البطرك زكريا من القدس الشريف
٥٠ البطرك يوحنا من حاقل
٥١ البطرك شمعون من انطاكية
٥٢ البطرك آشعيا من بجة
٥٣ البطرك داود من عكار
٥٤ البطرك غريغوريوس من عرقا
٥٥ البطرك الياس من تل سيل
[٥٩]٥٦ البطرك سمعان من عرجس
٥٧ البطرك فيلبوس من حصرون
٥٨ البطرك يوسف الجرجسي
٥٩ البطرك بطرس من جبيل
٦٠ البطرك جرجس من حالات
٦١ البطرك انطون من غزير
٦٢ البطرك يعقوب من رامسات (البترون)
٦٣ البطرك يوحنا من لحفد . توفي سنة ١١٧٣ .
٦٤ البطرك ارميا العمشيتي . هذا القديس دخل الى رومية وحضر مجمع لاتران الثاني وتوفي سنة ١٢٣٠ (الف ومائتين وثلاثين)
٦٥
٦٦ البطرك دانيال من شامات، توفي سنة ١٢٣٨
٦٧ البطرك لوقا من بنهران
٦٨ البطرك يوحنا من اللاذقية
٦٩ البطرك شمعون من بلوزا
٧٠ البطرك دانيال من حدشيت
٧١ « يوحنا من الماقوره

٧٢ البطرك جبرايل من حجولا . حكم ١٠ (عشر سنين) . وتوفي شهيداً بالنار خارج طرابلس سنة ١٣٦٧
٧٣ البطرك داود من اهدن . حكم ٧
٧٤ « يوحنا من جاج
٧٥ « يعقوب من الحدث (حدث الجبة بجوار الارز) ابن عيد . حكم ١٢ س .
٧٦ البطرك شمعون الحدثي (حدث الجبة) عاش ١٣٠ ، وحكم ٣٢ س .
٧٧ البطرك بطرس الحدثي ابن حسان . حكم ٤٤ س .
٧٨ البطرك موسى (سعادة) من الباردة (عكار) . حكم ٤٣ ، وتوفي سنة ١٥٢٤م .
٧٩ البطرك مخايل من بيت الرز ، من بقوفا . حكم ٣٤ س .
٨٠ البطرك سركيس اخيه الرزي . حكم ١٦ س .
٨١ البطرك يوسف الرزي من بقوفا (ابن اخي البطريركين مخايل وسركيس)
٨٢ البطرك يوحنا مخلوف هدناني (من اهدن) حكم ٢٤ س .
٨٣ البطرك جرجس ابن عَميرَه ، هدناني . حكم ١١ س .
٨٤ البطرك يوسف العاقوري (من بيت صَليب)
٨٥ البطرك يوحنا الصفراوي (من بيت البواب) من الفتوح
[٦٠] ٨٦ البطرك جرجس من بسبعل (قرب قرية ناشر الكتاب) حكم ١٣ س .
٨٧ البطرك اسطفان الدويهي . حكم ٣٤ س . وتوفي سنة ١٧٠٤ م .
٨٨ البطرك جبرايل البلوزاني . حكم سنة وخمسة اشهر

٨٩ البطرك يعقوب الحصروني (من بيت عواد) . توفي سنة ١٧٣٢ م .

٩٠ البطرك يوسف (ضرغام) الخازن . حكم ١٠ س . كان الشام المجمع اللبناني في ايامه

٩١ البطرك سمعان عواد الحصروني (ابن اخي البطريرك يعقوب عواد) قام سنة ١٧٤٣ وتوفي سنة ١٧٥٦ م .

٩٢ البطرك طوبيا الخازن (الراهب اللبناني) قام سنة ١٧٥٦ وتوفي سنة ١٧٦٦ م .

٩٣ البطرك يوسف اسطفان من غوسطا . قام ١٧٦٦ ، وتوفي سنة ١٧٩٣

٩٤ البطرك ميخايل فاضل من بيروت . حكم عشر سنين و ٣ اشهر

٩٥ البطرك فيلبوس من شوبّا جبيل . حكم عشرة اشهر .

٩٦ البطرك يوسف التيان من بيروت . حكم ١٣ س . هذا تنازل عن الكرسي باختياره الطوعي . قد انتقل هذا البار الطوباوي من دير قنوبين في ١٨ شباط سنة ١٨٢٠

٩٧ البطرك يوحنا الحلو من غوسطا الجالس يومئذٍ على كرسي قنوبين سنة ١٨١٦ (وفي عهده مات المؤلف .)

يقول الناشر :

انتقد هذه السلسلة البطريركية فقيد العلم والادب والصحافة ، المعلم رشيد الشرتوني ، محرر « البشير » الشهير ، في مقدمته عن سلسلة البطاركة للدويهي (ص ٩ و ١٠) ، التي طبعها سنة ١٩٠١ ، وكذلك في صفحة ٤٦ منها . واثبت في هذه الطبعة ايضاً سلسلة العينطوريني هذه . وهو لم يعتقد بصحتها « لانها توصل عدد البطاركة — كما يقول — من ابينا القديس يوحنا مارون حتى اليوم [1] الى مائة بطرك وبطرك . وهذا لم يقل به احد من علمائنا ... ولانها بالاخص مخالفة لما اتى به الدويهي والسمعاني ... » ولو كان الدويهي يقول « انه لم يظفر بكل اسماء البطاركة » .

وينعي المعلم رشيد — في طبعته هذه — على العينطوريني ايضاً ، تاريخ عهد البطريرك جرجس (كذا) من سمار جبيل ، وقد تدبره في نسخة المكتبة الشرقية العربية الحرف ، التي اثبتنا عدم اصليتها آنفاً . اما في نسختنا هذه التي ننشرها الآن — وقد بينا اصليتها المؤكدة في ما تقدم — فالمؤلف يذكر بطريرك اسمار جبيل باسم بطرس ، لا جرجس ...

١) عهد البطريرك الياس الحويك (١٨٩٩—١٩٣١) .

اما مخالفته للدويهي والسمعاني ، فلم تعم السلسلة كلها، بل بعض بطاركة منها . واكثريتها الساحقة تتفق مع تحقيق العلامتين المذكورين .

تاريخ البطريرك جبرايل (حجولا)

والي طرابلس قبض على البطرك جبرايل من حجولا — من اعمال جبيل — في اول نيسان . وامر بحرقه خارج طرابلس ، عند جامع طيلان . لانه كان تهم بتهمة باطلة ، وهو بري منها .

تاريخ ذخيرة مار سركيس عرجس

يذكر مؤلف المنارة (الدويهي) انها نقلت ذخيرة مار سركيس عرجس الى مار سركيس ايطو ، ثلاث مرات ، وترجع الى مكانها . وبعده وضعوها في حيط الكنيسة وسطوا (سدوا) عليها .

تاريح الاذن في اكل اللحم والسمك

انه في سنة ١٦٠٨ ، البطريرك يوسف الرزي اعطى اذن الى روسا الكهنة، انهم ياكلون لحم . وكذلك اعطى اذن مطلق الى كافة طايفته ، انهم ياكلون السمك في صوم الكبير وغيره. لانه قبل ذلك لم كانوا يستعملوا الموارنة ذلك.

مختصر تاريخ جبرايل القلاعي اللحفدي

كانت الموارنة في دخول الاسلام بلد الشام ، تسكن جبل لبنان ، ويحكمون [٦١] باقتدارهم ، القرايا في الجبال والسواحل التي تجاورهم . ويعتقدون في ايمان الكنيسة الرسولية الرومانية ، سايرين بحقوق الطاعة لبطركهم القاطن بينهم . ويحامون عن الدين المستقيم ، وينتصرون لكل من يقبل اليه، منهزماً بفرض الامانة (للحماية) من اصحاب الكفر والبدع . وكانت بلادهم من حدود الشوف ، الى بلد الذُرَيب (في عكار) .

ولخوفهم من الدروز القاطنين بلد الشوف،ابتنوا الحصن المعروف بالقلعة الحجرية، في انطلياس ، والحصن المشهور في درجة نجز صاف . وساموا (رسموا) اسقفاً

لقرية راس المتن ، واسقفاً لقرية بحرصاف ، واسقفاً لقرية بجنس . ثم سعوا في تجديد ونشر قرى وحقول في بيروت القديمة . وغرسوا بساتين وكروم على نهر المرعر .

وكان اميرهم يسكن قرية بسكنتة . ولكثرة رجاله وابطاله ، تعظم بذاته ونزل الى ارض البقاع ، نهبها وقتل فيها كثيرين. ومكث اياماً في قرية قب الياس — سفح الجبل . فلما بلغ خبره سلطان الاسلام في الشام ، وهو عبد الملك ابن مروان ، المتملك سنة ٦٨٥ م ، في ايام يوستينيانوس الاخرم ، ارسل يخادعه بلين الكلام . واهداه هدية ، كأنه يريد مصادقته . وكان قصده اصطياده ولم يزل يمكر به ، حتى تمكن من قتله .

وذلك ان جنود الملك (ابن مروان) كانت تواكله ، وتشرب معه الخمر . واتوه بزانية ترقص قدامه ، الى ان تنشت الحافظه من الخمر ، وحينئذ وثبوا عليه فقتلوه ، وقتلوا من عسكره ، واحرقوا القرية ، وابعدوا الموارنة من البقاع .

وكان ابن اخت (هذا) الامير ، احد مقدمي (قواد) العسكر ، يسمى سمعان ، وكان رجلاً بطلاً شجاعاً ، صاحب مروة ونخوة . ولم يكن راضياً باعمال خاله وفواحش بذخه . فلذلك لما وقعت الواقعة ، هرب مع جملة من المقدمين ، ولم يحاموا عن اميرهم ، لشدة غيظهم منه . بل رجعوا بعد قتله دفنوا جسده في قب الياس ، وامروا ان لا يذكر احد اسمه البتة ، وليكن نسياً منسياً ، بزعمهم انه عاش ومات مرذولاً .

ثم ان العسكر والمقدمين صعدوا الى الجبل . وكانت الاسلام تزحمهم كثيراً . وتواقعوا في البقعة المعروفة بالمروج ، فظفر المقدم سمعان براس قواد عسكر الاسلام، وقتله، وفتك بعسكره ، وهزمهم. ولم تزل الحروب من ذلك الحين ثايرة ما بين الموارنة والاسلام ، من كل الجهات ، الى نحو ثلاثين سنة. وكانت الموارنة على الاغلب غالبة . فحدث من ذلك ان الطرق بطل سعيها ، واستعصت الجبال كلها . فعجزت الموارنة عن القيام في حصن انطلياس [٦٢]، كونه طرف البلاد. فتركوه واتوا الى ناحية نهر الكلب. وابتنوا فوقه حصناً [1]

[1] لم يزل محل هذا الحصن يحمل اسم « البرج » فوق نهر الكلب ، حيث يقوم اليوم دير مار يوسف « البرج » لرهبانيتنا اللبنانية .

استحصنوا به . وعنده صار ايضاً واقعة هايلة جدًا ، وسمع صوت بندقية ، وصراخ ابطالها ، من قرية بحرصاف . وكان المقدم سمعان يوميذٍ في بكفيا . ولما طرقت مسامعه اصوات الحرب ، انحدر اليهم حالًا ، ومعه نحو الف وخمسماية رجل . فادركوا الاعداء عند نهر الكلب ، وداروا حولهم دورة الحرب ، ما بين طعن وضرب ، الى ان افنوهم بحد السيف .

ثم انطلق المقدم سمعان يزور يوسف امير مدينة جبيل . فتلقاه السيد البطريرك غريغوريوس الحالاتي (١١٣٠–١١٤١) ، الذي كان في عهد البابا اينوشنسيوس الثاني (١١٣٠–١١٤٣) الجالس يوميذٍ على كرسي بطرس ، قريباً من المدينة (جبيل) ، وكلّمه (ودعاه) واضافه . وبعد تمام الوليمة ، سار معه الى المدينة . فخرج الامير يتلقاهم خارج السور . وبعد استقباله البطريرك ، احتضن سمعان (عانقه) ، وسلم احدهما على الآخر . وساروا ماشيين الى دار الامير .

وبعد تمام السلام والكلام ، ارسلوا فجمعوا اساقفة البلاد ، من بلد عكار الى حدود الشوف . وكانت عدتهم نحو اربعين اسقفاً . واثبتوا بان سمعان هو الامير على الناصية ، المسماة الآن بكسروان ، وحدودها من نهر بيروت الى نهر ابراهيم . واعطوه البركات والدعا ، وانصرفوا .

وعند تمام المحفل (الاجتماع) ، اوهب امير جبيل الامير سمعان ، عدة من الخيل والجمال ، والرجال . واودعه بيد الرب . وخرج لوقته يحارب الاعداء . ولم يزل في طلب من هرب ، وصد من اقترب ، الى ان احتضنه الكفن ، وقبر في بسكنتا ، بشيخوخة مهابة مكرمة .

وتخلّف بعده كسرى . هذا كان خال سمعان واخ المقتول في قب الياس . ذا سطوة وبأس . وجرت له مع الاسلام وقايع شتى . وسار الى القسطنطينية ، وحضر على ملك الروم فاكرمه ، وحظي بغاية القبول ، واوهبه هبات جليلة ، واثبت امريته (امارته) على كسروان ، واصرفه بالسلام . وعاد راجعاً بالبحر الى ميناء طبرجا . فالتقته اهل البلاد ابهج قبول ، وهنوه بما صار له من الحظ الكريم عند ملك الروم . ودعوا بلادهم باسمه منذ ذلك الوقت « كسروان » ، نسبة لاسم الامير كسرى .

وسمع هذا الامير بخبر كامل ، مقدم لحفد ، انه رجل شجاع يغزو الاسلام، ناحية بلد بعلبك . فاحبه ورغب مصادقته ، وارسل له هدية وسلام مع بعض غلمانه . فارتاب [٦٣] المقدم كامل منه ، وظن انه يريد ان يغدر به . ولذلك بعد ان اكرم المرسلين ، قال بشكل السر معتذرًا : اني لا اقدر اقبل منكم هدية الامير ، بسبب مولاي يوحنا امير جبيل ، لان ذلك يغيظه ويعطبني (يضربني) . واصرفهم من عنده بالطف الكلام .

ولما رجعوا الى الامير مولاهم ، واعلموه الحال ، قال : لا بد لي من مصادقة هذا الرجل . وعاد ثانية يطلب منه ابنته لابنه ، ليتزوجها . فأرسل كامل يستشير امير جبيل بذلك . فاذن له . وتمت الزيجة . بسببها امتزجت الصداقة والمحبة ما بين اهالي جبيل وكسروان . واستمروا مطمانين متبلين بالسلامة والنجاح زمانًا ليس بقليل .

وفي تلك الايام ، ابتنى مسعود ، مقدم قرية حبالين كنيسة مار اسطفان المشهورة ، في القرية المعروفة بغورفين . اما الشيطان الحاسد الخيرات ، فلم يحتمل حسن حال الناس . واهجس لراهبين خبيثين ، احدهما كان من قرية يانوح، والآخر من دير نبوح[1] ، في سنة ١١٤٥ . وقالا : ان المسيح لم تكن له روح مخلوقة ، وان طبعه غير قابل الاوجاع والآلام . وافسدوا رأي الناس . ووقع انشقاق . وبلغت اخبارهم الى رومية . فأرسل البابا رسلًا تنذرهم عن ضلالهم . فلم يقبل البطريرك رسل البابا ، لان كان قد سقط في البدعة . وكان يسمى لوقا من بنهران[2] .

وكثر الشر في البادي (البدء) من قبل انشقاق المذهب . وافتتنوا ، حتى بلغت اخبارهم مسامع الملك الظاهر برقوق . وافتكر بانها فرصة وقت لاخذهم ، والظفر بهم . فلم يتكاسل بارسال العساكر . واحاطت بجهات كسروان .

١) قرية في شمالي لبناني ، جنوبي زغرتا .

٢) قرية في قضاء الكورة ، شمالي لبنان ، سكانها اليوم متاولة . والبطريرك لوقا كان دخيلًا لم يقبله الشعب ، بل اجتمع للحال ، وانتخب له البطريرك ارميا الدملصاوي (١٢٨٣-١٢٩٧) .

وحاصروها اشد حصار ، مدا (مدة) سبع سنين ، وتغلب عليا . ومكث السيف والنهب والسبي ثايرًا في جبالها نحو اربعة اشهر ، بملحمة حرب لا يطاق ، حتى ملت وكلت العساكر من الطرفين ، موارنة واسلام .

ثم ابتدت عساكر الاسلام تحرق كسروان . واضطرمت النار في الغابات والاملاك ، والقرى وكل مكان لان في السبع سنين لمذكورة ، صارت الارض ، لعدم الفلاحة والاهتمام بيا ، كلها بورًا . وارتفع الشجر والعشب البري في الحقول . وتمكنت النار من حريقها اربعة اشهر ، من اول حزيران الى اواخر ايلول . ولم ينجو من هذا الحريق مكان ، سوى حصن معراب .

واضجعت النصارا تبكي وتندب [٦٤] كسروان ، وكسرها الذي لا يجبر . لانها انقلبت قبرًا لاهلها . وصارت برية مستوحشة ، ليسكنها البوم والوحش الكاسر ، وتطرقها اللصوص والخوارج . هذا ما جرى بكسروان .

اما بلاد جبيل والبترون ، فكان اميرهم قايمًا مع رجاله ، عند نهر ابرهيم ، يحمي الحدود . فهالته بلوة (نكبة) كسروان ، وعظم خوفه . وايقن ان الله غضب لحال الهرطقة التي دخلت على الناس . فراسل البطريرك ، واحضره لديه ، وكان يسمى ارميا [١] . وكلمه واقنعه بان يذهب الى رومية بنفسه ، ويقدم طاعة للبابا ، ويستغفر لشعبه ، ويأتيهم بالبركات .

ولان السفن كانت بدأت في ذاك الوقت ان تقلع ، ما امكن البطريرك ان يذهب الى عمشيت ، قريته ، ليرتب منزله ، بل سافر حالًا بمنزلة راهب فقير يصحبه شماسه فقط . ووضع وكيلًا عوضه ، المطران تادروس من كفرفو [٢] .

١) الدملصاوي المذكور . . .

٢) المؤلف هنا مسوق بالغلط الذي خبط فيه جميع المؤرخين ، قبله وبعده . وقد اعتقدوا ان ارميا العمشيتي وارميا الدملصاوي انما هما واحد ، تارةً يسمونه العمشيتي ، واخرى الدملصاوي ، من قرية دملصا ، وهي اليوم خراب فوق عمشيت . الى ان اهتدى الى جلاء هذا الغلط المرحوم صديقنا البحاثة القدير ، الاب طوبيا العنيسي ، من بيت شباب ، الراهب الحلبي اللبناني . فاكتشف حاشية خطية سريانية ، على ورقة ١٧ من كتاب الاناجيل ، المحفوظ تحت رقم واحد ، في المكتبة المادية ، في مدينة فيرنسة بايطالية ، مؤداها ان هناك بطريركين باسم ارميا العمشيتي (١١٩٩–١٢٣٠) ، وارميا الدملصاوي (١٢٨٢–١٢٩٧) . والبطريركان

وتكفل له الامير بلوازم بيته ، الى ان يرجع. ووصل الى رومية سنة ١٢٠٩ . ولم يعرفه لحال فقره احد .

ولما اشهر ذاته للبابا اينوشنسيوس الثالث (١١٩٨–١٢١٦) ، بكى عليه ، ونزع وشاحه وطرحه على كتفيه . وسأله : من الذي عراك ، لانه توهم ان اللصوص سلبوه . فاخرج حينئذٍ البطريرك الاكليل الذي كان معه ، وقال : هذا سلب كرامتي ، وهذا امرني بالقدوم مسرعاً اليك ، لكيما احظى عاجلاً ببركاتك والغفران عن شعبي .

فاستغرب البابا خطابه ، واقتناعه . واعرض عليه بان يقدس ، ممتحناً بذلك دلالة على صدق قداسته . وكان جميع من حضر يرقبه ، ويشيره . فلما خدم القداس ، ورفع الرفعة ، وانزل يديه ، بقي القربان الالهي واقفاً فوق راسه . فصاح به البابا مختبراً ايضاً فضيلته : انزل بالقربان المقدس ، فهذا محد باطل لا يفيدك. فرضخ القديس (البطريرك) وقته (حالاً) لامر البابا، وانزل الجسد الالهي ، واكمل الخدمة (القداس) ، واذهل الناظرين . وصار عندهم من ذلك الحين بمنزلة قديس نفيس ، وانعم عليه البابا بكل ما طلب . وابقاه عنده في رومية خمس سنين ونصف . وحضر المجمع العام المآتم برومية .

ثم رجع الى الشرق ، ومعه الكردينال غرليلموس، ليكشف عن الموارنة، ويأخذ صورة اماناتهم بخط ايديهم . وكان خروجهم من رومية سنة ١٢١٥ ، في ٣ كانون الثاني . فبلغوا الى مينا طرابلس الشام ، وتبادروا اليهم الناس ، واستقبلوهم اجل قبول . وصعد بهم اسقف قرية كفرفو وكيله (كما سبق) الى بيته . وفيه اظهروا ما معهم من بركات البابا .

ذهبا الى رومية ، مما ادى بالمؤرخين الى الخلط بينها . اما ذهاب المشيتي فلحضور المجمع اللاتراني سنة ١٢١٥ ، تلبيةً لدعوة البابا اينوشنت الثالث (١١٩٨–١٢١٦). واما الدمنصاوي فقد اوفده الى رومية سنة ١٢٨٣ ، امير جبيل والاساقفة وسائر الاكليروس والشعب ، لتقديم الخضوع الى البابا مرتينوس الرابع (١٢٨١–١٢٨٥) . وقد عهد بادارة الطائفة ولبنان – في غيابه – الى المطران تادروس من كفرفو . ومن رام زيادة تثبت من حل ذلك الاشكال ، فعليه بكتاب الاب عنيسي المذكور « سلسلة البطاركة الموارنة » بالعربية ، طبعة رومية سنة ١٩٢٧ ، ص ١٩–٢٣ و ٢٦–٢٧ .

واخذ البطريرك يحل الناس من اللعنات والحرومات [٦٥] اللاحقة المراطقة. ثم امر باجتماع مجمع ، وفيه قرروا رفع البدع ، والطاعة لصاحب الكرسي الروماني . ووضعوا خطوط ايديهم بحضرة الكردينال. وكانوا بالعدد نحو مايتين وسبعين نفرًا . واستقام حسن الايمان والعبادة منذ ذلك الوقت في لبنان . الى ان تنيح (توفي) البطريرك في دير ميفوق ، ودفن في سنة ١٢٣٠

ومن بعده بثلاث سنين تنيح ايضاً امير جبيل (يوسف) ، وتخلّف بعده ابنه يوحنا . ولانه كان صغيرًا بالعمر ، تدبيره المقدم باخوس ، حاكم الجبال . فلم يوافق اهل جبة المنيطرة (بلاد جبيل اليوم) ذلك . لان بدعة يعقوب كانت دخلت في الكثير منهم . وافتتنوا وقاموا عليهم اميرًا ، رجلًا كان من مقدمي لحفد ، وساموا لهم مطراناً يخصهم . وكان البطرك يومئذٍ يسمى دانيال ، اصله من قرية شامات ، راهب من رهبان وادي علمات ، وله في قرية رامات اقارب . فأخذوه الى عندهم ، لعظم الفتن ، واسكنوه قريبهم في دير قبريان (مار قبريانوس) الذي في قرية كفيفان سنة ١٢٣٦ . واستمر الانشقاق ثائرًا في بلدي جبيل والبترون .

في بلاد الجبة ودير قنوبين

اما ما كان في بلدة الجبة ، فهو ان احد الملوك كان هارباً بالخفا من وجه مملكته . فاتفق عبوره في وادي قاديشا . ومال الى عند احد الرهبان الساكنين فيه . فاضافه الراهب ونيّحه (اراحه) ، من غير ان يعلم من هو . واظهر له حباً واكراماً .

وبعد ايام اعيد الملك الى كرسيه . وذكر محبة الراهب. واحب ان يصنع معه معروفاً . فأمر ان يبني في ذلك الدير كنيسة كبيرة ، الدير المعروف بقنوبين . واجزل اليه الانعامات . فسمع لهذا الخبر في كل مكان . واقبل بسبب الاحسان الواصل من الملك كثير من رهبان تسكن الوادي . منهم اقباط سكنوا دير الفراديس ، الذي في قرية بان[1] سنة ١٢٦٢ . وكانوا

[1] دير الفراديس هو في وادي قاديشا . وهو والمزرعة الحاملة اسمه من املاك دير قزحيا الشهير . وكانت الفراديس وديرها في خراج قرية بان .

(الاقباط) في الظاهر رهبان ، وفي الباطن اشرار . عددهم اربعين نفرًا . وصار لهم دالة والفة مع سكان الجبة .

اخيرًا اكتشفت احوالهم انهم فسقة (فاسقون) قتلة ، سُرّاق . واعلموا مقدم بشري بحالهم . فاتاهم ليلًا مداهمة ، واطلع على خبثهم ، وقتل كافتهم. ومنذ ذلك الحين ، تعاهدت اهالي الجبة بانهم لا يساكنوا اراتيكي ، ولا كافر . واقاموا عليهم حاكمًا ورقيبًا ، في ذلك المقدم المذكور. وكتبوه بالرقيب، وكان شدياقاً ، سنة ١٢٥٠ . واكمل عمره باستقامة الايمان والاعمال ، ومات .

وتخلف بعده ابنه ، وكان يسمى سالم . لكنه لم يشابه والده بل كان ظالمًا قاسيًا ، مفرطًا بالطمع وحب الفضه . ولذلك كان يحمي من يحتمي به اين (ايًا) كان ، من غير افراز ، طمعًا بالكسب الدنياني (الدنيوي). ومن هذه الجهات [٦٦] ، صارت الاراتقة تقصده ، ويسمح بسكناهم في البلاد. ولمباشرتهم له ، جذبوه الى سوء معتقد اليعاقبة. لانهم كانوا من صدد (الشرق في سورية بجوار حمص) . وكان اناس ايضًا من نواحي حوران ، مقومين بسقم الملكية . وهولا سكنوا قرية ادنيت[1] ، وافرغوا سمهم فيها .

فتمقم (تبرم) البلاد لعدم تمييز المقدم . وتجنبوه ، واظهروا له البغض . ولخوفه منهم ، اختص بجماعة اليعاقبة ، ومن قال قولهم . وثارت ايضًا نار الفتن في الجبة ، كما هي في بلدي (بلادي) جبيل والبترون . وبلغت اخبارهم الى الشام ، واستبشرت الاسلام بافتتاح طرابلس ، العاصية بحماية الجبال (بحماية الموارنة . . .) وارسلوا العساكر حاصروها ستة اشهر . وفيما هم بتلل هذا الحال ، نزل عليهم راهب كان ساكن في مسار اسيا ، تحت قرية حصرون ، وبشرهم بانهم يفتحون المدينة في غرة شباط . فوعدوه ، ان تم قوله ، بهبات جليلة . ولما صار كما قال ، وظفروا بالمدينة ، جعلوه من ارباب المشورة ، واكرموه .

فوقع الخوف على يوحنا ، امير مدينة جبيل . ولما بلغه قدوم عساكر الاسلام ، نزل مع اهل مدينته في السفن ، واقلعوا في الليل . وعند الصباح ،

---

١) هي اليوم خراب ومن املاك قرية سرعل وكر سدّة ، في جبة بشري .

وصل العسكر الى المدينة ، فوجدوها خالية . وابوابها مقفلة . فكسروا الابواب ودخلوا ، فلم يجدوا سوى الحيطان .

واما اهل الجبال ، فثاروا غيرة الدين ، وجمعوا ثلاثين الف مقاتل . ووضعوا منها الفين في وادي الفيدار ، والفين في وادي المدفون . والباقي انسكبوا نحو المدينة على الاسلام كالسيل وانزلوا بهم الويل . وهاجت المقدمون هيج الابطال . منهم خالد مقدم قرية مشمش ، اقتحم قايد عسكر الاسلام ، وقتله بسيفه . ومثله باقي المقدمين ، كانوا يزئروا كالسباع . يفتكوا بمن اقترب ، ويدركوا من هرب . ولم يزالوا في طعن وصد ، واخذ ورد ، وتفر وسد ، الى ان صادموا سور المدينة فتثروه ، والحقوا الذين داخله بخارجها ، وتركوها خربة .

والذين انهزموا ولم يلحقوهم ، فوقعوا بيد عسكر الفيدار والمدفون . وهكذا افنوا عسكر الاسلام بالتمام . ثم وافت النجدة في طرابلس ، فتلقتها عسكر وادي المدفون ، واوقعوهم عند وادي الزلان (او اللزان) ، وصار قبرهم الى الآن .

ثم افتقدوا المقدمين ، فلم يجدوا احد قتل منهم سوى مقدم حردين ، فدفنوه . واخذوا الغنائم ، وصعدوا ، واقترعوا عليها في بقعة قرية معاد ، وقسموها ثلاثين سهماً لثلاثين مقدم. وكان لسالم مقدم بشري سهم من جملتهم. فارسل البطريرك يمنعهم من ان يعطوه نصيبه . نعم لانه يعقوبي المذهب . فساروا اليه [٦٧] وحكموا بان يقام مكان سالم مقدم آخر رقيب على الامانة (الايمان) .

وكان اجتماعهم في كفرحي . وفيما هم بالخطاب ، واذا بغلام يقول نحو البطريرك بلغة السريان : « نقولا المنحدر في عقبة حيرونا قاصد تدسك ، هو يكون المقدم والرقيب » .

فبهت الجماعة (المجتمعون) لقوله ، وسأله البطريرك : من هو هذا نقولا ، وابن من ؟ فاجابه : « الله يعلم ابن من هو . » فقالوا لعلها آية . وصاروا كالمنتظرين خبراً . فوافاهم الخبر بان شرذمة من الاسلام كانت تنزو على نهر رشعين . فالتقى بهم نقولا وحده ، وقتل منهم عشرين رجلاً .

وفيما يتكلمون ، وصل نقولا ، ومعه من الفنية اربعة من الخيل قدمها للبطرك . ثم احكى له حلماً احتلمه في الليل وقال : فيما انا نايم ، رأيت رجلاً يقول لي : يا نقولا ، قم اهتم في اهل لبنان الاشرار . نعم هوذا انا قدامك يا سيدنا ، ان رمت فانني اشاء ان اطهر الجبة من زرع سالم وهرطقة اليعاقبة. فحسن كلامه في مسامع البطريرك والجماعة . واقاموه مقدماً ، وقلدوه الحكم على الجبة ، والنظر في اهلها في الايمان . واوهبه نصيب سالم المرذول . ورجع لوقته الى الجبة .

وكان دخوله اليها في الليل . فعرفت به الهراطقة ، فانهزموا من قدامه ، ونظفت البلدة (البلاد) من البدع والانشقاقات ، وصار هدو وسكون بليغ في الكنايس كلها . وتقوت العبادة ، ونمت القداسة ، لا في الجبة فقط ، بل في بلدي جبيل والبترون ايضاً . واستمروا فرحين مقباين بحسن العيش ، بصحة الامانة (الايمان) ارجح (اكثر) من اربعين سنة .

فلم يحتمل الشيطان ان يراهم في مثل هذه الحال . واهجس لاحد الحبساء واقلقه بالضجر ، وجعله يمضي الى جبال ماردين وصدد ، واخذ رتبتهم ومذهبهم (اليعاقبة) . وتعلم طقس كتايسهم . وجاء بذلك الى لبنان . وكان اسمه اليشع . استحبس في محبسة مار سركيس ، فوق مار ابون . واندست مرة اخرى راية يعقوب في الجبة ، بسببه . لكن الرب انتقم منه سريعاً وذلك انه في بعض الايام ، بينما كان الخبيث نازلاً من محبسته، سقط متبوراً ومات .

اما اهالي الجبة الذين تبعوه ، فصاروا يرشوا البطريرك لكيما يسكت ، ولا يصدهم في مذهبهم . ومن قبل سكوته انقسمت ~~الاساقفة وآل الاكليروس~~ قسمتين . وحصل (صار) نقولا الرقيب معذباً ، حايراً ما بين الفئتين .

اما اهالي بلدي جبيل والبترون ، حين عاينوا ما كان ، خلعوا عنهم طاعة البطرك المراني . لكنهم لم يتنحوا عن المقدم نقولا الرقيب . بل قطعوا كل وداد والفة كانت لهم مع اهالي الجبة ، لانهم لم يشاؤا [٦٨] بانحراف امانتهم البتة .

فلما سمعت الاسلام بتحزب اهل الجبال ، نهضوا لغزوهم ، وصاروا يقتلوا

ويسبوا ويخطفوا ويتلفوا . ووضعوا ايديهم على كثير من القرى . وفي مثل هذا الحال هاج محفل (جمهور) من اهل الامانة المستقيمة على البطريرك ، وحطوه من كرسيه ، ومات منحطاً . واقاموا عوضه راهباً اصله من حجولا . فتقلبت على هذا ايضاً الاراتقة ، واتهموه بالكفر والزنا ، واحرقوه بالنار . ومات مظلوماً .

وكان غضب الله يتعاظم على بني مارون . وذلهم تحت يد الاسلام . وادوا الجزية ، وصاروا كالتائبين الخايرين . وبقيوا على مثل ذلك زماناً ، الى ان الله ارسل اليهم اومرياكوس ، راهب من رهبان مار عبد الاحد سنة ١٣٠٥ . واخذ ينذرهم ويوضح لهم بان بلوتهم ، من قبل ارطقتهم . فانتبه لقوله كثيرون . وندموا على ما فعلوا ، ورجعوا الى الايمان المستقيم . ولعنوا يعقوب ومذهبه الوخيم . وقرروا وجوب الطاعة للكرسي الروماني .

وأرسل اومرياكوس اتاهم ببركات من رومية . واقاموا لهم بطركاً واساقفة مستقيمي الراي . واسكنوا البطريرك في سيدة هابيل . وكان يسمى يوحنا اللحفدي . وبقيوا بحسن الامانة ، الى ايام البطرك يوحنا الذي من قرية جاج . وتنيح (توفي) بسلام .

وبعده قام البطرك يعقوب الحدثي ، وهو الذى احتمل اضطهاد عبد المنعم مقدم بشري ، الذي مات يعقوبي . وهذا البطرك كان يسكن دير قنوبين . وفي ايامه ظهر في الارطقة اولاً ابن شعبان ، مقدم حردين . وهذا كان اولاً ملكي وانقلب ماروني ، ثم يعقوبي . وانحسب معه ابنه واهل قريته . وذلك لمعاشرتهم اسقف يعقوبي يسمى عيسى .

واتصلت الهرطقة من قبل صحبتهم راهبين كانا يسكنا الفراديس ، اصلهم من لحفد . احدهما يسمى سميا . وكان سيرتهما ذات ورع وتعفف . ومنها دخلت الهرطقة ايضاً على البعض من اهالي لحفد . وهذه مرة رابعة من سقوط لحفد في البدع ، ودخول الانشقاق في بلاد جبيل .

اما عبد المنعم ، مقدم بشري المذكور ، اقتدا بسميا السابق ذكره ، وسقط معه في حفرة يعقوب (البدعة اليعقوبية) . وقاصره (عاقبه) الله بالامير احمد ، ونكت

بيته وتربته. وهذه الاخبار حررتها بيدي، انا جبرايل القلاعي، طالباً الثواب.

رسالة الخوري يوسف مارون الدويهي الطرابلسي

يقول الناشر : ان هذه الرسالة على قسط من الخطورة . فادخلها المؤلف في صلب كتابه هذا ، مشكلًا بها مادة رئيسية من مواده ، ومميزًا اياها كل الاكتراث . ولما كان كاتبها احد اعلام الاكليروس الماروني الانفاذ ، ومن « نوابغ المدرسة المارونية الاولى » في رومية ، الذين ترجم بعضهم في هذا « المشرق » الاغر ، فقيد العلم المرحوم الخوري بطرس غالب المكرزل الشبابي المشهور ، على ما يعهد القراء الكرام . اجل ، لما كان ذلك ، تحتم علينا ان نقدم على نشر هذه «الرسالة الخطيرة» للمرة الاولى ، بتعريف صاحبها الى قرائنا الفضلاء ، تعريفاً يوقفهم من حقيقته على قدر ما تيسر المعلومات الموفورة[1] .

ويجيء تعريفنا هذا حلقة جديدة ، ننظمها الآن في سلسلة ابحاث المرحوم الاب غالب ، كما نظمنا فيها من قبل ترجمة العلامة الكبير ، القس جبرائيل الصهيوني الكرمي الاهدني (١٥٧٧ — ١٦٤٨) ، في مجلة المشرق هذه [٣٨ (١٩٤٠) ٢٥٣ — ٣٠٤] .

فالمترجم به اذن ، هو « الخوري يوسف مارون الطرابلسي » ، حسبما يدعو هو نفسه ، في مستهل رسالته هذه ، وفي توقيعه سائر رسائله ومحرراته كما سيأتي. وهو من الاسرة الدويهية الاهدنية ، الشهيرة بعلمائها واحبارها ، واعيانها من مشايخ وحكام ، مما يعلمه اهل البحث والتاريخ ، ولاسيما ما ينطق به هذا المخطوط في اكثر من موطن في مطاويه... واكفى دليل على ذلك ذكر ابنها البار الابر ، نابغة الشرق وعمود الكنيسة ، البطريرك اسطفان الدويهي ، عم جد المترجم به...

واذا دعى نفسه بالطرابلسي ، فذلك ان فرعاً من اسرته الاهدنية العريقة ، استوطن طرابلس ، فكان هو من مواليدها ، وحمل اسمها في نسبته ، كما هو الشأن اذ ذاك — ولم يزل في كثيرين اليوم — في انتساب الاغلبية الساحقة ،

---

[1] نأخذ هذه المعلومات عن كتابنا الضخم في تاريخ ابرشية طرابلس المارونية ، ومن مباحث المرحوم صديقنا العلامة الخوري ابرهيم حرفوش ، المرسل اللبناني الشهير ، في مجلة جمعيته « المنارة » : ٧ (١٩٣٦) ص ١١٣—١١٧ ، ثم ١٨٤—١٨٧ .

في لبنان والشرق ، الى مواطن الولادة والاقامة الدائمة .

اما والده فيجب ان يكون ابن شقيق المطران اسطفان الدويهي — الثاني بهذا الاسم — مطران البترون سنة ١٧٢٨ وما اليها ، وابن اخي البطريرك اسطفان الدويهي الكبير . فان اصول التاريخ في خزانة بكركي تسمي الخوري يوسف هذا حفيد المطران اسطفان ، وتدعو هذا المطران جداً له . ولما كان المطران اسطفان هذا متبتلاً ، ولم يذكر التاريخ اي اثر لزواجه ، كما ذكر لغيره من الاساقفة سابقية ... وجب ان تكون تسمية الحفيد والجد ، هنا ، من باب التوسع ، على ما هو جار الى الآن في تسمية ابناء جيلنا هذا احفاداً لابناء الاجيال الغابرة ، ابعدين كانوا ، ام ادنين .

ولم نعثر على تاريخ لولادة المترجم به . وقد ارسله البطريرك يوسف ضرغام الخازن ، حول سنة ١٧٣٣ ، الى مدرسة رومية . ولم يذكر له التاريخ شيئاً بعد ذلك ، سوى ما في سجلات بكركي من بعض الآثار عنه ، وهي :

اولاً رسالته الى الخوري مخايل فاضل ، من بيروت ، والبطريرك فيما بعد (١٧٩٣ — ١٧٩٥) . وقد وقعها هكذا « يوسف مارون كاهن الكرسي الانطاكي ، ومحامي عن الطائفة ، ووكيل مطران البترون » . بيد ان لهجته في هذه الرسالة شديدة تنبيء بجرأته وحرية افكاره . وقد وبخ فيها الاب مخايل المذكور على عدة امور : كتحريكه البطريرك على تنفيذ رغائبه ، والعصيان على البابا (كذا ..) والسعي لتولي ابرشية بيروت مزيحاً عنها المطران يوحنا اسطفان ، والتلاعب بين فئتي الرهبانية ، الحلبية واللبنانية ، وخداعات وماشاكل ...

وكان في نية البطريرك سمعان عواد ، ان يرسمه مطراناً على البترون ، خلفاً لعمه المطران اسطفان المعهود . ولكن تصدى له الامير ملحم شهاب حاكم البلاد اذ ذاك ، وآزره بعض المشايخ ، فمنعوا البطريرك عن تسقيفه . وذلك برسالة كتبها ذلك الامير الى البطريرك المذكور ، وهي غفل من التاريخ ، ومسجلة في مجلد ٢ من سجلات بكركي ، ص ٣٢٦ .

اما هذا الموقف العدائي حيال المترجم به ، فيعلله المؤرخون ، واخصهم الاب ابراهيم حرفوش ، انه ربما كان نزولاً عند اغراء الخوري فاضل ، وقد

اوعرت صدره تلك الرسالة المعهودة ، الى ذلك الحد ، والله اعلم . . .

وكان هذا العلامة الدويهي ، رغم المناوءات المعهودة ، رجل خير واحسان . اذ برهن على ذلك بان انشأ مدرسة مار مارون ، في شرفة درعون [1] ، التي صارت فيا بعد الى السريان الكاثوليك . ووقفها على خير الطائفة للكرسي البطريركي . واثبت وقفيته هذه عمه المطران اسطفان الآنف الذكر . ونصها مدون في صفحة ٣٣ من مجموعة صكوك تنوبين المحفوظة في خزانة بكركي الخطية النفيسة . ويحدونا الى نشره هنا بحرفيته خدمة التاريخ وعالم الاطلاع ، في ما يلي :

« الداعي الى تحريره هو انه صار مني الرضى بان مدرسة مار مارون الشرفة (في درعون) تكون بعد موتي بتصريف قدس البطريرك مار طوبيا الخازن (الراهب اللبناني) وخلفائه ، تابعة الكرسي ، يدبروها بمقتضى ذمتهم ، بحيث لا تتغير نيتي ، اي يستقيم بها التعليم مجاناً . ولا يطلق عليها اسم دير ابداً . واذا انعم الله وتوفر مدخولها على معاش المعلم ، يعيش بها اولاد من فقراء طايفتنا لا غيرهم ، ويتعلموا بها . وكل من يضاد هذا الخبر ، فليكن ملعوناً من الله وبيعته . لاني هكذا اردت ان بعد موتي تكون بتصريف السادة البطاركة . وهذه الحجة تكون ثابتة نافذة في كل زمان حياتي ، وبعد مماتي ، وحررتها للبيان في اوائل شهر حزيران سنة ١٧٥٧ للتجسد الالهي ، صح صح .

كاتبه القس يوسف مارون الطرابلسي

الشهود : قد وقفنا على هذه الحجة الشرعية وحكمنا باثباتها بسلطاننا الرسولي ، ولا نأذن بان احد يناقض ما كتب بها ، صح صح .

الختم + المطران يوسف اسطفان الختم + المطران اسطفان الدويهي

وحوالي سنة ١٧٦٦ ، اوفده البطريرك يوسف اسطفان وكيلاً له الى رومية —

---

١) وهي اليوم مدرسة الشرفة الاكليريكية للسريان المرتدين ، ومركز بطاركتهم الشهير ، الذي يتولاه الآن خليفتهم الجليل ، نيافة الكردينال جبرائيل تبوني الكلي الطوبى . واملاك « الشرفة » حوله قد قدمها ، المشايخ آل الخازن وقفاً موهوباً للطائفة السريانية ، حسبا ينطق بذلك الصك الاصلي لهذه الوقفية ، ووثيقة اخرى اصلية ، شاهدناهما محفوظين في خزانة صديقنا حضرة العلامة الخوري لويس الخازن ، المحامي الكنفي المشهور ، ونزيل شارع مار مارون في بيروت حالاً . وعقيب ان تسلم السريان هذا الدير ، ابدلوا اسم شفيعه الاول الاساسي ، مار مارون ، باسم امنا العذراء مريم « سيدة النجاة » .

وفرنسة ، لمهام المقام البطريركي . واوصى به وكيله في قصر فرسايل الاب دالرد « خوري نوتردام » ، في رسالة تاريخها ٦ ك ٢ سنة ١٧٧١ ، ونصها في مجلد ٢ من سجلات بكركي ، ص ٩٠٢ . ومما يقول فيها : « اننا مرسلون الى اوربه ... ولدنا الاعز ونايبنا ، يوسف مارون الدويهي ، خوري كرسينا الانطاكي ، باغراض تخصنا ... » ومن هذه الاغراض تخليص كنائس الطائفة في جزيرة قبرس ، من اغتصاب الاروام ، على ما في صفحة ٩٠٣ من مجلد السجلات البطريركي عينه ...

ومن فرنسة يمم قبرس ، وتوطنها ردحاً من الحين ، الى ان ارسل الى الكرسي الرسولي عريضة يلتمس فيها الذهاب الى رومية ، تملصاً من رداءة المناخ في قبرس . فاجابه المجمع المقدس بالرفض ، بتاريخ ١١ ايار سنة ١٧٧٦ . ونص هذا الجواب في صفحة ١٣ من السجل المذكور[1] .

ومن آثار قلمه ايضاً كتاب فتاوى شرعية خط محفوظ عند صديقنا البحاثة المجاهد الخوري اسطفان البشعلاني ، وهو بدون تاريخ ، يقول في اوله ما يلي : « كتاب حاوي جملة فتاوي ، قد جمعه يوسف مارون الطرابلسي ، تلميذ قدس السيد ماري اسطفانوس (الدويهي) مطران البترون من فتاوي العلماء مما راق وطاب » .

وقبيل وفاته كتب صك وصيته بتاريخ عشرين تشرين الثاني سنة الف وسبعمائة وثمانين (١٧٨٠) . وهذا التاريخ يتخذه العلامــة الخوري ابرهيم حرفوش ، ميقاتاً لوفاة المترجم به . وفي هذه الوصية ، يوزع ممتلكاته عـلى رهبانيتنا اللبنانية ، ودير قزحيا ، ودير قنوبين ، وعلى المطران مخايل حرب الخازن ، نائب البطريركية في اثنا . تنزيل البطريرك يوسف اسطفان ، وابعاده الى جبل الكرمل . وفيها ايضاً انه كان مشتركاً بشركة القداديس في رهبانيتنا المذكورة .

وتوالى في حياته على السدة البطريركية ، ثلاثة بطاركة : سمعان عواد ، وطوبيا الخازن ، ويوسف اسطفان (١٧٤٢—١٧٩٣) . رحمه الله ، واجزل ثوابه في نعيمه السماوي .

والى القارئ الآن ، نص الرسالة المقدم عنها ، في ما يلي :

١) ومن اثار قلمه ايضاً كتاب فتاوى شرعية خط محفوظ عند صديقنا البحاثة المجاهد الخوري اسطفان البشعلاني ، وهو بدون تاريخ ، يقول في اوله ما يلي : « كتاب حاوي جملة فتاوي قد جمعه يوسف مارون الطرابلسي ، تلميذ قدس السيد ماري اسطفانوس (الدويهي) مطران البترون من فتاوي العلماء مما راق وطاب » .

رسالة الخوري يوسف مارون الدويهي

بسم الاب والابن والروح القدس ، الاله الواحد امين

نكستة ص[٦٩] رسالة مبنية في شرف الطائفة المارونية[١]

... وبعده ، فيقول العبد الخاطي ، والذليل المتباطي ، الشدياق يوسف مارون الطرابلسي ، تلميذ السيد المطران اسطفانوس الدويهي الهدناني ، مطران مدينة بطرون (البترون) : لما رأيت غرور الآدميين ، واهمالهم ذكر الاخرة ، وتسطير اعلام الحق اليقين ، وسمعت كلام بعض الثلاب المبغضين ، بغضة الصدق لليقين ، وتحققت غرضهم المشين ، واربهم المهين ، في تلف شرف الطائفة المارونية ، بكر الكنيسة الرومانية ، بالتجني الثالب ، واختراع المثالب ، لتشرفهم مللهم بالكذب والبهتان ، ولينالوا المدح الباطل ما طال الزمان .

حينئذٍ حركتني النعمة الالهية الى تأليف هذه الرسالة المبنية ، في شرف الطائفة المارونية ، بالامانة الصحيحة الارثوذكسية ، بسبيل الخير .

اعلم . ان كثيرين من اصحاب التواريخ والروايات ، راموا ان يكتبوا عن اصل الملة المارونية . فبعضهم اهتدا الى ذلك . وبعضهم لا . فاما الذين حازوا اسنى [٧٠] الاحترام ، واهلوا للثنا . والاكرام بتصانيفهم المصيبة الصادقة ، واهتدوا الى ذلك بشقة فايقة ، فمنهم قديس السيرة ، وطاهر السريرة ، ذي الحياة العفيفة والمصنفات المنيفة ، المطران جبرايل القلاعي ، ابن الطائفة المارونية ، الناشيء من لحفد من عمل جبيل ، الراهب الفرنسيسكاني ، مطران جزيرة قبرس .

ومنهم المعلم الجليل والملفان النبيل ، الشماس ابرهيم الحاقلاني الجبيلي الماروني ،

١) ان بداءة هذه الرسالة تتراوح بين الصفحتين ٦٨ و٦٩ من هذا المخطوط . ومؤداها مقدمة الكاتب على رسالته هذه ، بناها على حمد الله وتعظيمه واستغفاره . . . واستعراض بعض مبادئ عمومية . . . شأن الكتبة الاقدمين في مقدماتهم . . . مما هو مكرر دائمًا ، ومعروف عند الجميع . فاجتزأنا عنه بما بدأنا اعلاه . . .

ترجمان ملك فرانسا الاعظم ، الذي استقى العلوم الالهية من ينبوع الكنيسة الرومانية . ومنهم المعلم الاكرم ، واللاهوتي الافخم ، القس مرهج ابن نمرون الباني ، الناشئ من جبة بشري ، المرتضع حليب العلوم الفايقة ، في الكنيسة الجامعة ذات الافضال اليانعة .

ومنهم الاب الطوباوني الاوحد ... العالم العلامة ... البار اسطفانوس الدويهي الهدناني، بطريرك انطاكية العظمى ، الذي بحث بدقة زايدة ، ورغبة متزايدة ، عن اصل الموارنة . واهتدا الى معرفة ذلك . وصنّف بهذا المعنى كتب عدة مشهورة شرقاً وغرباً . ونال بذلك جميل الذكر . واظهر اعمق اليقين ، ودحض الكذب المشين .

اما نحن فاثرنا في هذا المختصر اقتفاء اثره ، بالتكلم عن تدمية الطايفة المارونية فنقول مختصرين :

انه لما كان سنة ٥٢٢م (خمسمائة واثنتين وعشرين) ، صار الانقسام بين طايفة الموارنة السريان ، وبين الملكية ، وكانوا الموارنة يلقبوا بالمتمردين ، وذلك قرب ابتدا حكم السراكسة . وكان « للمتمردين » جملة حكام وامراء . وسبب انقسامهم عن الروم (الملكية) ، واشتداد البغضة بينهم ، فهو انه ، لما تملك السلطنة في القسطنطينية يوستينيانوس[1] ابن قسطنطين اللحياني[2] ، طلب منه عبد الملك ابن مروان تجديد الهدنة التي كانت بين قسطنطين ومعاوية ، امير العرب .

وعبد الملك هذا ، هو الذي تخلّف امرية (امارة) الاسلام بعد معاوية . فاجابه يوستينيانوس الى الصلح ، واشرط على عبد الملك ان يدفع كل يوم حصاناً ومملوكاً ، والف ذهب (دينار) . واشرط عبد الملك على يوستينيانوس شرط واحد ، وهو : انه يرسل يرفع « المتمردين » (الموارنة) من جبل لبنان فتم سؤله على يد بولس جستريان . وارسل الملك ، وزجر مردة لبنان ، واخذ منهم اثني عشر الف ، واضعفهم .

١) هو الثاني بهذا الاسم ، وعهده (٦٨٥–٦٩٥) .
٢) الرابع بهذا الاسم ، وملكه (٦٦٨–٦٨٥) .

فغضبوا لذلك ، وعصوا على الملك ، وخلعوا طاعته . ولكن صار ضرر عظيم على قيصر (الملك) لزجره اللبنانيين . وهذا مصرح به عند اكثر مؤرخي الروم ، مثل شدرونيوس ، وتوافان وغيرهما .. وسبب طلب عبد الملك زجر اللبنانيين [٧١] هو لانهم كانوا اقويا بالحروب ، واشدا بالقراع . وضيقوا معاطس (منافس) العرب مرات كثيرة . ومنعوهم عن افتتاح دمشق الشام . وملك احد امرائنا ، وهو يوحنا ، من القدس الى حدود انطاكية . وكسر العرب ، وذلك سنة ٦٧٥ م (ستمائة وخمس وسبعين) و ٦٧٦م (ستمائة وست وسبعين) . ويشهد بذلك المؤرخون المذكورون .

وقد تكاثرت الامرا في جبلنا اللبناني ، وثارت ، وتكاثر جيشهم ايضا، وعظم شأنهم . ولما عاماهم قيصر بالحنق ، حالًا عصوه . وما زالت الامرية والحكومة بيد اللبنانيين الى سنة ١٦٠٩م (الف وستمائة وتسع) . ولو انهم خضعوا تحت يد الغربا ، الا انهم ما زالوا بالامرية والتقدم في لبنان .

واما سبب كنيتنا باسم موارنة ، فاشتقاقاً من القديس مارون . فاعلم ان كل كنية تنسب الى رأس اول . وليس كنيتنا مثلوبة (سلباً) ، كما توهم بعض المتمردين ، ان الموارنة سميوا من رجل اراتيكي اسمه مارون ، كالنساطرة من نسطور ، واليعاقبة من يعقوب . فلنعذ بالله من هذا الغلط الفظيع . لانه لو كان راس هذه الطايفة اراتيكياً ، لما ارادت الكنيسة الرومانية ان تستر علينا هذه الكنية الشنيعة . بل كانت بالحري تدعونا باسم جديد ، غير هذا الاسم ، كما سميت النساطرة الراجعين الى الايمان « كلدانيين » ، ودعيت اليعاقبة (المرتدين) باسم « سريان » . لينتزع عن اولاد الكنيسة الثوب الذى البسهم اياه المبتدع الاول .

ولكن حيث ان راس هذه الطايفة (المارونية) قديس غيور مستقيم الراي والايمان ، فمدحت الكنيسة الجامعة هذه الكنية ، وسرّت بها ، كما يقول البابا اكليمنطوس الحادي عشر (١٧٠٠–١٧٢١) ، وبنديكتوس الرابع عشر (١٧٤٠–١٧٥٨) منح غفراناً مؤبداً لجميع الموارنة افراداً واجمالًا ، في الكنائس المبنية ، والتي سوف تبنى (لهم)

ولقد لقبنا بهذا اللقب من عهد ابينا القديس يوحنا مارون ، بطرك انطاكية ، الذي كُني بارون ، من الاب القديس مارون القورسي ، الممدوح من القديس تاوادوريطوس ، اسقف قورس . لانه كان يشفي الارواح والاجساد بصلاته . وكان معاصراً ليوحنا فم الذهب. وقد طلب يوحنا (هذا) من مارون الدعا والصلاة ، حيث شيّع (ارسل) له تلك الرسالة من مكان نفيه الاخير، وهي بالعدد ٥٠ (خمسين) من مكاتيبه .

وكان اهل ذلك العصر يستشفون بتعاليمه (الضمير لمار مارون) واشفيته. وذلك لما انتقل من هذا العالم ، اختطفوا اهل حماه جسده الاقدس ، وابتنوا عليه ديرًا عظيماً ، في شاطئ نهر العاصي. واشتهر هذا الدير ، ونمت رهبانه، حتى بلغوا ثمانماية راهب . وكانوا ماهرين بالعلم والعمل ، وحسن الديانة ، ومناضلين عن شأن الامانة الارثوذكسية .

ولذلك حنق [٧٢] عليهم الاراتيكيون ، كساويروس واتباعه ... وقتلوا منهم ثلاثماية وخمسين شهيدًا . والكنيسة الجامعة ادرجت عيد هؤلاء الشهداء الموارنة في آخر يوم من شهر تموز. وتذكار مار مارون في ٩ (تاسع) من شباط ، وعند الروم ١٤ منه .

ومن هذه الرهبنة (المارونية) ظهر الاب البار ، ذو العفاف والوقار ، المشهور بالعلوم الروحية والشجاعة الحقيقية، والمحاماة عن الامانة الكاثوليكية، اعني به القديس يوحنا مارون ، بطريرك انطاكية ، الذي منه تغلّب علينا اسم « موارنة » . لان يوحنا هذا كان راهباً من رهبان دير مار مارون المذكور ، ومنه اتخذ اسم « مارون » . وسيم قساً في الدير المذكور . وكان علماً علامة .

ثم انه سيم مطراناً على مدينة بترون، لما عملوا الآبا التئام المجمع القسطنطيني السادس ، ضد مكاريوس بطريرك انطاكية سنة ٦٨٠ م (ستمائة وثمانين) ، واقاموا عوضه على كرسي انطاكية ، تاوافان الارثوذكسي (الكاثوليكي) . فعاش بطركاً خمس سنين . ثم انتقبه — على رضى الاكليروس الانطاكي — يوحنا مارون المذكور . وهذا كان ابن اغاتون الرومي (من بلدة سروم)

ابن اليديبوس ، ابن اخت كارلومانيا الشريف جنسه ، الفرنساوي ، الذي جاء من بلد فرانسا ، وحكم انطاكية والشرق .

وثبته في وظيفة البطركية ، سركيس الاول بابا رومية (٦٨٧—٧٠١) القديس ، الناشئ من بلد سورية . ثم رجع يوحنا المذكور من رومية الى انطاكية كرسيه . وجعل يفند اراء مكاريوس (البطريرك المحروم) اللامين . ورد كثيرين من توابعه (اتباعه) الى الايمان المستقيم .

ولما كان يوستينيانوس الملك مايلاً الى راي مكاريوس ، غضب على يوحنا ، وعلى بابا رومية ، وهيج الاضطهاد عليهما . ففر يوحنا الى دير مارون ، حيث ترهب اولاً . ثم فر من هناك الى قلعة اسمر جبيل (في اقليم البترون) .

اما جيوش الروم ، التي خرجت لتقبض عليه ، ما زالوا يقتلوا وينهبوا في سورية ، وفونيقي . حتى ان لاوون القايد خلع الملك ونفاه من موضعه . ولما بلغ الجيش الى كورة طرابلس ، وكان قواد العسكر مريق ومرقيان ، ارسل لاوون اذناً للبنانيين بقتاله .

اما يوحنا فاستتر في اسمر جبيل ، ومعه ابن اخته ابرهيم الامير ، صحبة الوف من الصناديد . فاحسن استقباله اللبنانيون ، لانهم رأوه حسب مرامهم قويم الايمان. ومن ذلك استمرت وتأكدت، وثبتت هذه الكنية على اللبنانيين، الذين نجوا من راي بدعة المشيئة الواحدة، بواسطة هذا السيف اليمي القاطع ، والسور المانع . ولنعد الى سياق كلامنا .

فلما حظي اللبنانيون باذن لاوون الملك بقتال القواد ، حينئذٍ انحدروا اليهم من قمم الجبال ، مع مقدمين الحدث بانحدار [٧٣] الماء المنهمر، والغيث المنحدر. وفاجأتهم الابطال والصناديد . وفتكوا بجيش الروم . وقتلوا القواد . ومزقوا مواكبهم . ومن هنا ، الذين تبعوا راي الملك سميوا «ملكية» ، والذين تبعوا يوحنا مارون (البطريرك) سميوا «موارنة».

اما يوحنا (البطريرك) فانه سكن كفرحي (في اقليم البترون) ، حيث انشأ هناك ديراً جليلاً باسم القديس مارون استمر كل حياته. وهو اول بطرك اقيم على الموارنة ، وكان ذلك سنة ٦٨٥ (ستمائة وخمس وثمانين) .

اما الملكية بعد موت يوستينيانوس (٦٩٥ م) ، رجع كثيرين منهم الى الاقرار بطبيعتي ومشيئتي الرب. وفي ايام قسطنطين كبرونوس[1] ، اقاموا عليهم بطركاً وجعلوا كرسيه الشام.

، اما اليعاقبة فاسكنوا بطاركتهم في دير الزعفران ، حتى خرب، ثم في ماردين..

وبعد القديس يوحنا (مارون)، اقام الاكليروس الانطاكي (الكاثوليكي) موضعه ، ابن اخته بطركاً (باسم) كوريوس الاول . واستمد التثبيت من من الكرسي الرسولي. وتوفي في دير مار مارون ، في كفرحي ، بحال قديس.

ثم اعتقبه جبرايل الاول . ودفن في كفرحي ، بحال قديس .

ثم يوحنا مارون الثالث . هذا رجع الى انطاكية كرسيه ليسكنها. ولانه لم يقدر على ذلك ، رجع الى دير سيدة يانوح ، كما ذكر عنه داود ابن ابرهيم ، المؤرخ الماروني. وقد امتدحه ايضاً جبرايل القلاعي قائلاً: « بعده قام مارون ثاني من الدير الرباني ، ملك ماهر ملفان ، اسمه يوحنا المختار. ثم توفي في يانوح من اعمال جبيل ».

واعتقبه يوحنا الثالث من دملصا ... (وهكذا يعدد خلفاءه كما في الدويهي ... الى ان يصل الى البطريرك يوسف الجرجي فيقول عنه) : وهذا ذكره القلاعي في رسالته الى (البطريرك) شمعون الخامس[2] ، المحررة في سنة ١٤٩٤ م بقوله : « وصلت قصاد البطريرك الانطاكي يوسف الجرجي الاول الى رومية بطلب التثبيت ، مع قصاد غوفراد[3] الملك ، الذي اخذ القدس وانطاكية ، كما تذكر التواريخ : ان الافرنج اقاموا لهم ملكاً وبطركاً على بيت المقدس . واخبروا بذلك الحبر الروماني ، فثبت بطركنا وارسل له تاجاً وعصى سنة ١١٢٠ م (الف ومائة وعشرين) . وتوفي في يانوح (الجرجي) .

ثم انتقل كرسي البطركية الى دير سيدة ميفوق ، في وادي ايليج ، تبع البترون . واقيم بطرس الاول ، وارسل قاصده الى رومية ، وقبل درع الرئاسة . وفي هذا العصر ، جعلوا بطاركتنا يتلقبوا باسم بطرس ، كما ان الاحبار

١) Copronyme امبراطور الشرق (٧٤١–٧٧٥) ، وهو السادس بهذا الاسم .

٢) ابن داود ، بن يوسف ، بن حسان الحدثي (١٤٩٣–١٥٢٤) .

٣) Godefroy de Bouillon ، دوق لورين السفلى في فرنسة ، ورئيس قائد الصليبية الاولى ، واول ملك صليبي على اورشليم (١٠٥٨–١١٠٠) .

الرومانيين في الجيل العاشر ، اخذوا يبدلوا اسماءهم حال قيامهم (انتخابهم). وكذلك الروم في اثني عشر جيل (لعلها الجيل ١٢) .

ثم اعتقبه غريغوريوس الثالث من حالات (جبيل) . وهذا ذكره [٧٤] التلاعي (في رسالته المعهودة) الى شمعون الخامس : ان في سنة ١١٣٠م (الف ومائة وثلاثين) صار زخيا الثاني (اينوشنس) حبرًا (اعظم ١١٣٠—١١٤٣). وارسل الى الموارنة قاصد رسولي ، الكردينال غوليلمو ° .

واعتقبه يعقوب الاول من رامات (البترون) . وانتقل الكرسي الى دير مار الياس لحفد . واعتقبه يوحنا السادس من لحفد . وكان عالمًا علامة . له كتاب نافور (رتبة قداس). ثم انتقل الى دير سيدة هابيل . ثم الى يانوح . وهنا توفي .

واقيم عوضه القس ارميا الاول من عمشيت (جبيل) سنة ١٢٠٩م (الف ومائتين وتسع) . وقبل التثبيت من البابا زخيا الثالث (١١٩٨—١٢١٦) . وحضر المجمع اللاتراني (سنة ١٢١٥م). وشاعت قداسته باعجوبة حدثت معه في وقت تقدمة القداس ، وهو : انه فيما كان يقدس في كنيسة مار بطرس ، بحضور البابا ، وانفار لا عدد لها ، وقفت الاسرار فوق راسه ، فانذهل الحاضرون لذلك . ووثق البابا بقداسته وصحة ايمانه ؛ ومدحه مدايح شتى ، وانعم عليه بنعم غزيرة . ورجع الى كرسيه مشرفًا بالانعامات الحبروية . وفي ذلك الحين رقم المصورون صورته في كنيسة مار بطرس (رومية) ، وهو عمال يقدس ، والاسرار فوق رأسه ، الى الآن باقية . واي من حضر هناك ، شاهدها واصحبه البابا ببراءة شريفة الى كل الشرقيين ، معرضاً فيها بذكر الطايفة المارونية ، وذلك سنة ١٢١٥ . وتوفي قديساً ، ودفن في ميفوق .

ثم انتقل الكرسي (البطريركي) الى دير مار قبريانوس كفيفان . وهناك جلس دانيال الاول (من شامات) . ثم سكن دير مار مارون كفرحي ، ثم ثم دير مار جرجس الكفر ، سنة ١٢٣٩ .

ثم اعتقبه يوحنا السابع ، وشمعون الثاني . وهذا ثبته البابا اسكندر الرابع سنة ١٢٥٦ ، اول شباط . وسكن يانوح . ثم اقيم بعده يعقوب الثاني . وانتقل الكرسي الى دير ميفوق .

ثم اعتقبه دانيال من قرية حدشيت ، وصورته مرقومة في كنيسة قريته.
وفي سنة ١٢٨٣ م (في عهده) ثارت نيران الحروب في بلاد فونيقي ، ما بين النصارى والمسلمين . وهجم سيف الدين قلاوون على جبة بشري ، فملكها .

ثم اعتقبه لوقا الاول من بنهران[1] . ثم جبرايل الثاني من حجولا . وكان رجلًا قديساً قبل اكليل الشهادة ، في مدينة طرابلس ، حريقاً بالنار ، في نيسان ١٣٢١م . والى اليوم تبره يخرج الاشفية الى كل من طلب شفاعته. وقد اتخذه المسلمون لهم مزاراً ، واقاموا له هيكلًا . ويسمونه الشيخ مسعود .

واعتقبه شمعون الثالث . وسكن دير مار سركيس حردين ، سنة ١٣٥٧ .
وتوفي . — ثم اعتقبه يوحنا الثامن . وهذا سكن دير حردين الى ان توفي سنة ١٣٧٧ .

[٧٥] واعتقبه يوحنا التاسع الى سنة ١٤٠٠ (الف واربعمائة) التي بها قدم تيمرلنك من سمرقند الى افتتاح الشام . واخذ بالسيف الجزيرة والمعرة وحلب وحمص .

ثم اقيم على الكرسي الانطاكي يوحنا العاشر من جاج . ارسل طلب التثبيت مع فراجوان (الاخ يوحنا) رئيس دير بيروت (الفرنسيسكاني) فثبته اوجانيوس الرابع (١٤٣١—١٤٤٧) في مجمع فيرانسا (الفلورنتيني) سنة ١٤٣٩ . وسكن دير قنوبين في جبة بشري تحت حكم المقدمين . وكان سكن ميفوق سابقاً . وقنوبين هذا قد ابتناه تاودوسيوس الكبير ملك الروم (٣٧٩—٣٩٥) . وكان له الولاية على كل اديار لبنان . والملك ظاهر برقوق كتب له صحيفة نحاسية ، بانه يكون معافاً . واولًا سكنه المطران بطرس من اهدن . ثم صار كرسياً ثابتاً للبطاركة . (واول من سكنه منهم يوحنا الجاجي سنة ١٤٤٤) .

واعتقبه يعقوب الثالث ابن عيد من الحدث (بالجبة) . وثبته البابا نقولا الخامس (١٤٤٧—١٤٥٥) ، وكاليستوس الثالث (١٤٥٥—١٤٥٨) . وتوفي يوم الاربعاء ، ٨ شباط سنة ١٤٥٨ .

واعتقبه بطرس الثاني من الحدث (ذاتها) ابن حسان . ثبته بولس الثاني

---

١) لقد قدمنا ، في احدى حواشينا على هذا المخطوط ، ان لوقا البنهراني هذا اغتصب البطريركية اغتصاباً . ولانه كان شاقاً ، رفضه الموارنة حالا ، وانتخبوا لهم البطريرك ارميا الدملصاوي ، الذي هو غير ارميا العمشيتي ، وبينهما مائة سنة . وبذلك جلاء كاف لذلك الابهام والمزج بين هذين البطريركين ، وقد خبط فيهما جميع المؤرخين قبلًا . . .

(١٤٦٤—١٤٧١) سنة ١٤٦٩ ، مع فراغريفون. وتوفي في ١٢ شباط ١٤٩٢.

واعتقبه شمعون الرابع اخي بطرس الثاني . ثبته البابا لاوون العاشر (١٥١٣—١٥٢٢) مع بطرس القس من اهدن سنة ١٥١٥ م ، وتوفي في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٥٢٤ ، وله من العمر كمالة مائة وعشرون سنة .

واعتقبه موسى الاول من الباردة في بلاد عكار في ٩ (تسعة) كانون الاول . وثبته البابا بولس الرابع سنة ١٥٦٢ مع الاسقف جرجس القبرصي . وتوفي في ١٩ اذار سنة ١٥٦٧ .

واقيم بعده مخايل الرزي من بقوفا في ٣١ اذار . ثبته البابا غريغوريوس الثالث عشر سنة ١٥٧٩ . وتوفي سنة ١٥٨١ م ، في ٢٧ ايلول. واعتقبه اخوه سركيس الاول ، وثبته البابا غريغوريوس ١٣ ، مع فراجوان برونا اليسوعي . ولشدة رغبته في حفظ الرتب والديانة ، طلب قاصد رسولي من الحبر الروماني ، البادري ايرونيموس دنديني اليسوعي سنة ١٥٩٥ [1] وعقد مجمعاً حافلاً في الاصلاح . وفرض فيه جملة قوانين تخص العبادة ، بحضور المطارنة والاساقفة ، وحكام البلاد . وهذه صورة القوانين :

اولاً : من حيث سر العماد ضروري للخلاص ، فنحكم انه يعطى للاطفال عاجلاً. وليكن عند كل كاهن كتاب يكتب فيه اسم المعمود ، ووالديه ، وعرابه ، وعامده (الكاهن) .

ثانياً : ولتعطي الاساقفة سر التثبيت ، في رعاياهم كل سنة مرة .

ثالثاً : ليكن للمثبت عراب ، مثل العماد .

رابعاً : فليحفظ تحريم اوجه الزواج بين القابل والمقبول ، كما رسم مجمع التريدنتيني المقدس ، اي بين العراب [٧٦] والعرابة ، وبين المعمد وابيه وامه ، وبين المعمود ~~. وغير ذلك جملة قوانين هذا المجمع عشرين~~ قانون .

١) لقد كتب الاب دنديني هذا رحلته تلك الى الشرق ، وقصادته البابوية لدى الموارنة ، واعماله فيها . وذلك سفر نفيس عن تاريخ لبنان والموارنة ، في ذلك العهد ، واهم ما كتبه سائح عن هذه البلاد . وقد ترجمها الى العربية حضرة صديقنا العلامة المعروف ، الخوراسقف يوسف يزبك المشيقي ، كاتب اسرار البطريركية المارونية حالاً . وشرحها له زميله العلامة الكبير المثلث الرحمة المطران بولس قرألي ، تباعاً في مجلته « البطريركية » سنة ١٩٣٣ . ثم افردها في كتاب خاص .

وانتهى المجمع بعشرين ايلول سنة ١٥٩٥ . وتوفي البطريرك سركيس سنة ١٥٩٧م في ٢٥ ايلول .

واقيم عوضه ابن اخيه ، يوسف الثاني . وبعد سنتين ثبته البابا اقليموس الثامن ، مع جرجس البرديوط المتريتي (قرية متريت من مزارع جبة بشري). وهذا المغبوط لم تكن غيرته بانقص من غيرة عمه . لانه عقد ايضاً مجمع آخر ، رثبت فيه ما فرض بمجمع عمه . وفرض جملة قوانين في الاصلاح والعبادة ، وعدتها (عددها) ستة قوانين، بحضرة القاصد الرسولي . ثم توفي هذا البطريرك، وخلي الكرسي تسعة اشهر ، من خوف القشلق (العسكر) الذي اجتمع على ابن جنبلاط ، بمحافظة مراد باشا .

وفي شهر ايار ، اقيم يوحنا الحادي عشر ، المعروف بابن مخلوف،هدناني . ثبته البابا بولس الخامس ، في عشرة ادار سنة ١٦١٠ (الف وستمائة وعشر)، مع جرجس القس ابن مارون الهدناني . وتوفي في ١٥ كانون (الاول) سنة ١٦٣٣ . وكان عابداً غيوراً متواضعاً ، حريصاً على حفظ الديانة . وقد أنشأ جملة املاك لدير الكرسي .

وانتدب عوضه في ٢٧ كانون الاول (المذكور) ، جرجس ابن عَميرة من اهدن . وكان عالماً علامة بارعاً جداً . لانه كان ارتضع حليب المدارس في مدينة رومية . وله مصنفات مفيدة : منها كتاب في اللغة السريانية (غرامطيق) مشهور بالطبع . وكانت بينه وبين البابا اوربانوس الاول صداقة عظيمة ، من قبل عشرتهما في المدرسة . فبعث اليه الخوري مخايل ابن سعاده الحصروني ، وثبته سنة ١٦٣٥ . وتوفي في ٢٠ (عشرين) تموز سنة ١٦٤٥ .

واعتقبه يوسف الثالث العاقوري ، ابن المطران بطرس (صليب) في ١٥ آب سنة ١٦٤٥ . ثبته البابا زخيا العاشر مع القس عبد المسيح الحدثي. وكان جزيل المناضلة في صيانة الرتب والايمان . وكان حريصاً على حفظ الصبر في وقوع التجارب والمحن . وكابد مشقات جزيلة من بعض اقاربه . وله كتاب في علم النحو السرياني (غرامطيق) مشهور بالطبع ، مفيد جداً . ولم تكن غيرته انقص من غيرة سلفائه ، لانه عقد مجمعاً حافلاً في ضيعة موسى (قرب

اهدن) ، في هيكل القديسة مورا . وفرض فيه ٣٢ قانوناً . ثم انه توفي في قريته مسموماً في ٣ تشرين الثاني سنة ١٦٤٧ .

واعتقبه يوحنا ، ابن البواب ، من قرية الصفرا تبع جبيل . ثبته البابا زخيا العاشر مع خسايل [٧٧] البرديوط ، ابن صابونة الحصروني ، في ٢٥ كانون الاول سنة ١٦٥٦ . وكان رجلاً صالحاً تديناً ، باراً طاهراً . قد اجترح عجائب باهظة ، منها ما ذكره ثقاة المؤرخين (الدويهي) ، انه اذ كان يوماً ما في قرية اغزير ، في كسروان ، راقداً بالليل ، شوهد كله مضطرماً بلهيب اخضر متزايد . ولا ريب انه كان يصلي . فشاهده اناس مشاقون كانوا نياماً عنده . فاسرع احدهم ، من باب الاشفاق عليه ، وظن ذلك النور ناراً . فاخذ ماء وصب عليه . فلم تطفا تلك اللاهبة السماوية . حينئذٍ استشعر المشاق بالحقيقة . ولما كان الصباح ، اخذ يخبر الجماعات بما رأى . واخذ ذلك باقسام حسب قواعد دينه . وكان الله دائماً يجلله (البطريرك) بجلباب نور وقت صلاته ، كما شاهد ذلك خدامه ومعاشروه .

واعتقبه جرجس الثاني ، ابن الحاج رزق الله ، من قرية بسبعل (قرب قرية الناشر) من زاوية طرابلس ، سنة ١٦٥٧م . وثبته البابا اسكندر الثامن . وتوفي في دير مار شليطا (مقبس) بكسروان ، في ١٢ نيسان سنة ١٦٧٦ . وقد امتحنه الله باوجاع وامراض كابد منها مشقات جزيلة . وكان صابراً متواضعاً .

ثم اعتقبه الجليل بين الرؤساء ، والنبيل بين العلماء ، سديد الفيرة في العلوم والتصانيف الشهيرة ، المناضل عن حسن الديانة وصيانة الامانة ، مار اسطفانوس الدويهي ، المشهور بالصالحات . الذي فاق بعلومه وضاهى الاباء القديسين بتصانيفه وتفاسيره ، التي من جملتها « كتاب العشر منارات » في الشرح عن تقدمة الاسرار . وهي كتاب عظيم ، ذو برهان قويم ، بشروح مديدة ، واراء سديدة . وقد اشتهرت هذه المنارات شرقاً وغرباً . ومدحها العلماء كثيراً . وتعجبوا من فصاحته وعلمه الدقيق . ما عدا ما له من المصنفات والمواعظ الكثيرة التي افاد بها بيعة الله ، لا سيما الطائفة المارونية ، التي نفى عنها كل شبهة وراي ذميم ، واوضح شرفها الوسيم . وناهيك من فصيح مما في

سما. البيعة ، الذي ما كان ولا يكون مثله .. وباقي اخباره العجيبة مرقومة في كتاب سيرته التي جمعها عواد البطريرك .

هذا (الدويهي) استمد التثبيت من البابا اقليموس الاول ، عن يد القس يوسف شمعون الحصروني ، الذي فيا بعد سامه مطراناً على مدينة طرابلس . وكانت الطائفة في عصره ساكنة . وهي مفرحة (فَرِحة) مسرورة براعيها الصالح ، وفخرها الواضح . مزهرة بالعبادة وحسن اليقين والسلامة . وفيها كثيرون من المطنين (العلما.) كيوسف الحصروني مطران طرابلس ، والمطران جرجس ابن [٧٨] عبيد الهدناني ، المشهور بالمواعظ ، الذي لقب « بالكاروز » مطران اهدن (والراهب اليسوعي فيا بعد) ، والمطران بطرس (ضوميط) مخلوف التوسطاوي ، والقس مرهج ابن نمرون الباني ، والخوري يوسف (اسكندر) القرطباني ، والقس سمعان القفالي ، وغيرهم ... الذين اشتهروا بالعلم والعمل .

ولما كانت الطايفة حاصلة على الصلح والسلامة ، في حياة ذاك الراس المقدام ، غالتها يد النوايب بموت راعيها (الدويهي) الذي لحق بربه موقراً بالصالحات في ٣ ايار سنة ١٧٠٤ (الف وسبعمائة واربع) .

واعتقبه جبرايل الثالث البلوزاتي في ١١ ايار (السنة نفسها) . ثبته البابا اقليموس الحادي عشر مع البادري الياس الكرملي . ثم توفي بدير قنوبين في ٢٨ تشرين سنة ١٧٠٥ . وكان رجلاً عابداً متواضعاً . ولم تطل رياسته الا سنة ونصف .

وقام بعده يعقوب الرابع ابن الخوري حنا عواد الحصروني ، في ٥ تشرين الثاني . ثبته البابا اقليموس الحادي عشر مع البادري فرديناندوس الكرملي . وكان عالماً بارعاً فصيح اللسان ، مهاباً مهذباً ، مرتضعاً حليب المدارس في رومية . هذا لما جلس في الكرسي ، وخضعت له الروسا والمرؤوسين ، كانت الطايفة متسوجة في زمانه بالبلايا والسجس . اولا لان اقاربه كانوا عقاربه . ثانياً لانه بواسطة ترابيه صار نهب واختطاف في ارزاق منهم وبسببهم . وكان في عهده جملة ملافنة . احدهم ، وهو اعظمهم واشرفهم ، كوكب الشرق ، وقبة الحكمة ، الخوري بطرس التولاني التنوري ، الذائع صيته شرقاً وغرباً . وكان مسكنه مدينة حلب . وقد افاد كثيرين بوعظه وتعليمه ، والكتب التي

صنفها ونقلها من الافرنجية الى العربية. وكان حافظاً اللغتين العربية والسريانية على صحتهما . وكان ذا غيرة حارة في تخليص الانفس ، وبراعة وشجاعة زائدة بالجدل عند الاراتقة والمشاقين . ورد كثيرين من الروم ، والارمن والنساطرة، واليعاقبة الى الامانة الكاثوليكية. وكان ذا هيبة واعتبار ، حتى ومن الامم الكافرة ايضاً . ورتب طقوس وعبادات شتى حسنة في الكنايس . وصار له جملة تلاميذ كثيرين . منهم اثنين من الملكية وهما : عبدالله زاخر المشهور بالطبع (الطباعة العربية في الشوير لبنان) ، والخوري نقولا الصايغ . هذين قد ردهما من الهرطقة والكفر الى الاقرار بالكنيسة الرومانية .

ومن طايفتنا كان له تلميذين مشهورين بالغاية (للغاية) في جبلنا اللبناني . اشتهر بالعلم والقداسة . احدهما عبدالله قراعلي الحلبي ، الذي انشأ الرهبانية اللبنانية ، ونظم لها قوانين وفرايض نسكية . وكان عابداً متواضعاً جداً، بارعاً في علم الشريعة العالمية (الفقه) والبيعية . ولذلك استحق ان يسام مطراناً على مدينة بيروت .

[٧٩] والاخر هو القس جبرايل فرحات الحلبي، الذي كان من الرهبانية اللبنانية، الشهير بعلم النحو والصرف والشعر. وله مصنفات، وكتب كثيرة صنفها واصلحها.

وفي هذا العصر نشا علما اتقيا من طايفتنا . منهم الخوري وهبة الدويهي، ابن اخي البار اسطفانوس ، الشهير بالوعظ والارشاد والتصانيف المفيدة ، والعبادة لمريم البتول . هذا المغبوط مات مسموماً في طرابلس ، ودفن هناك . واحكى لنا اناس ثقاة ، من جملتهم المطران اغناطيوس شرابيه[1] المشهور في عصرنا بالعلم والعمل ، بان شهد له كثيرون ، مؤمنون وغير مؤمنين ، انه كان يلوح على قبر الخوري وهبه نوراً سماوياً ساطعاً ، كان يظهر بالليل عليه مدة ايام ، ثم

١) هو من تلامذة رومية ومن اباء المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ . اصل عائلته من صيدا، على ما يحقق البطريرك بولس مسعد ، في مفكراته الخطية في خزينة بكركي. قطن اولاً دير مار شليطا مقبس (كسروان) حيث رسمه البطريرك عواد مطراناً لمدينة صور في٢٩ تشرين الثاني ١٧٣٣ فكان اول مطران عليها . ثم سكن دير مار الياس بلونة (كسروان) زماناً. وانتقل نهائياً الى دير اللويزة الشهير حيث توفي ودفن في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٧٦٨ . (من مقال الاب ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني في تلامذة رومية ، مجلة المنارة : ٧ (١٩٣٦) (ص ١١٠—١١٢) .

اختفى . دليل اكيد على قداسته. والى الان يعطي الاشفية للذين يزورون ضريحه .

وغيره من العلماء الذين ، كالمونسنيور يوسف السمعاني ، والمطران سمعان عواد (البطريرك) ، والقس اسطفان ورد ، وغيرهم ... ثم توفي البطريرك يعقوب ، ودفن في دير مار شليطا (مقبس كسروان) في ١٢ شباط سنة ١٧٣٣ .

واعتقبه يوسف الرابع ابن فياض الخازن . ثبته البابا اقليموس الثاني عشر مع القس عبدالله راهب دير ريفون . اخيرًا توفي ودفن في غوسطا قريته (في كنيسة مار الياس لاسرته الخازنية) في ٣ ايار سنة ١٧٤٢ . وكان ذا غيرة في حفظ الرتب والديانة ، وجزيل العبادة والتواضع . وكابد اتعاب كثيرة من ابن عمه المطران طوبيا ، الذي افتن بينه وبين الرهبان اللبنانيين واغلب المطارين ، وابطل نفوذ امره ، وكردس نحو ثلاثين كيس (١٥ الف غرش) دين على الكرسي .

وقصدنا بشرح هذه المقدمة ، ليعرف الجميع ان بطركية انطاكية لا تحق الا للموارنة . ولو ان بطاركة غير طوابق ، يتخذون اسم انطاكية فذلك لا يحق لهم ، لانهم ، ولو كانوا كاثوليكيين فليس لهم ذلك ، كونهم لم يتخذوا الخلافة ، بعد توافان الارثوذكسي . بل ان الذي اخذ الخلافة حتى الآن ، فهم بطاركتنا ، الذين اولهم يوحنا مارون ، خليفة توافان. هولاء الذين كان جبلنا اللبناني مزهر في ايامهم بالقداسة والعبادة ، والديانة والصيانة ، مثل فردوس السما .

اما عن امرا لبنان وملوكه فنقول : انه قد ضلَّ سعيد البطريق الملكي ، الزاعم ان بعض اساقفة اسكندرية وقسطنطينية وملوكها كانوا موارنة . ولم يقل هذا بقصد تشريف الموارنة ، بل لثلبهم ، وليبري ملته بزعمه ان كل من قال بالمشيئة الواحدة ، كان مارونياً . ولكن لا حاجة الى الرد عليه . لان البار اسطفانوس (الدويهي) ، بطريرك انطاكية ، قد دحض كل ارائه الفاسدة بعدة كتب صنفها ضده ، فقال :

امرا لبنان : يوسف وكسرا وايوب ، والياس ويوسف ، ويوحنا . وذلك من سنة ٦٢٨ الى سنة ٦٧٩ . ثم يعقوب الى سنة ٦٩٥ ، وابرهيم ابن اخت القديس يوحنا مارون الى ٧٢٨ . وبطرس الى سنة ٧٥٦ . وموسى الى ٧٩٠

(سبعمائة وتسعين) . وجرجس ويوحنا الى سنة ٨٩٠ (ثمانمائة وتسعين). وحنا واندراوس [٨٠] وموسى الى سنة ١٠٢٠ (الف وعشرين). وعساف الى سنة ١٠٥٠ (الف وخمسين) . وجرجس الى سنة ١٠٩٠ (الف وتسعين) . وموسى وبطرس الى سنة ١١٩٠ (الف ومائة وتسعين) . وباخوس ويعقوب الى سنة ١٢١٥ . وشمعون لسنة ١٢٣٩ (الف ومائتين وتسعة وثلاثين) وابنه يعقوب الى سنة ١٢٩٦ . وابن اخيه اسطفانوس الى سنة ١٣٥٢ . وموسى ويوحنا الى سنة ١٣٩٩ . ويوسف العبدلي الى سنة ١٤٠٠ (الف واربعمائة) .

وفيها (سنة ١٤٠٠) انتقلت الامرية (الامارة) من بلاد جبيل وبترون الى الجبة . وذلك عند قدوم تمرلنك الى بلاد فونيقي . وكان امير لبنان الى سنة ١٤٧٠ (الف واربعمائة وسبعين) .

وملك بعدهم عبد المنعم ابن عساف ، ابن يعقوب لسنة ١٤٩٤ . وتخلف بعده ابنه يوسف الى سنة ١٥١٩ . وتأمّر كمال الدين من ايطو ، ابن عبد الواهب ابن عجرمة . ثم قتله حنا ابن يوسف امير بشري سنة ١٥٤٧ . ثم تأمّر عاشينا ، وقتله المسلمون في طرابلس سنة ١٥٧٥ . وفيها سارت الاسلام الى افتتاح قبرص . وتولى الامرية ابن اخيه عساف ابن موسى ، واخوه داغر، الى سنة ١٥٧٧ . وتولى خاطر الحصروني الايبودياكن (الشماس) الى سنة ١٥٩٤ . ثم ابنه رعد سنة ١٦١٢ . ثم مقلد الى سنة ١٦١٤ .

ثم ظهر ابو نادر الخازن ، في بلاد كسروان . وصار له نسلًا اولادًا تقدموا عند الامراء . وشاع خبرهم شرقاً وغرباً . حتى ان ملك فرانسا لويس المعظم (الرابع عشر ١٦٤٣ — ١٧١٥) بعث فرمان تشريف وانعام الى الشيخ ابو نوفل الخازن ابن نادر ، وجعله كأنه مولود في فرانسا (منحه الجنسية الافرنسية) ، وذلك على يد السيد المطران سركيس الجري (من اهدن) ، المحرر في باريس ، في شهر ادار سنة ١٦٥٩ ، وهي ١٦ (السادسة عشر) من حكمه (حكم الملك) . واهملنا كتابته (كتابة الفرمان الافرنسي) ، خوفاً من الاطالة .

فهذه هي احوال طايفة الموارنة ، واقدميتها وصحة اعتقادها وايمانها ، وحتى الى الابد بنعمة الله تعلى امين .

انجيل خطي قديم

(منسوخ سنة ١٥٦٥ مسيحية)

تعريف عنهُ

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

توطئة

في خدمة الرهبانية البلدية اللبنانية للامة المارونية

لا يخفى على اهل العلم وحفظة التاريخ ، ان مطبعة دير القديس انطونيوس قزحيا ، احد اديار الرهبانية البلدية اللبنانية المارونية، قد خدمت الامة المارونية بطبعها كتب فروضها وطقوسها ونشرها خدمة لا ينقضي برّها ولا ينطوي ذكرها على كرور السنين . وهي المطبعة الاولى التي دخلت الشرق وشمرت عن ساعد النشاط وبرزت الى ميدان العمل والجهاد ، لا يُشقّ لها غبار ولا تُجارى في هذا المضمار بهمة الرهبان البلديّين اللبنانيين ولاتها ومديريها الذين ما فتئوا يدفعون بها الى الأمام حتى عصبت جبينها بتاج الظفر والانتصار . والرهبان اللبنانيون كانوا السابقين الى نشر ألوية الدين والعلم في الربوع الشرقية ، واليهم يعود الفضل ، كالآباء فرحات وقرألي وحوًا مؤسسي هذه الرهبانية ، الذين رُقّوا الى درجة الاسقفية وظلوا مواصلين نشر العوارف والمعارف بما استطاعوا اليه سبيلًا ، مذلّلين الصعاب مستسهلين الاتعاب في نصرة الدين والعلم .

وهذا كتاب « بحث المطالب » للمطران جرمانس فرحات ، قد عمّ تدريسه في جميع مدارس الامم المسيحية الشرقية حتى وفي بعض الغربية ، وحاول كثير من العلماء والمدرسين المشتغلين على مقاعد التحصيل ، ان ينسجوا على منواله ويطبعوا على غراره فلم يفلحوا ، فكانت تآليفهم تتضاءل وتتكمش امام هذا الكتاب النفيس « البحث » الذي ظل ولا يزال موضوعاً داعياً للتنقيب والبحث . فأكبّ على دراسته جهابذة من العلماء والاساتذة الموهوبين : كالشيخ

ناصيف اليازجي ، والشيخ فارس الشدياق صاحب « الجوائب » ومحررها ، والشيخ عبد الله البستاني ، والمعلم بطرس البستاني ، والبطريرك مكسيموس مظلوم ، والخوري نعمة الله باخوس ، والشيخين الشقيقين سعيد ورشيد الخوري الشرتوني وسواهم ممن تعمقوا في علم الصرف والنحو وزاولوا مهنة التدريس ، فظل « البحث » أعلى تآليفهم كعباً وأرفعها مقاماً وأسدّها قاعدة ورأياً واوضحها صراحة وبياناً وأقربها فهماً ومنالاً ، وكان بينها كنجمة الصبح بين النجوم ، وهو مختصر لكتابه المطوّل المخطوط[1] .

ولم يقتصر السيد فرحات على الترصيف والتصنيف في صرف اللغة ونحوها ونثرها وشعرها وبديعها وبيانها ، والاشتغال في معاجمها ، بل جال قلمه السيّال في ميادين سائر العلوم العالية ، كالفلسفة واللاهوت والطبيعيات والرياضيات والتاريخ والالهيات ، وقد أربت مصنفاته المستطرفة المتنوعة الموسومة بوسم راسخ حجته وصلابة عقيدته وواسع معرفته ومضاء فضيلته ، على المئة والستين مصنفاً ، ما بين مؤلف ومترجم ومصحح ومهذّب ، ولم تتجاوز حياته الغالية الاثنتين والستين عاماً ، فانتشرت هذه المؤلفات القيمة انتشاراً سريعاً بين ايدي ابناء الضاد خطاً وطبعاً ، فاكبروا همة صاحبها العالية وعلومه الواسعة وعزيمته الماضية وجَلَده المنقطع النظير على العمل ، بالرغم من اسفاره وصعوبة الانتقال في حلّه وترحاله وكثرة مهامه واشغاله وتحريك سواكن باله بما توالى عليه من المحن والكوارث التي كان يقابلها : بقلب قُدّ من جلمود صخر ، كما لا يبرح عن ذهن دارسي مراحل حياته .

ترى من نقل كتب الطقوس والفروض في الكنيسة المارونية من السريانية الى العربية ورتّبها ونقّحها واختصرها وهذبها ، ككتاب الانجيل ورسائل القديس بولس وخدمة القداس « والريش قريان » والسنكسار والخطب البيعية والكتاب المقدس وفرض الكاهن الماروني اليومي . ألم يكن المطران جرمانس

---

١) يقال ان في مكتبة دار الكتب اللبنانية في بيروت نسخة من كتاب « البحث » المطول . راجع مقال العلّامة المرحوم الخوراسقف جرجس منّش الحلبي في « البحث » المنون « مطالب في بحث المطالب » (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ١٠٧٧ - ١٠٨٣) .

فرمات الراهب اللبناني الماروني ؟

من تجند لطبع هذه الكتب الجبارة ونشرها في الطائفة المارونية ، ألم تكن الرهبانية البلدية اللبنانية التي تعبت وجاهدت وسهرت وضحّت في سبيل طبع هذه الكتب مرارًا في مطبعتها بدير قزحيا بحروفها السريانية الجميلة ؟ وقد ألحقتها بطبع الشحيمة والكرّاسة السريانيتين ، والمزامير ، والتعليم المسيحي ، وزيارة القربان الاقدس وتفسير معاني القداس ، وكتاب التيرزاغو ، وكتاب « الشبيّة » المعروفة بشبيّة قزحيا ، وكتاب مورد التحقيق (غرامطيق سرياني) ومختصره وكلاهما للاب نعمة الله الكفري الذي لم يكن لطلاب الكهنوت غنًى عن درسه . وهي التي كانت تطبع رسالات البطاركة الموارنة الموزعة على ابناء الطائفة . ومن اراد الاطلاع على مطبوعاتها فليراجع مقال « تاريخ فن الطباعة في المشرق » للعلّامة الاب لويس شيخو اليسوعي[1]

ان كتاب الصلوات المعروف « بشبيّة دير قزحيا » المطبوع بطبعته مرارًا ، قد طبعهُ في رومة العظمى القس واصاف البسكنتاوي (المطران واصاف الدبسي) سنة ١٧٣٦ ، واليك ما جاء في أوّله :

« اعلم ايها الاخ المسيحي انه في تاريخ سنة ܐܨܠܘ (١٧٣٦) رأى لاجل افادة الجاهلين القراءة بالخط العربي قد اعتنى في طبع هذا الكتاب المبارك بالخط الكرشوني الاب القس يواصاف البسكنتاوي رئيس دير الرهبان الموارنة اللبنانيين في رومية الكبرى في ايام رئاسة السيد الكلي الاكرام مار يوسف بطرس الحازن البطريرك الانطاكي رحمنا الله بحسن دعاه وذلك بنفقة الرهبان اللبنانيين في زمان رئيسهم العام الاب توما البودي الحلبي المرجو ان تذكر في صلاتك كل من . . . »

وجاء في آخره :

« قد طبع هذا الكتاب المبارك في رومية الكبرى بنفقة الرهبان اللبنانيين لاجل عبادة المؤمنين، بعناية الاب القس يواصاف رئيس دير مار بطرس ومرشلّين وبمناظرة الخوري اندراوس(اسكندر) القبرسي ترجمان المجمع المقدس سنة ܐܨܠܘ (١٧٣٦) مسيحية »[2]

١) المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٢٥٧

٢) رأينا نسخة من هذا الكتاب في خزانة كتب كنيسة القديس الياس المارونية في راس بيروت.

وقد طبع ايضاً الاب واصاف المذكور كتاب الاقتداء بالمسيح بالحرف السرياني ، الكرشوني ، الملفوظ بالعربي في رومة العظمى سنة ١٧٣٨ . وهذا ما جاء في آخره :

« قد طبع هذا الكتاب المبارك في رومية العظمى بنفقة الرهبان اللبنانيين بعناية الاب الاكرم القس يواصاف البسكنتاوي رئيس دير ماري بطرس ومرشلّين . بمناظرة الخوري اندراوس سكندر القبرسي ترجمان المجمع المقدس في سنة ٱلحكلمس (١٧٣٨) مسيحية »(١)

وعلى آثار مطبعة دير قزحيا ، مشت مطبعة دير سيدة طاميش (كسروان) للرهبانية البلدية اللبنانية ايضاً ، فأصدرت كتباً عديدة لاهوتية وفلسفية وروحية وعلمية وجدلية بحروفها السريانية والعربية ، منها بعض كتب للحبرين الجليلين العلامتين البطريرك بولس مسعد والمطران يوسف الدبس . وقد انجزت طبعة « الشحيمة » المطوّلة في غرّة شهر آب سنة ١٨٧٢ ، باذن البطريرك بولس مسعد وبعناية الرئيس العام الاب افرام جعجع البشرّاوي ، والقس مرقس الاهمجي مدير هذه المطبعة . ولا يسعنا في هذا المقام ان نعدّد اسماء الكتب التي أخرجتها مطبعة دير طاميش ونأتي على وصفها لان ليس لها من محلّ هنا .

مَن طبع « الشحيمة » المختصرة ، فرض الكاهن الماروني اليومي ، في رومة العظمى سنة ١٨٣٠ نظراً لافتقار الكهنة اليها ، ألم تكن الرهبانية البلدية اللبنانية في عهد رئيسها العام الجزيني النشيط المغفور له الاب اناطيوس بليبل؟

الرهبانية هي التي اهتمت في ابراز هذا الفرض اليومي المقدس وبذلت عليه النفقات ، وهي التي ساهمت في مشاريع الطائفة ومدّت لابنائها يد الاسعاف ابان محنهم ونكباتهم في ظروف عصيبة ومناسبات شتى . هل يذكر العارفون ؟

٥

ومما يجب ان يذاع أمره ولا ينبغي ان يطوى ذكره : ان اول من نشر عبادة الشهر المريمي بين الطوائف الشرقية الكاثوليكية هو الاب ليباوس ابوسليمان

١) في مكتبتنا بدير سيدة المعونات ، جبيل ، نسخة من هذا الكتاب . طالع ترجمة المطران واصاف دبي البسكنتاوي وما له من التآليف الفلسفية واللاهوتية ، في كتاب « تاريخ بسكنتا وأسرها » للخوراسقف بطرس حبيقه ص٦٩ — ٧٥ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، سنة ١٩٤٦ ، في ٣٠٧ صفحات .

المتيني احد ابناء الرهبانية البلدية اللبنانية الذي كان ممثلاً للرهبانية وللطائفة في رومة العظمى ورئيساً لدير اخوتنا الرهبان الحلبيين هناك ، مدة خمس عشرة سنة ، وذلك بنشره كتابه « الشهر المريمي او شهر ايار المكرّس لمريم العذراء » تأليف الاب موزارلي اليسوعي باللغة التليانية وقد نقله الاب ليباوس الى اللغة العربية وطبعه بمطبعة مجمع انتشار الايمان المقدس ثلاث طبعات ، الاولى سنة ١٨٤٢ والثالثة سنة ١٨٤٨ ، ووزّعه على ابناء الطائفة ، ولكل يوم من ايام شهر ايار فصل خاص يتلى فيه . وقد طبعته مطبعة الرهبان الفرنسيسيين بالقدس باذن البطريرك الاورشليمي سنة ١٨٥٣ نقلاً عن طبعة رومة الاولى ، وطُبع ايضاً في بيروت فوق العشرين طبعة بعد ان أُسقط منه اسم مترجمه وأبقي اسم مؤلفه . ولاقى هذا الكتاب رواجاً واستحساناً عظيمين بدليل طبعاته المتعددة ، وقد وضعت كتب في موضوعه وعلى سياقه ونمطه ولم تصدف اقبالاً عليها ، بل ظلّ كتاب الاب ليباوس مفضلاً عليها جميعها تتداوله ايدي المؤمنين ويقرأونه بسرور وانبساط في شهر ايار المخصص لعبادة أُمنا مريم العذراء ، في البيوت وفي الكنائس معجبين برقّة معانيه ودقّة اسلوبه لانهم ألفوا سماعه ، لذلك لا يرضون عنه بديلاً . وقد رأينا للاب ليباوس بعض كتب وضعها وترجمها وطبعها بمناسبة اقامته في رومة العظمى ، منها كتاب صلوات وكتاب آخر صلوات علّق عليها الباباوات الغفارين ، ولدينا نسخة منه ليست الآن تحت متناول يدنا .

وطُبع ايضاً « الاب ليباوس المتيني وكيل عام رهبان ماري انطونيوس البلديين اللبنانيين الموارنة في رومة » كتاب « القلب المنسحق » بمطبعة مجمع انتشار الايمان المقدس في رومة سنة ١٨٤٨، تأليف الاب يوحنا بطرس بينامونتي اليسوعي وترجمة الخوري عبدالله الشبابي الماروني ، وتعريب القس جبرائيل فرحات (المطران جرمانس) في دير سيدة اللويزة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٧١٧[1]

كان الاب ليباوس من آباء الرهبانية المشهورين بالعلم والتقوى والوداعة ودماثة الاخلاق، وقد انتخب لرئاسة دير مار موسى الحبشي مرّات عديدة وبنى

١) في مكتبتنا بدير سيدة المعونات في جبيل ، نسختان من هذا الكتاب : نسخة مطبوعة ونسخة خطية قديمة .

كنيسته الرحبة وجانبا منه ، ونال وظيفة المدبّرية في الرهبانية ، وقد ارسل الى رهبانيته من رومة صوراً زيتية جميلة لأشهر الرسامين في ايطاليا ، وبدلات وملابس كهنوتية وصلباناً وذخائر عديدة

ومما يروى عن شيوخ الرهبانية معاصريه ومعاشريه ، ان الامير بشير الشهابي الكبير استدعاهُ خصيصاً من رومة الى لبنان للقيام بكتابة مراسلات الامير الاجنبية ، ولتعليم حسن جهان زوجة الامير الثانية مبادئ الديانة الكاثوليكية ، وهو الذي عقد زواجه عليها . ومما نفحه به الامير ، ساعة فضية بديعة ذات آلات غريبة عجيبة ، قدّمها له سنة ١٧٨٨ ، على ما روى عن لسانه معاصره ونسيبه الاب بولس ابو سليمان المتيني احد مدبّري الرهبانية اللبنانية . وقد اهدى هذه الساعة الامير بشير ، الامير محمد علي ، ولا تزال هذه الساعة الى الآن بيد الاب مبارك الناكوزي المتيني الراهب اللبناني ، في دير مار مخايل بنابيل يحتفظ بها كأثمن الاعلاق والذخائر ، وهي تُدار بمفتاح صغير ، وعلى طبقتيها نقشتان جميلتان ، وقد قلّبتها بيدي مراراً وانا دهش من كثرة ما فيها من الآلات[1] .

توفي الاب ليباوس ابو سليمان في دير مار موسى الحبشي (قضاء المتن) واليك ما كُتب عنه في روزنامة هذا الدير :

« قد توفي لرحمته تعالى الاب ليباوس المتيني وكان مدبراً ثالثاً ، وكان ذا سيرة حسنة ليّن الاطباع ، قلب ابيض ، عاش ممدوحاً ومات ممدوحاً وذلك برئاسة الاب طوبيا (ابو سليمان) المتيني ، بعمر ٨٢ سنة ، في ١٥ ايلول سنة ١٨٧٢ » .

طبعة كتاب الانجيل

ان اول من اهتم وسعى من رهباننا لطبع كتاب الانجيل لتلاوة القداس الماروني ، القس جبرائيل حوّا الحلبي احد مؤسسي رهبانيتنا اللبنانية ، اذ كان رئيساً لدير مار بطرس ومرشلّينوس في رومة العظمى. طبعه هناك سنة ١٧١٥،

[1] لدينا مجموعة رسائل بخط الاب ليباوس ابو سليمان المتيني انفذها من رومة الى بعض الرؤساء العامّين ورؤساء الاديار وكلها بخطه العربي الدقيق وقد مر على كتابتها اكثر من مئة سنة ، مع مسودات بعض مؤلفاته .

في السنة الخامسة عشرة من حبرية البابا اقليموس الحادي عشر ، وهي السنة العاشرة من بطريركية مار يعقوب عوّاد على الموارنة ، وبعناية القس اندراوس اسكندر القبرسي مولدًا الماقوري اصلًا[1] .

واما الانجيل الذي عرّبه المطران جرمانس فرحات ، قد طبعته مطبعة دير مار انطونيوس قزحيا ، باذن السادة البطاركة اربع طبعات خدمة للدين والطائفة المحتاجة اليه اشد الاحتياج ، على ما جاء في مقدمة طبعته الاولى سنة ١٨١٥ :

« قد تأمل قدس الاب/اغناطيوس بليبل (ساقية المسك – برصاف) رئيسنا العام اللبناني الكلي الاحترام ، بانّ كتب القداس المختصة بخدمة الجلال الالهي قد دثرت وبقيت اغلب الكنائس بغاية الاحتياج اليها ، لزم ان اعتني الاعتناء الكلي في ان تُطبع هذه الكتب المقدسة الالهية بمطبعة وبنفقة رهبنتنا اللبنانية ، وذلك لمجد الله الاعظم ، ولسدّ احتياج كنائس طائفتنا المارونية ، فلاجل ذلك امرني انا ولده القس نعمة الله النجار البسكنتاوي[2] ، ان اهتم الاهتمام الكلي في مداركة نظام وترتيب طبع هذا الكتاب المبارك . فامتثالًا لامر الطاعة المقدسة ، ورغبة في اكتساب الاجر والثواب ، والخير العام لهذه الطائفة ، اني اضع على ذاتي اتعابًا وشقاء هذه المهنة فوق اتعاب وشقاء الشيخوخة الوهنة ، متكلًا على ان يد الله هي الصانعة والقادرة على كل شيء ، وان ارادته الالهية تستميل بي الى هذا العمل الصالح وتسند الضعف البشري . . . وقد تمّ ذلك في حيوة قدس سيدنا وتاج روسنا ماري يوحنا الحلو البطريرك الانطاكي[3] الكلي النبطة والطوبى . . . قد طبع بدير ماري انطونيوس قزحيا وكان انتهاؤه في ܝܗ (١٥) كانون الثاني ابتدا سنة ܐܬܬܝܗ (١٨١٥) مسيحية . تم ولله المجد دائمًا »

ج

طُبع كتاب الانجيل (القداس الالهي) تعريب فرحات ، بالسرياني والكرشوني اربع مرّات بمطبعة دير قزحيا ، الأُولى سنة ١٨١٥ وقد مرّ ذكرها . ووقفنا ايضًا على كتاب الطبعة الثانية التي كان الانجاز منها في اوائل حزيران سنة

---

١) رأينا نسخة من هذا الانجيل، عند موسى الخوري يوسف ابي ميلا في قرية عينطورا المتن . وعلى ورقة بيضاء من هذا الكتاب كتب ريشا ثابت هذه العبارة بخطه السرياني الكرشوني وهي : « هذا الكتاب المبارك الى كنيسة مار الياس (للموارنة) في بسقلين . حرّر ريشا ثابت سنة ١٧٧٩ »

٢) لنا كلمة فيه تنشرها في العدد الآتي من المشرق

٣) توفي بدير سيدة قنوبين في ١٢ ايار سنة ١٨٢٣

١٨٣٨ ، باذن البطريرك يوسف حبيش[1] (ساحل علما ، كسروان) ، في زمن رئاسة الاب عمانوئيل سلامه المتيني[2] العامّة على الرهبانيّة اللبنانيّة . والطبعة الثالثة كانت سنة ١٨٥٥ . والطبعة الرابعة تمّت في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٧٢ ، بأمر السيد البطريرك بولس مسعد[3] (عشقوت ، كسروان) ، واهتمام الاب افرام جعجع البشراوي رئيس الرهبانية اللبنانية العام ، وتحت نظر الاب نعمة الله القدّوم الكفري[4] ، وعناية الاب مارون ابي بشاره ايطو[5] مدير هذه المطبعة التي أدارها اكثر من خمسين سنة بهمّةٍ لا تعرف الملل ولا الكلل . وكان صناعيًا ماهرًا بحرفة الطباعة ، وهو الذي سبك حروف مطبعة دير قزحيا السريانيّة وأمهاتها ونقش نقوش تجليد مطبوعاتها . وقد توصّل الى سكّ الربع المجيدي والريال المجيدي غير المتميزين عن سكّ الاستانة .

فهذا قليلٌ من كثيرٍ ذكرناه ، وتلك حقيقة صرحنا بها بدون تهيّب او

١) توفي في دير الديمان في ٢٣ ايار سنة ١٨٦٥ . طالع ترجمة حياته ، للخوري يوسف شبيعه اللاذقي المرسل الرسولي الماروني ، مطبعة الارز ، جونيه ، سنة ١٨٩٧ ، ١٩ صفحة .

٢) رأس الرهبانية ثلاثة مجامع ١٨٣٥ و ١٨٤١ و ١٨٥٣ . توفي في ٢٢ شباط سنة ١٨٦٩ ودُفن بضريح خاص في كنيسة دير مار مخايل بنابيل ، المتن .

٣) وُلد في عشقوت سنة ١٨٠٦ . سيم اسقفًا ١٨٤١ . انتُخب بطريركًا في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ . ثبّته البابا بيوس التاسع في ٢٣ اذار سنة ١٨٥٥ . توفي في ١٨ نيسان سنة ١٨٩٠ . دُفن بضريح خاص في كنيسة مدرسة القديسين بطرس وبولس في عشقوت . وهو مؤلف كتاب « الدرّ المنظوم ردًّا على البطريرك مكسيموس مظلوم » ، المطبوع بمطبعة دير سيدة طاميش ، كسروان سنة ١٨٦٣ ، في ٣٦٣ صفحة .

٤) ولد في قرية الكفر (بلاد جبيل) باواخر شهر شباط ١٨٢٦ ، سيم كاهنًا علمانيًا سنة ١٨٦٦ . رأس مدرسة مار يوحنا مارون وكان البطريرك الياس الحويك من تلامذته . ابتدأ في دير قزحيا سنة ١٨٥٢ . لبس الاسكيم الملائكي سنة ١٨٥٣ . تعين رئيسًا عامًا في ٧ نيسان سنة ١٩٠٣ . توفي براحة القداسة بدير مار قبريانوس كفيفان (بلاد البترون) مساء ١٨ ايلول سنة ١٩٠٨ عن ٨٢ عامًا . وهو مؤلف كتاب « مورد التحقيق » ومختصره في صرف اللغة السريانية ونحوها . طالع ترجمة حياته للاب اغناطيوس داغر التنوري في آخر كتاب « اصدق الثناء على قدوة الرؤساء » ، المطبعة اللبنانية ، جسر نهر بيروت (لبنان) سنة ١٩١٤ . وللاب مبارك ثابت « موجز سيرة الابوين نعمة الله الكفري واسطفان الكفيفاني » بيروت ، مطبعة الاجتهاد ليوسف ثابت سنة ١٩٢٣

٥) طالع ترجمته التي نشرناها في المشرق ٢٣ [١٩٢٥] : ٥٩٠ – ٥٩٤

تخريج ، وساقنا الى التنويه بها ، رغبتنا في ان يقف عليه المتأخرون الذين يجهلون ما لهذه الرهبانيّة البلديّة اللبنانيّة من الايادي البيضاء والمآثر الحسناء على ابناء الوطن اللبناني العزيز . ولو جئنا نعدد كل الخدم والتضحيات التي بذلتها هذه الرهبانية في جنب الطائفة المحبوبة ، لضاق بنا المجال وقصرت هذه الصفحات عن استيعابه . واذا حقّ لها الافتخار بقيامها بمثل هذه الاعمال الخطيرة بامانة واخلاص ، فبالرب تفتخر الذي لمجده صنعت ولاجله تعبت وحبًا للطائفة بذلت ، وهو تعالى المثيب والهادي الى كل خير وصلاح .

ذكرنا ان الذي نَقَلَ الانجيل المقدّس من اللسان السرياني الى اللسان العربيّ ورتّبهُ وضبطه ونسّقهُ ، هو المطران جرمانس فرحات رئيس اساقفة حلب ، وقد صدّرهُ ببيانٍ يكشف عن معانيه وقدمِهِ وتراجمهِ ، وعن اللغات التي تكلّم بها الانجيليّون الاربعة . ورأينا في أديارنا بعض نسخٍ خطيّةٍ لهذا الكتاب منها نسخة وقفنا عليها في دير مار مخايل بنابيل — المتن — في صيف سنة ١٩٥١ . وتسهيلًا لاقتنائهِ في البيوت وفي الكنائس ، ورغبةً في ان يطالعه اولئك الذين يجهلون القراءة السريانيّة — الكرشونيّة — طبعهُ بالحروف العربيّة على نفقتهِ وفي مطبعتهِ ، صاحب الهمم والمبرّات المثلّث الرحمة المطران طوبيا عون رئيس اساقفة بيروت الشهير ، سليل الرهبانيّة البلديّة اللبنانيّة . ويقع هذا الكتاب في ٢٩٦ صفحة ، وصُدّرت الصفحة الثانية منهُ بهذه العبارة وهي :

« قد طُبع بطبعة قدس السيّد الجليل المطران طوبيّا عون الماروني رئيس اساقفة بيروت الكلي الشرف والاحترام ، وباهتمامه وتفقتو ، في بيروت سنة ١٨٦٥ » (١

---

١) وُلد المطران طوبيا في محلة الدامور ، في غرّة كانون الاول سنة ١٨٠٣ ودُعي باسم شبيب . دخل الرهبانية البلدية اللبنانية في ٢٥ اذار سنة ١٨١٨ . ابرز النذور الرهبانية في دير سيدة طاميش ، كسروان . وسمّي باسم طوبيّا ، في غرّة نيسان سنة ١٨٢٠ . رقّاه الى الدرجة الكهنوتية البطريرك يوسف حبيش في ٣٠ ايلول سنة ١٨٢٣ . اختاره هذا البطريرك كاتمًا لاسراره في شهر ايار سنة ١٨٢٧ . رفعه الى درجة الاسقفية في ١٩ اذار سنة ١٨٤١ . عيّنه راعيًا لابرشية بيروت في آخر كانون الاول سنة ١٨٤٤ ، وقد اتى فيها من الاعمال العظيمة ما يبقى على الدهر ذكره . توفي في ٤ نيسان سنة ١٨٧١ . دفن في ضريح

وفي آخر البيان عن هذا الكتاب المثبت في بدنه ، وضع المطران فرحات هذا التنبيه :

تنبيه

« اقول انا الحقير في رؤساء الكهنة ، جرمانوس اسقف حلب الماروني النير المستحق ، انهُ لما كان سنة الف وسبعماية وتسعة وعشرين مسيحية، في حيوة الحبر الاعظم مار بناديكتوس الثالث عشر البابا الروماني الاقدس ، وفي حيوة السيد البطريرك مار يعقوب عوّاد المعظّم القائم يومئذٍ في رئاسة الملّة المارونيّة ابداً، قد ترجمتُ الانجيل المقدس بكلّ حرصٍ واجتهاد وضبطٍ كليّ ، من اللغة السريانيّة الى اللغة العربيّة كلمة فكلمة بغير زيادة ولا نقصان ، النصوص الالهيّة ، لانّ التشويش في عبارات كتاب الله ضربٌ من الكفر . ولهذا جاءت النسخة العربيّة المتقولة، طبق النسخة السريانية المطبوعة في رومية الكبرى سنة الف وسبعماية وثلث مسيحيّة ، في عهد البابا مار اينوشنسيوس الثاني عشر الاقدس . وفي عهد السيد البطريرك مار اسطفانوس الدويهي رحمه الله . وجعلنا تراكيب نسختنا هذه العربية مربوطة الاعراب بحسب القواعد النحويّة ، فلا يتجاسر متواقح على التبديل والتغيير ولا على التقدم والتأخير ، لاننا جعلنا عبارات هذه النسخة ظاهرة الالفاظ من غير ان نعقدها بالالفاظ اللغويّة، لاننا لم نقصد بذلك صناعةً وفصاحةً عاليةً، بل إنما قصدنا فائدة المسيحيّين الساذجين . ثمَّ وضعنا في آخر هذه النسخة فهرس المشاهرة ليُقرأ لكلّ يومٍ فصلٌ يخصّهُ في مدار السنة . وهكذا حصلنا عليهِ بتعبٍ عظيم ، طالبين الرحمة من المؤمنين والثواب من إله المسيحيّين امين »

خاص في كنيسة كرميه عين سعاده التي بناها ، وأرّخ وفاته المطران جرمانس الشالي بثلاثة ابيات من الشعر نُقشت على بلاطة فوق الضريح وهي :

سقياً لرمسٍ ضم حبراً قد سما بالفضل والتقوى فساد محمدا
فالقبر باب الرب والصدّيق من ذا القبر يدخل في النعيم ليسعدا
قلنا بعون الله في تاريخهِ بسعادة الدارين طوبيا غدا
سنة ١٨٧١

وفي صدر هذا الضريح الرخامي ، حول صليب اسود ، نقشت هاتان الآيتان الكريمتان « اذكر قضائي هكذا يكون قضاؤك انت ايضاً ، فلي امس ولك اليوم » (ابن سيراخ في ص٣٨ عدد ٢٣) « من هو الانسان الذي يحيا ولا يعاين الموت » (مزمور ٨٨ عدد ٦٩) .

وقد رثاه كثير من الكتّاب والشعراء . جمع هذه المراثي وطبعها في كتاب خاص الخوري يوسف الشامر كاتم اسراره . كان المطران طوبياً من اعظم واقدر مطارنة الطائفة المارونية وابعدهم همةً واكثرهم جراةً واشدهم عزماً واوسعهم شهرةً . رحمه الله عداد ما له من الحسنات والمبرّات .

انك علمت مما تقدم ان المطران فرحات عيّن لكل يوم انجيلاً مطابقاً معناهُ مغزى حياة صاحب العيد الواقع في ذاك اليوم . وانت لا تجهل ما عانى هذا الحبر النابغة من التعب والمشقّة في هذا السبيل ، على ما صرّح بهِ هو نفسهُ ، أجزل الله اجرهُ وبلّل بغيث المراحم قبرهُ .

وقد تصدّى ايضاً لطبع كتاب الانجيل المذكور ، الحبرُ العلّامة المطران يوسف الدبس ، بالحرف السريانيّ وصدّرهُ بمقدّمةٍ ، كما طبعَ كتاب رسائل القديس بولس .

٭

لقد امتدَّ بنا النَّفس وحان لنا ان نبدأ بتعريف نسخة انجيلنا الخطيّ القديم العهد فنقول :

سبق لنا ان وصفنا كتاب انجيل خطي وجدناهُ في غوسطا ، كسروان (المشرق ٤٦ [١٩٥٢] : ٤٢٥–٤٣٢) ، والآن وقفنا بين مخطوطات خزانة كتبنا ، في دير سيّدة المعونات جبيل ، على كتاب انجيل خطي قديم ايضاً اتصل الينا من قبرس ، نُسخ سنة ١٥٦٥ مسيحيّة بيد الياس الذي لم يذكر لقبهُ وكنيتهُ وقريتهُ كما سيأتي ، تضمّهُ دفّتان من خشبٍ غليظ مغلّفتان بقماش ثم بجلدٍ مائلٍ قليلًا الى الاحمرار . ولتقادم عهدهِ لم يعد خشبهُ وقماشهُ وجلدهُ قادرا على ضبطهِ ومسكهِ . وعلى ظاهر آخر صفحة منه بيضاء ٨٤٤ وهي الأخيرة كتابة اسم الذي ابتاعهُ بالحروف السريانية ، وقد ذهب جانبٌ من هذا الاسم ولم يبقَ غير هذه الكلمات وهي : اشترهُ (اشتراهُ) من لقس (القس) (هنا كلمات بالحروف اليونانية غير مقروءة جيّدًا) هذا الكتاب للمطران بطرس ا ف »[1]

هذا الانجيل منسوخ على ورق عادي ، طوله ٣١ سنتمترًا بعرض ٢١ سنتمترًا ، عرض هامشه ٤ سنتمترات ، سمكه ١١ سنتمترًا ، عدد صفحاته ٨٤٤ صفحة ، وزنهُ رطلٌ وثماني اواقي ، الصفحة منه تحتوي ٢٢ سطرًا . وكل صفحة منه حقلان ، حقلٌ بالسريانية وحقل بالكرشونية السريانية التي تُلفظ بالعربية ، ومنسوخ بالحبر الاسود وأمّا عناوينهِ فبالحبر الاحمر . وفي اوله فهرس

١) لا نعلم من هو هذا المطران بطرس !

بالسريانية يعيّن الاناجيل التي تُقرأ في ايام الآحاد والاعياد والصوم من اناجيل الرسل الاربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

جاء في اول انجيل منه صفحة ٩ ، من الحقل الاول بالسريانية :

ܥܠ ܣܒܪܐ ܕܬܠܝܬܝܘܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚܐ
ܩܕܝܫܐ ܚܕ ܐܠܗܐ ܫܪܝܪܐ ܡܫܪܝܢܢ ܕܢܟܬܘܒ ܐܘܢܓܠܝܘܢ
ܩܕܝܫܐ ܕܡܫܝܚܐ ܐܠܗܐ ܩܕܡ ܟܪܘܙܘܬܐ ܕܡܬܝ ܫܠܝܚܐ ܩܪܝܢܐ
ܕܚܕ ܒܫܒܐ ܕܩܕܡ ܡܘܠܕܐ

ومن الحقل الثاني مقابله ما يلي بالحبر الاحمر :

« على رجاء الثالوث المقدس الآب والابن والروح القدس الواحد الله الحقيق نبتدي نكتب الانجيل الطاهر لسيدنا ومخلّصنا ايسوع المسيح الله . في الاول انجيل البشير متى الرسول يقرأ الاحد الاول قبل عيد الميلاد »

هنا يأتي الانجيل « كتاب ولادة سيدنا ومخلّصنا ايسوع المسيح الذي هو بالجسد ابن داود ابن ابراهيم ومن نسلهم لان ابراهيم وَلَد ايسحق ، ايسحق وَلَد يعقوب ... الخ الخ » وهو بالسريانية والعربية (الكرشونية) كما مرّ ويتخلل الحقل العربي الذي هو ترجمة الحقل السرياني بعض شروح ما سيأتي

وبعدهُ يأتي هذا الانجيل لمتى السليح وهو بحرفه بالنص السرياني :

ܐܘܢܓܠܝܘܢ ܕܡܬܝ

ܝܠܝܕܗ ܕܝܢ ܕܝܫܘܥ ܡܫܝܚܐ ܗܟܢܐ ܗܘܐ. ܟܕ ܡܟܝܪܐ
ܗܘܬ ܡܪܝܡ ܐܡܗ ܠܝܘܣܦ ܥܕܠܐ ܢܫܬܘܬܦܘܢ ܐܫܬܟܚܬ
ܒܛܢܐ ܡܢ ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ. ܝܘܣܦ ܕܝܢ ܒܥܠܗ ܟܐܢܐ ܗܘܐ
ܘܠܐ ܨܒܐ ܕܢܦܪܣܝܗ ܘܐܬܪܥܝ ܗܘܐ ܕܒܛܠܝܐܝܬ ܢܫܪܝܗ. ܟܕ
ܗܠܝܢ ܕܝܢ ܐܬܪܥܝ ܐܬܚܙܝ ܠܗ ܡܠܐܟܐ ܕܡܪܝܐ ܒܚܠܡܐ ܘܐܡܪ
ܠܗ ܝܘܣܦ ܒܪܗ ܕܕܘܝܕ ܠܐ ܬܕܚܠ ܠܡܣܒ ܠܡܪܝܡ
ܐܢܬܬܟ. ܗܘ ܓܝܪ ܕܐܬܝܠܕ ܒܗ ܡܢ ܪܘܚܐ ܗܘ ܕܩܘܕܫܐ. ܬܐܠܕ
ܕܝܢ ܒܪܐ ܘܬܩܪܐ ܫܡܗ ܝܫܘܥ. ܗܘ ܓܝܪ ܢܚܝܘܗܝ ܠܥܡܗ
ܡܢ ܚܛܗܝܗܘܢ. ܗܕܐ ܕܝܢ ܟܠܗ ܕܗܘܬ ܕܢܬܡܠܐ ܡܕܡ ܕܐܬܐܡܪ

ܡܢ ܡܪܝܐ ܒܝܕ ܢܒܝܐ ܕܗܐ ܒܬܘܠܬܐ ܐܬܒܛܢܬ ܘܐܝܠܕܬ ܒܪܐ.
ܘܢܩܪܘܢ ܫܡܗ ܥܡܢܘܐܝܠ ܕܡܬܬܪܓܡ ܥܡܢ ܐܠܗܐ. ܟܕ
ܩܡ ܕܝܢ ܝܘܣܦ ܡܢ ܫܢܬܗ. ܥܒܕ ܐܝܟܢܐ ܕܦܩܕ ܠܗ
ܡܠܐܟܗ ܕܡܪܝܐ ܘܕܒܪܗ ܠܐܢܬܬܗ. ܘܠܐ ܝܕܥܗ ܥܕܡܐ ܕܝܠܕܬܗ
ܠܒܪܗ ܒܘܟܪܐ ܘܩܪܬ ܫܡܗ ܝܫܘܥ.

النصُّ العربي يقابلهُ :

يُقرأ ظهوره ليوسف

أمَّا ميلاد سيّدنا ومخلّصنا ايسوع المسيح فهكذا كان سرهُ . بينا كانت مريم أمّهُ مخطوبةً ليوسف ابن عمّها من غير ان يجتمعا ويتواصلا القيت حُبلى من فعل روح القدس ليس من فعل رجل . فأمَّا يوسف خطيبها فكان عدلًا (عادلًا) تقيًّا ولم يحبّ ان يشهرها لمَّا رآها حُبلى. ولم يعلم السبب لعلمه بتقاوها (بتقواها) وعفتها وصونها . ولكنهُ اظمر[1] (اضمر) تسريحها سرًّا خفيًا البرآة نفسها . فلما ارتى (ܐܬܪܐܝ) في ذلك واظمرهُ (واضمرهُ) ترايا لهُ ملاك الرب في الحلم وقال لهُ ولتقا به اختفى لهُ بروحا النوم فقط : يا يوسف يا ابن داود ، انما هو ابن يعقوب بل ذكّرهُ بالوعد بالمسيح لداوود جدّه وانهُ يولد من بتول عذرى فلا يرتاب في السيده فينتبه ويُومن، لا تخاف ارتباط مريم خطيبتك لان المولود بها انما هو من فعل روح القدس وليس من فعل بشر . فانها ستلد ابنًا زكيًا وتدعوا (وتدعو) اسمهُ ايسوع الذي معناه المخلص . لانه هو الذي يُحيي شعبه ويخلصهم من خطاياهم . وكل هــذا كان من الامر الخارق العاد الطباع ليكمل ما قيل من الرب على لسان اشعيا النبي ان بتولًا من بني اسرائيل تقبل حَمَلًا وتلد ابنًا ويُدعا اسمهُ عمنوايل الذي ترجمته الهنا معنا . وفي هذ التسمية اشارة الى اتحاد اللاهوت والناسوت فيهِ بالمعيّة . ولما استيقظ يوسف من سِنة نومه فعل كما امره ملاك الرب وتمسك بخطيبته ولم عرفها بالناسا حتى

1) انه يكتب الضاد ظاء كما كانت تلفظ في ذلك العهد .

ولدت ابنها البكر[1] وهذه لا غاية لها ولا تتظمن (تتضمن) الفعل بعدها . وهي كقول الكتاب ان ملكيل بنت شاوول لم تلد حتى ماتت . وكما ان ملكيل لم تلد بعد موتها كذلك يوسف لم يعرف مريم بعد ولادتها ابنها . وكذلك غراب نوح لم يرجع الى السفينة حتى نشف ما (ماء) الطوفان . ومعلوم انه لم يرجع بتّه بعده . وكذلك يوسف لم يعرف مريم بالنسا بتّه بعد ولادة ابنها ودعت اسمهُ ايشُوع .

*

واليك مثالاً آخر من هذا الكتاب ، وهو انجيل القديس يوحنا بنصه العربي صفحة ٦٤٧ :

بسم الاب والابن وروح القدس الاهٌ (الاله) واحد
فصل الانجيل الطاهر لسيدنا ومخلصنا ايشوع المسيح
من بشاره يوحنا الرسول
يُقرا عشية ميلاد سيدنا بالجسد

في البدي (البدء) كان الكلمه موجودًا . يريد كلمة الله اي قنوم (اقنوم) الابن . والكلمه فهو كان موجودًا عند الله من الازل . والله الموجود كان هو الكلمه . يشير الى وحدانية الطبع . هذا كان موجودًا من البد (البدء) لدن الله ومن دونه ولا شيء ابطًا (ايضًا) كان ما حدث الموجود . به كانت الحيوه ووجدت والحيوه فهي نور الناس . يريد بالنور علم الحق بسيدنا والنور فهو يظي (يضيء) في الظلام اي في عالم الموت ، والظلام لم يدركه اي لم يُدرك اهل العالم حقيقة سر السيد المسيح . كان انسان ارسل من الله تعالى اسمه يوحنا ، يريد المعمدان ، هذا اتى للشهادة ليشهد على النور اي على سيدنا وعلمه ليومن كل انسان على يديه . ليس هو كان النور اي ليس هو كان المسيح لكن ليشهد على النور الذي اظا (اضاء) للعالم بامانة ، لان نور الحق كان موجودًا قبله ، يشير

---

(١) ان القديس ايرونيموس في ترجمته اللاتينية للكتاب المقدس المعروفة بالعامية (Vulgate) قد استعمل لفظة « حتى » والأولى ان يترجم هذا الظرف كما هو بالعبرانية (ad - Ki) او باليونانية (ἕως οὗ) « بلَّما » ، كما لم يتردد عن ترجمة هذه الاية العلّامة المتضلع من شرح الكتاب المقدس بيرو (Pirot S.B. T. IX. p. 11, p. 10) « وبدون ان يعرفها ولدت ابنها البكر » وقد تُرجمت هذه الاية بهذا المعنى في الكتاب المقدس للرهبان البنديكتان (La Ste Bible — , Maredsous, 1949. Evangile selon St Mathieu, ch. 1, 25.)

الى اللاهوت المنوّر لكل الناس الذي اتى الى العالم متحداً بالنسوت (بالناسوت) في العالم كان ، اي في الوجود والعالم بيده كان اي به كُوّن وخُلق . والعالم لم يعرفه ، اي غير المومنين . اتى الى ما له وما له لم يقبله . يريد خاصته اليهود . فامّا الذين قبله (قبلوه) فاعطام سلطاناً (سلطاناً) ان يصيروا لله ابنا (ابناء) بالاختصاص الذين يومنون باسمه افاد ذلك الذين ليسو من دم ، اي بنوّتهم ليست جسدانية، ولا من مراد لحم ، اي وليست باتبع (باتباع) هواى (هوى) الجسد ولا من مشيئة رجل ، بل انما وُلدوا من الله باتباع اوامره وبايمانهم واعتمادهم

والكلمه صار لحم وحلّ فينا ، اي شان الكلمة الالهية ان شيئاً من طبع صار لحماً وحلّت الكلمه فيه اتحاداً . ووأينا مجده كمجد الوحيد من الاب ، اي مع الاتحاد صار مجد البشري كمجد الابن الازلي المتحد به المملوّ نعمة وعدلاً . يوحنا المتمدان شهد عليه وهتف وقال : هذا هو الذي قلت انه ياتي بعدي بناسوته وكان قبلي بلاهوته لانه اقدم مني شرفاً وزماناً بناسوته ولاهوته . ومن امتلايه وكماله اخذنا كلنا اي من كمال بنوّته الحقيقة افدنا (افادنا) نحن المومنين به بنوة الاختصاص ونعمه بدل نعمه اي صرنا الى نعمة الايمان به بدلاً من نعمة الناموس العتيق . لان الناموس الجسدي انيد على موسى النبي ، فامّا الحق والنعمة الروحانية فكانوا على يدي سيدنا ومخلصنا ايسوع المسيح الابن المتحد .

هذا ما رأينا ان نثبتهُ من هذا الكتاب تعريفاً وقياساً على ما تضمنهُ ليقف القارئ على نهجهِ . وقد رسم الناسخ بالحبرَين الاحمر والازرق نقشةً جميلةً في بدء كل انجيل من اناجيل الرسل الأربعة .

وجاءَ في آخر انجيل متى بحبرٍ احمر ما نصُّهُ :

« كملت بشارة متى الانجيلي الناطق في العبراني بفلسطين »

ثم بخط دقيق بالحرف السرياني ايضاً :

« وكتبت قراية البشاره بفلسطين عملها (عمليها) في الهند عبرانياً في السنة الاولى من ملك اقلوديوس قيصر وهي التاسعه للصعود المقدس . وغفر الله خطايا الناسك(١) الخاطي المسكين وخطايا والديه روحاني وجسداني وخطايا القاري والسامع والقاني امين» .

ثم بخط سرياني مختلف رديء :

« كمل هذا الكتاب المبارك بسنة التجلي الف وخمساية وثلاثة وستون مسيحية(٢) وكان

١) يظهر ان ناسخ هذا الكتاب المسمّى الياس ، كان ناسكاً في احد مناسك لبنان .

٢) ان ناسخ هذا الكتاب لم ينتهِ من نسخه في سنة واحدة على ما يظهر . انتهى من نسخ انجيل متى سنة ١٥٦٣ ومن سائره سنة ١٥٦٦ ، فاستمرَّ على كتابته ثلاث سنوات . من هو متى ابن مركوا القلاعي؟ بالطبع انه من سلالة جبرائيل القلاعي مطران قبرس الشهير .

المتني شأن مركرا ܡܪܩܘܣ القلاعي سدقا منه وعن والدبه ».

وجاء في آخر انجيل مرقس صفحة ٣٨٨ :

« تمت بشارة مرقس الانجيلي تلميذ بطرس المخاطب النادي بالروميه في مدينة روميه».

وفي آخر انجيل لوقا صفحة ٦٤٦ :

« تمت بشارة لوقا الانجيلي المتكلم يونانياً في الكسندريا ».

ثمّ بخط عربي رديء :

« يا رب اغفر العبدك المسكين الذي كتب امين امين ».

وفي آخر انجيل يوحنا صفحة ٨٤١ :

« كملت بشارة يوحنا السليح الناطق في اليوناني في مدينة افسس صلاواته معنا امين».

وفي الصفحة ٨٤٢ كتب الناسخ هذه الكلمة باللغة السريانية وهذا نصُّها بحرفها :

ܫܠܡ ܒܫܘܠܡܐ ܐܘܢܓܠܝܘܢ ܩܕܝܫܐ ܕܡܫܠܡܢܘܗܝ ܘܡܟܪܙܢܘܗܝ ܘܐܒܗܘܗܝ ܐܪܒܥܐ ܐܘܢܓܠܝܣܛܐ ܩܕܝܫܐ ܦܠܚܗ ܡܪܩܘܣ ܠܘܩܐ ܡܬܝ ܘܝܘܚܢܢ ܗܘܘ ܐܢܘܢ ܠܟ

ܒܗ ܡܢ ܟܠ ܠܬܠܝܬܝܬܐ ܐܒܐ ܘܒܪܐ ܘܪܘܚ ܩܘܕܫܐ ܐܠܗܘܬܐ ܚܕܐ ܚܝܠܐ ܚܕܐ ܚܘܒܐ ܕܠܐ ܡܬܦܠܓ ܐܝܟ ܡܟܘܢ ܠܟ ܠܥܠܡ ܒܡܪܝܐ ܚܕܐ ܠܗܘܢ ܕܢܗܘܐ ܢܝܚ ܡܢ ܒܢܝ ܘܡܢ ܠܟ ܡܘܒܠ ܩܘܪܒܐ ܒܡܘܫܐ ܪܒܐ ܕܐܬܟܬܒ

ܗܘ ܠܐܒܐ ܕܫܕܪܗ ܘܫܒܘܚܐ ܠܒܪܐ ܕܫܕܪ ܘܠܪܘܚܐ ܠܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܘܗܘܝܐ ܕܡܫܬܒܚ. ܗܫܐ ܘܒܟܠܙܒܢ ܠܥܠܡܝܢ ܐܡܝܢ

ܐܫܬܠܡ ܟܬܒܐ ܗܢܐ ܕܐܘܢܓܠܝܘܢ ܩܕܝܫܐ ܒܝܘܡ ܬܠܬܐ ܘܒܫܒܥܬܥܣܪ ܒܗ ܒܝܪܚܐ ܒܐܝܪܝ ܐܝܠܘܠ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܢܝܢ ܒܗ ܒܫܘܠܡܐ ܕܒܝܕ ܕܐܝܠܝܢ ܐܠܗܐ ܦܢܝܢ ܟܠ ܐܝܢ ܐܝܟ ܡܫܝܚܐ ܘܫܡܝܐ ܘܡܪܐ ܟܠ ܡܫܝܚܐ ܘܡܟܢܫܐ ܘܫܪܐ ܘܫܪܝܐ ܐܠܗܐ ܕܟܠܐ ܘܢܘܗܪܐ ܘܐܪܐ ܕܡܫܝܚܝܐ ܘܫܠܐ ܘܐܘܪܫܠܡ ܘܫܦܝܪܐ ܘܫܠܐ ܬܘܒ ܡܢ ܟܫܝܪܘܬܐ ܘܡܢ ܫܠܝܐ

ܘܫܠܕܐ ܕܪܡܝܐ ܒܚܘܡܐ ܒܫܡܫܐ ܒܬܪ ܐܪܒܥܐ ܝܘܡܝܢ. ܐܠܐ ܗܕܐ
ܒܥܐ ܐܢܐ ܡܢ ܟܠ ܐܚܐ ܘܐܒܐ ܪܘܚܢܐ ܕܦܓܥ ܒܟܬܒܐ ܗܢܐ
ܘܐܢ ܡܫܟܚ ܒܗ ܦܘܕܐ ܐܘ ܟܬܝܒ ܣܟܠܘܬܐ ܐܘ ܢܘܩܙܐ ܢܬܪܨ ܐܝܟ
ܚܟܡܬܗ ܘܣܟܠܘܬܗ ܘܠܐ ܢܫܕܐ ܒܟܠܗ ܠܟܬܒܐ ܐܠܐ ܢܨܠܐ
ܥܠܘܗܝ ܘܗܘ ܐܝܟ ܪܚܡܘܗܝ ܢܫܒܘܩ ܠܗ ܡܢ ܡܪܢ ܒܝܘܡ ܕܝܢܐ ܐܝܟ
ܘܐܦ ܠܐܚܘܗܝ ܚܛ ܘܒܟܠܗܝܢ ܡܫܒܚܝܢ ܠܥܠܡܝܢ

ترجمتها بالعربية

كملت كتابة الانجيل المقدس الذي تكلم وبشر وكرز بهِ الانجيليون الاربعة النبلاء : متى مرقس لوقا يوحنا ، صلاتهم تكون معنا .

الجد من الكل للثالوث آب وابن وروح قدس . ايها الثالوث اغفر ذنوبي من اجل العمل الذي تعبت بهِ يداي ، وامحُ خطاياي لاجل النور الذي ذهب من عينيَّ وامنحني ترك ذنوبي يوم مجيئك العظيم .

المجد للآب المقوي ، والسجود للابن الذي ارسلهُ ، والشكر للروح القدس الذي أيَّدهُ الآنَ وكل اوانٍ . . .

تمَّ كتاب الانجيل المقدس هذا في سنة الف وخمسئة وخمس وستين مسيحية بشهر ايلول المبارك في ١٦ يوماً منهُ ، في يوم السبت الساعة الثالثة ، على يدي الانسان الحقير الخاطئ والمملوء من العيوب والقروح ، المكروه المنتن ايليا الكلب والنجس وزبل القلل (جمع قلة) وغبار الطرق وفساد الريح اكثر من الحائض ومن جيفة الحمار المرميَّة بحرارة القيظ بعد اربعة ايام[1] . غير اني ارجو هذا (العذر) من كل اخٍ واب روحاني يصادف هذا الكتاب ، وان وجد

١) قد اعتاد النسَّاخ من الموارنة ، في العصور القديمة ، ان يثبتوا اسمهم في آخر الكتاب الذي نسخوهُ بخطهم مرفوقًا بنعوت الاذلال والتحقير دلالةً على التواضع واحتقار الذات ، كما فعل الياس ناسخ هذا الكتاب .

فيهِ اهاًلا اعني غلطاً ونقصاً يصلحهِ بحسب معرفته وفهمهِ . ولا يطلق على اللعنات ، بل يصلّي بالمحبة ، وهو بحسب صلاته يجازيه ربنا في الدارين امين وامين. ولله المجد وعلينا مراحمهُ لدهر الداهرين[1] .

في خزانة كتبنا ايضاً انجيل آخر خطي بالعربية ، للرسل الاربعة : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، مخروم من اولهِ ، طولهُ ٢٠ سنتيمترًا ، بعرض ١٤ سنتيمترًا ، وهو بالحبر الاسود وعناوينهُ بالحبر الاحمر ، في ٤٦٢ صفحة ، منسوخ بالحروف السريانية (الكرشونية) الملفوظة بالعربية على ورق عادي ، وقد علّق ناسخهُ نبذةً في آخرهِ لا تخلو من الفائدة وهي تحتوي اسمهُ ولقبهُ وتاريخ انتهائهِ من نسخ هذا الكتاب . واليكها بحرفها الواحد :

« كمل هذا الانجيل المبارك الذي هو تأليف سادانا الرسل اي بشارة متى وكرازة مرقوس ولوقا وبشارة يوحنا ، على يد احقر الناس وارذلهم قس طو المكنّى انطانيوس ابن مبارك من رهبان دير مار يوحنا الملقب حراش في بلد كسروان في جبل لبنان . وكان فراغهُ في خامس يوم من شهر آب المبارك سنة ١٦٨٤ مسيحية بايام اب الآبا ورئس الروسا البابا مار انشنيوس المكرّم وخليفته سيدنا البطريرك الانطاكي مار اسطفانوس (الدويهي) الجالس يومئذ بمجد المدوش[2] وسادانا مطارنه المكرّمين. الرب يديمهم على رؤسنا ويرحمنا في صلواتهم امين . واسال من كل ابًا او اخًا او معلّمًا ماهرًا اذا وجد كله نقص او غلطه او حرف يصلحه ولا يلوم حقارتي لاني ليس معلّم بل متعلّم وخصوصاً لاجل اختباط

---

١) لدينا نسخة من كتاب الانجيل (القداس الالهي) المطبوع في رومة العظمى سنة ١٥٩٤ ، في عهد البابا اكليمنضوس الرابع ، والبطريرك الماروني سركيس الرزّي ، وفي آخره صلوات وتبريكات نقلها من اللسان الفرنجي الى اللسان السرياني ، القس موسى بن سعاده الشبي الماقوري الذي سيم استفاً ، وطلبات تُتلى قبل تناول القربان الاقدس وبعدهُ ، نقلها من اللسان اللاتيني الى اللسان السرياني جرجس من بيت عميرا الاهدني الذي انتُخب فيما بعد بطريركاً (راجع الجامع المفصّل للمطران يوسف الدبس ص ٢٩٦ و٣٥٣ ، ومقال الخوري بطرس غالب « نوابغ المدرسة المارونية الأولى » . المشرق ٢٢ [١٩٢٤] : ٣٦١ و ٦٣٨ و ٦٩٧ و ٥٨٦ و ٧٠٨) .

٢) طالع ترجمة البطريرك الدويهي المطوّلة للعلّامة المثلث الرحمة المطران بطرس شبلي . وهي من انفس التراجم واصدقها روايةً لاستنادها الى مصادر ومساند تاريخية حقيقية . تقع في ٥٨ صفحة بقطع متوسط . مطبعة النهضة ، بيروت ، سنة ١٩١٣ .

الزمان وكثرة الامتحان . واذكروا يا اخوتي في صلواتكم لاخوتنا القس بطروس ابن المقوّم والقس سليمان رعب ابن توما الذي كتبوا معي اي كل بشارة يوحنا وجزو (وجزء) من كرازة لوقا . والانجيل المذكور باسم الخوري موسى خادم قرية الفخيته . واترحموا على كل من لهُ فيهِ تعب اي شونقه من اهل قرية المذكورة . وكان ذلك في ايام الريّسة مريم بنت الخوري حنا الشمالي الرب يخلّصها من كل ضروره بشفاعه العذرى امين .

وعثرنا في مكتبة دير مخايل بنابيل (المتن)،احد اديار رهبانيتنا اللبنانية المارونية على كتاب انجيل (الاناجيل الاربعة) مطبوع بالحرف العربي في رومة العظمى ، وقد سقطت الورقة الاولى منه ، مزيّن بالصور يقع في ٣٦٨ صفحة بطول ٣٠ سنتمترًا وبعرض ٢٠ سنتمترًا، مجلد بجلد اسود منقوش تحتوي الصفحة منه ١٩ سطرًا والصفحة ضمن اطـار (ذي حيزين) . طول السطر منهُ ١٢ سنتمترًا ونصف وهو مطبوع برومة ١٥٩١.

فجاء في آخره هذه العبارة وهي :

« مطبوعة بمدينة رومًا بطُبعان غران دوقا في سنة الف وخمساية واحدى وتسعون مسيحية ١٥٩١ ». « Romae in typographia Medicea Anno 1591 ».

وان هذا الانجيل مرتّب فصولًا . وانا ننقل مثالًا منهُ ، الفصل السابع عشر من انجيل لوقا بحرفه الواحد :

« وبعد هذا خرج فنظر الى عشّار اسمه لاوي جالسًا على التسكيس فقال له اتبعني فترك كلّ شيء وتبعه . وصنع له لاوي في بيته وليمةعظيمة وكان جمع عظيم من العشارين وآخرون متكيين معهم فتتمقم الفريسيون والكتبة على تلاميذه قايلين لماذا تأكلون وتشربون مع العشّارين والخطاة . اجاب يسوع وقال لهم ليس يحتاج الاصحاء الى الطبيب لكن المرضى لم ات لادعو الصدّيقين لكن الخطاة الى التوبة فقالوا ما بال تلاميذ يوحنا يكثرون الصوم والطلبة وكذلك اصحاب الفريسيين واما تلاميذك فيكلون ويشربون فقال لهم يسوع هل تقدر بنو العرس ان يصوموا ما دام العريس معهم ستاتي ايام اذا ارتفع العرس عنهم حينئذ يصومون في تلك الايام وكان يقول لهم مثلًا انهُ ليس احـد ياخذ خرقة من ثوب جديد ويتركها في ثوب بال ليلا يقطع الجديد ولا يوافق البالي الخرقة الماخوذة من الجديد وليس احد يجعل خمرًا حديثة في زقاق قدم الّا تشق الخمر الجديدة الزقاق وتراق وتهلك الزقاق ولكن تجعل خمر جديدة في زقاق جدد فيتحفظان جميعًا وما من احد يشرب قديمًا فيحب الجديد للوقت لان يقول ان القديم اطيب » .

ملحق

نبذة في تاريخ دير قزحيا ومطبعته[1]

عثرنا بين اوراقنا على نبذة خطية للطيب الذكر الاب نعمة الله القدوم الكفري (بلاد جبيل) المشهور بالعلم والفضيلة ، كتبها عن دير مار انطونيوس قزحيا ومطبعته سنة ١٨٩٩ ، ولما كانت لا تخلو من الفائدة رأينا ان نلحقها بهذا المقال ، وهي بنصّها الواحد :

اقول انا الاب نعمة الله الكفري : ان عمار دير قزحيا قد ازداد تدريجاً كما ازدادت ايضاً أرزاقه تدريجاً . اولاً انــه في اواخر الجيل الثامن عشر أحضرت الرهبانيّة البلدية اللبنانية المارونية مطبعة من رومية مع آباياتها وامّاياتها لاربعة اشكال من الاحرف السريانية الجميلة وذلك عن يد الاب ساروفيم الشوشاني البيروتي الذي توفي سنة ١٨١٤ . فهذا كان أُرسل الى رومية لطبع « الشبيّة » بالحرف الكرشوني بنفقة الرهبانية المذكورة ، وتمّ طبعها سنة ١٧٨٢ تحت مناظرة الاب سمعان خضير معلم اللسان العبراني في المدرسة الرومانية بزمان البابا بيّوس السادس ورئاسة الاب عمانوئيل الرشاوي على الرهبانية . وبرجوع الاب ساروفيم من رومية أحضر معه المطبعة المذكورة فوُضعت اولاً في دير مار موسى الحبشي (بلاد المتن) وكان حينئذٍ رئيساً عامّاً على هذه الرهبانية الاب مرقس (الحدّاد) الكفاعي (عين كفاع احدى قرى بلاد جبيل) وطبع فيها بعض كتب. منها خدمة القداس سنة ١٧٨٩ ، ثمّ كتاب القداس الالهي ، ثم الرسائل ، ثمّ الشحيمة الكاملة وكلها بالحبر الأسود دون الأحمر . وانا رأيت منها (من مطبوعاتها) من أمدٍ طويل خدمة وشحيمة بالحرف الرفيع . ثمّ نُقلت هذه المطبعة الى دير قزحيا نحو سنة ١٨١٥ ، وكان ذلك بزمان رئاسة الاب اغناطيوس بليـل العامة على الرهبانية ، فبُني لها شرقي الدير محلّ منفصل عنه قليلاً وهو عبارة عن قبو عقد كافٍ لادارتها ولوازمها ، وفوقهُ محلّ للمطبوعات وتجليدها ، وذلك برئاسة الاب ارسانيوس النيحاوي على الدير من سنة ١٨٢٠

[1]) للاب نعمة الله الكفري

الى سنة ١٨٢٣ . وكان البنّاء الاب عبد الله متى الاهجي الشهير وتتلمذ بتانة البناء ، وبزمان رئاسة الاب النيحاوي المذكور أتم المشى الشرقي قبلةً وهو يلقب باسمه لحد الآن (مشى النيحاوي) وان كان اتمام بنائه بزمان خليفته الاب مرقس الشننعيري . وكان البناء الاخ يوسف المعادي .

وكان دولاب هذه المطبعة خشباً وكانت حروفها تحبر بطبشات من جلد ثمّ بدل دولابها بدولاب حديد صغير . ومن التقليد انهُ طبع بها المزامير بالحرف الكرشوني وقد رآه وقرأ به الاب جبرائيل السبعلي . وعن لسان المرحوم الاب يوسف الحصروني الذي توفي سنة ١٨٩٦ بعمر نحو ثمانين سنة انه رأى هذا المزامير[1]. ثمّ تغيّرت هذه المطبعة بالمطبعة الحالية التي اشتراها المرحوم الاب دانيال العَلم الحدثي المعروف « بقديس قرطبا » برئاسته على الدير سنة ١٨٧١ ، من المرحوم رومانوس يمين الاهدني . وليس من ذكر للمطبعة في دير قزحيا قبل التاريخ المقدم ذكره .

وأمَّا الكتب التي طُبعت في هذه المطبعة في دير قزحيا المذكور لحد الآن اي سنة ١٨٩٩[2] ، فقد تقدّمت لائحة بها الى مجلة المشرق[3] .

٭

وفي سنة ١٨٤٢ بنى الاخ عبدالله الخبّاز ، الذي تعلم صنعة البناء عند الاب عبدالله الاهجي المقدم ذكره، جسر طاحون نهر ابي علي خاصة دير قزحيا . وكان عمار هذا الجسر بزمن رئاسة الاب اغناطيوس (سركيس) البيروتي على هذا الدير .

---

١) ان دير قزحيا شيد بين جدرانه ثلاث مطابع : المطبعة الاولى المطبوع فيها كتاب المزامير بالحرف السرياني الكرشوني سنة ١٦١٠ ولا يعرف شيء عن امرها وقد تكلم عن طبعة المزامير هذه باسهاب الاب لويس شيخو في مقاله « تاريخ فن الطباعة في المشرق » (المشرق ٣ (١٩٠٠) : ٣٥٣ – ٣٥٧)، والمطبعة الثانية هي التي اتى بها من رومة الاب ساروفيم حوقا الذي لقبه الفرنج بالشوشاني . والمطبعة الثالثة ، الحالية ، هي التي ابتاعها الاب دانيال من رومانوس يمين من اهدن . وكتاب المزامير لم يطبع الّا بطبعة دير قزحيا الاولى .

٢) هي السنة التي كتب فيها الاب الكفري هذه النبذة التاريخية عن دير قزحيا ومطبعته .

٣) راجعها في مقال « تاريخ فن الطباعة » في المحل المذكور .

وفي سنة ١٨٥١ بنى الاخ عبدالله المذكور جسر نهر رشعين في ملك دير قزحيا بزمن رئاسة الاب اندراوس القرطباوي على هذا الدير ، وكان رئيساً عاماً على الرهبانية الاب لورنسيوس (يمين) الشبابي .

وفي سنة ١٨٥٦ توفي الاب انطونيوس الصفاني الحبيس في محبسة مار بولا (في محلة غبتا) المتقدم ذكرها . وكان ذا سيرة فاضلة جداً ومن جملة فضائله واخصها فضيلة الاماتة ، فان طعامه وهو في سن الشيخوخة لم يكن غالباً سوى الخبز المغموس بالزيت . والذين استحبسوا في هذه المحبسة كثيرون ، فكانوا يلبسون المسح الشعري ولا يأكلون العشب ، وكان طعامهم مرة واحدة الساعة التاسعة من النهار . ومن عداد الذين كانوا قبله في هذه المحبسة الاب اليشاع المعادي ، فمن جملة فضائله الصلاة والتأمل مصلوب اليدين، ينفرد احياناً عند مباشرتها في مغارة صغيرة فوق المحبسة وعندما تخدر يداه يربطها برسة (حبل) معلقة في سقف المغارة . وشهد بذلك رهبان كانوا يرقبونه ، وقد دلني بعضهم على تلك المغارة حين كنت مقيماً في هذا الدير وذلك في سنة ١٨٥٤[1].

وفي سنة ١٨٥٥ ، أُقيم رئيساً على دير قزحيا الاب اغناطيوس شكري الديراني وشرع بعمار الدير لجهة الغرب قبالةً حذاء عمار الرئيس السابق الاب ارسانيوس الذي مرّ ذكره ، فأقام أقبية طويلة مرتفعة وعلى ظهورها صالونات وقلالي ومشى لجهة النهر بقناطر مرتفعة بعد هدمه العمار القديم الحقير الذي كان محاشراً باب الكنيسة وهو المشى المعروف حتى الآن «بمشى شكري». وكانت نهاية هذا العمار سنة ١٨٥٧ ، وبلغ كلفه مع تبليطه ومنجوره مائة وستين الف غرش . وكان رئيساً عاماً على الرهبانية الاب عمانوئيل (سلامه) المتيني .

وفي سنة ١٨٦٤ أقيم الاب بطرس بجدرفل[2] رئيساً على هذا الدير . قد

---

١) توفي الاب اليشاع المعادي احد حبساء محبسة دير قزحيا وله من العمر سبعون سنة في ٩ تموز سنة ١٨١٩ ، برئاسة الاب برنردوس الغزيري على دير قزحيا ، وقد مكث في هذه المحبسة ثلاثين سنة . طالع تاريخ محبسة دير قزحيا ومن سكنها من الرهبان الحبساء ، كتاب « كشف الغطاء عن محابس لبنان والحبساء » للاب لياوس داغر التنوري ، ص ٥٠ — ٦٣ ، بيروت مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٢٣ ، ١٦٠ صفحة .

٢) اليك ما جاء عن وفاته في روزنامة دير مار قبريانوس كفيفان بحرفه الواحد :

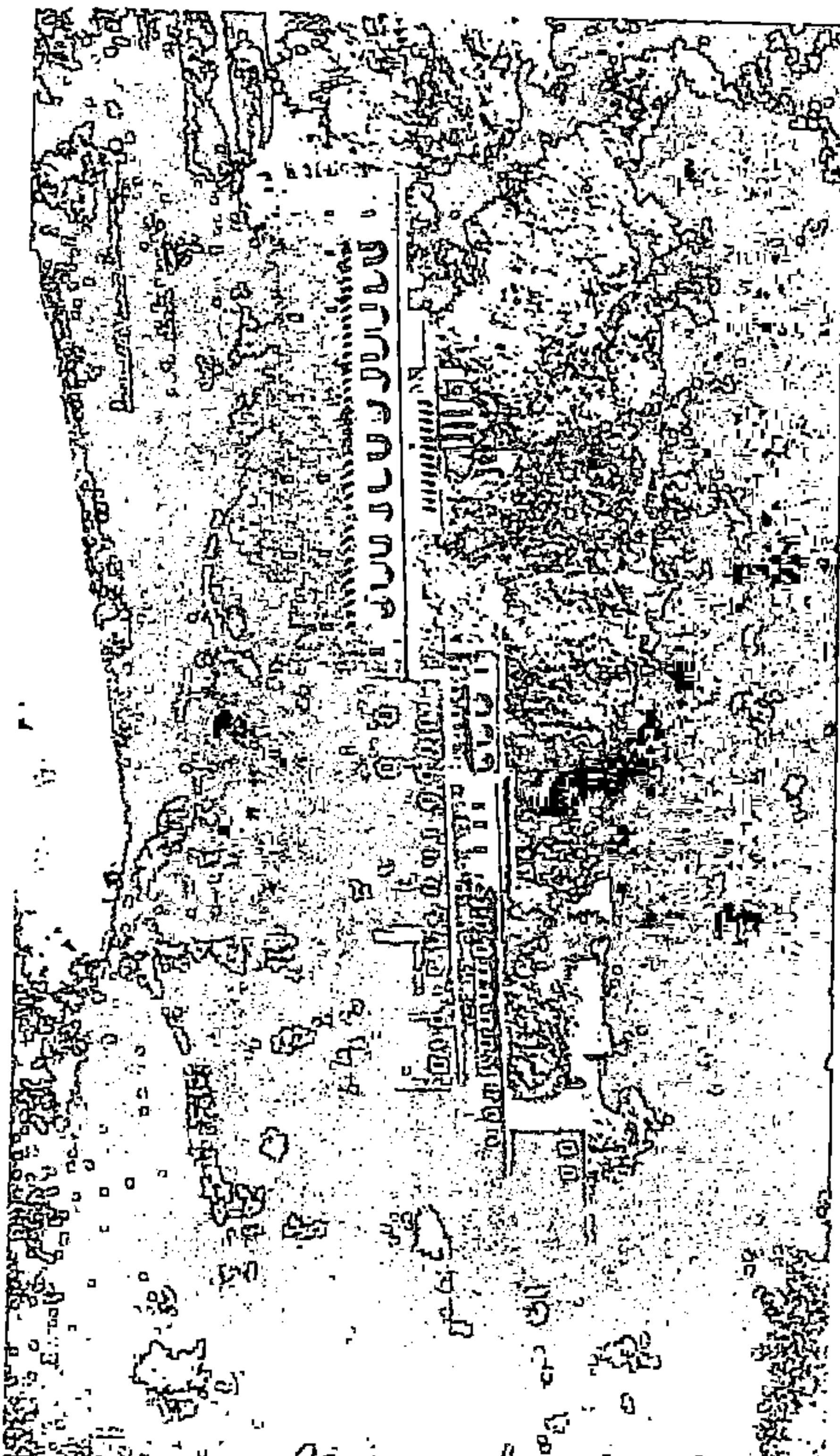

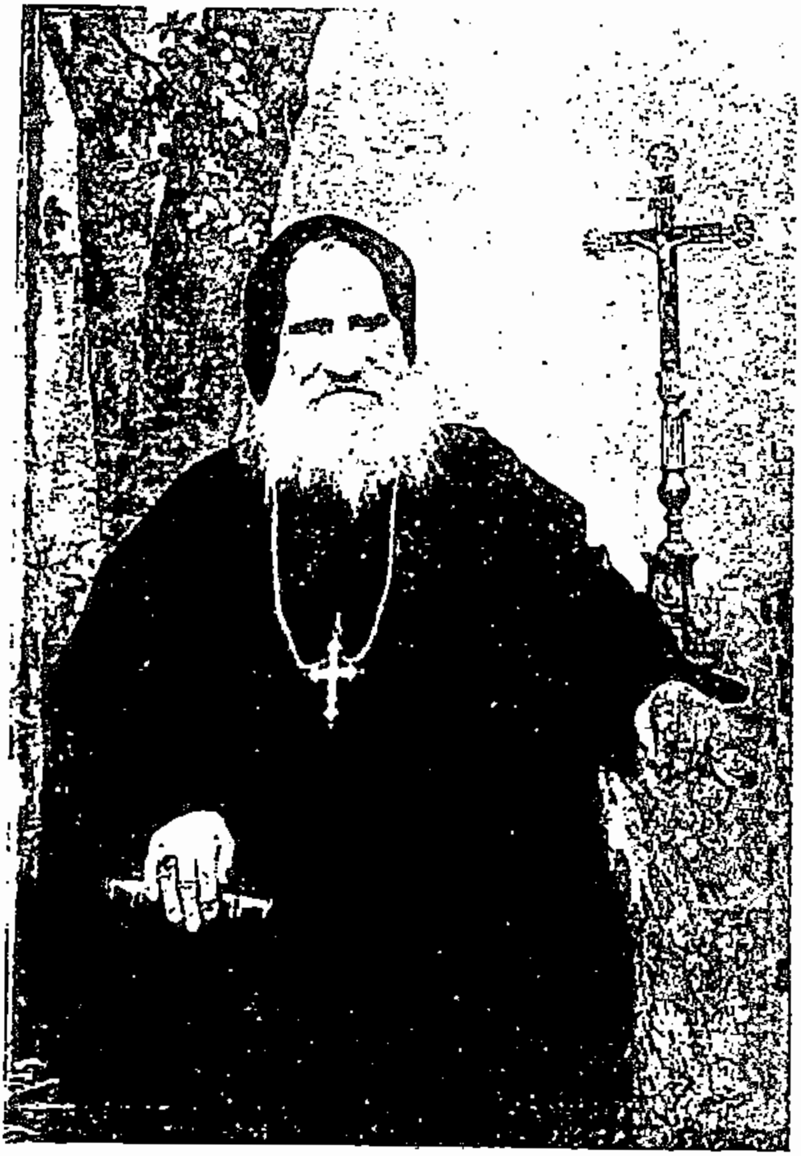

الاب نعمة الله الكفري

١٨٢٦ — ١٩٠٨

تلقّى بعض العلوم بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير . فهذا شرع بتكبير الكنيسة وتوسيعها طولاً وعرضاً نقرًا في الصخر ، وكانت مغارة ذات جدار واحد لجهة القبلة فهدم هذا الجدار وأقامهُ جديدًا بالحجر الساقي المنحوت والمجلو الذي جلبه من مقلع واقع بين اهدن وعربة قزحيا . أمّا الابواب والشبابيك فقد استحضر حجارة نحيتها من جبل حصرون ، فأصبحت بذلك كنيسة كبيرة بديعة ، وان ثلثي سقفها من اصل المغارة والثلث الآخر منها فهو معقود بالحجارة تحت جزء المغارة المرتفع عن باقيها . ثم عمل لها منجورًا فاخرًا وبلّطها ببلاط الرخام بيد حجّارين حلبيين وعقد لها اربعة مذابح لجهة الشير (الصخر) المنقور ، ومذبحًا على اسم السيدة العذراء في الحائط المذكور . ثم جلب لها غفّارة وجملة بدلات للقدّاس ، وكان أوصى لها بذبح وعواميد من رخام ودفع من ثمنها ثلاثة الاف غرش ولكنه لم يُشيّد إلّا بعد نهاية رئاسته وذلك بزمان رئاسة خلفه الاب روفائيل عوّاد الحصروني الذي استحضر لها جملة صور كبيرة وصغيرة . وقد بلغ ثمن تجديد عمار هذه الكنيسة مع لوازمها ١٢٩٦٩٦ ، مائة وتسعة وعشرين الفاً وستمائة وستة وتسعين قرشاً ، وكان حينئذٍ رئيساً عامًّا على الرهبانية الاب افرام جعجع البشراوي .

واما محلّ الزوّار (المعروف بحبسة الزوّار) فقد جدّده الاب مارون الصغالي برئاستهِ على هذا الدير بين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٩٠ ، وعمّر فيه عمارًا جديدًا مؤلفاً من صالون للاستقبال واربع قلالي في وسطها ممشى وايوان للغرب مشيّدان على سطح قبو من عقد . وقد جهزها بعده بكل لوازمها الاب بطرس التولوي[1] (تولا ، الجبة) برئاسته على هذا الدير . وهذا الاب تلقى علومه

« قد انتقل الى رحمة الله الاب بطرس بجدرفل وهو مسلح بكامل الاسرار المقدسة . والمرحوم كان من عواميد الرهبنة وله اتعاب وافرة في قيام حوانيت الرهبنة . وكان انتقاله في ٨ حزيران سنة ١٨٦٩ ، نهار الثلاثا الواقع في ٨ الشهر المذكور » .

١) ان الاب بطرس التولوي كان احد اعضاء الدائرة العلمية المارونية التي كان يرئسها المطران يوسف الدبس ، وقد نقل من الفرنسية الى العربية هو والخوري بولس الرغبي — عضو الدائرة العلمية المارونية — الجزء الاول من « رسوم مواعظ دينية للخوري كارلوس مرتيتوس الفرنسي مؤلف مكتبة الواعظين » وطبعاه تحت عنوان : « كتاب عنوان البيان وبستان الاذهان » بالمطبعة العمومية الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٨٤ ، في ٣٥٤ صفحة ،

بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير .

وأمّا املاك هذا الدير فهي وفيرة جدًّا في الساحل والجرد والقليل منها ولاسيما في زاوية طرابلس هو وقف من المحسنين من مشايخ آل الضاهر وغيرهم، والباقي هو مشترى وتجديد وشغل وكدّ الرهبان وبالاخص بمدّة رئاسة الاب اغناطيوس بليبل العامة على الرهبانيّة التي استمرّ فيها سبعة مجامع متواصلة ، بعد نيابته نحو سنتين بعد وفاة الرئيس العام الاب عمانوئيل الجميّل ، وذلك من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨٢٣ وقد نمت الرهبانيّة وازدهرت بزمن رئاسة الاب بليبل العامة روحيًّا وزمنيًّا ، من تشديد في حفظ القوانين والرسوم الرهبانيّة وتشييد اديار وتجديد أملاك . ومن الادلّة على سهره وحسن ادارته وضعهُ الاخ مارون الببداتي[1] وكيلًا على املاك الرئاسة العامّة في الزاوية واملاك دير قزحيا هناك .

وكان هذا الاخ صاحب تقوى وفطنة وغيرة كبيرة على نجاح الرهبانية ، فكسر الاراضي التي كان اكثرها حرشًا واشجارًا ، في رشعين وجوارها وغرس فيها كثيرًا من التوت والزيتون بعضها لوظيفة الرئاسة العامّة وبعضها للدير المذكور الذي صار لهُ مداخيل وافرة منها ومن الطواحين التي عمّرها على نهر رشعين فضلًا عن مداخيل املاكهِ في الجرود وعن الاحسان من الزائرين الكثيرين لهذا الدير لاجل العجائب الكثيرة الحادثة بهِ بشفاعة القديس انطونيوس صاحب المقام ، من شفاء مرض وطرد الشياطين من المجانين وغير ذلك من فوائد يجنونها من زيارتهم ، وكل ذلك مشهور . ولاجل نجاح هذا الدير وعمرانه كثر عدد الرهبان الساكنين فيهِ فبلغ احيانًا كثيرة الى المئة راهبًا .

٥

وفي سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٧٦ ، شقّت (فصلت) الرهبانية عن هذا الدير ثلاثة اديار في سواحل الزاوية تخفيفًا للرهبان عنهُ وتسهيلًا لشغل الاملاك

وعثرنا للاب التولوي في مدرسة مان على سودة الجزء الثاني من هذا الكتاب ، من ترجمته وخطهِ ولكنها مخرومة في الاول والآخر . وهو الذي انتُدب للسفر الى نابولي فأتى منها بجثمان الطيّب الذكر يوسف بك كرم البطل اللبناني ، الى لبنان .

[1] هو من عائلة مدلج الشرباتي من ببدات . طالع « تاريخ ببدات وأسرها » للخوري نعمة الله الملكي ص ٢٠٧ . مطابع وزوتكنراف نصار ، بيروت ، في ٣٠٢ صفحة .

التي لهُ هناك واتقانها . وقد فرزت الرهبانية لكلٍّ من هذه الاديار قسماً من املاكه تكفي لمعاش رهبانهِ . وهذه الاديار هي اولاً دير الجديدة ، شرقي قرية كفرزينا وهو على اسم القديس انطونيوس اب الرهبان. وثانياً دير عشاش، تحالي الزاوية فوق مدينة طرابلس وهو على اسم القديس جرجس. وهذان الديران تشيّدا بزمن رئاسة الاب عمانوئيل الشبابي العامة على الرهبانيَّة ، وذلك سنة ١٨٤٩ ، وثالثاً دير بصرما وهو اسم سيدة النجاة في كورة طرابلس تشيَّد سنة ١٨٧٦ وكان رئيساً عامًّا على الرهبانيَّة الاب مرتينوس (سابا) الفوسطاوي . وقد بُنيَ هذا الدير بكامله بسعي واهتمام المرحوم الاب دانيال (العَلَم) الحدثي (حدث الجبَّة) المدبّر يومئذ،وكان ذا سيرة فاضلة،وقد توفي بدير مار سركيس قرطبا ودُفن فيه ، وانهُ يصنع كرامات عديدة تدلُّ على قداستهِ ، ويزورهُ المرضى والمحتاجون ويستفيدون من زيارتهِ . هذا ما فُصل من املاك دير قزحيا في الساحل.

٥

وفي سنة ١٨٥٥ استُحضرت المطبعة بالعربيَّة لدير سيدة طاميش (بلاد كسروان) ودفع دير قزحيا من اصل ثمنها خمسين الف غرش .

وأمَّا ما فُصل من املاك دير قزحيا في الجرود وأُعطي لبعض اديار الرهبانيَّة فهو قليل بالنسبة الى ما فُصل من املاكهِ في السواحل . لمَّا اخذت الرهبانيَّة من المرحوم المطران بولس رزق مطران ابرشية طرابلس، دير راهبات مار سمعان العامودي القرن القائم فوق عربة قزحيا غربي قرية قيطو ، وفيهِ ست راهبات عابدات ، كان فقيرًا مديوناً بثمانية عشر الف قرش وفاها الاب افرام جعجع البشرّاوي الرئيس العام حينئذٍ اي في سنة ١٨٦٤ واشترى لهُ جملة ارزاق من دخل وظيفته وخصص به جملة ارزاق ايضاً من دير قزحيًا وعمَّرهُ ديرًا كبيرًا. ومن أمدٍ بعيد فُصل قسم من املاك دير قزحيًا في قرية بان من توت وغيرهِ وأُعطي لمدرسة بان خاصة الرهبانيَّة . ومع هذا كلهِ لا يقلّ عدد سكّان هذا الدير عن الستين او السبعين راهباً.وقاه الله من صروف الدهر وظروفهِ وأبقاهُ فخرًا وملاذًا للرهبانيَّة وللطائفة بدعا. صاحب مقامهِ آمين .

تنبيه

ان الاب الكفري يتكلّم في هذه النبذة التاريخيّة عن بناء دير قزحيا القديم بعد ان تسلّمتهُ الرهبانيّة ، ولكنهُ يتبسّط في الكلام عنهُ في نبذةٍ أخرى لهُ ، سوف ننشرها ، قبل ان ابتاعتهُ الرهبانيّة من المطران جرجس حبقوق ، وان البناء القديم الذي يتحدّث عنهُ الاب الكفري في نبذتهِ التاريخية هذه، قد هُدم باذن قدس الآباتي المفضال اغناطيوس داغر التنّوري رئيس الرهبانيّة اللبنانيّة العام سابقاً وجدّد بناؤهُ على اسلوبٍ حديث جديد متين بحسب الهندسة التي وضعها لهُ الشيخ جميل الخازن ، في خلال رئاسة حضرة الاب ميخائيل نعمه السرعلي على هذا الدير . ولم يبقَ من البناء القديم سوى الكنيسة وبناء المطبعة وقسم من مثنى شكري (انظر رسم البناء القديم) . ولمّا تمّ بناؤهُ الجديد كلّفتُ المرحوم الشاعر الناثر الخوري الياس الحائك (بجّة ، بلاد جبيل) مدير الدروس العربيّة وقتئذٍ في مدرسة عينطورا الشهيرة ، ان ينظم لهُ تاريخاً، فنظم ستّة ابيات من الشعر لا اذكر منها سوى اربعة وهي :

تجدّد ديرٌ كلُّ ما فيهِ ناطقٌ   بأوصافهِ الحسنى وتسبحة العلي
وحلّت عليهِ للرئاسة نعمةٌ   بأيام ميخائيلَ من أرض سرعلِ
فكم زائرٍ ايمانهُ الحيُّ قادهُ   الى دير قزحيا بقلبٍ مؤمّلِ
فنال الذي يرجو وقال مؤرّخاً   هنا معجزات الله للخلق تنجلي

١٩٢٦

الأميرة هيفآء والامير فخر الدين الكبير

رواية لبنانية تاريخية ادبية (تابع)

بقلم

الاب مبارك ثابت اللبناني
رئيس دير المخلص في البرامية

٧

نشأة الامير فخر الدين الثاني الكبير وتوليه حكم الشوف

وُلد الامير فخر الدين الثاني في بعقلين في قصر ابيه قرقماس ونسيب شقيقة الامير سيف الدين التنوخي من عبيه . نظم تاريخ ولادته بعض الشعراء مخاطباً الامير والده بقوله :

يا اميرَ الجودِ هنئتَ بمَن ... آنس الكون وحيّا الأملا
قد غدا الدينُ بهِ مفتخرًا ... أرّخوهُ ٥ فخر دينهِ هلّلا
سنة ٩٨٠ هـ ... سنة ١٥٧٢ م

ونشأ في بيت ابيه الى سن الثانية عشرة فلما توفي ابوه على ما مرّ وخافت امهُ عليه وعلى اخيه ان يبطش بهما ابراهيم باشا فزع بهما الحاج كيوان نعمه ضو الماروني من دير القمر الى الشيخ ابي صقر ابراهيم الخازن ابن الشدياق سركيس الخازن من الحزب القيسي ولبثا تحت جناح عنايته الى ان اقشعت سماء الراحة فاستقدمهما خالهما الامير سيف الدين التنوخي عام ١٥٩٠ ، وكان عمر الامير فخر الدين ١٨ سنة. فغمره خاله بعنايته واستوفى تدريبه في الحكم واستعاد اليه ولاية الشوف بسياسته البارعة وآرائه السديدة وأزوجه بنت الامير

جمال الدين الارسلاني اليمني ليستميل اليه اليمنيين وحلفاءهم اعوانا على السيفيين. فولدت له ابنة عليا عام ١٥٩٨ . وطمع فخر الدين في استرداد الولاية على سنجق صيدا والبقاعين وما اليها ليبسط سلطانه الى ما وراء مقاطعة طرابلس حصداً لشوكة السيفيين إذ كان قد شبَّ على مقتهم لسعاية عميدهم يوسف باشا بالامير قرقماس ابيه ؛ وسعايته بعد ذلك عام ١٥٩٠ بقتل الامير محمد العسّافي خليف المعنيين وبعض اعوانه الذي انقرضت بموته سلالته وتعاظمت صولة السيفيين.

وكان مراد باشا الحاجب القبوجي نائباً في دمشق فحمل اليه فخر الدين هدايا نفيسة ونزل عليه مع خاله مستعطفاً فاستمال اليه الدولة وأعاد اليه سنجقيَّة صيدا ومكّنه من ولايته . ولم يعد الامير ينقطع عن زيارته في دمشق . وشدَّ الامير سيف الدين أزر ابن اخته بالمال والرجال اذ رأى امارة التنوخيين القيسيين قد نال منها الضعف ومالت شيئاً الى الزوال وليس أجدر بتوليها بعدهم من فخر الدين لما بدا له من عظم دهائه السياسيّ .

وكان الامير المعني مترعرعاً على حبّ المسيحيين لاخلاصهم له ولاسلافه المعنيين ولاقامته بينهم بضعة اعوام في قلب كسروان الى ما تحقّقه من مروءة الحاج كيوان بانقاذه اياهُ واخاهُ يونس من مخالب المنون . وما لقيهُ في بيت الخازني من محبة والديَّة وجودٍ حاتميّ وحسن تربية وصيانة واهتمام . فاتخذ الحاج كيوان مدبّراً له وايضاً اسند منصب المدبّرية الى الشيخ ابي صقر ابراهيم الخازني اثابة لهُ على معروفه وتقريباً للمسيحيين ونصب اخاه رباحاً الخازني دهقاناً لهُ وأمّره على جيش المشاة بعد ان كتب الى كل منهما « الاخ العزيز » فاصبحا شيخين سنة ١٥٩٨ . وكان من همه الاستعلاء على السيفيين فاستمال اليه الارسلانيين الدروز بالمصاهرة على ما تقدم . ثمَّ حالف الامراء الشهابيين حكّام وادي التيم، والحرفوشيين الشيعيين حكّام بعلبك والجنبلاطيين الدروز حكّام كلس وضواحي حلب ، وأمراء العرب في جبيات حوران وفلسطين كما استمال المسيحيين في لبنان وما اليه . وقد اكسبته تربيته بين الموارنة من المحبة للوطن اللبناني ما حبّب اليه التضحية بكل شيء في سبيل استقلاله وقطع كل يد تمتد اليه .

ولما كانت قوة الحاكم بالمال والجيش نظّم الامير مالية الحكومة ورتّب الفرَق وكانت تسمّى (الوجاقات) فجمع اليه السكبان وحصّن كثيرًا من القلاع وبنى حصونًا جديدة وأبلغ عدد جنوده من السكبان والدروز الى مئة الف جندي اتخذ لهم الجرايات وصرّفهم في أموره.

ولمّا استوثق من قوّته وحلفائه عقد القلب على محاربة يوسف باشا سيفا، فدارت رحى القتال بينهما عند نهر الكلب، وكان في جنود السيفي الحُبيشيون والمعلوفيون وكثيرٌ من اليمنيّين، فشدَّ عليهم المعنيّون حتى انخلعت قلوبهم هولًا، وكرَّ نبعةُ الطبشاريُّ البعلبكيُّ على الامير علي سيفا شقيق الباشا يوسف فصرعهُ وتمزّق العسكر الطرابلسي وولّوا الادبار لا يلوون على شيء. وتولى المعني كسروان وقلّد نصراءهُ الخازنيّين حكمها واحتلَّ مدينة بيروت. وبعد سنة رُدَّ البلدان الى ابن سيفا بتوسط الامير محمد الارسلاني ابن حمي الامير فخر الدين.

ولمّا كانت سنة ١٦٠٠ توفي الشيخ ابراهيم مدبرُ الامير وخلفهُ في منصب المديرية ابنهُ ابو نادر الخازن. وعالج يوسف باشا سيفا اوهاب انصار الامير حؤولًا دون تقدمه الى الشمال، فأرسل الشيخين قانصوه ويوسف حاده فقتلا مقدّمي جاج الاربعة الموارنة. فخرج صدر الامير وقام يوسع نطاق حكمه الى الشمال والجنوب. وكان قد تولى حكم البقاع عام ١٥٩٤[1] فاستولى سنة ١٦١٣ على بلادَ صفد وما اليها. وسنة ١٦٠٥ على كسروان وأسند ولايتها الى الشيخ ابي نادر الخازن. وكان ان رجال الدولة قتلوا حسين باشا جنبلاط. فثار عليها ابن اخيه علي باشا جنبلاط. وكان التجار الافرنج التوسكانيون يأتونه بالاسلحة فيسهّل عليهم سبل التجارة. ممّا اضرَّ بمنافسيهم البنادقة حلفاء

١) كانت امارة البقاع للامير منصور بن الفريخ البدوي، حالف يوسف باشا سيفا ووشى بالامير قرقماز المعني والد فخر الدين، انه أرسل رجاله لنهب الخزينة في جون عكار فسعى به فخر الدين لدى وزير دمشق فقتله في القلعة سنة ١٥٩٣ وصار حكم البقاع الى المعني. واغراه بالمعني احمد باشا الحافظ وابن سيفا فتلافى الامير المعني الخطب وأوفد الى الوزير الحاج كيوان ليبرّئ ساحته عند الوزير ويسلّ سخيمته فادرك الوطر واقنع الوزير بانَّ الامير انما حالف الجنبلاطي على ابن سيفا لا على الدولة ولو عرف انها واجدةٌ عليه لناطه.

الدولة . ثمَّ عالن بالخروج على الولاة وكان المعني موافقاً له ، فاتسع لاعدائه مجال الوشاية به واحفظوا الدولة عليه . فأرسل السلطان احمد مراد باشا الحاجب القبوجي برتبة سردار الى بلاد الشرق بثلاثة الف جندي وعمره اذ ذاك ٨٠ سنة ، وأمدَّه احمد باشا الحافظُ ويوسف باشا سيفا بمالٍ ورجالٍ فنكَّل بعليّ جنبلاط واسرته وسكبانه واقرَّ الامن في البلاد .

ثمَّ أوفد الامير اليه ابنه علياً بهدايا غالية فاكرم وفادته وأعظم ذكاءهُ وجرأته على حداثة سنه اذ لم يكن تجاوز التاسعة ، وامسكهُ عندهُ ستة اشهر حتى أدَّى ابوهُ ستتة كيس دفعتين . فاطلقه مسنداً اليه لواء بيروت وصيدا وغزير وأعفى بلاد الشوف من الضرائب . فانبسطت سلطة المعني على البلاد من الناصرة الى بيروت ومن بعلبك الى صفد . ووجَّه نظرهُ الى الشؤون الاقتصادية والعمرانية فرقَّى التجارة والصناعة وسهَّل للتجَّار الافرنج المرور في ثغور لبنان في ولايته .

وبعد ذلك أوفد الى الاستانة أبا شاهين محمدًا التلحوقيَّ ليلتمس من الباب العالي اسناد لواء اربد وعجلون الى ولده الامير حُسين ففاز ببغيته . أُسند اللواء الى الامير فخرالدين نيابة عن ابنه القاصر فامتدَّت الامارة ايضاً من صفد الى حوران[1] وتألق مجد الامير في عهد صديقه مراد باشا وضُربت سرادق العز على ولايته وشمل اهلها الهناء والنجح والرخاء واستتبَّ في ربوعهم الامن والعمران . غير ان الحكَّام المجاورين كانوا ينظرون الى سؤدده وتقدّمه بعين الحسد والحذر .

---

[1] كانت الدولة اذا اسندت ولاية الى رجل وأبى صاحبها التخلي له عنها يحاربه الوالي الجديد وتنصره الدولة عليه او تسكت حتى يخرجه منها قسرًا ويستولي على بلاده عنوة . لذلك كان استيلاء الامير على الولايات فتحاً مجيدًا يشهد عنكته السياسية ومقدرته الحربية. اليك نبذة مما كتبه عن الامير الموسيو يحه دي سان بيّر في تأليفه «تاريخ الدروز» المطبوع بالفرنسية عام ١٧٦٣ قال : كان الامير داهية في السياسة ، استولى على بعض المدن الساحلية كبيروت وصيدا واتخذ بيروت عاصمة لحكمه ، فجدد بناءها . وبنى فيها قصوره البديعة وحدائقه الغناء ومتنزهاته الفسيحة وحصونه المنيعة ، وسهل سبل التجارة للفريقين لا سيما البنادقة ، وعزز الصناعة والزراعة ورقى اسباب العمران ، وعدل في حكمه الطويل العهد. لكنه كثَّر الضرائب على حسب دين المتمولين، فحسده رجال الحكومة المجاورون

٨

انقاذ هيفاء من اسر اسماعيل

من الحكام الذين استغاث بهم يوسف باشا سيفا للاستهداء عن فتاته المفقودة الامير فخر الدين ، وكان اذ ذاك قد اتسع نطاق حكمه وامتدّ رواق عزه وسار في الخافقين ذكره . وتألّب اللبنانيون حول لوائه المظفّر على اختلاف النِحل الدينية والاسماء الطائفية . فاختار منهم كل رجل بأسٍ وكلّ قسورٍ وثّاب ، وزحف بهم الى الجهات الجنوبية من لبنان فاستولى على ما هنالك من بلدان الى تخوم عكّا. فصفد فالناصرة فالحولة وما يليها الى الجنوب

لمملكته الصغيرة ، وسعوا به لدى الدولة فسافر الى اوربة عام ١٦١٣م. ١٠٢٢هـ ، ثم عاد الى الدامور عام ١٦١٥ ، ثم عاد اخيراً الى بلاده سنة ١٦١٧ . وكان يستثمر من اعماله نحو مليوني ريال (الريال زهاء ثلاثة فرنكات) يحمل منها الى السلطان ستين الفاً وينفق الباقي على جنوده وكان عددهم يتراوح بين الخمسين الفاً والخمسة والعشرين الفاً . وكان يتخذ سجلَّين يدوّن في احدهما اسماء سكان ولايته مع ذكر اعمارهم واوصافهم ومعارفهم . وفي السجل الآخر احصاء الاشجار المثمرة وكروم العنب وشجر الزيتون ونحوها ويتقاضى عن كل شجرة رسماً يسمى Medin مدين.

وكان يحصي الابقار والثيران والمعز والاغنام ويأخذ رسماً عنها ، واحياناً يتفرّغ من اعماله السياسية لمراجعة هذه القيود وضبط حسابها والتدقيق في دخل حكومته . وكان مولعاً بدرس علم الكلام والكيمياء ، وله مصوّر افرنسي رسم له ١٥٠٠ نوعاً من النبات .

ومن اوصافه انه حسن الفراسة يطلع على الحيل والخيانات فيستظهر على اعدائه ومناوئيه ويقوم بمهام حكومته بنفسه . ويترك الحكم في شؤون المسيحيين لرؤسائهم الدينيين ، ويستطلع جميع حوادث ولايته لا يخفى عنه شيء منها . ويحكم في شؤون الجنود والشرطة بنفسه . وبعد عوده من توسكانا حصلت مواقع كثيرة بينه وبين الحكّام ولاسيما حاكم دمشق احمد باشا الحافظ Hafiz فتغلب بحسن درايته . وفي سنة ١٦٣١ كانت بلاده امهر بلدان الشرق وشبه مستوفياً اسباب الرخاء والسلام في مملكته الفسيحة . وارسل اليه دوق توسكانا عدداً كبيراً من المهندسين والحفّارين والخبّازين والمدفعيّين والمدافع والادوات لتحصين القلاع وتموين العساكر وتهيئة معدات الدفاع . وهيأ له ستة الاف رجل من الجيش التوسكاني كان وعده بارسالها في نهاية حروب فرنسا واسبانيا الدينية والسياسية من عام ١٦١٨ — ١٦٤٨ .

وُلد سنة ١٥٧٢ ، حكم لبنان سنة ١٥٩٥ . قتل في الاستانة سنة ١٦٣٥ » انتهى كلام الموسيو بيجيه .

والشرق ، ثمَّ جال بعقبانه الجولان وانقض بشواهينه على حوران ففتح ابوابها وصادر حكّامها وقبض على زمامها ودان لسلطانه سهلها وجبالها وخفقت اعلامهُ فوق مدنها وقراها . وكان اذا أقبل على قريةٍ دعا اهلها الى الخضوع فاذا امتثلوا حقن دماءهم وعفَّ عن اموالهم ونظَّم شؤونهم وجمع منهم متطوعين لقتال غيرهم . وان مالوا الى المعصية اطلق فيهم النار والحديد حتى يعنوا لهُ صاغرين . فانتشرت في البلاد مهابتهُ وتيّمت القلوب محبتُهُ . وكان انتصاره بها اكثر منهُ بكثرة العُدَّة والعدد . من القرى التي دخلها بغير قتال درعا رنوى وشمسكين وداعل وطفس واذرع وغباغب وبصرى اسكيشام وبصرى الحرير . ولمَّا استتبَّ له الامر استراح بضعة ايام في بصرى واستدعى اليه اقطاب البلاد وشيوخ العرب وفيهم رؤساء عرب السردية وبني الحريري وزُعيب وغيرهم ، فاوصاهم ان يخلدوا الى السكون ويحسنوا الطاعة للحكّام العرب الذين ولّاهم على العشائر ، الى غير ذلك من الشؤون ، ثمَّ قال لهم : لقد أُنبئتُ انَّ في بلادكم نُزلًا عليكم من بني شعيب ، اختطفوا من بيت سيفا حاكم عكّار وطرابلس فتاة اسمها هيفاء لم تزل معتقلةً في خيامهم . فاعلموا ان اباها سألني العمل لانقاذها واستحلفني بتربة ابي ونخوة آل معن فليس من شيمتي ان اردَّ سائلًا أو اخيّب مؤمّلًا، فارغب اليكم ايها الاعيان ان تكشفوا عن مخبإها وتأتوني بها وبمعتقليها ، فان فعلتم فانتم اهل خير وحقيقون بالشكر والاكرام ، وإلّا فانتم شركاء القوم في نذالتهم وضامنون مثلهم . فنهض رجلٌ من عرب الفحيلي وقال . عاش الامير : ان الشُعيبيّين في حمايتي نزلوا عليَّ مستجيرين فأجرتهم ، وانَّ خيامهم اليوم الى جانب خيامنا في طرف اللجا . أمّا أَسيرتهم فلا اعرف من امرها شيئًا . فان كانت عندهم وقد خبّأوها عنا فعمّا قليل تكون بين يديك . أمّا خاطفوها فلا أملك اسلامهم لما لهم عليَّ من حرمة الجوار . قال الامير : ليس على الحرّ ان يجير وقوحاً يركب الدنايا وهو في ظلّ حمايتهِ . قال الاعرابيُّ : انا أجرتُ بني شُعيب فزعين ملهوفين منكوبين واغاثة الملهوف فريضة على العربي. فان كانوا قد ركبوا دنيئةً في الخفاء . فلسنا بدنيئتهم ملوّثين ، أرسل معي من رجالك من يدخل خيامهم فان وجدوا

الضالة أتوا بها ولا يتصدون للقوم ونحن نفوّض حمايتنا عنهم ونصرتهم عنّا . فأصحبهُ الامير بنفرٍ من فرسانه فعادوا اليه بالفتاة مع اسماعيل الشعبي وابنهِ عزّام . فقال النُخيليُّ للامير : هذه الفتاة سالمة . وهذا زعيم الشعبيين وابنهُ يسألا الصفح . فبتربة أبيك ألّا صفحتَ عنها وعن كلّ من لهُ اصبع في حادث اختطاف الفتاة . قال الامير : وهبتك دمهم . وأذن لهم فجلسوا ، واستعلم اسماعيلَ قصةَ اسيرته فرواها لهُ ، وقال انّ الذين اختطفوها بامره هم من العرب الرُّحل . قبضوا اجرتهم وانطلقوا الى حيث لا أدري . قال الامير : وما حملك على سبيها ? قال : ان السيفيّين قوّضوا عزّنا وخرّبوا ديارنا وضبطوا أملاكنا وشتّتونا تحت كل كوكب وأسلمونا الى الحاجة بعد ما كنا مقصدًا لأولي الحاجات ، ونحن بحكم الدهر وهوان الضعف قاعدون عن الثار ومقيمون على الضيم ، أيكون لطخة باعراضنا وخسةً بأخلاقنا وذنباً علينا ان نذيق عدوّنا بعض ما أذاقنا ونجبره على افتداء اسير عزيز عليه بشيء من مالنا الذي سلبهُ . والله يا أميرُ ما أرسلتُ الرجال الى طرابلوس ليأتوني بامرأة بل برأس عميد السيفيّين أو باحد اركانهم . فلمّا استعصى الغرض عليهم أتوا بابنة عدوّي فأمسكتُها حتى تُفتدى ولم أسمها ذلًّا وهوانًا كما صنع قومها بنسائنا بعد ما سبوهنّ ، هذه قصتي يا أمير . فاحكم فأنت أعدلُ من حكم . قال الامير : عذرتك فلا حرج عليك . ولك عليّ فدية الفتاة . وأمرَ لهُ بعطاء كثير . فقام عزّامُ الشعبيُّ ودعا للامير وقال : ان شاء سيدي ان يهبني هذه الفتاة زوجةً لي فقد قلّدني جميلًا اشكره عليه ما حييتُ . وانا واعده باكرامها وغمسها في الراحة والنعيم فاقشعرَّ بدنُ الصبيّة والتهب خدّاها وغطّت عينيها بيديها وقالت : للأسر احبُّ اليَّ . قال الامير : ويحك يا هذا ! اما كفاك ان تركنا لك العقوبة وأدّيناك الفدية حتى قمتَ تطالب بالاثابة على جريمتك . لقد اعتقناها من أسركم فان شاءت البقاء في خيمتك فذلك اليها . قالت هيفاء : ما عرفت لهذا الشاب سيئةً أؤاخذه عليها . ولولا توسطهُ في امري للقيتُ من قومهِ الامرّين فهو منّي بمنزلة اخٍ ، وسأوصي بهِ أبي احسانًا . أمّا مصاهرتهُ لابن سيفا فأيسرُ من منالها مسُّ النجوم باصابعهِ ، فان شاء سيدي ان يتمّ احسانهُ الى امته

فليردّني الى بيت أبي . تفرّس الامير في وجهها فلاذ حسنها عينيه ووقعت من قلبه ، ثمّ اطرق هنيهة وكأنّ الواجب تمثل لنفسه الابيّة . فأوعز الى اخيه يونس ان يحملها على فرس في كوكبة من الفرسان الى بعقلين لتكون بحراسة أمه (الست نسب) الى يوم قدومه ففعل . ثمّ مشى فخرالدين بجنده حتى انتهى الى الشام فاحتفى به الدمشقيون أيّ احتفاء . وواصل سيره تحت الوية الظفر الى بعقلين . استدعى هيفاء وتحدّثا وأنس كلٌّ منهما الميل الى صاحبه وتعاهدا على الزواج . وأرسل الى ابن سيفا يقول لهُ : الاميرة هيفاء عندنا فابعث من يأخذها اليك . فأرسل الباشا ابنه محمدًا في عشرة من سكبانه بهدايا وتحف الى الامير ، فاكرم ضيافتهم وأمسكهم عشرة ايام تأخيرًا لفراق خطيبته .

وكان لفخر الدين بنتٌ من زوجته الارسلانيّة تُدعى الورقاء آية الملاحة والظرف ، رآها محمد فأحبّها ونوى ان يخطبها بعد عوده الى عكار . فلمّا تقضّت الايام العشرة استأذن الامير بالسفر فشيّعهُ واختهُ بالاكرام وألقى الى هيفاء خاتمًا ذهبيًا بحجر كريم علامةً لما بينهما من عهد . طابت نفس ابيها بلقائها وأمر بالافراح فكان مهرجانٌ شائق ثلاثة ايام . وأوفد الامير الشيخ ابا نادر الخازني الى يوسف باشا سيفا يطلب هيفاء زوجةً للامير فردَّ طلبهُ ولم يعد اخوها محمد يجرؤ على خطبة الورقاء على انهُ لم ينثنِ امله منها فيسلو عنها فوقف يرقب الفرص بين الرجاء واليأس. ولم تكن اختهُ باسعد حظًا منهُ فقد خانها الجلد وأعجزها كتمُ ما بقلبها فباحت به لبنت منصور مدبّر ابيها على ما مرّ .

٩

كانت طيبة بنت منصور تحب هيفاء محبةً بليغة صادقة لما بينهما من التماثل طباعًا وعمرًا وقد نشأتا معًا قرينتي وفاء وعشيرتي طفولة وصباء . وكان بينهما ركونٌ واخلاص وشركة في العواطف والاهواء وإلفة على السرّاء والضرّاء . فغمّها ما حصل لصديقتها من اغتمام ووطّنت القلب على تفريج كربها ، فلمّا رجعت الى بيت ابيها تفرّست امّها في وجهها فاذا به وجوم وبعينيها أثرُ بكاء فاضطربت وقالت : ما دهاكِ يا صبيّة ، ما لعينيكِ محمرّتين ، أباكية كنتِ ؟ ما أبكاكِ ؟ ما لكِ ساعة خرجتِ من البيت وكانت في ثغرك ابتسامة

الزهرة أيقظها نسيم السحر لتتحسّ ندى السما. . ثمّ ضمّتها الى صدرها وقالت : ما بكِ يا عين أُمك هل تشعرين بألم ؟ قالت : رأيت هيفاء تعالج بُرَحاء الهموم وتهيم في بيداء الفكر فلم أملك نفسي من البكاء .

قالت أُمها : متى كان للهمّ سبيلٌ الى قلب الاميرة هيفاء ، هل طرأ على بنت الباشا ما يُورث لذعةً ومضاً ؟

— لا شيء من ذلك أنّما بنفسها مرامٌ تخاف في منالهِ الفشل .

— ألعلّها كاشفتكِ ما بنفسها ؟

— أفضت بسرّها اليَّ . واستأذنتها بايقافكِ عليهِ فأذنت لاجل ان تعاوني على ازالة ما يمضّها . ثم ان طية قصّت على امها حديث الاميرة هيفاء وألحت عليها ان تستحثّ عزمة زوجها مدبّر الباشا على ترغيبهِ في مصاهرة فخر الدين بحجّة انها كثيرة الفوائد لاسرته وولايته. تلك انجع الوسائل وأقربها لتمكين هيفاء من بغيتها ثمّ قالت لها : فان تقاعدتِ يا أُمي عن هذا الامر قُضي على تلك الزنبقة البهيّة بالذبول شيئاً فشيئاً تحت حرارة الوجد والهيام فما تلبث ان تجفّ وتيبس وتُسقطها ريح السموم الى حضيض التلف . واذ كانت نفسي متعلقةً بنفسها كان فرحها فرحي وحزنها حزني وحياتها حياتي ، كلانا نحيا او نموت معاً . وانا عالمةٌ بانها لن ترضى من فخر الدين نصيباً آخر ولو ملكاً تعفّر الارض امام عرشه الملوك[1] .

وكانت أمُّ طية تحبُّ هيفاء محبة الوالدة اذ كانت ابنتها بالتربية أسندت

[1] توفي صديق المعني مراد باشا وصار منصب الصدارة الى نصوح باشا عام ١٦١١ وقدم الى ديار بكر وحلب لتسكين الاضطراب وكان عدوًّا لفخر الدين ومواليًا ليوسف باشا سيفا وللمحافظ والي دمشق، فطلب نصوح من الامير المعني ان يقتل الامير يونس الحرفوشي فحمل اليه مع مصطفى احد اعوانه ٢٥ الف قرش وخيلًا مطهّمة ونسيجاً فاخرًا . فتقبل الهدية وقال لمصطفى : معي اوامر من السلطان توجب على الامير ان يفصل الكبان ويسلّم قلعة الصبيبة وشقيف أرنون ، وكتب في ذلك الى الامير وخلع على مصطفى وأطلق سبيله ، ولمّا أحلّت حلب نصوحاً أوفد الى المعني بورنلي علي جاويش يطلب مالًا فاكرمه الامير وجاد له بخمسة الاف قرش واصحبه بملوكه مصلي اغا حاملًا ٥٠ الف قرش للسلطان احمد و ٢٥ الف قرش للوزير فجعله الوزير جاويش السلطان وعاد الى مولاه بخلع . وكان الحافظ على خوف من اشتداد سطوة المعنيّ في ضواحي عجلون وحوران فركب الى حلب

اليها مهمة تأديبها مذ بلغت هيفاء سنّ الثالثة ، وكانت ترقبها منذ عودها من

وركب معه كنعان الكبير البلوكباشي من أعيان الجند الدمشقي وفروخ امير الحاج وهو جركسي من المماليك شديد البأس ، فأكرم نصوح باشا الامير فروخاً وأسند اليه لواء نابلوس وعجلون والكرك بدلاً من الامير حمدان بن قانصوه حليف المعنيّ . واقرضه ١٥٠ الف قرش ليتقوّى على خصميه قانصوه والمعنيّ . ووشى الحافظ بالمعني الى الوزير بما أوغر صدره عليه واتفقا على قتاله . وعاد الوزير الى الاستانة وسار الحافظ مع فروخ وسلّم اليه حكم عجلون وطرد الامير حمدان ابن قانصوه وعمرًا شيخ عرب المفارجة من حوران وولّى مكانه رشيدًا شيخ عرب السردية ، فسار المطرودان مرباعا الى الامير فياض الحياري ، واستدل المعني بذلك على سوء نيّة الحافظ والوزير في ما ينظر اليه ، ورأى من جودة السياسة ان يدفع الخطر باستمالة الوزير فوجّه اليه كتخداه مصطفى بثلاثين الف قرش وهدايا نفيسة سيّرها برًّا وبحرًا منها مراكب موسوقة صابونًا واقمشة ، وبات يتوقع عودته ليعلم بأي عين نظر الدولة اليه ، ثمّ عاج المطرودان بحوران فقاتلها رشيد ففزع الشيخ عمرو الى المعنيّ وهو في قلعة بانياس فسار الامير معه برجاله الى القنيطرة ، وكان ثمّ الامير حمدان وعرب الشيخ عمرو فنزل ضيفًا عليهم . ثمّ أتى بهم الى بلاده واكرم ضيافتهم شهرًا واياماً أخر . فاستنصروه فأبى ان يقاتل معهم قبل رجوع رسوله من الاستانة وألح عليه مدبره الحاج كيوان فاذعن . وخلع على شيوخهم وارسل ابنه الامير عليًّا بثلاثة الاف مقاتل فقاموا الى مرج برغوث فنهر المدان . فالتقى عسكر الامير بعسكر الشام فتصادما في المزاريب عند البجة من حوران يوم جمعة من ربيع الثاني سنة ١٠٣٢ ه‍ . وانتهت الموقعة بانكسار عسكر الشام وعربان السردية والشران وفروخ بك وكنعان ومن معها . وغنم الامير منهم مئة رأس خيل مع طبول فروخ سنجق عجلون ونابلوس وجميع زموره واعلامه . وكان الشيخ رشيد وعربه نازلين على الازرق بشرقي حوران ، فعزم الامير على مطاردتهم ومشى بالعساكر ومعه حمدان والشيخ عمرو الى عين جالوت . لكن السكبان استبعدوا المكان فتحوّل الجميع الى بلاد البلقاء ونزلوا على نهر حسبان لاجتماع عرب تلك البلاد في وادي الميدان . وتسلم الامير حمدان لواء عجلون . اما كنعان وعسكر الشام فانتقلوا الى بصرى وكان الامير عليّ وحمدان وعمرو مخيمين في بئر السحرية من بلاد عجلون فانتقلوا الى اربد قرب بلاد أحمد الكناني وانقضوا على الشيخ ناصر النحيلي وعربه المخيمين في طرف اللحا فغنموا الف ناقة وخيلًا مرّوا بها في بصرى وعساكر الشام في غفلة عنهم فاقتدم الفتنة العرب والسكبان متناصفة ، واستصرخوا فخرالدين فأمدّهم بعشرة الاف مقاتل فيهم بعض رجال يوسف باشا سيفا والاميرين يوسف الحرفوشي وأحمد الشهابي . ثم حشد الامير حمدان رجال بني عُبيد واحمد الكناني فتألف لدى الغزاة جيش عظيم زحفوا به على عسكر الشام في البجة فانهزم الشاميون من وجوههم يطاردهم الذعر . فعاد الامير علي الى والده برجاله مبقيًا منهم خمسة بلكباشية برجالهم عند عمرو وحمدان . وبقي حمدان في عجلون وعمرو في حوران يغزوان العرب برجال المعنيّ المذكورين .

ـي حوران فترى انقلاباً في سحنتها ووجوماً في وجهها ونحولاً في بدنها يتزايد على مرّ الايام ، فيؤلمها ما تراهُ من حالها ولا تعرف ما علتها فتعالجها . فلما وقفت على امرها رثت لحالها وعقدت القلب على اخراجها من مأزقها ، وكان لابنها وجمالها سلطة على زوجها منصور فانتضتها لقطع كل حجة يتذرع بها تملصاً من السعي لتزويج الصبيَّة بمن تحبّ. فلم يجد مفلتاً من النزول عند ارادتها. فوعد وما كان وعدهُ الَّا متصلاً بالوفاء .

ثلج صدر هيفاء وأفرخ رجاؤها وأبت إلَّا ان تسهم خطيبها بلذَّة الرجاء. فأرسلت توقفهُ على ما يُجرى في بيت ابيها من التدبير والتمهيد لسعادتهما المشتهاة وتؤمله بقرب اللقاء ، فوجّه اليها جواباً أفرغ فيه كل عواطف قلبه ، وجدَّد لها عهد المحبة مبرماً ووعدها برفع كل العوائق من جهتهِ وأمّلها بقرب الفرج .

فطابت نفسها وعجلت الى صديقتها طيبة تقرأ الرسالة عليها وكلتاهما تضحكان وتبكيان معاً من شدَّة الفرح . غير ان فرحهما لم يكن طويل العمر . فما انقضى ذلك النهار وأوت كلٌّ من الظبيتين المتآخيتين الى كناسها حتى كرَّت الهواجس على خاطر هيفاء. فأجفل نومها وامسى فراشها كأنه من شوك او نار ، ان الرجاء يسكّن الروع ويخفف من وطأة الغمّ لكنه اذا لم يكن قائماً على اساس وطيد فلا يلبث ان يتضعضع وينهار . اجل ! ان في رسالة فخر الدين ما ينعش فؤادها ويؤمّلها بامكان حصول البغية ، غير ان قولهُ انَّهُ (يرفع كلَّ العوائق من جهته) لا يعني انه سيرضى بكل شروط ابيها لان منها ما يحول دون مرامهِ من توحيد الامارة في لبنان وهذا يمتنع قبوله عليهِ. وأبوها مصرٌّ على الاستقلال بولايته. وتعلّقه بالدولة أضمن لبقاء حكمه من انحيازه الى فخر الدين ، لان الامير طامحٌ الى انشاء سلطنة في هذه البلاد ولا يسع الدولة ان تبلغ من الاغضاء عنه الى هذا الحدّ. فاذا رأت منه خروجاً عليها سيَّرت عليهِ جيشاً قوياً يدمّر بلاده ولا ترجع عنهُ حتى توردهُ موارد الذل وتنفذ فيه قضاء الهلاك قتلاً واستئصالاً ، ولا يسلم من لهب سخطها محازبوه . وأبوها بعيد النظر وذو حنكةٍ سياسية وعلمٍ باحوال الدول وحذر من تقلّب الدهر . فما حيلة مدبّره منصور في امالتهِ الى فخر الدين ؟ بمثل هذه الافكار

المقلقة صرفت ليلها تتقلب على مثل جمر الغضا الى الصباح . حينئذٍ أقبلت عليها طيبة وعالجت ان تطيّب قلبها وتباعد عنها الهمّ والهواجس فما افلحت . فخرجت بها الى حديقة القصر وجعلت تقصُّ عليها الروايات والحكايات المعجبة والنكات المستطرفة حتى جلبت اليها شيئاً من السلوان الوقتي وصارت لا تفارقها ساعة ودامت على ذلك بضعة ايام .

اما منصور ابو طيبة فلم يبطئ ان دخل الى يوسف سيفا ساعة فراغ وقال له : أتيتك يا سيدي لامرٍ خطيرٍ أحبُّ ان نبحث فيه معاً ، فما انا عندك وفي ظلّ نعمتك إلّا لأكون عونك على الدهر ومنبهك الى طوارئ الحدثان . قال يوسف : ما أشكُّ في خلوص مودتك وصلاح مشورتك واستقامة قصدك . فهات ما عندك . قال منصور : أرى الايام تنقلب علينا . فالباب العالي لا يُركن اليه ولا يعوَّل على تعضيده . لانَّ له في جانب عمّاله سياسةً واحدةً لا معدل عنها . وهي انه متى بلغ احدهم مرتبةً من القوة والعز لا يخلّيه يتعداها ، بل يعمل لاسقاطه الى حضيض الهوان ، فلا نحن واثقون من بقاء رضاه ولا نحن محالفون من حولنا من حكّام الاقاليم واقطاب البلاد . فان لم نتلافَ الخطر بعقد المحالفات مع اصحاب القدرة من امراء لبنان وحكّام الولايات المتاخمة فقد اضعنا الرشد وما يبطؤ ان يُنزع من يدنا الحكم ويصير الى ايدٍ جبّارة كان بوسعنا ان نجعلها لشدّ ازرنا فجعلناها لحلنا والمساهمة في اهلاكنا .

قال السيفيّ : مَن من الحكّام ترى محالفته اجدى علينا فنحالفهُ ؟

— قال : انك لا تجهل ان الامير المعني حاكم الشوف هو الحاكم المقتدر والقائد العظيم والغازي الكبير والسياسي المحنّك الذي في مدةٍ قصيرة اكتسح ولايات الجنوب ونصب أعلامه الظافرة على عجلون وحوران وضرب أوتادهُ على ابواب دمشق وسيبسط سلطانه على الشمال كما بسطه على الجنوب . فهلّا تضمُّ ذراعك الى ذراعه فيكون عوناً لك على الحسّاد والمناوئين وتزداد حولًا وطولًا ويستقرّ حكمك .

— كيف السبيلُ الى موالاته وهو يطمع في بلادي ويجب عليَّ الدفاع عنها جرعة لا تُغتفر ؟

– ما يطلب الاميرُ إلا استقلال لبنان ، ومطلبه عدلٌ لانه وطنه وما كان إلا مستقلا ، وقد وجّه عزمه الى توحيد الامارة وليس في البلاد قوّة تصدّهُ عن هذا الهدف . فان ناوأناهُ وأصاب نجاحاً دارت علينا الدوائر ، وان سالمناهُ وعضدناهُ لم تخرج السلطة من يدينا وهو رجل الصدق والوفاء .

– واذا حالفناهُ وعصى الدولة لاسخاطها وشبّت بينهما نار القتال فبجانب اي الفريقين نكون ؟ ان نصرنا الامير اهلكتنا الدولة ، وان ناصرناها عليه نقضنا المحالفة وكنّا من الغادرين .

قال منصور : لا نحالفه على الدولة بل على عمّالها المناوئين له وعلى من يشقُّ عصا طاعته من الامراء . فان عمل ما يغضب الباب العالي فسيّر حملة لتأديبه ، نقف موقف الحياد ولا لوم علينا لان المحالفة لا تتناول محاربة الدولة.

قال الباشا : ومن ايّ بابٍ ندخل الى محالفته ؟

– من الباب الطبيعيّ ، وهو ان تزوّجه ابنتك وتزوّج ابنك من ابنته فتصير بين الاسرتين مصاهرة تولد الصداقة والاشتراك في المنافع والمضارّ

– أسلعةٌ بنتُ سيفا فأعرضها عليه بعد ان طلبها اليّ فرفضتُ ؟

– لا نعرضها عليه بل نخطب ابنتهُ فيعود الى طلب ابنتنا فيحصل ما نرومه دون ان نبذل من ماء الوجوه .

– رضيتُ . فافعل .

وبعد ثلاثة ايام كان منصور المدبّر في باب الامير فخر الدين . فأدخل وحيّاهُ وبسط له مهمّته . وكان حسن المنطق فصيح العبارة قويّ الحجّة ، فأنس به الامير واستطاب حديثه . ولا بدع ان يرحّب الظمآن بالماء الزلال والعليل بالطبيب الحامل الشفاء ، وبعد اسبوعين أقيمت حفلات الاعراس في بيتي معن وسيفا فاجتمع اليها خلقٌ كثير ، وصار فرحٌ عظيم في البلاد كلها ونُحرت الوف من النعم والعجول ومُدّت الولائم عامةً مدى عشرة ايام وجرت المبادلة بين القمرين فزُفّت هيفاء بنت يوسف سيفا الى الامير فخر الدين في بيروت والورقاء بنت الامير المعني الى محمد بن يوسف باشا سيفا في قصره الذي بعكار قاعدة السيفيين .

١٠
هيفا ابنة سيفا

قام في وهم يوسف باشا سيفا عملاً بشورة مدبّره منصور انه اذا صاهر الامير فخر الدين تصير المصاهرة مانعاً لياقياً للامير من اجتياح اراضي حميه . ولو انهُ اقام على عهد الموالاة للامير وخضع له كسائر حكّام البلاد لتحقّق حلمهُ الذهبي ، لكنه أبى إلّا الاستقلال عنهُ بالحكم وظلّ ينصبُ له المكائد في الخفاء . فلم تنطفِ العداوة بل اختبأت زماناً تحت رماد السلام . أما الامير المعنيُّ الذي شبَّ على مقت الدولة قاتلة ابيه وآلى ألّا يغمد سيفه حتى يوحّد الامارة في لبنان ويحيط بها سوراً منيعاً من الاستقلال وينشر أعلامهُ خفّاقةً فوق الولايات فلم تكن صلة القرابة الجديدة لتغيّر شيئاً من خطّتهِ أو تحلّ فتلةً من عزيمته .

أجل ! انهُ يحبُّ هيفاء حبّاً ما وراءهُ حبّ، ولم تصر اليهِ إلّا بعد ما عانى أشدّ لواذع التدلّه والهيام . وقد تعاظم حبّهُ اياها منذ اصبحت منارة بيتهِ ومشكى ضيه وجنّة ناظريه . إلّا ان محبته للبنان وطنه وولوعه بالمجد والمعالي اعظم جدّاً وأولى بالتقديم ولا يعدلها حبّهُ لشيء مما على الارض .

كيف السبيل الى ما يرومهُ من توحيد الامارة وابنُ سيفا حجر عثارٍ في ذلك السبيل . كلُّ حكّام الاقاليم يتنزّلون له عن استقلالهم بحكم اقطاعاتهم ايثاراً لمصلحة البلاد أو رهبةً من بطشهِ إلّا ابن سيفا فهو لا يقدّم مصلحة على مصلحة نفسهِ . وحجتهُ عند نفسه انهُ اذا توحّدت الامارة وتمّ للامير المعني بناء الاستقلال عن الدولة ، فقد تبدّدت سلطته وخسف جاههُ وقصرت باعهُ وانقطعت ميازيب الذهب عن خزانته . فانهُ بعد ان نكب الشافين وقرض سلالتهم واستولى على املاكهم صارت له اقطاعة واسعة الارجاء طائلة الثروة تتدفّق له منها ينابيع الذهب .

وقد امتدّ سلطانهُ من جنوبي جُبيل الى تخوم انطاكية،ولم يكن حكمهُ اقطاعياً إلّا من حيث الاثم لتصرّفه به تصرف المالك في أرضهِ المستقلّ بادارتها لا تطالبه الدولة إلا بمال الخراج جرياً على حكمها في البلاد السورية حيث

تكتفي بهذا القدر من خضوع عمالها ساكتة عما يحدث بينهم من التنازع على السلطة ، ما لم تأنس من احدهم نزوعاً الى الخروج عليها فتؤدبه بنصر خصمه عليه . فهي تضرب الخزف بالخزف ولها السالم والفناء المكسور .

وقد قُيِّض ليوسف باشا سيفا ان يُطهِّر تلك الاقطاعة الطويلة العريضة من كلّ مزاحم ومنازع حتى خلا له الجوُّ وصار في درجة من العزّ عالية . وزاد في غبطته انَّ ابنهُ محمدًا زوج الورقاء بنت الامير المعني استأجر كرك طرابلس من الباب العالي باجرة سنوية دون العشر من غلته . اذ كان اكبر كركٍ في البلاد السوريَّة في ذلك الدهر . فكانت لـه ارباحٌ لا تُحصى بحساب وكان ابوهُ يشتري ببعضها رضا أولي الشان من رجال البلاط ومناصرة الباب العالي لهُ على حسّاده ، لذلك كان يردُّ مطالب صهره السلبيَّة . ومكان ان يذعن لهُ كان يطمح بنفسه الى الاستيلاء على الشوف . وما يعوقهُ عن تصعّد هذا الجبل إلَّا الحفى . وكان يرقب الفرص ويرصد المنامز ولا يملُّ النظر في وجوه الحيلة واستنباط الذرائع المبلغة الى الغرض وان سافلةً ونذلةً واثيمةً .

وقع مرَّةً ان زارته بنته هيفاء فجعل يسألها عما عنـد زوجها الامير من مقاصد وتدابير ومعدَّات قتـال فتنبهت لغرضه الخسيس وقالت : أجاسوساً أرسلتني الى بيت الامير فأبوح لك بأسراره وأُطلعك على نيّـاته . ان كنت على خوفٍ من صولتهِ ورهبة من حَولهِ وطوله فلِمَ لا ترعى جانبه وتطاوعهُ على ما يحبّ . وهو انما يسعى لامرٍ وطنيّ خطير ؛ فوقع جوابها عليهِ وقع الشتيمة على المذنب . فقال : كأني بكِ يا هيفاء تجهلين حقوق الوالد على الولـد . ألستُ انا الذي اعطيتكِ الوجود ؟ ألم تكوني لي من قبل ان تصيري الى عدوّي، فكيف تؤثرينه عليَّ ؟ أما انكِ في هذا البيت نشأتِ وفي نعمته ربيتِ فكيف ترينه مهدّدًا بالدمار ولا تتلافين سقوطه مع قدرتـك على اسناده ؟ قالت لو علمت ان فخر الدين يرمي الى هدم هذا البيت لما اذّخرت وسعاً في صرفه عن قصده ولعرضتُ له صدري وقلتُ : اضرب هذا الصدر دون ذلـك البيت . الّا ان الامير لا يبغي لبيت سيفا سوى التوطد على السعادة والعزّ . على شرط ان يدينوا له ويتفيَّأوا في ظلّ امارته . فـان ابيت إلّا ركوب الطمع وهو

مركبٌ جموحٌ فقد عملتَ على تخريب بيتك بيدك . إنّ فخر الدين يرمي الى هدفٍ شريف وتأبى همته الشمّاء النكوص عن ذلك الهدف مهما يقم في سبيله من عقابٍ صعاب وكيف يلوي عن مرامٍ وهو الذي اذا مشى مشى من خلفه مئة الف قسور من السكان ومثلهم من عرب عجلون وحوران ومرازنة الجبل الاشدّاء ، وما فيهم من يسأله : الى اين يا امير ؟ كيف يحلّ ما ابرمه وامراء لبنان وكبراؤه ومشايخه وأعيانهُ موافقون لهُ على رأيه وشادّون أزرهُ ومؤتمرون بأمره . من شهابيين وارسلانيين وتلحوقيين وحماديين وحرفوشيين وخازنيين وغيرهم . كلّهم يحبّذون سعيهُ وينادون : لبّيك نحنُ أعوانُك . وحدِ الامارة لاستقرار الاحكام واستتباب الامن واستيفاء الاستقلال واستكمال العزّ للوطن اللبناني . ولو لم يكن للامير من مصلحة في هذا التدبير غير الثأر من الدولة لابيه لكفى بذلك شاحذاً لعزيمته ، فكيف وبه مجدهُ ايضاً وتوطيد عرشه وامتداد سلطته وتخليد ذكره[1] فالرأي يا سيدي

[1]) يريد القارىء الوقوف على تفاصيل ما وقع للمعني بعد انتصار عساكره على عساكر الشام بقيادة ابنه الامير علي ومناصرة حلفائه من العرب مما مرّ ذكره عند الكلام عن مواقع عجلون وحوران . اليك ملخص ما كتبه المؤرخون ننتطفه من (مجلة الآثار) : شقّ على احمد باشا الحافظ انهزام عساكره من وجه عساكر المعنيّ يسوقهم الذعر مشتتين . غير ان ذلك سرّه من وجه ما هيأ له من فرصة الانتقام من فخر الدين حسوده وعدوه ، فارسل الى الاستانة رسائل وقّع عليها هو والاعيان ، يخبر الباب العالي بان المعنيّ قد تغلب على عجلون وحوران وان رجاله محاصرون دمشق . فوصلت الرسائل وكان مصطفى كتخدا الامير لا يزال في الاستانة وقد وعده نصوح باشا الصدر الاعظم بلواء نابلوس وامارة الحج فانقلب عليه وسجنه في الابراج ، واطلق رجاله فعادوا الى الامير واخبروه فندم على مطاوعته كيوان . عزم نصوح على اهلاك الامير . فأمرت الدولة باجتماع اربعة عشر أمير امراء وخمسين لواء بقيادة السردار احمد باشا الحافظ ، وفيهم مصطفى كافل ديار بكر وعمرو الكتاني والي اناطولي وباكير والي قرمان وطويل احمد والي درابزون وحزم والي ملاطية وموسى والي حلب . ومعهم جميع الوية كردستان مع عساكرهم ، وامدّهم الوزير بخمسين الف انكشاري بقيادة أياز اغا . فأتوا بحرًا الى باياس بين طرابلس واللاذقية قريباً من المرقب الى الغرب الشمالي . فلمّا بلغوا بلاد الشام توجه الى الحافظ الامراء يونس الحرفوشي حاكم بعلبك والبقاع واحمد وعلي الشهابيان حاكما وادي التيم . فقابلوه في المعسكر انحيازًا عن المعنيّ اليه .

فعلم فخر الدين ان مهابة الدولة ستفرق عنه سائر محالفيه ، فطفق يرمم ويحصن معاقله

الوالد ان تسالمهُ وتدين لهُ على الاخلاص. فيقرّك في حكمك ويكون ظلّهُ عليك اخفّ من ظلّ الدولة . فانك لن تأمن على حكمك ولا على نفسك من مفاجآة غدرها وانقلابها ومثلك من عَلِمَ فاعتبر . ومن الخُرْق في الرأي ان تؤمل من امير لبنان عدولاً عما اعتزمهُ فانه ليس يثنيه عنهُ سوى الموت .

ولا سيا قلاع بانياس وشقيف تيرون وارنون وجمع اليها بطانته واسرته وحريمه ، واوعز الى الحاج كيوان ان يحمل تجار صيدا التوسكانيين على مراسلة دولتهم لانجاده ، فاستجلبوا له معدات كثيرة ووعدوه بالمال والرجال فصار لديه من الميرة والذخيرة ما يكفيه لخمسة اعوام ، وقام في وهمه ان مالقه امنع من ان تدين لقوة على الارض ، وارصد مئة الف قرش في قلعتي بانياس وشقيف تيرون لجرايات السكبان وجعل في قلعة بانياس عشرة بلوكباشية لالف نفر بقيادة حسين اليازجي سرداراً . وعلى عسكر قلعة الشقيف طويل حسين بلوكباشي مع خمسة بلوكباشية على اربع مئة نفر ، واقام حريمه في القلعتين وحظر على العسكرين التسليم مهما يلاقوا من ضيق الحصار .

وكان قد ارسل ولده علياً الى البرية مع الامير حمدان والشيخ عمرو عام ١٦٠٣ وعزم على اللحاق به . فأتى صفد وانتظر ثمَّ كيوان ليأتي من صيدا فيصحبه . وأرسل وفداً فيهم الشيخ احمد الخالدي كاتب تاريخه الى الحافظ والقوّاد وقاضي الشام وعلمائها ليصلحوا ذات البين ، فرُدُّوا بالفشل . قال الحافظ : لو ملأ فخر الدين هذه الخيمة ذهباً لم يُعفَ عنه حتى يدوس هذا البساط . فأخبروا الامير بذلك فيئس من استمالة الحافظ ولاسيما بعد ما رأى من نزعه ولاية بيروت وكسروان من ولده علي وارجاعها الى يوسف باشا سيفا ، وارجاع حكم الغرب والجرد والمتن الى الشيخ مظفر العينداري ، وايالة صفد الى محمد اغا ، وايالة صيدا الى ارنؤوط حسن اغا ، ونحض هؤلاء على رجال الامير وعزموهم.

وبينما كان الامير يتأهب للفرار الى حلفائه من امراء العرب بلغه ان الحافظ أرسل عسكراً الى جسر المجامع بقيادة الامراء احمد الشهابي وفروخ و حمد بن طريه ليقطعوا سلكه ، فتوقّف . وأدركه كيوان فنام الى طبريا بالف فارس من السكبان ، وسار الحافظ من القنيطرة جهة بانياس ثم الى صفد وارسل جنوده لقطع الطريق عليه . فرجع المعني من طبريا الى امام قلعة الشقيف ، وبلغه خبر اصطدام رجاله بعسكر الشام في خان المجامع عند الجسر واندحار رجاله وفرار انه عليّ يبغيتهم الى عرب البرية فبلاد عجلون يتوقع قدوم ابيه . وعلى اثر وصوله زحف على المشايخ أولاد عليّ الصغير في قرية الكوثرية لما سلبوا بعض رجاله فانهزموا من وجهه ونهب قريتهم وعاد الى قلعة الشقيف .

امّا الحافظ فاستقدم عمارة رودس العثمانية لتسد دون الامير منافذ الفرار من صيدا . فقدم جعفر باشا حاكم رودس بعشرة مراكب بقيادة الربّان محمد باشا أمير البحر ، فسار الامير المعنيّ برجاله الى ثغر صيدا واجتمع بجعفر باشا وأوقفه على حاله وانّ له في خزينة السلطان واحداً وخمسين الف ذهب حملها ملقاً اليه . فوعده بالتوسط . فاستكتب الامير

قال الباشا : حياةُ ابيكِ بموت المني ، فان شئتِ ان يحيا أبوكِ وأخوتكِ وان يعلوَ بيت سيفـا ويُحقن دم كثيرٍ ممن تحبّين فافتدي الاكثر بالاقلّ . هلّا تأخذين من يدي . . . لا مدية تغرزينها في قلبهِ . لا . فانّه قد يرعبك منظر الدم . بل سمّا تدسّينه في طعامـه أو شرابهِ وتفزعين اليَّ تحت حلك الظلام مخفورة باربعة من رجال ابيكِ رجال بأسٍ أرسلهم معكِ متنكرين .

فلمّا سمعت هيفاء هـذا الكلام اقشعرَّ بدنها ونطّ قلبها فزعاً وترفعاً ونفوراً وأطرقت تفكر : ما هذا الذي يقولهُ أبي ! ما هذه الخطـة الدنيئة الاثيـمة التي يسومني ؟ خيانة زوجي ! الغدر بمن تحبُّـهُ نفسي ! بمن أفديه بابي وأمي واخي واختي وروحي ووجودي ! ماذا يسومني هذا الوالد الاحمق الّا ان اقتل سعادتي واتخلّى عن نعمتي واخرج من نعيمي وألقي على المزبلة عزّي واخنق عواطفي الشريفة بيدي واطأ شرفي بأخمصي . ويحك ابن سيفا ! أهيفاء تركب مثل هذا المنكر ، أهيفاء التي لو سألهـا فخر الدين ظمآن شراباً ولم يكن الا دمها لاراقته بلا تردّدٍ بين شفتيه ، أهيفاء تدسُّ لمعبودها المني في طعامه السمَّ الزعاف . لأن تُقطع يدي ويُضرب عنقي وتُدق عظامي أهون عليَّ من ركوب هذا الغدر الفظيع الاثيم . أما والله لو أسلمني فخر الدين الى كل ضربٍ من الحتف والعذاب وأيقنت انهُ قاتلي عمّا قليل واحراقاً بالنار لغير ذنبٍ الا اني أحبهُ لما انكرتهُ بـل قلتُ : زدني « فكل شيء من المحبوب محبوبٌ » فكيف وانا عندهُ بمكان روحه وأعزُّ اليهِ من قلبه، وقد رفع منزلتي وولّاني رئاسة بيته وقرّبني أكثر من أقرب الناس اليـه وائتمنني على سرهِ واستنامِ اليَّ في الشهادة والغيب . لا عشتُ ان اطعنـك يا أبي ولا أطاقتني الارضُ على ظهرها ان خنتك يا فخر الدين !

الصيداويين عريضة وأرسلها الى محمد باشا امير البحر مع الشيخ ابي اللطف والحاج محمد خضر ، فسافرا في عمارة محيي الدين باشا التي ذهبت مسرعة لانقاذ سبعة مراكب سطا عليها الترصان . فقرغت ميناء صيدا ، وكان محمد باشا قد ضاف المني مرّة فصار بينهما صداقة فاكرم رسوليه، وقدم الى صيدا سفينتان فرنسيتان وسفينة هولندية تقلُّ بضائع . فاستأجر المنيّ السفن الثلاث واقلع ومعه زوجته ابنة ظافر وكيوان وخمسون من مماليكه ، والقى مقاليد الولاية الى الامير يونس اخيه .

صغُرَ أبوها في عينها وحلَّ مقتُه في قلبها وأمسكت عن مجاوبته ازدراء وخلته وانصرفت .

ولما كان من الغد استدعت عبيدها وجواريها فشدّوا لها على فرس ووذّعت وخرجت من ذلك البيت وهي تدعو على رجلها بالكسر ان خطت بعد خطوةً اليه . وكتبت عن زوجها الخبر تلافياً لاستذكاء جمار البغضاء .

وظلَّ الامير فخر الدين متابعاً خطته السياسيَّة بمشورة مدبّريه وأعيان البلاد، وكان لطيف الاخلاق سهل المداناة حليماً رئيفاً عادلاً مترفعاً عن المحاباة بعيداً عن التعصُّب الديني الذميم ، فاتحاً مجلسه للشعراء والادباء مولعاً بالمطالعة ولاسيما الكيمياء ، يحبُّ الفضلاء ويقرّبهم من أيَّة طائفةٍ كانوا .

ولاشتهار عدله ومعاداته للدولة كان كلُّ من لحقهُ جورٌ من ولاتها ، او خاف نكبةً من قبلها يفزع الى الشوف لائذاً بحمى الامير . ولمّا كانت الصواعق اكثر ما تنقضُّ على الجبال العالية اجتمع الى دير القمر قاعدة الحكم (منذ ارتحال فخر الدين الى ايطالية كما سترى) عددٌ كبير من خيرة الاسر من مسيحيين ومسلمين ويهود فازعين الى عدل الامير وحمايته من جور الدولة أو من ظلم عمّالها . واكثرهم من اقاليم سوريا وبعضهم من غيرها . وظلّت دير القمر مفزعاً لمثل هؤلاء العيال الكريمة يأتونها بمالهم واهلهم وصناعتهم الى آخر عهد الامراء من آل شهاب . فاضحت تلك المدينة الصغيرة اعظم المدن اللبنانية ثروةً وصناعةً وسياسةً ومعارف . وانجبت للوطن رجالاً كبراء العقول أقوياء السواعد أحبوه أخلص الحب وخدموه أصدق الخدمة ، وبذلوا لصونه واستقلاله ومجده الراحة والمال والمُهج . وكان المسيحيُّون يحبون الامير ويخلصون لهُ ويجلُّون قدره ويلتفُّون من حولهِ لانصافهِ ومساواته بين الطوائف حقوقاً وواجبات ، ولعطفه على المسيحيين ولاسيما الموارنة الذين نشأ في بلادهم ولقف التربية الوطنية والمبادئ القويمة من أفواه فضلائهم وكبرائهم ومن قدوتهم الفاضلة . فتسهّل لهُ ما اراده من توحيد الامارة ، واعترف لهُ بالحكم الامراء والمشايخ والمقدّمون فرتّب مالية عظيمة ونصب ميزان العدل ونظّم جيشاً وطنياً كبيرًا مدرّباً في حمل السلاح زحف به على الولايات فاكتسحها على ما

رأيت في ما مضى . وعينُ الدولة نائمة عنهُ الى ذلك الحين اذ كان يبهر أعين وزرائها برهجة هداياهُ ويكمّ أفواههم بذهبهِ ودهائه . فأخذت نفسهُ تطمح الى عاصمة الاتراك وطفق يمدُّ المدَّة ويتحفَّز الوثوب .

على ان يوسف باشا سيفا كان يرقب اعماله بعين تباعد عنها الوسن . فلما أنس من نفسه العجز عن قتاله وحصل له اليأس من أخذه بالحيلة عمد الى الوشاية والسعاية وعقد مؤامرة عليه مع الحافظ والي دمشق فأيقظا الباب العالي من غفلته وحذَّراه مغبَّة التعود عن نكبته وبسطا له ما صار اليه الامير من عظمة الصولة وامتداد السطوة وما لديهِ من كثرة الجنود والمال والحصون المنيعة ، وما له من موالين ومحالفين في مختلف الاقاليم السورية وما أنشأه في بيروت من صروح وقلاع وحدائق ولاسيما حديقة الوحوش التي أنشأها تشبهاً بالسلاطين الى تسهيل سبل التجارة للتجار الغربيين ولا سيما التوسكانيين المعادين للدولة ، الى غير ذلك من الوشايات مما جعل الباب العالي يوجس خوفاً من خطر على المملكة ، فعقد القلب على ملافاة الخطر بضرب الامير الضربة القاضية ، وكان على اريكة الملك السلطان احمد الاول، فسيَّر عليه الفين من انكشارية الاستانة وخمسين سنجقاً وأربعة عشر بكليربكياً من ديار بكر واناطولية وطرابزون وحلب وطرابلس الى خمسين الفاً من اشد رجال القتال .

وكان الامير شجاعاً لا يتراجع من امام هول غير ان الفطنة كانت مسيطرة على جرأته فلم يكن ليقدم على امر قبل التروّي ولا يدخل مأزقاً قبل النظر في مخرجه . فلما رأى الفوز غير مضمون لرجاله تلقاء تلك القوات الهائلة امتنع عن القتال حقناً للدماء وجرياً على مبدإ : اتقاء الخطر أهون ذرائع دفعه ، وعملاً بقول الشاعر :

اذا حلَّ الثقيل بارض قوم ما للساكنين سوى الرحيل

فجعل يتهيَّأ للرحيل الى اوربة .

(لها صلة)

تجديد خليل مطران للشعر العربي

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

يعد المحافظون بمئات الملايين في مشارق الارض ومغاربها ، غير انهم لا يزيدون ذرة على ثروة العالم الفكرية ؛ اما المجدّدون فانهم يُحصون بالمئات ، ولكنهم قد تفرّدوا بقدرتهم على اغناء مقتنى السلف بمبتكراتهم الرائعة ، الجريئة ؛ وخليل مطران من جملتهم في ميدان الشعر العربي ، فلذلك نخصه بالاجلال والاعجاب .

قد احدث بجسارة مدهشة انقلاباً عظيماً في شعر اهل زمانه ، بل في الشعر العربي على وجه الاطلاق . حين نزل الى ميدان القريض ، كان هذا الفن — وهو ملك الفنون الجميلة قاطبةً — قد هوى عندنا الى اقصى دركات الانحطاط . كان اكثره تافهاً بمواضيعه ، مبتذلاً بتعابيره ، يكتفي اصحابه المتشاعرون بان يستظهروا شعر الاقدمين ، منتزعين منه رُقعاً يضمون بعضها الى بعض ويؤلفون بها منظوماتهم السقيمة ، الخالية من الحقائق السامية والعواطف النبيلة والخيالات الجديدة ، فليس لها ، والحالة هذه ، من الشعر الا اسمه .

وقف مطران باكياً ، نادباً ، متوجعاً ، امام قبر الشعر العربي ، يتنشق مرغماً روائح الانحلال الكريهة ، المنبعثة من جثته الهامدة ، فنفخ فيها نفخة شديدة من روحه العبقرية ، فبعث من اللحد ذلك الميت المكفّن منذ قرون بكفن الجمود والابتذال . نظمَ مئات قصائد ، معدنها الشعر المحض ، من الطراز العالي ، شعر الحقيقة والخيال والشعور باسمى معانيها ، شعر لم يسمعه قط العالم العربي ، فانقسم عند سماعه الى فئتين ، احداهما اقلية زهيدة ، مؤلفة من المعجبين المهللين له ، والاخرى اكثرية ساحقة ، مركبة من المتعنتين الجامدين . ولم تزل الاولى تتكاثر والثانية تتضاءل الى ان طار صيت الشاعر البعلبكي المجدد في كل آفاق الشرق العربي ، بل المهاجر العربية ، فأقر له بالنبوغ في فن القريض ليس اعلام الادباء المسيحيين فقط ، بل صفوة زملائهم المسلمين .

قال حافظ ابراهيم ، شاعر النيل ، في شأن مطران : « هو في طليعة « اولئك الذين خرجوا عن افق التقليد وصدعوا قيود التقييد ، واوسعوا صدر « الشعر العربي للخيال الاعجمي ، وافسحوا فيه للقصص وتصدير الحوادث ، « وطوّفوا لسرد وقائع التاريخ ، ففتح بذلك فتحاً جديداً ، شنّ به الغارة « على اهل الحفاظ والتمسك . »

ما الذي جدده مطران في الشعر العربي ؟ كل شيء ، ما عدا الاوزان ؛ جدّد المواضيع والتعابير ، فحسبه بذلك فضلًا بل مجداً عظيمين ، يخلدان اسمه في تاريخ ادبنا الناهض. نقصد في هذه العجالة ان نبين ببعض الاسهاب كيف جدد المواضيع والخيالات الشعرية .

اكب مطران على نظم القريض وهو في شرخ الشباب ، ثم احجم عنه « لانكاره طريقته وجهله حقيقته » ، كما يعترف في مقدمة ديوانه ، « ديوان الخليل » ، المطبوع في القاهرة حول سنة ١٩٠٨ . ثم عاد اليه « وقد نضج الفكر واستقلت له طريقة في كيف ينبغي ان يكون الشعر » ، فاصلحه وانمشه بعبقريته الفائقة وجرأته المدهشة . رأى جل المواضيع الشعرية ، ان لم نقل كلها ، قد انحصرت في دائرة ضيقة ، سافلة ، خانقة ، دائرة التزلف التافه ، والتزلف الى سراة القوم بمدح الاحياء منهم ورثاء الاموات ، والنوح العقيم على اطلال مجد العرب الاقدمين . اين الشعر الحقيقي من هذه الترهات ؟

رأى ذلك الانحطاط المخجل ، فلم يبقَ امامه متوجعاً ، مُطرقاً ، مكبّل اليدين ، بل عقد نيته على اقالة عثرة الشعر العربي . ادرك ان الاصلاح الحقيقي يتناول جوهر الاشياء قبل اعراضها ، فأقدم على تجديد كنه الشعر، اعني مواضيعه.

ما الشعر الامثل ، اذا سبرنا غوره ، سوى فكرة سامية او عاطفة شريفة تجسمت في حادثة او مشهد او خيال ، فأصبحت بذلك التجسد قادرة على هز نياط القلوب بدخولها من ابواب الحواس . كل ذلك قد ادركه مطران بنظره الثاقب ، بل اخرجه الى حيّز الوجود في ديوانه ، فجاء حافلًا باجمل القصائد الروائية والوصفية والخيالية ، منطويةً في القالب على مبدإ سديد او شعور نبيل ، رقيق .

يضيق المجال عن الخوض في ذلك العباب ذي الهدير الموسيقي المطرب ، فنجتزئ بالاشارة الى بعض امواجه الثائرة ، البديعة الالوان ، تنعكس على جنباتها اشعة الحياة ودياجيها على التوالي ، بتنوع وابتكار عجيبين .

من احسن قصائد مطران الروائية « فاجعة في هزل » و « زفاف ام جنازة »، تهولنا فيها مفاجآت الحمام لبني آدم الغائصين في لجج المسرات والملاهي، « نابوليون الاول وجندي يموت » يتجلى فيها تنازل عاهل عظيم ووفاء جنديه الباسل ، « مقتل بزرجمهر » يُرينا استبداد ملك غشوم واقصى دركات العبودية والذل في شعبه . على هذا المنوال قد حاك شاعر القطرين القصائد « ان من البيان لسحرًا » ، « شهيد المروءة » ، « العصفور » ، « وفاء » ، « العقاب » وعشرات من امثالها .

اما وصفه فهو نسيج وحده بدقة التصوير وحرارة العاطفة المندمجة في لحمته وسداه ، سواء اكان مقتبساً من حوادث التاريخ ام من مشاهد الطبيعة ام من الوقائع اليومية ، المبتذلة ، فيصوغ منها الشاعر القدير جواهر قريضه . من طالع وصفه لمعركة واترلو الشهيرة ، فكأنه خاض معمعتها الهائلة بين دوي البنادق وقصيف المدافع . من قرأ « قلعة بعلبك » يُخيَّل له انه يشاهد ابنيتها الجليلة واعمدتها الهيفاء الشاهقة ، هندستها المُعجزة ، منحوتاتها الفاتنة ، وما تجسم في كل هذه البدائع الفنية من عظمة الفينيقيين وسمو حضارتهم . في قصيدة « الاهرام » نرى ذواتنا منذ مطلعها قد انتقلنا بغتة ، بقوة مخيلة الشاعر المندفعة بنا كريح هوجاء ، الى ابعد القرون ، التي انبت فيها وادي النيل تلك الجبال الصناعية ، المنتصبة على توالي الاجيال ، شاهدًا رائعاً على كبرياء الفراعنة وذل رعاياهم ،

صُفر الوجوه ، تاديًا جباههم ، كالكلا اليابس ، يلوه الندى ؛
عنيّةً ظهورهم ، خُرس اللمى ، كالنمل دبّ سكيناً ، مُخلدًا ،
يجتمعين ابحرًا ، منفرعين انهرًا ، منحدرين ، مُصَّعِدًا ؛
اكلُّ هذي الانفس الهلكى غدًا تبني لفانٍ جدثاً مخلّدًا ؟

ذلك التصوير الحي ، البديع الاشكال والالوان ، المتغلغل في اعماق

النفوس : كثيرًا ما نجده في ديوان الخليل ، مثلًا في « تشييع جنازة » ، « وداع وسلام » ، « عود من الصعيد » ، « وفاة الملكة فكتورية » ، ولا سيما في « المساء » التي نعدّها من اجمل ما نظمه نوابغ الشعراء في اشهر لغات العالم .

لا تحتاج مخيلة مطران الجبارة الى استمداد مواضيع شعره من الحوادث او المشاهد ، فانها قادرة على اخراجه من خزائنها الحافلة بانواع الآيات ، كما ترى في « السور الكبير في الصين » ، « الترجمة » ، « الزهرة » ، « فنجان قهوة » « الطفلة البوَيرية » و « مغيب في البروغ » .

حتى في معالجة المدح والرثاء ، اللذين تدعو اليهما الشاعر بعض الظروف ، تراه يبذل قصاراه لحلهما من ربقة التقليد والابتذال ، محاولًا استخدامهما بقدر الامكان للتعبير عما يدور في خلده من افكار عالية وما يخفق في قلبه من عواطف نبيلة . مثال ذلك ما جاء في آخر رثائه لاسماعيل بك عاصم ، وكان قد مات غريقًا :

وبما تعسنا من صروف زماننا سيُديلنا منها القدير الدائمُ !
ان الذى وارى شقيقك فاختفى فيه(١) ، ولم يشُر عليه الراثم ،
سيذوله بحر الفناء كقطرةٍ ويسيغه العدم الشروب ، الهاضم !

تلك بعض التفاصيل الموجزة في شأن التجديد الرائع الذي احدثه شاعر القطرين في مواضيع القريض ، وما هي سوى حفنة من كثيب . قد رمى اليه بهمة قعساء ، تطأ العقبات الكؤود وطأ ، بل بنبوغ نادر المثال ، قد اضطر الدّ الخصوم الى اعظامه ، فحقّ له ان يقول في ختام مقدمة ديوانه : « لذلك عملت وذاك منتهى ما أملت ، فان الناس ركْب شقاء وسفر هباء ؛ « فما اسعد حاديهم – وهو الشاعر – اذا حدا ، ان يُحس لنغماته ، عند اخوانه « في المسير ، رنة وصدى . »

لم يقصر مطران تجديده الجريء على مواد القريض ، بل قد ادخل في نطاقه الواسع الخيالات الشعرية الرائعة الجمال . يتضح ذلك اولًا في تصويره محاسن

(١) يعني البحر الذي غرق فيه المرثي .

الطبيعة بريشة الابتكار والابداع ؛ هاكم بعض الامثلة على نبوغه في ذلك الفن . قال في وصف شمس الخريف :

تبث الشمس بامرات شعاع تنتذي في اعدادها شبه زُبر ؛
فهي في الافق تارةً مسحاتٌ من حارٍ وتارة نثر وردٍ ،
وهي بين الغصون نسجٌ دقيقٌ من نضارٍ يشف عن لازوردٍ .

ما اجمل تصويره للشمس الغاربة :

مرت خلال غمامتين تحدرًا وتقطرت كالدمعة الحمراء ،
فكأن آخر دمعة للكون قد مُزجت بآخر ادمعي لرثائي ،
وكأنني آنست يومي زائلًا ، فرأيت في المرآة كيف مسائي !

وما اجدّ وصفه الغروب :

أوَ ليس نزعًا للنهار وصرعةٌ الشمس بين جنازة الاضواء ؟

يعيّر البحر بل الكون احمم شدة اسى نفسه ، فينشد :

والبحر خفّاق الجوانب ، ضائقٌ كمدًا كصدري ساعة الامساء ؛
تغشى البرية كدرةٌ وكأنها صعدت الى عينيّ من احشائي !

له طرائف فتانة في وصف الليل وبدره ونجومه ؛ دونكم شيئاً منها :

حبذا البدر مؤنسًا يتجلى كحبيبٍ بعد التغيب قادمْ .

حتى اذا اعتكر الظلام ومُزّقتْ احشاؤه قَدّينَ بالاضواء .

وللازاهر فكرٌ يرويه عنها العبير ،
والبدر في الغيم يخفى آنًا وآنـًا يثورُ ،
والسُحب شبه جوارٍ لديه وهو اميرُ ،
تدنو اليه فتُلقي تحيةً وتسيرُ ؛
مناظرٌ رائعات ، مرآتهن الغدير .

قال عن الليل وقد شاهده بعينيه المفعمتين كآبةً :

ضمني مُثقلًا جسمي كبحرٍ ضم في جوفه البعيد غريقًا ؛
احسب السُرج في حشاه قروحًا وارى الشُهب في سماه حروقًا !

ما احسن ابتكاره في وصف سُرى باخرة :

حرث بنا الفُلك على الدأماء خافقة الفؤاد الرجاء ،
خفيفةً كالظل في الاسراء ، تبدي اقترارًا في ثنور الماء .
كأنها طريقها تمراني والشهب فيها اعينٌ دواني ،
كأنها في سمة الفضاء جنازةٌ لميتِ الاحياء ،
بشهدٍ من عالم الاضواء في متراءى البحر والسماء .

ما اكثر الخيالات الجديدة في هذا البيت من قصيدة حاوية وصف روضة :

ما اقر المياه فيك وما الصب النور وما اجزع الظلال الحوائم !

وفي تصويره فداحة قيظ مصر :

اوقد الصيف في الصعيد لظاه ، فأجف الحقول والآجاما ،
وغدا الناس بين جوٍ كثيفٍ ، مترددٍ من الغبار غمامًا ،
وفلاةٍ كأنما الرمل فيها شررٌ مُــد لُمةً واضطراما

شاعريته الفائقة تشاهد في احقر الاشياء رموزًا مصغرة لاعظم بدائع الكون :

ارأيتِ صوغ الدر في العقيانِ ? هذا حُباب البن في الفنجانِ ؛
فلكٌ تمثَّل شمسه ونجومه افلاكنا في السير والدوران .
ليلى ، اجيلي الطرف فيه تنظري سر الكيان وآية الازمانِ !

بمثل ذلك الابداع وتلك الكثرة الساحرة من الخيالات المبتكرة يصف احوال النفس البشرية . يشبه زوال محنة ثقيلة بسحابة دكناء غشيت البدر ثم انقشعت عنه :

غر بعيدًا عن معالي سمائه وتمضي عبوسًا وهو جذلان يفترُّ .

يرى عودة الفرح بعد انقضاء دور الاسى :

كشموس ايام الشتاء ، اذا انجلت ، عاد الضياء مضاعف اللألاء .

قال في وصف افناء الامراض والاحزان لبقية قواه :

قلبٌ اذابته الصبابة والجوى ، وغلالةٌ رثّت من الادواء ،
والروح بينهما نسيم تنهدٍ في حالَي التصويب والصُعداء ،
والعقل كالمصباح يغشى نورَه كدري ويُضعفه نضوب دمائي !

وفي وصف سهده :

ارى مثل سهديَ في الكوكبِ ؛ احلّ بِـه مثلُ ما حل بي ؟
جيم هيامي من وجـده وجرب من مهـده مهربي ،
ونجتاز هذا الفضاء الرحب إلا بنا ، فهو لم يرحُبِ !

وفي تصوير الكلمات الاخيرة على شفاه منازع :

كلِمٌ كـتبهنّ الكآبة لوحا ، فحكين انوار الزوال غروبا .

وفي هول آلام المريض الذي افل عنه نجم امل الشفاء :

القبر افضل للفتى من مضجعٍ فيه يقلّب موجعًا تقلبا ،
وجلامد الارماس اهون محملًا من ان يحـمل مثلهنّ كروبا !

وفي ارتياعه من الموت امام قبر جديد :

وقفت على القبر الذي انت نازلُهْ وقوف جبانٍ باديات مقاتلُهْ !

وفي حرص والد على حياة ابنه الشاب المدنف :

أنشِفه روحك وأسقه ما قطّرته مقلتاكْ ،
واجعل ضلوعك دِفأه وغذاءه باقي قواكْ ،
وأخبؤه خبء العين في الجفنين ما شاءت مُناكْ !

وفي انعاش اللطفْ للروح اليابسة :

فيقيم الآمالَ في النفس كالنور يُحيل البذور زهرًا انيقا .

وفي سحر بيان خطيب مصقع :

رب جمعٍ وقفتَ فيه خطيباً ، انصتت في صدوره الاكبادُ ؛
هكذا البحر يملأ الحس روعًا وجـلالًا دونَه الهدّادُ ؛
هكذا السيل قاذفًا ماءهُ المبيَضّ حتى يُظن فيه انئادُ .

وفي مرح طفلة :

كل مكان نكون فيه يُقلقه وثبها مرادْ ،
كأنهـا طائرٌ حبيسٌ في قفصٍ يبتغي القرارْ .

وفي ذل شعب مستعبد :

واذا اذبت الشحم عن اجسامهم ندماً ، فان نفوسهم لا تحسُّ .

وفي رثاء قوم بحضرة مليكهم المشؤوم :

يُبدون بشرًا والنفوس كظيمة يُعقلن بين ضلوعهم اجفالا ،
تجلو اسرَّتهم بروقُ مسرةٍ ، وقلوبهم تدمى بجن نصالا !

وفي وصف جندية متنكرة بثوب المحاربين :

لهيب الحروب على وجنتيه والنقع في شعره الاسودِ ،
وفي عينه مثل برق السيوف ، وظل المنية في الأغيدِ .

وفي زحف جيش البُوَيرِ الابطال على الانكليز :

أُنظر الى فرسانهم ثاروا كاعاصير هُجُمْ ،
والى المُشاة كأنهم سورٌ يسير على قدمْ !

وفي تراشق عسكري نابوليون الاول واعدائه بالقذائف :

شُهبٌ ضخامٌ آتياتٌ ، والردى يسيرهن ، ومثلهن غوادِ ؛
تلقى الرجال على الثرى قتلى كما يلقي السنابلَ منجل الحصادِ . . .
واذا التقى بطلان لم يتجندلا الا معاً من شدة الاحتدادِ !

وفي منح ذلك العاهل وساماً لجندي جريح :

وزاد ندًى فقلَّده وساماً وكل جراحة فيه وسامُ ؛
تلقاه وفي عينيه شكرٌ تسلسل مدامعه السجامُ .

وفي إقدام الفينيقيين جوّابي البحار :

خضتمُ البحر يوم كان عصياً ، لم يُسخر لفوقٍ من غبارِ !

مقدرة مطران الرائعة على ابتكار آلاف الخيالات تسطع على الاخص في تنوع معالجته لموضوع واحد . اتقاء للاطالة المملة نكتفي بذكر بعض ابياته في قصائد الرثاء الكثيرة في ديوانه . قال وهو يندب راهباً ورعاً :

صلى صلاة الصبح من عمره ثم على الإثر صلاة الغروب .

وعند موت فكتورية ملكة انكلترة :

كأن نجوم الليل حراس نومها ؛ وانوارها شبه الدموع تسيلُ ؛
كأن بزوغ الشمس بعد احتجاجها لتنظر حال الحسن كيف يحولُ ؛
كأن جنود البر سارت بنعشها جبالُ رمالٍ تنتلي وخيولُ !

وفي وصف جنازة مصطفى باشا كامل ، البطل الوطني المصري :

بحرٌ من الاحياء تسلك فوقه فُلكٌ يظللها اللواء مرفرفاً !

وفي فتاة اذبل الموت زهرة صباها الفاغمة :

اتاها على غير ارتقابٍ بخدرها سريعاً، خفيفاً، خارق الحُجب كالفكرِ ،
وقبّلها فاستل جوهر روحها وابقى على رسمٍ كبعض الدُمى النُكر !

وفي وفاة اميرة نقية السيرة :

فقد صعدت نفس الاميرة في الضحى الى الله واستودعتم صدف الدرِ ؛
تحملها نورٌ الى جنة العُلى كما تحمل الانداء اجنحة الفجر

وفي سرعة رحيل احد معارفه الى عالم الابدية :

اقبلتَ من عدمٍ ورحت سلماً فودعاً ففارقاً فرميا !

وفي نهم اللحد الذي لا يشبع من التهام ملايين البشر :

وما القبر الا حاق فرثانَ هاضم من الموت ما يُلقى به ، فهو غائلهُ !

خلاصة القول ان خليل مطران ، بتجديده النظم للمواد والخيالات الشعرية قد ظهر في عصرنا بمظهر راقٍ عجيب القدرة ، قد ضرب بقضيبه السحري آداب القريض العربي ، التي كانت في الغالب عجوزاً شوهاء ، قاحلة ، مغضّنة الخدين ، كدرة العينين ، محنية الرأس ، بالية الثياب ، فحوّلها الى فتاة نضيرة الشباب ، فاتنة الجمال ، ساطعة المقلتين ، مستوية القامة ، ترتدي ملابسها الجديدة الفاخرة المدبجة بازهى الالوان فتنتها للانظار والقلوب .

اخبار العالم

اخبار دينية

مؤتمر برشلونة القرباني : في التطواف البديع المهيب الذي اختتم مؤتمر برشلونة القرباني وجّه الحبر الاعظم باللاسلكي خطاباً جيلاً الى الجماهير المتجمعة لاكرام المسيح في سرّ الاوخارستيا فيه تكلم عن السلام هذا السلام الذي يجهد عالمنا المضطرب في البحث عنه والتوصل اليه دون جدوى فقال : ليس سلام حقيقي الا الذي يأتي من الذي سُمّي رئيس السلام. السلام الذي يصدر كعنصر جوهريّ من الإخاء والحب السلام الذي ينبجس من اعماق كياننا المسيحي .

قبل انتهاء التطواف التحق به الرئيس فرنكو يصحبه وزراؤه وسار وراء القربان الاقدس ثم كرّس بلاده لإله الاوخارستيا .

الكشافة الكاثوليكية والاب الاقدس : في ٦ حزيران صار في روما افتتاح مؤتمر مديري الحركة الكشفية الكاثوليكية الدولي ودام ثلاثة ايام . وقد تشرّف المؤتمرون بمقابلة قداسة البابا فألقى عليهم خطاباً مُرحباً جم مُثنياً على عملهم الكشفي مُشجعاً ناصحاً وذكّر الكشاف بان : الحبّ الذي كان ولم يزل في قلبه لاقنوم ابن الله رئيسه الاعلى الذي هو الطريق والحق والحياة يجب ان يبقى فيه نوراً وسنداً دائماً لجهوده اليومية .

في دير عنايا (لبنان) : في ٧ آب كشف من جديد في دير عنايا عن حالة جثمان خادم الله شربل مخلوف وكان قد مرّ سنتان على فتح قبره آخر مرة في ٤ آب ١٩٥٠

بين الذين حضروا هذا الكشف نيافة الكردينال تبوني يحفّ به عدد غفير من اساقفة الطائفة السريانية الكريمة واصحاب السيادة المطران نعيم النوض البطريركي الماروني والمطران زياده رئيس اساقفة بيروت والاب موسى عازار رئيس الرهبانية البلدية العام يصحبه مدبرو الرهبانية والاب عمانوئيل ناصيف وكيل الدعوى الكنسية في روما وغيرهم من اعضاء اللجنة والرهبان البلديين .

وحضر الكشف الاطباء الدكاترة تيوفيل مارون وشكري بلان ومرشد خاطر ونجيب روحانا والياس جبر والبر حلو ومارون باحوط والمهندس السيد ايلي خوكاز مرافق نيافة الكردينال .

وبعد ان تثبت الفاحصون سلامة اختام التابوت التي وضعت في كشف آب ١٩٥٠ فتحوه فوجدوا الجثمان كأنه قد غمس بالماء والثياب مبللة بالية الا البطرشيل الاحمر وقد تبلل الحجران اللذان كان التابوت موضوعاً عليهما بالعرق الدموي الجاري من الجثمان.

بناء على موافقة مجمع الطقوس الشرقية المقدس بدأ عرض الجثمان الطاهر بعد ان أُلبس ثياباً جديدة ووُضع في تابوت جديد في دير مار مارون عنايا مدة خمسة عشر يوماً من ١٠ آب الى ٢٥ منه من الساعة الثامنة صباحاً الى السابعة مساء حسب نظام دقيق لمختلف الزوار أذيع في صحف لبنان فتقاطرت جماهير لا يُعدّ لها عديد لرؤيته والتبرك منه واستمداد الشفاء وقد أتى كثيرون منهم من بلاد قاصية خصوصاً من فرنسا . اما رهبان الدير فقد قاموا خير قيام بالمحافظة على النظام المرسوم والعناية بقاصدي شفاعة خادم الله اخيهم شرف عائلتهم الرهبانية والشرق والكنيسة جمعاء .

اخبار عالمية

عمان : في ٤ حزيران الماضي كانت الحكومة الاردنية قد اضطرت الملك طلال بعد عودته من اوروبا الى تسليم زمام الحكم وقتياً الى مجلس وصاية ينوب عنه حتى تعود اليه قواه العقلية تامة بعناية اطباء اختصاصيين وبعد ذلك يرجع الى حكم بلاده من جديد.

ثم في ١٢ آب اجتمع مجلسا الدولة للمناقشة في امره اذ قد تبيّن لهم جلياً انه لم يبقَ من امل لشفائه فارتأوا وجوب ابعاده نهائياً عن الملك ونادوا به لابنه ووليّ عهده الامير حسين وعُيّن بعد ذلك مجلس وصاية بثلاثة اعضاء للقيام باعباء حكم البلاد الى ان يتم الملك الجديد سن البلوغ وهؤلاء الاعضاء الثلاثة هم رئيس مجلس الاعيان ونائبان .

كوريا : انتهت سنة اولى وبدأت الثانية على محادثات وقف القتال في كوريا ولم تزل في مأزق لا سبيل للخروج منه من جرّاء معضلة تسريح الاسرى . وقد كانت هذه السنة سنة جدال عنيف ومشاهد مسرحية بمحادثاتها واجتماعاتها الجائشة ومفاجآتها المختلفة العديدة تتبادل فيها التشكيات والمناقضات بينما المعارك الشديدة تشبّ من زمن الى آخر وتقصف طيارات حربية عديدة باطنان القنابل شتى المواقع والمدن واهمّ هذه الغارات الجوية الغارات التي ضربت في ٢٦ حزيران مواقع انشاءات توليد الكهرباء في يالو على حدود منشوريا : غارات أقامت وأقعدت الرأي العام في انكلترا خصوصاً وقد انتقد البعض باستياء وجزع هذه الغارات والبعض حبّذوها . يرى الاولون منهم ضرورة تجنّب كل ما من شأنه ان

يوسع ميدان الحرب فيتمسكون بسياسة الاعتدال والتمهل والآخرون يرون ان استعمال الشدة الى اقصى حدودها خير وسيلة لانهاء الحرب الكورية بل هي الوسيلة الوحيدة .

ولمولدات الكهرباء هذه أهمية عظيمة لانارة كوريا الشمالية وجزء من منشوريا واعطاء القوة المحركة الضرورية لمصانعها . وكان اليابان قد انشأوها قبل الحرب الكونية الثانية حيث كانوا يحتلون منشوريا .

مصر : منذ تصادُم المصريين والبريطانيين في الاسماعيلية وثورة القاهرة الدامية في كانون الثاني من هذه السنة لم تزل الحالة في مصر حرجة خطيرة لاسباب نعرفها من مشاكل سياسية واجتماعية واقتصادية داخلية يصعب حلّها خصوصاً في اوقات الهيجان والمشاغب . لذلك رأينا في هذه الشهور الاخيرة الوزارات في مصر تتسارع بقيامها وسقوطها لعدم توصلها الى تهدئة الخواطر واعادة السلام والطمأنينة وابلاغ البلاد الى امانيها .

في ٣ اذار استقال من الرئاسة علي ماهر باشا فعقبه نجيب الهلالي باشا فاوقف مجلس النواب ثم حلّه في ٢٥ اذار ووعد بانتخابات جديدة بعد ان يتم اصلاح قانونها وانها ستجري في وقتها حسب دستور البلاد . لكنه في ١٠ نيسان عاد فأرجأها الى زمان غير محدّد. ثم ترك الحكم في اواخر حزيران فخلفه سرّي باشا وانتهى في ٢ تموز من تأليف وزارته وقد انتخب للوزارة الجديدة رجالاً لا ينتمون الى الاحزاب السياسية اغلبهم من قدماء الموظفين وجهد في ايجاد تعاون بين القصر والوفد واهتمّ لاعداد انتخابات جديدة فتعود الى مصر حياتها الطبيعية لكنه لم يلبث ان اضطر هو ايضاً الى تقديم استقالة وزارته في ٢٢ تموز وقد يكون من اسبابها تصلب الوفد في مطاليبه وعدم نجاح المفاوضات مع السودانيين وشدة موقف البريطانيين ازاء الاماني المصرية .

عُهد اذ ذاك الى حافظ عفيفي باشا بتأليف الوزارة فلم ينجح فكُلّف هلالي باشا بذلك عندئذ فوجئت مصر بانقلاب عظيم قام به الجيش بقيادة الزعيم محمد نجيب ذهب بوزارة الهلالي فدُعي علي ماهر باشا الى تأليف الوزارة. ثم اضطر الملك فاروق في ٢٧ تموز الى ترك مُلكه لابنه وولي عهده احمد فؤاد الاول وهو طفل ستة اشهر .

استقبلت مصر الانقلاب وذهاب فاروق بهدوء ورضى وقد وضعت ثقتها بمواعيد الحكم الجديد بمواعيد اصلاح جريء تامّ سياسياً واجتماعياً واقتصادياً . حقق الله آمالها ووطّد فيها دعائم السلم والعدل لجميع ابنائها دون تمييز ولا تفرقة .

ايران : ملكان يقاتلان للمحافظة على عرشهما. هذا ما كتبته احدى جرائد لوندرة عن مصر وايران منذ اشهر قليلة . وها قد سقط احد المرشين .

الحالة في ايران غامضة حرجة خصوصاً منذ اضطر الشـاه الى قبول وزارة مصداق الجديدة ونيلها حكم البلاد المطلق .

بعد ان استقال مصداق في ٦ تموز ألحّ مجلس النواب مطالباً بعودته وكان هو يظهر عدم القبول والاصرار عليه . ثم انه لم يرضَ بتسلّمه الا بشرط ان يُعطى لمدة سلطة الحكم المطلق . فأبى له الشاه اولاً ذلك ودعـا في ١٩ تموز السيد غوام سلطانه الى تأليف الوزارة الجديدة ففعل . حينئذ هاج الشعب وبدأت المظاهرات والمشاغبات الشديدة الدامية خصوصاً في طهران وكرمنشاه وعبدان مطالبة بمصداق . فأجبرت وزارة السيد غوام السلطنة على الاستقالة ودُعي مصداق من جديد الى الحكم في ٢٧ تموز وفي ٦ آب منحـه مجلس النواب السلطات المطلقة التي طلبها ومثله اضطر مجلس الاعيان ان يفعل في ١٢ منه متردّداً رغماً

بعد هذا النجاح حاول حزب توده المايل للشيوعية ان يستغل الظروف ويستفيد من الاضطرابات الفائقة لمصلحته فصار يهيج الجماهير وينظم المظاهرات العنيفة في ٢٠ و ٢١ و ٢٢ تموز فصمدت الحكومة امامه وقمعت اعماله بشدة عظيمة . وقد يكون مصداق ازاء هذه الحوادث وما قد ينتج منها لبلاده من الاضرار قد فطن الى مصدر هذه الاضطرابات وغايتها لذلك اعلن حالة الطوارئ وكأنه منذ ذاك يتطلّع الى القصر كما الى حمى الاستقرار الضروري لخير بلاده واستتباب السلام فيها وما كان الى ذلك الحين ينظر اليه الا بشيء من التقة والعداء .

مطبوعات شرقية

كتاب التشبيهات لابن ابي عون

عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان

طبع في مطبعة جامعة كمبردج سنة ١٣٦٩ هـ. ١٩٥٠ م.

« E. J. W. *Gibb Memorial* » Series, new series, XVII

مما يجمل من هذا الكتاب وسيلة من خير وسائل العمل توطئته باللغة الانكليزية وفهارسه العديدة والهوامش الرصينة التي علقها في نهاية الصفحات . اما الكتاب الذي طبعه عبد المعيد خان فهو من مؤلفات ابن عون المشهورة الذي يحوي منتخبات شعرية كثيرة استمدّها ممن سبقه من الشعراء.

ونستطيع ان نقع في هذا الكتاب فيما يختصّ بالمنازع الادبية وضروب الشعور الانساني على استشهادات من اوزان عديدة هي خير او من خير ما جاء عند شعراء العرب .

والذي لا شك فيه ان الناشر قد دأب في العمل اذ كان عليه ان يطّلع على شتى المستندات في مختلف كتب المؤلفين التي اشار اليها وعلى العديد من نسخ مخطوطاتها حتى جاء موفقاً في عمله .

واننا لنستبيح للنفس ان نوجّه له نقداً بسيطاً وهو اننا كنا نروم من المؤلف ان يكون اشد توسعاً في وصف المخطوطات التي عوّل على استخدامها اذ في ايضاحه هذا كان بمقدوره ان يمهّد امامنا الطريق لنكون حكماً على قيمة المخطوطة التي اختارها .

ومهما يكن من امر فالطبعة على ما هي عليه ممتازة ولا يقال نقدنا لها شيئاً من قيمتها .

ا. ع. خليفه

مقالة في اليزيدية ــ كتاب تذكرة الكحالين

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

ظهرت تباعاً في مجلة المشرق سنة ١٩٥١ و ١٩٥٢ . المطبعة الكاثوليكية . بيروت

لقد احمد حضرة الاب المحترم الذي يدأب منذ سنوات عدة في البحث

والتنقيب عن المقالات والنصوص الشيّقة القيّمة التي ينشرها في هذه المجلة مؤلفيْن يدلّان على غزارة علمه وطول باعه .

ومن المستحيل اذا ما قرأنا كتاباته ان نمسك النفس عن الاندهاش حيال ما تحلّى به من ثبات وجلد لتدوين ابسط الشؤون فهو الذي احب القلم للعلم والاداب السائرة دائماً صعداً في تقدمها .

ولقد انتهج حضرة الاب شبلي نهجاً علمياً في بحوثه اذ لا يقدم على نشر امر من الامور ما لم يشبعه درساً وتمحيصاً وكفى باسلوبه هذا ليحبّب الى ذوي الاحتكامات الدقيقة مطالعة كتاباته . فكتابه الذي موضوعه اليزيدية من المؤلفات التي يجد فيها مؤرخو الاديان ما يحملهم على التفكير والاطباء الذين يرغبون في التعليل الرصين الواضح والملاجات التي كان يصفها من سبقوهم يجدون في تذكرة الكحالين ما يهيب بهم الى الاقتباس والاعجاب . ا. ع. خليفه

الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكو لانزا

عربها عن النص الايطالي القس روفائيل بيداويد

مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٥١ ، ٧٨ صفحة

على رغم صعوبة الترجمة فقد وُفّق الاب بيداويد في عمله اذ وضع في متناولنا ترجمة قصة رحلة لانزا الدومينيكي بلغة لا تشوبها شائبة من حيث الوضوح المستوفي . فهي حوليات تبعث تاريخ الموصل حيًّا للقرن الثامن عشر اذ رواه شاهد عيان . ولئن طفح هذا المؤلف بنفسية المؤلف فهو ينفحنا بمجموعة تفاصيل الحوادث . ولا يسعنا الّا تهنئة المترجم على اتحافنا بمثل عمله وتشجيعه على الاستمرار في الترجمات التاريخية التي تزيد في ثروتنا وتعرفنا الى مناطق نكاد لا نعرفها حق المعرفة حتى الآن . ا. ع. خ

ديوان شبلي الملاط

الجزء الثاني . طبعة ربيع عام ١٩٥٢ ، ٥٢٣ صفحة

يا لها من مادة غزيرة ! ويا لها من موضوعات في محلها !

اجل ان الملاط شاعر الارز قد يجعل نفسنا تنتشر اذا ما قرأنا ديوانه

نفس التأثير الذي تستشعره اذا ما نظرنا الى ارز جبالنا الخالد: تستشعر اتساعه ونداوته وعمق جذوعه . كاتساع افاق الشاعر ونديّ قصائده، هذا الشاعر الذي لم يستغلق عليه باب من ابواب القريض ولم يقصر في توسيع موضوعاته وتعميق شعوره ليهزّ اوتارنا .

لله كل هذه هي شاعر الارز الملاط . ويا لها من حماسة كانت تلهب من الضلوع عندما قرأنا قصائده وتحسّسنا تلك الحياة بنبضاتها وتقلباتها التي نسج منها بردة ديوانه حتى كانا نتأثر التاريخ خطوة فخطوة ، لا تاريخ رجل فحسب ، بل تاريخ حقبة عظيمة الاهمية في حياة لبنان . ومنذ زمن بعيد امتزج هذا الرجل بتاريخ بلاده وخدمها باظهار عبقريتها وما لها من قيمة حتى لا يمكننا فصله عنا ولا بدّ له من الخلود. ولا شك في ان احفادنا سيتغنون بقصائد هذا الشاعر الفياض القريحة ليعرفوا ان لبنان لم يفتقر الى الشعراء ليخبروا بعظمته ويبيّنوا جماله عبر تاريخه الطويل. ا. ع. خليفه

الى الشباب. اراجيز في احدث وسائل النجاح من الاخلاق والآداب

خليل مطران

المطبعة البولسية – لبنان – ١٩٥١ ، ١٢٥ صفحة

طاب للشاعر الكبير خليل بك مطران انْ يضع في متناول الشبان الذين احبهم نصائح شعرية توخّى بها تقويم سلوكهم ونجاحهم في حياتهم فلم يضن عليهم بإسدائهم المبادئ الاخلاقية الاجتماعة والفردية المفتقرة اليها ايامنا اشد الافتقار ولاسيما بعد ان اظهر ابناء عصرنا رغبة في الانصراف عن الاخذ بها تزداد يوماً عن يوم.

ونحن لا نستطيع الّا ان نتوجه بشكرنا لجامع هذه الاراجيز السيد البير مطران وناشرها. ا. ع. خ

الوعد الحق

لطه حسين

دار المعارف بمصر ١٩٤٩

الوعد الحق رواية تاريخية للاديب الشهير طه حسين . طُبعت صفحاتها المئة

والستون خلال سنة ١٩٤٩ على مطابع دار المعارف بمصر . إنتهج طه حسين في هذه الرواية منهج جرجي زيدان في رواياته التاريخية . وما الوعد الحق سوى رواية نشأة الدين الاسلامي وتطوره في بعض عائلات مكيّة . صرف المؤلف جهده عن الطبقتين الشريفة والمتوسطة الى الطبقة المسترقة المستعبدة . فعرض منها رسوماً فردية وصوراً عائلية ومشاهد اجتماعية يبدو فيها الانسان الرقيق معدوم الارادة مهضوم الحق مقهور النفس والجسد . كقول الرق رباح مخاطباً مولاه خلفاً : « متى ينقضي هذا الليل ومتى يسفر عن الصبح المشرق؟ . . . هذا الليل هو الدهر الذي نعيش فيه والذي يُسوّى فيه بين الارقاء وتَفدُق فيه الحرية بين الاحرار . أما الصبح فهو الزمان المقبل الذي يُسوّى فيه بين الاحرار والعبيد ويتايز الناس فيه بأعمالهم وبلائهم لا بمنازلهم وحظوظهم من الثراء » . فهذا الصبح الذي يرقبه رباح ليس إلا دين محمد ووعده الحق . واجتهد الكاتب في تصوير هذا الدين الجديد الذي لا يفرق بين الحر والرقيق ولا يميز بين الناس إلّا بالتقوى وبما يعملون من صالحات . غير ان ذلك الانعتاق وتلك المساواة لا يتمان بلا نزاع وصراع . فنشهد في الوعد الحق حرباً عنيفة بين بعض العبيد واربابهم وبين المسلمين المحدثين وابناء قريش الوثنيين . وسفرت تلك الحرب عن انتصار الحق على الباطل بسدّ الحريّة مسد العبوديّة .

ان اسلوب طه حسين القصصي الرائع والنَفَس الحنون الذي بثه في « الوعد الحق » يستران ما فيه من غموض في التصميم وتفكك زهيد بين المشاهد والفصول . ونلحظ بعجب عدد الاخطاء المطبعية الطفيفة التي سها عنها ملتزمو طبع الكتاب ونشره. ص. تمه

اعلام الاسلام — ابن رشد الفيلسوف

للاديب محمد يوسف موسى

دائرة المعارف الاسلامية بمصر

اصدر الاديب محمود يوسف موسى في مجموعة اعلام الاسلام كتاباً عنوانه : « ابن رشد الفيلسوف » . ارانا الكاتب ابن رشد في عصره وموطنه وأسرته ثم بسط لنا شيئاً من علمه وفلسفته . ولخص رسالته الادبية بجملة : « الانتصاف

للفلسفة ورد اعتبارها لها واحيائها بعد ما لقيت من الغزالي ، والتوفيق بينها وبين الدين والشريعة ». لا ريب ان صفحات الكتاب المئة والخمس عشرة تضيق جداً باستقصاء سيرة ابن رشد وفلسفته . ويبدو جلياً ان الكاتب ما طمح الى ذلك . لكنه اراد تلخيص بعض مظاهر حياة الفيلسوف وعرض نقاط فلسفته الاساسية دون تنقيب وتمحيص . نظنه قد وُفق الى ذلك تمام التوفيق . إلا ان وسع الموضوع وضيق المجال لديه حتما عليه حصر افكاره فجاءت بعض جمله غامضة معقّدة.

ص. نعمه

الازائية الانجيلية

نظّمها باليونانية والفرنسية الابوان لاكرانج ولافيرن الدومنكيان
نقلها عن نصها الفرنسي الى نص عربي الاب مرمرجي الدومنكي
مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونيه – لبنان ١٩٤٨ ، ٣٤٤ ص

لقد كان الباحثون وعلماء الكتاب المقدس ينتظرون بفارغ صبر ومنذ زمن بعيد كتاباً شديد الجدوى كمؤلف الاب مرمرجي الذي صارحنا بانه قد اختار فيه ترجمة المطران داود للانجيل لان هذه الترجمة واضحة ودقيقة وقريبة جداً من النص الاصلي .

وهذا الكتاب مزيل بفهارس تسهّل استشارته وتحمل من يودّ الالمام بلحظة واحدة باحد نصوص الانجيل التي رواها الانجيليون الثلاثة على ان لا يستطيع الاستغناء عنه. لان الكتاب جدير بكل انسان اقتناؤه .

ا. ع. خ

سر المحبة

الاب بطرس ساره
بيروت ١٩٥٣ ، ٢٥٨ ص

انها النفس المفعمة بالمحبة ، محبة الباري فترجمت مؤلف نفس ثانية ملؤها الله واعني بذلك ان الترجمة الرائعة التي نفحنا بها الاب ساره لتساعد النفوس المتعطشة للسرمدي على ان تأتي اليه وترد منه الحياة. — وتودان هذه الترجمة بشعائر تقوية للممارسة من شأنها ان تأخذ بيد المؤمن في ورعه وتعبّده.

ا. ع. خ

كتاب استغاثة الانفس المطهرية لشهر تشرين الثاني
اعتبارات تقوية في حياة العذراء المجيدة
وضعها قدس الاباتي المحترم اغناطيوس داغر التنوري

بيروت ١٩٥٢ ، ١٥٩ و ١٥٩ ص.

هما كتيبان يطفحان بنفس هذا الراهب الكبيرة الذي آثر حياة العزلة حاملًا النفس الى مناجاة ربه . وقد اتحفنا بهذه الوزنة مع كل ما لها من عذوبة وما فيها من تقى .

والكتيبان جزيلا الفوائد وعميا الخير للنفوس التي تبحث عن النور في مسالك هذه الحياة الصعبة . ا. ع. خ

P. Joseph Nasrallah. — *Saint Jean Damascène, son époque — sa vie — son œuvre.* Harissa, 1950, XV - 200 pp.

ليس تدوين تاريخ القديس يوحنا الدمشقي من الامور السهلة ومع ذلك فقد وُفق المؤلف باتحافنا بها فاحيا امامنا اولا البيئة التاريخية التي كيفت عقلية يوحنا لينتقل بعد ذلك الى محيطه العيلي الذي تلقى فيه الفضائل وتميز فيا بعد ومن ثم الى التحدث عن ذلك القديس في خدمة الخلافة ووفائه لها فانتقاله الى دير القديس سابا ومن ارهاف عبقريته ومناضلته لمذهب محطمي الايقونات واخيرا عن موته .

وقد خصص القسم الاخير من كتابه بدراسة مؤلفاته وتراجمه العديدة ونفوذه. ويطيب لي ان اثني على ميزة هذا العمل العلمي كالطريقة المضبوطة التي تقيد بها المؤلف وحافظ عليها الى درجة التطرف احيانًا بالتقيد .

ولا يسعنا الا ان نهنئه على ذلك كما نشكره ايضاً على ارتياده المصادر وجمعها ليتحدث عنها تحدث المطلع العارف بيد اننا كنا من الراغبين في ان يرشدنا الى النقاط الجدلية في حياة القديس يوحنا الدمشقي . ولقد اشار اولا الى اصله واتهم بالتحيز الذين يجعلونه من اصل سرياني . ومما يبدو لنا ان ثمة نقاطاً اخرى كان حريًا درسها وهو لم يشأ درسها تفادياً عن مناقشات لا طائل تحتها .

والذي كان موضوع رغبتنا خاصة هو وقوف المؤلف قليلًا بعد ان تحدث عن مختلف البيئات التي المنا اليها ليعطينا صورة عن نفسية القديس الدينية اشد تفصيلا ويرينا اياها مع كل ما كانت تختلج به من خلال كتاباته العديدة .

فالطبعة الثانية ستسد هذا الخلل ، ان شاء الله . اما المؤلف فقد شجع اخوانه الشرقيين على بحث تاريخ رجل واحد بحثاً لا يقل علماً عن هذه « الحياة » .

وهكذا يكونوا خدموا التاريخ والادب والكنيسة. ا. ع. خليفه

ABBÉ G. RÉMY. — *De la création à l'ère atomique.* — *Autour de la Bible.* — Bonne Presse, Paris, 1951, 209 pp.

ما اجزل الفوائد التي يسديها هذا الكتيّب للطلاب ورجال العلم اذ يجدون فيه المبادئ لحلّ المصاعب التي يصطنعها غير المؤمنين ضدّ اقوال التوراة . فهو خير مرشد للمؤمنين لانارة طريقهم وتلقينهم كيف ينبغي لهم ان يطالعوا الكتاب المقدس ، اما مستندات المؤلف العلمية فبغاية الضبط وعصرية . اما كتابه فجدير به ان يكون واسع الانتشار بالنظر الى الخير العميم الذي ينجم عنه. ا.ع.خ

R. P. A.-S. MARMARDJI, O. P. : *Textes géographiques arabes sur la Palestine.* XVI.I — 270 pp. gr. in 8° — Coll. *Etudes bibliques*, Gabalda, Paris, 1951.

النصوص الجغرافية العربية التي تتناول فلسطين

اننا نقع في هذا الكتاب على ترجمة مجموعة نصوص جغرافيي العرب المتعلقة بفلسطين التي مهّد لها المؤلف بلمحة لا بأس بها من الجغرافيين المشار اليهم . اما اسماء الامكنة فرتّبة وفق الابجدية العربية. اما ما يتعلق بالمسجد الاقصى فقد جعله في آخر الكتاب .

وثمة ثبت جغرافي بالابجدية اللاتينية يسهل ايجاد الموضوعات .

وتماشي هذه الترجمة التي قام بها استاذ دراسات التوراة الكبير النصوص العربية بجذافيرها وهي التي جمعها المؤلف وطبعها في كتاب على حدة .

وانه لمؤلف جليل الفائدة العملية بمراجعه التي تخولنا ان نجد في بضع ثوان الفقرات التي كنا نقضي وقتاً طويلًا لايجادها في المصادر الاخرى المطبوعة . ه. شارل

HENRI ARVON, *Le Bouddhisme.* Coll. « *Que Sais-je ?* ». Presses Universitaires de France. Paris, 1951.

حسنات هذا الكتاب المختصر هي خاصةً الوضوح مع ان الموضوع عويص متشعب .

فبعد ان يُظهر الكاتب روح الفيدية والبرهمية التي انجبت البوذية، يعرض العقيدة الاصلية لهذه الديانة ويتكلم بلمحة تاريخية عجلى عن انتشارها في كل اسيا الشرقية والجنوبية وعن التطور الذي طرأ عليها .

كنا نودّ لو أسهب المؤلف في كلامه عن عقيــدة النرفانا التي هي اساس البوذية ، وفي شرحه لمظاهر التصوف العقلي الغربي بالنسبة الى فكرة الهند الروحية (A. Schweitzer) فهذا ما يستحق فصلًا مستقلًا كالفصول الجلية على قصرها التي خصّ بها الكاتب تنافر البوذية مع اراء كونفوسيوس وتقربها من الديانة الشنتوية .
ه. شارل

George Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc.* 332 pp. in 8°, écu, avec une bibliographie, deux index, VIII tableaux et 2 cartes h.-t. — Peyronnet, les Cahiers de l'Afrique et de l'Asie, prix : 800 francs, Paris, 1951.

لمحة عن تاريخ مراكش الديني

من الملحوظات التي ابداها السيد مونتان (Montagne) في توطئة الكتاب ان ظهور جمعيات سياسية في الاسلام الشرقي منظمة على طريقة الاخوان هو من الامور التي ينبغي لنا ان نعلق عليها الاهتمام في المغرب وقد يعتري شكل هذه الجمعيات القائم التحول ولكنها تمثل على كل حال قوة دينية ستظهر يومًا بصورة او باخرى .

ومهما يكن من امر فان هذا الملخص الكبير الفائدة ليضعنا حيال موضوع شديد التعقيد . اما الفصلان النهائيان اللذان يوضحان بجلاء هذه النقطة فتليهما ستة ابواب تتناول بالتفصيل خصائص اهم هذه الجمعيات.
ه. شارل

Vincent Monteil, *Contribution à l'Étude de la Faune du Sahara Occidental*, 172 pp. in 4° avec 2 simligravures, de nombreux index et une bibliographie d'ensemble complétée de références particulières selon les chapitres, t. VIII des *Notes et Documents* de l'Institut des Hautes Études Marocaines de Rabat, Larose, Paris, 1951.

في سبيل دراسة حيوانات الصحراء الغربية

لقد صدق اعتقاد المؤلف في كتابه انه جزيل الفائدة والنفع وذلك لاشتماله

على مختلف ضروب الاختصاص : من علم الحيوان واللغة واجناس الشعوب .

ويجد القارئ ما عدا اسم الحيوان العلمي وما يسمّى به في اللغتين الفرنسية والاسبانية المصطلحات المتعلقة بمختلف احواله وفق شتيت اللهجات المستخدمة إبّان توزيعها الجغرافي .

وبعد استيفاء المؤلف تعريف الحيوان ودراسة حياته يتحفنا بفقرة تتناول الاراء والمعتقدات والحيوانات المحرّمة .

واننا لنشكره على عمله القيّم الكبير الجدارة كما نتمنى ان يذيّله بثبت يسهّل مراجعته .

ه. شارل

The Master of Belhaven (L-Col. A. Hamilton), *The Kingdom of Melchior*. In-8° de X-212 pp. Avec 18 h.-t., 2 cartes, 1 index, et un appendice donnant le thème de 10 mélodies arabes. John Murray, London, 1949.

انها قصة جندي اصبح رجلاً سياسياً في عدن . فهو يسرد لنا مغامراته في جنوبي غربي البلاد العربية ، على حدود اليمن والربع الخالي ، بين تلك المدائن المدهشة الغريبة ، كأنها اخوات او بنات لمدائن ملكة سبأ او ملكار الملك المجوسي .

فريشة الكاتب السيالة ترسم لنا المشاهد شعرية ملونة ، وتخطط باسلوب حيّ رشيق وجوه الاشخاص الذين يظهر بعضهم من خلال صور شمسية جميلة .

نذهب مع الكاتب الى اكتشاف صنعاء ويعرّفنا الامام يحيي وحاشيته المخلصة او المتصنعة الاخلاص في جوّ من التكاسل والتردّد السياسي . ونشهد معه قمع فتنةٍ او استسلام نبيٍّ فضّل الخضوع والاركان الى السكوت .

ونفهم بعد قراءة الكتاب ان اكتشافات اولئك الجنود المرسلين الذين تعودوا هم ايضاً الغزو لحاجةٍ مادية او لجولةٍ رياضية لم تكن دائماً مبنيةً على اساس التفاهم الانساني الصادق الثابت . وهكذا نشرح الألم الممزوج بشيء من القنوط الذي يعتري نفس « مستر Belhaven » مؤلف الكتاب . فهو يشعر بالوحشة في بلادٍ تعرّف اليها وبين شعبٍ خالطه وعاش في جواره قطعة من الحياة .

ه. شارل

EUGÈNE GUERNIER, *La Berbérie, l'Islam et la France.* Deux volumes in-8° de 416 et 400 pp. avec 29 h.-t. en similigravure, 3 cartes, des bibliographies et un index. Edit. de l'Union Française, 3 Rue Blaise Desgoffe, Paris, 1950.

في هذين المجلدين المطبوعين طبعةً جميلة يقدم لنا الكاتب « دون ادّعاء على محاولة لأحياء روح شعب البربر . »

وتراه يحاول ان يحلّل ، خلال الألفي سنة الحالية ، النفسية الاجتماعية التي توحّد بين الشعبين البربري والفرنسي ، فيتكلم عن العقلية والديموقراطية الفردية التي تتآخى بين الشعبين .

بعد ان انضمت بلاد البربر الى اوروبا الجنوبية سنة ١٨٣٠ بواسطة فرنسا ، على الفرنسيين ألّا يفرّقوها وينزعوا عنها شخصيتها بل عليهم ان يساعدوها لتجد طريق ذاتها عن طريق اتحاد اوسع ، هو الاتحاد الفرنسي .

ويعتبر الكاتب ان الاسلام هو الحاجز الاكبر الذي يحول دون هذا الانضمام . اما الحلّ الذي يقدمه لهذه المشكلة التضامنية فيبدو باطلًا من اساسه لان التوحيد العقائدي الديني هو خيانة لكل دين . فالدين هو حياة وتعبير ايضاً ولن يُعبَّر عنه الا من الداخل . وعدا عن ذلك فمشكلة الدين والتعبير عن بواطنها تعود الى اختصاصي او لاهوتي . فالسيد Guerrier يخرج عن صلب موضوعه عندما يخيل نفسه في « هذه المحاولة البسيطة » حلّ معضلةٍ كهذه متشعبة عويصة . وعلى كل حال لنحتفظ من كل هذه الصفحات التي يكرسها الكاتب لدرس هذه القضية بالامل الذي يجعلنا نرجو ان يهتمّ المسيحيون والمسلمون بديانة جارهم فيتعمقوا في درسها ويحاولوا فهم افكار متصوّفيها ومفكّريها .

وهناك موضوع آخر يبحث فيه الكاتب بعض الشيء . وكان من حقه ووسعه ان يتعمق في تفرّعاته ويجد لها حلًا اكثر مما فعل : ألا وهو موضوع العرب والاستعراب . في بلاد البربر « لا تزال » اكثرية السكان عربية (١٣ مليوناً من اصل ١٩) . والبربريون رغم ابتعادهم عن الديانة الاسلامية جُعلوا مسلمين ، مع ان الاسلام ليس فقط ديانة بل شريعة وثيوقراطية . فالاسلام الذي هو ديانة مفتوحة للجميع نجدها احتكاراً – الّا في الهند وفي افريقيا الوسطى –

في صالح العرقية العربية . وهذا ما يجعل كل محاولة لمنفعة البربر في افريقيا الشمالية غايةً في الدقة والخطورة. فكل محاولة من هذا النوع تعتبر مظاهرة ضد العرب والاسلام. وهذا ما حدث سنة ١٩٣٠ في مراكش ، مع ان الخمسين بالمئة من المراكشيين هم من محبي العرب ومناصريهم .

فعلى فرنسا اذاً ، بالنظر الى ثقافتها وتقليدها المسيحي الموروث الذي اعدّها لهذه المهمة ان تحاول توحيداً ليس دينياً بل انسانياً . فنتيجة هذه المحاولة مع النتائج الاخرى التي عقبتها من قديمة وحالية نقرأها في القسم من الكتاب الذي يحمل عنوان : « فرنسا وبلاد البربر .» اما القسم الرابع فهو جميل يوحي الشيء الكثير ولكنه نظري اكثر مما هو واقعي . يتكلم فيه المؤلف عن « الحلول الممكنة » من حيث العلاقات بين الاوروبيين وسكان البلاد البربرية ومن حيث الشؤون الاقتصادية والتعليم الزراعي خصوصاً والاثر الثقافي والاجتماعي والتجانس المتدرج رويداً رويداً . فهذا الفصل يساعد كل الفرنسيين على ان يتخذوا لهم فكرةً واضحة عن رسالة بلادهم في افريقيا الشمالية وان ينتدبوا منتقين من هم اهلًا للقيام بهذه الرسالة بشجاعةٍ وعقلٍ ثاقب . م. ش

Georges Marçais, *Tlemcen*, 104 pp. in 4° avec une bibliographie et 60 héliogravures h.-t. et 9 dessins au trait dont 2 plans. — Laurens, Les villes d'art célèbres, Paris, 1950.

ان المؤلف لصديق حميم من اصدقاء لابنة المغرب الاوسط المدين لها بدعوته كفنان وكعالم علّامة من علماء الحضارة الاسلامية وقد احيا لنا هذه المدينة وحببها الينا كما عرفها هو . اما لغته ففصة حيوية وتنمشها رسوم فنية تطبع فينا اناقة الفن الاسلامي وبهجة حدائق البحر المتوسط .

ولقد جاء هذا الكتاب كما دار في خلد المؤلف خير تقريظ له لانه كان ابن بمواعيده من التجواب وهو على كل حال من فضلى الذكريات. م.ش

الاسلاف وعلومهم لا يبرح نورها مشعًا في ميادين الادب والفلسفة والمناظرات الدينية . لقد قيل ان التاريخ يعيد نفسه وربما كان لنا من عبر الماضي ثروة تحدو بنا الى تفهّم الحاضر وادراك معضلاته : كل هذا فهمه الاب شيخو حق الفهم وادرك الامور التي يضحّي بها ليكون طليعة المفتشين والمنقبين الاول . ومن تلك الامور النهج العلمي والدقة في التنقيب .

وهل كان في عصره منهج علمي صحيح . أولا نحكم على الماضي بالنسبة الى المعارف التي احرزناها في حاضرنا ونحن لم يتأتَّ لنا احرازها الّا بعد استهلاك الزمن الطويل في سبيلها ! ألسنا نحكم على غيرنا بحسب اساليبنا الخاصة فنستحق ان يقال فينا اننا في افتقار الى ابسط المناهج العلمية ؟ اجل ان الواجب يقضي علينا بان نفهم كل عصر بجميع ما احاط به من الدلائل التاريخية والنفسانية والّا كنا عرضة لارتكاب اعظم اخطاء التاريخ وذلك اذا ما قسنا الماضي على الحاضر كما لا يزال يفعل في غالب الاحيان العدد الكبير من اصحاب العقول القوية ... المتبجحين بالعمل العلمي في يومنا الحالي.

ولئن كان من السهل اذًا الانتقاد فان التغني بالظفر على السهولة نفسها .

لقد عرف الاب شيخو انه كان يضحي بشهرة العلّامة التي اطلقوها بحق عليه كما نعتقد لانه كان رجل الطليعة الذي فتح طرقًا فسيحة امام الباحثين في عهده وامام من يجيء بعده . ولا يسعنا الّا ان نستمرّ من المعجبين به ومن الذين يفخرون بآثره العظيمة واخلاصه الصحيح لخدمة التاريخ والشرق ، ولا بدّ لمن يطلع على مؤلفاته وما كتبهُ من ان يكنّ له في قرارة النفس احترام ذكراه والرغبة في تكريمه .

وما قصر الاب شيخو عمله على مجموعة فقط فانه قد كان مفطورًا على نبش الكنوز الادبية فاقدم اقدام الواثق بعصاميته وحدسه على كشف ما كان كبير القيمة ، وقلّما اتيح ان يجتمع مثل تلك المقدرة على العمل والدقة في الاختبار في رجل واحد . واذ شاء ان يكون طليعة المنقّبين فقد ادرك الامور التي ضحى بها فلذلك لم يساوره قط التردد والاحجام . اما اذا رأيناه يسرع احيانًا بعض الاسراع في ما يكتبه فما من داع يحملنا على الدهشة

ويجدو بنا الترنم القيرة ضد ذكراه لان ما كان يكنه صدره من معارف واسعة ولان الطرق التي شقها امام البحث والافاق التي اوضحها للباحثين في المستقبل لتعوّض كل التعويض عن عثرات لم تكن لتعدّ عثرات في زمانه .

ولئن اخذوا عليه تلك السرعة الكبيرة ونقدوه لكونه قال ان كثيرين من اولئك الادباء الذين كانوا قبل الاسلام وبعده من المسيحيين فان ثمة دراسات اشد تدقيقاً قد اعطت كلا منهم حقه . اما اجتهاده الشخصي الذي كان في ارض بكر فقد بثّ في الكثيرين — ما عدا تذوق آداب تلك العصور السحيقة — الرغبة في تفهم شعرها والايغال في البحوث الاخرى والقيام بها .

وما اصدق هذا القول على كثير من مآثر الاب شيخو الذي اسدى للنهضة الادبية العربية خدمات جلى لم يتفق لاحد قط ان اسداها مثله وذلك بصفة كونه رجل الطليعة ومهد الطريق وزعيماً في ارض بكر في نهاية القرن التاسع عشر .

لا نجعلنّ لنا رائدًا عدا الاخلاص . فلذلك متى وقفنا في تاريخ الادب على اسماء كل الذين ساهموا في النهضة الادبية لا نرى بينهم الا النفر القليل الذي كان على غراره يتحلى بتلك الثقافة الواسعة وذلك الفكر الذي استهواه حب الاطلاع على فروع عديدة وهي لم تكن عديدة في نظره لانه وجد بين جميعها لحمة القرابة .

واولئك الذين ساهموا في النهضة قد راضوا النفس على قرض الشعر وعانوا التاريخ والمسرح والنقد الادبي وسائر الابواب الاخرى ، ولكن قلّما كان بينهم من جمع في نفسه حذق الخاطر والعمل الصائب البصير وتقديس الماضي كالاب شيخو .

ولا يستطيع احد — مهما بلغت به المكابرة — ان ينكر عليه هذا الامر الذي امتاز به .

ولقد قلنا ان الاب لويس شيخو كان يعرف انه رجل الطليعة ويعلم بانه يضحّي باختصاصه الضيّق ، ذلك الاختصاص الذي سيميّز العصر التالي .

ومهما يكن من امر فنحن مدينون لذكراه لنجهر بالقول انه قد نفح

عصره بقدوة الجاد على الدرس وبنشر مخطوطات الكتب التاريخية وبعثها مجلببة بروح الناقد البصير وبالتحليل العميق جدّ العمق وبالمقارنة بين النصوص والمؤلفين وما ذلك جميعه الا الخصائص التي يمتاز بها خير علماء يومنا .

كان شيخو مؤرخاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى وهو جدير كما نعتقد بهذا اللقب . فقد كان يهمه بحث حياة الانظمة وتطور الادب وتقدم الدول في كل عصورها . وكان يُعنى بدراسة عوامل البيئة وقرائنها برمتها اي كان يُعنى بجميع ما حفّ بحياة الادباء الذين تصدّى لتأريخ حياتهم واختار شيئاً من مآثرهم في كتاب المجاني الذي لا يسدّ مسدّه اي كتاب آخر .

اجل كان الاب شيخو من مؤرّخي اللغة العربية التي اخلص لها الحبّ ، ونشره المخطوطات اللغوية برهان قاطع على صحة ما قلناه بصدده . واذا لم يؤلف تلك الوحدات الضرورية التي كان اعدّه لها ما نشر من مخطوطات فمن الاكيد انه كان ينوي ان يدرس يوماً كيفية تطور الكلمة والعبارة والقالب التركيبي تطوراً معنوياً ويمكن لغيره في هذه الدراسة .

ولئن تناولنا في كلامنا المجاني فانه يبدو لنا كأنه سوق قد عُرض فيها الادباء الذين لم يذكرهم الا وفاقاً لفكرة منهاجية بعيدة الغور ، واذا ما ذكر ذلك العدد الكبير منهم فلكي يدلّ على اهتمامه ببث محبة الاقدام على تقليب الصفحات ، التي علاها الغبار ، في افئدة من لا جرأة لديهم ليكشفوا ما فيها من كنوز دفينة ويبعث فيهم حركة اختيار الموضوعات غير المطروقة وتحسس حركة التقدم الذي تحقق قرناً فقرناً والالمام بهجسات النفس ودراستها دراسة نفسانية .

ولم يضع شيخو المجاني وحده . فهناك المخطوطات التاريخية التي نشرها . وايم الحق ان جلده في اختيار مختلف القراءات ورواياتها لباعث على الدهشة . واذا ما خُيّل الينا اننا واجدون في ما اختاره ألهيةً من ألهيات الاطفال وان انتخابه لها كان انتخاباً اعتباطياً فالامر على نقيض ذلك تماماً . . . فلكي نأمن العثار علينا ان نرجع الى ماكان يجول في عقل ذلك الاديب وما هي الظروف التي كان يعيشها لنقول ان تلك القراءة لا تنطبق كل الانطباق على عقلية

الاديب الذي ندرسه ولا على نفسية زمان كتابتها لان للكلمات تاريخها ولا نقوى على اختيار ما نريد منها بدون تمريض النفس لأوم . اما الهوامش التي ذيّل بها تاريخ بيروت لابن يحيي مثلاً فمن الحيف ان نبخسه حقه من التقدير على ذلك التردد الطويل حول كل نقطة قبل الشروع بعمله حتى أمِن الزلل باستناده الى الذرائع التي يسلّم بها العقل ووالى طريقه مطمئناً .

وتاريخ بيروت هذا ... الذي اقتضاه ترويض نفسه على ادق روح نقدية قد استلزمه بذل جهد مستمرّ في التنقيب بين الاساطير تقصّياً للنقاط التاريخية التي لا يأتيها الشك ولا تقبل جدلاً .

والئن اعتصمت بالصمت عن الكلام على مؤلفات شيخو التاريخية الاخرى فاني اودّ الالماع الى احدى ميزات طريقته التي كشفها تارد (Tarde) في نهاية القرن التاسع عشر وتبيّنها قبله الكاتب الكبير ابن خلدون : اي على انتهاجه نحواً واحداً فلم يقف حائراً متردداً حيال نصوص شتى المؤلفين التي تتناول الحادث نفسه ليقارن بينها ويستخرج ما استبطنته من عنصر نفساني لكي لا يحتفظ الا بالعنصر الموضوعي منها فيشير اليه ويبحثه كحادث تاريخي .

ولسنا نتصدّى للتحدث عن جميع ما نشره شيخو من دواوين عُني بها الاعتناء نفسه ودقّقها التدقيق عينه وانا نود ان ندلّ في هذه الملحوظة على ميزات طبائعه الخاصة به .

ومما نقدوه عليه ارتكابه سهواً بعض الاغلاط في الكتب التي اصدرها ، اغلاط لا تتفق والطريقة العلمية الصحيحة، فما كانت تلك الطريقة العلمية في عصره !

اننا لا نغالي ايّما مغالاة اذا قلنا ان الاب شيخو كان اكبر اولئك المساهمين في ايجاد تلك الطريقة التي كانوا لا يزالون دائبين في البحث عنها . فالانتقاد الذي يوجّهونه اليه في هذا الصدد لا يستطيع ان يثبت على قدميه .

•

كان شيخو مناظراً صارم القول شديد الحملة لكنه كان يتقصّى الحقيقة دائماً ولا يخرج عنها وكان يضمر في اشدّ حملاته احتراماً لشخصية خصومه الذين كانوا يحترمونه احتراماً عميقاً .

ولقد رغب خصومه بالامس يوم وفاته ان يحملوه على الاكتاف الى مثواه الاخير ... واذ كان من كبار رجال المناظرة فا اكثر الحقائق الدينة الخفية التي وجدت فيه من اقوى المدافعين عنها واشدهم تحمساً لها .

وهل يسعنا ان نذهب بالقول الى حدّ اتهامه بالتعصب ؟ ان القضية التي نصب نفسه مدافعاً عنها كان في نظره قضية موت او حياة لانه كان مؤمناً لا يوارب في الدين .

ولستُ اقف عند هذه الميزة من ميزاته لانها كانت اقلّها اهمية .

•

كان شيخو لغوياً . حدا شغف الاب شيخو الانوي بالمخطوطات للقيام برحلات طويلة غالباً ما عرض فيها النفس للهلكة (راجع مقالة الاب لامنس التي خصّها به سنة ١٩٢٩ ، مطبعة باسكو (Bascou) ، ليون) وأحيَتْ فيه تعشّقه اللغة العربية وشغفه بها شغفاً عقلياً . فشرع بنشر مخطوطاتها ككتاب الهمز وكتاب ابن درورستويه وتهذيب الالفاظ وغيرها وقد توخى في جميعها اسداء اللغة العربية خدمة محكمة الضبط كل الاحكام .

اجل ما من امر اجدى نفعاً واجزل فائدة من ان تبيّن للعاملين والباحثين كيفية استخدام مفردات اللغة العربية بياناً مفصلاً جدّ التفصيل ، وليس من شأن اصدع بين امرين من الرجوع الى تلك المقارنات بين مفردات من نوع واحد واحياناً من اصل واحد لاحياء تذوق اللغة العربية والالمام بها تذوقاً والماماً بعيدي الاثر .

فهل كان شيخو ممن اجادوا في كتاباتهم ؟ قد نقع احياناً على بعض ضعف في لغته . لانه كان يكتب بسرعة عظيمة كما قلنا ولا يجهل ذلك ، لكنه اراد ان يضحي بالنوعية في سبيل الكمية التي كان لها قيمة عظمى .

فهل يحقّ لنا مؤاخذة رجل على لغته التي كانت على الجملة صحيحة لانه ارتكب بعض الهنات ونسدل ستاراً كثيفاً على خدماته الجبارة التي احسن اداءها ؟ ان في ذلك لمنتهى الاجحاف الذي لا يسلّم به منطق .

الخلاصة

ان اعمالنا تقضي لنا او علينا ، ومن المستحيل ان لا تتملكنا الدهشة امام الكتب العديدة التي نشرها الاب لويس شيخو لتفرض علينا احترامه ، وان اعجابنا به واكبارنا اياه ليزدادان متى عرفنا ان كتبه ما فتئت حتى الآن من ذرائع العمل لدى العلماء ومن وسائل التثقيف في الشرق الادنى وافريقية الشمالية وشتى البلدان الاخرى . واننا لنتمنى ان نرى قيام رجال عديدين على شاكلته ينفحون الانسانية بمعرفتهم نبش كنوز الثقافة واغناء المعارف العقلية ، اذ لا يزال ثمة عدد كبير من العلماء العاملين في الشرق والغرب يدأبون في ايفاء هذه المهمة الصعبة حقها بنشرهم للمخطوطات القيمة .

بَلهَ ان شيخو قد ساهم مساهمة كبرى في تعزيز هذه الحركة وتقويتها . فلذلك لا بد لكل من عرفه شخصياً ويعرفه الآن من خلال كتاباته من ان ينحني اجلالاً لاحترام ذكراه .

حاشية . لا يسعنا ان نقرأ التعليق الصغير الذي خصه الاستاذ محمد كرد علي بالاب شيخو ونشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في عددها لشهر نيسان ١٩٥٢ الا والاسف يتمشا فقد انصرف الاستاذ الى ان يحمل حملة منظمة على الاب شيخو وذلك بعد صرف النظر عن اطرائه اطراء لم يكن له ندحة عنه .

ومن المؤكد انه لم يكن ليقدم على مثل هذه المهاجمة لو كان ذلك الذي لُقب « بسلطان اللغة العربية » لا يزال على قيد الحياة .

ولقد اتخذنا في ما جئنا به في مقالنا التحفظات اللازمة واوضحناها بحسب فكرة شيخو – لان نفسية الكاتب غالباً ما تبين عمله – فنحن لا نستطيع تأييد انتقادات الاستاذ محمد كرد علي الخاطئة معظمها ، ليس في سبيل الدفاع عن شيخو بل للدفاع عن عمله كما هو ، ويا ليته قرأه بانتباه وارهف في تقصّي معنى التاريخ لكان له من امانته في القراءة وارهافه المعنى التاريخي ما حال دون ضروب هذا الاستخفاف .

الاب اغناطيوس عبده خليفه

اليسوعي

المدير

الخزانة الشرقية

المقدمة

بقلم حبيب زيات

اشتهر العرب في الشرق والمغرب والاندلس بالاجادة في التشبيهات وهي عندهم فن من فنون الشعر الذي كانوا يستجدون به الملوك والامراء ويناد‌مون عليه الخاصة والاغنياء . وقل ان يحضروا مجلساً من مجالس الكبراء دون ان يقترح عليهم فيه وصف ما يستحسن من الطُّرَف والغرائب . ولهم في كل ذلك القصائد الطويلة والمقطعات العديدة . ولبعضهم فيها مؤلفات مفردة على مثال كتاب « الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه » لصلاح الدين الصفدي من مخطوطات خزانة باريس (رقم ٣٣٤٥) . ولكنهم قصروا غاية التقصير في شرح ما كان يحيط بهم من مظاهر المدنية وخصائص المساكن والابنية ومرافق الحياة وعادات المجتمع وتفاصيل الملابس والازياء وضروب الصناعة والزراعة والتجارة . مما تتألف منه جملة تاريخ الحضارة . وغاية ما انتهى الينا من اقوالهم فيها عبارات موجزة لا تشفي غليلاً ولا تغني الباحث الا قليلاً . ولا نعلم ان احداً من المنشئين والمؤرخين المتقدمين تنبه قط لتصوير ما كان حوله وعاينه في زمانه من احوال التمدن واخباره تصويراً يشاركهم في فهمه مليّاً وادراك كنهه من يأتي بعدهم من الخلف . ولذلك فاتنا معرفة ما كانت عليه الحضارة العربية في ازهى عصورها في الخلافة العباسية منذ قيامها في بغداد الى حين انتقالها الى القاهرة وزوالها منها بسقوط دولة المماليك في اوائل القرن السادس عشر . وبسبب هذا الاهمال اصبحنا اليوم نجهل كثيراً من حياة اجدادنا وما تقدم لهم من محاسن او مساوئ في هذه الديار الشرقية

وحسبنا شاهداً على هذا الجهل والقصور ان المتوكل على الله العباسي بنى وحده تسعة عشر قصراً من قصور الخلافة ساق الشابشتي اسماءها في كتابه

« الديارات » . وروى انه انفق عليها تقدير اربعة عشر مليوناً من الذهب . ومع ذلك لم يحفظ لنا احد ممن ادركه او جاء بعده نعت قصر واحد منها . فلا ندري لوقتنا شيئاً من نوع بنائها وهندستها ولا ما كان فيها من الزينة والحلي وادوات الترف والنعيم التي تقتضيها جلالة الخلافة . وكان الرشيد قبله قد اتخذ في بغداد قصرًا عظيماً قيل انه جمع نيفاً عن اربعة آلاف من الخدم بين وصائف زبيدة امرأته ووصائف عليّة اخته عدا من كان فيه ايضاً من الخصيان والفراشين . وقد سكت عن وصف هذا القصر كل من تكلم على خلافته فلا ندري كيف كان هذا الجيش العرمرم يأوي في هذه المقاصير والدور . وهل كانت تعلوها بعض الطبقات وما كان فيها من فرش ورياش وآلة وآنية وتحف وطرف . ولا يخفى على احد ما خسرته اللغة من اسماء هذه المصانع والمرافق والمقتنيات السلطانية . وقد فقدنا بذهابها اثمن مؤونة لسد عوز الاقلام في هذا العصر الذي تعددت فيه المستحدثات وطما بحر الاختراع والابتداع .

ومن مدهشات القدر والقضاء انه لم يسلم لنا من امّهات هذه الحضارة العباسية الفائقة او بالاحرى من بنيأتها الا اوصاف مجالس اللهو والشراب والغناء حسبما نقرأها في امثال كتاب الاغاني للاصبهاني وكتاب الديارات للشابشتي . مع ما يتصل بها ويدخل فيها من صفات الاطعمة والاشربة التي كانت تتخذ للخلفاء والوزراء كما عددها لنا لحسن الحظ « كتاب الطبخ واصلاح الاغذية المأكولات » لمظفر بن نصر بن سيار الوراق . وهو غاية في التوسع والاحاطة بالموضوع وفيه ادلة كثيرة على ما كان مستفيضاً حينئذ من لطف المذاق ومزيد التأنق في ملذات المائدة . ومن مراجعته اليوم يسهل علينا احياء ما مات من الفاظ الطباخة التي تخلو من معظمها معجمات اللغة .

وبعد كل ما فاتنا من مفاخر الحضارة واوصافها لم يبقَ لنا الا تلقط ما غفل عنه الدهر من الآثار التي تنبئ عما غبر . وان نجمع من هذه اللمع المتبددة ما ينبعث منه نور كاف لاضاءة بعض الظلمات المكتنفة تاريخ الحضارة العربية . وهو ما عكفنا عليه في السنين التي تفرغنا فيها من التجارة وقضيناها في التردد على دور الكتب في دمشق وحلب وبيروت والقدس والقاهرة . ولما قلّ في

نظرنا ما جنيناه منها دفعنا حب التوسع والاكمال والطمع في المزيد الى تجشم عناء الرحلة الى الديار الغربية لمطالعة ما انتقل اليها من المخطوطات العربية التي فاقت بها الخزائن الشرقية . وظللنا عدة سنوات نتردد بين باريس ولندرة واكسفرد وروما وميلانو وليدن . انقطعنا فيها للبحث والتنقيب والتفلية عن كل ما يشير ولو بطرف خفيّ الى شأن من شؤون الحضارة الماضية وخصائصها في الادب والشعر والتاريخ . وفنون الصناعة . والتجارة . والملاحة . والزراعة . والبناء . والانسجة والالبسة والازياء . والمآكل والمشارب وآداب المائدة . ومواطن اللهو والسكر والطرب وخلوات الملوك والامراء ومجون القضاة والوزراء . وبدَع المتصوفة والفقراء .. وبدائع القيان والجواري الى سائر ما تفردت به المعيشة في عهد بني عباس من المزايا والخوارق التي بز بها الشرق الغرب في اشهر ممالكه وابهى عصوره

وكنا على أهبة متابعة الطواف على بقية الخزائن الاوروبية حين فاجأتنا الحرب المشؤومة سنة ١٩٣٩ وحالت دون النية وبلوغ غاية الامنية . فقفلنا مُكرهين بما اجتمع لنا في الدفاتر من القيود والتعليقات عن الاصول المخطوطة والمطبوعة . واستخرنا الله في نشر هذه الدروس والفصول على قِصَرها احياناً وقصورها . وارصدنا لها هذا المجموع الذي دعوناه « الخزانة الشرقية » لاقتصاره على ما يخص الشرق وحده والشرقيين في القرون التي سبقت دولة الاتراك العثمانيين . دون اقل تعريب عن الاصول الاوروبية . او اقتباس ممن تقدمنا من الكتبة والمؤرخين . ووقفنا بالاجمال عند القرن السادس عشر ولم نتجاوزه الا مرة واحدة في كلامنا على خطايا اهل حلب لتحققنا ان ما نقمناه عليهم راجع في الواقع الى زمن سابق .

وستظهر هذه الطرائف والمبتكرات على هيئتها في اوقاتها . دون ترتيب لها او ملاءمة بينها حسبما اتفقت لنا في اسفارنا وتهيأ درسها في حينها . وحيثما وجدنا غزارة في المادة ومجالاً واسعاً للوصف افردنا لكل مظهر تجلى لنا من مظاهر الحضارة كتاباً برأسه ننشره على حدة على نحو ما بدأنا به في كتابنا « الديارات النصرانية في الاسلام » . وهو غير مقتصر على شرح احوال

الديارات وحده ولكن يتضمن ايضاً اهم اخبار زوارها والمتطرحين فيها من المجّان والشعراء عشاق الحور النصرانية . فهو مرآة صادقة لما كان يجري قديماً من الخوارق والمنكرات وراء جدران هذه الابنية الدينية . وصورة جليّة من اغرب صور الحانات ومحافل الطرب والسكر في الخلافة العباسية

ومن اهم ما استدعى نظرنا لبيان مفاخر الحضارة التفتيش والاستقصاء عن كل ما يمثل ماضي الصناعة والتجارة قديماً . وفي مقدمته نعت الملاحة الشرقية وما بلغته من المكانة والتقدم في خدمة البحار والاقطار . فجمعنا في الدلالة عليها جزءا سردنا فيه « معجم اسماء السفن والمراكب في الاسلام » . وقد كلفنا الكشف عنها والامعان في استقرائها لخلو كتب اللغة من معظمها . اشد ما يعانيه الرائد في نفض القفار وقيافة الآثار لنشدان ضالته والظفر ببغيته .

ومن ارفع ابواب الصناعة التي قامت عليها تجارة الادب . واسمى الخدم الدينية واللسانية . علم « الوراقة » ونسخ المخطوطات وبيع الكتب والمصاحف والدواوين . وقد اوليناها حقها من الأثرة والعناية ونشرنا في معناها رسالة أُنفاً لم يتقدمنا لاحد كلام فيها دعوناها « الوراقة والوراقون في الاسلام » وجمعنا فيها من الملح والفوائد ما تصبو الى معرفته نفس كل اديب وستتبعها في اول فرصة تتيسر لنا بكتاب استوفينا فيه تاريخ « صُحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام » وفيه رواية كل ما عثرنا عليه بعد التنقيب الشاق والمطالعات العديدة من اقوال المؤرخين والادباء واوصاف البلدانيين في ما اتفق لهم ذكره من انواع الكاغد والورق وعملها في الديار الاسلامية . ونشرنا منه سنة ١٩٤٧ فصلًا منه في مجلة الكتاب (يولية ص ١٣٥٨ — ١٣٦٦) بعنوان « الجلود والرقوق والطروس في الاسلام »

ومن اطيب الدروس الباقية واطربها وصف « المرأة الغلامية في الاسلام » وفيه من نعوت الجواري والنساء وحكاية ما اغربن فيه من الاخلاق والازياء وما ابتَدعْنَهُ من فنون التزين والتبرج . واحتلْنَ به من اساليب الفتنة والفطنة لاجتذاب القلوب وإثارة الاشواق . ما لا يخطر نظيره في الظن وما تكاد

تقصر عنه جرأة المرأة الغلامية في الامصار الغربية . وستظهر هذه الرسالة على حدة في ميقاتها

وسوف نتبعها بخاتمة المطاف وبتيمة هذه الالطاف وهي وصف « اللحى في الاسلام » . وفيه كل نادرة يُقضى منها العجب وغريبة يحلو لسماعها الطرب

ومن لوازم الحضارة العربية هذه الالفاظ المولدة والمسميات الدخيلة التي دعت اليها حاجة العصر بعد الهجرة للدلالة على المعاني والاعيان الطارئة . نشأت على حاشية لغة البداوة كالطراز في اطراف الثوب الفاخر.. واختُصَّ منها كل فن من الفنون وكل صناعة من الصناعات باوضاع ومستحدثات اخـلّ ارباب اللغة بالتنبه لها وتدوينها واستعصى علينا اليوم فهم ما يقع الينا منها لغياب كل ما يعين على تفسيرها وتحقيقها بعد ضياع هذه الفنون والصناعات القديمة باسرها واسرارها وآلاتها . وفي الكتابات العباسية بقايا من هذه الالفاظ الحَضَرِيَة غلبت عليها العجمة ولا مناص للاديب من حل الغازها اذا شاء ادراك ما يقرأه من النصوص والاخبار . ومع ان النظر في هذه الالفاظ المولدة منوط بارباب اللغة ولسنا من المتفرغين لها . رأينا ان لا ندع تقييد ما يمر بنا منها عفواً وعَرَضاً اذا تحققنا فائدته وخلو المعجمات من تفسير له شاف او وجدنا في ايراده استدراكاً عليها . او تكملة لهـا . بالاستناد الى الشواهد الناطقة بالمعنى الصحيح . وربما يجتمع لنا اثناء المطالعة مؤونة كافية لنشر جزء خاص بعنوان « لغة الحضارة » لا تخفي الحاجة الى مثله اليوم يكون كالذيل على تكملة المعجمات العربية لدوزي .

وكان اكبر همٍ لنا في زياراتنا دور الكتب مطالعة مخطوطاتها ولا سيما ما كان منها دفيناً منسياً لم يتنبّه له احدُ ككتاب الطبخ السابق الذكر للمظفر ابن سيار . ولذلك توسعنا جدًّا في تعريفه وسردنا كل ابوابه لقيمته الغالية وعلو شأنه بين تركات الحضارة العباسية . ووصفنا كذلك كل ما ظفرت به يدنا من امثال هذه الذخائر والنوادر في فصول اطلقنـا عليها عنوان « دفائن الخزائن »

وربما استوقف نظرنا احياناً نقد بعض المخطوطات المطبوعة حديثاً مما اشتـمل

على بعض اخبار الحضارة لاستدراك ما وقع فيها من اغلاط القراءة او الطبع كالجزء الاول من مسالك الابصار للشهاب العمري وهو كل ما ظهر من هذا الكتاب . وكالجزئين الثامن والاول من نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي . فضلًا عن بعض دواوين الشعراء الشاميين كديوان ابن الساعاتي في جزئيه المطبوعين . وقد اطلنا جدًا في التعقب عليها لعلاقتها بتاريخ دمشق ومتنزهاتها . وافرزنا لهذه النقود والاستدراكات بابًا خاصًا استمرنا له عنوان « التنبيه والإشراف » .

وفي النية ان لا نقف عند الجزء الرابع من هذه الخزانة الشرقية التي تأخر ظهور الجزء الاول منها بعد الثلاثة التالية له لاسباب لا حاجة لذكرها . واذا اعان الله وفسح في الاجل ووفقنا في هذه الايام القلقة العصيبة لزيارة دور الكتب التي لم نتمكن بعد من الرحلة اليها على اثر الحرب نظير خزانة كمبريدج وخزانتي برلين وفينّة وغيرها من اصونة الذخائر العربية سنوافي الادباء باوصاف عيون ما نجد فيها من تركات الحضارة العباسية . وقد اسعدنا الحظ اخيرًا بالاطلاع على بقايا خزانتي الاسكريال ومدريد في اسبانية . ونقلنا منها كل ما وجدنا فيه فائدة وذخرًا من دفائن الكنوز الاندلسية .

وانما حملنا على التطوع مدة سنوات طويلة لهذه الخدمة الشاقة على قلة الشاكر عليها والمقدّر لها . مع معرفتنا بعقمها وبُعد كل رجاء للثواب عليها واليأس من كل مكافأة لها لقاء ما تقتضيه من ثقل التكاليف ورزء النفقات الباهظة التي يعجز الفرد المستقل بها . رغبتنا الشديدة المخلصة في الاعانة على نشر العلم الصحيح في الشرق . وان نقوم بقسطنا من مجاراة الغربيين في تعريف سكان مطلع الشمس بجانب من حضارتهم القديمة وما تحلت به من مفاخر ومآثر . وقد جمعنا منها في هذه الدفاتر ما تكبدنا من اجله عناء الاسفار ووصلنا في سبيله سواد الليل ببياض النهار . فما احق كتابنا هذا ان يُختم بقول ابي الضياء الحمصي من شعراء تتمة اليتيمة :

هذا كتاب فوائد مجموعة ... جُمعت بكدّ جوارح الابدان
وبدائم الإدلاج في ظُلَم الدجى ... والسير بين مناكب البلدان

نيس (فرنسة) ٣١ آب ١٩٥٤

اخبار العالم

اخبار دينية

مؤتمر رهباني عالمي في روما : في الاسبوع الثاني من ايلول اجتمع في روما مؤتمر عالمي للجمعيات والمؤسسات الرهبانية النسائية المتعلقة مباشرةً بالكرسي الرسولي وعددها ثلاثمائة وثلاثون وقد مُثّلت فيه خمسمائة عائلة رهبانية : مئتان منها مثلتها رئيساتها العامة .

كانت غاية هذا المؤتمر التوفيق بين الحياة الرهبانية وظروف العالم الحالية ، وهذه المرة هي الاولى في التاريخ لانعقاد مؤتمر من هذا النوع .

اهمّ الامور التي تداولتها المؤتمرات اربعة : تقديس النفوس وتهذيب الراهبات والعمل الرسولي والتعاضد بين العائلات الرهبانية . وقد القى الاب الاقدس على المؤتمرات خطاباً تكلم فيه بالخصوص عن الثياب الرهبانية فهو يريدها اولاً معبّرة عن تكريس الراهبة للمسيح وثانياً مناسبة لمقتضيات الصحة فانها ضرورية للعمل . . . وقد تكلم ايضاً في خطابه عن علاقات الرئيسات مع الراهبات فقال بانه من الضروري ان تكون علاقات امٍّ مع بناتها فالراهبة قد ضحّت حياتها العائلية لتتكرس للمسيح . فيجب اذن على الرئيسات العامة ان ينعّشن في حياة الراهبة الاجتماعية اطيب العواطف العائلية واحرّهـا وان يكون تصرفهنّ تصرّف امّ في اقوالهن وصلاتهن ولو تطلّب ذلك منهن التغلب على نفوسهن . . .

الاضطهاد في الصين : في ربيع هذه السنة من ٢٧ اذار الى ٧ حزيران كان قد زار الصين الشيوعية بعثة ثقافية هندية برئاسة السيدة شريفاتي بنديت اخت البنديت نهرو رئيس وزارة الهند . لما قابلت السيدة بنديت شوان لي رئيس الوزارة الصينية أعربت له عن رغبتها في تفقّد معاهد ومستشفيات وسجون وكنائس كاثوليكية والتمكّن من محادثة راهبتين كاثوليكيتين فرفض محتجاً بعدم قانونية طلبها . وقد جهد بعض الكاثوليك في التوصل اليها ومحادثتها لكن عبثاً ابعدهم عنها مراقبون كانوا يرافقونها اينما حلّت بعلّة المحافظة على سلامتها . وحاول بعضهم الاتصال بها كتابة منهم عدد سلّم الى الجرائد رسالة ارسلها اليها ولم يكن متأكداً من وصولها . من هذه الرسالة نقتطف فقرات قليلة :

ايتها السيدة . . . اننا لا نقدر هنا ان نخبرك مفصلاً عن الاضطهاد الديني الهائل المتحكم في الصين . . . نكتفي بان نلتفت بنظرك خصوصاً الى شناعة المعاملة التي بها يعامل سجانونا .

انهم قد سيقوا الى السجون بالمئات بحجة ارتكاب جرائم ضد الوطن لكن باخفيفه من جراء عقائدهم الدينية . . . عن هؤلاء المسجونين لا يقدر اصدقاؤهم ان يعرفوا شيئاً . . . تدلّ الادلّة ان بعضهم هم في الحياة لكن اين يكونون واين الباقون منهم أفي القبور ام في السجن الضيق الذي يربو هوله على اهوال القبور . . .

اننا نمثل في الصين اكثر من ثلاثة ملايين من الكاثوليك وان مئات الملايين من البوذيين ينظرون الينا بمودة وعطف ومعنا يتألمون لهذه البربرية الفائقة . اننا بالحاح نتوسل اليك بان تذيعي في الهند وفي العالم باجمعه اذا امكن ذلك اخبار الجرائم العظيمة التي ترتكبها ضد دياناتنا في وطننا اقليّة تدعي بانها تمثل الشعب : اقلية لا ترى في الشرف الانساني الا لفظة لا معنى لها وانها لتلاشت سريعاً لولا الجاسوسية الهائلة التي تستخدمها .

اخبار عالمية

لبنان : في اليوم الثامن عشر من ايلول اضطُر السيد بشاره الخوري الى الاستقالة بعد اعتصاب شعبي دام ثلاثة ايام كانت احزاب المعارضة قد دعت اليه واتحدت لتحقيقه رغم تباين مبادئها وغاياتها . وكان السيد بشاره الخوري قد انتخب رئيساً للجمهورية للمرة الاولى سنة ١٩٤٣ .

والرئيس بشاره قبل استقالته اصدر قرارًا قَبِل به استقالة السيد صائب سلام من رئاسة الوزارة وعيّن الزعيم فؤاد شهاب قائد الجيش اللبناني رئيساً للوزارة ووزيرًا للداخلية والدفاع الوطني ومعه عيّن وزيرين ليسا من النواب هما ناظم عكاري وباسيل طراد : وزارة ثلاثية انتقالية مهمّتها السهر على الدستور والمحافظة على النظام واعداد انتخاب رئيس الجمهورية الجديد

وفي ٢٣ ايلول انتخب المجلس اللبناني باجماع الاصوات السيد كميل شمعون رئيساً للجمهورية وبعد الانتخاب قدم الزعيم فؤاد شهاب استقالة وزارته وبدأ الرئيس الجديد استشاراته لاقامة وزارة جديدة لكنه لما رأى بعد مداولات طويلة عقيمة بين الاحزاب تعذُّر اتفاقها عيّن وزراء ثلاثة اشخاص من خارج المجلس يمكنهم اجراء الاصلاحات العديدة التي اصرّت المعارضة الشعبية على المطالبة بها ومن اهمّها النظر في قانون الانتخابات العمومية والبلدية . ولم يرَ المجلس بدًّا من اعطائها حق اصدار المراسيم التشريعية لمدّة ستة اشهر حتى تستطيع اتمام هذه الاصلاحات . وتتألف هذه الوزارة من الامير خالد شهاب رئيساً والسادة موسى مبارك وجورج حكيم وسليم حيدر .

مصر : منذ ٧ ايلول بعد استعفاء السيد علي ماهر من رئاسة الوزارة المصرية صارت السلطة كلها بيد الزعيم محمد نجيب ويظن البعض ان هذا الامر لم يتم الا باتفاق سري بين الوزير المستقيل والزعيم لكي لا يبقى عند للاحزاب المعارضة ادنى امل للعودة الى الاستيلاء على السلطة بانتخابات جديدة . كان يوم ٧ ايلول للانقلاب مرحلة جديدة في تقدمه الى الامام فيه أوقف عدد من الشخصيات المصرية المعادية وأعدم شنقاً محكوماً في كفر الدوار وابتُدئ بتنفيذ قانون توزيع الاراضي

فالحالة اذن في مصر لم ترجع بعد الى مجراها الطبيعي وقد تبقى زمناً طويلاً على ما هي من الترجرج وعدم الثبات الى ان تنشأ في القاهرة سلطة راسخة تقوم بدور الحَكَم بين الاحزاب المختلفة والمطامع المتناقضة مثلما كانت سلطة فؤاد الاول مثلاً وهذا يتطلب سنين عديدة فالملك احمد فؤاد الاول هو في شهور حياته الاولى .

الملك احمد فؤاد الاول هو ثالث ملوك مصر المصريين فالعائلة المالكة في مصر تنتسب الى محمد علي (١٧٦٩ – ١٨٤٩) الذي حكم في مصر كنائب مالك باسم شاهاني صدر سنة ١٨٠٥ مع حق الوراثة ولُقب خلفاؤه باسم الخديوي . ثم سنة ١٩٢٢ صار اعلان فؤاد ابن الخديوي اسماعيل ملكاً على مصر بفضل مداخلة بريطانيا العظمى .

ايران : في ٢٥ تشرين الاول اعلنت الحكومة الايرانية قطع علاقاتها الرسمية مع انكلترا لعدم التوصل الى اتفاق في قضية الشركة الايرانية الانكليزية . ثم في ٢٦ من الشهر عينه اصدر مصدق قراراً بحل مجلس الاعيان الايراني حيث لا يزال يصادم اكثرية مخالفة لسياسته . فلا يزال اذن مصدق صاحب السلطة المطلقة التامة في ايران يضطر الشاه نفسه الى الانقياد له وليس في بلاده من يجرأ على مجابهته رغم ما يواجهه من صعوبات مالية شديدة . وسلطته هذه تقوم على رضى الشعب وتمسكه به وقد يكون وراء الشعب قوة خفية تقوده وبه تقود البلاد حيث تشاء او لا تشاء .

المانيا : للمرة الاولى بعد سنة ١٩٤٥ جرت مقابلات رسمية بين شخصيات من المانيا الشرقية والغربية في ٣٠ و٣١ ايلول . وكان استقبال الشعب الغربي للبعثة الشرقية الرسمية اسوأ استقبال خصوصاً في برن ودوسلدورف . فكان بين المتظاهرين المبعدون من المانيا الشرقية والهاربون منها وبالخصوص اهالي السجناء المدنيين والعسكريين الذين لم ترضَ بعد السوفيات بردّهم الى بلادهم . وكان المتظاهرون يطالبون باصوات صاخبة بعودتهم لان ابقاءهم في الاسر السوفياتي جور وظلم .

مطبوعات شرقية

من السماء
بقلم احمد زكي ابو شادي

طبعة جريدة الهدى اليومية بنيويورك ١٦٠ صفحة . متوسط

يطلعنا هذا الديوان الذي استمد عنوانه من احدى قصائده على نفس مرهفة الحسّ بجمال الطبيعة وببؤس مواطنيها . فقد حاول الشاعر ان يودع ديوانه او ما ظلّ منه خير مكنونات صدره فلم تستهوه موسيقى الالفاظ ليقف عندها ولا يتعداها بل نظر الى تكاليف الحياة التي يحياها هو وذووه .

وقصائد الشاعر ليست وقفاً على شخصه ولا على مصالحها بل تتناول تكاليف غيره لانه يعرف حق المعرفة ان في مقدور الشعر ان يغيّر القلوب وان يجد بفعله السحري حركة فكرية تعجز اغلظ الاكباد عن مقاومتها .

وتتأثر هذه النفس الحساسة بأقل الامور لانها تقرأ ما يراه غيرها امرًا تافهاً مبتذلاً وما ذلك الا ميزة الشاعر .

ولقد وفق الشاعر التوفيق كله بان جعل الفاظه لا تزيد ولا تنقص عن الفكرة التي اراد الاعراب عنها فهو لم يخاطب فاطمة كما يخاطب الفاروق والنحاس باشا ولم يعمد الى استخدام الالفاظ الفضفاضة في مخاطبة فتاة صغيرة بل يحدثها بلغة الواقع التي يستعملها في المناسبات الرسمية.

ولئن زانت الديوان رسالتا تقريظ من خليل بك مطران فلا يسعنا الّا ان نضيف اليها تقريظنا مع بعض التحفّظ لما بدا هنا وهناك من تطرّف في التعبير عن الهيام والقلب المصدوع بالحب. ا. ع. خ.

قلب يغنّي
بقلم وديع ديب

دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٥٤ .

هو كتاب شعري صغير الحجم يقع في ثمانين صفحة قدّم له ناظمه بتوطئة قصيرة الى « اخيه القارئ » فاستماحه عذرًا عن بعض «الاخطاء البيانية واللغوية

التي وقعت له وهو يجهل مكانها او يتجاهل عرفانها . ولقد اكّد الناظم ان « حلاوة الموسيقى في الشعر وروعة التصوير والتلوين فيه شرطان اساسيان ».

لا شك في ان موسيقى «قلب يغني» حلوة رائقة تستسيغها الاذان وتصويره ملوّن برّاق ولكننا لا نستطيع ان نؤكد حقيقةً ان تلك الموسيقى وهـذا التصوير يخلقان جوًّا جديدًا. انهما صادران عن شفة القلب لا عن اعماقه. ولذلك فنحن لا « نعجب بهما كل الاعجاب كما لا ننفر منهما كل النفور » كما ينتظر منا الاستاذ ديب ذاته في توطئته.

على ان هنالك حقيقة لا بد من لفت النظر اليها: هي في تواضع الاستاذ الذي لا يريد ان يكون غير نفسه فلا يحاول ان يخفي عمق شاعريته او سطحيتها بسيل من الكلمات المصنوعة التي تتجاوب ولا تتنادى عند بعض شعرائنا العصريين، بل يظهر لنا كما هو في « قلقه » و « ضلاله » و «حذره» و « تصوفه » ويُرينا الحياة في واقعيتها فيجفل ونجفل معه من « غرور » القواني ومن كل تلك الرقعات البالية التي يحاول بها ابناء الدهر ان يرأبوا اطمارهم . على ان الاستاذ يعود بعد تصوّفه العابر الى دعوة ابنـاء الجيل السادس عشر الفرنسي : شراب وتغريد وقطف ازهار الحياة .

فشل ام نجح الاستاذ ديب في ديوانه، ذلك ما لا نستطيع البتّ فيه. على اننا نقف معه بين النجاح والاخفاق . كاد ينجح لو لم يخفق وأخفق لو لم ينجح هنا وهناك . ولعله يرضى عنا اذا قلنا انه على مفترق الطريقين . عسى للأستاذ شعر آخر يقوله وعسانا نستطيع ان نحكم على شعره العتيد بوضوح اكثر .

ا. ع. خ.

NAZIM HIKMAT : *Poèmes*. Traduits du Turc, intr. de TRISTAN TZARA, notes par HASAN GUREH. — Les éd. franç. réunies. — 33, rue St André-des-Arts. Paris, VIe, 180 pp.

قصائد ناظم حكمت : قرأنا هـذه القصائد التي انبثقت في السجن من نفس نبذت كلّ شيء الّا الحياة . فهي ان نمّت عن شيء في صيحاتها فانما تنم عن الثورة واليأس والصخب والغضب . اما اذا لاح منها وميض امل من وقت الى آخر فما ذلك بأمل الشاعر في الحيـاة الثانية التي يجدها في دين تركيا الاسلامي بل في ان يعيد الى الارض وجهاً افضل بالتعليم الشيوعي .

ويفتخر الشاعر بادية لا حدود لها تطفح في كل قصائده التي لم يدفعه الى نظمها الا الاسباب التي ادلى بها : وهي الاستعمار والرأسمالية وتوغل الاوروبيين في الشرق توغلاً حرموه معه حريته وامتصوا خير ما فيه من مادة حيوية . اجل انها للبادية . واي قلب هو ذلك القلب المرهف الحس الكريم الذي يشف من وراء هذه القصائد ! انه لقلب حكمت الذي شهد البؤس ورأى الخبز المفقود الذي ذهب بفقده امل الفقراء في الحياة فثار . ان حكمت لا يريد ان يؤمن بالمسيح ولا بمحمد لانهما لم يفعلا شيئاً ، متناسياً ان التعليم الالهي على رغم ما فيه من جمال لا يغير ارادات البشر التي لا تريد ان تتغير . الم يبدل تعليم يسوع المسيحي اوروبا عندما اخاص البشر عليهم بوجيه ؟ اولم يكن هذا التعليم في اساس مبرات كثيرة ومنظمات كانت التعبير عن اعمال المحبة التي فجرتها في الافئدة كلمة المسيح الحارة.

ان محبة الانسان للانسان لن تغير شيئاً في العالم ما لم يشع فيها ضرب آخر من المحبة ، محبة إله افتدى البشر وجعلهم اخواناً بدمه وصير بينهم وبين الاله الذي اهانوه سلاماً .

ومعنى المساواة والصداقة هذا الذي تطفح به قصائد حكمت لا بد له من ان يقوم على امر آخر غير التساوي بالثروات لان هذه المساواة لم يقدر لها قط ان بدلت الافئدة اذ ان الشعور عميق لا صلة له بالخيرات الارضية الا صلة ضئيلة كل الضؤولة.

ولقد افضت بحكمت ثورته الى الشتائم، ليتكلم كافراً ، قد اطلق العنان لفؤاده . ولا شك في ان اقامته الطويلة في روسيا لم تذهب عبثاً اذ تعلم فيها هذه اللغة التي لا تحل معضلة ولن يتأتى لها ابداً ان تحل شأناً حلاً حاسماً.

ولئن استثمرنا مثل هذه النفس في ترجمة قصائده من التركية الى الفرنسية وان كانت ترجمة لا غبار عليها فما تكونه هذه النفس في لغتها الاصلية بما فيها من صور وتراكيب وقوالب خاصة وشوايب.

وعلى رغم التحفظ في حكمنا هذا فلا يسعنا الا الاعجاب بعبقرية الشاعر ومقدرته على التأثير واجتذاب الناس.

ا . ع . خليفه

فهارس المشرق

للسنة السادسة والاربعين

١٩٥٢

فهرس اوّل

لمواد اعداد السنة السادسة والاربعين من مجلة المشرق ١٩٥٢

(٢٧٥-٢٨٨) = من مبادر مرقس الناسك شرحها الاب أ. عبده خليفه اليسوعي (٢٨٩ - ٣٠٨) = كتاب مختصر تاريخ جبل لبنان (تابع) شرحه الاب اغناطيوس طنوس الخوري اللبناني (٣٠٩-٣٣٤) = التشريع والقضاء في عهد الامراء لميشال شبلي (٣٣٥-٣٣٨) = تحويل المادة الى طاقة والطاقة الى مادة في المختبر والكون للاب فرنسوا دوبره لاتور اليسوعي (٣٣٩-٣٥٨) = الاميرة هيفاء والامير فخر الدين الكبير (تابع) للاب مبارك ثابت اللبناني (٣٥٩-٣٦٨) = العروض. درس وتحليل للاب فرنسوا قندلا اليسوعي(٣٦٩-٣٧٨) = الاخبار المالية (٣٧٧-٣٧٩) = الكتب (٣٨٠-٣٨٤) .

الجزء ٤ — (تموز – آب) : تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي للاب اسحق ارملة السرياني (٣٨٥-٤٠٠) = الورد وماء الورد بدمشق لحبيب زيات (٤٠١-٤١٨) = نص قديم بالعربية لمجمعي قنوبين ١٥٩٦ للخوراسقف مخايل الرجي (٤١٩-٤٢٤) = انجيل خطي قديم للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٤٢٥-٤٣٢) = كتاب مختصر تاريخ جبل لبنان (تابع) شرحه الاب اغناطيوس طنوس الخوري اللبناني (٤٣٣ - ٤٤٦) = تيارا فلسفة الحقوق للاب فليكس سوانيون اليسوعي (٤٤٧-٤٥٨) = الاجرة العدل للاب بطرس مازاس اليسوعي (٤٥٩-٤٧٤) = نشيد الرسل القديسين للشاعر روماتس المرنّم ترجمة الاب نيقولاوس قادري قب (٤٧٥-٤٩٢) = بحث عن القبيلة في الشرق الادنى لبطرس رونده (٤٩٣-٤٩٨) = الاخبار المالية (٤٩٩-٥٠٠) = الكتب (٥٠١-٥١٢) .

الجزء ٥ — (ايلول– تشرين الاول) : تاريخ الدول السرياني لابي الفرج الملطي للاب اسحق ارملة السرياني (٥١٥-٥٢٤) = كتاب مختصر تاريخ جبل لبنان (تابع) شرحه الاب اغناطيوس طنوس الخوري اللبناني (٥٢٥-٥٧٠) = انجيل خطي قديم (١٥٦٥) للاب انطونيوس شبلي اللبناني (٥٧١-٥٩٦) = الاميرة هيفاء والامير فخر الدين الكبير للاب مبارك ثابت اللبناني (٥٩٧-٦١٦) = تجديد خليل مطران للشعر العربي للاب رفائيل نخله اليسوعي (٦١٧-٦٢٥) = الاخبار المالية (٦٢٦-٦٢٩) = الكتب (٦٣٠-٦٤٠) .

الجزء ٦ — (تشرين الثاني – كانون الاول) : الاب لويس شيخو (١٨٥٩-١٩٢٧) للاب أ. عبده خليفه اليسوعي (٦٤١-٦٤٨)=الخزانة الشرقية: المقدمة لحبيب زيات (٦٤٩-٦٥٤) = الاخبار المالية (٦٥٥-٦٥٧) = الكتب (٦٥٨-٦٦٠) = الفهارس (٦٦١-٦٦٦) .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة السادسة والاربعين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

٢ – مطبوعات اوروبيّة

فهرس رابع

لجميع مواد السنة السادسة والاربعين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

اصلاح بعض اغلاط وقعت في المشرق

ص	سطر	خطأ	صواب
٧٨	٣٣	ليس	ليس
٢٧١	٢٢	للخراز	للحزاز
٢٧٣	١٨	دم	يجب حذفها
٤٣٠	١٨	١٣٧٧	١٦٧٧
٥٥٣	٢٢	استطون	استوطن
٥٨٠	٨	وضبطِ	وضبطِ
٥٨٠	٢٠	عجدا	تجددا
٥٨١	٣	ي	في
٥٨١	٢٣	واماً غاوينه	واماً عناويه
٥٨٨	٢٨	لاستناد	لاستنادها
٥٩٣	١١	ولم يُشيَد	يُشيَد
٥٩٤	٦	الاب عمانوئيل	الاب عمانوئيل
٥٩٤	١٩	كثرة	كثيرة
٥٩٥	٦	وهو اسم	وهو على اسم

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE

PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction

des Pères de la Compagnie de Jésus

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Quarante-sixième année

1952

BEYROUTH

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

1952

TABLE DES SOMMAIRES

XLVIᵉ ANNÉE, 1952

◆

JANVIER - FÉVRIER

MARS - AVRIL

MAI - JUIN

JUILLET - AOUT

المشرق

السنة السابعة والاربعون — كانون الثاني – شباط ١٩٥٣

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

ولمّا اطّلع ملك صقلّية على خيانة اليونان سخط جدًّا وسار الى مدينة تيبايس واحتلّها وقوّضها وأهلك بالسيف سكّانها . وأجرى مثل ذلك في ادريانوبوليس وفي خياوفوفليس واقبل الى قسطنطينية وعاث في ضواحيها .

ومات في تلك الغضون لاون الارمنيّ صاحب قيليقية في قسطنطينية وانهزم ابنه توماس راجلًا دون سند ولبد الى قيليقية (٣١٤) وزار مطران السريان السيّد اثناسيوس وطلب صلواتهِ ليردّ الله تعالى اليه ميراث آبائهِ . فصلّى عليه واهداه حصانًا بمثابة بركة . وما عتم ان لحقه اثنا عشر ارمنيًا وسار اوّل بدء الى حصن عامودا ولمّا شاهده الحرّاس عرفوه انه ابن مولاهم فسلّموه دون تردّد فدخل الحصن وفتك بمن كان فيه من اليونان واحتلّ في مدّة وجيزة اماكن شتّى

فهابه الروم الذين في سائر الحصون. واتّفق معه الفرنج وناوشوا الاتراك وفتكوا بثلاثة آلاف منهم . وذاع صيت انتصاره وبات الاتراك يحسبون له الف حساب . وبعد ذلك احتلّ عين زربة وغيرها .

وفي تلك السنة استولى نورالدين بن زنكي على افامية وعلى بعض حصون الفرنج . فاقام له صاحب انطاكية كميناً فتك بكثير من عسكره وافلت هو الى حلب مع قليلين .

وفي السنة ١٤٦٠ لليونان (١١٤٩م) وهي السنة ٥٤٣ للعرب زحف نورالدين الى حارم وغزا ضاحيتها وقوّض ابنيتها التي كانت خارج القلعة . وسار البرنس صاحب انطاكية ليكشفه عنها لكنّ الاتراك تغلّبوا عليه وفتكوا به. وكانوا فيما سبق يهابونه جدًّا اذ لم يكن اقوى منه ما بين الفرنج . وحصلت فتنة بين الانطاكيين حتى رام اغلبهم ان يسلّموا نور الدين مدينتهم. غير ان بعضهم راسلوا ملك اورشليم فسارع اليهم وبثّ روح النخوة في قلوب الفرسان واقام بطريركهم مدبّرًا لهم ريثما يترعرع بوهيمند ابن البرنس القتيل . وقُتل في هذه المرّة صاحب الكيسوم وتولّاها جوسلين مع قوية بيت حسنة .

وفي السنة عينها اقبل قلج ارسلان بن مسعود سلطان قونية وحاصر مرعش وانتزعها من يد الفرنج وسهّل للفرسان والاسقف والقسّان ان يذهبوا (٣١٥) الى انطاكية بسبب قسَم سبق فأقسمه لهم . غير ان الاتراك لحقوهم وفتكوا بهم . وفي فتح مرعش هذا نُهبت امتعة كنيستنا بسبب نزاع حدث بين القسّان والاسقف في جملتها ثمينة ميرون وكؤوس واطباق ومباخر فضيّة وحلل كهنوتية وسجف وغيرها .

وانتزع قرا ارسلان صاحب حصن زياد من الفرنج مدينة بابولا وارسل كناة الى جرجر وكان اهاليها جميعاً مختفين في جبال برصوما فاقاموا كناة في ثلاثة اماكن انقضّوا صباحاً ونهبوا المواشي والبقر وفتكوا بثلاثة من رهبان الدير . وارسلوا الى الرهبان ان سلّموا اهالي جرجر نردّ لكم الغنائم حرمةً لقدّيسكم ونقدّم له النذور . لاننا لم نأتِ لنتعدّى على ديره . وليس من نيّتنا ان نستعبد الاهالي لكننا نذهب بهم الى قراهم لكي يفلحوها. غير ان الرهبان اختلفت كلمتهم ففريق رأوا ان يسلّموا والفريق الآخر أبوا حتى أفضى

بهم الخلاف الى ضرب بعضهم بعضاً بالسيف . عند ذلك نهض راهب شيخ واستصحب شخصين من كلا الفريقين وسار ثمتهم وواجهوا الاتراك وقالوا لهم : ان كنتم صادقين في طلبكم الاهالي للحراثة لا للعبودية فليأت فريق منكم معنا لنذهب ونراجع اميركم المحروس ونأتمر بامره. غير ان مكر الاتراك اتضح جلياً ومن ثم اجمع الرهبان ومن معهم على الرفض . فأحرق الاتراك المعاصر وسياجات الكروم وانقلبوا عائدين . وسار الرهبان الى حصن زياد وقابلوا الامير فاشفق عليهم وردّ لهم الغنيمة كلها .

وفي تلك السنة برز جوسلين من تلّ باشر في مائتي فارس وساروا الى انطاكية يظنّون انهم يناوشون القاً . فباغتهم التركمان ليلاً وهزموهم وتتبعوهم (٣١٦) وقبضوا على جوسلين ومضوا به الى نور الدين فاشتراه بالف دينار منهم ثم اوثقهُ وحبسه . وظلّ جوسلين محبوساً تسع سنوات وكانوا يلاطفونه تارة بالوعد وطوراً بالوعيد ليجاهر بالاسلام . لكنّه لبث راسخاً في ايمانه مقرّراً ان الربّ انما أدّبه لتعدّيه على دير برصوما كما سنذكر ذلك في تاريخنا البيعي . ولمّا دنا أجله استدعى اسقف المدينة فعرّفه وناوله الاسرار المقدّسة وقضى هناك في جبّ الحبس . ولمّا كان مأسوراً حمل الاتراك على كثير من اماكن الفرنج واحتلوها كجرجر وكختي وحصن منصور وتاكتكار التي بجانب الدير . وعلى اثر وفاته اقام الفرنج ابنه الفتى خلفاً له في تلّ باشر وكان اسمه كذلك جوسلين .

وفي السنة ١٤٦١ لليونان (١١٥٠م) وجّه اهالي الكيسوم مطرانهم ايونيس الى مسعود سلطان قونية وطلبوا الامان للفرنج الذين عندهم كي يأذن لهم ان يذهبوا الى عينتاب . فلبى طلبهم واستولى على مدينتهم وعلى قرى بيت حسنة ورعبان وفرزمان ومرعش . ولمّا كان يحاصر تلّ باشر اقبل اليه نور الدين فزفّ اليه السلطان ابنته . فترك تلّ باشر ولم يتيسّر له احتلالها. وما مرّ القليل حتى شخص ملك اورشليم ونقل معه امرأة جوسلين وابناءه وجميع الفرنج . واقام في تلّ باشر بعض عمّال يونان فاحتلّوا عينتاب وعزز ثم ضايقهم نور الدين قتلاً وجوعاً فسلّموه اياها صلحاً .

واحتلّ تيمورطاش صاحب ماردين مدينة البيرة وسيساط وكوريس وكفرسوت . وكان يومئذٍ في رومي قلعة ميخائيل الارمني (٣١٧) فكتب الى امرأة جوسلين

وابنها ليأمرا غريغوريوس جاثليق الارمن وهو في دير البحرة ان يذهب ويقيم عنده ويساعده . لكن الجاثليق خان ميخائيل واحتلّ كلّ ما له وطرده واستبدّ بروم قلعة .

وفي السنة ٥٤٤ للعرب (١١٤٩م) انتزع سيف الدين بن زنكي صاحب الموصل مدينة دارا من تيمورطاش صاحب ماردين ثم زحف الى ماردين وحاصرها فزفّ اليه تيمورطاش ابنته وهادنه . وما كاد يصل الى الموصل حتى إدنف ومات وخلفه قطب الدين مودود اخوه فاقترن بابنة تيمورطاش . وعند ذاك ارسل احد زعماء الموصل الى نور الدين ليتوجّه من حلب الى تلك المدينة . فركب مع سبعين فارساً ووصل الى سنجار واحتلّها وبعث الى قرا ارسلان صاحب الحصن ووعده بقلعة هيتم اذا اقبل الى مساعدته . امّا قطب الدين اخوه فحشد الجنود ومشى الى تل عفر ليبارز نور الدين فتوسّط الزعماء وقرّروا حمص لنور الدين وانتزعوها من سيف الدين . وردّ نور الدين سنجار الى قطب الدين وانقلب الى حلب .

وفي ٢٣ آب تلك السنة حدث فيضان في حصن زياد جرف صبيًا مع امّه وبغلين وحمارًا وهلكوا جميعاً . وفي السنة ١٤٦٢ لليونان (١١٥١م) حملت على صاحب ارزنجي امرأته وخنقته بوتر القوس واستحضرت اخاه من ديباريجي واقترنت به وملّكته مكان زوجها الاول .

وسار اميرٌ تركيّ الى دير سيريكا اليونانيّ في بنطس وانتزع منه الصليب الذهبيّ الذي كان ينطوي على قطعة معتبرة من خشب الصليب تجري العجائب الكثيرة بواسطته . ولم يردّها الى الرهبان الّا بعدما استنزف منهم كمّية من المال وافرة . ولقد خجل اليونان الذين يجدّفون على مار برصوما ويقولون : لو كان قادرًا على صنع العجائب لمّا ترك جوسلين (٣١٨) يسلب ذخيرته !

وفي تلك السنة زحف نور الدين الى ضواحي دمشق وارسل الى اهاليها يقول : اني ما أتيتُ لاحاربكم بل لاكشف العار عنكم اذ انكم ما برحتم تؤدّون الجزية للفرنج وقد أمسى بنوكم وبناتكم أسرى عندهم لا يساعدهم احد . فارسل اليه الدمشقيّون يقولون : اننا متمتعون في بحابح الامان مع الفرنج ولسنا في حاجة الى مساعدتك . فاتركنا وارجع الى حلب والّا فاننا مرسلون

الى الفرنج ليأتوا ويتّفقوا معنا على مناهضتك . فاستشاط نور الدين سخطاً وحاول ان يحاصر المدينة لكنّ الله سبحانه اهبط من السماء وابلاً من الامطار متواصلاً ثبّطه عن انجاز عزمه . ثم سار اليه زعماء دمشق وهادنوه بان يخطبوا له بعد الخليفة والسلطان فتركهم وانقلب الى حلب .

وفي السنة ١٤٦٣ لليونان (١١٥٢ م) برز الفرنج ثانيةً من رومية ساخطين على اليونان المكّارين واقبلوا الى ضواحي قسطنطينية واحرقوها جميعها ثم وافوا الى فلسطين واحرقوا قرى جمّة في عسقلان وفتكوا بجمهور غفير من الاتراك والعرب . وساروا كذلك الى مصر واخربوا واحرقوا قرى كثيرة في غربيّها وعادوا الى وطنهم . .

وفي السنة عينها مات دولة صاحب ملطية وخلفه ذو القرنين ابنُهُ . فسمع مسعود سلطان قونية وهجم على يعقوب ارسلان اخي دولة وأخضعه ثم نازل ملطية وأفسد ارباضها فخرجت اليه امّ الفتى وهي ابنة اخيه وتوسّلت اليه بشأنه فقال لها السلطان : اذا أتى اليَّ خاضعاً قبلتُه وتركتُ له المدينة . فخرج اليه الفتى حاملاً سيفاً وكفناً . فرحّب به وأيّده وتركه وانصرف . هكذا استحوذت امّه على المدينة واساءت الى النصارى والعرب بالضرائب وحشدت نساء ساحرات عرّافات (٣١٩) تنبأن لها بانها ستملك وتتبع مَن تشاء . فنوت ان تفتك بابنها الصغير . غير ان الزعماء اطّلعوا على نيّتها فطردوها مع الساحرات وصحّت فيها آية النبيّ : « امكثي على رُقاكِ وانواع سحرك الذي عُنيتِ به منذ صبائكِ . . . قد أعييتِ من كثرة مشوراتك » (اشعيا ٤٧ : ١٢ و١٣).

وفي هذه السنة هبطت امطار غزيرة جرفت حجارًا ضخمة وتلالاً وصدعت جانباً من الجبل وتدهورت الصخور في الوادي الذي بين ابدهار وترشنا . ووقف مجرى الفرات نحو ثلاث ساعات وبلغت المياه الى قرية فروسيدين المبنيّة على قمّة الجبل . ثم انشقّت السدود بلحف جبل قاودية وفاضت المياه واحدثت خراباً فظيعاً في سوريّة . وفي السنة عينها فتك الوباء باثني عشر الفاً من اهالي دمياط حتى اقفرت من السكان بيوت كثيرة .

وزحف نور الدين تكراراً الى دمشق واحتشد الفرنج ليساعدوا الدماشقة فانقلب راجعاً الى حلب . وفي تلك السنة وهي السنة ٥٤٦ للعرب (١١٥١م)

خرج صلاح الدين من عند نجم الدين ايوب ابيه وهو في بعلبك وسار الى حلب يريد عمه اسد الدين شيركوه وهذا ذهب به الى نور الدين فرحب به ورضخ له بعض المال لمعاشه .

وفي السنة ١٤٦٤ لليونان وهي السنة ٥٤٧ للعرب (١١٥٣م) حصل نزاع بين ملك اورشليم وامّه فتحصّنت في برج داود فتوسّط الاقطاب وقرروا لها اورشليم ولابنها سائر المدن ورعاية الجيش . فسار الى عسقلان وهي للعرب المصريّين واقام برجاً خشبياً ومنجنيقات واحدث هناك ترعةً طفر اليها اربعمائة من الاخوة الفرير (الهيكليّين) فوثب اليهم العرب وهم عشرون الفاً مدجّجون وفتكوا بهم (٣٢٠) فتأثر الملك اشدّ التأثر وكاد يترك المدينة فثبّطه احد المحاربين . ثم تولّى الفرنج حراسة الترعة ولم يَدَعوا العرب يرمّونها . وعند الصباح حمل الملك الصليب تجاه المدينة ونادى قائلاً : من لم يتبع الصليب لا يُعَدّ مسيحياً . فوثبوا باجمعهم ودخلوا المدينة واجهزوا على زهاء خمسة عشر الفاً من العرب وانهزم بقيّتهم في السفن الى مصر . والحقيقة التاريخيّة هي ان الفرنج احتلّوا عسقلان عام ٥٤٨ للعرب اعني في السنة ١٤٦٥ لليونان (١١٥٤م) لكن البطريرك ميخائيل ذكر ذلك في السنة ١١٥٣ م وبسبب هذه النصرة التي أحرزها ملك اورشليم أُنيطت به كذلك امارة انطاكية وزُفّت اليه ارملة صاحبها .

وسار توروس الارمنيّ صاحب قيليقية الى قيدوقية وغزا الاتراك وعاد الى بلاده .

وزفّ مسعود سلطان قونية ابنته الى يعقوب ارسلان واتّفقا معاً على الزحف الى قيليقية . غير ان الارمن سبقوا فاقاموا حراساً في كلّ الانحاء . مما اضطرّ الاتراك ان ينقلبوا راجعين من الثغور مأيوسين . بناء عليه تشدّد توروس وانتزع من اليونان ما بقي لهم في تلك الاطراف . فثار ثائر منوئيل الملك ووجّه الى قيليقية اندرونيقس القائد وكان من الأسرة المالكة . وتجمهر الارمن والفرنج ونازلوا اليونان على باب طرسوس وتغلّبوا عليهم وقتلوا منهم نحو ثلاثة الاف وانهزم بقيّتهم في البحر .

وفي هذه السنة ولدت عنزةٌ جدياً ذا ثلاث عيون وفمّين . وحدث وباء قتّال في قيليقية وفي قونية.

وفي تشرين تلك السنة سار الرجال والنساء في الفرات قادمين من حصن زياد الى جرباس ليحضروا موسم مار اغريباس فغرقوا جميعاً في النهر واختنقوا وغلب على الكثيرين الريب في الدين . فكتب أيمّة الكنيسة احتجاجاً ذا ثلاث نقاط الاولى: يجب ان لا ننتقد احكام الباري تعالى(٣٢١)غير المدركة. والثانية : ان اولئك الرجال والنساء لم يذهبوا ليتبرّكوا في تذكار الشهداء يومئذٍ بل ليتنزهوا ويتهتّكوا . والثالثة : يجب ان لا نحصي في عدد الهالكين مَن يحكم الربّ بان موتهم خيرٌ من حياتهم. وانّما يهلك الوثنيون لا المؤمنون.

وفي السنة ١٤٦٥ لليونان (١١٥٤ م) زحف مسعود سلطان قونية في جيش تركيّ جرّار الى قيليقية . ولمّا وصلوا الى تلّ حمدون وضايقوا اهاليه ضربهم الله تعالى بان سلّط عليهم البقّ والذبّان كما جرى للمصريّين في عهد موسى الكليم . وفسد المناخ مدّة ثلاثة ايّام ودبّ الوباء فيهم وفي خيلهم فتركوا اثقالهم وانهزموا وانحدر توروس والارمن من الجبال وظلّوا يفتكون بالبقيّة الباقية حتى أعيَوا وساروا بعد ذلك الى جدانية او هي دوالو وغزوا الاتراك ورجعوا .

وفي هـذه السنة احتلّ الفرنج عسقلان طبقاً للحساب المدقّق وظلّت في حوزتهم خمساً وثلاثين سنة ثم اخذها صلاح الدين .

وفي السنة عينها وهي السنة ٥٤٨ للعرب (١١٥٣ م) مات حسام الدين تيمورطاش صاحب ماردين وخلفه ابنه نجم الدين ألبي . وشدّد في اوّل الأمر على المسيحيّين ثم أمر اولاده حين وفاته ان يحسنوا معاملتهم ولا يلحقوا بهم أذًى . قيل ان مار آباي ظهر له ليلًا واوصاه بذلك . وتولّى جمال الدين ثاني ابنائه مدينة حاني وصمصام ثالث ابنائه مدينة دارا .

وفي السنة ١٤٦٦ لليونان (١١٥٥ م) مات مسعود سلطان قونية وخلفه ابنه قلج ارسلان . وتعذّر عليه مبارزة آل دنشمند ويعقوب ارسلان حتى سار نور الدين واحتلّ فرزمان وعينتاب دون حرب .

وفي السنة ٥٤٩ للعرب (١١٥٤ م) انتزع نور الدين دمشق من صاحبها مجير الدين حرباً . ذلك انه اثار باديَ بدءٍ خلافاً بينه وبين زعمائـه وجعل يكتب اليه سرًّا أن احترس من مكر فلان وفلان وفلان لانهم يكاتبونني

ويريدون ان يسلموني المدينة . وانا لا أرى ان اترك مناوشة الفرنج واحارب العرب . وبمثل ذلك غرّ مجير الدين المسكين وفتك بقوّاده واحدًا واحدًا ولم يبقَ من يعارضه فزحف الى دمشق واحتلّها بسهولةٍ . وولّى مجير الدين صاحبها بعض قرى حمص ووجّهه اليها. وقد عامل نور الدين الدمشقيّين بالحسنى فسُرّوا به معتقدين انه يتغلّب على الفرنج .

وفي هذه السنة قُتل الظافر بن الحافظ خليفة مصر وخلفه عيسى ابنه الصغير وهو في الثالثة من سنّيه وسُمّي الفائز . وتولّى وزارته العبّاس في غياب فارس الدين الامير الكبير. فسخط هذا على العبّاس وتهدّده لانه جعل يتصرّف دون مشورته . فتخوّف العبّاس واخذ امواله وخرج في ثلاثـة آلاف من الارمن وبعث يستنجد بنور الدين. غير ان المصريّين تتبّعوه فشدّ عليهم الارمن وفتكوا باغلبهم . ثم تطوّح العبّاس ورجاله في الصحراء باغواء هاديهم وادركهم الجوع والعطش وجرى لهم ما جرى ليوليانس الجاحد . ولمّا ذهب بهم نحو عسقلان برز اليهم الفرنج ولمّا لمح الارمن الصلبان في رؤوس الارماح القوا عنهم السلاح وامتزجوا بهم . وقُتل يومئذٍ من العرب زهاء خمسة آلاف . وقبض الفرنج على العبّاس وباعوه من المصريّين فاعتقلوه وفتكوا به .

وفي تلك السنة سار الخليفة المقتفي الى تكريت وحاصرها حصارًا شديدًا وقوّض ابنيتها وصوّب القتال نحو قلعتها. فارسل محمد شاه ابن السلطان مسعود الى امراء الموصل يقول : ان آبائي (٣٢٣) قد ولّوكم هذه البلاد لتنجدوهم . والآن فلم يبقَ لنا في ارض سنطار كلها سوى قلعة تكريت والخليفة يحاول انتزاعها منّا . فنرغب ان تحضروا دون تربّث وتدفعوه عنها. عند ذلك احتشد المواصلة وزحفوا الى تكريت فسمع الخليفة وملكه الذعر فترك اثقاله وعُدَدَه وهرول عائدًا الى بغداد .

وبعد ايّام حشد اميرٌ تركيٌ زهاء اثني عشر الفًا وأرسلهم الى تكريت فانقذوا ارسلان شاه بن طغرل السلجوقيّ من السجن لانه يتحدّر من سلالة الدولة السلجوقيّة . وخرج الخليفة كذلك في جيوشه الى لقائهم. وظلّوا ثمانية عشر يوماً في طريق خراسان تجاه بعضهم ثم تبارزوا فانكسر أصحاب الخليفة وحاول الفرار فتوسّل اليه رجلان من حشمه ان يتربّص هنيهةً ومضيا به مع

حصانه الى ما قدّام على كرهٍ منه . فتشجع البغداديون وكرّوا على الاتراك وهزموهم واحتووا على اثقالهم جميعها وكانت فيما قيل اربعمائة الف خروف سوى البقر والجمال .

وفي هذه السنة كانت مياه دجلة تسيل كالدماء الحمراء . ونبع دمٌ من الارض في بلد واسط وغيره .

وفي السنة ١٤٦٧ لليونان (١١٥٦م) تحرّش البرنس صاحب انطاكية بتوروس صاحب قيليقية يطالبه بالحصون التي انتزعها الارمن من اليونان واليونان من الفرنج ليولّي عليها الاخوة الفرير لانهم يقاتلون في سبيل جميع المسيحيّين . فتمنّع الارمن واصطدموا مع الفرنج عند باب سقنطرون فانكسر الارمن وانهزم توروس ثم تصالح الفريقان وتولّى الاخوة الفرير تلك الحصون .

وفي تلك السنة سار صاحب مرعش (٣٢٤) الى احدى قرى الارمن . فحشد اسطفان اخو توروس جيوشه ومضوا ليلاً واختفوا في البيوت . ولمّا فُتح باب القلعة صباحاً نهضوا ودخلوه واحتلّوا السور الخارجي وجعلوا يحفرون داخلاً . وبلغهم اذ ذاك ان الامير قادم في جيش تركي فملكهم الرعب وخافوا ان يُحصَروا ما بين السورَين ويتناوب الداخلون والخارجون في مبارزتهم . بناء عليه نهبوا المدينة واضرموا النيران في البيوت وفي سائر ما تعذّر عليهم نقلهُ . واستاقوا الاهالي جميعاً وانهزموا . وقد استاق الارمن الخبثاء من الجملة المطران ديونيسيوس ابن الصليبيّ فتمكّن من النجاة راجلاً الى دير كاليسيور . ونظم ثلاث قصائد في خراب مرعش هذا لانه كان راعيها يومئذٍ . ولمّا وصل الاتراك عاملوا المسيحيّين بالحسنى وردّوا الى الارمن العائدين الى بلادهم جميع بيوتهم وكرومهم واراضيهم . غير انهم سلخوا قسيساً ارمنياً وهو حيّ وبتروا لسانه ويديه ورجليه واحرقوه بعد ثلاثة ايام بالنيران. وما ان بلغ الارمن ذلك حتى عاملوا هم كذلك بعض الاتراك مثل تلك المعاملة الجافية .

وفي تلك السنة سُلخ حيّاً قسيس آخر ارمنيّ في ملطية . ذلك لانه أغوى فتاةً خُطبت حديثاً ومضى بها الى الكنيسة وحاول افتضاضها . فاخذت المسكينة تصرخ مستغيثةً . لكن النجس وضع يده على فمها حتى اكمل شهوته . وبعد هذا شاهدها على آخر رمق فأجهز عليها وبتر اذنيها وبعض اصابعها وقد تورّمت

وتعذّر عليه نزع الخواتم عنها فاخذها جميعاً في قنديل . ثم لفّ جثمانها في حافر وجعله تحت المذبح . وبعد ساعة جعل ذووها وابواها يفتّشون عنها فقال لهم بعض الصبيان الذين كانوا يلعبون في الزقاق : قد رأيناهـا دخلت الكنيسة (٣٢٥). فسألوا ذلك القسّيس فقال : نعم دخلت الكنيسة ولمّا شاهدتني غلب عليها الحيـاء. فسارعت في الانصراف ولم تتوقّف . فصدّقوا كلامه تصديقهم كلام كاهن وجعلوا يطوفون المدينة ويبحثون في بيوت الانسـاء عنها. ثم شاهدوا ذلك القسّيس النجس متحذّيا بنعال خارجاً من باب المدينة فقبضوا عليه ومضوا به الى الحاكم فصفعه بعض صفعات حتى أقرّ وأراهم جثمان الفتاة واذنيها واصابعها. واحتشد جماهير العرب والمسيحيّين رجالاً ونساء وشيّعوهـا ببكاء مرّ ومراثٍ مؤثرة ودفنوها . امّا القسّ النجس فقد سلخوه وقطعوه إرباً إرباً واحرقوه وهو حيّ حتى هلك .

وفي السنة ١٤٦٨ لليونان (١١٥٧ م) سار البرنس صاحب انطاكيـة الى قبرس وهي لليونان وسبي اهاليها جميعاً في غنمهم وبقرهم وخيلهم وامتعتهم ولمّا بلغوا الى ساحل البحر أدّى القبرصيّون ذهباً وافراً انقاذاً لنفوسهم لا غير فأغمض عنهم الفرنج واكتفوا بأموالهم ومواشيهم . واستاقوا الاساقفة ورؤساء الاديار والزعماء الى انطاكية بمثابة رهائن ريثما استوفوا ما طلبوا .

وفي السنة ١٤٦٩ لليونان (١١٥٨ م) حاول اسطفان الارمنيّ ان يفتك باخيه توروس . فشعر اخوه وقبض عليه واعتقله عشرة شهور ثم سرّحه تلبيةً لطلب الفرنج وانضمّ الى جيشهم .

وفي السنة ٥٥٢ للعرب (١١٥٧ م) حدثت في سورية زلازل عنيفة . ففي حماة هبطت قلعتها وبيوتها جميعها على الشيوخ والفتيان والنساء واهلكت ربوات من اهاليها . وسقطت كذلك قلعة شيزر برمّتها ولم ينجُ من اهلهـا سوى امرأةٍ واحدةٍ وحاجبٍ واحد . اما الحمصيّون فسارعوا الى ظاهر المدينة ونجوا وتلفت دورهم وقلعتهم . وانهزم الحلبيُّون من المدينة وظلّوا اياماً خارجاً عنها وافلتوا من الموت . وقد تقوّضت بيوتهم وهلك منهم خمسمائة نسمة فقط. ولم ينجُ احد من اهالي كفرطاب وافامية (٣٢٦) وخربت بيوت كثيرة في رحبوت. واجتيح من مدن الفرنج حصن الاكراد وعرقة ولم يبقَ في اللاذقيـة سوى

كنيستها الكبرى ونجا جميع اهاليها وانفتحت ارضها وظهرت فيها مهواة مملوءة وحلّا انفس في وسطه صنم مسبوك. وتضعضعت اغلب بيوت انطاكية وطرابلس.

وفي تلك السنة مات جوسلين مسجوناً في حلب بعدما ادّى توبة نصوحاً كما ذكر اغناطيوس اسقفها الذي زوّده بالاسرار المقدّسة[1].

وفي هذه السنة وصل السلطان محمد ابن السلطان محمود في جيش جرّار الى بغداد وحاصرها اربعة اشهر وضايقها جداً. على ان بعض اقطابه أغروا الخليفة بالعطاء وثبّطوه عن الحرب. وبلغهم الخبر اذ ذاك بان ملكشاه اخا السلطان قد احتلّ همذان وسباها واختطف نساء الزعماء. فارتخت عزائم السلطان وغادر بغداد فتتبّعه جيوش الخليفة وفتكوا بكثيرين من الاتراك دون شفقة. ذلك لِمَا احدثوه من الخراب غربي العاصمة حيث كانوا مخيّمين. هذا فضلاً عن ارتكابهم الفحشاء من النساء ضمن المساجد وتجاه رجالهنّ دع ما احدثوه من القتل واحراق الدور.

وفي هذه السنة مات السلطان سنجر بن ملكشاه بن الب ارسلان بن داود على اثر افلاته من يد الترّ الذين سبقوا فاعتقلوه.

وفي السنة ١٤٧٠ لليونان (١١٥٩ م) زحف منوئيل ملك اليونان الى قيليقية واسترجع طرسوس وعين زربة وغيرهما واقام هناك الشتاء. كله وتوروس الارمنيّ منهزم. وتوجّه ملك اورشليم وامير انطاكية وبطريرك الفرنج الى زيارة منوئيل واتفقوا معه وصالحوه مع توروس واحضروه اليه فأقامه قائداً لجميع الجيوش اليونانيّة في ساحل البحر. وأجمع اليونان والفرنج والارمن على الزحف الى حلب (٣٢٧) ودمشق وسائر المدن السوريّة. وبلغهم الخبر يومئذٍ بان اليونان يحاولون اقامة ملكٍ آخر فسارع الملك منوئيل في العودة الى عاصمته ولم يكمل ما عوّل عليه بالاتفاق مع الفرنج والارمن.

وفي نيسان تلك السنة حدث طوفانٌ في بغداد ضعضع بعض جدران بلاط الخليفة وانهزم الاهالي الى غربي المدينة حاملين المرضى والعجائز والصغار على الاكتاف خوفاً من النائلة. وبلغت اجرة الزورق في احد المعابر اربعة دنانير ذهباً.

---

١) راجع صفحة ٣١٦

وفي السنة ١٤٧١ لليونان (١١٦٠م) اصطلح ابن جوسلين الأسير على الخروج من حارم والعيث في اطراف حلب . فاقام له نور الدين كيناً قبض عليه وألقاه في الجبّ الذي كان فيه والده . وفي اذار تلك السنة وهي السنة ٥٥٥ للعرب لليلتين من ربيع الأول مات الخليفة المقتفي بداء الخُناق وخلفه ابنه المستنجد .

بعد المقتفي المستنجد ابنه

تولّى اثنتي عشرة سنة . وما كاد يتوفّى والده حتى سارع ليشاهده في غرفته . غير ان امرأة ابيه والدة اخيه الصغير وهي تركيّة هيّأت جواريها في السكاكين وتآمرن ليفتكن بالمستنجد حالما يدخل الغرفة فتصبح الخلافة لابنها. على ان احدى تلك الجواري خرجت مسرعة واخبرت المستنجد فحشد الجند وقبض على اخيه واعتقله وسجنه . ثم قصد اولئك النساء وسجنهنّ واحدةً فواحدةً وأجهز على بعضهن وتأيّد في الخلافة .

وفي السنة ١٤٧٢ لليونان(١١٦١م) توجّه سير آموري شقيق ملك اورشليم الى مصر واحتوى على اموال جزيلة وعاد . وما عتم ان مات الفائز خليفة مصر وارتضى المصريّون ان يؤدّوا للفرنج كلّ سنة مائة وستين الف دينار ذهباً .

وزحف جورجي ملك الكرج الى آني وانتزعها من (٣٢٨) الاتراك وغنم غنائم جمّة واعتقل الكثيرين من العرب وعاد الى بلده .

وامتاز جمال الدين الامير الموصلي بعطفه وحسناته الوافرة فارسل المفريان اغناطيوس سفيراً الى جورجي المذكور ليفتدي الأسرى العرب . فرحّب به جورجي اجمل ترحيب وأطلق الكثيرين من الأسرى مجاناً واعاده في هدايا الى الامير وبعث معه سفراء كرجيّين استقبلهم الامير أحسن استقبال . ووصل المفريان والسفراء الى الموصل والصلبان تتلألأ في رؤوس الارماح مما انعش المسيحيّين وابهج العرب خصوصاً بتسريح أسراهم

وظهر آنئذٍ سارق فرنجيّ في بغراس وحاول الفرنج ان يقبضوا عليه لكنه انهزم يريد نور الدين وانقلب من عنده في بعض الاتراك ليتلصّصوا بضواحي انطاكية فوضع له الفرنج كيناً قبض عليه واحرقه بالنار .

وفي تشرين الاول ١٤٧٣ لليونان (١١٦٢ م) مات ذو القرنين صاحب ملطية وخلفه ابنه الصغير . امّا قلج ارسلان سلطان قونية فلمّا عرف ان يعقوب ارسلان وسائر الأمراء يحاولون خلعه ليقيموا اخاه بدلًا منه سار الى قسطنطينية وتحفّى له اليونان . وظلّ هنـاك ثمانين يومًا يرسل اليه الملك كلّ يوم الطعام مرّتين في اطباق ذهبيّة وفضيّة جديدة ويشير بابقائها لديه . وظلّ كذلك طوال اقامة السلطان في العاصمة . وفي اليوم الاخير تناول الملك والسلطان طعام الغداء معًا على مائدة واحدة . ثم أسنى اليه الملك آنية وزخارف وتحفًا ثمينـة وأهدى الى الاتراك وعددهم الف تركيّ عدّة هدايا . وعاد السلطان الى عاصمته فأدّى له يعقوب ارسلان الطاعة وتهادنا .

وأولم في تلك الغضون اندرونيقس اليونانيّ حاكم طرسوس وليمةً لاسطفان اخي توروس صاحب قيليقية (٣٢٩) . وشوهد اسطفان آنئذٍ مقتولًا ومطروحًا على باب المدينة . فاحتدم توروس غضبًا وفتك بأكثر من عشرة آلاف يونانيّ . ثم اقبل ملك اورشليم واصلح ذات البين بين الارمن واليونان .

وفي السنة ١٤٧٤ لليونان (١١٦٣ م) حاصر قرا ارسلان صاحب حصن زياد مدينة آمد حصارًا شديدًا . وحصل اذ ذاك خلاف بين عسكره اضطرّه ان يترك المدينة وينقلب راجعًا . وزحف يعقوب ارسلان الى بلد قرا ارسلان وانتزع منه قلعة شوموشكي وأجلى زهاء مائة الف نسمة وترك القرى قفراء . وعاد . وكان في جملة مَن أجلى اغناطيوس مطران تلّ ارسانيوس فأعاده من قاح الى ملطية واعاد كذلك مطران حصن زياد بعد يومَين .

وكانت امرأة البرنس المسجون في حلب تخاصم يومئذٍ ابنها وتزاحمه في الولاية فعارضها الزعماء . فوجّهت الى ملك اليونان صهرها ليأتي اليها ويتولّى انطاكية . وما ان شعر البطريرك والاقطاب حتى استدعوا توروس من قيليقية فأقبل الى انطاكية ونفى الملكة وأيّد ابنها في الامارة .

وفي السنة ٥٥٨ للعرب (١٢٦٣م) حشد نور الدين جيشًا من الاتراك كثيفة وسار الى حصن الاكراد يريد غزو ضواحي طرابلس . واذ كانوا ذات يوم مجتمعين مطمئنّين في خيامهم انقضّ عليهم الفرنج في صلبانهم فهلوا واندعروا . امّا نورالدين فلمّا شاهد ألوية الفرنج قفز من خيمته في معطفه دون قميص وركب

حصانه وهو معتقل كالعادة فبادر احد الاكراد وقطع الرُبُط فانهزم نور الدين وافلت . ولحق الفرنج ذلك الكرديّ وأجهزوا عليه وعلى الكثيرين من الاتراك واوثقوا البقيّة واستاقوهم الى طرابلس .

وفي السنة ١٤٧٥ لليونان (١١٦٤م) باغت الموت يعقوب ارسلان عند نهر سانجر على شاطئ (٣٣٠) نهر أليس . وخلفه اسميل حفيد اخيه واقترن بامرأته وهي بنت السلطان .

واحتشد يومئذٍ خمسة زعماء هم : البرنس صاحب انطاكية وقمص طرابلس وتوروس صاحب قيليقية ودوقاس اليوناني صاحب طرسوس والمستر رئيس الفرير وزحفوا في ثلاثة عشر الف فارس وراجل ليناوشوا نور الدين وهو يحاصر حارم. فانكسر الفرنج اقبح انكسار وقبض الاتراك على القمص وعلى دوقاس والبرنس ومضوا بهم الى حلب. وفتكوا بالاخوة الفرير قاطبةً. وافلت توروس الى انطاكية . وقد أقام بطريرك الفرنج مناحة عامّة وحطّم النواقيس وأبطل الصلوات . امّا نور الدين فقد احتلّ حارم ودير سمعان واستاق الرهبان والاهالي عبيدًا .

وفي السنة ٥٥٩ للعرب (١١٦٣م) وجّه نور الدين الى مصر الامير أسد الدين شيركوه اخا نجم الدين ايوب ابي صلاح الدين . وكان الاخوان شيركوه وايوب وَلَدَا شادي كرديّين اصلهما من دوين مدينةٍ بارمينية . تولّيا خدمة مجاهد الدين بهروز الحاجب امير تكريت محبّ النصارى . واتّفق ان شيركوه قتل رجلًا نصرانيًّا تكريتيًّا عزيزًا على قلب الامير وانهزم مع اخيه الى الموصل فرحّب بهما زنكي وعظم امرهما لديه . وبعدما احتلّ زنكي بعلبك استعمل على قلعتها نجم الدين ايوب وظلّت بيده حتى موت زنكي فسلّمها الى صاحب دمشق . وتولّى اسد الدين شيركوه اخوه خدمة نور الدين ثم استعمله على حمص ورحبوت . وقد ساعد ايوب نور الدين في احتلاله دمشق وكان الاخوان معزّزين لديه .

فلما دعت الحاجة الى ارسال الجيوش الى مصر بسبب ضعف المصريّين واقبل وزيرها شاور يستنجد بنورالدين سيّر معه شيركوه (٣٣١) . وما عتم ان احسّ شاور بان شيركوه يحاول احتلال مصر فبعث يهادن الفرنج ويفحص عنه

وأبى ان يدفع له ما وعده به من الذهب والاماكن المقاومة . عند ذلك ارسل شيركوه جيوشه الى مدينة بلبيس واحتلوها . وارسل شاور الى ملك اورشليم فزحف في جيش كثيف وانهزم شيركوه وتحصن في بلبيس . ثم اتفق المصريون والفرنج وحاصروه هناك ثلاثة اشهر . على ان ملك اورشليم لما بلغه ان الفرنج انكسروا في حارم واعتقلوا رخص لشيركوه ان يغادر بلبيس ويعود الى بلده ويدع مصر للمصريين فوافق على ذلك دون تردد وانقلب الى دمشق .

وفي السنة ١٤٧٦ لليونان (١١٦٥م) زحف قلج ارسلان سلطان قونية الى جادرج وابلستين وطورنده واحتلها وجعل يعادي بني دانشمند .

واحتل نور الدين بانياس وعززها . وغزا توروس الارمني مرعش واعتقل اربعمائة تركي وارسل الى نور الدين يقول : اني مزمع ان أحرقهم او ترد الي الزعماء المسيحيين الذين عندك . فاضطر نور الدين ان يطلق كل من كانوا لديه بمائة الف دينار وفي جملتهم بوهيمند البرنس الفتى . وسار هذا الى قسطنطينية لزيارة حميه ملك اليونان . فجاد عليه الملك باموال وافرة وعاد الى انطاكية مستصحباً اثناسيوس بطريرك اليونان . فارتأب بطريرك الفرنج وارتحل الى قلعة القصير وارسل فابرم الحرم على الانطاكيين الفرنج .

وفي شباط تلك السنة توفي امين الدولة ابن التلميذ الطبيب المسيحي في بغداد بالشيخوخة . وكان متضلعاً في مختلف العلوم ووحيد عصره في الطب وخبيراً راسخاً في الفصاحة ونحو العرب وشعرهم (٣٣٢) لا يتقدمهم علماً وفضلاً . وتقلب ايام حياته في خفض من العيش والقربى من الملوك . قيل ان ابنه سأله قبل وفاته ما الذي يؤلمك ؟ فقال : كثرة السنين من عمري . وسأله كذلك : ما تشتهي ؟ فقال : أن أشتهي .

وفي السنة ١٤٧٦ لليونان (١١٦٥م) بلغنا خبر عجيب عن اهالي قرية آليناس ذلك انه لما اجتاحها الوباء بسبب غزارة المياه سار اليهم رجل تركي وقال لهم : انبشوا عمن مات الاول في هذا الوباء . ولما فتحوا قبره وقد مر على موته اربعة اشهر شاهدوا جسده باقياً وعينيه مفتوحتين وفمه مفتوحاً نحو شبر واربع اصابع وكفن رأسه وصدره مأكولاً ولحيته مقصوصة ويده اليمنى مبتورة وهي بجانبه . ثم ان ذلك التركي سد فمه وستره بحجار ضخم ومنذ إذ لم يمت احد في تلك القرية.

وفي السنة ١٤٧٧ لليونان (١١٦٦م) وقعت حرب بين اليونان والبلغار وأصيب الملك منوئيل وسقط عن حصانه . وحاول رجل بلغاري ان يفتك به الّا ان الملك عرّفه انه هو منوئيل وخلف له انه ان مضى به الى قسطنطينية جاد عليه بعوارف جمّة . فأبى البلغاري طلبه وانجز الملك وعده له وزاده اضعافاً . قيل ان هذا الملك خان زوجته الملكة وسقاها سمّاً لانها لم تلد له ولداً ثم اقترن بامرأة ثانية خلافاً لشريعة الملوك .

وفي السنة ١٤٧٨ لليونان (١١٦٧م) وهي السنة ٥٦٢ للعرب وجّه نور الدين تكراراً الى مصر الامير اسد الدين شيركوه وصلاح الدين ابن اخيه . وكان شيركوه يتوق الى ذلك جداً فبادر في الرحيل وعبر النيل من الناحية الغربية وسار مطمئناً حتى الصعيد . وعندئذٍ أرسل الوزير شاور (٣٣٣) يستنجد الفرنج فساروا في جيوش كثيفة واتحدوا مع الجيش المصريّ وزحفوا نحو شيركوه . فاشار الزعماء عليه ان يعود راجعاً الى سورية من الناحية الشرقية مصرّحين له بعجزهم عن مقاتلة الفرنج والمصريين جمعاً ومؤكدين له ان الانكسار اقرب اليهم من الانتصار وان جميع الاهالي ضباطاً وفلاحين هم اعداء للاتراك .

وبرز اذ ذاك بنغوش عبد نور الدين وهو شابّ شجاع مصارع وقال لهم : ثقوا ايّها الزعماء بانكم اذا تخلّيتم عن محاربة الأعداء وعدتم غالبين او مغلوبين الى نور الدين فلا بدّ من ان يقطع عنكم المعاش ويطالبكم بما سبق فاعطاكم . فالذي يهاب الخطر لا يصلح ان يكون جندياً بل فلاحاً او مهملاً يلزم بيته كالنساء . فقال شيركوه : هذا هو رأيي كذلك ووافقه صلاح الدين ايضاً . وحينئذٍ اجمعوا على القتال . واحتشد المصريّون والفرنج دون توقّف والتحم القتال بين الفريقين على كرهٍ منهم .

ثم اشار شيركوه الى صلاح الدين ابن اخيه ان ظلّ انت في قلب الجيش مع الاثقال كي يغلب على ظنّ الفرنج والمصريّين اني انا هو . ثم لا تلبثوا تجاههم بل أسرعوا فأعطوهم ظهركم ولا تخافوا اذا تبعوكم لاني انا سأزحف وراءهم . ولمّا التحم القتال انتقى شيركوه ابطال جنوده ممّن اعتمد على بطشهم وجهادهم . وما ان زحف الفرنج والمصريّون حتى انهزم اصحاب صلاح الدين وتبعهم الفرنج والمصريّون . وعند ذلك شدّ شيركوه وراءهم وعاد الاوّلون

كذلك إليهم حتى أمسى الفرنج والمصريّون في القلب فطحطحهم الاتراك وكسروهم (٣٣٤) وانهزم مَن افتكته الانهزام . قيل ان شيركوه لم يكن معه سوى الفي جنديّ لا غير مع ان الفرنج والمصريّين كانوا اكثر من عشرة آلاف .

وبعد هذا سار شيركوه الى الاسكندرية واحتلّها دون حرب . واحتشد المصريّون والفرنج في القاهرة وارسلوا اليه في الصلح على ان يؤدّوا له خمسين الف دينار ويعود الى بلاده وان تبقى الاسكندرية للمصريّين وان يؤدي المصريّون للفرنج كلّ سنة مائة الف دينار ويعودوا الى بلادهم ويقيموا شحنة وفرساناً يحرسون ابواب الاسكندرية كي لا يطمع بها اصحاب نور الدين فيما بعد . هكذا ترك شيركوه مصر وانقلب الى دمشق .

وفي هذه السنة زحف قرا أرسلان صاحب حصن زياد الى آمد واحتلّ برجَين من ابراجها بدهاء خرّاسيها : غير ان سائر الحرّاس وثبوا الى الاعداء وفتكوا بهم . فانقلب قرا ارسلان خازياً كئيباً الى بلده وادركته المنون في ٢٧ تموز وخلفه ابنه .

وفي كانون الثاني ١٤٧٩ لليونان (١١٦٨م) مات توروس صاحب قيليقية وكان قد انقطع الى الرهبنة في اواخر حياته وأوصى ان يخلفه ابنه الصغير ويتولّى الاشراف عليه توماس ابن خالته وحرم اخاه مَليح وراثته . فامتعض وقصد نور الدين وعاد بجيش تركيّ الى قيليقية وأجلى ستة عشر الفاً من فتيان وفتيات ورجالٍ ونساء وقسوس ورهبان واساقفة واستاق الجميع الى حلب وباعهم ودفع اثمانهم الى الاتراك . وبعد هذا ارسل الارمن فاستدعوه وولّوه نصف البلاد فأقسم لهم انه يترك النصف الثاني للفتى . غير انــه أخلف في أقسامه واحتلّ البلاد كلّها وقلع عيون الكثيرين من الاساقفة والاعيان وبتر ايديهم وارجلهم وسلخ البعض احياء والقاهم الى الوحوش .

وفي السنة ٥٦٣ للعرب (١١٦٧م) شاخ (٣٣٥) زين الدين الامير التركيّ قيّم قطب الدين صاحب الموصل وطرش وعمي . وتخلّى لقطب الدين عن سنجار وحران والعقر وحصون الهكاريّة وتكريت وشهرزور واكتفى باربيل وحدها اذ كانت في حوزته منذ عهد زنكي وانتقل اليها وفيها قضى اجله . وخلفه ابنــه مظفّر الدين وأصبح قيّمه مجاهد الدين . وكان زين الدين ممتازاً بعدله

وحسناته وسخائه . متوخياً السذاجة في تصرفه . جاءه يوماً فارس بيده ذنب حصان وذكر له ان حصانه قد هلك فأمر ان يُعطى حصاناً آخر . ثم ذهب ودفع ذلك الذنب الى فارس ثانٍ أتى به كذلك الى الامير فأمر له بحصانٍ ثانٍ . وهكذا تناوب اثنا عشر فارساً في الذهاب بالذنب والحصول على حصان جديد. على ان الامير قال لآخر واحدٍ منهم : لقد استغربتُ انكم لم تخجلوا مني خجلي منكم . فقد عرفتُ ان الذنب عينه أُحضر اليَّ اثنتي عشرة مرة ومع ذلك كله لم اخجلكم وارفض طلبكم بل اجزلت لكم العطاء كمن يؤدي فرضاً لازباً ولم اثقل على احد منكم . وجاءه يوماً شاعر وانشده قصيدة فقال له : اني لم افهم ما قلتَ ولكني عرفتُ انك تطلب شيئاً . ثم امر له بخمسمائة دينار وحصانٍ وكسوةٍ قيمتها كذلك خمسمائة دينار .

وفي السنة ١١٨٠ لليونان (١١٦٩م) انتزع قلج ارسلان سلطان قونية من بني دنشمند مدينتي قيسارية قبدوقية وسيناادو . وفي السنة عينها وهي السنة ٥٦٤ للعرب انتزع نور الدين قلعة جعبر من شهاب الدين الامير المعدّي المتصل ببني عقيل واعطاه بدلاً منها سروج والملاحة وباب بزاعة وعشرين الف دينار . وأقام شهاب الدين زماناً (٣٣٦) في سروج وسأله بعض اصدقائه: ايّ البلدين أطيب لك ؟ فقال ان ههنا الوارد اكثر ولكننا تركنا العزّ في القلعة . وفي السنة عينها انتزع قلج ارسلان من اليونان انقرة وقنقار .

وفي تلك الغضون ارسل الفرنج المقيمون في مصر والاسكندرية لاجل جباية الضرائب وحراسة الابواب يقولون لأموري ملك اورشليم ان البلد خالٍ من الجيوش وان في استطاعتكم احتلاله . وانتوى الزعماء ان يلبّوا الطلب . غير ان الملك الحكيم ثبطهم وقال : ان اموال مصر تأتينا عفواً صفواً واذا زحفنا اليها فلا بدّ من ان العرب بسبب حقدهم علينا يستجيرون بنور الدين ويكتبون اليه في الخطر فيثب الينا المصريون والغرباء جميعاً ويتغلبون علينا . غير ان الزعماء لم يذعنوا لمشورته بل قالوا اننا سنحتلّ مصر قبل ان يُعدّ نور الدين العدّة للقدوم . هكذا تغلّبوا على الملك واحتشدوا وساروا في الرحيل واحتلّوا بلبيس وانتهبوها وأجلوا اهاليها ثم ساروا الى القاهرة وحاصروها فخاف المصريون ان يحدث لهم ما حدث لاهالي بلبيس وشجّع بعضهم بعضاً واصطفّوا

فوق الاسوار وجاهدوا أقوى جهاد حتى ان العاضد خليفة مصر قص ضفائر نسائه وبناته وبعث بها الى نورالدين يقول : ان نسائي يتذللن باكيات بدموع مدرارة ويلتمسن ان تسارع الى اغاثتهن وتنقذهن من ايدي الفرنج . غير ان نور الدين ظل شهرين يحشد الجنود وبسبب تمهله هذا واشتداد القتال كتب شاور وزير مصر الى آموري وزعماء الفرنج يقول : انكم عالمون بمودتي لكم. ولو عرفت ان العرب يطيعوني لتخليت لكم عن مصر دون تريث . لكني (٣٣٧) اعتقد انهم اذا سمعوا شيئاً من هذا القبيل اهلكوني لا محالة . فأرى اذن من الموافق ان تقبضوا من الذهب ما شئتم وتعودوا الى بلدكم وتقيموا لكم وكلاء يجبون لكم الجزية كالسابق . ولا يخفى عليكم انه اذا جاء نور الدين واحتل المدينة فحينئذٍ تخسرونها وتخسرون الجزية معاً .

اقتنع الفرنج وعقدوا الصلح وفرضوا على المصريين الف الف دينار . ودفع لهم شاور مائة الف دينار حالاً وقال : اذا تركتمونا وانصرفتم فانا اجمع بقية الذهب وابعث بها اليكم . وعلى هذا الاتفاق غادر الفرنج مصر وعادوا الى بلدهم .

ولما سمع ذلك نور الدين ظل يرسل الجيوش الى مصر لانه كان يضمر لهم السوء لا الخير. ولذا سيّر شيركوه في جيوش ضخمة وسيّر معه صلاح الدين ابن اخيه . ولما وصل شيركوه الى مصر زار الخليفة العاضد واحتظى لديه وجعل يملّه بكلمات لا تحلو بطائل ولا سيما لان الوزير شاور المتولي توزيع الارزاق لم يكن يؤدي للخليفة وحشمه شيئاً من المال . وكان يحاول ان يولم وليمة لاسد الدين ويقبض عليه وعلى ابن اخيه لكنّ ابنه ثبطه عن انجاز اربه . اما صلاح الدين فكان يريد ان يفتك بشاور ولكن شيركوه عمّه نهاه عن ذلك . وذهب ذات يوم شاور ليزور شيركوه كالعادة ولم يصادفه اذ كان قد توجه ليتبرك بقبر احد مشايخ دينهم . وبعد هذا ركب شاور وركب معه صلاح الدين وفيما هما يتحدثان القاه صلاح الدين عن حصانه وأوثقه ولم يرَ ان يفتك به دون امر عمه . على ان عمه قال له : اننا لا نستطيع ان نعمل شيئاً دون امر الخليفة . لكنهما لما اخبرا الخليفة وافق على ما نويا لانه لم يكن يطيعه بشيء من الأشياء . هكذا قُتل شاور ونُهب بيته وتولى (٣٣٨)

شيركوه مكانه وسُمّي ملكاً وقائداً اسوةً بسائر وزراء مصر. وعاش شيركوه شهرين وزيراً ومات بداء الخناق وخلفه ابن اخيه صلاح الدين فاستمال اليه بسخائه جميع الجنود واحتلّ مصر .

ولم يخلف شيركوه سوى ابن واحد يقال له ناصر الدين أُنيطت به وبابنائه مدينة حمص . امّا نجم الدين ايوب فكان له ستّة بنين : اولهم شمس الدولة توران شاه الذي تولّى الاسكندريّة . ثانيهم شاهنشاه والد عزّ الدين فروخ شاه وتقيّ الدين عمر الذي تولّى حماة هو وبنوه. ثالثهم سيف الاسلام طغتكين الذي تولّى اليمن . رابعهم صلاح الدين يوسف الذي تولّى مصر وفلسطين وسوريّة وما بين النهرين . خامسهم الملك العادل ابو بكر الذي خلف صلاح الدين . سادسهم تاج الملوك بوري وقد مات لمّا كان اخوه صلاح الدين يحاصر حلب .

وفي السنة ١٤٨١ لليونان (١١٧٠م) تفاقم بغض الملطيّين كباراً وصغاراً لمحمّد صاحبها بسبب التصاقه بامرأة زانية ساحرة . فاخذها وغادر المدينة وجعل يطوف من بيت الى بيت . فولّى الزعماء بدلاً منه ابا القاسم اخاه الصغير .

وسمع ملك اورشليم انّ مليح الارمنيّ صاحب قيليقية يتعدّى على المسيحيّين فزحف اليه تدعوه النخوة والحميّة وحبسه في احد الحصون حتى تجاثي وأدّى التوبة مستغفراً واقسم له بالطاعة والعدول عن صحبة الاتراك . فعفا عنه وعاد.

وفي السنة ٥٦٥ للعرب (١١٦٩م) مات قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل وأوصى ان يخلفه ابنه عماد الدين زنكي . وكان لقطب الدين نائب وقيّم يقال له فخر الدين عبد المسيح (٢٣٩) اصله من انطاكية ووقع اسيراً . وكان يبغض عماد الدين فاتّفق مع قطب الدين وغيّرا الوصيّة واقاما سيف الدين غازي الابن الصغير خلفاً لابيه وعاهده الزعماء كذلك . وعند ذلك غادر عماد الدين الموصل يريد عمّه نور الدين في سوريّة . وجعل يبكي ويتظلّم من عبد المسيح لانه حرمه الرئاسة والمملكة معاً .

ويوم الاثنين ٢٩ حزيران و١٢ شوال حدثت زلزلة عنيفة جدًا حتى اهتزت الارض اهتزاز سفينة في البحر ممّا لم يُسمع له مثيل في العصور الغابرة . قال البطريرك ميخائيل المغبوط : كنّا واقفين في هيكل دير مار حنانيا (الزعفران)

نتلو صلاة الصبح يوم عيد القديسين بطرس وبولس فسمعنا بغتة صوت رعد قوي وسقطنا على وجوهنا امام المائدة المقدسة وتشبثنا بها ونحن نميل هنا وهناك . وبعد مدة طويلة افقنا كمن يفيق من القبر وانتبهنا انتباه من ينهض من رقاد . وتدحرجت الدموع من عيوننا وأطلقنا الألسنة بالشكر والتسبيح لله تعالى . وسقطت في تلك الزلزلة اسوار حلب وبعلبك وحماة وحمص وشيزر وبغراس وجميع حصونها ودورها واتلفت اهاليها . واجتاحت بيعة اليونان الكبرى بانطاكية ومذبح بيعة القسيان وهي للفرنج وقد أشفق الرب الرحيم على بقية شعبنا وتعطف على ذلنا نحن الذين لم يبقَ لنا ملك ولا حاكم منا . على ان حلب كلها سقطت سوى كنيستنا وقس عليها ثلاث كنائسنا في انطاكية وهي كنيسة والدة الله وكنيسة مار جرجس وكنيسة مار برصوما . ثم كنيستنا الصغيرة في جبلة وكنيستنا في اللاذقية . ذلك تمجيداً لله عز وجل وتشجيعاً للخاصة المتبقية من شعبنا القويم المعتقد . وقد استغرقت مناوبة الزلزلة خمسة وعشرين يوماً .

وفي السنة ١٤٨٢ لليونان (١١٧١م) زُفت الى ابي القاسم صاحب ملطية ابنة قرا ارسلان صاحب حصن زياد . وفيما كان اهالي العروسين يقضون افراح العرس ويلعبون في ميدان الخيل تهوّر العريس عن ظهر حصانه وهو يطارد بشدة . فانقلبت افراحهم حزناً وحداداً . وولّى الملطيون بدلاً منه اخاه افريدون الصغير وزفوا اليه العروس المذكورة على رغم منها .

وجيّش الجيوش يومئذٍ قلج ارسلان وزحف من قونية الى ملطية وأجلى اهالي ضواحيها وانقلب الى قيسارية فثار عليه نورالدين وصاحب ماردين وحصن زياد وارمن قيليقية وابن دنشمند صاحب سبسطية وصاروا الى باب قيسارية فلم يخرج قلج ارسلان ليبارزهم بل طلب الصلح ورد الذين أجلاهم . ثم طالبوه بابناء اخوته الاربعة المعتقلين عنده لكنه تجابث فذبح احدهم وشواه ووضعه في طبق وارسله الى أبيه وأقسم لهم بانهم اذا طلبوا الثلاثة الباقين فهو مستعد ان يذبحهم ويشويهم كأخيهم . فتركوه وعادوا .

وفي السنة ٥٦٦ للعرب (١١٧١ م) اغتصب قلج ارسلان جميع بلاد بني دنشمند . وفي السنة عينها نُعي الى نور الدين اخوه قطب الدين وخلفه ابنه

سيف الدين . وظلّ عبد المسيح يتصرّف كما شاء في شؤون الموصل ويشدّد الضغط على الاهالي . فتحمّس نور الدين وهو يقول: ينبغي ان اتولى انا تدبير ابناء اخي لا عبد المسيح . وغادر حلب الى الرقة ونازلهـا واحتلها واحتلّ الخابور كلّه ونصيبين ايضاً . وزاره محمّد بن قرا ارسلان صاحب حصن كيفا ووصل الى جبل سنجار واحتلّه واستعمل عليه عماد الدين ابن اخيه . ثم توجّه الى مدينة بَلَد وعبر دجلة واناخ شرقي الموصل جهة نينوى . ومن الغريب انه يوم وصوله الى الموصل سقط احد ابراجها الضخمة . وعلى ما ظهر ان الزلزلة (٣٤١) المنيفة التي حدثت في السنة الماضية صدعته فتخلخل وسقط في اليوم المذكور مصادفةً .

امّا عبد المسيح فلمّا رأى العرب قاطبة ميّالين الى نور الدين خاف ان يفتكوا به فارسل يطلب الأمان بشرط ان لا ينزع الموصل من سيف الدين. فاجاب نور الدين اني لستُ اريد انتزاع المدينة من ابنائي لكني اروم انقاذ اهاليها من ظلمك يا عبد المسيح وأنقلك معي من الموصل الى سوريّة لا غير . وهكذا تمّ الصلح. ودخل نور الدين الموصل واقام في قلعتها وترك سيف الدين متولّياً امورها كما كان من قبل . واقام دِزْدارًا يحافظ القلعة اسمه سعد الدين كومشتكين . ووزّع تركة اخيه على جميع أبنائه وعفا الاهالي من ضرائب كثيرة وابتنى مسجداً فخماً سمّي المسجد النوري باسمه . واضاف الى الموصل جزيرة قردو وظلّ ١٧ يوماً في الموصل وعاد الى سوريّة مستصحباً فخر الدين عبد المسيح وسمّاه عبد الله واعطاه أرزاقاً وافرةً. وكان يتظاهر بالاسلام ويضمر النصرانيّة ويعامل النصارى خير معاملة ويبغض العرب وعلماءهم بغضاً تامًّا. وقد شبّهه البطريرك ميخائيل ببردخاي .

وفي هذه السنة أصيب الخليفة المستنجد بداء المفاصل حتى أيس الزعماء ولا سيما الاستادار من بقائه حيًّا. وفتحوا ابواب السجن واطلقوا اخوتهم المسجونين وارسل الوزير فاخبر الخليفة فسخط وأمر الطبيب النصرانيّ ابن صفيّة وهو لديه ان يكتب الى الوزير ليقبض على الثائرين ويفلق هامهم . ولم يكن احد غيره من الاطبّاء يعود الخليفة في اثناء مرضه . وبعد ما كتب الرسالة (٣٤٢) ووضع الخليفة ختمه استدعى حاجباً صغيراً وقال له: خذ هذه الرسالة وانطلق

كمن يلعب وسر الدوينا واقصد الوزير وادفعها اليه . فامتثل الحاجب الأمر وخرج ومكث الطبيب هنيهةً وخرج كمن يخرج ليتغوّط وبادر الى الاستادار وأطلعه على الحقيقة . فأسرع وبعث من قبض على ذلك الحاجب ومضى به الى الاستادار وَفَلّاهُ وانتزع منه الرسالة وقتله والقاه في الجبّ . ثم نهض مسرعاً مع اصحابه ودخلوا دار البلاط الجوّانيّة فصرخت الجواري في وجههم قائلات: كيف هجمتم يا كلاب علينا هجومكم على سفيهات عاريات ؟ لكنهم لم يكترثوا لهنّ بل دخلوا غرفة الخليفة وهو مضطجع وقالوا له: ان الطبيب أمر ان ننقلك الى الحمّام. فاستشاط غضباً وقال لهم : لستُ بحاجةٍ الى حمّام. لكنّهم لم يكترثوا لقوله بل عرّوه قسرًا ومضوا به الى بيت داخليّ فضايقه الحرّ جدًّا وسقط وجعل يصرخ متأوّهاً وكانوا يقرعون الباب قرعاً عنيفاً لئلا تسمع الجواري والعبيد صوته. فيقولوا انهم هم الذين قتلوه اذ تعذّر على الزعماء طردهم. وما عتم ان دخل احد الزعماء ووطئ بطن الخليفة برجله وبعجه وما كادت تزهق روحه حتى نقلوه على آخر رمق ليشاهده العبيد والجواري ويتحقق لديهم انه لم يُقتَل بعجاً . وعند ذلك طلب الخليفة ماء فأبوا ان يقدّموه له مدّعين ان الماء يؤذيه. غير ان الطبيب قال لهم أعطوه معتقدًا ان الماء متى وصل الى شفتيه مات فورًا. ولكنّ الخليفة لم يتمكّن من امتصاص الماء لان حلقومه كان قد يبس واستدّ فات في تلك الساعة . وطالعنا في كتاب آخر ان هذا الخليفة كان كلفاً بجاريةٍ اسمها بُنفَشة (٣٤٣) فغارت منها امرأة الخليفة وحضّت ابنه ليضاجعها ولمّا طلبها الخليفة كالعادة قالت له امرأته: لا تحلّ لك بعد هذا لان ابنك ضاجعها. فانزعج الخليفة واضطرب وخولط في عقله ومرض . وسخط على ابنه وأمر ان يُقتَل . لكن الزعماء فعلوا خلاف امره فقتلوه وبايعوا ابنه بالخلافة .

كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان (مخطوط)

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني

شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس الخوري

الراهب اللبناني (تابع)

تابع صفحة [٨٠] علم الاماكن التي دفنت بها بطاركتنا

من بعد المحررين في رسالة الخوري يوسف مارون (الدويهي) المحررة اعلاه ، لان المذكور يخبر عن مدافنهم وقيامهم (انتخابهم) ، لحد البطرك يوسف الخازن الغوسطاني ، المدفون في قرية غوسطا (في كنيسة مار الياس) . وبعدها قام السيد الجليل ، والمعلم النبيل ، البطرك سمعان عواد الحصروني ، في سنة ١٧٤٣ . ومن تخربيط احوال الجبة ، سكن هذا البار في مزرعة يقال لها الميدان ، في الاقليم (قرب جزين) فوق صيدا . لان كان له قرايب هناك . واستقام كم سنة . وعمر دير مشموشة . وفي حياته سلمه لرهبنة اللبنانيين . وهم مستقيمين فيه الى الآن . وانتقل الى ربه بشيخوخة صالحة ، ودفن في كنيسة (دير) مشموشة سنة ١٧٥٦ .

وقام بعده السعيد الذكر ، جليل الشأن ، البطرك طوبيا الخازن[1] ، وسكن في قريته عجلتون ، مدة رياسته . وبعد [٨١] انقضاء حياته بكل تقوى ، دفن في كنيسة عجلتون ، في سنة ١٧٦٦ م .

ثم قام بعده ذو الذكر الصالح ، والمعلم الباهر الماهر ، علامة عصره وفريد دهره ، البطرك يوسف اسطفان ، من غوسطا . وسكن في دير مار يوسف الحصن في

١) من رهبانيتنا اللبنانية .

القرية المذكورة . وعمر الدير ، وقام به كنيسة عظيمة ، احسن كنايس بلاد كسروان[1] . وقضى حياته في الدير المذكور ، بكل تقوى وعبادة . وتنيح بعد شيخوخة صالحة ، ودفن في الكنيسة المذكورة ، سنة ١٧٩٣ .

وقام بعده البطرك مخايل فاضل من بيروت. ولزود عله ، تكنى بكوكب الشرق . وهذا البار سكن قليلا دير سيدة بكركي ، قبال الزُوق . وخدم الكرسي سنة وثلاثة اشهر . وتنيح بكل قداسة . ودفن في الدير ، الذي كان ساكنه سابقاً ، وهو دير حراش الذي في قرب بكركي ، سنة ١٧٩٥ .

وبعده قام السعيد الذكر البطرك فيلبوس الجميل ، من القاطع (قاطع بيت شباب) . وسكن سيدة بكركي . وهذا المغبوط الجليل استقام في الرياسة عشرة اشهر . وتنيح الي ربه في دير بكركي . ودفن هناك فيه سنة ١٧٩٥[2] .

علم البطاركة الذين سكنوا دير قنوبين ودفنوا فيه

الاول البطرك يوحنا الجاجي سنة ١٤٠٦ (٣ .
٢ « يعقوب الحدثي سنة ١٤٤٠ م .
٣ « بطرس الحدثي.
٤ « شمعون الحدثي.
٥ « موسى (سعاده) المكاري.
٦ « مخايل الرزي.
٧ « سركيس الرزي.
٨ « يوسف « .
٩ « يوحنا مخلوف الهدناني .
١٠ « جرجس عميرة « .
١١ « يوسف (حليب) العاقوري .
١٢ « يوحنا (البواب) الصفراوي .
١٣ « جرجس البسبلاني . وهذا المغبوط دفن في مار شليطا (مقبس قرب بلدة غوسطا — كسروان) .

١) لم يزل الدير والكنيسة قائمين الى الآن بحالة جيدة .

٢) هؤلاء البطاركة كانوا في عهد المؤلف . فيكون هو اول من كتب عنهم هذه المعلومات ، لاعباً في ذلك دور المؤرخ المعاصر الثقة.

٣) يحقق العلامة الدويهي ان البطريرك يوحنا الجاجي سكن دير قنوبين سنة ١٤٤٠م . وبطريركيته (١٤٠٤—١٤٤٥) .

١٤ البطرك اسطفان الدويهي .
١٥ « جبرائيل البلوزاني .

وهؤلاء المثبوطين مصورين على حيط كنيسة سيدة قنوبين . وفي زمان النايب المطران مخايل الخازن ، جدد هذه الصور ، عن يد الخوري موسى ديب (من دلبتا كسروان) سنة ١٧٨١ م .

[٨٢] علم تواريخ المدارس الذين في جبة بشري وغيرها

اولاً تمر مار جرجس بقرقاشا سنة ١١١٢ م. اقام به مدرسة لعلم الاولاد مجاناً ، من اي محل (كان) يتعلمون العلوم . وقام به جملة مطارين ، واحد بعد الآخر . استقامت به المدرسة سنين عديدة .

ثم بعده نقلت الى دير مار تادروس ، في ارض بشري (حذاء الارز) . واستقامت عدة سنين . وهناك فسروا جنازات الموتى وعربوها . ووضعوا في الختام الاخير « بشفاعة القديسين العظيمين مار جرجس ، ومار تادروس». وبعد ان حصل الاضطهاد على الجبة من الاسلام ، وخرب البلاد ، بطلت هذه المدرسة وغيرها .

وحين عمر البلاد ، ما عاد امكنهم قيام مدرسة عمومية . صاروا يعمروا في كل ضيعة مدرسة ، يعلموا اولادهم بها علم البسيط ، الى زمان رياسة السعيد الذكر ، البطرك يوحنا مخلوف الهدناني (١٦٠٨—١٦٣٣) ، كما يتضح في تاريخه المحرر في الوجه ٦٤[1] . اي انه اقام مدرسة حوقا . وحين تولى الكرسي ذو الذكر الصالح ، والغيرة الحارة على ابناء شعبه ، البطرك اسطفان الدويهي ، نقل هذه المدرسة الى سيدة قنوبين (قرب سيدة حوقا) الكرسي (البطريركي). وزاد عن سلفايه انه كان يقيم في خرج الاولاد . واحياناً كان يعلمهم بذاته. واحياناً يطعمهم معه على المايدة . وكان يوجد نحو ستين ولد . واستقامت هذه المدرسة مدة اقامة قدسه في قنوبين (١٦٧٢—١٧٠٤) .

مدرسة رومية

يذكر في كتاب مجمع اللبناني ، ان الحبر الاعظم البابا غريغوريوس الثالث

١) يظهر ان رقم هذه الصفحة هو من سودة المؤلف ، التي نسخ عنها هذا النص .

عشر (١٥٧٢–١٥٨٥) ، اقام مدرسة للموارنة في مدينة رومية ، في سنة الف وخمساية وثمانين . وعين لها مداخيل ، ومعلمين لاجل ان يعلموا كافة العلوم . ووجه علم الى بطركنا القائم يومئذٍ[1] ، ان يوجه (يرسل) اولاد ليتعلموا كافة العلوم ، فوجاً بعد فوج .

وقد تعلم بها جملة اولاد من ابناء طايفتنا . وحصل من ذلك خيرًا جزيل ، ومعلمين معتبرين . واغلب روسا طايفتنا ، من بطاركة ومطارين وكهنة ، طلعوا من هذه المدرسة الشريفة الجزيلة الاعتبار . ولم يزل هذا الخير والانعام تتدفق علينا من الينبوع السماوي ، الى ان حصل الاختباط في بلاد الغرب ، من قبل مملكة فرانسا ، وهدموا الكنايس والمدارس [٨٣] ، وباعوا ارزاقها . ومن الجملة مدرستنا المذكورة .

وحين هدي حال فرانسا ، ورجع البابا بيوس السابع (١٨٠٠–١٨٢٣) ، وانتظم حال الكرسي ، كما كان ، اخبر هذا الخبر لقدس سيدنا الجالس يومئذٍ (في عهد المؤلف) ، البطرك يوحنا الحلو ، عن رجوعه لكرسيه (الفاتيكان) . وانه مهتم في رجوع مدرستنا كما كانت . وفي تاريخ سنة ١٨١٨ ، قدس البطريرك وجّه اولاد الى المدرسة حسب العوايد .

مدرسة عينطورا

ويذكر ايضاً في هذا الكتاب (المجمع اللبناني) المذكور ، عن مدرسة عينطورا ، ان الاب بطرس بن مبارك ، غوسطاني الايسوعي (اليسوعي) ، تلميذ مدرسة رومية ، المشهور بالعلم والعمل شرقاً وغرباً ، انشا واقام مدرسة جديدة ، في قرية عينطورا ، في بلاد كسروان . وعين لها مداخيل لاقامة التلاميذ . وجعلها تحت تدبير الرهبان اليسوعية المرسلين ، تحت شروط . واستقامت هذه المدرسة ماشية مدة سنين ، الى ان حصلت التجربة الى رهبنة اليسوعية وتلاشت[2] . حينئذ بطلت هذه المدرسة ، لعدم مدخولها من الرهبنة

١) هو البطريرك ميخائيل بن يوحنا الرزي ، من قرية بقرقا التي هي خراب اليوم . وهي جنوبي اهدن . وبطريركيته (١٥٦٧ – ١٥٨١) .

٢) الغيت الرهبانية اليسوعية سنة ١٧٧٣ بامر البابا اكليمنضوس الرابع عشر (١٧٦٩ – ١٧٧٥) . ثم اعيد تأليفها سنة ١٨١٤ ، بامر البابا بيوس السابع (١٨٠٠ – ٢٣)

المذكورة . لكون رزقها في عينطورا لا يقيم في اود الاولاد والراهبات .
ورجع المدخول لمعاش الراهبات ، الذي لا يوازي للقوتين الضروري .

مدرسة زغرتا

ثم يذكر في الكتاب المذكور ، ان المطران جرجس بنيمين ، الملقب بالكاروز ، الهدناني المشهور للغاية بالعلم والكرز والتبشير . فهذا البار ، في ايام رياسته في اهدن ، اقام مدرسة في قرية زغرتا من ماله . وحداها بيوت وكنيسة . واقام لها مداخيل المعلم الاولاد، لاجل تسهيل تدبيرها واستقامة ثباتها .

وسلمها للرهبان اليسوعية بشروط . وهذه المدرسة استقامت سنين عدة ، سالكة بكل شروطها ، حسب نية مؤسسها وازود . والبادرية اليسوعية افادوا فوايد جزيلة ، في زغرتا وجيرتها ، من علم ووعظ ، وحكمة (طبابة) مجاناً ، وغيرها . وابنوا لهم اهالي اهدن مكان بجانب مار جرجس ، ليصيفوا فيه ، ويعملوا احسان كما ذكرنا ، في جبة بشري وغيرها .

وبقي هذا الحال ماشي ، الى ان تلاشت الرهبنة اليسوعية من الغرب . فرجعت هذه المدرسة ومداخيلها لتحت تدبير مطران اهدن [٨٩] وفلاحينها ، على موجب الحجة التي كان محررها المطران جرجس المشار اليه سابقاً . وهي ثابتة مدرسة الى يومنا هذا ، يتعلمون بها اولاد زغرتا . واذا احد الجيرة اراد ان يتعلم ، لا يمنعه احد ذلك . انما رونقها الاول تغير .

ثم شروط هولاء المدارس الثلاثة ، المذكورين اعلاه ، فهو محرر مفصلاً بشرح كافي في كتاب مجمع اللبناني ، في قسم ٤ ، في الراس ٥ من وجه ٥٠٠ . ولهذا السبب عدلنا عن شرح الشروط ، لوجودها بالكتاب المذكور . وعدم لزوم شرحها ثانياً ، والاختصار بلاغة .

علم تاريخ مدرسة عين ورقة

ان المرحوم البطرك يوسف اسطفان ، الصالح الذكر ، لما رأى افتقار الطايفة الى العلوم اللازمة للكهنة، اهتم بقيام مدرسة ، حسب مدرسة رومية ، لاجل اتقان العلوم العالية . ولما لم يمكنه ذلك ، تشاور مع اخيه المطران بولس ، وبقية عيلته ، على ان يجعلوا ديرهم — مار انطونيوس عين ورقة —

مدرسة عمومية لطايفته المارونية . وبرضاهم جميعاً جعلوه مدرسة كما ذكرنا . وحرروا فيه حجة ، وتسجلت من ساير مطارين الطايفة واعيانها . وكان ذلك في سنة ١٧٨٨ .

وفي سنة ١٧٨٩ نقلوا منه (من دير عين ورقة) الراهبات الى غير اديرة . وجمعوا اليه اولاد من كل الرعايا . وقدموا لهم معلمين ومرشدين . وابتدوا يعلموهم ويهذبوهم بالامور الروحية . وتعلم بها تلاميذ كثيرون ، اكثر من خمسين تلميذاً ، من حين قيامها الى هذا الوقت ، أي سنة ١٨١٩ . وقام منها مطارين وكهنة كثيرون ، افادوا الطايفة فايدة عظيمة ، بارشادهم ووعظهم وتعليمهم . لانهم كانوا ينذرون ذلك نذراً عليهم ، بموجب نذر تلاميذ مدرسة رومية . ولم تزل قايمة هذه المدرسة بمعونة الله .

وكانوا يتعلمون بها علم القرامطيق السرياني ، والنحو العربي ، والفصاحة والمنطق ، وعلم اللاهوت الادبي والنظري . وعندما اشتهرت هذه المدرسة ، صارت الغيرة على قيام بعض مدارس ، مثل مدرسة الرهبان اللبنانيين ، في دير البنات (جبيل) ، ومدرسة دير مار يوحنا مارون كفرحي ، مدرسة دير مار جرجس الرومية . وبهذه الطريقة تفقهت كهنة الطائفة في العلوم ، لاسيما علم الذمة .

ثم من بعد نياحة السعيدين الذكر ، المطوبة انفسهم واجسادهم ، قد اقتفى اثارهم ابن اخيهم ، قدس السيد الجليل ، والمعلم النبيل ، مشيد ومشدد اركان اللغة السريانية في المدرسة المذكورة (عين ورقة) ، اي المطران يوسف اسطفان . ولم يكن باقل غيرة من قدس اعمامه المذكورين اعلاه ، لكونه قد قاسى اتعاباً جزيلة في تكميل وتدبير هذه المدرسة ، على موجب نية مؤسسيها .

[٨٥] تاريخ مدرسة مار يوحنا مارون كفرحي

كان ابتداها سنة ١٨١١ . ان قدس السيد الجليل المحترم ، جرمانوس ثابت ، مطران جبيل والبترون ، اذ اخذته الشفقة والغيرة والحنو الابوي على ابناء ابرشيته ، اقام لهم مدرسة لعلم الاولاد ، في دير مار يوحنا مارون ، في قرية كفرحي . وعين لها مداخيل . واقتنى لها ارزاق من ماله ، لتقيم باود ستة تلاميذ مع معلميهم ومرشديهم وخدامهم ، لاجل العلوم العالية . وقد كابد بذلك اتعاباً وخسائر جزيلة . ووسع لها شروط ان يكون بها ستة

تلاميذ ، منهم اثنين من بلاد جبيل ، واثنين من بلاد البترون ، واثنين من جبة بشري . وكلما فوج تم علمه ، يحضروا فوج ثاني عوضه ، كما هو محرر اعلاه . وكان ذلك في دهر (سنة) ١٨٠٩ م (الف وثمانماية وتسعة)

تاريخ مدرسة ما بين بان وكفرصغاب للرهبانية اللبنانية

ان اهالي هولاء القريتين ، قد اتفقوا وعمروا مدرسة بين المحلين المذكورين (قريتي بان وكفرصغاب) . وعينوا لها رزق بحسب الامكان . ووضعوها تحت تدبير الرهبان اللبنانيين ، بدير قزحيا ، لاجل ان يضعوا بها رهبان معلمين يعلموا علم البسيط الى اولاد القريتين المذكورتين . واذا اراد احد ان يتعلم فيها من غير مكان ، لا احد يمنعه .

تاريخ مدرسة الرهبان بدير البنات ، وقرطبا

ان قدس الاب العام اغناطيوس بليبل المحترم ، اخذته الغيرة الابوية على ابناء رهبنته . واقام لهم مدرسة في دير البنات ، الذي فوق مدينة جبيل . ووضع بها معلمين لكي يعلموا الكهنة والرهبان العلم العالي ، الذي يلزم وظيفتهم . وقد نتج من ذلك خير جزيل . وتفقهت جملة كهنة ورهبان من الرهبنة المذكورة . ولم تزل هذه المدرسة يظهر منها معلمين ، ويفيدوا رهبنتهم وغيرها لمن يسألهم .

ثم ان قدس الاب العام المذكور ، قد باشر في قيام مدرسة في قرية قرطبا ، في جبة المنيطرة ، في بلاد جبيل . فاهالي القرية المذكورة قدموا الكنيسة (مار سركيس) والرزق الذي لها لقدس الاب المذكور . وما بقي من عمار محلات [٨٦] واماكن لسكنة الرهبان ، ومدرسة الاولاد ، وشراية الرزق ، فهذا جميعه وغيره مما يخص هذه المدرسة ، من خير الاب المذكور ، لاجل قيام هذه المدرسة ، لتعلم علم البسيط الى اولاد اهالي قرطبا وجيرتها مجاناً .

وكل من راد من اهالي بلاد جبيل ، ام غيرها ، يوجه ولده ليتعلم مجاناً ، ولا مانع من ذلك ، حسب نية مؤسسها الاب المشار اليه . لكونه جاعل عليها نظر اوفر من كافة مدارس رهبنته . تم .[1]

---

١) المتبقي من هذه الصفحة هو بياض .

[٨٧] علم تواريخ الحكام الذين تولوا على جبة بشري

الاولين مقدمين الحدث . لانه يذكر مؤلف المنارة (الدويهي) انه في تاريخ سنة ٨٦٥ م ، حضروا مريق ومريقيان ، وقواد عسكر الملك يوستينيانوس الاخرم ، ملك الروم ، الى ارض الكورة ، في زمان رياسة مار يوحنا مارون، نزلوا اليهم مقدمين الحدث ، مع مقدمين جبل لبنان وعساكرهم ، وكسروا عسكرهم ، وبددوا شملهم . ويتضح من ذلك ان مقدمين الحدث ، كانوا حكام جبة بشري من زمان يعلمه الباري .

وفي تاريخ سنة ١٢٤٢ ، قام حاكم على جبة بشري ، الرقيب ، وكان شدياقاً من بشري . وفي تاريخ سنة الف رمايتين وخمسين ، توفي المذكور . وقام عوضه ابنه سالم . ولكنه لم يشبه والده . بل كان ظالماً غاشماً ، تبع بدعة يعقوب البرادعي . واستقام مدة الى ان صار حصار جبيل من الاسلام ، وراح حاكما الامير جنا واهلها في المراكب وتزلوا مقدمين الجبال عملوا حرب مع عسكر الاسلام ، وكسروهم ، وقتلوا منهم جملة قتـل ، وقسموا المكاسب ثلاثين قسمة . وحصة المقدم سالم ما اعطوه اياها . بل اعطوها للمقدم تقولا المذكور ليس ذاكرين لا عيلته ولا قريته . بل استقام لسنة ١٢٨٥ .

وقام عوضه المقدم عبد المنعم . وهذا كان منحرف الامانـة (يعقوبي) . لكون البطرك يعقوب الحدثي ، الذي قام في سنة الف وثلاثماية وعشرة ، كان يسكن في دير قنوبين . وكان هذا المقدم المذكور ضده . فقاصصه الله بالامير احمد ، ونكب بيته وقريته ، كما يذكر في تاريخ ابن القلاعي .

يذكر البطرك اسطفان (الدويهي) صاحب التاريخ ، انه في سنة ١٤٠٠ (الف واربعمائة) كان المقدم على جبة بشري ، الشدياق يعقوب البشراني .

وفي تاريخ سنة ١٤٤٠ (الف واربعمائة واربعين) ، كان المقدم حاكم جبة بشري ، يسمى المقدم يعقوب ، واولاده ، وفي تاريخ سنة ١٤٤٤ ، كانت وفاة يعقوب مقدم بشري. وتخلفوا بعده اولاده المقدمين : سيف وزين وقمر وبدر وماهر . وكانت ولاية [٨٨] المقدم يعقوب واولاده نحو من ٦٣ سنة .

وفي تاريخ سنة ١٤٦٢ م ، كانت وفاة المقدم رزق الله بن جمال الدين ،

ابن المقدم سيفا ، ابن يعقوب . وتخلف بعده ابن اخيه المقدم عبد المنعم ايوب ابن عساف ، ابن جمال الدين .

حاشية : ويوجد ايضاً تواريخ بعض المقدمين ، حكام جبة بشري ، اعدلنا عن تحريرهم هنا في هذا المحل . لكونهم ، اولاً ليس لهم شرح كافي ، وثانياً محررين في رسالة الخوري يوسف مارون ، في وجه ٩٧ المحرر في هذا الكتاب.

واما تاريخ مقدم ايطو ، وضعناه هنا بين تواريخ المقدمين لسبب مساقبة (موافقة) السنين . وقد وجدنا تاريخ مشروع بالكتابة عن كيفية حكومته ، ليس هي موجودة في رسالة الخوري المذكور ، يشرحها كما وجدت في تاريخ السعيد الذكر البطرك اسطفان (الدويهي) .

وفي تاريخ ١٤٦٩ ، توفي المقدم عبد المنعم ، ابن عساف ، ابن جمال الدين ، ابن سيفا البشراني . وتولى بعده ولده المقدم جمال الدين يوسف .

مقدم ايطو كمال الدين بن عبدالله بن الايطوني ، المعروف بابن عجرمة

وفي سنة ١٥١٩ ، توفي المقدم عساف البشراني ، وهو لياس ابن جمال الدين يوسف ، ابن عبد المنعم ايوب . وبسبب انه ما خلّف غير حنا ، وكان قاصراً ، تغلب على المقدمية كمال الدين ابن عبد الله ، ابن الايطوني ، المعروف بابن عجرمة . وتزوج بست الملوك ، بنت الشيخ علوان ، ابن حسام الدين ، ابن قمر البشراني . وحظي في اموال جزيلة . وبنى برجاً شريفاً (جميلاً) في قرية ايطو . وحكم البلاد من ناحية الشمال .

وفي تاريخ سنة ١٥٣٧ ، كان مقتل كمال الدين ، ابن عبد الوهاب ، ابن عجرمة ، مقدم ايطو ، الذي حكم الجبة في سنة ١٥١٩ . وكذلك كانت الخصومة بينه وبين عبد المنعم حنا ، مقدم بشري ، بسبب حكم البلاد . وعندما صارت ذات يوم الجمعية (الاجتماع) في قرية بلوزا ، سبق ابن عجرمة وجلس عند الجوزة . فقدم مقدم بشري [٨٩] وما اراد يلاقيه ، ولا يقوم له واقف (يقف له) ، حنق عليه المقدم عبد المنعم ، وطعنه في الرمح ، فقتله . واخذوا دفنوه في ايطو ، شرقي كنيسة مار سركيس .

وفي سنة ١٥٢٧ ، كان مقتل عبد المنعم حنا ، مقدم بشري . وذلك ان

ست الملوك بنت الشيخ علوان ، لتأخذ ثأر زوجها كمال الدين ابن عجرمـة ، مقدم ايطو ، اتفقت مع الشيخ حماده ، ومع الصليبية ، نصارى ملكية من عين حليا ، وضموا له الكمين ، قبـال البرج . فلما خرج المقدم سَحَرًا ليصبّح القاضي ، الذي كان نازل تحت الجوزة ، فوثبوا عليه وقتلوه ، ودخلوا الصليبية الى البرج ، وقتلوا اولاده . فضربوا ارفاق المقدم حمادة بالسيف ، وعرقبوه . فحملوه ارفاقه ، وهربوا فيه .

وعندما شاع الخبر في بشري لحقوهم عند الحرايص ، فقتلوا حماده ، وناس من ارفاقه . وحماده هذا هو راس الحادية ، الذي في افتتاح تبريز ، انتقل هو واخوه من بلاد العجم الى قهمز (بكسروان) .

المقدمون المناحلة

وفي مقتل عبد المنعم ، انقرضت دولة مقدمين بشري ، خلفاء سيفـا . وانتقلت المقدمية الى المناحلة ، خلفاء قمر . وكذلك ان عز الدين المنحلاني ، في سنة ١٤٣٠ (الف واربعمائة وثلاثين) ، تأهل مع بنت حسام الدين . وهو خلّف اربعة بنين ، وهم : موسى ورزق الله وداغر ، وعيشانا . فلما فرغت سلسلة مقدم سيفا ، اخذوا هم الولاية على جبة بشري .

وفي سنة ١٥٧٠ (الف وخمسمائة وسبعين) ، كان مقتل المقدم رزق الله في طرابلس ، بسبب انه اتهم في نهبة قفل (جهرة) على المسقية (جبل) ، الذي شلّحه (اغتصب القفل) اخوه عيشانا . ولهذا كان قتله اخوه المقدم رزق الله ، ليخلص من هذه التهمة ، فما خلّص ، بل قتل بسببه في طرابلس .

في تاريخ سنة ١٥٧٣ ، عندما قتل المقدم رزق الله ، مقدم بشري ، تولى عوضه اخوه المقدم داغر ، وحسان ابن موسى اخيهم ، من قبل الامير منصور ابن عساف (التركماني من غزير) . ثم ان سنجق طرابلس (حاكمها) ارسل قتل المقدم داغر . وبعده الامير منصور قتل المقدم عساف ابن موسى ، واعطى جبة بشري الى ابو سلهب القريبي ، بغير رضى ابو منصور حبيش ، لئلا تدخل الجبة رجل غريبة [٩٠] وتخربها .

مقدمية الشدياق يوسف خاطر الحصروني

وفي تاريخ سنة ١٥٧٤ ، بمساعدة الشيخ ابو منصور حبيش ، الامير منصور ابن عساف اعطى حكم الجبة الى المقدم مقلد ابن الياس . وكان شريكه الشدياق يوسف ابو رعد ، المسمى خاطر الحصروني ، من بيت مشروق .

واما اهدن كان تدبيرها بيد ثلاثة شهُمة .

وفي سنة ١٥٧٩ ، ابرز السلطان ان طرابلس تكون باشوية ، لتنكسر شوكة ابن عساف . وتولى سياستها يوسف ابن سيفا التركماني . وصارت المناداة على توابع ابن عساف . فهرب الشدياق خاطر الى بلاد بعلبك، والمقدم مقلد الى ناحية الشرق . ثم ان يوسف باشا كاتب الشدياق خاطر في الامان ، واعاده الى حكم جبة بشري . وجعل الشدياق يوسف باخوس ابن صادر الحدشيتي شريكه في الحكم . والمذكور الشدياق يوسف باخوس ، توفي سنة ١٥٩٤ م. وتخلف بعده الشدياق فرج .

وفي سنة ١٥٩٨ ، حكم جبة بشري مرتين ، المقدم فارس بللمع ، من المتن .

وفي سنة ١٦١١ ، كانت وفاة الشدياق خاطر الحصروني ، بعد ان حكم جبة بشري مقدار سبع وثلاثين سنة . وتكلف عوضه مشيخة الجبة ابنه الشدياق رعد .

وفي سنة ١٦١٣ ، كان مقتل الشدياق رعد المذكور . وذلك لانه تزوج ست البنات ، بنت المقدم مقلد . ومن كثر (كثرة) ما يتهددها بالقتل ، وضعت له السم في دجاجة ، اكل منها هو واخيها جمال الدين يوسف ، فماتا اثنانيها (معاً) . وفي جمال الدين ابن يوسف ، انقرضت سلسلة المناحلة .

وبعده يوسف باشا (سيفا) ولّى على جبة بشري ابو عيشانا شاهوب ، ابن بنت المقدم عيشانا ، ابن حسام الدين المنحلاني . فخلّف ثلاث بنين ، وهم : عيشانا وحنا وبخايل . لان نعمة وداود وجرجس ، اولاد الشدياق خاطر، كانوا يتزايدون عليه في ضمنة البلاد . تواسر (تآمر) عليهم مع الحاج سليمان الملكي، كاتب الديوان . حتى ان يوسف باشا قبض على نعمة وداود ، وحبسها . وفي المواعيد المزورة [٦١] ان يوليها حكم الجبة ، استجرّ منها متخلفات والدهما .

وعندما فرغت قوتهما ، امر بحملها ليلًا الى قبور الغربا (محلة في طرابلس) ، فخنقوهما ورموهما في البير الازهري .

وكذلك المقدم[1] قبض على اخيها جرجس ، وغرّقه في البحر ، عند راس النهر في المدينة (طرابلس) . وما زال شلهوب مقدم على الجبة الى ان قتل .

مقدمية الشيخ ابي كرم يعقوب الحدثي

وفي سنة ١٦٣٥ ، مصطفى باشا حاكم طرابلس ، ولّى على جبة بشري الشيخ ابو كرم يعقوب الحدثي ، والشيخ ابو جبرايل يوسف من اهدن . وفي سنة ١٦٤٠ (الف وستمائة واربعين) ، صارت ركبة (تعقب او مطاردة) على ابو كرم الحدثي ، من والي طرابلس . واشتك ابن عمه سعد ، ومن زود الفحص على ابو كرم ، نزل هو من ذات خاطره الى طرابلس . وبعد ان الوالي اجرى عليه العذاب ، امره ان اسلم ، فما قبل . حينئذٍ قتله .

عهد المشايخ الحماديين .

وفي سنة ١٦٥٤ ، تولى طرابلس محمد باشا . واعطى حكم جبة بشري الى الشيخ احمد ابن محمد حماده . وهو كان الاول من المتاولة الذين سكنوا جبة بشري . وكان يسمى الشيخ احمد ابو زعزوعة .

وفي سنة ١٦٦١ ، توفي الشيخ ابو جبرايل يوسف الهدناني . وتخلف بعده الشدياق حنا . فقتله في زغرتا محمد العراك . وبعد قتل الشدياق حنا ، تولى حكم الجبة المقدم زين الدين ، ابن الصواف . وكان معه ابو عون جميل من بكفيا .

وفي سنة ١٦٧٤ ، تولى طرابلس حسن باشا ، وصرّف المقاطعات . ونزل لعنده الشيخ احمد ابن قانصوه ، لأخذ الجبة . فقبض عليه لسبب الخربان . وارسل ابرهيم اغا للجبة . وكان متكلم قدامه ابو كرم ابن بشاره الهدناني ، وابو شديد غصيبه ابن كيروز البشراني .

وفي سنة ١٦٧٦ ، حين جاء المقرر (الامر بالحكم) لحسن باشا المذكور ، عزل

---

١) ابو عيشانا شلهوب .

ابرهيم آغا ، وولّى الشيخ ابو كرم ابن بشاره الهدناني على جبة بشري. وحين توجه حسن باشا على التركمان، الشيخ حسن ابن حمادة قتل الشدياق انطون، في وادي حيرونا (في جوار سبعل) ، وحرق دير مار اليشع (بشري) ، وحارة اولاد ابو كيروز في بشري .

وفي سنة ١٦٧٧ ، تولى محمد باشا على طرابلس . ولبَّس الشيخ [٩٢] حسين ابن احمد على جبة بشري . وامره في تمشي العدل والراحة ، وبرد النازحين .

وفي سنة ١٦٨٠ (الف وستمائة وثمانين) ، جاء منصَّب لطرابلس علي محمد باشا الثاني . وصرّف بيت حمادة في مقاطعاتهم .

وفي سنة ١٦٩١ ، حضر لطرابلس محمد باشا الثالث . واعطى الحاج موسى ابن الشيخ احمد (حمادي) الجبة .

وفي سنة ١٦٩٢ ، في آخرها ، تولى ايالة طرابلس علي باشا ، وسموه اللقيس. وغيَّر الحكام . واعطى عكار والهرمل لمزعة آغا ابن دندش ، والضنية للشيخ فاضل ابن رعد ، وبلاد جبيل لحسين آغا ابن حمامة ، وبلاد البترون للمقدم قيضبيه ابن الشاعر ، وجبة بشري للشيخ مخايل ابن مخلوس ، ابن اخت ابو كرم الهدناني .

فهذا ابن مخلوس حكم جبة بشري تسع سنين . ورجعوا بيت حماده للجبة ؛ في سنة ١٧٠١ (الف وسبعمائة وواحدة). وحكموا بها الى سنة ١٧٥٩. وصارت العداوة بينهم وبين اهالي الجبة . وقاموهم من البلاد . فيكون قيامهم في آخر حكومة ٥٨ سنة . واما قبلها كانوا يحكموا وينهزموا جملة امرار كما محرر اعلاه (قبلاً) .

ثم انه في تاريخ سنة ١٧٠٢ (الف وسبعمائة واثنتين) ، كانت الفتنة بين الشيخ عبد السلام ، ابن الشيخ اسماعيل حماده ، وبين بيت الشيخ احمد حماده ، حكام جبة بشري . وحضر المذكور للجبة بايتي رجل ، وانهزموا بيت حماده للهرمل . واستقام في الجبة شهر وخمسة ايام . ووزع (فرض ضريبة) جملة دراهم على البلاد . ولما ليس امكنهم دفع المبلغ ، اخذ طاسات النساء.[1] ،

١) كان النساء يلبسن رؤوسهن طاسات من فضة او نحاس ، حسب المقدور . وقد شاهدنا هذا الذي جارياً ايضاً في بيت لحم وغيرها في فلسطين، في ربيع سنة ١٩٤٧ .

وسلاح الرجال ، ودهك القمح والغلال (عطّلها وافسدها) . وكتب لطرابلس يطلب حكم الجبة . فرجع له (الجواب) ان هـذه السنة انتهت ، انما الى سنة الآتية .

وفي سنة ١٧٠٤ (الف وسبعمائة واربع) ، كان الشيخ مخايل مخلوس محوّل (مكلف جباية) في مال الضنية ، من قبل الوزير . لانه كان له عليه نظر من زيادة بشاعة المتاولة . فهذا (مخلوس) حين كان محول في الضنية ، كان مقتق (راكز) في برج سير . فتخفى واحد من المتاولة يسمى ابن الشقراني ، وقتله في الليل خفية ، وانتهى حاله . تمت .

[٩٣] علم تواريخ جبة بشري وما صار بها على زمان بيت الشيخ احمد حماده

فحين وقع تغيير الاحوال والحكام في الجبة ، وما عاد هدي لها حال ، التزموا اهالي البلاد ، اهل العمدة والمعروف ، فتوجهوا الى عند الشيخ سرحال ، ابو الشيخ اسماعيل حماده ، وطلبوا منه ان يوجه لهم احد اهليته (انسبائه) لكي يحكم جبة بشري . فوجه معهم ابن عمه الشيخ احمد ، يتكنّى ابو زعزوعة . لانه كان ولد (حديث السن) .

وصارت شروط بين اهل البلاد ، والشيخ سرحال ، بانه الشيخ احمد المذكور ، يحكم بلادهم كما يشاء . ويقاصر (يعاقب) المذنبين . ومسموح له ان يحكم كما يشاء ، ما عدا ثلاثة اشيا مـا له بيا حق ، ولا يقارش (يطالب) البلاد بها . اي دينهم ، وعرضهم ، ودمهم . فهذه الثلاثة اشيا تكون محفوظة ، ما له مقارشة ، ولا معارضة بوجه من الوجوه . فحضر المذكور ، وحكم جبة بشري .

وفي سنة ١٦٥٤ ، كان اول توليه من يد محمد باشا والي طرابلس ، كما ذكر اعلاه في هذا التاريخ من الوجه ٩١ . وحضر المـذكور الشيخ احمد الى الجبة ، ومشّى كل عدل ورحمة ، وساق كل طريقة ، وارضى الجميع من حكام واهل البلاد . واستقام مدة سنين . وخلف ولد يسمى الشيخ حسين .

فالمذكور (هذا) حكم في الجبة من يد محمد باشا الثاني ، سنة ١٦٧٧ ،

كما ذكر اعلاه في وجه ٩١ . وامره الوزير في تبقي العدل ، ورد النازحين .
وهذا الشيخ حسين المذكور مشى بكل عدل ورحمة . واستقام مدة سنين .
وخلف اولاداً ، وهم : حسين المشطوب ، وابو محمد عيسى .

فبعد الشيخ حسين ، حكم البلاد ابنه الشيخ ابو محمد عيسى . وكان حاكم عادل . ومشى بكل طريقة تناسب الفلاح . وعمر البلاد . ووضع سنن وفرايض ، مثل حدود قرى واراضي ، وتمشي طرق وسواقي . ولم يزالوا على موجب تمشيه ، الى يومنا هذا . والمذكور قتل في دير مار جرجس حماطوره (في زاوية طرابلس) من شديد الناصر ، سنة ١٧١٤ ، في ٢٢ ادار ، والامير (معه) موسى الكردي (من امراء الكورة) ، بامر الوزير المذكور (محمد باشا الثاني) .

والمذكور (ابو محمد عيسى) خلف ولدين ، وهما : موسى حاكم حصرون ، وحسين العيسي حاكم بشري . اما حسين المشطوب ، اخو ابو محمد عيسى ، خلف ثلاث اولاد ، وهم : ابو ناصيف ، وابو حسين صالح [٩٤] ، وابو قاسم .
والفريقين اي اولاد ابو محمد عيسى ، واولاد حسين المشطوب ، حكموا البلاد شركة كم سنة . وبعده قسموه مناصفةً .

اولاد ابو محمد عيسى اخذوا النصف ، اعني : حسين اخذ بشري وقنوبين وايطو وزغرتا . وابن اخيه الشيخ اسعد ابن الشيخ موسى ، اخذ حصرون ، وبلوزا ، وكفرصغاب ، وتولا وكرمسدة ، وراسكيفا .

واولاد الشيخ حسين المشطوب ، اخذوا النصف الثاني : ابو ناصيف اخذ اهدن فقط . وابو حسين صالح اخذ عينطورين ، ومزرعة التفاح ، وبنشعي ، وقنات ، وبرحليون ، وحماطورا ، وكفردارون ، وبيت زعيتر في بان . واخيه ابو قاسم اخذ دير قزحيا ، وحدشيت ، وبقاعكفرا .

والمذكورين حكموا في البلاد ، بكل هدو وراحة . ومشيوا على موجب الشروط السابق ذكرها . واستقاموا مدة سنين . واستقنوا رزق بكليك (ملك الدولة) ، في البلاد ، المعروفة الى الآن ، مثل مزيارا وسبعل ، وسرعل ، ووطا الرامات (في جوار اهدن) ، وكفرفو ، وبان وحوقا وبساوقيت ، وثلث سرعل مع بيادر القدم (في رشعين) ، ودير نوهرا وبقرقاشا ، والحدث

ومزارعها ، وطورزا ، ورشدبين ونيحا ، ومتريت ، وبنوهران . واستقاموا حكام بكل عدل وحلم ، مدة سنين ، الى سنة ١٧٥٠ (الف وسبعمائة وخمسين).

ظلم الحماديين وعسفهم يسبب طردهم من البلاد

فطلعوا اولادهم بخلاف ذلك . وصح بهم قول النبي : انه لا يقوم الابن بما اوصاه ابوه . وبدوا يمشوا في طرق غير مرضية الله والعبيد (البشر) ، مثل تشليح (انتزاع) ، وتعدي على الفلاح ، وشي ما احد يرضى به . لم احد عاد فيه (يقدر) يلبس حاجة حسنة ولا جديدة . ولا يقتني سلاح . واستقاموا في هذا النزاع ، مدة تسع سنين .

وبعد ذلك ، في تاريخ سنة ١٧٥٩ ، انقسموا جوقين (فريقين) . وراحوا استعانوا في اولاد الشيخ اسماعيل ، الشيخ حسين العيسى ، والشيخ اسعد ابن الشيخ موسى . فجابوا الشيخ عبد الملك واولاده ، والشيخ جهجاه . واطلعوا الخلاع (استخصلوا على الولاية) . وحكموا جبة بشري . وركزوا في اهدن. وراحوا : الشيخ ابو حسين صالح ، والشيخ سليمان ابن ابو قناسم ، والشيخ حسن ابن ابو نايف ، جابوا الشيخ بنتصر (بالنصر) واولاده ، وركزوا في قرية حصرون . وحرموا (على) احد يبان من الفلاحين . وابتدوا في التشليح، وترقة الزرع ، ودهك (تخريب) البلاد . ولا احد عاد أمن ، لا على رزقه، ولا على روحه .

وعملوا في البلاد شي لم يوصف . وخلوا جبة بشري [٩٥] دارًا نسيت اهلها . وفعلوا شي يحزن القلب . مثل الدياب التي تدخل قطيع الغنم . وكان في وقتهم مشايخ القرى : الشيخ جرجس بولس (الدويهي) من اهدن ، والشيخ عيسى الخوري ، والشيخ حنا ضاهر كيروز من بشري . والشيخ ابو سليمان عواد من حصرون . والشيخ ابو يوسف الياس من كفرصغاب . والشيخ ابو خطار من عينطورين . والشيخ ابو ضاهر من حدشيت .

والمشايخ بيت حماده عملوا عليهم رباط (اتفاق) حتى يقتلوهم . والشيخ عبد الملك ارسل اناس من اتباعه ، بعلم الذين كانوا معه . فقتل الشيخ ابو ضاهر من حدشيت . وبعد ذلك ارسل بنتصر ، والذين كانوا معه بعلم الجميع،

اناس كبسوا بلوزا في الليل ، وقتلوا ابو رزق الصغير ، وابنه عباس ، وقطعوا يد امه بالسيف . وحضروا متاعين (اهالي) البلاد ، وراحوا قبورهم . انا لا نقدر نصف لكم عن قتلهم ، وعن التبشيع الذي صار فيهم . لانهم هرموهم مثل التتن (التبغ) بقساوة ما صارت من احد غيرهم . حتى ان دم الثلاثة خالط بعضه بعض ، وسرح على السطح الى المزاريب .

وكانت اختيارية البلاد تشتكي على الحادية ، وهم يضحكوا عليهم . وبعد ذلك بعث (ارسل) اسعد الشيخ موسى.قتل ابو نعمة سليمان من عينطورين ، في كروم اجبع ، وحرقوه في ثيابه . وقتلوا سليمان ابو رزق من حدشيت ، وكان اعمى ! ! . . . انظروا الى قساوة مثل هذه . وخرّبوا اهدن وجيرتها . وخرّبوا حصرون وجيرتها (جوارها) . واستقاموا على هذه الحال اربعة اشهر .

تفاقم الحال وثورة الجبة على الحاديين وطردهم من البلاد

ولما اهل البلاد تحققت ذلك ، ما عادوا امنوا على حالهم ودمهم ، وغيره ... وعرفوا ان مرادهم(مراد الحاديين) يكنلوا على جميع من له كلمة في البلاد. فاجتمعوا اهل البلاد ، وطفروا كل الفلاحين . ولم يبقَ فيه احد . وراحوا الجميع الى نبع جوعيت في عيالهم . وتشتتوا في كل مكان . وصاروا في حالة يرثى لها .

وكان وقتئذٍ المطران يواكيم يمين ، من اهدن ، ماكثاً في اهدن . والمشايخ الحادية توامروا متشاورين في بعضهم ، وارسلوا احمد ابن عبد الملك ، وحسن ابن ابو ناصيف ، يمسكوا المطران المذكور ، ويأخذوه الى بلاد بعلبك . اما المطران كان عنده كم نفر من البلاد . فلما تحققوا ان ذلك ما بقى له انتها ، ولا رجوع ، من زود المصايب . واخيراً وصلت الى راس دينهم ، بعد ان تركوا لهم سحتهم (موجوداتهم) ودمهم ، وغيره ... ، عملوا هوشة عظيمة هم واياهم . وعانهم (الموارنة) الله عليهم (على المتعدين) ، وكحشرهم (طردوهم) من اهدن ، وبقيرا [٩٦] وراهم الى حد درج تنوبين وقطع الضو (اظلمت) بينهم .

بعد ذلك اجتمعوا جميع اهالي البلاد ، الى اهدن ، ومسكوا واحد من المتاولة ، وقتلوه ، والجميع ضربوا فيه . وقدّس المطران في مار جرجس اهدن -

وجازوا الجميع حلفوا يمين على القربان والانجيل ، عن يـده (يد المطران) ، ألا تصير عن احد منهم خيانة . بل الجميع يقدموا سخيتهم ودم رقابهم ، في طرد المتاولة ، واستئصال هذا الغضب عنهم . وارتضوا بان يقيموا عليهم مشايخ في البلاد ، الذين كانوا متسلمين في البلاد سابقاً من المتاولة ، وهم :

الشيخ جرجس بولس من اهدن ، والشيخ عيسى الخوري والشيخ حنا ضاهر من بشري ، والشيخ ابو سليمان عواد من حصرون ، والشيخ ابو يوسف لياس من كفرصغاب ، والشيخ ابو خطار الشدياق من عينطورين . بانهم يحكموا في بلادهم ، كل منهم في عهدته . لكون القسمة بقيت على حالها ، كما كانت في زمان المتاولة .

وكان متولي منصب طرابلس عثمان باشا الكرجي. ونزلوا المشايخ المذكورين لعنده . والتزموا البلاد منه عن سنة ١٧٥٩ . ودفعوا الميري تمـامها . وكان الباشا له عليهم نظر زايد ، لزيادة ما كان يحصل من المتاولة شناعات وبشاعات ، في اراضي الزاوية ، وحدود طرابلس ، وعدم تمشي (تامين) السبيل ، وتأدي (تأدية) غرش الميري . ومن جملة بشاعتهم ، التزم الوزير بان يعطي بليوردي بالختم الكبير ، الى مشايخ الجبة واهاليها ، ان جميع ما يقتلوا من المتاولة ، دمه مهدول(مهدور)والرزق الذي لهم بكليك في الجبة ، يكون لمشايخها ملك.

وبدي الوزير يساعد اهالي الجبة ، ويسعفهم من بارود ورصاص ، وترك ميري ، ومهما لزم لهم من الاسعاف ، لاجل قيام هذا الصالح . واخذ لهم على موجب ذلك ، اعلام من الشرع الشريف . وفي سنة ١٧٦٠ (الف وسبعماية وستين) ، التزموا مشايخ الجبة ايضاً بلادهم . ومن جملة مساعدة الوزير ، ارسل لهم الشيخ ناصيف وعد ، لاجل السعفة . لانه كان سابقاً بين اهالي الضنية ، وبين المتاولة ، عداوة . وعينوا ايضاً مشايخ الجبة ثلاث بكباشية من البلاد، وهم : بشاره كرم من اهـدن ، وابو ضاهر الفرز من بشري ، وابو الياس المفريت من حصرون . وعينوا [٩٧] معهم جملة رجال لاجل حفظ الدايرة . واستقام ذلك . واستقلبوا حالهم اهل بشري ، لاجل تشتي (اشتاء) اهـل اهدن وحصرون في السواحل .

وراسلوا المتاولة اناس من بشري ، واناس من حصرون ، حتى يجيبوهم .

ومن خوفهم من الدايرة (الحمية) والمكر الذي في قلوبهم ، جاوا في عسكر سنة ١٧٦١ . ولاقوهم اناس من حصرون ، واهـل بشري . واما مشايخ القرى المذكورة ، ما كانوا موجودين ، ولا لهم علم . فدخلوا بشري ، واعطوا الامان . ووقتئذٍ نهبوا بشري ، وما خلوا منها شي . وقتلوا منها خمسة قتل ، وهم : ابو ضاهر الفرز البكباشي ، وجبور اصيلة ، وابو انطونيوس سكر ، وابو رزق جعجع ، وجبور رحمه . واخذوا منها ثمانية مرابيط (اسرى) الى بلاد بعلبك . واخذوا منها شي من كلي وجزئي . وما خلوا شي ، حتى انهم اخذوا قصاع العجين .

وبقيوا اهالي بشري في حال يرثى لها . لان جميع اهاليها كانوا عراة بالزاط . ولم تقدر نصف الشيء الذي فعلوه (المتاولة) فيها . ومشايخ البلاد كانوا جميعهم في طرابلس . وخرب البلاد شهر . وبعد الشهر ، رجعوا المتاولة بعسكر غزير مقدار الفين رجل ، من بلاد بعلبك ، وبلاد جبيل . ولاقوهم اهل البلاد (الجبة) الى بشري . وصارت الهوشة (الموقعة) فيما بينهم . وكان عُقداء (قواد) البلاد : الشيخ ناصيف رعد من الضنية ، ومشايخ الجبة جميعاً ، مع رجال البلاد جرد (عموماً) . ومكثت الهوشة عاقدة بينهم ، من شروق الشمس الى العصر ، قدر ثمان ساعات . ودخان البارود غطى بشري .

وبعناية الله كسروا المتاولة كسرة كبيرة . وقتلوا منهم اثني عشر قتيل ، ومن جملتهم الشيخ مقداد ابن الشيخ ابو حسين صالح . ما عدا المجاريح . وقتل من البلاد ثلاث قتل ، وهم : يوسف جبير من اهدن ، وفارس درغام من بشري ، وبطرس الفخري من بشري . واستمروا وراهم الى جرد حصرون .

وفي تاريخ سنة ١٧٦٢ ، نزلوا الحادية الى بقرقاشا ، واخذوا منها كم جوز بقر . وانطرح الصوت عليهم ، ولحقوهم الى شمرة بلاد بعلبك . وقتل آدم من بيت رحمه . وخرب قاطع حصرون وحرقوا ايطو ، وكرمدة ، وسبعل .

[٩٨] وفي تاريخ سنة ١٧٦٣ ، لاجل الشي الذي فعلوه ، عيّن لهم محمد باشا ركبة (حملة عسكر) ، ابن عثمان باشا الكرجي ، لانه كان تولى طرابلس مكان ابيه . وجمع لهم العسكر من جميع مقاطعات طرابلس وقسموا العسكر عليهم جردي (عن طريق الصرد) ، وبحري .

وكان عقيد عسكر الجرد ، السيد وفا متسلم طرابلس ، ومشايخ الضنية ،

ومقدم عدرا[1] ، ومشايخ الجبة ، ومقدم القدموس . ومعهم ثلاث آلاف رجل . ونزلوا على جبة المنيطرة . وبينا العسكر نزل على المنيطرة ، وفي رجوع بشارة كرم ، ربطوا له المناولة تحت المغيرة (قرية بجوار العاقورا) ، في النهر ، وقتلوا منهم سبع قتل ، وهم : بشارة كرم ، ورزق فرنجيه ، وجبران معوض ، وابرهيم ابن الخوري عبود . هولاء من اهدن ، واثنين من مزيارة ، وهم : داود ابن ابو منصور ، وابن عمه عيسى . وواحد من الضنية . وبقية الرجال الذين كانوا معهم ، هربوا . وقطع الضو بينهم . وخلدوا .

ونزل باقي العسكر على وادي الميحان (الميحال ، اسم غابة شهيرة في بلاد جبيل) . ولاقوا عسكر الذي جاء على البحر لجبيل . وكان عقيد عسكر البحر ، محمد كاخية ، والشيخ ضاهر حاكم الزاوية ، ويوسف الشمر . ومعهم مقدار الف رجل . وحرقوا كل شي حوالى جبيل مزارع . واستقام العسكر اربعة ايام ورجع . وعاد الاختباط قايم (كذا) .

ولما رأوا ان هذا النزاع ما له آخر ، والدولة (كذا) ارسلوا المشايخ الى الامير منصور الشهابي ، في سنة ١٧٦٤ . وارسل الباشا المشايخ الى عند الامير . وارسلهم الى الجرد . وراح معهم الشيخ عيسى (الخوري) والشيخ حنا (ضاهر) من بشري ، والشيخ ابو الياس من كفرصغاب ، والشدياق جبور يمين من اهدن . وجملة رجال . وصلوا لعند مشايخ بيت الخازن .

ولما لم يقدروا يصرفوا لهم امرهم ، نزلوا لعند الامير الى بيروت . وبيت حماده وقعوا على الشيخ عبد السلام . وقامت المخابطة بينهم . واخيراً لبسوا (تولوا) مشايخ الجبة من الامير منصور . وكسروا مقدار عشرين كيس (عشرة آلاف غرش) دراهم . ورجعوا في البحر لطرابلس . وارسل الامير منصور محافظة البلاد ، وما افاد البلاد شي . واستقاموا في النزاع .

اسناد الشمال وبلادي البترون وجبيل الى ولاية الامير يوسف شهاب

وبعد ذلك طلع سعادة الامير يوسف ، ابن [٩٩] الامير ملحم ، عين(زعيم)

---

1) آل عدرا في طرابلس اصلهم من المرقب في بلاد العلويين . وهم سلالة المقدمين آل الشاعر من تولا (البترون) ، وحكام بلاد البترون ، حسبا بين معلوماتنا ، في كتابنا الضخم « تاريخ ابرشية طرابلس » المعد للطبع .

عيلته . وراح على الشام . ومن الشام جاء لطرابلس ، ونزل في بيت عمر آغا كش ، وكاخيته الشيخ ابو فارس سعد الخوري من ريش ميًا ، على زمان محمد باشا . والتقوا له (لاقاه) مشايخ الجبة ، وعملوا معـه همة زايدة في دراهم وغيرها . وحكّمته الدولة بلاد جبيل والبترون ، وجبة بشري .

وتوجه الى جبيل . وحصلت المنازعة بينه وبين بيت حماده . وكانت رجال الجبة ومشايخها دايماً قدامه في القتال ، اين ما اراد . والامير المذكور كان له خاطر زايد على المذكورين . وكان سايق معهم كل مخابرة واستماليـة ، عنوةً (زيادةً) عن كل المقاطعات ، سيما ان الشيخ سعد الخوري كاخيته كان اخذ الجبة خصيصةً له . وله ميل ومحبة معهم ، بخلاف الغير .

اما مشايخ الجبة بقيوا كل منهم على عهدته ، كما كانوا سابقاً . ولم يزالوا باقيين هم واولادهم من بعدهم الى يومنا هذا . والامير يوسف اجرى ديوس في الجبة ، في ت ١ (تشرين الاول) سنة ١٧٦٦ . وكان معتمد الـديوس (المساحة) الشيخ ابو فارس سمعان البيطار ، الذي كان كاخية (مدير) ثاني عند سعادة الامير (يوسف) ، وفرنسيس عزيزه من اهدن .

المساحة وتخمين العقارات ، والامان

وعملوا الديوس على قدر مال البلاد . فطاع حمل الورق (التوت) زلطة وشاهية (نقد ذلك العهد) . وبدار شنبل الارض غرش وشاهيـة . واصل الجوز نصف غرش . واصل الزيتون ثمانية فضة ، ومابة جفنـة الكرم نصف غرش . وجالية الرجـل[1] المزوج خمسة غروش ونصف ، والعزب (العازب) ثلاث غروش الّا ربع .

وعلى هذا الحال مشي البلاد بكل امان وراحة . وعمر ومشي فيـه كل عدل واستقامة . الى ان حصل النزاع بين الامير يوسف ، وبين الامير بشير ، الجالس يومئذٍ في تخت دير القمر . وحين سعادة الامير بشير حكم بلاد جبيل وتوابعها ، مشّى بها كافة الاحكام الشرعية . وتجرّى (جرى نافـذاً) الحق

[1] وفي النص الكرشوني هكذا: [illegible] والمرجع عند العارفين الشيوخ ، ان لك هو اسم لضريبة او فريضة من هذا النوع ، والله اعلم .

والعدل والراحة والامان ، في غير انحراف ، ولا ميل ، ولا محاباة وبعد كم سنة من حكمه ، اجرى ديوس في مقاطعات بلاد جبيل ، وفي جبة بشري . وديوس على المال الاصلي ، مثل ديوس الاول . واما (ولكن) من زود عمارها (عمران الجبة) ، فرقت المسطرة . فسل حمل الورق عشرة فضة . وبدار شنبل الارض زلطة ، وثمانية فضة الجوز والزيتون . والكرم بقي على [١٠٠] مسطرته مثل الاول . وتم هذا الحال على هذا المنوال . نسأله تعالى يجعل تمام كل شيء على اكيد امين .

علم تواريخ وحوادث في جبة بشري
الامان وتشييد الكنائس والمدارس

يذكر البطرك اسطفان (الدويهي) صاحب التاريخ ، انه في سنة ١١١٢م ، اخذوا جماعتنا الموارنة في جبل لبنان ، يدقوا نواقيس من نحاس بدل الخشب ، للصلاة والقداس . والذي افاضت نعمة الله بين اياديهم ، ينشوا كنايس واديرة ومدارس . وتقصد الناس لخدمة الله وخلاص نفوسهم .

وكان للخوري باسيل البشراني ثلاث بنات ، وهن : تقلا وصالومي ومريم . نذرن لله عذارتهن (عفافهن) . وانفقن جميع ما كن يملكنه ، في بنيان الكنايس وكلفتهم . فتقلا ، بهذه السنة (١١١٢) ، بنيت بارض بقرقاشا هيكل مار جرجس ، ومار ضوميط ، وفي بشنين بارض الزاوية ، كنيستين على اسم مار لايا ومار سركيس . وفي سنة ١١١٣ هجعت بالرب .

واختها مريم بنيت هيكل مار سابا في بشري . وصالومي بنيت هيكل مار دانيال في الحدث[1] .

ويذكر صاحب التاريخ (الدويهي) انه في سنة ١٤٧٠ (الف واربعمائة وسبعين) ، حصلت راحة عظيمة لاهل جبل لبنان ، وتعمرت كنايس جملة . وقيل انه في ذلك العصر ، تعمرت كنيسة راسكيفا ، ومار سركيس ايطو، ومار مخايل سرعل ، ومار جرجس اهدن ، ومار ضوميط عينطورين ، ومار اوتل كفرصغاب ، ومار رومانوس حدشيت ، ومار لابي حصرون ، وكنيسة

١) لم تزل هذا الكنائس قائمة جميعها الى يومنا، في بشري وحصرون، وبشنين والحدث.

قنات ، وغيرها ... والدليل على ذلك لكون هذه الكنايس عمارة قديمة ، وتكريسهم (هندستهم) واحد . واما ما بين كبر وصغر لا يناقض هذا الراي . لانه من المعلوم ، كل مكان يعمر كنيسة التي تلايه ، وعلى قدر عوزه .

وفي تاريخ ١٤٧٠ (الف واربعماية وسبعين) ايضاً ، يذكر صاحب التاريخ انه حصل راحة عظيمة لاهل جبل لبنان . وعمرت المدارس والكنايس . حتى انه في قرية حدشيت ، انعدوا عشرين كاهن . وفي كنايس بشري كان مدابح على عدد ايام السنة . وفي الحدث ستماية فـدان . ويذكر ابن القلاعي ان الحدث كانت الف وستماية بيت . وفي اهدن ، في حارة الفوقا ، سبعين بغل . والسالك والحبسا في هذه الاماكن ، ينوفوا عن ماية وعشرين.

وفي ذلك العصر تمسكوا في الحرف السرياني المدور . ومن زود الامان والراحة في هذا البلاد ، كانت تقصد الناس السكنى فيه ، من بلاد بعيدة . مثل اولاد جمة ، تركوا عين حليا ، وسكنوا في بشري . واولاد شاهين[١٠١] حضروا من حَدَد الشرق لقرية حصرون . والخوري حنا واخوته ، انتقلوا من نابلوس الى حدشيت . والقس يعقوب وارفاقه ، من ارض الحبش، قصدوا الرهبنة بدير مار يعقوب اهدن ، وتلقب دير الحبش بالنسبة اليهم .

وفي تاريخ سنة ١١١٣ ، كان انتقال جسد القديسة مارينا من دير قنوبين الى البندقية . لان هذه البارة كان منشأها من القلمون التي على كتف طرابلس . وطلعت ترهبت مع ابيها في دير قنوبين باسكيم الرجال . واحتملت مشقات كثيرة استوجبت بها الفوز في الملكوت . وما زال جسدها فرحان حتى انعم به ريس الدير على اناس قدموا من البندقية . وقصبة يدها (ذراعها) بقيت منصانة في قنوبين ، يظهر الله منها الشفا . وفي كنيستها التي فوق القلمون يصير الشفا للنسا اللواتي لم تدر برازهن .

وفي سنة ١٣٠٩ (الف وثلاثماية وتسع) ، نزل عسكر قرية حدشيت ، وصار منه ضرز على قرية بشري ، وجميع بلادها . ويذكر صاحب التاريخ ، انه في سنة ١٤٨٨ ، كان تشتيت اليعاقبة في جبة بشري . وذلك حين الاسقف يعقوب ، واكابر اهدن ، علموا وتحققوا ان القس يعقوب والاحباش القاطنين بدير مار يعقوب ، كانوا يعاقبة . وندروهم (انذروهم) دفع (دفعات) شتى

حتى يحسنوا الديانة . واذ لم يعتبروا ، رسموا القس ابرهيم ابن حباص اسقفاً ، وانزلوه عليهم في الدير . واذ لم يحلوه يحكم فيهم ، رحلوا من هناك الى وادي حدشيت ، تحت رعاية الشدياق جرجس ابن الحاج حسن . وسكنوا في دير مار جرجس ، وتكنى بدير الحباش (الاحباش) بالنسبة اليهم .

فصعب امرهم على الشدياق جرجس الذي كان شيخ حدشيت ، وعلى المقدم عبد المنعم ، الذي كان يقتدي (يعمل) بشوره . واذ لم يكن لهم مقدرة على مناقشة (مقاتلة) اهالي اهدن ، استنجدوا اولاد زعزوع ، مقدمي بشناتا (الاسلام) . فجمعوا هولاء رجال الضنيه ، وقصدوا اهدن ، في صباح الاحد. فاخذوا خبرهم اهالي اهدن ، ووضعوا لهم الكمين في حمينا (محلة ارض).

وعندما نزلوا الضنانوة(اهل الضنية)من الجبل،وثب عليهم الكمين واهلكهم، في مرجة تولا . وعندما اخذوا خبرهم الباقية ، ضربهم التشتيت لشدة الفزع. ففر البعض منهم الى حردين، والبعض الى كفرحورا. والبعض هربوا في البحر الى قبرس. واما القس [١٠٢] يعقوب وارفاقه ، رحلوا الى دير مار موسى في البرية .

وفي سنة ١٤٩٤ ، في زمان رياسة البطرك شمعون الحدثي ، كان من جملة مطارنته ، المطران تادروس العنتاري(من عينتورين)، والمطران يوسف البشراني.

وفي تاريخ سنة ١٤٩٥ ، القس بركات القوفاني ، عمر محبسة مار مخايل بقرب قزحيا. وكانت سابقاً قطين للمعزي . فاستحبس بها الى نهاية حياته الطاهرة

وفي سنة ١٥٠٠ (الف وخمسمائة)، كانت وفاة المطران تادروس (العينتوريني) المذكور ، الذي كان قاطن في سيدة عينطورين ، نهار الثلاثا في ادار ٢٩ . وتسلم الدير تلميذه القس وهبه الراهب.

وفي سنة ١٥٤٠ (الف وخمسمائة واربعين) كانت الفتنة بين اهالي عينطورين، وبين اهالي بان ، بسبب دير قزحيا ، باية ارض من الضيعتين كان . فاثبته القاضي لاهل عينطورين . وتحرر على الدير كل عام ثلاثمائة درهم خراج. فقبلوا به اهالي عينطورين على انفسهم الى الابد . ولهذا السبب انعزل القس حنا ، ولد نمرون الباني ، من رياسة الدير . وتولى عوضه الخوري يوحنا اللحفدي .

وفي هذه السنة ، يخبر ايضاً صاحب التاريخ ، انه في ايار قدمت العساكر الاسلامية الى فتح جبة بشري . فصعدت شرقي طرابلس ، في وادي حيرونا .

فحاصروا اهدن حصار شديد . وفي نهار الاربعين يوم ملكوها بشهر حزيران، فنهبوا وسبيوا وقتلوا ، ودكوا القامة التي في وسط القرية ، والحصن الذي على راس الجبل ، للارض .

ثم انتقلوا الى بقرقا . وفتحوها في شهر تموز . وقبضوا على اكابرها ، واحرقوهم بالبيوت . ونهبوا وسبيوا ، ودكوها للارض . وبعدما ضربوا بالسيف اهالي حصرون ، وكفرصارون ، في الكنيسة ، توجهوا في٢٢آب الى الحدث. فهرب اهاليها الى العاصي (مغارة في وادي قاديشا) في مغارة منيعة ، فيها صهريج ماء . فقتلوا الذين لحقوهم . وخربوا الحدث . وبنوا برجاً قبال المغارة، وابقوا فيه عسكر يكمن عليهم (لهم) . ثم هدموا جميع الاماكن العاصية. واذ لم يقدروا على فتح عاصي حوقا (السابق الذكر) الذي قبال الحدث[1]، فثار عليهم ابن الصبحا ، من كفرصغاب ، بجر النبع الذي فوق بشري ، وتركيبه على العاصي . فجروا النبع وركبوه [١٠٣] ، وملكوه (فتحوه) بقوة الماء ، لانه داخل الشير . واذنوا لابن الصبحا بلبس عامة بيضاء يانس (كذا) ، وان تقف العبيد بخدمته .

ولما رجع العسكر ، وتاب (ابن الصبحا) عن سوء فعله ، عمَّر دير سيدة حوقا لسكنى الرهبان ، بالقرب من العاصي الذي كان في الشير (الصخر).

ويذكر ايضاً صاحب التاريخ ، انه في سنة ١٥٦٠ (الف وخمسمائة وستين) انتقل الى رحمته تعالى الحبيس مخايل البقوفاني ، الذي حفظ النسك بمدة نحو خمسين سنة . فاخذ عيشة الوحدة اولاً بقزحيا ، ثم في مار ضومط داريا ، ثم في كنيسة السيدة ، المقطوعة (المنقورة) بالشقيف (بالصخر) قبال عرجس

(١) « عاصي حوقا » غار كبير ، قرب دير سيدة حوقا الشهير من الشرق ، في بطن جبل وادي قاديشا الشمالي ، ومن املاك ديرنا قزحيا . وهو عاص فعلاً على الصعود اليه . ومع ذلك تمكنا نحن من دخوله في ١٥ آب ١٩٣٩ ، اذ احتفلنا بالقداس الالهي في معبد منارة سيدة حوقا ، لرعيتها ابناء قرية حوقا ، شركاء دير قزحيا . وقد استعنا بخمسة شبان منهم على توقل ذلك الجبل ، بواسطة حبالهم وسواعدهم . . . فاذا بذلك الكهف « العاصي» مطلي بالكلس في معظمه ، وبطلاء احمر غامق ، ومزين برسوم يتخللها كتابات باقٍ منها بعض كلمات لا يستقيم لها معنى . وفي جانبه الشرقي بقية كبيرة من بناء البرج الذي شيده اولئك الموارنة الشهداء ، وجعلوه معزمهم ابان ملاحم المهودة .

(قرية في الزاوية) . ثم في محبسة مار مخايل فوق دير قزحيا . وكان عبرة صالحة لكل من ينظر اليه . فانه كان يطوي كل الصيام[1] جمعة فجمعة . ويقهر جسده في دوام الجوع والعطش ، والحفى والعري . ولم يبطل عن ذكر الله . ولم ينظر الى وجه امرأة .

وبسبب ان محبسة مار مخايل عادمة من الماء ، ومن شدة الضعف لم يجد قوة حتى يستقي من عند محبسة قزحيا ، طلب من الرب ان ينجيه (يريحه) من تلك المشقة . فاخرج له من الصخر ماء جارية ، التي ولو كانت شحيحة ، نقر لها خابية . فصارت تفضل عنه وعن كل الذين يأتوا لزيارته . ولموضع برارته، وعظم فضيلته ، شرفه البطريرك بدرجة الاسقفية في هذه الحياة . وجمله الباري بتاج التسبحة في الحياة الدائمة .

ويذكر صاحب التاريخ : سنة ١٥٧٢ ، توزع القشلق على بلاد الشام . وتوزع على الجبة واحد وعشرين الف سلطانة . والسلطانة ثلاثين غرش . وتبلغ اربعة عشر الف غرش (كذا) . ومنها توزع على دير قنوبين مايتين سلطانة . واستفكه البطرك مخايل الرزي (١٥٦٧—١٥٨١) بواسطة الشيخ ابو منصور حبيش . وتوزع على وقف كنيسة مار سركيس اهدن براس النهر ، خمسة عشر سلطانة . ومن جرا ذلك حصل ضيم عظيم ، حتى خربت بعض ضياع في الجبة ، مثل : سبعل وكفرفو وراسكيفا ، وادنيت ، وسرعل وحيرونا ، والناووس (عينكرين اليوم) ووريشدبين ، وبنوهران ، ومتريت ونيحا ، وبرحليون ، وبقرقاشا .

وفي تاريخ سنة ١٥٧٤ ، صارت هوشة ما بين القريمية (المتاولة الحاديين) والبشرانية ، حتى ان القريمية قتلوا منهم اثنين تحت عين بقاعكفرا [١٠٤آ] . وفي سنة ١٥٩٦ ، امر البطرك سركيس الرزي (١٥٨١—١٥٩٧) بالتيام روسا الكهنة ومشايخ الجبة ، وعلما الطايفة ، لاجل ابطال الشبهات التي كانوا تجنوا البعض عليهم بها ، في حياة اخيه البطرك مخايل ، وظهرت التجني ولا اصل لها .

وفي اول جمعة من حزيران سنة ١٦٠٢ (الف وستمائة واثنتين)، كبس الامير موسى الحرفوش جبة بشري ، فنهبوا بيوتها ، واخذوا سايقتها(مواشيها) لان اهلها كانوا

[1] الطوى عند نساك الموارنة ، هو الصوم الكامل يومين او ثلاثة .

بالسواحل بجلالة القز . ومن جملة العسكر ، دخلوا اثنين من جماعته الى كنيسة اهدن ، راس النهر (مار سركيس) فضرب احدهما صورة السيدة ثلاث ضربات في الخنجر ، وفي حال خروجه من الدير ، يبست ايده في تلك الليلة ومات .

وفي سنة ١٦٠٤ ، البطرك يوحنا مخلوف من اهدن[1] ، اقام مدرسة لعلم الاولاد ، في دير سيدة حوقا (في وادي قاديشا) لافادة الطايفة . وان الذين يتفضلوا (يمتازون) عن الاخرين) في العلم والآداب، ليرتسلوا الى مدرسة رومية .

وفي سنة ١٦٥٦ ، عندما فتحوا مغارة القديسة مارينا ، ليدفنوا البطرك يوحنا الصفراوي[2] ، شاهدوا جسد القديس البطرك جرجس عميره[3] ، بعد نياحته من مدة ثلاث عشر سنة ، كانه حي ، وماسك الكاس بيده ، والتاج على راسه ، وهو جالس على الكرسي . وواحد من روسا الكهنة ، اخذ التاج ، واستعمله في خدمة الاسرار .

ويذكر ايضاً انه في تاريخ سنة ١٧٧٣ ، صارت هوشة (معركة) ما بين اهالي الجبة ، واهالي الضنية . وهو ان الشيخ ابرهيم رعد ، والمشايخ اهليته، جمعوا عسكر الضنية جرد (عموماً) ، وعسكر الزاوية ، الذين كانوا وقتيذ تحت امره ، مقدار الف رجل . وتوجهوا من الضنية الى اهدن . وكان في اهدن الامير حيدر ، اخو الامير يوسف الشهابي ، والامير احمد (اللمعي) من بسكنتا ، وجملة امرا ، والشيخ ابو فارس سمعان البيطار (من غوسطا) ، ومشايخ الجبة ، ومشايخ بيت ضاهر (من الزاوية) .

وصارت بينهم هوشة في اهدن . وقتل منهم جملة قتلى من الجهتين . فقتل من عسكر الضناوية ثمانية قتلى ، وراح منهم سربة مجاريح ماتوا في البلاد . ومن الجبة قتيلين وهم : موسى عبد الله الدويهي من اهدن ، وفرنسيس ابن يوسف جبير . وقتل من [١٠٥] عسكر الامير حيدر قتيلين . وهزموا عسكر الضنية ، وضلوا وراهم حتى قطع الضو ما بينهم .

وفي اليوم الثاني نزل عسكر المتاولة (من بعلبك) على المسقية (فوق الارز)،

---

١) عهده (١٦٠٨ – ١٦٣٣) .
٢) بطريركيته (١٦٤٨ – ١٦٥٦).
٣) كان (١٦٣٣ – ١٦٤٤) .

كما كان الوعد بينهم وبين عسكر الضنية . فطلعوا اليهم اهل بشري ، وكسروهم مع قدرة الله ، وولوا مدبرين عن الجبة . واستقام البلاد في هدو وامان مدة سنتين . حتى ان اهالي الضنية ومشايخها لم عاد امكنهم مقاومة الامير يوسف واهالي الجبة . لزم راسلوا مشايخ الجبة على الصلح ، ومشايخ الجبة ، لاجل ضم الحال ، وراحة البلاد ، ورفع النزاع ، والقا السلام ، رضيوا بذلك . وصارت الصلحة ما بين البلادين ، ودخلوا مشايخ الضنية في خاطر الامير يوسف. ورجعت المحبة والصداقة بين اهالي الجبة والضنية ، كما كانت سابقاً . وهدي الحال . ورجع كل شيء كما كان ، عدة سنين .

ويختم المؤلف هذه الصفحة من مخطوطه هذا بتدوين حادثة عائلية في بيته هذا نصها :

« سنة ١٨٢٠ (الف وثمانمائة وعشرين) تكليل (زواج) اليشع الشدياق توما ، ولد الشيخ انطونيوس (المؤلف) ، في ١٠ (عشرة) ك ١ (كانون الاول). — قد ولد الولد المبارك ابنه يوسف في نيسان سنة ١٨٢٠ (الف وثمانمائة وعشرين) ويوسف هذا هو ابن الشيخ انطونيوس ... ثم يواصل هذا الشيخ المؤلف كتابه في ما يلي :

[١٠٦] تاريخ الرهبان اللبنانيين منذ ابتدا رهبنتهم في جبل لبنان برضا واختيار روسا كهنتها المارونية ، والسيد البطرك الاتي ذكره وايضاً بعض اشيا تخص جبة بشري عن البطاركة وغيرهم

وهو ان الملة المارونية ، حيث ثبتت وحدها في الشرق متحدة في الكنيسة الرومانية ، وما غيرت حسن اعتقادها ، حيث انها ما بين امم مشاقين . وعلى الحقيق ثبتت هذه الرهبنة ، اي رهبنة مار انطونيوس الكبير ، مزهرة في بنيانها ، مخصبة في ديورتها . لكن كل دير قايم بذاته . له عوايد تخصه ، ورييس خاص به . لا يشترك دير بدير .

ولما احب الله ان يضم هذه الاديرة المتفرقة ، تحت قانون واحد ، ورييس عام واحد ، ليكون ذلك اقوى في الافادة والنمو ، دعا من مدينة حلب ثلاثة انفار ، خايفين الله جداً . وكانوا من الملة المارونية . الاول منهم جبرايل

ابن حوا . والثاني عبد الاحد (عبدالله) ابن قرا علي. والثالث يوسف ابن بتن.

فهولاء حركهم الله ، لما فيهم من البراعة والشجاعة ، على ان يجددوا الرهبنة ، ويضعوا لها قوانين مجموعة من تعاليم الاباء القديسين ، ويرتبطوا بنذر ذي اربع جدال (كذا ، ولعلها اجزاء) ، وهي : الطاعة والعفة والفقر والتواضع . خرجوا من حلب بهذ الروح ، على ان يكونوا رهبانا منفردين عن العالم ، ناسكين باسكيم القديس انطونيوس الكبير .

وكان خروجهم من حلب في شهر شباط سنة ١٦٩٤ . وكان توجههم اولاً ، حيث قدس السيد البطريرك ، في دير قنوبين ، في جبة بشري . وكان المتقدم فيهم جبرايل ابن حوا ، رجلا عاقلا ديناً ، وغيوراً . فلما اطلع (البطريرك) على قصدهم ، ترحب وفرح بهم جداً .

وفي سنة ١٦٩٥ ، في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني ، لبسوا الاسكيم الملايكي [١٠٧] من يد السيد البطريرك ، على سبيل التجربة (Noviciat) من غير نذر . واقاموا القس جبرايل ريساً عليهم . وقطنوا دير مار مورا القريب من اهدن ، وكان خراباً . عمروه ، وتكلفوا عليه . وكانوا بعبادتهم وامثالهم قدوة للمومنين والنير المومنين .

فقصدهم الناس من كل جانب ، ليترهبوا عندهم . وشرعوا من ذلك الان الى ان ينظموا لهم قوانين من وصايا ابيهم القديس مار انطونيوس الكبير . وفي هذه السنة (١٦٩٥) نذروا الفقر على يد المطران جرجس يمين ، مطران اهدن . اي انه لا يتخصص احد منهم بشي له .

وفي سنة ١٦٩٦ ، اخذوا دير على اسم القديس اليشع النبي ، في الوادي الذي تحت بشري . وكان الدير خراب فعمروه . واقاموا عليهم رئيساً القس عبد الاحد ابن قرا علي ، لان هذا المذكور كان كامل بجميع صفاته . وفي هذه السنة ، غيروا شكل ثيابهم وقلواتهم (غطا الراس) عن شكل غيرهم من الرهبان المارونيين . وشرعوا ان يرتبوا لهم قوانين في الانفراد عن العالم، والاعتنا بخلاص نفوسهم . وعملوا مجمعاً عاماً ، واعادوا القس جبرايل حوا ريساً عاماً عليهم ، والقس عبد الاحد ريساً على دير مار اليشع . هذا اول مجمع عام صار في اول (ابتدا.) الرهبنة . واقاموا القس جبرايل فرحات ريساً

على دير مار تورا . وهو (فرحات) البادي في تحرير هذا التاريخ[1].

وفي سنة ١٦٩٨ ، تمموا ترتيب قوانينهم خمسة عشر باباً ، كما هو مشروح في كتاب القانون . ورسموا ايضاً ان يكون لهم ريساً عاماً للرهبنة جميعها ، واربع مدبرين لمساعدته ، ولكل دير ريس خاص . وان كل ثلاثة سنين يعقدون مجمعاً . وان يكون اول المجمع في ١٠ (عشرة) تشرين الثاني ، الذي هو اول ابتدا الرهبنة . وبهذا المجمع ينتخبون الريس العام ، واربع مدبرين ، وروسا الاديرة .

وفي سنة ١٧٠٠ (الف وسبعمائة) حصلت بلبلة (خلاف) بين القس جبرايل حوا ، والقس عبد الاحد قرا علي ، وعقدوا مجمعاً ، واقاموا القس عبد الاحد المذكور ريساً عاماً عليهم . وحصل نظام في الرهبنة . وصار الاب المذكور [١٠٨] بغضون ذلك ، يتردد على السيد البطريرك ، لكي يثبت له قانون رهبنته ، ليرتبطوا بالنذر لاجل عدم تراخيهم . والبطرك لم يكن يشا ذلك ، لخوفه من صعوبة القانون ، ليلا يتراخوا من الضعف البشري .

ولكن الله سمع ابتهال هذا الريس الطاهر ، ودعا رهبانه ، وحرك قلب المطران جرجس يمين ، الملقب بالكاروز ، المشهور بالقداسة والغيرة ، والسعي في تثبيت قوانينها . وبمساعدة مطران آخر[2] ، توسلا للسيد البطريرك في ان يثبت قانون هذه الرهبنة . فتنازل الى طلبتهم ، واثبت هذا القانون بجمع جملة مطارين ، وفي اليوم ١٨ (الثامن عشر) من حزيران سنة ١٧٠٠ (الف وسبعمائة) .

وبعد تثبيت قانونهم ، نذرت الرهبان الموجودين كلهم الى الله ، ولريسهم ، الطاعة والعفة والفقر . واما المبتدين فما كانوا اقل من سنة في التجربة (اي

١) اذاً ، ان هذا التاريخ هو من قلم العلامة فرحات . والمؤلف يأخذه عنه .

٢) ذلك المطران الآخر هو المطران يعقوب عواد ، البطريرك فيما بعد (١٧٠٥ — ١٧٣٣) حسبا ذكر مؤسس الرهبانية الاب عبدالله قرألي ، مطران بيروت فيما بعد (١٧١٦ — ١٧٤٢) ، وذلك في مذكراته المثبتة في ص ٣٧ من تاريخ رهبانيتنا ، مجلد اول ، للمرحوم الاب لويس بليبل ، طبعة مصر ، بمطبعة يوسف كوى ، سنة ١٩٢٤ . وفي هذا التاريخ شيء كثير عن مناوءة البطريرك يعقوب هذا للرهبانية التي سعى وساعد على تثبيت قوانينها من البطريرك الدويهي . . .

ان زمن التجربة كان سنة) . وفي هذه السنة (١٧٩١) ، كان القس جبرايل حوا ساكناً دير مار تمورا ، فما طاب له العيش . واتفق مع مطران اهدن (جرجس بنيمين) ، وخلي دير مار تمورا ، وتوجه الى رومية .

وفي سنة ١٧٠٢ (الف وسبعمائة واثنتين) عملت الرهبان مجمعاً ، واثبتوا في فرايض هذا المجمع ان لا احد يسام (يرقى) اي درجة كانت ، ولا يلبس الاسكيم ، الّا بقرعة اخوته الناذرين .

وفي سنة ١٧٠٣ (الف وسبعمائة وثلاث) ، ابتدأت هذه الرهبنة ان تنمو وتزيد في هذا الخير . وكان رهبانها حريصين على حفظ قوانينهم ، وقطع كل سبب يؤذيهم . ومنعوا النسا عن دخول اديرتهم وكنايسهم . وما كان يمشي احد في الطريق وحده . ولا يأكلون من بيوت العوام . ولا يشربون الماء الا باذن الريس ، ام الاكبر منهم . ولا يخالطون العلمانيين الا قليلًا ، وللضرورة . ولا يكتفون في عمل اليد ، مثل فلاحة الارض والكروم والقز (دود الحرير) ، والبستنة ، وغير ذلك . وكان معاشهم من عمل ايديهم وكانوا مرتبطين في محبة بعضهم بعض . [١٠٩] حتى كانوا نفس واحدة ، وجسد واحد . وما كان واحد منهم يقول ان له ثوب ، ولا يقتني في قلايته شيأً خاصاً ، لا اكل ، ولا شرب .

وفي سنة ١٧٠٤ (الف وسبعمائة واربع) ، انتقل الى رحمته تعالى السيد البطريرك مار اسطفان الدويهي ، وناحت عليه ملته كثيراً . وانتصب عوضه البطرك جبرايل البلوزاني . وكان رجل مشهوراً بالفضل والتدبير . وفي زمانه كانت الرهبنة مستقيمة على حال واحد في دير واحد .

وفي سنة ١٧٠٥ (الف وسبعمائة وخمس) ، ارتد القس جبرايل فرحات ثانياً الى رهبنته التي كان خرج منها سابقاً[1] ، واحصي ما بين اخوته . وفي هذه السنة ، صار المجمع العام ، واثبتوا القس عبد الاحد ، اي القس عبدالله قراعلي ، ريساً عاماً . وفي هذا المجمع وضعوا النذر الرابع ، وهو نذر التواضع ، انهم لا يقبلون رياسة ما ، الا عن الزام من له الحكم عليهم .

١) وذلك لخلافه مع احد مؤسسيها الاب جبرائيل حوا الحلبي ، رئيسها العام الاول (١٦٩٥ — ١٧٠٠) ، ثم مطران قبرس (١٧٢٣ — ١٧٢٥) . وذلك الخلاف كان مداره على تعيين الغاية للرهبانية عند تأسيسها اذ ذاك .

سنة ١٧٠٦ (الف وسبعمائة وست) انتقل الى رحمة الله جبرايل البلوزاني، بعد مجي تثبيته (الباليوم) بعشرين يوم . وانتصب عوضه البطرك يعقوب عواد الحصروني . وفي هذه السنة تزايد عدد الرهبان اللبنانيين ، وما عاد يساعهم دير مار اليشع . التزموا اخذوا دير مار يوحنا رشميا ، في بلاد الشوف ، ووضعوا فيه رهباناً ، واقاموا ريساً (عليه)القس يعقوب دوّين التزيري . واقاموا القس جبرايل فرحات ريساً على دير مار اليشع . ولما كثرت الرهبنة ، كثرت تجاريبها ، وخاصةً في جبة بشري ، لان البلاد كان حاكمها متاولة يسموا بيت حماده . وكان اكثر البلاد خراب من الظلم الزايد .

وبهذه السنة ، القس عبد الاحد الريس العام ، لقّب رهبنته «اللبنانيين» ، لان ابتدا بها في جبل لبنان . ورضي البطرك يعقوب (عواد) بهذا اللقب . وكانت تلقبت سابقاً بالرهبنة الحلبية ، لان الذين ابتدوا بها كانوا حلبية :

سنة ١٧٠٧ (الف وسبعمائة وسبع) ، فتحوا دير اخر في كسروان ، على اسم مريم العذراء ، الملقب بدير لويزة [١١٠] ، قرب زوق مصبح . والذي كان معمراً هذا الدير ، يسمى ساهب من طايفة (عائلة) الحوارنة . وفي هذه السنة ، فتحوا دير آخر على اسم مار انطونيوس ، قرب قرية رشميا بسير (محلة سير)[1] .

سنة ١٧٠٨ (الف وسبعمائة وثمان) ، اخذوا دير آخر في جبة بشري ، في الوادي (المقدس) ، على اسم القديس مار انطونيوس الكبير ، بلقب دير قزحيا . وهذه اللفظة سريانية ، مركبة من ܟܙ ومن ܚܝܐ ، ومعناها « كنز الحياة » . وهو دير مشهور بالشرق بالعجائب . وجعلوا في هذا الدير كرسي رهبنتهم ، لانه دير القديس ابيهم . ولريسه التقدم على كافة روسا رهبنتهم . وكان ما عليه ميري الّا اربعماية وخمسين غرشاً . ومال الميري الذي كان على دير مار اليشع ، كان خمسين غرشاً .

وفي ١٧١٠ (الف وسبعمائة وعشر) عملت مطارين الموارنة مجمعاً في بلاد

1) الى هذا الدير ، العامر حتى الآن ، لجأ الامير بشير الكبير في عهد صباه ، وقضى فيه ردحاً مجهول المدود ، وربما كان للاختباء من مزاحمه على حكم لبنان ، على ما يفصل التاريخ كثيراً في هذا الشأن .

كسروان ، على بطركهم يعقوب (عواد) الحصروني ، واتوا به من دير قنوبين، واثبتوا به (عليه) اموراً توجب العزل . فعزلوه في دير مار شليطا (مقبس قرب غوسطا) ، واقاموا عوضه البطرك يوسف مبارك الريفوني .

سنة ١٧١٢ ، عمروا (الرهبان) محبسة مار بيشاي التي بقرب قزحيا . وفي هذه السنة ، اوهب المطران حنا حبقوق[1] دير مار بطرس كريم التين للرهبان المذكورين .

وفي سنة ١٧١٣ ، اخذ ابو محمد عيسى ابن حماده ، وداعة البطريرك (يعقوب عواد) التي كانت عند الرهبان ، ومقدارها خمسة اكياس (الفان وخمسمائة غرش) . وذلك ان اولاد اخو البطرك المذكور ، حوّلوا ابو محمد عيسى المذكور ، على اخذها قهراً من دير قزحيا ، حيث ودعت .

سنة ١٧١٤ ، رجع البطرك يعقوب على كرسيه منصوراً بامر البابا اقليموس الحادي عشر (١٧٠٠–١٧٢١) ، لان الموارنة عزلوه بغير امره . فطاعة الموارنة عميا يعز على غيرهم فعليا . وفي هذه السنة ، عملوا (الرهبان) مجمعاً في دير قزحيا ، واثبتوا فيه القس عبدالله قرا علي ريساً عاماً . وبعد المجمع بعشرة ايام ، سقط قطعة كبيرة من الجبل الذي فوق الدير المذكور ، فقتلت راهبين[2] .

سنة ١٧١٦ ، ارتسم القس عبد الله قرا علي ، الريس العام ، مطراناً على بيروت ، من يد البطرك يعقوب عواد . واقاموا عوضه جبرايل فرحات ريساً عاماً بقرعة جميع العام .

سنة ١٧١٩ ، ارسل البطرك يعقوب ، المطران عبد الله قراعلي للشام ، واستخلص كنيسة الموارنة من الرهبان القدسية (الفرنسيسكان) .

سنة ١٧٢٣ ، اخلا الرهبان دير قزحيا ، من زيادة المال (الضرائب) . لكن بعد شهرين من طلوعهم ، طيب الحاكم خاطرهم . وصار مال الدير

١) من قرية بشعلة ، على ما يؤكد الدويهي في تاريخ سنة ١٦٩١ . وقد رسمه هو مطراناً على دير قزحيا ، في ٨ ايلول من تلك السنة . وقد وهب ديره – قزحيا – هذا الى الرهبانية اللبنانية سنة ١٧٠٨ ، خلافاً لما حدد المؤلف اعلاه . وتوفي سنة ١٧١٨ .

٢) هما الاب يوسف البتن الحلبي ، احد مؤسسي الرهبانية ، والاخ رفائيل الحاقلاني من زوق مصبح (كسروان) ، وذلك في كانون الاول من تلك السنة (الاب بليبل ، تاريخ الرهبانية ، مجلد اول ، ص ٨٦) .

(الاميري) ٥٢٠ (خمسائــة وعشرين) ، والزخيرة عشر شنابل قمح ، وشعير عشرة . ورجعوا [١١١] لــديرهم . وفي هذه السنة ، ارتسم جبرايل فرحات (رئيس الرهبانية اللبنانية) مطراناً على جزيرة قبرس ، من يد البطرك يعقوب عواد . وفيها اخذت الرهبنة اليسوعية مدرسة زغرتا ، بعد موت الخوري وهبه الدويهي ، الذي كان اقامها .

سنة ١٧٢٤ ، رتب المطران جبرايل (جرمانوس فرحات كتاب السنكساري) الشمسي والقمري . وفي هذه السنة ، المجمع المقــدس اوهب دير مار بطرس ومرشلاين الرهبان المذكورين (اللبنانيين) ليسكنوه . وهــذا هو الدير عمَّره البابا اكليمنضوس الحادي عشر للرهبان اللبنانيين . وتسلمه القس جبرايل حواء . وبسببه وقعت الفتنة (الخلاف) بينه وبين الرهبان . ولما اطلع المجمع المقدس بان القس جبرايل صار مطران ، اخذ الدير منه ورده للرهبان . لكون نية الذي عمَّره ، السابق ذكره ، للرهبان ، ليس للمطارين .

وفي سنــة ١٧٢٥ ، صار ضيق على البطرك يعقوب من بعض اناس غير مومنين . فهرب الى دير مار انطونيوس قزحيا ، اختفا هناك قدر شهرين . وفي هذه السنة دار ركبة (هجوم) عايلة على بيت حماده ، من مطابقة مشايخ بيت الخازن (بسعيهم) وطردهم (الحماديين) من البــلاد . فهرب البطرك الى كسروان . والدولة نهبت بلاد جبيل والبترون .

وفي هذه السنة ، صار مجمع عام في رهبنة قزحيا ، وفيــه ابتدا رياسة القس مخايل اسكندر ريساً عاماً . وفي هذه السنة حــدث ضيق على البطرك يعقوب . فهرب واختفى في دير مار اليشع (بشري) . وسبب ذلك كان له ابن اخ يسمى سليمان ، واهي (مفسود) السيرة . فطلب من (عمه) البطرك مال لسد عوزه ، كعاده . فلم يرد يعطيه . فنزل لطرابلس ، واشتكى على عمه البطرك الى الباشا . وفي هذه (السنة) كان صاير اضطهاد على الكاثوليكيين ، من قبل بطاركة الروم (المنفصلين) . فصدف انه هرب اناس من حلب ، من المضطهدين ، لدير قزحيــا . فعرفت بهم الدولة . فارسلوا في طلبهم ، وفي طلب البطرك يعقوب .

وكانوا المشدين (المشددين) بهذه الاحوال كثيراً ، جماعة الملكية (الروم)

من الكورة . ومنهم عيلة تسمى بيت العازار (من اميون) فطلعوا ليلًا الى الجبة ، صحبة الدولة ، وافترقوا ثلاث فرق : الواحدة لقزحيا ، [١١٢] والثانية لقنوبين ، والثالثة لمار اليشع . فالعسكر كبس الدير سحرًا ، اي مار اليشع الذي متخبي فيه البطرك ، من غير ان احد يعرف من الرهبان (بالكبسة) وغيرهم . وطلبوا البطرك . والرهبان اسرعوا وخبّوه .

ففتش العسكر الدير كله بالمصباح . وبعناية الله وقديسيه لم وجدوه . فضايقوا الرهبان في طلب البطرك . فقدموا ذواتهم . فمسكوا الريس ومعه راهب آخر . ورجع العسكر الى طرابلس . والرهبان الذين قدموا ذواتهم عن البطرك ، استفكوا ذواتهم بمبلغ دراهم ، قبل ان يصالوا لطرابلس ، من ارض الكورة . ورجعوا الى ديرهم بسلامة .

والبطرك هرب واختفى في وادي قنوبين ، في المغاير . ولم يرد يفارق الجبة لانها وطنه . اخيرا عرّفوا به الدولة انه بعده في البلاد . وحدث ان البعض ومشايخ القرى افتتنوا مع بعضهم . فطامت الدولة الى الجبة مرة ثانية ليلًا . ونهبوا مواشي البلاد كلها ، وما بقي الا القليل . والبطرك هرب . وما سمح الله ان يحط به . وما خلّص من النهب من كل الجبة ، الا دير مار اليشع ، وبشري لا غير . وذلك باعجوبة من الله . لان في الليلة التي اتجه فيها العسكر الى البلاد ، حدثت امطار غزيرة بهذا المقدار . حتى ما امكن العسكر الذي تعين الى هذين الموضعين ، ان يسلكوا ، لكثرة الامطار ، وغزارة الانهار الجارية في الوادي (قاديشا) . فالتزموا ان يرجعوا الى ورايهم .

اما قزحيا ، نزل اليه العسكر . وبعون الله ما نهبوه . انما مسكوا واحد من مدبرين الرهبنة . واخذوا البقر والمعزة . واستفكوهم الرهبان : راس المعزة بغرش ، والبقر بخمس غروش . واستفكت الرهبان اخوتهم باربعماية ، ما عدا الكلفة داخل وخارج . فكانت خسارة الرهبنة بهذه الواقعة ، تنوف عن الف غرش .

وبعده افتتنت حكام الجبة مع الدولة ، لاجل قتيل قتل في الحدث . وزاد اضطهاد الروم على الكنيسة . فخافت الرهبنة ، وترحت من جبل لبنان ، الى كسروان وبلاد الدروز . وخلت الديورة من الرهبان ، اعني مار انطونيوس

[١١٣] ترحيا ، ومار اليشع . وفي هذه السنة صار مجمع مدبرين ، كحسب العادة ، في دير مار بطرس كريم التين . ووضعوا فيه خمسة فرايض المعلومين .

وفي هذه السنة ، افتتحت الرهبنة دير طاميش . وكان (ذلك) بعد مخاصمة عظيمة مع سكان الدير ، والبعض مع مشايخ الحوازنة ، وبالاكثر مع البطرك يعقوب ، لانه كان ضدنا (الكلام لفرحات) . وكان مراده ياخذ الدير المذكور ، ويسكن اهله . وارسل هو وابن اخوه المطران سمعان[1] وجذبوا بعض اناس من مشايخ الحوازنة المذكورين . وصاروا الجميع ضدنا ، وبالاكثر رهبان الدير وراهباته . لانهم لما نظروا ان لهم من يسندهم من الذين لا يخافون الله ، عصوا على مطرانهم الذي هو متولي على الدير .

وبعد ان كانوا رضوا بان يسلموا الدير للرهبنة ، صاروا يدفعوا الحكام المومنين والغير المومنين ، ومن جهة الدير المذكور . واخيراً انتصرت الرهبنة على الجميع ، واخذوا هذا الدير بعون الله . وهكذا في اليوم العشرين من تشرين ، وصل المطران جرمانوس (فرحات) من حلب ، ودخل الدير باسناد اصحاب الولاية . وادخل رهباناً معه ، وسلمهم الدير .

(بالاحمر) تنبيه . (ثم بالاسود) اعلم ايها الواقف على هذا التاريخ ، الذي الفه القس جبرايل فرحات ، الذي كان احد الرهبان الاربعة المشددين الرهبنة المذكورة ، الذين قدموا من حلب . قطفناه من التاريخ الذي بخطه . واهملنا منه امور كثيرة لعدم لزومه . وكان ذلك سنة ١٧٨١ . تمت .

[١١٤] قسمة الرهبانية الى لبنانية وحلبية

منقول من مكتبة اللويزة ، انه في تاريخ سنة ١٧٦٨ ، اعرضوا رهبان الحلبية الى المجمع المقدس ، الاحوال والمنازعات الحاصلة بينهم وبين رهبان البلدية (اللبنانيين) ، بعد القسمة الاولى التي كان لها مقدار عشرين سنة . وانه لم تزل البلبلة والفتن واقعة . وحصل من قبل ذلك شرور زايدة . فحضر امر وختم من البابا اكليمنضوس الرابع عشر (١٧٦٩ — ١٧٧٥) [١١٥] الى قدس سيدنا البطرك يوسف اسطفان من غوسطا ، ولريس القدس ، في تصريف

1) البطريرك فيما بعد (١٧٤٣ — ١٧٥٦) .

هذه المواد بينهم ، وحسم كل نزاع .

فحضر ريس القدس الى دير حريصا (الفرنسيسكاني) بكسروان ، وحضر البطريرك يوسف . واحضروا روسا عام الرهبنتين . واعرضوا عليهم امر البابا . ومكثوا اربعة ايام يعملوا جلسات ، ومراجعات . اخيراً تم الاتفاق ، وقسموا الديورة . واخذوا رهبان الحلبية ، برضى ريسهم العام ، الاب لويس الحلبي ، وبقية مدبرينه الاربعة ، حصتهم في الديورة . اي :

دير مار اليشع بشري ، ودير سيدة لويزة بكسروان ، ودير مار بطرس كريم التين ، ودير مار الياس شويا ، ودير مار انطونيوس الكبير برومية ، ودير مار انطونيوس كفرحمل في الشوف ، وانطوش دير القمر (سيدة التلة) ، وقسمة انطوش بيروت .

وقد تعين للرهبان البلديين (اللبنانيين) : دير مار يوحنا رشميا ، ودير مار انطونيوس قزحيا ، ودير مار انطونيوس سير ، ودير سيدة طاميش ، ودير سيدة مشموشه ، ودير مار يوسف البرج ، ودير مار انطونيوس حوب ، ودير مار جرجس الناعمة ، ودير مار مخايل بنابيل ، ومار موسى الحبشي (المتن) ، ومار مارون بيرسنين (مجد المعوش) ، وانطوش صيدا ، وقسم انطوش بيروت الذي بيدهم ، وانطوش طرابلس . وجرى ذلك برضى ريسهم العام ، الاب عمانويل الرشماني ، ومدبرينه الاربعة .

قد اتفقا اتفاق عام ، لا رجوع فيه ابداً : ان ليس لاحد القسمتين لا دعوى ، ولا طلبة ، بوجه من الوجوه ، لا من جزئي ولا من كلي . وكل منهم يتصرف بقسمته من غير معارضة مع الاخر . وان احد من الرهبان ينتقل من قسمة الى قسمة . وعلى ذلك تم الحال والرضى والاتفاق ، توجب حجة من قدس سيدنا البطريرك والقاصد المذكورين . وعلى موجبها حضر بُلّة (مرسوم) شريفة من المجمع المقدس بتحديد كافي . وان كل من تعدى هذه الشروط ، يكون ساقط تحت الحرم . وتم ذلك في ٧ (سبعة) كانون الاول سنة ١٧٦٨ .

[١١٦] تاريخ دير مار انطونيوس قزحيا

اولاً كان دير قايم بذاته ، تسكنه رهبان . وله ريس عليهم فقط . اي دير عاد مثل ديرة الذي بكسروان . لان كل دير قايم بذاته . وله رزق .

ويزوروه المتعاهين (ذوو العاهات) من لارواح النجسة ، ويشفون . ما كان له ثم رزقاً . واستقام على هذا الحال جملة سنين . وبعد ذلك القس بركات البقوفاني ، عمر محبسة مار مخايل في سنة ١١٩٥ ، وسكن بيا . وكانت الفة بينه وبين رهبان قزحيا اوقاتاً ، واوقـاتاً يصير بينهم نزاع . وسكن هذه المحبسة حبسا من بيت الرز من بقوفا . واستقام الحـال ماشي الى ان خرب البلاد ، وخرب قزحيا ومحبسته مدةً ما .

وبعده حضروا اناس من قرية احمز جبيل ، وسكنوا العوام منهم شركا في العربة (قرية من املاك قزحيا بجواره) . والكهنة سكنوا في الدير . وارتسم منهم ثلاث مطارين ، مطران بعد الآخر (متوالين) في قزحيا . واقتنوا له جملة رزق . واستقاموا فيه مدة سنتين .

وبعده حضروا عيلة من بكفيا ، يقال لهم بيت حبقوق ، وسكنوا مع الشركا في العربة . وبعده دفعوا لبيت السمراني اثني عشر كيس ، نظير(لقاء) إتعابهم بدير قزحيا . واخذوه منهم . وسكنوا عوضهم . ونصبوا وعمروا في رزق الدير . واستقاموا مدة سنتين وارتسم منهم على الدير مطران عبدالله حبقوق . وقضى حياته في الدير . وقام بعده من عيلته المطران يوحنا حبقوق . وسكن في الدير كم سنة الى ان حضروا الرهبان اللبنانيين ، وعمروا ديورة في الجبة وغيرها . وحين نظر المطران يوحنا اجتهاد الرهبان في عمار الديورة، وعبادتهم، ومـواتهم (سلوكهم) الحسن ، سلّمهم دير قزحيا سنة ١٧٠٨ (الف وسبعمائة وثمان) . وابتدوا يعمروا في الدير . وانشأوا له جملة ارزاق في الجبة . وذاع صيت عجايبه الذي لم لهـا حد . حتى صارت تتقاطر اليه كافة المتقومين في الاوجاع الصعبة ، من كافة الاقطار والامم ، مومنين وغـير مومنين ، من بر الشام ، وحلب ، ومصر ، وحتى من البلدان الشاسعة البعيدة .

وتعاظمت ارزاقه واملاكه ومواشيه ، في الجبة والزاوية والكورة. وصار له مداخيل واهية من تعاظم الزوار . وصار عليه مصاريف [١١٧] زايدة توازي مدخوله . في هذه المدة (في عصر المؤلف) تسكنه رهبان ذوو اعتبار ، لا سيا الروسا الذين تقوم فيه . وكانوا الجميع عبرة صالحة لمن يراهم . وكانت دايماً القداسات والصلوات ما لها انقطاع ، ليلاً ونهاراً .

محبسة قزحيا الحالية

وعمروا محبسة في راس كرم غبتا ، تسكنها الحبسا. مستقيمين بها ثلاثة ، يقضوا ايامهم في التقشف والنسك والسيرة الملايكية . وتعاظم شأن هذا الدير المبارك . وتفاضلت سكانه في النمو والعبادة ، الى يومنا هذا . وتدوم بعناية الله ، تزيد ولا تنقص . رزقنا الله شفاعة القديس مار انطونيوس امين .

[١١٨] مختصر تاريخ الفرنساوية

هنا يذكر المؤلف باقتضاب ، ما جرى في فرنسة سنة الف وسبعمائة وثمان، من انقلاب وتطور، واضطهاد الكنيسة ذلك الاضطهاد المروّع ، ومقتل الملك لويس السادس عشر ... الى ان يصل الى حروب نابوليون الاول ، وغزوته لمصر وفلسطين، ومحاولته افتتاح الشرق برمته ، وانكساره على اسوار عكا. وبما ان المؤلف معاصر لغزوة نابليون الشرقية ، ودوّن ما سمعه عن ذلك في وقته، وهو متعلق بهذا الشرق الادنى ، وملامس لتاريخ لبنان ، رأينا ان نثبته ، عملًا بالامانة للخدمة التاريخية ، في ما يلي :

... وكان قايد الجيش الفرنساوي ابونابارته (Bonaparte) ، رجل شهم في الحرب ، وكبير في القتال ، وذو معرفة وفطنة . لم يجد مثله قط . لانه مختبر من جملة وقايع حصلت معه في البلاد الفرنجية ، قبل توجهه (الى الشرق). وحيث ان هذا البطش العظيم وجهه قايد جيشهم الى الاقاليم المصرية ، وبرّ الشام ، وعرب بستان ، بجملة مراكب وعساكر . وفي وصوله الى مدينة الاسكندرية ، تسلمها حالًا . وهرب منها العساكر الاسلامية . واخذ كافة الاقاليم المصرية [١١٩] وما يليها ، في مدة خمسة اشهر ، سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) .

ماجريات نابوليون في مصر ، وزحفه الى عكا

واجري في مصر وكافة اقليمها ، وبلاد الصعيد ، كافة حكومته ، كما شا. واراد ، من غير ان يعارضه احد كلياً . ورتب سنن وفرايض كما اراد. وكذلك ولّى كل احد من قواد جيشه موضع يناسب ، في الاقليم المصري .

وبعد ذلك ، توجه الى بر الشام وعرب بستان . فكان وصوله اولًا الى عكا في ٢ شوال سنة ١٢١٣ (المذكورة).

وحاصر عكا حصار عظيم . وصنع بهـا هولًا جسيم . وذاق من فيها الموتات ، ، وانفذ على اهلها امرّ الحصارات ، بما نالهم من الضربات . وعمل بها اعمال تعجز عنها الاسود . وكان يومئذ وزيرها احمد باشا الجزار ، صاحب السطوة الكبرى والمعارف المعتبرين (كذا) ، ريس وكبير كافة وزر (وزراء) عرب بستان (سوريا وجوارها) ، وحلب والشام ، في عصره وقبلـه ، كما اخبرنا الاقدمين .

وحين عرف هذا الوزير ما حصل من الجيوش الفرنساوية في الديارات المصرية، حالًا باشر في جمع عساكر وجيوش من كافة المحلات ، وباشرت الجيوش (ترد) على عكا ، حتى لم عادت تساع من العساكر . وفي وصول الجيوش الفرنساوية، انعقد الحرب والقتـال . وبدت الاهوال من كل جانب الى عكا . وكان المساعد الاكبر مع الوزير ، مراكب الانكليز ، الذي كان قبطانهم (قائدهم) سميد (سدني) . وساعد (هذا) سكان عكا مساعدة عظيمة . ولو مـا مساعدته ، ما كانت لقيت الا برهة وجيزة .

وانتصب الحرب بين الفريقين . وذاقوا سكانها كافة الاهوال . وقتلوا منها جملة عساكر . وتم في عكا قول الغفر (او الجفر) : « وعكا سوف تعلوها جيوشاً كما تعلو الغيوم على الجبال ». ودخلوا اليا ، وملكوها مرتين. والمرة الثانية قتلوا منهـا جمع غفير . والبعض من العساكر ومن سكانها رميوا حالهم في البحر . والبعض هربوا لنواحي صور وصيدا . وبقي الجزار ومعه عسكر قليل في سرايته. وبعد حصاره ثلاثة وستين يوم، قاموا عنها الفرنساوية في ذي الحجة سنة ١٢١٣ (ذاتها) .

وسبب هذا القيام انهُ حضر هجان (رسول) الى بونابارته من مصر ، ومعرفيه ، انه حضر له علم من البلاد (فرنسة) انه [١٢٠] يرجع اليه حالًا . وبوقته طلع العسكر الذي دخل لعكا . وفي الليل ترك جميع الاثقال الذي معه. واخذ الذي يقدر على حمله بسهولة .

معارضة نص كتابين مخطوطين بنص كتابين مطبوعين

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

توطئة
في السرقة الأدبيَّة

نزل بالفضل وآله ، والأدب ورجاله ، خطبٌ جسيمٌ وبلاءٌ عظيم ، اذ أصيب بفريقٍ من الناس حشر نفسهُ بين طلّابهِ وأربابهِ الخائضين الميادين الكتابيَّة ، المجلّين في مضمار المعارف ، المتحفين عالم العلم بروائع الآثار الادبيَّة والتاريخية . وما خشي المتنطون المغامرون بلا رويّة ان يحسبوا في عداد الطفيليين على موائدهِ ، الذين لا يقيسون الأمور وزناً ، ولا يراعون للأخلاق حرمةً ولا للوجدان كرامةً . وما همّهم ان تلوك الالسن سمتهم وتنهك الاقلام حرمتهم ، وان يُلوّث شرفهم وتطعن كرامتهم وتلفظهم الشفاه ، بل تقودهم المراغب الى الاستمتاع باللذائذ والأطايب ، منها الشهرة الكاذبة التي يتعشّقونها مضحّين بكل غالٍ ورخيصٍ في غُنمها ، غير مكترثين لقوارص الكلام ، ولا مبالين بتنديدٍ أو ملام .

وكان الأجدر بهذا الفريق الاول ان يقبع في زوايا سكوتهِ وسكونهِ ، من ان يطلّ بوجهِ المبرقع المقنَّع والمبرقع بجميع الوان البراقع ، اشفاقاً عليهِ من الامتهان والازدراء ، ومن ان يكون حديثهُ سخرية الساخرين . على انه يستسهل الوعر ويشحذ شفار العزم دائساً الشهامة والنزاهة برجل الاستخفاف وخارقاً شرعة الأدب والادباء توصّلاً الى نيل رغبتهِ في هذه الشهرة الزائفة الباتخة عن هذه الطريقة المشينة المعيبة .

امّا الفريق الثاني فهو من تلك الطبقة العالية المتنوّرة الكثيرة التفكير والتنوير ، ومن صفوف حملة الاقلام ذات الاشعاع المندفعة الى الأمام التي

ترسل انوارها فتخترق الحنادس ، وتضيء العقول المتخبطة في الدياجر ، فترى من حولها الدرر والغرر المنثورة ، فتلتقطها غذاء وذخراً

على ان ما يُؤسف لهُ أشدَّ الأسف ، هو ان نرى بعضاً من هذا الفريق الثاني يتدنّى ويخنع ، بالرغم من وجاهته وشهرته في عالم الأدب ، لشهوته المتمردة الجيّاشة الميّالة الى المكاسب والمرابح ، سواء كان بحلالٍ او حرام ، فتعمي المادةُ العمياء بصيرتهُ فيعمد الى تناولها عن طريق الخسّة والدناءة ، غير ملتفتٍ الى كرامة مقامهِ وبياض صفحة ايامهِ ، ذلك مما يندى لهُ الجبين خجلاً ويدمي القلب اسفاً وندماً .

ومما دعانا الى ارسال هذه النفثة الموجعة ، هو ما رأيناهُ ونراهُ في كل عصر ومصر من فوضى الاقلام ولاسيّما في هذه الايام ، وكثرة إقدام المتهوّسين المتطرسين أصحاب الدعوى المريضة ، على « السرقة الأدبية » لا يلويهم عنها شرف ولا يثنيهم عن الاتطاخ بردغتها حياء ، لظنهم انها تبقى لاطئةً وراء أستار الخفاء لا تهتدي الى كشفها عين الضياء ، وقد ندَّ عن ذهنهم ان الآثار التي تركتها هذه الفعلة النكراء ، تشير اليها وهي أدلُّ عليها من دليل الفجر على الصبح . فاذا جاز ان يُنعت « لصوص المادة » بنعت اللؤم والـذمّ واللوم ، فبالأولى يجب ان يُرمى بهذا النعت « لصوص الأدب » وهم بهِ أجدر وأحق ، لان سرقة ثمرة العقل هي اقبح من سرقة ثمرة اليد ، ولصوص الأدب ينعمون بثمر تعب ذوي الكدّ والجدّ ، الأمر الذي لا يجوز لهم ان يستحلوه، الا اذا استحلوا سرقة «الذهب» فلهم عندئذٍ ان يستحلوا سرقة « الأدب » .

٭

وقد بُلينا في هذه الآونة بمثل هـذا الخطب ، فهجم بعض الأغبياء حتى العقلاء ايضاً ، من ابناء العربية ومن ابناء الفرنجة المختلفي الاطوار والحالات ، على كتابيْنا « الاب شربل مخلوف حبيس محبسة دير عنّايا » وكتاب « الاخت رفقة الريس الراهبة اللبنانية » فاختلسوا منها ما استطيبوهُ وتذوّقوه ، وبتروا ما بتروا ، وشوّهوا ما شوّهوا ، ونقلوا بحرفهِ الواحد ما نقلوا، وترجموا ما ترجموا الى لغاتٍ متنوعة ، ومسخوا ما مسخوا ، وسلخوا ما سلخوا، وسرقوا ما سرقوا على المكشوف والمفضوح ، وادَّعوهُ لانفسهم ، من دون ان يذكروا

الموارد التي نهلوا منها والمصادر التي أخذوا عنها هذه المعلومات أو هذه العبارات، وراحوا يتبجحون بما نهبوهُ متنفشين كالهرّ مزهوين به زهو الطاووس بريشه ، متلبسين الظلام اخفاء لهم عن العيون . وقد جهلوا أو تجاهلوا ان كلَّ سرقة مادية كانت أو ادبيـة ، هي محرّمة ولا بدَّ من يوم يُكشف فيه سترها ويُفضح امرها .

ونذكرُ اننا طالما من نحو عشر سنوات،ترجمة الراهبة رفقة الريّس في احدى المجلات ، بنصّها الواحد الذي هو من قلمنا من اولها الى آخرها . نشرها حضرة الاب « المحترم » في مجلّته غفلًا من اسمنا أو من اشارة الينا ولو خفيّة على الأقل بحسب الاصول المتعارفة . وانت خبير بان المقـال اذا لم يكن مصوّرًا أو مذيّلًا باسم منشئه فانهُ يُنسب الى صاحب المجلّة أو الصحيفة التي نُشر فيها على ما هو معلوم ومفهوم . رأينا كل ذلكَ وسكتنـا ! ويظهر ان سكوتنا غرّ سواهُ فأغراهُ ففعل فعلتهُ ، ولكنّهُ حذف وبدل وراوب وخاتل وراوغ وسرق بطريقةٍ لبقة لا تخفى عن كلّ ذي عينين لدى مقابلة النصّين !

وآخر ما مُنينا به وابتُلينا ، مجرمٌ جديد فُوجئنا به ولم نكن نتوقعهُ . وتفصيل الخبر : بينا كنا نُلقي رياضةً روحيّةً في قريةٍ من قرى الشوف ، في شهر تشرين الاول سنة ١٩٥٢ ، وقع في يدنا صدفةً الجزء العاشر من مجلّة ، نمسك الآن عن تسميتها ، وهو جزء تشرين الاول من سنة ١٩٥٢ ، فقلّبناهُ فاذا في الصفحة ٦٢٢ منهُ ، مقالٌ باربع صفحات عنوانهُ: « الراهبة رفقا اللبنانية ١٨٣٣—١٩١٤ » مترجَم باسم أبٍ « محترم » ايضاً . وأقلّ ما يُقال وينمُّ عنهُ هذا المقال ، ان كاتبهُ العبقري – حفظهُ الله حجّةً للتاريخ – قد حذق حرفة البتر والنسخ والمسخ والسلخ من ترجمتنا للراهبة رفقة ، وأبت عليه طباعهُ الكريمة ان يشير الى الموطن الذي نقل عنهُ لا تلميحاً ولا تصريحاً اسوةً بزملائه الابطال[1] !

ومما يُنبئ عن ان حضرة « المحترم » من مَهرة المؤرخين وحذّاقهم الخُلقاء

---

[1] كنا فرغنا من كتابة مقالنا : « معارضة نصّ كتابين مخطوطين ، بنصّ كتابين مطبوعين » في صيف هذه السنة ١٩٥٣ ، في دير سيدة المعونات بجبيل ، وقدّمناهُ للطبع . ولما وقفنا على مقال حضرة هذا الاب « المحترم » الموما اليه ، ارسلنا فاستمددناهُ حتى صدّرناهُ بهذه الكلمة في « السرقة الادبية » .

بكتابة التاريخ ، هو قوله في خلال كلامهِ عن مراحل حياة الراهبة رفقة : « انها درَّست الصغار في قرية معاد سبع سنوات وفي تلك الايام صدر امر الكرسي الرسولي بالغاء الرهبانية اليسوعية فتفرق شمل الرهبان والراهبات كل الى بلاده . »

فكم كانت دهشتنا عظيمة لدى قراءتنا هذه العبارة التي استنكرناها أشدَّ الاستنكار ! وما درينا من اين أتى حضرتهُ بفكرة إلغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة الكريمة حتى نَصَّبها في هذا الموضع ! ؟ وما الداعي لاثباتها في هذا المقام ! ؟ ولمَّا كان حضرتهُ قد سلَخَ مقالهُ هذا برُمَّته من ترجمتنا لهذه الراهبة كما أسلفنا ، رجعنا الى هذه الترجمة لنرى اذا كنا قد وقعنا هناك في هذا الخطإ، فاذا بنا نقول :« وفي تلك الأيام ارتأى الآباء اليسوعيُّون ان يتفرَّق شمل الراهبات لأسباب[1] » واننا لم نذكرها في حينهِ ، لانها تُدرك بداهةً من سياق كلامنا عن أدوار حياة الراهبة رفقة،التي أتينا عنها بالتفصيل . وما كانت تلك الأسباب إلَّا حوادث سنة ١٨٦٠ الشهيرة التي ضعضعت مذابحها وأهوالها العقول ووقف العقلاء إزاءها مكتوفي الأيدي حائرين لا يعلمون كيف يصنعون ! وكلُّ من لهُ أدنى إلمام بالتاريخ لا يجهل ان البابا اكليمنضوس الرابع عشر ألغى الرهبانيَّة اليسوعيَّة مكرهاً تحت تأثير الضغط والارهاب وذلك في سنة ١٧٧٣[2] . فأين كانت الراهبة رفقة ! ! ؟ وأين كانت جميَّة راهبات القلبين الاقدسين في تلك السنة التي أُلغيت فيها الرهبانيَّة اليسوعيَّة ! ؟ ؟ فـانَّ صاحبنا شطب بجرَّة قلم فوق اسم سنة ١٧٧٣ التي صدر فيها مرسوم « الإلغاء » وأثبت مكانه اسم سنة ١٨٦٠ ، فتحصَّلت النتيجة من مقدِّمات كلام حضرة الاب المحترم على هذا النحو :« ان البابا اكليمنضوس الرابع عشر المتوفَّى في سنة ١٧٧٥ أصدر أمرهُ في سنة ١٨٦٠ بالغاء جمعية راهبات القلبين الاقدسين (قلب يسوع وقلب مريم) المرتبط قانونها بقانون الرهبانيَّة اليسوعيَّة التي فيها تفرَّق شملُ الراهبات والرهبان ، اي في سنة ١٨٦٠[3] » ، زه ! زه ! أكذا تكون المناطقة ونتائج مقدِّماتهم ! ! ؟

---

١) ترجمتنا للاخت رفقة الريّس الراهبة اللبنانية . الطبعة الاولى . بمطبعة القديس بولس في حريصا سنة ١٩٣١ ص ١٦ .

٢) عليك بمقال الاب شيخو اليسوعي في هذا الموضوع (المشرق ٢١ [١٩٢٣] ٥٦١)

٣) راجع بحث الاب شيخو في نشأة جمعية الراهبات المريمات التي اسسها الخوري دانيال

أهكذا يكتبون في التاريخ !!؟ أعلى هذا الشكل يكون التصحيف والتحريف والخبط والخلط والجبل والمسى !!؟ أما كان الأفضل لهذا الاب ان ينصرف الى الكتابة في بحث جديد ، غير بحث الراهبة رفقة ، يدرُّ عليه الشهرة التي يتطلّبها ، من ان ينقل من كتابنا فيسخ ، ويطلع علينا بمثل هذه الفهاهة !!؟ انا نراه ، وأيم الحق ، جديرًا بان نخصّهُ بهذه الأبيات التي خطرت لنا فنظمناها، ونحن في معرض هذا الكلام ، وهي :

لله درّهُ كاتبًا ومؤرّخًا	حوى الحقائقُ ان تحطَّ ببابهِ
ويودُّ تاريخُ البلادِ بأسرهِ	تعفير جبهتهِ على أعتابهِ
واعتزّ لبنانٌ به يوم الوغى	بسهولـه وبطاحه وهضابهِ
حمل اليراع وكان أوّلَ فارسٍ	خاض الملاحم في رؤوس حرابهِ
ان صرّ فوق الطرس هزَّ صريرهُ	إبنَ الفخم فانثنى بترابهِ
او جالَ في التاريخ جولة عالمٍ	متحققٌ أربى على أقطابهِ
دانتْ لهُ الأقلامُ في تحقيقها	وَتَبَّتْ اليهِ تصبُّ درَّ عبابهِ
كم قال قبلي في البريّة قائلٌ	يا ليتني قد كنتُ من حجّابهِ
ليظـلَّ رأسي شامخًا بشموخهِ	واظلَّ أغرفُ من خضمِّ سرابهِ
وأكون تيّاهًا بهِ بشيرتي	ما زلتُ أرتعُ في فناءِ رحابهِ
يا جبهةَ التاريخ في طـلّابهِ	ان كان هذا الفردُ من كتّابهِ
سيحدّدُ البالي وينشرُ ما انطوى	ويعيدُ رونقهُ وغضَّ اهابهِ
ورواة دائمةٍ وسالف مجدهِ	ان خطَّ سطرًا في سطور كتابهِ
فتراهُ يرفلُ في مطارفِ وشيهِ	كالبدر يخطرُ في سنى جلبابهِ
بالنسخ بل بالمسخ أصبح ماهرًا	متفوّقًا حتى على أربابهِ
بالخبط بل بالخلط آيـة دهرهِ	قد بزَّ من سبقوه من اصحابهِ
داءٌ أُصيبَ بهِ وعزَّ دواؤهُ	يا للمصيبة في حلولِ مصابهِ

ألا ينصفنا قرّاؤنا بعد كلّ هذا التلميح أو التوضيح ، ويعطوننا الحق كل الحق في قولنا الصدق بتهمة أبطالنا بالسرقة الأدبيّة وبالسلخ والمسخ ، وبتشويه الحقائق وابدالها بالخوارق !!؟ عن قريب نضع النقط على الحروف ونقابل

الجميل ، وكيفية انضمامها الى جمعية راهبات قلب يسوع ، فقيه حدُّ الكتابة (المشرق ٢١ [١٩٢٣] : ٦٤١ – ٦٥٦

سرقاتهم بكتاباتنا بأجلى وضوح ؛ فتنكشف عندئذٍ الرغوة عن الصريح ، ويظهر الحق ويزهق الباطل . ان الباطل كان زهوقاً !

وهناك فارس آخر مغوار من فرسان هذا الميدان ، وهو أبٌ « محترم » ايضاً ، برز الينا من الوراء منتضياً سيفاً طويلاً لا يتناسب هو وقامته ، ونزل الى ساحة كتابنا المعروف « الاب شربل مخلوف » وجال فيها جولة بطولة ورمى أو ضرب هذا الكتاب ناهجاً نهج أضرابه الشجعان ، فقطعَ وبترَ ، وشطرَ وشترَ ، ونسخَ ومسخَ ، وسلخَ وفسخَ منهُ العبارات التي نطق بها الاب شربل ، ودار حولها دورةً ثمَّ ضمَّها في كرّاسةٍ صغيرةٍ وطبعها باسمه سنة ١٩٥٢ تحت عنوان : « كلمات الاب شربل » في ٤٠ صفحة[1] . ولم يتنازل حضرة هذا « المحترم » الذي يتمرّن على الضرب والرماية ، ويفيدنا عن المصدر الذي سلخ منهُ هذه « الكلمات » الخالدات ! فبرهن بذلك على انهُ ضرّاب ماهر وقطّاع نادر !! فلله درّهُ !!

كذا فلتكن أبطال التاريخ والادب ! كذا فلتكن مضارب سيوف الفرسان ! وعلى غرار ابطالنا البسلاء فلتطبع حملة الاقلام وقادة الاذهان ! انهُ :

لمثل هذا يذوب القلبُ من كمدٍ ! . .

=

ولا يتوهَّم قرَّاء « المشرق » الألبّاء ، ان الامر انتهى عند هذا الحدّ ؛ ويا ليتهُ انتهى ، لكان هان الخطب وخفَّت المصيبة واسترحنا وروَّحنا ، ولكننا رأينا كثيرين من طراز اصحابنا المطرطرين ؛ قد حذوا حذوهم في الإقدام على السرقة من كتابنا « الاب شربل مخلوف » بالرغم من اعلان تنبيهنا على صدر صفحة عنوانه ، بان جميع حقوق الطبع والترجمة والنقل والاقتباس محفوظة للمؤلف » اي لنا ، الذي لم يكترثوا لهُ ، بل اقتبسوا واختلسوا منهُ ما شاءوا وشاءت رغائبهم وأذاعوا كتاباتهم هذه النفيسة بكلّ صفاقةٍ ووقاحة خاليةً من ذكر مواطن الاختلاس او الاقتباس ، بعد ان قنَّعوها أقنعةً شفّافةً لا تستر خزيهم ولا تحجب عنهم طريق الهزيمة . وسوف نأتي على ذكرهم واحداً فواحداً مجاراةً لرغبتهم في توسيع شهرتهم ، ولا نحرمهم آيات الثناء والاعجاب ببطولتهم !!

[1] اطلعنا على هذه الكراسة ايضاً اتفاقاً وعَرَضاً اذ كنا في جهات الشرق .

لقد وهموا أو توهموا بأنهم اذا راغوا روغةً وسرقوا سرقةً من الجانب عن حياة الاب شربل والراهبة رفقة وخطّوها بقلمهم وعلّموها وبرقشوها باسمائهم ، يظنّ الناس ان الله قد آتاهم فتحاً مبيناً ونصراً عظيماً ، فافتتحوا بجدّة ذكائهم ومضاء عزيمتهم اميركة جديدة ، مع ان الناس يعلمون بان الذي افتتح اميركا من قبلهم هو كريستوف كولمبس ، بعد ان خاض البحار وركب الاخطار وقاسى الاهوال . ورحم الله الشيخ عبدالله البستاني الذي قال :

لو كنتُ أقدرُ ان أُعاقب أبحرًا قاسى بها كولومبسُ الأهوالا
نتزعتُ منها درَّها وجعلتُهُ فوق الضريح لشخصهِ تمثالا

لم يطلع علينا أصحابنا بشيءٍ جديد قد خفي عنا أمرهُ في حياة الاب شربل او الراهبة رفقة لنقرّ لهم بالبطولة والمقدرة ، ولكنهم كانوا عالةً علينا في كل ما بحثناهُ وحققناهُ عنهما ! فما الداعي اذاً لكلّ هذه الخرشفة والقطرسة ؟ !

٭

ما حيلتنا بهؤلاء المتبجحين المتفيشين الفوارس بالتاريخ ؟ ! وقد سُدَّت بوجهنا الحيل في ردعهم وزجرهم عن مثل هذه السرقات ، والشاعر يقول :

لي حيلةٌ في من ينمُّ وليس « للسرّاق » حيله

قيل : ان الشيخ ابرهيم اليازجي نظم بيتين من الشعر تحت رسم ، فاقتبس اديب بك اسحق منهما المعنى وسبكهُ في بيتي شعر من نظمه ، ولما اطلع عليه اليازجي وأعجبهُ قال : « من سرق واسترقّ فقد استحق » ولو فعل اصحابنا لكنا سكتنا وأطرانا ، ولكنهم سرقوا فغلطوا ولم يرتقوا ويسترقوا ليستحقوا . ويبين انهم أحبّوا ان يمثلوا دور عيسو فثاره ! فالى أبطالنا هؤلاء « المحترمين » ونظائرهم نوجّه الكلام قائلين :

اين كنتم عندما بدأنا بسنة ١٩٢١ ، نبحث وننقب عن حياة عبيد الله الثلاثة : الاب نعمة الله كسّاب الحرديني والاب شربل زعرور مخلوف حبيس محبسة دير عنّايا والراهبة رفقة الريس من حملايا ! ؟

اين كنتم وقت نشرنا في سنة ١٩٢٢ مختصر حياة الاب شربل في مجلّة « المشرق » الزاهرة ، وحياة الاب الحرديني مشفوعةً بذكر عجائبه في مجلّة «رسالة السلام» وحياة الراهبة رفقة في المجلّة « البطريركيّة» وقد طبعناها على حدة

طبعتين ! ؟ لماذا لم تكتبوا عنهم في ذلك الحين ؟

اين كنتم حينما كنا نجول في انحاء لبنان قاطعين المسافات الشاسعة ومعانين مشاق السفر تارةً مشياً وطوراً ركوباً ، ومتأبطين دفاترنا واوراقنا ومتحملين ثقل التعب ومضض الحرّ والقرّ والجوع والعطش ، للتقصي والتفتيش عن آثار هؤلاء البررة الاتقياء ! ؟

كم من مرةٍ سقطنا عن ظهر مطيّتنا فأُصبنا برضوضٍ وجروحٍ في هذا السبيل أطلقنا من ورائها التأوّه والأنين ! ؟

كم من ليالٍ سهرناها الى ان افترَّ ثغر الفجر لقدوم الصبح ، ونحن مكبّون على التدقيق والتحقيق في حياتهم حتى أبرزناها بمثل هذا الجلاء والوضوح ! ؟

كم من عقبات كأداء صدفناها في حلّنا وترحالنا فذلّلناها ! وكم من عُقَدٍ ومشكلاتٍ وجدناها فحللناها ! وكم من أعراقٍ وجهودٍ بذلناها مستسهلين الصعاب غير حافلين بالأتعاب في خدمة رجال الله الاقطاب ! ؟

بحقكم قولوا لنا اين كنتم في ذلك الحين وما خضتم هذه الميادين ! ؟

اين كنتم حينما دخلنا في احد الأيام غرفة مخدومنا المفدّى قدس الآباتي اغناطيوس داغر التنّوري رئيس الرهبانيّة اللبنانيّة العام سابقاً ، فرأيناه ينضِّد ثيابهُ في حقيبةٍ استعداداً للسفر الى رومة العظمى لتقديم واجبٍ بنويٍّ فقط ، فقلنا لهُ : « من حيث انكم ذاهبون الى رومة فلا يصعب عليكم ان تشاوروا هناك مَن تريدون فيما اذا كان مناسباً ان تعرضوا لقداسة البابا موجز حياة رهباننا : الاب نعمة الله كسّاب الحرديني والاب شربل مخلوف والاب دانيال العلَم الحدثي[1] (حدث الجبّة) والراهبة رفقة الريّس ، وما أجرى الله على ايديهم من العجائب أحياء وأمواتاً ليجري الفحص عنها . هل تعلمون ماذا اجابنا؟ قال وهو يهزّ برأسه : « اننا بالكدّ نعرف اسماءهم يا بُنيّ ، وليس لدينا كتابة ما ولو قصيرة نستند اليها في فتحنا هذا الفتح ! » وفي حال سماعنا جوابه اسرعنا الى غرفتنا وأتيناهُ بدفاترنا المنطوية على أبحاث مسهبة عنهم ، ولما رآها مستوفية

---

١) أُرجئت دعوى هذا الاب البار الى ما بعد البتّ بقضية اخوانهِ الثلاثة، وهو لا يقل عنهم طهارةً وقداسةً وشهرةً . وقد افردنا لهُ دفتراً خاصاً متضمناً الابحاث الجدّية في حياتهِ النسكية ، وربما نشرنا ترجمتهُ في مجلة « المشرق » المنيرة .

شروط الدقة والضبط قال متعجباً : « اي متى علمتم هذا العمل ؟ ومن قال لكم تعملوه ؟ » قلنا : « بدأنا به في سنة ١٩٢١ ، وعبيدالله هم الذين ألهمونا مباشرته » فأمر عندئذٍ بضم دفاترنا هذه الى حقيبته وسافر في اليوم التالي الى رومة سنة ١٩٢٥[1] ، وأخبر بالامر الكردينال سينشيرو وأطلعهُ على الدفاتر وسأله رأيهُ ، فاجابهُ الكردينال : « من كل بدّ اعرض المسألة لقداسته » . فتشجّع الاب التنوري ، ولمّا مثل بحضرة قداسة البابا بيوس الحادي عشر في الرابع من ايار من السنة المذكورة ، بسط له القضيّة بإيجاز راجياً ان يتنازل ويأمر بالفحص القانوني عن حياتهم . فقال لهُ قداستهُ : « حين وصولك الى لبنان باشر في الحال فتح الدعوى رسمياً والمجمع المقدس يفيدك عن كيفيّة السير فيها ، وانا أسعفك . . . »

عاد الاباتي التنوري الى لبنان متهلل الوجه عامر الصدر بدواعي الفرح والابتهاج بنجاح المسعى ، وباشر للحال فتح الدعوى ، ونحن الذين انشأنا العرائض الثلاث وكتبناها على ورق من البادي الصقيل ورفعها قدسهُ الى المثلث الرحمة البطريرك الياس الحويك الذي عيّن لجنة خاصة للفحص والتحقيق في هذه الدعوى المبتة . ولم تزل بيد احد افرادها ثلاثة تحارير قدّمناها لهُ ، هي بخط يد الاب الحرديني نفسه ، عثرنا عليها بشق النفس بعد تفتيش استغرق ثلاثة ايام في اكداس من الاوراق والرسائل غطتها طبقات الغبار ، في بيت الوجيه المرحوم ابرهيم الخواجا من جران (بلاد البترون) والى الآن لم يرجعها الينا بالرغم من مطالبتنا بها مراراً . ونذكر ان احد هذه التحارير للاب الحرديني ، مؤرخ في سنة وفاته وهي ١٨٥٨ ، وقد رأينا فيه نثار الرمل على امضائه تجفيفاً لحبره جرياً على عادة الكتّاب في ذاك العصر .

بعد ان بسطنا ما بسطناهُ ، نصدع بهذه الحقيقة بدون ادنى تهيّب وتحرّج : ان فكرة إثارة قضيّة عبيد الله الثلاثة في دوائر رومة هي فكرتنا ، ونحن أول من كتب عنهم[2] ، وان اللجنة التي عُهد اليها بالفحص والتحقيق عن حياتهم وعجائبهم ، فالى دفاترنا رجعت وعليها عوّلت واعتمدت وبنورها استضاءت ،

١) طالع تفاصيل هذه الرحلة (المشرق ٢٤ [١٩٢٦] ٨٠ — ٩١)

٢) ترك لنا قلم الاب نعمة الله الدكرُوم الكفري الشهير بعض صفحات عن حياة الاب الحرديني وعجائبه، جمعناها من هنا وهناك ، ولو لم نظفر بها لكانت تلاعبت بها ايدي الضياع .

اذ لولاها ما كانت لجنة ولا كان فحص او رفع قضية الى رومة ! واذا كنتم في ريب مما قلناهُ ، فالاب المحترم الشُّوري ما زال حياً يُرزق ، فاسألوهُ ! اسألوهُ فتعلموا اذا كنا صادقين أو كاذبين ! بحقكم قولوا لنا ايها «الأشبال» أصحابنا ، اين كنتم في جميع هذه الأدوار التي ذكرناها !؟ أكنتم بالامس نكرةً واليوم اردتم ان تصيروا معرفةً بكدّكم واجتهادكم في الكتابة عن الاب شربل والاخت رفقة !؟ بارك الله في همتكم العالية !!

هل يعلم القرّاء اين كانوا ؟ يعلم جميع عارفيهم انهم كانوا في ذلك الزمن متوسدين وساد الراحة طربين بالأحلام اللذيذة ، لا يخطر ببالهم واحد من رجال الله الثلاثة المذكورين ! وما انتبهوا من سِنة الكرى إلّا على دويّ عجائب الاب شربل الجبّارة في هذه الآونة الأخيرة ، فهبّوا وأسرعوا الى الكتابة عنهُ وعن رفيقيهِ ، اظهارًا لمقدرتهم الكتابيّة وتضلّعهم من التاريخ ، ولما رأوا اقلامهم صدئةً ومحابرهم جافّةً ودفاترهم فارغة ، تعمّدوا قلمنا وحبرنا ودفاترنا . فلله درّهم !

=

ومما زاد في الطين بلّة وفي الطنبور نغمة ، هو ان فريقاً من أمثال هؤلاء الافاضل ، قد بلغت بهِ الجرأة والجسارة على سرقة آثار الرجال الأموات ، لا يصدّهم حياء عن نبش القبور وسرقة المطمور ! وهل من وصفٍ أو نعتٍ معيب ومؤلم ممّا ، وهو ان يُقال للرجل : «يا سارق اكفان الموتى !؟» ومن الناس من يتأملون مثل هذا الوصف أو النعت المذموم ، لانهم لا يتورّعون من سرقة الاموات واحترام الرُفات ، وذلك باغارتهم على كتابٍ خطيٍّ قديم سواء كان وضعاً او ترجمةً فينتحلونهُ ولا ينحلونهُ ويصدرونهُ ويُصدّرونهُ باسمائهم الكريمة ، ويطمسون اسم مؤلفه أو مترجمهِ بخطّ الدناءة والصغار مواراةً لهُ عن الابصار ، لوهمهم انهُ كرّت على هذا المخطوط سنون وأُهيل على صاحبهِ تراب السلوّ والنسيان وتوارى في خبر كان ، وهم لم يفطنوا ابين الله الشديدة السطوع التي تكشف خفايا الظلام وفلة الظلّام ولو من بعد حين ، ولم يصغوا لصوت الله الصارخ في الآذان : «لا تسرق» ! والسرقة لا بدّ من ان تُفتضح ولو عبرت عليها مئات السنين . وفي دفاترنا الشيء الكثير من امثال هذه السرقات الادبيّة المترعة

القديمة والحديثة التي تنبئ عن بطولة اصحابها الذين خالفوا قول من قال :

ليس من يقطع طرقاً بطلا   انما من « يسرق الشيء » البطل

انا نصارح أبطال هذه السرقات وبالأخص ابطال سرقة كتابينا معلنين للجميع : اننا قد عقدنا العزم على اقامة الدعوى القانونية على المترجمين والناسخين والمقتبسين عن كتابينا في الاب شربل والراهبة رفقة ، والناشرين في جميع اللغات من اية طبقةٍ ولغةٍ كانوا ، المتعيشين أو الراغبين في الشهرة « على ظهر » الاب شربل والاخت رفقة ، المستأثرين بالأرباح غير مقدّمين شيئاً منها للرهبانية. وقد صمّمنا ايضاً على وضع درس خاص مستفيض ، في هذه السرقات وما يلابسها ويلامسها من ضروب الاحتيال ، مع ذكر مواضعها واسماء ابطالها ، مقيمين الدليل على كلّ شاردة وواردة ، وسيكون المقبض الذي يشدّهم من حديد ، بحيث لا يستطيعون ان يجدوا لهم معوزاً أو تمخلّا او مفلتاً للهرب من الاقرار بها والتحمّل لتبعتها ولا شيء يثنينا عمّا قصدناه ، لا من صداقةٍ ولا من سياسة ولا من تعارف ولا من رابطة من الروابط ، وذلك كبحاً واذلالاً لغطرستهم وزجراً لنظائرهم الذين تحدّثهم نفوسهم بمثل هذا الإقدام أو الاقتحام المخجل !

ونقول ايضاً : انه اذا كان في عيشهم إمساكٌ وضيق ، فليلتمسوا الرفق والرزق من غير هذه الطريق ! أو كانوا من محبّي الشهرة ، فليطلبوها من غير هذا المصدر البالي العتيق !

ويعلم جميع عارفينا ومعاشرينا ان ليس من طبعنا التعرّض لمثل هذه الامور ولكنّهم أحوجونا فأخرجونا عن دعتنا وسكينتنا وحملونا على ارسال هذا الرشاش اللاهب المتطاير من شق قلمنا ، الذي يلفح ويلفع ويسفع ويصفع وجوههم الصفيقة وحدها لعلّها تندى بعرق الخجل والحيا. فيكفونا مؤونة هذا الاعنات ! وما كان أغنانا وأغناهم عنه لو لاذوا بالصمت الذي هو خيرٌ لهم وأبقى . ولو لم يطرقوا هذا الباب ، لما كنا أسمعناهم هذا الجواب . وقد سقط في محلّه .

هل دار في خلدهم يا ترى اننا « تقدّمنا بالسنّ » كما رمت مجلة «المسرّة» العزيزة في خلال اطرائها أحد اخائنا ، وتولّانا العجز والوهن وكلَّ اليراعُ في

يدنا فأمسينا عاجزين عن صدّ هجمات المتهجّمين علينا والمتحككين المتحرّشين بنا من دون سبب ؟ فاطمئنانا لبالهم نعالنهم : باننا لم نجتز بعد السنة السابعة والخمسين من عمرنا ، وما زلنا بعون الله ، على ذلك النشاط والجَلَد على العمل الذي يمهدهُ بنا اصحابنا وتمهدهُ مجلّة « المسرّة » التي نشكرها على كلمتها الطيبة بحقّنا ، ولم يتسرّب الينا بعدهُ ونًى أو قعود وفتورٌ أو جمود ، ولن يتسرّب وينال منا ، باذن الله ، ما امتدَّ بنا حبلُ الحياة . وباستطاعتنا أن نردَّ كيد الكائدين ونطرُ الراغبين في مكافحتنا ومكاشفتنا بالعداوة لغير علّةٍ ، وان نكبح جماح المطرمذين ونكفّ ايدي الطارقين بابنا للسعاية لا للهداية لعلّهم يُطرقون ويخجلون !! وبهذا القدر كفاية لأُولي الألباب[1].

---

(١) لدينا ابحاث خطية خطيرة في حياة الاب شربل والراهبة رفقة ، كتبناها من نحو ثلاثين سنة وهي لم ترَ النور بعد ، وتبشر « اصحابنا » باننا عازمون على نشرها ، فلينتظروها ليتخاطفوها لقمة سائغة وغنيمة باردة !!

معارضة نص كتابين مخطوطين بنص كتابين مطبوعين

المخطوط الأول

في خزانة كتبنا الخطيّة بدير سيدة المعونات (جبيل)، كتاب خطي يتضمّن «تسعة تأملات روحيّة في سيرة القديس انطونيوس (الكبير) النسكية» وينتهي كلّ تأمل بمخاطبة القديس انطونيوس وصلاة ونموذج. وضعهُ باللسان التلياني الاب فرنسيس غلوسيوس اليسوعي، ونقلهُ الى اللسان العربي الخوري اندراوس اسكندر الماروني اصلًا والقبرسي مولدًا[1] ترجمان المجمع المقدّس،

[1] راجع ما كتبهُ عنهُ العلّامة المطران يوسف الدبس في كتابهِ «الجامع المفصّل في تاريخ الموارنة المؤصّل» عدد ٩١ صفحة ٤٦٩ - ٤٧١، وذكر الدبس هناك انه لم يعرف من تآليفه سوى مقالة في ترجمة القديس مارون وثبات الموارنة الدائم في الايمان الكاثوليكي بالايطاليانية، ومقدّمات عنها على كتاب القداس الماروني المطبوع تحت نظره سنة ١٧١٧ برومة

في خزانة كتبنا المومأ اليها، كتابٌ خطي تحت رقم ٣٧ عدد ١٩، يسمّى «كتاب محبة يسوع» نقله من اللغة التليانية الى اللغة العربية في سنة ١٧٣٧ الخوري اندراوس اسكندر المذكور تلبية لطلب القس يواقيم قدّوم الراهب اللبناني.

يبتدئ هذا الكتاب «بمقدمة في محبة يسوع ص ٢ وبرقم فهرسه ص ١٠، ينطوي على ثلاثة اقسام. القسم الاول يتضمن «ثمانية اسباب تقود الى محبة يسوع» ص ١٢. والقسم الثاني «ثماني وسائط مسهلة ربح محبة يسوع» ص٧٦، «وصلوات وطلبة لاسم يسوع» ص ١٠٤. والقسم الثالث «ثماني علامات الى محبة يسوع وفي علاماتها ودلالاتها» ص ١١٩. ويلي ذلك «رياضة خشوعية نحو سيد المسيح يجب ان تصير كل يوم في سبعة (ابتداء) النهار صحبة الصلوات السماوية» ص ١٦٧. ثمّ «ايضًا قول مختصر عن ارثم السيد المسيح لان يسوع قد اوحى بذاته الى القديسة البسابات والقديسة بريجيتا» ص ١٧١. ثمّ «تأمل مختصر في الآم المسيح» ص ١٧٦ منظم على عدد ساعات الليل والنهار التي تألم فيها المسيح. ثم «تأملات مختصرة في الآم سيدنا يسوع المسيح مبنية على ظروف الحدوث وهي ثمانية» ص ١٩٠ وهذه التأملات غير تامة لسقوط اوراق منها. ثمّ «تأملات على ايام الجمعة في جهنم» ص ١٩٥.

يقع هذا الكتاب المخطوط في ١٩٧ صفحة. طولهُ ١٦ سنتمترًا. عرضهُ ١١ سنتمترًا الصفحة منهُ ٢٠ سطرًا. مضى على نسخهِ مائتان واحد عشر عامًا. مكتوب بالحرف السرياني الكرشوني، بالحبر الاسود وعناوينه بالحبر الاحمر. خطّهُ جميل جدًا، مجلد بجلد اسود مهترئ لتقادم عهده. قد اعملت الارضة اسنانها في اوراقهِ فثقبتها وخرقتها واذهبت بكلمات عديدة من فصوله. كُتب على ظاهر الصفحة الاولى منه بخط مختلف بالكرشوني: «وقف مؤبد برسم الرهبان البلديين اللبنانيين».

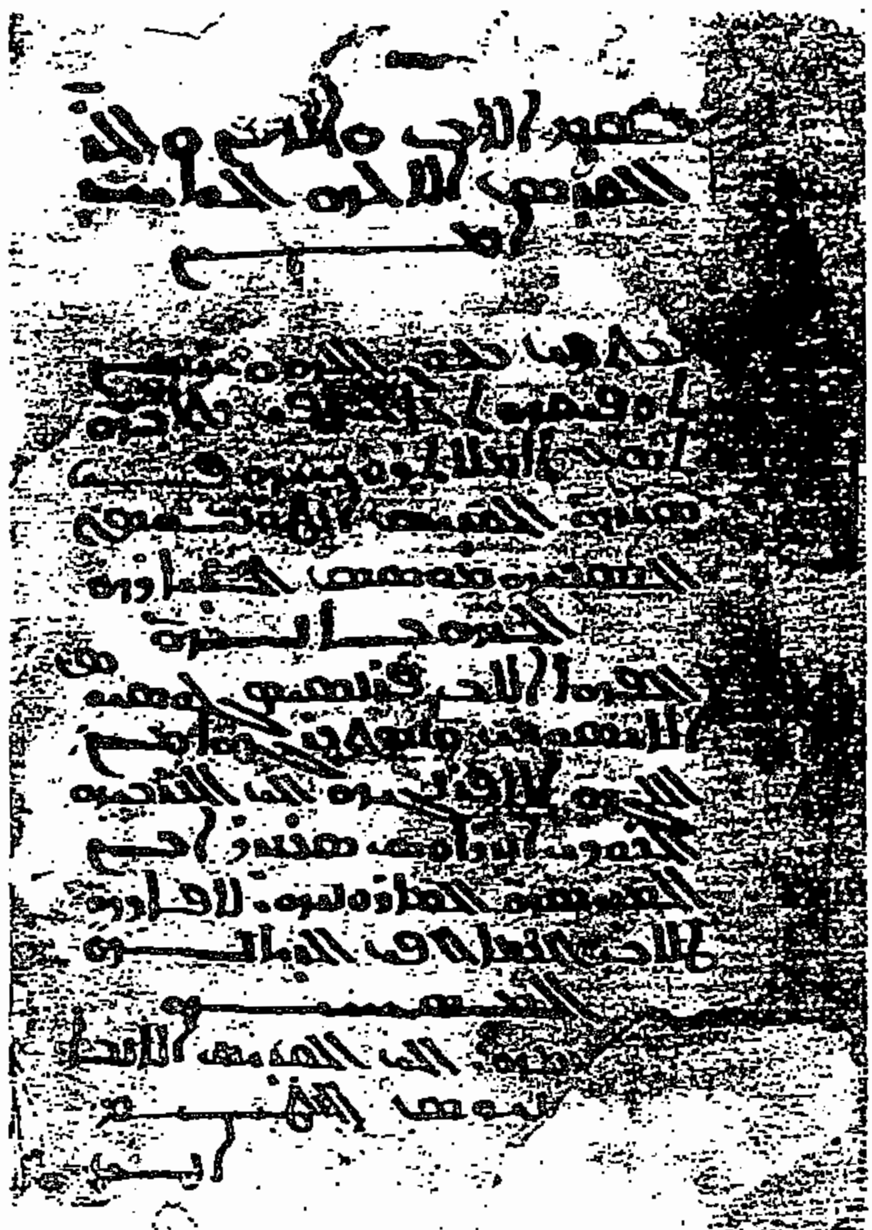

مخطوطة تأملات غلوسيوس . ترجمة الخوري اندراوس اسكندر الصفحة ١

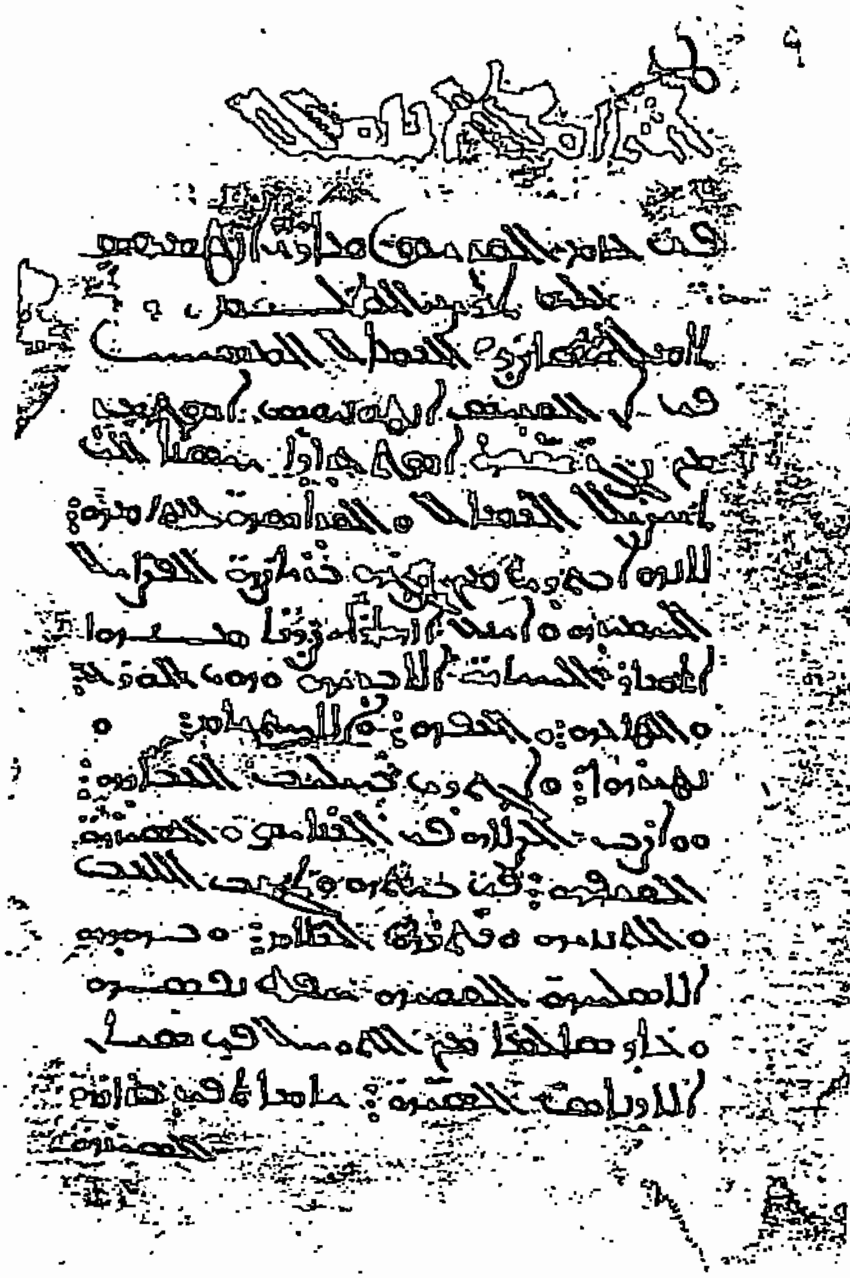

مخطوطة التأملات الصفحة ٩

اجابةً لرغبة رهبان دير مار بطرس ومرشلينوس في رومة العظمى ، ونسخةُ بخط سرياني – كرشوني – على ورقٍ عبّادي، الاب جرجس قشّوع البسطاوي الراهب اللبناني[1]، في ديرنا سيدة طاميش سنة ١٧٦١ ، يقع في ٢٤٨ صفحة . مجلّد بجلدٍ اسود . مكتوب بالحبر الاسود وعناوينهُ بالحبر الاحمر . طولهُ ١٥ سنتمترًا وثلاثة ارباع السنتمتر . عرضهُ ١٠ سنتمترات وثلاثة ارباع السنتمتر . الصفحة منهُ ١٩ سطرًا .

كُتب على قفا الصفحة الأُولى منه بخط كرشوني مختلف :

« هذا الكتاب الى الاب قرياقوس البنعاقي قد تسلّمهُ حين صُرّ مدرسة الصليب باعتنا حضرة الاب مرقص الكفاعي المدبّر . الله يرحمهُ » (٢

ورد في اوله بعد البسملة ما يلي بالحرف الواحد :

(بحبر احمر) « نبتدي بعون الله وحسن توفيقه تعالى في كتابة تسع تأملات روحيه في « سيرة القديس انطونيوس الناسكيه موسس الديارة الرهبانية

جاء في اوله بعد البسملة ما يلي بالحرف الواحد :

« قد استخرج هذا الكتاب المبارك من اللغة الايطاليانية الى اللغة العربية الاب الفاضل
« العالم العامل الذي رضع من حليب المدارس واستفاد وافاد بعلمهِ وحزمهِ لمن اقتدا (اقتدى)
« بفدله وهو الخوري اسكندر التبرصي ترجمان المجمع المقدس ومعلم اللغة السريانية والعربية
« في مدرسة الحكمة برومية الكبرى سنة الف وسبعماية وسبع وثلثين مسيحية وهو كتاب
« جليل مستطاب ينير العقل والبصيرة ويهيج الارادة هيجانًا كليًّا في المحبة نحو يسوع المسيح
« الذي اشترا (اشترى) الانفس بدمه الكريم وكان الساعي في استخراجه الفس براقيم
« قدّوم الراهب اللبناني من رهبان ماري انطونيوس الكبير اب الرهبان » .

وجاء في ذيل صفحة ١٩٧ المتضمنة اسم ناسخهِ ، وهي الاخيرة ، ما هو بحرفهِ :

« انتهى والمجد لله لا ينتهي بيد العبد الخاطي الشدياق انطونيوس ابن الخوري سمعان
« من قرية غوسطا في اليوم الثامن والعشرين من شهر تموز سنة الف وسبعماية واحدى واربعين
« مسيحية . فارجو من الاخوة القاريين الدعا وعدم المواخده بما يجدوه من النقص لان
« الكمال لله وحده صح » .

١) راجع ما جاء عن الاب جرجس قشّوع ، تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ، للاب لويس بليبل احد آباء رهبانيتنا ، في مجلدين كبيرين . مطبعة يوسف كوى بمصر ، سنة ١٩٢٤ و ١٩٢٥

٢) ان مدرسة الصليب كانت شيّدت في طَرَف قرية بجدرفل (بلاد البترون) بمحلّة تُدعى « بقرقربا » . واما الاب مرقس فهو من عائلة الحداد من قرية عين كفاع (بلاد جبيل)، انتخب رئيسًا عامًا لرهبانيتنا اللبنانية، وكان من آبائها المشهورين بالفضيلة والملحوظين بلاحظة الاعتبار رئيسًا كان او مرؤوسًا . وظلّت هذه المدرسة بيد الرهبانية سنين طويلة الى ان باعها الرئيس العام الاب مرتينوس سابا البسطاوي .

(بحبر اسود) « الّفها الاب فرنسيس علوسيوس الايسوعي واستخرجها من اللغة
« الافرنجيه الى العربيه الخوري اندراوس سكندر ابن المدرسه المارونيه لافادة طلّاب الكمال
« في الديانه المسيحيه »

وجاءَ في آخرهِ ما نصُّهُ :

«قد نقل هذا المولف (المؤلّف) المفيد من اللغة اليتليانة (التليانية) الى العربية لافادة راغب
« الافادة على يد الخوري اندراوس سكندر القبرصي تلميذ مدرسة الموارنة سابقًا وترجمان
« الكرسي ارسولي والمجمع المقدس حالًا. وترجمه بطلب الابا الافاضل رهبان ماري انطونيوس
« الموارنه القاطنين في رومية في دير القديسين بطرس ومرشلين قاصدًا غو هيادهم نحو باسم
« (مؤسسهم) الجليل وحسن دعاهم ودعا اخوتهم الكائنين في الامصار اللبنانية المفيدين جميع
« الطوايف الشرقية بحسن سيرتهم النسكيه وامثالهم ورسالاتهم الروحية . والمجد لله دايمًا .
« وقد كمل نسخ هذا الكتاب المبارك في ثمانية وعشرين من شهر ايار المبارك سنة
«احصط (١٧٦١) . وبأن يد الحقير في الكهنه جرجس قشّوع كيتنًا (كينةً)
« عوصطاني (غوسطاوي) مولدًا راهب لبناني اسمًا بدير سيدة طاميش من اقليم كسروان
« في جبل لبنان »

اليك مقدَّمة الكتاب وديباجتهُ ، بالحرف الواحد ، وهما لمؤلفهِ :

(بحبر احمر) « تقدمة الى القديس الانبا مار انطونيوس العظيم»

(بحبر اسود) « اني اقدّم لك يا اب الدياره والرهبان . يا اب السيره النسكيه
« المشهور بالقداسة الفريده النجيبه . هـذا التأليف من قلمي الضعيف . لكي انال به
« شفاعتك عني ومن كلمن يقف عليه ويقراه . اذا كانوا انجذبوا كثيرون الى هجر العالم
« ومثابرة الفضيله من قراة (قراءة) سيرتك المحرره من القديس اثاناسيوس[1] الجليل
« وحاذوا الثواب الابدي وفازوا بالخلاص. فكيف لم ارجوا انا ايضًا بان المتأملون بحسن
« سيك المدون في هذا الصنف يحصلوا على اصلاح سيرتهم ان كانت حوجه او يضطرموا
« بغيرة الاقتدا بامثالك الحميده وباقتفا اثاراتك المقدسه . او اقله ينموا يومًا فيومًا في
« افعال الديانة والخير بتمجيدهم الزايد لك القادر على اعانتهم . فهلم اذًا ايها البطل السماوي
« وامدد لي ولهم اجمع يد المعونه وايدنا بدعاك الى تحصيل الحاجة الواحده وهي امر الخلاص
« الابدي وامرًا اخر سواه فلا نتوق اليه ولا نتمناه »

(بحبر احمر) « الديباجه الى القاري »

(بحبر اسود) « لولا اظن بك ايها القاري النجيب بانك صاحب عقل ثاقب وتمييز
صايب لقلت انه لا عندك في محل القبول والرّضا تأليف هذا الصنف بما انه حاوي اسبابًا
محركه الى العباده نحو قديس من القديسين القدما . فالمتعبدون في ايامنا هذه يلازمون

---

١) قد نقل ترجمة القديس اثاناسيوس هذه للقديس انطونيوس الكبير ، من اللسان اللاتيني الى اللسان العربي العلّامة المرحوم الاب بولس عبُّود احد ابناء رهبانيتنا البلدية اللبنانية ، بعبارة فصحى وطبعها على حدة .

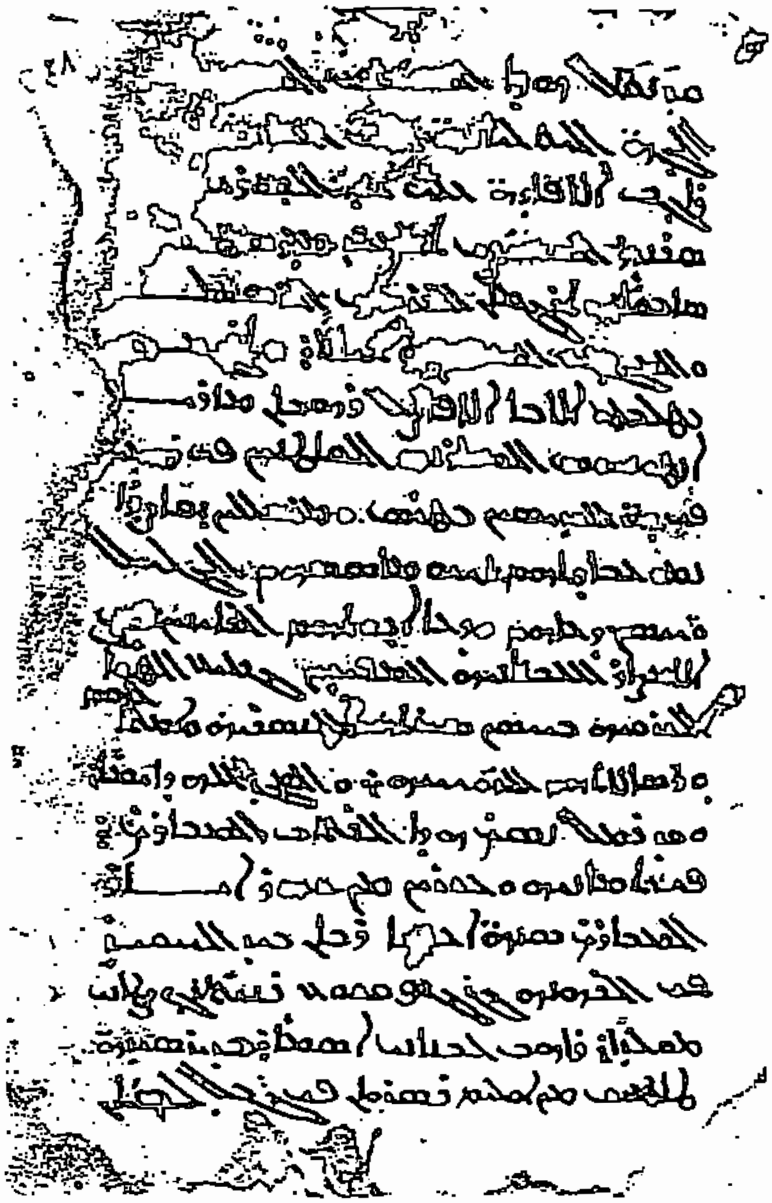

مخطوطة التأملات الصفحة الاخيرة

غالباً نكرم القديسين الطاهرين جديداً كأنهم اقرب اليهم عبادة كما انهم في زماننا او كانهم يكابدون نبأ جزيلاً في غربل التواريخ السالفه ليجدوا لهم شفيعاً قد اشهرت قداسته في الاجيال الماضية او كانهم يظنون ان القديس المتجدد في السما اكثر قبولاً عند الله من المتقدم كما ان بنيمين حصل على اكثر اقبالاً عند اباه يعقوب من ساير اخوته. ثم من حيث تكريمنا القديسين مقترن غالباً بقصد الحصول على شفاعتهم لاقضا اعوازنا الروحية والجسدية فربما يظنون البعض انه قد فرغ او نقص قليلاً كثر النعم عند القديسين القدما وانه دايض وذايق عند الجدد . وانا ليس قصدي ها هنا البرهان في عظم شفاعة ماري انطونيوس القويه المأيدة (المؤيدة) الملتجين اليه . لان ذلك واضح جلياً من المورخين القصص البيعيه ومن عدة الكنايس والهياكل المشيدة في كل العالم من المومنين اكراماً لماري انطونيوس . ومن كثرة العجايب التي يجترحها باشفا المبتلين في الاسقام . والمقربين من ابليس اللعين شرقاً وغرباً ولم يجحدها الا خسيف العقل

« اما قصدي فهو اعراض هذه التسع تأملات وتقديمها اليك تكريماً لهذا القديس النفيس وافادةً لنفسك اذا تمسكت بعبادته الكريمة ولازمتها من صميم نيتك . قلتُ تكريماً له لانه بالحقيقه مستحق الاكرام الكلي لسمو قداسته . ولشرف فضايله التي تلالي بها (جاء) كالنور الساطع الموضوع على المنارة البيعية . وانار ابصار الناس الروحية . وفتح مدارس السيرة النسكيه . واوضح سبيل العيشة الرهبانيه المدعوة من باب الصواب من ماري بطرس دميانوس مدرسة التعليم السماوي وتهذيب العلوم الالهيه . قد تفقهوا فيها تلاميذ عددهم لا يحصى الذين تفاضلوا وبلغوا الى قمة القداسه والكمال . تنبينا عن اسمايهم الشريفه التواريخ البيعيه

« وقلتُ افادةً لنفسك . بما ان سيرة القديسين هي كالصورة الاصليه امامنا الغرض منها ان ردنا الخلاص وننسخ في قلوبنا تمثال الفضايل . ولا شك ان ماري انطونيوس صار بسيرته الملايكيه انموذجاً لنا لنقتدي به من حيث انه تسامى بمحبة الله والافراز واحتقار العالم والصلاه والتقشف والشجاعه في المجاهده عند التجارب الشيطانيه والانتصار عليها . فالقديس ماري اثاناسيوس استقر عن ذاته انه كان يستفيد جداً من تذكار ماري انطونيوس ويزداد قوةً لربح الكمال . فكم بالاكثر تستفيد انت اذا تاملت مراراً عديده تأملاً شافياً بحسن سلوك ماري انطونيوس وبشرف افعاله الفاضله . فلاجل هذه الغايه قد وضعتُ لك هذه التسع تاملات مقترنة باخبار وامثال وتعاليم مختلفة وخطابات خشوعيه مع القديس نفسه لتحصل بقرائتها ومواظبه استعمالها على اصلاح خصايلك واتقان سيرتك بشفاعته ثم تبلغ صحبته الى دار الرب وتسبح اسمه القدوس الى دهر الداهرين . امين »(١)

---

١) في مكتبة ديرنا مار قبريانوس كفيفان ، نسخة خطيّة من كتاب التأملات هذا . جاء في رأس الصفحة الاولى منهُ :

« كتاب تسعة تأملات روحية في سيرة القديس انطونيوس الكبير النسكية مؤسس الديانة الرهبانية ، ألّفها الاب فرنسيس غلوسيوس اليسوعي واستخرجها من اللغة الافرنجية الى العربية الخوري اندراوس اسكندر ابن المدرسة المارونية لافادة طلّاب الكمال »

وجاء في آخر هذا الكتاب ما يلي :

ان هذا المخطوط الذي نحن في صدده ، قد أغار عليه المرحوم الآباتي افرام حنين الديراني الراهب الحلبي اللبناني وانتحله وطبعه في تضاعيف كتابه الضخم «العيشة الهنيَّة في الحيوة النسكيَّة»[1] ، في صفحة ١٨٠ ، الى آخر صفحة ٢٣٠ ، مصحَّح العبارة بقلم احد الكتبة المجيدين ، بعد ان أسقط منهُ الاب حنين اسم مؤلفهِ ومترجمهِ ، وأهمل المقدمة والديباجة المذكورتين خشية ان تنمَّا عن مصنِّفهِ فتُفضح الفعلة ويُكشف الأمر . . .

ولنبدأ الآن بمقابلة النصَّين اثباتاً لهذه الحقيقة . بعد ذكر المقدمة والديباجة ، يأتي فهرس هذا الكتاب المخطوط وهو :

« وقد ترجم هذا المؤلَّف المفيد من اللغة الايطاليانية الى العربية لافادة راغب الافادة على يد الخوري اندراوس اسكندر القبرصي تلميذ مدرسة الموارنة سابقاً وترجمان الكرسي الرسولي والمجمع المقدس حالاً وترجمهُ بطلب الآباء الافاضل رهبان مار انطونيوس الموارنة القاطنين في رومية في دير القديسين بطرس ومرشلين قاصداً نحو عبادهم نحو مؤسسهم الجليل وحسن دعائهم ودعاء اخوتهم الكائنين في الامصار اللبنانية المفيدين جميع الطوائف الشرقية بحسن سيرتهم النسكية وامثالهم ورسالاتهم الروحية . والمجد لله دائماً

ثمَّ يأتي بعد ذلك :

« وقد كمل نسخ هذا الكتاب المبارك في الحادي والعشرين من شهر آب سنة الف وثمانماية واربعة وستين مسيحية بيد الفقير الاخ اقليموس الشابي الراهب اللبناني بدير مار قبريانوس كفيفان من بلاد البترون في جبل لبنان »

وهذا الكتاب منسوخ بالحرف العربي وبالحبر الاسود ، واما عناوينهُ فبالحبر الاحمر . يقع في ١٨٩ صفحة متوسطة الحجم ، مجلد بجلد احمر مشوش

ويظهر ان هذا الكتاب كان للطيب الذكر قدس الاب لورنسيوس (يمين.) الشابي احد رؤساء رهبانيتنا اللبنانية العامين سابقاً ، بدليل كتابة اسمهِ في باطن دفة جلد الكتاب الاولى هكذا :

« هذا الكتاب لاستعمال قدس الاب لورنسيوس الشابي اللبناني سنة ١٨٦٦ »

ونسخة دير كفيفان هذه قد صحح عبارتها الاب نعمة الله المدعو الكفري الشهير بالعلم والفضل كما هو مسطر تصحيحه بقلمهِ في كل صفحة من صفحاتها . وقد نسخها مصححة بقلمهِ وارسلها للاب لورنسيوس المومأ اليه وابقى هذه النسخة الاصلية في يدهِ على ما افاد الاب الكفري في العبارة التي علقها تحت اسم الاب لورنسيوس وهي :

« تمَّ تعريبهُ وأُرسل لهُ ، وهذا بقي لاستعمال محررهِ القس نعمة الله كفري لبناني »

[1] المطبعة الادبية . بيروت . سنة ١٨٩٩ ، في ٧٦٣ صفحة ، بقطع كبير . قد الحق الاب حنين بكتاب « التأملات » هذا ، تساعية القديس انطونيوس الكبير ، التي تُتلى في التسعة الايام السابقة تذكار عيده الواقع في ١٧ كانون الثاني ، المطبوعة بمطبعة دير قزحيا ، بدون ان يذكرها او يشير اليها .

كتاب التأملات المخطوط

فهرس ما يحوي هذا الكتاب

صفحة ٨

التأمل الاول صفحة ٩

في عزم القديس ماري انطونيوس

على ترك العالم

تامل يا قاصد الكمال المسيحي في ان القديس انطونيوس استمد من صغر سنه استمدادًا حسنًا الى تحصيل الكمال والقداسة التامه . لانه ابتدى من صغره برياضة الفضايل الحميده واينع ازهارًا صدرت منها اثمار الحياة الابديه وهي الورع . والطاعه . والعفه . والاحتشام ونظيرها . وانتذى بحليب العباده وواضب (وواظب) الصلاة في الكنايس والسيرة

كتاب التأملات المطبوع

(الفهرس)

تسعة تأملات روحية على سيرة القديس انطونيوس

كوكب البرية صفحة ٧٣٢ من كتاب

« الهيئة الجنيّة »

التأمل الاول ص ١٨٠

في عزم القديس انطونيوس

على ترك العالم

تأمل يا طالب الكمال المسيحي في ان القديس انطونيوس استمد من حداثته استمدادًا حسنًا الى تحصيل الكمال والقداسة التامة فانهُ قد ابتدأ مع صغر سنه في ان يمارس الفضائل الحميدة فاينعت في جنانه وانت باثمار الحيوة الابدية ألا وهي الورع والطاعة والعفة والاحتشام ونظائرها قد اغتذى بلبان العبادة وواظب على الصلوة في الكنائس واعتاد السيرة

المخطوط

القشفه في بيته وتجنب اللعب والتريه وكثرة الكلام . وبجذه الاسلحة القويه حفظ نفسه وعاد سالمًا من التوحل في سيان الادناس السية (السيئة) . ياما تفيد برارة [١٠] السيرة لمن يرغب ربح النعمة الالهية . فقال عنه القديس ماري اثاناسيوس في الفصل الاول من سيرته . انه كان يسكن في بيته سالكًا في طريق البرارة بنوع انه لم يعرف سوى والديه وبيته . وبالحقيقة ان الصوف البكر هو قابل كل لون لامع وزريف (وظريف). والفضايل التي يروضها الطفل قبل ادراكه لشرتها فانها بمنزلة الفجر الدال على ظهر صباح. اريني نفسًا غالقة باب جنينتها لكل حية تنفخ سمها الموذي على بياض سوسانها فاقول لك انها جنة مفعمة ازهارًا مختلفة منتخبة تجذب برايحتها الزكية الحتن السماوي الى التردد فيها ترددًا موبدًا

اولا تامل يا هذا واتعجب (وتعجب) بحسن استعداد انطونيوس الشاب واحكم [١١] بالصواب انه بذلك صار عمودًا متينًا في بنا الكنيسة المقدسة السري واكبر الكواكب في سماها . ثم راجع التامل بذاتك وبسيرتك هل انك صرفت سني طفوليتك وشبوبيتك صرفًا يرضي الرب الاله ويبلغك الى الصلاح. هل هيت (هيأت) نفسك وزينت دار قلبك بديباج السيرة الفاضلة لتاوي فيها الملك السماوي خالقك . اما فربما الامر بعكس ذلك فيا لغباوتك اذا توحلت من صغرك في طين حماة (حمأة) النجاسه . فيصح عنك ما قاله داود النبي في مزموره العاشر : تدنست طرقه في كل زمان

افحص ضميرك لعلك حررت في سفر حياتك ايام السقوط اوفر من ايام النهوض.

المطبوع

القشفة في بيته وتجنب اللعب والبطالة وكثرة الكلام فكان له ذلك كاسلحة حفظته من المثالب وَوَقته من التمرغ في حمأة السيئات والمآثم . ان برارة المسلك تأتي بفوائد جمة لمن يرغب في نوال النعمة الالهية قال القديس اثناسيوس في الفصل الاول من حياة كوكب البرية انهُ كان يسكن في بيته سالكًا طريق البرارة وكأني بهِ لا يعرف سوى والديه وبيته . وبالحقيقة ان الصوف في بدء اخذه هو قابل لكل لون جميل لامع كذلك الفضائل التي يتعادها الطفل قبل ادراكه هي كالفجر الدال على ظهور صباح جميل

من يريني نفسًا وصدت ابواب جنتها في وجه كل افعى تحاول فيها لتبث سمها الزعاف في عروق سوسنها الناصع البياض ولم تتمّ فاقول الحق انها لجنّة مفعمة ازهارًا مختلفة منتخبة تجذب براعتها الزكية الختن السماوي الى التردد فيها ترددًا مؤبدًا

اولًا : تأمل يا هذا وتعجب من استعداد انطونيوس الشاب واحكم بالصواب انهُ بذلك صار عمودًا متينًا في هيكل الكنيسة المقدسة السري واعظم كوكب في سماء جمالها . ثم ردّد التأمل بمسلكك وسيرتك هل صرفت سنيّ طفوليتك وشبوبيتك في مرضاة الرب الاله لتبلغ الى ارض الصالحين هل هيأت نفسك وزينت ساحة قلبك بديباج السيرة الفاضلة ليأوي اليها الملك السماوي خالقك . فسقيًا لك ان كان الامر كذلك ويا لغباوتك ان كنت منذ الحداثة تمرّغت في حمأة النجاسة فيصح فيك قول النبي داود في مزموره العاشر : وجميع افكاره انه لا اله

افحص ضميرك لدى صفحات حياتك ايام السقوط تزيد عن ايام النهوض لعلك لم

المخطوط

لعلك فتشت على من يرشدك الى منهج الطهر والخلاص والا اسرعت كبهيم لا لجاماً له وزجيت نفسك [١٢] في لجة الاملك النير المنضومة (المنظومة) تابعاً اغراف طبيعتك البشرية وماملاً انعامات النعمة الربانية . لعلك اتلفت شرف الجوهرة الانجيلية متمرغاً في طين القبايح البدنية من غير ان تبالي بتوبيخ ارميا النبي لشعب اسرايل حين مال الى ارتكاب كل صنف من اللذات اللحمية . . .

التأمل السادس صفحة ١٣٠

في تواضع ماري انطونيوس

تامل في ان القديس انطونيوس لم يعود مرعباً الشياطين الا بسبب تواضعه العظيم لانهم راوه متضعاً بقدر ما كانوا هم متكبرين اي متشرفاً بفضيلة مضادة محض لرذيلتهم . فكان القديس مجملاً بمواهب روحية وموسوماً بعطايا طبيعية . وحاوياً استحقاقات جليلة ومع ذلك لم يراه احد قط متشامخاً متنفخاً لاجل مواهب هذا عظم عددها ومقدارها . لكنه كان يقدم التواضع الروحي على المجد العالي ويحسب ذاته احقر الناس وادناهم . بمنزلة الاصبة الحاملة اثماراً شهية والمنحنية نحو الارض . فلم يعتبر نفسه اصلاً . ولا يقول او يفعل امراً الا ليعجب اعين الناس . او ليقتنص مديحهم . ومع انه كان ركن السيرة الرهبانية كان يرغب ان يظهر عادماً كل خير [١٣١] وفاقداً كل فضيلة مثل الكوكب القطبي الذي هو شريف بين كواكب السما ومع ذلك يظهر قليل الحركة والضيا . . . الخ

مخاطبة مع القديس انطونيوس صفحة ١٥١

ايها المتوحد الكلي التواضع الذي بقدر ما تساميت بالفضل والفضيلة بقدر ذلك وطيت

المطبوع

تفتش على من يرشدك الى منهج الطهر والخلاص وكنت كبهيمة جموحة لا لجام لها جمحت بك اهواؤك الى لجة الآلام لاتباعك اميالك البشرية واهمالك الهامات النعمة الالهية . لعلك اتلفت شرف الجوهرة الانجيلية بارتكاب القبائح البدنية دون ان تبالي [١٨١] بتوبيخ ارميا النبي لشعب اسرائيل حين مال الى ارتكاب كل صنف من اللذات اللحمية . . .

التأمل السادس صفحة ٢١٣

في تواضع ماري انطونيوس

تامل في ان القديس انطونيوس لم يك مرعباً الشياطين الا بسبب تواضعه العظيم لانهم رأوه متضعاً اتضاعاً يوازي كبريائهم قد كان متسربلاً بالفضائل المضادة رذائلهم ومجملاً بمواهب روحية وموسوماً بسمات طبيعية قدسية ومالكاً على استحقاقات جليلة ومع ذلك لم يره احد متشامخاً كبراً وعجباً بل كان يفضل التواضع الروحي على المجد العالمي ويحسب ذاته احقر الناس وادناهم كالشجرة الحاملة اثماراً شهية والمنحنية نحو الارض فلم يكن يعتبر نفسه اصلاً او يقول ويفعل امراً ليعجب الناس فيكتسب مديحهم كلّا ومع انه كان ركن السيرة الرهبانية كان يظهر نفسه عادماً كل خير وفاقداً كل فضيلة كالكوكب القطبي اشرف كواكب السماء الذي يظهر قليل الحركة والضياء . . . الخ

مخاطبة صفحة ٢١٧

ايها المتوحد الكلي التواضع الذي بقدر ما تساميت بالفضل والفضيلة بقدر ذلك كنت متضعاً قد نلت المجد الخالد في السماء باتضاعك وخضوعك اني اهنئك بما وصلت اليه وحصلت

المخطوط

ذاتك وحصلت على التعظيم عند الله[١٥٢]لمحبتك نحو الصغر والحقارة عند العالم اني احثيك بالغاية لحصولك على جوهرة ثمينة هذا مقدارها وزينت بها اكليل الملك السرمدي في السما وانا اسألك ان تستمد لي انا الشقي نعمة احب بها فضيلة الاتضاع كما انت احببتها مع انك كنت في محل الاعتبار عند العال والدون . فانت عالم بشدة احتياجي انا المسكين على سند التواضع ليايدني وينهج خطواتي بنعمتو تعالى نحو السما . فان لا سبيلًا اليه من دون التواضع . اذا ما استطعت على ان اقدم للختن السماوي اثمار الاستحقاقات الساميه فساعدني يا صفي الله ان اقدم له هدايا الاتضاع النابته في الوطاه عالمًا بان ايوب ايضًا [١٥٣] ارضى الله وهو ملقيا في ادنى المواضع وهي المزبلة . انا من ذاتي لا قوة لي على ابراز شي الا اثمار الكبريا والتشامخ . فعليك توكلي واعتمادي لكي استحق بدعاك الرحمة الالهية بالخضوع والخشوع وانجو من تقمشه تعالى المراتية المتكبرين

صلاة سهامية

لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك اعطي المجد . الشعب المتواضع تخلصه وتوطي اعين المستكبرين

انموذج

خبرنا كسيانوس عن القديس انطونيوس انه حين كان منفردًا الى الصلاه سمع صوتًا من السما يصرخ اليه يا انطونا اعلم انك لم تبلغ الى الان الى الكمال . ففاق به عليك الدباغ القاطن [١٥٤] في مدينة سكندرية . فانذهل انطونيوس اذ ذاك وراعيًا رسم كل فضيلة بنفسه بغير اهمال . تناول عصاته وتوجه نحو سكندريه وقصد دار الدباغ فتعجب

المطبوع

عليه وهو الجوهرة الثمينة التي ذينت (زينت) بها اكليل الملك السرمدي في السماء اسألك ان تستمد لي انا الشقي نعمة تحبب اليَّ فضيلة الاتضاع كما احببتها انت مع انك كنت في محل الاعتبار لدى الجميع من اي رتبةٍ انك عالم بشدة احتياجي الى الاتضاع فأيدني وثبت خطواتي بنعمة الله وافتح لي السبل التي ابلغ بها الى السماء ألا وهي سبيل التواضع يا صفي الله اذا كنت انا الحقير لا استطيع ان اقدم الى الختن السماوي اثمار الاستحقاقات السامية ساعدني لاقدم له هدايا الاتضاع والصبر نظير ايوب البار . لاني لا يمكني وحدي ان اجني سوى قطوف الكبرياء والتشامخ . فاليك اليك اضرع وعليك اتكل لكي بشفاعتك انال المدد الالهي وانجو بنعمة الله من حبائل الكبرياء واتخلص من قيود الاثم

نافذة

لا لنا يا رب لا لنا لكن لاسمك اعطِ المجد . لانك تخلص الشعب البائس وتخفض عيون المترفعين (مز ١١٣ : ١ ومز ١٧ : ٢٨)

نموذج

خبرنا كسيانوس عن القديس انطونيوس انه حين كان منفردًا يصلي سمع صوتًا من السماء يقول يا انطونيوس انك لم تبلغ بعد الى الكمال فان الدبّاغ القاطن الاسكندرية يفوقك كمالًا فانذهل انطونيوس ورغب في الوقوف على فضائل هذا الانسان ليقتدي به فتناول عصاه وتوجه الى الاسكندرية وقصد ذاك الدبّاغ فتعجب الدباغ عند نظره انطونيوس

الصفحة الاولى من مخطوطة الاب النجار

[illegible]

الصفحة ٢٧٦ من مخطوطة الاب النجار

[illegible]

[illegible]

الصفحة الاخيرة من مخطوطة الاب النجار

المخطوط

الدباغ بالدايه بنظره انطونيوس آتياً الى منزله لملمه انه مشهورًا ومشهودًا بالتقوى والقداسة . وقال له مندهشًا : كيف يا ابا انطونيوس تنازلت واتيت الى حانوتي انا المسكين . اما انطونيوس اهمل كل مصاحبه واخذ يستفهمه قايلًا : انبيني يا حبيبي عن سيرتك ومما تفعل صباحاً ومساً ولا تخفي عني امرًا . فهذا قصدي ولهذا الصدد انتقلت من البريه وسرت هذه المسافة البعيده وقدمت الى عندك . فأجابه الدباغ متحولًا : [١٥٥] يا ابي انا عالم اني لم افعل شيأ من الخير . فهذه عادتي عند الصباح ونهوضي من النوم وقبل ابتدي في شغلي . فاقول لذاتي : يا ويلي انا المسكين . . . الخ

المطبوع

آتياً الى منزله لعلمه انه مشهورٌ ومشهودٌ له بالتقوى والقداسة وقال له مندهشًا يا أبت انطونيوس كيف تنازلت واتيت الى حانوتي انا المسكين اما انطونيوس فنبذ كل ما لا يجديه نفعاً واخذ يستفهمه قائلًا انبئني يا حبيبي عن سيرتك وعما تفعله صباحاً ومساءً ولا تخفِ [٢١٨] عني امرًا . فهذا قصدي ولهذا السبب جئت من البرية وسرت هذه المسافة البعيدة وقدمت اليك فاجابه الدباغ متحولًا يا أبي انا عالم اني لم افعل شيئاً من الخير لكن لي عادة عند الصباح بعد النهوض من الرقاد وقبل ابتدائي في شغلي ان اناجي نفسي قائلًا ويلي انا المسكين . . . الخ

المخطوط الثاني

ان هذا الكتاب المخطوط يقع في ٤٨١ صفحة . طوله ٢٢ سنتمترًا ونصف السنتمتر . عرضهُ ١٦ سنتمترًا مجلّد بجلد اسود منقوش الدفّتين . جمعهُ وكتبهُ الاب نعمة الله النجّار البسكنتاوي[1] بخطه الجميل، بالحروف السريانية الكرشونية

[1] وعدنا في مقالنا « انجيل خطي قديم مصورٌ ١٥٦٦ » (المشرق ٤٦ [١٩٥٢] ٥٧٧) ان نأتي بكلمة عن الاب نعمة الله النجار جامع هذا الكتاب وناسخه ، فنقول :

وُلد هذا الاب في بسكنتا سنة ١٧٦٠ ، وانضوى الى رهبانيتنا اللبنانية ، وكان من الرهبان الفضلاء العلماء المشهود لهم بجودة الرأي والتدبير ، ومن ذوي المنزلة الرفيعة في الرهبانية والطائفة . وقد انتدب لدرجة الاسقفية فأباها زهدًا وتواضعاً . ووقف على طبع بعض كتب في مطبعة دير قزحيا واتقنها ، منها كتاب الانجيل (القداس الماروني) الذي تكلّمنا عنهُ في مقالنا المشار اليه ، وكتاب رسائل القديس بولس في سنة ١٨١٦ ، وكتاب فرض الاخوة الرهبان الموارنة المعروف « بشحيّة قزحيا » في سنة ١٨٠٩ ، بمعونة الاب ساروفيم شوشاني وبيدنا نسخة من هذا الكتاب ، والطبعة الثانية للشحيمة في سنة ١٨١٩ . ودوّن كتاباً لاسرار البطريركية المارونية من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٥ ، على ما صرح هو نفسهُ في « تنبيهٍ » الذي علّقهُ في آخر مخطوطهِ هذا ، وسيأتي نصّهُ . وكان مسجّلًا للمجمع الطائفي الملتئم بدير سيّدة ميفوق (بلاد جبيل) سنة ١٧٨٠ ، بأمر المطران ميخائيل الخازن النائب البطريركي ، وبحضور الاب دي بورنْ القاصد الرسولي (راجع الجزء الثاني من كتاب « الاصول المحجوبة » للعلّامة الاب ولس عبُّود ، صفحة ٣٦٩ و٤٣٣) . وكان

الملفوظة بالعربية ، بالحبر الاسود وعناوينهُ بالحبر الاحمر ، على ورق عادي صقيل ، اذ كان كاتباً لاسرار البطريركيَّة المارونيَّة من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٥ ، ونقش هذا الاب بنقاشه (بقلمه) نقشاً بديعاً حول عناوين بعض فصوله. والصفحة من هذا الكتاب حقلان منفصلان بخط طويل اسود . يتضمَّن رسالة الخوري انطون القبَّالة البيروتي احد تلامذة رومة العظمى ، وقد مزّق بها تلك التُهَم والشُبَه التي قذف بها الأمة المارونيَّة القس يوحنا عجيمي الملكي الكاثوليكي في كرَّاسته ، وذلك في عهد السيّد ارسانيوس شكري مطران حلب الماروني. ويحتوي ايضاً هذا المخطوط، الخطاب الجدلي المحامي عن القديس يوحنا مارون، للمطران اسطفان عواد السمعاني، وغير ذلك من الردود للخوري ميخائيل فاضل البيروتي والخوري الياس الجبَيل ، والبراءات المثبتة صحة معتقد الموارنة، وفهرس اسماء الاراطقة واراءهم والاجيال التي عاشوا فيها، وسلسلة البابوات والمجامع التيلية وسلسلة بطاركة الموارنة التي تنتهي بالبطريرك يوسف اسطفان المُنتَخب سنة ١٧٦٦ .

عُرِض هذا الكتاب المخطوط على العلّامة المطران يوسف نجم النائب البطريركي فأجاز طبعهُ بعد ان طالعهُ ، بعبارة كتبها بخط يده بالعربي ، على الورقة الثانية البيضاء في اوله وذيَّلها بامضائه وخاتمه وهي :

« هذا الكتاب يتكلَّم في ايمان الموارنة وايمان القديس يوحنا مارون وليس فيه شيء يخالف قواعد الديانة . فلا مانع من نشره الحقير

في ١٦ ت٢ سنة ١٨٩٦ (الختم) . المطران يوسف نجم

هذا الاب من معاصري المطران يواصاف دبس البسكنتاوي . وقد انتخب مدبِّرًا في مجامع عديدة ، واستمرَّ متقلدًا وظيفة المدبِّرية ٣٧ سنة . وكان زاهدًا ورعًا متقشفًا متقنًا للخط السرياني والعربي . وتوفي بدير مار موسى الحبشي (قضاء المتن) سنة ١٨٣٦ . واليك ما سُطِّر عنهُ في روزنامة هذا الدير ننقلهُ منها بحرفهِ الواحد :

« قد توفي لرحمتهِ تعالى الاب نعمة الله النجَّار البسكنتاوي بمرض النصر (الشيخوخة) لانهُ كان صار عمرهُ ينيف عن الثامنين او الخمسة والثامنين . واستقام في وظيفة المديرية سبعة وثلاثين سنة لحين وفاته ، في اول يوم من تشرين الثاني سنة ١٨٣٦ . وكان رجلًا غيورًا فاضلًا ناسكًا متقشفًا سلسًا ذا سيرة صالحة . وتوفي بيتونة جيدة ومتسلح بكافة الاسرار الالهية . تغمَّد الله نفسهُ بالرحمات وتقنا بصلواته امين . وكان كذلك بآخر رياسة الاب مكاريوس وادي شحرور » (طالع النبذة الوجيزة التي كتبها عن الاب النجار، الخوراسقف بطرس حبيقه في كتابهِ « تاريخ بسكنتا وأسرها » ص٧٥ .

وكتب احد رؤساء رهبانيتنا العامين، على قفا صفحة ٤٨١ من هذا المخطوط، هذه العبارة بخطّهِ العربي ومهرها بخاتمهِ، وهي :

« ختم قدس الاب العام تحت طايلة الحرم بان هذا الكتاب لا يخرج من اوضة المكتبة. صح صح » (الختم)(١)

واليك التنبيه الذي كتبهُ الاب النجّار، في صفحة ٤٨١، وهي الاخيرة من مخطوطهِ هذا، بحرفهِ الواحد :

« تنبيه »

« اعلم ايها الاخ القاري الحبيب هو انهُ انا المدوِّن اسمي بذيله، اذ كنتُ مقيماً باطجياً (يازجياً، اي كاتباً واميناً للسرّ) بخدامة الكراسي البطريركي من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٧٨٥، وبهذه المدّة قد انظهرت (اطلعتُ) على جملة كتابات محرّرة من الروم الملكيه قدفاً في طايفتنا الجليله المارونيه. فمن ثمّ قد انظهرت (اطلعتُ) ايضاً على جملة كتابات محرّرة ردًّا على تلك، مؤلفه من معلّمين محققين من ابنا طايفتنا. واذ رأيتُ ان هذه الكتابات مفرّقة كل كرّاسة بمفردها، فقد اعتنيتُ اعتناءً كلّياً في ضمها الى بعضها ودوّنتها بكتاب واحد، وذلك خوفاً من عدم الحصول عليها كل وقت. وثانياً لكيما اذا فيَ القاري فلك قضية في الكرّاسة الواحده ينظرهُ في الثانيه وغيرها. وقد اضفتُ على ذلك فهرس اسامي البابـاوات وازمنتهم والمجامع التيلية وسبب التئامهم، واسامي روسا البدع ورايا تهم، واسامي بطاركتنا وأوقاتهم. وذلك ليسهل على القاري الاطلاع على تحقيق الشهادات وصدق ما هو محرّر. وتمّ ذلك بيد كاتبه الحقير القس نعمة الله النجار بسكتاني راهب لبناني، في ١ شهر آب سنة ܐܚܩܦܗ (١٧٨٥) مسيحية. وهو وقتاً مخدّاً الى رهبنتي اللبنانية. صح »

. قد أغار الآباتي افرام حنين الديراني أحد مدبّري الرهبانيَّة الحلبيَّة المارونية، على هذا الكتاب إغارته على كتاب « التأملات » المعهود، وطبعهُ برمّتهِ تحت عنوان « كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم(٢) » بعد ان أهمل منهُ فهرس اسماء المبتدعين وسلسلة البابوات والمجامع التيلية وسلسلة بطاركة الموارنة، وبعد

١) ان هذا الخاتم نُقش فيه اربع كلمات وهي : « اب عام لبناني ١٧٦٧ ». أما اوضة (غرفة) المكتبة التي يشير اليها الاب العام، فقد كانت في دير سيدة طاميش مقرّ الرؤساء العامين السابقين .

٢) بطبعة الارز، جونية، سنة ١٨٩٩، في ٥٢٠ صفحة. ومن العجب ان يُصدر الاب حنين كتابين ضخمين، وهما كتاب الميثة الحنية وكتاب المحاماة، في سنة واحدة هي ١٨٩٩ .

ان محا وحق اسم جامعهِ وناسخهِ الحقيقي الاب النجار ، ونسبَ جمعَ مباحثهِ اليهِ . ومن المؤكد ان هذا الكتاب وصل ليدهِ بوساطةٍ ، من مكتبة ديرنا طاميش التي أغناها الرؤساء العامون بالكتب الخطيَّة النفيسة النادرة . وانتدب الابُ حنين لتصحيح عبارة هذا المخطوط ، ابن بجدتهِ اللغوي المحقق الشيخ سعيد الخوري الشرتوني صاحب معجم « اقرب الموارد » وقد صدَّرهُ بمقدّمة وخمسة مطالب من قلمهِ متينة المعنى والمبنى ، وأثبت في آخره بحثاً علمياً تاريخياً واسعاً في « الملكيَّة والموارنة » للعلامة المحقق المدقق المثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد ، أمرهُ بضمّهِ الى هذا الكتاب البطريرك يوحنا الحاج .

ومن غرائب الاتفاق اننا عثرنا على هذه النسخة الاصلية الوحيدة لهذا المخطوط في مكتبة مصححهِ الشيخ سعيد[1] في بيروت ، عند ابنتهِ الكريمة السيّدة أسما ، أرملة الوجيه المرحوم نعمان صالح نعمه ، وقد تكرَّمت بها علينا فاستحقَّت ثناءنا وشكرنا . وكأن الله اراد ان يعود هذا الكتاب بعد غيبتهِ الطويلة الى مالكتهِ الرهبانيَّة اللبنانيَّة وهو منبثق من تعب ونصب الاب النجار أحد ابنائها ، على ما أعلن في « تنبيهِ » وقد مرَّ بك ، وفيهِ يصرّح عن كتابهِ هذا بأنَّهُ : « وقف مخلّد الى رهبنتي اللبنانيَّة ». وهب ان هذا الكتاب كان لقطةً وقعت بين يدي الاب حنين ، أيجوز لهُ الاحتفاظ بها بعد معرفتهِ لمالكها — واللقطة تصرخ ابداً نحو صاحبها !? ولا ندري كيف سوّغ لنفسهِ نسبة جمع مباحث هذا المخطوط اليه !? ذلك ما لا نستطيع فهمهُ ، ولا يدركه إلّا الراسخون بالامانة للعلم والتاريخ !!

والى قرّاء مجلة « المشرق » أمثلة من معارضة نص هذا الكتاب المخطوط ، بنص كتاب « المحاماة » المطبوع . وقد نقلنا بعض صفحات من هذا المخطوط ومن مخطوط « التأملات » ايضاً على الزنكغراف :

---

١) طالع مقالتنا عن الشيخ سعيد الشرتوني وشقيقهِ رشيد ، في (مجلة « الورود » البيروتيّة ، الجزء العاشر من سنتها الاولى ، حزيران سنة ١٩٤٨ ، ص ٨ ، الجزئين الحادي عشر والثاني عشر ، تموز وآب ، من السنة نفسها ، ص ١٠)

مخطوطة الاب النجّار

فاتحة بصيغة رسالة صفحة ١

الى السيد الكلي شرفه والجزيل احترامه ارسانيوس شكري مطران حلب

ايها السيد الجليل

من بعد قبلة اياديكم المقدسة بكل احتشام واوقار . ربما لم يخفى علمكم الشريف بان قدس سيدنا المطران ميخايل الخازن النايب البطريركي الانطاكي الكلي الشرف والغبطه . حين كان جايلًا في رعية بلاد جبيل والبترون انعرضت عليه كراسه بصيغة رساله منفوده من القس يوحنا عجيمي الكاثوليكي تلميذ المدرسه الاوربانيه الى الخواجا الياس عبده الكاثوليكي الحلبي . فلما قدسه قراها وتحقق بانها مهيجة ومأثره (ومؤثرة) في عقول الكثيرين من السذج . وان الطايفه المارونيه لم تزل سالمة من تعييرات الاضداد وهزوهم اليومي [٢] بها من قبل الكراسة المذكورة . التي هي مشحونه افترا وثلب وتهم باطله ضد الطايفه المارونيه وقديسها يوحنا مارون اول بطاركتها الانطاكيين . حينئذٍ قدس السيد المشار اليه طلب مني بحث بأن ارد عليها . فانا طاعةً وامتثالًا للامر المطاع حررت الجواب الحاضر . واضفة (وأضفتُ) اليه تلك الشهادات التي بحسب ضعفي وقصر الزمان امكنني اجدها عند البعض من المورخين المقبولين في بيعة الله المقدسه . الذين تعاطوا فيما يخص قصص واصل الطايفه المارونيه اكثر من غيرهم . واتخذت لي بمنزلة سندًا ومرشدًا بهذا الصنيع ما قد حرره ونطق به بهذا الصدد الاحبار الرومانيين السيدي الذكر خلفا بطرس هامة الرسل السليحين

وبما ان سيادتكم الشريفه في كل اوان

كتاب « المحاماة » المطبوع

رسالة للطيب الذكر الخوري انطون الفيالة اليبروتي تلميذ رومة

فاتحة بصيغة رسالة صفحة خ

الى السيد الجزيل الشرف ارسانيوس شكري مطران حلب

ايها السيد الجليل

ربما يكون قد اتصل بكم ان السيد المطران ميخائيل الخازن النائب البطريركي قد عُرض عليه وهو في زيارة الرعية ببلاد جبيل [د] والبترون رسالة من تأليف القس يوحنا عجيمي الكاثوليكي تلميذ المدرسة الاوربانية بعث بها الى الخواجا الياس عبده الكاثوليكي فتصفحها السيد المشار اليه فوجدها جامعة لمثيرات الاضطراب سيئة التأثير في عوامّ الناس وقد لحق الامة المارونية بانتشارها العار والخزء فان الرسالة تلك مشحونة بتهمٍ لا يُستطاع اثباتها وتُهمٍ باطلة للطائفة المارونية وبقديسها صفيّ الله يوحنا مارون اول بطاركتها الانطاكيين فامرني المطران ميخائيل المومأ اليه ان اردّ عليها فائتمرت امره وانشأت هذا الردّ وعززتهُ بما اتصلت يدي اليه على قصر الزمن من شهادات المؤرخين المقبولي الكلام في بيعة الله المقدسة ممن تقصَّوا البحث عن اصل الطائفة المارونية بل ممن اشتهروا بالتبريز على من سواهم في كشف القناع عن وجه هذه المسئلة . وقد استندتُ فيما سلبتُ واوجبتُ الى ما نطق به وكتبه في هذا الصدد اعلم الناس بالمسئلة المشار اليها اي الاحبار الرومانيون رؤساء البيعة البطرسية ورعاة الامم الكاثوليكية

هذا ولما كنت ايها الحبر النبيل قد اظهرتَ عند كل داعية الحسبة والانفة للنفس

الكتاب المخطوط	كتاب « المحاماة » المطبوع
وحين تظاهرتم بالغيرة والحماية نحو الطايفه المذكوره وقديسها يوحنا مارون ليس فقط بل اظهرتم ذواتكم سندًا وملجا لكل من اقتدى بغيرتكم وعماتكم هذه الحميدة . . . الخ(١	من كرامة الطائفة المارونية وقدّيسها يوحنا مارون بالتهم الباطلة بل جعلت من نفسك سندًا لكل من اقتدى بغيرتك ومحاماتك . . . الخ .
الخطاب الجدالي صفحة ٩٧	الخطاب الجدلي صفحة ١٠٢
المحامي عن القديس يوحنا مارون السروي البطريرك الاول على الموارنه	المحامي عن القديس يوحنا مارون السروجي البطريرك الأوّل على الموارنة
طبع في مدينة روميه العظمى باذن الروسا سنة الف وسبعايه وتسعه وستين . في مطبعة بولس جونكي خليفة بزاريني كومار كوس ومكني وطابع كتب المكتبة الواتيكانية . وقد اذن بطبعه حضرة السيد البطريرك جردانو البطريرك الانطاكي نايب قدسه . والمعلم توما اغوسطينوس ريكينيوس راهب من رهبنة الواعظين . ومعلم البلاط الرسولي المقدس	قد طُبع في مدينة رومية العظمى باذن الرؤساء سنة ١٧٦٩ تسع وستين وسبعماية والف في مطبعة بولس غونكي خلف بيرازني كومار كوس ومُتمّ وطابع كتب خزانة الواتيكان . وقد اذن في طبعه السيد جردانو البطريرك الانطاكي نائب قدسه والمعلم توما اغوسطينوس ريكينيوس احد رهبان رهبانية الواعظين ومعلم البلاط الرسولي المقدس
الخطاب الجدالي	الخطاب الجدلي صفحة ١٠٤
المحامي عن القديس يوحنا السروجي المكنى بمارون البطريرك الاول على السريان الموارنه	المحامي عن القديس يوحنا السروجي المسمى مارون البطريرك الاول على السريان الموارنة (٢
حاشيه لفظة سريان تنبي عن لقب اهل بلاد سوريا كذلك عن سكان بلاد ارمينيه ارمن . وعن سكان بلاد فرنسا فرنساويين . وعن سكان بلاد اسبانيا سبنيوليين وهلم جرا	
النص ضد الاقوال الكاذبة الملفقة (الملفقة) من اوتيخيوس [٩٨] البطريرك الاسكندري الشاقي وغيره من المورخين الذين تبعوه قال بولس الرسول في رسالته الثانيه الى تلميذه تيموثاوس	وهو في نقض الاقوال الباطلة التي وضعها اوطيخيوس البطريرك الاسكندري الشاق ومن تبعهُ من المؤرخين . قال بولس الرسول في رسالته الثانية الى تلميذه تيموثاوس : « بل على وفق شهواتهم يكدسون معلّمين فوق معلّمين بسبب استحكاك آذانهم

١) ان رسالة الحوري التيأْلة تقع في الكتاب المخطوط في ٩٥ صفحة ، وفي كتاب « المحاماة » المطبوع ، في ١٠٢ صفحة

٢) اعلم ان لفظة سريان تطلق على سكان سورية كما يطلق الارمن على سكان بلاد ارمينية والاسبانيول على سكان اسبانيا والفرنج او الفرنسيس او الفرنساويين على سكان فرنسا .

الكتاب المخطوط

بشهواتهم يجذبون لانفسهم معلمين باهتياج سمعهم . ويصرفون اذانهم من الحق ويميلون الى الخرافات اصحاح ٤ عدد ٣ و٤

اولاً

ان الطايفه المارونية من زمان مديد تحتمل جراءة بعض اشخاص من غير طوايف شرقية . لا سيّما البعض من طايفة الروم الملكيه . عند استماعها الاقوال التي كانت تنبث من المذكورين في توطي شانها . وهذه الاقوال ليس كانت تقلل شرف هذه الطايفه فقط بل وشرف نيّرات كنيستها الاكثر سموًّا ايضاً . لانه من الدقيقة التي ظهرت ارطقات نسطور وديوسقوروس واوطيخا وانشئوا مسيحيين بلاد سوريا الى اراء مختلفة .. وكل منهم تبع الراي الذي اضله . فجميعهم اخذوا يضطهدون هذا القطيع الصغير الذي حفظ بكل نقاوة وبغير فساد التعليم الرسولي الذي قبله من الرسل مع الذين بقيو من السريان .. الخ(٢

فهرس السندات صفحة ١٦٣

الاول

رسالة المطران ارسانيوس شكري مطران الموارنه بحلب . تتضمن الفتن التي حدثت بخصوص العباده والاوقار الواجب للقديس يوحنا مارون

يسال هل هو اراتيكي ام قديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الطايفه المارونيه . الذي كرسه بطركاً انطاكياً على هذه الطايفة

كتاب « المحاماة » المطبوع

فيصرفون سامعهم عن الحق ويميلون الى الخرافات » (تيمو ٤ : ٣ – ٤) (١

اولاً صفحة ١٠٥

قد اتى على الامة المارونية ازمان متطاولة وهي تغضي على ما يمسّ كرامتها ويغض من قدرها من الاقوال التي يبثها اشخاص من بعض الطوائف الشرقية ولا سيما طائفة الروم الملكية ولم يكن اثر تلك الاقوال قاصرًا على دهماء الامة المارونية بل متعدّيًا الى اكابر علمائها واعاظم رؤساء كنيستها

ألا وانهُ منذ الدقيقة التي ظهرت فيها بدعة نسطور وديسقورس واوطيخا واختلف مسيحيو سورية وذهبوا مذاهب متباعدة وتبع كلٌّ الرأي الذي أضلَّهُ شرعوا جميعهم يضطهدون هذا القطيع الصغير الذي حفظ بالصحة والنقاوة التعليم الرسولي الذي قبلهُ من الرسل مع الذين بقوا من السريان . . . الخ .

فهرس الاسناد صفحة ١٨٢

السند الاول

رسالة المطران ارسانيوس شكري مطران الموارنة بحلب وهي تتضمن احاديث ما جرى من الفتن في شأن الاكرام الواجب لصفيّ الله القديس يوحنا مارون عليه السلام

يُسأل أمبتدع ام قديس يوحنا مارون البطريرك الاول على الامة المارونية الذي كرّمهُ بطريركًا انطاكيًا عليها الطيّب

---

١) ان الشيخ سعيد الشرتوني اخذ آية القديس بولس هذه ، عن طبعة الكتاب المقدس للاباء اليسوعيين الذي صحح عبارته الشيخ ابراهيم اليازجي .

٢) ان هذا الخطاب الجدلي ، الذي هو من تأليف اسطفان عواد السماني ، يبتدىء من هذا الكتاب المخطوط من صفحة ٩٧ الى صفحة ١٦٣ ، وفي كتاب المحاماة من صفحة ١٠٣ الى صفحة ١٨٢ .

الكتاب المخطوط

البابا سرجيوس الحبر الروماني الصالح الذكر . هذا القديس الذي من اجل هذا السبب مضى الى روميه لشد الحبر [١٦٣] الاعظم المذكور . مع ان مؤلفاته ووعظه ومجادلاته ضد اراطقة عصره تشهد بقداسته . وهذه التصانيف محفوظة في المكتبة الواتيكانية . وقد حرر سيرته المنسنيور السمعاني الكلي العلم . لا سيما في تواريخ الكنيسة الشرقية . وهذه السيرة قد طبعت (طبعت) باسم الحبر الاعظم اكليمنضوس الحادي عشر في مطبعة انتشار الايمان بفصاحة بلينة . . . الخ(١)

عبودية ومقتصر صفحة ١٧٢
الى مجمع الرتب المقدسه

الى حضرة الكلي السمو والاحترام الكردينال كولونا بونوتي . بخصوص العباده المشهرة بالقدمية القديس يوحنا الرومي المكنى بمارون البطريرك الانطاكي

وهذه العبوديه مع المختصر قد تقدمت الى المجمع المذكور اعلاه . من حضرة المطران اسطفان عواد السمعاني وباسم البطريرك والاساقفة والاكليروس والشعب الماروني . وقد طبعت في مطبعة بيرنابو في سنة الف وسبعمايه واحدى وسبعين

مختصر الكتاب

يشتمل على ضمن السندات التي قدمت من حضرة المطران اسطفان عواد السمعاني . لدى السادات الكردينالية الكرام الكلي السمو والاحترام . المتقلدين بوضيفة (بوظيفة) الوكالة على مجمع الرتب المقدسة

كتاب «المحاماة» المطبوع

الذكر البابا سرجيوس الحبر الروماني . فولي الله هذا يمم رومية زائرًا الحبر الاعظم المذكور للسبب المشار اليه اي لرد مقالة من يتهم بالابتداع وان كانت تآليفهُ ومواعظهُ ومناظراتهُ في تفنيد مقالات الخوارج في عصره تنطق بقداسته وتلك التآليف محفوظة في خزانة الواتيكان [١٨٤] وقد ترجمهُ باطل البلاغة السيد السمعاني الواسع العلم ولا سيما في تواريخ الكنيسة الشرقية اكليمنضوس وكلمنس واكليمنت وقد طُبعت هذه الترجمة باسم الحبر الاعظم قليمس الحادي عشر في مطبعة انتشار الايمان . . . الخ.

عرض حال مختصر صفحة ١٩٣
الى مجمع (الطرائق) الرتب المقدَّسة

الى حضرة السامي المقام والاحترام الكردينال كولونا بونونتي في شأن الاكرام القديم المهد للقديس يوحنا الرومي الملقب مارون البطريرك الانطاكي

وقد وقع هذا العرض مع المختصر الى للجمع المذكور المطران اسطفان عواد السمعاني باسم البطريرك والاساقفة والاكليروس [١٩٤] والشعب الماروني . وقد طُبع في مطبعة بيرنابو سنة ١٧٧١ احدى وسبعين وسبعمائة والف للمسيح

مختصر الكتاب

يشتمل هذا الكتاب على ما قدَّمهُ من الاستاذ حضرة المطران اسطفان عواد السمعاني لدى السادات الكرادلة الكرام السامي المقام المتوكلين على مجمع الرتب

---

١) ان فهرس الاسناد هذا في الكتاب المخطوط من صفحة ١٦٣ الى صفحة ١٧٢ وفي كتاب المحاماة المطبوع من صفحة ١٨٣ الى صفحة ١٩٣

الكتاب المخطوط

بخصوص الفحص عن قداسة يوحنا المكنى مارون البطريرك الانطاكي الاول على الطايفة المارونية . بما ان قدس سيدنا الحبر الاعظم قد اقامهم على هذا الفحص بمساعدة البعض من العلماء اللاهوتيين السامي فطلهم (فضلهم)

ايها السادات الكلّيو السمو والاحترام صفحة ١٧٤

اولاً لم يخفى من سعادتكم انه منذ سنة الف وسبعمايه وخمسين . قد اشتهرت مجادله في خصوص العباده للقديس ماري مارون الناسك . الذي ارخ سيرته الفاظل (الفاضل) ثاودوريطوس . ومزق ايقونته كيرلس البطريرك على طايفة الروم الملكيين .

اما الحبر الاعظم بناديكتوس الرابشر (الرابع عشر) الصالح الذكر قد اوجب الحكم بتأييد قداسة هذا القديس الناسك بمنشوره النافذ في اليوم الثامن والعشرين من شهر ايلول سنة الف وسبعمايه وثلاثة وخمسين الذي ابتداه (من جملة غير امور) وبه يامر البطريرك المذكور ان يناقض ما ابداه . ولا يعود يتجاسر ان يبطل عن الطوباني مارون الناسك العباده المشتهره . . . الخ(١)

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين صفحة ١٩٦

نبتدي بعونه تعالى وحسن توفيقه في بيان وتثبيت الاكرام المقدم للقديس يوحنا السرومي المكنى مارون اول بطاركة الملة المارونية على الكرسي الانطاكي

كتاب « المحاماة » المطبوع

(الطرائق) المقدَّمة في شأن البحث في قداسة يوحنا الملقب مارون البطريرك الانطاكي الاول على الطائفة المارونية اذ ان سيدنا الحبر الاعظم قد وكل اليهم هذا البحث مع جماعة من افاضل اللاهوتيين .

ايها السادات العالو المقام

اولاً : لم يخفَ عليكم انهُ وقعت سنة ١٧٥٠ خمسين وسبعمائة والف مجادلة في شأن اكرام القديس مارون الناسك الذي دوَّن سيرتهُ الفاضل توادوريطوس ومزّق صورته كيرلّس بطريرك طائفة الروم الملكيين .

اما الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر الصالح الذكر فقد ايَّد الحكم بقداسة هذا القديس الناسك بمنشوره [١٩٥] الصادر في الثامن والعشرين من شهر ايلول سنة ١٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة والف الذي بدءهُ «من جملة امور أُخر» . وقد أمر به البطريرك المذكور ان ينقض قولهُ ولا يتجاسر فيما بعد ان يبطل ما يقدَّم للطوباوي مارون الناسك من الاكرام . . . الخ

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد ص ٢٢٣

نبتدئ بعونهِ تعالى وحسن توفيقه باثبات الاكرام للقديس يوحنا السرومي الملقب بمارون اوَّل بطاركة الامة المارونيَّة على الكرسي الانطاكي

مقدمة

في السبب الداعي الى اقامة هذا الاثبات

لما اخذت بدع نسطور وديوسقوروس واوطيخا تفور اواخر القرن الرابع واوائل

---

١) ان هذا العرض حال المختصر يبتدئ في الكتاب المخطوط من صفحة ١٧٣ وينتهي الى صفحة ١٩٨ . وفي كتاب المحاماة المطبوع من ١٩٣ الى ٢٢٢

الكتاب المخطوط

مقدمة

تشتمل على السبب الداعي لاقامة هذا البيان

انه لما ابتدت بدع نسطور وديوسقورس واوطيخا ان تفور اواخر الجيل الرابع واوايل الجيل الخامس ممتدة في بلدان سوريا. فنهظ(١) (فنهض) الى مقاومة المبدعين المذكورين كثيرون من المسيحيين لسيا (لاسيا) اهل جبل لبنان المتمسكون اشد تمسكاً بايمان اجدادهم القديم. الذي كانو (كانوا) تسلموه من الرسل الاطهار. وبهده جداية الانبا مارون وارشاده الفاضل استمروا سليمين ليس من كل غلط معيب فقط. بل مبتعدين ايضاً من كل ضمة سية (سيئة) ومن كل سو (سوء) مظنون بهم يشين حسن اعتقادهم. وقد كان هذا الرجل لفضله الكلي وقداسته اتى (انشأ) ديرًا شهيرًا في سوريا الثانية بالقرب من نهر العاصي ... الخ

القسم الثالث صفحة ٢٧٣

في ان القديس يوحنا مارون هو خالي ومبتعد باي نوع كان وحتى بالوهم من ارطقة القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

الفصل الاول

في ان القديس يوحنا مارون لم يكن اول من ابدع ارطقة القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

قد زعم البعض من الذين قذفوا بالملة المارونية بان يوحنا مارون ليس كان اراتيكياً

كتاب «المحاماة» المطبوع

القرن الخامس متفشية في انحاء سورية تصدّى لمناهضة اولئك المبتدعين ووقف في وجوههم كثير من المسيحيين ولا سيما اهل جبل لبنان الحراص على دينهم الذي زرعهُ في صدور اجدادهم الرسل الاطهار فهؤلاء بحوله تعالى وبارشاد الفاضل يوحنا مارون(٢) استمروا على ذلك الدين سليماً من كل غلط بريئاً وذلك لتباعدهم عن كل ما يدخل كلفاً على نقاء معتقدهم. وكان ذلك الهام الفاضل قد انشأ ديرًا عظيماً بسوريّة الثانية على مقربة من العاصي ... الخ

القسم الثالث صفحة ٣٠٦

في ان القديس يوحنا مارون هو أبعد من ان يتوهم بوجهٍ ما انهُ من القائلين بمشيئة واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

الفصل الاول

في ابطال ان القديس يوحنا مارون هو أوّل من ابتدع القول بمشيئة واحدة وفعل واحد في السيد المسيح

قد زعم جماعة ممن قذفوا الامة المارونية بان يوحنا مارون لم يكن هرطوقياً فقط بل كان إمام القائلين بوحدة المشيئة والفعل في السيد المسيح وأوّلهم. وكان الروم الملكيون قد تحيّلوا لان يقذفوا القديس مارون الرئيس بهذه التهمة الشنيعة كما مرَّ بك في مقدّمة الكتاب لكن الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر ابطل تهمتهم هذه [٣٠٧] ابطالًا

---

١) ان الضاد يكتبها الناسخ بالسريانية ظاء ويلفظها بها على ما رأيتَ قبلًا.

٢) والصواب: الانبا مارون كما هو مثبت في المخطوط.

فقط . بل راس القايلين بوحدة المشية والفعل في السيد المسيح واولهم . وقد كان احتال الروم الملكية على اخصم يثبتوا القديس مارون الريس هذه التهمة الشنيعة كما يتضح مما اوردناه في مقدمة هذا الشرح . لكن الحبر الاعظم بناديكتوس الرابع عشر (الرابع عشر) دحض تهمتهم هذه دحضاً مبيناً في منشوره المورد منا في العدد الثاني بقوله التابع .

اذا كان غلط القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في المسيح . ابتدى (ابتدأ) في عصر هرقل الملك كما هو معلوم عند الجميع . فكيف يمكن انه يكون انشى (ابتدأ) على عهد موريقيوس الملك . انتهى . . .

(صفحة ٢٧٤) . . . قولهم سنة سبعمايه وعشرة . ويتضح ذلك من جهة اخره (أخرى) اي من انه اقيم الموارنه بطريركاً على الكرسي الانطاكي نحو سنة ستمايه وخمسه وثمانين . او سنة ستمايه وسبعه وثمانين . فان كانت بدعة المونوطيليطين ثبتت نحو سنة ستمايه وثلاثه وثلثين . فمن ذا لا يرى ناتجاً ان يوحنا مارون لم يكن حينئذٍ في الوجود . ام انه كان طفلاً صغير لا يفقه ولا يدرك . وبالنتيجة غير مستطيع ان يبدع او يعلم او يفهم ويدرك ارطقة القايلين بمشية واحدة وفعل واحد في السيد المسيح . فكيف اذاً يزعم المفتريون انه كان اول مبدع الارطقة المذكورة وانه كان راس وزعيم وقايد المونوطيليطين .

وتزيد على هذا القياس برهاناً آخر وطيداً واكيداً بالكفاية لاستناده على شهادة كتب قوية ثبوتة قد صُنفت في ذلك العصر نفسه بكل حرص وامانة حيث يذكر فرداً فرداً جميع الذين ابدعوا ارطقة المونوطيليطين وحاموا عنها وانتصروا لها . ولم يُذكر بينهم يوحنا مارون او مارون آخر سواه قط . كما

في منشوره الذي اثبتناه في العدد الثاني وذلك بقوله :

« ان غلط القائلين بمشيئة واحدة وفعل واحد في المسيح قد ابتدأ في عصر هرقل الملك كما هو معلوم عند الجميع فكيف يصح انهُ يكون قد ابتدأ في عهد موريقيوس الملك » . اهـ . .

(صفحة ٣٠٧) . . . قولهم سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة ويعلم ذلك من انه اقيم بطريركاً على الكرسي الانطاكي نحو ٦٨٥ خمس وثمانين وستمائة او ٦٨٧ سبع وثمانين وستمائة فان كانت بدعة القائلين بوحدة المشيئة والفعل قد نبتت نحو سنة ٦٣٣ ثلاث وثلاثين وستمائة فمن ذا الذي لا تراهُ مستنتجاً ان يوحنا مارون اما انهُ لم يكن في الوجود حينئذٍ واما انهُ كان طفلاً صغيراً لا يفقه ولا يدرك والخلاصة انهُ لم يكن في الامكان ان يُبدع أو يعلم أو يفهم بدعة القائلين بمشيئة واحدةٍ وفعلٍ واحدٍ في المسيح فما بال المفترين يزعمون انهُ هو مبتدع هذه البدعة وانهُ [٣٠٨] كان رأس اصحابها وزعيمهم وقائدهم

ونضيف الى هذا القياس البرهاني حجة متينةً معزَّزةً بشهادة كتب قديمة مثبتة قد صنفت في ذلك العصر نفسهِ بغاية ما يستطاع من التدقيق وتحري الصدق اذ تورد اسماء مبتدعي تلك البدعة وانصارها واحداً واحداً ولا تذكر بينهم يوحنا مارون ولا ماروناً آخر . فراجع كتاب المجمع السادس المسكونيّ الملتئم في قسطنطينية سنة ٦٨٠

الكتاب المخطوط	كتاب « المحاماة » المطبوع
يتصرح من اعمال المجمع السادس المسكوني الذي التيم في القسطنطينية سنة ستمايه وثمانين . لهذا القصد خاصة اي ليكشف اصحاب هذه البدعة ويحرمها . ففي بدي الجلسة او العمل الاول خاطب قصاذ الكرسي الرسولي للملك على هذا المنوال	ثمانين وستمائة للميلاد ابتغاء ان يكشف اصحاب هذه البدعة ويحرمها ففي الباب الاوّل من كتاب هذا المجمع صورة خطاب قصاد الكرسيّ الرسوليّ للملك واليك نصهُ :
من حيث انه منذ سته واربعين سنة اقل ام اكثر . قد ادخل بعض الفاظ جديدة تضادد الامانة الارثوذكسية اوليك الذين كانوا روسا في مدينتكم الملوكية المحروسة من الله اعني سركيس وبوليس وبيروس وبطرس وكوروس الذي كان سابقاً ريس مدينة اسكندرية . . . الخ(١)	« من حيث انه منذ نحو ست واربعين سنة قد ادخل الفاظاً جديدة تضاد الامانة الصحيحة اولئك الذين كانوا رؤساء في مدينتكم هذه الملكية المحروسة وهم سركيس وبولس وبيروس وبطرس وكوروس الذي كان قبلاً رئيس مدينة الاسكندرية . . . الخ

هذا ما رأينا ان ننقلهُ من نصّ هذين الكتابين المخطوطين ، ونعارضهُ بنصّ كتابين مطبوعين انتحلها الاب افرام حنين . الاول كتاب « تسعة تأملات روحية في سيرة القديس انطونيوس النسكيَّة » ، وضعهُ باللسان التلياني الاب فرنسيس غلوسيوس اليسوعي ، ونقلهُ الى اللسان العربي الخوري اندراوس

١) ان اثبات الاكرام للقديس يوحنا مارون يشتمل على ثلاثة اقسام ، وكل قسم منها يتفرَّع الى فصول . يبتدئ في الكتاب المخطوط من صفحة ١٧٣ الى آخر صفحة ٢٠٦ . وفي كتاب «المحاماة» من صفحة ٢٢٣ الى صفحة ٣٦٣ . ثم يأتي خطاب البابا بنادكتوس الرابع عشر ، في المخطوط صفحة ٢٩١ وفي «المحاماة» صفحة ٣٦٤ الى آخر صفحة ٤٥٨ . ثم الاجوبة السنيّة عن الطائفة المارونية للقس ميخائيل فاضل والقس الياس الجبيّل . في المخطوط صفحة ٢٠٥ الى ٢٣١ . وفي كتاب « المحاماة » صفحة ٤٥٩ الى ٤٩٢ . ويليها في المخطوط فهرس اسماء الباباوات والاجيال التي عاشوا فيها من ٢٣١ الى ٣٦٣ . ثم فهرس اسماء الاراطقة والاجيال التي ظهروا فيها من صفحة ٣٦٣ الى ٤٧١ . ثم فهرس المجامع التبلية المقدسة صفحة ٤٧١ الى ٤٧٥ . ثم سلسلة بطاركة انطاكية صفحة ٤٧٥ الى صفحة ٤٨١ ، وهي الاخيرة من هذا الكتاب المخطوط . وقد سطر ناسخهُ الاب نعمة الله النجَّار فيها تنبيهاً مرَّ ذكره .

اشرنا الى ان الاب حنين طبع هذا الكتاب المخطوط برمته بعد ان حذف منه فهرس اسماء الباباوات .

اسكندر القبرصي الماروني . والثاني كتاب « المحاماة عن الموارنة وقدّيسيهم » جمع موادهُ ونسّقها بخطهِ ، الاب نعمة الله النجّار البكتاوي الراهب اللبناني، كما بيّنا ذلك باسهاب . وقد تبسّطنا في الامر خشية ان يظن بنا اننا اردنا التحامل على الاب حنين وقد أمسى في عداد الأموات ، ونحن أبعد من ان نفتكر بالتطاول او الافتئات على الكرامات ، ولكن هي الحقيقة يجب ان تُقال بدون مداراة ومماراة . ولو لم يكن الاب النجّار من ابناء رهبانيتنا ولا ينبغي ان يُطوى اسمهُ ، ويُهضم حقّهُ ويُعدم أجرهُ ، لما تعرّضنا لمثل هذا الكشف والمعارضة مكرهين ، والله من وراء النيّات وهو فوق كل ذي علمٍ عليم .

ولا يسعنا في هذا المقام إلّا انّ نثني الثناء العاطر على يراعة وبراعة الكاتب اللغوي الألمعي الشيخ سعيد الخوري الشرتوني الذي هذّب عبارة كتاب «المحاماة» وأبقى معناها على صبغتهِ ورمتهِ ، وتلك مقدرة ندر ان يجاريه بها كاتبٌ مجيد . وقدّر المولى ان انتهى الكتاب اليه ، فأخرجهُ قلمهُ البليغ من تحت ملزم الطبع مختالاً ببردهِ القشيب المحبّر ، سليماً من التصحيف والتحريف .

واننا في كلّ حالٍ نستغفر الله عما طغا به القلم أو زلّت القدم ، انهُ لاجابة كفيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تيارا فلسفة الحقوق (تابع)

المبادئ الفردية والاجتماعية

بقلم الاب فليكس سوانيون اليسوعي

٨ ـــ التيار المزدوج في الفلسفة الكاثوليكية الحديثة

يدين مذهب ديكارت بما كان له من حظ لغياب الفلسفة التقليدية وفلسفة كنت ، ولا يعنيني هنا ان اذكر اسباب انحجاب فلسفة القديس توما ذلك الانحجاب الطويل .

ففي القرن التاسع عشر مع ده بونالد (١٧٥٤—١٨٤٠) (de Bonald) ومع لامنه (١٧٨٢—١٨٥٤) (Lammenais) ساد المذهب الذي يرجع اصل المعارف الى الايمان ومن ثم وعلى اثر روسميني (١٧٩٧—١٨٥٥) (Rosmini) راجع المذهب الانتولوجيسم وكان هذان المذهبان سدين ضعيفين امام الفلسفتين الوضعية والمادية .

ولقد قال البابا لاوون الثالث عشر « اذا رأت فلسفة (بعض الكاثوليك) نفسها احياناً انها لا تملك القوة الكافية لصد هجمات العدو فعليها ان لا تنسب سبب ضعفها وخطائها الا الى ذاتها » (Léon XIII. Encyclique Æterni Patris) وفي الحقيقة اننا لا ننفك عن متابعة ديكارت آراءه بدون معرفتنا وبدون ارادتنا وهذا ما ينبغي لنا ان نأخذه بعين الاعتبار :

فالامر الاشد فائدة في المنهج الفلسفي ليست النظريات وانما روح هذه النظريات .

ولقد ظلت روح بيرون (Pyrrhon) قائمة بعد اندثار فلسفته وتقلقلت شيئاً فشيئاً في الندوة العلمية وزعزعتها وكذلك عاشت روح ديكارت بعد موت نظرياته وما برحت تشلّ حتى في يومنا القائم نهضة فلسفتنا المدرسية .

وفي غضون الثلثين الاولين من القرن التاسع عشر برز على المسرح آية من

آيات الساعة هو تاباريلي دازغليو (١٧٩٣—١٨٦٢) (Taparelli d'Azeglio) احد مؤسسي الـ (Civilta Cattolica) مجلة الآباء اليسوعيين الايطاليين الشهيرة . ولقد تكلفوا اولًا ان لا يروا فيه الا عالمًا « ايديولوجياً » خيالياً نوعاً ما ، وفي الواقع لقد كان سابقاً لعصره واوشك ان يكون نبيّ علم الاجتماع وها هوذا التطور الفكري يقيم الدليل على ذلك وها هي ذي تجارب القرن العشرين تفصح كل الافصاح ان « جامعة امم » (Ethnarchie) لم تكن وهماً من الاوهام ولكن واجباً . اما كتابه « نظريات الحقوق الطبيعية المستندة الى الوقائع » فقد تُرجم الى الفرنسية ، الطبعة الثانية سنة ١٨٧٥

وكان اليوم الرابع من آب سنة ١٨٧٩ يوماً مشهودًا في تاريخ الفلسفة بالبراءة (Æterni Patris) التي بعثت بعثاً حاسماً نهضة فلسفة القديس توما ولم تلاش جميع اختلافات وجهات النظر ولا ادعت انها تريد ملاشاتها لان تعلّم الفلسفة ليس ببساط السلطة ولان الحرية ضرورية للمفكرين ولكن ضمن نطاق العقل الرشيد ووفق الصراط الديني القويم . نعم انها ضرورية للمفكرين حتى حرية التردد والضلال كما اعلن ذلك في احد الايام البابا لاوون الثالث عشر للمنسنيور دولست (Mgr d'Hulst) . راجع : (*La vie de Mgr d'Hulst*, par Mgr Baudrillart, tome I, p. 456).

واننا ما برحنا نلحظ قبل البراءة وبعدها — ولو بشكل نزعة — التيارين الفردي والاجتماعي . وحيال الضلال الحديث لا يزال كثير من الكاثوليك يحتفظون بموقف يوشك ان يكون موقف دفاع فقط واذا ما اقدموا على ردة فعل كان اقدامهم في تبنّي المعارضة .

فاذا ما علّل روسو اصل المجتمع قائلًا انه قد تألف بمعاقدة حرة فينكرون ان يكون للارادة اي نصيب في ذلك ، واذا جعل مصدر السلطة الشعب وحده فيقولون ان الشعب ليس له فيها اي عمل . واذا قال كَنت (Kant) ان الواجب يقرره العقل الانساني المستقل ، انكروا كل استقلال للارادة وحللوا الوازع الاخلاقي بارادة الله وحدها . واذا شرع اولو النظرية العضوية الذين يرجعون الفرد الى حالة الخلية في الجهاز الاجتماعي يتوسلون بمقارنات وهمية من بنات خيالهم الطليق فيقولون مثلًا : عاصمة = رأس ، دماغ = حكومة ، قلب = كيس ، خلية

تمتص الاغذية = شرطي، النسيج الشحمي = كبار اصحاب الدخل، انكروا كل مقارنة ومقايسة. واذا ضحّى هيجل (Hegel) بالاستقلال الفردي في سبيل الدولة المطلقة وهي الجسم الوحيد المستقل وموضوع الحقوق الوحيد انكروا مكانة الاجتماعية الرفيعة وانكروا الكائن الاجتماعي في سبيل الحفاظ حفاظاً افضل على الشخص الانساني وطوّبوا الحقوق الفردية وقدّسوها وجعلوها محور الفلسفة الاجتماعية.

واراني لست مبتدعاً شيئاً في ما قلته : وها هي ذي تأكيدات مضبوطة في هذا الباب : المجتمع هو حالة أشياء وليس شيئاً وهو غط كيان وليس كائناً.
(Deploige, dans *le Conflit de la morale*, p. 193)

ان المجتمع «شيء مجرد ... فهو موجود فقط في عقلنا وجوداً متميزاً عن الافراد الذين يؤلفونه». (Bayaert, dans *Trois leçons*, p. 16, 17)

ان الشخصية المعنوية ليست «حقيقة واقعية ولا وهماً ولكنها مفهوم».
(Renard, dans *le droit, la justice et la volonté*, p. 68)

«ان الضمائر الفرديّة هي الحقائق الواقعية الحية وحدها».
(Bureau, dans *Introduction à la méthode sociologique*, p. 199)

الحقيقة الواقعية الاجتماعية ؟ ؟ «انها غول من بخار» «انها قصة رمزية جرمانية» ...

ولماذا لم يحتفظوا بالتعريف القديم الذي على الاقل كان له الفضل في ان يكون واضحاً : وهو «ان المجتمع إضمامة اصطناعية» وذلك ما لم نفضل تعريف تارد (Tarde) ومفاده «ان المجتمع هو جملة من الناس الذين يحتذي بعضهم ببعض».

واطلقوا على نظرية الكائن الاجتماعي هذه اسم «نومينالسم» (Nominalisme) اي اسم بلا مسمى لان المجتمع في نظرهم عبارة مشتركة لا يقابلها شيء غير مجموعة افراد.

وبالاستناد الى هذا الفرض ما يكون مصير الحقوق ؟

ومما هو مشترك بين الفلسفة القديمة وفلسفة العصور الوسطى الفردية ان الحقوق هي

امر اجتماعي. اما ذوو مذهب «النومينااليسم» فيقولون ان اساس الحقوق يقوم على سلطة الارادة وموضوعها الفرد وحده .

(cf. Chénon, dans *le rôle social de l'Eglise* p. 174)

واذا ما جعلوا محلًا للحقوق الاجتماعية فانهم يجعلونه في نطاق ضيّق كل الضيق او بالحري نافل .

وثمّ مؤلفات ما زالت تيد التعليم فيها وهي من مستوجبات الفردية ، الى جانب هذه الفلسفة المدرسية المزعومة تقوم فلسفة القديس توما الحقيقية المشروعة التي تفرض نفسها بازدياد وذلك في الجامعات نفسها .

وفلسفة القديس توما بدلًا من ان تنحاز بعنف الى تبني الجبهة المعارضة لتعاليم الخصوم تعمد الى وزنها وكشف قناعها وتسلخ ما حوته جميع ضروب الالحاد من الحقيقة .

ولقد اعرب القديس اوغسطينوس خير اعراب عنها بقوله :

« *Philosophi autem qui vocantur, si qua forte vera et fidei nostrae accomodata dixerunt... non solum formidanda non sunt, sed ab eis etiam tanquam iniustis possessoribus in usum nostrum vindicanda* » *(De Doctrina Christiana*, L, II, ch. 40 ; P.L., tome 34, col. 63).

ولم اشأ ان اعرض هنا كل تعليم القديس توما الاجتماعي وانما سأتصدى فقط الى ذكر بعض المبادئ الميتافيزيقية التي تقوم على اساسها . ولن نقتنع على شاكلة معظم الخصوم بان نجزم بقوة بصحة النظريات التي نرتاح اليها ولكننا سنقيم الحجة على صحتها :

١ — ان الوحدة صفة الكائن الجوهرية وعلى قدر تفاوت درجات الكائن تتفاوت درجات الوحدة .

٢ — كل كائن في العالم هو نظام واحد ومتعدد ومركّب من اجزاء .

٣ — ان مبدأ الوحدة الاشد فعاليــة ليس الاستمرار المادّي الذي ليس الّا استمرارًا ظاهرًا في الكائن المركّب . فالذي يوحّد الاجزاء بقوة اعظم هو الغائية الباطنية تُبدع تنوّع الاجزاء واكمالها بعضها ببعض .

٤ — ان وحدة الاجزاء الداخلية وحتى استقلالها النسبي ليس عائقًا في سبيل تركيبها .

٥ — ان العفوية وحتى الوجدان ليسا عاملي تقسيم ولكنهما واسطة لتحقيق وحدة نظام اسمى .

٦ — ان الوحدة العليا تتمّ بالمعرفة والمحبة .

ولقد اخذت الراسمالية الحرة بالاحتضار اما الفردية فلا تموت . ولذلك فانا لا اتحدث عن عبادة القيم الفردية المشروعة وعن احترام الشخص لانهما جوهريان ولها مكانتهما في اجتماعية معقولة . وانما اتكلم على عبادة الفرد عبادة الصنم وتفضيل « انانيته » المفعمة بنزعات الاثرة ونسيان المجتمع والخير العام والهمّ بان لا يتعاون مع احد الا في سبيل منافعه الخاصة . . . ومن نكد الدهر لقد اصبحت جميع هذه الامور طبيعية منذ الفردوس الارضي .

ولا تستطيع الفردية كتعليم الا ان تعيد نفسها . والتعليم يجد ذاته بسيط لانه يطرح من الحقيقة الواقعية والمثل الاعلى الانسانيين اسمى ما فيهما من روحي وارفع ما يحويانه من اسرار بيد ان شروط الحياة المتقلبة لا بد لها من ان تفرض دائماً اشكالاً جديدة كما رأينا ذلك في الماضي . فالاجتماعية نفسها قد تقدّمت سواء أكان تقدّمها من حيث التعليم ام من حيث الحياة ولن تنفك عن التقدم . فالعالم اليوم في اختمار ونضوج . وعلى ما في نظرية اجتماعية الدولة والشيوعية ذاتها من تطرف فانها يبديان اندفاعاً نحو الوحدة كما يترع العالم الديني اليها .

ويعترف ذوو الارادة الحسنة الآن بان انفصام الوحدة المسيحية قد كان آفةً عليها وهم يسعون الى ان يعيدوا اليها تماسك اجزائها .

وفي داخل الكنيسة الكاثوليكية ذاتها قد تمتن معتقد الوحدة وقد نما تعليم الجسد السري في كل الاتجاهات كما نما علم الاجتماع .

ولا مجال يدعو الى الاستغراب فان التعليم الانجيلي الادبي لا يعارض التعاليم الادبية العقلية وانما هو يستوعبها ويكملها . والمحبة الفائقة الطبيعة التي نُفخت فينا تتمم المحبة الطبيعية المكتسبة . وهبات النعمة تتجاوز عامة الطبيعة تجاوزًا لا حدود له وانّما لا تهدمها بل تفرض قيامها دائماً .

ولا غرو ان ينسجم هذا التقدم في كلتا الناحيتين وان يتبادلا التأثير .

ومن المحتمل ان يكون درس الجسد السري اللاهوتي قد استفاد من تقدم علم الاجتماع وانه لواضح ان عقيدة الجسد السري هي عون ثمين لنا لنفقه الطبيعة الاجتماعية .

(cf. *Corps mystique et humanité contemporaine* par le R.P.Mersch, dans *la Nouvelle Revue Théologique*, Mars 1935, p. 225 sq.)

وحيال هذا التقدم المزدوج نستبيح لنفسنا ان نرى قيام جمعية انسانية موحدة سياسياً لا عن طريق الغاء الوحدات القومية بل باتحادها المتحقق . اما هذا الاخاء الطبيعي العظيم فلا يتمّ طبعاً الّا بالنعمة التي تبنّاها المسيح برمتها لتؤلف من الناحية الدينية حظيرة واحدة تحت حماية راعٍ واحد .

القديس فرنسيس كسفاريوس

بقلم الاب جبرائيل عقيقي اليسوعي

الدعوة

عجيب أمر مواطنه ذلك الشريف الزاهد اغناطيوس دي لويولا ! ما حمله أن يقاسمه داره ويلزم صحبته رغم ما يلقى من نفوره ويرى من ازدرائه برثاثة مظهره .

ما أشدّ ما بينهما من الاختلاف وما بينهما من الاتّفاق ؛ كلاهما ذو أصل شريف ، وكلاهما طالبان ، جمعهما في جامعة باريس طلب العلم كما جمعتهما الفاقة ؛ غير أنّ اغناطيوس راضٍ في فقره ، يخدم الطلاب ويستجدي قوت يومه مسروراً ؛ وفرنسيس ثائر على ما نكبت به أسرته من الفقر ، يحاول المحافظة مع عزة نفسه وشرف أصله .

يدعوه اغناطيوس الى الزهد في الدنيا وهو راغب فيها ، طامع من كرامتها ، مولع في مجالس أهلها . يقول له : « يا فرنسيس ، ما يفيد الانسان ربحُ الدنيا اذا خسر الأخرى ؟ » ويرى فيه النفس الكبيرة والرجل الكفيَّ لعظائم الأمور ؛ وما زال به حتى أنس إليه ؛ وعرف فرنسيس ما عند رفيقه ومواطنه دي لويولا من الفهم والحزم والإقدام ، مع الخبرة في أمور الدنيا والدين ، فوثق به وتتلمذ له ، ومارس رياضته أياماً كان في خلالها يميت نفسه بمختلف ضروب الإماتة . لبث بولس الرسول قبل اهتدائه ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب ، وصام فرنسيس أربعة ايام لا أكلًا ولا شرباً ، فانجلت له في تلك الايام ، على أنوار النعمة أسرار الحياة وشعر بما في الاتصال بالله من نشوة الفرح وبما في خدمته من الشرف والسعادة فانضمّ الى مرشده القديس اغناطيوس مؤسس الجمعية اليسوعية وكان هو وأربعة آخرون نواة دوحتها الوارفة ، يوم نذروا في معبد مونمارتر النذور الثلاثة ١٥ آب ١٥٣٤ وأضافوا اليها نذر الطاعة

للحبر الاعظم ، على أن يوجههم الى أيّ صقع من أصقاع الارض ، بين الضالّين والكفار وغيرهم .

وكانت الهند حينئذ أرحب الاصقاع وأحوجها الى من ينادون فيها بالانجيل، وقد صارت محط الانظار منذ نزل فيها الاسبان والبرتغاليون ، رحالةً وتجاراً وجنوداً . فطلب ملك البرتغال من اغناطيوس ان يرسل الى تلك الديار اثنين من جمعيته وشاءت العناية ان يكون فرنسيس اول رسول منها الى الشرق .

رسول الهند

فرنسيس سفير الحبر الروماني في الشرق الاقصى ، يسافر من لشبونه في ٧ نيسان ١٥٤١ مع نائب الملك ، ولا خادم معه ولا ثوب يغيّره ، بل كان هو الخادم لجميع المسافرين . فيصل بعد ثلاثة عشر شهراً الى جاوه عاصمة امبراطورية البرتغال ، فتقصد الجالية الى الميناء لتحتفي بقدومه فاذا هو قد ذهب الى المستشفى ، يؤاسي المرضى ويمنح الاسرار . ثم هو يمضي الى السجون ليُعنى بمن تكدّس فيها من العبيد والسود والهنود ويُقدم على خدمة المجذومين في معتقلاتهم لا يرهب العدوى ولا ينفر من مخالطة البؤس والشقاء . غنيّ بنفسه موشح بقداسته ، يفعل منظره في النفوس ما لا تفعله خطب أبلغ الواعظين .

موانئ الهند ومدنها وجزائر محيطها ما أكثرها من جاوه الى ترافنكور ، الى ملبابور الى ملقا وجزائر الصيادين ، الى مور ومولوك وسيلان وغيرها ، طاف فيها جميعاً ، وبشّر وعمّد عشرات الالوف من بينها حتى كانت يده تخدر من كثرة التعميد . وقد أضرم نار العبادة في قلوب الجميع ، فمات الالوف منهم شهداء حباً لله كما كان الالوف يموتون في بداية النصرانية وعهد الرومان فرحين مغتبطين .

من أحصى كل من هدى الى معرفة الله في كل مركب سافر فيه وكل بلد دخله من مغرب الشمس الى مشرقها ؟ لقد ردّ في شهر واحد في ترافنكور من النفوس ما لم يردّ مثله جميع مرسلي البرتغال في ثلاثين عاماً .

كان يوجّه جلّ جهده الى الفقراء والبائسين والمنبوذين وكان له في ارتدادهم تعزية وفرح كثير، أما اغنياء المستعمرين من برتغاليين وغيرهم فقد كان يحزنه بعدهم

عن الروح المسيحي فيا كانوا يعاملون به اهل تلك الديار المساكين، من العنف والظلم والغش ، إذ يبادلونهم الجواهر والذهب والعاج بأحقر صنوف النسيج والسلع الزجاجية ، فكان يوبخهم ويشكوهم الى الحكام ليخففوا من جشعهم وشغفهم بالمال .

رسول اليابان

جاءه وهو في ملقا تاجر ياباني اسمه أنجر ، يطلب منه أن يزيل ما في نفسه من الوساوس والأوهام ، فوعده القديس بالشفاء إن هو آمن واعتمد ، فرضي الرجل ، فأرسله الى مدرسة الآباء اليسوعيين في جاوه ليتعلم هو وخادمان له التعليم المسيحي، ثم عمده هو وخادميه فشفي التاجر وزال ما كان به من القلق، وتاق من نشوة فرحه ان يشرك بسعادته كل اهل بلاده ، فجعل يرغب الاب المحسن اليه في الذهاب الى اليابان ويذكر له ما عند أهلها من لين الطباع وحسن الاخلاق وأن عندهم ديورة وصوامع يختلفون اليها ويختلون فيها ، وان فيهم تخشناً وتعففاً من الحياة ، فالت نفسه الى ذلك وشعر أن الله يدعوه إلى القيام بهذه الرسالة ؛ غير أن اليابان كانت حينئذ بركاناً هائجاً من الثورة بعد خلع الميكادو وانتشار الفساد والقتل بين أفرادها وأحزابها وتعصب رجال الدين فيها ...

هذه الاخطار على شدتها لم تمنع الرسول من المضي الى هاتيك الديار ، فركب البحر اليها في ٢٤ حزيران ١٥٤٩ ، يصحبه تلميذه أنجر ونزل في داره بمدينة كاغوشيا عاصمة ساكسوما ، ولما علم ملكها بقدومه اليها رحب به وسر بما قدم له من هدايا ، سيما صورة العذراء وابنها . فاستطاع القديس أن يدخل هو وترجمانه صاحبه منازل اليابانيين ويتصل بكهنة بوذا في كاغوشيا وبيونغو وياماغوش ويبشر في كل مكان فتسمع منه بلاد الشمس المشرقة ، لاول مرة اسم يسوع المسيح ؛ ويأتي فيها بالمعجزات فينقاد لتعليمه ملوك ورؤساء وجند وعامة وكهنة أصنام ، آمنوا جميعاً واعتمدوا ؛ وقد ثبتوا في ايمانهم رغم ما لقوا في سبيله من اضطهاد ؛ وظل بنوهم من بعدهم متمسكين بعبادة المسيح ثلاثة أجيال وهم منقطعون عن العالم المسيحي الانقطاع كله ، كما ظل ذكر

رسولهم راسخاً في أذهانهم وحبّه في قلوبهم .

وكان القديس مشتاقاً ان يدخل كيوتو عاصمة اليابان ومركز الثقافة فيها ، ويتّصل بجامعاتها الخمس وطلابها أربعة الآلاف ، فيلقي في ذلك الحقل الخصيب بذار الخلاص ؛ غير انه لمّا دخلهـا في كانون الثاني ١٥٥١ كانت الثورة قد اجتاحتها فهدّمت قصورها ومعابدها وتركتها طعمة للنار والخراب. فلم يبقَ له الّا أن يوجّه نظره نحو الصّين. فعاد الى الهند ونظّم فيها شؤون الآباء والرسالات وهمّ بالسفر .

وانه ليعزم عليه إذ قامت في سبيله وفي سبيل الوصول الى الصين مصاعب وأخطار لا يتوهّمها الفكر ولا يصبر على مضضها الّا قديس مثله : فمن والٍ عاتٍ الى ملّاحين قساة الى بحر عنيد ، الى أصدقاء مُشفقين الى كل ما يسمع من الأخبار عن تعصّب الصينيين وعن فتكهم بكل من تحدّثه نفسه أن يطأ أرضهم من الاجانب. تحالف كل هؤلاء عليه فلم يثنوا عزمه عن قصده، فسافر وانتهى بعد احتمال كل ما هدّدوه به من الاهوال ووصل الى مدخل الصين الى جزيرة سنسيناتو قبالة كانتون .

لقد بلغ الغاية ، انما خانته الصحة ، فوهن جسده ووهت قواه ، فانطرح على الشاطئ في كوخ حقير تخفق فيه الرياح من كل جانب ، وأخذ يعالج سكرات الموت وعيناه تنظران الى تلك الارض التي أحبها ، والشمس تطلع عليها وتغيب فيودّ لو تكون روحه بين أشعّتها فيغمرها بحبه كما تغمرها بنورها.

إحملي يا شمس وجدي وانثري	في ثنايا النور طيب المحمل
أشتهي أن أملأ الصين جوًى	هل سوى النور له من مرسل
خبّري . كلٌّ بنيها أنهم	من ضلوعي في المحلّ الأفضل
واذكري يا شمس ما أنتِ سوى	رمز روحي صورة الله العلي
ليس وجدي ذا حدودٍ ينتهي	إنّه من أكماتِ الأزلِ

بهذه العواطف فاضت نفس روح رسول الهند ابن القديس اغناطيوس في اليوم الثاني من كانون الثاني ١٥٥٢ وهو وحيد لا أحد حوله الّا صليبه مضموماً الى صدره وعمره ست وأربعون سنة . فانطفأت بموته تلك الشعلة الزكيّة ، بعد أن أضاءت المشرق وأشعلت حرائق من الحب الإلهي في كل بقعةٍ من بقاعه.

من ذا بردُ النـارَ بعد خمودها   ضرمًا وقـد دنت بها أجلاسُها

هوذا القديس فرنسيس كسفاريوس الرسول الذي حقق ما كان يريده مؤسس جمعية يسوع من ابنائه؛ يريد ان يكون اليسوعي منهم راهباً متأملاً وعاملاً متأملاً، يجمع بين الكمالين كمال الحياة الرهبانية المتأملة وكمال الحياة الرهبانية العاملة؛ فلا يكون للعمل أن يفقده التأمل والاتحاد بالله ولا للتأمل والاتحاد بالله أن يفقده حسن السياسة وإتقان الادارة ذلك ما قام به رسول الهند خير قيام : يعتزل حيناً في منسك من المناسك يناجي فيه الله ويزداد له حباً بل يذوب به وجداً حتى يقول: « حسبي يا ربّ حسبي .» ثم لا يلبث ان يخرج من عزلته فيصحب الجنود إلى ساحات الحرب ويزور المرضى والسجناء ويدبر الرسالات ويرشد المرسلين . وأينما حلّ بذر العجائب والمعجزات براً وبحراً ، يتعب ويتعذب ولا يعبأ بالتعب ولا بالعذاب ، فهابته الطبيعة جميعها : البحر الهائج والملوك الطغاة والخطأة المزمنون والمرض والموت نفسه فسكّن هياجهم وأنقذ الفرائس من بين براثنهم . كأن قوّةً فوق الطبيعة تتغلب على جميع المصاعب والمخاطر الطبيعية .

فحقّ للكنيسة ان تعظّم على الدهر فضائله وحقّ للاجيال أن تحفظ ذكره وتحييه في مطلع كل تذكار مئوي كما نحييه في هذا التذكار المئوي الرابع ٢ ك٢ ١٩٥٢ ونقول له :

وزّعت روحك كالعبير على النفوس لكي تطيب الى المدى انفاسُها

اخبار العالم

اخبار دينية

المجمع المقدس : في اجتماع الكرادلة الذي ينعقد في ١٢ كانون الثاني المقبل سوف يعيّن قداسة البابا بيوس الثاني عشر اربعة وعشرين كردينالاً جديداً . هذا التعيين هو الثاني الذي يقوم به قداسته منذ نودي به حبراً اعظم وكان الاول في ١٨ شباط سنة ١٩٤٦ فيه عُيّن اثنان وثلاثون كردينالاً ينتسبون الى تسع عشرة امة . والكرادلة الجدد ينتسبون الى اثنتي عشرة امة منهم احد عشر ايطالياً وافرنسيان واسبانيان وبرازيلي وايكواتوري وارلندي ويوغوسلافي وبولوني واميركي وكندي وكولومبي والماني .

يمتاز التعيين المقبل بحادثين ارتج لها الرأي العالمي إعظاماً وحكومات وراء الستار الحديدي سخطاً . اولها تعيين قداسته كردينالاً للسيد استبيناك رئيس اساقفة زغرب (يوغوسلافيا) سجين كراسيك وشهيد الايمان الشهير فقد بلغ استياء تيتو لهذا التعيين اشدّه وحمله حنقه الى قطع العلاقات الرسمية بين حكومته وحكومة الفاتيكان .

والحادث الثاني تعيين السيد فيشرنك رئيس اساقفة كيترنو وفرسوفيا وجثليق بولونيا فانه اليوم محور الحيوية الدينية في وطنه الكاثوليكي .

– لما كان عدد الكرادلة السابقين الذين هم في قيد الحياة ستة واربعين فسيبلغ بالتعيين الجديد عدد الكرادلة سبعين وهكذا يكمل عدد اعضاء المجمع المقدس : ٢٧ ايطالياً و ٧ افرنسيين و ٤ اميركيين و ٤ اسبانيين و ٣ برازيليين وبرتوغاليان وارجنتيان والمانيان وكنديان وسرياني وارمني وغنوي واوسترالي وبلجيكي وشيلي وصيني وكوباني وانكليزي وهولندي وتشيكي وبيروي ويوغوسلافي وايكواتوري وايرلندي وبولوني وكولومبي .

الفاتيكان : في ٣ كانون الاول اصدر الاب الاقدس رسالة الى اصحاب النيافة الكرادلة موضوعها الثياب الكردينالية هاك اهمّ ما جاء فيها : اولاً عدم زيادة ذيل على السوتانة القرمزية او البنفسجية . ثانياً الاكتفاء لذيل الحلة الكردينالية من الان فصاعداً بنصف قياسها الحالي وعدم نشره فيما بعد لا في المعابد ولا في الاجتماعات البابوية . ثالثاً ان تكون السوتانة من قماش صوفي . اما الكرادلة الذين يملكون الان سوتانة حريرية فيسمح لهم باستعمالها .

ومن اهمّ الاسباب التي دفعت قداسته الى سنّ هذا القانون الامتثال لمطاليب الاحوال الصعبة التي يعانيها العالم في هذه الازمة بممارسة القناعة والخضوع لاحكام الظروف القاهرة .

اضطهاد الكنيسة في الصين : لا تزال حكومة الصين الشيوعية تضطهد الكنيسة الكاثوليكية بشدة وإصرار تستعمل كل اصناف العنف والخبث والاقناع للتوصل الى إفنائها .

اما الكاثوليكيون هناك شباً وكهنة فلا يزالون صامدين امام العدو ثابتين غير هيأبين مستعدين لفقدان مالهم وحريتهم وحياتهم عينها دفاعاً عن ايمانهم . وقد امتاز فيهم الشبان وخصوصاً طلاب المعاهد العليا منهم تلاميذ كلية الاورورو (الفجر) في مدينة شانغهاي فانهم في تفنيدهم لحجج خدمة الشيوعية وفلاسفتها قد اظهروا من الشجاعة والمهارة ما اذهل الصينيين من مسيحيين وغير مسيحيين وهم اليوم موضوع اعجاب العالم المسيحي كله .

وحرب الشيوعية في الصين ضد الكنيسة تقتك خصوصاً بالاكليروس لا فقط الاجنبي بحجة انه اجنبي لكن بالوطني ايضاً فان هدفها هو اهلاك الدين لا ملاحقة اشخاص فالدين هو عدوها الحقيقي . يشهد بذلك عدد الكهنة الصينيين ضحاياها : منذ سنة ١٩٤٦ الى اليوم بلغ عدد الضحايا من الاكليروس الوطني مئة وخمسة كهنة ماتوا في سجون الصين المهولة او قُتلوا قتلاً اما المُتبقون بعد منهم احياء في هذه السجون فثنان . وكلهم لا ذنب لهم الا تعلقهم بدياناتهم الكاثوليكية .

ليس في الاضطهاد ما يخيف كنيسة المسيح فان خصوبة دماء شهدائها هي اعظم من عمل مرسليها في التبشير وانمايه : دم المسيحيين بذار فيه الكنيسة عربون نموها ومجدها .

دولة السويد : في مجلة اسبوعية اسمها فاركيركا هي لسان حال الكنيسة اللوثرية السويدية تظهر في ستوكهولم . نشر احد محرريها المدعو غونتر ارمستد مقالاً بحث فيه مسألة انشاء علاقات رسمية بين حكومة السويد والكرسي الرسولي : هذه المرة هي الاولى تتطرق فيها نشرة سويدية الى هذا الموضوع . ومما يلاحظه صاحب المقال انه يوجد اليوم لدى اكثر دول العالم ممثلون رسميون لدولة الفاتيكان وقد بلغ عدد الدول التي لها في هذه الدولة ممثل رسمي واحدة واربعين ، منها ست اغلبية اهاليها غير مسيحيين واربع اخرى معروفة بانتمائها الى البروتستانتية وهي انكلترا وهولندا وليبيريا وفنلاندا ، لذلك يطالب المحرر الحكومة السويدية باقامة علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان ويلاحظ ان للسويد ممثلين في كل جمهوريات اميركا الجنوبية فما تكون اهمية هذه الجمهوريات بالمقابلة مع مكانة الكرسي الرسولي ونفوذه في العالم باسره .

اخبار عالمية

الولايات المتحدة : جرت في ٤ تشرين الثاني الانتخابات لرئاسة الجمهورية الاميركية كان فيها الفوز للجنرال ايزنهاور على السيد ستفنسن بواحد وثلاثين مليوناً وثمانية وثلاثة وتسعين الفاً ومئتين وخمسة وسبعين صوتاً اي باكثر من خمسة وخمسين صوتاً بالمئة وحاز منافسه على ٢٦ مليوناً و ٢٦٨ الفاً و ٦٦٠ صوتاً : فيكون الفرق بينهما اكثر من ستة ملايين من الاصوات . فقد كانت اغلبية الاصوات للجنرال في ثماني وثلاثين ولاية اتحادية وحصل على ٤٣٩ صوتاً من ٥٣١ مقترعاً .

حالاً بعد اعلان نتائج الانتخاب وحسب التقاليد الاميركية ارسل السيد ستفنسن الى

حصمه المنتصر رسالة برقية فيها جهئه لفوزه ويقول بانه بطيبة خاطر يرضى بحكم الشعب الاميركي . وهذا جوابه لحزبه الغالب : ان ما يربطنا بعضنا ببعض نحن الوطنيين الاميركيين هو اسمى مما يفصل بيننا كاحزاب سياسية وقد ألفنا في اميركا ان نناضل بعنف قبل الانتخاب اما بعده فمن تقاليدنا ان نكون صفًا واحدًا .

اهمّ اسباب انتصار الجنرال ايزنهاور في الانتخاب الاميركي شخصيته الرفيعة هو القائد الاعلى لجيوش الحلفاء الظافرة في الحرب الاخيرة والبطل الممتاز بشجاعته وتراهته حتى وجيئته . سوف يكون دخوله الى البيت الابيض في ٢٠ كانون الثاني المقبل ومعه يرجع الى الحكم الحزب الجمهوري الاميركي بعد ان يكون قد تركه للحزب الديموقراطي عشرين سنة متتابعة .

مصر : في ١٣ ت٢ اصدر مجلس الوزراء المصري قرارًا به يخوِّل الزعيم نجيب السلطات المطلقة لستة اشهر : حتى يتمكن من المحافظة على الامن في البلاد : بعد هذا القرار اخذ ذوو الآراء يتحدثون عن احتمال تعديل الدستور المصري . ثم في خطاب القاه الزعيم في ١٦ تشرين الثاني في كلية القاهرة الاميركية اعلن بانه من المحامين عن الدستور على شرط ان يكون سليمًا محترمًا لارادة الامة . وهذا هو ايضًا رأي رئيس الوزارة القديم السيد علي ماهر اذ اعرب عن اعتقاده الشخصي في الحكم على الدستور الحالي إرث جاء مصر من فاروق . وقد اتخذت هذا الرأي نفسه بعض صحف مصر منها اخبار اليوم مطالبة بدستور جديد مؤسس على دعائم جديدة يتفق مع مصلحة الامة .

ولم ينته شهر بعد هذه الاحاديث إلا وابتُدئ رسميًا بالبحث في تعديل الدستور ثم تقرر نسخه وشاع خبر يقول باستفتاء الامة المصرية في امر الغاء الحكم الملوكي او ابداله بآخر .

العراق : في ٢٢ و٢٣ تشرين الثاني السبت والاحد قامت في بغداد مظاهرات شديدة دامية بلغ عدد المتظاهرين فيها عشرين الفًا وعدد الموتى عشرة والجرحى نحو مئة فاستقالت وزارة العمري ودعا الوصي عبد الاله اولًا السيد جميل المدفعي الى تأليف وزارة جديدة تقوم بتهدئة الثورة فلم تنجح فسلّم عندئذ حكم البلاد الى الجنرال محمد نور الدين رئيس اركان الجيش العراقي وخرج الجيش الى الشارع بمصفحاته فقمع الفتنة بسرعة واعاد السلام .

وهذه المظاهرات سياسية في غايتها اكثر منها اصلاحية داخلية هدفها معاداة الانكليز والاميركان خصوصًا . وقد بدأت اولًا باعتصاب الطلاب فلما خرجوا للتظاهر تخلّل صفوفهم عدد كبير من المشاغبين وحدثت الفتنة .

يوم الاثنين غداة المظاهرات قررت الحكومة العسكرية حل الاحزاب السياسية كلها وعطّلت صحفها وحرّمت المظاهرات السياسية وأمرت بتوقيف عدد من الشخصيات السياسية معتبرة اياها مسؤولة عن الشغب الذي حدث . وبعد استتباب الهدوء شرعت بتنفيذ اصلاحات طالما طالبت بها المعارضة منها تعديل قانون الانتخاب وجعله على درجة واحدة ثم قررت دعوة الامة الى الانتخاب في شهر كانون الثاني المقبل .

مطبوعات شرقية

الإسلام والمسيحيّة في لبنان

تأليف هاشم الدفتردار المدنيّ ومحمد علي الزعبيّ
المدرّسين في كليّة فاروق الأوّل الشرعيّة في بيروت

١٦٠ ص ١٤ × $\frac{1}{2}$٢٠ سم؛ دار الانصاف، بيروت؛ ١٩٥٢

ممّا لا شكّ فيه حسن نيّة مؤلّفي هذا الكتاب . وقد أرادا بـه الدفاع عن «الدين» ضد المـادّيين عموماً والوجوديّين منهم خصوصاً . وقد يتلخّص الكتاب في آخر مقطع منه :

« والكلمة التي نرجو أن تظلّ في أنفس قرّائنا هي أن يدركوا أنّ بلاء الانسانيّة، منذ أقدم العصور إلى اليوم ، لا يرجع إلى الأديان أبداً ، كما يذيع ذلك الملحدون والمجدّفون في هذا العصر ، وانّما يرجع إلى عدم الإيمان الصادق أو الفهم الصحيح .»

بيد أنّ الكتاب يفتقر إلى الاسلوب العلميّ الدقيق وإلى المعرفة والفهم الصحيحَين لعقيدة الكنيسة الكاثوليكيّة وتاريخها . فمثلاً ، في المقطع عن أبناء الكنيسة الكاثوليكيّة من الطقس المارونيّ (٦١—٦٢) نقرأ : « لم يكونوا من الارثوذكس لأنّ دولة الروم البيزنطيّة الارثوذكيّة كانت تضطهدهم كلّ اضطهاد » ، ويظهر أنه فات المؤلّفين أنّ كلمة « أرثوذكس » لم تكن تعني ما تعنيه اليوم من كنيسة غير الكنيسة الكاثوليكيّة ، والانفصال لم يحصل إلّا سنة ١٠٥٤ . ثمّ يقول المؤلّفان : « والذي نتحقّقه أنّ مذهبهم كان كاثوليكيّاً إلّا في بعض الطقوس ، لذلك سهل عليهم أن ينضووا فيا بعد تحت جناح روما ...» أمّا الكنيسة الكاثوليكيّة ، فأساسها إيمانيّ لا طقسيّ ، وفيها عدّة طقوس منها ستّة في لبنـان (المارونيّ ، البيزنطيّ ، السريانيّ ، الكلدانيّ ، الأرمنيّ ، اللاتينيّ) . وفي ص ٧٢ نقرأ أنّ الأرمن « وافوا لبنان نساطرة وارثوذكس ثمّ تمذهب بعضهم بالكاثوليكيّة والبروتستانتيّة » — بينما المعروف أنّه لا يوجد بين الأرمن نساطرة بل غريغوريّون لا تطلق عليهم كلمة «أرثوذكس» بمعناها العاديّ الحاليّ (أي بمعنى أتباع الكنيسة التي انفصلت عن الكنيسة

الكاثوليكية سنة ١٩٥٤) . وكثيراً ما يستشهد المؤلفان بآيات من الكتاب المقدس وقد راجعنا بعضها في الترجمة الكاثوليكية العربية ، فوجدناها غير مطابقة تماماً . وقد كان عليهما، على أساس الاسلوب العلمي الذي يريدان اتباعه ، ذكر الترجمة العربية للكتاب المقدس التي يستعملونها .

ويدعو المؤلفان إلى نبذ « الطائفية الاثيمة القبيحة الشوهاء » والتآخي بين جميع أبناء لبنان على اختلاف أديانهم – كما هي الحال في أميركا مثلاً حيث « نجد الفرق اليهودية والمسيحية والاسلامية والوثنية » (راجع ص ٩٤ و٩٥). وقد يُفهم من روح الكتاب أنّ هذه الدعوة الكريمة مبنيّة على اعتبار كلّ الاديان متساوية ، لا سيّما ما يسمّيه « السماوية » منها . بيد أنّ التآخي القوميّ بين أبناء أمّة ما (الأمّة الأميركيّة أو الفرنسيّة أو المصريّة أو اللبنانيّة، الخ.) أساسه إيجابيّ لا سلبيّ ، وقوميّ لا دينيّ . فالتآخي المنشود بين أبناء أمّتنا اللبنانية يكون بجمع كلمة اللبنانيين حول لبنان ، لا غير . ولا داعٍ مطلقاً إلى مزج الدينيّ والقوميّ ، واللجوء في سبيل التفاهم القوميّ إلى نظريّة تحمل في طيّها تناقضاً بيّناً مثل نظريّة تساوي الأديان ، وحتّى «الأديان السماويّة ». والكنيسة الكاثوليكيّة إذ تعلّم أنّها وحدها حاملة الحقّ كلّه تطلب من أبنائها احترام الأشخاص الغير الكاثوليك وعدم الحكم عليهم ، بل محبّتهم والتعاون معهم في كلّ الميادين خارج الميدان الدينيّ الصرف . ولا داعٍ مطلقاً أيضاً إلى مزج القوميّ والحزبيّ ، واللجوء في سبيل التفاهم القوميّ إلى فرض آراء حزبيّة معيّنة غير مثبوتة علميّاً عن أصل عناصر الأمّة اللبنانيّة. فأمّتنا – كسواها من الامم – تتكوّن من عناصر إتنيّة مختلفة ، منها الفينيقيّ والآراميّ والإغريقيّ والرومانيّ والعربيّ والفرنجيّ والأرمنيّ ، الخ ، تجمعهم كلّهم وبدون تمييز القوميّة اللبنانيّة. ومن الغريب حقّاً أن يظهر مثل هذا البسط لآراء سياسيّة حزبيّة في كتاب يريده مؤلّفاه للدفاع عن « الدين » : فما هي علاقة موضوعه الدينيّ بنظريّة سياسيّة حزبيّة ؟

وخلاصة القول في هذا الكتاب الحسن النيّة إنّه بحاجة إلى مراجعة علميّة دقيقة ودخول في تمييزات أساسيّة. وكثيراً ما ينتج سوء التفاهم عن عدم التمييز بين المطلق والنسبيّ ، بين الروحيّ والزمنيّ ، بين القوميّ والحزبيّ ، وإرادة

البعض فرض نظرياتهم النسبيّة — والنسبيّة جدًا — وآرائهم الحزبيّة بصورة مطلقة ، فينفّرون الآخرين ، ويسيئون إلى الغاية التي يريدون خدمتها . وبعد الاطلاع على هذا الكتاب ، لا يسعنا إلّا التمنّي أن يطّلع القارئ على كتاب « المسيحيّة والاسلام » للأب خليل إدّه اليسوعيّ (بيروت ، المطبعة الكاثوليكيّة ، ١٩٣٩) حيث تُدرس ناحية من هذا الموضوع الدينيّ دراسةً موضوعيّةً علميّةً .

جبرائيل مالك

Pierre Rondot — *Les institutions politiques du Liban : Des communautés traditionnelles à l'État moderne.* 148 p. 15×23 cm. Institut d'études de l'Orient contemporain, Paris, 1947.

مؤسّسات لبنان السياسيّة :

من الطوائف التقليديّة إلى الدولة العصريّة

بقلم پيار روندو

هذه اطروحة نالت الملفنة في الحقوق من جامعة باريس . وهي تحاول درس حياة لبنان الاجتماعية والسياسيّة ، وقد تكون من الدراسات العلميّة الدقيقة النادرة في الموضوع . فرأينا ان نقدّمها للقرّاء بشيء من التفصيل في التحليل وفي التعليق .

في الكتاب مقدّمة وسبعة فصول تليها خاتمة وثلاثة ملاحق .

المقدّمة عن « إطار لبنان ومرافقه » ، هذا البلد الشرقيّ القريب من العالم الغربيّ ، جغرافيًا وخصوصًا روحيًا ، « هذا الجبل الذي يقع في البحر » في غرب العالم الشرقيّ : وهذه الميزات أساسيّة لفهمه وفهم تاريخه وحالته الاجتماعية ومؤسّساته .

يبحث الفصل الاوّل في التاريخ السياسيّ والدستوريّ للبنان القديم (قبل ١٩١٨) ولبنان الجديد (بعد ١٩١٨) .

وفي لبنان القديم يدرس المؤلف أوّلًا العهد الاقطاعيّ (١٥١٥—١٨٢١) وكيف تمكّنت فيه سلطة الامراء ، خصوصًا مع فخر الدين الثاني (١٥٨٥ — ١٦٣٥) ، وكيف مارس الشعب اللبناني سيادته في مجلس السمقانيّة سنة ١٦٩٧ . وفي هذا العهد جرى التنافس لامتلاك البلاد أوّلا بين الطوائف اللبنانيّة ، ثم بين الحزبين القيسيّ واليمنيّ ، وبعد معركة عين داره (١٧١١) بين الحزبين اليزبكي

والجنبلاطي. وتقلّ أهمية الفئة الجنبلاطيّة على ايام بشير الثاني (١٧٨٨–١٨٤٠) الذي يعتمد على ابناء الكنيسة الكاثوليكية – وهو منهم – ليكسر شوكة الاقطاعيّين ويصبح سيّد لبنان المطلق. ومنذ ذلك العهد يلاحظ المراقبون الاجانب الروح التي يتميّز بها لبنان وشعبه، «روح حرّية»، «روح جمهوريّة»، كما يقول الرحّالة الفرنسيّ ڤولني (Volney) في كتابه عن رحلاته في الشرق (١٧٨٣–١٧٨٥). ومنذ ذلك العهد أيضاً، ولبنان يوطّد علاقاته بالكرسيّ الرسوليّ وبأوروبا ومدنيّتها، بل وروما: فيؤمّها الكثيرون من أبنائه لتحصيل العلم في معاهدها (لا سيّما معهد روما الكاثوليكيّ لأبناء الطقس المارونيّ) ثمّ التعليم فيها أحياناً؛ وإلى أوروبا يلجأ أمير لبنان مستنجداً بأمرائها وبالبابا عينه لأجل بلاده. والكرسي الرسوليّ بدوره يواصل إرسال بعثات رهبانه إلى لبنان.

في العهد الديبلوماسيّ (١٨٢١–١٩١٤)، يعرف لبنان الاحتلال المصريّ (١٨٣١–١٨٤٠) وانهيار السلطة الاميريّة، ثم فترة فوضى بين ١٨٤٢ و١٨٦٠ تنتهي بحوادث سنة ١٨٦٠. وقد أضطرّت بعدها الدولة العثمانية، تحت ضغط الدول الكبرى، الى الاعتراف رسميًا، وعلى الصعيد الدوليّ، بواقع وجود استقلال لبنان الداخليّ، فكان نظام المتصرفيّة. وفي هذا العهد الديبلوماسيّ عرف لبنان أوّل مجالسه النيابيّة – وقد تكون اول مجالس نيابيّة في الشرق الأدنى كلّه في العصرين الحديث (١٤٩٢–١٧٨٩) والحاليّ (١٧٨٩–٠٠٠٠) – وذلك على أيّام الأمير بشير الثالث سنة ١٨٤١ (المجلس لدى الامير) ثمّ على أيّام المتصرفيّة (مجلس الادارة).

في العهد الاستبداديّ (١٩١٤–١٩١٨)، نجد الدولة العثمانيّة تلغي بصورة غير شرعيّة كلّ امتيازات لبنان، فيعرف اللبنانيّون الجوع والمشانق، ولكن الدولة العثمانيّة لا تجرؤ الى تجنيد اللبنانيّين.

اما لبنان الجديد (بعد ١٩١٨)، فيقسم المؤلف تاريخه الى ثلاث مراحل:

في المرحلة الاولى (١٩١٨–١٩٢٦) – الاداريّة – يحصل لبنان على حدوده الحاليّة (١/٩/١٩٢٠) ثمّ على اعلان دستوره الجمهوريّ (٢٣/٥/١٩٢٦)؛

وفي المرحلة الثانية (١٩٢٦–١٩٣٦) – الدستوريّة – يتمرّس بالحياة الدستوريّة الجديدة ضمن كيانه الجديد؛

وفي المرحلة الثالثة (١٩٣٦–١٩٤٣)–السياسيَّة– يناضل في سبيل استقلاله وبناله في ٢٢/١١/١٩٤٣ .

وبين كل من اللبنانيِّين – القديم والجديد – وبين كل من العهود اتّصال واستمرار اساسها الطوائف التي يتألف منها لبنان ، هذه الطوائف التي تفرض نفسها بحيويّتها وتماسكها واتفاقها بعضها مع بعض في سبيل حريّتها وحريّة هذا الجيل مع ما بينها من فروقات دينيَّة او اجتماعيَّة ، فهذه لا تقوى على فصل مصير الطائفة عن الاخرى ، رغم بعض الظواهر السطحيَّة، وحتى بعض الحوادث المؤسفة : فسواء في عهد الإقطاعيَّة او عهد المتصرفيَّة او حتى عهد الجمهوريّة ، يدور البحث حول هذه الطائفة او تلك وموقفها من باقي الطوائف او من لبنان . . .

وفي الفصل الثاني يدرس المؤلف الطائفة ويحاول تحديدها ، فيظهر اساسها في وجود جماعة من الاشخاص ، في بلد معيّن ، تجمعهم تقاليد خاصّة بدين او طقس او جنس او لغة ، ويريدون الاحتفاظ بتقاليدهم وتربية اولادهم وفقاً لهذه التقاليد. ويلاحظ أنّ الحكم الاسلاميّ بفصله ، على الصعيد المدنيّ ، بين « الأمة الإسلاميَّة » وأهل الذمّة ساعد على إنماء الروح الطائفيَّة في الشرق ، حيث اصبحت الطوائف « أمماً » تعيش بجانب « الأمّة ».

وللطائفيَّة في لبنان ميزة خاصّة الآن: فلا توجد فيه طائفة تكوّن اكثريّة مطلقة ، رغم وجود اغلبيَّة من ابناء الكنيسة الكاثوليكيَّة من الطقسين المارونيّ واليونانيّ في بعض المناطق ، لاسيّما الجبليَّة ، واغلبيَّة من اتباع الشيعيَّة في الجنوب ، واغلبيَّة من اتباع السنيَّة في بعض مناطق الشمال . . . ومشكلة لبنان مشكلة طوائف عليها ان تعيش مع بعضها، وليست مشكلة اقليّات بين اكثريّة ، مثل مشاكل بعض البلدان البلقانية او غيرها .

في الفصل الثالث وصف لكلّ طائفة من الطوائف اللبنانيَّة مع وجهها الخاصّ. ونحن نقدّمها هنا في ترتيب يختلف عن ترتيب المؤلف ، زيادةً في الايضاح :

فأعضاء الكنيسة الكاثوليكيَّة ينتمون الى ست طوائف ، اهمها الطائفة الكاثوليكيَّة من الطقس المارونيّ ، اهم الطوائف اللبنانيَّة إطلاقاً ، عدداً وتاريخاً ، ولبطريركها المركز الاجتماعيّ المعروف في البلاد ، ثم الطائفة الكاثوليكيَّة من الطقس اليونانيّ المنتشرة على الاخصّ في الشرق وفي الجنوب وكلّ

من الطائفتين تمتاز بنسبة المتعلمين و ملادبا. فيها . اما باقي الطوائف الكاثوليكيَّة (من الطقوس الارمنيّ ، والسريانيّ ، والكلدانيّ ، واللاتينيّ) فلما تلعب دوراً مهمّاً في تاريخ لبنان .

اما الغير الكاثوليك ، فينقسمون الى عشرة اديان ويؤلّفون عشر طوائف:

١ — أتباع الكنيسة اليونانيَّة الغير الكاثوليكيَّة (الروم الارثوذكس)
٢ — 〃 〃 الارمنيَّة 〃 〃 (الغريغوريّون)
٣ — 〃 〃 السريانيَّة 〃 〃 (اليعاقبة) ؛
٤ — 〃 〃 الكلدانيَّة 〃 〃 (النساطرة) ؛
٥ — 〃 شيع بروتستانتيَّة مختلفة ؛
٦ — 〃 اليهوديَّة ؛
٧ — 〃 العلويّة ؛
٨ — 〃 الدرزيّة ؛
٩ — 〃 الشيعيَّة ؛
١٠ — 〃 السنيَّة .

بيد ان الطوائف الغير الكاثوليكيَّة ذات الاهمية هي :

— طائفة الروم الارثوذكس المنتشرة خصوصاً في قضائي الكورة وعكّار وفي بيروت والجنوب الشرقيّ ؛
— طائفة الارمن الغريغوريّين واكثر أتباعها نزحوا الى لبنان بعد الحرب العالميَّة الاولى ؛
— طائفة الدروز ذات التاريخ المجيد ، وهي منتشرة خصوصاً في الجبل ؛
— طائفة الشيعيّين المنتشرة في الجنوب وفي الشرق ؛
— طائفة السنيّين ، الثانية عدداً الآن ، وقد كانت السائدة في لبنان الصغير . وهي منتشرة في المدن الساحليَّة (طرابلس ، صيدا ، بيروت) وفي الشمال (عكّار ، الضنيَّة) وبعض مناطق اخرى .

يدرس الفصل الرابع التآلف الطائفي في ماضي لبنان وحاضره . وقد كان هذا التآلف تامّاً في الماضي،خصوصاً بين طائفتيّ الكاثوليك من الطقسين المارونيّ واليونانيّ من جهة وطائفة الدروز من جهة اخرى، ولم تكن حوادث سنة ١٨٦٠

طبيعيّة مطلقاً . وعلى لبنان الحاليّ خلق تآلف طائفيّ جديد على اساس كلّ الطوائف التي يتألف منها الآن .

في الفصل الخامس يلاحظ المؤلف نزعة تعميم – لا إلغاء – النظام الطائفيّ في لبنان ومساواة كل الطوائف ، مبدئيًا وفعليًا ، امام القانون. ولهذه المساواة اهميتها الكبرى : فالشريعة السنيّة لا تُطبّق الا على السنيّين، ولا يجوز لشخص جحَد الدين الكاثوليكيّ مثلًا ان يستغلّ جحده هذا في سبيل الحصول على طلاق، اذ يستمرّ قانون طائفته نافذًا عليه . وفي لبنان ، وبفضل هذه المساواة الفعليّة بين كلّ الطوائف، يتمتّع الانسان بالحرية الدينيّة الفعليّة امام القانون: فيستطيع ترك دين بيئته وطائفته واعتناق دين آخر بكلّ حرّية إذا أملى عليه ذلك ضميره ، بينما نرى في بعض البلدان المجاورة مثل هذا الشيء مستحيلًا قانونيًا في حالة ترك الدين الاسلاميّ واعتناق غيره مثلًا، ولكنّه ممكن في حالة الانضمام الى الدين الاسلاميّ . . .

ويعالج الفصل السادس التمثيل الطائفيّ في كلّ نواحي الحياة اللبنانيّة : في المجلس النيابيّ (منذ سنة ١٨٤١) ، في السلطة التنفيذيّة ، وحتى في الوظائف الاداريّة الكبرى .

ويدرس المؤلف في الفصل السابع مركز رؤساء الطوائف في الحياة العامّة، لاسيّما مركز البطريرك الكاثوليكيّ من الطقس المارونيّ ، ويلاحظ اهميّته ، خصوصاً في حالة ضعف السلطة المدنيّة . فالبطريرك الحويّك مثلا ترأّس الوفد اللبنانيّ الى مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩، وذلك بتفويض صريح من مختلف الطوائف اللبنانيّة ، لمطالبة الحلفاء بإعلان استقلال لبنان ضمن حدوده الحاليّة .

والسيد روندر يرى في خاتمة كتابه أنّ لبنان يحيا بتعاون كلّ عناصره وانسجامها ، وباستغلال كل القوى الحيويّة فيه في العمل الحكوميّ ، وبارجاع السلطة الى اصحابها الشرعيين . وعلى بلادنا تجنّب خطرين متضادّين : اوّلهما ان يُصبح « وطناً قوميًا مسيحيًا » ، وثانيهما أن يُصبح « إقليماً عربيًا ». فالعالم اللبناني ، وهو الشاهد لعالمين ونتيجة احتكاكهما وتفاعلهما ، همزة وصل بينهما، وعليه عدم الانتقال لا الى الشرق ولا الى الغرب ، وذلك ليقوم بواجبه من الخدمة نحو هذا الشرق عينه الذي ينتمي اليه جغرافيًا وتاريخيًا .

والآن بعد هذا التحليل الطويل نوعاً ، علينا التعليق على هذه الاطروحة القيّمة .

وإذ نأسف لشيء ، فلاضطرارنا الى لفت النظر الى بعض نقط تفصيلية كنا نتمنّى ألّا يقع فيها خطأ او سوء تعبير :

١) ص ٨ وحتى ١٣٤ : تاريخ معركة عين داره : ١٧١١ (لا سنة ١٧١٣ كما هو وارد في الكتاب).

٢) ص ٥ : أصبح العثمانيون سادة لبنان سنة ١٨٤٢ (لا سنة ١٨٤١) بعد عزل الامير بشير الثالث (١٨٤٢/١/١٥) .

٣) ص ١١ وص ٥٥ : يستعمل المؤلف كلمة indigènes والمعروف أنّ لهذه الكلمة في اللغة الفرنسية الحالية معنًى محقّرًا وكان الافضل استعمال كلمة autochtones .

٤) ص ٣١ ... : نرى ترتيبه للطوائف يقبل تحسيناً ، وقد اقترحنا غيره اثناء عرضنا للكتاب .

٥) ص ٣٦ : يقول المؤلف :

La communauté grecque-orthodoxe... a réagi contre la hiérarchie ecclésiastique hellène qui, jusqu'au début du XX° siècle, lui fut imposée du dehors.

والواقع أنّ بطريرك انطاكية للروم الأرثوذكس كان يونانيًا بين ١٧٢٤ و ١٨٩٨ (وقد أخذ الفنار هذا التدبير بعد دخول البطريرك طاناس الكنيسة الكاثوليكيّة سنة ١٧٢٤ وظهور الطائفة الكاثوليكيّة من الطقس اليونانيّ ، لخوفه من ميل الرؤساء الغير يونان الى الكرسيّ الرسوليّ) وأصبح شرقيًا غير يونانيّ من جديد بعد عزل البطريرك سبيريدون اليونانيّ القبرصي في كانون الثاني (يناير) ١٨٩٨ وانتخاب البطريرك ملاتيوس الثاني الدوماني (١٨٩٩—١٩٠٦) في أوائل ١٨٩٩ . فيكون ذلك في آخر القرن التاسع عشر ، لا في أوّل القرن العشرين .

٦) ص ٤١ : يقول المؤلف إنّ العلويّين في لبنـان الشماليّ من الجنسيّة السوريّة . والواقع أنّه يوجد أكثر من خمسة آلاف علويّ يقطنون منذ أجيال في قرى من قضاء عكّار ، فهم لبنانيّون .

٧) ص ٥١ و ٨٧ : قد يظن الكاتب – والقارئ – أنّ سلطة رئيس الجمهورية في لبنان رمزية فقط . والواقع أنّ الرئيس عندنا يتمتّع بصلاحيات واسعة ويمارسها بالفعل ، فيكون هو – لا رئيس مجلس الوزراء كما يقول المؤلف – الرئيس الفعليّ للسلطة التنفيذية .

٨) ص ٥٣ : في حديثه عن « الأمانة المزدوجة » عند بعض اللبنانيين (أمانتهم للبنان وأمانتهم لوطنٍ أوسع من حدود لبنان) ، يقول المؤلف أنهم قد يبرّرون موقفهم هذا بموقف الكاثوليك وأمانتهم للكرسيّ الرسوليّ . بيد أنّ المقارنة غير صحيحة –والسيد روندو يلمح الى ذلك– لكون أمانة الكاثوليك على الصعيد الروحيّ المحض . ومثل هذه الأمانة الروحيّة مشتركة عند الـ ٥٠٠ مليوناً من الكاثوليك من مختلف القوميّات في العالم، ولا علاقة لها بأمانةٍ لسلطةٍ زمنيّةٍ مختلفة عن السلطة القوميّة .

٩) ص ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ٨٧ ... : كثيراً ما يستعمل الكاتب تعبير Chrétiens unis ، والافضل استعمال كلمة Catholiques – فلا فرق بين كلّ ابناء الكنيسة الكاثوليكيّة ، من أيّ طقس كانوا (شرقيّ أم غربيّ) ، وكلمة كاثوليك تشملهم جميعاً وبدون اي تمييز .

١٠) ص ٥٤ : يقول الكاتب rite chiite ، ومثل هذا التعبير غير دقيق : فالشيعيّة ليست مذهباً مثل المذهب الحنفيّ ، ولا طقساً خارجياً مثل الطقس المارونيّ في الكنيسة الكاثوليكيّة ، بل ديناً ، وأتباعه يؤلفون طائفة مستقلّة .

١١) ص ٦٨ : يذكر المؤلف بين الطوائف الطائفة الاسماعيليّة ، وهي غير موجودة في لبنان .

١٢) ص ٤٤ ، ١٠٥ ، ١٣٤ : يقول الكاتب في ص ٤٤ إن الأميرين علي وقاسم شهاب اعتنقا الكثلكة سنة ١٧٥٦ ، ثمّ يذكر في ص ١٠٥ الأمير يوسف شهاب كأحد الإثنين اللّذين دخلا الكنيسة الكاثوليكيّة سنة ١٧٥٦ . وفي كلامه هذا تناقض وخطأ . وقد نشر السيدان عيسى اسكندر المعلوف وسليم الدحداح مقالاً في المشرق (تموز ١٩٢٠، ص ٥٤٣–٥٥٢) عن تنصّر الامراء الشهابيين واللمعيين في لبنان يستفاد منه أنّ اول أمير شهابيّ اعتنق الدين الكاثوليكيّ الأمير عليّ شهاب وزوجته (والأمير عليّ إبن الأمير حيدر شهاب الذي حكم لبنان من

١٧٠٧ الى ١٧٣٢)وذلك سنة ١٧٥٤ ؛ وقد تبعه ثلاثة من أبناء الأمير مُلحم (الذي حكم لبنان من ١٧٣٢ الى ١٧٥٤ ، وتوفي سنة ١٧٦٤) : سيد أحمد وقاسم وحيدر . وفي سنة ١٧٦٤ اعتنق الدين الكاثوليكيّ الأمير قاسم ابن عمهم عمر ووُلد له الأمير قاسم ، ثم الأمير بشير (بشيرُ الثاني فيما بعد ، وقد وُلد سنة ١٧٦٧) ، فعمّدهما في الكنيسة الكاثوليكيَّة . أمّا الأمير يوسف شهاب (حاكم لبنان من ١٧٧٠ الى ١٧٧٨) ، فلم يدخل الكنيسة الكاثوليكية، وإنما كان محبًا لأبنائها .

١٣) ص ١١١ :

le Patriarche maronite réunit à Bkerké, le 29 mai 1945, une conférence groupant les chefs de la plupart des communautés chrétiennes, grecs-orthodoxes et protestants exceptés,...

وكان من الافضل اعطاء بيان اجماليّ باسماء رؤساء الطوائف الذين اجتمعوا والبطريرك الكاثوليكي من الطقس الماروني .

١٤) كثيرًا ما يستعمل الكاتب كلمتَي « مسيحيّ » و « مسلم » بصورة غير واضحة الوضوح الكافي. وكنا نتمنّى استعمال التعابير الدقيقة والواضحة دائمًا ، تجنبًا لكلّ عدم تمييز كافٍ. فيقال مثلًا كاثوليكيّ من الطقس الفلانيّ ، روم ارثوذكس ، ارمنيّ غريغوريّ ، درزيّ ، شيعيّ ، سنّيّ ، الخ.

١٥) وأخيرًا كنا نتمنّى كتابة اسماء الاعلام الشرقيَّة بالحروف اللاتينيَّة على أساس الاصطلاح العلميّ الدوليّ ، فيكتب مثلًا اسم شهاب : Sihāb أو Shihāb بالحروف اللاتينيَّة .

*

واذا كنا اسهبنا في هذه الملاحظات السلبيَّة عن الكتاب ، فيعود ذلك الى قيمته الايجابيَّة الكبيرة حقًا . فنحن امام دراسة تتميّز بطابعَي العلم الدقيق والصداقة المخلصة. والكتاب نتيجة ابحاث ودراسات عديدة من الصعب حصرها، وهو ايضاً نتيجة اقامة ثماني سنوات في ربوع لبنان اتّصل مؤلفه في خلالها بالكثيرين من شخصيّاته، في الحقلين الروحيّ والزمنيّ، أمثال البطريرك الحويك وقاضي القضاة السنّيّ محمد الكستيّ ، والصحافي جبرائيل خبّاز ، الخ...

وفي الكتاب بيانات وجداول يندر الحصول عليها خارجه في نفس الدقة والترتيب :

١ — إحصاء للطوائف في لبنان من ١٨٦١ الى ١٩٤٣ (ص ٢٨—٢٩) ؛

٢ — توزيع الطوائف في لبنان على أساس بيانات مصلحة الاحصاء بتاريخ ١٩٤٣/١٢/٣١ (جدول وخريطة ص ٣٢ و ٣٢ مكرّرة) ؛

٣ — جدول بعــدد الأشخاص الذين تركوا دينهم الاصليّ واعتنقوا أو تبعوا ديناً آخر — من ١٩٣٣ الى ١٩٣٨ (ص ٧٢) ؛

٤ — جدول بالتمثيل الطائفيّ في المجالس النيابيّة من ١٨٤١ الى ١٩٤٣ (ص ٨٤) ؛

٥ — جدول بالتوزيع الطائفيّ في السلطة التنفيذيّة (ص ٨٨ مكرّرة) ؛

٦ — جدول بالتوزيع الطائفيّ في الادارة (بتاريخ نيسان ١٩٤٦) :

المديرون العامّون ومديرو الاقسام ،

المحافظون ،

المراكز في القضاء ،

المراكز في الديبلوماسيّة .

(ص ٨٩) .

ويلي الكتاب ثلاثة ملاحق عظيمة الفائدة لدقّتها وشمولها :

١ — الملحق الأوّل خاصّ ببيانات تاريخيّة عن الأحوال الشخصيّة والطوائف في لبنان (من ١٨٣٩ الى ١٩٣٩) ؛

٢ — الملحق الثاني خاصّ بأهم الاحداث في تاريخ لبنان في العصرين الحديث والحالي (من ١٥٨٥ الى ١٩٤٦) ؛

٣ — الملحق الثالث خاصّ بـأهم مراجع الكتاب من كتب ونشرات ومطبوعات رسميّة وصحف ومجلات ووثائق غير منشورة .

أمّا فيما يتعلق بالكتاب عينه، فنخصّ بالذكر الفصول الثاني والثالث والرابع، ففيها دراسات عن فكرة الطائفيّة واصلها وتطبيقها في لبنان، القديم والجديد، ومثل هذه الدراسات الموضوعيّة ، من تاريخيّة وقانونيّة ، نادرة . وقد يكون تحليل الفكرة الطائفيّة في الفصل الثاني (ص ٢٢—٢٣) من أحسن ما نشر

في الموضوع : فيُظهر وجهها الايجابيّ في التمسّك بتقاليد لها قيمتها ، بل حرمتها ، والدفاع عنها من كل طغيان خارجيّ . ومثل هذه الروح الطائفيّة السليمة لا تتّفق وروح الطائفيّة البغيضة التي ينشرها او يستغلّها بعض المتاجرين «بالطائفيّة» أو إخوانهم المتاجرون «بإلغاء الطائفية» – ولا فرق يذكر بين الفئتين ، فكلّ منهما لا يعرف أو يتجاهل مكانة بعض التقاليد ، فيبالغ البعض فيهما وعلى الاخصّ في مركز أبنائها ويجعلهم ينفرون من الخارجين عنها وينفّرونهم منهم ، ويقلّل البعض الآخر من شأنها في سبيل نظريّات نسبية وغير مثبوتة ، واحياناً خاطئة . وعلى أبناء أمّتنا اللبنانيّة عدم الإصغاء لدعايات كلّ من الفريقين المتاجرَين ، وذلك حفظاً لوحدتنا القوميّة عينها .

وعلينا على ذكر النظام الطائفيّ في لبنان التنويه بحسنته الكبرى . فبفضل الطوائف ومساواتها امام القانون تتمتع في لبنان بحرّية دينية فعليّة لا مثيل لها في معظم البلدان الاخرى في الشرقين الادنى والاوسط ، كما فصّلنا ذلك في تحليلنا الفصل الخامس . وقد لا يفهم البعض هذه الحسنة الكبرى ، وقد يُنكر البعض الآخر عدمَ وجودها في معظم البلدان المجاورة . وهنا علينا ان نذكّرهم بموقف هذه الدول الرسميّ في منظّمة الامم المتحدة عند التصويت على البند الخاص بالحرّية الدينيّة من شرعة حقوق الانسان ، ورفضها إيّاه .

ولكنّ احترام التقاليد الموروثة والنظام الطائفيّ في وضع لبنان الحاليّ الخاصّ لا يعني انها ذات قيمة مطلقة . وهنا لا بدّ لنا من الإشارة إلى « تحجّر » في العقليّة يظهر أحياناً عند البعض فيعتبرون بعض امتيازات تبرّرها ظروف خاصّة أبديةً لا يجوز مسّها . وقد تتطلّب المصلحة القوميّة عينها احياناً التضحية ببعض امتيازات وحتى ببعض تقاليد ، أصبحت غير ضرورية ، بل ضارّة ، رغم وجاهتها او خدمتها للمصلحة العامّة في زمن ومكان آخرين . وما يتمنّاه كلّ مخلص أن تخطو بلادنا خطوات واسعة في سبيل دولة عصريّة ذات سلطة مدنيّة قويّة وعادلة ، فيَسْهُلَ التمييز بين السلطتين الروحيّة والزمنيّة ، وتزول أسباب تدخّل السلطة الروحيّة في الشؤون المدنيّة البحتة.

جبرائيل مالك

اللآلئ في حياة المطران عبدالله قرألي (١٦٧٢ ـ ١٧٤٢)

بقلم الخور اسقف يولس قرألي

القسم الثالث : المصالح – قطع متوسط ، ١٩٥٠ ، مطبعة لاباتري بالقاهرة . ٣٥٧ ص .

ما تناول قلم الكاتب (رحمة الله عليه) موضوعاً الّا جعل الحياة تدبّ فيه دبيباً فهو الذي صيّر مستنداته تنطق من الفها الى يائها في مؤلفاته .

ولقد ساعده على الاجادة في موضوعه هذا وجه المطران عبدالله قرألي الذي احبّه حبّاً جمّاً وهو ذلك الاسقف الصادق المخلص والراعي الامين الذي دافع عن مبادئ الكنيسة واستمات في خدمتها وخدمة المؤمنين الذين وكّل اليه امر رعايتهم .

لقد كان المطران عبدالله قرألي منارة في طليعة طائفته المارونية ابان الازمنة العصيبة في القرن الثامن عشر فارتقط فيها وهي الشديدة الاستمساك بروح الروح الكاثوليكية وذلك باطاعته التامة لاوامر الكرسي الرسولي فجنّب هذه الطائفة التي اخلص لها الاخلاص كلّه عدوى الدخلاء او الاشرار .

والمطران عبدالله الذي بثّ في الاذهان فكرة عقد المجمع اللبناني الشهير بتزعمه المعارضة التي كانت تنادي بالاصلاح في الشؤون المقدسة في ذلك العهد الذي كانت تسيطر فيه العيال على افكار اعلى سلطة في الطائفة قد بدا لنا خليقاً بمن كانوا على شاكلة اثناسيوس وباسيليوس .

وقد شرع الاب باخوس الفغالي منذ العام الماضي ينشر نصوصاً عن المجمع اللبناني في هذه المجلة .

واستطاع المطران المشار اليه رغم ما كان لديه من المشاغل وما كان يقوم في وجهه من المصاعب ان يدير الرهبانية اللبنانية الكبرى وان يجعل روحها الداخلية مزدهرة وبا لها من ادارة حكيمة رشيدة فكان قدوة لغيره من المؤسسين .

ومن جملة ما اهتمّ له المطران عبدالله هو ايجاد تشريع راسخ لطائفته وبعث روح احترام الامور الروحية والالهية فيها فوضع لها تراتيل كنسية وكتب طقسية ظلّت دستور الطائفة المارونية الوحيد وقد زودها ببعض تراجم سريانية

لم يكن الشعب المسيحي يفهمها . فيا له من عمل عظيم في حياة ذلك المجاهد الكبير الذي دافع عن الحقيقة وحقوق من وكلت اليهم رعاية النفوس .

وتصدّى المؤلف الى سرد جميع هـذه الامور بلغة مفعمة اسراً وقوة على جاري عادته دون ان يقلّـل ذلك شيئاً من قيمتها . اجل لقد كانت عباراته مملوءة قوة لانه تحدّث بما يجيش في صدره من حب لذكرى اسقف كبير يمت اليه بوشائج الدم .

وهذا الكتاب الذي هو دراسة تاريخية لاسرة تواْلي قـد انهاه المؤلف بمناقشة مسهبة لِمَنْ حول اصل موارنة حلب الاولين .

ويظهر مما بيّنه المؤلف بصراحة ان موارنة حلب الأوّل قد جاءوا اليها من لبنان الشمالي .

والامر الباعث على الشجى هو ان يطبع مثل هذا الكتاب التاريخي القيّم على ورق رديء او ان لا تتمكّن المطبعة التي تولّت اخراجه ان تقدّر له قيمته التي يستحقها. اجل ان طباعته لينفر النظر منها ولا تحبّب الى القارئ مطالعته. وهذا ما يشجينا .

ا. ع. خليفه

مقدمة للرياضيات

تأليف وايت هيد ، ترجمة محي الدين يوسف

مطبعة الرابطة بغداد، قطع متوسط ، ١٩٥٣، ٢٤٢ ص . - من مطبوعات المجمع العلمي العراقي

هو كتاب علمي تثقيفي لا يحتاج قارئه الى معلومات حسابية عالية بل الى شيء من الانتباه والتفكير . موضوعه المسائل الجوهرية في الرياضيات الوسطى والعليا كالهندسة الاحداثية والاعداد التخيلية والمتسلسلات والحساب التفاضلي . . . مع شرحها بطريقة سهلة ولذة معاً. يخيل للقارئ وهو يطالع هذا الكتاب انه يتنزه في حديقة الايام والعلوم ، فيدخلها في القرن الخامس قبل المسيح وينتهي فيها في القرن الاخير ، وقد تعرف الى جمهرة من العلماء النوابغ وشاهد نشوء القضايا الاساسية في الرياضيات ورأى بعينه وعقله كيف ان الطبيعة او الحياة فرضت على العلماء بعض القضايا دون سواها ؛ وللقارئ في ترجمته خير دليل : رياضي فكه ، ممتع ، الحديث كامل التثقيف غني بالنظريات الانسانية والفلسفية .

فاذا ما شكرنا للاستاذ محي الدين يوسف اقدامه على ترجمة هذه المتعة

بكل امانة وتدقيق فانما نقوم بواجب قومي . فأمثال هذه الثمرات تزيد لغتنا غنى وتكسب التفكير العربي طرقاً جديدة وتعمل على بعث نهضتنا العلمية ان شاء الله . جازاه المولى خيرًا . عادل انبوبا

تبسيط قواعد العربيّة

تأليف الاستاذ انيس فريحة في الجامعة الاميركية ببيروت

(٩٣ ص)

اقتراح مبتكر ، فكرة حديثة ، تلفت النظر ، طريقة سهلة يعرضها المؤلف على مدرّسي اللغة العربيّة في لبنان خصوصاً وفي البلاد العربيّة عموماً . وعلى مخالفته كتب الصرف والنحو القديمة في تنظيم القواعد وتنسيق التمارين بدءاً من الضمير فالفعل فالاسم الخ . ، ثم تركيب الجمل دون شائبة نرى ان يُمعن في الكتاب اساتذة اللغة ويتخذوه دستوراً لتعليم الفتيان . فهو والحق يقال اضمن ذريعة لاتقان اللغة واسهل طريقة للالمام بها . انّنا نقدر قدر فكرة الاستاذ فريحة ونتمنى لاقتراحه نجاحاً ولكتابه رواجاً . اسحق ارملة

Henri de Lubac : *Aspects du Bouddhisme*, vol. I. — Éditions du Seuil, Paris 1951. 199 pp.

لم يستخدم المؤلف في كتيبه منطقاً حاقداً في سبيل الدفاع عن عقائده وانما قد اوصلنا بهذا المنطق الى التأكيد ان البوذية لا تتمّ الّا في المسيحية التي استثمرها في نقط عديدة في تعليمه .

واستطرد المؤلف في فصوله الثلاثة : المحبة البوذية ، شجرتا الخليقة ، ظواهر المسيح وبوذا المختلفة استطرادًا موضوعياً قائماً على مصادر الفكرة البوذية نفسها . وما يؤكده هذا التعليم الملحد الذي يصبو بكل ذاته الى اكثر مما هو ذاته .

ويتحلى هذا الكتاب بخصائص مصنفات المؤلف الاخرى القيّمة جميعها . ولقد كانت الضرورة تقضي بوضع فهرس في نهاية الكتاب على شاكلة معجم صغير لتفسير الكلمات البوذية ومع ذلك فان بعض الهوامش تشتمل على تفسير كلمات لا بأس بها . ا . ع . خ

المشرق

السنة السابعة والاربعون — اذار – نيسان ١٩٥٣

بعض غرائب القاموس العربي

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

في القاموس العربي غرائب عديدة قلما نجد امثالها في قواميس اشهر اللغات ، فرأينا ان نذكر شيئاً منها ببعض التفصيل لفائدة قراء المشرق وتفكهتهم ، وقد جعلنا لكلّ منها فصلاً خاصاً .

الفصل الاول : كثرة الكلمات والتعابير المترادفة

قد فاقت لغتنا اشهر اللغات بتلك الكثرة الفاحشة ، بسبب انتشارها في اقطار عديدة من آسية وافريقية واوربة ، واختلاف تطورها في تلك البلاد منذ اربعة عشر قرناً على الاقل . حسبنا ضرب مثلين على تلك الميزة : الاول عن الكلمات ، والثاني على التعابير .

للداهية مئات مرادفات مأنوسة او مماتة ؛ هاكم بعضها : نكبة ، خطب ،

محنة ، مصيبة ، ملمة ، نائبة ، نازلة ، كارثة ، فاجعة ، بائقة ، جائحة ، قارعة ، طارقة ، غائلة ، فادحة ، واقعة ، دائرة ، رزء ، رزيئة ، شدة ، كريهة ، جُلى ، ضيق ، طامة ، عُسرة ، ضرّاء ، بَرْح ، تبريح ، بُرحاء ، شرّاء ، بائجة ، وامئة ، حازبة ، فاقرة ، طُلاطِلة ، عنقاء ، رقِم ، فِلْق ، بِسْد ، بُجْريّ ، صيلم .

التعابير الدالة على الاغتياب عديدة جداً ، ما عدا المفردات المرادفة لها ، ومن جملتها : اعترض العرضَ ، مزقهُ ، مرّغه ، تهكّمهُ ، وضّره ، هتّه ، نحته ، لاكه ، نال منه ، مرج لسانه فيه – اكل لحم فلان ، رتع في لحمه ، كهر اظفاره في فلان ، قرع صَفاته ، نحت أثْلته ، وضعه على المنصة .

ملحق بالفصل الاول : كثرة المترادفات التي لا تختلف بسوى حرف واحد

نذكر فيما يلي بضع مئات من تلك المترادفات ، وقد رتبناها وفقاً للحرفين المختلفين في كل زوج منها . لم نضع في الغالب ادنى حركة على الافعال التي على وزن فعَل . اما الاسماء فقد جعلنا فوق حرفها الاخير علامة التنوين لتمييزها عن الافعال عند اللزوم .

الهمزة

الهمزة والباء : تأ وتب .

الهمزة والحاء : ارّش وحرّش بين القوم ، إزاءه وحذاءه .

الهمزة والزاي : توكأ وتوكز .

الهمزة والعين : كثأة وكثعة (طثرة اللبن) ، تلألأ السراب وتلعلع ، مأأ القط وماء ، موتٌ زُؤاف وزُعاف .

الهمزة والغين : مأا القط وماء وماغ .

الهمزة والقاف : زُهاء مئة وزُهاق .

الهمزة والنون : اشر ونشر بالمنشار .

الهمزة والهاء : اراد وهراد ، اراق وهراق ، آلٌ وهال (سراب) ، مأل الحصان وصهل .

الهمزة والواو : آسى وواسى ، انّب ووتّب ، ارّخ وورّخ ، نأى ونوى ، ارّش وورّش بين القوم ، اشر وشر بالمنشار ، إلادة وولادة ، إرثٌ وورث .

الهمزة والياء : ابن الماء وبين ، أمام وعامة (قُدّام) ، المي ويلمي .

الالف المتطرفة

الف وباء : استوعى واستوعب الشيء (اخذه كله) .

الف وثاء : نأى ونأث .

الف وراء : ثنا ونثر ، وفى ووفر (كثُر) ، قشا وقشر .

الف وعين : موشى وموشع .

الف وقاف : عما وعمق ، هفا القلب وخفق ، تمشى وتمشق .

الف ولام : املى عليه واملّ ، وصى ووصل (ضم).

الف ونون : وهى ووهن .

الباء

باء وفاء[1] : وجب القلب ووجف ، يصبُ ويصف ، يشبُ ويشف ، بحث وفحص ، قارب وقارف ، قبأن وقفأن ، ابلج الصبح وافلج ، طبق يدرس وطفق ، قبرُ وكفر .

باء وميم : كثبُ وكثم (قُرب) ، كبح وكمح ، بتر ومتر ، بحتُ ومحت (خالص) ، انتدب وانتدم (تيسر) ، يشبُ ويشم ، غيهبُ وغيهم ، تراكب وتراكم ، هريب وهريم .

باء وراء : نقّب عن الشيء ونقّر .

باء وقاف : نعب الغراب ونعق ، اوباش واوقاش .

باء ولام : نخب ونخل (اختار الاحسن) .

باء وهاء : بشّ وهش (بشوش) .

التاء

تاء وطاء : تاه وطاح ، لتخ ولطخ ، تلع النهار وطلع ، غلت وغلط ، غت وغط الشيء في الماء ، وهتة ووهطة (وهدة) ، مت ومط (مد) ، تمتى وتمطى (تمدد) ، ماتن وماطل .

تاء ودال : مت ومد ، تمتى وتمدد ، قتّر وقدّر (عيّن المقدار) ، صت وصد .

[1] قد وضعنا الفاء ثم الميم قبل سائر الحروف الابجدية ، لانهما اقرب منها الى الباء باللفظ . سيجد القارئ مثل ذلك الترتيب في كل جداول هذه المترادفات .

تاء وزاي : نتخ وترع ، انتح واتترع .

تاء وصاد : لِصتٌ ولص .

تاء وثاء : ثاب وثاب (عاد) ، ثار البحر وثار .

تاء وجيم : تُننة ونُجنة .

تاء وراء : صتع خصمه وصرعه .

تاء ونون : تاب وناب (عاد) .

تاء وواو : تُجاهه ووُجاهه (بإزائه) ، تُراث وورث .

الثاء

ثاء وذال : تلثم وتلذم .

ثاء وسين : تلثم وتلسم ، مرث الصبي اصبعه ومرسها (لاكها) .

ثاء وصاد : بحث وفحص .

ثاء وشين : نبث البئر ونبشها (اخرج ترابها) .

ثاء وضاد : نكث العهد ونقضه .

ثاء وفاء : ثومٌ وفوم .

ثاء وقاف : تفرث الناس وتفرقوا .

ثاء وميم : تلاطث وتلاطم

الجيم

جيم وكاف : ارتج وارتك ، رِجسٌ ورِكس ، جهد وكهد (تعب) ، جاد وكاد بنفسه ، لاج ولاك ، تجبر وتكبر .

جيم وقاف : مالجٌ ومالق (آلة البناء) ، تلمج[1] وتلمق ، مزج اللبن بالماء ومرقه ، دواء ناجع وناقع ، جازى وقاذى ، جرح وقرح ، جسم وقِسم ، سيلٌ جُحاف وقُحاف ، جذف وقذف ، جدع وقطع .

جيم وحاء : مِنتجة ومِنتحة (إست) .

جيم وخاء : ازلج الباب وازلخه ، ضمّجه بالطيب وضمّخه .

جيم وذال : لمج الطعام[2] ولمذه .

---

١) تناول طعاماً قليلاً قبل الطعام الكامل .

٢) اكل باطراف فمه .

جيم وزاي : هجيع من الليل وهزيع .

جيم وضاد : هبّج وهيّض .

جيم وغين : مِجداف ومِنداف .

جيم ولام : اعجزه واعلزه .

جيم ونون : جاع وناع .

جيم وهاء : جاع وهاع .

جيم وياء : شجع وشيع .

الحاء

حاء وهاء : رحيق ورهيق (خمر) ، لحس ولهس ، مدح ومده ، مزح ومزه ، نوّاحة ونوّاهة ، حثا وهثى التراب .

حاء وخاء : نضح ونضخ (رش) ، فحثت الميتة وفخثت ، رضح ورضخ النوى (كسره) .

حاء وغين : فاح وفاغ .

حاء وعين : لفحته النار ولفعته ، لوحته الشمس ولاعته ، زاحم وزاعم ، لمح النجم ولمع ، نحم ونعم (حرف جواب) ، لحيك ولعيق ، مسّح ومشّع ، انتح وانتزع ، طبّح وضبّع .

حاء وجيم : فاح وفاج .

حاء ودال : لحس ولدس .

حاء وضاد : نضح ونض (رشح) .

حاء وقاف : حناوة وقناوة ، صفّح وصفّق ، توشح بثوبه وتفشق .

حاء وكاف : انتحس وانتكس .

حاء ونون : منح ومن ، جحدله وجندله

الخاء

خاء وغين : دخل ودغل[1] ، خفي عليه وغبي ، خِضمّ وغِطمّ .

خاء وهاء : خفق الناب وهفا ، خمد وهمد ، ضخم وطهم .

خاء وطاء : لخم ولطم .

---

١) دغل دخول المريب .

خاء وعين : نخ ونزع . قلخ شجرةً وقلعها .

خاء وفاء : تخلص وتفلص .

خاء وقاف : تخاذل وتفاتر ، خطِف وقطف (اخذ بسرعة) ، مالخه ومالقه .

خاء وكاف : خدش وكدش ، مخّخ[1] ومك .

خاء وميم : خالط ومالط ، تخلص وتملص .

الدال

دال وضاد : ناهد وناهض ، انفد الزادَ وانفضه ، وديمة ووضيمة .

دال وطاء : مد ومط ، قدد وقطى ، وهدة ووهطة ، داس وطاس ، دبق وطبق ، لدم ولطم .

دال وجيم : داموس وجاموس ، ارمد وارتمج ، هد وهج ، هدم وهجم(خرب) ،

دال وذال : جدّف وجذّف (حرك المقذاف) ، جودي وجوذي .

دال وراء : طرد وطر ، منقاد ومنقار .

دال وزاي : دغدغ وزغزغ ، دمدم ودمزم ، لدك ولزق .

دال وسين : ناد (تمايل من النعاس) وناس (تذبذب) .

دال وعين : جد (قطع) وجدع (قطع الانف وما شاكله) .

دال وقاف : نبد ونبق (فني) ، ندل ونقل .

دال وكاف : هد وهدك (هدم) .

دال وميم : هد وهدم ، صد القارورة وصمها (سدها) .

دال وهاء : دوت الأذن وهوت .

الذال

ذال وزاي : لاذ به ولاز اليه ، موتٌ ذُعاف وزُعاف .

ذال وضاد : نبذ الشريان ونبض .

ذال ولام : ذوى البقل والوى (يبس) .

الراء

راء ولام : رصف الحجارة ولصفها ، وفّر ووفّل ، انسدر وانسدل ، بدر الحام وبدل ، جحدره وجحدله (جندله) .

---

[1] استخرج مُخ العظام.

راء وعين : مرث[1] ومعث .

راء وقاف : مِنقار ومِنقاق

راء وميم : عيشٌ رغدٌ ومغد ، ذهب دمه هدرًا وهدمًا .

راء ونون : امرَ على الامر وامنَ ، ارتكس[2] وانتكس .

راء وواو : رفيق ووفيق .

الزاي

زاي وسين : لزِق ولسِق ، الزمه الطريقَ والسه اياه ، غرز وغرس ، تلمز وتلمس ، مارز ومارس ، تردع وتسرع ، نخز ونخس .

زاي وصاد : زدر وصدر ، فُرزة وفرصة ، لزِق ولصِق ، مز ومص ، رزاز ورصاص ، رزين ورصين .

زاي وشين : توزع وتوشع ، لكز ولكش ، تقزع السحاب وتقشع .

زاي وضاد : هزم الحقَ وهضمه : لكز ولكض .

زاي وطاء : وخزه الشيب ووخطه .

زاي ولام : زُهاء مئة ولُهاء .

زاي وميم : لكز ولكم .

زاي ونون : زهاء مئة ونُهاء .

زاي وهاء : ترّز وترّه (ابعد وبرأ) .

السين

سين وصاد : قلس وقلص ، ما نبس بكلمة وما نبص ، سخَّر وصخَّر ، ساق الدابة وصاقها ، سائقٌ وصائق ، سوقٌ وصوق ، سويق[3] وصويق ، دعس بالرمح ودعص (طعن) ، ناسور وناصور ، اسبغ النعمة واصبغها ، سُنعٌ وصُنع ، مِسطع ومِصقع (فصيح) .

سين وشين : مسح ومشح ، سأوٌ وشأو ، خست الحبة وخشت .

سين وطاء : قلس وقلط .

---

١) مرث الدواء في الماء : انقعه فيه .

٢) وقع في شر كان قد نجا منه .

٣) الناعم من دقيق الحنطة والشعير .

سين وكاف : لسمت الطرب ولكمت .

سين ولام : غاس وغال (غام) .

الشين

شين وصاد : ينفُ ويصب .

شين وفاء : نثر الشعر ونتفه ، ندش القطن وندفه .

شين وكاف : شمخ بانفه وكمخ .

شين وميم : شق ومق .

شين ونون : شهق الحار وضق .

الصاد

صاد وظاء : واصب وواظب ، اصحر الشيء واظهره .

صاد وضاد : مصمص الماء في فمه ومضمضه ، رقص الجمل وركض ، بِصّ وبض .

صاد وطاء : املصت الحامل واملطت (اسقطت ولدها) ، لون ناصع وناطع ، غاص وغاط .

صاد وكاف : واصب وواكب (واظب) .

صاد ولام : اقتصّ واقتل .

الضاد

ضاد وطاء : غضب وعطب ، ضيّح وطيّح ، ضخُم وطهم .

ضاد وظاء : تضافر وتظافر .

الطاء

طاء وظاء : ناطور وناظور .

طاء وعين : نبط الماء ونبع .

طاء وغين : مط الشيء ومغطه ، نبط الماء ونبغ (نبع) .

طاء وقاف : مشط ومشق ، مسطع ومصقع (فصيح) .

طاء ونون : اعطى وانطى[1] .

---

١) هذا الفعل مستعمل بمعنى العطاء في لغة العراق العامية .

العين

عين وغين : مس ومس (طمن) ، نعق الغراب ونغق ، عبر وغبر ، افعم الاناء وافغمه ، لعق ولغف ، عطب وغضب .

عين وفاء : عرك وفرك .

عين ولام : دعك ودلك ، قاتمه وقاتله .

عين وميم : صمّم على رأي وصمم .

عين ونون : عنف وتنف .

عين وواو : لُعاب ولُواب .

الغين

غين وقاف : نبغ ونبق (ظهر) ، غمس وقمس .

غين وكاف : غربال وكربال ، مغرة(١ ومكر

غين وهاء : اغتمّ واهتم ، تغطرس وتهطرس (تبختر) .

الفاء

فاء وقاف : سافع وساقع (افلس) ، لفف ولعق .

فاء ولام : نحيف ونحيل .

فاء وميم : صالفع وصلمع (افلس) .

فاء ونون : فتق وتق .

فاء وهاء : فودجٌ وهودج .

فاء وواو : تفشق بثوبه وتوشح .

القاف

قاف وكاف : لمق ولمك ، قطّم وكطّم ، قاتله الله وكاتله ، قاربَ وكاربَ ، عربي قُح وكُح ، قبرٌ وكفر ، عِقال وعِكال ، قحط العامْ وكحط .

قاف وهاء : انقار وانهار .

الكاف

كاف وهاء : لكز ولهز (لكم) .

١) نوع من الطين الاحمر يُصبغ به .

اللام

لام وميم : التُمع لونه وامتُقع ، غُمال وغُمام .

لام ونون : دمل الارض ودمنها ، استنلَّ بالاسر واستَنن ، قُلَّة الجبل وقُنَّته ، التُمع لونه وامتُنع ، لدَّد به وندد .

لام وهاء : تبيل ونبيه .

الميم

ميم ونون : مُخ ونُخ ، مسخه ونسخه (شوه صورته) ، فيمٌ وفين ، لونٌ قاتم وقاتن ، مفى ونفى (تكلم بوضوح) ، مجدٌ ونجد (سهل مرتفع) ، سخَّم وسخن ، كَم وكن (اخفى) .

ميم وهاء : مَوماة وهَوماة (صحراء) ، امتُقع لونه واهتُقع ، لطم ولطه .

ميم وواو : مهَّد الفراش ووَهَّده .

الواو

واو وياء : قورٌ وقير (اعدم) ، موعة الشباب وميعته ، هُوام وهيام .

الفصل الثاني : كلمات فيها حكاية اصوات

تلك الكلمات كثيرة جدًّا في لغتنا ، وقد ميَّزنا بينها نوعين : الاول على اوزان شتى ، والثاني على وزن فعفعَ ومشتقاته ، وقد عنينا به تساوي مقطعي الفعل كما ترى في ضمضع .

النوع الاول : كلمات على اوزان شتى

هاكم بعض امثلة عليها مقسومةً الى عدة طوائف .

١ً كلمات تدل على اصوات الحيوانات والاشياء — عوى ونبح الكلب . ماء القط . نهق الحمار . صهل الحصان . قبع الخنزير . تأج الخروف . خارت البقرة . قاقت الدجاجة . غرد العصفور . هدرت الحمامة . نعب الغراب . نقَّت الضفدعة . زأر الاسد . فحَّت الحية . طن الذباب — وعُّ الطفل الباكي وابن آوى . ضوضاء الناس في الازدحام . هزيم الرعد . خرير المياه . طنين الجرس . ازيز القِدر (عند الغليان) . نشيش اللحم (المطبوخ في القدر) .

٢ً افعال من جملة افعال الانسان — شرب . مص . تفل وبصق . نفخ . بح . سعل وقحب . عطس . جشأ . غط ، بخ ، فح ، خر النائم . همس . صاح ، صرخ ، زعق ، عج . ضج . ان ، آه ، ناح . صفر . زمّر . كسر ، قطع ، قص . شق . دق . صدم .

٣ً اسماء حيوانات واشياء — غراب . لقلق . وطواط . وروار . زُرزور . خزباز (ذباب في روضة او نحوها) — صفصاف[1] . ريح . رعد . قبقاب[2] . جرس . ناقوس . جُلجل . خلخال . طبل . دف . برق .

النوع الثاني : افعال على وزن فعفع ومشتقاتها

افعال دالة على اصوات الناس وحركاتهم

١ً افعال مختصة بالكلام — تمتع ، تخنخ ، تعتع ، تنشع ، ضفضغ ، عطعط ، تمتم ، جمجم ، مجمج ، غمغم ، مضغ ، لثلث ، جلجل ، رجرج (تردد في الكلام عن عيّ ولم يوضحه) . بعبع ، بقبق ، ترتر ، وروور ، وطوط ، فصفص (تكلم بغاية السرعة) . بربر ، فرفر ، ثرثر (اكثر الكلام بلا فائدة) . وسوس ، وشوش ، فتفت ، همهم (همس) . نحنح وقحقح (تردد صوته في حلقه) . خمخم وخنخن (تكلم من انفه) . وهوه (ردد صوته عن حزن او جزع) . دمدم (تكلم بغضب) .

٢ً افعال مختصة بالضحك والصياح — قهقه ، قرقر ، كدكد ، كركر ، هأهأ (اغرب في الضحك) . كتكت (ضحك دون القهقهة) — بربر ، صرصر ، عجعج (صاح بل‍ء صوته) . وحوح (صاح ببحح) . ولول (ناح) . دقدق ، ضأضأ ، عطعط ، وعوع الناس (ضجوا) . غمغم الجند (صاحوا عند القتال) . جهجه بالسبع (صاح به ليبعده) .

٣ً افعال دالة على السير وتحريك اعضاء الجسم — سمسم (مشى على مهل) . دخدخ ، ذخذخ ، دفدف ، سعسع ، غلغل ، فرفر ، ململ ، هتهت ، هطهط ،

---

١) في هذا الاسم حكاية حفيف اوراق الصفصاف عند هبوب الريح .

٢) في هذا الاسم حكاية وقع القبقاب عند سير المحتذي به .

وزور (مشى بسرعة) طلفل (مشى مسرعاً وتبختر) . مكمك (تدحرج في سيره) — دلدل رأسه او ذراعيه (حركها في سيره) . ترتز (حرك رأسه) نضنض لسانه (حركه) . كهكه (نفخ في يده لازالة البرد) . دغدغ (اثار الضحك بلمس بعض مواضع الجسم) . دردر التمر (لاكه) . غرغر ، مضمض الماء او نحوه في فمه (حرك الماء فيه) . فشفش ببوله (اساله).

٤ً افعال دالة على تحريك الاشياء — مشمش ، مزمز ، دأدأ ، زأزأ ، طلطل ، جلجل ، قلقل ، لقلق ، نجنج ، نصنص ، عسعس ، صعصع ، هرهر ، هشهش ، هفهف الشيء (حركه). تعتع ، زعزع ، نشنش الشيء (حركه بعنف). زحزحه (ازاحه). تقتق ولصاص الوتد (حركه ليتزعه). حصحصه (حركه ليستقر في غيره) . تنعنع الشيء (تحرك) دهده الحجر (دحرجه) . ترضرض الحجر (تحرك او تكسر). سبسب ، سلسل ، ثجثج الماء (اساله) . رقرقه (صبه رقيقاً) . خضخضه (حركه) . شعشع الشراب (مزجه بماء) . شنشغ الماء في اناء (صبه فيه ولم يملأه) . حثحث الميل في العين (حركه) . شفشف الدواء على جرح (ذره) . حسحس اللحم (قلبه على الجمر) . دعدع المكيال (هزه ليسع ما يكال فيه) . دكدك حفرة (ملأها تراباً) . تأتأ النار (اطفأها). طحطح ، هتهت الشيء (كسره) . شرشره (شققه) . لعلع العظم او نحوه (كسره) . ضعضع البناء (هدمه حتى الارض) . زلزل الله البلد .

افعال دالة على اصوات الحيوانات وبعض حركاتها

شقشق ، شحشح ، جرجر ، قرقر الجمل . جمجمة (اصوات جمال مجتمعة). وأوأ ، وقوق ، وعوع الكلب (وتفقف اذا نبح عن خوف) . حمحم ، هطهط الحصان . مأمأ الخروف والظبي خفخف الخنزير والضبع . وعوع الثعلب وابن آوى . ضمضم الاسد . خرخر السنور والنمر . صمصم القنفذ . زقزق ، شقشق ، صفصف الطير المغرد . عقعق الطير (ردد صوته) . قرقر الدجاج . وكوك الحمام . زرزر الزرزور . صرصر الصُرَد والصقر . قطقط الحجل . لقلق اللقلاق . كشكشت الحية (صوتت بجلدها) . دندن ، طنطن الذباب . رفرف الطير (حرك جناحيه) ، حفحف (اسمع صوت طيرانه) .

لألأ الثور بذنبه (حركه) . لظلظت الحية رأسها (حركته عن غيظ) . دقدقت ، طقطقت ، دبدبت حوافر الدواب (صوتت في اثناء السير) .

افعال دالة على اصوات الاشياء

١ . افعال مختصة بالماء – طبطب الماء والسيل (صوّت) . جرجر (صوّت في حلق شاربه) . شلشل (قطر) . ترشرش (سال) . جبجب (سال قليلاً) . تمحمح (سال من فوق كذا) وعرع (سال على وجه الارض) .

٢ . افعال مختصة بالنار وبما وُضع عليها – حفحفت ، زمزمت النار (صوتت عند التهابها) . حشحشت الشيء (أحرقته) . معمع الشيء المحترق (صوّت) . تشقش اللحم في القِدر (سُمع نشيشه) . بقبقت ، غطغطت ، غرغرت ، نشنشت القِدر (سُمع صوت غليانها) .

٣ . كلمات مختصة بالريح – ريحٌ سجسج (خفيفة) ، نسنست ، هرهرت الريح (صوتت) ، سنسنت (هبت باردة) . سفسفت الشيء (اطارته على وجه الارض) . ذعذعت الشجر (حركته بعنف) .

٤ . كلمات شتى – همهم ، لملع الرعد (سُمع هزيمه) . جلجل السحابُ (سُمع رعده) . طنطن ، صلصل الجرس والطست . خشخش ، شخشخ السلاح والحلي والورق والثوب الجديد وكل شيء يابس . صلصل اللجام والحلي . حسحس الدرع والحلي . خشخش ثوبه الحديد او الورق (حركها فصوتا) . قصقص العظم (صوت عند انكساره) . تكتكت الساعة ، بقبق الكوز في الماء (صوت عند امتلائه) . زمزم الشيء (دوى عن بعد) . ذبذب الشيء المعلق (اهتز) . جعجعة الرحى . محمحة (صوت حركة سير من جلد) . كدكدة (صوت اصطدام شيئين صلبين) .

مُلحق الفصل الثاني : كيفية صوغ الافعال على وزن فعفع

كثير من تلك الافعال – سواء ادلّت على تلك الاصوات ام لم تدل – مشتق من عدة انواع كلمات ؛ هاكم بيانها :

١ . افعال مشتقة من افعال ثلاثية مضاعفة مرادفة لها – قف وقفقف النبات

(يبس) . كس وكسكس الشيء (دقه دقًا شديدًا) . كف وكفكف الرجلَ عن الشيء . كم وكمكم الشيء (اخفاه) . لمه ولملمه (جمعه) . رجه ورجرجه (حركه) . كبه وكبكبه (قلبه) . نطّه ونطنطه (مده) . رمه ورمرمه ، نكه ونكنكه (اصلحه) . هزه وهزهزه . قصه وقصقصه . ذر وذرذر الحبّ او الملح . رص ورصرص البناء . غض وغضغض الماء (انقصه). رك وركرك (ضعُف) . بخ وبخبخ النائم ، فح وفحفح ، خر وخرخر (غط) . هب وهبهب (اسرع) . عج وعجعج (صاح) . فد وفدفد (رفع صوته) . حن وحنحن عليه . حثّه وحثحثه على الشيء . هد وهدهد الجمل (هدر). نق ونقنق الضفدع .

٢ً افعال مشتقة من افعال غير ثلاثية مضاعفة مرادفة لها ومقتضبة بحذف بعض حروفها — دجا ودجدج الليل . رأرأ بعينيه اي ادارهما (من رأى) . نهى ونهنه عن الشيء . كرد الشيء وكركره . التف بالثوب ، لفلف وتلفلف به . مرمر الماء (امره على وجه الارض) . فقفق (افتقر افتقارًا مدقعاً) . فخفخ (فاخر بالباطل) .

٣ً افعال مشتقة من اسماء مقتضبة — وصوص (نظر من الوصواص ، وهو ثقب بقدر العين في ستر او نحوه) . فلفلَ الطعام (جعل فيه الفلفل) . بكنكن (لازم السكن اي البيت). لألأ الدمعَ (اتوله كاللؤلؤ) . بأبأ الطفل (قال بابا) . مخمخ العظمَ (اخرج مُخّه) . ولول (دعا بالويل على قريبه) . طمطم (سبح في الطمطام وهو وسط البحر). فصفص الدابةَ (اطعمها الفصفصة). فضفض الثوب او العيش (كان فضفاضاً اي واسعاً) . كثكث (كانت لحيته كثّة).

٤ً افعال مشتقة من اسماء افعال — وحوح (نفخ في يده لازالة البرد قائلًا حو او أحّ). مهمه الرجلَ (زجره بقوله مهْ اي إمتنع). صهصه به (اسكته بقوله صه). لعلع بالعاثر (قال له لعْ او لعْلعْ او لعا ، وكلها دعاء بالانتعاش). هلهل بالحصان (زجره بقوله هلّا). نخنخ بالابل (قال لها نخْ لتبرك). هجهجها (زجرها بقوله هيجْ) . هتهتها (زجرها عند الشرب بقوله هتْ) . يأيأ بها

(قال لها أيْ لِيسكنها) جاجأ بها (دعاها الى الشرب بقوله جِئْ[1]) . بسبس بها او بالغنم (دعاها قائلاً بِسْ) . شأشأ الغنم (حثها على المشي بقوله شأ او شوْ) . فعفع بها (زجرها بقوله فعْ) .

٥ً افعال مشتقة من حروف الجر او الحروف الابجدية — ممع (اكثر من قول «مع») . عنعن الراوي (قال «روى فلان عن فلان» وهلم جراً) . عنعن في لفظه (لفظ الهمزة كالعين) . رترت (تردد في لفظ الراء او والتاء) . تأتأ (ردد التاء) . فأفأ (ردد الفاء) .

الفصل الثالث : الكلمات المنحوتة

الكلمات المنحوتة ، اي المركبة من كلمتين او اكثر ، تعد بالآلاف في الفارسية والارمنية وفي عدة لغات اوربية كالانكليزية والالمانية . اما في لغتنا فانها تحصى بالعشرات ، مما يصعّب صوغ كلمات جديدة ، ولاسيما المختصة بالعلوم والفنون . ودونكم بعض الامثلة عليها : الصَهْصلِق هو الشديد من الاصوات؛ هذه اللفظة مركبة من فعلين : صهل وصلق الذي معناه صاح . المِشْلَوز نوع من المشمش حلو النواة ، وقد نُحت اسمه من الكلمتين مشمش ولوز . لاشي مركبة من لا وشيء .

اشهر كلماتنا المنحوتة تعبّر عن مضمون جملة كاملة ، وهي مركبة من بعض حروفها : ؟ هاكم اكثرها رواجاً :

بسمل : نطق بالبسملة ، وهي عند النصارى « باسم الآب والابن وروح القدس » ، وعند المسلمين « باسم الله الرحمن الرحيم » . سبحل : قال « سبحان الله » . حمدل : قال « الحمد لله » . هيلل وهلل : قال « لا اله الا الله » . حسبل : قال « حسبي الله » . حوقل وحولق : قال « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » . دمعز : قال « ادام الله عزك » . غفّر : قال «غفر الله له» . طلبق : قال « اطال الله بقاءك » . استرجع : استعاذ بقوله « إنا لله وإنا اليه راجعون » . حيعل المؤذن : قال « حيَّ على الصلاة ، حيَّ على

---

١) مع ان جئْ فعل امر ، ادرجنا جاجأ في هذا الجدول بسبب مجانسته لسائر الافعال .

الفلاح ». كبتم : قال « كبت الله عدوك »، وكبت بمعنى اذلّ . مشكن : قال « ما شاء الله كان » او بالاختصار « ما شاء الله »، وهما تعبيران عن التعجب . سمل : قال « السلام عليكم ». بأبأ : قال « بابي انت وامي »، ومعناها « ليتني افديك بهما ! » جعفد : قال « جُعلت فداك ! ». فذلك الحساب: فرغ منه. قيل ان فذلك مركبة من فاء العطف واسم الاشارة ذلك، وان المعنى المقصود هو : فذلك الحساب يحتوي كذا وكذا .

الفصل الرابع : الاتباع

الاتباع قائم بان تضاف الى كلمة كلمة اخرى لا تختلف عنها بسوى حرفها الاول ، مع الشبه الكامل في الوزن ، وذلك لتقوية المعنى . الاتباع كثير الوقوع في لغتنا ؛ هاكم بعض الامثلة عليه :

١ً النوع الاول مؤلف من كلمتين لكل منهما معنى — وكيع لكيع (كلاهما بمعنى لئيم) . شحيح نحيح (كلاهما بمعنى بخيل) . قتير وقير (وقير بمعنى ذليل). جوع ونوع (النوع العطش) . جائع نائع (كلمتان مترادفتان). هائع لائع : جبان جزوع (هاع ولاع معناهما جزع) . هشّ بشّ : مسرور (الكلمتان بمعنى بشوش) . لا يفقه ولا ينقه : لا يفهم شيئاً (نقه الحديث بمعنى فهمه) . هم في هياط ومياط : في مجيء وذهاب واضطراب (الهياط هو الاقبال ، والمياط الادبار) . لا ادري اين سكع واين هكع : اين ذهب (معنى سكع تسكع ، ومعنى هكع اقام). ما له شقذ ولا نقذ : لا يملك شيئاً (الشقذ ولد الحرباء ، النقذ ما تنقذه) . التعبيرات الآتية بالمعنى ذاته : ما له سَعْنة ولا معنة (السعنة كثرة الطعام او قلته ، ومَعْن نعت معناه كثير او قليل) ؛ ما عنده خير ولا مير (المير الطعام) ؛ ما عنده آجل ولا عاجل ؛ ما له هارب ولا قارب (ليس من يهرب منه ولا من يتقرب اليه) .

٢ً النوع الثاني مؤلف من كلمتين لاولاهما وحدها معنى — شكس لكس : قليل الانقياد . كثير بثير . عوز لوز : محتاج (عوز بمعنى فقير). شجاع نجاع . حائر بائر[1] . خبيث لبيث . عِفْرٌ نفر : شرير . طعامٌ سيّخ

١) بائر ليست هنا بمعنى هالك .

لبغ : هني. . عامله بالهواء والهواء : باللين والعنف (هِواء مصدر هاوى المرادفة لداري) . ريحٌ هِياعُ لياع : شديدة (معنى هياع انتشار) .

٣ النوع الثالث مؤلف من كلمتين لا معنى لهما مفصولتين — هيَّ بن بيَّ : مجهول ابن مجهول . ذهب دمه خِضرًا مضرًا : ذهب هدرًا . تفرقوا شذَرَ مذرَ . ذهبوا اناديدَ وتناديدَ : تفرقوا في كل جهة

الفصل الخامس : الكلمات الدقيقة المعاني

في لغة الضاد مئات كلمات قد بلغت معانيها مبلغًا من الدقة لا نكاد نجد له مثيلًا في اشهر لغات العالم المتمدن ، وليس ما ذكرناه منها سوى حفنة من كثيب .

صافية : ارض جلا عنها اهلها او ماتوا ولا وارث لهم .

صمير : رجل يابس اللحم على العظام ، تفوح منه رائحة العرق .

ضَيبب : موضع من الجبل تحمى عليه الشمس حتى تشوي اللحم .

عجف نفسه عن الطعام : حرمها اياه ، وهو يشتهيه ، ليُشبع مؤاكله

اعتفد : اغلق بابه على نفسه ليموت جوعًا ولا يسأل .

غشَم الحاطبُ : احتطب ليلًا فقطع كل ما قدر عليه بلا نظر ولا فكر .

اغلبت المرأة : غاب زوجها .

تفتّت البنت : سُترت وامتنعت عن اللعب مع الصبيان .

فحج : تدانى في المشي صدرا قدميه وتباعد عقباه .

افرسَ الراعي : غفل فأخذ الذئب شاة من غنمه .

استفاء : اكل وشرب كثيرًا بعد قلة المؤونة .

قطَّم الشاربُ : ذاق الشراب وكرهه وزوى وجهه وقطّب .

استقفاه بالعصا : اتى من خلفه وضرب قفاه بها .

كابل الدارَ : اخّر شراءها ليشتريها غيره ، ثم اخذها بالشفعة .

تكنّنت المرأة : لبست برقعها وقفّازها وخُفها .

كرف الحمارُ : شم البول فرفع رأسه وقلب جحفلته ، اي شفته .

كهكه المقرور : تنفس في يده ليدفئها .

اكهى : دفأ اطراف اصابعه بنفسه .
الحف ضيفه : آثره بفراشه ولحافه في شدة البرد .
الدى : كثرت لداته ، اي المولودون معه .
مثد بين الحجارة : استتر بها ونظر من خلالها الى العدو .
مجرت الشاة : عظُم ولدها في بطنها فهزلت وثقلت وعجزت عن النهوض.
غى الصيد : غاب عنك بعد ان أُصيب ، فات بحيث لا تراه .
انميتُ لفلان : تركته في تليل الخطإ حتى يبلغ اقصاه فيصبح غير معذور .
تناهدوا : انفق كل واحد بقدر نفقة الآخرين ليشتروا طعاماً يأكلونه معاً .
نـاء النجم : سقط في المغرب مع الفجر وطلع آخر يقابله في الشرق .
هادى الرجلَ : جاء كلٌّ منهما بطعام واكلا معاً .
وحوح : نفخ في يديه من شدة البرد وصاح حو حو .
واصفه : باعه شيئاً وصفه له بدون ان يراه المشتري .
وقـل : رفع رجلًا واثبت الاخرى في الارض .
ولّج المالَ : جعله في حياته لبعض اولاده ليكف الناس عن استطالته .
وغل عليهم : دخلَ عليهم وشرب معهم بدون ان يُدعى .
ايتنت المرأة : خرجت رجلا مولودها قبل رأسه في الولادة .
تارد الشاعران : عبّرا عن المعنى ذاته بالالفاظ عينهـا بدون ان ينتحل احدهما الآخر .

الفصل السادس : المثنى الدال على شخصين او شيئين مختلفين

في عدة كلمات نجد المثنى دالًا على شخصين او شيئين مختلفين ، غير انهما متلازمان او مرتبطان بعلاقة ما ، هاكم اشهرها .

الثقّلان : الانس والجن . الابوان : الاب والام . القمران : الشمس والقمر . الخافقان، المشرقان: الشرق والغرب . الملَوان ، الجديدان، الاجدّان: النهار والليل . البرْدان ، الابردان ، القرّتان ، الكرّتان : الصباح والمساء . الاصغران : القلب واللسان . الاطيبان : الطعام والشراب . الاخبثان : الارق والقلق . الامرّان : الفقر والهرم . الابيضان : الماء واللبن . الاسودان:

الماء والتمر . الاصفران : الذهب والزعفران . الاحمران : اللحم والخمر . الاخضران : العشب والشجر . الرافدان ، الفراتان : دجلة والفرات . المصران ، البصرتان : البصرة والكوفة .

الفصل السابع : بيان اصل بعض الكلمات العربية

من غرائب القاموس العربي ان من تعمق في درسه وتقصي وحدة اصل مئات من كلماته المتجانسة باللفظ ، لا يلبث ان يكتشفها مرارا عديدة ؛ هاكم بعض الامثلة على ذلك .

١ً النوع الاول : كلمات ذات معنى حسي . آلاف منها مشتقة على وجه منطقي من كلمات ذات معنى حسي ابسط . نذكر عدة نموذجات من ذلك الاشتقاق.

* الفلك * هو مدار النجوم ، وقد تصوره القدماء بشكل كرة جبّارة . اسمه مشتق من الفعل فلكت الفتاة اي استدار ثديها .

* الجارية * هي الخادمة او المملوكة ، وقد دُعيت هكذا لانها تجري في خدمة سيدها .

* الجهة * مشتقة من الوجه = ، لانها قطعة من الارض نستطيع رؤيتها في وجهنا .

* الدابة * كانت في الاصل ما دب من الحيوان ، ثم أُطلقت على كل ما يُركب او يُحمل عليه .

* اللواء * مشتق من لوى ، لانه يُلوى ثم يُنشر عند الحاجة .

* الغيث * قد سُمي كذلك لانه غوث من الله تعالى .

* المفتول الخلق * قد شُبهت متانة بنيته بالحبل المفتول .

* اللفظ * بمعنى النطق قد شُبه بلفظ شيء من الفم ، اي باخراجه منه .

* رحّل * فعل مشتق من رحل المسافر ، اعني امتعته التي يذهب بها .

* حل في مكان * تعبيرٌ دل في نشأته على حل الرحل عند الوصول الى غاية السفر .

* الفجر * بمعنى ضوء الصباح كلمة مشتقة من فجر القناةَ اي شقها ، لان العرب قد تصوروا نور الفجر كأنه يشق ظلمات الليل ، فقالوا « انشق الفجر » اي طلع . بواسطة ذلك التشبيه عينه قد سموا الصبح فتقاً وفلقاً ، وان الفعلين المترادفين فتق وفلق بمعنى شق .

٢ً النوع الثاني : كلمات ذات معنى مجرد — اكثرها مشتق ، في العربية كما في سائر الالسن ، من كلمات ذات معنى حسي ، لان العقل البشري يقتبس كل افكاره المجردة من الاشياء الحسية . دونكم عدة امثلة على ذلك الاشتقاق .

* زار * اصلها زوِر اي مال ؛ لان الزائر يميل عن طريقه لدخول بيت المزور .

* ابرم الامرَ * اي احكمه تعبير مشتق على وجه التشبيه من « ابرم الحبلَ » .

* نازع المريض * قد اشتُق معناها على الاساوب عينه من « نازعه الشيء » اي جاذبه اياه .

* ظلَم * بمعنى ارتكب الظلم قد دلت في الاصل على وضع شيء في غير محله .

* بحث وفحص * كانتا تعنيان في نشأتهما حفر الارض .

* غمَّ * كانت بمعنى غطّى ، ثم صارت بمعنى احزن ، اذ شُبه الحزن بستر ثقيل محيط بالنفس .

* غفر * كانت مرادفة للفعل ستر ، ثم عُني بها ستر الذنوب بالعفو .

* قاوم الرجلَ * كانت بمعنى قام معه ، ثم دلت على المضادة .

* وثق به * فعل مشتق من وِثاق بمعنى قيد ، وكذلك اعتمد عليه بمعنى اتكل ، مشتقة من العماد ، وهو ما يُسند به .

* اعتقد الحقيقة * تعبير مقتبس من « عقد الحبلَ » ، لان الاعتقاد هو تقيد العقل بحقيقة ما .

* آتاه الشيء * كان معناها الاصلي « جعله يأتي الشيء » .

* اهدى له شيئاً * تعبير مشتق من « اهدى العروس الى زوجها » اي زفها اليه .

* وصله بكذا * المرادفة للعطاء مشتقة من « وصل شيئاً بآخر » اي جمعها .

* ايّد * قد رُجع اشتقاقها من يد . اما ساعدَ فمشتقة من الساعد اي مقدَّم الذراع ، وعاضدَ من عضُد وهو اعلى الذراع ، وظاهرَ من ظهر ، وآزر من ازر وهو الظهر ايضاً .

* داهنه * بمعنى خدعه مشتقة من دهَن ، لان الخداع قد شُبه بطلاء يموه الاشياء ويخفي حقيقتها .

* داعكه * بمعنى خاصمه خصاماً شديدًا ، اصلها « دعك الجلدَ » اي فركه .. كذلك عاركه مشتقة من « عرك الجلدَ » بالمعنى المذكور .

* شق الامرُ * مشتقة من « شق الشيء » على وجه الاستعارة . كذلك ايضاً يتضح اصل « شاقه » اي خالفه وعاداه .
* شفع في شخص عند غيره * تعبير مشتق من « شفع الشيء » اي جعله شفعاً باضافة مثله اليه ، فقد شُبهت الشفاعة بمضاعفة حُظوة طالبها عند المشفوع اليه .
* الشدة * بمعنى العنف والمصيبة وشظف العيش ، قد موثلت بشد الحبل .
* العقل * القادر على ادراك رُبُط العلائق بين الخلائق وبين الافكار ، قد اشتُق اسمه من العقال الذي تُربط به الدواب .
* النُهى * من مرادفات العقل، وقد دعيت هكذا لانها تنهى الانسان عن الشر .
* اعطى الشيء برُمته * تعبير نشأ عن كون رجل قد دفع الى آخر جملاً برُمة في عنقه ؛ الرمة هي قطعة حبل بالٍ . تقول ايضاً بالمعنى ذاته « اعطى الشي بأسره او بجذافيره » الاسر هو القِد اي قطعة جلد مستطيلة ، والجِذفار او الجُذفور بمعنى الجانب .
* المجد * مرادف للنجد ، ثم أُطلق في الارجح على الرفعة .
* الحزم * بمعنى العزم مشتق من حزم الاشياء اي ربطها .
* السبب * بمعنى الواسطة كان في الاصل مرادفاً للحبل ، الذي لا بد منه لادراك غايات عديدة كالاستقاء بالدلو من البئر .
* الواسطة * قد سُميت هكذا لانها في الوسط بين القصد والامر المقصود .
* الشرَف * هو المكان العالي ، ثم عُني به علو النفس او المقام على سبيل الاستعارة
* المكانة * كانت مرادفة للمكان ، والمنزلة والمقام دلتا في نشأتها على محل النزول والاقامة ، ثم استعملت كلها بمعنى رتبة الانسان في المجتمع .
* الرئيس * كلمة مشتقة من الرأس .
* المرة * بمعنى الفعلة مشتقة من المرور على وجه الاستعارة ، كأنها تدل على مرور الفاعل بعمل من الاعمال .

الفصل الثامن : مطابقة كلمات لبنانية عديدة لما يقابلها بالعربية

نكتفي بضرب بعض الامثلة على تلك المطابقة الكاملة او الناقصة باللفظ والمعنى في الكلمات العربية الآتية المشروحة ، ولم نُضف اليها مقابلها اللبناني بين قوسين الا اذا اختلف عن اصله اختلافاً يُذكر .

صفقه : ضربه ضرباً له صوت .
خطرة : مرة .
سكّر الباب : سدّه .
صِرْم : خُف مُنعّل (صرمايه) .
شنجت رقبته (صنّجت) .
صوب : جهة .
عيّط : صاح .
فخت : قطع .
فخفخ : افتخر بالباطل .
فاضٍ : خالٍ .
قدْ : مقدار .
كمش الشيء : تناوله بجُمع كفه .
كش : طرد .
لاطئة : قلنسوة تُلاطأ بالرأس (لاطيه) .
نتش الشعرَ : نتفه .
نُتفة من الشيء : قليل منه .
نده : صوّت .
كب الشيء : قلبه .
مغط الشيء : مده .
نتاف : قِطع الثلج الضئيلة .
ناقره : خاصمه :
نُقرة : تجوف في القفا .
اهبل : احمق .
ورش : نشيط ، خفيف .
وهره : اثار فيه الخوف .
ساعور : جدي الماعز .
صُدرة : ثوب للصدر (صدرية) .
صفّن : اطرق مفكرًا ، تأمل مليًا .
صقع الماء : صار باردًا .
سليخ : ارضٌ موات (صليخ) .
تصوينة : سور حول بيت او حديقة .
طحم : هجم .
مطرح : موضع يُطرح اليه .
عاطل من المال او الادب : خالٍ منه .
أنَّ : ناح (عن) .
زيح : خط مستطيل .

أقوال المتكلمين العامة ونقد القديس توما لها

بقلم ماجد فخري
استاذ في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن

من الصفحات الممتعة في تاريخ الفلسفة العامة صفحة الاتصال بين الفكر العربي الاسلامي والفكر اللاتيني المسيحي – في العصور الوسطى. ومن المعروف بين طلاب الفلسفة المتوسطة ان الفلسفة العربية قد لعبت دورًا هامًا في نقل التراث اليوناني الى الغرب : ابتداء من اواسط الجيل الثاني عشر حتى اكتشاف الآثار اليونانية في شكلها الصرف بعد ذلك بنحو قرن[1] . وتاريخ هذا الاتصال تاريخ واضح المعالم ، بفضل ما بذله زمرة من كبار المستشرقين من الجهد في تمحيصه في المائة سنة الاخيرة[2] . ولكن ثمّ صفحة لم تنل ما تستحقه من اهتمام العلماء ، وهي صفحة الاتصال بين «علم الكلام»

---

١) اوّل من اعتمد الترجمات اللاتينية لمؤلفات ارسطو عن الاصل اليوناني جملةً هو القديس توما الاكويني. وكانت هذه الترجمات من عمل « وليم مُربكا » الذي قام بها بايعاز من القديس توما . اما استاذه « البرت الكبير » فالظاهر انه اعتمد الترجمات اللاتينية عن الاصل العربي في الغالب – مضافة الى الترجمات الجديدة احيانًا او بالاستقلال عنها احيانًا اخرى ، كما في شرحه لكتاب « السماء والعالم » – راجع المؤلف الهام :

A. Jourdain — *Recherches critiques sur l'âge et l'origine des traductions latines d'Aristote (et sur les documents grecs ou arabes employés par les docteurs scolastiques)*, Paris. 1883 — الصفحات : ٦٦ الخ . و٣٠٩ الخ . و٣٩٠ الخ .

٢) تجب الاشارة هنا الى المؤلفات التالية لاهميتها في دراسة هذه الحقبة .

1. E. Renan. *Averroës et l'Averroïsme*, Paris 1852.
2. S. Munk, *Mélanges de Philosophie juive et arabe*. Paris 1895.
3. A. Jourdain, الكتاب المشار اليه اعلاه
4. P. Mandonnet, *Siger de Brabant et l'Averroïsme latin au XIII^e siècle*, Louvain 1908 et 1911.
5. E. Gilson, *La Philosophie au Moyen Age*, Paris 1944.
   — *Les Sources gréco-arabes de l'Augustinisme avicennisant* في : *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Age*, IV. 1929.

الى ما هنالك من المقالات المفردة في المنشورات الدورية الكثيرة .

الاسلامي و« الفلسفة المدرسية اللاتينية » التي تعرف باسم الفلسفة «السكولاستيكية» او « السكولاستيك » (La Scolastique) .

ولعلّ علة هذا الاهمال لسيرة التفاعل بين «الكلام» و«السكولاستيك» هي ضآلة المعطيات التاريخية للاتصال المباشر بينهما ، بينا تكاد المعطيات الخاصة بالفلسفة الارسطاطاليسية ، في طوريها العربي واللاتيني ، لا تُحصى . فلهذه الفلسفة بالفعل تاريخ غير منقطع يمتدّ من ارسطو نفسه ويمر بسلسلة هامة من الشرّاح اليونان لآثاره كثيوفراسطس ، والاسكندر الآفروديسي ، وثامسطيوس ، ويجوز منها بالوسط العربي في الجيلين التاسع والعاشر ، في الشرق ، ثم في الجيلين اللاحقين في الغرب (اي الاندلس) — ويحرز انتصاره الحاسم في الغرب اللاتيني على يد القديس توما الأكويني ، (١٢٢٥—١٢٧٤).

فليس اذن في استمرار تاريخ الفلسفة المتوسطة واستمرار اهتمام المؤرّخين بها ، حتى في يومنا هذا ، ما يثير الدهشة ، لانها تمثل أحد الادوار الكبرى في تاريخ التراث الفلسفي الواحد. أما تاريخ الكلام ، لا سيما في اتصاله المشار اليه بالسكولاستيك ، فلا يتّصف بصفة الشمول ذلك. فكان من الطبيعي أن لا يعتني مؤرّخو الفلسفة العامة بدراسته مثل عنايتهم بدراسة المدرسة الارسطوية العربية — في طوريها العربي واللاتيني — واثرها في تاريخ الفكر العام .

ومهما يكن من ضآلة المعطيات التاريخيّة للاتّصال بين « الكلام » و« السكولاستيك » فنحاول ان نبرزَ في هذه الدراسة بعض الوجوه الهامّة لهذا الاتّصال — في آثار اعظم ممثلي « السكولاستيك » اعني القديس « توما الاكويني » — ومنَ المعروف ان القديس توما كتب مؤلفاً هاماً في « الرد على الأمم » هو « الخلاصة الثانية » الموسومة بالـ «Summa contra Gentiles» حوالى سنة ١٢٦٠ ، ليكون بمثابة مختصر للتعاليم المسيحية يعتمده المبشرون في حجاجهم مع اليهود — اولاً — والمسلمين — ثانياً — استناداً على « العهد القديم » في الحال الاولى وعلى العقل الطبيعي في الحال الثانية . لأنه اذا امكن الزام اليهود بالنجوء الى سلطة « العهد القديم » والمراطقة بالنجوء الى سلطة « العهد الجديد » فما ذلك إلّا لأنهم يسلّمون هاتين السلطتين — اما المسلمون والوثنيّون « فهم لا يسلمون معنا بسلطة ايّ كتاب منزل يمكن انقاعهم بها » — كما يقول في

الفصل الثاني من الكتاب الاول[1] – « فاقتضى الرجوع الى العقل الطبيعي » – الذي يسلّم بسلطته كل عاقل . ومن الطبيعي ان نجد القديس توما يتعرّض لتعاليم المتكلّمين من المسلمين في هذا الكتاب ويعود اليها في مواضع اخرى من مؤلفاته ، كلّما طرق ما يتّصل بها من المسائل الفلسفية واللاهوتية – كما سنرى .

ولنبدأ بعرض بعض نقاط تمهيدية قبل ان نعالج نقد القديس توما لأقوال المتكلّمين . فماذا تراه يدعوهم اوّلاً ؟ – والجواب انه يدعوهم ، في جميع المواضع التي يشير فيها اليهم بالاسم – « المتكلّمين في شريعة المغربيين » او « المشرقيين » – (وفي اللاتينية : «Loquentes in Lege Maurorum» او in «Lege Saracenorum»)[2] .

وهذه اللفظة «Loquentes» ، هي الترجمة الحرفية للمتكلّمين ، التي ترد مرارًا في شروح ابن رشد في الترجمة اللاتينية في المواضع التي يشير فيها ابن رشد الى اقوال الأشعرية او « المتكلّمين من اهل ملتنا » «Loquentes in lege nostra»[3] والتي ترجمت بـ« مدبريم » في الترجمة العبرية لكتاب « موسى بن ميمون » (١١٣٥ – ١٢٠٤) : « دلالة الحائرين » او « موري نبوخيم » – وهو المصدر الاول الذي استقى منه القديس توما معرفته باقوال المتكلمين، في ترجمته اللاتينية الموسومة بـ (Doctor Perplexorum) .

وقبل ان نشرع بدراسة النقد التوماني « للكلام » يقتضي تقرير احالة

١) Cont. Gent. I, c.2, Romae 1894. — « *Quia quidam eorum, ut Machomestitae et Pagani, non conveniunt nobiscum in auctoritate alicujus scripturae, per quem possint convinci ... Unde necesse est ad naturalem rationem recurrere, cui omnes assentire coguntur.* »

٢) انظر مثلاً : Cont. Gent. III – فصل ٦٥ و ٦٦ و ٩٧ و De Potentia – السؤال ٣ الفصل ٧ – الجواب (Resp. - a 7 q. 3) الخ. يضاف الى ذلك مواضع عدّة ينقد القديس توما فيها المتكلّمين دون تخصيصهم بالاسم ، كما سنرى .

٣) راجع مثلاً : *De caelo I* ، طبعة Venise ١٥٥٠ ص ١د و VIII *In Phys.* Venise, ١٥٥٢ ص ١٠٥ⁿ و ١٥٩ⁿ و ١٦١ᵇ و XII *In Met.* Venise ١٥٥٢ – ص ١٤٣ᵇ و IX ص ١٠٩ᵃ الخ. (ᵃ تمثل الوجه و ᵇ الظهر) . راجع في العربية « تفسير ما بعد الطبيعة » – B. S. A. بيروت ١٩٣٨–٤٢ ص ٨٨٦ و ١١٢٦ .

المصدر الذي اعتمده القديس توما وامانة صاحبه في رواية اقوال المتكلمين . ولتحقيق هذا الفرض يتحتم علينا مقارنة تلخيص ابن ميمون «لمقدمات المتكلمين العامة» في القسم الاول من «دلالة الحائرين»[1] باقوال كبار علماء الكلام كما نجدها في أقدم كتب «الملل والنحل» وسواها من «كتب الاصول». وأهم كتب الملل واقدمها «مقالات الاسلاميين» للأشعري (المتوفى سنة ٩٣٥) ثم «الفرق بين الفرق» للبغدادي (المتوفى سنة ١٠٣٧)، ثم «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (المتوفى سنة ١٠٦٣) ثم «كتاب الملل والنحل» للشهرستاني (المتوفى سنة ١١٥٣) وكتاب «محصل افكار المتقدمين والمتأخرين» لفخر الدين الرازي، المعاصر لابن ميمون و(المتوفى سنة ١٢٠٩). واهم «كتب الأصول» التي سنرجع اليها تكرارًا هي «التمهيد» للباقلاني (المتوفى سنة ١٠١٣) و«اصول الدين» للبغدادي الذي ورد ذكره آنفاً، و«الارشاد» جويني إمام الحرمين (المتوفى سنة ١٠٨٥) و«الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي (المتوفى سنة ١١١١) و«نهاية الاقدام» للشهرستاني الآنف الذكر. يضاف الى هاتين الحلقتين مؤلفات أخرى «كتهافت الفلاسفة» للغزالي و«كتاب الاربعين» للرازي الخ. والتي نجد فيها بعض المعلومات التي تمتّ الى تلخيص «الكلام» كما يورده ابن ميمون . وهذه المقارنة لم يقم بها أحد من العلماء — على ما نعلم — في دراسة خاصة، بل تكاد تقتصر اقوالهم على اشارات عابرة الى النظام الكلامي القائم على فرضية «الجواز» (Occasionalisme) الذرية والدواعي التي دفعت المتكلمين — لاسيّما الأشاعرة منهم — الى اطّراح النظام الارسطوي واقتباس هذا النظام الفلسفي الغريب[2].

١) نشر س. مونك (Munk)، باريس ١٨٥٦ و٦١ و٦٦ – وهذه الطبعة تتضمن الأصل العربي مكتوبًا بأحرف عبرية وترجمة فرنسية كاملة . راجع ايضاً الترجمة الانكليزية من عمل M. Friedländer — لندن ١٩٣٦ . وترقى ترجمة الدلالة الى اللاتينية الى اوائل القرن الثالث عشر (١٢٢٠) . ومترجمها المجهول الهوية لم يعتمد الاصل العربي بل ترجمة «يهودا الحريزي» العبرية — راجع L.I. Newman, *Cahiers Juifs* — سنة ١٩٣٥ ص ١١٧

٢) راجع ما يقوله مونك في *Dict. des Sciences Philsophiques*، المجلد ١ ص١٧٥، وفي *Mélanges* ص٣٢١ الخ. وما يقوله رينان في *Averroēs et l'Averroïsme*، ص١٠٦–١٠٧. وجيلسون في المقال المذكور آنفاً ص ١٠ ودي فينانس (J. de Finance) في *Etre et Agir*

٢ ــ ابن ميمون والمتكلمون

سوف نقتصر في عرضنا لتلخيص ابن ميمون لمقدمات الكلام العامة على ما يمتّ منها بصلة الى النقد التوماني . لان همّنا في هذا البحث هو دراسة الصلة بين الكلام والسكولاستيك والدور الذي لعبه ابن ميمون في الاتصال التاريخي بينهما. لذلك فسنتجاوز عددًا من القضايا التي يعرض لها ابن ميمون والتي تستحق العناية بحد ذاتها إلا انها لا تتصل بغرضنا اتصالًا مباشرًا – كالنقد اللاذع الذي يوجّهه ابن ميمون نحو المتكلمين «من اليونانيين المتنصرين ومن الاسلام»[1] في تدليلهم المزعوم على وجود «الصانع» بناء على مقدّمة «حَدَث العالم» . فهم يزعمون انهم اقاموا الدليل على حدث العالم فصحّ لهم اذن القول بضرورة الصانع اذ لو «ثبت ان العالم مُحدَث ثبت بلا شك ان له صانع (Sic) احدثه» . ولكن خفيَ عليهم ان مسألة قدم العالم هذه «لا يوصل اليها ببرهان قطعيّ . . . وان الفلاسفة مختلفون فيها منذ ثلاثة آلاف سنة»[2] . وما دام دليلهم على وجود

dans la Philosophie de St. Thomas ، باريس ١٩٦٣ ص ١٥٤ – الخ .

والمؤلف الكلاسيكي حول «الذرية» في الاسلام هو كتاب *Beiträge zur Islamischen Atomenlehre* – من تأليف S. Pines – وطبع برلين ١٩٣٦ . وهو كتاب يراجع فيه المؤلف تطوّر الذرية في الاسلام ومدى تأثرها بالذرية الاغريقية والهندية – بكثير من التعمّق والحذق .

١) راجع الدلالة – فصل ١ (٧١) – حيث يردّ ابن ميمون اقوال المتكلمين المسلمين من اشعرية ومعتزلة الى اقوال النصارى اليونانيين والسريانيين ، في تفنيدهم لاقوال الفلاسفة وهو يخصّ منهم بالاسم ابن عدي (توفي ٩٧٤) ويحيى النحوي (توفي ٥٦٨) (J. Philoponus) مؤلف كتاب (*De aeternitate mundi*) في تفنيد اقوال بركلس « Proclus » حول قدم العالم – راجع ما يقوله ابن النديم ، الفهرست ، طبع ليبزغ ١٨٧١ ، المجلد ١ ص ٢٥٤ – ودي بور (De Boer) – تاريخ الفلسفة في الاسلام . لندن ١٩٠٣ ص ١٥٩ –

٢) الدلالة – صفحة « صو » الوجه . يجب ان نلاحظ هنا ان القديس توما يتفق مع ابن ميمون في القول باستحالة البرهنة على حدث العالم ، وكلاهما يدفعان عن ارسطو تهمة القول بأزلية العالم – راجع خاصة « الخلاصة اللاهوتية » – القسم الاول ، المسألة ٤٦ . و« قدرة الله » – المسألة ٣ فصل ١٤ و١٧ و« الخلاصة ضد الامم » – الكتاب ٢ فصل ٣١ وما يلي . وينسب الغزالي التوقف في هذه المسألة الى « جالينوس » ، التهافت ، بيروت ١٩٢٧ – ص ٢٢ ، ومثله فخر الدين الرازي ، كتاب الاربعين ، حيدر أباد ١٣٥٣ هـ . ص ١٣ . ويلخص ابن ميمون ادلّة المتكلمين « الجدلية » على حدث العالم في الفصل ٧٤ من الدلالة .

الصانع يبني على مقدمة «جدلية» هي حدث العالم فان وجود الصانع نفسه يبقى امراً مشكوكاً فيه، حتى كأنهم اثبتوا بالقياس الفرضي امكانية وجود الله وعدمها على السواء. او كما يكتب ابن ميمون، انهم قالوا: «إن كان العالم محدثاً فثمّ إلاه وإن كان قديماً فلا إلاه»[1] — وهكذا يبقى وجود الصانع قضية فرضية — بحسب اقوالهم — لا يمكن التحقق من صحتها.

ويلخّص ابن ميمون اقوال المتكلّمين في الفصل الثالث والسبعين من «دلالة الحائرين» في اثنتي عشرة «مقدمة عامة» هي بمثابة الاسس التي يبني عليها هؤلاء ادلتهم على وجود الله ووحدانيته وعلى حدث العالم وفعل الانسان وسواها من القضايا الفلسفية واللاهوتية الكبرى. وتدور المقدّمات الثلاث الاولى على القول بالجزء الذي لا يتجزأ وبوجود الخلاء وانقسام الزمان الى آنات غير متجزئة ايضاً. وهي تشترك جميعها في انها تقوم على مفهوم الوجود غير المتصل الذي هو محور النظام الكلامي الذرّي كله. فالمتكلمون يضعون أن العالم بجملته انما هو مؤلف من اجزاء فردة لا تقبل التجزئة لدقتها[2]. وهذه الاجزاء بمفردها ليست بذات كمّ فاذا اجتمعت كان المجتمع منها ذا «كمّ» وذلك هو الجسم[3].

---

١) الدلالة «صر» الظاهر. يدلّل الباقلاني في «التمهيد» على ضرورة الصانع كما يلي: ١: الموجودات كلها على ضربين: قديم لم يزل ومحدث لوجوده أول (ص ٤١)؛ ٢: العالم بأسره محدث لانه مؤلف من الجواهر والأعراض وكلاهما محدثان (ص ٤٤)؛ فاذن: ٣: لا بدّ لهذا العالم المحدَث المصوَّر من محدث ومصوِّره كما انه «لا بد للكتابة من كاتب وللصورة من مصوِّر» (ص ٤٥) راجع التمهيد ط. القاهرة ١٩٤٧. قارن بذلك نقد ابن رشد لهذه «الطريقة الأشعرية» في التدليل على الصانع في الكشف عن مناهج الأدلة، القاهرة ١٩٣٥ ص٣٦. وهذا الدليل يقابل «الدليل الرابع» الذي يورده ابن ميمون في الفصل ٧٤ من الدلالة.

٢) يروي البغدادي أن «جمهور المسلمين» مجمعون على اثبات الجزء الذي لا يتجزأ إلا النظّام (المتوفى ٨٤٥؟) — راجع اصول الدين، استنبول ١٩٢٨ ص ٣٦؛ ومثله الشهرستاني، الملل والنحل، لندن ١٨٤٦ ص ٣٨ وابن حزم، الفِصَل، مصر ١٣٢١ هـ. الجزء ٥ ص ٩٢

٣) هذا قول المعتزلي ابي الهذيل العلّاف (المتوفى ٨٤٩؟) — كما يروي الاشعري — مقالات الاسلاميين، استنبول ١٩٣٠ ص ٣١٤ — وخالفه فيه ابو هاشم ابن الجبائي (المتوفى ٩٣٣) — راجع «كتاب المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين (من المعتزلة) لابي رشيد سعيد النيسابوري، ليدن ١٩٠٢ ص ٣٨

وهذه الاجزاء كلها متشابهة متماثلة لا اختلاف فيها[1] وباجتماعها يكون «الكون» وبافتراقها يكون «الفساد». إلا ان المتكلمين - كما يقول ابن ميمون هنا - لا يسمون ذلك فساداً وهم يثبتون اكواناً اربعة: الاجتماع والافتراق والحركة والسكون[2].

ويختلف قول المتكلمين بالجزء الذي لا يتجزأ - كما يشير ابن ميمون - عن قول «ابيقورس» - تلميذ ديمقريطس ابي المذهب الذري الكلاسيكي - في اعتبار هام: وهو قولهم ان الاجزاء ليست محصورة في الوجود بل يخلقها الله دائماً متى شاء ويعدمها متى شاء[3]. اما نمط اعدام الله لهذه الجواهر ففيه - كما يروي ابن ميمون - خلاف بين علماء الكلام. فاكثرهم يرون ان الجوهر لا يمكن ان يبقى زمانين - كما تقدم - كالعرض الذي يكون به بقاؤه. لان هؤلاء يرون ان بقاء الجوهر إنما يكون بخلق عرض البقاء فيه. والاعراض جميعها عندهم لا تبقى زمانين (كما سنرى في المقدمة السادسة). فاذا خلق الله الجوهر خلق فيه عرضاً ما، إلا ان هذا العرض ينعدم لحينه فيخلق الله في ذلك الجوهر عرضاً آخر من نوعه فينعدم ذلك العرض ايضاً وهكذا دواليك. وبانعدام عرض البقاء يكون انعدام الجوهر الذي قام فيه ذلك العرض، لذلك لم يحتج اعدام العالم - عند هذا الفريق - الى فعل الحي خاص اذ يكفي عندهم ان يكف الله عن خلق الاعراض التي تحل في الجوهر حتى ينعدم ذلك الجوهر[4]. اما الذين

١) قابل أصول الدين ص٣٥ ومقالات ٣٠٨ وكتاب المسائل ص ٣

٢) راجع اصول الدين ص ٤٠، حيث ينسب البغدادي هذا القول للأشعري.

٣) تلزم هذه النتيجة: اي استحالة بقاء الجواهر وضرورة خلق الله استمراراً عن قول الأشعرية عامة ان بقاء الجواهر يكون بحدوث عرض البقاء فيها - اصول الدين ٤٢ و٥٦ - وكون الاعراض بدورها يستحيل بقاؤها (ص ٥١ و ٨٧): «ذهب شيخنا ابو الحسن الأشعري الى استحالة تعري الاجسام من الألوان والأكوان والطعوم والروائح. وقال لا بدّ ان يكون في كل جوهر لون وكون وطعم الخ... او ضدها. واذا وجد في حالتين فلا بدّ من وجود بقاء فيه في كل حال بعد حال حدوثه» - ص ٥٦

قابل الغزالي: التهافت ص ٨٨ «الفرقة الثالثة الأشعرية: اذ قالوا... اما الجواهر فليست باقية بانفسها ولكنها باقية ببقاء زائد على وجودها فاذا لم يخلق الله البقاء انعدمت الجواهر بعدم المبقي».

٤) حول استحالة بقاء الاعراض وهو قول جمهور الأشعرية، راجع التمهيد ٤٣ واصول الدين ٥٠-٥١ والمقالات ٣٥٨ - وسنعود الى هذه القضية بعدُ.

قالوا ببقاء بعض الأعراض واستحالة بقاء بعضها الآخر فانهم زعموا ان الله اذا أراد افساد العالم خلق عرض الفناء لا في محل فانعدم العالم كله[1].

ولا يختلف مفهوم الزمان عند المتكلمين عن مفهوم الجزء الذي لا يتجزأ فكلاهما يتصفان بصفة «الذرية» العامة. فان المتكلمين – كما يروي ابن ميمون – إنما نظروا الى قول ارسطو في «السماع»[2] ان الزمان والمسافة والحركة «متكافية في الوجود»: اي ان نسبة بعضها الى بعض نسبة واحدة – علموا أن القول بالجزء الذي لا يتجزأ يقتضي القول بانقسام الزمان ايضاً الى آنات لا تقبل القسمة هي بمثابة اجزاء الزمان التي لا تتجزأ[3]. ولذلك كانت الحركة عندهم عبارة عن انتقال جوهر فرد من موضع ما الى موضع آخر يليه، ولما كان المكان غير متصل شأن الزمان فانهم قالوا انه ليس ثمت حركة اسرع من حركة اخرى. فاذا قطع متحركان مسافتين مختلفتين في زمان واحد فليست علة ذلك ان حركة احدهما أسرع من حركة الآخر بل ان الحركة البطيئة قد تخللتها سكنات اقل من الحركة السريعة، في زعمهم. فاذا عورضوا بالسهم المنطلق من القوس وبالرحى التي تدور دورة كاملة، فيكون الجزء الذي في محيطها

---

١) الدلالة – المقدمة السادسة (ص قط الظهر). قابل اصول الدين ص ٦٧، حيث ينسب البغدادي هذا القول الى الجبائي وابنه ابي هاشم. اما قول الأشعري واصحابه كالباقلاني، فيتفق مع ما يرويه ابن ميمون عن الفريق الاول، لانهم قالوا: «أن الله اذا اراد فناء جسم لم يخلق البقاء فيه» . . «أو قطع عنه الاكوان والألوان (وهي الاعراض التي لا ينفك عنها الجسم) فانعدم الجسم ذلك». وينتقد البغدادي في الموضع نفسه قول القلانسي من الأشاعرة بأن الله يفني الجسم بأن يخلق فيه عرض الفناء. راجع ايضاً – مقالات ٢:٣٦٦

٢) اي «السماع الطبيعي» – راجع «الطبيعة : *Physique*» – الكتاب ٦، ٢١٩، سطر ١ الخ و ٢١١، سطر ١٣ و ١٦ . والكتاب ٦، ٢٣٣، سطر ١٢ الخ.

٣) قابل كتاب الاربعين لفخر الدين الرازي ص ٢٥٥ حيث يثبت «أن الزمان مركب من آنات متتالية». وهو يبني حججه على كون الجسم مركباً من اجزاء لا تقبل القسمة على التكافؤ بين الحركة والمسافة والزمان – كما يقول ابن ميمون. فالحجة الأولى تقوم على كون الحركة مركبة من امور متتالية لا تقبل القسمة. «والحجة الثانية على أن الزمان مركب من آنات متتالية» (ص ٢٥٤–٢٥٥) وعلى امتناع «كون المسافة مركبة من اجزاء غير متناهية» – ص ٢٥٩. قابل ايضاً : المباحث المشرقية، حيدر اباد، ١٣٤٣هـ. ج ٢ ص ٢٧–٢٨

قد تطع مسافة الدائرة الكبيرة في الزمان عينه الذي قطع فيه الجزء القريب من مركز الدائرة ، والبديهة تثبت ان حركة الجزء الاول اسرع من حركة الجزء الثاني ، فكيف يقال ان ذلك الجزء تخلّلت حركته سكنات اكثر من هذا ، وجسم الرحى واحد متّصل ؟ — كان جوابهم : بل الرحى تتفكّك اجزاؤها عند الدوران فتكون السكنات التي تخلّلت الجزء الأول اقلّ من السكنات التي تخلّلت الجزء الثاني[1] ولا اعتبار بشهادة الحسّ لأن الحواسّ يفوتها ادراك الكثير من دقائق المحسوسات .

ولاجل تأويل ظاهرة الحركة هذه عمد المتكلّمون الى مفهوم الخلاء . فانهم وضعوا انه من خواصّ الأجسام انّها لا تتداخل[2] وان الحركة شرط في اجتماع

١) حول قول المتكلّمين أن حركة البطيء تتخلّلها سكنات اكثر من حركة السريع – راجع ابن حزم ، الفصل ٥ ص ١٠٧ والمقامات ٢٣١ : «وقال اكثر اهل الكلام ان الجسم قد يسكن بعضه واكثر متحرّك وان للفرس في حال سيره وقفات خفيّة وفي شدة عدوه مع وضع رجله ورفعها ولهذا كان أحد الفرسين ابطأ من صاحبه » .

حول تفكك الرحى قابل كتاب الاربعين ص ٢٦٣ = الحجة السابعة (للفلاسفة على المتكلّمين) :

« اذا تحرّكت المنطقة (عند استدارة الفلك استدارة منطقيّة) جزءًا فالدائرة الصغيرة القريبة من القطب الموازية للمنطقة ان تحرّكت ايضاً جزءًا لزم ان يكون مدار تلك الدائرة الصغيرة مساوياً لمقدار (لعلّه مدار) المنطقة . هذا خلف . وإن لم تتحرّك البتّة فحينئذ يلزم وقوع التفكّك في اجزاء الفلك وذلك باطل . . . فلم يبقَ إلا ان يقال : مهما تحرّكت المنطقة جزءًا تحرّكت تلك الدائرة الصغيرة اقلّ من جزء وهو المطلوب (عند الفلاسفة) وهذا الكلام قد يفرضونه في حركة الرحى ويُلزمون عليه تفكّك اجزاء الرحى والمتكلّمون يلتزمون ويقولون انه سبحانه وتعالى فاعل مختار . فهو يفكّك اجزاء الرحى حال استدارتها ثم يعيد التأليف والتركيب اليها حال وقوفها» . وايضاً كتاب المسائل ص ٤٥ « لأنا لا نقول في اجزاء القطب (قطب الرحى) كما هي انها بمجموعها تسكن حال حركة القطب بل نقول في هذه الاجزاء ما يتحرك وفيها ما يسكن ، وكذلك حال اجزاء القطب » .

٢) يروي الأشعري ان « أهل الصلاة وأهل النظر » جميعاً يقولون باستحالة المداخلة ومنهم المعتزليّان أبو الهذيل ، وضرار بن عمرو ، فقد اجاز الأوّل مداخلة الاعراض دون الاجسام بعضها بعضاً واحال الثاني المداخلة في الاعراض وفي الاجسام – خالفهم في ذلك النظّام – مقالات ص ٣٢٧ – ٣٢٨ – واصحاب هشام ابن الحكم من « الروافض » – ص ٦٠ . قابل ايضاً الفصل جزء ٥ ص ٦٠–٦١

« الافراد » وافتراقها ، أي في كونها وفسادها . لذلك استحالت الحركة إلا بوضع الخلاء وهو من اركان النظام الكلامي التي انشقوا فيها على ارسطو واصحابه[1] .

ولعلّ اغرب مظاهر هذا النظام — لاسيّما من جهة النقد التوماني الذي سنعرض له — قولهم بالاعراض وخواصها . ويدور على هذه القضية قسم كبير من تلخيص ابن ميمون « للكلام »، فالمقدّمات الرابعة حتى التاسعة تتصل بها . فاذا كانت الجواهر (او الاجزاء التي لا تتجزأ) الركن الأوّل لنظام المتكلمين فالاعراض هي الركن الثاني ، وهم يعرّفونها — كما يروي ابن ميمون — بقولهم انها : « معاني زائدة على معنى الجوهر »[2] لا ينفك الجسم من احدها أو من ضدّها[3] . فان كلّ جوهرٍ إن لم يكن فيه عرض الحياة فلا بدّ ان يكون فيه

١) راجع النيسابوري ، كتاب المسائل ص ٢٤ الخ . وحججه في اثبات الخلاء ، وتلخيص حجج الاسلاميين في اثبات الخلاء وردّ الفلاسفة عليها في كتاب الاربعين ص ٢٧٠–٢٧٥ . كذلك حول ابطال الخلاء راجع ابن حزم في الردّ على اقوال محمد بن زكريا الرازي الطبيب (توفّي ٩٣٠ تقريباً) في الخلاء — الفصل ج ١ ص ٢٥ وما يلي .

٢) ان الاجسام مؤلّفة من الجواهر والاعراض — حسب قول عامة المتكلمين لاسيّما الأشاعرة — راجع اصول الدين ص ٣٢ والتمهيد ٤٤ والارشاد ١٠ . ويعرّف البغدادي الاعراض بقوله : « هي الصفات القائمة في الجوهر » والجويني بقوله : « العرض هو المعنى القائم بالجوهر » — ارشاد ، باريس ١٩٣٨ — الصفحة المذكورة . حول استحالة تعري الاجسام من الاعراض على مذهب الأشعري — راجع ص ٥٦ من اصول الدين . ويشير البغدادي هنا إلى قول الكعبي (واتباعه من القدريّة) — اي المعتزلة — ان الجوهر يجوز تعريه من الاعراض إلا اللون ، وقول ابي هاشم ان الجوهر يتعرى من جميع الاعراض في حال حدوثه إلا الكون . اما القائلون بإمكان تعرّي الجوهر من الاعراض جملة فهو يذكر منهم الصالحي واتباعه من المعتزلة (ص ٥٦–٧) — ايضاً مقالات ص ٣١٠–٣١٣ ، ويعد الأشعري ابا الهذيل والجبائي وعبّادًا بين القائلين بالاستحالة وصالح قبة والصالحي بين القائلين بالامكان — وايضاً ص ٣٠٧ و ٥٧٠ ، والارشاد ص ١٤ . ومن الذين نفوا الجواهر والاعراض معاً هشام بن الحكم والاصمّ ، (مقالات ص ٣٤٣–٣٤٤) ، والجواهر والاعراض جميعاً سوى الحركة النظّام — الملل والنحل ص ٣٨ واصول الدين ٤٦ والفصل ٥ ص ٦٦ . ومن الذين نفوا القول بالجواهر وزعموا « أن الجسم اعراض وحسب الفت وجمعت فصارت جسماً يحتمل الاعراض الأخرى » — ضرار بن عمرو ، — المقالات ٣٠٥ .

٣) راجع خاصة الارشاد ص١٣ : الاصل الثالث الذي يدور على تبيين « . . . استحالة تعرّي الجواهر عن الأعراض وعن جميع اضداده إن كانت له اضداد وإن كان له ضدّ واحد لم يخل الجوهر عن احد الضدّين » — واختلاف الاقوال في ذلك . وكذلك المراجع السابقة .

عرض الموت ، واذا كان فيه عرض الحياة فلا بدّ فيه من اجناس أخرى من الاعراض لاحقة بها : كالعلم او الجهل والارادة او ضدّها وهكذا. ويلخص ابن ميمون هذه القضية الاخيرة بقوله : « وبالجملة كل ما يوجد للحي فلا بدّ منه » (المقدمة الرابعة). وهو يُشير في هذه العبارة المقتضبة ، ولا ريب ، الى بند هامّ من بنود نظرية الاعراض عند المتكلمين ثارت حولها مناقشات طويلة بين المدارس الكلاميّة المختلفة ، كما يروي صاحب « مقالات الاسلاميين »[1]. ويدعو الغزالي هذه العلاقة الضرورية بين الاعراض التي يستلزم وجود احدها وجود سلسلة من الاعراض الأخرى « تقدم الشروط على المشروط » . فهو يميّز بين انواع ثلاثة من « التقارن » بين حدّين بينهما ارتباط ما .

الأوّل : ما يدعوه « بالعلاقة المتكافئة » — كالعلاقة بين اليمين والشمال والفوق والتحت — وهذه العلاقة تستوجب الضرورة .

الثاني : وهو ما يعنينا في هذا البحث — العلاقة بين شيئين ليس ارتباطهما على وجه التكافي: « ... لكن لاحدهما رتبة التقدّم كالشرط مع المشروط. ومعلوم انه يلزم عدم الشرط[2]... فاذا رأينا علم الشخص مع حياته وارادته — كما يكتب الغزالي — مع علمه فيلزم لا محالة من تقدير انتفاء الحياة انتفاء العلم ومن تقدير انتفاء العلم انتفاء الارادة . ويُعبّر عن هذا بالشرط » — إلّا أن العلاقة بينهما ليست علاقة سببيّة — رغم كونها علاقة ضرورية .. لانه « ليس وجود الشيء به (اي بالشرط) بل عنه ومعه ».

١) صفحة ٢٠٩ الخ و ٥٦٨ الخ .

٢) هكذا في الاصل — طبعة مصر (لا تاريخ) ص ١٠٠ ولعلّه سقط منه ... « عدم المشروط » راجع ايضاً — ص ٤٦ من المرجع المذكور الاقتصاد في الاعتقاد — والاحياء جزء ٤ ص ٢٢٠ . ويقرّ ذلك البغدادي في اصول الدين ١٠٥ ، وهو يشير الى انكار الصالحي من المعتزلة لهذه العلاقة الضرورية «بين الحياة والعلم والقدرة» بشيء من الاستهجان لأن قول ذلك يؤدي الى استحالة التدليل على «ان الصانع حي » لانّه « ... اذا صح لنا ان الصانع عالم قادر مريد والحياة شرط في هذه الصفات عندنا صحّ لنا الاستدلال بذلك على كونه حيّاً ... » — راجع ايضاً ص ٧٨—٧٩ وينسب ابن رشد مثل هذا الغلوّ في الرأي الى ابي المعالي (الجويني) في التهافت طبعة بيروت ١٩٣٠ ، ص ٥٤٣ ، ولعلّه يشير الى قول الجويني في امكان تكليف «الجمع بين الضدين» — كما في الارشاد ص ١٣٦ .

الثالث : العلاقة بين العلة والمعلول وهي لا تستوجب الضرورة ما لم ترتفع جميع العلل المؤدية لوقوع المعلول . وليست تلك حالُ عامّةِ ما يدخل في باب المعلولات المشاهدة — كالعلاقة بين حز الرقبة والموت مثلاً « . . . لان للموت عللاً من امراض واسباب باطنة سوى الحزّ عند القائلين بالعلل »[1] وهكذا .

ولا يتطرّق ابن ميمون الى ذكر الخلاف الذي ثار حول هذه القضية بين المتكلّمين ، بل يكتفي بتلك الاشارة العابرة اليها . إلّا انّه من الممتع ان نلاحظ ان موقف الغزالي الذي ألمعنا اليه يمثّل الحلّ الوسط بين عدد من الاقوال المتطرفة المنسوبة الى المتكلّمين . فان « ابا الحسين الصالحي » الذي مرّ ذكره بلغ من الغلوّ في هذا الميدان شوطاً بعيداً . ويروي الاشعري في المقالات ان اصحاب « ابي الحسين الصالحي » قالوا بجواز حلول ايّ كان من الاعراض في الجوهر الواحد دون هذا التسلسل الشرطي الذي افترضه عامّة المتكلّمين . فأجازوا — مثلاً — حلول القدرة والعلم والسمع والبصر في الجسم مع الموت ، ومنعوا حلول الحياة والموت بالجوهر معاً لأنّهم قالوا إن الحياة تضادّ الموت ولا تضادّ القدرةُ او العلم الموتَ . وكذلك زعموا ان الادراك جائز مع العمى ومنعوا قيام البصر والعمى معاً ، لأنّ العمى يضادّ البصر عندهم ولا يضادّ الادراك[2] . ومعنى ذلك انّهم نفوا جميع ضروب الارتباط الضروري بين الاشياء في عالم الوجود واقرّوها في عالم النظر وحسب — اي في عالم التلازم الضروري بين الحدود المنطقية (les termes) فقط — كلّ ذلك حرصاً على اقرار قدرة الله على كل شيء لا يستلزم الخرق « لمبدأ عدم التناقض »[3] .

ولم يسبق الصالحي في هذا الميدان إلا متكلّم آخر هو « صالح قُبّة » — وكلا هذين المتكلّمين الغريبين يكادان يكونان اسمين وحسب ، لقلّة ما

---

١) الاقتصاد ص ١٠٠

٢) مقالات ص ٣١٠ . واضح من قولهم هذا انهم لم يعنوا بالادراك — الادراك الحسّي بل نوعاً من الادراك المعنوي .

٣) راجع مقالات ص ٣١٠ حيث يكتب الأشعري في معرض رواية اقوال الصالحي واصحابه : « وأحالوا ان يجمع الله بين المتضادّات » .

وصلنا من اقوالها . إلّا انّه واضح من رواية الاشعري ان صالحاً هذا يكاد لا يقيم لمبدأ عدم التناقض نفسه ادنى وزن. فهو يمثل بحق الطور المنطقي الاخير في النظام الكلامي . ولما كان ينطلق من مفهوم قدرة الله المطلقة — شيمة عامة المتكلمين حتى المعتزلة منهم — فلم يرَ في القول بقدرة الله على خلق العلم مع الموت والادراك مع العمى غضاضة قط ، شأن الصالحي . بل انّه ذهب الى ابعد من ذلك فجوّز ان « يجامع الحجر الثقيل الجوّ الرقيق الف عام » فلا يخلق الله فيه هبوطاً وان تجتمع النار والحطب فلا يخلق الله احتراقاً فيه، وجوّز ان يُحرق الله الانسان بالنار فلا يشعر بـألم الاحتراق بل يخلق الله فيه اللذة وكذلك جوّز ان يرفع الله ثقل السموات والارض حتى تصبح اخفّ من ريشة — كما يروي الاشعري[1]. وهو يختم حديث هذا المفكّر الغريب بذكر حادثة طريفة جرت له ادّت الى تلقيبه « بصالح قُبّة » . فانه سئل مرّة ، بناء على اقواله السابقة: « فما تنكر ان تكون في هذا الوقت بمكّة جالساً في قبّة قد ضُربت عليك وانت لا تعلم ذلك لأنّ الله سبحانه لم يخلق فيك العلم به — وانت صحيح غير مأوف ؟ قال : لا أنكر . فلُقّب بقبّة » . وقيل له مرّة في امر الرؤيا : اذا كنت بالبصرة فرأيت كأنك بالصين ، فأين تكون ، فأجاب : « . . . أكون في الصين اذا رأيتُ اني في الصين ، فقيل له : فلو ربطت رجلك برجل انسان بالعراق فرأيتَ كأنك في الصين ؟ فقال : اكون في الصين وان كانت رجلي مربوطة برجل الانسان الذي في العراق »[2].

ولا شكّ أنّ موقف « صالح قبّة » هذا موقف متطرّف لا يصحّ ان يعتبر نموذجاً لموقف المتكلّمين العامّ من هذه القضيّة. فابن ميمون يُشير في « المقدّمة العاشرة »[3] الى ان المتكلّمين مجمعون ان اجتماع الضدّين في محلّ واحد في آن واحد محال وأن كون الجوهر لا عرض فيه اصلًا والعرض لا في محلّ (في قول

١) مقالات ص ٤٠٦ — وقد جوّز الصالحي واصحابه مثل ذلك — راجع ص ٢١٠-٢١١

٢) المقالات ص ٤٠٧ — راجع ص ٤٣٣ حول قوله في الرؤيا — حيث يروي الاشعري انّه قال: « الرؤيا حقّ وما يراه النائم في نومه صحيح . . . فاذا رأى الانسان في المنام كأنّه بافريقية وهو ببغداد فقد اخترعه الله سبحانه بافريقية في ذلك الوقت » .

٣) الدلالة صفحة قج

بعضهم) محال ايضاً . وكذلك انقلاب الجوهر عرضاً والعرض جوهراً ودخول جسم في جسم آخر ممتنع عقلاً – عندهم . والأشعري تقتضــا الأولى في رواية آراء أوائل المتكلّمين يؤيد هذا القول جملةً وتفصيلاً[1].

ومن خواصّ الاعراض – بحسب قول المتكلّمين – انّهــا اذا حلّت في الاجسام فهي لا تقوم في جملة الجواهر التي يتألف منها الجسم ، بل هي تقوم في كل جوهر فرد من تلك الجواهر . وبحسب هذا الوضع – كما يقول ابن ميمون في « المقدمة الخامسة »– لا يكون بياض الثلج مثلاً صفة خاصّة بقطعة من الثلج يُسنَد اليها البياض ، بل انّ عرض البياض يحــلّ في كل جوهر من جواهر الثلج . وكذلك عرض الحياة لا يقوم في الكائن الحيّ بل هو يقوم في كل جزء من اجزاء الكائن الحي[2] وهكذا. وهذه الاعراض بجملتها لا تبقى

١) حول انكار « قلب الاعراض اجساماً والاجسام اعراضاً » – راجع المقالات ٢٧٠ و٥٦٧،حيث يستثني الأشعري قول«حفص الفرد وغيره . . » من الذين شذوا عن عامّة المتكلّمين في قولهم بامكان القلب . حول انكار وجود جوهر لا عرض منه باستثناء الصالحي ص ٣٠٧ و ٣١٠ . وصالح قبّة ص ٥٧٠ . حول انكار الصالحيّ نفسه خلق « اعراض لا في مكان » – ص ٣١١ . وجوّز الجبائي وابنه (ابو هاشم) – كما رأينا – خلق عرض الفناء لا في محلّ ، اصول الدين ٧٧ . كما جوّز ابو الهذيل أن من كلام الله (اي قوله كنْ) ما لا يحتاج الى محل – وهو عرض عنده ، الفرق ١٠٨ .

حول انكار « عامة اهل الصلاة » للمداخلة : « اي ان يكون حيّز احد الجسمين حيّز الآخر وأن يكون احد الشيئين في الآخر » – باستثناء النظام – راجع المقالات ٣٢٧ . راجع ايضاً حول استحالة قلب الجواهر اعراضاً والعكس ، التهافت ص ٢٤٤–٥

٢) دلالة ص قح" – قال فيها البغدادي في ذكر فضائح ابي الهذيل – من فضائحه « انه اجاز حركة الجسم الكثير الاجزاء بحركة تحلّ في بعض اجزائه . . . وقال سائر المتكلمين ان الجزء الذي قامت بــه الحركة هو المتحرّك دون غيره . . وان تحرّكت الجملة كان في كل جزء منها حركة ، كما لو اسودّت الجملة كان في كل جزء منها سواد » – الفرق ص ١١٣ ، والمقالات ص ٣١١ . راجع ايضاً كتاب المسائل ٦ و ٧ . « لانها (اي الجواهر) قد اشتركت في كونها جواهر . وقد اشتركت في التحيّز عند الوجود وفي انها اذا حصلت موجودة متحيّزة فكلّ واحــد منها يحتمل من الاعراض ما يحتمل سائرها » . وايضاً الفصل ٥ ، ص ٦٩ : « وقالوا انه (اي الجوهر) لا يتحرّك وله مكان وانه قائم بنفسه يحل من كل عرض عرضاً واحداً فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسّة ».

زمانيين[1]. فان الله يخلق الجوهر ويخلق فيه عرضاً ما ، فيفني هذا العرض لحينه فيخلق الله عرضاً آخر من نوعه في ذلك الجوهر فيفنى هذا بدوره وهكذا طالما يريد الله بقاء نوع ذلك العرض. فان أراد الله ان يخلق نوعاً آخر من الاعراض في ذلك الجوهر خلق ، وان كفّ عن الخلق عدم ذلك الجوهر على رأي اكثر المتكلمين[2] . كل ذلك رغبةً منهم في سلب « الطبيعة » عن الاشياء واسناد القدرة المباشرة على خلق الاعراض الى الله وحده « دون واسطة طبيعة ودون شيء آخر »[3] — كما يلاحظ ابن ميمون . وهكذا كانت الصيرورة عندهم عبارة عن كفّ الله عن خلق سلسلة من الاعراض وابتدائه سلسلةً أخرى . فلم يكن غريباً اذن ان يخطّئوا شهادة الحسّ الذي يدلّ على ان انصباغ الثوب — مثلاً — هو نتيجة للتقريب بين الصباغ وبين الثوب. فانهم زعموا أن احمرار الثوب ليس نتيجة لفعل الصبّاغ قطّ ، لان ذلك يفترض ان اللون الاحمر قد تعدّى محلّه[4] — اي انتقل من الصباغ الى الثوب — وأن للجسم فعلًا ما يخصّه

١) راجع التمهيد ص ٤٢ حيث يعرف الباقلاني الاعراض بقوله « هي التي لا يصحّ بقاؤها . . وتبطل ثاني حال وجودها . . . » ويحتجّ على ذلك بالقرآن سورة ٨/٦٧ و ٤٦/٢٤ ، كالأشعري نفسه — مقالات ٣٧٠

٢) يروي ابن ميمون ان بعض المتكلمين من المعتزلة : « قال ببقاء بعض الاعراض واستحالة بقاء بعضها — الدلالة ، قط ٥ . وذلك قول ابي الهذيل وبشر بن المعتمر والنظام والجبائي وابنه ابو هاشم وضرار والنجار من المعتزلة في ما يرويه البغدادي — اصول الدين ٥٠ و٥١ . راجع ايضاً المقالات ٣٥٨ و٣٥٩ ومن الاعراض التي لا تبقى بحسب قول هؤلاء الارادة والحركة . اما اللون والطعم والرائحة والتأليف والعلم والحياة والقدرة فهي من الاعراض الباقية ، اصول الدين ص ٥٠ . ومن الذين يقسمون الاعراض الى ما لا يزول (كالطول والعرض) وما يزول باتساد حامله . . . » (كاللون) وما يزول دفعة » (كالحركة) ، ابن حزم — راجع الفصل ٥ ص ١٠٧ . اما جمهور الأشعرية فقد قالوا باستحالة بقاء الاعراض . والبغدادي يربط استحالة بقاء الاعراض بكون البقاء نفسه عرضاً — كما مرّ — راجع الاصول — المرجع السابق وص ٤٢

٣) الدلالة قط ٥ . قارن حول انكار الأشعرية « للطبائع » التمهيد ٥٦ الخ . والارشاد ١٢٢-١٢٥ والفصل ٥ ص ١٤

٤) الدلالة : ق ٥ . قابل البغدادي — اصول ص ٣٨ : « التركيب انما يصحّ في الجواهر والأجسام والاعراض لا يصحّ فيها تركيب ولا مماسّة ولا انتقال من مكان الى مكان » والمباحث المشرقية ج ١ ص ١٥٢ .

— وكلّ ذلك ممتنع، لأن الجسم « لا فعل له اصلًا وانّما الفاعل الاخير الله »[1]. فانصباغ اللّون اذن هو من فعل الله الذي يخلق في الثوب عرض الحمرة فيزول هذا العرض لحينه فيخلق الله في الثوب حمرة أُخرى — وهكذا دواليك طالما شاء. ولو اراد لخلق في الثوب صفرة او سوادًا إلا أنّه تعالى اجرى العادة ان لا يُحدث السواد في الثوب إلا عند مقارنة الصباغ الاسود وأن لا يخلق في الثوب صفرة او حمرة بعد ذهاب السواد بل سوادًا مثله[2].

ولم يكتفِ المتكلمون، كما يروي ابن ميمون بنفي الفاعلية عن الاجسام الجامدة بل تعدّوا ذلك الى نفي الفاعليّة عن البشر ايضاً. فزعموا أن تحريك الكاتب للقلم — مثلًا — هو في الحقيقة من فعل الله الذي يخلق عند تحرّك القلم اربعة اعراض متتابعة ليس بين واحدها والآخر « ارتباط سببيّ » قطعاً « وانّما هي متقارنة في الوجود وحسب »[3]. وهذه الاعراض هي الارادة والقدرة والحركة

١) يلاحظ ان ميمون، المرجع السابق، ان ذلك رأي جمهورهم « وان بعضهم قال بالسببيّة فاستشنعوه ». والاشارة هنا الى المعتزلة الذين قالوا «بالتولّد» الذي يتضمّن الاقرار بتلازم الاسباب الطبيعية، كما يلاحظ الغزالي التهافت ص ٢٧٧. راجع دحض الاشعرية لهذا القول في الارشاد ١٢١ – ١٢٤، اصول الدين ١٣٧ – ١٣٩ والاقتصاد ١٠٠ وايضاً ردّ الظاهري ابن حزم على المعتزلة فصل ٥ س ٥٩–٦٠. وحول اقوال المتكلمين في «التولد» راجع المقالات ٤٠٠–٤١٦، وحول اقوالهم في «الملل» ٢٨٩–٢٩١. اما دحض السببيّة الرتيبي فهو دحض الغزالي في التهافت مسألة ١٧ ص ٢٧٧–٢٩٦.

٢) الدلالة قط ". قابل ما يقوله ابن حزم في الرد على اصحاب هذا القول: فصل ٥ ص ١٠٧: « ولا عجب اعجب من حمق من قال أن بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منها الذي كان آنفًا بل يفنى في كل حين ويستحيل الف الف بياض واكثر والف الف خضرة». راجع كذلك ص ٦٢ حيث يروي ابن حزم: « وذهب الباقلاني وسائر الأشعرية الى انه ليس في النار حرّ ولا في الثلج برد ولا في الزيتون زيت الخ . . . وما وجدنا لهم في ذلك حجة غير دعواهم ان الله تعالى خلق كل حرّ نجده في النار عند مسّنا ايّاها وكذلك خلق البرد في الثلج عند مسّنا ايّاه ». وايضاً ص ١٤. والاشارة هنا الى انكار الباقلاني « لفعل الطبائع » – كما في التمهيد ص ٥٧–٥٨.

٣) حول هذا « التقارن » او « الاقتران » concomitance – كما يدعوه الغزالي – الذي لا يفترض التأثير او الفعل مطلقاً – راجع الاقتصاد ص ١٠٠ وص ٤٥. والتهافت ص ٢٢٧ ٢٧٩ حيث يكتب الغزالي في تأويل الاحتراق: « بل نقول: فاعل الاحتراق . . . هو الله . . . امّا النار وهي جماد فلا فعل لها. فما الدليل على انها الفاعل وليس له (اي

– يخلقها الله في يد الكاتب – واخيراً فعل التحرك – يخلقه تعالى في القلم فيتحرك[1]. وهذا هو رأي الاشعرية الذين انكروا اسناد الفعل الى « القدرة المخلوقة » وزعموا ان هذه القدرة يقتصر فعلها على « أثر ما به تتعلق تلك القدرة » – خلافاً للمعتزلة الذين ذهبوا إلى أن الانسان يفعل « بالقدرة المخلوقة »[2]. واحتجوا على وضعهم هذا بقولهم ان القدرة المخلوقة والارادة المخلوقة والفعل المخلوق اعراض جميعها يخلقها الله على التوالي طالما شاء. اذ هي لا بقاء لها في ذواتها[3]. ثم إنهم بنوا على ذلك قضية لاهوتية هامة : وهي ان القول بفاعلية الاشياء ضرب من الكفر وانكار لفاعلية الله المطلقة ، لأنّ الايمان الاصيل عندهم هو عبارة عن الاقرار بأن الله هو الفاعل الفرد الذي لا فاعل سواه.

ولا بدّ لنا هنا من الاشارة الى وجاهة هذه الملاحظة التي يثبتها ابن ميمون. فالمتكلمون – كما يقول مؤلفنا – لم يقولوا بنظرية الجواهر والاعراض ولم يدحضوا مبدأ السببية عبثاً . وانما كان غرضهم الأول في ذلك هو التوكيد على استقلال الله بالفاعلية وتفرّده بالقدرة . فالغزالي في مناظرته المشهورة للفلاسفة

للخصم) دليل الا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار ، والمشاهدة تدلّ على الحصول عنده ولا تدلّ على الحصول به » قارن قول الباقلاني في التمهيد ص ٥٦ و ٥٨

١) قارن الغزالي : احياء علوم الدين ، مصر ١٣٤٨ هـ . ج ٤ ص ٢٢٠ حيث يكتب الغزالي : « فان قلتَ : فهل تقول ان الارادة ولدت القدرة والقدرة ولّدت الحركة وأن كل متأخر حدث من المتقدم . . . فاعلم ان القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهول محض سواء عُبّر عنه بالتولّد او بغيره . بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبّر عنه بالقدرة الأزلية » . وحول تسلسل الاطوار الاربعة في الفعل اي : حكم العقل (الاختيار) ، الارادة ، القدرة ، الحركة – راجع ص ٢١٩ . ويلاحظ ان الغزالي يضع طوراً سابقاً للارادة هو الاختيار الذي هو بمثابة المحرّك للارادة – ويدعوه ايضاً « الداعية » .

٢) الدلالة : ق ٣ : « وبعض الأشعرية قال : للقدرة المخلوقة في الفعل اثر ما ولها به تعلّق » . والاشارة هنا الى قول الأشعرية « بالكسب » – راجع الملل ٦٩ ، ونهاية الاقدام للشهرستاني ، طبعة لندن ١٩٣١ ص ٥٥ الخ و ٧٢ الخ – حيث يميّز الشهرستاني بين قول الاشعري « الذي لم يثبت . . . للقدرة صلاحيةً اصلاً لا لجهة الوجود ولا لصفة من صفات الوجود » . وقول ابي بكر الباقلاني الذي أقرّ لها الصلاحية الثانية راجع في شرح الكسب ، والردّ على المعتزلة : الارشاد ١٠٨ الخ . الاقتصاد ٤٤ الخ . الاحياء ٤ ص ٢١٩–٢٢١ .

٣) حول عرضية القدرة وانها غير باقية حكم جميع الاعراض – راجع الارشاد ١٣٢ والمحصل ٧٣ . وحول عرضية الاستطاعة عند الأشعري – الملل ٦٨

في التهافت يقدّم لردّه عليهم في معرض نقضه لمبدأ السببيّة بقوله: «فلزم الخوض في هذه المسألة لاثبات المعجزات ولأمر آخر: وهو نصرة ما أطبق عليه المسلمون من أن الله قادر على كلّ شيء.»[1] — حتّى كأن القول بقدرة الله على كل شيء يتضمّن ضرورةً سلب الاشياء من قواها الفاعلة. وكذلك يوجّه نقده اللاذع نحو المعتزلة — شيمة عامّة الاشاعرة كما مرّ — لقولهم «بالتولّد» الذي يفترض الإقرار بتلازم الأسباب الطبيعيّة[2] والذي يخالف ما اتّفق عليه المسلمون من عجز المخلوق عن الفعل. وهو يعبّر بذلك عن قبوله التامّ للموقف الأشعري العامّ القائم على انكار ايّ ارتباط ضروريّ بين «القدرة الحادثة» (التي تضعها المعتزلة سبباً) و«المقدور» المتولّد عنها واسناد كل ذلك الى «القدرة الازليّة» —كما رأينا—[3] فان متكلّمي الأشعرية عامّة، حرصاً على ضمانة قدرة الله المطلقة — لا يقرّون بين «القدرة الحادثة» و«المقدور» إلّا علاقة عرضيّة

١) التهافت ص ٢٧٦ . قابل ما يقوله الجويني في الردّ على «المعتزلة ومن تابعهم من اهل الاهواء» — في الارشاد ص ١٠٦ : «اتّفق سلف الامة قبل ظهور البدع والاهواء واضطراب الآراء على ان الخالق المبدع ، ربّ العالمين ولا خالق سواه ولا مخترع إلا هو ، فهذا هو مذهب اهل الحقّ» — والشهرستاني — نهاية الاقدام ص ٥٤ : «مذهب اهل الحقّ من اهل الملل واهل الاسلام ان الموجد لجميع الكائنات هو الله سبحانه ، فلا موجد ولا خالق إلا هو» — والاشعري — ابانة ص ٩ ، حيث يناقش الكاتب قول المعتزلة ان الانسان «خالق افعاله» . كذلك تجب الاشارة الى ما يقوله الغزالي في الاحياء ج ٤ ص ٢١١ وما يتلو . فهو يردّ حقيقة التوحيد وما يلزم عنه من التوكّل الى القول بانفراد الله بالفاعليّة : «والتوكّل (الذي هو باب من ابواب الايمان) يحصل بالتوحيد الثالث (اي: ان يشاهد المؤمن بطريق الكشف الصوفي ان لا اله إلا الله) . . . وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر ، الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم ، فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله» ص ٢١٢ . وايضاً : مشكاة الانوار ، مصر ١٣٤٣ هـ . ص ١١٢-١١٤

٢) التهافت ص ٢٧٧ .

٣) راجع الفقرة الواردة آنفاً — تهافت ٢٧٩ ، والتي ينكر فيها الغزالي تأثير النار ملاحظاً ان المشاهدة لا تدلّ على حصول الاحتراق بها بل معها . قابل ايضاً قول الجويني (استاذ الغزالي) الارشاد، ٢١ «القدرة الحادثة لا تتعلّق الا بقائم بمحلّها وما يقع مبايناً لمحلّ القدرة فلا يكون مقدوراً بها ، بل يقع فعلاً للباري تعالى» .

جائزة منشأها العادة . وواضح أن هذه العادة لا تستوجب ضرورة قطّ فاذا أراد الله خرق العادة تلك لم يكن في ذلك حرج ما دام الله قادرًا على كلّ شيء . وهاك كيف يلخص البغدادي – أحد كبار متكلّمي الأشعرية – هذه القضية في اصول الدين ، في معرض الردّ على المعتزلة القائلين بالتولّد .

« قال اصحابنا إن جميع ما سمّته القَدَرية (اي المعتزلة) متولدًا من فعل الله عز وجل ، ولا يصلح أن يكون الانسان فاعلًا في غير محلّ قدرته لأنه يجوز أن يمدّ الانسان وتر قوسه ويرسل السهم من يده فلا يخلق الله تعالى في السهم ذهابًا . . وأجازوا ايضاً ان يقع سهمه على ما أرسله ولا يكسره ولا يقطعه . واجازوا أيضاً ان يجمع الانسان بين النار والحلفاء فلا تحرقها على نقض العادة ، كما أجرى العادة بأن لا يخلق الولد إلّا بعد وَطْإ الوالدَيْن ولا السمن إلا بعد العلف ، ولو أراد خلقَ ذلك ابتداء لقدر عليه »[1] .

وابن ميمون يُلاحظ في « المقدمة العاشرة » أن قول الأشعرية بهذا الجواز المحض يجرّ الى عدد من النتائج الشنيعة . فاذا صحّت مقدّمتهم هذه كان « كل ما هو متخيّل جائزًا عند العقل »[2] – ولم يكن في كون الأشياء ذواتِ احجام او اشكال معيّنة ضرورةٌ ما وكذلك لم يكن في اختصاصها بقوى او «صور» معينة تتولّد عنها افعالها الخاصّة ضرورةٌ ايضاً . فهم يضعون أن الجواهر متماثلة وأن نسبة كل جوهر منها الى كل عرض نسبة واحدة ، فلم يكن هذا الجوهر اذن اولى بهذا العرض من ذلك . وهو يختم قوله بهذه السخرية اللاذعة : « بل لم يكن الانسان أولى ان يعقل من الخنفس »[3] .

ولا يسعنا تجاوز حديث الأعراض دون الاشارة الى ما يرويه ابن ميمون

---

١) اصول – ص ١٢٨ . قابل هذه الفقرة بما يقوله الغزالي حول خرق العادة – تهافت ص ٢٨٥–٧ ، وحول امكان حصول الولادة ، ابتداء ص ٢٨٨ .

٢) الدلالة قيب" . ويعزو ابن ميمون (ص قيد") غلط المتكلمين في « التجويز » هذا لخلطهم بين العقل والخيال وزعمهم ان ما يجوّزه الخيال يجوّزه العقل .

٣) المرجع نفسه حول تماثل الجواهر (اي كونها جنساً واحدًا بخلاف الاعراض) راجع المقالات ٣٠٨ واصول الدين ٣٥ والمسائل ٣ الخ . وحول اختلاف خواصّ الاشياء باختلاف الاعراض التي تحلّ فيها – راجع الفرق ٢١٦ خاصّة .

من اقوال المتكلمين في الحياة والنفس فهو يروي ان الحياة والحس والعقل والعلم جميعها اعراض عندهم تحل في كل جزء من اجزاء الجسم الحي[1]. اما في النفس فهو يروي ان بينهم خلافا فيها إلا أن قولهم الغالب هو انها « عرض موجود في جوهر فرد من جملة الجواهر التي تركب منها الانسان ». ومع ذلك فمنهم من يقول إن النفس جسم مركب من جواهر لطيفة تحل فيها الأعراض الخاصة بالنفس وأن تلك الجواهر مخالطة لجواهر البدن الأخرى. كذلك العقل هم مجمعون على انه « عرض في جوهر فرد من الجملة العاقلة ». بينما اختلفوا في العلم: أهو عرض حال في كل جوهر ام في جوهر واحد من المجموع الذي يتألف منه الكائن العاقل[2].

١) ينسب الأشعري القول بان الحياة عرض لابي الهذيل – مقالات ٣٢٧، والقول بأن « الحواس الخمس اعراض غير البدن » الى ابي الهذيل ومعمر من المعتزلة، ٣٢٩. وهو يشير الى تمييزهما بين الحواس وبين النفس: « فانهما اثبتا النفس عرضاً غيرها وغير البدن » – نفس المرجع – والى تمييز ابي الهذيل، بين الروح والحياة والنفس، ٣٣٧. وتشتمل لائحة الاعراض على مذهب الاشعرية – التي يوردها البغدادي في اصول الدين على الحياة والعلم والايمان والارادة والكلام والجهل ص ٤٠–٤٥. اما حلول هذه الاعراض في كل جزء من اجزاء الجسم الحي فهو يلزم عن قول جمهور المتكلمين بان تلك حال الاعراض جميعها كما مر.

٢) راجع الدلالة: فع ١ – ينسب ابن حزم القول بأن النفس عرض من الاعراض الى جالينوس وابي الهذيل – الفصل ٥ ص ٧٤. ويضيف الأشعري الى اسم ابي الهذيل جعفر بن حرب – مقالات ٣٢٧ ويؤيد ذلك قول ابن رشد ان المتكلمين قالوا بعرضية النفس تهافت ٥٨٨. وابن حزم يزيد « ان سائر اهل الاسلام والملل المقرة بالميعاد (يذهبون) الى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد » – المرجع نفسه. وهو يفرّع العطار، ومعمر بن عمرو من المعتزلة لقولهما ان النفس جوهر لا جسم ص ٧٤ و ٧٠. حول اختصاص النفس باعراض تحل بها منها الذاكرة والعقل والفضائل والرذائل راجع ص ٧٦ و ٨٠. وذلك هو قول معظم المتكلمين (باستثناء معمر بن عباد السلمي والامامية من الشيعة والغزالي وابي القاسم الراغب) حسب رواية فخر الدين الرازي – كتاب الاربعين ٢٦٧. اما العقل فابن حزم يضع « ان لا خلاف بين احد له عقل سليم في انه عرض محمول في النفس... » – وهو يحاول اثبات ذلك بالحجة ويرد على القائلين بأن العقل جوهر قدرة « بالجهال المخاطين من الاوائل » الذين بنوا قولهم على ترجمة لفظة يونانية تقابل لفظة العقل في العربية – الفصل ٧١ و ٧٢ وهو يشير هنا الى لفظة νοῦς التي تمثل في النظام الافلوطيني القطب الثاني من ثالوثه الفلسفي: [illegible] (ويقابلها في العربية: الاول، العقل، النفس).

بهذا ينتهي عرضنا لتلخيص ابن ميمون لبنود الكلام العامّة ، وقد حاولنا ان نقتصر فيه على القضايا التي انفرد علماء الكلام فيها عن المدرسة الفلسفيّة الارسطوية العربية والتي هي بمثابة البناء الفلسفيّ الذي اقاموا عليه اقوالهم اللاهوتيّة الكبرى . وتدور المقدّمتان الحادية عشرة والثانية عشرة على قولهم باستحالة وجود ما لا نهاية له (سواء أكان ذلك بالعرض ام بالفعل ام بالقوّة) وعلى قولهم بأن الحواسّ لا يوثق بها لانه يفوتها الكثير من مدركاتها – اتباعاً لآراء القدماء من السوفسطائيين . ونكتفي بهذه الاشارة العابرة الى مضمون هاتين المقدمتين لانهما لا تمتّان الى النقد التومائي الذي سنعرض له إلا بصلة بعيدة .

(للبحث صلة)

كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان (مخطوط)

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني

شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس الخوري

الراهب اللبناني

(تابع ونهاية)

ورجع لمصر ، بعد انه فتك في عكا وذاقهم الهوان ، على موجب ما شهدوا الذين دخلوا عكا ، ان جميع العسكر الذي كان مع ابونابارته من الفرنساوية ، كل واحد منهم يضاهي عنتر عبس اضعاف . لانهم انزلوا الرعبة والخوف في كافة بر الشام ، وحلب ، لحد ديار بكر . وجميع هذه الاقاليم اعتمدوا ان يتركوا محلاتهم ، ويتوجهوا هاربين ، للنجاة طالبين .

واخذوا غزة والرملة ، ويافا ونابلوس والقدس ، وما يليهم . وامتد حكم ابونابارته بر وبحر ، من اقليم مصر ، لحد مرجعيون . واجرى احكامه في هذه المواضع جميعها . وترك بر الشام ، ورجع لمصر . وابقا كافة العسكر الذين كانوا معه . وتوجه الى بلاد فرنسة بقوله : انه يدبر فرنسة ، ويرجع لمصر .

واما الجيش الذي بقي بعده في مصر ، استقام نحو سنتين . وفي غضون ذلك حضر وزير الاعظم بعسكر واهي ، اي عرضي همايوني ، من قبل الدولة العلية ، لاجل استخلاص اقليم مصر من العسكر الفرنساوي . وحضر الى مصر وعمل جملة شرور مع عسكر فرنسا . وباتت الكسرة على عسكر الوزير ، الذي كان اسمه يوسف باشا . وبعد انه فهم ما له معهم طالع ، والمذكور (الوزير) كان ذو عقل وتدبير ، صار يراسل قواد العسكر ، حتى يطلعوا (يخرجون) ويرجعوا الى بلادهم ، بكل هدو وسلامه . وقواد العسكر حين

فهموا انه لم عاد يحضر لهم امداد من بلادهم ، رضوا مع الوزير ، وتركوا اقليم المصري ، وتوجهوا راجعين الى فرانسا ، من غير ان تصيبهم مضرة البتة، بكل امان . فكان خروجهم من مصر في ذي الحجـة سنة ١٢١٨ ه (١٨٠٣م.) . . .

بعد هذا يواصل المؤلف حديثه ، مكملاً هذه الصفحة الى صفحة ١٢٥ ، عما جرى لنابليون في فرنسة ، وتتويجه امبراطوراً ، وغزوته لروسية ، وسبب فشله فيها من شدة البرد والثلوج ومرض الجيش ، وتواطؤ ملوك اوربة عليه ، واسره في جزيرة القديسة هيلانة . . . ثم يثبت ايضاً وصية ملك فرنسة لويس السادس عشر (١٧٧٤—١٧٩٣) وما جرى له ، ومقتله . . . مما هو مشهور في تاريخ فرنسة ، ولا نرى موجباً لنشره . ومن ذلك ايضاً تاريخ ملوك فرنسة والنمسة واسبانية والمسكوب (روسية) ، والانكليز . وهو خارج عن الغاية من نشر هذا المخطوط ، وهي المتعلقة بتاريخ لبنان ، وما زالت طي الخفاء الى الآن . . .

تاريخ الهزات والزلازل والرجفات والصواعق وما يشابه ذلك من تواريخ مفرقة

تكملة الصفحة [١٢٥]

يخبرنا بالينوس الفيلسوف ، ان قوة بعض صواعق تذيب السيف في غمده ، ولا تثلم الجلد اصلاً ، بل تبقيه سالماً صحيحاً . يذكر في تاريخ سنة ١١١٤م. حدثت رجفة وزلازل عظيمة ، في بلاد قيليقية ، وحلب والشام . فهبطت حصون كثيرة ، ومدن وضياع كثيرة دفنت بها تحت الردم . والذين قصدوا الصحارى والبراري اخذتهم القشعرة (شدة الارتعاب) من الرجفات والرؤيات (المشاهد) المريعة جداً .

وفي تاريخ سنة ١١٤٣م. صارت هزة في اراضي الشام ، وخربت كثيراً من البلاد ، لاسيما حلب ، حتى فارقت اهاليها البيوت ، وخرجوا للبراري . ولم تزل من اربعة سفر الى تاسع عشر منه .

[١٢٦] وفي سنة ١١٥٦ ، صارت زلزلة عظيمة في بلاد الشام ، وحلب ،

وحمص ، وحصن الاكراد ، وعرقا، واللادقية ، وانطاكية وطرابلس . فهلك تحت الردم ما لا يحصى . وكان اشد فعلها في حماة ، فهدمت الاسوار والقلعة ولم يبقَ من اهاليها الا القليل . ولذلك سميت زلزلة حماه .

وفي سنة ١١٧٠ (الف ومائة وسبعين) ، كانت زلزلة عظيمة في الشام. ولم يسمع مثلها قط . وبقيت نحو اربعة اشهر ، والناس تشاهد الرجفات من شدة الريح ، في باطن الارض . وخربت انطاكية وجَبَلة واللادقية ، وحلب وحمص . اما طرابلس صارت كلها شبه المقبرة . وقال ابن الجوزة ان هلك في حلب ثمانين الف . وخربت كنايس واماكن عظيمة في الشام ، وعجزت الناس عن ترمرمها (ترميمها) .

وفي تاريخ سنة ١١٩٩ ، صارت بالشام زلزلة عظيمة . حتى ظنوا الناس قامت القيامة . فدامت مقدار ثلاث ساعات . ومات تحت الردم خلق كثير حتى ان نابلوس لم يبق بها حايط الا وسقط . واهل صفد لم يسلم منهم الا رجل واحد . وهدمت مدن كثيرة .

وفي تاريخ سنة ١٢١٨ ، هاج البحر على مدينة قيليقية . فمات من الناس نحو ماية الف نفر وازود. — وفي تاريخ سنة ١٢٨٧م ، دخل البحر الى المدينة المذكورة ، وغرق فيها ثمانين الف نفس .

وفي تاريخ سنة ١٢٧١م، في شهر نيسان ، تزلزلت الارض في بلد الارمن. وخربت قلع كثيرة . ومات فيها ماية الف نفس .

وفي تاريخ سنة ١٣٠٢م (الف وثلاثمائة واثنتين) ، في ٢٣ ذي الحجة ، تزلزلت الارض زلزلة عظيمة. وكان لها تأثير بمصر واسكندرية ، وصفد والشام، واستقامت عشرين يوم . وهدمت مدن وعماير ، ودور وجوامع ، لا تحصى . ومات تحت الردم خلقاً كثير . وبعد ذلك صارت قيضة (قيظ) حتى يبس الكرم من شدة ذلك .

وفي سنة ١٥٠٩م (الف وخمسمائة وتسع) هاج البحر ما بين القسطنطينية وبرها بهذا المقدار ، حتى ارتفع فوق الاسوار ، وهلك ناس كثير .

[١٢٧] وسنة ١٦٥٦م تزلزلت مملكة نابولي ، مدة ثلاث ساعات ، قبل الضو . وفتحت الارض فاها ، وابتلعت قصوراً وقلاعاً لا تحصى. وقتلت من

الناس نحو سبعين الف . واخبر مؤرخ آخر انه بتاريخه ، حدثت في انطاكية زلزلة . فهدمت اكثر منازل المدينة. وقتل تحت الردم ستين الف . وفي زمان طيباريوس قيصر (١٤—٣٧) حصلت زلزلة عظيمة مقسمة، اتصلت من اسكندرية الى انطاكية ، والى ممالك اخر شرقاً وغرباً . واستقامت ثلاث اشهر . حتى ظنوا الناس ان العالم اشرف على الانتها .

ويذكر ايضاً ان بعد موت يوليانوس العاصي (٣٦١—٣٦٣) ، حدث زلزلة عظيمة ، وارتجفت الارض كلها . وتجاوز البحر حدوده. حتى ظنت الناس انه طوفان ثاني ، لان السفن ارتفعت فوق منازل اسكندرية . ولما سكن البحر استمرت السفن على سطوح المدينة المذكورة ، ومات بها خلقاً لا تحصى عدداً.

وفي سنة ١٧٥٩ ، صارت هزة وزلزلة مرعبة جداً ، في بر الشام ، وبعلبك وبيروت ، وطرابلس وبرها . وفعلت افعال عجيبة . وهدمت اكثر قرى البر. ومات اناس لا تحصى . حتى ظنوا ان العالم اشرف على الهبوط . واستمرت على هذا الحال ، من اول يوم من تشرين الى اول شباط .

وفي سنة ١٧٩٦ ، صات هزة في مدينة اللادقية . وراحت بها عماير شتى ، وخلقاً لا تحصى . وفي تاريخ سنة ١٨٠٣ الى ١٨٠٥ ، صارت هزة في طرابلس وبرها ، وخربت بعض اماكن . ومات بها جملة اناس .

تاريخ الطاعون والحسبة وموت الفجأة والجدري

يذكر في تواريخ البطرك اسطفان (الدويهي) وغيرها. قال ابن الحريري: انه في سنة ١١٩٨م ، صار فنا في اقليم مصر عظيم جداً حتى ان ملك مصر كفّن من ماله ، بمدة يسيرة ، نحوماية وعشرين الف . والكلاب تأكل اكثر الموتى ، لعدم من يدفنها . وكان [١٢٨] كل يوم يخرج من مصر الف وخمساية جنازة ، من غير الذين دفنوا بلا عدد . وجملة الذين انعدموا من مصر في تلك السنة ، ماية وواحد وعشرين الف ، وازود . واما الذين ماتوا من غير تحرير (قيد) لا عدد لهم . الله يعلم كميتهم .

يذكر في تاريخ سنة ١٣٤٨ ، صار طاعون في بلدان الحلبية والشام ، واغلب الاماكن. حارت به الافكار لثقله. ونقل(روى)صلاح الدين قلاوون ان

في دمشق، صلوا في بعض الاوقات في الجوامع على جنازات، في كل جامع مايتين وستة وثلاثين . حتى خليت الدور والضّياع من سكانها .

وفي تاريخ سنة ١١٦٨ ، كان الوبا العظيم في مملكة الشام فهلك خلقاً كثير. وكان كل يوم يخرج من دمشق الف جنازة واكثر . وفي سنة ١٥٣٦ ، حدث طاعون عظيم في مرسيليا ، واستقام تسعة اشهر ، حتى امتلت القبور من الموتى. واكثر المتصوبين كانوا يجتوا في ثاني يوم . والبعض منهم كانوا يطرحوا انفسهم في البرية . وآخرون يلقون ذواتهم من علو شاهق . ومنهم كان يخرج من مناخيرهم دم عظيم ، كان قَطعُه موتاً لهم . والذين يشعروا في وروده ، حالًا يكفّنوا ذواتهم ، لعلمهم بالموت .

وفي سنة ١٥٧٩، عرض طاعون في نواحي مصر والشام ، حتى انهم صاروا يعملوا كل يوم على مايتين نفس في الجامع . ويذكر مؤلف المناره (الدويهي) انه في ١٦٥٣ ، صار وبا شديد في بر طرابلس ، في الزاوية (وطن ناشر هذا المخطوط) والتجت الناس الى سيدة زغرتا . وكثيرون شاهدوا السيدة فوق سطح الكنيسة مجللة في ثياب مفتخرة (جميلة). وما احد من اهالي زغرتا صابه مضرة في ذلك الفنا .

وفي تاريخ سنة ١٦٦٩م ، رجع الوبا العظيم الى ايالة الشام وطرابلس وحلب . وانضبط في دفتر قاضي حلب عن الموتى ماية واربعين الف. وفي الشام خمسة وسبعين الف . وفي طرابلس شي كثير ، وفي قرية زغرتا ماية نفس . ثم رسم مؤلف المناره (البطريرك الدويهي) ثلاثة ايام صوم. وفي اليوم الثالث تناولوا جسد الرب ، وعملوا زياح . وانقطع الواغش (الوبا) من زغرتا . وبقي في غير محلات نحو نصف سنة في ايالة طرابلس .

[١٢٩] وفي تاريخ سنة ١٦٩٢ ، دخلت الشتوية دافية . وقلت الينابيع. وتحرك الجدري والحصبة والجرب ، ثم الوبا الذي عم بر الشام ، ساحل جبل. وفي سنة ١٠٣٢م ، صار طاعون في طرابلس ، ومات منها نحو ثلاث الاف.

وفي سنة ١٧٣٣م ، صار طاعون ثاني في طرابلس. وامتد الى الضنية والزاوية، وبستان زيد ، وعردات واصنون وكفرزينا . وراح منهم كثير . وسمي في البر طاعون كفرزينا ، لانه راح من اناسها ثلاثة ارباع ، وبقي منهم الربع لا غير .

وفي سنة ١٧٥٩م ، صار طاعون عظيم في الربيع . وامتد من نواحي صيدا الى حدود اللادقية . ومات فيه خلقاً كثير . وسمي في البر طاعون الامير قاسم الشهابي،لانه اتى مع العسكر الذي جابه من صيدا الى بيروت . وفي سنة ١٧٧٢م، صار جدري قوي في طرابلس . واخذ منها خلقاً كثير من اطفال صغار وكبار.

وفي سنة ١٧٧٣م ، صار طاعون زايد في طرابلس وبرها . ومات خلقاً كثير . وارتجفت النـاس من عظم فعله . وكلاً منهم هرب الى البراري . والذين انوجدوا قدامه ، ما بقي منهم سوى القليل .

وفي سنة ١٧٨٥م ، صار طاعون في ايالة طرابلس وبرها . ودار في كافة البر من ضيعة الى ضيعة ، كل سنة في مطرح . وينتقل من مدينة الى مدينة ، من مدينة يافا الى مدينة حما والشام ، وبر هولاء المدن . ومات في هذه الاماكن خلقاً لا تحصى . ولم يزل يتناقل من مدينة الى مدينة ، ومن قرية الى قرية ، مدة ثلاثة وثلاثين سنة . واما هذه السنة (١٨١٩)، لله الحمد ما عاد بان له اثر .

يذكر المؤرخون ، انه حـدث في القسطنطينية طاعون ، كانوا يجتنوا به المطعونين . ويتداخلهم خوف عظيم . حتى كانوا يموتون من مجرد وهمهم ، من ان جيرتهم يريدوا قتلهم . [١٣٠] ويخبر الخبير اليوناني ، انه في عصره صار في بلد الروم وبا مريع اهالك ناس لا يحصى عددهم . والذي كان يُشفى منهم يعدم الحاسة بالكلية ، ولا يعود يعرف والديه ولا اولاده .

ويذكر ايضاً ان جنود الملك دخلوا مدينة بابل ، ودخلوا هيكل ابوللون . فوجدوا فيه صندوقاً مقفولاً ، فظنوا ان به مالاً . حين فتحوه فاحت منه رائحة كريهة جداً افسدت مدينة بابل كلها ، وبلاد الروم ، ثم مدينة رومية . وفعلت في سكان هذه الاماكن فعلاً لا يوصف . حتى لم ينجو منهم سوى الثلث .

ويذكر ايضاً انه حدث في بلاد النمسة مرض وبا . وكان يميت من يدركه باربعة وعشرين ساعة . وكان يخرج من جسمه عرق مسموم . وقد مات كثير من سكان هذا الاقليم لكونه مرض مرعب جداً .

يقول الناشر : وتنتهي هذه الصفحة ببعض حوادث موت الفجأة . استقاها المؤلف من كتاب ميزان الزمان الروحي ، وهي غير محدودة التاريخ والمواطن ، فاضربنا عنها .

[١٣١] تاريخ الغلا والجوع

يذكر في تواريخ صاحب التاريخ (الدويهي) : انه في تاريخ سنة ١١٩٨م، قال ابن الحريري ، انه اشتد الغلا في مصر والشام . وخربت ديار مصر من جرى ذلك . واكلوا اهلها لحوم البشر . وهلك خلق كثير . ومنهم ناس كانوا يشوا اولادهم الصغار ويأكلوهم . ويتحايلوا (يحتالون) على الاطبا، ويستدعوهم بان عندهم مرضى ، ويقتلوهم ويأكلوا لحومهم . واكثر قرى مصر لم يبقَ بها احد من الموت جوعاً . واشتد الغلا في دمشق . وفقدت خزاين الملك العادل . ولم يقدر يكفي جزءاً صغيراً من هذا الغلا .

وفي سنة ١٢٩٥م ، كان الغلا مفرط بمصر والشام . وبلغت غرارة (اسم وزن) القمح في دمشق بماية وخمسين درهم . وبمصر بلغ الاردب (وزن) بماية وستين درهم . فاكلوا الناس الجيف وماتوا من الجوع . وفي الطريق مات ناس كثير . وفي شهر صَفَر مات في مصر ما ينوف عن المائة الف، ثم وقع الرخص في جمادى الاولى .

ويذكر الحريري ، ان في سنة ١٣١٧م ، صار غلا وقحط مفرط ، في الموصل وديار بكر ، والجزيرة ، حتى ابيعت الاولاد الى الترك . واشتروا كل ولد بعشرة دراهم . وان رجل باع ابنه برغيف، واكل الرغيف ومات. وانباع كل جزرة خُبَز بدرهم . واستمر الغلا في الموصل اربع سنين . واكلوا الجيف ومات خلق كثير . وخربت مدينة اربد ، وجملة قرى من الجوع .

وفي سنة ١٣٤٨م ، صار غلا عظيم ، حتى انباعت غرارة القمح الشامية بالف وستماية درهم ، ورطل الزيت السارج (للنور) باربعة وعشرين درهم ، ورطل اللحم بعشرين درهم . ومن زيادة الموت، رخصت الاسعار ، حتى غرارة القمح الشامية انباعت بماية وسبعين درهم وما دون .

وفي سنة ١٤٠٠م (الف واربعمائة) ، صار الغلا الشديد ، الذي ما عليه مزيد . وصارت الخلق بضيق عظيم لا يوصف . وغليت الاسعار ، حتى شنبل القمح وصل [١٣٢] الى الستين غرش ، والدخن (نوع حبوب) ثلاثين . فاكلت الناس عبيدهم وجواريهم واولادهم ، والجيفات . وبقيت امواتاً كثيرة بلا دفن .

وفي سنة ١٤٥٦م ، يذكر الياس من مماد (بلدة مارونية قديمة بين جبيل والبترون) ، انه صار غلا في بر الشام وطرابلس . حتى وصل مكيول الحنطة الى اربعماية درهم فضة . وفي سنة ١٤٦٦م ، تباين نجم في الشرق بذنب . فلحقته (تبعته) شوبة عظيمة . واحلت الزروع والحبوب جميعها . وبلغ شنبل القمح الى سبعين قرش ، والعدس الى ستين ، والدرى والدخن والشعير الى خمسين ، ورطل الدبس الى اربعة عشر غرش . فهلك في السواحل اكثر البهايم ، والناس من شدة الجوع . وطالت الشوبة نحو سنتين . والناس تقتات من عشب الارض .

وفي سنة ١٥١٩م ، صار غلا عظيم . حتى ان شنبل القمح بلغ في ايالة طرابلس الى ماية دينار ، وفي بيروت الى ماية وخمسين . ويقول حمزة ابن احمد ابن سباط ، ان في هذه السنة غليت جميع الاسعار : الحرير والقطن والصوف والكتان . واصناف الملبوس والحيوان وصلت الى الخمسة الاف درهم . وراس البقر الى ٣٠٠٠ (ثلاثة الاف) ، وراس المعزي والغنم الى مايتين وخمسين درهم . وطير الدجاج ١٨ درهم . وجميع الاسعار زادت عن عادتها . حتى حجارة العمارة صارت كل الف حجر بماية درهم .

وفي ١٥٢٦م ، صار غلا في طرابلس وبرها . فثبت تسعة اشهر . ووصل شنبل القمح الى ماية وخمسين درهم ، والدرا الى ماية وعشرين ، وقلة الزيت (١٣ رطلاً) الى ثمانين ، وقنطار الحليب خمسماية درهم ، ورطل الخبز ٢٥ درهم . واكثر الناس ترفروا في صوم الكبير .

وفي سنة ١٦٢١م ، كان الغلا في سواحل البحر من قلة المطر . ووصلت غرارة القمح الى الفين وخمسماية سكانة . ولاجل ذلك شاعت قداسة البطرك يوحنا مخلوف الهدناني (١٦٠٨ - ١٦٣٣) ، وامر بنصب كرم « دير غساتا » نحو عشرة فدادين . فكانت الناس تأكل من نفقة الكرسي . وعند الفكة يأخذون الزاد لعيالهم . وكان ياتوه في المرضى [١٣٣] المقتربين الى الموت ، ويضع يده عليهم ، ويرجعوا متعافين من امراضهم .

وفي سنة ١٦٦٣م ، اشتد الغلا في بلد الشام ، بسبب الجراد الذي رعى الزرع . حتى لحق شنبل القمح الى اربع غروش ، وكيلة الرز الى غرش . وفي

سنة ١٦٩٦ ، صار غلا . انباع شنبل القمح باربع غروش ، وقلة الزيت بسبعة ونصف ، وكيلة الرز بقرش .

وسنة ١٧٥٧م ، صار غلا عظيم ، وعم به الشرق . وحضروا به من الرها الى بر الشام . ومن زود الجوع الذي صار ، لعدم وجود الغلال ، قيل انه جملة اناس ذبحوا اولادهم الصغار ، واكلوهم . ووصل شنبل القمح الى سبعة غروش ، وقفة الرز الى اربعة غروش . وفي سنة ١٧٧٢ ، صار غلا زايد في طرابلس وبرها . حتى صار شنبل القمح بعشرة غروش ، وشنبل الدرا بسبعة غروش ، وقفة الرز باثنين وعشرين غرش .

وفي سنة ١٧٩٣، صار غلا في بلاد سورية وما يليها . حتى وصل شنبل القمح الى ثلاثين ، ومطارح الى اربعين وانوف(اكثر). ولكن الغلة كانت موجودة. وفي سنة ١٨١٦ ، صار غلا في بر الشام ، وطرابلس ، وما يليهم. حتى وصل شنبل القمح الطرابلسي ، في البيدر ، الى ٢٥ غرش ، وفي بعض اماكن الى اربعين وينوف ، وشنبل الدرا الى عشرين ، والشعير ١٥ ، وقفة الرز ستين ، وقلة الزيت خمسين . ولكن الباري الطف في عبيده . واستقام هذا السعر على حاله ، من غير زيادة ، الى الموسم الآتي ، اي موسم سنة ١٨١٨م . فاخصب الله جميع الغلات . ورجعت تهاودت الاسعار ، اي شنبل القمح سبع غروش ، وما دون . وتنازلت كافة الاسعار على هذا الموجب . فنشكر مراحمه تعالى على ذلك .

[١٣٤] وقد اخبروا المؤرخون ، انه لما حاصر اكبراوس مدينة رومية ، واداق (ضيّق) الجوع على اهلها بهذا المقدار ، اكلوا الخيل والكلاب والقطاط ، والفار ، ولحم البشر . ويذكر ايضاً : على زمان اليشع النبي ، صار جوع مهلك في السامرة . وانباع راس الحمار بثمانين درهم فضة ، وربع مكيال زبل الحمام بخمسة دراهم . واكلوا بعضهم . وان امرأة حضرت قدام الملك مشتكية على جارتها ، ان ما قامت بوعدها . لانهما كانتا تشارطان ان يأكلا اولادهما . فبعد ان ذبحت المشتكية ابنها واكلته معها ، لم تعد ترضى الثانية بذبح ابنها ، لكنها اخفته ، ولم تقم بوعدها لها .

ومثل ذلك يخبر يوسيفوس المؤرخ ، انه اذ حاصر الرومانيون اورشليم ،

واشتدّ عليها الحصار ، كانت امرأة غنية شريفة . انفقت كل مالها . وما بقي بيدها شيء . وحصلت في ضيق عظيم من افراط جوعها . وكان لها طفلاً صغير ترضعه ، فذبحته ، وشقته نصفين ، وشويت احدهما على النار ، واخفت الثانية . وفي اثناء ذلك ، دخلوا الجنود اليها ، وشموا رايحة اللحم المشوي . فتوعدوها ان لم تقدم لهم ما اشوته . ومن خوفها احضرت لهم ما اخفته . فلما شاهدوا الجند هذا المنظر المريع ، ارتجفوا خوفاً ، وبهتوا صامتين ، وهربوا مشمأزين من هذا المنظر المهول . وتركوا الام مع جزء ابنها . وهذا ما حصل لها من امرالها الغزيرة .

مذكور في كتاب « ميزان الزمان » ان الفلاسفة الطبيعيون ، لاحظوا ان في القمر ثلاثة الوان وهم : الاصفر والاحمر والابيض . فاذ يكون لونه اصفر يحبس المطر . واذ يكون احمر ، يسبب الريح . واذ يكون ابيض ، يصدر منه الصحو . والله اعلم .

[١٣٥] يذكر ايضاً ، قال المعلم الجليل فيلبوس اليسوعي : ان فلك القمر اوطى جميع الافلاك ، لانه يبعد عن كرة الارض ١٨٨ الف ميل . وانه لو لقي (رمي) حجر الرحى من الفلك الثامن ، الذي هو اعلى الافلاك ، دون السما الاعلى مسكن الملايكة والقديسين ، لا يمكن ان يصل الى الارض الا بعد تسعين سنة . مع ان الحجر المذكور يقطع في الساعة مايتين ميل . ويقول هذا المعلم عينه : ان النجوم تقطع بسيرها مدة ساعة واحدة ، اربعماية وعشرين كرة ميل .

تاريخ الشتا والثلج والانهر والارياح والسيل والبَرَد

يذكر تاريخ سنة ٣٦٩م ، وقع برد في القسطنطينية ، مثل قطع الصخور . وفي تاريخ سنة ١١٤٩م ، جاء مطر احمر بقي اثره على الارض ، وعلى الدواب ، وثياب الناس .

في سنة ١١٧٣م ، وقع بَرَد عظيم . فزانوا البردة ، طلعت سبعة ارطال بغدادي . وكان على شبه النارنج . فاهلك كثير من الناس والمواشي . وفيها نزلت امطاراً غزيرة ، وخربت ضياع كثيرة . ودامت بالموصل اربعة اشهر ،

هدمت بها الفين بيت. وغرقت في بغداد بيوتاً كثيرة. وهربوا الناس الى البراري:

وفي ١٢٢٧ م ، صار مطر في مدينة حلب ، رمل احمر شبه البَرَد ، وفيه تراب شبه الطباشير..

وفي ١٢٧٠ م (الف ومائتين وسبعين) ، في ١٢ شوّال صباح الاحد ، نزل على دمشق سيل عظيم حمل الدواب والمهار . وارتفع حتى بلغ الحدّ عشرة اذرع . ودخل في « باب الفراديس » .

وفي سنة ١٢٧٦ م ، ظهر كوكب في بر الشام ، في (شهر) ربيع اول. وكان له شعاع وشرار . وكان يضيء مثل النهار .

وفي سنة ١٢٨٣ م ، صارت في قبرس امطار زايدة ، ورجفة ، حتى تشققت بعض جبال ، وصارت هوات عميقة جداً . وظهرت ينابيع جدد. وبادت كثير من الطرش. وفي اول شعبان ، جاء في دمشق سيل طالع النهر الى جسر توما. وارتفع على (فوق) باب الفرّج . وهدم مساكن كثيرة. ومات خلق كثير. وقُلِعت اشجار . وكان عسكر سيف الدين قلاوون نازل قرب نهر بردى ، فهلك منه ومن الخيل والخيام كثير .

[١٣٦] وفي سنة ١٣٠١ م(الف وثلاثمائة وواحدة) ، سقط في ماردين بَرَد على شبه صورة حيات ، وعقارب ، وطيور ، وسباع . وحضر بذلك تحرير من قاضي ماردين مسجلاً في المحكمة ، الى قاضي حلب . وتسجلت في محكمة حلب .

وفي سنة ١٣٠٧ م (الف وثلاثمائة وسبع) يذكر ابن الحريري وابن سباط، ان في هذه السنة توقف المطر للربيع. ثم وقع ثلج وبَرَد اباد الفواكي ودود القز.

وفي سنة ١٣١٢ م ، يذكر احمد ابن سباط ، انه صار سيل عظيم في مدينة حمص ، اهلك بها خلق كثير . ومات في «حمام ملك الامراء» نحو مايتين امرأة . ودخلوا رجال لكي يخلصوا النساء فهلكوا . وهلك في الخان عدة دواب . ومات من الناس شي كثير .

وفي سنة ١٣١٧ ، عند طلوع الشمس ، صار سيل عظيم في دمشق كثير العكر . وكانت المياه شبه الطحينة .

وفي سنة ١٣١٨ ، حصل في دمشق ريح شديد. وبإثره غبار عظيم، اصفر

الجو منه ، ثم احمرّ ، ثم اسودّ حتى اظلمت الدنيا نحو ساعة . ووقع مطر عظيم . وجرت الميازيب .

وفي سنة ١٥٠٣ (الف وخمسمائة وثلاث) ، جاء سيل عظيم ومطر ، عم الارض . ودام نحو سبعة وعشرين يوماً ، منها خمسة ايام بلياليها ، لم يرى لا شمس ، ولا قمر . وزادت الانهر ، واخذت دور وبساتين ، وخربت جملة نواعير . وهلكت مواشي عدة . وجسور عدّة .

وفي سنة ١٥٠٧م (الف وخمسمائة وسبع) ، هاج في مملكة فرانسا ريحاً عاصفة بهذا المقدار ، حتى انه زعزع البيوت وابعد بين السطح والسطح ، واخبرنا مؤرخ آخر ، انه شاهد بعينه اخشاباً ضخمة جداً طايرة في الجو نحو ميل ، من شدة الريح . ويذكر انه في بلاد فلسطين ، وقع برد ثقيل قتل من الناس شيء لا يحصى عدده .

وفي سنة ١٥٠٨ (الف وخمسمائة وثمان) ، صار ثلج عظيم كان بدؤه من ٧ (سبعة) شباط . واستمرت ترمي (ثلجاً) نصف شهر . وانقطعت الطرق في السواحل والمطارح ، التي ليس لها عادة تثلج . وارتفع في الساحل سبعة اشبار .

[١٣٧] وفي سنة ١٥٢٤م ، وقع في بلاد ايطاليا برد قدر بيضة الدجاج .

وفي سنة ١٥٣٧ ، امطر الله على مدينة برلوتينا حجارة ، ثقل كل واحد ينوف عن اربعة ارطال ونصف . وفي بلد التيمن (لعله اليمن) ، وقع برد بقدر جمجمة الانسان .

وفي سنة ١٥٥٧م ، جاء سيل عظيم ، حتى ان نهر قاديشا ، النازل في نصف طرابلس ، ما ابقى جسراً عامراً ، من الجرد الى البحر ، وفي ١٨ اذار (منها) ، جاء ريح عاصف ، وثلج بكثرة . وفي الوادي بلغ (الثلج) علو قامة . واعدم ورق التوت والكرم ، مع ساير الفواكه .

وفي سنة ١٦٣٦ ، في اول تشرين الاول ، نزل برد في الزاوية والضنية ، حتى زانو ثقل كل بردة وقية . وسنتها صار المطر قليل ، حتى ان في الكوانين ، اكلت الناس الفواكه عن امها (عن الاشجار) .

في سنة ١٦٧٤ ، في ٣ ت١ (تشرين الاول) دام المطر نحو عشرين يوم . وحمل (جرف) السيل اماكن كثيرة ، وطواحين وعماير . ووصل الثلج الى

البحر . وفي رشيد (بمصر) جرفوه عن المراكب ، ودنقروا اثنين من البحرية . وفي قرية كفرسلوان (لبنان) بيع طبق الزبل بربع قرش .

وفي سنة ١٦٧٧م ، في ٧ (سبعة) ايار ، جاء ريح شلوق (حار) استقام سبعة ايام . وانضربت قز السواحل على الشيح .

وفي سنة ١٦٨١ ، دخلت التشارين والكوانين قليلين المطر . وظهر شهب في الفضاء بين قبلي وشمال ، ثبت نحو شهر وغاب . ثم دخل الربيع -بارد . وانضربت الشجرية (الاثمار) من البرد . وقيل ان بلغت البردة الى ثقل وقية وثلث . وفي حوران وقيتين . وقشرت الشجر . وابادت الزرع . واهلكت كثير من البهايم .

وفي سنة ١٧٧٢ م ، صارت صقعة ، وضربت ورق القز والزرع ، والفواكه ، ساحل جرد .

وسنة ١٧٧٥ ، كانت الشتوية باردة . وصارت في شباط ثلجة كبيرة طمت السهل ، ووصلت للجزاير التي في البحر ، قبال مينا طرابلس ، مقدار دراع . وصار ضيق عظيم على سكان الجرد . وقيل انهم [١٣٨] قبروا موتى بعضهم على وجه الارض . فلما فك الثلج ، وجدوهم في عباب التوت . ومن ثقل الثلج ، انهدم جملة بيوت من الماقورا وغيرها . وانقطعت الطرق ، حتى آيسوا (يئسوا) الناس من حياتهم .

وفي ١٧٧٦ ، في ت١ (تشرين الاول) ، صارت سيلة من قرية بقرقاشا (لبنان الشمالي) لنهر بشري . وهدمت طواحين النهر ، والجوز والقلاعي . واخذت جملة جسورة في الساحل .

وفي ١٨٠١ (الف وثمانمائة وواحدة) ، في ٢٧ ادار ، صارت ضربة قوية من قرية صليا في المتن ، ووسط بلاد كسروان لنهر ابرهيم ، نزل برد بكثرة في الليل استقام مقدار ساعتين . وكانت ساعة مهولة . خشي على كثيرين ان الله سمح في انهدام العالم ، لكونه اعدم الزروع ، ونثرت اوراق الاشجار الجوي والبري . واذاب المشب . وقتل جملة طيور برية كبار وصغار . واصبح البَرَد في بعض محلات ، مقدار ذراعين . وقيل من اناس صادقين ، ان في وقت

نزوله ، شاهدوا البرَد قريب لبيض النعـام . وهذه الضربة . ما حكمت (اصابت) ، لا ساحل البحر ، ولا الجرد ، سوى الوسـط .

وفي سنة ١٨١٨م ، صارت سيلة في مدينة حماه روحت منها مقدار سبعماية وخمسين بيت . ومات فيها ما ينوف على الفين نفس. وكان ذلك في ١٥ نيسان.

يذكر ابن الطيب الكفرصغابي في تاريخه ، انه ظهر كوكب في بر الشام فوق سوريا الصغيرة . ومنع الثلج عن الجبال الشاخة مايتين وعشرين سنة. وفي تلك الايام عمرت الناس عماير في الجبال العالية، التي تبان رممها الان في محلاتها. وتعجب الناس كيف يقدروا يسكنوها بالقديم ، من زود الثلج . ومع ان هذا كان صفتها (كذا) . واما الشتي بقي على حاله . ولم ينضرّ شيء من عدم وجود الثلج ، في هذه المدة . بل اخصبت الارض زود عن عادتها . لان ليس عند الله امر عسير .

[١٣٩] تواريخ الجراد

يذكر في تواريخ البطرك اسطفان الدويهي ، وغيره ، انه في سنة ١٣٠١م (الف وثلاثمائة وواحدة) ، جاء جراد الى دمشق لم يسمع مثله. وترك اكثر الغوطة عصي (جرداء) . ويبست بها اشجار لا تحصى .

وفي سنة ١٤٠٠م (الف واربعمائة) ، جاء جراد ايضاً الى ارض الشام ، وغطى السما والارض . وكان ظهوره في ٢٩ ادار . واكل جميع النبـات . وصارت الارض عريانة مثل الكوانين . في ٢٢ ايار (منها) طلع الزحاف في السواحل ، ورعي الكروم والشجر ، وحرش القلب .

وفي تاريخ الياس من معاد ، في سنة ١٤٢٦م ، ثار جراد من مصر الى بر الشام ، الى الفرات . ورعي كل شيء اخضر .

وفي سنة ١٥١٩م ، جاء جراد زحاف الى ارض الشام ، وما يليها . ورعي الفواكه والبذور .

وفي سنة ١٥٢٤ ، جاء زحاف الى الاماكن المذكورة .

وفي سنة ١٥٢٦م ، جاء جراد من جهة القبلي ، فغطى هذه البلدان ، ما عدا بلاد بعلبك والجون . ورعي البذور والفواكه . وعندما طلع في وادي

حيروها الى جبـة بشري ، امر البار قرياقوس مطران اهدن ، بان الكهنة تزيح عظام الشهدا . وكل يوم يخرج الشعب يـك عليه معابير . فقتلوا منه شي. لا يحصى . ثم انه غلبهم ، فردوا الساقية (المـاء) على مكانه . وانصتّت (اصطمّت) ازاية (ازاءه) الناس ، وهي تنوف عن مايتين وخمسين. فغرقت الذي غرق . والباقي اخذوه في السلال . وخلصت الجبة من اذيته .

وفي سنة ١٦٧٢ م ، من زود الصحو (القيظ) في الشتوية ، تحرّك الجراد في اول ادار . وعم الطاير (منه) جميع المقاطعات ، من الساحل الى الجرد ، الى دمشق . ولم يزل طاير ١٢ يوماً . فرعى كل شي. اخضر . ثم انه غرّز (حط) في السواحل . وفي نصف تموز طار . فـاتاه السرمر (طائر) من البقاع واهلكه بالمـقية (اسم جبـل حول الارز). وتجمّع فوق الثلج ، حتى الوحوش وكّرت (اتخذت اوكارا) فيه ، من كثرتها .

[١٤٠] وفي ١٦٩٦م ، صار جراد في بر الشام وما يليها . وذهب (تلف) شي لا يوصف .

و١٨٠٥ (الف وثلاثمائة وخمس) جاء جراد الى بر طرابلس ، ورعي الزرع والفواكه . وصار منه ضرر عظيم .

وسنة ١٨١١ ، جاء ايضاً جراد الى المحلات المذكورين واوسل سعادة الامير بشير (شهاب الكبير) المفخم ، الحاكم يومئذ ، اناس من قبله ، وجمعوا اهل المقاطعات . وشرعوا يقتلوا ويحرقوا به ، ويلاشوه. وما صار منه ضرر. وجاء ايضاً في سنة ١٨١٥ ، وحصل له مداركة مثل الاول .

وفي سنة ١٨١٦ ، و١٨١٧ ، رجع (الجراد) ايضاً. وبعناية سعادة المشار اليه (الامير بشير) ، ما حصل منه ضرر . ولو ما (ولولا) عناية سعادته ، كان خرب هذه الاماكن (البلاد) وعدمها بالكلية .

ويذكر ايضاً في تواريخ تمرلنك ، انه حضر جراد لاراضي الشام ، كما مشروح عن افعاله في التاريخ المذكور . فلا حاجة الى شرحه هنا[1] .

---

١) وفي عهدنا نحن نكب الجراد لبنان وسورية ، سنة ١٩١٥ ، ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) . فظهرت جيوشه في سورية اولاً ، في اوائل نيسان منها . وفي ١٣ منه هاجم لبنان طياراً . فغطت ارجاله الارض ، وحجبت وجه السماء . وقاء الناس

تواريخ مفرقة ، وحوادث اشفية

يذكر في تاريخ ١١٦٤م، انها ولدت امرأة في بغداد اربع بنات، في بطن واحد.

وفي سنة ١٢٦١ م ، الملك الظاهر تسلم البرية والكرك . وقدموا بين يديه مولود من العجايب . وهو مائت . له راسين ، واربعة اعين ، واربعة ايادي ، واربعة ارجل . وبعد ان رآه ، امر بدفنه .

وفي سنة ١٣٠٠ م (الف وثلاثمائة) ، صار حتم (امر جازم) في ديوان مصر (دار الحكم)، ان النصارى واليهود لا يُستخدمون في الجهات السلطانية، ولا عند الامراء . وان يغيروا عمايمهم . ويلبسوا النصارى عمايم زرق ، واليهود عمايم صفر ، والسَّمَرة عمايم حمر . وانطلق هذا الامر على المذكورين ، في الاقطار المصرية والشامية والحلبية .

ويذكر صاحب التاريخ (الدويهي)، انه في سنة ١٥٣٠م (الف وخمسمائة

بالضجيج والفرقعة ، فقرعوا الأجراس والتنك ، واطلقوا البارود ، تخويفاً له ، واضرموا النيران ، واثاروا الدخان لطرده وتقليصه، مما خلق جوّا مرعباً للغاية ، ساد فيه الاعتقاد ان القيامة قامت . واصدر البطريرك الياس الحويك العظيم (١٨٩٩ – ١٩٣١) اوامره باقامة الصلوات والقداديس ، لازالة هذه الآفة الضارية . ثم صدرت اوامر الحكومة العثمانية بمكافحته ، وكان الاهلون قد سبقوا وعملوا جهدهم في ذلك . وقد غرَّز ذلك الجراد في الارض ، يتلف كل اخضر . فبذَّر وباض ثم تلف . — وفي ٢٦ ايار من تلك السنة (١٩١٥)، اي بعد اربعين يوماً من هجوم الطيار ، تفقت بيوضه ، فظهر زحّافاً لجباً يغطي وجه الارض، ويجهز على ما ترك ابوه الطيار من حياة واخضرار . فجرّد الارض من خضارها ، والاشجار من ورقها وقشورها — ولا سيما التين . وحوّل الربيع الزاهي خريفاً قاحلاً يابساً ، ابسان الارض عارية جرداء من اية علامة حياة . وأذهب جهدَ الناس النصي في مكافحته، ادراج الرياح . وفي اوائل تموز منها ، بدأ يطير ويتقلص حتى ٢٣ منه ، هارباً من طير السرمر — آفة الجراد — وقد فتك به الى النهاية . فخلّف وراءه الجدب والقحط، والغلاء الفاحش، والحميات الفتاكة ، والموت الزؤام جوعاً بمئات الالوف . وقد شاهدنا نحن كل ذلك ، وساهمنا كثيراً بمكافحة ذلك الجراد ، ودفن الاموات بالمئات ، في جوار دير كفيفان (البترون) ، حيث كنا نقضي عهد « التجربة الرهبانية » (الابتداء)(١٩١٤-١٩١٦). وقد وصف تاريخ تلك الحرب العظيمة وويلاتها في لبنان ، واضرار جرادها ذاك ، بالتفصيل الوافي ، حضرة صديقنا المؤرخ العلامة ، الخوري انطوان البشعلاني ، في سفر خاص نفيس ، هو تحفة في احداث جيلنا . وفقه الله وامد بعمره ليتاحه بالطبع ، مع سائر اسفاره النفيسة المديدة ، تعميماً للنفع ، انه تعالى الكريم القدير .

وثلاثين) ، يذكر ابن سباط انه قدم الى دمشق رجل في وجهه فم وانف ، وله عين واحدة [١٤١] ، وذقن عليها شعر . ونازل على وجهه لحم مثل شختورة (الية) الغنم ، من اعلى راسه الى صدره . واذا راد ان ياكل ، ام ينظر ، يرفع اللحم النازل ، بيده .

وقدم ايضاً رجل من ناحية شمال ، في يده ثمانية اصابع كاملة . منها اربعة في مكان الباهم (الابهام) .

يخبر المؤرخون ، انه كان رجل في مرض البرص الذي لا شفا له . فمر على اناس يحصدون ، ويعرفون علته . فاعطوه خمرًا كانت وقعت فيه افعى ، ليشربه ، ويموت . فلما شربه ، تنقى من برصه ، وشفي بالكلية .

يذكر مؤرخ آخر ، انه يعرف صبي اعرج لا يقدر يمشي . فاتفق انــه في زمن الطاعون ، انطعن (اصيب به) ، وشفي .

وجاء ايضاً عن رجل اعمى ، ضرب في راسه ضربة قوية ، فصار يبصر جيداً

ويذكر ايضاً ان امرأة فاقدة العقل ، حين ضربت في راسها صح عقلها .

ويذكر ايضاً ، انه كان رجل في صدره دمّلة مهلكة ، عجزت الاطباء عن شفائها . فاتفق ان عدوًا ضربه ضربة عظيمة على الدملة . فصارت تلك الضربة علة شفائه .

يقول الناشر : ويكمل المؤلف هذه الصفحة (١٤١) بسرد بعض خواص وفؤاد لحجر « الكركهان » (كذا) استقاها من كتاب « ميزان الزمان » الآنف الذكر ، وهي نوع من الخرافات لا يقبلها العقل . فاضربنا عنها ، الى ان يقول :

قال بعض العلماء : ان حرير الابريسم[1] هو من تفل الدود . والزباد (كذا) من عرق النصير (كذا) . والعنبر من فضلات تخرج على جلد حوت بحري . والمسك دم حيوان مفسد .

[١٤٢] ويذكر ايضاً في ميزان الزمان ، ان ساغرر ابن اغو هو الذي صنع سكة العملة (النقد) من فضة وذهب . وسياريس ملك الكلدانيين ، ابدع المكيال والميزان ، ونسج الحرير ، في العالم .

---

١) الابريسم هو الحرير قبل ان يخرقه الدود (معرّب دخيل على العربية).

الاحرف الزائدة في الالف العربي

وما يساوي كل منها من الارقام

ث	خ	ز	ض	ظ	غ
٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

(بالاحمر) علم مختصر تواريخ اموات وحوادث

قصدنا بتحريرهم لاجل ان يسهل مطالعتهم . البعض من هذا التاريخ ، والبعض من غيره

عدة سنين مسيحية	
٧٤٩	عمارة كنيسة مار مارون اهدن .
١٢٨٧	اخذ طرابلس ، وتسلمها للاسلام .
١٤٥٣	اخذ القسطنطينية من ملوك الروم للاسلام .
١٦١٨	نهبة طرابلس ، من الامير فخر الدين ابن معن .
١٦٦٠	حصار الامير فخر الدين ، من احمد باشا الحافظ .
١٦٧٨	وفاة الامير فارس في بلاد بعلبك .
١٧٠٤	انتقال (وفاة) البطرك اسطفان الدويهي . وقتل غلوس(١ في سير .
١٧٠٨	هوشة (موقعة) عين داوا بين القيسية واليمنية(٢ .
١٧١١	تأمُّر بيت ابلَّمع . ونهبة غزير .
١٧١٤	قتل (مقتل) ابو محمد عيسى (حمادي) في دير حاطورة ، في ٢٢ ادار .
١٧٤٠	(الف وسبعمائة واربعين) قتلة (مصرع) كنعان الضاهر ، في ٣ شباط (٣ .
١٧٤١	هوشة نصار . وقتلة الشيخ ضاهر اللحم(حمادي) من عمه الشيخ حسين العيسى .
١٧٥٤	حريق كفرفو . وهوشة عقبة (عين) السنديانة (فوق طورزا في شمالي لبنان) في ٥ ايلول .
١٧٥٨	الطاعون . – سنة ١٧٥٧ غلا الرما – ١٧٥٩ الهزة ، وخروج بيت حماده من جبة بشري .

١) هو الشيخ خايل غلوس الكرمي الاهدني، ابن اخت ابي كرم ، وحاكم جبة بشري (١٦٩٣–١٧٠١) . وفي السنة اعلاه ، اوفده الى الضنية وزير طرابلس علي باشا اللقيس ، ليجبي المال . فنزل في برج سير . وذات ليلة كمن له هناك ابن الشعراني المتوالي ، واغتاله ليلاً . وكان صديقاً حميماً للوزير المذكور . (راجع صفحة ٩٢ الاصلية من هذا المخطوط) .

٢) خطأ . والصواب هو سنة ١٧١١

٣) هو الشهيد الفارس البطل المغوار الشهير في عصره وبعده . قتله عبد الرحمن باشا والي طرابلس سنة ١٧٤١ على ما يحقق العلامة الدبس مطران بيروت الشهير (١٨٧٢–١٩٠٧) في كتابه « الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل » ص ٤١٧ . فمات شهيد الايمان .

عدة سنين مسيحية

١٧٦١ هوشة بشري الاولى (مع المتاولة) ، ٢١ نوار . – هوشة الثانية التي انكسر بها المتاولة ، ١٦ تموز .

١٧٦٢ خطرة (حملة) عسكر جبة المنيطرة التي قتل بها بشاره كرم (الاهدني).

١٧٦٣ حكم الامير يوسف الشهابي في بلاد جبيل والبترون والجبة .

١٧٦٤ قتل (مقتل) يوسف الشدر .

١٧٦٦ ديوس (مساحة) جبة بشري الاول، من الامير يوسف الشهابي، في التشارين.

١٧٧٠ خطرة عسكر بعلبك . وحورة حمص ، مع الامير حيدر الشهابي (الف وسبعمائة وسبعين) .

١٧٧٢ حصار بيروت من المسكب (لطرد احمد الجزار منها). وحضور حسن باشا .

١٧٧٣ قتلة ضاهر العمر (الزيداني حاكم نابلوس) . وهوشة اهدن مع اهل الضنية في ١٦ آب .

١٧٧٤ خطرة بعلبك الثانية ، مع الامير حيدر .

[١٠٣] ١٧٧٥ حصار جبيل في ١٩ ت١ (تشرين الاول) .

١٧٧٩ ثلجة الذرية وصلت الى البحر – دراع .

١٧٨٣ توفي الامير سيبل (الشهابي) حاصيا .

١٧٨٦ توفي الشيخ سعد الخوري في جبيل . ودفن بها في ١١ اذار .

١٧٨٧ خطرة (حملة عسكرية) وادي خالد (بين لبنان وبلاد العلوية) من جناب الامير حسن (شهاب شقيق الامير بشير) قاسم في ١٥ ت١ (تشرين الاول).

١٧٨٩ طلوع محمد الاسعد لاهدن . ونهبة قزحيا ، وعينطورين . في ٤ ك١ (كانون الاول) .

١٧٩٥ خطرة عسكر على عكار من موسى باشا . في ٥ ايلول .

١٧٩٣ خطرة عسكر الهرمل ، مع الامير حسين (شهاب) حاصيا في ١٠ آب (عشرة آب) . وخطرة جبة المنيطرة .

١٧٩٨ تولي محمد علي على مصر . – ١٧٩٩ فتح الحجاز . – ١٨٠٩ تمشي الحج بعد بطلانه سبع سنين .

١٨٠٢ (الف وثمانمائة واثنين) حصار عبدالله باشا (العظم) لطرابلس .

١٨٠٤ خطرة عسكر من اولاد الامير يوسف (شهاب) على الضنية والمنية في ٤ ك١ (كانون الاول) .

١٨٠٦ (الف وثمانمائة وست) خطرة عسكر مصطفى بربر (حاكم طرابلس) على صافيتا.

١٨٠٨ (الف وثمانمائة وثمان) حصار يوسف باشا (العظم) لطرابلس وضربها .

١٨١٠ طلوع يوسف (العظم) من الشام . ورجوع مصطفى اغا بربر لطرابلس (سنة الف وثمانمائة وعشر) .

١٨١١ ديوس (مساحة) جبة بشري الثاني.

علم توفي (وفيات) مطارين وكهنة ومشايخ
من جبة بشري والزاوية

عدة سنين مسيحية	
١٧٨١	توفي المطران يوياكيم يمين .
١٧٩٥	توفي ولده المطران جرجس ، في ٥ نيسان .
١٨١٢	(توفي) الخوري يوياكيم يمين (ابن المطران يوياكيم) في ١٢ ايلول .
١٧٦٦	توفي جرجس بولس (الدوعجي شيخ اهدن) في ٣ ك٢ (كانون الثاني) .
١٧٨٨	توفي ولده يوسف (الشهير) في (حرج) الميحال (في صرود جبيل) في ١٢ ت٢ (تشرين الثاني) .
١٧٨١	توفي الشيخ ضاهر (؟) في ١٩ اذار (من المشايخ آل الضاهر في الزاوية).
١٧٩٦	توفي ولده لطوف في ٨ ك٢ . — ومركيس في ٢ نيسان ١٨٠٩ . —بركات في ٣ ك٢ ١٨١٣
١٧٨٥	توفي ابو يوسف الياس (شيخ كفرصغاب) في ١٢ ك١ . — ابنه حنا في ٢٢ حزيران ١٨١٢ — ابنه اسطفان في ١١ تموز ١٨١٣
١٧٨٥	توفي حنا ضاهر كيروز (شيخ بشري) في ٥ كانون الاول .
١٧٨٦	توفي ابو سليمان عواد (شيخ حصرون) في اول شباط . — ولده ابو كنعان في ١٨ آب ١٨٠٥ (الف وثمانمائة وخمس) .
١٧٩١	توفي عيسى الخوري (شيخ بشري) في حوارة (قرية بالضنية) ودفن في قرية بزيارة في ٣ نوار .
١٧٩٩	توفي ابو خطار الشدياق (شيخ عينطورين) في اول شباط نهار الجمعة ، في المرفع (وهو والد المؤلف) .
١٨٠٨	توفي موسى الخوري في ٧ ت١ (تشرين الاول) .
١٨١٧	توفي الخواجا يوسف كرم (جد بطل لبنان لابيه) في زغرتا في ١٧ تموز .

يقول الناشر : الى هنا ينتهي الجدول الذي هو من وضع المؤلف . وبعد وفاته — على ما قدمنا قبلاً في ترجمة حياته — جاء من واصل الجدول، فدوّن الوفيات التالية ، مبتدئاً بوفاة المؤلف نفسه، كما يلي :

١٨٢٢	توفي الشيخ انطونيوس الشدياق في ١٣ ك١ (كانون الاول) نهار الاربعة ، في مدينة جبيل ، باطوش الرهبان اللبنانيين من بعد ما طلع من الحبس .
١٨٢٣	توفي ولد ولده (حفيده) اي توما الشدياق ، في ٢٢ ك٢ (كانون الثاني)، نهار الثلاثا بعد جده باربعين يوماً .

عدة سنين مسيحية

١٨٢٢	توفي اخوه زعيتر الشدياق (اخو المؤلف) في ١٦ ت١ (تشرين الاول) غار الاربا .
١٨٢٧	توفي الشيخ انطانيوس حنا ضاهر ، في ٦ كانون الاول (والد راجي بك حنا ضاهر الشهير) .
١٨٦٤	توفي الشيخ انطونيوس اسطفان ابو الياس من قرية كفرصغاب في ٩ ك٢ (كانون الثاني) .

[١٤٤] نقل بعض تواريخ يخصوا عين طورين (من وضع المؤلف) من جملة كتب مفرقة

١٧٠٦	(سنة الف وسبعمائة وست) ، ابس الاسكيم الرهباني الحاج عبد النور من عين طورين ، في مار اليشع بشرّي ، في ١٥ آب.
١٧١١	توفي ولده ابو يوسف جرجس عبد النور .
١٧٣٧	توفي الخوري جبرايل عبدالله التلميذ (اي انه كان دارساً مثقفاً).
١٧٤٩	توفي الخوري انطانيوس جبير ، في ٤ تشرين الثاني .
١٧٥٠	(الف وسبعمائة وخمسين) رسامة الخوري موسى ابن ابو حنا جبير .
١٧٥١	رسامة الخوري جرجس عبدالله .
١٧٥٢	رسامة الخوري انطون جبير ، في ١٤ ايلول .
١٧٥٧	ولد انطانيوس ابن الشيخ بو خطار ، في ١٣ حزيران (هو المؤلف) (١
١٧٦٥	رسامة القس جبرايل عبدالله في ٣ ك١ (كانون الاول).
١٧٧١	توفي الشدياق توما عبد النور في ١٢ ت١ (تشرين الاول).
١٧٨٥	توفي القس جبرايل عبدالله ، في ١٥ حزيران . وفي تلك السنة صار الطاعون في عين طورين .
١٧٨٧	رسامة القس عبد الاحد جبير ، في ١١ ادار .
١٧٩٣	توفي الخوري انطون جبير ، في ٤ ت١ (تشرين الاول).
١٨٠٤	توفي جبور حنا جبير في هوشة الضنية ، في الجرد في ٣ ك١ (كانون الاول).
١٨٠٦	توفي اندراوس الشدياق توما عبد النور ، في ٥ شباط .
١٨٠٩	توفي رفول الشدياق توما عبد النور ، في ١٠ (عشرة) شباط.
١٨١١	رسامة الخوري جبرايل عبدالله، والخوري انطون جبير، في ١٠ (عشرة)اذار.

١) حبذا لو لم يفتنا الاطلاع على هذا التاريخ لمولد المؤلف !!!... اذن لكنا اثبتناه في موطنه من ترجمته التي وضعناها في مطلع هذا الكتاب . فرجاؤنا الى القراء الكرام عذراً على هذا القصور والاغفال غير المقصود ، والانسان شيمته الضعف والنقص. وجل من هو كامل ومعصوم ...

عدة سنين مسيحية	
١٨١٩	توفي فرحات عبد النور .
١٨٢٠	(الف وثمانمائة وعشرين) توفي بنت الخوري حنا عبدالله عين طورين ، في ١٧ آب .
١٨٢٠	توفي بركات عبد النور ، في ٤ ك١ (كانون الاول) . وتكليل اليشع الشدياق توما وليد الشيخ انطونيوس (المؤلف) في ١٠ ك١ (كانون الاول) . وقد ولد الولد المبارك ابنه يوسف في نيسان .

الى هنا من وضع المؤلف . ومن بعد وفاته بخط آخر ، ما يلي :

١٨٢٥	توفي لطوف عبد النور ، في ٢١ ايلول .
١٨٣١	توفي المرحوم انطانيوس رزقول الشدياق ، في ٢٣ نيسان . ولطوف ابن مخايل رزقول الشدياق ، في ٤ ت١ (تشرين الاول) .
١٨٣٤	توفي لحود رزقول الشدياق ، في اذار .
١٨٣٥	توفي يوسف ابن الياس ، ابن ابو يوسف الياس ، في ٨ حزيران .
١٨٥٧	توفي المرحوم اليشع الشدياق ، في ١٠ ايلول ، صباح الخميس مسلحاً بكامل الاسرار المقدسة . وكان عمره وتتنذ ٥٩ سنة(١.

[١١٥] يقول الناشر : هنا في هذه الصفحة يبدأ المؤلف باثبات رؤيا القس اسطفان ورد ، المذكورة في فهرست هذا الكتاب صفحة ١٩ منه ، كما رأى القارئ اللبيب . وتنتهي هذه الرؤيا في صفحة ١٨٥ من هذا المخطوط . واذ نحن عازمون على نشر هذه الرؤيا النفيسة ، قريباً جداً ، في هذه المجلة الغراء ، انشاء الله تعالى ، مبينينها بما لواضعها العلامة من آثار اخرى خطيرة ، ومقدمين على ذلك بترجمة حياته الجليلة ، اضربنا عن اثباتها هنا ، مجتزئين بذكرها فقط . والله من وراء كل عمل مجازٍ ومثيب .

ويلي ما تقدم ، في هذه الصفحة ايضاً ، « نبوة القديس برزدوس » (١٠٩١ — ١١٥٣) . وانها « وجدت مكتوبة بعد موته » . وهي سبع نبوات من سنة ١٧٥٥م ، الى الف وتسعمائة . ولما لم يتحقق منها شيء ، اضربنا عن اثباتها ايضاً . ثم يليها نبوة البابا اينوشنس الحادي عشر (١٦٧٦—١٦٨٩) . ولانها

١) لا ينسَ القارئ اللبيب ، ان اليشع الشدياق هذا هو الشماس المعهود ، احد نساخ هذا المخطوط الثلاثة ، وقد دون اسمه مبهم في الصفحة الاخيرة منه ، كما رأى القارئ ذلك في الرسم الثاني في مقدمة هذا الكتاب .

معقبة بتفسير لمعمياتها على قسط من الطرافة ، نثبتها في ما يلي :

تكملة الصفحة [١٨٥] نبوة البابا اينوشنسيوس الحادي عشر

في السنة التي فيها مار مرقس يعطي عيد الفصح ، ومار انطونيوس (البادواني) يعطي عيد العنصرة ، ومار يوحنا يسجد للرب ، فالدنيا كلها تصرخ الى الله تعالى . وزهرة الزنبق تتحرك ضد السبع . ويجي السبع ويهلك ، اي يحوط بها من كل ناحية. وفي تلك السنة عينها ، إبن البشر الذي علامة السبع والوحش في ذراعه ، يحرك الدنيا كلها بقوته ، [١٦] ويعمل الحرب الخصوصي . واناس كثيرين يفوتون المياه ، ويدخلون ارض السبع الذي يطلب معونته . لان الوحش طايفته تملك جلده باسنانها .

في تلك السنة يأتي من ناحية الشرق، ويرفع جناحيه فوق الشمس ، ويأتي بعسكر عظيم الى معونة ابن الانسان. ويكون في الدنيا خوف عظيم وحروب كثيرة ، في الربع السابع بين الملوك ، حتى ان الناس لم تنظر مثلها كلياً . والزنبق في ذلك يضيع اكليله. والاكليل يأخذه النسر. ويتكلل ابن الانسان.

ومدة اربع سنين تكون حروب كثيرة ، وضرب عظيم في كل العالم . واعظم ناحية الدنيا تتلف . وراس الدنيا يصير تلفان . وبعد هذا ابن السبع يفوت البحر ، ويجيب علامة عظيمة . وابن البشر والنسر يغلبون . وتصير سلامة في الدنيا كلها . وتخصب كل الارض .

تفسير هذه النبوءة والغازها

ان حكم (وقع) عيد مار مرقس ثاني عيد الفصح ، وعيد مار انطونيوس (البادوي) ثاني عيد العنصرة ، وعيد مار يوحنا (المعمدان) قبل عيد الجسد (خميس القربان) ، بيوم ، الدنيا كلها تصرخ ...

ان زهرة الزنبق هي فرنسة .

وابن السبع هو البندقية .

وابن البشر ، وابن الانسان ، هو المسكوب (روسية) .

والنسر هو ملك النمسة .

والوحش هو طائفة ، اي الصقار (كذا) ، ويتصلون في المسكوب .

والربع السابع ، هو بلاد الافرنج .

واعظم ناحية الدنيا هي بلاد فلسطين – بر الشام – (لانها بلاد المسيح واثاره ومزاراته المقدسة) .

وراس الدنيا هو القسطنطينية .

وبعد هذا ابن السبع (البندقية) يفوت البحر ، ويجيب علامة عظيمة ، اي الصليب .

يقول الناشر : وتحوي هذه الصفحة (١٨٦) ايضاً ، الى صفحة ١٩٤ ، تفسير حلم او رؤيا المائة رجل في رومية العظمى ، الذين رأوا تسعة شموس ، هي رمز لتسعة اجيال . وقد سردت احدى السيبيلات (النبيات) الحكيمة ماجريات تلك الاجيال التسعة ، وما فيها من احوال سيئة او سعيدة ، كما هو معروف ، ويجيء نشره هنا على غير جدوى. فاكتفينا بالاشارة اليه ، وحسبُ . وعلى ذكر السيبيلّات ، نخصص لهن الفصل التالي ، زيادة للتنوير والاطلاع .

فصل خاص في السيبيلات

لناشر هذا الكتاب

لعل خبر « السيبيلات » هؤلاء اصبح مجهولاً عند بعضهم. ولعل في اطلاق شعاعة منه هنا – وهو من نقاط التاريخ الخطيرة – خدمة مجدية ، وتفكهة لا بأس بلذتها ، مما هو رائدنا – بعد مجد الله تعالى – من خدمة العلم وكل عمل فنقول :

تشتق لفظة « سيبيلا » من كلمتين (Sibylle) معناهما مستشار الالهة . وفي اليونانية معناها النبية او الحكيمة . وكان السيبيلات نساء يقمن في الدياميس والمغاور ، او في الهياكل . ويأتين حِكَماً وآياتٍ بالاشارات او بالكلام ، او بالكتابة . ويثرن احياناً ، فيتألهن وينطقن بكلام لا نهاية له ، متنقلات من موضوع الى آخر ، ومازجات الحقائق بالباطل ، حتى انهن لا يفهمن ما يتنبأن به ... ولا يقلن الحِكَم والنبوات ، الا وهن في عُجب وكبرياء ، يكتنفهن بخار وروائح تنبعث من الارض ...

وجُمعت نبوات السيبيلات في كتب كانت على شهرة في العهد القديم ،

واهتم بحفظها امبراطرة رومية ، وبخاصةٍ اغوسطوس قيصر (٦٨ ق م — ١٤ بعد المسيح) ، فوضعوها في صناديق حجرية في اساسات الكابيتول ... ثم أمرَ القيصر بنسخها ووضعها في هيكل ابوللون ، حتى جعلها تحت شخص الاله نفسه ...

ويختلف المؤرخون في عدد السيبيلات ، فيجعلونه من واحدة الى عشر ، واكثر . وفي تاريخ الكنيسة وغيره ، اثنتا عشرة سيبيلا . وكن وثنيات متبتلات ، وفي ازمنة وعصور مختلفة . وللعلماء آراء جُلى في هؤلاء النبيات الوثنيات ، امثال فِلِر وغيره ... ومنهُن : ديبورا (Debora) امرأة لابيدوت ، وماري امرأة هارون ، واولدا امرأة سالم ، وهؤلاء كنَّ نبيات حقاً .

وتنبأ السيبيلات عن مجيء المسيح ، من قبلُ بقرون كثيرة . واشهرهن الكلدانيات ، ولاسيما امالتي (Amalthée) نبية إريتري (Erythrée)، وكانت في كوم . وتنبأت مدة سبعمائة سنة عن المسيح وعجائبه وآلامه وموته وقيامته ، ومجيئه الثاني للدينونة العامة ، في آخر الزمان ، وذلك بتأكيدات وتحديدات تُخال انها مأخوذة عن الانجيل المقدس عينه ... ونبوءاتها منظومة اشعارًا يونانية ولاتينية . وتحوي اشعار امالتي نبوءاتٍ عديدة عن الدينونة الاخيرة ، وقيامة الاموات ، وعقاب الاشرار ، وثواب الابرار ، والمطهر ، وابادة العالم بالنار . وقال فِلِر في معرض كلامه عنها : ان معظم نبوات السيبيلات ينبغي ألّا يهدم الصادق من نبوات سائر السيبيلات .

والسيبيلات نبيات ، حتى في نظر جمهرة من الآباء القديسين ، يعتبرونهن نبيات اقامهن الله تعالى ليهيئن الالباب لقبول دعوة المسيح الموعود به . واقر هؤلاء الآباء — وهم الذين هدوا الوثنيين الى الحق ، في اجيال الكنيسة الاولى ، ان كتب السيبيلات تحوي حقائق موحاةً لا يوحيها غير الله تعالى ...

وروى فيرجيل ، وغيره عن علماء الوثنية ، فِقَرًا تنطبق كلها على السيد المسيح ولا يمكن صرفها عنه الى غيره . واهتم لها ايضاً زملاؤه : شيشرون وتاسيت وسواتون ، وغيرهم ...

وفي كتاب « مدينة الله » للقديس اغوسطينوس ، نبوءة واحدة منهن ، مؤداها « يسوع المسيح ابن الله المخلص » . وقال قسطنطين الكبير ، الامبراطور

القديس ، لآباء مجمع نيقية المسكوني الاول (الملتئم سنة ٣٢٥م) — وقد اذكرهم هذه النبوءة — : ان كثيرين لا يؤمنون بهذه النبوات . . . وكفى باستشهاد الكنيسة تأييدًا لها ، اذ تقول في احدى اناشيدها على الموتى : « في ذلك اليوم ، السخط يفني العالم بالنار ، كما قال داود والسيبيلا ».

وقد كتب العلامة المنسنيور ميسلن[1] فصلًا ضافيًا عن السيبيلات ، في المجلد الاول من كتابه الشهير الاراضي المقدسة (Les Saints Lieux) ، صفحة ١٨٦— ١٩٤ ، طبعة باريس سنة ١٨٥٨ . وعنه قد انتطفنا ما تقدم . . .

واهم من كتب عن «السيبيلات» ايضًا ، العلامة المطران جرمانوس فرحات ، سليل رهبانيتنا اللبنانية ، في ديوانه الشهير حيث يعددهن ويذكر اسماء بعضهن وبعض بلدانهن . ووصف نبوءة كل منهن في ابيات خاصة ، هي غاية في الروعة والعبقرية الشعرية . وترى القراء لا يعفوننا من ايراد تلك الابيات النبوية ، الاولى من نوعها في الادب العربي ، قال فرحات ، وهو اذ ذاك راهب في دير مار اليشع النبي في وادي قاديشا ، في سنة ١٧١٢م :

قالت النبية الاولى ، وكانت فارسية :

يأتي اخيرًا باجلالٍ وتكرمةٍ ... مَلْكٌ عظيم له في الكون مقدارُ
بكر الخلائق والاعصار يولدُ من ... بكرٍ لها في سماء العز انوارُ
يأتي مدينته الغراء وهو على الـ ... أتانِ لكن لهذا النص اسرار
ذو قوةٍ تقهر الاعداءَ سطوتُها ... وينقذ الضالّ والشيطانُ يحتار

وقالت الثانية ، وكانت من بلاد ليبيا :

الحيُّ قبلًا هو القدوس ثم هو الـ ... مالكُ العظيم فلا يدنوه إنكارُ
سيستقرُّ ببكرٍ ما مقدسةٍ ... سلطانةٍ ولها الاملاك انصارُ
تحود حبلى به من غير ما رجلٍ ... فهو القديرُ بما يأتيهُ جبارُ

---

[1]) هو الرحالة الشهير ، محب لبنان والموارنة الحميم ، مرشد البيت المالك في فيانة عاصمة النمسة ، احد رؤساء بلاط البابا بيوس التاسع ، كاتب البراءات الرسولية ، ابنا في عذراء دي دبج في هنغارية ، رئيس كاتدرائية كروسوردين ، رئيس شمامسة كروشا ، الملفان في اللاهوت والفلسفة ، عضو مجامع علمية عديدة ، وجمعيات جغرافية ، وحامل وسام القبر المقدس و . . . زار لبنان ايضًا في ما زار من قارات العالم ، في صيف سنة ١٨٤٨ . فكتب رحلته في ثلاثة مجلدات ضخمة . وقد خص لبنان والموارنة — ولاسيما بيت كرم في اهدن — بمجلد كامل منها اودعه البدائع والطرائف . مكننا الله من اخراج هذا السفر النفيس الى العربية . . .

ذو قوةٍ تقهر الاكوان ظافرةً حتى تـدينَ له نـارٌ وانوارُ(١

قالت الثالثة ، وكانت من مدينة دلفوس :

ان الاله قـدير في تصرفـهِ وضابطُ الكل لا يحويه مقدارُ
له جمـالٌ يفوق العالمين به من حيهِ كل قلبٍ فيه سيّارُ
تراه يرضع من بكرٍ مقـدسةٍ ملكٌ له موكب الاملاك انصارُ

قالت الرابعة ، وكانت من ايطالية :

يضيء في الشرق نجم كله عجبٌ يهدي مجوساً فتدعوهم به الدارُ
معهم هدايـا ليأتوا ساجدين بها ويشهدوا ملكَ الاحياء ان ساروا

قالت الخامسة ، واسمها سمبانا :

ذاك الذي يختفي في حضن جاريةٍ مَلْكُ الدهور فـلا تعميه اعصارُ
مولىً تبشرنا فيه السماء وقـد تُبديـه انجمها تَلقـاهُ اقمـارُ

قالت السادسة ، واسمها كرمانا :

مولىً سيختار بكراً ان تكون له امّاً تفوق النسا حسناً وتختارُ
بها وفيها يكون الكون منحصراً امْ هي الكون في الدنيا هي الدارُ

قالت السابعة ، وهي من مدينة طروبا :

وسوف تأتيك بكرٌ ذا معظّـمةٌ عند الاله وفيها يكشف السـارُ
تكون امّاً لإبنٍ جاء مولِدُهُ منها وآثـاره في الكون انوارُ

قالت الثامنة ، وكانت من بلاد فريجيا :

اراد ربُّك ارسالَ ابنـه فأتى من السما وله خبرٌ واخبـارُ
يحل في بطن بكرٍ وهي طاهرةٌ وثديها بحليب الـبِرّ مـدرارُ
هذا هو السر جبريل المبشرُ به مبشّرٍ امـه والسرّ اسرارُ
بكر مقدسـة بـالإبن مُتقَـنةٌ طهرٌ تنزّي نفوساً شأنها العارُ
عار الخطيئة من جدٍ ومن عملٍ والجارُ بالطّخه من إثمٍ الجـارُ

قالت التاسعة ، وكانت من اوروبة :

الكلمة السرمدي يأتي لذاك الى الدنيا ونبصره في الخَلْق ابصارُ
يجوز مستودَع البكر التي طَهُرتْ نفساً وجسماً وهو بالملك قهّارُ
يعلو الروابي مع الاحكام سؤدده يبدو ودبعاً فقيراً ما له دارُ

قالت العاشرة ، وكانت من مدينة طيبورتينا :

الله الله حقٌ صادق ابـداً الهامه جاءني والوحي اشعارُ

---

١) يريد بالنار سكانها من شياطين وبشر ؛ وبالانوار اهلها من ملائكة وقديسين .

حتى بذلك انبا على أمة   بكرٍ مقدسةٍ ما شاخا عمارُ
حبلى ببكرٍ سيتلى بناصرة   ميلاده بيتُ لحمٍ فهي آثارُ

قالت الحادية عشرة ، واسمها اغريبينا :

ربٌّ عظيمٌ عزيز في الانام يجي   في حلةِ الجسمِ من بكرٍ وهو نارُ
بقوةِ الروح يأتي من طهارتها   فانه في دارها اللحميّ ديارُ

قالت الثانية عشرة ، وكانت من بابل :

عذراء عبرية قد زانها شرفٌ   من والديها وصارت حيثما صاروا
تأتي اخيرًا بإبنٍ جلَّ قدرتُه   لوفده رُفعت رؤوسٌ وابصارُ
بمنوالٍ صبا ايام سيرته   يجود ذا الَيمِ والسر ايسارُ(١

ويعقب ما تقدم ، الفصل التالي :

[١٩٠] فصل من بعض اقوال الجفر(٢

يعطي هذا الفصل صورة صريحة طريفة، عن تقاليد لبنان ، وسائر جواره، وطريقة شعوبنا—قديماً ، وحتى اليوم، في بعض المناطق. . .—في عاداتهم وخرافاتهم، واحاديثهم الهائلة . . . ولان ذلك سائر قدماً ودراكاً في طريق النسيان فالاندثار ، نؤثر ايراده هنا ، كما اورده المؤلف صورة لعهده . فيكون طرفة تذكارية من الاجيال الغابرة للاجيال المقبلة ، وهو في ما يلي :

. . .وفي سنة الغراب (ولعلها الجراب) ، يظهر الخراب، ويكثر الضباب، ويرفع الحجاب ، ويمزق الكتاب . وهذه العلامات الشافية، والعبارات الوافية، هي على طيّ البساط ، ورفع السياط ، وتبديل الارض بالطول والعرض . وتحكم العجوز ، وينكسر الكوز ، وتنحل الرموز ، وتنفتح الكنوز .

١) اطلب ديوان المطران فرحات ، طبعة المعلم سعيد الشرتوني الشهير ، بالمطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٤ ، ص ٢١٦-٢١٩ ، مع الحواشي .

٢) اما الجفر فهو مجموعة نبوات وحكم، ورموز وعِبَر، متعارفة عند طوائف لبنان، مسيحية ومحمدية ، ولاسيما الدروز . وهؤلاء يدعون ان « الجفر » من كتبهم . . . وكانوا في الحربين العالميتين الكبيرتين الاخيرتين ، يقولون ان احداثها وماجرياتها منطوق بها في كتبهم احاديث ونبوءات . ومن عبارات ذلك عن مقدمات الحروب وعلاماتها: « . . . في تلك الايام تذهب الشيبة من روس الرجال . ويقل الحيا من وجوه النسا . وتتباهى النصارى بالرتب والوظايف . . .» وما شاكل ذلك . . . (من معلومات المؤرخ العلم الجليل الخوري اسطفان البشعلاني ، صديق الدروز وعشيرهم في قريته صاليا).

ويظهر الغـلام الغريب بامره العجيب عن قريب ، في جيش عيساوي ، وسري موساوي ، وزيرة ياسين ، وكاتبه طين . وتنفتح الجزاير ، ويهتك الحراير (النساء المصونات) . ويقتل الظلما ، ويسبى الصلحا . وينصر الصليب من شقاق العلما ، وخلاف الامرا ، ونفاق الوكلا . سر صليب يظهر ، ملك يقهر ، قوي يقبر .

إفهَم الرموز ، يا داخل الكنوز . وترفل الرايات السود ، بالعساكر والجنود . وتخرب خراسان ، وترفع الصلبان ، وتُعبد الاوثان . غابت شمس الزمان ، وقمر الاوان .

افهم يا ياسين ، ضاق الوقت اضيق من بياض الميم . ارى الخيام كأنها خيامهم ، ولكن نسا الحي غير نسايهم . ثم ان القران يرتفع مرتين . المرة الاولى يرتفع وتبقى بركته على الارض . والمرة الثانية يرتفع خطه من الارض باذن الملك الخلاق . وسبحان من يرد الولاية الى اهلها . وينزلون بني اصفر الى حلب ، في ثمانمائة صليب ، ثم الملحمة الكبرى بين النصارى والمسلمين . ويكون القتال [١٩٥] ثلاثة عشر مرة ، وفي البر تسعة عشر مرة .

وبين جماد ورجب ، ترى العجب . وفي شعبان يقع الافتتان . وفي شوال ، الاهوال . وفي محرم ، ترى الامر الميوّم ، وتفنى دولة الاتراك جميعاً بشوال ، وتنصر الليالي . حرّك الحارس ، يا فارس . ورقة النوس يا نواس . وقدم السيوف يا سياف . وسبب المهدي يا مهدي . اذا نزل القضا ، بطل الحذر . ونوح على عكا ، يا جندي البكا . . .

ملك خليفة عدها يا قاري . قد اوضحنا البيان ، واظهرنا الخفيات . ورمزت ولحظت ، وقدمت واخرت ، ولوّحت وصرّحت ، وقربت وبعدت ، لكيا لا تنكشف هذه الاسرار على الجاهلين ولا يدركوها الغافلين . بل الملوك والاكابر ، لما فيه من الاسرار والجواهر . . . صليب قادر ، عزيز خالق ، محيي موافق ، عند مالك مجيد ، سلطان موحد سليم . ذوي الاسرار عدة ما مضى ، معناه غرة المختار . الملك خليفة ، عدها يا قاري .

يظهر النبل عن قريب . ويكون في الشمال قبح حال . فيا اسفاه على حلب وحمص ، ماذا يلتقيان من الخيال . . . ويظهر في السما نجم عظيم له ذنب ،

وشعب طويل. فتلك الدلايل للافراج حقًّا . ويستفيدوا في السواحل والجبال.

ومكا سوف تعلوها جيوش كما تعلو النيوم على الجبالِ
وتلطخ دورها في دم قومٍ انرها هاربين من القتالِ

ثم احذر من نزول الراس الحمل ، اياك تعبر مصر ، والشام عنها ارتحل . في ذلك الوقت يكون المريخ ، وفوقه تدخل الشمس في الجوزة . ويكون القوس والمريخ منزلة . هذا دليل الواضح السبيل . اذا رأيت هذا صار اولاً ، ارحل ، ولا تنغر بالامل . قد جربت اناساً قبلنا زماناً ، وتقتلوا عليهم بالقول والعمل. ويدخلوا الى حلب الاحد سحرًا، في زمرةٍ [١٩٦] من بني خاقان . محتفل العلم يخبرني والله يا ولدي ، اذ يأخذونها وتبقى مضرب المثل.ويدخلونها ويقتلون كل القاطنين بها . ولم يسلم منهم الّا ذو الاجل . ويسبوا حريمها من ساداتها ومن عاقوها .

مصر والشام اتركهن وارتحل . بعد هذا يا صاح اندبها وزد نحيب. منها يهدم جيش المسلمين ضحىً . وينكسر ناسهم من شدة الوجل . وفي محرّم تندب كل ناحية في ارض جلاق ، من انثى الى ذكر . ومن شدة الخوف تسقط كل حامل . وترى الناس في شغل من شغل .

يا حمص ، يا حمص ، قد ضاقت مسالكك رحب الفضا ، ووسع الربع والطلل . لا حولَ ولا قوة الا لخالقنا . تخرب القدس يوم السبت بالعجل ؟ الله اكبر ، اذ يلقونهم سحرًا بقتال الطفل والشاب والكهل ... ولا بد من زلل وكسوف ورجفات وخسوف . ويكون قيام السيف ، بالشتي والصيف. وتأتي بنوا الاصفر ، ومعهم الغلام الاشقر ، على المرج الاخضر . يخرج من حلب في ثمانية رايات ، تحت كل راي اثني عشر الف صليب . وينزلون بلاد الروم قاطبةً .

وفيها قد دخلوا الديار ، وتواترت الاخبار ، اتت من الشرق العساكر ، ومن البحر الدساكر . وفي بلاد الروم يصيح البوم ، الويل لاهل الارض ، بالطول والعرض . اما شاه البحر فيغلب ريس النم . واما النصراني فيقتل العثماني . والمراكب البحرية تفتح البلاد المصرية . ثم تفتح الجزاير ، في ايام قلايل . لان الولد متلف والبيت مدلف ، والسري مخلف ، والعبد مصرف .

والزنا فاشي . والربا ماشي . والامام واشي . والقاضي راشي .

والحكام فجار . والوزرا تجار . والرعايا دياب . والرعية كلاب.[١٩٧] والوزرا جلاس قلاشي . العالم مجادل ، والعالم مخاتل . والضو كدر ، والصافي عكر . والملك لاهي . والوزير ساهي .

احذر يا محمد من الديك الصايح ، والكلب النابح . احذر من الاخ ، فانه فخ . والاقارب كالعقارب. في بعلبك الامان. وتحيط المخاوف في نواحي جبل لبنان . ويهدون الحصون الشامية . وتحيط في بلادها الآفات . اذا نزل القضا اعمى البصر حلب ، دمشق ، انطاكية ، قونية ، قسطنطينية ، بغداد ، نابلوس ، صعيد عكا ، مصر ، دمياط ، طرسوس ، الدنيا لاش (لا شيء.)، من تركها عاش . اعتبر يا سلف ، يا خلف . جميعنا نموت . سبحان ربنا لا يموت .

عدة التاريخ للملك خليفة . عدها يا قاري

٣٠ ، ٤٠ ، ٠٣٠ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ٨٠ ، ٥٠ ، ٧٠ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ١٠ ،

١٠ ، ٢٠ ، ١٠٠ ، ١٠٠٢ ، ١٠

انتهى الكتاب ، بمنة الملك الوهاب

الى هنا ينتهي هذا المخطوط الاصيل. بيد انه بعد زمان مديد ، من موت المؤلف الشهيد جاء من كتب بالعربية حادثتين هامتين، تتعلق اولاهما بخبوف البيت الكرمي في اهدن ، وعلاقته بفرنسة ، والثانية بتاريخ صاحبه يوسف بك كرم ، رجل لبنان وبطله الاعظم . وذلك في الصفحة الاخيرة من هذا المخطوط ، تحت كتابة الختام « الكرشونية » المصورة في اول هذا الكتاب .

واكد لنا حضرة صديقنا البحاثة المفضال ، الخوري اسطفان البشعلاني ، ان خط هذه الكتابة الجديدة، شبيه كل الشبه بخط الخوري مخايل الشدياق ، ابن المؤلف ، وخال يوسف بك كرم ، وقد اقام معه في نابولي زماناً. ولدى الخوري اسطفان امثلة كثيرة من خط الخوري مخايل ، يحفظها في خزانته بين اوراق كرم البطل ...

وهذا نص الكتابة بالحرف :

الحدث الاول : انه في تاريخ سنة ١٨٦٠ (الف وثمانمائة وستين) نهار

الاحد الواقع في ١٠ حزيران ، قبل المغرب بساعتين ، كان تشريف جلالة اولاد ملك فرنسة سابقاً، قرية اهدن، عند جناب البكوات مخايل واخيه يوسف (بك كرم البطل) اولاد المرحوم (الشيخ) بطرس كرم . وتعشوا عند مخايل بك المرقوم ، في بيته .

ونهار الاثنين ، في ١١ شهره (حزيران المذكور) ، الساعة واحدة بعد الاثني عشر ، ركبوا وتوجهوا للارز . وتوجه بخدامتهم مخايل بك المذكور ، وصحبته كم خيال وكم نفر زلام (مشاة) ، لحد الارز . ورجعوا من هناك .

وجلالتهم توجهوا من هناك على بشري ، على حصرون ، على طريق العاقورا ، لحد ريفون وعينطورا . ومن هناك الى بيروت . ورجعوا الى وطنهم متوجهون في البحر .

وقولنا « سابقاً »، من كون (لان) قبل تاريخه بنحو ثلاث سنوات، ولحد تاريخه ايضاً ، مأخوذ منهم الملك، ومسلم بيد جلالة الامبراطور نابليون (الثالث) الذي هو من اقارب بونابارتو. والان لم يزالوا المذكورون جاعلين سكناهم خارج حكم فرنسة . وفارغة يدهم من الحكم . صح .

الحدث الثاني : توجه رفتلو يوسف بك كرم ، من بيروت للاستانة في ١٩ ك ١ (كانون الاول)، نهار السبت سنة ١٨٦١م. وكان رجوعه من الاستانة، ووصوله للاسكندريه في اقليم مصر ، في ٢٤ حزيران سنة ١٨٦٢ . وبقي في الاقليم المصري ما ينيف عن سنتين زمان .

وتوجه من اسكندرية لازمير ، في ١٨ تموز ، نهار الثلاثاء سنة ١٨٦٤ . وبقي في ازمير نحو اربعة اشهر . ورجع من ازمير الى لبنان . وكان وصوله الى زغرتا في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٧٦٤ . صح .

ويظهر ان هذا المخطوط قد احتازه زماناً ما ، ملحم المقدسي من بلدة بزعون ، في جوار بشري ، وذلك من هذه الكتابة الاخرى التالية ، على هذه الصفحة عينها ، وهذا نصها : « هذا التاريخ برسم ملحم المقدسي بزعون. كل من يأخذه ، تكون خصـه(خصمه) سيدة بزعون ، ومار يوسف ، وملاك الحارس ، وجميع القديسين . صح سنة ١٨٩٦ » .

— انتهى —

رسالة من الشيخ فؤاد حبيش

الى الاب اغناطيوس طنوس الخوري ناشر الكتاب

حضرة الصديق الاب اغناطيوس طنوس الخوري الجزيل الاحترام

وبعد، فاني اتابع باهتمام قراءة الفصول التي تنشرها في « المشرق » الاغر من مخطوطة الشماس انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني .

حقاً انها فصول طيبة في مختصر تاريخ جبل لبنان . إلا انها تحمل في طياتها معلومات يعوزها التحقيق ، منها ما تنبهتَ اليه فعلقتَ عليه ، ومنها ما فاتتك ملاحظته فمررتَ به مرّ الكرام . . .

انك تعلم ، ولا شك ، ان تاريخ لبنان ، في عصوره المتعاقبة ، لم ينشر منه سوى النزر اليسير لافتقار المؤرخين الى اسانيد ووثائق ، منها ما عبثت به يدُ الاهمال ، ومنها ما برح مدفوناً في الخزائن . فلا بدع ان رأيتك تهمل التعليق على عبارة « صاروا (الحبيشيون) من مجاويز بيت الخازن[1] . »

فاسمح لي ، اذاً ، ان اغتنمها فرصة لأصحح رواية تنوقلت عبر السنين حتى وصلت الينا وكأنها حقيقة ثابتة .

الواقع ان الاسرة الحبيشية من اقدم عيال الموارنة في لبنان . ولها ماضٍ مجيد في الدفاع عنه ، والمحافظة عليه ، والنهوض به ديناً ودنيا . وقد أدهشك اذا قلتُ لك ان في جملة الدوافع التي حملتْ البطاركة الموارنة على اتخاذ قرية يانوح مقرًا لهم طوال قرون ، حاجةُ هؤلاء البطاركة الملحة الى حماية فعّالة لم تتوافر لهم كاملةً الا في كنف الحبيشيين الذين كانوا يقطنون يانوح يومئذ ، وكانوا اصحاب كلمة مسموعة في لبنان ولدى جيرانهم المتاولة .

ومعلوم ان يانوح كانت مقر البطريركية المارونية في القرون : الثامن ، والتاسع ، والعاشر ، والحادي عشر الخ . . .

قد تسألني : ومن اين لك هذه المعلومات ؟

فاجيب : ان الآباتي برنردوس القبيرة الغزيري ، الذي كان رئيساً عاماً على

1) المشرق ، ٤٦-١٩٥٢ ، الجزء ٤ ، تموز – آب .

الرهبانية الانطونية اللبنانية في وقت ما ، والمتوفى منذ سنوات ، قد وقف على قبر خالٍ لي ، ورثاه سنة ١٩٢٦ ، فذكر ، في ما ذكره عن الحبيشين ، ما تقدم الكلام عليه .

واعترف لك ، يا صديقي ، اني لم اكن ، يومئذ ، أعنى بشؤون لبنان التاريخية ، فلم اسأل الاب برزدوس عن مصادره على اهمية إشارته تلك بالنسبة الي . ولكني اعلم ، كما يعلم سواي ، ان الاب الرئيس كان باحثاً محققاً ، وعالماً رصيناً ، لا يرمي الكلام على عواهنه ، وخصوصاً في حضرة مطارنة ملافنة وجمهور مثقف . ولعل المسؤولين في الرهبانية الانطونية يستطيعون ان يفيدونا عن مصير اوراق رئيسهم العام ومكتبته وكانت حافلة بالمخطوطات والكتب القديمة . فقد نعثر فيها على مسوّدة التأبين او ما يكشف عن مصادره .

فكيف يُعقل ان يصير الحبيشيون ، وهم حماة البطاركة في ينوح ، وسادة نافذون بين جيرانهم حكام المنطقة ، وليس للمارونية عصرئذٍ حول او طول — اجل ، كيف يعقل ان يصيروا من « مجاويز بيت الخازن » ، وجدُّ هؤلاء الاعلى هو الشدياق سركيس الذي تأخر ظهوره الى اواسط القرن السادس عشر ؟

اما انا فيرجح لدي ان العكس هو اقربُ الى المنطق والواقع التاريخي.

واذا اهملنا كلام الآباتي برزدوس الشبيرة ولم نشأ ان نأخذ به لتعذر الوقوف على المراجع التي استند اليها ، فما رأيك في وثيقة احفظُ عنها صورة فوتوغرافية هذا نصها :

« جناب حضرة ولدنا الشيخ طربيه بدر حبيش حفظكم الله .

« غب اهدا جنابكم البركة والسؤال عن غالي سلامتكم انشاالله تكونوا جنابكم بكل صحة انتم ومن حوى داركم العامرة . وبعده ، نعرض لجنابكم انه من مدة حضر الى عندنا ولدنا الشيخ طانوس ابو النصر الخازن من قرية عجلتون واخبرنا بانه حضر الى عندكم في غزير وطلب ان يأخذ اختكم وجنابكم عارضتم بذلك . واخبرنا ولدنا الخوري مندر كي يعرض لجنابكم ما به كفاية . وحتى الآن ما تكرمتم في الجواب للخوري المذكور ،والشيخ طانوس راجعنا في خصوص ذلك . ونحن نعرف سطوتكم الشهيرة لدى العموم انو كان في القدم لم يحق الى بيت الخازن يتروجو من عايلتكم الحبيشية ، ولكن صاروا من امثالكم .

والشيخ طانوس هو من الاعيان الكبار . فنرجو الجواب طبق المرغوب . وربنا يحفظ لنا وجودكم .

« تحريراً في ١٠ شباط ١٦٦٩

الامضاء والختم	الامضاء والختم
الداعي لجنابكم	الداعي لجنابكم
المطران حنا	الحقير المطران انطون عاصي »

فهل من شك ، بعد هذه الرسالة البليغة ، في ان الشماس انطونيوس ابي خطار ، الذي تنشر مخطوطته ، قد عكس الآية ؟

ثق ، يا صديقي ، اني لم اقصد ، من كل ما تقدم ، الى المفاخرة باجدادي ، فقد تعودتُ شخصياً ان اردد قول الشاعر : لا تقل اصلي وفصلي... مع ان الاصل والفصل راسمال كبير في هذه الحياة الدنيا ، وانما قصدتُ الى اضافة وثيقة جديدة الى ملف تاريخ لبنان الذي ما برحتُ اساهم ، منذ سنوات ، في نشر وثائق تتعلق به .

ويغلب على ظني ان الشيخ طانوس الخازن لم يظفر بيد شقيقة الشيخ طربيه حبيش بالرغم من ثروته الكبيرة ووساطة اثنين من احبار الطائفة المارونية..

وتفضل ، يا صديقي ، بقبول اخلص تحياتي.

بيروت ، ٢٧ تموز ١٩٥٢

فؤاد حبيش

تاريخ الاسر المارونية[١]

تأليف الخوري اسطفان البشعلاني

٣ ـ مؤرخو الاسر المارونية

ولمنا فيما سبق ان قد شاع وذاع وجود مجموعات تاريخية مخطوطة في اصل الاسر المارونية لستة من المورخين . فيجدر بنا ان نذكر ما عرفناه بعد البحث والتنقيب عن كل واحد منهم لكي يقف القراء على حقيقة امرهم وصحة ما ينسب اليهم مما لا يزال مجهولا . ثم نذكر بالايجاز لمحة من اخبار المشتغلين بتاريخ الاسر اللبنانية وما اتصل بنا من اعمالهم التاريخية،ولا سيما الذين حاولوا ان يؤلفوا قاموساً عاماً في تاريخ الاسر اللبنانية.

١ – القس جرجس مارون الاهدني

ورد ذكر هذا الكاهن في كتاب نشره ابرهيم ابو سمرا غانم تحت اسم مستعار « خليل همام فايز » يتضمن ترجمة حياة والده ابي سمرا البطل اللبناني ، وذلك في الصفحة ٣١٥ من كتابه هذا عند ذكر نسب بيت غانم قال « ورد نسب هذه العائلة في كتاب خط مجموعة فيه انساب بعض العيال في لبنان ، يعزى الى القس جرجس مارون الاهدني اللبناني ، وضعه في القرن السابع عشر نقلا عن مجموعات خطية ولسانية ومحلية . وقد عُرضت هذه النسبة على العلّامة بولس مسعد البطريرك الانطاكي الماروني سنة ١٨٧٥ فقال انها راجحة الاسناد، وكان رحمه الله حجة المحققين في تواريخ وانساب العائلات اللبنانية . ومما افاده القس جرجس المذكور في نسب عائلة غانم ان جدها الاكبر كان موسى غانم ابن المقدّم سعاده اللحفدي ، وقد لُقب بغانم نظراً لفوزه وغنمه في موقعة جبيل التي جرت بين المقدّمين الموارنة والمقدمين المسلمين في اول القرن الرابع عشر سنة ١٣٠٣م وكان النصر فيها لمقدمي الموارنة كما رواه المطران تادرس العاقوري

(١) راجع المشرق ٤٥ : ٤٠١) .

والمطران جبرايل القلاعي اللحفدي الذي قيل عنه انه كان ابن غوريه من بيت غانم في لحفد المولود سنة ١٤٤٩ والمتوفى سنة ١٥١٦ م » انتهى بحروفه .

فالقس جرجس مارون الذي تنسب اليه هذه المجموعة قد ذكره البطريرك اسطفان الدويهي في حوادث سنة ١٦١٤ وانه ارتقى فيها الى اسقفية قبرس. وقد اوفده الامير فخر الدين المعني الثاني غير مرة سفيرًا لدى الكرسي الرسولي وملوك اوربا بشأن احتلال جزيرة قبرس وحماية الشواطئ اللبنانية من الاسطول العثماني . ونشر صديقنا المورخ المحقق الخور اسقف بولس قرالي في كتابه «الامير فخر الدين المعني ودولة توسكانا» تقارير في غاية الاهمية قدمها المطران جرجس المذكور لملوك اوربا والبابا بهذا الخصوص . على ان المؤرخين قديمًا وحديثًا لم يذكروا لهذا الاسقف تاريخًا ، ولا نعلم ان احدًا نقل عنه شيئًا مما عزي اليه من تاريخ الاسر .والذي نقله عنه ابرهيم ابو سمرا لا يستدل منه على محل وجود المرجع ليمكن مراجعته ومعرفة صحة ما ورد فيه .

هذا وان المخطوطة المذكورة الوارد فيها ذكر اسماء جدود الموارنة الابطال ووقائعهم وانساب اسرهم هي على جانب عظيم من الاهمية . فكيف اتصلت هذه الاخبار بعلم القس جرجس مارون دون غيره ، وقد حدثت قبل عصره بثلاثمائة سنة . وكيف فات ذكرها العلامة الدويهي والسماعنة وغيرهم من علماء الموارنة الذين رايناهم يجوبون البلاد ويتجشمون الاسفار البعيدة في طلب المخطوطات ، ويبحثون عن الاثار والاخبار التي هي اقل اهمية مما ورد في المخطوطة المشار اليها. وكيف غابت عن علم المؤرخ النسابة البطريرك بولس مسعد الذي عرضت عليه هذه النسبة فافتى بصحتها . وانما راجعة الاسناد . ولم يأتِ على ذكرها في تآليفه ، وليس في مذكراته واثاره الباقية ما يشير الى المخطوطة وما فيها ، مع انه كان يعنى كل العناية بمثل هذه الامور . والذي نظنه ان هذا من الاخبار التي تروى عن لسان البطريرك بولس مسعد دون تحقيق ، ولذلك فلا يصح ان يكون دليلًا على وجود هذه المخطوطة .

ومن غريب ما يذكر في هذه المناسبة ان احدهم وضع كراسًا عن جامعة « اسرة ضو » التي يقول ان اسرته تنمى اليها ، ومن جملة المراجع التي لجأ اليها لاثبات كون موسى غانم هو جد اسرة غانم احد فروع بيت ضو ، رواية

ابوهم ابي سمرا التي ذكرناها . لكنه بدلًا من ان يذكرها كما هي ويذكر مرجعها فقد استبدل القس جرجس مارون الاهدني المعروف بشخص وهمي وغير وارد ولا معروف هو « القس مارون البشراوي » وزاد على الاصل كلمة غسّاني مفاخرًا « بانه يمت بنسبه الى موسى غانم الغسّاني المنشأ ... »

واغرب من هذا ان واضع كتاب «اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان» الذي يزعم فيه ان اهم الاسر المارونية متحدرة من السريان اليعاقبة ، قد تبنى رواية صاحب الكراس المذكور دون تحقيق زاعمًا انه لما كان موسى غانم جد بيت ضو ولحود وغانم من بني غسان ، والغساسنة كانوا قاطبةً يعاقبة ، فبنو ضو الموارنة وفروعهم اصلهم اذًا يعاقبة . فانظر كيف يتصرفون بالتاريخ كلٌّ على هواه فيزيدون وينقصون ويحرّفون الشواهد ، ولا يذكرون المراجع الموثوق بصحتها لاثبات اصل الأسر فتضيع الحقائق وتكثر الاوهام ، وما آفة الاخبار الّا رواتها (راجع كتاب « الموارنة في لبنان » للمرحوم الخورسقف بولس قرالي ص ١٢١).

٣ً - القس يوسف اسكندر القرطباوي

نشر الاب غسطين سالم السخن القرطباوي الراهب اللبناني سنة ١٩٣٩ كتاباً يتضمن ديوان اشعاره ، والحقه بنبذة تاريخية في اصل اسر بلدته قرطبا نقلها على قوله سنة ١٩١٢ عن كتاب مخطوط يدعى « رفيق الواعظ » لواضعه القس يوسف اسكندر القرطباوي الاصل . ويقول ان هـذا المخطوط من جملة المخطوطات التي كانت في مكتبة دير مار اشعيا قرب برمانا وهي التي عني بجمعها وتنظيمها الاباتي عمنوئيل البعداتي رئيس الرهبانية الانطونية . فاحب القس غسطين ان ينشر نبذة وطنيه القس يوسف اسكندر في اخر ديوانه المطبوع ، لما فيها من الفوائد التاريخية عن كثير من اسر بلدته وغيرها . وهذه النبذة طويلة خلاصتها ان معظم اسر قرطبا والعاقورة المارونية ومئات الاسر المتفرعة منها في القرى اللبنانية كلها عربية الاصل .

على ان القس غسطين لم ينشر النبذة المنقولة طبقاً لاصلها كما يفعل علماء التاريخ المدققون ، بل تصرّف بها تصرفاً لا يقره عليه اهل التحقيق كما يظهر

للباحث البصير . والقريب ان انساب الاسر الواردة في هـذه النبذة قد اثبتها بصورة جـازمة اكيدة ليس في حلقات سلاسلها حلقة ناقصة او مشكوك في صحتها . فكأنه اخذ سلاسل انساب العرب من ايام جاهليتهم كما هي واردة في كتب الانساب العربية وسردها الى ايامنا هذه ناسباً كل اسرة من الاسر المارونية التي ذكرها الى القبيلة العربية التي اختارها ، وربما نسب عشر اسر مارونية او اكثر الى جد عربي واحد ، مع ما هنالك من مئات السنين التي تفصل زماننا عن زمان الجاهلية مما لا يبلغ اليـه تحقيق نسب العشائر والاسر العربية العريقة نفسها .

وقد عدّد القس غسطين كثيراً من المراجع الوارد فيها ذكر واضع النبذة، ومنها ما كتبه عنه المطران بطرس شبلي والخوري ابرهيم حرفوش وهما من كبار المحققين واثمة المؤرخين . ولكن لم نرَ احداً ذكر ان القس يوسف اسكندر وضع تاريخاً في اصل الاسر اللبنانية . هذا وان القس مبارك صقر الذي يقول القس غسطين انه هو الذي استنسخه النبذة عن اصلها قد كان من اصدقائنا ، وبين محفوظاتنا وثائق دوّن فيها بخط يده مختلف الاخبار المروية عن اصل اسرته « بيت صقر » ودفعها الينا قبل وفاته لنرى رأينا فيها وبقيت عندنا . فراجعنا هذه المعلومات ولم نجد فيها ذكراً للاب اسكندر ونبذته ، وليس فيها شيء ينطبق على ما ورد في النبذة المزعومـة عن اصل اسرة بيت صقر . وكيف الوصول الى معرفة حقيقة الامر والمخطوطة على قول القس غسطين ضاعت او غير موجودة ، والاباتي عمنوئيل البعبداتي والقس مبارك وغيرهما ممن كانوا يعرفون محتويات مكتبة دير مار اشعيا قبل تشتت مخطوطاتها في الحرب الكبرى الاولى قد توفوا ؟ وهـذا لعمري يكفي لمعرفة قيمة هذه النبذة التي استند صاحب كتاب « اصدق ما كان... » الى رواياته عن بعض الاسر المارونية ، بحجة ان ناشرها كما قال لنا «من علماء الموازنة مهما كان الامر» (انظر النبذة المطبوعة صفحة ١٠٢ — ١٥٦) .

اما القس يوسف اسكندر الذي تنسب اليه النبذة فقد ولد في قرطبـا وأُرسل الى رومة العظمى سنة ١٦٧٠م وعمره وقتئذٍ ١٢ سنة مع يعقوب عواد (الذي صار فيما بعد بطريركاً) وعاد الى بلاده بعد ان اتم دروسه العالية سنة

١٦٨٣ ورقاه البطريرك الدويهي في ٢٩ حزيران ١٦٨٧ الى درجة الكهنوت على مذبح كنيسة سيدة قنوبين ، وجعله كاتباً لاسراره لما تحلى به من اين المريكة وانه كما وصفه مثال الطاعة . وفي ٢٠ ايار ١٦٩٣ اصيب بمرض الطاعون وتوفي بدير قنوبين الكرسي البطريركي. ومن اثاره الباقية بين المخطوطات في خزائن بكركي يستدل على مبلغ علمه وتضلعه من اللغات. لكن ليس هناك اثر البتة للنبذة التاريخية التي نشرها له القس غسطين في ديوانه ، ولا ذكر لمخطوطة او وثيقة بموضوع تاريخي كهذا (انظر مجلة المنارة السنة ٣ : ٥٨٤ و ٦ : ٨٠٨) .

٣ - البطريرك مخايل فاضل

ولد مخايل فاضل في بيروت حوالى ١٧١٠م على الاصح، وارسل الى رومة العظمى ، حيث تلقى العلوم والمعارف وعاد الى الشرق في ٢٤ حزيران ١٧٤٠، وفي ٢١ تموز من هذه السنة رسمه البطريرك يوسف ضرغام الخازن كاهناً وارسله الى عكا . فأنشأ في هذه المدينة كنيسة ومركزاً لائقاً لطائفته التي سعى بجمع شتاتها بعد التعب والجهد . وقد رقاه المطران جبرايل عواد (١٧٥٣م) الى رتبة برديوط ، ولكن السلطة اعادته الى بيروت حيث شرع بتجديد كنيستها المؤسسة على اسم القديس جرجس وذلك سنة ١٧٥٥ . ثم اقيم رئيساً على دير حراش سنة ١٧٥٩ فتولى تدبير رهبانه وراهباته بكل غيرة وحكمة مدة طويلة . وفي ١١ حزيران ١٧٦٢ رقاه البطريرك طوبيا الخازن الى المقام الاسقفي، وقد صادف كثيراً من المتاعب لما وقع من الخلاف بينه وبين الاساقفة بشأن الولاية على ابرشية بيروت مما لا محل لذكره . واخيراً انتخب بطريركاً على الموارنة في ١٠ ايلول ١٧٩٣ ولم يمض عليه زمن طويل حتى نزل به القضاء المحتوم في ١٧ ايار ١٧٩٥ ودفن في دير حراش بكسروان (انظر مجلة المنارة السنة ٧ : ٢٥٨).

وكان البطريرك فاضل من اكابر العلماء، وتنسب اليه مجموعة تاريخية تعرف باسم « كمال الاشتمال في تاريخ الاماكن والعيال » وقد جرى على الالسنة ذكر هذه المخطوطة وتساءل اهل البحث عما اذا كان وجودها حقيقة او رواية وهمية.

قالوا ان هذا التاريخ كان في خزائن المخطوطات في بكركي وان قد كانت نسخة منه في دير مار اشعيا للرهبان الانطونيين . وذكر تلميذنا القديم الاستاذ اميل حبشي تاريخ فاضل في كتابه « جهاد لبنان » ص٣٤٨ قال انه اعتمد في روايته عن اصل اسرته « بيت الاشقر » على اوراق دير مار اشعيا وعلى تاريخ فاضل المذكور . وسألناه عن هذا التاريخ فاخبرنا ان والده انشأ نبذة عن اسرته نقلاً عن « كتاب الاشمال » صفحة ١١٨ واراد الاستاذ حبشي التثبت من صحة الرواية فبحث عن الكتاب في دير حراش حيث كان مؤلفه ، وفي خزائن البطريركية حيث نقلت مخطوطات هذا الدير فلم يجد له اثراً ، حتى قال لنا زميلنا الاستاذ عيسى المعلوف «ان هذا الكتاب : كالغول والعنقاء والخل الوفي».

وفيما نحن نبحث وننقب للوقوف على حقيقة هـذا الكتاب ، اذا بالقس غسطين يطلع علينا بنبذته التي ذكرنا امرها ، وفيها يحقق لنا بصورة لا تقبل الرد « ان كتاب الاشمال الذي وضعه البطريرك مخايل فاضل هو نسخة طبق الاصل نقلها عن نبذة القس يوسف اسكندر ، وان هذا البطريرك المشهور انما هو نفسه الخوري مخايل القرطباوي خادم بيروت » على ان الذي ذكره الثقات « ان هذا الكاهن من قرطبا اصلاً ، وقد ارسل الى رومية ١٦٩١ مع بطرس مبارك الشهير . وبعد ان درس الفلسفة واللاهوت رجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ وصار كاهناً على رعية بيروت ، وحضر المجمع اللبناني ١٧٣٦ » وهذا كل ما عرف عنه . اما البطريرك فاضل الذي ذكرنا ترجمته نقلاً عن اصدق المراجع الخطية والمطبوعة فهو اشهر من ان يعرف ، ولدينا ايضاً سلاسل انساب اسر بيروت المارونية القديمة وبينها اسرة البطريرك فاضل ، نقلناهـا في اواخر القرن الماضي عن الشيوخ العارفين الخوري يوحنا دياب العينبلي خادم بيروت بخط يده. ونقلنا ايضاً وثيقة مهمة عن مخطوطات بكركي لم تنشر وهي لواضعها الخوري جرجس فاضل ابن شقيق البطريرك الذي كان كما قال كاتباً لاسرار عمه وشاهد عيان لكل ما جرياته ، ولا سيما مدة وجوده بدير حراش الى حين وفاته ، مما يحقق ان الخوري مخايل فاضل البيروتي الماقوري الاصل غير الخوري مخايل القرطباوي خادم بيروت .

لكن القس غسطين لغاية في النفس خلط الاثنين معاً فغيّر وحرّف ووصل

بينها بسلسلة انسابه العربية المزعومة ، وخلق منها شخصاً عجيباً بلغ من العمر اكثر من ١١٥ سنة « على حسابه » وجعل يوسف اسكندر وخايل فاضل وخايل القرطباوي من بيت السخني اسرته التي انشأ لها فروعاً كثيرة منسقة الانساب ، وكلها « عربية تنتسب الى السخنة في باديـة الشام وطن جدوده وبلدة نسيبه البدوي احمـد عبد العزيز جاد الله الخ ... من بني مقابل الذي شرّف قرطبا سنة١٩٣٦ للتعرف على انسبائه في لبنان بيت السخن الذين اصلح القس سالم نسبهم وصحّح عمادهم باسم السخني » وعلى الجملة فانه فتح فتحاً مبيناً يقلب اوضاعنا ويغير وجه تاريخنا ويهدم كل ما بناه علماؤنا هو وصاحب كتاب « اصدق ما كان ... » فكلاهما يتنازعان مارونيتنا : الاول بالاصل العربي والثاني بالاصل اليعقوبي ، كأن الموارنة بلا اصل !!!

٤ – البطريرك بولس مسعد

كان النسّابة البطريرك بولس مسعد اقدر اهل عصره في التـاريخ وخاصة تاريخ الاسر ، وله مؤلفات مشهورة في تاريخ طائفته المارونيـة والدفاع عن صحة معتقدها الديني ، اهمها كتاب «الدرّ المنظوم» وكان خبيرًا بالاصول والانساب ، ويروي الناس عنه اقوالًا مأثورة بنى عليها كثيرون تواريخ اسرهم . وذكروا انه وضع تاريخاً للاسر لاعتقادهم بسعة اطلاعه وغزارة علمه ، وشاع ذلك عنه وذاع حتى اكّد بعضهم وجود هذا التاريخ عند اقاربه الا انه لم يظهر شيء منه حتى الآن ، وقد مضى على وفاته اكثر من ستين سنة . قيـل ان السبب في عدم نشر تاريخه انما كان اضطراره الى قول الحقيقة في اصل الاسر التي حازت نباهة الذكر واصلها خامل . والذي نظنه ان السبب الذي منعه عن نشر معلوماتـه التاريخية عن اصل الاسر انما هو ما عُرف به هذا البطريرك من التحفظ والحذر لما في تحقيق اصول الاسر اللبنانية من الصعوبات التي اشرنا اليها في تاريخنا ، فخاف ان ينشر معلوماته ويعرّض نفسه للنقد الذي كان يتحاشاه ويحاذره .

ويا ليته نشر هذه المعلومات على علاتها وذكر مصادرها المرويّة اذن لكان له من ذلك عذر كافٍ ولكان ادّى للتاريخ والوطن والطائفة اكبر خدمة . لانه كان في عصره اكبر علمائنا بهذا الفن ، ضمّ صدره مجموعة واسعة من اخبار

الموارنة واسرهم وقد كان اقرب منا عهداً الى جدودنا الماضين من النقلة الثقات، واوسع اطلاعاً على تقاليد القوم ورواياتهم التي تكيفت وتطورت مع الايام حتى كادت تبعد عن اصلها،واصبح الحصول عليها والبحث في تحقيقها ومصادرها امرًا صعب المنال . ويظهر انه كان كما يتبين من كتاباته شديد الحذر، ولعله اراد الاحتفاظ بما جمعه من اخبار الاسر فضاع وتشتت بعد وفاته .

وروى لنا احدهم : ان البطريرك كان عنده في بكركي راهب (لعله القس اسبيريدون العرموني الانطوني) فلما توفي البطريرك، وكانت الاوراق التاريخية تحت يده مجموعة كراريس . فكان الناس يتهافتون عليـه ، وكان كل من يطلب اليه شيئاً عن تاريخ اسرته فيمزق الاوراق التي فيها المعلومات المطلوبة ويدفعها اليه . وقيل ان المعلم رشيد الشرتوني عثر على اوراق البطرك يولس ولم يتهيا له نشرها فاخذهـا ولده الذي ابتاعها منه سلوم المكرزل في اميركا . ويا ليت هذه الرواية صحيحة اذًا لكانت نشرت الاوراق حالًا في جريدة الهدى.

وبحثت بنفسي في خزائن بكركي وامين المخطوطات فيها اليوم صديقنا العالم المحقق الخورسقف ميخائيل الرجي ، فرأيت اوراقاً مثورة بخط البطريرك وفيها نتف عن الانساب واصل الاسر . وقـد جمع هذه الاوراق نسيبنا الخوري ابرهيم حرفوش الذي كان امين المخطوطات زماناً ، وقـد طالعتها فوجدت فيها فوائد لا بأس بها . وهناك مذكرات او يوميات البطريرك التي كان يدون فيها يومياً ، حوادثه الجـارية وتنقلاته عند ذهابه الى مصيفه او رجوعه الى مشتاه مؤرخاً اليوم بل الساعة ، وذكر رحلته الى اوربا والاستانة . وكل هـذه المذكرات موجزة دقيقة كأنه كان يريد التبسط بها . وهناك شذرات كثيرة معظمها مسودات كتابه « الدر المنظوم » الذي قيل انه كان يريد تجديد طبعه بعد تجريده من المطاعن والتهكم، فمات ولم يخرج هذا الفكر الى حيز العمل. وبين هذه الاوراق معلومات تاريخية مرسلة من بعضهم اليه والارجح انها أرسلت بناء على طلبه . ولا ندري اذا كان قد نقل هذه الرسائل والوريقات المنثورة وبيّض مسوّداتها بدفاتر ؟ او انها بقيت على ما هي متفرقة فضاع اكثرها .

واهم ما بقي من هذه الاوراق مجموعة مكتوب عليها عنوانها « ترونيفون البطريرك بولس مسعد » بخط المطران بطرس شبلي ، وهو عنوان لكتاب كان

قد بدأ به البطريرك ليجعله تكملة لتاريخ الدويهي ، يذكر فيه موجز تاريخ القرن الثامن عشر . وقد جمع له شتات الاخبار والمعلومات ودوّن معظمها على اوراق متفرقة بين محفوظاته التي سلمت بعدما اصاب القسم المتعلق منها بتاريخ الاسر من نكبة الضياع والتمزيق مما هو آفة التاريخ ونكبة المؤرخين . ولم يسلم من مجموعها الّا كراس يحتوي اخبار الثلث الاول من القرن ١٨ وهو يتضمن تاريخ الحوادث من سنة ١٧٠٠ التي انتهى فيها تقريباً تاريخ الدويهي الى غاية سنة ١٧٣٧ اي بعد نهاية المجمع اللبناني . وقد حافظ المطران شبلي فقيد العلم على النسخة الاصلية المكتوبة بخط مسعد في ٤٦ صفحة وعمل لها العنوان المشار اليه ، وهي محفوظة في جارور آثار هذا البطريرك التاريخية عن الاسر وغيرها . ولم يقيض له اتمام عمله هذا او تبييض مسوداته التي بقي منها الشذرات التي نسخناها نحن عن اصلها بكل ضبط وتدقيق ، وهي اشبه بدرر منثورة يجب ان تجمع في سلك . وقد نقلناها كما كتبها البطريرك بخطه الذي هو اشبه بالمعميات ، وفيها الكثير من المفاخر والعبر التاريخية التي لم يرَ بعضها النور حتى اليوم .

بقي علينا ان نقول كلمة موجزة في ترجمة هذا البطريرك : فهو من اسرة مارونية عريقة ولد في عشقوت كسروان في اوائل شباط سنة ١٨٠٦ وتلقى علومه الاولى في مدارس لبنان المارونية : الرومية وعينطورة وعين ورقة حيث ظهرت نجابته وتفوقه ، فارسله البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٢٦ الى رومية حيث تلقى في المدرسة المارونية العلوم العالية ونال منها القسط الوافر . وعاد سنة ١٨٣٠ الى وطنه مكتفياً بما حصله لسبب انحراف طرأ على صحته ، فتلقاه البطريرك بالترحاب ورقاه في ١٣ حزيران من هذه السنة الى درجة الكهنوت وعينه كاتباً لاسراره . وفي ٢٨ آذار ١٨٤١ رفعه الى درجة الاسقفية وجعله مطران شرف على طرسوس ونائباً روحياً له ، فاحسن القيام بالمهام التي عهد بها اليه في عهد البطريركين الحبيشي والخازني . وتوفي البطريرك يوسف الخازن فانتخبه الاساقفة خلفاً له في ١٢ ت٢ ١٨٥٤ وتولى البطريرك بولس مسعد تدبير شؤون طائفته بحكمة وغيرة . وعقد مجمع اللويزة (١٨٥٦) فافرغ فيه كنوز معارفه طبقاً لمبادئ المجمع اللبناني . ورقى الى الاسقفية ١٥ مطراناً وانشأ للبطريركية

مكتبة عامرة بالكتب النفيسة، وجمع شتات الهاءات الرسولية ورسائل الملوك والحكام الى غير ذلك من الانشاءات والاصلاحات محافظاً على عزة المقام البطريركي وكرامته . وزار رومة العظمى وباريس والاستانة سنة ١٨٦٧ ، وقابل البابا بيوس التاسع ونابليون الثالث امبراطور فرنسة والسلطان عبد العزيز، ولقي كل اكرام واعتبار . وكانت وفاته في ١٨ نيسان ١٨٩٠ في بكركي وبعد حفلة الجناز نقل الى عشقوت مسقط رأسه ودفن في الضريح المعد له في كنيسة مار بطرس .

والآن لا يسعنا الا ان نشيد بفضله على التاريخ وعنايته في جمع مخطوطات الكرسي البطريركي وصيانتها ، فقد دوّن الكثير منها بخط يده ، وامر بجمعها وضمها الى ما جمعه البطريرك الدويهي والبطريرك يوسف اسطفان من السجلات والوثائق والآثار التاريخية التي تخلد لهم الذكر الجيد ، وقد اصبحت مراجع صحيحة لاهل البحث وطلّاب الحقيقة . ولا بد لنا ان نذكر : ان الخوري منصور الحدثوني الذي نشر تاريخاً مطبوعاً باسم « المقاطعة الكسروانية » وفيه فوائد كثيرة تتعلق بتاريخ لبنان ولاسيا كسروان ، قد صرح في كتابه هذا انه اخذ عن البطريرك مسعد اكثر معلوماته عن اصل الاسر وغير ذلك من الحوادث والاخبار . وهكذا قال في النبذة التي وضعها عن "دلبتا وتاريخها" وهي التي نشرها صديقنا الخوري بطرس روفائيل في تاريخه الذي وضعه عن هذه البلدة ونشره في « المشرق » لكي يكون مثالاً لمن يريد ان ينشئ تاريخاً . وعلى الجملة فان هذا البطريرك كان في ايامه اكبر مرجع في تحقيق الامور التاريخية وحل مشاكلها الصعبة ولاسيا مشكلة اصل الاسر وانسابها .

٥ً الخوري يوسف ساده الحصاراتي

وبينما كنا نبحث عن المخطوطات بلغنا ان في حصارات من بلاد جبيل مخطوطة تاريخية عند كاهن ماروني يدعى الخوري يوسف ساده الملقب بالزناتي، وان في هذه المخطوطة تواريخ مختلفة منها تاريخ الاسر التي خرجت من بشعله (وطن جدودنا القدماء) فكلفنا صديقاً لنا يدعى مارون صفير كان يتردد الى تلك الجهات لينبع بزر القز بان ينقل لنا عن المخطوطة والاصح عن صاحب

المخطوطة تاريخ اسر بشعله فقعل . وعلى سبيل المثال نذكر روايته عن جدنا ابي رزق البشعلاني قال ما ملخصه :« ان الجد هو صهيون من قبيلة بني غسان ملوك الشام .. اتى الى بشعله من كفرطابو من بلاد عكار سنة ١٣٠٠م فولد له في بشعله رزق الذي ولد له يونس ومبارك . ويونس اولد خمسة اولاد اكبرهم رزق جد عائلة رزق ، ويونس قتل في طرابلس شهيدًا . ومبارك هو جد بيت مبارك والخوري والسعد .. »

لا ندري ما هي المصادر التي اخذ عنها صاحب المخطوطة هذه الرواية التي تناقلها بعض المؤرخين دون بحث . وقد عرفنا انه توفي منذ سنوات واتصلت المخطوطة بانسبائه ، وانه كان يروي روايات كثيرة عن الاسر وتاريخها . وكان يأتيه طالب المعلومات عن تاريخ اسرته ، فيدخل غرفته ثم يخرج اليه ويعطيه مطلوبه دون ان يدعه يرى المخطوطة ، وهكذا كان يفعل ورثته من بعده . ولذلك فان العارفين لم يطلعوا عليها لتعرف قيمتها التاريخية ، والذي ظهر لنا ان صاحبها خلط الصحيح بالباطل . وتبين لنا من الروايات المنقولة عنه انه غير ثقة ، ولا سند لاخباره حتى ان بعضها لا يمكن تصديقه لبعد العهد وغرابة الحوادث ، وقد رأيناه يخطئ في ايراد الاخبار المعروفة التي ذكرها الدويهي . فاذا كان هذا شأنه في ذكر الاحداث القريبة العهد فكيف يصح الاعتماد عليه في الامور القديمة دون وثيقة ولا مرجع سوى الاقاويل التي لا طائل تحتها .

٦ الخوري يوسف توما المتداري

هو المعروف بخوري بلا وهي قرية غير بعيدة عن حدث الجبة ، يدعي ان عنده مخطوطة لا تبعد حكايتها عن حكاية زميله الزناتي . فانه لم يدع احدًا يطلع عليها بل كان يجيب السائل عن تاريخ اسرته بعد ان يدخل غرفته ويأتيه بمطلوبه كما كان يفعل الزناتي . وللخوري يوسف هذا ولدان كاهنان مثله تعرفنا اليهما وسمعنا ما يرويان من اخبار الاسر المارونية التي يقولون انها مأخوذة عن مخطوطة والدهما . واعتقد ان روايات هذا التاريخ كروايات تاريخ الزناتي ، وقيمتها التاريخية لا تختلف عن قيمة تلك . وقد نقل عن هذه المخطوطة صديقنا البحاثة الاب اغناطيوس طنوس الراهب اللبناني كثيرًا من محتوياتها ، فرأينا

فيها الغث والسمين، مما يدعو الى الحيرة لغرابة الروايات والى الشك بصحتها وقلة الثقة بها لعدم ذكر المراجع . وقد توفي الخوري يوسف العنداري في اواسط ك ١ ١٩٥١

❊

انتهينا الآن من المخطوطات الست المنسوبة لستة من المؤرخين، وقد كتبنا ما عرفناه من امرهم بعد البحث والتحقيق ، ولا غاية لنا الا قول الحق وتجنب الباطل . ولقائل ان يقول : « انك شديد في احكامك التاريخية » فنجيب ان الحقيقة يجب ان تقال حتى ولو جرحت. وبعد ان راينا الفوضى التي يتخبط بها القوم واستسلامهم الى الاساطير والاوهام من جهة تاريخ اسرهم ، لا يمكننا ان نقبل ما يقدمونه من المعاذير اذ يقولون :« ان ليس عندنا غير هذه الاخبار فنتمسك بها على علاتها الى ان نجد اصح منها » فالحليّ بنا ان نكتفي بالقليل الصادق الثابت من تواريخنا ولو كانت قصيرة المدى ، فذلك خير لنا من انتحال الاخبار المختلقة والروايات المصنوعة او المشكوك بصحتها ولو كانت طويلة . ويكفينا ان يكون لنا تاريخ حقيقي منذ مائة سنة من ان يكون تاريخنا منذ مئات وآلاف السنين وهو باطل من اساسه ومبني على حكايات مزورة وتقاليد يدعيها كثيرون .

وحري بنا وقد بلغت الحالة الى ما لا يطاق من الفوضى ، ان نعمل على ازالة الاوهام لا المعاونة على تقريرها ونشرها وتدوينها بصورة مبهرجة طليسة تغر السذج ، وربما اضلت العلماء بظهرها الجذاب وطريقتها العلمية . فيسود الوهم وتكثر الاقاصيص ويصبح تاريخنا مجموعة خرافات واساطير ترسخ في الاذهان ويصعب نزعها شأن كل بدعة وضلال . وكيف تغرنا هذه الروايات السخيفة التي يتناقلها بعض مدعي المعرفة عن مؤرخين ليسوا من اهل التحقيق بحيث لا يليق ان تتخذ اقوالهم حجة لتقرير حقائق عويصة عجز عن تحقيقها اكابر العلماء . لان علم التاريخ لا تكفيه المعرفة والمنزلة بل يلزمه الخبرة وسعة الاطلاع ورسوخ القدم في هذا الفن والتنزه عن الغايات والتجرد عن الاغراض والمفاخرة بالحسب والنسب (راجع كتابنا « تاريخ بشعله وصليا » صفحة ٢٤٤).

والآن نذكر الذين شرعوا في وضع قاموس للاسر اللبنانية ولم يتهيأ لهم اتمامه والذين اتموه ولم ينشروه وهم الآتي ذكرهم :

١ً – الاباتي عمنوئيل عبَيد البعبداتي

انشأ تاريخاً يبتدئ من السنة ١٨٦٠ الى ما قبل وفاته ١٩٣٢ يقع في نحو عشر مجلدات كل مجلد الف صفحة ، ضمنه كل ما جرى في زمانه من الحوادث والاخبار ولا سيما المتعلقة بطائفته المارونية ورهبانيته الانطونية ، وكان يكتبه بخط يده كمذكرات يومية . ثم وضع قاموساً جعل قسماً منه للاسر المارونية اللبنانية وقسماً للقرى التي يسكنها الموارنة . وحدثني واحد من رهبانيته انه استعان على تأليف هذا القاموس بمعلومات البطريرك بولس مسعد المنقولة بواسطة القس اسبيريدون العرموني الانطوني الذي كان في الكرسي البطريركي . وقد ارسل البعبداتي هذه المذكرات التاريخية وقاموس الاسر والقرى الى الاباتي لويس عبَيد رئيس دير الرهبان الانطونيين في رومية ليتولى نشرها هناك فلم يتمكن من ذلك ، فأعادهما الى مؤلفها الذي عهد الى المدبر يوسف الشدياق لينشرها بعد ان اصبح هو عاجزاً عن ذلك بسبب مرض في عينيه افقده البصر ، وسوف ترى فيما يأتي ما كان من امر هذين الكتابين .

اما الاب عمنوئيل فقد ولد في بعبدات سنة ١٨٤٧ وانتخب مدبراً ١٨٨٣ ورئيساً عاماً للرهبانية الانطونية ١٩٠١ وتوفي به القضاء المحتوم في ١٤ ك ٢ ١٩٣٢ وقد كان في ادوار حياته الرهبانية كلها مثالاً للنسك والتجرد وحفظ القانون حتى اصبح المثل الاعلى للغيرة والاخلاص والنزاهة ، وعُدّ من اكبر المصلحين في الرهبانية مع ما قام في سبيله من العقبات . واشتهر بالفضل والعلم والزهد بحيث انه كان قدوة للرؤوسين والرؤساء بالطاعة والحكمة وحسن التدبير ، فازهرت الرهبانية في عهده بالنهضة والتهذيب الرهباني . وكان مجلسه مهيباً وقوراً لا يمل جليسه من احاديثه الطلية ، لما تبطنته من فوائد تاريخية وطنية وما حوته من درر الاقوال وانجع العبر . ونشر كتابه « تاريخ الرهبانية الانطونية » فكان اسبق المؤرخين في الرهبانية المارونية ، فضلاً عن مذكراته التي ذكرناها . وفوق ذلك فان هذا الشيخ الجليل قد كان تاريخاً حياً وشاهد عيان لما ذكره في تآليفه من الحوادث .

٣ً – المدبر يوسف الشدياق

هو من اسرة الشدياق المشهورة ، ولد في حدث بيروت ، ودرس بمدرسة المزار في غزير وفي مدرسة قرنة شهوان ومدرسة الحكمة . وفي ١٨٨٣ دخل الرهبانية الانطونية فدرس الفلسفة واللاهوت في الدير وسيم كاهناً ١٨٨٩ ودرس الفقه على الاستاذين انطون صالح بعبدا وشاكر افرام البستاني . وتولى ادارة مدرسة مار اشعيا وكتابة اسرار الرئاسة العامة ، وانتخب مدبرًا وعُين وكيلًا عاماً . ثم اسس مدرسة مار يوسف قرب دير مار انطونيوس بعبدا ، وانشأ في هذا الدير مجلة « كوكب البرية » والمطبعة (١٩١١ — ١٩١٦) وكانت وفاته في ٢٨ نيسان ١٩٤١ وكان كاتباً ضليعاً له بعض آثار ادبية ، وقد عهد اليه الاباتي عمنوئيل البعبداتي نشر اثاره التي ذكرناها بعد عجزه وفقد بصره . فاختصر المذكرات التي تقع في عشر مجلدات اذ اهمل ذكر المناشير الحبرية والفرمانات السلطانية وغير ذلك مما هو منشور ثم كلف الاستاذ الياس سلهب فنقل هذا المختصر بخطه الجميل ليكون معدًا للطبع .

ثم عمد الشدياق الى الكتاب الذي ذكرنا ان البعبداتي وضعه لتاريخ الاسر والقرى المارونية بلبنان ، وتبسط فيه وزاد عليه ، آخذًا معلوماته عن بعض المصادر وأهمها روايات عن اصل الاسر المارونية كما نقلها له راهب انطوني اسمه الاخ مخايل التنوري، فكلفه جمع هذه الروايات التي تلقاها من اهالي القرى التي كان يزورها لاشغال تتعلق بالرهبانية. وبينما الشدياق مكب على الجمع والتلخيص نزل به مرض شديد الزمه الانقطاع عن العمل ثم لم يلبث ان وافاه الاجل ، ولم يتمكن من نشر هذين المؤلفين . وبعد وفاته نقلت هذه المخطوطات المجموعة الى دير مار روكز مركز الرئاسة العامة . ثم عني صديقنا المفضال الاب اشعيا الاسمر الذي هو اليوم رئيس الرهبانية العام بنقلها الى دير مار اشعيا برمانا حيث تحفظ مع المخطوطات في المكتبة . وقد زرنا الدير (١٩٤٥) ومعنا زميلنا ورفيقنا في جهادنا التاريخي الاب اغناطيوس طنوس اللبناني ، واطلعنا على المجموعات المشار اليها كلها ، غير ان النسخة التي استنسخها العرموني عن البطرك يولس مسعد غير موجودة بين هذه الاثار الثمينة التي اوصينا بصيانتها وقد وقفنا

على كثير من محتويات محفوظات مكتبة الدير ، رحم الله من انشأها وساعد في جمعها وصونها من الضياع . هذا واننا قد راجعنا المصادر التي اخذ عنها الشدياق معلوماته ونقلنا عنها ما يهمنا منها بعد تحقيقها .

٣ – الخوراسقف ميخائيل الحويس

كان المونسنيور الحويس شديد الميل الى التاريخ مولعاً بالاثار ، وقد جمع كثيراً منها بين محفوظاته ، فألف مجموعة تاريخية للاسر المارونية مرتبة على حروف المعجم. وقد عثرنا على دفاتره المكتوبة بخط يده عند صديقنا الاديب ابن شقيقه الاستاذ جورج الحويس ، فنقلنا عنها بعض ما ينقصنا من المعلومات عن اصل الاسر . ويظهر ان المونسنيور عني بجمع اخبار الاسر بنفسه ونقلها بخط يده عن تقاليد القوم ومحفوظاتهم . وهي مجموعة « رؤوس اقلام » مما يدل على انه كان ينوي ان يخرج للناس تاريخاً لاسر ابرشية بيروت المارونية بما عرف به من بلاغة في الكلام وتحقيق في الاخبار. لكن الداء نزل به فاوقف ذلك القلب الكبير عن الفكر ، والقلم عن الجري في مضمار الكتابة ، وقد كان من فرسانها المجلين ، فقضى مأسوفاً على فضله وعلمه .

واسرة الحويس من الاسر المارونية العريقة ، نشأت في قرية حاقل من بلاد جبيل منشأ كثير من البيوتات اللبنانية الوجيهة ، وقد رحلت منذ ثلاثة قرون الى المتن لائذة بالامراء اللمعيين حكام البلاد ، ثم انتقلت بعد زمان الى بلدة برج البراجنة . وقد نشأ منها رجال زعامة وفكر توارثوا المجد كابراً عن كابر بما اتوه من جلائل الاعمال ، ومن هذه الاسرة نبغ المونسنيور الحويس الذي ذكرنا اثره التاريخي فضلاً عما له من الآثار الادبية. ولد في برج البراجنة ١٨٧٢ وتربى على الفضيلة والاخلاق العالية ، وتلقى العلوم بمدرسة الحكمة التي انشأها (١٨٧٥) فقيد العلم والوطن المطران يوسف الدبس، وقد اعجب بذكائه واهليته فرقاه الى درجة الكهنوت المقدسة . وتولى الحويس وظائف عديدة ومهمات خطيرة، توفاها حقها وقام بها خير قيام بما دلّ على حصافة عقله واصالة رأيه وعلو همته وحسن تدبيره ، وقد ادى للوطن وللطائفة خدمات جليلة تذكر فتشكر كما قال في رثائه البطريرك الحويك، وكان اعرف الناس باقدار الرجال

والقيم الانسانية . وكانت وفاته في ١١ كانون الاول سنة ١٩٣١ رحمه الله .

٤ – الاستاذ عيسى المعلوف

من اشهر المورخين المحدثين صديقنا المورخ الكبير الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . ولد في قرية كفرعقاب من قضاء المتن في ١١ نيسان سنة ١٨٦٩ م وهو عالم عامل خدم الوطن والثقافة خدماً جليلة بتعليم النشء ووضع التآليف العلمية المفيدة والمبتكرة . واشتغل بتاريخ الاسر فنشر بالطبع سنة ١٩٠٨ كتابه « دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف » ذكر في حواشيه ، فضلاً عن تاريخ اسرته ، موجز ما اتصل به من المعلومات عن تاريخ كثير من الاسر اللبنانية والشرقية . وصرف عمره في جمع وتأليف موسوعة تاريخية في الاسر تقع في نحو ١١ مجلداً باسم « الاخبار المدونة والمروية في تاريخ الاسر الشرقية » لا يزال حتى الان مخطوطاً ، ولم نطلع عليه لكننا نعرف انه يتضمن كل ما اتصل به من تواريخ الاسر المارونية بحيث ان كتابه يعد اكبر موسوعة لتاريخ الاسر كما يظهر مما نشره في المجلات المهمة. هذا وله من الاثار التاريخية كتاب « تاريخ زحلة » وكتاب « تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » وهو مصور و « تاريخ بني اليازجي » ومجلته « الآثار » في عدة سنوات . وله مقالات تاريخية وعلمية شعراً ونثراً نشرت في المجلات . وله كتب ومجموعات مختلفة في فنون العلم والادب والتاريخ لا تزال مخطوطة ، وكلها تدل على ما بذله هذا العالم الجبار من المجهود والبحث والتنقيب خصوصاً بجمعه طائفة كبيرة من المخطوطات النادرة التي اكتشفها واحرزها . وحسبه هذه الاثار القيمة التي وضعها او جمعها ولم يتيسر له ان ينشرها لكساد بضاعة العلم ولا سيما التاريخ ، ونتمنى على انجاله النجباء الذين هم اشبال ذلك الاسد ، وقد اتحفوا العلم بنتائج افكارهم وثمار نبوغهم في الشعر والادب ، ان يخرجوا للناس بالطبع اثار والدهم ، ولاسيما موسوعته في تاريخ الأسر تعزيزاً لهذا الفن الذي نحن بحاجة ماسة اليه . وما حبذا لو تنشر في حياته للاشراف عليها والاستعانة به على تصحيحها ، اطال الله عزيز بقائه .

الصوم

وجوبهُ وفوائدهُ

– خطاب لحضرة الاب مبارك ثابت اللبناني رئيس دير المخلّص في البرامية

ألقاه في نادي جمعيَّة القديس يوسف في بيروت ، في ١٥ اذار سنة ١٩٢٩

عرف الأدبُ العربي الاب مبارك ثابت أحد افراد الرهبانيَّة اللبنانيَّة المارونيَّة المعدودين، كاتبًا بارعًا موهوبًا من الطبقة الاولى ، ما جال قلمهُ السيَّال في موضوعٍ ديني أو أدبي أو وطني أو تاريخي أو جدَلي إلّا وأشبعهُ درسًا وتمحيصًا واشراقًا وتوضيحًا غير تارك زيادة لمستزيد ، فضلًا عن انهُ يكسو المعاني حلّةً جميلةً من المباني فتبرز عبارتهُ من شقّ قلمهِ تيّاهةً برشاقتها وفصاحتها ونعومتها وطرافتها مما يدلُّ على مقدرتهِ وواسع خبرتهِ . وان قارئه لا ينالهُ مللٌ أو سأمٌ من مرافقتهِ ومتابعتهِ سواء أطال في حديثهِ او قصر بحيث لا يفارقهُ إلّا منتشيًا مجبورًا. رأينا لهُ هذا الخطاب الممتّع في الصوم وفوائده وقد ألمَّ بهِ من جميع وجوههِ ومناحيه فأحببنا ان نخصَّ بهِ مجلّة «المشرق» الراقية بمناسبة إقبال صوم عام ١٩٥٣ ، لعلمنا بانَّ قرَّاءها الألبّاء يتلقّونهُ بالرضى والاستحسان ، ونعدُهم باننا سنتحفهم من حينٍ الى حينٍ بنفثات قلم الاب ثابت الساحرة .   (الاب انطونيوس شبلي اللبناني)

سادتي !

اقترح عليَّ حضرة الدكتور الفاضل الشيخ امين الجميّل رئيس اخويتكم المباركة خطابًا في الصوم وفوائدهِ. فتلبيةً لرغبتهِ هيأتُ ما تيسَّر لي إحضارهُ وعزّزتُهُ بالحجج من أقوال الحكماء والعلماء وأولي الشهرة من أطبّاء الأرواح والأبدان. واذ كان لحكيمنا الفاضل مزيَّة ورئاسة في المعالجة المزدوجة تبالكاً في مصالح الصحّة والدين والأخلاق ، وقد أنشأ لوطننا ولغتنا العربيَّة أثرًا نفيسًا وخالدًا من تآليفهِ الرائع «علم الصحّة» الفريد باسلوبهِ وقرب منالهِ وإناقة عبارتهِ ووضوح طريقتهِ وظرافة لطائفهِ ووفرة فوائدهِ ، ما جعلهُ حقيقًا بان يُلقَّب شيخ الاسفار الباحثة في الصحّة وهناء الحياة ، لذّ لي الغوصُ في لجّة هذا السِفر النفيس التقاطًا لشيء من دُررهِ أزينُ بها جيدَ هذا الخطاب فيبرز لكم في حلّةٍ من الجمال . ولا إخال شيخنا العزيز إلّا متسامحًا في مدّ يدي

الى خزانة معارفهِ بعد ما بعثهُ السخاء على فتحهـا لجميع المتفنين ، ففعلتُ غير خائفٍ ان يُسمعني المثلَ : « أركبناك وراءنا فمددتَ يدك الى الخرج » ، يحسنُ بنا وان كان قد ذهب شطرٌ من الصوم الكبير ، ان نلقي على الصوم نظرًا متثبتاً ونشتهُ بمعرفة أصلهِ وبواعثهِ ومنافعهِ ومضارّهِ ، ونعارضهُ بضدهِ إبانـةً لفضلهِ لأنّهُ قد قيل : وبضدّها تتبيّنُ الأشياء .

وبما ان كلمة صوم قد تروع البعض توهّمَ أنْ يكون مـدارُ البحث على محورٍ روحيٍ بحتٍ فيُسي الخطابُ عظةً روحيّةً وهم يؤثرون سماع المواعظ في الكنائس فقط ، رأيتُ قبل الخوض في البحث أن أبشرهم بأني لن آتيـهُ من الجهة الروحيّة بل من الجهة الزمنيّة ، إلا حيث تقفُ لنا المنفعة الروحيّة فنجاملها بكلمةٍ لئلا تعتب على حامل عَلَمِها بايجاب الحال ، اذا اجتاز من أمامهـا ولم يتوقّف ويقل : « السلام على المعرفة ! » فنقولُ :

١ — ما هو الصوم ؟

الصوم في اللغة الإمساكُ عن الطعام والشراب والكلام والسير . وعنـد المسيحيّين وغيرهم هو الامتناعُ عن المأكل والمشرب في أيامٍ وساعاتٍ محدودة، وساعاتهُ عند جميع الطوائف المسيحيّة اثنتا عشرة ساعة من منتصف الليل الى منتصف النهار . إلا ان الشرقيّين يطوون هذا الشطر من يوم الصوم ممتنعين عن كلّ مأكلٍ ومشرب .

أمّا في الشطر الآخر فلهم ان يأكلوا ويشربوا في أيّة ساعةٍ من منتصف النهار الى منتصف الليل بخلاف الغربيّين ، فإنّ صومهم الطبيعي وهو المعروفُ عندنا (بالصوم على ريق النفس) يكون من نصف الليل الى الصباح . فاذا كان الصباحُ حلَّ لهم تناولَ شيءٍ خفيفٍ من الغذاء مُعظمهُ من السوائل يطوون عليهِ الى الظهر وحينئذٍ يُصيبون شبَعَهم طعـاماً وشراباً ويُمسكون الى المساء حتّى عن الماء ، فيتناولون قدرًا من الطعام محدودًا بالكمّ والوزن ، ويلزمهم بعده الامتناع مطلقاً الى الصباح . ولكلّ كنيسةٍ عادتُها تتقيّدُ بها بالنظر الى الصوم المفروض .

وايضاً يُطلقُ الصوم على ترك اللحم والألبان وما شاكلها مع استباحة باقي

الاطعمة ويسمّونهُ قطاعةً للتمييز بينه وبين الصوم المطلق ، أو انقطاعاً [1].
ويسمّون الاطعمة الممنوعة في ازمنة الصوم وفي يومَي الاربعاء والجمعة من كلّ اسبوع ذَفرًا بالذال، وهو النتْنُ او ريحُهُ سُمّيت بهِ المآكل المأخوذة من الحيوان لكراهة رائحتها . او زَفرًا بالزاي ، وهو ما يُدعمُ به الشجرُ . استُعير لتلك المآكل لأنّها تدعمُ القوى .

وايضاً فإنّهم يقولون : الطعام المزفّر والطعام القاطع ويبنون من ذلك فعلًا فيقولون : تزفّر ، اي أكل لحمًا وألباناً . وقطَعَ ، اي أكل ما عدا ذلك من طعامٍ كالحبوب والخُضَر والفواكه . فالمزفّر من الزفر وقد ذُكر مأخذهُ ، والقاطع بمعنى الحاجز . لأنَّ المأكل الذي ليس من الحيوان بمثابة حاجزٍ لآكلهِ عن المأكل الذي من الحيوان .

ووصيّةُ الصوم تُحرّمُ في ساعاتهِ كلَّ مأكلٍ ومشربٍ ، وفي ساعات الإفطار ، المآكل المزفّرة فقط .

٢ً — في اصل الصوم

اذا تصفحنا أسفار العهد القديم ، وعليهِ المعوّل في تاريخ العالم والوجود ، وجدنا الصومَ أليفَ الانسان منذ القرون المغرقة في القِدَم ، ورأينا مهدَهُ معلّقاً باغصان الدَوح تحت ظلّ الورَق ، فوق الانهار الجارية في الفردوس الأرضي .
وُلِدَ لأبوينا الأولين بوصيّة الخالق قبلَ ان يُولَد لهما قاينُ وهابيلُ « فانَّ الربَّ الالهَ أمر الانسانَ قائلًا : من جميع شجر الجنّة تأكلُ وأمّا شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكلْ منها فانك يومَ تأكلُ منها تموتُ موتاً » (تكوين ٢ : ١٦).

ولمّا كان الصومُ حرماناً كان جزءا من التوبة التي قوامُها حرمانُ الانسان نفسَهُ من اللذّات المحرّمة ومن بعض اللذّات المباحة إماتةً للشهوات وتكفيرًا عن المعاصي بقصد إرضاء الله واستعطافهِ . ولزمَ ان يتّلِدَ معها على أثر اول خطوةٍ خطاها الانسان في سبيل الإثم . وذلك يرتقي الى عهد الانسان الأول في الفردوس الارضي على ما رأيتَ .

١) يجوز ان يكون مأخذ هذا اللفظ من قَطَعَ الرجلُ ، اذا لم يقدر على الكلام . استُعير لعدم القدرة بقوّة الشريعة على أكل الاطعمة المتّخذة من الحيوان .

ثم خرج الصومُ من الفردوس بخروج آدم وحوّاء ، ورافق الذراري المتتالية جيلًا فجيلًا الى اليوم . واتّصل بالكنيسة وهو في مبتدإِ عهدها فأحلّتهُ محلًّا كريمًا ، وعانقهُ الرسلُ الأطهار وفرضوهُ اربعين يومًا عدد الايام التي صامها السيّد المسيح . وبعثت التقوى المؤمنين على تقديس أيامٍ أُخر بالصوم وسائر أفعال التوبة ، فكانوا يمارسونهُ في الايام السابقة لعيد الميلاد وعيد انتقال السيّدة والدة الله وغيرهما .

ثمّ ان الكنيسة تلبية لرغبة المسيحيين ومراعاة لأحوالهم الروحيَّة والصحيَّة والنظام ، عيَّنت الأصوام والإمساكَ عن اللحم وما هو من فصيلتهِ ، فكانت وصيَّتها الواردة في كتاب التعليم المسيحي بهذا النصّ : « صُمِ الصومَ الكبيرَ وسائرَ الأصوام المفروضة ، وانقطع عن الزَفَر يومَي الأربعاء والجمعة » والمراد بالصوم الكبير ، الصوم الأربعيني ، أخذت به الكنيسة منذ عهد الرسل أو عهد خلفائهم المتّصلين بهم . وأدلّةُ ذلك كثيرة نجتزئ منها بذكر ما يأتي :

روى اوسابيوس والقديس ايرونيموس وفيلون في كتابهِ على السيرة المتأملة : ان فريقًا من الناس دُعوا ثيوابوتين أي خدّام الله والمتأملين ، كانوا تلاميذ للقديس مرقس بمصر ، وكان عددهم كثيرًا في الزمن المتّصل بزمن الرسل حتى وفي حياة بعضهم ، وكانوا يصومون سبعة اسابيع قبل عيد الفصح ، ولا يقتذون طيلة ايامها إلّا بالخبز والملح والزُوفى .

وقال تاوفيلوس الاسكندري في رسائلهِ الثلاث الفصحيَّة : إنَّ الصومَ فرضٌ أومأ اليهِ الانجيلُ وأخذناهُ عن الرسل . وتابعهُ على ذلك القديس كيرلُّوس الاسكندري . وسمَّاهُ القديس لاون في مواعظهِ : فريضة رسوليَّة . وصرَّح القديس بطرس الذهبيُّ النطق في الموعظة الثانية : بانهُ ليس من وضع الناس لكنَّهُ فريضةٌ مقرَّرة بقوَّةِ الهيَّة . على ان في القوانين الرسوليَّة تصريحًا بوجوب الصوم الأربعيني .

وكما اعتُبر الصوم في الكنيسة فريضة الهيَّة الاصل ، كذلك اعتُبرَ من قبلها عند الشعب الاسرائيلي وعند الآباء الأقدمين من أبلغ افعال التوبة . فتذرَّع بهِ لاسترضاء الله وتسكين سخطهِ واستمطار نعمهِ والتطهُّر والتكفير واستكمال الفضائل وبلوغ الامانيّ ، أناسٌ من أكابر اهل زمانهم فضلًا وبرًّا

ومن أبعدهم شهرةً وأعلاهم منزلةً ، كنوح نذير الطوفان ، وابراهيم الخليل ، وموسى الكليم ، وايليا النبيّ . وهذان صاما اربعين يوماً متتالية لا يذوقان القوت البتّة ، وكذلك السيّد المسيح .

ومن مشاهير الصائمين في العهد القديم اهل نينوى المدينة العظيمة ، كانوا قد خرجوا على الرب وتفاقمت آثامهم وصعد شرّهم الى أمامه فاحتدم سخطهُ عليهم فأرسل اليهم يونانَ النبيَّ ينذرهم بانقلاب مدينتهم بعد اربعين يوماً ، فأمرَ ملكهم ان يُنادى في الناس بالصوم والالتفاف بالمسوح والتوبة وان يُصَوَّم البهائمُ ايضاً . فرؤف الربُّ بهم وعفا عنهم من اجل صومهم تائبين .

ومنهم اليهود الذين انهزموا من وجوه الفلسطينيين لارتكابهم الاثم ، فصاموا بأمر صموئيل لتسكين رجز الرب على ما جاء في سفر الملوك الاول ٧ : ٥

ومنهم داود الملك النبيُّ ، لم تكن عزّةُ عرشٍ ووفرةُ الثروةِ وانفساحُ مجال الرغدِ والاسراف في الملكِ ، لتصرفهُ عن الصوم الواجب والمفيد ، فقال في المزمور الرابع والثلاثين : « أذللتُ بالصوم نفسي » وفي المزمور الثامن والستين : « أبكيتُ بالصوم نفسي وجعلتُ لباسي مسحاً » .

ومنهم الملكُ يوشافاطُ اذ خرج عليه جمهورٌ كثيرٌ من بني مؤاب وبني عمّون والادوميّين واشتدَّ الخطرُ عليهِ وعلى شعبه ، « أقبل بوجههِ يلتمس الربَّ ونادى بصومٍ في جميع يهوذا » ، على ما ورد في سفر اخبار الايام الثاني ٢٠ : ٣

ومنهم عَزرا الكاهنُ اللاويُّ حين شخص من بابل الى اورشليم ، ومعهُ رؤساء الآباء بأمر الملك ارتحشستا ، لتكريم هيكل اورشليم ، اذ أذِنَ الملكُ لليهود بالعودِ من الجلاء ، فانهُ نادى بصومٍ عند نهر أهوى وصام هو ومَن معهُ مبتغين من الربّ طريقاً مستقيماً لهم ولصغارهم ولجميع أموالهم فاستجابهم الربُّ (عزرا ٨ : ٢١)

ومنهم أحآبُ ملك السامرة الكافر ، لمّا اتاهُ ايليّا النبيُّ التشبيُّ فقال لهُ من قِبَلِ الربّ : « هكذا يقول الربُّ في الموضع الذي لحَسَتْ فيه الكلابُ دمَ نابوتَ تلحسُ الكلابُ دمكَ انت ايضاً » لأنَّ أحآبَ كان قد قتلَ نابوتَ اليزرعيليَّ ليرث كرماً لهُ في جانب قصر الملك أبى نابوتُ ان يبيعهُ ايّاهُ . فلمّا

سمع أحآب كلام الربّ من فم ايليا مزّق ثيابهُ وجعل على بدنهِ مسحاً وصامَ فاستبقاهُ الربُّ لذلك ، وقال : «لا اجلبُ الشرّ في أيامهِ ولكن في أيام ابنهِ أجلبُ الشرّ على بيتهِ» (٣ ملوك ٢١ : ٢٧ و٢٨ و٢٩).

ومنهم نحميا بنُ حكليا النبي ، صام أياماً وهو يلتمس من الرب ان يُسهّل لليهود العود من جلاء بابل الى اورشليم فأصاب حظوةً لدى الملك ونال مُلتمسهُ (نحميا ١ : ٤).

ومنهم الشهيرةُ يهوديتُ قاتلة اليفانا قائد جيش نبوكدنصّرَ ملك اشور الذي كانت قاعدة مُلكه نينوى المدينة العظيمة . هذه الفتاةُ الأرملةُ القديسة الرائعة الجمال ، كانت تصوم كلَّ الأيام ما عدا السبوتَ ورؤوس الشهور وأعيادَ اسرائيل . فلمّا زحف اليفانا بجيشهِ اللجب على بيتَ فلوى مسقط رأسها وضيّق الحصارَ على المدينة حتى وقع الناسُ في ضنكٍ شديدٍ وأخذ يفتك بهم الجوعُ والعطشُ ، ولم يكن لهم قِبلٌ بمصادمة العدوّ لكثرتهِ وقد آثروا الموت على ذلّةِ التسليم ومهانتهِ ، بالغت يهوديتُ في الصوم والصلاة ثلاثة أيام ، وبعد ذلك توكّلتْ على الربّ فاحتالت على اليفانا واحتزّت عنقهُ بخنجرةٍ واخذت رأسه في مزود وصيفتها فعُلّق على أسوار بيتَ فلوى ، وخرج المحاصَرون لقتال العدوّ . ولمّا سمع جيشُ اليفانا بأنّ رأسهُ قد قُطع طارت عقولهم وأمسوا لا يبالون إلّا بالخوف والرعب فاستنجدوا بالهزيمة وهربوا في طرقِ الصحراء وشعابِ التلال . وتعقّبهم بنو اسرائيل صَفّةً واحدة يضربون في أقفيتهم فأهلكوا كلَّ من أدركوهُ (يهوديت ٤ : ٨).

ومنهم استيرُ اليهوديّة بنتُ أبيحائيلَ عمّ مردكاي ، كانت معهُ في ارض الجلاء في شوشنَ العاصمة في عهد الملك احشورش الذي ملك من الهند الى كوش على مئةٍ وسبعةٍ وعشرين اقليماً ، وكان مَردكايُ حاضناً لها اذ لم يكن لها أبٌ ولا أمٌّ وهي جميلةُ الشكل حسنةُ المنظر نقيّةُ القلب بهيّةُ الفضائل ، تُحصّنُ فضائلَها بالصوم إذلالاً لجسدها . تزوّجها احشورشُ وَحَسُنت في عينيهِ ونالت حظوةً بين يديهِ ، وقرّب من باب الملك عمَّها مَردكاي . وكان للملك وزيرٌ يدعى هامان عظَّمهُ الملكُ وأمرَ ان يجثو لهُ في دخولهِ وخروجهِ كلُّ مَن في باب الملك . فكانوا يسجدون لهُ إلّا مَردكاي ، فغضب هامانُ وأغرى

الملكَ باهلاكهِ وكلّ شعب اليهود الذين في مملكة احشورش ، فبُعثت الرسائلُ الى جميع الاقاليم في اهلاكِ وقتلِ واستئصال جميع اليهود من الصبيّ الى الشيخ مع الاطفال والنساء في يومٍ واحد في الثالث عشر من الشهر الثاني الذي هو شهر اذار وسلبِ غنائمهم. ومضمون الكتابة إعلامٌ لجميع الشعوب حتى يكونوا متأهبين لذلك اليوم . فحزن اليهودُ وتضرَّعوا الى الربّ بالصوم ولبس المسوح، واغتمّت استيرُ الملكةُ وأمرت جميع اليهود الذين في شوشنَ ان يصوموا ولا يأكلوا ولا يشربوا ثلاثة أيامٍ ليلًا ونهارًا ، وصامت هي وجواريها كذلك وتضرَّعت الى الربّ. ثم دخلت على احشورش والتمست منهُ الصفح عن شعبها فصفح عنهم وأطلق أيديَهم للانتقام من كلّ مَن يضطهدهم من شعوب مملكتهِ قتلًا واستئصالًا وسلباً حتى النساء والاطفال ، وعُلّق هامانُ على خشبةٍ ودُمّر بيته تدميرًا .

٥

فلهذه الحوادث وأمثالها كان للصوم شأنٌ عظيمٌ عند الملوك والرعايا في جميع الأعصار ولاسيّما الشعوب العارفون الله . ولهذا تمسّكت بهِ الكنيسةُ منذ عهد الرسل على ما مرَّ اعتبارًا لفوائدهِ الجليلة وتيمُّنًا بهِ واقتداء بيسوع الالهي الذي قدَّسهُ بصومهِ .

قلتُ : ولعلَّهُ كان في اول أمرهِ غير محدود المدَّة . إلَّا انَّهُ من الثابت أنَّهم كانوا يصومون الأيام السابقةَ لعيد الفصح ، فما لبث ان سيطر على الاسابيع السبعة التي يليها العيدُ على حسب وصيَّة الكنيسة المعروفة اليومَ . وهي تستثني من أيام هذه الاسابيع السبوتَ والاحادَ والاعيادَ إلّا السبتَ الأخير الذي يليهِ أحدُ القيامة .

٣ً — الصوم في المجمع اللبناني

ولمّا كانت الاصوامُ تختلفُ وقتاً ومادَّةً باختلاف الكنائس من غربيّةٍ وشرقيّةٍ ، وكان لكلّ كنيسةٍ قوانينها وترتيبها حسنَ بنا ان نخصَّ بالكلام الأصوام المفروضةَ في كنيستنا الانطاكيَّة المارونيَّة لترتُّبها علينا دون سواها . وليس من العبث ان نوردها بشيء من التفصيل وان كانت لا تفوت علمكم ،

هَدَفاً الى ترسيخها في الأذهان . واذ كان المجمعُ اللبنانيُّ هو دستورُ الطائفة المارونيَّة الكريمة ، وهو يحدُّ الاصوامَ المفروضةَ عليها وقتاً ومادَّةً ونوعاً ، فإيَّاهُ أعتمدُ في ما أُلقيهِ اليكم في هذا الصدَد .

جاءَ في القانون الـ ٥٣٧ ان الأصوامَ التي رسمتها كنيستنا الانطاكيَّة هي :

اولًا : الصوم الاربعيني ما عدا أيَّامَ الاحادِ والاعياد والسبوت إلَّا السبتَ المقدس . ولكن لا يجوز فيها على الاطلاق تناول اللحم والبيض واللبن .

ثانياً : صوم ميلاد سيّدنا يسوع المسيح ، أوَّلُهُ خامس كانون الاول وآخره الرابع والعشرين منهُ . أُوجِزَ فصارَ أوَّلُهُ خامس عشر كانون الاول .

ثالثاً : صوم والدة الله . بدؤُهُ اول آب ونهايتُهُ اليوم الرابع عشر منهُ . أُوجِزَ فصار بدؤُهُ سابع آب .

رابعاً : صوم الرسل . أوَّلُهُ خامس عشر حزيران وآخرهُ الثامن والعشرون منهُ . أُوجِزَ فصار بدؤُهُ اليوم الخامس والعشرين من حزيران .

خامساً : يصير الامتناع يومَي الاربعاء والجمعة طول السنة عن اللحم والبيض والألبان ما خلا ما كان من هذينِ اليومينِ موافقاً لميلاد الربّ والغطاس وعيد التجلّي وعيد انتقال السيّدة وعيد مولد القديس يوحنا المعمدان وعيد الرسولين بطرس وبولس ، وما خلا ما يقع من الأربعاء والجمعة بين عيدَي الميلاد والغطاس وبين أحد القيامة والعنصرة وفي سبَّة المرفع .

أمَّا الصومُ الاربعيني فيجب فيهِ الامساك عن كلّ ادامٍ لحماً وبيضاً ولبناً وعن كلّ مفطرٍ طعاماً وشراباً من نصف الليل الى نصف النهار .

وأمَّا سائرُ الأصوام فيُستحسنُ فيها الصوم جرياً على العادة القديمة لكنَّهُ غير مفروضٍ ، وانَّما يجب فيهِ الانقطاع عن الذَفَر .

وللسيّد البطريرك ان يرخّص تفسيحاً في الأصوام ما عدا الصوم الاربعيني، ولذلك بُتِرَتْ على ما رأيتَ .

على أنَّ السلطة الروحيَّة في الكنيسة المارونيَّة لضروراتٍ عامَّةٍ ومراعاةً لضعف المؤمنين أخذتْ تفسّح لهم من وصيَّة القطاعة في الأصوام الأربعة وفي يوم الاربعاء دون الجمعة مبيحةً لهم بعض المآكل الممنوعة من لحمٍ وألبانٍ إلَّا في بعض أيامٍ على شريطة التعويض بشيءٍ من أعمال البرّ بروح التوبة كالصلاة

والتصدُّق على البائسين الى غير ذلك على حسب ما يُستفاد من نصّ التفسيح السنويّ . ولا بُدَّ من التنويه الى ان التفسيح من وصيّة القطاعة لا يتناول وصيّة الصوم فليس يجوز الإفطارُ في الصوم الاربعيني بحجّة التفسيح من القطاعة في بعض أيّامهِ .

على ان التفسيح من الانقطاع لا يزيد على ان يكون إنعاماً يجوز التمتُّع بهِ ولا يُحسب مفروضاً . فمن لم يجد من صحّتهِ حاجةً الى ما رُخّص فيهِ من المآكل ووجد من نفسهِ إقبالًا الى إيفاء وصيّة الانقطاع قمعاً لجماح الجسد وإرضاء لله فلهُ ان يغتذي بما سوى اللحم والألبان ، لأنَّ التفسيح انّما يُمنح مراعاةً للضعفاء فيتمتّع بهِ معهم الأقوياء . ولكن ليس لمن رفض الإنعامَ ان يدينَ مَن قبلَهُ ولا الرئيسَ مانحَهُ ، لأنَّ الاول لم يتجاوز الوصيّة والثاني لم يتعدَّ حدود سلطتهِ .

ولمَّا كانت القوانين لم تحدّ السنَّ التي تتناولها وصيّة الصوم عند الموارنة ، وكانت العادةُ القديمةُ عندنا ان يُصوِّم الولدُ منذ السنّ السابعة أو الثامنة حتى اذا صام يُثاب في الفصح بالبيضة الحمراء وإلّا فحظُّهُ البيضةُ البيضاء . استُفتيت البطريركيّة المارونيّة في ذلك مرّاتٍ ، وآخر ما كان من إفتائها ، وهو المعوَّل عليهِ اليوم ، انهُ لا يوافق الإلزامُ بالصوم قبل الخامسة عشرة .

٤ً — في فوائد الصوم

للصوم والانقطاع فوائد روحيّة وزمنيّة. فمن فوائدهِ الروحيّة انهُ جزءٌ من التوبة ، واذا اقترن بصوم الحواس كان أبلغَ ذريعةً للكفّ عن المحارم والتكفير عن المآثم ، ونوال الزُلفى عند الله ، لانَّ الجسد اذا دُلّلَ ورُفّهَ استعصى وعاد الى البَطَر والجماح فلا نأمن منهُ على أنفسنا السقوطَ والتمرُّغَ في المعاصي . وقد شبَّهَ علماء الروح الجسدَ الممتلئَ من الطعام بالسفينة المشحونة التي يصعبُ تحريكها ويبطؤُ سيرُها . وبالاناء الزجاجي المملوء تراباً تقع عليهِ أشعّةُ الشمس فلا تنفذ الى داخلهِ . وكلّما بالغ أحدٌ في تدليل جسدهِ بإفراط الغذاء قصَّر في تغذية روحهِ فقعدت عمّا يجبُ لخالقها وأبديّتها وتقصّرت وهناً واستهتاراً عن تحصيل المكارم والمحامد ، حتى تخشن عندها العواطف وتخسّ ، ويموت عندها القلبُ

بفقد الحياة الروحية وضعف العقلية ، ولذلك قالت الحكماء : لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فانَّ القلب كالزرع اذا كثُر عليه الماء مات . وقالت الحكمةُ الالهيّة بفم المسيح ربّنا : « احذروا ان تثقل قلوبكم بكثرة الطعام والشراب » .

ولذلك عَلَتْ منزلةُ الصوم في العهدَين القديم والجديد ، وكثيرون تذرَّعوا بهِ للتكفير والاستغفار واستعطاف الخالق واستمداد أيدهِ والإفلاتِ من ربقةِ الشدائد والنجاة من الكوارث والأخطار .

وشهد العقلاء ، اعتمادًا على العقل والتجربة ، بأنَّ الصومَ مدرسةُ العفّة ولجامُ الأهواء وحصنُ الفضائل وزينةُ الشيوخ وجُنّةُ الشباب من أذى الشهوات .

فباعتبار هذه الفوائد رأينا الكتاب الكريم يعظّمُ الصومَ ويخلعُ أجملَ حلل التقريظ على من قام بهِ من الابرار ، كأليعازرَ الذي آثر ان يموت على ان يدنّس نفسهُ ويُشكّكَ الشبّان بأكلِ لحمٍ حرَّمتهُ شريعةُ موسى على اليهود ، وكالاخوة السبعة وأمهم الألى وَرَدَ ذكرُ بطولتهم في سفر المكابيّين ، من لم تملك الأطعمة المحرَّمة ان تلوي عزمَهم وتُكرههم على طعامٍ حُرِّم على آل اسرائيل ، وكالفتيانِ العبرانيين الثلاثة الذين كانوا في بلاط بابل وأُريد قهرهم على أكل ما لا يحلُّ أكلهُ فاختاروا ان يصيروا مطعماً للنار في أتونٍ تصاعد لهيبُهُ في الجوّ أربعين ذراعاً على ان يأكلوا المحرَّم وتكون لهم الحظوة لدى ملك بابل العظيم . الى غير هؤلاء من أنبياء ومشترعين وملوكٍ وقوّادٍ وقديسين .

*

وأمّا فوائدُ الصوم الزمنيّة فرجعها الى أربع : تجميل السمعة ، وصيانة المال من الإسراف ، وحفظ صحّة البدَن وإطالة العمر .

أمّا تجميل السمعة ، فلأن السمعة الحسَنة لا تُكسب إلّا بالفضائل ، والفضائل لا تحصل إلّا بقهر الشهوات الخبيثة . وطريقة قهرها ترويض الجسد ، ولجام الجسد الصوم والقناعة ، فاذا رُفع لجامُهُ وجُعل حبلُهُ على غاربهِ جمح وَكَبا وعثر وتدهور وتحطَّم في وهاد المعايب والمذلّات والفضائح .

وأمّا صيانة المال ، فلأنَّ مَن ألِف الصوم والاعتدال يتجافى عن البذخ

والإسراف مأكلاً ومشرباً ، ولا يتورَّط في مـا يتبع ذلك من قضاء لذَّاتٍ تلتهمُ المالَ التهام النار الهشيم .

فما سُمِعَ قطُّ انَّ الصومَ أفقرَ العيـالَ أو الافراد ، أو عرَّض ثروة أحدٍ للنفاد . بخلاف الشراهة فإنَّ أخفُّ جرائمها تهزيل الكيس وتكثير المَفاليس .

وأمّا حفظ الصحّة ، فلأنَّ الجوفَ منبتُ العلل والأوهان ، وقد قيل : المعدةُ بيتُ الداء والحِميةُ كلُّ الدواء . والصومُ حِميةٌ تباعد عن البَدَن الأسقامَ وتعصم المعدةَ من الآلام . وربّما كانت صحّة البَدَن مترتّبة على صحّة الأخلاق وبالعكس .

ومن فوائد الصوم انه يكسر من شِرَّة الأهواء ويـدرّع دون سهامها صدورَ الأخلاق .

ونلمح انَّ الصوم من وسائل إطالة العمر ، فشاهدُهُ طولُ أعمار مزاوليه ، فانَّ كثيرين منهم يفوتون سنَّ المئة كغليان أحد مشاهير الأطبّاء الأقدمين ، عُمِّر مئةً وعشرين سنةً ، لأنَّهُ لم يقم مرّةً عن الطعـام إلّا وبهِ شيءٌ من الحاجة اليهِ .

وربّما كان تعليل ذلك بأنَّ أجهزة الهضم في الانسان والحيوان تـكلُّ وتَبرَى ويسرع اليها التَّلَفُ بكثرة ما تعانيه من تعب الأكل والشرب فلا يطول ان يأخذ منها العجزُ عن مهمّتها من تحويل الغذاء على الوجه الوافي بما تتطلّبهُ الحياة ، فيأوي الضعفُ الى البَدَن ويسهّل سبيلَ الأمراض اليهِ ، فيقتحمهُ الموتُ قبلَ الاوان ، فيلزم الأجهزةَ ان تأخذ نصيباً من الراحة أحياناً استبقاء لها وتمكيناً من استعادة ما فقدت من قوّتها باجهاد نفسها في العمل .

وقيل : ان الحيّة تعمّرُ زهـاء الف سنةٍ وتصوم نصف عمرها أي ستة أشهرٍ كلّ عامٍ . فلعلَّ هذا الصومَ الطويل هو علّةٌ لما تُرزَقُ من طول الحياة .

والشجرُ البرّيُّ لقلّة العناية بغذائهِ يجيء أبطأ نماء من الشجر المخدوم . لكنّهُ أصبرُ على مـاورة المناصر وأسلمُ من الآفات ، وأطولُ عمرًا وأبعدُ عن الفسـاد حتّى بعد القطع واليبس .

على أنَّ الخالق سبحانهُ قد غرس الصوم في طبائع بعض الحيوان من زاحفٍ ودابٍّ كالحلزون ودودة الحرير وغيرهما . وهو تعالى لا يوجدُ في الحيّ ما لا

ينفع لحياتهِ ، تنزَّهَ عن العَبث ، إنهُ الخالقُ الحكيم .

ثمَّ إنهُ من الثابت انَّ الصائم تتدنَّى حاجتُهُ الى النوم لاستراحة الدماغ مما يُثقلهُ من الغذاء . والنومُ ولا مِراء أشبهُ بالموت . وقد قالت العامَّةُ في أمثالها : النائم كالميت . فما يسلبهُ الصائمُ من ساعات نومهِ يضمُّهُ الى أيَّام حياتهِ .

وان كان حُسنُ الشيء يظهر من قباحة ضدّهِ ، فحسبُ الصوم فضلًا انهُ ضدُّ الشراهة ، هادمة الصحّة والأخلاق والحياة . هاكَ ما قالهُ في تشنيعها وتزييفهِ أربابُ العقول ؛ بالاكثار المثار . الشراهة قتلت أكثر من المجاعات وأكثر من السيف . رُبَّ أكلةٍ حرمت أكلات

كم دخلتْ أكلةٌ حشى شرهٍ فأخرجتْ روحَهُ من الجسدِ

ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بطنهِ . مَن يأكل قليلًا يعشْ سليماً ويعمّرْ طويلًا . الإفراط من اللحوم قتلَ الأسود في فلواتها . البطنةُ متلفةُ الفطنة . تهدمُ المدارك العالية وتفسدُ الأخلاق الكريمة . مَن أكل كثيرًا عاش قليلًا . وقال الملكُ النبيُّ : إثمُ البشر يصدُر في القالب عن الشحم . وقال ابنُ سيراخ (٣٧ : ٣٤) : « كثيرون ماتوا من الشراهة أمَّا القناعةُ فتطيل الحياة » .

ومن أقوال الحكماء : إدخالُ طعامٍ على طعامٍ مجلبةُ السقام . اقعد للطعام وانتَ تشتهيهِ وقُمْ عنهُ وأنتَ تشتهيهِ . أقلِلْ طعامك تحمد منامك . وقال الرئيس ابن سينا :

إجعلْ طعامك كلَّ يومٍ مرَّةً واحذر طعامًا قبلَ هضمِ طعامِ

وقال أبقراط : استدامةُ الصحّة بتركِ الامتلاء من الطعام والشراب . وما أجملَ وأصدقَ ما قالهُ دكتورنا الشيخ العزيز : إنَّ الأمراض والرذائل تتهافت الى بَدَنِ الشرهِ تهافتَ الجرذان الى مخازن الأقوات .

٥ — في قدوات الصوم

من أكابر الصائمين القديس بطرس هامة الرسل . كان يصوم كلَّ يومٍ ولا يأكل إلَّا ما قلَّ من البقول . والرسولانِ متَّى ويعقوب كذلك . والمؤمنون الأقدمون لم يكن في طعامهم لحم . وما كانوا ليأكلوا زمن الصوم إلَّا مرَّةً في يومهم . والرهبان في الأديار لا يذوقون مدَّة الصوم قوتاً مطبوخاً . والنساك

في الصحراء لا يفوتُ قوتهم قرصينِ صغيرينِ من خبز الشعير . والقديس بولس السائح صام كلَّ أيامِ عمرهِ وكان قوتُهُ يسيراً من الخبز والعشب ، فلا اعتراهُ داء ولا نزل بهِ وهن ، وعمَّر مئة وثلاث عشرة سنة . وكذلك القديس انطونيوس الكبير وقد عاش مئة وخمس سنين .

ورُويَ أنَّ أصدقاء الكردينال ستانيسلاوس أحد أحبار بيُوس الرابع في المجمع التريدنتي خافوا على صحّتهِ من إدمانهِ الصومَ ، فقالوا لهُ : ألا ترحمُ صحّتك ؟ فقال : انّما أصومُ ليطولَ عمري .

وكان الامبراطور يوستنيان اذا حلَّ زمنُ الصوم الأربعيني يتلقّاهُ بفرحٍ ويُمسكُ عن القوت إلّا أكلةً كلَّ يومينِ تُهيّأ لهُ من بقلٍ مُصلَحٍ بالملح والخلّ ولا يتناول شراباً سوى الماء . .

أمّا الامبراطور شرلمان فكان كلّما شعرَ بفترةٍ في جسده أو ثقلةٍ بدرَ الى الصوم مستشفياً فقيلَ لهُ في ذلك . فأجاب : ما وجدتُ دواء شافياً وواقياً كالصوم .

ونقلَ الينا التاريخُ من سيرة ستانسلاس ملك بولنيا إنّهُ في الصوم الأربعيني لم يكن يأكل إلّا مرةً في اليوم . فاذا كان يوم الخميس من السبّة الأخيرة أكل قليلًا ساعة الظهر وأمسك عن كلّ طعام وشرابٍ الى منتصف نهار السبت العظيم . وايضاً كان يصوم يومَي الجمعة والسبت من كلّ اسابيع السنة . واستمرَّ على ذلك الى سنّ الثمانين فما بعدها . فقال فيه فولتير : قد وجدتُ الحكيمَ الفردَ الذي يبتني لنفسهِ مجد القديسين وهو يُنزل مطرَ السعادة على الناس .

ومن الملوك الصيامى ، لويس السادس عشر . قيلَ انّهُ أمرَ بصيدٍ وتأهّب للخروج في بعض قوّادهِ وبطانتهِ ، فتقدّم رئيس الطهاة وقال : ان حَسُنَ في عينَي سيدي الملك فليأمر بشيء يشتهيه فأصلحه له عشاء . قال ما حاجتنا بالعشاء ونحن في يوم صوم . فقال بعض من معه : ستعود من الصيد ساغباً لاغباً فلا نأمن مغبّة ذلك على صحتك ، اذ تبيتُ وقد جدَّ بك الجوع . قال : الصيد ليس شريعة . وعدلَ عن الخروج وأمر بالغاء الصيد في أزمنة الصوم .

ومن أشهر الملوك الصيامى ، لويس التاسع القديس . كان مثالًا في الصوم لأهل بلاطه وكبراء مملكته ورعاياه . فلمّا أُسر معه الأمير دي جوانفيل وكان

من الناسجين على منواله ، جعل اعيان السودانيّين يدعون الأمير لمؤاكلتهم فيجيبهم الى ذلك . ووقع له ان قعد للطعام عند بعضهم فجيء اليه بلحمٍ فأكل لقمة ، وكان الى جانبه أسير آخر ، فقال له : لعلّه غاب عن خاطر سيدي اننا في يوم جمعة . فنحّى الأمير صحيفته لساعته ، وأخذ لنفسه عقاباً في سهوه بان يصوم على الخبز والماء كل يوم جمعة من الصوم الأربعيني .

ورُوي عن الشريف شابيوس السويسري ، أنّ طاهي داره أصلح له طعاماً من الباذنجان مطبوخاً بالزيت ، وكانت الساعة العاشرة من صباح يوم جمعة من عام ١٨١٤ ، فوافته رسُل ملك بروسيا وقالوا : الملك يتناول طعام الظهر في دارك وهو في الطريق اليك . فاضطرب وقال لهم : لا يحلُّ لي ان أُطعِم لحماً في بيتي يوم جمعةٍ . وكانت بينهم وبينه مجادلة في الكلام ، وانهم لكذلك اذ وقف بهم الملك في بعض بطانته . فقال له شابيوس : عذرًا يا سيدي الملك فاني لا أملك ان أُصلح لجلالتك ولهؤلاء الذين معك طعاماً إلّا ما طُبخ بالزيت . أليست شريعة الديانة قبل شريعة الضيافة ؟ فتبسّم الملك وقال : بلى . وإنّ طعامك الصياميّ مع فضيلتك الباهرة لأطيب مذاقاً من اللحمِ بل ألذُّ من آية مأدبة أنيقة . فأمر شابيوس فأُصلح للملكِ طعام بالزيت فأكل الملك منه حتى هَنِئَ ، وقال : ما أهنأني طعام قط كهذا الطعام . ثمَّ انصرف من تلك الدار معجباً باستيثاق أهلها بعُرى الدين .

ما لي أرجع بكم الى الأعصر الخالية والبلدان القاصية والناس الذين لا نعرف غير أسمائهم في التاريخ . وفي جبالنا المباركة وفي قرانا والمدُن ، نفوس سخيّة وشريفة ترعى وصيّة الصوم والانقطاع وتتأثم من تعدّيها حتى لساعة اعتلال . ويُغضبها ايضاً ان يفتح منها الرؤساء للمؤمنين .

عرفنا والدينا ، ومنّا مَن عرف أجدادهم ، فرأيناهم يصومون حتى في سنّ الستين والسبعين والثمانين ، وينصبون أنفسهم مثالاً للأبناء والأحفاد . ولقد كانوا يجبرون علينا الصوم والانقطاع ولمّا نستوفِ الربيع السابع من العمر .

وكان السعيد الذكر المطران بطرس البستاني اذا خرج لزيارة رعاياه في الابرشيّة لا ينزل ضيفاً على أحد حتى يواعده ان لا يُقدّم له غير لون واحد من

الطعام . فان كان يوم انقطاع اشترط ان يُطبخ طعامه بالزيت . فاذا أخلف المُضيف أبى المطران ان يأكل من طعامه .

ومَن شكَّ في منفعة الصوم للروح والجسد معاً ، فحبابُسنا غير بعيدة . في تلك المناسك شهودٌ مجرّبون أحياء يُرزقون أو موتى تنطق عنهم آثارهم الخالدة على الدهر . لا يذوقون اللحم طولَ العمر ولا الطعام المسوّى على النار إلّا ما قلّ . والصومُ حظّهم كلَّ الايام ، وأكثر من مرّة في اليوم لا يأكلون . بهذا العيش الخشِن يقمعون شهوات البدَن ويخفّفون من ثقله على الروح ، فيسهل عليهم الارتقاء في دَرَج الفضائل الى ذروة باذخة . وثوابهم على الارض صُنع المعجزات وراحة القلب وصحّة العقل والجسد وطول العمر ، فنهم مَن يفوتُ المئة ربيعاً وأقصرهم عمرًا يفوت الثمانين .

على انَّ من حُبسائنا القدماء مَن بلغ من الصوم مبلغاً تكاد لا نصدّقه لو لا صدقُ المؤرّخين . ذكر العلّامة الدويهي ومن بعده الاب يوسف غودار اليسوعي في كتابه « مريم ولبنان » عن الحبيس يونان المتريتي المتوفّى عام ١٥٤٢ ، انه قبل وفاته بأربع سنين بالغَ في الصوم فصار لا يأكل إلّا مرّة كلَّ يومين ، ولم يكن يأكل في الصوم الكبير إلّا في يومَي السبت والأحد ، وكانت صياماته تمتدُّ من المنصرة الى عيد الميلاد ، ومن عيد الغطاس الى الفصح . ولم يكن يشرب الّا يوم السبت ، وعاش طويلاً وكان قويّاً يركع في سبّة الآلام أربعاً وعشرين الف ركعة الى الارض .

والحبيس جبرائيل ابن ستيتة الاهدني الذي استحبس في الشطر الثاني من القرن السادس عشر في قزحيّا ، ما كان يذوق الماء مُطلقاً من بدء الصوم الكبير الى خميس الأسرار . لا أذكرُ غيرهما لضيق المقام .

*

ولو لم يكن رهباننا على يقين من فوائد الصوم والانقطاع لَما فرضوها على أنفسهم بملء الحرّية والاختيار . وظلَّ قانون الإمساك مرعيّاً عندهم ما يُربي على مئة وستّين سنة . لا يذوقون اللحم ولا يشمّون ريحه ولا يغسلون قدورهم من شحم أو دسم . لكنّهم عاهدوا الحبوب والألبان حتى صاروا يُعيّرون من سبيل المزاح « باللبنيّة والمخاوطة » وبهذا الغذاء الساذج الميسور جابهت أبدانُهم النصَبَ

وصبرت على الحرّ والبرد والكدّ والسهر ، فـاقتلعوا صخور الارض ودكّوا الآكام وغرسوها كرمةً وتوتاً ، وذلّلوا أعناق الجبال ومهّدوا صدورها لزراعتهم وسخّروا ظهورهـا لبساتينهم ورياضهم ، وشهود سواعدهم الحديدية لا تزال ناطقة بألسن النضارة والخصب حول أديارهم ، ولا سيّما دير سيدة مشموشة أحد الحصون المنيعة التي شادتها أيديهم العاملة ، وما امامـه على عرض الجبل من أملاك ضبطوا ترابها بزهاء خمسين حائطاً قائمةً بالصخورة الضخمة يبلغ طول الحائط منها الفين متراً ، بعلوّ مترين وزيادة . مما يُخيل الى الرائي انـه من معجزات العمالقة او الجنّ . فلله درّ « اللبنيَّة والمخلوطة » ولله درُّ عصرهما الذهبي ! ما كان ادرّه على الانفس والأَبدان ولبنان !

٥

ان كان كلُّ ما عرضناه من دواعي الركون الى وصيَّة الصوم والانقطاع لا يرفع الأوهام من مخيّلة الموجسين في انفسهم خوفاً علـى الصحّة والقوّة من أذى الإمساك مع ما بهم من الركون الاحمق الى الافراط ، فنستأذن حضرة طبيبنا الرئيس بالماع الى ما اقرّه علم الصحّة من موافقة تلك الوصيَّة لقواعد الصحّة العلميَّة بناء على الاختبار والمراقبة .

قد اجمع حُذّاق الاطبّاء المجرّبين على ان الانسان في العموم يأخذ من الغذاء ما يزيد عن الحاجة كمّاً وصنفاً . ومن الافراط في الغذاء والاسراف في التغذية الازوتيَّة تنجم الاختمارات المتعفّنة في الامعاء ويقارنها اتلاد السموم المعويّة التي يتولّد من امتصاصها اختلالات صحيَّة عديدة ، منها الاستعداد الارثيُّ لتهيّجات عصبية جلديّة او مفصليَّة ، ومنها النقرس اي داء المفاصل ، ومنها الحلو في الفضلة الرقيقة ، ومنها التهاب المصران الدقيق .

متى أُصيبَ المفرطون باحدى تلك العلل فانَّ نطس الاطباء يوجبون عليهم حِميةً أشقّ من الحمية التي تفرضها الكنيسة على الأصحّاء .

ومن الاطباء أولي الشهرة والجدارة بالتصديق مَن يرى انَّ اكثر ما يقع من حوادث التهاب الزائدة علّته في الغالب إفراط التغذّي باللحوم . أثبت ذلك لوكاس شامبيونيير (Lucas Championnière) الجرّاح الكبير في تقاويم سنويّة وضعها لاوساطٍ مختلفة ، فأسفرت مراقبته عن ندور التهاب الزائدة في السجون

وفي الأَديار الرهبانيَّة على نسبة حذف اللحم من الغذاء او تقليله فيه.

وعن مثل هذه النتيجة اسفرت مراقبة الدكتور كومب من لوزان لحوادث التهاب المصران الدقيق وهو من اكابر الاطباء ومختصّ بمعالجة هذا الداء .

وقد حُللت اصناف الاغذية تحليلاً كيماوياً لمعرفة ما فيها من مواد التغذية، ووُضعت لذلك جداول منظَّمة تُعرف منها مقادير الاجزاء المركَّبة لكل صنف من ماء وأزوت ودهن ونشاء،الى غير ذلك مع مقدار ما تؤتي البدَن من القوّة. يستخلص المطالع منها ان من يغتذي بالحبوب والخُضر فقد أخذ حظّاً وافياً من الغذاء المشتمل على الازوت ، وانَّ بالخبز والبقول كفاية لتغذية جسم الانسان، وان القائلين بضرورة اللحم للعامل الذي يكبّد عضَله الجهد والنصَب هم في مفاوز الوهم هائمون .

وقد قام بعضهم «الدكتور يال» باختبارات تهدف الى معرفة مقدار التفاوت في القوَّة العضليَّة تلقاء التعب عند متغذين بآكلٍ متغايرة ، مدار الاختبارات على مدّ الذراع في الهواء حتى يأخذ السابق ألمٌ في عَضَل الكتف والذراع لا يبقى له معه قِبَل ببسط ذراعه ، او على ركعات .تنال بها الركبتان الارض يقوم بها المسابقون على خطٍ واحد محدود ، فأكثرُ عدد ركعاتٍ ، هو المجلّي. ففي هذين الضربين من السباق كان التفوُّق للمتغذين بغير اللحم على المتغذين باللحم ولا سيّما بالركوع ، فان الممسكين عن اللحم حتى المؤمنين منهم على حياة القعود احرزوا السبق حتى على المصارعين من أكلة اللحوم.

فاذا تدبَّرنا ما قلناه الى هنا لم نجد بدًّا من التسليم بأنَّ الصوم والانقطاع عن اللحم اذا أُخذ فيهما بجانب الاعتدال ، بالقَدَر الذي تفرضه.وصيَّة الكنيسة الأمّ الحكيمة طبيبة الارواح والابدان ، لا يجرَّان على الجسم أيَّ اذىً بل يعودان بجمٍّ من المنافع عليه وعلى النفس والاخلاق .

٥

فمَن لم تروهِ هذه القطرة فالى الينبوع الرائق الغزير ، الى كتاب « علم الصحّة » لحضرة الدكتور الجليل الحكيم النزيه .

على اننا لا نحبُّ ان نختم هذا الخطاب قبل ان نحلّي جيدَه بشيء من لآلي

فضله على علم الصحّة ، بما يترتّب على العمل به من طهارة الآداب وعلوّ الاخلاق وسعادة الفرد والعائلة والوطن .

قال في تجرّئ الجبناء على إلغاء الوصيّة الكنسيّة : أجمع الاطباء المحدثون على ان الإكثار من اللحوم وتناولها المتواتر تسمّم مطرد لا تغذية . ومثّل لافضليّة الصوم والانقطاع بالنسّاك والمترهّدين . قال : رهبان السكوت لاقتياتهم بالأغذية المتخذة من النبات أقلّ أمراضاً وأطول حياة . وحبساؤنا يأكلون وجبةً في اليوم ولا يذوقون اللحم وينامون غراراً ويكدّون ابدانهم بالعمل وهم على ذلك أصحّ أبداناً وأطول اعماراً . وعاملنا اللبناني يقتلع الصخور ويفتّتها ويحملها على ظهره ويبني السياج والبيوت ، وقوته الخبز والعدس والبرغل والزيتون والبندورة . . . وأحياناً البصل .

والعَمَلة اللبنانيّون أرقى جدّاً من مثلهم وطبقتهم حتى في أرقى الشعوب ، ولهم في البسالة والوغى موقف يشهد له التاريخ موقف الابطال الصناديد ، فلولم تكن سواعدهم من حديد لكان جبلهم بغاباته التاريخية مقرّاً للضواري ومسرحاً للاعداء .

وقد صار مقرّراً في علم الصحة ، ان الاكتفاء بما هو من النبات والألبان كافٍ للتغذية وحفظ الصحة ، وتحقّق انه يفيد العَمَلة حاسة شبع وامتلاء بما يتركه في الغائط من فضلة بقياس ١٥ في ١٠٠ من المآكل ، مع ان ما يتركه اللحم بقياس ٣ في ١٠٠ فقط .

ثم عزّز رأيه برأي حكيم من رصفائه وهو القائل : لو لم تضع الكنيسة القطاعة والصوم لوجب على علم الصحّة ان يسنّها . وشرح كلام الوصيف بقوله : ولا يخفى ما في ايجابها من الحكمة في الصوم الكبير لوقوعه في فصل الشتاء وهو فصل الافراط والتخم . على انّ بحرمان الانسان من المآكل اللحميّة مدّة من الزمان إماتة للشهوات وإحياء للمكارم . وهذا قد اجمع عليه العلماء المسيحيّون والمسلمون واليهود . (انتهى كلام الدكتور)

*

رأينا ان الصوم ضربٌ من التوبة ، وما التوبة إلّا العدول عن طريق الاثم والتكفير عمّا فرط من المعاصي . وكلاهما لا يُستوفيان بتصويم البطن وحده ،

لأنه لو كان هو الذي أخطأ دون سائر اعضاء البدَن لوجب ان تقع التوبة عليه وحده . أمّا والزيغ حاصل من جميعها فينبغي ان يتنـاول الحرمان جميعها بلا استثناء . ويلزم من ذلك ان يُصوَّم مع الجوف الفم والقلب والعينان والأذنان واليدان والرجلان : طعام القلب الافكار والشهوات ، فينبغي ان يوصَد بابه في وجه ما خَبُث منها ويُفتح في وجه ما صَلُح .

وللفم طعامان ، طعام يدخل فيه وطعام يخرج منه . فالذي يدخل فيه هو الغذاء المادي . والذي يخرج منه هو الكلام . فهل من الصواب ان نطهّره من بعض المآكل ونحن ندنّسه بالكلام الفاحش والالفاظ البذيئة والاحاديث الخبيثة والشتم واللعن والسباب ؟ او ليس مستهجناً ان تشتهي اضراسُنا لحم الطير والحيوان فنحرمها او نجلدها بالخبز (الحاف) ونحن نمزّق اخوتنا بأنيابنا ونقدّد اعراضهم بألسنتنا غير متأثمين ؟

وطعام العين المنظورات ، ومنها ما تُسمّم الجسم كلّه وتُسلّط على القلب جراثيم الفساد ، وتفتك بالفضيلة اذرع فتك . أفما يجب علينا ان نُصوّم العين بردّها عن المشاهد المغوية ؟

وهكذا يجب ان نصوّم الأذنين عن المسموعات المؤذية كالثلب والنميمة وما خَبُث من أغنيةٍ وحديث .

وتصويم اليد بكفّها عن المحرّمات . وتصويم القَدَم بحبسها عن الخطو في سبيل ما لا يحلّ من اللذّات .

ان الصوم من أعظم القُربات لِما به من كسر الشهوة البهيميّة التي ما جاءت الشرائع السماويّة إلّا لتعديلها وتزكية النفس وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيلة . فالمقصود من الصوم كفُّ النفس عن الاسترسال في الشهوات النفسيّة والبدنيّة ، فأيّة فائدة منه اذا كان الصائم لا يكفُّ عن الانهماك في الملاذ والشهوات وانتهاك الحرمات والاعتداء على الناس وإيذائهم في أعراضهم وأموالهم . إنّما الصوم توبة فينبغي ان يكون مقروناً بقمع الشهوات والاسترسال في الاعمال الصالحة ولا سيّما الاحسان الى القريب وإغاثة الفقير والضعيف .

٨

خاتمة

اذا تقرَّر ما أُلقيَ الى أسماعكم الكريمة من فوائد الصوم للروح والجسد ، ومن انّ أصله الهي لا بشري ، ومن وجوبه على الانسان منذ عهد الابوين الاولين ، ومن تمسّك المسيحيين به منذ عهد الرسل الكرام، ومن تذرُّع المتقين به لاخماد السخط الالهيّ في كل عصر ، ومن تقريظ الاسفار المقدسة للابرار الذين مارسوه ، ومن انّه فضيلة أصفياء الله المقرَّبين وانبيائه المظلّين وإبنه الحبيب ملك الشعوب والدهور . أفلا يبطل تذمُّر المتذمّرين وتخرس ألسُن المتشدّقين ، ويكون الصوم الذي يزدريه أُولو الشراهة والنَّهَم ، من اجلّ نعم الله وكنيسته الممنوحة لتعزية الانسان وسعادته ؟

اذا امتهن الصوم أناس لا يعرفون قدره فعذرهم أيسر وضمانهم اقلّ . امّا نحن فما يقيمُ عذرنا ولسنا بجاهلين. أوما تعلمون انكم احفاد الصوّامين المتزهّدين المتقشفين ، اولئك الذين ما تمدّدت اضلاعهم من امتلاء ، ولا حالفوا البطنة ولا صادقوا الكِظّة ، ولا ملّكوا عليهم النَّهَم ولا استضافهم القَرَم، ولا كانوا الّا أشياع القناعة مفاخرين .

انتم أحفاد اللبنانيين الذين كالمكابيّين استمسكوا بشريعة الربّ وحموا ذمارها بصدور يزلق عنها الخطبُ وقلوب لا يدخلها الرُعب ، بذلوا في رعايتها الارواح والمُهَج .

انتم احفاد الذين كانوا اذا ضافهم زمن الصوم يهرعون للقائه بوجوه يترقرق فيها ماء البشر وتنور يتفتّح عليها ابتسام السرور . وما ملاقاة الراهب يوم اثنين الرماد إلّا أثر مشوّه وصورة ممسوخة لحفلة تقويّة كان الاجداد يقومون بها تكريماً للرهبان الذين يأتونهم من المناسك في مبتدإ الصوم ليعظوهم بكلام الله .

انتم أحفاد جبابرة الفضيلة الذين جرّدوا بواتر الاصوام وانقضوا على الشهوات أسوداً وشواهين فمزّقوها كل ممزّق وضربوا الذلّة عليها ظافرين ، فزانت أكلّة المجد جباههم ، وطلعت في سماء الفخر أقمارهم ، ومُنطقت بالقوّة أحقاؤهم ، وبهرت العيون أشعّة مكارمهم ، وملأت القلوب مهابتهم ، وامتزج السلام والسعادة بعيشهم ، وواجهوا المنيّة بصدور حُشيت رجاء ووجوه اشرق فيها صباح البِشر .

ونحن احفـاد اولئك المسيحيين الذين كفروا بالبطن وبشهوة الحلق ، وآمنوا بالقناعة والاعتدال وأورثونا الصوم والإماتة ممتزجين بدمهم النقيّ الجاري في عروقنا . فعارٌ علينا أن نخونهم في ذلك الدم الطاهر ، ونبيع نجاسة الافراط ذلك الإرث النفيس . عارٌ علينا ان نطّرح تقاليدهم الكريمة ، ونزدري آدابهم الحميدة ، ونخلع أخلاقهم الجميلة ، ونتنكّب طريقهم القويم ، ونقصّر عن شأو محامدهم البعيد .

على أُسس الصوم والقناعة أُركز ما نشاهده من صوامع ومناسك وأديار على ظهور جبالنا ورؤوس آكامنا . وحيثما وجدتم نقرةً في صخر او كهفاً في بطن وادٍ او مغارة في صدر تلٍّ ، فهناك معبد للصوم ومأوى للصائمين .

ادخلوا تلك المناور المأهولة في القديم ، المقفرة اليوم ، فتأخذكم قشعريرة خوفٍ مقدَّس وتملأ أُنوفكم رائحة الصوم الذكيّة ، التي لم تقوَ على تبديدهـا ريح التقلّب والإقفار على كرّ الادهار . وما للأرز نضارة الشباب على تقادم عهده ، الّا لأنّ أصوله تمتصّ ريّاً من مذخور أدمع أجدادنا الصوّامين التائبين .

٥

حذارِ حذار ان نجحد الصوم فتدينا وتعيّرنا آثار عابديه . حذار ان نحقّره ونحن متنعّمون بما خلّفه لنا من ثمار كدّهم واقتصادهم معظّموه . ورثنا أرضهم ومنازلهم وذخائرهم وآثارهم ودمهم الشريف النقيّ ، فأحرِ بنا ان نرث ايضاً تديّنهم وتقواهم وفضائلهم وتقاليدهم وأخلاقهم وايمانهم الفاضل والمستقيم ، فبذلك نُحييهم ونحيا ، ونفرّح عظامهم ونعتزّ ، وإلّا فنحن موضع قول الشاعر :

« نعمَ الجدودُ ولكن بئسَ من خلفوا » .

عارٌ على الانسان ان يعيش ليأكل ويشرب ، وان يجعل البطن الهه . امّا ان يحرم نفسهُ احياناً من بعض الطعام تقرّباً الى الله ، فذلك مجد ومفخرة .

انتهى

مات الاتحاد اللبناني السوري الاقتصادي

ليعش الاتحاد

بقلم ارنست تلباك
استاذ في معهد الحقوق الفرنسي

لا يسعنا ان نستنتج من انفكاك الاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري ١٣ آذار ١٩٥٠ انه بات مقضياً بالاخفاق في المستقبل على كل اتحاد اقتصادي في الشرق الادنى — بل انا ذلك على العكس — اذ إنّ هناك اتحاداً واتحاداً .

اجل ان الاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري لم يحقق الّا احطّ طراز من الاتحاد الجمركي وذلك على قدر ما كان اتحاداً بين البلدين من ناحية، على حين انه من الناحية الثانية قد اخذ يشيع بين الدول الان، الى جانب الاتحاد الجمركي بين البلدان، اتحاد جمركي في المنتجات (مشروع شومان). وان الخطط التي ارتسمها هذا المشروع لن تكون ابعد عن التشجيع في الشرق الادنى منها في اوروبا وبقية الاقطار العالمية .

١

ما نبا الدهر بالاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري الّا بسبب انه كان اتحاداً جمركياً خارجياً وخاصاً .

اجل انه اتحاد خارجي: لانه اتحاد اقتصادي بين دولتين ما برحت احداهما تتميز سياسياً عن الثانية (الدولة اللبنانية والدولة السورية) كما كان الاتحاد الاقتصادي (Zollverein) الجرماني القديم، عام ١٨٣٤، بين شتّى الدول الالمانية التي لم تلحقه بوحدتها السياسية الّا في سنة ١٨٧١ .

ولَكَمْ ما كان التباين الذي قام بين الاتحاد اللبناني السوري الجمركي وبين الاتحاد الجمركي الداخلي الذي تمّ في فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة، بحيث سبقت وحدة تلك البلدان السياسية اتحادها الاقتصادي فنشأت وحدتها الجمركية في قلب دولة موحّدة سياسياً !

ولما انهارت في فرنسا غداة سنة ١٧٨٩ آخر الحواجز الجمركية ، كانت الحواجز السياسية قد انهارت منذ زمن طويل وتحققت في الميدان السياسي الوحدة الفرنسية السياسية .

انه لاتحاد خاص الاتحاد اللبناني السوري وأكثر من خاص « البانلوكس» (Benelux) او مشروع الاتحاد الجمركي السكنديناڤي بيد انه اتحاد حقيقي رأساً لرأس ، كشروعي الاتحاد الجمركي الفرنسي الايطالي او اليوناني التركي .

ويا لها من مناقضة للجهود المبذول في سبيل اتحاد جمركي عام (كالمنظمة الاقتصادية للتعاون الاوروبي O. E. C. E.) المنبثقة من مشروع مرشال !

وانه لخطأ مزدوج الاعتقاد ان اتحاداً جمركياً خارجياً وخاصاً هو اسهل من اتحاد جمركي داخلي وعام .

ويسعنا القول من حيث المبدا ان كل اتحاد اقتصادي يظل معلقاً في الهواء طالما ليس هو وحدة سياسية .

ولا يكفي في سبيل تحقيق اتحاد جمركي الغاء الحواجز الداخلية بين الدول المتحدة الغاء سلبياً ، وانما ينبغي ان تُنشأ في آن واحد انشاء ايجابياً جبهة خارجية مشتركة وان تقام حدود مشتركة : اي انه اذا لم تنفذ منذ البدء تعرفة مشتركة على حدود الاتحاد الخارجية فلا بدّ من ان تنجم الامور التالية : دخول المنتجات الغريبة الى احدى دول الاتحاد على نفقة انخفاض تعرفتها ، لتنتقل منها الى بلاد الفريق الآخر عن طريق الحرية الجمركية بين هذين البلدين ، فتنهار الحواجز الجمركية التي تكون قد انشأتها هذه الاخيرة في وجه البلدان الخارجية لحماية صناعاتها الوطنية .

وهذه الجبهة المشتركة في وجه الخارج في الامور الجمركية تفرض ايضاً قيام جبهة مشتركة في الشؤون النقدية والّا جرى ما يأتي : اي ان حرية المبادلات في قلب الاتحاد نفسه لا تضاعفها حرية المدفوعات ، والغاء الجمارك الداخلية لا يصحب الغاء القطع الداخلي ، وخلا ذلك فان اختلاف القيمة بين عملات مختلف اعضاء الاتحاد الجمركي الواحد حيال الخارج وتخفيض احدى هذه العملات بالنسبة الى غيرها — او بالعكس — ارتفاعها يؤدي الى بعض الامتيازات في التصدير

والاستيراد ويشلْ الاتحاد الجمركي ، مما يستفاد منه ان الاتحاد الجمركي لا يستطيع ان يكون ما لم يقترن بالاتحاد النقدي .

ولنتقدم خطوة اخرى الى الامام . فهل يُقدّر لنا يوماً ان نرى مصرف (بنك) الاتحاد المركزي يرفض تسليف احد اعضاء هـذا الاتحاد بحجة ان ميزانيته يعتريها الخلل ؟ وفي الواقع ان الاتحاد النقدي والجمركي يفرض بدوره اندماج السياسة المالية والاجتماعية . . . الخ .

ولا يعني انشاء اتحاد جمركي التنازل عن الاستقلال التجاري فقط بل عن الاستقلال النقدي والاستقلال في الميزانية كما انه لا يعني ايضاً التنـازل عن السياسة الاقتصادية برمّتها فحسب ، بل عن الاستقلال السياسي وهذا ما معناه وضع اسس حكومة اتحادية تبتلع حتماً جانباً من صلاحيات سيادة كل دولة لان الاتحاد الجمركي في مظاهره الفنيّة هو منهج الحكومة الاتحادية «فدرالية» وهو عمل سياسي اكثر منه اقتصادياً ، وما القطيعة في الاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري الّا برهانٌ على ذلك .

اما هذه القطيعة فلم تكن وليدة المصادفة او عدم الانسجام بين السياستين اللبنانية والسورية النقديتين .

وهل من حاجة الى التذكير بان النقد السوري فقد قوة التبرئة في لبنـان عندما ابت سورية في شهر شباط ١٩٤٨ توقيع الاتفاق النقدي الذي اقترحته فرنسا على البلدين .

ومنذ ذلك الحين كان التلاعب بين قيمـة النقدين وان عدّلت سورية بعدئذٍ موقفها ووقّعت الاتفاق المقترح عقده فلقد ارتفع الفرق — بدلًا من ان يزول — بين النقدين اولًا في مصلحة لبنان فكان لهـذه الثلمة النقدية تأثير سيء على العلائق التجارية بين سورية ولبنان .

ولقد وجهت الحكومة السورية في السابع من شهر اذار ١٩٥٠ مذكرة الى البلد الجار تقترح عليه : الاتحاد الاقتصادي النقدي الكامل او الانفصال ، وهذا ما يبيّن لنا ان الاتحاد الجمركي لم يكن مرتبطاً بالاتحاد النقدي فقط ، بل كان يخفي خاصة تحت الاتحاد الاقتصادي الكامل ووراء الاتحاد النقدي ضمناً ، الاتحاد السياسي نفسه .

ويا لها من حجة عميقة في آنٍ واحد سواء أكان ذلك من حيث الاقتراح السوري ام من حيث الرفض اللبناني .

ولقد كان السوريون يستشعرون ببعد نظر الاتحاد السياسي بعد الاتحاد الاقتصادي .

وعرف اللبنانيون ولم يكن منطقهم اقلّ من غيرهم – وهم الذين لم يكونوا يريدون الاتحاد السياسي – ان يرفضوا الاتحاد الاقتصادي .

وفي مثل هذا المقام هل يعترضون متذرعين بالنجاح المشهور الذي احرزه الاتحاد الجمركي الالماني الخارجي (Zollverein) في القرن التاسع عشر ؟ فالجواب ان الاتحاد الجمركي الالماني الخارجي لم يستطع ان يؤدي الى نتيجة حسنة من جهة ألا بارادة دولة اقوى من الدول الاخرى ارادة مستمرة وهي تحرص بوسائلها على سيطرتها السياسية: الا وهي بروسية، ومن جهة اخرى فان الدول الالمانية كانت منذ سنة ١٨٣٤ قد انتظمت في اتحاد سياسي وكان عليها ان ترتقي الى نظام دولة اتحادية قبل ان تبلغ نظام دولة موحدة عن طريق اعلان الامبراطورية في ١٨ كانون الثاني سنة ١٨٧١ .وبكلمة واحدة، ان الوحدة السياسية لم تتحقق عملياً في المانيا – بعمل بروسية – وانما كانت الوحدة السياسية تسير في طريقها من الوجهة الحقوقية منذ البدء .

والواقع لقد كان الاتحاد الجمركي الالماني الخارجي Zollverein اتحاداً جمركياً داخلياً واسعاً : ومن هنا كان سبب نجاحه ذلك النجاح الذي لا يقارن اخفاق الاتحاد اللبناني السوري ألا لكون الوحدة السياسية مفقودة في هذا الاخير وموجودة في الاول .

وهل يتذرعون بالاعتراض بالمنظمة الاقتصادية الحالية للتعاون الاوروبي مع منظمة اتحاد المدفوعات التي تحددها ؟

من الواجب ان نتبيّن جيداً انه ترتسم بقوة تحت طلائع الاتحاد الاقتصادي هذه الوحدة السياسية : اي المجلس الاوروبي الذي انشىء في ستراسبورغ في ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٩ وهو بدء توحيد سياسي لا مفرّ منه للتوحيد الاقتصادي يعد له اوفر حظ على غرار حظ الاتحاد الجمركي الالماني الخارجي(Zollverein) الذي سيّر جنباً لجنب الوحدة السياسية الالمانية مع الوحدة الاقتصادية تحت التأثير

البروسي . على حين ان الفارق الوحيد الذي يقرّر اليوم في الامر هو عامل اقل منه على الطريقة البروسية بما هو عامل على مقاومة الاستعمار : اي الاستعمار الروسي.

وبينما كانت المباحثات تدور حول انشاء الاتحاد الاقتصادي في اوروبا فاذا بالاتحاد العسكري يتحقق ببضعة اشهر ضمن النطاق السياسي وهو ادقّ اتحاد : ليطغي على النطاق الاقتصادي على قدر مـا يعمل الغربيون لتوحيد مستوى تسلحهم . فتدفقت طلباتهم على خير المصانع تجهيزًا واقلها اسعارًا ولم يبقَ اي حاجز كان من الآن وصاعدًا يوقف هذه الاسلحة عند الحدود .

ولئن كان من الوهم التخيّل انــه في المستطاع السير الى الامام بواسطة الاتحاد الاقتصادى فقط من دون وحدة سياسية وان الاتحاد الجركي الخارجي اسهل من الاتحاد الجركي الداخلي فليس اقل خطأ الاعتقاد ان الاتحاد الجركي الخاص هو اسهل من الاتحاد الجركي العام . واليك السببين:

الاول — وهو انه على قدر تضاؤل المساحة الموحدة تتضاءل مزايا الاتحاد نفسها،اما الاتحاد في المقياس الاوروبي فجدير تحقيقه، اما الاتحاد الفرنسي الايطالي مثلًا فيظهر مبدئياً انه بات مسبوقاً لانه لا يفضي الى توازن مع الكتلة الاميركية ولا مع الكتلة الروسية .

وهل اجرأ ان اقول القول نفسه عن اتحاد في مقياس الشرق الادنى وعن اتحاد لبناني سوري فقط ؟ ان الانكفاء عن الاتحاد الجركي العام الى الاخذ باتحاد جركي خاص ليشبه من بعض الوجوه «اطراح الطفل خارجاً مع ماء الحمام» « اتباع الحبل بالدلو اذا ما انزلت الى البئر ».

الثاني — وهو انه اذا تضاءلت مزايا الاتحاد على هذه الصورة فان الصعوبات تزداد ، اذ كل اتحاد بين فريقين هو اشد اساءة من اتحاد بين عدة فرقاء. لانه لا يفسح مجالًا لتعويضات يقوم بها فريق ثالث في سبيل إحكام اقتصادين لا يتمم احدهما شكل الاخر كل التتميم فانتاج الخمور الفرنسية لن يلاقي الا سهولة قليلة لرواجه ضمن نطاق الاتحاد الفرنسي الايطـالي الخاص لان ايطاليا نفسها هي من البلدان المنتجة للخمور . ولكن ليتدخل فريق ثالث في اتحاد هاتين الدولتين الشقيقتين الصعب بعض الصعوبة ولتنضم اليــه المانيا والبلدان الشمالية، فعند ذاك يسهل سهولة كافية رواج الخمور الفرنسية الايطالية.

والاتحاد اللبناني السوري الذي قام رأساً لرأس قد كان كذلك اتحاداً لا يخلو من الصعوبة فلو كان انضم اليه فريق ثالث لجعله محتملاً لان الصعوبات الخاصة تتضعضع في المجموع ولكان اتساعه وسّع حريّة كل فريق من الفريقين اما ما افضى الى القطيعة فليس الاتحاد الكثير بل القليل منه.

وانه لتشخيص مناقض للتشخيص الرائج . فلو لم تكن سرعة انهيار الاتحاد اللبناني السوري الاقتصادي المزدوج غير الاتحاد الجمركي الخارجي فقط والاتحاد الخاص لكفى بها . ولنعرب عن هذا بصورة ما ولنقل انه كان اتحاداً بدون نفس سياسية ومن دون جسم اقتصادي .

٢

لم يكن الاتحاد اللبناني السوري طرازاً ادنى لاتحاد جمركي بين بلادين : اي اتحاد خارجي وخاص لكي يُقدّر له في الغد النجاح الذي يُقدّر لاتحاد جمركي بين بلادين اثنين وفق طرازه الاعلى كاتحاد داخلي وعام . اما اليوم فثمة نهج جديد يفرض نفسه فرضاً ، وهو الاتحاد الجمركي بالمنتجات الذي يقوم الى جانب نهج الاتحاد الجمركي التقليدي بين بلادين .

ففي اليوم الثامن عشر من نيسان ١٩٥١ قبلت ست دولٍ اوروبيّة رسمياً وهي فرنسا (مع السار) والمانيا وبلجيكا وهولانده ولكسمبورج وايطاليا مشروع شومان واوجدت سوقاً واحدة للفحم والفولاذ لمدة خمسين سنة عن طريق الغاء الحواجز الجمركية الوطنية اي ايجاد سوق من ١٧٥ مليوناً من البشر تقيم التوازن مع السوق الاميركية .

واوعزت الـ (T. V. A.) بانشاء سلطة دولية عليا للفحم والفولاذ : اي سلطة تنفيذية حقيقية يساعدها لجنة وزراء تؤمن الاتصال بالحكومات الوطنية ولجنة استشارية تؤمن الاتصال بالاوساط الاقتصادية والاجتماعية وهي سلطة حقيقية وحكومة للفحم والفولاذ حقيقية مسؤولة امام مجلس هو برلمان اوروبي حقيقي يحق للدولة او لفريق خاص اللجوء الى طرق المراجعة بشأن مقرراته الى محكمة تحكيم اتحادية . وما ذلك الا قاعدة الانطلاق في سبيل تحقيق اتحاد اوروبي تحقيقاً تدريجياً من الدول الاوروبية .

ومن الكافي ان ينشئوا شيئاً فشيئاً سلطات عليا جديدة في غير نطاقي الفحم والفولاذ : سلطات تكون مسؤولة امام المجلس نفسه وتشرف عليها محكمة التحكيم ذاتها وكذلك يصلون مرحلة مرحلة الى ان ينشئوا في المضمار الاقتصادي حكومة اوروبية حقيقية بوزرائها الاختصاصيين .

وتفادياً عن الاصطدام وجهاً لوجه بالصلاحيات الدولية كما في الاتحاد الجمركي فقد شنُّوا هجماتهم عليها من جنباتها فكانت اوقع بها لان الامر يقوم على الغاء الحقوق الجمركية عن بعض المنتجات فقط مما لا تمسّ معه السلطة الجمركية عامة ، ومما يضمن لها شدّة رغبتها في السيادة ... وبذلك تظل كل دولة حرّة في تأميم مشروعاتها الفحمية والفولاذية او عدم تأميمها طالما ليس من تأثير لهذه الامور على نقابات المنتجين وجماعاتهم .

ولئن اعملوا معاول التهديم غير المباشر في هذا الحاجز الاول الذي يذكي نار الضغائن العامة بين الدول فانهم ليهدمون الاحقاد الخاصة الفرنسية الالمانية تهديماً مباشرًا ويخنقون ذلك التنافس التقليدي الذي اوشكت ان تشرف معه اوروبا على الهلاك وهو في مهده .

أفلا تفتقر فرنسا الى ان تشتري ٥٠ في المئة مما تحتاج اليه من الفحم (كوك) لصناعتها الثقيلة من الخارج والمانيا ٤٥ في المئة مما يعوزها من المعدن الحديدي ؟

اجل انه لتضامن طبيعي بين استقلاليهما يحملها على تناسي عداوتها التقليدية ، فان اوروبا لتجد وحدتها حيال الخطر الروسي فلذلك لم يبقَ الرور وقفاً على خدمة الجهاز الالماني القديم ولكن على الدفاع عن اوروبا الجديدة .

وقاعدة الاقتصاد المتمازج هذه وهذا الاتحاد الجمركي بالمنتجات الذي يقوم حدًّا وسطاً بين طريقة الاتفاق الصناعي الدولي الخاصة وبين طريقة الاتحاد الجمركي بين البلدان العامة سيفضي الى ازالة اسوار الكتل الاقتصادية المصطنعة والاتفاقات الصناعية الدولية وحقوق الدول الجمركية .

وانها لقاعدة ثالثة : وهي قاعدة وسط تقوم كاسفين مغروز بين القاعدتين اللتين على طرفي نقيض السابقتين .

وعلى هذه الصورة إقترح السيد روبيشز (Robichez) مدير لجنة الصوف المركزية في الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٥٠ ايجاد اتحاد للصوف

اوروبي على صورة مشروع شومان للفحم والفولاذ .

وعلى هذه الصورة اقترحت الحكومة الفرنسية نفسها في التاسع والعشرين من اذار سنة١٩٥١ انشاء اتحاد زراعي اوروبي وقد بدأت طبعاً ببعض المنتجات الرئيسية : كالقمح والسكر والخمر ومنتجات الحليب .

وعلى هذه الصورة نوقش في ستراسبورغ في شهر ايار ١٩٥١ مشروع ايجاد سلطة عليا اوروبية للنقليات .

ويبدو ان الاتحاد الجركي بالمنتجات لن يشمل منتجات ومصالح اخرى في اوروبا وحدها بل سيشمل ايضاً مناطق ثانية غير اوروبا في العالم فهو توسّع في الحقلين الجغرافي والاقتصادي وتوسّع خاصة في الشرق الادنى. والقاعدة الاولى من قواعد الاتحاد الاقتصادي الكبرى، التي نعرفها اي طريقة الاتفاق الصناعي الدولي الخاصة موجودة في الشرق الادنى . وحسبنا ان نذكر في هذا الصدد زيوت البترول . والثانية اي طريقة الاتحاد الجركي بين البلدان العامة ، موجودة فيه ايضاً . وكفى بنا ان نذكر الاتحاد الجركي اللبناني السوري الذي يؤكد انقطاعه اكثر مما ينبئ – كما رأينا – بمستقبل اتحاد جركي بين البلدان العربية اوسع مما نصت عليه الجامعة العربية ومنظمة الامم المتحدة او مما نصّ عليه حديثاً المؤتمران المعقودان في بدء سنة ١٩٥١ في مالطة واستانبول .

واننا لنرى بخاصة القاعدة الثالثة اي طريقة الاتحاد الجركي المتازجة بالمنتجات او المصالح تذرّ قرنيا في الشرق الادنى فهي لم تكن غائبة عن مؤتمري مالطة واستانبول وانما أثيرت مع مشروع ايجاد مصلحة قطع مركزية في البلدان العربية ومشروع ايجاد نقابة للحبوب الزراعية والموارد الاولية من جميع البلدان العربية وايجاد خطط (سلطة عليا) تجتهد في تعمير واديي الشرق الادنى الكبيرين .

(١) اعمار وادي النيل الذي يقتضي له اتحاد بين خمسة بلدان هي مصر والسودان الانكليزي المصري وايتوبيا وكينيا والكونغو البلجيكي .

(٢) اعمار منبطحات الوادي السوري الاردني اي هذا الجزء الممتدّ على موازاة ساحل المتوسّط الشرقي من تركيا حتى العقبة وتقوم اعلى نقاطه بالقرب

من بعلبك واكثرها انخفاضاً عند البحر الميت وتجري فيه انهار ثلاثة : العاصي والليطاني والاردن .

وتقضي الضرورة هنا ايضاً باتحاد عدة دول : سورية ولبنان وشرقي الاردن واسرائيل وبايجاد سلطة دولية عليا .

فللجزء الفلسطيني قد اعدّ الاميركي لودرملك (Lowdermilk) منذ وقت طويل مشروع الـ (J. V. A.) وللجزء اللبناني كانت النقطة الرابعة من مشروع الرئيس ترومان ووجود الفنيين الاميركيين . وان استهلاك القوة اللبنانية ستزداد ثمانية اضعاف فيستطيع اللاجئون العرب ان يجدوا مكاناً لاستيطانهم .

ولقد وضعت مشروعات اخرى للفرات والدجلة بيد ان الاهتمام الذي ضوعف فهو في تقديم الريّ للزراعة والكهرباء للصناعة ، وانها لمشروعات رامية الى توحيد الشرق الادنى توحيداً اقتصادياً على شاكلة مشروعات شومان في اوروبا الرامية الى توحيدها اقتصادياً .

٥

لقد مات الاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري ! فليعش الاتحاد ! اتحاد جمركي بين البلدان ولن يكون فقط خارجياً وخاصاً بل داخلياً عاماً تكون له نفس سياسية وجسد اقتصادي، اتحاد جمركي بين البلدان تعززه اواصر اتحاد جمركي بالمنتجات والمصالح ليقفز الشرق على هذه الصورة ويتخذ مركزه في خريطة المساحات الكبرى الاقتصادية في عالم الغد .

اخبار العالم

اخبار دينية

الهند والكنيسة الكاثوليكية : بمناسبة الاحتفال في نيودلهي (الهند) بالذكرى المئوية التاسعة عشرة لمجيء توما الرسول الى بلاد الهند والمئة الرابعة لوفاة القديس فرنسيس كسفاريوس وجه قداسة البابا الى المؤتمر المجتمع هناك خطاباً بالراديو حرّض فيه مسيحيّي الهند : اولاً على الثبوت متحدين متضامنين مهما اختلفت طقوسهم واحوالهم . واكّد لهم ثانياً بان الكنيسة لم تتطلب قط من ابنائها التخلّي عن تقاليد بلادهم وعوائد اجدادهم ثم قال: ان الكنيسة هي للشرق كما هي للغرب وليست متراجعة مع اي تمدّن كان بل انها في محيطها لدى كل الذين يحافظون على شريعة الله . . .

وكان رئيس جمهورية الهند السيد راجودرا ورئيس وزارتها السيد نهرو ممن حضروا احتفالات هذا المؤتمر وقد اكّد كلاهما مراراً عديدة بان الهند مُصمّمة على ضمانة تمام حرية الضمير لجميع سكانها . ومما جاء في كلام السيد نهرو ما يلي : ليتأكد الهنود جميعهم بان المعتقدات الدينية باسرها هي للهند كما هي لغيرها من البلاد ولكل فرد من الامة حق اتباع السبيل الذي يدلّه اليه ضميره بحرية كاملة . فالعقيدة الدينية ولو جاءت الينا من بلد آخر ليست لذلك بضاعة اجنبية لان الحقّ حقّ اينما وُجد .

ومن كلام رئيس الجمهورية : لقد ضمن دستور الهند لاعضاء كل المجتمعات الدينية لا فقط حقّ النمو لكن ايضاً حريّة مطلقة في ممارسة دياناتهم ونشرها .

=

حكومة يوغوسلافيا والكنيسة الكاثوليكية : حنق المارشال تيتو من تعيين السيد ستايناك كردينالاً فقطع العلاقات الرسمية بين حكومته والكرسي الرسولي . وقد استاء العالم الكاثوليكي من هذا الحادث استياء شديداً وأُرسلت الى روما احتجاجات عديدة تلوم موقف المارشال ومنها احتجاج الممثلين الرسميين لدى دولة الفاتيكان يجاهرون فيه باستياضهم ويؤكدون مجدّداً لقداسته حبهم الخالص . ولاحظت الاوسرفاتوري رومانو انه في كثير من هذه الاحتجاجات عبارات ثناء واعجاب موجهة الى اليوغوسلافيين لثباتهم المتين في معتقدهم الكاثوليكي .

اما حرية الكنيسة الكاثوليكية في يوغوسلافيا فالدستور يُقرّها والواقع ينكرها . يكفي لاثبات ما نقوله ان نلاحظ بان عدد الكاثوليك في جمهورية سلوفانية يبلغ ثماني وتسعين ونصف بالمئة وقد حُرّم فيها تعليم الديانة في المدارس وفي الكنائس وقد اعتقل في سجونها

مثنا كاهن حُكم عليهم بالاشغال الشاقة وفي السجن ايضاً مذ اربع سنوات احد مطارنتها والثاني لا يزال موضوع اضطهاد عنيف .

المجمع المقدس : التأم هذا المجمع في ١٢ كانون الثاني بحضور اثنين وعشرين من الكرادلة فابتدأ الحبر الاعظم الجلسة بخطبة وجيزة فيها اعلن بنوع رسمي اسماء الكرادلة الجدد والمح الى انه رأى ان لا يزيد على عدد الكرادلة وقد حدّده سلفه البابا سكستوس الخامس سنة ١٥٨٩ واثبته الحق القانوني بسبعين كردينالاً مع انه كان يرغب ان يعيّن ايضاً غير الذين عيّنهم لاستحقاقهم لهذه الرتبة السامية . ثم قال : اننا في اختيارنا الكرادلة الجدد عُنينا بجعل مجمعكم المقدس على قدر ما يمكن صورة حيّة للكنيسة جمعاء فانه يمثل اممها . ثم ذكر السيد ستيناك كردينال يوغوسلافيا والسيد فيشينسكي كردينال بولونيا واظهر اسفه لتغيّبها الذي اضطرهما اليه الظروف الحاضرة .

جديد في تشريع الصوم الاوخارستي : للتوفيق بين الظروف الحاليّة الصعبة وشريعة الصوم الاوخارستي ولتوحيد الامتيازات الخصوصية الممنوحة لمختلف الابرشيات رأى الاب الاقدس بحكمته وعطفه على النفوس المثقلة باعباء المعيشة ان يسهل هذه الشريعة بحيث يتمكن جميع المؤمنين دون عناء مفرط الاستفادة من سر الاوخارستيا المقدس بحضور الذبيحة الالهية والاشتراك فيها بالتناول فاصدر بسلطته الرسولية في ١٠ كانون الثاني قانوناً جديداً فيه حدّد متقضيات الصوم الاوخارستي حسب الظروف الطارئة وحالات الاشخاص المختلفة . انه من الواجب ان نلاحظ بان هذا القانون لا يلغي قط واجب الصوم الاوخارستي كما قد يتصور البعض ذلك لكنه يثبّته مبدئياً ويطبّقه عملياً حسب ما تطلبه الظروف القاهرة .

مصر : الزعيم نجيب والمسيحيون : يظهر الزعيم نجيب للمسيحيين في مصر من العطف والتقدير ما لم يتلقّوه قط من الحكومات السابقة . فبمناسبة عيد الميلاد القى بالراديو خطاباً بخمس لغات مختلفة وجهه الى مسيحيّي مصر والعالم فيه ذكر مجيء العذراء مع ابنها الإلهي الى ارض النيل . وهذه بادرة لم تسبقه اليها قط حكومة مصرية قبله وقد اثرت في نفوس العالم المسيحي عموماً ومسيحيّي مصر خصوصاً .

ثم بأمر منه اذاع الراديو الحكومي قداس نصف الليل عن كاتدرائية القديس يوسف في القاهرة . وبفرصة اليوم الاول من السنة المسيحية ارسل بطاقات تهانٍ لاعضاء التمثيل الدبلوماسي في القاهرة ولرؤساء الطوائف المسيحية على اختلافها وللصحفيين الاجانب وعلى هذه البطاقات رسم جامع يعلوه الهلال تلاصقه كنيسة يعلوها الصليب وقد كُتب على البطاقة هذا الشعار : الدين لله والوطن للجميع . ثم في ٦ كانون الثاني عيد الميلاد لدى الاقباط حضر قداس منتصف الليل تلبية لدعوة من رئيس الطائفة الروحي .

هذه المجاملات من قبل رئيس الحكومة المصرية وغيرها من نوعها قد اعادت الى نفوس المسيحيين في مصر الثقة والسلام والمسرة .

اخبار عالمية

الولايات المتحدة : في يوم الاثنين السادس من كانون الثاني في قاعة المجلس النيابي الاميركي جرى الاحتفال التقليدي حيث اعلن الاعيان والنواب مجتمعين انتخاب الجنرال ايزنهاور الرئيس الثالث والثلاثين لجمهورية الولايات المتحدة. لهذه الغاية كانت قد أرسلت الى وشنطون اوراق المنتخبين ممثلي ولايات الشمال والجنوب الثاني والاربعين في صندوقة خشبية مرصعة بالذهب مختومة . قُدمت هذه الصندوقة بنوع رسمي الى وكيل رئاسة المجلس وعهد هو بها الى عضوين من الاعيان وعضوين من النواب للقيام معاً باحصاء الاصوات تثبيتاً للنتائج المعروفة سابقاً ، وقد فاز الجنرال ايزنهاور والسيد ريشارد نكسون بأربعة واثنين واربعين صوتاً ولم يحصل مزاحماها السيدان ادلاي ستفنسون وجون سباركمن الا على تسعة وثمانين صوتاً . اما اداء القسم الرسمي فجرى في ٢٠ كانون الثاني يوم الثلاثاء .

مصر : في ١٦ كانون الثاني توصل الزعيم نجيب قائد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ ورئيس حكومة مصر منذ ٧ ايلول الى قمع محاولة انقلاب كاد يذهب به وبحكومته فاوقف خمسة وعشرين ضابطاً احدهم الكولونل مهنى كان قد نحاه في ٧ ايلول من مجلس الوصاية ثم في ١٤ تشرين الاول من الوزارة . وفي الاعلان الذي نشره بعد التغلب على اخصامه تكلم عن الاحزاب المنحلة وعن عجزها في خدمة البلاد للوصول بها الى اهدافها السامية وحمل على من دبّر الفتنة من الجيش وخيانتهم للوطن باتصالهم بحكومات اجنبية . وقرّر انه لا بد من بقائه في الحكم ثلاث سنوات للقيام بوعوده والاصلاحات الضرورية .

ثم يوم الجمعة الواقع في ٢٣ كانون الثاني احتفلت القاهرة بمرور ستة اشهر على الانقلاب الوطني فاعلن الزعيم نجيب في خطابه تأسيس « الاتحاد التحريري » غايته : تحرير السودان تاماً وتأمين حريته المطلقة باختيار الحكم الذي يرضاه لنفسه والتمتع بكامل الاستقلال . ثم اعلاء شأن الوطن وجعله دولة قوية معتصمة بايمانها بالله وبنفسها . واخيراً تأمين الحرية ومساواة الحقوق لكل المصريين دون تمييز ولا تفريق .

السودان : في ١٣ شباط وُقّع الاتفاق بين الحكومتين المصرية والبريطانية في حلّ للمشكلة السودانية وهو يقضي بقيام حكومة انتقالية لثلاث سنوات تهتم باعداد انتخاب مجلس تأسيسي اليه وحده يرجع الحق بتثبيت استقلال السودان واختيار ما يريده من الحكم بحريته التامة .

لا ننسَ بان اهمّ مشاكل السودان هو انقسام السودانيين الى قسمين متباينين: البيض وهم اغلبية سكان الشمال وسود الجنوب. والاولون يدينون بالاسلام اما السود فهم عموماً وثنيون.

وكان الجنوب قد احتج بشدة على الاتفاق الذي ابرمه ممثلو الشمال مع مصر دون مشاورته .

فاذا استقلت بلاد السودان لا بد لها من لغة رسمية وهل تكون الا اللغة العربية . عندئذٍ يُبعد السود من وظائف الحكومة لانهم لا يتكلمون الا لغتهم الخصوصية كذلك اذا اتخذت حكومة السودان المستقلة الديانة الاسلامية كديانتها الرسمية يُعتبر السود في بلادهم وطنيين من الدرجة الثانية : فهل يتوصل المجلس التأسيسي الآتي ان يجد لهذه المشاكل حلاً يرضي على السواء سكان الشمال والجنوب .

٥

بيروت : كارثة الشامبوليون : كان من اجمل المراكب التي تملكها المساجري الفرنسية خرج جديداً الى العمل سنة ١٩٢٥ وفي سنة ١٩٥١ اهتمت الشركة باصلاحه وتجميله وخصصته بالسفر من مرسيليا الى بيروت وكان يقوم بسفرتين في الشهر . يبلغ طوله ١٦٨ متراً وعرضه ١٩ متراً وحمولته ١٣ الف طن .

في ليلة الاحد ٢١ كانون الثاني والسماء عاصفة والبحر في هياج عظيم وصل ازاء بيروت وهو يقاوم الرياح ويمخر الامواج . وفي اتجاهه نحو المرفأ ضلّ طريقه وصار يتوغل في الرمال الى ان اقترب الى شاطئ الاوزاعي وهو لا يدري وهناك اضطر الى الوقوف وقد جنح الى جانبه واخذ ينشطر الى جزئين وكان ذلك نحو الساعة الثالثة والنصف . فارسل نداء الاستغاثة الى المدينة والمسؤولون في بيروت هبّوا الى مساعدته وانذروا البحرية الانكليزية للاسراع الى مساعدتهم لانقاذ مسافري المركب وبحارته . وكان عدد الركاب ١٠٨ منهم ٦٦ سائحاً اتوا لزيارة الاماكن المقدسة ومجموع من في المركب بحارة وركاباً ٢٥٠ .

لكن الامواج الهائجة حالت دون تقرّب المراكب الكبيرة الى الشامبوليون رغماً عن قربه من الشاطئ فانه كان على مسافة اربعمئة متر فقط . مرّ يوم الاحد ويوم الاثنين ولم يقدر مركب من الوصول الى الغريق للانقاذ . وكان الشاطئ يغصّ بالبيروتيين للاغاثة والخدمة من حكومة المدينة وجيشها واطفائيتها واطبائها وادارة مستشفياتها مع كل المعدات الضرورية للاسعاف والنقل .

ولكانت كارثة هائلة لولا بطولة بحارة المرفإ وتفاديهم بأرواحهم نخص بالذكر منهم رضوان البلطجي ربان مرفإ بيروت فانهم استطاعوا بزوارقهم ما لم تقدر عليه المراكب الكبيرة . عند الساعة الثالثة عشرة من يوم الثلاثاء — وقد بلغ يأس الحاضرين والركاب اقصاه — نزل رضوان بزورقه الى البحر متجهاً الى الشامبوليون وامامه الامواج ثائرة قائمة مهددة ترتمي به وتهوي بشدة ارتجفت لها فرائص الناس فزعاً . ظلّ ربان الزورق متمسكاً بالسكان بعزم لا يُغلب واقتحم الامواج يعاندها بمهارة فائقة وجَلَد عجيب الى ان وصل واخذ ينقل الركاب خمسين خمسين الى الشاطئ وجاراه في عمله هذا زوارق اخر وعند الساعة السابعة عشرة الا ربع كان كل الركاب قد تركوا الشامبوليون . والنتيجة هي انه لم يفقد من الركاب (مسافرين وبحارة) الا ستة وعشرون فقط ممن ارتموا يأساً الى البحر للنجاة قبل البدء بالانقاذ .

مطبوعات شرقية

عبقريّة المسيح

تأليف عبّاس محمود العقّاد

٢٣٢ ص، ١٤×١٩½ سم؛ نشر «دار أخبار اليوم»، القاهرة، مصر؛ ١٩٥٣ .

بعد سنوات يقضيها في التنقيب والبحث في دراسات طويلة ومضنية، يكتب العالم في التاريخ كتاب علم وتاريخ عن «يسوع الناصري». وبعد سنوات من الصلاة والتأمل، يكتب المؤمن ابن الكنيسة — كنيسة المسيح، الكنيسة الواحدة والوحيدة والموحّدة للبشر — كتاب إيمان وتقوى عن «يسوع المسيح» «ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كلّ الدهور ... إله حقّ من إله حقّ، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كلّ شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد ... وصُلب عنّا ... تألّم، وقبر، وقام في اليوم الثالث ... وصعد إلى السماء ... وأيضاً يأتي بمجدٍ عظيم ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه»، الحيّ بيننا في كنيسةٍ «واحدة، جامعة، مقدّسة، رسوليّة» كنيسته المبنيّة على صخرة هامة الرسل وخلفائه.

أما هذا الكتاب — كتاب «عبقريّة المسيح» للسيّد عبّاس محمود العقّاد — فلا هو كتاب ايمان وتقوى ولا هو كتاب علم وتاريخ. بل يبتسم القارئ المثقّف — ولا نقول إنّه يحزن أو يشمئزّ — عندما يقرأ العنوان وفيه ما فيه من التناقض البيّن: فالمؤمن «بالمسيح»، أيّ بالوهيّة يسوع، لا يقبل له صفة عبقريّةٍ بشريّةٍ نسبيّةٍ لا تليق بالله. ويبتسم القارئ المثقّف — ولا نقول إنّه يحزن أو يشمئزّ — عندما يقرأ، «مثلًا»، في كتاب مكتوب باللغة العربيّة، عن «جيمس أسقف أورشليم» (ص ٨٢): فكلّ من درس أو قرأ الأناجيل في ترجمتها العربيّة يعلم أنّ لتلميذ يسوع المذكور اسماً شائعاً في العربيّة، وهو «يعقوب» ... وقس على ذلك ... ويظهر أنّ المؤلّف اكتفى بقراءة بعض كتب، باللغة الانكليزيّة،

لبعض الكتّاب من المقلّين الغربيّين ، وأخذ بعض أفكار منها ، دون معرفة قيمتها العلميّة التاريخيّة الحقيقيّة ، ودون معرفة ترجمة بعض الالفاظ والاسماء التي وردت فيها . . .

وننتهز هذه المناسبة لنذكّر القارئ ببعض كتب قيّمة عن يسوع . والمعروف أنّ عدد التآليف في هذا الموضوع ، عمليًا ، لا يحصى . فمنذ عشرين قرناً والأمم والأجيال المختلفة تتحدث وتكتب عن هذا « الهدف للمخالفة » (إنجيل القديس لوقا ، ٢ ، ٣٤) الذي جاء وحلّ فينا ، فكان ظهوره الفاصل النهائيّ في تاريخنا الإنسانيّ ، فاضطُرّ البشر — بما فيهم غير أبناء كنيسة المسيح الوحيدة — أن يؤرّخوا حوادث التاريخ نسبةً إلى هذا الظهور . . فبين الكتب التقويّة إذًا ، نذكر أولًا كتاب « الاقتداء بالمسيح » ، وقد يكون أهمّ كتاب إيمان وتقوى في الموضوع ، وقد ظهر باللاتينيّة في القرن الخامس عشر (والأرجح أن مؤلّفه الالمانيّ توماس دي كامبيس) ، وقد ترجم إلى معظم اللغات المعروفة ، ومنها العربيّة (نشر المطبعة الكاثوليكيّة ، بيروت) . وهذه بعض كتب تقويّة أخرى ذات قيمة ظهرت في القرن العشرين :

١ — : (فرنسيّ) Daniel - Rops
Jésus en son temps;

٢ — : (إنكليزيّ) Goodier (A.) S.I.
Our Lord Jesus Christ;

٣ — : (ألمانيّ) Guardini (R.)
Der Herr;

٤ — : (فرنسيّ) Lebreton, (J.) S. I.
La vie et l'enseignement de Jésus - Christ Notre Seigneur;

٥ — : (أميركيّ) Maas (A.), S. I.
The Life of Christ;

٦ — : (فرنسيّ) Mauriac (F.)
Vie de Jésus;

٧ — : (إيطاليّ) Papini (G.)
Storia di Cristo;

٨ — : (إيطاليّ) Ricciotti (G.)
Vita di Gesù Cristo.

وقد ظهر باللغة العربيّة في السنوات الأخيرة كتابان عن الربّ يسوع المسيح، أحدهما للأب فرنسيس قندلا اليسوعيّ (نشر المطبعة الكاثوليكيّة ، بيروت)، والآخر للآباء البولسيّين (نشر مطبعة القدّيس بولس ، حريصا ، لبنان) . أمّا الكتب العلميّة عن يسوع ، فكثيرة باللغات الأوروبيّة . وهنا يأتي إلى ذهننا تآليف الأب لاگرنج — Lagrange — الدومينيكانيّ ، والأب ليونس دي گرامزون — Léonce de Grandmaison — اليسوعيّ ، والأب پرا — Prat — اليسوعيّ ، الخ . . . ، ولا علم لنا بوجود كتب علميّة صدرت باللغة العربيّة في نفس المستوى . جبرائيل مالك

Nemeh Şabbāḥ. — *L'évolution culturelle au Liban et la nouvelle orientation de l'école libanaise :* préface de M. Édouard Herriot, de l'Académie Française ; couronné par l'Académie Rhodanienne des Lettres (Prix Charles Corm). 253 p. 14 × 19 cm. Imprimerie Janody, 23, Cours Docteur - Long, Lyon (France) — 1950.

التطوّر الثقافيّ في لبنان
والتوجيه الجديد للمدرسة اللبنانيّة
تأليف نعمه صبّاح

مؤلّف هذا الكتاب شاب لبنانيّ يطلب العلم في فرنسا ، وكان قد بدأ حياته معلّماً في المدارس الابتدائيّة في لبنان ، فوضع في كتابه خلاصة اختباراته المهنيّة .

والكتاب ليس بأطروحة جامعيّة ، وليس فيه المجهود العلميّ الدقيق ليكون أطروحةً تقبلها جامعة محترمة . وقد يكون وصف المدرسة الطائفيّة التقليديّة فيه (والوصف ينطبق خصوصاً على «الكتّاب» في البيئة الشيعيّة في جبل عامل) أحسن ما جاء في الكتاب (ص ٣٣ — ٧٣).

وكثيراً ما يتطرّق المؤلّف إلى الحديث في الفلسفة والدين ، وكان عليه تجنّب مثل هذه المواضيع الصعبة ، لعدم إلمامه الإلمام الكافي بها . فيتكلّم مثلاً في ص ١٦٥ عن « الأنبياء والرسل » ورسالتهم « الإنسانيّة » ، وذلك بدون تمييز كافٍ ، وقد فاته أساس الدين عينه . ويذكر كانْت (Kant) ، ووليم

جيمس (William James) ، ودوركيم (Durkheim) ، وغيرهم من المفكّرين ، والواضح من تعليقاته أنّ دراسته الفلسفيّة ناقصة .

ويتكلّم المؤلف عن « الأمّة العربيّة » ، فيأتي كلامه (ص ١٥٥–١٥٧) غامضاً كلّ الغموض ، خالطاً فيه الدين والقوميّة والطائفيّة ...

وفي حديثه عن المعاهد الكاثوليكيّة أخطاء كان بإمكانه تجنّبها : فكان عليه أن يعرف أن كلمة « كاثوليك » تشمل كلّ أبناء الكنيسة — الكنيسة الكاثوليكيّة – من الطقوس المارونيّ ، واليونانيّ ، والأرمنيّ ، والسريانيّ ، والكلدانيّ ، واللاتينيّ ، وأنّ المارونيّة ليست بدين ، ولكنها طقس من طقوس الكنيسة (راجع ص ١٥٣) . أمّا الارساليات الكاثوليكيّة ، فلا تنتمي إلى دولة ما ، بل إلى الكرسيّ الرسوليّ وحده — فلا يجوز أن تسمّى ارساليات أجنبيّة . فالجامعة الكاثوليكيّة في بيروت — المعروفة باسم شفيعها القدّيس يوسف — والمعاهد العديدة الأخرى في لبنان التابعة للرهبانيّات المختلفة من رجاليّة ونسائيّة تقوم في بلادنا بعمل رسوليّ ، تربويّ ، ثقافيّ ، تعليميّ ، ولا مبرّر آخر لوجودها . أمّا المعاهد الاجنبيّة ، من فرنسيّة ، وأميركيّة ، وبريطانيّة ، الخ ، فهي تختلف كلّ الاختلاف عن المعاهد الكاثوليكيّة في روحها ، وهي تسمّي نفسها عادةً باسم أجنبيّ (الجامعة الاميركيّة ، المدرسة العلمانيّة الفرنسيّة ، مدرسة الآداب العليا الفرنسيّة ، المدرسة البريطانيّة ، الخ .) يدلّ الدلالة الكافية عليها .

وعلى ذكر المعاهد الكاثوليكيّة ، لا يسعنا إلّا لوم المؤلف لعدم اعطائه مدارس رهبانيّة القلبَين الأقدسَين المركز اللائق بها ، وعددها أكثر من ٥٠ في لبنان وفيها يتربّى ويتعلّم حوالي ٩٠٠٠ فتاة : فهي بدون شكّ أهمّ مؤسّسة تربويّة — تعليميّة نسائيّة عندنا .

وفي ص ١٩٧ ، يتحدّث المؤلف عن المدارس « الارثوذكسيّة » : فيضع تحت هذا الاسم الواحد المدارس التابعة لثلاثة أديان مختلفة ، الكنيسة اليونانيّة الغير الكاثوليكيّة (كنيسة الروم الارثوذكس) ، الكنيسة الأرمنيّة الغير الكاثوليكيّة (كنيسة الأرمن الغريغوريّين) ، الكنيسة السريانيّة الغير الكاثوليكيّة (كنيسة السريان اليعاقبة) . ومن الواضح أنّه كان عليه التمييز بينها .

وخلاصة القول إننا نتمنى للمؤلف دراسة أوفى عن التعليم في لبنان — وأملنا أن يقوم بها بعد إنهاء دراسته الجامعية . جبرائيل مالك

Gabriel Puaux, Ambassadeur de France, Membre de l'Institut. — *Deux années au Levant.* Souvenirs de Syrie et du Liban 1939-1940. Édition Librairie Hachette, Paris; 1952; 248 p. 14×22½ cm.

سنتان في المشرق

ذكريات عن سوريا ولبنان ١٩٣٩ — ١٩٤٠

تأليف گبريال پيو

تعيّن مؤلف هذا الكتاب مفوّضاً سامياً للجمهوريّة الفرنسيّة في لبنان وسوريا في ١٩٣٨/١٠/٢٢ ، ووصل إلى مطار بيروت في ١٩٣٩/١/٧ ؛ وأقيل من وظيفته في ١٩٤٠/١٠/٢٤ ، بأمر من حكومة « الدولة الفرنسيّة » التي كان يرئسها المارشال پيتان في ڤيشي . فيكون قد قضى بيننا زهاء سنتين . فرأينا أن نلقي النظر على مذكّراته عن هذه الفترة من الزمن ، وقد ظهرت مؤخّراً .

وأوّل ما يلفت النظر في الكتاب اتّساع ثقافة المؤلف . ولا غرابة في ذلك عند فرنسيّ سليل عائلة مؤرّخين متخرّج من المعاهد الثقافيّة الكبرى في بلاده درس التاريخ على يد المؤرّخ سينيوبوس (Seignobos) ، ولمّا ينس ما درسه : فتراه يتذكّر ما تعلّمه وهو شابّ ، فيقارن بين الماضي الذي عرفه بالكتب والحاضر الذي يحياه .

والمؤلف نشأ وترعرع في أحضان الدين الكاثوليكيّ ، وهو من شخصيّاته المعروفة في فرنسا الآن . وعنده شيء من الروح والاخلاق الصارمة المتقشّفة التي تميّز بها كلفان وأتباعه .

٭

ويتحدّث الكتاب طبعاً عن لبنان وسوريا .

أمّا القسم الخاصّ بسوريا — « سوريا التي كنّا صنعنا والمؤلّفة من وحدات إتنيّة ودينيّة غير متجانسة » (ص ٢٤) — فيشمل الفصول الثالث والثامن والتاسع ونصف الفصل الرابع . فيبحث الفصل الثالث في علاقات المفوّض الساميّ وزعماء الكتلة الوطنيّة في سوريا وعنوانه كافٍ للدلالة على مضمونه : « هجوم الكتلة

وانكسارها ». وفي هذا الفصل يعترف المفوّض السامي السابق بتراجعه امام ضغط الرأي العامّ السنّي والثانه تطبيق القرارين الخاصّين بالأحوال الشخصيّة على المسلمين — وكان هذان القراران الصادران في عهد سلفه السيّد دي مارتيل يعترفان ضمناً بمساواة كلّ الأديان أمام القانون وبقانونيّة تغيير الدين والزواج بين طرفين من دينَين مختلفَين . وفي نفس الفصل يحدّثنا عن اقتراحه انشاء نظام ملكيّ في سوريا ،صيانةً لحقوق الاقليات العلويّة والدرزيّة ، وكان قد تباحث في الأمر مع وزير خارجيّة الملك عبد العزيز بن السعود عارضاً « العرش السوريّ » على أحد أبناء عاهل الجزيرة. ولكن حكومة الجمهوريّة الفرنسيّة —وعلى رأسها السيّد دلادييه— أصغت إلى المشروع بشيء من العبث (جمهوريّة تَخلق عرشاً ...) ، ولم تنفّذه . ويشرح القسم الأوّل من الفصل الرابع مراحل قضيّة سنجق الاسكندرونه وضمّه إلى تركيا وهجرة الأرمن القاطنين فيه إلى لبنان . ويصف الفصل الثامن حالة الهدوء في سوريّا إثناء الحرب (١٩٣٩ — ١٩٤٠) ، والفصل التاسع مشاكل الاقليّات من علويّين ودروز وعلاقتها بحكومة دمشق السنيّة .

في القسم الخاصّ بلبنان ، يبحث المفوّض الساميّ في المشاكل التي واجهها اثناء إقامته بيننا . وكان حينذاك الرئيس إميل إدّه على رأس الدولة، والمؤلّف يعترف بقوّة شخصيّته وذكائه وحُنكته وروحه الجامحة . وعند بدء الحرب سنة ١٩٣٩ ، أوقف المفوّض الساميّ الدستور وعيّن ، إلى جانب الرئيس ، عبدالله بيهم أمين سرّ الدولة. وهو يرى السبب الحقيقيّ لوجود(vraie raison d'être) لبنان في كونه أضحى آخر أرض في الشرقين الأدنى والأوسط يلجأ اليها المسيحيّون عند اضطهادهم. وكان قد فكّر بخلق إمارة في لبنان وإعطائها لأمير بروتستانتيّ، من سلالة برنادوت الفرنسيّة — الاسوجيّة مثلاً ، وحلمه لم يتحقّق طبعاً ...

ويخصّص المؤلّف فصلاً كاملاً (الفصل السادس) يراجع فيه تاريخنا القديم وعمل علماء الآثار في بعثه : صيدا ، جبيل ، بعلبكّ ، الهرمل...

أمّا الفصل السابع فخاصّ بالأديان والطوائف . فيتحدّث المؤلّف عن الكنيسة — الكنيسة الكاثوليكيّة — وعن طوائفها في لبنان من الطقوس المارونيّ واليونانيّ والأرمنيّ والسريانيّ والكلدانيّ واللاتينيّ . ويخصّ بالذكر المعاهد الكاثوليكيّة ، لا سيّما اليسوعيّة ، وقد ترك فيه بعض الآباء اليسوعيّين

أثراً عميقاً : فلم ينس ما قاله له الأب رئيس الجامعة الكاثوليكية إذ ذاك عن جامعته وتعلّقها فوق وقبل كلّ شيء برسالتها الروحيّة . أما طائفة الروم الأرثوذكس وحياة وجوهها ، فذكرته بجوّ بيزنطيّ كان قد تعرّف إليه سابقاً في أوروبا الشرقيّة ، وقد اضطرّ إلى التدخّل في شؤونها الداخليّة حسماً لانشقاق حديث فيها . ومن الطبيعي أن يتحدّث السيّد پيو الكلتاني عن أتباع الشيع البروتستانتيّة ، وقد حضر خدمة دينيّة في أحد معابدهم في بيروت واستغرب كلام الواعظ وكان يدور حول تطبيق العدل في سبيل صيانة مصالح ماديّة بحتة ... ويلمّح إلى الضعف العقائديّ في هذه الشيع ، وإلى علاقتها بالشيعة الماسونيّة (ص ١٠٥) . وبمناسبة حديثه عنها ، يذكر الجامعة الاميركيّة ، البريسبيتاريانيّة أصلاً ، ويثني على رئيسها (ويظهر أنّه خلط بين اسمه واسم سلفه) . ومع الأسف لم يذكر المؤلّف في هذا الفصل الطائفة الدرزيّة ، فيما ذكر الطائفة الشيعيّة المنتشرة خصوصاً في لبنان (لا في سوريا كما يقول) ، ولمح إلى الروح الايرانيّة الثائرة على الروح العربيّة في أصل نشأتها . أما الطائفة السنيّة ، فقد أثرت فيه شخصيّة رئيسها الدينيّ إذ ذاك . وفي نفس الفصل بعض ملاحظات قيّمة على العلمانيّة (laïcisme) ، « الدين الرسميّ للجمهوريّة الفرنسيّة الثالثة » كما يقول ، ورسليها ومعاهدها في الشرق ، وعلاقتها بالماسونيّة المحليّة .

وفي الفصل العاشر يتحدّث المؤلّف عن لبنان وشبكة طرقاته الحسنة ، وعن مركزه كمحطّة اصطياف واشتاء للشرقين الأدنى والأوسط . وفي هذا الفصل حديث عن الطائفة الدرزيّة وزيارته إلى المختاره وبعقلين . وفيه أيضاً وصف حالة الأرمن اللاجئين إلى لبنان سنة ١٩٣٩ ، بعد ضمّ منطقة الاسكندرونة إلى تركيا ، واسكانهم في عنجر (قضاء زحله) وبالقرب من صور .

أما فصول الكتاب الأخرى ، فأهميّتها ضئيلة نسبيّاً .

وفي الختام ، يبدي المؤلّف أسفه على اعتقال الرئيس بشاره خليل الخوري سنة ١٩٤٣ ، ويدعو إلى الاتزان وحسن النيّة والعدل واحترام العهود والتسامح المتبادل ...

•

لا داعيَ لتكرار ما سبق ولمحنا إليه من ثقافة واسعة ومن اخلاص

للواجب عند المفرض السامي السابق . ولا نتوقف في أخطاء الكتاب في نقل بعض أسماء أشخاص وأماكن – وقد ذكرنا اثنين منها – أو في بعض أخطاء تاريخية ، كان بالإمكان تجنبها كلها . بيد أنّ الكتاب يوحي إلينا بلحوظتين أساسيتين عن روحه :

١) يتحدث المؤلف – وهو الأوروبيّ المثقف المعتزّ بثقافة أوروبا ومدنيتها—عن «حمل الإنسان الأبيض» ورسالته بين الشعوب الغير الأوروبية (راجع على الأخص ص ١٨٠) ، وكثيرًا ما يتمنى زوال تنافس النفوذ بين بريطانيا وفرنسا في الشرق ليقوما «بواجبهما»المشترك نحوه وفي هذه الروح التعطفيَّة —«الوالديّة» (paternaliste)— نزعة ادّعاء واحتقار لكلّ ما هو غير أوروبي لا مبرّر لها تنفر أبناء الأمم والثقافات والمدنيات الغير الاوروبيَّة : فالمدنية الاوروبيَّة ليست المطلق ، وغيرها من المدنيات ، النسبيَّة مثلها ، لا تحتاج إلى التنكر لنفسها في سبيل نسخها ، و «الإنسان الأبيض» ليس بوكيل الله على غيره من شعوب الأرض التي قد تفضل مدنيَّةً أخرى . . . وفي الاعتراف في نسبيَّة مدنيَّةٍ ما ، مهما كانت عظيمة ، وفي احترام الغنى الحقيقيّ في المدنيات الاخرى ، المختلفة عن مدنيَّتنا،الشرط الأساسيّ للتفاهم بين الأمم والشعوب على الصعيد البشريّ .

٢) في ص ١١٥، يتهكّم المؤلف بأبناء الكنيسة الذين يأملون ،بصلواتهم وإماتاتهم وعملهم الرسوليّ ، هداية شعب فقير ومتأخر موجود خارج الكنيسة . أما الكنيسة – وفيها وحدها المطلق ، وكلّ انسان اتّما خُلق لكي يعرفه ويحبّه ويخدمه – فلا تبالي بمثل هذا التهكم ، وهي التي هدت وتهدي إلى الحقّ منذ نحو ألفين سنة الشعوب ، كبيرها وصغيرها،غنيّها وفقيرها، متعلمها وجاهلها، ولا تقبل أبدًا أن يكون محكوماً على شعبٍ ما —مهما كانت حالته من البؤس الماديّ أو الثقافيّ أو الروحيّ – أن يظلّ إلى الأبد خارج نورها ، نور المسيح، النور الوحيد الذي جاء ليخلّص كلّ البشر . وهي لا تقول إنّ العمل سهل، ولا إنّه ممكن بشريًا ، ولكنها تعتمد فيه على من هو أنجع من كلّ الوسائل البشريَّة، على الربّ الإله الذي علّمها أنّ «مَا لَا يُسْتَطَاعُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ ٱللهِ» (إنجيل القدّيس لوقا ١٨، ٢٧).

جبرائيل مالك

مقالات نقدية على ادبنا العصري

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

مطبعة الاحسان – حلب ١٩٥٢ – ٢١٤ ص – قطع متوسط

لئن دللت الجرأة التي جاء بالبرهان عليها المؤلف في نقده شعراء عديدين اطّلع على مآثرهم فانها لتدلل على تضلعه من تلك الكتب التي قرأها وعلى رغبته الحقيقية في ازدهار الشعر الذي تحرَّر من اغلال الماضي وقيوده .

ولقد تصدّى المؤلف فضلاً عن النقد الى استعراض عدد كبير من شعرائنا في المهجر والوطن ولفظ حكمه لا على المبنى الشعري الذي يتضمّن فكرة ما بل على الفكرة نفسها مستنداً في ذلك الى وجهة نظر ُمحيا اي انه استند الى المبادئ الاخلاقية الروحية التي ينبغي لها ان تكون الحكم القاطع في اتّزان الالهام الشعري .

وزد على هذا النقد فقد اتحفنا المؤلف بدراسة عميقة جدّ العمق في النقد الادبي عامة وفي الادب .

ونحن لا نستطيع الّا ان نشكره على دقته التي عالج بها موضوعاته وعلى السبل التي مهّدها في وجه الذين يرغبون في الاطلاع على هـذه الصفحات التي تطفح بالتعاليم .

وعلى كل لا بدَّ لنا من الثناء على المؤلف لانه قد جمع في كتابه مقالات شيقة نشرت في اعداد جريدة البشير في سبيل تعميم الفائدة .

يُطلب الكتاب بعنوان مؤلفه (دير اليسوعيين – حلب) . ثمن النسخة ١٧٥ غرشاً وهو يحتوي البريد المكفول .   ا. ع. خليفه

١ ـــ سر الزخرفة الاسلامية

مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٢ . مع نصّين عربي وافرنجي و١٦ لوحة وفهرس لاصطلاحات الفلسفة والفن – قطع وسط – ٣٥ × ١٦٫٣ سم

٢ ــ مفرق الطريق

قطع كبير – ٢٨٫٦ × ١٩٫٥ سم

بقلم بشر فارس

اجل لا نستطيع الّا ان نثني على كتابي الاستاذ بشر فارس : وهل ذلك

لمقدرته الايحائية أم لغزارة روايته المسرحية ام لصحة دراسته الدقيقــة للفن الاسلامي ؟ او لكتابته الجذّابة باللغتين العربية والفرنسية التي تدلّ على انه قابض على ناصيتيهما ؟ او لما يدركه من معنى سام عن القيمة الباطنية والواعية التي تمنح الزمان والحياة معناهما ؟

ان جميع هذه الامور لتحدونا الى ان نرغب الى المؤلف بان يواصل نشر كنوز هذه المعارف الواسعة التي استطاع جمعها في سبيل استزادتنا من الاطلاع على مواطن لا تزال غامضة في الفن الاسلامي والمسرح وفي اللغة العربية .

ولقد انبغى بالطبع ان يكون اخراج الكتاب انيقاً لاشتماله على مثل هذه الثروات بيد اننا كنّا نودّ فقط ان يتحفنا بمقتطفات اوسع من المؤلفين الذين جاء على ذكرهم لنكون على معرفة اوفى بما اورده المؤلف .

ا. ع. خليفه

آل آصاف ووقفهم مار عبدا هرهريا

بقلم آصاف نقولا آصاف

مطبعة الزمان بيروت ، ١٩٥٢ ، ٢٨ ص. قطع متوسط

الكتيّب مجموعة وثائق تبيّن اهمية وقف اسرة آصاف وتحدو الرغبــة فيه الى ان تحمل على التفكير في الموقــف الناجم عن نقل المدرسة الاكليريكية البطريركية من عين ورقة الى مار عبدا . ع. خ

فهارس المشرق العامة

تتناول المجلّدات الاربعة والاربعين . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٢ — ٣١٢ ص

عُني بنشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

انه لعمل جليل الفائدة وان تطلّب جهداً طويلاً لم يضنّ بــه لكي لا تضيع الكنوز القيّمة التي اشتملت عليها مجلة المشرق بعد ان بلغت الـ ٥٥ عاماً من سنيها .

ولقد شاء الناشر ان يسهّل على الباحثين والعلماء مراجعة الموضوعات التي تهمّهم في هذه المجلّة منبع الثقافة واداتها ليجدوها بدون عناء او ليستعيدوا من مراجعة ما هم بحاجة الى البحث عنه في سبيل فائدتهم وتقدم عملهم .

ولقد ساهم في هذه المجلة زهاء ٦٠٠ او ٧٠٠ كاتب واديب وعالجوا اكثر من خمسين فصلًا من العلوم والآداب وثمة مئات من الكتب قد تمّ احصاؤها؛ وكل ذلك مما يبعث الثقة في صدر القارئ، بمجلة اتت ببراهينها على انها تحمل اليه اوفى ضمان على الحقيقة ولا يسع احد يودّ الانتفاع من مجلة المشرق ان يستغني عن هذه الفهارس. ...

P. P. Raphael. — *Le rôle du Collège Maronite Romain dans l'orientalisme aux XVII*e *et XVIII*e *siècles.* (Université St-Joseph de Beyrouth, Publications du 75e anniversaires) in-8°, 190 pp., 7 pl. Beyrouth, 1950.

دور خريجي المدرسة المارونية الرومانية في الاستشراق
في القرنين السابع عشر والثامن عشر

بقلم الاب بطرس رفائيل

ليس المنسنيور بطرس رافائيل بحاجة الى تعريف الى القرّاء. فهو المؤلف المعروف الغيور على ابراز امجاد لبنان والموارنة خاصة. ولقد سبق له ان وضع بضعة مؤلفات نذكر منها مؤلفًا عن ارز لبنان وآخر عن دور الموارنة في الحفاظ على الدين الكاثوليكي في هذه البقعة من الشرق. وها هو يطلع علينا في هذا المؤلف الذي نحن بصدده بلائحة طويلة جليلة لاكثر من خمسين علمًا من امجاد الطائفة المارونية ممن تخرجوا من المدرسة المارونية في روما في القرنين السابع عشر والثامن عشر وخلفوا لهم اسمًا وذكرًا في حقول العلم لا سيما الدينية منها.

تنحصر غاية المؤلف في هذا السفر في جمع اسماء هؤلاء المشاهير من مواطنيا المبشرة وفي تلخيص ترجماتهم من المولد الى الممات مع ذكر المناصب التي شغلوها والمؤلفات التي وضعوها فخلدت اسمهم في تاريخ الفكر، لكي يتيسر على القارئ الاطلاع بنظرة عجلى جامعة على فضل من خدموا بلادهم وشرفوها بخدمتهم العلم والدين في لبنان وفي اوروبا.

والكتاب مقدم لقداسة البابا بمناسبة اليوبيل المسكوني ١٩٥٠ شكرًا له على اياديه البيضاء على الطائفة الامينة، وليكون حافزًا للخلف على الاقتداء بالسلف بتوثيق العلاقة بروما التي لولاها لما بلغت تلك المراهب ذلك الشأو.

ويبدأ الكتاب بعرض سريع لتاريخ الاستشراق في اوروبا، وبنبذة عن

تاريخ المكتبة الفاتيكانية وعن انشاء المدرسة المارونية في روما وعما كان لخريجيها من اثر في تكوين الجزء الشرقي في مكتبة الفاتيكان . ثم يترجم للموارنة المستشرقين في القرن السابع عشر فتبرز وجوه خمسة وعشرين منهم بشكل باعث على الاعجاب نخص بالذكر منها وجه ابرهيم الحاقلاني المشرق الذي جاهد كثيرًا وعانى كثيرًا من الحساد والسعاة التوسكان اثناء ترجمته لبعض اسفار الكتاب المقدس في باريس . ويفرد قسماً لاربعة وثلاثين كاتباً تعاقبوا خلال القرن الثامن عشر وشقوا لهم طريقاً لا تزال معالمها باقية ، على ان الجزء الاكبر من هذا الوصف منصب على تعداد اثار الرجل العالمي الشهرة الكردينال يوسف السمعاني الذي خدم العلوم الشرقية خدمة لا تزال اثارها ثابتة في مكتبته الشرقية النفيسة وفي بضع عشرات من المؤلفات فضلًا عن مآتيه في حقل الاعمال الكنسية . ولقد نتمنى على المؤلف ان يولي ترجمة بطرس مبارك السطاوي وميشال الغزيري — ان استطاع الى ذلك سبيلًا في المستقبل القريب — ما هما جديرتان به من التعمق والتوسع .

وفي الخاتمة يأتي على لمحة عن جرمانوس فرحات الذي ساهم في احياء العربية والذي لا تزال ترجمته للعهد الجديد متداولة الى اليوم . قراءة كتاب الاب رافائيل منعشة ومنشطة لانها تغذي حب الوطن بغذاء صراح وتحفز على مواصلة التنقيب في بطون المكاتب عن اثار الاجداد . ي . ع .

William Marçais : *La femme dans les Mille et une nuits* : in Revue de la Méditerranée, 1951, t. 10, n. 1, janvier - février. Paris - Alger. 73 bis, Quai d'Orsay ou 9 rue Frollier - Alger.

لقد جاء عنوان هذا المقال عاجزًا عن تبيان ما اشتمل عليه ، فلقد فتن الكاتب الذي اخذ على عاتقه ان يحدثنا عن المرأة في الف ليلة وليلة مجامع القلب منا بما ابداه من ملحوظات مع نشأة النثر عند الشعوب . فقد اوضح الميزات العامة لهذا الكتاب التي تداولته الايدي على مر العصور وزادت عليه حسب الظروف والاوقات .

وبعد ان تصدى الكاتب الى ابداء بعض الاراء الشخصية على ما كان

محتملا ان يكونه وضع المرأة في العصور الغابرة ختم مقاله بملحوظاته الاجتماعية حول وضعها في الاسلام الحديث .

ووصف المرأة واجناس النساء اللواتي تتحدث عنهن الف ليلة وليلة واشاراته الخاطفة فيهن تحتل قلب مقاله . اما الجدير بنا ان نلحظه فقدرة الكاتب على ايجاز هذه الامور التي اختلط حابلها بنابلها في نصوصها الاصلية لانه يدلّ على وفرة مطالعاته الشخصيّة . ا. ع. خ

A. Berthier. — *L'Algérie et son passé.* — in - 8°, 216 pp., 82 gravures en phototypie, 6 cartes, index des noms de lieux. — Préface de J. Carcopino. Paris, Picard 1951.

انه لتحدٍّ باعث على الدهشة تلك الصفحات التي بسط فيها بتوسّع الفنان برتيه العالم بتفكيك الخطوط ، قيم المحفوظات في قسطنطينة كيفية تاريخ الجزائر منذ اصولها الفينيقية القرطاجية حتى ايامنا الحالية . فتوسع توسعاً مسهباً حول عهد البربر المسيحي وهو عصر الجزائر الذهبي بلغ اوجه مع عبقرية القديس اغسطينوس . ودعم هذا الاختصاصي جميع ما اوضحه بوثائق اثرية من الطراز المعلم وبرسوم تلفت النظر (لقد اخذ هذه المشاهد السيد فركو (Fercot) في اثناء اقامته الطويلة في الجزائر) هي خير من كل ايضاح مسهب لتشهد على حيوية العرق البربري الذي كان من افضل العروق للتفاهم مع عرقنا .

ولقد دلت فرنسا على هذا خير تدليل بادارتها الرشيدة الحرّة اذ جعلت هذا الشعب يزداد ستة اضعاف عمّا كان عليه خلال قرن واحد. ه. ش

L. Homo : *Alexandre le Grand.* (Coll. « Les grandes études historiques»). In - 16, 392 pp.,2 cartes, Paris, A. Fayard, 1951.

لم يكن في اللغة الفرنسية غير كتابين حديثين حول الاسكندر الكبير هما كتاب جورج رادت (Georges Radet) وهو مجموعة من محاضرات شاملة اكثر منها تاريخاً لرجل واحد ، وترجمة و. فيلكن (U. Wilcken) : اسكندر الكبير (Alexander der Grosse) اصدرتها مكتبة بايو (Payot) .

ولقد نسج على منوال هذا الاخير منها السيد ليون هومو فوضع لوحة كاملة لشخص الفاتح الكبير ولاعماله ، تصل معها من سوابقه وميزته وبرنامجه «الصليبية

اليونانية» و «الملحمة الشرقية» ومن ثم تنظيم الامبراطورية الى وفاته .

والجزءان السادس والسابع « احلام وحقائق » و« اسطورة الاسكندر » يشتملان على وصف تفكيك الامبراطورية وتجزئتها الى ممالك يونانية وعلى بعث حياة الاسكندر في القصة القديمة وفي ادب فارس واناشيد البطولة في القرون الوسطى .

والمؤلف معروف بطريقته : التقسيم الواضح وسرد الرواية بسرعة وبالتفصيل ومن ثم بالاكثار من الاستشهادات باقوال المؤرخين القدماء . وقد ناقش بلوتارك (Plutarque) واريان (Arrien) في المجهودات التي بذلها الاسكندر لايجاد امة يونانية فارسية . اما وصفه لهذا البطل فيستند الى حكم الاقدمين ويتضح من صورة في بومباي (Pompéi) تمثله قائماً الى جانب ارسطو معلمه تحت نظر اولمپاس (Olympias) .

والذي جمل فائدة الكتاب عملية الفهرست والثبت الموجز لما كتب عن الاسكندر والخارطات .

ولم يقع تحت انظارنا في هذا الكتاب ما يشير الى اقامة شعائر عبادة للاسكندر بعد وفاته لا في الاسكندرية ولا في افسس ولا في ايسوس حتى القرن الثالث المسيحي (راجع Rostovtzeff, *Mélanges Syriens R. Dussaud*. I, p. 285).

وما هذا النقص الّا ثلمة لا يؤبه لها بين الاقوال العديدة التي استمدّها المؤلف من مصادرها وعرضها عرضاً شائقاً . ر . م

Ignace-Abdo Khalifé s. j. — *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université Saint-Joseph*. Seconde série — Impr. Catholique — Beyrouth, 1952 — in Mélanges de l'Université Saint-Joseph, XXIX (1952), fasc. 4.

كان الاب شيخو قد درس ٧٩٣ مخطوطة من مجموعة مخطوطات المكتبة الشرقية العربية ومنذ وفاته دخل المكتبة الشرقية عدد عديد من المخطوطات الجديدة فلم يكن بالاستطاعة ابقاءها بدون دليل . لذلك عوّلنا على ان نباشر سلسلة جديدة لنتمّ بها عمله فشرعنا اولًا بالمخطوطات المسيحية اللاهوتية منها والطقسية لنذيلها شيئاً فشيئاً بمخطوطات اخرى .

واننا نأمل ان نضع بذلك في متناول الذين يرغبون في الاطلاع على مخلفات الاقدمين ما يخوّلهم ان يروا هنا تحليلًا لاقوالهم في مختلف دروسهم . ا . ع . خ

مكتبة صادر

اهدت مكتبة صادر الى ادارة مجلة المشرق الكتب التالية :

ديوان ابن هاني ، تحقيق وشرح كرم البستاني

من قطوف الاغاني المددين ١٦ و ١٥ : نُصَيب بن رباح وحسّان ، تحقيق وشرح كرم البستاني

من العقد الفريد الجزء ١٥ : ادب المنابر ، تحقيق وشرح كرم البستاني

اديب لحود : العادات والاخلاق اللبنانية
الفتاة المفقودة
امرؤ القيس والفتاة الطائية
الرثاء

عادل ابو النصر : تربية النحل

الموزّع الوحيد : المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت

مكتبة دار المعارف

واهدت الينا ايضاً مكتبة دار المعارف الكتب التالية :

حسن احمد الخطيب : فقه الاسلام

اسحق رمزي : ما فوق مبدأ اللذة

نجاتي صدقي : الاخوات الحزينات

حسن جوهر ، احمد محمد برانق ، امين احمد العطار : الف ليلة وليلة ، الجزءان الاول والثاني

سلمى الحفار الكزبري : حرمان ، قصص موضوعة ومترجمة .

شارع مسبيرو بالقاهرة — مصر

BIBLIOTHECA ARABICA SCHOLASTICORUM

SÉRIE ARABE

Textes établis par le Père Maurice BOUYGES, S. J.

Tome I. — ALGAZEL, *Maqâçid al-Falâsifat* (*en préparation*)

Tome II. — ALGAZEL, *Tahâfot al-Falâsif[illegible]* ou « Incohérence des Philosophes ». xxx+447 pp. - Imprim[illegible] Catholique, 1927.

Tome III. — AVERROÈS, *Tahâfot at-Tahâfo[illegible]* « Incohérence de l'Incohérence ». XL+679 pp. Imprimerie C[illegible]lique, 1930.

Tome IV. — AVERROÈS, *Talkhiç Kitâb al-Maqoûlât*, ou « Paraphrase du *Livre des Catégories* d'Aristote ». XL + 184 pp. - Imp. Catholique, 1932.

Tomes V-VI-VII. — AVERROÈS, *Tafsir Mâ ba'd aț-Țabî'at*, ou « Grand Commentaire de la *Métaphysique* d'Aristote ».

Tome V,1. — (NOTICE). CCXVII pages. Impr. Catholique 1952.

Tome V,2. — Livres petit ALIF, grand ALIF, BA', GIM. VIII + 472 + [24] pp. Impr. Catholique 1938.

Tome VI. — Livres DAL, HE, ZAY, HHA' TTA'. XVI + 762 + [34] + 4 pp. Impr. Catholique 1942.

Tome VII. — Livres YA' et LAM, et Tables des Matières. XVI + 520 + [24] + (317) + 2 pp. Impr. Catholique 1948.

Tome VIII. ALFARABI *Risâlat fî'l-'Aql*, ou « Opuscule sur l'Intellect ». XXIV+48 pp. Impr. Catholique 1938.

◆

ظهرت حديثاً

فهارس المشرق العامة

تتناول المجلدات الاربعة والاربعين الاولى

للطبعة الكاثوليكية—بيروت . ١٩٥٢ ٣١٢ ص . عني بنشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

Ignace-Abdo KHALIFÉ, S.J. — *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université Saint Joseph*. Seconde série — Impr. Catholique - Beyrouth, 1952.

Pedro DIB, Docteur en Droit — *Essai sur une théorie des Mobiles en Droit Hanafite*. — Préface de Choueri CARDAHI. — Imprimerie Catholique. Beyrouth 1952. XVII + 416 pp.

المشرق

السنة السابعة والاربعون | ايار – حزيران ١٩٥٣

الروم الملكيون في الاسلام

مقتل البطريرك الانطاكي الملكي الشهيد خريستوفوروس

سنة ٣٥٦ للهجرة – ٩٦٧ للميلاد

حسدًا له لمكانته لدى الامير سيف الدولة علي بن حمدان

ويليه

قسم من اخبار جثالقة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس

نشرها لاول مرة حبيب زيات عن نسخة يتيمة من القرن العاشر

المقدمة

لا يزال تاريخ البطاركة الملكيين في الاسلام في كراسيهم الثلاثة انطاكية والاسكندرية واورشليم غامضاً مجهولاً في اكثر ازمانه المتقدمة لقلة من صرف النظر اليه او لنزارة الآثار التي انتهت الينا منه ونجت من نيران المحن

والحروب. ولا نعلم انه قام من الكتبة الملكيين من اهتم بجمع اخباره الدينية والدنيوية وحفظها في كتاب خاص كما فعل النساطرة في كتاب اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان . واليعاقبة في تواريخ البطريرك ديونيسيوس التلمحري وابن العبري .. ميخايل في السريانية . والاقباط في كتاب سِيَر البطاركة لساويرس بن مقفع . وغاية ما بلغنا من آثار الملكيين في اللسانين الرومي والعربي قصص من اشتهر من النساك والحبساء والشهداء والقديسين في مجاميع اطلقوا عليها اسم السِنَكسارات Συναξάρια وهي التي دعاها الاقباط الدلالات لدلالتها على ايام الاعياد والتذكارات وعرفها المتأخرون من الملكيين باسم الدولاب. ولكن هذه المجاميع لا تخلو من المبالغة والافراط حباً للترغيب والتهويل ولا تبنى على مثلها حقيقة قاطعة لاثبات ما كان في الواقع الصحيح . واهم ما حفظه الرهبان والنساخ الملكيون في اللغة السريانية اصداء ونتف من الاخبار والسماعات قيدوها في تضاعيف مخطوطات لهم وتفرقها على الاديار الشامية وبقي منها في دير السيدة في صيدنايا من ضاحية دمشق بقية صالحة شاهدها بعض الزوار في اوائل القرن الثامن عشر وهي التي امر البطريرك الرومي الارثذكسي ايروتيوس (١٨٥١ — ١٨٨٥) باحراقها وتعمية آثارها «فخبزوا عليها خبزتين » . وكنا اول من نعى فاجعة التاريخ بها وقبّح فظيعة اتلافها وندب فداحة خسارتها لمعرفتنا حق المعرفة بمطالعتنا بعض المخطوطات التي أُغفلت منها ما كان في هوامشها وحواشيها والذيول الملقة عليها باقلام كتابها وقرائها من الفوائد والفرائد التي يُعوَّل على نظائرها لتعريف ما تقدم من السِيَر والاعمار وتمييز ما حسُن او قبح من الاعمال والاخبار .

وقد نبَّه المسعودي مؤلف مروج الذهب على قلة ما وقف عليه في زمانه من تواريخ الروم الملكية . وجاء من بعده سعيد بن بطريق بطريرك الاسكندرية واقتصر في كتابه نظم الجوهر على تدوين ما علمه من الحوادث والكوائن السالفة باوجز عبارة وايسر شرح فلم يتجاوز المتداول منها في زمانه ولا استخرج شيئاً مما كان منسياً دفيناً في خبايا الاديار والكنائس . ولعله كتم عمداً بعض ما كان يعلمه منها تحرزاً من النقمة او تقيَّة من السلطان كما فعل ابن العبري في تاريخه العربي « مختصر الدول » من الاجتزاء بايراد ما لا يتوجّه عليه من اجله

انكار ولا يسوء قراءه العرب خلافاً لتاريخه الكنسي الذي كتبه بالسريانية وتوسع فيه في الرواية لانه أمن اطلاع من كان يخشاه من القرباء عن لغته .
وخلف سعيدَ بن بطريق نسيبه يحيي بن سعيد بن يحيي الانطاكي وهو سيد من أرّخ ووصف فاتى بما لم يأتِ به احد من قبـ وافاض في رواية وقائع الدول ونعوت الرجال ونقل من اخبار الروم والروس والبلغر والكرج ما يشبه ان يكون استمد بعضه من سجلات زمانه ودفاتر الدواوين السلطانية وانفرد به عن كل من تقدمه او اتى بعده من المؤرخين . ومن الشقاء وسوء حظ العلم ان يكون اقتصر في تاريخه على كتابة ذيل فقط على تاريخ سعيد بن بطريق دون ان يتناوله منذ البدء ويُتمّ ما كان ناقصاً فيه ويسدّد اوهامه ويسدّ كل فراغ فيه كما عنّ له لاول وهلة كما قال . ولا نعلم ان احداً مشى على سَنَنه في الاطلاع والتحقيق واحاط نظيره باخبار الشرق وحوادث الاعاجم من مزاحمي الروم البيزنطيين في المغرب . ثم ساءت احوال النصارى بعد وفاته وخيّم الذل والشقاء عليهم وزهد الرهبان ورجال الدين في التدوين والتأليف فلم تنصرف عناية ناقل او ناسخ منهم الى الفحص عن ماضي الكراسي البطريركية الثلاثة وجمع ما تبدد من انبائها وسيرها بالاستناد الى ما كان خبيئاً في خزائن الكنائس والاديار خلا الشماس بولس الزعيم الحلبي في منتصف القرن السابع عشر وهو ابن البطريرك مكاريوس ورفيقه في اسفاره وتنقلاته وراوية ارآئه وانبائه وقد شارك والده في جميع ما عرّبه من الرومية او ألفه في العربية من التواريخ والاخبار .

ومن اعجب فضائل هذا الشماس انه كان حيثما حلّ والى اين رحل لا يكلّ ولا يني في السؤال والتفتيش عن الكتابات والمخطوطات المحفوظة في زمانه ويستعين بجاه والده لاستعارتها وينسخ منها بقلمه الرشيق كل ما يجد فيه فائدة او غرابة من تواريخ الشام وانطاكية ووطنه حلب خصوصاً ويتطلب المشهور والمكتوم من قصص القديسين وسِيَر الجباء والنساك مهما طالت واملّت كسيرة مار سمعان العمودي الحلبي حتى اجتمع له من هذه المقتبسات والمستعارات طائفة جليلة ساقها في نوبتها وجعلها في مجلد له كبير وقع الينا بخطه الجميل الجلي وفيه لسوء الحظ بعض الخروم اهمها الصفحات الاولى والاخيرة منها وبسقوطها فاتنا معرفة الاسم الصحيح الذي اطلقه على هذه السفينة التاريخية وغاب عنا نص

الفاتحة التي صدرها بها ، ويظهر من مطالعة مضامين كتابه انه توخى عامدًا محترزًا جمع اخبار انطاكية وبطاركتها ورجالها وهو ما رجّح عندنا تسمية هذا المجموع « تاريخ انطاكية » بينما تكشف لنا الايام اسمه الحقيقي .

ومن مزايا خطته في الجمع والنقل انه ضم الى كل خبر من الاخبار المروية بحسب السنين كل ما وجده في معناها في المخطوطات الاسلامية والنصرانية والرومية التي كانت لديه او ما عرّبه له المترجم من المرسلين الفرنج الذين كانوا في ايامه بحلب . وذكر في كل مرة اسماءها واسماء مؤلفيها لتسهل على القارئ مقابلتها ومعارضتها ويطلع على كل ما قيل فيها . وألحق بها ايضاً كل ما وقف عليه مما يتعلق بها او يكون في معناها من سيرة نادرة او نسخة يتيمة من كتاب عزيز الوجود ينقلها بأسرها دون ان تهوله كثرة الفصول وتعدد الصفحات مع الاشارة في الهامش الى ما في الاصل احياناً من حذف او اختصار فكل ما في مجموعه هو من اقوال غيره وليس له فيه قول خاص سوى ما استعاره مرة بعد اخرى لتكملة الاخبار او مقابلتها من تاريخ والده وتاريخه المسمى بالدر المنظوم في اخبار ملوك الروم وهو معرب من الرومية .

ولا يخفى عن كل من مارس قراءة المخطوطات ما في خطوط النساخ غالباً من التحريف وسوء الرسم لسوء الفهم والتباس المعنى على الناقل لقلة ضبط الكلم واهمال النقط والاعجام بحيث يصعب احياناً على العالم نفسه الاهتداء الى الاصل وردّه الى نصابه فكيف بمن كان كالشماس قليل التطلع على قواعد اللغة واسرارها ولذلك لا يخلو نقل له من بعض تصحيف وخطإ في القراءة والنسخ ولا سيما في ما حار نظره فيه من رسوم الحروف التي قرضت بعضها الأرضة او بدلتها اقلام جهلة النساخ او ما كان بالياً او ممحوّاً اكل الدهر عليه وشرب من الاجزاء النادرة اليتيمة كسيرة مقتل البطريرك خريستوفورس الشهيد التي استمد منها يحيى بن سعيد في الذيل ما لخصه في جملة اخبار سيف الدولة .

وفي هذه السفينة الحلبية قدّر لنا الحظ الظفر برواية قديمة من الذيل الحقه يحيى بن سعيد الانطاكي بتاريخ البطريرك الاسكندري افتيشيوس المشهور بسعيد بن بطريق كما ذكرناه آنفاً وهو الذي طبعه سنة ١٩٠٩ الاب لويس شيخو باسمه واسم البارون كارادفو وباسمنا بالاستناد الى نسخنا الثلاث ولكنه رحمه الله

انفرد بالتمثيل والطبع . وكان على ما اتصف به من الحفظ وسعة الاطلاع لا يكاد يذعن لرأي سواه ثقة بنفسه فجاءت الطبعة بعيدة عن الكمال لا تتبرأ من العيوب التي تجلّ عنها منزلة يحيى بن سعيد في التحقيق والفصاحة . ولذلك لا تزال الحاجة داعية الى اعادة طبع الذيل واعمال الروية في ما اضطرب من الفاظه لتصحيحها وهو اجلّ تاريخ للنصرانية في الاسلام وقل جدًا ان يضاهيه في لطافته وجدّه تاريخ آخر في معناه في الشرق .

واهم ما علقت به يدنا من هذه اللُّقَط الحلبية نص استشهاد البطريرك خريستوفورس في انطاكية ومقتله غدرًا بيد اعداء الامير سيف الدولة الحمداني حسدًا له لمكانته من الامير وقبول الامير شفاعته في بعض هولاء الاعداء. وهي من انشاء احد شهود البطريرك العيانيين ممن نشأ في انطاكية وعرفه وهو صبي واسمه ابراهيم بن يوحنا الأبرُطُسبَتار πρωτοσπαθάριος وهذا اللقب من القاب الروم البيزنطيين .

وكان ابرهيم بن يوحنا احد كتاب الروم الملكيين في القرن العاشر ولد في انطاكية ويغلب على الظن انه كان من اصل رومي لانه كان يكتب دائمًا بالرومية ويجيدها ثم يعرّب بنفسه ما يكتبه تعريبًا تدل بعض لهجته على انه لا يخلو تارة من الفصاحة ولذلك اورده يحيى بن سعيد بلفظه دون تغيير . ثم يضعف تارة اخرى او يتبهم في مواضع يغلب عليها الاسلوب الرومي فلا يجد في محفوظه من اللغة العربية ما يؤدي به المعنى بما يرادفه من اوضاعها وتعابيرها الصحيحة فيأتي كلامه هجينًا يصعب جدًا فهمه لاخراجه اياه في قالب اعجمي . ولا شك ان لبعض النساخ يدًا في تحريف الاصل زاد في الطين بلة وافقدنا جانبًا من فوائده التاريخية .

ولابرهيم بن يوحنا تعريبات شتى لبعض اقوال اباء الكنيسة وهي التي تدعى عندهم ميامر منها ميمران الثاني عشر والثالث عشر لمار غريغوريوس الثاولوغس في مخطوط رقم ١٤٢ من مخطوطات بورجيا في خزانة الفاتيكان (الورقة ١٠١) وفي الخزانة نفسها مخطوط آخر يتضمن ميامر مار افرام (الورقة ١٧٢—١٨٤) وفيه مديح قاله القديس غريغوريوس اسقف نيس في مار افرام خُتم بهذه الحاشية :

«نقل هذا المديح الابرطسبيار الكاتب الملكي ابرهيم بن يوحنا الانطاكي واملاه من كتبه بالعربية من نسخة يونانية» ومن هذا المديح ايضاً نسخة في خزانة اكسفرد في اواخر المجموع Marsh 477 .

ويستدل من حاشية مخطوط الفاتيكان ان لقب الابرطسبيار لم يكن ليوحنا والد ابرهيم كما يُظن بل لابنه ابرهيم وسيأتي من اقواله في سيرة البطريرك الشهيد ما يزيد نفسه تعريفاً. وفي ختامها ايضاً تعداد ما كتبه كذلك من سِيَر بعض رجال الدين في ما خلا استشهاد البطريرك خريستوفورس.

ولما بلغ الشماس بولس من قبل يحيي بن سعيد خبر خريستوفورس اتبعه على الاثر بنص الاصل الذي استند اليه يحيي في حكاية هذا الخبر من تعريب ابرهيم ابن يوحنا وكان قد وُفق للعثور عليه في ابتداء بطريركية والده وهذه صورة ما قدمه في فاتحته قال:

« اعلم يا اخي اني في ابتداء بطركية والدي وجدت هذا الخبر العجيب المفرد في اخر كتاب قديم جدا بخط سقيم غير منقوط واكثر كلامه ممحي ومؤكل من العث والسوس. ولاجل ذلك فيه بعض امكنة فاضية ولم اجد له نسخة ثانية في كل بلاد العربية وديورها وكنائسها فرأيت من الموجبات ايراده هنا في هذا المحل لانه نفيس جدًا » .

ومن الغريب ان الشماس لم يخطر له قط ان يزور دير طورسينا في كل مدة بطريركية والده ولا يتبين لنا سبب هذا الاهمال ولا ريب انه لو تهيأ له هذا السفر لعاد من الدير وحقائبه ملأى من النوادر والنفائس وبينها نسخة اخرى من خبر البطريرك فيما بلغنا .

وكنا منذ خمس عشرة سنة لما وقع نظرنا على هذا الخبر الفرد وتأملنا ما اشتمل عليه من الاقوال والطرائف ادركنا فورًا ما له من الاهمية القصوى في تاريخ النصرانية عموماً والروم الملكيين خصوصاً وهممنا بنشره لاول وهلة ولكن اعترضنا في قراءته من التحريف والتشويه والغموض في المتن الذي تنازعه القِدَم والعث ولم يبقَ منه احياناً الا اشباح الحروف ما لا يقوى على اصلاحه وحلّ احاجيه وارجاعه الى ثوبه الاول الا من رُزق الكهانة او النبوة. فطويناه على غرّه املًا ان نتفرغ لتأمله واعمال النظر فيه على هينتنا او ان ترزقنا السعادة اكتشاف نسخة اخرى في طوافنا على الخزائن العربية في الغرب والشرق ولكن

خاب رجاؤنا من هذا القبيل وعدنا من كل هذه الزيارات اشد يأساً وابعد طمعاً في وجود ضالّتنا. وعقدنا النية حينئذٍ على ان ننشر ما لدينا على علاته وعيوبه. ثم بلغنا ان في دير طورسينا نسخة منه[1] فعزمنا للحال ان نرحل اليه متى امكنتنا الفرصة . واردنا قبلًا ان نحتاط لزيارة الدير برخصة من رئيس الاساقفة فيه لنتمكن من قضاء الوقت الكافي لمطالعة ما في خزانة الدير من الفوائد والفرائد وهي لا تزال سرًّا من الاسرار لصعوبة الرحلة الى الطور وتعذر المعيشة فيه الا باذن خاص. ولما توجه منذ ثلاث سنوات الى القاهرة الحبر الكامل كيريوس بطرس كامل مدور المعاون البطريركي التمسنا منه ان يتكرم بالتوسل الى رئيس الدير بالسماح لنا بالزيارة والتفتيش في محفوظات الدير فاجاب رئيس الاساقفة طلبنا بغاية من اللطف والارتياح واجاب انه لا يقنع بهذه الزيارة بل يلحّ علينا بالمكوث في الدير كل المدة الكافية للاطلاع على ما في خزانته من المخطوطات العربية التي لم يتفرغ احد من الزوار لدرسها والتنويه بما في طيها من الطُّرَف والتحف . وكنا وقتئذٍ بدمشق فاخذنا بالاستعداد للرحلة الى الطور ولكن فاجأنا لسوء الحظ ألم شديد قعد بنا عن المسير فاضطررنا والقلب مفعم من الحسرات الى تجنب هذا الخطر وارجأنا نشر الخبر الذي لدينا الى حين رجوعنا الى تيس . وتبيَّن لنا بعد التروي واطالة المطالعة ان لا بأس من طبع الخبر على عواره لان معظم ما تناوله التحريف والابهام انما هو في الحقيقة من حشو الكلام وفضول المدائح التي اطرأ بها المنشئ فضائل البطريرك وتقواه وغيرته وكرمه ومحاسن اخلاقه . وان ما التبس فيه من تفصيلها يُدرك بسهولة من جملتها . وصح عندنا ان كل ما عداها من تاريخ حياة البطريرك واعماله ووفاته وما كان في زمانه من الاحداث الجليلة واخبار جثالقة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس وشيوع الكنائس الملكية في المدائن ومرو والشاش وروجرد — وهي واسطة العقد وطُرفة الطُّرَف . ولا ذكر لها في غير هذا الخبر — باقية على حالها

---

١) بعد كتابة ما سبق وجدنا ذكر خبر مقتل البطريرك خريسطوفورس في المجموع رقم ٤٠٧ من جريدة مخطوطات دير طور سينا (ص ٧٣ *Catalogue of the Arabic Mss in the Convent of S. Catharine Compiled by Margaret Dunlop Gibson. London, 1894.*

وجدتُها لم يعتورها شيء من النقص والتصحيف ولا تحيَّفها بلى ولا سوس وهي جلّ عيون ما في هذا الاثر الفريد الذي خلده لنا فضل الكاتب ابرهيم بن يوحنا الانطاكي واجتهاد الشماس بولس الحلبي .

وبدلاً من سياقة هذا الخبر بحروفه التي بلغتنا ومعمَّياتها العديدة رأينا ان نلخص اهم ما ورد فيه من الفوائد ليكون مستنداً يرجع اليه كل راغب في الوقوف على حقيقة تاريخ الروم الملكيين في الاسلام وحافظنا ما استطعنا على كلام المنشئ حيث لا خلاف فيه للاصول العربية ولا هجنة عليه من الرومية .

رسالة للجاحظ

نشرها للمرة الاولى شارل بلّا
استاذ في معهد الدراسات الاسلامية في باريس

يتضمن المختار من كلام الجاحظ المحفوظ في مكتبة برلين[١] — المنقولة الان الى توبنجن (Tübingen) — عدة قطع من رسالة او رسائل[٢] وجهها الجاحظ إلى شخصية عباسية لا يذكر اسمها غير أنها بلا ريب أبو الوليد محمد بن أحمد بن ابي دؤاد ؛ فيمدح فيها المرسل إليه ووالده القاضي الشهير وأخيرًا الخليفة العباسي المعتصم .

أما هذه النخب فقد جعلها صاحب المجموعة منفصلة عن بعضها ولكن ليس من المستبعد انه اقتبسها من رسالة واحدة ؛ فيدل على ذلك تماسك الاجزاء ووحدة الفكر والتعبير ؛ ومهما كان من أمر فيبدو جليًا ان الاديب الذي قام بتلخيص الرسالة راعه بنوع خاص براعة الجاحظ وفصاحته حتى انتخب ما لا يفيد الا ان ناثرًا نابغًا كان في اوائل القرن الثالث للهجرة يقدر على مباوزة الشعراء في ميدان المديح كما انه اصبح قادرًا على مبارزتهم في ميدان الرثاء[٣] والهجاء[٤] .

فمن هذا الوجه لا تخلو الرسالة من اهمية ولكنا لو لم نجد فيها اكثر من ذلك لما تكلفنا نشرها ولوضعناها جانبًا — ولو موقتًا —

ومع ذلك فما يستوقف النظر قول الجاحظ[٥] : « إني أيدك الله قد ألفت

---

١) رقم ٥٠٣٣ في فهرست Ahlwardt ؛ لقد فحصنا عن هذه المخطوطة ففصّلنا محتوياتها في مقال سيظهر في المجلة الالمانية *Oriens* إن شاء الله —

٢) من ظهر الصفحة ١٧ إلى ظهر الصفحة ٤٦

٣) انظر الرسالة التي نشرها طه الحاجري في الكاتب المصري ، يونيه ١٩٦٦

٤) انظر الرسالة التي نشرها طه الحاجري في الكاتب المصري ، شباط ١٩٦٧

٥) ص. ٣٩

كتاباً احتجت الى عرضه عليك واستشارتك فيه » دون أي إشارة الى اسم الكتاب أو بعبارة أصح دون ان يحتفظ صاحب المجموعة بما يوضح هذا القول.

فلحسن الحظ قد أتيح لنا ان نفحص عن مخطوطة اخرى محفوظة في مكتبة داماد ابراهيم باشا[1] فشاهدنا اتفاقاً جزئياً فيما بين آخر النص الاول وبين رسالة من رسائل المجموعة الثانية موسومة بنفي التشبيه ويظهر عند الفحص والتأمل ان أصل النصين واحد وهو رسالة طويلة أرسلها الجاحظ الى ابي الوليد يطلب منه — جوهرياً — المساعدة على « تخليد » كتابه في « الرد على المُشَبِّهة[2] » ؛ فالطلب غارق في مديح متدفق .

هكذا يلوح ان صاحب نسخة برلين تناول الرسالة فاختار ما عساه ان يكون نماذج حية من الفصاحة الجاحظية وأسقط معظم الاعلام والايات والاشارات إلى حوادث سياسية او دينية بيد ان صاحب المختار الاخر لم يهتم الا بالنصف الثاني فجعله رسالة مستقلة « في نفي التشبيه » ؛ وبفضل تداخل المختارين أمكنتنا إقامة نص مرضٍ بمكان[3] .

◆

فان اعتبرنا ما ورد من ذكر أبي الوليد وحداثته[4] ومن ذكر المعتصم وخلافته حق لنا القول إن تاريخ الرسالة يتراوح بين سنة ٢١٨ وسنة ٢٢٧ للهجرة ؛ ففي تلك المدة كان الجاحظ ، على ما يخبرنا به المؤرخون ، يتصل بالوزير محمد بن عبد الملك الزيات ويميل عن منافسه القاضي احمد بن ابي دؤاد : فتناقض رسالتنا هذا الخبر اذ نرى الجاحظ يبذل جهوده للاقتراب الى ابن ابي دؤاد ويمدح ابنه ابا الوليد ويراسله ويحاول تحقيق غرضه بصورة حاذقة

١) رقم ٩٤٩ من وجه الصفحة ١٠٦ الى ظهر الصفحة ١١٣ ؛ راجع مجموع رسائل الجاحظ، ط . Kraus والحاجري ص د — ه —

٢) ضاع هذا الكتاب الوارد ذكره في الحيوان ج ١ ص ٩ ؛ أما رسالتنا فلم تذكر البتة لانها شخصية غير معدة للنشر .

٣) لا شك في ان جميع آثار الجاحظ جديرة بالنشر والبحث غير اننا اقتصرنا على النصف الذي ورد في نسخة داماد ابراهيم باشا .

٤) لا نعرف تاريخ ولادته بل نعلم انه كان نائباً لابيه منذ سنة ٢١٨ فلعله كان حينئذ في العشرين من عمره ؛ راجع L. Massignon في WZKM سنة ١٩٦٨ ، و *Encyclopédie de l'Islam* مادة أحمد .

وذلك انه يغتنم فرصة نادرة هي وضع كتاب في مسألة كلامية لا تهم ابن الزيات بقدر ما تهم قاضي القضاة لانها داخلة في صلاحياته؛ فان ابن ابي دؤاد كان رئيس المحكمة المنشأة بعد ان صار الاعتزال ديناً رسمياً وبصفته هذه كان من واجبه ان يقمع كل مخالفة ويمتحن المتهمين والمرتابين ويكافح النظريات والمذاهب المعادية للعقيدة الرسمية ويقمع اصحاب السنّة — او الحشوية كما يسميهم الجاحظ — اذ كانوا يعارضون المعتزلة في الصفات وخلق القرآن من جهة وفي موقفهم السياسي من جهة اخرى حيث انهم يتعصبون لمعاوية ويقاومون العباسيين[1] .

فنرى الجاحظ — وان لم نعتبره كاتباً رسمياً او شبه رسمي — يؤلف عدة رسائل في هذه المشاكل المهمة منها الرد على المشبّهة ومنها كتاب العرب والموالي اذ كانت مزاعم العجم تزيد في خطورة الحالة السياسية ؛ ثم يعرض جميع هذه الكتب — وبالاقل الكتابين المذكورين[2] — على ابي الوليد ويستشيره فيها قائلاً إنه يريد ان يساعد ولاة الامر على تطبيق السياسة العباسية ويضع بين ايديهم جميع الحجج التي يحتاجون اليها ؛ وإلى جانب ذلك يرمي الجاحظ الى غاية اخرى تظهر بين السطور وهي أن يدنو الى ارباب العقد والحل فينتفع باحسانهم وصلاتهم .

فلا تكاد تأتي هذه الرسالة بأخبار جديدة ووثائق بديعة عن آراء الجاحظ الفلسفية لكنها تجعلنا نتدرج الى إدراك نفسيته وتصرفه ولولا فيها الا ذلك لكانت جديرة بالنشر .

Ch. Pellat

١) راجع مقالة حبيب الزيات في المشرق، سنة ١٩٣٨ ص ٤١٠ — ٤١٥ عنوانها التشيع لمعاوية في عهد العباسيين ورسالة الجاحظ في النابتة (او : في بني امية) وترجمتها التي ستظهر عن قريب في الجزائر إن شاء الله .

٢) النابتة موجهة ايضاً الى ابي الوليد فيخبره فيها المؤلف بانحاء كتابه في العرب والموالي .

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

أطال الله بقاءك[٢] وحفظك وأتمّ نعمته عليك وكرامته لك

قد عرفتَ — أكرمك الله — ما كان الناس فيه من القول بالتشبيه والتعاون عليه والمعاداة فيه ، وما كان في ذلك من الإثم الكبير والفرية الفاحشة ، وما كان لأهله من الجماعات الكثيرة والقوّة الظاهرة والسلطان المكين ، مع تقليد العوام ومَيْل السِفلة والطَّغام ؛ وليست للخاصّة قوّة بالعامّة ، ولا للعِلية قوّة على الأرذال ؛ وقد قالت الأوائل فيهم وفي الاستعاذة بالله منهم ؛ قال علي بن أبي طالب — رحمة الله عليه — : « نعوذ بالله من قوم إذا اجتمعوا لم يُملكوا وإذا تفرّقوا لم يُعرفوا » ؛ وقال واصل بن عطاء[٣] : « ما اجتمعوا إلّا ضرّوا ، ولا تفرّقوا إلّا نفعوا » ؛ فقيل له : « قد عرفنا مضرّة الاجتماع ، فما منفعة الافتراق ؟ » ؛ قال : « يرجع الطيّان إلى تطيينه والحائك إلى حياكته والملّاح إلى مِلاحته والصائغ إلى صياغته وكل إنسان إلى صناعته ، وكل ذلك مَرْفِقٌ للمسلمين ومَعونة للمحتاجين » ؛ وكان عمر بن عبد العزيز — رضي الله عنه — إذا نظر إلى الطَّغام والحشر[٤] قال : « قبّح الله هذه الوجوه التي لا تُعرف إلّا عند الشر ! » ؛ وقال الخُرَيْمي[٥] عند ذكره إيّاهم في شعره بالتعادي مع المخلوع[٦] :

١— من البَرادي[٧] تِراسُها[٨] ومن الـ ـخُوص إذا استلأَمت مَغافرُها

٢— لا الرزقَ تبغي ولا العَطاءَ[٩] ولا يَحشُرُها بالعَناء[١٠] حاشِرُها[١١]

---

١) قد استعملنا الرمزين الآتيين : د = مخطوطة داماد ابراهيم باشا ؛ ب = مخطوطة برلين

٢) د : بقاك . ٣) د : عطا

٤) كذا وعادة الجاحظ ان يقول : الحشوة .

٥) ابو يعقوب اسحق بن حسان الخريمي شاعر اديب معاصر للجاحظ ؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخلاء .

٦) المخلوع = الأمين .

٧) د : والطبرى : البوادي وليس لها معنى مرضي .

٨) د : بتراسها . ٩) د . العطا ١٠) الطبري : للناء .

١١) من المنسرح ؛ فوردت القصيدة الطويلة في تاريخ الطبرى ، سنة ١٩٧

وقال شبيب بن شَيْبة[١] : « قاربوا هذه السِفلة وباعدوها ، وكونوا معها وفارقوها واعلموا أن الغَلَبة لِمن كانت معه ، وأن المقهور مَن صارت عليه » ، وقد وصفهم بعض العلماء فقال : « يجتمعون من حيث يفترقون ، ويفترقون من حيث يجتمعون ، لا يقلّ غربُهم إذا صالوا ولا تنجع فيهم الحيلة إذا هاجوا ».

والعوامّ — أبقاك الله — إذا كانت نَشَرًا ، فأمرُها أيسر ومدّة هَيْجها أقصر ، فإذا كان لها رئيس حاذق ومُطاع مدبّر وإمام مقلّد ، فعند ذلك ينقطع الطمع ويموت الحق ويُقتل المحقّ ؛ [د: وجه ١٠٧] فلولا أن لهم متكلّمين وقُصّاصاً متفقّهين وقوماً قد باينوهم في المعرفة بعض المباينة ، لم يلحقوا بالخاصّة ولا بأهل المعرفة التامّة ، ولكنّا كما نخافهم نرجوهم[٢] وكما نُشفق[٣] منهم نطمع فيهم .

ثم قد علمتَ ما كنّا فيه من إسقاط شهادات الموحّدين وإخافة علماء المتكلّمين ؛ ولولا الكلام لم يقم[٤] لله دين ولم نبنْ من الملحدين ولم يكن بين الباطل والحقّ فرق ولا بين النبيّ والمتنبّي فصل ، ولا بانت الحجّة من الحيلة والدليل من الشبهة ؛ ثم لصناعة الكلام مع ذلك فضيلة على كلّ صناعة ومزيّة على كلّ أدب ، ولذلك جعلوا الكلام عيارًا على كلّ نظر وزماماً على كلّ قياس ؛ وإنّما جعلوا له الأمور وخصّوه[٥] بالفضيلة لحاجة كلّ عالم إليه واستغنائه عنه .

فلم نزل[٦] — أكرمك الله — كذلك حتى وضع الله من عزّهم ونقص من قوّتهم — وليس لأمر الله مردّ ولا لقضائه مدفع — ، وحتى تحوّل إلينا رجال من قادتهم ومن أعلامهم والمُطاعين فيهم ، وارتدّ قوم ونافق آخرون ، وحتى تحوّلت المحنة عليهم والتَّقيّة فيهم ؛ وذلك كلّه على يد شيخك وشيخنا[٧] بعدك — أعزّه الله — بما بذل من جهده وعرض من نفسه وتفرّد بمكروهه وغرغر مُرارَه صابرًا على جسمه ؛ يرى الكثير في ذلك قليلًا والإغراق تقصيرًا وبذلَ النفس يسيرًا ، على حين خانَ كلُّ بطل وجارَ كلُّ مقدَّم وعرّد كلُّ رئيس

---

١) د : شبب بن شبة ؛ شبيب بن شيبة خطيب بصري شهير ، راجع البيان للجاحظ .

٢) د : نرحوهم .

٣) د : نسفق .

٤) د : نقم .

٥) د : وخصوا .

٦) د : نزل .

٧) أي القاضي احمد بن ابي دؤاد .

وأصاب كلُّ مستبصر وطاح كلّ نفّاج واستخفى كلّ مُرّاد[١] ، وحتى صاروا هم الذين يشيرون عليه بالملاينة ويحسّنون عنده المقاربة ويخوّفونه العاقبة ويزعمون أن لكلّ زمان تدبيرًا[٢] ومصلحة وأن إبعادهم أنفر لطبائعهم وأن إطلاقهم أنجع فيما يُراد منهم ، وحتى سمّوا المداهنة مداراة وإعطاء الرضى تقيّة والشدّة عند الفرصة خُرقًا والانحياز[٣] مع صواب الإقدام رفقًا وموالاة المخالف مخالقةً والمصافاة معاشرةً والمهانة حِلمًا والضعف[٤] في الدين[٥] احتمالًا ، كما سمّى قومٌ الفِرارَ انحيازًا والبُخل اقتصادًا والجائر مستقصيًا والبلاء عارضًا والخطَل بلاغةً .

فكذلك [د:ظهر ١٠٧] كانوا وكان ، وعلى هذا افترق أمرهم وذلك مشهور عنهم ، ثم يصول أحدهم على مَن شتمه ويسالم مَن شتم ربّه ، ويغضب على مَن شبّه أباه بعبده ولا يغضب على من شبّه اللهَ بخلقه، ويزعم أن أحاديث المشبّهة ، تأويلًا ومجازًا ومخارج[٦] حق[٧] وصدق : فإذا قيل [........][٨] طلب لهذا المجاز ، ظلم وقال ما يليق بلفظ الحديث ، فتكون شهادته[٩] لصحّة أحاديثهم مبرًا فيصير فيما يدّعي من خلاف تأويلهم مدّعيًا ؛ ولو كانت هذه الأحاديث حقًّا ، كان قول النبي —صلى الله عليه وآله وسلم—: «سيفشو الكذب بعدي ، فما جاءكم من الحديث فأعرضوه على كتاب الله» باطلًا ؛ فهذا المذهب لمن ينتحل طريقتنا ويسلك — بزعمه — سبيلنا ، جورٌ شديد ومذاهب قبيحة وتقرّب[١٠] فاحش ؛ وليس ينبغي لديّان[١١] أن يوادّ مَن حادّ اللهَ ورسوله ، ولو كانوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم ؛ فمتى إذًا تزول التقيّة ويجب إظهار الحقّ والنصرة للدين والمباينة للمخالفين حتى[١٢] يموت الخصم ويَبيد أثره ويهلك عقبه ويقلّ ناصره ويزول جميع الخوف ويكون على يقين من السلامة ؟

١) د : مراى .
٢) د : بدون نقط .
٣) د : الاعمار .
٤) د : والصعب .
٥) د : البين .
٦) د : مخارجا .
٧) د : وانما حق .
٨) د : بياض في الاصل قدره كلمتان والمعنى : فاذا قيل له : بيّن مقالك وائتِ بتاويل هذا المجاز الخ
٩) د : سهدته .
١٠) د : تترب .
١١) د : لديان .
١٢) د : حين .

وكيف يكون القائم حينئذ[١] بالحق مطيعاً وله مطيعاً [.....][٢] فقد سقطت المحنة وزالت البلوى والمشقة ؛ وهل المعصية إلا ما مازجه الهوى والشهوة، وهل الطاعة إلا ما شابَهُ[٣] المكروه والكلفة ؟ وكيف يُتكلف ما لا مؤونة فيه وكيف يُحمد ما لا مَزرية عليه ؟ وكيف يكون شجاعاً مَن تقدّم في الأمن وتكمّن في الخوف ؟ أو ليست النار محفوفة بالشهوات ؟ أوَليست الجنة محفوفة بالمكاره ؟ وكيف صاروا في باطلهم أيام قُدرتهم أقوى منّا في حقّنا أيامَ قدرتنا؟

وقد علمتَ — أرشد الله أمرك — أن التشبيه وإن كان أهله متوعسين ومهاملين وممتحنين، فإن عدد الجاجم على حاله وضمير أكثرهم على ما كان عليه، والذين ماتوا قليل من كثير ؛ ونحن لا ننتفع بالمنافق ولا نستعين بالمرتاب ولا نثق بالجانح ؛ وإن كانت المباداة قد نقصت ، فإن القلوب أفسدُ مما[٤] كانت؛ وقد كانوا يتّكلون [د: وجه ١٠٨] على السلطان والقدرة وعلى العدد والثروة وعلى طاعة الرُّعاع والسِفلة : فقد صاروا اليوم إلى[٥] المنازعة أميَل وبها أكلف، لأنهم حين ما ثبتوا[٦] في القهر بالحشوة [و] السِّفلة وبالصناع وبالباعة وبالولاة السَّقة ، وقلوبهم[٧] ممتلئة ونفوسهم هائجة، ولا بدّ لمن كانت هذه صفته وهذا نعته من أن يستعمل الحيلة والحجّة إذا أعجزه البطش[٨] والصولة ؛ وكلّ من كان غيظه يفضل عن حلمه وحاجتُه تفضل عن قناعته، فواجب أن ينكشف[٩] قناعه ويظهر سرّه ويبدو مكنونه .

وقد أطمعني فيهم مناظرتُهم لنا ومقايستُهم لأصحابنا وقد صاروا بعد السبّ يحتجّون وبعد تحريم[١٠] الكلام يجالسون وبعد التصامّ يستمعون وبعد التجليح يُدارون ، والعامّة لا تفطن لتأويل كتّها ولا تعرف مقارنتها : فقد مالت إلينا على قدر ما ظهر من ميلها وأصغت لما ترى من استماعها .

وقد كتبتُ — مدّ الله في عمرك — في الردّ على المشبّهة كتاباً لا يرتفع

---

١) د : حينذ .
٢) د : بياض في الأصل .
٣) د : شابه او شانه .
٤) د : ما .
٥) د : على .
٦) د : بدون نقط
٧) د : كذا ولعل الصواب : كانت قلوبهم
٨) د : بدون نقط .
٩) شكف .
١٠) د : بدون نقط .

عنه الحاذق المستغني[١] ولا يرتفع عن الرَّيِّض[٢] المبتدئ .

وأكثرُ ما تعتمد[٣] عليه العامة ودهماء أهل التشبيه من هذه الأمور ويشتمل[٤] عليه الفضل من حشوة الناس ويختدع به المحدِّثون من الجمهور الأعظم ، تحريفُ آي كثيرة[٥] إلى غير تأويلها وروايات كثيرة إلى غير معانيها ؛ وقد بيَّنتُ ذلك[٦] بالوجوه القريبة والدلالات المختصرة وبالأشعار الصحيحة والأمثال السائرة ، واستشهدتُ الكلام المعروف والقياس على الموجود ، وهو مع ذلك كلّه كتاب قصد ومقدار عدل ، لم يفضل عن الحاجة ولم يقصر عن مقدار البُغية ، على أن الكلام لا ينبغي أن يكثر — وإن كان حسناً كلّه — إذا كان السامع لا ينشط له[٧] وجاز قدر احتماله ، لأن غاية المتكلّم إقناع[٨] المستمع .

وقد قال الأوّلون : « قليل الموعظة مع نشاط الموعوظ خيرٌ من كثيرٍ وافق من الاستماع نبوةً ومن القلوب [د . ظهر ١٠٨] مَلالة » ؛ قال بكر بن عبدالله المُزَني[٩] : « ليس الواعظ مَن حمل أقدار السامعين وإنابة المرتدّين وملالة المستظرفين » ؛ وقال علي بن أبي طالب — رضوان الله عليه — : « إن هذه القلوب تملّ كما تملّ الأبدان : فابتغوا لها طُرَف الحكمة » ؛ وقد كان يقال : « إن للقلوب شهوةً وإقبالاً وفترة وإدباراً : فأتوها من حيث شهوتُها وإقبالها » ؛ وكان يقال : « إذا أُكره القلب عميَ » ؛ وقال واصل بن عطاء : « طول التحديق يكلّ الناظر وناظر القلب أضعفُ منه » ؛ وزعم عمر بن أبي [. . . .][١٠] قال : « قال قَسامة بن زهير[١١] روّحوا[١٢] هذه القلوب [. . . .][١٣] من الذكر » ؛ وقال عبد الملك بن قُرَيب[١٤] : « قال أبو الدرداء[١٥] : إني لأستجمّ نفسي ببعض الباطل

١) د : المستمي .

٢) د : الربص .

٣) د : بدون نقط .

٤) د : ويشـل او ويشهد .

٥) د : كثير .

٦) بني في الكتاب المشار إليه .

٧) د : للسطله .

٨) د : اقناع او استاع .

٩) بكر بن عبدالله المزني تابعي شهير توفي سنة ١٠٨ ؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخلاء .

١٠) د : كلمة غير مقروءة .

١١) قسامة بن زهير تابعي بصري ؛ انظر الإصابة رقم ٧٢٨٦

١٢) د : روجوا .

١٣) د : كلمة غير مقروءة .

١٤) هو الأصمعي .

١٥) ابو الدرداء الصحابي الشهير .

كراهة أن أحمل عليها من الحقّ ما يَلمها»[1] ؛ وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد ابن أبي وقّاص – رضي الله عنهما – وهو بالقادسيّة أنْ « جنّبهم حديث الجاهلية فإنه يذكر الأحقاد ، وعظهم بأيام الله ما نشطوا لاستماعها » ؛ وقالوا : «كان رسول الله – صلعم – يتخوّلنا بالموعظة » ؛ ولذلك أمروا بالجمام وزيارة الغبّ ، ورووا أن « شرّ السير الحَقْحَقَة[2] » ؛ ولأنْ ينقص الكتاب عن مقدار الحاجة أحبُّ إليَّ من أن يفضل عن مقدار القوّة لأن الملالة تُبغض الجميع وتُزهِّد في الكلّ .

فأنا[3] أسألك – أكرمك الله[4] – أن تنظر في هذا الكتاب وتقرأ ما خفّ عليك منه[5] ؛ فإن كان[6] كما – وصفتَ وكما ضمنتُ[7] ، حثثتَ[8] على قراءته وعلى اتّخاذه وعلى تخليده وعلى تدوينه[9] وأمرتَ من يحتاج إلى المادّة وإلى حسن المعرفة[10] من الموافقين ومن[11] الإخوان الصالحين أن ينظروا فيه وأن يبيّنوه[12] ويشيعوه[13] ؛ وقد كنتُ أنا[14] على ذلك قادرًا وبه مستوصيًا، ولكن الرجل الرفيع إذا رفع [ب : ظهر ٤٢] الشيء ارتفع ، كما أنه إذا وضع الشيء اتّضع ؛ وإن كنتُ فيه غلطًا أو لعلّته مستكثرًا كان لك ، بحسن نيّتك وصلاح مذهبك والذي رجوتَ عنده من المنفعة وصلاح[15] قلوب العامّة ، الأجرُ الكبير والثواب العظيم مع ما يقتضي بذلك من ذِمام المتحرّم بك والمتحلّي من نيّتك [د : وجه ١٠٩] ومع اليد البيضاء والصنيع المشكور[16] .

وحرام على كلّ[17] متكلّم عالم وفقيه مُطاع وخطيب مفوّه ، وإن كان[18]

---

١) د : فأكلها ، وقد اختزنا رواية البخلاء (ط . الحاجري ص ١٧٠ ، والحيوان ج ٣ ص ٧

٢) انظر أمثال الميداني (ط . مصر ١٣٥٢) ج ٢ ص ٣٧

٣) ابتداء ب وجه ٤٣

٤) سقط من ب .

٥) سقط من ب .

٦) د : فان يصلح الكلام كان .

٧) ب : كما وصف .

٨) د : حثث .

٩) ب . وتدوينه نقط .

١٠) د : المؤونة .

١١) سقط من د .

١٢) د : بدون نقط .

١٣) ب : سقط من : وان يبينوه .

١٤) سقط من ب .

١٥) لعل الصواب وإصلاح .

١٦) ب : سقطت الجملة من : وان كنت فيه غلطا .

١٧) سقط من ب .

١٨) د : كلف .

عنده من هذا[١] الأمر شيء: إلّا [٢] أن يأتيكم[٢] به ويذكر لكم[٣] ما[٤] عنده، قلّ ذلك أم[٥] كثر، وصادف منكم شغلًا أو فراغًا، لأن ذلك من عندكم أنفق والناس إليه أسرع والقلوب إليه أسكن[٦] وهو[٧] في العيون أعظم، لِمَا جعل الله عندكم من حسن[٨] الاختبار[٩] والعلم بمنافع العباد[١٠] ومصالح البلاد[١١]، إذ كنتم المَفزع والمَشنع والآية[١٢] والمَنزع[١٣]؛ ولولا ما قُلِّدتم من أمر الجماعة والقيام[١٤] بشأن الخاصة والعامة، وإن الشغل برعاية حقها والدفاع عنها لم يُبقِ في[١٥] قواكم فضلًا للدعاء والمنازعة ولوضع[١٦] الكتب بالجواب[١٧] والمسألة، لَبدا بكم الفرض[١٨] ولكنتم أحقّ بهذا الأمر، على أننا لم ننطق إلّا بألسنتكم ولم [١٩] نحتذِ إلّا[١٩] على مثالكم ولم نقوَ إلّا بما أعرتمونا من فضل قوّتكم؛ [٢٠] وحرام على العلماء من الفقهاء والمتكلّمين[٢٠] وعلى الرواة من [ب:وجه ١٣] الأدباء وعلى أهل اللَّسن من الخطباء تركُ[٢١] معاونتكم ومكانفتكم[٢٢] والجلوس بين أيديكم والاستماع منكم، وعليهم[٢٣] أن يُطيعوا أمركم وأن يُنفذوا لطاعتكم وأن يخلصوا[٢٤] في الدعاء وأن يمحضوا النصيحة[٢٥] وأن يُضمروا غاية المحبّة[٢٦] وأن يعملوا في نفي[٢٧] الغلّ والحسد وأن لا يرضوا من أنفسهم بالنفاق [٢٨] في أمركم[٢٨] وأن يعلموا أن الحسد لا يقع إلّا بين الأشكال وأن التنافس

١) سقط من د.
٢) ب: الا اتاكم.
٣) ب: وذكر لكم؛ د: ويذكركم.
٤) د: بما.
٥) د: اود.
٦) سقط من ب.
٧) د: ويكون في.
٨) سقط من ب.
٩) د: الاختيار.
١٠) ب: البلاد.
١١) ب: العباد.
١٢) ب و د: الاعة (؟).
١٣) سقط من ب.
١٤) ب: ومن امر القيام.
١٥) ب: من.
١٦) ب: ووضع.
١٧) ب: والجواب.
١٨) سقط من ب.
١٩) ب: نحذ الامور الا.
٢٠) د: سقط.
٢١) سقط من د.
٢٢) ب: ومكانفتكم وتصح ايضا.
٢٣) د: وعلى.
٢٤) د: بدون نقط.
٢٥) ب: في النصيحة.
٢٦) ب: وان يصبروا على المحنة.
٢٧) د: كفى.
٢٨) سقط من د.

لا يكون إلّا مع تقارب الحال ؛ وقد كان يقال : « لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا ، فإذا تقاربوا هلكوا »؛ وكان يقال : « ثلاثة توجب الضغن وتكثر من القلّ : المجاورة في المنزل والاستواء في النّسب والمشاكلة في الصناعة » ؛ ولذلك قال شبيب بن شَيْبة لرجل ادّعى محبّته ونصيحته : « وكيف لا تكون كما وصفتَ وكما ذكرتَ ولستَ بخطيب ولا جار قريب ولا ابن عمّ نسيب » وقال بعض الحكماء[1] : « لو لم تعرفوا من لؤم الحسد إلّا أنه موكّل بالأدنى فالأدنى[2] ولا[3] يقع ذلك[4] بين المتباينين °ولا يكون إلّا في المتقاربين[5]° ، ولا يكون الطلب[6] إلّا بالطمع ولا يكون الطمع [د : ظهر ١٠٩] إلا بالسبب : فإذا انقطع السبب انقطع الطمع ° وفي عدم الطمع [عدم] الطلب »[7] ؛ وكيف يتكلّف الطيران مَن ° لا جناح له[8] وكيف يرجو إصلاح[9] أمر العامّة[10] وترتيب الخاصّة[11] مَن قد عجز عن تدبير نفسه[12] وقصر عن تقويم[13] عبده ؟ وإنصاف اللسان قليل وإنصاف القلب أقلّ منه .

° ونحن نرغب إلى الله في صلاحهم، فإن في صلاحهم صلاحَ قلوبنا لهم[14]° ؛ [ب : ظهر ٤٣] وقد جعل الله الشكر موصولًا بالمزيد ، ومن الشكر على نعمة الله[15] علينا بكم أن نعظّم ما عظّم الله من أمركم ، ومَن صغّر ما عظّم الله فقد عظّم ما صغّر الله ، ولا يفعل ذلك إلّا الصغير القدر والخامل الذكر والجاهل[16] بالأمر .

وكيف لا تكونون على ما خبرتُ وكما وصفت وقد أغنيتم من العَيلة وأنستم من الوحشة وجمعتم الشمل[17] وأعدتم الألفة[18] ورددتم الظّلامة وأحييتم

١) ب : سقطت الجملة من : وقد كان يقال
٢) سقط من ب
٣) د : وليس
٤) ب : الحسد
٥) د : ولا يجوز في المعارضين
٦) ب : الظلم
٧) ب : أو من عدم الطلب
٨) ب : ليس له جناح
٩) د : صلاح ؛ سقط من ب
١٠) ب : الخاصة
١١) سقط من ب
١٢) د : بيته
١٣) د : تدبير
١٤) سقطت الجملة من ب
١٥) سقط من ب
١٦) ب : او الجاهل
١٧) ب : من الشمل
١٨) ب : من الالفة

السنة * وأمتم البدعة[1] وأبرزتم التوحيد بعد اكتنامه[2] وأظهرتموه بعد استخفائه واحتملتم عداوة الجميع دوننا[3] ووترتم الطاعنين[4] في نفوسنا[5]، ونحن لا نطالب بما كنتم قياماً ولا نذكر ما كنتم شهوداً ؛ ونحن مع قلّة علمنا لا نجد أبداً[6] عملنا[7] إلّا مقصّراً عن علمنا ، وأنتم مع اتّساع علومكم[8] ، أعمالكم فوق[9] علومكم ؛ * لأنّ كلّ من بذل مجهوده وخاطر بجميع نعمته وكانت الواحدة من نعمه كالجميع من نعم غيره مع خذلان الموافق ونكوص الموازر ثم لم تزده الشدائد إلّا شدّة والوحدة أنسة ، حقيقٌ بالتفضيل والتعظيم والإبانة له بالتقديم[10] .

ولعلّ قائلاً أن يقول : ولم[11] أدخله [ب:وجه ٤٤] في جملة صفات أبيه وجلّة مشيخته وأقربيه حيث خصّهم[12] بالتقديم وأبانهم بالتعظيم ، بل كيف يقدّم من صغرت[13] سنّه وقلّت تجربته، على من تقادمت[14] سنّه وكثرت تجربته[15]، وكيف تمكن الطاعة الكبيرة في الأيام القصيرة والشهور[16] اليسيرة *وهل يقول ذلك صاحب تحصيل ومقايسة والبعيد من الملق والمخادعة ؟ *[17] .

وما قلتُ ذلك – حفظك الله – ولا انتحلته إلّا وبرهاني[18] ظاهر[19] وشاهدي [د : وجه ١١٠] حاضر[20] ؛ وذلك * أن للشباب[21] سكرة[22]* وطماحاً وتراعاً وصولة[23] ، والعرم[24] داخل على[25] جميع الأعضاء. وآخذ بقسطه

١) سقط من د
٢) ب : اكتنامه
٣) سقط من د
٤) د : الطاعنين
٥) د : تقويتنا
٦) سقط من ب
٧) ب : علما
٨) د : قلوبكم
٩) د : وفي
١٠) سقطت الجملة من ب
١١) سقط من د
١٢) ب : خصهم . الله
١٣) ب : صغر
١٤) د : تقاربت
١٥) ب: سقط من : على من
١٦) ب : الشهوة
١٧) سقطت الجملة من ب
١٨) ب : وهو برهاني
١٩) د : حاضر
٢٠) د : شاهد
٢١) د: ان للشاب ؛ ب : ان الشباب
٢٢) ب : سكر
٢٣) ب: وطماح وصولة وقراع
٢٤) ب : والكبر
٢٥) ب : في

من جميع الأجزاء ؛ ألا ترى كيف يكل[١] ناظره وسامعه وذائقه وشامه وهاضمه[٢] وعامله ، وكيف تنتقص على مرور الأيام قوته ، وكذلك قلبه وكل ما بطن من أمره ؟ وعلى[٣] قدر ما ينقص[٤] من قوى جسمه وينقص[٥] من قوى شهوته ، تخف[٦] عليه مخالفة هواه ومحاربة[٧] نوازعه[٨] ؛ فمن[٩] حمل على نفسه في كمال[١٠] شبابه وأيام سكرته[١١] وفي سلطان حداثته[١٢] وكمال قوته[١٣] ، فطلقها[١٤] مرة وكبحها[١٥] مرة أخرى [ب: ظهر ٤٤] وعاني[١٦] تلك التكاليف وغلب تلك الريح (؟) ، كان أمرن[١٧] طاعة إذ كان أحمل للمشقة ؛ وعلى قدر المشقة تكون المثوبة وتعظم عند الله المنزلة وتقع له في قلوب الناس[١٨] المحبة؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لسعد بن أبي وقاص حين وجهه إلى العراق : « يا سعد بن وهيب ، إن الله إذا احب عبدًا حببه إلى خلقه ؛ وتكبر[١٩] منزلتك من الله بمنزلتك[٢٠] من الناس ، واعلم أن ما لك عند الله مثل ما لله عندك »[٢١] ؛ ونحن نعتبر حالك عند الله بالذي نجد لك[٢٢] في قلوب عباده ، وقد ملك الله بعض الناس أبدان بعض ولم يملك القلوب أحدًا غيره .

وأما قولهم إن الزرارة[٢٣] مقرونة بالحداثة والحنكة موصولة بطول التجربة، فإن الذهن الجديد والطبع الصحيح والإرادة الوافرة تنال في الأيام اليسيرة وتدرك في الدهور القصيرة ما لا تدركه[٢٤] العقول الممزوجة[٢٥] والطبائع[٢٦] المدخولة

١) ب : يمل
٢) د : وماشمه
٣) د : على
٤) د : نقص
٥) ب : ينقص
٦) ب : يجب
٧) ب : مجاذبة
٨) د : موادعه
٩) د : لمن
١٠) ب : ايام
١١) سقط من ب
١٢) د : حدثه ؛ ولعل الصواب : جدته
١٣) د : قويه
١٤) د : تكلفها او قطلقها
١٥) ب : ونكحها
١٦) د : وغابن
١٧) ب : أوزن
١٨) ب : العباد
١٩) د : وكبر
٢٠) د : بدون نقط
٢١) ب : سقطت الجملة من : ولذلك قال
٢٢) سقط من ب
٢٣) د : النزارة
٢٤) ب : تناله
٢٥) د : المخروجة
٢٦) د : ولا الطبائع

والإرادة الناقصة في الأيام الكثيرة والدهور الطويلة[١] ؛ وربّما صادف القابل[٢] مع ذكائه وكثرة قوابله[٣] وجودة اعتباره زمـانًا أكثر عجبًا وأكثر معتبرًا ، وإن كانت شهوده أقلّ وأيامه أقصر ، فينال مع قلّة الأيّام ما لا ينال سواه مع كثرتها ولا سيّما [د : ظهر ١١٠] إذا أُعين بحفظ وأُجدَ من نفسه بفضل بيان ؛ وليس مَن نظر في العلم على الرغبـة والشهوة له كمن نظر فيه على المكسبة به والقرب[٤] إليه ، لأنّ النفس لا تسمح بكلّ قواها إلّا مع النشاط والشهوة ، وهي في سوى ذلك لنفسها مستكرهة ولها مكابدة ، والسآمة إلى من كانت هذه صفته أقرب وله ألزم ؛ ولولا ذلك لما ولّى رسول الله -صلعم- معاذ بن جَبَل[٥] اليَمَن وحمل إليه قبض الصدقات ومحاسبة العمّال وقلّده الأحكام وتعليم[٦] الناس الإسلامَ وهو ابن ثماني[٧] عشرة سنة ، لا يدفع ذلك صاحبُ خبر ولا حامل أثر؛ وعلى مثل ذلك عقد لأُسامة بن زيد[٨] الإمرة وأبانه بالتقدمة على جلّة الأنصار وكبار المهاجرين وخيار السلف المتقدّمين ؛ وعلى مثل ذلك ولّى عَتّاب بن أُسيد[٩] مكّة وبها عظَماء قُرَيش وكبراء[١٠] العرب وذوو الأخطار من كل قبيلة وذوو الأسنان من كل جيل ، ومكّةُ فتح الفتوح وأمّ القرى وخاتمة الهجرة وقبلة العرب وموضع الحرم والموسم الأعظم والحجّ الأكبر والأصل والفخر ؛ وقد رأينا ما بلغ مَخْلَد بن يزيد[١١] في السؤدد والنجدة وقود الجيوش والهيبة وهو ابن خمس عشرة سنة ؛ وقد ذكر ذلك الكُمَيت بن زيد[١٢] فقال[١٣] :

---

١) انتهاء ب

٢) د : القايل

٣) د : قوابله

٤) د : بدون نقط

٥) معاذ بن جبل صحابي شهير توفي سنة ١٨؛ انظر المعارف لابن قتيبة ص١١١؛ والإصابة رقم ٨٠٣٧؛ والتهذيب للنووي ص ٥٥٩-٥٦١ الخ

٦) د : ويعلم

٧) د : ثمان

٨) أسامة بن زيد مولى النبي ؛ انظر Encyclopédie de l'Islam

٩) عتاب بن أسيد صحابي توفي سنة ١٣؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخلاء

١٠) د : ولبرا

١١) مخلد بن يزيد بن المهلب قائد للجيوش؛ انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٧٥ و ٢٥٥

١٢) الكميت بن زيد شاعر مات سنة ١٢٦؛ راجع *Encyclop. de l'Islam*

١٣) من الكامل ؛ فالبيتان في الاغاني ج ١٥ ص ١٢٨

١– قاد الجيوش لخمسَ عشرة حِجّةً ‏ ‏ ولِداتُه عن ذاك في أشغالِ
٢– قعدتْ بهم هِمّاتُه وسَما به ‏ ‏ هِمَمُ الملوك وسَورةُ الأبطالِ

فأمّا ابن بِيض[1] فقال[2] :

١– بلغتَ لعشرٍ مضتْ من بنيـ ‏ ‏ ـك ما يبلغ السيّدُ الأشيَبُ
٢– فهمُّك فيها جِسامُ الأمور ‏ ‏ وهمُّ لِداتِك أن يلعبوا

وعلى مثل ذلك قال الفرزدق[3] في يزيد بن المهلّب[4] :

١– ما زال مُذ عقدتْ يداه إزارَه ‏ ‏ ودَنا وكان بخمسةِ الأشبارِ
٢– وإذا الرجالُ رأوا يزيد رأيتَهم ‏ ‏ خُضُعَ الرقابِ نواكِسَ الأبصارِ

[د:وجه ١١١] وعلى هذا المجرى مدح الشاعرُ مَن مدح فقال[5]:

ما زلتَ في عقل الكبيرْ ‏ ‏ وأنت في سِنّ الصغيرْ

وقد رأيتم ما بلغ محمّد بن القاسم[6] من الفتوح العظام والأيّام الجِسام والقهر الأعداء وبلوغ المحبّة في الأولياء وهو ابن خمس عشرة سنة ؛ وقد ذكر ذلك زياد الأعجم[7] فقال[8] :

١– ما أن سمعتُ ولا رأيتُ بمثلِه ‏ ‏ كمحمّد بن القاسم بن محمّدِ
٢– قاد الجيوش لخمسَ عشرة حِجّةً ‏ ‏ ما قرب ذلك سُؤدَدًا من مولدِ

وقال الآخر[9] :

إذا المرء أعيتْه المُروّة ناشئاً ‏ ‏ فطلبها كهلاً[10] عليه عسيرُ

---

١) حمزة بن بِيض شاعر كوفي ؛ راجع الاغاني ج ١٥ ص ١٥–٢٦

٢) من المتقارب ؛ يمدح في البيتين مخلد ابن يزيد ؛ انظر الاغاني ج ١٥ ص ١٥

٣) من الكامل ؛ راجع الديوان (ط الصاوي ج ١ ص ٢٧٦ و٢٧٨) حيث جاء : فدنا فادرك خمسة الاشبار ؛ راجع ايضاً الخزانة للبغدادي (ج ١ ص ١٩٠ وما يليها)

٤) يزيد بن المهلب من القادة والولاة الامويين ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*

٥) من الرجز ولا نعلم من قائله

٦) محمد بن القاسم فاتح السِّند ، راجع *Encyclopédie de l'Islam*

٧) زياد الاعجم شاعر اموي ؛ انظر الآداب العربية لـ Nallino

٨) من الكامل

٩) من الطويل ولا نعلم من قائله

١٠) د : كهل

وقال الآخر[١] :

١– إذا ما ترعرع فينا الغلامُ فليس يقال له من هُوَهْ
٢– إذا لم يَسُدْ قبلَ شدِّ الازار فذلك فينا الذي لاهُوَهْ
٣– ولي صاحبٌ من بني الشَّيْصَبانِ[٢] فطورًا أقول وطورا هُوَهْ

وزعموا أن عمرو بن سعيد[٣] قال له معاوية ، وذلك قبل أن يبلغ ويحتلم : « إلى مَن أوصي بك أبوك ؟ »

قال : « إن أبي أوصى إليَّ ولم يوصِ[٤] بي ! » — قال : « فبِمَ أوصاك ؟ » — قال : « أوصاني ألّا يفقد إخوانُه منه إلّا وجهَه » .

ولو لم يُعرف ذلك إلّا بعبد الله بن العبّاس وحده[٥] كان دليلًا كافيًا[٦] وبرهانًا شافيًا ؛ فإن الأعجوبة فيه أربَتْ على كلِّ عَجَب وقطعت كلَّ سبب ، وقد رأيتم حاجة عمر[٧] إليه واستشارته إيّاه وتقديمه لعثمان[٨] –رضي الله عنهما– وتمييزه عليه ؛ ولو لم يكن للفضيلة من بين أقرانه مستحقًّا وبها [د: ظهر ١١١] مخصوصًا ما خصّه الرسول – صلعم – بالدعوة المستجابة ولمّا خصّه بعلم الكتاب والسنّة ، وهما أرفع العلم وأشرف الذكر ، ويدلّك على تقدمه للعناية وإيثاره للتعلّم والاستبانة قوله حين قيل له في حداثته وقبل البلوغ في سنّه : « ما الذي آتاك هذا العلمَ وهذا البيان والفهم ؟ » — قال : « قلبٌ عَقول ولسان سَؤول ! » .

وقد عرفتم تحاكم العرب في الجاهلية في النُّفورة وفي غير[٩] ذلك من المخابرة[١٠] والمشاورة إلى أبي جَهْل بن هشام[١١] في أيام حداثته وفتائه[١٢] ولذلك أدخلوه دار الندوة ودفع ذوي الاسنان والحنكة من بين جميع الشبّان ومن

---

١) من المتقارب ؛ والآخر هو حسان ابن ثابت ؛ انظر الديوان ص ٤٢٢ والحيوان ج ٦ ص ٢٣١ وثمار القلوب للثعالبي ص ٥٥ ؛ فالشيصبان شيطان الشاعر

٢) د : الشيصبان

٣) عمرو بن سعيد الاشدق قائد اموي قتله عبد الملك سنة ٧٠ ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*

٤) د : يوص

٥) د : وجده

٦) د : ذلك كافيًا

٧) اي عمر بن الخطاب

٨) اي عثمان بن عفان

٩) د : عر

١٠) د : المخابرة او المخايرة

١١) راجع *Encyclopédie de l'Islam*

١٢) د : وفتايه

بين جميع الفتيان ؛ ولذلك قال قُطبة بن سِنان[١] حكيم فَزَارةَ حين تنافر إليه عامر بن الطُّفَيل[٢] وعَلقمة بن عُلاثة[٣]: «عليكم بالجديد[٤] الذمن الحديث السِّنّ» يعني أبا جهل ؛ فهذا كله دليل واضح وبرهان بيّن .

ولعلّ قائلًا أن يقول : « إنما الفضل في خشونة المأكل وجُشوبة[٥] الملبس ، وليس ذلك لمن مدحتَ ولا هذه صِفةَ مَن وَصفتَ[٦] » ؛ وهذا بابٌ — أبقاك الله — قد يغلط فيه العاقل ما لم يكن بارعًا والفَطِنُ ما لم يكن ثاقبًا والأريب ما لم يكن كاملًا ؛ ولو كان الفضل والرئاسة والقدر والنباهة على قدر قَشَف الجلدة[٧] وبَذاذة الهيئة وكثرة الصوم وإيثار الوحشة والسياحة ، لكان عثمان ابن مظعون[٨] متقدمًا لأبي بكر الصدّيق — رضوان الله عليه — ولكان بلال ابن رَباح[٩] غامرًا لعثمان بن عفّان — رضي الله عنهما — ؛ وقد قال ابن شِهاب الزُّهري[١٠] : « ليس الناسك[١١] إلّا مَن غلب الحرام صبرُه والحلال شكرُه » .

فهذا[١٢] ما حضرَنا من القول وأمكننا من الاحتجاج ، وما أشكّ أن مَن خبر[١٣] أمرك بأكثرَ[١٤] من اختباري كان[١٥] عنده أكثر من علمي ، على[١٦] أنّ منظرك [د: وجه ١١٢] — أسعدك[١٧] الله — يُغني عن الخبر [ب: وجه ٤٥]

١) هذه القصة معروفة ؛ انظر مثلًا Caussin de Perceval, *Essai*

٢) عامر بن الطفيل شاعر جاهلي ؛ راجع *Encycl. de l'Islam*

٣) علقمة بن علاثة عداده في الصحابة ؛ راجع الاصابة رقم ٥٦٦٩ ؛ والاغاني ج ١٥ ص ٥٠–٥٦ ، والتهذيب للنووي ص ٤٣٢ الخ

٤) د : بالحديد

٥) د : وخشونة

٦) د : وصفتُ

٧) د : مشف للجلده

٨) عثمان بن مظعون صحابي مشهور بزهده ؛ راجع الاصابة رقم ٥٤٥٣ ؛ والتهذيب للنووي ص ٤١٤–٤١٥ الخ

٩) بلال بن رباح مؤذن النبي (وفي د : رياح) ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*

١٠) ابن شهاب الزهري محدث شهير مات سنة ١٢٤ ؛ راجع *Encyclopédie de l'Islam*

١١) د : الناس

١٢) استئناف ب

١٣) ب : خير

١٤) د : أكثر

١٥) ب : ان يكون

١٦) ب و د : وعلى

١٧) ب : ابقاك

والفراسة فيك تكفي مؤونة[1] التجربة لك .

وقد تقيلت[2] – بحمد الله – أخلاق شيخك * كما تقبلَ شيخكَ أخلاق أشياخه[3] واحتذيتَ[4] على مثاله كما احتذى[5] على مثال مَن كان[6] قبله ؛ ولو لم يتعقبوا[7] أمرك ويتصفحوا سيرتك في نفسك ثم في خاصتك وعامتك ، لكان في صدق الفراسة وظهور المخيلة[8] ما يقضي به المتفرس[9] ويستدل به المتجرب[10]، وظنُّ العاقل كيقين غيره ؛ قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: « * من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بعقله[11] » ؛ وقال أوس بن حجر[12] :

الألمعيّ الذي يظنّ بك الـ ظنّ كأنْ قد رأى وقد سمعا[13]

وقال وهو يمدح ابن كلدة[14] بصدق الحس وصواب الحدس وجودة الظن[15] :

أريبٌ أديب أخو مأزِق[16] نِقابٌ[17] يُحدِّث بالغائبِ

وقال آخر[18] يمدح بمثل ذلك عبد الملك بن مروان[19] :

١– رأيتُ أبا الوليد غَداة جمعٍ به شَيبٌ وما فَقَدَ الشبابا

٢– ولكنْ تحت ذاك الشيب حزمٌ إذا ما ظنّ أمرَضَ[20] أو أصابا

---

١) د : مرمد
٢) د : فضلت
٣) سقط من د
٤) ب : اخذت
٥) ب : اخذ
٦) سقط من ب
٧) د : سنوا
٨) د : المحبة
٩) د : التفرس
١٠) د : المجرب
١١) د : انك لن تنتفع بعقلك حتى تنتفع بظنه؛ راجع ديوان المعاني للعسكري (ج ١ ص ١٤٠) ؛ وقالت الحكماء : لا ينفع الرجل بعلمه حتى ينتفع بظنه
١٢) أوس بن حجر شاعر جاهلي ؛ انظر *Encyclopédie de l'Islam*؛ فالبيت – من المنسرح – موجود في الحيوان ج٣ ص٥٩ وفي ديوان المعاني ج١ ص١٤٠
١٣) انتهاء ب
١٤) الحارث بن كلدة طبيب العرب في آخر الجاهلية؛ انظر ترجمتنا لكتاب البخلاء
١٥) من المتقارب؛ فورد في الحيوان ج٣ ص٦٠ : مليح نجيح . . . يحدث الغائب
١٦) د : مارق
١٧) د : ساما
١٨) الآخر هو كثير عزة
١٩) من الوافر ؛ راجع الديوان ط. Pérès ج ٢ ص ٦٨
٢٠) د : اعرض ؛ وامرض= كاد يصيب

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾[١]، وقال: ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[٢] وفي ذكره البعضَ دليل على أن سائر ذلك صواب وطاعة .

وكان من أسباب رفعي إليك هذا الكتابَ – أبقاك الله – دون أبي عبدالله[٣] – أكرمه الله – أنكما قد تجريان في بعض الأمور مجرًى واحداً ، ولأنّك ، وإن كنتَ كثير الشغل ، فهو أقلّ فراغاً منك على كثرة شغلك وفرط عنايتك بنا استكفاك واسترعاك،وإن جعلتَ لي قسماً من وقت فراغك ونصيباً من ساعة نشاطك رجوت[٤] أن تصير إلى ما أملناه عندك مع الإنعام عليّ والاسترهان لشكري ؛ فإن العرب لم تعظّم شيئاً قطْ كتعظيمهم موقعَ الإنعام والشكر والأحدوثة الحسنة والذكر[د:ظهر١١٢]والتمييز والاستبداد للنِّعَم ، والكفر حائل بين الوِرد والبد.[٥] ؛ قال عنترة[٦] :

نُبِّئتُ بِشراً غيرَ شاكرِ نِعمتي والكُفرُ مَخبَثةٌ لِنفسِ المُنعِمِ

وقال السِّندي[٧] :

١– فلمْ أُجزَ بالحُسنَى وعادتْ مشاتِري بَلاقِعَ يقروها الحَمامُ المُقرْقِرُ
٢– تبدَّلتُ بالإحسانِ سُوءاً وربما تنكَّرَ المعروفَ مَن كان يَكفُرُ

ويدلّ على حبّهم للثناء وجميل الذكر قول الأسدي[٨] :

فإنّي أُحبُّ الخُلدَ لو أستطيعُهُ وكالخُلدِ عندي أنْ أموتَ ولم أُلَمْ

---

١) سورة ٣٤ آية ١٩
٢) سورة ٤٩ آية ١٢
٣) أحمد بن ابي دؤاد يكنى أبا عبدالله
٤) د : رحوت
٥) د : البدى
٦) من الكامل ؛ البيت من معلقته (عمرًا بدل « بشرًا ») ؛ راجع خزانة البغدادي ج ١ ص ٣٠٤ وما يليها
٧) لعله ابو عطاء السندي ؛ راجع الاغاني ج ١٥ ص ٨١ – ٨٧ ؛ البيت الثاني موجود في البخلاء (ط. الحاجري) ص ٧٨
٨) من الطويل ؛ انظر الحيوان ج ٣ ص ٤٧٥

وقال[1] :

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم   بإنعامنا إنّ الثناء هو الخُلْدُ

وقال الغَنَوي[2] :

فإذا بلغتم أهلكم فتحدّثوا   إنّ الحديث مَهالكٌ وخُلودُ

فجعلوا الذكر بالجميل مثل الخلود في النعم ، وعلى هـذا المعنى قال[3] في دَرَك الثناء[4] :

فَمَثْلاً بِمَقْتِلٍ وعَفْوًا بِعَفْوِكم   جزاء العِطاش لا يموت مِن أثْأرِ[5]

وقال حكيم الفُرس حين بلغه موت الاسكندر وهو قاتل دارا بن دارا : « ما ظننتُ ان قاتل دارا يموت » ؛ وهذا القول هو له أمدح منه لقاتله ، ولم أسمع للعَجَم كلمةً قطُّ أمدح منها ؛ فأمّا العرب فقد أصبتُ لهم من هذا الضرب كلاماً كثيراً .

وممّا يدلّ على عِظَم الشكر عند الشاكر والمشكور له من العرب قولُ أوس بن حَجَر في حليمة :

سنجزيك أو يجزيك عنّا [مديحُنا][6]   وحسبُك أن نُثني عليك وتحمدي

وقال بعض الشعراء[7] :

[د:وجه١١٣]فلم أجزه إلّا الشكر جاهدًا   وحسبُك منّي أن أقول فأحمدا

وكانوا يرون للذكر(؟)[8] ما لا يراه غيرهم ؛ قال امرؤ القيس بن حُجر[9] :

. . . . .   وجرحُ اللسان كجرح اليدِ

---

١) من الطويل ؛ فالبيت معزو الى الحادرة في الحيوان ج ٣ ص ٤٧٥

٢) من الكامل ؛ فالبيت موجود في الحيوان ج ٣ ص ٤٧٥ :

فاذا بلغتم ارضكم فتحدثوا   من الحديث متالف وخلود

اما الغنوي فهو طُفَيل الغنوي شاعر جاهلي ؛ راجع *Brockelmann*

٣) اي مهلهل ؛ راجع الحيوان ج ٣ ص ٤٧٦   ٤) من الطويل

٥) د : ورد البيت كما يأتي :

مهلا بمقتل وعفوا لعفوكم   جزر العطاس لا يموت

٦) زيادة تقتضيها اقامة الوزن   ٨) د : الذنب او الذئب

٧) من الطويل ولا نعلم من قائله   ٩) من المتقارب وصدر البيت :

ولو عن نثا غيره جاءني

وقال جرير[1] :

ولَلسيف أسوى وقعه من لساننا

في أشعار كثيرة .

ولست[2] أمتّ إليك – * أكرمك الله[3] – بعد التوحيد ونفي التشبيه ونُصرتي للدين بأمر أنا به أوثق من رغبتك في شكر الكرام والأحدوثة الحسنة ؛ قال الله – عزّ وجلّ – * لنبيّه – صلعم[4] – : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[5] ، وقال تعالى :﴿ وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[6] [ب :ظهر ٥٤] * وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾[7] ؛ فلو كان حبّ الذكر خطيئة لَمَا رغّبهم فيه * ولمَا عدّه[8] في نِعَمه .

ولعلّ قائلًا أن يقول: « وكيف لم[9] يذكر أميرَ المؤمنين * المعتصم برب[10] العالمين الذي * حقّن الله به الدين[11] وسدّ به الثغور[12] * وردّ به المظالم[13] وحسم[14] به عرق البغي ونواجم الفتنة ، الذي لم يزل الله[15] يزيده في كلّ طرفة محبّةً ومع كلّ محبّة هيبةً ومع كلّ نعمة شكرًا ومع كلّ شكر فضلًا ، وهو المبتدئ لهذا الأمر * والدّال عليه[16] والقائم به ، والقطب الذي عليه تدور الرحى وعلى مثاله احتذى * مَن احتذى[17] وبلسانه نطق وعن رأيه صدر وبيُمن نقيبته[18] ظهر وبفضل قوّته نهض[19] وهو أوّل هذا الأمر ووسطه وبه يتمّ أمره[20] إن شاء الله تعالى » ، قلنا إنّ عقل الرسول يدلّ على مُرسِله[21] واعتدال القناة

---

١) يظهر ان هذا عجز بيت من الطويل غير اننا لم نعثر عليه في ديوان جرير
٢) استئناف ب
٣) سقط من ب
٤) سقط من د
٥) سورة ٩٤ آية ٤
٦) سورة ٤٣ آية ٤٣
٧) سورة ٢١ آية ١٠ ، سقطت من د
٨) د : ولا عد
٩) ب : ولم
١٠) د : والمعتصم نور
١١) ب : حقن الله به الدماء
١٢) تزيد ب : وردمها
١٣) سقط من ب
١٤) د : وجسم
١٥) سقط من ب
١٦) سقط من د
١٧) سقط من ب
١٨) د : بمشه
١٩) ب : علق
٢٠) سقط من د
٢١) اشارة الى قول محول على علي بن ابي طالب : رسولك ترجمان عقلك ؛ انظر امثال الميداني ج ٢ ص ٤٢٣

يدل[١] على حذق[٢] المثقف[٣]، ومديحُنا[٤] [ب : وجه١٦] الوزيرَ[٥] راجع إلى من اختاره[٦] ومديحُنا له غير راجع إلى وزيره والمحتذي على مثاله[٧]؛ بل قد علم الناس أن الحظَّ الأكبر * والنصيب الأوفر[٨] للآمر دون المطيع وللمعلِّم[٩] دون القابل[١٠]، لأنّ[١١] المسبِّب في عدالة المقول[١٢] وعند[١٣] النظار والتحصيل أفضلُ من المسبَّب[١٤] والمتبوع خير من التابع؛ ألا ترى أن مَن مدح الأنصار فهو * للنبي — صلعم —[١٥] وللمهاجرين أمدح؟ * وإن لم يظهر ذكرهم في الوصف[١٦]؟ [د: ظهر ١١٣] قال جرير[١٧]:

[نبيهم قرشي والأنصار الصابرين (؟)]

وقال رؤبة[١٨]:

[ومن على المنبر .... والمنبر (؟)] .

وربّما كانت الكناية أبلغ في التعظيم وأدعى إلى التقديم من الإفصاح والشرح[١٩] ولربّما أبان[٢٠] السكوت[٢١] عمّا يعجز عنه القول وقد يبلغ[٢٢] [المرء] أقصى حاجته وغاية أمنيّته بالإيماء والإشارة حتى يكون تكلُّف القول فضلًا والكلام خطلًا؛ [ولربّما كان اللسان أنفذ من السنان وأقطع من السيف اليماني] —[٢٣].

---

١) ب : دليل
٢) ب : حد
٣) د : المثقف
٤) ب : ومدحنا؛ د : ومديحك
٥) ب : للوزير
٦) حذفنا [من د فقط] الكلمات الآتية : وان تصويب ظن المتفرس فيه؛ فهي في غير موضعها
٧) سقطت من ب الجملة من : وان تصويب الخ
٨) سقط من د
٩) ب : والملم
١٠) د : القابل
١١) د : ولان
١٢) سقط من د
١٣) ب : وجيد
١٤) ب : المكتب
١٥) سقط من ب
١٦) سقط من ب
١٧) كذا في د؛ وفي ب: نلكم قريش قريش والانصار الصابرين؛ ولم نعثر على البيت في مراجعنا
١٨) رؤبة بن العجاج راجز بصري؛ راجع *Nallino*؛ فلم نعثر على البيت فيما تيسر من شعر رؤبة
١٩) سقط من ب
٢٠) د : اتى من
٢١) ب : السكون
٢٢) د : بلغ
٢٣) لعل هذه الجملة زائدة

وما عسى أن أقول فيمن قد قوي عقله بطبيعته وانتصف عزمه من شهوته وكان عمله وفق علمه وعلمه غامراً لحصمه ؟ وقد يجرى الملك على عرق صالح ومنشإٍ سوء ، فيقدح ذلك في عرقه وإن لم يستأصله ، وقد يكون له عرق صالح ومنشأ صدق وتكون أداته تامة ويكون مُؤْثِراً لهواه ، فيكون في الاسم وفي ظاهر الحكم كمن فسد عرقه وخبث منشؤه[1] ؛ وقد جمع الله لأمير المؤمنين مع[2] كرم العرق[3] وصلاح المنشإ ، البعد[4] من إيثار الهوى ؛وما رأينا[5] أفعالاً[6] أشبه بأخلاق ولا أخلاقاً أشبه بأعراق من أفعاله بأخلاقه وأخلاقه بأعراقه[7] .

فنسأل الله الذي أسعدنا[8] [ب:ظهر٤٦] بخلافته أن يمنّ علينا بطول بقائه وأن يخصّنا بحسن نظره كما خصّنا بمعرفة حقه والاحتجاج لملكه والذبّ عن سلطانه[9] .

* أطال الله بقاءك وحفظك وأتمّ نعمته عليك وكرامته لك[10] .

تمت الرسالة

١) سقط من ب من : وقد يبلغ
٢) سقط من ب
٣) د : العروق
٤) ب : والبعد
٥) وهل رأيت
٦) ب : فعلا
٧) ب : وضعت هنا الجملة : وما عسى ان اقول ..... لحصمه
٨) د : اسندنا
٩) ب : وضعت هنا الجملة : وربما كانت الكناية... يعجز عنه القول
١٠) سقط من ب

ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود

للشيخ عبد الغني النابلسي

عُني بنشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

لقد سبق للشرق ان قدّم فصلاً من كتب النابلسي القيّمة[١] ، ذلك المؤلف المحبّ للبحث، الذي تطوّر من الصوفية الى رجل يُعنى بعلم ما وراء الطبيعة العويص كل الغوص وحاول جرياً على منطق محدود جدّ الحد ان يفتبر الفرضيّات الفلسفية واراد بواسطتها تفسير ايمانه . والآن ننشر له مخطوطة اخرى . وهذه افكاره الرئيسية :

ان الله هو الكل والمخلوق ليس شيئاً ووجوده امام الله لا يكون الّا العدم في الوجود وليس الّا فيما يستمر في اعطائه اياه ، فلذلك لا فائدة من الركون الى المخلوق المنتهي وانما المهم اعتبار مصدر الوجود وما سوى ذلك فلا اهمية له تُذكر .

هذه هي الافكار التي حاول المؤلف توسيعها . وكان في ذلك من المحافظين كل المحافظة[٢] .

والذي اهاب بنا الى نشر هذا النص هو وضوح الفكرة وقوة التعبير وهذا المنطق ، وكلّها جعلت من كتيبه الذي يدور حول موضوع من اهمّ موضوعات الفكر الاسلامي اثرًا ممتازًا .

ولقد وقعنا في مكتبة جامعة استانبول على ثلاث نسخ لهذا الكتاب قابلناها بعضها ببعض ووضعنا في اسفل الصفحات القراءات المختلفة التي تميّز الواحدة عن الاخرى . واليك اوصافها :

١ — النسخة ا — تحمل رقم ٥٥١٢ وغلافها من الجلد المصفّح بخط نسخي ثلث وفي كل صفحة من صفحاتها ١٧ سطرًا وفي السطر ١١ كلمة وهي بطول ٢٠ س وعرض ١٦٫٣ س ومدى المكتوب منها ١٢٫٨ × ٢٠٫٨ . والمخطوطة ما برحت محفوظة

١) راجع المشرق : ٦١:٦١ه٥٨

٢) راجع القرآن السورة ٢٨ الآية ٨٨ «كل شيء هالك الا وجهه» . وقد زاد المستشرق لويس ماسينيون ان الاسلام في نظرياته الدينية يميل في اثبات وجود الله الى ما يملك الكائنات لا الى ما يقوّمها . راجع Louis Massignon : *La Passion d'al-Ḥallāj*, I. p. 631, note 4.

سالمة وعليها بعض ملحوظات في الهوامش. اما ورقها فخشن وقد وضعها المؤلف سنة ١٠٩١ بيد ان النسخة فلا نعلم تاريخها. ومن ميزاتها ان فيها كثيراً من المسيات. والمخطوطة مرقمة الصفحات من ١ الى ٨. ونجد في هامش الصفحة الاولى هذه الابيات:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال مشيرُ
فيوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر ودهر الهوى يوما اذا لم يكن هجرُ
لان الهوى حلو وحلو الهوى مرٌّ وصاحبه عبد ومالكه حرٌّ

٢ — النسخة ب — رقم ٤١١٩ وغلافها من الورق ونصها ضمن اطار من الخطوط الحمراء وقد نالت الرطوبة قسماً من اطراف صفحاتها. اما خطها فنسخي عادي، بطول ٢٠٫٤ س وبعرض ١٥٫٣ ومدى الخطوط من صفحاتها ١١٫٦ × ٩٫٢ وفي كل صفحة ٢٥ سطراً ومعدل السطر ١٠ كلمات. وفي النص كلمات كتبت بالحبر الاحمر. وهذه المخطوطة مرقمة الصفحات من ١ الى ٦.

٣ — المخطوطة ت — تحمل رقم ٣٧٣٠ وغلافها من الورق المغطى قفاه بالقماش. وفي الصفحة الاولى قد نسخ ما كان في النسخة التي استخدمت لنقلها. وتشتمل هذه النسخة على ٤ ورقات متلاز خطها وفي كل صفحة من صفحاتها ٣٣ سطراً وفي السطر ١٥ كلمة بطول ٢٠٫٦ س وبعرض ١٤ س. والمدى ١٧٫٥ × ٩٫٦. وقد خطّ على الصفحة الاولى ما يلي: «في ظهر النسخة المنقول عنها قوله صلّى الله عليه وسلّم من عرف نفسه فقد عرف ربّه. قال حضرة سيدي الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي قدّس سرّه: عنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالنفس الوجود. انتهى من كتاب الاحدثية ومن المسامرات للشيخ الاكبر:

نبّه على السرّ ولا تفشّر فالبوح بالسر له مقت
على الذي تبديه فاصبر له واكتمه حتى يصلَ الوقت

وفي ظهرها ايضاً: ما احسن ما قاله بعض العارفين:

واذا حضرت لدي الرجال واشرقت في جوّ باطنك المعاني الشُّرَّدُ
فاحذر مناظرة الجهول فانما تتناضُ انت ويستفيد ويرُدُّ

وعنوان هذا الكتاب: كتاب ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود لمولانا العارف المحقق سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي امدنا الله بمدده امين.

وعلى قفا الصفحة الاولى كتب ما يلي: «هذه رسالة وحدة الوجود المسمّاة بايضاح المقصود للشيخ عبد الغني النابلسي».

٣

ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود

(١٧) بسم الله الرحمن الرحيم[١] الحمد لله الموصوف بوحدة الوجود وعلى حد ما تعرفه اهل المعاينة والشهود لا على المعنى الفاسد الذي عند اهل الالحاد والزندقة واهل الانكار والجحود[٢] . لان كل شي من جهة نفسه معدوم مفقود[٣] . وانما هو بوجود الله تعالى موجود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي فتح الله تعالى بانوار متابعته كل باب مسدود لمن حافظ على الاحكام الشرعية واقام الحدود وعلى[٤] اصحابه وتابعيه[٥] وانصاره واحزابه الموفين بالعهود وسلم تسليماً[٦] . اما بعد فيقول العبد الفقير الى مولاه القدير عبد الغني ابن اسماعيل ابن[٧] النابلسي اخذ الله تعالى بيده وامده بمدده هذه رسالة عملتها[٨] في تحقيق المعنى المراد عند اهل الله المحققين الامجاد باطلاقهم وحدة الوجود . وقولهم بانه لا شي معه[٩] تعالى موجود . وبيان صحة هذه المقالة . ونفي ما عداه من ضلالات[١٠] اهل الغواية والجهالة . والحكم على ما يخالف ذلك بالاستحالة وسميتها ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود . ومن الله تعالى استمد الاعانة على هذه الابانة . وهو حسبي ونعم الوكيل . والله يقول الحق ويهدي السبيل . اعلم ان هذه المسئلة هي[١١] مسئلة وحدة الوجود قد اكثر العلماء فيها الكلام قديماً وحديثاً وردّها[١٢] قوم قاصرون غافلون محجوبون وقبلها قوم آخرون عارفون محققون ومن ردّها انما[١٣] ردّها لعدم فهمه[١٤] معناها عند القايلين بها وتوهمه منها المعنى الفاسد فلا التفات لرده كاينا من كان لصده عن الحق وانما رده في ردّه في حقيقة الامر[١٥] واقع على ما فهمه من المعنى[١٦] الفاسد لا على هذه المسئلة فهو الذي صوّر الضلال وردّه . واما القايلون بها فانهم العلما المحققون والفضلاء العارفون اهل الكشف والبصيرة الموصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة كالشيخ

١) ب يزيد : والله بكل شي قدير
٢) ت : الجحود
٣) ا حذف مفقود
٤) ا يزيد آله
٥) ا يضع اتباعه
٦) ا حذف سلم تسليماً
٧) ا حذف ابن
٨) أ علمتها
٩) ا ت مع الله .
١٠) ا الضلالات
١١) ا وهي
١٢) ا ردّ
١٣) ا فانّما
١٤) ا فهم .
١٥) ا في الحقيقة
١٦) ا معنى

الاكبر محي الدين ابن العربي والشيخ شرف الدين ابن الفارض والعفيف التلمساني والشيخ عبد الحق بن سبعين[١٧] والشيخ عبد الكريم الجيلي وامثالهم قدس الله اسرارهم وضاعف انوارهم فانهم قايلون بوحدة الوجود هم واتباعهم الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى (2r) وليس قولهم بذلك مخالفاً[١٨] لما عليه ايمة اهل السنة والجماعة وحاشاهم من المخالفة وانما المنكر عليهم وعلى امثالهم انكر من قصور فهمه . وقلة معرفته باصطلاحهم وعدم علمه بان علومهم[١٩] مبنية على الكشف والعيان . وعلوم غيرهم[٢٠] مستعارة من الخواطر الفكرية والاذهان. وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح . وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح . ونهاية علومهم الوصول الى شهود حضرة الحيّ القيوم . ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظايف وجمع الحطام الذي لا يدوم . فلا طريق الا طريق السادة الايمة الهُداة القادة . ولا اعتقاد الا وحدة الوجود : على المعنى الصحيح[٢١] الموافق المشهود[٢٢] . والواجب[٢٣] على كل مكلف ان يبحث عنه ويتحقق به على الوجه[٢٤] التام . ويحتفظ[٢٥] عليه . ويترك ما عداه من اقوال علماء الكلام . لان القول الحق . والاعتقاد الصدق . والواجب ايضاً حمايته من طعن الطاعنين . وذم الجاهلين له المتكلمين فيه من غير معرفة به الضالين المضلّين واعلم انه ليس المراد بوحدة الوجود خلاف[٢٦] ما عليه ايمة الاسلام بل المراد بذلك ما اتفق عليه جميع الخاص والعام وما هو معلوم من الدين بالضرورة من غير انكار اصلا من مومن ولا كافر ولا يتصور فيه انكار عند العقلا من الانام بان[٢٧] جميع العوالم كلها على اختلاف اجناسها[٢٨] وانواعها واشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها محفوظ عليها الوجود في كل لحة بوجود الله تعالى لا بنفسها . واذا كانت كذلك فوجودها الذي هي موجودة به في كل لحة هو[٢٩] وجود الله تعالى لا وجود آخر غير وجود

١٧) ا حذف سبعين
١٨) ب مخالف
١٩) ا كلامهم
٢٠) ت وعلومهم غير مستفادة
٢١) ا حذف الصحيح
٢٢) ا ب للشهود
٢٣) ت فالواجب
٢٤) ت وجه
٢٥) ا يتحفظ
٢٦) ا خلافاً
٢٧) ت ان
٢٨) ت باجناسها
٢٩) ا وهو

الله تعالى فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الاصلي . واما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة (به وجود)[٣٠] واحد وهو وجود الله تعالى فقط وهي لا وجود لها من جهة نفسه اصلا . وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى عين ذواتها | وصورها بل المراد ما به ذواتها |[٣١] وصورها ثابتة في اعيانها وما ذلك الا وجود الله تعالى باجماع العقلا واما ذواتها وصورها من حيث (2v) هي في انفسها مع قطع النظر عن ايجاد الله تعالى لها بوجوده سبحانه فلا وجود لاعيانها اصلا . واما القايلون من علما الرسوم وعلما الكلام بان الوجود اثنان وجود قديم ووجود حادث فرادهم بالوجود الحادث . نفس اعيان الذوات والصور فقط ولهذا كان مذهب الاشعري | رحمه الله تعالى |[٣٢] بان وجود كل شيء عين ذات ذلك الشي لا زايد عليه كما تقرر في موضعه[٣٣] واما الوجود الذي به تلك الذوات والصور موجودة فلا شك بانه وجود الله تعالى عند جميع العقلاء بلا خلاف وكلام المحققين من اهل الله تعالى عن هذا الوجود لا عن الوجود الذي هو عين ذات الموجود فالخلاف في رد القول بوحدة الوجود وقبوله مبني على تعيين المعنى المراد بالوجود | فمن فسره بعين ذات الموجود يرد القول بوحدة الوجود لاثباته وجودًا حادثًا هو عين ذات الموجود الحادث ومع ذلك رده للقول بوحدة الوجود[٣٤] محض خطا[٣٥] لان هذا الوجود الحادث | الذي يزعم انه وجود ثان[٣٧] غير وجود الله تعالى قايم عنده ايضاً[٣٨] بوجود الله تعالى فرجع الوجود كله الى وجود الله تعالى عنده ايضاً ومن فسر الوجود بما صار به الموجود الحادث موجودًا | فانه يقبل القول بوحدة الوجود ويعتقده[٣٩] حقا وهو الصواب الذي ترجع[٤٠] اليه الاقوال[٤١] جميعها لان وجود الله تعالى هو الذي به كل موجود موجود[٤٢] باجماع العقلا فالخلاف في ذلك لفظي راجع الى تفسير

٣٠) ا ت بوجوده تعالى فوجود الله تعالى ووجودها (ت يزيد هنا التي) هي موجودة به وجود واحد وهو وجود الله تعالى فقط وهي لا وجود لها .

٣١) ا حذف ٣٥) ت خطاء ٣٩) ب ويعتقد

٣٢) ت حذف ٣٦) ا يرد القول بوحدة الوجود لاثباته وجودًا حادثًا . ٤٠) ا ت يرجع

٣٣) ت مواضيعه ٣٧) ب ت ثاني ٤١) ا الافعال

٣٤) حذف ٣٨) ت حذف ٤٢) ا موجودًا

المراد من لفظ الوجود وكلام المحققين من اهل الله تعالى في مسئلة الوجود من اعلى عليين وكلام غيرهم فيها من اسفل سافلين[٦٣] وكون المراد بالوجود ما به كل موجود موجود في القديم والحادث اقرب الى التحقيق فانه لا غنا للموجود الممكن عن الموجود القديم اصلا فوجوده هو وجوده وذات الموجود الممكن وصورته غير الموجود القديم فهما اثنان والوجود الذي هما موجودان به وجود واحد هو للقديم[٦٤] بالذات وللحادث[٦٥] بالغير فالقديم موجود وبوجود هو عين ذاته والحادث موجود وبوجود هو عين ذات القديم وليس الحادث هو عين ذات القديم (3r) | ولا القديم هو عين أ ذات الحادث بل كل واحد منهما مباين للآخر في ذاته وصفاته وان اجتمعا في الظهور بالوجود الواحد وثبوت العين به فان الوجود الواحد للقديم[٦٦] بذاته وللحادث[٦٧] بالقديم لا بذاته فالوجود الواحد في القديم وجود مطلق على وجه لا اعظم منه وفي الحادث وجود مقيد على وجه يليق بالحادث ادنى من الوجه الاول دنوا صادرًا من جهة الحادث[٦٨] لا من جهة القديم وتقريب ذلك برؤية النجم الذي في السما صغيرا عند اهل الارض مع عدم تغيّره[٦٩] من الكبر الذي هو فيه فالكبير اذا ظهر بضده وهو الصغر من البعد لا يلزم ان يكون قد تغيّر عما هو عليه وكذلك وجود الله تعالى المطلق اذا ظهر على الحوادث المفروضة المقدرة وجودًا مقيدًا لا يلزم ان يكون قد تغيّر عما هو عليه من اطلاقه فانه وجود مطلق لا ينقسم ولا يتغيّر وكيف المعدوم يغير الموجود[٥٠] الحق وانما التغيّر والتبديل واقع في الذوات الحادثة وصورها فالله تعالى يغيّرها كيف شاء وينقلها من عدمها الاصلي الى وجودها الطارى الذي هو وجوده سبحانه فتتصف بوجوده[٥١] سبحانه على حد ما يناسبها كما كانت متصفة به في الوجود العلمي من غير ان ينقسم وجوده سبحانه ولا يتغير بسبب هذا الاتصاف المذكور كما ان الما الصافي اذا فرضناه وقدرنا انا وضعنا فيه زاجا فانه يصير اسود اللون من غير ان يتغير هو في نفسه ولا زال عنه صفاؤه وكذلك اذا فرضنا وقدرنا ان فيه زنجفرا فانه يصير احمر اللون

---

٦٣) أ السافلين
٦٤) أ القدم
٦٥) أ الحادث
٦٦) أ القدم
٦٧) أ الحادث
٦٨) ب ت الملاف
٦٩) أ تغيره
٥٠) أ الوجود
٥١) ب بوجود

وهكذا جميع الالوان والما لا يتغير اصلا في نفسه ولا يزول صفاؤه عنه وهما شيئان ما وزاج او ما وزنجفر لا شيء واحد ولكنه ما محقق وزاج او زنجفر مفروض مقدورهما موجود ان يوجود واحد وهو وجود الما فقط وليس الزاج المفروض المقدر او الزنجفر موجودا بوجود[52] اخر غير وجود | الما بل لا وجود له اصلا مع وجود الما |[53] والوجود للما وحده ولكن استعير للزاج المفروض المقدر او الزنجفر وجود الماء لكونه مفروضا مقدرا فيه وليس ذاك مخرجاً للما | عن وحدته الحقيقية بسبب |[54] (37) كونه[55] مفروضاً مقدرا فيه[56] ولا حل في الما شي ولا اتحد الما مع ذلك الزاج المفروض المقدر ولا الزاج مع الما وانما هما حقيقتان ما حقيقي موجود بنفسه وزاج او[57] زنجفر مفروض مقدر لا وجود له بنفسه بل يوجود[58] المـا الفارض[59] المقدر له فيه واذا كان الوجود واحدا مشتركا بحسب الظاهر بين الموجود المحقق وهو الما وبين المفروض المقدر وهو الزاج او الزنجفر فـلا يمتنع ان لا يكون مشتركا اصلا في حقيقة الامر كما ان اللفظ الواحـد اذا كان مشتركا في الاستعمال بين معناه الحقيقي الموضوع له ومعناه المجازي الغير موضوع[60] له لا يمتنع ان لا يكون مشتركا اصلا في الوضع بل الوجود[61] هو وجود الما المحقق وحده والزاج او الزنجفر المفروض المقدر له وجود آخر مفروض مقـدر مثله هو عين ذاته ونفس صورته مثل ما قال الاشعري | رحمه الله تعالى |[62] او[63] زايد على ذاته وصورته كما قال | الفخر الرازي |[64] مما[65] هو مذكور في موضعه من علم الكلام في مبحث الوجود فان القايلين بوحدة الوجود مرادهم بالوجود الوجود[66] الذي به[67] صار الموجود موجوداً لا الوجود الذي هو مفروض مقدر الممكن من جنسه فافهم هذا المثال ولله المثل الاعلى في السموات والارض

٥٢) ا نسيها

٥٣) ب ت موجود . وهنا ا حذف ما بين الهلالين .

٥٤) ا اسقطها .

٥٥) ا لكونه

٥٦) ا يزيد هنا : عن وحدة الحقيقة بسبب كونه مفروضا مقدارا فيه

٥٧) ا وَ

٥٨) ا وجود

٥٩) ا المفارض

٦٠) ا الموضوع

٦١) ا الموجود

٦٢) ت حذفها

٦٣) ا ت و

٦٤) ا فخر الراضي

٦٥) ا كما

٦٦) ا حذفها

٦٧) ا وضعها بعد الموجود

وبيان ذلك المثال بان الوجود الحق عين ذات الحق[٦٨] تعالى وهو وجود واحد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزى ولا ينتقل ولا يتغير ولا يتبدل اصلا وهو مطلق من الكيفيات والكميات والاماكن والازمان والجهات ولا يتصور فيه الحلول في شي اذ ليس معه شي.[٦٩] غيره ولا يتحد مع شي. اذ لا شي معه وانما جميع الاشيا به موجودة وبوجوده الذي هو عين ذاتــه ثابتة[٧٠] مشهودة وجميع الاشيا. بالنظر الى ذواتها مفروضة مقدرة مثل الزاج او الزنجفر في مثالنـا المذكور وان اثبتنا لها وجودًا آخر غير وجوده تعالى مثل ما يقول به علما الرسوم وعلما الكلام سوا. كان ذلك الوجود عين ذاتها او زايد على ذاتها فان ذلك الوجود مفروض مقدر ايضاً مثلها فينتقل الكلام الى ما به ذلك الوجود المفروض المقدر موجودًا[٧١] ايضاً وهو وجود الله تعالى بلا شك ولا ريب ويضطر الكل الى القول بوحدة الوجود على[٧٢] (٤٢) ما ذكرناه فيقــال لعلما الرسوم وعلما الكلام كيفما قلتم في وجود ما سوى الله تعالى من العوالم نقول لكم كل ذلك كاين[٧٣] (قايم) بوجود الله تعالى وهو مفروض مقدر في نفسه لانه مخلوق فهو بالنظر الى ذاته عدم صرف وانما وجوده بوجود الله تعــالى فالوجود لله تعالى وحده وان وجد به ما سواه كما نقول لمن قال لنا يلزم على قولكم الجبر في افعال المكلفين ونفي الاختيــار عنهم كيف تقولون انتم في افعال المكلفين فنحن نقول مثلكم ومعلوم انكم تقولون ان العبد له جزء اختياري وبذلك صار له مدخل في افعاله فنقول لكم نحن كلامنا عن جملة ذلك فان الله تعالى خالق الكل والخلق الفرض والتقدير فنرجع الى مسئلتنا وحدة الوجود والمفروض المقدر كيفما فرضناه وقدرناه محتاج الى الوجود ولا وجود الا وجود الله تعالى فهو موجود بوجود الله تعالى مع انه عدم صرف في نفسه وهــذا الوجود المفروض المقدر للاشيا. اما عين ذواتها او زايد عليها الذي تقول[٧٤] به علما الرسوم وعلما الكلام ويجعلونه وجودًا ثانياً لوجود الله تعــالى ويردون به على القايلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين لا يضر العارفين القول به ايضاً

٦٨) ت الله .
٦٩) ا يزيد من
٧٠) ا حذفها
٧١) ا مفروضاً ب موجود
٧٢) ا حذفها
٧٣) ب يزيد حسب
٧٤) ا يقول

بل هم قايلون به[75] اتاه المضاهات بين العالم والمعلوم والصانع والمصنوع على التنزيه التام ولا يمتنع عليهم اثباته كما اثبتوا للمعلوم والمصنوع نظير[76] ما للعالم والصانع من الصفات والاسما ولا يطعن ذلك في صدق قولهم بوحدة الوجود فان كلام العارفين[77] المحققين عمّا به كل الموجودات موجودات الذي لولاه لما كان في الوجود موجود اصلًا لا معقول[78] ولا محسوس[79] الذي جميع الموجودات في نفسها مع قطع النظر عن وجوده القيوم عليها لا وجود لها اصلًا اذ ليس في قوة المخلوق ان يخلق نفسه وهو وجود الله تعالى الحق وحده لا شريك له ولا يتصور فيه سبحانه ان يَحُلَّ فيا فرضه وقدره من جميع المخلوقات ولا بعضها اصلا لان المفروض المقدر في نفسه عدم صرف وكيف الوجود[80] يحل في العدم وكذلك لا يتصور ان يتحد معه اصلا لان الحقيقتين متباينتان (٤٧) تباينا كلياً بحيث لا مشابهة بينهما اصلا فحقيقة الحق وجود صرف مطلق حتى عن الاطلاق لانه قيد وحقيقة المفروض المقدر عدم صرف مقيد واما وجود المفروض المقدر ان قلنا به كما قالت[81] به علما الرسوم وعلما الكلام فهو مفروض مقدر ايضاً فحقيقته عدم صرف ايضا لو عقل القايلون بذلك والامر كله راجع على كل حال الى وجود الله تعالى عند الجميع فوجود الله تعالى هو وجود الوجود والوجود كله بلا وجوده تعالى عدم صرف فلا وجود الا وجوده تعالى فكلهم قايلون بوحدة الوجود طوعاً او كرهاً واما قلنا بان جميع المخلوقات مفروضة مقدرة لان الخلق معناه الفرض والتقدير كما قال الله[82] تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديراً وان كان معناه الايجاد الذي ينتج الوجود فهو الوجود المفروض المقدّر فيرجع الى انه وجود مفروض مقدر وعلى كل حال لا مساواة[83] بين وجود الله تعالى ووجود جميع المخلوقات الذي هو بوجوده تعالى لا بنفسه وكون وجود المخلوقات كلها يوجد الله تعالى ووجود الله تعالى هو الوجود الذي به وجود المخلوقات كلها | كما ذكرنا | [84] | لا ينافي ان وجود المخلوقات كلها | [85] بقدره الله

٧٥) ا يزيد بوجود الحق
٧٦) ا نظيراً .
٧٧) ا العافرين
٧٨) ا معقولًا
٧٩) ا محسوساً
٨٠) ا حذفها
٨١) ا قالوا
٨٢) ا ب حذفا الله
٨٣) ا مساوات
٨٤) ا يزيد بقوة الله تعالى
٨٥) ا يزيد بوجود الله تعالى
ووجود الله تعالى هو الوجود الذي به وجود المخلوقات كلها بقدرة الله تعالى وارادته .

تعالى وارادته وعلمه وحياته وبقية صفاته لان كلمة وحدة الوجود اختصار في الكلام عند العارفين واجمال فيه وتفصيلها ما عند علما[٨٦] الرسوم وعلما الكلام من بيان صفات الله تعالى أ وشرح اسمائه سبحانه فان صفاته تعالى أ [٨٧] لما كانت عندهم ليست أ عين الذات ولا غيرها ولم يقل احد من اهل السنة بمغايرتها لذاته تعالى حتى المغايرة الموجبة للترتيب اطلق عليها وجود الله تعالى فكان القول بان وجود الله تعالى به وجود كل شيء على معنى خلق وجود كل شيء وفرضه وتقديره قولا باثبات الصفات لله تعالى على حد ما يقول علما[٨٨] الرسوم وعلما الكلام بلا خلاف والحاصل ان جميع علما الظاهر لا حق معهم في الطعن على القايلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين القايلين بذلك على وجه الحق والصواب كما ذكرنا واما القايلون بوحدة الوجود من الجهلة الغافلين[٨٩] (٣ق) والزنادقة الملحدين الزاعمين بان وجودهم المفروض المقدر هو بعينه وجود الله تعالى وذواتهم المفروضة المقدرة هي بعينها [ذات الله تعالى وصفاتهم المفروضة المقدرة هي بعينها] [٩٠] صفات الله تعالى الذين يحتالون بذلك على اسقاط الاحكام الشرعية عنهم وابطال الملة المحمدية وازالة التكليف عن نفوسهم فالطعن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هذا المعنى الفاسد طعن صحيح وعلما الظاهر مثابون بذلك كمال الثواب من الملك الوهاب والعارفون المحققون معهم في هذا الطعن من غير خلاف وقد اشار اليهم الشيخ عبدالكريم الجيلي قدس الله سره في كتابه شرح الخلوة في اوايله من الوصايا حيث قال يا اخي رحمك[٩١] الله قد سافرت الى اقصى البلاد وعاشرت اصناف العباد فما رات عيني ولا سمعت اذني اشر ولا اقبح ولا ابعد عن جناب الله تعالى من طائفة تدعى انها من كُمّل[٩٢] الصوفية وتنسب نفسها الى الكُمّل[٩٣] وتظهر بصورتهم ومع هذا لا تومن بالله ورسوله[٩٤] ولا باليوم الآخر ولا تتقيد بالتكاليف الشرعية وتقرر احوال الرسل وما جاوا به بوجه لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف من وصل الى مراتب اهل الكشف والعيان ورأينا منهم جماعة كثيرة

٨٦) أ العلماء
٨٧) أ حذفها
٨٨) أ العلما
٨٩) أ للقايلين
٩٠) أ حذفها
٩١) ت سلمك
٩٢) ب كمال
٩٣) أ ب الكمال
٩٤) أ ب ورسله

من اكابرهم في بلاد اذربيجان وشيروان[٩٥] وجيلان وخراسان لعن الله جميعهم فانه الله[٩٦] يا اخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطايفة لقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة وان لم يتيسر لك ذلك فاجتهد[٩٧] ان لا تراهم ولا تجاورهم فكيف ان تعاشرهم[٩٨] وتخالطهم وان لم تفعل فما نصحت نفسك والله الهادي انتهى . وكلامه[٩٩] هذا عن القايلين بوحدة الوجود على حسب ما ذكرناه من المعنى[١٠٠] الفاسد ولكن علماء الظاهر اذا ترقوا من الطعن في هؤلاء الرعاع السفلة المارقين من الدين مروق السهم من الرمية الى الطعن في تلك السادة الايمة العارفين المحققين بظنهم انهم يقولون بوحدة الوجود مثل قولهم كان ذلك امرا شنيعاً في الدين لا يرضى به مَن يومن بالله واليوم الآخر (٥٧) فان السادة الايمة العارفين من كتبهم ومصنفاتهم مشحونة باثبات الوجود الحادث المفروض المقدر صريحا واشارة والحكم بانه غير الوجود القديم وان كانوا قايلين بوحدة الوجود غير انهم تارة يغلب عليهم شهود الوجود الحق[١٠١] الذي به كل شيء موجود فينفون ما عداه ويقولون عما سواه انه خيال وانه سراب وانه هالك فانٍ[١٠٢] مضمحل زايل لا وجود له اصلا وهم صادقون[١٠٣] في ذلك كله لان كل ما سوى الحق تعالى انما وجوده مفروض مقدر بالاجماع لانه مخلوق والوجود المفروض المقدر عدم صرف في نفسه وانما الوجود المحقق وجود الحق تعالى وحده الخالق اي الفارض المقدر لكل شيء او الموجد بطريق الفرض والتقدير لكل شيء . ولا يقال لو كان كل شي من هذه المخلوقات مفروضا مقدرا لما كان كما نشاهده محسوسا ومعقولا ثابتا موجودا محققا لانا نقول فرضُ الله تعالى وتقديره لوجودات الاشيا في اعيانها ليس كفرضنا[١٠٤] | وتقديرنا نحن للشي | [١٠٥] المعدوم وقد جعل الله تعالى ما نفرضه ونقدره انزل رتبة منا ليكون ذلك فينا مثالا لما يفرضه الله

٩٥) ا ب شروان
٩٦) ا فالله
٩٧) ا ب اجهد
٩٨) ت تعاشرهم
٩٩) ت كلامه (دون الواو)
١٠٠) ا معنى
١٠١) ا ب زادا الحقيقي
١٠٢) ا وانه
١٠٣) ا وهم لما صار قولهم في ذلك كله
١٠٤) ا ت يزيدان نحن
١٠٥) ا والتقدير للشي المعدوم

تعالى ويقدره من وجودات الاشياء المعدومة وانها اتزل منه تعالى في الوجود ولا يجوز الطعن على احد من العارفين وان جهل الجاهل قولهم فان الجهل للشريعة والدين الحق في مذهب ذلك الجاهل ليس بعذر بل الواجب عليه التعلّم عنده فاذا حكمنا على الجاهل بما[١٠٦] يرى في مذهبه حكمنا بكفره حيث انكر ما هو الحق على اهل الحق[١٠٧] وان لم يعلم بمعنى ما انكره واقلّ شيء الاثم والمعصية في ذلك لما قال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ومن الواجب على المومن ان يحمل اخاه المومن على الكمال حسبما[١٠٨] امكن ولا[١٠٩] سيما في حق اهل المعارف والحقائق والعلوم الالهية فانهم اوليا الله تعالى ومعاداة[١١٠] اوليا الله تعالى معاداة[١١١] الله تعالى ومعاداة[١١١] الله تعالى كفر لا محالة كما قال الله تعالى من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين والجاهل (١١٢) الذي لا يعرف علوم الاذواق وانما علمه الذي هو غير عامل به[١١٢] مأخوذ من الكتب والاوراق لا مندوحة عن الانكار وهو تحسين الظن باهل الله تعالى والاعتراف بانهم اعلم منه بالله[١١٣] وانه جاهل بكلامهم فلا ضرورة له في الانكار عليهم مع علمه بكفر من انكر الحق اجماعا ولو اردنا ان نستدل على ثبوت وحدة الوجود بالمعنى الصحيح الذي ذكرناه لطال الكلام في ذلك بايراد الايات القرآنية والاحاديث النبوية وكلام العلما[١١٤] السادة المحققين من اهل الظاهر والباطن ولكن قصدنا الاختصار وفيما ذكرنا كفاية وقد وقفت للمتأخرين من العلما على رسايل كثيرة في بيان وحدة الوجود والاستدلال على صحة القول بها واطالة الكلام بتحقيق هذا المرام وانا ارجو ان من تحقق بما حررناه في هذه العجالة من فتوح الوَقت[١١٥] ان يفهم المقصود من عبارات علما الظاهر وعلما الباطن في هذه المسئلة فانها اصل عظيم من اصول التحقيق في مواجيد الصالحين واشارات اهل الكمال من اصحاب اليقين فانها

١٠٦) ا ب بما
١٠٧) ا الله
١٠٨) ا حيثما
١٠٩) ت لا (دون الواو)
١١٠) ا معادات
١١١) ا معادات
١١٢) ا ب زادا ايضاً
١١٣) ا يزيد تعالى
١١٤) ا يضعها بعد السادة
١١٥) ت الوقت

هي التوحيد الشرعي الذي بُنيت عليه جميع اعمال المخلصين وما عدا ذلك فالشرك الخفي الذي هو مبنى اعمال الناقلين ولهذا نقل العارف المحقق الشيخ احمد القشاشي[١١٦] المدني رحمه الله تعالى في رسالته في وحدة الوجود عن ابن كمال باشا رحمه الله تعالى ومن خطه نقل[١١٧] كما صرّح بذلك انه يجب على ولي الامر ان يحمل الناس على القول بوحدة الوجود انتهى . وتقريره[١١٨] ان يحمل الناس على القول بالتوحيد الخالي من الشرك الخفي الذي اشار اليه الشيخ العارف ارسلان رضي الله[١١٩] عنه في اول رسالته بقوله كلك شرك خفي ولا يبين لك توحيدك الا اذا خرجت عنك وقد استوفينا الكلام على الشرك الخفي في شرحنا على رسالة الشيخ ارسلان بحسب الامكان والله[١٢٠] المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين مع التابعين وتابعي التابعين[١٢١] باحسان الى يوم الدين تمت[١٢٢] قال | المؤلف اطال الله بقاه |[١٢٣] كان تصنيفنا[١٢٤] لهذه الرسالة المباركة ان شاء الله تعالى في[١٢٥] (٦٧) مجلسَيْن قليلين من ليلة الجمعة ويوم الجمعة الثاني عشر من شعبان سنة احدى وتسعين والف بالخير والحمد لله وحده[١٢٦] | على كل حال مدا الايام والليال[١٢٧] ❊ [١٢٨]

١١٦) ا ب القشاشي

١١٧) ت نقله

١١٨) ا ب تقديره

١١٩) ا يزيد تعالى

١٢٠) ا ت بالله . ا يزيد تعالى

١٢١) ا يزيد لهم .

١٢٢) ا ب حذفاها

١٢٣) ت يضع : قال مصنفها رضي الله تعالى عنه و ا يزيد وارضاه

١٢٤) ت تصنيفها

١٢٥) ا حذفها

١٢٦) ب حذفها

١٢٧) ا حذفها

١٢٨) هنا ا يزيد : اللهم اغفر لكاتبها ولوالديه ولمن كُتِب له ولجميع امة محمد صلى الله عليه وسلم برحمتك يا ارحم الراحمين . – ويزيد :

انهم رموزي ولا تنقف برموزي حق بادي في السر والاعلان . وبعد ذلك : المراد بالاتحاد في لسان القوم فناء مراد العبد في مراد الحق فلا يصير للعبد مراد مع الحق ابدًا الا بحكم التبعية .

ويزيد ت في آخر الرسالة : صلى الله على من لا نبي بعده . تمت صح صح صح في ١٦ سنة ١١٩٢ . وقد كان كتب قبلا : تمت بعون الله تعالى في ١٧ ص سنة ١١٩٢

وهاكم القصيدة التي زادها ا في الصفحة الثامنة :

يا لائمي لو بذلتُ الروح مجتهدا وجملة المال والدنيا وما فيها
وجنةُ الخلدِ والفردوس واجمعها بساعة الوصل كان القلب يشريها
لا تسلكنَّ طريقاً انت تعرفها بلا دليل فتهوى في مهاويها
ظننت ان الهوى سهل طريقته او المحبة اسماء نسميها
الروح اول موجودٍ تجودُ بها والنفس ايسر شيء فيه نفنيها
وما عليك اذا ماتت بغصتها من الغرام فان الوصل يحييها

للشيخ المغربي قدس الله سره :

لقد كنا حروف عاليات تنزلنا في سطور سافلات
ظهرنا بعد ما كنا خفيًا وصرنا الآن كل الكائنات
وما الاكوان الا نحن حقاً فانا كائنات ممكنات
اذا صرنا العوالم والمراتب وذا ثم اسماء الصفات
تحجبنا بنا عنا لدينا وقفنا بعده في المشكلات
نسينا عهد ايام الوصال ولم نذكر عهود السابقات
رسول جاء منا بعد ذلك علينا مبنيٌ بالمعجزات
وقال لنا منا الينا سمعنا فاستجبنا للنجاة
رجعنا كلنا منا الينا وصرنا وارتقينا عن جهات
عبرنا عن نفوس زاكيات وعن رتب الذوات القابلات
وصلنا واتصلنا واتحدنا بذات العين صرنا عين ذات
وفي التفصيل لم يوجد سوانا ولم يوجد كذا في المجملات
وجدنا المغربي شمساً وبدرا واجرام النجوم الثابتات — تمت —

الرسالة المشفية للامراض المشكلة

في المراقيا

رسالة طبيَّة خطيَّة

تأليف

أحد العلماء المتبحّرين وأمجد الفضلاء المدققين

أوحد زمانهِ وجالينوس عصرهِ وأوانهِ

الحكيم فيضي مصطفى افندي

عُنيَ بنشرها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

تصدير

لا يخفى عن الأذهان ، أنَّ الانسان ولِعٌ بالحياة ، حريص على التذرّع بالوسائط والوسائل التي تضمن له العمر المديد ، فتراهُ يقظاً الى العلل والعوامل الهدَّامة التي من شأنها السطو على العافية خشية انتزاعها منه وسوقها اليه جيوش الامراض الفتَّاكة ، فيعدُّ العدة لمقاتلتها ومجابهتها ، اتقاء لاخطارها واهوالها ، ويهرع الى الطبيب يستصرخه لاعانته ومساعفته بخبرته وادويته في دفع اضرارها ، لئلا يستفحل امرها ويستطير شرها وتباغته بويلاتها على حين غرَّة وتصرعه شر صرعة ، لذلك يستأمنه مستسلماً اليه ، ومتوكلاً عليه ، باذلاً له ما وسعه من جَنى يديه ، وهو يحسب نفسه انه اصبح بمنجاة منها لتحصُّنه في أمنع المعاقل ، فلا تصيب منه سهام الآفات المقاتل .

وحبُّ البقاء نزعة او غريزة في المرء يفرغ في الحفاظ عليه كنانة جهده .

ولو استطاع الاستئثار بالحياة لبذل كل غالٍ ورخيص في هذا السبيل وأضحى بأمن من عوادي الزمن وطوارئ المحن ، ما خلا فئة من المتزهدين والمتنسكين قد كلفت بجمال الخالق ، فصدفت عن جمال الحياة ومحاسنها ، وازدرت جسام الامراض والافات ، ورغبت في الانعتاق من سجنها، توصلًا الى نيل بغية قلبها.

ومهما قطع المرء من اشواط العمر، لا يزال عالق القلب بأسباب الحياة شغفاً بحبها ، متمسكاً بأذيال الطبيب ، لئلا تقطع عليه المنون لذة الاستمتاع بمباهجها ومفاتنها التي لا تشبع نهمه، وهي سنة الله في خلقه من قبل ومن بعد.

ومن البديهي ان الامراض والآفات تتأثر خطى المرء من المهد الى اللحد، وكثيرًا ما تروعه بدلائلها واعراضها التي هي مقدمة لنتيجة مفاجأتها له بخيلها ورجالها ، فتشتد عليه الكرب وتساوره الغصص ويقيمه الذعر ويقعده ، وليس له من رجاء بالتغلب عليها الا بواسطة الطبيب ، لذلك راح الموسرون ينشدون وينقبون عن مهرة الاطباء للياذ بكنفهم لوقايتهم من ضربات هذا العدو المردية.

وللامراض في كل حين وحال ، قصفٌ وعزيف ، ورعد ودوي ، وللاطباء في كل زمن، كرّ وفرّ ، واقدام واحجام، وفشل وامل، وانتصار وانكسار، لا يجنمون للآفات ، ولا يستكينون للملمات ، ولا يملون من البحث والاستقراء احرازًا للظفر عليها . ومن الاطباء من تألقت شهرتهم وتحدث الناس بخبرتهم فزحفت اليهم مئات المرضى من جميع الاصقاع ، على اختلاف النحل والمذاهب يستعيذون بهم حالما تنتابهم الآلام وتنزل بساحتهم الاسقام .

وقد يبرع واحد في فنّ من فنون الطب يقصر عنه فيه الآخر ، ويكون هذا البارع مختصاً منفردًا بمداواة هذا المرض دون سواه ، لاكبابه على دراسته وطول تمرنه على طرق معالجته ، ويتردد ذكر براعته ومهارته على السن الذين الذين نالوا الشفاء بطبه، فتطير شهرته ويتألب حوله اصحاب الآفات والامراض يرقبون البسمة على وجهه وكلمة الطمأنينة من فمه .

=

ومن العلل التي تفشت وانتشرت انتشارًا واسعاً ، علّة « المراقيا » وكان من قرائنها عددٌ ليس بقليل ، وقد حار بأمرها الاطباء ووقفوا بإزاء معضلاتها

مكتوفي الايدي ، مما اهاب بأحد اطباء القرن التاسع عشر في القسطنطينية ، الحكيم البارع ، اللوذعي اللامع ، « احد العلماء المتبحرين ، وامجد الفضلاء المدققين ، اوحد زمانه ، وجالينوس عصره واوانه[1] » ، الحكيم فيضي مصطفى افندي ، الى التعمق في درس هذه العلة واختبار العلاجات الناجعة فيها ، وما يتطلبه سقيمها من توقية وتغذية ، مما حمله على ان يضع رسالة في علة المراقيا كافية شافية وجامعة مانعة . وقد فحص ومحص اراء اطباء الشرق والغرب في مداراة هذه العلة ، فكشف الرغوة عن الصريح ، وحل عقدها وفكّ شكالاتها وبسط اسبابها وأعراضها مبيّناً العلاجات الملائمة لها . وهو نفسه قد ابتلي بها ، على ما ذكرهُ في مطاوي رسالته هذه ، فأتت معلوماته فيها مبنية على اسّ الحقيقة والاختبار ، وما يُنبئك مثل خبير . وقد سمّى رسالته : « الرسالة المشفية للامراض المشكلة » . وفي هذا العنوان دليل واضح على ان المراقيا من العلل المستعصية الشفاء ، الجديرة بالتبصُّر والتفكير والاهتمام والاستقصاء .

وقد رجع اليوم اطباء الفرنج الى التفتيش عن كتب الطب العربية الخطيّة وابتياعها والعكوف على درسها والتنقيب فيها ، واللجوء اليها في مشاكل الامراض وصعابها . وربّ وصفة بسيطة في هذه الكتب ، أتت بفائدة عظيمة كما صدق بالامتحان ، وفيه يكرم المرء أو يهان .

قد رأينا نسخة من « الرسالة المشفية للامراض المشكلة » عند حضرة الوجيه الاديب فيليب الخوري بطرس يزبك (حدث ، بيروت) نقلها عن كتاب طبي خطي منسوخ في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٥٠ هجرية (سنة ١٨٣٤ مسيحية) غير مثبت فيه اسم كاتبه ولا اسم مؤلف هذه الرسالة . طالعناها فوجدناها مختصرة جداً .

وقيّض الله لنا العثور عليها كاملة ، في كتاب طبّ خطيّ يسمّى « كتاب الاقتضاب »[2] عند حضرة صديقنا الفاضل العالم ، الخوري ميخائيل عقل البكي

١) كذا نعته اترابه وعلماء عصره

٢) منه نسختان خطيتان ، في مكتبة دير الشير العامرة ، للرهبان الحلبيين الملكيين ، في مكين – سوق الغرب

في بغدات ، فاذا بمؤلف هذه الرسالة يثبت اسمه في مستهل مقدمتها ، فانتسخناها عن هذا الكتاب بحرفها الواحد، وصححنا اغلاطها النحوية ولم نتعرض لعبارتها.

اما كتاب « الاقتضاب » فهو لابي نصر سعيد بن ابي الخير المسيحي ، وهو مختصر الفصول ، موضوع على طريقة السؤال والجواب . يقع في ١٢٤ صفحة ، مكتوب بالخط العربي ، على ورق عبادي ، وبالحبر الاسود ، قد امتدت يد عمداً فمحت اسم ناسخه على قفا اول صفحة منه ، وتكرمت فأبقت تاريخ انجاز نسخه ، في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٣٩ . طوله ١٥ سنتيمتراً ونصف ، بعرض ١٠ سنتيمترات ونصف . مجلد بجلد اسود منقوش ، وقد عُلّقت بعض وصفات طبية في اوله ، في ثماني صفحات ، ومثلها في اخره في ثلاث صفحات ، سيأتي ذكرها .

ولا بأس من ايراد كلمة ايضاح عن هذا الكتاب ومشتملاته .

جاء في اوله بعد ذكر فهرس مواده :

بسم الله الحي السرمدي القديم النهاية

« نبتدي بعون الله تعالى وحسن توفيقه ، بنسخ كتاب الاقتضاب ، المجموع على طريقة المسئلة والجواب، تصنيف السيد الاجلّ ، الشيخ الرئيس الاوحد العالم ، الفيلسوف الكامل، الاركدياقي الفاضل ، اوحد زمانه ، وفريد عصره واوانه ، ابي النصر ، سعيد ابن ابي الخير المسيحي ، ابن عيسى المتطبب . رحمه الله تعالى امين . »

واليك فهرس فصوله :

في حدّ الطب واجزائه . في الامور الطبيعيّة . في الاركان . في المزاج واصنافه . في الاخلاط وعددها . في صفة الدم ومايته . في طبع البلغم واصنافه . في طبع المُرّة الصفراء واصنافها . في قوة المُرّة السوداء واصنافها . في الاعضاء واقسامها . في اصناف الاعضاء نظرًا الى قواها. في الاعضاء الرئيسة. في الاعضاء المرؤوسة بخدمته. في الاعضاء المرؤوسة بلا خدمة . في الاعضاء التي لا رئيسة ولا مرؤوسة. في اصناف الاعضاء نظرًا الى جواهرها. في الاعضاء المفردة . في الاعضاء المركّبة . في جملة عظام البدن . في الغضاريف . في الاعصاب وعددها ومنبتهـا . في الرباطات . في الاوتار . في الاغشية . في فعل العضل وعددها . في الاوردة. في الشرايين ومنبتها . في صفة الدماغ . في صفة العين واجزائها. في صفة الاذن . في صفة الانف . في الفم واللسان . في ما يعنى بالحلق . في قصبة الرئة والحنجرة. في الاعضاء المعدودة من الحلق. في الصدر والرئة. في القلب . في آلة الغذاء. في المري والمعدة . في الامعاء . في الكبد . في المرارة . في الطحال. في الكليتين . في

المثانة . في آلات التناسل . في الانثيين . في القضيب . في الرحم . في الثدي . في اجناس القوى الطبيعية . في القوى الحيوانية . في القوى النفسانية . في الاصناف . في الروح واصنافها . في احوال البدن وكل واحد منها . في اجناس الامراض . في امراض سوء المزاج المتشابهة الاجزاء . في اجناس امراض التركيب . في امراض الخلقة . في امراض المقدار . في امراض العدد . في امراض الوضع . في امراض الاتصال . في اوقات الامراض والوقوف عليها . في اجناس الاسباب . في احساس النظر . في منفعة الهواء . في فصول السنة . في تغيير الهواء بسبب الكواكب ... الخ الخ

وفي آخر كتاب الانتخاب هذا ، تفسير اسماء بعض ادوية واعشاب ، بالعربية كثيرًا ما يرد ذكرها في كتب الطبّ الخطية ، ثمّ تأتي « الرسالة المشفية للامراض المشكلة في المراقيا » وهي في ٣٤ صفحة .

ولمّا تصفحناها رأيناها ذات فوائد جزيلة ومنافع عميمة ، لم يسبق مؤلفها احد من اطباء العرب والعجم الى الاستقصاء والاستقراء والتدقيق في حسر النقاب عن هذه العلة بمثل هذا التوسع والتبسط ، فبرزت رسالة فريدة في بابها ، جديرة باعتبار طلّابها ، احببنا ان نزفها الى قراء مجلة « المشرق » الاعزاء ، آملين ان يمعن النظر في مضامينها اطباؤنا الالبّاء ، لانها تلقي نورًا ساطعًا على آفاق رحبة ، في اسباب علة المراقيا وكيفية تدبير مداواتها . وليس لنا من غرض من وراء نشرها سوى مجد الله الاعظم وتقريب فوائدها من الافهام والسلام .

جبيل – لبنان – دير سيدة المعونات
في ٢٧ شباط سنة ١٩٥٢

الاب انطونيوس شبلي
اللبناني

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

أما بعد فيقول احد العلماء المتبحرين واحد الفضلاء المدققين (اوحد) زمانه وجالينوس عصره وأوانه ، فيضي مصطفى افندي ، ان الباعث لتأليف هذه الرسالة الصحيحة النصاب ، والنسخة الحكمية الانتساب ، هو ان علة المراقيا غير السوداوية والمراقيا السوداوية قد كثر وقوعها في الناس الصغار والكبار. وغالب الناس ابتلت بها وقد غفلت اطباء العرب والعجم الفرق والتمييز ما بين هذين المرضين في كتبها ، اي المراقيا غير السوداوية والمراقيا السوداوية ولم يذكروا اسبابها وعلاماتها واعراضها وعلاجاتها كما ينبغي. ولكونهم ذكروا ما ذكروه في باب هذه العلة متفرقاً فيعسر الوقوف عليه من مؤلفاتهم في حين الاحتياج اليه . فباشرت انا الفقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، تأليف هذه الرسالة بعد الوقوف على ما وُجد عندي من تأليفات المتقدمين ورسائلهم ونسخ تأليفات اطباء اللاتينيين الفضلاء الذين كتبوا في هذا الفن ، بعد ما سبق لي من المطالعة والمذاكرة مع فضلائهم ومباشرتنا علاج هذين المرضين المذكورين بالتجربات الصحيحة والتدابير الصائبة وبحسب القدرة والامكان جمعت هذه الرسالة وألفتها وسميتها « الرسالة المشفية للامراض المشكلة » ورتبتها على تسعة فصول:

الفصل الاول : في بيان تسمية هذه العلة بالمراقيا وكيفية حدوث مادتها

الفصل الثاني : في بيان الاسباب التي تتولد منها علة المراقيا

الفصل الثالث : في بيان علامات الاعضاء المألوفة في علة المراقيا

الفصل الرابع : في بيان اسباب علة المراقيا

الفصل الخامس : في بيان علامات علة المراقيا

الفصل السادس : في بيان تقدمة المعرفة في علة المراقيا

الفصل السابع : في بيان تدبير مرض المراقيا اجمالاً

الفصل الثامن : في بيان علاج المراقيا السوداوية على وجه التفصيل

الفصل التاسع : في بيان تسكين اعراض المراقيا

﴿ الفصل الاول ﴾

في بيان سبب تسمية هذه العلة بالمراقيا

وهو انه في بطن الانسان اللحوم الغددية تحت الحجاب الذي يقال له مراق من الاعضاء الباطنة حيث يعتريها سوء المزاج الحادّ فتأوف ، ولاجل ذلك سمّوها مراقيا تسمية للحال باسم المحل . والاعضاء الكائنة تحت الحجاب هي اربعة :

الاول : عروق الماساريقا .

الثاني : الكبد .

الثالث : الطحال .

الرابع : اللحوم الغددية التي هي في عروق الماساريقا .

لأن في هذه الاعضاء يوجد ريح كثير ، فلاجل ذلك يسمّونها : العلة الريحية ايضاً . إلا ان الحكماء المتقدمين من علماء العرب واطباء اليونان لم يفرّقوا بين علة المراقيا السوداوية من غير السوداوية ، انما يقولون العلة المراقيا ، مراقيا سوداوية. غير ان حكماء اللاتينيّين المتأخرين فرّقوا بينهما وميّزوهما والذين ابتلوا بعلة المراقيا يكون اكثرهم لم تُبَنْ فيهم علائم السوداء ، اثبتوا ذلك من هذا الوجه ، انما قالوا : بان علة المراقيا السوداوية قريبة للمراقيا .

الحاصل : ان اطباء اللاتينيين المتأخرين إدّعوا بان علة المراقيا في مرور الايام تتبدل بالمراقيا السوداوية واثبتوا ذلك من ثلاثة وجوه :

الاول : ان الاخلاط المجتمعة في الاعضاء الباطنة تحترق من افراط حرارة الكبد فتستحيل الى السوداء .

الثاني : انه يعرض للطحال ضعف فلا يمكن جذب عكر الدم عن العروق والكبد وتمييزه عنها فيبقى ذلك العكر في الاعضاء الباطنة فيحترق فتحصل السوداء .

الثالث : ان القوة الدافعة التي في الطحال تضعف فاذا جُذبت فلا تقدر على الدفع فيجتمع العكر فيصير ذلك سبباً لحصول السوداء . فقالوا على هذا المنوال المشروح : ان علة المراقيا تنتقل الى علة المراقيا السوداوية . وعلامات السوداء تظهر واضحة بالتدريج .

﴿ الفصل الثاني ﴾

في بيان الاسباب التي تتولد منها علة المراقيا

اعلم ان بدن الانسان اذا كان دائمًا في التحلّل فمن لازمه ان يغتذي ليخلف بدلًا عما يتحلّل . فاذا كان الامر اذًا على هذه الكيفية لم يوجد غذاء ما لم يكن له فضلة ، لكنّ الاغذية اذا ما ناسبتها بعضها ببعض فتجد ان بعضها فضلة كثيرة وبعضها قليلة ، ومن ثمّ ما قد تهضمه الطبيعة فتقبل منه ما كان صالحًا للغذاء ، وما كان فضلة ترده وتدفعه الى الخارج . مثلًا : ان الهضم الاول يكون في المعدة فالذي يكون صالحًا من الاطعمة للغذاء يكون كيلوسه[1] جزئيا ، والذي لم يكن صالحًا فيصير فضلة ويسري الى الامعاء ، ولكن كيلوسه ينفصل عن الفضلات وبعد تنظيفه فان الطبيعة توصل ذاك الكيلوس في عروق الماساريقا الى الكبد اولًا حيث يكون في عروق الماساريقا فيقع فيه الهضم قليلًا ، اذ ان الكيلوس عندما ينفذ الى الكبد يستعد لان يصير دمًا .

والكيلوس عندما يكون في عروق الماساريقا فالطحال يجذب اليه من ذلك الكيلوس ما كان غليظًا فيطبخه فيحصل منه دم غليظ . وذاك الدم الغليظ يصير غذاء للاعضاء الكائنة في جوار الطحال . ولكن هذا الدم الغليظ ما كان من الفضلات الغليظة جدًا تميزه الطبيعة وتدفعه في الطرق المناسبة لدفعه .

اما الكيلوس الرقيق الذي يبقى في عروق الماساريقا فيجذبه الكبد اليه ويطبخه وفيه يحصل الدم وسائر الاخلاط التي تصلح للاعضاء . والطبيعة منه تقسم غذاء جميع الاعضاء ، وفي هذا الطبخ الفضلات الحاصلة في الكبد بعضها يذهب الى المرارة وبعضها الى الكلى .

وحاصل الكلام ما ذكرناه حسب قول المتأخرين ، لان المتقدمين قالوا : ان الهضم الاول في المعدة والهضم الثاني في الكبد . وذهبوا الى ان الطحال يجذب اليه الدم الغليظ من الكبد ، ولكن المتأخرين بعد اثباتهم الهضم القليل من عروق الماساريقا ، ذهبوا الى ان الطحال يجذب

---

[1] الكيلوس : هو الخلط ، أو الحالة التي يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه . معرَّب خيموس باليونانية .

الكيلوس الغليظ . غير ان المتقدمين والمتأخرين اتفقوا على ان الطحال كان لاجل تنظيف غلظ الدم وعكره ، ولاجل ارسال الغذاء الى الاعضاء التي من شأنها ان تتغذى بمثل هذا الدم السوداوي الذي يجذبه من الكبد . انما على ما ذكرناه ان كانت الاعضاء الباطنة هضمها على ما ينبغي وكل منها يدفع فضلته كما ينبغي ، يكون حينئذ البدن على صحته . واما ان كانت لا تقدر على دفع هذه الفضلة لضعف القوة الهاضمة او الدافعة فيصير سبباً لامراض مختلفة.

قال قيريلوس الحكيم في المقالة السابعة من كتابه الذي « في العلل والامراض » هكذا : ان كان قصورٌ في القوة الهاضمة وضعف في الدافعة ، فان الطبيعة لا تقدر على دفع الفضلات كما ينبغي. ومن ذلك يتولد ثمانية امراض : الاول الهيضة . الثاني الماليخوليا . الثالث علل المراقيا . الرابع المراقيا السوداوية . الخامس الاسهال . السادس اسهال الدم . السابع سوء القنية . الثامن الذبول . فان كانت الفضلات المجتمعة في الاعضاء الباطنة متعفنة فتكون سبباً لحصول الحميات النائبة . انتهى.

اما سيرطوس فقال هكذا : ان من اجتماع هذه الفضلات في الاعضاء تحصل الامراض المذكورة آنفاً ، ولكن احياناً اذا غلبت الطبيعة فيعرض القيء والاسهال للعليل فيحصل الخلاص كما شاهدناه دفعات متعددة .

وجالينوس الحكيم ، قال في المقالة السابعة من كتابه المعروف « بالاعضاء الآلمة» هكذا: ان سبب تسمية هذه العلة بالمراقيا هو من هذا الوجه حيث اوضح بان الاعضاء الباطنة اذا اعتراها سوء المزاج الحار بسبب حرارتها احياناً يكون الطعام قليل الهضم فيجذبه الكبد من المعدة اليه ، ولكون الكبد مفرط الحرارة فيحصل من ذلك الغذاء دم غليظ ومحترق ، وبسبب غلظ هذا الدم واحتراقه تحصل السدة في الكبد والمجاري . فاذا كان الامر هكذا ، اي لان السدة تضيّق المجاري فالكيلوس لا يعود ينفذ من المعدة ، ويبقى زماناً فيها فيفسد ويصير سبباً لظهور علة المراقيا . واحياناً لطول مكث الكيلوس الفاسد في المعدة ، والمعدة حينئذ ضعيفة ، يُنشي فيها رياحاً كثيرة فيعرض وجع المعدة . فان كانت الطبيعة تغلب فيندفع الوجع بالقيء وباللين .

وقال جالينوس ايضاً : ان فم المعدة الاسفل متصل في الامعاء وهو في

ذلك الحين يلتهب فلا يسري الغذاء من ذلك الطرف الى الماساريقا كما ينبغي فيبقى في المعدة . ولزيادة مكثه فيها يتفسد ولكون المعدة تضعف ايضاً فيحصل ريح ويصير سبباً لظهور علة المراقيا . انتهى .

نتيجة الكلام : ان الاعضاء التي تجتمع فيها الاخلاط الفاسدة في هذه العلة هي ثمانية : الاول نفس المعدة . الثاني فم المعدة الاسفل . الثالث نفس الكبد. الرابع البوّاب وهي العروق الكبيرة التي في الكبد . الخامس الأعضاء القريبة من الكبد . السادس نفس الطحال وعروقهُ . السابع عروق الماساريقا . الثامن اللحوم الغددية التي هي في عروق الماساريقا . وعلى التحقيق ان خلقة اللحوم الغددية هي مثل الاسفنج فانها تشرب الأخلاط الفاسدة ويكبر حجمها . فعلى هذه الحالة تُسدُّ مجاري الماساريقا بالضغط وتورث السدَّة وتصير سبباً لظهور المرض المذكور . فان كانت الأخلاط الفاسدة تجتمع في اللحوم الغددية لا يُحسُّ بها في اللمس واذا لم يُحسَّ بها في اللمس لا يقتضي من ذلك انها لم تكن علّة المراقيا .

٥

إعلم ان الأخلاط الفاسدة المجتمعة في هذه الأعضاء قد تصعد منها أبخرة رديئة تارةً الى المعدة ، وتارةً الى القلب ، وتارةً اليهما معاً ، وتارةً الى الدماغ . فان كانت تصعد الى المعدة فتمتدُّ ويحصل منها جشأ وتورث اللذع والوجع . ولكون المعدة لها مشاركة مع الدماغ ايضاً وبصعودها الى القلب ، يعرض للقلب وجعٌ وانقباض . وان كانت تصعد الى الشريان الكبير الذي في القلب فتورث الخفقان وعسر التنفس ووجع الصدر . وان كان يعرض للمريض عَرَقٌ باردٌ فتسكن الأعراض الشديدة قليلاً ويستريح نوعاً ما ، لأنَّ الأبخرة الصاعدة الى القلب تتحلَّل بالعرَق .

الفصل الثالث

في بيان علامات الاعضاء المألوفة اي المألومة في علة المراقيا

ان كانت الآفة في نفس الطحال فتظهر في الطحال صلابة ونفخة ، وسحنة المريض تكون الى الكمودة. واذا كانت في الكبد فتظهر العلامات المذكورة

في موضع الذي فيه الكبد . وأما اذا كانت في المعدة والطحال معاً فيعرض تحت المعدة نفخ وتمدُّد ووجع بعد تناول الطعام في ستّ او سبع ساعات تمضي . وأمّا ان كانت في الكبد والطحال فلا يحسّ بشيء أصلاً . وان كانت الآفة في نفس المعدة في وقت الهضم يُعلم ذلك من الاعراض الظاهرة . وأما ان كانت في الرحم من احتباس الطمث وقلّته وعسره ، وان قبل مجيء النوبة بيوم او يومين ، فيحصل وجع الظهر والاربية وقراقر في الجوف ونحو ذلك .

وأما ان كانت في اختلاط سوء مزاج المعدة والكبد ، لكون في الكبد سوء مزاج حارّ ، فتصعد أبخرة حارّة من الكبد فتحمرّ منها وجنتا العليل احياناً وتحمرّ منها كفّاه وأسفل قدميه أيضاً وبولهُ يكون أحمر ، ويكون المريض مائلاً الى شرب الماء .

وان كانت العلّة حاصلة من برودة المعدة فيعلم ذلك من ضعف هاضمة المعدة ومن الجشاء الحامض الحاصل من البلغم الذي في المعدة .

﴿ الفصل الرابع ﴾

في بيان أسباب علّة المراقيا وهي سبعة

السبب الاوّل : من حيث ان في الكبد سوء مزاج حارّ فهو يجذب اليه الطعام من المعدة قبل الهضم وتنجذب اليه الحرارة الغريزيّة من المعدة ايضاً فتضعف القوّة الهاضمة التي فيها فتصير سبباً لتولّد بلغم غليظ لزج وريح . وذاك البلغم الغليظ الحاصل في المعدة ، عندما ينفذ البعض منه الى الكيلوس في عروق الماساريقا يسدّ المجاري بسبب لزوجته وغلظه . وفي نفوذه من عروق الماساريقا الى الكبد ، لكون الكيلوس لزجاً وغليظاً ، تضيق مجاري الكبد ايضاً . وعندما تضيق المجاري يقلّ ترويح الكبد فيصير سبباً لزيادة سوء المزاج البارد ويستدلّ على ذلك من الغذاء .

السبب الثاني : يعرض من تناول الأطعمة المضرّة خصوصاً الأغذية البطيئة الهضم والمولّدة البلغم الغليظ والصفراء والسوداء ، مثل البقول المضرّة كالباذنجان واللخنة . ومن الحبوب العدس . ومن اللحوم البقر والماعز والارنب والأيل . ومن الطيور لحم طيور الماء على الاطلاق . والقديد مثل السجق والبصطرمة

والبيض المقلي الشديد الاستواء . والاطعمة المصنوعة من العجين خصوصاً اذا كانت بالحلاو ، لكونها من العجين تولد بلغماً غليظـاً ، وبسبب حلاوتها تولد الصفراء .

والحاصل ان جميع الاطعمة السكّرية والعسلية مضرّة لعلة المراقيا .

السبب الثالث : الانفعالات النفسانيّة خصوصاً المقاربة مثل الهمّ والغم والخوف والرعب والغضب ،لأنَّ هذه الحالات مع كونها تحلل الارواح فتُضعف الحرارة الغريزية والقوّة الهاضمة .

السبب الرابع : ترك الحركة ، فان الذي يُكثر من الدعة (الراحة)ولا يمارس الحركة تجتمع في بَدَنه رطوبات فضليّة واخلاط .

السبب الخامس : الحركات العنيفة ، فان كانت الحركة معتدلة فانهـا تحلل الفضول . وان كانت مفرطة بعدما تحلّل الفضول فـانها تفني الاخلاط والرطوبات الاصليّة التي تصلح للغذاء فيحصل من ذلك سوء مزاج حارّ في الكبد وسائر الاعضاء . وان كانت بافراط فانها تُفني الرطوبة الاصلية وتصير سبباً لاطفاء الحرارة الغريزية .

السبب السادس : احتباس الأخلاط اللازم استفراغها مثلاً : من كان معتاداً ان يخرج منه دم البواسير فاذا حبس دمه فيصير سبباً لتجمّع الاخلاط الفاسدة والسوداويّة ، لأن الدم الذي يخرج من عروق البواسير فانه دم محترق فاسد ، ولكونه لم يصلح للغذاء ، فان الطبيعة تدفعـه خارجاً لاجل تنقية الاعضاء الباطنة حتى ان الحكماء قالوا : من كان معتاداً ان يخرج منه دم البواسير فانه يأمن ظهور عشرة انواع من الامراض : ١ً الجنون ، ٢ً السوداء ، ٣ً الجرب ٤ً البلغم ، ٥ً الصرع ، ٦ً ذات الجنب ، ٧ً ذات الرئة ، ٨ً السل ، ٩ً الجذام ، ١٠ً السرطان .

السبب السابع : احتباس الحيض في النساء ، لأن احتباس هـذا الدم يوجب تجمّع الاخلاط الفاسدة ايضاً . وما ذكرناه من الاسباب المشروحة كلٌ منها يصير سبباً لظهور علّة المراقيا . وفي مريض واحد لا يلزم ان توجد فيه كلها بجملتها كما ستوضحه ان شاء الله تعالى .

الفصل الخامس

في بيان علامات علّة المراقيا وهي واحد وعشرون علامة

العلامة الاولى : إعلمْ انَّ المدة تأوف من سوء المزاج البارد فتضعف القوّة الهاضمة فينشأ من ذلك اخلاط بلغميّة وريح وجشأ . فان كان سوء المزاج البارد مفرطاً تكون حامضة . وان كانت البرودة قليلة في المدة فيعرض جشأ دخانيٌّ ووجع المدة احيانا ، والمريض لا يستريح مـا لم يتقيّأ ، ويعرض له بصاق كثير احياناً . فالذين يبتلون بهذا المرض اكثرهم اذًا تكون معدهم مأوفة مألومة ، وتعرض لهم اعراض رديئة متنوعة . فمن كان غير مُمرَّن في فن الطبِّ وقليلِ الدراية في تمييز الاسباب والعلامات من الاطباء الجهلة يظنُّ انه مرض معدي فيُخطئ في التشخيص والتدبير ويصير تدبيره سبباً لاشتداد المرض.

إعلم ان سبب آفة المدة في هذا المرض هو ان المدة تجتذب غذاءها من الدم الذي في شُعَب العروق الذي يقال له « البواب » لتغتذي به . وهذا الدم الذي يأتيها كونه من أصل فاسد وبجرّد غذائها به يسوء مزاجها لفساد غذائها فتضعف القوّة الهاضمة لضعفها ايضاً ، فما يأتي المدة من الطعام يفسد، والكيلوس الرديء الحاصل من مثل هذا الطعام قد تكرهه الطبيعة فتدفعه بالقيء .

والحاصل : ان اصحاب هذه العلّة اكثرهم لم يجـدوا في معدهم كيلوساً صالحاً ، انما يكون مائيًا أو أسود أو حامضاً ، ومن وجود هـذه الاخلاط يكون الجشأ . والاخلاط الفاسدة الحاصلة فيها غير صالحة للغذاء ، فعروق الماساريقا وسائر الامعاء لم تجذبها اليها فتبقى في المدة ، ولهذا السبب تكون الرطوبة كثيرة في فم المريض دائما ويكون ذلك سبباً لسيلان اللعاب وكثرة البصاق . واذا كانت الاخلاط الفاسدة كثيرة في المدة والقوّة الهاضمة قويّة ، فتدفعها بالقيء . وفي بعض المرضى حيث تكون حرارة معدته الغريزيّة ضعيفة فيتولّد فيها ريحٌ يمدّدها ويلجأ في أطرافها من الاعضاء أي بتداخل جرمها يحصل الوجع ، وفي بعضهم يقع انقباض الارواح ، وفي بعضهم الغشي .

وهذه الاعراض لها سببان: الاول لاجل مشاركة المدة مع القلب فيعرض ذلك قبل ان يتألم القلب . الثاني هو ان قبل صعود الابخرة الرديئة والريح الى نفس القلب يعرض له احياناً خفقان .

واعلم ايضاً ان الاخلاط الفاسدة الرديئة المذكورة لا تتولد في المعدة دائماً انما هي تتولد احياناً في الطحال ايضاً ، فتكون سوداء حامضة تضرس الاسنان وتنصب في المعدة فتتأذى منها وتدفعها بالقيء. وأحياناً هذه السوداء الحامضة تهيج الجوع ، وأحياناً من افراط حرارة الكبد تتولد صفراء كثيرة وتنصب الى المعدة فتدفعها صفراء محض او مع بلغم . ويقع غشيان وسقوط الشهوة اي انه لا يقبل الطعام لمرارة الفم .

واعلم ايضاً انه اذا لم يكن في المعدة كيلوس صالح فتتولد من ذلك أخلاط فاسدة رديئة متنوعة كما تقدم بيانه آنفاً . فتلك الاخلاط الفاسدة تصير سبباً لظهور الاعراض الرديئة في المعدة .

اما الطبيعة فتدفع الاخلاط الغليظة بالقيء ، والرقيقة بالعرق ، والرياح الغليظة بالجشاء فتسكن تلك الاعراض نوعاً ما . وقد تتمادى كما هو منقول عن قايوسيون الحكيم بقوله : انه شاهد بنتاً في سن الثلاث عشرة سنة كانت مبتلية بعلة المراقيا وكانت تتقيأ الاخلاط الغليظة اللزجة الحامضة فتمادت بها تلك العلة الى سن الاربعين سنة .

وسترطس الحكيم قال ايضاً : انني رأيت امرأة كانت منذ ثلاثين سنة تتقيأ بلغماً مالحاً وحامضاً يضرس الاسنان، وأما سائر الافعال الطبيعية فكانت فيها كما ينبغي .

فمن ثم علمنا ان الطعام الذي يتناوله العليل بعد الهضم الاول تميز الطبيعة ما كان منه لطيفاً وتحيله كيلوساً جيداً فيغتذي به البدن . وما كان غليظاً رديئاً كانت الطبيعة تدفعه بالقيء . ولو لم يكن هكذا لكان يقتضي ان لا يعيش المريض زمناً طويلاً لفقدان الغذاء .

والحكيمان المذكوران قالا : باننا شاهدنا بان المريض لما كان يتقيأ الطعام الذي كان يتناوله كانت تخرج منه الاخلاط الفاسدة وحدها ايضاً بلا طعام . فمن هنا علمنا ان بعض الطعام الذي تناوله ، فالجزء الذي يكون صالحاً منه للغذاء ، كانت الطبيعة تهضمه وتستحيله للغذاء . واما الوان الطعام كله فيستحيل الى الاخلاط الفاسدة لما كان يحتمل ان يكون صاحب هذه العلة طويل العمر .

العلامة الثانية : إن الطبيعة في بعضهم تكون قبضاً (قابضة) وفي بعضهم لينة . والقبضُ له ثلاثة أسباب : الاول ان يكون في الكبد والطحال سوء مزاج حارّ تغلب اليبوسة على البدن وتيبس الفضلات التي في الامعاء فيحصل القبض .

الثاني ان البلغم الغليظ اللزج الحاصل في المعدة يلزمه ان ينحدر الى الامعاء، ولكن بسبب غلاظته ولزوجته يبطىء نزوله في الامعاء. وفي انحداره بسبب تشبُّث غلاظته ولزوجته فيحصل القبض .

الثالث ان الصفراء التي تنقّط في الامعاء قطرة فقطرة لاجل غسل الامعاء فان البلغم الغليظ واللزج المتشبّث عن جِرم الامعاء يحول بين الصفراء المنصبّة اليها وبين جرم الامعاء فلا يؤثر تلذيع الصفراء . ففي هذه الحال يتأخر جرم الامعاء عن دفع الفضلات التي فيها فيعرض القبض .

واما سبب لين الطبيعة في اصحاب هذه العلّة ، فان منهم من يكون في كبده سوء مزاج حارّ زائد فتحصل من ذلك كثرة الصفراء وتكون القوّة الدافعة قويّة جداً فتدفع تلك الصفراء الى الامعاء فتصير سبباً لحدوث اللين.

العلامة الثالثة : ان تكون قراقر في الامعاء تبتدئ غالباً من الجانب الايسر ، وفي بعض الاوقات تسكن وحين يتحرك الريح تظهر القراقر ايضاً. قال سترطوس الحكيم : اننا سكّنّا اعراض هذا المرض بتكرير الاستفراغات ولكن ما قدرنا على تسكين الريح بالكليّة فلذلك قد علمنا ان عدم تسكين الريح هو ان الدواء الذي أعطيناه للمريض لم يصل تأثيره الى المحلّ الذي فيه الريح .

واما سترطوس الحكيم ، فذهب الى ان الريح لم يجد له منفذاً ليخرج منه لكون المحلّ للريح هو ما بين طبقتي عروق الماساريقا . والسائل ان يسأل : ان كان هذا الامر هكذا كان يقتضي ان يكون فيه وجع . ومع هذا فان بعضهم في هذا المرض لا يكون ظاهرا فيه وجع البتّة .

الجواب : هو ان كيفيّة عدم وجود الوجع هو لكون وجود ذلك الريح لم يكن غليظاً بزيادة والحرارة الغريزية تكون قويّة فتخرج تركيب ذلك الريح من الطبقات فتكون القراقر .

واما ان كانت قوة المريض ضعيفة وكان الريح غليظاً فيحصل في جوف المريض وجع مثل وجع القولنج . ويعرض له احياناً وجع المعدة مع وجع الظهر، واحياناً يعرض له وجع الصلب مع وجع الكُلى . وأكثر هذه الاعراض تُسكَّن بالقيء وبهضم الطعام .

اما جهلة الاطباء فيظنون انه مرض حصاة الكُلى . وقد رُوي عن سترطوس الحكيم قال : انه في عصرنا وجدتُ رجلاً بعد تناوله الطعام في السابعة والرابعة والخامسة كان يعرض له وجع المعدة والصلب معاً ، وكانت تُرى قارورته حمراء غليظة وفي اسفلها رسوباً كالرمل ، وكانت اطباء ذلك العصر تعالجه معالجة حصاة الكُلى فلم يجد صحّة . اما انا فعالجته علاج المراقيا فصادف الشفاء ، الّا انه لم يكن عبثاً ما ذهبتْ اليه أطباء عصرنا . قال: لأن الخلط الناشئ من ضعف المعدة ليس ببعيد ، انه عندما يذهب الى الكُلى فيتحجّر هناك خصوصاً اذا كانت الكبد حارّة ، ولمشاركتها الكبد تشتدّ حرارتها فيتحجّر الخلط الغليظ فيها ايضاً . لكنني انا الفقير ، وجدت الفرق بين الرمل الذي يأتي من الكُلى والذي يأتي من المراقيا كما سنوضح بيانه قريباً ان شاء الله .

العلامة الرابعة : يعرض للمريض كرب وحزن وانقباض القلب . وسبب ذلك من وجهين: الاول لان الابخرة الفاسدة المظلمة تصعد الى القلب فينقبض منها . الثاني الطعام الذي تناوله لكونه لا يُهضم في المعدة هضماً جيداً فيولّد ريحاً وبسبب تمديد ذلك الريح فيظهر ألم في المعدة حتى يوشك ان يغشي المريض .

العلامة الخامسة : الخفقان وسببه من وجهين : الاول هو فساد الابخرة الصاعدة الى القلب . الثاني من مشاركة المعدة للقلب . فالابخرة الرديئة الصاعدة من المعدة تؤثر في القلب تأثيراً شديداً فيتحرك لدفع البخار المؤذي عن حركة سريعة . ولشدّة الخفقان يضرب الشريان الذي في القلب ضرباً متواتراً حتى ييأس المريض من حياته .

العلامة السادسة : انه يكون في بعض المرضى ورم في الجانب الايسر في محلّ الطحال . وسببه اما ريح نافخة ، واما أخلاط فاسدة متجمعة هناك .

العلامة السابعة : هو ان يحدث في بعضهم سرعة لنبض الشريانين المكتنفين الحلقوم حتى تظهر لحسّ البصر لا سيما الجانب الايسر وخاصة اذا حدث للمريض

حركة عنيفة كالغضب وغيره . وسبب ذلك هو من زيادة حرارة الدم الذي في الشريان ، كما انه يحدث سرعة نبض شريان الاصداغ لمن يطيل الوقوف في الشمس او لمن يكثر من شرب الخمر .

الملامة الثامنة : هو ان يحسّ بعض المرضى بحرقة في مراق البطن . فتارة تكون في الجانب الواحد وتارة في الجانبين . وسببها اجتماع الاخلاط المحترقة من ذلك الجانب .

الملامة التاسعة : يكون أحياناً وجه المريض ووجنتاه في احرار . وسبب ذلك من صعود بخار الاخلاط الحارّة .

الملامة العاشرة : ان اليبوسة تعرض في لسان المريض وحلقه . وسبب ذلك هو صعود بخار الاخلاط المجتمعة من الاعضاء الباطنة الى الرئة او الى قصّبة الرئة .

الملامة الحادية عشرة : انه يعرض عسر النَّفَس . وسبب ذلك هو من صعود البخار الى الرئة والحجاب الحاجز فيُضغط صدر العليل والاعضاء الداخلة في صدره .

الملامة الثانية عشرة : انه يعرض احياناً وجع الصدر والظّهر . وسبب ذلك ان بخار الاخلاط المجتمعة يصعد الى صدره ومن لذع البخار وتمدّده يصير الوجع .

الملامة الثالثة عشرة : يعرض للمريض هذيان وهيام في عقله . وسبب ذلك انه يصعد ريح حارّ من جانب الطحال الى الدماغ ، ولسبب امتلاء الدماغ يتشتّت الروح النفساني فيعرض الدماغ هيام وحيرة الى حين ما يتحلّل عنه ذلك البخار فيزول التشتّت عن العليل .

الملامة الرابعة عشرة : يظهر للمريض وجع في الشبكة بهذا المقدار حتى ان بعض المرضى يظنّ ان قحف رأسه يُقلع منه ، وبعضهم يعرض له ظلمة البصر ، وبعضهم السدد والدوار والخوف والغم والغضب والقصّة وخيالات متنوعة ليس لها وجود في الخارج . وسبب ظهور هذه الاعراض كلها هو من البخار اليابس الصاعد من المراق .

الملامة الخامسة عشرة : ان لسان المريض يثقل ولا يقدر على التكلّم . وسبب ذلك هو من صعود البخار اليابس الى اعصاب اللسان .

الملامة السادسة عشرة : يعرض طنين في الآذان لصعود البخار اليابس اليها .

العلامة السابعة عشرة : ان المريض لا يقدر ان يحرّك يديه ورجليه الا بعسر لسبب صعود البخار الى اعصاب اليدين والرجلين . وعندما يتحلّل البخار يقدر على الحركة .

العلامة الثامنة عشرة : يظهر وجع في اليدين والرجلين . وسبب ذلك هو من غلظ الابخرة الصاعدة اليها ، او من مائيّة الدم الواصل الى ذلك المحلّ ، فعندما يتحلّل يزول الوجع . وقد يقع الخوَر في اليدين والرجلين والسبب واحد.

العلامة التاسعة عشرة : يعرض للمريض سهرٌ ، واذا رقد فيرى في النوم أحلاماً رديئة مخيفة . وسبب ذلك هو ان البخار الصاعد الى الدماغ لكونه حارًا يابساً فيشوّش الروح النفسانية ويجفّف الدماغ فيورث السهر . وبعض المرضى اذا تناول طعاماً في الليل فالبخار يرطّب دماغه وينام وبعد الهضم يعرض له السهر ايضاً .

العلامة العشرون: ان بعض المرضى ايضاً لا ينام من نصف الليل الى ثلاث او اربع ساعات ، وبعد ذلك ينام قليلًا . وبعضهم لا ينام بعد نصف الليل أصلًا . وسبب ذلك هو ان الكيموس في كلّ وقتٍ بعد الهضم حين ينقسم ويأتي الى نفس الطحال فتتحرك الاخلاط الفاسدة والسوداوية المتجمّعة اولًا في اطراف الطحال . وبسبب هذه الحركة تصعد الى الدماغ أبخرة حارّة ويابسة فتُورث السهر . فان كان يمتدُّ البخار فلا ينام المريض أصلًا ، واما ان تحلّل فينام مرتاحاً .

والحاصل ان نوم المريض وسهره تبع لتحلّل البخار وعدم تحلّله .

العلامة الحادية والعشرون : ان القارورة تكون متنوعة الاشكال ، وهو انها تكون تارةً رقيقة وتارة غليظة ، وتارة كدرةً وتارة صافية ، وتارة كمدة وتارة حمراء . وتارة يكون فيها رسوب وتارة لا يكون . والرسوب تارة يكون كالدرديّ وتارة كالرمل . وسبب رقّتها هو انه حيث يصير سدّة في مجرى البول فيمتنع مجرى نفوذ الغليظ . واما الرقيق فيمرّ وينفذ ، وان لم يكن مجرى البول مفسرًا بزيادة فيأتي البول غليظاً وكدرًا ومحمرًا نوعاً . وبعض المرضى يكون بوله حارًا لكونه مختلطاً بالصفراء المحترقة فيأتي بحدّة ، يعني انه يخرج من القضيب محرقة . واحياناً يكون البول كريه الرائحة . وأما البول

الذي يأتي غليظاً فيكون كدراً فاذا بقيَ في القارورة فيرقد رسوبه في أسفله كالرمل . وحكماء الافرنج تعبّر عن هذا الرسوب بالطرطير . وهذه الرواسب تكون مائلةً الى الحمرة وأحياناً تكون كبدة واحياناً تلصق في أطراف القارورة. والحاصل ان لون الرسوب هو تابع لما يندفع من الاخلاط المحترقة .

واعلم ايضاً انه — كما تقدّم ووعدنا — اننا نوضح بيان الفرق الفاصل بين الرسوب الآتية في علل الكُلى والرسوب الآتية بسبب علّة المراقيا ليستفيد بعلم ذلك طَلَبة هذه الصناعة ويكونوا على بصيرة من ذلك . فان الرسوب الحاصلة من حرارة الكُلى بالحقيقة انها لم تكن رسوباً ، انما تكون رملاً صلباً ، وان مُرِسَتْ بالاصبع فلا تتفتّت .

واما الرسوب الآتية في المراقيا فانها تُشبه الرَّمل لكنها ليست برمل ، واذا مُرِسَتْ بالاصبع تتفتّت وتنحلّ .

واما كيفية تولّد الرسوب الواقعة في هذه العلة ، قال سترطوس الحكيم : هو عَكِرٌ الاخلاط التي في الكبد والعروق الكبيرة المحترقة من افراط الحرارة، فان القوّة الدافعة تدفع ذلك العَكِر الى الكُلى فتخالط البول وتخرج معه .

تنبيه : اعلم ان الاسباب والعلامات المذكورة التي بهذه العلّة لا يلزم ان تجتمع كلها في مريض واحد ، وانما اذا وُجد بعضها فيه فذلك كافٍ للاستدلال، لان قلّة الاعراض وكثرتها تكون بحسب آفة الاعضاء الباطنة واستعداد المريض والاعضاء المتألّمة واختلافها . فان كانت الآفة قويّة فتظهر علائم كثيرة، وان كانت ضعيفة فتظهر قليلة .

فقد علمنا اذاً يقيناً ان الذي يُبتلى بهذه العلّة لا يقتضي ان يكون تحت مراقه نفخ او صلابة او وجع او ورَم في كلّ وقت .

(لها صلة)

المصطلحات العلمية في اللغة العربية

بقلم الاستاذ عادل انبوبا

لقد كثرت النشرات العلمية في البلاد العربية وازدادت ازدياداً يبعث على الارتياح والاعتزاز . فلهذه النشرات فضل على اللغة التي تزيدها غنى ودقة وعلى الفكر العربي الذي تكسبه طرقاً علمية في البحث والتفكير ، بعيدة عن المبالغة والغموض ، مبنية على المنطق والتحقيق ولها فضل على القومية العربية التي تعززها في مضمار نشعر فيه بتقصيرنا وضعفنا . واصحاب هذه النشرات جديرون بكل تقدير وتشجيع فقد يقضي بعضهم في تحضير نشراته الايام الطوال ولا امل لهم بكبير نفع مادي او معنوي ، فأهل الاطلاع العلمي قليلون ومعظمهم يميل الى مراجعة الكتب الغربية ثقة منهم بدقتها وسعة معلوماتها وتنوع ابوابها وطرقها . وكأني بزملقينا لا تثبطهم هذه العوائق فهم لا ينقطعون عن التأليف والنشر مهدين بعملهم هذا لنهضة علمية قريبة ان شاء الله .

غير ان هذه الحركة التأليفية المباركة تحمل في طياتها ضعفاً قد يتحوّل الى داء مستعص وبيل اذا لم تبادر الدول العربية صاحبة السلطان والشأن الى معالجته سريعاً وهذا الضعف انما هو مسألة المصطلحات العلمية التي استعصت او كادت على المؤلفين الذين ذهبوا في ميدانها كل مذهب . ولنا فيها آراء وخواطر رأينا ان ندلي بها .

من المعلوم ان برامجنا مستوحاة من البرامج الاوروبية او هي منقولة عنها . وكتبنا العلمية الموضوعة تشبه في وضعها الكتب المترجمة ولا عجب فنحن اليوم في عهد يشبه عهد العباسيين في الترجمات والنقل وأي عربي لا يعظم ذكرى حنين بن اسحق والحجاج بن مطر ويوحنا بن البطريق وغيرهم ويرى فيهم مؤسسي نهضتنا الاولى التي لا تزال انوارها تبهر اعين المستشرقين حتى اليوم .

قلنا اننا في دور الترجمة ولكن هل توصل مؤلفونا اليوم الى وضع المصطلحات العلمية الاجنبية باللغة العربية ونحن نعلم ان العرب لم يعرفوا من علومنا الحديثة الا اليسير ، فالفيزيا. بوجه التقريب وليدة القرن السابع عشر وبعض اجزائها كعلم الذرّة لا يرقى الى اكثر من خمسين سنة .

على هذا السؤال نجيب مميّزين بين العلوم العليا والدروس الثانوية والابتدائية. ففيما يخص الاولى لا بد من التسليم ان آلاف المفردات مفقودة في العربية وكذلك قل في العلوم الصناعية. الا ان الامر في نظرنا ليس بالامر العظيم وهذه المفردات يجب الّا تدخل في لغتنا الا عند الحاجة الحقيقية اليها ، اذ ما الفائدة من وضع معجم يضمّ آلاف كلمة لن يستعملها مئة شخص في عشر سنين !

ومن المعلوم ان عددًا كبيرًا من مدارسنا العليا هو اجنبي وان جامعاتنا الوطنية تعول احياناً على اساتذة اجانب لتدريس العلوم وعلى اللغات الاجنبية؛ وبما اننا امة علمها مكتسب امة لا تزال فقيرة الى ما هو موفور في بلاد صغيرة كسويسرا وبلجيكا والدانمارك[1] فمن الحرام ان نسدّ في وجهنا كل طريق مؤدّية الى التحصيل . وأرى ان حرمان الناشئة من تلقي الدروس باللغات الاجنبية وقصرها على اللغة العربية يضرّ بها وبالامة ضررًا بيناً ويقطع بيننا وبين الغرب ينبوع معارفنا وعلومنا . وبهذا نرى ان العلوم العليا وخصوصاً ما كان منها في دور التطور يحسن بل يجب ان يعلم بلغة اجنبية علمية[2] ويؤيد ما نذهب اليه الطرق المتبعة في جامعات اميركا كهارفارد وكولومبيا وبوسطن وغيرها فانها لا

١) الدانمارك بلد صغير فيه ثلاثة ملايين ونصف من السكان يجاري في الرقي والعمران اعظم البلدان . كفاه فخرًا انه انجب نيلس بوهر الذي درس عليه الكثيرون من علماء اوروبا والذي يعد من اهم مؤسسي النظريات الذرية وقد قام بأبحاثه كلها في مختبرات بلاده وكوفئ بجائزة نوبل العالمية .

٢) فلننظر في امر طبيب تلقى دروسه باللغة العربية فانه في جهله اللغات الغربية منقطع عن العالم العلمي كروبنسون في جزيرته . وبينا يتقدم الطب بخطى سريعة يظل طبيبنا على معلوماته اليسيرة ، هذا ان لم ينسها بالتدريج . وامثال هذا الطبيب خطر على المجتمع . ثم ماذا نصنع بالمستحضرات الطبية واسماؤها اجنبية ؟ !.

تقبل طالبها فيها ما لم يكن يعرف احدى اللغتين العلميتين الافرنسية والالمانية وفي بعض الجامعات يطالب بلغتين اجنبيتين في حين ان اميركا في حال من الرقي العلمي يغنيها عن فرنسا والمانيا . ولكن اولياء الامر فيها يرون من الحكمة الا يقطعوا بين طلابهم ومهذبيهم واطبائهم واصحاب الثقافة العالية بوجه الاجمال وبين علماء اوروبة وادبائها حتى يتمكن الاميركي من مطالعة المقالات العلمية بلغتها الاصلية غير معتمد على الترجمات مهما تعددت .

ثم اننا اذا استقرأنا التاريخ رأينا ان العلماء في اوروبة في الجيل السابع عشر وما قبله كثيرًا ما كانوا ينشرون ابحاثهم العلمية باللغة اللاتينية . نذكر منهم الفيلسوف والعالم الشهير ديكارت الفرنسي ، ونيوتن النابغة الانكليزي « في مبادىء الفلسفة الطبيعية » ، واولر السويسري في القرن الثامن عشر ، وغوص الالماني الذي نشر حساباته الخالدة باللغة اللاتينية في مطلع القرن التاسع عشر . ناهيك عن ان الحشرات والنباتات لا تزال تذكر في الكتب العلمية باسمائها اللاتينية حتى اليوم .

في كل ما تقدم بيانه الادلة الناصعة على ان العلوم في أجزائها العالية متعة انسانية مشتركة بين مختلف الشعوب ، واولى ان تدرس بلغة علمية شائعة ، ومن الخطأ ان تحصر العلوم باللغة العربية منذ اليوم ؛ فنكون كالغارس النبي الذي يفصل الفسيلة عن امها قبل ان تتمكن جذورها من التربة فتموت .

وبما اننا في ذكر اللغات فلا حرج اذا لمرنا عن موضوعنا الاساسي بقضية يرتبط بها مصير النشء والعلم . ان اتقان اللغات لمن يعنى بالعلوم امر جوهري . اذكر شاهدًا على قولي انني طالعت كتابًا افرنسيًا في الرادار ذيل بلائحة من واحد وعشرين مؤلفًا يجدر مطالعتها لاستكمال البحث منها ثمانية عشر باللغة الانكليزية . فتأمل ! وما يقال في العالم يصح في الاديب والمؤرخ فهل من باحث مدقق في تاريخ الشعوب العربية او في فلسفتها يترفع عن معرفة الالمانية والانكليزية ؟

يجدر اذًا بطلابنا ان يحسنوا الى جانب لغتهم لغة اجنبية علمية او لغتين وليس هذا بالكثير على نشء عرف بالنباهة وسرعة الحفظ . ويؤلمنا ان بعض الاقطار العربية قد خطت طريقًا معوجة تسيِّر عليها ابناءها فهم يحبسون عنهم

للغات حتى بلوغهم الثانية عشرة من عمرهم . فيضيعون عليهم سني الحداثة وهي سنو الذاكرة القوية والقابلية لاقتباس اللفظ الصحيح فاذا ما تعرف الطالب الى لغة اجنبية وهو كبير السن استحال عليه النطق السليم وغلبت عليه الركاكة في التعبير وعظم عليه اجهاد ذاكرته . ولنا في ما يقاسيه الكثيرون من طلابنا في اوروبا الشواهد المؤسفة البليغة على صحة ما نقول. وقد يكتفي الطالب الغربي من اللغة الاجنبية بقواعدها الصرفية والنحوية والكلام المتداول بين عامة المتكلمين بها ، وليست هذه حال الطالب العربي فان موقفه من اللغات الاجنبية غير موقف رفيقه الذي يجد في لغته بضعة آلاف من الكلمات توجد بحرفها في اللغات الغربية الاخرى فلا يحتاج الى حفظها مجدداً والكلمات العلمية وخاصة الحديثة منها تكاد تكون واحدة في اللغات الغربية فكأنها تؤلف لغة دولية واليك ما نقلناه على التوالي من صفحة واحدة من قاموس انكليزي افرنسي Harrap's Standard

Hyperalgésie :	Hyperalgesia
Hyperbate :	Hyperbaton
Hyperbole :	Hyperbola
Hyperbolique :	Hyperbolic
Hyperboloïde :	Hyperboloid
Hyperborée :	Hyperborean
Hyperespace :	Hyperspace
Hyperesthésie :	Hyperaesthesia
Hypermétrope :	Hypermetropic
Hyperpiésie :	Hyperpiesis
Hypertension :	Hypertension
Hypnose :	Hypnosis
Hypnotique :	Hypnotic
Hypochlorate :	Hypochlorate

وقد اهملنا في الصفحة المذكورة من الكلمات المنطبقة لفظاً في اللغتين ثلاثة اضعاف ما نقلنا .

المصطلحات في العلوم الابتدائية والثانوية

١ - تكاثر المفردات

ننتقل الآن الى الكتب العلمية للتدريس الابتدائي والثانوي . لقد تفرقت صفوف المؤلفين بشأن المصطلحات . فمنهم جماعة انصرفوا الى كتب الاقدمين وخصوصاً في بدء نهضتنا الحديثة واختاروا منها حاجتهم فجاءت المفردات في اغلب الاحيان وافية بالمراد واحياناً بعيدة عنه . وقد اضطروا الى وضع مصطلحات جديدة كثيرة اما لعدم حصولهم على مجموعة وافرة من كتب العرب واما لفقر هذه الكتب الى بعض التعابير المطلوبة . ولم يكن بين مختلف المؤلفين بحث مشترك في الموضوع او اتفاق سابق فوضع كل مصطلحاته منفرداً مستقلاً وكأنه شاء ان ينفرد في مختاراته وان يهمل الموجود في كتب غيره حتى الصالح منه فاصبحنا امام سيل من المصطلحات تجاوز عددها عدد مدلولاتها اضعافاً . ولا يرى العارفون في ذلك ثراء بل فقراً وعياً واذا استمرت الحال على ما هي عليه من الفوضى فالنتيجة زيادة اسباب التفرقة العلمية بين البلدان العربية وجعل ما ينشر في قطر منها غير مأنوس عند سكان القطر المجاور او يضطر القارئ الى الالمام بجميع المصطلحات المستعملة في سائر الاقطار العربية .

مثال ذلك كلمة vertical ترجمت : شاقولي رأسي عمودي قائم
وكلمة espace ترجمت : فضاء فراغ خلاء
وكلمة axiome ترجمت : بديهية ، اولية ، مُتَعارَف
وكلمة pancréas " : بَنْقراس ، بنكرياس ، حلوة ، نزوة المعدة ، معقد ، مُشْكَلَة
وكلمة coefficient ترجمت : مسمى ، مثل ، معامل ، ضارب ، عامل . . .

والامثلة على ذلك عديدة جداً .

افلا يخشى والحال على ما وصفنا ان يحل بنا ما حل في الماضي يوم اندمجت القبائل العربية ولغاتها فأصبحنا ولدى الواحد مئات من الاسماء ولللفظ الواحد

عدة معانٍ متباينة وقد يطلق على معنيين متضادين وهي نهاية البعد والاختلاف : انه لاثراء خير منه الفقر، اثراء يشبه اثراء الصحاري بالرمال فلا نبات ولا حياة. وحسن ان نذكر ما نقله السيوطي في المزهر عن الكتاب المسمى بالالفاظ والحروف « ولم يؤخذ اي اللسان العربي عن حضري قط .. ولا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان واياد لمجاورتهم اهل الشام واكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد قيس وازد عمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف واهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز »[1]. رحم الله جامعي اللغة فانهم رحمونا .

وهنا لا بدّ من التسليم ان تعدّد المفردات لا مفرّ منه اذا كانت المعاني المدلول عليها غير محصورة بالعلوم . خذ مثلاً معنى المرور في قولنا مرور التيار الكهربائي في السلك الموصل ، معنى غير محصور بالعلم فلا نستطيع ان نبطل استعمالهم مرّ التيار او سرى او جرى ولكن ننصحهم بالاكتفاء ان هم قوم ينتصحون ! ويجدر بالاستاذ ان يلفت نظر التلاميذ الى الفروق بين المترادفات الثلاثة المذكورة لانماء الدقة العلمية في عقولهم وازالة الغموض والفهم التقريبي. ولا يقبل في حال من الاحوال ان يخلط بين اسماء اشياء مختلفة تستعمل كلمة جوقلة او مصاصة او دورق للدلالة على اي اناء او وعاء كان !

ان التباين في المفردات للتعبير عن شيء واحد ، لا نجده في كتابين طبع احدهما في العراق والثاني في مصر بل نجده ايضاً في مؤلفين احدهما شامي والآخر حلبي وقد يمتد الى مطبوعات مدينة واحدة ومطبعة واحدة ، وهذه البلبلة في المصطلحات تولد مثلها في الافكار والتثقيف وتبعث الحيرة في نفس الطالب وتثقل ذاكرته .

---

(١) ذكر في مقدمة اقرب الموارد .

٣ - التشويش في المعاني

والخطب الثاني الذي يستهدف لخطره الطالب هو ان يستعمل مؤلف كلمتين للدلالة على شيئين مختلفين ثم يأتي مؤلف ثانٍ ويعكس استعمالها.

يعبر بعضهم عن énergie بالطاقة و puissance بالقدرة

ويعبر غيرهم عن énergie بالقدرة و puissance بالطاقة

وفي ذلك خطر عظيم ! ومعروف في تاريخ الديانات ان كثير من الشيع والانشقاقات انما نشأت عن تباين في فهم بعض المفردات .

على ان هذا الالتباس يقع احياناً في اللغات العلميـة الغربية نفسها ففي الافرنسية يدلون بكلمة cercle عن السطح المحصور داخل الدائرة وعن الدائرة نفسها ، وكذلك تأتي cône بمعنى المخروط والسطح المخروطي ويسمي بعضهم مستوياً ما هو في الحقيقة نصف مستو .وهذه بقايا تاريخية قديمة ، ايام لم يكن اتفـاق بين العلماء ولا مؤتمرات علمية ولا حكومات تنظر في امر التعليم ، ناهيك عن ان الامثلة قليلة جداً تقع في مسائل يسيرة يزول الالتباس فيها بفعل القرينة ولهذا لم يعرها المسؤولون اهمية ما حتى الآن ولا نشك في انها سوف تزول اما اثر تدخل الدواوين المختصة واما بدافع الدقة التي تميز بعض الشعوب جماعات وافراداً وعلى كل فـان الاجانب ما ارغموا يوماً على تبني سيئاتهم وحسناتهم معاً وهم لا ينفكون عن اقامة الحلقات العالمية لتوحيد الوحدات او المصطلحات او بعض الثوابت ، ويتباحثون ويتناقشون لتنظيم اعمالهم . وعندهم قواميس ضخمة ثمينة للمفردات العلمية يقع بعضها في ست لغات فتأمل .

٣ - اختيار المصطلحات والعود الى القدم

قلنا ان المفردات زائدة عن المدلولات في كثير من الاحيـان ومفقودة في غيرها فكيف يكون الاختيار اذاً ومن يكون الحكم بيننا ! انحتكم الى الاقدمين ونعود الى لغتهم ونتبعها حرفياً. انصعد في الزمان عشرة اجيال ونبني صرحنا العلمي بحجارتهم؟ ان الرأي الشائع هو ان الاقدمين كانوا اسلم لغة منا لقربهم من البداوة وبعدهم عن الاعاجم واخذهم عن الاصول اليونانية.ولكن

الحقيقة ابعد ما تكون عن الاحكام الجازمة العامة وهي كثيرة التشعبات والعقد ككل الامور التي تتعلق بالاحيا. . ولذلك فليس كل ما وضعه التراجمة سليماً صحيحاً بل هنالك ما هو عقيم سقيم، فمنهم الفصيح والركيك والبليغ والردي. يضاف الى ذلك اغلاط النساخ التي تجعل بعض المقالات مغلقة لا معنى لها مطلقاً. ثم ان التآليف والتراجم العلمية القديمة تستوعب اربعة اجيال ايام لم يكن من طباعة وتتناول بلاداً شاسعة من البحرين الى الاندلس، بلاداً كانت المواصلات بينها نادرة شاقة . ولهذا تطوّرت لغتها ونشأت متعددة وهو امر يتعدى العلوم الى سائر مواطن الفكر ، فلغة الفارابي غير لغة ابن سينا ومن المعلوم ان العقبة الجوهرية التي لا بد من تذليلها هي تفهم لغة كل فيلسوف تفهماً دقيقاً كاملاً فنظرياته وبراهينه مبنية على بضع مفردات كالنفس والروح والمادة فالبلبلة التي نشكو منها اليوم كانت موجودة عندهم . ويجدر بنا ان نذكر هنا ما جاء في نشرة المجمع اللغوي المصري لدى بحثه قضية المصطلحات العلمية . قال : « فاصطلاحات الفقه والنحو والحديث والحساب والهندسة والجبر والمنطق كلها عربية . ولكنهم عندما توغلوا في ترجمة العلوم اليونانية والهندية، كان الفصحاء قد انقرضوا من الامصار . وتولى الترجمة بعض مستعربة الاعاجم ممن لم تستحكم مرّتهم في العربية، فعجزوا عن ترجمة بعض الالفاظ الاعجمية مع وجود مرادف لها فيها ، ودوّنوا من اسماء الحيوان والنبات ما لا تعرفه العرب باسمائها الاعجمية، وعمت البلوى باستعمال فلاسفة المسلمين واطبائهم لهذه الالفاظ ، وخاصة من كان منهم من سلائل اعجمية ، كالفارابي والرازي وابن سينا . ولكن كثيراً من اصحاب المعجمات ابوا تدوين الاعجمي المحدَث ، وعابوا على صاحب القاموس نقله لكثير من اسماء النبات والحيوان والعقاقير الاعجمية». (سنة ١٩٣٤ ص ٢٠١)

هذا ما طلع علينا به المجمع اللغوي على اننا وان كنا لا نقر رأيه بكامله نجد فيه تحذيراً للذين يقولون بالرجوع للقديم دون تروٍ وتمحيص .

٦ – اللغويون والمصطلحات العلمية

وسنعود بعد قليل الى قضية الترجمة ونكتفي الآن بالاشارة الى عقلية بعض اللغويين الافاضل الذين يحرصون على سلامة اللغة الى حدّ يريدون معه ان

يقفلوا في وجهها العالم وكل مقتبس اجنبي مع انهم يعرفون جيداً ان من المستحيل تحديد اللغة العربية ويوم نشوئها ومكانه وكيف تطورت قبل ان استقرت والمفردات التي اندثرت منها ، ويعرفون ايضاً ان من الكلام العربي المتداول الفصيح ما هو اعجمي واكثره ضاع نسبه فادخلوه في النسب العربي . وهناك ألفاظ فارسية وهندية وحبشية وعبرانية وسريانية واكثرها لم يعد يتميز اصله فعدّ عربياً . واليكم امثلة نستمدها من مجلة المجمع المذكور ، من مقال للاستاذ بندلي جوزي ، وفيه يذكر ان في العربية ما يقرب من سبعين كلمة اصلها يوناني بعضها يرقى الى الاجيال الاولى للمسيح ايام لم يكن للعرب آثار مدونة محفوظة :

برج ، زوج ، سفينة ، منبر ، جنس ، جزية ، جسر ، درهم ، قطر ، لص ، كيس ، نوتي ، ناموس ، مرهم ... وهلم جرا .

وقد تعمدنا ذكر هذه الكلمات لان فيها من الفصاحة العربية والصيغة العربية ما يبعث على الشك والحيرة ، وكذلك قل عن المدينة فأن اصلها سرياني وبلد واصلها غالباً لاتيني وقرية فينيقية تحريف قرتا ومنها قرطاجانة ، وضيعة وقد تكون فارسية . ولا غرابة فالعرب وهم قوم رحّل لم يكن عندهم ما يعبرون به عن الحياة الحضرية .

واذا كان العرب الاقحاح لم يجدوا غضاضة في تبنّي الكلمات الاعجمية فلِمَ لا نتبناها نحن اليوم وحاجتنا اليها اضعاف حاجة العرب الاولين ؟ مع المحافظة طبعاً على الصيغة العربية وعلى قواعدها في اللفظ ووقعها الموسيقي في الآذان . ويحضرني في هذا المعرض من الحديث ملاحظة التي عليها مفتّش الدروس الثانوية في لبنان الاستاذ واصف بك البارودي اذ قال : « كان للعرب جرأة الغزاة الفاتحين الذين يحتلون البلاد واللغات ولا يرون في ذلك حطاً من سيادتهم » اما نحن فاخشى ان يكون لنا بعد عقلية الخاسر المنكمش فاذا تناولنا كلمة اعجمية فكأننا ملكتنا . نضرب مثلاً واحداً من مئات ! يريد المجمع اللغوي المصري ان يقال بدلاً من j'ai téléphoné أرزَزْت !! اما في لبنان فيقول العامة تلفنت وهو تركيب عربي سائغ على اللسان والاذان . ولا شك ان لفظة هتفت افضل من تينك اللفظتين ولكن لا مانع مبدئياً من التعريب اذا لم نجد في العربية كلمة سلسة تفي بالمراد .

ولا نرى بدًا من الاشارة الى امر هام هو ان اللغة مظهر من مظاهر الحياة يخضع لقوانين الحيـاة كما انها اداة للتعبير وليست غاية تقوم بنفسها فلا مبرر اذن ان نسخر العلم للغة ونتخذ له من المفردات ما يلي منها ، توصلًا الى احيائها فما وجد العلم لبعث الاموات . نقول هـذا حدًا من مساعي بعضهم وللكشف عن عقلية رجعية. فمن مقترحات لجنة المجمع اللغوي المصري للتعبير عن :

١) yacht دونيج ونهبوع بدلًا من يَخْت فانظر الى غرابة هاتين اللفظتين المتوعرتين اللتين لا يتبادر الى ذهن احد انهما عربيتان ، بعكس يخت .

٢) train rapide : الجهيز وهو الخفيف من الخيـل . ولعلهم ارادوا به ، على سبيل الفكاهة طبعاً ، الموت السريع كما جاء في اللغة ايضاً .

٣) Express : الزفوف وهو من النوق الحسنة السير السريعة .

٤) Volant d'une voiture : دَوْطيرة وهو اسم مهجور لكوثل السفينة.

كأني باصحاب هذه المقترحات لا يهدفون من ورائها الى اداء المعنى بـل الى بعث اللغة كلمة المختصة بالابل والخيل من مراقدها وقد كفانا المجمع شر هذه الكلمات النابية الجافية في اجتماعات متأخرة ولقر كلمتي سباق وسريع.

على ان اللغة مع ذلك لا تقوم على قرارات مجمع مـا بل على استعمال الكتاب واصحاب الجرائد والعامة وكلما توعرت المصطلحات اتسعت مسافة الخلف بين اللغة العامية والفصحى .

٥ - عودة ثانية الى الاقدمين

اما وقد اظهرنا المساوئ الناجمة عن تسخير العلم للغة فلنعد الى المصطلحات العلمية وكيفية انتقائها فنقول : لا بد من اللجوء الى كتب الاقدمين فان ما وضعوه من عشرة اجيال ونيف قد بعث في مؤلفات النهضة الحديثـة في القرن التاسع عشر. فان ما يدرسه اليوم فتياننا في الحساب والطبيعيات وعلم الهيئـة والهندسة يكاد يكون بكامله في كتبهم الا ان ما نأخذه على مؤلفينا المحدثين هو انهم لم يحسنوا دوماً الاختيار كما انهم لم يحسنوا التنقيح والتحوير وعلينا

ان نتصرف الى التفكير في اقوم الطرق لاصلاح هذا الخلل . وفي الرجوع الى امثال الخوارزمي والبتاني والخيام وغيرهم اقرار بالجميل وتقدير لعبقرية مفكرين افذاذ يعدهم علماء الغرب اعلاماً نيرة في طريق العلم على مر الاجيال وفي الرجوع الى الاقدمين عربون شكر من احفادهم على مجد تليد . فلا بأس اذا اشرنا في حواشي كتبنا المدرسية الى مصطلحات استعملوها واحلنا الى اعمالها او الى بعض حلول لعمليات اشتهروا بها مع ذكر نبذة عن تاريخ حياتهم . ومن الطبيعي اننا لن نأخذ عن المتقدمين كل ما تركوه لنا ففي مؤلفاتهم مسائل عديدة لا تهمنا اليوم والعلم قد تطوّر فبعض فروعه نما وبعضه تلاشى ففي مقالات اوقليدس كما نشرها العرب اشياء كثيرة عن الاعداد الكاملة والمتحابة وغيرها وعن خصائص النسب والتناسب تزدريها اليوم وقد درسها الغربيون حقبة من الدهر ثم اهملوها واذا ذكر منها النزر القليل فعلى طريق التسلية .

ومن المصطلحات ما شاع اليوم وانتشر فلا سبيل الى بدله بما هو في كتب العرب لما في ذلك من تشويش وبلبلة . من ذلك ان كلمة عدد عند العرب تدلّ على الصحيح منه ويقولون ثلاثون من العدد بمعنى واحدة ... وهذا طريف ويجدر بالاستاذ معرفته ولكن من الخطأ الاستناد اليـه في علومنا اليوم حيث اتسعت كلمة عدد حتى حوت جميع الاعداد الصحيحة والكسرية والعشرية والسلبية والموجبة وغيرها .

وجاء في كتاب عمر الخيام: رسالة في براهين الجبر والمقابلة : عادة الجبريين ان يسموا في صناعتهم المجهول الذي يراد استخراجه « شيئاً » ومضروبه في مثله « مالاً » ومضروب ماله فيه « كعباً » ومضروب ماله في مثله « مال مال » ومضروب كعبه في ماله « مال كعب » ومضروب كعبه في مثله « كعب كعب » . ويشبه هذا التعبير الف الف .

قلنا ليس من عادتنا اليوم ان نسمّي مضروب عدد في نفسه مال العدد بل مربعه وهو افضل فان مساحة المربع تساوي مضروب ضلعه في نفسه فثمة صلة بين المفردة ومدلولها لا نجدها في مال . ثم انا نقول مكعب العدد وقدرته الرابعة او الخامسة او السادسة او النونية للدلالة على مال المال ومال الكعب وكعب الكعب. وفي كلمة قدرة توسيع وتوحيد لفكرة ضرب عدد في نفسه

وما كان المتقدمون ينظرون في مضروب اكثر من ستة اعداد متساوية في نفسها وتفضل لفظة قدرة على قوة تاركين القوة للتعبير عن force جاعلين لكلمة puissance المستعملة في الفيزياء والرياضيات مرادفاً واحداً في اللغة العربية . وهو اوجه .

اما لفظة شيء فقد تغلبت عليها في عصرنا لفظة المجهول رغم فصاحتها وسهولتها ونجد لفظة شيء في كتب الغربيين القديمة أخذاً عن العربية . فقد جاء مثلاً في الحلّ المنظوم شعراً لمعادلة الدرجة الثالثة الذي اوجده العالم الايطالي تارتاليا سنة ١٥٣٥[1] :

Quando che'l cubo con le cose appresso,
Se aggaglia a qualche numero discreto.

اذا كان المكعب المضاف الى الاشياء مساوياً لعدد ما اي س٣+ب س=ح .

ومن اللجوء الى كتب ائمة العرب الرياضيين تدرك سبب التشويش الحالي في التعبير عن بعض الالفاظ البسيطة امثال directrice, inscriptible, trapèze . . . ونتوصل مع الاستعانة بالاصول اليونانية الى التعبير الصالح الفصل .

٦ – التعريب اي نقل المفردات بلفظها الاعجمي

لا شك ان كتب الاقدمين لن تمدنا بمصطلحات العلوم الحديثة كاملة فئات من المسميات نكرة عندنا . فأية فئة منها يجوز او يجب نقلها الى العربية بلفظها الاعجمي ؟ .

قد يثور غضب بعض اللغويين لسؤال بري. يجدون فيه تهجماً على سلامة اللغة . ولكن الحرص على لغتنا اكثر من الالمان وهم مبتدعو نظرية الجنس الآري ؟ انبذ ما اقدم عليه اجدادنا من قبل في سبيل انماء اللغة واحيائها وتخطئهم وتقبحهم ؟ ومتى افسد الباذنجان على العرب انتهم؟ وامل الخطر ليس في ادخال المفردات بل الاساليب الاجنبية الركيكة؟ ولكنا نعتقد ان الروح العربية اقوى وانها ستتمثل الدخيل الاجنبي وتحوله الى جوهرها كما يتمثل الجسم الاطعمة المختلفة ويحولها الى دمه ولحمه . وهذا الامتزاج امر نشهده في سائر

١) ذكر في الترجمة الافرنسية لكتاب الفكاهات الرياضيات لروز بال الجزء الثاني.

مظاهر الحياة فالموسيقى العربية مثلاً تردد اليوم القطع الاوروبية بشهية عجيبة ولا شك ان ساعة الهضم والامتثال سوف تدق يوماً .

جاء في مجلة المجمع اللغوي المصري : « ودخول الاساليب الاعجمية في اللغة العربية قديم يتصل بالعهد الجاهلي ، ثم نشط في العهد الاسلامي ، منذ حمل راية الكتابة فيه عبد الحميد الكاتب ، ثم تكاثر ونما في العصر العباسي ، وحامل راية التعريب فيه ابن المقفع ، حتى كانت نهضتنا الحديثة فرجح ميزانه وطفى داوفانه . . . لكن الاساليب الاعجمية موجودة في اللغة العربية على كل حال . وربما وجد لها شواهد في شعر عدي بن زيد العبادي الذي تربى في بلاط الاكاسرة وله شعر كثير مملوء بالكلمات الاعجمية فيبعد الا يكون في شعره اساليب اعجمية ايضاً . وكذا يقال في شعر الاعشى وغيرهم من الشعراء الذين خالطوا الاعاجم وتأثروا بثقافتهم .

. . . اما نشوء الاساليب الاعجمية في صدر الاسلام فيكفي شاهداً عليه ما قاله ابو هلال العسكري صاحب كتاب الصناعتين : . الا ترى ان عبدالحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي وحولها الى اللسان العربي ». (١٩٣٤ ص ٣٣٣).

ويستدل من ذلك ان من الضروريات في اللغة ما لا مفر منه ، والقضية في التعقل وعدم المبالغة . وقد أقر المجمع المصري انه « اذا لم يجد بعد البحث اسماء عربية لها (اي للمصطلحات) وضع اسماء جديدة بطرق الوضع المعروفة من اشتقاق او مجاز او غير ذلك . . . فاذا لم يوفق في هذا التجأ الى التعريب مع المحافظة على حروف اللغة واوزانها بقدر الطاقة . . .

ويجيز المجمع ان يستعمل بعض الالفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم ».

فاذا ما اقررنا مبدأ التعريب تحول النقاش الى مدى تطبيقه . مثال ذلك . يريد المجمع المذكور ان يترجم كلمة yard بالذراع الانكليزية و mètre بالذراع الافرنسية وما العمل اذاً بالمقاييس الاخرى taille, toise, pic . . . وهي عشرات! مع العلم ان « متر » و « يرد » لفظاً عربيتان بدرجة فتر وبيت وهما شائعتان

ايما شيوع بين العامة والخاصة ، ويجدر اعتبارهما لفظتين « دولتين » . ويريد ترجمة mark, franc بدينار افرنسي ، ودينار الماني مخالفاً بذلك سُنَّة الاختصار والتسهيل بادلاً كلمة اجنبية باثنتين ونحن نرى ان تنقل بألفاظها الاعلام مثل Watt, Ohm, Ampère . . . وكثير منها اصبح اسماً لوحدات المقاييس ويؤخذ لفظها الصحيح عن لغتها الاصلية Ampère عن الافرنسية ، Ohm عن الالمانية وهلمّ جرّا . ولما كان اللفظ الأجنبي لا تؤديه دوماً الاحرف العربية فيتبع في نقله قواعد معينة وافية فنقول پ عن p وڤ عن v وقس عليه كما هو وارد بالتفصيل في الابحاث المختصة . وفي ذلك الدلالة على نسبه الاجنبي ولا نرى ضرورة من تحويل Ampère الى امبير بالباء فهل نمنع عارف اللفظ الاصلي من لفظه صحيحاً ؟ وباعة الجرائد في شوارعنا ينطقون بالاسماء الاجنبية صحيحة وهم أُميون .

واما الاعلام القديمة او الحديثة التي اشتهرت بنطق خاص في اللغة العربية فتبقى كما عرفت أوقليدس ، ارسطو . . .

وتعرب ايضاً الا في ما ندر اسماء وحدات المقاييس التي لها صفة عالمية امثال gramme, dyne, litre . . . ومشتقاتها décagramme, kilogramme, hectogramme الخ . . . ولا نرى رأي المجمع المصري القائل بان يترجم décimètre بالعشر و centimètre بالمشير و millimètre بالمشار وغايته احياء ثلاث مفردات عثر عليها في زاوية منسية من المصباح . والالفاظ cent, milli, déca . . . تدخل على وحدات كثيرة ويستحيل عملياً الاستغناء عنها ، وكذلك تنقل بالفاظها اسماء العناصر الكيماوية والاجسام المشتقة منها الا ما شاع عند العرب قديماً كالكبريت والقلو فنقول tungstène, cobalt, cadmium, brome, bore ويحتفظ بالاحرف اللاتينية للرموز .

هذه بعض احوال يتوجب فيها التعريب وليست غايتنا ان نحيط بجميعها . ولا نظننا مبالغين في نهج هذه الخطة من النقل ونحن ممن يودون ان تسحب من التداول ومن افواه سائقي السيارات امثال كاربيراتير ، موتير ، شمبرير ، أكس ، بوجي . . . وان تبدل بألفاظ عربية كالمفحم ، والمحرك كما حلت السيارة والطائرة مكان الاتومبيل والاڤيون . وفي استعمال العامة لهذه الكلمات دليل واضح على ان العلم والصناعة قد دخلا الاسواق قبل المدارس وكتب اللغة .

ومتى ربي الجيل الجديد على المفردات العربية وعمّ استعمالها بين الطلاب فالمفردات الاجنبية تتلاشى بفعل الحال ويبطل استعمالها بين الناس . اللهم اذا اوجدنا لها بديلاً سائغ اللفظ حلو السمع فلا نفعل فعل المجمع المصري الذي اقترح :

زَقزاقة بدلاً من motocycle .

قمّوان لذراعي مقود الزقزاقة .

ذبذاب بدلاً من pendule ويستعملون في سوريا لفظة نواس وفي لبنان رقاص

طبطابة « « مضرب لعبة ال cricket .

فكيف تشيع امثال هذه الالفاظ وتنطلق على الالسنة ! والمجمع هو القائل « ان في بطون المعجمات مئات الالوف من الكلمات المهجورة الحسنة النغم والجرس » !.

*

نقف عند هذا الحد من بحثنا وقد اردنا ان نبين موضعاً من مواضع الضعف في نهضتنا العلمية والاخطار التي تنجم عنه . وننهي مقالنا بفكرة عملية . ليس في وسع الافراد ان يفرضوا على امة بأسرها مشروعاً هاماً كتوحيد المصطلحات رغم الحاجة اليه وما يرجى من منافعه الادبية والعلمية. فالكلمة اذن للحكومات المسؤولة وللجامعة العربية التي تسعى في توحيد كلمتنا في مختلف مظاهر حياتنا القومية . هلّا اقرّت هذه المقترحات وعقدت مؤتمراً من الاختصاصيين ممثلين لاعضائها ، يتم عن يدهم وضع جداول بالمصطلحات والتعابير والرموز العلمية باللغات الثلاث العربية والافرنسية والانكليزية على ان تستعمل دون سواها في المؤلفات العربية وفي الامتحانات الرسمية. وهكذا نكون حققنا عملاً نافعاً للنشء العزيز ومهدنا السبيل امام علماء الغد .

واذا لم يلاق نداؤنا اذاناً صاغية عند الدول العربية فرجاؤنا الى حكومة لبنان ان تخطو الخطوة الاولى وتقرّر في داخل اراضيها توحيد المصطلحات. فلبنان كان ولا يزال الهادي في طريق التقدّم والرقيّ .

لا بد من المحافظة على العهود

او إشراف شمس العقود على الافول

ـــ شارل فابيه
استاذ في معهد الحقوق

حفزني حب الاستطلاع المهني لما كنتُ في « يابسي » Yabassi احدى مدن الكمرون الفرنسية الرئيسية ان ازور محكمتها واشهد احدى جلساتها ، فذهبت اليها ، فاذا بها كناية عن ردهة فسيحة كان يسود عليها ضرب من الرهبة، وفيها قاضيان من ابناء البلاد يحاولان التوفيق بين شخصين متخاصمين، ويدرسان دعواهما، فما كان مني الا ان جلست بالقرب منهما مع الترجمان .

· وكان احد المتهمين رجلاً طاعناً في السن تكسو وجهه لحية رمادية وتلمع عيناه بين اجفان تكاد تكون مطبقة. اما الثاني فكان فتى ممشوق القامة تبدو على وجهه علائم الصراحة .

وبعد ان اطلع الترجمان على قضيتهما لخصها لي كما يلي : هذا الفتى يدعى بيير وقد كان صياد سمك، فاوصى الشيخ المسنّ المدعو « نكومو » النجار، ان يصنع له زورقاً على ان يدفع له الثمن ثلاثمئة فرنكاً .

وقد جاء في بنود الاتفاق بينهما : على « نكومو » ان يسلم قبل الشتاء الزورق الى بيير ، ومضى خمسة اشهر او ستة على الاتفاق بينهما والشيخ لم يسلمه الزورق مع ان بيير قد دفع له اقساطاً من ثمنه بلغت قيمتها مئة وعشرين فرنكاً.

ويقول «نكومو» ان باستطاعته ان يسلّم خصمه زورقاً صغيراً جد الصغر ربما كان اوفق ان يلهو به ولد صغير في احد الانهار اكثر منه لبيير الذي لا يخوّله الزورق ان يمخر في ماء راكد. ومع ذلك يطلب «نكومو» ان يكون الثمن مائتين وخمسين فرنكاً لا مئة وثمانين .

وساء بيير الـذي كان مسيحياً وقضى بعض الوقت في المدرسة ان يرى الاستقامة عرضة للامتهان، كما استاء ايضاً من انتهاك حرمة العقد انتهاكاً صريحاً.

اما « نكومو » فلم ينكر اقوال خصمه ولكنه استغرب منه هذا الاصرار على البرّ بالعهد .

ورجال الادارة الفرنسيون في غير بلادهم يُعنون بعادات الشعوب التي عُهد بها الى فرنسا، حتى جعل عدد كبير من الملحوظات التي دوّنوها في هذا الصدد موضوعات اطروحات للفوز بشهادة الدكتوراه في الحقوق[1] .

وذهب الباحثون المنقبون الذين يُعنون بدرس حياة البشر (Musée de l'Homme) واقاموا بين هذه الشعوب ، وقد وضعوا كتباً لانهم كلهم من ذوي الكفاءات وصفوا فيها وصفاً دقيقاً حياة هذه الشعوب الاجتماعية[2] .

فثمة مؤلفات في متناول الجميع تصوّر عادات زنوج افريقية الاستوائية ، في خليج « غينيه » او في السودان[3] ، وتعالج هذه المؤلفات مطولاً قوانين الزواج والعيلة والوراثة ونظام الملكية العقارية . اما عقود المقاولات التي تحتلّ مكانة رئيسية في اقتصادياتنا وحقوقنا فنضرب عنهـا صفحاً ومن العبث ان نجد فيها بعض الايضاحات عنها .

ومراقبة زنوج افريقية عن كثب تحملنا على ان نرى في حقوقهم التقليدية المرونة التي تنظم اعمالهم انهم يكادون يجهلون مفهوم العقد عندنا .

وما اكثر ما تتاح الفرصة للمواطن الافريقي الذي يكفيه القليل لمعاشه ان يقايض بنتجات حراثته والبهائم التي يربيها والحيوانات التي يصطادها او ان يبيعها . فلذلك لا بدّ للصياد ان يطلب من الحدّاد نبالاً لقوسه والفلاح حديداً لمحراثه او ادوات زراعية اخرى .

ولا تجري هذه الاعمال بينهم الا عن طريق المبادلة او استخدام نقد لشبها يدعى (الكوري) cauri . اما اليوم فانهم يستخدمون بدلاً منه الفرنك او الشلن .

وتجري العقود بينهم من دون ان تتضمن اية موجبات كانت اي على قاعدة

---

١) ومن هذه الاطروحات التي قُدّمت في معهد حقوق بيروت : Maurice BERTAUT, *Le Droit coutumier des Boulous* ; Yves NICOL, *La tribu des Bakokos* ; François PUIG, *Étude sur les coutumes des Cabrais*. وما هذه الكتب الّا الجزء اليسير من الاطروحات من هذا النوع .

٢) مثلاً : (السودان الفرنسي) Denise PAULME : *Organisation sociale des Dogons*

٣) مثلاً : Maurice DELAFOSSE : *Les Nègres*

المقايضة التقليدية تارة او على مقياس البدل طوراً. وفي السودان نرى مبدأ المقايضة في اساس كل عقد وكل قاعدة للحياة الاجتماعية، ولا حياة لجمهورهم الا على قاعدة التبادل. ولقد شهدنا فتياناً يدرسون الحنطة في اثناء فصل الحصاد ليتناولوا اجرتهم من المشروبات بعدئذ ، وكذلك الحداد فانه يقدم للفلاحين ادواته الزراعية في غضون فصل البذار ، ولا يقبض ثمنها في الحال وانما متى انقضى الموسم يقوم برحلة يطوف فيها القرية حاملاً قربة بيده من جلد الماعز ، فيتقدم من الذين باعهم ادواته ويعرضها عليهم فيلقون فيها شيئاً من محصول الذرة التي حصدوها بفضل ادواته ... وتجري الاعمال من هذا النوع يومياً وفقاً لمفهوم ان دلّ على شيء فانما هو يشير الى اهمية مبدأ التريث لقبض الثمن[1] ...

فما اشدّنا بعداً عن منطوق واجبنا الجامد الناجم عن التعاقد حسب طريقة الرومانيين! واذا كانت الحقوق لدى شعوب البحر المتوسط القديمة تشتمل على اشكال عديدة بزاياها الخاصة الرسمية بجمل العقود والارتباط بها كمقاولات مقبولة الشروط، فاننا لا نلحظ شيئاً من هذا النوع في الاجراءات الموروثة عن جدود سود افريقية الاقدمين . فعندهم البحث في شؤونهم التجارية والتعاقد بوضع اليد باليد الطريقة المعروفة لدى الجميع ، بيد ان هذه العادة لا تشكل لديهم عهداً باتاً كما هي الحال لدى الفلاحين الاوربيين، بل تدل على مهادنة بسيطة اذا ما تباينت المصالح لتشير الى قبول مصالحة موقتة لا امل منها .

ولقد تمّ الاتفاق بين بيير و « نكومو » يوماً على بناء زورق بثلاثة فرنك وكان نكومو يعترف بذلك. اما بيير الذي اوحى اليه ارتياده المدرسة ومخالطته البيض ما يكنه هؤلاء من احترام للعهود التي يقطعونها بموجب عقد بينهم فكان يقول : من واجب نكومو ان يقوم بتنفيذ ما وعد به لقاء الثمن المتفق عليه، وان لم يكن حجم الزورق محدداً لان الاستقامة توجب عليه ان يبنيه كافياً ليستخدمه بيير، فنكومو لم يكن يجهل عندما تم الاتفاق قامة بيير ولا مهنته ، على حين ان نكومو رفض بعقليته الجامدة كافريقي قديم وبدون ادنى مبالاة ان ينجم عن ذلك الاتفاق واجب الزامي عليه ان يتممه بصرف النظر عن اي اعتبار جديد آخر، من حيث اذا كان ذلك من مصلحته او مما يلائمها .

[1] Denise PAULME, *op. cit.*, p. 559.

ولم يكون العقد بينهما الا ضرباً من ضروب المصالحة التي يظل احد الطرفين المتعاقدين حرًا في ان يضع حدًا له متى شاء من دون ان يكون للفريق الآخر ان يرى في ذلك ما يخالف القانون .

وربما كان نكومو يعرف ان للبيض مفهوماً في هذا الموضوع مختلفاً عن مفهومه،وعلى كل انه مفهوم يطبق عندهم ولا يصلح العمل بموجبه الا في العلائق بين السود والبيض وذلك اذا ما دعت الحاجة فقط . اما في علاقات السود بعضهم ببعض فلا قيمة له .

ولهذا السبب لم تتحقق المصالحة بينهما في تلك الجلسة . اما القاضيان اللذان عملا على اخفاق الوفق بينهما فلم يقررا رفض اعادة النظر في امرها ، فكأنهما شعرا وجدانياً ان الاتفاق يتعدّى نطاق الدعوى التي كان عليهما ان ينظرا فيها بالاستناد الى مفهوم موروث عن الجدود يعرفونه حق المعرفة وبين مفهوم جديد كانوا يستشعرون ضرورته كقاعدة للعلائق الاجتماعية في وسط اخذت تتطوّر فيه ضروب النشاط الفردي وشرعت تتباين شيئاً فشيئاً. على حين ان المبادلات كانت آخذة بالاتساع على صعيد واحد مع ذلك التطور . ولو كان قُدر لها الوصول الى تحقيق الاتفاق بين المتداعيين فانهما كانا يعتبران ان تطور تقاليدهم هو للمصلحة العامة .

ولم يكن لديّ سبيل الا ان اقدّر لذينك الشهمين وجدانهما وحكمتهما، ولا سيما لانهما لم يحاولا التسلق الى السلطة الاوربية التي استندت اليها وظيفتهما، ولم يجربا ان يفرضا بالعنف القاعدة التي يعمل بها البيض ، ويعدونها اسمى من قواعدهم ، من حيث قيمة العقود الملزمة، وذلك في الوقت الذي كان يبدو فيه البيض على استعداد للتخلي عن التقيد بهذه العقود وان لم يعلنوا صراحة رأيهم هذا .

٥

ما برحت حياتنا الحقوقية تسيّرها قواعد بعضها من الوصايا العشرة وبعضها حديث النشأة ، وهذه الاخيرة ليست من السمو في الدرجة التي للقواعد القديمة .

ولقد ورثنا الكثير منها عن الحقوق الرومانية كما كانت في القرن الرابع المسيحي : كالقاعدة القائلة ان العقود الصحيحة وان في ابسط اشكالها تكوّن القانون للمتعاقدين حتى ينتهي تنفيذها : « تجب المحافظة على العهود » .

وعندنا ان العقود التي تمت شرعاً تكوّن حق الانتهاء من تنفيذها القانون للمتعاقدين . فمتى كان الفرقاء المتعاقدون ذوي اهلية تمكنهم من التعاقد سواء من حيث سنهم او صحة عقولهم ولم يجردوا من ممارسة اهليتهم وتموا عقداً بدون خطأ وتحيّل او اكراه مبطل بشأن عمل ممكن مشروع، فان رضاهم تتلد منه موجبات عديدة بحسب طبيعة العقد ومزاياه وتكون قابلة للتنفيذ بواسطة الاكراه الاجتماعي .

ان المدين لا يستطيع ان يتفادى عن ايفاء الدين الذي تعهّد بـه واذا لم يسقط الدائن دينه ولم تكن هناك قوّة قاهرة ، فان ادعاء المدين الخسارة في اعماله والخطأ في تقدير ما كان يقع على عاتقه بسبب الظروف التي لم يكن يتوقعها في اثنـاء العقد ، فثقلت كاهله تثقيلاً لم يكن بحسبانه ، لا تجعله غير موجب بالايفـاء . فاذا رفض ان ينفذ ما تعهد به لانه اصبح حملاً باهظاً عليه لم يكن يتوقعه وانه سيؤدي به الى الافلاس ، فانه لا يعرض نفسه للحكم عليه والاكراه القانوني فقط ، بل الى تلويم الرأي العام له : من وعد بشيء عليه ان يبر بوعده .

❖

لا يتناول مفهوم قيمة العقود الموجبة ، العلائق الفردية فحسب،بل يتعدّاها الى علائق الامم بعضها ببعض ، ويستند في ذلك الى حق الافراد فقط التي اصبحت تقليداً دولياً معترفاً به، بل الى معاهدات اخذت بالازدياد والتعقيد يوماً عن يوم .

وفيما يختصّ بعلائق الامم لم تبق قيمة العقد مقدسة الى تلك الدرجة حتى لا يجوز مسها . فمنذ وقت طويل سلموا بتخفيف حدة المعاهدات (تعديلها) باعتبار ما طرأ من تبديلات على الظروف بعد عقدها،وحتى في وقت لمدة معينة فان تنفيذها بالحرف لم يكن موجباً الا في الحالة الراهنة . اما في الحالة المعاكسة فتعدل او تهمل .

ولما كان تقدير تبدل الظروف عرضة للاخذ والردّ في تحقيقه،ولما كانت مراجع تنفيذ الموجبات الدولية ما زالت بدائية جد البداءة،فلذلك لا نستطيع ان نقارن مفعول المعاهدة الالزامي بقوة العقد الخاصّ الالزامي .

اجل ان الحقوقي يجعل تمييزًا بين الحقوق الداخلية والحقوق الدولية وبين القواعد التشريعية ، على حين ان الجاهل يقبل بالفطرة وحدة الحقوق بصفة كونها قاعدة اجتماعية قد تعممت – والظاهر ان تطوّر الحقوق لا يشجب هذا الشعور .

ووفقاً للغة رجال القانون : لا بدّ ان يكون هناك جذع مشترك لاننا نتكلم عن فروع الحقوق . . وانجازًا لهذه الصورة المجازية يصح القول ان شجرة الحقوق تنبت في وقت ما فروعاً جديدة كأنها تختلف عن الفروع السابقة، ومتى اصبحت غضّة تشابكت اوراقها باوراق الاغصان الاخرى . ولذلك اشار الحقوقيون المتوقدو الذهن[1] الى تداخل الحقوق بعضها ببعض . وفي الواقع ما زلنا نجهل كيف كان قضاة الامبراطورية الرومانية يطبقون في احكامهم مبدأ « يجب الحفاظ على العهود » واي تعديل يخفف من حدته كانوا يلجأون اليه في سبيل اقرار العدل .

والذي نعرفه ان علماء الحق القانوني في القرون الوسطى كانوا يعتبرون البند « بحسب الحالة الراهنة » – (rebus sic stantibus) مقدرًا ضمناً في جميع العقود وحتى في عقود الحقوق الخاصة، لانهم كانوا يقولون ان المتعاقدين مفروض فيهم انهم اخضعوا ضمناً قيدهم بتنفيذ موجبات عقودهم المعينة للمحافظة العامة على الحالة الراهنة القائمة في وقت اتمام العقد .

وتبنت هذه النظرية مدرسة بارتول (Bartole) ومن ثم التعليان الايطالي والالماني حتى القرن الثامن عشر . اما كبار مشترعي القرنين السابع عشر والثامن عشر الفرنسيين فنبذوها، بحفزهم حرصهم على ان يجعلوا الاستقرار في جميع القوانين استقرارًا يبدو اقل وهماً مما هو عليه في الاوقات الحاضرة .

وفي الخارج قبل كروتيوس (Grotius) وپوفندرف (Puffendorf) ان يقتصروا في تطبيقه على الحقوق الدولية . اما القانون المدني الفرنسي وعلماء حقوق التاسع عشر فاهملوه كل الاهمال في الحقوق الخاصة .

(1 Jean Riveno professeur à la Faculté de Droit de Poitiers *Droit public et droit privé : conquête ou statu quo.* Chronique au Dalloz, 1947, p. 69.

ان عدم الاستقرار في الحالة الاقتصادية الذي مردّه الى عهد الحربين الكبيرتين اللتين بدأت اولاهما سنة ١٩١٤، والاحترام الكبير للمزايا التقدمية في علم الحقوق، وتأثير مفاهيم الحقوق العامة — كما اشرنا — على مفاهيم الحقوق الخاصة، قد آلت الى حلول رشيدة، وبيّنت ان ثمة تقرّباً في الحقوق الخاصة من مفهوم مشترعي القرون الوسطى، الذي بطبيعته ظلّ، كما رأينا، مفهوم الشعوب التي لم تجاورنا في مضمار التطوّر.

٥

وجاء في نص المادة ١١٣٤ من القانون المدني الفرنسي بعبارات جازمة: « ان العقود المكوّنة قانونياً تقوم مقام القانون لدى الذين عقدوها. فلا يستطاع فسخها الا بموافقتهم جميعهم وللاسباب القانونية».

وتنص هذه المادة نفسها ايضاً على انه « يجب ان تنفذ بحسن نية ». وفي غضون المئة السنة من الاستقرار الاقتصادي التي تلت القانون المدني لم يخطر ببال احد ان يكتشف بعبارة « حسن نية » فاتحة لتطبيق البند القائل « يجب المحافظة على الحالة الراهنة »، مع انهم قد استنتجوا من المادة ١١٣٤ انه على القاضي ان يتقيّد بالعقد كتقيّده بالقانون نفسه، فلا يعدّل شرطاً من شروطه ولو مهما كانت اعتبارات العدالة واضحة بخصوصه.

ولهذا السبب ابت محكمة التمييز الفرنسية سنة ١٨٧٦ على القاضي صلاحيته ان يرفع ديناً بواسطة عقد في القرن السادس عشر معيّن فيه اصلاح اقنية الريّ — على انه من الواضح ان القيمة المنصوص عليها في العقد اصبحت لا تكفي ابداً عقب التبدلات التي طرأت على النقود.

واحكام كثيرة من هذا النوع وكلها واضحة الحجة قد رُدّت[1]، وفي سنة ١٩٣٣ نظرت محكمة التمييز الفرنسية بدعوى في اصلها ان احد المدينين بالمشروبات كان قد تعاقد مع صانع جعة لم يكن بتاريخ العقد يصنع غيرها من المشروبات على انه من عنده فقط. وبعد ان وسّع صانع الجعة عمله وشرع يصنع (الليموناده) و (الكازوز) ادعى على ذلك الرجل بان تعاقده معه

(1) Cassation française, 6 mars 1876. aff. Canal de Craponne. D. P. 76. I. 193 ; 17 Juin 1896, D.P. 99. I. 159; 8 août 1900. Sir. 1903.1.46.

يجبره على ان لا يتموّن الا من عنده من هذه المشروبات[1] . وكررت المحكمة تأكيدها انه لا يجوز للقاضي لسبب عدل او لاي سبب آخر كان ان يعدّل عقدًا الشيء بكل حرية ويحمله يشمل بضاعة اخرى لم ينصّ عليها . .وفي هذا الباب يشتمل قانون الموجبات اللبناني على عبارة اشد مرونة واكثر حكمة من عبارة القانون المدني الفرنسي وقد نصّ في مادته ٢٢١ : « ان العهود المتممة شرعياً تجبر المتعاقدين وعليهما ان تُفهم وتأول وتُنفذ حسب حسن النية والعدل والعادات ».

والعبارة التي اقترحها الشارع اللبناني هي العبارة نفسها التي اقترحها احد الحقوقيين الفرنسيين الذي لم يكن يجهل القانون المدني ولا قيمة الكلمات وانما كان من ذوي العقول النيّرة التقدمية الانسانية[2] .

ولا مندوحة من ان يؤول الاختلاف بين العبارتين الى حلول تختلف اختلافاً محسوساً عن الحلول التي جئنا على ذكرها .

وثمة متسع لنأخذ بعين الاعتبار في المادة ٢٤٩ من قانون الموجبات : « يجب على قدر المستطاع ان توفى الموجبات عيناً اذ ان للدائن حقاً مكتسباً في استيفاء موضوع الموجب بالذات ».

ج

ان موجبات الملتزم والمقاول في العقود الحكومية كالتزام للمصلحة العامة وكسوق الاعمال العامة (وعنابر التجهيزات) لاشد صرامةً حيال الدول والمجتمع العام من موجبات المدين بعقد خاص . ففي حالة الشك يُفسّر العقد اولًا بشكل صراحة لصالح قيام المصلحة العامة باعمالها قياماً منتظماً ، مفيدًا وفقاً للتقليد العام،الملتزم والمقاول مجبران على تنفيذ كامل بشروط العقد طالما بالاستطاعة الوفاء بها ولو طرأت حوادث استثنائية لا دخل لارادتهما بها وجعلت امر تنفيذها يلقي عبئاً باهظاً عليهما ويؤدي بهما الى الافلاس .

وما الذريعة في هذا الصدد الّا قولهم ان القضية هي تأمين استمرار المصلحة

---

[1] Cassation française, 8 mai 1933, D. Hebd. 1933, 395.

[2] Louis JOSSERAND, professeur à la Faculté de droit de Lyon, Conseiller à la cour de Cassation.

العامة وانتظامها لان توقفها يحدث اضطرابات اقتصادية واجتماعية خطيرة ولان الحكومة نفسها لا تستطيع ان تحلّ فورًا محل الملتزم والمقاول ، ولا ان تجد حالًا خلفًا، بالشروط نفسها التي لم يتقيّدا بها . واذا فسخ المقاول عقد تعاونه مع المصلحة العامة من دون ان تكون هناك موانع تجعل الوفاء بشروطه مستحيلًا، اعتبر مسؤولًا وغرّم العطل والضرر وسقوط حقه من العمل وتحمل الاضرار والخسائر . وانه لحلّ شديد القسوة في العقود ذات الآجال الطويلة، اذ ان هذه العقود في التزامات المصالح العامة قد تمتد غالبًا الى نصف قرن او الى قرن تقريبًا . على حين ان الاوضاع الاقتصادية قد اصبحت منذ الحرب العالمية الاولى لا تعرف الى الاستقرار سبيلًا . لكنهم يتذرّعون لتبرير هذه القسوة بمصلحة الامة العليا التي كانت تنطبق على مفهوم القانون المدني القائل بقوة العقود الموجبة .

وفي اثناء الحرب العالمية اوجد ارتفاع اسعار البضائع والخدمات بسبب كثرة الطلب وتدني ثمن النقد، حالات عديدة اضطرت المقاول والملتزم الى الافلاس من جراء تنفيذ موجباتها. ولكن هل لكل منهما من فائدة اذا ما افلسا او اذا ما اصبحا في وضع يستحيل فيه عليهما الوفاء بتعهداتهما، على حين انه لم يكن احد مستعدًا لا الامة ولا الفرد ليستأنفا عملها في شروطها نفسها ؟

ورأى الحكمة قبل قاضي الادارة الفرنسي ومجلس الشورى منذ سنة ١٩١٦ ان تؤازر الحكومة من يعاونها ليقوى على التغلب على الضائقة التي كانوا يعتبرونها ستنتهي بانتهاء الحرب . فنشأت عن ذلك نظرية غير المنتظر التي توجب على القاضي ان لا يصلح العقد، وانما ان يحكم على المقاول بالوفاء بتعهداته والتعاون مع المصلحة العامة بموجب شروط العقد وذلك حيال الحوادث الاستثنائية التي لا ارادة للمتعاقدين فيها التي كانت غير متوقعة في غضون اتمام العقد. وانما يحق للمقاول ان يطالب باشتراك الحكومة في الخسائر تحت شكل تعويض[1] . وفي سبيل تحديد هذا التعويض ينبغي ان لا نأخذ بعين الاعتبار الربح الذي لم يُفز به، وانما الخسارة الناجمة عن مجموعة العقد، واذا كانت تستدعي الافلاس وقابلة لتفضي الى ايقاف المصلحة لتضرّ بالامة .

(1) Le premier arrêt du Conseil d'Etat fût rendu au profit de la Compagnie du Gaz de Béthune le 30 mars 1916.

ولقد كانت اول مخصصات للتعويض عن الخسائر غير المنتظرة تستند الى فكرة مساعدة موقتة للشريك في العقد، تمكنه من اجتياز فترة صعبة، على ان ينقطع التعويض متى تصبح الاوضاع الاقتصادية قريبة من اوضاع العقد وتنقطع الخسائر عن ان تكون مجلبة الافلاس .

ولما لم يتحقق الامل بالعودة الى الاوضاع الاقتصادية السابقة كان لا بدّ من النظر في تعديل العقد، ولم تستطع الامم الا ان توافق على تعديله في جميع الحالات التي بدا لها فيها انها لا تقوى على الاستغناء عن المساعدة الخاصة .

ومنذ ذلك العهد شرع جميع الملتزمين لآجال طويلة لا يحجمون عن ان يدخلوا في صلب دفاتر شروطهم بنودًا لاعادة النظر فيها . بحسب القرائن او بموجب قوانين معيّنة .

وعلى هذه الصورة قد عادوا ظاهرًا الى تطبيق العقد تطبيقاً دقيقاً ، وانما جعلوا له مرونةً لم يكن يعرفها من قبل. ولا ريب في انه اذا طرأت ظروف اصبحت معها شروط التعاقد عاجزة عن انقاذ الملتزم او المقاول، استأنفوا عودتهم الى نظرية الامور غير المنتظرة .

لم تتناول نظرية الامور غير المنتظَرة العقود الخاصة، وانما مذ اندلعت ألسنة الحرب اتخذ الشارع على عاتقه امر التدخل في العقود الخاصة وعمد الى تمديد اجلها. ولما دام القتال امدًا طويلاً جدّد هذا التمديد ، وما هي الا بضع سنين حتى ادرك انه لا يستطيع الرجوع عن هذا التمديد بسبب ما اعترى الحالة الاقتصادية من طوارئ عميقة الا بالتخفيف من اعباء المدينين . فاتخذت — لهذه الغاية — قرارات في لبنان منذ سنة ١٩١٩ يحق اعادة النظر في عقود الاجارات وانشئت لجان تحكيمية خاصة لذلك .

وترتّحي القراران اللذان صدرا الاول رقم ٦٥٥ بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٢١ بشأن تسديد الديون المؤجلة، والثاني رقم ٧٩٧ في ٣١ اذار ١٩٢١ بشأن فسخ بيوع الحرب هذه الغاية .

وكان هدف القرار الاول الرئيسي تمكين المدينين بعملة تركية وخاصة بعملة تركية ذهبية ان يسددوا ديونهم التي انتهى امد تأجيلها بداعي الحرب .

الحرب بفائدة اقل من الفائدة التي لو ساغ للدائنين ان يطالبوهم بها وان يدفعوها بنقد لبناني تساوي قيمته قيمة الليرة الذهبية التركية بسعرها الرسمي لسحقتهم سحقاً.

ولا يهمنا في هذا البحث معدل الفائدة الذي تبناه الشارع في قراره الا قليلاً، ولكن لا مندوحة لنا عن ان نذكر في هذا الصدد بعض تلك الاعتبارات التي كانت كتوطئة لقراره :

« وحيث انه من خصائص كل دولة ان تعين قيمة النقود التي أنشئت في اراضيها بموجب قانون، وحيث ان المتعاقدين من جهة اخرى باشتراطهم عملة معلومة قد تعرضوا ضمناً للتقلبات التي يمكن ان تحصل في هذه المادة من جراء نظامات تشريعية جديدة تقضي بها ظروف قاهرة او ضرورات اقتصادية ...

« وحيث ان التدابير التي اتخذت في هذا الصدد ترتدي طابع النظام العام، وان المحافظة عليها تفرضها وتقررها الضرورات الاقتصادية والحالة النقدية الحالية التي تكوّن ظرفاً قاهراً ... » الخ.

ورسم الشارع بمناسبة الديون النقدية بعبارات حكمية صريحة قاطعة حق الدولة في التدخل بتنفيذ العقود الخاصة وفقاً للظروف الاقتصادية الطارئة التي لم تكن متوقعة في اثناء اتمام العقد « بما ان عدم انتظار وقوع الامور هو احدى ميزات حالة الظروف القاهرة ».

وانشأ القرار ٧٩٧ قانوناً استثنائياً في لبنان وبلاد العلويين لفسخ البيوع وضمان العقارات التي باعها اصحابها في اثناء الحرب . ولقد كانت تلك العقود من المتفق على فسادها بصورة عامة لانها تمت تحت مؤثرات العنف والاكراه والاحتيال وذلك دون نظر الى الحالات الخاصة. ولم ينظر القانون في سبيل تفادي تلك القرائن الّا ان يأتي بالبرهان المناقض لها. فكان على الذين اشتروا الاملاك في ايام الحرب لا يستطيعون التهرب من فسخها ما لم يدفعوا عنها ثمناً اضافياً يخضع لتحكيم المحكمة .

ان القرينة العامة التي لا تدحض لا تصدر عن الوقائع، فلذلك ليس لها الّا اساس قانوني. والواقع انها لم تكن الّا التعبير عن الحقوق التي ادعاها الشارع لنفسه ليعيد النظر في العقود الخاصة .

لقد اتاح تدني النقد او تخفيضه الذي توالى منذ سنة ١٩٣٦مناسبات اخرى امام الشارع للتدخل في تنفيذ العقود الخاصة ولذلك سنقتصر على التذكير بالتدخلين الاولين .

ان القرارين رقم ٢١٢/ل.ر و ٢١٣/ل.ر الصادرين في ١٢ تشرين الاول ١٩٣٦ قد عدلا تسوية الديون المدنية الناجمة عن اقراض النقود المدونة بعملة غير الليرة اللبنانية او السورية او الفرنك الفرنسي وتنفيذ عقود الايجارات المعقودة بعملة غير العملة اللبنانية والسورية والفرنسية .

وفي المقدمة على هذين القرارين لم يهتم الشارع لتبرير تدخله، وانما اكتفى بالتصريح « ... لتتفق الحكومات[1] على الحكم بضرورة التدابير التالية ». ومن ذلك العهد قد تصرّف دائماً بالتأكيد نفسه. وقد يكون من العبث ان نعدّد بالتفصيل الحالات التي تدخل فيها بالعقود الخاصة في اثناء الحرب من ١٩٣٩ الى ١٩٤٥ ولا سيا في قضية ايجارات المنازل : لانها لا تزال ماثلة في اذهان الجميع .

ولقد اصبح من الان وصاعداً عدم تردّد الشارع في ممارسة صلاحيته لاعادة النظر في اي عقد كان من الحقوق الخاصة مبدإ ، اذا رأى الظروف تقتضي ان يتدخل .

٭

ان القدامى الذين درجوا على احترام العهد المقطوع والمواثيق الموصولة احتراماً يكاد يكون اشبه باحترامهم للامور الدينية يستنكرون هذه الاجراءات ويعتبرونها كمظاهرات «لأفول الحقوق» ، التي كتب احد كبار علمائنا الفرنسيين في صددها ما مآله : « ما هو ضعف الحقوق الجديدة التي تُعدُّ ؟ انه هو الذي اوجدته حكومة ذات سلطان لا تعرف حدوداً لاستبدادها ولا تستشر الا بتقلبات الرأي العام .

«لا ريب في انهم ما برحوا يؤكدون انه من الواجب تحقيق العدل ، ولكنهم يقولون اليوم العدل الاجتماعي فحذار حذارِ كل صفة يصفون بها العدل» [2] .

---

(1) Il s'agissait des gouvernements des États du Liban, de Syrie, et des Alaouites.

(2) Georges RIPERT, Membre de l'Institut de France, professeur à la Faculté de Droit de Paris. *Le déclin du droit, étude sur la législation contemporaine.* Paris 1949, p. 7

« ان كل شيء يصبح حقوقاً عامة »[1]. « بيد ان اشد القلاقل يتأتى عن تدخل الشارع ... ان ذاك الاحترام « للعقود » قد زال من الوجود»[2] .

ومما لا سبيل لانكاره هو ان تدخل الدولة قد كان غالباً تدخلاً اخرق اذ اعدّه موظفون لم تستو كفاءتهم مع حسن النيّة، واقرّه مجلس نيابي بدون ان يتعمق في مناقشته اذا كان همّه الاستعجال في اتخاذ المقررات، وغالباً ما كان هذا التدخل بغيضاً، عندما املته الاهواء السياسية وفكرة الاحزاب الانتقامية بعد وصولها الى الحكم.

ويصدر هذا التدخل عن الفكرة التي جئت بمثل حسي عليها وهي موجودة في المجتمعات الانسانية العريقة في البداية : وليست الفكرة المشار اليها غير ان العقد هو الذي ينظم علاقات البشر بعضهم ببعض بصفة كونهم يعيشون في المجتمع، فهو حتماً يتأثر تنفيذه بالتقلبات الاقتصادية الطارئة على هذا التنفيذ.

ومنذ الساعة التي لا يتمّ تنفيذ شروطه فوراً ولا تظل الحالة الاقتصادية مستقرة طول مدة تنفيذها، ينبغي للمتعاقدين ان لا يعتبروا بان انجازهم لشروطه سيتمّ وفق نصوص عقدهم تماماً .

ان القاعدة القائلة بالحفاظ على المواثيق(Pacta sunt servanda) والمادة ١٣٤ من القانون المدني النابوليوني قد كانتا وليدتي عهود استقرار اقتصادي واجتماعي لن نعرفه ابداً. اما المتعاقدون الفطنون فلا يفوتهم ان يتوقعوا (اعادة التوفيق) بين عقودهم والظروف الطارئة .

وفضلاً عن هذه التحوطات للمستقبل لا بد لنا من ان نتوقع ان يتدخل الشارع تدخلاً اعتاده لدى التقلبات الهامة الطارئة يوم التعاقد اما تدخلاً بنفسه واما ان يعهد به الى القضاة .

أوَ لا يستطيع الشارع ان يستنيب عنه القضاة ليتولوا دائماً امر التوفيق بين العقود والظروف القائمة ويمنحهم هذه الصلاحية .

ويبدو لنا ان تطوراً في هذا الاتجاه ان لم يكن قريباً جداً فليس لنا من سبيل لننكره ، وذلك بسبب استمرار عدم الاستقرار الاقتصادي واتساع مفهوم الحقوق الاجتماعي. وما علينا الآن ان نتبيّن ، بشعور مختلف، افول شمس العقود.

(1) Ibidem, p. 37

(2) Ibidem, p. 182

الأميرة هيفآء والامير فخر الدين الكبير

رواية لبنانية تاريخية أدبية (تابع)

بقلم
الاب مبارك ثابت اللبناني
رئيس دير المخلص في البرازيلة

١١

الى توسكانا

ايقن الامير انه لا قبلَ له بمصادمة الحملة التركية وقد تفرّق عنه محالفوه وسُدّت في وجهه طرق النجاة الى حوران للاتصال بحلفائه فيها . ولم يبق الّا باب البحر مفتوحاً من ميناء صيدا . فأبرم العزم على السفر الى ايطاليا قبل فوات الفرصة ما دام هذا الباب غير مقفل في وجهه. فاوعز الى الحاج كيوان ان يهيئ معدّات السفر. وكان قد رمّم قلعة بانياس وقلعتَي ارنون وشقيف تيرون وجهزهما بالميرة والذخيرة ورتّب لحمايتها فِرقاً من السكبان ونقلَ حاشيتهُ وعائلته الى قلعتي بانياس او الشقيف الّا زوجته التي كانت في صيداء. ولم يعد يتيسَّر له ارسالها الى احدى القلعتين فعزم على أخذها معه الى اوربّة .

وارسل الى قلعة الشقيف يُخبر هيفاء بعزمه على ركوب البحر ويوصيها بالتجلد على فراقه الى ان يفتح الله ابواب الفرج ويسهّل سبيل اللقاء. فوقع الخبر في قلبها وقع السهام وبكت بكاء مرّاً وكتبت تقول له: الصبر يخونني منذ الساعة. لا طاقة لي بفراقك . فان شئتَ ان اكون معك حيث تكون والّا فما بيني وبين اليأس الّا خطوة قصيرة . ويوم تركب انت السفينة أركب انا الجنازة . تودّعني وانت على شاطئ البحر واودّعك وانا على حافة القبر . اذا بلغك نبأ موتي فاذكرْ محبتي لك مدى تسع سنوات[1] قضيناها معاً تحت سقف بيتك ايها

[1] تزوج الامير بابنة يوسف باشا عام ١٦٠٣ ثمَّ بابنة عمها الامير علي سيفا عام ١٦٠٥. وفي ذاك العهد تزوج حسين بن يوسف باشا بابنة المعني . وقال بعض المؤرخين. ان الذي تزوجها هو يوسف باشا نفسه .

الاميرَ الحبيب . واذكرْ ما تقدَّمها من سني محبتنا المصورة بالاشواق والمولودة بالآلام . اذكرْ ذلك يا اميري المحبوب وبلِّل الهواء الغربيَّ بدمعةٍ وسلهُ ان يمرَّ على قامة الشقيف ويمسح بجانحه المرطّب على ضريح زوجتك هيفاء.

فلمَّا قرأ الامير الرسالة اخذ يتأوه ويتضور ويجرض بريقه ولم يملك نفسه من البكاء. وكان يعلم ان ما تقوله هيفاء انما هو مثال ما بقلبها . فايقن انه ان سافر دونها ، فان لم تنتحر يأساً هلكت غمًّا . ولم يكن حبه اياها باقلَّ من حبِّها اياه . فوقع في حيرةٍ من امره. إن استقدمها الى صيداء فقد لا تبلغها قبل عَود الاسطول العثماني الى مينائها[1] وان خلَّاها فقلبهُ لا يطاوعه بعد ما علم من حالها . فقرَّ رأيه على استقدامها . فالقى هذه المهمة الى الشيخ ابي نادر الخازن واوصاهُ ان يأتي بها في خمسين من مماليكهِ .

والقى مقاليد الحكم في غيابه الى اخيه الامير يونس ونصب ابنه عليًّا معاوناً له وامرهُ بالانتقال الى دير القمر . فاصبحت هذه المدينة قاعدة لبنان ومركز حكومته ومقرَّ الامراء المعنيين فالشهابيين فالمتصرفين الى عهد الحرب الكونية. وكان الأمراء المعنيون قبل رحلة الامير يصرفون فيها طائفةً من فصلَي الشتاء والربيع وكانت قاعدة حكمهم بعقلين. وقد خفيت علة انتقالهم الى دير القمر بعد سفر الامير. ولعلَّها فضل ركونه الى اهلها واعتماده على بأسهم ودهائهم واخلاصهم وبقاء وفائهم وولائهم مع ما لمدبّره الحاج كيوان نعمه الديراني من جليل الفعال في وجه المعنيين ولا سيما هربه بالاميرين فخر الدين ويونس الى كسروان انقاذًا لحياتهما من سخط تركيا المتقيّ في سنة، بإثر عدوّهما السفّاح ابراهيم .

وقبل ان يتمَّ اسبوعان وطَّأ السفرُ ظهره للامير . فاجتمع الى صيداء حشدٌ كبيرٌ من اعيان الشوف ليشيعوهُ وفي طليعتهم اخوه يونس وابنه عليّ . وكان في الميناء مركبان افرنسيان ومركب هولاندي استأجرها الامير[2] .

فأقلَّه احد المركبين الافرنسيين في خمسة وعشرين من مماليكه وحمل الآخر زوجته خاصكية ومعها جواريها واخوها الحاج عليّ بن ظافر . واقلَّ

---

١) كان احمد باشا الحافظ قد استقدم العمارة الثانية من رودس الى صيداء حؤولاً دون فرار الامير بحرًا . وما لبثت ان اقلعت لاستنقاذ مركب من ايدي القرصان على ما مرَّ.

٢) قال مؤرّخ حياة الامير : وأدّى اجرتها خمسة عشر الف ذهب وبقي معه من ماله خمسة وعشرون الف ذهب ووزّع بين القلاع مئة الف ذهب لنفقاتها.

المركب الهولاندي زوجته هيفاء. ومعها الحاج كيوان وخوادمها وخمسة وعشرون مملوكاً . وكانت هيفاء قد قدمت من قلعة الشقيف بخفارة الشيخ ابي نادر وخمسين نفراً عليهم البلوكباشي مصلي اغـا . قال بعض المؤرخين ان الامير استصحب اربعاً من نسائه . ولما اقلعت المراكب وقف الامير واخذ بيمناه منديلاً ابيض يهزهزه في الهواء تحيةً وتوديعاً فيهزهز المشيّعون مناديلهم وهتفوا بصوتٍ واحد طبّق الفضاء: على الطائر الميمون ! واجهش كثيرون في البكاء.. وكان بعضهم يقول : لا طال غيابك ! وبعضهم . لا عدتَ الّا ظافراً بناك ! وآخرون : لا تنسَ رجالك وبلادك يا امير ... وظل المودعون والمشيّعون على التخاطب بالاشارات والعيون تلاقي العيون والقلوبُ تلاثم القلوبَ الى ان اتسعت شقة البعد واسبل الليل حجاب الظلام بين الفريقين .

مخرت المراكب كنسور تشق باجنحتها جوف الهواء وتطوي باسراعها فيفاء الفضاء . فاحتجب عنها البرّ واكتنفتها زرقة البحر وبينا السماء صافية وحركة الموج بطيئة وقلوب المسافرين مطمئنة اذا بالريح تعصف وبالنجوم تتوارى وراء سحاب متلبّد . وبالضباب يلتف كثيفاً على السفن. وبالامواج تتلاطم وتطفو وتسقط على المراكب جبالاً . فأمست في هبوطٍ وصعود كمن بطن وادٍ الى ظهر تلّ ومن قمة تلّ الى بطن واد . فوقع في قلوب ركابها الرعب واشتد عليهم الخطب وايقنوا بالهلاك ورفعوا اصواتهم بالدعاء . ضلّوا الطريق في جوف الازرق الغدّار وتمثل كلّ قبره في اعماق اللجة وبطون الحيتان . وتخالف سير المركب وابتعد كلّ منها عن صاحبَيه تتجاذبها ايدي الافتراق . وتمثل شبح الموت لرجال الامير في اشد الصور هولاً . وخانتهم الحيلة وسُدت في وجوههم مذاهب النجاة . الخوف واليأس مستوليان عليهم لكن احدهم لم ينبث بكلمة تذمّر . اخرستهم شدة محبتهم للأمير . تناسوا الخطر الملمّ والخطب المدلهمّ واقبلوا على اميرهم بثغور باسمة قائلين : باورواحنا انتَ ! حبذا الموت في سبيل حياتك ورضاك . وكان هو يشجّعهم ويؤمّلهم بقرب الفرج ويثير في انفسهم رجاء الخلاص ويذكّرهم بالبسالة التي خاضوا بها المطامع وجابهوا المخاطر والشدائد وخرجوا على ذلك سالمين . لان السلامة مكتوبة لهم وما كُتب لامرىءٍ فليس منه مفرّ .

وكان يتمنى لو كان الى جانب هيفاء في مركبٍ واحد لكان يعضد

ضعفها ويلطف من ذعرها ، وان كان لا بد من ملاقاة الحتف في مبلع اللجة يلاقيانه معاً متعانقين فتفيض روحه على قلبها وروحها على قلبه وان ملك ان يفديها بحياته فذلك احبُّ اليه لانه اكمل في المحبة واعرق في الاخلاص . ما حيلته وهو لا يملك لا هذا ولا ذاك ! أخذ يلوم نفسه على حمله هيفاء في غير مركبه ، وزاد في غمه وقلقه انه لا يدري أحيَّة زوجته ام ميتة . وكان ينتقل من فكر الى فكر فا يزيده الجديد الّا قلقاً وعذاباً . تمثلت له هيفاء بين موجتين هائلتين انطبقتا عليها كجبلين فاذا هي بين شدقي المنون وقد بسطت ذراعيها كمن تلتمس شيئاً تتعلق به وتفزت الى ما فوق لتنشق الهواء واطبقت شفتيها محاذرة ابتلاع الموت مع الماء فاذا بهما تنفتحان قهرًا وامتلأت امعاؤها ماء وما هي الا هنيهة حتى برز رأسها ثلاث برزاتٍ وانغمست في اللجة . وكأنه سمعها تردّد في صدرها الفاظ الاستغاثة والتوديع : « فخر الدين ! اليّ اليّ ! الوداع ايها الحبيب الوداع ! الوداع ! لا غرقتَ مثلي ! فخر الدين . فخر الد...دين...» غاب وعيها ونشبت بها اظافر النزاع . وهي تتخبط في جوف الازرق المجاج . ولم تبطؤ ان امست جثة بلا روح .

وقف الامير هنيهة تجاه هذا المشهد الخياليّ المريع كأنما هو تجاه حقيقة واقعة ، فكان كأنه يرى ويسمع كلّ ما تصوره ويحسّ من نفسه انه يعاني مع قرينته المحبوبة التاعسة كلّ ما تعانيه من عذاب الفراق ومفاجأة الغرق الاليم . وغلب عليه الوهم بشدة الخوف عليها حتى أخذ يهمُّ بالقاء نفسه في اليمّ فيمدّ يديه ليأخذها من يدها وينشلها ، وكأن الموج يواريها عن نظره فلا حيلة مع الحرمان ! كم ودَّ اذ تمثّلها وهي تلفظ الروح لو تلقّى تلك الروح العزيزة بشفتيه فتمتزج بروحه ما دام في قيد الحياة . او لو سكب عليها روحه فتحيا بها ويموت ، او تطير الروحان معاً في فضاء الابدية الفسيح .

هذه الكارثة التي استولت على مخيلته ومكّنها فيها إشفاق الحبّ غيّبت عن ذهنه ساعةً ذكر لبنانه المحبوب الذي لاجله عانى هذا السفر الشاقّ ووقع في هذا الخطر الذي لا يأمن شرَّ غائلته . ولشدة حزنه وانفعاله انتبه لنفسه كالمستيقظ من حلم زاعج ثقيل . واستعان على تغيير هذه الافكار المشؤومة بافكار اقرب الى الفأل والرجاء .

قال في نفسه : قد تكون هيفاء حيّة وانا ابكيها وقد لا أسلم انا من الغرق وهي سالمة فينالها من الحزن ما يكون الموت بازائه اهون عليها . فما ينفعنا الساعة الا التماس النجاة من الله سبحانه . لقد قيل لي ان يسوع المسيح إله كيوان نعمه وابراهيم الخازنيّ قد أمر الريح ثائرةً في بحر طبريا فانقطع مهبّها فور كلمته ، وهدأت امواج البحر فنجا تلاميذه الذين كانوا معه في السفينة بعد ما اشرفوا على الغرق . فاذا نجيتني يا إله محيٍ من هذا الخطر المحيق بي حتى لا يتشفّى بهلاكي مبغضيّ ، ثم يسّرتَ لي العود الى لبنان لاقاتل عن استقلاله فانتَ إلهي وإلهُ ذريتي الى الدهر .

فلم يكد يتمّ هذا النذر حتى انقلبت العاصفة نسيماً ناعماً وطغيان الماء الى سكون ، فذهبَ الخوف واقبل الفرج وما بطؤ الليل ان انجلى وثغر الصباح ان افترّ ، فشدّ ما كان من قلق الامير اذ نظر من كل صوبٍ فلم يرَ مركب هيفاء ولا مركب جاكصية . قال لمن معه ما نصنع ؟ فاطرقوا مفكرين ، فأجمعت الآراء على المضي في السفر . قالوا ان كان المركبان قد غرقا فلا حيلة في قضاء الله وان كانا سالمين فسنعثر عليهما . وكانوا اذ ذاك في مياه الاسكندرية فلم ينزلوا اليها بل آثروا السفر لمواتاة الريح ، وراحوا ينشدون المركبين وقلوبهم بين اليأس والرجاء في عرض البحر وفي كل ثغر يمرّون به حتى بلغوا ايطاليا والقوا مرساة مركبهم في ميناء ليفورنا من مقاطعة توسكانا . فوجدوا مركب الاميرة خاصكية في الميناء لم ينله ضرٌّ وجميع من فيه على احسن حال . فهنّأ بعضهم البعض وتساءلوا عن مركب هيفاء فلم يقف له أحد على خبر . فنزل بالامير غمٌّ شديد ، وحزن لحزنه كل من كان معه وانثالت عليه التعزية من كل فم . مباعدين عنه اليأس حتى يحصل الايقان من مصير المركب المفقود .

اوفد اهل توسكانا يستطلعون طلع القادمين ، فقيل : فخر الدين امير لبنان وحاشيته قدموا لحاجة لهم عند كوسموس دوق توسكانا الكبير . فرحّبوا بهم وانزلوهم مكرّمين وارسلوا الى الدوق يخبرونه بقدومهم ريثما ينفضون عن ابدانهم اتعاب السفر الذي استمرّ ثلاثة وخمسين يوماً ، وبعث الغراندوق يقول للامير ان يوافيه الى بيزا احدى ثغور توسكانا ، فبينا هو يتأهب للسفر اذا مركب مقبل من العرض فتطالت اليه الاعناق وتسابقت الآمال . فلما اقترب

من البرّ عرفه اللبنانيون فكبّروا وهلّلوا ورقصت قلوبهم فرحاً. ثم رسا المركب في الميناء. وعليه الحاج كيوان وسائر من كان معهُ الّا هيفاء، فاربدّت الوجوه وتفرّس الامير في وجه كيوان فاذا كآبة ووجوم، فانقبض فؤاده وقال: ما وراءك؟ قال: لا يقاسي الامير، قال وهيفاء؟ فتنهّد كيوان وقال: سالمة يا مولاي! قال: سالمة ولا اراها؟ قال ستراها ان شاء الله.

ثم جلسوا واخذ كيوان في الحديث قال: لا تسل يا اميري عمّا قاسيناه ليلة العاصفة من شدة الخوف والكرب والبلاء. كان مركبنا على ايدي الامواج كالأكرة على ايدي اللاعبين تتقاذفه بسرعة وتتهاداه. ذابت قلوبنا فزعاً. وزهقت نفوسنا يأساً وتقطعت اوصالنا تعباً. وزاد في بلائنا ما وقع في قلب الاميرة هيفاء. اشفاقاً عليك من طغيان الامواج وتغطرس الرياح، لقد نسيت نفسها والخطر المحدق بها وبنا، وقامت تبكي وتلطم وجهها وتصيح: وَيلي! لا عشتُ ساعةً ولا رأت عيناي نورًا، ان كان الموت قد نشب بمن لاجله اريد الحياة. فكنا تارةً نعزيها ونفتح قلبها للرجاء، وطورًا نُغلب على أنفسنا فنبكي لبكائها. ظلّت الريح تقذف مركبنا في كل وجهٍ حتى بدت تباشير الفجر فهدأ الاعصار ووقف زحف الموج ونظرناه فاذا نحن تجاه طرابلس على مسافة غلوةٍ من ضفائها. فذعرنا وسقنا السفينة غرباً بميلٍ الى الشمال. فلما ابتعدنا عن الثغر اذا سفينتان اقبلتا علينا من جهتين متقابلتين، فصاح ربّان مركبنا: القرصان! القرصان! لصوص البحر! فانتصب شَعر رؤوسنا فزعاً وامتقعت وجوه الجواري ومنهنّ مَن أُغمي عليها من الرعب، وبدرتُ الى السلاح وكذلك الربان واعوانه وجماعة المماليك. فخاطبنا كبير اللصوص قال: ايها الرجال لا ينفعكم القتال انكم دوننا عددًا فافتدوا انفسكم واحقنوا الدماء. قلت ما تبتغون؟ قال: الامير فخر الدين. قلتُ ليس معنا. قال: لا نطلقكم حتى تسلموه الينا، قلت انه على غير هذا المركب، كانت مراكبنا ثلاثة فرّقت بينها العاصفة سحابة الليل فتوارى مركبان ولا نعلم ما صنعت بهما الاقدار. — قال: إذن نأخذ هؤلاء النساء وكلّ المتاع. — قلت: خذوا نصف المتاع واكفونا شرّ القتال. — قال: لنا كل ما في المركب والنساء قبل المتاع. — قلت: عدّوا عن هذا المطلب الوعر، لأَيسرُ من منالهنّ النجوم.

فوثب احدهم الى سفينتنا فغرزت مديتي في صدره الى القلب فانقلب الى الماء يصبغها بدمه . فهجموا هجمة واحدة بالسيوف والمدى والهراوي والدبابيس فوقفنا عليهم بشلل سلاحهم بصدور لا يدخلها الرعب ، وبعد ساعة اسفرت المعركة عن مقتل مملوكين من رجالنا وستة من رجالهم ، اما عدد الجرحى فكثير من الفريقين ، وما رضينا بوقف القتال الا بعد ان أصبت بجرح في ذراعي بليغ وقد افضى الخوف بالنساء الى الاشراف على الموت ، فرأيت من الخرق ان نقاتل عنهن حتى نفنى فيؤخذن من بعدنا غنيمة باردة ، فأمرت رأينا على التسليم وهو اخف البلائين . فدخل مركبنا ستة من رجال العدو وتفرسوا في النساء فلم يتصدوا لهن وشغلونا بالحديث اذ كان بعضنا يعصب جراح البعض ونتشاور في قتيلينا اللذين سقطا مشرفين في دفاعهما المجيد أين ندفنهما . في هذا الاثناء انقض رجلان منهم على الاميرة هيفاء انقضاض الصقر على الحمامة وقفزا بها الى سفينتهم القريبة فصرخت صرخة عظيمة وجرت السفينة مسرعة لمؤاتاة الريح وعاجلنا اللحاق بهم فتصدت لنا السفينة الاخرى وفيها عشرون رجلاً لم نجد فائدة باستئناف القتال معهم لان السفينة التي عليها الاميرة قد توارت فتوسلت اليهم وضرعتُ وقلتُ لهم فدية الاميرة كل من معي وكل ما معي فقالوا اياها نريد . وبعد تهديد واخذ ورد اقتحمونا واحتلوا مركبنا بغير قتال رأفةً منا بضعف النساء فاستاقونا الى قرب مالطة حيث خلوا سبيلنا ولم يسلبونا شيئاً . فاتيت الجزيرة ورقفتُ بحاكمها جوان مايسترو واخبرته بما كان من امرنا فطيّب نفسي وانزلنا في قصر وبالغ في اكرامنا وارسل سفناً ترود البحر تعقباً للقرصان فلم تقف على أثر .

ثم ودعناه شاكرين وفي قلوبنا احرّ من النار . وما زلنا نمخر في العباب حتى انتهينا الى هنا . كان الحاج كيوان يقصّ الحادث على الامير بصوتٍ خافتٍ وجملٍ متقطعة ونظرٍ مخفوض وقلبٍ كسيرٍ شأن الحزين الخجلان لا لما نابه من خسارة في هذه المعركة . فقد كان بطلاً مغواراً خاض مئاتٍ من الوقائع المنيفة وجابه الموت مرات كثيرة وشرى وباع وابحاً وخاسراً فلا أبطره نصر ولا اخشعهُ انكسار . الا انه شقّ عليه ان تتالى النكبات على اميره المحبوب فلان حديد قلبه في نار هذا الاعتبار . وكان قلب فخر الدين يتفطر حزناً الا انه بالغ في كتم حزنه حفاظاً على هيبته وتخفيفاً من كرب

مدبّره. فوقع على عنقه وقبّله وقال: طِبْ نفساً يا ابي : بذلتَ وسعك وزيادة فما انت بلوم. كلُّ ما كُتب لامرئٍ فلاقيه.

ثمّ انه توجّه بحاشيته الى بيزا فاحسن الفراندوق لقاءه واكرم مثواه وانزله في قصر عظيم بديع الزينة نفيس الرياش توفرت فيه الخدم وسائر اسباب الراحة والرخاء. واوعز الى اعيان البلاد فاقبلوا يسلّمون عليه.

ولما انتهت ايام الوفادة للتسليم عليه اتته دعوةٌ من ملك نابولي فلبّى وصحبه الفراندوق فاحتفى به الملك ايَّ احتفاء وجعل اشراف ايطاليا يتسابقون الى دعوته ويقيمون الحفلات الشائقة لاكرامه . ويبالغون في اجلاله ويحملون انفس الهدايا اليه. وكان الجميع مُعجبين بذكائه وحكمته ووقاره وما أُفرغ عليه من كرم الأخلاق وجميل الخلال . وما عتّم ان اتصل خبره بفيليب الثالث ملك اسبانيا ولويس الثالث عشر ملك فرنسا فاوفدا اليه يستقدمانه لزيارتهما وقد عُرف انه اتى ايطاليا لغرضٍ سياسيّ . فاستعفى من زيارة الثاني لما بين ملوك فرنسا وبين السلاطين العثمانيين من صلات المودّة ممّا لا يؤمل معه نجاح التحالف عليهم . ووعد الاول بان يزوره بعد النجاز من توطئاتٍ لا بدَّ منها قبل زيارته[1].

١) لمّا ابحر الامير من ميناء صيدا لم يدرِ احمد باشا الحافظ بسفره . فسار بخمسين الفاً من عسكره ما عدا الرّماحة العرب الى جسر المردلة قرب حصن ارنون ، فعسكروا في تلك البقعة واستراحوا ليلة من تعب الطريق ، ولما واجهوا الصباح زحفوا على الحصن وصدموه صدمات عنيفة واعادوا الكرّة عدّة ايام فامتنع عليهم. وكانوا كناطح صخرة يوماً ليوهنها. فنكصوا على اعقابهم خاسرين ، وتحولوا الى برج الظاهرية الذي يقابله فاستولى عليه بخسارة كبيرة ، ثم ارتدّوا الى حصن ارنون فحاصروه ستين يوماً وهم يمطرونه وابلاً من قنابل المدافع ورصاص البنادق ليلاً ونهاراً ، استبسل من في القلعة وقاتلوا قتال الابطال ، وكان لديهم مدفعٌ من اعظم المدافع في ذلك العصر قد نقلوه من صيدا فظلَّ يقذف على العدوّ ناراً وموتاً حتى انفجر ، وأرسل المحاصرون كرد حيدر الى دير القمر يستنجدون الاميرَ يونس فعالج ان يمدّهم بنجدة من السكان فامتنعوا الّا خمسين منهم مشوا بقيادة جبلي حسين بلوكباشي غزير ، وكان بعض سكان دير القمر يكاتبون الحافظ فاخبروه بالنجدة فكمن لها وقاتلهُ مستبسلةً فنجت ، ودخل القلعة اربعةٌ وثلاثون من رجالها . وارسل الحافظ يقول لمن في الحصن : هلّا يواجهني فخرُ الدين مؤمّناً فاقرّه على املاكه. قالوا انه ذهب الى بلاد الافرنج ونحن لا نسلّم وفي انوفنا نفسٌ. فارسل الحافظ الى الشوف يجمع منه عساكر ويضيّق على اهله ويرهقهم بالمظالم . وتوجه بعض الصفديين الى غريفة ليحرقوها

١٢

بعثة الى لبنان

كانت تركيا في ذلك العهد دولة قوية مرهوبة البأس ينظر اليها ملوك اوربّة بعين الحذر ، ولا يتمنون لها الّا خضد الشوكة وقلوص السلطة ، ويسعون الى هذا الغرض بوجوه مختلفة كالتحريش والمعاونة على تقطيع اطرافها وايقاد نار الثورة في اقاليمها ، وكان البابوات غير راضين عن سياستها في رعاياها لاغفالها امر المسيحيين وتركهم اهدافاً لاهواء عمالها الظالمين واعتداء مواطنيهم غير المسيحيين ولا سيما في الشرق . رأى الامير ان ذلك من المسهلات الى محالفة تضمن له الظفر على الدولة وجعل لبنان امارة مستقلة عنها يتولاها هو وذريته مع ما بنفسه من الطموح الى الولايات السورية فالى العاصمة التركية نفسها . فلم يطل به المقام عند دوق توسكانا حتى اوقفه على غرضه فالقى عنده اذناً واعية غير انه اذ لم يكن مستوثقاً من اتفاق اللبنانيين على اختلاف نحلهم حول الامير ولا عالماً اية قوة تشد ازره في لبنان خشي ان يعقد معه محالفة تنتهي بالفشل تجاه قوات تركيا الهائلة . ففاوضه في ارسال بعثة الى لبنان تدرس الحال فان كانت على ما يعلم حالفه هو وغيره والا اشار عليه بالاقامة عنده الى ان تتغير الحال ، فاجابه الامير الى ذلك .

فتصدّى لهم الشوفيون فارتدّوا عنها مشتتين . وستحوذ الملل على المحاصرين فاشاروا على الامير يونس ان يرسل والدته المسنة الست نسب الملقّبة بالست الكبيرة الى الحافظ لتوسط فوافته بثلاثين من شيوخ المقل الدروز ومعها ذهب واربعة جياد ، في كرم شواها . فقالت لماذا تقاتلنا الدولة ونحن ما خرجنا عنها ولا فتحنا بلداً لم تقرنا عليه ولا قصرنا في تأدية مال مفروض . ونفحته مئة الف قرش للسلطان وخمسين الف قرش له وكتبت له صكاً ببقية ثلاثمئة الف قرش تنقده اياها في ما بعد عن تربيئة ان لا ينكل بالشوف وان يرفع الحصار عن القلاع ويقف الحرب . فرضي واستعرضه شغب بالمال وباذعان المثيين له فقبلت ، ولمّا رأى الامير يونس خيانة سكبانه وتخلّف حلفائه استحوذ عليه اليأس فخلّى دير القمر متنقلا الى بعقلين ثم الى نيحا . وانضم السكبان الى الحافظ ، فخلا الجو لآل سيفا ، فدخل حسين باشا سيفا الدير واحرق بيوتاً ولولا مصطفى اغا الاسود رئيس حجاب الحافظ لاحرق دار المثيين (قال بعضهم انه احرقها وهذا اصح) ثم فرقت العساكر ، وعاد الامير يونس ورجاله الى دير القمر وارتحل الحافظ بالست نسب رهينته ، وصادر الشهابيين والحرفوشيين . اما الامير علي بن فخر الدين فكان ابوه قد ارسله الى البرية مع الامير حمدان والشيخ

وبعد شهرين كان مركب طلياني ينقل البعثة الى لبنان مؤلفة من عدد من الضباط والمهندسين الفلورنتيين ومن ذوي الخبرة بالحروب . وارسل الامير معهم اثنين من رجاله ابن العيسوق ومحمداً بن علي كاوور وهما من اتباعه ومن اهل الحكمة والرفاء . حملهم رسائل الى اخيه يونس وذوي قرباه واعيان البلاد يطلعهم بها على ما لقيه في ايطاليا وعلى غرض البعثة ويوصيهم بان يمكنوها من اغراضها على ما تشاء وان يحفظوا ما بايديهم من الحصون ويفتحوا عين اليقظة ويحكموا التوائق بينهم والاتحاد .

نزلت البعثة الى ارض لبنان في قرب صيدا من الجنوب ، وتوجه رجالها الى دير القمر فتلقاهم الامير يونس وامه الست نسب بمنتهى الاكرام والاجلال وقرأ يونس رسائل اخيه التي له وللاعيان ، ثم ختم الرسائل وارسلها الى اصحابها واتته الاجوبة من الجميع فاوقف عليها رجال البعثة وكلها ناطقة باخلاص اهل البلاد للامير مع الانباء بتفصيل كل ما هنالك من تأهب معنوي ومادي ، ولم يخرج عن ذلك الا جواب ابن سيفا قال فيه انه لا يقدر على موالاة فخر الدين ما دام سخط الدولة متوجباً اليه ، فطابت انفس اعضاء البعثة بما عاينوه من اتحاد كلمة اللبنانيين وجالوا في اقاليم لبنان بحثاً عما فيه من ثروات وحصول مال ووسائل دفاع ، ودونوا خلاصة ما عاينوه وسمعوه وتأهبوا للعود الى ايطاليا ، فالقى الامير يونس الاجوبة الى رسولي اخيه فسافرا مع البعثة وصحبهم الشيخ خاطر ابو نادر الخازني في نفر من ذويه ويزبك ابن العفيف احد اعيان الشوف .

فلما واجهوا الامير فخر الدين ودوق توسكانا واطلع هذان على ما حملوه من اجوبة وانباء عظم رجاء الامير وحصلت له ثقة الدوق اذ علم ان في لبنان

عمرو وعربه على ما رأيت ، فنزلوا على قرية صخرة عجلون ينتظرون قدوم فخر الدين ، فلما علموا ان عسكر الشام اخذوا عليه الطريق جعلوا يتنقلون في تلك الضواحي ، وحدثت مواقع بينه وبين بعض السردية وغيرهم ، وكانت موقعة ضارية بينهم وبين الامير فياض امير اهل حيار ، وكان النصر في جميع هذه المواقع لعمرو وعلي ، وما زال عمرو يتقدم مقاتلاً كل من تعدى له حتى اوصل علياً الى بانياس سالماً ، فاستقبله حسين اليازجي والسكبان واخبروه بارتحال ابيه . ثم وصل مصطفى كتخدا فخر الدين من الاستانة وقد سُرح على يد خليل باشا الزبان فاخبر الامير علياً بما جرى له في الاستانة ، فاغتم وكتب وبات يتوقع خبر وصول ابيه الى بلاد الافرنج (الخالدي ومجلة الآثار بتصرف) .

قوة واتحادًا فحالفه وجعل يسعى معه لمحالفة البابا وملك اسبانيا .

ثم ان فخر الدين جهز مالًا كثيرًا وهدايا نفيسة وارسلها الى لبنان مع الشيخ يزبك بن العفيف تمكيناً لصداقة الاعيان وتلافياً لما قد يفاجىء من طوارىء الحدثان . فاستعان الامير يونس بذلك المال على اتمام التأهب والتحصين ووزع الهدايا على الزعماء فبهرت عيونهم وزادتهم تعلقاً بالامير وتأهباً لبذل الحياة تحت رايته في سبيل المصلحة الوطنية والذود عن الاستقلال .

(لها صلة)

اخبار العالم

اخبار دينية

المؤتمر الاوخارستي في ريو دي جانيرو : وجه رئيس جمهورية البرازيل الى المجلس الوطني رسالة يطلب فيها اليه ان يخصص مبلغ اربعة عشر مليون كيروسيروس للنفقات الضرورية للقيام باعداد المؤتمر القرباني الدولي السادس والثلاثين الذي سيحتفل به العالم الكاثوليكي في العاصمة البرازيلية في حزيران من سنة ١٩٥٤

لا يخفى ان البرازيل هي اليوم اهم الدول الكاثوليكية

حكم الديانة المسيحية في ستالين : ليس مسيحي الا وينبذ المبادىء الشيوعية لموقفها العدائي وعملها الهدام ازاء كل دين وكل تعليم موحى . ليس مسيحي الا ويحكم حكماً صارماً على الفلسفة التاريخية التي مشى عليها ستالين للتوصل الى دك الاسس المسيحية التي عليها كان مبنياً كيان المجتمع الانساني في روسيا والبلاد المجاورة لها التي اخضعها بالقوة للشيوعية وفرض عليها سلطته فرضاً . فقد اعتمد فيما تذرع به لبلوغ غايته على مبادئ واتخذ وسائل لا يقبل بها لا الدين ولا العقل السليم وتنكرها المروءة والانصاف معاً كانت المنافع المادية السومية المتوخاة . يكفينا ان نذكر هنا : مراكز الاعمال الاجبارية التأديبية حيث مئات الالوف يئنون تحت اثقال العناء وسوء المعاملة حيث نُفي للاعمال الشاقة الاف من الاسرى لا يزالون الى اليوم مُبعدين ظلماً عن اوطانهم . من لا يذكر ايضاً « التطهيرات » الدامة ومآسي الدعاوي التي هي اشبه بمشاهد تمثيلية فاجعة . كذلك الشبكة الجاسوسية التي توقع في حبائلها ذوي الافكار الحرة والارواح المستقلة ولا مناص لمن رمى نفسه فيها . . . بنى ستالين على انقاض المجتمع الانساني المسيحي بناء المادية الكاذبة بناه على انكار الله والعبث بحرية الفرد .

لا يقدر المسيحي ان لا يُطالب بالديانة التي يجاهر ويفتخر بانتمائه اليها بحرية الحياة والنمو والانتشار والعمل لخير البشرية والتمدن الحقيقي .

يموت ستالين مات فيلسوف الشيوعية اللادينية ومفكرها الاعظم بعد ان فرض بشدة لا يقوم امامها قوة عقائده واوامره : بموته مات ممثل عراك المادة والروح : آلهة الارض نفسها تموت .

تعداد المسيحيين في مصر والسودان : يفوق عدد الاغلبية الاسلامية في مصر سبعة عشر مليوناً . ويبلغ عدد المسيحيين مليونين وثلاثمئة وسبعة عشر الفاً ومئة : منهم مليونان من القبط الارثوذكس وتسعون الفاً من البروتستانت والباقون كاثوليكيون وهذه قائمة عددهم حسب طوائفهم المختلفة :

– الارمن ٧٠٠٠ – الكلدان ١٦٠٠ – القبط ٦٣٠٠٠ – اروام الملكيون ٢٥٠٠٠
– اللاتين ١١٦٠٠٠ – الموارنة ١١٠٠٠ – السريان ٣٥٠٠

اخبار عالمية

الاتحاد السوفياتي : توفي الجنرال ستالين يوم الخميس ٥ اذار نحو الساعة العاشرة مساء لكن راديو موسكو لم يذع خبر وفاته الا يوم الجمعة ٦ اذار الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

مات ستالين كما يموت كل انسان بعد ان عبدته البشرية في حياته عبادتها لإله . وقد عُين جورجي مالنكوف خلفًا له في رئاسة الحكومة السوفياتية . ومالنكوف اورالي الاصل عمره احدى وخمسون سنة . وكان قبل موت ستالين رئيس الحزب الشيوعي السوفياتي لكنه لم يلبث الا اياماً قليلة بعد تسلمه الحكم حتى تخلى عن منصبه في الحزب الشيوعي

– عُني مالنكوف حالًا بعد تسلمه ازمة حكم بلاده بإحداث شيء من الطمأنينة والثقة في العلائق الدولية خصوصاً مع الولايات المتحدة مما حمل الناس على التساؤل عن اسباب هذا الموقف الجديد من الحكومة السوفياتية : اتكون هذه السياسة دليلًا صادقًا عن رغبة اعادة السلم بين الدول ام هي وليدة ضرورة وقتية وعلامة وجود مشاكل وصعوبات داخلية اضطرت الى طلب مهلة من الاطمئنان والسكينة الى ان تعود المياه الى مجاريها في البلاد .

ان خلافة ستالين في رئاسة روسيا السوفياتية والحزب الشيوعي امر عصيب وقد تكون سببًا لمشاغبات داخلية ومشادات عنيفة بين المدّعين بها الذين خذلهم الحظ فقد زعم بعض المخبرين انه قد حدث مناورات شخصية هناك واتفاق خصوصي بين بيريا ومولوتوف لاسقاط مالنكوف او على الاقل لاحدّ من سلطته في رئاسة حكومته

اما الغرب فقد اكتفى الى الان بالانتظار مترتبًا متحذرًا لا يستند الى الاقوال يطالب بالاعمال ويجاهر بعدم اطمئنانه طالما لا تثبت حكومة موسكو الجديدة حسن نواياها وصدق تصريحاتها بالاعمال .

تشيكوسلوفاكيا : عشرة ايام فقط بعد موت ستالين مات كلمان غوتولد رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية وكان قد حضر حفلة دفن مولاه ستالين وهو بصحة تامة . تحدثت بعض الجرائد عما يكون سبب موته المفاجئ . اعلن راديو براغ خبر وفاته بعد ظهر سبت الرابع عشر من اذار . وقيل انه مات من نفس المرض الذي ادّى بحياة ستالين .

ان غوتولد هو الرئيس الثالث للدولة التشيكوسلوفاكية منذ ان وضع مزاريك اسسها سنة ١٩١٨ بعد الحرب الكبرى الاولى . مات بينما كانت لوندرة تحتفي بزيارة تيتو لحكومتها وتستقبله استقبالًا شائقًا وهو ايضًا من رفاق غوتوالد وتلاميذ ستالين . في هذه المناسبة لا بد من ان نلاحظ بان الحكومة اليوغسلافية التي تحررت من النير السوفياتي لا تزال متمسكة تمسكًا شديدًا بالمادية اللادينية تضطهد الكنيسة اضطهادًا عنيفًا .

مصر : يظهر جلياً من ثقة الشعب المصري بحكومة اللواء نجيب العسكرية لا تزال تنمو يوماً بعد يوم وليس هناك من يشك من روحه الوطنية ونزاهته وهذا يقرّ له الاجنبي نفسه.

اعتبرت مصر الاتفاق الذي عقده اللواء نجيب مع الحكومة الانكليزية بخصوص السودان نجاحاً باهرًا له وانتصارًا اول لها فان هذا الاتفاق قد حل مشكلة مزمنة معقدة لم تتوصل الحكومات السالفة الى ايجاد حل لها . وجاء هذا الاتفاق نتيجة جهود اللواء في توحيد الاحزاب السودانية الاربعة في مطاليبها وكانت قبل ذلك منفصلة عن بعضها . ثم ان الحل هذا ليس نهائياً فانه وقتي : لثلاث سنوات يتعود فيها الشعب السوداني على الحكم الذاتي ثم يُدعى بعدها الى الاستفتاء لاختيار الحكم الذي يفضله اعني الاستقلال التام او الانضمام الى مصر

اما مشكلة جلاء الانكليز عن قناة السويس فلم يُبتّ فيها بعد. كان إمكان التوصل الى حلها يظهر الى الامس القريب امرًا عصياً صعب المنال لما بدر من المسؤولين في مصر من التمسك بمطاليبهم والتعبير عنها بلهجة لا تترك لمفاوضات اتفاق تاتي مجالاً فقد اعلنوا امام الملأ وبعبارات شديدة بانهم يريدون ما يريدونه دون التقيد باي شرط كان . لكن قد عقب ذلك هذه الايام الاخيرة تصريحات مصرية جديدة لطفت الموقف وفتحت ابواباً للتفاهم والتفاوض واعادت الثقة المتبادلة فاجابت عليها الحكومة الانكليزية بقبول الدخول حالاً في محادثات تمهيدية تعقبها المفاوضات الرسمية . وقد يكون الاتفاق بين الحكومتين قد تمّ مبدئياً فيما يخص جوهر المسألة فلم يبقَ بعد الا البحث عن كيفية اتمامه بما يرضي الطرفين .

ايران : قامت بين مصادق والشاه ولا تزال قائمة مشادة عنيفة انقسمت لها البلاد شطرين لكل من الخصمين حزبه مما ادى الى حوادث دامية في تظاهرات عديدة صاخبة .

يريد مصادق ان يتحرر من سلطة الشاه الدستورية فيُضحي ملكاً يملك ولا يحكم. ويساعده في ذلك الجبهة الوطنية وطبقة الشعب الوسطى والموظفون والاوساط الجامعية

اما الشاه فيستند هو ايضاً الى حزب قوي يتألف من حاشيته ومن العسكريين والملاكين والوطنيين التقليديين الذين لا يرضون بهدم البناء الماضي وبالمس بتقاليد البلاد .

ويظهر المجلس بين الحزبين منقسماً على نفسه متخوفاً وفيه من المجاهرين بمعارضة سياسة مصادق ثمانية نواب كما ان غيرهم يتهمون مصادق بثبات والباقون يترددون في امرهم يميلون حيث تميل القوة . وقد حاول مصادق مرارًا ان يجمع المجلس ليفرض عليه قبول القانون الذي اعده لتحديد سلطة الشاه لكنه لم يفلح لان تغيب النواب الثمانية المعارضين آل كل مرة الى عدم توصل المجتمعين الى النصاب الشرعي لتقرير القانون الجديد

اما حزب توده التي يمثل الفكرة الشيوعية في ايران فانه واقف بالمرصاد يريد الاستفادة من هذه الحوادث يعمل في اذكاء نار الاحقاد بين الحزبين الاخرين ويدفعها الى الفوضى والتظاهرات بحيث يثبت وجوده وقوته فيزيد نفوذه في الشعب .

المعاهدة البلقانية : في ٢٣ اذار وافق المجلس الوطني في بلغراد وانكرة واثينا دون جدال على معاهدة الصداقة التي كان قد سبق التوقيع عليها في انكرة في الايام الاخيرة

من شباط . وجـدده الشـدة على الجنرال كريـبك في المجلس البوغـلاوي ان القوى الدفاعية في البلاد الثلاثة متـقدة تتراوح بين ستين وسبعين فريقاً وهي مجهزة بافضل جهاز حربي . تبقى مشكلة تريست دافعاً جوهرياً لدخول ايطاليا في هذه المعاهدة .

اسرائيل : بلغ عدد المهاجرين الى اسرائيل في مدة سنة١٩٥٢ ثلاثة وعشرين الفاً وثلاثمئة وسبعين . فصار مجموع عدد المهاجرين من تأسيس اسرائيل (ايار ١٩٤٨) سبعمئة وسبعة الاف وخمسمئة واربعين شخصاً فيهم خمسة الاف من المسيحيين ادّعوا بانهم يهود ليمكنهم الهرب من البلاد الشيوعية .

عدد سكان الارض : بموجب احصاء منظمة الصحة العالمية قد بلغ عدد سكان الارض سنة ١٩٤٩ مليارين وثلاثمئة وتسعة وتسعين مليوناً وكان عددهم عشر سنين قبل هذا التاريخ اي سنة ١٩٣٩ نحو مليارين فقط فتكون الزيادة في عشر سنين اربعمئة مليون

اكثر من نصف سكان الارض هم في اسيا اي مليار ومئتان وثلاثة وخمسون مليوناً منهم في الصين اربعمئة وثلاثة وستون مليوناً وفي الهند ثلاثمئة وسبعة وخمسون مليوناً . .

الحركة الفكرية في العراق ، التاريخ وما اليه

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

في الصفحة الوجيزة التي خصّ بها بروكلمان تاريخ الادب العربي العصري في العراق (الملحق ٣ ص ٤٨٠) قال ان المنتوجات الفكرية فيها لم تبلغ المستوى التي بلغت اليه في سورية ولبنان بالرغم عن تمتعها بالبيئة الصالحة للانتاج في ظل الاستقلال والسيادة وتصدى لشكوى بعضهم لعدم وجود فهارس رسمية للمطبوعات العراقية ولقلة المطابع العربية في تلك البلاد واذ يثار على استقصاء اسماء الكتب ما استطاع السبيل اليها بنظرات عامة الجئ الى الاقتضاب في الكلام عن هذه الناحية[1] .

وان طائفة من المطبوعات العراقية الحديثة اهديت الى « المشرق » فرأينا ان نصفها في مقال واحد يربط بين مواضيعها ويمهد السبيل الى الاطلاع على حركة التأليف والتفكير في القطر الشقيق مع الاعراب عن امنيتنا بترقي فن الطباعة فيه لان بعض الكتب التي جاءتنا تحتاج الى الكثير من العناية لتظهر بالحلة الجميلة اللائقة بالمؤلفين ومؤلفاتهم فلا تشوبها الاغلاط ولا تنكشف تصاويرها في ظهورها على ورق خسيس الثمن خشن حقير .

تلك المطبوعات عددها ١٨ ومواضيعها في التاريخ وما اليه فضلاً عن كتاب في الشعر الزجلي ولها محلها في الادب العصري وقد نبتت في تربة صالحة للتفكير والتأليف والنشر في الظروف الطارئة على البلاد في تدرجها من العهد العثماني فالانتداب الانكليزي الى الاستقلال المطلق وقد اشرقت عليها شمس الحرية فيكشف الكتبة عن الوثائق والآثار فيبعثونها للنور ولا خشية عليهم من بطش الحكام فيعربون عن افكارهم بجرأة وانصاف للحقيقة فتسوغ مطالعة ما

(1) Brockelmann : *Geschichte der Arabischen Litteratur*. Supplement band III, 480.

يكون وتؤدي مادة وافرة للنقد وللبيان في عالم الفكر والترقي والعمران وقد وصفناها اخذاً باوليات العصور الى يومنا .

وادي الرافدين مهد الحضارة

دراسة اجتماعية لسكان العراق في فجر التاريخ

طبع بدار الكتاب العربي بمصر، ص٨٨ قطع ٨ كبير ورق صقيل (٢٠٠فلس) للسر ليونارد ودلي

تعريب احمد عبد الباقي

بين سنة ١٩٢٩ و١٩٣٢ تشكلت بعثة اثرية مشتركة بين المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانية للتنقيب في اطلال « اور » المدينة السومرية في جنوب العراق ترأسها السر ودلي وكان من اعضائها الاب بروس Barrows اليسوعي فكشفت على معلومات ثمينة عن حياة سكان وادي الرافدين الاسفل (سهل شنعار) ووضع عليها ودلي هذه الرسالة واقبل على تعريبها مميّز التفتيش بوزارة المعارف السيد احمد عبد الباقي لما رأى فيها من الفوائد لتعريف قراء العربية بتكوين وادي الرافدين وسكانه القدماء باستقراء آثارها ومنها مـا يعود الى الالف الثالث قبل المسيح فتشهد لحضارة تلك البلاد وتثبت اوضاعاً لا ريب في صحتها عن حياتها المدنية والدينية فتذكر حكومات المدن والكتابة الصورية والخط المسماري والمراسيم الدينية وطقوس دفن الموتى منها « كان يصحب جثة الملك السومري في تلك الايام الى قبره جميع افراد حاشيته من الزوجات والضباط والجنود والخدم والموسيقيين وينزلون في الحفرة التي اعدت لتكون قبر الملك . ثم يتناولون جرعة من السم بعد مراسيم معينة فيموتون ويوارون التراب» (ص٢٤ و٢٥) . وهناك وصف لحياة سكان البلاد اشبه منها بحياة سكان وادي الرافدين حالاً في طراز البيوت والادوات البيتية واللباس — ولم تكن الزوجة لتعتبر متاعاً بيتياً وكان الاساس في الزواج الاقتصار على زوجة واحدة (ص٨٣) وتعتبر الزوجة سيدة بيتها .

وفي بدء الكتاب مقدمة للدكتور ناجي الاصيل مدير الآثار القديمة العام ايّد فيها كلام ودلي « ان التقدم في الناحية الروحية في تلك البلاد كان على ايدي غرباء عنها هم الساميون الذين تمت على ايديهم القوانين وظهر بينهم الانبياء».

وفي هذه المناسبة نذكر ابرهيم ابا الشعب العبراني والعربي الذي قيل عنه في سفر التكوين (١٥ : ٧) انه خرج من « اور الكلدانيين ».

مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ.

بتقديم العلامة محمد رضا الشبيبي وزير معارف العراق الخ.

القسم الاول وهو المباحث المنشورة في مجلة لغة العرب من سنة ١٩١٢ - ١٤ وسنة ١٩٢٧ - ٣١

ص ٤١٢ قطع ٨ - طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة

الكرخ - بغداد - ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م ثمنه ٧٥٠ فلساً

تأليف يعقوب سركيس

هو كتاب تاريخ وخطط وآثار وبحث في العمران وضعه المؤلف مستخرجاً مواده من كتب الرواد الافرنج واخبار رحلاتهم الى العراق ومن مجموعة الكتب التي اقتناها والوثائق المخطوطة القديمة والحديثة التي اكتشفها وقد علّق عليها الفوائد وعمل فيها رويته الشخصية فجاءت لذيذة مفيدة مسهلاً مطالعتها بالفهارس الواسعة التي ذيل بها كتابه فاستحق الثناء.

خزائن الكتب القديمة في العراق منذ اقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة

مطبعة المعارف - بغداد ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م قطع ٨ ص ٣٤٦ ثمنه ٥٠٠ فلس

تأليف كوركيس عوّاد

من فهارس الكتاب الوافرة المواد في اعلام الناس والاقوام والملل والامكنة ومن لائحة المراجع العربية والافرنجية يقدر القارئ جهود المؤلف في جمعه ما جمعه على خزائن الكتب ويهتدي القارئ بتلك الفهارس الى تحصيل اللآلئ القائصة في هذا البحر الواسع وفيه ما يفيد المثقفين عامّة وامناء المكاتب خاصة. مهّد صاحبه الى بحثه في كلام طريف عن الوراقة والوراقين وعن النسخ وبيع ادوات الكتابة وتجليد الكتب وشرائها ووقفها واتلافها بالحريق او التغريق او الدفن وعن غسل الكتابة والكتب وراعى في سياقة اخبار الخزائن التسلسل الزمني أخذاً بالاقدم فالاقدم . واذ نشكر له سعيه نلفت النظر الى ما كتبه عن الديورة ومكاتبها وما لها من الفضل بنشر العلوم في البلاد العربية عامة والعراقية خاصة .

اقسام ضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء

تأليف هلال الصابئ المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ١٠٥٦م.

مطبعة المعارف – بغداد ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م ثمنه ٢٠٠ فلس

جمعها وعلق عليها ميخائيل عواد

ان في عنوان الكتاب غنىً عن وصفه وقد وفق ناشره الى الحصول على قطع ضائعة منه في خزانة « غوطا » فعني بها ونشرهـا مع تعليقات وشروح عديدة وفهارس واسعة تستغرق ما يقارب خمس الكتاب وفيه ترجمة « الصابي » الذي اسلم « وحسن اسلامه » بعد ان ظهر له النبي مراراً بالرؤيا . وعُرضت لائحة مؤلفات الصابئ عسى ان تساعد عشاق الآثار العربية في التنقيب على مـا بقي منها مدفوناً في مخابئها فيبرزونها للنور .

نثني على همة السيد ميخائيل عواد ونتمنى لكل اديب في بلاد العراق ان يجاريه في البحث والنشر والتأليف وبتضافر هذه الجهود المحمودة يبلغ السكان الى مستوى الثقافة العالية التي يطمح اليها عهد الاستقلال التام .

المآصر في بلاد الروم والاسلام

مطبعة المعارف – بغداد ١٩٤٨ ص٩٢ قطع ٨ ثمنه ٢٠٠ فلس

تأليف ميخائيل عواد

هذا الكتاب يجمع مقالات ظهرت في مجلة المقتطف واعاد المؤلف طبعهـا وفيها البحث عن تاريخ الموانئ الاسلامية في الشرق الادنى وشمالي افريقية وما الى ذلك من الفوائد عن العشور وعن تجهيز الاسطول للقتال. مضى صاحبه بتأليفه مستقيباً معنى المآصر في كتب اللغة والتاريخ والسياسة. وكانت المآصر او الموانئ النهرية والبحرية وفيها سلسلة ضخمة من الحديد تعترض الميناء وتحول دون سير السفن ما لم يفتح لها صاحب القفل بفكه السلاسل . وقلما كُتب في هذا الموضوع فنهنئ المؤلف على اتحافنا به وهو شاهد على اخلاص نصارى العراق الى وطنهم واعتزازهم بعزّه.

عشائر العراق الكردية

ص ٢٧٢ قطع ٨ – مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م ثمنه ٥٠٠ فلس

بقلم المحامي عباس العزاوي

هذا الكتاب يبحث في اصل العشائر الكردية وتفرعاتها ومواطن سكناها وما يتعلق بسائر احوالها التاريخية والحاضرة مع فهارس وخارطة ، خاض غماره المؤلف متكلماً عن الاسرة والقبيلة وعن الزعامة عند الاكراد ، مقابلاً بينهم وبين الاعراب فقال ان العشائر الكردية هي في الغالب من اهل الارياف ولم يبقَ منها على البداوة الا القليل وهؤلاء في الحقيقة اقرب الى الحضارة (ص٦) وقال (ص١٨) « ان العنصر (الكردي) منذ دخل الاسلام... نال نصيباً وافراً من الحضارة ... الامر الذي دعا ان يكون من اهم اوكان نهضته... وعلماؤه وادباؤه ومؤرخوه ورجال سياسته ومدنه وصناعته شاهد محسوس لما ناله من المنزلة السامية » على ان وفاء الموضوع حقه من الدرس يتطلب جهود الكثيرين وحسبنا مراجعة مادة « كرد » في الموسوعة الاسلامية لنرى عشرات الاسماء من العلماء الذين اشتغلوا في بحث تاريخ الاكراد واصلهم وفصلهم ودياناتهم وآدابهم فما ان يقرب منالها بالترجمة المصرية (التي لم تتجاوز الى يومنا حرف الدال على ما اظن) حتى ينشط الكتبة للتعاون في العمل الذي فتح السبيل اليه المحامي عباس العزاوي رئيس لجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية .

كتاب النبراس في تاريخ بني العباس

ص ٢٠٢ قطع ١٢ كبير – مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م

تأليف ابن دحية — صححه وعلق عليه المحامي عباس العزاوي

ابن دحية الكلبي ولد في الاندلس ٥٤٤هـ ١١٥٠م وتوفي في القاهرة ٦٣٣هـ ١٢٣٥م ، سافر الى برّ العدوة ودخل مراكش ثم ارتحل الى افريقية ومنها الى الديار المصرية وبلاد الشام والعراق وخراسان وكان عالماً بالتاريخ والحديث والنحو لكنه «كان كثير الوقيعة في الائمة» فانتقدوا عليه بعضهم بالاستحسان وبعضهم بالاستهجان كالكندي الذي الف ضده كتاب « نتف اللحية من ابن دحية ». ولعل التحامل ناجم من انه ظاهري فخاف القوم على مكانتهم المذهبية

فتعصبوا عليه (ص ي) والظاهرية يقولون باستخراج الشرائع من القرآن والسنة بالحرف لا بالقياس .

نشر هذا الكتاب المحامي عباس العزاوي مقدما عليه بدرس ترجم فيه لابن دحية ومؤلفاته ووصف هذا التاريخ عن اصوله ومراجعه وذيله بالفهارس وحشاه بالتعليقات المفيدة وقد وددنا لو أبرز بحلة مطبعية أليق من التي ظهر بها لان الاحرف المستعملة فيها قديمة مشوهة واليد العاملة لم تراع حرمة المتن المراعاة المطلوبة فتقع الياء موضع الباء والجيم موضع الحاء ..

وموضوع الكتاب بيّن من عنوانه يشمل ايام بني العباس من عهد السفاح الى عهد المستعصم ولعل شخصية المأمون تظهر فيه بأجلى المظاهر دون سائر الخلفاء .. ومن نوادر اخباره ان ملك الهند ارسل اليه الهدايا ومنها « فراش من جلد حية ... لا يتخوف من جلس عليه السل وان كان به سل وجلس عليه سبعة ايام برئ ... » (ص٥٢) . اما المتوكل ومعاملته المشينة لحق اهل الذمة فيذكرها ابن دحية ويزيد عليها ويقول انظر الى شرف هذا الخليفة واخذه بالسنة (ص ٨١) فيدفع عنه بشدة تمسكه بالسنة التهمة التي اتهمه بها خصومه بالخروج عن السنة .

تاريخ البرامكة

ص ١٦٦ قطع ١٢ كبير — مطبعة الرشيد ، بغداد ١٩٤٨ م ١٣٦٧ ه

تأليف عبدالله فياض

هي رسالة تقدّم بها صاحبها لنيل شهادة المأذونية في الاجتماعيات من دار المعلمين العالية ببغداد وقد ألفها تحت اشراف الدكتور عبدالعزيز الدوري استاذ التاريخ الاسلامي الذي بيّن للقراء في صفحات الكتاب الاولى اغراضه مثنياً على « تلميذه » لما تكبده من اتعاب في التأليف وفي مراجعة المصادر العديدة من تصانيف عربية واوروبية . وان اخبار البرامكة معروفة فسعادتهم وشقاؤهم يضرب بها المثل . فاقبل السيد عبد الله فياض يستقصي اسبابها ويستفتي بها الكثيرين ممن حاولوا التحقيق في امرها من الاقدمين الى المحدثين . ولعل السبب

« التفاني » لنكبتهم انما هو طبع الخليفة هارون الرشيد الذي ارتاح على البرامكة من هموم الدولة وانصرف الى ما يلهيه عنها الى ان استفاق من غفلته وبطش بهم متسرعاً خشية ان يطغي نفوذهم عليه . وذلك لم يكن نادراً في بلاط السلاطين اذ يرى الوزير نفسه في ذروة النجاح وما ان تدسّ الدسائس الا ويسقط ويهلك بين ليلة وضحاها . ومن امثال ذلك اخبار احشوروش ملك فارس الذي شنق وزيره هامان (سفر استير ٢:٧-١٠).

رحلة المنشيء البغدادي ... محمّد الحسيني

طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة – بغداد – ١٣٦٨هـ ١٩٤٨ م الثمن ٣٠٠ فلس

نقلها عن الفارسية عباس العزاوي المحامي

ان اخبار هذه الرحلة كتبها مؤلفها باللغة الايرانية سنة ١٢٣٧هـ ١٨٢١م في احوال الكرد والعراق وما فيها من قبائل في شهرزور وسنة وسقز وكركوك وآلتون كوبرى واربل وخاصة في ذكر بغداد وقراهـا ونواحيها ومنازلها الى كرمنشاهان والسليمانية وكردستان وكان قد قضى ببغداد عدة سنين كاتباً في دار المقيم البريطاني كلاديوس جمس رج Rich فرافقه في اسفاره الى البلاد المذكورة ودوّن ما دونه من الاخبار تحت اشرافه في صفحات وجيزة نشرها المحامي عباس العزاوي معلقاً عليها الفوائد والتعليقات وذيّلها بفهارس كاملة زادت بنافعها وفيها الفقر لمعرفة احوال الالوية ودرجة طاعتها لوالي بغداد داود باشا وسياسة الانكليز فيها واذ جاءت « موافقة لمراد الاجنبي » (ص١٠١) فلا اقل من ان تبرز نوراً ينعكس على المواد التي يعالجها المؤرخون في تعليلهم حركة التطور السياسي الذي ادّى بالعراق من العهد العثماني الى عهد الانتداب البريطاني فالاستقلال المطلق .

زار المنشي البغدادي فيما زاره من الامكنة دير الرهبان هرمز بالقرب من الموصل فقال (ص٨٥) : دير هرمز بني في جبل والطريق اليه صعب المرور حجري فيه تعاريج ومنحنيات يمتد نحو ميلين في وعورته . وان الدير كبير جداً وكله من صخر منحوت ورهبان هرمز في وسط هذا الدير . وان النصارى في تلك

الانحاء يعتقدون فيه اعتقاداً كبيراً وفي كل سنة يأتون اليه من الولايات. وفوق الدير في سفح الجبل ٤٩ غاراً . وان مطراناً واحداً وخمسين راهباً يقيمون دائماً في هذه الكهوف وهم من الاخيار الابرار جداً كل واحد منهم يأتي من بلد وقد تركوا الدنيا ولهم واحدة وخمسون بقرة . وزبدة هذه البقرات تقدم للواردين وهم لا يأكلون اللحوم.

آل فرعون

الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها

مزوداً بالوثائق وموضحاً بالخرائط والصور

الجزء الاول ص٦٧٤ قطع ٨ كبير ، مطبعة النجاح — بغداد

تأليف فريق المزهر

«كنت مع الثورة من ابتدائها الى انتهائها... مع رجال الدين ومع زعماء العشائر ومع جموع الثائرين» بهذين السطرين يتقدم المؤلف للقراء وبهما تتعرف اليه وصورته مع صور ملوك العراق وامرائها العظام تتصدر الكتاب وتعرب بلامحها العربية عن النار الملتهبة في صدر الرجل فتدفعه الى الكتابة عن حماسة تذكرنا بشعراء الجاهلية اذا ما ذكروا ايامهم وفاخروا بأعمالهم وهجوا اعداءهم . وهذا النفس الطويل يجتاح المؤلف من بدئه الى نهايته اجتياح الرياح للصحراء الشاسعة . واننا لنقف في هذا التيار ونجمع افكارنا لنأتي بخلاصة الكلام عن اهم «الحقائق» المدونة للتأريخ .

ان بلاد العراق في غربي آسية على مجاري نهري دجلة والفرات . مساحتها بحدودها الحالية ٤٥٢٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها يقدرون اليوم ٩٩٠٠٠٠ ؛ لقد وقعت تحت حكم الاتراك سنة ١٥٣٤ ، ولم تكن سيادتهم عليها مطلقة لبعد السلطة المركزية عنها ولنزعة السواد الاعظم من سكانها العرب الغير المتحضرين الذين يأبون الطاعة لحكومات منظمة . وفي القرن التاسع عشر ميلادي ترادفت حملات باشاوات الاتراك الى العراق وقد ذكرهم صاحب الكتاب (ص٢٧) : حرب نجيب باشا في كربلاء سنة ١٢٥٨ه ١٨٤٢م وحرب

سليم باشا في النجف ١٢٦٨ﻫ ١٨٥١م وحرب مدحت باشا في الدغارة ١٢٨٤ﻫ ١٨٦٧م وحرب شبلي باشا في الشامية وابي صخير ١٢٩٢ﻫ ١٨٧٥م وحرب يوسف باشا في العراف ١٢٩٦ﻫ ١٨٧٨م وغير ذلك من الوقائع العديدة الدالة على ان سلطة بني عثمان لم تستقر بالعراق واهاليها في البادية لا يرضون عن استقلالهم بديلاً .

وفي طليعة الثائرين على الاتراك عشائر آل فتله وكان زعيمها فهيد آل تذير وقد « اخذ يفاوض العشائر المجاورة لعشائره وبيّن لهم بأن العرب لا يمكنهم الامتزاج مع الحكومة العثانية ولا يمكنهم ان يعيشو تحت سيطرتها ، ونحن عرب لا نتمكن بأي حال من الاحوال ان نقبل حكم « اروام » لا يفهمون لغتنا ولا نفهم لغتهم لذلك يجب ان نطردهم ونؤسس لنا حكومة عربية تحكمنا » (ص ٣٨).

وارتجل الزعيم الاهازيج « الهوسات » ومنها « كلش منطاعش منطاعش » ومنها « ابدًا مطيها لا ارضيها » .

وقام بآخر ثورة ضد الاتراك حيدر آل فرعون ١٩١٠ – ١٩١٣ فقاوم الاتراك ما يقارب الاربعة اشهر فقاتلوه وعشائره بالمدافع والرشاشات فاستسلم بالقوة وسلبت اراضيه .

ولكن طغيان الاتراك سوف يعود بالوبال عليهم فينكسرون في الحرب الكونية الاولى وينسحبون من العراق فيعود آل فرعون الى عزّهم في ظل استقلال بلادهم المطلق .

العراق قديماً وحديثاً

ص ٢٥٤ قطع ٨ – مطبعة العرفان – صيدا

بقلم السيد عبد الرزاق الحسني

ان لصاحب الكتاب الذراع الطولى في التأليف عن العراق وتاريخه واحواله الاجتماعية والسياسية وكان له دور خطير في الحوادث التي جرت في تلك البلاد في الحرب الكونية الثانية فأقدم على نشر ما جمعه من مطالعاته وتعليقاته وخبرته الشخصية وخص هذا الكتاب ببحثين قيّمين : الاول في موجز جغرافية العراق والثاني في مجمل تاريخ العراق اخذًا بالكلام عن سكانه وجباله ومعادنه وريّه

وعن مدنه كبيرة او صغيرة معللا اسماءها عن اختلاف الروايات والاراء معرفاً القراء بأوضاعها الادارية والاقتصادية والاجتماعية بأسلوب شائق مختصر جدير بان يطالعه كل اديب يهمه شأن البلاد العراقية ولا سيما اساتذة المدارس وقد يصلح خاصة لمكاتبها فيطالعه الطلاب ويغترفون من موارده شتى الفوائد في الاستعداد الى فحوصهم فنهنئ عليه المؤلف ونتمنى لكتابه الرواج الذي يستحقه.

تاريخ العراق السياسي الحديث

الجزء الاول ص٢٢٨ – الجزء الثاني ص٣٢٠ – الجزء الثالث ص٣٥٢
ثمن الجزء الواحد ٥٠٠ فلس . قطع ٨ – مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م

بقلم السيد عبد الرزاق الحسني

هذا الكتاب اشبه منه بموسوعة للوثائق التي تؤدي مادة غزيرة وافرة لوضع تاريخ البلاد العراقية في مراحلها الاخيرة ، استند فيه صاحبه الى التحارير الرسمية والمقالات التي ظهرت في امهات الجرائد وفي المؤلفات القديمة والحديثة وعرضها مسلسلة مع تعاقب الايام ، وما الكتاب المذكور سابقاً « العراق قديماً وحديثاً » الا خلاصة هذه المجلدات الثلاثة . ولا بد من انعام النظر فيها وتعريف القراء باهم محتوياتها مع بعض التحفظ في بت الحكم بالحوادث وتعليلاتها وهذه لن يصح تقريبها العلمي الا بعد مرور الزمان لان الالمام بما يتطلب النظرات عن بعد لتقدير الاقوال والاعمال حق قدرها دون ان ينال الحكم فيها لوم اللائمين. اليك اولاً فقرات من الخطاب الذي افتتح به المؤلف الجزء الاول وهو لصاحب الجلالة الملك فيصل الاول . جابه الحقيقة على ما فيها من مكدرات لا يجرأ على التعبير عما توحيه من الافكار الا الملك الذي قبض على زمام الامر، فان يكشف عن جرح فلكي يهتدي وايانا الى سبيل معالجته لا ليؤلمنا . فقال (ص٥) :

« ان البلاد العراقية هي من جملة البلدان التي ينقصها اهم عنصر من عناصر الحياة الاجتماعية ، ذلك هو الوحدة الفكرية والملية والدينية فهي والحالة هذه مبعثرة القوى مقسمة على بعضها يحتاج ساستها الى ان يكونوا حكماء مدبرين وفي عين الوقت اقوياء مادة ومعنى غير مجلوبين لحسيات او اغراض

شخصية او طائفية او متطرفة ، يداومون على سياسة العدل والموازنة والقوة معاً ، على جانب كبير من الاحترام لتقاليد الاهالي ، لا ينقادون الى تأثرات رجعية او الى افكار متطرفة تستوجب رد الفعل .

ان في العراق افكارًا ومنازع متباينة جدًا وتنقسم الى اقسام: ١—الشبان المتجددون بما فيهم رجال الحكومة ، ٢ — المتعصبون ، ٣ — السنة ، ٤— الشيعة ، ٥ — الاكراد ، ٦ — الاقليات غير المسلمة ، ٧ — العشائر ، ٨ — الشيوخ ، ٩ — السواد الاعظم الجاهل المستعد لقبول كل فكرة سيئة بدون مناقشة او محاكمة .

وان ما كتبه مؤسس العرش العراقي كتبه لا في القرون الماضية ولكن في عصرنا وفي زمان غير بعيد عنا في١٥ آذار سنة ١٩٣٢ ولم يمض على كلامه اكثر من ٢١ سنة . فهل يتاح للحكيم البصير ان يرميه بحجة قديم اكل الدهر عليه وشرب ؟ هل تكون البلاد في هذه الحقبات القليلة قطعت شوطاً يجعل لكلام الملك وقعاً غير مناسب للحقيقة كما هي في يومنا ؟

لم يبت « الحسيني » الحكم في الامر فاحسن، وترك للايام مؤونة الاصابة في تقدير مبلغ البلوغ الى الاهداف التي رمى اليها الملك وسار بكلامه مستعرضاً احوال العراق آخذًا بأوليات دوله من شرمرية وعيلامية وبابلية وآشورية وكلدانية ومادية ويونانية وفرتية وساسانية وعربية وتركانية وصفوية وعثمانية الى عهد الاستقلال الحالي .

وفي هذه الناحية الاخيرة فسح المجال الى بحث علاقات بريطانية مع العراق فأصاب في قوله ان اسباب الاحتلال الانكليزي يؤخذ جوهرها من وضع العراق الجغرافي وخطوطه الجوية ومن غناه بالنفط ومن خصوبة اراضيه وتبادله التجاري فكانت تحقيقاً لما كان يحلم به الاجانب للامنيات التي اثارتها في خيالهم اقاصيص الف ليلة وليلة وفيها ما فيها من الاخبار الداعية الى اعتبار العراق من عهد بابل الى عهد هارون الرشيد والدولة العباسية مهدًا لحضارة الشرق الادنى وموردًا لملتقى خيرات العالم القديم في اسواقها ومرافقها التجارية .

وتكلم عن استفتاء اهالي العراق بشأن مصير بلادهم فروى عن تصريح

اي. تي. ولسن(ص٩٧) « ان اليهود طلبوا الادارة البريطانية واقتدى المسيحيون بهم » وقد كان جلالة الملك فيصل في خطابه المذكور سابقاً قد نوّه بوجود الاقليات المسيحية « التي لا يجب ان نهملها نظراً الى السياسة الدولية التي لم تزل تشجعها للمطالبة بحقوق غير هذه وتلك » (ص٧ سطر٣) واهل في الاسطر ما يعود ببعض اللوم على « اهل الذمة » بشأن مصيرهم في بلاد تدين بدين الاسلام . وقد كنا نودّ لو أتى المؤلف على هذه القضية بكلمة تبرر موقفنا نحن المسيحيين من حكامنا المسلمين لان ديانتنا توصينا بالخضوع مخلصين الى السلطان اياً كان ، على ان يحكمنا بالعدل والانصاف ، واذا وقف المسلمون بالجهاد في سبيل حرية بلادهم وسيادتها المطلقة فليس المسيحيون دونهم تحمساً لحرية بلادهم وسيادتها على شرط ان تمحي روح التعصب من عقول السواد وهم الاكثرية الساحقة من السكان من ينتسبون الى الحكومة ديناً ليسيطروا على من ليس من دينهم (خطاب الملك فيصل ص٦ سطر٢٣ وما بعده) فينقادون الى التأثرات الرجعية الى الافكار المتطرفة (ص٥ سطر١٤).

وان ننس فلا ننس موقف المسيحيين في لبنان سنة ١٩٣٦ في مؤتمر باريس لما طالب رؤساؤهم باستقلال بلادهم المطلق عن اية دولة اجنبية وليس المسيحيون في العراق دون اخوانهم في لبنان حريصين على سيادة بلادهم المطلقة وهم سكانها من قبل الاسلام وبعده .

ومضى السيد عبد الرزاق الحسني يحدثنا عن الثورة العراقية الكبرى مشيراً الى المراجع التاريخية عن مواقف رجال السياسة العراقيين تجاه رجالات الانكليز طوراً في المذكرات الديبلوماسية السلمية وطوراً في القتال المسلح الى ان تم تتويج الملك فيصل ووضع القانون الاساسي العراقي .

وانتقل في الجزء الثاني من الكتاب الى الكلام عن المعاهدة العراقية والبريطانية في مراحلها الاربع وما يذيلها من الاتفاقات العدلية والعدول عن الامتيازات وفي هذه الصفحات المكتظة بذكرى الحوادث واسماء الرجال مادة تسوغ مطالعتها ويشع منها نور سيهتدي به كل من يعالج تاريخ الشرق الادنى من المؤرخين في الغد مقابلين بين عصر يزول وعصر ينشأ والبلاد تقطع بالسنين

القلاقل محطات لم تقطعها على مدى القرن في الحياة الاجتماعيـة والسياسية وفي وعيها القومي .

واليك الجزء الثالث وفي صفحاته ٣٢ الاوليات عـالج المؤلف قضية الاستقلال العراقي وجاء بنظرات قيمة فيما تطلبه البلاد لتتمتع بسيادتها الكاملة ولما فرضته عليها جمعية الامم لتجعلها في مصافها متساويـة مع كبريات الدول بالحقوق والواجبات وترى ان معظم الشروط المطلوبة من العراق تتعلق بقضية الجنسيات والاقليات العنصرية والدينية واللغوية ومما جاء فيها (ص٣٤) :

« المادة الخامسة : الحق للاقليات في ان يحفظوا ويـديروا ويراقبوا على نفقتهم او ان يؤسسوا في المستقبل معاهد خيرية او دينية او اجتماعية ومدارس وغير ذلك من المؤسسات التهذيبية مع حق استعمال لغتهم الخـاصة وممارسة دينهم فيها بحرية .

المادة السـادسة : توافق الحكومة العراقية على ان تتخذ بحق الاقليات غير المسلمة فيما يتعلق بقانونها العائلي واحوالها الشخصية كل التدابير التي تسمح بتنظيم هذه الامور وفقاً لعادات وعرف الطوائف التي تنتمي اليها هذه الاقليات .

المادة الثامنة : ـ٢ـ في المدن والجهات التي يكون فيها قسم كبير من الرعايا العراقيين ممن ينتسبون الى الاقليات العنصرية او الدينية او اللغوية يؤمن لهذه الاقليات نصيب عادل من حيث التمتع بما قد يرصد من الاموال العامـة بموجب ميزانية الدولة او البلديات او غيرها من الميزانيات للمقاصد التهذيبية او الدينية او الخيرية ومن حيث استعمال الاموال المذكورة .

وقال (ص ٣٦) عن حرية الضمير ان العراق يتعهد بان يؤمن ويضمن في جميع اراضيه حرية الضمير وحرية ممارسة العبادة وكذلك اعمـال البعثات (الارساليات) الدينية من جميع المذاهب في الامور الدينية والمدرسية والطبية مهما كانت جنسية هذه البعثات او جنسية اعضائها » .

ومضى المؤلف يكلمنا عن الوزارات العراقية في عهد الانتداب البريطاني فكان عددها اربع عشرة وزارة . فصّل لكل واحـدة منها فصلاً جاء على ذكر وزرائه وبرامج حكمهم وأعمالهم ونتائجها ، اما في عهد الاستقلال فقد

تألفت ست عشرة وزارة كان معدل حياة الوزارة الواحدة سبعة اشهر وعشرة ايام فبحث بالايجاز عن كل من هذه الوزارات مع نصوص مناهجها الوزارية وما تم في عهودها من الاعمال الى ان تكلم (ص٢٢٦) عن الاحزاب في البلاد الراقية وعن الاحزاب في العراق ثم عن الحياة النيابية والمجلس التأسيسي والمجلس النيابي وذلك بتفاصيل عديدة قد يفيد مؤرخو الغد مراجعتها للمقابلة بينها وبين ما يجري من سواها في سائر البلاد فيطلونها ويستنتجون نتائجها عبرة للزمان .

وهناك القضية الكردية وما اليها من مسائل الاشوريين والحوادث الدامية التي وقعت في تلك الايام العصيبة وعسير خوض غمارها لتمييز مواطن المسؤوليات فيها فلم يحجم المؤلف عن ابداء نظراته فيها . ان مشاكلها عويصة وتبعات ما يؤسف له من النكبات المشتركة بين الكثيرين مما لا يسع المقام التوسع به . وانتهى الكتاب في الفصل الخامس عشر وفيه المقال على حدود العراق بينها وبين تركية وايران والنجد ، ومن المعلوم ان المؤلف في سنة ١٩٤١ أبعد عن وطنه لمدة اربع سنوات في غضونها تسنى له ان يتأمل ويفكر ويعتبر واذا كتب فيقول (ص٣ الجزء الاول) قد كلفتنا صياغة بعض هذه الفصول جهداً كبيراً وصولاً الى الحقيقة مهما كانت مرّة او حلوة . وقال بتحفظ وتواضع يستحق الثناء «ان بيننا وبين النضوج العلمي الذي يتطلبه القرن العشرين مراحل لا يتسنى قطعها بيسر » ، وتمثل بشعر معروف الرصافي :

فما كُتُب التاريخ في كلّ ما روت لقرائها الا حديث ملفّق
نظرنا لأمر الحاضرين فرابنا فكيف بأمر الغابرين نصدق ?

مما يؤيد ما قلناه سابقاً ان البعد في الزمان لا بد منه للالمام بسائر اطراف الحوادث وعللها ونتائجها للوقوف على الحقيقة التاريخية بقدم ثابتة لا تخشى الذلل

الثورة العراقية الكبرى

ص ٢٧٢ قطع ٨ — مطبعة العرفان ، صيدا ١٣٧١هـ ١٩٥٢م ثمنه ٥٠٠ فلس

تأليف السيد عبد الرزاق الحسني

هذا الكتاب فيه خلاصة المؤلَّف المذكور سابقاً « تاريخ العراق السياسي الحديث »وفيه تعليات جديدة عن الحركة الداخلية التي قامت بها الجمعيات السرية

وعن اثرها في الثورة العراقية فيرى المؤلف :ان المحدثين احجموا عن الخوض في تاريخها اما الانكليز فلم يكتب عنها احدهم كتاباً الا الجنرال هالدن Haldane وكان قليل الخبرة بأهداف البلاد الوطنية ففاجأته اخبار الثورة عن غير استعداد لها وأتهم بالتقصير في تتمة واجبه ؛ الا ان السيد عبد الرزاق استفاد من كتاب هالدن واستند الى غير ذلك من المصادر ومن التعليات شأنه فيا تكلمنا عنه من مؤلفاته وذهب يعرفنا خاصة برجالات العراق من اعيان ومشايخ وزعماء قبائل ولكثيرين صورهم في الكتاب وذكر تفاصيل المعارك وما مني فيها الطرفان من جرحى وقتلى فدوّن للخلف اخباراً يعول عليها الخاصة من المؤرخين ويستطيبها عامة القراء .

تاريخ نصارى العراق

منذ انتشار النصرانية في الاقطار العراقية الى ايامنا

مطبعة المنصور – بغداد ١٩٤٨ ص١٨٨ قطع٨

تأليف رفائيل بابو اسحق .

وهل من محل لهذا الكتاب بين الكتب التي وصفناها وفي مئات الصفحات منها لا يكاد يكون للنصارى ذكرٌ او اذا ذكروا فذكروا بين الاقليات من يهود واكراد ويزيدية وصابئة واذا ظهر بينهم « الاخطل » العربي شاعر بني امية النصراني اوخذت الحكومة العراقية بتسمية شارع من شوارع بغداد باسمه لانه « هجا العرب والمسلمين »[1] ولكن قال المؤلف في المقدمة :

« ان نصارى العراق لمن سكانه القدامى . وقد شاركوا مواطنيهم في السراء والضراء وما برحوا الى اليوم يشاركونهم في الضيق والرفاه . فخدموا الوطن ورفعوا منار العلم ومهّدوا وسائل التهذيب . ومنذ القرون الاولى للميلاد جروا في حلبة المعارف وتسابقوا في ميدان الصناعات . فتضلعوا من العلوم وشادوا المدارس واقاموا المستشفيات. وفي الوقت نفسه نبغ منهم العلماء والاطباء والفلاسفة الذين لا تزال مصنفاتهم الى اليوم مورداً تستمد منه الافهام والاقلام.»

١) راجع الكتاب الموصوف سابقاً «الحقائق الناصعة» (ص٧).

تكلم المؤلف عن تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في اقطاره الى ايامنا ملخصاً تقلبات احوالهم الاجتماعية والادبية والاقتصادية عصراً عصراً. وما قاسوا من اهوال المحن في مطاوي السنين . وذكر اشهر كتابهم في عالم الادب وما صنفوا من الاسفار النفيسة وبيّن خدماتهم في سبيل تقدم العلوم وما اتوا من الاعمال الخالدة لخير الانسانية معتمداً على اصدق الكتب مشيراً الى اخص مراجعها .

فله الشكر فيما ابداه من الاجتهاد وفيما يعود منه على خير البلاد بتشجيع سكانها المسيحيين على مثابرة العمل في سبيل عمران العراق وتوحيد صفوف السكان تحت راية ملوكهم العظام .

ليالي السمر

ص ٩٦ قطع ١٢ كبير – المطبعة العصرية – حلة ، العراق ١٣٧٠هـ ١٩٥١م

تأليف عبد الصاحب عبيد الحلي

هذا ديوان زجلي او في الشعر العامي ضم فيه المؤلف الى شعره عدة قصائد لشعراء العراق المحدثين ... وفيه محاسن اللغة العامية العراقية وما فيها من الفاظ وتعابير شعبية تروق دراستها الباحثين في هذه الناحية من اللغة العربية. اما معانيه فاراني محتاراً في الكلام عنها واكثرها يذكّرنا بعصر المجون والسكر وبأهل صادوم . وقد تمنى لهذا الجيل الناهض الشعي ما وراء الفن الشعري الموسيقي الباعث الى رفع القلوب عن الملذات اللحمية الى جو الفن الذي يسبح فيه العالم المتمدن وما احوجنا الى فنانين يأخذون بمذاهب الموسيقى على اصولها ويملّون عليها الممثلين والمغنين في المسارح فتكون مدرسة للشعب . ومما يؤلم قراءته ان العاطفة الدينية لم تنطفئ في هذا الكتيب وقد ينم عنها شيء من الشعر كهذا وفيه وصف ليله وانت اعلم من هي ليله :

ليله مريم العذره اشلنا (كيفها)   توصف بلوك (يليق) الها (لها)

انشد الشاعر شعره الكفري وهو مع ذلك مؤمن بالله وباليوم الآخر وقد قال (ص٦١ سطر٩) :

« لو ما اكو يوم الحساب   واخشى النار ... لاعبدها »

ولو كان غير مؤمن لاحتج بالحاده في الكتابة عن عبادة المخلوق دون الخالق وبئس العبادة هي .

ميزانية الدولة العراقية

تحضيرها وتحليلها — تأليف احمد عبد الباقي ١٣٦٦هـ ١٩٤٧م

طبع بدار الكتاب العربي بمصر ص ١٦١ قطع ٨ كبير ، منشورات مكتبة المثنى

قال المؤلف (ص٣) « لا تزال اكثر مشاكل بلادنا غير مبحوث فيها باسلوب علمي يضع صورة واقعية صحيحة لها » فكان دأبه سدّ شيئاً من هذا الخلل فحاول دراسة الميزانية العراقية وقد رجع بها الى المصادر الاولية من اللوائح والقوانين والتقارير الرسمية في القانون الاساسي العراقي وفي النظام الداخلي لمجلس النواب وفي تقارير لجن الامور المالية من السنة ١٩٣٢ الى ١٩٤٤ فبحث اولاً شؤون الميزانية على العموم في اهميتها وتنظيمها وفي طرق تخمين المدخولات والمصروفات وفي تأثير الاعمال العمرانية فيها والحق درسه بالكلام على ميزانية الاوقاف وعلى الحركة الاقتصادية في مديرية السكك الحديدية وفي ادارة ميناء البصرة وفي حفر سدّ القاد وفي الاعمال العمرانية المتعلقة بالري وطرق المواصلات وتشييد الابنية الحكومية ومدّ الخطوط التلفونية وغير ذلك. ومما يلفت النظر ان حصة الحكومة من شركة النفط كانت وسيلة فعالة لا يستهان بها لتغطية العجز في المالية في النفقات .

وافاد كثيراً بضرب الجداول المفصلة للمدخولات والمصروفات فاسترعى نظر الخاصة من الباحثين وقرب الى العامة معرفة احوال البلاد المالية فتتفاءل في شؤونها اذا قابلت بين ارقام وارقام على تعاقب السنين فترى مثالاً في ذلك ان في السنة ١٩٣٢ كانت المدخولات بالدنانير ٤،٢١٥،٤١٥ والمصروفات ٣،٦١١،٨٧٦٤ وفي السنة ١٩٤٠ كانت المدخولات ٩،٨٥٤،٣٣٨ والمصروفات ٩،٨٥٤،٣٣٩ مما يدل على زيادة ثروة البلاد مع ترقيها في سبل العمران. فنشكر للمؤلف بحثه ونتمنى للقطر الشقيق اطراد النجاح الاقتصادي دعامةً للنجاح في سائر انحاء الحياة الادبية والروحية .

في سكون الليل

تأليف ابراهيم يعقوب عوبديا

مطبعة الاعتماد بمصر ص ١٤٦ قطع ٨

جميلة هي القصائد ا انشد فيها الشاعر ولاءه لبلاده وتغنى بمحاسن طبيعتها بين الانوار والرياحين وعبّر عما يختلج في فؤاده من عواطف مؤثرة يرثي احوال البائسين وتحدى لصوت الحياة المتصاعد من الآفاق العراقية فاحسن واجاد .

التيار

نظم الاستاذ احمد الرصافي

دار مطبعة اليقظة العربية بدمشق ص ١٤٠ قطع ٨ كبير

هو ديوان شعر اعجبت به لجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية فقررت طبعه . فيه الشعر المنسجم والشعور الرقيقة ونفحات الطبيعة الساحرة ... وعليها مسحة من حزن وحداد نظمها الشاعر العراقي وزار سورية ولبنان فتغنى بمحاسن حماة وزحلة وربوع ساحل البحر المتوسط فاطربنا .

التربية ـ حقائقها واصولها الاولى

تأليف السير برسي نن — تعريب عبد العزيز ابراهيم البسام

الطبعة الاولى ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م . مطبعة المعارف بغداد ص ٢٨٤ قطع ٨ كبير

هذا الكتاب وضعه استاذ التربية وعميدها في جامعة لندن « عالج فيه شؤون التعليم ببصيرة الفيلسوف ودقة العالم وحماسة المصلح الاجتماعي » وهو انكليزي وان يأتي على رواية اقوال او آراء من كتبوا في هذه الناحية من المان وافرنسيين وغيرهم فالمؤلفون الذين جاء ذكرهم في المراجع التي ذيل بها الفصول كلهم انكليز واساليب التربية التي دل عليها معروفة خاصة في بلاد الانكليز وان معرّب هذا الكتاب عراقي ولا بدّ انه فطن الى كون التربية في بلاده مع المنافع التي تنالها من اتخاذ الوسائط الحديثة في التعليم بالاطلاع على تحقيقها في بلاد الغرب لا بدّ من ان تتكيف بطبائع البلاد العربية وكل ما يصلح للغرب وبناته وامزجة اهاليه لا يصلح طرًّا لبلادنا ويا ليته زاد بمحاسن ترجمته فعلق عليها من عندياته الفوائد التي تساعد في تطبيق حقائقها واصولها على بلادنا.

وان المؤلف ذهب في الكلام عن هدف التربية وعن الحياة وعن درس

طبيعة الانسان في الطفل وتطورها مذهب الزاوي المسترض لآراء الباحثين في هذه الناحية فيفيدنا الاطلاع عليها تثقفاً وجدالًا لكن كثرة الاراء وتمداد الاسماء الاجنبية المستعجمة على القارئ العربي تغشي صفحات المؤلف بغشاء اشبه منه بالضباب الانكليزي وليست المصطلحات اللغوية التي جاء بها المعرب لتعريب الالفاظ المختصة بهذا النوع من الفن لتفك المعاني المعقدة في الاصل . ولم يفِ صفاف الحروف العربية بما يطلب منه من الاتقان في ضبط الحروف ولا تكاد صفحة من الكتاب تخلو من حرف مشوه مما يزيد في صعوبة مطالعته .

جاء في ص٢١٩ : عن «الدعاية» انها «جهد منظم لاذاعة المذاهب الجديدة ولكسب الاتباع والمشايعين » وعُلق على الكلام في ذيل الصفحة بهذه العبارة « وردت هذه الكلمة في عنوان مؤسسة كاثوليكية (١٦٢٢ « Congregatio de Propaganda » لتذيع ما ترى لجنة من الكاردينالات انه صحيح » . وهذا خطأ لانه بتر كلمة (fide) من آخر العبارة المذكورة وهذه الكلمة جوهرية لفهم المعنى وليست البروباغانده « دعاية » بل هي جمعية لنشر الايمان في البلاد الغير المسيحية اسسها البابا اكليمنضوس الثامن سنة ١٥٩٧ ونظمها البابا غريغوريوس الثامن عشر سنة ١٦٢٢ للتبشير بالانجيل .

على ان الخلل العظيم في هذا الكتاب هو انه يتناول بحث تربية الانسان المتطور بطبيعته ويغفل عن كون لهذا الانسان غاية قصوى وهو الله ولا يقدر حق قدرها القيم الروحانية في التهذيب .

واذا لفت النظر الى التربية الدينية « وحالتها السيئة » قال : « وليس هناك من امل لعلاج هذه الكارثة حتى يمكن تحليل جوهر الدين وتاريخ تطوره باعتباره ضرباً من النشاط الطبيعي للنفس الانسانية ، تحليلًا صحيحاً . وحتى توضع اصول لتعليمه قائمة على التحليل ثم تطبق هذه الاصول بحماس وجرأة » (ص ٣٦٦) فنرى من كلام المؤلف انه لم يتثبت بعد في المبادئ الدينية تثبت اليقين وهذه النتيجة انما هي التي تؤدي اليها التربية البروتستانتية ... فينشأ منها الانسان ... « على بياض » من كل عقيدة . وان نختم بوصف هذا الكتاب كلامنا عن « التاريخ وما اليه » فلسنا نخرج عن الموضوع لان التربية تمهد السبيل الى الاعمال والحوادث والايام التي يتكون منها التاريخ .

المشرق

السنة السابعة والاربعون

تموز – آب
ايلول – ت ١ ١٩٥٣

الروم الملكيون في الاسلام

مقتل البطريرك الانطاكي الملكي الشهيد خريستوفوروس

سنة ٣٥٦ للهجرة – ٩٦٧ للميلاد

حسدًا له لمكانته لدى الامير سيف الدولة علي بن حمدان (تابع)

ويليه

قسم من اخبار جثالقة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس

نشرها لاول مرة حبيب زيات عن نسخة يتيمة من القرن العاشر

موجز لنسخة الاصل

قال البرطسبيّار ما معناه بلفظه بوجه التقريب وبعض الاختصار. وهو مثال من انشاء الروم الملكيين المستعربين في القرن العاشر :

« كان البطريرك المعظم والمكرم الشهيد من مدينة السلام بغداد التي

اعتاضها ولد هاجر (العرب) عن مدينة اكتيسفون (المدائن) مدينة ملكهم في الاول وارض علومهم واما والداه فلست اعرف صورتهما كيف كانت غير انهما على كل حال كانا كبيرين جليلين . واما مـدة تربيته فكانت يسيرة في مدينته بمقدار ما احتاج اليه في التأدب باوائل العلوم حتى احكم ما امكن من بلاغة القول واحكم اكثر من ذلك صناعة الكتابـة باليد . لانه كان اذا كتب لا يدري احد كيف يميز الافضل من حال خطه في الحسن ام في السرعة. ومن العناية الالهية التي عنيت بكرسي رأس السليحيين عندنا لم يتيسر له المقام في وطنه طويلاً فانتقل من بلد الكلدانيين الى بلد السريانيين . ولست اعني بلد الكنعانيين الذي هو في هذا الوقت بلد فلسطين بل اعني به البلد القريب منا النازح قليلاً عنا وهو بلد حلب وذلك ان ابن حمدان الملقب بسيف الدولة كان ذكره كبيراً وحاله في ذلك الوقت في هذا الصقع كبيرة . وكانت آثاره جليلة وكان يعين كل من كانت له فضيلة من الناس لما فيه من الكرم وكبر الهمة وكان يجيئه الناس من سائر الاقطار فلذلك قصده الذي تشبه بالاب القديم في النقلة (ابرهيم) وكان اسمه في الاول عيسى الا انه تسمى في مـا بعد خريسطوفورس فسلّمه علي بن حمدان (سيف الدولة) الى امير كبير من امراء البادية يسمى خليفـة بن جُنيدي كانت امارته بناحية شيزر . ولم يكن عند الانطاكيين في الاول معروفاً ولكنه عُرف بعد ذلك مما نحن به ذاكروه.

وكانت اكتيسفون التي ذكرناها كبيرة وعظيمة . لانها كانت تخماً وحداً لمملكة الفرس وكان فيها جماعة من النصارى ولهم راعٍ مطران ولم يكن في رتبة المطرنة كفاية لرعاية جمع مثل هذا كبير في سائر بلاد فارس ورد امورهم الى اساقفة وجدهم يكاد ان يكونوا قليلين . بل كانت الحاجة داعية الى اساقفة كثيرين مـا كان يمكن مطران واحد ان يسيمهم ويشرطنهم فدعت الحاجة الضرورية الى كون مطارنة كثيرين. وكانت تلك الديار شاسعة بعيدة عن انطاكية المسماة باسم الله (Théoupolis) وكان في ذلك الموضع من بـلاد الفرس يُتعَب المصير في اكثر الاوقات الى انطاكية لاصلاح مطران لكل موضع. فتقدم لهذه الحال من القدماء سياسة اخرى جرى مثلها في امم مختلفة واماكن بعيدة مثل بلد الخزران والابخاز والباقران يسام انسان يكون سلطانه اكبر

من سلطان المطران يسمى جاثليقاً فاتبع قداؤنا هذه العادة . وشرطن الثة م على مديتنا جاثليقا على مدينة اكتيسفون . فلما بنى بنو هاجر مدينـة السلام بغداد رأوا ان ينفوا النصارى من القرب منها فنقلوهم الى بلد بعيد من بلاد فارس يدعى شاش . ونفوا اليه الجاثليق مع من نفوه من اصحابه وسميت تلك العشيرة المنتقلة جماعة الروم (روجرد) وصار مقام الجاثليق في شاش مدة من الزمان . ولم يكن احد يناظر على ذلك ولا ينازع فيه . فلما ابتدأ جمع من اسرى الروم وتبعهم جماعة بدأت خبيثة المنازعة بين الفريقين فقال الجمع المجتمع في بغداد من النصارى: الجاثليق لنا ونحن اولى به لان مقامه كان في اكتيسفون وهي بعقبنا وجوارنا وبالقرب منا . وقال من كان في شاش اننا نحن اهـل ذلك الموضع والمنتقلون من هناك الى هنا بجاثليق المشرق وحسبا ان الانسان اكرم من كل ما في الارض فكذلك نحن يجب ان يكون الجاثليق لنا .وقد انتقل معنا فلنا التقدم ويجب لنـا اكثر من وجوبه لكم لانكم تطلبون ان يكون لكم التقدم من الحجارة والتراب . وبينما كانت المشاجرة في ما بين الفئتين على هذه الحال اتفق ان توفي الجاثليق الذي كان في ذلك الوقت واحتيج بعده الى انسان آخر يتمم خدمة الكهنوت ووفـد الى مدينة انطاكية من روجرد[1] ثلثة رسل طالبين شيروطنية جاثليق احدهم قسيس والاثنان شماسان

---

١) هذا الاسم كما يدل عليه لفظه مركب من كلمتين «روم» وهم الملكيون المعروفون في كل انحاء الشرق «وجرد» بالجيم المكسورة . وهي لفظة فارسية . ذكر ياقوت ان اصلها بالكاف . قال في تعريفه داربجرد كورة بفارس : دراب اسم رجل . وكرد معناه «عمل» فعُرِّب بنقل الكاف الى الجيم (معجم البلدان ٢ : ٥٦٠) فيكون معنى روجرد «عمل الروم» اي مشأهم ومجتمعهم . وقد نبه البشاري المقدسي على ان اكثر بلدان الاعاجم موضوعة على اسم من انشأها وبناها (احسن التقاسيم ٢٥٩) وفي اسماء القرى والكور في خراسان عدد غير قليل من الاعلام التي كُسعت بها كلمة جرد مثل بروجرد . وخسروجرد . ودستجرد . ومهربجرد . ووالشجرد الى آخر ما هنالك . احصينا منها نحوًا من ٢٥ علماً . وربما دخل الشطر الثاني من هذه المسميات في تعيين الحصون كحصن سوانجرد . وفي بعض قرى بغداد كوستجرد . او في بلدان ارمينية كمنازجرد واهله يقولون منازكرد بالكاف بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم يُعَدّ في ارمينية واهله ارمن وروم (معجم البلدان ٦٤٩:٦)

وليس لدينا اقل تعريف لموقع روجرد في كورة الشاش . فلا ندري هل كان البلد اسم

وانا القائل والمصنف رأيتهم وانا صبي مقيمين في كنيستنا يقولون انهم لن يعودوا الا بعد ان يسمع منهم ويؤهلوا لأخذ جاثليق لانهم قدموا في طلبه من اقصى الارض .

وكان عيسى المقدم ذكره قد سمع بقدومهم ولم يحسن عنده موقع ما وردوا فيه لانه كان بغدادياً واحد المقاومين في باب الجاثليق والمتقدم في ذلك وفي التحذير من إتمام ما وردوا فيه فما تراخى ولا ضجع في ترك ما هو عليه من الخدمة وتجشم عناء المجيء الى انطاكية ليدفعهم عما وردوا فيه ولم يكن احد سامه ذلك بل نهض اليه هو من ذات نفسه غيرة لوطنه .

وكان في ذلك الوقت المتولي لسياسة بلدتنا المنسوبة الى الله اغابيوس بن القمبرون المتنيح الذي كان يدير البطريركية قبله . فجرت المناظرة والمشاجرة قدامه في نصب الجاثليق . وكان عيسى شديد المنازعة عن اهل بلده يحتج بحججهم طلباً للظفر واجتذاب الجاثليق الى مدينتهم مدينة السلام العوض عن اكتيسفون . وكان البطريرك غير مؤثر لما يطلبه عيسى ولكنه احتشمه وعلق الامر فاقتنع بذلك عيسى وانصرف الا انه بان للانطاكيين انه رجل كبير جلد وان له غيرة شديدة في امور الكنيسة .

ولم يكن الا هنيهة من الزمان وتوفي البطريرك . وصار اهتمام الانطاكيين باختيار بطريرك راع بعده لان الاختيار لم يكن هنا لمطارنة واساقفة لا يهتمون بشيء غير ما يصلح حال نفوسهم واما ما يصلح احوال الكافة فلا يهتمون به حسبما جرت به العادة في غير هذا الموضع . بل كان الاختيار ههنا لمن يؤمله هذا الامر والاهتمام به واختياره في العامة والخاصة متساوياً . فلما اهتم الانطاكيون بهذا الباب افاض جميعهم في اختيار واحد بعد آخر فلم يجدوا اوفق لهم واصلح لكرسيهم من عيسى فلما وقع اختيار جماعتهم عليه طلبوه من سيف الدولة لانه هو كان المستولي على هذه الديار فحسن موقع ذلك منه لانه

حي من احياء قصبة بنكث ام كان داخلا في مدينة اخرى من مدن الشاش . وقد بقي لنا اسم قرية من قرى الشاش يقال لها تنكرة تعرف بقرية النصارى (معجم ياقوت ٣ : ٢٢٤) ذكرها في وصفه الشاش ولكنه اهمل سردها في محلها من المعجم . ولا شك ان اشتهارها بقرية النصارى دليل بيّن على وجود الروم فيها

كان الى عيسى مائلاً وبه مختصاً الا انه لم يكن له طريق الى اجابتهم في اختياره لموضع توقّيه تحة الاعرابي الذي كان يخدمنه لما كان فيه من الغلظ والشجاعة والاقدام ولم يشك في دفعه عن عيسى اذ كان كاتبه في ذاك الوقت. وكان من توفيق الله وما اراده تبارك اسمه من حصول مثله بطريركاً ان سار ذلك البدوي القرمطي مع سيف الدولة في بعض الغزوات فرمته الفرس على جسر صارخة[1] وغرق في نهر ألوس[2]. فاطلق حينئذ سيف الدولة اختيار عيسى. فاستعلى حينئذ المختار سريعاً على كرسي رئيس المسيحيين العالي المكرم من الله واخذ الشيرطونية من المطارنة بحسب الواجب فكانت شيرطونيتهُ بهية ولائقة وتسمى خريسطوفورس.

وانه وان كان لم يصر راهباً فقد زاد على الرهبان في ما كان يستعمله وذلك انهُ من شيرطونيتهِ ما طعم شيئاً من اللحوم. وما اقتنع بما جرت سالفة الرهبان عليه في صَوم او سهر او قيام. بل زاد عليهم في هذه المعاني كلها وعلى. وكان صومه في كل يوم من الليل الى الليل ومن اول السنة الى آخرها بالسواء. لانه منذ تبطرك ما تناول شيئاً من الاغذية في يوم من الايام الا في وقت المساء. ولا كان له ايضاً اهتمام بفنون من الطعام بل كان لا فرق عنده في ما يستطعمه وكانت مائدته كيف ما اتفق لا يحضرها في كثير من الاوقات لا بيض ولا سمك ولا ما يُتنوّق فيه. وكان شرابه يسيراً من الخمر مع كثير من الماء.

واما قيامه في الصلاة فكان في الايام المحلولة من وقت كبير من الليل قبل الفجر بكثير وفي ايام الآحاد من مساء دخول ليلة الاحد الى الصباح. واما قيامه فكان كثيراً لا ينثني عنه طويلاً حتى رأيته انا عدة دفعات من شدة الوقوف يكاد ان يسقط الى الارض. وذكرنا من هذا المعنى يسيراً لندل به على خشونة السيرة التي استعملها ولم تتقدم له بها تجربة . . .

(١) صارخة بالصاد والخاء بلدة غزاها سيف الدولة في سنة ٣٣٩ ببلاد الروم وذكرها المتنبي بشعره فقال:

فَزِن له الحرج منصوبٌ بصارخة له المنابر مشهوداً بها الجمع

(معجم البلدان ٣ : ٣٢٠)

(٢) ألوس اسم رجل سميت بالبلدة على الفرات .. قرب عانات والحديثة .

(معجم البلدان ١ : ٣٥٣)

ولما دعت الحاجة الى شرطونية اساقفة على الكراسي الفارغة فالكراسي التي اهتم بها في الاول لم يهتم بما ليس فيه منازعة ولا بكرسي آخر لم تتقدم له فيه مدافعة . بل بالكرسيين اللذين كان يناضل عن احدهما ويقاوم الآخر . وذلك انه جعل جاثليقين احدهما على مدينة السلام وطنه وكان من اهل حلب واسمه ماجد والآخر من اهل انطاكية واسمه اوتيكيوس على روجرد التي كان كان يقاومها فمن هو الذي لم يحمده من الناس على هذه السياسة اللطيفة السديدة المؤدية الى السلم والاتفاق. لانه ما ظلم مدينته واحسن النظر لغيرها ولم يضجع بعد هذا في امر الكراسي الأخر التي كانت فارغة . ولما نظر في بابها لم ينظر لرشوة ام شفاعة ام رضى رئيس ام فَرَق من مقتدر عبوس بل كان اذا رأى وفد المدينة التي تطلب اسقفاً قد ذكروا له المستحق للشرطونية وهو مُرضٍ لله ولهُ يضع يده عليه للوقت ويتمّمه . وان لم يرضَ به يختار غيره ممن يرضى اولئك به ايضاً ويضع يده عليه برأي السينودس .

ولاجل ذلك كان المطارنة الذين قبله اذا رأوا حصافة عقله وقوة عزيمته وانه لا يداخله محاباة ولا يرغب في عطاء ولا رشوة لا يخالفونه في شيء مما يرمي اليه .

واما قوة عزيمته وكبر قلبه وغيرته في ما يجلّ البيعة ويصلح شأنها فانه كان يقاوم عن ذلك ولا يتحرك ولا يرتدع . ولا بأس ان نذكر هينا خبراً يدلنا على ذلك جملةً . وهو انه كان قسيس متطبّب قد عرض له هفوة من الهفوات الصغار فعقده الاب المطوَّب ومنعه مدة ما من استعمال الكهنوت وكان ذلك القس يخدم انساناً من امراء بني حمدان عاتياً عسوفاً لا يطيع في كثير من الاشياء ولا لابن حمدان . فاستشفع به الى البطريرك في اطلاقه وحله من الرباط فما تأخر عن الشفاعة في نصراني ذمي . وارسل البطريرك بانبساط قائلاً : مهما كان من خطإ جرى من طبيبي القسيس هَبْ لي ايها البطريرك ذنبه واصفح عنه . فأجابه قائلاً : ليس يمكنني ذلك يا سيدي الامير فاعاد عليه قائلاً في الجواب : يا أقانف اما تهابني بل تجسر ان تقول لي ما يمكنني ذلك . وماذا الذي لا يمكنك اذا امرتك انا به . فاعاد عليه قائلاً : الحوادث من هذه الاشياء كثيرة مما لا تمكنني ايها الامير اذ كانت مخصوصة بديني ومذهبي

وناموسي لاننا نحن في طوعكم وفي اشياء اخرى لا يمكننا ان نخالفكم. واما ما حظره الدين فنحن به مستعدون للسجن وقواطع السيوف. فاعاد عليه الامير: عرّفني على كل حال ما هذه الجناية التي قد تمس دينك فقال تلميذ المسيح: اما قبل هذا ايها الامير فقد كانت الجناية صغيرة وإقالتها متيسرة فاما الآن فانها كبيرة والصفح عنهـا لا يرام لاني استشنع منه (التشفع بك) وانت مسلم مخالف لنا في مذهبنا اذ كان الامر يخص كنيستنا فاجابه الهاجري قائلاً: فكن من الآن مدججاً بالسلاح واعلم علماً يقيناً انك ستموت وذلك اني آخذ رأسك ولو كان في حضن الامير الكبير . فاذا الذي صنعه البطريرك هل جزع . هل لان . هل انثنى . هل توقف لمراسلة يراسل بها ابن حمدان . لا البتَّة بـل تصور ذلك كله بصورة الهباء المنثور. ولم يكن له عنده قدر بل توجه للوقت الى انطاكية وكان اذ ذاك بحلب ووثق في ذلك بالله الذي كان عنه يناضل فما إخطأ بحمد الله غرضه فهذه كانت صورته في غيرته وحرصه على ما يجمّل البيعة ويزينها.

واذ كان مذهب هذا الرجل الفاضل فيهذا المعنى على ما شرحناه فكذلك كانت صورته في غير هذا الباب صورة من لا ينثني ولا يلين . ولكن في الحد الآخر من كان يكون اشد تحنناً من خريسطوفورس او ألين عطفاً للمنكوبين او اشد رحمة للمحتاجين او اوفر عطاء للعافين ؟ على انه لم يكن المال عنده وافرًا وكان الارتفاع (الدخل) الذي يرتفع اليه ناقصاً ولكنه في ما كان يمكنه ما كان قط في الاحسان مقصرًا . وكان تُرفع اليه الرقاع (العرائض) فلا يُضجَر في قراءتها والتوقيع فيها بيده بان يعطى بعض المساكين ورقًا(فضة) ويعطى الآخر كسوة والآخر طعاماً والآخر شراباً وغير هذه اشياء اخرى وقد رأيت انا المصنف لهذا القول قسيساً قد رفع اليه قصة فادخله اليه وسأله وقال له: كم لك من العيال فاجابه قائلًا كذا وكذا فقال ليُدفع اليه كذا وكذا بُرًّا وكذا وكذا زيتاً وكذا وكذا خمرًا . بقدر ما يكفيه السنة فلما اومأ ذلك القس للخروج قال له : عُد الى ههنـا ومن اين لك يا بائس اجرة الطحين او شيء من الأدم ليُدفع اليه من هذا ايضاً ما يكفيه. ولم يتركه القديس ينصرف حتى تام له بجميع ما يُقتمه لسنته كلها .

وكان اذا رُفعت اليه ايضاً قصة من محبوس او مطالَب بظلم ان كان

يمكنه ان يخلصه بيسير من عطاياه مما كان يزخر العطاء عنه ولا خلاصه مما يطالب به وان كان هناك صعوبة شديدة ما كان يضجع في الركوب والمرور الى من يطالبه وسؤاله الصفح له عما يرام ان يغرمه .

ولما كان رأسه وذروته والمتقدم بالتمثل له المسيح وكان حريصاً على التشبه به لم يقتنع باشباعه أُلوفاً من خبزات قليلة بل اضاف الى ذلك مكافأة اخرى بيديه الطاهرتين فغسل ارجل تلاميذه . وأجتهد انا الذي هو تلميذه ايضاً الّا اكتفي بما شرحناه مما تقدم ذكره بل أُضيف الى ذلك شيئاً آخر لاخوته المنسوبين الى معلمه وذلك انه كان في ذلك الحين بانطاكية مجاعة شديدة لم يكن يمكن الّا ان تمسّ كافة الناس . ولذلك جمع خريسطوفورس جمعاً من الذين تكأّدهم الجوع من شيوخ ومرضى وقسوس وشمامسة وصبيان وايتام رتّبهم في مكاتب . وكان يجلسهم على الموائد ويكون هو قائماً لا يقنع بان يوفر عليهم الطعام بل كان يقدم لهم احياناً بيده ويسقي الشراب واحداً بعد واحد ويبيّن بذلك انه عبد للمسيح امين متشبه به تشبهاً لا يمكن غيره ان يساويه فيه . واذ كنت انا ذكرت ههنا صِبْيةً وأيتاماً فيلزمني ان اذكر من كان هؤلاء الصبيان ليبين للسامع لا كبر نفسه في محبته للضعيف بل فضل عقله ولطف سياسته في ما يجمع به العام من المنفعة. وذلك انه لما رأى ضيق الوقت وصعوبته وكانت كنيسة الله محتاجة وليس لاكثر الناس علم ولا فكر ولا همة فكّر هو في امر كبير بان فيه خير سياسته واختار اثني عشر صبياً اذكيا. نجبا. وسلمهم الى مؤدب بصير بعلوم الكنيسة التي تزيد على غيرها . ثم اقترع من الفقرا. على قوم غيرهم وافرد ايتاماً شبه حالهم عددهم مائة وخمسين صبياً وسلمهم الى معلمين ليعلموا كل واحد ما ينفذ فيه . وتقدم بان يُطبخ في كل يوم ثلثة مواجل كبار فيها ملؤها من الطعام ويحمل كل موجل منها الى كل واحد من المكاتب . ويعطى كل واحد من الصبيان ما يكفيه مع ما يحتاج اليه من الخبز . ويجب أن يُعرف ما اجتمع ههنا من المنافع وهي ثلاث كبار : احداها إهدا. طعام لا يتعب فيه من يأكله. والثانية تعليم لا يؤخذ التراب والاجرة عليه . والثالثة خدمة للبيعة الشريفة . فهذه جملة من افعاله في هذا المعنى .

وانضاف الى ذلك ما هو اكثر في معونة الفقرا. وإدعام الدين وذلك ان

الهاجريين يستخرجون من النصارى في بلادهم جزية نسميها نحن جزية الرؤوس ويسمونها هم براءة لانها تبرئ الذي يؤديها من الاذية والتتبع . وليس لاحد من النصارى المقيمين هناك بدّ من تأديتها لان من لا يؤديها يُقاد بغير اختياره الى دين الاسلام . فبعض النصارى يؤدون البراءة بنية صادقة اذا كان يمكنهم ويتصورون ذلك براً ومعروفاً لانه شيء يؤدونـه عن دينهم . وقوم آخرون يُضطهدون لانهم معسرون . فالاقوى منهم في الدين ليس هو الذي يتأخر عن الاداء عند امكانه بل الذي يعين الضعيف في ما يُستأدى منه . فلما رأى خريسطوفورس المشتمل في صدره على المسيح هذه الشدة من هذا الباب لم يكفّ عن العطية ولا كان يقتنع بزيادة يزيدهـا في تأدية براءة بل كان يضيف الى ذلك تأدية جملة البراءة من عنده . ولما كان لم يتيسر له وفر يقوم به في هذا الباب بحسب اعتقاده لانه لم يكن له غزارة ارتفاع انبسط على سؤال الامير سيف الدولة معاونته على محبة المساكين. فلم يخالفه في ذلك لانه كان بالطبع كريماً وكان ميله الى البطريرك خاصة ميلاً شديداً فتقدم الى مستخرجي البراءة بان يصفحوا له منها في كل سنة عن عشرة آلاف درهم يكتب بها الرقاع اليهم لمن يريد ان يرفده . فكان يكتب لواحد بالصفح عن كل براءته . ويكتب لغيره بالصفح عن بعض ما يُراد منه . فما تقدم احد من النصارى على عبده الى دين الاسلام . وحصل للبطريرك من هذا مع الثواب من الله قبول شديد من الامير سيف الدولة .

ولما تحرك على سيف الدولة خلاف شديد وعصيان ثبت مدة طويلة من الزمان انفرد عنه البطريرك وحده ولم يدخل في جملة من عصى عليه من الانطاكيين ولا رضي ان يخاطب واحداً من المتمردين . وكان السبب في هـذا العصيان ان الملك نيكيفور المقبوط (Nicéphore Phocas) لما ملك اكثر الثغر عنوة خرّب طرسوس وحدها لان الجوع كان قد نهك اهلها . وكان سيف الدولة في الحال بميافارقين قد فُلج وقدم اهل طرسوس الى انطاكية بنسائهم واولادهم فحذر من كان بانطاكية من الهاجريين على نفوسهم وصاروا الى ابن الزيات المقدم كان عليهم يسألونه ويتضرعون اليه في مقامه عندهم لتدبير امورهم اذ كانت قد تشعثت وضعفت وكان يجزع من نقفور الملك فتمنع من المقام بالكلية .

وزاد خوف الانطاكيين من امتناعه وحداهم ذلك الى قصد رشيق النسيمي الوارد من طرسوس وكان ثني ابن الزيات في الامارة . فأجابهم الا انه اشار عليهم بالخضوع لنيقيفور الملك والنزول على حكمه لانه لا يتم لهم ما يريدونه من العدو والسكون الا بطاعته . فقبلوا مشورته وبعثوا رسلاً الى الملك يبذلون له تحصيل الاموال وعقد الموافقة برهائن . ولموضع ما كان في الملك من الركانة والاحتراز اجابهم عما راسلوه فيه وقال اما المال فلست اقبله اذ كان مُلك الروم غير محتاج اليه والمسلمون قد يعطونه اليوم ويمنعونه غداً ولا اقبل ايضاً الرهائن . واما الذي التمسه فهو شيء واحد متى ارفقتموه وعرفتم ما عليكم فيه من الوفاء كان سهلاً خفيفاً وهو ان ابني في صخرة داخل مدينتكم معقلاً ليكون لي فيه سَتْرَدَغوس[1] مع عدة يسيرة تحفظهم واكون انا بها مستظهراً . فلما امتنع الانطاكيون من ذلك فكر رشيق في الحيلة فرأى ان يكشف رأسه كما يقال في العصيان على سيف الدولة ولا سيا مع ما كان عليه من الالم والامتناع عن الحركة وهو ما فتح في قلة الاكتراث به . والتحق برشيق رجل من اهل انطاكية يعرف بالحسن الاهوازي وتولى تدبير امره وذلك بمساعدة اهل انطاكية . وكان شديد الحركة فاطمعهم بان سيف الدولة لا يعود الى الشام واستأمن رشيق دِزْبَر الديلمي وجماعة من الديلم كانوا مع قرغُوَيه[2] غلام سيف الدولة وسار رشيق وابن الاهوازي وجمع وحشد وقصد مدينة حلب بالمدد وجرى بينه وبين قرغويه حروب كثيرة وتسلمها عنوة بغير تعب وصدق قتال القلعة بها ثلثة اشهر وعشرة ايام . وقتل رشيق بعد ذلك بطعنة اصابته

---

١) وردت هذه اللفظة ايضاً في زبدة الحلب لابن العديم قال في كلامه على نقفور الملك وابي الحسن علي بن ابرهيم بن يوسف الفصيصي : « عرف نقفور سلفه وجعله ستردغوس » (خزانة باريس ١٦٦٦ ص ٤٢) وهي لقب رومي من القاب الجنود والقواد (στρατηγός) ومنها اخذت اللفظة الفرنسية stratège وقد ضبطها يحيى بن سعيد الانطاكي بصورتها « استراتيغوس » .

٢) روي هذا الاسم على حروف شتى : بالفاء باوله او القاف قبل الراء . والعين او الغين قبل الواو . والنون او الياء قبل الهاء بآخره وفي تاريخ العبر لابن خلدون مرعويه بالميم والعين . وهو زيادة بلة في الطين . وفي نسخة من زبدة الحلب لابن العديم في خزانة باريس منقولة عن الاصل بخطه قرغويه بالقاف والغين والياء وهو الصحيح .

وانهزم اصحابه الى انطاكية فلما حصلوا بها تيقظوا وخافوا وجعلوا دزبر الديلمي اميرًا عليهم وابن الاهوازي مدبرًا له وثبتوا على ما كانوا عليه من العصيان .
فقصد قرعونه انطاكية وجرت بينهم وقعة وانهزم قرغويه وعاد الى حلب وسار دزبر الديلمي في اثره الى حلب ولقيه اصحاب قرغويه وحاربوه ودفعوه فرجع الى انطاكية .

فلما رأى البطريرك هذا الاضطراب بانطاكية وانه مُؤذن بزيادة في الصعوبة، كان من تدبير عقله الثبات على مكان سيف الدولة فلجأ الى دير القديس مار سمعان الحلبي لان سيف الدولة وان كان يومئذ قد فُلج ما كان ضاع عقلـه بالكلية ولا انضبط لسانه عن النطق ففي مدة مقام البطريرك والذين معه في الدير اشتد ذلك عـلى العاصي ابن الاهوازي وقصد اسباب البطريرك باعتقال خواصه والتضييق عليهم وختم على سائر ما كان في القلاية لما انكشف له ميل البطريرك ومن معه الى سيف الدولة . وكان يقول بصوت عالٍ : اذا لم يأتِ البطريرك ويتلافَ امره والا أخرج معه الى زيادة في مـا يغمّه . فهل جزع البطريرك لذلك او هلع منه ؟ لا . ولكنه ثبت على جماته ورآه على مثل هذا بعض خواصه وهو ثاودولس الذي صار بعد قتله اسقفًا على سلوكية وبنى بانطاكية هيكلين حسنين الازكـموطوس[1] وغم الذهب فجسر عليه وقال له : هل في نيتك ايا السيد ان تقول بعد هذا في بيعتك انا الراعي الصالح وتترك غنمك لتختطفها الذئاب (هنا نقص في نسخة الاصل لم يعين مقداره).

وبعد مدة يسيرة لم يصبر غلمان سيف الدولة على العار بل حركوه على المسير وانهضوه فسار من ميافارقين الى نواحي معرة مصرين وانتشب الحرب فيما بين الفئتين فكان الظفر لسيف الدولة وأسر دزبر وابن الاهوازي وجماعة كثيرة من عسكرهما وجعلهم في القيود والسلاسل وحملهم الى حلب وقتلهم وولى على انطاكية تقي (الدين) غلامه .

وقصد خريسطوفورس البطريرك عند ذلك سيف الدولة في حلب مسرورًا. فقبله سيف الدولة احسن قبول وصار حينئذ امامه في كل الاشياء جليًا متقدمًا

١) لم نتمكن من تحقيق هذه الكلمة وتفسيرها ولا ندري اين كان هذا الهيكل في انطاكية .

وشفيعاً مقبولاً . وانتقل من حال التابع الصغير الى حال الصديق الاثير لا يُتهم ولا يُستصغر لانه قدم في وقت الشدة الامانة والمحافظة والصبر على المضض . فكوفئ على ما اتاه في وقت الضرّاء بالاختصاص والتقديم في وقت السرّاء . وشكره على فعله من بُعده عن المخالفين عليه وقدّمه وخصّه به . فكان يرى الذين غدروه يعاقبون بالضرب والامتحان وانواع من العذاب يصعب الصبر عليها فما كان يحسن وقوع ذلك منه ولا كان يتعاظم لظفره بالوقت بل كان يحزن ويضيق صدره ويقلق فكره ويقول ارحم ايها السيد وخفف عمن ظفرت به من اجل من اعانك عليه . ولما رأى في جملة من كان يعاقب جاراً من المسلمين بمدينة انطاكية وقد اسرف عليه بضرب السياط لم يصبر على الجلوس لكنه قام قائماً ثم طرح نفسه الى الارض وسأله ان يهب له جرمه فلم يُمنع مما طلبه فلما أُطلق وصُحح له بما كان أُوجب عليه عاد بريئاً من التبعة وليت ذلك لم يكن حتى ان كثيرين من شيوخ انطاكية نقم عليهم سيف الدولة عصيانهم وصادرهم فتشفع البطريرك اليه في بعضهم وتوسط امرهم معه فأجاب مسألته فيهم فتأكد في نفوسهم حينئذ مما شاهدوا من تمكن حاله عند سيف الدولة حسد له وحقد عليه .

واقام البطريرك بعد ذلك مدة يسيرة بحلب وسار الى مدينته ومعه توقيعات من سيف الدولة الى اصحابه الذين كان انفذهم الى انطاكية رسم لهم فيها الّا يدفعوا للبطريرك ببراءة جماعة من اصحابه من كل تبعة بل يقبلوا سؤاله في سائر من يتوسط امره بمقدار ما يمكن القبول منه . فلما وصل الى انطاكية وجد فيها اميراً يعرف بتقي الدين الذي ذكرناه ووجد البطريق كُليب[1] هوهنا يقبض قبضاً كلياً على كل شيء من النعم ويصادر اصحابها بحسب ما تصل ايديهم اليه . فلما رأى البطريرك اهل انطاكية يُكدّون في هذه المطالبات من منهم لم ينقذه ويخلّصه من اكثر ما يُطالَب به ومن لم يخفف عنه ومن لم يخلصه بالكلية ؟ وكان بانطاكية رجل من شبانها شديد الغنى والثروة لانه كان ذا

[1] كان كليب كاتب رقطاش التركي غلام سيف الدولة وكان حصن برزويه بيد رقطاش فسلمه كليب للروم « فصيره ملك الروم بطريقا وكان له ولدان فجعل لها ايضاً مراتب وصيره ايضاً باسليقاً على انطاكية واقطعه نعمة كبيرة »(ذيل يحيى بن سعيد ١٤٥-١٤٦) .

ارتفاعات كثيرة ولكنه كان مضيقاً على نفسه وكان منحنياً لا يرفع رأسه من الارض من دالته وعظم شخصه وكان لا يفرج عن نفسه بشيء من ماله فاخذه اصحاب سيف الدولة وكانوا يماقبونه ويطالبونه بثلثة قناطير ونصف من الذهب فراسل البطريرك القديس وهو في وسط العقوبات وقال له ارحم ايها السيد مثلي انا الشقي فركب لوقته وساعته ورفع عنه العذاب وتوسط امره في ما كان يُطالَب به الى ان حط الجملة الكثيرة من خمسة وعشرين الف دينار الى العشر منها وهو مقدار الفين وخمسمائة دينار فقال المستخرجون له لن يقوم ولا بهذا المقدار بغير عقوبة وضرب . فقال لهم تلميذ المسيح المتشبه به في كل حال انا اسألكم الا تسرفوا عليه بعد هذا بعقوبة بل سلموه الي وانا اكون القيّم لكم بالجملة ثم تسلمه البطريرك وكان المستخرجون يطالبون البطريرك بالجملة ويلزم البطريرك ان يكون مطالباً له بها . فكانت المراسلة من البطريرك اليه في هذا الباب في قلبه كمثل الطعنات لان سهام الحسد كانت تعمل فيه فصار في ما بعد مطابقاً على قتل من احسن اليه .

وكان قتل البطريرك مثل شهادته التي تمت من هذا وغيره فكان يُنظَم في الخفية ويُؤرَّخ قليلًا قليلًا لانه اجتمع عليه من ميل سيف الدولة اليه مادّة في قلوب المسلمين من الحسد . ولكن لم يكن كلهم متطابقين على قتله بل الذين تطابقوا على ذلك انما كانوا ممن زاد في الاحسان اليهم وذلك ان الحسد تبين فعله فيهم .

وكان بيانه ذلك ان سيف الدولة توفي وقدم من بلد خراسان اقوام قاصدين غزو الروم وساروا الى انطاكية ولقيهم اهلها اجمل لقاء . فخشي ابن مانك ذلك الملعون الذي اخذه البطريرك اليه وكان سم الحسد يعمل فيه ان لا يتمكن من البطريرك فيما بعد فلما وصل صاحب الخراسانية وخاف ان لا يتمكن منه فيفوته قتله استدعى اثنين من شيوخ انطاكية واماثلها الذين كان البطريرك توسط امرهم وشفع فيهم الواحد ابن محرود والآخر كان جاراً لهم يدعى بابن دغامة فقال لهما ما تقولان هل عندكما من الرأي ان تقروا الكافر يعيش . فيصل الى هيهنا بعد وقت رئيس ويكون هو جالساً ونكون نحن معاقبين كمثل ما كنا في وقت سيف الدولة . فقالوا له انه ليس من الصواب فقال لهما فما رأيكما

في كتابة فتوى في بابه الى الفقيه فحمدوا رأيه وكتبوا رقعة برأي مشترك تسمى عندهم فتوى . ولم يذكروا البطريرك باسمه بل قالوا ما رأيك ايها الفقيه في ما يوجبه الحكم على من يدبّر على حصن من حصون المسلمين فاجابهم انه يجب عليه القتل فقال المتقدم في الرأي والتدبير هذه الفتوى سيانا ان نريها للعامة فهم يقتلونه للوقت من نفوسهم . ولم يكن هذا رأيه بالحقيقة لانه كان هو ايضاً من الفرس عارفاً باسباب الخراسانية . ففكر في نفسه ان يستدعي قوماً من الخراسانية ويريهم الفتوى لكي يقتلوا البطريرك ولا يحتجوا في ذلك وكان هذا ما اقنعهم وحداهم على ما ارادوا .

وكان للبطريرك جار من وجوه المسلمين يعرف بابن ابي عدو وكان له صديقاً صادقاً مناصحاً فاسرع اليه وقال له ماذا تعمل قم مسرعاً وخذ لنفسك والا فاعلم انك مقتول بعد قليل فقال له لِمَ ولأي شيء. ومن اجل ماذا فقال له لأنه قد اجتمع عليك جمع خبيث واخرجوا فتيا ذكروا فيها وجوب القتل عليك. فاستعلم منه وقال له ماذا يجب عندك ان اصنعه فقال له انك لست في هذا الوقت في اعتقال فاخرج من باب المدينة آخر النهار فلا يصبح عليك الصبح الا وانت في نواحي حلب ولن يتبعك احد فهذا الذي عندي لك . فقال له اما انت يا سيدي فالله يجازيك بالحسنات واما انا فسبيلي ان افكر في ما اعمله . وانصرف الرجل واستدعى البطريرك ذلك الرجل الذي قال له فيما قبل وهو في دير القديس مار سمعان : لِمَ لا تجيب الى المصير الى انطاكية في وقت العصيان . وهل انت ايها السيد من يقول بعد هذا انا الراعي الصالح . فلما مثل هـذا الرجل بين يديه قال له اعلم ان جارنا فلاناً صار الي في هذه الساعة واشار علي بكيت وكيت فماذا ترى . فقال له ما اجود هذا يا سيدنا فاستخر الله وافعل فقال له : ان انا فعلت هذا كنت انت ايها الوقاح من يهزأ بي فيما بعد. وبعد هذا انت عتيد ان تقول انا الراعي الصالح في غد . فاجابه ذلك الرجل قائلاً ايها السيد ذلك كان سبباً آخر فقال له البطريرك نعم ليس بالخافي عني ان ذلك كان سبباً آخر بل لانه كان كذلك ولم يكن موافقاً في ذلك الوقت ما فعلتُه ولما لم افعله علمتَ انت انه لم يتضرّر بذلك احد من النصارى . لانه لم يكن قتلي المطلوب في ذلك الوقت والآن فالمطلوب هو قتلي وليس يطلب ذلك طلباً

مطلقاً بل بحرص شديد واجتهاد وكيد لان الذين يطلبون قتلي حسّاد وسم الحسد في اجسادهم مكنون . ومتى ما افلتُّ من يديهم ولم يقذفوا سمهم في لم يُبقوا بعدها على نصراني ولا على كنيسة . ولكن هذا الوقت هو الوقت الذي يجب ان اقول فيه يا هذا ليس انا الراعي الصالح فقط بل اقول مع ذلك والراعي الصالح هو الذي يضع نفسه دون اغنامه . وانت فسترى بعد وقت هذه اللحية مخضوبة بدماني ومد يده مع هذا اليها .

وفكر فيما بعد ان يجتمع بذلك الشرير المتهيئ للعمل عليه . وكان عالماً علماً يقيناً انه قد مزج له قهوة الموت فارسل اليه بعد قليل بغير حذر منه ولا خوف اني اريد ايها السيد ان اجتمع بك فتأذن لي بذلك اذا رأيت موافقاً وكنت خالياً ان اصير اليك ؟ فلما سمع ابن مانك ذلك استفرض هذا القول منه وتصوره غنيمة فقال له لست في هذا الوقت متفرغاً لك فاذا تفرغتُ ارسل فاعلمك . ولم يزل طول نهاره في التدبير ولم يراسله بشيء لشغله بالحيلة عليه.

فلما ادرك الليل وتصرم وقت كبير منه وتناول البطريرك ما جرت عادته ان يتناوله من الطعام ارسل اليه ذلك الملعون قائلاً اني الآن فارغ لك في هذا الوقت ايها البطريرك فان رأيت ان تحضر فاحضر . فذهل خروف المسيح من هذه الرسالة في غير وقتها عند سماعه لها . وقال لاصحابه ماذا سبيلنا يا قوم ان نصنع وقد حضرنا امران غير موافقين لان المشي في هـذا الوقت من الليل لا يليق ولا يصلح وذلك ان الطعام بعد في فيّ والقوة ضعفت عن الخطاب وانا على هذه الحال . ولكن سبيل واحد منكم ان يستنهكني فان احس مني برائحة خمر احتججنا وقلنا ان ذلك لا يمكننا في هذا الوقت وان كانت نكهتي نقية مضينا على كل حال . فلما استنكهه احدهم ولم يكن هناك رائحة سار ~~على قدميه كمثل حمل سائر باختياره الذبح . فلقيه ذلك الملعون~~ وسلم عليه سلام مودة والغش في قلبه مكنون . ولما جلسا جميعاً كان مملوءاً حقداً وغيظاً عليه فلم يصبر ان يبتدئه البطريرك بكلام بل قال له يا بطريرك ما بالك وانت واحد من اهل هذا البلد ما كن لنا ورأيك رأي سوء في معاملتنا لانك تعمل علينا . فقال له البطريرك وكيف ذلك يا سيدي ومن اي معنى فقال له مجيباً لانك تكاتب ملك الروم وتستنهضهم الى قصدنا وتطمعهم فينا وتكاتب

غلام ابن حمدان ايضاً فقال له وما الدليل على ذلك يا سيدي ومن هو الذي وجد لي كتاباً بهذه الصورة فنهض ابن مانك كأنه يطلب كتاباً وقام قائماً وتكلم بالفارسية واستدعى من كان قد اعدّهم للقتل من الخراسانية وهو مع ذلك يعاين ويرعد لانه لم يكن جبانا فقط بل كانت صورته في الرجال صورة الخشاف[1] قدّاً وعيناً لان قامته كانت تكاد ألاّ تزيد على اليسير الا بقدار يسير فكان منظره يشبه خشافاً في اللون واللحظ والبشر. فلما حضر من استدعاهم من القوم المعدّين قال لهم عند ذلك بلسانهم واسنانه ترجف: هذا هو المطلوب هذا هو الذي يريد ان يسلّم هذه المدينة هذا هو عدو المسلمين. فمد خروف المسيح عنقه وهو جالس بغير انزعاج منتظرًا اخذ رأسه ولم يكن مع اولئك مشرفية بل خناجر طوال فاقامه واحد منهم قائماً وضربه الآخر بخنجر طويل جاز كل الحديد في بطنه. ولما سقط الشهيد الى الارض قُطع رأسه ناحية وطرح في اتون الحمام في جوار دار ابن مانك وأُخرجت جثته الطاهرة في الوقت من باب المدينة بالليل وطرحت في النهر[2] ولم يُستر ذلك عن كافة النصارى بل لما سقط راعيهم ذهلوا واختبلوا بما دهمهم من ذلك وجزعوا جزعاً شديداً وتفرقوا في بيوت قوم من المسلمين استتروا فيها. لكنهم لم يطلبوا من احد لانه كان من الواجب ان يتم مقال ابيهم الذي تقدم فقاله انهم اذا اشتفوا مني بقتلي وقذفوا السم الذي كثروه في قلوبهم علي ان يطلبوا سواي.

واما ذلك الحيوان الضاري الصورة الزائد في الوحشية فلم يزل ممسكاً الى وقت من الليل لان روعه ما كان بعد قد رجع اليه فلما تمادى به الوقت الى السحر عاد الى ذاته ووجّه اشراطه قبل الصبح الى البيعة التي هي كنيسة القسيان وقلاية البطريرك. فلم يجدوا فيها غير مأكول مثل تين وزبيب وزيت قد احتُفظ به لمؤونة الكنيسة وقوت الاخوة بالمسيح ولم يكن هناك ذهب ولا فضة مخزونة. وكيف كان يُخزن شيء. والنفقة كانت تسبق ما يدخل ولا

١) الخشاف بتقديم الشين هو الخفاش اي الوطواط

٢) من هذا النص الصريح يتضح غلط شلومبرجر حين روى ان قاتل خريستوفورس هو امير سلم طمعه برعه لظنه خيانة وميله الى الروم G. Schlumberger : Épopée Byzantine - tome 1er p. 25, édit. 1925

كان هناك ايضاً ملبوس وليس لمن كان ملبسه الصوف غير اسكيم رهبانية كان عليه . بل كان هناك اشياء يسيرة نفيسة للكهنوت كانت معدة لمن كان قبله على طول الزمان . فاخذوا جميعها وفتحوا خزانة البيعة ولما لم يجدوا فيها شيئاً عاقبوا الخازن الى ان اظهر لهم المستور كله من اواني البيعة الذهب والفضة مع السلف الديباج مما كان يُحتفظ به لزينة الكنيسة ولم يتركوا شيئاً غير نحاس ومصاحف لم تكن كثيرة . واخذوا ايضاً اليهم كرسي مسار بطرس السليح وهو من خشب النخل مصفّح بفضة وحفظوه في دار شيخ من شيوخهم يعرف بابن عامر ولم يزل في داره الى ان ملك الروم المدينة . فمن هذه الجملة ما حبا به الملعون من تولى سفك الدم الزكي بحسب ما كان وافقهم عليه ومن ذلك ما تمسك به للملاطفة من كان ينتظره من الفرس القادمين لقصد جهاد الروم .

وفيما بين ذلك قدم القوم وتبابهم الانطاكيون جميعاً قبولاً بهياً . وكان ذلك الكافر اللعين مختصاً بهم لا من اجل ما حمله اليهم فقط بل لانه كان مشاركهم في قبيلتهم ولسانهم واخذوا في الغارات على اطراف بلاد الروم واجتياحها . وكان اذ ذاك نقفور الملك المغبوط متشاغلاً بقصد البامر فلما بلغه ذلك انفذ بطرس الاصطراطوبدرخ[1] فكانت له وقعة مع الخراسانية بناحية الاسكندرية الصغرى وهي التي بين المصيصة وانطاكية لما عادوا من غزاتهم فأوقع بهم وقتل صناديدهم واسر سلّار العسكر وجماعة منهم . وكان مع الخراسانيين جماعة من المسلمين الطرسوسيين فاشاروا عليهم بألّا يلقوا القتال ولا يصابروا في الحروب وقالوا ان هذا الجيش الذي يقاتلكم عسكر ملكي وليس لكم بهم طاقة فلم يقبل منهم الفرس بل صابروا الى ان قتل ابطالهم واكثر رجالهم ثم أُسر رؤساؤهم . ومن رؤساء الخراسانيين المأسورين في ذلك الوقت سلّار العسكر فاشتراه الانطاكيون بمال جسيم وثياب كثيرة وبالاسارى الذين كانوا اسروهم متقدماً من الروم وكانوا في حبس انطاكية . ولما تخلّص السلار ووصل الى انطاكية تلقاه اهلها بالاكرام والتعظيم واحتفلوا بلقاه كل الاحتفال ولكن بحسب ما دخل في ذلك الوقت مكرماً كان فعله بهم بالعكس لان رجاله

(١) stratopédarque من الرومية στρατοπεδάρχης اي قائد الجيوش

الذين سلموا من القتل كانوا عراة حفاة وعاد هو ايضاً مثلهم فكانت الضرورة تدعوهم الى خطف ما يقوم بهم فتسلطوا على الانطاكيين وصاروا يتخطفون اموالهم ورحالاتهم . فلم يصبر لهم الانطاكيون على ذلك بل دافعوهم واستوحشوا منهم وانتشبت الحرب فيما بينهم واخرجوهم من المدينة عراة .

وكان الانطاكيون الذين تولوا قتالهم حينئذ عصابتين . عمل رئيس الفريق الواحد على رئيس الفريق الآخر فقتله . وذلك انه كان قد ورد من مصر الى انطاكية رجل اسود ممن افلت من صعاليك طرسوس يعرف بالرغيلي ومعه نفر يسير ليغزو بهم اطراف الروم فهذا كان رأس العصابة الواحدة . وكان رأس العصابة الاخرى كردياً من اهل بوقا يدعى علوش وكانت المدينة اذ ذاك في يده . فدخل الرغيلي يسلم عليه ولما انكبّ لتقبيل يده كان سيف علوش معارضاً على ركبتيه فاخترطه الرغيلي وضربه به للحال فقتله . فتفرق رجال المقتول وكانوا كثيرين وصار الامر الى القاتل وكان رجاله قليلين واستولى الرغيلي على انطاكية . لكنه ما قامت ولايته بعد ذلك ولا طالت مدتة لانه بعد مدة يسيرة قدم بطرس الاصطراطوبدرخ ومعه عسكر ضخم من عسكر نقفور الملك الممدوح ونزل على انطاكية واجتمع اليه ميخائيل البرجي المقيم بحصن بغراس واقاموا يحاصرون المدينة العظمى التي ما كانت تروم وهي اذ ذاك ضعيفة لما تقدم من الغارات على اعمالها وضجَر اهلها في حفظها وحراستها لانهم ما كانوا يشعرون انها تقصد في ذلك الوقت ولم يتمكنوا من جمع رجال يصعدون الى الجبل ليحفظوا السور ورآه الروم خالياً فبادروا بالطلوع اليه فلم يروا احداً فيه وتمكنوا من الصعود اليه وملكوا المدينة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وثلثمائة[1] . وطرح المسلمون النار لتحول بينهم وبين الروم ففتحوا باب البحر وخرج منه جماعة من اهلها وامر الروم جميع من كان فيها ولم يفلت منهم احد الا ذلك المامون الذي كان رأس البلية ابن مانك . وكان قد خرج من المدينة ليلاً طالباً ان ينجو الى بلد من بلدان الاسلام وخفي في الاول امره فكان مسروراً بذلك لا من اجل خلاصه

(1) ٢٨ تشرين الاول سنة ٩٦٩

من الاسر وحده فقط بل لتمكنه على ظنه من الحيلة والتمرس والكذب على الله والملائكة بانهم حملوه في الهواء وخاصوه وكانت جرت عادته قديماً بمثل ذلك وكان يدفن الحيلة في المخرقة والكذب على رب العالمين . ولكن القضاء العدل ههنا سبقه وقدم له في الطريق باتولة اي عصبة من السريان في الجبل الاقرع ممن كانوا يغيرون على انطاكية فقبضوا عليه وجاؤا به الى الاصطراطوبدرخ فسلمه الى من يحتاط عليه الى ان ينظر ماذا يجب ان يعمل في بابه . وانعم على اهل الباتولة بنعم جسيمة . واشار بعض الرؤساء بحمل ذلك الملعون ابن مانك الى الملك وخالفهم غيرهم وقالوا من هو هذا حتى يؤهل للحمل الى حضرة الملك بل من اوجب الاشياء قتله انتصافاً لذلك الدم الزكي الذي سفكه . فاجابهم الآخرون الذين كانوا اشاروا بحمله وقالوا ما الصواب ان يتدنس ذلك الدم الطاهر بهذا الدم النجس. فقال في الآخر افسطانيوس البطريق اسطراتيغوس الكبادوك المعروف بالملايني هل البطريرك ههنا حاضر يأمرنا بقتله حتى نتدنس نحن بدمه كما تقولون . اما ذاك فانسان قد قضى ما يجب عليه ومضى وحصل بحيث ينتظر من الله المكافأة الجميلة . واما نحن فان كنا نصارى فيجب علينا ان ننتصف له من الظلم الجاري عليه ولما قال لهم مثل هذا القول اقنعهم وانفذ المحكوم عليه الى جسر باب البحر الذي كان هو طرح منه الجثة الكريمة الى النهر وقطع قطعة قطعة بالسيوف ولم تطرح القطع في النهر ولا أهل لذلك بل رُمي بكل واحدة منها حسبما اتفق على الخنادق وحصلت طعاماً للطيور والكلاب . واما ابن محمود وابن دغامة اللذان كانا شاركاه في اهراق الدم الزكي فانهما كانا أنفذا الى حبس طرسوس وبقيا فيه مدة طويلة ولم يطلبا في ذلك الوقت . ثم اتفق ان نقفور الملك من قبل معرفته خبر انطاكية على حقيقته قُتل وحصل الملك لابي الشمشقيق[1] . فبادر بانفاذ ثاودورس الراهب[2] من اهل قلونية وجعله بطريركاً على مدينة انطاكية . فسأل عن خبر الشهيد

1) Jean Tzimiscès

2) كان قبلًا رئيس دير انطوني في الارميناكس (التيبكون الصغير لينكن الثاني) صُيّر بطريركاً على انطاكية يوم الاحد ثالث وعشرين من كانون الثاني سنة الف ومائتين وواحد وثمانين للاسكندر (٩٧٠ م) (ذيل يحيى بن سعيد الانطاكي طبعة بيروت ص١٢٨)

وطلب بقية جسده الطاهر وذلك ان جثته الكريمة كانت قد ظهرت بعد ثمانية ايام من شهادته التي كانت ليلة اليوم الثالث والعشرين[١] من شهر ايار سنة ست وخمسين وثلثمائة للهجرة[٢] وكان ظهورها في جزيرة من النهر قد تعلقت بطرائش هناك ولم يكن الرأس الكريم معها لانه قيل ان ذلك الكافر احرقه. فخرج قوم من نصارى انطاكية ودفنوها في الدير المقدس المعروف بارشايا. فلما عرف ذلك ثاودورس البطريرك لم يتبصر ولا تثاقل عن النفوذ الى هناك بل صار الى الدير المقدس وحمل جثة القديس ومعه الاكليرس الطاهر وخلق من المؤمنين وصاروا قدامها الى المدينة بلبتين وحفل عظيم. وجعلوها في جرن لطيف من الرخام وضعوه على مائدة من رخام في مغارب الكنيسة الكبرى. الا ان القديس نقولاوس البطريرك[٣] بعد برهة من السنين نقله من هناك باكرام ايضاً وجعله في جوف بيت القديس مار بطرس رأس الرسل مع شبرقته[٤] وكرسيه وحيول[٥] عدة ولباسات للآباء البطاركة واغناتيوس البطريرك ايضاً واشياء اخرى من حيول مار يوحنا المعمدان والحربة الكريمة السيدية وشبرقة خريصوطوس ومنطقة مار سمعان الحلبي العمودي وغير ذلك مما هو في خزانة القديس مار بطرس الى هذه الغاية.

ولم يسكت القضاء العالي كثيراً فيما بعد عمن كان شريكاً في القتل. فالواحد من الاثنين وهو ابن محمود كان في سجن طرسوس في كل شقاء وضر والم يقين جسيم يعاقب باعماله الى ان هلكت نفسه الشقية المقابلة للحسن بالقبيح. واما الآخر وهو ابن دغامة فبقي محبوساً الى ان قدم الى انطاكية ميخايل البرجي[٦].

---

١) في خزانة باريس سنكسار عربي رقم ٢٥٦ ورد فيه ان تذكار خريسطوفورس بطريرك انطاكية الذي استشهد في ايام المسلمين كان في اليوم الحادي والعشرين من ايار (ص ٢١٥) والصحيح ما جاء اعلاه.

٢) سنة ٩٦٧ للميلاد.

٣) كان قبلاً رئيس دير الاسطوديين في القسطنطينية وصُلّي عليه فيها يوم الاحد سابع عشر كانون الآخر سنة الف وثلثمائة للاسكندر (٩٨٩ للميلاد).

٤) الشبرقة لفظة سريانية يراد بها المكازة

٥) الحيول جمع حَيل وهو الدهن السائل من بعض الايقونات.

٦) Le patrice Michel Bourtzès

البطريق كان في ذلك الوقت فانفـذ من احضره وثقّله بحجارة وطرحه في البحر . وحصل الثـلاثة وهم ابن مالك وابن محمود وابن دغامة الذين تولوا قتل القديس ومكافأته بضد افعاله في الآخرة ينتظرون العقوبة الدائمة . واما القديس فحصل في السماوات العالية مساكناً للكهنة مخالطاً للصديقين واقفاً مع الرهبان الناسكين في صف الشهداء القديسين .

فيا من كان الى كل حسنة سابقاً اقبل مني هذا القول وان كان قاصراً لكنه بحسب الطاقة وكما لم تستنكف ان تسمى بتقديمك من اجلي حتى سلمتني الى ذلك المؤدب الالهي الفاضل عساك عرفت اني اصير كما صرتَ في العلوم فاضلًا ولكنني عُلّمتُ على كل حال علماً وحاشا ان اقدر في بعض الاوقات ان اكتب خبرك لئلا ينسى في طول الزمان . فلذلك تعطّف علي في هـذا الوقت واصفح عن تأخيري وأجِز المقال فيك الى هذه الغاية . ولا تحرمني عند وقوفك الآن في السماوات امام المنبر العظيم بحسب ما كنت مشتاقاً او بحسب ما كنت حريصاً مجتهداً فينظر اليَّ الربّ وتشفع فيَّ وفي الذين عولوا على عنـايتك في خلافتك فيَّ وفي اخوتي رضي الله عن الجميع . وبالغ بيَّ السؤال والتضرع ان يغفر خطاياي ويُنجِح سعي في بقية عمري فاخلص من الشدائد وانتقل الى ما يرضي الله الهي ويُزلف لديه .

ولك عدة من التباع والساعدين الاولاد الذين اولدتهم بالمسيح وقدمتهم الى الطريق المؤدية الى ما يرضي الله وقد كانوا اغصاناً مقدسة وازهاراً روحانية ومقدّمات من لدن النفس الالهي مقبولة .

فنهم انبا جرجي الكبير نصبتك وغرستك الذي لقي الملك نقفور القديس ورأس على دير مار سمعان العمودي الحابي .

ومنهم انبا يوحنا العجيب الذي أُهّل لان صار كاثوليكاً على بلد المشرق .

ومنهم انبا خاريطن الثاني المجتهد الارشيمندريتس رئيس دير سابا .

ومنهم سمعان العجائبي البحري الذي في جبل اللكام العجيب .

ومنهم انبا يعيش الحبيس الذي جاهد بانواع من عمود الحبيس وصبر على ضيق المحابس الكثيرة ولم ينتقل عن طريقة واحدة وكان حبيباً بنا خصوصاً بل بالمسيح في دير القديس اغريغوريوس الثاولغس بيشأس .

ومنهم انبا ارميا رفيقه العجيب رئيس دير الست السيدة والدة الاله المعروف بالجراجمة الذي انشأه هو في جبل اللكام المقدس .

ومنهم الاب المغبوط افتيكيوس ابن فرجوس .

ومنهم انبا غريغوريوس الكبير الفاضل رئيس دير السيدة والدة الاله المعروف بدقتونا وكفانا اشتهاره بالفضائل وقد ذكرت لكل منهم خبرًا مفردًا على حدة كما استأهلوا ان يكونوا مذكورين وان كنت اختصرت فيه غاية الاختصار وكفانا بهم من تضيك مديحًا لهم وذكرًا وشفاعتك وصلواتك وصلواتهم اجمعين لتكن لنا مخلصة وحافظة الآن ودائمًا الى اقصى آخر الدهور كلها آمين .

(لها صلة)

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

بعد المستنجد المستضيء ابنه

تولى تسع سنوات . بعدما اجهز الزعماء على المستنجد وقع اختيارهم على مبايعة احد بنيه الذي لم تخطر الخلافة بباله اصلاً وكان حليماً وضيعاً. فاستحلفوه ان لا يفتك باحد منهم وان يرد لهم كل ما انتزعه والده منهم . فاقسم لهم بذلك واحضروا اخاه واستحلفوه مثله وعددوه بالقتل وصنعوا مثل ذلك بجميع ابناء الاسرة . ولمّا اقسموا جميعاً بايعوه بالخلافة وأسموه المستضيء .

وفي السنة ١١٨٣ لليونان (١١٧٢ م) عمّ الثلج الارض كلها حتى الهند التي لم يعرف اهلها الثلج قطعاً. وقد بلغ علوه هناك اربعة عشر شبراً فيما قيل. وجمدت الانهار والينابيع وتلفت الحيوانات والطيور جوعاً وعطشاً . ولزم الناس بيوتهم كأنهم في قبور لا يتيسر لهم الذهاب من قرية الى قرية . وخنق الثلج كثيرين من سكان الخيام والمسافرين . وتفاقم الجوع في سبسطية بسبب بُعد المسافة وطلب الزعماء من اسمعيل بن دانشمند صاحب قبدوقية قمحاً لهم ولذويهم يكفيهم الى الصيف لئلا يهلكوا . وكان عنده اهراء كثيرة بملوءة ذخيرة لكنه رفض طلبهم فوثبوا اليه وقتلوه هو وامرأته وهي اخت السلطان قلج ارسلان وقتلوا معها خمسمائة شخص من حشمها وعبيدهما وجواريهما واجتاحوا الاهراء باسرها . وارسلوا الى دمشق وطلبوا عمه ذوالنون الذي كان متهزماً (-٣٤٤-) من وجه السلطان فاقبل وتولى سبسطية .

وفي السنة ٥٦٧ للعرب (١١٧١ م) كتب نور الدين الى صلاح الدين ليلغي الخطبة باسم العاضد خليفة مصر ويخطب لخليفة بغداد. لكن صلاح الدين تخوّف حدوث ثورة فاجل القضية. فاضطره نور الدين ثانية ولم يستطع ان يخالفه فاستشار زعماء مصر فاختلفوا فرقتين احداهما حثت بذلك والثانية نهت عنه .

وحضر هناك رجل فارسي يقال له الامير العالم فقال لهم : انا ابتدىء الخطبة واكفيكم الهمّ . وصعد المنبر يوم الجمعة ودعا للمستضيء ابن العبّاس بدلاً من العاضد ابن عليّ . ووافقه الجمهور . وجرى مثل ذلك يوم الجمعة التالية في مساجد مصر جميعها وانتهت خلافة المصريين .

وكان العاضد خليفة مصر يومئذٍ مريضاً ولم يخبره اصحابه بما تمّ خيفة ان تعاجله المنون فقضى دون ان يشعر بما صار . واعتقل صلاح الدين ابناء الخليفة وآله وفصل الذكور عن الاناث قطعاً لنسلهم . واعتق العبيد والجواري . فابتهج العرب اصحاب شيعة القدر والقضاء وشيعة مؤيدي الحرية والاختيار . ويقال ان خلفاء مصر لا يتحدرون كما يزعمون من علي وفاطمة بل من رجل يهودي او مجوسي . وقد نظم الشعراء قصائد جمة في التقاء الدولة الفرعونية وظهور الدولة اليوسفية . وقام منهم اربعة عشر خليفة في المغرب : ثلاثة في افريقية وهم : المهدي والقائم والمنصور . واحد عشر في مصر وهم : المعزّ والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والامير والحافظ والظافر والفائز والعاضد .

واستقل صلاح الدين بمصر (٣٩٥) لا يعارضه احد قطعاً سوى نور الدين فقد كتب اليه يقول : هلمّ لحاصر الكرك فاحشد الجنود واستعجل في القوم الى هناك . لكن صلاح الدين لم يلبه . فسخط نور الدين واعتزم الذهاب بذاته الى مصر ليخرجه عنها . فاجتمع صلاح الدين بالزعماء وشاورهم في الامر فسكتوا ولم يدروا ما يقولون سلباً ام ايجاباً . وعند ذلك نهض الشاب ابن اخي صلاح الدين وقال : اذا جاء نور الدين فاننا نحاربه ولا ندعه يدخل مصر . ووافقه في ذلك سائر الشبان زملائه . غير ان والد صلاح الدين وخاله غضبا عليهم ثم تكلّم والد صلاح الدين وقال هل بين جميع الحضور من يرغب لك الخير نظيري ونظير خالك ؟ قال صلاح كلّا . قال والده : كن على ثقة من اننا انا وخالك اذا شاهدنا نور الدين خررنا امامه وقبلنا الارض خاضعين . واذا كان ذلك كذلك فمن تراه يتجاسر ان يشهر السلاح عليه ؟ فهذه بلاد مصر باجمعها وغيرها ايضاً انما هي لنور الدين واذا شاء ان يعزلك فلا حاجة ان يزحف اليك في جيوشه بل حسبه ان يرسل شخصاً واحداً في سطرين منه فيلقي

الحبل في رقبتك ويقودك الى دمشق ويستعمل على بلاده من شاء . ثم نهض الشيخ نجم الدين وانهى الزعماء. وقال : ثقوا باننا جميعاً عبيد لنور الدين وله ان يصنع بنا ما شاء . وبعدما انصرف الزعماء قال الاب لابنه صلاح الدين: انك فتى بعدُ لا عقل لك ولا سياسة عندك . الا تدري ان نور الدين اذا سمع انك تمرّدت عليه ترك كل شيء. وتتبعك حتى يقضي عليك ؟ ومَن من الجنود يا ترى يتركه ويتبعك ؟ اعلم ان ما احدثك به الان لا بد من ان يصل اليه. اذن يجب ان ترسل اليه سفيراً يخاطبه خطاب متضع ويصرح له بانك عبد (٣٤٦) مطيع لامره . وان احوال مصر مضطربة بعد وان الخوف من الفرنج يصدك عن الذهاب اليه فيخمد غضبه ويغض عنك . وقد صار مثلما قال الشيخ .

وفي تلك الغضون اقبل جمهور غفير من النوبة الى اطراف الصعيد وسبوا قرى كثيرة . فوجه صلاح الدين العساكر وانتشب القتال بين الفريقين وهلك الكثيرون من الجهتين ثم تقوى السودان وارسل صلاح الدين اخاه شمس الدولة تورانشاه في جيش ضخم . فانهزم النوبة وتبعهم العرب وغزوا وقتلوا واحتلوا قلعة ابريم واقاموا بها حفظة ولما عاد العرب عاد النوبة كذلك واسترجعوا قلعتهم وارسل ملكهم سفيراً الى شمس الدولة وهو في قوص وسأله الصلح فابى الطلب وشرط ان يؤدي جزية . وسيّر مع سفير النوبة سفيراً من قبله اسمه سعود الحلبيّ ووصل الى دونغولا العاصمة واطلع على المضايق وعرف ان الاهالي لا يزرعون غير الدخن وان عندهم اشجار نخل وهم يأكلون دخنهم ملتوتاً بنحورهم ومواشيهم وليس عندهم ابنية سوى دار واحدة هي بلاط ملكهم . اما الاهالي فيجتمعون في الخيام والمغاور . قال السفير : شاهدتُ الملك يوماً قد خرج عرياناً وركب حصاناً عرياناً كذلك والتفّ بثوب اطلس غير مخيوط ورأسه أصلع ومكشوف ولمّا دنوت وسلّمتُ عليه ضحك وتهقه وأمر فكوَوا يدي شكل صليب ودفع لي خمسين رطلاً قمحاً وأطلقني .

وفي السنة ٥٦٩ للعرب (١١٧٣م) سار شمس الدولة المذكور الى ارض اليمن واحتلّها وملكها . وفي ايار ١٤٨٥ لليونان (١١٧٤م) مات (٣٤٧) نور الدين في دمشق بداء الخُناق . وحدّث الرحبيّ الطبيب الدمشقيّ الذي ادركتُ انا الحقير ابنَيه الطبيبَين الفاضلَين قال: لمّا تفاقم داء نورالدين ودُعيت

الى عيادته مع سائر الاطباء. شاهدناه في بيت ضيّق صغير وقلنا له : ان يفصد الوريد فأبى . ولم نرَ ان نلحّ عليه لاننا كنّا نهابه جدًّا . وما عتم ان مات . وكان رجلًا اعتياديًا طويل القامة دون لحية تحت ذقنه بعض شعرات بسيطا في هندامه وكسوته مبغضاً للعرب المتسلسلين من عليّ . وقد استرجع من الفرنج اكثر من خمسين مدينة وقلعة وابتنى بيمارستانًا كبيرًا ومدرسةً في دمشق ومسجدًا في الموصل فخماً .

وقام بعد نور الدين ابنه الملك الصالح اسمعيل وحالفه جميع الزعماء وخطب له صلاح الدين في مصر وضرب الدراهم والدنانير باسمه . امّا سيف الدين غازي صاحب الموصل فلمّا نُعي اليه عمّه نور الدين فرح الفرح كلّه واوعز الى المنادين لينادوا باطلاق الحرّية للاهالي في الشرب والسكر والذبح علانيةً . ثم حشد الجيوش واقبل الى بلاد ما بين النهرين واحتلّ الرها وحرّان وما حولها. وارسل الامير شمس الدين قائد الجيش الحلبيّ الى زعماء دمشق يقول : ابعثوا الملك الصالح الى حلب قبل ان تُنزَع من يدكم . غير انهم خافوا ان يتولّى هو سياسة الدولة فلم يَدَعوا الملك الصالح ان يغادرهم. ثم ارسل صلاح الدين يعاتبهم لانهم لم يستدعوه الى مساعدتهم الى ان قال : لو عرف نور الدين ان بينكم من هو انشط منّي لولّاهُ مملكة مصر . والآن فاني قادم اليكم اذ يترتّب عليّ ان ادبّر مولاي وابن مولاي دونكم . عند ذلك وجّه الزعماء الصالح الى حلب وجعل قيّمه (٣٤٨) سعد الدين الحاجب وكان هذا حافظاً فيما مضى لقلعة الموصل ثم انهزم واقبل الى دمشق .

وتخوّف الدماشقة من صلاح الدين وبعثوا يطلبون الصلح من آموري ملك اورشليم وقبلوا ان يؤدّوا له جزيةً . الّا ان اموري توفّي في عكّة في ١١ تموز بعد مرور اربعين يوماً على وفاة نور الدين . وقد اشتدّ كمد المسيحيّين بوفاة هذا الملك البطل الذي كان عرب مصر وسورية قاطبةً يهابونه . وخلفه ابنه بغدوين الرابع .

ولمّا بلغ قلج ارسلان سلطان قونية خبر وفاة نورالدين حليف دوألنون بن دنشمند زحف الى سبسطية ونوقيسارية وقوماتا وملكها . فسار دوألنون الى

قسطنطينية واستنجد بملك اليونان . وانتهت يوم ذاك زعامة بني دنشمند التي استغرقت ١٢٢ سنة .

ثم ان امير ميافرقين ضايق الارمن الساسنة فارسلوا الى شاه ارمن صاحب خلاط وسلّموه حصونهم . وعاد ملك الكرج فانتزع مدينة أني من العجم .

وفي السنة ٥٧٠ للعرب (١١٧٤ م) حشد صلاح الدين جيوشه واقبل الى دمشق يتظاهر بانه قادم ليساعد ابن مولاه ودخل دار ابيه واقام بها ثم ورس الى ريحان الخصي حافظ القلعة ففتح له بابها ودخلها اخوه سيف الاسلام واصحابه واحتلّوها وأيد الخطبة للملك الصالح اسميل .ثم غادر دمشق الى حمص وأخذها ووصل الى حماة وملكها . ووصل الى جبل جوشن قرب حلب فحشد امرها الحلبيّين قاطبةً كباراً وصغاراً في ميدان باب العراق واشاروا الى الصالح ان يخرج ويكلّم (٣٤٩) الجماعة كلاماً مؤثّراً . فانتصب في راس الميدان وقال : يا ايها الحلبيّون انكم انتم ربيتموني وهنذا استغيث بكم وليس لي اب او أخ سواكم . واجهش بالبكاء حتى كاد يختنق وبكوا جميعاً لبكائه وصرخوا صرخة واحدة وقالوا : اننا كلّنا عبيد لك وفدى امامك .

امّا الفرنج فقد بعثوا السفراء الى صلاح الدين يلومونه وينكرون عليه عمله هذا وقالوا له : انك بعملك هذا تنكر جميل مولاك . فاصغ الى كلامنا واترك حلب والّا فاننا بأجمعنا نثب اليك ونناهضك . ولمّا رأى صلاح الدين ان الامور لن تتمشّى طبقاً لمآربه وانه يتعذّر عليه ان يخدع الحلبيّين انقلب عائداً الى بعلبك واحتلّها وسار الى حمص وملك قلعتها . ثم ارسل الحلبيّون الى سيف الدين صاحب الموصل يقولون : اذا تركت صلاح الدين يحتلّ حلب فكن على ثقة بأنه لن يترك لك الموصل . فسيّر جيشاً كثيفاً بقيادة اخيه عزّ الدين واتّفق مع الحلبيّين وساروا معاً الى حماة وارسلوا سفيراً الى صلاح الدين وهو في حمص يلحّون عليه ليردّ جميع حصون مولاه ويكتفي بدمشق لا غير ويكون كسائر الامراء الخاضعين للملك الصالح . فأجابهم صلاح الدين : اني لم آتِ لاحارب ابن مولاي بل لاحفظه واحفظ بلاده وخزائنه . ولن اخالف قولكم مطلقاً . لكنهم لمّا عرفوا استعداده للصلح ظنّوه ضعيفاً فاستحقروه وقالوا له : يجب ان تغادر سورية كذلك وتعود الى مصر وليس لك عندنا الّا السيف . ثم

زحفوا الى الرستن وأقبل صلاح الدين اليهم وتبارز الجيشان في قرون حماة فانكسر المواصلة والحلبيّون وارتدّوا الى ورائهم منهزمين . وأمر صلاح الدين جيوشه ان يقفوا ولا يتتبّعوا المنهزمين ولا يقتلوا احداً . وعند ذلك ارسل اليه (٣٥٠) الملك الصالح يسأل الصلح وان يتولّى صلاح الدين دمشق وحماة وحمص ويترك سورية الخارجة للصالح . لكن صلاح الدين لم يرضَ الّا بعدما اضافوا الى ذلك المعرّة وكفرطاب . عند ذلك وافقهم وأقسم بان يخطب للملك الصالح في كلّ البلاد التي تحت يده وان يوافي الى مساعدته كلّما دعت الحاجة .

ولمّا بلغت المستضيء خليفة بغداد اخبار نصرة صلاح الدين ارسل إليه حللاً ملكيّة وسيفاً وألويةً وفرماناً . وكان قطب الدين قيماز قد خرج يومئذٍ على الخليفة وحاصره في بلاطه . فهلع الخليفة وقصد السطح وأمر المنادي ان ينادي بأعلى صوته ويقول : ايّها البغداديّون هذا وقتُ مساعدتكم لمولاكم وإمام دينكم فأبدوا تحمّسكم في سبيل ايمانكم . وعمّت الصيحة المدينة واقبل الاهالي في سيوفٍ وعصيٍ وقراميد وحجار وهزموا قيماز واعوانه الى الصحراء فادركهم العطش وعثروا على صهريج خُنقت فيه الحيّات فشربوا منه وانتشر الوباء فيهم وفي خيلهم وتوجّهوا الى الموصل وهلك اغلبهم في الطريق وقضى بقيّتهم في الموصل .

وفي السنة ١٠٨٦ لليونان (١١٧٥م) خرج زعماء ارمينية على مليح أميرهم وحاولوا ان يقتلوه فانهزم الى احد الحصون ووثب اليه الحراس وقطّعوه ارباً ارباً والقوا جثّته للكلاب انتقاماً منه لما انزله بالمسيحيّين من الاعذبة والمساوئ . ثمّ استدعى الزعماء روفين ابن اخيه اسطفان من طرسوس وولّوه أمرهم فأجهز على قتلة عمّه مليح ولا سيا لانهم ألقوه للكلاب .

وفي السنة ٥٧١ للعرب (١١٧٥م) أرسل سيف الدين صاحب الموصل الى الصالح في حلب (٣٥١) يلومه أشدّ اللوم لانه هادن صلاح الدين . ثم حشد نحو عشرين الف فارس واقبل الى حلب وفك زعماء الفرنج المسجونين هناك منذ امدٍ طويل . وباع قمص طرابلس بثمانين الف دينار وجوسلين بن جوسلين بخمسين ديناراً والبرنس امير انطاكية بمائة وعشرين ديناراً واستحلفهم ان يساعدوا العرب دائماً .

وحشد صلاح الدين كذلك عساكره وزحف الى اطراف التركمان بين حلب وحماة وتبارزوا فانكسر الحلبيّون والمواصلة ولاذوا بالفرار واحتلّ صلاح الدين خيامهم واثقالهم وشاهد هناك طائفة من الطيور كاليمام والحمام والبلابل في اقفاصها ومائةً من العاهرات المطربات. واستدعى واحداً من مشخّصي الروايات وارسله الى سيف الدين مع تلك الاقفاص وقال له : اذهب وسلّم بدلاً مني على سيف الدين وقل له : ارجع الى شنشنتك ولاعب طيورك لانها تحميك كل خطر . وبعد ما اوثق زعماء الموصل وفي جملتهم فخر الدين عبد المسيح فكّهم وألبسهم ثياباً واعطاهم خيلاً وهدايا وردهم بسلام. وترك حلب على ما كانت ومرّ بقلعة بزاعة واحتلّها وسار الى منبج وتولّاها وعثر في قلعتها على ثلاثمائة الف دينار . ثم اقبل الى عزاز وحاصرها اربعين يوماً واحتلها .

وفي السنة ١٤٨٧ لليونان (١١٧٦م) شاد منوئيل ملك اليونان مدينتين في حدود الاتراك ووضع فيها الجنود وجعلوا يزعجون اصحاب قلج ارسلان وكان منوئيل يلحّ عليه ليردّ الى آل دنشمند اماكنهم فأبى . فوجّه الملك ثلاثين الف فارس يونانيّ مع دوألنون التركيّ بن دنشمند وحاصروا نوقيسارية (٣٥٢) وكتب لهم اتراكها رسالةً في اليونانيّة بلسان اهاليها النصارى يقولون : لا تصدّقوا دوألنون فهو يواصل الاتراك برسائله ويحاول ان يغدركم ويدفعكم الى اصحابه . فخاف اليونان وغادروا المدينة وتتبّعهم الاتراك وفتكوا بابن اخت الملك . فسخط الملك وحشد جيوشاً ضخمة وسار الى حدود الاتراك وترك العجلات واثقالها . وجعل اليونان ينهبون ويحرقون القرى التركية وهي خالية من الناس والزاد. على ان الرّجالة الاتراك خرقوا الجبال والاودية العميقة ووصلوا الى معسكر اليونان ونهبوا ما به واحرقوا عجلاتهم وجعلوا يدحرجون من قمم الجبال حجاراً ضخمة سحقتهم مع خيامهم . وعند الليل ارسل الملك الى السلطان سفيراً يطلب الصلح . فلبّى طلبه ولا سيّما لانه هو كذلك كان خائفاً. ثمّ اقام ثلاثة امراء اتراكاً سيّرهم في خدمة الملك حتى وصل الى حدود بلاده. وكان مع اليونان كثير من الكنائس (النقّالة) والصلبان والحلل في جملتها صليب يشتمل على قطعة من عود الصليب انتهبها الاتراك جميعها ثم ارسل الملك الى السلطان ذهباً وافراً واسترجع عود الصليب .

وفي هذه السنة مات نجم الدين صاحب ماردين واستغرق ملكه اثنتين وعشرين سنة وعمل النصارى وكنائسهم واديارهم خير معاملة وخلفه ابنه قطب الدين فتحرش بعشيه صاحب حاني وصاحب دارا ثم صالحها وأقبلا اليه طائعين . ولما ذاع خبر موته سارع المعديون ليغزوا بلده فاستجمع قواه ووثب اليهم وفتك بالنس منهم وانتزع منهم (٣٥٣) اثني عشر الف جمل وانهزم من بقي منهم .

وفي السنة ٥٧٢ للعرب (١١٧٦م) شخص صلاح الدين ثانية الى حلب فتذلل له الصالح صاحبها وطلب الموادعة اذ تعذر عليه ان يقاومه . فارتضى وابرم صلحاً عاماً مع حلب والموصل وارمينيــة الصغرى . ثم وجه اليه الصالح اخته الصغيرة فطلبت منه عزاز فأجاب الى طلبها . وبعد هذا غادر حلب الى دمشق واقترن بعصمة الدين امرأة نورالدين وقلد اخاه شمس الدين تورانشاه امور دمشق وعاد الى مصر وابتنى سوراً واحداً يحدق بمدينتي مصر والقاهرة وشاد قلعة فوق الجبل المتوسط .

وفي السنة ٥٧٣ للعرب (١١٧٧م) وهي السنة ١٤٨٩ لليونان (١١٧٨م) زحف صلاح الدين في جيوش كثيفة الى عسقلان وغزا واستأسر وسفك دماء كثيرين من النصارى . فذعر الفرنج وكان ملكهم في اورشليم مبتلى بداء الجذام فتشجع واجتمع بجنوده وانحدر عن حصانه وخرّ على وجهه امام الصليب المقدس وجعل يبكي فتأثرت قلوب الجنود وادركوا انهم يحاربون ويجاهدون حتى النهاية. بناء عليه أغمضوا هنيهة حتى توغل الاتراك في الضواحي وانهمكوا في الغزو وكفوا عن استئناف القتال معتقدين ان الفرنج ضعفاء . اما الفرنج فزحفوا اليهم وادركوهم وهم يعبرون النهر . وارسل الربّ عاصفة شديدة جرفت الرمــال من ناحية الفرنج على الاتراك وأعمتهم . ووضع الفرنج فيهم السيف فتقهقروا وضلوا وتاهوا في الصحراء القفراء . ولحقهم الفرنج خمسة ايام وهم يفلّونهم ويجمعونهم طائفة طائفة ويرتقونهم ويقتلونهم وقد افلت صلاح الدين مع قليلين الى القاهرة . قال المؤرخ :شاهدت (٣٥٤) حاملي البشرى راكبين وسمعت المنادين ينادون في شوارع مصر انّ السلطان انتصر والفرنج انكسروا فبادرت لاستخبرهم عن كيفية الانتصار فقالوا : افرحوا وابتهجوا لان السلطان سالم . فعرفتُ ان البشرى كانت عكس الواقع .

وفي هذه السنة تمّ الصلح بين قلج ارسلان ومنوئيل ملك اليونان وأقبل قلج ارسلان الى ملطية وشدّد عليها اربعة اشهر ولم يدخلها وأمر جنوده فابتنوا لهم بيوتاً من لبن ليشتّوا بها وشادوا له بيوتاً واسعة بحجارة نقلوها من المقابر. امّا امير المدينة وهو من عشيرة دنشمند فخاف ان يتفق الزعماء محتجين بالغلاء ويسلّموه المدينة فأرسل الى السلطان في الأمان وسار الى حصن زياد. فاحتلّ السلطان ملطية يوم الاربعاء ٢٥ تشرين الاول ١٤٨٩ لليونان (١١٧٨م).

وفي السنة التالية اتفق الفرنج قاطبةً مع الملك بغدوين وابتنوا مدينة على شاطئ الاردن في مكانٍ يقال له مَعبَر يعقوب كي يضايقوا دمشق .

وسار صلاح الدين من مصر الى بعلبك بسبب خروج حاكمها عليه وشدّد عليه الحصار حتى طلب الهدنة وسلّمه المدينة. ثم انقلب الى فلسطين فثار الفرنج وهزموه وغزوا نواحي العرب وانصرفوا . واذ كانوا مطمئنين هادئين كأنهم احرزوا النصر باغتهم كمناء العرب واعتقلوا منهم نحو مائة محارب وقبضوا على رئيس الفرير . ثم توجه صلاح الدين الى المدينة التي احدثها الفرنج وامتلكها وكان فيها خمسمائة من الاخوة الفرير فلمّا شاهدوا العرب قد تغلّبوا عليهم ألقى البعض بنفوسهم في النار فاحترقوا والبعض في نهر (٣٥٥) الأردن فاختنقوا والبعض على الصخور فترضّضوا وقضوا . وحصدت البقية سيوف العرب .

وفي السنة ١٤٩١ لليونان (١١٨٠ م) وعك منوئيل ملك اليونان ولمّا شعر بدنو الاجل انقطع الى احد الاديار ووضع التاج لابنه ألكس وبايعه . وجعل امرأته وهي والدة ألكس راهبةً واناط بها خزائن الدولة . ونصب اثني عشر زعيماً ليشرفوا على تدبير الجيوش. غير ان الملكة الراهبة ارتكبت القبيح مع واحد من اولئك الزعماء الاثني عشر وحاول سائر الزعماء ان يخلعوا ابنها ويقيموا ابنة منوئيل وهي من امرأته الاولى بدلاً منها ويبايعوا زوجها بالملكة ولكنهم لم يتوفقوا. وما عتم ان ظهرت المكيدة وخاف الزعماء وانهزموا الى الكنيسة الكبرى والتحم القتال ضمن المدينة سبعة ايام وسفكت الدماء. وصوّب احزاب الملك المنجنيقات نحو كنيسة اجيا صوفيا . وسار ثوذوسيوس البطريرك وقابل الملك وامّه فأقسما له انهما لن يؤذيا احداً ممّن هو ضمن الكنيسة فخرج جميعهم مطمئنين. لكنّ الملك وامّه خرقا الايمان وسملا عيون الزعماء الاحد عشر وقتلا

احزابهم . فامتعض البطريرك وأبرم الحرم على المدينة جماء وغادرها الى دير قريب وألقى قرع النواقيس والصلاة تسعة شهور وجعلوا يشيّعون الموتى ويدفنونهم دون صلاة .

وفي تلك السنة وجّه السلطان قلج ارسلان جيشاً الى رعبان فوثب اليه جنود دمشق وهزموه الى تبدوقية . وكان ذلك الجيش متجذاً في محاربة الفرنج.

وفي هذه السنة وهي السنة ٥٧٥ للعرب (١١٧٩م) مات الخليفة المستضيء. وخلفه ابنه الناصر .

بعد المستضيء الناصر ابنه

تولّى سبعاً واربعين سنة . ولمّا بويع بالخلافة قبض على الوزير ابن العطّار وزجّه في السجن وأوثقه وانتزع كلّ ما له . ووقعت وفاته ليلة الاربعاء ١٢ ذي القعدة (٥٧٦) ولمّا شيّعوه ثار البغداديّون وطرحوه عن كتف حمّاله وفسخوه وشذوا في ذكره حبلاً وسحبوه في البلد ووضع الصبيان بيده مغرفة وهم يقولون : وقّع لنا يا مولانا . وظلّوا يسخرون به حتى اقبل الاتراك ونقلوه ودفنوه . وحدث في تلك السنة غلاء فظيع ووباء قتّال شمل الارض كلها . .

وفي السنة ١٤٩٢ لليونان وهي السنة ٥٧٦ للعرب (١١٨١م) زحف صلاح الدين لينازش السلطان قلج ارسلان بسبب صهره نور الدين بن قرا ارسلان بن داود بن ارتق صاحب حصن كيفا . وكان هذا يسيء معاملة زوجته وهي ابنة السلطان ولا يراعي حقوق الزواج فأرسل يتهدّده . فاستنجد بصلاح الدين فكتب الى السلطان يسأله ان ينفر لصهره فأبى . فاتفق صلاح الدين مع الفرنج الذين في ساحل البحر وحشد الجنود وسار يريد حلب وحلّ في برج قرا حصار عند نهر الازرق بين الحصن وحصن منصور . ثم زحف الى نهر كوكسو واقبل اليه نور الدين فرحّب به وأمّنه . وبعد هذا ارسل السلطان سفيراً الى صلاح الدين وجرت المصالحة بعد ما استحلف نور الدين ان يعيش مع امرأته عيشة مرضيّة ويحترمها احترام ابن لابيه . وارتحل صلاح الدين من هناك الى النهر الاسود ودخل جنوده ليغزوا ضواحي قيليقية وكان دوفين صاحبها قد فتك بجماعةٍ من الرعاة التركمان وسبى نساءهم واولادهم ومواشيهم . فارسل روفين

كتاب خضوع وتذلل الى صلاح الدين في ذهب وافر وأعتق خمسمائة من الاسرى (٣٥) الاتراك وبعد ما عقدا الصلح سافر صلاح الدين وعاد قليج ارسلان الى ملطية ورمّم سورها .

وفي تلك الغضون سرّح البرنس صاحب انطاكية امرأته اليونانية الشرعية واتخذ امرأة زانية . فحرم البطريرك الانطاكي القسّيس الذي صلّى عليهما وحرم المدينة كلّها وألغى قرع النواقيس والصلوات . فسخط البرنس ونهب كنائس الفرنج واديارهم بأسرها . واذ ذاك وافى بطريرك اورشليم مع القامصة وصالحوه ووافقوا على اقترانه بالمرأة الغير الشرعية[1] وردّ كلّ ما سلبه من الكنائس والاديار .

وفي تلك السنة مات سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل . وكان مدمناً الرغد والرفاهية ومعاقرة الخمرة . وعاش المواصلة في ايامه عيشة اطمئنان وخصب . وخلفه اخوه عزّ الدين مسعود ودُعي ابا الفتح وسار سيرة وقيّة منتظمة . امّا صلاح الدين فسار الى دمشق وغادرها الى مصر وانجز بنيان قلعة القاهرة . ومات اخوه شمس الدولة في الاسكندرية .

وفي السنة ٥٧٧ للعرب (١١٨١ م) مرض الملك الصالح اسمعيل صاحب حلب ولمّا شعر بدنوّ الاجل ارسل الى ابن عمّه عزّ الدين مسعود يحثّه ليسارع ويتولّى مكانه قبل قدوم صلاح الدين . واجتمع بالزعماء واستحلفهم في ذلك ومات . قيل ان احد العبيد سقاه سمّاً في عنقود عنب وقيل بل مات بداء المفاصل . وقد بكاه الحلبيّون (٣٥٨) والباروقيّون القاطنون في ضواحي حلب . وارسل هؤلاء الى عماد الدين زنكي صاحب سنجار يستدعونه ليسلّموه المدينة . لكنّ الحلبيّين ارسلوا يتهدّدونه لينصرف عنهم والّا فهم مستعدّون ان يقتلوه ويسيئوا معاملته . فلم يرَ الّا الرحيل عنهم وعندئذٍ وصل عزّ الدين مسعود من الموصل وقصد القلعة واحتلّها واقترن بامّ الملك الصالح وارسلها الى الموصل . ثم فتح الخزائن وهي مملوءة منذ عهد نور الدين وزنكي اموالاً وافرة وارسلها بأجمعها الى الموصل . وعقد هدنة مع بوهيمند البرنس صاحب انطاكية لمدة سنتين

١) لم يوافق البطريرك والقامصة على الزواج الثاني بل تركوه متيدّاً بالحرم بسببه . واكتفى البطريرك بالغاء حرمه للمدينة لا غير .

وترك في قلعة حلب ابنه نور الدين الصغير واقام له وصياً وتوجه الى مرج قرا حصار وبعث سفيراً الى اخيه عماد الدين صاحب سنجار وكان قد غادرها في عياله وابنائه واهله الى قرقيسيا معولاً على الاستغاثة بصلاح الدين ليساعده ويعيد اليه مملكة ابيه . فقال للسفير اني ان ارجع ما لم يعطني حلب او الموصل او ما بين النهرين . ووافق عزّ الدين على ان يوليه حلب فقط ويقيم ابنه في قلعتها. فلم يوافقه عماد الدين محتجاً بانه لا يرضى ان يكون تحت طاعة ابنه في حلب . فأضاف عزّ الدين الى ذلك عربان والجدل وغيرهما من بلاد الخابور فلم يرضَ عماد الدين . عند ذلك اشار الزعماء بان يعطيه حلب وقلعتها ولا يناهضه بما لا يتيسر له ان يصونه من صلاح الدين. ثم قالوا له : انك لم تترك شيئاً في حلب وقد نقلتَ ثروتها جميعها الى الموصل واخيراً اتفق الاخوان واستولى عمادالدين على حلب وضواحيها وترك سنجار والموصل لعزّ الدين .

وفي تلك السنة سارت سفن كبيرة من سفن الفرنج الى دمياط وهم في موادعة مع العرب (٣٥٩) لكن العرب غدروا بهم واعتقلوا الفين وخمسمائة من تجارهم وملاحيهم محتجين بانتهاء مدة الهدنة . ولذا خرج الفرنج الى مدينة ايالة على ساحل البحر الاحمر واعدّوا سفناً كثيرة ومراكب وساروا في اماكن لم تسر فيها سفن افرنجية قطعاً واصلاً واحتلوا كثيراً من سفن العرب وهي موسقة اموالاً وذخائر وافرة وفتكوا بجماهير من اهالي عيداب وسيّر صلاح الدين من الاسكندرية سفناً في احمال جمال في البحر ادركت سفن الفرنج وقتل الكثيرون من الجهتين .

وفي السنة ١٤٩٤ لليونان (١١٨٣م) احتال اندرونيقس الزعيم اليونانيّ الذي سبق الملك منوئيل فطرده من العاصمة فأغوى ألكس الفتى وامّه وعاد الى قسطنطينية يتظاهر بالطاعة. وما تم ان زجّ في البحر امّ الفتى وابنتها وصهرها وفتك سراً بالفتى الكس . وقتل اكثر من الف زعيم واحرقهم وسمل عيون بعضهم .وحمل هذا الشيخ النجس على امرأة الكس واغتصبها ونفى الفرنج من العاصمة . ولما انصرف هولاء احرقوا اربعة عشر الفاً من اديار وقرى بلاد اليونان. وبعد ذلك اقبل ملك صقلية واجتاح مدناً شتى يونانية واخلاها من السكان.

وفي السنة ٥٧٨ للعرب (١١٨٢م) زحف صلاح الدين من مصر الى دمشق

والى حلب وحاول ان يحتلّها . لكنّ الزعماء اشاروا عليه ان يعبر الفرات اوّلا ويحتلّ مدن ما بين النهرين وآثور ثم يعود الى حلب ويمتلكها بسهولة . فاقتنع وعبر الفرات ومرّ بآزها وحرّان واحتلّها . واحتلّ الرقّة ووصل الى عَرَبان فدفع اليه حرّاسها المفاتيح فتولّاها وتولّى بلدة ماكسين . وعامل بالحسنى اهالي الخابور وسار (٣٦٠) الى نصيبين وتهيّأ اصحابها لمبارزته فوضع هناك جيشاً صدّهم عن الغدوّ والرواح فتضايقوا وسلّموه المدينة . وسار الى الموصل وحاصرها من جهاتها كلها . فأرسل عزّ الدين صاحبها الى خليفة بغداد يسأله ان يتوسّط في الصلح بينه وبين صلاح الدين فلبّى طلبه وأرسل سفيرًا في ذلك . فطلب صلاح الدين ان يؤدّي له المواصلة نفقات رحلته او يتخلّوا له عن حلب . فقالوا : ليس عندنا ذهب امّا حلب فصاحبها هو عماد الدين وليس في امكاننا ان نعطي ما لا نملك . فتركهم وانطلق الى سنجار ونازلها وانتزعها من شرف الدين بن قطب الدين مودود . ومن هناك اقبل الى دارا وقابله صاحبها صمصام الدين بهرام من بني ارتق وادّى له الطاعة فترك له المدينة وعاد الى حرّان وسرّح الجنود ليستريح كلّ منهم مدّة الشتاء . وصوم العرب وعيدهم وظلّ هو هناك مع القليلين.

وتخوّف المواصلة ان يعود اليهم صلاح الدين في الربيع ويحتلّ مدينتهم كما احتلّ سنجار فأرسلوا الى شهرامان صاحب خلاط يستنجدونه فلبّى طلبهم نجدًا واتّفق مع ابن اخته قطب الدين ايلغازي بن ألبي بن تيمورتاش صاحب ماردين خال عزّ الدين صاحب الموصل . واحتشد الماردينيّون والموصليّون والخلاطيّون في البارعيّة وجاءهم كذلك الف وسبعمائة فارس من الياروقيّين المجاورين لحلب وتأهّبوا قاطبةً لمناوشة صلاح الدين . فلمّا سمع باحتشادهم ملكته الرعدة فارسل يستعجل جيوشه ليوافوا اليه فاجتمعوا في مدّة ثمانية ايّام قادمين من حماة وحمص وما بين النهرين (٣٦١) وجاء كذلك ابن قرا ارسلان من حصن كيفا . ولمّا رأى شهرامان تأهّبَ اصحاب صلاح الدين للقتال وضعف الذين معه قال لصاحبَي الموصل وماردين : لقد اقبل الشتاء ولستُ ارى فائدة من الحرب فالأحرى ان يعود كلّ منّا الى بلده ثم نجتمع في الربيع ثانيةً . هكذا تفرّقوا وتشتّتوا دون جدوى . ثم ارسل صلاح الدين الى الخليفة يخبره بما صنع المواصلة وانهم هم الذين يتحرّشون به وحصّل منه الأمر لينازل آمد .

وفي محرم ٥٧٩ للعرب وايار ١٤٩٤ لليونان (١١٨٣ م) احتلّ صلاح الدين آمد بعد حصار شديد . وكان صاحبها ابن نيسان يقاتل الاعداء قتالاً عنيفاً . غير ان الآمديين اغتنوا عنه وسبب ذلك انه لما ازدحم اصحاب صلاح الدين ما بين سورَي المدينة انقضّ عليهم الاهالي وضغطوهم هناك وقتلوهم وكتب صلاح الدين على الرايات عبارة تهديد قاس واقسام مغلّظة بانه لن يحيد عن المدينة ما لم يحتلها ويحرقهم جميعاً ان رفضوا تسليمها . فخافوا وارتخت عزائمهم وارتعب ابن نيسان وطلب الامان له ولاهله وامواله . فامهله صلاح الدين ثلاثة ايام ريثما ينقل ما شاء نقله . ثم دخل المدينة . وقد نقل ابن نيسان ما نقل من ذهب وفضة وحجار كريمة وآنية . قيل انه لم يتيسّر له ان ينقل عُشرَ امواله في تلك الايام الثلاثة اذ كانت كثيرةً جداً .وبعد ما احتلّ صلاح الدين المدينة ولّى عليها نور الدين بن قرا ارسلان مع كلّ ما بها . فقيل له : انك انما وعدته بالمدينة لا بكلّ ما بها مما ينيف على ثلاثة آلاف دينار . فقال صلاح الدين (٣٦٢) : لا يجمل بنا ان نعطي صديقنا مدينة فارغة. قيل انهم عثروا في احد ابراجها على مائة الف شمعة وكان في مكتبتها الف الف واربعون الف مجلد اعطاها صلاح الدين للقاضي الفاضل كاتبه . وايد ابن قرا ارسلان في ولايته وحلف له وعبر الفرات الى عينتاب واطاعه صاحبها نصير الدين بن كرتكين ثم غادرها الى حلب وحاصرها . وكان عماد الدين صاحبها قد تسلّمها فارغةً حتى انه لم يبقَ له ما يقوم بحاجات جنوده ولم يحصل على شيء من الحلبيّين ومن اهالي ضواحيها . ولما قال لاحد الزعماء ان ليس عندي ما اوديه لك قال له الزعيم : بع حلي امرأتك واعطِ المحاربين ان شئتَ ان تكون ملكاً . وأفضى به العوز الى حدّ ان الاهالي كانوا يقدّمون الطعام يوماً فيوماً له ولاهل بيته . ذلك مما حمل الزعماء والجنود على ترك الحرب بخلاف الاهالي فظلّوا يواصلونها .

ولما تعذّر على صلاح الدين احتلال حلب عنوةً شاور زعماءها سرّاً واستمالهم بالعطاء . فاشاروا على عماد الدين بالتسليم والاكتفاء باماكن اخرى ذلك لئلا يأخذها غيره ويبقى هو دون شيء . ثم قالوا له : هل تظنّ ان العامّة تدافع عنك وتكتفي برزقها .وقد نفدت الاقوات ولم يبقَ عندك ما تعطيهم ؟ تبصّر

اذن في ما يجب ان تصنعه. ارتضى عماد الدين بما اشاروا وارسل الى صلاح الدين يطلب سنجار ونصيبين والخابور والرقة بدلا من حلب. فلبى طلبه وكتبا له وارسل اليه الصك موقعاً بخط يده وحلف له انه يتخلى له عنها بأجمعها. ولما سمع (٣٦٣) الحلبيون ذلك شملهم الكمد واحتشدوا عند القلعة وجعلوا يشتمونه. وعلقوا امامه طستاً ورداء وصاحوا قائلين: تباً لك من خنثى! لا يصلح لك الا غسل الاواني. وكان ينظر اليهم من الشرفة ويسمع شتائمهم.

وليلة ١٨ صفر من تلك السنة انحدر عماد الدين من القلعة وخرج الى خيمة أعدت له وتسلمها صلاح الدين مع المدينة. وتوجه عماد الدين الى سنجار وتولاها مع البلاد المذكورة. على ان صلاح الدين سُرّ باحتلاله حلب اكثر من سائر المدن التي احتلها. قيل انه لما كان ماراً بدرجات القلعة كرّر ما ورد في القرآن نقلا عما كتبه دانيال النبي فقال: « ان العلي يتسلط على مُلك البشر ويجعل له من يشاء » (دانيال ٤: ٢٩). ثم التفت وقال لمن معه من الزعماء: الآن عرفتُ ان المُلك استتب لي. صدقوني اني لم احسد نور الدين المتوفى الا على حلب ولم اشتهِ سواها. وبعدما احتلها صلاح الدين ألغى جبايات جمة ونقص الضرائب ووزع اموالا طائلة بلغ مجموعها ثلاثمائة وخمسين الف دينار.

وأصيب في هذه المعمعة تاج الملوك توري اخو صلاح الدين الصغير وعاش اياماً ومات. ولما عاده اخوه قال له: ينبغي ان تفرح وتبتهج لاننا ملكنا حلب وهي لك منذ الآن. فقال له تاج الملوك: ان السيادة انما تفيد الاحياء لا المدنفين مثلي. كن على ثقة بأنك ملكتها بأثمان غالية اذ ضيعت اخاك بامتلاكك اياها. وكان تاج الملوك هذا منجدًا في الحروب. فبكى صلاح الدين وبكى معه الحاضرون بكاء مرًا.

وحاول صاحب حارم يومئذٍ ان يبيع بلدته من الفرنج وشعر الحراس بما انتوى. ولما خرج يوماً الى التنزه وعاد اغلقوا الابواب في وجهه (٣٦٤) وكتبوا الى صلاح الدين ليأتي ويحتل المدينة. فأرسل لذلك ابن اخيه وابن عمه لكنهم بعثوا يطلبون حضوره بذاته فلبى طلبهم وانطلق وملك البلد واجزل لهم العطاء وأخرجهم من القلعة ولم يتعدَّ على صاحبها لان الزعماء دافعوا عنه وقالوا ان الحراس خدعوه.

واقام صلاح الدين ابنه الملك الظاهر في قلعة حلب وعاد الى دمشق ومنها سار في جيوشه الى قلعة الكرك وحاصرها حصارًا شديدًا . فاحتشد الفرنج واعتزموا الهجوم فشمر صلاح الدين وانقلب الى دمشق. واقبل اليه اخوه الملك العادل من مصر في ذهب كثير فولاه حلب وملحقاتهـا من رعبان وسواحل الفرات حتى حماة . ولما دخل العادل قلعة حلب غادرها الظاهر بن صلاح الدين بعد ما اقام بها ستّة أشهر وعاد الى ابيه .

وفي السنة ٥٨٠ للعرب (١١٨٤م) أعدّ صلاح الدين العـدّة ليزحف الى الكرك وأرسل فاستدعى نور الدين من حصن كيفا والعادل اخاه من حلب وتقيّ الدين من مصر واحتشدوا جميعًا هناك . واحتشد الفرنج كذلك فتخوّف صلاح الدين وامر ان يحرقوا المنجنيقات ويتركوا الكرك فـانتقلوا الى بلد السامرة وغزوه .

اما البرنس أرناط[1] صاحب الكرك فقد حصّنها تحصينًا متينًا. وسار البرنس صاحب انطاكية الى الخادم في مائتي فارس وغزا ضواحيها وقتل بالكثيرين من العرب .وهم مجتمعون في جِسر الحديد ووثب الى الكسناء بالجبل وهم اربعمائة راجل وعشرون فارسًا وأجيز عليهم كافّة .

وفي تلك السنة مات قطب الدين ايلغازي بن نجم الدين البي بن تيمورطاش ابن ايلغازي بن (٣٦٥) أرتق صاحب ماردين وخلفه حسام الدين يولق ارسلان وهو بعدُ فتى . واقام ظاهر الدين شهرامان خالهُ وصيًّا له اسمه نظام الدين . واقترن نظام الدين بامّ الفتى وساس المملكة خير سياسة . ثم مات الفتى وله أخ اصغر منه اسمه قطب الـدين باسم ابيه فجعله نظام الدين مكان اخيه . واصبحت السياسة بيده ويد عبده لؤلؤ . ولمّا نما الفتى وعرف انه متركّ بالاسم لا بالفعل عاد يومًا نظام الدين وهو مريض ولما خرج من عنده سار معه لؤلؤ الى الباب كرمانًا له . فوصلا الى مكان ضيّق واستلّ قطب الدين السكين وضرب لؤلؤ وقتله به وانقلب الى نظام الدين وهو مضطجع في فراشه فأجهز عليه كذلك . واخذ الرأسين وألقاهما الى الزعماء من القلعة. وما ان شاهدوهما

[1] هو ارنادس رونود .

حتى ملكهم الرعب واذعنوا له بالطاعة واستغرقت وصاية نظام الدين عشرين سنة وتمّ قتاله في السنة ٦٠١ للعرب (١٢٠٤م) .

وفي السنة ٥٨١ للعرب (١١٨٥م) سار صلاح الدين الى حلب ثم عبر الفرات الى الرها وانتزعها من مظفر الدين بن زين الدين صاحبها . واستأنف السير الى راس العين ودارا وجاء الى زيارته عماد الدين بن قرا ارسلان بدلًا من اخيه نور الدين الذي كان مريضا . ومن هناك سار صلاح الدين الى مدينة بَلَد ثم الى الموصل واقبل اليه صاحب اربيل زين الدين بن علي كوجاك. وكان مظفر الدين صاحب حرّان مع صلاح الدين . ولمّا ضايق صلاح الدين الموصل خرجت اليه امّ عزّ الدين صاحبها وهي ابنة ارتق وخرجت معها بنت نورالدين ابن زنكي وتوسّلتا اليه ان يترك المدينة لعزّ الدين متذكرًا (٣٦٦) الايام القديمة وعوارف آل زنكي وبكتا امامه وتشبّثتا بأذياله فلم يكترث لهما . فتركتاه وانقلبتا خائبتين . فهاج المواصلة عند ذاك وماجوا كبارًا وصغارًا وهم يعربون عن ولائهم لآل زنكي وتصافقوا على احتلال الأسوار وعلى الجهاد في القتال . وجعلوا يستحقرون صلاح الدين بكونه غامطًا لمعروف مواليه. فلم يَرَ صلاح الدين الّا ان يترك الموصل ويتوجّه الى خلاط وقد بلغه ان صاحبها شاه ارمن مات وناب منابه بكتمر عبده وأحسن الى الخلاطيّين واحبّهم واحبّوه حبًا جمًا . ولمّا سمع ان البهلوان بن ايلدكز سلطان العجم قادمٌ ارسل الى صلاح الدين يستنجده فيسلّمه المدينة . فسار اليه ورآه متحصّنًا فلم يخرج الى لقائه. ثم وصل شمس الدين البهلوان من العجم وحلّ في الجانب الآخر من المدينة واستعدّ ليحاربها . لكنّ الزعماء قالوا له : اذا ضايقت بكتمر ومال الى صلاح الدين فلن يتيسّر لك ان ترتاح او تنجح . بناء عليه ارسل البهلوان الى بكتمر وطيّب قلبه وزفّ اليه ابنةً من ذويه وتركه وانصرف .

ولمّا رأى صلاح الدين ان الخلاطيّين والعجم قد اتّفقوا انقلب الى ميافرقين وكان صاحبها قطب الدين ملك ماردين قد مات وتولّاها ابنه الفتى كما ذكرنا. فحاصر صلاح الدين المدينة وكان قائدها اسد الدين بريقش وكانت خاتون امرأة قطب الدين صاحب ماردين كذلك هناك مع بناتها فاخذت تحمّس المحاربين وتشجعهم . ولمّا طالت الحرب (٣٦٧) ارسل صلاح الدين الى المرأة ويعدها

بأخذ احدى بناتها زوجةً لابنه. فارتضت وسألته أن يتخلّى لها عن قلعة الهتاخ ثم سألته المدينة وارتحلت الى تلك القلعة .

واقبل كذلك قطب الدين سقمان بن نورالدين بن قرا ارسلان صاحب آمد الى زيارة صلاح الدين فرحّب به أجمل ترحيب ثم عاد الى مدينته . وبعد هذا غادر صلاح الدين ميافرقين الى ساحل نهر قرّمان واتى كفر زمّار على ساحل دجلة .

اما المواصلة فتضايقوا جدًا وارسلوا تكرارًا المرأتين المذكورتين الى صلاح الدين يتوسّلون اليه في الصلح والموادعة . وتوسّط بين الفريقين عماد الدين صاحب سنجار . وتخلّى عز الدين صاحب الموصل لصلاح الدين عن شهرزور وعن الزابين وبيث وازيق وسائر الشرق وارتضى ان يخطب له وان تضرب الدراهم والدنانير باسمه . وبناء على ذلك عُقد الصلح ما بينهما . وانقلب صلاح الدين الى حرّان ومرض هنالك وادنف ثم تعافى وكان معه ابن عمه ناصر الدين ابن اسد الدين شيركوه فغلب على ظنه ان صلاح الدين يموت لا محالة فتركه وعاد الى حمص مدينته واجتمع بالشبان واستحلفهم فقرروا بانه متى مات صلاح الدين يتفقون على ان يخلفه هو في الملك . وقد شاء الله تعالى فتعافى صلاح الدين ومات ناصر الدين وتوجّه صلاح الدين الى حمص واحتوى على كلّ ما كان له وولّى مكانه ابنه الفتى الملك المجاهد . قيل انه بعد سنة زار هذا الفتى صلاح الدين فسأله : الى اين وصلتَ من القرآن ؟ فقال الفتى الى الآية : ان آكلي اموال اليتامى انما يأكلون نارًا في بطنهم. فدهش صلاح الدين واثنى على ذكائه وقال : ان كان هذا الفتى قد فهم ما قال لزم ان نخافه .

وفي السنة ١٤٩٦ لليونان (١١٨٥ م) تحفّز (٣٠٨) اندرونيقس الطاغية ليفتك باسحق الذي بقي من اسرة منوئيل الملكيّة فتحصن اسحق في داره وارسل اندرونيقس قائد العسكر في طلبه. فما كان من اسحق الا ان استلّ السيف وأجهز عليه ثم امتطى حصانه وخرج يريد الكنيسة الكبرى والسيف بيده مخضّباً بالدم وهو يصرخ ويولول . فتبعه ربوات الاهالي وانضمّ اليهم جمهور من الزعماء المناوئين للطاغية . ودخلوا الكنيسة واضطرّوا البطريرك فتوّج اسحق ملكاً. وما ان سمع اندرونيقس حتى فرّ من البلاط يريد الهزيمة بحرًا. فادركه

وردّوه الى العاصمة واخذوا يقطعونه بالسكاكين وينهشونه وينكّلون به أشدّ التنكيل ثم احرقوه على مرأى من الجماهير.

وفي هذه السنة اشتدّ داء الجذام على بغدوين ملك اورشليم فاستودع المملكة لابن اخته الصغير بغدوين (الخامس) وما تمّ ان توفّاه الله تعالى.

وفي السنة ٥٨٢ للعرب (١١٨٦ م) تعافى صلاح الدين وغادر حرّان الى حلب وحمص واستيقن ان ناصر الدين ابن اخيه شمس الدولة قد مات فانتزع قلعة حمص من ابنه. ولقي فيها موادّ وافرة ثم سار الى دمشق. وانقلب فاخذ حلب من العادل اخيه واعطاها لابنه الملك الظاهر واعطى دمشق لابنه الثاني الملك الافضل. واعطى مصر لابنه الملك العزيز وبعثه اليها مع العادل اخيه. وكان تقيّ الدين ابن اخيه هناك فلمّا سمع ان مصر انتزعت من يده ارتاب واستعدّ للذهاب الى افريقية. غير ان صلاح الدين ارسل يلاطفه واستدعاه اليه وطيّب خاطره وذكر له انه انما يرغب اقامته لديه طمعاً بقوّته. وولّاه حماة والمعرّة وسلامية ومنبج وقلعة نجم واضاف اليها ميافرقين (٣٦٩). وارسل فاستحضر ابنه الملك المنصور من مصر مع جيوشه. غير ان مملوكه يوزباه أبى القدوم اليه وانطلق الى المغرب وملك افريقية.

وفي السنة ١٤٩٧ لليونان (١١٨٦ م) كان اجتماع الكواكب السيّارة الستة في برج الميزان سوى زحل فقد كان على شكلين في ١٤ ايلول و٢٩ جمادى الآخرة. وسبق المنجّمون فنظروا انه سيحدث طوفان عرميّ في ريح شديدة ويهلك البشر قاطبة. ويكون مثله مثل طوفان نوح اذ اجتمعت الكواكب في برج الاسماك واغرقت المياه الارض كلّها؛ وقد صدّق قلج ارسلان سلطان قونية ذلك الزعم اكثر من كلّ الناس وأنفق مبالغ طائلة في حفر سراديب في قلب الارض وابتناء بيوت محكمة عميقة. غير ان الله سبحانه وتعالى كذّب زعم المنجّمين. ولما كان ذلك اليوم المحدود وقد اعتصم الكثيرون بالسراديب والمغاور لاح الجوّ صافياً نقيًا والهدو سائدًا اكثر من سائر الايّام ولم يحدث الا كسوف اعتيادي في الشمس. وسقط المنجّمون من عيون الملوك والعامّة بسبب كذب رأيهم. وان منجّماً من مشاهيرهم كان يقول: ان المنجّمين غير صادقين في زعمهم. فاستدعاهُ السلطان واستخبره فأكّد له قوله بترقيمه

وامضائه مصرّحاً بانه لن يحدث ما يدّعيه المنجّمون ولن يُصاب احدٌ بأذى. ولما تحقّق كلامهُ استفسره السلطان وقال له: كيف عرفتَ ذلك؟ فقال اني لم اقل ما قلته استنادًا الى علم التنجيم غير اني عرفتُ انه اذا حدث الطوفان فلن ابقى انا ولا يبقى من يلومني. واذا لم يحدث اكون قد ربحت الجائزة وقد ربحتها. فضحك السلطان وجاد عليه وأطلقه.

وفي تلك الغضون عقد البرنس صاحب انطاكية الصلح مع صلاح الدين وقبض بالحيلة على روفين صاحب قيليقية واوثقه بسلاسل حديدية واعتقله. وحشد الجنود وزحف الى بلاده فناهضه لاون مناهضة البطل وردّه الى بلاده خازياً. وبعد هذا (٣٧٠) دفع له الارمن ثلاثين الف دينار مع المصيصة وادنة فأطلق روفين. غير ان روفين انقلب فاسترجع المدينتَين فسخط البرنس وجعل يعيث وينزو بلاد قيليقية جميعا.

وفي تلك الاثناء قُتل البهلوان سلطان العجم وحدثت معامع طاحنة بسبب ذلك. وتحرّش الاكراد والتركمان كذلك في اطراف نصيبين. ذلك ان تركمانيًا ذهب فتزوّج بتركمانيّة من غير عشيرته. ولما مرّ اهالي العرس بحصن من حصون الاكراد ببلد زوزان وقف الاكراد في طريقهم وطلبوا منهم وليمة العرس. واختلف التركمان في ذلك فشدّ عليهم الاكراد وخطفوا العروس وعادوا الى حصنهم. ومن ثم حصل قتال شديد وقُطعت الطرق ونُهبت البضائع وقُتل من كلتا الجهتين زهاء عشرة الاف نسمة. ثم احتشد ثلاثون الف كرديّ او اكثر ونازلوا التركمان بجانب الخابور فانكسر الاكراد وسقط قتلاهم منذ شواطئ الخابور حتى نصيبين. ثم تبارز الفريقان ثانيةً بنواحي الموصل وانكسر الاكراد كذلك. واغار التركمان على الاكراد غير مرّة وشدّوا عليهم حتى هزموهم الى قيليقية واثخنوا في الرجال والنساء والفتيان. هكذا أفنى التركمان الاكراد من سوريّة وما بين النهرين وتوغّلوا في ارمينية وقبضوا على ستة وعشرين الفًا من الارمن واستاقوهم عبيدًا وباعوهم. واحرقوا دير كابيد الكبير وفتكوا برهبانه. وقتلوا في تلبسم مائة وسبعين رجلًا سريانيًّا. واجهزوا على مائتي شاب سريانيّ من حملة السلاح في قرية أمرون ببلد قلودية التابعة لملطية. واحدثوا معامع جمة في قبدوقية وملطية بأسرها. والتحم القتال كذلك بين العرب

والاسمعيلين وبطش بعضهم ببعض بطشاً ذريعاً .

وفي تلك السنة حصل نزاع بين الفرنج . ذلك ان صاحب طبرية قبل وفاته سلّم ابنه الصغير الى قمص (٣٧١) طرابلس لينهض بتربيته . وما عتم ان مات الصبي وافضى الامر الى امه . فكلفت برجل اسمه جي لم يكن من اسرة ملكية واقترنت به وتوجته ملكاً[1] . ومن ثم سخط قمص طرابلس وقصد صلاح الدين وانضم اليه وتم يخفر الحفائر لملكة طبرية ولسائر النصارى.

وفي السنة ٥٨٣ للعرب (١١٨٧ م) رأى صلاح الدين ان البرنس ارناط نكث اقسامه ونهب قافلة تجار عرب وحشد الجنود وتهيأ للحرب فسار الى الكرك في جنوده واكتسح اشجارها واتلف ما حولها من القرى . وغادرها الى شوبك وفعل مثل ذلك . وزحف ابنه الملك الافضل الى طبرية وغزا وبرز الفرنج وناوشوا العرب وكاد يُقضى على العرب قضاء مبرماً لو لم يساعدهم الحلبيون. وبعد هذا عاد الفرنج الى المدينة وسار الافضل ومن معه الى صلاح الدين . ثم اجتمع ملوك الفرنج وزعماؤهم وتشاوروا في منازلة العرب . لكن القمص صاحب طرابلس قال لهم : اعلموا يا اخوتي ان في مبارزة صلاح الدين خطراً جسيماً . فقد كان فيما سبق رجلاً كسائر الرجال واصبح اليوم مستولياً على مصر وفلسطين حتى بلاد المشرق . فارى من المفيد ان نعقد معه الصلح ويطمئن كلٌّ في بلده .

غير ان جي الملك الحديث الذي اقترن بملكة طبرية اعتز بنفسه وقال : لا بدّ من المبارزة . فقال له القمص : سترى عاقبة غايتك . اما صلاح الدين فاجتمع كذلك بزعمائه وشاورهم (٣٧٢) فقالوا : لا يوافق الآن ان نبارز الفرنج وهم في فورة اجتماعهم . فالاجدر ان نضعفهم شيئاً فشيئاً حتى اذا اخذوا يتشتتون استسهلنا مناوشتهم والبطش بهم . غير ان صلاح الدين لم يوافقهم بل قال لهم : متى يا ترى يجتمع لديّ مثل هذا الحشد الغفير ؟ فالاجدر ان تتشجعوا وتتشددوا وتبارزوهم . وما يريده الله تعالى يفعله . قال هذا

١) هي ايزابيل اخت بندوين الرابع ملك اورشليم ووالدة بندوين الخامس . فلمّا ترمّلت اقترنت بجي دي لوسنيان . ولمّا توفي بندوين الرابع والخامس افضت المملكة اليها واصبح زوجها غي ملكاً على اورشليم لا على طبريّة فقط .

وركب واركب جنوده وزحفوا الى الاردن وحطوا رحالهم على شواطئ بحيرة طبرية . واحتشد العرب في صفورية . واقام الصفان اياماً لا يناوش احدهما صاحبه . وبعد هذا وجه صلاح الدين قسماً من جيوشه في طريق مجهولة الى طبرية ليلاً . ولما اصبح وثبوا ودخلوا المدينة ووضعوا فيها السيف والنار . وتحصنت الملكة[1] في القلعة .

اما جي زوجها فلمّا سمع الخبر انحلت عزيمته ولكنه تشجّع وشجّع الفرنج وركبوا جميعاً وانقضّوا على العرب . ولما كان المساء اقام الصفان احدهما تجاه الآخر واحيوا الليل كله ساهرين . وغلب العطش على الفرنج لان العرب كانوا محتلين ناحية الاردن وشدّدوا عزائمهم للمبارزة . ولما اصبحوا وشاهد العرب شجاعة الفرنج وهم يقتحمون اقتحـــام الدبابير ولا يتقهقرون اضطربوا كل الاضطراب وفشلوا وارتعدت ركبهم . وما ان شاهدهم صلاح الدين على تلك الصورة حتى بادر الى الوسط واوقع فيهم صيحة عظيمـة واسمعهم كلمات ممزوجة بالعسل والمرارة تارة يشجّعهم وطوراً يهدّدهم . وان شاباً باسلاً اسمه منغوراس وهو مملوك صلاح الدين استبسل وخرج من صفوف العرب وبلغ الى وسط الصفين فادركه شاب فرنجي باسل وطعنه برمحه والقاه عن حصانه وانحنى فقبض على ضفيرته وجره نحو صف (٣٧٣) الفرنج واحتز رأسه. ولما شاهده الفرنج تقوّوا واشتدّوا ظانّين انه احد ابناء صلاح الدين .

اما قمّص طرابلس وكان قلبه مملوءاً غشاً ومكراً فتخوف ان يحرز الفرنج الغلبة التامة وتعدو مشورته بالعدول عن القتال لاغية فتظاهر كمن يحاول تتبع العرب والبطش بهم . ففتحوا له الطريق ما بين صفوفهم لانهم سبقوا فعرفوا ان قلبه غير مستقيم مع ابناء دينه . وهكذا مرّ بينهم وتوجه الى طرابلس مدينته . وقد اصبح انهزامه هذا مدعاة كبرى الى انكسار الفرنج ولم يبق بينهم من يثق بصاحبه . غير انهم لم يروا بدّاً من المبارزة فخاضوا ما بين العرب وسلّت السيوف ولم يستفيدوا شيئاً اذ قطعوا الرجاء بسبب انهزام القمّص. وعند ذاك حمل عليهم العرب حملة شعواء واوثقوا جي صاحب طبرية[2]

١) لم تكن ايزابيل ملكة اورشليم بل امرأة ريموند قمّص طرابلس .
٢) ملك اورشليم .

والبرنس ارناط صاحب الكرك وجمهوراً من الاخوة الدواوية الاسبتالية[1] وغيرهم ولم يتمكن من الهزيمة الا القليلون .

ولما خمدت الحرب جلس صلاح الدين في خيمته واجتمع عنده زعماؤه وامر باحضار جي زوج الملكة صاحبة طبرية والبرنس ارناط . وابدى الاكرام لجي واجلسه الى جانبه واجلس ارناط كذلك . وكان العطش قد اجهد جي فطلب ماء ليشرب . فامر صلاح الدين فأتوه بماء ممزوج بالثلج فشرب نصفه ودفع النصف الثاني لارناط . فقال له صلاح الدين : لا يجوز ان تسقيه دون امري. قال جي : ان الاعتقال موت فلا تُمته موتتين (٣٧٤). والانكسار قتل فلا تقتله قتلتين . فاعجب صلاح الدين بكلامه واعتزم ان يعفو عن ارناط لكن الزعماء حرضوه على قتله وقالوا : لا يستحق هذا ان يبقى حيًّا لانه اقسم مراراً وحنث في يمينه . وبعد هذا ارسلهما كليهما الى خيمة اعدّت لهما . وما مرت ساعة حتى بعث فاحضر ارناط وحده واستل السيف وفتك به بيده[2] . وكان ارناط هذا شيخاً منجذاً بالحروب ذا بطش وشجاعة فائقة يهاب العرب سطوته.

وبعد هذا سار صلاح الدين الى قلعة طبرية ولاطف الملكة واقسم لها وانزلها وبعثها الى طرابلس مع ذويها وكلّ مالها واعطاها بعض عطايا . اما الرهبان الدواوية والاسبتالية وكانوا ثمانين عداً فقد اعتقلهم ثم فتك بهم. وقد باع الفرسان منهم كل فارس بخمسمائة دينار وقال : ن هؤلاء يفوقون الفرنج كافة في ايقاع الضرر بالعرب ويؤثرون القتل في سبيل ايمانهم فيجب الاجهاز عليهم.

ثم اقبل صلاح الدين الى عكة وانهزم الزعماء كافة في البحر الى صور وبقي المساكين فطلبوا الأمان. وبعدما احتل عكة احتل كذلك حيفا ونابلس وهي السامرة وتبنين وصيدا وقيسارية ويافا وبيروت والناصرة . ويقصر اللسان عن وصف ما احتمله النصارى القاطنون في اصقاع العرب يومئذ من الاستهزاء والازدراء . اما صاحب جبيل وكان معتقلاً فقد سلمهم المدينة ونجا .

وسار صلاح الدين الى عسقلان وهي حافلة برجال الحرب وحاصرها حصاراً

---

١) هم رهبان جنود محافظون اصقاع المسيحيين . واسمهم فرير اعني اخوة ويقال لهم دراوية وهيكليّون واسبتاليّون اعني مضيفين وقد صنعوا خيراً عظيماً بضيافتهم .

٢) قد قُتل ارناط لانه أبى ان يجاهر بالاسلام .

شديدًا ولم يقوَ على آخذها فاستدعى صاحب طبرية (ملك اورشليم) وكان معتقلًا عنده وقال له : ان سلّمتني عسقلان اولاتك سبيلك . فارسل واستدعى اليه حاكمها وامره ان يسلّمها (٣٧٥) فأبى. فقال لملك للعرب الذين يحرسونه اوثقوه واوثقوا من معه وبعد هذا ارسل الى اهالي المدينة ليسلموها وينجوا. فاخضعوا له وسلّموها .

وعوّل اهالي صور كذلك على التسليم غير ان القمص (كونرآد) شخص اليها وتولى حراستها جيّدا .

وزحف صلاح الدين من هناك الى اورشليم وحاصرها ونصب منجنيقات ضخمة على سورها في الناحية الشمالية لاتساعها وموافقتها لاقامة المحاربين وظلّ ثلاثة ايام كذلك . ثم اشتدّ الفرنج وهم ستون الفًا من فرسان ورجّالة وخرجوا الى قتال العرب وفتكوا بكثير منهم في جملتهم عزّ الدين عيسى صاحب قلعة جعبر وغيره من المشاهير . واذ ذاك اخذ العرب يستعملون قذف السهام ليلهوا الواقفين في السور حتى تشبّث به الحلبيون العَمَلة واقتلعوا حالًا الحجار ونقبوا نقبًا أسندوها بالاخشاب حتى اذا لعبت بها النيران يسقط السُور.

ولما قنط الفرنج وآيسوا ارسلوا اثنين من العقلاء الى صلاح الدين يطلبون الامان . لكنه ابى وقال لن افتح المدينة الّا بالسيف وسأفعل بكم كما فعلتم انتم بالعرب حين ملكتموها اذ قتلتم وسبيتم . فقال له احد ذينك الزعيمين ان لي كلمةً اخرى اقولها لك ان وعدتني بانك لن تحنق . قال له صلاح الدين : لست احنق قل ما بدا لك . فقال : لو لم نعرف فطنتك وانك لا تقدر ان تخالف شريعة من سبقك من الملوك الاقدمين اذا انكسر اعداؤهم والقوا سلاحهم وطلبوا الامان لما اقبلنا اليك . والآن فقد اتينا (٣٧٦) ولم يبقَ لنا امل في كرمك فاعلم اننا عائدان الى المدينة لنبلغ رجالنا الابطال المجاهدين. وسنفتتك اول بدء بالعرب الاسرى الذين عندنا . ثم نحرق مسجدكم الكبير ثم الكنائس وسائر الابنية ثم الاموال والامتعة ثم نذبح بيدنا نساءنا وابناءنا وبناتنا ولن ندعكم تكملون فيهم شهوتكم. وبعد هذا كله فالواحد منا لن يسلم ذاته للقتل الّا بعد ان يقتل واحدًا او اثنين منكم.

أدهش صلاح الدين هذا الخطاب وقال للزعيمين ان يقيما في احدى الخيام

ريثما يشاور زعماءه . فقالوا له : ان كلّ ما قاله هــذان صحيح وان الفرنج يصنعون اكثر من ذلك . فالاجدر ان نصالحها . فاستدعى صلاح الدين ذينك الزعيــين الفرنجيّين وقال لهما : اني قابــلٌ بما طلبتما غير انه لا يمكن ان تخرج الاهالي كلّهم مجاناً وأمرائي يطلبون ذهباً لانهم تعبوا وخسروا في الحرب خسائر ~~وافرة . واستقرّ الرأي ان يدفع كلّ رجــل عشرة دنانير وكلّ امرأة خمسة~~ وكلّ ابن وبنت دينارين ويخرج الجميع في كلّ ما يمكنهم حمله . فوافق الفرنج على ذلك . ووزنوا ثلاثين الف دينــار عن الفقراء والمساكين وادّى الاغنياء عنهم وعن غيرهم من الفقراء وخرجوا جميعاً بالامان . وبقي خمسة آلاف ممن لم يمكنهم ان يدفعوا شيئاً فاستاقهم العرب أسرى . وقــد ارتشى بعض الحراس العرب من كثير من المسيحيين ديناراً ديناراً او اكثر وسرّحوهم . امّــا مظفّر الدين بن زين الدين فقــد اطلق نحو الف شخص من السريان والارمن مجاناً وهو يقول ان هؤلاء هم رهاويّون من ابناء رعيتي . ونهج نهجه ابن شهاب الدين صاحب البيرة فاطلق الكثيرين من ابناء بلده.

وكان في اورشليم يومئذٍ ملكة يونانيّة متوشّحة بثوب الرهبانية منقطعة في احد الاديار فارسلت الى صلاح الدين تلتمس منه ان لا يتعدّى عليها احد . فامر ان تخرج هي (٣٧٧) والشمامسة والشماسات والخدّام وتنقــل معها كل اموالها . وارسل معها بعض الفرسان اوصلوها الى حدود الفرنج . وصنع مثل ذلك لسائر الملكات الفرنجيات اللواتي كنّ في اورشليم . ونقل البطريرك جميع امتعة كنيسة القيامة وسائر الكنائس وقناديل الذهب والفضة وارتحل . وباع الاهالي ما لم يتيسّر لهم نقله . وبالجملة فقد سلّموا المدينة فارغة من الذخيرة. على ان العماد الكاتب قال لصلاح الدين : علامَ ينقل هؤلاء كلّ هذه الاموال ~~وانت لم تترك لهم الا الامان ؟ فقال له : صدقت ولكن الفرنج~~ لا يفهمون ذلك واذا منعناهم عن اخذ اموالهم اذاعوا عنا انّنا اقسمنا وحنثنا باقسامنــا وألحقوا بنا ذكرى سيئة . هكذا احتل صلاح الدين اورشليم يوم الجمعة ٢٧ رجب عام ٥٨٣ للعرب (١١٨٧ م) و ١٢ تشرين الاول ١٤٩٨ لليونان . وتمّ ذلك بعد مضيّ ٢٨ يوماً من اجتماع الكواكب السيّارة الستة.

ولم يملك المسيحيون اورشليم بعد هذا التاريخ . غير ان صلاح الدين اقام

اربعة رهبان من الفرنج في كنيسة القيامة لينهضوا بخدمة القبر المقدّس . وبعد زمن قليل تولى بطريرك اليونان ادارة تلك الكنيسة .

ولما فرغ صلاح الدين من امر اورشليم سار الى صور وهي في قلب البحر وابتنى ابراجاً متينة وافرغ كل قوّته في محاربتها وهو يحرّض عساكره ويقول لهم : لم يبقَ للفرنج في ساحل البحر مكان يقيمون فيه الا صور فاذا انتزعناها منهم كفوا عن الزحف ونجونا منهم. وبمثل هذه العبارات دفعهم الى القتال حتى النهاية . غير ان المركيز الذي اقبل من رومية حصّن المدينة بالخنادق وبرجال اشداء ملاحين وجعلوا يخرجون ويفتكون بالعرب ويعودون (٣٧٨) وعند ذلك ارسل صلاح الدين الى الاسكندرية واستقدم الف سفينة ضخمة أرست تجاه المرفأ . وخرج ليلة ملّاحو الفرنج في سفن محكمة وحطّموا اغلبها واعتقلوا ملّاحين شهيرين من بلاد المغرب والقى البقية انفسهم في البحر وهلكوا وانهزم بعضهم في سفنهم الى بيروت فادركهم الفرنج واعتقلوا اغلبهم وغرق الباقون .

ولما شاهد صلاح الدين تلك الاهوال وبسالة الفرنج في البحر قطع الامل هو واصحابه واحرقوا ما ابتنوا من الابراج والمنجنيقات والبقية الباقية من السفن واقلعوا من صور وتوجهوا الى عكة . ثمّ امر صلاح الدين جنوده ان يذهب كل منهم الى وطنه ويستريح في بيته.

وفي تلك الاثناء وقع خلاف بين الخليفة الناصر وبين صلاح الدين لان هذا اغمض عن ارسال جزية سورية اليه . ولم يرسل اليه كذلك شيئاً مما كان يجبيه من مصر . وطالما صرّح صلاح الدين في نشوته بانه مستعدّ ان يلغي الخطبة للخليفة ويجدّدها للفاطميين بمصر . وقد امتعض الخليفة اي امتعاض عندما نقل اليه رجلٌ حقير بغداديّ كان سابقاً في خدمة صلاح الدين البشرى باحتلاله اورشليم .

وفي تلك السنة حشد رجلٌ تركمانيٌّ من الرعاة يقال له رستم خمسة آلاف فارس وجمهورًا غفيرًا من الرّجالة وسار الى قيليقية ليسبي وينهب . وما ان شعر لاون صاحبها حتى سدَّ الثغور في ناحية مرعش واجهز على اولئك التركمان . ثمّ احتشد خمسة آلاف رجل منهم في اطراف حلب (٣٧٩) ليغزوها فبرز اليهم البرنس بوهيمند وسحقهم جميعاً.

وفي السنة ٥٨٤ للعرب (١١٨٨ م) زحف صلاح الدين بذاته الى حصن الأكراد وحاصره يوماً واحداً فامتنع عليه . فانقلب الى انطرطس وقبل ان ينتهوا من نصب الخيام كلها احتلّ الحلبيّون اسوار المدينة وتحصن الفرنج في برجين من ابراجها واخيرًا سلّموا. فقوّض صلاح الدين سورها وقلعتها وكنيستها الشهيرة المعروفة بكنيسة مريم والدة الله وسائر ابنيتها وانطلق الى قلعة المرقب فلم يرَ احدًا من السكان فيها . وانتهى الى جبلة فسلّمه اياها مَن فيها من العرب . ثم زحف الى اللاذقية ونازلها بشدّة وحفر الحلبيّون خندقاً تحت الارض طوله ستون ذراعاً وعرضه اربع اذرع . فخاف الفرنج وطلبوا الامان. فرخّص لهم صلاح الدين ان يخرجوا في اولادهم ونسائهم واموالهم سوى البهائم والقمح وآلات الحرب . واستعمل عليها ابن اخيه تقيّ الدين صاحب حماة

واقبل في تلك الايام جيوش مَن الفرنج في سفن كثيرة من صقلّية ليساعدوا المسيحيين . وانطلق قائدهم ليحادث صلاح الدين وقال له : لقد استوليت على كلّ ما كان للفرنج في سواحل البحر ولم تترك لهم سوى القليل الحقير . فينبغي ان تكفّ عن قتالهم لئلا يتدفقوا قادمين من البحر ويسبّبوا لك عناء جسيماً . فلاجدر بك ان تحسّن معاملة جيرانك هولاء لانهم بمثابة حصن حصين بينك وبين الاهالي . فقال صلاح الدين : ان شريعتنا تضطرّنا ان نعزّز ديننا. والربّ يصنع ما يشاء . فعاد ذلك القائد الى بلده ثم زحف صلاح الدين الى صهيون وهي على صخر (٣٨٠) ا بين واديين عميقين وحاصرها واحتلّها بالامان واستعمل عليها ناصر الدين منفوراس بن كرتكين مملوك مجاهد الدين بن بوزان . واحتلّ كذلك شوغر بكاس وزحف الى دربساغ ونازلها واحتلها . وانتهى الى بغراس وهي خالية من الجيش الكافي فانتزعها من الاخوة الدواويّة . واصبحت تلك البلاد جميعاً للعرب . فخاف الانطاكيون خوفاً شديدًا ولاسيا لان الطرق سُدّت بجاهيم ونقصهم الزاد . بناء عليه ارسل البرنس الى صلاح الدين يتذلل ويطلب الامان فلبي طلبه لمدّة ثمانية اشهر وتركه وانصرف الى حلب ثم الى دمشق واستراح هنيهةً . ثم زحف الى صفد وحاصرها حصارًا شديدًا حتى انتزعها من اصحابها وانتزع معها بلدة كوكبة بعد ما ضايقها جدًّا .

وفي هذه السنة مات الموفق اسعد الطبيب الدمشقي المشهور بابن المطران الذي هجر النصرانيّة وأسلم حبًّا للدنيا الزائلة . واقتنى اموالًا وافرة وزفّ اليه صلاح الدين احدى جواريه وما عتم ان مات واضمحل ذكره . على اثر موت صلاح الدين شوهدت امرأته مع فتى عزيز عليه يطوفان بيوت الضباط ويستعطيان .

وفي السنة ٥٨٥ للعرب (١١٨٩ م) خرج بوهيمند البرنس من انطاكية وغزا بلد حارم ووصل الى شيح وفتك بالعرب والمسيحيين معاً .

اما ارناط صاحب صيدا وكان على اثر انتزاعها من يده قد سار الى شقيف ارنون برخصةٍ من صلاح الدين فقد شخص اليه واستمهله ثلاثة اشهر ليرحّل اهله عن صور ويقيم في مكان يكفيه ببلد دمشق ثم يسلّمه الشقيف المذكور . وقد أذن له في ذلك ثم أحسّ انه يخادعه ويواصل حفر الخندق وبناء السور . ومن ثم خرج صلاح الدين يوماً كعادته (٣٨١) واستأسر ارناط ووجّهه الى دمشق ولم يطلقه الا بعد ما سلّمه الشقيف .

وفي سنة ١٥٠٠ لليونان (١١٨٩ م) حدث نزاع بين السلطان قلج ارسلان وبين ابنه الكبير المقيم في سبسطية . وقد قُتل نحو اربعة آلاف من الاتراك الذين مع الولد . وبعد هذا اصطلحا على يد الامير بيرشاه صهر السلطان . ثم ان السلطان رحّل عنه اختيار الدين الحسن الامير حاجبه لانه كان السبب في القاء الفتنة بينه وبين اولاده وعند ذلك حشد اختيار الدين زهاء مائتي فارس من اولاده وانسبائه واقاربه وقصد مرج كنيوك فوجّه ابن السلطان بعض التركمان حملوا عليه وفتكوا به وببنيه ومن معه . ثم قطّعوه ارباً ارباً وعلّقوه في رؤوس الرماح وطافوا به في سبسطية يوم عيد الصليب .

وفي تلك السنة تولى ملطية معزّ الدين قيصر شاه ابن السلطان قلج ارسلان .

وفيها كذلك اقبل الى صور جماهير مختلفة من الفرنج يفوق عددهم حدّ الكثرة وزحفوا من هناك الى عكة . فسمع صلاح الدين ودبّ الرعب في قلبه وارسل فاستدعى جميع جيوشه وزحف وحطّ رحاله بالقرب من الفرنج . وشاهدهم يزدادون يوماً فيوماً ويأتيهم القوت من البحر فحار في امره واجتمع بزعمائه وشاورهم فقرّروا ان يسارعوا في المبارزة قبل ان يزداد عدد الفرنج

اكثر فاكثر . وتأهبوا ليلة الجمعة اوّل رجب ولما كان الصباح التحم القتال واستغرق النهار كله حتى غروب الشمس ورسخ الجانبان رسوخاً تماً وبات الجميع ليلتهم على ظهور خيلهم . واشتعلت نيران المعركة يوم السبت كذلك حتى المساء . ولما كان الفرنج يواصلون القتال وقد أخلوا جهة عكّة الشمالية حيث لم يكن لهم خيام اغتنم صلاح الدين الفرصة ودخلها (٣٨٢) في كثير من الرّجالة والمؤن والذخائر وأخرج منها الضعفاء . ثمّ خرج هو كذلك وأمر الداخلين ان لا يكتفوا بمحاربة السور فقط بل يقاتلوا الفرنج على المدى لعلّهم يضعفون اذا شاهدوا الداخلين والخارجين يشدّدون عليهم . امّا الفرنج فلكثرتهم لم يَدَعوا العرب يخرقون جيوشهم بل واصلوا غاراتهم . ولولا ذلك لاحتلوا المدينة سريعاً .

ثم ركب الفرنج يوم الاثنين إحصانهم ودنوا من خيام العرب دون ان يدَعوا احداً من رجالتهم يرافقهم . ووضعوا السيف في الكثيرين من العرب ورجعوا . فتتبعهم العرب الى تلّ المصلوبين حيث كانوا متحصّنين . ولمّا شاهد صلاح الدين قوّتهم في ذلك التلّ سار الى تلّ آخر تجاهه يشرف على عكّة . وكان العرب الرّجالة يخرجون كلّ يوم ويبارزون الرّجالة الفرنج . قيل ان الفرنج خاطبوا يوماً العرب الداخلين قائلين : لقد سئمنا الحرب نحن وانتم واكتفينا . فاليوم نروم ان ننشرح بمبارزة الفتيان الصغار . ثم هيّأوا مائة فتى فرنجيّ ومائة فتى عربيّ جعلوا يتبارزون بقذف الحجار ثم بالدنيّ والرماح واخيراً هَزَم الفتيانُ الفرنج الفتيانَ العرب وحشروهم في المدينة .

ويوم الاربعاء ٢٠ رجب كانت الملحمة العظيمة اذ برز الفرنج من خيامهم كالجراد وبرز الملك كذلك وامامه كتاب الانجيل مجلّلاً بقماش حرير احمر يحمله الكهنة فوق رؤوسهم . فهلع صلاح الدين وأوقع صيحة هائلة في جنوده وخوّفهم (٣٨٣) وأذعرهم . وبعد هذا وثب الفرنج من الناحية اليسرى الى العرب في الناحية اليمنى حيثُ كان تقيّ الدين عمر ابن اخي صلاح الدين وقد جاهد جيّداً تجاه الفرنج . ولمّا شاهد ملك الفرنج ان العرب لم يتزعزعوا تشدّد بروحه وصنع اشارة الصليب على وجهه وخرق قلب الجيوش العربيّة حيث كان الافضل والظافر وَلدا صلاح الدين وقطب الدين بن نور الدين بن قرا ارسلان

صاحب حصن كيفا وابن لاخين صاحب نابلس وغيرهم كثيرون. وما ان اشتبك احدهم بالآخر حتى اخذ الفرنج يحصدون العرب حصاد القمح بالمناجل ولاذ العرب بالهزيمة وتتبعهم الفرنج في سيوفهم وهم يهتفون بأبواقهم هتافاً شديداً. وانكسر العرب كسرة هائلة. وقصد الفرنج معسكرهم ونهبوا خيامهم وفتكوا بكل السوقة . ووصل المنهزمون الى دمشق وطبرية .

امّا الفرنج فبعد ما طاردوا العرب نحو فرسخ عادوا فرأوا الباقين مطمئنين في الناحية الشمالية لا يتزحزحون. وبما انهم أعيوا لم يروا ان يتحرّشوا بهم بل قصدوا خيامهم ليستريحوا . غير ان صلاح الدين جعل يصيح وينادي ويشجّع المنهزمين حتى عادوا الى خيامهم كالاموات . وأحصي عدد القتلى فكان اربعة آلاف ومائة . على ان صلاح الدين أمر العرب الذين في عكّة ان يلقوا الجثث في البحر فقام احدهم وبيده خيط وجعل كلّما القوا واحداً عقد عقدة . وسقط من الفرنج نحو الفين . حينئذٍ اشار الزعماء على صلاح الدين ان يرحلوا ويبتعدوا قليلاً عن الفرنج يتفأّلون بحدوث فساد في المناخ من جرى نتونة اجسام القتلى . فارتحلوا الى مكان بعيد واشتغل الفرنج بحفر خندق كبير من التلّ حتى البحر بينهم وبين الجيش العربيّ الخارجيّ ثم احدقوا بعكّة من جهة البحر وسدّوا الطريق في وجه العرب وتعذّر الدخول الى المدينة والخروج منها .

(٣٨٠) وبلغ صلاح الدين ان ملك الالمان[1] قادم بطريق قسطنطينية في مائتي الف فارس وراجل فتأثر اشدّ التأثر وارسل بهاء الدين بن شداد سفيراً الى خليفة بغداد والى سائر ملوك المشرق يستنفرهم ويستعجلهم ليساعدوه والّا فالعربيّة تضمحلّ لا محالة .

ولمّا دخلت السنة ٥٨٦ للعرب (١١٩٠ م) اطمأنّ صلاح الدين بسبب انتزاحه عن معسكر الفرنج الذين وجهوا افكارهم كلّها نحو عكّة . غير ان الفرنج باغتوا معسكر العرب وكان صلاح الدين يتصيّد فأوقع اخوه العادل صيحةً في الجنود فركبوا وناوشوا الفرنج وسقط قتلى كثيرون من كلتا الجهتين ولو لم يدركهم الليل لأصبح الانكسار تامّاً . وانتقل الفرنج الى معسكرهم وهبطت الامطار وحصلت الأوحال بين الفريقين وتعذّر على ايّ كان ركوب

١) فردريك الاوّل ملك النمسة .

الخيل ومناوشة احدهم للآخر. وانقطعت الاخبار بين صلاح الدين وبين الذين في عكّة . وقد سبح احدهم في البحر ووصل اليه واخبره ان الفرنج يحاربون المدينة حرباً عواناً وقد ابتنوا ابراجاً شاهقة تُطل عليها وأمسى مَن في داخلها في ضيق شديد .

فركب صلاح الدين وتوجّه نحو الفرنج ليلهيهم هنيهة عمّن هم ضمن المدينة وصادف هناك خنادق عميقة قد حفروها حولهم واضحى البلوغ اليهم مستحيلاً . فعضّ اصابعه ندماً وانقلب وحلّ في تلّ العجول بعيداً جداً عن الفرنج. وأقبل اليه ملوك العرب كافّةً . نذكر منهم عماد الدين زنكي صاحب سنجار ومعزّ الدين سنجرشاه بن سيف الدين غازي بن مودود صاحب الجزيرة وعلاء الدين كرم شاه بن مسعود صاحب الموصل ومظفّر الدين بن (٣٨٥) زين الدين علي كجك صاحب اربيل . ثم ادخل صلاح الدين الى عكّة صناعاً محتكين باضرام النيران وأحرقوا ثلاثة ابراج كبيرة للفرنج . غير انه تعالى اغاث الفرنج بريح شديدة هبّت نحو المدينة ولولاها لاحترقوا جميعاً في لهيب تلك الابراج الهائل . زد عليه ان الخندق الذي حفروه ثبّطهم عن الفرار من تلك النيران المتأججة. أما الابراج المذكورة فكانوا قد أسّسوها على عَجلات يدفعونها متى أرادوا بأرماحهم ويلصقونها بالسور والمحاربين ضمنها .واذا أرادوا اجتذبوها اليهم بالحبال التي عندهم . ذلك عمل غريب يُذهل مَن يشاهده ويُرعبه .

امّا ملك الالمان فلم يَدَعه اليونان ان يغادر قسطنطينية لكنه عاندهم وتغلّب عليهم ففتحوا له الطريق ووصل الى بلاد قلج ارسلان فحشد قطب الدين ملكشاه ابن السلطان جيوش التركمان وناوش الالمان فانكسر وولّى هارباً في جيوشه . ووصل الالمان الى قونية وفتكوا بكثيرين من اهاليها . وفي تلك الاثناء توجّه بياس ميخائيل القسّيس اليوناني والكاتب الملطي الى قونية ليدفع الخراج فاجهز عليه التركمان وقتلوه . وظلّ قلج ارسلان متحصّناً في قلعة قونية ثم ادّى مبالغ لملك الالمان وعقد معه الصلح وفتح له الطريق فاقبل الى قيليقية وانطلق اليه لاون بن اسطفان بن لاون صاحب قيليقية وزاره في طرسوس واعرب له عن خضوعه وطاعته . ثم توجّه ملك الالمان وهو شيخ ليسبح في النهر وكان

البرد شديداً يومئذٍ فوعك ومات[1] هناك ونقل ابنه رفاته الى انطاكية . ثم توجّه سائر الالمان الى اطراف طرابلس وقد خارت قواهم وركبوا البحر الى عكّة غير ان اغلبهم قضوا مرضى في قيليقية ولم يبق منهم الّا النزر القليل.

(٣٨٦) واقبل في تلك الغضون ملك انكلترا[2] ونزل في قبرس وانتزعها من اليونان واستأنف المسير الى عكّة فاشتدّ ساعد الفرنج بقدومه . وكان في تلك المدينة عشرة امراء عرب فارسلوا يقولون لصلاح الدين : ان المعارك المتواصلة قد أوهنت قوانا وأضعفتنا ودبّ المرض فينا . فكان جوابه ان يغادروا المدينة بحرًا . وأرسل من ناب منابهم ممّن لم يكونوا منجذين في القتال على السور. بناء عليه تعزّز الفرنج وأقاموا سبعة منجنيقات وجّهوها نحو برجٍ واحد. واوفد ملك انكلترا سفيرًا الى صلاح الدين يقول : لا بأس ان نختلي انا وانت في مكانٍ ما وندبّر تدبيرًا يفيد الطرفين . فأجاب صلاح الدين : ينبغي اوّلًا ان ندبّر امر الصلح وبعد هذا نجتمع معاً . لانه لا يجمل بنا ان نعود الى القتال بعد المحادثة والمنادمة . واتّفق ان ملك الانكليز وعك يومئذٍ واشتدّ مرضه مما أخّر الفرنج عن متابعة الحرب . ولما تعافى ارسل تكرارًا سفيرًا الى صلاح الدين يقول : لا تلمني بسبب سكوتي لان المرض اعاقني عن مراسلتك . والآن فقد تعافيتُ وأرسلتُ استأذنك في ان اوجّه اليك بعض الهدايا اذ لا يجدر بالملوك ان يقطعوا حبل المواصلة والمبادلة بالهدايا والسفراء والعبارات الحبيّة حتى في اثناء الحرب . هذا ما تلقّننا اياه شرائع آبائنا الملوك الاقدمين . فقال صلاح الدين : ان بادلتمونا بالهدايا بادلناكم بمثلها . قال السفير : ان عندنا بواشق ونسورًا وطيورًا وحمامَ زاجلٍ قد ادركها الضعف فأعطونا دجاجاً وزغاليل تقتات بها وتنتعش ثم نحضرها اليكم . تبسّم العادل اخو صلاح الدين وقال (٣٨٧) للسفير مازحاً : يا ان ملك انكلترا قد ابلّ من وعكته فلا ريب انه يحتاج الى زغاليل بتمرّضه لذكر البواشق .

وبعد هذا وشّح صلاح الدين السفير الانكليزيّ بحلّة ملكيّة وسيّر معه طائفة من الدجاج والزغاليل والحمام . وما مرّت ثلاثة ايّام حتى عاد السفراء

[1] ذكر مؤرخو الفرنج ان هذا الملك غرق في النهر في حزيران ١١٩٠

[2] هو الملك رشرد الذي بسبب بسالته أُطلق عليه لقب « قلب الأسد ».

الفرنج الى صلاح الدين وطلبوا منه ثمارًا وثلجاً فأعطاهم وعادوا. قيل ان ملك الانكليز لم يتوخَّ في ارسال الوفود مرةً بعد مرّة اخبارًا فارغةً لكنه كان يريد ان يقف حقيقةً على ما عند صلاح الدين والملوك الذين معه من الجيوش .

ولمّا اشتدّ الحصار على العرب ضمن عكّة بعثوا الى صلاح الدين قائلين: أرسل الينا مَن ينجدنا والّا فاننا نسلّم المدينة . وكان صلاح الدين لا يهمّه الّا ان يُشغِل الفرنج في القتال . ولذا قسم الفرنج جيوشهم قسمين فوّضوا الى الاوّل مبارزة العرب خارجاً والثاني مبارزتهم داخلًا . ولمّا استيقن الذين ضمن البلد بالانكسار سألوا الامان . فقال لهم الفرنج : لن نلبّي طلبكم الّا اذا ردّ لنا صلاح الدين جميع الاسرى الفرنج وجميع المدن التي انتزعها منّا . فراسلوه في ذلك فقال : اني أُطلق ثلاثة آلاف اسير فقط بدلًا من العرب الذين في عكّة . واذا تركوا لنا عكّة بادلتُهم مدينة عوض مدينة . والّا فليأخذوا تلك المدن بالسيف كما سبقتُ فاخذتُها .

ولمّا بلغ الفرنج ذلك تعرّشوا حالًا بالسلّم الى الاسوار وانحدروا الى المدينة . وبطشوا بالكثيرين . ثم حشدوا بقيّة الاهالي في ناحية فقال لهم هؤلاء: اعفوا عنّا ريثما نرسل صلاح الدين لينقذنا بالذهب وبمن تطلبون من الاسرى الفرنج . فوافق الفرنج على ذلك واعطوهم مهلة اربعة عشر يوماً حتى يبدو القمر الجديد . وقالوا : اذا دفع لنا صلاح الدين مائتي الف دينار ذهباً ومائة اسير ممّن (٣٨٨) نكتب اسماءهم من القماصة والكونتيّة وغيرهم مع الف وخمسمائة اسير مجهول اسماءهم فعند ذلك نعتقكم . فارسل اولئك العرب الى صلاح الدين واخبروه بالامر فاجتمع بزعمائه وشاورهم فقالوا بفمٍ واحدٍ: ان هؤلاء العرب هم اخوتنا فيجب ان ننقذهم . فامتثل المشورة وكتب الى البلاد فجمعوا الاسرى الفرنج . اما بشأن الذهب فقرّر ان يؤدّي ثلثه في كلّ عشرة ايام . وعند انتهاء الايام العشرة ارسل الى الفرنج يقول : اطلقوا جميع مَن عندكم من العرب ثم ندفع لكم ثلث الذهب والرهائن بدلًا من الثلثين الباقيين . او ادفعوا لنا رهائن بدلًا من ثلث الذهب الذي تقبضون . فقال الفرنج: تكفيكم كلمتنا وتقريرنا بشأن الرهائن. فاستنقظ صلاح الدين جوابهم ورفض طلبهم فسخطوا كلّ السخط واوثقوا جميع اولئك العرب بالحبال واساقوهم الى تلّ بظاهر المدينة وكوّموا

حولهم حطباً كثيرًا وحبالاً عتيقــة وبراميلَ خمرٍ وحشروهم واستلُّوا السيوف وبطشوا بهم قاطبةً وكان كاتب الديوان واقفاً يشاهدهم . وبلغ عـــدد قتلى العرب على اسوار عكّة وداخلها وخارجها في القتلِ مائة الف وثمانمائة نسمة . وجرى ذلك في رجب ٥٨٧ للعرب وفي آب الـسنة ١٥٠٢ لليونان (١١٩١م). ولقد اسهبنا الكلام قليلاً في وصف هذا الحصار لِما له من الشهرة لدى العرب وقد كتبوا مجلّدات في ذكر ما نالهم من الضيق هذه المرّة من الفرنج .

وبعد ما احتلّ الفرنج عكّة اقاموا فيها جيشاً يحرسها وبنّائين يرمّمون اسوارها وارتحلوا نحو ارسوف . وارتحل صلاح الدين كذلك وكان الفرنج والعرب يتحرّشون بعضهم ببعض وهم سائرون في الطريق (٣٨٩) وقـــد ناوش العرب ذات يوم القتال الفرنج فاغتاظ ملك انكلترا وحمل عليهم ببأس شديدٍ وهزمهم وشتّت شملهم ولم يبقَ مع صلاح الدين الّا سبعة عشر من خيرة العرب ونافخي الابواق وحاملي الرايات . ولولا خوف الفرنج من كمين يترصّدهم لقبضوا في ذلك اليوم على صلاح الدين ذاته وقوّضوا دعامة العرب تقويضاً تامًّا .

ووجّه صلاح الدين يومئذٍ بنّائين وفرساناً الى قلعة بغراس لينقلوا منهـا الذخيرة ويدكّوها . ولمّا وصلوا وباشروا العمل بلغهم ان لاون صاحب قيليقية متأهّب لينصبّ عليهم فتركوا القلعة ولاذوا بالفرار . وبلغ الانطاكيّين خبر هزيمتهم فزحفوا الى تلك القلعة وشاهدوا فيها اثني عشر الف مكوك من الحنطة فنقلوا ذلك كلّه الى انطاكية وانفرجوا وكان الجوع يومئذٍ قد ضايقهم جدًّا . وما مرّ القليل حتى اقبل لاون وتغلّب على الفرنج وانتزع منهم بغراس .

وارسل صلاح الدين فخارب عسقلان وافرغها من السكّان . وكان الفرنج قد ابتنوا يافا وعمروها وهي واقعة بين اورشليم وعسقلان. ولهذا السبب ادّعى العرب بانهم لا يستطيعون الى حراستها سبيلاً . وسار صلاح الدين الى اورشليم وأشرف عليها وحصّنها بالرجال والعدّة . وسار اليه يومئذاك معزّ الدين صاحب ملطية يرفع الدعوى على ابيه السلطان قلج ارسلان وعلى اخوته اذ كانوا يحاولون انتزاع ملطية منه. وقد رحّب به صلاح الدين وزفّ اليه ابنة اخيه الملك العادل واعاده الى ملطية وشجّعه بقوله : لا تخف أباك ولا اخوتك .

وارسل ملك انكلترا سفيرًا الى صلاح الدين يقول : لقد افنت الحرب

عسكرنا وعسكركم فإلى متى تبقى الحال كذلك ؟ قد ارتوت سيوفنا وسيوفكم من الدماء. فاردد ما اخذته منا من البلاد ولا سيما اورشليم مقام ديننا وقد غادرنا اوطاننا بسببها فاذا وافقت على ذلك تركنا كل شي. وعدنا(٣٩٠) الى وطننا فتستريح منّا . فاجاب صلاح الدين : ان هذه البلاد لم تكن لكم فيما مضى بل لليونان. وقد انتزعها العرب منهم في غاراتهم الاولى ولمّا استضعفتموهم اقبلتم فانتزعتموها منهم . والآن فقد استرجعنا بلادنا منكم . امّا اورشليم التي قلتم انها مقام دينكم فهي مقام ديننا كذلك ونعتبرها اكثر منكم مثلما اوصانا الله في قرآنه .

ثم ارسل ملك انكلترا ثانيةً الى صلاح الدين يقول : أريد ان يصاهرني اخوك العادل فازفّ له شقيقتي التي قدمت معي لتسجد في اورشليم . فاذا وهبت المدن التي بساحل البحر لاخيك واكتفيت انت بالقلاع والمدن فقط وظلّت القرى باجمعها للاخوة الداوية والاسبتاليّة فحين ذاك يتمّ عقد الزواج وانا استعمل اختي على جميع المدن الساحلية التي بيد الفرنج ويكون مركزها في اورشليم . لكنّ صلاح الدين لم يرضَ بذلك امّا ابنه العدل فقد كلف بالابنة ووجه الزعماء والشيوخ الى اخيه ليقنعوه في ذلك . غير انّه رفض كلّ الرفض فقال له اولئك الدهاةُ : نحن عالمون ان الزواج لن يكون قطعاً وان ابنة الملك الكبير لن ترضى الاقتران بعربيّ واخاه يعرف ذلك حقّ المعرفة . ولعلّه قال ذلك على سبيل المزاح كعادته . وبناء عليه فلا تكسر خاطر اخيك . اقتنع صلاح الدين وأرسل سفيرًا في القبول . واقام السفير لدى الملك ثلاثة ايّام ثم قال له في اليوم الثالث : قضيتُ هذه الايام الثلاثة احاول ليل نهار اقناع اختي فلم تقتنع الّا بشرط ان يتنصّر العادل. هكذا عاد السفير خائباً.

وفي تلك الايّام مات تقيّ الدين عمر ابن اخي صلاح الدين في طريق خلاط وهو ذاهب ليحاربها فحملوه وردّوه الى ميافرقين ودفنوه!. وكان هذا يبغض (٣٩١)المسيحيّين البغض كله ويفتك دون شفقة بالارمن الفلّاحين المظلومين ببلد جبل جور . وكان معه ابن الملك المنصور فتحصّن في ميافرقين وارسل يقول لصلاح الدين: ان نزعتَ منّي بلاد ابي تقيّ الدين انضممتُ الى بكتمار صاحب خلاط. فلم يرَ صلاح الدين الّا ان يغضّ عنه مدّةً. وبعد ايّام قلائل استعمل

العادل على بلاد ابيه واستعمله هو على الرها وحران وسميساط .

ولما ارتحل الفرنج والعرب الى عسقلان اقام العرب بعد يوم كميناً للفرنج وهم خارجون من المعسكر ليجمعوا حطباً . وما ان اكتشف الفرنج الكمين حتى امتطى كلٌ منهم حصانه ووثبوا اليه وفتكوا بثلاثة من زعماء صلاح الدين وقبض العرب على فارسين من الفرنج اعتياديين . ووجه ملك انكلترا سفيراً الى العادل يعاتبه بشأن الكمين ويقول له : ارغب ان اشاهدك واحدثك . ونصب الفرنج خيمةً كبيرةً خارج معسكرهم فاقبل العادل واقام اليوم كله لدى ملك انكلترا ثم ودّع احدهما الآخر عند الغروب. وقال الملك للعادل: ارغب ان اجالس اخاك السلطان كذلك في هذه الخيمة واشاهده واحادثه . لكن صلاح الدين لما اخبره اخوه بذلك رفض الطلب لسببين اولهما لخوفه وثانيهما لانه لم يرَ ذلك موافقاً وكتب اليه يقول : لا يجدر بالملوك ان يجتمعوا معاً الّا بعد عقد الصلح والحال ان ذلك لم يتمّ بعدُ . واذا افترضنا عقده فانا لستُ افهم لغته ولا هو يفهم لغتي . ولا بدّ من مترجم يترجم بيننا . فالأحرى اذاً ان تقيم السفير ترجماناً ونعدل عن المواجهة. ولما اقبل الشتاء سار ملك انكلترا الى عكة وصلاح الدين الى اورشليم وبعث اليه باربعة وعشرين الف دينار ذهب في اعتاق الاسرى العرب .

ولمّا دخلت السنة ٥٨٨ للعرب(١١٩٢م) زحف (٣٩٢) الفرنج الى عسقلان وجاءوا يرمّون ابنيتها. وكان المركيز صاحب صور قد اختلف مع ملك انكلترا وحاول ان يستبدّ بها فاراد الملك ان ينتزعها من يده . فكتب المركيز الى صلاح الدين في الانضمام اليه ومبارزة الفرنج ابناء جنسه . ولمّا كان سفير المركيز لدى صلاح الدين وثب اليه رجلان اسمعيلّان تزيّا بزيّ الرهبان وطعنه احدهما بالسكين . وانهزم الثاني الى كنيسة قريبة نقلوا اليها سفير المركيز كذلك فثار اليه الاسمعيليّ المذكور عندما سمعه يتكلّم واجهز عليه ضمن الكنيسة بطعنةٍ ثانية . وقد قبض الفرنج على ذينك الاسمعيليّين ونكّلوا بهما فادّعيا ان ملك انكلترا هو الذي سيّرهما . فوثق الفرنج بقولهما بسبب الخلاف الذي حصل بين الملك والمركيز كما ذكرنا . غير ان الحقيقة انجلت اخيراً واتّضح ان سينان زعيم الاسمعيليّين هو الذي ارسلها ليفتكا به .

وبعد هذا استعمل ملك انكلترا على صور الكُنت هنري فاقترن بامرأة المركيز وضاجعها وهي حامل خلافاً للناموس .

ثم تشدّد الفرنج وساروا الى داروم وانتزعوها من المسلمين عنوةً واجهزوا على كلّ اهلها . وفي تلك الغضون تعرّض الفرنج لقافلةٍ من المسلمين كبيرةٍ قادمة من مصر حاملة ذهباً لصلاح الدين . وبلغ صلاح الدين ان الفرنج متأهبون للزحف الى اورشليم فحشد جيوشه واستعدّ للمعركة . وحصّن اسوار المدينة وافسد جميع القنوات التي بظاهرها . عرف ملك انكلترا فثبّط الفرنج عن الزحف وقال لهم : (٣٩٣) ان ضواحي اورشليم خالية من المياه وقد افسد العرب المياه المجاورة لها والنهر بعيد عنها فرسخاً وكسوراً ولا يغلبنّ على ظنكم ان اورشليم هي مثل عكّة . صدّقوني لولا البحر لَمَا تيسّر لنا ان نحاصرها اكثر من يومين . فوافق الجميع على مشورتهِ وزحفوا نحو غزّة .

امّا صلاح الدين فقد سُرّ بانتزاح الفرنج عن اورشليم ولكنه بات يتخوّف على مصر . واذ ذاك وجّه الملك سفيرًا اليه يقول : لا يتبادرنّ الى ظنك اني اغمضتُ خوفاً او ضعفاً . كلّا . فان الكبش لا يعود القهقرى الّا ليضرب الراس . فان رأيتَ ان تعقد الهدنة على ما نطلب فذلك ازكى لك وقد سبقتُ فاخبرتُك . وبعد مراسلات شتّى عُقدت الهدنة على ان تبقى بلاد الفرنج للفرنج اعني يافا وضاحيتها وقيسارية وارسوف وحيفا وعكّة وانطاكية وطرابلس . وتبقى سائر البلاد للعرب وتمسي عسقلان خراباً . ودفع صلاح الدين للفرنج جميع ما انفقوه على ترميمها . وفُتحت الطرق واقبل جمهور من الفرنج وزاروا اورشليم وبالغ صلاح الدين في اكرامهم وبذل لهم العطايا واعطاهم خيلًا لركوبهم . قيل ان ملك انكلترا ارسل الى صلاح الدين يقول : كل فرنجيّ خالٍ من علامتي لا تدَعه يدخل اورشليم . فاجتمع صلاح الدين بالعقلاء واستفسرهم عن تلك العلامة . وبعد التروّي قالوا له : ان اقوى داعٍ يحمل الفرنج على حجّ اورشليم انّما هو العبادة لا غير فاذا حجّوا وعادوا الى اوطانهم فلا تبقى لهم رغبة في العودة . ولهذا فالملك يحرّج عليهم الحجّ حتى اذا عادهو ثانية واراد ان يأتوا معه لزمهم ان يكونوا مستعدّين . ولمّا فهم صلاح الدين السبب ارسل يقول للملك : ان هؤلاء الناس هم غرباء يتعذّر عليّ ان ازعجهم اما انت ففي وسعك ان تنهاهم .

وبعد ما احتلّ الفرنج عكّةاعتقلوا زعيمين عربيّين (٣٩٤)وهما ابن المشطوب وقرقوش الحاجب وهذا كان روميّ الاصل وارسله صلاح الدين الى افريقية وفتح مدناً كثيرة وعاد الى مصر وابتنى سوراً عُرف باسمه حتى اليوم . ثم أحيلت اليه قيادة الجيش في عكّة . ولمّا قرّر الفرنج ان يدفع لهم ثمانية آلاف دينار ديةً قال لهم : بكَم اعتقتم ابن المشطوب ؟ قالوا بثلاثين الف دينار . قال لهم : اني أؤدّي مثله اذ ليس من الصواب ان يؤدّي هو ثلاثين الفاً وانا ثمانية آلاف . فقهقه الفرنج وقبضوا منه كذلك ثلاثين الفاً . ولقرقوش هذا حكايات مثل هذه منها ان شاعراً نظم فيه كتاباً كاملاً لم يبرزه الّا بعد موته.

وبعدما عُقد الصلح سار صلاح الدين الى بيروت واقبل اليه البرنس بوهيمند صاحب انطاكية فبالغ في اكرامه ووشحه بحلل ملكية ووشح كذلك الزعماء الاربعة عشر الذين معه واعطاه نصف ريع بلد انطاكية الذي احتلّه العرب . ولقد دهش صلاح الدين من قدوم البرنس اليه بثقة وطمأنينة ولذا اكرمه اكراماً جزيلاً وودّعه بسلام . ومن بيروت توجه صلاح الدين الى دمشق .

امّا ملك انكلترا فقد استعمل على عكة القمص هنري ابن اخته وابحر الى وطنه . ويقال انه توفي قبل الوصول اليه[١] .

وفي سابع آب٣-١٥ لليونان(١١٩٢م)مات السلطان قلج ارسلان في قونية . وكان ذا هيبة وصولة وذكاء وانتزع عدة مواضع من اليونان . لكنه عندما بلغ الشيخوخة وزّع بلاده على اولاده وامسى بينهم نظير عاجز وكان اذا قام مدة عند احدهم لاجل غدانه انهزم الى ابن اخر. وعندما سار الى غياث الدين كيكسرو صاحب مدينة بروغلو رحب به كل الترحيب (٣٩٥) ونهض بخدمته اجمل نهوض . وحشد الجنود واصطحب اباه الشيخ وقصد قونية وانتزعها من قطب الدين اخيه . ثم زحفا الى اقسرة وهناك هلك قلج ارسلان فنقله ابنه كيكسرو الى قونية وفيها توفي ودُفن وتولاها هو حتى انتزعها اخوه ركن الدين وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى . واستغرق ملك قلج ارسلان بن مسعود ابن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن يبغو بن سلجوق بن توقاق ثماني وثلاثين سنة . وخلّف اثني عشر ملكاً .

١) وصل الى وطنه وتوفي عام ١١٩٩م .

وفي تلك الغضون انتابت صلاح الدين حمى شديدة ومات في دمشق ليلة الاربعاء ٢٧ صفر ٥٨٩ للعرب[1] وخلّف سبعة عشر ابناً وابنة صغيرة. ولم يكن في خزانته حين موته الا دينار واحد وستة وثلاثون فلساً لانه كان كريماً جواداً وهذا ما جعله ان ينجح في شؤونه. قيل انه لما ملك دمشق اخرج كل ما كان في الخزانة من دنانير ودراهم وكوّمها امامه وهي كمية وافرة وامر ابن المقدم ان يوزع حفنة حفنة على كل من الزعماء والفرسان والعبيد . ولما اخذ الحفنة زجره صلاح الدين قائلاً : املأ حفنتك . فضحك ابن المقدم . فسأله عن سبب ضحكه فقال : اني اذكر ان نور الدين كان يوماً جالساً ،كذلك واحضروا اليه علبة مملوءة من الزبيب الجيد الكبير وقال لي : وزع بحفنتك على الزعماء . ولما اخذت املأ حفنتي قال لي بهدوء : ان وزعت هكذا فلن يكفي جميعهم . فضحك صلاح الدين وقال له : ان البخل انما يوافق التجار لا الملوك . اذا (١٣٦) لا توزع منذ الان بيد واحدة بل بيديك كلتيهما . وذكر احد الحضور ان الحفنة التي اصابها كانت مائة وثمانية وخمسين ديناراً . وقيل ايضاً : ان صلاح الدين لما كان يحاصر عكّة وركب يوماً مع قاضي العسكر سمع رجلاً يهودياً ينادي ويقول : اني اتظلم الى الشرع العربي . فسأله العبيد من هو خصمك ؟ ومن الذي أكل حقك ؟ قال : ان خصمي هو السلطان وعبيده تعدّوا علي . فلم يسخط صلاح الدين بل نزل للحال عن حصانه ونزل معه القاضي كذلك واستدعى اليهودي واقامه الى جانبه . فقال اليهودي : انا رجل يهودي تاجر دمشقي ابحرت من الاسكندرية في عشرين حملاً سكراً وما كدت ابلغ مرفأ عكّة حتى انتهبني عبيدك وقالوا لي : انك كافر وما لك هو للسلطان . فامر صلاح الدين باحضار الذين اخذوا السكر فصرحوا بانهم نقلوه الى الخزانة . فأمر الخزنة فأدوا لليهودي ثمن السكر .

ولما كان صلاح الدين جالساً يوماً مع الزعماء اخذ العبيد الصغار يلعبون معاً وقذف احدهم حذاء على صاحبه وسقط الحذاء عند ركبة صلاح الدين فالتفت الى الناحية الاخرى وجعل يحدث جليسه هناك متظاهراً بانه لم يرَ ما صار . وعطش يوماً وطلب ماء فقال العبيد احدهم للاخر : هلمّ ماء .

١) مات في ٤ اذار ١١٩٣ م .

واغتصوا ولم يأتوا بشيء . فطلب ثانية وثالثة وخامسة ولما احضروا الماء اخذ وشرب دون تذمر . ونهض يوماً من فراشه وقصد الحمام وطلب ماء بارداً ليشرب ولما احضروه اليه سقطت قطرات على جسمه فاهتز بسبب مرضه وأبى ان يشرب ومكث ساعة حتى ازداد عطشه فتضايق وطلب الماء ولما اتاه به الخادم ارتخت يداه خوفاً وسقط الطش وتدفق ذلك الماء البارد كله على جسم صلاح الدين (٣٩٧) فاقشعر اقشعراراً شديداً واكتفى بان يقول لذلك الخادم: قل لي هل تنوي ان تقتلني ؟ ولم يزد .

وسمع بكتمر صاحب خلاط بموت صلاح الدين ففرح الفرح كله وحشد الجنود ليزحف الى ميافرقين . فوثب اليه صهره هزرديناري عبد شهرامان وقتله وملك مكانه . وحافظ على محمد ابنه الصغير ورباه تربيته لابنه .

ومات في تلك السنة كذلك سينان امام الاسمعيليين في مصريات وخلفه الناصر الفارسي . وكان ملوك العرب والفرنج يهابونه . وقد اعد سكاكين كتب على كل منها اسم واحد من الملوك . وعندما كان يدفع سكيناً الى احد اصحابه كان لا بد له من انجاز مرامه ولو طوّح بذاته في البحر. وتضلع سينان من شتى العلوم وعلّم تناسخ الارواح طبقاً للرأي الافلاطوني ولقنه لاصحابه . ولهذا السبب كانوا يستخفون الموت زاعمين انهم يبقون احياء بعد ان يُقتلوا . وكان يختفي مراراً ويذاع عنه انه قد مات ثم يظهر ثانية . ولهذا اعتقد اصحابه بعد موته انه حي يرزق .

وفي السنة ١٥٠٤ لليونان (١١٩٣ م) احتال لاون صاحب قيليقية على البرنس بوهيموند صاحب انطاكية وقبض عليه . ذلك ان بغراس كانت في حوزة لاون كما ذكرنا آنفاً ولما تركها العرب وانهزموا استرجعها ولقّن حاكمها الارمني ان يحدث البرنس سراً ويبلغه انه يحاول الانتفاض على لاون مولاه ويسلمه القلعة ويعود الى انطاكية ويقيم بها . فارسل الحاكم الى البرنس ووعده بتسليم بغراس وصدّقه البرنس وخرج كمن يقصد القنص وخرج معه ابنه وامرأته ولما وصلوا الى العين المجاورة للبلد دلّى لهم الحاكم (٣٩٨) طعاماً وخمراً وقال لهم : لا يتيسر لكم ان تدخلوا القلعة نهاراً ولكن اذا جنّ الليل واقبلتم وجدتم الابواب مفتوحة ودخلتم خفية . ولا حاجة ان تحضروا معكم من

الفرسان احداً لئلا يشعر الحراس ويفتضح السر . بل اتركوهم يكمنوا قريباً.
صدّق البرنس كلام الحاكم وغادر المدينة متظاهراً بانه متوجه الى انطاكية.
ولما كان المساء رجع هو وامرأته وابنه وخدامه الصغار ووصلوا الى الباب وشاهدوه مفتوحاً ودخلوا مسرورين. وقال لهم الحاكم : ناموا الان واستريحوا حتى الضحى فنتشاور ونستدعي الفرسان شيئاً فشيئاً ونقبض على الحراس . ولما ناموا ارسل الحاكم الى لاون وكان كامناً هناك فاقبل مع جمهور من الارمن ودخل بغراس وقبض على البرنس واعتقله بالقيود واعتقل كذلك امرأته وابنه بالسلاسل ونكّل بالبرنس تنكيلاً شديداً انتقاماً منه لانه سبق فنكل بروفين اخيه . وظل البرنس معتقلاً ريثما اقبل هنري ابن اخت ملك انكلترا واعتقه بالوعد والوعيد .

واشتد ساعد لاون على اثر موت السلطان قلج ارسلان واحتل اثنين وسبعين حصناً بعضها من الاتراك وبعضها من اليونان واحرز النصر في كل مواقعه .

اما عز الدين مسعود صاحب الموصل فلما بلغه خبر وفاة صلاح الدين همّ ان يستولي على سورية . فارسل الى عماد الدين اخيه صاحب سنجار ونصيبين والى سنجر شاه ابن اخيه صاحب الجزيرة والى مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربيل ونجيزهم جميعاً ليمضوا معاً وينتزعوا البلاد من آل صلاح الدين . غير ان الملك الافضل بن صلاح الدين الاكبر وكان متولياً دمشق مكان ابيه ارسل الى عمه العادل وكان يومئذ في دمشق واستحضره قسراً ليتولى قيادة الجيوش ويبارز احزاب اتابك. وارسل كذلك (٣٩٩) الى اخيه الملك العزيز في مصر والى الملك الظاهر اخيه الثاني في حلب والى ناصر الدين بن تقي الدين ابن عمه في حماة والى الملك المجاهد بن ناصر الدين ابن عم ابيه في حمص وحشد الجنود منهم وسيّرها مع عمه العادل الى مرج الريحان بضواحي الرها . ولما سمع عز الدين صاحب الموصل حشد هو كذلك جيوشه واقبل الى نصيبين وهناك اصابه سُهال اضطره ان يعود الى بلده وما عتم ان مات . وكان رجلاً خيّراً عفيفاً محسناً لم يشاهده احد يخاطب جليساً الا وهو مطرق . ولم يسأله احد شيئاً الّا لبّى سؤاله . وخلفه ابنه نور الدين ارسلان شاه وكان قيّمُهُ مجاهد الدين قيماز .

وفي السنة ٥٩٠ للعرب (١١٩٣ م) زحف علاء الدين تكيش خوارزمشاه الى خراسان ولاقاه السلطان طغرل بجانب الريّ وقُتل طغرل وارسل رأسه الى بغداد وعُلق برأس قصبة ونُصب بباب بلاط الخليفة. وملك خوارزمشاه همذان وسائر البلدان واقام له نائباً اسمه قوتولغ اينانج بن البهلوان سلطان همذان سابقاً . وهو الذي ارسل واحضر خوارزمشاه عندما افلت السلطان طغرل من حبسه وتغلّب عليه وانتزع بلاده . وبطغرل هذا انتهت الدولة السلجوقية في خراسان وبقيت دولتهم التي ببلاد الروم . وهو ابن ارسلان بن طغرل بن محمد ابن ملكشاه بن ارسلان بن داود جغري بك بن ميخائيل بن سلجوق بن توقاق .

وفي تلك السنة اقبل الملك العزيز صاحب مصر الى دمشق لينتزعها (٤٠٠) من الملك الافضل اخيه الكبير . فسار الملك العادل عمهما وصالحهما بان تبقى اورشليم للعزيز وجبلة واللاذقية للملك الظاهر صاحب حلب وبعض قرى مصر للعادل . وبعد ما تهادنوا عاد كل منهم الى بلده .

وفي السنة ٥٩١ للعرب (١١٩٤ م.) وجّه الخليفة الناصر جيوشاً مع سيف الدين طغرل احد زعمائه الى اصفهان فسلّمه اياها الاهالي لشديد بغضهم للخورزميين الطغاة الذين تغلبوا عليهم . وفي السنة عينها تهيأ الملك العزيز صاحب مصر ليأتي الى دمشق وينتزعها من اخيه الملك الافضل. ولمّا سمع الافضل سار بذاته الى قلعة جعبر يريد عمه العادل واخاه الظاهر ليستنجد بهما فاقبلا معه الى دمشق واقبل كذلك الملك العزيز وارسلوا الى العادل والافضل يقولون : هلمّا الينا ونحن نسلمكما اياه . فشعر العزيز بالمكيدة واستعجل في العودة الى مصر فتتبعه العادل والافضل الى مصر ووصلا الى بلبيس وكان في امكانهما ان يحتلّا بمصر لكن العادل استمهل الافضل وعقد الصلح وعاد الافضل الى دمشق وتولّى اورشليم كذلك . واقام العادل في مصر وتولّى سياسة مملكة العزيز .

وفي السنة ٥٩٢ للعرب (١١٩٥ م) برز للملك العادل والملك العزيز من مصر واقبلا الى دمشق لينتزعاها من الملك الافضل . فاستعد هذا للحرب على اسوارها ووزّع الابواب والابراج على زعمائه . غير ان عز الدين الحمصي حارس الباب الشرقي انتقض على الافضل وادخل العادل الى دمشق وتوجه الى دار اسد الدين شيركوه عمه ثم دخل الملك العزيز كذلك وانتزعا المدينة من الملك

الافضل واستيلاءه على قلعة صرخد فسار اليها . وعاد الملك العزيز الى مصر واستمرّ العادل في دمشق كانه نائب مناب الملك العزيز وكانت السياسة كلها بيده والاسم للملك العزيز . وقد ارسل الملك الظاهر غير مرة من حلب الى الملك الافضل يقول : لا تصدق العادل لانه لن يجديك نفعاً . وانا اعرفه اكثر منك . لاني صهره وابن اخيه . ولو عرفت انه يشفق علينا لعاملني افضل من معاملته لك . فاجابه الافضل : لقد ساء ظنك في من هو قائم مقام ابينا ولا يمكن ان يؤذينا .

وفي السنة ٥٩٣ للعرب (١١٩٦ م) تحرّش العادل بالفرنج مدّعياً ان الصلح قد الغي بوفاة ملك انكلترا وصلاح الدين . فسار الى يافا واحتلّها عنوة . وارسل الفرنج الذين في ساحل البحر الى اصحابهم يقولون: الحقونا سريعاً والا احتلّ العرب كل السواحل . فوجّه الفرنج جيوشاً ضخمة وعلى رأسهم رجل من الاكليرس يقال له شنسلير وزحفوا الى تبنين وحاصروها حصاراً شديداً وكادوا يحتلونها لو لم يفاجئهم الخبر بان هنري صاحب عكّة سقط من مكانٍ عالٍ ومات . فألجئوا الحرب اذ لم يبق لهم ملكٌ وارسلوا في استحضار صاحب قبرص وزفّوا اليه امرأة هنري . وما ان سمع العادل حتى ارسل في الصلح بشرط ان تكون بيروت للفرنج وتبنين للعرب فتركها الفرنج وانطلقوا .

وفي تلك السنة مات منكشاه بن خوارزمشاه في نيسابور وخلفه قطب الدين محمد مع ان المملكة كانت تحق لاخيه هندوخان طبقاً لوصية ابيها . ومات اذ ذاك كذلك سيف دين الاسلام طغتكين بن ايوب اخو صلاح الدين صاحب بلاد اليمن وخلفه ابنه اسمعيل ولم (٤٠٢) يكن مهذباً فوثب اليه الزعماء وقتلوه . وفي السنة ٥٩٤ للعرب (١١٩٧ م) توفي عماد الدين بن زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقور صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقّة وخلفه ابنه قطب الدين محمد وكان وصيّه مجاهد الدين بن يقش عبد ابيه .

وفي تلك السنة زحف نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل الى نصيبين وانتزعها من قطب الدين محمد ابن عمه . ذلك لان قطب الدين توغل في بعض قرى ما بين النهرين بحدود الموصل فارسل اليه ليردّها فأبى فحشد الجنود وتوجه الى نصيبين وقاتل قطب الدين وكسره وهزمه الى حرّان . فارسل الى العادل

يستنجده . اما نور الدين فبعد احتلاله نصيبين واقامته بها اياماً دبّ المرض في عساكره وقضى على ستّة من زعماء الموصل المشاهير بينهم مجاهد الدين قيماز حاجبه فاضطرَّ ان يغادر المدينة ويعود الى الموصل فانقلب قطب الدين واسترجع نصيبين .

وفي تلك السنة سار خوارزمشاه الى بخارى وانتزعها من الخطا الصينيين وكان العرب البخاريون راتعين مع الصينيين الحكماء العادلين في بحابح السلام على رغم مخالفتهم لهم في الدين . وهذا ما حملهم على مقاتلة خوارزمشاه على الاسوار اشد ما يكون حتى انهم احضروا كلباً البسوه ثوب خوارزمشاه والقوه الى الاهالي يقولون : هذا ملككم. غير ان خوارزمشاه بعد ما احتلّ المدينة عفا عنهم ودفع لهم ذهباً واستحلفهم واحسن اليهم .

وفي السنة عينها زحف الملك العادل الى ماردين وحاربها حرباً عواناً وكان صاحبها حسام الدين فتىً صغيرًا وقيّمهُ نظام الدين بن يقش . على ان الاهالي خُدعوا وسلموا المدينة ودخلها جنود العادل وانتهبوها نهباً قبيحاً واقتملوا فيها الاهوال (٤٠٣) وظلّوا يحاصرون القلعة .

وفي السنة ٥٩٥ للعرب (١١٩٨ م) مات الملك العزيز بن صلاح صاحب مصر . وكان قد خرج الى القنص يطارد ذئباً فسقط عن الحصان واصابته الحمّى فعاد الى القاهرة ومات فيها . وخلّف ابناً صغيرًا اسمه الملك المنصور فحصل خلاف بين الاقطاب وشاء بعضهم ان يكون الصغير خلفاً لابيه وبعضهم اختاروا العادل وغيرهم الافضل . وتغلّب احزاب الافضل وارسلوا فاستدعوه من صرخد وملّكوه . وعند ذلك لاذ خصومه بالفرار الى اورشليم واحتلّوها . اما الافضل فحشد جيوش مصر وغادرها يريد دمشقَ . فارسل الدماشقة الى الملك العادل وهو في ماردين فترك فيها ابنه الملك الكامل محتدًا وسارع الى دمشق . واقبل الافضل كذلك وحلّ فيها . غير ان جيوشه اختلفوا فتركوا وانقلبوا الى مصر ولم يستفيدوا شيئاً من قدومهم .

امّا الكامل بن العادل فظلّ يضايق الماردينيّين الذين في القلعة حتى قلّت ذخيرتهمْ وانتابهم المرض . وعوّل نظام الدين وصيّ الصبي حسام الدين ان يسلّم القلعة . غير ان نور الدين صاحب الموصل وولدَي عمّهِ صاحب سنجار

وصاحب الجزيرة ثاروا عندما سمعوا الخبر وقال احدهم للآخر : اذا احتـل اصحاب العادل ماردين احتلوا معها كل بلادنا. فاتفقوا لذلك اتفاقاً تماً وزحفوا جميعاً الى دُنَيسر. وانحدر الكامل الى البرّية واصطدم به المواصلة وكسروه. فانهزم مع اصحابه الى ماردين ولما وصلوا اليها شاهدوا ان المحاصرين في القلعة قد انحدروا الى المدينة ونهبوا الخيام واضطر الكامل ان يعود تلك الليلة الى حرّان ومنها الى دمشق عند ابيه العادل. قيل انه : لو لم ينحدر اصحاب الكامل من الجبل الى البرّية لتعذّر (٤٠٢) على المواصلة ان يزحزحوهم عن ماردين وكادوا يحتلون القلعة كذلك غير ان الله جلّت احكامه يصنع ما يشاء .

وفي السنة ٥٩٦ للعرب (١١٩٩م) حشد الملك العادل جيوشه وسار الى مصر. فسمع الافضل وجيش كذلك جيوشه وخرج ليبارز عنه فانكسر وانهزم ليلاً الى القاهرة . وسار العادل وحاصرها واراد ان يحاربها . عند ذلك اشار الاقطاب على الافضل ان يرسل ويطلب الصلح بسبب عجزه عن مناوأته. فامتثل الافضل المشورة وسأل ان يتولى دمشق بدلاً من مصر لكن الملك العادل رفض. ثم طلب الرها وحرّان فلم يلبِّه العادل . ثم طلب ميافرقين وحاني وجبل جور فوافق العادل . وأقسم احدهما للآخر وانطلق الافضل الى صرخد وبعث ذويه ليتسلّموا ميافرقين . اما نجم الدين ايوب بن العادل فقد امتنع ولم يسلّم . وارسل الافضل الى العادل يخبره فاحتجّ العادل بان ابنه متمرّد وعاصٍ . ولما عرف الافضل ان ذلك اتفاق جرى بينه وبين ابنه اغمض وعدل عن ارسال وسيطٍ في الأمر .

وفي تلك السنة مات خوارزمشاه تكش بن الب ارسلان صاحب خوارزم وبعض خراسان كالريّ وبعض بلاد الجبل وخلفه ابن قطب الدين محمد ودُعي علاء الدين باسم ابيه . وفي السنة عينها مات القاضي الفاضل الفقيه المصري وحيد عصره في مصر .

وفي السنة ٥٩٧ للعرب (١٢٠٠م) الغى العادل الخطبة للفتى الملك المنصور ابن الملك العزيز فاستاء الاقطاب وكتبوا الى الملك الافضل في صرخد والى اخيه الملك الظاهر في حلب وقالوا لهما : هلمّا الى دمشق واذا برز الينا الملك العادل فنحن نعتقله ونقدمه اليكما. وقد سمع العادل شيئاً من هذا القبيل فارسل

الى ابنه الملك المعظم شرف الدين (٤٠٥) عيسى وهو في دمشق ليستعجل الى صرخد ويحبس الافضل في قلعتها . ففرّ الافضل الى حلب عند اخيه الطاهر وزحفا معاً الى منبج وهي للعادل واحتلاها واحتلّا كذلك قلعة نجم وانقلبا الى حماة فدفع لهما ناصر الدين بن تقيّ الدين ثلاثين الف دينار صوريّ فتركاها وتوجهـا في طريق بعلبك الى دمشق . وقرّرا كلاهما انهما متى احتلّا دمشق تبقى للافضل ريثما يذهبان الى مصر ويحتلّانها وبعد هذا يردّ الافضل دمشق الى الطاهر وتبقى له مصر . بناء عليه حاصرا دمشق وما كادا يحتلّانها حتّى حسد الطاهر اخاه الافضل وقال له : يجب ان تبقى لي دمشق وانا ابعث معـك جنودي لتذهب الى مصر وتستولي عليها . فقال له الافضل : انك تعلم ان امّي واهلي هم ضيوف في حمص على باب غيرهم وقد استحضرتهم من صرخد اليها واعطيتها لزين الدين قراغا عبد ابي ليساعدني . وعليه ارغب ان تترك لي دمشق لتستتر فيها النساء ويلزمك انت كذلك ان تدافع عنهنّ ريثما نختار مصر . لكن الطاهر اعترض ولم يرضَ . ولمّا رأى الزعماء ما حصل بينهما من النزاع تركوهما وانطلق بعضهم الى العـادل وبعضهم الى دمشق . واذ ذاك اتّفق الاخوان ووجّها الى العادل عمّهما في الصلح . واضاف العادل الى الملك الطاهر ما عدا حلب منبج وافامية وكفرطاب وبعض المعرّة . واضاف الى الملك الافضل سميساط وسروج وراس العين وجملين . ودخل الملك العادل دمشق وذهب كلّ منهما الى مركزه ...

ولمّا كان الطاهر والافضل يحاصران دمشق حشد نور الدين جيوشه واخذ معـه ابن عمّه قطب (٤٠٦) الدين محمّدًا صاحب سنجار وصاحب ماردين وانطلقوا لينتزعوا ما بين النهرين من آل العادل . وما ان بلغوا راس العين حتى دبّ فيهم المرض في الصيف . وكان الملك الفائز بن العادل في حرّان فارسل الى نور الدين في الهدنة . وهذا لمّا بلغه اتفاق الافضل والطاهر والعادل ولا سيّما خبر المرض وافق هو كذلك على الهدنة . وتبادل الفريقان في الأيمان وعاد نور الدين الى الموصل وعاد كذلك كلّ واحد الى بلده .

وفي تلك السنة كان معزّ الدين قيصرشاه متوليًا ملطية فزحف اخوه ركن الدين سليمان بن قلج ارسلان وحاصرها وانتزعها منه في حزيران ١٥١١ لليونان

(١٢٠٠م) . وانهزم معزّ الدين قيصرشاه يريد الملك العادل حماهُ وهذا وجّهه الى الرها واعطاه مؤونةً. وسار ركن الدين من ملطية الى ارضروم وفيها ابن الملك محمّد بن صلتق وهو من البيوتات القديمة المالكة تلك المدينة وخرج الى لقائه معرباً عن مودّته وطاعته . لكن ركن الدين قبض عليه وسجنه واحتلّ المدينة . وانتزع قونية كذلك من غياث الدين كيكسر واخيه. وانهزم غياث الدين الى سوريّة وقصد الملك الظاهر صاحب حلب واخبره بما وقع مؤملًا نجدته . ولكنّه لم يستفد منه شيئاً فانتقل من عنده واختفى . وجعل يطوف من مكان الى مكان حتى انتهى الى قسطنطينية . وبالغ ملكها في اكرامه جدًّا وزفّ اليه ابنة احد بطارقته العظام . وظلّ هناك الى ان احتلّ الفرنج تلك العاصمة كما سنذكر ذلك. وعلى اثر الاحتلال سافر غياث الدين يريد حماهُ وهو صاحب احدى القلاع .. فرحّب به وقال له : (٤٠٧) حسْبي وحَسْبك هذا البلد وربما يفرج الله تعالى . واقام هناك الى حين وفاة اخيه .

وفي هذه السنة صار غلاء. فظيع في مصر لان النيل لم يفض كعادته واكل البشر جثث الحيوانات والبشر وتبع الغلاء الطاعون . وحدثت كذلك زلزلة قوّضت دورًا كثيرة واسوارًا شاهقة في دمشق وحمص وحماة وطرابلس وصور وعكّة والسامرة وبلغت الزلزلة بلاد الروم ولكنها لم تكن قويّةً في بلاد المشرق.

وفي السنة ٥٩٨ للعرب (١٢٠١م) سار خوارزمشاه محمّد بن تكش الى خراسان وانتزع مرو ونيسابور من غياث الدين ومن اخيه شهاب الدين لانها كانتا له . ولمّا سار الى خوارزم بسبب موت ابيه اخذهما غياث الدين . وقد ارسل اليه يقول : ما كنتُ اتوقع منك هذا بل ظننتُ انك تنجدني وتقاتل الصينيّين ولكنّك أبيت ذلك وألحقت بي الضرر . غير ان غياث الدين لم يردّ اليه المدينتين المذكورتين صفوًا فزحف واخذهما عنوةً. ولم يستطع غياث الدين ان يعارضه بسبب داء النقرس الذي انتابه . وكان اخوه شهاب الدين يبارز يومئذٍ الهنود .

وفي السنة ٥٩٩ للعرب (١٢٠٢م) وجّه الملك العادل ابو بكر بن ايّوب صاحب مصر ودمشق جيوشاً كثيفة مع ابنه الملك الاشرف موسى الى ماردين وحاصرها ايّاماً كثيرة واحتلّ القرى والضواحي . فتوسّط بين الفريقين صاحب

حلب الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين وعقد الهدنة بان يؤدي صاحب ماردين الى العادل مائة وخمسين الف دينار فضّة قيمة كلّ دينار ستة دراهم ويخطب له ويكتب اسمه على الدراهم والدنانير. وقبض الملك الظاهر عشرين الف دينار من ذلك المبلغ وانتزع منه قرية ترادي ببلد شبكتان وترك الاشرف وانطلق

وفي تلك الغضون كان التركمان يعيثون في البلاد (١٠٨)ويغزون حتى تعذّر على الناس السفر دون جنود وسلاح . وفي تلك السنة عينها عاد العادل فانتزع من الافضل ابن اخيه سروج وراس العين وجملين وانتزع منه الظاهر اخوه صاحب حلب قلعة نجم ولم يبق له الّا سميساط فقط . ولمّا رأى ان عمّه واخاه قد ظلماه بعث رسولًا الى ركن الدين سليمان بن الملك قلج ارسلان صاحب ملطية وقونية وأبدى له الخضوع وخطب وطبع الدراهم باسمه واصبح كواحدٍ من الامراء في بلاد الروم . ثم كتب الى امّه فقصدت الملك العادل وتوسّلت اليه ان يردّ لابنها ما انتزعه من يده من البلاد ولكنّه رفض توسّلها. هكذا عاقب الله سبحانه صلاح الدين بعد موته مثلما عاقب هو آل اتابك عندما ارسل اليه صاحب الموصل امّه وابنة عمّه ورفض توسّلها. وفي هذه السنة رحل الملك العادل الملكَ المنصور ابن الملك العزيز من مصر وجعل اقامته في الرها مع امّه واخوته خيفةَ ان يبايعه المصريون بالمملكة . (لها صلة)

أقوال المتكلمين العامة ونقد القديس توما لها

(تابع) (*)

بقلم ماجد فخري
استاذ في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن

٣ ــ القديس توما ونقده لمتافيزياء الاعراض

يتضح من هذه الدراسة التفصيلية للنظام الكلامي (لا سيما في زيه الاشعري) من خلال عرض ابن ميمون له في دلالة الحائرين ان غرض المتكلمين الاول في تشييد هذا البنيان الفلسفي هو التوكيد على قدرة الله الكاملة واستقلاله بالفاعلية . فهذا النظام الفلسفي — مهما بلغ من الغرابة — انما هو الحلة العقلية التي ارادوا ان يكسوا بها الرؤيا القرآنية للاله الجبار ، الذي ليس كمثله شيء، والذي يصرف شؤون خلقه كما يشاء استقلالاً واستبداداً « فلا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون »[1]. ولا شك ان

(*) راجع المشرق ، الجزء الثاني من السنة ١٩٥٣ ص ١٥١—١٧٢

[1] القرآن ٢١:٢٣. هاك كيف يلخص الاشعري في فقرة خاطفة من كتاب الابانة عن اصول الديانة (ص ٩) العقيدة الاشعرية : « ونقول ان كلام الله غير مخلوق . وانه لم يخلق شيئاً الا وقد قال له : كن ، كما قال : (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون). وانه لا يكون في الارض شيء من خير وشر الا ما شاء الله . . . وان احداً لا يستطيع ان يفعل شيئاً قبل ان يفعله ولا يستغني عن الله ولا يقدر على الخروج عن علم الله عز وجل ، وانه لا خالق الا الله وان اعمال العباد مخلوقة لله مقدرة كما قال : (خلقكم وما تعملون). وان العباد لا يقدرون ان يخلقوا شيئاً وهم يخلقون . . . وان الله يقدر ان يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، ولكنه اراد ان يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وطبع على قلوبهم . وان الخير والشر بقضاء الله وقدره وانا نؤمن بقضاء الله وقدره : خيره وشره حلوه ومره ونعلم ان ما اخطأنا لم يكن ليصيبنا وان ما اصابنا لم يكن ليخطئنا وان العباد لا يملكون لانفسهم ضرًّا ولا نفعاً الا بالله . »

راجع ايضاً احياء الدين ج ١ — كتاب قواعد العقائد ص ٥ و٦

اما حول الدواعي التي دفعت المتكلمين الى اختيار نظامهم الذري المارّ ذكره فهاك ما

ما دعهم الى هذا الغلو في الرأي هو حرصهم على اقرار وحدانية الله المطلقة — كما تبين الغزالي ، ومن وراء ذلك على صيانة كمال الله التام — وتلك اغراض حرية بكل اكبار . ولكن للباحث ان يتساءل في معرض تقويم هذا النظام الفلسفي ، ما اذا كان الاقرار باصالة الغرض اللاهوتي الذي قصد اليه المتكلمون يقتضي التسليم بالمقدمات الفلسفية التي يتذرعون بها ضرورة ؟ — واول ما يلاحظ في الجواب على هذا السؤال هو ان محاولة المتكلمين اقرار جبروت الله وقدرته المطلقة تنطوي على تناقض خطير . وهو ان المتكلمين — في وضعهم لمتافيزياء الاعراض ونفيهم لقدرة المخلوق على مشاركة الخالق في الفعل — انما انتقصوا من كمال الله وجبروته من حيث لم يشعروا . لان هذا البناء الذي شادوه مسرحاً للارادة الالهية الجبارة هو بناء واهي الاركان ركيك الدعائم . فالمشهد الكوني الذي يتجلى للناظر حينما يتمثل هذا البناء وهذه الارادة هو مشهد يثير الدهشة : فالمتكلمون قد وضعوا الهاً جباراً تنفتق ارادته الخلاقة عن عالم من الاشباح والاخيلة التي لا حياة فيها ولا حول لها . .

ويتخذ القديس توما اصالة هذا الغرض اللاهوتي نفسه — اي صيانة كمال الله — كنقطة ابتداء لنقده لاقوال المتكلمين . فاقرار كمال الله وجبروته امر جليل ، والقديس توما ليس بأقل من المتكلمين حرصاً على صيانة هذا الكمال وهذا الجبروت . الا انه يخالفهم في دعواهم أن هذا الكمال يقتضي ضرورة الغض من كمال المخلوق ، ويصر على العكس على « ان الانتقاص من كمال المخلوق هو بمثابة الانتقاص من كمال القدرة الالهية »[1] . فهذه القدرة — كما يريد المتكلمون — لا يفوت تأثيرها شاردة او واردة ، دانية او قاصية ، بل تبلغ الى جميع الاشياء مهما بعدت اغوارها ودقت اقدارها اذ هي جميعها خاضعة

يقول رينان (Renan) : « وكان هدف المتكلمين الاول هو اقرار القول بخلق المادة — خلافاً لاقوال الفلاسفة — وحدث العالم ووجود اله حر منفصل عن العالم (او مفارق له) ومؤثر فيه . وقد بدا لهم ان نظام الجواهر الفردة يتلاءم مع القضية التي ارادوا نصرتها فاختاروه» — ابن رشد والرشدية ، ص ١٠٦ و١٠٧ . وكذلك مونك (Munk) في : (Dict. des Sc. phil. الجزء ١ ص ١٧٥ وجيلسون Gilson في : Archives d'Hist. doct. et litt. du Moyen Age (١٩٢٦ – ٢٧) ص ١٠ .

١) الملامة ضد الامم — الكتاب ٣ فصل ٦٩ . ص ٢٨٥ من طبعة روما اللاتينية ١٨٩٤

« لفعل السبب الكلي » لجميع الموجودات الذي لا يخرج شيء في الوجود عن تأثيره . ما دام هو المصدر لكل وجود[1] . ولكن ذلك لا يعني، كما يتوهم المتكلمون وسواهم من الذين يجردون الاشياء من قواها الطبيعية — ان المخلوق لا نصيب له في توليد الآثار الطبيعية على الاطلاق[2] . لاننا اذا فحصنا عن الادلة التي يحتجون بها وجدناها غير كافية في تأييد هذا القول ، لذلك كانت دعواهم ان الله متفرد بالفعل نوعاً من التشبث المنادي بالرأي وحسب .

١ — واول حججهم هذه هي قولهم ان جميع « الصور » — الجوهرية منها والعرضية — لا يمكن ايجادها الا على سبيل الخلق . لانه يمتنع ايجادها عن المادة ما دامت المادة ليست داخلة في تكوينها ، فلزم اذن ايجادها عن العدم — وذلك هو الخلق ، وهو فعل مقصور على الله وحده[3] . وكذلك الحال في كل

---

١) الفصل ٦٨ ، حيث يكتب القديس توما : « ان الله في كل مكان وفي كل شيء .. لا على سبيل التحيز المكاني ... » ولكن على وجه آخر : وهو « ان قدرته الخارقة تبلغ الى جميع الاشياء المتحيزة التي هو سبب وجودها الكلي » — ص ٢٨٢ وذلك ما يثبته في الفصل ١٥ من الكتاب ٢ . راجع ايضاً « الخلاصة اللاهوتية » القسم ١ السؤال ٤٦ الفقرة ١ وحول قدرة الله (De potentia Dei) السؤال ٣ الفقرة ٥ .

٢) راجع الخلاصة ضد الامم — ك ٣ ف ٦٩ — الموسوم : « في قول الذين يجردون الاشياء الطبيعية من افعالها الخاصة » ونقد القديس توما لا يقتصر على قول المتكلمين (Loquentes in Lege Maurorum) بل يشمل ايضاً : ١) قول افلاطون « لانه يعزو وجود الاشياء المحسوسة الى الصور المفارقة (اي المُثل) كما يروي ارسطو Met. I, 3 (990ª34) وكما في Tim. c. 10 الخ) ٢) وقول ابن سينا : لانه نسب الصور الجوهرية الى فعل العقل الفعّال والصور العرضية « الى استعدادات في المادة ناجمة عن فعل الاسباب السفلى » — راجع Met. IX, 5 fol. 105 . والنجاة مصر ١٩٣٨ ص ٢٨١) و٣) ابن جبيرول (مؤلف كتاب ينبوع الحياة : Fons Vitae والمتوفي سنة ١٠٧٠ ?) لقوله « ان الاشياء منفعلة لا فاعلة » — اولاً : لبعدها عن الفاعل الاول (وهو الله) اقصى البعد . ثانياً : لانه ليس دونها شيء منفعل يقع فعلها عليه . وثالثاً : لاختلاطها بالكم — اي الحجم — الذي يعوق الحركة (راجع Fons Vitae ص ٤٠ وص ١٧٧ — ١٧٩ مونستر ١٨٩٥ —) قابل حول قدرة الله ، سؤال ٣ فقرة ٧ — وفي الحقيقة (De Veritate) سؤال ٥ فقرة ٩ .

٣) الخلاصة ص ٢٨٣ . العبارة « الصور الجوهرية والعرضية » هي عبارة ارسطوية يقابلها في نظام المتكلمين « الاعراض » لانهم لم يقروا الا شيئين : الجواهر والاعراض ، والمتكلمون قالوا بخلق الاعراض والجواهر باستمرار ، كما مرّ . والقديس توما يخطي

فعل آخر ، فيستحيل اذن ان يسند الى الاشياء اي فعل كان اذ مفهوم الفعل عندهم مساوٍ لمفهوم الخلق .

٢ — وحجتهم الاخرى ان اسناد الفعل الى الاشياء مستحيل لأن الاعراض يستحيل عليها الانتقال من جسم الى جسم . وما دامت جميع « الصور » عندهم اعراضاً — كما مرّ — فانهم زعموا انه يستحيل على الفاعل الطبيعي ان يولد (inducere) في شيء آخر ، بفعل صورته ، صورة مماثلة لها ، كما يستحيل مثلاً انتقال الحرارة من جسم الى جسم . فلزم اذن بحسب قولهم ان يقال ان الله يخلق في الجسم الحارّ عرض الحرارة عند اقترابه من النار[1] . فاذا عورضوا بالمشاهدة وهي تدل على ان الجسم يصبح حاراً اذا وضع على مقربة من النار — ما لم يكن بينهما حاجز — وان ذلك يدل على ان النار هي سبب الحرارة الذاتي (causa per se) اجابوا : ان الله قد قضى (statuit) بأن تجري الاشياء بحسب هذا السياق (cursus) وهو « ان لا يحدث الحرارة قط الا بمجاورة

المتكلمين لعدم تمييزهم بين « الصور الجوهري منها والعرضي » وقولهم ان « جميع الصور اعراض » (قابل ما يقوله ابن ميمون — المقدمة الثامنة) اذ ينتج عن ذلك ان كون الاشياء الجوهري (esse substantiale) يصبح متقوّماً بالاعراض وهو محال . ولانه يؤدي الى استحالة « الكون والفساد » — اي في الموجودات ذاتها ، اذ الكون والفساد عند المتكلمين هما من فعل الله ، ويدعونها البقاء والفناء — راجع : حول قدرة الله سؤال ٣ فقرة ٧ — الجواب (respondeo) طبعة Mandonnet ، باريس ١٩٢٥ ص ٦٦ . وهو يشير باستحسان جزئي الى قول ابن سينا — المذكور اعلاه — ان الصور الجوهرية ، تصدر عن العقل الفعّال بينا الصور العرضية : « هي استعدادات في المادة ناجمة عن فعل الاسباب السفلى » . لانه نجا بذلك من الخطأ الذي وقع فيه افلاطون واصحابه — المشار اليه . الخلاصة المرجع نفسه . وكذلك الخلاصة اللاهوتية ١ — س ٥٠ ف ٨ — الجواب وس ١١٥ ف ١ الجواب وس ٦٥ ف ٤

حول قول المتكلمين بانفراد الله بالخلق، طالع ما كتبه المؤلفون الاشعريون في الرد على المعتزلة وقولهم ان الانسان خالق افعاله . الابانه ص ٦ و ٩ (المتطقة اعلاه) واللمع ص ٣٠ والارشاد ١٠٦ الخ . والاحياء ج ٤ ص ٥ و ٦ الخ .

١) قدرة الله — المرجع السابق والخلاصة ص ٢٨٤ . حول استحالة انتقال الاعراض راجع اصول الدين ص ٣٨ : « والاعراض لا يصح فيها تركيب ولا مماسة ولا انتقال من مكان الى مكان » — المتطقة اعلاه ، والدلالة ص ق ٥

النار » — ولكن هذا لا يدل عندهم على « ان للنار نصيباً في حصول الحرارة »[1]

٣ — اما حجتهم الثالثة فهي قولهم ان الاعراض لا تبقى زمانين . ولما كانت جميع « الصور » اعراضاً عندهم — كما مرّ — « فصور » الاشياء اذن بحاجة دائمة الى « سببها الفاعل » الذي به قوامها — وهو الله . وهكذا زعموا ان الاشياء لا تستغني قط عن فعل الله الذي يحفظها في الوجود ، دون واسطة اي فاعل اخر ، لان الفعل من خواص الله وحده .[2]

ويناقش القديس توما هذه الاقوال في موضعين هامين من كتبه هما الفصل ٦٩ من الكتاب الثالث من الخلاصة ضد الامم والسؤال الثالث من حول قدرة الله (الفقرة ٧) . ولكنه جدير بالذكر انه يعود اليها في اكثر المواضع التي يعالج فيها قضية الخلق او العناية او فعل الاشياء الخ من مؤلفاته الكبرى — كما يبدو من المراجع التي نثبتها في الهامش . وهو لا يقتصر في هذه المناقشة على اقوال المتكلمين بل يتعرض لآراء جميع الفلاسفة الذين نفوا القول بالسببية

١) قدرة الله المرجع نفسه . قارن الدلالة ق ٧٣ : « وليس ثم جسم له فعل اصلاً وانما الفاعل الاخير الله وهو الذي احدث السواد في جسم الثوب (المسود) عند مقارنة النيلج اذ هكذا تجري العادة » . والعبارة الاخيرة تقابل لفظة القديس توما statuit اشترع او قضى . كما ان مقارنة تقابل في العبارة التومانية (nisi apposito igne) كلمة apposito . راجع ابن الحقيقة س ٥ ف ٤ (الرد على الاعتراض الرابع) — ص ٣٤ طبعة Mandonnet باريس ١٩٢٥ — والخلاصة اللاهوتية ١ ، س ١٠٥ ف ٥ — الجواب

٢) الخلاصة ضد — ك ٣ ف ٦٥ ص ٢٧٩ . يشير القديس توما هنا الى قول بعض المتكلمين « ان الاجزاء التي لا تتجزأ (corpora indivisibilia) والتي تتركب منها جميع الاشياء . . . يمكن ان تبقى زمانا ما لو كان الله لرفع سلطانه عن الاشياء » — اي بذاتها استقلالاً عن فعل الله . ولا يذكر ابن ميمون هذه الامكانية بعينها ، ولكنها تلزم عن قول بعض المعتزلة الذين اقروا بقاء بعض الاعراض القائمة في الجوهر دون بعض كما رأينا — فانهم زادوا — كما يقول القديس توما — « ان الاشياء لا تنعدم ما لم يخلق فيها الله عرض الفناء (accidens decisionis) » — كما رأينا . راجع الدلالة ق ٧٣ — حيث يخص ابن ميمون « خلق عرض الفناء في لا محل » . وهو قول الجبائي وابنه من المعتزلة — كما مر . اما ما يقوله القديس توما فهو ينطبق تمام الانطباق على قول الباقلاني من الاشاعرة — كما يروي البغدادي — اصول الدين ٦٧

او جرّدوا الاشياء من قواها الخاصة – مثل افلاطون واصحابه وابن سينا وابن جبيرول – كما رأينا – وديمقريطس أبي المذهب الذري [1].

والقديس توما يعرض لهذه الآراء من خلال مشكلة فلسفية لاهوتية عامة : هي مشكلة التوفيق بين القول بعناية الهية كلية (Providence) والقول بصلاحية الاشياء للفعل . اذ الظاهر ان التسليم بالقضية الثانية يستلزم الاقرار بصلاحية الاشياء للفعل بالاستقلال عن القدرة او الارادة الالهيتين ؛ بينما يفترض التسليم بالعناية الالهية الشاملة احاطة هذه القدرة وهذه الارادة بكل ما يحدث في الكون . والمتكلمون – انما اختاروا تضحية فاعلية الاشياء الطبيعية حرصاً على صيانة الكمال الالهي – كما رأينا .

في معالجة هذه المشكلة يجد القديس توما نفسه امام خطأين اثنين : الاول خطأ القائلين بنفي العناية : ان في شكلها العام – كما نجد من اقوال قدماء الدهريين – او في شكلها الخاص – كما نجد من اقوال ارسطو واصحابه الذين قصروا فعل هذه العناية على عالم « الجواهر المفارقة » منكرين تأثيرها في عالم « الكون والفساد » [2] . والثاني خطأ القائلين باستحالة اسناد اي فعل كان الى المخلوق لان الله هو الفاعل المباشر لكل شيء – كما رأينا من قول المتكلمين .

وهذان الخطآن يشتركان في خاصية واحدة ، وهي انهما يعمدان الى حل المشكلة بما يمكن ان يدعى « بالبتر » او « الحسم » . لذلك يضع القديس توما

---

١) يدور نقد القديس توما لديمقريطس (في الخلاصة اللاهوتية س ١١٥ ف ١ الجواب) على تأويل الاخير للفعل والانفعال – على وجه شاذ لا يتفق مع القول بان للاشياء قوى ذاتية فيه « فقد قال ان الفعل ينتج عن انطلاق الذرات من الجسم الفاعل ، والانفعال عن دخول هذه الذرات في مسام الجسم المنفعل » – (كما يروي ارسطو (325ᵃ33) De Gen. 1,8 . وواضح ان هذا البند من النقد التوماني لا يمت الى النزاع الفلسفي العام الذي نحن بصدده .

٢) يدخل في الفريق الاول ديمقريطس والايفوريون – الخلاصة اللاهوتية ١ ، س ٢٢ ف ٢ الجواب . وفي الفريق الثاني ارسطو وابن رشد خاصة – راجع In Sent. d. 39, Q.2 a.2 وحول قدرة الله س ٦ ف ١ . ويضاف اليهم مذهب القائلين بالقضاء والقدر (Fatum) والذين زعموا ان « كل ما يحدث في عالمنا هذا خاضع لسببية الاجرام السماوية » الخلاصة ضد ٣ ، ٩٣ و٨٦ و٨٥ الخ.

ان عناية الله تمتد الى كل شيء في العالم ولا يخرج عن قضائه كبيرة او صغيرة[١]. ومع ذلك فهذه العناية لا تعني «ضرورة حتمية»[٢]، مثل التي قال بها الرواقيون والتي لا يبقى معها متسع لاقرار اي نوع من الجواز (contingentia) في عالم الاشياء غير العاقلة — او من الاختيار في عالم الموجودات العاقلة . لان الله يصرّف الاشياء بحسب طبائعها : الجائز منها على سبيل الجواز والضروري على سبيل الضرورة[٣] . وهي لا تستلزم كذلك ان الاشياء تفعل في الكون بالاستقلال التام عن الله . فالأشياء الطبيعية جميعها انما تفعل بقدرة الله لانها تستمد منه الوجود اولاً والقدرة على الفعل ثانياً . فليس في القول بأن الآثار الطبيعية هي معلولة لله وللمخلوق معاً اي تناقض — كما يتوهم المتكلمون . ولتحقق من ذلك يجب ان ننظر في طبيعة الفعل وفي معنى قولنا ان الشيء سبب لشيء آخر . وهذا النظر يفيد ان لفظة «السبب» تقال على عدة معانٍ — اولاً : يدعى الفاعل سبباً للاثر الطبيعي بأن يعطيه القدرة على الفعل — كما يقال ان الوالد هو سبب الجنين : اي انه يحرك المواد التي تفعل الجنين . ثانياً : بان يحفظ هذه القدرة في الوجود — كما يقال ان الدواء الذي يحفظ البصر هو سبب الرؤية ، ثالثاً : بان يحرّك الفاعل الى الفعل . وما دام يستحيل على الشيء ان يحرك نفسه فقد وجب اسناد كل حركة في الكون الى « المحرك الاول » الذي لا يتحرك »[٣] — كما يقال ان الانسان هو سبب القطع اذا حرك السكين

١) «يجب ان تقرر ان الاشياء جميعها خاضعة للعناية الالهية، ليس على وجه عام وحسب بل وفي كيانها الفردي الخاص ... » وايضاً — « ولكن فعالية الله (causalitas) — وهو الفاعل الاول — تمتد الى كل الموجودات . . . ليس الى الاشياء الازلية (اي غير الفاسدة : وهي الجواهر المفارقة في رأي ارسطو واصحابه) وحسب ولكن الى الاشياء الفاسدة ايضاً» الخلاصة اللاهوتية ١ ، س ٢٢ ف ٢ — الجواب وايضاً الخلاصة ضد ٣ ، ف ٧٥ و٧٦ و٦٤ .

٢) والتي تدعى في اليونانية - كما يشير القديس توما : Εἱμαρμένη (اي المقدور) — الخلاصة ضد ٣ ف ٧٣ .

٣) راجع ص ٢٦١ — الفصل ٧٢ الموسوم : « في ان العناية الالهية لا تمنع (excludet) الجواز عن الاشياء » والفصل ٧٣ : « في ان العناية الالهية لا تمنع حرية الارادة » .

٣) وهو الله ، في النظام الارسطوي — راجع Met XII. 1074a — بالتمييز عن « المحرك الاول » الذي يتحرك ، ويدعوه ارسطو « الفلك الاول » — 8—1074a35 و 1072a24 — او « المتحرك الاول » Phys. VIII, 260a2 .

فحركة الشيء المقطوع . ولما كانت حركة جميع الاجسام راجعة الى حركة « الجرم السماوي »[١] — وهذه بدورها الى فعل الله لزم ضرورة عن ذلك ان الله هو سبب فعل الاشياء الطبيعية جميعها بتحريكه اياها . رابعاً : على وجه «المساهمة» (participation) — كما تساهم ، الالة مع الصانع في القدرة . فالفأس هي سبب ما يفعله الصانع ، ولكن ليس بقوتها او طبيعتها هي بل بقوة الصانع وطبيعته . فلزم اذن ان جميع الاشياء ، تستمد من الله القدرة على فعل اثارها الخاصة-«لانه يستحيل على اي شيء طبيعي فرد ان يولد فرداً آخر من نوعه بفعله الخاص وبالاستقلال عن ذلك السبب الذي تحيط قدرته بالنوع (species) بكليته ، ناهيك بوجود ذلك المخلوق نفسه »[٢] — اي الله .

فالله اذن هو « سبب الفعل في جميع الاشياء الفاعلة » ، لان جميع الاشياء الفاعلة تفعل بمقدار ما هي سبب لوجود ما ، عرضي او جوهري ، والله هو مصدر الوجود او الكون (esse) في جميع اشكاله ، فاليه يجب اسناد عامل الفعل في جميع الاشياء المتكونة[٣] . ولكن ذلك لا يعني ان الله مستبد بالفعل— كما يريد المتكلمون ومن حذا حذوهم ، اذ هو قد اختار لفرط حكمته وجوده

١) يسلم القديس توما ان الاجسام في عالمنا هذا خاضعة لعمل « الاجرام السماوية » على وجه المحركة — الخلاصة ضد ك ٣ ف ٨٢ والحقيقة س ٥ ف ٩ ص ١٤٢ — وهذه بدورها لفعل « العقول المفارقة » (اي الملائكة) — تعمل ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ من الخلاصة ، ولكن لا على وجه الضرورة : ف ٨٦ . وهو يخالف « ما يدعيه المنجمون من نسبتها لافعال البشر بالتأثير على عقولهم وارادتهم » — ف ٨٤ و ٨٥ .

٢) هذا تلخيص فقرة هامة من *De Potentia* (قدرة الله) س ٣ ف ٧ — الجواب . راجع حول النقطة الاخيرة الخلاصة ضد ايضاً : ٣ فصل ٦٥ — حيث يضع القديس توما هذه القضية بوضوح أكثر . فهو يثبت ان الفرد هو سبب توليد الفرد (من حيث فرديته وحسب) لذلك اقتضى ان يكون ثمة سبب جوهري (per se) يكون بمثابة الفاعل « للنوع » الذي ينتسب اليه ذلك الفرد (اي انسانيته) . فالقديس توما اذن يميز بين ناحيتين في الفعل : ناحية «الصورة » او « الماهية » او «النوع» — التي تجب نسبتها الى فعل الله وناحية «الفردية» (الناجمة عن التركيب بين المادة والصورة) والتي هي من فعل الفرد : « لأن الانسان الفرد ليس سبباً لانسان آخر إلا من حيث هو سبب لكون « صورة » الانسان في هذه المادة الخاصة » . .

٣) الخلاصة ضد ٣ ف ٦٧ و ٦٦ خاصة و ٢ ف ١٥ — الخ .

ان يدعوَ الاشياء الى المساهمة معه في الفعل بان فوّض اليها وظائف وافعالا خاصة، لكي يضمن النظام التام في الكون ويسبغ على الاشياء المخلوقة كمالاتها الطبيعية . فالله اذن مثل السلطان الحكيم الذي يصرّف شؤون مملكته برفق وحكمة – « ويحكم الاشياء الدنيا بواسطة الاشياء العليا »[1] – « لا لقصور في قدرته بل لفيض في جوده ، كيما تساهم المخلوقات في شرف الفاعلية » (Causalitas)[2] .

وهكذا فالمتكلمون انما اخطأوا القصد حين انكروا فاعلية الاشياء جملة. لانهم في اسرافهم في التوكيد على كمال الله وقدرته وحطهم من شأن المخلوق انما هددوا هذا الكمال وهذه القدرة عينها . وهم بذلك قد انتقصوا من الجود الالهي : لان الها يُسبغ على الاشياء الوجود ويحرمها الفاعلية (اي مشاركة الاشياء الاخرى في الوجود الخاص بها) اله ضنين – وليس ذلك شأن الاله الكامل الذي لم يربأ عن اسباغ كماليه على الاشياء : كمال الوجود وكمال الفاعلية[3]. اما الأدلة التي احتجوا بها في تأييد اقوالهم فهي لا تجدي نفعاً بل

١) الخلاصة ضد ٣، ف ٧٧ – راجع ايضاً حول حكومة الله للاشياء على سبيل التفويض هذا الفصول التالية حتى ف ٨٣.

٢) الخلاصة اللاهوتية ١ ، مس ٢٢ ف ٣ – الجواب . راجع ايضاً الخلاصة ضد المرجع اعلاه ، حيث يكتب القديس توما : « لاننا نجد في الله الحكمة التامة . . . فهو يدبّر شؤون الموجودات جميعها حتى ادناها قدرًا . . . بواسطة القوى الدنيا التي يفعل من خلالها . . . – ومن شرف الحكم ان يكون تحت الحاكم وزراء ومنفذون شتى (يقرّون) سلطته . وكلما كثر عدد مرؤوسيه ، على اختلاف مراتبهم ، كلما بدا اتساع سلطانه وتمامه »– الفصل ٧٧ .

٣) هاك فقرة من فصل ٦٩ من الخلاصة ضد الكتاب ٣ – تلخص هذه النقطة : « كمال المفعول يدل على كمال السبب الفاعل . . . والله هو الفاعل الأكمل ، فوجب اذن ان تستمد الاشياء التي ابدعها الكمال منه . وهكذا فمن انتقص من كمال المخلوق فقد انتقص من كمال القدرة الالهية . لانه اذا لم يقم مخلوق ما بتوليد فعل ما فقد نقص كماله نقصاً كبيرًا . لأن الشيء انما يُفيض (communicare) كماله على شيء آخر لفيض كماله هو » – ص ٢٨٥ . اما في تأييد النقطة الثانية فهاك ما يكتبه القديس توما (فصل ٧٠ ص ٢٨٨) : « ومع انه كان بوسع الله ان يولّد جميع الآثار الطبيعية بنفسه (اي مباشرة) . . . فهو قد اختار ان يُفيض على الاشياء صفة التشبه به (suam similitudinem) ليس من حيث هي موجودة وحسب بل من حيث هي اسباب لأشياء أخرى ايضاً – لا لقصور في قدرته بل لفرط جوده (او

هي تؤدي الى هذه النتيجة نفسها : خذ توهمهم الذي سبقت الاشارة اليه والذي يتلخص في دعواهم انه يستحيل ايجاد « صورة » من الصور الا على سبيل الخلق فيستحيل اذن اسناد اي فعل كان الى غير « الخالق » . فالذي دعاهم الى هذا القول هو رغبتهم في اثبات قدرة الله على حفظ الاشياء في الوجود على سبيل الخلق المستمر . فكأنهم اضمروا ان الله لا يستطيع حفظ الاشياء الا على وجه التدخل الدائم . وهذا القول ينطوي على غضّ من قدرة الله لانه يفترض ان الاشياء لا تفتقر الى فعل الله الا في « طور التكوين »[1] . اما حجتاهما الاخريان فتؤدان الى تأييد الغرض نفسه : اي القول بضرورة تدخل الله المستمر لضمانة بقاء المخلوقات ، وتنطويان على ذلك الوهم ذاته . فالله قد خلق الاشياء واسبغ عليها وجودها الخاص منذ البدء ، ولكن هذا الوجود لا قيام له قط بالاستقلال المطلق عن فاعلية الله . لان الاشياء لا تستغني عن الله (سببها الفاعل الاول) لحظة واحدة رغم ما اغدقه عليها من خاصية الوجود الذاتي ، بل هي تفتقر الى فعله في طور تكوينها وفي جميع الاطوار اللاحقة من وجودها[2] .

خيره : « bonitatis » – راجع ايضاً الفصل ٢١ (من الكتاب الثالث) الموسوم : « ان الاشياء تقصد الى التشبه بالله في كونها اسباباً »– وهذا المبدأ هو من أركان النظام التوماني لا سيما في ما يتصل منه بنظرية الخلق .

١) فصل ٦٥ ص ٢٧٩ . راجع ايضاً فصل ٦٩ ص ٢٨٦ حيث يفنّد القديس توما هذه الدعوى كما يلي : « الشيء انما يكون بفعل (الفاعل) . فكما ان « الصورة » لا يقال عليها « الكون » (non dicitur ens) – كما لو كانت في ذاتها ، بل لأن المُركّب (اي الفرد) يكون بها – فهي نفسها ليست تصنع اذن بل تأخذ في الكون لدى تحوّل المُركّب من القوة الى الفعل –لأن الفعل هو والصورة شيء واحد »– ومعنى ذلك ان دعوى المتكلمين ان ايجاد «الصور» من لا شيء على سبيل الخلق هي نفسها موضع شك بحسب مقدماتهم–لأن كون «الصورة» نفسها تابع لكون «المركّب» والمركّب (اي الكائن الفرد الحاصل من تركيب المادة والصورة) هو ما يصح وقوع فعل الخلق عليه وحسب – راجع ايضاً الخلاصة اللاهوتية ١ ، س ٤٥ ف ٤ – الجواب) . ومن المعروف ان القديس توما يسلّم بوجود « صور » « أو مُثُل » ازلية في عقل الله هي بمثابة نماذج الخلق الأولية – راجع الخلاصة اللاهوتية ١ ، س ١٥ ف ١ و ٢ وس ٤٤ ف ٣ وس ٨٤ ف ٥ .

٢) يثبت القديس القديس توما في الفصل المار ذكره من الخلاصة ضد الامم انه : «يجب ان يكون سبب الأشياء وحافظها في الوجود شيئاً واحداً : اذ ان حفظ الاشياء في الوجود

ثم انهم الى ذلك قد اخلوا بمفهوم الحكمة الالهية في قولهم ان المخلوقات لا تلعب اي دور في توليد آثارها الطبيعية . لان قولهم هذا يفترض ان الله قد خلق الاسباب الطبيعية عبثاً ، والعبث لا تصح نسبته الى الفاعل الحكيم[1]. فان احتجوا بقولهم ان وضع فاعلين حيث يكفي فاعل واحد يقتضي محالاً ، ويخلّ بمفهوم الحكمة الالهية ايضاً — اجبنا ان افعال الطبيعة نفسها تفترض الفعل الالهي ، كما تفترض سلسلة الاسباب (السبب الاول) الذي ليس لها بدونه قيام[2] . فالله قد كان قادراً على توليد الاثار الطبيعية جميعها دون ايّ واسطة ما[3] الا انه قد اختار ان يفعل من خلال الطبيعة لكي يحفظ النظام في الكون ولكي يمنح الطبيعة خاصة التشبه به كما مرّ[4] . فان قيل : ولكن في ذلك اخلالاً بوحدة النظام في الكون لما يفترضه من تعدّد الفَعَلة ، اجبنا : ان جميع المخلوقات متجهة نحو الله من حيث هو خيرها الاكمل الذي تصبو اليه بطبيعتها[5] ، وفي ذلك الضمانة لوحدة الوجود والنظام في الكون . وفي اتجاه المخلوقات هذا نحو خير الاكمل سر فعاليتها ايضاً — بل سر وجودها وتعدّد اصنافها . فالله قد ابدع الأشياء بحكم جوده المحض ، ولو امكن له ان يعبّر عن هذا الجود في مخلوق واحد لفعل . إلا » انه كان من المستحيل ان يمثل شيء

ليس إلّا استمرار وجودها . . . والله بعقله وارادته هو سبب وجود الاشياء جميعها . فهو يحفظها في الوجود اذن بعقله وارادته » — ص ٣٧٧ — ويختم هذا الفصل بقوله : « بذلك ندحض قول المتكلمين في شريعة المسلمين الذين وضعوا ان جميع «الصور» اعراض كي يتاح لهم ان يثبتوا أن العالم يفتقر الى الله كي يحفظه في الوجود ، ووضعوا ايضاً أن الاعراض لا تبقى لحظتين اثنتين ، كأن الاشياء هي في « طور التكوين » دائمًا وكأنها لا تفتقر الى سببها الفاعل إلا في طور التكوين وحسب » — ص ٣٧٩ .

١) الخلاصة ضد ٣ فصل ٦٩ ص ٢٨٤ وقدرة الله س ٣ ف ٧ — الجواب .

٢) فصل ٧٠ ص ٢٨٧ والجواب على المشكلة ص ٢٨٨ : من الخلاصة ضد .

٣) كما يفعل في المعجزات — راجع الفصول ٩٨—١٠١ ، لا سيّما الفصل ٩٩ الموسوم : « ان الله قادر على الفعل خارج السياق المفروض على الاشياء بتوليد الآثار دون اسبابها القريبة » والفصل ١٠٠ الموسوم : « ان ما يفعله الله خارج سياق الطبيعة ليس مضادّاً للطبيعة » (*Praeter* naturae ordinem non *contra* naturam) .

٤) راجع الفصل ٧٠ ص ٢٨٨ .

٥) راجع خاصة الفصلين ١٨ و ٦٤ من الكتاب الثالث ، الخ .

مخلوق واحد كمال الجود الالهي » لذلك اقتضى « تجليه على وجوه شتى في مخلوقات متنوعة الاصناف »[1] وهذا هو سر تعدد المخلوقات في الكون . ومع ان الله لم يكن مجبرًا على الخلق — ان على وجه التعدد او على وجه الوحدة — الا ان اختياره الحرّ لان يخلق الكون كيما يعبّر عن خيره الكامل اقتضى اشاعة هذا الخير في الكون ضرورة الى ابعد حدّ : اي على وجه التنوع والتعدّد . وهذا التنوع بدوره اقتضى اختلاف صُور الاشياء وطبائعها وموادّها واعراضها الخ[2]. لذلك فليس تعدّد الاشياء وتنوع اصنافها ضربًا من العبث الالهي — كما زعم المتكلمون حين قالوا ان علة كل شيء ومبدأه هما الارادة الالهية البحتة « وان النار تحرق مثلًا ولا تبرّد لان الله يريد ذلك وحسب »[3] — بل ان لذلك مبدأ آخر هو الحكمة الالهية التي سنّت للاشياء .

١) الفصل ٩٧ ، ص ٤٣٥ .

٢) نثبت هنا المنطق العامة في هذا الشأن كما نجدها في الفصل ٩٧ :

أ — ان كمال الله وخيره اللامتناهيين اقتضيا التعدد في الاشياء لكي تعبّر هذه الاشياء عن الكمال الالهي الى ابعد حدّ ممكن . « لأن الخير الكامل الذي يوجد في الله على سبيل البساطة والوحدة ، لا يمكن (تجلّيه) في المخلوقات إلا على وجوه شتّى في اشياء شتّى » .

ب — ان اختلاف «صور» الاشياء هو بمقدار قربها او بعدها من التشبه بالله « لأن اختلاف الصور هو نتيجة لكون الواحدة اكمل من الاخرى » .

ج — إن اختلاف «صور» الاشياء هذا يقتضي اختلاف افعالها (operatio) « لأن الاشياء تفعل بمقدار ما هي بالفعل » والاشياء هي بالفعل من جرّاء صورها . (قابل: الخلاصة اللاهوتية ١ ، س ٤٨ ف ٥ الجواب ، حيث يدعو القديس توما الفاعلية (operatio) الفعل الثاني في الأشياء و « الصورة » الفعل الأول : (Actus autem est duplex : primus est *forma* et integritas rei, actus secundus est *operatio*) ، وقابل ايضًا : قدرة الله س ١ ف ١ الجواب . والخلاصة ضدّ ١ ف ٢٢ الخ .

د — وهو يقتضي ايضًا « اختلاف نسبها الى المادة » لأن من « الصور » ما يحتاج الى المادة ومنها ما لا يحتاج ولأن بين الصور وموادّها تناسبًا ما (proportio) يقتضي ان يقابل « الصورة » الواحدة مادة معينة واحدة .

هـ — وعن اختلاف نسب المادة الى «الصُوَر» ينشأ الاختلاف بين «الفاعل» و «المنفعل» : لأن الشيء يفعل من جرّاء صُورته ، وينفعل من جرّاء مادته » .

و — واخيرًا ينشأ عن اختلاف هذه معًا — اي «الصور» والمواد والفعل والانفعال — اختلاف الخواص والاعراض .

٣) الفصل ٩٧ من الخلاصة ضد ص ٤٣٨ .

سنة عاقلة واقرّت في الكون نظاماً شاملاً يضمن وحدة المخلوقات واتساقها .

ولكي نتلافى هذا الخطأ المزدوج: خطأ القائلين بالجواز المحض – كالمتكلمين – والقائلين بالضرورة – كالرواقيين – علينا ان نفحص عن الصلة بين الارادة الالهية والخير الالهي ونقرّر وجه الضرورة والجواز في تلك الصلة . والقديس توما يضع ان الله يريد « خيره الكامل » ارادة ضرورية ، ولكنه مع ذلك لا يريد الخليقة ارادة ضرورية – كما يزعم اصحاب الضرورة – لان الاشياء لا تضيف الى الخير الالهي شيئاً قط . فقد كان الله في البدء قادرًا على الكفّ عن خلق الكون اصلاً ، وقد كان قادرًا ايضاً على منح الاشياء مقادير وطبائع غير التي اختار منذ البدء ان يسبغها عليها ، لانه كان حرًّا منذ البدء في ما يريد وفي ما لا يريد . ولكن ذلك كله لا يعني – كما يتوهم اصحاب الجواز – ان طبائع الاشياء وخواصها منوطة بمحض الارادة والهوى الالهيين وان اختصاص شيء ما بطبيعة او فعل ما عائد الى ان الله اراد ذلك وحسب . فقضاء الله بخلق العالم في البدء وباسباغ الكمالات الخاصة بالاشياء على الاشياء لم يكن ضرورياً في البدء ضرورة مطلقة الا انه كان ضرورياً بالافتراض (per necessitatem suppositionis) اي اننا اذا افترضنا ان الله اراد خلق العالم منذ الازل فالخليقة كانت لازمة بالضرورة لان ارادة الله لا تتغير ، وكذلك اذا افترضنا ان الله اختار ان يسبغ على الاشياء كمالاتها الخاصة فاختصاصها بهذه الكمالات عنها ضروري ايضاً[1] .

---

١) يثبت القديس توما هذه القضايا الثلاث :

أ – أن الله يريد ذاته وخيره (suum esse et suam bonitatem) بالضرورة – لان ذات الله هي « المراد الاول » بحكم كونها « الخير الاكمل » – الخلاصة ضد : ك ١ – الفصول ٤١ ، ٧٣ ، ٧٤ و ٨٠)

ب – ان الله يريد ما سواه من الاشياء بمقدار ما يساهم معه في كمال الوجود والخير وبمقدار ما يصبو الى كماله هو (الفصل ٧٥)

ج – ان الاشياء هذه لا تضيف الى كمال الله شيئاً ، فهي ليست ضرورية لكماله لان نسبتها الى هذا الكمال نسبة الوسيلة الى الغاية ، والغاية لا تقتضي الوسيلة المعينة بالضرورة إذ يمكن الاستغناء عنها بسواها – الفصل ٨١ والخلاصة اللاهوتية ١ ، س ١٩ ف ٣ – وهاك كيف يلخص القديس توما هذه القضية : –

« للارادة الالهية صلة ضرورية بالخير الالهي لانه موضوعها الذاتي (proprium ejus

وليس يقتصر الوهن في النظام الكلامي على هذا التصادم بين مقدماتهم الفلسفية ومقاصدهم اللاهوتية . فانكارهم لفاعلية الاشياء يؤدي الى انكار المعرفة الحسية والنظرية انكارًا تامًا . اذ ما دامت الحواس لا تدرك المحسوسات ما لم تؤثر عليها هذه المحسوسات ، فمن المستحيل على الانسان ان يدرك الحرارة مثلًا ما لم تؤثر النار في حاسة اللمس عنده بتوليد « شبه الحرارة » (similitudo caloris) — اي صورتها فيه ، وهكذا في سائر الاثار المحسوسة . فلو كانت الحرارة ناجمة عن تأثير فاعل آخر غير النار — كما يزعم المتكلمون في نسبتهم الاحراق الى الله — لكانت « حاسة اللمس قد تشعر بالحرارة ولكنها لا تشعر مع ذلك بحرارة النار او بان النار متّصفة بالحرارة » — وكل ذلك مناقض لشهادة الحس الذي « لا يخطئ في فهم موضوعه الذاتي »[1]. وهو يؤدي ايضاً الى ابطال « المعرفة الطبيعية » في جميع اشكالها . فلو صحّ قول المتكلمين ان الاثار الطبيعية ليست ناجمة عن فعل اسبابها الطبيعية ، بل عن فعل الخالق وحده ، لاستحالت معرفة القوى الخاصة بشيء ما ، ومعها معرفة طبيعة ذلك

---

objectum...) لذلك يجب الله خيره بالضرورة ، كما نحبّ نحن سعادتنا بالضرورة . . . ولما كان الخير الالهي كاملًا وكان يمكن له أن يوجد من دون الأشياء الأخرى (ما دام لا يستمد منها كمالًا ما) فيلزم عن ذلك ان ارادته للاشياء الأخرى ليست ضرورية ضرورة مطلقة . ولكنها مع ذلك ضرورية « بالافتراض » : لاننا اذا افترضنا انه يريد شيئًا ما فليس بوسعه أن لا يريده لأن ارادته لا تتغيّر » — الخلاصة اللاهوتية س ١٩ ف ٣ — الجواب . قابل ايضًا الخلاصة ضد ك ١ فصل ٩٧ — ومعنى ذلك ان وجود الأشياء ليس ضروريًا بالنظر الى ارادة الله الحرة ولكنه ضروري بالنظر الى واقع الخلق — اي ان الله اختار منذ البدء ان يخلق العالم على الوجه الذي قد اختاره . وواضح ان هذه « الضرورة الثانية » تحد من قدرة الله بحكم استحالة تغير ارادته وتفرض على الأشياء سياقًا لازمًا إلا عندما يفعل الله خارج هذا السياق في المعجزات — كما رأينا . ويجب ان نشير هنا الى ان القديس توما في تقريره لحرية الله انما يستهدف « الافلاطونية المحدثة » وقولها بانبثاق الأشياء او صدورها (émanation) ضرورةً عن ذات الله : راجع الخلاصة ضد ك ٢ — ف ٢٣ .

١) قدرة الله س ٣ ف ٧ — الجواب ص ٦٦ — يقيّد القديس توما هذا التأويل للاتصال بين فعل المحسوسات وبين الحواس باستثنائه لحاسة البصر (لقول بعضهم ان الرؤية تحصل بخروج شعاع من العين الى الشيء المرئي) .

الشيء التي تستلزم تلك القوى والتي يبحث عنها العلم الطبيعي[1] .

*

وهكذا فقول المتكلمين بالجواز البحت وانكارهم لفاعلية الاشياء توكيداً على قدرة الله واستقلاله بالفعل ينطويان على مهالك فلسفية هامة لانهما يؤديان الى ابطال المعرفة جملة والى اسناد السفه الى افعال الصانع الحكيم .

---

١) «فلو لم يكن للمخلوقات أثر في توليد الآثار الطبيعية لاستحالت معرفة طبيعة الشيء بآثاره وبذلك بطل «العلم الطبيعي» الذي يستخدم «القياس السببي» خاصة « in qua praecipue *demonstrationes per effectum* sumuntur» — الخلاصة ضد ٣ ، ف ٦٩ ص ٢٨٥ .

يتفق هذا البند من النقد التوماني مع ما يقوله ابن رشد (المتوفى ١١٩٨) ، في الرد على نقض الغزالي والأشعريه عامة للسببية — وهاك ما يقوله في التهافت في التشديد على النتائج الشكوكية لقول المتكلمين : «العقل ليس هو شيء أكثر من ادراك الموجودات باسبابها . . . فمن رفع الأسباب فقد رفع العقل» — تهافت التهافت — بيروت ١٩٢٧ ، ص ٥٢٢ . وهذا يبطل العلم جملة ، بل يؤدي الى ابطال تميّز الأشياء واحدها عن الآخر : «وايضاً فماذا يقولون في الاسباب الذاتية التي لا يفهم الموجود إلا بفهمها فانه من المعروف بنفسه ان للاشياء ذوات وصفات هي التي اقتضت الأفعال الخاصة بوجود موجود ، وهي التي من قبلها اختلفت ذوات الأشياء واسماؤها وحدودها . فلو لم يكن لموجود موجود فعل يخصه لم يكن له طبيعة تخصه ولو لم يكن له طبيعة تخصه لما كان له اسم يخصه ولا حد ، وكانت الاشياء كلها شيئاً واحداً اولا شيئاً واحداً» — ص ٥٢٠ . وهو يضيف الى النقد التوماني بنداً آخر وهو ان ابطال المعرفة «بالقياس السببي» يؤدي الى ابطال المعرفة بالصانع نفسه . فهو يقول : «وبالجملة متى رفعنا الاسباب والمسببات لم يكن هنا شيء يرد به على القائلين بالاتفاق اعني الذين يقولون لا صانع ههنا . . . وأن وجود الموجودات على احد الجائزين ، او الجائزات هو عن الاتفاق» — الكشف عن مناهج الأدلة ، مصر ص ٦٨ و ٦٥ . — وهو يؤدي فوق ذلك الى استحالة تقرير صفات «الصانع» بناء على معرفة افعاله : وهاك ما يقوله في هذا الصدد : «والاشعرية (باستثناء المعتزلة ص ٣١٨) جحدوا الأفعال الصادرة عن الأمور الطبيعية ونفوا مع ذلك ان يكون للاشياء الحية التي في الشاهد افعال . وقالوا أن هذه الافعال تظهر مقترنة بالحي الذي في الشاهد وانما فاعلها الحي الذي في الغائب . فلزمهم أن يكون في الشاهد حياة ، لان الحياة انما تثبت للشاهد عن افعاله . وايضاً فمن اين ليت شعري حصل لهم هذا الحكم على الغائب» — التهافت ٣٢٠ . وهو يضيف — كالقديس توما — ان قول المتكلمين بالجواز يؤدي الى ابطال حكمة الصانع في خلقه . «فلو ارتفعت الضرورة عن كميات الاشياء المصنوعة وكيفياتها وموادها ، كما تتوهمه الأشعرية في المخلوقات مع الخالق ، لارتفعت الحكمة الموجودة في الصانع وفي المخلوقات» — ص ٩٢ — راجع ايضاً — ص ٣١٩ ، ٤١٣ ، ٤٧٦ ، ٥٤٠ والكشف

وواضح ان المتكلمين لم يرموا الى هذا الهدف عمداً ، بل هو مما اقتضته اوضاعهم الفلسفية . وفي تصحيح هذه الاوضاع يجب الاصرار على ضرورة تقييد مفهوم القدرة الالهية بمفهوم آخر ليس اقل منها خطراً — هو مفهوم الحكمة الالهية[1] . لان في الانتقاص من الحكمة الإلهية — حرصاً على صيانة القدرة الالهية — انتقاصاً للكمال الالهي وتهديداً لاسس المعرفة العقلية بل وفيه — كما رأينا من نقد ابن رشد للاشاعرة — خطر آخر : هو استحالة التوصل الى معرفة الصانع بالادلة الفلسفية . لان الفلسفة قد تدلل على وجود الصانع من احد وجهين : اما عن طريق صلته السببيّة بالكون (اي بالترقي من الآثار المخلوقة الى سببها الخالق) او عن طريق النظام الذي يشاهده الفيلسوف في هذا الكون[2]. والمتكلمون (لا سيما الاشعرية منهم) يبطلون هذين الوجهين

---

٣٢ و ٧٠ . وهذه المراجع لم تكن في متناول القديس توما لان ترجمة التهافت الى اللاتينية على يد «Calo Calonymus»، ترقى الى اواخر القرن الثالث عشر—راجع رينان—ابن رشد، باريس ١٨٥٢ ص ١٧١ . ومونك — خليط (Mélanges) ص٣٥ ، إلا ان ابن رشد يعود الى هذه القضية في «شروحه»، راجع مثلاً «تفسير ما بعد الطبيعة»—بويج— بيروت ٣٨-١٩٤٢ ج ١ ص٤٤، ٨٨٦ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ .

١) راجع الفصول ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ من الخلاصة ضد الكتاب ٢ وقدرة الله س ١ ف ٥ — حيث يعرض القديس توما وجه الضرورة في الكون ، كما تقتضيه حكمة الله وعدله . وهو ينتقد في الفصل ٢٩ خطأ الذين « يحدّون من قدرة الله قائلين ان الله لا يمكنه ان يفعل خلاف ما فعل لأنه كان واجباً عليه فعله » وخطأ الذين يقولون : « أن الاشياء جميعها هي نتيجة لارادة الله المحضة دون اي علة اخرى » (absque aliqua alia ratione)—ص ١٤٩ . ويرى المستشرق الاسباني المشهور ميكال آسين ان القديس توما يعني بالفريق الأول المعتزلة، وبالفريق الثاني الاشعرية (راجع: Mélanges Mandonnet — باريس ١٩٣٠ — المجلد ٢ ص ٦٤ وترجمته الاسبانية للاقتصاد ، مدريد ١٩٢٩ — ص ١٣ و ١٤). ولكن يصعب التسليم بهذه الفرضية لان مصادرنا لا تجيز القول بأن القديس توما كان واقفاً على المشادّة بين المعتزلة والاشعرية حول مسألة «العدل» والقول «برعاية الأصلح» . والواقع ان القديس توما يشير الى صاحب الخطأ الأول بالاسم في قدرة الله س ١ ف ٥ — الجواب . وهو « بطرس المالار » (P. Almalar) وهو يعني بالفريق الثاني المتكلمين عامة — كما رأينا .

٢) راجع ما يقوله ابن رشد في الهامش اعلاه . ويقوم اثنان من الادلة التومائية الخمسة على وجود الله — كما هو معروف — على التسليم بالصلة السببية بين الله كمحرك والكون كمتحرك له (الدليل الأول) أو كسبب فاعل (causa efficiens) والكون كمسبب

معاً ، لانهم ينكرون صحة الصلة السببية بين الاشياء وآثارها – كما رأينا – فيستحيل اذن اعتمادها مبدأ للتدليل على وجود الصانع «كسبب فاعل» للاشياء.[1] ويرفضون الى ذلك الاقرار بان الاشياء في هذا العالم المخلوق انما هي تعبير عن ارادة خالقة حكيمة – في قولهم بالجواز . وفي كلا هذين الوضعين ما فيهما من الاساءة الى مفهوم اصيل لكمال الله وروعة خلقه[2] .

له (الدليل الثاني) . والدليل الخامس يقوم على النظر في « حكومة المخلوقات » او نظامها – ويسميه ابن رشد « دليل العناية » – الكشف ص ٧٣ . راجع : الخلاصة اللاهوتية ١ ، السؤال ٢ ف ٣ . ويلاحظ ان الدليلين الاولين يفترضان مبدأ له أهمية كبرى في الفلسفة التومائية هو «مبدأ القياس» (analogia) والذي يبرّر عملية الترقي التي اشرنا اليها ، خطوةً خطوة من سلسلة الاسباب الطبيعية التي تتصف بالتناهي الى السبب الاول المتصف باللاتناهية . راجع خاصة – السؤال ١٣ من الخلاصة اللاهوتية . ومؤلف «بنيدو» الهام :
T. L. Pénido — Le rôle de l'analogie en théologie dogmatique, Paris 1931

١) من الغريب ان الغزالي – وغم نقضه السببية قدوة بائمة الاشاعرة – في التهافت (سؤال ١٧) لا يتنكب عن اعتمادها اساساً لاثبات الصانع في الاقتصاد – ص ١٣ حيث يكتب : « وجوده تعالى تقدس برهانه : ان نقول كل حادث فلحدوثه سبب ، والعالم حادث فيلزم منه ان له سبباً » . وهو يضع في التالي ان الاقرار بهذا الاصل «ضروري في العقل» . ولكنه يشرح انه لا يعني بالسبب الا المرجح اي « المرجح لوجوده (اي الممكن) على العدم » . والفرق بين الدليل التوماني وهذا الدليل هو ان صحة هذا الدليل مرتبطة بصحة قضية حدث العالم او قدمه التي لا يسلّم القديس توما وابن ميمون – كما مرّ – بامكان التدليل عليها عقلياً . لذلك لا يعتمد القديس توما مفهوم الحدوث او القدم في دليله – وهو يعتبر ان اثبات وجود الله مستقل عن صحة هذا المفهوم او خطأه . راجع مثلاً الخلاصة اللاهوتية ١ ، س ٤٦ والخلاصة ضد ك ٢ ، ف ٣١ الخ . وقدرة الله – س ٣ ف ١٧ .

٢) لعله من المفيد استقصاء جميع الشناعات (inconvenientia) التي تلزم عن انكار المتكلمين لفاعلية الاشياء – كما يوردها القديس توما في الفصل ٦٩ من الكتاب الثالث من الخلاصة ضد الامم . فهو يضيف الى النقاط الاساسية السابقة التي عرضنا لها ما يلي :

أ – القول بتفرّد الله بالفاعلية يؤدي الى استحالة تنوّع الآثار الطبيعية – بحكم كون فاعلها واحداً .

ب – ويؤدي رفع فاعلية الأشياء الى رفع النظام والتساوق بين الموجودات : « لان الاشياء المختلفة بالطبيعة لا رابطة توحّد بينها سوى كون بعضها فاعلاً وبعضها منفعلاً » .

ج – اذا كان « للصورة العرضية » فعلها الخاص فإن الأولى ان يكون « للصورة الجوهرية » فعلها الخاص ايضاً . « فالصورة الجوهرية » للسبب الفاعل هي مبدأ الفعل الذي

تتولد عنه صورة الشيء المفعول الجوهرية – « كما أن الصورة العرضية» هي التي تجيز المادة لتلقي فعل السبب المولّد على سبيل التغيير (per alterationem).

د – ليس يلزم عن القول ان فعل الاشياء الطبيعية يتمّ بواسطة «الصفات الفاعلة والمنفعلة (وهي اعراض) » انه لا يصدر عن فعل هذه الاشياء سوى اعراض لأن الصورة الجوهرية بالاضافة الى المادة هي سبب الاعراض الخاصة جميعها . فلزم عن ذلك ان « الصور العرضية » نفسها قد تولد « صوراً جوهرية » – لأن فعلها راجع الى هذه الصور ، ولأن نسبتها اليها نسبة الآلة الى الصانع الذي يفعل بها – وهذا يبطل دعوى ابن سينا الآنفة .

ه – من السخف ان يقال ان الاجسام لا يصح اسناد الفعل اليها لأن الاعراض لا تنتقل من محلّ الى آخر . لاننا حين نقول ان الجسم الحارّ يولّد الحرارة في جسم آخر فلسنا نعني ان الحرارة نفسها التي كانت في الجسم الحارّ الاول قد انتقلت الى الجسم الثاني . بل نعني ان فعل الحرارة التي في الجسم الاول جعل الحرارة التي كانت في الجسم الثاني بالقوة وحسب تصبح حرارة بالفعل ايضاً . وهكذا فأثر الفاعل الطبيعي ليس هو من حيث يعطي صورته الخاصة لجسم آخر بل من حيث يحوّل ذلك من القوة الى الفعل .

ويفنّد القديس توما دعوى «ابن جبيرول» الآنفة الذكر كما يلي : أ – ليس صحيحاً ان الكمّ تعوق الفعل إلا بالعرض (nisi per accidens) – لانها قد تؤدي احياناً الى الزيادة في قوة الفاعل لا الى النقصان . كما تؤدي ضخامة الجسم الحارّ الى شدة الحرارة الناتجة عنه مثلاً . ب – ليس يلزم عن القول بأن الجسم هو ادنى الاشياء في سلّم المخلوقات (ولذلك يستحيل عليه الفعل في ذات دونه) أن الجسم لا فعل له . لأن في جميع الاجسام مها انحطت في سُلّم المخلوقات ناحيتين اثنتين : ناحيةُ الصورة ، وهي مبدأ الفعل ، وناحية المادة ، وهي مبدأ الانفعال ، في الاشياء الطبيعية . ج – وليس صحيحاً أيضاً ان الاجسام بعيدة اقصى البعد عن الله . لأن الله هو « فعل محض » (actus purus) فكانت الاجسام قريبة او بعيدة عنه بمقدار نصيبها من الفعل ، اي بمقدار ما هي بالقوة او بالفعل . لذلك كانت المادة الاولى (materia prima) ابعد الاشياء عنه . أما سائر الاجسام فهي مركّبة من المادة والصورة فهي قريبة من الله بحكم صورتها . وهو يردّ على افلاطون في قوله المذكور آنفاً كما يلي : ليس من الضروري ان كل ما كان ذا صورة بالمساهمة (participation) فيجب ان يستمدها مما هو صورة بالذات (essentialiter) مباشرة . لأنه يمكن ان يستمدها مباشرة من شيء مماثل : اي ذي صورة بالمساهمة – وان كان هذا الشيء قد يفعل بقوة «الصورة المفارقة» – اذا سلّمنا وجود هذه الصورة – والقديس توما يسلم وجود هذه « الصور » بالتحفظ الذي اشرنا اليه قبل .

الرسالة المشفية للامراض المشكلة

في المراقيا

رسالة طبيّة خطيّة (تابع)

تأليف

أحد العلماء المتبحّرين وأمجد الفضلاء المدقّقين

أوحد زمانهِ وجالينوس عصرهِ وأوانهِ

الحكيم فيضي مصطفى افندي

عُنيَ بنشرها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

﴿ الفصل السادس ﴾

في بيان تقدمة المعرفة في هذه العلّة

إعلم ان هذه العلّة هي من الامراض المزمنة ، وان المتأخرين من الاطبّاء اللاتينيّين كـنرطوس وزُيور وغيرهما من الحكماء قد سمّوا هـذا المرض عيب الاطباء وعذابهم لكون هذه العلّة هي خلطٌ غليظٌ سوداويٌ ، وظهورها هو سبب وقوع السُدد في الاعضاء الخاصة وسوء الأمزجة لاجل ذلك كان علاجها عسرًا . فينبغي ان يكون تدبيرها بالرفق وملاطفتها بحسن التدبير . وان اكثر المبتلين بهذه العلّة قد تكون معدهم باردةً وفي كبدهم وطحالاتهم وعروق الماساريقا سوء مزاج حارّ فان تدبير وتعديل سوء أمزجة هذه الاعضاء لأمرٌ عسيرٌ جدًّا . والطبيب اذا كان كاملًا يلزمهُ أن يعالج المريض زمانًا طويلًا بالتدريج حتى ان العليل يشاهد نوعًا من الفائدة . والمبتلون بهذه العلّة ان كانوا رجالًا فيعرض لهم دم البواسير . وان كانوا نساء فيعرض لهنَّ دمُ الحيض . ان ذلك لعمري علامة جيّدة ، الّا انه لا يكون مفرطًا حيث ينهك القوى . والرجال فيهم استعدادٌ لهذا المرض اكثر من النساء ، لانَّ الرطوبة غالبةٌ في أمزجة النساء ولكون كل شهر يخرج منهنَّ دمُ الحيض ، فالطبيعة تدفع الفضول . فالنساء

بالنسبة الى الرجال هنَّ أقلّ استعداداً لهذه العلّة . وان كان هذا المرض يظهر فيهنَّ بسبب احتباس دم الحيض يكون عسير العلاج . وان كان المريض يرعفُ من أنفه الايسر ينتفع من ذلك أحياناً . والقيءُ في هذا المرض علامةٌ رديئة. وأمّا اللينُ فعلامةٌ جيدة . وان كان يتقيّأ المريض دائماً ولا يصير له هضمٌ فمن حيث انه لم يحصل له بَدل مما يتحلّل قــالوا : ان المريض يُبتلى بحمّى تُشبهُ حمّى الدقّ وبسبب الهزال يهلك . وان كان يعتري المريض في هذه العلّة صداعٌ شديدٌ ويتمادى به فيُخشى عليه من الصرع والتشنّج والعمى .

وهذه الأعراض المذكورة قد يظهر أحدهـا في بعض المرضى وفي بعضهم اكثرها . وقد يعرض للمريض السكتة احياناً . وان كانت كبد صاحب هذه العلّة ضعيفةً فتكون سبباً لظهور الاستسقاء فيه احياناً . وان كانت العلّة في الجانب الأيمن فهي يسيرة العلاج سهلة . وان كانت في الجانب الأيسر فهي عسرة العلاج . وان كانت في الجانب الأيسر والأعراض كثيرة ايضاً وخصوصاً اذا كانت السوداء ناشئةً عن صفراء محترقة فيعسر العلاج بزيادة . وان كان الشحمُ تحت المعدة الذي يُقال له صفاق وهو تحت الصدر ، وبالعربي يُقال لهُ الثرب ، يعرض لهُ نفوذ ريح . فذاك الريح لا يمكن تحليلهُ بوجهٍ من الوجوه اصلاً ، فان كان في هذه العلّة يكون البول غليظاً فانّه أولى من ان يكون رقيقاً ، لانه اذا كان رقيقاً فهو دلالةٌ على عجز الطبيعة عن دفع الخلط الغليظ. وان كان البول أسود بلا حمّى فهو دلالةٌ على دفع هذه العلّة.

﴿ الفصل السابع ﴾

في بيان تدبير مرض المراقيا اجمالاً

اعلم ان اسباب أصل مادّة هذا المرض هما اثنان : الاوّل من تجمّع الأخلاط الفاسدة والغليظة في الأعضاء الهاضمة . الثاني هو من سوء المزاج والسدد الواقعة في الأعضاء المذكورة . فعلى هذه الحال فقد يجب اذاً على الطبيب بان يكون عالماً باربعة قوانين في تدبير هذه العلّة لئلّا يضرّ العليل بسوء تدبيره .

القانون الأول : ان ينقّي الأخلاط الفاسدة بالرفق .

القانون الثاني : ان يعطي تقويةً للأعضاء التي ضعفت بسبب سوء المزاج،

وان يستعمل الأدوية التي تُنعش الحرارة الغريزية في الأعضاء المأوفة .

القانون الثالث : ان يعدّل مزاج الأعضاء المأوفة حتى لا يتجدّد فيها تولد أخلاط فاسدة .

القانون الرابع : إنّ الأخلاط الغليظة التي أورثت في المجاري سدّةً فعرضت اليبوسة من حرارتها، ينبغي ان تُرطّب يبوستها بالأدوية المرطّبة وتُقطع لزوجتها بالادوية المقطِّعة وتُفتح سددُها بالادوية المفتّحة .

وحاصل الكلام : ان علاج هذا المرض عسرٌ جداً لاجتماع الاضداد ، لأنّ اكثر اصحاب هذا المرض تكون معدهم باردةً وأكبادهم حارّةً . فينبغي ترقيق الاخلاط الغليظة التي في المعدة وتقطيع غلاظتها بالادوية المقطّعة . ومع هذا فانّ هذه الافعال تحصل من استعمال الادوية الحارّة . فعلى هذا الحال قد تقتضي فيه المبرّدات لاجل الحرارة الحاصلة في الكبد بسبب الاخلاط الفاسدة المحترقة والتهاب فم المعدة الاسفل الذي يُقال له البواب وسوء مزاج سائر الاعضاء الحارّ . فالطبيب الذي يباشر جمع مثل هذه الاضداد ينبغي ان يكون حاذقاً لكي يُحسن تدبيرهُ فيجد العليل خفّة علّته بعدّةٍ مديدة .

﴿ الفصل الثامن ﴾

في بيان علاج المراقيا السوداويّة على وجه التفصيل

إعلم ان المبتلين بهذه العلّة تكون اكثر أخلاطهم سوداء ، والسوداء في ذاتها يابسة فاذا قصدتَ تنقيتها ينبغي ان يكون الدواء مرطّباً وملّيناً بالرفق . فانّ المسهّل القويّ يصير سبباً لاشتداد المرض ولربّما لهلاك المريض ، لانّ الادوية المسهّلة القويّة لا بُدّ ان يكون فيها سميّةٌ تُخرج من الأخلاط رقيقها بالعنف وبسبب حرارتها تُغلّظ غليظ الاخلاط ايضاً وتكون سبباً لابقائه .

ومع هذا فان الادوية المسهّلة القويّة هي عدوّة المعدة والكبد خصوصاً لانّ المعدة والكبد في هذه العلّة يكونان مأوفين . فاذا أُعطي المريضَ مسهلاً قويّاً يزداد الضعف وسوء المزاج الحارّ الذي يزيد في الكبد ايضاً .

ومن القواعد الكليّة ان جميع الامراض السوداويّة لا يجوز لها مسهلٌ قويٌّ لانها تُخرج قوى الاخلاط . وأمّا غليظها فيتحجّر مثلاً في حمّى الربع اذا أُعطي مسهلاً قويّاً قبل النضج فيحرّك السوداء ولكونه يُخرج رقيقها ويُبقي

غليظها متحجرا تصير حتّى الواحدة اثنتين. واحياناً تكون الحمّى خارج العروق فيصير ذلك سبباً لادخالها داخل العروق . فعلى هذه الحالة ينبغي استعمال المسهِّلات اللازمة للامراض السوداويّة بالرفق .

ج

فمن صنعة حقنة متوسطة ، وهي هذه : يؤخذ ورق الخبازي ، وورق حشيشة الزجاج ، وورق البنفسج ، وورق الخطمي ، وورق السلق ، من كل واحدة قبضة . وملء فنجان شعير مقشور ، وثمانية دراهم بسفايج أخضر طري مرضوض ، وأجاص أماسيا عشرين درهماً . تُطبخ هذه الاجزاء المذكورة بماء على قدر الكفاية . وبعد طبخها يُؤخذ من مائها ٥٠ درهماً ويُضاف اليها ١٠ دراهم عسل الخيار شنبر و ٢٠ درهماً دهن لوز حلو ويُحتقن بها .

فان كانت هذه الحقنة لا تعمل عملًا كافياً فلتكرَّر ثاني يوم دفعةً أخرى. وبعدهُ ان كانت قوّة المريض مساعدة فليُفصَد قدر اربعين او خمسين درهماً دماً من الساعد الأيمن من عرق الكبد . وبعد ان يستريح يوماً او يومين فليستعمل الاحتقانَ المذكور يوماً او اثنين ، ثمَّ يُراح يوماً ويُفصد كذلك من الساعد الأيسر من عرق الطحال . واذا كان سبب المرض هو من احتباسَ دم الحيض فليكن الفصدُ الثاني من الرِّجل اليسرى من الصافن . واذا كان من احتباس دم البواسير يُعلّق على المقعدة من جانب اليمين علقتان ومن اليسار علقتان ، وتبقى هذه العلقات الى ان تسقط من ذاتها . وبعد سقوطها يوضع في لكن ماء مسخَّن على قدر الاحتمال الى نصفه ، ويوضع في داخله جنَبق ويجلس المريض فوقه قدر نصف ساعة . وبعد ان يخرج منه قدر ثلاثون درهم دم ، يقوم عنهُ . ويوضع موضع العَلَق هذا المرهم لاجل قطع الدم . وهذه صفتهُ :

يؤخذ صفار بيضة ودم أخوين درهم واحد ، ودرهم ملح طرطير ، ودرهم مجبار . وبعد سحق وانخل هذه الاجزاء تُخلط بصفار البيضة وتُطلى على قطعة خرقة وتُوضع على موضع العَلَق .

وان لم ينقطع الدمُ دفعةً واحدة فليُستعمل هذا المرهم دفعةً أخرى . وان كان لا يمكن وضع العَلَق والكبد يكون مأوفاً ، فليؤخذ مقدار ٥٠ أو ٦٠ درهم دم من الصافن من الرِّجل اليمنى . وان كان الطحال مأوفاً يؤخذ من

الصافن من الرجل اليسرى مقدار ٥٠ أو ٦٠ درهم دم .

وبعد راحة يومين يؤخذ ثلاثون درهم مَنّ افرنجي ويُذاب بمطبوخ ويُعطى له . أو ان يؤخذ عشرة دراهم عسل الخيار شنبر ويُضاف اليها درهم أنيسون مسحوق ويُعطى . لانّ الريح الذي في عسل الخيار شنبر يُصلحه الانيسون ، فلاجل ذلك تُستعمل الادوية الريحيّة .

وبعد الراحة يوماً او يومين يؤخذ مئة درهم ماء جبن خالص ، وثلاثة دراهم سنامكي ، ودرهمان أنيسون ، ودرهمان ملح طرطير الذي يُقال له قريمورطرطو ، وتُنقع هذه الاجزاء كلُّها في ماء الجبن اثنتي عشرة ساعة . وبعد تصفيتها تُشرب على الريق . وبعد ثلاث ساعات يتناول الطعام .

وهذه المسهّلات كلُّها منها ما يكون عمله بالرفق ، وهي تُستعمل في الامراض السوداويّة وغيرها . وما كان منها مناسباً لحالة المريض فليُستعمل بعد التأمل .

اعلم ايضاً ان سبب هذا المرض هو الاخلاط المحترقة السوداويّة فانها تُصعد الابخرة رديئة الى القلب والدماغ فتظهر اعراض رديئة كما تقدّم بيانه . فينبغي استعمال الادوية القلبيّة والدماغيّة في الايام التي يُترك فيها استعمال هذه المسهّلات المذكورة آنفاً ، كهذا المعجون الذي يقوّي الاعضاء الرئيسيّة ويمنع صعود الابخرة اليها . وهذه صفته :

كابا شكر . خميرة البنفسج . خميرة زهر لسان الثور . مربّى قشر الكبّاد السكّري . من كلّ واحد عشرة دراهم . مربّى املج درهمان . مربّى كابلي درهمان . معجون القرمز خمسة دراهم . قرن الأيّل مدبّر درهمان . بادزهر معدني درهمان . سفوف ديارودون درهمان . لؤلؤ مدبّر مثقال . مرجان مدبّر مثقال . عنبر درهم . مسك درهمان . ورق ذهب خمس دستات .. تُعجن هذه الاشياء بشراب التفّاح الحلو ويُستعمل منها بقدر الشاهبلوط[1] على الريق ، ويُشرب عليها قدر فنجانين من ماء السقورزونه ، وماء لسان الثور ، وماء البدرنجبويه . وتخلط المياه المذكورة بعضها ببعض وتُشرب على المعجون . وبعد ساعتين يُستعمل الغذاء . ويجب ان تغسل رجلا العليل بماء حارّ الى ركبتيه وتُدلكا ، فان ذلك يمنع صعود البخار الى دماغه وقلبه .

---

[1] الشاهبلوط : قمح كبير .

وان لم تكن الحرارة زائدة ، أو كانت معدتهُ باردةً بزيادةٍ ، فليأخذ من المعجون المفرّح المذكور عشرة دراهم . وعشرة دراهم من المفرّح الياقوت الحارّ . وعشرة دراهم دواء مسك . تخلط هذه الاجزاء بعضها ببعض ويستعمل منها على الريق بقدر الشاه بلوط ويشرب عليها فنجانين من المياه المذكورة . وبعد ساعتين يتناول الطعام .

ت

وقد اتفق جمهور الاطباء اللاتينيين في الامراض السوداوية وقالوا : اننا جرّبنا كلَّ المفرّحات بعد التنقية فوجدنا ان الذين داوموا البادزهر الماني وشربوا عليهِ من المياه المذكورة خلصوا باذن الله تعالى ، من كون البادزهر يقوّي القلب ويفتح السدد وهو بالاخص عظيم النفع في الامراض السوداويّة .

أمّا طريقة استعماله : انهُ بعد التنقية والفصد يؤخذ نصف درهم بادزهر ماني ويُسحق في هاونٍ من فضّةٍ ويُحلُّ بماء الورد ويُشرب . وعلى هذا المنوال يداوم استعمالهُ قدر عشرين يوماً او ثلاثين . وهذا المطبوخ ايضاً يُعدّل بسوء مزاج الاعضاء المأوفة فيفتح سددها وينضج الخلط السوداويّ .

صفتهُ : يؤخذ من الهليون وعرق الانجيل ، وأصل الهندباء . من كلٍّ خمسة دراهم . وغافت ، وحشيشة الذهب ، وبرشاوشان[1] ، ولسان الثور ، من كلٍّ نصف قبضة ، ودرهم من ملح الطرطير . تُطبخ هذه الاصناف بمقدار الكفاية من الماء مع فرّوج يُغلى معها سويّةً حتى ينضج ويُصفّى الماء ويُشرب سخناً كالقهوة على الريق مدة سبعة ايام متوالية .

وهذا المطبوخ يُجدَّد كل يوم . واذا عرض مع شربه قبضٌ تُستعمل الحقنة المذكورة آنفاً على ثلاثة ايام متوالية . أمّا في اليوم الثامن فليُستعمل الملّين المركّب بماء الجبن المتقدّم ذكره في الفصل الاول . وبعد ثلاث ساعات يُؤكل الطعام او تُستعمل عشرة دراهم من معجون الكاتاليكون ويُشرب عليهِ مقدارٌ من ماء الجبن . وبعد ثلاث ساعات يتناول الطعام . وبعدهُ يستعمل المطبوخ الذي فيهِ الفرّوج ويُشرب عليهِ ماء الجبن كالاوّل . او يُستعمل معجون الكاتاليكون كما تقدّم القول .

١) البرشاوشان : كزبرة البير .

وان كان المريض تناول المطبوخ الذي بالفرّوج فليستعمل هذا الشراب .

وهذه صفتهُ : يُؤخذ من أصل لسان الثور، ومن اصل الهندباء ، والهليون ، والخاض ، من كلّ خمسة دراهم . وورق طرفاء ، وغافت ، وحشيشة الذهب ، وورق الخسّ ، وبرشاوشان ، وشاهت ، ولسان الثور البستانيّ والبرّي ، من كلّ نصف قبضة . وبزر بطيخ ، وجبس ، وخيار ، وقرع مقشورة . من كلّ ثلاثة دراهم . ودرهم أنيسون ، ودرهم رازيانج ، وأربعة دراهم بسفايج مرضوض ، ودرهمان أفتيمون .

تُطبخ هذه الاشياء المذكورة بمقدار الكفاية من الماء ، وبعد تصفيتها ، يؤخذ درهم ونصف راوند، أو درهم ونصف قرص غاريقون، ودرهم دارصيني، ودرهم سنبل هندي . تُنقع هذه الاشياء بالمطبوخ المذكور من الماء حتى الصباح وبعدهُ تُصفّى ايضاً ، ويُضاف اليها عشرون درهم من الشراب الديناري ويُشرب على الريق دفعةً واحدة . وبعد ثلاث ساعات يتناول الطعام .

واعلم انهُ اذا كانت آفةٌ في اكباد المبتلين بهذه العلّة، فيجب ان يشربوا ماء الجبن بهذه الصفة وهي :

يُؤخذ درهم ونصف راوند منقوع مصنّع مع عشرين درهم مكرّر الورد كما مرَّ آنفاً . وان كانت الآفة في جانب الطحال يُشرب هذه الصفة وهي :

يُنقع درهم ونصف غاريقون بماء الجبن اثنتي عشرة ساعة ويُصفّى ويضاف اليه خمسة عشر درهماً من افرنجي ويُسقى على الريق . وبعد ثلاث ساعات يتناول الطعام .

وقال ديرو الطبيبُ اللاتينيُّ : ان مطبوخ الديك الهرم كثير النفع في هذه العلّة .

وصفتهُ : اصل هليون . اصل كبر. ورق طرفاء ، من كلّ خمسة دراهم . سقولو تندريون . برشاوشان ، من كلّ قبضة . انيسون . حبّ أترج ، من كلّ درهم . ستامكي اربعة دراهم . بسفايج خمسة دراهم . أفتيمون ثلاثة دراهم . دارصيني نصف درهم . قرعوطرطو درهمان . يُطبخ مع ديك هرم ويُغلى بماء على قدر الكفاية حتى يهترئ الديك ويصفّى ويشرب على الريق .

وبعد ثلاث ساعات يتناول الطعام ويُدبَّر بعد استعماله كتدبير باقي الاستفراغات. ثمَّ يدخل الحمَّام المعتدل الحرارة فانهُ نافعٌ للغاية .

ورُويَ عن جالينوس الحكيم : ان الحمَّام القديم البناء ، العذب الماء ، المعتدل الحرارة ، ينفع اصحاب هذه العلّة نفعاً بليغاً خصوصاً اذا أُضيف الى مائهِ طبيخ هذه الاجزاء وهي : الخسُّ . وورق البنفسج . والشعير المقشور . والتفّاح المسكيّ . وما شاكل ذلك بشرط ان لا يبطئوا المكث في الحمَّام .

ثمَّ تُدهن المعدة بهذه الادهان وهي : دهن الافسنتين . ودهن مستكي . ودهن جوزبوا مفردة ومجموعة .

واذا كانت الآفة في الكبد يُفتح كيّ في الساق في الجانب الأيسر ، ليكون منفذاً للاخلاط الفاسدة المتولّدة يوماً فيوماً .

وان لم يفِ ذلك لتراكم الاخلاط الفاسدة فليستعمل هذا الشراب . .

وهذه صفتهُ : عصارة لسان الثور البرّي والبستانيّ . عصارة هندباء . عصارة خسّ . عصارة مشهترج . عصارة حمّاض . عصارة تفّاح . عصارة بادرنجبويه . من كلٍّ ثلاثمئة درهم . عصارة بسفايج مئة وخمسون درهماً . وبعد تصفيتها يُنتقع فيها عشرون درهم سنامكّي . وأربعة دراهم افتيمون يوماً وليلةً ويُصفّى على ثمانية دراهمَ غاريقون ودرهم زنجبيل ودرهم قرنفل مسحوقين . ثمَّ يُترك اثنتي عشرة ساعة ويصفَّى على ثمانية دراهم راوند ، ودرهم سنبل هندي وثمانمئة درهم سكّر ويُصفّى ويقوَّم شراباً . والشربة منهُ خمسة وعشرون درهماً بماء لسان الثور وماء الكرزونيرا .

وان كان العليل ضعيف القوى لا يقدر على استعمال المسهّلات ، فليستعمل الحقنة المتوسطة المذكورة في اول باب الملاج ، كل ثلاثة ايام دفعة . فهي جليلة النفع لان مادّة هذا المرض السوداء وذات السوداء يابسة غليظة . فالحقنة المتوسطة ترطّب اليبوسة وتُخرج المادة بسهولة وتعدّل الحرارة العارضة للاعضاء المأوفة ولا تضرُّ بالقوى . حتى ان ديرُيو الحكيم يقول : اننا عالجنا اكثر اصحاب هذه العلّة بالملاجات المتنوّعة فلم تقدهم شيئاً فداومناهم بالحقنة المتوسطة الملينة فبرئوا .

٥

واعلم ان المبتلين بهذه العلّة اذا شربوا ماء الجبن بعد التنقية في فصلي الربيع

والخريف فانهُ ينفعهم غاية النفع ، لانَّ ماء الجبن يغسل الاعضاء الباطنة ويسهل برفق ويفتح السدد ويعدل سوء المزاج الحارّ الكائن في الاعضاء الباطنة . وحكماء اللاتينيين رووا بانه يجوز الشراب من ماء الجبن مئتي درهم.

وانا الفقير[1] لم استصوب الشرب منهُ أزيد من مئة وخمسين درهماً ، لانَّ زيادتهُ باعثةٌ على الكراهة . ولكنَّ البعض يقدر على شرب الكثير ، وانما هذا خارجٌ عن صددنا .

وطريقة شرب ماء الجبن هو ان يوضع نصف درهم دارصيني في مئة وخمسين درهم ماء الجبن لدفع الضرر عن المعدة وليشرب منهُ فاترًا دفعة واحدة . وبعد مرور ساعة يستعمل عليهِ المعجون المفرّح المتقدّم ذكره سابقاً بقدر الشاهبلوط[2] . وبعد ساعة أخرى يباشر الطعام .

وان بعض اصحاب هذه العلّة يعرض لهم الهزال . والمقول عن ديرو الحكيم وجان توزون ، بحيث انهُ يجب شرب لبن الأُتن بعد التنقية قالوا : اننا سقيناهُ لكثيرين فشاهدوا من شربهِ الفائدة عياناً .

وانا الفقير رأيتهُ مناسباً بزيادةٍ . واستعمالهُ هكذا : هو ان تحلب اللبن[3] وقبل ان يبرد يضاف الى كلّ اربعين درهم منهُ عشرة دراهم من السكّر ويشرب على الرّيق مدة اربعين يوماً فانَّ بهِ فائدةً عظيمة .

ع

واعلم ايضاً انهُ اذا لم تندفع السدد التي في الكبد والطحال وعروق الماساريقا بعد هذه التنقية فلتوضع على العضو المأوف الكمادة وهي :

يؤخذ أصل هندبا . وغافت . وأصل رازيانج . أصل هليون . افسنتين . ورد . خطمي . خبّازى . من كلٍّ قبضة . وتُغلى هذه الاجزاء بماء على قدر الكفاية الى ان يذهب النصف . وقبل ان يبرد الماء يُلتقط بقطعة اسفنجة جديدة وتُكمد على الكبد . ويكرّر هذا العمل دفعاتٍ متعددة . وبعدهُ يُنشَّف المحلّ . ويؤخذ من هذه الادهان المخلوط بعضها ببعض ويُدهن بها سخنةً . وهي هذه :

---

١) الضمير عائد الى الحكيم فيضي مصطفى افندي مؤلف هذه الرسالة .
٢) قم كيبو ، وقد مرَّ تفسيرها .
٣) اي الحليب .

دهن افسنتين . دهن ورد . دهن دجاج . دهن لوز . هذا اذا كان تحت المعدة ورمٌ او صلابةٌ فتُعمل الكمادة والدهن المقدَّم ذكرهما المختصَّين بالكبد.

واما اذا كانت العلّة في الطحال فيُعمل هذا الكمد . وهذه صفتهُ :

أصل قبّار . أصل كرفس . أصل بقدونس . اصل رازيانج. بنجنكشت. خبازي . خطمي . من كلٍّ قبضة . طرفاء قبضتان .

تُغلى هذه الاعشاب بماء وخلّ خمر بالسويَّة على قدر الكفاية . وبعد ان يُكمَّد بها على المنوال الذي ذكرناهُ ، يُدهن بهذه الادهان وهي :

دهن كبر . دهن افسنتين . دهن ورد . دهن زنبق . دهن دجاج . دهن وز .

تُطبخ هذه الادهان بأوقيَّة خلّ خمر ويُلقى عليها مقدار قبضتين أصل خطمي مرضوض ويُطلى موضع الطحال بهذه الادهان المذكورة ، فانها تُلين السدد وتحلّ الاخلاط الغليظة .

وفي اثناء استعمال الكماد والادهان لا بدَّ من استعمال الحقنة المتوسطة الملينة الخفيفة في كل خمسة او ستة ايام دفعةً واحدة ، حتى يلين العضو المأوف بتكرار الكماد والادهان بالتدريج وتخرج الاخلاط بالحقنة .

وان قوسمو الحكيم يمدح هذا الحبَّ في علاج هذا المرض ، لأنَّهُ يُخرج الاخلاط الفاسدة بالرفق والسهولة ويفتح السدد . وهذه صفتهُ :

يؤخذ سنامكي مسحوق درهم . ملح طرطير درهم . دار صيني دانق . تُعجن هذه الاجزاء بشراب الليمون وتُعمل حبوباً .والاستعمال منها مقدار نصف درهم على الريق . وبعد ساعة او ساعتين يستعمل الطعام فيعمل مجلسين او ثلاثة .

وانا الفقير استصوبتُ هذا الحَبَّ بزيادة واستعملتهُ في هذا المرض كثيرًا وشاهدتُ فائدتهُ عياناً ، لانَّ ملح الطرطير يُخرج السوداء ويُصلحها ايضاً . والدليل على ذلك هو انه اذا ألقيت منهُ مقدارًا في الخلّ فانهُ يُزيل حموضتهُ بالكليَّة من حيث ان فائدتهُ تبين في اخراج السوداء .

٥

وان بعض الحكماء اللاتينيّين مدحوا عصارة الافسنتين في هذا المرض . وهذه صفة عملها :

وهو ان تُصفى عصارة الافسنتين وتطبخها على نار لينة حتى تصير في قوام العسل وتوعيها في مرطبان وتأخذ منها احياناً وتخلطها بالأشق وتعملها حبّاً.

وانا الفقير امدحُ هذا الحبَّ ايضاً اذا كانت العلّـة في الطحال لكون الافسنتين مرّاً ، والمرّ ينفع الطحال بحرارته خصوصا لانهُ يناسب الكبد والمعدة ايضاً بزيادة . والاشق هو من ادوية الطحال كونهُ يفتح السدد ويُذيب لزوجة الخلط . وبعضهم رأى ان مداومة استعمال مطبوخ الافسنتين بعد التنقية مناسبٌ جداً .

وانا الفقير رأيتهُ مناسباً ايضاً . ولكن ينبغي ان يكون طبخهُ على هذا المنوال :

يؤخذ الافسنتين . وورق لسان الثور . وأصل لسان الثور . وبادرنجبويه . وهندباء . من كلّ قبضة . تُطبخ بماء على قدر الكفاية . ويؤخذ من الماء المطبوخ عشرون درهماً وتُضاف اليه خمسة دراهم من السكّر ويُستعمل على الريق . وفائدة هذا المطبوخ أولى وأحرى من مطبوخ الافسنتين وحدهُ . وقد يعرف ذلك من كان لهُ درايةٌ في احوال المركّبات ، لانّ الافسنتين في هذا المطبوخ ينفع الكبد والطحال والمعدة . والهندباء تعدّل حرارة الكبد وتفتّح . والبادرنجبويه ولسان الثور يُنضجان الخلط السوداوي ويقوّيان القلب ويحفظان الاعضاء الرئيسيّة .

وأمّا الافسنتين بمفرده فلم تكن لهُ هذه الفوائد كلُّها .

واعلم ان اكثر المبتلين بهذه العلّة تكون طبائعهم مصابةً بالقبض كما بيّنّاهُ آنفاً . فيقتضي اذا لهم التليين ببعض الأدوية الليّنة الخفيفة . فتارةً بالخيار شنبر . وتارةً بمعجون الكاثوليكون . وتارةً باستعمال السنامكي بماء الجبن المحرّر سابقاً .

والمنقول عن منطوبا الحكيم : ان من استعمل على الريق ثلاثة دراهم من التربتينا الساقزيّة المغسولة بماء الهندباء او بماء الورد أو بالماء القراح مع ماء لسان الثور دفعةً واحدةً او اثنتين ، في كلّ سنةٍ ، فانها تنفعهُ ايضاً لانّ التربتينا تليّنُ وتحلّلُ البلاغم الغليظة التي في المعدة وتنظّف المعدة وتنقّي الاخلاط الغليظة التي في المجاري وتفتح السدد وتعمل إدراراً من غير ان تضرّ بالكبد .

وان كانت السدد التي في الكبد والطحال وعروق الماساريقا لا تنفتح بهذه العلاجات المقدَّم ذكرها ، فليستعمل هذا الحبّ . وانا الفقير قد جرَّبتهُ فشاهدتُ زيادة نفعهِ في تفتيح السدَّة . وهذه صفتهُ :

يؤخذ غاريقون ابيض درهمين . راوند درهمين . سنبل هندي . دارصيني ، من كلّ نصف درهم . تُعجن هذه الاجزاء بمقدار الكفاية من التـرتينا وتحبّب ، والاستعمال منهُ درهمٌ في كلّ يومين أو ثلاثة .

٥

والمنقول عن زوفوتهٔ الطبيب البرتوغالي ، من عمدة الاطباء اللاتينيين المتأخرين . قال : انني عالجتُ المبتلين بهذا المرض علاجات متنوّعة ، واذ كان المرض فيهم عسر العلاج في الغاية لم يجدوا شفاء . وحيث لم يظهر اثر لتدبيري في علاجهم اصلًا ، حزنتُ لذلك كثيرًا . قال : انني عالجتهم بعد ذلك بقرص سنّ الفيل الذي يقال لهُ العاج وداويتهم بهِ مدَّة اربعين يومًا فشفي ما بهم من المرض باذن الله تعالى ، لانَّ فوائد العاج كثيرة وتفريحهُ للقلب عظيمُ التأثير ، وليس لهُ نظير في تفتيح السدَّة التي هي من اعظم اسباب هذا المرض . وهذه صفتهُ :

يؤخذ من سنّ الفيل (العاج) ثلاثون درهمًا مبرودةً بالمبرد بردًا ناعمًا جدًا . ومئة وعشرون درهمًا من السكّر ، تُطبخ بماء الزهر حتى تصير في قوام الرُّبّ وتُلقى عليهِ البرادة وتُعمل اقراصًا ، والاستعمال منهُ خمسة دراهم في كلّ يوم على الرّيق ويُشرب عليهِ فنجان ماء الاسقروزنارا وماء البادرنجبويه مخلوطًا .

وقد اتفق جمهور الحكماء اللاتينيين على ان الامرأة التي لم تحمل من قبل جريان حيضها ، اذا داومت استعمال هذا القرص في كلّ يوم خمسة دراهم على الرّيق مدَّة اربعين يومًا متوالية بعد التنقية ، فانها تحمل . وانا الفقير قد جرَّبتُ ذلك وصحّ معي باذن الله تعالى من غير تخلُّف .

٥

وان كانت السدَّة لا تنفتح بهذه العلاجات المقدَّم ذكرها ، فقد اتفق حكماء اللاتينيين على اعطاء شراب الفولاذ . وبعضهم اختار معجون الفولاذ . وبعضهم حبّهُ . ولكن انا الفقير رجَّحت استعمال شرابهِ ، لانهُ اذا أُعطي

المعجون او الحبّ فمن حيث ان لهُ جرماً فيحتاج بعد تناوله الى حركةٍ ليسرع نزولهُ عن الاعضاء ، والحركة تقتضي من العليل ان يكون قويًّا ، وأصحاب هذه العلّة بخلاف ذلك لضعف قواهم . فمن هذا الوجه يترجّح عندي استعمال الشراب هذا ، عدا ما للحبّ والمعجون من الحرارة واليبوسة . وهذه صفةُ الشراب :

يؤخذ من برادة الفولاذ خمسون درهماً ، وثلاثون درهماً من ماء الدارصيني المستقطر بماء الورد . ويُطبخ على نارٍ ليّنةٍ في اناء فخّار مدهون ولتُحرَّك دائماً ، وتؤخذ رغوتها في اناء آخر ، وكلّما نقص ماء الدارصيني يُزاد الى ان يتكرّر هذا العمل أربع دفعاتٍ . وبعدهُ تُرفع البرادة من المطبوخ ، ويُطبخ الماء المطبوخ الى ان يصير في قوام العسل . ثم يؤخذ من هذا المطبوخ ملعقتان وتذوبان بالاشربة المفتّحة او بماء لسان الثور او بماء الهندباء ويُسقى . وبعدهُ يجب منع الحركة واذا كانت قليلةً فلا بأس منها .

٥

والمنقول عن عمدة الاطباء اللاتينيّين المتأخرين وهو مرتاو الطبيب، انهُ يمدح هذا الشراب في باب معالجة الخفقان العارض بسبب سدّة الاعضاء الباطنة . وهذه صفتهُ :

يؤخذ ماء الهيل[1] اربعمئة درهم . من برادة الفولاذ المحميَّة جدًّا اربع دفعات ، وتُضاف الى المطبوخ المقدَّم ذكرهُ . وبعدهُ يوضع ستون درهماً من خبث الحديد المذاب بماء الورد . ويضاف اليه اربعون درهماً من الزبيب الأحمر المنقَّى من نواهُ . ويُنقع ثلاثة ايام بالماء المذكور ، ثمَّ يُطبخ حتى يذهب ثلث الماء ويُصفَّى . وبعد ذلك يُضاف اليه ستة عشر درهماً من فوّة الصبغ ، وأصل الهندباء ، وأصل الرازيانج من كلٍّ اثني عشر درهماً ، وغافت ، وبرشاوشان[2] ، من كلٍّ قبضتان . ويُطبخ على نار ليّنةٍ حتى يذهب نصفهُ ثمَّ يُصفَّى . وقبل ان يبرد يُضاف اليه سنامكي ستة عشر درهماً ، وقرطم مرضوض ستة عشر درهماً . ويُنقع أربع وعشرين ساعة ويُصفَّى . ويُضاف اليه اربعمئة درهم سكّر ويُقوَّم شراباً . ويُستعمل منهُ في كلّ يوم قدر عشرين درهماً بماء البادرنجبويه[3] واسقرزوانا ، وماء لسان الثور ويُشرب .

٥

١) الهيل : الحيّذة . ٢) البرشاوشان : كزبرة البير . ٣) البادرنجبويه : الترنجان .

والمنقول عن قونقة الحكيم من أطبا. البرتوغال ، قال : انهُ اذا وُجِد في الطحال وَرَمٌ أو صلابةٌ ولم يندفع بهذه الملاجات المذكورة ، فليستعمل هذا الحَبُّ فانهُ يفتح سدد الطحال وسائر الاعضاء الباطنة وفعلهُ في تفتيحها كالسحر. وهذه صفتهُ :

يؤخذ صبر مغسول بماء الهندباء درهم . ودرهم أشق يكون محلولاً بخل عنصل[1] . ودرهم مُرّ صافٍ . وثلث درهم مستكي . وثلث درهم من مُركّب معجون الثلاثة صنادل . وثلاثة قراريط زعفران . ودرهم ملح افسنتين.

تُعجن هذه كلّها بسكّر الورد وتُعمل حبّاً . والاستعمال منهُ درهم عند الفجر . وان كانت قوى العليل قويّةً فيجوز الاستعمال منهُ مقدار مثقال. وهذا الحَبُّ نافعٌ جدًّا في مرض سوء القنية العارضة بسبب السدّة ايضاً . وان كان العليل ضعيفاً فليُعطَ في كلّ يوم حبةً او حبّتين على الرّيق .

٭

وان كانت هذه المعالجة لا تغني في دفع سدد الاعضاء الباطنة وصلابة الطحال وَوَرَمه وكان المريض من أرباب شراب الخمر ، فليُسقَ خمسة وعشرون درهماً من هذا الشراب . وبعدهُ يتحرّك حركةً خفيفة . وهذه صفتهُ :

يؤخذ مئة درهم من برادة الفولاذ فتُحلّ بخلّ خمرٍ دفعاتٍ متعددة وتُجفّف ويُضاف اليهِ اربعة دراهم من القرنفل المسحوق . ثمّ يوضع في إناء فخار مدهون ويُملأ خمرًا ويُسدّ وصلهُ ، ويوضع في الشمس نهارًا عشرة ايام متوالية ويُرفع ليلاً ان كان الوقت صيفاً . وان كان شتاء فليوضع في حمّام مدة ثمانية ايام متوالية . وينبغي ان يُفتح فمُ الإناء ويُحرّك كلّ يوم في الحلين كليهما .

والمنقول عن الطبيب المذكور قال انني استعملتُ هذا الدواء في معالجة السدد التي عُجز عن معالجتها فحصل الشفاء بهذا الدواء . وان هذه الشربة فعلها قويّ ، حتى انني شاهدتُ منها اسهال السدد الغليظ .

(لها صلة)

---

[1] العُنصل : بصل الفار .

تأثير العربية في لغات العالم

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

اليونانية واللاتينية اقدم جداً من العربية ، وقد نبغ فيهما مئات من الناثرين والشعراء قبل انبلاج فجر الآداب العربية . مع ذلك لم تؤثرا على توالي الاجيال تأثيراً جديراً بالذكر الا في لغات اوربة والتي إنتقلت منها مع الفاتحين والمهاجرين الى اقطار اميركة واسترالية . اما الفرنسية والانكليزية ، وهما اشد لغات اوربة تأثيراً في ألسن الشعوب المتمدنة ، فلم يقتبسوا منهما سوى عدد زهيد من الكلمات والتعابير . بعكس ذلك نرى العربية ، مع تناقص سطوع شمس آدابها عدة عصور قبل القرن التاسع عشر ، تأثيراً واضحاً غير يسير في نحو مئة من اللغات واللهجات الناطق بها ارقى الاقوام في انحاء اوربة واميركة واسترالية ، ونحو خمسين من شعوب آسية وافريقية . ان هذا المجد المختص بلغة الضاد لمن العجب العجاب ، فيثير قوى العقل لاكتشاف اسبابه ، وقد توخينا في هذه المقالة بيان اهمها .

السبب الاول هو سرعة انتشار الاسلام بُعيد سنة ٦٢٢ — وهي ابتداء التأريخ الهجري — في كل البلاد المحيطة بشبه جزيرة العرب ، محل ظهوره ، ثم في اربعة العصور التالية وحتى ايامنا بين كثير من الاقوام الساكنين في آسية الوسطى والشرقية ، وفي افريقية الشمالية والمركزية ؛ بل في عدة اصقاع من اوربة الشرقية . بما ان لغة القرآن العربية تُعد مقدسة عند المسلمين ، لم يسمحوا الى جيلنا ترجمة نصه الى ألسن الشعوب المحمدية ، فتحتم على ربوات ادباء من افرادها درس لغتنا للتمكن من تلاوة القرآن وفهم معانيه .

السبب الثاني ، الذي لا يكاد ينفصل عن الاول ، هو كثرة فتوحات العرب المتوالية بشبه سرعة البرق الخاطف في انحاء العالم القديم ، الحاوي قارات

آسية وافريقية واوربة . اليكم بياناً ملخصاً لها ، وقد جعلنا تاريخ كل منها بين قوسين . ستة عشر عاماً فقط بعد هجرة نبي المسلمين فتح العرب فلسطين وسورية ولبنان (٦٣٨) ، ثم مصر (٦٤٠) ، طرابلس الغرب (٦٤٤) ، مراكش (٦٨١) ، الجزائر (حول ٦٨٣) ، تونس (٦٩٨) ، مالطة (٨٧٠). في كل تلك البلاد ما لبثت العربية ان ثابت على لسان شعوبها مناب لغاتهم الاصلية ، كالآرامية في سورية والقبطية في مصر. ثم شوهوها لشدة استصعابهم اياها تشويهاً متزايداً مع مرور العصور ، فحذفوا حركات النحو من اواخر الكلمات ومزج كلٌّ منهم بها مئات عناصر من لسانه الاصلي ، ثم من لغات الاجانب الذين ربطته به علائق تجارية او سياسية . هكذا نشأت شيئاً فشيئاً نحو عشرين لهجة عربية يتكلم بها الآن معظم اهالي البلاد العربية ، البالغ مجموع عدد سكانها زهاء سبعة وستين مليوناً . هاكم جدولها ، وبعد اسم كل واحد عدد اهاليه بين قوسين على حسب احصاء حديث : شبه جزيرة العرب (٧،٧٠٠،٠٠٠) ، لبنان (١،٢٣٠،٠٠٠) ، سورية (نحو ٣،٢٥٠،٠٠٠) ، المملكة الاردنية (٤٠٠،٠٠٠) ، العراق (٤،٦٩٠،٠٠٠) ، مصر (١٩،٥٠٠،٠٠٠) ، السودان (٨،١٠٠،٠٠٠) ، مالطة (٣٠٧،٠٠٠) ، ليبية (١،١٧٤،٠٠٠) ، تونس (٣،٤٠٠،٠٠٠) ، الجزائر (٨،٠٠٠،٠٠٠) ، مراكش (٨،٧٠٠،٠٠٠).

من كل اللهجات العربية المنتشرة في تلك الاقطار لم ترتق الى مستوى الادب سوى المالطية ، مع ان اهاليها اقل من سواهم ، وفي قاموسها مزيج غريب من العربية والايطالية ، واكثر كلماتها ذات المعاني المجردة او العصرية مقتبسة من الايطالية.

لقد تجاوزت فتوح العرب من عصور عديدة حدود العالم العربي السابق ذكره. فتحوا الهند في القرن السابع ، وايران سنة ٦٥٢ ، وبالوتشستان في القرن الثامن . بعد ابتداء التاسع قد استولوا على تركستان ونشروا الاسلام في كل

انحائها . اما افغانستان فقد انتحل اهاليه هذا الدين في النصف الاول من ذلك العصر . ثم نشره في جزيرة جاوة العظيمة تجار عرب وايرانيون سنة ١٢٠٠ ، فزاد انتشاره على توالي الاجيال وكاد يصير الدين الوحيد فيها سنة ١٥١٠ . اما الجزائر الفيليبية فان العرب من اهم عناصر شعبها ، مع الهنود والصينيين والاوربيين ، وقد اذاعوا الاسلام في قسم منها . هكذا انتشر القرآن وامتد نفوذ العربية في كثير من بلاد آسية ، بل في افريقية ايضاً حيث فتح العرب شطراً كبيراً مما نسميه الآن السودان المصري والسودان الفرنسي ، فنشروا دينهم بين سكانها ، وانشأوا دولاً كبيرة لم يبق لها اثر . اما التتر ، الذين انتحل الاتراك منهم الاسلام ، فقد فتحوا سنة ١٢٢٦ اهم مدن روسية وظلوا مستولين على قسم كبير من تلك البلاد الى سنة ١٣٨٠ . تلك العوامل الدينية والسياسية قد افضت حتماً الى شدة تأثير العربية في كثير من البلاد الخارجة عن حدود العالم العربي . نجد فيها عشرات الالسن المكتوبة بحروف عربية ، وقد دخل قاموس كلها تقريباً عدد كبير من الكلمات العربية . هاكم جدول سبع وثلاثين منها مرتباً على حسب القارات ، وقد ذكرنا عند اللزوم بين قوسين ، بعد كل لغة ، موطن الناطقين بها :

في اوروبة — ١ً القازانية (روسية الشرقية). ٢ً النوكائية (روسية الجنوبية). ٣ً الكوموكيا (ساحل بحر الخزر الشمالي الغربي).

في آسية — ١ً التركية. ٢ً الايرانية. ٣ً الازوبيجانية (شمال ايران الغربي). ٤ً الكردية ولها عدة لهجات (كردستان الواقعة اراضيه في العراق وتركية وايران). ٥ً الافغانية (افغانستان). ٦ً البالوتشية (بالوتشستان الواقع في جنوب افغانستان). ٧ً البراهوئية (بالوتشستان الشرقي). ٨ً الأردوئية (الهند الشمالية) يتكلم بها خمسة وعشرون مليوناً من المسلمين وعدة ملايين غيرهم بجانب لغاتهم الخاصة. ٩ً الداخينية ، لغة المسلمين في الهند الغربية والجنوبية ، وهي شديدة الشبه بالاردوئية . ١٠ً الكشميرية (ولاية كشمير في اقصى

شمال الهند) . ١١ الكورازية (الولاية ذاتها). ١٢ البلتية (بلتستان الواقع في شمال تلك الولاية). ١٣ البنجابية (ولاية بنجاب في شمال الهند). ١٤ الملتانية (الولاية ذاتها). ١٥ السِندية (الاقليم الشمالي من ولاية بومباي في الهند)، ولها عدة لهجات. ١٦ التاميلية (جنوب الهند وجزيرة سيلان). ١٧ الهندية (بشاور، مدينة في ولاية من الهند على الحدود الشمالية الغربية). ١٨ المَيالامية (ساحل مالابار في الهند الجنوبية الغربية). ١٩ الأزبكية[1] (تركستان وآسية المركزية). ٢٠ الجاكاتائية (واحة مرق في تركستان الروسي). ٢١ الكِرغِزية[1] (تركستان الصيني وآسية المركزية الروسية وسيبرية الغربية)، وهي ذات لهجات عديدة. ٢٢ الكشغرية[1] (تركستان الصيني). ٢٣ الجاوية (جزيرة جاوة). ٢٤ السُندانية (جاوة الغربية). ٢٥ المالائية (في عدة اقطار من مالازية[2])، ولها لهجات كثيرة. ٢٦ السولوئية (جزائر سولو) وهي من الجُزر الفيلبينية).

في افريقية — ١ القبائلية (بعض انحاء بلاد الجزائر)، ولها عدة لهجات. الشِلهائية (جنوب مراكش)، وهي كثيرة اللهجات. ٣ السواحلية (افريقية الشرقية). ٤ البمبارية (السودان الفرنسي). ٥ الفولية (غينية الفرنسية). ٦ الهوسائية (نيجارية وغيرها). ٧ القنبية (غنية)، وهي مستعمرة انكليزية في افريقية الغربية). ٨ البادجية (بين درّ وكرمة في حوض النيل).

اكثر هذه اللغات اقتباساً للكلمات العربية هي الايرانية والتركية والاردونية واشباهها، فان قاموس كل منها حافل بالآلاف من الفاظ لغتنا، بحيث لا يكاد يمكن العثور على جملة طويلة في تلك الالسن لا تحوي عدة عناصر عربية. في الاربع والثلاثين آية الاولى من انجيل القديس يوحنا قد وجدنا من كلمات لغتنا

١) لغة شديدة الشبه بالتركية.

٢) هذا الاسم يدل على شبه جزيرة مالاكة وعدة جزائر اوقيانية، من اشهرها بورنيو والجُزر اليابانية.

١١١ في الايرانية ، ١٠٤ في التركية و ٨٠ في الاردونية .

اما سبب تأثير لغة العرب في كل لغات اوروبة تقريباً فهو فتوحاتهم فيها. لم يمض على ظهور الاسلام بينهم ردح من الزمان حتى فتحوا النربونية (la Narbonnaise) وهي ولاية من فرنسة القديمة واقعة على ساحل البحر المتوسط . ثم حاولوا غزو ذلك القطر، فانتصر عليهم الملك شرل مرتل (Martel) انتصاراً جازماً سنة ٧٣٢ في معركة مجاورة لمدينة پواتيه (Poitiers) . اما اسبانية فقد اتوها سنة ٧١٠ فغزوها وجعلوها مملكة خاضعة لخليفة بغداد ، ثم صارت مملكة مستقلة تناقص اتساعها بانكسارهم في عدة حروب اصلاهم الوطنيون نارها، فلم يبق لهم سوى مملكة الاندلس الصغيرة في جنوب اسبانية، وقد غُلبوا عليها سنة ١٤٩٣ ولاذ بالفرار ابو عبدالله آخر عواهلهم . اما البرتغال فقد فتحوه سنة ٧١٤ ، فظل تحت سيطرتهم الى سنة ١١٣٩ ، اذ انتصر الفونس على خمسة من اقيالهم المتحالفين لمقاومته ، فأعلنه جنوده في ساحة القتال اول ملك لبلادهم .

لقد ضاعف تأثير تلك الفتوحات في لغات اوروبة سمو ثقافة العرب . كانوا قد اقتنوا حصة كبيرة من علوم فئة من ارقى الشعوب القديمة ، ولا سيما اليونانيين، واقتبسوا من هؤلاء ومن الايرانيين اصول الفنون الجميلة ، وحسّنوا صناعات سورية وايران ، واضافوا الى تلك الثروة التالدة مالًا طارفاً من ثمار جهودهم ، فصاروا من قادة تمدن اوروبة في القرون الوسطى .

هاكم جدول ست وخمسين من الكلمات العربية التي اقتبست كثيراً منها اشهر لغات اوروبة ، مع بعض ما يقابلها فيها[1]، فاننا عاجزون عن ذكر قسم وافر من المقابلات ، لقلة اتساع قواميس معظم لغات اوروبة التي تحت يدنا.

---

١) يندر جدًا اختلاف معنى المقابل عن معنى الكلمة العربية الاصلية ،وقد حدث ذلك التباين للكلمة « صفر » التي صارت بمعنى رقم في عدة السن اوربية .

الهولندية	الالمانية	الانجليزية	الرومانية	الايطالية	الفرنسية	البرتغالية	الاسبانية	أصل الكلمات العربي
		alembic	alambic		alambic	alambique	alambique	الانبيق
abrikoos	aprikose	apricot		albicocca	abricot	albricoque	albaricoque	البرقوق
alcali	alkali	alkali		alcali	alcali	alcali	alcali	القلي
alchimie	alchimie	alchemy		alchimia	alchimie	alchimia	alquimia	الكيمياء
alcohol	alkohol	alcohol	alcool	alcool	alcool	alcohol	alcohol	الكحل
alkoof	alkoven	alcove	alcov	alcova	alcôve	alcôva	alcoba	القبة
	alfa	alfa		alfa	alfa			حلفاء
algebra	algebra	algebra		algebra	algèbre	algebra	algebra	الجبر
	alhidade				alidade		alidada	العضادة
amber	amber	amber	ambra		ambre	ambar	ambar	عنبر
admiraal	admiral	admiral		ammiraglio	amiral	almirante	almirante	امير البحر
arsenaal	arsenal	arsenal	arsenal	arsenale	arsenal	arsenal	arsenal	دار الصناعة
		assassin	asasin	assassino	assassin	assassino	asesino	حشيشين
	azerole			azzeruolo	azerole		acerola	الزعرور
azimuth	azimut	azimuth			azimut			السمت
café	kaffee	coffee	cafea	caffè	café	café	café	قهوة
kalfaten	kalfatern		calfata		calfater	calafetar	calafatear	قلفط
kalief	kalif	caliph			calife		califa	خليفة
kandij	kandis	candy	candel		candi		cande	قند
kameel	kamel	camel	camila	cammello	chameau	camêlo	camello	جمل
cijfer	ziffer	cipher	cifra	cifra	chiffre	cifra	cifra	صفر
		cipher	zero	zero	zéro	zero	cero	صفر
	dragoman	dragoman		dragomanno	drogman	dragomano	dragomán	ترجمان
gazel	gazelle	gazelle	gazela	gazzella	gazelle		gacela	غزال
giraffe	giraffe	giraffe		giraffa	girafe		jirafa	زرافة
			catran		goudron	*alcatraoun*(1)	alquitran	قطران
haschisch	haschisch	hashish			hachich			حشيش
harem	harem	harem		harem	harem		harén	حريم
	hedschra	hegira		egira	hégire	hegira	hégira	هجرة
jasmijn	jasmin	jessamine	iasomie	gelsomino	jasmin	jasmin	jazmin	ياسمين
magazijn	magazin	magazine	magazie	magazzino	magasin	armazem	almacén	مخزن
matras	matratze	mattress		materassa	matelas			(٢)
minaret	minarett	minaret	minaret	minareto	minaret		alminar	منارة
moskee	moschee	musk		moschea	mosquée	mesquita	mezquita	مسجد
	musselin	muslin		mussolina	mousseline		muselina	الموصل (مدينة)
		muezzin			muezzin		almuédano	مؤذن
muskus	moschus	musk	mosc	muschio	musc	almiscar	almizcle	مسك
nadir	nadir	nadir	nadir	nadir	nadir			نظير
		narghile	narghilea		narguilé		narguile	نارجيلة
oranje	orange	orange	naramza	arancia	orange	laranja	naranja	نارنج
saffraan	safran	saffron	*chofran*	zafferano	safran		azafran	زعفران
saraceen	sarazene	saracen		saraceno	sarrasin	sarracêno	sarraceno	شرقيون
	sumach	sumac			sumac			سماق
sirocco	sirokko	sirocco		sirocco	sirocco		siroco	شرق
siroop	sirup	syrup	sirop	siroppo	sirop	xarope	jarabe	شراب
sultan	sultan	sultan	sultan	sultano	sultan	*sulteoun*	sultan	سلطان
tarief	tarif	tariff			tarif	tarifa	tarifa	تعريف
tas	tasse		tas	tazza	tasse		taza	طاس
vizier	vezier	vizier	vizir	visir	vizir	vizir		وزير
zenith	zenith	zenith	zenit	zenit	zénith	zenith	cenit	سمت الراس
	pistazie	pistachio	fistic	pistacchio	pistache	*pistacia*	pistacho	فستق
luit	laute	lute			luth	alaude		عود (آلة طرب)
kamfer	kampfer	camphor	camfor	canfora	camphre		alcanfor	كافور
		carob		carruba	caroube		algarroba	خروب
kermis	kermes	kermes	*carmiz*		kermès	kermes	quermes	قرمز
douane				dogana	douane	aduâna	aduana	الديوان
limoen	limone	lemon		limone	limon	*limaoun*	limon	ليمون

(١) الكلمات المطبوعة بهذه الحروف المائلة قد كتبناها على الطريقة الارلسية لعدم وجود بعض حروفها .

(٢) الاصل العربي قد اكده الخبراء بيد انه غير واضح . على كل حال قد قال العرب فرش مدروس اي محمد .

aprikka		պարկուկ	bargoug	βερικοκκο	verikokko	abrikosse(1	abrikosas	aprikos	
		ալքալի	aghgaghi	καλι	kali	alkali		alkali	
alkemia		ալքիմիա	alkimia	ἀλχημεία	alkhimiya	alkhimia`	alchemija	alkemi	
alkoholi		ալքոլ	alkol			alkagoly	alkoholis	alkohol	
	alkôv						alkova	alkov	
	algebra			ἄλγεβρα	alyebra	algibra	algebra		
						ambra		ambra	
amiraali						admiral	admirolas	amiral	
						arsinal		arsenal	
		Հազարան	hazorane						
		ազիմութ	azimoute						
kahvi	kâvé			καφές	kafess	kafé	kava	kaffe	!
				καλαφατίζω	kalafatizo			kalfatra	ı
kaliffi				χαλίφης	khalifiss	kalif			!
				κάντιο	kandio			kandisocker	!
kameli				καμήλος	khamîloss			kamel	]
						tsifra		chiffer	(
		զրօ	zeuro						
		թարգման	tarkmane			dragamane			
gaselli						gaziely		gasell	
						jirafa	*girafa*	giraff	ɡ
	kâtrâgne			κατράμι	katrâmi				
		հաշիշ	hachich	χασίσι	khacici				
				χαρέμι	kharêmi	garyem	haremas	harem	ı
jasmiini	*jâsmine*	յասմիկ	hasmig			jasmine	jasminas	jasmin	j
				μαγαζί	maghazi	magazine		magasin	r
	matrats					matrats		madrass	r
minarcetti				μιναρές	minaress				r
moskea		մզկիթ	meuzguite					moske	r
				μουσελίνα	moucelina		muslinas	muslin	r
		մուշկ	mouchg	μόσχος	moskhoss	mouskouss			r
	nadir	նադիր	nadir						ı
				ναργιλές	naryiless				
	narantch	նարինջ	narintch			pamiranits		orange	o
	châfrâgne			ζαφορά	zafora		*chafranass*	saffran	s.
	saratchane							saracen	
									s
				σιρόκος	sirôkoss				
				σιρόπι	sirôpi	siropp		sirap	si
sulttani				σουλτάνος	soultânoss	soultane		sultan	su
				ταρίφα	tarifa	tarif		tariff	t:
				βεζίρης	vezîriss	viziry	viziris	vesir	
	zenith	զենիթ	zénite	ζενίθ	zénite	zénite		zenit	z
		պիստակ	bisdag	φιστίκι	fistîki	fistachka		pistacie	p
						lioutniya		luta	h
	kâmfor	քափուր	kapour	καφουρά	kafoura	kamfara		kamfer	k.
				χαρούπι	kharoupi				
				κερμέζι	kermêzi				
		լեմոն	lemon	λεμόνι	lémôni	limone			li

(1) قد تعذر علينا طبع الكلمات الروسية بالحروف اللاتينية .

بسبب احتلال العرب لاسبانية والبرتغال مدة عصور قد اخذت لغتا هذين البلدين من لسانهم مئات كلمات لا نجد لاكثرها اثرًا في لغات سائر الاقطار الاوربية . قد حدث مثل ذلك في الفرنسية لتواتر علائق فرنسة مع الشرق العربي منذ نشوب الحروب الصليبية ، وعلى الاخص بعد احتلالها بلاد الجزائر منذ سنة ١٨٣٧ ونشر حمايتها على تونس سنة ١٨٨١ وعلى مراكش سنة ١٩١٨. تتضح من الجداول الثلاثة الآتية درجة عمق تأثير العربية في الاسبانية والبرتغالية والفرنسية . الكلمات المسبوقة بنجمة في كل الجداول الآتية ، قد كتبناها على على الطريقة الفرنسية لعدم وجود بعض حروفها .

بعض الكلمات الاسبانية المقتبسة من اللغة العربية

الدفلى	adelfa	العربية (اللغة)	algarabia	الكراء	alquiler
الخزانة	alacena (١	القطن	algodon	الترمس	altramus
البرص	albarazo (٢	الحركة	alharaca (٥	اللوبياء	alubia
البردعة	albarda	الحلبة	alholva	الرز	arroz
البيطار	albéitar	الخزامى	alhucema	الربض	arrabal
البرنس	albornos	الجبة	aljaba	السفط	azafate (٧
الخرشوف	alcachofa	الجب	aljibe	الزهر	azahar (٨
العقرب	alacran	اللوز	alloza (٦	الصفر	azofar (٩
الكبر (٣	alcaparro	المصطكى	almaciga	الزئبق	azogue
عرق السوس	alcazuz	المردقوش	almaraco	السوط	azote
القصر	alcazar	معصرة زيت	almazara	السكر	azucar
الضيعة	aldea	الزيت	aceite	السوسنة	azucena (١٠
الحبق	alfobega	الزيتون	aceituna	السد	azud (١١
الفقيه (عند المسلمين)	alfaqui	المخدة	almohada	الطبل	atabal (١٢
الفخاري	alfarero	المحسّة	almohaza	الطاحونة	atahona (١٣
الفيل (٤	alfil	المد (مكيال)	almud	التابوت	ataud
الخرج	alforjas	القنبرة	alondra	الدليل	adalid (١٤

١) خزانة مدمجة في حائط — ٢) نوع من البرص يسمى البرص الابيض بالفرنسية — ٣) شجيرة يستخرج من براعمها نوع من التوابل — ٤) قطعة معينة من قطع لعب الشطرنج — ٥) صريخ — ٦) لوز اخضر او مر — ٧) سلة صغيرة مسطحة — ٨) زهر البرتقال — ٩) مزيج معين من النحاس والتوتيا المعدنية — ١٠) السوسن الابيض — ١١) سد في نهر — ١٢) طبل بشكل نصف كرة — ١٣) مطحنة يحركها الخيل — ١٤) رئيس جنود .

العربية	الإسبانية
الطوب	adobe (١
الدف	adufe
الشرف(٣	ajarafe(٢
الجلجلان(السمسم)	ajonjoli
فُلان	fulano
شراب	jarabe(٤
مملوك	mameluco(٥
منديل	mandil (٦
مطرقة	matraca(٧
مسكين	mezquino(٨
مخاطرة	mohatra(٩
مستعرب	mozarabe(١٠
رهن	rehén
سرطان	zaratan (١١
البناء	•albagnil(١٢
النيل(نبات)	•agnil(١٢
الحمراء	Alhambra (١٣

بعض الكلمات البرتغالية المقتبسة من العربية

العربية	البرتغالية
الحصان	•alazaoun(١٤
البردعة	albarda
القصر	alcaçar (١٥
الخُرشوف	alcachofra
عرق السوس	alcaçus(١٦
القائد	alcaidé(١٧
الكَبَر(نبات)	alcaparra
الكرَوان (طير)	*alcaravaoun
الكرَوياء (نبات)	alcaravia
البُحيرة	albufeira(١٨
القطيع	alcateia(١٩
القطيفة(٢١	alcatifa(٢٠
السلة(٢٢ ٢٣	alchemila
القُفّة	alcôfa(٢٤
القرآن	•alcoraoun
الكُنية	alcunha(٢٥
الضيعة	aldea
الضبّة	aldrava(٢٦
الاكليل	alecrim (٢٧
الخس	alface
الخياط	alfaiate
الخنجر	alfange(٢٨
الفقيه	alfaqui(٢٩
الخُروبة	alfarrôba
الحبقة (نبات)	alfavaca
الخُزامى	alfazêma
الحلوى	alféloa
الفارس	alféres(٣٠
الخُرج	alfôrge
الحُرية	alforria(٣١
العربية(اللغة)	algaravia
الجُب	algibe
الجيب	algibeira
القطن	•algodaoun
الوزير	alguazil(٣٢

١) طوب غير مشوي — ٢) القسم الأعلى من مدينة — ٣) المكان العالي — ٤) شراب مركب من السكر الممزوج بعصير الفواكه او بمواد طبية — ٥) احمق — ٦) مئزر (tablier) — ٧) نوع من النواقيس اليدوية (crécelle) — ٨) بخيل — ٩) عقد قرض بربا فاحش — ١٠) مسيحي اسباني خاضع قديماً لسلطة العرب — ١١) سرطان في الصدر — ١٢) قد كتبنا هذه الكلمة على الطريقة الفرنسية لعدم وجود حرف مختص بالاسبانية يُلفظ مثل gn بالفرنسية — ١٣) اسم قصر ملوك العرب في غرناطة — ١٤) حصان أشقر — ١٥) قصر محصن ، قلعة — ١٦) رُب السوس — ١٧) حاكم مدينة — ١٨) بحيرة ماء مالح في جوار البحر — ١٩) قطيع وحوش — ٢٠) طنفسة — ٢١) دثار يُحمل للرجال — ٢٢) رداء للنساء — ٢٣) كساء واسع — ٢٤) سلة مصنوعة بغصون الصفصاف — ٢٥) موصوف او نعت يُضافان الى اسم شخص — ٢٦) مزلاج — ٢٧) اكليل الجبل (نبات) — ٢٨) سكين كبير متقوس — ٢٩) ناسك مسلم — ٣٠) الملازم الثاني sous-lieutenant — ٣١) إعتاق عبد — ٣٢) شرطي في اسبانية القديمة.

الاساس	alicerce
الجوهر	aljôfar(1
المغرة(2	almagre
المنشر	almanchar(3
المرج	almargem
المطرحة(4	almatricha
المصطكي (شجر)	almécega
المنارة	almenara(5
المحفر (المعول)	almocafre
المقبرة	almocavar(6
المكاري	almocreve(7
المزايدة	almoéda(8
المحسّة	almofaça
المخدّة	almofada
المهراس (الهاون)	almofariz
النشادر	almoxatre(9
المُد (مكيال)	almude
الكيل	alqueire(10
الكاكنج (زهر)	alquequenge
الكراء	alquiler
البنّاء	alvanel
البراءة	alvara(11
البيطار	alveitar
البركة	alverca
البشارة	alviçaras(12
النيل (نبات)	anil
الربض	arrabalde
الرطل	arratel(13
الرز	arroz
السُكّر	assucar
السوسنة	assucena(14
أوج	auge(15
الطاحونة	atafona
الطليعة	atalaia(16
التابوت	ataude
الزحمة	azafama(17
الزيت	azeite
الزيتونة	azeitona
الزاملة	azêmala(18
الزيبق	azougue
مسكين	mesquinho
رُمّان	roman

بعض الكلمات الفرنسية المقتبسة من العربية

حب المسك (نبات)	abelmosch
الكُراز	alcarazas(19
الحصان	alezan(20
حلفاء (نبات)	alfa
الخنجر	alfange(21
الوزير	alguazil(22
الزعرور	azerole
قاضي	cadi(23
غرف	carafe
قرطم (نبات)	carthame
كَرَوياء (نبات)	carvi
شيخ	cheik(24
زباد	civette
قرمزي	cramoisi(25
ديوان	divan(26
جن	djin
الإكسير	elixir (27

١) لؤلؤة صغيرة— ٢) نوع من الطين الاحمر يُصبغ به— ٣) محل يُنشر فيه التين لتجفيفه— ٤) مفرش يوضع على الرحل ويُقعد عليه— ٥) نار تشعل بصفة دلالة على شيء ما— ٦) مقبرة المسلمين او اليهود في الزمن القديم— ٧) بغّال— ٨) بيع بالمزاد— ٩) ملح النشادر— ١٠) مكيال للجوامد وآخر للسوائل— ١١) وثيقة او امر صادران من الملك— ١٢) هدية للآتي ببشارة— ١٣) وحدة وزن قديمة مقدارها ٤٥٩ غراماً— ١٤) زنبق ابيض— ١٥) اعلى قمة— ١٦) حارس— ١٧) جم غفير— ١٨) دابّة يُحمل عليها— ١٩) وعاء من فخار لتبريد الماء— ٢٠) حصان اشقر— ٢١) سيف عريض متقوس— ٢٢) شرطي في اسبانية القديمة— ٢٣) قاضٍ شرعي مسلم— ٢٤) واعظ مسلم، شيخ قبيلة— ٢٥) احمر مشبع— ٢٦ مقعد طويل بدون مسند للظهر— ٢٧) دواء مصنوع بتحليل مادة في الكحول .

rahat loukoum	راحة الحلقوم	henné	حناء	émir	امير
simoun	سموم	houri(٨	حور	fakir(١	فقير
sorbet(١٧	شربة	jupe	جبّة	gerboise	يربوع
talc	طلق (ذرور معدني)	maboul(٩	مهبول(١٠	kan	خان
talisman	طلسم	matraque(١١	مطرقة	kandjar(٢	خنجر
vali(١٨	وال	matras(١٢	مطرة(١٣	khamsin(٣	خمسين
vilayet	ولاية (في تركية)	medersa(١٤	مدرسة	kohol	كُحل
zaouia(١٩	زاوية	mesquin(١٥	مسكين	koubba(٤	قُبة
zaptieh(٢٠	ضبطية	mozarabe(١٦	مستعرب	gazel (٥	غزل
zinzolin(٢١	جلجلان	mufti	مُفت	hammam(٦	حمّام
		pastèque	بطيخ	haras(٧	فرس

نجد في كل لغة من ست على الاقل من لغات البلاد البلقانية – بغض النظر عن التركية – مئات من الكلمات العربية، مما يدل اجلى الدلالة على كون لغتنا قد اثرت فيها مثل تأثيرها في الاسبانية والبرتغالية. تلك الالسن الستة هي : ١ً الرومانية، لغة رومانية اللاتينية الاصل ؛ ٢ً الصربية القرواطية، وهي أتم لغة صقلبية ينطق بها معظم اهالي يوغوسلافية، بيد ان الصربيين المحتد منهم يكتبونها بالابجدية الروسية، والقرواطيون بالحروف اللاتينية ؛ ٣ً السلوفانية، لغة قسم من اهالي يوغوسلافية، شديدة الشبه بالسابق ذكرها، وذات ابجدية لاتينية ؛ ٤ً البلغارية، وهي لا تكتب بسوى الحروف الروسية ؛ ٥ً الالبانية وهي من اللغات الهندية الاوروبية وذات شبه غير يسير باللاتينية التي اقترضت حروفها ؛

---

١) ناسك مسلم – ٢) سكين طويل ضيق وضخم المقبض – ٣) اسم السموم في مصر – ٤) بناية علي قبر ولي مسلم من اولياء الله – ٥) شعر غزلي عند العرب والايرانيين – ٦) حمام شرقي – ٧) محل تربية فحول وحجور لتحسين جنس الخيل – ٨) امرأة جميلة في جنة المتقين – ٩) مختل العقل – ١٠) بني فاقد العقل في بعض لهجات عربية عامية – ١١) عصا ضخمة – ١٢) وعاء من زجاج طويل العنق مستعمل في الكيمياء – ١٣) قربة – ١٤) مدرسة اسلامية عالية – ١٥) بخيل، عادم النُبل – ١٦) مسيحي اسباني خاضع قديماً لسلطة العرب – ١٧) شراب مثلج من عصير فواكه مخلوط بالسكر ومشروب كحولي عطري – ١٨) حاكم ولاية في تركية – ١٩) معهد تعليم اسلامي في افريقية الشمالية الفرنسية – ٢٠) فرقة من الجيش التركي كانت تقوم مقام الشرطة – ٢١) حب السمسم.

٦ اليونانية الحديثة ، الفصحى والعامية ، ولا يخفى عن ذوي الثقافة ان لها الجدية خاصة .

لم تؤثر العربية في تلك اللغات الست على وجه مباشر ، بل بواسطة التركية المقتبسة آلاف كلمات من لساننا ، وقد انتشرت فيها بسبب احتلال الاتراك بلاد الناطقين بها مدة قرون عديدة . بقيت صربية تحت حكم الاتراك من سنة ١٣٨٩ الى ١٨٧٨ ، السنة التي تحررت فيها ايضاً رومانية من نيرهم الفادح لها منذ سنة ١٣٩٢ . اما بلغارية فقد خضعت لهم من اواخر القرن الرابع عشر الى سنة ١٩٠٨ اذ اصبحت مملكة مستقلة . البانية قد ظلت تحت سيادتهم من عام ١٤٦٧ الى ١٩١٢ ، وبلاد اليونان من سنة ١٤٦٠ الى ١٨٢١.

قد اوضحنا في الجداول الآتية شدة تأثير العربية في خمس من لغات تلك البلاد البلقانية ، بواسطة التركية ، وقد اهملنا السلوفانية لشدة شبهها بالصربية الكرواطية . معظم الكلمات المذكورة في تلك الجداول ، ان لم نقل كلها ، قد اندمج في الالسن المذكورة بعدما اقتُبس رأساً من التركية وبلفظ مماثل للفظها ، وقد ادى ذلك الى تشوه بعضها وتنكره علينا .

بعض الكلمات الرومانية المقتبسة من العربية

قطيفة	catifea(١	جلاد	gelat	مشعل	masala
قنطار	cintar	كافر	ghiaur		mascara(١٠
قرمز	cirmiz	جوهر	giuvaer	مسخر (استهزاء)	
قصور	cusur (٢	حضور	huzur(٥	ما شاء الله	•machala(١١
دخان	dohan(٣	إبريسم	•ibrichim(٦	مزراق	mazdrac(١٢
دكان	dughiana	محلة	mahala (٧	مرض	•meuraz(١٣
الإكسير(٤	elixir	مخمار	mahmur		*mehenguiyou
فتيل	fitil	ميدان	maidan(٨	محك (حجر يُحك به للاختبار)	
جامع (مسجد)	geamie	معرفة	marafet(٩	مرمّة (ترميم)	meremet

١) دثار مُخمل للرجال — ٢) عيب — ٣) تبغ — ٤) ما زعم الكيماويون القدماء تحويل المادن الدون الى ذهب باضافته اليها — ٥) سكينة — ٦) خيط حرير — ٧) حي من احياء مدينة — ٨) ارض معدة للبناء — ٩) وساطة — ١٠) شنيعة ، اهانة — ١١) معنى هذه الكلمة : وقال الله من الدين الشرير ! — ١٢) رمح — ١٣) السوداء mélancolie

مسكين	meschin
مترس	meterez
مزاد	mezat(١
ميراث	miraz
مفلس	moflus
مفت	muftiu
مسافر	musafir(٢
مسلم	musulman
مشمع	•muchama
مشترى	•mouchteriyu(٣
نظر	nazar(٤
رف(٥	raft
رذل	rizilic(٦
رشوة	•rouchfett
صبر (نبات)	sabor
صحن عميق	sahan
ساطور	•sateur
صدف	sidef(٧
سند (وثيقة)	sinet
سمسم	susan
صفة(٩	sofa(٨
سروال	•chalvari
طلسم	talisman
تمن	temenea(١٠

ترتيب	tertip(١١
تذكرة مرور	•techkéréa
ضيق النفس (مرض)	tecnefes
حق	hac(١٢
حاج	hagiu
حال	hal
حلال	halal(١٣
حلقة	halca(١٤
حمال (عتال)	hamal
خان	han(١٥
حب	hap(١٦
حرام	haram
حركة	harcat (١٧
حد	hat(١٨
خط	hat(١٩
حوض	havuz
خزنة	hazna(٢٠
خدمة	huzmet(٢١
كبريت	chibrit (٢٢
كراء	chirie
شراب	•cherbet(٢٣
وكيل	vekil
وزير	vizir
ذخيرة	zaharea(٢٤

زنبيل	zambil
صراف	zaraf
ظرف	zarf(٢٥
ظريف (حسن)	zarif
ضابط	zapciu(٢٦
ضيافة	ziafet(٢٧
عباءة	aba(٢٨
عقار	acaret
عادة	adet
حلقة	alca(٢٩
حلوى	alvà(٣٠
امان	aman(٣١
امانة	amanet(٣٢
عرض	arz(٣٣
بقال	bacal
بركة	berechet(٣٤
بناء (بناية)	bina
بستان	bostana(٣٥
قاض	cadiu(٣٦
قفص	cafas(٣٧
قائم مقام	caimacam
قالب	calup
قصاب (لحام)	casap
قطائف (حلوى)	cataif

١) بيع بالمزاد — ٢) ضيف — ٣) زبون — ٤) إنعام — ٥) لوح توضع عليه الاشياء — ٦) احتقار — ٧) عرق اللؤلؤ (في اللغة العامية) — ٨) مقعد طويل ذو مسند للظهر — ٩) صفة الجامع : مقعد بالقرب منه — ١٠) خفض الرأس احتراماً — ١١) خيلة — ١٢) اجر العامل ونحوه — ١٣) تحية ، بركة — ١٤) حلقة من معدن — ١٥) فندق — ١٦) دواء بشكل حب — ١٧) ضجيج — ١٨) حجر مضروب يدل على حد ارض او غير ذلك — ١٩) مخطوط من كتابة سلاطين تركية — ٢٠) خزينة دولة — ٢١) وظيفة — ٢٢) ثقاب — ٢٣) شراب مرطب — ٢٤) ذخائر حربية — ٢٥) صينية — ٢٦) حاكم جزء من ولاية sous-préfet — ٢٧) وليمة — ٢٨) رداء الفلاحات في رومانية — ٢٩) كلاب — ٣٠) الحلوى المروقة بالحلاوة في اللغة العامية — ٣١) رحاك بـ — ٣٢) وديعة — ٣٣) عريضة — ٣٤) خصب ، سعادة — ٣٥) مبقلة — ٣٦) قاض شرعي عند المسلمين — ٣٧) حاجز مصنوع بقضبان خشب او حديد.

بعض الكلمات القُرواطية المقتبسة من العربية

عادة	adet
القرآن	alkuran
آلة	âlât
امّا	ama
حمّال	amal
امان	aman (١
امانة	amanet(٢
حبّ	ap(٣
خردل	ardalija(٤
بقّم (شجر)	bakam
بارود	barut
براءة	berat (٥
بركة	•beritchet(٦
بلّور	biljur
بناء	bina (٧
بستان	bostan
بلبل	bumbul
شراب	•cherbé(٨
شيطان	•cheytane
دعوى (شكوى)	dava
دين	din(٩
دينار	dinar(١٠
ديوان	divan (١١
جامع	•djamiya
كافر	•djawour

جلّاد	•djelate
جيب	•djep
جنّ	•djinn
دكّان	doganja
دعاء	dova(١٢
دخان (يعني التبغ)	duhan
اولاد	evlat(١٣
فيل	filj
خبر	haber
حيوان	hajvan
حقّ	hak(١٤
حلقة	halka (١٥
حمّام	hamam
خان	han
خنجر	•handjar
حبس	haps
حرامي	haramija(١٦
خراج	•haratch(١٧
حريم	harem(١٨
هاون	havan
خزنة	hazna(١٩
حاضر	hazur
خندق	hendek
حساب	hesap
إمام	imam

ايمان	iman
عناد	inad(٢٠
انسان	insan
عقرب	jakrep
يمين (قسم)	jemin
اذان	jezan
قادر	kadar
قاضٍ	kadija
قلم	kalem
قالب	kalup
جمل	kamila
قنطار	kantar
قرنفل	karanfil
قصبة	kasaba(٢١
قصّاب	kasap
قاتل	katil
قطران	katram
قهوة	kava
قفص	•kavez
كيس	kesa(٢٢
قيامة	kijamet(٢٣
كراء	kirija
قربان	kurban
قصور	kusur(٢٤
مشعل	machala

١) عفو ، نعمة — ٢) وديعة — ٣) دواء بشكل الحبّ — ٤) الحرف ز يلفظ كالياء — ٥) وثيقة لمنح امتياز — ٦) إقبال ، تقدم ، غلة الارض — ٧) بناية كبيرة — ٨) شراب مركب من الماء والعسل — ٩) ايمان — ١٠) قطعة نقد كالفرنك في فرنسة — ١١) مجلس شورى — ١٢) صلاة المسلمين — ١٣) نسل — ١٤) اجر العامل ونحوه — ١٥) حلقة من حديد — ١٦) سارق — ١٧) ضريبة مفروضة على كل فرد من افراد الامة — ١٨) مسكن نساء احد المسلمين — ١٩) صندوق المال ، كنز — ٢٠) خصام — ٢١) ضيعة كبيرة — ٢٢) كيس الدراهم — ٢٣) عاصفة ، آخر الاجيال — ٢٤) تقهقر.

محلة	mahala(1	رعية	raja(3	كتاب	•tchitab
مقص	makaze	رمضان	ramazan(4	دفتر	tefter(5
ميدان	mejdan	صندوق	sanduk	فائدة	vajda
مصر	Misir	ساعة	sahat	وقف	vakup(6
مؤذن	mujezin	سلطان (عاهل)	sultan	والله	vala
منارة (مئذنة)	munara	كاتب	•tchata	صنعة	zanat(7
معمار	neimar(2	جواب	•tchévab	ظلم	zulum(8

بعض الكلمات البلغارية المقتبسة من العربية

تنبيه — لم نستطع استعمال الحروف البلغارية ، فتحتم علينا طبع تلك الكلمات بالابجدية اللاتينية .

شراب(مرطب)	cherbète	بركة الله	bereket	حرم	kharem(13
غزال	gazéla	بلور	biliour	عُناب	khinab
غُربة	gourbète	بستان	bostane(10		khouria(14
كافر	guiyaourin	دعوى (في محكمة)	davia	حُور (جمع حوراء)	
ميدان	megdan	جورب	tchorab	وقف	vakeuf(15
منارة (مئذنة)	minaré	جيب	djeb	وال	valiya
مسك	mouskouss	صندوق	sandeuk	ولاية	vilayet
مؤذن	miouézine	فتيل	fitil	ورق	varak(16
بقّال	bakaline	حاجّ	khadjiya	وصيّ	vassiya
بارود	baroute	حمّال (عتّال)	khamaline	ورم	vérem(17
بطّال	batal	خنجر	khandjar	وزير	vézir
بحار	bakhar	خان (فندق)	khan	ميزان	vezni
بدل (مبادلة)	bedel	حب	khap(11	جمل	kamila
بلاء	belia	حرامي	kharamiya(12	وكيل	vékil
براءة	berate(9	خردل	khardal	وكيل الخرج	vékil khardj

١) حي من احياء مدينة — ٢) مهندس البناء — ٣) تابع لدولة ما — ٤) صوم رمضان — ٥) سجل الحسابات — ٦) مال موقوف على شؤون دينية عند المسلمين — ٧) حرفة يدوية — ٨) استبداد — ٩) وثيقة لمنح وظيفة او وسام او نحو ذلك — ١٠) مبقلة — ١١) دواء بشكل حب — ١٢) قطاع الطرق — ١٣) مسكن نساء احد المسلمين — ١٤) امرأة بديعة الجمال من نساء جنة المسلمين — ١٥) مال موقوف على مشروع خيري او غيره — ١٦) ورقة رقيقة جدًا من الذهب او الفضة للتذهيب او التفضيض — ١٧) مرض السل .

ياسمين	ya-mine
دائرة	daïreh(١
دكان	dioukiana
جامع (مسجد)	djamia
جيب	djeb
جوهر(حجر ثمين او نحوه)	djevaïr
جنس	djins
ترجمان	dragomane
درهم	dram
هجرة (عند المسلمين)	eguira
اذى	eza(٢
الماس	elmaz
املاك	emliäk(٣
انفيّة	enfié(٤
اصناف	esnaf(٥
زئبق	jivak
صناعة	zanayate(٦
زيتون	zeïtine(٧
زفت	zift
زمرد	zioumrioud
ابريق	ibrik
قطائف (حلوى)	kadaïf
قطيفة	kadifé(٨
قاضٍ شرعي(عند المسلمين)	kadia
قادر	kadrenn
قلفُ السُفن	kalafate
قلي	kali(٩
قالب	kaleup
سروال	chalvari
زعفران	chafrane
جمل	kamila
كافور	kamfora
قصاب (لحام)	kasab
قطران	katrane
قهوة	kafé
كيس (للدراهم)	kesia
كبريت	kibrite(٩
كراء	kiria
قرآن	korane
ليمون	limone
مخزن	magazine
محلّة	makhala(١٠
محمدي (مسلم)	mokhamedanets
رعية	raïa(١١
صبر (نبات)	sabour
سحلب	salep
سمّور	samour
صرّاف	sarafine
صحن نحاس	sakhane
صدَف	sedef(١٢
سموم (ريح)	samoum
شراب (مرطب)	sirope
سلطان	soultane
تعريفة	tarifa
طاس (من نحاس)	tas
دفتر	tefter(١٣
فتوى	fetva
فستق	feusteuk

بعض الكلمات الالبانية المقتبسة من العربية

عادة	adet
امان	aman(١٤
امانة	amanèt(١٥
بركة	bereqèt(١٦
دقيقة (جزء من الساعة)	dekika
دكان	dyqàn
دنيا	dyrnja(١٧
امر (مصدر امر)	emer
اذية	ezgjèt(١٨
فلان	filan
فقير	fukara

١) مسكن من مساكن بيت — ٢) ما يؤلم النفس — ٣) ضريبة على العقارات — ٤) سعوط— ٥) تتابة— ٦) حرفة— ٧) زيت الزيتون— ٨) بوناسيوم مُخمل— ٩) ثِقاب— ١٠) حي من احياء مدينة— ١١) اسم كان يطلق على رعايا الدولة العثمانية غير المسلمين— ١٢) عرق اللؤلؤ (في اللغة العامية)— ١٣) سجل— ١٤) رُحماك— ١٥) وديعة— ١٦) نمو الارض— ١٧) الحرف ز يلفظ كالياء— ١٨) تعذيب .

غائلة	gajle(١
غيرة	gajret(٢
عذاب	gazèp
خبر	habèr
خادم	hadum(٣
عقرب	hagrèp
خير	hajr(٤
حق (حقيقة)	hak
خالة	halla
خلق	hallk(٥
حلوى	hallva(٦
حمّال	hamâll
حمّام	hamàm
خان (فندق)	han
حب	hap(٧
حبس	haps(٨
خراب	haràb(٩
خراج	•haratch(١٠
حرام	haràm(١١
خردل	hardâll
تخريج (لثة)	harxh(١٢
حاصل	hàsel(١٣
خصم	hasm
حسرة	hasrèt(١٤
حاشا !	hasha(١٥
خاطر	hater(١٦

هواء	hava
خزينة	hàzen(١٧
حاضر (مستعد)	hàzer
خنجر	haxhar
قرض	haxhèt
حاج	haxhi
هلاك	helaq(١٨
البتّة	helbèt(١٩
خندق	hendèk
حكيم	heqim(٢٠
حركة	hereqèt(٢١
حساب	hesap
حيلة	hile
حصة	hise
حدود	hudud(٢٢
خُرج	hurxhe
حُكم (سلطان)	hyqëm
حكومة	hyqymèt
خدمة	hyzmèt
حُجة	hyxhèt(٢٣
اقرار	ikrar(٢٤
علاقه	ilaka(٢٥
علاج (دواء)	ilaxh
علة (عيب)	ilèt
إمام	imami
عناد	inad(٢٦

انسان	insani
أكرام	iqiram(٢٧
إثبات	ispati(٢٨
استعفاء	istifa(٢٩
ان شاء الله	ishalla
اعتبار (إجلال)	itibar
إذن	izen
يهودي	jahudi
يعني (يعني كذا)	jani
أسير	jesir
يتيم	jetim
قبول (استحسان)	kabullë
قطيفة (مُخمل)	kadife
قهوة	kafe
قهر	kaher(٣٠
قلعة	kala
قلم	kalèm
قلب	kallp(٣١
قرنفل	karajfil
قرار	karar(٣٢
قصّاب (لحّام)	kasap
قساوة	kasavèt(٣٣
قصد	kast
قاتل	katil
قول	kaull(٣٤
كافر	kaurr -

١) هم — ٢) غيرة ، نشاط — ٣) خصي — ٤) فائدة — ٥) جمهور — ٦) نوع من الحلوى يضاف اليه الجوز واللوز — ٧) دواء بشكل حب — ٨) سجين — ٩) مقفر — ١٠) ضريبة — ١١) عاهر — ١٢) الحرقات xh يلفظان كالجيم في لبنان — ١٣) التجليات graminées — ١٤) بغض ، حسد — ١٥) sh تلفظان كالشين — ١٦) مراعاة شخص — ١٧) كنز — ١٨) خاسر ماله — ١٩) بلا شك — ٢٠) طبيب — ٢١) فائدة — ٢٢) حد — ٢٣) وثيقة تملك ، عقد تخطيط — ٢٤) وعد — ٢٥) قريب كالدم ونحوه — ٢٦) بغض ، حقد — ٢٧) ترحيب — ٢٨) شاهد — ٢٩) تخلٍ ، استقالة — ٣٠) هم — ٣١) زائف (نقد) — ٣٢) حد — ٣٣) هم — ٣٤) اتفاق ، عقد .

قيامة	kjamèt(١
قبة	kube
كلّه	kulihû(٢
قُمري	kumri (٣
قُرعة	kura(٤
قرآن	kurâ
قربان	kurbân
قصور	kusur(٥
قيمة	kymèt
قوة	kyvèt
لذة	lezèt
مادة	made
محلّة	mahllë (٦
مائي	mavi(٧
مرهم	mehlem
ميدان	mejdan
ممكن	mymqim
مهندس	mendiz
محكمة	meqeme
مرعى	mera(٨
مرام	meram
مرمّة (ترميم)	meremèt
مُركب	mereqèp(٩
مرجان	mergjân
ميّت	met(١٠
معدة	mide

منارة (مئذنة)	minare
مصر	Misir
مجلس	mishlis
محبة	muhabèt(١١
مسافر	musafir(١٢
مُفتٍ	myfti
مُلك	mylk
مملكة	mymleqèt(١٣
مُشمَّع	myshamâ
مسك	myshk
مُشترٍ	myshteri(١٤
نافلة	nafile (١٥
ناحية	nahije(١٦
نيّة	najèt
نفر	nefër(١٧
كبير	qiber
رابطة	rabitàh(١٨
رديف (بالمعنى العسكري)	radif
رائحة	raha
راحة	rahàt(١٩
رجاء	rixha(٢٠
صباح	sabàh(٢١
صبر (اصطبار)	saber
صبي صغير	sabi
ساعة	sahàt

سلطنة	salltanèt(٢٢
سبب	sebèp
صدف	sedèf(٢٣
صفاء	sefa(٢٤
سلامة	selamèt
صندوق	senduk
ثواب	sevap (٢٥
شرط	shart
شيطان	sheitan
شريعة	sherjat(٢٦
شر	sherr(٢٧
شهرة	shyhrèt(٢٨
شكر	shyqyr(٢٩
سلطان (عاهل)	sulltàn
تابوت	tabut(٣٠
تخمين	tahmin(٣١
طاقة (مقدرة)	takàt
تعليم	talim(٣٢
طمع	tamah
تمام	tamàn (٣٣
توبة	tobe
وعد	vade(٣٤
وقت	vakth
وقف	vakuf
وطن	vatàn
وكيل	veqil

١) مصيبة — ٢) على وجه كلي — ٣) يمام هندي — ٤) نوبة tour — ٥) ذنب — ٦) حي من احياء مدينة — ٧) لازوردي — ٨) مرعى مشترك بين الاهالي — ٩) حبر — ١٠) جثة — ١١) بحادثة — ١٢) ضيف — ١٣) اقليم، وطن — ١٤) زبون — ١٥) سُدًى — ١٦) اقليم — ١٧) جندي — ١٨) واسطة — ١٩) مستريح — ٢٠) توسل، عريضة — ٢١) فجر — ٢٢) ابهة — ٢٣) عرق اللؤلؤ (في اللغة العامية) — ٢٤) راحة، لذة — ٢٥) عمل صالح، حسنة — ٢٦) الشرائع التركية — ٢٧) خيانة، خداع — ٢٨) عيد — احتفال — ٢٩) الشكر لله تعالى — ٣٠) محمل جثة ميت — ٣١) ارجحية — ٣٢) تدريب، تمرين عسكري — ٣٣) على وجه الدقة، بالضبط — ٣٤) اجل معيّن لدفع دين او نحو ذلك.

zafràn	زعفران	xhelàt	جلاد	vesveses (١	وسوسة
zahif(٥	ضعيف	xhep	جيب	vilajèt	ولاية (اقليم)
zamàk	زنبق	xhevahir		vixhud(٢	وجود
zamàn	زمان		جوهر (حجر كريم)	xhade(٣	جادة
zanatë(٦	صنعة	xhevap	جواب	xhahil(٤	جاهل
zapt(٧	ضبط	xheza	جزاء	xhami	جامع (معبد)
		xhin	جن	xhehnèt	جنة (دار النعيم)
		ymer	عمر	xhehenèm	جهنم

بعض الكلمات اليونانية المقتبسة من العربية

تنبيه – قد طبعناها بالابجدية اليونانية ، وبجانب كل منها تعيين لفظها بالحروف اللاتينية بقدر الامكان .

χάπι	khâpi (١٣	حب	χαβάνι	khavâni	هاون
χαραμής	kharâmiss (١٤	حرامي	χαβούζα	khavouza	حوض
χαράμι	kharâmi (١٥	حرام	χάζι	khàzi(٨	حظ
χαράτσι	kharâtsi	خراج	χαζίρι	khazîri	حاضر
χαρούπι	kharoupi	خروب	χαϊβάνι	khayvâni(٩	حيوان
χασάπης	khaçâpiss	قصاب (لحام)	χαΐρι	khayri(١٠	خير
χασνές	khasness	خزنة	χαλάλι	khalâli	حلال
χασούρα	khaçoura	خسارة	χαλβάς	khalvâss(١١	حلوى
χατζής	khatziss	حاج	χάλι	khâli	حال
χάψη	khapsi	حبس (سجن)	χαλίφης	khalifiss	خليفة(١٢
χουσμέτι	khousmêti	خدمة	χαλκάς	khalkoss	حلقة
μπακάλης	bakâliss	بقال	χαμάλης	khamâliss	حمّال (عتال)
μπαχαρικά	bakharikâ(١٦	بهار	χαμάμι	khamàmi	حمام
μπελάς	bélâss(١٧	بلاء	χαμπάρι	khabâri	خبر
μποστάνι	bostâni (١٨	بستان	χάνι	khâni	خان (فندق)
μπουχαρίδα	boukharidha(١٩	بخار	χαντάκι	khandaki	خندق
μπρίκι	briki	إبريق	χαντζάρι	khandzâri	خنجر

١) لحك ، قسة – ٢) داخل الجسم – ٣) طريق كبير – ٤) قاس – ٥) مراض – ٦) حرفة يدوية – ٧) تسلط الانسان على ذاته – ٨) لذة ، ملهى – ٩) ما يحصل عليه من الدواب – ١٠) فائدة، تقدم – ١١) نوع من الحلوى مصنوع بالدقيق – ١٢) من خلفاء المسلمين – ١٣) دواء بشكل حب – ١٤) سارق – ١٥) لعنة – ١٦) التوابل – ١٧) هموم، كروب – ١٨) مبقلة – ١٩) مدخنة. الحرفان dh يدلان على الذال.

إبريسم	briçimi[1]	μπρισίμι
أمير	amirass	ἀμιρᾶς
زمان	zamâni	ζαμάνι
زهر (في لعب النرد)	zâri	ζάρι
ظريف	zarifiss[2]	ζαρίφης
ذوق	zevki[3]	ζεύκι
ضيافة	ziyafêti[4]	ζιαφέτι
زوج	zighoss[5]	ζυγός
إمام	imâmiss	ἰμάμης
عناد	inâti	ἰνάτι
قاضٍ	kadhiss	καδῆς[6]
قنطار	kandâri	καντάρι
قيراط	karâti	καράτι
قساوة	kasavêti	κασαβέτι[7]
قطيفة	katifess	κατιφές[8]
قفص	kafâci	καφάσι[9]
كساد	kéçâti	κεσάτι
كأس	kécêss	κεσές[10]
قبر	kivouri	κιβούρι
حناء	kina	κίνα
قرآن	korâni	κοράνι
قربان (تضحية)	korbâni	κορμπάνι
قماش[11]	koumâci	κουμάσι
قبة	koubess	κουμπές
قصور	kouçouri[12]	κουσούρι
حلقوم	loukoum[13]	λουκούμ
ماوي	maviss[14]	μαβής
محصول	maksouli[15]	μαξούλι
مخصوص	maksouss[16]	μαξούς
معرفة	marafêti[17]	μαραφέτι
تسخر	maskarêvo	μασκαρεύω
شمعدان	samtâni	σαμτάνι
محلة	makhalass[18]	μαχαλᾶς
ميدان	meïdâni	μεϊντάνι
مرمة (ترميم)	mereméti	μερεμέτι
مرجان	mertzâni	μερτζάνι
مرتد	mourtâtiss[19]	μουρτάτης
مشمع	mouçamass	μουσαμᾶς
مسافر	mouçafiriss[20]	μουσαφίρης
مشترٍ	moustériss[21]	μουστερής
مفلس	mouflouziss	μουφλούζης
مفتٍ	mouftiss	μουφτής
نارنج	nérandzâki	νεραντζάκι
نشاء	nicestess	νισεστές
طبل	daouli[22]	νταούλι
دولة	devlêti	ντεβλέτι
دلال	délâliss	ντελάλης
دف	dêfi	ντέφι
ديوان	divâni[23]	ντιβάνι
دنيا	douniass	ντουνιᾶς
راوند	ravendi	ραβέντι
رعية	raïyâss[24]	ραγιᾶς

١) خيط حرير — ٢) لبق — ٣) لذة، ملعى — ٤) وليمة — ٥) شفع. الحرفان gh يدلان على الغين — ٦) قاضٍ شرعي عند المسلمين — ٧) غم — ٨) مخمل — ٩) شباك، حاجز مصنوع بقضبان حديد او خشب — ١٠) طاس — ١١) يعني نسيج في اللغة العامية — ١٢) عيب — ١٣) الحلوى المساة راحة الحلقوم في اللغة العامية — ١٤) ازرق مشبع — ١٥) محصول الارض، حصاد — ١٦) بقصد — ١٧) واسطة، حيلة — ١٨) حي من احياء مدينة — ١٩) كافر — ٢٠) ضيف — ٢١) زبون — ٢٢) طبل طويل دقيق — ٢٣) مقعد طويل ذو مسند للظهر او بدونه — ٢٤) اسم كان يطلق على رعايا الدولة العثمانية غير المسلمين.

راحة	rakhâti	ραχάτι	رشوة	rousfêti	ρουσφέτι
رذيل	réziliki[1]	ρεζιλίκι	سقّاء	sakkâss[2]	σακκάς
رجاء (التماس)	ritsass	ριτσάς			

ـ

في ختام هذه المقالة الطويلة التي اقتضت نحو مئة ساعة ، اكثرها موقوف على البحث المملّ في قواميس عدة لغات اوربية ، للعثور على ما فيها من الكلمات العربية ، يسوغ لنا التصريح بدون ادنى ريب ، بان لغتنا الجميلة المجيدة قد اثرت تأثيرًا ذا درجات متباينة من الشدة في نحو مئة من لغات العالم ولهجاته، ومن جملتها ارقى اللغات الاوربية. فحسبنا ذلك فخرًا يدوم الى منتهى الاجيال ويحثّنا على زيادة التعلّق بلساننا وبذل اقصى الجهد لتحسينه وتوسيع نطاق آدابه . والحمد لله تعالى ، الينبوع الفيّاض لكل انواع الخير ، فانه قد خصّ لغتنا بذلك التأثير العجيب في عدد كبير من الالسن.

---

١) استهزاء ، عار — ٢) حامل الماء في السقاء الى البيوت في الزمن الماضي .

وصف اناجيل سطرنجيلية سريانية مصورة

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

تفرغ رهطٌ من احبار السريان واكليروسهم ورهبانهم لنساخة كتاب الاناجيل الاربعة المقدسة بحروف سطرنجيلية سريانية غاية في الرونق والبهاء. وتأنقوا التأنق كله في تدوينها. فنمقوا عناوينها وفصولها بماء الذهب وضروب المداد. ودبجوا بعض صفحاتها برسوم ظريفة دقيقة ذات الوان زاهية أنيقة تدهش الأبصار وتخلب الألباب. ورصعوا دفة الكتاب بالذهب والفضة وطعموها باللآلئ والجواهر الكريمة. وحلّوا اطرافها برسوم الانجيليين الاربعة. ووشحوا وسطها بالصليب الخلاصيّ مع آية المزامير «بك ننطح مضايقينا. وباسمك ندوس القائمين علينا» (مز ٤٣: ٦). وفرضوا على الشماس او الكاهن ان يبخر الكتاب حين التطواف به في الكنيسة وحين ترتيله في واثنا. الصلوات الاستغفارية ܣܘܼܓ݂ܝܬܐ. اخيرًا استعرضوه في منصة عالية خصوصية ليقبله المؤمنون ويتباركوا به. ذلك كله يبرهن عمّا للمؤمنين خاصتهم وعامتهم من التجلة والتكريم لكتاب الله عزّ وجلّ. وعمّا تفرد به الخطاطون الافذاذ من التأني والبراعة والذكاء في فنّ الرسم الجميل.

ولم يقتصر السلف الصالح على ذلك كله بل أحصوا آيات الاناجيل الاربعة احصاء مدققًا وضبطوها في ٩٢٢٤ آية. منها ٢٥٢٢ آية لانجيل متّى الرسول. و١٦٧٥ آية لانجيل مرقس البشير. و٣٠٨٣ آية لانجيل لوقا البشير. و١٩٤٤ آية لانجيل يوحنا الرسول.

وبعد هذا كله نظموا الفصول تنظيمًا دقيقًا محكمًا طبقًا للطقس السرياني القديم موزعًا على الاحاد والاعياد السيدية وتذكارات الرسل والشهداء والملافنة والقديسين والقديسات والاصوام واسبوع الالام. فأفرزوا لكل منها ثلاثة فصول: لصلاة المساء والصباح والقداس.

بيد ان عددًا صالحًا من تلك المصاحف الثمينة النادرة المثال قد اخذته يد الضياع بسبب الحروب والفتن والنوائل وسائر حوادث الدهر. ولم يبق منها

الّا النادر العزيز . ونحن بدورنا اطلعنا على مخطوطتين نفيستين من الاناجيل الكريمة المصوّرة توخينا ان نصفها على صفحات المشرق الاغر وهما ١ً – مخطوطة مكتبة فلورنسة ٢ً – مخطوطة المكتبة الفاتيكانية :

اولاً – مخطوطة مكتبة فلورنسة

هذه التحفة الانجيلية النفيسة قد رقشها الراهب رابولا السرياني اللوذعي ببراعته الدقيقة ووشاها برسوم لطيفة انيقة وجداول متقنة في دير مار يوحنا بجانب زغبا او زغبة احدى مدن سورية الواقعة غربي الفرات . وانتهى من كتابتها وتنسيقها عام ٥٨٦ م. وكانت تلك النواحي يومئذ خاضعة لامراء غسان النصارى حلفاء ملوك الروم[1] وعلى كرور الاحقاب حصلت تلك الخريدة البيّنة في حوزة بطاركة السريان الموارنة بلبنان نحو القرن الثالث عشر للميلاد . اذ ورد فيها ذكر ستة منهم وهم : البطريرك دانيال الحدشيتي (١٢٧٨–١٢٨٢) والبطريرك ارميا الدملصاوي (١٢٨٢ – ١٢٩٧) والبطريرك يوحنا الجاجي (١٤٠٤ – ١٤٤٥) والبطريرك يعقوب الحدثي (١٤٤٥ – ١٤٦٨)[2] والبطريرك بطرس حسّان الحدثي (١٤٦٨ – ١٤٩٢) والبطريرك شمعون الحدثي (١٤٩٢ – ١٥٢٤).

وبعد هذا التاريخ انتقلت هذه المخطوطة الثمينة الى فلورنسة بايطالية وضمّت الى مكتبتها الشهيرة . واستوفى وصفها عام ١٧٤٢ العلّامة السيد اسطفان عواد مطران افاميا الماروني في صدر مؤلفه المشتمل على وصف المخطوطات السريانية والعربية المصونة في تلك المكتبة العامرة . ووشّى وصفه هذا بما انطوت عليه تلك المخطوطة الجميلة من الصور الشائقة والجداول او اللوائح المحكمة . والى القرّاء وصف تلك الصور البالغة ٢٦ صورة :

الصورة الاولى

تمثل هذه الصورة البيّنة سيدنا يسوع المسيح عزّ شأنه يحدق به رسله الابرار . وقد كتب رابولا الناسخ اسماء كلٍّ من بطرس ويعقوب وتوما في السريانية ورسم في اسفلها صورتي مرقس ولوقا البشيرين

١) مخطوطة لندن ١٢٥٠٦ صفحة ٧٠٦ وفيها ذكر بولس رئيس دير مار يوحنا في زغبا .

٢) روى البطريرك الدويهي في تاريخه ان البطريرك يعقوب توفي عام ١٤٥٨ وخلفه البطريرك بطرس (تاريخ الازمنة . طبع الاب فرديناند توتل اليسوعي : ٢١٠ و٢١١).

الصورة الثانية

تمثل سيّدتنا مريم العذراء المغبوطة حاملة طفلها يسوع الحبيب على ذراعيها وهي واقفة ضمن هيكل يعلوه نسران في ناحيتيه كلتيهما .

الصورة الثالثة

امونيوس الاسكندري واوسابيوس القيصري واقفين . وقد اثبت الناسخ النجيب صورتيهما لانهما يُعدّان في طليعة الذين ضبطوا فصول الاناجيل وعناوينها .

الصورة الرابعة

اورد الناسخ تحت اسم « قانون » ما اتّفق في كتابته وتدوينه الانجيليّون الاربعة او الثلاثة او الانجيليان . وكسّر ذلك على عشرة قوانين : فالاول انطوى على ما اجمع الانجيليون الاربعة على اثباته . ونقش هناك صورة موسى الكليم وصورة اهرون اخيه . ثم صور جبرائيل رئيس الملائكة وزكريا الكاهن وحمامتين وخروفٍ يرعى .

الصورة الخامسة

يشاهد في الوسط رسم سيدتنا مريم العذراء وآية « ها انا أمةُ للرب » . ورسم جبرائيل رئيس الملائكة وآية « السلام لك يا مريم يا ممتلئة نعمة ». ثم صورة يشوع بن نون وصموئيل الكاهن . واشكال حمام وحجل وأيائل .

الصورة السادسة

تمثل هذه الصورة الانيقة الدقيقة ميلاد سيدنا يسوع المسيح . وداود الملك وابنه سليمان . وفي اسفل الصورة اطفال بيت لحم واربعة فتيان .

الصورة السابعة

القانون الثاني . يتضمن ما اتفق في تدوينه ثلاثة انجيليّين . ويشاهد في الوسط رسم العذراء مريم وخطيبها القديس يوسف . وفي العلو صورة هوشع ويوئل النبيّين . وهناك ست اجاجين عرس قانا الجليل وصورة رجلين .

الصورة الثامنة

تمثّل النبيَّين عوس وعوبديا وشجرتين لطيفتين. والى اليمين شخصان واقفان. والى اليسار شخصان كذلك وامرأة.

الصورة التاسعة

يونان النبيّ راقدًا في ظلّ خروعةٍ والى يساره ميخا النبيّ وفي وسط النبيّين صورة العذراء المتبرطة ومار يوسف خطيبها . ثم صورة العذراء كذلك والبشباع نسيبتها . وهناك اشكال حمامات وغزلان وما اشبه ذلك من الطيور.

الصورة العاشرة

صورة ناحوم وصفنيا النبيّين . وعبارة ܚܝܠܗ ܕܐܠܗܐ ܚܝܐ بسم الله الحيّ» وفي الوسط صورة منبعة فتيان . وعلى هذه الصفحة كتب البطريرك ارميا الدملصاويّ (١٢٨٢ — ١٢٩٧) بخطّ يده في السريانيّة يصف زيارته للبطريرك دانيال سالفهِ وسيامتهُ مطرانًا ثم بطريركًا. وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

الصورة الحادية عشرة

القانون الثالث . ينطوي كذلك على ما اتّفق في تدوينه ثلاثة انجيليّين. وهناك قبّة بديعة حولها اربع حمامات . وصورة ايّوب الصدّيق واشعيا النبيّ. وثلاثة فتيان في اسفلهم صورة ثور.

الصورة الثانية عشرة

القانون الرابع . يحوي كذلك ما اتّفق في كتابتهِ ثلاثة انجيليين . وهناك قنطرة الى يمينها حبقوق النبيّ والى يسارها حجّاي النبيّ . وفي الوسط شخصان واقفان وفي اسفلها صورة وعل.

الصورة الثالثة عشرة

القانون الخامس . يتضمّن اتفاق الجيليّين في ما كتباه . وتشاهد صورة ارميا وزكريا النبيّين وقنطرة حولها حمامتان واربعة اغصان زنبق . وفي الاسفل ثلاثة فتيان وسوسنة.

الصورة الرابعة عشرة

حزقيال ودانيال النبيّان يعلوهما شكل طاووسين جاثيين بينهما اناء زهر (مزهريّة) وزنبقتان. ثم ثلاثة فتيان وشخص يبارك بيمينه.

الصورة الخامسة عشرة

القانون السادس . يتضمّن كذلك اتّفاق انجيليّين في ما دوّناه . وصورة

النبيّين ملاخي والياع . وفي الوسط انجيلي يبارك بيمينه . وبيساره كتاب الانجيل . وهناك رجل آخر جالساً وبيده درج . وتُشاهَد كذلك قبة فوقها حجلتان يتوسّطها اناء زهر.

الصورة السادسة عشرة

القانون السابع . يتضمن كذلك ما اتّفق في اثباته انجيليان . والى اليمين متّى الرسول يبارك بيمينه وفي يساره صحيفة مرقومة بالسريانية . والى اليسار يوحنا الرسول وبيديه كلتيهما دَرْج دُوّن فيه الآية الاولى من انجيله : ܒܪܫܝܬ ܐܝܬܘܗܝ ܗܘܐ ܡܠܬܐ . ܘܗܘ ܡܠܬܐ ܐܝܬܘܗܝ ܗܘܐ ܠܘܬ ܐܠܗܐ في البدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله » .

الصورة السابعة عشرة

القانون الثامن يشتمل على ما رواه البشيران مرقس ولوقا . وقد رسم الخطّاط رابولا صورة البشيرَين المومأ اليها . فرقس يبارك بيمينه وكتاب الانجيل بيساره ، ولوقا يبارك بكلتا يديه حاملاً كتاب الانجيل .

الصورة الثامنة عشرة

القانون التاسع . يتضمن ما اتّفق في تدوينه لوقا ويوحنا . والى اليمين ثلاثة اشخاص والى اليسار شخصان . وهناك قبة مستديرة تكتنفها اشكال حمام وحجل .

الصورة التاسعة عشرة

ما تفرّد في كتابته متّى الرسول دون الانجيليين الثلاثة . وقد رسم رابولا النجيب بريشته الدقيقة ثلاثة فتيان فوق زنبقة . وثلاثة اشخاص بيد الوسطاني كتاب الانجيل الشريف وكلا الشخصَين يصغيان اليه . وفي اسفل الرسم شخص بيمينه عصا وقد وضع يسراه على كتف صبي .

الصورة العشرون

القانون العاشر . ما تفرّد بكتابته مرقس البشير . وتشاهَد صورة سيّدنا يسوع المسيح عزّ شأنه ممتطياً جحشاً والى يمينه بطرس رئيس الرسل وامامه اربعة فتيان يفرشون سعف النخل في الطريق . والى يسار المخلّص الرسل الاحد

الصورة ٤١ من مخطوطة المكتبة الفاتيكانية

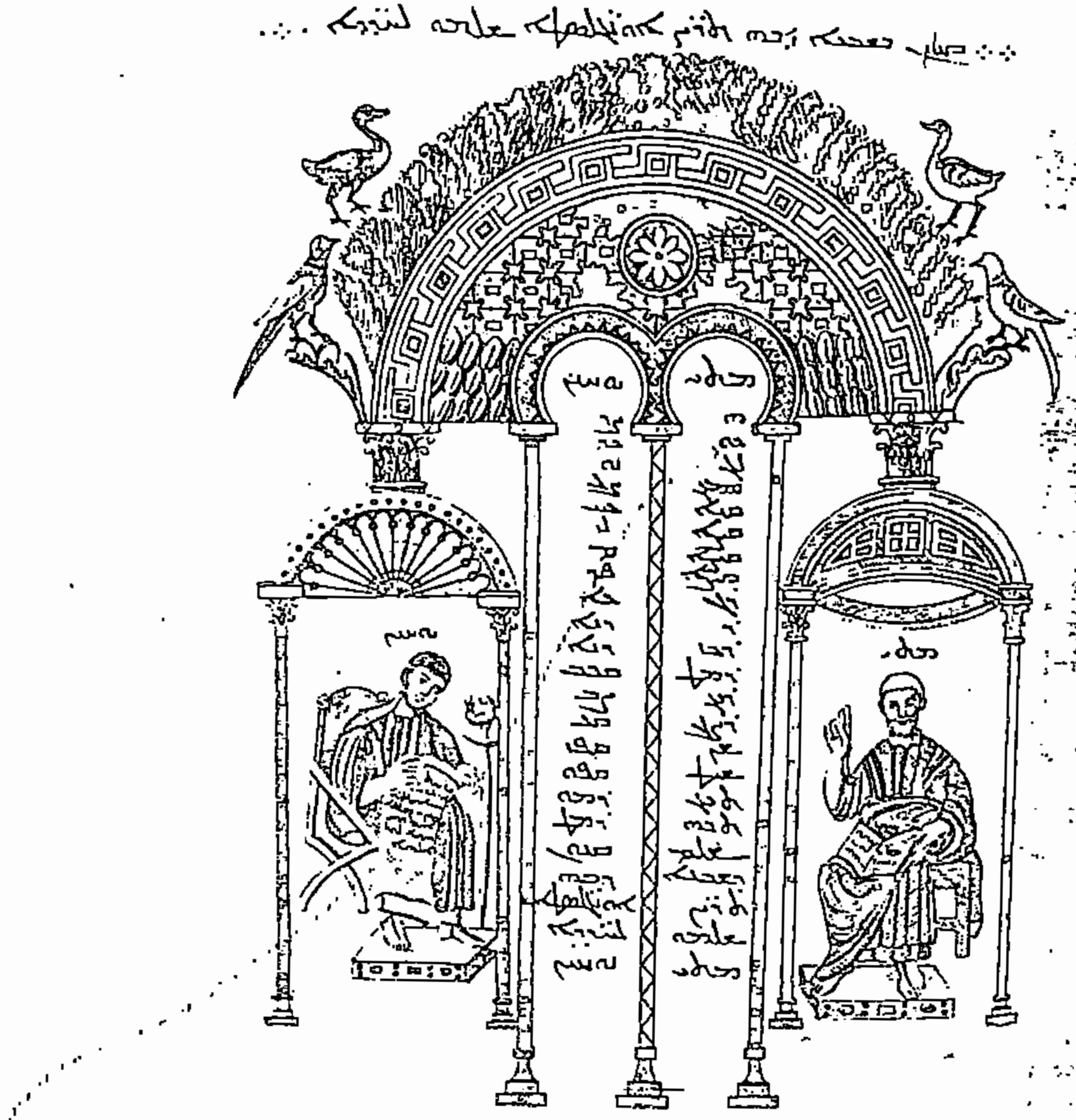

الصورة ١٦ من مخطوطة مكتبة فلورنسة

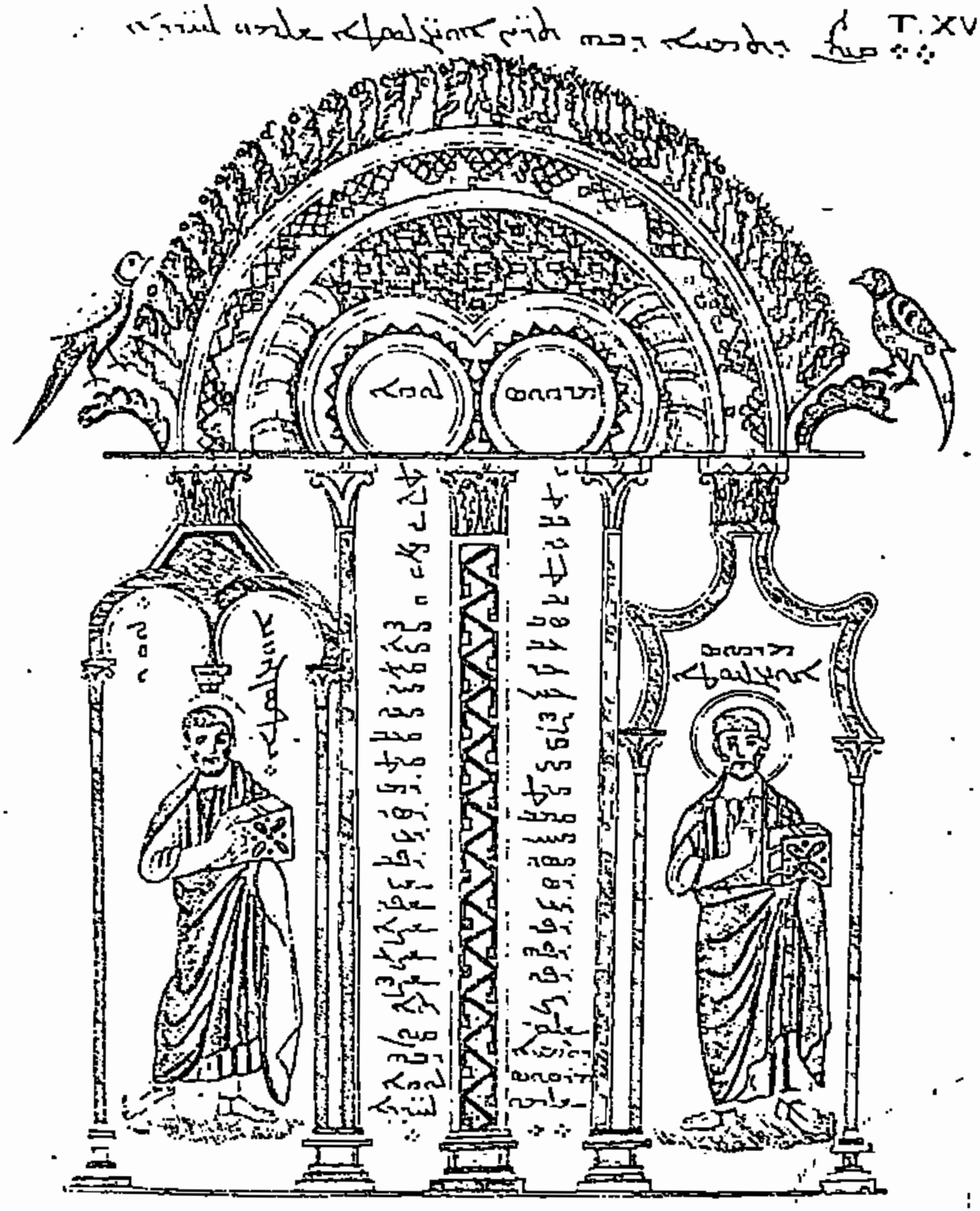

الصورة ١٧ من مخطوطة مكتبة فلورنسة

الصورة ٣٣ من مخطوطة المكتبة الفاتيكانية

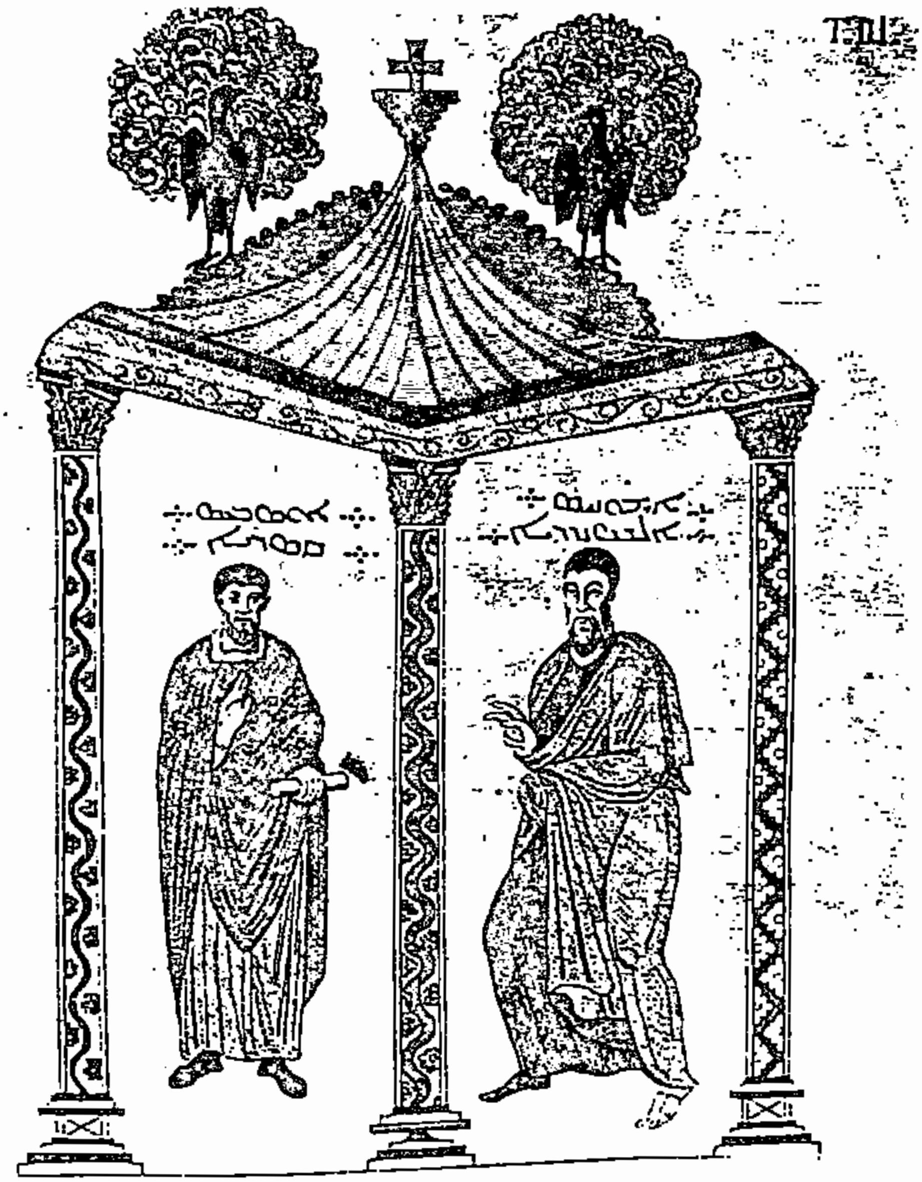

الصورة ٣ من مخطوطة مكتبة فلورنسة

عشر وقد مدّ يسوع يده لينهض احدهم. وحول القبّة صنوف طيور مجنحة. وهي صورة غاية في الروعة والبهاء والجمال.

الصورة الحادية والعشرون

القانون العاشر ايضاً. يتضمن ما تفرّد بكتابته لوقا البشير. وتُشاهَد صُوَر الانجيليين الاربعة في يد احدهم سعف نخل وفوقهم قبّة مستديرة حولها اشكال زهور وطيور. والى اليسار صورة يهوذا الدافع وكتابة سريانيّة تعريبها: «ذهب يهوذا الاسخريوطيّ واشترى مخنقة وخنق حلقه في شجرة» وتُشاهد تحت يهوذا حبال ضخمة.

الصورة الثانية والعشرون

القانون العاشر ايضاً. يشتمل على ما تفرّد في تدوينه يوحنا الرسول وتشاهد صورته والى جانبه فتى واقفاً والى يساره شخص يبارك. وهناك قنطرة حولها سنابل ملتفّة وفوقها حمامات جاثمة.

الصورة الثالثة والعشرون

أجمع الأثريّون البيعيون على ان هذه الصورة التي رسمها الراهب رابولا السرياني ليسوع فادي العالمين معلّقاً على الصليب هي باكورة صور يسوع المصلوب على الاطلاق[1]. فقد رسم هذا المصوّر الحاذق الورع صورة المخلّص عزّ شأنه موشّحاً بثوب ارجوانيّ مذهّب وهامته المقدّسة مزدانة بشعاع منير بهيّ فوقها كتابة كلمتين سريانيّتين ܡܠܟܐ ܕܝܗܘܕܝܐ «ملك اليهود». والى يمين الكتابة ويسارها الشمس والقمر. وصوّر ذراعَي الفادي معرّين ويديه وقدميه مسمّرة باربعة مسامير والى يمين المصلوب ويساره اللصّان عليهما ازار يستر عريهما فقط. ثم يشاهَد الى يمين المصلوب العذراء الحزينة ويوحنا الحبيب. والى يساره ثلاث نساء. وتحت المصلوب ثلاثة رجال يُلقون القرعة على ثيابه. ويشاهَد كذلك لنجينوس القائد الى يمين المصلوب يطعنه بحربة واسمه مكتوب بحروف روميّة. والى اليسار جنديّ يقدّم ليسوع اسفنجاً مبتلّاً بخلّ ومرارة.

وتحت هذه الصورة المؤلمة المؤثّرة يشاهد في الوسط ملاك يدحرج الحجر عن

[1] المشرق ٧ (١٩٠٤) ٢٦٨—٣٠٠

باب القبر. وفي اسفل القبر جنديان راقدان . والى اليمين يسوع الخاص يبارك امرأتين جاثيتين. والى اليسار ملاك يبشّر العذراء. والمجدلية بالقيامة المجيدة.

الصورة الرابعة والعشرون

قيامة يسوع الخاص وصعوده ممجدًا ظافرًا. والى يمينه ويساره اربعة ملائكة، وهناك جماعة الرسل الاصفياء. بيد احدهم عصا يعلوها صليب. وفي وسط الرسل ملاك متوشحاً بحلة لطيفة يخاطبهم عن صعود الربّ الى السماء.

الصورة الخامسة والعشرون

يسوع الفادي مستوياً يبارك الحضور بيمينه . يكتنفه انجيليان الى يمينه وانجيليان الى يساره بيد احدهما كتاب الانجيل المقدّس. ويعلو الصورة شكل طاووسين غاية في الروعة والجمال .

الصورة السادسة والعشرون

تمثّل الروح القدّوس هابطاً من السماء بشكل حمامة بديعة على سيّدتنا مريم العذراء. في علّية صهيون يحفّ بها آباؤنا الرسل الاثنا عشر فوق هامة كلّ منهم شكل لسان ناري. وقد رفعت العذراء يمينها تباركهم. وفوق القنطرة يميناً وشمالاً ثماني سنابل خضراء جميلة. وتُعدّ هذه الصورة من أبدع الصور وأروعها وألطفها.

تاريخ نساخة المخطوطة معربة عن السريانية

اثبت الراهب رابولا في الصفحة ٢٩٢ من مخطوطته هذه البديعة ما تعريبه:

« المجد للآب والابن والروح القدس . الذي عضد عبده الخاطئ الذليل ربولا الناسخ فكتب هذا الكتاب . اني اتوسّل الى كلّ من يطالعه ان يصلي لاجلي كي يتحنّن الربّ عليّ تحننه على اللصّ اليمين بشفاعة القدّيسة مريم والدة الله الدائمة بتوليتها وبأدعيتكم يا اخوتي رهبان دير مار يوحنا . انتهى الكتاب في نصف شهر شباط سنة ٨٩٧ للاسكندر (٥٨٦م) . . في دير مار يوحنا في زغبا . بأيام محبّ الله القس سرجيس رئيس الدير . ولُوما العفيف والقسيسين نونا ومرطور . والشمامسة حبش وناطلفنا ودميان وسائر الرهبان . نسأله تعالى ان يصون الدير وساكنيه من الاضرار الخفية والجلية . ويجعل الامن والسلام سائدًا في الدنيا كل الايام بجاه الشهداء محبّيه ومحبّي ظهوره وقد ماتوا على رجائه .

« فليكن تذكار صالح امام الله ومسيحه وروحه الحيّ القدّوس لمن تعب في هذا الكتاب وكتبه. فليؤهّله المسيح الاهنا في مجد ملائكته للقيامة المباركة من بين الاموات ويسمه

البارة المنسة بجنة وهي : « سا يا عبدًا صالحًا وامينًا . كنت امينًا في القليل . اما اقيمك على الكثير . ادخل الى فرح سيدك » بجاه الرسل المنبوطين والقديسين الذين اكملوا مشيئته تعالى آمين

« كلّ من يطالع هذا الكتاب فليصلِّ لاجل أصفياء الله الاعزاء المستأهلين الذكرى الصالحة : القس يوحنا والشماس يوحنا المتوفّين . لانه بجهودهما تمّ انشاء مكتبة الدير . ولاجل كريسطفور الفاضل الزاهد والقس مرطور والفقيه دميان الذين انجزوا العمل بجهتهم ونظموا وقابلوا وجلّدوا هذه الكتب ووضعوها في دير مار يوحنا في زغبا . ولاجل كلّ من شاركهم في ذلك . فليبارك ربنا والاهنا ومخلصنا يسوع المسيح كلّ ما لهم حاضرًا وغائبًا . ويجعل ذكرًا صالحًا لامواتهم ورجاء مباركًا لخلاصهم . ويبلغهم نصيب القديسين عندما يدعوهم ويقيمهم من التراب قائلًا لهم : « هلموا يا مباركي ابي ورثوا الملك المعدّ لكم منذ انشاء العالم ». بصلوات الكنيسة المؤمنة جماء المنتشرة في اقطار الارض كلّها وبشفاعة سيّدتنا مريم والدة الله الدائمة بتوليّتها .

« هذا الكتاب يخصّ رئيس دير مار يوحنا المعدّس في زغبا . كلّ من يأخذه او يطلبه ليطالعه او ينقل عنه او يقابله ويستبدّ به او يقطع منه ورقة مكتوبة او غير مكتوبة تكون حصّته مع سراق المقدس .

« بعد وفاة القسّ رومانس زائر انطاكية قد وُهب هذا كتاب الانجيل لكنيسة مار جرجس . ليكون ذكرًا صالحًا للقس رومانس المذكور ولقسطنطين رفيقه . نسأله تعالى ان يجعل لها ذكرًا صالحًا في قيامة الابرار والصدّيقين . بشفاعة الام المباركة وجميع القديسين آمين . واذا تأسست كنيسة غيرها في المدينة فليكن هذا الكتاب لها في كلّ حال ».

وجاء في الصفحة ١٧ من مقدّمة الكتاب عند الصورة العاشرة بخطّ يد البطريرك ارميا الدملصاوي ما تعريبه :

« في السنة ١٥٩٠ يونانيّة (١٢٧٩ م) في ٩ شباط جئتُ انا الحقير ارميا من قرية دملصا المباركة لزيارة البطريرك بطرس (دانيال الحدشيّ بطريرك الموارنة (١٢٧٨ – ١٢٨٣) في دير سيّدتنا مريم (العذراء) بميفوق بوادي ايليج بلد البترون . فوضع اليد عليّ ونادى بي مطرانًا على دير كفتون المقدّس المؤسس على ضفّة البحر . ومكثت هناك (اياما) . وكان يسكن الدير يومئذ الرهبان : حزقيال واشيا ودانيال ويشوع وايليا وداود ورفاقهم وهم ٣٢ راهبًا .

« وبعد اربع سنوات (سنة ١٢٨٢) استدعاني ملك جبيل مع الاساقفة والموارنة والقسان والقرا الفرعة فوقعت عليّ ونصبوني بطريركًا في دير حالات المقدّس. ثم ارسلوني الى رومية المدينة العظمى فاقتُ اخانا الاسقف تئودورس ليسوس الرعية ويحافظ عليها ».

وبعد ذلك ورد ما مفاده :

« في ٨ ايلول ١٦٦٥ ؟ (١٦٦٥ م) حضرَ عندي انا بطرس بطرك الموارنة (بطرس

يوحنا الجاجي ؟ (١٦٠٦ – ١٦٦٥) الجالس على الكرسي الانطاكي والمقيم في دير سيدة ميفوق بوادي ايليج : ولدنا الراهب اشعيا من دير قزحيا فنصبته رئيساً على الرهبان المقيمين في دير مار يوحنا دير الكوزبندو بجزيرة قبرس . حسبما ورد من اولادنا الرهبان بخط ايديهم وهم : جبرائيل وشمعون وحبقوق وميخائيل . وللرب المجد آمين » .

يلي ذلك بخط البطريرك يوحنا الجاجي عينه :

« انا بطرس يوحنا الجاجي بطريرك الموارنة الجالس على الكرسي الانطاكي والقاطن دير سيدتنا مريم (العذراء) بميفوق . حضر عندي من دير كوزبندو القس متى الجليل المنيف . فدفعت له ثلاثمائة دينار وزجاجة ميرون لاجل ذلك الدير . وكتاب توراة موسى باللغة العربية . وكتاب الناموس وكتاب الايمان . ولله المجد الى الابد » .

ثم ورد كذلك ما خلاصته :

« لما كان تاريخ ١٧٧٢ لليونان (١٦٦١ م) اوقف الخوري جرجس والخوري هلال المقيمان في دير حوقا . . . لدير سيدة قنوبين المبارك دستاً كبيراً . . . وكان الوقف في زمان ابينا ومعلمنا ورئيسنا وتاجنا ومدبرنا البطريرك مار يعقوب (الثالث الحدثي) ، (١٦٦٥ – ١٦٩٨) . . .

ثم ورد ايضاً :

« لما كان تاريخ سنة ١٧٧٣ من سني اسكندر (١٦٦٢ م) اوقف البطرك يعقوب العصا البلور لدير قنوبين المبارك عن روحه وعن الاب البطرك بطرس (يوحنا الجاجي) . من يخرجه من الدير المبارك او يدعي انه له او يرهنه او يبيعه يكون محروماً مفروزاً مغضوباً ومسخوطاً من الله ومن كرسي مار بطرس ومن جميع الكراسي ومن حنانيا » .

وجاء في الصفحة ٢٠ من المقدمة :

« لما كان تاريخ سنة ١٨٠٤ يونانية (١٦٩٣ م) اوقف البطريرك بطرس بن داود بن حسان (١٦٦٨ – ١٦٩٣) من قرية الحدث : البدلة الحمراء والعصا الفضة . . عن نفسه لدير سيدة قنوبين . . . وشهد على ذلك الاب المطران جرجس من قرية جاج . والخوري سمعان ابن عميد من قرية الحدث وكاتبه دانيال . . . »

اخيراً ورد في ذات المخطوط ما نصه :

« لما كان تاريخ سنة ١٨٢٧ يونانية (١٥١٦ م) ارسل بابا رومية (لاون العاشر (١٥١٣ – ١٥٢١) الى البطريرك بطرس بن داود المكنى ابن حسن من قرية الحدث المباركة على يد الراهب فرنسيس رئيس القدس وترجمانه : غطا مذبح وكفاً مزركشاً . . . وحللاً كهنوتية مقصبة بذهب . . . وبدلة مزركشة بذهب وفضة . وغفارتين مزركشتين وتاجاً مرصعاً باللؤلؤ . وثلاث بدلات جوخ . وبدلتين جوخ لالياس بن يوسف مقدم الموارنة . وعشر بدلات جوخ لرهبان الدير » .

وهناك عدة كتابات تنوه باوقاف دير قنوبين في كفرشخنا ودارياو كفرزينا وكفرفو وسرعل أضربنا عن اثباتها .

فيتحصل من كل ما سبق ان هذا كتاب الانجيل المصور ظل اكثر من ثلاثة قرون في حوزة البطريركية السريانية المارونية ثم انتقل في القرن السادس عشر الى فلورنسة . ولا يزال يزين مكتبتها العامرة حتى يومنا .

ثانياً — مخطوطة المكتبة الفاتيكانية

حصلت هذه مخطوطة الاناجيل السطرنجيلية الموشاة باربع وخمسين صورة انيقة دقيقة ملونة في حوزة احبار السريان الكاثوليك الطيبي المآثر في الموصل . انتقلت اليهم من بابهة بغديدا او خوديدا (قرقوش) العامرة . فحافظوا عليها محافظتهم على اقدس كتاب واثمن تراث . وفي السنة ١٩٣٧ تخوف راعي الابرشية السيد قرلس جرجس دلال الجليل ان يصيب الكتاب ما اصاب غيره من المخطوطات النفيسة . فاتفق مع الاكليرس والاعيان ونقله الى عاصمة الكثلكة ورفعه هدية بنوية باسمه واسماء اولاد رعيته الى حبر احبار بيعة الله المقدسة البابا بيوس الحادي عشر الذي امتاز بتهفه بالمخطوطات القديمة النادرة . فطالعه ورقة فورقة وابتهج الابتهاج كله بضامينه ورسومه المزركشة اللطيفة . ثم اهداه الى المكتبة الفاتيكانية العامرة وسجله مديرها الفاضل تحت رقم ٥٥٩ .

ثم اوعز الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر الى المستشرق اليسوعي الافرنسي الشهير G. de Jerphanion فتولى وصف المخطوطة يساعده في عمله رهط من اساطين المكتبة فاكب على ذلك حتى السنة ١٩٤٠ ونشر مجلدين بعنوان « تصاوير فنية » ضمن احدهما وصف الكتاب وثانيهما وصف الصور . فجاء مؤلفاً فريداً خطيراً يجدر بمكتبات الغرب والشرق ومحبي الآثار الدينية ان يقتنوه كي يقفوا على براعة الخطاطين السريانيين وعبقريتهم .

على اننا اطلعنا نحن على تلك المخطوطة النفيسة قبل نقلها الى رومية وقلبنا صفحاتها ولخصنا مضامينها . وهي تنطوي على ٢٣٨ ورقة اعني ٤٧٦ صفحة في كل صفحة ٢٣ سطراً . طولها ٤٤ س . في عرض ٣٢ وسمك ١١ كتبت عناوينها بحبر احمر ومتونها بمداد اسود . ما عدا عشرة فصول ترتل في المواسم الكبيرة

دوّنها الناسخ العبقري بحروف ذهبية طريفة وهي ١ً — فصل احد تدشين الكنيسة ٢ً — احد بشارة العذراء المغبوطة ٣ً — ميلاد المخلص ٤ً — عماده ٥ً — دخوله اورشليم بحفاوة اوشعنا ٦ً — قيامته المجيدة ٧ً — ظهوره للرسل في علية صهيون ٨ً — صعوده الى السماء ٩ً — حلول الروح القدوس ١٠ً — تجلّي الفادي في طور تابور .

اما نص الاناجيل فأغلبه منقول عن النسخة المشهورة بالبسيطة ܦܫܝܛܬܐ القديمة العهد . وبعضه منقول عن الترجمة المنسوبة الى توما الحرقلي (†٦٢٨م) التي تفرّد بها السريان اليعاقبة دون سائر الملل السريانية كالملكيين والموارنة والسريان الكاثوليك والكلدان والنساطرة .

اما صور المخطوطة فهي من ادق الصور واجملها واتقنها . منها ما يتجاوز حجمه ٣٠ س طولاً و٩ عرضاً . وطول اغلبها ١٠س في عرض ٨ س. وتشاهد بعض تلك الصور مشوّهة لكثرة تقبيل المؤمنين او لسبب ما لحقها من الرطوبة ومنها ما يسترها قماش رقيق صيانة لرونقها والوانها . وهي تمثل سيدنا يسوع المسيح وتدبيره الخلاصي وعجائبه الباهرة منذ الحبل به حتى صعوده وارساله روحه القدوس .

والى القراء الاعزاء تعداد الصور مع وصف وجيز :

١ — صورة موسى الكليم وامامه مكتب كأنه متأهب ليدوّن اسفاره الخمسة . والى جانبه دلة يعلوها شكل يد . وفي الاسفل صورة يوحنا الانجيلي الرسول منتصباً وامامه كذلك مكتب والى جانبه ارزة . وهي من ابدع ما رسمته ريشة نقاش . وفي اعلى هذا الرسم ايضاً يدٌ ممدودة كأنها تشير الى الوحي . فموسى يشير الى العهد القديم ويوحنا الى العهد الجديد .

٢ — زكريّا الكاهن واقفاً في مذبح البخور والى يمينه جبرائيل رئيس الملائكة وبين كليهما حمل قد احضره زكريا ليقرّبه ضحية كمألوف العادة في العهد القديم .

٣ — مريم العذراء المغبوطة واقفة ضمن خدرها وجبرائيل منتصباً يخاطبها . وبين كليهما حمامة لطيفة اشارة الى الروح القدوس .

٤ — العذراء مريم والیشباع نسیبتها تتصافحان .

٥ — ثلاثة كهنة يتقدّمهم زكريا بيده لوحة رقم عليها ܝܘܚܢܢ ܗܘ ܫܡܗ «اسمه يوحنا» .

٦ — يوسف خطيب العذراء والملاك يخاطبه قائلاً : لا تخف ان تأخذ مريم خطيبتك . لان المولود بها هو من روح القدس .

٧ — يسوع الطفل مضطجعاً في مذود . ثم صورته كذلك يرحب بثلاثة مجوس حاملين اليه الهدايا يعلوهم نجم وملاكان . وهناك كذلك بعض الرعاة .

٨ — مريم العذراء المغبوطة وعلى ذراعيها يسوع الطفل ابنها وهي من اتقن الصور واجملها .

٩ — جنود بيدهم سيوف ليفتكوا باطفال بيت لحم .

١٠ — اطفال وامهاتهم وقد استل الجنود سيوفهم ليذبحوهم .

١١ — يسوع المخلص هارباً الى مصر . فالعذراء راكبة جحشاً وعلى ذراعيها نجلها المجيد . ويوسف خطيبها يسبقها ماشياً .

١٢ — يسوع الشاب يشتغل في بيت الناصرة .

١٣ — اسطفانس رئيس الشمامسة يرجمه اليهود . ويعلو الصورة يسوع المخلص يشجّع الشهيد على احتمال العذاب .

١٤ — عماد يسوع مخلصنا . فوق هامته حمامة اشارة الى الروح القدس . والى جانبيه ملاكان بيد كلّ منهما منديل . وبالقرب من يوحنا دلية لطيفة .

١٥ — يسوع الفادي يحادث تلميذي يوحنا وهما يسألانه : أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر ؟

١٦ — قطع هامة يوحنا المعمدان . فيشاهد السياف منتضياً سيفه والملاك بيده اكليل ليتوّج هامة الشهيد .

١٧ — انطونيوس ابو الرهبان يحيط به اربعة منهم . فالراهبان متوشحان بالاسكيم والآخران بحلة حبرية . كأنّ المصوّر الذكي يشير الى اصطفاء الاحبار توّاً من فئة الرهبان طبقاً للتقليد البيعيّ القديم .

١٨ — شمعون الشيخ في هيكل اورشليم وملاك جاثم فوق شجرة دلب .

١٩ — شمعون الشيخ حاملاً يسوع الطفل على ذراعيه والى يمنه العذراء واقفة .

٢٠ — يوسف الصدّيق حاملاً زوجي حمام . وحنّة النبيّة بيدها درج .

٢١ — يسوع المخلّص والعذراء والدته في عرس قانا الجليل .

٢٢ — المدعوّون الى العرس وبيد احد الخدّام جرّة يصبّ منها الماء في الاجاجين .

٢٣ — يسوع الفادي يشفي الابرص والابرص جاثٍ امامه .

٢٤ — قائد المائة جاثياً امام يسوع يلتمس منه ان يذهب ويشفي فتاه (متى ٨ : ٦) .

٢٥ — يسوع المخلّص يبعث ابنة يوارش من الموت .

٢٦ — قائد المائة يلتمس من يسوع ليذهب الى بيته . وتُشاهد كذلك المرأة النازفة الدم تلمس طرف ثوبه فتبرأ للحال .

٢٧ — يسوع باسطاً يديه ليفتح عينَي الاعمى .

٢٨ — يسوع في نائين يبعث ابن الارملة من الموت والجماهير تكتنفه .

٢٩ — خصّص الراهب مبارك البرطلي صفحتَين من الكتاب دبّجها برسوم الشهداء الاربعين بيد اغلبهم سعف نخل ذو ثلاثة صلبان او صليبَين او صليب واحد . وهذه الصورة محفوظة حفظاً جيّدًا .

٣٠ — يسوع المخلّص في بيت سمعان الفرّيسي . ومريم الخاطئة جاثية امامه تغسل قدمَيه .

٣١ — مريم ومرتا جاثيتَين امام يسوع .

٣٢ — يسوع يُبعث لعازر حيًّا من القبر ملفوف اليدَين والرجلَين .

٣٣ — صورة مهيبة جميلة جدًّا تمثّل يسوع الفادي مستوياً على جحش . فالرسل والتلاميذ والجموع يحتفون به بترانيم اوشعنا . والاطفال جاثمون فوق اغصان الشجر وبيد بعضهم سعف النخل . وهناك قوم من اليهود يتفاوضون . وفي أعلى الصورة اشجار زيتون جاثمة بعض الطيور في اغصانها .

٣٤ — يسوع عند بركة بيت حسدا . والمخلّع حاملاً سريره . والملاك يرف فوق البركة .

٣٥ — القبض على يسوع المخلّص . ويشاهد شيخان الى اليمين ويهوذا الى اليسار يتشاورون .

٣٦ — يسوع يغسل اقدام الرسل وهو جاثٍ امام بطرس رئيسهم .

٣٧ — يسوع على مائدة العشاء السرّي . وحَمَل وأباريق ورسم ديك .

٣٨ — يسوع والرسل وبيده كأس يقدّمها لبطرس ليشربها .

٣٩ — اليهود يقبضون على يسوع مخلّصنا .

٤٠ — اليهود يوثقون يسوع فادينا .

٤١ — بطرس رئيس الرسل جالساً عند الباب منتحباً باكياً تتحدّر الدموع من مقلتيه . ثم صورة جندي ويهودي وامرأة . وفي العلو ديكٌ يصيح .

٤٢ — يسوع المخلّص مسمّرًا على الصليب وبجانبه العذراء والدته ولونجينس يطعن جنبه . وشرذمة من اليهود حوله .

٤٣— يسوع ينزَّل عن الصليب بحضور العذراء والدته ويوحنا الحبيب والجدلية .

٤٤ — يوسف الرامي ونيقوديس ينزّلان المخلّص عن الصليب .

٤٥ — يسوع عزّ شأنه منبعثاً من القبر وبيده صليب. ثم العذراء وبعض الرسل .

٤٦ — ملاك هابط من السماء واقفاً عند القبر . ونسوة حاملات الطيوب . وقد ظهر لهنّ المخلّص . وبعض الحرّاس . واللفائف والعمامة .

٤٧ — يسوع ولوقا وقليوفا تلميذا عماوس .

٤٨ — ظهور المخلّص للرسل في العلّية وتوما جاثياً امامه وقد مدّ يده ليضع اصبعه في جنب يسوع الاقدس .

٤٩ — يسوع الفادي صاعدًا الى السماء يحيط به أجواق الملائكة . ويشاهد الرسل الاحد عشر تتوسّطهم العذراء المجيدة باسطة ذراعيها . وجميعهم يتفرّسون في يسوع صاعدًا .

٥٠ — يسوع المخلّص مستوياً على العرش يبارك بيمينه وعكاز بيساره . وثلاثة رسل الى يمينه وثلاثة الى يساره .

٥١ — صورة بديعة شائقة جدًا تمثّل الرسل الاثني عشر في العلّيـة وهم جالسون بهيئة مستديرة . والروح القدّوس هابطًا عليهم وألسنة ناريّة مندفقـة كأشعّة الشمس فوق هاماتهم .

٥٢ — يسوع الفادي جالساً عنـد البئر يحادث السامريّة وبيدها جرّتها . وثلاثة رسل قادمين ليشاهدوا يسوع .

٥٣ – تجلي الربّ في طور تابور الى يمينه موسى والى يساره ايليا . وفي اسفل الصورة بطرس ويعقوب ويوحنا راقدين .

٥٤ – قسطنطين الكبير وامه هيلانة الزهاوية يتوسطهما الصليب الكريم وقد قبض كلّ منهما عليه . وهي من أجمل صور الكتاب وأحلاها .

هذا مجمل وصف الرسوم المزيّنة هذا الانجيل المبارك . على ان الناسخ النجيب بعدما نقش فصل عيد قيامة الربّ العجيبة بحروف ذهبيّة اثبت ما يلي معرّباً :

« لا يلمني المطالع فقد كتبتُ على قدر قوّتي . واسأل محبّتكم الالهيّة التي قبلناها جميعاً بالمنحة المسيحيّة ان توجّهوا الصلوات عند مطالعتكم هذه الاسطر المشوّشة الى الرئيس عبدالله المقدسي . لانه هو الذي اهتمّ بهذا الانجيل . . . ثم وثب بشهامة كغزال حادّ النظر من فخّ هذا العالم ومن هذا البحر العجاج وأنقذ سفينته وبلّغها الى ميناء النفوس . وصار راهباً وأخاً معنا . نسأل الله تعالى الذي لاجل محبّته دخل الباب الضيّق ان يفتح امامه ابواب السماء آمين . اللّهم اغفر لنفس ابيه عبد الاحد ولاخوته المحروسين : الراهب شمعون والراهب يشوع وسليمان وسرجيس ومنصور وجنام وهابيل مع سائر ابنائهم المحبوبين واغفر لراحيل أمّهم » .

وختم الناسخ كتابتهُ بهذا التاريخ معرّباً :

« المجد للآب والابن والروح القدس . على رجائهِ بدأنا وبعونه انتهينا . انتهى نسخ فصول قراءات الانجيل المقدّس المنتخبة والمرتّبة من الاناجيليّين الاربعة للسنة كلّها . أكمل يوم السبت اوّل ايّار سنة ١٥٣١ لليونان (١٢٢٠ م) بيد مبارك احقر عبيد ورهبان دير مار متى ابن داود بن صليبا بن يعقوب من بلدة برطلّي الشهيرة في ولاية نينوى . عُني بنسخ هذا الانجيل تلبيةً لغيرة الربّان عبدالله يشوع بن شمعون فوقف هذا الكتاب مع امتعة اخرى لكنيسة دير مار متى . . . بجبل الفاف . لاجل نجاة نفسه ونفس قرينته التي ترهّبت . نسأل المولى تعالى الذي خبأ له احتقر الكرامات العالمية وتبعه بكلّ استعداد . وأبدى علامة حسنة بامانة ارادته ان يتمّه في الملكوت السماوي الذي يخطفه الناصبون . انوسّل اليكم ايها النجباء ان تقولوا : اللّهم اغفر له وللكاتب » .

وقرأنا في آخر الفصل الذي يرتّل في احد الشمانين وهو موشّى كذلك بحروف ذهبيّة ما تعريبه :

« هذا الانجيل المقدّس يخصّ بنديدا (قرقوش) وقد زحف الشيخ ملك الى البلدة ونهب جميع القرى المجاورة لها . وانتزع هذا الانجيل من كنيسة بنديدا . . . ثم توجّه سيدو بن حنا خوشابا المشهور بآل قلمايا وزار الشيخ ملك واسترجع الكتاب منه واحضره الى بيته . وبعدئذٍ تمّ الصلح ما بين هولاء النسور ».

هذا ما توخّينا اثباته بشأن هذا كتاب الانجيل البديع. واننا نهنئ بكل قلبنا المكتبة الڤاتيكانية البابابوية بهذه الجوهرة الثمينة . اما ناسخ الكتاب فقد حلّت وفاته عام ١٢٣٩ م .

تتمّة

نختم وصف مخطوطتي فلورنسة والڤاتيكان بذكر بعض اناجيل سريانيّة ممتازة او مصوّرة قرأنا عنها في بعض الصحف :

ثالثًا – كتاب الاناجيل المنقول الى العربيّة طبقًا لطلب الامير عمرو بن سعد

ذكر ابن العبري والرهاوي ان عمرو بن سعد الامير استدعى يوحنا الثالث بطريرك السريان (٦٣١ – ٦٤٩) المعروف بمؤلّف الصلوات الاستغفاريّة ܣܘܓܝܬܐ ܘܣܕܪ̈ܐ وكلّفه ان ينقل الاناجيل الاربعة عن السريانية الى العربيّة. فاستحضر البطريرك فريقاً من جهابذة التنوخيّين والكوفيين النصارى الملمّين بكلتا اللغتين السريانيّة والعربيّة واوعز اليهم ان يتفرّغوا للترجمة . وبعد عناء جسيم ومقابلات جمّة عرّبوا الاناجيل وقدّموا الكتاب للبطريرك فراجعه وأمر احد الخطّاطين الممتازين فنسخه على رقّ نقيّ خالص . ثم رُصّعت دفّتاهُ ترصيعاً متقناً مستبدعاً وقدّمه البطريرك هكذا للامير المذكور[1] .

رابعًا – مخطوطة دير مار مرقس بأورشليم

انطوت هذه المخطوطة السطرنجيلية المكتوبة على رقّ الغزال والموشّحة بصور اثريّة مزخرفة على فصول الاناجيل طبقاً للمواسم والآحاد والتذكارات وهي محفوظة حفظاً جيّدًا وموسومة بالرقم ٢٧ نسخها الراهب سهدو الرهاوي عام ١٤٦٠ للاسكندر (١١٤٩م) في دير مار سمعان القرتيني ومريم الجدليّة الذي كان يخصّ الرهبان السريان . وتمّت نساخته وزخرفته في عهد البطريرك اثناسيوس الثامن (١١٣٩ – ١١٦٦) . وتوفي ناسخه عام ١٢٠٧ م . ومـا برح هذا الكتاب النفيس محفوظاً في دير مار مرقس حتى اليوم .

1) تاريخ ابن العبريّ البيعي : جزء ١ في كلامه عن البطريرك يوحنا . وتاريخ الرهاويّ ١٣٩ : ١٦٧ و ١٦٨

خامساً – مخطوطة دير الزعفران

شاهدنا عام ١٩١١ في قلاية كنيسة الشهداء الاربعين بماردين مخطوطة لطيفة ظريفة مكتوبة بالقلم السطرنجيلي ومموّهة بصنوف التصاوير الملوّنة الانيقة. وقد كتبها بخط يده ثاودرس مطران حصن زياد (خربوط) المتوفى نحو السنة ١٢٧٥م. وهذا الكتاب البديع محفوظ حتى اليوم في البيعة المذكورة نُقل اليها من مكتبة دير الزعفران القديمة العهد.

سادساً – مخطوطة دير مار يعقوب في صلح (طور عبدين)

مخطوطة نفيسة اشتملت على فصول الاناجيل الاربعة طبقاً للترجمة الحرقلية التي تفرّد بها السريان اليعاقبة. زيّنها ناسخها برسوم دقيقة انيقة في جملتها صورة صعود يسوع المخلّص الى السماء. فيشاهد بطرس زعيم الرسل منتصباً وسط الرسل متوشحاً بحلّة كهنوتية دون سائر الرسل. وهذا الكتاب المحلّى بمختلف الصور الملوّنة كان في السنة ١٩١٢ محفوظاً عند شيخ القرية. ولسنا ندري ماذا حلّ به بعد هذا التاريخ[1].

سابعاً – مخطوطة البطريرك ميخائيل الكبير

ذكر المؤرخ الرهاوي المتوفى نحو السنة ١٢٣٤ في الجزء الثاني من تاريخه ان البطريرك ميخائيل الكبير (١١٦٧ – ١٢٠٠) نسخ بيده انجيلاً لطيفاً بحروف سطرنجيلية على الرقّ ودبّج صفحاته جميعها بماء الذهب والفضّة وغلّفه بغلاف مفضّض. وكان المؤمنون يقبّلونه كألوف العادة كلّما زاروا البطريرك.

ثامناً – مخطوطة يشوع الكاتب

ناسخ هذه المخطوطة الجميلة هو يشوع الراهب المشهور بخطّه وكتاباته. وهو الذي نُصب بطريركاً دخيلاً باسم يوحنا السادس عشر (١٢٠٨–١٢٢٠) مزاحماً البطريرك ميخائيل الثاني (١٢٠٨–١٢١٥). وقد وشّى مخطوطته النفيسة بماء الذهب. وظلّ كتابه هذا محفوظاً في دير الصليب المطلّ على قرية باقسيان بطور عبدين. ثم اختفى أمره.

تاسعاً – مخطوطة حلب

ذكر الاب انطون ربّاط اليسوعي في كتابه «الآثار الخطّية عن الكنائس

---

١) المشرق: سياحة في طور عبدين ١٦ (١٩١٣) ٦٧٣

الشرقية » ان السائح الروماني بطرس ديلا فالي وصل الى حلب عام ١٦٢٥ وزار البطريرك هداية الماردي (١٥٩٨ — ١٦٤٠) وشاهد عنده مخطوطتين بديعتين من الاناجيل السريانية كُتبتا على جلد عجل ابيض أملس وصف احداهما بقوله : أرجح ان ناسخها ترتقي الى ما قبل اربعمائة سنة . حروفها بأسرها مرقومة بذهب وفضّة . وذكر لي البطريرك ان الاتراك لقوها في قبرس عندما احتلُّوها ثم نقلوها الى قسطنطينية واشتراها احدهم واحضرها الى حلب . ولستُ ابالغ ان قلتُ انه يتعذّر ان يكون خطّ اجمل وأبدع من خطّ هذا الانجيل . وهو فوق ذلك مدبّج بالذهب وموشّى برسوم لطيفة انيقة جدًّا . امّا غطاؤه فهو من المخمل المرصّع بالفضّة المذهّبة . وقد انتزع الاتراك غلافه الاصليّ الذي كان مزدانًا بلآلئ ثمينة شتّى .

امّا كتاب الانجيل الثاني فهو مكتوب بالحبر ورسومه اقلّ من رسوم الكتاب المشار اليه[1] .

عاشرًا — مخطوطة دير الشرفة

ضمّت مكتبة دير الشرفة العامرة مخطوطة لطيفة ظريفة اشتملت على الصلوات القانونيّة اليوميّة وعلى الانغام البيعيّة . كتبها السيّد ديونيسيوس رزق الله امين خان مطران السريان الكاثوليك في حلب عام ١٦٩٠ وحلاها بأربعين صورة صغيرة ملوّنة لا يتجاوز حجم الصورة ١٠ س. فالأولى صورة يسوع المخلّص فصورة العذراء المغبوطة ومار بطرس ومار بولس وموسى وزكريا والبشارة والزيارة الخ. طبقًا لنظام انجيليّ فلورنسة والفاتيكان. وختمها بصورة مار يوليان الشيخ الذي وشّح ابانا مار افرام الملقّان بالاسكيم الرهباني[2] . على انّ بين رسوم الانجيلَين المشار اليهما ومخطوطة دير الشرفة فرقًا كثيرًا من حيث الظرافة ودقّة الصناعة . هذا ما توخّينا ان نطرفه به قرّاء المشرق الاغرّ بشأن فنّ التصوير الجميل لدى السريان في سالف الزمان والسلام .

1) *Documents inédits.* Par le P. A. Rabbath, p. 389.

2) مخطوطة دير الشرفة ٥ — ١٤ صفحة ١٠٠-١٠١

انتقال مريم العذراء الى السماء بالنفس والجسد

للاب نقولاوس قادري تب

« ان مريم والدة الاله التي حُبل بها بلا عيب توجد حية في السماء بجسدها ونفسها الممجدَين منذ رحيلها عن الارض ».

هذه هي العقيدة الايمانية التي أعلنها قداسة الحبر الاعظم وحدّدها بسلطانه الاعلى بما انه نائب المسيح ورئيس الكنيسة المنظور والمؤتمن على وديعة الايمان.[1] وقد جاء هذا التحديد الحاسم ملائماً لحاجات العصر الذي طغت عليه سيول المادة الجارفة والانانية الجشعة واهانة الامومة واحتقار الطهارة وهدم العفاف . جاء دواء جديداً لهذه الازمة الروحية التي نشعر بها في ايامنا . جاء صوتاً من السماء يُسمع ابناء الارض هذا الانطلاق والانفلات من المادة ويرفع بالقلوب الى ما فوق هذا التراب . فالعالم هو بحاجة ماسة الى هذا الانطلاق السموي ومريم الممجدة بجسدها ونفسها تجاوب على هذا التحفز بامطار غزيرة من النعم تدفقها على ابنائها الشبان والشابات وعلى المرتبطين برباط الزواج المقدس وعلى غير المتزوجين.

وهذا السر الاخير الذي ختم حياة مريم العذراء في هذا العالم يُسمّى سر الانتقال سرّ التمجيد . ويعني ذلك الفعل الذي به أصعد الله الى السماء العذراء القديسة لتتمتع بالنفس والجسد بمجد الخلود الذي لم يحصل عليه القديسون بعد وانما ينتظرون القيامة العامة وبعد يلبسون اجسادهم الممجدة وينعمون بهذا الخلود الدائم لا بنفوسهم فحسب بل باجسادهم ايضاً .

فالانتقال بالمعنى الحصري يقوم بهذا الانتصار على الموت الذي يتم في آخر الازمان بالنظر الى مجموع الناس وهذا الانتصار على الموت هو حالة مريم التي تنعمت وحدها بهذا الانتصار بعد نهاية حياتها الارضية .

وانتقال العذراء يُشبه صعود المسيح الى السماء غير ان هذا الصعود قد تمّ بفعل ارادة شخصية وبقدرة يسوع الذاتية . بينما ان انتقال مريم صار بقدرة الله وهو انعام خاص بمريم ونعمة من الابن لامه . صعد المسيح بذاته واما

[1] اول تشرين الثاني ١٩٥٠ ، براءة البابا بيوس الثاني عشر

العذراء. فأصعدتها ملائكة العلي وخدام الكلمة[1] الى السماء. صعد الرب يسوع بعد ان مرّ بباب الموت ولم يدع الفساد يقترب منه ولا من جسده الطاهر فقام ونفض عنه غبار الموت وطحن حجر الضريح كقشرة بيضة العصفور وأبان قوة جناحيه وفتح عرينه بعد ان صرع الموت عدوه وخصمه فتح قبره بذاته وصعد الى السماء بذات سلطانه وبقي على الارض مدة اربعين يوماً يتردد بين تلاميذه ويكلمهم عن ملكوت ابيه[2] واخيراً دعاهم الى جبل الزيتون[3] ومن هناك صعد على مرأى من رسله وباركهم ثم حجبته سحابة عن عيونهم. غير ان حظ الام لم يكن بأقل من حظ الابن. الا اننا لا نعرف شيئاً بتأكيد مثبت اذ ان الاناجيل المقدسة ورسائل بولس واعمال الرسل لم تذكر شيئاً عن هذه الآخرة المقدسة التي قضتها والدة الرب فيا بين تلاميذه. انما نتساءل الآن كما تساءل المسيحيون في القرون الاولى للنصرانية: هل وجب على العذراء ان تمر بالموت قبل ان تصل الى الحياة المجيدة بالجسد والنفس؟ وكم من الوقت لبثت تحت سيطرة الموت؟ وهل دفنت حقيقة؟ واذا كانت قد دفنت هل اقترب منها البلى والفساد المسيطران على ابناء آدم؟

على هذا السؤال الاخير يمكننا ان نجاوب باثبات: اذا كانت مريم العذراء قد ماتت فجسدها لم يعرف البلى والفساد. اما عن تحديد الزمن الذي مرّ بين موتها وقيامتها فلا نعرف شيئاً على الاطلاق. واما حقيقة موتها فقد سلمت بها الكنيسة الشرقية والغربية وخصوصاً حين عينت عيداً لموت وانتقال العذراء المجيدة في الخامس عشر من آب وهذا العيد يرقى الى ما قبل القرن السادس وبعد مجمع افسس سنة ٤٣١ الذي حدد امومة العذراء الالهية وانبتها عقيدة ايمانية.

المقيدة اللاهوتية

كان اللاهوتيون والآباء يعتقدون بأن مريم العذراء انتقلت الى السماء بالنفس والجسد ولكن لم يكن لديهم البراهين الكافية لاثبات هذه العقيدة من الوحي المقدس فكانوا اذاً يعتقدون مع الكنيسة المؤمنة ولو لم تحدد بسلطانها الاعلى هذه الحقيقة الايمانية فتركت للاجيال ولعبقريات القرون ان تشحذ قرائحها

١) ميناون ١٥ آب غروب كانيز ص ٨٢٥

٢) أعمال ١-١ و ١٢ ٣) لوقا ٢٤ : ٢٥ .

وفكرها حتى تتصل الى اثبات اكيد يرتكز على مبادئ علم اللاهوت وعلم الكتاب والمنطق فيرتاح العقل ويطمئن الفؤاد ويتقوى الايمان النيّر ولو لم يكن هناك شك او ضعف ايمان .

وهذا الاعتقاد النيّر اخذ نشأته عند نضوج الفكر المسيحي الذي بدأ يُحلل نقاط التعليم المرعي الموحاة بين حقائق اخرى منزلة ويستنتج منها الانعام الخاص بتمجيد جسد مريم وذلك بعد موتها بقليل من الزمن .

وقد علم اللاهوتيون ان الموت شريعة عامة تشمل الانسانية كلها كما يوحي ذلك الكتاب المقدس والليتورجيا وكما يعلم الآباء وهذا معتقد الكنيسة الذي يُثبته اختبار القرون والاجيال .

يعتقد اكثر اللاهوتيين ان مريم العذراء ماتت وهذا الشعور بموتها قد سادَ بين العلماء حتى اصبح موتها حادثاً تأريخياً مثبتاً بالكفاية وحادثاً ايمانياً يضمنه التقليد.

ان موت مريم العذراء حادث تأريخي والاعتقاد بانتقال جسد العذراء اخذ نموّه مع الأيام ولربما وُجد من قاوم هذا الاعتقاد لعدم وجود شهود عيانيين على قيامة العذراء غير ان الكنائس كلها قد اعتقدت تمام الاعتقاد واتحدت آراؤها — وان كانت قد اختلفت في مسائل اخرى — فقد اتحدت كلها بايمان واحد وصرّحت بان العذراء قد انتقلت بعد موتها الى السماء بجسدها ونفسها .

وقد لاحظ بعض علماء اللاهوت ان مسألة موت العذراء مسألة ثانوية والكنيسة ولو كانت تعتقد بالاجماع بموت العذراء فمع ذلك لم تحدد موقفها اذ ان الموت غير ضروري للمجد السماوي فيمكن لجسد العذراء مريم ان يتمجد بدون ان يمرّ بسرادب الموت كما كان مقرراً لكل انسان قبل ان يخطأ آدم .

اجل ينفصل الجسد عن النفس بالموت ولا يبقى بينهما من اتحاد قريب ولا يتم الاتحاد من جديد الا في الدينونة العامة . والعذراء مريم ذهبت من هذا العالم ونأت عنه بعد ان عاشت فيه مثل سائر البشر غير ان الموت لم يستطع ان يقيّدها بسلاسله ولم يدنُ البلى والفساد من ذلك الجسد الطاهر وذلك ، يعلم القديس توما الاكويني ، لاسباب عديدة اهمها ان الاله الكلمة اتخذ امه واعتقها من ثلاث لعنات[1] :

1) Somme, III P. q. XXVII et commentaire du «Benedicta tu in mulieribus».

انقذها من اللعنة الخاصة بالمرأة وحدها وخلصها من ألم الولادة .
انقذها من اللعنة الخاصة بالرجل وحده وهي بعرق جبينك تأكل خبزك.
اخيرًا انقذها من اللعنة المشتركة بين المرأة والرجل وهي « انت تراب والى التراب تعود ».

تحررت العذراء مريم من هذه اللعنة الثالثة لانها ما رجعت الى التراب الذي جبلت منه ولكنها ارتفعت الى السماء بجسدها وارتفعت فوق التراب وصعدت الى السماء على اجنحة الملائكة .

واسباب هذا الانتقال كما يعلم اللاهوتيون هي طهارة مريم وامومتها الالهية . فالعذراء انتقلت الى السماء وتمتعت بجسدها الطاهر بمجد الخلود لان هذا الجسد حُبل به بلا خطيئة أصلية . اذن لها حق على الخلود الجسدي.

انما يبقى حلُّ المسألة هذه : هل يمكننا من دوام بتولية مريم المحددة في الجامع عقيدةً ايمانية هل يمكننا من دوام هذه البتولية ان نستخلص بوضوح عقيدة الانتقال المجيد كما يستنتج المسبب عن علته . فالاب مرتين جوجي Martin Jugie [1] لا يعتقد بامكانية كهذه ولا يقبل بهذا التسلسل السديد دون ان تمرّ بالامومة الالهية والحبل بلا عيب فالاهتمام الذي بذله الكلمة الالهية ليحافظ بنوع عجيب على بتولية امه ودوام هذه البتولية لا يوصلنا الا الى هذه النتيجة وهي صون الجسد من الفساد والبلى .

مع ذلك كثير من آيات الآباء واقوالهم اذ يتكلمون عن الانتقال يضمّون هذه العقيدة الى عقيدة « البتولية الدائمة » وما حقيقة الانتقال سوى طهارة سامية وامومة مقدسة اعني بتولية مخصبة وامومة عذراء. فعلم اللاهوت وجد صلات متعددة بين سر البتولية الدائمة في مريم وبين سر انتقالها بالنفس والجسد الى السماوات .

فالبتولية في اطوارها الثلاثة تقود الى الانتقال المجيد . بتولية في الحبل بها البريء من العيب بتولية في الحبل بيسوع المسيح دون علاقات زواجية. ونفي الشهوة ضروري لينفي عن يسوع دينَ الخطيئة الاصلية ويبعد عنه الابوة البشرية . فالحبل البتولي يتطلب اعجوبة كبرى من قبل الله واذا ما تمت هذه الاعجوبة فلا بد من القول ان الله حفظ مريم وصان جسدها البتولي من الفساد

1) Maria, T.I. p. 653-654. *Etudes sur la Sainte-Vierge.*

اذ الفساد هو نتيجة الخطيئة والشهوة والميل غير المرتبين . وبما ان الخطيئة الاصلية لم تملك على مريم ولا برهة من الزمن فهي لم تملك حتى في نتائجها وعاقبتها التي هي الفساد والبلى الجسدي .

واما الميلاد البتولي فلا تتطلبه الاسباب النصية اذ ان اللعنة امتدت على أوجاع الميلاد فقط . ففي حالة البرارة الاصلية كان على المرأة ان تلد كما في النظام الحالي ولكن بدون ألم . فالاعجوبة الثانية لبتولية مريم تفوق كثيراً حالة البرارة الأولية . مع ذلك يقول العلامة فريتوف « في الميلاد البتولي تحررت مريم من اللعنة القائلة « بالأوجاع تلدين »[1].

فالبتولية الدائمة التي حافظت عليها العذراء كل حياتها حتى في وبعد ميلاد المسيح فهي انتصار خالد على الموت (القديس غريغوريس نيصص) . فليست بتولية مريم بتولية حرب وعراك كما هي فينا بل هي بتولية البرارة الاصلية التي تولي حقاً رفيعاً على النجاة من البلى والفساد في القبر . وهذا التخلص من الفساد والبلى لا يحسب انتقالا بل طريقاً تؤدي الى الانتقال المجيد . وجدت الكنيسة المقدسة في درسها لبتولية مريم انه من المستحيل على هذا الجسد الطاهر والمختص بالأم النقية أن يرضى بالفساد ويخضع له فمن اللائق اذن ان هذا الجسد الطاهر في الحبل وفي الولادة وبعد الولادة[2] . من اللائق به ان لا يمسه فساد ولا يلبث رهن الغبار . وكما ان النفس الطاهرة تتحد ضرورة بالله هكذا من الضروري ان الجسد الطاهر في هذه الحالات الثلاث يبقى بعيداً من الفساد ومصوناً من كل بلى وغبار وبالنتيجة ينتقل من هذه الأرض ويصعد ليتحد بالله بكمال الكيان .

سر الانتقال والكتاب المقدس

هل نجد في الكتاب المقدس اثراً للانتقال الذي ختم حياة ام الاله على الارض؟ ان اللاهوتيين يعلمون باتفاق الرأي ان عقيدة الانتقال هي غير مذكورة بوضوح وبنوع صريح في الكتب الموحاة بحيث لا نجد لا في العهد القديم ولا في العهد الجديد شهادات صريحة على النوع الذي به غادرت مريم العذراء هذه

١) تكوين ٣ - ١٦

٢) القديس يوحنا الدمشقي اوكتيخوس لحن سابع صفحة ٢٤٢ من طبعة دير مار يوحنا الشوير ١٨٦٦

الأرض لتذهب الى السماء. لا نتعجب من صمت كهذا حتى في العهد الجديد وخصوصاً في الاناجيل الاولى الثلاثة والاعمال ورسائل بولس لانها قد كتبت قبل موت العذراء. كذلك لا نجد أثراً على الانتقال في العهد القديم لانه سابق الاوان وقد كتب قبل ميلاد العذراء. وبالنتيجة لا يتكلم شيئاً وضعياً لا عن موتها ولا عن انتقالها . قلنا لا يتكلم العهد القديم شيئاً لا بالنص الحرفي ولا بالمعنى المادي ولكنه تكلم بالاشارات والرموز وبالمعنى الروحي. فالآباء القديسون والخطباء والوعاظ استعاروا بعض الآيات والرموز الكتابية وطبقوا معانيها على مريم البتول « اذ كان كل شيء يحدث برموز » .

لقد استخدم الآباء بعض الآيات من كتاب المزامير ونشيد الاناشيد ليثبتوا انتقال العذراء. واختاروا المعنى الروحي وفضلوه على المعنى الحرفي لأن فيه ملائمة مع الحقيقة . وقد دلوا على انتقال مريم بالجسد والنفس الى السماء وعلى انتصارها على الفساد بقول داود النبي :« قامت الملكة من عن يمينك بذهب اوفير»[1] . وشبهوا مريم بالتابوت الناطق الحي الذي هو اجمل بكثير من تابوت العهد فقالوا :« قم ، يا رب ، الى راحتك انت وتابوت قدسك[2] وفهموا ان معنى كلمة « تابوت » يعني جسد مريم العذراء الذي كان بمثابة هيكل لجسد يسوع المسيح في حين تجسده في احشاء البتول .

واكثر الخطباء المسيحيين يتغنون بانتقال والدة الإله بآية سليمان في نشيد الاناشيد :« من هذه الطالعة من القفر كعمود من بخور معطرة بالمر واللبان[3]» فالطالعة من القفر هي مريم الصاعدة الى السماء بالجسم والنفس «من هذه الطالعة من القفر المستندة الى حبيبها ؟»[4] ولا يغيب عن فكرهم ذلك النور الوضاء الذي تنعم به مريم العذراء بجسدها فيصرخون مع سليمان :« من هذه المشرقة كالصبح الجميلة كالقمر المختارة كالشمس ؟ »[5] . من الصعب جداً ان نرى في هذه الآيات تحديداً واضحاً لليوم الذي فيه صعدت مريم العذراء الى السماء. انما نجد مطابقة تقية عاطفية لا غير .

وقد وجد بعض اللاهوتيين تلميحاً الى انتقال مريم في سفر الرؤيا ليوحنا

---

١) مزمور ٤٤ — ١٠ ٣) نشيد ٣ — ٦
٢) مزمور ١٣١ — ٨ ٤) نشيد ٨ — ٤ ٥) نشيد ٦ — ١٠

الحبيب ، بحيث يجدون مطابقة سديدة لهذه العقيدة في ذلك الصراع القائم بين المرأة والتنين. ففي الفصل الثاني عشر نرى الآية العظيمة : « وظهرت في السماء آية عظيمة امرأة ملتحفة بالشمس وتحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكباً[١] ». رأى كثير من الآباء في هذه « الاية العظيمة » مريم العذراء الملتحفة بالشمس والمتوجة باثني عشر كوكباً وهذا من الاعتقاد الأولي بين المفسرين والآباء من أريس اسقف قيصرية ومتوديوس اسقف اورشليم والقديس اغسطينوس وكلهم يؤكدون ان هذه المرأة هي مريم ام الله ففي هذا الفصل يرى يوحنا ام الله القديسة ترتفع الى المظال السماوية وتتمتع بمجد الخلود ويرى في هرب المرأة من وجه التنين تلميحاً الى الانتقال: « وهربت المرأة الى البرية وقد اعطيت جناحي النسر العظيم لتطير من وجه الحية الى البرية الى موضعها حيث تُعال زماناً وزمانين ونصف زمان»[٢]. فالنسر هو الله هو السيد المسيح الذي خلص امه من اضطهاد ابليس بنقلها الى المكان المعد لها في السماء. ونحن نعتقد ان هذه المطابقة التي فهمها كثير من الآباء واللاهوتيين هي جديرة بمريم التي تخلصت من يد ابليس ومن يد التنين بانتقالها بالجسد والنفس الى السماء.

وربما استخدم اللاهوتيون بعض الاشارات الضمنية وفسروها بالمعنى الروحي وطبقوها على شخص مريم ومن هذه الاشارات المضمرة قول الله للحية التي تجسم الشيطان عدو البشر : « اني أجعل عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها فهو يسحق رأسك وانت ترصدين عقبه »[٣] . فالمرأة التي تسحق رأس الحية هي مريم العذراء. تسحقه في الحبل بها البري من الدنس وفي موتها وانتقالها اذ تتملص من سطوة الفساد والبلى الذي هو نتيجة الخطيئة ومريم بريئة من الخطيئـة اذن لا يدنو منها الفساد . واستنتج العلماء انتقال العذراء من قول الملاك لها : « السلام عليك يا مريم يا ممتلئة نعمة الرب معك » . فهذه الممتلئة من نعم الرب هي حائزة ايضاً على النعمة الكبرى على تمجيد جسدها في امجد الخلود ولانها مباركة في النساء ومباركة ثمرة بطنها[٤]. مع ذلك لا يمكن للاهوتيين ان يبرهنوا على ان هذه الايات تعني بنصها الحرفي على انتقال البتول بل مطابقة معناها الروحي على صعود العذراء بالنفس والجسد وهكذا تملك الآباء في

١) رؤيا ١٢-١ ٢) رؤيا ١٢-١٤ ٣) تكوين ٣-١٥ ٤) لوقا ١ — ٤٢

تفسيرهم واستخلاصهم عقيدة الانتقال من الاشارات والرموز الكتابية فحسب.

ماذا يعلم الآباء عن انتقال مريم العذراء الى السماء

ان الشهادات على موت وانتقال مريم لقليلة ونادرة في القرون الستة الاولى للمسيحية فقبل المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ وما لدينا شهادة واضحة الا جملة صغيرة جاءت عرضاً في تعاليم اوريجنوس حيث قال : « ان مريم العذراء لبثت بتولاً حتى موتها .» وهكذا قال المطرن افرام وايرونيموس والقديس اغستينوس وغريغوس نيصص اخو باسيليوس الكبير . وفي القرن السادس راجت احدوثة سماها المؤرخون المتأخرون «الاحدوثة الافثيمية Histoire Eutymiaque» الموجودة في الخطبة الثانية على الانتقال ليوحنا الدمشقي . وملخص الاحدوثة ان الملك مركيانوس طلب سنة ٤٥١ من المطران جوفينال اسقف اورشليم يوم كان في القسطنطينية في مجمع خلكيدونية طلب منه ذخيرة من جسد والدة الاله ليضعها في الكنيسة التي شيدها الملك في فلاشرناس على اسم والدة الاله . فاجابه الاسقف ان العذراء ماتت وانتقلت بجسدها الى مكان غير معلوم بحيث يتمتع بعدم البلى قبل القيامة . وذلك لان قبر العذراء وجد فارغاً وليس لدينا ولا ذخيرة من جسد العذراء »[1] .

والتقليد الموجود في الكتب المزيفة يخبرنا انه بعد موت العذراء بثلاثة أيام وصل توما من جهات الهند الى اورشليم وطلب من الرسل ان يشاهد لآخر مرة جسد العذراء ويودعها قبل ان يغادر اورشليم فذهب الرسل مع توما وفتحوا القبر وازاحوا الحجر فلم يجدوا جسد البتول انما وجدوا الكفن والثوب والزنار . وهكذا انتشرت في الاجيال المتأخرة التي فيها ظهرت هذه الكتب المزيفة انتشرت احدوثة انتقال العذراء وكرسها العيد الرسمي الذي تعين بنوع ثابت في الخامس عشر من آب وبتناسبة العيد ظهرت خطب الآباء في انتقال العذراء واناشيد الشعراء والمرنمين الذين ملأوا الكون من صدى انغامهم ورنة ايمانهم فكان لهذه الاصداء الوقع الحسن في قلوب المؤمنين على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم فأشادوا على كل تلة وفي كل صقع كنيسة تعبر عن وحدة ايمانهم في

(1) P. G. t. XCVI col. 248 et 752

موت العذراء وانتقالها الى السماء . لنسمع الان بعض اقوال الآباء في انتقال العذراء : قال القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية مخاطباً العذراء الوالدة : «كيف تقدرين ان تعانقي الفساد وانت بجسدك الذي اعطيته لابن الله خلصت الجنس البشري من الفساد. انت غبت عن معاشرة الناس فكان موتك ضرورياً ليثبت حقيقة جسد الكلمة الذي منك صار انساناً ... وقد اراد هو نفسه ان يموت وهكذا اكمل معجزتين الاولى في قبره الحي والثانية في قبرك الحي فكلاهما تقبلا جسد الابن وجسد الوالدة فلا هذا ولا ذاك استطاع ان يحفظ ضمنه الجسد حتى يفنيه الفساد . اذ لم يكن لائقاً ان تابوت جسدها الذي استوعب من الله يسقط تراباً كباقي الاجساد اجل كان ينبغي ان الحياة تسكن مع الحياة انها ارتاحت بالموت لكي تنام لحظة وتقوم بعدها»[1] .

والقديس يوحنا الدمشقي لفظ في ليلة واحدة من ليالي العيد ثلاث خطب في موت العذراء وانتقالها المجيد وهو مؤمن بهذه الحقيقة الايمانية لانها المجد الاثيل لمريم والدة الإله الدائمة البتولية والدمشقي يثبت ايمانه بهذه العقيدة على برهان اللياقة ويزيد عليه سبباً آخر يستخلصه من دوام بتولية مريم اذ يقول : اذا كان الابن لم يسمح بأن يتغير بالامومة كمال والدته الطبيعي فما صح ايضاً بفساد جسد امه بالموت . كان من اللائق ان الأم تتحد بالابن لانها جعلت نظرها ثابتاً الى ابنها المصلوب وكان من اللائق ان تبصره في مجد الآب بأبصارها ومن اللائق ان يشرك الكلمة مريم في عرشه ليكرمها الكون كله » . ثم يزيد افكاره وضوحاً اذ يقول :« بعدما أسلمت حواء للحزن والموت بما انها اصغت لشريرات العدو الخداع غير ان البتول المباركة كانت خاضعة كل الخضوع لصوت الله وصارت اماً بفضل روح الله القدوس فلم يمكنها ان تحتمل طغيان الموت ولا التفكك في الرمس.»

« بماذا اسميك ايتها البتول الكلية القداسة وبماذا اسمي السر هذا المكتمل فيك ؟ ان نفسك انفصلت عن جسدك حقاً ولكن جسدك وان استودع القبر فلا يلبث فيه لئلا يتفكك . ان امومتك لم تعدمك طهارتك وعدم الفساد يقاوم الموت وكما ان الشمس اذا حجبها القبر لا تفقد من بهائها هكذا انت

[1] P. G. t. XCVIII col 345 , 348

ايتها العذراء. وان كسفت قليلاً في ظلمات الموت مع ذلك لم تتوقفي عن دفق الضياء. فعبورك لم يكن سوى نعاس قصير »[1] .

وقبل الدمشقي نجد شهادات في خطب القديس اندراوس اسقف اقريطش وهو من طليعة القرن الثامن مات سنة ٧٢٠ قال: « يعتقد كل انسان ان الاعجوبة التي تمت في ايليا واخنوخ والذين ارتقوا الى السماء بدون ان يروا باب الموت قد تحققت في العذراء المجيدة فهي وحيدة لا مثيل لها لانه لمشهد جديد حقاً مشهد امرأة اطهر من السماء تلج بتابوت جسدها الى السماوات مشهد عجيب جديد هو ان العذراء ارتفعت بميلادها فوق السيرافيم وصعدت بالقرب من الله مشهد عجيب جديد مشهد ام الحياة التي كانت نهاية حياتها الارضية كآخرة ابنها يسوع الحبيب[2] . »

وبين القرن السابع والسادس عاش القديس موديستوس البطريرك الاورشليمي وهو شاهد على التقليد الحقيقي الذي كان سائداً في ايامه ويشهد ان جماهير غفيرة كانت تؤم زيارة قبر العذراء في الجسمانية مع علمهم بأن القبر كان فارغاً فيقول: « عندما اكملت السفينة الحية التي حملت في احشائها الاله اكملت مسيرها رمت المرسى في ميناء أمين هادئ الى الابد حيث كان بانتظارها ملك الكون الذي ولد منها وخلص الاسرة البشرية من طوفان الاثم وقد ارسل الاله من علو السماء جوقة من الملائكة لتحمل اليه تابوته المقدس الذي تغنى به النبي داود حين قال: « قم يا رب الى راحتك انت وتابوت قدسك » فهي تابوت لا مثيل له اذ لم يصنع بيد انسان بل هي صنع الله انها غير موشاة بالذهب ولكنها تسطع ببهاء الروح القدس الساكن فيها والمسيح الذي اخذ منها الطبيعة البشرية الكاملة دعاها اليه وعلى سبيل المقايضة ألبس جسدها ثوب عدم الفناء وتوجها بمجد فريد قامت الملكة عن يمين الملك »[3] . انها تملك الى الابد حائزة على الحياة التي لا تنتهي وقد اتحدت بابنها الذي دعاها من القبر .

شهادة الليتورجيا والكتب الطقسية

بهذه الشهادات من الآباء والكتبة الاقدمين نتصل بالقرون الاولى بحيث

١) P. G. t. XCVI col. 728

٢) P. G. t. XCVII col. 1081

٣) P. G. t. L XXXVII col. 3392

نقف على لمحة من تقوى المؤمنين فتقدم لنا برهاناً على انه منذ انتشار الدين المسيحي ونضوج الفكر اللاهوتي وانتصار الكنيسة اخذ المؤمنون يفكرون بانتصار العذراء ويتغنون به في صلواتهم واناشيدهم الدينية التي هي صدى ايمانهم بهذه العقيدة التي اخذت اليوم غايتها وملأها من التعليم الرسولي والسلطة الكنسية العليا التي ارتكزت في تحديد العقيدة على صلوات الليتورجيا لانه بحسب المثل السائر « شريعة الصلاة هي مطابقة لشريعة الايمان » والليتورجيا لا تخلق الايمان بل هي ثمرته .

ولو تصفحنا كتاب الفرض في الطقس اليوناني لوجدنا ان خدمة عيد الانتقال في الخامس عشر من آب غنية بالعقائد والحقائق اللاهوتية وهي مسبوكة بقالب شعري لذيذ وواضح : نرى ان العذراء « البارزة من حقو مائت قد ماتت بحسب سنة الطبيعة »[1] وانها لم تأب الدفن لان ينبوع المسيح ابنها قد دفن ، ويوحنا الدمشقي شاعر العذراء وبوق الكنيسة وقيثار الروح القدس يقول : اذا كان ثمرة البتول غير المدرك قد احتمل الدفن باختياره فكيف تأبى الدفن تلك التي ولدته بغير زواج[2] . ثم يزيد توضيح معتقده «انها خضعت لنواميس الطبيعة مضارعة ابنها وخالقها وماتت معه لتنهض معه الى الابد[3] . وماتت لما بلغت الى منتهى العمر[4] .

على ان الموت الذي هو سبب غيار وفساد للجميع لم يكن سوى ممر لذلك الجسم الذي لم يعرف الخطيئة ولم يخضع لسلطان الفساد : فالذي صان العذراء في الولادة صان جسمها في الرمس بغير فساد[5] . ولم يشترك جسدها الطاهر في خبرة المنية[6] لان في رقادها اذن موتاً بغير فساد وهذا الموت اصبح للعذراء الأم أفضل من حياة دائمة ، لانه نقل البتول من الوقتيات الى الحياة الالهية[7] .

اجل لبث الجسم بعد الموت مصوناً بغير اذى « وصار انتقال من الأرض الى السماء بطريقة مقترنة بالحقيقة وقد تمّ هذا الانتقال بسرعة « لان البتول

١) ميتارن ١٥ شهر آب ٨٣٩ قانون يوحنا الدمشقي اودية ٣ — ٢
٢) اودية ٤ — ٤
٣) قانون اول اودية ١ — ٢
٤) ١٤ آب قانون اودية ٨ — ١
٥) قانون اول ٦ — ٢
٦) اودية ٦ — ٣
٧) اودية ٤ — ٢

لكيما تشاهد جمال ابنها عمدت اليه سريعاً »[١] . فاصبح رمسها الالهي شهياً ومملوءاً من نعمة جسدها يتدفق لنا بجداول الشفاء كأنهار تزيل الاوجاع كلها »[٢] .

وموضوع العيد في الكنيسة البيزنطية يدور على هاتين المقدتين اننا نعيّد لتذكار رقادك الموقر ولارتقائك بمجد الى ابنك وإلهك »[٣] . والقديس تاوفانوس المرنم يقول للعذراء : « ان رمسك الشريف يكرز الآن بدفنك وبانتقالك بالجسد الى السماوات »[٤] .

Ὁ Τάφος σου Κηρύττει, Παναμώμε, τὴν ταφήν σου, καὶ τὴν μετὰ σώματος πρὸς οὐρανοὺς νῦν Μετάστασιν.

Ménées. p. 400.

وهذا الارتقاء قد تم بالنفس والجسد . انتقلت نفسها ولكن ليس من العجب الكبير ان تنتقل روح العذراء الى السماء فهذا انعام شامل لكل الذين عاشوا بالتقوى والقداسة ولكن الانعام الخاص بمريم انها انتقلت الى السماء بنفسها وجسدها ولكن لا بقوتها الذاتية بل بقوة يسوع ابنها الالهي . ففي القانون الموضوع لتقدمة عيد انتقال العذراء نجد هذه الشهادة الصريحة بانتقال جسد العذراء : « لنسبح الرب الذي نقل امه الطاهرة والكلية البر والقداسة بالجسد الى بلدة الأحياء »[٥] .

وهناك تصريحات اخرى : « ايتها البتول ان جسدك قد صعد من القبر وابقى لنا فيه البركة »[٦] . ثم اننا نحس من خلال الاناشيد « ان الملائكة

---

١) ١٤ آب قانون ١ — ٢

٢) ١٤ آب قانون اودية ٧ — ٢

٣) ا. كابستلاري ١٤ آب

٤) قانون تقدمة ٥ — ١

٥) ١٤ آب قانون ١ — ١

Ἄσωμεν τῷ Κυρίῳ, τῷ ἐν χώρᾳ ζώντων μεταστήσαντι τὴν αὐτοῦ κατὰ σάρκα Παναγίαν Μητέρα.

٦) ١٤ آب قانون ٧ — ٢

Ἤρθη τὸ σῶμα μὲν τοῦ τάφου παραμένει δὲ ἡμῖν ἡ εὐλογία. Παρθένε ἁγνή (402).

والمراتب غير الهيولية قد وافت من السماء الى صهيون يحتفون بجسدها[١] . وان الاجناد والملائكة في حين الانتقال ستروا جسدها الرحب القابل الاله بأجنحتهم الموقرة بخوف وفرح[٢] وافوا ليشيعوا الجسم القابل الاله الفائق الكرامة[٣] . فهذا الجسد الذي لم يشترك بخبرة المنية ولا بفساد القبر قد صعد من تشويش وجلبة العالميات بأسرها[٤] .

انتقلت العذراء الى السماء بنفسها وجسدها على ايدي الملائكة وهي الآن قرب ابنها الالهي لان البتول الملكة وعروس الاله تنتقل الى ابنها وترتقي من الارض لتنتظم في المملكة الالهية[٥]. وقد تقبلتها «المظال السماوية بما انها سماء حية ومثلت هناك مزدانة بالبهجة كعروس الاله الملك المنزهة عن كل وصمة»[٦] واذا بها الملكة التي قامت من عن يمين الملك موشاة بزينة الذهب المؤشى[٧] . وتصبح انذاك حسب القول الليتورجي «البرج المرصوف بالذهب والمدينة ذات الأثني عشر سوراً والكرسي المنقط بالشمس وسدة الملك»[٨] التي هي وحدها مباركة وممجدة بجسدها .

ان صوت الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر سُمع في كل اقطار العالم قد اعلن وحدد بسلطانه الاعلى بما انه رئيس الكنيسة المنظور والحافظ الدقيق على وديعة الايمان حدد تلك العقيدة التي شغلت فكر العلماء حقبةً طويلة من الزمن حدّد انتقال العذراء الى السماء بالنفس والجسد وجعل من هذه الحقيقة قوة حياة وشعلة مجد فدعا بصوته الوالدي ابناء المسيحية ليكرموا البتول في تمجيدها وحض الجميع على السير على هدي هذه الأم التي اصبحنا اليوم بحاجة الى نورها ومثالها الاعلى لتقود الاباء والامهات الى احترام الامومة الطاهرة وحتى تعلم العذارى والشبان جمال البتولية المكرمة فيكون تحديد هذه العقيدة الايمانية حافزاً لنا جديداً لنرتفع عن المادة التي تطغو على وجه الانسانية المتألمة فنخفف نحن بقداستنا شدة هذه السيول الجارفة ونرفع بالنفوس الى الاله الحي مصدر المجد وينبوع كل فرح وسعادة.

١) ١٥ آب قانون ١ – ٢
٢) ١٥ آب قانون ٤ – ٢
٣) ذكا كانين غروب سادس .
٤) ١٤ آب قانون ٦ – ٢
٥) ٥ آب قانون ٧ – ٣
٦) قانون الدمشقي ١ – ٢
٧) مزمور ٤٤ – ١٠
٨) ٣٠ ك ٢ أكسابستلاري ٣

وثائق تاريخية عن المجمع اللبناني

مقال الاب اغسطينوس تشاسكا (تتمة)

بقلم الخوري باخوس الفغالي

المأذون في اللاهوت

والدكتور في الحق القانوني ، والمحامي الروتالي

الفصل الثالث

في اذا كان البطريرك الماروني يحق له ان يفسح من الدرجة الثانية من القرابة الدموية الاهلية بناء على حكم المجمع اللبناني او على غير ذلك من مستند مهما كان نوعه او تفويض

---

٦٧) والجواب على السؤال المطروح هو موضوع الفصل الحاضر . ولا يمكن ان يكون الا سلبياً . وذلك استناداً الى مبادئ الحق القانوني العامة : وقد اثبت ذلك بادلة متينة المستشار الشهير المحامي القانوني كركاني عندما فحص السؤال الثاني المطروح في تلخيص كانون الثاني المذكور سنة١٨٨٢فترجو نيافاتكم السامية ان تراجعوه . واذا اعتبرنا العبارات التي استعملها ، في صوغ سؤاله ، سيادة امين السر للامور الشرقية الشهير والجزيل الاحترام يتوجب علينا الآن

Capo III

Se il Patriarca Maronita abbia la facoltà di dispensare nel secondo grado di consanguinità ed affinità sia per disposizione di quel Sinodo (*Libanese*), sia per altro qualsivoglia titolo o concessione.

67. La risposta all'enunciato quesito, che forma l'oggetto del presente capitolo, se si consultano le massine generali del diritto canonico, non potrebbe essere che negativa, come fu provato con solide ragioni dall'illustre Consultore Con. can. Avvo. Carcani, nell'esame del secondo dubbio della citata Ponenza del Gennero 1882, che le EE. VV. sono pregate di riassumere. Stando però all'espressioni usate dall'Illmo e Rmo Mons. Segretario per gli AA. OO. nel formulare il preaccennato quesito, sarebbe ora da cercarsi, se al Patriarca dei

ان نبحث فيما اذا كان للبطريرك الماروني السلطان المشار اليه استنادًا الى احكام هذا المجمع او الى غيرها من مستند او تفويض .

٦٨) والمستندات التي يعتمد عليها بطاركة الموارنة ليثبتوا حصولهم على هذا السلطان المزعوم قدا برزها سنة ١٨٣٠ البطريرك الحبيشي[1] وسنة ١٨٥٦ سيادة بولس مسعد البطريرك الحالي[2] ومآلها : نص المجمع اللبناني بطبعتيه العربية واللاتينية وعادة لا يذكر بدؤها . ولنبحث الآن في المستند الاول باعتبار النص اللاتيني حيث جاء[3] : « اما سلطان السيد البطريرك السامي الاحترام في اعطاء رخصات التفسيحات فان كان غاية في السعة لتبوء ذروة مقام البطريركية الانطاكية .. مع ذلك فقد صرح البابا اكليمنت الثامن بدرجات القرابة الدموية والاهلية التي يمتد اليها سلطان السيد البطريرك في رسالته المنفذة بشكل موجز الى يوسف بطريرك كنيستنا سنة ١٥٩٩ للرب . فانه بعد ان عدد موانع الزواج الواجبة رعايتها بمقتضى ارادة المجمع التريدنتي منح البطريرك المشار اليه سلطانًا على رخصة التفسيح لكل المرتبطين معًا بالقرابة الدموية والاهلية في الدرجة الثالثة والرابعة باعتبار الاصل الجامع وفي الرابعة ولو تضاعفت او تعددت الدرجات » . وهذه

١) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٣١ (من هذا المقال)

٢) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٣٥ (من هذا المقال)

٣) حاشية المؤلف : باب ١١ في سر الزواج عدد ١٦ (تعريب نجم صفحة ١٢٦-١٢٧)

Maroniti competa la suddeta facoltà per le *disposizioni del Sinodo* stesso o per altro *titolo o concessione.*

68. I titoli su cui si appoggiano i Patriarchi Maroniti, per provare aver essi la pretesa facoltà, furono prodotti nel 1830 dal Patriarca Habaisci (§. 31), e nel 1856 dall'attuale Patriarca Mons. Paolo Massad (§. 35). Essi si riducono: al testo del Sinodo Libanese secondo la doppia edizione araba e latina; ed alla consuetudine immemorabile. Esaminiamo il primo titolo secondo il testo latino. Nel cap. XI: *De Sacramento matrimonii*, n. 16 dell'edizione latina si legge: *Quamquam autem Rmi Dni Patriarchae potestas in concedendis dispensationibus amplissima sit ex eo capite, quod Patriarchalem Antiochenam dignitatem obtinet... Clemens Papa VIII, quo illa in gradibus consanguinitatis et affinitatis sese extendat, expresse declarat in suis litteris in forma Brevis ad Josephum Ecclesiae nostrae Patriarcham anno Domini* 1599 *datis: ubi postquam impedimenta matrimonii ex mente Concilii Tridentini observanda enumerasset, eidem Patriarchae facultatem concedit dispensandi cum quibuscis personis* tertio *et* quarto *a communi stipite, ac quarto etiam duplicibus, vel multiplicibus consanguinitatis, vel affinitatis gradibus invicem coniunctis, vel sese attinentibus.* Queste parole, colle quali si dichiara limitarsi la cosidetta amplissima potestà derivante dalla patriarcale dignità antiochena, sono letteralmente trascritte dal testo del Breve

العبارات التي يعلن بها حصر السلطان المشار اليه والذي هو غاية في السمة لتبؤ ذروة مقام البطركية الانطاكية قد نقلت حرفياً عن نص الموجز الوارد ادناه وفيه يقول الحبر :« لاننا . . . لاي كان من المرتبطين معاً بالقرابة الدموية والاهلية في الدرجة الثالثة او الثالثة والرابعة باعتبار البعد عن الأصل الجامع وفي الرابعة حتى في الدرجات المتضاعفة او المتعددة» وينتج عن ذلك ان الانعام المعطى للبطريرك الماروني بقي محصوراً في ان يفسح فقط من الدرجتين الرابعة والثالثة حساباً لاتينياً .

٦٩) اما في المقطع الثلاثين من الباب المشار اليه[٩] من الطبعة اللاتينية وضعت صيغة يتوجب على كهنة الرعايا رعايتها في تسجيلهم الزيجات في السجل الخاص بها وهاك ما جاء فيها :« اما لو اكتشف بالمناديات ان بين الزوجين قرابة دموية او اهلية قد ترخص لهما فيها تفسيحاً البطريرك السامي الاحترام فليكتب كاهن الرعية درجة القرابة المرخص فيها تفسيحاً وملخص مرسوم رخصة التفسيح مع ذكر تاريخه يوماً وشهراً وسنة على الصورة الآتية : « انه في يوم كذا من شهر كذا السنة كذا قد اجريت المناديات وعثرت على مانع قرابة دموية او اهلية في الدرجة الثانية او الثالثة او الرابعة الخ». ان هذه العبارات بما تشتمل عليه من قول انه قد ترخص لهما فيها البطريرك تفسيحاً وبما تذكره من ان الدرجة الثانية تدخل في نطاق الدرجات المفسح منها قد توجب استنتاجاً لصالح البطريرك

٩) حاشية المؤلف : صفة ٩٣ (تعريب غم صفحة ١٥٠) .

---

che vi si sottopone, in cui il Pontefice dice: *Nos enim tibi cum quibuscis personis* tertio, *seu* tertio, *et* quarto *a communi stipite, ac quarto etiam duplicibus, vel multiplicibus* etc. D'onde risulta che il privilegio concesso al Patriarca Maronita rimane ristretto a poter dispensare soltanto dal quarto sino al terzo grado inclusivamente, secondo la computazione latina.

69. Se non che, al paragrafo 30 dello stesso capo p. 93 dell'edizione latina, prescrivendosi ai Parrochi la formola per notare i matrimonii nell'apposito libro, si legge: «*Si ex denunciationibus compertum sit, coniuges aliquo consanguinitatis, aut affinitatis gradu coniunctos esse, nihilominus ad contrahendum fuerit cum ipsis a Rmo Dno Patriarcha dispensatum, adnotetur gradus consanguinitatis, vel affinitatis dispensatae, et compendium decreti super ea relati; cum die, et anno hoc modo. Anno N. Mense N. die N. praemissis denunciationibus, ac comperto impedimento* secundi, *vel tertii, vel quarti gradus consanguinitatis, vel affinitatis etc...*». Dalle quali espressioni, dicendosi prima: *si... ad contrahendum fuerit cum ipsis a Patriarcha* dispensatum, e notandosi poi tra gradi dispensati anche il *secondo*, parebbe doversi conchiudere a favore del Patriarca, se le

لو وجدت ضمن الاحكام ولكنها قدمت في صيغة تسجيل ليست حكماً او قانوناً من قوانين المجمع . وعليه يجب فهمها دائماً وفقاً للحكم المصرح به في مقدمة الموجز الحبري المذكور ومتنه. وهذا المقطع الذي لا وجود له في النص العربي يحتوي على قول غير صحيح بالنظر الى مضمون الموجز وبالنظر الى القسم التأويلي منه ولذلك لا يمكن فهمه تماماً. انما باستطاعتنا التنبيه الى ان هذا التعبير، مهما كان سببه ، قد درج عليه السمعاني وانك لتجده حتى في المشروع اللاتيني الاول المكتوب في رومة وتجده ايضاً في النص الآخر اللاتيني الذي ترجم في الشرق عن النص العربي . وقد اصلح الآن في النصين اللاتينيين المذكورين وذلك في مقدمة موجز اكليمنضس الثامن وفي متنه وربما لم يُنتبه الى وجوب اصلاحه في المحل المشار اليه . وهناك برهان آخر انما اضعف من السابق يمكن بطاركة الموارنة ان يستخلصوه من الصفحة ٢٦١ [١] من الطبعة اللاتينية حيث يؤتى على تعداد انعامات البطريرك الانطاكي فيقال في العدد الثامن عشر : « ان يفسح في الدرجات المحرمة سواء كانت مبطلة او مانعة للزواج » انما يجب ان يحمل ذلك على الحوادث والدرجات التي له السلطان لان يفسح منها . واذا استثنينا هذين المحلين اللذين يمكن الاستناد اليهما خاصة ، ولكن بدون فائدة ، لصالح

١) حاشية المعرب : تعريب نجم صفحة ٥٦٤ .

dette espressioni si trovassero in una parte dispositiva, e non già, come sono, in un formulario (sic), il quale non costituisce un decreto o canone del sinodo; perciò devono spiegarsi sempre in conformità del dispositivo, espresso nel preambolo e nel testo del Breve Pontificio surriferito. Come poi in questo paragrafo, che non esiste nell'arabo si trovi tale inesatta dicitura in oppozione al tenore del Breve ed alla parte esplicativa del medesimo, non potrebbe adequatamente spiegarsi. Soltanto puo avvertirsi che questa espressione, qualunque ne fosse il motivo, era familiare all'Assemani, perchè si trova fino nel primo schema latino scritto in Roma, come anche nell'altro testo latino fatto in Oriente sull'arabo. Al presente si trova corretto ne' detti due testi latini tanto nel preambolo quanto nel tenore del Breve di Clemente VIII, forse non si è avvertito di correggerlo in questo luogo. Altro argomento, ma più debole del precedente, potrebbero desumerlo i Patriarchi Maroniti dalla p. 261 dell'edizione latina, ove enumerandosi i privilegi del Patriarca Antiocheno, al numero 18 si dice: *in gradibus prohibitis ac matrimonium dirimentibus vel impedientibus dispensare.* Ma ciò si deve intendere di quei casi e gradi, in cui ha la facoltà di dispensare. Fuori di questi due luoghi che *specie tenus* ma senza frutto potrebbero invocarsi a favore del Patraiarca, non si è trovata espressione nel testo latino che possa comunque

البطريرك لا نجد عبارة في النص اللاتيني يمكن ان تعاد بأي نوع كان الى صالح السلطان المزعوم للتفسيح من درجة القرابة الاهلية والدموية الثانية .

٧٠) ولا يصح نفس القول في النص العربي. فقد ذكرنا[٦] المغايرة الخطيرة القائمة بهذا الشأن في النص العربي حيث حُذف اولاً: « من لدن الحبر الروماني» من العبارات التالية من النص اللاتيني[٧] : « للسيد البطريرك السامي الاحترام دون غيره ان يترخص تفسيحاً بقوة ما له من اطلاق اليد الموكول اليه من لدن الحبر الروماني في الموانع المبطلة للزواج وفي نذر العفة الدائمة ودخول الرهبانية الموصوفين بالبساطة والاطلاق ». وثانياً حُرفت النبذة التالية من النص اللاتيني[٨] : « وان . . . وكان مريدا الزواج متقلبين في حالة الفقر وجب على الرئيس المحلي ان يسعى لدى الكرسي الرسولي او لدى معتمده في التماس رخصة التفسيح لهما مجاناً كما يطلب للفقراء وتصح ايضاً بل تجوز . . . لانه في مثل هذه الضرورة يُقدّر ان الحبر الاعظم او معتمده لا يريد الاستئثار برخصة التفسيح .» اما النص العربي فانه يبدل بلفظة البطريرك ونائبه العبارات المشار اليها بخط والمتعلقة بالكرسي الرسولي . وقد جاء في النص العربي ما يلي : « يجب الاشارة الى انه متى فُقد احد هذه الشروط المبسوطة سابقاً وكان الخطيبان متقلبين في حالة

٦) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٤٠ عدد ٣ فقرة ٥ (من هذا المقال) .
٧) حاشية المؤلف : صفحة ٨٤ (تعريب نجم صفحة ١٢٥) .
٨) حاشية المؤلف : نفس المحل (تعريب نجم صفحة ١٢٦) .

favorire la pretesa facoltà di dispensare nel secondo grado di consanguinità ed affinità.

70. - Non così può dirsi del testo arabo. Al §. 40, III, 5 si è notata la grave variante occorsa in proposito nell'arabo, in cui primieramente si è soppresso «*ex concessione Romani Pontificis*» nel periodo del testo latino, p. 84, che suona come appresso: *Solus Patriarcha ex concessione Romani Pontificis dispensare potest circa impedimenta dirimentia, et circa votum simplex et absolutum perfectas castitatis et religionis.* In secondo luogo è stato alterato il seguente brano del desto latino: *Si vero partes penuria laborent, debebit Ordinarius dispensationem apud Sedem* Apostolicam *vel* Delegatum *prosequi in forma pauperum ut gratis obtineatur... valet etiam et licita est... in illis enim angustiis censetur* Summus Pontifex *aut eius* Delegatus *dispensationem sibi minime reservare velle.* L'arabo all'espressioni rimarcate, e riguardanti la Sede Apostolica sostituì le parole Patriarca e suo Vicario: «E d'avvertirsi, così esso legge: *che mancando una di queste condizioni sopra esposte essendo i sposi poveri è obbligato il Vescovo della Diocesi di cooperare appresso del* PATRIARCA, E SUO VICARIO *per la dispensa gratis... ed è lecito ancora... perchè in simili calamità conviene a* MONS. PATRIAR-

الفقر فانه يتوجب على اسقف الابرشية ان يسعى لدى البطريرك او لدى نائبه للتفسيح مجاناً ... ويجوز ايضاً ... لانه في مثل هذه الضرورة يوافق ان يتنازل البطريرك ونائبه للاسقف عما حُفظ لهما من سلطان ». وثالثاً اهمل النص العربي في مقدمة موجز اكليمنت الثامن العبارات المصرحة بالدرجات التي مُنح البطريرك سلطان التفسيح منها وهو خلافاً للنص اللاتيني[٩] يشتمل على ما يلي: « ومع ذلك فان البابا اكليمنت الثامن في رسالته الى البطريرك يوسف الرزي بتاريخ سنة ١٥٩٩ صرّح بما يمتد اليه سلطان السيد البطريرك في التفسيح من درجات القرابة الدموية والاهلية . وبعد ان اعلن موانع الزواج بمقتضى المجمع (التريدنتي) منح البطريرك المشار اليه سلطاناً لان يفسّح منها » . ويبدو واضحاً من مضمون هذا الكلام ان البطريرك الماروني له السلطان لان يفسّح من جميع الموانع التي اعلنت وفقاً لارادة التريدنتي .

٧١) وكان من الطبيعي بعد ان تمهد السبيل بواسطة الحذف والتبديل ان يُنتهى اخيراً الى تحريف موجز اكليمنت الثامن الرسولي. وفعلاً ان النبذة المشار اليها من ذلك الموجز والتي اوردت في المقطع ٦٨ قد عرّبت بما يلي : « اننا نمنحك... لكل ذوي قرابة في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة باعتبار الاصل الجامع وفي الرابعة المختلطة من درجات القرابة الدموية والاهلية معاً». ويوافق

٩) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٦٨ (من هذا المقال) .

ca, E Suo Vicario *di accondiscendere col Vescovo riguardo alla potestà riservata a Lui.* In terzo luogo sono state omesse dall'arabo nel preambolo al Breve di Clemente VIII le espressioni dichiarative dei gradi nei quali era stata accordata al Patriarca la facoltà di dispensare, poichè esso, contrariamente al testo latino (§. 68) legge come segue: *Nihilo autem secius Clemens Papa Octavus in sua epistola ad Patriarcham Josephum El-rezzi anno* 1599 *expresse declarat amplitudinem potestatis Dni Patriarchae in dispensandis gradibus consanguinitatis et affinitatis. Postquam enim declaraverat impedimenta matrimonii secundum sacrosanctum Concilium* (Tridentinum), *tribuit praefato Patriarchae facultatem ea dispensandi.* Dal tenore delle quali parole risulta evidentemente avere il Patriarca Maronita la facoltà di dispensare da tutti gl'impedimenti dichiarati secondo la mente del Tridentino.

71. Preparato così il terreno colle mutilazioni e colle sostituzioni, era naturale di divenire finalmente alla interpolazione del Breve Apostolico di Clemente VIII. E per vero, il tenore del brano relativo del medesimo Breve, riferito al §. 68, viene così tradotto nell'arabo: *Omnes qui propinquitatem habent cum aliis in gradu* Secundo *et tertio, et quarto a communi stipite*; *et in quarto etiam mixtis in gradibus consanguinitatis et affinitatis simul Nos tibi concedimus* etc. Al qual proposito

ان نذكر هنا ملاحظة صائبة ابداها سيادة فالرجا بهذا الصدد . قال : « انه واضح الآن ان اول تعريب كان مطابقاً في ذلك لنصّ البراءة او الموجز الرسولي اللاتيني . وقد أُصلحت فيما بعد اللفظة العربية « الثالثة » وأُبدلت بلفظة « الثانية »[10] ووضعت لفظة « الثالثة » في الهامش . ويجب الاشارة الى ان تلك اللفظة « الثانية » كتبت فوراً في اول السطر الاسفل ثم شطب فوقها . وهذا يحمل الى الافتراض ان لفظة « الثالثة » هذه قد أُدخلت في النص مرتين[11] وعليه قد يكون شطب فوقها قبل التحريف ثم أُبدلت لفظة « الثالثة » الاولى بلفظة « الثانية » ولذلك احتيج الى زيادة لفظة « الثالثة » مرةً اخرى في الهامش[12] . ومهما يكن من ذلك فانه ثابت ان التحريف مقصود كما رأينا في المقطع ٧٠ ويظهر ايضاً ان الذي هيأ السبيل لذلك هو السمعاني بعينه . ويستند هذا الافتراض اولاً الى كون القاصد المشار اليه وليس غيره عرّب المجمع عن

١٠) حاشية المؤلف : يظهر حالياً ان هذه اللفظة « الثانية » قد جدد ابدالها حديثاً بلفظة « الثالثة » ولا يصح الاعتقاد ان ذلك قام به سيادة فالرجا .

١١) حاشية المؤلف : وقد كتبت فعلاً مرتين في النص اللاتيني : الثالثة او الثالثة والرابعة .

١٢) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٣ صفحة ٤١ .

giova qui riportare la giusta osservazione di Mons. Valerga: «È ancora presentemente evidente, egli dice, che la primitiva versione era in ciò conforme al testo latino della Bolla o Breve Apostolica. Poscia la voce araba *tertio* venne correta, e mutata nella voce *secundo* (1), e fu apposta al margine la voce *tertio*! È da notarsi però che questa voce *tertio* era stata scritta immediatamente a principio della linea inferiore, e venne poscia cancellata; il chè lascerebbe supporre che questa voce tertio era stata inserita nel testo due volte (2), quindi sarebbe stata cancellata la seconda anteriormente alla interpolazione. Dopo l'interpolazione poi, cambiato il primo *tertio* in *secondo*, fu d'uopo aggiungere un'altra volta il *tertio* al margine». (*Som. N.* III, p. 41). Checchè sia di ciò, è positivo che l'interpolazione venne preparata, come si è veduto al §. 70, e parrebbe anzi venisse preparata dallo stesso Assemani. Il fondamento di questa ipotesi sarebbe I. perchè lo stesso Ablegato, e non altri, tradusse il Sinodo dal latino in arabo (§. 11); 2. perchè il manoscritto latino portato seco da Roma (sul quale fu redatto il testo arabo) tanto nel preambolo, quanto nel testo del

(1) Attualmente però questa voce *secundo* si scorge da recente mano nuovamente mutata in *tertio*. Non sembra credibile che abbia ciò fatto Mons. Valerga.

(2) Ed in vero nel testo latino è scritta due volte: *tertio, seu tertio et quarto*.

اللاتيني[١٣] . وثانياً الى كون المخطوط اللاتيني الذي اتى به من رومة[١٤] قد كُتب فيه : « الثانية او الثالثة والرابعة » ثم شُطب فوقها وذلك في مقدمة الموجز المشار اليه وفي متنه . وكذلك في نفس المخطوط المعروف ذي المجلدات الثلاثة الذي فحصه وثبته المجمع المقدس يُرى بوضوح الى اليوم ايضاً « الثانية او الثالثة » وذلك في مقدمة الموجز الا انه شطب فوقها . اما في متنه فقد كتب بصواب ما تحتوي عليه الطبعة اللاتينية . وهذه القرائن لا تطلق الحق بان ينسب الى الشهير سمعان السمعاني اعمالا سيّئة النية انما لا تجرده من كل تهمة تواطوء اذ ان هذه القرائن تدل على ان التحريف لم يحصل بدون معرفته .

٧٢) وبناء على ما اثبتنا من تحريف في النص العربي ومن شرعية النص اللاتيني . اصبح ثابتاً ان البطريرك الماروني لا سلطان له بقوة المجمع اللبناني لان يفتح من درجة القرابة الدموية والاهلية الثانية. اما شرعية النص اللاتيني فقد ثُبتت بما اورد من ادلة عامة في البحث السابق . وهنا يكتسب هذا الاثبات قوة قاطعة من مقابلة نسخة موجز اكليمنت الثامن التي اخرجت حديثاً بصورة صحيحة من امانة سر الموجزات وضُمت الى المجل[١٥] وهي مطابقة كل المطابقة لنص الطبعة اللاتينية المذكورة ما عدا هذا الفرق بين ما يلي من الطبعة

١٣) حاشية المؤلف : مقطع ١١ (من هذا المقال) :

١٤) حاشية المؤلف : وعنه حرر النص العربي .

١٥) حاشية المؤلف : عدد ٦ .

citato Breve trovasi scritto, sebbene poi cancellato, *secundo seu tertio, et quarto*: anzi nello stesso noto manoscritto in tre Tomi, esaminato ed approvato dalla S. C., è chiaramente visibile anch'oggi, *secundo seu tertio* nel preambolo del Breve, quantunque sia cancellato, e quantunque nel testo dello stesso Breve si legga rettamente come nell'edizione latina. Sebbene quest'indizii non diano diritto assoluto ad ammettere nell'illustre Simonio Assemani atti di mala fede, pure non lo esimono da una qualche taccia di *connivenza*, giacchè i medesimi proverebbero che l'interpolazione non venne fatta a sua insaputa.

72. Provata l'interpolazione del testo arabo e l'autenticità del latino, — la quale in questo luogo non solo risulta dalle ragioni generali riferite nell'articolo precedente, ma acquista forza perentoria dal confronto della copia del Breve di Clemente VIII recentemente avuta in *forma autentica* dalla Segreteria dei Brevi, che si esibisce in *Som. N.* VI, colla quale, meno la differenza tra il seguente comma dell'edizione latina: *vel ubi mulier in proprio castro, vel loco sibi non attinente, cui honeste nubere possit* ed il corrispondente della detta copia, che suona: *vel ubi mulier in proprio castro, vel loco virum sibi non attinentem, cui honeste nubere possit*, ed

اللاتينية : « او فيما اذا كانت المرأة لا تجد في وطنها او محلها . . .[١٦] اهلاً لان تتزوج منه ». وما يوافقه من نسخة الموجز المشار اليها وهو :« او فيما اذا كانت المرأة لا تجد في وطنها او محلها رجلاً من غير ذوي قرباهـا اهلاً لان تتزوج منه » وما عدا غير ذلك من مغايرات قليلة وتافهة وضعت في حاشية.

٧٣) وقد بقي علينا ان نبحث في المستند الثـاني ـ وقوامه كما يقول البطريرك الماروني عادة لا يعرف بدؤها . وقد توقف على هذه النقطة محكماً الحجيج المحامي القانوني المستشار المذكور كركاني وذلك في تلخيص كانون الثاني المذكور سنة ١٨٨٢[١٧] . واثبت بأدلة متينة انه لا يمكن في هذه الحالة ان تعتبر العادة المشار اليها شرعية[١٨] لانها لا تتحلى بالمقتضيات الضرورية . ويجب

١٦) حاشية المعرب : ما يتبع هذه اللفظة لا سبيل الى تعريبه لانه لا معنى له بسبب ما حُذف وحُرّف من الفاظ في النص اللاتيني .

١٧) حاشية المؤلف . راجع المقطع ٢٣ (من هذا المقال) .

١٨) حاشية المعرب : هذا ما يقوله المؤلف وقـد اثبت عكس ذلك الاب شيبرياتو فاغادجيني في اطروحته : « في سلطان البطاركة الشرقيين الكاثوليكيين لان يفسحوا من موانع القرابة الدموية والاهلية » وقد دحض فيها ما ادعاه الاب تشاسكا وغيره من ان هذه العادة التي بموجبها اكتسب البطريرك الماروني سلطان التفسيح من الدرجة الثانية ليست شرعية لعدم حصول سلامة النية فيها وذلك لان الكرسي الرسولي لم يرض لا ضمناً ولا صريحاً بقيام تلك العادة وقد اشار مراراً الى البطريرك بوجوب التقيد بالنص اللاتيني للمجمع اللبناني . ولكن الاب تشاسكا ومن يرى رأيه نسوا ان البطاركة الموارنة كانوا يجيبون دائماً عـلى رسائل الكرسي الرسولي بهذا الصدد ويبرهنوا عن حقهم باتباع النسخة العربية لكونها وحدها اصلية وشرعية . وكان الكرسي الرسولي يمتنع لاسباب ما عن رد الجواب على هذا الاعتراض ولذلك كان البطاركة يعتقدون انه اقتنع لما اوردوه من اسباب تجيز عملهم وتثبت نظريتهم . وهذا كاف لاثبات سلامة نية البطاركة الموارنة وبالتالي لاثبات حصولهم بقوة العادة التي لا يُعرف بدؤها على سلطان التفسيح من الدرجة الثانية من القرابة الدموية والاهلية (راجع عدد ٣٤ و ٣٥ من هذا المقال) .

altre poche insignifianti varianti, che si sono collocate in nota, è pienamente conforme al testo della suddetta edizione latina — rimane evidentemente provato, non avere il Patriarca Maronita in forza del sinodo libanese la facoltà di dispensare nel secondo grado di consanguinità ed affinità.

73. Rimarrebbe ad esaminare il secondo titolo fondato, come dice il Patriarca Maronita, sulla consuetudine immemorabile. Intorno a questo s'intrattenne a ragionare saviamente il predetto Consultore Can. Avv. *Carcani* nella citata Ponenza del Gennaro 1882 §. 23, provando con forti ragioni non potersi nel caso ritenere come *legittima* detta consuetudine, perchè mancante dei *requisiti*

ان يشار ايضاً الى ان مجمع الانتشار قد شدّد الامر بوجوب الاعتماد على النص اللاتيني ليس في السنتين ١٨٣٢ و١٨٤٦ فقط كما اشير اليه في التلخيص المذكور بل انه اصدر ايضاً هذا الامر سنة ١٨٣١[١٩] وجدّده للبطريرك الحالي سنة ١٨٥٥[٢٠] وكتب له اخيراً سنة ١٨٦٦ انه سيخضع مطلبه (وهو ألاّ يحرمه الانعام المزعوم اي سلطان التفسيح من الدرجة الثانية) لحكم الآباء السامية نيافتهم في اجتماع يعقدونه قريباً[٢١] . ويمكن ان يستخلص من كل ذلك ان العادة المزعومة لا اساس لها البتة لا واقعاً ولا شرعاً .

٧٤) وبالرغم من ذلك فانه لا سبيل الى اخفاء ما يتولد من ريب في هذا الشأن عن بعض عبارات ملتبسة استعملها الفاحص رودوتا في تقريره عن المجمع المذكور . فانه في ملاحظاته العامة يقول : « الكنيسة المارونية تعد درجات القرابة لحد السابعة كاليونان ولكنها خلافاً لهم لا تتمسك بالموانع بل تتفسح فيها في الزواج الذي يعقده فيما بينهم الاخوة والاخوات المرتبطين بالقرابة الاهلية ». واكثر التباساً هو كلامه المضاف الى تقريره[٢٢] حيث يشير الى القانون

١٩) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٣٢ (من هذا المقال) .
٢٠) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٨ (من هذا المقال) .
٢١) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٢٩ (من هذا المقال) .
٢٢) حاشية المؤلف : راجع المجلد الثاني عشر المذكور من المختلفات المحفوظة في الخزانة .

necessarii. Anzi è da notare che la Propaganda non solamente nel 1832 e 1846, come ivi si osserva, insistette per l'adozione in proposito del testo latino ma avea già inculcato gli stessi ordini nel 1831 (§. 32), e ripetutoli all'attuale Patriarca nel 1855 (§. 28), cui finalmente nel 1866 scriveva, che ciò ch'egli domandava (di non esser cioè privato del preteso privilegio di dispensare nel secondo grado) sarebbe stato sottoposto al giudizio degli Emi Padri in una prossima Congregazione generale (§. 29). Da tutto ciò si potrebbe conchiudere, non aver realmente la pretesa consuetudine alcun legittimo fondamento.

74. Ciò non ostante, non dee nascondersi un dubbio che potrebbe nascere in proposito da alcune ambigue espressioni usate dal revisore Abbate Rodotà nella sua relazione sul Sinodo in parola. Nelle osservazioni generali egli dice: «Enumera (la Chiesa maronita) li gradi della parentela fino al settimo come i Greci, e di poi contro il rigore de' medesimi dispensa nel matrimonio, che si voglia contrarre tra *Fratelli e Sorelle* affini». E più ambiguamente parla nel supplemento della sua relazione (1), (sic) ove alludendo al canone 16 ,cap. XI,

(1) Nel citato T. XII, delle *Miscellanee* d'Archivio.

١٦ باب ١١ قسم ٢ قائلًا : تُدخل في هذا القانون براءة اكليمنت الثامن التي يمنح بها البطريرك الماروني السلطان لان يفسّح من بعض درجات القرابة . ان التفسيحات الزواجية تتعدى حاليًا حدود السلطان الذي يمنحه البابوات البطاركة[٢٣] وعليه يجب ان ترسل الى الموارنة تعليمات خاصة ويؤمروا بتعداد الدرجات التي يمتد اليها سلطان التفسيح وان يعيّن رسم الدفع » ويظهر من قول رودوتا « ان الكنيسة المارونية تفسح في الزواج الذي يعقده فيما بينهم الاخوة والاخوات المرتبطين بالقرابة الاهلية . وان التفسيحات الزواجيـة تتعدى حاليًا حدود السلطان الذي يمنحه البابوات البطاركة »[٢٤]. انه شاء تنبيه المجمع المقدس الى ان البطريرك يتوسع اكثر من اللازم في السلطان الذي منحه اياه اكليمنت الثامن. اما المجمع المقدس المشار اليه لم يعر اهتمامه ملاحظة رودوتا ولم يُشر اليها البتة في تلخيص الكردينال بطرا «للتخفيف عن المصوتين السامية نيافاتهم»[٢٥]. وعليه فانه يعود الى نيافاتكم السامية ان تقرروا بمقتضى حكمتكم الرفيعة ما اذا كان مجمع الانتشار بسكوته عن ذلك اراد ان يثبت ضمنًا امتداد السلطان الممنوح في الموجز الرسولي كما قام به البطريرك من تلقاء نفسه . هـذا مع

٢٣) حاشية المعرب : اما النص الطلياني فيقول : السلطـان الذي يمنحه البابوات والبطاركة .

٢٤) حاشية المعرب : راجع الحاشية السابقة .

٢٥) حاشية المؤلف : راجع المقطع ٥١ (من هذا المقال) .

Parte II. dice: «S'inserisce in questo Canone la Bolla di Clemente VIII nella quale s'accorda la facoltà al Patriarca de Maroniti di dispensare di alcuni gradi di parentela. *Le dispenze* (sic) *Matrimoniali eccedono al presente li limiti delle facoltà da Pontefici* (sic) *e Patriarchi concedute.* Onde sarebbe d'uopo con particolar istruzzione (sic) prescrivere loro l'enemerazione (sic) de gradi fino a qual termine s'estenda l'autorità di dispensare e formarç una tassa del pagamento». Dicendosi dal Rodotà che la *Chiesa maronita dispensa nel matrimonio, che si voglia contrarre tra fratelli e serelle affini, e che le dispense matrimoniali eccedono al presente li limite delle facoltà da Pontefici e* (sic) *Patriarchi concedute,* pare che egli abbia voluto mettere sull'avviso la S. C. che il Patriarca de' Maroniti estendesse più del dovere le facoltà a lui concedute da Clemente VIII. E siccome la stessa S. C. non fece nessun conto dell'osservazione del Rodotà; anzi questa non venne punto menzionata nel Ristretto fattone dal Card. Petra *per minor incommodo degli Emi Votanti* (§. 51), le EE. VV. nell'alta loro sapienza giudicheranno, se la Propaganda, servando su ciò il silenzio, abbia voluto tacitamente approvare l'estensione delle facoltà concesse nel Breve Apostolico, fatta arbitrariamente dal Patriarca, sebbene, per conchiudere a favore del Patriarca, sarebbe stato necessario che

العلم بان الاستنتاج لصالح البطريرك يقتضي حتماً موافقة البابا عن معرفة على الامتداد المشار اليه وليس هناك من وثيقة تثبت ذلك .

الفصل الرابع

فيما يجب اتخاذه من تدابير

٧٥) انه لا سبيل الى الارتياب من التباين الجوهري القائم بين النصين العربي واللاتيني للمجمع اللبناني كما انه واضح ايضاً ان تثبيت الكرسي الرسولي تناول النص اللاتيني لا العربي . انما أرسل الى البطريرك الماروني بواسطة وكيله[٣٦] موجز التثبيت والنص العربي وحده مع الامر بنقله وارجاعه . والموجز المذكور لا يميز بين النصين وهذا ما حمل البطريرك الى الاعتقاد بتثبيت النص العربي . وعليه فلا يمكن ان يُخطأ الموارنة الذين استعملوا هذا النص واعتبروه شرعياً ومثبتاً . ويمكنهم اذا نسب هذا الخطأ اليهم ان يلقوه على المجمع المقدس الذي ارسل النص العربي وحده دون ما اشارة الى النص اللاتيني او تنبيه آخر من اي نوع كان يتعلق به . ولا يمكن المجمع المقدس ان يتحاشى هذه الشكوى فيما اذا اعلن مغايرة النص العربي وامر كما يحق له بان

٣٦) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١٦ (من هذا المقال) .

---

il Papa avesse approvato *scientemente* l'arbitraria estensione: il che non risulta affato dai documenti.

Capo IV

Dei provvedimenti da prendersi.

75. La difformità sostanziale tra i due testi arabo e latino del Sinodo Libanese non può mettersi in dubbio, come può ritenersi evidente che l'approvazione della S. Sede cadesse sul testo latino e non sull'arabo. Al Patriarca Maronita per mezzo del suo Procuratore (§. 14) fu mandato il Breve di approvazione col solo testo arabo, coll'istruzione di prenderne copia e rimandarlo. E siccome nel citato Breve non si distingue tra i due testi, così il Patriarca poteva credere che fosse stato approvato l'arabo. Quindi l'aver ritenuto ed usato questo come autentico ed approvato non ascriversi a colpa ai Maroniti; i quali, se venisse loro attribuita, potrebbero farla *ricadere* sulla S. C. che mandò il solo testo arabo, senza far menzione del latino e senza altro qualsisia analogo avvertimento E (sic) da questa recriminazione non potrebbe esimersi la S. C. qualora, proclamata l'irregolarità del testo arabo, n'esigesse come di ragione la correzione a norma del latino. Nè occorre rilevare i disgusti, le dicerie, cui si farebbe luogo a discapito certamente della causa cattolica, quando anche non fosse a temersi resistenza

يُصلح وفقاً للنص اللاتيني . ولا حاجة بنا الى الاشارة الى ما قد يحدث من جرّاء ذلك من نفور وتذمر مما يؤدي ولا شك بالمصلحة الكاثوليكية الى الخسارة . هذا وان لم يكن هناك خوف من مقاومة قد يُحافظ فيها تقريباً على الاحترام لكنها تكون على كل حال حازمة ومستمرة . والخروج بأخف شر ممكن من هذا الموقف الشديد الصعوبة له طريقة وحيدة ، وهي ليست خالية من كل عقبة ، وذلك ان يعقد مجمع جديد يحل محل المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ وتزاد فيه قوانين مجامع الموارنة المتأخرة ، فتقل بذلك قيمة الاول وتعدم فائدته فيبطل استعماله عملاً كما ان للكرسي الرسولي ان يبطله شرعاً ، بحكم جديد يبطل ايضاً الحكم الذي ثبت به بنديكتوس الرابع عشر الطيب الذكر مجمع سنة ١٧٣٦ المشار اليه . فليسمح لي بعرض هذا المشروع ، وان كان تنفيذه غير هين ، لانه يبدو وحده ممكناً وضرورياً كل الضرورة لما نحن بصدده .

٧٦) لقد ذكرنا[٢٧] كيف ان الاساقفة ، بعد عقد مجمع غوسطا الماروني سنة ١٧٦٨ ، ارسلوا اعماله الى المجمع المقدس ملتمسين بالحاح تثبيت قوانينه واضافتها الى المجمع اللبناني المثبت . وقد طلبوا ايضاً من المجمع المقدس ان يأمر بطبع المجمع اللبناني باللغتين اللاتينية والعربية بحرف سرياني[٢٨] ولو تم في

٢٧) حاشية المؤلف : راجع المقطعين ١٩ — ٢٠ (من هذا المقال) .

٢٨) حاشية المؤلف : قد اعتاد المسيحيون السوريون منذ الفتح الاسلامي ان يكتبوا ثم يطبعوا كتبهم المقدسة والطقسية بالكرشوني اي بلغة عربية حرفها سرياني . وذلك ليمنعوا الاتراك من قراءتها وامتلاكها .

più o meno rispettosa, ma sempre ferma e costante. Per uscire il men male possibile da questa difficillima posizione, è sembrato unico partito, benchè non scevro di qualche difficoltà, la celebrazione di un nuovo sinodo, il quale surrogando il Libanese del 1736, e aggiungendovi i canoni dè posteriori sinodi maroniti, rendesse il primo non solamente meno pregevole ma inutile, e così ne inducesse l'abrogazione di fatto, come la S. Sede potrebbe farlo di diritto in una nuova Costituzione, che dovrebbe riuscire anche all'abrogazione della Costituzione con cui la sa. me. di Benedetto XIV approvò il detto sinodo del 1736. Siane permesso di svolgere questo progetto, che se pure non è di facile esecuzione, sembra però unico possibile, e nel caso onninamente necessario.

76. Si è già riferito (§§. 19-20) come celebratosi nel 1768 il Sinodo Maronita di *Agosta*, i Vescovi, mandandone gli atti alla S. C. domandavano istantemente, che i Canoni in esso fatti fossero confermati, *e aggiunti al Concilio Libanese* già approvato. Di più domandarono, che la S. C. ne ordinasse la impressione,

ذلك الوقت الطبع الملتمس لكان ظهر التباين القائم بين النصين والذي ، كما هو واضح ، لم يكن احد شعر به البتة . ولكن المجمع المقدس لم يقبل الطلب واننا نغض النظر عن السبب الذي نجهله . وقد يكون هذا الرفض هو الذي أدى الى اخراج طبعة المجمع اللبناني العربية .

٧٧) وما لم يعمل في ذلك الوقت يمكن عمله اليوم. وهو ان يعقد مجمع جديد يحتوي في اعماله على كل المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ ، بجوهره على الاقل، ويغير فيه اذا ارتأى المجمع المقدس موافقاً بعض الاحكام التي يُقال انها تخالف الطقس قليلاً[٢٩] وذلك بحسب ما يرتأي . ويزاد في المحلّات الموافقة منه قوانين المجامع المتأخرة والقوانين التي يراها مناسبة الاساقفةُ المارونيون . فيتسنى هكذا للموارنة ان يحصلوا على دفترٍ واحد جامع لكل ما يغني عن المجامع السابقة بأجمعها . ومتى فُحص المجمع المذكور الاخير وقرره الكرسي الرسولي يصار الى تثبيته تثبيتاً رسولياً حافلاً يُمنح به السلطة والشهرة معاً بحيث تُبطل ، بسديد الكلام وقاطعه ، كل المجامع السالفة بما فيها مجمع سنة ١٧٣٦ وحكم بنديكتوس الرابع عشر المتعلق به . ومتى طبع ذلك المجمع باللغتين

٢٩) حاشية المؤلف بجمل عدد ٣ صفحة ٢٦ وعدد ٤ مقطع ١٢ .

---

la quale desideravano *fosse fatta in due lingue latina ed arabe col* carattere siriaco (1). Se allora si fosse fatta l'implorata edizione, sarebbe stata riconosciuta la difformità dei due testi, di cui par chiaro che non si avesse sospetto veruno. Ma la S. C. qualunque ne fosse l'ignoto motivo, non volle accogliere la domanda; e forse questo rifiuto fu la ragione della edizione araba del Sinodo Libanese.

77. Ciò che non si fece allora, potrebbe farsi oggi. Tenere un nuovo sinodo, trasfonderne negli atti del medesimo almeno in sostanza tutto il Libanese del 1736: modificare, se e come la S. C. stimerà più opportuno, qualche disposizione che si dice men conforme al rito (*Som. N.* III, p. 26, *en.* IV, §. 12); aggiungervi nei luoghi convenienti i canoni dei posteriori sinodi, e quegli ulteriori che l'episcopato Maronita credesse opportuni. Così avrebbero i Maroniti un codice unico in cui tutto fosse riunito, che renderebbe inutili tutti i precedenti sinodi. Riveduto ed approvato quest'ultimo dalla S. Sede verrebbe confermato con solenne atto pontificio, il quale conciliando autorità e rinomanza al nuovo, dovrebbe abrogare in termini prudenti ma decisivi tutti i precedenti sinodi inclusivamente a quello del 1736, e della relativa costituzione di Benedetto XIV. Stam-

(1) I Cristiani Siri, per impedire che i turchi leggessero e s'impadronissero dei loro libri sacri e liturgici, fin dall'invasione dell'Islamismo usarono scrivere e poscia stampare i suddetti libri in Kârsciûnî, cioè in lingua arabica con lettere siriache.

العربية واللاتينية معاً يبطل تبـاين النصين المشين الذي يثلم شرف الموارنة وشرف الكرسي الرسولي ايضاً .

٧٨) ولا يخفى ما قد يلاقيه تحقيق ذلك المشروع من عقبات انما لايبدو مستحيلاً التغلب عليها ولذلك ينبغي ان يبقى طي الكتمان الشديد ما قد يكون اعتمد عليه المجمع المقدس في ذلك الشأن. ويمكن ان يُعلم به القاصد الرسولي في سوريا فقط ، وذلك باعتباره سر شخصي . وان يعطى علماً له وللبطريرك بان المجمع المقدس قد حكم ان النص اللاتيني وحده لا العربي ثبته بنديكتوس الرابع عشر . وينبغي ان يضاف الى هذا الحكم اوراقاً تثبت بوضوح صحة الامر الواقع وتشير معاً الى التباين الجوهري القائم بين النصين . ثم يصدر امر صريح بازالته بالطرق التي يكون قد حكم بانها اكثر سداداً وموافقة على ان لا تكون بسبب ذلك اقل وضوحاً ونجوعاً . والمناقشة في هـذا المشكل العسير يجب ان يقوم بها البطريرك والقاصد اولاً ومن ثم يتسنى للقاصد ان يفاتح البطريرك بفكرة عقد مجمع جديد .

٧٩) ومتى نجح المسعى ورضي البطريرك والاساقفة الاكثر نفوذاً على الأقل بذلك المشروع يبقى هناك عقبة غير سهلة تتعلق بمشتملات المجمع الجديد. من يدري كم ينبغي ان يحذف من النص اللاتيني في المقدمات التاريخية القانونية

pato questo sinodo *contemporaneamente* nelle due lingue araba e latina, farebbe cessare la sconcia discrepanza dei due testi, poco onorevole à Maroniti e alla stessa S. Sede.

78. Non si dissimulano le difficoltà che può incontrare l'esecuzione di questo progetto, ma sembra non sarebbe impossibile superarle. A tal'effetto dovrebbe restare segretissima la risoluzione che su questo punto venisse adottata dalla S. C., e solamente esser communicata sotto personale segreto al Delegato Apostolico della Siria. A questo e al Patriarca si comunicherebbe, che la S. C. ha deciso che il solo testo latino, e non l'arabo, fu approvato da Benedetto XIV; e alla risoluzione dovrebbero aggiungersi fogli, che all'evidenza dimostrassero la verità del fatto, e in pari tempo rilevassero la sostanziale difformità dei testi. Quindi verrebe esplicita ingiunzione di farla disparire nei modi che venissero giudicati più prudenti e decorosi, ma non per questo men chiari ed efficaci. Nella discussione dell'arduo problema, che in principio dovrebbe passare fra il Patriarca e il Delegato, potrebbe questo insinuare la progettata celebrazione di un nuovo Sinodo.

79. Quando si fosse riuscito a far gradire tale progetto al Patriarca ed ai Vescovi almeno più influenti, resterebbe anche la difficoltà non lieve della estensione del nuovo sinodo. Chi sa quante cose vorrebbero espungersi dal testo

التي تتقدم فصولًا كثيرة والتي لا اثر لها في المشروع العربي الذي عرض على الاساقفة ليفحصوه . وعليه فان هولاء يجهلونها تماماً . من يدري ما يجب ان يقام به من تغيير في نفس النقاط المنصوص عليها في الاحكام المثبتة. لقد قيل انه مجمع شرقي بلباس لاتيني او بالاحرى انه مجمع لاتيني بلباس شرقي . انما لا ينبغي لذلك ان نقطع الامل من الوصول الى نتيجة صالحة وقد اعتاد على ذلك الكرسي الرسولي بسداد رأيه وطول اناته وحزمه وتساهل الطرفين الذي يحسن اللجوء اليه برقته وواجب حدوده . ويظهر ان الوقت الحاضر موافق جدًا لذلك. وقد عرضت اسبابه لامين السر السامي الاحترام على ورقة منفردة.

آمل من نيافتكم السامية صفحاً اذا كنت توسعت كثيرًا في هذا الموضوع وقد شجعني على ذلك عطفكم من جهة ودفعني اليه من جهة اخرى واجب لازب صادر عن المهمة الموكولة الي . واني اخضع مقالي هذا لحكم المجمع المقدس، واتشرف بكل احترام بتذييل توقيعي مستشار نيافاتكم السامي الاحترام .

في ٢٠ ايار ١٨٨٣ — الاخ اغسطينوس تشاسكا
مستشار

---

latino, specialmente nei preamboli storico-canonici che vi si trovano premessi a molti capitoli, ed i quali per la maggior parte non si trovano nello *schema* arabo presentato all'esame dei Vescovi, e perciò da questi del tutto ignorati: chi sa quale modificazioni si vorrebbero anche su punti dispositivi. Si è detto esser quello un sinodo orientale vestito alla latina, o piutosto un sinodo latino vestito all'orientale. Ma non per questo dovrebbe disperarsene l'esito felice, come suol ottenerlo la S. Sede colla sua prudenza, longanimità, e fermezza, e coll'*hinc inde remissum* che nei dovuti limiti sa usare all'oportunità. E il momento presente parebbe opportunissimo, di che in altro foglio al Rmo Segretario espongo le ragioni.

Perdoneranno le EE. VV. se tanto mi sono inoltrato su questo argomento; ma da un lato la loro bontà mi ha confortato, dall'altro mi ha spinto lo stretto dovere derivante dall'incarico affidatomi. E sottomettendo al giudizio della S. C. questo mio voto ho l'onore di segnarmi con profonda venerazione.

Dell'EE. VV. RR.

Fr. Agostino Ciasca Agostiniano
Consultore

Li 20 Maggio 1883

اليزيدية *

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

لقد اتيح لنا في اثناء مؤتمر المستشرقين الثاني والعشرين الذي اشتركنا فيه وانعقد في اسطنبول ان نزور مكتبات العاصمة التركية الغنية. وفي مكتبة الجامعة حيث تحفّى باستقبالنا حفاوة بالغة حضرة مديرها والسيد احمد أتش واعجبنا بما تشتمل عليه من ثروة قد استطعنا ان نشتغل ساعات طويلة اذ باشرنا فورًا تصفّح مخطوطاتها ونسخنا قسمًا لا بأس به من عناوين مؤلفيها الذين لم نكن نجهل اسماءهم كما تصفحنا ايضًا المخطوطات التي تهمّنا والمجهولة اسماء اصحابها.

ولم يخوّلنا الوقت القصير الذي كان لدينا لنقضيه في تلك المكتبات للقيام بما كنا نرغب في ان نقوم به ومع ذلك فقد كان بمستطاعنا ان نقتصر على بعض المخطوطات الصغيرة التي بدت لنا عظيمة الاهمية.

واننا لن نضنّ على الجمهور بان نتحفه بمحتويات مخطوطة على اليزيدية شبيهة بشكل مجموعة قواعد دينية وبما فيها من مقتطفات عن الكتب المقدسة لهذه الفئة لانها تعرّفنا الى تعاليم تكاد نجهلها.

والمخطوطة التي نشرها منذ وقت قريب حضرة الاب العلّامة انطونيوس شبلي اللبناني في المشرق[1] وهي لاحد اليزيديين الذين اعتنقوا الكاثوليكية وتذوّقها – كما نعلم – القراء لما فيها من الفائدة التاريخية من الوجهة الدينية قد جعلتنا نفكر في القيام بالخدمة نفسها فننشر في مجلّتنا المخطوطة التي وقعنا عليها في اسطنبول مع اسدائنا الشكر لمدير مكتبة جامعتها والسيد احمد أتش على حسن صنيعهما.

وهاك وصف المخطوطة:

نُسخت هذه المقالة على ورق عبّادي بخط نسخي متقن وجُلّدت بورق وحوت ثلاثة مقاطع (ص٢–٣٦ ؛ ٣٦–٤١ ؛ ٤١–٤٨). تقع في ٤٨ صفحة

* Cf. *Journal Asiatique*, 9e série, t. VII (1896), l'article de J.-B. Chabot, pp. 100-132.

(١) راجع المشرق ٤٥ ص ٢٦٥ – ٢٨٠ و ٤٦ ص ١٤٧ – ١٦٠ ؛ ٢٥٧ – ٢٧٤

وتعد الصفحة ١٥ سطرًا والسطر ٨ كلمات . طولها ١٨٠٦ سنتمترًا بعرض ١٢ سنتمترًا . في آخر الكراس ورقتان لم يُكتب عليها . في الصفحة الاولى كتب باللغة التركية ما يلي « عربجه . ادبيات كتبخانه س٢٨٥ » وبعدئذٍ في اطار : « ترجمة السريانية في احوال الفرقة اليزيدية الشيطانية » . وفي اعلى الصفحة النمرة ١١٨٥٢ وفي آخر الكتاب بعد التجاز D25522 . — لا نجد لهذا الكراس اسم ناسخ ولا اسم مؤلف .

ترجمة السريانية في احوال الفرقة اليزيدية الشيطانية

ابتدأنا ان نكتب جزء من قصة اليزيدية

(٢) اولًا سبعة الهة يوجد. واحد منهم نزل للارض وخلق جهنم والفردوس وبعد ذلك خلق آدم وحوا. وكل حيوان يقولون ان آدم وحوا. تخاصما وصار خصومة بينهما على تناسل الجنس الانساني وكل واحد منهما يقول انه مني يتناسل. اذ نظرا هنا شركة الذكر والانثى بتناسل الحيوان . وبعد البحث الذي بينهما كل واحد منهما القى شهوته بجرة وسد فمها بختمه . وبعد تسعة اشهر فتحاهما ونظرا ان جرة آدم (٣) بها زوج صبيان ذكر وانثى اللذان منهما تناسلت امّتنا. ولمّا فتحا جرّة حوا. نظرا دودًا منتنة مكروهة نجسة وانبع الله لآدم ثدا. وارضعها مدة سنتين . وحينئذٍ صار للرجل ثدا . ومن بعد هذا عرف آدم حوا. وولدت جنينين توماً ذكرًا وانثى اللذين منهما تناسلت النصارى واليهود والاسماعيليون شيث وانوش ونوح اناس ابرار . اباؤنا الاولون من آدم فقسط تناسلوا . اذ وقع خصومة بين رجل واحد وامرأته بذلك الزمان . اذ الرجل يقول انها امرأتي والمرأة تقول ليس هو بزوجي . واحد من امتنا الابرار دانهم وارسلهم وأمر ان يكون بكل عرس طبل وزرناي من اجل الشهادة على الزواج لكي يسمع الناس ان فلاناً اخذ فلانة (٤) ناموساً يقولون من بعد طوفان نوح صار طوفان آخر بهذا العالم . وامتهم اليزيدية تناسلت من نعمى . لزنجه الملك المكرم السلام الذي يدعى عندهم ملك ميزان. والباقي من حام الذي أهان اباه تناسلوا . الله بلسان الكردي تكلم مع آدم . والسفينة قامت في

قرية عين سفينة التي تبعد من موصل نحو خمسة فراسخ . من اجـل استهزاء وضحك جنس البشري الذي تناسل عن زواج آدم وحواء على امّتنا جاء عليهم طوفان الثاني . فلمّا تعالت السفينة فوق الماء على جبل سنجار مكثت مجدّة وصدمت بحجر فتمزقت . الحية تكمّوكت ومسكت الثقب ومضت اتكت على جبل جودى . فلما كثر جنس الحية وكان يلذع البشر . امسك نوح الحية واحرقها بالنار ومن رمادها صارت البراغيث في العالم . من الطوفان الى الآن سبعة آلاف سنة مضت . ولكل (٥) الف سنة اله واحد من السبعة ينزل الى الأرض يضع آيات وقوانين وشرايع ثم يصعد لمكانه. بيت القدس والمكانات المقدسة عندنا هم . نزل الله ازيد بهذا زماننا وثبت وبيّن لنا الاولياء . محمد نبي الاسماعيليين الله اوحى اليه كان يوجد له خادم اسمه معاوية نظر الله محمدًا لان يسلك مستقيماً امامه . اوجع رأسه فقال لمعاويـة اذ هو كان بريئًا ان يحلق رأسه فحلق بصعوبة حتى جرحه وجرى منه دم . فمعاوية لـحس الدم ان لا يسقط على الارض فلما رفع رأسه محمد قال ماذا صنعت يا معاوية . اجاب ان لا يسقط دمك على الارض لـحته بلساني . قال له محمد اخطأت تجذب امة واحدة وراءك وتلقّب لأمتي . قال له معاوية لا ادخل العالم اعني لا اتزوج قطعاً . وبعد زمـان (٦) سلّط الله على معاوية عقارب ورشّ بوجهه سمّهم والاطباء جزموا عليه ان يتزوّج او يموت وحينئذٍ اتوا له بامرأة عجوزة بنت ثمانين سنة وعرفها . وفي الغـد ترآت بنت خمسة وعشرين سنة . حبلت وولدت لالهنا الذي يدعى يزيد اسم التربية يظنون ويقولون ان الهنا نزل للارض مطرودًا لا محقورًا من الاله الكبير بسبب هذا يدعون عليـه التحريف غلطوا وضلوا بذاك . هو اتى واسلم لنا الآيات والسناجق وصعد ايضاً للسماء . خلقت جهنم من زمن آدم الاول وبذلك الزمن ولد ابناً ودعى اسمه ابريق الاصفر . من اجل اكرامه كانوا رفقائه ست سنين وبكل هذه المدة عينه مكائية ومنخاره ويده ورجله . كان يوجد له بقبوق اصفر . ابتدأ ينوح ويبكي ودموعه كانت تنزل بذلك (٧) البقبوق فامتلى بمدة سبع سنين طرحه بنار جهنم فطفيت لئلا يتعذب بها ايضاً جنس الانسان يقولون ان كل واحد من السبعة الآلهة صنع سنجقاً وبقوا عند سليمان الحكيم . ومن بعد موته اسلمهم بيد ملوك امتنا .

يوم الذي ولد الهنا اليزيدي اخذهم لامتنا بتبجيل عظيم ووضع لهم مداحين يرتلون ويزمّجون قدامهم بلسان الكردي المقبول والقديم ويضربون بالدفوف والطبول والشبابات ويضاعفون بقولهم ولفظهم الغير المعروف هلم هللوا لاله الغيور . الآن هؤلاء السناجق هم عند امير الشيخان الجالس على كرسي يزيد يجتمعون القوالون عند الامير والشيخ الكبير والمولي ووكيل عوض الشيخ ناصر الدين اعني نمروك اله الاثوريين الاولين يصنعون بينهم انتقادًا على السنجق . سنجق الواحد على الخليتيّة اعني اسم الناحية . واخر (٨) على بلاد حلب . وآخر على المسقوف واخر بسنجار هؤلاء الاربعة سناجق بالضمانة يتضمنونهم ويذهبون بهم . الشيخ ادى هناك يعمّدوهم بترتيل ورقص عظيم ويأخذ كل واحد منهم حملًا واحدًا من تراب الشيخ ادى ويجبلون ذلك التراب اولئك المضمنون الذين اخذوا السناجق ويصنعونه طيناً اجزآء صغارًا كقدر الحمص (؟) ويأخذونه معهم للنواحي المذكورة ويعطوه كالبركة بفضّة . فلما يقترب السنجق لمدينة واحدة او قرية يرسلون قدامهم مناديا ينبّه اهل ذلك المكان ليستعد لقبوله بالاكرام والتبجيل يخرجون جميعاً عموماً. للقآئه اذًا لابسين ومزينين مع بخور وتعطّر والنساء يهللون آية الفرح . تكون مزايدة المشير في بيت الذي يحل فيه . وبقية اهل المكان يقدمون له فضة كل واحد على قدر طاقته . واولئك السناجق الثلاثة بقوا (٩) بالذي هو سبعة يحفظون بمكانات مقدسة للشفاء. اثنان بشيخ ادى وآخر بقرية نجراني وكل اربعة اشهر يدوّرون واحد منهم بولاية الامير كل سنة واحدة بالهجمة والترتيب اذ يجتمعون لخروجه يهيئون ملأ حفنة سمّاقاً حامضاً لاجل غسله مع دهن زيت وفتل السراج . وكل صنم يوجد له حجرة واحدة يدور الخادم ويضع تحت كل حجر فتلة ويملقها . رأس السنة هو شهر نيسان يوم الرابع في الاسبوع الاول بليلة السرسالي اعني راس السنة كل بيت يوجب ان يوجد به لحم . الاغنياء يذبحون غنماً وثيرانا والمساكين وغيرهم يطبخوهم بليلة الرابعة وبالفجر يباركون للاطعمة ويصنعون صدقة عوض انفس امواتهم . والشابات والبنات يدورن بالجبال يجمعن الورد والزهور . والسوسنات من كل جنس لون الاحمر ويشدّونهم باقات (١٠) اذ يلطخونهم بالحائط ثلاث مرّات ويضعوهنّ بالابواب معمودية للبيت ففي الغد

جميع الابواب يتراآون مزينين بالسوسنات الحمر . النساء يضمن اطعمة على القبور والقوالون والدفوف يرتلون على القبور كردياً ويعطون لهم فضّة . والاطعمة لعابري الطريق والمساكين الذي ليس لهم اطعمة وفضة. العارف يدور ويترحم القبور . بيوم السرسالي لا يدقون الدفوف لان الله جالس على الكرسي ويأمر ان يجتمع اليه العارفون والقريبون اعني الشوشينات يقول لهم انا انزل الى الارض بالتبجيل والتسبيح يقومون جميعهم ويفرحون قدام الله. يلقون قرع التمشير عليهم يحتم الله والمتهيئين عنده. ويعطى اليه الكبير صكاً لان الذي ينزل على الارض ويسلم بيده السلطان ان يصنع كل شيء كارادته الله لا يشاء بالصوم والصلاة لكن بالخير والصدقة (١١) يريد . لما يصوم واحد من الكواجكة اربعين يوماً من الصيف او الشتاء . واحد من العلماء يجيب له وليمة . ينحل صومه ان يقول هذه الصدقة سنجق فلان. سجادين او شيخ شمس وآخر واحد من الاصنام اصلح هو من الصوم حينئذٍ . رجل السنة اعني عشار تلك السنة لما ينظار الصدقات ناقصة يضربهم بعصوات كالموت والفزع ولما يعطي لهم فضة وغير الكواجكة يتقاتلون مع الجنود الروحانيين ويرجّعون غضبه من عليهم . كل جمعة يقربون للصنم حملاً واحداً من الصدقات يقف الخادم على سطح الكوجك ويصرخ ثلاث مرات بصوت عال ويقول دعوة نبي اعني وليمة فلان هي وجميعهم ينصتون باهتمام وايجاب لهذه . وكل واحد منهم يقبّل الارض او الحجرة التي عندها تتكئ . وايضاً لما تشرق الشمس حيث تتراءى يقابلوها (١٢) وايضاً بغروب النهار يصنعون هكذا . وايضاً للقمر يسجدون بشروقه وغروبه . يظنون بكثرة الصدقات والهدايا يدحضون منهم الضربات والتأديبات . كتبنا قلوبنا هم يقولون. اذ يعترفونا كل شيء من آدم الاخير ولفوق حتى الى الآن. وعلى زمن الحاضر والمستقبل يوجد شكوك وتعم كثير بين الكواجك. واحد يجرّب رفيقه . لكن يقولون فكيف يظهر لهم بالاكتشافات ورويات يظاهرون وجوهاً متغيّرة وازماناً . والباقي يقولون المسيح هو شيخ شمس . وفي كل حين يوجد عندنا انبياء اعني كواجك . واحد منهم قال كنت بسفينة يونان النبي لما طرحوه في البحر اربعين ليلة مع ايامها مكث بالبحر . آخر قال بالمجلس مع الله كنت جالساً سألني الله وقال لي عيني اليس زمان ان ارسل المسيح للعالم .

قلت له نعم . ثم ارسله من بعد ما صنع له آية بالشمس نزل للارض . اروى فقط لانتنا ذخائر سبعة الموضوعين الآن بشيخ ادى . (١٣) الفرباء لا يحفظون الترتيب مثلنا وليس لهم جنس معلوم ومسمّى كمثل ما يوجد لنا . ولا بتغيّر القضا . الامير ابن الامير وشيخ ابن شيخ وكوجك الباقي . لكن النصارى والاسماعيليين يسلون قسوس وملالى من الذين قطعاً ليس كان بجنسهم وقبيلتهم. القوالون لا يعتبرون موسى على وجههم قطعاً . بوقت الزواج يجيبون رغيف خبز واحد من بيت الشيخ يعطون نصفه للختن ونصفه الآخر للعروس ويأكلوه كناموس الزواج او قليل من تراب شيخ ادى عوض الخبز يأكلون . امـا العارف اعني الشيخ بعيد منهم . بكل بيت يحفظ من تراب شيخ ادى، للبركة كالمحنة هو عندهم . اذا وجد منهم يخطف امرأة رفيعة وغيره يلزم ان يعطى عرضها فضّة او امرأته الاولى او اخته او امّه . والى آخر شهر نيسان محرم الزواج بالذي هو راس السنة سوى من الكواجك وغيرهم اذ يتزوّجون به ما اذن لهم . لا يطيق واحد عامّي يأخذ بنت الكوجك (١٤) والباقي الّا كل واحد من قبيلته وجنسه ودرجته سوى، من امرائهم مأذن له ان يأخذ كل من يشتهيها بغير منع . من ابن عشر سنين حتى ثمانين سنة مأذن الزواج لامتهم . ومن امرأة واحدة للستة يأخذون واحدة بعد واحدة. البنت ليس لها وراثة عند ابيها الّا بيتها كالبستان وان كان لا تريد ان تتزوج توفى لابيها فضة شيئاً من الخدامة وتعب ايديها تعتق. بالحدور يشربون مسكرًا وخمرًا فقط الكوجك واثنان او ثلاثة شيوخ لا يشربون . الرقص الباغي والتشرّق للذكور وللاناث يباح لهم ان يرقصوا من قبل ان تأتي العروس لبيت الختن يلزم ان تفتقد كل شخص اعني قائمات الاصنام . وايضاً بيعة النصارى ان كانت مستقبلة بطريقها لما تبلغ بيت الختن يضربها بزلط اعني حجرة صغيرة يبيّن ان تحت سلطانه يجب لها ان تكون (١٥) ويكسرون رغيف خبز على رأسها اعني ان تكون محبة للمساكين . وليلة الجمعة والاربعا، يمنع من المضجع مع العروس . اذ يموت واحد من اليزيديين اذ يوجد عنده كوجك . اولًا يجيبون قليلًا من تراب شيخ ادى يضعونه بفيه وايضاً على وجهه يمسحونه قبل دفنه . ويضعون قليلًا من بعر النعم على قبره . ذلك الذي مات ويقربون اطعمة عوض الاموات الكواجك

يتزينون بين القبور ويصلون لكي يأخذون فضة. ويسهرون ويهمرون بالروايات والاحلام والاكتشافات ان يعترفوا لاهل الميت ماذا صار بعد موته . او بأي صورة رشه او ايضا رجع او يأتي لهذا العالم مرة ثانية . منهم اشرار ارواحهم تحلّ بالكلب والخنزير والحمار والفرس. تتعذب مدّة من الزمان وبعد ذلك تحلّ ايضاً في البشر . ويوجد منهم يخفون الفضة تحت الارض .(١٦) ومنهم يظنون انه توجد ارواح الابرار والصديقين منهم تدور بالهواء يعترفون ويكشفون لهؤلاء الذين في عالمنا الخفيات للكوجك يلزم قدر شكرهم يميت ويحيي ايضاً لمن يريد. محمد رشان هو وراء جبل شيخ ماو متى فظن انه قوي وشديد جداً يقسمون به اقسامات اذ انسان منهم يتمرض يلتجئون بالحاسين اعني قائمات الاصنام . واحد منهم يدعى ست نفيسة . الذي هي شجرة توت في قرية بيشيقة . وآخر على حجر عبدى رشو . الشجرة هي توت في قرية خرابك اسمها . واذا واحد منهم يقع في مرض اصفر الذي يدعى ابو صفار يمضي على عين ماء الصفراء التي تدعى عندهم كاني زر . والذي يكون به اورام يمضي لبيت البير الذي في قرية مام رش . واذ يجتمعون لشيخ ادى لا يأذن لواحد منهم ان يطبخ سوى من مائدة شيخ ادى . الكواجك كل(١٧) واحد منهم يوجد له حجرة واحدة يجلس هناك كمن يصلي . واناس اخر منهم يمضون عنده يلتجئون به بالشفاعة ويعطون له فضة . وينذرون لتلك الحجر ثيراناً وغنماً والباقي. وكل من يأخذ وصلة لحم من قدر الشيخ ادى يوفي عوضها فضة دون من شيخ ادى وشيخ شمس الدين وملك فخر الدين . هؤلاء تضمنوا من رأس السنة واخذ فضتهم اميرهم . فلما يجتمعون بهم يأكلون ويشربون ويرقصون ويلعبون . خادم الامير مع الشيوخ يهدّون المقاتلات والخصومات التي تصير في الاجتماع . محرّم الاجتماع الزواج عند الشقوحي لانها مكان مقدسة تظن . اذ يأكلون كبد رش اعني لحم ثور المنذور المطبوخ يمضون ويسبحون بماء الزمزم الذي ينبع من تحت هيكل الشيخ الذي بشيخ ادى بلغافة واستعجال وبغير ترتيب يخطفون من القدر اللحم فنهم يوجد(١٨) الذي يمدّ يده تحترق . وبعد ذلك يصعدون لجبل عال ويضربون تفنكات ويتزلون لشيخ ادى ويأخذون من كل واحد منهم تراب للبركة لوقت الموت والزواج . ثم يلبسون احلاتاً مشتبكة اعني رباط الظهر يمتدون بماء

الزمزم السناجق والخ. واحد الذي يدعى جاويش يلبس هرارًا منسوجاً من شعر الماعز وجاكونة تسعة اشبار طولها منسوجة من مرعز الماعز ومصبوغة بقرمز او اسود حوله معلقة سلاسل . ولما يتمون يجيبون جميع الفضة المجموعة عند الامير ويقسم عليهم بينهم كارادته بقدر درجتهم وخدمتهم والباقي خاصته وله هو . ايضاً يوجد اجتماعان آخران واحد في عيد الحجاج الذي به يصعدون للجبل الذي يسمّونه جبل عرفات . يمكثون هناك ساعة واحدة ويسرعون لشيخ ادى بجدة وكل من يصل اولاً يقبل ازيد من(١٩) رفيقه وهكذا الواحد بعد الواحد بقدر القوة والخفة والطاقة. ايضاً يوجد اجتماع آخر يدعوه طريق الكواجك يربطون حبالاً برقبتهم ويصعدون للجبل هناك يجمعون خشباً ويجيبون الى شيخ ادى اذ حاملين على ظهورهم الوقود ولاحماط الاسير يقولون انه كان لهم ملوك اوليون من قديم بكل ارض في روسية وفرنسة وغسة ومسقوف وصين وعجم .

يوجد عندهم شخص عظيم يسمّونه يديبوب يظن انه عذيوب . احاب بني اسرائيل وبختنصر لبابل واحشوراش للفرس واغريقالوس لقسطنطنية وغير . وهؤلاء ملوك امتنا هم كانوا بوقتهم . تبردك هو ناصر الدين . كاوش هو فخر الدين اوطيس هو شمس الدين محبوبين عندهم . شلدبر ويورام تناسلوا من تواليد ملوكهم حتى لزماننا هذا الذي هو الفان ومائتان لليونانيين(٢٠)والف وثمانماية وتسعة وثمانون لربنا . والف وثلاثمائة وخمسة لمحمد يحرمون مأكولات كالحمص واللوبيا وكل لباس مصبوغ بصبغة سوداء يغسلون اصنامهم بماء السماق الحامض لانهم مسبوكون من نحاس اصفر وماء غسالة الاصنام يسقونه بني امتهم شفاء بالفضة . واذ يأتي صنم لقرية واحد يجتمعون اذ هم مزينون الصغار مع الكبار والذكور والاناث يخرجون للقائه . اذ القوالون بالشبابات والدفوف يعيّدون لذلك اليوم. يدخلون الصنم لقريتهم بزياح واكرام ويحلّوه في بيت انسان غني الذي بهم . يذبحون له قرابين ثيراناً وغنماً وغير ذلك ويبيترن اطعمة ويعطون فضة.

ايضاً تاريخ اليزيدية في الموصل واطرافها

في زمن المقتدر بالله سنة ٢٩٠ هجرية كان منصور الحلاج وشيخ عبدالقادر الكيلاني ظهر شيخ عادي (٢١) من جبال الحكاوية اصله من اطراف حلب

او من بعلبك جاء وسكن جبل لاموش قريب في مدينة الموصل نحو تسعة ساعات . وبعض قالوا انه من اهل حران . ونسبته الى مروان بن الحكم فانه شرف الدين ابو الفضائل عادي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسين بن مروان .

وفاته سنة٥٥٨ وقبره الآن معلوم يزار قرب قرية باعذرى من الموصل احد عشر ساعة. اليزيدية هم نسل الذين كانوا مريدين وتلاميذ الشيخ عادي المذكور. وغيرهم ينسبوهم الى يزيد ومنهم الى حسن البصري . وينقسمون الى سبع طبقات وكل طبقة منهم لها وظيفة مختصة بها غيرها ما يمكن ولا يقدر بان يعملها . اولاً الشيخ الذي هو خادم التربة ونسبه من امام حسن البصري لا احد يفتري او يمضي الى الشيخ الذي هو خادم (٢٢) تربة الشيخ عادي . وعنده علامة يضعها على جسده كالزنار وعلى يده شبكة كرشة الجمل . فاذا احضر بينهم يخضعون له بالذل والاحترام والانكسار ، ثانياً الامارة وهي منسوبة ومخصوصة بذرية يزيد . وبيدهم شجرة النسب من الاباء والجدود الى يزيد . وهم يتصرفون بحال جسداني وسياسة وحكومة وشرف وامر ونهي ثالثاً القوال مختص به خدمة الدفوف والشبابات والمدايح. رابعاً البير مختص به الصوم والتزيين والافطار . خامساً الكوجك مختص به تلقين وتكفين دينية وتبين مكاشفات حلمية كالنبوية سادساً الفقير مختص به جميع البنين والبنات يعلمهم دق الدفوف والرقص ولو ديني وخدمة الشيخ عادي سابعاً الملا مختص بتعليم الاولاد وحفظ الكتاب واسرار دينية وامور الملية.(٢٣)الشيخ مختص بالانبياء والاسر مالك رقابهم وامورهم . اخذوا الصوم والضحية من الاسلام. والتعميد من النصارى . وتحريم مأكولات من اليهود . والسجود من الوثنيين . والمخالفة من الروافض. وذبح الاشخاص من الجاهلين. وسلوكاً وتناسكاً من الصابيين. يقولون اذا خرجت روح الانسان من جسده تدخل في غير انسان اذا كانت صالحة وفي الحيوان اذا كانت طالحة . اليزيدية يسجدون للشمس والقمر . ومشايخهم يبيعون لعوامهم من الجنة مكاناً وذلك بدراهم . لهم كتاب واسمه جلوة ينسبوه لشيخ عادي . وما يقبلون احداً من غير ملتهم بان يقرأه او يراه.

ومنه خرافات وحكايات غريبة وخارجة عن كل مذهب . يذكر فيه بانه يوجد سبعة وواحد من السبع(٢٤)آلهة هو السيفوري رئيس ملائكة الساقطين العاصين وهم يسمونه ملك طاوس ويعملون له صورة مسبوكة من النحاس شبه طير في الاغلب يشبه ديك الدجاج العادي ويسجدون له ويمدحون ويدقون دفوفاً قدامه . وبنوع الحيلة يرقصونه كأن هو يفرح معهم لما يجتمعون حوله في المدن او القرى لانه يفتلونه ويجمعون بزيارته دراهم من العوام . اذا دخلت هذه الصورة في بيت احدهم يصير مباركاً ويتشرف . وبعضهم يقولون شيخ عادي هو من لاهوت . غيرهم قالوا لا بل هو مثل وزير عظيم ومعتبر عند الله .وكل الامور تصير بشوره وتدبيره والخ. ويذكر في كتابهم بان علة الاولى هو الله اكبر قبل خلقه هذا العالم كان يتنزه على البحر وبيده درّة كبيرة كان يلعب بها ثم اراد القائها في البحر وتكوّنت منها هذه الدنيا ويزعمون بانهم ليس هم من نسل باقي بني اسرائيل بل ولد كان(٢٥)لآدم من تفلته وصاروا وتناسلوا من ذلك الولد كان جبلتهم هي اشرف وانظف واقدم بالقبول عند الالهة.وهذا دور ملك ونوبة ملك طاوس الله هو يدبر هذا الكون من مدة ستة الاف سنة ويكون التدبير بيده الى عشرة الاف سنة اله الثاني بيدي يدبّر الكون الى عشرة الاف سنة اخرى . وذلك الى ما لا نهاية له . ويوجد اتّفاق بين هذه الالهة السبعة . ويذكر في كتابهم المسمّى الجلوة بانه في مدة الله عزم الشيخ عادي الى السماء هو مع مريديه وهناك اعني في السماء ما كان يوجد تبن ليأكلوه دوابهم . فأمر الشيخ عادي مريديه بان يأتوا بالتبن من بيادره فلمّا كانوا ينقلون التبن سقط بعض وبقي علامة في السماء الى زماننا هذا . وهو معروف مسجد الكبش. التبن يصير من المشرق الى المغرب وبيان قريب كل سنة(٢٦) ويزعمون بان الصلوة هي القلب لذلك ما يوجد قانون او فرائض الصلاة بكتبهم. على زعم البعض ان شيخ عادي ذهب لزيارة مكة مع شيخ عبدالقادر الكيلاني وبقي هناك اربع سنين . وبعد غيابه تمثل وتشبّه الشيطان كصورته وقال لهم كذا وكذا ورتب لهم قانوناً وغاب. وبعد مدة اربع سنين جاء الشيخ عادي ورذّلوه وما قبلوه لزعمهم بانه غاب او مات او راح الى السماء وبعد موته ظهر الشيطان وقال هذا هو الشيخ عادي عينه لذلك رفعوه وجعلوا تربته مزاراً لزيارته

افضل عندهم من مكة. وكل يزيدي يلزم ان يزوره اقل ما يكون مرة واحدة في كل سنة . والذي ما يزوره ولا يعطي ترضية مبلغ معلوم من الدراهم على يد شيخ بحضور صورة ملك طاوس هو كافر. يفضلون جبل لالش على الكعبة (٢٧) يقولون ان الذي يزور تربة الشيخ عادي في جبل لالش هو افضل قبول عند الله من الكعبة وغير ذلك يقولون بان في يوم القيمة شيخ عادي يحمل في طبق على رأسه جميع اليزيدية ويدخلهم الى الجنة بلا حساب ولا كتاب ولا دينونة ولا ولا. شيخ عادي هو واحد الذي اتخذ له مريدين واعطى لهم طريقة ومنه بدأت المشيخة . وكان موصوفاً بالعبادة والرياضة . وكان يسمع وعظ الشيخ عبد القادر الكيلاني من بغداد وهو في جبل لالش وكان يخط دائرة في الارض ويقول للمريدين كل من يريد ان يسمع وعظ الكيلاني فليدخل هذه الدائرة . ومنه بدت هذه العادة عند اليزيدية اذا وقع امر مشكل يلزم منه قسم ويمين يخط الشيخ دائرة ويدخل فيها الذي يحلّفونه يميناً . لا يأكلون الخس لانه على زعمهم مرّ شيخ على البستان فسئل عنه فلم يجبه (٢٨) فقال الشيخ عادي هُس فلهذا لا يأكلوه يقولون شهر رمضان كان اصمّ واطرش. فلمّا امر الله صوماً على النصارى والاسلام امر اليزيدية وقال لهم بلسان الكردي سي معناه ثلاثون وهو افتهم سي اعني ثلاثة فقط لذلك يصومون ثلاثة ايام من شهر سيروز الرمضان. ويوجد قبب كثيرة حوالى الشيخ عادي وكل قبة تناسب شيخاً واحداً من المشايخ مثل شيخ عبد القادر الكيلاني وشيخ قضيب البان وشيخ شمس الدين وشيخ منصور الحلاج وشيخ حسن البصرى ويجعلون على كل قبة من هذه القبب علماً من الخام علامة غلبة ونصر المشايخ . ما يأكلون لحم الغزال . بقولهم عينها تشبه عيون شيخ عادي . ولهم اعتقاد بانه في عالم المزمع يوجد اكل وشرب وتنعم باللذات الحسية الجسدية . بعضهم قالوا ان حكم السماء بيد الله وحكم الارض بيد شيخ عادي . وغيرهم (٢٩) قالوا ما هو شريك الوهاب بل مقبول وعزيز وذو خاطر متى ان يضع مرامه بكل شيء . يعتقدون بالحلول واسكان ارواح مع ارواح او تحوّل من مكان الى غيره جيد او ردي حسب استحقاقها والانعام عليها يقولون لما خرجت روح منصور الحلّاج من جسده حتى امر حاكم بغداد بقتله طافت الروح على الماء

فاتفق ان اخته اتت بجرتها وقت المساء للماء وملئتها من ماء الدجلة ولم تشعر بالروح حين دخلت جرّة المملوة فاتت بها الى الدار واصابها الظما. وشربت بلا اشعار فدخلت الروح المذكورة في بطنها وهي لا تدري من عاقبة امرها الى ان ظهر الحبل وبان وتمت مدّة حملها فوضعته بعينه كما كان فصار الشيخ اخاً لها من النسب وابناً لها في الحسب. لذلك ما يستعملون شربات التي يكون فيها ضيقاً او بها شبابيك لاجل توصيتها اكراماً للشيخ منصور المذكور (٣٠) حين القوا رأسه في الماء وهو يفور فصار للماء هدير وصوت على زعم البعض انهم ينتظرون نبياً من العجم يأتي وينسخ شريعة محمّد ودينه بسنة ١٢٨٩ هجرية جاء من قسطنطنية من طرف سلطان الاسلام مأمورًا اسمه طاهر بك ميرالاي لكي يأخذ نظرات (نفرات) نظام للعسكرية من الموصل واطرافها من ملة اليزيدية المذكورة فقدّموا اميرهم وبيرهم وشيخهم والباقي بعذر واسباب بانهم ما يمكن ان يصيروا عسكرًا ولا يختلطون مع ملة الاسلام وهذا العذر . اولاً حسب ديانة اليزيدية لازم على كل نفر منهم صغير وكبير امرأة او بنت في كل سنة ثلاث مرات ان يزور شكل الطاوس الملك . وذلك من ابتداء شهر نيسان الرومي الى آخره . ومن ابتداء شهر ايلول الى آخره ومن ابتداء شهر تشرين الثاني الى آخره . واذا ما صار كما قيل اعني يزيدياً ما اراد ذلك كفر . ثانياً يلزم كل شخص ونفر من طائفة (٣١) اليزيدية أن يزور تربة الشيخ عادي بن مسافر في كل سنة مرة واحدة. وذلك من خامس عشر شهر ايلول الى العشرين. واذا ما ادّى ذلك كفر . ثالثاً يلزم على كل نفر يزيدي كل يوم بوقت طلوع الشمس بان يزور موضع شروق الشمس عليه بشرط ان لا يكون يراه مسلم او نصراني او يهودي واذا ما صنع ذلك كفر . رابعاً يلزم كل نفر يزيدي كل يوم بان يقبل يد اخيه اخ الآخرة اعني خادم المهدي ويد شيخه وبيره وان لم يؤد ذلك كفر . خامساً ما يمكن ان يسمع ويحتمل يزيدي صلاة مسلم لانه يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . اذا سمع يزيدي ذلك حسب قواعد ديانته يلزم بان يقتل القائل والّا يقتل نفسه وان لم يفعل ذلك يحسب عندهم كافرًا. سادساً لما يموت واحد يزيدي يلزم ان يكون موجودًا عنده اخوه الآخرة وشيخه

وبيره (٣٢) وواحد قوال يقول عليه ثلاثة اقوال وهي يا عبطاوس ملك يلزم بان تموت على دين معبودنا وهو طاوس الملك ولا تمت عـلى دين غيره . واذا جاءك واحد وقال مت على دين الاسلام او النصارى او اليهود او غيره ذلك من الملك فلا تصدقهم ولا تؤمن بهم . واذا صدّقت او آمنت من دون دين معبودنا تموت كافرا. سابعاً عندهم شيء يسمّونه بركات الشيخ عادي يعني تراب تربة الشيخ لازم على كل نفر يكون موجود عنـده مقدار موضوع في جيبه ويأكل منه عند كل صباح وان لم يأكل تعمدًا يكون كافرًا في وقت موته . ثامناً يلزم على كل نفر من طائفة اليزيدية بانه اذا صام يكون يصوم بمحلّه لا بمكان آخر لانه كل يوم من الايام يصومه وقت الصباح يلزم بان يروح لبيت شيخه وبيره يمسك صيامه(٣٣) الى وقت الافطار. وايضاً يلزم ان يروح عندهم ويفطر من يدهم من خمرٍ مقدّس واذا ما شرب ذلك من يدهم يكون صومه غير مقبول ويحسب كافرًا . تاسعاً اذا سافر واحد يزيدي وبقي في بلاد آخر نحو سنة بوجوه تحرم المرأة عليـه وما يعطوه امرأة غيرها واذا اعطوه صار كافرًا . عاشرًا من طرف الملبوس اخ الآخرة او اخت الآخرة يلزم بان تفتح زيق القميص الجديـد لكل واحد. واذا لم تفتحه ويلبسه يكون كافرًا . الحادي عشر كل يزيدي الذي يعمل له ثوباً جديدًا او لباساً يلزم بان يعمّده في ماء مبارك الموجود في حضرة الشيخ عادي وان لم يفعل ذلك كفر. الثاني عشر مـا يمكن يزيدي بان يلبس ملبوساً كحلياً قطعاً ولا يتمشط بمشط مسلم او نصراني او يهودي او غير ذلك ولا يمكن ان يحلق رأسه بموسى هؤلاء المذكورين. واذا الجأت الضرورة يلزم غسله بماء شيخ عادي وخلاف(٣٤)ذلك يكون كفرًا. الثالث عشر اليزيدي حسب اعتقاده ما يدخل الطهارة ولا يدخل حماماً ولا يأكل بملعقة مسلم ولا يشرب بشربته او غير ملل السائرة . واذا عمل خلاف ذلك يكون محسوباً كافرًا. الرابع عشر يوجد اختلاف كثير بمواكيل اليزيدي عن باقي الملل اليزيدي ما يأكل سمكاً ولا قرعاً ولا بامية ولا فاصولية ولا لهنة ولا خساً حتى ان المكان الذي يكون مزروعاً خساً هو حرام ونجس عندهم لاجل هذه الاسباب وغيرها ما يمكن يزيدي بان يكون عـسكرياً فلمّا قدموا

عرضحالًا بهذه الصورة واعطوا مبلغًا من الدراهم للحكومـــة رضى طاهر بك ميرالاي وان كان ضرب بان يكون يعطون بدلًا اعني عوض كل نفر الذي يقع عليهم مأة ليرة اعني عشرة الاف غرش . وبقوا على هذا الاسلوب الى يومنا هذا وهي سنة ١٢٠٥ هجرية (٣٥) يوجد يوم معلوم تجتمع طائفة اليزيدية من مكانات كثيرة بعيـــدة وقريبة الى تربة الشيخ محمد في قرية بعشيقة ويسمّون هذا الاجتماع طوافة.ومدة ثلثة ايام مع لياليها يصرفونها هناك بالاكل والشرب مع شرب الخمر والعرق وسائر مسكرات السجة وفي طبول وزرافي آلة الطرب ورقص الرجال والنساء سوية ويصير خطأ بذلك لا كفارة كما يزعمون.ويقولون كان شيخ عادي مجاهدًا وعابدًا وتقيًا حتى كانت الحيات تألفه والهوام والسباع والغ. وكان يكشف لمريديــه مكاشفات واسرارًا كما ان الآن بعض من مشايخهم ينطقون في علم الغيب وامور الماضية والمستقبلة كالنبوات والوحي ومكاشفاتهم هي بخلاف كتب الالهية وضد عقول البشرية . كما زعم شيخ من شيوخهم بأنه رأى شخصًا طويلًا طوله نحو ستين زراعًا . وغيره رأى زي جاموس (٣٦)وغيره حيّة وهذه عن اوليائهم ومشايخهم وزياراتهم يرون لهم بهذه الاشكال وغيرها يزعمون ان شيخ عادي كان يسكن جزيرة السادسة عن البحر المحيط وكان يأمر الريح ان تسكن فتسكن لوقتها . تمت تواريخ اليزيدية .

وايضاً نكتب ملتقطات من كتاب اليزيدية المسمّى جلوة الموجود قبل كل الخلائق ملك طاوس ارسل عبطاوس على هـــذا العالم لكي يميّز ويفهم لشعبه الخاص من التيه . اولًا ذلك بالتسليم وثم بالكتاب هذا الجلوة. الذي ما يجوز للخارجين ان يقرؤه (احمر) .

كتاب الجلوة – الفصل الاول

انا كنت وموجود الآن وابقى الى النهـــاية بتسلط على الخلائق وتدبير مصالح وامور لكل الذين تحت حوزتي . حاضر انا سريع للذين يثقون بي ويدعونني حين الحاجة ما يخلو عني مكان من الامكنة (٣٧)مشترك انا بجميع الوقائع التي يسمّونها الخارجون شرورًا . لانها ليست مصنوعة حسب مرامهم . كل زمن له مدبّر وذلك بشورى كل جيل يتغيّر رئيس هذا العالم حتى الرؤساء

يكون كل واحد بدوره ونوبته يكمّل وظيفته . اعطى رخصة حسب حق الطبيعة المخلوقة باخلاقها . يندم ويحزن الذي يقاومني . الآلهة الاخر ليس لهم مداخلة بشغلي ومنعي عن حبها قضية مهما كان .

الكتب الموجودة بين الخارجين ولو كتبوها الانبياء والمرسلون لنا لكن زاغوا وباغوا وبدّلوا . وكل واحد يبطّل الآخر وينسخه . الحق والباطل معلوم حين وقوعهم من التجربة . وَعدي للذين يتكلون على ميثاقي او اخالف حسب رأى المدبّرين الحذاق الذين وكّلتهم لاوقات معلومة مني .

اذكر اموراً واحرّك اشغال اللازمة بحينها (٣٨) ارشد واعلّم للذين يتّبعون تعليمي ويجدون لذّة وفرحاً بموافقتهم معي .

الفصل الثاني

اكافي واجازي نسل هذا آدم بأنواع اعرفها . بيدي التسلط على كل الارض وفوقها وتحتها . ما اقبل مصادمة غير عوالم وما امنع خيرهم خصوصاً للذين هم خاصّتي وبطوعي . اسلم شغلي بيد الذين جرّبتهم وهم حسب مرامي : اترآئى بنوع من الانواع وشكل من الاشكال للذين هم امينون وتحت شوري . آخذ واعطي اغنى وافقر اسعد واشقي حسب الظروف والاوقات . وليس من يحق له ان يتدخل ويمنع شيئاً من تصرّفي . اجلب الاوجاع والاسقام على الذين يضاددونني . ما يموت الذي هو من حسبي لسائر بني آدم . ما اسمح لاحد بان يسكن بهذا العالم . وهذه الدنيا اكثر من الزمن (٣٩) الذي هو محدود مني . واذا شئت ارسلته تكراراً ثانياً وثالثاً الى هذا العالم او غيره بتناسخ الارواح .

الفصل الثالث

ارشد بلا كتاب . اهدي غيباً احبّائي وخواصي بتعليمي . هو بلا كلفة . موافق للحال والزمان .

اقاصص الذين يخالفون شرايعي لعوالم الاخر . بنو آدم هذا ما يعرفون احوال المزمعة لذلك يسقطون اوقاتاً كثيرة بغلط . حيوانات كثير وطيور السماء وسمك البحر جميعهم بيدي وتحت ضبطي . الخزائن والدفائن المطمورة تحت قلب الارض معلومة . واخلفها من واحد للآخر . اظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبونها مني بحينها . مضاددة ومخالفة الاجنبيين لي ولاتباعي هو

ضرر لفاعليها لانهم ما يدرون العظمة والثورة هما بيدي . واختار من يليق لها من نسل بني آدم . تدابير (١٠) العوالم وانقلاب الاجيال وتغيير كل مدبّريهم منظومة شيء من القديم . .

الفصل الرابع

حقوقي ما اعطيها لاحد غيري من الآلهة. اربعة عناصر واربعة ازمنة واربعة اركان سمحت بها لاجل ضروريات المخلوقين . كتب الاجنبيين مقبولة نوعاً بالذي يطابق ويوافق سنّتي . وما يخالفه هم غيّروه . ثلثة اشياء هي ضدي وثلاثة اسماء ابغضها . الذين يحفظون اسراري ينالون لا بد ان اكافيهم بأحد العوالم . اريد بان يتّحدوا برباط واحد كل ما تبقى لاجل مضاددة الاجنبيين لهم . يا الذين تبعتم وصاياي انكروا اقوال وتعاليم التي ليست من عندي . لا تذكرون اسمي وصفاتي لئلا تذنبوا. لانكم لستم تدرون كما يفعلون الاجنبيون.

الفصل (١١) الخامس

اكرموا شخصي وصورتي لانهم يذكّرونكم بي ما اهملتموه من سنّتي وشرائعي اطيعوا واصغوا لخدّامي بما يلقّنونكم من علم الغيب الذي هو عندي.

٥

مصحف رش . اعني كتاب الاسود . في البداية خلق الله درّة من سرّه العزيز . وخلق طير اسمه انفر وجعل الدرة فوق ظهره وسكن عليها اربعين الف سنة . (احمر).

اول يوم خلق يوم الاحد ملك اسمه عزرائيل وهو طاوس ملك رئيس الجميع. ويوم الاثنين خلق ملك ورداثيل فهو شيخ حسن . ويوم الثلاثاء خلق ملك اسرافيل فهو شيخ شمس . ويوم الاربعاء خلق ميخائيل فهو شيخ ابو بكر. ويوم الخميس خلق عزرائيل لعلّه ميكائيل او غيره فهو سجّادين . ويوم الجمعة خلق ملك شمنائيل فهو ناصر الدين . ويوم السبت خلق ملك نورائيل فهو يدين ملك طاوس جعله (١٢) رئيساً عليهم . بعده خلق صورة السبع سموات والارض والشمس والقمر. فخر الدين خلق الانس والحيوان والطيور والوحوش ووضعهم في جيوب الخرقة . وطلع من الدرة ومعه ملائكة . صاح صيحة عظيمة على الدرة انفصلت وصارت اربع برجات ومن بطنها خرج الماء وصار بحراً كانت

الدنيا مدوّرة بلا فراق. خلق جبرائيل بصورة الطير وارسل بيده وضع قراني. ثم خلق مركباً ونزل بتركب ثلاثين الف سنة وبعده جاء سكن في لالش اسم جبل . صاح في الدنيا جمد . وصارت الدنيا ارضاً. بقوا يهتزون امر جبرائيل جاب برجتين من الدرة البيضاء وضع واحدة تحت الارض والاخرى في باب السماء. فسكنت . ثم جعل منهم شمساً وقمراً . وخلق نجوماً من نثريات الدرة (٤٣) البيضاء وعلقهم بالسماء للزينة . وخلق اشجار مثمرة ونباتات في الارض والجبال لاجل زينة الارضين . خلق عرشاً على العرش . الرب العظيم قال يا ملائكتي انا اخلق آدم وحواء اجعلهم بشراً ومنهم يكون من سر آدم شهر بن سفر ومنه تكون ملة على الارض وثم ملّة عزرائيل اعني طاوس ملك وهي ملّة يزيدية ثم ارسل شيخ عادي بن مسافر من ارض الشام واتى الى لالش . ثم نزل الرب الى جبل الاسود وصاح وخلق ثلثين الف ملك وفرقهم ثلاثة فرق وبدوا يعبدونه اربعين الف سنة ثم سلمهم الى طاوس ملك وصعد بهم الى السموات . ثم نزل الرب لارض القدس . امر جبرائيل جاب تراباً من اربع زوايا الدنيا . تراب . هواء . نار . ماء . (٤٤) خلقه وجعل منه روحاً ومن قدرته . وامر جبرائيل ان يدخل آدم الى الفردوس ويأكل من كل ثمر الشجر فقط حنطة لا يأكل . بعد مئة طاوس ملك قال لله فكيف يكون يكثر ويزيد آدم وابن نسله . قال له الله الامر والتدبير سلّمته بيدك . جاء قال لآدم اكلت حنطة . قال لا لان الله نهاني قال كل يصير لك احسن . بعدما اكل حالاً نفخ بطنه طاوس ملك اخرجه من الجنة وتركه وصعد الى السماء. ثم ان آدم تضايق من بطنه لانه ما كان له مخرج ارسل الله طيراً وجاء ونقره وفتح له مخرجاً فاستراح . وجبرائيل غاب عنه مئة سنة حزن وبكى مئة سنة . الله امر جبرائيل جاء وخلق حواء من تحت ابط آدم الايسر . ثم نزل ملك طاوس الى الارض لاجل طائفتنا المخلوقة . واقام لنا ملوكاً (٤٥) ما عدا ملوك الآثوريين القدماء . نسروخ وهو ناصر الدين. وكاموش وهو ملك فخر الدين وارطيموس وهو ملك شمس الدين وبعد ذلك صار لنا ملكان شاور اول وثاني ودان ملكهم ماءة وخمسون سنة ومن نسلهم قام امرآؤنا الى الآن . وبغضنا لاربع ملاك حرّمنا الخس علينا لانه على اسم نبيّتنا الخاسة . واللوبيا وسبغ

الكحل وما نأكل سمكًا لاجل احترام يونان النبي . والنزال لانهُ عنم احد انبيائنا . والشيخ وتلاميذه ما يأكلون لحم الديك احترامًا للطاوس والطاوس هو واحد من الالهة السبعة المذكورة لان صورته تمثال الديك . وتلاميذ الشيخ ما يأكلون قرعًا . وحرام علينا البول وقوفًا ولبس اللباس قعودًا وستخلاننا ادبخانه وغسل الحمام (٤٦) ما يجوز ان نلفظ شيطان لانه اسم الهنا ولا بكل اسم يشابه ذاك مثل قيطان وشط وشر ولا لفظة ملعون ولعنه ونعل وما اشبهه. قبل مجي المسيح الى هذا العالم دياننا كانت تسمى وثنية اليهود والنصارى والاسلام ضاددوا دياننا والعجم ايضاً. كان ملوك احاب واميراه منا حتى كان يسمون اله احاب بعلزبوب والآن يسمونه عندنا بيربوب . كان لنا ملك في بابل اسمه بختناصر . وفي العجم احشوراش وفي قسطنطنية اغريقالوس انه قبل لون السماء والارض وكان الله موجودًا على الابحار . وانه كان صنع له مركباً وكان يسير في كينونات البحار منزهاً في ذاته . انه خلق من درته وحكم عليها اربعين سنة ومن بعد ذلك على الدرة (٤٧) غضب ورفسها . فيا للعجب من ضجيجها جبال ومن عجيجها التلال . ومن دخانها السموات . صعد الله الى السماء وجمد السموات وثبتها بغير عواميد . تفل على الارض اخذ قلماً بيده وبدا في كتابة الخلقة كلها . خلق ستة آلهة من ذاته ومن نوره وخلقتهم صارت كما اذا اوقد انسان سراجاً من السراج الآخر . فقال الاله الاول لآله الثاني انا خلقت السماء فقط اصعد انت الى السما واخلق شيئاً ما فصعد وصار شمساً. وقال للآخر فصعد وصار قمر . الرابع خلق الفلك . الخامس خلق القرع اعني نجمة الصبح . . تمت.

قال مترجم هذه القصة هذا ما (٤٨) وجدناه من كتاب صورة ايمان طائفة اليزيدية ونحن ايضاً نسخناها لكي كل من يشرف اعتقادهم يقول يمين الله. كتبت في ١٩ نيسان سنة ٣٢٢ . تمّ (احمر) .

=

تحريرًا في العشر الرابع من الثلث الثالث من شهر شعبان المعظم المندرج في شهور سنة الخامسة والعشرين بعد الثلاثمائة والالف .

الأميرة هيفاء والامير فخر الدين الكبير

رواية لبنانية تاريخية أدبية (تابع)

بقلم
الاب مبارك تابت اللبناني
رئيس دير المخلص في الارجيّة

١٣

أين الاميرة هيفاء ؟

كل ما لقيه الامير في ايطاليا من الحفاوة والاكرام وكل ما احرزه من مجد وبُعد صيت وكل ما انثال عليه من هدايا الحكام والاعيان وما اقيم لتكريمه من شائق الحفلات في اماكن اماكن. وما تقاضاه من إعمال الفكر الاهتمام بشؤون لبنان والسعي لتعزيز مركزه وإنفاذ خطته، كل ذلك لم يكن ليشغل قلبه عن هيفاء . لا يدري أميتة هي فيسلوها أم حيّة فيفتديها،يحب ان يفتديها ولو بروحه،لكن ما يصنع؟وهو لا يعرف خاطفيها ولا مكان منفاها وعذابها، فبينا يكون غائصاً في لجة السياسة او منغمساً في افراح الحفلات او جالساً الى المآدب الفاخرة او مجالساً ارباب الصوالج واركان الحكومات والكبراء والاشراف يكون الغمّ مرمضاً جوانحه ومصلياً ضلوعه . غير انه يلبس لكل حال لبوسها ويكتم ما بقلبه من وجدٍ مذيب . وشبح هيفاء نصب بصيرته وذكرها جائل في ذهنه وكأن صوتها متصل بمسمَعيه . فاذا أصاب خلوة جلس في خلوته يناجيها وتناجيه ويرسل روحه تجوب البلدان وتطوف القفار وتغوص في اعماق اللجة وتنفذ الى السجون المظلمة والحصون المنيعة والقصور الجميلة وتدخل البيوت والكهوف حتى القبور وبطون الحيتان ينشد ضالته الغالية والمحبوبة فلا يقف لها على أثر . فتلظى نار في كبده ويتصل اوارها بدماغه ويغشي قتامها على عينيه فتنصبّ دموعه ويعضّ على اصابعه ويصيح: هيفاء! يا جنتي وسعادتي اين انت؟ اين انتِ ايتها الجنّة الشهية الثمار ؟ اين انتِ ايتها المرأة المسكوبة في قالب

الجمال ، المائسة في ملابس البهاء . اين انتِ ايتها الزوجة الامينة ذات القلب الطاهر والتعفف المنيع . يا جوهرة الإخلاص وملحة الوفاء وزبدة الحكمة والرزانة والارابة والذكاء ، كيف السلوّ عنكِ وأنتِ أعزّ عليّ من مالي وولدي ونفسي ، ولولا استحيائي من نفسي لقلتُ انتِ عندي بمكانة لبنان سيدي ومشرقي ! أما أني لو غلّبتُ العقل على القلب محاولة السلوّ في موطن توقع اليأس لنهض عليّ الشرف يطالبني بما يحق على الزوج لزوجه من الحرص على حياته وعرضه والاعانة على كوارث الدهر والسعي لارتقاء مراتع الراحة والهناء ، ايكون فخر الدين امير لبنان وقاهر الولاة وفاتح الاقاليم وساحق الجيوش وحامي الذمار ومرسل الذئاب والغنم ترعى معاً في مروج الامن والسلام ، أيكون ذلك الرجل وتخطف زوجةٌ ويُنهك عرضه وتُسلب سعادته فلا يعرف السالب ليثأر منه ولا يجأ المسلوب ليستعيده ! أحيفاء لئن قعدت بي الهمة عن الثأر لكِ ولنفسي ، لئن لم اهتدِ اليكِ والى ظالمكِ لأكسرنَّ هذا الحسام الذي كسرتُ به الجيوش ولاسحقنَّ هذا القلب الذي لُقّب بقلب الاسد ، ولامحونَّ اسم فخر الدين من سجلّ الشرف المنيّ فلا اكون حلقةً من حديدٍ في سلسلة اجدادي الذهبية.

لم يكتم الاميرُ عن صديقه دوق توسكانا رزءهُ بالاميرة هيفاء ، بل قصّ عليه الحادث منذ يوم اتصاله به . فجهد الدوق في الكشف عن غمه ، وأمّله بانقاذ الاميرة ، وارسل البعثات وبثّ الارصاد في جميع جزر المتوسط وفي سواحل افريقية وبلاد اليونان . واشتركت في ذلك عيونٌ من قبل فيليب الثالث ملك اسبانيا ، فعاد الكلّ يتعثرون باذيال الخيبة ، وما زادوا على ان اذكوا جذوة الحزن في صدر الامير وركموا على نفسه أكداس القلق والغموم . فمنهم من قال ان اعرابياً من اهل الجزائر قتل أمرأةً غريبة لابائها التزوج به ثم انتحر من بعدها يأساً وخوف القصاص . ومنهم من قال انّ أمرأةً سقطت أو أُسقطت في البحر فابتلعها تمساحٌ . ومنهم من قال ان جثة أمرأة وُجدت عالقةً بين صخرين على شاطئ جزيرة ارواد وقد نال منها البلى فاستعصت معرفتها على التحقيق . الى غير ذلك من الاخبار التي اوقعت الامير في الحيرة وقرّبت شقّة اليأس اليه . وكان قد كتب الى ابيها يخبرهُ بامرها فاتاهُ جواب

مع البعثة الطليانية الآنفة الذكر مفاده انه قد بحث عنها في مواضع كثيرة فافضى بحثه الى تزيد الغموض.

وكان ان الامير جلس يوماً في شرفة قصره وارسل نظره على طول الشارع ينظر الى النـاس يروحون ويجيئون . وفكره يطوف الارض لعله يعثر على الضالة العزيزة واذا بمغربي في بزةٍ حسنةٍ وشكلٍ نظيفٍ ولحية قصيرة رسم فيها المشيب خطوطاً بيضاء. وقف تحت الشرفة ورفع عينيه وتفرس فلم ينتبه لـهُ الامير حتى عطس من حرّ الشمس وسعل وتنحنح فالتفت الامير فتلاقت منهما الابصار فحيا المغربي الاميرَ وقال : انَّ لي كلاماً اقوله لسيدي فهلا يأذن لي بالدخول ؟ فاستدعى الاميرُ مملوكاً ادخله . فقـال المغربيّ : انا رجلٌ من الجزائر طفتُ بلداناً كثيرة وردت اراضي لبنان وسوريا وعرفتُ بالخبر الامير فخر الدين ومكانته العالية في نفوس اهل تلك البلاد . وواجهتُ إمه واخاه وابنه وكثيرين من آل معن والمقرّبين اليهم . واستقصيت اخبار فتوحه المجيدة وسياسته الرشيدة الى عدله وحلمه وحكمته فعشقته اذني قبل عيني . فاتيتُ هذا البلد لاراه وافتح له عن سرٍّ خفي مفتاحه عنه . لعلي اكشف من غمّهِ واخفف من كربه . فقفـل الامير حاجبيه وامتصَّ مصة من انبوب غليونه الطويل . فخرج الدخان كثيفاً من فمه ومنخريه . وقال : لستُ غرّاً فاصدّق كل ما يُقال . وحيلُ المغاربة لا تجوز على غير الصبية والاغرار . يدّعون علم ما في الغيب وهم لما يلمسونه باصابعهم جاهلون . عدِ عن المغالاة في تبجيـل الامير ، وان كانت لك حاجةٌ مما نستطيعه فمقضيةٌ لكَ .

— لستُ دجّالاً ولا ذا حاجةٍ كما تتوهم يا اميرُ . انا احبّ ان اباعد عن نفسك غمّاً لم يفارقك منذ احتلتك هذه البلاد .

— مَن اوقفك على غمي ؟ خذ هذه المنحة وانصرف بسلام. وحلَّ كيسه ونفحه ذهبين طليانيين . فشكر وامتنع عن اخذهما . فقال الامير . استقلّيت عطاءنا . فنحنُ زائدوك . ودفع اليه ذهبين آخرين . فامتنع ايضاً وشكر . وقال : راحتك لا ذهبك ابتغي ايها الامير ! فاستغرب الامير امره . وقال : تكلم . فقال : اعلم يا مولاي لا ادعي علم الغيب ولا انا ممن تعهده من المغاربة الدجّالين الذين يتعيشون بخدع الـدّجل والاحتيال . لا والله ، ولا مهنتي التنجمة

والطلسمة واحراق البخور وكشف الخبايا والخطوط . انا ابن نعمة وترف ولي اموال كثيرة ، ولم تخرج الامارة من بيتنا منذ مئات من السنين ، مالت نفسي الى التنقل فصرت جوّابة تتاداني البلدان والاقاليم ، وقذفت بي النوى الى ارض لبنان فوقع عليَّ لصوص في دامس الظلام وقد انتهى بي المسير الى واد عند راشيا فسلبوني ما معي حتى ملابسي واوسعوني ضرباً وخلوني عارياً وتواروا. فلمّا اصبحتُ احتملني رجل على دابته الى القرية وانزلني في داره وعالجني حتى شفيت . ثمَّ ارسلني الى اخيك الامير يونس وهو في دير القمر فشكوتُ اليه ما نابني فقال تنزلُ عندنا حتى ننظر في امرك ففعلتُ، ولقيتُ ضيافةً سخيـة وكرامة . وبعد شهر واحد اقبل اربعة فرسان باللصوص الثلاثة وقد كبلوهم بالاغلال ومع الفرسان رسالة من الامير محمد الشهابي احد امراء حاصبيا يقول فيها للامير يونس : اليك اللصوص وما سلبوه . فردَّ السلب على صاحبه وافعل بهم ما تشاء . فامر بهم فضربوا بالقضبان واطلق سراحهم . وردَّ عليَّ مالي وزادني من كرمه . واخبرني بقصة الاميرة هيفاء. وقال لي : لعلك تعثر على اخبارها وانت تجوب البلاد . قلت ان الكم عليَّ لمعروفاً . فخدمتكم على الرأس والعين . ورحتُ انتقل من بلدٍ الى بلدٍ التجسس وانا متظاهر بمهنة « التبريج والتنجيم » حتى انتهيت الى قلعة اهدن في لبنان الشمالي ، فاذا في الساحة نسوةٌ لاحداهنَّ فضلُ مزيّةٍ واشراق على سائرهنَّ . (فبصرت) لكل منهنَّ وعرفت اسماءهنَّ وكثيراً من احوالهنَّ . فاذا المرأة ذات المزيّة هي الاميرة هيفاء عينها . تمكنت من تحديثها على عزلةٍ واطلعتها على قصدي فقصت عليَّ حديثها . هاك موجزه : ان اباها حابسٌ عليها في الحصن رهينةً يشتري بها حياته اذا عُدت تحاربه وظفرتَ عليه . قلتُ لها : انا اعملُ لانقاذك. قالت: بل احذر ان تعلم باسري انساناً من اهل هذه البلاد لئلا تقع حرب بين المعنيين والسيفيين في غياب فخر الدين فتدور الدوائر على المعنيين لانّ الاتراك لهم بالمرصاد . غير اني احملك رسالةً تنفذها الى زوجي الامير ان شئتَ ان تصنع اليَّ احساناً ورحمة . قلت انا لخدمتكِ ، واتت بصرّةٍ اخفت فيها الرسالة عن عيون صاحباتها . وقالت على مسمعهنَّ . هذه الصورة حلوان لك استحقيته بما فرّحتنا بغزارة علمك وظرف بيانك فاخذتها من يدها وجعلتها كحرز على

صدري . ولم ألق عصا السيار حتى انتهيت اليك .

وكان الامير يصغي اليه وقلبه ينتفض من الفرح وقد اخذ منه الدهش كل مأخذ حتى كاد لا يصدق ما يسمعه . وصار كمن بين اليقظة والمنام ، ولما فض الرسالة ورأى خط الاميرة تحقق صحة الخبر وطفق يقرأ والدمع في مقلتيه.حتى اذا انتهى قال للمغربي فرّج الله عنــك كما فرّجت عني يا امير . بماذا اكافي هذا الفضلَ . تالله لو وهبتك روحي لاستقللتها عليك . قال : بروحي انت . ما اردت الّا تفريح نفسك وتقليل غمك لتصرف همك الى بغيتك الوطنيــة الشريفة ، قال : لا بدَّ من إثابتك – قال : ما انا بحاجة الى شيء ، حسبي صداقتك . قال : انتَ الى الموت الصديق الحميم . قال : واني من محالفيك على كل عدو . فستوافيك الى لبنان نجدة من رجالي بقلوب لا يهولها الخطب ولا يدخلها الرعب . فمدّ له الامير يده وتصافحا وتحالفــا وودّعه الاعرابي وقال : اذا عقدتَ العزم على حربٍ فأنفذ اليَّ نبأً فــانا ورجالي اسرع الى نجدتك من الريح – . قال : عِشتَ لله درُّك من صديق وفيّ .

١٤
قصر الامير

فقهَ الامراء المعنيون ولا سيما فخر الدين الاول وابنه قرقماس انّ التعصب الديني اذا خرج به عن استقرار الاعتقاد واقامة الفروض وخلوص العبــادة الى ايثار طائفة على طائفة في الاحوال المدنية والائتلافية او الى الضغط على فريق من اهل الديانة صار من اقوى العوائق على استتباب الحكم وبسط السلطان على بلد سكانه خليط من مسلمين ومسيحيين ودروز ويهود كالبلد اللبناني . فتذرعوا لخنق التعصب بالتسامح واطلاق الحرية الدينية وبسط العدالة والمساواة وتقريب المسيحيين كاخوانهم الدروز والمسلمين . فاستوزر الامير قرقماس الحاج كيوان نعمه الديراني من اعيان الموارنة وكان ذا عقلٍ ثاقبٍ وحكمة واسعة وحنكة سياسية نافذ الكلمة في ابناء ملته اميناً وفيًّا صادقاً عالي الهمة بعيــد النظر . أدّى لمخدومه ثمّ لابني مخدومه اليتيمين وزوجته الارملة خدماتٍ جليلة سجّلها له التاريخ بمداد الشكر والفخر وظلّ على امانته لاسياده الى منتهى ايامه.

اما الامير فخر الدين الذي ورث نبذ التعصب الذميم عن جده وابيه فجاء ابلغ منهما فيه لانه ربي في بيتٍ مسيحيٍ في قلب كسروان بلد المسيحيين وشاهد بام العين مدى سنين عديدة فضائل الموارنة واخلاصهم للوطن وللسلطة الوطنية وامانتهم في جانب حكامهم وامرائهم ، وعرف ان حياته وحياة اخيه انما هي من فضل كيوان الدحداني وابراهيم الخازني صاحب العماد الرفيع والسيف الطويل فنشأ بعيدًا عن التعصب الديني المفرّق ونازعاً الى الدين المسيحيّ ومحبة الموارنة متقديه . ولما صار في ايطاليا ولاقى من حكامها واعيانها حفاوةً واجلالًا ومحبةً مع انه غريبٌ عن ديانتهم ، ورأى ما للملوك المسيحيين من من الحب لاوطانهم والعدل في رعاياهم وما يصرفونه من الهمّ الى نشر المعارف وإرقاء الصناعة والفنون وتجويد الزراعة بتعزيز مزاوليها واثابة المبرزين فيها، وما يحملون بهِ انفسهم من خلال الخير ولوامع الفضائل التي يفرضها الدين المسيحي على جميع اتباعه من اية طبقةٍ كانوا ازداد جنوحاً الى هذا الدين واعظمه على قياس ما أعجب بمزايا اتباعه وابّهة كنائسهم وطقوسهم الدينية ومشاهد عباداتهم الشائقة ، فأكبّ على قراءة الاسفار المقدسة وعارض بين اسفار العهدين القديم والجديد وبين الاديان الثلاثة الموسويّ والمسيحي والمحمدي، ودرس اتلاد الدين المسيحي ونشأته وانتشاره ونقب عن حقائقهِ واسرارة فبدا له ما حمله على رغبة الانضواء اليه، وصار يتمنى على واضعهِ فادي البشر رغائب مشروطة الحصول باعتناقه فيعطى ما يلتمسه بصورة عجيبة . ومما نذره انه اذا اهتدى الى زوجته الضائعة وفاز بما يرومه من محالفة بعض الملوك المسيحيين على الدولة العثمانية توحيدًا للامارة في لبنان بقبل المعمودية ومعاً شريفاً يحافظ على مجدهِ ونصاعته الى الموت . ها قد جيدَ عليهِ بما التمسه بنذره من ظهور الاميرة وعقد المحالفة وعما قليل يعود الى لبنانه المحبوب بالذخيرة والرجال فيجد اللبنانيين على اختلاف الرتب والنحل متأهبين لشدّ ازرهِ وانفاذ امرهِ ، فلمّ لا يصير مسيحياً ايفاء لنذره وسعياً الى المصلحتين الابدية والزمنية باستدامة رضا الله وتوفيقهِ والاستزادة من منحهِ وآلائهِ ، ويحمل حلفائهِ المسيحيين على فرط الركون اليه والثبوت في جانبهِ ، فعقد القلب على اتخاذ الديانة التي علقت بيقينهِ واستمالت رجاءه وشغفت قلبه منذ حداثتهِ .

الّا ان شريعة الانجيل لا تأذن بتعدد الزوجات ، فما يصنع الامير بزوجاته؟ تلك عقدةٌ كان في اول امره يستعسر حلها لتعلق قلبه بهنّ . لكنه لم يطل ان اعتقد امكان الاكتفاء باحداهنّ والّا فكيف يقتصر الرجل المسيحي على زوجة واحدة وعددُ المعمور اكثر من المسلمين ، على ان الشريعة المحمدية تجيز الطلاق فبقوّتها يسرّح زوجاته الّا واحدة منهنّ ، وهنا ايضاً تصدّت له صعوبة وقف تجاهها على قدم التردّد اياماً ، وهي ايّ زوجاته يستبقي ؟ احبها اليه هيفاء وخاصكية فمن ايتهما ينسلخ ؟

وكانت خاصكية معه في توسكانا ولها حظوة عظيمة لديه بما رزقته من براعة الحسن وجمال الخلق . فهي ممشوقة القدّ لدنة المعاطف دعجاء الحدَق كحلاء الجفون معتدلة القامة طويلة المتن بضة القشر ذات فكاهةٍ ورقة ولطف ومستميتةٌ في خدمة الامير وحبه ورضاه . ولها فوق هذه المحاسن جمال الخلال العقلية ورواء الفضائل الادبية ، واسرتها مظاهرةٌ له واخوها عليٌّ مصاحبه في غربته . الّا ان محبته لهيفاء اعرق في قلبه واغلب على عواطفه لا لأنها افضل من خاصكية جمالًا او اخلاقاً فهما في ذلك متماثلتان ، وانما هي ثمرة تعبه وصبره وقد ذاقت في سبيل محبته الامرّين . وتبرّأت من ابيها واخوتها واسرتها لمروقهم من محالفته ووقفهم تجاهه موقف العداء . وقد اقسم لها بالمروءة والشرف انه لا يسرّحها ولا يؤثر عليها ضرةً الى منتهى العمر . فكيف يحنث بقسمه وهو اكبر من ان يخون شرفهُ ومروءتهُ .

هذه الافكار لبثت تناصبه وتتنازع على فؤاده واميالهِ حتى نزل به خطبٌ ادمي فؤاده لكنه اخرجهُ من تردده وحيرته : كانت خاصكية ظريفة المحاضرة بسّامة الثغر طلقة المحيّا عذبة الكلام. خالطت اهل توسكانا وامتزجت بنسائهم فاحببنها حتى لم يعد بهنّ صبرٌ على فراقها ، فكانت تزورُ وتُزارُ وصار معظم وقتها مشغولًا بالمجالسة والمؤانسة والخروج مع السيدات الى البساتين والحدائق وسائر اماكن التلهي والفرح . وكان ذات يومٍ انها دخلت حمّاماً في طرف المدينة مع صديقتها الفراندوقة وبعض جواريها . ثمّ برزت منه للهواء البارد فلم تبلغ قصرها حتى احست بالمٍ في رئتها واخذتها حمى شديدة وعسر تنفس ، انتهيا بوفاتها بعد ثمانية ايام . فأقيم لها مأتم حافل مشى فيه الحكام والكبراء

والاعيان ، وبكاها الامير حتى ابكى كل من حضر ودُفنت مكفنة بالحسرات والزفرات محنطةً في قبر ملكيّ الى ان ينقل جثمانها الى لبنان ، وامسى الامير من بعدها منكسر القلب مستوقد الصدر يصرف ليله يساور الهموم ويسامر النجوم . ولم ينفك الغراندوق عن معالجة حزنه باسباب التعزية حتى استدرجه الى الصبر والسلوان وكان انه بعد رجوع البعثة اللبنانية من لبنان جاءه كتاب آخر ملكيّ من فيليب الثالث ملك اسبانيا يدعوه لزيارته في العاصمة الاسبانية فتوجه اليه ببعض حاشيته فاستقبله الملك استقبال النظير بين صفوف من الجند وامامه الموسيقى العسكرية والملكية ، واولم اكراماً له ودعا الوزراء والاعيان واقطاب البلاد فاجتمعوا ومعهم خلقٌ كثير . وأجلس الملك الامير عن يمينه وكان بزّته الاميرية اللبنانيـة من سراويل قصيرة من الجوخ الازرق مطرزةً بالذهب عن الجانبين تسترُ نصف الجسم الادنى الى الركبتين ، ومنها الى القدمين «طاقات» من جلد احمر ملفوفة على الساقين بعرًى كبيرة من فضة لامعة . وعلى النصف الاعلى من البدن (دامرٌ) من جوخ رصاصيّ اللون مطرّز بخيوط الذهب تطريزًا بارزًا باشكال جميلة من الامام والخلف وعلى الجانبين ، بكمّين طويلتين تنثنيان بترويستين الى مفرز الاصابع من اليدين ، وهما مفتوحتان من تحت الابط الى المعصم يضمها عليه زرٌ من ذهب بحجم حبة البندق وشكلها . اما الزنّار فمن صوف ملوّن صناعة العجم من النسيج المعروف بالشال العجميّ او الشال ترما . وعلى الرأس عمامة قاتمة اللون ملفوفة على شكل مخروط ، وفوق هذه الملابس وشاحٌ من حرير اصفر او قاتم بلا كمّين يزيد عن طول قامته زهاء ذراع الى الارض ، واحياناً يغيره بعباءة من صوف او حرير مشتبكة الالوان مطرّزة بالذهب . فهذه الملابس البهية الغير المألوفة في البلدان الغربية كانت تحوّل اليه الابصار وتوشحه جمالًا في العيون .

ولشدّ ما ادهش الناس بفصاحة منطقه وبلاغة حديثه ولطافة نكاته وفطانة اسئلته وسداد اجوبته مما ملك به ازمة القلوب وقبض على نواصي القلوب . فافرز له الملك قصرًا من قصوره وثلاث مركبات له ولحاشيته وفرساً كريماً بسرج ثمين لركوبه وافراساً لركوب اتباعه . ولم يدع شيئاً من الحفاوة الا ساقهُ اليه . فاقام في ضيافة الملك مدةً طويلة تحدثا في اثنائها عن

شؤون خطيرة ناظرة الى الامارة والمملكة محالفةً تضمنت فوائد جليلة لمصلحة فخر الدين . ولما استوثقت بينهما عرى الصداقة انفتح للملك السبيل الى تحبيب الامير بالدين المسيحي لعله يدين به فيكون ذلك ادعى لركون الملوك المسيحيين اليه واجدى على سياسته وبلاده ورعاياه المسيحيين غير انه لم يصرّح له بالدعوة خشية ان يجرح عاطفته الدينية او يتهمه الامير باتخاذ السياسة وسيلة لمصلحة الدين ويحسب المحالفة مسوقةً الى غرض ديني . فافرغ كلامهُ اليه في قالب التحفظ متجافيًا في بيان محاسن الدين المسيحي ما يدل على الرغبة في استمالة الامير اليه . غير ان الامير لم يفتهُ مراد الملك فقال لهُ : اعلم ايها الملك انّ هذا الذي تحبه مني ولا تجرؤ لحلمك وادبك ان تعالنني به ، انا بنعمة الله شديد النزوع اليه وقد اخذت النفس به ولا بدّ من ادراكه . غير اني ارقب له الفرص واتوقع ان يتم تمهيد السبيل اليه . ولو كانت السياسة وحدها تقضي بان اصير مسيحيًا لما لبيتُ لها نداء لان العاقل لا يبيع دينه بدنياه . غير ان لي في الديانة المسيحية مصلحة ابدية اراها بعين الاعتقاد وليسوع المسيح كلامًا سريًا الى قلبي لا املك ان أصمّ دونه مسمعي ، فلا تعنّ النفس بتزيين ديانتك انها في اعتقادي أجل مما يملك ان يصفها به الواصفون . فطابت نفس الملك بهذا الكلام وايقن ان الامير اما ان يكون مسيحيًا منذ طفولته واما ان يكون بالقصد والنية . حينئذ طوى الملكُ هذا الحديث واخذ في غيره . فقال الامير : ما اوقفتُ جلالة الملك عليه من أمري أحبُّ ان لا يكشف لآخر لانه اذا اتصل بعلم صحبي وحاشيتي انقلبوا عليّ لرسوخهم في الاسلام فينفرون عني انصاري وكلّ العنصر الاسلامي في بلادي فينتهي امري الى الفشل . قال الملك : لك علينا ان نكون اكتم لسرك من نفسك فاسعَ انت الى الغرض من سبيل الخفاء . ونحن سنعرض عليك ان تدين بديننا فتجاهر بالرفض فلا ينكرونك بل يزداد رسوخهم اليك وليس على المرء ان يكاشف بسره كلّ احد .

ثمّ ان الامير ودّعه وعاد الى قصره عند الدوق كوكوس . وبعد ذلك وقع الحادث الآتي الذي كتبه الخالدي مؤرخ فخر الدين . هاك كلامهُ بالحرف[1] : « كان في خدمة الامير ناصر الدين وكان مقدّمًا فاتاه اسيرٌ وقال لهُ : لتذهب

(1) نقلنا هذا من مجلة الآثار الناقلة عن الخالدي مؤرخ الامير .

الى الجنينة فذهبا . واتى الدوق باشا نابولي فــاغتم ناصر الدين فطيّب خاطره وقال : انتَ من اين . وكم سنةً لك في خدمة الامير ؟ قال : انا من صيدا واخدمهُ من صغري : فاعطاه الدوق مكتوباً وقال : هذا من سلطان اسبانيا مضمونه ان كان فخر الدين يدخل في ديننا نعطيه من الحكم على قــدر ما كان له وازيد . وان كان ما يرضى بذلك فان اراد يقعد وان اراد يروح الى بلاده . قال : نعرض لهُ ونأتي بالجواب . فحكى الشيخ ناصر للامير فقال الامير . قل للدوق وتشكر منه ومن سلطان اسبانيا قل . قال الامير : ما جئتُ الى هذه البلاد كرامة دين ولا كرامة حكم ولا حكومــة . لمّا جاء علينا عسكرٌ ثقيلٌ جئنا احتمينا عندكم وحميتو رأسهُ وراعيتوه ولكم بذلك الفضل والجميل والمنة . ان اردتم هو قاعد عندكم بتوابعه على حالهِ وان ارسلتوهُ الى بلاده فهو المراد لان له اهل وتوابع وبلاد » .

اذًا علق بذهن القارئ ما سبق لنا الكلام فيه عن تعمد الامير اخفــاء تنصره عن خادمه الشيخ ناصر وعن سائر اتباعه المسلمين على ما مرّ من حديث الامير وسلطان اسبانيا الذي رويناهُ لم يستغرب اعتقــاد المؤرخ ان الامير لم يخرج من الاسلام الى الدين المسيحي لانهُ لم يكاشفهُ بهذا الامر ، وقد قضت الفطنة عليه ان يكتمهُ محاذرة ان يُسخط الدولة ويفتح سبيلًا لمناوئيه الى اثارة المسلمين عليه ، وانما اعلنه لاهل بطانته من المسيحيين لركونه اليهم ثمّ لاهل بيته بعد تنصره ليتنصر منهم من يشاء[1] .

وبعد هذه الاحداث سعى كسموس الثاني لدى البابا اربانوس الثامن ليأذن بمواجهة الامير واوقفهُ على احواله واغراضه ووصفه له باجل الاوصاف فاذن له بالمواجهة ثلاث مرات في مواقيت مختلفة وكان الغراندوق معه الا في مواجهة واحدة صحبهُ فيها العلّامة ابراهيم الحاقلاني[2] وهو مــاروني من قرية حاقل في

١) على ان من الوشايات التي اثارها اعداؤهُ ازدراؤه الشريعة المحمدية من انه لا يصوم رمضان ولا يحجّ ولا يدخل الجامع الّا مرةً في السنة وقد هدّم جوامع كثيرة . فهذا ادلّ على انتقالهِ الى الدين المسيحي من قول المؤرّخ اخذًا عن الشيخ ناصر الصيداوي . انه آثر البقاء في الاسلام .

٢) التقاء الحاقلاني بالامير ليس بالواقع التاريخي انما كان الحاقلاني بمكان معتبر له في رومية وقد سعى لاستعطاف البابا اوربانوس على الامير وزيّن له الانضمام الى المحالفة عام ١٦٣٠

بلاد جبيل تلقى علومه في المدرسة المارونية الشهيرة التي انشأها للموارنة في رومة البابا غريغوريوس الثالث عام١٥٨٤وكان لابراهيم منزلة عالية في الفاتيكان فانتهزها فرصة لاظهار روحه الوطنية المتمكنة فتذرع لدى الكرسي الرسولي والحبر الروماني بكل وسائل التوسل والتشويق حملاً للبابا على الانضمام الى المحالفة اعتقاداً انها تعود بفوائد جمة على مسيحيي لبنان وسوريا ، وثبت هذا اللبناني المخلص على محبة الامير وولائه والسعي لاستحصال ما يرومه من استمرار رضا الفاتيكان وانجاده الى المنتهى . فكان لفخر الدين بمثابة معتمد امين حكيم لا يني يعمل لمصلحته ومصلحة الوطن . وقد شهد التاريخ بسعي الحاقلاني لاستعطاف البابا اوربانوس على فخرالدين وحمله على الانضمام الى المحالفة عام١٦٣٠ .

رأى البابا في وجه فخر الدين سيماء الصدق والاستقامة وسمع من حديثه ما يشفُّ عن نفسٍ كبيرة وهمة قصيّة المرمى وحكمة باهرة وجرأةٍ نادرة فعطف عليه ووعده بالانجاد وسرَّ سروراً عظيماً بما ابداه له من رغبة الاصطباغ بالمعمودية عن محبةٍ للدين المسيحي اعتبار ما يترتب على تنصره من حرية العبادة للمسيحيين اللبنانيين واهتداء عددٍ من النفر المؤمنين ، فبارك عزمهُ واستحثه لانفاذه وامرَ له بمالٍ وتحفٍ واناط بعنقهِ ذخيرة الصليب المكرّم في حُقٍ من ذهب مرصعٍ بالحجارة الكريمة مما يُهدى الى الملوك وقال : ليقكَ الرب كل خطرٍ داخلي وخارجي بقوّة الصليب الكريم . فظلت تلك الذخيرة المباركة على صدر فخر الدين تحت ثيابه يحتفظ بها معتقداً قوتها الواقية الى يوم وفاته عاينها الجلّادون يوم قتله في القسطنطينية . تزوّد الامير بركة الحبر الاعظم وشكر لقداسته واقسم على الامانة له وللدين الذي سيحمله وغادر رومية مخلفاً فيها قلبه ومحبته واجلاله . وتحدّث الى محالفه دوق توسكانا في ما يجب من التمهيد لتنصيره .

فقال الدوق : لم يبقَ عليك بعد ما أحطتَ علماً بمبادئ الدين المسيحي وقواعد الايمان الّا ان تختار الزمان والمكان — قال : ان موقفي تجاه بلادي والدولة لا يأذن لي بالمجاهرة . فاتفقا على ان يصير ايلاؤه سرَّ العماد خفية عن بعض اتباعه وفي دير رهبان مار فرنسيس الحفاة ، وضربا لذلك ميقاتاً فلمّا كان الميقاتُ اقبل الامير الى كنيسة الدير يصحبه الدوق والدوقة والحاج كيوان

الديراني والشيخان الخازنيان ابو نادر وخاطر ومن معهما من رجالها والعلامة ابراهيم الحاقلاني الذي استدعي من رومية ليشهد حفلة العماد . أغلقت ابواب الكنيسة وصبّ ماء العماد على رأس الامير من يد الاب ادريان رئيس الدير . وقام الدوق والدوقة زوجته بكفالة المعمود وسُجل تاريخ اعتماده في سجل كنيسة الدير خامس عشر آذار سنة ١٦١٥ ، ولم يعلم بتنصره احدٌ من اتباعه المسلمين مراعاة للاحوال السياسية ، ولم يكن للامير سراريّ فيسرّحهنّ انما سرّح بعض خادمات خاكصيّة لاستغنائه عنهنّ بعد وفاتها ، وصار قلبه من جهة النساء مصروفاً الى زوجته هيفاء وحدها اذ كان لا يقنط من لقائها ما دام لا يقنط من بقائها .

١٥

قدوم الامير الى لبنان وعودته الى ايطاليا

كان الامير على ما عندهُ من الجرأة والاعتماد على النفس والولع بالفتح والطموح الى المجد حكيماً متبصراً يرسل النظر الى العواقب ولا يلهيه ما حضر عمّا غاب . لذلك لم يستفزّهُ النجاح الذي اصابه في ايطاليا فيقطع بصوابية العود نهائياً الى لبنان قبل ان يتثبت الاحوال بنفسه ويكون على يقين من اجماع الاعيان والحكام على الالتفاف حوله ، ومن موقف الباشاوات اصحاب الولايات تجاههُ ، ويعلم ما للدولة هنالك من قوات لمناهضته ، فخطر له ان يتوجه اولاً الى بلاده ويبقى في المركب الذي يقله في موضع قريب من البرّ ويستدعي اخاهُ يونس ويستفهمهُ الاحوال ، فاذا علم ان قد حان وقت الشروع في العمل يعود الى ايطاليا فيعدّ اهبة الرجل ثم يرحل بحاشيته الى لبنان ويستأنف حكمه وحروبه ، شاور في ذلك ملك اسبانيا والدوق كسموس فاستصوبا رأيه فودعها وركب البحر يصحبهُ الشيخ خاطر الخازني وزيلك بن المقيق وبعض رجالها ، وجاء السفر موفقاً وسعيداً لهدوء البحر وسكون الريح طول المدة حتى انتهت المراكب في شهر تشرين الاول الى ساحل عكا . فالقت المراسي بين الناقورة وصور .. واعطى الاميرُ الشيخ خاطراً ثلاثة اسهم وقال له : انطلق الى دير القمر واعلم اخي يونس بقدومي ليوافيني ببعض اهل البلاد الى الدامور ، فاذا

وافيتم فاشعل الاسهم الثلاثة علامةً اعرفكم بها لئلا يفاجئنا مـا نكرهُ .
فلمّا علم الامير يونس بقدوم اخيه سُرَّ سروراً لا مزيد عليه واذاع الخبر على اهل البلاد فاجتمعوا اليه ورافقوه للملاقـاة الى الدامور وانتظروا حتى اقبلت مراكب فخر الدين فارسل الشيخ خاطر الاسهم الثلاثة في الجوّ فدنت المراكب من البرّ والقت مراسيها . واخذت القوارب تحملُ المسلِّمين الى المراكب وتردّهم الى البرّ فوجاً فوجاً على حسب رتبهم . وكان الحشد عظيماً فلم تطق القوارب حمـل جميعهم . فسأل الامير يونس اخاه ان ينزل الى البرّ فيراه الجمع لانه لا يحسن ان يُحرم من مشاهدته كثيرون من القادمين للقائه من اهالي كسروان وما يلي الى الجنوب وكلهم ظماء الى مرأى وجهه وسماع كلامه. ففعل. والقى في الناس خطاباً افرغ فيه عواطف المحبة والحنوّ والوطنية والحماس ، فما اتى على آخره حتى ارعدت الاكف تصفيقاً وزمجرت اصوات الدعاء. تشقّ الغمام الى السماء : ليعش الامير ! ليعش لبنان. ليعش لبنان واميره الكبير ! ثم جلس معهم للطعام في سهلةٍ فيحاء ، ولمّا استوفوا فرّق هداياه على الاعيـان ونثر على الجمع فضة وفواكه وحلواء مما حمله لهم من ايطاليا ، وحضهم على التوائق والتأهب لطوارئ الحدثان . ومكث معهم ثلاث ساعاتٍ ثمَّ ودّعهم وأملهم بقرب اللقاء وكرّ راجعاً الى المركب . وخلا باخيه وامه وتحدّثوا ساعةً فاخبرهمـا بما لقيه من النجاح في اوربة وبانتقاله الى الدين المسيحي . فطابت انفسهما وهنآه وأكدا له انهما لن يكونا الا على دينه ولن ينفكا يعملان لحل سائر الاسرة المعنية على الذهاب مذهبهُ فحبذ عزمها وحذّرهما المجاهرة بذلك خشية ان ينقلب عليه بعض اهل البلاد قبلَ ان يستتبَّ له الامر ويبلغ من شأوه اقصاه . ثم سألها عن الاميرة هيفاء. فاذا هما لا يعرفان من امرها الا ما انتهى اليهما من خبر اختطافها في البحر فخانه الجلد واكمد وجهه وترقرق الدمع في عينيه . فمالت امه ان تعزّيه بصرف فكره عنها الى ما هو يهمه والصق بقلبـه من شؤون حكمه ووطنه فبسطت حديث ذلك فالتهى . وبعد التحريض والتوصية من الطرفين لحق يونس وامه بالحشد الذين كانوا ينتظرونها على الشاطئ في سهل الدامور . وامر فخر الدين فاقلعت المراكب وجرت تطوي مسافات العباب ، وعرّجت على مالطة تخفق من فوقها اعلام لبنان . فعرف اهل الجزيرة بقـدوم الامير

اللبناني الكبير وكان صيته قد طبق الآفاق وانتشر مسكاً لذيذ العرف عطر الاقطار والامصار . فخرجوا للقائه وراء حاكمهم الاستاذ الاكبر جوان مايسترو وادخلوه الجزيرة بين صفوف متراصة من جميع طبقات الناس وحيّوه باطلاق المدافع واصوات الهتاف . ونزل ضيفاً على الحاكم ثلاثة ايام[1] .

فأكرم ضيافته ، وزاره اعيان الجزيرة وزار هو منهم من استطاع . وطاف اخصّ الاماكن ذات الشأن من الوجوه الفنية والاثرية وعقد صداقةً مع الحاكم اشبه بمحالفة . ثمَّ ودّعه واهل مالطة فشيّعوه بمثل ما استقبلوه من الحفاوة والاكرام وما زال في ذمّة البحر حتى انتهى الى ليفورنا واجتمع بصديقه الدوق كسموس بعد فراقه سبعة اشهر اي مدة رحلة الامير ، فاخبره بكل ما جرى له في ذلك السفر الطويل ولا سيما مبادرة اللبنانيين للقائه في الدامور واعلانهم بالاقامة على حبه والاخلاص له والنزول عند ارادته وتمام تأهبهم لمجابهة الاحداث وبذل المُهج دون القضية الوطنية . فسرَّ الدوق بهذه الاخبار وانفذا الى الحبر الاعظم وملك اسبانيا يوقفانها على هذه الشؤون ، وبات فخر الدين يطل النفس بقرب الرجوع الى تخت الحكم وامتشاق الحسام لحسم دابر الاعداء الذين يحولون دون استقلال لبنان وتوحيد امارته . واستكنت آماله اللذيذة وتبلج فجرُ امانيه .

١٦

افول نجم النحس وعودة فخر الدين الى لبنان

حياة الانسان سلسلة مختلفة الحلقات ينتقل فيها من ضيّقةٍ الى واسعة ومن واسعة الى ضيّقة بين التعب والراحة واللذة والحرمان والسعادة والشقاء واليأس والرجاء. فما تدومُ على حالٍ لهُ حالُ . ولا تنسج له الاحوال على وحدة منوال.

---

[1] كانت الجزيرة في ذلك العهد بايدي فرسان مالطة وحاكمها رئيسهم واسمه جوان مايسترو ولقبهُ الاستاذ الأكبر .

ويظهر انهم يطلقون هذا اللقب على رئيسهم الحاكم ، ويُدعون فرسان القديس يوحنا ، وهم جماعة رهبانية محاربة نشأوا في القدس واستولوا على رودس سنة ١٣١٠ واحتلّوا مالطة سنة ١٥٣٠ وحصّنوها . واولُ حكامهم فيها آدم دي ليل حكم سنة ١٥٣٣ وآخرهم هومبش انتهى حكمهُ سنة ١٧٩٨ باحتلال نابوليون الجزيرة في تلك السنة .

لم تنتهِ سنة ١٦١٢ وهي السنة التي ارتحل فيها الامير فخرالدين الى ايطاليا فراراً من وجه الحملة التي سيرها علية السلطان احمد الاول بقيادة احمد باشا الحافظ حتى نشبت المنية اظفارها بهذا السلطان وخلفه على عرش السلطنة اخوه السلطان مصطفى بعد نزاعٍ على ولاية العهد . فلم يكد يستقرّ له الامر حتى ثار عليه العسكر فاسقطوه عن اريكة المُلك واجلسوا مكانه السلطان عثمان الثاني ابن اخيه. قبض الصولجان ولما يستكمل ربيعه الثامن عشر، فهذه الاحداث التي وقعت في عاصمة الاتراك مع ما صحبها من خلافٍ ومكائد وإحن الى ما أحدق بالدولة من معضلاتٍ ومُعقدات من جهة ممالك بولونيا وروسيا وامارات البلقان فتحت لفخر الدين مخرجاً من مأزقه وسهلت له السبيل الى الفوز بأربه لما لزم تركيا ان تعاني في حلها كثيراً من الهمّ وإعمال الفكر والتجارب السياسية والحيل المتنوّعة ولم يُغنها ذلك عن امتشاق الحسام في حروبٍ طاحنة. فكان هذا شاغلاً للدولة عن الاهتمام بشؤون سوريا ولبنان. تقديماً للاقرب والاهمّ ، وهي لا تخشى كبير خطرٍ من جهة لبنان اذ لم يكن لها عدوٌّ تخاف صولته وتطاوله على الولايات الّا الامير فخر الدين وهو في المنفى مكفوف الاذى . ولم يدُر في خلدها ما كان يدبّره عليها من عقد المحالفات في اوربا ومن جمع الكلمة في لبنان . وكان واشدّ ما كان من استحكام العراقل والمعضلات انما كان في السنة الرابعة لجلاء الامير عن بلاده الى ايطاليا وبعد عودته من زيارته في الدامور ، وفي ذلك العهد عزل السلطان عثمان الثاني الحافظ احمد باشا قائد الحملة في لبنان وهو الدّ عدوّ للامير . فاشرت الست نسب بانبلاج صبح الفرج وتدحرج عن صدرها حجرٌ ثقيل . فارسلت تخبر ابنها بما كان وتستقدمه من ارض غربته اذ لم يبق في البلاد ما يخشاه[1] .

[1] لمّا عُزل احمد باشا الحافظ عن منصب الولاية في الشام صار المنصب الى جركس باشا ، وفي الصدارة يومئذ محمد باشا الذي كان في حلب وهو صديق المعنيين فوعدها بجم احساناً . فاطلقَ الستّ الرهينة واعطاها رسالة الى ابنها يؤمنهُ ويستقدمهُ . فارسلت اليه الرسالة مع شهاب الدين بن عون والشيخ يوسف بن المسلماني. واخبرته بولاء الحاكم جركس باشا وألحفت عليه بالقدوم ، فلما وصلا كان الامير في سفينة لزيارة ملك اسبانيا ففضّ الرسالة الحاج كيوان وقرأها فرحل بعياله الى صيدا ممهداً لقدوم الامير ثم ابحر الامير بعياله وحاشيته فرست مراكبه في مياه عكا في التاسع من شهر شوّال سنة ١٦١٧ فبدر اللبنانيون

فطفق الامير يتأهب للسفر ووجه رسالة الى ملك اسبانيا يعلمهُ بعزمه على

لقائه واتوا به الى دير القمر في موكب عظيم واجمٍ واحتفاء . واقبل الامراء والمشايخ والمقدمون يسلّمون عليه ومعهم الهدايا من مالٍ وخيلٍ وجيادٍ وتحف وسلاح . وتعذر على بعض الامراء المجيء بانفسهم فاوفدوا اليه الوفود بالهدايا النفيسة واوفد يوسف باشا سيفا ولده حسينًا صهر فخر الدين ومعهُ جوادان واقمشة حريرية وصوفية وصابون وغير ذلك . فقبل الامير هدايا الوفود وخلع على مقدّميا ولم يقبل هدية صهره وقال له : قلْ لابيك انا لانريد منه هدايا لكننا بحاجة الى اخشاب نعمّر بها دارنا التي احرقها حسين باشا في دير القمر والى مواشينا ومواشي تابعينا التي ارسلناها اليه وديعة من زمان الحافظ احمد باشا فضبطها لنفسه ، ومن اسباب رفض الامير هدية ابن سيفا انه لما ارسل ابن الميسوف ومحمدًا بن كاوور على مَن ليكورنه لاستطلاع طالع البلاد كتب اليه جميع الاعيان يسألون عنه الّا يوسف باشا سيفا فانهُ كتب لاخيه الامير يونس يقول : « إن اخاك لم يصر ذا مالٍ ولا رضيت عنه الدولة ولا عرف لهُ حالٌ » فانتهى الكلام الى فخر الدين فوجد على قائله . ورأى الامير البلاد في قبضة اخيه يونس وابنه علي فخفق فؤاده جذلًا ونشط لتنظيم الادارة والحكم اقرارًا للامن ونشرًا للمهابة وحسمًا لدابر الفساد . فولّى ابا نادر الخازني وذرّيته على كسروان ، وصادر المفسدين في بلاده ولا سيما السيفيين ، وخافه المجاورون اعتقاد انّ دوق توسكانا سيمدّهُ بالمال والرجال كما امدّه بالمهندسين والعمال .

على انّ الاميرين المتينين يونس وعليًا لم يوطّئ لهما الحكم قاهرًا في غياب فخرالدين الّا لاستبسالهما في محاربة جنود الدولة ورجال احمد باشا الحافظ وسائر المناوئين من اليمنيين ، وقد الجيا في مواقع كثيرة كروا فيها الحافظ وفتكا برجاله فتكًا ذريعًا واطلقا في اموالهم ايدي السلب فغنما شيئًا كثيرًا . ولما ولي الشام جركس باشا خلفا لاحمد باشا الحافظ ردّ الى المعنيين حكم صفد وصيدا تولّاهُ الامير عليّ فكان هو في صيدا وعمهُ الامير يونس في دير القمر . وتقوّى الامير عليّ وكان بطلًا صنديدًا وقائدًا عظيمًا فزحف برجاله ورجال حلفائه من الامراء والمشايخ والمقدّمين على اهل الحزب اليمني فنهبهم واستولى على املاكهم وخرّب ديارهم ، ونفذ بعسكره الى بيروت فنزلوا على نهرها وخرج اليه اهلها فأمّنهم واخذ ميرةً ومالًا . وارسل رجال الشوف الى الجرد والغرب والمتن فاطلقوا فيها ايدي النهب وسلطوا عليها النار لان اهلها كانوا قد نهبوا الشوف في عهد الحافظ ، وارسل مملوكه ذلفقار والشيخ ابانادر واخاه الشيخ يونس الى غزير فحكموا كسروان وكرّ هو راجعًا الى صيداء .

ثم ولّى عمّهُ الامير يونس على بلاد الشوف وبلاد بشارة . وقلّد الامير منذرًا التنوخيّ حكم مدينة صيداء وحكّم على المتن اللمعيين مقدّمي كفرسلوان . وولى الامير عليًا الشهابي على بلاد الحولة ومرجعيون ملحقة بوادي التيم . واسندَ حكمَ بلاد صفد وبلاد الشقيف الى حسين البازجي وحكمَ توابع صيدا الى الشيخ حسين الطويل ، ولم يرضَ احدٌ بنصيبه . غير ان الامير عليًا وعمه الامير يونس لم يكونا ليرهبا المصاعب بل يذللانها معا تكن شديدة ومستعصية بعزيمة تذلّ الحديد ورأي يخلّص بينَ الماء والراح . وما زالا على ذلك تارة يمتشقان الحسام وطورًا ينشدان التدبيرَ والمداراةَ الى ان عاد فخر الدين والبلاد في قبضتهما على ما رأيتَ .

الرحيل الى بلاده ويودّعه ويذكره بالعهد المقطوع بينهما ويسأله ان لا يضنّ عليه بالنجدة حين تقتضي الحال . فاتاه الجواب على وفق ما يرومه ويطمئن قلبه اليه . ووافى رومة واجتمع بالعلامة ابراهيم الحاقلاني واخبره بعزمه على الرحيل وتحدثا طويلاً في شؤون لبنان العزيز عليهما . واستأذنا على قداسة البابا ولبثا في حضرته نصف ساعة فجدّد الامير عهود امانته للايمان المسيحي وولائه للكرسي الرسوليّ ورعيه لمصالح المسيحيين في لبنان اسوةً بغيرهم من الرعايا . والتمس من الحبر الروماني ان يقبل الحاقلاني معتمداً من قبله لدى قداسته . فاجابه الى ذلك. واملى عليه نصائح حكيمة في ما ينظر الى شؤون الحكم والتدابير السياسية والحفاظ على الصبغة المسيحية من تقلبات الاحوال . ‹وقرأ الامير على صفحات صدره› . ثمّ باركه البابا وامدّه بعطيةٍ مالية ذات شأن قبلها شاكراً وكرّ راجعاً الى الغراندوق كسبرس فاقام عنده بضعة ايام تهيأ فيها للسفر وقضى لبانة من توديع صديقه الحميم وزوجة صديقه الغراندوقة كفيلته في المعاد وسائر بيت كسوس الذين غمروه باحسانهم وحملوه فضلاً لم يغب ذكره عن ذهنه الى منتهى اجله . ثمّ وافى نابولي وواجه ملكها وخرج من امامه بحظوة كبيرة وهدايا نفيسة ، واقلع من هذه المدينة يؤمّ لبنان بحاشيته الكثيرة في ٢٧ رمضان عام ١٦١٧ . فاستقبلت مراكبه ميناء عكاء في ٩ شوال من السنة نفسها ، وكان له مملوك يُدعى سروراً عدّاء يسابق الريح فحمله رسائل الى اخيه الامير يونس وابنه الامير عليّ . فدفع اليه الرسائل وعنده الامير ناصر التنوخي ومقدّمو بيت ابي اللمع وجماعة من اكابر الشوف : فقرأ عليّ رسالة ابيه وهي بخط يده فاستطاره الفرح وكان عمه الامير يونس متغيّباً فارسل يبشره بقدوم اخيه فاقبل طائراً باجنحة السرور ، ثم تُليت الرسائل على من هناك من الاعيان ونودي بالافراح فماجت عاصمة لبنان وما جاورها من القرى واجتمع الناس الى ميدان البلدة الوفاً يهنئ بعضهم بعضاً ويغنون ويهزجون ويمرجون ويطلقون البارود يومين كاملين وزُيّنت البيوت والشوارع باغصان الارز والصنوبر والزيتون والرايات اللبنانية . وجُليت المنازل في حلة من نور وطيف بالمشاعل على ضرب الطبول والدربكات ونقر الطنابير ونغمات الناي والسباية والزمور ، وزغردة النساء وصهيل الخيل والعاب الفروسية والمسابقة على عادة اللبنانيين في

افراحهم ، مهرجان شائق لم يُقم مثله عظمةً وابّهةً وحشداً الى ذلك اليوم تجلت فيه محبة اهل البلاد لاميرهم الكبير واتحادهم قلباً وقالباً على العمل يداً واحدة لاعلاء شأن الوطن وتقرير عزّه وتعظيم قوته ومهابته بتوحيد امارته والتأهب المستمرّ للذود عن حياده وتفديته بالارواح والمهج . رأيٌ واحد وامة واحدة على اختلاف مذاهبهم الدينية يشدهم معاً رباطٌ واحد متين هو النسبة الى لبنان وطن الجميع، هو الاسم: لبنانيّ ، يُلفظ بالكرامة والفخر والاعتزاز . وبدر لملاقاة الامير الى ساحل عكاء ابنه واخوه في موكب حافل من مشايخ الشوف ودير القمر وحشد كبير من سكان القرى ، وانضم اليهم مشايخ بلاد صفد وبلاد بشارة وبلاد الشقيف وصيدا وعددٌ كبير من الامراء الشهابيين وآل حرفوش وغيرهم ، فهنأوا الامير بسلامة الوصول وجاءوا به الى دير القمر تظللهم غمامة من دخان البارود بين الأهازيج والزلاغط والاناشيد مما لا يصنع مثله الا للملوك والفاتحين . وقد بلغ الهوس من الشباب اللبناني ان حملوه على مقعدٍ عالياً فوق الرؤوس وطافوا به ساحة العاصمة ثلاث دورات اعلاناً برفعة قدره وعلوّ منزلته واستمكان محبته في القلوب .

وكان الامير في غمرة هذا الفرح ومجالي هذا الاحتفال متهللُ الوجه مشرق الاسرّة تتفتح البسمات في ثغره وتستطع انوار البشر في عينيه ولا يملك ضبط عواطف المحبة والشكر فتفيض من فؤاده دمعاً لذيذاً كدمع محبّ يلتقي بحبيب . غير ان بين ضلوعه حسرةً يكتمها وجذوةً لا يملك اخمادها : هيفاء لا تشهد هذا الاحتفاء ؟ عيناها لا تريان اشراق وجه الشوف بطلوع فخره ورجوع عزه . مَن يحمل الى مسمعها اصوات هؤلاء المغنين والمنشدين . جميع النساء يرقصنَ الفرحَ ويُبرزهن الطربُ اعطافهنّ كلهن يصفقنَ بالاكفّ وينقرنَ بالدفوف ويزغردنَ ابتهاجاً الا انتِ يا اميرة النساء . انك صامتةٌ واجمةٌ لا يفترُّ ثغرك ولا تجذل نفسك ولا ينحبس دمعك . الاميرُ محفوفٌ بالكرامة والمجد والاميرةُ محبوسٌ عليها ترسف في سلاسل الهوان . ويحَ ابيكِ ما اظلمهُ وما افرغ قلبهُ من الحنان . هيفاء ظبيـة الوادي ولبوة الغاب لا تجزعي ولا تستسلمي الى القنوط ، فانّ الاسد متحفز للوثوب ويوم خلاصكِ قد دنا . ها أجل اغترابك قد انقضى وميقات عزائك قد حان . وانت يا ابن سيفا لئن

اعتصمتَ بحصن الجوزاء. فلاصعدنّ اليك بجناحي نسر وقلب هصور واحتزنّ عنقك واروينّ بدمك ظمأ هذا الحسام . لاشبعنّ من شحمك وحوش البرية ومن كبدك طير السماء . جالت هذه الافكار في خاطره وغلت في صدره مراجل الحقد وتأججت في قلبه نار البغضاء . وتطاير من عينيه شرار الغضب واحسّ بين ضلوعه باحتراق . فوضع يده على صدره فاصابت ذخيرة عود الصليب الكريم . فذكر رحمة المسيح وحلمه وقال : ما هذا الشرّ الذي افكر فيه وانا مسيحيٌ . اليكِ عني يا شهوة الثأر والانتقام ، ليردّ الله اليّ هيفاء حية واغفر للظالمين البغاة .

ثمّ اخذ الناس يتقاطرون للتسليم عليه من جميع انحاء البلاد وفيهم الامراء والمشايخ والمقدّمون يحملون اليه الهدايا النفيسة من ذهب وفضة وماشية وخيل وسلاح فيحسن وفادتهم ويلقاهم بما فُطر عليه من الهشاشة والبشّ ويغدق عليهم الخلع ويكرم ضيافتهم فينصرفون من عنده شاكرين حامدين مسرورين داعين . وممن قدم عليه بالهدايا الامير عليٌ الشهابيّ وولداه محمد وقاسم ، والامير احمد بن يوسف الحرفوشيّ جاءه بعتاق الخيل ، وممن تعذر عليه القدوم في ذلك الحين فاوفدوا اليه يهنئونه ويهدون اليه خيلاً. الامير الحَكم الشهابي اوفد ابنه الامير سلمان . والامير احمد طربيه والامير قنصوه اوفد كلٌ منهما مدبّره بخيل وسلاح . فتقبل هداياهم وارسل اليهم الخلع . ثم جال في البلاد جولةً وزار الامراء والاقطاب والاعيان وتفقد القلاع والقوات والمعدات والمالية وسائر ما ينظر الى تعزيز السلطة واجراء العدالة واقرار الامن . وكان في رحلته هذه يلاقي من ضروب الحفاوة والاجلال ما لا يحيط بكبار ابهته وصف . وكانت هذه الاحداث تتصل بمسامع يوسف باشا سيفا وأشياعه فتقع عليهم وقع الصواعق وتصير محور احاديثهم وتتنقل على ألسن النساء الى الاميرة هيفاء . فتسيل على قلبها فرحاً وتودُّ لواستطاعت ان تبعث روحها ترفرف حول الامير وتنعم بمشهد مجده المشرق وعزّه الرفيع . وكانت على تأميلها بقرب الفرج لا تبرح نفسها هدفاً لعاملين متناقضين الحزن والفرح فهي تضحك وتبكي في آنٍ واحدٍ . ولما اتم الامير جولته عاد الى منزله في دير القمر وقد علم ان البلاد باسرها نازلةٌ عند ارادته ومجموعةٌ في قبضته .

١٧
زحف الامير على آل سيفا وانقاذ هيفاء

لو شاء الامير بعد عوده من اوربة ان يتوسد الراحة ويتمتع بلذات الامارة وامجادهـا قانعاً بما حصل له من السلطة والسيادة في بلاد الشوف وغيرها من الاقاليم المجاورة التي دانت لسلطانه او اتصلت به بصداقة او محالفة او معاهدة؛ لاستطاع ان ينعم بثمار السلام في ما بقي له من العمر، ولما أعجزه ان يشتري رضا الباب العالي ويأمن شرّ حسّاده ومناوئيه، لكن نفسه كانت اكبر من ان ترضى بهذا القدَر من الحظ الذي لا تُستكمل معه سعادة الوطن اللبناني، فأبى وهو صاحب الهمّة القعساء والنزعة الحذّاء الا ان يجـابه الشدائد ويقتحم المخاطر في سبيل الغرض الوطني الشريف. ألا وهو من اجله ركب البحار وعانى الاسفار وعقد المحالفات. واذ كان على جانب عظيم من الحكمة لم يكن ليخطوَ خطوة واحدة في طريق الفتح الا بعد التروّي والتبصر وإعداد الاهبة لئلا يجازف بما لديه من قوة مُقدماً على حروب مستورة العواقب بستار الابهام. فتظاهر اولاً بمسالمة الدولة ليأمن صولتها. وبدأ ينظّم الجيش والمالية على نحو ما رأى في بلاد المسيحيين. حتى اذا تمّت له الاهبة على ما يروم ووثق بحصول القوة للقتال عقد القلب على محاربة الولاة واحداً واحداً لئلا يتضافروا عليه. وأول من صمم على قتالهم آل سيفا لما لهم من قوة الصولة وبسطة العزّ وما يرمون اليه من عرقلة مساعيه واحباط جهده في توحيد الامارة في لبنان. فضلاً عمّا بنفس كبيرهم يوسف باشا من الطموح الى حكم الشوف ومدّ رواق السيطرة على اقاليم الجنوب. وكان فخر الدين قد ارسل الى يوسف يطلب زوجته المتآلة عنده فردّ طلبه وانكر كونها في حوزته. فزاد ذلك في حفيظة الامير واذكى جذوة مقته للسيفي واستعجل تسيير الحملة عليه. وكان قبل فراره الى اوربة قد عقد العزم على ضرب ذلك العدوّ المتصلف الضربة القاضية انتقاماً منه لكلمة استهزاء واستخفاف بلغه انه قالها فيه. فلم تسعده الحال في ذلك الزمان. حكاية ذلك: ان ارملة لبنانية أتت الامير فخر الدين تشكو اليه من والي حلب انه اعتقل وحيدها جوراً بتهمة التجسس. فأنفذ الامير

رسالة الى الوالي يطلب التخلية عن الشاب . فرد الوالي الرسول بغير جواب. فحنق الامير وركب في سبعين فارساً من اشدّ رجال البأس والقتال ويمم بهم حلب لانقاذ الصبيّ . فنزلوا ليلة في بقعة من ارض عكار وجلسوا حول نار مشبوبة يصطلون، وانهم لكذلك اذ طلع عليهم شاب طويل القامة قويّ البنية بَدين . فقالوا : مَن تكون ؟ قال : لبنانياً اعتقلني والي حلب بتهمة التجسس . فراسله الامير فخر الدين فأطلق سراحي وانا ماض الى الامير لاشكره ، أبصرتُ ناركم من بعيد فقصدتها لعلي اجد حولها مَن يخرجني من وحشة الغربة والظلام . فدُهش الامير من هذه الصدفة وقال : انتَ لدى الامير مجيرك ، وها انا ماض بهذه الكوكبة من اخوانك اللبنانيين اولي البأس لانقاذك وردك الى امك الكسيرة القلب اشفاقاً عليك . فوقع الصبيُ على قدمي اميره يقبّلها ويبلها بدموع الشكر داعياً له بالنصر وطول العمر ، ثم انتصب قائماً وقال : مَن مثلك في حكام الارض وانت تركب المخاطر لترفع الضيم عن آخر انسان من رعيتك : انك لوالد وأحنّ من والد ، عِش يا امير الامراء مفدّى بالمهج والارواح .

كانت هيفاء في ذلك الحين عند ابيها تزور اهلها في عكّار، ورأى الامير ان يعرّج على بيت حميه فأقام عنده ثلاثة ايام فأبصر في وجه الاميرة قطوباً فسألها فقالت سأخبرك . قم بنا الآن نخرج من هذا البيت . فلمّا انتهيا الى دير القمر ، قالت له : كنتُ في مجلس أبي ومعي نساء اخذن يفاخرن بأزواجهنّ ففاخرتُ بك على مسمعه ، فهزّ رأسه وقال . ابهذا البعل تفاخرين يا هيفاء ! حتزابٌ دِمّةٌ لو وقعت البيضة من قفاه الى الارض لما انكسرت . ففاجأني استهزاؤه الوقوح وخرجت من مجلسه وانا لا أميّز طريقي من البكاء. وعزمت على الرحيل لساعتي حتى لا أرى بعدُ وجه معيّري ولا اسمع صوته المسموم واذا بك مقبل فكظمت غيظي وحبست لساني لئلا اوقع بينكما شرّاً وانا مشفقة عليك من الغدر في ذلك البيت . فلمّا سمع الامير هذا الكلام أخذته سورة الغضب حتى ارتجت شفتاه وقال: يعيّرني بقصر القامة ودمامة الخَلق ! ما عابني ان اكون قصير القامة وانا صاحب العزم المرهف والقلب الحديد والسيف الطويل والرأي الاصيل . انا القائل عن نفسي بلسان عنترة كبير فرسان العرب :

يعيّرني العدا بسواد جلدي وبيض فعائلي تمحو السوادَ

واقسم لينتقمنَّ من ابن سيفا ، وقال انشودة تهديد لم يبرح اللبنانيون يتغنون بها الى اليوم ، وهي :

نحن صغار وفي وجه العدوّ كبار انتم خشب خَور نحنا للخشب منشار
بحق طيبا وزمزم والنبي المختار ما بعمِّرك يا دير الّا من حجر عكار[1]

وشاع كلامه هذا في جميع الانحاء اللبنانية وجرى على ألسن الكبار والصغار.

فلمّا اتاه جواب حميه على ما رأيتَ تذكَّر عزمه السابق واقسم ليقهرنَّ ابن سيفا ويخربنَّ دياره ويحملنَّ من حجارتها الى دير القمر .

وكان على ولاية طرابلس رضا عمر باشا الكتنجي فرأى الامير الّا يوقد الحرب على خصمه بغير رضا الوالي لئلا يصير عوناً لخصمه عليه . فأطلق عقارب السعاية وأرسل ألسن الشكاية من يوسف باشا لدى الوالي المذكور وما زال حتى استوثق من رضاه واوغر صدره على ابن سيفا وتأكد من انه سيناصره عليه . فجعل يركم للحرب وقودها ويعدّ لها معدّاتها . وأمر فخُصّ البارود وشُحذت السيوف. ثم جمع الاعوان والاعيان فقرّ رأيهم على مباغتة يوسف باشا سيفا بالرجال والإطباق عليه من كل صوب حتى لا يجد منفذاً الى النجاة.

وقبل ان يحشد الامير الرجال وينظّم الحلة اوعز الى الشيخ ابي نادر الخازني ان يُرسل رجالًا الى نهر ابراهيم يضبطون المعبر على الذاهبين الى الشمال مخافة ان يبلغ ابن سيفا خبر التدبير على هلاكه. وسار الامير من صيدا الى بيروت وبثّ منها رسائله الى الامراء والمشايخ يستنفرهم على السيفيين، واستدعى اليه

---

١) كان السيفيون يعيّرون زوجاتهم المنيات بدمامة منظر الامير فخر الدين ، وعرف الامير ان ابنته قالت لهم في احدى الجلسات من نوع المواليا :

عيّروني بقصرك قلت عود التِبْر والقصر خصر الغزال والعنق شامخ شبر
قولوا لاهل الذكا قولوا لاهل الخُبر العلم يجمع الدنيا ولو كان طولو شبر

فبعث المعنيّ الى السيفيين يقول :

نحنا صغار وفي عين العدوّ كبار انتم خشب خور نحنا للخشب منشار
وحق طيبا وزمزم والنبي المختار ما بعمّر الدير الّا من حجر عكار
(عن مجلة الآثار)

رجال الشوف والغرب والجرد وكسروان ، وكتب لابنه عليّ ان يمشي الى غزير برجال القتال من بلاد صفد وبشاره وصيدا والشقيف وارسل الى الامير عليّ الشهابي ليجيء برجاله الى غزير وينضمّ الى ابنه عليّ . وكتب الى الامير يوسف الحرفوشي ان يضبط ما لآل سيفا من غلال وماشية في القيرانية والهرمل . وزحف هو بعسكره على جبيل[1] فاميون فقلعة بجمون في الضنّية واحتلّ هذه الاماكن بلا مقاومة ولا قتال .

---

١) تلخيص من مجلة الآثار عن المؤرخين : جمع الامير رجاله وقام من بيروت الى نهر ابراهيم ومنها الى جبيل فبات فيها . ووجد بكباشيين من رجال يوسف باشا فطلب ان يسلّما قلعتها وقلعة سمرجبيل فأبيا . فسار الى اميون في الكورة وكانت من معاملة طرابلس ولما اصبح مشى بعساكره الى قلعة بجمون من بلاد الضنية ، ثم الى قرية قبولا ، ومنها سار بنفسهِ ومعه ثلاثمئة فارس من سكبانه لاستكشاف شؤون عكار . فصاروا مقابلها عند مغيب الشمس فلما احلولك الليل ابصروا عشرة مشاعيل خارجة من عكار الى حصن الاكراد ، فظنوا انها موقدة امام ابن سيفا . فترجّل فخر الدين ومشى قدام رجالهِ في طريق صعب واستحلفهم ان يجدوا في طلب ابن سيفا الفارّ ولا يشتغلوا عنه بالغنائم ، فاتوا الى عكار تحت الظلام باحثين عن ابن سيفا فلم يعثروا عليه ، وكان للحصن طريقان سار السيفيُّ على احدهما وسيّر احمالهُ واثقاله على الآخر . ولما سمع هرج الناس اطفاء المشاعل والتقى المعنيّ ورجالهُ بالاحمال فغنموها وهي نقودٌ وآنية ذهبية وفضّية وطنافس عجمية واسلحةٌ وملابس حريرية شيءٌ كثير وثمين . والتقوا بالحريم فلم يتصدّوا لهنّ . وسار المعنيّ بنفر من جماعتهِ الى قرية شدره وخلّى معظم رجاله في عكار فنهبوها . وقاتلوا الشيخ مظفر المنداري فقهروهُ . ثمَّ عاد المعني وجمع رجاله ودخل عكار صباح يوم الاحد ١٧ صفر سنة ١٠٢٨ هـ . ١٦١٨ م . فوجد عسكره قد نهب قصر يوسف باشا . وأبدى الاميرُ جرأةً غريبةً في هذه المهاجمة . وكان الامير محمدٌ بن حسين باشا ابن يوسف باشا تحمله جماعة الى جدّهِ في عكار فامسكهُ رجال المعني فارسل الامير الى امه يخبرها عنه وكانت في حارة سير من معاملة الضنية . ثمّ تقدم الى عكّار وهي شقيقة صديقه علي باشا جنبلاط . وانفذ الى ابنهِ عليّ يخبره بدخوله عكّار وانهزام السيفي وطلب ان يرسل العسكر المجموع من صفد والداولة بقيادة الامير عليّ الشهابيّ الى قلعة الحصن وان يبقى هو في حارة غزير ففعل ما امرهُ بهِ . الّا ان فخر الدين لبث اربعة ايام في عكّار ثمَّ امرَ رجالهُ بالسير لمحاصرة السيفي . وكان يوم مطرٍ فلم يرافقهُ غير الف من السكبان وابناء العرب . فبات في شدره وسار منها الى مقابل الحصن . فرأى جميع الامراء السيفيين صافّين رجالهم للقتال فندم على تسرعهِ . وابى ان يتقهقر فهجم وقتلَ منهم خلقًا كثيرًا وفرَّ الباقون ، ودخل يوسف باشا بجميع اولاده وانسبائه الى القلعة واغلقوا المدخل بلا ميرة ولا ذخيرة . امّا الامير محمدٌ واخوه سليمان ابنا اخ يوسف باشا فانهزما الى جبلة قرب اللاذقية . واما الشيخ مظفّرٌ ومقدّمو بني الصواف وكانوا نزلاء السيفيين

وكان ابنه الامير علي وحليفه الامير علي الشهابي قد أنزلا عسكرهما في غزير . وتربص فخر الدين في قلعة بجمون وسيّر شرذمة من رجال دير القمر في طريق عكار للاستكشاف والكبس فوقعوا في الطريق على نفر من عسكر يوسف سيفا فيهم حفيده الامير محمد بن حسين . فدبَّ الذعر في قلوب هؤلاء وتفرقوا عن اميرهم هاربين في كل وجه ، فأمسكه الديريون ولاطفوه مراعاةً لحداثته ، وكان ابن خمسة اعوام واتوا به الى فخر الدين فرؤف بحداثته ورحم قلب والدته فأرسل يقول لها : لا تشفقي عليه من شرّ فانه في رعايتي .

وامر يوسف باشا بنقل حريمه وما هان حمله من ثمين المتاع الى قلعة الحصن

فدخلوها بجميع رجالهم . ودنت نجدة الامير عليّ فحاصر المعنيُّ القلعة وجعل يتفقد المتاريس بنفسه ويشدّد العسكر . ثمَّ وصل عُمر باشا والي طرابلس برجاله وارسل الامير يونس الحرفوشيّ من بعلبك اربعة بكباشية من سكبانه ، فضايقوا السيفيّ ومن معهُ وليس لهم ميرة فأكلوا لحوم الخيل . ثم طلبوا الأمان فأمّنهم المعنيُّ والوالي على دفع ٣٠٠ الف قرش نصفها للمعنيّ لقاء دينهِ الذي بذمة السيفي من محصول بيروت وغزير والبلاد التي ضبطها وكانت لابنهِ عليّ ومن المواشي التي أُودعت عندهُ . والنصف الآخر لحاكم طرابلس ، وأرسل السيفي ولدهُ الامير بُلُك يتعهد لها بالدفع فأبيا ان يرفعا الحصار ما لم يصر المال الى ايديهم وتذكّر المعنيُّ الاساءة الماضية فتأخر عن المصالحة وسار بمئة فارسٍ من رجاله الى عكار . وترك الباقين في الحصار . وارسل الامير محمداً الذي اعتقلهُ ووالدتهُ الجنبلاطية الى حارة الناعمة (الدامور) واستدم بتأثين امرهم جدم قصور السيفيين ورجالهم . فبقوا نحو شهرٍ حتى قوّضوها ونقلوا حجارتها الى طرابلس ومنها الى بيروت فدير القمر فبنى بها بعض ابنية المعنيين الباقية الى اليوم ، برًّا بيمينهِ التي اقسمها . واستبقى دار الامير محمد ابن الامير عليّ وهو حفيده ابن بنتهِ . وكانت عكار القديمة التي هدمها اذ ذاك ، شرقي قرية (ببنو) الآن الى الجنوب . ولا تزال اسواقها مبيّنة . والحجارة التي نقلها الى دير القمر منحوتة ولا تزال بارزة في الطبقة الارضية من دار السيد انطون عبد البستاني وفي بناء المرج .. وهو اكبر دارٍ للمعنيين في دير القمر . سمّاه « المرج » الشهابيون لخزنهم فيه الحبوب .

ثمَّ طلب تسليم قلعتي جُبيل وسرجبيل فسلّمتا ، وهدم قلعة جبيل وكانت شامخة البناء . واشتد الضيق على يوسف باشا وقد كبرت سنّهُ فالحّ على المعنيّ في مصالحته فلم يصالحهُ ، وكان السيفي قد استصرخ مصطفى باشا والي الشام والبكباشي كرد حمزه وهما من اصدقائه فقدما برجالها الى القصير قرب حمص ، ووصل محمّد باشا أباظه والي حلب الى مدينة حماة بعسكرهِ فارسلوا الى المعنيّ والطرابلسي ان يرفعا الحصارَ فصار الاتفاق على مئة الف قرش يدفع نصفها للمعني والنصف الآخر لوالي طرابلس ، واتفق هذانِ على ارسال هذا المال الى الاستانة . فرضي السلطان عن المعنيّ لذلك .

وعزّزها بحامية قوية وخرج واجتاز بعسكره نهر عكار وزحف فخر الدين بعسكره فتقابل الجيشان ودارت رحى القتال زهاء ساعتين فدارت الدوائر على عسكر ابن سيفا فأمر بالتقهقر الى ما وراء العدوة الاخرى من النهر وكانت المياه غزيرة غامرة فاجتازوا على جسر وهدموه لساعتهم . وجدّ عسكر الامير في اثرهم الى النهر فوقفوا لا يجرأون على عبوره. واشفق الامير من فوات فرصة الانتصار فاستحثّ نخوتهم فلبثوا مترددين . وكان حول الامير سبعة رجال من اشدّ رجال الحرب لا يفارقونه قدّ احدهم سراويله من الساقين وشمّر ووثب الى النهر فعبره ، وفعل فعله رفاقه الستة ، فانبعثت جرأة العسكر وتراموا الى الماء بثيابهم ، وقال الامير : من هذا البطل الذي اقتحم النهر اولًا ؟ قالوا يوسف الخوري الديراني . قال : انه لحيّةٌ ذكرٌ وخوّاض غمرات،والله لاثيبنّه اعظم ثواب . ثم اصطفت رجال السيفي تصلهم نارًا حامية قبل ان يتمكنوا من تنظيم صفوفهم ، فنزل التشويش في عسكر الامير واخذوا يتقهقرون الّا المشمّر لم يتزحزح من موقفه لبث يرمي العدوّ من وراء صخرة ، فلما رأى ذلك رفاقه الستة حسدوه وكرهوا ان يكونوا دونه جرأة وإقداماً ، فكرّوا على اعدائهم مستبسلين، وصاح الامير في عسكره صيحة ارتجت لها الارض وقال: اليوم يومكم يا حماة لبنان ، يا رجال الامير ! فانقلبوا على العدوّ كالسيل الجارف وأرسلوا من زئيرهم رعدًا قاصفاً والتحم الجيشان فصلصلت السيوف على الرؤوس ، وتسابقت الاسنة الى الصدور ، ورويت الخناجر من دم المهج . وحطّمت العظام بالفؤوس ، ووطئت الخيل بساطاً من الجثث، وما هي الّا ساعة حتى لمت بروق النصر من سيوف المنيرين، وانهزم السيفيون شرّ هزيمة وتفرّقوا مشتتين في السهل والجبل ، وخيّم الظلام فتوارى ابن سيفا عن عيون طالبيه . ولاح انه متجه ببقية عسكره جهة قلعة الحصن ، فجدّ الامير في اثره بثلاثمئة فارس من رجاله وبينا هو في الطريق يتعقبه اذا عشرة مشاعيل تظهر من بعيد خارجة من عكار ووجهتها القلعة فظنّ ان هناك عدوّه في شرذمة من عسكره فادركهم فاذا النساء والاحمال فأوعز الى رجاله ان يأخذوا الاحمال واستحلفهم بالشرف اللبناني ألّا يتصدّوا للنساء فأنفذوا ارادته . وكان يوسف باشا ورجاله غير بعيدين من ذلك الموضع ، لكنه اطفأ المشاعيل حتى لا يُرى وتخلى عن حريمه

طلباً للنجاة . ودخل عسكر الامير عكار واطلقوا فيها أيدي النهب وترفعوا عن التصدي للنساء والاولاد ثم خرجوا في طريق الحصن وكان الامير قد سبقهم اليه بفرسانه ، فاذا أمامه امراء آل سيفا ورجالهم وبنو الصوّاف مقدمو المتن برجالهم ، وكانوا مصطفين للقتال ، فلم يرهب كثرة العدد بل استلّ سيفه وارسل صوته زئير اسد ، وقال : عليهم يا رجال البأس ، ليس النصر للكثرة انما النصر من الله لمن شاء ، النصر للسواعد القوية والقلوب الجريئة وللصامدين الصابرين ، وثبة السباع ومزّقوهم يا اسود المنيّة . انقضّ هو وفرسانه انقضاض الشواهين على صغار الطير ، فارتجت ركبُ السافين ووهت عزائمهم وسالت قلوبهم خوفاً فانهزموا الى القلعة لا يلوون على شيء ودخلوها متدافعين واقفل الباب . فأحدقت عساكر الامير بالحصن واتخذوا لهم متاريس منيعة وحفراً وخنادق . وشدّدوا الحصار حتى عجز المحاصرون عن صدّهم ونزل الوهن بعزيمة ابن سيفا وايقن بانه مغلوب ، فشاور مَن معه في التسليم فقالوا : ذلك اقربُ الى السلامة . فأرسل علياء كنته زوجة ابنه حسن الى ابيا فخر الدين في زمرة من النساء فدخلت يبنّ اليه وهو في خيمته وقبّلت يدَه وقالت : ان نلت حظوة لدى سيدي الامير فهب لي آل سيفا . فمسح بكفه على شعرها الذهبيّ وقال : ما يحملك على هذه الشفاعة وقد راموا هلاكنا ؟ قالت : الرحمة والرَحم . قال أما والله لو حالفَ النصر حماكِ واستوهبه ارواحنا كل اهل الارض لما حجب نقطة من دمنا . قالت : لا خلة افضل من العفو عند المقدرة ولا زينة لذي السلطان اجمل من الحلم ، وانت ايها الامير قمين بكل خلة كريمة وصنع جميل ، وقد اتيتك اسألك العفو عن اعدائك الذين اذلّهم الله بين يديك ، فلا تكسر خاطر امتك لئلا يقال لا شأن لابنة فخر الدين عند ابيها فأصغر في عين نفسي وفي عيون هؤلاء السيّدات . فلان قلبه وقال : وهبتهم لكِ ولصاحباتكِ ، فلن نحمل على حياتهم بأذى ، ولكن نجرّدهم من اسباب الصولة والحول حتى لا تعود لهم قدرة على الإفساد . فقبّلت يده ورأسه وقالت : مثل الامير حقيق بكل حلم وجود . ثم لمت عيناه بشراً وقال : أين الاميرة هيفاء ؟ فبُهتت من سؤاله وقالت : أليسَ هيفاء عندنا ؟ قال : اوليست في الحصن ؟ قالت : لم أرها ، من اتى بها الى الحصن ؟ فاربدّ وجه الامير ويبس حلقه وشفتاه

وضرب كفا على كف وقال : أننتقم بعد ما عفونا ؟ فحزنت عليا. اذ رأت اباها على هذه الحال ، وقالت : بروحي انت يا ابي ، ماذا يغمك من جهة هيفاء ؟ ما شأنها ، أليست في احدى قلاعك او في دارك بدير القمر ، لقد كنت احسب انها الى جانبك مدة تغيبك عن البلاد ، فما هذا الذي اسمعه من سؤالك واراه من قلقك ؟ فاخذها من يدها الى ناحية وقص عليها القصة فتعجبت ، وقالت : لعلها في الحصن وانا لا ادري . قال : ننظر في الامر . وصرنا مع رفيقاتها وأمن آل سيفا على ارواحهم فخرجوا اليه مسلّمين وامتلك الحصن وعرّاهم من كل قوة للقتال وفرض عليهم غرامة كبيرة،فلما قبضها خلّى سبيلهم الّا يوسف باشا استوقفه وقال له:ماذا صنعت بهيفاء ما ذنبها فاعتقلتها وملأت قلبها ذعرًا ونفسها غمًّا ، اين هذا من المروءة والحنان الوالدي ، لقد وقع نساؤك في قبضتي وقبضة رجالي فهل تصدينا لهنّ بسوء ، ابت المروءة الا ان نرأف بضعفهنّ ونخلي سبيلهنّ وهنّ غريبات عنّا وعدوّات لنا ولو شئنا لخليناك لا تراهنّ ، وانت تستأجر لصوص البحر ليسبوا بنتك وهي عرضك ومن لحمك ودمك ، .فعلتَ ذلك نكاية لنا واستهانة بقدرنا ، وقدّر لنا ان نقدمر يدًا عنك ردحاً من الدهر فصبرنا على حكم القدَر ، ولما ادركناك عفونا عنك تكرماً مع القدرة عليك افتطمع في حلمنا حتى لا تردّ علينا زوجتنا وقد اخذتها كسبيّة ، انّ روحك بدلًا فتبصّر ، هيهات ان ينفعك الإصرار .

قال الباشا وفي وجهه ولفظه امارات الندم والخشوع : اعلم يا امير اني آسف على ما فات ، ما باعدني عنك في ما مضى بغض لك في قلبي ولا ازدراء بقدرك ولا طمع في حلك وبلادك ، انما ساقني الى معاداتك حبّ السيادة في بلادي وخوفي عليها من سطوتك، أما اتهامك اياي باني استأجرت قرصاناً لقتال رجالك ونهب مراكبك وما استطاعوا الّا اعتقال ابنتي فما يزيد على ان يكون وهماً ساقه الى ذهنك ظاهر الحال، والواقع ان تلك النذالة احقر من ان تخطر لي في بال،إني لاكبر من ان اقدم على مثلها دنيئة تلبسني العار والندم والهوان، انما فعل ذلك القرصان على دأبهم من التصدي لركاب البحر لا بأمري فعلوا ولا بعلمي ولا برضاي . فلما اعتقلوا هيفاء مالوا بها الى جزيرة ارواد وارسلوا اليّ يطلبون فديتها عشرين الف دينار . فاستأجرتُ مركبين من طرابلس وسرت

عليهم برجال القتال : فلما دنونا منهم وقف زعيمهم منتضياً سيفه وقال :
ألقتالنا اتيتم ؟ انا لخطكم مستعدون . فاعلموا اني عند اول اشارة عداء
تبدونها تكون اميرتكم هيفاء اولى ضحية منكم نقربها على مذبح الانتقام.
ابقر بطنها بهذا السيف واخضخضه في احشائها بلا رحمة والقي جثتها في البحر
طعاماً للسمك . ثم نطوكم وابلاً من رصاصنا فاما نكسرهم شر كسرة
ونسلبكم حتى ما يستركم من ثياب واما ان ترجع كفتكم فننهزم من
وجوهكم ، وفلاة البحر واسعة وسلامتنا مضمونة وسلامتكم في خطر وانتم
في الحالين خاسرون . ما نحن بلصوص كما تتوهمون ، نحن جنود أمرنا بتعقب
فخرالدين فلما لم نجده في المركب اعتقلنا زوجته لتأخذها بدلاً منه الى الاميرال.
لكن ما رأيته من بكائها وإعوالها والاغماء عليها من شدة الخوف والحزن
ألان قلبي واثّر في نفسي فرحمتها ورثيت لحالها وقلتُ اسلّمها الى اهلها على
شرط ان يؤدوا فديتها عشرين الف دينار . فلما تحققتُ انه لا يداور ولا
يمزح في تهديده قلتُ له بل نؤدي الفدية ونحقن الدماء. لكننا لا نملك سوى
الف دينار . قال : حسبُ . هاتها . فرميتُ اليه صرةً فيها الف دينار .
عدّها وسلّم الينا هيفاء . وعُدنا الى عكار فرحين ، ثمّ اني حسبتُ للمستقبل
الف حساب . قلت : لئن عاد فخر الدين من اوربة توباً ووطأ له السدكنة
ليبدأنّ حروبه في ارضي لانه طامع في بلادي ومصمم على هلاكي . فالرأي ان
اعتقل زوجته رهينة . فان قهرني اشتريتني منه كما اشتريتها من اللصوص. وان
قهرته عفوت عنه ورددت زوجته عليه . فادخلتها الحصن وكتمتُ امرها. فاقامت
فيه مع وصيفاتها وصديقاتها لا تخرج وتدخل مخفورة. لكنها مغموسة في الترف
والنعم . ذلك الى يوم تحصنت فيه برجالي هرباً من وجهك فطلبتها ولم اجدها
وسألت فقيل انها توارت يوم عكار ولا يُعرف كيف خرجت ولا اين اتجهت.
فلطمت وجهي وقلتُ ما اقل حظي ! أمّلتُ ان يكون اعتقالها سلامتي فصار
لعطبي . ها قد صدقتك الخبر وانا الآن في اسرك وقبضتك فان شئت عفوت
والعفو اجمل والا فلك ما تشاء . هيفاء زوجتك وهي ايضاً ولدي وما كان
قلب الوالد باقل حنواً من قلب الزوج . فاطرق الامير هنيهةً يتأمل ورأى بيان
حميه اقرب الى الصدق لانه لا مغنم له في اخفاء بنته بعد ما صار اليه من ذل

الانكسار وتقوّض العز وخراب الديار وخسارة المال والرجال . فخلّى عنه . وامر رجاله فحملوا من خرائب عكار حجارةً صفراء اللون الى ساحل البحر فنقلت في مراكب الى بيروت ثمّ على عواتق الرجال الى دير القمر ذكرًا لانتصاره على آل سيفا وبرًا بيمينه التي اقسمها . وبثّ رسله في بلاد عكار ينشدون هيفاء فلم يعثروا عليها . فرجع بعسكره الى قاعدة حكمه متهلل الوجه بانتصاره العظيم ومكتئب النفس بخيبته من جهة هيفاء .

١٨

من قلعة الحصن الى قلعة الشام

علمتْ هيفاء وهي في قلعة الحصن بنشوب المعارك في عكار وان الدوائر دائرة على السيفيين ، وشاع في القلعة ان اباها مصممٌ على ارسالها الى حلب . حتى اذا تم النصر للمعني لا يأخذها بلا شرط،على قبوله يترتب تسليمها اليه . فاخذت تنظر في وجوه الحيلة للنجاة من هذا الخطب الجديد . وكان على رأس الحامية قائد حسن الاخلاق بكت لديه وتوسلت اليه ان يفتح لها الباب لعلها تنفذ الى معسكر المعنيين وتنفحه لقاء اخلاء سبيلها خمسة الاف قرش ، وكان القائد كبير النفس عزيز المروءة فروف بها وقال لها : ان للامير فخر الدين فضلًا عليّ لا اجحده . ودينًا اتوق الى ايفائه . ذلك ان ابي وقع في اسر احمد باشا الحافظ والي دمشق وعزم الوالي على قتله فافتداه الامير بمئة دينار وفرس كريم وردّه سالمًا الى عياله . فانا صانع اليك خيرًا من اجل المعروف الذي صنعه زوجك الى ابي ، لا يحسن ان افتح لك باب القلعة لان بفتحه خطرًا عليك وعليّ ايضًا . اما عليك فلصعوبة البلوغ عبر الجيوش الى من ترومين . واما عليّ فلجواز إن اتهم بالخيانة او بالتقصير . غير اني فاتح لك مخرجاً آخر لا خطر فيه عليك . وتارك لك المال ايفاء لدين الاحسان الذي لزوجك الامير على ابي وعليّ . ثم انه استدعى رجلين من اهل ثقته وقال لهما: امضيا بالاميرة وجواريها الثلاث في هذا الدهليز الى آخره ، فاذا تقدتم منه الى الوادي فسيرا معهنّ الى معسكر المعنيّ وقد وكلت حياة الاميرة وراحتها الى شرفكما وجرأتكما فكونا لها اخوين وحارسين . فسارا بهن في الدهليز الى

وادٍ على مسيرة ميل من القلعة وتوجهـا بين من ناحية الشمال والشمس وراء حجاب المغيب ، وكان الوادي قصيرًا فاجتازوه قبل مداهمة الظلام ، وساروا في السهل ساعة وهم لا يعرفون طريقًا ولا يدرون كيف يذهبون . فجلسوا واوقدوا نارًا يصطلون بها ويأنسون . واذا كوكبة من الفرسان اقبلوا عليهم وكانوا من اعوان السيفيّ . فسألوا الرجلين من تكونان وما شأن هؤلاء النساء فلم يأخذوا جوابًا شافيًا. فقالوا انهّا من رجال المعني وهنّ من نسائه. فقبضوا على جميعهم واستاقوهم الى القصير واتوا بهم الى مصطفى باشا الذي كان السيفي قد استنجده فوافى بعسكره الى القصير لينصره على المعني ، فخلّى الوالي عن الرجلين وارسل النساء مخفورات الى الشام وامر باعتقالهن في القلعة الى ان ينظر في امرهنّ. ووصى بالاميرة خيرًا فلم ينلها ورفيقاتها ضيم في معتقلهنّ غير ان هيفاء التي انتقلت من الرمضاء الى النار تتقطع قلبها غمًّا لما اصابها من فشل الخطة ، وعضت اصابعها ندمًا على مـا جرّت على نفسها من بلاء لخروجها من حصن الاكراد قبل ان تحقق اعلام النصر على خيام المعتين ، فجلست على الحضيض وذرت على رأسها التراب وابت ان تذوق طعامًا ثلاثة ايام ، وكانت تشهق في البكاء وتندب نكد الطالع ، فتنفخت اجفانها من طول البكاء . واخذت جاريتها يعالجن كشف غمها بانواع التعزيات والتسليات والتأميل فلا تملك الاصغاء اليهنّ حتى بلغ منها الجوع والحزن واشرفت على التلف ، فبكين لبكائها حتى نضبت مجاري دموعهن . وما انقضى لهنّ اسبوع على هذا الحال حتى نزل الوهن بقوى هيفاء ، واستحوذ عليها الشحوب ونال من نضارة شبابها الذبول وخمدت جذوتا خدّيها وامتقع لون وجهها ومال بياضه العاجي الى الكدورة والاصفرار . حينئذٍ وقفت عليها احدى وصيفاتها وقالت : رفقًا بنفسكِ وبنا يا سيدتي فانكِ تنتحرين وتشقين قلوبنا جزعًا عليكِ ولا تدرين . ان كنتِ لا ترحمين نفسك ولا ايانا فارحمي الامير الذي تحبينه . انه ولا ريب ينشدك وعمّا قليل يهتدي اليكِ . والله يقتحم لانقاذك لظى حربٍ ضروس . أفيركب لاجلك الاخطار ويعاني الاهوال ثم لا ينتزعك من اشداق الاسر الا وقد صرتِ جلدًا على عظم كغصنٍ اذهب الجفاف نضارته، اما كفاهُ ما تجشم من وحشة الغربة واتعاب السفر ولوعة الفراق ومكائد الحساد وما يكابد من

اخطار الحرب واهوالها حتى تصدعي فؤاده بالحزن وتنغصي عليه العيش وتعكري صفوه وتنسي حياته في الشقاء . اين هذا من المحبة الواعية التي لا تنظر الا الى مصلحة المحبوب فتصبر على الضيم وتستعذب المرّ وتستطيب العذاب وتتلقى الملمات بالفرح ولا تبالي بالتعب والشقاء . ها انك قد استسلمت الى الغمّ وبحت قلبك للحزن ولم تشفقي على عينيك من عواقب البكاء ، ونبذت كل تسلية وتعزية وعفت الطعام والشراب وصرت من النحول على قيد خطوة من التلف ، فاذا نفعك ما تصنعين . فارجعي الى نفسك وتدبّري امرك واصبري على ما نابك وتوكلي على الله يؤتك الفرج القريب . ووقع الجواري الثلاث على عنقها يقبلنها باكيات ويقلن ارحمينا يا سيدتنا فقد ذابت قلوبنا جزعاً وتصدعت اكبادنا كمدًا . افلا ترحمين . فافاقت هيفاء من سكرة الحزن وقالت : لتطب انفسكن ، وطلبت ماء فغسلت وجهها . ثم اكرهت نفسها على الطعام فاكلت قليلًا وشربت . وقالت : لا أمرّ من ذلّ الاسر لكنه حلو في سبيل الحبيب . لقد سئمت الحياة من سجن الى سجن ومن كرب الى كرب . فان رضيتها على علاتها فلاجل فخر الدين ، وكان الحراس من اجل التوصية يطلقون لها ولرفيقاتها حرية التجول في القلعة ، وكانت بعد غياب الشمس تطلع على السطح وتسرح الطرف على مشاهد المدينة الرائعة وقصورها الشاهقة وقبابها العالية ولا تشيع عنها من مشهد بردى سائلًا يتلوى بين الحدائق والجنائن والغياض كذوب الفضة تحت اشعة القمر ، وكالمرآة الصقيلة تنعكس عليه صور الاغصان المتحركة بنسمات الليل المبللة بالندى ، ثم ترفع ناظريها الى ما فوق فيخلب لبها مشهد السماء المرصعة بلآلي النجوم . فتتنهد من اعماق الصدر وتصعد الزفرات ويلتف على قلبها سحابة من الاكتئاب وتتالى على ذهنها الذكريات لذيذةً ومؤلمة . تذكر سهراتها الحافلة باللذات الطاهرة على سطح قصرها في دير القمر الى جانب فخر الدين ورأسها الى صدره وعيناها الى السماء يريها النجوم باصبعه ويميّزها باسمائها العربية ويشرح لها ما يعلمه من سيرها ودورانها وسرعتها وابعادها وطلوعها ومغيبها واقترانها وافتراقها الى غير ذلك من خواصها واحوالها . فلدى هذه الذكرى تسقط من بين اجفانها لؤلؤتان تمسحها عن ورد وجنتيها الاصفر بمنديل من حرير . وتحوّل نظرها الى الفرقدين فيختلج في صدرها

الحسد وتقول : سقيًا لكما يا فرقدان . خلقتما متصاحبين ولن تبرحا كذلك الى الابد . لماذا لم أرزق مثل حظكما السعيد انا التاعسة التي يحرق احشاءها وهج الفراق ؟ انكِ جميلة يا سماء في ما عليكِ من زينة النيّرات ، لكنّ جمالك ناقص في نظري لاني لا اشاهد بين نجومك الساطعة ذلك النجم اللامع المحبوب الذي اسمه فخر الدين . اين انت يا فخر لبنان يا عزّ ارزه وشربينه يا عماده ورافع ضيمه وقاهر اعدائه وسهمه النافذ وسيفه الباتر ومُذل المتجبرين عليه وقالع عيون الطامحين اليه ومُعلي بناء مجده ومُطلع اقمار سعده ، اين انت ايها الاسد الرئبال اب الاشبال ، الممزّق الصفوف في القتال . لماذا لا اراك اذ ارى الجوزاء وفوقها قد نصبتَ مقعدك . لِمَ لا اراك اذ اسرح الطرف على هذه الرياض الغنّاء ، وفي رياض المكارم جعلتَ مرتعك ، لِمَ لا تُسمع زئيرك هذه القلعة فتتداعى جدرانها وتتزعزع اركانها وتتحطم اقفالها ؟ لماذا لا تطلع من وراء هذه الجبال كما يطلع البدر فيتبدّد ظلام الوحشة من اشراقك وابصر انوار الانس تتألق في زوايا هذا الحصن حيث تكتنفني ظلمة القبور ؟

شهر تقضى وهي في القلعة تغالب الغمّ وتناصب الهمّ وتسطو على اسباب اليأس بأسباب الرجاء . تهب على نفسها ريح التذكر الحارة فتتلظى بين ضلوعها النار الهاجعة تحت رماد التجلد والتأميل . فتصبُّ عليها مطرةً من الدمع تخمد لظاها وتخفف من الم الاحتراق .

نزلت ذات ليلة عن السطح تتهاداها الافكار المقلقة وتتعاقب على قلبها الهواجس والهموم . فاتت سريرها وذكرت الله والتمست عونه وترجت رحمته وخلاصه ، فسقط على نفسها قطر من ندى التعزية فنامت ورأت في نومها كأن يدًا ناعمة تمسح على جبينها وخديها فاحست ببرودة لذيذة مُنعشة ، وكأنها فتحت عينيها فاذا الى جانب سريرها امرأة ملتحفة بالبياض تبرق بجمال طلعتها الابصار ، وعلى ذراعها اليسرى طفل كتمثال من لجين بهيّ المنظر باسم الثغر بعينين تشع منهما انوار النقاوة والوداعة والظرف . كلاهما يزين جبينه اكليل لامع يرجع عنه النظر وهو كليل : فطفح قلبها سرورًا وقالت : من تكونين يا سيدتي؟ لم أرَ مثلًا لك في بنات الانسان . انك لاجمل من الشمس وابهى من القمر . أمَا من جواريك يا ربة الحسن والكمال ، من تكونين ؟ — قالت : انا ام

الرحمة ، انا نجمة الصبح ، وابني هذا هو الرحمة النازل من السماء ، فاحنت رأسها سجودًا لها وقالت : الا ترحميني يا سيدتي ؟ قالت بلى ، ولهذا اتيت . أحبي ابني من كل قلبك تجدي رحمة وخلاصاً . قالت كأني بقلبي مضطرم وها انه يذوب بحبه . وادنت شفتيها من قدميه الصغيرتين وقبلتها بحب لا مزيد عليه . واذا بفخر الدين يظهر فجأة وينحني امام الطفل العجيب ويلقي سيفه لدى قدميه ، فمسح الطفل بيده اللطيفة على رأس الامير وتبسم . حينئذٍ استيقظت هيفاء وهي لا تملك نفسها من فرط الفرح . ولما افترّ ثغر الصباح قصت حلمها اللذيذ على وصيفاتها فدهشن وقلن لها : أبشري بخلاص قريب . وبينا هن جالسات يتحدثن اذا جندي من حرس القلعة يحيي هيفاء « بعمي صباحاً » ثم قال لها : رفرفي بجناحيك يا حمامة الارز هوذا ساعة المطير الى اهلك وبلادك . فلمع بعينها برق السرور . وقالت : لئن صدقت بشراك لاجزلنّ عطاءك . قال : صدقت ، والله ، فاخرجي للقاء رجالك . خرجت فاذا اربعة فرسان في طليعتهم سرور العداء مملوك فخر الدين . سلّم عليها وهنأها بالافلات من إسرها وحملها ووصيفاتها على الافراس الاربعة وساروا بهن في طريق دير القمر . وكان سرور ممسكاً بقود فرسها فسألته عن سيده الامير واولاده وسائر آل معن وعن والدها واخوتها وعن نتيجة حرب عكار فاخبرها بكل ما جرى . واستغربت الاميرة مفاجأة انقاذها من القلعة فطلبت ان يشرح ذلك لها . فقال : ان الامير حتى الساعة ، لا يعرف من امرك شيئاً لا كيف خرجت من قامة الحصن ولا الى اين صرت ولا انك حية ترزقين او ميتة لا ترجعين . اطلق رسله ينشدونك في انحاء البلاد فلم يهتدِ احد الى مثواك . ولا ظفر انسان بخبر عنك او اثر منك ، فتنغصت عليه لذات انتصاراته وتوجه بعسكره نحو دير القمر فعرّج على بيروت لينظم احكامها وعمّا قليل يرجعها الى قاعدة حكمه .

اما انا فاوقفني على حالك ابوك وقد عرف ما وقع لك من مصطفى باشا والي الشام الذي وجه الى ابيك رسالة من القصير يخبره باعتقالك وبعزمه على ضمك الى حريمه بعد عوده الى دمشق . فشقّ الامر على ابيك وحملني رسالة الى سيدي الامير فخر الدين فلم ابلغه الرسالة خشية ان ازيده قلقاً واثير نخوته لاضرام حرب في الشام قبل ان يستريح رجاله من اتعاب حرب عكار . وقلت

لابيك لي حيلة في انقاذ الاميرة احبُ ان اعالجها فان نجحت كفينا مؤنة القوة والا فالرسالة في يدي انفذها الى سيدي الامير . قال ما حيلتك ? فكشفت له عما بخاطري فاستوعر الخطة لكنه لم ينهني عنها . فانطلقت الى صديق لي من المقرّبين الى كاتب مصطفى باشا وابحتُ له بسري واستعنت به على امري واعطيته ياقوتة غالية الثمن وجدتها بين الغنائم التي غنمناها من قلعة الحصن فحملها الى الكاتب وغرّه بها فزوّر كتابة عن لسان الوالي الى قائد قلعة الشام يأمره بان يخلي عنك ويسلمك اليَّ فور وصول الرسالة اليه . فاخذتها من صديقي وعليها مثل توقيع الباشا وخاتمه. واتيت بها ومعي هؤلاء الرفاق الثلاثة وجازت حيلتنا وانتهت بالفوز لسعادتك وسعادة الامير .

تعجبت هيفاء من سماعها هذا الحديث واعجبت بدهاء سرور واثنت على شهامته وولائه ، وحضر في خاطرها الحلم الذي رأته . فايقنت انه من الله سبحانه رأفة منه بحالها وجبرًا لكسرها واستمالة لها الى عبادته على حسب مشيئته ، فوطنت النفس على ارضائه والتمست منه ان يسهل لها السبيل بقوته وجوده وحكمته.

١٦

افراح النصر واللقاء

لمّا صار الامير على مسيرة ميل من قاعدة حكمه الى الغرب خرج اهلها للقائه ومعهم جمع غفير من سكان الشوف وغيرهم ممن اتى لتهنئته بانتصاره العظيم. فخطرت على باله هيفاء. وشقّ عليه ان يدخل دير القمر بالسلب والغنائم والرايات المنتزعة من العدوّ محفوفًا بالمجد وبالوف الهاتفين والمعظّمين ولا تكون هي الى جانبه تشاركه في فرح انتصاره وتجالسه تحت سرادق عزه، وخيّل اليه انه على باب داره. وقد أُلبست الدار من اغصان الارز والزيتون والريحان ومن ازهار الحقل والبساتين حلة خضراء مفوّفة تسترق بحسنها العيون ، وانه وقف وقال : بئس هذه الزينة يا دار ، لأنّ اوراقِ عاطلة منها وفيكِ مصابحك المنير ألذّ لعينيَّ من وحشتك المرعبة في حلّتك الشائقة . انقبض فؤاده وتجهّم وجهه وأمسى في ذلك الحشد الكبير كما لو كان وحيدًا في قفر لا يسمع ولا يرى شيئًا الّا اشتكاء هيفاء من تحامل الدهر والّا شبحها الكئيب يرسف في قيود

الذل،وانه لكذلك واذا مملوكه سرور وقف لديه وقبّل ركابه وقال : بشرى يا سيدي الامير ! الظفر ظفران الاميرة هيفاء قائمة للقائك في باحة الدار . فخفق قلب الامير واوهت شدة الفرح المفاجئ قواه فنزل عن فرسه في مدخل البلد الغربي « الميدان العتيق » وجلس على طنفسة فوق دكة يشاهد العاب المسايفين والفرسان المسابقين والمتراشقين بالجريد والراقصين والمنشدين، وأمر مملوكه سروراً بالجلوس في قربه وواجهه بالمشاشة والرضا وقال له : لله درُّك يا سرور، ما تبشرنا الّا بخير ، فايه . فأخبره سرور بقصة انقاذه للاميرة بكل تفاصيلها واسبابها من اولها الى آخرها ، فتعجب الامير من دهائه وذكائه ولطف حيلته وتهالكه في محبة اميره . وخلع عليه وقرّبه ورفع رتبته ووعده بمنصب يُحسد عليه . ودخل الامير الفاصحة بابهة وعزّ عظيمين تحت اقواس النصر على تقف الدفوف واصوات الهتاف تظلّه غمامة من قتام البارود ، التقى بهيفاء بعد ذلك الفراق اللاذع الطويل ، فحدّث عن بهجة ذلك اللقاء ولا حرج ، وأمر فأقيمت الافراح ثلاثة ايام أولم فيها لاهل البلاد وفرّق الغنائم على المحاربين تحت رايته وصرفهم للاستراحة في بيوتهم بالمال والتحف موقرين. ثم استدعى رجاله السبعة الابطال وقال لهم : انكم حقيقون بالمكافأة . فليسألني كل منكم ما يشاؤه فسألوه فأعطاهم وأجزل العطاء ، وقال ليوسف الخوري (المشتر) : انت يا يوسف بطل عكار على ثباتك في وجه العدوّ ترتب لنا النصر،فمن الآن تدعى ثابتاً لانك ثبتّ دون سائر المحاربين ، لم ترهب الموت ولم تولِّ العدوّ قفاك ، فدعي ثابتاً وهو الجد الاول لاسرة ثابت الديرية ، وكان ولوعاً بالمجد فلم يسأل الامير مالاً ولا أرضاً بل تقبل الخلعة بالشكر وسأله ان ينصب على باب داره راية لبنانية بين اسدين من حجر عكارَ الاصفر ويكون ذلك حقاً له ولذريته ذكرًا لتهالكه في محبة وطنه واميره ، فصنع له ذلك واعطاه كل الارض التي تجاه دير القمر من المعاصر الى نبع البستان شرقاً فغرباً ومن بعقلين الى النهر الفاصل بينها وبين دير القمر جنوباً فشمالاً . فكان الاسدان الحجريان على عضادتي الباب حتى تغيّر شكل الدار بعد حوادث عام ١٨٦٠ اما الارض فخرجت عن ملكه قبل انقراض سلالة المعنيين الا قطعة في المعاصر مكثت في ايدي ورثائه الى عهد الشهابيّ الكبير .

وبنى الامير قصره الفخم في دير القمر اربع طبقات ضخمة واسعة معقودة السقوف بالحجر الا الطبقة العليا سقوفها من خشب الارز وصنع للقصر مدخلاً عظيماً بقوس من حجر عكار الاصفر مزين بالحفر البديع والنقش الناتئ، فجاء البناء حصناً منيعاً عريض الجدران ضيّق النوافذ من الخارج عريضها من الداخل عالي الابواب كثير القاعات الفسيحة لكنها قليلة الضوء ولا سيما في الطبقات التي تحت الرابعة فلا تنفذ اليها أشعة الشمس وجرّ اليها الماء في انابيب من خزف مطمورة في التراب وجعل من داخل دار الحريم منفذاً سرّياً في دهليز عميق الى حمّام بديع الهندسة جميل النقش والبناء بناه في اسفل المدينة تحت سراي الامير يوسف الشهابي التي لا تزال قائمة الى اليوم .

وكان ذلك الدهليز مهرباً خفياً من هذا الحصن ومخبأ حريزاً مهيأً لنجاة الامراء والاميرات عند مفاجأة الحدثان . موقع هذه الدار في سوق الميدان من الشمال يميل الى الشرق تحت غابة الشربين القديمة العهد القائمة في صدر تلّ على قمة خراب هيكل يرجح كونه من بناء الرومانيين ، ولعله اقيم لعبادة القمر فدعيت المدينة باسمه (دير القمر) نقلاً عن اللغة السريانية (دَيرُ) الذي تفسيره دار او دير وقيل غير ذلك في تسمية البلد بهذا الاسم .

ولفخر الدين واخيه يونس ابنية غير هذا القصر في دير القمر ، منها الجامع والمأذنة ومنها الطبقة السفلى من دار انطون عيد البستاني وما يليها الى الغرب الشمالي ، الى غير ذلك، وبنايات المعنيين ممتازة ومعروفة بفخامتها وقوتها وزخرفها وشكلها وحجارتها وقد تسلطت على بعضها عوامل التغيير والتهديم .

وروت هيفاء لفخرالدين حكاية خطفها من المركب الى آخر ما وقع لها من يوم حبَس عليها ابوها الى انطلاقها من الحصن الى سجنها في قلعة الشام وانقاذها على يد مملوكه سرور ، ولم تشكُ اليه من والدها وان كان قد حبس عليها وسدّ مخارج الافلات ولم يدع منفذاً للانباء منها واليها فقد كان على ذلك يحسن اليها قولاً وفعلاً ولا يحبس عنها شيئاً من حنانه الوالدي بل احاطها بأصناف التسليات ولم يكن شيء يعكر صفوها الا انفصالها عن زوجها مكرهة على الفراق ، غير انها كانت تعالج هذا البلاء بترجي اللقاء . واخبرها الامير بعفوه عن ابيها واخوتها وسائر آل سيفا . فطابت نفسها بجمله وقالت : لا

استعظم هذا العفو على سنة الامير، ولم يبهتها ما آلت اليه حالهم من قصر الباع بعد ما كان لهم من حول وطول لافنشاء ذلك الى اشراق مجد الامير وهدوء باله ومصلحة لبنان . واصبح ما حلّ بآل سيفا عبرة لغيرهم من ذوي السلطة وولاة الاحكام في البلاد ، وقعت عليهم مهابة فخر الدين واصبحوا على خشية من صولته فال بعضهم الى مسالمته خاضعين ، اما هو فكان معوله على ما يرومه من بسطة العزّ والسلطان على الفطنة والروية وجودة التدبير وانتهاز الفرص ولا سيما بعد ما عرف تبرّم الناس من حروب المعنيين والسيفيين لما جرّته على البلاد من كوارث وخسائر في المال والرجال . وقد قال في ذلك الشاعر ابراهيم الاكرمي :

خلِّ عنّا ذكرَ ابن سيفا ومَعن. انما يطلب الغريمَ الغريمُ
ما لنا والحروب نحن أناسٌ ما لنا طاقة بشيء يضيمُ

٢٠
فتح وتحصين

رسم الامير لنفسه خطة فلم ينِ عن انفاذها ، ورمى الى غاية فلم تقعد همته عن إدراكها ، فبعد ان أمن تطاول السيفيين بكسر شوكتهم وتقويض عزّهم عبأ جيشاً لجباً وارسل الى الامير احمد طربيه ينذره بالويل والثبور اذا هو لم يَدِن لطاعته راضياً بما يشرطه عليه . ولما ذهب إنذاره ادراج الرياح زحف عليه وقاتله فكسره . ثم زحف على مصطفى باشا وقهره في واقعة المجدل ثم سار بالعسكر الى وادي التيم وكان على حكمها أحمد الشهابي فاداه الطاعة بلا قتال . وحذا حذوه الامير علي الشهابي في حاصبيا ، وسار فخر الدين برجاله الى بانياس فرمّم قلعتها ثم الى صرخد فشيّد فيها قلعة والى بعلبك فرمّم قلعتها وبنى قلعة في قب الياس .

وكان اللبنانيون معجبين باميرهم لما له من علو الاخلاق وجرأة القلب وبُعد الهمة والمهارة في فنون القتال . وقد اسكرهم واسكره ما احرزوه من الظفر والفتح بجودة قيادته وقيادة ابنه الامير علي . واصبحوا وقد ارتفعت اقدارهم وعمرت ديارهم واتسعت تخومهم ، فاحاطوا به احاطة الهالة بالقمر يفدّونه

بارواحهم ويحاربون حربه مستميتين غير هيابين ، مترابطين برثاق المحبة الوطنية والاتحاد الاخوي على اختلاف نحاهم الدينية، وكلهم مفاخر باسم لبناني، الكل وطني ، الكل لبناني كلهم يشدّون أزر حاكم الوطن وابيه .

وكان الامير معتزًا بهذه الرعية المتحدة قلبًا ومرمىً ويدًا . فزحف بجيش من اشدّائهم بأساً على غربي حماة فوافاه اهلها خاضعين ، فبنى قلعة تجاه حلب شمالي قلعة الشاميس واقام حصناً منيعاً فوق انطاكية . ثم قام الى بلاد الثغر وبيلان فجاءه والي حلب مسآلماً وقدّم له ثلاثين ذهباً والف حمل مؤونة لعسكره فتقبّل هديته وكفّ عسكره عن التصدي لرعاياه . واصبح لبنان في ذلك العهد مملكة قويّة واسعة الارجاء منظّمة الجيش والاحكام مرهوبة الجانب غنية بالمال والرجال والبقاع ، ولها السيطرة والسلطة من حدود حلب الى حدود القدس الشريف . فتربّع فخر الدين في دست هذه الامارة الكبيرة بلا منازع ولا مطاول . وذهب له صيتٌ بعيد ولمع له مجـد عظيم ، ووالته الاقدار فأقرّه السلطان على فتوحه ونفحه لقب « سلطان البرّ » وكان للسلاطين من آل عثمان لقب « سلطان البرّين والبحرين » .

ومن جودة تدبيره وبُعد نظره أنه ظلّ متصلًا بين حالفهم من ملوك اوربة وأمرائها ، فكان يراسلهم ويراسلونه ويمدّونه بالمـال والرجال ، فنما عرشه لتمهده اياه بكل عوامل النماء ، وجنى من قطوفه ما لذّ وشاق وطاب وكان يخبر الخلفاء بحروبه وفتوحه وما يرمي اليه من ايهان سلطة الدولة وخضد شوكتها الى هزّ عرشها هزّةً تكون الكافلة بدكّه ، وقام في اعتقادهم أن اقل مـا يترتب على قهره وُلاة تركيا في البلاد السورية يكون وقوع الدولة في المشاكل والمتاعب وتكبّد الخسائر مما يفلّ من عزمها ويفتّ في عضدها ويقصّر باعها فلذلك بدروا لمناصرته وشدّ أزره بالرأي والمال والرجال . اما كسموس الثاني دوق توسكانا فكان له السبق في معاضدته وانفاذ المحالفة ، ففي سنة ١٦٣٠ أرسل اليه الكافليار فراتزانو في عددٍ كبير من المراكب تحمل اثقالًا من الميرة والذخيرة والملابس وجماعة من المهندسين وحذّاق العمال مما يلزم للحرب من إنشاء الخطط وتشييد الحصون وحفر الخنادق ونصب المتاريس على الطرائق الفنيّة . ونهض العلّامة ابراهيم الحاقلاني يذكّر البابا اوربانوس الثامن بفخر الدين ويصف

له حروبه الظافرة ومفاخره العالية وما يترتب على نجاحه من استتباب الامن وانتشار السلام ودرء المظالم ورفع المآثر فلم يسع البابا تجاه اقواله السائغة وبراهينه الساطعة ومساعيه البارعة الا ان يجيب ملتمسه ، فأمدّ الامير وآزره وأدرّ عليه اخلاف نعمته ، وقام فخر الدين بحرمة الصنيعة واستدام بشكره النعمة . وكان يوم عرّج على مالطة قد عالن فرسان الجزيرة بما ينويه من محاربة الدولة اذا تمت له المحالفة في اوربة ولم يخذله الحلفاء . فحبّذ الفرسان سعيه وأملوه بأن يكونوا من نصرائه ، غير انهم لم يبتّوا له عهد المحالفة حتى يروا ما يكون من أمره بعد عوده الى لبنان وامتشاقه الحسام ، فلما حصل له ما علت من توحيد الامارة اللبنانية والاستيلاء على الولايات المجاورة ببأس اللبنانيين الملتفين حول رايته وبامداد حلفائه في ايطاليا واسبانيا أخذ يراسل فرسان جزيرة مالطة مرهفاً عزمهم على محالفته رغبة في ايجاد دعوة صليبية على الدولة العثمانية . ولولا طوارئ لم تكن في الحسبان افسدت الطبخة وغيّرت وجه الحال لنجح مسعاه وفاز بمناه .

٢١

مناوئو فخر الدين

تمّ للامير ما ابتغاه للبنان من امتداد الملك ومناعة الجانب وبسطة العزّ والاستقلال بالحكم في امارة واحدة وطنية متلاحمة الاجزاء نصب فيها قسطاس العدل ورفع منارة الحق وارتقى بها اخصب مراتع الطمأنينة والامن ، اصبح اللبنانيون شعباً واحداً قوياً مجموع الكلمة والرأي لا يطمع فيه طامع ولا يجرؤ على منازعته منازع ، واقام فخر الدين عمّالا له في البلاد من ذوي المهابة والحنكة والرأي والتدبير ولاهم الاقاليم غير ناظر في انتقائهم الى الطائفة والمذهب بل الى الكفاءة والاقتدار وفتح عليهم عين المراقبة احتياطاً للزلل وسدًّا للخلل فاستقامت الاحكام وروعيت الحقوق وعم السلام وكان من عماله الشيخ ابو نادر الخازني ولّاه بلاد جبيل والشيخ ابو صافي اخوه ولّاه على بلاد بشري والمقدّم يوسف الشاعر على بلاد البترون اعتبارًا لمقدرتهم العقلية والادارية ومنزلتهم العالية واخلاصهم للوطن . ورسخت قدمه في الديانة المسيحية غير

مجاهر بها مخافة انقلاب الكثيرين عليه ، فاكتفى باقامة معبد في قصره واختار لخدمته الروحية كاهناً من المدينة يقيمها في مراقيها ويعود الى منزله ومعاشه من خزانة الامير . وكان للكاهن في بيته صورة تمثل العذراء النقية حاملة على ذراعها الطفل يسوع فأتى بها الى المعبد ورفعها على المذبح وتأملتها هيفاء فاذا هي رسم السيدة الجليلة التي رأتها في الحلم وتذكرت احسانها اليها فاستكنت في الايمان المسيحي وتوفرت على عبادة القديسة ام الله وبالغت في اكرامها فكانت تزور صورتها المحبوبة مرات كل يوم وتفزع اليها من كل ضيق وتسألها الحماية والسلامة والنصر لفخر الدين واعوانه في الحروب . وتأصلت في نفسها مخافة الرب ومحبة القريب ، فكانت تخمد بتوسلها العذب سخط الامير اذ يتقد للانتقام من مناوئيه وتحبب اليه الوداعة والرحمة لانها من فضائل القادي الكريم،وملكت قلوب الجميع بلطفها ولين مقالها وبسط كفها للعطاء ومواساتها للضعفاء وتصدقها على الفقراء ، وتضاعفت محبة فخر الدين لهـا من اجل هذه الخلال ، وكان يرجع اليها في فض المشكلات وحل المعضلات ، لما خبره من توقد ذهنها وصفاء نفسها وسداد رأيها وبعد نظرها في الامور .

لو قنع فخر الدين بهذا القدر من السلطان لنعم لبنان بما ابلغه اليه من العز والقوة والمهابة ووفرة المرافق ورخاء العيش في استقلاله المنيع وثروته المادية والادبية دهراً طويلاً غير انه ذهب مع سكرة السلطة والانتصار واستفز رواء المجد فطمحت نفسه الى السلطنة والعرش والصولجان ، ونهته هيفاء ومشيروه المخلصون عن هذا الطموح الخطر فأبى الا ان يجازيه مجاهراً بقصده الجور غير حاذر ولا حاسب لاعدائه حساباً، وبنى في بيروت قصوراً وتلالاً وخاناً وحديقة الوحوش تقليداً للسلطنة،وفي صيدا خاناً للتجار الافرنج،فانبرى اعداؤه ولاسيما آل فروخ وسيفا وطربيه يرسلون الشكايات عليه والوشايات الى الباب العالي بأنه نازع الى الاستقلال وخارج على السلطان ومارق من الإسلام لا يكترث لشريعة الرسول فلا يصوم رمضان ولا يدخل الجامع الا مرة في السنة وقد هدم عدة جوامع وامسى عثرة في سبيل الإسلام فاشتم الباب العالي من جهته ريح التطاول وبات على ترقب من خضوعه واشفق منه وثبة على العرش فاستفاق من غفلته وانتصب على قدم الحذر فأمسى الامير هدفاً للتهم . طمع وما درى انه وقع .

كانت الريح مواتية لسفينته والسبل ممهدة لاغراضه والبلاد مجموعة في قبضته واوربة تعاونه على امره والبابا وفرسان مالطة يفكرون في الدعوة الى حرب صليبية جديدة تقلب عرش تركيا وترد الاتراك الى منابتهم ، والدولة مغضية عنه ساعية الى مرضاته ونفسه تحدثه بالارتقاء الى ذروة المجد والعلاء في سلالم القواضب والرماح ، فاذا بالسعد يأفل وبالاحوال تنقلب ، وبالاحلام اللذيذة تنكشف عن حقائق مروعة .

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

تفشى الطاعون في بلاد ايطاليا وفتك بأهلها فتكاً ذريعاً فشغل كسموس دوق توسكانا عن فخر الدين ولبنانه بايجاد الوسائل لدرء الوباء عن بلاده فانقطع إمداده عن لبنان ، واستقدم منه الكافليار فراتزانو ومن معه من عمال ومهندسين .

واشتدت في اوربة وطأة « حرب الثلاثين عاماً » وهي سلسلة منازعات وحروب دينية سياسية شغلت اوربة من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ . عصفت فيها ريح التباغض بين الكاثوليك والبروتستانت فريعت البابوية لتفاقم الخطب ولم يعد باستطاعة البابا ان يمد فخر الدين بمساعدة ولا ان يدعو اوربة لحرب صليبية جديدة واوربة يومئذ غارقة في بحار فتنها وحروبها الرائمة .

(عن كتاب « في سبيل لبنان »)

ورأت الدولة اوربة رازحة تحت اثقال تلك الحوادث فانتهزت الفرصة للقضاء على مطامع فخر الدين ، فكان هنا موضع قول الشاعر : مصائب قوم عند قوم فوائد .

قال صاحب كتاب « في سبيل لبنان » : « ففي سنة ١٦٣٢ أصدر السلطان مراد أمره الى الصدر الاعظم خليل باشا فبثت الجيوش وزحفت على لبنان بأمرة أحمد باشا الحافظ كجك فوصلت الى الجبل يوم كانت انقطعت عن فخر الدين مساعدة حلفائه الاوروبيين مما حسن في مركز الحافظ الحربي فانتشب القتال بين الفريقين وظل مدة سجالاً بينهما تارة يبسم النصر للبنانيين

وطورًا يعبس في وجوههم حتى أُصيبوا بفقد قائدهم الامير علي ابن الامير فخر الدين وهو من أشهر قوّاد زمانه ، فكان فقده فاتحة شؤم ووبال على قومه ففارق السعد ألوية اللبنانيين وما لبث ان استظهر الحافظ كجك عليهم والتوى الامر على فخر الدين . وكان للامير في انقلاب الدهر عليه اسوة بمن سبقه ومن لحقه من قوّاد عظام وملوك كبار خانهم القدر في بلوغ ما رموا اليه من الغايات الوطنية » .

جاهد اللبنانيون حول اميرهم جهاد الابطال واستماتوا في الدفاع عن وطنهم ونفوسهم فلم يُجدهم ذلك الا الزيادة في تسخط اعدائهم واستفزاز ضراوتهم واستشرائهم . وكان هؤلاء اكثر منهم عددًا واتمّ عدةً فتغلبوا عليهم ، والكثرة تغلب الشجاعة . ورزء فخر الدين بابنه عليّ قصم ظهره وضعضع رشده وزاد في الطين بلّة ما اصابه من خسارة فتوحاته التي خرجت عليه وانضمام الذين كان قد قهرهم الى صفوف أعدائه . غير انه لرحابة صدره وفساحة صبره وكبر نفسه وعلو همته آثر الموت في ساحة الشرف على التسليم الى تركيا قاتلة جده وابيه وصارعة فلذة كبده ابنه عليّ . فصد للاعداء يناجزهم القتال كرًّا وفرًّا الى ان خانته القوّة وتفرقت عنه الرجال فناله العجز عن النزال ، ولم يبق له ملجأ غير الحصون . فأرسل حسينًا اصغر اولاده مع مدبّره الشيخ نوفل الخازني الى قلعة المرقب . فلما اشتد عليهم خناق الضيق سلّموا مضطرين ولم يُقتل احد منهم ، وفرّ فخر الدين الى قلعة شقيف تيرون (قلعة نيحا) فدخلها مع اولاده منصور وحيدر وبُلك ومدبره الشيخ أبي نادر ونفر من رجال حربه وذويه . فشدّد العدوّ الحصار عليهم ، وضربوا القلعة بالقنابل المهدّمة . واهتدوا الى قناة الماء المجرورة الى بئر في القلعة تحت التراب فقيل انهم القوا فيها سمًّا وقيل القوا في القناة دم حيوانات ذبحوها ففسدت ماء البئر ولم تعد صالحة للشرب . فانسلّ الامير ومن معه ليلًا الى مغارة جزين وهي في صخرة ممتدة من شلال جزين الى نهر عزّيبة على طول نحو ٣٠٠ متر من الجنوب الى الشمال وليس لها الا مدخل وحيد مربع الشكل بقياس متر مربَّع ومن تحته منحدر الى الوادي تخاف العين ان تتأمله لملاسته الزلّاقة وعظم ارتفاعه العمودي . فلا يقدر احد على الوصول الى مدخل المغارة من علُ ولا على الصعود اليه من اسفل الّا بسلّم منقولة ،

ورجل واحد كفوء لحماية هذه القلعة الطبيعية فتمتنع على جيش لجب . اقام فخر الدين ومن معه في هذا الحصن المنيع الذي يكاد يمتنع عن عقاب الجو، وقنابل المدافع تزلق عن صدره الصلب الاصم ولا تحدث فيه اثرًا ، مكثوا فيه مختبئين طائفة من الزمن آمنين يجيئهم بالطعام رجل من مزاري الامير من عائلة مطر في قرية وادي جزين وليس للنهر الفاصل بين المغارة والقرية جسر فكان الرجل يعبره غائصاً في الماء مستترًا بثوب الظلام خوفاً من طلاب نفس الامير فقدّر الامير خدمته الشاقة ووهبه القرية ثواباً، وفي قرية مشموشة تقليد آخر يذهب الى ان رجلاً من اهلها كان يحمل الميرة الى الامير وصحبه في عتمة الليل فدُعي عتّمة واطلق هذا الاسم على ذريته الى اليوم ، ثم ان المحاصَرين ألجئوا للتسليم قيل لنفـاد الميرة وقيل ان جنود الدولة احتفروا تحت الصخرة وعالجوها بالنقر من تحت المغارة حتى نفذوا اليهم فضرب الامير جبهتـه بيده ، وصاح : لقد خانت الحيلة ، فلا وزرٌ مما قضى الله واقياً . ورمى بسلاحه الى الجند فاقتادوه والذين معه الى الحافظ كجك فاطلق سراح الشيخ اب نادر وابنه الشيخ نوفل وارسل فخر الدين واولاده الى الاستانة فأُشربوا سمًّا وماتوا سنة ١٦٣٥ ، ولفظ فخر الدين النفس الاخير وهو يقبّل ذخيرة عود الصليب ، وقال لهيفاء لا تجزعي ولا تبكي فانًا منتقلون من الشقاء والفناء الى السعادة والبقاء »، فاطبقت اجفانه وغسلته بالدموع وجاهرت بالايمان المسيحي وما لبثت ان شربت مثل الكاس التي شرب ممثلة النفس عزاء بين غمرات الموت القاسية وهي تدعو باسم يسوع المخلص وامّه العذراء معزّية الحزان ، وترجو الحيـاة الخالدة مع حبيبها فخر الدين في عليّين . وكانت سنو حياة هذا الامير العظيم اثنتين وخمسين سنة ».

ولم يبقَ من ذريّة فخر الدين الا ابنه الاصغر حسين رؤف السلطان بحداثته فعفا عنه ، وعاد الى الاسلام دين اجـداده وإستوطن الاستانة ونال حظوة لدى الباب العالي فتقلّد مناصب الدولة وظفر بمنزلة عالية،وفي سنة ١٦٥١ ارسلته الدولة ببعثة الى الهند فعرّج على دير القمر زائرًا الامير ملحم ابن عمه الامير يونس خليفة فخر الدين في الحكم . فرحّب به الامير ملحم ودعاه للاقامة في لبنان ويتخلّى له عن الامارة فأثنى على مروءته واعتـذر اليه ومكث في

ضيافته عشرين يوماً تعاقبت فيها على نفسه تذكارات حداثته في ذلك البلد المحبوب ، وعاين ما هنالك من آثار والده ومفاخره الباقية على الدهر، فكان تارة يفرح حتى تأخذه هزَّة الطرب وتارة يحزن حتى لا يملك حبس الدموع . ثم انجز طريقه الى الهند وقضى المهمّة المسندة اليه وعاد الى الاستانة واقام فيها الى يوم وفاته .

اما الامير ملحم ابن الامير يونس أخ فخرالدين فتولى الامارة من عام ١٦٣٥ الى ١٦٥٨ وقاتل ولاة سوريا في وقائع كثيرة فردَّهم مدحورين واخص مواقعه موقعة وادي القرن استبسل فيها اللبنانيون وراحوا يضربون في اقفيـة اعدائهم الى ابواب دمشق . ولمّا توفي الامير ملحم خلفه ابنه الامير أحمد من عام ١٦٥٨ الى عام ١٦٩٧ وتوفي بلا عقب فانقرضت به سلالة المعنيين[1]

اجتمع اعيان اللبنانيين وتفاوضوا في مَن يولونه الحكم بعد الأمراء من آل معن فقرَّ رأيهم على الامير حيدر الشهابي الذي وُلد للامير حسين الشهابي من زوجته بنت الامير ملحم المعني سنة ١٦٩٧ فانتقلت الامارة الى الامراء الشهابيين من ذلك العهد وولي الوصاية على الامير حيدر الامير بشير الشهابي الاول .

---

١) قال الموسيو بيجه دي سان بير مؤلف تاريخ الدروز سنة ١٧٦٣ : انَّ نفرًا من الامراء العرب ولا سيا آل فروخ وطربيه وسيفا قدموا الشكايات للباب العالي مثل غيرهم من اعداء الامير مدّعين عليه انه لم يكترث لشريعة النبي محمد وانه هدم الجوامع ولم يدخلها إلّا مرةً في السنة ولم يصُمْ رمضان فغضب السلطان وأصدر أمرهُ الى كوجك احمد باشا والي الشام بمحاربته مع حكام الولايات المجاورة والامراء المعادين للمعنيّ . فجنَّد المعنيُّ ٢٥ الف رجل وجعل قيادتها بين ولدهِ الامير عليّ واخيهِ الامير يونس وقاد هو بنفسهِ بقية الجيش فقُتل الاميران وفُشل فخر الدين . ثم جاء قبطان باشا باسطولهِ وانتهى الامر بانقلاب المعنيّ . فوضع ثلاثة شروط لتسليمهِ . ١ً ان يُمنح الحرية ليذهب الى السلطان والابواق عازفة قدامه والاعلام مرتفعة امام حرسهِ المؤلف من ٣٠٠٠ رجل . ٢ً ان يُسمَح لهُ بحمل مليون من النقود الذهبية ، وان يُحمل بعض ارزاقه على اربعة عشر جملًا . ٣ً ان لا يسير ابدًا منقادًا كالعبد المدحور امام انتصار الظافر وان يكون امام السلطان مكرَّمًا كالباشاوات فقُبلت شروطهُ. ولاقاهُ السلطان بموكبه الى الباب . والقى السلطان عليهِ أسئلة فأجاب وهو لا يدري انه السلطان بل ظنَّ انهُ احد ضباط المحكمة . وكان السلطان يتوق الى رؤية المعنيّ لما سمعهُ عنهُ من الابهة والدهاء، فوضع له كرسيًّا بجانب عرشهِ واجلسهُ ، وكان المعنيُّ قد ارسل اليهِ ثماني اوانٍ مملوءة ذهبًا . ولم يطُل المقام بالمعنيّ حتى سعى بهِ اعداؤهُ وافتى المفتي بقتله مع بعض اولادهِ وحملوا رأسهُ على حربةٍ وطافوا به في شوارع القسطنطينية وتحت رأسهِ الكتابة الآتية : هنا رأس الامير فخر الدين العدوّ الثائر. (عن مجلّة الآثار)

ذيل

كان للامير ملحم ابن الامير يونس المعني ولدان قرقماس وأحمد وكانت الدولة قد اقرّته على بلاده الشوف وتوابعه وارسل ثلاثين الف قرش الى مراد باشا الصدر الاعظم نقلده سنجقية صفد ايضاً. وبينا هو متوجه اليها ليجمع المال الاميري نزل به داء عضال وهو في عكاء فجيء به الى صيداء ومات فيها فحزن عليه الشوفيون حزناً عظيماً لما كان متحلياً به من خلال العدل والحلم والكرم والمقدرة السياسية واقيمت له مناحة مدة اربعين يوماً ، وصار الحكم من بعده الى ولديه قرقماس وأحمد ، ولم يطل بهما العهد حتى وقع خلاف بينهما وبين ابن الكبرا حاكم طرابلس لامتناعهما عن ان يسلّما اليه بعض الشهابيين والحاديين محتجين بانهم لم يدخلوا بلادهما. فجهّز حملة عليهما وانضمّ اليه الباشا حاكم غزّة برجاله وابن علَم الدين وبنو طربيه برجالهم . فهربا الى بلاد جبيل واختبأا . وكان علي باشا الدفتردار حاكماً في مدينة صيدا من قِبل ابن الكبرا وهو عدوٌّ لهما . فلمّا عُزل وتولى مكانه محمد باشا كتب هذا لهما انه يؤمّنهما وطلب ان يوجها اليه كاخيتهما ليردّهما الى بلادهما . فارسلا اليه الكاخية فطمأنه وقال له : استدعِ الاميرَين ليواجها كاخيتي في عين مزبود. فأتيا ولما شربا القهوة أمر الكاخية السكبان فضربوهما فقتلوا الامير قرقماس وجرحوا الامير أحمد بضربة سيف جرحاً بليغاً في عنقه وردّ عنه اتباعه فلاذ بالهرب ولم يمت وعاد الى حكم الشوف، وكان له ولد يدعى الامير ملحم توفي ولم يُرزق سواه . ثم أُسندت ولاية صيدا الى احمد باشا التفتجي فزحف بعسكره على الشوف ففرّ الى وادي التيم فتولى حكم بلاده الامراء آل علَم الدين اليمنيّون. ولما عُزل احمد باشا التفتجي عاد الامير احمد الى بلاد الشوف وكان حكمه يتناول سبع مقاطعات : الشوف والجرد والمتن والغرب واقليم جزين واقليم كسروان . ثم وشي به الى الدولة أرسلان باشا والي طرابلس فأمر الصدر الاعظم بنزع هذه المقاطعات من يده وإلقائها الى الامير موسى اليمني ابن علَم الدين ، وخانه انصاره من النكديين والسيديين والزبكيين، فهرب الى وادي التيم واختبأ . فجاء الامير موسى علم الدين الى دير القمر ونزل في دار الامير

أحمد المعنيّ وتملك المقاطعات السبع الى ان توفي السلطان أحمد وخلفه على أريكة السلطنة السلطان مصطفى ابن السلطان محمد ، فالتمس مصطفى باشا والي صيدا من الباب العالي اعادة الحكم الى الامير أحمد المعني. فصدر عفو عنه وعاد الى دير القمر قاعدة الحكم واستقرّ له الامر الى ان حضرته الوفاة في ١٥ ايلول سنة ١٦٩٧ ولم يخلّف عقباً ذكراً فانقرضت سلالة المعنيين الذكور وانتقلت الامارة الى الامير حيدر الشهابي القاصر ، وكان وصيّه الامير بشير الاول الشهابي الى ان بلغ أشدّه فتولى الحكم بنفسه. وكان هذا بدء امارة الشهابيين في لبنان موروثة عن المعنيين .

بيان عن «كتاب الكهنوت»

الخوراسقف عابل الزجي
حافظ الخزانة والمكتبة البطريركية

تمهيد: أهدى الينا حضرة صديقنا المفضال الخوراسقف بطرس حبيقه، صاحب التآليف والنشرات العديدة القيّمة في الحقلين الديني والمدني، كتيباً في العربية وفي الافرنسية (١٣+١٥ صفحة بقطع ٢٠/١٤)، عنوانه: «بحث قاطع ودرس جامع» وموضوعه صحة نسبة «كتاب الكهنوت» الى مار يوحنا مارون، وليس الى موسى بركيفا.

وهذا الكتيّب من وضع المرحوم شقيقه الاباتي يوسف حبيقه، وكان رحمه الله قد طرق هذا الموضوع مرة اولى سنة ١٩١٢، ومرة ثانية سنة ١٩٣٢. وقبيل وفاته سنة ١٩٦٦، اعاد النظر فيه. فشاء حضرة شقيقه الجليل إن ينشره مجدداً بالطبع. فاستحق الشكر المضاعف: لامانته على إحياء ذكرى شقيقه بنشر مآثره، ولاهتمامه المتواصل، بالرغم عن شيخوخته الوقورة، بالدرس والنشر.

وبهذه المناسبة، بدا لنا تعريف «كتاب الكهنوت» ببيان وضعناه عن نسخه المعروفة، وعن النصوص المشتملة عليها النسخ، وعن مؤلف النصوص.

١ – نسخ «كتاب الكهنوت»

نعرف اثنتي عشرة نسخة من «كتاب الكهنوت»:

النسخة الاولى (= ا) في المصحف الواتيكاني السرياني رقم ١٠٠، وكان في بغداد في اوائل القرن العاشر، فاشتراه فيها رئيس دير السيدة والدة الله، المعروف بدير السريان، في بريّه الاسقيط بمصر، وضمّه الى مكتبة ديره سنة ١٢٤٣ لليونان (٩٣٢م)، بعد مشتراه بست سنوات (٩٢٦م). وكان من كتب المعلم ابرهيم الحاقلاني في رومية († ١٦٦٤) ورقه بينها ١٦٠. وقد سقط تاريخ نسخه بسقوط اوراقه الاخيرة. على ان العارفين يقدرون انه كُتب في اواخر القرن التاسع او اوائل العاشر.

(السمعاني: المكتبة الشرقية: مجلد ٢: ص ١٢١–٢؛ وفهرست المكتبة الواتيكانية: مجلد ٢: ص ٥٣٠ و٥٤٢ – ٥).

النسخة الثانية (= ب) هي المصحف الواتيكاني السرياني رقم ٣٦٣، المنسوخ عن المصحف السابق، بخط كلداني حديث.

(ماي: المجموعة الجديدة للكتبة القدماء: مجلد ٥: جزء ٢: ص ٤٠).

النسخة الثالثة (= ج) في المصحف البودلياني السرياني ، رقم ١٥٢، وقد خُطّ في رومية سنة ١٦٥٤م « عن نسخة اقدم عهدًا » .

(باين سميث : فهرست المخطوطات السريانية في المكتبة البودليانية في اكسفورد : عمود ٦٨٦ و٦٩٣) .

النسخة الرابعة (= د) في المصحف الموصلي السرياني ، المحفوظ في خزانة المطرانية السريانية الارثوذكسية في الموصل ؛ وهو من اوائل القرن الثاني عشر .

(البطريرك برصوم : اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والاداب السريانية : ص٤٤٣) .

النسخة الخامسة (= ه) في المصحف المينجاني السرياني ، رقم ٥٦ ، وقد خُطّ في الموصل سنة ١٩٠٢م ، عن نسخة اقدم منه بسبعمائة سنة تقريباً ، تخص كنيسة مار توما في الموصل .

(مينجانا : فهرست المخطوطات السريانية في مكتبة برمنجهام : مجلد١ : عمود ١٥٣–٥) .

النسخة السادسة (= و) في المصحف الحمصي السرياني ، المحفوظ في خزانة البطريركية السريانية الارثوذكسية في حمص .

(البطريرك برصوم : تمّ) .

النسخة السابعة (= ز) في المصحف الشرفي السرياني رقم ٤/١ ، المحفوظ في خزانة دير الشرفة ، لبنان ، وقد خُطّ في سحرايا قرب برطلّي في بلاد نينوى سنة ١٥٣٥ لليونان (١٢٢٤م) ، وفي « السنة ٦٢٠ للهجرة » .

(الخورفسقفوس ارملة : الطرفة في مخطوطات دير الشرفة : ص٧٢) .

ولما كان هذا التاريخ مكتوباً بالاحرف السريانية الاسطرنجيلية (ܐܠܦܗ)، قرأ بعضهم غلطاً النون عيناً ، والحرفان متقاربان شكلاً ، فأصبح التاريخ في زعمه ١٧٣٥ لليونان اي ١٤٢٤م .

(الاباتي يوسف حبيقه : البحث القاطع . . . ص٧) .

النسخة الثامنة (= ح) في المصحف المدياتي السرياني ، عرّفه الاب شيخو قائلاً إنه « نسخة قديمة في كنيسة اليعاقبة في مديات » .

(شيخو المشرق سنة ١٩٢٠ : ص ١٠٢٧) .

النسخة التاسعة (= ط) في المصحف القسطنطيني السرياني ، المخطوط سنة ١٥٧٤م .

(البطريرك برصوم : كمّ : ص٢٥٥).

~~النسخة العاشرة (= ي) في المصحف الواتيكاني السرياني رقم ١٠١ ،~~ خطّه المعلم ابرهيم الحاقلاني بيده في رومية حيث تُوفي سنة ١٦٦٤م . وكان بين كتبه يحمل الرقم ٦٤

(السمعاني : المكتبة الشرقية : مجلد ١ : ص ٥٢٠ وفهرست المكتبة الواتيكانية مجلد ٢ : ص ٥٤٥ — ٥١)

النسختان الحادية عشرة (= ك) والثانية عشرة (= ل) وهما اللتان اخذ عنهما الاباتي يوسف حبيقه نصَّ كتاب الكهنوت وترجمهُ الى العربية وطبع الاصل والترجمة سنة ١٩١٢. فاحداهما ، على قوله ، « لا يتجاوز قدمها الستين سنة ، اما الثانية فهي حديثة العهد » . ولم يذكر موضع حفظها .

(الاب يوسف حبيقه : كتاب الكهنوت : ص ز — ح من المقدمة).

٢ — نصوص « كتاب الكهنوت »

انّ ما نعرفه عن هذه النسخ الاثنتي عشرة ليس مستوفىً لانه ليس مأخوذًا عن النسخ نفسها ، ما عدا نسخة دير الشرفة ، بل هو مستندٌ فقط بما ذكره المؤلفون. لكنه كافٍ ، على ما سترى ، لتقرير ما يأتي بشأن نصوص الكتاب.

لا شكّ في ان النسخة « ا » الواتيكانية هي الاكثر اهمية ، لانها اقدم النسخ عهدًا . وقد أبان العلامة السمعاني عن محتواها مفصّلًا . فاذا المقالات في الكهنوت اربع : فصول الاولى ٨ ، والثانية ١٨ ، والثالثة ٢ ، والرابعة ١٠ ؛ على ان هذه الاخيرة مخرومة الاخر ، فلا يُعلم ما كان بعد الفصل العاشر منها . فيكون مجموع فصولها ٣٨ .

وقبل المقالات في الكهنوت ، يرد في النسخة مقالتان : الواحدة في المراتب السماوية ، عدد فصولها ١٦ ، والاخرى في المراتب البيعية ، عدد فصولها ٦ . وقبل هاتين المقالتين ، اي في بدء الكتاب ، اربع مقالات في القيامة ، عدد فصولها (١١، ١٥، ٨، ٢٤ = ٥٨) .

(السمعاني : فهرست المكتبة الواتيكانية : مجلد ٢ : ص ٥٢٠ — ٤٥) .

النسخة « ب » الواتيكانية ، كما ذكر العلامة ماي ، « منقولة عن المصحف الواتيكاني رقم ١٠٠ القديم جداً ، المخطوط قبل السنة ١٢٤٣ لليونان (٩٣١ م (كذا)) » (ماي : م) . وبهذا دليل كافٍ على ان محتوياتها واحدة .

النسخة « ج » البودليانية؛قابلنا ما ذكر عنها في فهرست مخطوطات اكسفورد، فاذا هو مطابق كل المطابقة ما نعرفه عن النسخة « ا » . فقد حوت مثلها اربع مقالات في الكهنوت عناوينها وعناوين فصول كل منها وعدد هذه الفصول هي هي في النسختين . على ان المقالة الرابعة فيها تنتهي بفصل حادي عشر ، لم يبقَ منه سوى شيء من عنوانه هو رقه وكلمة « ܘܡܚܘܐ = الذي يُبين » .

وقبل هـذه المقالات الاربع في الكهنوت ، مقالة في المراتب السماوية واخرى في المراتب البيعية ، عدد فصول كل منها وعناوينها كما في النسخة « ا » . اما المقالات الاربع في قيامة الموتى فغير واردة فيها (پاين سميث : م) .

واذ ليس في رومية، حيث نُقلت هذه النسخة «عن مصحف اقدم عهداً» سوى النسخة « ا » الواتيكانية ، فلا ريب ان هذه مصدر تلك .

النسخة « د » الموصلية تحوي ، على ما ذكر غبطة البطريرك برصوم ، « كتاب اللاهوت في الرتبة السموية والرتبة الكنسية ؛ والكهنوت (ثلاث مقالات) والكاهن (مقالتان)؛ والقيامة ، والعقيدة المسيحية ، وتقدمة الاسرار الالهية؛ وفي الابالسة ... » (البطريرك برصوم : م : ص٣٤٢) .

لكن المؤلف نفسه يؤكد في محلّ آخر ان « كتاب الكهنوت » هـذا عينه هو « اربع مقالات وردت في كتاب اللاهوت » . (م : ص ٣٥٥) . فاذا صحّ هذا ، وهو الصحيح على ما نرجح ، يكون « كتاب اللاهوت » في هذه النسخة قائماً بمقالات اربع ، مثله في النسخة « ا » .

وما يؤسف له ان هذه النسخة الموصلية الهامة ، قد جاء وصفها موجزاً مجملاً : « كسر الكتاب على اثنتي عشرة مقالة ومئة وتسعة واربعين فصلاً » . (البطريرك برصوم : م ص ٣٤٢) . فلا يمكننا والحالة هـذه معرفة عدد فصول « كتاب الكهنوت » فيها الا بالاجمال ولا بالافراد ، ولا بالتالي مقابلتها من هذا الباب بالنسخة « ا » .

وعلى كل حال لا نستبعد ، بل نرجح كثيراً ، ان تكون النسخة الموصلية

هذه والنسخة « ١ » واحداً ، او متماثلتين كثيراً ، كما سيبان من درس النسخة الميتچانية الآتي ذكرها المنسوخة عنها .

النسخة « هـ » الميتچانية ، بيان بجلاء انها أُخذت عن السابقة ، لانها خُطّت في الموصل عن اصل يرتقي عهده الى ما قبل سبعمائة سنة . وهذا ينطبق على ما قلناه عن النسخة السابقة .

ثم انها ، كالنسخة السابقة تماماً ، تحتوي على مقالة في المراتب السماوية فصولها ١٦، واخرى في المراتب البيعية فصولها ٦. وتليها مقالات في الكهنوت، فصول الاولى ٨ ، والثانية ١٨ ، والثالثة ٢ ، والرابعة ١٣ . وبعدئذٍ اربع مقالات في قيامة الموتى ، عدد فصولها (١١،١٥،٨،٢٣ =) ٥٧ . واخيراً مقالات في القداس والرتب (ميتچانا : ثمّ) .

فاذا استثنينا المقالة في الابالسة ، كانت النسختان ذات محتويات واحدة بعينها ، وسياقٍ وترتيب واحد ؛ وكانت بالتالي كلتاهما والنسخة « ا » ذات نص واحد على الارجح في الاجزاء المشتركة بينها ، مع هذا الفرق ان النسختين « د » و« هـ » يزيد فيهما فصلان او ثلاثة في المقالة الرابعة في الكهنوت وينقص فيهما فصل واحد في المقالة الرابعة في القيامة .

النسخة «و» الحمصية ، خاصة غبطة البطريرك برصوم ، قد لا نُخطئ اذا قدرنا ان غبطته نقلها عن النسخة « د » الموصلية التي يصفها في كتابه « اللؤلؤ المنثور » . ولو كانت الواحدة مختلفة عن الاخرى ، لكان غبطته قد اشار بدون شك الى ذلك ، اقلّه بكلمة (ثمّ : ص٣٤٢).

اما النسخة «ز» الشرفية ، التي درسناها بذاتنا ، فمن محتوياتها العديدة القيّمة كتاب في الكهنوت، مقالاته ستّ ، ختمت الاخيرة منها بهذه العبارة: « ܫܠܡܘ ܡܐܡܪ̈ܐ ܕܟܘܡܪܘܬܐ ܘܐܝܬܝܗܝܢ ܫܬ ܒܥܘܕܪܢܗ ܕܐܠܗܐ ܡܪܐ ܟܠ : تمّت مقالات الكهنوت ، وهي ستّ ، بمعونة الله رب الكل » . فالمقالات الاربع الاولى هي هي بعدد فصولها وعناوين الفصول كما في النسخة «ا» . غير ان فصول المقالة الثانية ، وهي في كلتيهما ١٨ ، شطر الفصل الاول منها فتألّف منه الفصلان ١ و٢ . وضُمّ الفصلان الاخيران ١٧ و١٨ فألّفا الفصل ١٨ . وزيدت المقالة الرابعة ثلاثة فصول بعد الفصل الرابع.

وقد يكون في عناوين هذه الفصول المزيدة دليل على انها في الاصل اجزاء من الفصل الرابع او متممة له . ودونك هذه العناوين : الفصل ٤ : في شرح كلام بولس الرسول الى تيموتاوس وطيطوس، واولاً في اسم الاسقف والكاهن. [الفصل ٥ : في اسم البطريرك والجاثليق والمطريبوليت والاسقف ؛ الفصل ٦ : في الفرق بين البطريرك والجاثليق والمطريبوليت والاسقف ؛ الفصل ٧ : في شرح كلام بولس الرسول].

اما المقالتان الزائدتان فكلتاهما ذات خمسة فصول ، وثانيتهما اي السادسة متخذة بكاملها من المقالة في المراتب البيعية الواردة في النسختين «ا» و«د» ، قبل المقالات في الكهنوت .

وعليه يتضح ان هذه النسخة «ز» والنسختين القديمتين «ا» و«د» ، وما يتفرع عنها، ذات نص واحد في المقالات الاربع في الكهنوت والمقالة السادسة في المراتب البيعية ، مع هذا الفرق ان المقالة السادسة هذه ترد في تلك النسخ قبل مقالات الكهنوت ، مستقلةً عنها ؛ وفي النسخة «ز» بعدها ، كجزء منها، مقرونةً بمقالة اخرى.

النسخة «م» المديانية ، لا نُعرف شيئاً عن اقسام كتاب الكهنوت فيها. ولما كان مؤلفها ومؤلف النسخة السابقة واحداً بعينه (شيخو : المشرق سنة ١٩٢٠، ص ١٠٣٧) ، فلا يبعد ان يكون موضوعها واقسامها واحداً كذلك .

النسخة «ط» القسطنطينية ، جاء عنها في « اللؤلؤ المنثور » انها تقوم « بست مقالات في الكهنوت السموي والارضي » . فالمقالات الاربع الاولى هي هي بعدد فصولها وموضوعها كما في النسخة «ز» . وكذلك المقالتان الخامسة والسادسة ، كما اتضح لنا من مقابلة موضوعها بمثله في هذه النسخة « ز » (البطريرك برصوم : ثم : ص ٣٥٥) . فيقيننا انهما متماثلتان جدّ المماثلة ، اذا لم تكونا واحداً .

ولذلك استغربنا ما جاء عن هذه النسخة «ط» في « اللؤلؤ المنثور » من انها تخالف ما وضعناه تحت اسم النسخة «ا» » بعدد فصولها وصفحاتها... والارجح انها كتابان مختلفان » (ثم : ص ٣٥٥) . وقد رأينا انها تتفقان بالاحرى تماماً بعدد المقالات وعدد فصول كل مقالة .

النسخة « ي » الواتيكانية الحديثة تقوم بمقالة واحدة في الكهنوت ، فصولها ٤٠ ؛ وبمقالة اخرى في شرح الليتورجية ، فصولها ٥٠ (٥اي. ٢م).

وقد وصفها العلامة السمعاني بقوله : « ان ٣٢ فصلاً بكاملها من كتاب الداراوي في الكهنوت (= النسخة ا) ترد بالالفاظ عينها في المقالة التي نسبها . . . ابرهيم الحاقلاني الى يوحنا مارون» (= النسخة ي). (المكتبة الشرقية : مجلد ٢ : ص ١٢٢ - ٣) ؛ وكذلك : « لما كان القسم الاكبر . . . من المقالة في الكهنوت [لمار يوحنا مارون] . . . وارداً بالالفاظ عينها تقريباً في [كتاب] يوحنا اسقف دارا » (فهرست المكتبة الواتيكانية : مجلد ٢ : ص ٥٥١). وقد قابلنا فهرست فصول هاتين النسختين وعناوينها ، بعضها ببعض ، فوجدنا بالواقع ان معظم فصول النسخة «ي» هي هي بعناوينها في النسخة «ا» ، ولكن بتقديم وتأخير في نظامها .

بقيت النسختان «ك» و«ل» . فالمرحوم الاباتي يوسف حبيقه ، ناشر نصّها ومعرّبه ، لا يذكر عنها سوى انها « لا تختلفان بشيء » . وكلتاهما باربعين فصلاً ، عناوينها هي نفسها في النسخة السابقة الحاقلانية . ولا شك في انهما منقولتان عنها .

بيان من محتويات النسخ ان « لكتاب الكهنوت » اربعة نصوص :

الاول في النسخة «ا» والنسختين «ب» و«ج» المأخوذتين عنها . وهو النص الاكثر اهمية : لقدمه ، اذ انه يرتقي عهده الى اواخر القرن التاسع او اوائل العاشر ؛ ولمصدره، اذ انه كُتب ، او اقلّه وُجد، في بغداد سنة ٩٢٦م؛ ولقربه من عهد مؤلفه الذي توفي سنة ٨٦٠ م ، (انظر ما سيلي) .

والثاني في النسخة «د» والنسختين «ه» و«و» المنقولتين عنها . وهو يلي النص الاول في الاهمية من حيث القدم ، اذ انه يعود الى القرن الثاني عشر او الثالث عشر ؛ ومن حيث المصدر وهو الموصل العريقة ، كبغداد ، في الديار السريانية. وكلا النصين واحد، على ما يظهر، او على الاقل مماثل احدهما الآخر .

والثالث في النسخة «ز» والنسختين «ح» و«ط» المشابهتين لها كل المشابهة. وهو قديم كالسابق ، خُطّ في بلاد نينوى شرقي الموصل في القرن الثالث عشر. ولا يبعد أن يكون هو والنصان السابقان واحد في مقالاته الاربع الاولى ،

وفي مقالته السادسة الزائدة فيه بالنسبة الى النصين المذكورين .

والرابع لا اثر له الا في النسخة « ي » والنسختين « ك » و« ل » المتخذتين منها . وهو حديث من القرن السابع عشر . وقد خطّ في رومية . ومعظمه واردٌ بالحرف في النصوص السابق ذكرها ، القديمة عهدًا والعريقة مصدرًا ، وان يكن مختلف السياق والترتيب .

بيان كذلك ، مما ذكرنا تصريحًا او تلميحًا ، ان نصّ « كتاب الكهنوت » هو بالتالي وبالنتيجة واحد بعينه . فذلك لا ريب فيه بشأن النصين الاول والثاني . فالمقالات الاربع في الكهنوت هي هي فيهما . وهذه المقالات هي عينها كذلك في النصّ الثالث ؛ انما زيد هنا مقالتان ، احداهما واردة بصحبة النصين السابقين ، ولكنّ مستقلةً عنهما وقبلهما . اما النص الرابع فمتحول عن النص الاصلي بتغيير وتبديل ، وزيادة ونقصان ، وتقديم وتأخير . لكنه لا يبطل ان يكون منه في الاصل والاساس .

٣ – مؤلّف « كتاب الكهنوت »

من الثابت الراهن ان « كتاب الكهنوت » ، على ما عرّفناه وشرحناه ووصفناه ، هو ليوحنا اسقف دارا المتوفى سنة ٨٦٠ م ، ودارا قرية بين نصيبين وماردين .

ففي النص الاول ، قد وردَ اسمه في راس كلٍّ من المقالات الاربع في الكهنوت ، بهذه العبارة : « ܡܐܡܪ̈ܐ ܕܥܠ ܟܗܢܘܬܐ ܕܥܒܝܕܝܢ ܠܗ ܠܡܣܟܢܐ ܡܪܝ ܐܝܘܐܢܝܣ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ ܕܕܪܐ = مقالات في الكهنوت للبارّ عينه مار يوحنا مطران دارا » . (فهرست المكتبة الواتيكانية : ٣ : ص٥٤٢ و٥٤٣ اعلاها وادناها و ٥٤٤ ؛ فهرست المكتبة البودليانية : عمود ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٥ اعلاه وادناه) .

وعلى هذا النحو ورد اسمه في النص الثاني : « ܟܬܒܐ ܗܢܐ ܢܨܝܚܐ ܕܥܒܝܕ ܠܐܒܘܢ ܛܘܒܢܐ ܩܕܝܫܐ ܡܪܝ ܐܝܘܐܢܝܣ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ ܕܕܪܐ = هذا الكتاب النيّر من تأليف ابينا الطوباوي البارّ مار يوحنا مطران دارا » . (فهرست مكتبة برمنجهام : ٣ : عمود ١٥٤) .

اما النص الثالث فينسب الى موسى بركيفا (= ابن الصخرة) ، اسقف

بارمان او بيت رمان ، شرقي تمالي الموصل ، المتوفى سنة ٩٠٣م. فقد صرحت بذلك النسخة « ح » : « ست مقالات في الكهنوت السوي والارضي لابن كيفا » (البطريرك برصوم : ثم : ص ٣٥٥) ؛ والنسخة « ط » (شيخو : المشرق سنة ١٩٢٠ : ص١٠٣٧) . وخلت النسخة «ز» في المقالات الثلاث الاولى من اسم صاحبها ، في المتن ؛ انما زيدت هذه العبارة : « لموسى بر كيفا » ، بحبر وخط مختلفين ، على الهامش ، قبالة المقالة الاولى . واوردت المقالات الثلاث الاخرى اسم موسى بركيفا في عنوان كل منها وفي ختام المقالة الخامسة كذلك.

ان هذا النص الثالث ، بالرغم من نسبته بنصفه الاخير الى موسى بركيفا، إنْ هو في الحقيقة سوى النص السابق الذي ألفه يوحنا مطران دارا . فهـذا واضح فيما يلامس مقالاته الاربع الاولى في الكهنوت ، على ما ذكرنا . وهذا ما نقوله عن مقالته السادسة فانها واردة في نسخ النص السابق قبل المقالات الاربع في الكهنوت ، واسم يوحنا مطران دارا في عنوانها : «ܡܐܡܪܐ ܕܐܬܡܡ ܘܡܠܘܗܝ ܕܩܕܝܫܐ ܡܪܝ ܝܘܚܢܢ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ ܕܕܪܐ». المقالة الثانية للبار مار يوحنا مطران دارا ..»؛ وموضوعها « شرح لكلام القديس مار ديونيسيوس [الاريوباجي] في مقالته عن رئاسة المراتب البيعية » (المكتبة الشرقية : ثم : جـ ص ٥٤١ ؛ باين سميث : ثم : عمود ٤٩٠ ؛ مينجانا : ثم).

اما نسبته الى موسى بركيفا، فاذا صحت، فتكون فقط من باب التوسع. فان هذا الاسقف يكون قد اخذ المقالات الاربع ليوحنا الداراوي واضاف اليها المقالة السادسة التي هي ليوحنا المذكور عينه ، والمقالة الخامسة التي نجهل مصدرها . فنسب الكتاب اليه في وضعه على هذا الشكل، وليس في تأليفه.

وقد يكون هذا ما حدا بناسخ مخطوط الشرفة (= النسخة ز) الى التردد في نسبته اليه . فاهمل اسمه بتاتاً في المقالات الثلاث الاولى .

بقي النص الرابع . فالنسخ التي تورده ، تنسبه الى مار يوحنا مارون . وقد كتبها اولاها المعلم ابرهيم الحاقلاني بخط يده، بدون اشارة الى مصدرها. وقال بهذه النسبة ، بدون ان يدلي بما يثبت قوله ، فلا يصح الركون اليه . وقد ذكرنا ، فيما سبقنا فقلناه ، ان معظم فصول هذه النسخة يرد في كتاب الداراوي . فهل يصح اللجوء، كما فعل بعض الكتبة، الى القول بانتحال المتأخر،

اي الداراوي ، كلام المتقدم ، اي مار يوحنا مارون .

ان في هذا القول بعض التباس بل بعض تضليل . لان العبرة في التقدم والتأخر ، في باب الانتحال ، لا تكون من حيث الاشخاص – وخصوصاً متى كانوا في عصر ندرت المستندات التاريخية العائدة اليه واليهم فيه – وانما هي من حيث النسخ المحتوية على الكتاب المبحوث عن انتحاله ، او من حيث ورود ذكره عند الكتبة المحققين .

والحال ان من « كتاب الكهنوت » ليوحنا الداراوي نسخة قديمة جداً كتبت في زمن غير بعيد عن تاريخ وفاته . اما الكتاب المنسوب الى مار يوحنا مارون فلا نسخة قديمة منه معروفة ، وقبل اواسط القرن السابع عشر لا اثر لنسخ منه ولا لذكر له في الكتب والمؤلفات . فلا يمكن القول بان الكتاب الاول القديم منحول عن الثاني الحديث . وتعكس الآية فيما لو تسنّى العثور على نسخة من الكتاب الثاني يرتقي عهدها الى القرب من عهد مار يوحنا مارون ، او اقلّه الى ما قبل يوحنا الداراوي، او فيما لو جاء ذكر له في مخلّفات تلك العصور .

اما ان يوحنا مارون متقدم عصراً على يوحنا الداراوي فليس ببرهان على ان له كتاباً في الكهنوت نحله الداراوي . مثال ذلك ان يعنّ لاحد المعاصرين وضع نسخة بتصرف قليل او كثير ، عن كتاب « منارة الاقداس » للدويهي، ونسبتها الى احد البطاركة اسلافه ، كيوحنا اللحفدي، وبالتالي اتهام الدويهي بانتحال اللحفدي ، بحجة ان هذا متقدم على ذاك ؛ فلا يأبه احد لمدّعاه ، بل يهزأ الجميع به . إلا ان يُبرز نسخة من كتاب اللحفدي المزعوم تعود اقلّه الى ما قبل زمن الدويهي .

لهذا السبب نرى علامتنا الكبير يوسف سمعان السمعاني ينفي نفياً باتاً ، في « المكتبة الشرقية » ، صحة نسبة كتاب الكهنوت الى مار يوحنا مارون ، ويؤكد وجوب نسبته الى يوحنا مطران دارا (مجلد١ : ص٥٢٠ ؛ ومجلد٢ : ص١٢٢–٣) واذا كان في فهرست المكتبة الواتيكانية ، الذي وضعه بالاشتراك مع ابن اخته اسطفان عواد السمعاني ، يعبّر عن تردّد في نسبته الى يوحنا الداراوي استناداً الى نسخته القديمة، او الى يوحنا مارون بحجة انه اقدم عهداً من الداراوي

(مجلد ٣ : ص٥٥١) ، فلا شك في ان هذه العبارة، التي تتنافى وما سبق فاكده في « المكتبة الشرقية » ، هي من عنديات ابن اخته المذكور .

وقد ضرب العلماء المدققون على غرار السماني فاكدوا بدون تردد ان يوحنا مطران دارا هو مؤلف « كتاب الكهنوت » . ومنهم العلامة ورَيت في كتابه في آداب اللغة السريانية (ص ٢٠٤ — ٥) والعالم روبنس ديفال في كتابه في الموضوع نفسه (ص٣١٨ و٣٩٠) ومن جاء بعدهما .

وقد قال حضرة الخورفسقفوس اسحق ارملة ، في كلامه عن نسخة دير الشرفة : « ان كتاب الكهنوت منسوب [فيها] سهواً الى موسى بركيفا ، والصحيح انه تأليف يوحنا اسقف دارا في القرن التاسع ، على ما ذهب اغلب المحققين » (الطرفة : ص٧٢ ؛ الحاشية).

اما غبطة البطريرك برصوم ، الذي يرى خلاف ذلك ، اي ان كتابي الداراوي وبركيفا في الكهنوت هما « على الارجح كتابان مختلفان » (اللؤلؤ المنثور : ص٣٥٥) ، فترجيحه يحتاج الى درس اوفى لنص الكتابين، او تقديم ادلة وبراهين انصع ، وبانتظار ذلك يفضل القول بان « كتاب الكهنوت » ، في اي النصوص أتانا ، هو في اساسه واصله ليوحنا اسقف دارا .

ÉTUDE SÉMANTIQUE SUR LE NOM مقامة *MAQĀMA*

par RÉGIS BLACHÈRE

Dans la première moitié du XVIIIème siècle, l'érudit allemand SCHEIDIUS, cherchant un correspondant à l'arabe مقامة *maqâma*, avait retenu le latin *consessus* (1). Ce n'était certes qu'une approximation. Celle-ci était toutefois plus heureuse que l'expression «lieux communs» adoptée par d'HERBELOT, vers cette époque, pour traduire le même terme arabe au pluriel (2). Aussi, lorsque SILVESTRE DE SACY dut à son tour trouver un équivalent français à *maqâma*, eut-il recours au substantif «séance» qui rappelle le *consessus* de SCHEIDIUS. Bien que consacré depuis lors par l'usage, pour désigner le genre littéraire que l'on sait, il convient d'insister sur l'inaptitude de ce mot «séance» à rendre la valeur complexe de l'arabe. Cette inexactitude s'avère d'ailleurs de plus en plus choquante à mesure qu'on étudie l'évolution sémantique du terme.

Celui-ci est dérivé, comme on le sait, de la racine ق و م *q w m* qui exprime la notion *d'un mouvement pour se dresser en vue de se déplacer ou d'accomplir une action.* Cette notion de mouvement, de dynamisme est à retenir car elle rend compte de nuances sous-jacentes offertes par les deux thèmes *maqâm* et *maqâma.*

Le *Coran* constitue un excellent point de départ pour l'étude sémantique qui nous occupe.

A noter d'abord que le texte coranique offre seulement le thème مقام *maqâm*; celui-ci y est toutefois assez fréquemment utilisé (quatorze fois en tout) pour qu'on en saisisse déjà les diverses valeurs. Si l'on exclut les deux passages où paraît le complexe مقام إبراهيم «le *Maqâm d'Abrâham*» (*Coran*, II, 119 et III, 91) (3), le mot se présente dans une dizaine de passages avec une valeur très nette de «nom de lieu» signifiant: «endroit où l'on se trouve», «séjour», «habitat» (4). Il ne s'agit pas d'ailleurs d'un «lieu», d'un «séjour» ordinaire (dans ce cas, semble-t-il, le *Coran* emploie

le mot مكان *makân*), mais au contraire d'un lieu où l'on demeure en permanence, au sein des délices ou des souffrances; ce dernier point est au surplus éclairé par l'emploi de certaines épithètes ou par le contexte (5).

A côté de *maqâm* pris avec sens d'un «nom de lieu», la langue coranique offre quelques passages où le terme a la valeur d'un *maṣdar*. A en croire l'interprétation prévalente, c'est le cas dans *Coran*, X, 72/71 où *maqâm* est glosé par إقامة *'iqâma* (6) (= français: «séjour», «action de séjourner») et aussi, avec plus d'hésitation, par قيام *qiyâm* (7). A ce passage doivent être ajoutés trois autres où *maqâm*, employé en annexion, figure dans un contexte faisant allusion à la crainte du Jugement Dernier (8). Dans chaque cas, le terme a une valeur et une signification incertaines. Pour l'exégèse traditionnelle ancienne, c'est un *maṣdar* équivalent à قيام *qiyâm* «action de se dresser» (9); cette interprétation contraint cependant à faire état d'une construction syntaxique assez rare. Aussi voit-on l'exégèse plus récente recourir à une autre hypothèse: dans ces trois passages, *maqâm* serait un «nom de lieu» synonyme de موقف *mawqif* «lieu où se tiendront les Ressuscités, devant le Seigneur, au Jugement Dernier». Cette interprétation se ressent trop de conceptions postérieures à la prédication de MAHOMET pour ne pas être forcée (10). Elle révèle toutefois l'incertitude qui, pour les exégètes musulmans, s'attache à certains emplois de *maqâm* dans le *Coran*. En tout état de cause cependant, celui-ci permet très bien de saisir l'ambivalence de ce mot, dans le parler arabe occidental au début du VIIème siècle.

S'il est relativement aisé de définir les emplois et les acceptions du terme *maqâm*, dans le *Coran*, il n'en va pas de même pour la *koïnè* employée par les poètes contemporains de la prédication de l'Islam. A noter d'abord que ce vocable n'est pas très fréquent dans les compositions poétiques susceptibles de représenter pour nous la tradition archaïque. A signaler en outre que le mot s'offre à nous plus souvent au pluriel qu'au singulier et que celui-ci n'est pas toujours *maqâm*, comme dans la langue coranique, mais aussi مقامة *maqâmat* (11).

Quand on examine d'autre part le mot dans son contexte, on voit qu'il précède souvent le substantif ندي · نادي *nâdi*, *nadyy*, ou son pluriel أندية *'andiyat* «conseil de tribu». Le terme *maqâmat* signifie donc très certainement aussi «assemblée de notables» (12). Le *Coran* offre d'ailleurs un emploi identique bien qu'isolé (13). Chez les poètes, l'allusion aux discours pleins d'éloquence tenus dans ces conseils est très nette et constitue un thème de louange à l'adresse du clan (14). Parfois cependant ce thème se présente en opposition ou en complément à l'éloge des vertus guerrières de la tribu. Ainsi trouvons-nous dans un morceau attribué au poète SALAMA IBN JANDAL:

> Pour nous, deux [sortes de] journées: l'une passée en assemblées (*maqâmât*) et en conseils (*'andiat*) l'autre en marche à l'ennemi, sans arrêt. (15).

On a tout lieu de croire d'ailleurs que vers cette époque déjà, ou en tout cas une génération plus tard, le mot singulier *maqâm* est utilisé dans une signification toute particulière, celle de «situation tragique». Cette acception est très nettement attestée dans un vers attribué à KA'B IBN ZUHAYR :

> Je suis en une position (*maqâm*), je vois, j'entends de tels faits que, s'il se trouvait en cette position, ou entendait pareils traits, l'éléphant [serait saisi d'horreur]. (16).

Cette signification est vivante encore dans la langue d'AL-JAḤIẒ(17). De là, qu'on ait glissé au sens de «prouesse», de «fait d'armes», rien de surprenant comme le montre un passage très significatif de ce dernier auteur (18) et deux traits relevés chez ABŪ-TAMMĀM (19). Un fait vient toutefois ici révéler une curieuse interférence. Dans un vers de JARÎR, on trouve en effet ceci:

> Quand mon âme se rappelle Šarik, elle est déchirée [par le souvenir] d'un chef en tête dans la mêlée (*maqâma*). (20)

Avons-nous ici une contamination de *maqâma* «assemblée de notables» et de *maqâm* «situation tragique»? C'est fort possible. Peut-être faut-il tenir compte aussi de l'insuffisance de notre documentation et supposer qu'à côté de *maqâm* «situation tragique», la *koïnè* poétique a connu aussi un emploi de *maqâma* avec un sens très particulier et très fort, celui de «combat», «mêlée».

Quoi qu'il en soit, jusqu'au milieu du IIIème/IXème siècle, nulle part, à ce qu'il semble, le terme *maqâm/maqâma* ne se rencontre avec une acception fort intéressante et partiellement nouvelle dont il reste à parler. Cette acception est sûrement à rattacher, d'une part, à l'évolution du milieu social et, d'autre part, à l'apparition de courants nouveaux dans le monde islamique (21).

Dans ses *ʿUyûn al-ʾaḫbâr*, Ibn Qutayba (mort vers 278/889) intitule un chapitre: *Maqâmât des ascètes chez les Califes et les rois* (22). Dans tout ce chapitre, le pluriel *maqâmât* s'oppose au singulier *maqâm*. En outre, sauf en un passage (23), le sens du terme se tire très clairement du contexte. Dans une réunion présidée par un Calife omayyade ou ʿabbâside ou par un haut dignitaire, on voit se dresser un saint homme ou parfois un bédouin misérable. Dans le silence de l'assemblée, ce personnage se lance dans une improvisation où, à des vérités déplaisantes claquant comme des coups de fouet, se mêlent des appels à l'humilité, au repentir, à l'équité, à la charité. Le sens du mot *maqâm* est donc ici: «harangue pieuse». Sous cette signification, on devine plusieurs résonances anciennes. Le mot restera d'ailleurs utilisé avec ce sens durant quelques siècles et il servira d'intitulé aux recueils de discours prononcés par des théologiens de tendances mystiques comme al-Gazzâli (24). Toutefois ce qui semble dominer au IIIème/IXème siècle, c'est la liaison entre *maqâm* «harangue pieuse» et, soit les discours des sermonnaires populaires (*qâṣṣ*), soit le prêche de la prière du vendredi. On discerne très bien cette dernière influence dans ce vers du poète:

> Au jour du combat, les [sabres] tranchants vous obéissent.
> Au jour du *maqâm*, les chaires à prêcher se parent de votre présence.(25)

Ce point semble confirmé dans un récit rapporté par al-Masʿûdi (mort en 345/956) (26). Un fait en tout cas sur lequel il faut bien insister est que la «harangue pieuse» dite *maqâm* est prononcée dans une assemblée de gens distingués et qu'elle doit s'imposer par son éloquence directe, puissante et passionnée (27).

Le chapitre d'Ibn Qutayba dont on a parlé comporte une indication précieuse. Souvent, on l'a dit, le harangueur est un

bédouin, un pauvre hère. Or, on sait combien dès avant le milieu du IIème/IXème siècle le sermonnaire tient une place non seulement dans le milieu populaire, mais aussi dans la société bourgeoise, voire aristocratique, et l'on n'ignore pas le tour édifiant qu'il donne à ses récits. Par là, on touche à un autre groupe d'individus qui, dans les centres urbains, tend à s'organiser pour mieux exercer ses «activités» contre les divers éléments de la population. On pense ici à ces truands auxquels AL-JĀḤIẒ (28) s'est intéressé ainsi que, au siècle suivant, de très hauts personnages comme le vizir IBN ʿABBĀD (mort en 385/995) (29). Grâce à de nombreux traits consignés par des anecdotiers du IVème/Xème siècle, on voit ces truands se glisser comme pique-assiettes ou comme amuseurs dans la bonne société qui se distrait de leur argot, de leurs drôleries, de leurs improvisations poétiques et aussi de leurs harangues édifiantes (30). A quel moment ces dernières sont-elles désignées, peut-être par ironie, sous le nom de *maqâma*? On ne saurait le dire. En tout cas, AL-HAMADĀNI (mort en 398/1008), dans une de ses «séances», emploie ce mot pour désigner la harangue édifiante prononcée par un écornifleur qui est aussi un faux-mendiant (*mukaddi*) (31). Il n'est certes pas absurde de supposer que *maqâma*, avec cette signification, ait dû sa fortune à cet écrivain. On peut toutefois admettre beaucoup plus légitimement que ce terme est courant, à cette époque, avec cette acception. Le fait nouveau qui, lui, paraît bien revenir à AL-HAMADĀNI seul est l'utilisation du mot *maqâma* pour désigner ces récits en prose rimée et rythmée mettant en scène un «récitant» et un personnage picaresque faisant souvent usage de la harangue pieuse pour berner de bons bourgeois ou des auditeurs naïfs. On sent combien le mot français «Séance» est impropre, comme on l'a dit plus haut, à exprimer toutes les valeurs sous-jacentes du vocable arabe. Dès qu'on tente cependant d'en découvrir un autre plus adéquat, on se trouve dans une grande perplexité et, finalement conduit à renoncer.

(1) Jacob Scheid(ius), *Consessus hamadanensis vulgo dicti Bedi al-Zaman.* L'ouvrage, sans lieu ni date d'édition, est connu par un exemplaire conservé à Strasbourg.

(2) D'Herbelot, *Bibliothèque Orientale* (Maestricht, 1776), 426 (notice sur *Hamadhâni*).

(3) Sur les significations données à cette expression, par les Musulmans du IIIème/IXème siècle, v. Ṭabari, *Tafsir*, I, 422 *medio.*

(4) Ainsi dans *Coran*, XXVII, 39; XXXVII, 164; XLIV, 25-6, 51 etc. A noter qu'en trois passages le *Coran*, XXV, 66, 76, et XXXIII, 13, porte le déchiffrement مُقام avec exactement le sens de «séjour», «habitat»; tout incite à penser qu'il s'agit, sans plus, d'une variante particulière aux «lecteurs» de Coufa; v. Bayḍâwi, éd. Fleischer, II, 124, lig. 18.

(5) A signaler l'exception constituée par *Coran*, V, 106/107: فآخران يقومان مقامهما On sent bien toutefois qu'il s'agit d'une expression stéréotypée où مقام a perdu une partie de sa valeur.

(6) V. Ṭabari, XI, 98 vers le bas, et Bayḍâwi, I, 421, lig. 7.

(7) Bayḍâwi, *ibid.*, lig. 8 (interprétation donnée en seconde ligne).

(8) *Coran*, XIV, 17/14; LV, 46; LXXIX, 40.

(9) V. Ṭabari, XIII, 129 *medio*, qui glose *Coran*, XIV, 17: لمن خاف مقامي par لمن خاف مقامه بين يدي.

(10) V. Bayḍâwi, I, 488; cette interprétation est donnée en première ligne, avant une autre où مقام est glosé par قيامي عليه. Cf. *id.*, II, 304, qui offre les mêmes interprétations dans *Coran*, LV, 46 et qui émet en outre l'hypothèse que مقام pourrait être ici explétif d'emphase.

(11) Voir les deux citations poétiques dont une est de Labîd, dans Ibn Manẓûr, *Lisân*, XV, 409.

(12) Le terme est expliqué alors par مجالس *majâlis*; cf. *ibid.*

(13) *Coran*, XIX, 74/73.

(14) Zuhayr, *Dîwân*, éd. Ahlwardt, 91, No. 14, vers 35. Un certain nombre des emplois qui suivent sont signalés déjà par Prendergast, *The maqâmât of Badî' az-Zamân al-Hamadhâni* (Londres-Madras, 1915), *Introduction.*

(15) Salama i. Jandal, *Dîwân*, éd. Huart, dans *Journal Asiatique* (1910), No. 1, vers 4; le vers est cité par Ibn Hišâm, *Sira*, éd. Muḥyi-d-dîn, I, 334. Peut-être faut-il découvrir la même opposition dans le vers attribué à un poète de la même génération, al-Musayyab ibn ʿAlas, cité par Ibn Qutayba, *Šiʿr*, éd. De Goeje, 82.

(16) V. Kaʿb i. Zuhayr, *Bânat Suʿâd*, vers 39 et *Dîwân*, éd. Kowalsky Cracovie, 1950), 12.

(17) (*Bayân*, éd. Sandûbi, III, 9.

(18) *Buḫalâ'*, éd. Van Vloten, 218. Voici le passage: «...Il entra, fit ensuite la Prière et s'assit. Les gens étaient des Bédouins et se laissaient aller à la conversation. Ils citaient des récits sur les *Journées* et les *maqâmât* (épisodes héroïques)...».

(19) V. Prendergast et ses références à Abû Tammâm, *Dîwân*, 82, 156.

(20) Jarîr, *Dîwân*, éd. Ṣâwi, 326 *fine*. Le mot مُضَرَّحِيّ *chef* signifie primitivement *faucon, aigle*; v. Ibn Manẓûr, *Lisân*, III, 358 vers le bas. Ce sens va très bien dans ce vers. En revanche, je ne crois pas que مقامة signifie ici *assemblée* comme le dit Ṣâwi, dans sa note.

(21) On laissera de côté l'emploi de مقامات par Jâḥiẓ, *Bayân*, III, 272, dans une rubrique de chapitre: كلام في مقامات الشعراء في الجاهلية والاسلام Par le contexte, il s'agit de la *place*, du *rang* occupé par les poètes dans la considération du public. Il resterait à établir que cette acception ne résulte pas d'une addition postérieure à l'auteur.

(22) V. *'Uyûn al-'aḫbâr*, II, 333-43.

(23) V. *Ibid.*, II, 341, vers la fin. Dans ce passage, le mot مقام semble être tantôt un «nom de lieu», tantôt un *maṣdar*. La notion de *harangue pieuse* est possible mais non certaine.

(24) V. Brockelmann, *Geschichte der arab. Litteratur*, I, 423. C'est aussi le titre donné aux discours d'Ibn al-Jawzi, à Bagdad; v. *id.*, dans *Encyclopédie de l'Islam*, III, (article *maḳâma*), 171 *medio*.

(25) Cité dans *Aġânî*, XIX, 116.

(26) *Murûj aḏ-ḏahab* (Prairies d'Or), éd. Barbier de Meynard, V, 421. Voici le texte: «['Umar ibn 'Abd al-'Aziz] prononça un prêche, dans un de ses *maqâm*, et dit etc...».

(27) Un texte significatif à cet égard est fourni par Jâḥiẓ, *Bayân*, I, 26: «On blâme celui dont l'élocution est difficile et celui qui bafouille; et tous deux s'obstinent à vouloir parler dans des *maqâmât* de gens parlant bien, et s'ils participent à des *munâẓara* avec des hommes éloquents, le blâme encouru par eux sera double».

(28) Cf. *Buḫalâ'*, éd. Van Vloten, 71 = éd. de Damas, 105; traduction franç., de Pellat, 97. Ce texte, très important, montre que dès cette époque les truands ou *fityân* se sont donné une organisation. A rappeler que cet auteur avait constitué un recueil d'anecdotes sur les brigands et les truands qui semble perdu; cf. Brockelmann, *Gesch. der ar. Litt. Suppl.*, I, 245 en bas.

(29) Sur la protection accordée par ce vizir à des poètes-truands, v. Ṯa'âlibi, *Yatîma*, éd. de Damas, II, 285.

(30) La *nouvelle* de Muḥammad al-Azdi, intitulée *Ḥikâyat Abi-l-Qâsim* qu'a éditée Mez (Heidelberg, 1902) et qui semble de la fin du IVème/Xème siècle, met justement en scène un de ces écornifleurs, dans une société choisie.

(31) Hamaḏâni, éd. de Beyrouth (1924), 143. Dans un autre passage, 33, ce même auteur emploie l'expression اصحاب المقامات *'aṣḥâb al-maqâmât* pour désigner «les faux-mendiants qui débitent des harangues pieuses».

دراسة في تطوّر كلمة «مَقامة»

إن كلمة «مقام» واردة في القرآن ، دون صيغة «مقامة» ، إمّا مصدرا بمعنى «القيام» وإمّا اسمَ مكان بمعنى «الموضع الذي يقام فيه». ثم اذا تصفحنا دواوين شعراء العرب القدماء لاحظنا أن لفظ «مقام» لا يعثر عليه إلا نادرا اما بمعنى «المجلس والنادي» وإمّا بمعنى «الموطن الذي يظهر فيه بطش الأبطال» ورأينا ايضا أن صيغة «مقامة» أقلّ استعمالًا من «مقام» وانها واردة بمعنى «القتال». لما لفظ «مقام» في لغة بعض المؤلفين كابن قتيبة فإنه مطلق على «موضع القيام» تارة وعلى «الموعظة» أو على «المجلس الذي يُستمع فيه الوعظ» تارة اخرى. فمن ثَمَّ انتهت تلك الكلمة الى معنى «موعظة اهل الكدية» حتى اتّخذها بديع الزمان الهمذاني لتسمية القصص المعروفة بالمقامات .

وثيقة حبيشية

نقد وتعليق

بقلم الخوري لويس الخازن

نشرت مجلة المشرق الغراء في عدد نيسان واذار من السنة الجارية رسالة وجهها حضرة الصديق الشيخ فؤاد حبيش الى حضرة الاب العالم اغناطيوس طنوس الخوري الذي عني بنشر مخطوطة الشماس انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني وكان قد نشر قسماً من هذه المخطوطة العلامة المرحوم الاب لويس شيخو «اصل الامراء والمشائخ في لبنان لانطونيوس العينطوريني ٤ : ٧٦٩ — ٨٣٠» وتوجد نسخة عن هذه المخطوطة عند الاديب الكبير صديقنا الاستاذ امين بك تخله .

ويرمي الشيخ فؤاد برسالته هذه الى امرين الاول التنويه بكرم محتد الاسرة الحبيشية وبما قامت به من جليل الاعمال تجاه الطائفة والوطن . وهذا لا نجادله به وقد اشار هو نفسه الى ضعف مصدره حيث قال بأنه يستند فيما ورد على لسان المرحوم الاباتي برتودوس الغبيره الغزيري في معرض ربما خال الشيخ فؤاد نفسه ١٩٢٦ ويطلب من المسؤولين في الرهبنة الانطونية المارونية ان يفيدوه عن مصير اوراقه . فنحن نفيده ان القس برتودوس غبيره ترك الرهبنة بأمر الكرسي الرسولي قبل وفاته بعدة سنوات وسكن في بيت اهله في اسفل غزير وقيل لنا انه توفي هناك . —

والثاني لينفي كلام العينطوريني حيث قال:« وصاروا الحبيشيون من مجاريز بيت الخازن » واليك نص كلام الشيخ فؤاد:« اما انا فيرجح لدي ان العكس هو اقرب الى المنطق والواقع التاريخي . واذا اهملنا كلام الاباتي برتودوس الغبيره ولم نشأ ان نأخذ به لتعذر الوقوف على المراجع التي استند اليها فما رأيك في وثية احفظ عنها صورة فوتوغرافية هذا نصها :

نص الوثيقة

جناب حضرة ولدنا الشيخ طربيه بدر حبيش حفظكم الله .

غب اهداء جنابكم البركة والسؤال عن غالي سلامتكم انشاء الله تكونوا جنابكم بكل صحة انتم ومن حوى داركم العامرة وبعده نعرض لجنابكم من مدة حضر الى عندنا ولدنا الشيخ طانوس ابو النصر الخازن من قرية عجلتون واخبرنا بأنه حضر الى عندكم في غزير وطلب أن يأخذ اختكم وجنابكم عارضتم بذلك .

واخبرنا ولدنا الخوري منذر كي يعرض لجنابكم ما به كفاية . وحتى الآن ما تكرمتم في الجواب للخوري المذكور والشيخ طانيوس راجعنا في خصوص ذلك . ونحن نعرف سطوتكم الشهيرة لدى العموم انوكان في القدم لم يجق الى بيت الخازن يتزوجوا من عايلتكم الحبيشية . ولكن صاروا من امثالكم . والشيخ طانيوس هو من الاغنيا الكبار . فنرجو الجواب طبق المرغوب . وربنا يحفظ لنا وجودكم .

تحرير في ١٠ شباط ١٦٤٩ م

الامضاء والختم	الامضاء والختم
الداعي لجنابكم	الداعي لجنابكم
المطران حنا	الحقير المطران انطون عاقيب

ثم يتابع كلامه الشيخ فؤاد قائلاً: « فهل من شك بعد هذه الرسالة البليغة في ان الشماس انطونيوس ابي خطار الذي تنشر مخطوطته قد عكس الآية »؟

ثم يختم كلامه الشيخ المذكور بلاحظة يظنها قيمة حيث يقول : « ويغلب على ظني ان الشيخ طانيوس الخازن لم يظفر بيد شقيقة الشيخ طربيه حبيش بالرغم من ثروته الكبيرة ووساطة اثنين من احبار الطائفة المارونية ».

فنحن رغم جهلنا الفائدة التاريخية او الادبية من هذه الملاحظة نقول للشيخ فؤاد ان ظنه قريب من الصواب لان صاحب تاريخ الاعيان قد ذكر في الصفحة ٧٩ ان طانيوس بن ابي النصر الخازن توفي بلا عقب ، اذا فان مسؤولية انقطاع ذرية ذلك الشيخ الخازني تقع على الحبيشيين ؟... ولكن فلنترك الهزل والتمازح ولنرجع الى الوثيقة الحبيشية التي يصفها الشيخ فؤاد بانها بليغة وفيها الكلام الفصل فنقول ان هذه الوثيقة لا قيمة تاريخية لها وبالتالي لا نعلم لأي شيء تصلح لاننا لم نرَ نوع ورقها ... واليك الاثبات :

١ — يتضح من التاريخ انه قبل تاريخ هذه الوثيقة الحبيشية بنحو عشرين

سنة كان احد الخوازنة متزوجاً من بيت حبيش فقد ذكر الدويهي في تاريخ ١٦٣٠ ما نصه : « وفي سنة ١٦٣٠ في الخامس من تشرين الثاني نهار الاحد حدثت زلزلة مريعة وفي الساعة الثالثة من الليل حلت في قلعة سمر جبيل وهدمت البرج الاوسط من جوانبه الاربعة وخربت جميع ما كان في القبو التحتاني المركب على البئر . وفيها خطفت الزوبعة نوفل ابن الشيخ نادر ابن الخازن ووالدته بنت الشيخ معتوق ابن حبيش مع ستة انفس آخرين » . الدويهي . تاريخ الطائفة المارونية بيروت ١٨٩٠ ص٢٠٢ . فاذاً التزاوج بين الحبيشيين والخازنيين كان سابق الوثيقة

٢ — ان الوثيقة موقعة من مطرانين احدهما المطران حنا مجهول النسب والهوية ، والثاني المطران انطون محاسب . ونعرف من التاريخ انه وجد من بيت محاسب مطرانان الاول المطران يوحنا محاسب رقاه الدويهي الى اسقفية عرقا ١٦٩٨ وتوفي ١٧١٢ (الدبس . الجامع المفصل ص١٣٩٦ وص٣٨٠) والثاني المطران انطون محاسب رقاه الى اسقفية عرقا ١٧٤٨ البطريرك سمعان عواد وكان يدبر مار شليط وابرشية جبيل والبترون والفتوح وتوفي في ١٣ ايلول ١٧٨٠ في الدير المذكور . (الدبس : ص٤٤٣) من الكتاب المذكور فاذن سنة ١٦٤٩ أي بتاريخ الوثيقة لم يكن موجوداً مطران من بيت محاسب بل كان رئيس دير مار شليط الخوري سركيس محاسب من ١٦٤٠ الى ١٦٨١ (الدبس : ص٣٩٠ — ٣٦٦) من الكتاب المذكور . فاذاً الوثيقة الحبيشية ينقضها التاريخ .

٣ — اذا صح ما ذكره المؤرخون عن وجود بيت حبيش على مسرح التاريخ اللبناني قبل بيت الخازن اي منذ ١٥١٥ وبيت الخازن ١٥٤٥ (الدويهي والشدياق والدبس) فان بيت الخازن تقدموا بيت حبيش بالوجاهة والتولية على غزير نفسها وحقاً فقد اجمع المؤرخون على هذا القول (راجع مثلاً تاريخ الاعيان ص٨٢ حيث يقول: سنة ١٦١٣ ارسل الامير يونس المعني الشيخ ابا نادر الخازن الى كسروان والياً عليها وجعلها مقاطعة له وأمره ان يسكن في غزير ويعمد اشجار كسروان مع الشيخ ابي ضاهر حبيش . ومثل ذلك قال الدبس في كتابه المذكور ص٣٣١ : ثم بعد ذلك بزمن طويل اي ١٦٨٠ كتب الامير

احمد المني صكاً للشيخ طربيه بن موسى حبيش وللشيخ ابي شديد سيف بن طلب حبيش يوليها عـلى غزير فكانت اقطاعاً لآل حبيش (الدبس الكتاب المذكور ص٣٤٠ عن تاريخ الاعيان ص٩٩). بيد انه قبل هذا التاريخ وبعده كانت كل بلاد كسروان وحدّها من الجعلاني الى المعاملتين اقطاعاً لبيت الخازن.

اخيرا مما يجعل الوثيقة الحبيشية بعيدة عن التصديق هو ان بيت الخـازن كانوا بزمن تاريخ هذه الوثيقة في اوج عزهم كما يتضح من قول المؤرخين فقد ورد مثلًا في تاريخ الاعيان ص٨٦ ما نصه : « وفي اول تموز١٦٤٧ توفي الشيخ ابو نادر خازن بن ابراهيم بن سركيس الخازن وله ولد يسمى ابا نوفل نادراً وقد تولى في ايام الامير فخرالدين بلاد كسروان وجبيل والبترون وجبة بشري والمرقب » . ومثل ذلك ذكر الدويهي (في الكتاب المذكور ص٢١٨)وزاد قائلًا انه بعد وفاة الشيخ ابي نادر خلفه ولده الشيخ ابو نوفل نادر وزاد غيرة ومكارم على والده . ولست في صدد نشر تاريخ بيت الخازن لأزيد عمّا تقدم بل ذكرت بعض ما قاله المؤرخون للدلالة على ان من كانت هـذه شهرتهم وصفاتهم لا يعقل ان يقال عنهم سنة ١٦٤٩ انهم صاروا من مزاويج بيت حبيش. قد اوردنا ما اوردناه لا على سبيل التبجح والتفاضل لاننا ممن يقدرون آل حبيش حق قدرهم وتربطنـا مع اكثر افرادهم روابط الصداقة والنسابة ولكن احببنا ان نبين لجناب الصديق الشيخ فؤاد الذي نقدر نبوغه انه اذا جاز له التمازح والتداعب في الكلام لا يجوز له العبث بالتاريخ والسلام على كل امرئ عرف حده فوقف عنده .

الخوري اريس الخازن

اخبار العالم

اخبار دينية

ايران والفاتيكان : على اثر عزم الحكومة الايرانية في ٢١ اذار على اقامة علاقات دبلوماسية مع الكرسي الرسولي رفع الفاتيكان درجة مفوضية القصادة الرسولية الموجودة في ايران منذ سنة ١٨٧٤ . وسوف ينتج من هذا التدبير زيادة تمكين العلاقات الودية بينها .

كان الشاه بمناسبة مروره في ايتاليا سنة ١٩٤٨ قد قام بزيارة خصوصية لقداسة البابا بيوس الثاني عشر في مصيف كاستل غوندولفو فمنحه الاب الاقدس وسام المسيح من اعلى درجة تمنح للملك غير كاثوليكي .

النروج والحرية الدينية : طلبت حكومة اوسلو الى المجلس الوطني ان يُلغي من الدستور النروجي البند الذي يحرّم على الرهبانية اليسوعية الاعمال الرسولية في النروج لكونه مضاداً لحرية الضمير وقد رضي بهذا الطلب ستة من الاساقفة اللوتيريين والسابع وحده قاومه . عدد سكان النروج ثلاثة ملايين وتسعون الفاً منهم اربعة آلاف ومئتان وسبعة وخمسون كاثوليكياً لا غير .

سويسرا والحرية الدينية : قامت مقاطعة زوريخ تطالب بابعاد الرهبانية اليسوعية ومنعها من اعمالها الرسولية في سويسرا وفقاً للدستور السويسري . ما يكون يا ترى ازاء هذا التعصب الذميم موقف لجنة حقوق الانسان التي تدّعي بحماية حرية الضمير ضد كل تعنت ديني : فهل تتجاهله ام تقوم لمعارضته .

لليسوعيين في مقاطعة زوريخ ديران وبيت للدارسين ومجلة . وعددهم فيها عشرون راهباً .

الكنيسة الكاثوليكية في اوستراليا : في القدم كان دخول اوستراليا محرّماً على على الكنيسة الكاثوليكية . ثم شيئاً فشيئاً أغضت الحكومة عن ذلك وتركت للكثلكة شيئاً من الحرية في اعمالها الروحية والانسانية . ومنذ مئة وخمسين سنة منحتها حرية تامة فنمت وازدهرت . وقد احتفل الاوستراليون الكاثوليك هذه السنة من ١٢ الى ١٩ نيسان بالذكرى المئة والخمسين للقرار الحكومي بمنح الكنيسة الكاثوليكية في استراليا جميع الحقوق الشرعية وحرية العمل التامة .

الفاتيكان واسبانيا : بعد مفاوضات دامت ثلاث عشرة سنة وُقّعت في ٢٧ آب معاهدة بين الكرسي الرسولي والحكومة الاسبانية .

تقوم هذه المعاهدة مقام معاهدة الملكة ايزابيل الثانية والكرسي الرسولي سنة ١٨٥١ وقد الغتها الجمهورية الاسبانية عام ١٩٣١ .

سبق هذه المعاهدة الجديدة اثنتان اخريان الاولى سنة ١٧٣٧ بين البابا اكليمنضوس الثاني عشر والملك فيليب الثاني . ومعاهدة سنة ١٧٥٣ بين البابا بندكتوس الرابع عشر والملك فردينان السادس .

والمعاهدة الجديدة هي حيز حافلة لازمة اتفاقات جزئية بدأت عند استلام الجنرال فرنكو حكم البلاد الاسبانية . وهي - كما نعتت ذلك مقدماتها - مثال يحسن اتباعه في المعاهدات التي تعقد بين شتى الدول والكرسي الرسولي لتنظيم علاقاتها المتبادلة » وفقاً لما تقتضيه الشريعة الالهية وما للامة الاسبانية من التقاليد الكاثوليكية » .

– من أخصّ ما يجدر ذكره من شروط هذه المعاهدة الاعتراف التام بالزواج المسيحي والاهتمام بتربية الناشئة المسيحية وحرّية الكنيسة في القيام باعمال رسالتها .

اخبار عالمية

تتويج الملكة اليصابات الثانية في انكلترا ٢ حزيران : كان يوم هذا الاحتفال في لندن يوماً عظيماً ظهرت فيه انكلترا بجلال تقاليدها العريقة بعد ان رمّمت جهود لا تني ما اصابها في الحرب الاخيرة من الدمار . فالتاج الثمين الذي وضعته في هذا اليوم التاريخي على هامة ملكتها الجديدة هو تاجها ايضاً تاج نهضتها الظافرة .

وقد زاد في مجد هذا العيد خبر نجاح الكولونل هونت في تسلّق اعلى قمة جبل هملايا اعلى جبال الارض . وصل هذا النبأ لوندرة ليلة عيد التتويج .

ان المحاولات الاولى لتسلق جبل هملايا بدأت في حزيران سنة ١٩٢٢ ولم يأتِ الانتصار النهائي الا في ٢٩ أيار من هذه السنة اذ توصل الى اعلى قمم الجبل النيوزيلاندي هيلاري وعمره اربع وثلاثون سنة ثم الخبير بتسلّق المرتفعات مرافق البعثة تنسنغ جورتيا .

بغداد وعمان : في يوم واحد ٢ ايار أحتفل في بغداد وعمان بتنصيب الملكين الشابين الهاشميّين بعد بلوغها الثامنة عشرة من العمر فيصل الثاني ملك العراق وحسين الاول ملك الدولة الاردنية وفي وقت واحد أقسما كلٌّ في عاصمة مملكته بالامانة للدستور وبالخلوص للشعب وكلاهما حبيبان الى شعبها .

فيصل الثاني هو الملك الهاشمي الثالث الذي اعتلى عرش العراق وهو ابن غازي الاول بن فيصل الاول وقد تربّى وتعلم في انكلترا في كلية هرّو وكلية سندهورست .

وحسين الاول هو ابن طلال الذي اضطر لمرضه الى التخلي عن العرش الاردني وامه الملكة زينة وكان الحسين برفقة جده الملك عبدالله يوم اغتيل في ٢٠ آب ١٩٥١ وبعد شهر على هذا الحادث أُرسل الى انكلترا حيث اتم دروسه مع ابن عمه فيصل .

الحكم في مصر : احد عشر شهرًا بعد الانقلاب العسكري واستقالة فاروق ومغادرته بلاده اي في ٢٠ حزيران أعلنت الجمهورية في مصر واتخذ الزعيم نجيب لذاته مهمة رئاسة الجمهورية دون التخلي عن رئاسة الحكومة وقد اعلن انه بعد انقضاء ثلاث سنوات يتوجه الى الشعب المصري لاخذ رأيه في النظام الجديد وتثبيته . هكذا اضمحل في مصر النظام الملكي بعد ان دام مئة وخمسين سنة وسقطت سلالة محمد علي الالباني الاصل .

السودان : ان الاتفاق الذي وقّعته مصر وانكلترا في القاهرة في ١٢ شباط يمنح حكومة السودان استقلالها ويجمع في شعب واحد سكان الشمال المسلمين وعددهم ستة ملايين ومئتان وخمسون الفاً وسكان الجنوب من وثنيين ومسيحيين وعددهم مليونان وخمسمئة الف .

تظهر اغلبية سودان الجنوب غير راضية بهذا الاتفاق رغماً عن الجهود التي بذلها الشماليون لارضائهم فان قبائـل الجنوب تفضل على الوحدة — اذا عزم الانكليز على الانصراف من بلادهم — اتحاداً اتفيدياً بين الشمال والجنوب يترك لكل منهما حرية الحكم الذاتي . وقد يكون سبب ذلك عدم ثقتها بمواعيد الشمال بانصافها .

سوريا : في ٢١ حزيران صدر قرار تشريعي يعلن دستوراً سورياً جديداً يقوم مقـام الدستور الذي ابطله الانقلاب الاخير في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٠ يوم الانقلاب الذي عقب سقوط الزعيم حناوي . وقد وافق الشعب على الدستور الجديد في استفتاء مباشر سري في ١٠ تموز وفيه انتخب الزعيم الشيشكلي رئيساً للجمهورية ولم يتقدم للانتخاب من يزاحمه . يعطي هذا الدستور لرئيس الجمهورية سلطات واسعة وهذه اهمها : هو الذي يعين الوزراء وهؤلاء ليسوا مسؤولين الا ازاءه . وهو الذي يعين اعضاء المجلس الاعلى ويوقع المعاهدات وكل اتفاق ويعرض الميزانية على مجلس النواب ويعلن حالة الطوارئ والتعبئة العامة . وهو يشهر الحرب ويعقد السلم بعد طلب رأي مجلس الدفاع الاعلى وموافقة مجلس النواب . وتبقى سلطة التشريع لمجلس النواب . وينتخب الشعب نوابه بالتصويت باعتبار نائب واحد لكل خمسين الف مواطن . ويمكنه حل مجلس النواب اذا وافقت عليه الاغلبية المطلقة . ويعرض الشرائع على المجلس رئيس الجمهورية او النواب نفسهم .

كوريا : يوم الاثنين ٢٧ تموز وُقِّعت اتفاقية الهدنة في بان مون جون وتوقف القتال بعد حرب دامت اكثر من ثلاث سنين ومفاوضات سنتين اي منذ ٩ تموز ١٩٥١ . وجرى التوقيع في مظاهر رسمية جافة : فالهدنة ليست السلم . ان القضية الكورية لم تزل عقدة جدال صلب حلها كما يدل عليه البند الرابع من هذا الاتفاق في خصوص مصير كوريا .

وقد عبرت بعض الصحف الاميركية عن استياء مرير لعقد هذا الاتفاق وما كانت لترضى بالتوقف في القتال الا بعد الانتصار . وهي تشكو من حلفاء اميركا بانهم منعوها من الوصول الى هذا الانتصار .

ايران : بعد الاستفتاء الشعبي الذى قام به مصداق وتصميمه على حل المجلس ١٩ — ٢٣ آب غادر الشاه بلادة فجأة تصحبه ثريا قرينته الى بغداد ثم الى روما . فشنّ اذ ذاك انصاره هجوماً عنيفاً دامياً على مصداق وحزبه وتغلبوا عليه فتسلم الجنرال زاهدي رئاسة الحكومة وكان الشاه — قبل مغادرته ايران — قد عينه لهذا المنصب بمرسوم شرعي . فحاول مصداق ان يهرب لكنه ما لبث ان اعتُقل وهو في السجن ينتظر محاكمته .

وُلد مصداق سنة ١٨٨١ وهو ينتسي الى اسرة «قاجار» التي ملكت في ايران حتى سنة ١٩٢٥ ثم حلت محلها اسرة «بهلوي» التي اليها ينتسي الشاه الحالي . وقد تولى مصداق منصب رئاسة الحكومة في ٢٨ نيسان ١٩٥١ .

مراكش : خلعت الحكومة الفرنسية في ٢٠ آب مولاي محمد بن يوسف سلطان مراكش وقد اضطرت الى ذلك تلافياً لوقوع حرب اهلية بعد ان ثار عليه الجلاوي باشا مراكش وغيره من الباشاوات وزعماء قبـائل البربر . وهو النجل الثالث لمولاي يوسف السلطان السابق . تولى السلطة في تشرين الثاني ١٩٢٧ وكان عمره ١٦ سنة .

وقد عُيّن محله للسلطة المدنية والامامة في مراكش عمه سيدي محمد ابن مولاي عَرَفه .

مطبوعات شرقية

المسيح — الكنيسة[1]

بقلم الاب فردينان تونل اليسوعي

هما كتابان ضخمان وضعا باللغة الافرنسية وهما موسوعتان للمعارف الدينية المسيحية . هل من افادة بتعريفها الى المثقفين من الناطقين بالضاد ؟

لقد انقضى عهد الانتداب الافرنسي في سورية ولبنان اما اللغة والثقافة الافرنسية تراث الجنس البشري فعهدها لا ينقضي واصولها واشجة في الشرق منذ مئة وخمسين سنة وينيف منذ حملة بونابارت الى الشرق وهي بازدهار متواصل تبدو مظاهره اليوم في العدد الوافر من اللبنانيين والسوريين والمصريين الذين يقرأون الافرنسية ويتكلمون بها فيفيدهم الاطلاع على الكتب التي تنشر بها . وقد نسمع رجالات المعارف في البلاد العربية يدعون الطلاب في المدارس الحكومية والخاصة الى استقاء الثقافة الاوربية من اقرب مواردها في اللغة الافرنسية خاصة فيتخذونها آلة لا بد منها لمواصلة الدروس الثانوية والعالية وبها تنفتح لهم الآفاق على بلاد الغرب .

وهناك الناحية الدينية من الثقافة البشرية العامة ومحور الكلام فيها على الانجيل والكنيسة وهي جديرة بان تستهوي اجتهاد كل مفكر رصين .

منذ حقبات مضت دعا الدكتور طه حسين علماء الازهر الى قراءة الانجيل والى الاطلاع على الدين المسيحي في إصدق موارده لئلا يجهلوا ما يزمونه ويبيتوا مطمئنين وراء سورهم المنيع من الاعتقادات والآراء وبينهم وبين الحقيقة مراحل وفنادق فأثار في العقول مسائل لم تكن تخطر على بال الكثيرين في الماضي وقد

(1) Le Christ. *Encyclopédie Populaire des connaissances religieuses.* Publiée sous la direction de M. l'Abbé G. Bardy et de M. l'Abbé A. Tricot, Professeur à l'Institut Catholique de Paris... Petit in 8° 1264 pp., Bloud et Gay 1947.

Ecclesia. *Encyclopédie Populaire des connaissances religieuses.* Publiée sous la direction du Chanoine René Aigrain. Bloud et Gay 1948. Petit in 8° 1525 pp.

ساعد على هيجانها تقارب المواصلات واحتكاك رجال الثقافة وشبانها الشرقيين بالعالم الغربي اضف الى ذلك تأثير المدنية المسيحية المستخدمة للدعاية اليها مبتكرات الفنون الجميلة في دور الاذاعة وفي الافلام السينمائية الصالحة مما يلجئ الجماعات الى التفكير والفحص والمقابلة وقد يدور محور هذه الحركة الفكرية على قضية جوهرية مركزية وهي المسيح والكنيسة التي اسسها .

والينا في الكتابين اللذان نصفهما للقراء الكلام على المسيح وعلى الكنيسة وقد وضعا خاصةً لاهل الغرب من مؤمنين وغير مؤمنين لكنهما مفيدان جداً للقراء في الشرق فالمسيحيون منهم يجدون فيهما الاجوبة على سائر ما يحتاجون اليه للتدقيق في معارفهم الدينية والمسلمون منهم يقتبسون منهما شعلات تستلفت انظارهم الى التروي والبحث والانصاف فلا يتسرعون باتهامنا بالكفر والزندقة .

١ – من هو المسيح ؟

قد يعمد البعض في معرفته الى المؤلفات الاوروبية التي تصوره بصورة ضئيلة خيالية فيظنون لما يشاهدون مشوهاً فيها بقلم هارناك Harnack ولوزاي Loisy ورينان Renan وهي اقرب في نظرهم الى ما عرفوه مصوراً عن المسيح في المؤلفات الاسلامية من الصورة التي رسمها الكتبة المسيحيون الحقيقيون بهذا الاسم .

فمن ثم ندعوهم الى قراءة هذا الكتاب وفيه المقالات الموقعة باسماء العلماء المعتمد عليهم في المسيحية المخلصة للايمان والدين والعلم الصحيح .

من هو المسيح ؟ اهو انسان لا غير ؟ فان كان انساناً لا غير فما قيل فيه عن عظمه وسمو واخلاق وتعاليم كان مذهباً فلسفياً لا صلة بينه وبين الحقيقة المطلقة التي لا يشوبها ضلال في زمان ومكان . وان كان المسيح ابن الله فثبت لنا ثبوت اليقين ان دين المسيحيين هو الدين الموحى به من الله ؟ وما الغرض من هذا الكتاب الا تبيان تلك الحقيقة فيقول قارئوه مع القديس بطرس : انا اؤمن يا يسوع انك المسيح ابن الله .

والبحث متواصل موسّع بمعرفة حياة المسيح الخفية والعامة وفي آلامه وقيامته وبالتدقيق في تعاليمه عن الملكوت وعن سبل الحياة المسيحية وعن طرق الكمال الانجيلي وعن « العهد الجديد » الذي جاء به يسوع الناصري مفسراً ومكملاً « العهد القديم ».

وهذا الإله الانسان تبرز صورته نيرة وضاحة جذابة خلابة في مظاهر وشمائر اعيان الدراري المسيحية من عهد الشهداء والدياميس الى ايام قسطنطين وهيلانة الى عهد البنايات الفخمة في ديورة فلسطين وسورية الشمالية على ايام سمعان العامودي ومار مارون ويوحنا فم الذهب الى زمان الكنائس الباقية آثارها في حوران والكاتدرائيات الفخمة كأجيا صوفية في استنبول والمؤسسات الخالدة بالحياة الرهبانية في صعيد مصر وفي باقي ما بقي من عز المسيحية بعد الفتح الاسلامي في بلادنا الشرقية . وهناك في البلاد الغربية مظاهر الفن المسيحي الذي لم تفتور طرق ارتقائه الاضطهادات فآثاره عامرة يزورها في باريس وروما ولندن وبرلين وموسكو اعيان المثقفين من رجالات العرب والاسلام وهناك مؤلفات المسيحيين في ناحية الحياة الروحية الكاملة وان ما جاء به المتصوفون الكبار كابن العربي والغزالي وغيرهم لم يكن الا تصدياً لصوت الكمال المسيحي المدوي في الخافقين . ومنها تتصاعد اناشيد المحبة الصيبة لهذا المسيح الاله الانسان وهو الالف والياء في سفر الكون — ما هذه الاغاني السماوية التي تطرحها على موجات الاثير محطات الاذاعات العالمية الحاملة الى العالم سنفونيات بتوفن وباخ وغونو ؟ أليست الا نغمة النفس المسيحية المخطوفة بمحبة الاله الانسان التواقة الى جذب العالم الى الذي قال: اما انا فان ارتفعت على الصليب فسأجذب اليّ الجميع ! الجميع ! من رجال العلم والتاريخ والهندسة والتصوير والنحت وسائر الفنون .

فاقرأ هذا الكتاب كنت من تكون يا من تفقه اللغة الافرنسية واحب مطالعتها في مصنفاتها وكن مخلصاً لفؤادك وضميرك . اقرأ يا من يرتاب في امر مصيره ومصير العالم فترى الشك يتكسر على صخرة اليقين والظلام يتبدد في عالم النور وان تكن موجة الشيوعية الوثنية تتهم المؤمنين بالله وباليوم الاخير فدونها عصمة شخصية المسيح الاله الانسان الداعي الى التقيد بالشرائع الخالدة القائلة بان الرضوخ والعبادة لله عزّ وجلّ انما هي رضوخ وعبادة ابناء الملكوت .

وكفانا بهذه العجالة داعياً الى اقتناء هذا الكتاب فيوضع في المكاتب العامة فخرًا لها ويقع تحت تصرف الاساتذة في المدارس الحقيقة باسمها موردًا للطلاب ولكل عقل سليم يلتمس وجه الله .

ما هي الكنيسة ؟

وهل تتفرغ ايها القارئ اللبيب الى بحثها ؟ لربما توسّعت في اجتهادك بدروس العلوم العليا من ادب وهندسة وطب وتاريخ وفن ولعل افكارك المتفرقة في تلك الانحاء المتنائية في ميدان المعارف البشرية تاهت عن التفكير في الغاية القصوى والحقائق العظمى الراجع اليها اهم ما يجب ان يهتم به المفكرون . ما اكثر رجال الاختصاص وما اوفر عدد المتثقفين وما اقل الذين يبحثون عن الدين المسيحي في اساساته ويتعمقون في بحث الكنيسة واصولها ! لقد استفرغ جهودهم التوغل في مرافق دروسهم الخاصة واغفلهم عن معرفة مقامها في بنيان العرفان البشري العام . فيجهلون ما يتوجب معرفته من امور اللاهوت والليتورجيات والتاريخ الكنائسي . وهذا الكتاب يقضي حوائجهم الى ذلك ويشفي غليلهم من تكملة ثقافتهم فيفقهون فيه اصول الفلسفة المتفرع منها فعل الايمان وينقدون به مقدرات العقل البشري في معرفة الحياة ويبحثون فيه ما وراء الطبيعة من المبادئ في علم الوجود وعلم النفس وفي شروط البلوغ في ذلك الى اليقين . فما هي النفس وما هو الله واية هي البراهين على وجوده ضحضاً للملحدين ؟ وهل للوحي معنى يرضى به العقل ؟ وهل في الدين المسيحي الجواب على كل هذه الاسئلة الخطيرة ؟ وان الكتاب المقدس وعلم الاخلاق واللاهوت النظري والروحي (ويسميه العرب التصوف) وسائر شعائر العبادات والرتب الكنائسية تدعو العاقلين الى البحث والتفكير فيسترشدون بهذا الكتاب في ابحاثهم وتفكيرهم . اضف الى ذلك ما فيه من حلّ المشاكل الناشئة عن ترقي علم التاريخ باكتشاف آثار جديدة فتنجلي فيها حياة المسيح وسير القديسين وغيرهم من الرجالات العظام وان خير دفاع عن المسيحية واسهل طريقة الى استيعاب تعاليمها والتوفيق بينها انما هو النظر الشامل سائر ما فيها من المبادئ والشرائع المرتبطة بعضها بعضاً فترضي العقل السليم وتسد حاجة القلوب الطاهرة .

وقد تؤدي هذه « الموسوعة » المواد الكافية لبلوغ المرام .

ان الرابطة الباطنية في فصول هذا الكتاب المحررة باقلام عديدة انما هي شخصية المسيح ورسالته وتعاليمه واعماله .

يبدأ الكلام فيه بدرس حالة العالم الروماني اليوناني حين ظهور الفادي ثم يتناول وصف العالم اليهودي الفلسطيني في البلاد وفي البيئة التي ظهر وعاش فيها باليهودية والجليل وشرقي الاردن والسامرة . وعلى هذه المسارح يظهر المؤلفون رجال التاريخ هيرودوس وبيلاطس واليهود من فريسيين وصدوقيين وكهنة الهيكل والاحبار وهم في انتظارهم قدوم المسيح الموعود به منذ الفردوس المفقود. وفي الكتاب التعليات المأخوذة من المعاصرين كيوسيفوس وغيره ممن كتبوا في هذه الناحية . وان معالجة الاناجيل ككتب تاريخية تستدعي البحث فتسع لاقوال مدارس الاسكندرية وانطاكية ولتعاليم الآباء في الشرق والغرب والى تفاسير المعاهد السكولاستيكية المعاصرة لازدهار الفلاسفة العرب في الاندلس ونتعرف من ثم الى مؤلفات عهد النهضة في القرن السادس والسابع والثامن عشر والى حركة الدروس التي نشأت منذ نشوء المذهب البروتستنتي الى القرن الثامن والتاسع عشر الى ايامنا .

واذا تفرغ القارئ من خاصة المثقفين الى النظر في ذلك وجد فيه ضالته المنشودة ففرح به وارتاح اليه. اما العامة من قراء الافرنسية فيجدون فيه غذاء للروح ومتعة للفؤاد . وهو قريب المنال اليهم بما في هذا الكتاب كما في الكتاب السابق من الفهارس الحافلة باسماء الاعلام والامكنة والمواد . عسى ان يحل هذا المؤلف محله في خزائن اخواننا المسلمين الذين يفقهون اللغة الافرنسية فيقرأونه ويتحققون بصدق مقالنا. اما المسيحيون فلهم فيه عنوان الفخر ومدعاة الى النشاط والعمل في سبيل مبادئهم الشريفة .

الحركة الفكرية في القطر المصري

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

بين يدينا طائفة من المؤلفات ظهرت في المطابع المصرية في هذه السنوات الاخيرة واهديت الى « المشرق » وليست الا جزء ضئيل مما نشر من امثالها في القطر الشقيق لكنها على قلة عددها تؤدي لنا المادة للكلام على حركة الافكار في اهمّ نواحي الدروس من فلسفة وطب وتاريخ وأدب ولغة ·

جدير بالذكر اولاً النشاط في نشر الآثار القديمة طبقاً للاساليب العلمية الحديثة وتنبيه الوعي القومي الى الاطلاع على امجاد السلف والى الاستفادة من الاحتكاك بالعالم الغربي لانتاج الابحاث الجديدة وقد تساعد على هذه النهضة روح الاستقلال المتمشة في النفوس منذ نهاية الحرب الكونية الثانية فاقبل رجال الخاصة على المسابقة في ميادين البحث وتهافت اهل العامة على القراءة والمطالعة وتشوقت الناشئة في المدارس من ابتدائية وثانوية وعليا الى السعي في استنباط نتائج العرفان من كنوزه فيترقى الجيل الجديد بمراحل سريعة وسنوات معدودة الى ابعد ما بلغ اليه السلف في السنين الطوال بفضل ترقي فن الطباعة. وينشىء حملة الاقلام جمعيات تأخذ على عاتقها اصدار التآليف بحلقات متسلسلة منها «المجموعة التي يشترك فيها علماء الشرق والغرب لبعث كنوز العربية الخالدة» ومنها « مجموعة نوابغ الفكر العربي » ومنها «مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية » ومنها « مكتبة التحليل النفسي » ومنها «منشورات جماعة علم النفس التكاملي» التي يشرف على اصدارها الدكتور يوسف مراد ومنها «مجموعة الثقافة الصحية» باشراف الدكتور سليمان عزمي فتظهر منها الحلقة او الحلقات .

ان هذا النوع من السلاسل يراعي الناحيتين العلمية والتجارية ؛ العلمية لانه يوزّع على رجال اكفاء مؤنة العمل فيسعى كل واحد من طرفه بالقيام به ويتفرغ له فيتقنه ويأتي غيره بمثل ذلك طبقاً للبرنامج الموضوع من صاحب الاشراف على النشر . اما حلقات السلسلة فثمنها يكون اقرب منال من القراء مما يكون لو انها تظهر بمجلد ضخم يوجم الشاري عند رؤيته في المكاتب مسعراً بالسعر

الباهظ . فضلًا عن ان المطالع يكتفي باقتناء الحلقة التي هو بالحاجة اليها ومن اجل ذلك زادت حركة النشر على النسق الذي وصفناه .

واذ نثني على هذا النشاط الجميل نستميح الاذن بابداء ملاحظة في لهجة بعض من يكتبون عن امجاد السلف . ان برنامج التعليم في الحكومة السورية يدعو المعلمين الى رفع شأن العرب وافضالهم ليفاخر بها الجيل الناشيء ويتقفى اثارها ومع ذلك فانه يحذر من المبالغة الممقوتة التي تثير الابتسامة والاستخفاف. ليس ابن رشد ولا الجاحظ وامثالها بحاجة الى الدعاية المضخمة كأننا في سوق التجارة وحسب القارئ اللبيب ان يطلع على مؤلفاتهم ليقدر قيمها الخالدة دون ان تدوخه دعاية الطبل والمزمار كما جاء عن ابن رشد انه اكبر الفلاسفة الشراح لارسطو اثرًا في الغرب من القرن الثالث عشر الى القرن العشرين !.. او عن الجاحظ ان كتبه خزانة اجتمعت فيها ثقافة العرب والاعاجم (اي غير العرب)... وما ابن رشد والجاحظ وامثالها الا نجوم بين ملايين النجوم المتألقة في سماء الفكر وكفاهم بذلك مديحاً . ويا ليت الكتبة يلهجون بلهجة اخف وطأة على الاذان في مقدمات كتبهم فلا يكيلون بالالفاظ الغريبة وبالاساليب الانشائية التي عفا عليها زماننا الحاضر ويأتون على الغرض الذي يتوخونه باللغة التي خلدت ذكر ابن المقفع في كتاب كليلة ودمنة فينشرح لها الخاطر ويستطيبها الذوق السليم .

ابن سينا ــ الشفاء ــ المنطق ــ المدخل

تصدير الدكتور طه حسين باشا — مراجعة الدكتور ابراهيم مدكور

تحقيق الاساتذة : الاب قنواتي ، محمود الخضيري ، فؤاد الإهواني

نشر وزارة المعارف العمومية — الادارة العامة للثقافة بمناسبة الذكرى الالفية للشيخ الرئيس

المطبعة الاميرية — القاهرة ١٣٧١ — ١٩٥٢

Ibn Sina. Al-Shifa' — *La Logique* I°. — L'Isagoge etc...

ص ك + ٧٧ + ١٥٩ + ٥٢ قطع ٤ كبير

في مؤتمر المستشرقين السابع عشر المنعقد في اكسفرد سنة ١٩٢٨ في قسمه الثامن عرض الاب موريس بويج اليسوعي († ١٩٥١) مشروع درس « خزانة فلاسفة العرب » Bibliotheca Arabica Scholasticorum وقد اخذ بالعمل فيه

عن ايجاد. الاب مرسل شوسا Chossat اليسوعي ١٨٦٣ – ١٩٢٦ وبتشجيع العلامة الكردينال فرنز اهرله اليسوعي ١٨٤٥ – ١٩٣٤ Franz Ehrle وانثى اعضاء المؤتمر باجماع الراي على ذلك المشروع الخطير وسار الاب بويج من ثم بنشر ما نشره في المطبعة الكاثوليكية في بيروت : تهافت الفلاسفة للغزالي ، تهافت التهافت لابن رشد،تلخيص كتاب المقولات لابن رشد وكتاب المقولات لابن رشد وكتاب المقولات لارسطوطاليس، وتفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد، ورسالة العقل للفارابي واقبلت الجامعات العالمية على اقتنا. كتب الاب بويج. ومات ولكن المشروع حيّ وما هذا الكتاب الذي نصفه لقراء المشرق الا تابعاً لما سبقه في هذا الطريق الوعر البعيد المدى المتشعب الفروع . دعا الى السير فيه طه حسين بمناسبة الذكرى الالفية للشيخ الرئيس ومضى الناشرون وفي طليعتهم ابراهيم مدكور فحدثونا عن الكتاب ومنزلته في تاريخ الفلسفة وعن تسميته ونسبته الى مؤلفه وعن كيفية تأليفه في هذا العصر والبيئة وعن موضوعه الشامل المنطق والطبيعيات والرياضيات والإلهيات وما اليها من علوم متعددة وعرّفونا باسلوب ابن السينا وهو الرجل الفارسي وقد اتقن العربية وتعلم السريانية واليونانية التي بلغت اليه منها مؤلفات ارسطوطاليس ومنها الاورغانون او المنطق الذي قد طالما كان دستور الفلاسفة في القرون الوسطى فشرحه الرئيس وضمنه ما ارتضاه من مباحث ونظريات (ص١٥) .

وهذا كتاب « الشفاء » هو كالحلقة الاولى لسلسلة مؤلفات ابن سينا وان معانيه لا تستوعب الا بالمعالجة الدقيقة لتلك المؤلفات؛ عسى ان يوفق الباحثون الى التنقيب عن آثارها ونشرها النشر العلمي كالذي بين يدينا ؛ ولها ما لها من الاثر البليغ في العالم العربي وفي الفلسفة المدرسية اللاتينية . لقد جهد ناشرو الكتاب في جمع مصادره والاختيار بينها في النص الاصلح للنشر في مخطوطات «تصعد نحو المئة» وهي موزعة في اقطار العالم شرقاً وغرباًوبين تلك المخطوطات ميزوا احدى عشرة اصطلحوا على تسميتها بأحرف معهودة وكانت المخطوطة م المحفوظة في المتحف البريطاني نقطة البدء لهذا النشر ولا تسأل عما تكبدوه من المشقات في تحصيل تلك الآثار الكريمة وقراءتها ودرسها والمقابلة بينها ليظهروا منها النص الاحق بان يكون قد ظهر من قلم ابن سينا .

ولم يكتفوا بمقدمات الكتاب والتعاليق بالحواشي على متونه تسهيلًا لمراجعته بالضبط الدقيق لكنهم ذيلوه بحجم جزيل الفوائد لعلماء العرب والمستشرقين وفيه الاصطلاحات الفلسفية التي تودي معنى الالفاظ بما يراد منها بلغة اللاتين المدرسية فمهدوا السبيل للمجامع العالمية ولاصحاب القواميس في ضبط المعاني فلهم الشكر في تفتيح معميات الفلاسفة العرب وحسبهم فخراً ان اسماءهم صدرت هذا الكتاب فيذكرون بهم ما ذُكر الشفاء للشيخ الرئيس .

ابن رشد

بقلم عباس محمود العقاد

مطابع دار المعارف بمصر ١٩٥٣ ص١٢٠ ق ٨

اول ما تعرف قراء المشرق (٢٧ ص١٥٦) الى صاحب الكتاب كان في ما طالعوه عن ديوانه وقد استحق به شهرة واسعة . ومضت الاعوام وجال المؤلف في سائر انحاء الادب محرراً في الصحافة ومناصراً الاحزاب السياسية والحركة القومية المصرية بتآليفه الى ان اتانا اليوم من باب جديد بهذا الكتاب تكلم فيه اولاً عن عصر الفيلسوف وترجم له فعرفنا بحياته ونكبته ، محللا اسبابها ، ومضى يدرس شخصية ذلك الرجل العظيم وفلسفته : في قدم العالم وعلم الله بالجزئيات وخلود النفس ، وتأثيره في فلسفة القرون الوسطى وقد استفاد بما كتب المستشرقون الذين حللوا وحصوا مذهب ابن رشد واخصهم رينان ودي فولف . وهذا البحث يستغرق نحو النصف الاول من الكتيّب اما النصف الثاني ففيه المنتخبات من اثار ابن رشد بكونه فيلسوفاً وشارحاً لارسطوطيباً وفقيهاً . وهذه الصفحات على اقتضاب فصولها ، وعمق معانيها وجفاف تعابيرها جديرة بان تستوقف نظر كبار المفكرين فنشكر للعقاد همته باهدائها الينا .

اخوان الصفاء

تأليف عمر الدسوقي

دار احياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي وشركاه — ص٣٢٩ ق١٢

هذا الكتاب هو الخامس عشر من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية التي « تجعل مسائل الفلسفة في متناول الجميع » صدّره المؤلف بالكلام على الحالة

السياسية في القرن الرابع الهجري ايام وضعت رسائل اخوان الصفاء فتكلم عن الحركة الفكرية في زمانهم وعن الفلسفة التي بلغت من اليونان عن السريان الى العرب وذهب مبيناً الرابطة الدينية والسياسية التي تقيدت بها فلسفة «الاخوان» وافاد في تعريف اسمائهم واظهار سعيهم واجتهادهم ونظام جماعاتهم وهم من اهل الشيعة وروى اهمّ اقوالهم في طريقة الاستدلال الفلسفي ونظرية الفيض ومراتب الوجود في الله والعالم وفي حدوث العالم وازليته وفنائه وفي النفس الانسانية وما الى ذلك من المشاكل العويصة وكل عبارة من عباراتها قد تؤدي مادة للكلام والكتابة على مجلدات ولا تسوغ قراءتها الا الخاصة من الباحثين بالرغم عن رغائب الناشرين بأن يجعلوها في متناول الجميع، وليس المقام لنقد فلسفة اخوان الصفاء بل لعرض آرائهم وربما جاء المؤلف بالايجاز رداً على ما قالوه مخالفاً للتعليم الاسلامي (ونراه نحن ايضاً مخالفاً للتعليم المسيحي) في نظرية الفيض والعقيدة وغير ذلك . وقد بالغ كل المبالغة في القول ان فلسفة « كانت » احدثت ثورة في الفلسفة الاوروبية. . .(ص٢٣١) فما مؤلفات «كانت» الا محطة من محطات المفكرين يقف عندها اساتذة الفلسفة فيستفيدون منها ما يرون الى ذلك سبيلاً وتكلم عن المذهب الجزويتي (ص٢٢ سطر١٦) اخذاً عن المستشرق توماس ارنولد فشبهه بمذهب اخوان الصفاء فوددنا زيادة الايضاح في هذا التشبيه ونحن لا نوافقه عليه .

ووقعت بعض الاغلاط المطبعية نلفت النظر اليها لتصلح في طبعة ثانية منها ص ١/١٣ حديد = جديد . ٩/١٦ ٣٥٠= ٢٥٠ . ٥/٣١ جتهم= حجتهم . ٢٣٢ / سطر١٦ الكلام = الكرم .

مكتبة التحليل النفسي ٣ ــ سيجمند فرويد: ما فوق مبدأ اللذة

ترجمة اسحق رمزي

ص١١١ ق كبير - دار المعارف بمصر ١٩٥٢

قال المترجم في المقدمة ص٢٠ : « واغلب الظن ان القارئ سوف يلقى عنتاً قد يثقل عليه لاول قراءة في هذا الكتاب فالحق انه كتاب صعب عويص بل لعله أغمض واعوص ما نشره فرويد من كتب كثيرة » .

فليس الكتاب موضوعاً للعامة ولا اراني مغالياً في القول ان فهمه بعيد عن الخاصة ما عدى الطائفة المحدودة المعنية في دروس الطب النفسي من قراء العربية وهي في الغالب تعتمد المؤلفات العلمية المستحدثة في هذه الناحية لا بترجمتها ولكن بأصلها في اللغة التي وضعت فيه . ومع ذلك فلم يخفق سعي المترجم لانه اقبل يروض جماح لغة الضاد على التعبير عن معاني قط لم يخطر على الاوائل التفكر بها . ولا يتحاشى ذكرها بالفاظها التي ابتكرها مخترعوها او محصلوها فقال « الميتاسيكولوجية » و « سيكولوجية الاعماق » و « الديناميكية » و « الطوبوغرافية » و« الليبدو » و « الفيسيولوجية والماسوكية » وغيرها مما لم يجد له بالعربية مرادفاً موفياً المعنى حقه ما سوى اللفظة الاجنبية - وهو على ما ارى مصيب لان اعز لفظة نعتز بها هي التي تعبر دون غيرها عن حقيقة المعنى سواءاً اكانت من اصل عربي او غير عربي وترجمان حالها الشعر المأثور :

ان الفتى من يقول هآنذا ليس الفتى من يقول كان ابي

والى متى الجدال حول الكلمات القاموسية والغير القاموسية والقاموس ينقصه الالوف من الالفاظ العلمية المستحدثة . اما السيد اسحق رمزي فقد ساقها الى كتابه بالسلامة وله الشكر . هذا وقد عرفنا بعض التعريف بفرويد الطبيب النمساوي (١٨٥٦-١٩٣٩) القائل بان اكثر اعمال الانسان انما مصدرها العوامل النفسية الجنسية ولفلسفته محاسن فانها تناقض مذهب الماديين وتؤيد القول بروحانية النفس وخلودها وقد يمهد فرويد السبيل الى البرهان عنها في تفتيشه عن النزعات النفسية في كل فرد من افراد البشر لكنه، لسوء الحظ، يدمغها بدمغة التشاؤم واليأس وقلما يوجه النظر الى ما تبشر به الحياة الاخرى من نور ونعيم .

الدكتور شارل بلوندل : المدخل الى علم النفس الجماعي

تعريب الدكتور حكمة هاشم

دار المعارف بمصر - ص١٨٨ ق ٨ ١٩٥٣

نُشر هذا الكتاب بأصله الافرنسي سنة ١٩٢٨ في مجموعة ارمان كولين في باريس ومؤلفه استاذ في معهد الاداب في جامعة استراسبورغ وها انه يظهر في « منشورات جماعة علم النفس التكاملي » تحت اشراف الدكتور يوسف مراد

في مصر وانا نهنئ المعرب على جرأته في اقتحام الصعاب ونشكر لكل من يسعى في تمرين اللغة العربية على نقل المؤلفات القيمة ومنها هذا الكتاب. واليك خلاصته :

انها لحقيقة راهنة ان الانسان يتأثر بمحيطه ومن ثم اذا اردنا تحليل نفسية ذلك الانسان لا بد لنا من بحثها في نفسية محيطه وهذا ما يعنى به علم النفس الجماعي. وهل يجب ان يأخذ الباحث اولًا ببحث حالة هذه النفسية (سيكولوجية) في الفرد ليتدرج منها الى بحث نفسية الجماع ؟ او هل يكون الاصح في ان يبحث نفسية الجماع حتى يدرج منها الى بحث نفسية الفرد؟ واذا قرّ رأي الباحث على اختيار احد الاسلوبين في البحث اقبل من ثم على معالجة الموضوع المعالجة العلمية ولكن قبل ان يقر رأيه فيه فليس سعيه الا مدخلًا الى علم النفس الجماعي » فترى ان فحوى الكتاب بيّن في عنوانه .

ويرى المؤلف بلوندل (ص ١٥ في التعريب) « انه يجدر ان تضاف الى حساب علم النفس الجماعي طائفة من المباحث التي لا تزال تعتبر راجعة بعلّ الحق الى علم النفس الفردي مما هو منطوٍ تحت ابواب الذكاء والارادة والانفعال».

ويستند الى اقوال كونت ودوركايم وتارد الفلاسفة الافرنسيين الذين يرتأون رأيه في هذا الموضوع ويقول: «ان من المآخذ على السيكولوجيا الحاضرة.. انها طالما قبعت في دراسة الانسان الراشد الابيض السوي (الصحيح نفساً وجسداً (normal) المتمدن فهي تهمل الحيوان والطفل والبدائي والمعتوه فتضيق رقعتها على خلاف الواجب ... لان الانسان الراشد الابيض السوي ... يدين بتلك الخصائص الى الحضارة التي ينتمي اليها فيخرج من حوزة السيكولوجيا الفردية .

فيجب ان تترتب العلوم الباحثة في الذهنية البشرية ومظاهرها وفق النسق التالي السيكوفيزيولوجيا ، السيكولوجيا الجماعية ، السيكولوجية الفردية .

ولعلك تضجر لقراءتك هذه الالفاظ الاعجمية المبهمة ، وامثالها كثيرة في الكتاب ، مما يزيد في عثراته ... ولكن لا بد من نقلها بلفظها الاعجمي كما هي لئلا تخرج عن معانيها وانا نتمنى للمجامع العلمية مثابرة السعي في تحصيل الضالة المنشودة وتعريف امثال هذه الالفاظ بادماجها في القاموس مع شرحها .

جاء في الكتاب (ص ١٠ سطر ١٨) و «قرروا ان كل درب صالح على شرط ان يؤدي الى روما» وعلق عليها المعرب قائلاً: «تضمين للمثل المعروف عند الفرنجة Tous les chemins mènent à Rome بمعنى ان الغاية تبرر الواسطة» فهذا غلط والصواب هو كما جاء في قاموس لاروس في مادة . . . chemin ومعناه bien des procédés conduisent au même résultat :. كثيرة هي الوسائط المؤدية الى هدف واحد .

صحة الطفل

بقلم الدكتور حبيب صادر

دار المعارف بمصر – ص ١١٢ ق ٨

نرحب بهذا الكتيب ونتمنى لكل عروسة ان تحمله في جهازها الى بيت عريسها فتطلع على طرق العناية بالطفل في عامه الاول وتتعلم وسائل معاملته في النظافة واللبس والتغذية ومعالجته في الامراض المعالجة البسيطة التي تغني عن مراجعة الطبيب وتساعد على الصحة .

كل هذا متصل في فصول تتخللها التصاوير المفيدة.

ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ١٨٤٨ــ١٩٤٨

مجموعة ابحاث ودراسات لتاريخه تنشرها الجمعية الملكية بمناسبة انقضاء مائة عام على وفاته

القاهرة – مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨ ص ٤٠٥ ق ٤

هذا كتاب جليل مرقمة فصوله بإمضاء رجال وطنية وعلم واختصاص : الدكتور عبد الرزاق احمد السنهوري باشا وزير المعارف العمومية ، سعادة محمد طاهر باشا رئيس الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، الاستاذ محمد شفيق غربال وكيل وزارة المعارف ، الدكتور عبدالحميد بطريق ، الاستاذ محمد حوته، الدكتور احمد الحته ، الدكتور اسد رسم ، البكباشي عبد الرحمن زكي البكباشي ، احمد فهيم بيومي .

كل منهم تناول البحث عن « ابراهيم باشا » وكتب عليه ومن مجموع ما كتبوه تبرز صورة هذا الرجل العظيم جذابة خلابة جديرة بان تستهوي قلوب المطالعين كهولاً وشباناً واسلوبها السلس وطبعها الانيق على الورق الفخم الصقيل

وتصاويرها الحسنة الصنع واخبارها التاريخية الصحيحة تخطف لب القارئ فلا يفتح الكتاب ويأخذ بطالعته الا ويلازمه الساعات بالتشوق الى ان يأتي على آخره . ومما استحسنا في فوائده الجمة لهجته الشريفة في الكلام على من حاربهم ابراهيم باشا وعاملهم معاملة الشهامة والكرامة فاستحق الثناء الذي لهج به التاريخ في انه رفع عالياً لواء المصريين فانحنت له رؤوس الاوروبيين اعتباراً واجلالاً . ان حبه وطاعته لابيه محمد علي مثالاً جديراً بان يقتدى به . . . ويا ليت احد المؤلفين تخطى من ساحة القتال او من دوائر الحكومات التي تنقل فيها ابراهيم باشا وسار بنا واياه الى حياته الخاصة العائلية وعرفنا بكيفية وفاته . . . لان المحطة الاخيرة في حياة الابطال تختم بحاتها اعمالهم الى الابد » .

جاء في الصفحة ٤٠٣ سطر ١٨ بوليس والصواب بولس .

منادمة الحروب : ادب وحرب وسياسة الجزء الاول

بقلم احمد رمزي سفير مصر السابق بروما

١٩٥٣ مطبعة لجنة البيان العربي ق ٨ ص ٣٤٣

قال المؤلف ص ١١٩–١٢٠ في سياق الحديث عن حصن الاكراد: « لست بعالم في فن هندسة التحصين وعمارة القلاع كما انني لست مختصاً في التاريخ وعلم الآثار وانما اكتب كتابة رجل مرّ بحصن من حصون المسلمين فاخذته روعة المكان وغمرته ذكريات عن بلاده . . . فالمعلومات التي اقدمها لم احاول جميعها (كذا) على طريقة علمية منطقية ولم تكن نتيجة خطة مبيتة (كذا) او بحث قصدت به ان اظهر مقدار علمي وانما هي نتيجة مطالعات متفرقة في اوقات متباعدة » ومن امثال هذه العبارات جاء في صفحة ٢٩١ تحت عنوان « لست بخبير » ما يكفي مؤونة ما يرغب القارئ الاطلاع عليه تعويضاً عن المقدمة التي لا يجدها في صدر الكتاب . ومما يؤخذ به صفاف الاحرف المطبعية الغلطات العديدة الواقعة في كل صفحة تقريباً من صفحات الكتاب ولا تسأل عن تشويه ما جاء فيه بالنص باللغات الاوروبية فقد تكون الملازم مرّت من ايدي الصفاف الى الآلة الطابعة دون ان يصححها المصحح . وانا نعتذر لابداء هذه الملاحظات التي لا تحط من قيمة الكتاب عسى ان يستفاد

منها في طبعة ثانية . وان تكن بعض فصوله عن هانيبال وجيوش المغول وزحف المعتصم وغير ذلك مما لا يأتي الا على هامش الموضوع فان في « منادمة » رجل السياسة تنصل مصر في بيروت وتسفير برومة مواد مبتكرة مفيدة لمعرفة الحوادث التاريخية التي جرت ما وراء ستار على المسرح الشرقي ايام الحرب الكونية الثانية ~~فنشكر له تدوينها ونتمنى له ان يوافينا~~ بتكملة ما وعد به من امثالها لعهد قريب ان شاء الله .

تاريخ الادب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامي

بقلم الدكتور مراد كامل المساعد للغات السامية والدكتور محمد حمدي البكري

مدرس اللغات السامية من اللغات الشرقية . جامعة فؤاد الاول

مطبعة المقتطف والمقطم بمصر ١٩٤٩ ص ٢٠٨ ق ٢

صدر المؤلفان كتابها بالكلام على تقسيم اللغات السامية على الاراميين ولهجاتهم وعلى الكتابات الارامية وآثارها في الجزيرة والشمال السوري وبلاد تدمر وفلسطين ومصر وتناولا البحث في الادب السرياني قبل انتشار المسيحية وبعده فيما قبل الاسلام الى القرن السادس المسيحي واستندا الى من سبقهم من المستشرقين في درس الآداب السريانية :

جاء : (ص ١٦) « وقد الف السريان في لغتهم جميع فنون الادب التي كانت معروفة في ايامهم ولكنهم لم يكونوا منشئين او مبتدعين . لم ينبغوا في العلوم ولا في الفنون بل ولم ينبغوا في الحرب وكان ينقصهم فطنة العرب وذكاؤهم فلم تنجب صوامع الرها وقنسرين ونصيبين وغيرها احداً كالفارابي او ابن سينا او ابن رشد (كذا) ... ولكن هل كان الفارابي وابن سينا او ابن رشد من العرب على الاطلاق ؟ وهل من الانصاف ان يقابل بينهم وبين من سبقهم بقرون ، الذين لم يستفيدوا من الحضارات التي استفاد منها هؤلاء !

ولولا السريان هل يكون فلاسفة الاسلام حصلوا ما حصلوه ! والى السريان « يعود الفضل في نقل تراث اليونان الى العرب » .

ومما لا توافق عليه المؤلفين قولها . (ص ١٤ سطر ٢٠ وما بعده) و« لكن الجهل الذي كان يسيطر على الجيل الاول من المسيحية دفعه الى

بغض هذه الفنون الادبية (السريانية) وزهده فيها وحبّب اليه ان يقنع بالكتب الدينية؛ ولذلك فقد عمد هذا الجيل الى اتلاف الكتب الغير الدينية ومن هنا لم يصل الينا الا الكتب الدينية والكتب التي لا تتعارض مع المسيحية» . . .

فالى اي سند يستندان في اقوال استقياها لا من معين العلم الصافي ولكن من نعرة يجدر بنا التخلي عنها . ومن امثال (ص ٤٢ سطر ٩) ذلك ما جاء :

«ان المسيحية قد جنت على هذا التراث الادبي فحرمت العالم منه» وايضاً (ص٢٧سطر٤) ان الكنيسة حالت بينه وبين البقاء فلم يصل الينا شيء منه».

ولولا المسيحية التي يلومانها هل تمكن المؤلفان الفاضلان من وضع كتابهما واسانيده كلها مسيحية . . . وفاتهما ان يذكرا بان السريانية قضي عليها في منتصف القرن السابع ... في الفتوحات العربية.

البرامكة في ظلال الخلفاء

تأليف محمد احمد برانق

دار المعارف بمصر . ص ٢٢٥ ق ٨

هذا كتاب ادب وتاريخ حاول مؤلفه بحث اسباب نكبة البرامكة مستقصياً عللها في ما سبقه المؤرخون في الكتابة عليها واخصهم المسعودي وابن خلدون وضرب الموازنة في اقوالهما بما يخص العباسة وجعفر وما نسب الى الرشيد في ذلك من الشنائع ورجح صحة رواية المسعودي (ص ١٨٦) وروى الكثير مما جاء في كتب الادب والشعر عن اخبارهم وقد اصبحت معروفة من عامة القراء فليس من المقام ان نفيض في ذكرها ولكن يطيب لنا ان نشكر للمؤلف اسلوبه في البنيان التاريخي فانه جمع مواده من اصدق المصادر ورتبها عن تصميم متناسب الاجزاء برزت فيه شخصيات البرامكة في علاقاتهم مع الرشيد واسرته وذهب يحلل نفسيتهم ويدرس اطوارها بين مدّ وجزر في العواطف تتهادى فيها اراداتهم ونواياهم ولا يقرّ لها قرار وتحل النكبة ويذكر الرشيد يحيى البرمكي واولاده ويبكي . ومما لفت نظرنا الصفحات التي وصفت لقاء ام جعفر بالرشيد ومعاتبتها اياه والجدال الذي قام بين الخليفة ومرضعته وكلاهما يستشهد على زميله بالآيات القرآنية فتذكر علاقاة فريام لاشيل مطالباً

بجثة هكتور . وصفها هوميروس في الالياذة واظهر البطل اليوناني « الوثني » يحنّ على ابي هكتور الشيخ ويعطيه جثة ابنه القتيل اما الرشيد ... فعلى تورّعه الشديد (كان يصلي في اليوم مئة ركعة ويبكي اذا سمع الوعظ حتى تخضل لحيته بدمع عينيه ولم يكن وثنيًا كاشيل بل كان يبغض المراء في الدين ويتشدد على الزنادقة) رفض طلب ام جعفر ولم يعفُ عن زوجها يحيى الذي كان له ابًا ومربيًا ووزيرًا نصوحًا وبالغ في الظلم والبطش ببقايا اصدقائه بالامس واعدائه في اليوم (ص ٢٨٣ وما بعدها) .

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب

تأليف ابن هشام — ومعه منتهى الارب بتحقيق شرح شذور الذهب

تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد

مفتش العلوم الدينية والعربية بالجامع الازهر والمعاهد الدينية

ص ٤٨٠ ق ٤ . مطبعة السعادة بمصر الطبعة الخامسة ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م

طُبع كتاب شرح شذور الذهب عدة طبعات منها في الاستانة ومنها في بولاق ومنها الطبعة الحجرية التي علق عليها بالحواشي الامير الكبير السنباوي . وانقضت السنون الطوال على ظهور تلك الكتب ومن ثم كان تجديد نشرها لازمًا فقام به السيد محمد محيي الدين عبد الحميد وزاد عليها تعليقات وفوائد وافرة منها انه فتش على مصادر الشعر الذي رواه ابن هشام فذكرها وكذلك عاد بالشواهد المأخوذة من القرآن فدلّ على السورة والآية التي اخذت منها . وذيّل كل شعر من اسفار الشذور بتفسير معناه واعرابه النحوي ورواية مختلف الآراء فيه بين النحويين الاعلام وبين ائمة اللغة . فجاء كتابه واسعًا شاملًا اصول اللغة العربية وقدّ قررت ادارة العامة للجامع الازهر تدريسه لطلبة السنة الرابعة الابتدائية في المعاهد الدينية . لو يفسح زمان الدروس وموادها في برنامج التعليم الثانوي لطلاب مدارسنا ان يدرسوا هذا الكتاب لما ترددنا في نشره بين ايدي التلامذة ولكن لا اقل من ان تكون منه نسخة في ادارة تعليم العربية في كل مدرسة من المدارس لما فيه من المواد الزاخرة للاساتذة في تحضير دروسهم والقاء مواضيع المسابقات استعدادًا للفحوص . وطبعة الكتاب ممتازة

بحروفها وتشكيلها الا ان فيها اغلاط يرجى اصلاحها في طبعة ثانية منها :
(ص ١٦١) فغدت والصواب فعدت ؛ (ص ٤٧١) مدكي والصواب مدركي ؛
(ص ٤٧٧) ٨٠ والصواب ٨٠ ؛ عياها والصواب عليها ؛ القرطاس والصواب
القرطاس (ص ٤٧٨) كمويها والصواب كمويا .

اللغة العربية : اصولها النفسية ، وطرق تدريسها ، ناحية التحصيل

تأليف الدكتور عبد العزيز عبد المجيد.

الطبعة الاولى ص ٣٥٥ قطع ٨ دار المعارف بمصر ثمنه ٥٠٠ مليم

قضى المؤلف اثني عشر عاماً في التعليم بمصر والسودان وجاء بكتابه هذا « خلاصة لتجارب وقراءات وبحث ودراسة في ميدان تدريس اللغة بمراحل التعليم المختلفة » وقد جمع فيه الكثير من النظريات والقواعد والطرق التي وصل اليها العلماء في ابحاثهم وتجاربهم باللغات الاجنبية فتكلم عن اللغة ووظيفتها على العموم وعن المعنى اللغوي وطبيعته وعن العلاقة بين اللغة والفكر واللغة والذكاء وعن المراكز العصبية للغة ونشأتها في مراكز اللغة في الطبقة السنجابية وعن نمو اللغة عند الطفل وفي انتقاله الى المدرسة الى ان خص اللغة العربية بشيء من الكلام منها وعن فروعها الى غير ذلك من المواد الوافرة التي تستوقف نظر المعلمين في المدارس الى ان ختم الكتاب بمنتخبات واشعار تعلم في الروضة وفي المدارس الابتدائية والثانوية .

... واننا نثني على همة المؤلف ونشاطه في هذا البحث المترامي الاطراف وقد عنون كتابه اللغة العربية .. ولعله كان اقرب الى الحقيقة بتسمية اللغة .. فحسب لان الكلام فيه عن اصول التعليم عامةً عند الاجانب وقد تكتظ اسماؤهم واقوالهم في طيات الكتاب. وعبثاً حاولنا ان نجد فيه بحثاً عن الاسلوب اللازم استعماله في البلاد العربية لتذليل العقبات التي تعتور طريق المعلم من جراء الفرق بين العربية الفصحى والعربية الدارجة وهذا الفرق غير موجود في اللغات الاوروبية فضلاً عن امر تشكيل الاحرف وضبطها مع اختلاف صورة الحرف العربي في اول الكلمة او في وسطها او في آخرها مما يستدعي نظر من يهمهم تعليم اللغة العربية من امثال الدكتور عبدالعزيز المجيد على ان يأتينا المجلد الثاني من هذا البحث بالجواب الملبي طلبنا .

طبقات فحول الشعراء

تأليف محمد سلام الجمحي ١٣٩–٢٣١ هـ

شرحه محمود محمد شاكر – دار المعارف للطباعة والنشر ص ٧١٩ ق ٨ كبير

هذا الكتاب هو الحلقة السابعة من سلسلة الكتب المعنونة «ذخائر العرب» وهو نفيس بقلبه وقالبه بلغ فيه فن الطباعة عزّه في جمال الاحرف وصقل الورق وترتيب المتون بين المقدمة والذيل والحواشي اضف الى ذلك علامات الرجوع الى المصادر والتمييز بين ما يكون من الاصول والفروع لم يقبل الناشر على نشره الا بعد الاستعداد والتنقيب والمقابلة بين طبعاته السالفة وبين النسخة التي اكتشفها في المخطوطات التي جاء بها من بغداد الكتبي الفاضل امين الخانجي.

ان الالماني يوسف هِل J. Hell كان قد اصدر سنة١٩١٣ بمطبعة بريل في ليدن جزءا من هذا الكتاب وعنونه «طبقات الشعراء» وعلق عليه بفهارس وحواشي ؛ ونشر الكتاب ذاته سنة ١٩٢٠ حامد عجان الحديد الكتبي في حلب خالياً من الشكل والروايات وفيه اغلاط اقتضى اصلاحها (راجع المشرق ١٩٢٠ ص ٤٨٩) . فجاء السيد محمود شاكر وسد الخلل بهذه الطبعة الجديدة التي لا ينقص منها الا القليل المفقود من المخطوطة . وكتابه هذا حقيق بالثناء وجدير بان يزين المكاتب لدرس الشعراء الاقدمين .

الورقة — لابي عبدالله محمد بن داود بن الجراح

تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار احمد فراج

دار المعارف بمصر – ص ١٦٠ ق ٨ كبير

جاء في المقدمة (ص ١٤) نشأ محمد بن داود بن الجراح في بيئة ادبية وكتب في دواوين الخلفاء : المعتضد والمكتفي والمقتدر واستوزره الخليفة المعتز ثم قتل واختفى ابن الجراح ثم أُخبر عنه فقتل سنة ٢٩٦ هـ ٩٠٨ وترك مؤلفات منها هذا كتاب «الورقة» قيل انه سمي كذلك لان مؤلفه التزم فيه ان يترجم كلّ من ترجم له من الشعراء في ورقة واحدة تقريباً . وهذا الكتاب من طلائع كتب الشعراء في الادب العربي وهو الى نظائره مما الف في القرن

الثالث الهجري مرجع لتراجم شعراء الجاهلية وفيه ترجمة ٥٨ شاعرًا . ولعل نسخة الكتاب كتبت في عصر المؤلف نفسه ومنها صفحتان مصورتان بالفوتوغرافية في هذه النشرة وفي آخرها الفهارس الواسعة . لولاها لفقد الكتاب الكثير من فوائده لما يعتور متونه من الاعلام والاشعار فان لائحتها المرتبة على احرف الهجاء تساعد على فك ألغازها .

من الادب التمثيلي اليوناني ، سوفوكليس ، الكترا ، انتيجونا اوديبوس ملكاً ، اوديبوس في كولونا ، فيلوكتيتس

بقلم طه حسين

دار المعارف بمصر – ص ٣٨٤ ق ٨ صغير

عاش سوفوكليس الشاعر المأساتي الشهير في القرن الخامس قبل المسيح (٤٩٧ او ٤٩٥–٤٠٥) ومن مؤلفاته لم يبقَ الا سبع روايات لم يهمل منها المعرّب الا رواية «هركليس مائتاً» اما الروايات الست التي نشرها لقراء العربية فتعتبر من آيات الفن الشعري تراث البشرية العام شأن المؤلفات التي خلدت ذكر نوابغ اليونان وان ظهورها بلغة الضاد لمفخرة من مفاخر النهضة الادبية الحديثة التي مشى في طليعتها سليمان البستاني معرب الياذة هوميروس ومقدماً عليها بدرس واسع بديع وازناً فيه بين الشعر اليوناني والشعر العربي وبين ثقافة اليونان وثقافة العرب .

وهل يتحفنا طه حسين يوماً بمقدمة على ما ينشره في هذه الناحية من الادب وقد يدعونا عنوان هذا الكتاب الى الامل بتحقيق امنيتنا فيه حتى اذا ما انتهى من روايات سوفوكليس وهي «من الادب اليوناني التمثيلي» او الجزء منها اقبل على غيرها من الاجزاء كروايات اسخيلس واوروبيدس ... واكمل الدرس بنظارات شاملة تحل محل المقدمة المنشودة ونعرف منها الاصول التي اخذ عنها المعرب اسلوبه في ضبط الاسماء اليونانية باللغة العربية فنهتدي به الى وضعها نهائيًا في القاموس دون ان نرتاب في كتابة ادبس او اوديبس اثينا او اتينا كروسوتيميس او خروزوثيمس كلوتيمنسترا او قليتمنسترا ...

رباعيات عمر الخيام
تعريب وديع البستاني
دار المعارف بمصر – ص١٦٠ ق١٢

هذا الكتيب يكون الحلقة ١ من سلسلة « في ظلال الوحي » وقد ابرز بحلة قشية وطبع متقن على ورق صقيل بأشكال جاءت آية في فن الطباعة العربية والتصاوير الموقعة فيها باسم « بيكار » (Picart) تشهد للمصور بطول الباع في الفن وبالتروي في درس المشاهد الطبيعية الشرقية ورسم ملامح الاشخاص بازيائهم ومواقفهم التي لا تظهر بحقيقتها الا على يد المخصصين لمثل هذه الاعمال. قد اقيمت للسيد وديع البستاني حفلة تهاني ادبية في بيروت من عهد قريب ووددنا لو استطعنا التصفيق مع المصفقين للشاعر الذي عرب شعر الخيام (من الانكليزية ؟) ووفاه حقه من اناقة وبهاء لولا رغبة السيد وديع في حياز الشهرة من اي طريقة كانت ولو بالتزلف الى من يطلبها منهم بتضحية قومية ودينية فانه « البستاني الصغير» ترجم الرباعيات ترجمة بديعة سد بها من اللغة العربية ثغرة قد سدّ مثلها من قبله البستاني الكبير في ترجمة « الياذة هوميروس » (ص١٣٧) وهو لبناني ماروني ... ألم يكن بوسعه ان يكتفي بالزهرة الجميلة التي قدمها للقراء دون ان يشوهها بما هو خارج عن موضوعه .

لا يضير الاسلام كثيرًا ان يكون عمر الخيام مارقاً عن الدين وينوه بذلك المعرب ولكن ما باله يغتنم من ثم الفرصة للطعن في المسيحية فيقول (ص٢٠ سطر٢١) : « ان الخيام بسعة علمه كان مسلماً طليق الفكر من قيود التقاليد [يكفر ما يشاء ويسكر ما يشاء] وشديد الجرأة على المجاهرة باعتقاده المطابق للمعقول ولو جاء مخالفاً للمنقول- شأن السواد الاعظم من علماء المسيحيين اليوم الذين يصلون رجال الدين حرباً عواناً ...» فمن هم هؤلاء العلماء ؟ اهو بطرس البستاني صاحب دائرة المعارف الكبرى او هو عبد الله البستاني صاحب قاموس البستان او هو فؤاد صاحب الروائع ؟

نعم ان مجلة الشرطة والامن العام السورية ١٠ ايار ١٩٥٣ روت عن « الشاعر العبقري » السيد وديع البستاني هذا الشعر :

ايها الناطقون بالضاد اصحوا ايكم نائم وغير مفاق
صيحة الحق قد علت فاسمعوها وصداها يرن في الآفاق
لا نصارى ولا دروز ولكن ارض سورية وارض العراق
كلنا «مسلمون» في مذهب العر ب عداة منقوضة الميثاق

ولا بد ان يكون وديع قد تهنأ وسكر بنشوة المديح ولكن الم يكن باستطاعته ان يناله عن طريق اليق بكرامته واصله ! فعلى لبنانيته وعلى مسيحيته السلام !

الشيخ نجيب الحداد

بقلم عادل غضبان

مطابع دار المعارف بمصر ١٩٥٣ ص ١١٢ ق ٨

قصيرة كانت حياة نجيب الحداد ١٨٦٧ – ١٨٩٩ لكنها كانت خصيبة بالاعمال ظهر فيها المترجم له «شعلة من العزم والذكاء ولألاء من الوحي والشاعرية تلالئا في اهاب جسم ناحل فاحترق باللهب وخلد مع النور» وهو بامه حفيد الشيخ ناصيف اليازجي فورث عنه مواهبه بالشعر والتأليف . هذا ما بينه الاستاذ عادل غضبان في هذا الكتيب متكلماً عن عصر « الحداد »وعن البيئة التي عاش فيها وعن اثاره في الادب واجاد بما رواه من منتخبات في الحقول التي عمل فيها بالسياسة والادب والشعر وخاصةً في وضع الروايات التمثيلية.

الجاحظ

بقلم حنا الفاخوري

دار المعارف بمصر – ١٩٥٣ ص ١٠٦ ق ٨

نشكر لواضع الكتاب سعيه في درس شخصية الجاحظ في عصره وتعريفه القراء بحياته واثاره وبما تفضل بالرواية عنها من منتخبات طريفة لذيذة يكاد يستغني بها المطالع عن مراجعة مؤلفات الجاحظ الطوال لما في هذا الكتيّب من الفصول عن البيان والترجمة والاعتزال والتحري العلمي والمذاهب والنزعات الدينية وعن الحيوان وغير ذلك مما يجعل الجاحظ « ركناً من اركان الادب » .

حرمان ــ قصص موضوعة ومعربة

بقلم سلمى الحفار الكزبري

قدم لها الاستاذ شفيق جبري عميد كلية الآداب بدمشق

دار المعارف بمصر ص١٣٥ ق١٢

بين الطلاق والفراق على مسرح قد يكون غربياً في اوروبة او شرقياً في مصر يمثل اشخاص هذه القصص ادوارهم المتنوعة من معربة او مبتكرة والرابطة التي تضمها من بدء الكتاب الى آخره هي الشبكة التي يقع بها القلب البشري الضعيف اذا ما اصطاده صيد العشق الاعمى من امثال ذلك: « تحدث امرأة من النساء زوجها بجمال امرأة اخرى فيعاق بها الرجل ويحبها ويطلق الزوجة الاولى ؛ وتدخل امرأة في بعض الفنادق غير غرفتها وتستلقي على سرير رجل تظنه زوجها ». (المقدمة ص١٢) ومن البديهي ان هذه القصص وامثالها لا تصلح لقراءة الناشئة وان يقرأها الكبار فعليهم الا ينسوا ان الزواج الذي اسسه الله مبني على الوحدة لا طلاق فيه ولا فراق كما جاء في سفر التكوين .

الف ليلة وليلة

نشره حسن جوهر محمد احمد برانق امين احمد عطار

دار المعارف بمصر . الجزء الاول بدرالبدور ؛ حسن البصري ص١٦٨ ؛ الجزء الثاني السندباد ص١٧٥ ؛ الجزء الثالث جودر ص١٧٦ ق٨.

هي ثلاث من قصص الف ليلة وليلة مطبوعة باحرف جلية كبيرة واضحة مشكلة على ورق صقيل جميل وضعها اصحابها اخذاً عن الاصل مبدلين فيها ما رأوه بحاجة الى التبديل في المعاني والالفاظ والتعابير متوخين فيها عامة القراء واخصهم الناشئة من البنين والبنات وحبذا المشروع فنهنئهم عليه واذ نتمنى ظهور غير ذلك من القصص نستميح عذراً بابداء رأينا في لغتها لقد احب الناشرون ان يستعيضوا في مواضع عديدة عن متن الكتاب البسيط القريب من اللغة العامية بمتون اقرب منها الى اللغة الفصحى وما اليها من مفردات يرصع بها الخطباء كلامهم . واني مع اعجابي باسلوبهم الانيق اسفت لفقدان لذيذ المتن

في بساطته الشعبية . هذا ومن المعلوم ان مفتاح كتاب الف ليلة قذر لا يُمس الا ان يطهره المنقح ما استطاع الى تطهيره سبيلا . وكلّ الناشرين وفّقوا في هذا السعي ولعلهم كانوا يوفقون اكثر من ذلك باهمال حكاية الاخوين الافتتاحية وما «يلحق بها من السفاهات» ولهم في سائر الحكايات المتيسر تهذيبها غنًى عن سواها فضلًا عن انهم لم يتقيدوا بالمحافظة على اصل الكتاب وترتيبه ولياليه (مقدمة الجزء الاول ص٥). وفي الكتاب صور متقنة تزيده حسنًا وتشويقًا .

اللسان الحديث — الجزء الرابع

بقلم يوسف سعاده

منشورات الحكمة ١٩٥٣ — ٢٤٠ ص

طالعت « اللسان الحديث » من منشورات الحكمة لمؤلفه الاستاذ يوسف سعاده فاعجبني انتظام دروسه وجلاء اسلوبه واتقان طبعه ولقد « شعرت » ونا اتّبع المؤلف في ادوار كتابه بما يُعانيه من « ألم عميق وغيرة لاهبة» رغبةً في تعزيز اللغة العربية « اعلى تراث» ورثناه من الجدود .

انني اثني على صاحب « اللسان الجديد » لعظم اهتمامه بتيسير تعلم اللغة العربية لطلاب مدارسنا فيقبلون عليها برغبة ولذة لكني لا اوافقه في ادراج ما استحسنه من « تعديل » في كتبهم المدرسية فالحكم فيه لا يرجع اليهم بل الى ارباب اللغة والبحاثين والمجامع العلمية ولا ينتج للتلامذة من مطالعة هذا التعديل الا زيادة بلبلة وحيرة واضطراب .

واني ارى بانه يكفي لتسهيل قواعد اللغة شذب مما علق بها من غريب الشذوذ وتخلّيها من تفنّن مفرط وانقاذ التلميذ من عبودية اساليب الاعراب التقليدية بعباراتها « المكرسة » تُفرض عليه فَهِمها او لم يفهمها . ان سبب نفور التلامذة من تعلم قواعد اللغة هو خصوصًا طريقة اغلب الاساتذة في تعليمها فانهم يجبرونهم على استظهارها بالفاظها كلمةً فكلمة كأنها الكلام المُنزل وبعد شروح تقليدية يعسر على اكثرهم تفهمها . والتلميذ يتعلم بسهولة هذه القواعد اذا عرف المعلم ان يدلّه عليها حيةً في النصوص التي لا بدّ من

مطالعتها تُنتخب من مؤلفات الكتاب الاقدمين والمتأخرين فيها يجد المتعلم صيغ الاشتقاق وقواعد اعراب الاسم والفعل لا بنوع نظري عقيم كما في كتاب الصرف والنحو ولكن باسلوب عمليّ لذيذ .

اما رأيي فيما جاء في اللسان من « تعديل » فاوجزه بالملاحظات التابعة بخصوص توحيد حركة عين المضارع يقرّ المؤلف نفسه بما ينتج منه من ارتباك في معاني الفعل فمنها ما يختلف معنًى باختلاف حركة عينه . واني لا اظن ان ما يُرجى من هذا التوحيد منفعةً يوازي ما يصدر منه بلبلة في المعاني . وفضلًا عن ذلك اننا اذا رضينا بتوحيد حركة عين المضارع فلماذا لا نرضى به للماضي ايضاً . فنقول مع المؤلف بالمضارع يَشرُبُ ونزيد للماضي شَرُبَ . وقس عليه : جلُس يجلُس وعلُم يعلُم ... وليس من لا يرى في ذلك نهاية القرابة واسوأ ابتداع . فالتوحيد اذن هذا يدخل الالتباس والغرابة الى معاني الافعال كما لا يخفى على كل مفكر يعرف لغته العربية .

وفي « تعديل » كتابة الهمزة سها صاحب اللسان عن امرٍ مهمّ وهو ان قواعد كتابة الهمزة قد وُضعت خصوصاً للقارئ وهي تسهل عليه قراءة النصوص العربية اذ تمكنه من معرفة حركة الهمزة فيميّز بها صيغ الفعل . فاننا اذا كتبنا دائماً مع المؤلف سئل بماذا يميّز القارئ مجهول هذا الفعل من معلومه . وكذلك مثلًا يُسئم (يُسأم) وسائل (سائل ساءَلَ) ...

اما « تعديل » المنصوبات (المفعول لاجله والمطلق والحال والتمييز ...) وتوحيدها في قواعد جامعة — كما نجد ذلك في اللغة الفرنسية « compléments circonstanciels » — فلا انكر وجهته المنطقية لكني أرى أيسر على التلميذ تعلم هذه القواعد مفترقة متميزة : يبقى على المعلم ان يبين التلميذ وحدة المبدأ الذي عليه ترتكز هذه القواعد .

اختم بالاعتذار الى « صاحب اللسان » اللبيب من صراحتي في نقد كتاب قيّم وضع في تأليفه جهودًا يُشكر عليها واني لا أخاله يتوقع من ناقد «المشرق» مدحاً واطراء فحسب لكن ايضاً بحثاً صادقاً يؤول الى خير لغة هي عزيزة عليه ولغتنا جميعاً .

ف . ت .

CHARLES PELLAT. *L'Arabe vivant*, Paris - Adrien-Maisonneuve 1952. pp. V - 617+77.

قصد المؤلف ان يجمع في هذا الكتاب معظم الكلمات الواردة في الجرائد والمجلات ، وقد اصاب ذلك الهدف في الواقع ، فبين دفتي مجموعته نحو ٨٠٠٠ من تلك الالفاظ ، فضلاً عن التعبيرات ، وكلها مقيّد بالشكل الكامل قد قسما كلًا الى اربعة وستين باباً على حسب معانيها ، مما يسهل رسوخها في ذاكرة المتوخي حفظها ، وذيّل الكتاب بفهرسين حاويين جميعها ، احدهما فرنسي عربي والآخر عربي فرنسي . فنخصّ المؤلف تهنئتنا بخدمته هذه الجليلة للغة الضاد ، ومع ذلك نرى من واجبنا الاشارة الى بعض عيوب مجموعته . الاول ادراجه فيها عشرات الكلمات العامية ، من امثال بوفيه (buffet) وصالون (salon) وكنبة (canapé) . الثاني تكثيره الالفاظ غير المأنوسة في الشرق العربي بدون تعيين محل استعمالها ، ومن جملتها تجر (tiroir) خشكنانجة (biscuit) ، كسح بمعنى كنس ، كاغط متنبّر (papier timbré) ، مسابقة القصد (التعمّد). الثالث تشوه مجموعته بعدة اغلاط محضة ؛ هاكم شيئاً منها : لا غِبار عليه (لا غُبار) ، متوسّط الارقام (متوسّطها) ، اوعية متواصلة (متّصلة) ، لعب دوراً (مثله) ، كاتب روائي بمعنى مآسي (dramaturge) . ر . نخله

WILLIAM POPPER. *The Cairo Nilometer*. Studies in Ibn Taghri Birdi's Chronicles of Egypt : I. (University of California Publications in Semitic Philology, Vol. 12). University of California Press. Berkeley and Los Angeles. 1951. pp. XI-269.

يروي المؤلف تاريخ فيضان النيل القوي كما سجله مقياس مياهه بجزيرة الروضة في القاهرة ، وتستغرق روايته هذه حتى الصفحة ٩٠ من كتابه . اما القسم الثاني فاوسع كثيراً من الاول (ص٩١ — ٢٥٦) وهو يتناول احصاءات معدل الفيضانات .

وبعد ان تكلم في فصل كامل على مقاييس مياه النيل العديدة في منطقة القاهرة ووصفها وصفاً مسهباً بالاستناد الى احدث المصادر المصرية منذ مطلع القرن التاسع عشر الى اقدمها في القرن التاسع خصص فصلاً عما سجله مقياس النيل في الروضة وفصلين آخرين بحافظ المقياس وبطنيان المياه الفصلية ودرس المصادر

الممتدة حتى نهاية القرن التاسع عشر قبل ان يدرس الاحصاءات . وثمت فصول خاصة بانواع المقاييس بمعنى كلمة « سنة » في الاحصاءات وبما يروى بشأنها وبشأن فيضان النيل سنوياً ويومياً وبالتواريخ التي تقارن بين اعلى درجات ارتفاع مياهه وادناها ومعظمها بالارض التي تجري عليها مياهه وبالمطر في بلاد الحبشة وبما له من صلة بطغيان النيل .

والكتاب هو الجزء الاول من « دراسات في تواريخ مصر لابن طغري البردي » دراسات تتناول عدداً كبيراً من الكتاب العرب وكاتبين افرنسيين لوبر « Le Père » ومارسل « Marcel » .

والذي حدا بالمؤلف لاتيان هذه الدراسة بالدرجة الاولى هو ان بعض التفاصيل التي ذكرها بيردي وغيره من المؤلفين ونشرت حديثاً قد كان صعباً تفسيرها جد الصعوبة بحسب المقياس الذي تبنّاه الكتّاب السابقون مما اضطره الى البحث عن مقياس آخر .

ولسنا نجهل الصعوبات التي عاناها في مهمته حيال الاحصاءات الشيقة التي استقرأ دراستها اما اسلوبه فيقوم على ان ينفحنا بنص صريح من دراسته ويتبعه فقرة فقرة بتعليق مستوفٍ عليه .

ويشتمل الكتاب على خمسين لوحة للمقارنة وعلى عدد من الرسوم بالخطوط ورسمين يصوّران طبيعة البلاد وثبت رائع للموضوعات العديدة والعبارات العربية اما اخراج نصوصه وخطوطه البيانية ورسومه فشديد الوضوح ا. لاتور

Asaf. A. A. Fyzee, *Outlines of Muhammadan Law* — Geoffrey Cumberlege, Oxford University Press, 1949, pp. XVI-443.

غاية المؤلف من كتابه صريحة جداً الصراحة فهو محب للدقة والوضوح وهدفه ان يضع مؤلفاً مفصلاً للحقوق الاسلامية وبيان مبادئها التي تسترشدها الحقوق في الهند والكتاب لم يكن لطلاب الحقوق فقط بل للراغبين في طلب العلم وهو يأمل ان يكون بمثابة موجز يذكر المؤلفين في علم الحقوق بخطوطها وتوامها في الهند .

ولقد فضل ان يكتفي بان يقول الهند ليس الّا على ان يقول « الهند البريطانية » لاسباب حقوقية جوهرية ولسبب تطورها السياسي .

ولم يغب عن السيد فيزي « M. Fyzee » انه من المستحيل درس الحقوق والتعمق فيها من دون ارجاعها الى ضمن اطارها التاريخي فلذلك قدّم — من دون ان يتوسع في مناهجها — بلمحة تاريخية على الاسلام وتطور الحقوق الاسلامية وتقوم ميزته عن غيره على كونه ادرك ان الحقوق الاسلامية ليست كتلة متصخرة ضخمت حجمها المواد الغريبة والتحمت بها عن طريق ارادة الله الكلي القدرة فقط واكتشف السيد فيزي « M. Fyzee » في الحقوق الاسلامية « تصيباً جلياً» كما اوضح سانتيلانا « Santillana » كل الايضاح وحاوله انتهاجه في كتابه .

وكتابه يشتمل على الموضوعات المدرسية التي نراها في مؤلفات سانتيلانا « Santillana » وجونبول « Juynboll » وغيرهما وانما امتاز عنهم في كونه مارس المحاماة امام محكمة بومباي طول خمسة عشر عاماً وجمع في شخصه الثقافتين الشرقية والغربية لانه تخرج من بومباي وكمبريدج مما جعل كتابه ينمّ عن معرفة مباشرة للحقوق وعن دراسته العلمية. اما طابعه الخاص فقائم على كونه ينفحنا بوجهة النظر الواقعية وبتطبيق الحقوق الاسلامية في الهند لكن لا يتردد عن الاستشهادات بمستندات حقوقية كاملة اذا ما اقتضاه الامر .

ولقد استفاض في دراسة باب الوراثة بالنظر الى اهميته وصعوبته باكثر من ٧٠ صفحة : بسط فيها الحقوق السنيّة والحقوق الشيعية واكثر من جداول تقسيم المواريث الدقيقة .

والكتاب مذيّل بثبت للكتب رائع وبثلاثة فهارس للاجرام والاسماء والموضوعات .

ا. لاتور

المشرق

السنة السابعة والاربعون — ت ٢ – ك ١ ١٩٥٣

الروم الملكيون في الاسلام

مقتل البطريرك الانطاكي الملكي الشهيد خريستوفوروس

سنة ٣٥٦ للهجرة – ٩٦٧ للميلاد

حسدًا له لمكانته لدى الامير سيف الدولة علي بن حمدان

ويليه

قسم من اخبار جثالقة الروم الملكيين في العراق وبلاد فارس

نشرهما لاول مرة حبيب زيات عن نسخة يتيمة من القرن العاشر

هذا اهم ما اخترناه من فوائد هذا الخبر الفريد الحافل باخبار النصرانية في في القرن العاشر. ولم يفتنا منه – على نقص فيه كما سبق من تنبيه الناسخ له الشماس بولس الزعيم – اقل لفظ يُستَشفّ منه حال من احوال النصرانية واوصاف البطريرك الانطاكي الملكي في ولاية سيف الدولة امير حلب. ولا

نعلم هل النسخة التي ورد رقمها في جريدة مخطوطات دير طور سينا هي محفوظة في اللغة الرومية التي كتبها اولاً ابرهيم بن يوحنا الابرطسبيتار ام في اللغة العربية التي املاها ثانية . ولعل التوفيق يخبأ لنا حظ الوقوف على النصين معاً اذا قدّر لنا ان نظفر بهما يوماً . ولا يخفى على من قرأ الملخص الذي سردناه سابقاً مكانة هذا الاثر الجليل وعظم خطره وشأنه وما له من الاهمية القصوى في التأريخ والاحتجاج . وهو من قلم شاهد عياني ولذلك عوّل عليه المؤرخ الثقة سعيد بن يحيى الانطاكي في حكايتهِ مقتل خريسطوفورس وشرحه الحوادث النصرانية والوقائع الاسلامية في القرن العاشر . وقد اقتصر على نقل الفاظه وعباراته بالحرف الواحد. ولم يقع لنا اثر آخر نظيره يدانيه في الصدق والابانة. ولذلك يجب ان يُحلّ في مقدمة العُرى الوثقى التي يُناط بها تاريخ قسم من ماضي الكرسي الانطاكي في الاسلام . ومنه اقتبس الاخباريون كل ما رووه واوجزوه من سيرة الشهيد في مجاميعهم المعروفة بالسنكسارات كالمجموع الذي وقفنا عليه قديماً في مكتبة دير الشير للرهبان الحلبيين وبين اخباره الستة عشر « الثاني خبر القديس الشاهد خريسطوفورس المعظّم ووصف سيرته وجهاده »[1] ونظيره السنكسار العربي المحفوظ في خزانة باريس (رقم ٢٥٤ ص ٢١٥) ولكنه خالف الاصل حيث زعم ان مقتل خريسطوفورس كان في اليوم الحادي والعشرين من ايار بدلاً من الثالث والعشرين من الشهر (سنة ٩٦٧/٣٥٦).

وقد احاط كاتب السيرة بكل ما بلغه وعرفه عن احوال الشهيد ومثّل حياته في اهم اطوارها . ولم يفته الا ذكر سنة ميلاده في بغداد وانتدابه وهو كاتب في شيزر لتولي الكرسي الانطاكي . ولعله جهل يوم ولادته كما جهل كل اخبار والديه من قبله . وفاته ايضاً تعيين اليوم الذي احتُفِل فيه بالصلاة عليه . وفي ذيل يحيى بن سعيد انه تقلد البطريركية في السنة الرابعة عشرة من خلافة المطيع لله العباسي (٣٣٤ للهجرة + ١٤=٣٤٧=٩٥٨م).

ويحق للقارئ اليوم ان يعجب من اختيار كاتب علماني لخلافة الرئاسة البطريركية . على ان عيسى البغدادي ليس اول طارئ ارتقى كما يقال من

١) كتاب قصص وسير واخبار بعض الرسل والشهداء والقديسات والابرار تعريب البطريرك مكاريوس الحلبي .

الرفش الى العرش اذا صح هنا هذا التشبيل . وقد تقدم له اشباه ونظراء . وكانوا اكثر ما يختارون من الكتّاب والاطباء. وقليلًا جدًا من التجار والصناع .

وأغرب من تلقّف البطريركية من التجار الصناع قزما بطريرك الاسكندرية سنة ٧٣٠[1] في خلافة هشام بن عبد الملك الاموي . قال سعيد بن بطريق احد خلفائه : « لما صار بطريركًا كان اميًا لا يقرأ ولا يكتب . وكانت صناعته عمل الإبَر » وورد مثل ذلك في كتاب « سِيَر البطاركة » (الاقباط) لساويرس بن المقفّع[2] وولاية مثل هذا الابّار الأمي في الاسكندرية مدينة العلم يحار منها العقل. ولعلهم اغتفروا له اميّتهُ وصناعتهُ لرضى الخليفة هشام بن عبدالملك به بتوسط بعض كتاب الدولة من الملكيين بدمشق لدالتهم القديمة منذ زمان اسرة منصور والد القديس يوحنا المشهور . » وكان كرسي الاسكندرية بغير بطرك ملكي مدة سبع وتسعين سنة[3] .

ومن الصناع القسوس الذين ارتقوا عرش البطريركية الاورشليمية— وكانوا كثيرًا ما يعالجون بعض الحِرَف لإعالة نسائهم واولادهم للسماح الشامل لهم بالزواج مرة واحدة فقط خلافًا للرهبان —قس نجار من ابناء الروم العبيد يسمى نقفور كان يخدم في قصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله . فلما مات ثاوفيلس بطريرك بيت المقدس في شهر رمضان سنة ٤١٠ (كانون الثاني ١٠٢٠) توسل نقفور الى الحاكم ان يأذن له ان يصير بطريركًا في مكانه . فتُلُي عليه يوم

---

١) كثر الخلاف في تعيين سنة ولاية هذا البطريرك فقيل انها ٧٤٣ او ٧٤٤
P. J. Pargoire : (*l'Église Byzantine de 527 à 847*. Paris 1905, p. 276).
P. Henri Musset : *Histoire du Christianisme*. Harissa, 1948, I, p. 251 .
وقيل انها ٧٢٧ . وفي خطط المقريزي ان الذي اقام قبا (قزما) هو لاون ملك الروم سنة سبع ومائة (٧٢٥ م) (طبعة بولاق ٢ : ٤٩٢) ولكن سعيد بن بطريق ذكر انه « في سبع سنين من خلافة هشام صُيّر قزما بطريركًا على الاسكندرية (نظم الجوهر ٢ : ٤٥) واعاد ذلك مرة ثانية في آخر الصفحة نفسها . وكانت خلافة هشام سنة ١٠٥ (½ ٧–١١٢=٧٣٠ م)

٢) طبعة سيبولد . بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٤ ص ١٦٧

٣) نظم الجوهر ٢ : ٤٥–٤٦

الاحــد العاشر من تموز سنة ١٠٢٠/٤١١[1] ولا شك ان نقفور لم ينل رضى الحاكم الا بشفاعة والدة الحاكم وكانت رومية ملكية . او بشفاعة اخته ست الملك وكانت كل حياتها تعضد النصارى وتسعفهم بنفوذها الملكي .

وفي سنة ٩٦٥ ثار المسلمون في بيت المقــدس واحرقوا الكنائس وقتلوا البطريرك الاورشليمي يوحنا بن جميع « فصُيّر بعده بطريركاً تاجر[2] من اهــل قيسارية يسمى حبيب ويُكنّى ابا سهل وسمّوه انبا خريسطودولس »[3] .

وفي السنة الثالثة من خلافة المكتفي بالله العباسي (٢٨٩+٣−٢٩٢=٩٠٥) « صُيّر ايليا (ابن منصور) بطريركاً على انطاكية وكان كاتباً »[4] وكان سلفه سمعان بن زرناق حياً في هذه السنة واناب عنه من حضر مجمع القسطنطينية للنظر في زواج القيصر لاون السادس[5] .

وبعد وفاة ايليا بطريرك انطاكية سنة ٩٢٩ في الخــامس والعشرين من حزيران «صُيّر بعده انبا تاودوسيوس وهو استفان الكاتب الذي كان في بغداد مع مؤنس الخادم بطريركاً على انطاكية الشام في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين

١) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الانطاكي ٢٢٨. وقد فات الاب هنري موسّه ذكر هذا البطريرك بين بطاركة اورشليم في تاريخه : *Histoire du Christianisme spécialement en Orient.* وهو ينقل كثيراً عن كورولفسكي : *Dictionnaire d'Histoire et de Géographie ecclésiastiques* ويخطئ كلاهما احياناً في سياقة اسماء وتواريخ البطاركة الشرقيين .

٢) جاء في كتاب الذيل ليحيى بن سعيد الذي اتخذ الاب شيخو بطبعه في بيروت انه بعد وفاة البطريرك يوحنا بن جميع « صُيّر بعده بطريرك آخر » بدلاً من « تاجر » . وهذا التحريف مثل من الامثال التي لم يبالِ الاب شيخو بتبديدها في طبعته باسمه واسم البارون كارا دي فو وباسمنا .

٣) كتاب الذيل ليحيى ١٢٥

٤) نظم الجوهر ٢ : ٧٤

٥) روى الاب موسّه في تاريخه المذكور آنفاً ان ايليا قام سنة ٩٠٧ ومات سنة ٩٢٦ وقد وهم في كلا التاريخين لان سعيد بن بطريق نص على ان ايليا صُيّر بطريركاً في السنة الثالثة من خلافة المكتفي (٢٨٩ + ٣ − ٢٩٢ = ٩٠٥) وتوفي في ١٣ جمادى الآخرة ٣١٧ (٢٥ تموز ٩٢٩) بعد ان اقام على الكرسي ٢٨ سنة (نظم الجوهر ٢ : ٧٤ و٨٥)

وثلاثمائة »[1] (آب ٩٣٥) « وتوفي وله في الرئاسة سبع سنين»[2] اي سنة ٩٤٢ .

ومن الاطباء الذين ارتقوا الكرسي الاسكندري بليطيان. قال سعيد بن بطريق « وفي اربع سنين من خلافة جعفر المنصور صير بليطيان بطريركاً على الاسكندرية وكان طبيباً اقام ستاً واربعين سنة ومات »[3] وكانت خلافة المنصور في ذي الحجة سنة ١٣٦ (ايار ٧٥٤) فيكون قيام بليطيان سنة ٧٥٨ ووفاته سنة ١٨٢/٧٩٨ .

وأشهر من تولى البطريركية الاسكندرية من الاطباء سعيد بن بطريق المعروف بابن الفرّاش صاحب التاريخ وذلك في اليوم الثامن من صفر سنة ٣٢١ (= ٧ شباط ٩٣٣) بعد وفاة البطريرك خريستودولا سنة ٣٢٠/٩٣٢[4] . وله في الرئاسة سبع سنين وستة اشهر اي في ايار سنة ٩٤٠[5] .

وفي السنة الخامسة من خلافة العزيز بالله الفاطمي (ربيع الثاني ٣٦٥ = ك٢ ٩٧٦) اي ٣٧١/٩٨١ « صُيّر يوسف الطبيب بطريركاً على بيت المقدس اقام في الرئاسة ثلاث سنين وثمانية اشهر ومات بمصر »(سنة ٣٧٤/٩٨٥) ودفن في كنيسة مار توادرس مع انبا خريسطودولا القيسراني »[6] .

ومثل هذا التفضيل لرجال الدنيا على رجال الدين لكفاية اجلّ المناصب الكنسية انما كان يجري في ديار السلام اي في المدن الخاضعة للخلافتين العباسية والفاطمية. وكان الخلفاء والملوك والامراء فيما يؤثرون اختيار الكتاب والاطباء.

---

١) نظم الجوهر ٢ : ٨٥ و٨٧

٢) ذيل يحيى بن سعيد ٩٩

٣) نظم الجوهر ٢ : ٤٩ وقد فات الاب هنري موسّه ذكر البطريركين ثاودوسيوس الانطاكي وبليطيان الاسكندري في تاريخه واغفلها ايضاً المعجمات التاريخية الفرنسية التي استمد منها كثيراً من اخباره .

٤) نظم الجوهر ٢ : ٨٨ وذيل يحيى ٩١

٥) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٨٦.

٦) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة ٢ : ٨٦ وفيه ان هذا الخبر وارد في تاريخ الذيل ليحيى . وقد خلا منه المطبوع وهو ما يدل على نقصه كما خلا من ذكره تاريخ الاب هنري موسه وسائر المعجمات الاوربية التي تكلمت على البطاركة الشرقيين وخصوصاً التواريخ الرومية القديمة والحديثة كتواريخ باپادوبولس كريسنتوم وباپادوبولس كراموس التي راجعها الاب موسه لكتابة تاريخه الشرقي .

البلدين لأهمّ الولايات النصرانية لثقتهم بطاعتهم وامانتهم ولكراهتهم للروم وحذرهم منهم حتى كانوا يعدونهم دائماً كما يقولون « حرباً لهم » بخلاف ديار العرب كانطاكية حيثما كانت تعود الى ملك القياصرة مدة بعد اخرى . فان السلطة البطريركية فيها كانت لا تُسند قط الا للرهبان البيزنطيين الذين يقع عليهم اختيار القسطنطينية لغرض سياسي او لخدمة سبقت لهم . وقلّ جداً ان يقلدوها احد الاساقفة الشاميين كاغابيوس مطران حلب حين كافأه الملك باسيل بالبطركية لاستمالته له عبدالله الماجسطرس الذي كان عاصياً عليه في انطاكية[1].

ويستدل من شهادة كاتب السيرة ان اختيار البطاركة في الاسلام في الكراسي الثلاثة كان راجعاً الى جماعة الشعب لا للاساقفة كما هي الحال اليوم. ولعل اهم اسباب هذا الزهد فيهم سوء اعتقاد القوم في نزاهتهم ونفورهم مما كانوا يعرفون به من الطمع والحرص على الانتفاع والاهتمام بصلاح احوالهم الخاصة كما نبّه على ذلك كاتب الخبر شاهدهم العياني ابرهيم بن يوحنا الانطاكي. وفي سماع هذه الشهادة منه ألم للنفس وداع للحسرات.

ومن الفوائد التاريخية التي تُجتنى من هذا الخبر ذكرُ البطريرك اغابيوس بن القَمْبَرون سلف خريسطوفورس . ولم نجده في سند آخر وهو اغابيوس الاول[2] فيما نعلم اليوم وقد خلا الخبر من سنة وفاته ولعلها لم تسبق كثيراً ولاية خريسطوفورس سنة ٩٥٨ . ويحكي بعد ذلك انفاذ الملك يوحنا بن الششقيق راهباً من مدينة تلونية يدعى ثاودورس ليتقلد البطريركية وكان قبلاً رئيس دير كيرانطوني في الارميناكس[3] « وصُيّر بطريركاً على انطاكية يوم الاحد ٢٣ من كانون الثاني سنة ١٢٨١ للاسكندر وهو لاثني عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلثمائة »[4] (= ٢٣ من شباط ٩٧٠).

---

١) كتاب الذيل ليحيى بن سعيد ١٤٩.

٢) ذكر الاب منري وسه ان اغابيوس اسقف حلب الذي ولاه الملك باسيل البطريركية الانطاكية سنة ٩٧٧ هو اغابيوس الاول ووهم في ذلك لعدم معرفته اغابيوس بن القمبرون.

٣) التيبيكون الصغير لنيكون الثاني نقله الشماس بطرس الزعيم في مخطوطه السابق الذكر ، ويريد بالارميناكس بند الارمنياق الذي ذكره المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف (ص١٧٦) قال ارض الروم اعمال مفردة تسمى البنود كما يقال اجناد الشام كجند فلسطين . . .

٤) ذيل يحيى بن سعيد ١٣٨

ومن خلفـاء ثاودورس الذين اشار اليهم الحبر البطريرك نقولاوس كان رئيس دير الاصطوديون في القسطنطينية « صُلّي عليه في القسطنطينية يوم الاحد سابع عشر كانون الآخر سنة الف وثلثمائة وست وثلاثين (للاسكندر) وهي لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس عشرة واربعمائة »[1] (=١٤ شباط سنة ١٠٢٥) وهو الذي نقل جثة خريسطوفورس الى بيت طربطرس في انطاكية.

وليس في السيرة اشارة الى احد اساقفة الكرسي الانطاكي في الربع الاخير من القرن العاشر سوى اسقف سلوقية ثاودولس وهو الذي عذل خريسطوفورس لابتعاده عن انطاكية ايام العصيان على سيف الدولة ومقامه في دير مار سمعان الحلبي .

وفي ختام السيرة تعداد بعض خرّيجي البطريرك الشهيد. يظهر انهم صحبوه وتتلمذوا له . وبينهم احد الحبساء وبعض رؤساء الاديار كدير مار سمعان الحلبي . وسمعان البحري . ودير سابا . ودير السيدة في جبل اللكام. وغيرها من الديارات المشهورة في زمانه . وقد يتفق ذكرها يوماً في التاريخ فتكون اسماؤها الواردة في السيرة عوناً للمؤرخ لسدّ فراغ بعض حلقاتها الضائعة .

واهم ما انفردت به السيرة اخبار بعض الجثالقة الملكيين في العراق وبلاد فارس . وفيها ذكر ثلاثة منهم . ولما لم يسبق لاحد كلام في هذا المعنى[2] رأينا ان نجمع هنا ما تفرق من هذه الاخبار على ندرتها وعزة منالها لتكون مرآة تتجلى فيها احوال الكنيسة الملكية ويتضح تعدد فروعها وانتشار اشياعها الى خراسان واقصى آفاق المشرق .

جثالقة الكرسي الانطاكي الملكي وانتشار الروم في خراسان والشرق

قال محمد الخوارزمي الكاتب في تعريفه لقب الجاثليق وهو يعني جثالقة الملكيين الانطاكيين الذين عرفهم اهل خراسان :

١) ذيل يحيى بن سعيد ٢٦٦

٢) ظهر في مجلة *Proche-Orient Chrétien*, tome II, fasc. 1-1952, pp. 39-46. مقالة في « جثالقة روما جيريس » واهمها مستمد من السيرة التي نشرنا نصّ الاصل القديم فيها . ومن مقالتنا جثالقة الملكيين في العراق وخراسان » التي كانت لدى المجلة الفرنسية المذكورة وكان في النية نشرها اولاً .

« القاتوليق ([illegible] = الكاثوليك) هو الجاثليق يكون تحت يد البطريق (البطريك) ومقام الجاثليق في حضرة الامام ببلد العراق مدينة السلام . فيكون تحت يد بطريق انطاكية . ثم المطران تحت يد الجاثليق . ويكون مقام المطران في خراسان بمَرْو »[١] .

وتقدمه في هذا الشرح ابو الريحان البيروني فقال في تعداده المراتب الدينية النصرانية بالقابها الآرامية :

« السابعة مطرابوليطا وهو من تحت يد الجاثليق . ومقام مطران خراسان للملكانية بمرو . والثامنة قاثوليقا وهو الجاثليق ومقام جاثليق الملكانية من بلاد الاسلام بمدينة السلام . وهو من تحت يد بطريق انطاكية »[٢] .

وكان البيروني وقتئذ يجهل قيام جاثليق للملكيين في الشاش في عصره في ما عدا مطران خراسان بمرو . وفي مدينة مرو هذه كان مقام الجاثليق قديمًا حينًا من الدهر . وكانت زمنًا طويلًا دارًا لولاة خراسان . وفيها لبث المأمون تسع سنين قبل ان يلي الخلافة »[٣] . ويؤخذ من التقاليد المسيحية انها كانت في القرون الاولى حافلة بالنصارى. وان بَرْ شَبَّا مطرانها اقام فيها عدة بِيَع . ومنها تفرق تلامذته في سائر مدن خراسان وبنوا الكنائس وعمدوا الناس. وفي تاريخ النساطرة التي وردت فيها هذه الرواية « ان اهل مَرْو اصلهم يونان كانوا مع الاسكندر وقت بنائها ولم يرجعوا معه . فآمنوا وكسروا الاصنام التي كانوا يعبدونها »[٤] .

وفي زعم ابن الفقيه في كتاب « مختصر البلدان » ان مرو الروز لم يكن بها بناء . فبعث اليها كسرى ناسًا من اهل السواد فبنوها وسكنوها . قال : « ولما غلب اردشير على ملك النبط فرأى جمالهم وعقولهم قال ما اخوفني ان يحدث بي حدث ان يعود الملك الى هؤلاء . ففرض لهم فرضًا وبعث منهم

١) مفاتيح العلوم طبعة ليدن ١٨٩٥ ص ١٢٩ — ١٢٠ ويُراد بالجاثليق عند النساطرة المشارقة « فطرك المشرق » (كتاب المجدل لعمرو بن متى رومة ١٨٩٦ ص ٢).

٢) الآثار الباقية من القرون الخالية ٢٨٩

٣) تاريخ ملوك الارض لحمزة الاصفهاني طبعة كلكتة ١٩٨ .

٤) Patr. Orient. t. IV. *Histoire Nestorienne*, pp. 221-222

بعوثاً واغزاهم خراسان . فأهل مرو من النبط . وفرقتهم في البلاد »[1] .

وهذه الرواية اذا صحّت لا تنفي وجود اليونان في مرو من القدم منذ زمان الاسكندر وقبل كسرى .

ومما لا شك فيه ان الروم كانوا في العراق وبلاد فارس وخراسان مدة طويلة قبل افتراق النصارى الى فرقهم الثلاث . انتقلوا اليها اما طوعاً للتجارة واما كرهاً بعد الافتراق لسبي ملوك الفرس الساسانية لهم في انتصاراتهم على ملوك القسطنطينية . واكثر ما كان يقع السباء على اهل انطاكية خصوصاً . وقد روى غير واحد من المؤرخين ان سابور بن اردشير لما ظفر بالقيصر فاليريانس (سنة ٢٥٣) انصرف ومعه السبي الكثير من الروم فأسكنهم بلدان العراق والاهواز وفارس وبنى لهم بعض المدن[2] . وفي تاريخ النساطرة ان النصارى كثروا لهذا السبب في بلد الفرس وبنيت الديارات والبيع « وكان فيهم كهنة سُبوا من انطاكية فسكنوا جنديسابور واختاروا زادوق الانطاكي فجعلوه اسقفاً عليهم لان ديمتريوس فطرك انطاكية اعتلّ ومات من الغم ... وتفرق النصارى في سائر البلدان وكثروا بالشرق . وبُني بايرانشهر التي هي كرسي مطارنة فارس بيعتان وسُميت واحدة بيعة الروم والاخرى كرمانون . وكان يُصلّى فيها باليونانية والسريانية . وعوّض الله الروم عما لحقهم من السبي والعبودية بما صاروا اليه من حسن الحال . وعظم امرهم في بلادهم اي بلاد الفرس وحصلوا باكثر مما كانوا فيه من طيب العيش في بلادهم »[3] .

وأشار الى مثل ذلك مؤرخ النصرانية المشهور دوشين (Mgr Duchesne) فقال بعد ان ذكر موت فاليريانس في الاسر وقيام ولده غاليان في رومة :

« واستطال الفرس على سورية وآسية الوسطى وفاجأوا انطاكية فسقطت في ايديهم فنهبوها واحرقوها واقتادوا القسم الاعظم من اهلها اسرى واسكنوهم الاهواز وفعلوا مثل ذلك بطرسوس وقيسارية الكبادوك »[4] .

---

١) مختصر البلدان طبعة ليدن ٣١٩

٢) الكامل لابن الاثير ٢ : ١٢٥

٣) Patr. Orient. t. IV. *Histoire Nestorienne*, pp. 255-256.

٤) L. Duchesne: *Histoire ancienne de l'Église*, t. I, pp. 468-469.

وقد نبّه المسعودي على ان الروم الذين اجلاهم سابور هم الذين علموا اهل فارس صناعة نسج الخز والحرير والديباج والستور والفرش التي اشتهرت بها مدنهم منذ ذلك . والأولى ان ننقل ههنا كلامه لما فيه من زيادة انتشار الروم في بلاد فارس . قال :

« وغزا سابور بعد ذلك بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم ونقل خلقاً من اهلها واسكنهم بلاد السوس وتُستر وغيرها من مدن كُور الاهواز . فتناسلوا وقطنوا تلك الديار . فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر. والخز بالسوس . والستور والفرش ببلاد نصيبين ومكث الى هذه الغاية »[1] .

وفي زمن كسرى انو شروان أُصيبت انطاكية مرة ثانية بمثل هذا البلاء والجلاء . فافتتحها وافتتح مدينة سلوقية في ساحلها « وسبى اهل مدينة انطاكية ونقلهم الى ارض السواد وامر فبُنيت لهم مدينة في جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة انطاكية واسكنهم اياها . وهي التي تسمى «الرومية». واجرى على السبي الذي نقلهم اليها من انطاكية الارزاق وولّى القيام بأمرهم رجلًا من نصارى الاهواز ليستأنسوا به لموافقته في الدين»[2]. ولما توفي انوشروان « اجتمع الروم الذين سباهم من انطاكية واسكنهم المدينة المبنية لهم فاكرموا جسده على عادة النصارى ومشوا حوله بالقيارم (المباخر) والشمع الى حيث دفن»[3] .

ولم يقف حب التغرب للاتجار والارتزاق بالروم الملكيين عند حدود خراسان بل تجاوزوها الى ما وراء النهر في جوار ديار الترك قديماً وقطنوا مدينة الشاش وهي المعروفة باسم طاشكند (Tashkent) في جملة مدن روسية . ويؤخذ من كلام ياقوت الحموي في كلامه على جزيرة سُقُطرى في بحر الهند « ان قوماً من بلد الروم طرحهم بها كسرى . ثم نزلت بها قبائل من مَهْرة وتنصر معهم بعضهم » وذكر ان عدد مقاتلة هؤلاء القبائل العربية المتنصرة كان نحو عشرة آلاف . وحكى قبلًا قول من زعم ان الاسكندر هو الذي سيّر هؤلاء اليونانيين

١) مروج الذهب على هامش الكامل لابن الاثير ٢ : ١٢٩
٢) الكامل لابن الاثير ١ : ١٥٤
٣) Patr. Orient. t. VII. *Histoire Nestorienne*, p. 197.

في بحر القلزم الى سقطرى . فلما حصلوا بها غلبوا على من كان بها من الهند وملكوا الجزيرة بأسرها « فلما مات الاسكندر وظهر المسيح بن مريم عليه السلام تنصّر من كان بها من اليونانيين وبقوا على ذلك الى هذا الوقت»[١] .

ومهما صح احد القولين فهو يدل على شدة انتشار الروم في آفاق الشرق وتطوحهم في الاسفار واستقرارهم حتى في الهند . ولعلهم بلغوا ايضاً الصين طلباً للتجارة في جملة من بلغها واستوطنها من النصارى النساطرة .

الروم الملكيون في العراق

كان اهم مقام الملكيين في العراق في اكتيفون (طيسفون المدائن) وفي البنية التي بناها انو شروان لسبايا انطاكية والشام وحاكى بها المدن الشامية ودعاها « الرومية »[٢] . وفيها لا ريب كان مقام الجاثليق . « ولما عزم المنصور الخليفة العباسي على بناء بغداد امر بنقض المدائن ونقل النقض الى بغداد »[٣] وابعد النصارى الروم الى مدينة الشاش كما تقدم من كلام ابرهيم بن يوحنا الكاتب الملكي الانطاكي . فنفوا مع مطرانهم الى بلاد خراسان حيث انشأوا لهم محلة دعوها «روجرد». ولعل اهم اسباب هذا الابعاد كان انتسابهم الى ملة الروم البيزنطيين اعداء العرب على الدوام . ولكنهم ما عتموا ان احتاروا حاضرة الخلافة العباسية بفضل من اجتمع منهم من التجار وأسرى الحروب والخدم والوصائف . وكان الفراشون منهم والغلمان والجواري لا يخلو منهم بيت امير او غني فضلاً عن قصور الخلفاء والملوك والقوّاد . ولما دخل المأمون مصر سنة ٨٣٢/٢١٧ كان معه منهم جمع حافل لاصلاح خيامه وتعهده في وروده وقيامه فلم يرَ بدّاً من ان يأذن لهم ببناء كنيسة في القنطرة يصلون فيها عُرفت بكنيسة مارت مريم او كنيسة الروم . وكانت قبلاً تعرف بكنيسة الفراشين[٤] . وكان لهم في بغداد قطيعة تعرف بدار الروميين تشرع على نهر

١) معجم البلدان ٣ : ١٠٢

٢) ذكر المسعودي ان هذه المدينة كانت خراباً ولها سور قائم من طين في وقته (٩٥٦/٣٤٥) (مروج الذهب بهامش الكامل ٢ : ١٣٩) .

٣) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢١١

٤) نظم الجوهر لسعيد بن بطريق ٢ : ٥٨

كتخايا[1]. وهو ما يدل على وفرة عددهم .

وكانوا مع تخصصهم بخدمه لا يخلون من ادب وعلم واتقان فن . فقد نقل حمزة بن الحسن الاصفهاني اخبار ملوك الروم عن احدهم وقال : « هذه التواريخ اخذتها عن رجل رومي كان فراشاً لاحمد بن عبدالعزيز بن دُلف فوقع عليه السباء وهو رجل كبير يقرأ ويكتب بالرومية. وكان لا ينبعث في النطق بالعربية الا بجهد . وكان له ابن من جند السلطان منجم فيهم يقال له ين . فترجم لي عن لسان ابيه إملاء من كتاب له رومي الخط هذه التواريخ »[2] . وروى صاحب الاغاني عن اسحاق بن ابرهيم الطاهري قال : « حدثتني مخارق قالت كان لمولاي الذي علمني الغناء فراش رومي وكان يغني بالرومية صوتاً مليح اللحن فقال لي مولاي: يا مخارق خذي هذا اللحن الرومي فانقليه الى شعر من اصواتك العربية »[3]

وكان من النساء الروميات فراشات ايضاً. ذكر الطبري انه كان لمنصور ولد يدعى صالح المسكين امه ام ولد رومية يقال لها قالي الفراشة[4] ولكنهن كنّ اقل بكثير من الفراشين لعدم الحاجة اليهن في كل منزل .

واما الإماء وامهات الاولاد والسبايا والجواري والوصائف الروميات فلا سبيل الى احصائهن او تقديرهن لتعددهن في كل قصر وكل دار . ولعلهن كنّ لا ينقصن عن الحرائر الكثرة من كنّ يُستجلَبْ منهن وطمع التجار في الربح الطائل من الدلالة على الجواري البديعات الحسن الغريبات الجمال. وكانت اثمان بعضهن ترخص عقب بعض الغزوات والحروب. ومهما تباينّ في حسن الخَلق فقد كانت الرغبة فيهن على كل حال شديدة لاعتبارهنّ « عبيد طاعة واولاد موافقة وخدمة ومناصحة وامانة . يصلحن للخزن لضبطهن وقلة سماحتهن ولا يخلو ان يكون بأكفهن صنعة دقيقة »[5] . ومما كان يزيد في قيمتهن وفضلهن

---

١) كتاب البلدان لليعقوبي ٢٤٤
٢) كتاب تاريخ ملوك الارض ٦٠–٦١
٣) الاغاني طبعة بولاق ٥ : ٥٧
٤) تاريخ الرسل والملوك Tertia series ١ : ٤٤٢
٥) تحفة الاصحاب في معاشرة الاحباب للسموأل يحيى بن عباس المغربي رقم ٣٠٣٩ باريس ٢١١–٢١٤

اتصافهن غالباً بالفهم والعلم حتى كان بعض الائمة من المجتهدين والعلماء يتطلبونهن خاصة لمساعدتهم في الدرس والقراءة والكتابة. وممن عُرف باختياره لهن الامام ابو عبدالله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني من قرية حرستا في ضاحية دمشق « كان لا ينام الليل ويضع حوله كراريس.. وبين يديه عشر جوار روميات عالمات بالكتابة والعربية يقرأن عليه العلم »[1]. وهذه المزية من اغرب ما انفردن به من الفضائل. ولذلك كان «اهل الشام اشهى النساء عندهم الروميات وبنات الروميات » كما نبه على ذلك الجاحظ[2].

ومن فضائل هؤلاء الجواري وامّهات الاولاد صدق اهتمامهن بالعلم وحرصهن على تأديب اولادهن بآداب اليونان. روى ابن أُصيبعة انه كان للرشيد «جارية رومية يقال لها خرشي وكانت ذات قدر عنده محلها منه محل الحوازن. وكانت لها اخت او بنت اخت... زوّجتها من قرابة لها وولدت الجارية عند مخرج الرشيد الى طوس... فتبنّت خرشي ذلك الغلام وادبته باداب الروم وقراءة كتبهم فتعلم اللسان اليوناني علماً كانت له فيه رئاسة. فهو اسحق المعروف بابن الخصي »[3].

وقد تقدم من قول مخارق انها تعلمت الغناء من فراش روميّ[4]. ولا ندري مقدار من كان بين الجواري من القيان المجيدات للغناء الرومي وقل جدًا من نبّه عليهن. ولم يمرّ بنا في كل مطالعاتنا الا قول عبد العزيز بن خضر الواسطي المعروف بسيدوك :

شربنا في شعانين النصارى	على ورد كأردية العروس
تغنينا بنات الروم فيه	بألحان الرهابن والقسوس[5]

وكان المأمون يعجبه النظر الى جواريه الروميات في عيد الشعانين وقد تزيّن بالديباج الرومي وعلّقن في اعناقهن صلبان الذهب وفي ايديهن الخوص والزيتون[5] ولا ريب انهن كنّ يسمعنهُ احياناً « الحانَ الرهابن والقسوس ».

١) مفتاح السعادة لطاشكبري زاده طبعة حيدر اباد ٢ : ١١٠
٢) فخر السودان على البيضان . طبعة ليدن ١٩٠٣ ثلاث رسائل للجاحظ ٧٩
٣) عيون الانباء لابن ابي أُصيبعة ١ : ١٨٥
٤) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١ : ٢٥٤
٥) الاغاني ١٩ : ١٢٨–١٢٩

ولا سبيل لنا اليوم ان نعلم ولو بطريق التخمين والتقدير احصاء جيوش الخدم الاناث والإماء التي كانت تطوّق العراق في زمن الرشيد وكان في قصره في بغداد منهن ما ينيف على اربعة آلاف ما بين وصائفه ووصائف زبيدة وعلية اخته . فكم كان من ثم مجموعهن في سائر القصور والدور والمنازل . وكم كانت نسبة الروميات بينهن الى بقية الاعجميات المولّدات . ومن اليقين ان غالبهن كان من اصل بيزنطي لما كنّ يُعرفن بها من الخصال المترلـة ومزيّتي الملاحة والرجاحة . ولذلك كنّ يُحصَين في الغالب في جملة التُحف والطرائف ويُقدَّمن في طليعة الهدايا والجوائز . ولما اراد المنصور ان يكافئ طبيبه جورجيس بن جبرئيل امر ان يُختار له ثلاثاً من الجواري الروميات الحسان ويُحملن اليه . فردهنّ جورجيس على الخادم وقال نحن النصارى لا نتزوج بأكثر من امرأة واحدة[1] . وفي كتب الاخبار والمجاميع الادبية عدة اشارات الى مثل هذه الهدايا الرومية لا حاجة الى استقصائها . ومما يجب ان يُنبّه عليه ان طائفة غير قليلة من هؤلاء الإماء والوصائف الروميات كنّ يأبَين انتحال الاسلام ويحافظن على نصرانيتهن ولو في قصور الخلفاء والملوك . وقد سبق ذكر جواري المأمون في عيد الشعانين وقد علّقن فوق صدورهن صلبان الذهب وامسكن بأيديهن اغصان الزيتون . وقبلهن كذلك كانت جواري المهدي الروميات في القصر . وفي تاريخ الطبري ان المهدي دخل يوماً بعض دوره فاذا جارية له نصرانية واذا جيبها (اي طوق قميصها) واسع وقد انكشف عن ثدييها . واذا صليب من ذهب معلق في ذلك الموضع فاستحسنه فمد يده اليه فأخذه . فولولت على الصليب فقال المهدي في ذلك :

يوم نازعتُها الصليب فقالت ويح نفسي اما تحلّ الصليبا[2]

وعلى مثال الفتيات والإماء الروميات كان الغلمان والخصيان والمماليك البيزنطيون . وانما كانوا يفوقونهنّ عدداً واثراً لكثرة الحاجة اليهم في حراسة الحُرَم وخدمة البيوت والمجالس وحفظ الاسواق والانتظام بين الجنود ومواكبة الوزراء والخلفاء .

١) عيون الانباء ١ : ١٢٤–١٢٥

٢) تاريخ الطبري طبعة اروبة ص ٥٤٣ ,série,3e vol. 1er

ولم يتفق لاحد من الكتبة والمؤرخين مرة واحدة احصاء من كان في الخلافة العباسية من اجناس المماليك والغلمان بين روم وصقالبة وزنج وارمن واتراك وفرس وسائر الاعاجم لنعرف مقدار من كان من الروم بينهم وانما كانوا احياناً يميّزون بالبياض والسواد كقول الخطيب البغدادي حين وصف استقبال المقتدر بالله لرسول ملك الروم « كان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم اربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود »[1] . وكان المقتفي لامر الله لما استُخلف استُحلف على انه لا يشتري مملوكاً تركياً وكان يقتني مدة خلافته اما ارمنياً او رومياً . . . واختص من مماليكه الروم والارمن عدة من النجباء سنّاهم الحلية وولّاهم الرتب العلية »[2] . ومن الوزراء قبله الذين كانوا يقتنون الروم والاتراك صاعد ابو العلاء الكاتب النصراني الاسلمي كتب للموفق وولي الوزارة لاخيه المعتمد « وآخر الامر قبض عليه الموفق واخذ له من الضياع والاملاك ما مُغّله الف الف دينار . . . ومن فحولة الروم والاتراك ثلاثة آلاف مملوك »[3] . ولا ريب ان المماليك الروم كانوا اوفرهم عدداً لكثرة الاسرى منهم في الحروب التي كانت لا تفتر بين المسلمين والبيزنطيين .

وكان الغلمان الروم اكثر ما يُختارون من المِلاح الصِباح الوجوه ويُعَدّون لذلك بين التحف والصِلات والهبات التي يُجاد بها على الندماء والمستميحين والشعراء . ولما أُدخل مروان بن ابي حفصة الشاعر الى المهدي اجازه على مديحه بعشرة من خدم الروم وقطيعة بناحية السواد[4] . وكذلك فعل المتوكل على الله حين رضي عن حنين بن اسحاق بعد غضبه عليه . قال حنين « وحملني على خمسة ارؤس من بغلاته الخاصة بمراكبها ووهب لي ثلاثة خدم روم »[5] .

ولم يكن مثل هذا الإهداء خاصاً بالخلفاء بل كان ايضاً مزية لكل رجال الدولة من الامراء والكبراء . وفي كتاب قطب السرور « ان بديع غلام

---

١) تاريخ بغداد ١ : ١٠١

٢) زبدة النصرة ونخبة العصرة للعماد الاصفهاني . طبعة ليدن ٢٢٥

٣) الثاني من عيون التواريخ للكتبي . خزانة الفاتيكان ٨٥ ص ١١٥

٤) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١ : ١٧٥

٥) عيون الانباء لابن ابي أُصيبعة ١ : ١٩٦

اسحق بن ابرهيم الموصلي سار الى ابرهيم بن المهدي وغناه . فبعث ابرهيم الى اسحق ثلاثة ابغل عليها الوان الشراب وثلثة غلمان روم»[1] . وحكى احمد بن طاهر قال قصدت سرّ من رأى وافدًا بعض كبارها بشعر مدحته بــه فقبلني وأجزل صِلَتي ووهب لي غلاماً رومياً[2] . وفي الكتب الادبية والاغاني مئات من هذه الامثلة والهبات الرومية .

وكان الاصحاب والندماء يتراسلون بأمثال هؤلاء الغلمان « انفذ مرة محمد بن الشخير النديم رقعة مع غلام له وضيء الوجه . . ومعه غلة له اقران وقد جعل الرقعة كالمنشور . . وكتب فيها :

يسرّ على امم الله يا اكمل من غصن لجين
في بدور من بني الرو م الى باب الحسين[3]

وأكثر ما كانوا يختارون الغلمان لمجالس الشراب سُقاةً لمناولة الاقداح والكؤوس . وقد وصف كشاجم احدهم فقال :

وأحور من ظباء الروم ساقٍ كغصن البان تثنيه الرياح
بديع ملاحة يدعى نجاحاً ولكن ما لموعده نجاح
له طُرَر تُصفّ على جبين كمثل الليل قابله الصباح
تحلّى بالمناطق وهو ممن يليق به القلائد والوشاح[4]

وربما ترقى بعض هؤلاء الغلمان والمماليك في الخدم والرتب ودفعتهم اطماعهم الى اطراح دياناتهم النصرانية وانتحال الاسلام ليبلغوا مبلغاً اسمى في المناصب السنية . وكانوا لذلك اقل حرصاً على حب طقوسهم البيزنطية خلافاً للجواري فانهن كن اكثر تمسكاً بها واوفر جرأة على التظاهر بها حتى في قصور الخلافة كما سبق .

وكان للخصيان بين روم وصقالبة شأن خطير في الاسلام للحاجة اليهم في حراسة الحُرَم وصيانة الاعراض . فلم يكن يخلو منهم بيت غني ولا قصر

١) قطب السرور للرقيق النديم خزانة لندرة بريتش موزيوم .Or. 3628 f° 31

٢) مسالك الابصار للسري ٢٦٣

٣) قطب السرور المتقدم الذكر .

٤) أدب النديم . طبعة بولاق ١٢٩٨ للهجرة .

امير . وربما كانوا من الغلمان الذين جُبوا على الكنائس . قال البشاري المقدسي «سألت جماعة منهم كيف يُخصَون فتحصل لي ان الروم يَسُلُّون اولادهم ويحرزونهم على الكنائس لئلا يشغلوا بالنساء وتؤذيهم الشهوة. وكان المسلمون اذا غزوا اغاروا على كنائسهم واخرجوا الصبيان منها »[1] . ولعل الصقالبة الخصيان كانوا اوفر عددًا منهم لكثرة من كان يتجر بهم من اليهود . وكان في دار المقتدر فيما قيل عشرة آلاف خصي من الصقالبة[2] . فما الظن بمن تفرق منهم في سائر المدن الاسلامية ؟ .

بقي الكلام على اسرى الروم في الحروب التي كانت لا تخمد نيرانها بين العرب والبيزنطيين في الخلافتين الاموية والعباسية . وكان للمسلمين غارات وغزوات متتابعة في كل عام في الشتاء والصيف تعود عليهم بالفتوح والسبايا والغنائم. وكانوا اذا تراخوا وضجوا فيها في بعض الهُدَن ينشط لها من الخاصة فرسان ومقاتلة يتحينون لها الفرص الملائمة ويرابطون من اجلها في الثغور وربما عاد احدهم ويده ملأى من النهب والسلب وفي قبضته عدة من الرجال والنساء الذين فاجأهم في ديارهم واقتادهم منها مُقرَّنين في الاصفاد كما تقاد البهائم . ولذلك كثرت الاسرى البيزنطيون وتفرقت جموعهم في انحاء الشام ومصر والعراق. وقد سكت عنهم لسوء الحظ كل من تكلم على الوقائع والغزوات العربية في الخلافة الاموية . ولا نظن ان احد المؤرخين اشار الى وقوع الفداء عليهم مرة كما نبهوا احيانًا على بعض الافدية التي كانت تحدث من مدة لاخرى في الخلافة العباسية ويُقايض فيها رأسًا برأس اذا لم تتم بالاموال . فلا ندري من ثم ما كان حظ هؤلاء السبايا في الغربة وقد اجتمع عليهم فيها ذل الاسر وذل الصغار الذي فرضه الشرع المحمدي على النصرانية في الاسلام .

ويظهر ان اسرى الروم في الدولة الاموية كان عظيمًا جدًا كما يدل على ذلك ما رواه ابن شاكر الكتبي ان « عمر بن عبد العزيز اشترى ملطية من الروم بمائة الف اسير وعمّرها »[3] . ومن اليقين انه بقي بعدهم بقايا رضخوا

١) احسن التقاسيم ٢٤٣

٢) شذرات الذهب للعماد الحنبلي ٢: ٢٨٤

٣) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢: ١٢٢

الى العبودية وعُتقوا منها ورضوا بشقائها ليأسهم من الرجوع الى الاوطان وآثروا التبلّد والبقاء بين اخوانهم في الدين بعد ان تقربوا منهم بالمصاهرة والزواج وامتزجوا بهم امتزاج الماء بالراح. ومن هنا يعلم غلط الذين يزعمون ان الملكيين في الشام ومصر والعراق وسائر المشرق من اصل آرامي بحت لا يخالطه شيء من الدم البيزنطي او الدم اليوناني في ايام الاسكندر . واذا صح بعض هذا الزعم الواهن فأحر به ان يكون في بعض القرى والضياع النائية التي غلبت فيها الصلاة بالسريانية كما تدل عليه مخطوطاتها الباقية ولكنه يبعد جدًا ويتنفي افتراضه عبثًا في البلدان التي وقعت اليها فئة من اسرى البيزنطيين .

وكانت اقدار الاسرى الروم ومقاديرهم تزداد من حين لآخر بمن يلجأ الى بغداد من اكابر القوّاد وعظماء البطارقة الذين كانوا يثورون على قياصرة القسطنطينية وينازعونهم تاج الملك ثم يحتمون منهم بعد الهزيمة والخذلان بدار الخلافة . ومن اعظمهم شهرة برداس السقلاروس وهو الذي عرفه ابن الاثير في تاريخه باسم « ورد » . ولما خالف الملك باسيل وعصى عليه التجأ بعد خيبته مستجيرًا بعضد الدولة بن بويه سنة ٩٨٠/٣٧٠ ومعه من اصحابه فيما رواه يحيى بن سعيد الانطاكي تقدير ثلثمائة نفس وبقي معتقلًا معهم في بغداد سبع سنوات . واعتقل كذلك من اجله نيقيفور الاورانس رسول الملك باسيل الى عضد الدولة واحتيط على ما معه حين رُقِيَ الى عضد الدولة انه قدم لسم برداس السقلاروس[1] .

وليس لدينا علم تام بكل الافدية التي كانت تحصل من زمن الى آخر بين المسلمين والروم وانما اقتصر المؤرخون على بعضها فقط . وهذه امثلة منها ننقلها زيادة في تعريف احوال اسرى الروم التي وقفنا عليها بعد زمان الرشيد والمأمون.

ففي سنة ٨٤٥/٢٣١ حصل الفداء في زمن الواثق بالله على سلوقية مسيرة يوم من طرسوس . وكانت عدة اسرى المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين نفسًا « ورضوا عن كل نفس بنفس . فوجّه الواثق الى بغداد والرقة في شراء من يباع من الرقيق فاشترى من قدر عليه منهم فلم تتمّ العدة . فاخرج الواثق من قصره من النساء الروميات العجائز وغيرهن حتى تمت العدة »[2] .

١) كتاب الذيل ١٥٨–١٥٩

٢) تاريخ الطبري طبعة اروبة ٣ : ١٣٥٢–١٣٥٣

وانما فادى الواثق بمن في ملكه او«من قدر» على ابتياعه من سوق الرقيق في الرقة وبغداد من المماليك الروم ولكن بقي منهم في القصور والدور وفي ايدي الخاصة من لم تسمح نفوس اربابهم بالتخلي عنهم . ومن هنا تتضح صعوبة تخمين جموع الروم الذين كانوا في ديار الاسلام وفي ملك الخاصة والعامة من الخدم والغلمان والوصائف والجواري .

وفي سنة ٢٨٣/٨٩٦ «كان الفداء بين المسلمين والروم فكان جملة من فُدي به من المسلمين الرجال والنساء والصبيان الفين وخمسمائة واربعة انفس»[1] .

وفي سنة ٢٩٢/٩٠٤ «كان الفداء على يد رستم فكان جملة من فودي به من المسلمين الف نفس ومائتي نفس»[2] .

وفي سنة ٣٣٥/٩٥٩ «كان الفداء بالثغور بين المسلمين والروم على يد نصر الثملي امير الثغور لسيف الدولة بن حمدان . وكان عدة الاسرى الفين واربعمائة اسير وثمانين اسيرًا من ذكر وانثى . وفضل للروم على المسلمين مائتان وثلاثون اسيرًا لكثرة من معهم من الاسرى فوفاهم ذلك سيف الدولة»[3] .

وقد انفق سيد الدولة في الافدية التي كانت تكون بينه وبين الروم اموالًا طائلة اتت احيانًا على ما كان لديه تحملها بما طُبع عليه من الكرم والسخاء . وانما ذكرنا مثالًا منها لدخول اخبار اساراه من الروم في تاريخ كنائس الكرسي الانطاكي الملكي .

وكنا نود ان نعلم شيئًا من الخدم والآثار التي تركها الاسرى في البيع والاديار الخاضعة للبطريركية الانطاكية . ولا شك انها كانت جزيلة جليلة لشدة محبتهم الكنيستهم الملكية وصدق تمسكهم بطقوسهم البيزنطية وكانوا يأبون ان يستعوا الى غيرها . وقد تقدم حرص الفراشين منهم الذين كانوا في صحبة المأمون على بناء كنيسة لهم خاصة في مصر[4] . ولا يُبعد ان يكون

١) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٥٨

٢) الكامل لابن الاثير ٧ : ١٧٧

٣) الكامل لابن الاثير ٨ : ١٥٤–١٥٥

٤) يؤخذ من شهادة سعيد بن بطريق ان الفراشين الروم كانوا في كل آن ومكان شديدي التعلق بطقوسهم البيزنطية . وكانوا بمصر قبل العراق منذ ايام عبد العزيز بن مروان عامل مصر لشقيقه الخليفة عبد الملك . قال سعيد «وكان له فراشون نصارى ملكية . فاستأذنوه

الاسرى وبينهم القواد والبطارقة قد انشأوا لهم في العراق على طول اغترابهم معابد او مصليات خاصة كانوا يؤثرون التردد اليها ولكن ذهب الدهر بأخبارها وطمس على مواقعها فلم يبقَ لها عين ولا اثر .

ولدينا من الشواهد الدالّة على ما كان للكنائس الملكية في العراق من السعة والغنى ما رواه لنا كتاب اخبار فطاركة كرسي المشرق في جملة كلامه على ابرهيم جاثليق النساطرة قال :

« لما عاد علوان كاتب يونس من الشام قصد اولًا دار الجاثليق فمنعه من الدخول اليها طول نهاره وكان صوم السليحيين... فراسله عن السبب الموجب منعه فقال الجاثليق : تخرج الى بلاد مصر والشام وتبتاع لبيَع الملكية املاكاً بخمسة عشر الف دينار ؟ والله لا وصلتَ الي الا بعد ان تحمل عشرة آلاف دينار ليكون لي الفضل على الملكية . فتقرر الامر على خمسة آلاف دينار فحملها ودخل اليه . فقال له الجاثليق : اني غِرتُ عليك . فشكره وسأله الصفح »[1] .

وكفى بهذا القول وحده دليلًا على ما كانت عليه كنائس الملكيين في بغداد والعراق من سعة الاملاك وثروة الاوقاف . وهي تنمّ عما كان وراءها من كثرة الانصار ومقدرة الاشياع . ولا غروَ فانها كانت تعتزّ بجاليتها الرفيعة القدر وبالرسل الذين كانوا من حين لآخر يفِدون عن ملوك الروم الى الخلفاء العباسيين وتستمين بجاههم وثرائهم لاصلاح احوالها وتنمية املاكها وتتقوى ايضاً بمن يلجأ الى بغداد من اكابر القواد وعظماء البطارقة الذين كانوا يثورون على قياصرة القسطنطينية وتستدر منهم الصدقات للازدياد من مقتنياتها واوانيها وذخائرها . ولا يبعد انه كان للجواري الروميات في حاضرة الخلافة نصيب في الاحسان الى كنائسهم البيزنطية . وكان منهن في القصور السلطانية جيش

في بناء كنيسة فاذن لهم فبنوا كنيسة مار جرجس بحلوان وهي كنيسة صغيرة وكانت تسمى كنيسة الفراشين » (نظم الجوهر ٢ : ٤١) وهو ما نكرر حدوثه في زمن المأمون بالتمام والكمال . ففراشو العباسيين هم نظراء فراشي الاوربيين في المحافظة على مبتهم الملكية والعناية ببناء معابد خاصة بهم من اجلها . وهي فضيلة يجب ان تسجل لهم بأطيب الذكر والشكر .

١) اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل طبعة رومة ١٨٩٩ ص ٩٣-٩٤

تتضاءل بالنسبة اليه قوة جيش الجنود وكن دائماً في هذه القصور في سعة من الاموال التي كانت تنثر عليهن . وقد سبق ان المأمون في عيد الشعانين امر ان يُنثر عليهن ثلاثة آلاف دينار . ولا ريب ان بعض هـذا النثار والدنانير الملتقطة صار الى صناديق الكنائس الرومية صدقة للعيد .

ومما تقدم يتضح جلياً عظم شأن الملكيين في بغداد ومنزلة كنيستهم بين الكنائس الشرقية في عهد العباسيين . ولذلك كان بطريرك انطاكية لا يرى بدًا من تعيين جاثليق لها تفوق سلطته وجلالته سلطة المطران في بقية المدن العراقية .

متى نشأت الجثلقة في البطريركية الملكية الانطاكية

ليس لدينا قول ثابت في تعيين الزمن الذي بدأت فيه الجثلقة في الكرسي الانطاكي . وفي تاريخ بطاركة انطاكية للبطريرك مكاريوس الزعيم ان «العادة من زمان الثلثماية وثمانية عشر (يعني مجمع نيقية) ان بطريرك انطاكية يشرطن كاثوليك اكثيـفون»[1] . اي منذ سنة ٣٢٥ وهو قول لا سند له ثابت وفي تاريخ ولده الشماس بولس المخطوط عندنا بقلمه نسختان « في صفة ترتيب كراسي روما كهنة الابرشية الانطاكية » احداهما قديمـة جدًا في اللغة اليونانية استخرجها الشماس بولس الى العربية ولا ذكر للجثلقة فيها . والثانية « كما هي في اللغة العربية مفسرة من القديم من غير زيادة ولا نقصان من عهد انسطاسيوس الاقدس القديم بطريرك مدينة الله العظمى انطاكية وسائر المشرق » ذكر فيها ان تاريخها سنة٥٧٩٣ للعالم الموافق بسنة٣٠٥ للتجسد الالهي وسنة٨٠٢ للاسكندر . وهذه التواريخ الثلثة غير صحيحة وليس احد منها يوافق الآخر . ومعلوم ان انسطاسيوس تولى كرسي انطاكية مرتين الاولى من سنة٥٥٩ الى ٥٧٠ والثانية من سنة ٥٩٣ الى٥٩٩ فيكون تاريخ الترتيب المذكور القرن السادس للميلاد.

وفي هذه النسخة الثانية انه كان « في طاعة بطريرك انطاكية كثالكة اربعة

الاول : المتقدم في الذكر جاثليق مدينة بغداد .

الثاني : كاثوليك الكرج اعني الجرجان .

---

(١) خزانة الفاتيكان ٦٨٩ ص ١١٢

الثالث : كاثوليك متاس فرغان ماغاليس ارميناس . اي ارمينية العظمى.
الرابع : كاثوليك سمرقند العجم واعمال الخطا (Cathay) .

وفي كتاب الآثار الباقيــة لابي الريحان البيروني تعداد بعض الجثالقة في خراسان وذكران كل منهم . قال وبين اسم الذكران والعيد فرق . فان العيد اجل مرتبة والذكران ادون (ص٣٠٠) ويريد بالذكران التذكار .

وهذه اسماء الجثالقة الذين عرفهم وروى يوم ذكرانهم عند الملكانية اي الروم الملكيين نقلها كما وردت في كتابه :

١٨ كانون الاول ذكران سيسين الجاثليق الخراساني (٢٩١)
٥ شباط ذكران سيس الجاثليق اول من اورد النصرانيــة الى خراسان (٢٩٤)
٢٥ نيسان ذكران ايليا الجاثليق بخراسان (٢٩٦)
٣٠ نيسان ذكران شمون بن صباعي الجاثليق المقتول بخوزستان مع من كان معه من النصارى (٢٩٦).

وهذه الايام واردة في كتابه دون ذكر السنة فلا نعلم في الحقيقة اي سنة كانت مبدأ جثلقة خراسان. وفي كتاب المجدل لعمر بن متى ان شمعون برصباعي اي ابن الصابغ كانت استناحته اي وفاته يوم جمعة الصلبوت الثالث عشر من نيسان سنة خمس وخمسين وستمائة[1]. واذا كان هذا التاريخ هو للاسكندر يكون موته سنة ٣٤٣ فهل تقدمه في الولاية والوفاة احد الجثالقة الثلاثة المذكورين قبله . وهل في هذه الرواية تصحيح لشهادة البطريرك مكاريوس السابقة الذكر ان جثلقة اكتسيفون – المدائن كانت في الربع الثاني من القرن الرابع. ولا تزال هذه المسألة غامضة الى ان يتسنى لنا الوقوف على ثبت آخر يزيل كل شك .

ولدينا شهادة صحيحة على ان جثلقة سلوقية – المدائن وجثلقة خراسان كانتا معروفتين في اوائل القرن الحادي عشر معرفة مشهورة، وورد ذكرهما في رسالة بطرس بطريرك انطاكية الى دومنيك بطريرك غرادو سنة ١٠٥٤[2] . وكان مقــام جاثليق خراسان بادئ بدء في مَرْو كما تقدم من لفظ البيروني

١) كتاب المجدل ص ١١
٢) L. Bréhier: *Le Schisme Oriental du XI^e siècle.* Paris 1899. p. 238

ومحمد الخوارزمي الكاتب . ثم انتقل الى نيسابور بعد انتقال الإمارة اليها كما يتحصل من قول ابن حوقل « كانت دار الامارة بخراسان في قديم الايام بمرو وبلخ الى الايام الطاهرية فانهم نقلوها الى نيسابور »[1] . ولعلها كانت قبلًا في الشاش (طاشكند) من وراء النهر كما جاء في خبر ابرهيم بن يوحنا الكاتب الذي رويناه سابقاً . وكان في نيسابور كما كان في سلوقية — المدائن وهي تدعى احياناً « بابل » محلة للروم منسوبة اليهم وفيها دار للجاثليق تعرف به ولذلك كان يقال له باليونانية جاثليق روماجيريس (Romagiris) اي جاثليق محلة الروم. فكانت سلطته تتناول ما وراء خراسان وديار الترك الى اقصى المشرق ولهذا السبب ورد عنه في نُسَخ ترتيب اسقفيات الكرسي الانطاكي القديمة انه « كاثوليك سمرقند العجم واعمال الخطا » . وكان تحت يده بضعة اساقفة نصّ البيروني على ان مقام مطران خراسان منهم كان بمرو وهي اشهر مدن خراسان واعرقها في الدين المسيحي لقول البيروني ان بَرْشَبا القس ورد مرو بالنصرانية بعد المسيح بزهاء مئتي سنة وذكرانه في الحادي والعشرين من حزيران[2] . وكان اهل مرو متحمسين في مذهبهم شديدي التمسك به نبّه البيروني على اسم احد شهدائهم في عهده فقال «في الرابع عشر من تموز ذكران يوحنا المروزي الحبيث المقتول في زماننا »[3] . والنسبة الى مرو مروزي . ومعلوم ان البيروني توفي سنة ٤٤٠/١٠٤٨

ولم تكن جالية مرو معروفة بصدق اعتقادها وشدة الدفاع عنه فقط بل كان بينها اقوام من ذوي الهمم والفطن تحلّوا بالادب والنظم . ومن شعرائهم الذين طوّحت بهم الخطوب والنوَب واحد فاتنا اسمه قذف به الدهر الى مدينة الرها نقل لنا ابن عساكر خبرًا عنه من حديث ابي محمد بن القاسم الشامي قال:

« اجتزت بكنيسة الرها عند مسيري الى العراق فدخلتها لاشاهد ما كنت اسمعه عنها . فبينا انا في طوافي اذ قرأت على ركن من اركانها مكتوبًا بحمرة « حضر فلان بن فلان وهو يقول : من اقبال ذوي الفطنة اذا ركبته المحنة انقطاع الحياة وحضور الوفاة . واشد العذاب تطاول الاعمار في ظل الإدبار . وانا القائل :

---

١) المسالك والممالك طبعة ليدن ١٨٧٣ ص ٣١٣

٢) الآثار الباقية ٢٩٩

٣) « « ٣٠٠

ومن همة أدنى مدارها الشعرى ... ونفس تعالى في المكارم والنهى
وقد كنت ذا حسب عروق قوية ... وبلغت الايام بي بيعة ازها
ولو كنت معروفاً بها لم أكن حرى ... ولكنني اصبحت ذا غربة بها
ومن عادة الايام ابعاد مصطفى ... وتفريق مجموع وتنغيص مشتهى

فاستحسنت النثر والنظم وحفظتها »[1].

ومن قتلى النصرانية وشهدائها في نيسابور سبعة نقل البيروني ان ذكراتهم في الثالث من ايلول[2] ولا نعلم هل كان قتلهم في عهد الجاثليق ام في غيابه من المدينة . ولا سبيل الى معرفة سنة استشهادهم .

وقد تقدم ان مقتل الجاثليق شمون بن صباعي كان في خوزستان مع من كان معه من النصارى المقيمين فيه . ولعله قدم اليه لتعهد شؤونهم اذا صح ان مقامه كان في خراسان وان تدبيرهم كان موكولًا اليه . ويؤخذ من رواية ياقوت ان نصارى خوزستان كانوا من الروم الذين اجلاهم سابور ذو الاكتاف لما غزا المدن الرومية ونقل خلقاً من اهلها فاسكنهم نواحي خوزستان »[3].

وللاب الصمودي سيلون ڤايليه (S. Vailhé) درس ممتع في جثلقة خراسان رجّح فيه ان اول وقت جمع بها كان في القرن التاسع[4] .

وقد حُرمنا من كل اثر عنها او اشارة اليها في التركات العربية قبل ان يسعدنا الحظ والتوفيق بتحصيل سيرة مقتل البطريرك خريسطوفورس الشهيد للكاتب الرومي الملكي ابرهيم بن يوحنا باملائه العربي الذي تقدم تلخيصه واختصاره في الصفحات الاولى من هذا الكتاب . ويستفاد منه انه لما بنيت بغداد بين سني ٧٦٢ — ٧٦٦ كان في جوارها في المدائن (طيسفون) جاثليق للملكيين فلم يؤذن له ولرعيته بالتحول الى بغداد في جملة من نُقل اليها ونُفوا باجمعهم الى « بلد بعيد من بلاد الفرس يدعى شاش » ثم تكاثرت جموع الاسرى من الروم في بغداد على اثر المغازي والحروب فوقع الجدال بين الملكيين في اين يجب ان يكون الجاثليق الذي كان قبلًا في المدائن وهم أولى به . واشتدت

١) تاريخ ابن عساكر ، ظاهرية دمشق ٣ : ١١٢
٢) الآثار الباقية ٣٠١
٣) معجم البلدان ٢ : ٤٩٧
٤) *Echos d'Orient* X (1907) pp. 90-101

الحاجة الى قيامه في حضرة الخليفة في مدينة السلام . واتفق ان توفي جاثليق شاش في ايام البطريرك اغابيوس بن القعبون فاقبل من روجرد ثلاثة رسل احدهم قسيس والاثنان شماسان في طلب جاثليق خلف للمتوفى وعلم بقدومهم الى انطاكية اهل بغداد وتخوفوا ان ينفردوا دونهم بالجاثليق . وكان عيسى احد رجالهم الاشداء وهو الذي انتُدب للبطريركية بعد القعبون ودعي خريسطوفورس . وكان من اكبر المقاومين في نصب جاثليق لروجرد فتطوع لمناظرة الرسل واقبل الى انطاكية واحتج لدى البطريرك اغابيوس وكان غير مائل لطلب اهل بغداد فتوقف حباً للمداراة وأجّل النظر في امر الجاثليق. ثم ادركته الوفاة سنة ٩٥٨ في الغالب وخلفه خريسطوفورس وكان من اول همه معالجة مشكل الجثلقة فاسترضى الفريقين بان نصب جاثليقين احدهما لنيسابور وروجرد والثاني لبغداد .

ويؤخذ من شهادة ابرهيم بن يوحنا الكاتب ان انتقال جاثليق المدائن الى الشاش كان بعد سنة ٧٦٢ وهو ما يستنتج منه ان منصب الجاثليق وتنذر في خراسان كان فارغاً بعد قيام عدة جثالقة عليه كما سبق من كلام البيروني.

ويظهر ان الملكيين في خراسان كانوا من عنصرين ارامي بلدي ورومي بيزنطي من الروم الواردين للتجارة والارتزاق . وكانوا يتلون صلواتهم اما باليونانية واما بالسريانية وهي الغالبة فيما يظهر كما يستدل من مراجعة الالفاظ والمصطلحات الارامية التي نقلها عنهم البيروني في كتابه الآثار الباقية .

اسماء من عُرف من جثالقة خراسان

وردنا آنفاً عن البيروني اسماء الجثالقة سيس وسيسين وايليا وشمون بن صباعي . وغاب عنا اسماء من قام بعدهم الى حين وفاة جاثليق روجرد في عهد البطريرك اغابيوس بن القعبون الذي انتقل الى جوار ربه سنة ٩٥٨ وقد نقل لنا ابرهيم بن يوحنا الكاتب الملكي اسم من اختير بعده وهو اوتيكيوس من انطاكية ولكنه اقتصر على تسميته دون ان يضيف اليها شيئاً من اخباره. ويظهر انه قام من بعده « انبا يوحنا » الذي دعاه العجيب . وذكر انه « أهل لان صار كاثوليكا على المشرق ».

وبقي منصب الجاثليق في المشرق محفوظاً فيما يظن الى القرن الرابع عشر. وأضيف اليه في زمن لا يتيسر تعيينه لقب « اكسرخس الكرج » كما جاء في شهادة بطريركية نجوميوس مطران دمشق سابقاً التي أرسلت بين سني ١٣٦٤ و١٣٦٧ الى فيلوثاوس بطريرك القسطنطينية وفيها تواقيع احبار الكرسي الانطاكي بانتخابه نجوميوس المذكور وفي مقدمتهم « جرمانس جاثليق روما جيريس واكسرخس البلاد الكرجية »[1] . ويظهر ان هذا المنصب سقط وزال بعد ذلك لانه لم يرد له ذكر في جرائد اسقفيات البطريركية الانطاكية التي كتبت في القرون التالية ولا سيما في القرن الثامن عشر .

جثلقة المدائن وبغداد

ذكر البطريرك مكاريوس الزعيم الحلبي في كتابه « النحلة » انه وجد في كتاب قوانين الكنيسة الشرقية بالرومي في الرسالة التي ارسلها جناديوس القديم بطريرك القسطنطينية الى ساير روسا كهنة المسكونة الذين كانوا وقتئذ في ايامه وكان مضمونها ان لا يأخذوا على الشرطونية شيئاً وكتبوا فيها ساير روسا الكهنة وقتئذ خطوط ايديهم بارتضائهم بذلك انه كان من جملتهم... فوتيوس كاثوليك بابل... »[2] . وهم يسمون احياناً المدائن وساوقية « بابل ».

وكان في المدائن سنة ٧٦٢ حين بناء بغداد جاثليق لم يُحفظ اسمه نُفي مع رعيته الى الشاش كما تقدم في سيرة مقتل البطريرك خريسطوفورس لابرهيم بن يوحنا الكاتب . ولا تعرف سنة وفاته .

وفي زمان البطريرك الانطاكي ايليا حوالي سنة ٩١٠ كان في بغداد جاثليق يدعى يوحنا ورد ذكره في تاريخ ابن العبري في روايته السريانية[3] وله خبر طريف في ترجمة ابرهيم جاثليق النساطرة المتوفى سنة ٣٢٥/٩٣٧ قال فيه ماري ابن سليمان :

---

1) Miclosich et Muller : *Acta patriarchatus Constantinopolitani*, Vienne t. I, p. 465.

٢) خزانة الآباء اليسوعيين في بيروت رقم ١٦١١ ص ٤٩

3) *Chronicon Ecclesiasticum*, éd. Lamy, t. II, p. 236

« منع الجاثليق رئيس الملكية من التسمّي بالمثلثة ومن ان يسم اسقفاً وحمل عليه الرصد نزاع بينه (مواخا) وفي بعض الليالي عرفه ان هوذا يسم اسقفاً على سالو فهجم عليه في المذبح وهو يسم وحمله الى الشرطة . وحصر وجوه النصارى وتجاذبا بجاذبة توسطها السلطان وناظره وافلج بالحجة . وكتب على بني[1] سجلاً ان لا رئاسة له في مدينة السلام ولزمه مال . وفي بعض المجالس ضجر علي بن عيسى (وزير الخليفة) فقال لا فرق بينكما عندي (اي بين الجاثليقين النسطوري والملكي) فأبلس ابرهيم عن الجواب . فقال له ابن المطلب الهاشمي سرّاً : ان خلصتك عليك الف درم ؟ قال . دفرًا[2] فقال الهاشمي : « أعيذ بالله الوزير ان يتصور هذا . النسطور سلمٌ لنا والملكية حرب فكيف نسوّي بينهم »[3] فقال اصطفن[4] لاخيه لم تفارقنا حتى أغريت بدمائنا . فان هذا القول سمعه من حضر من القضاة والفقهاء وغيرهم .

وبلغ ابرهيم ما يجب . وكتب له المنشور وانصرف مكرّماً وفرّق مالاً . والسجلّ في دار الجثلقة »[5] .

وانما قال الهاشمي « الملكية حرب لنا » لان الملكيين كانوا معروفين بانتمائهم الى زعيمين كان كل منهما عدوًّا للاسلام وهما قيصر الروم الذي كان في حروب مستمرة مع الخلافة العباسية . وبابا رومة وكان مشهوراً بتحريضه الدائم على قتال العرب للدفاع عن الاماكن المقدسة . وكانت الدواوين السلطانية في بغداد تصف القيصر في كتاباتها بانه من رؤساء المذهب الملكي والبابا بطريرك الملكيين[6]

واذا قدّرنا ان اعتداء النسطوري على الملكي كان في اول سنة من وزارة علي بن عيسى بن الجراح للخليفة المقتدر بالله تكون المشاجرة بين الجاثليقين قد حدثت سنة ٣٠١ للهجرة اي ٩١٣ — ٩١٤ للميلاد بعد اربع سنين تقريباً من

---

١) في المتن المطبوع « وكتب على بن سنجلا » وهو ما يوهم الصحة لان ابن سنجلا كان من كتاب النساطرة . ولكن في المتن المخطوط في خزانة باريس « وكتب على بنى سجلا » بالياء والالف المقصورة . ولا شك ان الاصل بنّي بالياء المثناة والنون المشددة المكسورة اي يوحنا وهو اسم جاثليق الملكية يومئذ في بغداد .

٢) لعل الاصل « وحفرًا » اي عشرة آلاف درم .

٣) في الاصل المطبوع « أعيذ الله الوزير ان يتصور هذا النسطور سلما لنا والملكية حربا» وهو ما ينقلب به المراد الى ضده والأولى ما اثبتناه اعلاه .

٤) لا يُعرف من هذا اصطفان ولعله كان شقيق الجاثليق يوحنا .

٥) اخبار فطاركة المشرق ٩٢-٩٣

٦) صبح الاعشى للقلقشندي ٥ : ٣٠٨ و ٤٠٨ و ٤٧٣ — ١٣ : ٢٧٧

تولي يوحنا الجثلقة ؛ ولا يعرف متى كانت وفاته وهل اقام في بغداد ام نزح عنها . ولم نهتدِ الى اسم من خلفه في منصبه .

وكان للنساطرة في زمانه نفوذ عظيم في حاضرة الخلافة وتفوق طائل على سائر النصارى من ملكية ويعاقبة لان معظم كتّاب العباسيين واطبائهم كانوا منهم . وكانت العهود والتواقيع التي تكتب لهم « عن الديوان العزيز النبوي » تسجّل لهم هذه الزعامة ليس في العراق فقط معقلهم الحصين بل في كل ديار الاسلام . وفي دعوى كتاب النساطرة ان هذا السبق او الفضل الذي كان لهم على كل النصارى « نطقت به المناشير المقررة في ايام الخلفاء الراشدين » كما كانوا يسطّرونه باقلامهم في العهود التي كانت تعطى لجثالقتهم . واقدم عهد اتصل بنا من هذا القبيل هو بتاريخ ربيع الاول سنة ٤٦٧ (١٠٧٤م) وهو من انشاء ابي سعيد بن موصلايا اشهر رؤساء كتابهم في الديوان . وقد توسع فيه ما شاء في وصف تقدم النساطرة على الملكية واليعقوبية ننقل اهم ما فيه لعلّه الاثير في تاريخ النصرانية في الاسلام . قال :

« واوعز (امير المؤمنين) بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام وبسائر البلاد والاصقاع وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طرّاً . ولكل من تحويه ديار الاسلام من هاتين الطائفتين ممن بها يستقر واليها يطرا . وجعل امرك فيها مُمتثلا . وموضعك من الرئاسة عليهم متأثّلا . وان تنفرد بالتقدم على هذه الطوائف اجمع . ليكون قولك فيما يجيزه الشرع فيهم يُقبَل واليك في احوالهم يُرجَع . وان تتميز بأهبة الزعامة . في مجامع النصارى ومصلياتهم عامة . من غير ان يشركك فيها او يشاكلك في النسبة الدالة عليها مطران او اسقف للروم او اليعاقبة لتغدو شواهد ولايتك بالاوامر الإمامية بادية للسامع والناظر . وآثار قصورهم عن هذه الرتبة التي لم يباءوها كافّة للمجادل منهم والمناظر . ومُنعوا بأسرهم من مساواتك في كل امر هو من شروط الزعامة ورسومها . والترقي بما هو من علاماتها ووسومها . اذ لا سبيل لاحدهم ان يعد في مباراتك باعه . ولا ان يخرج من الموجب عليه من الطاعة لك والتباعة . وحملك في ذاك على ما يدل عليه المنشور المُنشأ لمن تقدمك المُمضى لك ولكل من يأتي بعدك . المجدّد بما حواه ذكر ما نطقت به المناشير المقرّرة في ايام الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم اجمعين . لمن تقدمك في مقامك . واحرز سبق منزلك ومرامك . من كون المنصوب في الجثلقة اليه الزعامة على ما تضمّه ديار الاسلام من هذه الفرق جميعا . والمنصوص عليه في التقدم الذي ليس لغيره من رياضه مرعى . »[1]

وليس وراء هذا التهويل والتطويل محل الزيادة والإغراق في تأدية المعنى

---

١) صبح الاعشى للقلقشندي ١٠ : ٢٩٧–٢٩٨

الواحد وقد استوفاه ابن حمدون باقل من هذا الحذر واللغو واوجز في عهد عبد يشوع الجاثليق فقال في خطابه :

« برز الإذن الإمامي الاشرف — لا زالت اوامره بالتوفيق معضودة — بترتيبك جاثليقاً لنسطور النصارى بمدينة السلام . ومن نصّه دير الاسلام . وزعيماً لهم ولمن عداهم من الروم واليعاقبة والملكية في جميع البلاد . وكل من حاضر فيها وباد »[1] .

ومع كل هـذه الاوامر والاحكام الجائرة لم تكن سلطة الجاثليق النسطوري تتجاوز فعلا حدود العراق ولكنها كانت في بغداد تتعدى كل طور في بعض الاحوال وتبلغ منتهى العجرفة في الدعوى والفظاظة في الإدلال . فلا غرو ان كان جاثليق الروم الملكيين ضاق بها احياناً ذرعاً وحالت بين سلطته ومقدرته في العناية بالكنائس وتدبير الرعايا . ولم يكن جاثليق اليعاقبة اسعد منه حظاً او اطلق يداً . وهذا مثال مما كانوا يعاملون به من كان يتصدى لمقاومتهم والدفاع عن حقوقه منهم .

اتفق في عهد سبريشوع الجاثليق المعروف بزنبور (١٠٦١ — ١٠٧١م) ان جاثليق اليعاقبة توما هِبّة زوّج ابنة ابي غالب الطبيب النسطوري بابن ابي طاهر البلدي اليعقوبي . فلما درى بذلك سبريشوع انكره اشد الانكار وعاتب توما فقال له توما : نحن رئيسان لشعبين وبيعتين . فلما سمع منه هذا الجواب تضرّم غيظاً وقامت قيامته « وجمع كافة الشعب النصارى رؤساءهم وزعماءهم وجماعة الطب فتقدم اليهم ان لا يقصد كاتب ديوانه ولا طبيب بيمارستانه ولا تاجر دكانه ومعيشته . ووقع التظلم على اهل هذه النحلة الى الامام القائم بأمر الله تعالى رحمة الله عليه واظهرت الحجة والمنشوران المكتوبان لهم احدهما في ايام المقتدر . والآخر في ايام القادر بالله في ايام ابراهيم ويوانيس الجاثليقين . وعند تصفح ذلك تقدم (الخليفة) بكتب منشور لهذا الاب سبريشوع يضمن دخول زعيم اليعاقبة والملكية في طاعته والائتمار له . وتقدم الى هذا الجاهل المرطيق المتعدي طوره بقصد باب الجاثليق وصحبته اصحابه ليعتذر اليه مما جرى منه . وكان ذلك في الصوم الكبير وحضر في القلاية جماعة الرؤساء البغداديين والمشايخ المؤمنين . وعند حضور اليعاقبة معهم اوصلوا الى القلاية وتحدث

(١) التذكرة الحمدونية . بريتش موزيوم Or. 3179 f° 31"

الفريقان الحديث الزائد وبجل هذا الجاثليق عليه غاية التبجيل . وما بعة الجاثي لم اوحس تلك الليلة بات في بيت مار ماري السليح عليه السلام في دار الروم كاؤلا (اي صائما) بعد ان اخرج له شمعة وما كل فامتنع من الافطار وقال لا طريق الى اخذ الغذاء دون ان يقع الرضى . فلما كان من الغد اوصل واعتذر وقبل عذره وخلع عليه . وعند خروجه من القلاية وعبوره الى قلايته اعترضه اصحاب الامير ايتكين السلطاني شحنة بغداد وحبسه . فعرف الجاثليق ذلك فقصد دار هذا الامير وخلصه من يده وكان ذلك امتعاضاً لما تم على الجاثليق . [1]

وهذه الفتنة التي اثارها النسطوريي واضرم نارها والّب فيها الرجال وعطّل الدواوين والبيمارستانات والاشغال وامر منها بمثل ما يحدث اليوم من مشاغب الاعتصاب والاضراب عن كل خدمة وتجارة ومهنة . وشدّ على يده فيها « مدبر الشحنة » من اجل كلمة قالها اليعقوبي بكل حق هي من اغرب الحوادث التي كانت تحدث بين فرق النصارى في الاسلام واول البينات على ما بلغ اليه اشياع نسطور في الخلافة العباسية من العتوّ والطغيان والاعتزاز بالسلطان والاحتماء بكتابهم في الدواوين والاعمال لاهتضام من كان خارجاً عنهم من الكنائس الشرقية وابتذاذ حقوقهم « في ظل الديوان العزيز النبوي » . ومن انكأ الحسرات ان يكون فاتنا اشال لها ونظائر تبيننا عما كان يجري قديماً من الخوارق والغرائب بين الملل المسيحية التي فرقها الشقاق والعناد وجمعها في ذمة الاسلام الذل والصغار وزاد في شقاقها واختلافها شيطان المكايد والدسائس .

ولا يدرى من قام في مدينة السلام بعد يوحنا الذي ضغط عليه الجاثليق ابرهيم نسطوري ونازعه حق الرئاسة في بغداد وسيامة الاساقفة للكنائس الملكية في العراق . ويؤخذ مما سبق من كلام ابرهيم بن يوحنا الكاتب انه في زمان البطريرك اغابيوس القمبرون كان كرسي الجثلقة في حاضرة الخلافة شاغرًا . ولما قام البطريرك خريسطوفورس اختار له سنة ٩٥٩ في الغالب عاماً من حلب يدعى ماجد فاتنا اسمه الكهنوتي كما فاتنا تاريخ وفاته .

---

١) اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لماري بن سليمان . رومة ١٢٥-١٢٦

ومن خلفائه في فاتحة القرن الحادي عشر جاثليق كان يدعى ايضاً يوحنا ذكره الراهب نيكن في كتابه التيكون الصغير في الباب السادس والعشرين كان في زمان نقيفورس الماجسطرس دوقس انطاكية . وكان ولاية نيقيفور كما في ذيل يحيى بن سعيد الانطاكي في اوائل المحرم سنة ٣٩٠ (٩٩٩م) ومن الغريب الطريف ان نيكن زعم في كتابه المذكور ان يوحنا آثر التنزل عن الجثلقة لان الخليفة سامه تعميد ابنه . وكان اهل بغداد فيما قيل يعتقدون ان الطفل المسلم اذا عمّده النصارى طالت حياته . وهو ما رواه نيكن في الباب الحادي والعشرين في جوابه على سؤال القاه عليه قسيس اللاذقية عن اطفال المسلمين « وانهم يطلبون عمادهم لا حسنَ يقين منهم بالمعمودية ولكن تخيُّلًا ان بواسطة المعمودية يعيشون زماناً اكثر واطول . » قال نيكن واستخبر من قوم ذوي معرفة من يعرف يوحنا جاثليق بغداد الذي كان في ايام نيقيفور دوقس انطاكية الماجسطرس . وجسده اعني هذا الجاثليق مدفون في ارشايا . هذا كان سبب اعتفائه من الجثلقة هو ان امير المؤمنين التمس منه تعميد ولدٍ ليحيا . فاستخبر خبره تجده عجيباً ونافعاً ولو كنت قربي كنت اشرح لمحبتك هذا الخبر منفعة لك ولغيرك »[1]

وسواء صحَّ هذا الزعم او كان تخلّي يوحنا عن الجثلقة لسبب آخر فالارجح انه بعد استقالته اعتزل في انطاكية ومات فيها ودفن في دير ارشايا في جوار انطاكية وهو الدير الذي دفنت فيه جثة خريسطوفورس الشهيد بعد مقتله قبل نقلها الى كنيسة القديس بطرس الرسول.

وقد اغفل البطريرك بطرس الرابع اسم من كان في بغداد في ايامه سنة ١٠٥٢ حين ذكر جاثليقي العراق وخراسان في رسالته الى دومنيك بطريرك غرادو كما روينا آنفاً . ولا نعلم هل توفي هذا الجاثليق في عهده ام في ايام البطريرك تاودوسيوس الثالث قريباً من سنة ١٠٥٧ وعلى كل يتحصل من شهادة نيكن ان تاودوسيوس همَّ ان يقيم جاثليقاً في بغداد خلفاً للمتوفى . وهذا نص ما قصّه في كتابه المشار اليه في الباب الحادي والثلاثين في رسالته الى الراهب كير باسيل :

١) نقلنا هذه الشواهد كلها من كتاب التيكون الصغير لنيكن حسبما اقتطفنا منه الشماس بولس الحلبي في كتابه تاريخ انطاكية المخطوط بقلمه عندنا .

« استدعاني البطريرك ثاودوسي ولم تكن عنده سابق معرفة بشخصي ولا وقف على قصدي . ورأى اول ما تاقت نفسه ان يعدلني الى بغداد جاثليقاً وان يشرطني قسيساً . واذ امرني نفسي وعلمي بنقصي عرفته اني غير مستحق للكهنوت . ثم انثنى عن رأيه الاول واستقر رأيه ورأي جميع سينودسه والملانيين ايضاً وكافة الشعب ان يسيمني قسيساً ويقلدني النظر في سائر الاديرة البرانية والجوانية والسائحة ايضاً واكرهني على ذلك »[1].

وحبذا لو كان نيكن نقل لنا اسم من اختاره البطريرك ثاودوسيوس بدلاً منه لجثلقة بغداد. ولا ريب ان هذا المنصب الخطير لم يخلُ في الغالب من مدبّر له حتى القرن الرابع عشر . تولاه من مدة لاخرى اقوام نجهل اليوم انسابهم والقابهم تتابعوا عليه حتى خراب بغداد على يد التتار . لانه يمتنع الاحتمال ان تكون حاضرة الخلافة العباسية خلت حيناً من جاثليق للروم على كثرة من كان فيها من الملكيين البلديين والطارئين

وما عتم منصب الجاثليق ان ضعف جداً وتلاشى بعد خراب بغداد على يد تيمور سنة ٨٠٣ / ١٤٠١ ويظهر ان لقب الجاثليق او الكاثوليك انتقل الى مطارنة حلب دون ان نعلم السبب هل كان لقرب الجوار ام لاعتبار آخر . وفي خزانة القبر المقدس مخطوطات دينية ورد فيها ذكر « الكاثوليك كيرملاتيوس الحلبي الثاني » بتاريخ سنة ١٦٢٦ ولما التأم المجمع الارثذكسي بدمشق سنة ١٨٩٧ لاسقاط البطريرك سبيريدون كان في جملة اساقفته سيرافيم مطران ايرينوبوليس[2] لقب مدينة السلام بالرومية . وهو ما يدل على ان رتبة جاثليق بغداد صار مساها الى مطارنة حلب وبقي لقب المطران عليها محفوظاً مستقلاً يقلد به البطريرك الانطاكي من شاء من اساقفته .

كنائس الجاثلقة واديارهم في العراق

كان العراق حافلاً بالبيع والاديار كما تشهد بذلك ملأ الكتب الموضوعة في الديارات . ومن الشقاء ان يكون اكثرها قد ضاع ولم يسلم لنا منها الا ما نقله عنها ياقوت في معجم البلدان وشهاب الدين العمري في مسالك الابصار . وهي نُتف لا تغني عن الاصول. والاصل الوحيد الذي افلت من عوادي الدهر بعد ان اختزل منه قطعة سقطت من النسخة اليتيمة في برلين كتاب الديارات

١) كتاب التبيكون الصغير .

٢) الحقائق الوفية في تاريخ الكنيسة الانطاكية الارثوذكسية ٧٣

للشابشتي . وهي كلها خالية من كل اشارة الى مواقع كنائس الروم الملكيين واديارهم في بغداد وانحاء العراق لقلة احتفال مؤلفيها بالتنبيه على نسبة كل معبد وكل دير الى احدى الفرق الثلاث النصرانية الا في مـا قل وندر . وهم في الغالب لا يهمهم الا وصف الشراب والتنزل بالرهبان الاحداث والراهبات ولذلك فاتنا كثير من الفوائد والاوصاف التاريخية التي كنا نرجو العثور عليها في امثال هذه المصنفات الموضوعة في الديارات .

واوحد ما وقفنا عليه من اسقفيات جثلقة بغداد ذكر «سمالو» في كتاب المجدل لمسر بن متى . وهي التي أعجل الجاثليق يوحنا كما تقدم[١] عن إصلاح اسقف لها وعُدّت في جملة الاديار . وهو الدير المشهور في رقة الشماسية شرقي بغداد روي اسمـه بالصاد « صمالو » . وفي فتوح البلدان للبلاذري « ضمالو »[٢] بالضاد وهو لا شك غلط طبع . حكى ياقوت في اصل بنائه « ان الرشيد غزا في سنة ١٦٣ (٧٧٩—٧٨٠) اهل صمالو فسألوا الامان لعشرة ابيات فيهم القومس[٣] وان لا يُفرّق بينهم فأجابهم الى ذلك . فأنزلوا بغداد على باب الشماسية فسموا موضعهم سمالو غيّروا الصاد بالسين وبنوا هناك ديرًا »[٤] . وفي تاريخ الطبري ان صمالو او سمالو اسم قلعـة كانت بأرض الروم وحكى غزاة الرشيد لها[٥] ووصف ياقوت دير سمالو فقال :

« هو دير مشيد البناء كثير الرهبان وبين يديه أجمة قصب يرمي فيها الطير . قال احمد بن عبدالله البديهي يذكره :

هل لـك في الرقـة والدير ... دير سمالو مسقـط الطـير

وقال ايضاً فيه :

الدير دير سمالو للهوى وطر ... بكّر فان نجاح الحاجة البكر
اما ترى النجم عنقودًا سرادقه ... على الرياض ودمع المزن ينتثر
والدير في لُبس شق مناكبه ... كأنما نشرت في افقه الحبر
تألفت حوله الغدران لامعـة ... كما تألف في افنـانه الزهر
اما ترى الهيكل المسور في صُور ... من الدمى بينها في أنسه صُوَر »[٦]

---

١) اخبار فطاركة المشرق ٦٢-٦٣
٢) طبعة اروبة ١٧٠
٣) من اللاتينية comes
٤) معجم البلدان ٣ : ٦٧٠-٦٧١
٥) تاريخ الرسل والملوك ٣ : ٥٠٤
٦) معجم البلدان ٣ : ٦٧-٦٧١

والشماسية التي كان الدير في رَقتها — اي في البستان المقابل للتاج من دار الخلافة قديماً — منسوبة الى بعض شماسي النصارى وهي مجاورة لدار الروم التي في اعلى مدينة بغداد[1].

وذكر الشابشتي هذا الدير فقال :

« هذا الدير شرقي بغداد بباب الشماسية على نهر المهدي وهناك ارحية للماء وحوله بساتين واشجار ونخل. والموضع نزه حسن العمارة آهل بمن يطرقه وبمن فيه من رهبانه. وعيد الفصح ببغداد فيه منظر عجيب لانه لا يبقى نصراني الا حضره وتقرب فيه . ولا احد من اهل الطرب واللهو من المسلمين الا قصده للتنزه فيه. وهو احد متنزهات بغداد المشهورة ومواطن القصف المذكورة . ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه :

ولربَّ يوم في سمالو تم لي	فيه السرور وغُيّبت احزانه
واخٍ يشوب حديثه بتلاوة	تلتذ رجع حديثه ندمانه
جمل الرحيق من المدام شرابه	والمحسنات من الاوانس شانه
بكرت علي به الزيارة فاغتدى	طرباً الي ومرني اتيانه
فامرت ساقينا وقلت له أسقنا	قد حان وقت شرابنا واوانه
فتلاعبت بعقولنا نشواته	وتوقدت بخدودنا نيرانه
حتى حسبت لنا البساط سفينة	والدير ترقص حولنا حيطانه

وللخالد الكاتب فيه :

يا منزل القصف في سمالو	مالي عن طيبك انتقال
واهاً لايامك الخوالي	والعيش صاف بها زلال
تلك حياة النفوس حقاً	وكل ما دونها محال[2]

واقتصر العمري في كتابه مسالك الابصار على نقل ما رواه الشابشتي ولم يزد عليه حرفاً. فهل لم يكن لديه كتاب الديارات للاصبهاني وديارات الخالديّين ام لم يرد ذكر لدير سمالو في هذين الكتابين. ولعل ضياعهما سبق زمان العمري ولذلك لم يرد ذكر لهما في مسالك الابصار .

وغاية ما يستفاد من اشعار الشعراء في دير سمالو انه كان كثير الرهبان . وهو ما يدل على اتساع املاكه ووفرة المنتسبين اليها. وقد امتاز ايضاً بتقى الدمى التي فيه وجمالها اي صُوَره البيزنطية. وهي كانت وتتنذر حلية كل كنيسة ودير وموضع اعجاب كل الزوار والاضياف . وليس في بقية اوصاف الشعراء الا

١) معجم البلدان ٣ : ٢١٧

٢) كتاب الديارات نسخة خزانة برلين رقم ٨٣٢١ الورقة ٤—٥

نعوت الخمر والحث على القصف والسكر . ومع ما يتولى سامعها من الأنفة والانقباض لخلاعتها احياناً وتكرارها على وتيرة واحدة لا يسعه الا الرضى والشكر لانه لولاها لجهل كثيراً من اسماء الديارات واخبارها ومواقعها لضياع كل الآثار النصرانية عنها وذهابها طعمة للنار في الفتن والثورات التي كانت تهتك كثيراً حرمة البيع والاديار وتبدد ما فيها بايدي السلب والنهب والتعصب الاخرق .

وكان في الرقة نفسها التي قام فيها دير سمالو دير آخر دعاه الشابشتي دير « درمالس » بالدال والراء واللام وعنه نقل ياقوت . ورواه العمري في مسالك الابصار « دومالس » بالدال والواو وكلاهما تصحيف لانه لا يعرف قديس شرقي بهذا الاسم بين قديسي الفِرَق النصرانية الثلاث . والصحيح « رومانس » كما نبهنا عليه في كتابنا « الديارات النصرانية في الاسلام »[1] وهو اسم احد شهداء النصرانية في القرن الثالث (saint Romain) واسم اربعة من قياصرة الروم ايضاً بين القرنين العاشر والحادي عشر . وكان معروفاً في الشرق المسيحي .

ويستدل من هذا الاسم وجوار الدير للشماسية ولدار الروم ان دير رومانس كان للملكيين مثل دير سمالو . وقد اقتصر ياقوت والعمري على حكاية ما وصفه به الشابشتي في كتاب الديارات نسخة برلين وهو قوله :

« هذا الدير في رقة باب الشماسية ببغداد قرب الدار التي بناها الديلمي احمد بن بويه بباب الشماسية . وموقعه احسن موقع وهو نزه كثير البساتين والاشجار وبقربه اجمة قصب . وهو كبير آهل برهبانه وقسانه والمتبتلين فيه[2] وهو من البلدان المسورة بالقصف والمقصودة بالتنزه والشرب » .

واعياد النصارى ببغداد مقسومة على ديارات معروفة . منها اعياد الصوم فالاحد الاول منه عند دير العاصية وهو على ميل من سمالو . والاحد الثاني دير الزريقيّة . والاحد الثالث دير الزَّنْدَوَرْد . والاحد الرابع دير رومانس هذا وعيده احسن عيد تجتمع نصارى بغداد اليه ولا يبقى احد ممن يحب اللهو والخلاعة الا تبعهم . ويقيم الناس فيه الايام ويطرقونه في غير الاعياد . ولابي عبدالله بن حمدون فيه :

1) ص ٤٤

2) ورد مثل هذا الوصف بلفظه في الكلام على دير سمالو .

يا دير رومانس ما احسنك	ويا غزال الدير ما احسنك
لئن سكنت الدير يا سيدي	فان في جوف الحشا مسكنك
ويحك يا قلب اما تنتهي	عن شدة الوجد بمن احزنك
ارفقْ به بالله يا سيدي	فانه من حينه مكّنك

وكان من خبر هذا الشعر ما ذكره احمد بن خالد الصريفيني قال :

« كنا عند ابي عبدالله بن حمدون في الوقت الذي تاه فيه المتوكل فتذاكرنا الديارات وطيبها وحسنها في الاعياد واجتماع الناس اليها . فقال قد والله شهيّتني حضور هذه المواضع والتفرج فيها والتسلي بها . فاي دير حضر عيده ? قلت دير رومانس وغدا عيده . قال فعلى بركة الله . فاعددت جميع ما يحتاج اليه ويصلح له . وبكّرنا الى الدير ونظرنا الى اجتماع الناس وتعييدهم وانصرف من انصرف واقمت معه في الدير ذلك اليوم ومن غده . وجلسنا منه مجلساً يشرف على تلك البساتين والمزارع فشرب وطابت نفسه وحضره من احداث الموضع من كان يقضي لنا الحاجة ويحيينا بالطرفة والتحية[1] . فشغف جم واستطاب وقته معهم وقال الابيات »[2] .

ولهذا الوصف الصادق اشباه وامثال عديدة لما كان يجري في الاعياد المسيحية في ديار الاسلام من الغرائب والمحارم لاختلاط الغرباء بالمعيّدين من الرجال والنساء وإقبال «كل من يحب اللهو والخلاعة » كما سبق من لفظ الشابشتي على المشاركة فيها وانتهاز كل فرصة تسنح للمغازلة والمداعبة دون اقل مبالاة بحرج الوقت وحرمة المكان : ولم يكن في وسع ارباب الاديار صيانة محافلهم ومعابدهم من مثل هذا الاخراق والابتذال لان الشرع فيما زعموا كان اوجب عليهم تلقّي كل عابر سبيل وضيافة كل طارق ثلاثة ايام دون ان يكون لهم اقل حق بصيانة منازلهم من العامة وذوي الريبة . فكانت ابواب الكنائس والديارات مع ما يلحقها من الحانات المنشأة لبيع الخمور والدور المعدة للإنزال والضيافة مفتوحة نهاراً وليلاً يدخلها من شاء البقاء والتسلي او رام التنزه ومعاقرة الشراب على نغمات الاوتار . فكانت خلوات الزهّاد والعبّاد بفضل حكم الشرع اشبه ببيوت الريبة تُقترَف فيها ضروب المنكرات وراء جدران القلّيات وحُجَر الصلاة والصيام. ولا يخفى على احد ما كان يلحق المتبتّلين والرهبان من

1) يراد هنا بالتحية طاقة الازهار والورود التي كانت تهدى لمن اريد تحيته وملاطفته . طالع الفصل المعقود عليها في كتابنا الديارات النصرانية في الاسلام ص ٤٤-٤٦

2) ديارات الشابشتي خزانة برلين رقم ٨٣٢١ الورقة الاولى .

اجلها من العار وسوء الظنة ويتأبّس بهم من اخطار الفتنة والضلال.

ولم يرد في كتاب الشابشتي اقل ذكر لديرَي العاصية والزريقية . ويظهر ان كل كتب الديارات كانت خالية منها ايضاً ولذلك سكت عنها ياقوت والعمري . ومن دواعي الاسف ان تُغفَل اخبارهما مع ما كان لها من الشهرة وعليها من الإقبال فلا ندري هل كان احدهما ملكياً . وقد سبق ان ولع الناس بديرَي سمالو وروماس كان عظيماً ولا عجب في ذلك لما هو معروف من غنى الديارات الرومية ببدائع الصور وجلالة الطقوس وابّهة الملابس الكهنوتية وطيب الانغام البيزنطية وهي اذا قيس اليها انغام النساطرة واليعاقبة كانت من اروع الفتن للسامع والناظر .

ومن الغريب انه كان في الجانب الشرقي من بغداد بيعة كبيرة حسنة تدعى دير الروم يستدل من اسمها انها كانت للملكيين ولكن ياقوت صرّح بانها كانت للنسطورية وبجانبها بيعة اخرى لليعقوبية . قال « والاصل في هذا الاسم ان اسرى من الروم قُدِم بهم الى المهدي وأُسكنوا داراً في هذا الموقع فسميت بهم وبنيت البيعة هناك وبقي الاسم عليها »[1] . ويصعب علينا اليوم ان نفهم كيف لم يكن فيها بيعة للروم على قرب الجوار وتقدم السكنى . ولعل الايام تكشف لنا بعض الآثار الدفينة المهملة فتجلو ما غمض من وجوه التاريخ الملكي وتتم ما نقص من اخبار الجثالقة في العراق .

(١) معجم البلدان ٢ : ٦٦٢

الآثارُ المطويّة

جمَعَها وعلّق عليها ونشرَها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس انطوش جبيل

تصدير

يطل المرء على الوجود ، فيرى النور غامرًا المعمور ، من جبال وتلال ، وأغوار وأنجاد ، ورياض وسهول ، كاشفاً عن جمال الطبيعة بما فيها من لطائف وطرائف ، ومحاسن ومفاتن ، حتى اذا ما شبَّ أدهشته بدائع الخالق في مخلوقاته ، وسبح طائر خياله في أفق بعيد المدى ، تهزهره اللذّة المتعة، وتستنيه سكرة الغبطة . ثم ينطوي على نفسه ، فينفرج له الوجود عن مسرح طلق فسيح تقصر العين عن مداه ، تطأ ارضه الملايين من الناس على اختلاف حالاتهم ومشاربهم وأديانهم ، تارة تستفزّهم الافراح فيصفّقون ويرقصون ، وطورًا تقمدهم الاتراح فيتململون ويبكون . وهم يعيشون بين آلام وآمال ويأس ورجاء ، ومنازعة وموافقة وموادعة ومسالمة ، ويتجاولون ويضجّون في معترك الحياة الصاخب الزاخر بشتّى الاهواء والمنازع . ونَدَر ما ينتبه المرء الى انه في نهاية شوطه مفقود ، تلك سنّة الله من قبل ومن بعد الى ان يقضي قضاءه وتطوى رقعة الوجود .

والناس فئتان : فئة تستهوي أصحابها مباهج الحياة فتستطيل أعناقهم الى التمتع بطلعة محيّاها والانتشاء بجرعة حُميّاها ، فيستسلمون الى اللذات تقودهم يد الاغواء والاغراء الناعمة الى الغرق في لجّة نعيمها الزائل ، ويتغافلون عن انهم معرّضون للتردّي في المزالق والمهابط ، من حيث لا يشعرون وهم أحياء بأنهم اموات ، كأنهم وُجدوا للاستمتاع بالعيش الرحراح في منازل الافراح ، لا

بأسرهم سواه ، ولا ينصرفون إلا الى نيل مناه ، فيخالون غبش الليل نورًا وحصول اللذة سرورًا ، لأن بصرهم الكليل لا يخرق ظلمة الدياجر ، ولا ينفذ الى اعماق المنابر ، فيظلون قابعين في كِسَر غُرَف الذهول والخمول ، قانعين برخاء البال وبشاشة الحال . تلك هي كل امنيتهم في الحياة لا يرضون عنها بديلًا ولا تغييرًا وتحويلًا .

وفئة تصبو الى النهوض والصعود في المدارج والمراقي العالية بنفس طمّاحة وعزيمة ماضية لا يلامسها وَنىً ولا يلابسها ملل ، وتحبُّ ان :

« فلاً الدنيا بما تستطيعُ من عملٍ يبقى اذا المرءُ ذهبْ »
« إنّما الاعمالُ تاريخُ الفتى تقرأُ الاجيالُ فيهِ ما كَتَبْ »

ويأبى أربابها الرضوخ والخنوع للجمود والقعود ، والطرَب والتصفيق للنجوم الطوالع ، والمباسم البواسم ، والاستنامة للانشراح والانسراح في فسحاتٍ بسطة العيش وخفضه ، لانه ليس من طباعهم الاسفاف والركود وادراك المعالي رخيصة ، ولا الاقتصار على التنعّم بالاطايب والانقياد للذلّ . ويعزُّ عليهم ان يمرّوا مرورهم السريع في الدنيا ولا يتركوا لهم في عالم الشمس أثرًا مذكورًا مشكورًا يضمن لهم خلود الذكر على وجه الدهر ، ويخبرنا بأنّ : « لهم علماً وللجهّال مال » وكأن لسان حالهم يقول :

« وسائلِ الناسَ عنّا انّنا نُجُبُ لنا «الدل» وسوانا اللهوُ واللعبُ »
« وفي المحامد لا يُلفَى لنا بَدَلٌ وما تَمدّ يَحانا الظرفُ والادبُ » (١

فاننا نراهم راغبين وساعين في التحليق الى مسابح النسور حتى لا يُطوى ذكرهم عند طيّهم في القبور ، وهم أعلقُ بحبّ الذكر وخلود الاثر منهم بحبّ الحياة وطيبها والرقاد في حضنها الوثير . ذلك من جملة الدلائل على ان النفس نزّاعة بطبيعتها الى الخلود — وهي خالدة .

ان أولي هذه الفئة ينفرون من التشبّه بالمترفين الموسرين الذين يُحجب ذكرهم ملتفاً باكفان النسيان ، حالما يتوارى وجههم عن العيان ، وينشطون الى كدّ

١) للشيخ ابي هاشم احمد هاشم .

اذهانهم وإسهاد أجفانهم ، مانين تعباً لاهبا ونصَباً لاصباً في سبيل تبوء مقاعد حسن الذكر بين المعالم والمحافل ، معرضين عن توسُّد الوسائد الليّنة والتخطُّر بالاطالس والحرائر ، والترهّل بالمآكل والمشارب ، غير عابئين بما يصدفهم من المشاده والشواغل ، وقد ألفوا إذلالها وإخضاع رقابها العاتية الجاسية بعزم لا يفلّ غربهُ ، لعلمهم ان أعمال الانسان تموت معه إلا الادبيّة منها والعلميّة فتصعد صابرةً صمود ارز لبنان الهازئ بالعواصف والساخر بالزوابع. وهم وحدهم يعيشون ويخلدون، يطويهم الزمن وينشرهم الذكر ، وتتناقل الاجيال آثار اقلامهم وتتحدَّث بصفاء أذهانهم وتردّد اسماءهم الى ما شاء الله . وهل من مقارنة أو مشابهة بين كنوز الذهب التي تفنى، وكنوز الأدب التي تبقى؟ فيستمرُّ هؤلاء الفوارس مندفعين مطّردين في طريقهم الى الأمام ، مكبّين على دفاترهم وأوراقهم ، لا يلوي حديد شكيمتهم لاوٍ ولا يعترض اندفاع سيرهم معترض . ولا يزالون يجرون ويغذّون حتى يبلغوا أعلى قمّة من نباهة الذكر وجلالة القَدْر . قال الشاعر :

كم مات قومٌ ومـا ماتت مآثرهم وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتُ

وقد خلّف لنا اولئك الكتّابُ والشعراء والفلاسفة والمؤرّخون ، تراثاً ثميناً من نتاج أدمغتهم وقرائحهم الخصبة ، يصدعُ بعبقريّتهم ونبوغهم ، وينبئُ بما عانوا من جهاد ، وحُرموا من رقاد ، وأجروا من مداد ، فسوّدوا آلاف الاوراق البيضاء ، فبرزت من تحت وشي اقلامهم تلك النقط السوداء ، عقوداً متماسكة الاجزاء ، باهرة السناء ، تتضاءل عندها عقود الحسناء .

كم من آثار لهم حجبها عنا مرور الزمن ، فأودعها بطون الخبايا ومطاوي الزوايا ، وقد شوّهت الظلمات محاسنها ، ولكنها لم تقوَ على طمس معالمها ، فارتدَّت عنها كليلةً وباءت بالفشل . وظلّت تلك الآثار راقدةً رقدتها في ثنايا الظلام ، مستغرقة في المنام ، منتظرة يوم النشور، لتثب وثبتها من ضجعة القبور، الى عالم الحياة والنور .

ومن جدَّ في التفتيش والاستقراء عن آثار الاسلاف ، لا يصعبُ عليه الظفر بها في منعطفات الخباي وانتزاعها من يد الاتلاف ، ذخراً ثميناً للاحفاد . وقد

اتفق لنا ان عثرنا ، بعد جهاد وعناء في الاستقصاء ، على الكثير من هـذه الآثار العالية الثالية التي كانت محجوبة بأستار الخفاء ،وهي الآن شريدة طريدة، مبعثرة بين أوراقنا العديدة . فعقدنا العزم على الجري في إثرها والبحث عنها ، وجمع ما تبدد منها ، وابرازها الى عالم الضياء ، بنشرها متسلسلةً متلاحقةً على صفحـات مجلّة « المشرق » الغرّاء ، تحت عنوان : « الآثار المطوئيّة » ، وارسالها الى القراء مجلوّة كالحسناء ، مصقولة كالمرآة ، لم تُخلق الايام جدتها ، ولم تصرم الليالي لذّتها .وقد علّقنا عليها ما تيسّر لنا تعليقه رغبةً في تقريبها الى الاذهان . وليس لنا من غرض في ذلك سوى مجد الله وخدمة الادب والعلم والتاريخ ، مقدّمين تعبنا له سبحانه وتعالى ، الذي عليه وحده الاتكال ، في كل حال ، واليه المآب والمآل .

الاب الفونس شبلي

اللبناني

جبيل – دير سيّدة المعونات

في ١٥ آب ، سنة ١٩٥٣

بين فرحات وزاخر

ليس من مجال في هذا المقام، للتبسط في الكلام، عن هذين الرجلين الناضلين العالمين: القس جبرائيل فرحات الحلبي الماروني الراهب اللبناني (المطران جرمانس)، والشماس عبدالله زاخر الحلبي الكاثوليكي، بل نكتفي بان نقول: ان فرحات كان نابغةً من نوابغ الدهر، وفلتةً من فلتات الزمان، ونادرةً من نوادره.

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله لبخيل

كان شاعرًا موهوبًا فياض القريحة يقول الشعر ارتجالًا. ومن يطالع ديوانه لا يملك نفسه من الاعجاب بما اتاه في غالب شعره من بدائع الاستعارات، ولطائف التخيلات. وقد اشار اليها الشيخ سعيد الخوري الشرتوني شارح ديوانه في الحواشي التي علقها عليه[1].

وأما الشماس عبدالله زاخر، فقد كان رجلًا عالمًا مؤلفًا فذًا مشهورًا بطول الباع في ضروب الجدل، ماهرًا بصناعة الطباعة في عصره، والطباعة مسرح تلعب عليه الافكار. انقطع الى عبادة الله في دير القديس يوحنا الصابغ بالشوير، عاكفًا على النسك والزهد، والتأليف والتصنيف. وقد أتى بمطبعة الى هذا الدير أصدرت كتبًا كثيرة بحرفها العربي، كان الزاخر يديرها بنفسه ويعاونه بعض الرهبان[2]. وما زال مثابرًا على خطة النسك، غارقًا بين المحابر والدفاتر والاقلام، حتى ذهب في سبيل كل حي[3].

---

١) ديوان المطران فرحات. المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٨٩٦، في ٥١٧ صفحة. عليك بترجمته المطولة «المستطرفات في حياة السيد جرمانس فرحات» للعلامة الطيب الاثر الخوراسقف جرجس منش الحلبي الماروني. المطبعة الكاثوليكية، بيروت سنة ١٩٠٦، في ٣٦ صفحة كبيرة، فنيها حد الكفاية.

٢) راجع تاريخ مطبعة الشوير (المشرق ٣ [١٩٠٠]: ٢٦٠-٢٦٣)

٣) قد افردت ادارة مجلة «المسرة» الغراء، عددًا ممتازًا بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لوفاة الشماس عبدالله زاخر، كان مسرحًا لاقلام بعض الادباء في هذا الرجل (المسرة، السنة الرابعة والثلاثون، الجزء السابع، عدد تموز ١٩٤٣). واصدرت ايضًا الرهبانية الحلبية الباسيلية الكريمة، عددًا خاصًا بزاخر من نشرتها: «حياة وعمل» (العدد ٩-١٠، ايلول ١٩٤٨) في ١١٢ صفحة، بقطع كبير وورق نظيف، وطبع جلي بمطابع حريصا الزاهرة.

ولا يخفى ان ارض حلب الشهباء ، قد أنبتت عصبةً كريمةً من ذوي الفضل والادب والدين والعلم ، غذّتها بمائهـا الرائق وهوائها الطيّب وأظلّتها بسمائها الصافية،أخصّهم أولو الشهرة البعيدة،القس جبرائيل فرحات،والشمّاس عبدالله زاخر، والخوري نيقولاوس الصائغ ، ومكرديج الكسيح الارمنيّ . كان هؤلاء الاربعة الاقطاب ، أو عصبةَ الادب ، منارةً مترامية الضياء ، في خلال القرن الثامن عشر ، شديدة الـطوع واللألأ ، ترسل انوار معارفهم وعوارفهم الى جميع الناطقين بلغة الضاد في أنحاء الشرق العربيّ ، فأصبحت الشهباء تيّاهة بهم مُدلّةً بأدبهم الرفيع ونتاج قلمهم البليغ . وكانوا من خيرة الاصدقاء الصلحاء الاوفياء الامناء ، «والصديق الامين معقل حصين ...لا يعادله شيء ، وصلاحه لا موازن له» (سيراخ ٦ : ١٤ و١٥) ، تربطهم رابطة الوطن والاخاء والوفاء ، وتشدّهم أواصر الدين والعلم والفضل في الاخلاق والاذواق، فكانوا يتراسلون ويتهادون تصانيفهم ويتبادلون الآراء والافكار متمسّكين بحبل الصدق والوداد .

وها اننا نرى القس جبرائيل فرحات ، يجاوب صديقه مكرديج الكسيح سنة ١٧٢٠ ، على اهدائه اياه نسخة من تأليف له في حلّ مشكلات الانجيل[١]، بابيات رقيقة دعاه في مستهلّها : الخلّ الوفيّ[٢]، ويمدحه بقصيدة اخرى مطلعها :

أمكرديجُ زدْ فضـلاً فأنت الفضلُ في الناس[٣]

ويجيب ايضاً تلميذه وصديقه الخوري نيقولاوس الصائغ الذي وصلته رسالة فرحات بعد وفاته ، فبكاه ورثاه متفجّعاً عليــه ، بقصيدة من عيون الشعر ، براعة استهلالها :

ألا إنّ مَنى المجـدِ ثُلّت دعائمهْ	وربع سناد الفضل أعفت معالمـهْ
وقُوّضَ ركنُ الدين واختال أسّهُ	وأقوت مبانيه وهُــدّت عزائمهْ
وعُطّلَ جيدُ الخير واثال عِقدُهُ	ووُشّحنَ اثواب الحداد كرائمهْ
هوى عَلَمُ العلمِ الوطيد من الورى	غداةَ قضى من عالَمِ الكونِ عالِمُهْ[٤]

١) في خزانة كتبنا بدير سيدة المونات — جبيل — نسخةٌ خطية من هذا الكتاب .

٢) الديوان ص ٤٦٦

٣) فيه ص ٣٢٩

٤) ديوان الخوري ص ٣٤٩ ، الطبعة السادسة ، في المطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٨٩٠ ، في ٣٣٠ صفحة .

ونقرأ لفرحات قصيدة مندمجة المعنى والمبنى ، مدح بها صديقه الشماس عبدالله زاخر ، أرسلها اليه سنة ١٧٢٠ ، ونرى زاخراً يجاوبه عليها بقصيدة من نفس البحر والقافية ، رنانة الابيات ، مشرقة المعاني ، صادقة الشعور ، تدخل الآذان بلا استئذان ، وتحرّك سواكن الاذهان ، يترقرق شعرها جارياً : جريَ المياه على بساط اخضر . ليس فيها أدنى تكلّف او تعسّف ، مما يدلّ على اضطراد قريحة « الزاخر » الزاخرة بكل علم وفنّ . وقد خلع بهذه القصيدة على صديقه فرحات ، بُرْداً منمنماً مطرّز الحواشي وعطّط البطائن والمغابن ، بخيوط البلاغة والسهولة ورقّة العاطفة التي اجادت حبكها أسلة يراعه المبراع . لقد أثنى زاخر على فرحات ومدحه بما هو اهلٌ له وجديرٌ به ، ولم ينفحه بغير ما يصدق فيه وينطبق عليه لئلا يقال له : « إن اصدق الشعر اكذبه » .

ولم يجلْ في خاطرنا او يطرق مسامعنا ، ان الشماس عبدالله زاخر،المنكبّ على دراسة التاريخ والجَدَل ، الُطرق في تفاسير الالهيات ، كان شاعراً مطبوعاً تنقاد له رقاب القوافي انقياد الإماء والجواري ، حتى رأينا له هذه القصيدة السحاء التي يجاوب بها فرحات على قصيدته ، منسوخة على ورقات بيضاء في آخر ديوان ابي العلاء المعرّي المخطوط بخطّ عربي جميل شبيه بالخطّ الكنسيّ المسمّى « لزوم ما لا يلزم » ، الموجود في خزانة كتب دير الشير — بكفيا — سوق الغرب ، العامرة ، تحت رقم ج ٣—٨ . ان هذا الكتاب مكتوب بحبر اسود ، وعناوينه بحبر احمر ، على ورق عادي صقيل ، ومجلّد بجلد احمر قديم مرصّع بالنقوش، يقع في ٧٢١ صفحة، طوله ٢١ سنتمتراً ، وعرضه ١٧سنتمتراً، والصفحة منه تحتوي ١٧ سطراً ، وهو بقلم ناسخ واحد من اوّله الى آخره ، ومقدمته هي لابي العلاء المعرّي نفسه ، تقع في ٣٥ صفحة . جاء في صفحة ٧٢١ الاخيرة منه ما يأتي :

« تمّ لزوم ما لا يلزم من نظم ابي العلاء احمد بن عبدالله بن سليمن التنوخي المعرّي في الزهد والفطنة وذمّ الدنيا . والحمد لله ربّ العالمين » .

وعلى ظهر هذه الصفحة الاخيرة ، بيتان من الشعر لمصطفى برّي بخطّ مختلف ، هما :

يا مدّعي منّ القريض فضيلةً ما الشعرُ إلّا ذِلّةٌ وخبالُ
فالمدحُ كذبٌ والرثاء مناحةٌ والهجوُ اثمٌ والمديحُ سؤالُ

وورد في صفحة ٧٢٣ هذه العبارة ، بخط مختلف ايضاً وهي :

« استكتبهُ بماله لنفسهِ العبد الحقير المقدسي نقولا ابن المقدسي نعمه ابن الهوري حنا الحموي من الروم ملّةً سنة ١٧٨٥ » .

ثم ترد بعض قصائد لفرحات مطبوعة في ديوانه ، منها قصيدته في زاخر ، وقصيدتان لزاخر جوابيّتان لمكرديج وفرحات وهما غير معروفتين ولا منشورتين، وكلّها مرقومة بخط عربي كنسي دقيق من صفحة ٧٢٤ الى آخر صفحة ٧٢٧ .

والظاهر ان « الزاخر » لم ينصرف الى الشعر إلا « اذا اقتضته مع الاسباب اوقاتُ » فلا يقف عندئذٍ مكتوف اليدين امام من يراسلونه شعراً ، فكان يبادلهم بمثله مجاراةً ومباراةً لهم لئلا يظنّوا به العجز عن النظم مع قدرته عليه واجادته . ومما بان لنا من مطالعة حياة زاخر ومجادلاته، ان طباعه كانت نزّاعة الى القسوة والحدّة اللائحة آثارها في كتاباته — وكتابة المرء منبئة عن اخلاقه — الدالّة على الإباء والانفة من المدح والاستجداء ، شأن البعض ممن ألفوا به الاستجداء او التزلّف الى الكبراء والعظماء لمجرّد انهم اغنياء او وجهاء، ليستأهلوا الثناء والاطراء . لذلك كان وصف زاخر لفرحات بانه رجل دين وعلم معاً ، بشهادةً صادعةً بالحق صادرةً عن اختبار واقتناع، لا عن مجاملة او انتفاع ، فلها اذن قيمتها ووزنها . اما قصيدة فرحات في زاخر ، فمصدّرة هكذا : « قال القس جبريل اللبناني ممتدحاً الشماس عبدالله زاخر » وقصيدة زاخر الجوابية له معنونة كذا: « قال الشماس عبدالله زاخر يُجيبه »، وقصيدته لمكرديج : « وقال الشماس عبدالله زاخر ، وقد ارسلها للشماس مكرديج جواب ابيات » .

ويحسن بنا ان ننشر اولاً قصيدة فرحات لزاخر ، وان تكن مطبوعة في ديوانه[1]،ثم قصيدة زاخر الجوابية لفرحات ، ليدرك القارىء بداهةً معنى ومرمى القصيدتين في وقت واحد ، اللتين هما خطاب وجواب . وسننشر ايضاً جواب زاخر الشعريّ لمكرديج .

١) ديوان المطران ، صفحة ١٥٨

قصيدة فرحات لزاخر

كُفَّ العتاب وكن عليَّ شهيدا إذ بتّ فيك الهائمَ المعمودا
صبًّا بقلبٍ بات فيك مُقلَّبًا شوقًا وبات فؤاده مفؤودا
ظبيٌ غرامي فيه غيرُ مُذمَّمٍ مُذْ باتَ فيهِ مُمدَّحًا محمودا
أضحى بموقف فخارٍ وكمالهِ ما بين أرباب الكمال عميدا
تمت محاسنُ خَلْقهِ في خُلْقهِ يتباريان سعادةً وسعودا
بالله عبدالله كُنْ متأيّدًا فالله يُولي عبدَهُ التأييدا
اذ كنتَ يا دُرًّا بأصداف المُنى تُلقي الينا اللؤلؤ المنضودا
من بحر علمٍ زاخرٍ بفضائلٍ كُنْ يا أبنَ زاخرَ في الأنام فريدا
جاءتك من إنعام ربّك نعمةٌ عقدَت عليكَ كتائبًا وبنودا
صاغت لكُم آلاؤها من ربّها دون الأنام قلائدًا وعقودا
طبعًا كماء المُزنِ يصفو رقّةً وحجىً بآراء العلوم سديدا
سامَ السُّمُوَّ بجدّهِ وجُدُودهِ أَكْرِمْ بهِ جدًّا نما وجدودا
وأتى ببرهان النظام مُقلَّدًا فيهِ نرى البرهان والتقليدا [1]
وأمانةٍ بيعيّةٍ روميّةٍ تُنذر القريبَ من الضلال بعيدا
يا أبن الأكارم كابرًا عن كابرٍ انت المُفدّى طارفًا وتليدا
خذها اليكَ، فدتكَ ، لثانيةً جاءت وكان مديحُكَ المقصودا

قصيدة زاخر الجوابية لفرحات

« قال الشماس عبدالله زاخر يجيبه » :

جاءت وقد نثرَت عليَّ عقودا بكرٌ فكانت لؤلؤًا منضودا
دُرًّا سمَتْ حسنًا ولذّت مسمعًا واستُعذبت نظمًا سما ونشيدا
رقّت فأرّقتِ المشوقَ الى الذي لا زال فيهِ هائمًا معمودا
السيّدُ الندبُ الذي شَدّهَ الورى فضلًا فأضحى في الأنام وحيدا
كنزُ المحاسنِ والمكارمِ والتقى بحرُ العلومِ المتزيدُ ورودا
مولى حباهُ اللهُ فضلًا ساميًا فأتى فكان زمانهُ المسعودا
يبني ليتِ الفضل فخرًا قوّضتْ منهُ الجهالةُ ، فازدهى تشييدا

[1] اشارة الى تأليف زاخر بيتّي : البرهان الصريح .

ويُبيدُ آثارَ العلومِ حنانقاً أضحت بها الأيّامُ تحسُنُ جيدا
فتامَ يا مولايَ فضلًا جئتَهُ بين الأنام موصَّدًا وصليدا (١)
أكسوتني ثوبَ الثناء(٢) مدبَّجًا من وصف فضل بُثَّ فيهِ فريدا
أنشأتَ ذكرًا في الورى متقدِّمًا وسموتَ شأوًا لاحقًا وطريدا
بصناعةٍ عربيَّةٍ ادبيَّةٍ بَعُدَتْ مُنىً وأرت لبيدَ بليدا
وبراعةٍ حكميَّةٍ علميَّةٍ فاقتْ مُنىً وسمتْ هُدىً مقصودا
وفصاحةٍ ذهبيَّةٍ علويَّةٍ ببديعِ وعظٍ يفلقُ الجلمودا
ورياضةٍ نسكيَّةٍ(٣) مَلَكيَّةٍ ومحجَّةٍ عنها نرى التقليدا
لو رامت المدَّاحُ حصر صفاتهِ أعياهمُ من كثرةٍ تعديدا
قد ضمَّ اضدادَ القلوبِ نالُفًا بمحبَّةٍ أبدى بها التوحيدا
اذ كان فيهِ فعلُ روح سيّدِهِ جبريل اذ هو عنهُ ليس بعيدا
بطهارةٍ وقداسةٍ ورئاسةٍ ورسالةٍ نلنا بها التأييدا

٥

يا سيّدًا وأبًا تملَّك حبُّهُ قلبي فأقسم لا يكونُ لدودا
اعذرْ تجاسرَ جاهلٍ متطاولٍ لسموِّ مدحك واترك التفنيدا
واسلمْ ودُمْ وارقَ الكمالَ تاهيًا وأعطفْ وكُنْ بين الأنامِ عميدا

قصيدة عبدالله زاخر الجوابيّة لمكرديج الكبيع الارمني

«وقال الشمّاس عبدالله زاخر وقد أرسلها للشمّاس مكرديج جواب ابيات»[٤]:

أنثارُ دُرٍّ أم حَبابُ مدامِ وحلالُ سحرٍ أم بديعُ نظامِ
أم روضةٌ فيحاء جاد ربيعُها فبدت أزاهرُها عن الأكمامِ
أم نفحةُ الحبِّ التي فعلتْ بنا ما تفعلُ الارواحُ بالأجسامِ

١) الموصَّد: المتدر. والصليد: المنفرد، اي ان الممدوح هو خدرُ الفضل المنفرد.
٢) أكسى الثوبَ فلانًا ألبسهُ اياهُ.
٣) اشارة الى مؤلّف لفرحات، يسمَّى: «الرياضة الروحية» في مكتبتنا نسخة منهُ خطيَّة. ومن عداد مؤلفاته رسالة في ايضاح رسوم الكمال، في مكتبتنا ثلاث نسخ منها خطيَّة، نشرها في هذه السنة، ١٩٥٣، الخوري ميشال بريدي. سنفرد لهذا الكتاب مقالًا خاصًا.
٤) اننا لم نرَ قصيدة مكرديج للزاخر، ويظهر ان الناسخ لم يظفر بها ليثبتها كما اثبت قصيدة زاخر الجوابيّة عليها، ولا شكَّ ان قصيدة مكرديج ميميَّة القافية.

رقتْ هوًى فسرَت برقّة لطفها ضمن الحشا وتمكّنت بعظامي
حبّتْ فأحببتُ همّةً لي عنْهما وطرحتُها عني الى الإعدامِ
وبدَتْ لنا تُغري لأنفاس الذي لذّت لديَّ بهِ شجونُ غرامي
الألمعيُّ الندبُ ذو الحلمِ الذي رقّتْ ودقّتْ عن ذكا الأفهامِ
اعجوبةُ الزمنِ الذي سعدت بهِ أيامُهُ فزها على الأعوامِ
حاز النباهةَ والحصافةَ والتقى حتى غدا عَلَماً من الأعلامِ
لا تنظرنَّ لضعفهِ في خلقهِ بل فانظرنَّ الى علاهُ السامي
همٌّ الى طلب المعالي قصّرت عن شأوها السامي خُطى الأقدامِ
وذكا بادراك الحقائق أسفرت أنوارهُ رشداً بكلِّ مقامِ

٥

فسلامَ يا صنو التقى وأخا الحجى وبدَ الهدى ونتيجةَ الأيّامِ
فلقد أتيتَ منابرَ الأفضال فا م رغةَ فكنتَ لمنَّ خيرَ إمامِ
لاعيبَ فيك سوى السخاء فلم تزل تُعزي الينا فضائلكَ المتسامي
ببديعِ مدحٍ أنت حقًّا أهلهُ في شرعِ أهلِ النقضِ والإبرامِ
فأسلمْ ودُمْ مترقياً أوج العلى وأسمق وسُدْ بالفضل بين كرامِ
متسربلاً ثوبَ الكمال موشّحاً نِعَماً حظيتَ بها بحسنِ ختامِ

[للمقال صلة]

الشماس عبدالله زاخر

١٦٨٤ – ١٧٤٨

حوى منطقاً عذباً ولفظاً تجانسا   فإن فاه فاح الطيب والمسك فائح

وبحوا [illegible] [illegible] غورة   الى القرار لم يحتج [illegible] حازم

ونظماً ونثراً ورسائل [illegible]   رياها العطور الفوائح

وحاز ببيداء البراعة يراعة   أبت أن تجاريه الفحول القوارح

(الخوري نيقولاوس الصائغ)

المدرسة

خطاب لحضرة الاب مبارك ثابت اللبناني
رئيس دير المخلص في الحرامية
القاهُ في مدرسة الاخوة المريميين بجونية في ٢٥ اذار سنة ١٩٢٩ -
بدعوةٍ من الاخوة لامتحان التلامذة(١)

للمدرسة ثلاثة أركان : الإدارة ، والمعلّم ، والتلميذ . ومن احتكاك هذه العناصر الثلاثة تخرج نارُ النجاح . كان أهلُ بلادنا قبل استعمال عيدان الكبريت يستخرجون النار من الحجارة الصلبة بطريقة الإقتداح. يأخذون قدّاحةً قطعةً من الفولاذ وصوّانةً وصوفانةً فيضعون الصوفانة على حجر الصوّان ويضربون عليهِ بالقدّاحة فيتطاير من الحجر شررٌ يقعُ على الصوفانة فتشتعل . والصوفانة يجوز أن تكون شيئاً من الفطر يُؤْخذُ عن جذوع بعض الشجر أو قطناً ناعماً أو خِرقةً من نسيج القطن أو غير ذلك من الأشياء القابلة الاحتراق من مَسِّ شرارةٍ . فالقدّاحةُ مثالُ الادارة في المدرسة . والصوّانةُ مثالُ المعلّم . والصوفانة ، أي المادّةُ المحترقة ، مثالُ التلميذ . فكما أنَّ النار تُستخرجُ من الثلاثة معاً ، كذلك النجاح يُستخرجُ من أركان المدرسة الثلاثة : المدير والمعلّم والتلميذ . اذا خلا أحدُ العناصر الثلاثة أو نُقضت عندهُ شروطُ الإقتداح لم تحصل النار المنشودة.

أخصُّ ما تتناولهُ مهمّة الادارة وضعُ نظامٍ ملائمٍ ومضبوطٍ بالوقت ، بالساعة والدقيقة والثانية تُراعى فيهِ أحوالُ المعلّم والمتعلّم من صحيّةٍ وروحيّةٍ وعقليّة . ثمَّ إجراء ذلك النظام على الموضوع لهم وتقييدهم بهِ مع فتح عين اليقظة والمراقبة حتى لا تمتدَّ اليهِ أيدي العبث ولا يُنظر اليهِ بعين الازدراء.

ومن حيث انها سلطةٌ مشترعةٌ وحاكمةٌ معاً فلا بُدَّ لها من خُلّتينِ : العلمُ لإجادة التشريع ، والعدلُ لصون المهابة وتزكية الأحكام . ومن مقتضياته

(١) ظفر بهذا الخطاب النفيس حضرة صديقنا الاب انطونيوس شبلي اللبناني وأراد ان يخصّ بهِ مجلّتنا «المشرق» فلهُ خالص شكرنا وتقديرنا.

إثابةَ التجويد ومعاقبة الإخلال . والفطنةُ خُلّةٌ ثالثة تحرسُ الخُلّتين وتسيّرهما في سبيل الرشاد .وعليها في الأخصّ يترتّب إقرارُ السلام.

ومهنةُ المعلم سامية ودقيقةٌ جدًّا وذاتُ مشقّةٍ وضماناتٍ كثيرة . لذلك لا أراني مخطئًا اذا شبّهتُهُ بالصوّانة لما يلزمهُ من التصلّب والتجلّد حيال حياة التعليم المملّة وما يلازمها من تعب الدرس والمطالعة والتصحيح والإلقاء والتفهيم والتحضيض والردع والتشويق مع المراعاة لطبائع الحداثة ومنازعها ، الى سائر أطوارها الصبيانيّة.

وكما تبرى الصوّانةُ بتكرير ضرب القدّاحة ، كذلك تبرى حياةُ المعلّم بتأثيرات التعليم المتواصلة. واذا لم تكن لهُ غزارةُ العلم وغيرةُ القلب فلا يزيد تعليمهُ على ان يكون شرارةً هامدةً ضئيلة النور تنطفئ أوّل ظهورها ، أو تقع على ذهن الطالب فلا تُحدث فيه اشتعالاً ولا إشراقاً.

وليست مهنّةُ المعلّم مقصورةً على تثقيف عقل التلميذ بالعلم ، بل تتناول ومن باب الوجوب ، تهذيبَ قلبهِ وتوجيهَ رغائبهِ الى الخير ، لأنّ العلم لا يُعلي قدرَ الانسان ولا يعود عليهِ بالسعادة والمجد ما لم يكن مقروناً بالأخلاق الحميدة. والأخلاقُ بَنَاتُ التأديب . فالمعلّمُ معلّمٌ ومؤدِّبٌ ، فينبغي أن يكون أخا فراسةٍ وفطنةٍ وذكاءٍ ، وذا نظرٍ مصيبٍ في الغرائز والميول والأمزجة وما يطرأ عليها من تطوّرٍ وتحوّلٍ بقوّة العوامل التي تنتابها من الخارج والداخل ، فيعدّل شهوات تلميذهِ ويُصرفها في مقاصد الصلاح ، ويُرقّي أخلاقهُ ويُبعدها عن الفساد ، ويردّ قلبهُ عن الزيغ ويثبّتهُ في الاستقامة والحق ، ويغرس فيهِ الفضائل ويتعهّدها بما يُمكّن أصولها ويوليها غزارةَ المائيّة وسرعةَ النماء وجودةَ الاثمار ، ويهذّب ارادتهُ بتعويدهِ الصبر على مشقّة الدرس والجرأة على العُقدِ والمشكلات ، وبتشويقهِ الى الجد وتعظيمهِ في عينهِ حتى اذا عرضتهُ صعوبةٌ لا ينكص عنها منحلّ العزيمة منخلع القلب ، فينشأ ضعيف الارادة واهن العزم قليل الثبات والجَلَد وكِلًّا يقنع بالهيّن الميسور ويقول : هو الحظّ لا يُنيلهُ الجهدُ ولا يُجتنبهُ الكدُّ . والحقيقة ان الحظّ في الشؤون الانسانية لا سلطان لهُ ولا هو موجود.

المطران جرمانس فرحات

رئيس اساقفة حلب الماروني

١٦٧٠-١٧٣٢

عين العوارف والمعارف والنهى	والحجة الغراء والبرهان
فخرت به الفصحى وزر عقدها	لما كساها ثوب سحر بيان
كم من عقود لآلئ في طرسه	تاهت على الياقوت والمرجان
قد جابت الآفاق بسطة علمه	وغدت مرددة بكل لسان
يراعه الآثار يبدو عداية	يحيا بذكراها مدى الأزمان

فالمعلّمُ الصالحُ هو الذي يعرفُ من تلاميذهِ مداخل الذهن والقلب فيوصل اليهم العلمَ والفضيلةَ والحقَّ والعدلَ وتقوى الله من أقرب الطرق ، وينصبُ لهم نفسهُ مثالاً في ذلك ويستميلهم بالحيلة البارعة الى فرضة الطاعة والركون والإصغاء .

*

ومهمّةُ التلميذ تحصيل المعارف على قدر الطاقة وقياس ما أُوتيه من التأهب الطبيعي للحفظ والفهم والحذق. ولا بُدَّ لهُ من الارادة الحازمة والرغبة الصادقة ليتخطّى العقابَ الصعابَ ويُصادف اللذّةَ في الدرس تجتذبهُ اليهِ وتُنقص شعورهُ بالتعب ، وتهوّن عليهِ ما قد يستصعبهُ من ضبطِ الافكار وحبس الحواس ، على ما بذلك من قلة الملاءمة لطبيعة سنّهِ النازعة الى التشتّتِ والتلهّي واللعب . وليس عليهِ ان يُجاوز في الجهد حدَّ الاعتدال رغبةً في السبقِ والتفوّقِ ، فذلك إسرافٌ يغلبُ ان يكون وخيم العاقبة.

واذا عارضتهُ بالتقصيرِ لم يكن الإسرافُ أفضل منهُ ، وأكثرُ الاحيان ينتهي الإسرافُ الى التقصير . مَن بالغ في إيساع خطوهِ في طريقٍ طويلٍ فلا يبطؤ ان يُقعده الكَلَلُ عن الانتهاء الى آخرهِ . وخيرُ الامور الوَسَطُ . والوَسَطُ في المدرسة النظامُ ، فمَن يتقيّد بهِ يسلم من الآفتين : التفريط والإفراط . ومَن يحدْ عنهُ يقع في إحداهما لا محالة . وقد وزّع النظامُ ساعات اليوم بين أعمال التلميذ على حسبِ طاقتهِ وحاجاتهِ مراعياً صحّةَ العقلِ والبَدنِ وطبائعَ الدارس ونزعاتهِ . فما عليهِ إلّا ان يسلك طريقهُ آمناً مطمئناً فينتهي الغرضُ ظافرًا دون عثرةٍ ولا ضلال.

وليعلم التلميذ أنَّ الأخلاق الكريمة أجدى عليهِ من العلم الكثير ، وانَّ بها راحتهُ وسعادتهُ ونجاحهُ ومجدَهُ . واذا عرف ان يجمع بينها وبين العلم استكمل الزينة الادبيّة التي تُلفتُ اليهِ الأنظار وتملّكهُ مقاليد القلوب وتمكّنهُ من كلّ مطلبٍ نافعٍ وشريف ، فلا يألُ جهدًا في اقتباسها ما دام في المدرسة فذلك ميسورٌ لهُ لِما يرى من رسومها في الكتب التي بين يديهِ وفي القدوات الجميلة التي يشاهدها عند أهل الصلاح من معلّميهِ ورفقائهِ ومرشديهِ . وسبيلهُ التشبّهُ بالنحلة التي تقعُ على الأزهار فتأخذ حلوها وصيّبها فتعمل منهُ الشمع والعسل الجيّدين ، وقد تركت ما في الأزهار من مُرٍّ وخبيث.

حسنُ الطاعة ، ورعايةُ النظام ، وإكرامُ السلطة ومحبتها في الغيب والشهادة ، والرسوخُ في الايمان ، والاعتصامُ بتقوى الله والاخلاص في محبتهِ بحفظ وصاياهُ ، وإقامة فروض عبادتهِ ، والولوعُ بإجمال الصنع الى جميع الناس ولا سيما الخلطاء وأهل العشرة ، والتجافي عن البغضة والحقد والحسد ، وحبسُ اللسان عن النميمة والكذب والشتم واللعن والمزاح القارص والثرثرة المعيبة وفحش الكلام ، والتجمُّل بالفضائل الالهيّة والأدبيّة ، والتردّي بالكياسة والادب ، وتجنُّبُ عشراء السوء ، والالتصاق بأهل الخير ، والتنزُّهُ عن الخبث والرياء والتصلُّف والخُيلاء والإعجاب بالمواهب الطبيعيّة أو بالمحاسن المكتسبة ، والاستمرار على حال الوداعة والبشاشة والصراحة فكرًا ونطقًا ، والمحافظةُ على الزمان ألّا يضيع منهُ ولو ساعة بلا عمل نافع لنفسك او لغيرك من الناس ، مع الجدّ في تحصيل المعارف. تلك علاماتُ النجاح الحقيقي والمستقبل اللامع لولدٍ أو شابّ يسأل عن مستقبلهِ كيف يكون.

النجاحُ في الاعمال والحالات المختلفة ليس مختصًا بالعقول الكبيرة بل بالارادات القويّة. وجائزةُ النجاح ينبغي ان يُكافأ بها أجلُّ التلامذة أخلاقًا لا أجودهم عقلًا ، لأنَّ جودة العقل موهبةٌ وجودة الاخلاق فضيلة. ومأخذ الموهبة بلا تعبٍ ، ومأخذ الفضيلة بالتعب وشقّ النفس.

ومن التلامذة مَن لهُ حظٌّ وافرٌ من العقل فإمّا ان يُعوّل عليه وحدهُ دون الجهد ، وإمّا ان يقرنهُ بيسيرٍ من الجهد لاستيلاء الكسل عليهِ فيقصر عن شأوِ أقرانهِ في المطالب ويسبقهُ مَن دونَهُ فهمًا وتوقّد ذهنٍ ، فلا يلمع في سباقٍ ولا في امتحانٍ ، فيتمحّل لنفسهِ عذرًا بسوء الحظّ كأنَّ للحظّ يدًا في النجاح. ولو تدبّر الأمورَ لعرف انَّ الحظَّ لا يفوت ان يكون كالة أهل الجبن والكسل ، وانَّ النجاح انما هو بإحكام عَقدِ القلب على المقاصد . فمن عرف ان يُريد أدرك الوطر لا محالة ، لأنَّ الارادة الثابتة لا يملكُ صدَّها عن أغراضها الناسُ ولا الطبيعةُ ولا العناصر . قال ديكارتُ : الارادة هي أشدُّ ما فينا التصاقًا بنا ، فعقلُنا وحسُّنا لا يفوتان ان يكونا شيئين لنا ، أمّا ارادتُنا فهي أنفُسنا .

إنّ النجاح الذي تجلّى لي في امتحان الطَّلَبَة المحبوبين في الدروس العربيّة ، قد جاء معزّزًا لِما عرفتُهُ بالاختبار الطويل من عناية الاخوة المريميّين المحترمين باللغة العربيّة. قلتُ بالاختبار الطويل ، لأنّي قمتُ بتدريس هذه اللغة مدّةَ ست سنوات متتالية في المدرسة التي كانت لهم في مسقط رأسي دير القمر ، فكانوا يوفّرون للتلامذة كلّ ذرائع النجاح في لغتهم الوطنيّة ، ويبالغون فيهم تشويقاً وترغيباً بالمكافآت الحسنة ، وباقبال بعضهم ممّن ينفسح لهُ الوقتُ على تعلّمها اسوةً بتلاميذهم ، فأنجبتْ تلك المدرسةُ الساهرةُ عددًا من الادباء كتّاباً وشعراء يؤدون اليوم وطنهم جليل الخدمات في مناصب ومهامّ مختلفة.

وما كانت مدرسة دير القمر إلّا أصغر مدارسهم في البلاد . فماذا نقول في مدارسهم الكبيرة كمدرسة جونية التي ما مضى على نشأتها بضع سنوات حتى صارت الى مستوى المدارس الجامعات في المدُن.

لا أنكرُ ان نجاح التلميذ مترتّبٌ على ذكائهِ واجتهادهِ ، لكنْ من اسبابهِ ايضاً حسن الادارة وبراعة التعليم ، وهذانِ الشرطانِ اعتقد حصولهما في هذه المدرسة في مرتبة الكمال . فإنّ لحضرة الاخ رئيسها الفاضل شهرةً بعيدةً في صلاح التدبير والحنكة الاداريّة والسهر الدائم على سير الامور مع المحافظة على القوانين وضبط النظام. وانتم راؤون ما يقارن تصرّفهُ من الحكمة والفطنة وسداد الرأي والتهالك على ما يرقّي المدرسة ويقرّبُ فيها موارد المنافع للدارسين ويسهّلُ الاساتذة سُبُلَ التدريس ويضمنُ الراحةَ والسلامَ والمصلحةَ للجميع .

ولمّا كانت الرعيّة براعيها وأهل المدينة كواليها ، صحَّ لنا القطعُ بأنّ في هذا المعهد المبارك ، اساتذة بارعين ناهضين أكمل نهضةٍ بواجب التعليم والتهذيب ، وتلاميذ نُبهاءَ عُقلاءَ ظُرفاءَ الاخلاق قائمين بما عليهم من واجب الإصغاء والتحصيل أحسنَ قيام. فلا غروَ ان نرى اليوم ما رأيناهُ من نجاح الاكثرين نجاحاً تطيب بهِ النفس وتقرُّ بهِ العين.

فحقٌّ عليَّ وعلى كلّ لبنانيّ أن نشيد بفضل الاخوة المريميّين الذين هجروا أوطانهم وتخلّوا عن أعزّ ما لديهم وجازوا بلادنا بعقولهم الذكيّة وأبدانهم القويّة ومعارفهم الواسعة وأخلاقهم الكريمة وأنفسهم الكبيرة ، ليبذلوا منها لشبابنا الوطنيّ عن نفسٍ سخيّة . لا يبغون ثواباً سوى رضا الله ونشر الثقافة

والفضيلة ، وتربية النشء على مخافة الربّ ، وتسديد خطاه في سبيل البرّ والاستقامة ، وتجميله بالمعارف المعاونة على تحصيل المنافع وتوثيق عرى الاتحاد بين أعضاء المجتمع لادراك السعادة المستطاعة في الدنيا والمشتهاة في الآخرة .

أجل ! إنَّ الاخوة المريميّين يتقاضون إجرة التعليم من بعض طبقات التلاميذ غير أنّهم لا يتقاضون إلّا ما يحقّ لهم من معاش. لأنّهم عَمَلَةٌ . وأيُّ عاملٍ لا يستحق إجرتَهُ،أم أيُّ خادمٍ لا يستأهل قُوتَهُ وكسوتَهُ . فهؤلاء الشبّان الذين تخلّوا عن جميع ملاذّ الدنيا والجسد وقيّدوا أنفسهم بتثقيف الشبيبة بنذرٍ لله الى منتهى العمر ، لا تجدون عند الواحد منهم خزانةً ولا كيساً ولا مجموعةً ألبسةٍ ولا شيئاً ممّا يزيد عن الضروري . وانّما يأكل خبزَهُ بعرق وجهه وكدّ عقلهِ وقلبه ، فان فضل عنهُ شيءٌ فليس لهُ ولا يبقى دقيقةً في حوزته ، بل يصير اسماً الى الجمعيّة وفعلاً الى الخير العام . يُصرفُ بعضهُ الى عجّازها والبعض الى الفقراء ، وفي انشاء المدارس وترميمها . على أنَّ المدارس المُنشأة في البلاد انّما هي لأهل البلاد . أمّا الاخوةُ المريميّون فعوّلهم في الحياة على مبدإ القديس بولس الرسول : حَسْبُنا القوت والكسوة.

فعلينا ان نوفيهم حقّهم من المحبّة والاكرام ، ونبذل لهم المعاونة والتعضيد ليتمكّنوا من القيام برسالتهم الشريفة ، بخدمتنا الأدبيّة . فأنا أحيّي فيهم العلم والغيرة والفضيلة المسيحيّة ، وأثني أطيبَ ثناء على السادة الاساتذة الوطنيّين القائمين معهم بمهمّة التعليم الشاقّة ، بهمّةٍ لا تقعدُ ولا تعرفُ المَلَل .

شهادات الكنيسة السريانية المارونية القديمة

بحقيقة وجود المطهر

نشرها الاب بطرس ساره اللبناني

مقدمة – بمناسبة شهر تشرين الثاني المخصص للانفس المطهرية ننشر شهادات الكنيسة السريانية المارونية الصادعة باعتقاد الموارنة العريق في القدم بحقيقة وجود المطهر، قد جمع تلك الشهادات من صلوات الفرض كالشحيم والمنشت(١ والجنازات وعربها عن السريانية المرحوم الاب يوسف حبيقه الراهب اللبناني وعني بتنسيقها ونشرها احد اخوته في الرهبانية اللبنانية .

اولاً : شهادات الشحيم(٢

أ : شهادات مساء الاحد . ١ : «لا تنسَ اللهمَّ الموتى الراقدين في الجحيم (المطهر) على رجائك . ولا يكونوا مأكلاً للنار» . ٢ : اللهمَّ لا تترك في الفناء الانام الذين ينتظرك بالمعاد ولا تأكلهم النار لأنهم اكلوا جسدك فارحمهم، ولا تجعل الافواه التي رتلت لك المجد، تصرخ مولولةً في داخل العذاب.

ب : شهادات صلاة الستار . ٣ : فلينضح الموتى في دركات الجحيم ذلك الندى ندى المراحم الذي أرسل من الآب ونضح الفتيان في اتون بابل.

ج : من صلاة الليل . ٤ : فليكن دمك الذي استحق عبيدك ان يحتسوه هنا ، ينبوعاً ينفجر لهم مياهاً حية . ٥ : كن اللهمَّ لعبيدك الذين رقدوا ، رفيقاً في المحلّ المخيف وأجزهم المجاز المملوء رحمةً . ٦ : فلتمطر عبيدك ديمةُ المراحم فيحيوا بك من احتراق جهنم . (يريد ولا شك المطهر كما تصرّح القرينة) . طرِّ اللهم ورطب السنابل التي اذبلها حرُّ الموت . ٧ : ليس جميع الموتى ينتفعون من القرابين ، اذ يوجد موتى بعيدين عن ابن الله . ٨ : لتخمد النار عن عبيدك حينا يعبق بها ريح جسدك ودمك . ٩ : امحُ اللهمَّ خطاياهم من سفر مخافتك وبلغهم فردوسك المملوء خيرات .

١) وله درس تاريخي فيه سننشره بجزء آخر ان وفق الله .

٢) معناه البسيط دعي بذلك لخلوه من التراكيب المعقدة او تمييزاً له عن صلوات الاعياد .

١٠ : اغفر اللهم لكل من سألنا الدعا الهفوات التي هفاها . ١١ : يا ابن الله الحي الذي اضجع بين الموتى ثلاثة ايام باختياره اشفق على الراقدين الذين اخذوا جسدك ودمك . ١٢ : فلنذكرنَّ بصلواتنا الموتى ابناء البيعة . ١٣ : امنح يا ربنا يسوع المسيح برحمتك رجاء مباركاً للموتى المحبوسين في الجحيم . ١٤ : أرح اللهمَّ الموتى الذين اكلوا جسدك وهم يسألون عظمتك المراحم بواسطتنا .

و : من صلاة ستار الاثنين وليل الاثنين . ١٥ : ويفتقد بخورنا الموتى المؤمنين في محالهم . ١٦ : اني مررت بين الاموات ، فرأيت الاجسام قد بليت ، فصرخت اللهمَّ أشفق على عبيدك الذي بلَوا في مثواهم ، وانضحهم بندى المراحم وابعثهم من دركات الجحيم . ١٧ : يا ابن الله تعزية الحزانى عزِّ الموتى المحزونين وابهجهم فانهم بدمك مفتدَّين .

ه : من ليل الثلثاء والاربعاء . ١٨ : اللهمَّ رشَّ الندى المملوء مراحم على عظام الموتى المؤمنين . ١٩ : اقبل اللهمَّ القرابين والبواكير والعشور والصدقات .. التي تقدم عن الموتى وامحق بها ونظّف كلَّ كدورة ودنس ووسخ صدر منهم غفلة . ٢٠ : من الواضح لكل اديب ان الموتى ينتفعون اذ تقدم البيعة الاسرار عنهم ، وانهم يفرحون بالقربان الذي يقدمه الاحياء عنهم ويشعرون وهم في الجحيم ، بالذبيحة التي تقدم لاجلهم .

ه : من ليل الخميس . ٢١ : وانتشلهم بمراحمك السرمدية بدون خوف ، من المحل المرعب ومن الاماكنة المظلمة . وأصعدهم من المثوى المظلم الى عدن اللذات وادعُهم من ظلال الموت الى حيث تقديسك . ٢٢ : نسألك اللهمَّ ان تقبل منا هذا العطر الذي قدمناه عن الموتى الذين ظعنوا اليك .

ا : من صلاة الصبح يوم الخميس . ٢٣ : ايها الحنان الذي رشَّ الندى على فتيان بيت حنانيا ، رشَّ ندى الغفران على عظام الموتى .

مـ : صلاة مساء الجمعة . ٢٤ : فليرشَّ ذلك الذي وهب البصر الاعمى ، ندى المراحم على عظام الموتى المؤمنين .

ل : صلاة الصبح ليوم الجمعة . ٢٥ : لنذكرنَّ بصلواتنا الموتى المؤمنين ولا ننسهم بحجة انهم ذهبوا عنا . ٢٦ : فليسقط ندى المراحم بالمراحم على الموتى ونترطّب به الاجسام التي بليت بالفنا .

ﻫ : صلاة ليل السبت . ٢٧ : الشكر للروح القدس الذي يغفر للموتى نقائصهم ويورثهم الحياة الجديدة مع القديسين . ٢٨ : فللشرق الشمس التي اشرقت لموسى ، على نفوس الموتى فيجوزون المكان المخيف الى المكان البعيد عن الاوجاع . ٢٩ : ايها الحنان الذي رشَّ الندى على فتيان بيت حنانيا ، رش ، يا رب،ندى الغفران على رفات الموتى . ٣٠ : وليرافق الموتى المؤمنين الذين اكلوا جسدك وشربوا دمك بواسطة عطر البخور .

ثانيًا : شهادات التشمشت (١

أ : شهادات فرض احد الموتى — من التشمشت .

١ : من صلاة المساء . ٣١ : لا تدع في الفناء وظلال الموت نفوس الموتى المؤمنين واجسادهم . فانهم اعترفوا بك في حياتهم . ٣٢ : فليتسامح بجسدك ودمك الموتى الذين رقدوا على رجائك . ٣٣ : اما ها هنا فارفع تذكارهم على مذبحك الناطق بما يتقدم عنهم من الحسنات والخدم والقداديس والعشور والصلوات والغفرانات والقرابين .

٢ : من صلاة الصبح . ٣٤ : اخمد النار عن عبيدك . وشجع الموتى المسجونين في اعماق الجحيم ينتظرون ظهورك . ٣٥ : ان كهنتك يقدمون لك في المقدس بخورًا عطرًا طيبًا زكيًا،فاقبله اللهم، كبخور هارون .. فيتسامح به الموتى الذين آمنوا بك ورقدوا على رجائك . ٣٦ : ان البيعة تصنع تذكارًا لجميع الموتى الذين رتلوا المجد بين صفوفها .. واخذوا عن المذبح الجسد والدم وتناولوهما بايمان حتى ليكون غفرانًا لذنوبهم .

ب : فرض بيان يوسف :

من صلاة الستار والصبح . ٣٧ : كن غافرًا للموتى المؤمنين .

ج : صلاة احد الابرار والصديقين . ٣٨ : اشفق اللهم واغفر وامح وأجز خطايا عبيدك الذين تقدموا فرقدوا على رجائك . ولا تحسب لهم جهالاتهم .

د : من مساء شرف العذراء ، للقس عبد المسيح لبيان الحلبي (١٧٤٢) .

---

١) لفظة سريانية تعني كتاب الصلوات البيعية لاعياد بعض القديسين والاعياد السيدية ولبعض الآحاد مما لم يطبع بعد كما هو معروف عندنا في لبنان . سنجيء على درسه مفصلًا في مقال آخر .

المشرق (٥ (١٩٠٢) ٧٨٦ — ٧٩٢) . ٣٩ : ها هوذا مجندل في عمق المطهر الموتى الذين اعتمدوا باسمك وخدموا مريم امك . واتقلوا على رجائك . اصعدهم اللهمّ الى مقرّ عينك . ٤٠ : اصعد الى جنتك موتى كنيسة رومية المجندلين في نيران المطهر القاسية . ولذذ ارواحهم مع سيدتنا مريم وشفيعنا يوسف .

ﻫ : فرض احد الكهنة .

من صلاة الصبح : ٤١ : رشّ اللهمّ بحنانك ندى المراحم والحنان على آبائنا الذين رقدوا على رجائك . واشفق اللهمّ على مثالنا المتوسد الجحيم الذي لاجلك نبذ العالم ولذاته .

ه : مساء فرض الحبل بلا دنس : لعبد المسيح لبيان ايضاً .

٤٢ : ايها الموتى المودعة رفاتهم في التراب والمحبوسة نفوسهم في الجحيم ، هوذا مريم والبيعة تبتهلان الى الربّ لينجيكم من المطهر .

٤٣ : اهلي ، ايتها البتول، الموتى المؤمنين الى النجاة من المطهر ، فيتمتعوا مع يوسف خطيبك والقديسين شفعائنا بالسعادة في تلك المدينة التي لا تحتاج الى الشمس والقمر لكون المسيح ابنك مصباحها يشع لاهوته فيها .

١ : فرض عيد الوردية الكبيرة . له ايضاً .

١ : من صلاة المساء . ٤٤ : ان الموتى الذين اكلوا جسدك وشربوا دمك ،هم مطروحون في المطهر يتوقعون صوتك ، فنجِّ نفوسهم بصلوات والدتك واصعدهم الى السماء .

٤٥ : لا تحزنوا ايها الاموات المحبوسون في جب نار المطهر ، فهوذا الام بحر المراحم ، تتضرع الى ابنها لينجيكم من الهاوية .

٢ : من صلاة الستار . ٤٦ : هوذا مثالك مرمي في الهوتة السفلى ، مدرىً غيارًا ، فاقبل تضرع امك لاجلهم . ٤٧ : اصعد من نار المطهر امواتنا المؤمنين ، يا مولى المراحم ، وذخيرة الحياة ، والمخلص الذي منح بني البشر الخلاص ، اشفق بتحننك على موتى المطهر وامنحهم الغفران .

٣ : من صلاة الصبح . ٤٨ : يا ابن مريم ... اغفر للموتى الذين اعترفوا بك . يا مخلصنا ... نجّ الموتى الذين رقدوا على رجائك من الهوتة الرهيبة فيفرحون مع امك ويوسف في جنان النعيم . اصعد الموتى الذين اعترفوا بلاهوتك

وكرموا امك ، من تلك الهوتة المرعبة ناراً الى ملكوت الاخلاء . ايها النير المائت ، انتشل بفيض مراحمك ابناء البيعة من نار المطهر بتضرع يوياكيم وحنه ويوسف ومريم الطاهرة . ٤٩ : ايها الابن الذي بعث بقيامته الذين في القبور ، انضح الندى على الموتى الموجودين في عـذابات المطهر . ٥٠ : يا ملجأ اولاد آدم تضرعي الى ابنك لينضح على الموتى نـدى الغفران وينشل ارواحهم من نار المطهر محل العذاب .

مب : فرض احد الثالوث الاقدس . له ايضاً .

١ : من صلاة المساء . ٥١ : فليذكر بمكان الافراح في اجواق الابرار ، الموتى الذين في الهاوية المملوءة احزاناً .

٢ : الستار . ٥٢ : ايها الثالوث الاقدس ارحم اشفق على الموتى الذين اعترفوا بك واصعدهم الى محل الافراح .

٣ : من صلاة الصبح . ٥٣ : المجد ايها الثالوث الاقدس ، اولئك الذين اشتركوا في الدم ، وكمّ الموت افواههم ، وامسوا اسرى في هوتة الآلام العميقة . ٥٤ : فليصعد من نار المطهر ويرث الحياة الابدية الموتى الذين رقدوا على الرجاء ، وتجندلوا في الجحيم محل العذاب .

ثالثاً : شهادات الجنازات .

ا : جناز الاحبار . ٥٥ : اصنع اللهمّ خـلاصاً عجيباً من اجيج المطهر للذين اكلوا جسدك الكريم . لا تدع اللهمّ حبرنا متعذباً في المطهر .

ب : جناز البتولات . ٥٦ : قدم القربان عن موتك ، وارسم تذكارهم في محل الغفران . (اي المذبح) . قدم الصلاة النقية في القدس لاجل موتاك .

ج : جناز الرهبان المفرد . ٥٧ : وليشرق نورك على اعضائك في ذلك المكان المرعب ظلاماً ، وليُبط بهاؤك برقع الظلام الذي يحيط به في محـل الاضمحلال . ٥٨ : عينك يا رب ، تنتشل عبيدك من الهوتة المرعبة امواتاً . ليشرق نورك على وجه عبدك ويطرد ظلام الجحيم عنه . وجسد ابن الله ودمه يمنعان النار عن اعضائه .

د : شهادات جناز الرهبان عموماً . ٥٩ : انتشلهم من الوهدة التي تبتلع الاموات واصعدهم بلا خوف الى المكان المبارك الذي جاهـدوا لاجله على

رجائك . ٦٠ : ان ذاك الذي صار حبرًا وذبيحة الغفران ، هو يتحم الغفران وينقذهم من النار الزمنية .

ﻫ : من جناز الرجال . ٦١ : انقذ من يد الجحيم نفس عبدك الساجد لك .

رابعًا : شهادات نوافير القداس الالهي .

(قِدَم تاريخها يرتبط بقِدَم تاريخ الموازنة)

أ : شهادات النافور اليومي . ٦٢ : ويصنع راحة صالحة للموتى المؤمنين الذين فقدوا من هذه البلدة . ٦٣ : بهذا القربان الذي يقدمه الاحياء عن الاموات ، يغفر اثم النفس وتترك نقائصها . ٦٤ : يا حمل الله ، ويا ايها الراعي الذي مات عن خرافه ، اصنع للموتى المؤمنين راحة . ٦٥ : فلتخمد النار عني حينما يعبق بها اريج جسدك ودمك .

ب : شهادات قداس رسم الكاس . ٦٦ : واقبل اللهمَّ هذا القربان ... الذي نقدمه لاجل النفوس والارواح التي نصنع تذكارها امامك — وتجعل به (اي القربان) راحةً للاموات — واذكر من صنع هذا القربان لاجله واغفر ذنوبه واترك خطاياه .

خامسًا : شهادات خدمة القداس الالهي . (تاريخ وضعها يتعلق بتاريخ وضع النوافير) .

أ : خدمة كل يوم . ٦٧ : هوذا القربان قد تقرب والانفس تذكر ، فليكن بواسطته راحةٌ للموتى الذين يقدم عنهم . ٦٨ : انه لفرحٌ للعلويين ورجاء صالح للسفليين في القربان الذي يصنعه الاحياء لاجل موتاهم .

ب : خدمة الموتى . ٦٩ : لاش، اللهمَّ ، بتحننك اجيج النار والضَرَم عن الاموات الذين آمنوا بك . ٧٠ : يا من تحبُّ الميت الذي انتقل من هذه الحياة ، اظهر محبتك له . لا تحزن جدًّا فذلك لا يفيده انما اصنع القربان في بيت القدس بالخبز والخمر ، بايدي الكهنة لاجل نفس المتوفى ، ليعطى الراحة ، والرب الذي ينظر محبتك يغفر للميت . ٧١ : ايها البار الذي قتل الموت واحيا آدم وبنيه ، خلص من العذاب الموتى الراقدين على رجاك ...

تنبيه : يوجد غير هذه الشهادات كثير من امثالها في كتب الموازنة اليومية لم نطالبها يدنا الآن .

انشقاق فوتيوس ـ تاريخ واسطورة

بقلم الاب يوحنا كابلّوس اليسوعي

قال دفورنيك « Dvornik »[1] في مطلع فصله الاول :«من المؤكد ان التاريخ قلّما عرف اسماً كان محور المتناقضات كما تضاربت حول اسم فوتيوس الآراء . فاذا كان في نظر الشرق المسيحي بطلاً وقديساً فهو في اعين الغرب مقوت لانه اثار قوى التفرقة والانشقاق الهدّامة . ولئن اتخذه الشرق شفيعاً عند الله فانّ الغرب يجعل منه رمز الكبرياء وسورة الحية الاكليريكيتين. وان احترمه الذين يطالبون باستقلال قومي وسيع في حياة الكنيسة ، فان غيرهم ليصدف عنه يودّهم لانه يرمز الى الانقسام والى تهديم الجامعة المسيحية ... فلذلك بات ردحاً طويلاً من الزمن سمة التناقض» .

ولم يكن تأثير فوتيوس دينياً فقط : وقد رأى فيه بعض الفلاسفة واللغويين منذ عهد النهضة عبقرياً حمل مع غيره الى الاجيال الطالعة نَشَب[2] الثقافة الاغريقية المدرسي .

ومن كان هذا شأنه في تضارب الآراء بحقه فجدير بان نعيد النظر في سجل حياته لنقف عنده ولو بعض التوقف،ونقارن بين الشهود فنتبين اذا كانوا قد اضلّوا سبيلاً في اقوالهم حتى اذا دعت الحاجة ارجعناه الى مقامه في اعين الاجيال الطالعة .

وانها للمهمة التي اتخذ الاب فرنسيس دفورنيك ، الاستاذ في جامعة براغ الكاثوليكية ، على عاتقه امر معالجتها بجلد باعث على الدهشة وبعلم يستجلي الغوامض والبواطن . فيا لها من مهمة في خير مناسبة .

وها هي ذي ريح تهبّ عن بعد وطفقت تبدّد الغيوم الملبدة وتنقي الجوّ الذي ظلّ وقتاً طويلاً قاتماً مسموماً .

---

1) François Dvornik : *Le Schisme de Photius, Histoire et légende.* éditions du Cerf in-8° 662 pp. Paris 1950

2) النَشَب : في القاموس المال الاصيل من الناطق والصامت وقد استخدمنا هذه اللفظة لترجمة كلمة « patrimoine » الفرنسية .

وانما نود الكلام على هبوب هذه « الريح المسكونية » التي علقت منذ عشرات السنين تعبر سماء الكنيسة وتنظف العقول التي امحتها منذ اجيال بعيدة سموم احكام خاطئة وسوء فهم وحذر متبادل واحقاد مذهبية.

وتبدو قضية الوحدة المقدسة مثار احدث اهتمام في عصرنا وهي من دون شك التي ستميز الشكل الديني للنصف الاول من القرن العشرين.

وللنفس المؤمنة في مثل هذا المقام اكثر من حافز انساني بحت ، ففيه يد الله ونعمة الروح القدس التي تلج شيئاً فشيئاً المجهودات البشرية لتوجهها وتسيرها الى الوحدة من دون ان تكبحها بالعنف .

وما الامر هنا الا تمهيد واعداد بعيد ينتظر الامل السري الذي سيهبه اياه الله ليأتي ثماره . والعمل على جمع شمل الاخوان المشتتين هو المهمة التي لا تستطيع كل نفس تحب المسيح وكنيسته وتجعل انجاح سر النداء – عمل الله الاعظم – فوق كل شيء ، ان لا تضطلع به .

ولهذا « الاعداد البعيد » طرق شتى للعمل : بالصلاة ، والمثل والقول والقلم . . . وليس لهذه المجهودات الا غاية واحدة وينبغي ان لا يكون لها غير غاية واحدة ، اي ان لا نُديل[1] من احد ولا من مذهب بل ان نكشف الحقيقة ونؤمن انتصارها في سبيل هذه الحقيقة نفسها التي كانت اذ كلنا نتوق اليها لانها بنت الله !

وثمت حقيقة ذات قيمة لدى جميع البشر يستطيع قبولها كل تلميذ ليسوع المسيح . فنحن نود ان نتحد ونتعانق بعضنا بعضاً في هذه الحقيقة معانقة اخوية .

ولنقتصر هنا على قول كلمة في هذا الاعداد ضمن نطاق من يحيط علماً بالشيء عن طريق القلم لان كتاب الاب دفورنيك هو الذي لفت انتباهنا – فاذا كان في مقدورنا جميعاً العمل في سبيل الوحدة بالصلاة او المثل . . . فان المساهمة فيه بواسطة القلم لاشد دقة بسبب مستلزماتها العلمية من تاريخية ولاهوتية التي هي من دأب أولي الاختصاص الذين وقفوا النفس بصبر لا ينفد

١) اداله منه : اي غلبه .

على هذه المهمة لاستقرائها استقراء رائده الوجدان . وليس هؤلاء الاختصاصيون قليلي العدد، اذ منهم في كلّ بقاع العالمين، ولاسيما في اوروبا . فهناك مؤلّفات من الطراز المعلم بقيمتها «من كتب ومقالات في المجلات ومن معاجم ومجاميع ومحاضرات . . . » تعمل مساهمة لاستمرار «شعلة الوحدة» وتشيع النور على الشؤون الحيوية التي تتصل بعمل الوحدة .

ومجموعة نشرات «واحدة مقدسة» « Unam Sanctam » قد اتخذت على عاتقها مهمة اضرام هذه الحماسة واغداق هذا النور . وما هي ذي نشرتها العشرون والمجلّد العشرون . اما الجزء التاسع عشر فبقلم المؤرخ والعالم الشهير الاب فرنسيس دفورنيك وعنوانه : «انشقاق فوتيوس ، تاريخ واسطورة» .

والمؤلف المذكور ممّن تفوّق بين مؤرخي ذلك العهد الصاخب بين عهود تاريخ القرن التاسع البيزنطي ، وله فيه القِدح المعلى ولا يضارعه كفاءة احد لانه وقف جميع ايامه على التنقيب فيه . ولقد اطلع الجمهور على نتائج بحوثه في مؤلفاته العديدة ومقالاته التي نشرها في المجلات .

وصدور هذا الجزء كان قد اعلن عنه الجمهور لسنة ١٩٣٧ او ١٩٣٩ ، لكنّ الحرب حالت دون امنيّته فصدر عام ١٩٥٠ .

وفي توطئة موجزة اوضح لنا المؤلف كيف رأى كتابه النور ... لقد كان يدرس حياة الرسولين السلافيين القديسين كيرللوس «Cyrille» ومتودوس «Méthode» واعمالها فقال :«لقد القت في ذهني هذه الدراسة انه لا مندوحة عن تدوين تاريخ البطريرك المشؤوم فوتيوس من جديد . فهناك مجال لاعادة النظر في الحجج التي حكم عليه بالاستناد اليها . . . وكانت نتيجة بحوثي الاولى ان اكتشفت تفاهة قيمة المصادر التي استند اليها تاريخ الانشقاق الثاني.

وقد وجدتُ ان كلّ ما كتب عن القطيعة الثانية بين فوتيوس وروما انه ليس غير صحيح فقط بل مخاتلة محضاً . . .(ص ٢٣—٢٤) . وشرع المؤلف بعمله صادراً عن فرض هو في مصلحة فوتيوس ، وهو ان سجلّ حياته البيزنطي لا يستحقّ الثقة التي اولاه اياها المؤرخون لانه قد كتبه الخصوم ورتّبوه فلذلك كان تاريخاً زائغاً برمّته في مصادره نفسها . وفضلاً عن هذا فان بيزنطية كانت

في العهد الذي درسه دفورنيك كأنها منشطرة حتيتين[1] مختلفتين كل الاختلاف في عقليتها الا هما فئة الاحرار الذين يدعمون فوتيوس وفئة غير المتسامحين او المتعصبين الذين يناصرون قضية اغناطيوس . ولكن لم يصل الينا الا سجل القضايا المعادية لفوتيوس .

فما قيمة هذا السجل ؟ لقد انخدع به مؤرخون حسنو النية كبارونيوس « Baronius »وهرغنرويتر « Hergenröther » وغيرهما ، وذلك بالثقة التي منحوها لاولئك الانصار المتحمسين المتحزبين ثقة بعيدة عن النقد ولا يستحقونها ، على حين ان القضية كانت تستلزم استئناف البحث فيها بالاستناد من جديد الى غيرهم.

ولقد انصرف دفورنيك بدأب لا يعرف الملل — ولا نقوى الا على ان نعترف له بالجميل عليه — الى درس هذه القضية .

فتساءل من نفسه : هل هناك انشقاق ثانٍ لفوتيوس ؟ ام هـذا الانشقاق الثاني الذي عُزي الى ذكر اسمه كان خطأ تاريخيًا علينا ان نتزعه من التاريخ الصحيح ؟

انه من الثابت تاريخيًا ان فوتيوس قد ارتكب جريمة الانشقاق الاول عندما اقدم ، في ساعة حنق ، على حرم البابا القديس نقولا الاول بجسارة لم يعرف لها التاريخ مثيلا ، وذلك في احد المجامع المنعقد في بيزنطية سنة ٨٦٧ (ص ١٩٣) ؛ فكان ان حرمه بدوره القديس هادريان الثاني « Hadrien II » خليفة نقولا الاول المباشر على عمله هذا . امّا نقولا الاول فقد ادركته الوفاة قبل ان يعلم ما ارتكبه فوتيوس .

ولقد ارتقى فوتيوس السدة البطريركية مرتين .

والامر الذي علينا ان نعرفه هو انه اذا كان قد حُرم للمرة الثانية ؟ واذا كان يوحنا الثامن هو الذي حرمه سنة ٨٨٦ كما يتذاكر لنا المؤرخون حتى الآن.

لقد افضت البحوث التي قام بها دفورنيك الى ان يجيب بالنفي على هذا السؤال والى ان يرغب في اصلاح التاريخ الرسمي حول هذه النقطة .

---

١) وفي الحديث قاموا حتيتين اي جماعتين ، وقامه ان بني اسرائيل لما أمروا ان يقتل بعضهم بعضاً قاموا حتيتين وقد اخترنا هذه العبارة لترجمة عبارة« deux groupes rivaux» الفرنسية .

اجل ان نتيجته هذه لذات اهمية وبودنا ان نتيقنها . اما دفورنيك فيقول لنا اننا على يقين بشأنها ، وهو يتفق في هذا الصدد مع اختصاصي آخر مشهور بالتاريخ البيزنطي الا هو الاب غرومل « Grumel » (من الآباء المريميين الانتقاليين ، المحرر في مجلة « صدى الشرق » التي تحولت بعد الحرب الاخيرة الى « بحوث الدراسات البيزنطية » .

والاب غرومل قد وصل الى النتيجة نفسها التي وصل اليها دفورنيك عن طريق قيامه ببحوث من الطراز ذاته ، ولكنها بحوث مستقلة عن زميله « لان احدهما كان يجهل عمل الثاني » ، وذلك عن طريق نقد المظانّ البيزنطية عينها المشبوهة كل الشبه نقدًا دقيقاً .

ولقد بسط الاب دفورنيك امامنا نتيجة هذه البحوث في كتابه . امـا نحن فيشوقنا ان نطلع الجمهور الجمّ على هذه النتائج وبذلك نغبط النفس على خدمتها الحقيقة ونقضها خطأً قد استمرّ طويلا .

١ — طلائع المأساة : راودت دفورنيك في فصله الاول الضافي فكرة موفّقة وهي ان ينتقل بنا الى جوّ بيزنطية الفلسفي الديني في الشطر الثاني من القرن التاسع، ليجعلنا ندرك ادراكاً اتمّ منطق الحوادث الباطني الذي سيذكرنا به .

اجل لقد كانت العقول في بيزنطية منقسمة انقساماً بيناً الى فئتين : فئة المحافظين او المتعصّبين وفئة الاحرار او المعتدلين . وكانت جذور تلك الاختلافات قديمة تعود الى ما قبل تاريخ حروب تكريم الايقونات، اي الى نشأة الامبراطورية نفسها (ص ٣٥) .

ويقول هذا العالم ان خاصة العقلية البيزنطية المتفردة بها تتضح من دور تلك الاحزاب :

« لقد كانت المسيحية الشرقية تستند الى اساس قومي مما خوّل كل مؤمن ان يساهم مساهمة فعلية في الخدمة الالهية وحياة الكنيسة واتاح السبيل الخاصة للادلاء بآرائهم في اغمض النقاط اللاهوتية . فقامت منظمات شعبية كالمنظمة الزرقاء والخضراء لتكون كاندية لحشد المناضلين في سبيل التعاليم الصحيحة او الخاطئة وباتت كمرجع لتدعم نشاط زعماء كل فئة من تلك الفئات » (ص ٣٦) .

ومَجلَت [١] فكرة الحزبية القديمة حتى بعد تصفية خصومات تكريم الايقونات (٨٤٣) بشكل جديد في الصراع الذي نَشَب بين انصار « Iconomia »(الذين يعملون بموجب اتفاق هاوٍ في امور لا تتعلق بالايمان) وبين المتعصبين الاشد تعلقاً في التمسك باحترام العادات الاكليريكية وتطبيق القوانين المقدسة (ص ٣٧) .

وكان المتعصبون من الرهبان ولاسيا الاستوديون « Studites » ومن الطبقات ذات الثراء الاشد تمسكاً بالتقاليد الدينية القديمة . اما المعتدلون النازعون الى سياسة « Iconomia » فكانوا يجدون مشايعيهم بين الطبقات العاملة المعرضة لمصاعب حياتها اليومية ، ولذلك كانت تميل الى الاتفاق .

واننا لنرى كيف كان الشعب البيزنطي في تلك الاوضاع والاقاط [٢] ممعناً في تقهقره في عهد منازعات الفرقتين الزرقاء والخضراء السياسية الدينية القديمة (ص٣٩) ، كما نرى كيف كان الاحرار والمتعصبون ينصّبون الاباطرة والبطاركة ويعزلونها كما توحي اليهم اهواؤهم الحزبية .

واعادة تيودورا « Théodora » تكريم الايقونات (٨٤٣) افتتحت مرحلة في اتساع الحزبين (ص ٤٢) . وعقب وفاة البطريرك يوحنا غراماتيكوس « Jean Grammaticos » (٨٤٣) نصّبت هذه الامبراطورة خلفاً له متودوس « Méthode » ، وهو من الاحرار المعارضين للاستوديين فعيّن هذا الاخير في المراكز الشاغرة مرشحين احراراً — فاستشرى [٣] غضب الاستوديين ونصبوا انفسهم مدافعين عن القوانين المقدسة ورفعوا الصوت حاملين على الحزبية والاجحاف . ونجم عن ذلك انشقاق داخلي ، وانتهى الامر بمتوديوس ، الذي استاء منهم ، ان حرم الاستوديين وانصارهم .

ولقد كان لانشقاق الاستوديين هذا وطأته على تطور الحوادث التالي . فلذلك لا نرى مفرّاً من ان نقول فيه كلمة تعطينا فكرة وضعية عن ذلك الجو

١) مَجِلَ او مَجَلَ : تقول مجلت اليد اي ظهر في جلدها كالنفاخات يملؤها ماء من عمل او حرق وقد استخدمنا هذه اللفظة لترجمة كلمة « surgir » الفرنسية .

٢) قَمْط : في القاموس معناها جماعة امرهم واحد وقد استعملناها لترجمة لفظة « cadre » الفرنسية التي وضعوا لها لفظة مِلاك .

٣) يقال استشرى غضب فلان اي احترق من الغيظ .

الصاخب صخباً خاصاً ، وسوف تجري فيه احداث لن نهمل الاشارة اليها .

ويجدر بنا الملاحظة ان كل ما يسرده لنا دفورنيك عن ذلك العهد الشديد الاضطراب ليس جديداً . اما الحقيقة فهي غيرها في نقاط عدة .

ويرتبط القرن التاسع ، ازهى عهود بيزنطية اشعاعاً ، باسم فوتيوس — ~~لانه بعد التبديل الذي بدأته الاسرة الايزورية في القرن الثامن~~ وبعد انتصارها على مبغضي الايقونات (٨٤٣) كانت بيزنطية في اوج ازدهارها . وقد انتهى الامر بالعنصرين الشرقي واليوناني اللذين تحاربا اكثر من قرن الى التآذج، فعرفت بيزنطية بفضله نهضة امتدت من المضمار العقلي الى المضمار السياسي، وبلغ الشعور القومي مبلغاً من الثقة ليعلن تفوقه على العالمين اللاتيني والاسلامي .

ولا شكّ في ان شخصيّة فوتيوس الذي رسم لنا دفورنيك الصورة التالية عنه كانت قطب تلك النهضة :

«لقد كانت سعة معارفه تثير اعجاب ابناء عصره وتفرض احترامه على الدّ خصومه . فكان ينتمي الى اسرة نبيلة يونانية الجنس وكان يمتّ بصلة النسب الى احدى الاسر المقدونية . اما ابوه الذي عانى مرّ الاضطهاد لتمسكه بتكريم الايقونات فكان موضع احترام المؤمنين . واذا لم يكن فوتيوس الشديد التقرب من البلاط الامبراطوري يتمتع بمحبة منافسيه ، الامبراطورة تيودورا (واللغوتس) « Logothète » تيوكتيست « Théoctiste » وبرداس عم الامبراطور الفتى ميخائيل الثالث ، فانه كان على الاقل يتمتع باحترامهم . ولقد رفعت شهرته كعالم مدرسة القسطنطينيّة المركزية الى مرتبة جامعة . اما ندوته الادبية التي كانوا يتناقشون فيها بالادب المدرسي ، وهو الموضوع الاكثر رغبة فيه ببيزنطية ، فكانت تجتذب اليه نخبة الطبقة المثقفة » (ص ٣١) .

وعاش فوتيوس في عصر سيطرت فيه المجادلات اللاهوتية التي اشربت النفوس روح التعصّب . اما اضطهادات اصحاب نظرية تحطيم الايقونات فقد تركت في نفس الكنيسة ندبة جراح عميقة اهتم لشفائها منها البطريركان القديسان متوديوس (٨٤٣ — ٨٤٧) واغناطيوس . فكان نجاح اولهما قليلاً حتى سجلّ انشقاق جديد قامت به العناصر المحافظة التي سبق لنا ان ذكرناها وهي العناصر التي تعترف بسلطة رهبان ستوديون « Stoudion » .

ولقد مات متروديوس تاركاً خلفه حالةً شديدة الاضطراب . فوُفق اغناطيوس الذي كان من نبعته[1] اجتذاب الرهبان المشاغبين اكثر من سلفه بيد ان توفيقه كان مجلبة لردة فعل قوية لدى خصومه اذ انفثأت الدسائس السياسية لتزرع التصدّع بين حزب الامبراطورة وحزب اخيها برداس الذي حالف الامبراطور الشاب ميخائيل الثالث ، مما افضى الى قيام النزاع بين البطريرك واتباعه وبين الدولة (٨٥٨) (ص ٣٢) .

واختير فوتيوس خلفاً لاغناطيوس عندما كان على رأس مستشارية الامبراطورية ففتح ذلك في تاريخ بيزنطية «فصلاً كثير التفاوت يمثّل فينةً تعاظمت مصائبها في تاريخ المسيحية . واورّثت[2] اعمال فوتيوس نار معارضة قويّة فاوجدت له اعداء عرفوا ان يسوّدوا صحيفته ويصوّروا خبث نيّته ابشع تصوير ليتوصّلوا الى تحطيم شهرته في نظر الاجيال .

ويبدو فوتيوس كما نعتوه انه رجل لا يزعه وازع وجداني ولا حدّ لطموحه في سبيل ارتقائه السدّة البطريركية . فتراطأ مع حكومة ميخائيل الثالث وبرداس لاسقاط تيودورا وناصرهما ليتخلّص من اغناطيوس الذي لم يكن له الا ذنب وحيد وهو انه أنّب برداس لفحشه .

ولما رفض اغناطيوس التنازل عن سدته استولى عليها فوتيوس واضطهده مع اتباعه اضطهاداً لا هوادة فيه .

ولقد ارسل يطلب من نقولا الاول موافقته الرسمية بعد ان اعمت الكبرياء والطموح بصيرته وبدّل كل هذه الرواية . لكن البابا ابى الاعتراف ببطريرك ارتقى السدة متحدّياً الحق القانوني لانه كان مطلعاً على الامر بواسطة موفدي اغناطيوس السريين ... فما كان من فوتيوس الّا ان حشد مجمعاً من الكنيسة الشرقية وعزل البابا واوجد الانشقاق الاول ...

ووجد فوتيوس عقابه حالاً في عهد باسيليوس الاول « Basile » (الذي قتل ميخائيل الثالث واستولى على عرشه) فقد خُلع واعيد اغناطيوس الى

---

١) النبعة ضرب من الشجر والكرم بطبعه .

٢) اورّث النار اوقدها او اغرى بين القوم وقد اخترنا هذه اللفظة لترجمة فعل « susciter » الفرنسي .

كرسيه ... وعقب وفاة اغناطيوس عاد فوتيوس واكتسب عطف الامبراطور وتسلّم ثانيةً مقاليد الكرسي البطريركي ، ولكي يتأكد من موافقة البابا الذي كان يميل الى الاتفاق عمد الى خدعه بتحريف رسائله ورشوة مندوبيه وتزييف اعمال المجمع . ولما علم يوحنا الثامن بهذه الخدعة حرمه مباشرة. فكان من هنا الانشقاق الثاني الذي استمرّ حتى نهاية القرن التاسع وسوّد وجه القرن العاشر» (ص ٣٢–٣٣) .

هذه هي الرواية التي نستطيع حتى الآن قراءتها لدى المؤرخين . اما مهمة دفورنيك فتقوم على ان يحلّل بلبلة تلك الاحكام الشديدة التنافي ويستنبط منها ما فيها من نصيب صحيح تاريخيًا ويكتشف كيف انتشرت الاسطورة حول هذه الشخصية الكبيرة . فما اكتفى ببحث الذرائع العصرية ، ولكنه تابع ببحث التقليد عبر القرون الوسطى الى ايامنا القائمة الذي يلازم اسم فوتيوس في الغرب والشرق . واشهر المؤلفات التي حملت على فوتيوس هي كتابات الاب تيونوست « Théognoste » ورئيس الاساقفة-تيليان «Stylien» ومتروفان « Métrophane » ونيستاس البافلغوني« Nicétas de Paphlagonie » وربما كان هذا الاخير هو واضع حياة اغناطيوس « Vita Ignatü » ، وثمّ ملحوظات مؤلف مجهول وهي مجموعة ضد فوتيوس — وتمتاز هذه الكتابات برمّتها في كونها سامّة اللهجة قد اوحاها البغضاء . ولا سبيل لتعليلها بانها تطرّف بالاستمساك الديني والاخلاقي فقط ، فهي وليدة نزعتهم السياسية مصطبغة بالاعتبارات الدينية الاخلاقية . وتحمل هذه الكتابات كلها طابع الملاحاة السياسية الدينية ، وهي من وضع فئتين متعاديتين كانتا تتنازعان الاشراف على الكنيسة والدولة اي من صنع طائفة الاحرار او المعتدلين وطائفة المحافظين او المتعنتين .

ولا سبيل للشك مطلقاً (ص ٣٥) في قيام ذلك التيار المزدوج الذي كان يبذل كل فريق منه مجهوداته ليقبض على مقاليد الامبراطورية والكنيسة . ولقد كان ذلك الخلاف قائماً بين اغناطيوس وفوتيوس ، وهو الذي يفسر اسباب القطيعة بين المسيحية الشرقية والغربية في ذلك العهد . ولنستأنف مع دفورنيك النظر في مجرى تلك الحوادث بحسب تطورها التاريخي .

٢ — بطريركية اغناطيوس : بدا الموقف الديني صعباً غداة وفاة

متوديوس (٨٤٧) إذ انحاز قسم من الرهبان الى الانشقاق وكانت الحكومة قلقة وقد حيّرها كثيراً موقف الاستوديين وحلّ الحزن خاصة بساحة تيودورا لانها كانت تعطف على الرهبان المتصلّبين ، الذين عملوا كما نظنّ جميع ما في وسعهم لاكتساب عطفها .

وكان ذلك شديد السهولة عليهم بسبب استئناف حشد الصفوف في بيزنطية شيئاً فشيئاً اذ نُحّي برداس شقيق تيودورا تماماً وحلّ محله تيوكتيست « Théoctiste » . فحسد الاول الثاني ورأى الثاني في برداس منافساً له . وقد تودّد برداس الى الاحرار فارتضى تيوكتيست بطيبة خاطر بمعاضدة المحافظين المتعنتين له ليردّ على خصمه (ص ٤٨) . وكان لا بدّ لمثل تلك الاوضاع من ان تنجم الدسائس والمكايد .

ولم يكن اختيار اغناطيوس بطريركاً الّا اتاحة للفرصة امام الحزبين ليختبر كل منهما قوته . والعديدون الذين قدّموا ترشيحهم (ص ٤٩) ومن جملتهم ولدا لاون الخامس « Léon V » باسيلوس وغريغوريوس قد ضُرب على اسمائهم . امّا الدور الاعظم فقد مثّله غريغوريوس اسبستاس « Grégoire Asbestas » رئيس اساقفة سيراكوز « Syracuse » ورئيس سياسة متوديوس الدينية، وهو اصله من صقلية كمتوديوس .

ولا يعزب عنا في مثل تلك الاوضاع ان تتدخل الحكومة لتحول دون اتصال المضار المشؤومة بين صراع النزعتين بالكنيسة والدولة .

ومن المحتمل ان تكون الامبراطورة عزمت على مناصرة الراهب اغناطيوس ابن ميخائيل رنغابه « Michel Ranghabé » الذي كان آنذاك رئيس احد الاديار في جزيرة الامراء بناء على ايعاز وزيرها تيوكتيست .

ولكن كيف تمت ترقيته ؟ فهل الامبراطورة هي التي عيّنته ؟ ام هل استدعت مجمعاً للانعقاد لكي ينتخبه ؟ ليس لدينا شيء يثبت ذلك او ينفيه (ص ٥٠) . بيد ان كل ما هنالك ، كما يقول دفورنيك ، يحمل على الظن ان تيودورا التي كانت تحرص على تجنب ازدياد الاضطرابات لم تتبع الطريقة المألوفة فعيّنت هي نفسها ، بعد ان استشارت بعض الاساقفة من ذوي

النفوذ، اغناطيوس بطريركاً . ولقد اخذ خصوم اغناطيوس فيما بعد هذا عليه واعتبروه عملاً مغايراً للقانون (ص ١٣١) .

والظاهر ان في الظروف ما يوضح ان تيودورا قد قامت بعملها هذا من دون ان تراعي المراسيم التقليدية . ويبدأ ارتقاء اغناطيوس للسدّة البطريركية كانتصار للمحافظين المتشيّعين . ولما كان اغناطيوس بعيداً عن التدخل في اي نزاع كان يجعل متودوس معارضاً للاستوديين فلم يكن باستطاعة انصار هذا الاخير ان يأبوا الخضوع له ، كما ان جميع الاساقفة قبلوا سيامته . ويلاحظ دفورنيك ان اغناطيوس افسد كل شيء بخرقه . فقد اعلم غريغوريوس اسبستاس بانه لا يريد ان يحضر حفلة تنصيبه الى ان تتضح قضيّته . فانسحب غريغوريوس حانقاً وضرب الشمعة التي كانت في يده بالارض وهو يصرخ قائلاً ان الكنيسة قد تسلّمها ذئب ، فلحق به بعض الاكليريكيين من الذين كانوا يشهدون الحفلة ومن جملتهم بوجه اخص مطرانا سارديس « Sardis » واباميه « Apamée » بطرس واولمبيوس « Eulambios » . فوجه الى روما شكواه عليهما.

ويقول نيكيتاس « Nicétas » نفسه (واضع كتاب حياة اغناطيوس) ان بادرة البطريرك هذه كانت باعثة على الاسف ، لانها حالت دون ايجاده الاتفاق بين الحزبين والاتحاد والسلام في كنيسته . فبات منذئذٍ معزولاً ا ورأى نفسه مقضيّاً عليه باتباع سياسة المحافظين المتشيّعين الدينيّة ، وغدا يستطيع التعويل على مناصرتهم تعويلاً مطلقاً – فساق على نفسه كره الاحرار .

وعقّب دفورنيك (ص ٥١–٦٧) على حادث اغناطيوس – اسبستاس بقوله انه كان اشد خطراً مما يظن عادة . واذا تردّدت روما وتريّثت قبل اعلان موقفها ، فلأن الاسباب التي عزل بموجبها اسبستاس والاسقفان لم تكن من الخطورة بمكان يستحيل معها مناقشتها . اما حزب غريغوريوس فرفع دعواه الى روما كمحكمة عليا مستنداً الى قوانين سارديك « Sardique » (٣٤٢ ؟) التي تخوّلُ كل فريق حق الاستئناف اليها .

وهذا الحزب المعتبر عامة من الدّ اعداء البابوية كان يعمل في القسطنطينية ضد اغناطيوس ويشيع انه قد رفض رسالة احد البابوات – ولا تغرب عنا

رؤية هذه اللعبة — : فحتقروا في بيزنطية على روما ولكنهم كانوا يعتمدون على سلطتها لمناهضة الخصوم .

ومهما يكن من امر فان هذه الحوادث توضح لنا النفوذ الذي تتمتع به كرسي روما في نفوس البيزنطيين . ومما تنبغي الاشارة اليه هو ان اغناطيوس لم تكن لديه الا فكرة غامضة كل الغموض عن موقف السدّة الرومانية وحقوقها في الكنيسة الجامعة اذ ان اول احتكاك له بالبابا يدلّ على ذلك (ص ٦٨) .

وخطرت فكرة غريبة لاغناطيوس وهي ان يبعث بوشاح الى البابا كان الحبر الروماني هو الذي يبعث به الى البطاركة كرمز لتلاحم السلطة فرفض الحبر الروماني رفضاً باتًّا قبول هديته هذه وارجعها اليه .

وجاء جهله للعادات التي تنبغي مراعاتها في مثل هذه الظروف برهاناً صريحاً على بساطة ذلك البطريرك . اما موقفه في استئناف قضية اسبستاس الى روما فيظهر لنا انه لم يكن يريد ان يراها تتدخل في الشؤون البيزنطية .

ومع هذا كله فانه لم يكن ينكر حقوق الكرسي الروماني ولكن لم يكن باستطاعته مع ذلك ان يقوم باعتراف هذا من دون ان يجلب على نفسه لوم الخصوم المشروع لانه لم يتقيد باحترام قوانين سارديك .

هذه هي الصورة التي كان عليها الصراع الاكليريكي الخطير.

وثمّ قضية اخرى ليست باقل خطورة لتسبب لاغناطيوس ارتباكات جديدة (ص ٧٣) وهي ان برداس وتيوكتيست ما طال بهما الامر حتى دبّ الخلاف بينهما وكان لا بدّ لاحدهما من ان يختفي من وجه الآخر . فقام برداس اولاً بعمله وتواطأ سنة ٨٥٦ مع ميخائيل الثالث واغتال تيوكتيست — وتمكن خصومهما بما لهم من مهارة من اقناع اغناطيوس بالانحياز ضد ميخائيل وبرداس . فنجم عن تحيّزه ان ابى على برداس ان يتناول القربان المقدس يوم عيد الغطاس بحجة انه كان سافحاً — ويؤخذ من اقوال ذوي الالسنة السليطة ان برداس اعتدى على عفاف زوجة ابنه . امــا دفورنيك فيقول انه من الصعب اقامة البرهان على هذا الامر .

ولقد تسرّع اغناطيوس في ايلائه ثقته للشائعات التي روجها الخصوم، اولئك

الخصوم الذين كانوا يتوخون ازالة نفوذ الوزير في نظر الرأي العام .

ولما كان اغناطيوس رجلًا قديساً مستقيماً لكنه غير لبق وقليل الحذر فاستغلوا سذاجته وعدم خبرته في الشؤون السياسية الدينية بتلك البيئة التي غدا ابناؤها من مهرة المخاتلين المخادعين – فاعدّ برداس الاثأر لنفسه . وفي سبيل ضمان وصوله الى السلطة قرّر ان يرسل شقيقته تيودورا وبنات شقيقته الى الدير وطلب من اغناطيوس ان يبارك مئزر الامبراطورة فرفض البطريرك النزول على طلبه لانه كان مديناً بكل شيء للامبراطور فاراد ان يكون وفياً لها . فرأى برداس في هذا الرفض برهاناً على ان اغناطيوس كان متضامناً مع خصوم العهد (ص ٧٦) الذين حاولوا في مؤامرة دبّروها القضاء على حياته وحياة ميخائيل . ويبدو ان الامبراطورة السابقة نفسها قد اشتركت فيها . غير ان المكيدة قد اكتشفت في الوقت المناسب فأجتزت رؤوس المجرمين في ميدان السبق . ولقد ارتكب اغناطيوس الذي كان مشبوهاً ويراقبه رجال شرطة الامبراطورة قَدَامَة[1] جديدة فقد دافع عن احدهم المدعو جبيون « Gébéon » الذي زعم نفسه انه ابن الامبراطورة فاثار ضجة كبرى في القسطنطينية وقبض عليه واعدم بشكل بربري . فازدادت بسبب هذه البادرة الريب التي خالجت الصدور فاتهم اغناطيوس بالخيانة العظمى ونفي (في اواخر تموز ٨٥٨) الى جزيرة تربنت (Térébinthe) واستدعي فوتيوس ليحلّ محله فقبل .

وهنا اثيرت مسألة خطيرة وهي : هل كان الكرسي البطريركي شاغراً ؟ ام ان اغناطيوس عُزل بالقوة . فاذا كان قد عزل جبراً فالجواب كلّا . اما اذا كان قد انتهى به الامر فقدم استقالته وان اسف عليها فالجواب نعم !

هذه هي المسألة التي ما برح الجواب عليها معلقاً واجتهد دفورنيك طويلاً لايجاد حلّ لها (ص ٨٠) .

ويؤخذ من اقوال المؤرخين انهم قد استخدموا الحيلة لينتزعوا منه استقالته : فقد قدّموا له ورقة ليوقعها « كتب عليها بعدئذ فوتيوس بخط يده اعتراف اغناطيوس المزعوم بعدم قانونية انتخابه » (ص ٧٩) . هذه هي الرواية التي

---

١) القَدَم : قلة الفهم وهي جاء قَدامَة وقد استخدمنا هذه الكلمة لترجمة لفظة « maladresse » الفرنسية .

ذكرها نيسيتاس التي تبعها المؤرخون من بعده .

وبالاستناد الى قول دفورنيك انها رواية لا تستحق الثقة بها لانها اغفلت الاشارة الى حوادث عديدة كان نيسيتاس يعرفها بدون شك بيد انها لم تكن تماشي هدف روايته الذي رمى الى تثقيل كاهل فوتيوس بالتبعة والدفاع عن اغناطيوس – وتلخص دفورنيك بعد مناقشة النصوص مناقشة طويلة (ص ٨٥): انه يؤخذ من اقوال متروفان الازميري « Métrophane de Smyrne » الذي روى هذه الحوادث لرجل رفيع المقام كان بمقدوره ان يحقق في هذه المعلومات المروية ان القضية تقدم على الشكل التالي : لقد اصرّ اغناطيوس طويلاً على رفضه تقديم استقالته، غير ان عدداً كبيراً من سراة القوم وحتى من الاساقفة المنتمين الى حزبه قد الحوا عليه ان يقدم استقالته متذرعين بطريقة الايكونوميا . وان كبر سنه ومصاعب الظروف القائمة تتطلب منه ان يستقيل. فانتهى به الامر بان نزل على رغباتهم. فرجا انصاره (ص٨٦) الذين كانوا يشجعونه على الاستمرار في مقاومته ان ينتخبوا بطريركاً آخر . فنزلوا عند وجهة نظره واكتفوا باتخاذ بعض الاحتياطات . من جملتها ان يُحسن خلفه معاملته وان لا يرهق انصاره .

ولكي يتفادى (ص ٨٩) اغناطيوس عن الحاق اضرار جسيمة بكنيسته انتهى به الامر الى ان يستقيل وان كان ذلك على رغمه فارتقى فوتيوس سدة كانت قانونياً شاغرة .

واردف دفورنيك قائلاً : لقد كانت الحكومة راغبةً في رجل مستقيم وميّالةً الى ان تعين بطريركاً من دون تأخير . فطالب الاساقفة ولاسيما انصار اغناطيوس بالحاح بالتقيد بالحق القانوني وبعقد مجمع يقدم ثلاثة مرشحين فكان ما ارادوا .

وقبل الشروع بالانتخاب كانت ثمة قضية اخرى لا بدّ من ايجاد حلّ لها الا وهي قضية حرم اغناطيوس لغريغوريوس ابستاس(ص ٩٠) في احد المجامع السابقة .

ولقد احرز حزب الاحرار الذي كان رئيسه غريغوريوس الانتصار وبات بعد خلع اغناطيوس باستطاعة المجمع القائم ان ينقض ما عمله رجل آخر ولا سيما

وروما كانت لم تصدق بعد الحكم الصادر بحق غريغوريوس .

وبحضور الحزبين اللذين اتفقا رجاءا للشروع بانتخاب فوتيوس اعيدت الى اسبستاس واصدقائه حقوقهما ومن ثم بوشر الانتخاب واتفق المقترعون على اسم فوتيوس الذي رضي عنه حتى اتباع اغناطيوس لانه « رجـل جديد » « homo novus » وان كان من حزب الاحرار اذ لم تكن الفرصة قد اتيحت امامه بعد ليظهر صراحة لون حزبيته .

ولقد كان فوتيوس علمانياً ! وفي غضون اسبوع تلقى جميع الدرجات الكهنوتية مما هو مخالف للحقوق القانونية . بيد ان المخالفات من هذا النوع لم تكن قليلة (ص ٩٢) . فبولس الثالث ارتقى السدة البطريركية سنة ٦٨٧ وتاريز « Taraise » عم فوتيوس سنة ٧٨٤ ونقفور « Nicéphore » سنة ٨٠٦ بالطريقة نفسها، وكلهم علمانيون ومن دون ان يعتري سلام الكنيسة شيء .

وفي يوم عيد الميلاد اقتبل فوتيوس درجة الاسقفية من يـد غريغوريوس اسبستاس نفسه وقد ساعده اسقفان من اتباع اغناطيوس تجهل اسميهما . واول من اهتم له فوتيوس هو ان يقوم بمفاوضات مع اتباع اغناطيوس المتمردين للاتفاق معهم . فنجح في ذلك واتفقوا على كيفية معاملة اغناطيوس وانصاره ووقع ورقة سلم نسخة عنها الى كل من المعارضين الخمسة الرئيسيين . وبدا السلام كأنه قد استتب ولكنه من نكد الدهر لم يستمر الا قليلاً (ص ٩٦ – ١٠٨) . لشدة نقمة انصار اغناطيوس ومكايدهم لا لتدخل اغناطيوس نفسه .

وظل الستوديون « Stoudion » مركز المعارضة وفضّل رئيسه نقولا ان يذهب الى المنفى يتبعه عدد كبير من رهبانه . اما ما بقي منهم (ص ١١٠) فلم يتنكر لهم فوتيوس . اما الروايات المعارضة له فتحدثنا عن اضطهادات (ص ١١٢) كابدوها بيد انه لا ينبغي لنا الا ان نرى فيها تعبيراً عن استياء المؤرخين الذين اسخطتهم قوانين مجمع سنة ٨٦١ الذي عقده فوتيوس واتخذ فيه البطريرك الجديد تدابير شديدة الصرامة ليضع نظاماً لحياة الرهبـان ولمساويهم التي غدت موضوع قلاقل مستمرة .

(المقال صلة)

الاربعون حديثاً وشروحها العربية

بقلم الدكتور عبد القادر قره خان
استاذ الادب التركي القديم في كلية الاداب بجامعة استنبول

في الادب الاسلامي ضرب من الادب الديني التعليمي معروف باسم « الاحاديث الاربعون » له مكانة مرموقة جداً لاسباب شتى .

فلو قُدّر لنا التوفيق لنشر جميع تفاصيله التي بلغت درجة النضوج بعد تمحيص مئات المؤلفات من عربية وفارسية وتركية تعالج هذا الباب لكان في استطاعتنا تبيان الثروة الدينية وما لها من تأثير اجتماعي واخلاقي وسياسي وادبي في حقل ما برح حتى الان مجهولاً ولم يكتشف .

وفي مقالنا هذا سنقتصر كلامنا على بيان موجز اعمالنا التي تدور حول اشهر هذه الاحاديث واهمها واعني بذلك كتاب العلامة محي الدين ابي زكريا يحيى بن شرف النووي الفقيه الإسلامي الشهير (٦٣١—٦٧٦ / ١٢٣٣—١٢٧٧) وهو مجموعة أحاديث واضحة ووجيزة من شأنها هداية الناس الى طريق الكمال بالايمان والأعمال والاخلاق .

وجاء في المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس ان الاربعين حديثاً كان الفراغ من كتابتها في ليلة ٢٢ كانون الثاني ١٢٧٠ [1] .

ومما يجدر النظر اليه هو ان هذه الاحاديث قد تناولها الشراح بعد انتشارها بأقل من ثلاثين عاماً بتعليقاتهم عليها التي بلغت باللغة العربية وحدها خمسين شرحاً في غضون خمسة قرون[2] ونصف القرن وذلك بالنسبة الى ما كان لها من اهمية وشهرة.

وهذه المجموعة من الاحاديث التي لها عدة ترجمات وشروح بالفارسية[3]

---

١) قال مؤلفه رحمه الله فرغت منه ليلة الخميس السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وستين وستمائة من الهجرة النبوية .
(Bib. Nationale, manuscrits arabes N° 744 fol. 16 b.).

٢) Cf. table chronologique des commentateurs de Nawawī, à la fin de l'article.

٣) Voir entre autres : سراج الطالبين ومنهاج الراغبين في شرح احاديث الاربعين d'Abū ʿAbd Allah Muhammad al-Īdjī (Bib. Nat. Mss. persans N° 35) مجمع البحرين de Fasīh b. ʿAbd al-Kerim Nizāmī (Turk-Islam Eserleri Müzesi N° 1684. Bib. de Fatih N° 783).

والتركية[1] يعتبرها المستشرقون كأثرة فريدة في بابها[2] وقد ترجمت[3] وعلق[4] عليها باللغات الغربية .

ويخال الينا اننا نحسن صنعاً في تناولنا هذه القضية بالبحث :

فهل كان النووي هو اول جامع لها ؟ وهي بالحقيقة اثنان واربعون حديثاً قيل فيها انها «جوامع الكلم الأحدية» ام ان غيره قد جمعها برمّتها قبله او جمع قسماً منها فقط ؟

ولقد حفزنا للاقدام على هذه الدراسة الاستاذ لويس ماسينيون .

اجل ان المقارنات التي اقيمت على اساس «الاربعين» لابن ودعان بين بعض الكتب القديمة والاحاديث التي اختارها النووي لم تسفر عن نتيجة مرضيّة فلولا الفقرة التفسيرية في مقدمة كتاب «جامع العلوم والحكم في شرح اربعين حديثاً من جوامع الكلم[5]» لابن رجب البغدادي شارح النووي الكبير [زين الدين عبد الرحمن بن احمد المتوفى ٧٩٥/١٣٩٣] لما حصلنا على بعض المعلومات حول منشأ هذه القضية .

وقال النووي في مقدمته ان بعض العلماء قد جمعوا «أربعين» تتناول موضوعات شتى ولما تبينت ذلك رأيت من المناسب ان اجمع بنفسي اربعين حديثاً اهمّ منها مكتفياً بان يذكر بشأن المصادر التي اخذ عنها ما يلي : «وقد رأيت جمع اربعين اهمّ من هذا كله وهي اربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين قد وصفه العلماء بان مدار الاسلام عليه او هو نصف الاسلام او ثلثه او نحو ذلك . ثم التزم في هذه الاربعين ان

(١ Voir entre autres : شرح الاربعين حديثا d'Ismā'īl Haḳḳi Bursali. Istbl. 1287, 1313, 1317 ; Kirḳ Hadis d'Aḥmed Na'īm, Ist : 1343.

(٢ Cf. D'Herbelot, *Bibliothèque Orientale du Dictionnaire Universel*. Paris 1781, I. 372 ; Goldziher, *Le Dogme et la loi de l'Islam*. (tr. Félix Arin). Paris 1920, pp. 15, 37 et ss., 252.

(٣ En-Nawawi, *Les Quarante Hadîths* (Tr. G. Bousquet) Alger 1947.

(٤ Dossiers du Centre Religieux d'Etudes Arabes (C. R. E. A.) Bikfaia, Liban. Commentaires de Nawawi, depuis la fin de 1949 (avec texte arabe, transcription et comm.).

(٥ Bib. Millet - Hekimoglu, N° 197 (En réalité 50 hadis au lieu de 40, le commentateur ayant ajouté huit autres à ceux recueillis par Nawawi).

تكون صحيحة ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم[1] » .

ولقد عرض ابن رجب هذه المسألة بوضوح اذ وقف هذا الشارح في مقدمته عند الفقرة التي اعلن فيها النبي عليه السلام بقوله : « فُضلتُ على مَن قبلي بستٍ ولا فخر » . ومن ثم تعدى الى ذكر واحد من أمور تفضيله بالستة وقال : « اعطيت جوامع الكلم » وبعد ان اشار الى معنى (جوامع الكلم) في القرآن والسنة :

— « وقد جمع العلماء جموعاً من كلماته صلى الله عليه وسلّم الجامعة فصنف الحافظ ابو بكر السني كتاباً سماه الايجاز وجوامع الكلم من السنن المأثورة ، وجمع القاضي ابو عبدالله القضاعي من جوامع الكلم الوجيزة جزءا سماه الشهاب في الحكم والآداب وصنّف على منواله قوم آخرون فزادوا على ما ذكره زيادة كثيرة واشار الخطابي في اول كتابه غريب الحديث الى يسير من الاحاديث الجامعة واملى الامام الحافظ ابو عمرو بن الصلاح مجلساً سماه الاحاديث الكلية جمع فيه الاحاديث الجوامع التي يقال ان مدار الدين عليها وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة فاشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثاً ثم ان الفقيه الزاهد القدوة ابا زكريا يحيى النووي رحمة الله عليه اخذ هذه الاحاديث التي املاها ابن الصلاح وزاد عليها تمام اثنين واربعين حديثاً وسمّى كتابه بالاربعين التي جمعها وكثر حفظها ونفع الله بها ببركة نية جامعها وحسن قصده رحمه الله وقد تكرر سؤال جماعة من طلبة العلم والدين لتعليق شرح لهذه الاحاديث المشار اليه[2] » .

والظاهر كل الظهور ان ثمة علماء قد جمعوا قبل النووي مجموعات من اقوال النبي الجامعة الوجيزة منها : الايجاز لأبي بكر السني والشهاب لابي عبدالله القضاعي « محمد بن سلامة المتوفى ٤٥٤/١٠٦٢ » والاحاديث لابي عمرو بن الصلاح (تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن ٥٧٧—٦٤٣/١١٨١—١٢٤٥) .

ويؤخذ من هذه الاقوال صراحة ان الاحاديث الاربعين المشار اليها مصدرها الاساسي هو أبو عمرو الذي ذكرناه .

1) Nawawī, *Introduction. La traduction française de* Bousquet contient une table montrant, selon les indications même de ces quarante hadiths, les œuvres auxquelles ils sont empruntés (p. 48).

2) *Introduction*, fol. 2a et b.

واذا لم نغفل ان هذا الفقيه الشافعي الكبير الذي اصله من شهرزور والذي كان متضلعاً كل التضلع بالتفسير والسنة والادب قد تولى امر التدريس بدمشق والقدس وكان النووي يعيش في عصره بدمشق واتيح له ان يزور القدس فلا غرابة اذا رأينا هذا الاخير من اصحاب ابي عمرو ان لم يكن بالفعل فعلى الاقل قد انتمى اليه ادبياً .

وبهذا نستنبط سبب ترجيح النووي أحاديث ابن الصلاح الجامعة الوجيزة الستة والعشرين من رسالة « الأحاديث الكلية » وإضافته لها ستة عشر حديثاً حتى بلغت اثنين وأربعين حديثاً وأطلق عليها (اربعون حديثاً) . وعلى كل ان الصعوبة التي تعترضنا فتقوم على ان تعرف ما هي الاحاديث التي جمعها ابن الصلاح من هذه الاربعين والاحاديث التي جمعها النووي ؟

ومهما يكن من امر فاننا لا نقوى على البت في هذه القضية إلى ان نحصل على نسخة من « الاحاديث الكلية » وعلى كل فان الاعتبارات التالية لا بدّ لها من ان تكون حتماً بحسب هذا التسارق الفكري :

١ — ان النووي قد استمد شيئاً كبيراً من غيره في كتابه وان لم يشر الى ذلك في مقدمته .

٢ — ان النووي مدين بشهرته الى كونه قد جمع احاديث كان يعتبرها العلماء من قبله بمدة طويلة بمثابة « اقوال جامعة وجيزة يستند اليها الدين » .

٣ — ان النووي قد عرف الوتر الحساس في هذه المسألة فأدمج في احاديثه الاربعين الاقوال الجامعة الوجيزة التي كانت كثيرة الرواج ويتداولها الناس منذ القرن الثاني للهجرة وكانوا لا يزالون شديدي الاهتمام لها في عصره .

اجل لقد احرز النووي هذه الشهرة التي لا سبيل لانكارها بسبب كتابه الذي شُرح منذ سبعة قرون ولم يفقد شيئاً من قيمته على مر الذريات المتعاقبة التي قرأته وحفظته عن ظاهر قلبها .

ولئن قلنا ما قلناه فلا مندوحة لنا عن الملاحظة ان النووي قد ذكر في مقدمته لمؤلفه الاربعين حديثاً عندما تكلم على عدد الكتب الكبيرة في هذا الموضوع اسم ثلاثة عشر مؤلفاً بحسب ترتيبه الخاص به :

١ — عبد الله بن المبارك (المتوفى ١٨١ — ٧٩٧)

٢ — محمد بن اسلم الطوسي (المتوفى ٢٤٢ — ٨٥٦)

٣ – حسن بن سفيان النسوي (المتوفى ٣٠٣ – ٩١٦)
٤ – ابو بكر الآجري (المتوفى ٣٣٠ – ٩٤٢)
٥ – ابو بكر محمد بن ابراهيم الاصفهاني (المتوفى ٤٦٦ – ١٠٧٤)
٦ – الدارقطني (المتوفى ٣٨٥ – ٩٩٥)
٧ – حاكم ابو عبد الله (المتوفى ٤٠٥ – ١٠١٥)
٨ – ابو نُعيم (المتوفى ٤٣٠ – ١٠٣٩)
٩ – ابو عبد الرحمن السلمي (المتوفى ٤٢٢ – ١٠٣١)
١٠ – ابو سعيد الماليني (المتوفى ٤١٢ – ١٠٢١)
١١ – ابو عثمان الصابوني (المتوفى ٤٨١ – ١٠٨٩)
١٢ – عبد الله بن محمد الانصاري (المتوفى ٤٨١ – ١٠٨٩)
١٣ – ابو بكر البيهقي (المتوفى ٤٥٨ – ١٠٦٦)

فهل كان النووي هو الذي ذكر هؤلاء المؤلفين وصنفهم بهذا الترتيب او انه استمد هذا الفهرست من غيره ؟

ان الامر المهم في مثل هذا المقام يستوجب منا ايضاحات اوفى .

وفي اعتقادنا ان النووي قد اخذ ما عدا اسماء الدارقطني والصابوني والانصاري اسماء العشرة الباقين عن ابي طاهر السلفي (المتوفى ٥٧٦/١١٨٠) .

ولقد ذكر السلفي في مقدمة كتابه (الاربعون البلدانية[1] *Buuldaniye*) الفهرست ذاته للاسماء العشرة الذين دونوا الاحاديث الاربعين قبله .

ويؤخذ من البحوث التي قمنا بها ان عدد الاحاديث الاربعين المدوّنة الى عهد النووي كان يبلغ عددها اربعة وخمسين كتاباً .

والذي يرجح لدينا الافتراض ان النووي استمد معارفه من السلفي إذ ذكر ثلاثة عشر مؤلفاً اورد منها السلفي قبله أسماء عشرة رجال منهم .

ولئن انتشرت الاحاديث الاربعون النووية وحفظت بسهولة فلكونها كانت تشتمل على امور عرفيّة وحذف منها كثيرٌ من الاسناد من جهة ، ومن جهة أخرى لكونها احتوت قواعد الدين الاساسية ومجموعة الصلوات فحرص على معرفتها الذين ارادوا ان يؤمنوا لانفسهم الحياة الثانية .

فالحديث القائل مثلاً : انما الاعمال بالنيّات[2] الذي هو في البخاري وفي

---

(١) Bib. Nat. Mss. arabes, N° 722.

(٢) Nawawi, 1er hadith.

عدد الاربعين هو الحديث الاول ، ويعدُّ من جملة اسمى المبادئ في الاسلام ويشتمل على قسم كبير من تعاليمه. والحديث القائل: « بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدًا عبده ورسوله واقامة الصلاة وايفاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان[1] يبين بوضوح الاسس التي بنى عليها الاسلام .

اما الحديثان « ان الحلال بين وان الحرام بين[2] » و « الدين النصيحة[3] » فبالاستطاعة اعتبارهما بحق ركني الشريعة الاسلامية ، والحديثان « لا يؤمن احدكم حتى يحبّ لاخيه ما يحبُّ لنفسه[4] » و « البر حسن الخلق والاثم ما حاك في النفس وكرهت ان يطلع عليه الناس[5] » يختصران ايضاً المبادئ الاسلامية الصحيحة .

ولقد فضل الكثيرون من بين شراح النووي الذين ادركوا اهمية مجموعته ورغبوا بان يضعوا اربعين حديثاً ويشرحوها ان يكتفوا بالقيام بتفسير الاربعين النووية بعد ان بحثوا طويلاً متذرعين في سبيل تبرير تفضيلهم هذا بذرائع شبيهة بالاسباب التي اشرنا اليها .

وقال الشارح تاج الدين ابو حفص عمر بن علي الاسكندري (المتوفى ٧٣١/١٣٣٠) في شرحه « المنهاج المبين في شرح الاربعين »[6] انه عرف من جماعة من العلماء ان الاسلام يستند الى اربعة احاديث :

« فانه قد صحّ عن جماعة من العلماء ان مدار الاسلام على اربعة احاديث: حديث الاعمال بالنيات، وحديث الحلال بين، والحرام بين ، وحديث ازهد في الدنيا يحبك الله ، وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه[7] » .

وذكر الاسكندري وسعدالدين التفتازاني (٧٢٢–٧٩٢/١٣٢٢–١٣٩٠) نظم الشيخ ابي الحسن الطاهر — الذي اكتفى التفتازاني بان يطلق عليه نسبة الشافعي :

---

١) Nawawi, 3e hadith.
٢) Nawawi, 6e hadith.
٣) Nawawi, 7e hadith.
٤) Nawawi, 13e hadith.
٥) Nawawi, 27e hadith.
٦) Bib. de Bayazit N° 906.
٧) Fol. 2a.

« عمدة الدين عندنا كلمات
اربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع
ما ليس يعنيك واعمل بنية »

وهذه الاحاديث الاربعة هي في كتاب النووي بالارقام التالية ٦،١، ١٢، ٣١
واذا اعتبرنا ان بقية اقوال النبي التي جمعها النووي هي حقاً هدى للمسلمين في الايمان والاعمال والحياة الاخلاقية ادركنا بسهولة مرمى مؤلفه وقيمته والسبب الذي كانت له من اجله الشروح العديدة لا في العربية فحسب بل بالفارسية والتركية وعرفنا مدى تأثيره في العالم الاسلامي .

ومما يجعل من هذه المجموعة كتاباً يمثل الفكر الاسلامي وقواعده الاخلاقية هو ما له من قيمة اجتماعية عالية ليتميز بها خاصة عن الاحاديث الاخرى التي تتناول موضوعات شتيتة .

وان الاحاديث الاربعين التي اختارها النووي قد شرحت مرات عديدة شرحاً خليقاً بما لها من شهرة واهمية .

ولقد اتبع النووي نفسه بباب[1] في ضبط « ما خفي من معانيها » اوضحه في مقدمته[2] فكان بذلك الشارح الاول لكتابه .

ولقد تمكنا من ان نبيّن من عهد ابي العباس الاشبيلي (المتوفى ٦٩٩/١٢٩٩) الى عبدالله النبراوي (المتوفى ١٢٥٥/١٨٣٩) اسماء تسعة واربعين مؤلفاً دوّنوا شرح النووي ، وسنذكر فيما يلي بحسب تاريخ العصور فهرست اسماء المعروفين وتاريخ وفاتهم. وهم من جملة الواحد والاربعين شارحاً :

فهرست اسماء شراح النووي من القرن الثالث عشر (السابع الهجري)

النووي نفسه	(٦٣١ – ٦٧٦ / ١٢٣٣ – ١٢٧٦)
ابو العباس الاشبيلي	--- (المتوفى ٦٩٩ – ١٢٩٩)

القرن الرابع عشر (الثامن الهجري)

ابن دقيق العيد	(المتوفى ٧٠٢–١٣٠٢)
نجم الدين سليمان	(المتوفى ٧٢١–١٣٢١)

1) Ce chapitre est généralement négligé dans les commentaires.

2) Vers la fin de l'introduction.

احمد بن عبد الوهاب (المتوفى ٧٣٠–١٣٣٠)
تاج الدين ابو حفص (المتوفى ٧٣١–١٣٣٠)
محمد بن احمد السمودي (المكتوب ٧٨٨–١٣٨٦)
زين الدين صاريجا (المتوفى ٧٨٨–١٣٨٦)
سعد الدين التفتازاني (٧٢٢–٧٩٢ / ١٣٢٢–١٣٩٠)
ابن رجب البغدادي (المتوفى ٧٩٥–١٣٩٣)

القرن الخامس عشر (التاسع الهجري)

السمردي ابو عبدالله (المتوفى ٨٠٣–١٤٠١)
جمال الدين يوسف (المتوفى ٨٠٤–١٤٠٢)
سراج الدين عمر (المتوفى ٨٠٤–١٤٠٢)
ظهير الدين السمري (المكتوب ٨١٢ – ١٤٠٩)
عز الدين بن جماعة (المتوفى ٨١٩–١٤١٦)
خجندي Hucandi ابراهيم (المتوفى ٨٥١–١٤٤٧)
ابو حفص البلبيسي (المتوفى ٨٥٥–١٤٥١)
صلاح الدين محمد (المتوفى ٨٥٦–١٤٥٢)
بدر الدين الجيلاني (المتوفى ٨٨٩–١٤٨٩)

القرن السادس عشر (العاشر الهجري)

معين الدين بن صفي الدين (المتوفى ٩٠٥–١٥٠٠)
الحجازي محمد بن العز (المكتوب ٩١٢–١٥٠٦)
زكريا الانصاري (المتوفى ٩٢٦–١٥٢٠)
ابن كمال باشا (المتوفى ٩٤٠–١٥٣٤)
دالملي محمد (المتوفى ٩٤٤–١٥٤٠)
الهيتمي شهاب الدين (المتوفى ٩٧٣–١٥٦٦)
الفشني احمد بن الحجازي (المتوفى ٩٧٨–١٥٧٠)
اللاري مصلح الدين (المتوفى ٩٧٩–١٥٧١)

القرن السابع عشر (الحادي عشر الهجري)

علي القاري (المتوفى ١٠١٤–١٦٠٦)
الشبرخيتي ابراهيم (المتوفى ١٠١٦–١٦٠٧)
الشبشيري ولي الدين (المتوفى ١٠١٩–١٦١٠)
المناوي عبد الرؤوف (المتوفى ١٠٣١–١٦٢١)

محمد بن احمد الخطيب (المتوفى ١٠٨٩–١٦٧٨)

يازجي اسماعيل بن عبد الباقي (المكتوب ١١١٠–١٦٩٩)

القرن الثامن عشر (القرن الثاني عشر الهجري)

السندي محمد بن الخياط (المتوفى ١١٦٣–١٧٥٠)

حسن بن علي المدابغي (المتوفى ١١٧٠–١٧٥٦)

الحسني احمد بن محمد (المتوفى ١١٧٨–١٧٦٤)

ابن سودة البناني (المتوفى ١١٩٤–١٧٨٠)

الخضيري خليل (المتوفى ١٠٨٦–١٧٨٢)

وجيه الدين بن نجيب الله (المكتوب ١٢١٢–١٧٩٧)

محمد بن احمد (المتوفى ١٢١٣–١٧٩٨)

القرن التاسع عشر (الثالث عشر الهجري)

الشبراوي عبد الله (المتوفى ١٢٥٥–١٨٣٩)

ولا يخلو من الفائدة ان توضح العصور بخطوط بيانية :

كيفية توزيع الشراح بحسب العصور التي عاشوا فيها

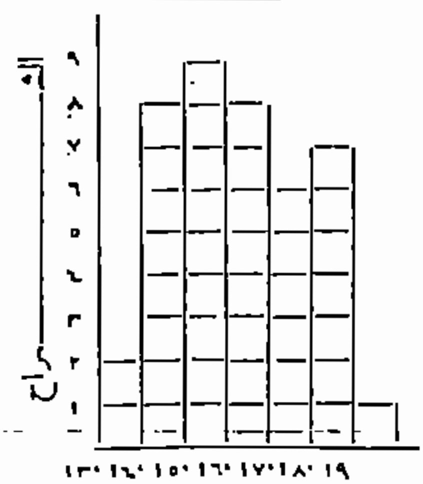

العصور

وهاك اسماء الشراح الذين عاشوا في عصور لم يكن باستطاعتنا تعيينها :

١ – عبد المجيد الشرنوبي
٢ – علاء الدين علي بن محمد
٣ – هاشم الشرقاوي

٤ – مسعود بن منصور بن الامير سيف الدين
٥ – محمد بن احمد الحنفي
٦ – الصفوي احمد بن موسى
٧ – الشطيري عبد الهادي
٨ – الشيرازي شهاب احمد بن محمد

وغالب الاحتمال ان يكون عدد شراح النووي اكثر مما ذكرنا ومن النظر في فهرست اسماء الذين شرحوا النووي يتضح لنا ان معظم اولئك الرجال كانوا من رجال العلم الديني ومنهم من كان يعتبره العلماء المسلمون الاتراك كثقات كابن دقيق العيد وسعد الدين التفتازاني وابن رجب البغدادي وابن كمال باشا ، وابن حجر الهيتمي ومصلح الدين اللاري وعلي القاري وعبد الرؤوف المناوي مثلاً . ولقد ذيلت تلك الكتب بهوامش شرحية كالتي علقها محمد بن احمد الخطيب وحواشي المدابغي على كتاب الهيتمي وكهامشي الحضيري والنبراوي على الشبشيري .

ولو اخذنا بعين الاعتبار اعادة طبع الفشني ست مرات[١] وشرحي الشبرخيتي[٢] والتفتازاني[٣] ثلاث مرات وطبع شروح كتب الباقين مرتين ولو عرفنا ان عدد مخطوطات الاربعين حديثاً يبلغ مئات النسخ في مكتبات استنبول وحدها لزال كل ريب لدينا فيما كان لتلك المجموعات من قيمة ولما احدثته من أثر في الشعب والعلماء وفي ذلك الاسلوب الذي سد قروناً متطاولة الحاجات الدينية والاجتماعية والأخلاقية لدى الشعوب الاسلامية .

١) Le Caire 1278, 1299, 1303, 1306, 1310 et 1311.

٢) Le Caire 1307, 1316 et dernièrement.

٣) Istanbul 1316, 1323 et le Caire.

هل علم الاخلاق مستقل عن السياسة؟

بقلم الاب فيليكس سوانيون اليسوعي

تقوم القضية التي تسمّى بقضية «الاكسيون فرانسيز» على التعليم الذي شجبته الكنيسة ، ونشره واذاعه جماعة من غير المؤمنين وان كانوا من ذوي النفوذ الواسع لان مثل هـذا الامر مألوف في الكنيسة ولان من مهمة ربان السفينة بطرس التنبيه الى نواتئ الصخور البحرية التي تعترض سير السفينة ليكبح جماحها .

والذي جعل من هذه القضية قضية باعثة على الاسى هو كون طائفة من ركاب السفينة وبحارتها قد انتقدوا هذا العمل وابوا الانصياع لتنفيذه .

ومن دون ان نلجأ الى المجاز والكنايات نقول ان هذه الطائفة قد ثابرت على اعتبار التعليم الذي نبذته الكنيسة تعليماً صحيحاً واستمرت تفضّل ادارة الزعماء الغرباء على ادارة معلم الكنيسة .

لقد رأت في التطاول على الكرسي الرسولي والاهانات الموجهة اليه كثيراً من التسامح .

وقد اوقف بعض الكهنة ورجال الدين بادرة الطاعة التي ابدّاها بعض المؤمنين ليساعدوهم على التمرّد .

اجل ان تمرّداً على هذه الشاكلة لم نشهد له نظيراً في حضن الكنيسة منذ انتقاض اشياع جانسنيوس فكيف اصبح ممكناً في عصرنا هذا ؟

لقد كان في اساس هذا التمرد خطأ سابق ليرضح ولو على الاقل هـذا التمرد ايضاحاً جزئياً لان عوامله بعيدة عن حيز المعقولات .

ولا شكّ في ان البشر مفتقرون الى اغداق قناع على هفواتهم ومساعيهم الاثيمة يستمدونه من ادعاءات موهومة ليسبغوا عليها في اعينهم وأعين غيرهم اصبغة تلوّنها .

ولئن ركنوا الى هذه «الحقيقة الاولية» فتركوها غامضة ، وتكلموا عنها

مرات كأمر لا يُجادل ، فما علينا الا ان نخرجهـا من حيّز الظلام لنطالبها بمستنداتها ، واليك ذرائعهم :

« بماذا يتدخل البابا ؟ ان المواراسية (فكرة شارل موراس) هي رأي سياسي خارج عن صلاحية معلم الكنيسة ، و « الاكسيون فرانسيز » ليس الا حزباً سياسياً ، فكيف تشجبه روما ؟ ولمصلحة من ؟

لقد عمل موراس منذ وقت طويل على خلق هذا الاقتناع ليجعل نفسه في مأمن من تدخل السلطة الدينية .

ففي سنة ١٩٢١ كتب في مؤلفه « السياسة الدينية » (ص ٢٤٥ وما يليها وصفحة ٩٨) : « ان الاعمال الاجتماعية تخرج بجوهرها عن ان تكون من طائفة الحق والواجب، اذ لا دخل لها بإراداتنا » ، « فالوجدان الانساني يرمي الى غايات روحية ويبحث عن ايجاد السلامة الفردية » (Mes idées politiques, 34ème édition page. 124 sq) على حين ان السياسة نفسها تهتم للامور الزمنية والاجتماعية وتستند الى علم الحياة والاختبار (ibid p.96) فقوانينها ضرورية ضرورة قوانين علم الحياة .

وزعم موراس ان لا فكرة له حول علمي ما وراء الطبيعة والاخلاق لانه، كما يزعم، لم يصادف وضوحاً فيهما (Cf. L. A.F. et la Religion Catholique p. 97) ونجح في اقناع اتباعه بذلك .

فسياسة موراس لم تكن اذاً ترتبط بأي منهج فلسفي كان ، وما تأكيده استحالة وجود اي علم كان لما وراء الطبيعة الا من باب علم ما وراء الطبيعة نفسه ، الذي لم يكن الكنت علم غيره ، وانه لم يتفق لاحد ان ابتدع ضلالاً اشد من ضلاله وابعث منه على الاسى !

أفلم يكن من تأثير على سياسته لانكاره علم ما وراء الطبيعة ولجحوده بعلم الاخلاق ولتجرده حتى عن معنى الاخلاقيات ؟ اجل لقد كان ثمة لاهوتيون ليقيموا البرهان الساطع على صحة زعمه . ففي سنة ١٩٢٩ (بعد الحكم عليه من السلطة الكنسية العليا) وفي مجلة معروفة وبتوقيع استاذ معروف صدرت مقالة ملأت قلوب المواراسيين حبوراً وزعزعت الايمان في قلوب الكاثوليك الذين كانت لديهم فكرة في تلك المسألة .

ومما قاله في هذا الصدد : لقد تبدّل علم الاخلاق كل التبديل منذ عهد القديس توما وتبدّل ارتباطه بغاية سامية لينفصل عن كل علم آخر ولا سيما عن علم السياسة ، فعلم الاخلاق الذي يهدف الى غاية ازلية لا يشتمل على علم السياسة المختص بالامور الزمنية،لان هذا الاخير هو علم المنافع،اما علم الاخلاق المدني فيعنى باستقامة السلوك . على حين ان الاول هو الذي يُعنى مباشرة بمصلحة المجتمع الانساني الخاصة وهو الامة . اما القواعد العامة فتتعلق بالعلم السياسي واما السلطة الرسولية ففردية[1] .

فبالاستناد الى وضح العقل فقط يسعنا الاقتناع بخطإ القول ان السياسة مستقلة عن علم الاخلاق .

اجل ان الوحي لم يبدل طبيعة الانسان ، وانما اشفى ما كان مفتقرًا الى الشفاء واصلحه، وفرض غاية سمحا جديدة هي في امتداد الاولى ولا تتغير عنها .

وفي سبيل احقاق المسيحي الكامل والسير به في طريق السعادة الازلية ليتمتع بالمشاهدة الطوباوية لا بدّ له من الاكتمال .

وهذه القضية التي تجاهلتها البروتستنتية والجانسنية تستند الى تعليم الكنيسة التقليدي والفلسفة المدرسية مما ينجم عنه ان خاصة اعمال الانسان التي تنطبق على قاعدة السلوك المثلى لم تتبدّل ، وان علم الانجيل للاخلاق قد اتمّ علم الاخلاق العقلي برمّته ورسم دائمًا الهدف نفسه واختط قاعدة كل الافعال البشرية بصفة كونها منبثقة من الارادة الحرة وينبغي لها ان تهدف الى السعادة الارضية غير الكاملة التابعة للسعادة الابدية .

فما هي اذًا علاقة هذا العلم الاخلاقي العقلي بالسياسة ؟

علينا ان نحدّد اولًا معنى العبارة الاخيرة لانها غامضة .

ـ ان الكلام في مثل هذا المقام يتناول « اولًا » علم الحكم النظري والعملي و « ثانيًا » عمل الرؤساء وفقًا لهذا العلم ؛ بيد ان السياسة تفرض علم اجتماع نظريًا ومفهومًا للمجتمع ولغايته الاخيرة والمدنية .

ومن بين العوامل التي تؤلف الكائن الاجتماعي والخير الاجتماعي عوامل لا تتعلق بالارادات الانسانية او على الاقل بالارادات القائمة : كالعوامل العرقيّة

١) حاول موراس في مقال سابق التنصّل من موقفه وانما جاء عمله بعد فوات الاوان .

والجغرافية والاحصائية والتاريخية. وان كان ثمة بعض تطورات لا سبيل للوقوف بوجهها ومقاومتها ، لان العالم قد سار وراء الاستقطاب الصناعي والديموقراطية، وهذا هو اثر الجبرية .

ولئن انحصرت كل الحياة الاجتماعية بهذا الامر فلن يبقى مجال للتحدث عن علم الاخلاق اجتماعي ولا عن حقوق الرؤساء وواجباتهم ؛ مع اننا نرى رجال السياسة يتصرّفون عملياً كأنهم متحمون بان في مقدورهم التدخل بحرية في ادارة القوى المشتركة او المتضاربة في هذه الحياة الاجتماعية ليحدثوا في جريانها تحولات مهمة ومن دون ان يصرفوا النظر عن نواميس الطبيعة .

وفي الواقع ثمة اوقات تستطيع فيها ارادة الانسان الحرة ان تحوّل مجرى تطورات شتّى كلها ممكنة على حدّ سواء .

بله ان هذا الامر لصحيح في كل مراحل تسيير الشؤون ولا كان التاريخ جرى على غير ما جرى عليه وان كان بالاستطاعة ايجاد تداع حتمي بالظاهر لحوادثه.

نعم ثمة في الحياة الاجتماعية ضرب من الجبريّة وضرب من الحرية الانسانية لا يستوي احدهما الى جنب الآخر، وانما يندمج بعضهما ببعض ويحدّ احدهما الآخر ، فالارادات لا تستطيع اتيان كل شيء. وانما في كل ما يحدث شيء من الارادة.

وينبغي للمبادئ التي يفرضها العلم السياسي وقواعده الخاصة ان ترمي الى تحقيق مصير الافراد والمجتمع وان تسيّرهما نحو الكمال والسعادة الانسانية الارضية .

ان « هذا الخير العام . . . لا يحتوي فقط على الازدهار الاقتصادي بل يتجاوزه، فهو يشتمل خاصة على خير النفس » .

« Lettre du Cardinal Pacelli à M. Duthoit à l'occasion de la Semaine Sociale de 1933 ».

(Cf. Léon XIII, Encyclique « Libertas » du 20-6-1888, Bonne-Presse, tome 2, p. 190).

Encycl. Rappresentanti du 31-12-1929, Bonne-Presse, p. 18, et lettre au clergé français de Léon XIII du 16-2-1892, Bonne-Presse, tome 3 des Œuvres de Léon XIII, p. 113).

ومن واجب العمل السياسي وعلى قدر ما تنتفي الجبريّة ان يهدف الى هذه الغاية التي باتجاهه نحوها يتوجه نحو الغاية الفائقة للطبيعة ويعززها تعزيزاً غير مباشر وان كانت لا تتكافأ معها لتقودنا اليها .

« Bonum secundarium verum est ordinabile ad principale bonum, (quod est Dei fruitio) secus est apparens et abducit a finali bono. » St. Thomas II. II. q. 23, a 7 .

ان اسمى القيم واسماها التي يقدور الجماعة وحدها تحقيقها هي ايضاً قد ارادها الخالق في سبيل الانسان وسبيل ازدهاره الكامل الطبيعي والفائق للطبيعة لانجاز كماله .

(Pie XI, dans l'Encycl. Mit Brennender Sorge du 14 mars 1937(édition de la Bonne-Presse p 22)

فالمبادئ والقواعد والاعمال السياسية اما ان تكون ذات قيمة حسنة او غير حسنة .

وقد يحوي علم الاجتماع او بعض النظريات السياسية شيئاً من علم ما وراء الطبيعة والاخلاق او يكون خالياً من علم الاخلاق ويكون هذا كله مناقضاً للعقل او نافياً للايمان المسيحي . اما علم الاخلاق الصحيح فيحكم على السياسة لا في تفاصيلها الفنية وانما ليحدد مبادئها ويعين حدود عملها .

ولئن كان علم الاخلاق العقلي يحكم على السياسة فالكنيسة بما لها من سلطان تعليمي وتنظيمي مباشر فتحكم بشأن السياسة .

ولقد طالبت باصرار روما عدة مرات بهذا الحق ٤. وجاء في رسالة بيوس الحادي عشر الى الكاردينال اندريو في ٥ ايلول سنة ١٩٢٦: لقد عددت نيافتكم وشجبت بحق... ظاهرات طريفة دينية جديدة ... ولا سيما بشأن علاقات هذه الظاهرات بالسياسة التي هي تابعة منطقياً لعلم الاخلاق (A.A.S. 1926,p.382) . ومن ثم جاء في رسالته الرعائية سنة ١٩٣١ (Quadragésimo anno édition Spes , pp. 190, 191): لا تستطيع الكنيسة التنازل عن المهمة التي اناطها الله بها لتدخل – طبعاً في غير النطاق الفني – في كل امر يتصل بعلم الاخلاق ... ان الامانة التي تقع على عاتقنا من العلى لتسن القانون الاخلاقي ونفسره ونبشر به تخضع لسلطاننا النظامين الاجتماعي والاقتصادي .

وقد بسط في الرسالة التي اذاعها بيوس الثاني عشر بالراديو في ٢٣ اذار سنة ١٩٥٢ بمناسبة « يوم البال » في ايطاليا :

(En italien dans les A. A. S., en français dans la Documentation Catholique du 24 avril, col. 155).

اولاً نظرية استقلال السياسة ... «يقولون ان السياسة والاقتصاد انهما لا يفتقران الى الاسترشاد بغيرهما من العلوم حتى ولا بعلم الاخلاق ليهتديا بقوانينهما الخاصة التي بوصفها قوانينهما هي صحيحة وعادلة ... ان الامر ليس الا طرازاً دقيقاً كما ترى لتملص الوجدان من سلطان القوانين الاخلاقية .

ولا نستطيع بالحقيقة انكار ضروب هذا الاستقلال الذاتي بصفة كونه يعرب عن الاسلوب الخاص بكل عمل وعن الحدود التي تفصل نظرياً بين مختلف اشكال العمل، بيد ان الواجب يقضي بأن لا يعني انفصال الاساليب بعضها عن بعض ان العالم والفنان والسياسي قد اصبحوا غير مقيدين بالذرائع الاخلاقية في ممارستهم مهامهم اذا ما اعترضتهم في الحقل الاخلاقي حوادث مباشرة كالفن والسياسة والاقتصاد .

ولا معنى للانفصال صراحة ونظرياً في الحياة التي هي مركب، بسبب كون الموضوع الوحيد لكل ضرب من ضروب العمل هو الانسان ذاته الذي لا تقوى افعاله الحرة والواعية على التملص من تقديرها تقديراً اخلاقياً .

ولو استمررنا في النظر الى المعضلة نظراً واسعاً عملياً قد يعوز احياناً بعض الفلاسفة وان كانوا من المشهورين، «ان اللبيب من الاشارة يفهم»، فان ضروب هذا التمييز والاستقلال الذاتي ولاسيما لدى الانسان ذي الطبيعة الساقطة تمثل ما يماشي الهوى والاثرة «الانانية» والحرص كقوانين للفن والسياسة والاقتصاد» .

ولقد مارس بيوس الحادي عشر حقه هذا بالاشراف في ٢٩ حزيران ١٩٣١ عندما شجب « عبادة الدولة » الفاشستية ، وفي ١٤ اذار ١٩٣٧ عندما حث الكاثوليك الالمان على مناهضة مزاعم النازية . وفي سنة ١٩٢٦ عندما اعلنها قبل ذلك حرباً شعواء على موراس وكانت لديه ذرائعه المحقة التي ينبغي لنا ان نشكره عليها كاحسان . اما ضروب الضلال اذا ما تناولها قلم كاتب افرنسي فتصبح انقع سماً واجسم خطراً ، فان «عقد موراس الاجتماعي» لم يكن ليتخطى تخوم البلاد الانكليزية لولا روسو . فجاب معه العالم .

اخبار العالم

اخبار دينية

بولونيا : في ٢٢ ايلول اوقفت الحكومة البولونية الشيوعية نيافة الكردينال فيسزنسكي رئيس اساقفة فرسوفيا ونقلته الى محل مجهول . اما ذنب الكردينال ازاءها فهو صموده في مطالبة الحرية للكنيسة وتمسكه وتمسك البولونيين معه رعاة وشعباً بالكرسي الرسولي . وما التهم التي اضموه بها الا محض افتراء واكاذيب شنيعة .

ان عمل الحكومة البولونية هذا قد اثار سخط العالم الكاثوليكي باسره فأرسلت الى روما من كل الجهات من الاكليريكيين والعلمانيين اعتراضات شديدة وبرقيات عنيفة عديدة تحتج وتستنكر وتعلن مشاركتها للاب الاقدس في تألمه لاضطهاد ابنائه بسبب تعلقهم بالكنيسة وبرئيسها الشرعي

في هذه المناسبة نلاحظ الاوسرفاتوري رومانو بان عدد رعاة الكنيسة الذين منعوا من القيام بمهام ابرشياتهم الروحية وابعدوا عنها او زجوا في السجون يزداد من يوم الى يوم وان نفي الكردينال وكف يده عن كل عمل رعائي هو اضطهاد يشرف الارجوان الكردينالي وقد اضطهد قبله كذلك الكردينال ميدزنتي والسيداه بران وغروكزي أساقفة بلغاريا ورومانيا واوكرانيا الذين تحملوا عذاب السجون والمنفى ثم اساقفة البانيا الذين ختموا بدمهم شهادتهم للمسيح ولكنيسته

منذ سنة ١٩٤٥ الى اليوم قد زاد عدد الكهنة الذين زجوا في سجون بولونيا على الالف وقتل منهم سبعمئة وسبعون .

نذكر بنوع خصوصي من بين رسائل الاحتجاج التي وجهت الى حكومة بولونيا على اعتقال الكردينال فيسزنسكي رسالة وقعها مئتان وخمسون نائباً افرنسياً سلمت الى سفير بولونيا في باريس هذا نصها : ان النواب الفرنسيين الموقعين قد تأثروا جداً لتوقيف الكردينال فيسزنسكي دون مبرر وقد سبقه توقيف غيره من رعاة الكنيسة السيدين الكردينالين ميدزنتي وستايناك لذلك هم يحتجون بشدة على اللجوء الى هذه المعاملات التي لا تليق ببلاد متمدنة ويطالبون الحكومة البولونية بان تنهي اعتقالاً هو تعدٍّ فظيع على حرية الضمير التي يهم كل بلد ديمقراطي ان يحميها .

روسيا : موقف الحكومة الشيوعية ازاء الديانة المسيحية .

رغماً عما ابدته الكنيسة الروسية الارثوذكسية والبطريرك الكسي من عطف ومودة نحو السلطة الحاكمة في فرصة موت ستالين لا نجد بعد دليلاً على تبدل الحالة بينها فانها بقيت على ما كانت محض تسامح متبادل وتجاهل . وهذه الحالة ترتكز من جهة الحكومة على النقاط الآتية :

اولاً : طالما الحالة الدولية هي باقية على توترها الكف وقتياً عن مناجزة الكنيسة الاورثوذكسية علناً .

ثانياً : المثابرة على تأييد اللادينية النظرية والعملية بين اعضاء الحزب الشيوعي وفي الشبيبة المنتمية اليه ومنع اعضاء الحزب المسحلة اياهم من الايمان بالله وممارسة اي دين كان .

ثالثاً : السعي في ايجاد وسائل اكثر فاعلية لازدياد اللادينية في الشعب بث التعاليم الماركسية بواسطة الكتب المدرسية والسينما والمحاضرات العلمية الصورية .

رابعاً : التشدد في مقاومة الكنيسة الكاثوليكية الصامدة امام الشيوعية لا فقط في روسيا لكن ايضاً في شتى الحكومات الشعبية وفي الصين وفي البلاد الرأسمالية نفسها بانتهامها بالتعاهد ضد الشعب مع الرأسمالية واعداد حرب عالمية ثالثة .

خامساً : في هذا العراك مع الكنيسة الكاثوليكية الاعتماد على الكنائس الارثوذكسية في روسيا ورومانيا وبلغاريا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا .

– اما هذا التساهل الحالي مع الكنيسة الارثوذكسية فلا يمكن ان يكون الا وقتياً فان الفلسفة الماركسية لا ترضى بالتسامح في قضية الدين لانها تستند على انكار الله وعليه تشيد بنيان عالمها الجديد فانها تدعو الطبقة العاملة لا الى مقاتلة الطبقة المتنفعة وحسب بل ايضاً الى محاربة كل دين وكل ذي دين .

روما – اعلان السنة المريمية : بمناسبة الذكرى المئوية لتحديد عقيدة الحبل بلا دنس اصدر الاب الاقدس البابا بيوس الثاني عشر رسالة جامعة تبدأ بهاتين الكلمتين : « اكليل ساطع »[1] فيها يعلن سنة مريمية تبدأ في اليوم الثامن من كانون الاول المقبل وتنتهي في اليوم عينه من سنة ١٩٥٤ يوم عيد الحبل بمريم البريء من الدنس : يتمنى الاب الاقدس ان يعمل المسيحيون هذه السنة المكرسة للعذراء سنة تضرعات حارة غزيرة وسنة زيارات احتفالية عديدة الى معابدها . وقد منح غفرانات كثيرة في هذه المناسبة .

روما – الجامعة الغريغورية : من ١٣ الى ٢٠ من تشرين الاول احتفلت الجامعة بالذكرى المئوية الرابعة لتأسيسها . انشأ القديس اغناطيوس دي لويولا الكلية الرومانية سنة ١٥٥١ لكنها لم تبدأ بالقاء الدروس الفلسفية واللاهوتية وتُعتبر جامعة الا سنة ١٥٥٣ . يبلغ اليوم عدد دارسيها الاكليريكيين الفين وثلاثمئة وثمانية وثمانين ينتمون الى ثماني وخمسين امة والى خمسمئة ابرشية .

ومما اشتمل عليه برامج الاحتفالات المئوية الرابعة مؤتمر علمي أُلقي فيه سلسلة محاضرات لمعاهد اللاهوت والحق القانوني والفلسفة والتاريخ الكنسي والرسالات .

تفتخر الجامعة الغريغورية بانها تَعُدّ بين متخرجيها القدماء ستة قديسين وثلاثين طوباوياً وثلاثة عشر من الباباوات .

اخبار عالمية

ايران : في غرة شهر تشرين الثاني الحالي بدأت محاكمة الدكتور مصادق « المُحتضَر » الذي لا ينيه تعب . وهي محاكمة فريدة بنوعها مهمة في اتهاماتها ولربما ايضاً بعواقبها . من

[1] « Fulgens Corona »

أعظم التهم الموجهة الى مصادق اثنتان : الاولى انه رفض الخضوع لامر الشاه الذي عزله من منصب رئاسة الوزارة . والثانية انه هم بكل جهده في قلب الحكم القائم في ايران حيث تشغل السلطة الاولى فيه

ايران بلاد تبلغ مساحتها ثلاث مرات مساحة فرنسا يقطنها سبعة عشر مليوناً من السكان. وهم باغلبيتهم اسلام شيعيون وعدد المسيحيين فيها مئة وخمسون الفاً .

البلاد العربية واسرائيل : منذ توقيع الهدنة الى اليوم لم تزل قائمة على حدود الدول العربية واسرائيل مناوشات ومصادمات عنيفة وقد بلغت مؤخراً اشدها .

في الليلة الواقعة بين ١٤ و١٥ تشرين الاول تجاوزت نصف كتيبة من الجيش الاسرائيلي بعتادها الكامل حدود عمان واغارت على قرية قبية فدمرت فيها واحداً واربعين مسكناً وقتلت اكثر من خمسين شخصاً وجرحت خمسة عشر . وقد انكرت لجنة الهدنة المشتركة هذا الاعتداء الوحشي فاعترى واشتط القلق وثارت في انكلترا المخاوف لوجود معاهدة ١٩٤٨ معاهدة « سلام دائم وصداقة ابدية » بينها وبين عمان .

المملكة السعودية : في ٩ تشرين الثاني الجاري تُوفي الملك عبد العزيز بن سعود بعد مرض طال امده فخلفه ابنه البكر الامير سعود وتعيّن ولياً للعهد الامير فيصل احد انجال المتوفى وكان وزير خارجية المملكة السعودية .

فرنسا : ثارت في الرأي العام والجرائد وخصوصاً في المجلس الوطني مجادلات شديدة بخصوص « الاسرة الدفاعية الاوروبية » وتوحيد جيوشها . يرفض اخصام المشروع ايجاد جيش الماني قوي يصبح يوماً خطراً عظيماً على السلم وعلى سلامة فرنسا : خصوصاً يوم ينطلق الجيش الاميركي من اوروبا . اما اميركا فتظهر متمسكة بتحقيق المشروع خوفاً من بقاء المانيا ازاء الاتحاد السوفياتي غير قادرة على الدفاع عن نفسها لكنها رغماً عن ذلك قد كذّبت مؤخراً انها تهددت فرنسا اذا صممت على رفض المشروع بانشاء جيش الماني قوي خارجاً عن اسرة الدفاع الاوروبي .

تريستا : في ٨ تشرين الاول اعلنت الحكومتان الانكليزية والاميركية عزمها على سحب جيوشها من منطقة « الف » وتسليم المنطقة الى ايتاليا فقامت قيامة تيتو واحتج وهدد وتحركت جيوشه قاصدة الحدود . فاستفادت الحكومة السوفياتية من الحادث بغية بذر الشقاق بين حلفاء الغرب . وانتهت المناورات برجوع الجيش الانكليزي الى المنطقة المذكورة لاحتلالها من جديد . فحدث انذاك حوادث دامية مؤسفة :

في صباح ٥ تشرين الاول قامت مظاهرات ايتالية في تريستا فقاومتها الشرطة الانكليزية بشدة وشراسة حتى انها تبعت المتظاهرين الى داخل كنيسة القديس انطونيوس . وبعد ظهر اليوم عينه اجتمع عدد غفير في فسحة الكنيسة المذكورة تكفيراً لحادث الصباح فصادمتهم القوات الانكليزية بعنف مفرط واطلقت النار فيهم فوقع منهم عدد من القتلى والجرحى وكذلك حدث اليوم التالي . ويظهر اكيداً ان المتظاهرين لم يستعملوا في الدفاع عن نفوسهم ادنى سلاح وان اعمال القمع جاوزت الحدود بشدتها .

مطبوعات شرقية

تاريخ العرب قبل الاسلام

الجزء الثاني من القسم السياسي – تأليف الدكتور جواد علي

بغداد . مطبعة التفيض الاهلية . ص ٤٢٨ ثمن ٥٠٠ فلس مزين بلوحات

يواصل الدكتور جواد علي نشر مؤلفه الواسع عن تاريخ العرب قبل الاسلام . وبين يدينا الآن منه الجزء الثاني من القسم السياسي الذي ظهر في العام الماضي . وهو يبحث في تاريخ الحكومات والمشيخات والقبائل العربية التي عاشت قبل الميلاد . ولنذكر للقارئ بايجاز ما ورد في فصول الكتاب السبعة : يبحث الفصل الاول والثاني في مملكة قتبان وحضرموت وفي ما يمكننا ان نعرف عن ملوكها وقوانين الحكم فيها ، وعن بعض الاسر والقبائل وحكامهم . وفي الفصل الثالث والرابع والخامس بحث في شؤون مملكة سبأ وملوكها وقبائلها العديدة . والفصل السادس يعنى خاصة بالعرب الشماليين وبما كان لهم من صلة بالاشوريين والكلدانيين والعبرانيين وبما كان للغة العربية من اثر في العبرانية . ويجمع المؤلف في الفصل الاخير من بطون الكتب القديمة ما ذكره مؤرخو اليونان والرومان عن العربية . ومعلوم ان هذه المصادر مورد مهم من الموارد التي تعين على تدوين تاريخ العرب قبل الاسلام .

كنا عرضنا في عدد سابق عند تعريفنا للجزء الاول ، طريقة الدكتور علي في التأليف وذكرنا روحه العلمية وتقصيه للآثار ونقده النزيه . فهذا النهج هو هو في الجزء الحالي ؛ ولقد اعتمد في بحثه على اهم ما نشر في الموضوع وبصورة خاصة على مجموعتين اساسيتين هما : الاولى « الكتابات السامية » والثانية « دليل الكتابات الشامية » . وهما اوسع المظان للكتابات العتيقة ، كما يقول . ولما كانت غايته ان يجعل من كتابه اجمع مؤلف يوضع بين ايدي الباحثين والمتخصصين فانه يتبسط في العرض ويجهد الا يدع شاردة تفوته دون ان يدونها . على انه لا يكتفي بالتدوين والترتيب بل انه كما قلنا يمحص ويعلل ويبدي حكمه بالمقدار والاتزان الذي تسمح به النصوص . وهذا لا يعني ان

حكمه هو القول الفصل — وهو اول من ينكر على نفسه هذا الاعتداد — لكن القارئ يجد دوماً فائدة من الاستئناس برأيه المعلّل الموزون . ونرى من الواجب ان ننبه القارئ الى انه لن يجد في هذا الكتاب تاريخاً للحوادث والملوك مرتباً ترتيباً زمنياً ، لان هذا النوع من التأليف لا يصح الأخذ به في الوقت الحاضر الا في حدود ضيقة وبحذر شديد ، كما يقول هو ، لان عملاً كهذا لا بد ان يستند الى نتائج حفريات علمية عميقة دقيقة ، وعلى تقاويم وقوائم يُركن اليها ويُعتمد عليها ، وعلى مقايسات ومقابلات وامثال هذا لم يتهيأ بعد . لذلك يقتصر على سرد ارقام التواريخ والامور الرئيسية التي ليس في ذكرها زلل . وما احوج اللغة العربية الى مثل هذه الابحاث العلمية الوئيدة الخطى التي تُطلِع المثقفين على ما توصل اليه البحاث الثقات وتمهد السبيل الى دراسات ناضجة في المستقبل البعيد باذن الله . ي . ع .

هم ونحن

تأليف الاب جبرائيل كليجا والسيد كبريال زرازير

ص ٢٥٠ سنة ١٩٥٢

«هم ونحن» كتاب وضعه مؤلفاه الاب ج. كليجا والسيد ك. زرازير للدفاع عن الدين المسيحي الكاثوليكي دفاعاً منطقياً هادئاً مشفوعاً بشتى الشواهد التاريخية . يقول المؤلفان صفحة ٣١٨ : «تعود البعض من خصومنا على الشتم والمسبات واذا عرضت اقوالهم على كور التمحيص لرأيتها خاوية خالية من كل اثر تاريخي . اما نحن فاننا لا نريد ان نكيل لهم بهذا الصاع ونطاولهم بهذا الذراع . فعلى القارئ ان يبحث وينظر من السابح في بحر الاوهام والتائه بها والغارق ... لا نظن ان نية خصومنا جميعهم سيئة...» انما ينقصهم الاطلاع على حقيقة الكاثوليكية اطلاعاً تدعمه الحجة الفلسفية السليمة والشواهد التاريخية النزيهة . لذلك عالجا في جزء طويل ضرورة الاقرار بالله المبدع ، داحضين مذاهب الدهريين والماديين والشيوعيين، مثبتين وجود المبدع من آثاره ومصنوعاته ومن شهادة العلماء الدينيين والجاحدين على السواء . ثم افردا جزءاً في ضرورة وجود الدين فاستعرضا الاديان الكبرى بالنسبة للدين المسيحي الذي عدّدا صفاته

الجوهرية ودحضا البدع المسيحية . وفي الاثر اضافا فصلاً للتدليل على ان الاحبار الرومانيين وحدهم خلفاء بطرس الشرعيون . اما الجزء الاخير ففيه الجواب على اهم ما انكره البروتستانت من مطهر وصوم وتعبد للعذراء مريم والقديسين .

ان خير ما يمتاز به الكتاب الذي نحن بصدده هو كثرة الاستشهادات باقوال عدد كبير من الكتّاب ، سواء كانوا كاثوليكيين او لا ، مع تعيين مآخذها في الحواشي المطولة . فمعظم الكتاب يكاد يكون مؤلفاً من مقتطفات منتقاة تجعل قراءته سهلة مفيدة لاسيا لفئتين من الناس : للواعظ الذي يجد فيه منهلاً غزيراً يساعده على تحفيل عظاته باقوال وامثال تقربها من النفوس، وللمؤمن الذي تخالجه نفسه بالشك في الايمان فهو له ترياق لدفع سموم الضلال . لا شك ان القارئ المتوسع قد يعثر هنا وهناك على امور ينقصها التدقيق ، لكن تأليفاً كهذا لا يمكنه ان يكون خالياً من كل شائبة صغيرة ، فلا كبير ضير عليه من جراء ذلك .

ي . ع .

اغاني المنفى

من نظم الاب رفائيل نخلة اليسوعي

١٢,٥ × ٢٢,٠ س . ص ٢٥٦ مطبعة الاحسان حلب ١٩٥٣

هذا الديوان الصغير الحجم الفنيّ بمحتوياته يخوّلنا ان نتابع ، بلغته الانيقة وبادوات تعبيره الفذّة، ثروة من الفكرات الدينية نروم دائماً الاعراب عنها على هذه الصورة .

ولئن وقعنا هنا وهناك على بعض القوافي الغثة التي اقتضتها ضرورة الاوزان فمن المستحيل ان يقوى المرء على ان يتفادى مثل هذه الهنات التي ندرت في الديوان ندرة كبيرة .

والمطالع لا ينبغي له ان يقف عند هذه الهنات وهو واجد في هذا الديوان رفيقاً يسليه في ساعات الم ويفرّج عنه في اوقات غصّته ويحلّ له العقدة في اوان تضجّره ليقع فيه على طمأنينة تشفّ عنها كلّ كلمة من كلماته الصادرة عن نفس المؤلف .

وجمع الاب مخله تحت عنوان واحد قصائد عديدة متفرقة في كتب عدة . اما وحدة الافكار واما التنسيق الواقعي اللذين جعلها لقصائده فصيّرا منها مجموعة تقدّر فتعتبر . فموضوعاته هي الله والمسيح ومريم العذراء والملائكة والقديسون والفضائل وخشية الموت وذكرى امه المؤثرة وجمال الطبيعة .

اجل انه لتنوّع كبير في الموضوعات يماشي تنوع الاوزان وهذا ما حدا باكبر ادبائنا ان يثنوا على المؤلف كما جاء في الصفحات الاولى من الديوان.

واننا لنرجو لديوانه الانتشار وتعميم الفائدة .

يُطلب الديوان في لبنان من الاب جورج خوري اليسوعي (كلية القديس يوسف — بيروت) . ثمن النسخة ليرتان لبنانيتان ، واذا اراد المقتني ان يُبعث بها اليه بالبريد المكفول ، كان الثمن ليرتين ونصف — ا. ع. خ.

بركة عن قبر القديس شربل

للخوري منصور عوّاد

الجزء الاول ، ١٦ × ١٢ س — ص ٧٦٩ ١٩٥٢ — مطبعة النشر — بيروت

لقد ضمّ هذا الكتاب القيّم المستندات الفريدة الاشد ضبطاً المبيّنة الاحوال والظروف بمناسبة شتى الدعاوى التمهيدية المنعقدة في لبنان لدراسة وضع هذا الراهب القديس الذي ما برحت اشد الخوارق من الاعاجيب تحفّ بجثمانه.

وكان بمقدور المؤلف بصفته محامي الايمان في هذه الدعوى ان يفوز وحده بالمستندات وكان له وحده ان يستفيد منها ويفيد القارئ بها . واننا لنتابع في التفاصيل ، وهي احياناً من اشدّ التفاصيل دقة وقيمة ، كيفية تطور سير الدعوى وموضوعية التحقيقات والاجوبة . وتنطلق من جميع هذه الاثباتات ذات الاتجاه الواحد رنّة صدق على رغم اختلاف تفاصيلها ؛ وبالنظر الى هذه الناحية ، من الواجب الاطلاع على الكتاب .

اما المؤلف فقد حدت به رغبته بالاستفاضة لا في طريق الاسهاب فقط بل قادته في طرق اخرى لا تتصل اتما اتصال باسلوب البحث العلمي الصحيح . اجل ، ان الكتاب لمشحون بكل شيء . ولما كان عنوان هذا المؤلف : القديس شربل ، فقد كان اشد سهولة على المؤلف ان يطلق العنان لقلمه ويتحدث في الوقت

نفسه عن امور اخرى وعن عدة اولياء القداسة ؛ ولماذا ، والحالة هذه ، يحجم عن التحدث عن الذين لهم بعض الاتصال بصاحب موضوعه ... ولماذا لم يؤجل كلامه عليهم ليتعمق في بحثه الاصلي . وهذه السهولة بغرابتها قد افضت بالمؤلف الى التحدث عن الحرديني ورفقا مع انه كان يسعه ان يخص كلا منهما بكتاب على انفراد . فانه ردد مرارًا ان الضرورة اقتضت منه ان يتكلم عنهما ولكنه لم يستطع ان يقنعنا بانه قد احسن صنعاً . وفي اعتقادنا ان ميله الى الاستفاضة ومحبته لها لا يبرران دفاعه الذي وطأ به . اما انحراف قلمه الى مهاجمات شخصية فامر لا نرغب فيه لاننا لا نود ان يكون لمثل هذه المهاجمات مقام في كتاب يتحدث عن الفضائل المسيحية وكمالها . والنهج العلمي كان يستوجب منه ان يغضي عن الخلافات الشخصية لكي لا يتحفنا الا بموضوعية المستندات ليس الا . وان مهاجماته لرؤسائه الروحيين المقنعة هي بغير محلها ولا فائدة منها ومضرة بكتابه . اما مهاجماته السافرة كل السفور للرهبانية اللبنانية تحت ستار الدفاع عن شهرة الراهب القديس شربل فنظنها تقلل من قيمة كتابه وتفقده بعض الثقة بموضوعية ما جاء فيه من الاقوال .

ويا ليت كتاب الاب عواد كان اشد وضوحاً وحبًا وواقعية لتكون قيمته اعظم مما هي .

ا . ع . خ .

فهارس المشرق

للسنة السابعة والاربعين

١٩٥٣

فهرس اول

لمواد اعداد السنة السابعة والاربعين من مجلة المشرق ١٩٥٣

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة السابعة والاربعين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

٢ – مطبوعات اوروبيّة

فهرس رابع

لجميع مواد السنة السابعة والاربعين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

اصلاح بعض اغلاط وقعت في المشرق

ص	سطر	خطأ	صواب
٦٨	٩	مصوّرًا	مصدّرًا
٧٠	١٢	متحقّق	متحقق
٧١	١٨	حذو	حذوا
٧٣	١٧ و١٨	ولو فعل اصحابنا لكنا	ولو فعل اصحابنا فعل اسحق لكنا
٧٥	١٢	صدئهٌ	صدئهٌ
٧٦	٩	موضعها	مواضعها
٧٦	٢١	الضيفة	الصقيفة
٧٧	٩	بعده	بعدُ
٨٨	٢٦	وكان كذلك	وكان ذلك
٨٩	٣	تخشَم	تخشَمَ
٩٩	١٦	لاجابة	بالاجابة
٢٢٢	١٢	أجذ	أحد
٢٢٨	٥	الحبل	الجبل
٣٠٥	٢٤	تنتاض	تنتاظ
٣١٧	٣	واجمها	اجمها
٣٩٧	٨	الرصافي	الضافي
٥٠٣	الحاشية	بصل العار	بصل الفار
٦٦١	١٧	يزمونه	يذمونه
٦٦٤	١٣	ضحضًا	دحضًا

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Quarante-septième année
1953

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1953

TABLE DES SOMMAIRES

XLVII[e] ANNÉE, 1953

◆

JANVIER - FÉVRIER

MARS - AVRIL

MAI - JUIN

JUILLET - OCTOBRE

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

المشرق

السنة الثامنة والاربعون — ك٢ – شباط ١٩٥٤

صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام

بقلم حبيب زيات ✝

المقدمة

من افجع نكبات العلوم العربية في الشرق ضياع اكثر مؤلفاتها القديمة في الفتن والحروب المتوالية وتلفها بين ألسنة النيران وافواه المياه وكأن كل هذه الجوائح لم تكن كافية لتمزيق شملها وتعفية آثارها حتى كانت تجيز عليها ايضاً ايدي الجهلة من الباعة والتجار والنساء. وقد ندب عماد الدين الاصبهاني سوء حظ كتبه ومسوداته ومصيرها بعد وفاته الى الاسكاف والعطار فقال :

هي كتبي وليس تصلح من بعـ ـدي لغير العطّار والاسكاف
هي اما مزاود العطر قبر او بطائن الخفاف

وكفى التركات العربية شقاء ان تُمتَهن صحفها فتكون مزاود للعطر وبطائن

للخلاف والمصائب ثم تحلّ بها ايضاً نقمة الغيارى من النساء . حكى ابن ابي أصيبعة قال :

« حدثني نسيب اوثق الدين بن المطران انه لما توفي كانت عنده مسودات عدة مصنفات طبية وغيرها وتعاليق متفرقة فأخذ احوانه تلك المسودات وصاعت بينهن وقال لي انه رأى عند احداهن صندوقاً ارادت ان تبطنه وقد الصقت في باطنه عدة من هذه الاوراق التي بخطه»[١]

وقال ايضاً في ترجمة الامير محمود الدولة ابي الوفاء المبشر بن فاتك الآمري الطبيب بعد ان وصف خزائن كتبه ودأبه في المطالعة والكتابة :

« كانت له زوجة كبيرة القدر ايضاً من ارباب الدولة فلما توفي رحمه الله نهضت هي وجواريها الى خزانة كتبه وفي قلبها من الكتب وانه كان يشتغل بها عنها فجعلت تندبه وفي اثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجواريها ثم شيلت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق اكثرها . فهذا سبب ان كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال »[٢]

وكم لهذه الضحايا من اشباه ونظائر منسيّة .

وكان قديماً لكل خزانة في دور العلم وبيوت الحكمة وأوقاف الجوامع والمدارس أثبات وجرائد ناطقة بما فيها من المصنفات مفصّلة لنفائسها ونوادرها كالفهرس الذي كان في المدرسة النظامية مثلاً في بغداد . حكى احد من وقف عليه بنفسه وهو شرف الدين ابو عبدالله محمد بن رضوان الحسيني المعروف بالناسخ بسماع فضل الله الصقاعي منه بدمشق في احد شهور سنة ستين وستمائة (١٢٦٧ م) انه وقف في المدرسة النظاميّة المذكورة على فهرست ما صُنف في الدولة الاسلامية من سائر الفنون الى آخر ايام المستنصر في سنة تسع وثلاثين وستمائة (١٢٤١ م) قال والفهرست ستة وخمسون مجلداً[٣] . فما الظن بما كان بعد ذلك في سائر المدارس ومعاهد العلم وخزائن الخاصة على كثرتها وتفرقها في اهم المدن والاقطار . ومن اعتبر ما كان للبيروني وحده وقرأ قول ياقوت ان تصانيف البيروني في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة تفوق الحصر وانه رأى فهرستها في وقف الجامع بمرو في ستين ورقة بخط مكتنز[٤] يدرك مقدار ما

١) عيون الانباء في طبقات الاطباء ٢ : ١٨١

٢) عيون الانباء ٢ : ٩٩

٣) تالي كتاب الاعيان للصقاعي ٢٠٦١ باريس ٦٥

٤) ارشاد الالباء لياقوت ٦ : ٣١١

تلف عدد من مؤلفات السلف واوصافها بما حرمناه من كنوزها وفرائدها .

وفي مثل هذه الحال من ضياع المؤلفات وفرائدها وخسارة الخزائن ونفائسها لم يبقَ لنا سبيل الى ان نعرف هل تقدم لاحدٍ كتاب في تعريف صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام . ومعلوم ان الكتب والرسائل الموضوعة في الحرف والفنون كانت في كل عصر ومصر قليلة نادرة لان مثل هذه الاوصاف كانت دائماً من اضيق الاغراض نطاقاً واعسرها مطلباً لما تقتضيه من المشاركة والتخصص في معنى ما تفرق من اخبارها وما يحول دون الاحاطة باسرارها من عناء البحث والاستطلاع وطول التفتيش والمراجعة . وهو مـا لا يضطلع به الا من رُزق حظاً كافياً من الجلد والصبر وتميز بحب العلم والافادة . ولذلك قلّت المصنفات والشروح في تعريف العلوم والصناعات وانواع المعاشات واعرض الورّاقون عن الاهتمام بها وتوفير نُسَخها لزهد الطلاب والقراء في شرائها وتحصيلها وانصرافهم عنها الى ما كان اعلق بدروسهم وامسّ بحـاجاتهم كالكتب المختصة بالعلوم الدينية واللسانية . فلا عجب اذا خفي علينا اليوم جلّ ما ازدانت به الحضارة العربية من غرائب الفنون والحِرف والتجارات .

ومن الاشارات التي انتهت الينا في شرح انواع الصناعات قديماً مـا نقله الصفدي في ترجمة شرف الدين ابن اسد المصري المتوفى سنة ثمان وثلاثين او سبع وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٧ — ١٣٣٦م) انه « وضع كتاباً في مادة كتاب ابن مولاهم في الصنائع الا ان الذي لابن مولاهم في خمسين صناعة والذي لابن اسد في الف ونيّف صناعة ومنها مئتان تختصان بالنساء . قال : وهذا عمل كثير واستقراء عنيد[1] » . ولا محالة انه كان في هذين التأليفين ذكر لصناعة الورق لتعددها وانتشارها قديماً في مدن الشرق ولعلنا لا نبعد عن الحق اذا قلنـا ان خسارتنا بضياع كتابَي ابن اسد وابن مولاهم تفوق كل خسارة اخرى لخلو ما بأيدينا من العوض عنها. وانكأ ما في هذه الخسارة وادعاها الى التلهف والتحسر جهلنا اليوم ما كان للنساء خصوصاً من انواع الاشغال والحِرَف وهي ادلّ على ما بلغته الحضارة الشرقية من التفوّق والكمال واعرب عما تقدم في الحياة الاجتماعية من ضروب المعايش ووسائل الارتزاق .

١) اعيان العصر دار الكتب المصرية رقم ١٠٩١ (تاريخ) ٣-٦٢٠

وقد امعنا كثيراً في التنقيب والبحث وقلّبنا كل ما تناولته اليد من المطبوعات والمخطوطات في طوافنا على دور الكتب في الشرق والغرب فلم نظفر الّا باسمي كتابين فقط ورد فيها شيء من وصف صناعة الورق في الاسلام الاول كتاب « عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب » في صفة الخط والاقلام والليق والحبر والاصباغ وآلة التجليد الذي أُلّف للامير المعز بن باديس ومنه نسخة سقيمة في المعهد العلمي في دمياط . ونسختان ناقصتان في دار الكتب المصرية وثالثة في الخزانة التيمورية . ونسخ اخرى في الخزانة العربية في فينة. وهو الكتاب الذي ترجمه الى الالمانية وعلق عليه ونشره جوزيف ڤون كاراباتشك سنة ١٨٨٣ وضمّنه كل ما وسعه علمه من الفوائد في تاريخ الورق العربي[1] وغاية ما ورد فيه « الباب الحادي عشر في عمل الكاغد وتوشية الاقلام ونقشها وسقي الكاغد وتعتيقه » والكتاب الثاني مخطوط في الخزانة الآصفية بالهند لمحمد بن قوام المعروف بقاضي خان (٨٧٦ / ١٤٧١) دعاه المخترع في فنون من الصُنع (كذا) وقد تفضل صديقنا الاستاذ كوركيس عواد بتصوير صفحات الباب الخامس منه وعنوانه « عمل الكاغد البلدي ووضع الاسرار في الكتب وما يمحو الدفاتر والرقوق» ولكن لسوء الحظ الفيناه كثير التحريف وفي مواضع منه بياض غير قليل فلم نستفد منه الفائدة التي كنا نتوخاها .

وهنالك اجزاء وورقات وُضعت في ذكر القلم والليق والحبر كالرسالة التي قرأناها في دار الكتب المصرية وليس فيها ما يُحتفل به ولها نظائر في الخزائن العامة والخاصة خلافاً لما تقدم في معناها ككتاب القلم والدواة لمحمد بن عمر المدائني الذي اقتبس منه القلقشندي بعض اقواله في صبح الاعشى . ولا نشك انه قد فاتنا بضياعه فوائد شتى ان لم تكن في تفسير عمل الكاغد فلا محالة في اوصاف الورق وانواعه كالفصول التي وردت في مخطوط باريس (رقم ٤٤٣٩) الموسوم غلطاً في رأينا بعنوان « ديوان الانشاء » وهي التي نقلناها في الكلام على الورق المصري والشامي .

ولما اخفق رجاؤنا ان نعثر على دفائن اخرى في شرح صناعة الورق والاستزادة

1) A. Grahman : *Arabic Papyri in the Egyptian Library*. 3 vol. Cairo 1934—38

من وصفها اقبلنا على تصفح كل ما وقع الينا من كتب اللغة والانشاء والتراجم والسِيَر والنوادر والمجاميع الادبية والاسفار التاريخية وقيدنا منها كل تصريح او تلويح الى القراطيس والكواغد واعمالها وانواعها واخبارها في الاسلام . وظللنا نعاني مشاقّ هذا الاستقراء الطويل عدة سنين حتى اعيانا المزيد . وضقنا ذرعاً باكتشاف جديد ورأينا انه اجتمع لنا من هذه اللُقَط جانب ان لم يبلغ حد الكفاية ففيه على كل حال بلغة وغناء في تاريخ الورق الشرقي فبدأنا على سبيل التمثيل بنشر فصول من مجموعنا بعنوان « الجلود والرقوق والطروس » ظهرت في مجلة الكتاب في القاهرة (يوليه — تموز سنة ١٩٤٧ ص١٣٥٨ — ١٣٦٦) ثم توقفنا عن المزيد ريثما يتيسر لنا تفقد شيء من ماضي الكاغد وصناعته في الاندلس العربي وهو ما اقتضى دهراً طويلاً لتعذر السفر اليه .

وقد رتّبنا ما عثرنا عليه من الفوائد والشوارد والاشارات ترتيباً نرجو ان نكون قاربنا فيه شاكلة الصواب واستمنّا في كتابة ما اخترناه في تعريف البردي والبرديات والقراطيس بمؤلف العلامة جرهمان[1] في المجلد الاول منه الذي عرّبه بمشاركة الدكتور حسن ابرهيم حسن في القاهرة سنة ١٩٣٤ . وقسمنا الكلام على ما سبق ظهور الكاغد في اوائل الخلافة العباسية من مواد الكتابة تقسيماً يخال لنا اننا احطنا باهم اجناسه واطلقنا على هذه المكاتب وبينها الحجر والخزف والعظام والجلود والثياب لفظة الصحف لان الصحيفة في اللغة تتناول كل ما يُكتب فيه وقد وردت لذلك بمعنى الجلد في حكاية دعبل الشاعر المعروف قال :

« جاءني ابو سعد المخزومي يوماً ببغداد اشد ما كان بيني وبينه من الهجاء وبين يدي صحيفة ودواة وانا اهجوه فيها . فامرت الغلام برفع الدواة والجلد الذي كان بين يدي . فقال لي أنا اليوم في دعوة عندك (وبعد أن أكل وشرب) ودعني وانصرف وامرت غلماني فخرجوا معه الى الباب فاذا غلام منهم قد انصرف الي بقطعة قرطاس (فيها بيتان هجاء لدعبل) فقال دعبل : ويلي على ابن الفاعلة هاتوا جلداً ودواة . . . فعدت الى هجائه »[1]

ومن اظهر الشواهد ايضاً على ورود الصحف بمعنى الجلود ما حكاه ابن المقفع عن الفرس وكتابتهم في الجلود البيض قال :

---

١) الاغاني طبعة بولاق ١٨—٥٢

«كانت الرسائل في بيت المال تُقرأ على الملك وهي يومئذ تكتب في صحف بيض وكان صاحب الخراج يأتي الملك كل سنة بصحف موصلة قد اثبت فيها ما اجتبي من الخراج وما أنفق في وجوه النفقات وما حصل في بيت المال فيختمها ويجيزها . فلما كان كسرى بن هرمز تأذى بروائح تلك الصحف وامر ان لا يرفع اليه صاحب ديوان خراجه مما يرفع الا في صحف مصفرة بالزعفران وماء الورد وان لا تكتب الصحف التي تعرض عليه عمال المال الا مصفرة ففُعل ذلك»[1] - - - - - - -

وقد دعا ابو معشر البلخي مثل هذه المواد التي كان يُخطّ فيها «المكاتب» اي ما يكتب فيه وهي اصح تسمية واكثر مطابقة ولكنا اخترنا العدول عنها لامكان التباسها بمواضع التعليم اليوم او مواضع كتابة الجند للحروب قديماً.

ولا ريب انه شذ عنا كثير من اخبار الصحف واوصاف عمل الكاغد في الاسلام لقلة ما كتب عنها او لضياعه بيد الحوادث والغِيَر وما نشرناه منها كاف على كل حال للدلالة على ما كان لهذه الصناعة والاتجار بها من القدر وجلالة الشأن وقد طبقت شهرتها آفاق المشرق وبقي لها الى اليوم آثار في مصطلحات كتاب المغرب .

١ ـــ اللِخاف والخزف

اللخاف حجارة بيض عراض رقاق واحدتها لَخْفة وفي حديث زيد بن ثابت حين امره ابو بكر الخليفة الاول ان يجمع القرآن قال : فجعلت اتتبعه من الرقاع واللخاف والعُسُب[2] وفي صحيح البخاري قال زيد بن ثابت : فتتبعت القرآن اجمعه من العُسُب والرقاع واللخاف وصدور الرجال[3]. ومن البديهي ان يكون اول ما عمد اليه الكاتب العربي لتسطير الكلام وتقييد الخواطر ما وقعت عليه عينه وتناولته يده من الحجارة البيض الرقاق العراض الملس لسهولة الخط عليها. واكثر ما كانت تستعمل في القرى والبوادي حيث يسهل وجودها واختيارها واما في المدن والحواضر فكانوا يؤثرون عليها شقاف الخزف والفخار وما تكسر من صحاف الفخار والآنية . وكان الشافعي في حداثته يتلقطها في جملة

١) فتوح البلدان للبلاذري طبعة اروبة ٢ : ٤٦٤
٢) لسان العرب ١١ : ٢٢٧
٣) صحيح البخاري ٢ : ١٦٢

ما يجمعه من صحف الكتابة لتدوين الحديث وهو قوله بسماع الربيع بن سليمان : لما خرجت من الكتّاب كنت التقط الخزف[١] .

وكانت مثل هذه الكتابة على الخزف باقية في ايام الخلافة العباسية حتى بعد ظهور الورق السمرقندي . وممن عُزل عن ولايته بسببها ابرهيم بن المهدي اخي هرون الرشيد وكان وليَ امارة دمشق فاشتهى يوماً شرب الصبوح وامر باغلاق ابواب « الخضراء » دار معاوية قديماً حيث كان يقيم عمّال دمشق ولم تكن خربت بعد خلافاً لمن ظن انها زالت بزوال دولة الامويين « فحضر الكاتب وسأله بعض الحشم ان يكتب له الى صاحب النُزُل وأعجله عن استخراج الدواة فأخذ فحمة وكتب في خزفة بحاجته فأخذ الحاجب سليم تلك الفحمة وكتب على الحائط « كاتب يكتب بفحمة وحاجب لا يصل » واتفق ان وافى صاحب البريد وهو عين للخليفة يطالعه باخبار العمال والولاة فكتب بذلك الى الرشيد وهو في مدينة الرقة ووصل اليه كتابه في اليوم الرابع فساعة وقع بصر الرشيد على الكتاب عزل اخاه ابرهيم وحبسه مائة يوم »[٢] .

ومن امراء العباسيين الذين كتبوا في الخزف قبل الخلافة عبدالله بن المعتز قال بعض من كان يخدمه :

« خرج يوماً يتفرد ومعه ندماؤه وقصد الجديد وبستان الناعورة وكان ذلك آخر ايامه فأخذ خزفة وكتب عليها بإصبعه[٣]

سقياً لظل زماني ودهري المحسود
ولى كليلة وصل قدام يوم صدود

قال وضرب الدهر ضرباته ثم عدت بعد قتله فوجدت خطه حياً وتحته مكتوب :

أفٍّ لكل زماني وعيشي المحسود
فارقت اهلي والفي وصاحبي وودودي
ومن هويت جفاني مطاوعاً لحسودي
يا رب موتاً والا فراحة من صدود »[٤]

---

١) ارشاد الاريب لياقوت ٦ : ٢٦٤ وتاريخ ابن عساكر دار الكتب الظاهرية دمشق ١٤ : ٩٩[٢]

٢) تاريخ الاسلام للذهبي خزانة اكسفرد Lond. Or. 244 fo 182—83

٣) في الاصل المطبوع « وكتب على الجص » والصواب ما اخترناه .

٤) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم بن احمد العباسي ٢ : ٤٤—٤٥

وكان صبيان المكاتب وبعض المتأدبين وطلاب الحديث يؤثرون هذه الصحف الخزفية الملس لتقييد ما يروق لهم او يُملى عليهم من الفوائد والسماعات. ومن اشهر الجرّارين الذين كانوا يُقصَدون للحصول على امثال هذه الرقاع لتدوين ما يتمجلونه او يقع اليهم من الاخبار والاشعار ابو العتاهية قبل ان يحترف الشعر حدث عبد الحميد بن سريع مولى بني عجل قال :

« انا رأيت ابا العتاهية وهو جرار يأتيه الاحداث والمتأدبون فينشدهم اشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيها »[1]

ولم يذكر احد بأي قلم او حبر في ما عدا الفحم والجص كان يكتب في اللخاف والخزف ولا سيما عند مفاجأة السماع ولعله كان لمثل هذه الصحف ادوات خاصة كالملول الذي كان يكتب به على الالواح كما سيجيء.

وفي داري الكتب والتحف الملكية في القاهرة وبعض المتاحف الاوربية في فينّة وبرلين وهمبورغ قطع معدودة من هذه الخزفيات العربية الجليلة . وكان بين انقاض قصر خربة مفجر شمالي اريحا التي نقلت الى دار التحف في القدس قطعة من اللخاف كتب عليها بخط كوفي « لعبدالله بن هشام امير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلّم عليك فاني احمد الله اليك الذي لا إله الا هو ». وعُثر في تعمير الحير الغربي على قطعة من اللخاف كتب عليها « من هشام امير المؤمنين الى ابي العباس احمد »[2].

٢ — الكُرَب والعُسُب

الكرب اصول السعف الغلاظ العراض التي تيبس فتصير مثل الكتف واحدتها كَرَبة[3] ومن اشهر من كتب الحديث على الكرب وملأ منها ومن غيرها الجباب والجرار الامام الشافعي كما سيأتي من قوله .

والعُسُب جمع عسيب وهو جريد النخل اذا نُحّي عنه خوصه والعسيب من السعف فويق الكرب لم ينبت عليه الخوص... ومنه حديث زيد بن ثابت :

١) الاغاني طبعة بولاق ٣ : ١٢٩
٢) مجلة المجمع العربي بدمشق (ايار — حزيران ١٩٤٣) ص ٢٢١—٢٢٥
٣) لسان العرب عن المحكم ٢ : ٢٠٨

فجعلت اتتبع القرآن من العسب واللخاف ومنه ايضاً حديث الزهري : قبض رسول الله (صلعم) والقرآن في العسب والقضُم[1] قال لبيد يصف كاتباً :

متعود لَحِن يعيد بكفه قلماً على عُسُبٍ ذبلن وبان[2]

يريد بالعسب الذابلة اليابسة ويظهر ان العسب اليمانية كانت تفضل ما سواها ولذلك كانت اكثر ما تذكر في وصف مزامير داود قال امرؤ القيس :

لمن طلل ابصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان[3]

وقال كثيّر في وصف منازل الُبضيع :

تلوح باطراف البضيع كأنها كتاب زبور خُط لدنًا عسيبها[4]

ولم نجد من ذكر البان في غير بيت لبيد المتقدم فهل كان يُستصلح شيء منه للكتابة ؟

٣ ــ لحاء الشجر

من اشهر انواع قشور الشجر التي كُتب فيها قبل الاسلام لحاء الكاذي. قال المسعودي : كتب ملك الهند الى كسرى انو شروان... وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوب بالذهب الاحمر . وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب لحاؤه أرق من الورق الصيني تتكاتب فيه ملوك الصين والهند[5] .

وسمى البيروني هذا اللحاء « تاري » في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة (ص٨١ طبعة ليبسيك) ويشبه ان يكون الإسمان لمسمّى واحد ما لم يكن وقع تحريف في الثاني .

ويتحصل من قول حمزة الاصفهاني ان ملوك فارس سبقوا ملوك الهند والصين في الكتابة على قشور شجرة يقال لها الخَدَنْك او الحدنك تعمل منها القسي

١) لسان العرب ٢ : ٨٩
٢) امالي القالي طبعة الدار ١ : ٥
٣) العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين ١٠٩
٤) معجم البلدان طبعة اروبة ١ : ٦٥٨
٥) مروج الذهب بهامش نفح الطيب ١ : ٢٢٤

التوز ايضاً[1] ويسمى لحاؤها التوز. والخدنك نوع من الحور الابيض قال حمزة:

« سنة خمسين وثلثمائة (٩٦١ م) تهدم من البنية المسماة ساروية في داخل مدينة جي جانب وظهر منه بيت فيه نحو خمسين عدلاً من جلود مكتوبة بخط لم يرَ الناس قبله مثله فلا يدري متى احرز ذلك في هذه البنية. وسُئلت عما اعرفه من خبر هذه المصنعة العجيبة البناء فاخرجت الى حضرة الناس كتاباً لابي معشر البلخي مترجماً بكتاب اختلاف الزيجة ويقول فيه : ان الملوك بلغ من عنايتهم بصيانة العلوم وحرصهم على بقائها على وجه الدهر واشفاقهم عليها من احداث الجو وآفات الارض ان اختاروا لها من المكاتب اصبرها على الاحداث وابقاها على الدهر وابعدها من التعفن والدروس لحاء شجر الخدنك ولحاؤه يسمى التوز وبهم اقتدى اهل الهند والصين »[2]

ومن اشار الى ذلك ايضاً المافروخي قال :« كانوا يكتبون الكتب في لحاء التوز اذ صادفوها ابعد من التعفن واسلم من الدروس»[3]. ووصف البيروني لحاء التوز فقال يعملون به عملاً كالتدهين والصقل يصلب به ويملس ثم يكتبون عليها يعرف نظامها بارقام العدد المتوالي »[4] .

ويظهر ان ورق التوز كان معروفاً موجوداً بدمشق في اواخر القرن السابع للهجرة وهو ما يستفاد من قول ابن شاكر الكتبي في ترجمة جوبان بن مسعود القواس التوزي قال :

« لم يكن يعرف الخط ولا النحو وكانت كتابته من جهة التنوير في غاية القوة بحيث انه استعار من القاضي عماد الدين بن الشيرازي درجاً بخط ابن البواب ونقل ما فيه الى درج بورق التوز والزق ورق التوز على خشب واوقف عليه ابن الشيرازي فاعجبه وشهد له ان في بعض ذلك شيئاً اقوى من خط ابن البواب واشتهر بذلك في دمشق وبقي الناس يقصدونه ويتفرجون عليه وكان له ذهن خارق وتوفي في حدود الثمانين وستمائة[5] (١٢٨١ م) ».

ومن قشور الشجر التي كان يُكتب عليها وتختم بختم السلطان في مملكة الهند والسند ويتعامل بها كالنقود لحاء التوت وهي التي دعاها ابن التوطي « الجاوز » وابن بطوطة «دراهم الكاغد»[6] قال شهاب الدين العمري في كلامه على المملكة المشار اليها :

١) الفهرست لابن النديم طبعة القاهرة ٣٣٦ وخطط المقريزي مطبعة النيل ٦: ١٨٦
٢) تاريخ ملوك الارض طبعة كلكتا ١٧٢—١٧٣ والآثار الباقية للبيروني ٢٦
٣) محاسن اصفهان ٩٣
٤) تحقيق ما للهند من مقولة ٨١ ٥) فوات الوفيات ١ : ١٤٠
٦) طالع مقالتنا « دراهم الكاغد » في الخزانة الشرقية ٣: ١٣٩—١٤٠

« ومعاملتهم بقشور من لحاء شجر التوت مطبوعاً باسم القان فاذا عتق ذلك المتعاطى به حمله الى نواب القان واخذ عوضه مع خسارة لطيفة كما يوجد في دار الضرب على ما يؤخذ اليها من الذهب والفضة ليضرب بها[1] . . . ومعاملتهم بورق التوت ومنها كبار ومنها صغار فمنها ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم الواحد ومنها ما يقوم مقام درهمين ومنها ما يقوم مقام خمسة واكثر الى ثلاثين وخمسين ومائة وهي يؤخذ من لحاء شجر التوت الابيض ويختم باسم القان وتجري به المعاملات فاذا عتق واضمحل حمل الى الخزانة وأعطي عوضه مع غرم قليل »[2] .

٤ ـ العظام والاكتاف

في لسان العرب : الكتف عظم عريض يكون في اصل كتف الحيوان من الناس والدواب كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم (١١:٢٠٢).

وقال ابن النديم : « ان العرب تكتب في اكتاف الابل واللخاف وهي الحجارة الرقاق البيض وفي العسب عسب النخل »[3] . وذكر ابن خلكان في كلامه على « مسك الجفر » وهو جلد الماعز تقول الشيعة ان الامام جعفر الصادق كتب لهم فيه كل ما يحتاجون اليه وكل ما يكون الى القيامة قال : « كانت عادتهم في ذلك الزمان انهم يكتبون في العظام والخزف وما شاكل ذلك »[4] .

ولا ريب ان هذه الكتابة في البادية كانت شائعة كل الشيوع لكثرة الابل فيها وما كان يُنحر منها ولكنها كانت معروفة ايضاً في الحواضر وبقيت فيها الى ما بعد ظهور الورق وذلك لوفرة العظام والاكتاف قال الشافعي :

« لما خرجت من الكتاب كنت التقط الخزف والرقوق وكرب النخل واكتاف الجمال اكتب فيها الحديث واجيء الى الدواوين فاستوهب منها الظهور فاكتب فيها حتى كانت لامي حباب فملأتها اكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءة حديثاً »[5] .

وكانت هذه الاكتاف سهلة المتناول يجدها المرتاد لها من ايسر سبيل ويُترسل بها حتى الى النساء . قال الاصمعي : « كان عمر بن ابي ربيعة وابن ابي

---

١) الجزء الثالث من مسالك الابصار خزانة باريس ٢٣٢٥ ص ٤٢

٢) الجزء الثالث من مسالك الابصار خزانة باريس ٢٣٢٥ ص ٤٦

٣) الفهرست ٣١

٤) وفيات الاعيان لابن خلكان ١ : ٣٩٢

٥) ارشاد الاريب طبعة مرجليوث ٦ : ٣٦٩ وتاريخ ابن عساكر الظاهرية دمشق ١٤ : ٩٩ ع ٢

عتيق جالسين بفناء الكعبة مرت بهما امرأة من ربيعة وقيل من آل ابي سفيان فدعا عمر بكتف فكتب فيها :

أَلِمَّا بذات الخال فاستطلعا لنا على العهد باقٍ ودها ام تصرما
وقولا لها ان النوى اجنبيّة بنا وبكم قد خفت ان تتيمّا

فقال له ابن عتيق: «ما تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب لها بمثل هذا؟»[1].

وحكى ابو الفرج الاصبهاني قال : حدثني مولى لبني كليب بن يربوع ... قال : كنت اجمع شعر جرير ... فجاءني ليلة ... فأكل ثم قال هاتِ نبيذك ثم قال هات دواة وكتفاً فأتيته بها فجعل يملي علي قوله : « أقِلّي اللوم عاذلَ والعتابا »[2].

وفي بعض الاقوال ان الجواري والقينات في عهد الخلفاء العباسيين كنّ يتلقّن مثل هذه الكتابة ويتدرّبن عليها ولابي دلامة المشهور قصيدة الى العباس ابن المنصور قال فيها :

هذي مقالة شيخ من بني اسد يهدي السلام الى العباس في الصحف
تخطّها من جواري المصر كاتبة قد طالما ضربت في اللام والالف
وطالما اختلفت صيفاً وشاتيةً الى معلّمها باللوح والكتف[3]

ولا نظن ان الاكتاف كانت تؤخذ من الابل وحدها دون غيرها من اكتاف الحمر الوحشية والغنم والماعز وفي دار الكتب والتحف المصرية نفائس من الاكتاف المكتوبة .

٥ ــ الخِرَق والثياب البيض

في خزانة الادب للبغدادي ان المعلقات المشهورة كانت تسمى المذهبات قال : وذلك انها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت في الكعبة[4] . ولا ندري عمن نقل هذا القول وليس في الآثار القديمة ما

---

١) كتاب الموشى لابي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشا ٦٥-٦٦
٢) الاغاني ٩ : ١٢٦
٣) الاغاني ٩ : ١٢٦ والعقد الفريد لابن عبد ربه المطبعة الازهرية ١ : ٨٠
٤) خزانة الادب المطبعة السلفية ١ : ١٢٢

يؤيده وفيه اشارة الى استعمال القباطي في الجاهلية للكتابة . والقبا
قبطية وهي ثياب من الكتان كان يصطنعها حاكة القبط في مصر في
البياض والنقاء. ولذلك صح تشبيها باللبن المحض في بيت لرجل من الـ
به المغيرة بن شعبة وكان اعور دميماً فشبهه اذا مشى متأزرًا بقبطيته بـ
ضرب من الخنفساء يركض في اللبن فقال :

اذا راح في قبطية متأزرًا فقل جعل يسعى في لبن محض

ومن النسج التي كانت تستصلح للكتابة الثياب القوهية. يقال ثو
نسبة الى قوهستان بلد في كرمان في فارس وهو ثوب ابيض قيل « ا
الثريا وعمر بن ابي ربيعة غائب كتب اليها :

كتبت اليك من بلدي كتابة موله كمد .

وكتبه في قوهية وشنفه وحسنه وبعث به اليها فلما قرأته . . كتبت ا

اتاني كتاب لم ير الناس مثله أمد بكافور ومسك وعـ
وقرطاسه قوهية ورباطه بعقد من الياقوت صاف وحو

وربما كتبوا الصداق وهو مهر المرأة في النصافي البيض جمع نصفي
الثياب وعدّ ابن الحاج مثل هذه الكتابة من باب المباهاة والمخالفة
لبس النصافي مباحاً للرجال والنساء. قال : « وهذا ليس يلبس والـ
موجود وذلك منهيّ عنه ولهم في الرق وغيره من المباح اتساع »[2] .

« ولما قال دعبل قصيدته المعروفة :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصا
كانت مكتوبة في ثوب يأحرم فيه وامر ان يجعل في اكفانه »[1]

وفي سنة ١٣٦/٧٥٣ « بايع ابو العباس السفاح لابي جعفر المنـ
العهد بعده ولابن اخيه عيسى بن موسى بعد ابي جعفر و كتب العهـ

---

(١) الامالي للقالي ٢٧٨

(٢) الاغاني طبعة الدار ٢٢٥:١ - ٢٢٦

وختمه بخاتمه وخواتيم اهل بيته ودفعه الى موسى بن عيسى »[1] .

وفي سنة ٦٨٠/١٢٨٢ « يوم السبت سادس رمضان حضرت رسل الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول متملك اليمن وسألوا ان يُكتب لرسلهم امان على قميص وتُعلّم عليه العلامة السلطانية فأجيبوا الى ذلك »[2] . . . .

وكانوا يتخذون ايضاً الثياب البيض للتصوير واكثر ما يصوّر عليها « صفة الدنيا » قال ابن النديم : « رأيت هذه الصفة في ثياب دبيقي خام باصباغ وقد شُمّت الاصباغ »[3] . ورأى البشاري المقدسي هذه الصفة « على كرباسة عند ابي القاسم ابن الانماطي بنيسابور »[4] . والكرباسة ثوب من القطن الابيض تغلب عليه الخشونة ومثل هذا التصوير هو المعروف اليوم بالخارطة .

ومن اشباه هذه الثياب والخرق كانوا يتخذون الصُرَر لتغليف النقود وارسالها بعد ان يُخطّ عليها اسم مرسلها وعنوان من ترسل له وفيها كانت تدوّن بعض الرسائل والمخاطبات والوثائق والعبارات . وكانت الحاكة في بوصير وسمنود يصطنعون خرقاً خاصة لمثل هذه الكتابات يجعلونها كالبطاقات ويعلقونها بأعناق الجرار والاوعية التي كانوا يصونون فيها الكتب ومدارج القراطيس خوفاً من تقصّفها وتقطعها فكان بكل قطر منها بطاقة منوطة به باسم صاحبها بعد استنزال البركة عليه كما يشهد بذلك ما وجد في دفائن الصعيد من البرديات المكتشفة في القرن الماضي .

وفي دار التحف المصرية وبين مجموع البرديات في فينة امثلة في غاية النفاسة من قطع النسيج المكتوبة .

٦ — المهارق واثواب الحرير

للحارث بن حلزة اليشكري من معلقته :

١) تاريخ الموصل رواية ابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس الازدي خطه مصور في دار الكتب المصرية رقم ٢٦٧٥ (تاريخ) ص ١٢٨

٢) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ١ : ٢ : ٧٠٢

٣) الفهرست ٣٩٧

٤) احسن التقاسيم ٦

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي وهل ينقض ما في المهارق الاهواء

قال الزوزني : « المهارق جمع مهرق وهو فارسي معرب يأخذون الخرقة ويطلونها بشيء ثم يصقلونها ثم يكتبون عليها شيئاً »[1] . وروى صاحب لسان العرب قول حسان :

كم للمنازل من شهر واحوال لآل اسماء مثل المهرق البالي

وقال :

« المهرق ثوب حرير ابيض يُسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه وهو بالفارسية مهر كرد وقيل مهره لان الخرزة التي يصقل بها يقال لها بالفارسية كذلك »[2] .

وجاء مثل ذلك في المعرب للجواليقي وان اصلها مهر كرده اي صقلت بالخرز (وفي الاصل المطبوع صقلت بالجوز غلطاً)[3] . وهذا التفسير هو الاصل ثم عم الصقل سائر الخرق والاثواب فأُطلق لفظ المهرق عليها بالمشابهة وتناول في ما بعد كل صحيفة يكتب فيها كما عم لفظ القرطاس كل انواع الورق وهو في الاصل موضوع لصحف البردي . ومن شواهد اطلاق المهرق على كل صحيفة قول شُيَيم بن خويلد الفزاري :

تسمع اصوات كدريّ الفراغ به مثل الاعاجم تغشي المهرق القلم[4]

وعند الجاحظ ان المهارق ليس يراد بها الصحف والكتب ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كُتُب دين او كتب عهود وميثاق وامان »[5] وهذا اذا صح في بعض الشواهد كما في بيت الحارث بن حلزة المتقدم فلا يصح على الاطلاق والشواهد على خلافه في النظم والنثر كثيرة .

وكانت الكتابة على الصحف الحريرية اكثر ما تكون من خصائص الملوك ورجال الدولة والمترفين والاغنياء . « ولما صار عيسى بن موسى بفَيْد متوجهاً لقتال محمد بن عبدالله بن حسن كتب لرجال اهل المدينة في خِرَق الحرير »[6] . ونقل

١) شرح المعلقات للزوزني ١٨٣

٢) لسان العرب ١٢ : ٢٤٧

٣) المعرب للجواليقي ١٣٥

٤) نقائض جرير والفرزدق طبعة بيفان ليدن ١ : ١٠٦

٥) كتاب الحيوان للجاحظ طبعة القاهرة ١٣٢٣ ص ٢٥

٦) تاريخ الطبري طبعة ليدن ٣ : ٢٤٤

عن الخليفة العباسي الراضي بالله انه « ضاق صدره لكثرة ما اضطرب عليه من قيام المتغلبين بالنواحي فقال احب ان انظر في اخبار الماضين من الملوك لاتسلى بما مر عليهم فقيل له : ما تجد هذا مجموعاً الا في تاريخ محمد بن جرير الطبري فأمر ان يحضر له فأعجبه وقال : يُنسخ هذا في رق نظيف ويصوَّر جميع ما فيه وعزل نسيئاً ووجه الى تستر (تستر) فاستعمل له ديباج منسوج بالذهب مكان الجلود »[1] .

وفي محاسن القيادة للجاحظ « ناولتني خريطة فيها اوراق فقالت : هذا اول ما ورد علينا منه . فاذا فيها ثوب خز ابيض رقيق مكتوب فيه بماء الذهب . . »[2]

وروى ابن خلكان ان المأمون « طالب والدة الفضل (بن سهل) بما خلفه فحملت اليه سلة مختومة مقفلة ففتح قفلها فاذا صندوق صغير مختوم واذا فيه درج وفي الدرج رقعة من حرير مكتوب فيها بخطه « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قضى الفضل بن سهل قضى انه يعيش ثمانياً واربعين سنة ثم يقتل ما بين ماء ونار »[3] .

وحكى ابن النديم ان « ملكة الفرنجة كتبت الى المكتفي كتاباً في حرير ابيض وانفذته مع خادم وقع الى بلدها من جهة المغرب تخطب صداقة المكتفي وتطلب التزويج به وكان اسم الخادم علياً من خدم ابن الاغلب »[4] .

واعتاد الملوك والامراء كتابة الصداق في الحرير « ولما تزوج هولاكو بينت ملك الكرج داود قال ابن البراب : وانا كتبت الكتاب في ثوب اطلس ابيض »[5] . وفي سنة ٦٣٢ / ١٢٣٤ تزوج مجاهد الدين ايبك ابنة بدر الدين لولو « وكتب الكتاب في ثوب اطلس ابيض »[6] .

واقتدى بهم الاغنياء وقد سبق ان ابن الحاج عدّ ذلك من باب السرف والمخالفة . وقال علوان الحموي في اوائل القرن العاشر للهجرة « ان اقبح البدع

١) كتاب السرور في وصف الانبذة والخمور للرقيق القيرواني ٣٣٠٢ خزانة باريس ٣٥٣
٢) المحاسن والاضداد المنسوب للجاحظ ٣٤١
٣) وفيات الاعيان طبعة دسلان ٥٧٧
٤) الفهرست لابن النديم ٣٠
٥) المنهل الصافي لابن تغري بردي مجلد مصور في الجامعة المصرية في القدس ٨ : ٢٩٤
٦) الحوادث الجامعة لكمال الدين ابن الفوطي ٧٢

ما حدث في بلادنا في الاعراس.. فاذا جرى العقد الى اهل العروس ان يكتبوا ذلك الا على حرير نحو ذراع او اكثر إسرافاً وتبذيراً »[1] . ولكن تاج الدين السبكي رجح جواز مثل هذه الكتابة وقال : واما كتابة الشروطيين الصداق في الحرير فمختلف في جوازه وافتى النووي بتحريمه وعزاه الى جماعات من اصحابنا ولكن الاظهر حِلّه لانه لمصلحة النساء »[2] .

وندر جداً ان يكتب الصداق في غير الثوب الحرير الابيض وفي مجلة المجمع العلمي العربي صفة عقدين كتبا في اواسط القرن الثامن للهجرة على قطعتين من نسيج الحرير الاخضر لم يُبلهما مر الزمان ولم تُصَب احداهما بأدنى تمزق وتخرق[3] فبأي حبر يا ترى كانت تمكن الكتابة على الحرير الاخضر حتى يأتي عليها الدهر دون ان تزول .

٧ ـ الالواح

لم نجد لاحد قولاً في الالواح وتعريفها على كثرة الاشارة اليها في كتب الادب وورود لفظها في القرآن وهي قديمة سبقت الاسلام واول ما اتخذت في ما يظهر من جرائد النخل التي نُزع خوصها وكان يقال لها السبورة بالباء والسفورة بالفاء. وفي الحديث : لا بأس ان يصلي الرجل وفي كمه سبورة قالوا : « هي الالواح من الساج يكتب فيها التذاكير »[4] والساج خشب اسود رزين طويل البقاء. وربما اتخذت ايضاً من الاكتاف وعليه تفسير الازهري : اللوح صفيحة من صفائح الخشب والكتف اذا كتب عليه سمي لوحاً »[5] .

وأكثر ما كانت تتخذ الالواح من الخشب المصبوغ بالسواد تغشاها طبقة من الشمع ليسهل الكتابة عليها ومحوها ولعلها اصطنعت ايضاً من الحجر اللدن

١) نبات الاسحار في نبذ من كرامات الاولياء والاخيار لعطية بن حسن. الكتاب بعنوان الحلوي رقم ٩٧ و٩٨ من دار الكتب الظاهرية بدمشق طالع خزائن الكتب بدمشق وضواحيها ص ٥٤

٢) معيد النعم ومبيد النقم طبعة ليدن ٨٥-٨٦

٣) مجلة المجمع العربي بدمشق ٢١ : ٤١٩-٤٢٦

٤) لسان العرب ٦ : ٥ وتاج العروس ٣ : ٢٥٢

٥) لسان العرب ٣ : ٤٢١

وبعض المعادن كالرصاص . ولا يبعد كذلك ان تكون اتخذت اخيرًا من الورق المضغوط المصقول بعد انتشار صناعة الورق لخفة حملها في الاكمام وسهولة تجديدها ولكن معظم ما كان يُصطنع منها من صفائح الخشب المسوّد لرخصها وقدرة احداث المكاتب على اقتنائها وكانوا يتدربون في كل حين على تعلم الكتابة فيها ونسخ ما كان يملى عليهم من آيات القرآن فكانوا لا يفارقونها دائمًا لانتفاعهم بها وتيسر محوها او غسلها حتى ان بعض واقفي المدارس من الوزراء والاغنياء كانوا يشترطون على الايتام صب مياه غسل الالواح على قبورهم تزلفاً وتبركاً بما يُخطّ عليها من آيات القرآن . قال صلاح الدين الصفدي في تاريخه : حكى لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى قال : اجتزت بتربة الصاحب تاج الدين بن حنّا المصري فرأيت الى جانبها مكتباً للايتام وهم يكتبون القرآن في الواحهم فاذا ارادوا مسحها غسلوا الالواح وسكبوا ذلك على قبره فسألت عن ذلك فقيل لي هذا شرط الواقف »[1] .

ولهذا السبب اي كتابة القرآن على الالواح اشترط الفقهاء شروطاً لغسلها قال ابن الحاج المالكي :

« ينبغي للمؤدب بل يجب عليه ان يكون لمسح الالواح موضع طاهر مصان نظيف لا يُمشى فيه بالاقدام ثم مع ذلك يأخذ الماء الذي يجتمع من المسح فيحفر له في مكان طاهر مصان عن ان يطأه قدم ويجعل فيه او يلقي في البحر او البئر وكذلك الماء الذي يغسل به الخرق بعد المسح يجعل في موضع بحيث لا يُمتهن ويشترط في الخرق التي يمسح بها الالواح ان تكون طاهرة وان يكون الماء الذي تبلّ منه حين يمسح به طاهرًا والافضل ان يكون الماء غير مستعمل وان امكنه ان يكون حلوًا فهو اولى لان من الناس من يشربه للاستشفاء به فاذا كان أجاجاً امتنع عليه ذلك او تنغّص بشربه »[2] .

وكان يقال لهذه الخرقة التي يمسح بها اللوح « الظّلّامة »[3] من طلس الكتابة اذا ازالها ومحاها[4] وكان لهم اداة اخرى يقال لها المِنجل اقتصروا في تعريفها على انها شيء تمحى به الواح الصبيان[5] دون اقل بيان كعادتهم كثيرًا في تفسير

١) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ٢ : ١٩٢

٢) المدخل ٢ : ١٦٥-١٦٦

٣) تاج العروس ٦ : ١٧٩

٤) تاج العروس ٤ : ١٧٨

٥) تاج العروس ٨ : ١٢٨

الفاظ الحضارة واستدرك في تاج العروس « اثجل الصبي لوحه اذا محاه »[1] .

واكثر ما كان يكتب في الالواح باقلام الجص والطباشير وقد اشار كشاجم اليها في شعر له سيجيء فقال : « وقلم مداده تراب » وذكر ايضاً البشاري المقدسي اتربة اخرى في كلامه على تجارات فارس فقال : وبسينيز (من نواحي شيراز) حمادن حديد وطين ابيض يكتب به الصبيان الواحهم وطين اسود للختم »[2] وكان لهم قلم من حديد يكتب به لا شك فوق الشمع يقال له الملمول[3] ولكن اقلام التراب كانت اكثر انتشاراً واوفر استعمالاً لقرب متناولها في كل مكان ونزارة قيمتها واشراق بياضها على سواد الالواح[4] وقد تقدم ان من انواع الخشب التي تعمل منها الواح الصبيان وطلاب الحديث الساج[5] لرزانته وقلة بلائه وكان لارباب الثراء والمتأنقات من النساء الواح خاصة من الآبنوس لجماله وسواده ونصوع الكتابة فيه ومنه الواح كانت لمحمد بن بشير احد شعراء كتاب الاغاني تناط بسَيْر احمر يكتب فيها بالليل « زانها صفّان من صدف » اخذها منه قُثم بن جعفر بن سليمان احد عشرائه فقال ابن بشير متلهفاً عليها :

أبقتِ الالواح اذ أُخذت حرقة في القلب تضطرم
زانها صفان من صدف واحمرار السير والقلم
وتولى اخذها قُثَمٌ لا تولى نفعها قُثَم[6]

ثم ندب فقدها في ابيات أُخر وصف فيها كل ما اجتمع فيها من المنافع والمرافق فقال :

ابنوس دهماء حالكة اللو ن لباب من اللطاف الملاح
ذات نفع حقيقة القدر والحسـ ـن كحالكوكة الذرى والنواحي
وسريع جفوفها ان محاها عنه مُحّاء مستعجل القوم ماح

١) تاج العروس ٨ : ١٣٦

٢) احسن التقاسيم ٤٤٣

٣) القاموس المحيط للفيروز ابادي ٤ : ٥٢ وتاج العروس ٨ : ١٢٠

٤) كتاب البلدان لابن الفقيه ٥٤

٥) تاج العروس ٢ : ٢٥٣

٦) الاغاني ١٣ : ١٣٩

هي كانت عمدتي ووعى الآ — داب واسعه عدتي وصلاحي
كنت اغدو بها على طلب العلـم اذا ما غدوت كل صباح
هي كانت عداء زوري اذا را — رَ زوريّ الندم يوم اصطباحي
آب عمري وغاب بعدي وجودي — حين غابت وغاب عني سماحي[1]

وفي البيت السادس معنى فسره ابو الفرج الاصبهاني بقوله : « يعني انه يعمل فيها الشمر ويطلب لزواره المأكول والمشروب »[1]. واذا أُخذ هذا البيت على ظاهره فهل يستفاد منه ان ابن بشير كان اذا اراد ان يبتاع شيئاً من البقال او الطباخ او الخمار كان يكتفي لقلة ما لديه من القرطاس او لارتفاع اثمانه ان يبعث اليهم بالواحه كالرقعة يطلب بالشمر ما يريد . واذا صح هذا الظن يكون من اظرف مُلَح الالواح واغرب فوائدها في تاريخ الحضارة العباسية .

ويتضح من اوصاف ابن بشير واتفاق كل الاخبار ان الالواح كانت عمدة الشعراء في تدوين بنات افكارهم وعدّة كل كاتب وراوٍ وطالب للحديث والعلم . «حدث الاصمعي عن عيسى بن عمر قال : كنا نمشي مع الحسن ومعنا عبدالله بن ابي اسحق فقال الحسن : جاذبوا هذه النفوس فانها طُلَعَة فاخرج عبدالله بن ابي اسحق الواحه فكتبها وقال : استفدنا منك يا ابا سعيد «طلعة»[2] وروي عن ابي عبيدة انه قال : « اختلفت الى يونس اربعين سنة املأ كل يوم الواحي من حفظه »[3] ؛ ولما اراد جرير ان يردّ على احد منا قضية « اقبل الى منزله وقال للحسين راويته : زد في دهن سراجك الليلة واعدد الواحك ودواة »[4] .

وكانوا اكثر ما يستعينون بهذه الالواح للكتابة العاجلة ثم ينقلون ما فيها الى الدفاتر كما جاء في ترجمة كيسان بن المعرف النحوي ابي سليمان الهجيمي قالوا : كان يخرج الى الاعراب فينشدونا فيكتب في الواحه ما ينشدونا وينقل من الواحه الى الدفاتر[5] ولذلك قال احد الشعراء :

١) الاغاني ١٢ : ١٣٩
٢) الفهرست لابن النديم ٦٢
٣) ارشاد الاريب ٧ : ٣١٠
٤) نقائض جرير والفرزدق طبعة بيفان ليدن ١ : ٤٣٠
٥) ارشاد الاريب ٦ : ٢١٥

ايا الطالب الآداب مبتدئاً لا تنسَ عن حملك الالواح للادب
فحملها ادب تحوي به ادباً وسوف تنقل منها بعد الى الكتب
وليس كل وقت ممكناً قلم ودفتر يا عديم المثل في الخشب[١]

وفي خبر سعد الوراق والغلام المترهب عيسى قال الشاعر ابو بكر الصنوبري: عبرت يوماً انا والمعوج الشامي من بستان بتنا فيه فرأينا سعداً الوراق جالساً في ظل الدير وهو عريان فعذلناه وعنفناه فقال: دعاني من هذا الوسواس ثم التفت الي وقال : يا صنوبري فقلت نعم قال : اكتب...[٢]

ومما سبق يتبين ان الالواح كانت لا تفارق كمّ كل اديب ومتعلم وكاتب وكانت الدواوين السلطانية نفسها لا تخلو من هذه الالواح يستعين بها بعض العمال والموكلين لتقييد الشوارد والطوارئ وهو ما يؤخذ من قول الشافعي : دخلت العراق في خلافة هرون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بي غلام فلاطفني وقال : ما اسمك فقلت محمد فقال ابن من قلت : ادريس الشافعي فقال : مطلبي ؟ فقلت اجل . فكتب ذلك في لوح كان في كمه وخلّى سبيلي »[٣] .

ومن اغرب ما بلغ اليه رواج الالواح وانتشارها في كل الطبقات انه كان اذا ولد مولود يوضع عند رأسه لوح ودواة وقلم وهو ما ذكره ابن الحاج قال:

«.. ينبغي ان يتحرز مما احدثه بعضهن في ليلة السابع وهو ان يكون عند رأس المولود الختمة واللوح والدواة والقلم ورغيف من الخبز وقطعة سكر ان كان مقلاً ومن كانت له سعة عمل رغيفاً كبيراً من الكعك والقطعة من السكر وطبقاً من الفاكهة وقفة من النقل وشمعاً ومن كان فقيراً اخذ من كل واحد منها شيئاً ما فاذا كانت صبيحة تلك الليلة فرقوا كل ما اجتمع عند رأسه من ذلك ويزعمون انه بركة »[٤]

وكان صانع الالواح وبائعها يسمى الالواحي وممن عُرف بهذا اللقب محمد ابن علي بن المنتخب المحب بن العلاء ابن الشمس الحلبي ... يعرف جده بالالواحي لعملها[٥]

---

١) المحاسن والمساوئ للبيهقي ١ : ١١
٢) الديارات النصرانية في ديار الاسلام لنا ٨٢
٣) ثمرات الاوراق لابن حجة ١٧٢
٤) المدخل ٣ : ٥٥-٥٦
٥) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ٨ : ٢١٠

وفي الالواح كانت تنقش بعض المراسيم السلطانية وتعلق على ابواب الجوامع فتشيع وتشتهر ولما حط نظام الملك بعض الاعباء الثقيلة « امر ان يُنشأ في هذا المعنى مثال وينسخ منه نسخ تقرأ في الجوامع وبالاطراف على رؤوس المنابر وفي صدور المحافل والمحاضر وبان ينقش كتبهُ في الالواح تُسمّر على كل باب جامع ومشطاح يتأملها البلدي والغريب ويتسامع به البعيد والقريب »[1] .

وكان في المغرب مثل هذا الاعتياد للالواح بين العامة والخاصة والامراء والملوك وفي الاخبار المروية عن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن امير المامدة الموحدين قالوا « لما تجهز امير المؤمنين الى غزو الروم امر العلماء ان يجمعوا احاديث الجهاد تُملى على الموحدين ليدرسوها وهكذا جرت عادتهم الى اليوم فجمع العلماء ذلك وجاؤوا به اليه فكان يمليه على الناس بنفسه فكان كل واحد من الموحدين والسادة يجيء بلوح يكتب فيه الاملاء فجاء هلال (بن محمد بن سعد المعروف بابن مردنيش) يوماً ولا لوح معه فاخرج القوم الواحهم فقال له الوزير : اين لوحك يا ابا القمر (وكانت كنيتهُ) فخجل وافتتح يعتذر فاخرج له امير المؤمنين من تحت برنسه لوحاً وناوله اياه وقال: هذا لوحه. فلما كان من الغد جاء ومعه لوح غير الذي دفعه له امير المؤمنين فلما نظر اليه قال له : اين لوحك بالامس يا ابا القمر فقال : خبأته واوصيت اذا متُّ ان يجعل بين جلدي وكفني »[2] .

ومن افضل ما وصفت به الالواح ابيات الكشاجم الشاعر المعروف قالها في الواح آبنوس وهي كما جاءت في ديوانه المطبوع :

نعم المعين على الآداب والحكم صحائف حالك الالوان كالظُلَم
لا تستمد مداداً غير صبغتها فمن ذي اللب فيها حد مكتتم
جلت وجلت عن التدنيس خاملها ثوب ولم يخشَ منها نبوة القلم
وامكن المحو فيها الكف فانتبت لما تضمن من نثر ومنتظم
حليتها الحسن واتخذت لها وقاية من ذكي العود لا الأدم
فالكم يبقى منها حين تودعه عرفاً تُنَسَّم منها الطيب بالنسم
لو كن الواح موسى حين اغضبه هرون لم يلقها خوفاً من الندم[3]

١) محاسن اصفهان للمفضل بن سعد بن الحسين المافروخي طبعة طهران ص ١٠٢–١٠٤

٢) المعجب في تلخيص اخبار المغرب للمراكشي ١٨٣

٣) ديوانه المطبوع في بيروت ١٦٨

ويستدل من هذا الوصف ان الواح كشاجم كانت محلاة بالفضة حليتــة باشعاره الذهبية وكان لها صِوان من العود الذكي تحفظ فيه حتى اذا وضعت في الكم اكسبته طيباً وانتشرت منها ومنه رائحة العود وهو نهاية في التنوق والترف.

ويظهر انه كان من الالواح نوع يقال له لوح الهندسة او تخت الحساب لا ندري من وصفه الا قول كشاجم فيه :

وقــلم مــداده تراب في صحف سطورها حساب
يكثر فيه المحو والإضراب من غير ان يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب وليس اعجام ولا اعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب[1]

ومن اوصاف الواح كشاجم وما تقدمها من الاخبار والمُلح يتضح لكل بصير ما كان لصناعة الالواح وتزويقها وتجارتهــا في الشرق العربي من الشأن والشهرة والرواج بين كل الطبقات والاقوام من الاحداث والرجــال والنساء. فكان لا يخلو منها منزل ولا حانوت فضلًا عن المكاتب والمدارس ولا تكاد تفارق فراش المحدّث والشاعر ويد السامع والسائر واليها كان يرجع حفظ الطالب وقلم الكاتب والحاسب فكان قسطها في خدمة الدين والعلم والحضارة يفوق غالباً قسط الكواغد والجلود والرقوق لرخص الالواح وغلاء الصحف ولم يترفع الملوك والامراء انفسهم عن حملها احياناً تحت برانسهم كما مرّ بنا آنفاً . على اننا لسوء الحظ لم نوفق للعثور على اقل اشارة اليها بين اولاد الخلفاء العباسيين فلا ندري هل تأبطها ابن المعتز مثلاً ولم يومئ اليها مرة في شعره ولم يرو لهــا ذكر في جملة ما كان يجهزه خدم القصر من ادوات الكتابة لاولاد الرشيد حين كان يؤدبهم الاحمر[2] خلافاً لابناء المروانيين في الاندلس فان الصبي منهم كان يتردد كل يوم بلوحه ليتمرن على الكتابة فيه بانامله الرخصة حتى اذا تدرج الى بعض الاجادة في التقليد والرسم تطير البشائر بحذقه وتقام من اجله الافراح. ولما نشأ لابي الاصبغ عبــد العزيز بن الناصر ولد دخل الكتابة وكتب اول

---

١) محاضرات الراغب ١ : ٥٤ وديوان كشاجم المخطوط في ملك الدكتور سامي الدهان .

٢) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ١١٠

لوح فيه بعث ابو الاصبغ بلوحه الى اخيه الحاكم المستنصر ملك الاندلس وكتب معه :

هـاك يا مولاي حظاً خطــه بي اللوح معا
ابن سبــع في سنيــه لم يُطق الوح ضبطا
دمت يــا مولاي حتى يــلد ابن ابنــك سبطا[1]

٨ ـــ الجلود

كان اكثر كتابة العرب وملوكهم في الجاهلية وبدء الاسلام في الجلود ويقال للمدبوغة منها الأدم ومنها كانت صحيفة المتلمس التي يضرب بها المثل . واكثر ما كانت هذه الأدم من جلود الابل لوفرة ما كان يُنحر منها للطعام وقرى الاضياف وبها كان معظم اتجارهم في الاسواق وفي ما جاور من البلاد واشتهر بها في الجاهلية ابو سفيان والد معاوية وعمرو بن العاص « قيل كان عمرو بن العاص تاجراً في الجاهلية وكان يختلف بتجارته الى مصر وهي الأدم والعطر »[2] وربما قام ببيع الأدم في الاسواق بعض النساء كالحرمية التي ذكرها النابغة الذبياني بقوله :

كادت تساقطني رحلي وميثرتي بذي المجاز ولم تحسس به نغما
من قول حرمية قالت وقد ظعنوا هل في مخفيكم من يشتري أدما[3]

واشتهر اليمن خصوصاً بوفرة الأدم فيه حتى كانوا يكنون بها عن الدراهم فيقال : « ليس بين الدراهم والأدم مثله » . يريدون بين العراق واليمن لان تبايع أهلها كان بالدراهم والأدم قال اوس بن حجر :

وما عدلت نفسي بنفسك سيداً سمعت به بين الدراهم والأدم[4]

قال الاصطخري : « في صعدة يتخذ ما كان يتخذ بصنعاء من الأدم ويتخذ بنجران وجرش والطائف أدم كثير غير ان اكثر ذلك يرتفع من صعدة وبها

١) نفح الطيب للمقري ٣ : ٢٢٣
٢) كتاب الولاة وكتاب القضاة لابي عمر الكندي ٦—٧
٣) شعراء النصرانية ٦ : ٧٠٢
٤) اساس البلاغة للزمخشري طبعة الدار ١ : ٧

مجتمع التجار والاموال »[١] . وقال البشاري المقدسي : « صعدة اصغر من صنعاء عامرة في الجبال بهـا تصنع الركاء الجيدة والانطاع الحسنة ومنها يرتفع أدم جيد... ونجران مثل جرش وهما دون صعدة واكثر مـا يرى من الأدم في هذه المدن »[٢] .

وكانوا يكتبون ايضاً في جلود الغنم والمعزى والحُمُر وسائر الدواب الاهلية والوحشية وفي جلود الظباء. وفيها كتبت مصاحف القرآن والتوراة ايضاً[٣]. ويظهر ان جلد الحمر كان يسمى الفلجان ولم نجد هذه اللفظة في معجمات اللغة ذكرها ابن النديم في قوله : « ان الفرس كانت تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم وان الروم تكتب ايضاً في الفلجان وهو جلود الحمر الوحشية »[٤]. وذكر ايضاً انه اجتمع في مدينة الحديثة برجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن ابي بقرة جماعة للكتب له خزانة قال : لم ار لاحد مثلها كثرة ... فاخرج لي قمطراً كبيراً فيه نحو ثلثمائة رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي وجلود وأدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب »[٥] .

ومن شواهد الكتابة في جلود الماعز كتاب الجفر المشهور الذي ذكره ابو العلاء بقوله :

لقد عجبوا لاهل البيت لما أتاهم علمهم في مَسك جفر

« والمسك هو الجلد والجفر ما بلغ من الماعز اربعة اشهر وجَفَر جنباه وانفصل عن أمه »[٦]

ومن اغرب ما كتب فيه جلد الخف خف علي بن ابي طالب قبل خلافته. قالوا ان الكتاب الذي كتبه الرسول لتميم الداري واخوته في سنة تسع من الهجرة مُنصرَفه من غزوة تبوك كتبه علي بخطه في قطعة من أدم من خفه[٧] .

وكانت الجلود البيض تفضل للكتابة لظهور سواد الحبر عليها ويقال لها

١) مسالك الممالك ٢٦
٢) احسن التقاسيم ٨٧
٣) تاريخ الهند للبيروني ٨١
٤) الفهرست طبعة القاهرة ٣١
٥) الفهرست ٦٠–٦١
٦) وفيات الاعيان ١ : ٢٩١–٢٩٢
٧) مسالك الابصار للعمري ١ : ١٢٢

القُضُم جمع قضيم وفي حديث الزهري : « قُبض رسول الله (صلعم) والقرآن في العسب والقضم »[١] . ومن شواهد الكتابة على الجلود والحمر : « ان اسقف نجران اتى عليًا ومعه كتاب في اديم احمر قال :اسألك يا امير المؤمنين خط يدك وشفاعة لسانك » يعني لما رددتنا الى بلادنا قال فاني علي ان يردهم »[٢] .

ولا حاجة الى القول ان الكتابة على الجلود قبل ان تعرف الدباغة الكوفية كانت تصعب جدًا ولا شك ان الجلود كانت تُصقل قبلًا ليهون مرّ القلم عليها ويسرع الخط فيها . ومن الادلة على ذلك ما حدّث به محمد بن الجهم السمري قال : « كنا اذا اتينا الاحمر — مؤدب اولاد الرشيد — تلقانا الخدم فندخل قصرًا من قصور الملوك . . . ويدفع الينا دفاتر الكاغد والجلود قد صقلت والمحابر المخروطة والاقلام والسكاكين »[٣] . ولعلها كانت تصقل ايضاً وتباع كذلك في حوانيت الجزارين ليتمكن المشتري من الكتابة عليها حالا دون انتظار اصقلها .ومما يدل على ذلك ما روي عن سعيد بن العاص قال ابن عساكر:

« اتى عمرو بن سعيد بن العاص فتى من قريش يذكر حقًا له في كراع اديم بعشرين الف درهم على سعيد بن العاص بخط مولى لسعيد كان يقوم لسعيد على بعض نفقاته وبشهادة سعيد على نفسه بخط سعيد فعرف خط المولى وخط ابيه وانكر ان يكون للفتى وهو صعلوك من قريش هذا المال فأرسل الى مولى ابيه فدفع اليه الصك فلما قرأه المولى بكى ثم قال : نعم اعرف هذا الصك وهو حق . دعاني مولاي فقال لي — وهذا الفتى عنده على بابه معه هذه القطعة الادم — اكتب . فكتبت باملائه هذا الحق فقال عمرو للفتى : ما سبب مالك هذا؟ قال : رأيته وهو معزول يمشي وحده فقمت فمشيت معه حتى بلغ داره ثم وقف فقال : هل لك من حاجة فقلت : لا . الا اني رأيتك تمشي وحدك فأحببت ان أصل جناحك فقال : وصلتك رحم يا ابن أخي وقال : إبغني قطعة اديم فاتيت جزارًا عند باب داره فأخذت منه هذه القطعة فدعا مولاي هذا فقال : اكتب فكتب واملى عليه هذا الكتاب وكتب شهادته على نفسه ثم وقعه الى وقال : يا ابن اخي ليس عندنا اليوم شيء فخذ هذا الكتاب فاذا اتانا شيء فأتنا به ان شاء الله فمات رحمه الله قبل ان يأتيه شيء »[٤]

واول ما عولجت الجلود بالنورة وبقيت مع ذلك عاسية لا تخلو من بعض

١) لسان العرب ١٥ : ٣٨٦
٢) كتاب الخراج لابي يوسف الطبعة السلفية ٨٨
٣) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ١١٠
٤) تاريخ ابن عساكر دار الكتب الظاهرية بدمشق ٢ : ١٣٦ والبداية والنهاية لابن كثير ٨ : ٨٧

الشوائب والآفات لأن الدباغة لم تكن بلغت المبلغ الذي انتهت اليه من الاصلاح والتطرئة والجودة . ثم حدثت الدباغة الكوفية وتحسنت طرق معالجة الجلود فلانت ورقت وتحلت فهان الخط عليها . وفي الشعر عدة اشارات الى الكتابة على الاديم اعتادوا ان يشبهوا بها رسوم الديار والدمن قال المرقشي :

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الاديم قلم[١]

وكانت الفرس قديماً تتخذ الجلود في الدواوين لطول بقائها وسبقهم في ذلك اليونانيون والروم وكانوا يكتبون فيها اسماء الجيش وارزاقهم قال ابن النديم : « والذي رأيت انا بالمشاهدة ان ابا الفضل بن العميد انفذ الى هنا (بغداد) في سنة نيف واربعين وثلثمائة (٩٥١م) كتباً متقطعة أصيبت باصفهان في سور المدينة في صناديق وكانت باليونانية فاستخرجها اهل هذا الشأن مثل يوحنا[٢] وغيره وكانت اسماء الجيش ومبلغ ارزاقهم وكانت الكتب في نهاية نتن الرائحة حتى كأن الدباغة فارقتها عن قرب فلما بقيت ببغداد حولاً جفت وتغيرت وزالت الرائحة عنها ومنها في هذا الوقت شيء عند شيخنا ابي سليمان»[٣].

ولا يخفى ما في اهمال استخراجها وضياع مضامينها من الخسارة للتاريخ والعلم.

وروى ابن المقفع ان الاكاسرة كرهوا رائحة دباغة الجلود حين كانت ترفع اليهم فامروا بتصفيرها بالزعفران وتطييبها بماء الورد وحكى البلاذري في هذا المعنى انه لما ولي صالح بن عبد الرحمن خراج العراق تقبل منه ابن المقفع بكور دجلة ويقال بالبهقباذ فحمل مالاً وكتب رسالة في جلد وصفرها فضحك صالح وقال : انكرت ان يأتي بها غيره — يقول لعلمه بامور العجم[٤] .

قال ابو الحسن المدائني :« واخبرني مشايخ من الكتاب ان دواوين الشام انما كانت في قراطيس (من البردي) وكذلك الكتب الى ملوك بني امية في حمل المال وغير ذلك فلما ولي امير المؤمنين المنصور امر وزيره ابا ايوب المورياني

١) الامالي للقالي طبعة الدار ٢٤٦

٢) يغلب على الظن ان يوحنا هذا هو يوحنا بن بطريق الترجمان ذكره القفطي في « اخبار العلماء » وقال انه كان اميناً على الترجمة حسن التادية للمعاني ٢٤٨

٣) الفهرست ٣٣٦

٤) فتوح البلدان طبعة ليدن ٤٥٤—٤٦٥

ان يكتب الرسائل بحمل المال في صحف وان تعمر الصحف فجرى الامر على ذلك »[١] . ونسب الجهشياري استبدال القراطيس بالجلود في ايام العباسيين الى خالد بن برمك لما وزر للسفاح وذلك قبل ظهور الكاغد[٢] . حتى اذ كانت فتنة الامين نهبت الدواوين واخذت الجلود فحيت او غسلت واقام الناس ببغداد سنين لا يكتبون الا فيها »[٣] .

واكثر ما كان يكتب في الجلود خاصة صكوك العقارات والضياع وانواع الإقطاعات لقوتها على البقاء . وعلى ذكر الصكوك والجلود يحلو لنا ايراد ملحة من افكه الملح رواها ابن خلكان عن «كتاب الهدايا والتحف» للخالديين الشاعرين وقد تطلبناها في النسخة القديمة المحفوظة في دار الكتب المصرية فلم نجدها لما فيها من النقص وهي واردة في نسخة كاملة مصورة من الكتاب المذكور في ملك الدكتور سامي الدهان بدمشق . وهذا نص الملحة نقلا عن ابن خلكان :

« كان باصبهان رجل حسن النعمة واسع النفس كامل المروءة يقال له سماك بن النعمان وكان يهوى مغنية من اهل اصبهان لها قدر ومنظر تعرف بام عمرو فلافراط حبه اياها وصبابته بها وهبها عدة من ضياعه وكتب عليه بذلك كتباً وحمل الكتب اليها على بغل فشاع الخبر بذلك وتحدث الناس به واستعظموه وكان باصبهان رجل متجمل من التركة يهوى مغنية اخرى فلما اتصل به ذلك ظن بجهله وقلة عقله ان سماكا انما اهدى الى ام عمرو جلودا بيضا لا كتابة فيها وان هذا من الهدايا التي تستحسن ويجمل موقعها عند من تهدى اليه فابتاع جلودا كثيرة وحملها على بغلين لتكون هديته ضعف هدية سماك وانفذها الى التي يحب فلما وصلت الجلود اليها ووقفت على الخبر تغيظت عليه وكتبت اليه رقعة تشتمه وتحلف ان لا تكلمه ابدا وسألت بعض الشعراء ان يعمل ابياتا في هذا المعنى لتودعها في الرقعة ففعل ومنها :

أرأيت من يهدي الجلو	دَ الى عشيقته سواكا
واظن انك رمت ان	تحكي بفعلك ذا سماكا
ذاك الذي اهدى الضيا	عَ لام عمرو والصكاكا
فبعثت منتنة كأنك	قد سلخت جلد فاكا[٤]

وليت الخالديان نقلا لنا الابيات برمتها لظرفها وحلاوتها .

---

١) فتوح البلدان طبعة ليدن ص ٤٦٥
٢) كتاب الوزراء والكتاب ٩٠
٣) الفهرست ٣٢
٤) وفيات الاعيان ٢ : ٢٠٤

الآثارُ المطويّة (تابع)

جمعَها وعلّق عليها ونشرَها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

بين الشيخ ناصيف اليازجي ونصر الله الطرابلسي الحلبي

كان الشيخ ناصيف اليازجي رجلًا عالمًا شاعرًا ، كريم الاخلاق ، محمود الصفات ، موفور المهابة ، رصينًا رزينًا ، أبيًا وفيًا لاصدقائه ومعارفه ، متواضعًا خفيض الجانب ليّن الطباع . قد طارت شهرة علمه وفضله في الاقطار الشرقيّة والغربيّة ، وراسله الادباء والشعراء من كل طبقة ومذهب ، وافرغوا عليه حلل المدح والثناء ، فكان يجيبهم على مراسلاتهم نثرًا بنثر وشعرًا بشعر . وكثيرًا ما كانت تختلج في صدره عاطفة طيّبة رقيقة نحو اصدقائه الذين حالت بينه وبينهم شقّة البعاد ، فيشتاقهم ويحنّ اليهم ويحدب عليهم ، ويئن لبعادهم ويذكر عهد ودادهم فيهيجه الشوق الى لقائهم ، فلا يستطيع اذ ذاك ضبط شواعره ، فيهبّ القلم الى الدواة والقرطاس متهاديًا بين أنامله ، ينشر ما انطوى في قرارة نفسه من لاعج اوجد ، وينفح بما احتوى من كَلِم الثناء والحمد ، دليلًا على صدق وعوده وعهوده . تلك عاطفة وفاء واخلاص كانت متجسّمة في قلب هذا الشيخ الكبير .

وقد عثرنا له على رسالة خطيّة من نثر وشعر لم تُطبع في كتاب مراسلاته[1] ، أنفذها الى صديقه الاديب الشاعر نصر الله الطرابلسي الحلبي[2] جوابًا على رسالته اليه .

---

1) « فاكهة الندماء ، في مراسلة الأدباء » . للشيخ ناصيف اليازجي ، طُبعت بنفقة المكتبة المصرية لعزيز زند ، في ٩٢ صفحة .

2) عليك بما كتبهُ عنهُ الاب لويس شيخو في (المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٣٩٧ – ٤٠٩) وقسطاكي بك الحمصي في (مجلّة الشهباء الحلبيّة لصاحبها فتح الله قسطون ، في سنتها الثانية ، العدد الاول ، آب سنة ١٩٢١ ، ص ٥٨)

في خزانة كتب دير الشير تكين (سوق الغرب) الحترية نفائس المخطوطات والمطبوعات ، كتاب خطي تحت رقم ١٣٣ عدد ١٦ ، مخروم من اوله وآخره، شبيه « بجراب الكردي » الجامع لكل شيء ، يقع في ٥٤٨ صفحة ، منسوخ بخط عربي غير جيد على ورق عادي مائل الى الرقة ، وبالحبر الاسود . اما عناوينه فبالحبر الاحمر ، مجلد بجلد اسود قديم ، سقطت من آخره بعض ورقات فضاع معها اسم ناسخه . طول هذا المخطوط ٢١ سنتمترًا ، وعرضه ١٤ سنتمترًا، وعرض هامشه سنتمتران . يبتدئ هذا المخطوط بخالية المعلم بطرس كرامه، وجواب احد المسلمين عليها بقصيدة[1] . ثم قصيدة لكرامه ، مطلعها :

للمرء في حادثات الدهر آمال وللنوائب إقدامٌ وإجفالُ

الى صفحة ١٣ ثم يأتي كتاب « الراهب المشتاق » وهو ناقص من آخره ، ترجمة القس يوسف بن جرجس الباني الحلبي، الى ص١٠٦، فالمقالة الاولى الدُرّيّة في عيد الافخارستيا من ص١٠٨ الى ١١٩ ، فكُتيِّب في انهدام الديانة العبرانيّة، ينتهي في صفحة ١٤٤ ، فنبذة في تاريخ طائفة الروم الكاثوليكية الملكية وذكر الحوادث التي جرت بينها وبين طائفة الروم الارثوذكسية ، من اوائل شهر آب سنة ١٨٣٧ ، الى ص ٢٨٦[2] ، فاشعار مما يلزم الانسان في بعض الاوقات لصروف الازمان ، فقصائد للشيخ عمر الفارضي منها تخميس خمريته :

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً سكرنا بها من قبل ان يُخلق الكرمُ

فأبيات في النساء صفحة ٣٠٧ . قال الشاعر :

فإن تسألوني بالنساء فإنني عليمٌ بأدواء النساء طبيبُ
اذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالهُ فليس له في ودّهنّ نصيبُ

وقال غيره :

إنّ النساء وإن عُرفنَ بعفّةٍ جيفٌ تدبُّ بها الذبابُ الحُوَّمُ
اليوم عندك سرُّها وحديثُها وغدًا لغيرك كفُّها والمعصم

---

١) طالعها في « قطرة طوامير » للكونت الشيخ رشيد الدحداح . طبعة باريس سنة ١٨٨٠ ، في ٩٤ صفحة ، بقطع كبير .

٢) قد نشرها الخوري قسطنطين الباشا المخلّصي تحت عنوان « نبذة تاريخية » سنة ١٩٠٧ في ٣٥٧ صفحة بقطع ربع .

الشيخ ناصيف اليازجي

١٨٠٠ - ١٨٧١

مضى من قد علا علماً وشعراً   مقاماً لم يصل أحدٌ إليهِ
فطاب كذكرهِ ناصيف أرّخ   ختاماً رحمة الله عليهِ

١٨٧١   (ابراهيم بطرس كرامه)

كالغان تغزلهُ وتصبحُ راحلاً ويحلُّ بعدك بيتهُ من لا تعلمُ
فاحذرْ من الأنثى ولا تركنْ لها ولو أنّها قالت ، انا هيَ مريمُ

وقال غيره في العلم :

سمعتُ يوماً مثلاً سائرا فكنتُ بالشعر له ناظما
لا خيرَ في المرء اذا لم يكن لا طالباً علماً ولا عالما

فأشعار لبعضهم متفرّقة ، كصفيّ الدين الحلّيّ ، والحريريّ ، ويزيد بن معاوية ، الى ص٣١٢ ، فتخميس قصيدة الفارضي :

زدني بفرط الحبّ فيك تحيُّرا وارحمْ حشًا بلظى هواك تسعّرا [1]

بدون ذكر اسم المخمّس ، فتخميس القصيدة التي بدؤها :

ألا يا ليلُ هل لك من صباحِ وهل لسير نجمك من براحِ

ص ٣١٩ ، فقصيدة زجل اوّلها :

في بحار الحسن محبوبي سبحْ وتلالا بلبس اثواب الجمال

فزجليّة لميخائيل بن عبّود البحري ، يرثي بها الراهب الخوري يواكيم ، فزجلية ايضاً في فائدة العلم ونقص الجهل ، فأخرى في مدح القربان الاقدس ، فقصيدة خمريّة ص٣٢٨ ، في ثلاثة عشر بيتاً ، مطلعها :

قُمْ أختطفها لانَّ السرّ يختطفُ صهباء يقدحُ منها المزْجُ والشرفُ

فقصائد للفارضي ايضاً ، « فقصائد تُدعى بعشرات الفازازي المغربي منظومة على حروف المعجم محبوكات الطرفين لا نظير لها » ، تبتدئ في صفحة ٣٣٢ ، وتنتهي في ص٣٤٦ ، فخمريّة فتح‌الله بن النحّاس في ثلاثة وعشرين بيتاً ، بدوءها :

سلبوا الغصونَ معاطفًا وقدودا وتقاسموا وردَ الرياضِ خدودا

فقصيدة لشاكر الحلبي يمدح بها الشيخ عبد الغني النابلسي . وقد صدّرها بهذا البيت :

من لي بكوكبِ عرفانٍ وبدرِ وفا بسعدهِ شرفٌ قد جاوز الشرفا

---

[1]) قد وقفنا على تخميس عدّة شعراء لهذه القصيدة ، ونحن قد خمّسناها اذ كنّا ندرس المعاني والبيان ، ونالت استحسان استاذنا العلّامة الاب نعمة الله ابو ناضر (شاكر ابو ناضر قبلًا) .

ومطلعها :

آيات حسنٍ جيش الحسن تاليها ترهو وغيم الهنا بالحمد تاليها

وتنتهي في صفحة ٣٥٣[1] ، فقصائد ايضاً للفارضي الى ص٣٧٦ ، فقصيدة للشيخ عبد الغني النابلسي يمدح بها نفسه ، أولها :

وجودي جلّ عن جسمي وعن روحي وعن عقلي

وجواب الشيخ احمد بن الحرّ المتوالي (الشيعي) عليها بقصيدة[2]، فقصائد أخرى للفارضي الى ص٣٩٨ ، فقصائد عديدة متتابعة للشيخ ناصيف اليازجي ، منها مطبوعة ومنها غير معروفة سننشرها . وأولى قصائده في هذا المخطوط ، قصيدته في الدولة المصريّة ، وهي معنونة هكذا :

« قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي على الدولة المصرية » مطلعها :

يا فاتحَ القطرين انت محمَّدُ هل دون فتحك في البلاد مسدَّدُ

وتبتدئ قصائد وتواريخ الشيخ ناصيف في صفحة ٣٩٩ ، وتنتهي في ص ٤٩٨ الخ.. وفي اواخر هذا المخطوط نبذة من اشعار عنترة العبسي بخطّ مختلف من صفحة ٥٠٠ الى ٥٤٨ . وان كثيراً من اشعار هذا الكتاب قد افسدها الناسخ لجهله ، فاختلّ وزنها .

وفي صفحة ٤٧٦ من هذا المخطوط ، رسالة نثرية شعريّة ، للشيخ ناصيف اليازجي ، بعث بها الى صديقه الشاعر نصرالله الطرابلسي في مصر ، جواباً له على رسالته اليه . وهي معنونة هكذا :

« ولهُ (للشيخ ناصيف) رسالة بعث بها الى المعلم نصرالله الطرابلسي الحلبي الى مصر القاهرة »

واليك نصّ هذه الرسالة بحرفه الواحد :

١) عليك بها في تاريخ الامير حيدر الشهابي ، القسم الاول ص ٣٤

٢) راجعها في تاريخ الامير حيدر احمد الشهابي « لبنان في عهد الامراء الشهابيين » في حوادث سنة ١٧٢٣ ، ص ١٨، القسم الاول ، طبعة اسد رستم وفؤاد افرام البستاني . المطبعة الكاثوليكية — بيروت ، ١٩٣٣ . وطالع مقال فؤاد افرام البستاني : « الشيخ عبد الغني النابلسي والشيخ احمد الحرّ » (المشرق ٤٥ [١٩٥١]: ٧١)

رسالة للشيخ ناصيف اليازجي بعث بها الى المعلم نصر الله الطرابلسي الحلبي

فتح الله لك ، يا شقيق الروح بالحسنى ، وختم لحبّك بالقربى[1] .

فقد بلغ الشوق الأمد ، وغلب على الكبد الكمد ، ولعمري ان شكوى الحبّ المهجور ،لعجمة توسوس في الصدور .وكيف استيفاء ما لا يزال كل يوم في مزيد ، ويردف مفردات العتيق[2] بجمل الجديد . فوأبيك ما كتبتُ مما مضى سطرا ، الا اتى الحال بمثله شفعًا ووترا .

ثم ان لمن اعجب الغرائب ، وأغرب العجائب ، غيابك في شخص حاضر ، وحضورك في شخص غائب . تُقرّبك الاشواق ، وتنأى بك الآفاق ، فأنت اقرب من حبل الوريد الى النُهى ،وأبعد عن العين من السُهى .ولله درّ القائل :

يا بعيد الدار موصو م لا بقلبي ولساني
طالما أبعدك الدهر م فأدنتك الأماني

هذا ولم يزل الضمير متصلًا بأفعال الشك واليقين بين الاماني والذكرى ، تقلّبه عوامل الوجد والحنين ولا يجد وقاية ولا سترا ، لا ينصرف عن الصبابة والغُلل[3] ، وكيف وقد اطبق عليه لفيفٌ مقرونٌ من العِلَل ، يستطرد من شكوى ثنائك ، الى شكر أياديك ، ويستتبع ذكر ألطافك بتمنّي ائتلافك . فهو بين الخبر والانشاء ، كالنصب بين الافعال والاسماء ، وتردّد ذكرك فيه كالمعنى في الكلام ، او الارواح في الاجسام .

ثمّ ان ثَمّ لقلباً انْ هو الا نقطةٌ في مركز الاشجان ، تدور به خطوط ممتدة تستغرق الزوايا والاركان . قد كأنه موسى القطيعة والفراق ، ولا بدعَ فهو ربُّ البلابل والاشواق ، المتجلّى على طور الصبابة بالإحراق والإبراق ، وأذابت ما كان من جوامده الباردة ، حرارة الصُعَداء[4] الصاعده . وناهيك ما

---

١) بديع . (في الاصل) . يبينُ ان الشيخ ناصيف اليازجي ، قد علّق لناسيه بعض كلمات وردت في رسالته هذه وفي قصائده المدوّنة في المخطوط الذي نحن في صدده ، فنقلها الناسخ بالحبر الاحمر على الهامش وقد اشرنا اليها بكلمة « في الاصل » .

٢) غمر (في الاصل) .

٣) الغُلّة : العطش الشديد ج غُلَل .

٤) الصُعَداء : التنفّس الطويل من همّ او تعب .

هنالك من الشأن المثني عجزه عن البيان ، وتقليده عن البرهان ، وليت شعري كيف يكون قلب صبٍّ أتلفه الهجر ، فكان احسن ما تناوله الصبر .

تقول لي كيف اصبحت. كيف يُصبح مثلي وقد ساءت به العَشرُ المقولات، وخالفت نتائجه المقدّمات ، فله في كل قياس انعكاس، وفي كل قضيّة خطيّة. اذا ذكر العصر الذي سلف ، كاد يتميّز من الغيظ والاسف . بكاؤه معقّد الازار ، ومنامه طَلَلٌ في وبار ، وسلوه في قبضة الجبّار ، فكأنه القمر ولكن في السرار . حَمَلٌ قد وثب عليه أسد ، فهل له من جَلَد ، قد حالت سعودُه نحوسا ، وخرج شكل نصره الكنيسا[1]، طالما قام في الليل اذا سجا ، يرصد نجيم الدجا ، وكأنما هبّ الصبا ، حنّ لها وصَبا. يجد راحة الارواح ، في مجانبة الراح ، ويرى لذّة العشاق بالسهاد ، اذا طاب الانفراد للإنشاد. فكأن قوافي الابيات ، أغاريد النغمات ، وفواصل الفِقَر ، ضَرَبات الوتر .

ومما أنشد قوله :

دموعي ، أقرَّ الله عينك ، حرّاءُ	كأن جفوني وهيَ تنبع رمضاءُ[2]
فلِلهِ ماءٌ لا يُخمِّدهُ اللظى	وقدِ نارٌ لا يُبرِّدُها الماءُ
أشوقُ الى تلك الليالي وذكرها	على انهُ للقلبِ ، واعجبًا ، داءُ
وأصحبُ أرواح الخزامى تحيّتي	ونوقُ السرى عنها طلائحُ أنضاءُ[3]
اذا لاح برقُ السفحِ أطفأَ ناظري	فوا عجبًا للنور بالنور إطفاءُ
وأعجبُ ان يأتي رسولًا مسلّمًا	وليس الى ردِّ التحيّةِ إصغاءُ
هو السفحُ اذ يُدعى فلا عَجَبٌ إذنْ	اذا سفحَتْ لي عَبْرةٌ فيهِ وطفاءُ
وأعجبُ من قلبي كثيرًا على الهوى	ومولاهُ نصراؤه واليدُ أعداءُ
أيا هاجرًا لسنا نرى لك صورةً	فأدنى الينا شكَ هذي الثُريّاءُ
أعيذك ممّا بي وأعلمُ أنّهُ	لحبٍّ وما ظنّي بحبّك خطّاءُ
شكرتُهُ اللقا ، وهو المسبّب فتنتي	وقد كان لي شكرٌ عليهِ وإثناءُ
فلو طمتُ نفسي قلتُ يا ليتَ لم يكن	فلولاهُ لم تعلقْ بنفسيَ أهواءُ
بكيتُ فخافت مقلتي طائلَ البكى	وللدمع فيها طاعةٌ ثمَّ عصياءُ

١) كذا وردت هذه العبارة في الاصل الذي نسخنا عنهُ .

٢) ارض حارّة (في الاصل).

٣) نَعِبة مهزولة (في الاصل).

ترادفَ قطرُ الدمعِ منها فوابلٌ　　توالت ولكنْ لم يرِمْنَ إبطاءُ

كسَتْ وجنتي ثوبَ احمرارٍ تعدُّهُ　　لانّ ثيابَ الحزنِ لا شكَّ سوداءُ

ولا تحسبِ المرجانَ دمعي فإنَّهُ　　لآلي ثناءٍ عنك في القلبِ بيضاءُ

حبَسْتُ فمي عن نثرها فتخلّلتْ　　الى مقلتي فاستنفدت وهيَ حمراءُ

أجِلْ نظرًا في حالِ دمعي وقلْ لهُ　　سلامٌ ولا بَرْدٌ وفي النارِ أحشاءُ

ولا تفتخرْ عُجبًا بلفظِك وانثُرْ　　فكلُّهما غالٍ متى فضَّ وشاءُ

يقولونَ انَّ الشوقَ يُبلى على المدى　　فقلتُ على المعلومِ جاءوا فما ساءوا

يزيدك طولُ الدهرِ يا شوقُ كثرةً　　كأنَّ الذي يأتي بهِ لكَ أجزاءُ

ە

أيا صاحبًا من أجلِ صحبتِهِ الضَّنى　　وقد تلذُّ الجسمَ السقيمَ أصحّاءُ

هجرتَ ، ولكنْ لا ملالًا ، ولم تزُرْ　　وللشوقِ في طيِّ الترائبِ هيجاءُ

ولكنَّ فعلَ الدهرِ من بعدِ يلقيهِ　　قد اعتلَّ منهُ اللامُ والعينُ والفاءُ

ە

اليكَ كما شاءَ الزمانُ رسالةٌ　　بها مهجةٌ مشبوبةٌ ، ليس إنشاءُ

تكادُ تلوحُ النارُ منها لأنّها　　هيَ ابنةُ قلبٍ دونهُ النارُ رمضاءُ

فلو لم يُثقِّلْها سلامي وأدمعي　　لطارَ بها شوقٌ اليكَ وإغراءُ

ولولا التفاني نحوَ طيفكَ عندما　　كتبتُ لأصلتُها من الشوقِ صعداءُ

بزعميَ ان تُهدى الرسائلُ بيننا　　وما بيننا إلّا شبابٌ وأغناءُ

لعارٌ على المشتاقِ ان يَذكرَ النوى　　فقربُ الحِمى وصلٌ وليس أحبّاءُ

وما بيَ وهنُ الشوقِ لكنْ موانعٌ　　يصحُّ اشتمالًا من حراهنَّ إلغاءُ

اذا لمتُ أحشائي بذنبي تقولُ لي　　أموتُ وفي قلبي من العذرِ أشياءُ

أسفتُ ولم أتركْ مجالًا وهكذا　　على قدَرِ المفقودِ تطرقُ أسواءُ

اذا لم يرِّقْني البعدُ عنك فما انا　　ابن ساعةٍ بؤسٌ ومرتبةٌ نعماءُ

ە

وقالوا اتصبّرْ وأسلُ ، قلتُ لهم ، نعمْ　　سأسلو ولكنْ بالنظيرِ اذا جاءوا

لكلٍّ علينا مستحيلٌ وإنّما　　لنا ولهمْ خلٌّ وفيٌّ وعنقاءُ

تقولُ نساءُ الحيِّ ما بكَ هل تُرى　　هوًى أم جنونٌ ، قلتُ ، لا ثَمَّ إغماءُ

أتركُ ما بي أنْ يُسمّى بذا فقد　　تُريبُ كما بالقومِ منكنَّ أسماءُ

ە

حبيبيَ مَن يَشفي السقيمَ حديثُهُ　　أجلْ ، بل غريبي ، والروايةُ عجماءُ

وَمَن ضلَّ عن تشبيهِ مَن أرادهُ فتشبيهُ أنْ لا يُشبِهَ روأا؛
سكرتُ بهِ يوماً وما زلتُ لا كما يُرادف سكرًا من طلاكَنْ إصحا؛
ولا بدعَ اذ ما يقصرُ الرجلَ شربُ[1] ولكنَّ لي من عاصرِ الفكرِ صهبا؛
بنفسي وإنْ لم تأتِ كفوءا لِيالياً قصرنَ وطالت بعدها بيَ أدوا؛
سويداء من طيبٍ وريحانة بها تُسمّى سوادٌ بأسمها وسويدا؛
ظفرتُ بها حيناً فولَّت فلم تَعُدْ فما هيَ إلّا في الحِلامينِ إحيا؛
اذا حضرتني صورةٌ عند ذكرها تُمثَّلُ في غيوبتي كيف إغفا؛
وفي جانب الأبيات وادٍ عقيقهُ دموعي وذكراك النضيرةُ جرعا؛
كأنيَ في طرقيهِ نجمٌ وكلُّ ما سوى ذكر أيّامِ اللقا في في را؛
اذا مالت الأغصانُ ملتُ فكلُّنا بهِ للهوى الجاني هياجٌ فإنثنا؛
أبيتُ بهِ أرعى النجومَ وتستقي دموعي ولي نوحٌ طويلٌ وضوضا؛
فلولا نواحي ما بكتْ فيهِ مزنةٌ ولولا بكائي لم تَنُحْ فيهِ ورقا؛
لقد تقالوا أنَّ العيونَ سواحرٌ وما هي إلّا أنفسٌ ليس أعضا؛
وليس سوى الأنفاسِ في الناس مُسكرًا فدعْ عنك دعوى مَن يقولُ الحُميّا؛

تبارك مَن انشاكَ من نسلِ آدمٍ وآدمُ بعضُ الذاتِ منك وحوّا؛
يدلُّ بما يحوي سواك مواهباً وانت لِما تحوي دلالٌ وخيلا؛
تُصرّحُ عنك المكرماتُ مبرَّةً اذا كان منها غير غيرك إيما؛
ويشهدُ نظمُ الشعرِ أنَّك ربُّهُ بمصرٍ ولو قيلَ الحجازُ ويثربا؛
لئن نثرت عونُ المعاني عن السوى فيا طالما طاعتكَ منهنَّ عذرا؛
ولا بدعَ ان جاءتك تنقادُ رغبةً وكانَّكَ ياقوتٌ ولفظُكَ لألا؛
متى جال في طرسٍ يراعُك جاءتنا ببدرٍ أفادتهُ الهدايةَ ظلما؛
وَرُبَّ سوادٍ هان لولاه أبيضٌ كما جاء في الأحداق أسودُ وضّا؛
وعندك في علمِ اللغاتِ إحاطةٌ كأنَّ الذي يلقاكَ منهنَّ إيحا؛
فلو كنتَ بين القوم في يوم بابلٍ لَما أشكلت في ألسنِ القوم عجما؛
سقى حَلَباً صوبُ الحيا بكَ باكرًا وما هيَ إلّا روضةٌ بكَ غنّا؛
ولا بدع أنْ تهدى المحاسنُ منكما فأنت شهابٌ ثاقبٌ وهيَ شهبا؛

هذا وأنا أترجّى إغضاء البصيرة السليمة ، وأتوقّع صفح الرويّة المستقيمة ،

---

١) كذا في النسخة التي نقلنا عنها .

عمّا فرط بها من العيوب ، وأفرطتُ من الذنوب ، غير قائل : رُبَّ عَشم أقرّ للعين ، فارجعي بخُفَّي حُنين . على أنها وان كانت معلّقة ابن حُجْر ، او من حوليّات زُهير ، لم تقف لديك الا موقف الخجل ، او تجري على ما بها من العلل . قد لَفَقْتُها[1] وانا مطاق العنان ، اتردّد بين كثير من المكان ، وقليل من الزمان .

يومًا بحَزْوَى ويومًا بالعَقيقِ وبالـ ـعُذَيْبِ يومًا ويومًا بالخُلَيصاء

يتنازعني من الاشتغال فريقٌ فريق ، فاذا ألني الاعمال تمنّ التعليق . فأنا ذو فؤادٍ مقيَّد ، وشوقٍ مجرَّد ، وقلقٍ متدارك ، وأرقٍ متواتر ، وقلبٍ مشطور ، وجسمٍ منهوك ، ونفسٍ سريع ، ونوحٍ طويل . طالما قطعتُ معارف البيد ، ووصلتُ المتقارب بالمديد[2] ، فكان شخصك نُصبَ عينيَّ ، حاكمًا لي وعليّ ، فرضي الولاء ، وشَرْطي الوفاء . وقد وهبتُ عيني الدموع ، وحجبتُ عنها الهجوع ، فقد كدت أذوبُ حَجبًا ، او اقضي نَحبًا . لم أزل أكفكفُ عبرتها وهي تبين ، فطيّا البيّنة واليمين ، وأتقلّب هائمًا بين السحر والاصيل ، والله خير الشاهد والوكيل .

قد ضربتُ عروضها في صفائح البيضاء ، لا البيداء[3] ، ومددتُ أسبابها بيد قريحتي الشلاء ، فجاءت وأبياتها تكاد تمور من الهيبة والحياء ، حتى اذا كانت على جناح السفر قائلة يا لَـثَّبيا ، انتفض الخُبرُ بالخبَر انك في مصر القاهرة . فوأيمُ الله انَّ مثلك مَن كان تقلّبه في البلاد ، تبصرةً وذكرى للعباد . وأخوك الى من يُدعى اليه طلّاع الثنايا ، وتُلقى اليه مقاليد الوضع والحَلّ في القضايا . فلقد أحصيتَ العلوم بين الخواتم والفواتح ، وظفرتَ منها بكل سانح وبارح ، واعتصمتَ ببراعاتها فكرًا عن الخطإ ، فكنتَ تجري على صراط مستقيم ، وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

١) من لَفَقَ الثوبَ لفقًا : ضمَّ شقّةً منه الى أخرى فخاطها .
٢) بحرانِ من أبحُر الشعر .
٣) يُقال : أتيتُهُ في بيضاء القيظ ، اي في صميمهِ . والبيداء : الفلاة .

ولعمري اني لستُ إلا على جانب الفضول ، بركوبي متن هذه الفصول . فأنا كمن أطمعه الغرور ، بتناول الشعر العبور .

وهيات هيات[1] العقيق ومَن به وهيات خلٌ بالعقيق نُواصِلُهْ

وكيف تُحصى او تُحصر بالعدّ والحدّ ، صفاتٌ من جَمَعَ الفضائل قائمةً في جوهر شخصه الفرد ، فما أنا إلا كاتبٌ على صفحات الماء ، او حاسبٌ طوالع السماء . بَيْد ان لمّا يتعلّق بالإعراب والإشكال، ان لهجتُ بما بي على صمودك سلّم الكمال ، فكان ذلك كما يقال للآل يا زلال ، وللعرجون[2] يا هلال ، فأطرقتُ خجلًا لإجرائي بناديك ذكرًا ، وتذكرتُ ما سبق لي من ابياتِ شعرًا .

أخجلتني فوجتُ حين مدحتني فكأنّما ذاك المديح هجاءُ
أنا قطرةٌ من فيض بحرك زدتني ماءً فكاد يفيضُ منّي الماءُ

ولكنَّ صحة المودّة تستر السجيّة العليلة،فعين الرضا عن كل عيبٍ كليلة[3] . ولله درّك ما أجلَّ فضائلك ، وأرقَّ شمائلك ، وأصحَّ ودادك ، وأبرَّ فؤادك .

فلو صوّرتَ نفسك لم تزدها على ما فيكَ من كَرَمِ الطباعِ

ولعمري ان مثل هذا الباب ، لمّا يتساوى فيه الايجاز والإطناب. ولَرُبَّ وصلٍ تحسُن في حواشيه الفواصل ، فعند التناهي يقصر المتطاول . غير اني ما أوردتُ من هذه الكلمات ، على قصوري في تأدية العبارات،وضعفي في تأليف المعربات، لا لاستيفاء معانيها وجوه صفاتك ، وبيان أعراضها عن جوهر ذاتك، بل جعلتها حديثًا مُسندًا الى الشوق والغرام ، ومجازًا مرسلًا الى اثبات حقائق العهود في طيّ الفؤاد والسلام .

---

١) في الاصل (هيهاتِ) وهي تحريف من الناسخ على ما يظهر لنا ، لان الوزن لا يستقيم مع هيهات .

٢) العُرْجون : اصل العِذْق الذي يعوجّ ويبقى على النخل يابسًا بعد ان تُقطع عنهُ الشماريخ ج عَراجين .

٣) هو صدر بيتٍ من الشعر :

وعينُ الرضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ كما أنّ عينَ السخطِ تُبدي المساويا

هجونك ثم أهجو ثم أهجو

قصيدتان في الهجاء من نظم الشيخ ناصيف اليازجي

ان اول من ترجم الشيخ ناصيف اليازجي على ما نعلم ، هو الطبيب سليم دياب الطرابلسي ، تلميذه وصديقه ونديمه وطبيبه في مرضه الاخير[1]. ومما رواه دياب عنه انه « لم يُسمع له كلمة بذيئة قط في حديث ولا كتابة ، ولا هجا احدًا ولو هُجي ، ولا طعَن في عرض أحد[2] ... » وكل من كتب عن الشيخ ناصيف رجع الى ترجمة دياب اولًا واقتبس منها ونقل عنها هذا الخبر الذي اجمع عليه جميع مؤرخي حياة اليازجي[3]، حتى ان الشيخ فارس الشدياق صاحب جريدة « الجوائب » في الاستانة ومحررها ، ذكر هذه الميزة في رثائه الشيخ ناصيف فقال :

ما كان يهجو ولا يُهجى ولا حَجَبَت ذكا قريحتهِ أحلاكُ حدثانِ
كانت أسرَّتُهُ عنوانَ نيّتهِ على المصافاة في سرٍّ واعلانِ[4]

وصدّق على كلام الشدياق بهذا المعنى، الشيخ ابرهيم اليازجي في آخر ردّه عليه[5].
غير انهم ذكروا للشيخ ناصيف بيتين في الهجو لا غير ، قالهما في بخيل وهما :

---

١) راجع مجلّة «الجنان» السنة ١٨٧١ ، لمنشئها المعلّم بطرس البستاني ، صفحة ١٥٠ و١٩٠.
٢) الصفحة ١٩٥ منها .
٣) من الغريب ان تُصدر مجلّة « النفائس » البيروتية ، لصاحبها انيس عبد الخوري ، عددًا خاصًا في ٣٢ صفحة عن اليازجيين ، بمناسبة نقل رُفات الشيخ ابرهيم اليازجي من مصر الى لبنان سنة ١٩١٣ ، محبّرًا بقلم كامل حميّه ، وان يضع الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف كتابين مختصرين ، الاول في تاريخ المشايخ اليازجيين في ١٦٠ صفحة ، والثاني في تاريخ اصهارهم وبناتهم واسباطهم في ١٦٧ صفحة بقطع ثمن ، مطبوعين بالمطبعة المخلّصية — صيدا ، لبنان — سنة ١٩٤٥ ، وان يجمع ميخائيل رحمه دواوين الشيخ ناصيف الثلاثة ، في ديوان واحد ويطبعهُ بنفقتهِ بالمطبعة الشرقية ، الحدث — لبنان — ١٩٠٤ ، مصدّرًا بترجمة الشيخ ناصيف بقلم سبطهِ امين الحدّاد ، ولا يأتي واحد من هؤلاء المترجمين الشيخَ اليازجي الكبير ، على ذكر ترجمة دياب المومأ اليها .
٤) راجع جريدة «الجوائب» ، ١٠ ايار سنة ١٨٧١ ، العدد ٥١٩ ، وكتابنا «الشدياق واليازجي» ص ٦٥ ، مطبعة المرسلين اللبنانيين — جونية (لبنان) سنة ١٩٥٠ ، في ٣٥٢ صفحة بقطع كبير .
٥) مجلّة «الجنان» السنة ١٨٧١ ، الصفحة ٨٤٣ ، وكتاب «الشدياق واليازجي» ص ١٣٩

قد قال قومٌ إنَّ خبزكَ مالحٌ والبعضُ أثبت بالحلاوة حكمَهْ
كَذِبَ الجميعُ بزعمهم في طعمِهِ مَن ذاقَهُ يوماً ليعرفَ طعمَهْ

كنا نقرأ ونسمع ان الشيخ ناصيف لم يهجُ أحدًا في شعره ، ونحن غير مصدّقين ان شاعرًا مثله مطبوعاً جوّاد القريحة يقرض الشعر في ظروف شتّى ولم يخطر له مرّة نظم شعر في الهجو ، وهو يعيش بين الناس ويخالطهم ويعاشرهم ، والشاعر كسائر الناس يحسّ ويتأثر بما يرى ويسمع ما لا يستطيبه ذوقه وينفر منه طبعُهُ ، لا بل ان الشعور فيه بالغ حدّ الارهاف ، فلا بدَّ من ان تستفزّه يوماً واقعةُ حالٍ او نفرةٌ من أحد فيتأفف ويتبرّم ، وتضطره الى ارسال كلمة ملام او هجو نثرًا او شعرًا ، لانه لا يستطيع ان يصدَّ تيّار شعوره عن الانطلاق والانفلات عندما يثور ثائره ويفور فائره .

وهذا القس جبرائيل فرحات (المطران جرمانس) بالرغم من تزهّده وعلو كعبه في العلم والفضيلة ، نراه يعجز عن اخفات صوت شاعريته وكبح ميله عندما يرى ما يرى من تعنيف القس جبرائيل حوّا (المطران جبرائيل) ابن مدينته ، ورهبانيته ومخادعته ومماكسته له في بعض شؤون تتعلق بخير الرهبانية ، عندما اجتمع به في دير مار بطرس ومرجلّين برومة العظمى ، فقال فيه سبعة ابيات من الشعر هجاه بها ناسباً اليه المخادعة والمصانعة والمظاهرة بفعل الخير . وهذا اوّلها :

بِمَرَجلِّينَ صادفنا فعالًا تُذكّرنا فعالَ المُفترينا
بانسانٍ أرانا الخيرَ لفظاً بلا معنىً فخِلناهُ مُبينا[1]

وما برحنا غير مصدّقين انَّ الشيخ ناصيف اليازجي لم يهجُ احدًا في حياته ، حتى وقفنا له على قصيدتين خطّيتين في الهجو مجهولتين غير منشورتين في اجزاء ديوانه الثلاثة : النبذة الاولى من شعره ، ونفحة الريحان ، وثالث القمرين ، وهما لا تقدحان في عِرض الشيخ ولا تنقّصان من كرامة منزلته . الاولى قالها في رجلٍ رغيبٍ أكول ، وهي مدوّنة في الصفحة ٤٨٨ من مخطوط دير الشير ، تحت رقم ١٣٣ عدد ٤٦ ، الذي أتينا على وصفه . والثانية ، وقد سُئل نظمها ،

١) قولهُ : أرانا الخير لفظًا الخ ، كناية عن انهُ مخادع يمدحُ الخيرَ ويجتنبهُ ، ويذمُّ الشرَّ ويرتكبهُ (ديوان المطران ص ٤٤٠)

في احد المثقّلين المتعرّضين لنظم الشعر ، مرقومة في صفحة ٤٥٢ من المخطوط المذكور .

واليك نصّ القصيدتين بعنوانيهما :

القصيدة الاولى

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في رجلٍ » :

سبيلك أنّهُ أهنا سبيلِ ... اذا استغنيتَ عن ذكرٍ جميلِ
أمرُّ القومِ أحمقُهمْ فؤادًا ... وأشقى الناسِ أربابُ العقول[1]
وما انتَ الجهول اذنْ ولكنْ ... جهولٌ مَن تمسَّك بالجهولِ
اذا طاب الفتى بالجهل نفسًا ... فأهونُ ما يُرى وجهَ العذولِ
متى رمتَ الكرامةَ من لئيمٍ ... فإنّكَ طامعٌ بالمستحيلِ
ومَن ركب الحمارَ فجالَ فيهِ ... تعظّم فوق فرسانِ الخيولِ
نظمتُ بكَ القريضَ وبي اعتذارٌ ... الى الرحمان من شرِّ الفضولِ
فلا هجوًا ولا نصحًا ولكنْ ... أردتُ بذاك ان أشفي غليلي
كأنك صخرةٌ في البيت ليست ... سوى للضيقِ والحِملِ الثقيلِ
وليتك لو حكيتَ الصخرَ صومًا ... فلستَ سوى شروبٍ أو أكولِ
بلادةُ أشيَبٍ في جهلِ طفلٍ ... ورقّةُ أرنبٍ في أكلِ غُولِ
متى وُضع الطعامُ لديك شِئنا ... هجوم الوحشِ في جَسَدِ القتيلِ
تُلاطم كفُّكَ الأخرى وتُدمي ... ثناياك الأصابع كالنُّصولِ
ونسمع منكَ دَمْدَمَةً ونَفْخًا ... كنفخِ الهرِّ أو نخطِ العُجُولِ
ترى الجَفَنَاتِ[2] حولك مُنْهِنات ... قد استغنينَ عن دَلْكٍ[3] الغسولِ
وللرُّغفانِ[4] بين يديك صوتٌ ... كعصفِ الريحِ في وَرَقِ النخيلِ
فما ينجو طعامٌ منك حتى ... تظنّ حشاك من بعض الطبُولِ

١) ان معنى هذا البيت مُقتبس من قول المتنبّي :
ذو العقلِ يشقى في النعيمِ بعقلِهِ ... وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ ينعمُ

٢) الجفنة : القصعة الكبيرة ج جفن وجفان وجَفنات .

٣) دَلَكَ دَلْكًا الشيءَ : فَرَكَهُ ودَعَكَهُ .

٤) الرغيف : الكتلة من العجين . ما رُقّق وخُبز منهُ ج أرغفة ورُغف ورُغْف ورُغفان . ويظهر ان الخبز في عهد الشيخ ناصيف كان يابسًا حتى يُسمع لكسرهِ في يد مَنجوده صوتٌ كعصف الريح . . .

ولا يُحمى رغيفٌ منك إلّا … اذا كتبوا به علمَ الأصولِ[1]

○

بحقّك لا تؤاخذني لأني … هجوتك ليس عن أمرٍ قليلِ

صفاتُك تدهشُ الألبابُ منها … فأنت على النباهة في المحولِ

لقد عالجتُ سقمك قبل هذا … فزاد علاجُ سقمك في التحولِ

اذا صار الدوا داءً علمنا … بأنَّ الخبثَ من نفسِ العليلِ

هجوتُك ثمَّ أهجو ثمَّ أهجو … الى أنْ تستقيمَ على السبيلِ

وما هذا هجوك غير أني … ذكرتُ به مقدّمةَ الفصولِ

القصيدة الثانية

«وسُئل (الشيخ ناصيف اليازجي) كلاماً في احد المتعرّضين لنظم الشعر فقال»:

خلِّ الكلامَ لأهلهِ يا قائلُ … ودعِ انتحالك فهو أمرٌ باطلُ

أتخوضُ ويكَ ولستَ أولَ جاهلٍ … بحرًا ، لقد أعياك منهُ الساحلُ

لو كان نظمُ الشعرِ مرَّدَ كلامهِ … عمَّ الخليقةَ فهو حكمٌ شاملُ

ومن العجائب ان يطاعنَ أعسمٌ[2] … ويصولَ ما بين الفوارسِ راجلُ

قد قيل بالشعراءِ انَّهمُ همُ … الغاوون ليس يقولُ منهم فاعلُ[3]

قد يكذبون على العبادِ وأنتَ قد … أكذبتَ نفسك حيثُ جئتَ تناضلُ

دعْ أيُّها المغرورُ شعركَ أنَّهُ … أضحى لصيدِ هجاكَ وهو حبائلُ

لمّا رأينا أنَّ شعرك ناقصٌ … قلنا ولم نشكك بأنّك فاضلُ

صيّرتَهُ سببًا لهجوكَ لاحقًا … فعلامَ يعتبُ من أجاب السائلُ

لو لم تبنْ أبياتُهُ بين الورى … ما قيل إنَّك أحمقٌ أو جاهلُ

○

ولرُبَّ ديوانٍ نظمتَ كأنَّما … هو جعبةٌ فيها السهامُ قواتلُ

ضمّنتَهُ فنَّ البديع فلو حوى … جفنًا ترقرقَ منهُ دمعٌ هاطلُ

وبعُ الطايلِ وقيحُ ضربِ عروضهِ – فلقد تكسَّرَ والتقتهُ فواصلُ

---

١) عبارة عن . . . هنا كلمات قُطعت بمقراض تجليد هذا الكتاب .

٢) الأعسم : يابس اليد (في الاصل).

٣) وردت في القرآن هذه الآية : والشعراء يتبعهم الغاوونَ . الم ترَ انَّهم في كلّ وادٍ يهيمون . وانَّهم يقولون ما لا يفعلون (سورة الشعراء) .

تأتي بوافرهِ وكاملهِ[1] وما ... بها مفاعيل ولا متفاعلُ
أسمعتَ انّ الشعر ينظم أبحرًا ... فطمعتَ أنّك ، في اتساعٍ ، جائلُ
ليتَ اتّساعك في تباينِ وزنهِ ... خُلِقَ القوافي وهيَ فيهِ قلائلُ
وأمرتَ علمَ النحو لعبةَ عابثٍ ... فاذا بجدّك وهو فيهِ هازلُ
لمّا وضعتَ عليهِ كفّك عابثًا ... سقطتْ عن الإعراب منهُ عواملُ
عيبٌ عليكَ وأنتَ أشيبُ لمّةً ... نُطلِ عليك خديعةٌ وتغافلُ
فأجبْ فؤادك ، إنْ أتى لك شاهدًا ... بالنظم ، أنّك كاذبٌ يا غافلُ
لا تحسبنَّ الشعرَ كأسَ مدامةٍ ... يحوي ، عليهِ بكفّهِ ، المتناولُ
هو سيّدٌ لم يرضَ مثلك ؛ إنّهُ ... عبدٌ ، بحضرتهِ الشريفةِ ، ماثلُ

٥

عذرًا بحقّ بديع نظمك صحّةً ... وفتونُـهُ بشجونهِ تتقابلُ
ما كنتُ بالهاجي سواك وانّما ... شيمي بايفاء الحقوق عوادلُ
واعلمْ بانّ الشعر أصعبُ مركبٍ ... يُلقي اخاك بهِ العثارُ العاجلُ
كمُلَتْ مناقبُهُ وفيك نقائصٌ ... والنقصُ أكرهُ ما يراهُ الكاملُ

[للمقال صلة]

---

١) الوافر والكامل : بحران من أبحُر الشعر .

* أخبرنا الاب اغناطيوس سامين حرب الجبيليّ احد ابناء رهبانيتنا اللبنانيّة المارونيّة، البالغ من العمر السنة التاسعة والثمانين المتمتّع بصحة العقل والجسم ، نقلًا عن غيره . قال ما هو بمعناه : قصد الشيخ ناصيف اليازجي زيارة احد اصحابه في بيروت ، ولما بلغ قرب الدار رذّت السماء ، واذ قرع الباب استوقفهُ البوّاب ريثما يدخل على صاحب الدار ويستأذنهُ في دخول الشيخ الذي ظلّ منتظرًا خارجًا ، فتبلّلت ثيابهُ. واذ عرف صاحب الدار ان الطارق هو الشيخ ناصيف صاح في خادمهِ قائلًا : ويحك ! هذا الشيخ ناصيف اليازجي عجّل فافتح لهُ . ولما دخل الشيخ وجلس ، سأل البوّاب : ما اسمك ؟ اجاب : اسمي بارد . قال الشيخ بديهًا :

يا باردٌ غلطوا بنقطةِ بابهِ ... ما أنتَ إلّا باردٌ سوءٌ سَمِجْ
بَبٌ لدارٍ أنتَ بوّابٌ لها ... كيف الذي يأتي اليها ينفرج

ميمر غير معروف لمار يعقوب السروجي

نشره المونسنيور الدكتور جرجس گراف

توطئة

من المعلوم ان عددًا وافرًا من الميامر والمداريش وُجد تحت اسم يعقوب السروجي المؤلف السرياني الشهير المتوفى في سنة ٥٢١[1] . ومن المعلوم ايضاً ان بعض هذه المصنّفات حمل خطأً اسم المؤلف المذكور . وليس من المحقّق ان الميمر الذي عزمت على نشره هنا هو من تأليفه .

ولقد نقلنا النصّ عن نسخة من المخطوطات العربية المحفوظة في خزانة الكتب العمومية في مونيخ من بلاد باڤاريا[2] . وهي تحمل العدد ١٠٦٦ . وهذه النسخة مع خمس نسخات اخرى اشتراها منذ ثلاث وثلاثين سنة الدكتور گروتي (Grote) الذي جمع كثيرًا من المخطوطات اثناء رحلته الى المشرق وتوفي في سنة ١٩٢٢ .

ان الميمر الذي ننشره الآن قد وُجد كما ذكرنا تحت رقم ١٠٦٦ في الورقة الاولى من مخطوطة يبلغ عدد صفحاتها اربع عشرة صفحة وكلها نُسخت بذات الخط الذي نُسخت به جميع الكتب العربية في دير مار سابا ودير طورسينا في القرنين التاسع والعاشر . ونحن نعلم ان الميمر الذي بين يدينا قد نُسخ حوالي سنة ٩٠٠ م ، اي في زمن الكتابة بالحروف العربية .

ان الاوراق هي من رقّ والنص العربي مخطوط فوق النص السرياني بحروف اسطرنجيلية ممحوّة ولا يُرى منها الا اليسير .

اما الورقة الاولى فطولها ٢٣٠ ملمترًا وعرضها ١٣٥ ملمترًا والصفحة الاولى تحتوي على ٢٢ سطرًا والثانية على ٢٠ فقط . ولقد اهملت نقط التمييز والحركات ما خلا الضمة في بعض الاحيان . ونجد في لغة المترجم الميزات الخاصة بالمؤلفين

1) A. Baumstark, *Geschichte der syrischen Literatur*, Bonn 1922 ص ١٤٨–١٥٨

G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*, I. Bd. (Studi e Testi 118), Città del Vaticano 1944, pp. 444–452.

2) *Bayerische Staatsbibliothek in München.*

الاولين من النصرانيين المستعملين اللغة العربية[1] . ولذلك فهذا الميمر الذي بين يدينا يُظهر لنا نشأة الاداب المسيحية باللغة العربية .

والمخطوط المذكور يتضمن ١ً بعد « المراثي » ثلث قطع وهي : ٢ً «معرفة وجود رأس يحنا القديس المجد النبي المقدم المعمدان الشهيد الكاروز ماري يحنا » وهي منقولة عن اليونانية (fol.2r°-5v) . ٣ً « من قول القديس ثاوفلس بطريرك الاسكندرية قاله على الاعمى المولود من بطن امه » الخ (fol. 5r, v) وهو غير معروف بين تآليف البطريرك ثاوفلس وينقصه الختام . ٤ً « من قول يحنا فم الذهب قاله على هيرودوس عندما هانوه المجوس» الخ (fol. 7r, v, 6r,) لا يُعرف في محل آخر وهو بغير ختام .

فاذا قابلنا بين المخطوطة العربية الكاملة رقم ١٠٦٦ المحفوظة في مونيخ وبين صفحة اخرى من مخطوطة سينائية مصوّرة في كتاب « الدروس السينائية[2] » (العدد ١٢) ، يظهر بوضوح ان القطعتين هما من سجل واحد اي من السجل العربي العدد ٥١٤ في دير طورسينا . ولقد دُرست المخطوطة في « الـدروس السينائية » العدد ١٢ الصفحة ١٣ و١٧ وفي الـ « Expository Times » ١٩٠٢ ص ٥٠٩—٥١٠ ، واذا ما قابلناهما وجدنا ان لهما الطول نفسه وعدد الاسطر — وهذا مهم جداً — والكتابة نفسها من عربية فوق وسريانية تحت .

ويحتوي « رق » دير طورسينا (العدد ٥١٤ من المخطوطات العربية) في النص الاول اربع عظـات من يعقوب السروجي وبعض نتف من حياة الشهداء . امّا النص السرياني فهو اقسام من الانجيل يوحنا .

وفي السنة ١٩٠٢ فقط استطاعت السيدة جبسون (Gibson) ان ترى في دير طورسينا « الرقّ » الغير الكامل . وينتج من هـذا ان قطعة مونيخ (العدد ١٠٦٦) قد فُصلت من زمن بعيد عن المخطوط الاصلي .

(١ Cf. G. Graf, *Der Sprachgebrauch der ältesten christlich-arabischen Literatur*, Leipzig 1905.

(٢ *Forty-one Facsimiles of dated christian Arabic manuscripts with text and English translation, by Agnes Smith Lewis and Margaret Dunlap Gibson, Studia Sinaitica* N°, XII, Cambridge 1907, Frontispiece: cf. p. XVII.

(fol. 1ʳ) من قول مارى يعقوب السروجي على اللصين مراثي

ما احسن الاعمال الصالحة للذي ينظر بالمحبـة ويفحص فى حكمته البر ويسلك فى طريق العدل المعدة لجميع القديسين ٭ بهين ايضاً جـدي[1] اللصين المصلوبين مع بن الله . حلب احدهم عن يمينه . والآخر عن يساره ٭ الطوبا للذي عن يمينه . والويل الكبير للذي عن يساره . صلب ربنـا بينهما وجعلا يتدارسا فى سببه ٭ واحد كان يقول ان كنت بن الله فخلصنا معك . والآخر كان ينادي ويقول بامانه اذكرني يا رب اذا اجيت[2] ٭

بن الشمال الذي لم يومن به باصوات القذيفة[3] كان يصرخ ويجدف عليه ويقول خلصنا معك ان كنت بن الله انزل من الخشبة لنومن بك[4] ٭ اجابه بن اليمين وقال له ايه الرجل الهايق الجم لسانك ولا تجدف على بن الله المعلق على الصليب منجل الخطاة ٥

قال بن الشمال ما اصدق انه بن الله بعد المصايب الذي ارا به من قد سمرت يديه ورجليه ومن قد اقترعوا على لباسه ومن قد جعل على راسه اكليل الشوك بعد هذا كله من يصدق انه بن الله . قال بن اليمين ان كنت انما تفحص عن مصايبه وقد عميوا عينيك الباطنة . فانظر الى الارض التي قـد ارتعدت من اساسها وبغمرته ثبتها ليلا تهلك سريعا ٥

قال بن الشمال انظر انت الان الى عظيم الكهنة الذي بيديه خرق ثيابه ويصيح قايلا قد حق عليه الموت لانه صير نفسه اله[5] فمن يومن به انه الله .

قال بن اليمين انظر انت الان الى الشمس الذي اظلم واخفا نوره المضي (fol. 1ᵛ) وتغطت الارض بالظلمة وصرخو[6] الموتا من قبورهم . هذا يقين بن الله ٥ — — — — — —

---

١) الصواب : جبين ايضاً جدو .
٢) الصواب : في ملكوتك (لوقا ٢٣ : ٤٢
٣) كذا في الاصل
٤) متى ٢٧ : ٤٢ ومرقس ١٥ : ٣٢
٥) والصواب : الاهاً .
٦) اصلح : وصرخوا .

قال بن الشمال انا اراه في كل هواة وذل لا يحصا مقروع بالقصبة مجروح الجنب وامه واقفة حزينة منكسة الراس وجميع تلاميذه قد هربوا . قال بن اليمين هذا الاتضاع الذي تراه فعله منجل ادم اتضع سيد الملوك ومنجله صعد على الصليب وصلب الخطية ونزل على الموتا ليعتقهم ◎

قال بن الشمال هوذا هو مكتوف كيف يحل وثاق ادم كما تقول . كان ينبغي له ان يحل نفسه بديا[١] وحينيذ يتم يحل ادم فنيقن انه قادر على ما يريد. قال بن اليمين ايه الوقاح المرح كم تكثر الكلام كانك شامت[٢] بموت الوحيد. الحجارة والصخور شهدت انه الله وقلبك انت لم يلين لان الشيطان قد سكنه◎

قال بن الشمال ظهره مضروب[٣] بالسياط وهو عريان معلق على الخشبة . والاحبار يتهزون به ويحركون روسهم[٤] عليه وقد اعطوه في وقت عطشه خل ليشرب . فمن يصدق انه اله كما تقول ◎ قال صاحب اليمين المجد لذلك الذي احب برحمته ان يقبل عنا المصايب وتعالا على خشبة الصليب . ورفعنا وجلسنا عن يمينه ودعانا جميع الى فرح وايته[٥]. له السبح والعظمة والقدرة وعلينا رحمته الى دهر الداهرين امين ✣

---

١) في النسخة : بديا . والصواب : بدء .
٢) اي شامت وفي الغالب شمت .
٣) في النسخة غلطًا : مصورب .
٤) اي رؤوسهم .
٥) والصواب : وايمانه .

الرسالة المشفية للامراض المشكلة

في المراقيا

رسالة طبيّة خطيّة (تابع)

تأليف

أحد العلماء المتبحّرين وأمجد الفضلاء المدققين

أوحد زمانه وجالينوس عصره وأوانه

الحكيم فيضي مصطفى افندي

عُنيَ بنشرها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

الفصل التاسع

في بيان تسكين اعراض المراقيا

إعلم ان القاعدة الكلية اولاً هو علاج المرض لانه اذا لم يُزَل المرض فلا يزول العرض الحاصل بسببه ، والحال ان في هذا المرض قد تحصل اعراض رديئة كما تقدم بيانه فيلزم اولاً :

انه اذا لم تسكن الاعراض فيعرض ضعف لقوى العليل بسبب العرَض الطارئ عليه فيكون ذلك سبباً لاشتداد اصل المرض .

واعلم ايضاً ان اعراض هذا المرض هي خمسة :

الاول : السهر ، وهو يحدث من صعود الابخرة الحارّة اليابسة الى الدماغ ، ومن حيث انه يُضني ويضعف الروح النفساني ويورث الضعف جميع القوى ، فلا يمكن علاج اصل المرض ما لم تسكن الاعراض .

وممّا يجلب النوم ويسكن العرَض هذا المستحلب . وهذه وصفته :

بزر بطيخ . وبزر جبس . وبزر قرع وبزر خيار . ومن كلٍّ خمسة دراهم . وثلاثة دراهم بزر خشخاش ابيض . وعشر لوزات مقشّرات

تُدق هذه اللبوب بهاون من رخام وتُحل بماء الشعير المقشور على قدر الكفاية حتى تصير كاللبن وتوضع ، ويضاف اليها مقدار من شراب النيلوفر وهي سخنة . تعطى للمريض دفعة واحدة عند النوم في العشي ، فاذا لم تفِ في تنويمه فلتُغسل رجلاه بهذا المطبوخ سخناً لينكس البخار . وهذه صفته :

بابونج . خطميه . حشيشة الزجاج . خبازي . من كلٍ قبضة . وخمسة دراهم من بزر الشبت . وورق قصب قبضتان .

تُطبخ بماء على قدر الكفاية وتغسل الرجلان بها الى الركب وهي ساخنة على قدر الاحتمال .

وان كانت الاعراض متعاظمة ولم تفِ هذه المعالجة بالمطلوب ، فلتُدهن الاصداغ وداخل الانف وباطن الكفين واسفل القدمين بمرهم اليوبليون ، اي مرهم الحور . واذا لم تفِ ايضاً فيعطى له درهم من معجون الركة ويُسقى عليه المستحلب المذكور آنفاً .

الثاني : وجع المعدة ، لانّ الطعام يفسد في المعدة فيحصل منه ريح ومن تمديد الريح وجع .

فمن هذا الوجه ينبغي اعطاء مُقيءٍ خفيف ، لان القيء اولاً يُخرج الطعام الفاسد . وثانياً يُخرج البلغم والرياح ، وهذه صفته :

يُعطى له مئة درهم ماء الزهر مسخّن بزيادة ، وبعد مرور نصف ساعة يدخل اصبعه في حلقه ويتقيأ . وان لم يقدر على القيء بهذا العلاج فليستعمل هذا المقيء . وهذه صفته :

يؤخذ خمسة دراهم بزر فجل . وثلاثة دراهم بزر شبت . وثلاثة دراهم أصل بطيخ . ويُطبخ بنصف أوقية ماء الى ان يبقى نصف الماء ويُصفّى ويُضاف اليه ثلاثون درهم سكنجبين . وقبل ان يبرد يشربه دفعة واحدة .

وان كان بهذا العلاج لا يتقيأ ، فيضاف الى المطبوخ الثاني درهم غاريقون مسحوق ينتقع فيه اثنتي عشرة ساعة ويُصفّى ثم يُشرب . وبعد المقيء يدهن المعدة بهذه الادهان . وهذه صفتها :

دهن مصطكي . دهن ورد . دهن سنبل هندي . دهن جوزبوا . دهن افسنتين .

تُخلط هذه الادهان بعضها ببعض ويدهن بها المعدة مسخّنة . او انه يُؤخذ رغيف خبز سخن يُفسخ نصفين ويُنقّط على نصفه الواحد بضع نقط من الادهان المذكورة ويُرشّ عليه من هذا الرشاش ويُوضع على المعدة . وهذه صفته :

ورد يابس . وزهر بابونج يابس . ومصطكي . من كلٍّ درهم . يُسحق كالغبار ويُرشّ على نصف رغيف الخبز السخن مع الادهان المذكورة ويوضع على المعدة كما قلنا آنفاً .

فاذا لم يسكن وجع المعدة في القيء فليستعمل مثقالاً من الحبّ المركّب من التمرتينا والغاريقون المارّ ذكره في ما سبق ، لان هذا الحبّ يُخشّن المعدة والفضلات الباقية يجذبها الى الامعاء .

الثالث : الخفقان من كونه يضعف الروح الحيوانيّ والقلب . فالمريض ييأس من حياته ، من حيث ان القلب هو من الاعضاء الشريفة فلا يعود له طاقة على تحمّل شيء من اليأس .

فاذ يعرض الخفقان للعليل ينبغي له ان يتناول الادوية القلبية ويشرب عليها ماء الاستورزونيرا وماء لسان الثور وماء البادرنجبويه .

وان كان بهذا العلاج لا يسكن ايضاً فليضع على القلب هذه اللصقة :

يُؤخذ درهمان درياق الفاروق البندقي . ودرهمان معجون القرمز . وثلاثة دراهم معجون الدياسنطو . وثلاثة قراريط زعفران. وثلاثة دراهم ماء الزهر . تُخلط هذه الاجزاء بعضها ببعض وتُغلى بماء الزهر على نار لينة الى ان يذهب الماء ،فتوضع على خرقة وهي حارّة على قدر الاحتمال لصقاً على ناحية القلب .

فان كان لا يسكن الخفقان ايضاً فليكرّر هذا العمل دفعات متعددة . وفي اثناء هذه المعالجات ينبغي ان لا يغفل عن اعطاء الحقنة لان اكثر السبب واقع من صعود الابخرة .

وان كان لا يفي هذا العلاج ايضاً ، وكانت الشدّة في جانب الطحال ، فليوضع على ذلك المكان اربع او خمس كاسات حجامه من هواء من غير دم . وان كانت من جانب الكبد فلتوضع الكاسات في ذلك المكان .وان كانت لا تفي هذه المعالجات كلها ايضاً ، فليُعطَ المريض عشرين درهماً من شراب خَبَث الحديد والفولاذ المقدّم ذكره . (عن مرتاد الطبيب) لان المذكور

اصطنع هذا الشراب لاجل الخفقان العارض بسبب السدّة .

وانا الفقير أبتليتُ بمرض المراتيا ، واذ كان يعرض لي خفقان جرّبتُ هذا الشراب فشاهدتُ نفعه وافرًا عظيماً .

وقال وسترطوس الحكيم : انني استصوبتُ استعمال الادهان التي استخرجها حكماء الافرنج من قشر الأترج والدارصيني بالاستقطار في معالجة الخفقان العارض بسبب الريح .

وانا الفقير ايضاً لمّا جئتُ من بلاد الافرنج الى القسطنطينية في الفلطه[1] ، جرّبتُ هذا بنفسي فشاهدتُ نفعه عياناً بلطف الله وحوله .

وهذه هي طريقة استعمال الادهان المذكورة :

قشر الأترج والدارصيني يُستقطر منه خمس نقط في مَرَق الدجاج او في طبيخ البادرنجبويه المُذاب فيه شراب العنبر ويُشرب كالقهوة .

الرابع : انه يحصل في الامعاء وجع مشابه للقولنج ، وسبب ذلك هو انه ينفذ الى طبقات الامعاء ريح فيورث وجعاً تمديدياً خصوصاً اذا كانت طبيعة المريض مقبوضةً فتجتمع الفضلات وتُحدث ريحاً مؤلمة فيحصل من ذلك وجع الامعاء . وعلاج هذا المرض الحقنة المتوسطة . وهذه صفتها :

خبازى . حشيشة الزجاج . خطميه . ساق لسان الثور ، من كلٍّ قبضة . وعشرة دراهم بسفايج طري مرضوض . وثلاثة دراهم رازيانج . ودرهمان بزر كتّان . وثلاثة دراهم اكليل الملك . وثلاثة دراهم اكليل الملك . وثلاثة دراهم زهر البابونج . ودرهم ونصف غاريقون .

تُطبخ هذه الاجزاء بماء على قدر الكفاية . ويؤخذ من الماء المطبوخ مئة وخمسون درهماً ويُلقى عليه عشرة دراهم خيار شنبر . وثلاثون درهماً شيرخشت . وخمسة وعشرون درهماً دهن بابونج ويحتقن به . فهذه الحقنة تحلل الريح وتخرج الفضلات .

وان كان الوجع لا يسكن بهذا العلاج فلتُعمل هذه التكميدة . وهذه صفتها : يؤخذ خبّازى . وحشيشة الزجاج . وخطمية . وزهر بابونج ، من كلٍّ

[1] يريد بالفلطة : المركب .

قبضة . وخمسون درهماً بزر كتّان . وخمسة دراهم بزر حلبه . وخمسة دراهم سبت . وعشرة دراهم اكليل الملك .

تطبخ بأربع اواقي ماء الى ان يبقى نصفه، ويُلقي على الماء المطبوخ اسفنجة جديدة تُبلّ بــه قبل ان يبرد ، وتوضع على المكان الموجوع . وبعد تُرفع الاسفنجة ويُمسح مكانها ويدهن بهذه الادهان سخنة وهي :

دهن لوز حار . ودهن زنبق . ودهن بابونج . ودهن افسنتين . ودهن دجاج . ودهن وزّ .

يُخلط بعضها ببعض وتُسخّن على نار ليّنة قليلاً ، ويُدهن بها مكان الوجع وان كان لا يسكن ، فيُؤخذ شحم الخروف المذبوح طريئاً وهو سخن قبل ان يبرد ، ويُوضع على محلّ الوجع .

الخامس : وجع الكُلى ، فانه كما تقدّم القول في أوّل هذه الرسالة ، ان الطبيب الجاهل لا يدري بان هذا الوجع عَرَض حادث من حوادث المراقيا فيعالجه معالجة حصاة الكلى ، مع انه عرَضٌ لا مرضٌ . ومن حيث انهُ عرَض فغاية علاجه بالحقنة المتوسطة . فاذا لم يسكن بالاحتقان ، فالترضع على المحل الموجوع الادهان المتقدّم ذكرها في باب معالجة وجع الامعاء .

﴿ الفصل العاشر ﴾

في بيان تدبير الاسباب الستّة الضرورية لاصحاب هذا المرض

اولاً يجب ان يكون غذاء صاحب هــذا المرض لحوم الخرفان والجدايا والفراريج والحجال والدجاج. واذا كانت حرارته لا تزيد على لحوم الحملان فهي مناسبة ايضاً . واذا كانت اللحوم المذكورة مشويّة فجائزة ايضاً . ومن انواع السمك ، الاسماك الصخريّة فاذا اشتهاها المريض فلا بأس من تناولها ، لا سيّما اذا عصر فوقها ماء الليمون الحامض ، ولكن اجتناب مداومتها أولى وأنسب.

وفي أيام الشتاء يجوز تناول البيض الطري من يومه اذا صار نيمرشت ، فيتناول صفاره . ومن الخضرة السبانخ والخس ولسان الثور يُخلط بعضها ببعض . واذا طُبخت اللحوم المذكورة بها فهي مناسبة. وأمّا اذا كانت بلسان

الثور وحـده فهي أنسب وأنفع ايضاً . وشوربة الأرز واللبا (واللب) من الأرز فلا بأس منها .

وليجتنب اللحوم المقدّدة والمملّحة والبصطرمة والصوجق وما يُشبه ذلك من لحوم القديد سواء كانت بالملح أو بالدخان فانها مضرّة جدّاً . وأما لحم المعز والبقر والارنب والغزال والأيل والسمّن والوزّ والبطّ فهي كلّها مضرّة جدّاً. ومن السمك ، الاسماك الناشئة في الرامات[1] والاسماك البحرية الكبيرة فهي مضرة ، والخبز الفطير مضرّ ايضاً ، كذلك الاطعمة المصنعة (المصنوعة) من السكّر والعسل فهي مضرّة جدًّا لتسديدها (تسبّب السدد) وسرعة استحالتها الى الصفراء ، واذا احترقت تستحيل الى السوداء . ومن الخضرة الباذنجان والكرنب فانها ضارّان .

ونتيجة الكلام ينبغي الاحتراس من الاغـذية التي تولّد أخلاطاً سوداوية وأخلاطاً غليظة لزجة . ومن الاطعمة التي تولّد فضلات زائدة. وينبغي اجتناب الاطعمة المصنعة (المصنوعة) من العجين والالبان على الاطلاق .

ومن جهة المشروب فان كان العليل من الاغنياء والموسرين فليستعمل[2] المغلي بعود الطَرفاء . واذا لم يوجد ذلك يُغلى له المـاء بأصل لسان الثور مع مثله من الصندل الابيض ، وبعده يُطفّى به سكّة (سبيكة) ذهب خالص محميّة دفعات متعدّدة ويشرب منه موضع (بدل) الماء . واذا طُفي بالماء القراح بمجرّده يجوز ذلك .

وأما اذا كان فقيراً معسراً فيُطفّى له الماء بفولاذ افرنجي محمي سبع دفعات .

والنتيجة لا يجوز له شرب الماء الخام أصلاً . وليحذر من شرب المـاء البارد والمبرّد بالثلج والجليد . وعلى الخصوص ينبغي الاحتراز من الحركات العنيفة والجماع لا سيّما اذا كان بعد الحمّام . وليجتنب الاشربة الحلوة جدّاً . الّا اذا كان حلوها قليلًا فالشرب منها يسيراً فلا بأس منه ، لان الحلو بجملته يسبّب السدد وهو عدوّ الطحال ايضاً . ولا بأس من زيادة النوم ، واذا امكن فليكن ثماني ساعات لا أنقص . وينبغي الاحتراز من النوم في النهار . اما اذا

١) يريد بالرامات : البِرَك .

٢) هنا كلمة منتزعة من طرَف الصفحة .

كان في الصيف فلا بأس منه لاجل تكميل الثاني ساعات ، ولكن ذلك ضحىً . أمَّا النوم في الشتاء فلا يجوز .

لا تجوز الحركات العنيفة لصاحب هذا المرض لانها تورث السُدَّة[1] خصوصاً اذا كانت على الشبع . فأما الحركات المتدلة فهي نافعة خصوصاً اذا كانت قبل مباشرة الطعام ، او بعده بربع او ثلث ساعة .

واما تدبير بقيّة الحركات الستّ الضرورية لاصحاب هذا المرض كالهواء المحيط ، والاستفراغ ، والاحتباس ، والحركات النفسانية ، فإبقاء تدبيرها الى الطبيب الحاذق الفطن ، أولى من ايرادها هنا كونها غير ضرورية .

تمت

1) في نسخة «الحدث» : تقوي السدد .

ملحق

قد عُلِّق بعض وصفات طبيّة متنوعة على الورقات الاولى من كتاب «الانتضاب» هذا ، والورقات الاخيرة منه ، على ما اشرنا اليه في توطئتنا على «الرسالة المشفية» والرسالة والوصفات ليست من صلب الكتاب بل خارجة عنه ، وخطّها دقيق يختلف عن خطّه . ولما كانت هذه الوصفات الطبيّة العربية لا تخلو من الافادة رأينا ان نلحقها بهذه الرسالة وننشرها على علّاتها ، وهذه هي بحرفها :

في الحميات والترولات التي من قِبَل الدم

اولًا : اذا كان النّبض شديدًا وممتلئاً ويدقّ (ويضرب) بسرعة ، فيكون من قبل دم . وفي بعض الاوقات لا يصير امتلاء بل يكون رفيعاً شديدًا وجَسُّهُ مثل الخيط وتكون علامته حمورة في الوجه ، او وجع ظهر ، أو شكّة ، او تعبة في الجسم ، فيكون من قِبَل دم . وأما بعد الفصاد فينفتح النّبض ويصير يدقّ (يضرب) .

ثانياً : في الحمّيات والشكّات التي من قِبَل ضعفٍ ، فيدقّ النّبض احياناً بسرعة واحياناً على مهل ولكنّه يكون دائماً ضعيفاً لا شديدًا .

شرح أوّل في الشربات

اولًا اذا كان من لزوم يجب ان يُعطى شربة لمن تُحسِّن طبيعته (معدته) بالقبض . ثانياً الشربة تنفع الصفراء والبلغم والدود وغير اخلاط في المعدة والمصارين ، وفي سائر ما تلزم له التنقيات . فاذا رأيت في فم احد نشوفة او على لسانه وسخًا او في فمه طعمة مذقة وليس عنده قابليّة للأكل ، فيقتضي له شربة . وهذه الاشارات تحدث مع المرض وبدون مرض ايضاً . ويوجد فرق في الشربات ، فالذي يكون مُصاباً بالحمّى لا يُعطى شربة حامية ، ومن لم يُصب بها فلا تضرُّه الشربة الحامية . فهذه هي اشائر المنقّيات واعطاؤها .

شرح ثانٍ في اصناف الشربات

شربة أولى : جلبا مدقوقة درهم ١ ، ملح طرطير درهم ٢ ، يُمزجان بالماء الساخن . فهذه الشربة هي للأخلاط الناتجة من غير سخونة (حمّى) .

شربة ثانية : سنامكي منقاة من الورد درهم ٤ ، تمزج في ١٠ درهماً من الماء وتُغلى كالقهوة وتُصفّى ، ويذوّب فيها ١٠ دراهم من افريجي ، ودرهم ملح طرطير ويشرب منها على الريق قبل الاكل اذ يكون الماء لا يزال فاترًا بعد . وهذه الشربة تنفع في الحميات .

شربة ثالثة : ١٠ دراهم ملح انكليزي ، أم ١٢ درهم مع المــاء الفاتر موضع ملح الطرطير ، أم يُوضع وحده في الماء الفاتر .

شربة رابعة : تمر هندي من ٤ الى ٨ دراهم يُغلى في أوقيتين ماء . وهذا من المكلّسات الباردة يُعطى في الحميات الصفراوية ، كل ساعة فنجان . ثم من ٨ دراهم الى ١٦ درهماً تُغلى في أوقيتي ماء حتى يبقى أوقية ويُذاب معه درهمان من ملح الطرطير فيصير مسهلًا . وهذا ينفع في الحمّى الصفراوية .

شربة خامسة : يُؤخذ راوند من درهم ٢ الى ٤ تُغلى في ثلاثين درهماً من الماء . وهذا مسهل حام يعمل بعده قبضاً ولهُ نفع في البرْديات ويعطى ايضاً في مسهّلات الدم لمن يخرج منهم دم او غيره .

شربة سادسة : زيبق حلو من ثقل ١٠ قمحات الى ٢١ قمحة ، يُمزج بقليل من السكّر ويُؤخذ سفًّا . وهذا ينفع في النزولات التي هي من قِبَل دم. وينفع ايضاً للدود الذي في الباطنة ، ويُمزج ايضاً مع الجلبا ، ويوضع مع كل درهم جلبا عشر قمحات ويُؤخذ سفًّا .وهذا ينفع الدود والصفراء التي هي من قِبَل دم.

شربة سابعة : يُؤخذ جلبا درهم ١٠ وملح طرطير درهم٢ . تُذوّب في نصف أوقيّة ماء ساخن ويشرب منه على الريق . وهذا القدر يُعطى للمُسن في العمر ، ولا يجوز اعطاؤه في الحمّى الثقيلة. وانما يُعطى في الحمّى الثقيلة منضّج وهو هذا : ٤ دراهم سنامكي كما ذكرنا قبلًا .

شربة ثامنة : ان هذه الشربة هي مسيّلة للدم واكثر نفعها يكون للنساء اللواتي تأتيهنّ المادة ضعيفة ولا تسري إلا قليلًا . اولًا درهم ٢ صبرا شقرا ، درهم٢ مرّ حجازي ، درهم٢ زعفران شمري. يُدقّ كل صنف وحده ويُجبل في بعض نقط من العَرَق ويُصنع حبوبًا، كل حبّة على قدر حبّة الحمّص، ويُعطى كل يوم عشر حبّات ، خمس في الصباح وخمس في المساء . وهذا لا يُعطى الا لمن كان جسمه غير دمويّ .

اما من كان جسمه دموياً ويحدث له مغص ولا تمشي المادة ، فليستعمل هذه الوصفة وهي : اولاً يلزم له الفصادة من الرّجل . ثانياً وضع العلق . ثالثاً يغطّ خرقة في ماء البابونج أو ملح الطرطير او ملح البارودي .

وايضاً ملح فوّه ، وملح طرطير ، وملح بارودي ، وسكّر على قدر هذه الاصناف ثم تُسحَن وتُمزج بعضها ببعض وتُؤخذ سفوفاً ، في الصباح درهم ١ وفي المساء درهم ١ . وعوضاً عن الفوّه يوضع كبريت . وان وُجدت طفرة أم حبوب في من حصل له هذا المرض فيجب اذ ذاك وضع الكبريت. واذا كان المغص قوياً يُعطى من بعد الفصاد المنشتر والحنتيت اجزاء متساوية وتُجبل في عرَق وتُعمل حبوباً ، او تُنقع في العرَق وتوضع يومين أو ثلاثة في الشمس او قرب النار على يومين . وهذا نافع للريح السوداويّ للنساء .

ثم يعرض لبعض الناس اصفرار وجه وتبجيج (ورَم) ، فهؤلاء لا ينفعهم الا برادة البولاد ويوضع معها المنشتر والحنتيت ، اجزاء متساوية وتُعمل حبوباً مجبولة بالعرَق او مع خواص الكينا او خواص عشبة القنطاريون .

شرح في المكلّسات المبرّدات

الاول : ان الحميات التي تكون من قِبَل قوّة الجسم يُعطى لها ماء الشعير وحده المزوج معه درهم١ او درهم٢ ملح طرطير .

الثاني : ملح طرطير درهم٢، ملح بارود درهم ١ يُمزج بعضها ببعض ويُذابان في رطل ماء .

الثالث : ليمون شامي (حامض) خفيف وسكّر وماء .

شرح في المكلّسات التي تُعطى في الحميات الناتجة من ضعف الجسم

الاول : تمر هندي درهم٨ سكّر او عسل درهم١٦ ، تُغلى في رطل ماء لكي ينقص الربع ويشرب منه . وهذا يُعطى في الحميات التي هي من قِبَل الصفراء .

الثاني : يُؤخذ من ماء الشعير نصف رطل وروح الكبريت ويوضع فيه لكي يصير حامضاً مقبولاً .

الثالث : يؤخذ من الماء الصافي نصف رطل يُذوّب في فنجان عسل ويوضع

روح كبريت نكي يصير حامضاً مقبولاً . ويجوز ايضاً ان تضع موضع العسل فنجان عرق يانسوني فهذه جميعها مسهّلة للدم .

اما التي يحدث لها نزف دم مستديم فيجوز قطعه . اولاً يُؤخذ شبّة بيضاء ثقل خمس قمحات وسكّر . تُؤخذ في كل مرّة سفوفاً .

ثانياً بعد هذه الوصفة يُؤخذ قرفة أو روح القرفة مع الشبّة أو وحدها . وأيضاً افيون او روح الافيون او عَرَق الافيون . ويجوز ان يوضع روح القرفة وروح الافيون وروح الجاز مع بعضها او روح القرفة اكثر. فهذه جميعها تقطع الدم وتنفع الذي يبصق دماً . وان الملح ينفع ايضاً لبصق الدم فيؤخذ منه سفوفاً مدقوقاً جيداً .

شرح اول في المقيئات

اولاً المقيئات : مثل ملح الانتيمون وعرق الذهب وغيرهما لهما نفع في الاخلاط التي في المعدة كالصفراء والبلغم والدود والسمّ . ولا يجوز ان يعطى المقيّئ بالنزولات التي هي من قِبل الدم والحميات التي من قِبَل الدم الا بعد الفصاد في ثاني يوم او ثالث يوم .

واذا كان في المريض قبض فيعطى حقنة قبل المقيّئ . وأما الذي يكون متضائقاً من صدره فيعطى مقيّئاً خفيفاً مثل معجون بصل الفار . وهذا المعجون نافع لمن كان في صدره بلغم كثير .

شرح ثانٍ في كم يُعطى من الانتيمون مقيّئاً

أجيب انه يُعطى من حدّ ثقل حبّة قمح الى حدّ ثقل أربع قمحات . وكل ثقل قمحة يوضع معها عشرة دراهم ماء على أربع مرّات مقسّماً في كل عشر دقائق يُعطى منه الربع حتى يكمل ، وذلك على الريق في برهة واحدة .

ثم ان له منافع : اولاً انه يكون مليّناً ومفتّحاً ومعرّقاً ، فمع الملينات يوضع معها ثقل حبّة قمح ويشرب منه في الصباح الى المساء . ومع المفتّحات يوضع كذلك . واما مع المعرّق فيوضع ثقل حبة من القمح ويُعطى عند النوم . وهذا المقيّئ يُعطى بحسب الفطنة على قدر الاجسام والعمر . فالذين هم صغار يُعطى لهم من حدّ ثقل ربع القمحة الى حدّ ثقل قمحة .

شرح ثالث في منتق عرق الذهب

اولًا ان منتق عرق الذهب يُعطى من حدّ ثقل عشر قمحات الى حدّ ثلاثين قمحة ، ويكون الشرش جديدًا ، ويُدقّ عندما يعطى للمريض . وهذا يعطى ايضاً عندما يصاب احد باسهال الدم اي الزنطاريَة وهـذا ليس هو مليّناً مثل الانتيمون بل انه يُخرج الاخلاط التي في المعدة من الفم فقط . وهذه الثلاثة منتقات تعطى سواء في بعض امراض كالفالج ولمن شرب سمًّا ، وهي تنتق بسرعة وتُخرج الاخلاط التي في المعدة فقط .

ثم انه يوجد منتق لمن كان شارباً سمّ فأر او سليماني او غير سمّ واسمه جاز ابيض . وفي لسان اللاتيني يسمّى فيتريولوم . وهذا يُعطى مسحوناً جيدًا مع الماء البارد . ويعطى منه مقدار ثقل عشر حبات قمح الى حدّ اربعين حبة .

في النزلة الصدرية والقصبة الحمراء المسمّاة ذات الجنب

اولًا يلزم للمريض الفصاد اكثر من كل النزولات . ومن الملينات ، يؤخذ دهن لوز ، ومَنّ افرنجي ، وسكّر نبات ، وخيار شنبر ، اجزاء متساوية . تؤخذ لعوقًا ، ويشرب فوق ذلك ماء شرش الحاتمية فاترًا ولا يأكل أو يشرب شيئاً باردًا . واذا بقيت فضلات من المرض اي شكّة ، توضع جرّاقة كبيرة موضع الشكّة .

في علامات نزولات الدم في النزل على العين اي الرّمد

يلزم له الوقاية من الهواء والضوء لانهما مضرّان للعينين . علاج ذلك : اذا كان من حمّى زائدة يلزم له فصد من شلش البدن في الزند ام من شاش الرأس ام علَق اذا كان النزل خفيفاً . ويلزم الغسيل بماء الورد : فنجان بزر لعاب السفرجل خمس بزرات أم اكثر ، وخلّ مرسنك ثلاث نقط ام اربع . تمزج ببعضها ويغسل بها كل دقيقة مرّة ، ويقطّر شرطة ايضاً وتوضع على العين .

ومن المنقّيات : يؤخذ معرّدات مثل ملح البارود وملح انكليزي وملح طرطير وتمر هندي ومَضل وبزورات . واذا كان مصاباً بوجع زائد في رأسه يعطى شربة غاريقون وتربل ومَنّ افرنجي . شربة .

اما التي يصير لها نزف دم بضعة ايام متواصلة ، فيجوز قطعه ، اولًا : يؤخذ شبّة بيضاء ثقل خمس قمحات ، وسكّر تمزج وتُتناول سفوفاً في كل مرّة.

ننياً . اليك هذه الوصفة : يؤخذ قروة او عَرَق القرفة او روح القرفة مع الشبّة او بدونها .

ومما ينفع ايضاً : الافيون او روح الافيون او عَرَق الافيون . ويجوز ان يوضع روح القرفة وروح الافيون وروح الجاز بعضها مع بعض، او روح القرفة وروح الافيون فقط . وكلما وُجد خطر يعطى منها كل ساعة او ساعتين او ثلاث او اكثر . فهي لقطع الدم كما ذكرنا قبلًا . وانما الفصاد ينفع الذين هم في نصف العمر اكثر من الذين هم في سنّ الشبوبيّة والشيخوخة . ويجوز ان يُفصد الرجل اكثر من الامرأة ، ومَن كان جسمه دقيقاً يجوز له الفصاد اكثر ممّن كان جسمه سميكاً .

ε

اما ترتيب العَلَق فيعلّق من ٢ الى ٨ علقات في مرّة واحدة . واذا لم يمسك العلَق يجوز ان يُجرح الموضع في الجسم لكي يقدر ان يمسك . ولا يجوز رفع العلقة من موضع تمسّكها مـا لم تقع هي من ذاتها ، وبعد ذلك تُمسك من طَرَفها وتُشدّ (تُمصط) لكي يخرج الدم من فمها .

وللعلَق نفع ايضاً : اذا كانت المرأة قد قُطعت العادة عنها فيوضع العلَق في الجنب من الداخل ام قرب الرّحم . ثم ينفع العلَق في البواسير اذا انقطع الدم عن المريض في الخروج وحصل له من قِبَل ذلك شكّة في الخاصرة او نزل على صدره فيعلّق العَلَق على المخرج .

واذا صدف ودخلت عَلَقة في الفم فيوضع فيه ثلج فتخرج . واذا دخلت في المَخرَج ام غيره فيوضع له ماء وملح فتموت العلقة .

صفة دواء ينفع المرض المسمّى داء الرجفة

ويُسمّى ايضاً هزّ الحيط ، ويوجد منه فرع يسمّى القَرَح او القرحة . وهذا المرض في الغالب يحدث للصبيان الصغار ويكون سببه من قِبَل الاسنان او من قِبَل دود في الباطنة . يؤخذ مسك ربع درهم ، وسكّر ربع درهم . يُسحق ويُمزج ويؤخذ سفوفاً بماء الزهر وماء الورد كل ساعة فنجان .

ويوجد صفة دواء آخر وهو : يُؤخذ من خواص حشيشة البنج ثقل قمحتين

او ثلاث مثلما يؤخذ من الافيون . وينفع الغسيل ، اي غسيل كل الجسم في ماء الرماد (الصفوه) .

شرح في الحرّاقات التي تصنع الحورة فقط

اولًا ان الحرّاقات لها نفع في جذب بعض موادّ مثل الريح . واذا كان المريض في اول المرض في بُحران، توضع الحرّاقة على الرقبة من الوراء في اثناء مرض البُحران وعلى الصدر . ولها نفع اذا كان ثمّ نزولات عـلى العينين . وترتيبها الى حدّ الستّ ساعات فيصدر منها حورة فقط ، والى حدّ اثنتي عشرة ساعة تسحب عملًا مثل الماء (صديدًا وقيحاً) . ومن كان حاصلًا له ريح في الورك يجب ان تبقى الحرّاقة ٢٤ ساعة ، وبعد ان تُرفع يوضع موضعها ورق العنب أم دينة الجدي (عشبة تُسمّى بهذا الاسم) ام سمن زبدة بدون ملح . واذا صار وجع زائد في الجرح والحورة يوضع صفار بيض يُجبل بأربعة دراهم زيت حـلو ويدهن وبهذا يختم الجرح . واذا لم تحصل افادة ، يُعمل هذا الدهون وهو :

ماء أوقية ، خلّ مزسنكي درهم١ ، عرق درهم٢ ، ويُخلط . ويوجـد شيء اثقل من الماء وهو قشر السنديان ، يُغلى موضع الماء ويُلطخ فاترًا .

*

وللحرّاقات نفع لمن يحدث له نزول على العَصب والمبولة ، توضع على صلب الظهر . ويجوز ان توضع اثناء الحميّات ليلة الاسابيع فيعرق اذ ذاك المريض ويمشي بوله . اما النساء الحبالى فلا يجوز لهنّ وضع الحرّاقات ، وبالاكثر لمن كانت لهنّ عادة ان يروّحنَ (يُسقطن) ، ولكن توضع لهنّ موضع الحرّاقات خميرة الخردل . وهذه صفتها :

بزر خردل مدقوق وخميرة عجين قدَر بعضها . خلّ حادق (ثقيف) بقدر اللزوم وتُدهن به خرقة وتوضع على الرجلين، كما ذكرنا، من المساء الى الصباح .

اما الاجزاء التي تُحدث الحوره من دون الحرّاقـات فهي : روح الدبّان الهندي . ملح الليمون . بزر خردل وغـيره . فروحُ الدبّان الهندي ينفع في النزولات الحقيقة التي هي من قِبل ريح ، يُمزج بستة دراهم زيت ، ودرهم ١

كافور سلطاني ، ودرهم٢ روح النشادر ، ودرهم ٢ روح الدبان الهندي . وينفع أيضاً لوجع الصدر . واذا كان موضع الزيت دهن لوز حلو او مرّ يُدهن بهذا الدهون الصدر ثم توضع فوقه لبادة صوف .

وان دهن بزر الخردل له نفع في الحميات . يوضع على مشط الرجل فيسحب الحمّى . ويُدهن به للنزولات التي على العصب . وترتيب الدهون :

صابون أوقية[1] . دهن غار درهم١٠ . بزر خردل مدقوق درهم١٠ ، تمزج جميعها وتوضع على موضع النزل .

نسخة شربة عظيمة من مجرّبات عيسى افندي حكيم باشي السلطان احمد

وهي لا تُبقي بعدها علّة ، وتُزيل القبض ، وتصفّي البدن ، واسهالها لطيف ، وتُزيل الجرب والحكّة وتشفيها ، وكذلك الدمامل والجراحات الناتجة عن غليان الدم والبلغم والسوداء والصفراء ، وتحلّ القيء والريح والقولنج والبثرات والقروح الخارجة والحميات الدموية وغيرها وتشفيها ، ووجع المفاصل وضرباتها ، وتسهّل الدم العفن المحترق الذي يضيق منه خلق الانسان وتصفر نفسه وهو مركّب فوق القلب فينزل مثل القطران. وهذه اجزاء الشربة المذكورة :

خربق اسود درهم ٣ . تربُل ابيض مجوّف درهم ٥ . راوند درهم ٤ . سنامكي درهم ١٣ . محمودي درهم ٣ ونصف . يُدقّ كلّ بمفرده وتببيسها (تربّيها ، تضربها) بدهن اللوز الحلو وتدعها يوماً وليلة . وبعد تُعجن هذه الاجزاء بثلاثة امثالها عسل نحل منزوع الرغوة مقوّم ، ويعطى منها ثلاثة دراهم او سبعة دراهم ، وكلما قدمت زادت حسناً وأبرأت من نفخة الجوف ومن سخونة البرد والحمّى التي طالت مدّة سنتين . هذه هي بعض اوصاف هذه الشربة فانها تُبرئ من الامراض . ولكن تُعطى منها الشربة في زمان الربيع والخريف وقت السّحر ، وفي زمان الصيف نصف الليل ، وفي زمان الشتاء وقت الظهر . توكلتُ على الله .

(١) أوقيّة طيّبة ، وهي ثمانية دراهم

وصفات متنوعة

وصفة نافعة لبرودة المعدة وتليينها وتقويتها ومساعدتها على الهضم

كبابه صيني أي دارصيني ، يؤخذ منها الربع ومن السكّر ثلاثة ارباع . نافعة كما ذكرنا .

١ – وصفة نافعة للريح

خولنجان عقاربي درهم٣

٢ – وصفة للاستسقاء والوَرَم مجرَّبة

تُفرم حشيشة القسطا كفرم التتن (الدخان) وتُغلى بالزيت الحلو (الزيتون) في وعاء من فخّار وتوضع في مرطبان فخّار مسدود الفم ٢٤ ساعة (في الشمس). يدهن بها الوَرَم فتشفيه بعون الله ولو كان وَرَم استسقاء . مجرَّب .

٣ – فائدة للطرش

تؤخذ مرارة خلد وتُخلط بالزِّيبق ويُقطر منها للأصمّ يبرأ .

٤ – ايضاً للطرش

مرارة خلد ودهن زنبق او دهن غنَم . أمزجها جيداً واقطرْ في الأذن . ان هذا الدواء عجيب النفع وليس من دواء أفعل منه ولا أصحّ .

٥ – ايضاً للطرش

دقّ ورق الحنظل الاخضر واعصر زومه واقطر منه في أذن الأصم يسمع حالاً .

٦ – ايضاً للطرش

خذ حنظلة وقوّرها وضع فيها زيتاً وضعها في النار حتى تحترق ثم ارفعها واقطر في الأذن من هذا الزّيت السخن ، على قدر ما تطيق احتماله . قيل انه مجرَّب .

٧ – قطرة ايضاً للطرش

خذ كبابه (كبكابة الشوك) وضعها فوق غربال وضع تحته وعاء وغطّها فتبول في الوعاء ، فخذ من بولها هذا واقطر منه في أذن الاصمّ فتفتح حالاً . مجرَّب .

٨ – ودنة لوجع الاذن

خذ بصلة كبيرة وقوّرها واملأها زيتاً وضعها في رماد سخن ثمّ اقطر من هذا الزيت في الأذن . وان غليتَ بهـذا الزيت ثوماً وقطرتَ منه للأصمّ يبرأ . مجرَّب .

٩ – صفة معجون الكاتاليكون [1]
نافع للسعال والصدر والطحال

كربرا خضرا درهم ٤ تُغلى في ط ½ (رطل ، اي ٣٢ درهم) ماء حتى يبقى ط ¼ . يوضع فوقها سكّر ابيض ط ¾ مصفًّى بزلال بيض ، وتُغلى حتى تتقوّم مثـل الأشربة . هذا نافع لعلّة السعال والصدر والطحال .

١٠ – صفة معجون كاتاليكون غيره

لبّ خيار شنبر ق ٣ . تمر هندي ق ١ . ملح طرطير ق ١ . ورق سنامكي منقّى ق ١ . جليا ق ½ (نصف أوقية) . راوند جيّد درهم ٢ . انيسون ذو اللون الاخضر درهم ٢ . قرنفل درهم ٣ . قرفه درهم ٣ . عسل جيّد ق ٩ .

اصنع الخيار شنبر والتمر الهندي شراباً واخلط بقيّة الاجزاء بعضها ببعض خلطاً جيّداً واعطِ منه مقدار عشرة دراهم او ٩ او ١٢ درهماً .

١١ – غيره

عسل الخيار شنبر ق ٣ . تمر هندي ق ١ . ملح طرطير ق ١ . جليا ق ½ (نصف أوقية) . راوند درهم ٢ . عسل منزوع الرغوة ق ١½ (أوقية ونصف) .

خيار شنبر لبّ درهم ١٥ ، يوضع عليه ماء حارّ قدر ق ٣ ويُصفّى . ثم يؤخذ زهر بنفسج نحو ٧ دراهم يُغلى ويضاف فوق ماء الخيار شنبر ويُغلى جملةً حتى يبقى نحو اوقية تصمد منه ويؤخذ مرّة او اكثر بمقتضى اللزوم .

١٢ – لصقة للفالج

نخاله وشره ودبس وزيت وخردل . تُمزج وتوضع بعد الدلك . ڤالريانا درهم ١٢ توضع في أربعة فناجين ماء نحو ساعـة ويشرب فنجانين بكرةً وفنجانين عشيّة .

---

[1] قد مرّ ذكر هذا المعجون في هذه « الرسالة الشافية للامراض المشكلة ».

١٣ – مرهم لعرق النسا

زيت وورق المازريون يدق ناعماً ويوضع او يفرك به .

١٤ – لداء المفاصل

بعد التشطيب استعمال ماء العشبة القطربيّة والدُهن بزيت عتيق .

١٥ – علاج لوجع الاذن البارد والحار

عصارة قثا الحمار ، يُقطر منها في الاذن نافعة لوجعها البارد. وكذلك دهن الخروع وعصارة السداب (الفيجم) ودهن الورد .

اذا طُبخ نسيج العنكبوت في دهن ورد وقُطر منه في الاذن سكّن وجعها الحارّ .

دهن اللوز ينفع لوجع الاذن البارد . وكذلك دهن الغار نافع له ايضاً .

١٦ – علاج لبياض العين

الكحل باللؤلؤ . والكحل بالبورق . والكحل بالمرجان يجلو آثار القروح .

قشر بيض الدجاج ساعة بيضه،اذا سُحق ناعماً ونُفخ في العين يُزيل البياض .

ورق العوسج يُدقّ ويُقطر من عصيره في العين سبعة أيام متوالية يُزيل البياض القديم من العين .

كحل العقيق نافع ايضاً .

السندروس اذا حُكّ على المِسَنّ بندى القَصَب وكحل به البياض أبرأه .

١٧ – علاج الزُرقة في العين

وهي جمود الرطوبة الجليدية وانعقادها (وتعقّدها) ويحدث عنه عماء . يُخلط الزعفران بماء ويكتحل به .

عصارة شقائق النعمان تُسوّد حدَقة العين وتنفع من الزّرقة .

عصارة الحنظل الرَّطب اذا قُطر منها في العين الزرقاء سوّدتها .

١٨ – صفة مرهم يُذهب اللحم الفاسد وينبت اللحم الصالح

مرتك يُدقّ ناعماً ويُضاف اليه الصبر ويُعجنان بسمن بقريّ وخل ويُستعمل .

١٩ – صفة معجون لقطع السوداء

صبر . وحَب الرشاد . وحبّة سودا . وفلفل . وزنجبيل . واهليلج أسود . أجزاء متساوية . يُدقّ الجميع ويُعجن بعسل الرغوة ، ويُستعمل على الريق .

٢٠ – صفة دواء يقطع البلغم ويقوي المعدة ويطرد الريح والرطوبات

فلفل وزنجبيل سواء . يُضاف اليها سكّر أبيض بعد دقّهِ ويُستعمل ثلاثة دراهم منهُ على الرّيق ، وثلاثة دراهم عند النوم (مجرب).

٢١ – للشهوة الكلبية

وهي ان يأكل صاحبها فوق الشبع وهو يشتهي الطعام فيستحيل ويُهضم قبل عادتهِ فيجوع . وسببهُ زيادة خلط الصفراء المحتقن في المعدة .

علاجهُ : شرب عصير الليمون بالسكر ، والغداء خبز الحنطة مع الجلاب، وأكلُ ما كان باردًا رطبًا وترك ما سواهُ .

٢٢ – في الاستسقاء

الاستسقاء حيوان يورم جميع الجسد ويعظم البطن . وهو أقسامٌ . الاول رطبٌ وهو عن بلغم في الصدر أو في الرئة .

علاجهُ : حلبه تُغلى على النار اربع او خمس مرّاتٍ، كلّ مرّة بماء جديد ، وتُصفّى ثم تُسحق ويجعل عليها دقيق الحنطة وتُعمل جبناً باللبن البقريّ والسمن أو السكر . غداء وعشاء .

الأول لحميّ: وهو اذا جعلتَ اصبعك عليهِ (على الورم) انخفض ولا يرتفع الجلد إلّا بعد ساعة . وهو أهون أنواع الاستسقاء . وقد يكون الاستسقاء عن حرارة .

الثاني وهو الطبليّ ، اذا ضربتَ بيدك عليهِ خرج له صوتٌ كالطبل، وهو أمرُّ من الاولى .

الثالث الزقيّ : وهو وَرَمٌ عظيم كالزقّ المنفوخ مع رقة الجلد وظهور عروق خضر . واذا تحرّك صاحبهُ او تقلّب تخضخض بطنهُ كالقربة التي فيها اللبن ، وهو أردأها . وسبب الجميع خلطٌ بلغميٌ دمويٌ .

علاجهُ : تُنقع الكزبرة في الخلّ يوماً وليلةً ويشرب على الريق ويطلى بها ، والغداء المزورات (لعلّها البزورات) على ثلاثة ايام ، ثمّ يشرب مسهل البلغم ويستعمل الثوم والعسل على الريق .

٢٣ – صفة شربة تُزيل العفن والجرَب والدمامل والأخلاط الأربعة
من مجرّبات عيسى افندي حكيم باشي السلطان احمد

خربُق أسودُ درهم ٣ . تربُل ابيض مجوّفٌ درهم ٥ . راوند درهم ٤ .

سنامكي درهم ١٣ . محودي ٣ دراهم ونصف . يُدقّ كلّ منها بمفرده وتُكبس جميعاً بدهن اللوز الحلو وتُدعك يوماً وليلةً . وبعدهُ تُعجن بثلاثة أمثالها من عسل النحل المنزوع الرغوة . ويُؤخذ منها ثلاثة أو سبعة دراهم .

٣٤ — صفة مرهم لتفتيح الدمامل

يُؤخذ حبّ كتّان وصابون وقصب وحليب بنت ، اجزاء سواء . تُدقّ وتوضع لصقة .

٣٥ — صفة مرهم لتفتيح القروح

مرسنك وسبيداج وصابون وزيت ، يُغلى على نارٍ ليّنةٍ .

٣٦ — لبرودة المعدة

قرفة درهم ١٠ . قرنفل درهم ١٠ . كمّون درهم ١٠ . بزر شمره درهم ١٠ . حبّ الحصالبان درهم ١٠ . كوكلان نصف أوقية . جوزة الطيب ١٠ دراهم . عسل أوقية . يُدقّ كلّ جزء بمفرده . وتجبل جميعاً بالعسل جبلاً جيّداً محكماً . يُؤخذ من هذا المعجون مقدار لوزة في الصباح ومثلها في المساء .

٣٧ — صفة لصقة للمعدة

مصطكي درهم ٥ . زلال بيض وشّة درهم ٢ ، وطين ارمني درهم ٢ تُخفق جميعها ببعضها وتوضع .

٣٨ — صفة لصقة أيضاً للمعدة

ترتينا درهم ١٠ ، مرّ حجازي درهم ٣ ، صبرا شقرا درهم ٣ ، افسنتين مسحوق ناعماً درهم ١٠ . تمزج هذه الاجزاء وتُسخّن على النار وتوضع لصقة على المعدة .

٣٩ — تركيب حبوب لقطع الدم

راوند درهم $٧\frac{١}{٢}$. طرطير درهم $٢\frac{١}{٢}$. يانسون مسحوق درهم $٢\frac{١}{٢}$. تُجبل هذه الاصناف بخمر جيّد وتُعمل حبوباً ، الحبّة تكون بقدر الحمّصة . يؤخذ منها صباحاً ، حبّة عدد ٧ أو ١٠ .

٤٠ — وصفة كحل للعين

برادة ذهب درهم ٢ ، لؤلؤ درهم ١ ، صبر اسقطري درهم ١ ، سكر

ابيض درهم ١ ، مسك درهم ١ ، كافور درهم ١ . وخذ من الأثمد مقدار جميع هذه الاجزاء ، واسحق الجميع ناعماً ويُرفع الى الاناء الزجاجي ، ويكتحل بهِ .

٣١ — لذهاب الشعر

اعجن الأفيون والبنج بالخلّ وادهن .

٣٢ — علاج للشعر أيضاً

انقع بزر قطونا بالزيت او السليط يوماً وليلةً ثمَّ يُعصر اللعاب على طيب كالميعة يوماً وليلةً ثمَّ يوضع على موضع الشعر .

٣٣ — فائدة اولى لجفنة الكرْم

من طوّق شجرة كرْمٍ بطوقٍ من رصاص أسود لا يسقط من حملها شيء .

٣٤ — فائدة ثانية للحنطة

اذا خُلطتْ الحنطة برماد شجرة الطّرفاء بقيت سنين كثيرة بدون تسوّس.

تنبيه : ان القالريانا هي لسدد العروق . واللودنّم او زيت الخروع للمغص .

٣٥ — فائدة في الموازين

كل ستة عشر حبَّة خردل هي ثقل حبة خرنوب . وكل ستة عشر حبَّة خرنوب درهم . والمثقال درهم ونصف . والصاع ثمانية ارطال . والرطل ٣٨ درهماً . والدرهم ١٤ قيراطاً . وكل قيراط خمس شعيرات . والكيلة ١٤ رطلاً . والدانق سدس درهم وهو وزن ثمان شعيرات .

﴿ فصل ﴾

في ذكر بعض الاثمار

التين — اذا أُكل على الريق فتح مجاري السدد ونقّىَ قصبة الرئة ، إلّا انهُ يُحدث انتفاخاً في البطن .

العنب — ان العنب البايت بعد قطعه بيوم هو أجود من المقطوف بيومهِ .

الزبيب — هو صديق المعدة والكبد ، ويحدُّ الذهن ؛ وينفع من كانت معهُ أخلاطٌ بلغميَّة ، إلّا انهُ يُحرق الدم الصالح .

الخوخ – أجودُهُ هو المكيّ الزهري . ان الناضج منهُ ينفع المعدة .

الاجاص – خاطهُ غليظ .

الكمثرى – إنهُ يقوّي المعدة الضعيفة ، لكنّهُ يُحدث القولنج اذا أكل قبل الطعام .

الرمّان الحلو – يليّن الصدر ويصلح للسعال والباه ، لكنهُ يحدث ريحاً . يُدفَعُ ضررُهُ بالرمّان الحامض .

الجوز – يفيد اوجاع الصدر ، والقصبة ، والسعال المزمن ، وسوء الهضم ، وأورام العصب والثدي لا سيا اذا شُوي وأكل حارًّا .

الفستق – ينفع المعدة ويقوّي سدد الكبد وينقّيها ، وينقّي الكليتين والمثانة .

منافع قشر الجوز الاخضر

اذا عُصر وغُـلي حتى يغلظ كان ترياق البثور ، ودواء الثعلب والاورام طلاء بالعسل .

انه يحمّر الوجه والشفتين طلاء .

وجزء منهُ مع مثله من اوراق الحنّاء ، اذا طُليَ بهِ قطع النزلات والصداع وكلّ وجع بارد كالفالج والنقرس .

ورمادهُ ينفع من الدمعة والجرب كحلًا .

واذا طُبخ رطباً بالخلّ وخَبَث الحديد ، أو نُقع اسبوعاً ، سوّد الشعر وحسّنهُ وقوّاهُ .

وقشرهُ الصلب اذا أُحرق واستيك بـهِ ، بيّض الاسنـان وشدّ اللحم المسترخي .

وقشر أصلهِ اذا طُبخ بالزيت حتى يهترئ ، كان طلاء جيّدًا للبواسير وأمراض المقعدة

واذا استيك بهِ نقّى الدماغ وأذهب النسيان .

واذا طُليَ به حسّن اللون .

الفقرة المأخوذة عن الاطباء والوصايا التي يُستعان بها
على حسن المداواة وجودة تدبير المرض[1]

قالوا : إنَّ حفظ القوَّة أحرى وأولى من مداواة المرض اذا كانت مداواة المرض تثيرُ ضعفاً في القوَّة، اذا كانت القوَّةُ هي المُزيلة للأمراض . وللقوَّة مع المرض احوال ثلاث :

إما ان تكون أقوى من المرض فتقهرهُ ولا تحتاج الى معونة الطبيب كما نرى جماعة من المرضى قد برئوا من الأمراض بلا دواء ولا طبيب .

وإمّا ان تكون ضعيفةً فيخشى على صاحبها من العطب ، فتكون الحاجة في هذه الحال ماسّةً الى معونة الطبيب .

وإما ان تكون معادلةً مساويةً للمرض فيُتّقى من ظهور المرض عليها ويُحتاج الى معونة الطبيب لحراستها لتبقى على ما هي عليه . واعتبار حال القوَّة يُعرَف من النبض والعينين كما نبَّه عليه بقراط .

وقد مثَّلوا القوَّة ايضاً برأس المال ، والبرء بالربح ، والطبيب بالتاجر . فينبغي للطبيب ان يكون كالتاجر الكيّس اذا رأى وجهاً للربح باع وإلّا احتفظ برأس المال .

وقد شُبِّهت القوَّة ايضاً بزاد المسافر . والمرض بقدر القوَّة فيه . ومنتهى المرض بالموضع المقصود اليه . فينبغي للعاقل ان يعدَّ من الزاد في سفرهِ على قَدَر بُعْدِ مسافتهِ الى حين وصولهِ الى موضع قصدهِ ، لأنهُ ان عَدِمَ الزاد قبل وصولهِ هَلكَ ، وان كفاهُ سَلِمَ . كذلك القوَّة ان ثبتت الى منتهى المرض سَلِمَ المريض ، وان ضعفت قبل منتهى المرض خيف عليه ، فلذلك صار حفظ القوَّة بما صُرفت العناية اليهِ ووقع الانعطاف عليهِ . واذا أمكن تدبير المريض بالغذاء فلا يُدبَّرنَّ بالدواء . وان أمكن بدواء خفيف ضعيف فلا يُتعدَّى الى دواء أقوى . وان تهيَّأ مداواته بالدواء المفرد فلا يُعطى الدواء المركَّب .

---

[1] اخذنا هذه الفقرة عن كتاب « الاقتضاب » هذا وهي خاتمة فصولهِ ويأتي بعدها تفسير اسماء بعض اعشاب وأدوية طبيَّة عربيَّة . وقد أضفنا اليها ما وقفنا عليهِ منها في غير هذا الكتاب .

ولا ينبغي استعمال الأدوية الغريبة المجهولة قبل تجربتها . ولا تعتمد على دواء جرّبهُ النساء والجهال ، فربما وافق طبعاً ونافرَ آخر . وينبغي الحذر من اعطاء الأدوية القويّة الإسهال والتنقية إلّا عند الضرورة وبعد ما يقابلها ان عُرضتْ اذا اتفق ان وُجد مرضانِ متضادانِ في بَدَنٍ يقتضي لكلّ واحدٍ منها تدبيرٌ مضادٌ للآخر . فينبغي ان تقصد علاج أخطرهما من غير اهمال الآخر . وهكذا ان اتفق وجود عَرَض يضاد تدبير المرض وكان العَرَض يُخشى منهُ حلُّ القوّة ، فيقصَد اولًا علاج العَرَض فاذا زال رُجع الى مداواة المرض كما يُفعل في القولنج باعطاء الدواء المخدّر عند شدّة الوجع ، فانهُ يزيد في المرض لكنهُ ينتفع بهِ في تسكين الوجع المضعِف للقوّة .

ومتى اشتهى المريض شيئاً شهوةً شديدةً فلا يُمنعنَّ منهُ اصلًا بل ينال منهُ اليسير ويُخشى من تناول الكثير . فان القليل اذا كان رديئاً غير مضرٍ ويُعدَّل مع هذا ما ينال منهُ اذا احتاج الى تعديل . فان المريض اذا لم يُرخَّص لهُ في أخذ اليسير مع شهوته فربّما دعته شهوته ، لا سيّما اذا كان شرهاً او جاهلًا ، الى تناول الكثير مع مضرّتهِ .

ومتى اتفق دواءانِ احدهما تميلُ اليهِ الشهوة والآخر تنفرُ منه ، وكان الذي تنفرُ منهُ أنفع ، فينبغي ان يُداوى بالمشتهى ، لأنه لولا انَّ هناك نوعاً من مناسبةٍ لما اشتهى . وبالعكس اذا احتيج الى استفراغ خلطٍ من الأخلاط في مَن لا يُحسن تناول الأدوية الكريهة كالملوك مثلًا ، فينبغي عند الحاجة الى إستفراغ الخلط الصفراويّ ان يُسهَّل بشراب الورد المكرَّر بالثلج ، أو بالحمودة ، أو بالجلاب ، أو بماء الاجاص .

وعند الحاجة الى استفراغ خلطٍ غليظٍ يُستخرج بالتربد الحديث والغاريقون في احد الأشياء المذكورة .

وعند الحاجة الى استفراغ الدم فليس من دواء غير القصد . وفي القصد فيما لا بُدَّ منه من علاجٍ بالحديد ، فليس من ثمّ غير الرفق وترقيق الآلة وتحديدها وتجويدها ومَسح الموضع بالدهن . وقبل القصد ، في الشتاء بالماء الحارّ فيكون الماء اقلّ سخونة وينبغي سؤال المريض والبحث عن احوالهِ وملاحظتهِ ، فربّما اتفق ألّا يمكنهُ ان يعبّر عمّا يعتريهِ من الأعراض والآلام متى كان المرض

غامضاً او مُشتَبِاً بهِ ولا يمكن الوقوف عليهِ بالحدْث ولا بطريقة من طرائق المعرفة ، فينبغي ان لا يشتغل الطبيب بعلاج ولا بتبديل مزاج ولا توريع خلطٍ بل يحفظ القوَّة بالغذاء المعتدل ، فاذا كان المريض لا يشتهيه فلا ترجع القوة ان كانت ضعيفة . فان كانت القوَّة ضعيفةً فيُغذَّى المريض بغذاء وان كان لا يشتهيهِ ، ويداوم على ذلك الى ان تتقرَّر حقيقة المرض .

ولذلك ينبغي على الطبيب ان يجتهد في تدبيرهِ ، فلا يُدبِّرُ بما لا يأمن مضرَّتهُ . ومتى اشتبه بسبب مرضٍ ولم يتضح حالهُ فيمتحن ذلك بان يُسخِّن العضو أو يبرّدهُ أو يُجفِّفهُ أو يرطِّبهُ بغير افراطٍ ، أو غير ذلك مما يوضح أمرهُ . ولا يكون خطرٌ في تدبيرهِ هذا . ويمكن تدارك ما عساهُ ان يُحدثهُ من ضررٍ .

وهذه هي آخر المسائل الطبيَّة المشتملة على جميع علم الطبّ ، رويناها قصدَ ان تكون مدخلاً للمبتدي وتذكرةً للمنتهي . وفي ذلك كفاية .

تفسير اسماء بعض اعشاب وأدوية طبيَّة غريبة[1]

أسد الأرض : هو المازريون وعود الخِلّ . أورسيا : السوسنَ الأبيض . ايرسا : أصل السوسن الاسمنجوني . اسقيوس : بزر قطونا . أماريقون : الاقحوان الأبيض . اماريطون : الاقحوان الأصفر . القيسوم : البرنجاسف ويُعرف بمسك الجنّ ، والافسنتين نوعٌ منهُ . الهيفان : الجرجير . اقليما : خَبث كل جسد ذائب . آذان الفار : المردكوش . اصفر : القبّار . اشترغاذ : شوك الجمل . الزرشك : البربريس . اطريلال : رجل الغراب . أسرب : الرصاص الأسود . اغاريقا : الغاريقون . الراتينج : علك الصنوبر (الصمغ) . الحشيشة الروميَّة : الاسقولوقندريون . الحشيشة الفارسيَّة : البنج . أومانا : عصارة قثا الحمار . أدريو : اصل القطنفا . اذناب الخيل : لحية التيس . بهرمان : العُصفر . شعر الغول : كزبرة البئر . بوزيدان : خصى الثعلب .

بودنج : الخشخاش الأحمر . بقلة الانصار : الكرنب . تهوت : الشبرم . تودي : نوع من الرشاد . تفاح الجنّ : اللفاح . الترب : الفجل . كرمازج :

---

١) كثيراً ما تردد هذه الأسماء في كتب الطبّ العربية الخطية فيجهل المطالع فهمها ، لذلك اثبتنا هذا الفصل تسهيلاً لمعرفة بعضها ، وقد أضفنا اليهِ ما جمعناه منها .

الكرمازك (الطرفا). توم الحيّة : التوم البرّي . ثلاثة اخوة : يُراد بهذا اللفز الفلفل الأبيض . الخمسة اخوة : الهليلجان الكابلي الاصفر والاسود والبليلج والاملج . سطوريون : النفل ويُسمّى بالفرنجي طريفيليا (حندقوق) . ثمرة فارسيّة : الخوخ . جوز مائل : نوع من السورنجان . جوز جندم: تراب العسل وهو حَبٌّ كالحمص ينبت بين الصخور ويُسمّى ايضاً خرو الحَام .

جلنجبين: الورد المُربّى بالعسل . حيف الماء : المردكوش . الحشيشة الدُّورية : كفّ النسر . حَسَك : حمّص الجبل . الشونيز: الحبّة السوداء . الحاشا: هو جنس من الصعتر . الحجُم : وهو بالفارسي كاودكان ، اي لسان الثور . الحُضَضُ ، منهُ مكاوي ومنهُ هندي : كحلٌ يُقال لهُ الحولان . الخلاف : الصفصاف . حجر الطلق : كوكب الارض وهو حصاء البو . الحاما : قيل تفاح الجنّ . خرنوب هندي : خيار شنبر . خماليس : البابونج . خيتوم : حَب القطن . برداناً: ويقال لهُ بلنجان . القواقوي : القطرب الكبير . غوتاغيتا : رُبّ الراوند . اسقيورزا : الفيقوع . الشونيز : حبّة البركة . الأسقيل : بصل الفار . أنفحة : مجبنة . أشنه : الشينه . اسطوخودس : الشمتيز . أنجرة : القريص . الاجاص : جنس خوخ شترغاد : شوك الجمال . فقاح السورنجان : زهره . بلبوس : بصل الزير . بوصير : آذان الدب . جار : عين البقر . برشاوشان : كزبرة البئر .

بازروج : حبق حوك . فيليون : فرفحين برّي . بقلة الحمقا : فرفحين برّي . بنجنجبت : البوشريح . بسعانج : أضراس الكلب . بيش : الشركوان . بسباسه : جوزة الطيب . باقلي : الفول . بطباط : عصا الراعي . دارصيني : القرفه . دهمست : شجرة الغار . الجرجير : قرّة الماء . الحرف : الرشاد . هزارطهان : الشوفان . هوفيلوس : خسّ الحمار . حسك : اضراس العجوز . طاين الكرم : الحار (نوع من التراب الأحمر) . الكندر : البخور . الكبَر : القبار . الكثرى : النجاص . اللخنه : الملفوف . لسان الحمل : آذان الجدي . السليقه : ذَنَب الفارة . الميبختج : الدبس . الملوخيا : الخبّيزه . السرخس : الخنشار . سورنجان : الحرضه . الفودنج : الزوباع . القيسوس : السيشقة . الرازيانج : الشومر يسباس . فاونيا : عود الصليب . بنات وردان: حيّز يُسمّى الدحيريجي . الراتينج : القلفونه . الراسن : جناح النسر . الاينون : وريقة ياسم . الشيطرج :

هي الخامشه الشامي ، والخامشه هي العضيب . العصرب : بَدَلَة القرد . حاما : اكسونا . حلك : ضرس العجوز . المبلاب : البقله البارده . السداب الفيجم . السعبرينا : حشيشة المقربيّة . القيوم : العيثران . الفودنج : نعنع الماء . سليخه : قشور شجرة القطران .

الورس : الكركم . دار شيشعان : القندول . مسطرا مشيع : الزودع ، بدلة بابونج . الراسن : الزنجبيل . أدريون : دوَّار الشمس . الحباحب : سراج القطاله . العاقول : شوك الجمال . كاكنج : عنب الثعلب . شقرديون : ثوم بري . الشيار : البقس . الشنج : الجزون . الشهدانج : شجر القنب . شوكة البيضا : البازاورد . عاقر قرحا : الطرخون . الميوزج : زبيب الجبل . ذرنبا : عروق الكافور . المتمش : العنب الخالي من النوى . كمادريوس : بلوط الارض . كافيطوس : صنوبر الارض ، وهو كحي العالم . الحزنبل : كفّ الذر . براد شيشاتو : الزئبق .

ء

الدهمش : النار . عاقر قرحا : عود القرح . ماطوريون : خصى الثعلب . فانيد : سكر نبات : تافسيا : بزر السداب (الفيجم) . اكليل الملك : قرينات الحيّة . الاقسطوس : البلسان . المرسين : الآس (الريحان) . سالوبا : قصعين . اطرانون : قثا الحمار . كاوزان : لسان الثور . السيساليوس : الكرفس . الارجنتينا : حشيشة الفضة . الاغريونيا : الغافث . ابراطوريا : حبّ الملوك . اكواتريا : ماء الترياق . السيساوس : الكرفس . الترنجبين : المنّ الفرنجي . الشجم : اللفت . الجاورس : الذره . الدارشيشعان : القندول . البادروج : الحبق . حب العروس : عيون السلاطين . استيقار : حبّ الخروع . دياقانيليون : دهن الزنبق . الروغ : مخيض اللبن . المصلج : شلش الخلاوي . الحلبوب : حبق الدجاج . قسطرون البوطونيسكا : بزر القنب . تراحشقوق : نوع من الهندباء . سليخا : شلش الريباس .

الرند : ورق الغار . الدبابرنس : الاجاص . البستان : المقسيس . البسد : المرجان . بازرود : حبة المباركة . الجرشف : العكوب ، أو الارضي شوكي . افراجيا : حاشا الزوفا . حلوز : حب الصنوبر . الحلوسيا : الكزبرة . الفرومانيا : الكراويا . قثا هندي : خيار شنبر . دياكرديون : سقمونيا . اسبوس : زبد البحر . الرازيانج : الشومار . سنّ الفيل : العاج . ملح الطرطير : درديّ الخلّ . الأترج : الكبّاد .

كتاب «تاريخ الازمنة» للدويهي

وثبت النساخ في القرن الـ ١٦

بقلم الخوراسقف غابل الرجي
حافظ المكتبة والخزانة البطريركية

طالما عطش عشاق الاداب اللبنانية الى ظهور مؤلفات العلامة البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٧٠ — ١٧٠٤) ، ولا سيما كتابه « تاريخ الازمنة » .

فنشر اقساماً منه ، مضافةً الى سواها من كتبه ، المعلم رشيد الشرتوني ، فلم ترو غليل العلماء المدققين ، لما اعتور النص من حذف وبضع ، او تصليح وتحوير . وقد تكون ظروف زمانه هي التي لم تؤاته عملاً اكمل (تاريخ الطائفة المارونية . المطبعة الكاثوليكية — بيروت . سنة ١٨٩٠) .

وقد انبرى حضرة الاب توتل اليسوعي لابراز « تاريخ الازمنة » بطريقة علمية ، مستعيناً بنسخه المعروفة لديه ، وعددها ١٢ ، فادّى للعلم والتاريخ خدمةً يشكر عليها (تاريخ الازمنة ١٠٩٥م— ١٦٩٩م ، نشره على اصوله للمرة الاولى . . الاب فردينان توتل اليسوعي ، المشرق السنة الـ٤٤ : ١٩٥٠) .

ولكن يعز علينا الا يكون الكتاب المنشور ، وقد تمّ طبعه على احسن وجه ، يضاهي نشره نصاً جماله طبعاً . ولسنا الان في معرض نقده بالتفصيل . وانما نقتصر على الاشارة الى ان فيه عدة اغلاط طبع او نقل كان المفروض اصلاحها ، وارقاماً في الجداول لا تتفق مع الاصل ، وخصوصاً قرآات كثيرة مغلوطة وهي المأخوذة عن النسخ المخطوطة بالحرف السرياني اي بالكرشونية ، وخاصة عن المسودة . وقد اتخذ حضرته اساساً لطبعته نسخة بالكرشونية كما ذكر في التوطئة بدون ان يخفي صعوبة الامر ، حيث قال : « ولم نسر بالعمل الا سيراً بطيئاً لصعوبة قراءة الكتاب بالخط الكرشوني المشوه بنخر الدود » (التوطئة ص ج) .

فما كان اجراه بالمدول، والحالة هذه ، عن النسخة الكرشونية الى سواها عربية ، وبكل حال عن هذه النسخة المنخورة المكتوبة سنة ١٧٩٧ ، ولديه من النسخ ما هي اقدم منها واقرب الى عهد المؤلف وخصوصاً الى شخصه ، « خطها حسن سهل القراءة » كما قال في النسختين الواتيكانيتين رقم ٣٩٤ و ٦٨٣ (التوطئة ص ٥) . وعلى الاولى هذه الكتابة بالكرشونية : « هذا الكتاب باسم الخوري ميخايل الدويهي وهو من مصنفات المرحوم البطرك اسطفان » (اخر الكتاب : عن مذكراتنا) . والخوري ميخائيل الدويهي هو ابن شقيق البطريرك . والاخرى خطت سنة ١٧١٠ ، بعد وفاة الدويهي بست سنوات (التوطئة ص ٥) .

وعندنا ان كتاب « تاريخ الازمنة » لا يصح نشره الا عن النسخة الواتيكانية رقم ٢١٥ . فهي بخط المؤلف نفسه ، وقد هذب واصلح وزاد ونقص فيها . وارسلها مع كتب اخرى الى رومية ، على امل ان يطبعها مجمع نشر الايمان المقدس ، وهي على حالها ، قبل ان يتمكن من تبييضها ، وكان ذلك سنة ١٦٨٥ صحبة الخوري يعقوب عواد ، او سنة ١٦٩٥ صحبة المطران بطرس مخلوف ، والاول ارجح .

والبرهان ما وجد في محفوظات المجمع المذكور من ان مقرره عرض للسادة الكرادلة سنة ١٦٩٧ « ان بطرك انطاكية على الموارنة يرجو من هذا المجمع المقدس ان يطبع بعض كتب ارسلها اليه مع موفديه وهي العهد الجديد والشرطونية وكتاب الطقوس وتاريخ الموارنة » (خزانة المجمع ، المراسلات ، رقم ٦٨ ورقة ٩٩ ، عن نسخة مصورة من مخلفات المرحوم الخوراسقف بولس قرالي) .

ولا بد من الاستعانة ، في هذا العمل ، بالنسخ الاخرى ذات الاهمية ، وبالاخص بالمسودة وبالنسختين الواتيكانيتين السابق ذكرهما رقم ٣٩٤ و ٦٨٣ .

وعمل كهذا لا يصح ان يعهد به الى واحد فرد ، بل يجب ان يتعاون على القيام به نخبة من ذوي المعرفة والاطلاع والتدقيق .

...

وبعد فها نحن ننشر ثبت الخطاطين في القرن الـ١٦ ، كما جاء في المسودة بعنوان « النساخ بهذا الجيل » (ص ٢٦٢ — ٣) . وقد نقله الاب توتل في كتابه

(١٩٢—٤) ووضعه تحت عنوان « النساك بهذا الجيل » ، عوضاً عن النساخ . وقد وقع هذا الغلط لان للحرفين العربيين ك و خ مقابلاً واحداً في الكرشونية، هو ܟ فيقرأ ك او خ بحسب المعنى والقرائن . ومن مقابلة هذا الثبت في مقالنا الحاضر وفي طبعة الاب توتل يتضح لك الفرق، وبه حجة على كثير مما قدمناه .

...

[ص ٢٦٢] النساخ بهذا الجيل (الا ١٦)[1]

1500 اهدن : مطران يحنا من بيت عبيد . الحبيس جبرايل . واخوه القس
1537 مالك وابن اخيه شماس جرجس بن اسطفان . وابنه القس يونان من بيت سنيته . (الاصل قبل التنقيح : جبرايل : والقس مالك والقس جرجس بن اسطفان واولاده (ثم اصلحت : واولاد عمه القس جرجس والقس يونان) . قس وهبه بن مارون . قس جرجس بن صيبا من بيت معوض (الاصل المنقح : قس جرجس بن صيبا صيبا) .
خوري يوسف راهب بقزحيا . خوري انطانيوس الصهيوني .
1552 اجبع : الخوري ايوب . وقس موسى بن قس سليمان .
1558.1547 ادنيت : شماس حبقوق . وشماس جرجس .
1506 ايليج : خوري يونان . خوري برصوما وابنه خوري حنا . وخوري جرجس وابنه خوري ايغناطيوس . كان يعرف كل بلاد البترون .
1507 ايطو : مخايل بن جرجس بن خوري موسى بقزحيا المكنى بابن الصفدي .
الابوار (البوار) : شدياق حنا .
1500 بان : خوري ابراهيم . وابنه قس يُحنا . وابنه قس سركيس . وخوري يوسف . وخوري باخوس . من بيت صياغا (ܨܝܐܓܐ) . الملقبين باولاد خريطه . نساخ ومصورين .
بشري : خوري موسى بن شرشان . خوري يوسف بن المطران .

---

١) ما زيد على الهامش او بين السطور بخط المؤلف لا يبطل ان يكون من الاصل . ولهذا اوردناه مع المتن اصلاً واحداً . ولم نشر الا الى الإصلاحات المجراة على الاصل . ثم ان كلمتي شماس وشدياق وردتا في الاصل مقتضبتين : شم وشد فكتبناهما كاملتين .

1520 بجه : خوري موسى الراهب في الاقنية . وقبل ان كان يعقوبي .
بقوفا : البطرك ميخايل . واخوه سركيس . وابن اخوه (الاصل المنقح : واخوه يوسف .
بيطوميني : اسقف مرقس ، والقس بركه الراهب . 1495
1546 جاج : الاسقف يوسف .
بشعله : حبيس الخوري سركيس من بيت حبقوق .
1521 غسطريا : الاسقف يوسف . وابنه خوري جرجس . وابنه قس يوسف .
1567,1527 حاقل : قس عيسى بن سالم في غنبلين . الراهب يوسف بدير مار حوشب . يعقوب .
1514 حدشيت : خوري حنا بن حج حسن . والخوري هارون . وابنه خوري يوسف . وابنه شدياق سمعان بن قس هارون من بيت كعبوش .
حوقا : القس مرقس سنة 1535
1532,1514 حردين : جبرايل بن بطرس بن براهيم .
1561,1522 حدث : يوسف الخوري بن الخوري جرجس . قس داوود بن خوري شمعون .
1515 حصرون : خوري هارون بن دريع . خوري ايوب (اصلها : حنا) بن يوسف سيقان (هنا جملة ممحوة : طرابلس : شدياق الياس سيقان) . وابنه حنا . وخوري يوحنا بن يوسف كشري .
1520 يتونه : موسى .
[ص ٢٦٣] كور : قس يحنا بن متى بن سليمان بقزحيا .
1535 كورماجيتي : خوري موسى الراهب بن شدياق دانيال .
1537 كليبني : جرجس بن سليمان .
1554 خيزفانه : شماس متاوس .
1564 دير مار يوحنا كوزبندي : الراهب يوسف .
كفور : قس موسى بن داوود .
1595 كفركدا : الخوري يعقوب راهب دير مار انطانيوس بارض افقال .

1507 لحفد : قس بطرس في طالا . قس موسى 1517 . راهب حنا بدير مار اسطفان . شماس جرجس . واخوه مسعود 1516 .

1533 مطوشي : خوري مارون بن انطون (ممّحو : والأسقف مرقس) .

معد [معاد] : بطرس بن قس موسى .

1522 متريت : الخوري يونان .

قرية الناروس : القس موسى ملكي 7208 mundi / 1520 .

1520 ساحاتو : حنا بن قس سمعان .

ساحل علما : خوري حنا بن غندور .

سمر جبيل : قس سركيس بن يحنا بن خوري تادروس ، وكان راهب بقزحيا . وخوري بطرس .

1560,1552 عاقورا : خوري سليمان . وابن عمه خوري حنا دحداح ابن خوري براهيم ابن قس مخايل .

1544 عجلتون : شدياق سركيس من بيت الخازن .

1510 فلودي : قس جبرايل .

1539 قنات : خوري شمعون بن خوري سابا

1526 قربصيا : خوري جرجس بن الاسقف يوسف .

1530 قوزحيا : خوري يعقوب الديريني . حنين القبرصي . مرقس القبرصي .

1554 رام : سعاده الملقب بيحنا بن خوري يوسف .

1563, 1550 شبطين : خوري بطرس بن شدياق براهيم (الاصل المنقح « بطرس » فقط) وخوري اثناسيوس .

1520 تولا الجبّة خوري سركيس . وابنه قس جرجس .

1523 تحوم : خوري جرجس الراهب بن شدياق حنا بن شبارا .

تنورين : شهاس بطرس .

ترتج : خوري حنا بن الرطيبة . وابنه قس براهيم . وابنه قس الياس في قبرس .

نشيد الميـــلاد

للشاعر رومانس المرنم

عرّبه وعلّق عليه الاب نقولاوس قادري ق. ب.

توطئة

من جوهر الشعر ان يكون سرًّا من اسرار الفنون. ولكل شاعر سرّه الخاص. واذا اردنا ان نستقصي نفسية شاعر علينا ان نلج الى قدس اقداسه الى نفسه العميقة ونسبر غورها ونبدد ما تكاثف فيها من الظلمات. وكلما توغلنا في مجاهل هذه النفس وفي معرفتها العميقة شعَّ لنا منها ضياء متزايد قادنا الى التحسس باسرار الشاعر والى الدخول الى اعماقه وكنوزه. وآنذاك نفهمه ونصبح واياه واحدًا ويضيع الشاعر فينا فنتذوّقه ونحسّ باحساساته ونعيش معه ومع بيئته ومحيطه. وما قراءة الشعر الحقيقي، الا بعثٌ جديدٌ لحياة الشاعر واطوار حياته، وخلقٌ لزمانه وبيئته الاجتماعية والادبية والدينية.

ونحن إذ نقدم اليوم نشيد الميلاد الشاعر رومانوس المرنم نجتهد في التعرّف الى نفسيته وإحساساته ونقف على بسطة خيـــاله ومدى تفكيره وبُعد رموزه وسموّ شعره وجمال مقطوعاته وغنى الفاظه الموسيقية الساحرة. فان له رموزًا لفظية وطباقات شعرية وجناسات بديعية توقظ في الاديب شعورًا رفيعًا وتفكيرًا عميقًا وجمالًا عاليـــًا من الشعر الصافي، فيشعر بتلك العبقرية الادبية التي تمير بُعد الوحي وصفاء الالهام وسناء الالوهة المنتشرة على هذا الكون في انغام الشعراء.

في احدى الليالي هبط النعاس على رومانس بنوع عجيب فطار وهو في الحلم الى السماوات فرأى نفسه بين اجواق الملائكة والساروفيم ودنا منه ملاك وقال له: ما بالك صامت ألا انهض وانشد معنا ترانيم السماء. آنذاك تعلم رومانس الانشاد ولما أفاق من رقاده العجيب أحسَّ بالوحي يهبط عليــه ويحرّك شفتيه ويلمس قلبه بنفحاتٍ ملؤها الشعر وحلاوتها الموسيقى وروعتها نقاء الالهام وكان ذلك في ليلة عيد الميلاد. اسمعه اسمعه في سكون الليل ورهبة الصلاة! اسمعه

يرسل في الكون الحان السماء ، انشودة الملائكة والشاروبيم .

انظره يرفرف باجنحة الخيال فوق ربوع بيت لحم فإذا بمشاهد الميلاد تمرّ امام باصرتيه بتفاصيلها ودقائقها،واذا بالكون كله يساهم في تكوين الملحمة الاولى الرائعة ملحمة النصرانية،وتلك الانشودة الساحرة انشودة الميلاد. ومتى سمعت مقدمة النشيد «اليوم البتول تلد الفائق الجوهر » فلا يأخذك العجب بل انتظر النهاية ودع عظمة تلك السلسلة المؤلفة من اربع وعشرين مقطوعة،دعها تتوالى على مسمعيك بسلاستها وجمالها المتناهي بالروعة. ومتى سيطرت عليك هذه المقطوعات ضمّ صوتك الى صوت الشاعر وردّد معه هذه الهتافات : « وُلد المسيح ! وُلد طفلاً جديداً الالهُ قبل الدهور ! »

هذا هو النشيد الذي لبثت مدينة القسطنطينية تتغنّى به حتى ما بعد القرن الثاني عشر في ابهى حفلات البلاط الملكي. هذا هو نشيد الميلاد الذي جمع البساطة الى السموّ والروعة الى الجمال ، والعمل المسرحي الى سرد الحوادث بفنٍ وشاعرية .

يُقسم النشيد الى خمسة اقسام :

١ً — استدعاء المؤمنين الى بيت لحم (مقطوعة ١) ؛ ٢ً — صلاة العذراء الى طفلها الالهي (مقطوعة ٢ و ٣) ؛ ٣ — حضور المجوس وحوارهم مع العذراء (مقطوعة ٤ — ١٢) ؛ ٤ً — حديث المجوس عن سفرهم ومثولهم امام هيرودس ومباحثتهم معه ؛ ثم السجود وتقدمة الهدايا (مقطوعة ١٣ — ٢١) ؛ ٥ً — صلاة العذراء وختام النشيد (مقطوعة ٢٢ — ٢٤).

ويمكننا ان نحدد نوعاً من الاتساق والوحدة في تأليف هذا النشيد . انه يتألف من قسمين اساسيين يحتويان على عدد محدود من المقطوعات . القسم الأول (مقطوعة ٤—١٢) يكثر فيه العمل المسرحي والحوار اللطيف الرشيق. والقسم الثاني (مقطوعة ١٣—٢١) يكثر فيه سرد الحوادث ويتألف من جزئين هما البداية والنهاية . فالاولى تتألف من مقطوعتين (١ و ٢) والنهاية من ثلاثة مقطوعات (٢١—٢٤) وهذان الجزءان يؤلفان سجود العذراء وصلاتها الوادعة.

والمقدمة في مطلع النشيد هي عرض للاشخاص والمكان ، ويدخل فيه الطفل الالهي والام العذراء والملائكة والرعاة والمجوس والكوكب والمغارة والارض . وذلك في العشرة الابيات الصغيرة الاولى . وهذا العرض الموجز يقرب الشاعر رومانوس من الشاعر الافرنسي المسرحي الشهير « راسين » الذي

يعرض تواً في اول مسرحياته الموضوع والاشخاص والزمان والمكان .

وبعد هذا المطلع يحيي الشاعر بيت لحم برموز الكتاب المقدس واقوال الانبياء ثم يبدأ الحوار اللطيف بين الام ساجدة امام طفلهـا الالهي تخاطبه خطاب الملوك وهو متوسد مزود البهائم « وفي مغارة غريبة » . وبعدئذ يصل المجوس ويتقدمون من البيت « يستأذنون بالدخول » فتسأل الام ابنها مثول ملوك المشارق امام « فقره الغنيّ ومسكنته المكرمة » وإذ يدخلون يعربون عن دهشتهم من الولادة العفيفة وتؤكد لهم العذراء ان وجود يوسف خطيبها انما هو لصيانة بكارتها من الثالبين وللشهادة على ولادتها الالهية. وبعد ذلك يخبرها المجوس ما حدث لهم مع هيرودس والفريسيين ويصفون لها « بابل » الوثنية والمذهلات الصائرة بالكوكب العجيب . ثم يقدمون للطفل الاله هداياهم ساجدين . وينتهي النشيد بصلاة العذراء التي تمثل الكنيسة فتسأل النعمة والخلاص للعالم بأسره .

هذا هو النشيد في مادته وموضوعه وهذا هو الانسجام الخارجي الموضوع لهذه الاربع والعشرين مقطوعة .

وهو ايضاً ملحمة قصيرة يستعرض فيها الشاعر مشهداً من مشاهد الانجيل يتوسع فيه كيفما يقوده خياله وعقله وشعوره . وربما كان هـذا اول اناشيد رومانس التي خلقت له الصيت الخفاق من شواطئ بيروت حتى شواطئ البوسفور .

ونشيد الميلاد هو بالحقيقة من اجمل الاناشيد واخصبها فكرة واروعها معنى واغزرها انطلاقاً واطلقها خيالاً وأوسعها مدى واعمقها درساً لنفسيات عدة واجزلها شعراً وموسيقى .

فهناك نفسية الأم العذراء تظهر اللطف بالذات والحنان والوداعة : « انت لي مجد ، انت لي فخر فلست اخجل . انت انت النعمةُ وزينةُ هذا المسكن وجمالي »[1]. وهي الاناقة العالية : « أشاهدكَ بالقمط وزهرةَ بكارتي لم تفضّ ، انتَ حفظتَها حين ارتضيتَ ان تولد طفلاً جديداً وانت الاله قبل الدهور »[2]. ويلي هذه العاطفة شعور عميق يمتزج باعجاب وذهول : « اراكَ ، يا حشاشتي فاذهل ، لاني ارضعك ولم اقترن بزوج . »[3]

وتبقى هذه الام الفتية نشيطة جريئة : « للحال صرختِ العذراء بالمجوس :

١) مقطوعة ٧ ٢) مقطوعة ٢ ٣) مقطوعة ٣

من انتم »[1]. ثم تلبث في حديثها مع ابنها ذاهلة ولكنها متسامية : « قل لي، بني كيف زرعت، كيف نشأت في؟ »[2] وتريد ان تدوم في رتبتها ولو اصبحت امّاً للاله فهي « تسكن المغارة التي سكنها بارادته ابنُها الطفل الجديد »[3]. ثم تذهل من محبة الله للناس فتسأله : « ايها الملك الرفيع مالك وللفقراء ؟ يا صانع السماء لِمَ اتيت الى ابناء الارض ؟ »[4].

وهي مع محبة طفلها تحب البشرية وتشعر برسالتها العميقة والبعيدة المدى فتشعر بأنها ام البشرية : « يا ابني لست لك وحدك امّاً . . . فانا اسألك من اجل الجميع ؛ انت اقتني لأكون امّاً ومجداً لجنسي كله . »[5]

وهناك نفسية المجوس المخلصين لصوت الايمان يتكلمون باحترام ووقار امام الأم واذا ما استفسروا فمن باب الدالة والشعور بالمسؤولية : « وأنتِ من تكونين وقد انجبتِ طفلاً كهذا ؟ مَن ابوكِ ؟ ومن املكِ حتى صرت امّاً وحاضنة ابن بغير أبٍ »[6] . ثم انهم يستفهمون كفافاً عن وجود رجل داخل خدر العذراء : « فمن اين لك ، يا عذراء ، هذا الزوج الذي نراه في خدرك ؟ أليس ايلادك لا دنس فيه ؟ »[7]. ولكن عندما يسمعون الى الاسباب التي تعطيها مريم لوجود يوسف معها يطمئن قلب المجوس الأمناء ويخبرونها بوضوح عن سفرهم ثم يسجدون للطفل ويقدمون له الهدايا : « قدم المجوس بأيديهم الهدايا وسجدوا لهدية الهدايا وطيب الطيوب »[8] . نفسية المجوس تظهر غنية بمحبة الحقيقة وينبحثون عنها باخلاص : « أتريدين ان تعلمي من نحن ومن اين أتينا ؟ من ارض الكلدانيين . من بابل . تركنا ناراً تلتهم كل شيء ، فشاهدنا ناراً ندية »[9]. ولاجل الوصول الى هذه الحقيقة طافوا المدن ومرّوا باخطار عديدة : « لقد جزنا في متاهة الارض وسبرنا اغوارها ونحن نبحث عن ضياء الكوكب اين يولد طفلاً جديداً الاله قبل الدهور »[10].

وتكثر في هذا النشيد الصور الشعرية الرمزية التي تجعل من رومانس شاعراً عبقرياً يضاهي اكبر الشعراء على مر العصور .

---

١) مقطوعة ٥ ٤) مقطوعة ٣ ٧) مقطوعة ١٠ ١٠) مقطوعة ١٦
٢) مقطوعة ٣ ٥) مقطوعة ٢٣ ٨) مقطوعة ٢١
٣) مقطوعة ٦ ٦) مقطوعة ٥ ٩) مقطوعة ١٣

اسمه يتكلم بتصاوير دانتي : « ابو الأم يفدو ابنها عن رضى »[1]. وبهذا المعنى انشد الشاعر الطلياني في الكوميديا الالهية : ايتها الأم العذراء، يا ابنة ابنك
[2]Vergine Madre, Figlia del tuo Figlio

ومن جمالات هذا النشيد الاستعارات الجريئة : « اسمح ، بني ، ان يلجوا حماك فيشاهدوا فقرك الغني ومسكنتك المكرمة ! »[3] ومنها قول العذراء لابنها وهي تجعل من الاشياء اشخاصاً : « أعشقت المغارة ؟ ام استهواك المذود ؟ »[4] وهناك الروعة في الاناقة واللطف مشهد العـذراء الأم : « وانحنت ساجدة للتكون من احشائها »[5]. وقولها اللطيف في آخر النشيد : « واذهب الى مصر هاربة معك لاجلك يا قائدي ، يا ولدي ، يا خالقي ، يا منقذي ، ايها الطفل الجديد الاله قبل الدهور ! »[6] هذه النبرات اللطيفة تفجر من ينبوع المحبة الوالدية التي تحب ابنها حتى الهيام وحتى العبادة فتصرخ بفعل ايمان قوي هو صدى محبتها لابنها : « ايها الطفل الجديد الاله قبل الدهور » ومنها مشهد الملوك يسجدون لهدية الهدايا وطيب الطيوب .»[7]

ومن جمالات هذا النشيد حسن التلاعب باللفظة الواحدة يحملها رومانس الشاعر معاني كثيرة توحي رموزاً عدة ولوحات ومشاهد من الكتاب المقدس فيمر رومانس بلباقة من معنى الى معنى ومن صورة الى صورة حتى يصل الى تصوير الرمز العميق الذي يريده للفظة الواحدة . هكذا يتلاعب مثلاً في لفظة « نجم » في المقطوعة الخامسة فيستعملها ست مرات الى ان يصل الى تصوير النجم الحقيقي يسوع المسيح وهكذا يتلاعب بلفظة باب كما في المقطوعة التاسعة اذ يمر رومانس بلباقة ورشاقة من تصوير الباب الذي جاءت صورته في حزقيال (٤٤—٢) الى الباب المادي الذي فتحته العذراء المجوس الى الباب المعنوي الدال على احشاء العذراء الذي دخله المسيح وحده وبقي مغلقاً الى ان ينتهي بالباب يسوع المسيح الباب السماوي الذي يفتح لابناء البشرية ويدخلنا الى السماء « انا هو الباب ومن يدخل فيَّ يجد المرعى » (يوحنا ١١—١٤)

---

١) مقطوعة ٣
٢) La Divina Commedia Paradis. chant 33 (vers1)
٣) مقطوعة ٧
٤) مقطوعة ٣
٥) مقطوعة ٦
٦) مقطوعة ٢٦
٧) مقطوعة ٢١

ومن جمالاته ايضاً تلك الرموز الى آيات الكتاب المقدس ومشاهده العديدة ففي كل مقطوعة يعطي الشاعر اشارة الى مشهد منه او الى آية من آياته البيّنات وفي ذلك يفتح للقارئ نوافذ عديدة تطل على مشاهد واسعة . فمن بئر لم تحتفر اشتهى داود ان يشرب منها ، اشارة الى عطش داود حينا كان يحارب جيش الفلسطينيين الى ثمار الفردوس حيث كان يتخطى آدم قبل الخطيئة ونجم يعقوب ونبوءات بلعام الى عليقة موسى الملتهبة وغير المحترقة وعصى موسى تشق الصخرة الصلدة وعمود النار يقود بني اسرائيل في البرية وهرب بني اسرائيل من مصر واغتذائهم بالمن الى تعب حبقوق الذي اخذ الطعام لدانيال وهو في جب الاسود كلها اشارات ورموز توحي كثيراً من المعاني بالفاظ يسيرة .

ولا يترك القارئ هذا النشيد الا واستأثر به الشاعر وملك على قلبه وعقله وخياله فيشعر بالحاجة الى ترك نار المادة تلتهم فيه ما هو سام ورفيع ويشعر بأنه لا يقرب من جوهر الشعر الا متى احس بنار الالوهية اي بتلك « النار النديّة » تندفق عليه الصفاء والوحي الرطيب واذا بالالفاظ تعبّر عما شاهده رومانُس عن نار نديّة عن اله يقدق بمولده اللطف والايناس والطهر والمحبة فيرى في الكون بعينيه ما رآه الشاعر الافرنسي بول فاليري في قصيدة المدافن البحرية « ناراً بدون مادة »[1] Un feu sans matière .

والشيء الخاص بشاعرية رومانُس هو تلك النظرة الخاطفة للاشياء والصور ينظر الى الصور بعين تلتهم الالوان فيصور بالالفاظ ما تشعر به النفس في الاعماق او ما يصوره الفنانون بالالوان وله نظرة عميقة الى نفسية الاشخاص الذين يتبارون على مسرح اناشيده وله موهبة عجيبة فريدة للتعبير عما يحس ويشعر ويفكر . وخصوصاً له فن رائع في جمع الاصوات بنوع شيّق فتخال وانت تقرأ اناشيده انها مجموعة من الاصوات والاجواق المتسارقة تتردد في مسمع البرايا نبرات ساحرة وايحاءات واثبة . فرومانُس حقاً هو من ناثري الافكار على انطلاق واسع خصيب يضم في اناشيده روعة الادب اليوناني ورشاقة ولباقة الشعراء الكبار على مر العصور .

---

1) Paul Valéry: Le cimetière marin, strophe X

نشيد الميلاد[1]

للقديس الشاعر رومانس المرنم

مقدمة

١ اليوم البتول
تلد الفائق الجوهر
والأرض تقرّب المغارة
لغير المقترب اليه ؟
٥ الملائكة مع الرعاة
يمجدون ،
والمجوس مع الكوكب
يسيرون ،
لانه من اجلنا وُلد
١٠ طفلا جديدا ،
الاله قبل الدهور .

1) GUISEPPE CAMMELLI. *Romano Il Melode Inni.* P. 88-119. Edizioni Testi Christiani 1930.

١) هلم ننظر بيت لحم
فقد فتحت عدنا !
هيا فنجد النعيم
في الخفاء ،
١٥ هلمّ نجنِ ثمارَ الفردوس
داخل المغارة !
هنالك ظهر
اصل بغير سقي
٢٠ يتفرع منه الغفران ،
هنالك وجدت بئر
لم تحتفر ،
اشتهى داود قديما
ان يرتوي منها [٢] .
٢٥ هنالك عذراء
حينما ولدت طفلا
اروت للحال
ظمأ ادم وداود
٣٠ لنسرع الى حيث وُلد
طفلا جديداً ،
الالهُ قبل الدهور .

٢) ابو الأم
يفدو ابنها عن رضى [٣] ؛
٣٥ مخلص الأطفال
يتوسد المذودَ طفلاً ؛
تأملته امه ،
فهتفت :
« قل ، لي ، بني ،
٤٠ كيف زرعت ؛
وكيف نشأت فيَّ ؟ »
ازالك ، يا حشاشتي ،
فأذهل
لأني ارضعك
٤٥ ولم اقترن بزوج ؛
اشاهدك بالقمط
وزهرة بكارتي
لم تفضّ ،
انت حفظتها
٥٠ حين ارتضيت ان تولد
طفلا جديدا ،
وانت الاله قبل الدهور

٢) سفر الملوك الثاني ٢٣–١٥ (فتأوه داود وقال من يسقيني ماء من بئر بيت لحم ؟)
٣) راجع الكوميديا الالهية لدانتي الشاعر الطلياني في النشيد الثالث والثلاثين من الفردوس
Vergine madre, *figlia del tuo Figlio*, (vers 1)

٣) ايها الملك الرفيع،
٥٥ ما لك وللفقراء ؟
يا صانع السماء،
لِمَ اتيت الى ابناء الأرض؟
أعشقت المغارة ؟
أم استهواك المذود ؟
٦٠ انظر ليس في القرية
من مكان لأمتك .
وما لي اقول مكان،
حتى ولا مغارة
٦٥ لان هذه ايضا،
هيَ لآخر غريب .
سارة لما ولدت ابنا
أعطي لها
ميراث من الارض فسيح،
٧٠ واما انا فلا مأوى لي .
لكني اسكن المغارة
التي سكنتها بارادة
طفلا جديدا،
وانت الاله قبل الدهور

٤) ٧٥ بينا كانت تستسيغ
هذا في سرها
وتصلي الى عارف الخطايا
سمعت المجوس
يبحثون عن طفلها
٨٠ للحال صرخت العذراء بهم:
« من انتم ؟ »
وهم اجابوا :
« وانت من تكونين
وقد انجبت
٨٥ طفلا كهذا ؟
من ابوك ؟
ومن امك
حتى صرت اما
وحاضنة ابن
٩٠ بغير أب ؟
فمذ رأينا نجمه(٥)
حكمنا بانه
يُظهر طفلا جديدا
٩٥ الاله قبل الدهور . »

---

٤) راجع انجيل متى ٨—٢٠
٥) متى ٢ – ٢

٥) اجل ! أعدنا بلعام باعتناء
لندرك النبوءات
التي تنبأ عنها
١٠٠ قائلا :
« سوف يشرق نجم »[٦]
نجم يخدُ
جميع المرافات
والمسافات ،
١٠٥ نجم يحلُّ
امثال الحكماء
واقوالهم وألغازهم .
نجم النجم
الذي هو أوفر ضياء
١١٠ من الشمس التي تنيرنا
بما انه خالق
جميع النجوم ،
وعنه قد كتب :
« من يعقوب يشرق »[٧]
١١٥ طفلا جديدا
الاله قبل الدهور . »

٦) عندما سمعت مريم
هذه الاقوال العجيبة
انحنت ساجدة
١٢٠ للمتكوّن من احشائها ،
وهتفت ببكاء :
بني ، ما اعظم
اجل ، ما اعظم
كل ما صنعت
١٢٥ مع حقارتي ،
ها ان المجوس
ملوك المشارق
خارجاً يبحثون عنك ،
واغنياء شعبك[٨]
١٣٠ يستعطفون وجهك
طالبين أن ينظروك .
ان هؤلاء هم
شعبك حقا ،
١٣٥ وقد عرفوك
طفلا جديدا
وانت الاله قبل الدهور . »

٦) سفر العدد ٢٣—٢٢
٧) سفر العدد ٢٤—١٧
٨) مزمور ٤٤—١٣

٧) وبما انهم شعبك الخاص ٨)
فاسمح ، بني
١٤٠ ان يلجوا حماك ،
ويشاهدوا فقرًا غنيًا ،
ومسكنة مكرمة .
انت لي مجد ، (٩)
١٤٥ انت لي فخرٌ ،
فلست اخجل .
انت انت النعمة (١٠)
وزينة هذا المسكن ؛
وجمالي ،
١٥٠ فأذن الان
ان يدخلوا هذا الحمى .
لا يهمني فقري ،
اذ انت كنزي .
ها قد اتى الملوك
١٥٥ لينظروك ،
وعرفوا مع المجوس
انك ستظهر
طفلا جديدا
وانت الاله قبل الدهور »

١٦٠ ان يسوع المسيح
والهنا الحقيقي
أسرّ في الخفاء
الى قلب امه ،
وقال لها : « ادخلي المجوس
١٦٥ الذين جذبتهم بكلمة :
لان كلمتي اشرقت لهم
وهم يبحثون عني ،
وهذه الكلمة
هي نور للعيون
١٧٠ وقوة للنفوس ؛
هي الكوكب الذي
رافق المجوس
كخادم لي ،
ووقف بعد ان
١٧٥ اكمل خدمته ،
ودل باشمته
على المكان الذي
ولدت فيه
طفلا جديدا ،
١٨٠ انا الاله قبل الدهور .

٩) يشوع بن سيراخ ١ : ١١
١٠) يوحنا ١ : ١٤

(٩ إقبلي الان ، يا عفيفة ،
إقبلي الذين قبلوني ،
لاني فيهم
كما انا على ذراعيك ؛
١٨٥ اتيت مع هؤلاء
وما فارقتك ».
اما هي ففتحت الباب ،
وتقبلت
نخبة المجوس.
١٩٠ فتحت الباب
من هي باب مغلق للجميع [11]
الذي اجتازه المسيح وحده
فتحت الباب
من هي ابدا مغلقة
١٩٥ غير مسلوب
كنز بكارتها ؛
فتحت الباب
من وُلد منها
بابُ السماء للعالم ،
٢٠٠ طفلا جديدا ،
الاله قبل الدهور.

١٠) حينئذ دخل المجوس
الى الخدر ،
ولما ابصروا المسيح
٢٠٥ خافوا ، لانهم شاهدوا
امَّ الصبي
وزوج امه
فهتفوا بخوف :
« هذا الابن
٢١٠ لم يولد من رجل؟ [12]
فمن اين لك ، يا عذراء،
هذا الزوج
الذي نراه الآن
داخل خدركِ ؟
٢١٥ أليس إيلادُكِ
لا دنس فيه ؟ [13]
فلتكن بلا ملامة
مساكنتُك ليوسف
فالحساد كثيرون
٢٢٠ يبحثون عن مولد
طفل جديدٍ ،
هو الاله قبل الدهور. »

١١) حزقيال ٤٤-٢ ١٢) عبرانيين ٧-٣ ١٣) سفر الاحبار ٢١-٢٣

١١) « قالت مريم للمجوس
سأبين لكم
٢٢٥ لأي الاسباب احتفظ
بيوسف في مسكني :
لأضع حداً لأقوال الثالبين.
انه الشاهد الذي سيخبركم
بجميع ما سمعه
٢٣٠ عن ابني .
لانه فيما كان نائما
ابصر بالحلم ملاكا قديسا[١٤]
اعلمه كيف حبلت انا .
فرؤية هذا الروح الناري[١٥]
٢٣٥ تحققت ليلا
ومرّ يوسف من الارتياب
الى تمام اليقين ،
وتخلص من الأوهام
التي كانت تقلقه
٢٦٠ فهو يعيش معي
مبرهنا على ان هذا
الطفل الجديد
هو الاله قبل الدهور

١٢) سيحدثكم يوسف بوضوح
٢٤٥ بجميع ما سمعه ،
ويبشركم بدقة
بجميع ما شاهده
من المدهشات السماوية
والارضية .
٢٥٠ ويحدثكم كيف تسبح
الارواح النارية[١٦]
مع ابناء الارض
تسابيح الرعاة .
بينما ان الكوكب النيّر
٢٥٥ ظهر لكم ايها المجوس
وقادكم في سفركم .
إلا دعوا المقولات
واخبرونا الان
عن الصائرات معكم
٢٦٠ فمن اين أتيتم ؟
وكيف عرفتم
ان قد ظهر
طفلا جديدا
الاله قبل الدهور ؟ »

١٤) متى ١ – ٢٠
١٥) خروج ٣ – ٢
١٦) لوقا ٢ – ٨ و ٩

١٣) ٢٦٥ بعد ان قالت لهم المنارةُ ١٤) ألا كل شيء باطل

هذه الاقوال كلها ؟
هتف بها مصابيحُ المشرق :
« أتريدين ان تعلمي
من نحن ومن اين اتينا ؟
٢٧٠ من ارض الكلدانيين
حيث لا احد يقول :
« إله الالهة الرب ! »[17]
من بابل
حيث يجهل الناس
٢٧٥ مَن خالق النور ليعبدوه .
لقد اتى الى هناك
شعاع ضئيل من طفلك هذا
وقادنا من نار بابل ؛[18]
تركنا نارًا تلتهم كل شيء ،
٢٨٠ فشاهدنا نارًا ندية[19]
تعطي النور الحقيقي
طفلا جديدًا
الاله قبل الدهور .

٢٨٥ وباطل الاباطيل ![20]
ولكن ان يفكر احد
في هذا فلن يعقل ابدا .
الناس بعضهم ضالون
والبعض مضلون .
٢٩٠ فيا ايتها العذراء ،
النعمة لوليدك الذي به تحررنا ،
لا من الضلال فحسب ،
بل من اخطار الاماكن
التي قطعناها ،
واخطار الشعوب
التي لا تعرف الاله ،
٢٩٥ واخطار اللغات المجهولة .
لقد جزنا في متايه الأرض ،
وسبرنا اغوارها
٣٠٠ ونحن نبحث على ضياء الكوكب
اين يولد طفلا جديدا .
الاله قبل الدهور !

---

١٧) سفر تثنية الاشتراع ١٠-١٧
١٨) دانيال ٣-٢٥
١٩) Paul Valéry : *Le Cimetière marin, strophe X* : « Fermé, sacré, plein d'un feu sans matière »
٢٠) سفر الجامعة ١-٢

١٥) وبينما كان يُغني لنا
هذا المصباح ،
٣٠٥ طفنا اورشليم كلها ،
مكملين اقوال الانبياء
وباحثين عن حقيقتها ؛
وكنا سمعنا بان الله قاصد
ان يفتقد اورشليم [٢١]
٣١٠ وبفضل هذا المصباح
جزنا المدينة كلها
علّنا نجد فيها
الحجة الكبرى
فلم نجدها ،
٣١٥ لان الفلك كان
قد رفع عنها
صحبة الاشياء الثمينة
التي كانت قديما .
لقد زالت القديمات . [٢٢]
٣٢٠ وجدّد كل شيء
طفل جديد ،
الاله قبل الدهور . »

١٦) اجل ! قالت مريم
للمجوس الامناء :
٣٢٥ « هل طفتم اورشليم كلها ،
اورشليم تلك المدينة
قاتلة الانبياء ؟ [٢٣]
كيف استطعتم العبورَ فيها
دونما اذى
٣٣٠ على الرغم من انها
بغيضة لدى الجميع ؟
كيف تملصتم من هيرودس
ذاك المتلهّب الى الدماء
خلافاً لما تسنه الشرائع ؟ » [٢٤]
٣٣٥ اما المجوس فقالوا لها :
« ايتها العذراء ،
لم نتملص منه
ولكن سخرنا به ، [٢٥]
وكنا مع الجميع
٣٤٠ نبحث اين يولد
طفلا جديدا ،
الاله قبل الدهور ! »

٢١) صفنيا النبي ١—١٢
٢٢) كورنتس ٥—٧
٢٣) لوقا ١٣—٣٤
٢٤) اعمال ٩—١
٢٥) متى ٢—١٧

١٧) ان والدة الاله
لما سمعت اقوال المجوس
٣٤٥ قالت لهم: « ماذا سألكم
الملك هيرودس والفريسيون؟»
« ان هيرودس اولا،
وعظماء امتك، كما قلتِ،
تحققوا منا بدقة
٣٥٠ عن زمان النجم
الظاهر الآن،[٢٦]
ولما عرفوا ذلك
حسبوا نفوسهم جهلاء،
ولم يرغبوا ان يشاهدوا
٣٥٥ من كانوا يبحثون عن معرفته،
فلو عرفوه
لبحثوا عنه،
فقد كان مجديا
للباحثين
٣٦٠ ان يشاهدوا
طفلا جديدا،
الاله قبل الدهور!»

١٨) ان الحمقى حسبونا مثلهم حمقى
فسألونا مستفسرين:
٣٦٥ « من اين اتيتم؟
ومتى اتيتم من بلادكم؟
كيف لم تسلكوا
سُبلا ظاهرة؟»
فسألناهم بدورنا
٣٧٠ عما يعلمون:
« وانتم كيف سلكتم قديماً
ذلك القفر الواسع؟
ان الذي قادكم
عندما كنتم تهربون
٣٧٥ من شواطئ النيل،
هو هو قادنا في سفرنا
ودعانا اليه الآن
من بلاد الكلدانيين.
أما قديماً فبعمود من نار،[٢٧]
٣٨٠ واما الآن فبكوكب يُظهر
طفلا جديدا،
الاله قبل الدهور.

٢٦) متى ٢ – ٧
٢٧) سفر الخروج ١٣ – ٢١

١٩) «كان الكوكب
يقود خطانا
٣٨٥ في كل مكان ،
كما صنع موسى قديماً
حينما أطلع لكم عصاه ، (٢٨)
فأنار كم بالحقيقة الالهية .
انتم في القديم
٣٩٠ غذاكم المن
وروتكم الصخرة الصلدة . (٢٩)
واما نحن فامتلأنا
من الرجاء بهذا الطفل ،
وارتوينا من نعيمه .
٣٩٥ فما خطر بفكرنا ونحن بفارس
ان نعودِ الى الوراء
او نسلك سبيلا غير مسلوك .
بل كنا نشتاق
ان نشاهد الصبي
ونسجد له
٤٠٠ ونمجده
طفلا جديدا
وهو الاله قبلَ الدهور .»

٢٠) هذا ما صرّح به
٦٠٥ المجوس المخلصون ،
فاطمأنت اليهم
العذراء المجيدة ،
واثبتت الطفل
٦١٠ كلام الفريقين :
كلامَ البتول
اذ جعل احشاءها طاهرة
بعد الولادة ،
وكلامَ المجوس
اذ لم يُظهر الوهنَ
٦١٥ لا في رغبتهم ولا في خطواتهم؛
لان كلا منهم
تحمل التعب
مثل حبقوق النبي
عندما ذهب الى دانيال
٦٢٠ فانه لم يشعر بالعي . (٣٠)
فالذي ظهر قبلا للانبياء ،
هو هو اظهر ذاته للمجوس :
طفلا جديدا ،
هو الاله قبل الدهور» .

٢٨) سفر الخروج ١٦-٣١ ٢٩) سفر الخروج ١٧-٥ ٣٠) سفر دانيال ١٤-٣٦

٦٢٥ ٢١) وبعد كل هذا الحديث،
قدم المجوس
بأيديهم الهدايا وسجدوا
لهدية الهدايا
وطيب الطيوب.
٦٣٠ قدموا للمسيح
ذهبا ولبانا
ومرًا،
وهتفوا: « إقبلْ
هديتنا المثلثة الاجناس
٦٣٥ كما تقبل تسبيح الساروفيم
الثلاثي التقديس.
ولا تعرض عنها
كما اعرضتَ قبلا
عن تقادم قايين، [(١)]
٦٤٠ بل احتضنها
كذبيحة هابيل،
بشفاعة امك
التي وُلدتَ منها
طفلا جديدا،
٦٤٥ وانت الاله قبل الدهور. »

٢٢) ان العذراء الطهور
لما نظرت المجوس سُجَّدا
يحملون بايديهم
هدايا طريفة وفاخرة،
٦٥٠ وكوكبا يبدو
ورعاة تشدو
لخالق البرايا وسيدها
توسلت اليه قائلة:
« بني، اقبل
٦٥٥ تثليث الهدايا
واعطِ التي ولدتك
طلباتها الثلاث:
اني اسألك
لاجل اعتدال الهواء
٦٦٠ وثمار الارض
ولاجل الساكنين فيها.
سالم الجميع
من اجلي،
لانك ولدت
٦٦٥ طفلا جديدا،
وانت الاله قبل الدهور.

(١) سفر التكوين ٤ - ٦

٢٣) ايها الابن الحنون ،
بما اني لست لك وحدك اماً ،
فلا غرو ان ارضعتك
٢٧٠ انت ، يا رازق اللبن ،
ولكني اسألك
من اجل الجميع .
أنت اقتنني
لاكون فماً ومجداً[٣٢]
٢٧٥ لجنسي كله .
وسيحرزني عالمك
ستراً عزيزاً
وسوراً وثباتاً ،
والي سينظر
٢٨٠ المنفيون
من نعيم الفردوس ،
لاني سأعيدهم
الى نعيم المعرفة
انا التي ولدتك
٢٨٥ طفلاً جديداً
وانت الاله قبل الدهور

٢٤) خاص العالم ، يا مخلص ا
لانك لهذا اتيت .
واجعل الكائنات لك
٢٩٠ فلهذا أشرقت
لي وللمجوس
ولكل الخليقة .
هوذا المجوس
الذين أطلعت لهم
٢٩٥ شعاع وجهك
يسجدون
مقدمين لك هدايا
فاخرة ومفيدة
وغالية الثمن .
٣٠٠ انا استعين بها
واذهب الى مصر
هاربة معك لاجلك
يا قائدي ، يا ولدي ،
يا خالقي يا منقذي ،
٣٠٥ ايها الطفل الجديد
الاله قبل الدهور !

٣٢) سفر الخروج ٤ - ١٦

فردريك اوزنام

١٨١٣ - ١٨٥٣

بقلم الاب اغناطيوس سركيس
من الرهبانية الشويرية

احتفلت « شركة القديس منصور دي بول » هذه السنة في فرنسا واوربا وسائر انحاء العالم المسيحي ، بذكرى مرور المئة سنة الاولى على وفاة مؤسسها فردريك اوزنام (١٨١٣ — ١٨٥٣) .

وهذه الذكرى حاضرة ولا شك في اذهان قراء المشرق . كما ان حياة هذا الرجل العظيم ليست ، على ما نظن ، مجهولة لديهم . لذلك لم يكن من حاجة الى الدخول في تفاصيل تلك الحياة الحافلة بجلائل الآثار والعبر. فنكتفي هنا بتلخيص خطوطها الاساسية الكبرى التي لا بد منها لفهم سياق الكلمة التالية . وقد جربنا فيها ان نستقصي عن الروح الذي سيطر على حياة اوزنام، ووجّه جميع اعماله ، وكان ميزة صفاته وواسطة العقد في فضائله والدعامة الكبرى للاخلاق السامية التي رفعته الى درجة عالية من الكمال الانساني والمسيحي . عنينا بها فضيلة الايمان .

— ١ —

ولد فردريك اوزنام في ٢٣ نيسان ١٨١٣ في مدينة ميلانو وهي اذ ذاك مقاطعة افرنسية وابوه ضابط في الجيش المرابط فيها .

وفي سنة ١٨١٦ عادت عائلته الى مسقط رأسها في مدينة ليون . وبلاد فرنسا ما تزال تفور بالثورات والانقلابات .

ومن ١٨٢٣ الى ١٨٢٩ تلقى دروسه الثانوية في الكلية الملكية في ليون.

وفي ١٨٣٠ قرر والده ان يعلمه الحقوق وادخله مكتب احد المحامين للتمرّس . وفي هذه السنة سقط حكم شارل العاشر وقام على العرش مكانه لويس — فيليب .

وفي ١٨٣١ بدأ حياته الادبية والاصلاحية بمقالات في دحض مذهب السان—

سيوفنه . وقد نشرها في ما بعد في كتاب مستقل فكانت ، مع صغر سنه، مثار اعجاب الادباء .

وفي هذه السنة انتقل الى باريس لاتمام دروس الحقوق . وكان من حظه ان تعرف بالعالم المشهور اندريه — ماري امپير Ampère الذي انزله في بيته واسكنه غرفة ابنه المتغيب اذ ذاك في المانيا . . . وقد كان لمعاشرة هذا العالم العظيم اثر هام في نفسه .

وفي السنة التالية ١٨٣٢ انشأ مع بعض رفاقه مؤسسة «محاضرات التاريخ» بقصد توسيع معلوماتهم الصحيحة والمناقشة المفيدة في ما هم فيه من دروس.

وفي ١٨٣٣ . وكان قد استوعب في نفسه حاجات الشبيبة المثقفة ، التمس من رئيس اساقفة باريس انشاء محاضرات فلسفية دينية في كاتدرائية نوتردام. وفي هذه السنة عينها ، وللغاية نفسها،انشأ مع ثمانية من رفاقه شركة«محاضرات الرحمة » التي اتخذ لها في ما بعد القديس منصور دي پول شفيعاً وسماها باسمه : « شركة القديس منصور دي پول » .

وفي١٨٣٥ نجحت مساعيه الموفقة لدى السلطة الروحية . وارتقى صديقه الاب لاكوردير منبر نوتردام مفتتحاً محاضراته الشهيرة. فكان ذلك فتحاً عظيماً للكنيسة ونصراً للنفوس الطيبة ومصدر غبطة وتعزية لاوزنام . وفي هذه السنة نال شهادة الليسانس في الآداب . كما نال سنة ١٨٣٦ شهادة الدكتوراه في الحقوق .

ثم في ١٨٣٩ ، قدم لشهادة الدكتوراه في الآداب اطروحتيه عن « دانتي والفلسفة المسيحية » و « القديس فرنسيس دي سال وتجديد اللغة الافرنسية » فأحرز نجاحاً عظيماً رغم ما في موضوعه المزدوج من اشواك .

وعلى اثر ذلك سُلّم اليه تدريس «الحقوق التجارية» في مدينة ليون . فلمع نجمه في التعليم . وبدأ حملاته في الاصلاح الاجتماعي .

وفي ١٨٤٠ خرج الاول في مباراة الـ (Agrégation) التي انشأتها الحكومة سنة ذاك لاختيار الاساتذة الاكفاء لجامعتها . وكان من نتيجة ذلك تعيينه استاذاً للآداب الاجنبية في السوربون ، وهو لا يزال في السابعة والعشرين من عمره . وبدأ سلسلة تلك الدروس التي نالت رغم وعورة موضوعها نجاحاً عظيماً ورفعت شعبية صاحبها فوق جميع زملائه .

وفي ١٨٤١ بعد ان تزوج وقام برحلة الى ايطاليا، استقر نهائياً في باريس .

وفي ١٨٤٦ بدأ المرض يتعبه واضطره الى اتخاذ سنة راحة في ايطاليا .

وفي ١٨٤٨ اشترك في نشر جريدة « العصر الجديد » (Ère Nouvelle) وانشأ افتتاحيتها الاولى داعياً الى الاصلاح الاجتماعي الحقيقي .

وفي ١٨٥٠ عاد مرضه الى انتابه . واضطره الى التنقل في سياحات مختلفة لانتجاع الراحة وزيادة المعارف .

وفي ١٨٥٣ ، بعد ان قضى شهوراً في ايطاليا ، احس بقرب الاجل . وهو في الاربعين من عمره . فطلب الرجوع الى وطنه . ولكن الموت داهمه وهو بعد في مرسيليا ، في اوج الشهرة واختمار الفكر والحاح الرغبة في العمل . فكان لموته هزة ألم عميم .

وفي سنة ١٨٥٥ طبعت آثاره كاملة في بضع عشرة مجلداً مع مقدمة بقلم صديقه جان – جاك امبير (Ampère) .

– ٢ –

لا شك ان اسمى الفضائل وأعظمها ، كما يقول بولس الرسول ، انما هي المحبة . فهي وحدها تبقى على الزمان والابدية ، بينما كل فضيلة سواها تقف وتزول على عتبة ابواب السماء .

ولكن ما هي المحبة بدون الايمان ؟

وكيف يحب الانسان ما لا يعرفه ؟ فالايمان اذن اساس معرفة الله وصفاته السامية، والطريق الوحيد الى محبته ومحبة القريب والخلائق كما يرضى هو .

والى ذلك ولا شك نظر المجمع التريدنتيني المقدس حين شبه الايمان في حياة الانسان بالجذور في حياة الشجر .

وفي الواقع ان الشجرة لا تنمو وتخصب وترتفع عالية ، واسعة الاغصان ، غضة الاوراق ، الا وجذورها عميقة في الارض تمتص منها غذاءها وتوزعه باعتدال على سائر الاجزاء .

والنفس السامية الرغائب ، المتطلعة الى العظائم ، المتشوقة الى العمل والبناء والاصلاح يجب ان يكون الايمان اساساً لبنائها . وجذراً مخصباً يغذي اغصانها .

بل هو الجو الرفيع الذي يجب ان تعيش فيه يوماً فيوماً وساعة فساعة حسب قول بولس الرسول: «ان البار من الايمان يحيا».

فالايمان اذن اعظم قوة للانسان في حياته. وامتن صلة بين الخالق الكلي القدرة والمخلوق الكلي الضعف، بين مصدر الخير واداة توزيعه، بين الينبوع الغزير والنفس العطشى. وهو الى ذلك، وبسبب ذلك، اكمل فعل عبادة واكرام يؤديه العقل البشري الفاهم الواعي الى الله مصدر كل فهم وغاية كل عقل. لانه خضوع مطلق وثقة مطلقة واعتراف بعدمنا امام الوجود المطلق. وهذا الايمان يظهره الرجل العالم الواسع المدارك مقرًا لا بما يضاد العقل بل بما يفوق قدرته من اسرار وغوامض ومعارف تجيء عن طريق الوحي والسلطة لا عن طريق القياس والاختبار والحس، تمجيد للعقل الالهي والعقل الانساني في آن واحد.

٥

وقد كان هـذا الايمان المتين الرصين بادياً بين فضائل ارزنام المديدة. كالقائد الجبار المنتصب في وسط معسكره يحميه ويشيع فيه القوة والنشاط. بل كان كما قال عنه لاكوردير «الرباط السامي والمبدأ الوحيد للفضائل التي مارسها والصداقات التي نعم بها».

ورثه عن اسرته التقية. وقد اثر عن احد اجداده، وكان استاذ رياضيات، قوله، في معرض مشاحنات فلسفية: «على اللاهوتيين ان يتباحثوا، وعلى الكنيسة ان تحدد، وعلى استاذ الرياضيات ان يبلغ السماء على الخط المستقيم» (اشارة الى القاعدة الهندسية المعروفة من ان الخط المستقيم هو اقرب طريق بين نقطة واخرى).

وأتاه بجده وارادته. فاذا استثنينا فترة شك قصيرة انتابته ابان درسه الفلسفة وتغلب عليها بمساعدة استاذه، نراه يحتفظ بصفاء ايمانه مدى حياته كلها بل ينميه يوماً عن يوم ويحميه من غيوم الكفر والريب والاهمال. وقد قال يوماً انه لم يكن في الدنيا شيء اعز عليه من ايمانه ووطنه ومن خدمة الحقيقة وعمل الخير.

وذلك رغم الصعوبات الكثيرة في طريقه. فقد نشأ في عصر اجتاحته

الروح الفولتيرية الملحدة، وهدمت الثورة ما تبقى في النفوس من العقائد الالهية. ثم جاء باريس وهو شاب تقي نقي حي، فاذا به في محيط فاسد فاسق. وسمع محاضرات اساتذة السوربون وكلها طعن في الدين وتقويض لاركان الايمان. فاعتصم بقوة ارادته وحافظ على كنزه الروحي والاخلاقي. ولم يكن له من تعزية في تلك المحن اقوى من اللجوء الى محبة الله والثقة برحمته وعنايته.

بل ان المحن والصعوبات نفسها انما كان يتغلب عليها بالالتجاء الى تعزيات الايمان ومحبة الله. ففي عزلته في باريس بعد فراق بيته وذويه، في حزنه بعد موت كل من والديه، في مكافحة الضلال بين معلميه وأقرانه في السوربون، وخاصة في مرضه الاخير واقتراب ساعة اجله الذي سيوقف مجرى نشاطه ويحرمه مواصلة الجهاد والخدمة. دائماً كان يجد بقرب الله وفي شدة ايمانه برحمته القوة والعزاء والسلوان.

وكان يعلم « ان ركن الايمان هو السلطة وليس العقل. وان العقل كلما مشى قدام السلطة الالهية، ضل سبيله ». ولذلك وضع رقبته تحت نير المسيح. واخضع عقله لتعاليم الوحي والسلطة ومشى الى هدفه مخصصاً حياته وقوته وفهمه وعلمه لخدمة هذا الايمان. وحفظه كاملاً لا يتجزأ. « حاشا لي ان انكر واحدة من عقائد ايماني الذي اضحي بحياتي في سبيله. اجل احتى تضحية الحياة، حتى الشهادة. والشهادة كما يعرفها هو انما هي اعطاء الذات طوعاً، اعطاؤها كاملة، اعطاؤها حتى الموت يوماً فيوماً في سبيل محبة الله وخدمته. افلم يهدم صحته بطول الدرس والتأليف والالقاء قبل ان يبلغ نصف عمره؟ وقد اضطرته الظروف يوماً الى اعلان ذلك في وجه بعض من لم يفهموا روحه. قال: « افكانت صحتي تهدمت في الثامنة والثلاثين لولا رغبتي في الدفاع عن المسيحية؟»

على ان ايماناً كهذا لا يقوم ولا يدوم بلا تغذية وعناية. وقد كان اوزنام يغذيه بمطالعة الانجيل والتأمل في معانيه السامية كل صباح. كان يغذيه بمطالعة تاريخ الكنيسة المجيد واعمال احبارها العظام. وقد كتب يوماً الى احد زملائه من اساتذة السوربون: « لو انك لم تكتف بالوقوف على عتبة المسيحية، بل عملت مثلي، فمشت في داخلها، وقضيت ثمانية عشر عاماً في درسها وغذيت نفسك باقوال هؤلاء الملافنة العظام من آباء الكنيسة لوجدت في ذلك ثروة

تليق بعقلك السامي ، ولما جلت من التسامح والحرية والاخاء ثمرة من ثمار الثورة الافرنسية . فهذه الفضائل انما نزلت من على اقدام الصليب » .

كان يغذيه بالصلاة الوضيمة العميقة حتى اصبحت حياته صلاة متواصلة. فلم يذهب الى القاء محاضرة او درس الا بعد ان ركع وصلى لئلا يتسرب على لسانه شيء من الضلال . ولم يدخل كنيسة الا جثا على ركبتيه واستغرق زمناً طويلاً في بحران صلاته يناجي الله بحرارة ايمانه .

كان يغذيه بالاشتراك بسر الايمان الاعظم . فيحضر القداس ويتناول القربان المقدس كلما استطاع .

اما مجاهرته بايمانه فتذكرنا بمواقف كبار القديسين من قبله . وهو القائل : « اني سأظل متمسكاً بأعمدة الهيكل حتى ولو تهاوت فحطمتني في سقوطها » اكانت اقوى من هذا الاعلان عبارة القديس اغوسطينوس :« انا مع روما حتى ولو قادتني الى الجحيم . » ؟

وذلك انه وجد من علمه مثبتاً لايمانه .« فتش تجد الله في اعماق قلب العلم » افكانت نفسه السامية ترى بعين الروح تلك الحقائق العويصة بخلاف الاعتياديين من المؤمنين ، فيعلن مع بولس الرسول : « اني اعارف بمن آمنت » ومع يوحنا الحبيب : « الذي رأيناه ولمسناه وسمعناه به نبشركم »؟ .

حقاً هذا هو الايمان الذي طلبه المسيح من تلامذته وقال عنه انه ينقل الجبال . وان ما عمله اوزنام في نفوس معاصريه كان اعظم من نقل الجبال.

— ٣ —

ومثل هذا الايمان الراسخ يجر وراءه ، ولا شك ، ثقة بالعناية الالهية الابوية المحبة التي بدون ارادتها لا تسقط شعرة من رؤوسنا ولا يصيبنا ذرة من خير او شر ؛ واستسلاماً بنوياً فرحاً لتدابيرها السامية حتى ما كان منها غامضاً صعب الفهم لا يسوغه عقلنا البشري الضعيف .

ففي سنة ١٨٣٢ انتشر في باريس وباء الكوليرا بسعة مرعبة حتى كان معدل الوفيات فيه نحو مئة وثلاثين شخصاً يومياً . واندفع اوزنام في خدمة المرضى دون تحفظ او خوف . وظل مع ذلك بعيداً عن الخطر ولم يقترب الوباء من بيت امبير حيث كان يسكن . فنسب ذلك الى رحمة العناية الالهية .

واستشهد بقول المزامير: «يسقط عن جانبك ألوف وعن يمينك ربوات. واليك لا يقترب السوء».

ومن اقواله:

ان تدابير الله تتم على توالي الزمان. واعظم الناس حكمة هم من تركوا يد الله تقودهم. فلنعمل اذن ما نستطيع ولنترك الباقي لعنايته. قليلاً من الثقة بالآب السماوي الذي بدون ارادته لا تسقط شعرة من رأسنا».

وحين كانت المعركة حامية حول تعيينه استاذاً في السوربون، والمنافسون يثيرون عليه الحفائظ، وهو من هو في عقيدته المسيحية. خاف ان يخسر هذا المركز الممتاز الذي يستطيع فيه ان يخدم الله وديانته. ولكنه عاد ورمى بنفسه بتواضع بين يدي الله قائلاً: «اني ارغب ان يستلم الله هو نفسه زمام هذه القضية الهامة. واذا رأى ان فشلي فيها اكثر فائدة لخلاصي. فلا اطلب لذاتي سوى الرسوخ في عقيدتي والاطمئنان في داخلي. حتى ولو ظلت اسباب معيشتي غير مؤمنة». ومن اقواله:

– لقد عوقبنا نحن الكاثوليك لاننا وضعنا مجدنا في كبار كتابنا اكثر من اتكالنا على قدرة الله. ان نجدتنا هي من فوق.

– وفي اشد الازمات كان يردد: «لا اعلم الى اين تقودنا يد الله. ولكني واثق انها تسير بنا الى حيث ترى موافقاً».

– وفي مرضه الاخير، وقد ازدادت نفسه سمواً بقدر انحطاط قوى جسده. كان يردد بثقة وثبات: الهي. اني اريد كل ما تريده وما دمت تريده ومثلما تريده ولانك تريده

وذاك هو الاطمئنان في قلب الله والتسليم التام لمشيئته الابوية الذي ليس وراءه غاية.

– ٤ –

ونتيجة طبيعية اخرى لذلك الايمان: التواضع.

قال الاب لاكوردير: «لقد تعلم اوزنام فلسفة صحيحة تجعل من المسيحي رجلاً حكيماً. ومن الحكيم انساناً وديعاً لا يشمخ بعلم ولا بفضيلة».

تلك كانت خلاصة روحية اوزنام. فانه رغم كل ما امتاز به من عمق

المعرفة ، وسمو المكانة ، وسعة التأثير في عصره، وعظم المشاريع التي حققها. والخدم التي اداها ، ظل وديعاً متواضعاً يعرف ان الخير والبركة هما من عند الله وان الانسان ليس سوى اداة يستخدمها الله متى شاء وكما يشاء .

ولم يكن تواضعه زائفا او متصنعاً فينكر ما لديه من مواهب وقوى وما يتم على يده من اعمال - بل مع اقراره بذلك ، رده الى مصدره الحقيقي . واعترف « ان كل موهبة كاملة انما هي من فوق من لدن ابي الانوار ».

وهكذا رأيناه ينسب كل نجاح حازه او خير عمله الى رحمة الله ومحبته والى سعي اصدقائه وعنايتهم وتسامحهم ازاء ضعفه .

ورأيناه يرفض مرتين رئاسة الشركة التي اسسها وجعلها هدف حياته وغاية امانيه ، مكتفياً فيها بالموضع الخفي المتعب .

ورأيناه يرفض الحاح اصحابه في ترشيحه للنيابة عن مدينة ليون مدعياً انه دون ذلك قدرة ومعرفة وعافية .

ويستاء من اسراع عمدة الشركة الى نشر خطبه الرائعة بحجة ان ليس فيها ما يستحق النشر . ولكنه يعود فيستسلم عندما يقال له ان ذلك مفيد لانشاء فروع جديدة.

ورأيناه ، وهو على فراش الموت ، يصرح انه لم يعمل قط لمجده الشخصي ولا لسماع مديح الناس . بل لخدمة الحقيقة فقط .

وبقدر ما كان شديداً على نفسه قاسياً في محاسبتها كان رحيماً متسامحاً في معاملة القريب .

وبقدر ما كان مقامه يرتفع في المجتمع وعند العلماء ، كان تواضعه ينمو وحبه للفقراء وخدمتهم يزداد، ويجاهر انه يستفيد من زيارتهم اكثر مما يفيدهم.

وهذا التواضع الذي عاشه يريده لشركته باسرها ايضاً ، لعلمه ان الله يحارب المتكبرين ويولي المتواضعين نعمة . كتب سنة ١٨٥٣ من ايطاليا يصف لاصدقائه ازدهار فروع الجمعية هناك واختتم بقوله : « لكن مهما عظم نجاح الشركة يجب الا نتكبر. بل بالعكس يجب ان يحملنا ذلك على الاتضاع. ان عشب الحقل ، مهما امتد واتسع ، لا يتكبر ولا يعتبر انه صار سنديانة . ونحن مع ازدياد عددنا وازدهار عملنا ، لنبقَ على بساطتنا وضعتنا . ولا نقابل ذاتنا بالمؤسسات العظيمة التي انشاها الله في كنيسته » .

ويذهب الى ابعد من ذلك بكثير فيزعم مرارًا ومرارًا في رسائله « ان امراضه انما جاءت قصاصاً لخطاياه » .

وقد نعجب من هذا لدى علمنا مـا كانت عليه حياته من الطهر والبعد الشديد عن الخطيئة والسير الدائم في جانب الفضيلة والمحبة . وقد يخطر لنا ان في مثل هذه المزاعم شيئاً من التصنع او الرياء . والحقيقة ان مثل هـذا التعبير معروف عند كبار رجال الله . حين اسفهم على اهانة الله والتقصير في الواجب .

فالاسف الخطيئة لا يقاس فقط بفظاعتها وثقلها . بل يقاس ايضاً بدقـة ضمير مرتكبها . وكلما تعمق الانسان في معرفة الله عظمت في نظره شناعـة الخطيئة .— واذا اعلن قديس انه اعظم خاطئ ، فلا يعني ذلك انه احصى جميع الخطاة وسبر غور ضميرهم وقاس خطاياه بخطاياهم . ولكنه يؤمن مخلصاً انهم لو نالوا ما نال هو من نعم لما سقطوا مثل سقوطه .

واذا كنا نحن لا نشعر هذا الشعور ولا نستطيع تقديره ، فلأننا لا نزال اطفالاً في الايمان . قاصرين في المحبة ، لا نعرف ان نقيس عظمة الله وحقارتنا .

— ٥ —

وقد يستطيع الانسان ان يتضع ويخشع امـام الله الخالق الاعظم المالئ الكون بوجوده ورهبته وجلاله . ولكنّ التواضع الصحيح انما يبدو في الخضوع والاتضاع امام اشخاص هم في الظاهر ناس مثلنا ، وربما اعتبرناهم اقل منـا قدرًا . ولكنهم في الحقيقة يحملون سلطة الله لتسيير النـاس في سبيل الخير والصلاح والخلاص .— ذلك شأن السلطة الكنسية في العالم

وقد امتاز اوزنام طيلة حياته بالطاعة الوديعة للكنيسة وممثليها . والخضوع لتعليماتهم واوامرهم بكل حب وسرور .

فلم يرضَ قط ان ينشر مقـالاً او كتاباً الا بعد تثبّته من رضى السلطة الكنسية عنه .

وكان احترامه للكهنة والاساقفة ولكل ذي سلطة دينية بالغاً آخر الحدود .

وكان جل ما يرمي اليه ان يدافع عن اسم الكنيسة وتاريخها وآبائها . حتى لقد اعتبر ذلك دعوة خاصة به لا يستطيع ان يتهرب منها .

ومن اقواله في هذا المعنى :

– يجب ان يظل سلطان المسيح حيث وضعه المسيح : في يد الاساقفة .

– نحن ابناء الكنيسة قبل ان نكون ابناء السوريون . وليس في ذلك عضاضة . ولن اكون خائفاً ولا جباناً .

وحين زار البابا بيوس التاسع على اثر انتخابه كتب يقول :... ثم قبلت خاتمه . هذا الخاتم الذي وقع منذ ثمانية عشر قرناً ذلك العدد العظيم من الاعمال والآثار الخالدة .

وحين حرمت الكنيسة مؤلفات الاب لامنه . وحين حرمت كتاب جوسلين للامرتين ، وكانا من اعز اصحابه ، لم ينظر الى الامر نظرة بشرية انانية . بل وقف بجانب السلطة ، ونصح لصديقيه ان يتلافيا الشر الذي اتياه ، ولم يعد حديثه عنهما الا عاطفة رحمة واشفاق .

وهو امر يقتضي في العصر الفولتيري الذي عاش فيه قوة ارادة ، وصلابة عقيدة وشدة في الجرأة لا حد لها .

– ٦ –

ذكرت الجرأة . وهي في الواقع من اظهر مزايا هذا الرجل العظيم ، ومن اطيب ثمار ايمانه الحي العامل العاقل . وذلك رغم ما كان عليه من الحياء والخجل الشديد في طبعه .

انه اخذ على نفسه ان يحفظ الايمان والفضيلة في نفسه ، وان يعلن هذا الايمان مهما كلفه الامر وان يعيد ملك الفضيلة وسلطان المسيح الى نفوس معاصريه . فيجب الا يقف دون ذلك عائق من حياء بشري او تراجع امام الخصوم .

وليست جرأة اوزنام جرأة الرجل الضعيف الذي يغطي ضعفه بستار من الوقاحة القاسية النابية ، ولا جرأة المتكبر الذي تأبى عليه طباع السوء ان يقر بضعف او جهل او تقصير، كما تأبى ان يحتمل الى جانبه ذا مقام او معرفة او نفوذ .

وانما هي جرأة المؤمن الواثق من امتلاك الحقيقة ، السخي في توزيعها ، المتفاني في حبها حتى لا يرضى ان يرى في خدمتها « خائناً ولا جباناً » .

وهذه الجرأة مارسها كل حياته ، منذ اول شبيبته ، اذ انبرى على غضارة

عوده ، يفند آراء سان سيمون الاجتماعية ويبين ما فيها من شطط وسوء عاقبة. وكانت هذه البدعة تكاد تعم لولا ان قيض لها الله هـذا الشاب الطموح فوقف في وجهها .

وكثيرًا ما اسكت اترابه الشباب المفاخرين بكفرهم او فجورهم . بل وكثيرًا ما تعرض لمن هم اكبر منه سناً ومقاماً فافهمهم بوداعة وصلابة ان الانسان لا يجوز له المباهاة والمجاهرة بالحاد او تقصير .

اما معاركه في السوربون ، سواء تلميذًا او استاذًا . فقد كانت صفحة من صفحات الجهاد الجميل . وهو الذي تجرأ امام المئات من رفاقه ان يرد على الاستاذ جوفروى في تعاليمه الكفرية وان يناقشه الحساب في وسط محاضراته ؛ وان يجبره على الاقرار بالحق وتعليم الصواب ؛ وان يعلن عـلى مسمع جميع الحضور ان اتجاه الفكر في السوربون قد تغير منذ دخلها هذا الطالب العنيد في عقيدته .

وما كاد يستلم منبر التعليم حتى جعله منبر محاماة عن المبادئ الصحيحة ، وجهر بالايمان المسيحي المضطهد ، واقناع بان السلطة للوحي قبل ان تكون للعقل وانه ليس من تناقض بينهما .

وفي ذكر المواضيع التي اختارها لاطروحاته وتعليمه وكتبه اكبر دليل على ذلك . فهو لم يخشَ ان يتقدم لدى الجامعة باطروحة عن الفلسفة المسيحية في شعر دانتي ؛ ولم يخش ان يثبت ان القديس فرنسيس دي سال اعظم ذي فضل عـلى اللغة الافرنسية ؛ وان القديس توما الاكويني اصدق من مونتسكيو في احكامه الاجتماعية . وهكذا . ومن الغريب انه كان يسيطر على سامعيه ببلاغة واخلاص فائقين . حتى ان احد ممتحنيه في شهادة الدكتوراه هتف في وسط الجلسة بعد سماع محاضرته : « يا اوزنام ، لا يمكن ان يكون انسان ابلغ منك الآن ! ».

قيل له يوماً وهو داخل الى محاضرته ، ان بعض الطلاب كتبوا على باب مدرسته : « مدرسة صف اللاهوت » . فلما انهى محاضرته ختم بقوله : « ليس لي الشرف ان اكون لاهوتياً . ولكني افاخر باني مسيحي مؤمن واضع كل قوتي في خدمة ايماني ».

على ان الجرأة في اعلان ايمانه والمحاماة عن عقيدته لم تعنِ في نظره القسوة

في معاملة الخصوم والضالين بل كان من مذهب القديس فرنسيس دي سال في ان جرة من الخل لا تفعل في التقاط الهوام فعل نقطة من العسل .

وعلى هذا كان خلافه مع الكاتب الكاثوليكي الشهير لويس ڤليوت الذي كان مر اللسان قاسي القلم على الخارجين عن الدين . ولذا اتهم اوزنام بموالاة اعداء الكنيسة والتسامح معهم . وقد اعلنت السلطة في ما بعد واقر الواقع ان الحق كان بجانب اوزنام .

كما ان غيرته وجرأته لم تكن تعصباً ذميماً ورجعية تضيق بكل فكر جديد . فقد كان في مقدمة من يقبل الافكار التقدمية الصحيحة والدعوة الى الحرية التي تتفق مع الانجيل . وما اكثر الحريات التي تتفق مع الانجيل . بل التي تنبثق من تعاليمه كما ينبثق الماء الصافي من الينبوع الغني السخي .

وقد صدقت شهادة لا كوردير بانه كان من العدد القليل من كتّاب الكاثوليك في تلك الحقبة الذين ظلوا موثوقاً بصدق عقيدتهم حتى النهاية وكانوا مجداً للكنيسة .

— ٧ —

شُهر اوزنام باعمال الرحمة والمحبة المسيحية وبتأسيس شركة القديس منصور دي پول وسهره مدى حياته على تقدمها وتوسعها ، اكثر مما شهر بسائر فضائله وصفاته واعماله . ولا عجب وهو القائل — من بين الكثير من اقواله — : « وددت لو طوقت الدنيا باسرها بشبكة من اعمال المحبة » .

والكلام على ذلك المظهر من حياته يستغرق من الصفحات اكثر مما يسمح المقام الآن . وانما نذكر هنا كلمة واحدة من كلماته تريننا ان عمل الخير لم يكن في نظره الا نتيجة من نتائج ذلك الايمان العظيم الذي كان يغمر قلبه المسيحي الكبير ؛ وان كل مؤسسة اجتماعية او خيرية تظل ضئيلة في هدفها ووسائلها ازاء «شركة» اوزنام التي تضع الفقير الى جانب الغني في كفة موازية لانه مثله ابن لله الآب موزع الخير والصلاح .

قال في احدى رسائله : « هدفنا الرئيسي لم يكن مساعدة الفقير فقط . لا . لم يكن ذلك سوى واسطة . هدفنا الرئيسي كان حفظ ذاتنا ثابتين في الايمان الكاثوليكي ونشره لدى القريب بواسطة اعمال المحبة » .

- ٨ -

منذ مطلع الشباب – كان اذ ذاك في السابعة عشر من عمره ! – وضع اوزنام منهاج العمل الذي قرر ان يتبعه في حياتــه للدفاع عن الايمان المسيحي واعادته سليماً الى نفوس ابناء عصره .

وليس يهمنا ان يكون استطاع تحقيق ذلك المنهاج بكامله او في بعضه. واقل ما يمكن ان يقال فيه ان تنفيذه يقتضي جهود عشرات وعشرات من الاشخاص المجاهدين المتفانين اذا عملوا فيه حياة كاملة . فكيف به وهو فرد لم يعش نصف عمره !.

الذي يهمنا ان ارادة هذا الرجل الجبار ومقاصده السامية لم تكن مجرد رغبات نظرية باطلة . وانما كانت ارادة مدركة فعالة تعرف القصد وتمضي اليه دون تلكؤ مهما كلف من تعب . وقد عملت منه رجل عمل قلما عُرف مثله . اذ في نظره «لا يحق للمسيحي ايا كان ان يقضي حياته في الراحة بطالاً يداه في جيوبه لا يعمل شيئاً في سبيل دينــه وعقيدته ، بينما يرى الجنود يموتون في الخنادق في سبيل الوطن ، والمرسلين يعانون الذل والشقاء في البلاد النائية في سبيل الحضارة . »

ومن اقواله الجديرة بتأمل ابناء عصرنا : « يجب على الكاثوليك الا يضيعوا الوقت في التباغض والتناحر في سبيل جزئيات ومسائل تقبل الجدل ولا يضر في جوهرها خلاف ظاهري » .

وقد عمل وجد وجاهد . ولم ينل النجاح الذي ناله الا بالتعب والنشاط . كان يقضي يومه . واصلاً الليل بالنهار في تهيئة دروسه وكتابة مقالاته وترجيه رفاقه وتلامذته. حتى هدم صحته في سنوات قليلة. ولو انه احب ان يعيش عمراً طويلاً في الراحة والرفاهية لما مات في الاربعين ، والكنيسة في اشد الحاجة الى امثاله .

ولكن لا بأس . ان حبة الحنطة ان لم تمت بقيت وحدها . ولكنها ان هي ماتت تبعث حياة الخصب وتعطي بدل الواحد ثلاثين وستين ومئة .

٨

- ٩ -

على ان الله تعالى مصدر كل عدل وينبوع كل محبة . لم يترك ذاك الايمان العامل والمحبة العميقة والجهاد الخاص في خدمته ، دون مكافأة وتعزية حتى على هذه الارض .

ففي المجتمع نال اوزنام ببلاغته السامية واخلاصه التام نجاحاً علمياً وتقديراً لدى زملائه وتلامذته فوق ما كان يظن ويرجو هو نفسه . فكانت دروسه ومحاضراته احب شيء الى قلوبهم يقبلون عليها اقبالاً منقطع النظير ويقاطعونها بالتصفيق مرات ومرات . معجبين بمتانة خلق صاحبها ورسوخ عقيدته وغزارة علمه . ولم يكونوا يغضبون لتغيب استاذ او تخلفه عن الصف غير الاستاذ اوزنام حين يضطره ثقل المرض الى التخلف . حتى لقد اضطر مرة ان يقوم من فراشه ويجيء الى الصف مستنداً الى اكتاف اصحابه ليلبي رغبة الطلاب . فبلغ في تلك المحاضرة اسمى درجات البلاغة والحماسة . وكانت آخر دروسه .

ومكافأة اخرى اثمن من التصفيق والنجاح الدنيوي . بل اثمن من النجاح المعنوي في خدمة الدين وعمل المحبة . عنيت ذلك السلام الذي نعم به طول حياته . سلام وطمأنينة في عيلته ؛ سلام وطمأنينة مع الناس ؛ سلام وطمأنينة في حياته الداخلية . وفي الحق ، من الذي يستطيع ان يكون عنده ايمان مثل ايمانه واستسلام بين يدي العناية الالهية مثل استسلامه ومحبة مثل محبته ، ولا يكون السلام منتشراً في كل جوانب نفسه ؟ وكان هذا السلام ينمو عنده كلما تقدم في السن حتى بلغ الذروة العليا في ايامه الاخيرة. فقد احتمل اوجاعه وانتظر موته بهدوء ورضى يكاد يشبه الغبطة . وقد اجاب يوماً بهذه الكلمة البديعة الرفيعة على سذاجتها . وكان بعض ذويه يشجعه الا يخاف من عدل الله ورحمته : « كيف اخافه وقد طال ما احببته ! » .

o

اما المكافأة الصحيحة الجديرة بجهاده والتي منحه الله اياها في عالم الراحة والحق والنور بعد انطلاق نفسه من رباط الجسد ، فذلك سر من اسرار رحمته وحبه الالهيين . والكنيسة ما تزال تصلي ليظهر الله للناس ، متى رأى موافقاً ، سر حياة هذا الرجل البار ويسمح باعلان قداسته .

- ١٠ -

اذا كانت شبيبة عصرنا وبلادنا في حاجة الى فضيلة من الفضائل فذا حاجتها الى مثل ايمان اوزنام العميق المثمر . واذا كانت تشعر بالفراغ يعض حياتها ويدفعها الى السأم والقلق والخمول فلانها اهملت الرجوع الى المثل العليا التي تجيء من فوق وتجيء معها بالنور الذي يري الحقيقة ناصعة ويحيل الشك ايماناً والملال رسوخاً ، والقوة التي لا تستريح الا في النشاط ولا تعمل الا في الفلاح ، والمحبة التي تسر بالتضحية والبذل ، بعيداً عن اللذة الرخيصة والغبطة الكاذبة والفرح العابر السريع التارك وراءه سيلاً من الاسئلة التي لا تجد جوابها الا في محبة الله والاقبال على عبادته وقدرته :

ولعلّ مثال اوزنام – وما اقرب ايامنا من ايامه ! – يكون لهذه الشبيبة المثال الحافز والداعي المجاب والمصباح الذي لا يذهب ضياؤه سدى .

بيروت ٦ كانون الاول ١٩٥٣

اخبار العالم

اخبار دينية

روما : يوم السبت التاسع والعشرين من شهر ايار المقبل تُقام في روما في ساحة القديس بطرس حفلة اعلان قداسة البابا الطوباوي بيوس العاشر . هذا ما اعلنه مجمع الطقوس بعد ان وافق عليه الحبر الاعظم

ثم في غداة ذلك اليوم يقدمّ احد الكرادلة للمرة الاولى الذبيحة الالهية اكراماً لهذا القديس الجديد في كنيسة القديس بطرس بحضور قداسة البابا

* في اواخر شباط بدأ مجمع الطقوس البحث في قضية تطويب الاب شربل مخلوف المولود في بقاع كفرا سنة ١٨١٨ والمتوفي سنة ١٨٩٨ وهو مدفون في محبسة مار بطرس وبولس في عنايا .

فرنسا – مشكلة الكهنة العمال : اجتمع اساقفة فرنسا في اليوم الخامس والعشرين من كانون الثاني للنظر في امر الكهنة العمال فحددوا موقف الكنيسة فيه واعلنوه رسمياً في نقاط اساسية خمس وهي :

اولاً : ان الاساقفة مصممون على تخصيص كهنة باعمال الرسالة الكهنوتية في اوساط العمال بالتعاون مع كهنة الرعية والعلمانيين المجاهدين

ثانياً : ان التجربة التي قام بها الكهنة العمال لا يمكن ان تدوم على حالتها الحاضرة

ثالثاً : تطلب الكنيسة من الكهنة الذين تخصصهم بالاوساط العاملة ان لا يشتغلوا من الان فصاعداً الا وقتاً محدداً وان لا يتعاقدوا مع اصحاب العمل الا زمن محدد

رابعاً : سبب تحديد وقت العمل هو الضرورة التي تفرض على الكهنة تتميم واجبات الصلاة والرسالة وهي واجبات تقيدوا بها عند قبولهم الكهنوت

خامساً : يطلب الاساقفة من الاكليروس وسائر المؤمنين ان يصلوا لاجل الكهنة العمال

فيتضح مما سبق بانه منذ الان ليس بعد في فرنسا كهنة عمال لكن كهنة رسالة العمال .

الهند وحرية الاديان : كان الدكتور كاتجو وزير داخلية الحكومة المركزية في الاتحاد الهندي قد اعلن في خطاب له متكلماً عن المرسلين بانه : اذا كانت غايتهم بمجيئهم الى الهند الاصباب على التبشير بالانجيل فالافضل ان يكفّوا عن ذلك باقرب وقت . هذا الكلام اقلق اذ ذاك المرسلين وحمل الهندوسيين – المطالبين لبلادهم بما يسمونه « رم رج » – اي دولة هندية بحتة – على الظن بان الوزير بمجاهرته هذه قد اعلن استعداده لمساعدتهم على اتمام نواياهم .

ثم حدث بعد ذلك ان مسيحيين من المنبوذين في مدينة كسورا اضحوا عرضة لاضطهاد

حقيقي من قبل اصحاب العمل وسم الوزير حمر هذا الاضطهاد ناظهر حينئذ استياءه من هذه المعاملات الجائرة وارسل كتاباً الى جمعية دلهي المسيحية يؤكد فيه حق كل وطني هندي بالتمسك بالديانة التي اختارها وبممارستها ونشرها بحرية تامة فاذا حدث ان شخصاً ما او جماعة او منظمة تعدى على اي كان بقصد اجباره على التخلي عن ديانته واعتناق دين آخر كان عمله هذا ذنباً وجريمة . وزاد على ذلك قائلاً : لقد بلغني ان قوماً من المنبوذين في قرى عديدة قد اعتنقوا الدين المسيحي فاني لا اعتبر ذلك الا امراً يخصهم هم وحدهم وليس لاحد الحق بالتدخل في حياتهم الشخصية او باجبارهم على تغيير دينهم .

ايطاليا – دمعان صورة العذراء في سيراكوز : بخصوص هذا الحادث العجيب هوذا اعلان اساقفة صقلية الرسمي : في شهر كانون الاول عقد اساقفة صقلية اجتماعهم السنوي في بنيرية (بالرمو) فاطلعوا على البحث الكامل الذي قدمه السيد ايتوري باراتزيني رئيس اساقفة سيراكوز في حادث دمعان صورة قلب مريم الطاهر في مدينة سيراكوز بتاريخ ٢٩ و٣٠ و٣١ آب واليوم الاول من ايلول من هذه السنة (١٩٥٣) . وقد فحصوا بكل اهتمام ما جاء في هذا البحث من شهادات ومن اثباتات اصلية فاجمعوا على ان حادث الدمعان صحيح لا يُشك فيه وهم يحبذون فكرة الاسراع الى تشييد معبد للذكرى .

اخبار عالمية

مؤتمر برلين : دام المؤتمر من ٢٥ كانون الثاني الى ١٨ شباط وقد ضمّ وزراء خارجية الولايات المتحدة الاميركية وفرنسا وبريطانيا العظمى واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وهم السادة : فوستر دالس وجورج بيدو وانطوني ايدن وفياتشيلاف مولوتوف.

كانت غاية المؤتمر الجوهرية حلّ قضيتين اساسيتين : الاولى توحيد المانيا باجراء انتخابات نيابية حرة لتوقيع معاهدة الصلح معها – الثانية توقيع معاهدة الصلح مع النمسا .

وقد خاب تماماً امل كل من كان له امل في نجاح هذا المؤتمر . ولا عجب في ذلك فغايات الشرق السوفياتي والاتحاد الغربي مختلفة ومنافعها متناقضة . فان روسيا السوفياتية تظهر مصممة على التمسك بنفوذها وسيطرتها الشيوعية على المانيا وضمّها اليها كباقي الدول الصغيرة التي تجاورها كبولونيا مثلاً . وهي تخاف من وجود دولة المانية موحدة مستقلة ومن امكان اتفاقها مع الغرب ضدها . اما الغربيون فقد يكونون اتوا الى هذا المؤتمر ارضاء للرأي العام وليظهروا للعالم بان روسيا هي وحدها المسؤولة عن حالة اوروبا الشاذة وهم لا يتوقعون من اجتماعاتهم نتيجة عملية حلية .

فرنسا : لم يتوصل البرلمان الفرنسي الا بعد ثلاث عشرة دورة الى انتخاب الرئيس الجديد للجمهورية وهو السيد رينه كوتي احد اعضاء مجلس الاعيان . وقد تمّ هذا الانتخاب في ٢٣ كانون الاول . حاز المنتخب سبعة وسبعين صوتاً واربعة وهي الاغلبية المطلقة ، وقوبل انتخابه برضى شامل ، وهو الرئيس الثاني للجمهورية الفرنسية الرابعة .

السودان – انتخابات المجلس التأسيسي : جرت هذه الانتخابات في مدة كانون الاول

من السنة المصرية حسب الاتفاق المعقود بين انكلترا ومصر، وقد فاز فيها حزب الاتحاديين ٤٤ كرسياً وحزب الامة ٢١ والمستقلون ١٤ واحزاب اخرى ١٢ .

هذه ملاحظات جريدة « لندن تيمس » الانكليزية بتاريخ ٤ كانون الاول في هذا الانتخاب : ان نجاح حزب الاتحاد يمكنه من تشكيل حكومة لا عبر . فان اسبابه ليس الا مساعدة فيئة الخاطمية لهذا الحزب بغاية توصلها الى تسلم زمام الحكم لمقاومة العيلة المهدية المعادية لها والتي عاهدت حزب الامة . لذلك فتفاق الفيئة الخاطمية مع حزب الاتحاد لا يدل قط على انها متفقة معه على الانضمام الى مصر ، والى الآن لم يبدُ منها ما يدلّ على انها تريد الاتحاد مع مصر على اي شكل كان خصوصاً لان المتحزبين لها اعلنوا في فرصة الانتخاب رغبتهم في التوصل الى الاستقلال التام .

بقي اذن للمجلس الجديد مهمة تحديد الحكم الذي يريده للبلاد من استقلال او اتحاد حسبما قررت ذلك المعاهدة المصرية الانكليزية في شباط سنة ١٩٥٣ .

سوريا : في ليلة ٢٥ من شباط الجاري اضطر الزعيم الشيشكلي الى تقديم استقالته من الرئاسة الاولى عقب ثورة الجيش عليه في حلب وحمص وحماه واللاذقية وحوران ودير الزور ولم يلبث ان غادر سوريا الى لبنان مع عدد من الضباط السوريين وعقب الاستقالة اجتمع قواد المناطق الثائرة وعينوا السيد هاشم الاتاسي رئيساً شرعياً للدولة .

مصر : كان اللواء نجيب منذ زمن على اختلاف دائم مع اعضاء مجلس الثورة خصوصاً بعد اتخاذهم مقررات خطيرة منها تقديم زعماء مصر السياسيين الى محكمة الثورة وحل جماعة الاخوان المسلمين فانه كان يلح في مطالبة سلطات مطلقة واسعة ضماناً لحياته ومستقبله . فلما رفضت عليه عزم على اعتزال السياسة وكان قد قدم استقالته منذ ثلاثة ايام ولكنها لم تعلن رسمياً الا في الخامس والعشرين من الشهر . وعهد مجلس الثورة برئاسة الوزارة الى البكباشي عبدالناصر وبقي منصب رئاسة الجمهورية شاغراً الى ان ينتخب صاحبها حسب القوانين الموضوعة

=

تنبيه هام :

عقدت جمعية جرس «Görresgesellschaft» — التي تهتم بتنشيط الابحاث والتنقيبات العلمية في المانية — من الثاني الى الخامس من تشرين الاول سنة ١٩٥٣ اجتماعاً في مونستر (وستفاليا) قررت فيه مواصلة سيرها واسترجاع نشاطها العلمي في المعهد الشرقي في اورشليم في مركزها الخاص « اوسبيس القديس بولس » وعزمت على ان ترسل في السنة ١٩٥٤ واحداً من أعضائها الى اورشليم ليهتم بدروس جديدة في حقل الآداب المسيحية الشرقية .

وقد ضمت اليها الجمعية منذ سنتين فرعاً جديداً لدراسة الشرق المسيحي .

مطبوعات شرقية

Joseph Schacht : *Esquisse d'une histoire du droit musulman — traduit de l'anglais par Jeanne et Félix Arin 1952. — Librairie orientale et américaine. Paris.*

لقد قام الاستاذ شاخت ، وهو من اشهر المستشرقين العصريين ، بدراسة مسئلة من ادق المسائل واغمضها في تاريخ الشرع الاسلامي وهي بيان نشأته وكيفية تكوينه في طوره الاول . ولئن تعددت الكتابات في صدد هذه المسألة فلا يظهر لنا انه قد جيء حتى الآن وبصورة شاملة بآراء سديدة ومبتكرة مستقاة من الاصول التاريخية نفسها كما هي حال هذه الدراسة الجديدة.

ومن ابرز مميزاتها انها اوضحت كيفية تكوين العناصر الاولى لهذا النظام القانوني الذي عرف من ثم باسم الفقه او الشرع هذه العناصر المستمدة من النظم القانونية التي كان معمولاً بها في البلاد التي استقر فيها الاسلام وانتشر ، وان هذه العناصر لم تندمج في بعضها البعض لتؤلف مجموعة متماسكة وموحدة الا في طور لاحق حيث تأثرت بالتأثيرات الدينية الاسلامية واتخذت بالتالي طابعاً دينيًا ظاهرًا .

واوضح الاستاذ شاخت ان الاصول الرئيسية للشرع الاسلامي كانت نتيجة عمل واجتهاد استمر طيلة العهد الاموي . فيقول المؤلف ان « الدولة الاموية بعد فترة اضطرابات الخلافة في المدنية قد عملت ، من نواحٍ عدة ، على تنمية امكانيات كانت من طبيعة الملة على عهد النبي . فعلى هذا الاساس بني الشرع الاسلامي» (ص ٢٠) . ولقد كان اصطباغ الشرع — وهو في دور تكوينه — بالصبغة الاسلامية من صنع الفقهاء ولاسيما القضاة منهم وهم الرجال المتدينون الذين اشبعوا الشرع من الافكار الدينية والادبية واخضعوه لقواعد الاسلام (ص ٢٣) : « فمن الوجهة التاريخية ان الشرع الاسلامي لم ينشأ مباشرة من نصوص القرآن انما كان مبدأ نموه مرتكزًا على عادات واصول متبعة كانت في كثير من الاحيان مخالفة لروح الكتاب او لنصوصه . نعم ان بعضاً من النظم وبالاخص فيما يتعلق بالعائلة والميراث وباصول ممارسة الدين كانت منذ

البدء مستقاة من القرآن . ولكن ما عدا هذه القواعد الاولية ان الاصول المستمدة من القرآن قد ادخلت في الشرع في طور لاحق » (ص ٢٥ — ٢٦) .

وثمة ايضاحات قيمة لما يسمونه « غلق باب الاجتهاد » (ص ٦٥) لمعنى الاجماع (ص ٢٧) كما ان هناك عرضاً واضحاً جامعاً لعمل الفقهاء في عهود تطور الشرع على مر العصور . واشار ايضاً المؤلف الى « المجهود الذي ظل بدون طائل » الاعتراف للسلطة بصلاحية سن القوانين في السنين الاولى من العصر العباسي (ص ٤٩) .

وفي القسم الاخير من كتابه بيّن المؤلف ما آل اليه الشرع الاسلامي عندما اعترضته مقتضيات الحياة الحديثة ودخل تحت تأثير عوامل الافكار والقوانين الغربية كما انه اشار الى الجهود الكبيرة التي اتت بها الحكومات والمشرعون لمماشاة هذه الظروف الجديدة ، هذه الجهود التي كان من نتيجتها في كثير من الاحوال ان تعدلت بعض من الاصول القديمة تعديلاً كلياً تحت ستار خارجي من المحافظة على التقاليد الغابرة .

اميل تيان

منير وهيبة

التسلط على الذات

مكتبة صادر بيروت سنة ١٩٥٣ ، ص ١٦٣ قطع متوسط

لقد اودع الكاتب مؤلفه كثيراً من آرائه حول دراسة الارادة وما ينتابها من علل وحول شتى العلاجات لشفائها بلغة صريحة واضحة .

واذا اوضح هذا الكتاب امراً فانه يوضح مبلغ تضلّع الكاتب الذي استطاع ان ينتقل بنا كأننا في نزهة تستطاب عبر المسائل النفسانية المعقدة ، فهو لم يستنكف عن ابداء وجهة نظره بلغة سهلة جلية كلما رأى به حاجة الى ابدائها، ولئن كان على اطلاع بآخر النتائج التي بلغها علم النفس التجريبي فقد دلّ على روحية لا مندوحة عنها في هذا الصدد .

ولقد خشينا ان يغيب عن انظارنا الانسان الذي تدرسه لنعامله كأنه حيوان قد أعدّ للتشريح .

وما كان اشدنا رغبة في ان نرى من وقت الى آخر اصدار حكم منبثق من الفلسفة الروحية الصحيحة على نظريات فرويد وجانـه ويونغ ، واننا لنقع على هذا الحكم المستند الى الفلسفة الروحية ونجده في جميع الكتاب عندما يعرضه الكاتب علينا بحسب طريقته في النظر الى الامور .

وعلى كل لا مندوحة لمن يريد السير الجد الامام في معرفة نفسه عن قراءة فصوله الثانية والاطلاع عليها . ا . ع . خ .

الحديث المقتضب في ترجمة اكبر زعيم لبلاد الذهب

بقلم حبيب السيوفي

المطبعة البولسية ، لبنان ١٩٥٢ ، ١٣٦ ص قطع متوسط

انه تاريخ فقط قد دوّنه شاهد قضى سنوات عدة في المكان الذي يؤرخ له نوصف بدون تكلف تقلبات نضالٍ لم يكن من دون مجد .

واننا لنلمس في كل سطر من سطوره اعجاباً لا بل كَلَفاً ببطله .

ولقد كان يسرنا ان لا يطغى من وقت الى آخر هذا الكلف على الحقيقة التاريخية . ا . ع . خ .

الاخوات الحزينات

بقلم نجاتي صدقي

دار المعارف بمصر ١٩٥٣ ، ١٢٦ ص قطع متوسط

هو كتاب من مجموعة ثاني عشرة قصة تتفاوت في طولها وقصرها تفاوتها في اتقانها . بيد ان هذه القصص تتسم ببساطتها وواقعيتها لان الكاتب اراد ان يقول الواقع كما هو . اجل انها قصص موضوعها الحب وفيها من الامور النفسانية ما لا بأس به : حماسة في البدء وانقشاع غشاء الوهم في النهاية من دون ان يتوسطها امر مميز في كآبة العزلة . بلهَ لم يشأ الكاتب اللجوء الى ذرائع الالهة الكبرى وانما رأى الحياة الحرة بذاتها او اذا رغبنا في القول انها مدعاة الى الشفقة . ا . ع . خ .

Wolfgang Lentz : *Iran*, 1952 Heidelberg 1952. 18 pp. Kurt Vowinckel Verlag.

هو كتيب صغير يتضمن معلومات كثيرة قيمة علمية حسنة التنسيق ، قد تناول في بحثه قضية البترول التي شغلت العالم في الايام الاخيرة في غضون النزاع الذي نشب بين انكلترة وايران .

ويجد القارئ في هذا الكتيب تفاصيل دقيقة حول اقتصاديات ايران وتطور سياستها التاريخي .

وليس من تحيّز في ما بسطه هذا الكتيب من اقوال واضحة وقد ذيّله المؤلف بخرائط جغرافية صغيرة تخوّل القارئ متابعة تطور فكرته .

J. Renié, s.m. : *Les Origines de l'humanité d'après la Bible, mythe ou histoire ?* — E, Vitte, éditeur, Lyon, Paris 1950, 158 pp.

لقد افرغ المؤلف معلوماته الغزيرة في قالب يتميّز بميزات مصنفاته كلها ولاسيما مصنفه على الكتاب المقدس . فهو كتاب واضح الديباجة رصين وغزير المادة حديد النقد .

ولقد بلغت جرأة صاحبه الى ان يقرّر احياناً موقفه حيال حركة فكرية برمّتها . امّا الجدير ايضاحه في هذا الشأن فدأب المؤلف في التنقيب عن المعنى الروحي في العهد القديم وبخاصّة في الاحد عشر سفر الاوليْن التي تشكل على القارئ وتفسح المجال لعلامات استفهام عدة .

وردّد المؤلف في كتابه بسلسلة من المحاضرات بشكلها البسيط ولغتها المحكية ما اثير من المسائل وتوصّل تقريباً في جميع حلوله الى الحل المألوف المقول عادة به اليوم . اما اذا كان هناك مجال يسمح له بان يختار رأياً من بين الآراء فقد اكتفى بالالماع اليه من دون ان يتخذ له موقفاً خاصاً . اما فيما يتعلق بوحدة اجناس البشر وتعدد اصل اجناسهم فلم يتحفنا المؤلف بجديد . واذا ذكر علوماً عديدة اجمعت على القول بوحدة اصل البشر ، هذه الوحدة التي نصب نفسه مدافعاً عنها والتي توضّحت بعد براءة قداسة الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر (*Humani Generis*) دعائم موقف الخصم اذ انه ليس الا فرضاً محضاً .

وانا لنطوي هذا المصنف وفي النفس حسرة . ا . ع . خ .

M. ELIZABETH CROUSE : *Les Grands Thèmes de la Bible.* Edition Fischbacher, 33, rue de Seine, Paris, 1951, 411 pp.

يسعنا ان نتلخص من مقدمة الكتاب المعلومات التالية حول حياة المؤلفة وعلى اصل الكتاب . فاري اليزابت « Mary Elizabeth » قد رأت النور في فيلادلفيا من اعمال الولايات المتحدة الاميركية من اسرة تنتمي بفرعيها من جهتي الاب والام الى فئة المتوديست « Méthodiste » الشديدة التنطّس . . . فقد اجتذبها دائمًا كل ما يتصل بالتوراة بصرف النظر عن كل معتقد ، ففي عام ١٩٤٠ اصدرت كتاباً في انكلترا بعنوان :

« The Making of the Book : The Story behind the Bible »

وقد رسمت تاريخ تكوين التوراة وبخاصة العهد القديم . اما ترجمته الفرنسية التي شرعت بها السيدة ربول « Madame Reboul » فتوقفت فجأة عن ان تتم عقب جلاء الفرنسيين ووفاة هذه الاخيرة . ففضلت الانسة كروز « Crouse » بدلًا من انجاز الترجمة ان تضع كتاباً جديدًا بالفرنسية «مباحث التوراة الكبرى» استمدّته من مؤلفها السابق ولكن بشكل جديد .

وهذه هي اقسامه الثلاثة الكبرى التي اعلنت المؤلفة عنها في المقدمة (ص ٢٩) « يبسط القسم الاول من كتابنا وفقًا لمجرى الازمنة دراسة تاريخ التوراة ويجمل كل بحث ناجم عنها في موضعه ويبيّن كيفية تطوّر الفكرة التي اوجدتها الاحداث . ومن ثم نرى هذه المباحث قد استحكمت حلقاتها في كتابنا على شاكلة ما هي عليه في العهد الجديد لتتكرر بتغييرات واصداء لا نهاية لها حتى يطّرد سياق تماسكها « بانسجام » الى ان تصل الينا . وتطيف فلسفة المسيح في كل شيء» .

وتصارى الكلام ان المباحث الالهية تجتمع حول المسيح وحول ما يتراءى من خلال تاريخ التوراة . ! !

الجزء الاول : « العهد القديم وميثاق الشريعة والتاريخ الخفي » يحاول ان يرسم مجددًا مرمى التاريخ ، تاريخ الاحداث وتاريخ الافكار وهو اعادة الكتاب الاول . « The Making of the Book » .

وتجهد المؤلفة جهدها لتضع مختلف كتابات التوراة في بيئتها التاريخية .

وليس حتى من ذلك عملا ولكن لا مندوحة لنا عن ان نضيف قائلين ان هذا التوسع المسهب المتعلق بالماضي (والملحوظة المسهبة على مخطوطات صحراء يهوذا المكتشفة حديثاً) يكاد ينصرف بنا الى التحول عن الموضوع وذلك لكي لا تقول شيئاً عن الافتراضات لتخمين الماضي كما كان . فالقارئ بعد ان يتصفح ال ١٩١ صفحة (وهي زهاء نصف الكتاب) يوشك على نسيان البحوث المختلفة المشار اليها هنا وهناك . اما مبحث المسيح وهو مركز القطب فكان من الافضل الاستزادة بإيضاحه .

ففي اثناء مطالعتنا للصفحة ١٩٥ نقع على ما يلي « ما اكثر المرآت التي سُرَّ بها بالمسيح — الطفل الموعود به الذي كان عليه ان يحكم اسرائيل والعالم برمته — الملك المتحدّر من نسل داود » اجل ليس باصح من هذا القول بيد اننا لم نشهده واضحاً كل الوضوح في الصفحات السابقة مع ان مجال الكلام كان متسعاً حول توسيع القول حول رجاء مجيء المسيح الخاص في العهد القديم وبخاصة لدى الانبياء . فهذا البحث في التوراة هو من المباحث الاساسية وعظيم الاهمية اكثر من التمييز بين الحرفية والروح في السياق النبوي (اشعيا وحزقيال) هذا التمييز الذي اهتمت له المؤلفة . واننا لنخشى ان تكون ثقافتها في التوراة « بصرف النظر عن كل الاديان » قد اثرت على احكامها في هذا الباب كما في الكثير في غيره التي عالجتها في كتابها فانها لتتطلب ايضاحاً اشد تفصيلا وتعمقاً في مناقشتها .

والقسم الثاني : « العهد الجديد وميثاق المحبة والمباحث في حلولها » يفرط افراطاً اعظم في ترك وجهة النظر التاريخية في موضعها اي في المرمى الثانوي وربما في ما خلا الصفحات الخمسين المخصصة بالقديس بولس ، اذ ترى المؤلفة نفسها انها اشد ارتياحاً لتوسيع موضوعها ، مباحث التوراة : مبحث التجربة (تجربة يسوع في البرية هذه التجربة التي اختارتها المؤلفة لتعير كل همتها ولتستنبط منها الاهمية كل الاهمية) ومبحث الملكوت (المفهومين الارضي والروحي) ومبحث الذبيحة والخلاص . . . واننا لواجدون في هذه المباحث لوحات رائعة قد أحكمت الاحكام كل الاحكام (كوصف تجربة يسوع ص ٢٠٣ — ٢٠٦) ومقارنات مبتكرة كما هي بين « الشوك الذي يرمز

الى اللعنة التي جلبها ادم على نفسه مثلًا (تكوين. ف ٣ ، ١٧ - ١٩)
وبين اكليل الشوك الذي وُضع على رأس يسوع في اثناء آلامه (ص ٢١٧)
ويسمنا القسم الثالث « اصداء هذه المباحث نفسها التي لا نهاية لها » وهي « لا تزال مدوية بعذوبة يعجز دونها الوصف عبر الاجيال — حتى الان » (ص ٣٠٠).

وفي مثل هذا المقام باستطاعتنا تقدير مواهب المؤلفة الشعرية اكثر من تقديرنا لها في القسم الثاني.

وهاك خلاصة الفصل ذي العنوان « الكأس المقدسة »: « لقد كانت ذبيحة يسوع الثمن الذي دفعته — عبارة محبة الله الاخيرة بنفسها — لتخليص الانسانية المحبوبة. ولقد انقطعت الذبيحة عن ان تكون ذبيحة مذ اوتيت الظفر فاشرقت حقاً الكأس المعدّة للشرب وهي تشع بعذوبة المحبة . . . كالازهار المشرئبة نحو الشمس تفتح كمّها بحركة هي الصلاة لتسترد نورًا فكذلك الانسان المطهّر، الانسان مع المسيح وهو الذي اجتذبته المحبة، فيرفع كأس قلبه ليفوز بهالة جمال هذه المحبة في جميع كمالها » (ص ٣٠٢ — ٣٠٤).

« ان فلسفة المسيح تطيف في هذا الكتاب» الذي يقوم غرضه الرئيسي على تحليل فلسفي وجيز عصري لشعر الكتاب المقدس العميق (المقدمة ص ٢٧).

ومن المستحيل تلخيص فكرة المؤلفة هنا خشية ان نشوّهها فلذلك نفضّل ان ندع للقارئ امر الحكم بشأنها.

وان نقطة الانطلاق اولًا هي «الحلم الآدمي». ومن ثم ملحوظة تنبّهنا الى انّ رواية ادم التقليدية تختص بعهد الاساطير حيث لم يكن الزمن موجودًا وحيث كان العالم في طفولته ليتخذ عن طريق الحدس انطباعاته ويعرب عنها بروايات كاقاصيص الغيلان — اما في روايات العبرانيين البدائية هذه فنقدم حقيقة — مستورة احيانًا — هي اعمق من الوقائع واحق منها » . ولقد اردفت المؤلفة تقول : « لقد نام ادم واننا نتبع الحلم فانه لم يُقل ان الرجل قد استيقظ.

وفي حالة الحلم هذه التي اصبحت الحياة الانسانية فان خطيئة ادم — التي تشتمل على كل خطيئة — هي المعصية والاعتقاد انه بمقدوره ان يكون شيئًا اخر غير انعكاس الخير المطلق الوحيد والمطلق . وبعد ان اصغى الى الها.

الحية وهذا هو الضلال الاول — توهم انَّ ثمت سلطة اخرى اعتقد هـذا الانسان انه واجدها تحت اسم الشر . . . ويبدو ان احساسه المادي قد جعل احساسه الروحي قاتماً . حتى لما رأى نفسه ككائن مادي وجد ذاته عارياً من الحقيقة الواقية وجرّداً من ثوب عفافه الناصع النيّر فشعر بعريه وتلاشيه وعدمه فاعتراه الخوف بهذا الشعور الكاذب بنفسه .

وعندما اعتقد انه حرّ اي منفصل عن الله حاول الاختباء من وجه الاله (ص ١١)

واهاب به هذا الشعور الكاذب الى الاعتقاد «ان حياة الكائنات الفردية لا تقوى على الاستمرار ما لم تأخذ شيئاً من حياة غيرها - فكان في هذا المقام مصدر اقتناص الفريسة والتنازع على البقاء على نفقة الغير ، هذه هي شريعة الغاب،وهي غير الشريعة الاخلاقية،وانها ستستمر في مواصلة الكفاح الاناني المادي في سبيل احرازها الظفر الى التقاطع العظيم ونهش الامم بعضها لبعض . . .ونحن ما برحنا نعيش في العصر الآدمي على الارض ، انه لعهد سيطرة القوة (ص١٣) .

ولقد استمددنا هذه الفقرات من مبحث ادم الذي يفتتح القسم الاول من كتابه الانسة كروز . ويفيدنا القسم الثاني ان مهمة المسيح تقوم حقيقة على انقاذ هذا الشعور الكاذب « بايقاظه من حلمه » فالمسيح الابدي « الصورة المرسومة » الانساني الكامل في الفصل الاول من التوراة هو السواء الدائم « الممدّ من ذي قبل» ضد ادم والمفهوم الخاطئ والتقاطع والانشقاق والانقسام .

ولقد كان من اللازم ان هذا المسيح الاولي وهو فكرة البنوة والانبثاق الاول من الله يتشكل انسان كامل يقاوم كل تجارب حلم الحياة الانسانية ويذلل بتضحيته اشنع محنة الشرير في انتصار رائع على الموت لافتداء الانسانية وايقاظها (ص ٢٣٠)

ويدعونا القسم الثالث الى موازرة هذا الافتداء بتضحية انانيتنا على غرار المسيح « من دون ان نكون مضطرين الى المرور بتجربة يسوع نفسها فنعرف مثله عميق قرارة البغضاء والموت . فعلينا لكي نشاطره بتضحيته ونستفيد منها ان نقتدي بمثل يسوع، فنزيل منا معنى الحياة الشخصي والمادي، وبذلك نستنبط مجدداً فرديتنا الحقيقية ، وقد قال يسوع «من اراد ان يخلص نفسه يهلكها».

« ومن اهلك نفسه من اجلي ومن اجل الانجيل يخلصها » (مرقس ف٨-٢٣) (ص ٣٠٢) .

ولقد غدا اليوم الحلم كابوس الانسانية والحيّة تنين رؤيا يوحنا الانجيلي (ابركاليبس) وهذا الحلم الذي يمثل الايمان بالثنائية يسلّم بعلة ثانية للكون او باله مسبّب للشر ... على حين ان يسوع قد حدّد الشر بتعريف مفهوم كل الفهم فوصفه « بالشيطان ... الكذاب وابي الكذب ... ليس فيه حقيقة مطلقاً » . فهو الظاهرة الكاذبة للحقيقة ومفهومها الخاطئ وانعكاس الخير المطلق انعكاساً مقلوباً — كالجبل الذي يبدو منقلباً رأساً على عقب في بحيرة ، وهو يشير في الوقت نفسه الى اصله القائم » (ص ٣٣٩ — ٤٤٤) بيد ان الانتصار على الشر بات محققاً ، فالقديس يوحنا في رؤياه قد شهد سلفاً سقوط « التنين العظيم والحية القديمة المدعوة بالشيطان او بابليس » .

فهكذا سينتهي التنازع على البقاء الذي يقوم به احساس الانسان بشخصيته اذ كل واحد يهب ضد الجميع وعلى غيره في ظل شريعة الغاب الكاذبة . وستضمحل الانانية وستعوض فردية كل انسان الحقيقية عن احساسه الكاذب (بانا) وبالتخلي عن كل شيء نحرز كل شيء ، وسنتحد مع الله ومع سائر الناس بالمسيح وسيتم الظفر هنا والآن ويوماً فيوماً ، وان الذي نفتقر اليه ويعتد بشهادته ، شهادة المؤمنين (رؤيا ف ١٢ الآية ١١) هو تغيير مفهومنا للحياة ، لان الحياة لا مادية هنا وفي العالم الآخر ولا سبيل لوصفها بذرائع مادية فالكمال موجود والتقدم المستمر بدون انقطاع يتم بتحقيقنا اياه » (ص ٣٥٣) .

وصفوة الكلام بالخلاصة ليس ثمّ قوتان متعارضتين — الايجابية والسلبية — فالحقيقة وحدها موجودة — ولا تتغيّر . والضلال لا خالق له — فهو لا مخلوق ولا خالق . وبما ان لا اساس له في الحقيقة فلا يستطيع ان يكون له اصل حقيقي — ولا يستطيع ان يكون سبباً ... وان ما يعرفه الله هو واقعية الاشياء . وان ما نعتقد اننا نعرفه هو غالباً ما لا وجود واقعي له . فجنسنا هو الآن كطفل يرقد بين ذراعي امه وهو وان كان بأمن فيرهقه كابوس الرعدة ، ويرى نفسه فريدًا في غابة يلحق به وحش ضار ، وبوجوده على هذا الشفير

نفسه لا يبرح شاعرًا شعورًا كافيًا بالمحبة المجدية لكي يستنجد بامه ، التي لم ترَ الوحش ولم تدع ابنها يشرد وحيدًا في مكان ذي خطر وتعلم انه في حرز حريز لتوقظه .

ولقد اوحت اليّ هذه الاقصوصة الوجيزة امورًا كثيرة (ص ٣٥٥ — ٣٥٧) وثمت عشرون صفحة في القسم الرابع ذي العنوان « اليوم » هي كنتيجة قالت فيها المؤلفة ما يلي :

«لا مندوحة لنا اما عن مسيح واما عن ادم ..فالطريق التي ابانها المسيح هي طريق التضحية لنيل المكافأة الكبرى ، فذبيحة الجسد التي رُمز اليها في القديم بذبح الاضاحي من الحيوانات قد اتخذت نموذجًا لها وتجسدت بذبيحة يسوع — القربان الذي يمثل اقصى درجة اطاعة « الانا » — لتتمّ فينا بانتصارنا على الجشع المادي وبذلك تبلغ الفرديّة الحقيقية في الاتحاد — اتحاد البشر والامم .

ان تعليم المسيح هو البشارة الكاملة بالشريعة الاخلاقية المؤسسة على المحبة فمن يمارس المحبة يجد بها قوة عملية في الحياة الانسانية .

ويقلب هذا التعليم الاخلاقي شريعة الغاب الآدمية التي ما برحت قائمة حتى يومنا لتبلغ ذروتها في عصرنا بطناً الظهر .

ان سرّ كل امر — ان مثل التوراة الاعلى — هما افتداء الانسانية بتضحية « انا » الجشعة في سبيل الفردية الحقة في الاتحاد بصورة الله ، وسيحين انتهاء العالم الذي ينهي الحلم الآدمي على الارض وهو نهاية فكرة الحياة المادية مع جميع مخاطباتها وقتلاها » (ص ٤١١) .

ونحن في طليعة الذين يقولون ان بتر احد النصوص يجعله خاطئًا وانا نعتقد ان الاستشهادات التي مرت بنا يسعها ان تقدّم لنا فكرة تقريبية عما هي « فلسفة المسيح » في نظر الآنسة كروز « Miss Crouse » . وليس من اختصاصنا ان نحكم بشأنها . فالتوراة للمسيحيين هي ارث الاسرة الكبير الذي يستصدر كل انسان منها بحسب حاجاته وذوقه ، على حين اننا كنا نرغب في ان نجد الى جانب شعر « مباحث التوراة الكبرى » وفلسفتها استزادة في الايضاح في سبيل ايماننا وتغذية ورعنا .

ل . ب .

المشرق

السنة الثامنة والاربعون

آذار – نيسان ١٩٥٤

يوحنا الشامي الزرباني الملقّب بابن الغرير

[وليس ابن الجرير]

تعريبه كتاب « تفسير المزامير » لدانيال الصلحي – مآثر كب المرتبة ومنزخانه – كتابه وتلامذته – هويته ولقبه الصحيح – حالة الكنيسة – معارفه وخطته العلمية والنقدية

للخورسقف غبايل الزّجي

حافظ الخزانة والمكتبة البطريركية

في المكتبة البطريركية في بكركي مخطوط رقمه الحالي ١٦٠ وموضوعه تفسير المزامير. ورق المخطوط سميك. قطعه متوسط: ١٦/٢٠ سنتمترًا. غلافه جلد على خشب. حبره اسود فقط في الكراريس ١٥–٢٠ و٢٢–٢٥، واسود واحمر في البقية. سطوره على عرض الصفحة تشغل فيها قدر ٩/١٥ سنتيمترًا. في الكراريس ١–٤ عدد السطور في الصفحة ٢٧ والكلمات في السطر ٤–٦؛ وفي الكراريس الباقية عدد السطور في الصفحة ٢٥ والكلمات في السطر ٦–٨. خرم العث اطراف اوراقه وخصوصًا في الكراريس ٢٢–٢٥. الصفحات غير مرقومة بالاعداد. الكلمة الاولى من كل ورقة خطّت في اخر الورقة

السابقة عن الشمال . كراريسه تحمل كل منها عددًا بالاحرف الكاملة في اعلى الصفحة الاولى عن الشمال والاخيرة عن اليمين ؛ وعددها بحسب الارقام ٢٥ ، لكن في الحقيقة ٢٦ ، لان العدد ٢٢ مكرّر . اوراق كل كرّاس ١٠ ، ما عدا الكراسين ٩ و٢٥ فلوراق الاول ١٢ والثاني ٢ . سقطت الورقة الاولى من الكرّاس الاول . تركت بيضاء الورقتان ٣ و٤ من الكرّاس ٢٦ . فيكون عدد اوراق المخطوط (٢٦×١٠+٢−٩=) ٢٥٣ وصفحاته ٥٠٦ .

لغة الكتاب العربية مكتوبة بالحروف السريانية اي بالكرشونية ، ما عدا عنوان المزامير وآيات المزامير في الكراريس ١٦−٢١ و٢٢ مكرّر−٢٥ ، فانها مكتوبة بالحروف العربية . الخطّ جيّد ، صحيح القاعدة ، سهل القراءة . اضيفت نقطة الى بعض احرفه لتقابل الاحرف العربية ، التي لا مقابل لها في الابجدية السريانية اي تحت التاء والكاف والجيم ووسط الجيم والطاء وفوق الكاف والصاد لتقابل الاحرف العربية : الثاء والخاء والغين والجيم والضاد والكاف والظاء ، وتركت الذال بدون مقابل . والخط متنوّع قليلًا ، كما جاء في حاشية اخر النسخة : « . . انك تجد كتابتها اشكال والوان » (ادناه : ص ٤) ؛ على ان معظمه من يد واحدة .

جاء على هامش المزمور ١٣٨ : « كتاب الخوري غريغرس (كذا) مناع ، من ماله لنفسه » ؛ وعلى دفة الجلد الاخيرة من الداخل ، باحرف عربية : « وقفًا لدير حوب حقًا وصدقًا » . وحوب دير للرهبانية اللبنانية في جرد بلاد البترون .

عرّفنا صاحب المخطوط بنفسه في ثلاثة محالّ منه :

بعد المزمور الـ١٠٠ : « تمّ الجزء الثاني من [تفسير] كتاب المزامير . اللهم كجزيل صلاحك اغفر لعبدك قسّ حنا الشامي ، كاتبه ، الذي نقله من يابس اللغة السريانية الى اسيل العربية ، وذلك كحسب ضعف عبارته » . ك(=كراس) ١٠ ور (= ورقة) ٨ ق (= قفاها) .

بعد المزمور ١٠١ ، بالحرف العربي : « تم تفسير هذا المزمور ، اعني الخواجه من السرياني كحسب امكان ضعف كاتبه الفقير قسّ حنا الشامي » . ك ١٦ ور ١٠ ق .

واخيرًا بعبارة مسجعة بعد المزمور ١٣٩ ، وهو الاخير في المخطوط : « قد تم وكمل هذا التفسير الاكبير : كحسب العناية والتيسير : التي ادركت كاتبه العبد الحقير : باسم غريغوريوس اسقف يوحنا الشامي الفقير : في نهار الجمعة ثامن عشر اذار في الصوم المقدس الكبير : وهي سنة الف وتسع ماية واحد وثمانون (يونانية = ١٦٧٠م) بيدين ضعيفات نحيفات : والى الزوال مائلات : ومن يذكرني بالرحمة الرب يذكره في ملكوته . آمين » . ك ٢٥ ور ٢ ق .

وبعد هذه العبارة الثالثة ، يذكر على الهامش ان : « تدريخ النسخة المنقول منها سنة الف وخمس مائة واربع وسبعون يونانية » (١٢٦٣م) .

بيان من هذه العبارات ان يوحنا الشامي قد خطّ الكتاب بيده ، لانــه ينعت نفسه في المحالّ الثلاثة بقوله « كاتبه » ، وانه اخرجه ونقله اي ترجمه من السريانية الى العربية عن نسخة قديمة تدريخها سنة ١٢٦٣ م ، وانه بدأ العمل وهو قس وأتمّه بعد ان ارتقى الدرجة الاسقفيــة باسم غريغوريوس . وكان اتمامه سنة ١٦٧٠ م . ولا بد من الاشارة الى انه كان قد بلغ من العمر اخره ، اذ اصبحت يداه « ضعيفات نحيفات والى الزوال مائلات » .

وقــد عانى ، اجزل الله أجره ، مشقات غير يسيرة في القيام بعمله . منها صعوبة حصوله على النسخة الاصلية الحاوية النص السرياني وصعوبة قراءة هذه النسخة لقدمها . وقد سرد حكاية شيء من ذلك .

فدونك روايته الطريفة عن موقف مالك الاصل السرياني منه :« تكون تعلم ايها الواقف على هذه الاسطر الحقيرة انّا بقينــا مدة ثلاثون سنة نتوسل لصاحب النسخة السريانية التي اخرجنا منها هذا الجزء الناقص من اوله واخره. وهو يتجنّأ علينا ويماطلنا ويحتال. وقت يقول: ما تصل اليه يدي ..ووقت اخر ينعم بقلب بارد وبغير انجاز وعد . ووقت اخر يعطينا كم كراس ويربّحنا ثقل الجمايل والمنن التي ما تحتها طائل . حتى وصلنا بقوة المعين الى هذا المقام الى ان سهّله الله على يد غيره ، واسأل الله ان كل من يمنع راغب من اعارة كتاب : الرب يصبّ عليه العذاب والعقاب : لانه يبخل في عمل كله ثواب . . ويشهد لكلامنا في تأخير ختام هذه النسخة انك تجد كتابتها اشكال الوان. والحمد لله صاحب كل نعمة واحسان . امين » — ك ٢٥ ور ٢ ق.

وقد نبّه المترجم الى عطب النسخة ونقصها . فبينا هو يبدأ تفسير المزمور ١٣٧ ، يكتب على الهامش بحرف عربي : « اعلم يا اخينا الحبيب ، الواقف على هذه الاحرف الحقيرة ، والتفسير الفايق ، ان النسخة المنقول منها قديمة العهد ، منثرة الورق ، ممحوّة الكلام . وقد صحّحنا ما قدرنا عليه . فلا مؤا[خذة] — ك ٢٤ ور ٢ .

ثم لا يلبث ان يتوقف عن الكتابة : « تركنــا هذا المكان خالي من

الكتابة لاجل تلاف النسخة وعدمها. والكمال على الله في ذلك وعيده » — (كم ، ور ٣). وفي الواقع، نرى بعد هذا التنبيه ثلاث صفحات ونصف الصفحة متروكة بيضاء، على امل التمكن من كتابتها فيما بعد. يليها تفسير المزمور ١٣٨ من نصف المقدمة.

اما نقص النسخة من اخرها، فقد جاء عنه، بحرف عربي: « اعلم يا ذا الاخ انا ما وجدنا في النسخة المنقول منها هذا التفسير سوى مائة واربعون [اميرا] ومزمورًا. وما بقي منها سوى ورقة واهية منثرة. وختم [المؤلف] فيها تاريخ كتابه، كما نقلناه اخيرًا. واقول والله اعلم ان الشارح المرحوم افرد للعشرة مزامير الباقية والعشرة تسابيح، جزؤ وحده. اعلم ما هناك. واسألك الترحم علينا جميعاً » — ك ٢٤ ور ١٠، على الهامش.

ولا نخاله الا نبه كذلك على نقصها من اولها على الشكل نفسه، بحاشية على الصفحة الاولى منها، فقدت بفقدان الورقة الاولى من مخطوطنا. ولا شك في فقدان هذه الورقة. لان الكراس الاول يحمل رقمه الاصلي « اول كراس » على صفحته الاخيرة، ولا شك في انه، اسوة بسائر الكراريس، كان يحمل هذا الرقم عينه على ورقته الاولى المفقودة. وهو يبدأ الان بالسطرين الاخيرين من « مقدمة القول » للمزمور ٧٧ تليها آيات المزمور وتفسيرها.

...

وقبل ان نقول كلمة في المترجم وترجمته، يحسن بنا ان نعرف الاصل المترجم ومؤلفه. جاء في مخطوطنا، على الهامش، قبالة تفسير الآية ١٩ من المزمور ١٠٣/١٠٤، بحرف عربي، ما يلي: « تأمل هذا شافياً وترحم على نفس المفسر، دانيال الشيخ الفاضل » — ك ١٣ ور ٣.

فدانيال هذا مفسر المزامير كان في اواسط القرن السادس. ولقب بالصلحي، نسبة الى بلدة صلح[1]، وهي قرية في طور عبدين، ورد ذكرها في مخطوط من القرن الـ١٢ في المتحف البريطاني، رقمه ٥١٥ (فهرس ورايت : ١ : ٣٩٥)، واخر من القرن الـ١٣ في المكتبة الوطنية بباريس، رقمه ٣١ (فهرس زوتنبرج :

---

١) ان غبطة البطريرك برصوم يخطئ القائلين بذلك وينسبه الى دير الصالحين او الى بلدة الصالحية (اللؤلؤ المنثور : ٢٥٥–٦) .

١٣) . ولا تزال قائمة الى اليوم ، على ما جاء في اخبار « سياحة في طورعبدين» الاب اسحق ارملة (المشرق ١٦ : سنة ١٩١٣ : ص ٦٧٢) .

وذكر غبطة البطريرك برصوم ان دانيال هذا كان في اول امره رئيس دير الصالحين ، بدون ان يحدّد موقع الدير لا في متن كتابه ولا في فهارسه ، وانه «سيم اسقفاً لتل موزل بعيد سنة ٥٤٢ » . وقد خلد اسمه بين الكتبة الكنسيين بتفسيره سفر المزامير في ثلاثة اجزاء ، خمسين مزموراً في كل منها . وذكر البطريرك برصوم ان «داود الحمصي اختصره عام ١٤٦١» (اللؤلؤ المنثور: ٢٥٥—٦).

ومن الكتاب المطوّل نسخ عديدة في الواتيكانية والمتحف البريطاني ، ومن الغريب ان لا تكون احداها كاملة ، بل جاءت جميعها مبتورة . وقلّ ان حوت الواحدة اكثر من جزء واحد. وقد خلت جميعاً من الجزء الثالث والاخير[1].

اما الموجز فيذكر غبطة البطريرك برصوم نسخاً عديدة منه في خزائن غربية واديرة سريانية (ثمّ ؛ السمعاني: المكتبة الشرقية : ١: ٤٩٥ ؛ ورِيت: الآداب السريانية : ١٥٩—٦٠) .

ومثل هذه النسخ المخرومة تلك التي ترجمها يوحنا الشامي . واذا صحّ ان الموجز من القرن الـ١٥ فقط ، كما ورد في « اللؤلؤ المنثور» (اعلاه) فنكون نسختنا من المطول ، لانها عن اصل من القرن الـ١٣ . اما اذا كان من القرن الـ١٠ ، كما جاء في تاريخ الآداب السريانية للاب شابو (ص ٦٨) ، فيستحيل تقرير ايها مصدرها ، الا بمقابلة النصوص بعضها ببعض .

تبدأ نسختنا بالمزمور ٧٧ وتنتهي بالمزمور ١٣٩ . وعدّ المزامير فيها على طريقة السريان ، التي توافق عدّها في الاصل العبراني حتى المزمور ١١٥ ، فقد ضُمّ هذا المزمور الى المزمور ١١٤ عند السريان وشطر عندهم المزمور ١٤٧ العبراني مزمورين هما ١٤٦ و١٤٧ . وتشتمل نسختنا على القسم الاخير من جزء الكتاب الثاني: المزامير ٧٧—١٠٠ وعلى القسم الاول من جزئه الاخير: المزامير ١٠١—١٣٩ .

والطريقة ان لكل مزمور تفسيراً ، عنوانه « ميمر » ، من السريانية اي مقالة . يليه موجز مغزى المزمور ورمزه وتفسيره ، ثم « مقدمة » او « فاتحة

١) ومنها واحدة مخرومة في دار البطريركية السريانية الكثوليكية في بيروت تشتمل على الجزء الاول (اللؤلؤ المنثور : ٢٥٥—٦) .

القول » ، واخيرًا تفسير الآيات ، واحدة فواحدة ، بايجاز او اسهاب بحسب الحاجة .

وقد اتبع المترجم الاصل عن قرب ، وعُني باخراجه صحيحاً واضحاً. وارفق بعض الكلمات السريانية بكلمات عربية عديدة مزيدة وبشروح من القواميس وكل ذلك على الهامش ، لاحقاق معناها . وقابل السرياني والعربي الواحد بالآخر مرارًا ، حين لم يأمن تأدية المعنى الصحيح . واورد الكلمة السريانية نفسها تجاه معربتها ، عند عدم تيقنه من صحة تعريبها . الى مثل ذلك .

ويُلحظ من نعته اللسان السرياني باليابس[1] والعربي بالسهل ، كانه يريد باليابس الصعب يقابله السهل ، ان اللغة السريانية اصعب من العربية او انها لغة ميتة . ولهذا نراه يعتذر ، عن التقصير الممكن ، بانه ترجم « كحسب عبارته — كحسب امكان ضعفه — كحسب العناية والتيسير » (اعلاه : ص ١٣٠).

ومن الطبيعي ان دانيال الصاحي شرح المزامير بحسب نصها في النسخة السريانية البسيطة . فكان على المترجم ان يتبعه ، فلم يفعل . بل اعتمد في محال كثيرة على النسخة اليونانية السبعينية ، وعند الحاجة طبّق عليها النص السرياني ، ولم يبدله منها الا عند الاضطرار[2] .

---

١) في فهرس المكتبة الواتيكانية (٣ : ٢٥١) ، ترجمت هذه العبارة « يابس السرياني » هكذا : Syriacis vocibus presse inhærens « متثبتاً عن قرب الكلم السرياني » !

٢) من ذلك في تفسير المزمور ١٠١ ، الآية ٣ : فانه يورد في المتن « اخضت جميع عاملي الاثم » بحسب اليوناني ؛ وعلى الهامش بحسب النص السرياني ، معقباً عليه : « السرياني يقول مفرداً » [اي ابغضتَ فاعل الاثم] . ومثله الآية الاولى من المزمور ١٢٧ و١٢٨ . ومثل هذا كثير . نكتفي بما جاء منه في شرح المزمور ١٢٦ . فانه يورد بعض كلماته في المتن تارة بحسب السبعينية وتارة بحسب البسيطة . ويورد على الهامش الكلمة السريانية او اليونانية المختلفة . فيقول في المتن : « وان لم يحفظ الرب المدينة » ؛ وعلى الهامش « سرياني ܩܪܝܬܐ » اي قرية ؛ و« يوناني ܡܕܝܢܬܐ » اي مدينة . ثم يبدأ الآية التالية بحسب اليوناني : « باطلاً هو لكم التبكير » ويكملها بحسب السرياني : « ويتأخرون عن الجلوس » ، دون تنبيه ما . وايضاً : « كذلك هم ابناء الصبرة » ، وعلى الهامش « سرياني ܕܥܡܘܠܐ » اي الصبوة ؛ و« يوناني ابناء المتيقظين » . وعلى الاثر : « فطوبى للرجل الذي يملأ جعبته منهم » ؛ وعلى الهامش : « سرياني ܦܬܘܗܝ » اي جبينه ؛ و « يوناني شهوته » الخ .

والغريب انه يضع، قبالة ترجمته للآية ١٠ من المزمور ١٠٨، بحرف عربي، عبارة لها صبغة الاعتذار الى القراء عن ايراده فيها النص السرياني. قال: «بيان: اعلم انّا اخذنا نص المتن على حسب النسخة السريانية، وذلك لاجل الشارح، ليوافق القول». والمعنى واضح؛ اي انه كان يود ايراد النص بحسب اليوناني، وهو «مؤاب اناء رجائي». لكنه لو فعل لما طابق هذا النص الشرح الموضوع للنص السرياني، وهو «مؤاب بِقدر غَسلي»، الوارد في كتاب دانيال الصلحي متناً وشرحاً. ولا ندري ما الدافع الى هذا «البيان». فهب انه اراد، زيادة في التدقيق والتمحيص، مقابلة النصين الواحد بالاخر، فكان عليه، حتى في هذه الحال، ان يُبقي على السرياني في المتن ويدع الهامش لليوناني.

وظل الاستغراب من تنكّر صاحبنا لنص المزامير السرياني يساورنا، وظللنا نستكشف انصرافه عنه الى اليوناني، حتى عرفنا بالمخطوط البودلياني في اكسفورد رقم ١٨. فانه كرشوني بجزئين: اولها الجيل يوحنا، والاخر «كتاب زبور داوود». وقدم صاحب الفهرس لهذا الاخير بهذه العبارة: «ترجمة عربية للمزامير منقولة عن [النسخة اليونانية] السبعينية». وجاء في آخرها ان «القس يوحنا ابن الجرير ناقله»، (فهرس باين سميث: ٦٥–٦). فلا بدع بعد ذلك ان يؤثر يوحنا الشامي هذا النص اليوناني على السرياني في شرحه للمزامير فانه تعب في اخراجه الى العربية، وكان يرغب، على الارجح، في نشره وتعميم استعماله[1].

. . .

ودونك مثالاً عن طريقة الشارح وخطة المترجم ومداها من الاعراب والفصاحة. وقد نقلنا نقط الوقف والحركات كما جاءت في المخطوط.

---

١) ذكر غبطة البطريرك برصوم ان لتأليف دانيال الصلحي المطوّل ترجمةً عربية وُضعت «بلغة ملحونة في اواسط القرن الثامن عشر» (ثمّ : ٣٥٦). فترجمتنا اذن اقدم منها. ولا يقال انها عن الموجز. لان الموجز بحسب رأيه من الـ ١٥ (ثمّ) وترجمتنا عن اصل من الـ ١٣. إلّا ان يكون الموجز بحسب الاب شابو من الـ ١٠ (اعلاه: ص ١٣٣). وهذا ما ينكره غبطته (ثمّ). وذكر العلامة وريت ترجمة اخرى للجزء الثالث مخطوطة في مجموعة ساخو ببرلين، رقم ٥٥ (وريت: الاداب السريانية: ١٦٠: حاشية).

باسم الاب والابن والروح القدس الاهًا واحدًا له المجد

نبتدئ بمعونه ونكتب الجزء الثالث

من تفسير المزمور [المزامير]

المئة والواحد يتضمّن تفسير المزمور ١٠١ يشير عن النعمة . وعن الحكم . وعن تدابير القديسين . وعلى ان في ظهور المسيح تفتر حركات الخطية والاقلك من الانفس . قائمة القول (= على الهامش) . الذين تدربت حواس انفسهم . واستنارت احداس ضمايرهم . وتهذّبوا بقراءة هذين الكتابين الذي وضعها حقارتنا . المبعوثة الى محبة الله الساكنة فيك يا ابانا القديس . (رئيس دير كفر البيرة الذي طلب اليه وضع التفسير) . الان يقربون الى العمل الفايق الذي في قراءة هذا الكتاب الثالث الذي للمزامير . فان كان لم يفهموا ولا تدرّبوا باوليك . ولا ان قروا في هذا مرّات متواترة . ليصيروا منتبهين مستعدين .

اما نحن اذا ما اعتمدنا على معونة صلاتك الغير منقطعة عنا . فاخذ ايضًا التجربة ثالثًا لنسلك في طريق تفسير تسابيح المرتل . اذ ندعو الله متوسّلين ليكون لنا معينًا مسعفًا . ويسلك معنا . ويلهمنا ويعطنا كلمة بفتح الفم لننطق ونكتب ونبرهن ونفسّر . ونفتح المقولات الالهية العميقة المستغلقة الفهم . المخفيّة في هذه المئة مزمور الباقية لنا .

لان الاسرار المقدسة المكنونة فيهم رفيعة سامية . وهم كمثل درج السُلّمة المنصوبة الى جهة العُلى . التي كلما تصاعد الانسان بها . امتدّ الى نحو الرقيعات . وهكذا ممكن ان يوجد للمستفسرين في نهج هذه السلمة التي نصبها قدّامنا السيد داوود . وكلّ ما ارتقينا بها فتدنوا الى رؤيا براهين وبيانات تعلو بعضها بعضًا . ومع ان كل السُلمة مملوءة اسرارًا نيرة متواترة مصفوفة منتظمة في معارجها . لكن كلما تصاعدت بها النفس . تلتقي قُربى فاضلة ونُسبيّة واهليّة وومَيض اشراقات قدسيّة والهيّة . من شمس البرارة المعقول لكيلا يبقى بها فيما بعد جزوءًا ما مُظلمًا . ولكن كلها تصير نور وابتهار . لاجل قُربها ولحوقها بالنور الحقيقي .

فاذن نتقدم للبحث في تفسير تسابيح المرتل . ومنهن نعلم كيف كان يتدرّج ويرتقي في طريق الاسرار الالهية كما في سُلّمة : ولاجل ذلك لما كان يرتل اولًا يتقدم يعطي الطوبى للرجل الذي لم يسلك في طريق الخاطئين . وايضًا للذي لم يقف في مشورة المنافقين : ولما توسّط كان كالسائل النسل من دنس الخطأ . اذ يطلب ويتضرّع بان يؤهّل للرحمة وغفران الخطايا . ولذلك قال . ارحمني يا الله مثل كثرة نعمتك . ومثل كثرة مراحمك امح خطاياي . اكثر غسلي من اثمي ومن خطاياي نقّني . والان لما ارتقى الى عدد المائة الكامل الدرجة الزوجانيّة . ابتدى ايضًا في درجة المائة وواحد وليس يرتل بالفاظ منخفضة مثل الخاطئين . ولا يعط الطوبى للرجُل الذي لا يسلُك في طريق المنافقين . ولا يسئل غسلًا وطهرًا كالذي هو في الخطايا مدنّس . ولكن بعد ما امتدّ كثيرًا الى قُدّامهُ في طريق العدالة . وصار له قومًا صدّيقين نُدما . واخرج من بيته كل صانعيّ المكر . وطهّر شكل نفسه من شيمات عاملي الزور . ولم يترك منطقًا كاذبًا يستقيم امام عينيه . بل عوض هولاء جميعهم . يخدمونه رجالًا انقيا من كل عيب وخطا . كما كان هو . الذي منهم ايضًا اسقف

المذكر (وعلى الهامش : ܬ ܨܕܩܘܬܐ اي صاحب تاريخ) . ذلك الذي كان يذكر داوود بطريقة العدالة . ذلك الذي ايضاً رتّل عنه هذا المزمور وفي اصوات مقدّسة رفيعة بغير صوته ويرتّل : وكما تقدّمت وقلت لاحق اسمه . ان هكذا كان ذو قوة ذاكرة . حتى انه كان يعرف باستنارة كل احكام ونواميس بيت الله . ويفهم كل افعال مملكة داوود بغير نقص . وكان بعد زمان يذكّر داوود بكلّما يراد . ومن اي سبب تنتج مبادئهم . وايضاً وكيف تستند غاياتهم . فلما رآى المغبوط داوود كيفيّة هذه المنحة التي خصّته بها النعمة . ونصبه مدبراً كُتبيًا في مملكته : وحافظاً للمعاهد الملوكيّة : وهذا يتفسّر اسمه تذكار باللسان العبراني . اعني العقل الذي لا يضلّ . ولاجل ان السيد داوود عدّ ايضاً هذه موهبةً من الله . هيأ له مثل هذا الرجل ليكون كُتبيًا وقريباً . رتّل وقال :

[الآية الاولى من المزمور] نعمة وحُكم ارتّل . ولك اجّد يا ربّ . واسلك في طريقك التي لا عيبًا فيها . حتى متى تأتي اليّ .

[التفسير] لماذا قال نعمةً وحُكم ارتّل . ولايّ سبب ألحق الحُكم للنعمة . لان الحُكم لا يناسب النعمة . لكون حيث تكونُ نعمة فيبطل الحُكم . وحيث يكون حُكم . ليس يوجد هناك نعمة . لان الحُكم عدالة هو . والنعمة والرحمة يرتفعون من الحُكم . فاذن يوجد مَطلبًا في هذه الكلمة التي قالها المزمّر . ويسوغ ان نتمّل هذا الحُكم الذي اضافه للنعمة . ان هذا الحُكم يوجد نعمة بالمعنى . ولاجل هذا بغير نزاع نقول ان هذين المعنيين كليهما جاء الى التفسير بظهور عنوانيل . . . . [الخ] .

. . . .

هذا بشأن الترجمة التي يظهر امرها لاول مرة في مقالنا هذا ، وكانت قبل مجهولة . اما صاحبها يوحنا الشامي فليس بمجهول .

ذكره الاب شيخو في كتابه «المخطوطات العربية لكتبة النصرانية» فقال : « يوحنا بن جرير ، هو القس السرياني الشامي الذي كان في اواسط القرن ١٧ ، وعرّب عن السريانية كتاب الانيقون لابي الفرج غريغوريوس ابن العبري » . (الكتاب المذكور : ٢٢١) .

واحصاه الاب جراف في موسوعته القيمة الحديثة « تاريخ الآداب العربية المسيحية » . ذاكراً له كتب الهدايا والانيقون والحمامة لابن العبري . (الكتاب المذكور : ٢ : ٢٧٨ — ٨٠ ؛ ٣ ، ج و ٢٧) .

فالقس يوحنا هذا هو هو صاحب ترجمة «تفسير المزامير» لدانيال الصلحي . وله آثار عديدة ، منها ترجمات ومنها منسوخات . وكان صاحب « كتّاب » او مدرسة في دمشق ، نعرف عدة كتب نسخت فيه وبعض نسّاخ تخرجوا فيه .

. . .

من الكتب التي ترجمها يوحنا الشامي ، ووصلت معرفتها الينا ، ما عدا تفسير المزامير ، الاثيقون والهدايا لابن العبري ، وسفر المزامير الداودية وحساية القيامة :

تفسير المزامير : وقد سبق الكلام عنه مطولاً (اعلاه : ١٣٠ — ٧) .

الاثيقون : ومنه ثلاث نسخ : الباريسية رقم ٢٤٧ ، من خط تلامذته تحت اشرافه في الكُتّاب ، تاريخها سنة ١٦٣٦ م (زوتنبرج : فهرس المخطوطات السريانية : ٢٠١) ؛ والواتيكانية رقم ١٧٢ بخط يده ، تاريخها سنة ١٦٤٥ م (السمعاني : فهرس الواتيكانية : ٣ : ٣٤٥—٥٢) ؛ واللندنية التي لم نطّلع على تعاليق الفهرس عليها (روزن ومرشال : الفهرس : ٨٥) .

جاء في عنوان الترجمة وخاتمتها عبارات كثيرة قريبة جداً مما جاء في مثلها من ترجمة « تفسير المزامير : « نبتدئ . . ونكتب كتاب الاثيقون . . . اخرجه من اللغة السريانية الى العربية احقر عباد الله وافقرهم القس يوحنا ابن الجرير الشامي ، وذلك كحسب امكان ضعفه ... » (المقدمة في الواتيكانية والباريسية) . « تمّ وكمل هذا الكتاب المبارك . . والناسخ المسكين احقر الناس وارذلهم . . بالاسم قسيس وليس بالفعل ، الحقير القس يوحنا ابن الجرير ، نقله من السرياني الى العربي على يابس السرياني » سنة ١٩٥٦ يونانية ، ١٦٤٥ م ، ١٠٥٦ هجرية (خاتمة الواتيكانية) . وجاء بعد المقالة الاولى من الكتاب ، في الواتيكانية : « اخرجه من اللغة السريانية الى العربية كحسب الامكان الفقير كاتبه يوحنا الحقير في القسان[1] » (عن منقولاتنا) .

اما الباريسية ففي خاتمتها ، كما جاء في الفهرس ، انها خطّت « بيد تلاميذ كتّاب الخوري يوحنا الزرباني » (الفهرس : ٢٠١) . وجاء في النبذة القديمة الموضوعة للباريسية في فهرس مكتبة الملك (١ : ٦٣) ما تعريبه : « ان الكاهن الشامي اليعقوبي ، ابن الجرير ، نقل الاثيقون الى العربية ، وفي حياته خطّ احد تلامذته هذه النسخة سنة ١٦٣٦ م » (فهرس الواتيكانية : ٣ : ٣٥١)[2] .

---

١) في الفهرس : « احقر القسان » .

٢) ويحسن الاشارة بكلمة الى ان لكتاب الاثيقون ترجمات اخرى . المعروفة منها واحدة للربان دانيال ابن الخطاب الماردي من ال ١٤ (شباط : الفهرس : ١ : ١١) ؛ وثلاث

الهدايا : ومنه في دير الشرفة ، مخطوط رقمه ٥/٤ ، « كتبه بيده الفانية مخرجه من السرياني الى العربي ، كحسب الزمان ، العبد الحقير المذنب الى ربه والى نفسه والى ناسه الخوري يوحنا ابن المرحوم المعلم عبود ابن القريد الزرباني ... كتبه باسم شمس يوحنا ابن جبرائيل خادم الكنيسة المذكورة (مار بهنام) . وكان الفراغ من اكتتابه ثامن شباط يوم عيد سويريوس » سنة ١٩٦٤ يونانية : ١٦٥٣ م (عن منقولاتنا عن المخطوط ؛ انظر كذلك الطرفة في مخطوطات دير الشرفة : الخورفسقفوس اسحق ارملة : ٨٢) .[1]

ويحوي المخطوط الباريسي رقم ٢٢٧ عدة مؤلفات لابن العبري ، وفي مقدمتها بالكرشونية « كتاب الهداية .. مما وضعه ورتبه .. ابن العبري » كتبه في دمشق سنة ١٩٦٤—٥ يونانية : ١٦٥٣—٤ م « الخوري يوحنا ابن الجرير الزرباني » ، مصرحاً في خاتمته بانه ترجمه من السرياني الى العربي (الفهرس : ١٧٤—٦)[2].

سفر المزامير : ومنه نسخة وحيدة في مكتبة اكسفورد ، رقمها ١٨ ، وتاريخها سنة ١٩٥٣ يونانية : ١٦٤٢ م ، في قسمها الثاني « كتاب زبور داوود » يليه التسبحات العشر ، عنوانه في الفهرس : « نسخة عربية للمزامير مخرّجة عن [النسخة اليونانية] السبعينية » . وجاء في آخره : « اللهم بجزيل مراحمك السيدية اغفر وسامح خطايا عبدك القس يوحنا ابن الجرير ناقله » (الفهرس : عامود ٦٦—٧) .

حسابة القيامة : بالسريانية والكرشونية في المخطوط الباريسي رقم ١٧٥ ،

الحريات في اكسفورد رقمها ٦٨ و١٧٥ و١٧٦ ، خطت الاولى قبل سنة ١٥٧٣ والثانية سنة ١٤٧٩ والثالثة سنة ١٥٤٨ (فهرس باين سميث : عامود ٣٤٠ و٥٦٨—٧٦ ؛ برصوم : ثم : ٤٢٣) . ومنها نسخة عربية من سنة ١٦٩٩ محفوظة في دير الشرفة ، سيجيء الكلام عنها فيما بعد (ص ١٤٦—٧) .

١) ومنه نسخة عربية من سنة ١٧١٤ في المتحف البريطاني سيجيء الكلام عنها فيما بعد (ص ١٤٦) .

٢) جاء في اللؤلؤ المنثور (٤٢٣) انه « في اواخر القرن الـ ١٦ ، نقله [كتاب الهدايات] بعضهم الى العربية بنحو يمتزج بين اللحن والركاكة » . ومن المحقق ان ثلاثة فصول من هذا الكتاب بالكرشونية بجوامعها مخطوط اكسفورد رقم ١٤٦ المنسوخ حوالي سنة ١٥٨٩ م . (الفهرس : عامود ٤٦٨—٧٠) . وفي دير الشرفة نسخة كرشونية منه قديمة وبدون تاريخ . زيد على ورقتها الاخيرة انها خطت سنة ١٧٥٠ . ولم يرد ذكرها في « الطرفة » .

منسوبةً لداود الفينيقي (الفهرس : ١٢٣) ؛ وبالكرشونية فقط في المخطوط الباريسي رقم ١٦٨ ، المنسوخ سنة ١٦٧٨ م ، منسوبة فيه ترجمتها العربية الى «الاسقف مار غريغوريوس المعروف بابن عبود الجريرة» (ثمّ : ١١٩). والمخطوطان من نسخ موسى ابن الكنّ (انظر ما بعد : ص ١٤٥ حاشية ٢) :

. . .

اما الكتب التي نسخها يوحنا الشامي بيده ، ما عدا السابق ذكرها ، فهي على ما نعرف :

كنز الاسرار لابن العبري ، بالسريانية : نسخه عن مصحف قديم من سنة ١٣٥٤ م ، مأخوذ عن الاصلي الذي كتبه ابن العبري بيده سنة ١٢٧٨ م. وجاء في المقدمة : « هذا كتاب كنز الاسرار ... كتبه بيده الثانية عبد عبيد يسوع المسيح واحقر وافقر كهنته ، الخوري يوحنا الزربابي ابن الجرير الشامي .. في سنة ١٩٤٥ » يونانية : ١٦٣٤ م . وفي الخاتمة : « ربنا والهنا وسيدنا يسوع المسيح .. اغفر وسامح خطايا عبدك القس يوحنا ابن عبود ابن الجرير الذي اعتنى واهتم بكتبة [بكتابة] وتجديد هذا الكنز العظيم ... جرى ذلك وحرر في تاريخ مبادئ سنة ١٩٤٦ يونانية » : ١٦٣٥ م . وهذا المخطوط محفوظ في مكتبة المدرسة المارونية برومية العظمى (عن السمعاني : المكتبة الشرقية : ٢ : ٢٧٧ — ٨)[1] .

كتاب الاضواء او اللمع ، وهو غراماطيق مطوّل لابن العبري ، بالسريانية : أتمه : « الخوري يوحنا الزربابي ابن الجرير الشامي سنة ١٩٧٥ يونانية (١٦٦٤ م) عن نسخة كتبت سنة ١٩٣٠ يونانية (١٦١٩ م) . وصححت وحركت بيد الاسقف غريغوريوس سنة ١٩٦٤ يونانية : (١٦٥٣ م) » . وهذا الكتاب يؤلف القسم الاول من المخطوط الباريسي رقم ٢٥٩ (الفهرس : ٢٠٦ — ٧) .

١) ومن هذا المؤلف لابن العبري نسخة كرشونية ، روى السمعاني (ثمّ) عن رينودوت انها محفوظة في المكتبة المادينية بفلورنسا . وقد أكد ذلك رينودوت في كتابه « مجموعة الليترجيات : (٢ : ٤٧١) » . وعدنا الى فهرس هذه المكتبة لواضعه المطران اسطفان عواد السمعاني فوجدنا رقمها فيه ٢٦ ، وتاريخها سنة ١٢٧٧ ؛ وهي بالسريانية وليس بالكرشونية (الفهرس المذكور : ٦٥ وما بعد) . وذكر غبطة البطريرك برصوم ان في هذه المكتبة اقدم نسخ الكتاب : « كتبت في حياة المؤلف عام ١٢٧٥ » (ثمّ) .

كتاب الحمامة او الورقاء لابن العبري ، بالكرشونية : ذكر الاب شباط في «مكتبة مخطوطاته» (٢ : عد ٩٠٠) : «كتاب الورقاء في طريقة الارتقاء ، نجز بيد القس يوحنا ابن الجرير الزربابي الشامي في نهار الاثنين اواخر ايلول الذي هو ختام سنة ١٩٥٩ يونانية [١٦٤٨م] ، وذلك برسم الكاهن الهاروني القس عبد الاحد»[1].

رسالة نصراني الى مسلم بالكرشونيـة : في المخطوط الباريسي رقم ٢٠٤ ، (ور ١٢٤—٢٤٤) : نسخها سنة ١٩٦٨ يونانية [١٦٥٧ م] ، عن مصحف تاريخه سنة ١٤٨٤ يونانية [١١٧٣ م] الخوري يوحنا الزربابي الشامي للشماس موسى بن برصوما من حلب (الفهرس : ١٥٥—٦) .

كتاب رتب ، بالكرشونية : يشتمل على رتب الزواج والخطبة والقنديل والاعتراف : في المخطوط الباريسي رقم ١٠٩ ، « كُتب برسم اخينا خوري موسى عُرف بابن الكنّ وذلك بيد احقر عباد الله تعالى خوري يوحنا الزربابي عُرف بابن القرير في سنة ١٩٧٧ يونانية » ١٦٦٦ م . (الفهرس : ٦٦—٧ وعن المخطوط في منقولاتنا) .

انجيل يوحنا ، بالكرشونية : في الجزء الاول من مخطوط اكسفورد رقم ١٨ ، الحاوي ترجمة « كتاب زبور داوود » في جزئه الثـاني (انظر اعلاه) . جاء في خاتمة الانجيل : « جرى وحرر في ٢٩ من آب بيد الفقير الحقير عبد عبيد كهنة يسوع القس يوحنا ابن الجرير » وعلى الهـامش « سنة ١٩٥٣ يونانية » : ١٦٤٢ م (الفهرس : عامود ٦٦ —٧) .

مواعظ غريغوريوس التاولوج ، بالكرشونية : في المخطوط البـاريسي رقم ١٩١ . وقد لخص الفهرس خاتمته هكذا : « اتمّ هذا المخطوط للبطريرك مـار

---

[1] ومنه نسخة عربية بعوامل المخطوط الباريسي رقم ٢٠٦ ، في ورقاته ٥٦—١٠١ . « .. نكتب ترجمة كتاب يسـا الحامة ، ترتيب الاب المفريان ابن العبري » كتبه الشماس بطرس بن يعقوب الحريري (الفهرس : ١٥٥—٦) .

ويفيد غبطة البطريرك برصوم ان منه « نسخة قديمة في جامعة شيكاغو كتبت سنـة ١٢٩٠ م ونسخة في اكسفورد من حوالي سنة ١٦٩٨ م (ثم : ٤٣٦) .

وفي دير الشرفة ترجمة قديمة منه في مخطوط رقمـه ٩/١٨ ، كمل سنة ١٩٠٧ يونانية : ١٥٩٦ م . (الشرفة : ١٩٥) .

بهنام سنة ١٩٨١ يونانية ١٦٧٠ م | اسقف (القدس ?) غريغوريوس (يوحنا الشامي) ، الذي اضاف على الهوامش شروحاً وتصحيحات عديدة » (الفهرس : ١٣٢—٣) .

مواعظ اثناسيوس بطريرك اورشليم ، بالكرشونية : في المخطوط البودلياني في اكسفورد رقم ١٣٩ . جاء في خاتمة جزئه الاول ، الحاوي المواعظ السنوية للآحاد : « تمّ على يد احقر عباد الله الخوري يوحنا ابن الجرير المذنب . وذلك في تايم (?) ليلة عيد التجلي سنة ١٩٦٤ يونانيــة » ١٦٥٣ م ؛ وفي خاتمة الجزء الثاني (ور ٢٤١—٢٨٧) الحاوي مواعظ بعض الاعياد الثابتة : « وكان النجاز من نساخة هذه العظات المباركة . . يوم الخميس المبارك ثاني يوم في شهر ايلول سنة الف وتسع مائة واربع وستون يونانية [١٦٥٣ م] وذلك بيد مبدع الخطايا الدنسة ، ومنشئ الافعــال الرجسة ، الناخص بجملته الى الذاهبات ، المتهافت كالوحوش على الرمم الباليات ، الفقير الى رحمــة ولطف يسوع المجيب ، الذي هو لمن يطلبه قريب ، الحقير الخوري يوحنــا الشامي الزربابي ابن المعلم عبود المرحوم الجرير . . . كتبته . . لاب السريان . . ابينا مار اغناطيوس بطريرك المشرق والمغرب الملقّب بشمعون . . لما حضر لزيارة رعيتــه في الشام المذكورة ، في سنة تاريخه . . » (الفهرس : عامود ٤٤٠—٧) .

وقبل هذه الخاتمة الطويلة ترد قصيدة «شعر للكاتب» من ٣٤ بيتاً تنتهي ، اي القافية تارة « اني » وتارة « انِ » . ويتخلل الابيــات بين السطور بعض حواشٍ وجيزة (الفهرس : عامود ٤٤٤) .

كتب مختلفة لابن العبري : الاحداق في المنطق وما اليه بالسريانية ، حديث الحكمة بحقلين سرياني وكرشوني ، الاسرار الالهية الخفية او كتاب هيرتاوس بالسريانية : في المخطوط الباريسي رقم ٣٢٧ الحاوي ترجمة كتاب الجدايا (انظر اعلاه) ، كتبه في دمشق سنة ١٦٥٣—٤ ، الخوري يوحنا ابن الجرير الزربابي . (الفهرس ١٧٤—٦) .

. . .

وما عدا هذه الكتب المنسوخة بيد يوحنا الشامي وحــده ، نعرف كتباً اخرى كثيرة اشرف على نسخها او ترجمها في كتّابه ، وعاون ناسخيها او مترجميها .

منارة الاقداس لابن العبري ، ترجمها الى العربية ولده الشماس سركيس تحت نظره واشرافه ، وقد يكون الوالد نقّح ترجمة الابن . دليلنا الى ذلك المخطوط الباريسي رقم ٢١١ ، المنسوخ بالكرشونية سنة ١٩٧٢ يونانية : ١٦٦١ م . وقد نسخ في كتّاب الخوري يوحنا الزرباني الملقب بابن الجرير الشامي على يد تلامذة الكتّاب (الفهرس ١٦٣ — ٤) . وجاء في آخره : « وقد تقابل وتصحح على النسخة الاصلية السريانية . ثم تقابل على النسخة التي اخرجها المرحوم الشماس سركيس ، حسب الامكان » (تم) . ولا يمكن ان يجري كل ذلك في الكتّاب بدون اشتراك رئيسه ومديره وتحت اشرافه وقيد اشارته . بل هذا يفيد ان تلامذة الكتّاب ترجموا المنارة وقابل معلمهم ترجمتهم على الاصل السرياني رأساً وعلى ترجمة ولده سركيس .

وفي يقيننا ان ترجمة سركيس قد تمّت على هذا الشكل . فمنها في دير الشرفة نسخة عربية رقمها ٤/٣ ، جاء في آخرها : « اخرجه من اللغة السريانية واعتنى به المنتقل الى رحمة الله تعالى ورضوانه ، الشماس سركيس بن يوحنا الدمشقي الزرباني . . وقد نجز . . بتاريخ سنة الفين وسنوتين [وستين] لليونان . . . » : ١٦٩١ م . (الطرفة : ٣٢٩ ومنقولاتنا عن المخطوط) .

ومنها نسخة كرشونية في المتحف البريطاني ، رقمها ٧٢٥ ، من سنة ١٧١٤ م كتبها في حلب الاسقف عبد الازلي (انظر ما بعد : ص ١٤٦) . وفي آخرها قصيدة من نظم يوحنا الشامي ، اورد الفهرس البيتين الاولين منها ، (الفهرس : ٢ : ٦٢٩) . فايراد القصيدة في آخر ترجمة منارة الاقداس ، وتسمية يوحنا الشامي بكاتب الاصول ، يفيدان على الاقل ان ليوحنا اشتراكاً في الترجمة او النسخة ان لم يكن صاحبها .

وقد وردت هذه القصيدة عينها في ختام نسخة عربية من منارة الاقداس ، محفوظة في دير الشرفة ، رقمها ٣/٣ ، بدون تاريخ ولا اسم الناسخ (الطرفة : ٣٢٨) . ولا شك انها من طائفة النسخ المار ذكرها ومن عهدها[1] .

١) طالعنا هذه القصيدة في مخطوط الشرفة وعدد ابياتها ١٦ ؛ فاذا هي في غالبها لا تستحق الذكر بشيء . وهذا مستهلّها :

رامي الذي احيي في كتبك الفره شرفه بالرفعة في عيك الثاني

وفي اكسفورد مخطوط عربي يحوي منارة الاقداس لابن العبري ، وتنسب فيه ترجمتها الى الشماس سركيس بن يوحنا الزربابي الشامي (فهرس نيكل وبيوزي : ٢ : ٤٥١) عن زوتنبرج : فهرس المكتبة الوطنية : ١٦٤)[1] .

المخطوط الباريسي رقم ٢٠٤ ، كتب جزءا منه «الشماس بطرس ابن يعقوب الحريري» (ور ٢٥—١٢٤) مواضيع مختلفة منها « ترجمة كتاب يسما الحمامة » لابن العبري ، بالعربية (ور ٣٦—١٠١) ؛ وكتب جزءا آخر يوحنا الشامي (ور ١٢٤ — ٢٤٤) (انظر ما سبق ، ص ١٤١) . والباقي ، على ما جاء في الفهرس ، يرجع عهده كالسابقين الى القرن الـ ١٧ .(ور ٢—٢٥ و٢٤٤—٣٠٨ ؛ الفهرس : ١٥٥—٦) . فكل هذه المعلومات تسوّغ لنا القول ان هذا المخطوط قد كتب في مدرسة يوحنا الشامي بخطه وخط تلامذته تحت اشرافه .

المخطوط الباريسي رقم ٣٠٩ ، المنسوخ سنة ١٩٥٦ لليونان : ١٦٤٥م ، يشتمل على مواضيع مختلفة بالسريانية ، اي اسباب الأعياد ، وضد نسطور ، وشرح القداس لبرصليبي وميران احدهما بالسريانية والآخر بالكرشونية ، جاء

عيني التي احدقت بجدينة اسفارك	يصفر لها زاهر زهرير جنان
يدي التي رسمت موضوع اسرارك	لا يك لها سهماً في حرّ نيران
وختامها : واغفر لمن عزا فضلات الكتب	وخديه عزمهم باعقاجم راني
يعطي بذيل حميد سعد مقصدهم	وان ينتظم خادم لا ناظم اوزان
والحمد يصعده لله مرجده	عبداً لكم حنا الكاتب الفاني

وقد وردت هذه القصيدة كذلك في آخر كتاب المواعظ السنوية لمار اثناسيوس بطريرك اورشليم . وجعل الفهرس من ٣٠ شعراً . وقد يكون عدّ البيت شعرين والكتاب من خط صاحب القصيدة (انظر ما سبق : ص ١٤٣) .

١) من منارة الاقداس المترجمة ، نسخة بالكرشونية في دير الشرفة ، رقمها ٣٨/٩ ، كتبها سنة ١٧١٦ م القس سليمان بن مطر من صدد (الطرفة : ٣٠٢—٣) ؛ ولا يذكر فيها مرجمها او مصدرها : اهو سركيس ام غيره .

ويذكر الاب شباط ان للربان دانيال ابن الخطاب (كذا) اليعقوبي الماردیني من القرن الـ ١٦ « تعريب منارة الاقداس لابن العبري ، محفوظة نسخة منه في مكتبته رقم ١٣٥ : ٢ ، ونسخة اخرى في القدس » (الفهرس ١ : ١١) . وانكر ذلك غبطة البطريرك برصوم وخطأ به « الراهب شيخو » (اللؤلؤ : ٤١٦ ، حاشية) حيث يذكر ان الشماس سركيس نقل كتاب المنارة الى العربية سنة ١٦٦١ م . وقد رأينا ان المخطوط الباريسي رقم ٢١١ المنسوخ تلك السنة يدعوه « المرحوم الشماس سركيس » .

في اوله هذه العبارة بالكرشونية : « اعلم ان هـذا الكتاب كتبوه الاولاد ابنا. الكُتّاب وهو مصحّح فلكن خطّه مختلف » (متنوع) ، والعبارة ، بحسب الفهرس ، من خط موسى ابن الكنّ (الفهرس : ١٦٠–١) . فلا ريبَ ان المقصود باولاد الكتاب تلامذة يوحنا الشامي ، يثبت ذلك من الحاشية الواردة فيه بالعربية (ص ٣٨٠) وهذه حرفيتها ، كما نسخها لنا احد اصدقائنا : « من كتب احقر وافقر خلق الله تعالى اسقف يوحنا المعروف بابن الفرير باسم غريغوريس »[1] . فيكون ان تلامذته كتبوه سنة ١٦٤٥ وتركوه له فزاد فيه هذه العبارة بعد ارتقائه الاسقفية ، وان لهُ يدًا فيه .

بيان من المخطوط السابق ذكره ومن غيره ان كتّاب يوحنا الشامي كان قائمًا حذاء كنيسة مار بهنام بدمشق . جاء في مخطوط اكسفورد رقم ١٣٩ ، الذي نسخه يوحنا الشامي بيده ، انه كتبه «في حما القديس مار بهنام عليه السلام» (اعلاه : ص ١٤٢) ، وفي نسخة الشرفه رقم ٥/٤ انما كتبت « في حضرة وحمى صاحب الايات والبرهان مار بهنام ، عليه السلام ، في كنيسته المعمورة دائمًا مدى الزمان ، في مدينة دمشق الشام . . . » (اعلاه : ص ١٣٩) . والحال أن موسى ابن الكنّ ، كما صرح في ختام احدى منسوخاته ، كان خادم كنيسة مار بهنام هذه . وقد نسخ له يوحنا الشامي كتاب رتب (اعلاه : ص ١٤١) . كما نسخ كذلك كتاب الهدايا لمعاونه في خدمة الكنيسة الشماس يوحنا ابن جبرائيل (اعلاه : ص ١٣٩) . فلم يعد من تثريب في القول بتعاونهما في العمل ، بل يمكن الترجيح ان موسى ابن الكن كان من تلامذة يوحنا ، ثم صار معاونًا له ، واخيرًا خلفه في الكتاب .

ولا بأس ان نزيد هنا ان لابن الكن في المكتبة الوطنية الباريسية ثمانية مخطوطات[2] . نكتفي بنقل خاتمة واحد منها ، هو المخطوط رقم ١٦٨ ، وبها

---

[1] جاء في الفهرس غلطًا « اسقف يوحنا ابن العزيز ، غريغوريوس » (ص ١٦١) .

[2] رقم ١٠٧ رتب الصاد بالسريانية والكرشونية ، سنة ١٩٨٨ يونانية : ١٦٧٧ م ؛ — رقم ١٢١ و ١٢٣ : فرض الجنازات وما اليها بالسريانية والكرشونية ، من القرن الـ ١٧ ؛ — رقم ١٦٣ المدعدان اي الرتب والرياحات لبعض الاعياد ، بالسريانية والكرشونية ، من الـ ١٧ ؛ —

الكندرية عن اسمه ورسمه وخطته : « وكان الفراغ منه في نهار الاربعاء ، اواخر شهر كانون الثاني،وذلك في سنة الف وتسع ماية وتسعة وثمانين للاسكندر ابن فيلبس اليوناني وهو الموافق الى تاريخ الهجرة وذلك في ١٧ ذي الحجة في سنة الف وثمانية وثمانون . وذلك على يد الحقير الاثيم الخاطي موسى باسم خوري مكنّا حاطوم ابن حنون ، عُرف بالكنّ ، وهو برسم بيعة القديس العظيم البطل الشجاع مار تودروس في القرية العامرة صدد . فالرجاء من كل ابن او اخ . . . » (عن منقولاتنا عن المخطوط : ور ١٩٢ ق[1]) .

ومن تلامذة يوحنا الشامي ، الاسقف عبد الازلي ، صاحب المخطوط ٧٢٥ في المتحف البريطاني المنسوخ سنة ١٧١٤ (اعلاه : ص ١٤٣) . فقد ختمه بعبارات تذكرنا بثلها في مخطوطات يوحنا الشامي : « وكان منتهى كتابته سنة الفين وخمسة وعشرين من سني اليونان ، الموافق لسنة الف وسبعماية واربعة عشرة مسيحية ، في اواخر شهر ربيع سنة الف وماية وستة وعشرون هجرية ، بيدين نحيفات خاطئات ، والى العدم زائلات ، عبد عبيد يسوع الجليل ، بالاسم اسقف عبد الازلي ، وبالفعل اثيم سقيم ذليل خاطي ضئيل . . . » (الفهرس: ٢: ٦٢٩) .

وفي اخر الكتاب قصيدة يوحنا الشامي المحكي عنها (اعلاه : ص ١٤٣) تحت هذا العنوان «خاتمة منظومة لكاتب الاصول معلمي اسقف يوحنا الشامي» . فقوله « معلمي » يفيد انه تلميذه .

وفي دير الشرفة نسخة عربية من كتاب الاتيقون لابن العبري رقمها ١١/٨٠، كتبها « الخوري عبد المسيح الكاثوليكي المذهب . سنة ٢٠١٠ للاسكندر»:

رقم ١٦٨ : حسابات للاعياد المتنقلة ، بالكرشونية ، سنة ١٩٨٩ يونانية : ١٦٧٨ م ؛ — رقم ١٧٥ : حسابات للاعياد السيدية وللاحاد بعد العنصرة ، بالسريانية ، من القرن الـ١٧ ؛ — رقم ٢٢٨ : الهدايا لابن العبري ، بالكرشونية ، سنة ١٩٩٣ يونانية : ١٦٨١ م : ١٠٩٢ هجرية ؛ وفيه يصرح بانه خادم كنيسة مار جنام ؛ — رقم ٢٧٤ : الاحاديث الفكاهية لابن العبري ، بالكرشونية ، سنة ١٩٨١ يونانية : ١٦٧٠ م . (الفهرس : ٦٥، ٨٠، ٨٣، ١١١، ١١٤، ١٢٢، ١٧٦ و ٢١٢) .

١) ذكر غبطة البطريرك برصوم في « ثبت مشاهير الخطاطين » في القرن الـ١٦ : ٢٦٩٥ : الخوري موسى حاطوم ابن الكنّ النبكي ، [سنة] ١٦٦١ م » (اللؤلؤ المنثور: ٤٩٥) :

١٦٩٩ م (الطرفة : ٤٠١) . بل تكون مأخوذة عن ترجمة يوحنا الشامي وهي معاصرة لها ، ويكون ناسخها من تلامذته ؟

وفيه نسخة عربية لمنارة الاقداس رقما ٤/٣ (اعلاه : ص ١٤٣) . وهي بقلم الشماس نعمه ابن الخوري توما والشماس نعمه ابن قدسي الذي ارتقى مطرانية دمشق على السريان. وقد اخذاها عن ترجمة سركيس بن يوحنا الشامي سنة ١٦٩١ م (الطرفة : ٣٢٩) . فعلاقتها بيوحنا الشامي ظاهرة من تاريخها ومرجعها ومكانها . ولا يبعد ان يكون الشماسان من تلامذة كُتّابه.

وفيه نسخة عربية من كتاب الهدايا لابن العبري رقما ٤/٦ ، « نجزت على يد الشماس حنا ابن المقدسي سنة ١٧١٤ (الطرفة : ٨٣) . فقد تكون وليدة ترجمة يوحنا الشامي لهذا الكتاب ، مأخوذة عنها بخط احد تلامذته .

. . .

اما وقد عرفنا كل ما سبق ذكره عن يوحنا الشامي ، فاصبحنا في وسعنا ان نستخلص ، مما علّقه على منسوخاته، معلومات وافية عن هويته وحاله، وعناصر كافية لقدر علمه وعمله .

وقبل المضيّ في الكلام ، لا بدّ لنا من اثبات لقبه على الوجه الصحيح . فهو ليس ابن الجرير او الجُرَير، ولا ابن جَرير او جُرير ، كما قرأه وكتبه المؤلفون بالعربية والفرنجية حتى الآن ، بل ابن الغُرير ، بالغين المعجمة المضمومة.

ان العلامة السمعاني ، في « المكتبة الشرقية » ، عند كلامه عن كتابي الانيقون وكنز الاسرار ، الاول من ترجمة يوحنا الشامي والآخر من نسخه ، ينقل الكلمة الكرشونية على اصلها وحقّها : ܐܒܢ ܓܪܝܪ . بجيم معجمة تحتها نقطة ، وهي تقابل الغين العربية ، كما سترى . لكنه باللاتينية ينقل هذه الكلمة ثلاث مرات كاتباً : « الجرير » (المكتبة الشرقية : ٢ : ٢٧٨ في موضعين و ٣٠٣)[1].

اما في فهرس المكتبة الواتيكانية ، الذي وضعه بعد كتابه السابق ، بالاشتراك مع ابن اخته المطران اسطفان عواد السمعاني ، فانه يكتب عادةً وغالباً الجيم الكرشونية مهملة بدون نقطة ، سواء قابلت الجيم او الغين العربية .

(1 ebn Garir, — filius Garir. — Garir filius

وهكذا كتب مرتين ܐܒܢ ܓܪܝܪ بالجيم المهملة ، ونقلها باللاتينية « ابن جرير » (الفهرس : ٣٤٩:٣—٥١) . وقد يكون حداه الى نقل الكلمة مصغرة على هذا الشكل ما قرأه في النبذة القديمة الموضوعة للنسخة الباريسية من ترجمة الانيقون (رقم ٢٤٧ حاليا) ، ونقله عنها في فهرسه ، وقد جاءت فيها الكلمة باللاتينية « ابن جُرير » (ثم : ص ٣٥١)[1] .

اما العالم باين سميث ، في فهرس المخطوطات السريانية في اكسفورد ، فانه يكتب دائما الجيم الكرشونية معجمة بنقطة تحتها ، سواء قابلت الجيم او الغين العربية . واجتمع له ذلك في جملة واحدة : « اللهم بجزيل (ܓܙܝܠ) مراحمك السيدية ، اغفر (ܐܓܦܪ) وسامح . . » (الفهرس : عامود ٦٧) . ولهذا تراه ينقل الكلمة الكرشونية مكتوبة بالعربية مرة واحدة « ابن الجرير » بدون حركة (ثم : ٤٤٣) وباللاتينية مرتين « ابن جَرير » (ثم : ٧٦) ، ومرة ثالثة « ابن جُرير » (ثم : ٤٤٦)[2] .

ونقل اللقب على وتيرة واحدة ، في فهرس المكتبة الوطنية الباريسية ، هكذا « ابن الجرير » (الفهرس : ٦٧ ، ١١٩ ، ١٦٤ ، ١٧٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٧)[3] .

وقد استغربنا ان يفوت هذا الامر حضرة صديقنا الخُورسقف اسحق ارملة ، على سَعة اطلاعه ودقة معرفته للسريانية والكرشونية . فعند كلامه عن كتاب المدايات لابن العبري من ترجمة يوحنا الشامي ، قرأ وكتب « ابن الجرير » بالعربية ، مع ان اللفظة الكرشونية بالجيم المعجمة : ܐܒܢ ܓܪܝܪ ، كما رأينا بعيننا في مخطوط الشرفة رقم ٥/٤ (الطرفة : ٨٢) .

---

١) Gorairi filius . ولسائل : الا يمكن القول بان المقصود هنا « ابن غُرَيره » ؟ نستبعد ذلك اقلّه فيما خصّ السمعاني لانه اراد الجيم العربية بالحرف اللاتيني G في « المكتبة الشرقية » (اعلاه) .

٢) fil. Jorairae — filio Jariri, — filii Jariri, . ولا نظنه يريد الغين في الموضع الاخير . لانه ينقل اسم غوسطا (ܓܘܣܛܐ) بالكرشونية فيكتبه بالعربية « جوسطا » (ثم : ٣٠٠ و٦٦٧) . كأنه لم يخطر له على بال ان الجيم المعجمة ܓ تؤدي الغين ، حتى في اسم غوسطا ، مع انه نقله باللاتينية مرة Augusta (اوغوسطا) (ثم : ٣٦٧) ، ومرة اخرى ، عن غيره ، Ghusta, s. Gusta (ثم : ٦٦٧) .

٣) مرة واحدة ,fils de Jarir والباقي Ibn al-Jarir .

وهذا ما حدث كذلك للاب شباط في « مكتبة مخطوطاته » (٢ : ٩٠٠) ، وقبله للاب شيخو ، وبعده للاب العالم جورج جراف في موسوعته القيمة . فقد نقل عنه سيفوا فكتب كما كتبوا (اعلاه : ١٣٧)[1] .

نقول ان نقل اللقب من الكرشونية الى العربية او الفرنجية على الوجه المبسوط ، اي ابن الجرير على انواعه ، خاطئ[2] ؛ والصحيح فيه « ابن القُرير » ليس الّا .

طالعنا بذاتنا كتابين من خط يوحنا الشامي ، مخطوط بكركي (اعلاه) ومخطوط دير الشرفة رقم ٥/٤ (اعلاه : ص ١٣٩) ، فاذا الجيم السريانية معجمة دائماً فيها بنقطة تارةً في وسطها تقابل الجيم العربية ، وتارةً تحتها تقابل الغين . وعلى هذا درج النساخ في الماضي حتى زماننا[2] .

ان يوحنا الشامي كتب لقبه بجيم معجمة تحتها نقطة في المخطوطين الواتيكاني رقم ١٧٢ واكسفورد رقم ١٨ كما ورد نقله في الفهارس (اعلاه : ١٣٨). وكان من حسن حظنا ان بين محفوظاتنا ومنقولاتنا توقيعين بالكرشونية ليوحنا الشامي مع لقبه . طالعناهما بذاتنا فاسترعيا انتباهنا ونقلناهما على حالها . احدهما في المخطوط الباريسي رقم ١٠٩ حيث كتب اللقب بالجيم المعجمة تحتها نقطة « خوري يوحنا الزرباني ، عرف بابن القرير [illegible] (المخطوط : ور

---

(١) سررنا اذ عثرنا على ما يوافق قولنا في «اللؤلؤ المنثور» ، ولكن بعد اكتشافنا ذاته حقيقة اللقب . ذلك اننا لم نجد فيه في « فهرس الاعلام » (ص ٥٢٣–٤٩) ذكر يوحنا الشامي ، ولا ذكر « ابن جرير » كما نقله الينا المؤلفون ، ولا اسم غريغوريوس الاسقف يوحنا الشامي . ولما توفقنا الى معرفة اللقب على حقه ، عدنا الى «اللؤلؤ المنثور» ، فوجدنا في « فهرس الاعلام » اسم « يوحنا بن غرير ٢٤ : ٤٦١ » (ص ٥٤٨) و« سركيس بن غرير ٤٦١٢'١١٦ » [والصحيح ٤٦١] (ص ٥٤٠) . والقول « غرير » لم يرد في واحد من المخطوطات التي درسناها ، بل « القرير » منزّهةً .

وعلى كل حال ، قد استفرينا بصواب ان يغطي غلطه عن نخبة هذا العالم السرياني بعدد في مؤلفه الجليل القدر ، شأنه مع ادنى منه في اقرانه ، وان يكتفي له بسطرين فقط في ختام العدد ٣٧٧ (ص ٤٦١) ، الذي افرزه لابنه الشماس سركيس : وتراث الابن الادبي كتاب واحد ، قد يكون كله او بعضه على الاقل من فيض كنز الوالد .

(٢) اما التالب الآن في لبنان فان تنقل الجيم العربية بالجيم السريانية مهملةً والغين بها معجمة بنقطة في وسطها .

١٨٥ والفهرس : ٦٧) . والآخر في المخطوط الواتيكاني رقم ١٧٢ ، ورد اللقب فيه كما في السابق ، بزيادة حركة الضم السريانية (أذم : ـُ) فوق الجيم المعجمة : أخ الأجيُّ (المخطوط : ور ٢١٠ والفهرس : ٣ : ١٥١) .

وكان هذا الامر من توفيق العناية الربانية ، فيه اهتدينا الى وجوب تصحيح اللقب على الشكل الذي ابتداه . وكان لنا مؤخراً مزيد توفيق بقراءة اللقب على الشكل عينه في مخطوط دير الشرفة .

وشئنا المزيد من استثبات الامر بالحصول على توقيع بالعربية ليوحنا الشامي فهدانا الله اليه . ذلك ان في المخطوط الباريسي رقم ٢٠٩ (ص ٣٨٠) عبارة بالعربية لخصها صاحب الفهرس كما يلي : « كان هذا المخطوط قد دخل في حوزة الاسقف يوحنا ابن العزيز ، غريغوريوس » (الفهرس : ١٦١ : عامود ١)[1] .

فقلنا ان ابن العزيز هذا الوارد اسمه « الاسقف يوحنا غريغوريوس » في مخطوط من سنة ١٦٤٥ ، معاصر لصاحبنا ابن الغرير ، وقد « كتبوه الاولاد ابناء الكتّاب » ، كتّابه الذي تكلمنا عنه ، كما يوضح ابن الكن معاونه ، لا يمكن ان يكون الا « ابن الغرير » ، قرأه واضع الفهرس غلطاً « ابن العزيز » . وما اسهل مثل هذا الغلط على ابناء اللغة انفسهم ، فكيف به على الاجنبي ؟

وعليه استنسخنا هذه العبارة بدقة ، مع النقاط والحركات وخصوصاً كلمة عبد العزيز ؛ فجاءتنا منقولة بعناية ، بل كانها مصورة ، مع تقليد الخط بحسب الامكان ؛ وهذه هي : « من كتب احقر وافقر خلق الله تعالى اسقف يوحنا المعروف بابن الغرير باسم غريغوريس » ، وهي بخط يده بدون ريب ، من النعوت الواردة فيها التي لا ينعته بها سواه . فكان بهذه العبارة فصل الخطاب[2] .

وعليه فصاحبنا يدعى يوحنا ، وبعد اسقفيته غريغوريوس يوحنا[3] . والده المعلم عبود . نسبته الشامي والزرباني . وغلبت الاولى . ووردت كل منها تارة

---

1) Ce ms. avait appartenu à l'évêque Jean Ibn al-Aziz, Grégoire.

٢) التفضل بنقل العبارة لصديقنا حضرة الخورسقف يوسف النقالي استاذ الخط الدنوقي الشرقي في الكلية الكثوليكية باريس – فله الشكر .

٣) ذكر يوحنا ٣٧ مرة في المخطوطات التي درسناها . وورد اسمه حنا مرتين فقط : في مخطوط بكركي . وبعد اسقفيته دعي غريغوريوس يوحنا مرتين ، ويوحنا غريغوريوس مرة ، ويوحنا مرة ، وغريغوريوس مرة .

وحدها وتارة مقرونة بالاخرى بتقديم وتأخير . وقيل الدمشقي بدلًا من الشامي مرة واحدة . وقد تكون الزرباني نسبة الى زربه الواقعة جنوبي حلب الى غربيها[1] . واللقب او الكنية ابن القُريز ، كما اثبتنا[2] .

ومن الراهن ان اللقب يلصق بالشخص لاعراض منها ان يكون علامة عليه ، يجيء مدلوله مطابقاً لصفة متغلبة فيه على غيرها . ولقب « ابن القريز » يطلق على من كان سمين الجسم . واستعماله شائع حتى اليوم في لبنان[3] .

ويظهر ان اللقب علق بعبود والد يوحنا ، او لزمه ممن تقدمه من عائلته ، وورثه عنه يوحنا . فقد جاء مقروناً باسم عبود في اربعة مخطوطات[4] .

اما كيفية اتساق عناصر الهوية ، فتتنوع كثيراً . فالاسم يرد في البـد.

---

١) وردت النسبة « الشامي » ١٦ مرة : ٧ مرات وحدها و ٩ مرات مع «الزرباني» ؛ والنسبة « الزرباني » ١٢ مرة : ٣ مرات وحدها و٩ مرات مع الشامي . ولم ترد الاولى ١١ مرة والثانية ١٥ مرة . ولم ترد كلاهما ٨ مرات .

وردت « الشامي » في عهد قسوسيته ٧ مرات : ٤ وحدها ، و٢ الزرباني الشامي ، ومرة الشامي الزرباني ؛ — وفي عهد خورنيته ٤ مرات : الشامي الزرباني مرة ، والزرباني الشامي ٣ مرات ؛ — وفي عهد اسقفيته ٥ مرات : وحدها ٣ مرات والدمشقي الزرباني مرة والزرباني الشامي مرة . فتكون قد وردت على السواء في كل اطوار حياته ، غالباً وحدها في القسوسية والاسقفية ودائماً مع الزرباني في الخورنية .

وردت « الزرباني » في عهد قسوسيته ٣ مرات : الزرباني الشامي مرتين والشامي الزرباني مرة ؛ — وفي عهد خورنيته ٧ مرات : وحدها ٣ مرات ، والزرباني الشامي ٣ مرات ، والشامي الزرباني مرة ؛ — وفي عهد اسقفيته مرتين : الزرباني الشامي مرة والدمشقي الزرباني مرة . فيكون اكثر ورودها في خورنيته مقرونة غالباً بالشامي . ولم ترد مرة وحدها في القسوسية . ولا اثر لها في الاسقفية الا في مخطوطين من غير قلمه .

٢) ورد اللقب ١٨ مرة واهمل ٩ مرات . وورد دون النسبة ثلاثاً ٦ مرات . وسُبق بلفظة « عرف » مرة ، و «المعروف» مرتين ، و«الملقب » مرة . وجاء مرتين بدون لفظة « ابن » ، ملحقاً باسم « عبود » .

٣) « القُريز » اسم حيوان بدين سمين بين الكلب والسنور قصير القوائم ، اغبر اللون . وقيل في امثالهم : اسمن من قريز (المنجد : الطبعة ١٣ : سنة ١٩٥٢ : ص٥٧٤) . وفي لبنان يلقب به من الاطفال والاولاد خاصة ومن الاشخاص عامة ، من كان سمين الجسم .

٤) من خط يوحنا : مخطوط المدرسة المارونية برومية : « ابن عبود ابن القريز » ؛ — اكسفورد ١٣٩ : «ابن المعلم عبود المرحوم القريز» ؛ — الشرفة ٥/٤ : « ابن المرحوم المعلم عبود ابن القريز » ؛ — ومن خط ابن الكنّ : الباريسي١٦٨ : «المعروف بابن عبود القريز » .

ويعقبه تارة النسبة دون اللقب ، وتارة اللقب دون النسبة ، او مرفقاً بالنسبتين معا ، او بواحدة منهما . ما عدا ورود اسم الوالد عبود حلال ما ذكرنا[1] .

وبهذا كفاية في شأن الهوية . وعنه معذرة .

. . .

وكان مترجمنا قساً على الاقل منذ سنة ١٦٣٤ ، وظل في هذه الدرجة المقدسة حتى ١٦٤٨ ، كما ورد في ست من المخطوطات هذه سنوها : ١٦٣٤—٥ و٣٦ وحوالي ١٦٤٠ و٤٢ و٤٥ و١٦٤٨ .

وذكر برتبة الخوري في سبع مخطوطات كتبت سنة ١٦٥٣ و٥٣ و٥٣—٤ و٥٧ و٦١ و٦٤ و١٦٦٦ .

وارتقى بعيد ذلك الاسقفية وسمي فيها غريغوريوس ، بالاضافة الى اسمه الاول يوحنا ، كما جاء في مخطوطين ، كلاهما من سنة ١٦٧٠ من خطه ، وفي ثالث كتبه تلامذته سنة ١٦٤٥ وعلق عليه بخطه بعد ارتقائه الاسقفية انه من كتبه . وذكره اسقفا ابن الكن في مخطوط من سنة ١٦٧٨ والاسقف عبد الازلي الحلبي في اخر من سنة ١٧١٤ (اعلاه) .

اما وفاة يوحنا الشامي فلا نقدر ان نحدد يوم وقوعها من الكتب التي وصفناها . فمنها يتضح فقط انه كان قد اصبح هرماً سنة ١٦٧٠ اذ نعت فيها يديه بالضعف والميل الى الزوال (اعلاه : ١٣١)؛ وانه على الارجح كان لم يزل حياً سنة ١٦٧٨ بالاستناد الى ان معاونه ابن الكن يذكره فيها بدون الترحم عليه . اما ان يكون قد امهله الموت حتى سنة ١٧١٤ ، اذ ورد فيها ذكره بدون عبارة الترحم في مخطوط عبد الازلي (اعلاه) ، اي ثمانين حولاً على الاقل بعد قسوسيته وما ينيف على قرن بعد ولادته ، فنستبعد ذلك ، لانه من النادر جداً ان لم يكن من المحال[2] .

---

١) بعد الاسم ، جاء اللقب اولاً ١٣ مرة : ٧ مرات وحده دون النسبة ؛ وبعده الشامي مرتين ، والزربابي مرتين والشامي الزربابي مرة والزربابي الشامي مرة ؛ — وجاء ثانياً ٦ مرات بعد الزربابي مرة ، وبين الزربابي والشامي ٣ مرات ؛ — وجاء ثالثاً مرة واحدة بعد الشامي والزربابي .

٢) جعل غبطة البطريرك برصوم مدة اسقفيته من ١٦٦٨ الى ١٦٨٦ (اللؤلؤ المنثور : ٤٦١) . وجعل الكونت فيليب دي طرازي تسقيفه سنة ١٦٦٧ ، وهذا مردود بما اوردناه من كتبه ؛ ووفاته في نواحي سنة ١٦٧٦ ، لانه لم يذكر بين الاساقفة الذين كرسوا اغناطيوس خليفة

وما عدا ذلك نعرف عن عائلة يوحنا الشامي ان والده عبود كان قد توفي سنة ١٦٥٣ اذ نعت فيها بالمرحوم (اكسفورد ١٣٩ والشرفة ٥/٤ سرياني) ، وان ولده سركيس نعت بالمرحوم في مخطوط من سنة ١٦٦١ (الباريسي ٢١١)[1] .

ولا يمكن الجزم بوقف هـذه العائلة من اليعقوبية والكنيسة الرومانية . فالكونت فيليب دي طرازي يؤكد في كتابه السابق ذكره ان اليعاقبة بعد ان اقاموه مطراناً عليهم سنة ١٦٤٧ باسم غريغوريوس يوحنا، «اهتدى الى الكثلكة بارشاد البطريرك اندراوس الذي انفذ اليـه والى الكهنة والشعب الدمشقيين منشوراً ذا ١٤ صفحة ، مؤرخاً في ٢٢ ت ٢ سنة ١٦٧٣ [في الكتاب غلطاً : ١٧٧٣] ، يحتوي ايمان الكنيسة الحلبية ... محفوظاً في دير المخلص .. بالقرب من صيدا .. » (ثم : ٢٦٩—٧٠).

ويُعرض غبطة البطريرك برصوم عن « ايراد شيء من ذلك . بل يؤكد بالعكس ان يوحنا الشامي ، اسقف دمشق ، صاحب « ميمر افرامي وسط .. ندد فيه برهط خرجوا على الارثوذكسية » (ثمّ : ٤٦١).

اما المخطوطات فتنبئ ان كُتّابه كان في حمى كنيسة مار بهنام ، اليعقوبية آنذاك ، وانه أرّخ احدها في « ثامن شباط يوم عيد سويروس » ، وذلك بدون شك على سبيل التيمن والتبرك بالعيد وصاحبه امام المتوفيسية . وهيهات ان يصح ذلك لكاهن سرياني كثوليكي (الشرفة ٥/٤ : الطرفة : ٨٢).

لكن يدل على ميله الى الكثلكة منذ ١٦٥٣ ما جاء في خاتمة مخطوط اكسفورد رقم ١٣٩ من تبجيل وتعظيم للبطريرك اغناطيوس شمعون الذي اتحد بالكرسي الروماني (السماني : المكتبة الشرقية : ٢ : ٤٨٢) ، قال : « كتبته تنفيذ امرٍ لا يُردّ ، وتأييد قول لا يُصدّ ... لاب السريان ونادرة الزمـان وعلامة الوقت والاوان .. [الخ] ... ابينا اغناطيوس بطريرك المشرق والمغرب، الملقب بشمعون» ... (اعلاه : ٤٢) .

اندراوس سنة١٦٧٨ في الكرسي الانطاكي» (السلاسل التاريخية في اساقفة الابرشيات السريانية : المطبعة الادبية : بيروت : سنة ١٩١٠ ص ٢٦٩—٧٠) . على ان هذا السبب قد يكون مرجعه الى تقدمه في السن او الى عدم انضمامه الى رهط من طائفته «خرجوا على الارثذكسية» . وندّد هو جم بميمر افرامي (اللؤلؤ المنثور : ثمّ).

١) جعلت وفاته في « اللؤلؤ المنثور » سنة ١٦٦٩ (ثمّ) .

جاء في « اللؤلؤ المنثور » ان يوحنا الشامي واضع « رسائل جدلية معقدة بالعربية وبقولي ركيكة » (ثم : ٤٦١) . على انه كان بلا مشاحة رجل عمل يستحق الثناء ، ظل ينسخ ويترجم مدى ست وثلاثين سنة (١٦٣٤—٧٠) على الاقل . وادار كتّابا في دمشق سبقنا فذكرنا بعض تلامذته ومنتوجاتهم . ولا ريب في انها لم تصل الينا جميعها .

ويثبت لنا من كتبه انه كان يتقن، ولا منّة ، اللغة السريانية، وان يكن قد نعتها«بيابس السرياني»،ويكتب العربية وينقل اليها، وان بدت « نقوله ركيكة». وكان الى ذلك يعرف اليونانية بدليل ترجمته للمزامير عن النسخة السبعينية (اعلاه : ١٣٩) ، واعتماده على نص ترجمته هذه في كتاب تفسير المزامير ومقابلة السرياني واليوناني الواحد بالآخر في محالّ عديدة من كتابه هذا (اعلاه : ١٣٤—٥).

ونزيد ان هذا الكاهن كان لا يجهل العبرانية . فعند ترجمته لشرح المزمور ١٠٤ ، الآية ٣١ :« ولا بني الوهيم يتزنون لتزنوا بينات قايين »،زاد على الهامش تجاه بني الوهيم :« هذه كلمة عبرانية ، اعني بني الله ».

ولحظنا في درستنا ان المفريان ابن العبري كان الاحب اليه والمفضل لديه بين آباء السريان . فقد ترجم له على الاقل كتابين : الايثيقون والهدايا . وعاون ابنه سركيس في ترجمة منارة الاقداس ، له ايضاً . ونسخ من كتبه بالسريانية او الكرشونية : كنز الاسرار ، اللمع والاضواء ، الحمامة ، وفي مصحف واحد الاحداق وحديث الحكمة والاسرار الالهية الخفية والهدايا . وحثّ تلامذته فنسجوا على منواله .

والمفروض في من كانت هذه مآثره وآثاره الادبية ان يكون عالماً مثقفاً ذا اطلاع واسع وذوق سليم . وما يسرّنا انه لم يكن خالياً من النقد فيلجأ الى المقابلة ويكثر من الشروح ويعيد الامور الى مصادرها ويذكر مظانّها .

رأينا ذلك في سياق كلامنا على كتابه «تفسير المزامير» .وهذا شأنه في معظم كتبه . فكتاب الهدايا المحفوظ في الشرفة ، وهو بخط يده ، نعته صاحب الفهرس بنسخة «مبثثة بعدة فوائد بالسريانية والكرشونية» (الطرفة : ٨٢ رقم ٤/٥) . وأدّى مثل هذه الشهادة ، في جانب بعض مخطوطاته ، صاحب فهرس المكتبة الوطنية البارية :« زاد الناسخ على الهوامش عدداً كبيراً من الشروح

والتصحيحات » في المخطوط ١٩١ (الفهرس ١٣٣) ، « حواشي على الهامش » في المخطوط ٢٠٤ ، عدد ٨ (ثم : ١٥٥) : « حواشي عديدة وشروحاً ونصوصاً بالسريانية والكرشونية تملأ الهوامش » في المخطوط ٢٢٧ (ثم : ١٧٤) ؛ « عدة شروح وحواشي على الهوامش » في المخطوط ٢٤٧ (ثمّ : ٢٠١) .

ومن جميل صنيعه ان الكتب التي خطها بيده او نُخطت في كتّابه كان يقابلها باصولها كرّاساً فكرّاساً . وكثيراً ما نرى عبارة المقابلة في كتاب تفسير المزامير ، هكذا : « قوبل الى هنا حسب الامكان » (ك ١٠ ، اخره) « قوبلت » (ك ١١، ١٢، ٢٠، ٢١) ، « قوبلت حسناً » (ك ١٥) . ورأينا مثل ذلك في كتاب « الهدايا » المحفوظ في الشرفة .

وكان هذا الكاهن العالم العامل لا يغرب عنه تعيين اصول النسخ التي كان يترجها او يكتبها . لنا مثال ذلك في كتاب تفسير المزامير ، وقد اوردنا حكايته في الحصول على الاصل السرياني ووصفه لحالة هذا الاصل من حيث القدم والعطب وتعيين تاريخ كتابته .

وحصل مثل ذلك في ترجمته لكتاب الهدايا . فهاك ما علّقه قبيل اخره : « إعلم ايها الاخ الواقف على هذا الكتاب الشريف انا اخرجناه من نسخة بغدادية معتبرة بعد ان قابلناه على نسختين ، ثم فيما بعد على نسخة مطران بهنام المرحوم . ووصلنا في آخر الامر الى ها هنا ، فوجدنا هذا الباب الاربعون ناقص فصلين . فابقينا له ورق ابيض بعد التاريخ ، ليكتبوا اذا وجدوا » (الشرفة : رقم ٥/٤ . الورقة ما قبل الآخر ؛ — انظر الطرفة : ٨٢ : حيث لم ترد هذه العبارة) .

ومن هذا الكتاب نسخة اخرى في المخطوط الباريسي رقم ٢٢٧ ، ضمّ اليها في مصحف واحد مواضيع اخرى ، يفيدنا فيها الشيء عينه عن نقصان الاصل المترجم من آخره ، لكنه يستدرك بانه اخذ النقص ، وكذلك اصل كتاب شيروتس ، عن نسخة كتبها الاسقف يوحنا غريغوريوس بهنام اسقف القدس (عن الفهرس : ١٧٤—٦) .

وقد جرى له شيء من ذلك في نسخه كتاب الاضواء ، المحفوظ في المخطوط الباريسي رقم ٢٥٩ (الفهرس : ٢٠٦—٧) .

ولما نسخ ميامر اي مواعظ مار غريغوريوس التاولوج سنة ١٦٧٠ ، المحفوظة

في المخطوط الباريسي رقم ١٩١ ، نقل في آخر نسخته خاتمة النسخة التي اخذ عنها ، وكانت مخطوطة سنة ١١٠٩ للشهداء : ١٣٩٣ م ، في دير مار بولا الناسك ، في برية كلزوم ، ومأخوذة عن مخطوط كتبه في دير مار انطونيوس العربه راهب يدعى زكريا ، ذكر فيه انه جاب الاصل المنقول منه من الشام الى الديار المصرية ، من نسخة فريدة ، لم يكن في الشام سواها . (الفهرس: ١٣٢—٤) .

وافادنا كذلك ان النسخة التي اخذ عنها رسالة مسيحي الى مسلم ، المحفوظة في المخطوط الباريسي رقم ٢٠٤ ، عدد ٨ ، يعود تاريخها الى سنة ١٤٨٤ لليونان : ١١٧٣ م (الفهرس : ١٥٥—٦) .

ولا شك انه حتم على تلامذته في كُتّابه التقيّد بهذه الطرق والخُطط التي جرى عليها ان في الترجمة وان في النسخ . وقد ذكرنا ان كُتّابه كان قائماً في حمى كنيسة مار بهنام بدمشق ، حي باب توما ، وهي الآن كندرائية مطران السريان الكثوليكيين . ونرى ان والده عبود ، المسمّى «المعلم» (اكسفورد ١٣٦ والشرفة ٥/٤) ، هو الذي رشّح ابنه يوحنا ودرّجه الى ما وصل اليه من العلم والعمل ، وكان قدوته فيها . ولا يبعد ان تأسيس الكُتّاب كان على يده ، او اقلّه بمشورته . فتهيأ لولده ان يبلغ به الشأو الذي عرفناه .

...

هذا ما استطعنا معرفته وكتابته عن القس فالخوري يوحنا ، فالاسقف غريغوريوس يوحنا ابن المعلم عبود الشامي الزربابي ، الملقّب بابن الغرير ؛ وذلك من مخطوطاته التي وصلت الينا معرفتها واطلعنا عليها بذاتنا او بواسطة ما جاء عنها في فهارس المكتبات التي تحفظ فيها .

والفضل في كل ذلك لكتاب تفسير المزامير المحفوظ في بكركي ، وانه لفضل غير يسير . فقد اكتشفنا به مؤلفاً ليوحنا الشامي كان مجهولاً حتى الآن في تاريخ الآداب المسيحية العربية ، فاضيف جديداً الى المخطوطات العربية لكتبة النصرانية .

كما اننا بهذه المناسبة تطرقنا فوصلنا الى معرفة الشيء الكثير ، في درسنا هذا ، عن كاهن فاسقف سرياني جليل ، عالم عامل ، جدير بالثناء ، يجب له علينا التقدير .

عن بكركي ٩ شباط عيد ابينا مار مارون ، سنة ١٩٥٤

الآثارُ المطويّة (تابع)

جمعها وعلّق عليها ونشرها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس انطوش جبيل

قصائد متفرقة في شؤون متنوعة للشيخ ناصيف اليازجي

عكف الشيخ ناصيف اليازجي على التصنيف والتحبير بجَلَد ثابتٍ وعزم ماضٍ ، وكان عشيره ورفيقه ونديمه وسميره ، قلمه الذي لم يتبرّم من منادمته ومسامرته طوال حياته ، فكان له خير جليس واصدق رفيق يسرُّ اليه ، ويحدب عليه ، مستطيباً عشرته ، مستعذباً مصاحبته ، فما نقض له عهدًا ولا نسيَ ودًّا .

أتصوّر الشيخ جالساً الى مكتبه او متربعاً على حشيّته (طرّاحته) امام منضدته الصغيرة المنثورة عليها الأوراق والاقلام حول الدواة ، مكبّاً على تأليف الكتب ونظم القصائد ومراسلة الأدباء والشعراء ، ودخان شُبُقِهِ (غليونه) متصاعدًا متلوياً في فضاء غرفته عاقدًا الحلقات ، وبجانبه مجمرة يعلوها ابريق لقهوة البن ، وكلما مصّ منها مصّة متبعة بمصّة من ماسورة الشبق ، أسرع قلمه في جريه على القرطاس ، يتدفق الحبر من شق تلك القصبة فيسطر الدرر والغرر . وطالما ردّد هذين البيتين :

قهوة البُنّ حلالٌ ما نهى الناهون عنها
كيف تدعوها حراماً وانا اشرب منها

ويضيبه ويزله ان يفاجئه زائر حين استراحته في جلوسه الى منضدته ، فيقطع عليه مجرى تصوّراته ويوقف قلمه عن الامتداد الى دواته ، ويشوّش هناءه في وحدته . لذلك كان يأمر لزائره بالقهوة في الحال ، اشارة لوجوب انصرافه ، ويعود الى قلمه القصبي فيغمسهُ في محبرته ويطلقه جرياً على عادته .

ان الشيخ كان ناعماً بعزلته وسكونه ، وصفاء ذهنه وجودة قريحته ، وانصبابه على اقلامه واوراقه ، ولولا ذلك ما كنا تمتّعنا بثمراته اليانعة الشهيّة

الطيبة الشميم ، الحلوة المذاق ، ولا استطاع قلمه الخصاب ان يأتي بمثل هذه الطرائف واللآلئ العديدة التي طوّق بها جيد الادب العربي ، ورنّ صداها في كلّ مكان وتردد اسمهُ على كلّ شفةٍ ولسان ، ويحمحُ لنا ان نقول فيهِ ما قالهُ في احد علماء الرهبان :

سودتَ بيضاء الصحائف فانثنت لو أشبهتها الاعيُنُ البيضاءُ

وان افضل وصفٍ ينطبقُ عليهِ ويصدقُ فيهِ ويوجه اليه ، ما نظمه من ابيات قصيدة بعث بها الى صديقه الخوري حنانيًا المُنيِّر الزوقي ، احد رهبان دير مار يوحنا الصابغ في الشوير [1] :

ولرُبَّ محبرةٍ لديه تخالها بحرًا وليست بعض جزء الميلِ
تتدفّق الاسرارُ منها مثلما دفقتْ غوادي السيل فوق مسيلِ
غاصت بها اقلامُهُ فأتت بما يختار من اكسيرها المحلولِ
حتى اذا عادت بهِ رقصتْ على وجهِ الصحيفة ذات جرّ ذيولِ
وقريحةٌ في النظم دون رواتها طلع القريضُ بغرّةٍ وحجولِ

وظلّ قلم الشيخُ ناصيف مطّردًا في جريه يعبّ من محبرته ، غير عابئٍ بثقل شيخوخته الى ان ذهبَ في سبيل كل حي . لقد اقعده المرض واحتل جسمه الالم ، وشعر بقرب الاجل ، ومع ذلك بقي مستنيرًا بضياء عقله ، فخورًا بخصب قريحته ، مالكًا قوى روحه ، فكان يستقبل زائريه ، بتلك الطلاقة والبشاشة المعهودة فيه ، ويجيب مراسليه ، ضنينًا بالحفاظ على ذمام اصدقائه ومريديه ، الى ان نزلت به صرعة الموت ، في اليوم الحادي والثلاثين من شهر كانون الاول ختام سنة ١٨٧١ ، فأخمدت انفاس ذلك القلم الذي اطرب الآذان بصريره ، وانطفأت تلك الشعلة في بيروت التي كانت انوارها مشعة في جميع الاقطار العربية .

والدليل على انه استمرّ مزاولًا التحرير والتحبير الى اواخر ايامه ، هو ان الاب جرجس مناسا القسطاوي ، احد ابناء رهبانيتنا اللبنانية ، ارسل اليه رسالة ضمّنها قصيدة في مدحه ، فجاوبه بقصيدة من نفس وزن قصيدة الاب مناسا وقافيتها . وهي آخر ما كتبه بخطه . ومطلعها :

---

[1] للاب حنانيا المنيّر كتاب خطي يتضمّن تاريخ تأسيس الرهبانية الشويرية وذكر ما جرى في البلاد بعهده من الحوادث والحروب وضروب الظلم والجور . ولدينا نسخة منه بخطنا .

رسالة فاضل وردت وكانت أحبَّ اليَّ من تحف الهدايا(١)

وكأن الشيخ تحقق قرب منيته فقال منها :

مضى من كان للتقريظ اهلًا وأدرك كل طلّاع الثنايا
وقد عاد التراب الى تراب واصبحت الأنى بيد المنايا(٢)

أقيم للشيخ مأتم حافل مشت فيه اعيان بيروت وطلّاب المدارس ، منهم الفيكونت فيليب دي طرازي ، على ما اخبرنا ، ينشدون مرثيَّة بنغم محزن ، نظمت خصيصاً لمأتم الشيخ . ودفن جثمانه في مقبرة اسرته بمحلة الزيتونة في بيروت . وحُفر على بلاطة ضريحه تاريخ شعري من نظم ولده الشيخ ابرهيم اليازجي ، ومن اجدر منه برثاء ابيه وهو :

هذا مقام اليازجيّ فقف بهِ وقُل السلام عليك يا علَم الهدى
حرَمٌ تحجّ اليه ارباب الحجى ابدًا وتدعو بالمراحم سرمدا
هو مغربُ الشمس التي كم أطلعت في شرق آفاق البلاغة فرقدا
فخرُ النصارى صاحبُ الغرر التي ضربت على ذكر البديع وأحمدا
هذا عمادُ العلم مال به القضا فأمال ركنًا للعلوم مُشيّدا
امسى تجاه البحر جانب تربة هي مجمع البحرين اشرف مجتدى
فعليك يا ناصيف خير تحيّة طابت بذكرك حيث فاح مردّدا
لو انصفتك النائباتُ لثبّتت عاداتها ووقتك حادثة الردى
تتنزّل الأملاك حولك بالرضى ويجود فوقك باكرًا قطر الندى
وجميل حظك في الاعالي رحمةٌ أرّخ وذكرٌ في الصحائف خلدا(٣)

١٨٧١

١) راجع هذه القصيدة في ديوانه « ثالث القمرين » ص ٨٣ ، طبعة ميخائيل رحمه .

٢) ان رسالة الاب مناسا وقصيدته وجواب الشيخ عليها ، هي كلها مسطرة في ديوان الاب مناسا الخطي المسمّى : « تذكرة الخليل في معرفة الجليل » وهو بيدنا . وقد علق الاب مناسا هذه الكلمة على قصيدة الشيخ الجوابية وهي بخطها الواحد :

« ولما كان الشيخ المومأ اليه مريضاً ، شفاه الله فما اقتدر على الجواب فاعتذر ورد ما قلّ من الابيات ، وان القليل لعزيز ، وهذه ابياته مشيرة على انه مريض ناهز النهاية . ومات رحمه الله بعد حينة وهذا قوله بعد الترجمة . . . »

٣) رسائل اليازجي ، الشيخ ابرهيم ، نشرها يوسف توما البستاني سنة ١٩٢٠ ، المطبعة اليوسفية بباب الخلق بمصر ص ١٠١ ، بقطع ربع في ١٧١ صفحة .

وقد عادت آثار كتابية هامة للشيخ ناصيف ، منها ارجوزته في الطب المستماة : « الحجر الكريم في اصول الطب القديم » عثرنا على نسخة منها في بلدة كفرشيما مسقط رأسه ، بخط يده ، قدمناها لصديقنا الاستاذ فؤاد افرام البستاني فنشرها بحرفها الواحد[1] .

ولا تزال هنا وهناك قصائد عديدة للشيخ نظمها في مناسبات شتى وظروف مختلفة لم تنشر ظفرنا ببعضها في مخطوط خزانة كتب دير الشير بكفين — سوق الغرب ، الحامل رقم ١٣٣ وعدد ٤٦ . وقد اتينا على وصفه . واننا نتابع نشر هذه القصائد غير المعروفة بتصديرها الحرفي ، مع الحواشي المعلقة على الهامش مشيرين اليها بكلمة : في الاصل ، على صفحات مجلة « المشرق » الزاهرة ، المجددة كالنسر شبابها مستنزلين على ضريح الشيخ اصفى الرحمات واغزر البركات ، عداد ما له من الحسنات والمبرات .

قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي على الدولة المصرية[2]

قد مدح الشيخ بهذه القصيدة العصماء المحبوكة حبك الزرد ، الامير محمد علي الشهير ، ذاكرًا ما له ولابنه ابرهيم من المواقع المشرفة في الحروب ، متطرقًا الى مدح الامير بشير الشهابي الكبير ، منوهًا بسطوته ومضاء عزيمته وشدة بأسه ورهبته وبطشه في معارك القتال والنزال ، وانتصاره على اهل بيت نكد ، الذين صافوه وهادنوه اولًا ، ثم خاصموه وحاربوه آخرًا ، فكر عليهم بسيفه وجحفله وهزمهم شر هزيمة الخ ... مما لا يخفى عن المطلع على تاريخ البلاد وما جرى فيها من الحروب والاهوال ، في عهد الحكام الاقطاعيين . وهذه هي قصيدة الشيخ ناصيف بنصها الواحد :

يا فاتح القطرين انت محمدُ هل دون فتحك في البلاد مسددُ
العُربُ تشهد والحضارة قبلها والزنجُ تشهد والجزائر تشهدُ
ما كان أبسرَ ما فعلتَ وفوقه لو كان مثلك في البرية يوجدُ
انت « العلي » كما يقال ونسله منك المعالي لم تزل تتولدُ
سدتَ البلاد حمية بروية فالارض دارك والخلائق أعبدُ

1) طالع (المشرق ٣١ [١٩٣٣] : ٦٧٦ — ٦٨٩ و ٧٧١ — ٧٧٩ و ٨٢٤ — ٨٣١)
2) المخطوط : ص ٢٩٩

وأتيتنـا باسم النبيّ وصهره   وعدوت عزوها على مـا تعهدُ
مهلًا عليك فليس ترضيك العلى   حتى بمانح أخمصيك الفرقدُ
واترك نصيبًا في المكارم للورى   لا تمسَ خلفك بينهم ولك اليدُ
جبلٌ بمصرَ الى الحجاز وظلُّهُ   لحق الشآم وظلَّ منه الأسعدُ
لو كنت نهرُ ارضهنّ ترازلت   ولو ازدجرتَ النيلَ اوشك يجمدُ

٭

يا سيدًا عُرف اسمُه بالرفع لا   بالخفض والتنوين ، انت المفردُ
بك يستبينُ الجيش حيث رميتَه   بددًا واياك الصوارم تعبدُ
لمّا بعثتَ من الكنانة سهمها   حلفت عليه بانه لا يصردُ
ما زالت النار التي وُقدت له   بَرْدًا عليه ونـاره لا تبردُ

٭

مَن مثلُ ابرهيم الّا سيفه   يوم الكريهة ، والقنا المتأوّدُ
كالسيف حتى انه لا يُتّقى   حذرًا ويُحسب انه لمخلدُ
ملكٌ يخاف الله ليس بحاسد   ويخاف سطوته الملوك وتحسدُ
يمتاد سهد الجفن وهي قريرة   من كل عين في حماه ترقدُ
يا سيدًا فيما يقال حقيقة   وعلى المجاز يقال غيرك سيّدُ
كثر اختلافُ الناس فيك وجلهم   والنـاسُ منهم كافرٌ وموحّدُ
أرأيتَ ما أجرى عداتَك همّةً   سبقوا ولكن في الفرار وأجهدوا
يا يوم عمّانَ ، الليب وقد ادرى   بك قادمـًا نضى وأنّى يقعدُ
ولّى الوزيرُ يكاد يسبقُ مهرهُ   ويودُّ لو أكلَ الطريقَ فينفدُ
أحد الصحابة بعذبـا وتخالفت   منها رجالٌ في « البثينة » سحّدُ
لو كنتَ تُصغي لاستمعتَ نواديًا   في الترك تندبُ اهلهـا وتُعدّدُ
ارسلتَ قبلَ الجيش جيشَ مهابةٍ   جيشُ المنون لهوله يتبدّدُ
فأثبتْ مكانك وابعث أسمك بعدها   وكفى القتال به وانت موسّدُ
ولقد ضربتَ حصون « عكاء » التي   كانت لهيبتها الفرائصُ ترعدُ
اللهُ أكبرُ ليس دونك قلعةٌ   تُحمى ولا صرحٌ أشمُّ ممرّدُ
خافت جبال الارض منك وقد رأت   هذي النمال بمثلهـا تترددُ
وتحصّنت منك الاسودُ فلا ترى   قومًا بإغلاق الحصون استنجدوا
لو كان غيرك جاءها لقيتهُ كالمرآة م قابلهـا   بصيرٌ أرمدُ
او كان دونك غيرها طارت الى   مصر حجارتها وفيها أكبُدُ

٣

أسأات « عبد الله »(١ ابن صورنهْ ورجالــهُ وفؤاده المتوقدُ
امسى يشدد قومهٔ فغدا ومن لفؤاده بفنيّ تراه يشددُ
لما مررت به اسيرًا طائعًا خشعت له ابصار من يتفقـدُ
دون التبصّر في تقلب أمره سبب الزهـادة عند من يتزهدُ
خابت ظنون القوم فيـه وظنه والظن اكثره يخيب ويفسدُ
لم يدر ان القتل اهون عند من دفع المنيّة عنهُ وهي تمردُ

٭

يا ايها القمرُ الذي من حوله شُهُب الصواعق والسحاب الاسودُ
امطـار راحتك الدماء من العدى يوم الوغى ، وعلى العفاة العسجدُ
الناس من قتلاك وهو بذنبهم حتى الحديد فما جنى والجلمدُ
ولقد دعوت امير قيسٍ دعوةً والارض تبرق كالسماء وترعدُ
فأجـاب مبتدرًا وطيّ جوابه غُبَرُ المذاكي(٢ والنبارُ الاكمدُ
شيخٌ لــه سنّ الشيوخ وعقلهم وذكاؤه هو في العزيمة امردُ
فتكاد تعرفهُ الطريق اذا مشى من فوقهـا والسيف حين يجرّدُ
الواصل البَرُّ الرؤوف القاطع الغازي الالوف الاريحيُّ الاحيدُ
هو طور لبنان العظيم وشخصهُ آل الشهـاب فواحدٌ متعددُ
قد مهّد الجبلَ العصيَّ بسيفهِ قوموا انظروا كيف الجبال تمهدُ
وانقاد كل شموسٍ قوم فانثنى ينقاد طوعـاً واستراح المقودُ
حتى اذا ولّى كليبُ عن الحمى عبث الضل بـهِ وعاث المفسدُ
وتبلبلت تلك الجماعـات التي غير البلابل لم تكن تتعودُ

٭

يا صاحبَ الحسنات قد ضيّعتها قبلًا اضاعتهـا العدى والحُسَّدُ
اودعتها من لا يقوم بحقهـا فظلمته فاذا بـــه يتمرّدُ
عادانك الحسنى فتحسن يا « ابا سعدى »(٣ وعادته الجحود فيجحدُ
الحلم طبعٌ لا تفارقــه ولو فارقته لاناك اذ لا تقصدُ

٭

« أبني أبي النكد » الذي تمّ به حتى لقيتم منه ما هو انكدُ

---

١) عبد الله باشا والي عكا . طالع تقريره المطلي المطير عن عكا الذي ارسله الى محمد علي في مصر وقد نشرناه في مجلة « الورود » البيروتية السنة الثالثة جزء آذار سنة ١٩٥٠ ص ١٤
٢) المذاكي والمذكيات : الخيل التي تم سنّها وكملت قوتها ، يريد بها الفتية .
٣) ابو سعدى : لقب الامير بشير شهاب الكبير ، نسبةً الى ابنته سعدى .

يا طالما عاهدتموه وانما | هيهات ليس ليوم عهدكم غدُ
ان كان غرّكمُ الغرور ! فربما | غرّ المحالُ فتىً ، وخان المرشدُ
ولئن نسيتم ما مضى قِدماً لكم | بين الفنار فانه يتجددُ
هلّا ذكرتمُ فضل نعمته التي | ضاق الثناء بها وضاق الفدفدُ
ولعلّها ثقلت فأعجز حملها | فطرحتموها حين لم تتجلدوا

٥

وصل «البشير» وقد قطعتم وهو قد | كان النذيرُ لكم بما يتهدّدُ
لو كان يرضي الظالمين لكان من | نظرائهم ، حاشاه ممّا نوردُ
لا حدّ دونك في المكارم والعلى | وعلى البقاء عليك ليس يحدّدُ
فالظلم الّا من طباعك يُتّقى | والود الّا عن جانبك أحمد

« ل (للشيخ ناصيف اليازجي) ايضاً يرثي المطران اغناطيوس الدهان »

سنة ١٨٢٤[1]

هل بعدُ يومك عند مَن لم يصبرِ | غير الانين ولوعة المتحسرِ
وبمَ انتحالُ الصبر بعدك او ترى | غادرت قلباً ليس بالمتفطرِ
لله يومك في العباد وهوله | ينصاع منه الهول كالمتحذّرِ
يوم من الكبرى لو نعي به | للشمس قبل ظهورها لم تظهرِ
حالت به الاحوال وانتسخت له | فكأنه قد كان بعض الاعصرِ
وكأنّ لذّات الورى كانت الى | اجل مسمّى منه لم يتأخّرِ
هو رعدةٌ في الناظرين وهيبةٌ | خشعت له ابصارُ من لم ينظرِ
لا يوم يُقبل بعدُ إلّا خائفاً | من كونه في حالة المتنكرِ
خطبٌ تقاسمهُ العباد وانما | خُصِّصتُ منه بالنصيب الاوفرِ
وعلمت ان الحبّ علّة البلا | فبحسب صفو الحب كان تكدّري
اطوي الدجى متخيّلاً لك صورة | فأكاد اهوي فوقها كالمفتري
وارى بعين المنام كأنه | رجلٌ سواك يقوم فوق المنبرِ
ولقد عجبت لمن نعاك ولم تقد | اقدامه غضّ النبات الاخضرِ
خفقت لمنطقه الجهاتُ كأنما | هو صورُ «اسرافيل» يوم المحشر
ما كان عهدي انّ شمساً أغربت | في الشرق قبلك في التراب الاعفرِ
حتى وريتَ موسّداً في حفرةٍ | فعجبت بعدك من بقاء المبصرِ

٥

---

١) المخطوط ص ٤٠٥

مهلاً اداوَنهُ ماكناك الثرى   أيكون تحت الترب دفن الجوهرِ
لو كنت تعلم ما لديك وما بهِ   لم ترضَ منزلهُ بدار المشتري
هذه يمينك فأحالها فوق الورى   نفض المجانب دون عقد الخنصرِ
وادر لحاظك في الأَهلة تكفها   مِنَّ الاطبَّة بعد ذاك المنظرِ
ولقد ذكرتك فاضطربت مهابة   فرأيت نفسي بعض ما لم يذكرِ
وخشيت من وطء التراب وتحته   خطر من السرّ العظيم الاكبرِ
يا للمجانب كيف دائرة العلى   حصرت برمسٍ وهي ما لم يحصرِ
والبحر والبحر العرمرم ضمه   بعض من البطحاء غير مقصرِ
حسدته افلاك الاثير فلم تزل   اقارها من غائبين وحضَّرِ
وتغيَّرت مهجُ الرجال ذوائباً   لو انها بعض الحضيض الاغبرِ
لو كان عند السحب علم مكانهِ   الا على جنباته لم تمطرِ
ولو أستنام البدر فوق ضيائه   لم يبدُ نقصاً في حواشي الاشهرِ

ه

ارثيك يا مولاي معتذرًا فقد   بدل النحيب اطاعني بتعذُّرِ
وعلى مَ تنطقني بلابل دونها   لا يدّعي الانشاد نطق البحتري[1]
لا استطيع لذكر نطقك منطقاً   لو كنت انطق عن صحاح الجوهري
وكرهتُ انشاد القريض لانه   طربُ المشوق وغصة المتذكرِ
ولقد ذرفت على رثائك ادمعاً   فجمعت بين منظَّم ومنثرِ
وعلى مَ انتدب الدموع نواقصاً   لوفاء حزنٍ في المزيد الاكثرِ
لا ادعي بالصبر قبلك انما   لم يبقِ لي رمقاً فراقك فاعذرِ
لو ظلَّ في عينيَّ دمعٌ واحدٌ   لكتبت حول ثراك خمسة اسطرِ
وابيك ما كانت رثائك مقصرًا   الّا حياة تلهف لم تقصرِ
لولا تقل لون ثوبك لم يكن   ثوب الحداد عليَّ بالمتغيرِ
قد كان يحسد منظري بك مسمعي   طورًا ويحسد مسمعي بك منظري
حتى رجعت وقد فقدتك حائدًا   من ليس مستمعاً وليس بمبصرِ
هالت منيتك الشجاع فاعجزت   كفيه عن سل الحسام الابترِ
وكفى لهول الجيش ذكرك قائلا   قد مات حبر الشرق بين العسكرِ
اغناطيوس لقد تركت عصابةً   عرفت بفقدك ذلَّة المتكبرِ
باتت على البطحاء صاغمةً فلو   سُئلت اجابت ليتنا لم نُفْطَرِ[2]

---

[1] شاعر كان شديد العجب في انشاده (حاشية في الاصل) .

[2] صاغة : قاتمة . ونُفْطَر : نُخلق (حاشية في الاصل) .

لا بدع ان بكت العيون عليك من كمد وفاضت بالنجيع الاحمر
فلقد بكتك هياكل وسواجد حنت حجارتها اشتياق المحجر[1]
بالله من خلفت بعدك راعيا يرعى الرعية تحت راية قيصر
ولمن تركت الوعظ انذارا فقد اضحى الصبي على لسان المنذر
من للبلاغة والبراعة والحجى والعلم بعدك والجلاء النير
من بعد فقدك للرشاد يرى ومن يرجى لحل المشكل المتعسر
ويح الرعية من ترى فقدت وهل ترجو الخليفة من توالي الاعصر
لم تأتها منك البشارة انفا حتى نعيت فليت لم تتبشر
ليس الحبيب وان تطاول عهده إلا خيالا في منام يعتري
تتداول الابصار منظر وجهه حينا فتسلك فكرة المتفكر
لو كنت تنصف يا دفينا في الثرى إلا بطي قلوبنا لم تقبر
وعجبت مما كفنوك وانت في كفن من الانوار ابيض عبقري
ماذا اعتدادي بالرثاء وهل ترى يدنو البغاث الى مطار الانسر
ان قيل فضلك عند عارفه فما خطب أبن خطاب وشعر الاشعر
فعلى ثرى ذاك الضريح تحية تنحت بعرف الطيبات المنبري
فلقد خلعت عليه ثوب نضارة من سندس يقق الحواشي اخضر
يمسي بوجه الارض الا انه كنز يضم ذخيرة لم تذخر
خلقت اعضاء مؤرخة به وصعدت انت الى السرير الاكبر
٧ ٥٧٠ ٤٥١ ٤١ ٥٠١ ٣٥٤

سنة ١٨٣٤

وله تاريخ على ضريحه في دير مار سمعان فقال

يا زائرا هذا المقام مصليا لا تخش ان وليه سمعان
والثم ضريحا حل فيه مؤرخا اغناطيوس السيد الدهان
١٥٣٨ ١٠٥ ٩١

١٨٣٤ (٢

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) ايضاً

وقد سأله بعض المدرسين في بيروت يستشفع بها الى الشيخ احمد الفرّ القاضي بتخفيف اجرة مدرسته »[3]

يا احمد الدهر الذي خفقت به رايات فضلك وهي فوق الاروس

---

١) ما حول العين (في الاصل).
٢) لا ينطبق حساب هذا التاريخ على سنة ١٨٣٤ التي توفي فيها الدهان ؛ بل على سنة ١٧٢٤
٣) المخطوط المردود ص ٤٠٩

اشكو اليك ولا احتياج لانه ماذا يورك شرح حال مدرّس
كم من صحاح في الرجال عواجز عن قوت اطفال لهم لم تفرس
ما حال اعمى يرتجي لمعاشه طفلًا بنوم بمأكل وبملبس
هذا وما بي ضيق رزقي لو نفي بيديّ وهو من الشريك بمحرس
لكنه متبددٌ مثل الهبا عصفت به بعضُ الرياح الدرّس
جار الدهر عليّ وهو مطالبي للضعف اضافًا باجرة مجلس
أيكون مأجور المكان ولم اكن مأجور اثواب وحمل تورس
فاذا دفعت من الدراهم خمسة في الشهر مكتفيًا بخمسة أفلس
اترى تكون الصيُّ سندي ءأكلًا واخيط اوراق الكتاب وأكتسي
مالي سوى الطاف حلمك عدة عند اضطراري ، يا رجاء المؤيس
انت اللاذُ بنفس عفوته(١ اذا ما اعوز الانصاف بين الانفس
فاجعل بحثك لي طريقة من رأى حسن التصرف منع رغيم المفلس
وبقيت مقصود الجناب مؤملًا متوشحًا ثوب الثوابُ الانفس

« وله (للشيخ ناصيف اليازجي) في الفنس منانيا المنيرا
عند رجوعه من سفر(٢) »

عاد الديارَ فكان خير نزيلِ وكذا البدور تعود بعد افول
هو مقبل كان البشير بوفده نشر العبير على نسيم اصيل
قدم الحياة ولو يطير قُبيلهُ ربع لطار اليه غير كليل
حتى اذا وطأته أخمص رجله عدلت شهود الشوق بالتقبيل
ربعٌ اضاءَ بين اناده كأنما نفذ الضياء زجاجة القنديل
وعلى م لا يزهو وثمَّ نضارةٌ تكفي الكنانة عن مفيض النيل
يا حسنه دبرًا لسرك انه هو برجُ بدرٍ لم يكن بضئيل(٣
بدرٌ اقام على التمام قريبهُ خصبٌ ومن تقديه غير ضليل
قد ابوه متيّرًا ولربما خفي الصواب على فؤاد جهول
فهو المنير وفاق خلفه ومن قال المنيّرُ ليس غير ثقيل
سبّاق غاياتٍ اذا ما جئته خلت الوصول اليه قبل وصول

١) العقوة : ما حول الدار ، والساحة والمحلة كالعقاة ج عقاء . يقال : « ما يطور بعقوته احدٌ » .

٢) المخطوط ص ٤٤٤

٣) تختلف (حاشية في الاصل) .

واذا سألت به اشتهيت حصوله ... وكفيت فيه ملالة المسؤول
حرُ الاديم له الفضائل اعبد ... لا يطقرنَ امتهــا بسبيل
وعلى م تنتق من يديه وردتها ... طوع العنان وليس فضل بديل

٥

ولربَّ محبرةٍ لديه تخالها ... بحرًا وليست بعض جزء الميل
تتدفق الاسرار منها مثلما ... دفقت غوادي السيل فوق مسيل
غاصت بها أقلامه فأتت بما ... يختار من أكبيرها المحلول
حتى اذا عادت به رقصت على ... وجه الصحيفة ذات جر ذيول
وقريحة في النظم دون رواتها ... طالع القريض بغرةٍ وحجول
كلف القريض بسحرها فكأنها ... الحافظ بثينة وهو قلب جميل
غرّاء تحسدها معاني نظمها ... لطفًا وتأتيها بحسن قبول
ظفرت بأبعد غاية فقطتها ... شطت وتأمر ركبها برحيل
ورويّة في الطب يحمد خوضها ... في المشكلات حنين اسرائيل
جلت(١) المنون عن النفوس فانه ... لصديقها وعدوٌ عزرائيل
ومناقب كالدرّ الّا انها ... كانت منزّهةً عن التخليل
عزت نثائرها وهان لناؤمها ... فاعجب لحال عزيزها المذلول
وله على الفضل الخطير تواضع ... متفاوت الموضوع والمحمول
كالشمس تنفع من تراه وعندها ... لا فرق بين نباهة وخمول
واذير مغربة فروع فضائل ... قامت من التقوى بخير اصول
ومتى طلبت تقىً بغير تواضع ... كنت المسافر في طلاب الغول
لله در كماله من فاضل ... سامي الفضائل واجب التفضيل
افعاله ومقاله وخلاله ... جمل ينار بها على التفصيل
هو راهب رهب الاله فأرهبت ... صلواته الزأرات بالترتيل
شاكي السلاح سلاحه من كائد ... وفرنده جمل من الانجيل

٥

نفسي فداؤك يا حنانيا الذي ... أنهجت في الالطاف كل سبيل
لولا التيمن باجتلاء صفاتكم ... أحببت ما انشأت بعض فضول
فاليك اصدق ما يقال وانه ... جهد المقل فلم يكن بقليل
هـذا وثاق عهودنا فتولّه ... والله أكبر شاهد ووكيل

---

(١) جلا القوم عن المكان : أخرجهم قهرًا (في الاصل) .

«وله (للشيخ ناصيف اليازجي) في جواب رسالة لبعض العلماء من الرهبان[1]»

لبيك فادع النظم كيف تشاء ... يا من به يتفاخر الانشاء
يا فاضلاً سمح الزمان لنا به ... بك في الزمان بشائر وهناء
سوّدت بيضاء الصحائف فاشتهت ... لو اشبهتها الفضة البيضاء
وأجلت أكعاب اليراع فطالما ... حسدت مضاءها الصعدة السمراء
ولرب سافرة القناع ظننتها ... محجوبة فاذا الحجاب ضياء
لاقيتها فرجعت عنها هيبة ... فكأنما ليس الوداع لقاء
عربية أهدى اليّ بنسجها ... قس فأغبطني بها القرّاء
مزج السواد بياضها فكأنها ... خودٌ يلوح وشاحها لمياء

يا سيد الكرماء عند نواله ... لا بدع ان دانت لك الكرماء
تُعطي الكرام على المسائل فضة ... والجوهر المبذول منك عطاء
أخجلتني فوجمت حين مدحتني ... فكأنما ذاك المديح هجاء
ولئن أصبت التلق بينكما فكم ... في فرجة الجبلين رُنّ صداء
انا قطرة من فيض بحرك زدتني ... ماء فكاد يغصُّ مني بالماء
واذا مدحت صنيع كفك لم يكن ... إلّا النسبَ عليك منهُ ثناء

فاليكها بنت القريحة ترتجي ... عذر الكرام لانها عذراء
راودتها وهي الأبيّة هيبة ... فكأني التمام وهي التاء
وبقيت ما حيا النسيم اراكة ... سجدت فصلّت فوقها الورقاء
وأجاب نظم الشعر حين دعوته ... لبيك فادع النظم كيف تشاء

(لنسقال فيه)

[1] المخطوط ص ٤٤٦

كتاب المبين

في شرح معاني الفاظ الحكماء والمتكلمين

تصنيف الشيخ الامام العلامة سيف الدين ابي الحسن علي بن يوسف الآمدي
قدس الله روحه

نشره الابوان ولهلم كرتش واغناطيوس عبده خليفه اليسوعيان

تحت هذا العنوان نقدم الى قراء المشرق مخطوطة ، مبتورة الآخر ، ذات الرقم ١٢٠٩ من مكتبة علي اميري ، تحتوي على ثبت لتعابير فلسفية مع شروح قد ضاع معظمها . والمخطوطة هذه كانت قد استرعت انتباه الاب بويج Bouyges عندما كان مقيماً في استنبول عام ١٩٣١ – ١٩٣٢ فنقل لائحة التعابير المذكورة . وهو يعطي للمخطوطة الوصف التالي : «مقاييسها ١٢٠×١٥١ مم ، مساحتها المكتوبة ٧٥×١٢٠ مم . – ١٥ سطراً ، وخطها نسخي يميل الى الضخامة نوعاً والى الاعتناء . على ان النقط فيها كثيرة رغم عدم اكتمالها . وتحتوي على بعض الحركات .

وكلمات هذه المخطوطة مثبورة باعداد كتبت بارقام شرقية وبالحبر الاحمر تحت كل كلمة . اما في الفصل الثاني حيث التعابير محددة ايضاً فيوجد اعداد مكتوبة بالحبر الاحمر لكنها مثبتة في الهامش . على ان هذا الترقيم لا يستمر الى اخر المخطوطة مما يدل على انه زيد مؤخراً بعد كتابتها . والملاحظ ان ارقام القسمين لا تنطبق دائماً بعضها على بعض .

اما تاريخ النسخة فليس لذكره اشارة ويمكننا من جراء الكتابة ان نضعه بين الجيل الرابع عشر والسادس عشر .

واسم المؤلف المذكور سابقاً لا ينطبق تماماً على «آمدي» اخر ذكره بروكلمن *C. Brockelmann, GAL. I, 393 et Suppl. B. I, 678* وقد اختل من اسمه ذكر الثعلبي وابن محمد . على ان ابحاثاً تقال ضرورية لمعرفة سيرة المؤلف . ولا نجد تحت العنوان نفسه عند «بروكلمن» مخطوطاً «للآمديين» الاخرين .

وقد استعملنا لنشر هذه المخطوطة ما كان نقله الاب بويج والصورة التي سجلها لنا في فيلم الاستاذ احمد اتش وله منا خاص الشكر .

ومحتويات المؤلف هذا تجعله يستحق النشر نظراً للحاجة الملحة لمفردات فلسفية بدأت تظهر حاجتها شيئاً فشيئاً . ونأمل ان ننشر يوماً ما اثبات مفردات اخرى قيمة

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله وعليه توكلت . قال الشيخ الامام العلامة ابو الحسن علي بن يوسف الامدي قدس الله روحه ونوّر ضريحه . اما بعد حمد الله المنعم هدايته والصلوة على خير خليقته محمد واله وعترته ، اما بعد فانه لم تزل دواعي الهمّة داعية ومبادي العزيمة بادية الى خدمة المولى الصديق الفاضل الحبر الكامل رئيس العلماء وسيد الفضلا جمال الاسلام شرف الانام اسد الشريعة ذي المنزلة الرفيعة مرتضى الدين خاصة امير المؤمنين جمع الله به شمل العلوم والمناقب كما احله منيفا على الاماكن والمراتب ليشرك احسانه الي

وكريم امتنانه عليّ بخدمة سنية وهدية سنيّة من الامور العلمية والآثار النفيسة وما عساه ان يكون هو اسه ومبناه ومنه مبداه واليه منتهاه حتى اشار عليّ الله مراتبه بوضع مختصر جامع لشرح معاني الالفاظ المتداولة في اصطلاح الحكماء والمتكلّمين ليكون هداية للمبتدي وتذكرة المنتهي فاجبت مسرعاً الى خدمته ٥ وملبياً لدعوته بوضع ما اشار اليه ونبّه عليه وسمّيته المبين في شرح الفاظ الحكماء والمتكلّمين وقد جعلته مشتملاً على فصلين (2) الاول في عدد الالفاظ المشهورة والثاني في شرح معانيها والله الموفق للصواب .

< الفصل الاول : في عدد الالفاظ المشهورة >

الفصل الاول في عدّ الالفاظ المشهورة في اصطلاح الحكماء والمتكلّمين ١٠ وهي مثل قولهم التصوّر ، والتصديق ، والمطابقة ، والتضمّن ، والالتزام ، والمفرد ، والمركّب ، والاسم ، والاداة ، والكلمة ، والتواطؤ ، والمشكّك ، والمشترك ، والمجازيّ ، والمترادف ، والمتباين ، والكليّ ، والجزئيّ ، والذاتي ، والعرضيّ ، والجنس ، والنوع ، والفصل ، والخاصّة ، والعرض العام ، والحد الحقيقي ، والرسمي واللفظي ، والموضوع ، والمحمول ، والمقدّم ، والتالي ، والقضيّة ١٥ الحمليّة ، والشرطيّة ، والكلية ، والجزئيّة ، والمخصوصة ، والمهملة ، والمحصورة ، والسّور ، والرابطة ، والقضيّة البسيطة ، والمعدولة ، والموجّبة ، والمطلقة ، والواجب ، والممكن ، والممتنع ، والتناقض[1] ، والتعاكس ، والقياس ، والاقتران ، والاستثنا ، والمطلوب ، والنتيجة ، والحدّ الاكبر ، والحدّ الاصغر ، والحد الاوسط ، والمقدّمة الكبرى ، والصغرى ، والشكل ، والقياس المركّب ، ٢٠ وقياس الدّور ، وعكس القياس ، وقياس الخلف ، والقياسات المتقابلة ، (3) والاستقراء ، والتمثيل ، والفراسة ، والدّليل ، والضمير ، والعلامة ، والمصادرة على المطلوب ، والبرهان ، والجدلي ، والخطابي ، والشعري ، والسوفسطاي ، والاوّليات ، والقضايا الفطرية ، والقياس ، والمشاهدات ، والمجرّبات ، والحدسيات ، والمتواترات ، والوهميات ، والمسلمات ، والمشهورات ، والمقبولات ، والمظنونات ، ٢٥ والمشبهات ، والتخيّلات ، ومبادئ العلوم ، ومسايلها ، والطبع ، والطبيعة ،

١) في الاصل : التناقص .

والحركة ، والسكون ، والسرعة ، والبطوء ، والشدة ، والضعف ، والمكان ، والحيّز ، والخلا ، والزمان ، والآن ، والتتالي ، والتماس ، والالتحاق ، والتداخل ، والاتصال ، والوسط ، والطرف ، ومعاً ، وفرادي ، والنهاية ، ولا نهاية ، والجهة ، والعالم ، والفلك ، والنار ، والهوى ، والماء ، والتراب ، والاستحالة ، والكون ، والفساد ، والبرودة ، والحرارة ، والرطوبة ، واليبوسة ، واللطافة ، والغلظ ، والازوجة ، والهشاشة ، والحسّ ، والمزاج ، والامتزاج ، والنمو ، والذوا. (قصر) ، والتخلخل ، والتكاثف ، ومن ذلك . النفس الفلكية ، والنباتية ، والحيوانيّة ، والانسانيّة ، والحياة ، والقوة الغاذية ، والنامية ، والمولّدة ، والسمع ، والبصر ، والشم (4) والذوق ، واللمس ، والحسّ المشترك ، والمصوّرة ، والمتخيلة ، والوهميّة ، والحافظة ، والنظرية ، والعمليّة ، والعقل ، والروح ، والجوهر ، وما يقسم اليه البسيط ، والمركّب ، والعرض ، وما ينقسم اليه كل واحد من هذه الاقسام من ، الكمّ ، والكيف ، والاضافة ، والاين ، ومتى ، والملك ، والوضع ، وان يفعل ، وان ينفعل ، وما ينقسم اليه ، والوحدة ، والكثرة ، والتقابل ، واقسامه ، والمتقدّم ، والمتأخر ومعناه واقسامه والفاعل ، والمادّة ، والهيولي ، والعنصر ، والاسطقس ، والركن ، والصورة ، والغاية ، والبخت ، والاتفاق ، والمثل ، والتعليات ، والقديم ، والحادث ، والحق ، والصدق ، والباطل ، والتام ، والناقص ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والكلام ، والحيوة ، والسمع ، والبصر ، والصفة الحالية ، والسعادة ، والشقاوة ، والحشر ، والاعادة ، والنبوات ، والمعجزات ، والعلم الطبيعيّ ، والعلم الالاهيّ ، والعلم الكلّيّ ، وهذا ما اوردناه من عدد الالفاظ المشهورة في عرف الحكماء والمتكلمين والله الموفّق والمعين .

< الفصل الثاني : في شرح معانيها >

(5) اما التصوّر فعبارة عن حصول صورة مفردة في العقل كالجوهر والعرض ونحوه واما التصديق فعبارة عن حكم العقل . يشبه بين مفردين ايجاباً او سلباً على وجه يكون مفيداً كالحكم بوجود الصانع وحدوث العالم ونحوه واما دلالة المطابقة فعبارة عن دلالة اللفظ على ما وُضع له كدلالة الانسان على الحيوان

الناطق ونحوه واما دلالة التضمّن فعبارة عن دلالة اللفظ على جزء موضوعه كدلالة الانسان على الحيوان وحده او الناطق وحده واما دلالة الالتزام فعبارة عن دلالة اللفظ على ما هو خارج عن معناه بواسطة انتقال الذهن عن مدلول اللفظ الى الامر الخارج كدلالة لفظ الانسان على الكاتب والعاقل ونحوه واما

٥ المفرد فعبارة عمّا دل على معنى ولا جزء له يدل على معنى اصلًا من حيث هو جزؤه كالانسان والفرس ونحوه واما المركّب فعبارة عما يدلّ على معنى وله جزء دالّ على جزء ذلك المعنى كقولنا العالم حادث والانسان حيوان ونحوه واما الاسم فعبارة عمّا مدلوله صالح لان يكون احد جزئي القضيّة الخبريّة ولا يلزمه زمان خارج عنه وذلك كزيد وعمرو ونحوه واما الكلمة فما مدلوله صالح ان يكون (6)

١٠ احد جُزئي القضيّة الخبرية ويلزمه الحدث والزمان كقام زيد وقعد ونحوه واما الاداة فعبارة عمّا يدل على معنى لا يستقل بجعله احد جزئي القضيّة الخبريّة كمِن وفي وعن وعلى ونحو واما المتواطئ فعبارة عما يدل على الاشياء فوق واحد باعتبار معنى واحد لا اختلاف بينها فيه كالحيوان بازاء الانسان والفرس وغيره واما المشكّك فعبارة عمّا يدل على الاشياء فوق واحد باعتبار معنى واحد يختلف

١٥ فيما بينها فيه بشدة او ضعف او تقدّم او تأخر كإطلاق لفظ الابيض على العاج والثلج والموجود على الجوهر والعرض واما المشترك فعبارة عن لفظ واحد يدل على اشياء فوق واحد لا باعتبار جهةٍ واحدةٍ كلفظ العين والقرء ونحوه واما المجازي فعبارة عمّا يدلّ على شيء سوى المطلق به عليه في الحقيقة كالاسد بازاء الانسان والحمار بازاء البليد ونحوه واما المترادف فعبارة عن اختلاف

٢٠ الالفاظ مع اتّحاد المدلول كالليث والاسد والخمر والعقار ونحوه واما المتباينة فعبارة عن الالفاظ المختلفة الدالة على المدلولات المختلفة كالانسان والفرس ونحوه واما الكليّ فعبارة عن معنى متّحد صالح لان يشترك فيه كثيرون كالانسان (7) والفرس ونحوه واما الجزئيّ فعبارة عمّا مفهومه غير صالح ان يشرك فيه كثيرون كزيد وعمرو وكذلك كل ما وقع في امتداد الإشارة اليه

٢٥ وربّما يطلق لفظ الجزئيّ على ما يقال عليه وعلى غيره كلي اخر سوا ان كان صالحًا لان يشترك فيه كثيرون كالانسان والفرس بالنسبة الى الحيوان او غير صالح كزيد وعمرو بالنسبة الى الانسان واما الذاتيّ فعبارة عما يقال على شيء وهو

سابق في الفهم على فهم ذلك الشيء المقول عليــه من ضرورة فهمه كالحيوان والناطق بالنسبة الى الانسان واما العرضيّ فعبارة عما يقال على شيء وفهمه غير ضروريّ السبق من فهم ذلك الشيء عليه كالاسود والابيض بالنسبة الى الانسان والفرس وسواء كان جوهرًا في نفسه كالمثال المذكور او عرضاً مقابلًا للجوهر
٥ كالسواد والبياض ونحو هذا واما الجنس فعبارة عن اعمّ كليين مقولين في جواب ما هو كالحيوان بالنسبة الى الانسان وامّا النوع فعبارة عن اخصّ كليّين مقولين في جواب ما هو كالانسان بالنسبة الى الحيوان وربّما قيل النوع على مــا يقال على كثيرين مختلفين بالعرض في جواب ما هو (8) كالانسان بالنسبة الى زيد وعمرو ونحوه واما الفصل فعبارة عمّا يقال على كلّ واحــد قولًا ذاتياً كالناطق بالنسبة الى
١٠ الانسان واما الخاصّة فعبارة عما يقال على كلي واحد قولًا عرضياً كالكاتب والعاقل بالنسبة الى الانسان واما العرض العامّ فما يقال على كثيرين مختلفين بالحقايق قولًا غير ذاتيّ كالاسود والابيض بالنسبة الى الانسان والفرس وامــا الحدّ فعبارة عما يميّز الشيء بذاتياته فان كان مع ذكر جميع الذاتيات العامّة فتام كحدّ الانسان بانــه الحيوان الناطق والا فناقص كحدّه بانه الجوهر الناطق او
١٥ الناطق فقط. واما الرسميّ فعبارة عما يميّز الشيء عن غيره تميّزًا غير ذاتيّ وتمامه ونقصانه بما به تمام الحدّ الحقيقي ونقصانه فالتامّ منه كرسم الانسان بانه الحيوان الكاتب والناقص بانه الجوهر الكاتب او الكاتب فقط واما اللفظيّ فعبارة عما فيه شرح دلالة اسم على معناه وذلك انما يكون بالنسبة الى الجاهل بدلالة اللفظ العالم بنفس المدلول وهو اما ان يكون يدلّ بلفظ هو اشهر عند السائل
٢٠ كتبديل الليث بالاسد او بالحدّ الكاشف عن المعنى.

(9) ... واما الموضوع فهو ما يُحكم عليه بشيء آخر انه هو او ليس كما في الانسان من قولنا الانسان حيوان والانسان ليس بحجر وهو في مقابلة المحمول وهو ما يُحكم عليه بشيء اخر انه هو او ليس هو وهو مثل الحيوان والحجر في المثالين المذكورين فقد يقال الموضوع بالاشتراك على ما بيّناه وعلى موضوع العلم
٢٥ وموضوع العرض واما موضوع العلم فهو الشيء الذي يبحث في ذلك العلم من احواله العارضة لذاته كبدن الانسان الى علم الطب والمقدار بالنسبة الى علم الهندسة واما موضوع العرض فهو عبارة عن المحل المقوّم ذاته والمقوّم لما يحل فيه وسوا

كان ذلك المحل جوهراً كالجسم بالنسبة الى الحركة او عرضاً كالحركة بالنسبة الى السرعة والبطوء. وربّما اطلق الموضوع على المادة حالة اقرانها بالصورة المتمكنة لها كما سنبيّنه بعدُ واما المقدّم فعبارة عمّا حكم بلازمة غيره له واتّصاله به او بسلب ملازمة غيره له حكماً مشروطاً كقولنا ان كانت الشمس طالعة من
٥ قولنا ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود وامّا التالي فما حكم بلازمته لغيره او سلب ملازمته حكماً مشروطاً (10) كقولنا فالنهار موجود من قولنا ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود اما القضية الجملية[1] فعبارة عمّا النسبة الخبريّة الثابتة لجملتها وهي غير ثابتة لواحد من الجزئين كقولنا الانسان حيوان والانسان ليس بفرس فان كان الموضوع فيها جزئيا ، اي غير صالح لوقوع اشتراك كثيرين
١٠ فيه سُمّيت مخصوصة كقولنا زيد انسان وإن كان كلياً فاما ان يكون مسوّراً او لا يكون مسوّراً فان كان غير مسور سُمّيت مهملة كقولنا الانسان حيوان ان لم تكن الالف واللام للعموم وان كان مسوّراً اي اقترن به لفظ مبيّن لكميّة الحكم بالمحمول على الموضوع فامّا ان يكون كلياً او جزئيا فان كان كليًا فالقضيّة كلية كقولنا كل انسان حيوان وان كان جزئياً فالقضية جزئية
١٥ كقولنا بعض الحيوان انسان واما الرابطة فعبارة عمّا يوجب جعل احد جزئي الجملية[1] موضوعاً والآخر محمولاً كهو وكان ويكون ووجد ويوجد ونحو ذلك واماّ القضية الشرطيّة فعبارة عن ما النسبة الخبريّة ثابتة لاحد جزئيها وهي اما متّصلة واما منفصلة فالمتّصلة بين جزئيها حالة الايجاب بالزوم (11) وفي السّلب برفعه كقولنا إن كانت الشمس طالعة فالنهار موجود والمنفصلة ما النسبة بين جزئيها
٢٠ حالة الايجاب بالعناد ورفع الزوم وفي السلب برفعه كقولنا اما ان يكون العدد زوجاً واما فرداً وسوا كانت حقيقية او غير حقيقية واما القضيّة البسيطة فعبارة عمّا في المحمول فيها ذات كقولنا الانسان حيوان واما العدميّة فعبارة عمّا للمحمول فيها عدم ذات كقولنا الانسان اعمى وامّا المعدولة فعبارة عمّا جعل حرف السلب جزءا من احد جزئيها اما في جانب المحمول كقولنا الانسان هو غير
٢٥ بصير واما في جانب الموضوع كقولنا غير بصير هو حيوان وامّا القضيّة الموجّهة فعبارة عمّا النسبة الواقعة بين جزئيها مقرونة بالايجاب او بالإمكان او الامتناع

١) في الاصل : الجملة .

كقولنا واجب ان يكون وممكن ان يكون وممتنع ان يكون واما المطلقة فعبارة عما النسبة بين جزيها المجردة عن الجهات كقولنا كذا وكذا او ليس كذا وكذا واما الواجب فعبارة عمّا يلزم من فرض عدمه المحال وان كان ذلك لذاته فهو الواجب لذاته وان كان لغيره (12) فهو واجب لغيره واما الممتنع فما
٥ لو فرض موجودًا لزم منه المحال وهو موازٍ للواجب بقسمته واما الممكن ففي الاصطلاح عبارة عمّا لو فرض موجودًا او معدومًا لم يلزم عنه لذاته محال ولا يترجح احد الامرين له الا بترجح من خارج وفي الاصطلاح العالي عبارة عمّا ليس بممتنع الوجود وهو اعمّ من الواجب لذاته والممكن لذاته واما التناقض فهو اختلاف القضيتين بالايجاب والسلب على وجه يلزم من صدق
١٠ احديها لذاتها كذب الاخرى ومن الكذب الصدق كقولنا زيد انسان زيد ليس بانسان ولا بد في ذلك من اتحاد جهة السلب والايجاب بان يكون السلب من جهة ما كان الايجاب وبالعكس واما التعاكس فعبارة عن جعل كلّ واحد من جزئي القضية مكان الآخر مع بقا الكيفية والصدق والكذب بحالة واما القياس فعبارة عن قول مؤلف من اقوال يلزم عن تسليمها لذاتها قول آخر فان
١٥ كان المطلوب او نقيضه مذكورًا فيه بالفعل يُسمّى استثنائيًا وان كان غير مذكور فيه بالفعل يسمّى اقترانيًا واما المقدمة فعبارة عن قضية هي جزء قياس واما (13) النتيجة فعبارة عمّا لزم من تسليم الاقوال المسلّمة لذاتها وقبل اللزوم تسمّى مطلوبًا واما الحدّ الاكبر فعبارة عن المحمول في النتيجة فاما الحدّ الاصغر فعبارة عن الموضوع في النتيجة والمقدمة والمقدمة الكبرى ما كان الحدّ الاكبر احد
٢٠ جزييها والمقدمة الصغرى ما كان الاصغر احد جزييها واما الحدّ الاوسط فعبارة عن المشترك بين مقدمتي الاقتران واما الشكل فعبارة عن هية الحد الاوسط بالنسبة الى الحدّين المختلفين في مقدمتي الاقتران من كونه محمولًا على الاصغر وموضوعًا للاكبر ومحمولًا عليها وموضوعًا لها او موضوعًا للاصغر او محمولًا على الاكبر واما القياس المركّب فعبارة عن اقيسة سيقت لبيان مطلوب واحد والقياس
٢٥ المبيّن للمطلوب منها بالذات ليس الا واحدًا ومقدمتاه او احداهما نتيجة لما تقدم من القياس لكن ان كانت النتائج مذكورة فيه سمّي قياسًا مركبًا متصلًا وان كانت غير مذكورة فيه سمّي قياسًا مركبًا منفصلًا كقولنا كل انسان حيوان

وكل حيوان جسم وكل جسم جوهر فكل انسان جوهر . هذا مثال المركب المنفصل[1] .

واما المتصل (١٤) كقولنا كل انسان حيوان وكل حيوان جسم وكل انسان جسم وكل جسم جوهر فكل انسان جوهر واما قياس الدور فعبارة عن
٥ احد النتيجة مع عكس احدي مقدّمتي قياسها لاستنتاج عين المقدّمة الاخرى كما لو قيل ان كل انسان ناطق وكل ناطق ضاحك فقيل كل انسان ضاحك وكل ضاحك ناطق وهو عكس المقدّمة الكبرى فلزم عنه كل انسان ناطق وهو عين المقدّمة الصغري وهو دور لما فيه من جعل النتيجة مقدّمة في استنتاج إحدي مقدّمتي قياسها واما عكس القياس فعبارة عن اقتران بقابل النتيجة
١٠ بأحدي مقدّمتي قياسها لاستنتاج مقابل المقدّمة الاخرى وذلك كما لو قيل كلّ انسان حيوان وكلّ حيوان جسم فكل انسان جسم فقيل بعض الانسان جسم ليس بجسم وكان كل انسان حيوان لزم بعض الحيوان ليس بجسم وهو نقيض المقدمة الكبري واماً قياس الخلف فعبارة عن قول قياسي يبيّن صحة المطلوب بابطال نقيضه وهو مؤلّف من قياسين احدهما اقتراني مؤلف من مقدّمتين
١٥ صغراه شرطيّة مقدمها مفروض كذب المطلوب (١٥) وتاليها مفروض صدق نقيضه وكبراه مقدّمة مفروضة الصدق فيلزم من اقترانها بتالي الصغري المحال والآخر استثنائيّ من شرطيّة منفصلة وهي ما وقعت نتيجة الاقتران واستثنايه من نقيض تالي هذه الشرطيّة نتيجة بُطلان عين المقدّم منها وهو نقيض المطلوب المفروض وذلك كما لو كان مطلوبنا مثلاً ليس كلّ حيوان انساناً فقلنا ان كان ليس كل
٢٠ حيوان انساناً كاذبا وكلّ حيوان انسان ولنفرض المقدّمة الصادقة المقرونة به كلّ انسان ناطق فاللازم ان كان ليس كلّ حيوان انساناً كاذباً فكل حيوان ناطق لكن ليس كل حيوان ناطقاً فليس كلّ حيوان انساناً واما القياسات المذكورة من المقدمات المتصلة فعبارة عن قياسين ينتج كل واحد منها مقابل نتيجة الآخر وانما يتمّ ذلك باخذ مقابلات مقدّمات احد القياسين على وجه
٢٥ التخيّل وتجعل مقدمات في القياس الآخر واما الاستقرا فعبارة عمّا يُوجب نسبة كلّي الى كلّي اخر بايجاب او سلب لتحقيق نسبة تلك الكيفيّة الى ما تحت الكلّي

١) هذه الكلمات زيدت في الهامش .

المنسوب اليه من الموضوعات وذلك كما (16) لو قيل كل متحرك جسم لضرورة
الحكم به على ما تحت المتحرك من الموضوعات كالجماد والنبات والحيوان واما
المقاومة فعبارة عن قياس مؤلف لابطال مقدمة اخري هي اشد عموما منها مخالفة
لها في الكيف على سبيل التخيل مثال ذلك ما لو كان القياس الاول ان السواد
٥ والبياض ضدين وكل ضدين فالعلم بها واحد فقلت كل ضدين متقابلان ولا
شيء مما هو متقابلان فالعلم بهما واحد فانه ينتج لا شيء من الاضداد العلم
بها واحد وهو نقيض المقدمة الكبرى من القياس الاول واما التمثيل فهو ما
يعبّر عنه بالقياس في اصطلاح الفقها وهو معلوم واما الفراسة فما يعبّر عنه في
اصطلاح الفقهاء بقياس الدلالة وهو معلوم واما الدليل فعبارة عن قياس كبراه
١٠ مقدمة محمودة عيل اليها السامعون كقولنا فلان منعم وكل منعم محبوب واما
الضمير فما طويت فيه المقدمة الكبرى مخافة الاطلاع على كذبها واما العلامة
فعبارة عما طويت فيه غير المقدمة الكبرى والحد الاوسط فيه ملازم للعلة الا انه
يقسمها كقولنا هذا خشب محترق فقد اشتعل فيه (17) النار وربما اتفق ان كان منه
ما لو صرح بمقدمته الكبرى كان الحد الاوسط فيه اعم من الطرفين ومحمولا
١٥ عليها بالايجاب كقولنا هذه المرأة مصفارة فهي حبلى وفيه ما لو صرح فيه بالمقدمة
الكبرى كان موضوعاً للطرفين وهو جزيّ كقولنا الحجاج كان شجاعاً فالشجعان
ظلمه واما المصادرة على المطلوب فعبارة عن اخذ المطلوب مقدمة في بيان نفسه
وذلك كما لو كان المطلوب كل انسان ضاحك فقلت كل انسان بشر وكل بشر
ضاحك فانه وان انتج كل انسان ضاحك فليس غير المطلوب عين المقدمة
٢٠ الكبرى واما البرهان فعبارة عن قياس يقيني المادة فإن كان الحد الاوسط منه
هو العلة الموجبة النسبة بين طرفي المطلوب سمّي برهاناً لميا كما لو كان الاحتراق
هو الحد الاوسط في قولنا هذه الخشبة اشتعل فيها النار وان لم يكن هو العلة
الموجبة لنفس النسبة بل موجبها للتصديق بوقوع النسبة سمّي برهاناً إنّياً كما لو
كان الحد الاوسط هو الاشتعال في قولنا هذه الخشبة محترقة واما القياس الجدلي فما
٢٥ كانت مادته من المسلمات والمشهورات (18) واما القياس الخطابي فما كانت مادته
من المقبولات والمظنونات واما القياس الشعري فما كانت مادته من المخيلات واما
القياس المغالطي فما كانت مادته من المشبهات والوهميات في غير المحسوسات واما

القضايا الاولية : يصدق العقل بها من غير توقف على امر خارج عن تعقّل مفرداته كالعلم بان الواحد اقل من اثنين ونحوه واما القضايا الفطرية القياس فعبارة عما اوجب التصديق بها قياس حده الاوسط معلوم بالبديهة كالتصديق بزوجية الاربعة لعلمنا بكونها منقسمة بمتساوين ان كلّ منقسم بمتساوين زوج واما المشاهدات فكل قضية صدق العقل بها بواسطة الحسّ مع التكرار كالعلم بكون السقمونيا مسهل للصفر واما الحدسيات فكلّ قضيّة صدّق العقل بها بواسطة الحدس كالعلم بحكمة صانع العالم لوجود الاحكام في صنعته واما المتواترات فكلّ قضية اوجب التصديق بها خبر جماعة يؤمَنُ معه التواطؤ على الكذب كالعلم بوجود مكة وبغداد ونحوه واما الوهميات فما اوجب التصديق بها قوة الوهم الا ان (؟؟) ما كان منها في غير المحسوس فكاذب كالحكم بان كل موجود مشار الى جهته اخذًا من المحسوس واما المسلمات فعبارة عمّا اخذ من القضايا على انه مُبرهن في نفسه فان كان ذلك مع طمأنينة النفس سميت اصولًا موضوعة والا فمصادرات واما المشهورات فهي القضايا التي اوجب التصديق بها اتفاق الكافة عليها كحسن الشكر وقبح الكفر ونحوه واما المقبولات فما اوجب التصديق بها قول من يوثق بقوله كالقضايا المأخوذة من الانبياء والمُرسلين والائمة المجتهدين واما المظنونات فما اوجب التصديق بها بما يدخل احتمال النقض[1] كاعتقادنا ان فلانا يتسلّم الثغر عند كونه ❀ يسارُ ❀[2] العدو واما المشبهات فما اوجب التصديق بها تخيل كونه من قبيل ما سبق من الاقسام كاعتقادنا ان نصرة الاخ عند كونه ظالمًا مشهورًا اخذًا عن قول الجمهور انصر اخاك ظالمًا او مظلومًا وعند التحقيق يتبيّن انه ليس بمشهور وان المراد به انما هو دفعه عن الظلم وكفه عنه واما المخيلات فعبارة عمّا يؤثر في النفس ترغيباً وتنفيراً يقوم مقام التصديق وان لم يكن مصدقًا به كتشبيه العسل بالعذرة في تنفير النفس عنهُ ...

١) في الاصل النقص .
٢) المتن غامض .

ثبت الالفاظ المشروحة[1]

١) نجد القسم الاكبر من هذه المفردات عند الجرجاني . فلربما استقى من موارد الامدي ولربما استقى ايضاً الاثنان من مصدر ثالث وحيد . فهذا ما يتطلب الدرس والتنقيب .

كتاب الخلوة والتنقل في العبادة ودرجات العابدين

تأليف الامام العارف ابي عبدالله الحارث بن اسد المحاسبي

رحمه الله

نشره لاول مرة عن نسخة يتيمة
الاب انطانيوس عبده خليفه اليسوعي

توطئة

١ – لمحة عن حياة المؤلف

المحاسبي امام من اكبر ائمة الصوفية واستاذ اكثر البغداديين . تشهد له مؤلفاته العديدة بطول الباع ، بغزارة العلم ووضوح العقل.

تضاربت فيه الآراء . فمنهم من انتقده وجعل مؤلفاته من نتج الشيطان والزندقة ، ومنهم من اقتفى اثره وتأثر بافكاره ومذهبه وطريقته الواعية في التعرف من تحديد مفردات وتحليل المواقف الصوفية العديدة التي يتبعها المريد في سيره وراء الاتحاد بخالقه وترع الخطيئة من نفسه بغية الاستقرار بعد المراحل الشاقة وارضاء وجه الله السرمدي .

فلقد تكلم عنه ابونصر السراج[1] وذكر له بعض التعابير في شتى الابواب دون ان يحكم على صدقه او زندقته . وزاد عليه ابو طالب المكي[2] والكلاباذي[3]

١) ابو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي : كتاب اللمع – طبعة رنولد الن نيكلسون – ليدن – بريل ١٩١٤ ، ص ٤٥ ، ١٨٣ الخ in «E. J. W. Gibb Memorial» old series, vol. XXII.

٢) قوت القلوب . طبعة القاهرة ١٣١٠ ، الجزء الثاني ص ١٥٨ .

٣) كتاب التعرف ، طبعة القاهرة ١٣٥٢ ، ص ١٦ وما يليها . وتذكر ايضاً Miss Margaret Smith اسماء السلامي ، وكتابه « طبقات الصوفية » وابا نعيم و« الحلية الاولية » ، في طبعتها « كتابه الرعاية لحقوق الله عز وجل » للمحاسبي في «E. J. W. Gibb Memorial» new series, XV ، ص XV سنة ١٩٤٠ لندن .

والقشيري[1] والهجويري[2] والعطار[3] وسيف الدين السهروردي[4] والجامي[5] والشعراني[6] وعبد الكريم ابن محمد السمعاني[7] مادحاً اذ قال : « والحرث ماجد من اجتمع له الزهد والمعرفة بعلم الظاهر والباطن . . . وله كتب كثيرة في الزهد وفي اصول الديانات والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة وكتب كثيرة الفوائد جمة المنافع » . ولن ننسى الامام الغزالي الذي يقرّ بما للمحاسبي عليه من الفضل اذ انه يذكر مراراً في « المنقذ »[8] و « احياء علوم الدين » الفائدة العظمى التي نالها من مطالعته كتب المحاسبي . ولقد حفظ حاجي خليفة ما كتبه حجة الاسلام في « الاحياء » : « المحاسبي خير الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين من عيوب النفس وآفات الاعمال وكلامه جدير بان يحكى على وجهه »[9] .

وهناك مؤلفو الموسوعات الكبيرة وكتب الطبقات الذين خصوا المحاسبي بالذكر منهم عبد القادر البغدادي والحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي[10] والشهرستاني[11] وابن خلكان[12] والذهبي[13] وعفيف الدين

---

١) الرسالة القشيرية . طبعة مصر ١٨٦٧ ص ١٥ ، ٢٦ وما يليها .
٢) كشف المحجوب ، ترجمة نيكلسون ص ١٧٦ .
٣) تذكرة الاولياء ، طبعة نيكلسون الجزء الاول .
٤) عوارف المعارف ، على هامش احياء علوم الدين ، طبعة مصر ١٢٧٢ ، الجزء الرابع ص ٢١٣ ، ٢٢٦ .
٥) نفحات الانس ، الجزء ٥٢ .
٦) الطبقات الكبرى ، طبعة مصر ١٩٢٥ ، الجزء الاول ، ص ٦٤
٧) كتاب الانساب ، طبعة مرغليوث في E. J. W. Gibb Memorial, old series, XX، ص ٥٠٢ ، سنة ١٩١٣ لندن .
٨) المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال ، الطبعة الاولى ١٣٥٢ / ١٩٣٤ طبعة ابن زيدون بدمشق ص ٤٥ ، ٥٩ .
٩) كشف الظنون ، طبعة فلوجل ، ليبسك ١٨٣٥ ، الجزء ٣ ، ص ٢١٤ والجزء الخامس ص ٨٧ .
١٠) تاريخ بغداد او مدينة السلام ، طبع بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣١ م ، المجلد الثامن ص ٢١١–٢١٦ .
١١) كتاب الملل والنحل ، طبعة لندن ١٨٤٣ ص ٦٥ .
١٢) كتاب وفيات الاعيان – ترجمة دي سلان ، الجزء الاول ص ٣٦٥ .
١٣) ميزان الاعتدال ، طبعة لكنو ١٨٨٤ ، الجزء الاول ص ١٧٣ .

اليافعي[1] وتاج الدين السبكي[2] اذ يقول ان المحاسبي « علم العارفين في زمانه وأستاذ السائرين الجامع بين علمي الباطن والظاهر ... سمّي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه . . . كان امام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام وكتبه في هذه العلوم اصول من يصنف فيها واليه ينسب اكثر متكلمي الصفاتية».

وقد ذكر المحاسبي ايضاً جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي[3] وابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي[4] وجمع ابن النديم[5] ما قاله من سبقه من المؤلفين في عبارة اصاب فيها ما يميّز المحاسبي في مؤلفاته :« المحاسبي البغدادي من الزهّاد المتكلمين على العبادة والزهد في الدنيا والمواعظ وكان فقيهاً متكلماً مقدماً. كتب الحديث وعرف مذاهب النساك وتوفي سنة ثلث واربعين ومائتين وله من الكتب كتاب التفكر والاعتبار . قال الخطيب له كتب كثيرة في الزهد واصول الديانة والردّ على المعتزلة والرافضة » . ولابن حجر العسقلاني[6] جولة موفقة في المحاسبي لم تتم لغيره ممن انتقده من الحنبليين ولنا على ذلك برهان نقتطفه من تاريخ بغداد لابن الخطيب يلمح فيه الى الحرب الشاقة التي شنّها خصوم المحاسبي عليه وهم كلهم من اتباع ابن حنبل فقال «شهدت ابا زرعة (الرازي ÷ ٢٦٤) وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل اياك وهذه الكتب . هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالاثر فانك تجد فيه ما يُغنيك عن هذه الكتب»[7] .

وبينما كان الحنبليّون يضطهدون المحاسبي اضطهاداً مرّاً ويضطرونه الى ترك مدينة السلام ، بغداد – بعد ان درّس فيها مدة طويلة – الى الكوفة بعيداً عن اصحابه وتلامذته في عزلة لا يؤنسه فيها بشر حيث مات وحيداً سنة ٢٤٣ ﻫ – ٨٥٧ م ، كان الصوفيون والاشعريّون يعتبرونه حجّة لهم ، مهدّ

١) روض الرياحين . طبعة مصر ١٢٨٦ ، ص ١٥
٢) طبقات الشافعية الكبرى ، طبعة مصر ، بدون ذكر السنة . ص ٣٧
٣) تاريخ الحكماء ، طبعة ليبرت ، ليبسك ١٩٠٣ . ص ١٦٠
٤) نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس ، طبعة مصر ١٣٤٠ ، ص ١٧٧–١٨٠
٥) كتاب الفهرست ، طبعة فلوجل ، ليبسك ١٨٧٢ ص ١٨٤
٦) تهذيب التهذيب . طبعة حيدرآباد ١٣٢٥ ، الجزء الثاني ص ١٣٦
٧) راجع تاريخ بغداد المذكور اعلاه ص ٢١٥

لهم للطريق وحكم على السبيل السوي لمحاوبة اخصامهم المعتزلة اذ استعار مفرداتهم وطرق تفكيرهم ومنطقهم لنقض آرائهم . فلا بدع اذا عُدّ المحاسبي بين الشيوخ الخمسة الذين ذكرهم السبكي[1] والذين يرجع اليهم الكثيرون كحجة مثلى وامل . كان المحاسبي من مواليد سنة ١٦٥/٧٨١ . وُلد في البصرة .

٢ – المخطوط

في مكاتب تركية عامة واستنبول خاصة كنوز لا تحصى ودفائن لم تصل بعد اليها يد العلماء والمنقبين ولم تحصرها همة المؤرخين فلا أثر لها في أبحاثهم ولوائحهم وقد اهمل ذكرها كبار المحققين مع انها من اوثق المؤلفات ومن اغناها قيمة . يذكر العدد الكبير من المؤلفين الذين تقدم ذكرهم – وهم من المقدمين – مؤلفات المحاسبي في عبارة شاملة لا يستفيد منها من يفتش بدقة عن معلومات تفيد المؤلف وجهه وميزاته : « له مؤلفات عديدة ، كثيرة الفائدة ، جمة المنافع »[2] . منهم من ذكر كتاباً او كتابين[3] . فالتجأنا الى ما كتب المحدثون عن المحاسبي ان في دائرة المعارف الاسلامية[4] او في الكتب والمجلات كالمستشرق مرغليوث[5] ومرغريت سميث[6] وعبد الحليم محمود[7] ومن نشر من مؤلفات المحاسبي شيئاً كماسينيون[8]

---

١) راجع طبقات الشافعية الكبرى ص ٣٧

٢) راجع مثلاً تاريخ بغداد لابن الخطيب البغدادي الجزء الثامن ص ٢١١

٣) راجع كتاب الفهرست لابن النديم ص ١٨٤ – والهجويري : كشف المحجوب ص ١٠ – وابن خلكان : وفيات الاعيان ، الجزء الاول ص ٣٦٥ الخ .

٤) راجع Encyclopédie de l'Islam, III, 746-747

٥) D. S. Margoliouth: *Notice on the writings of... al-Muhasibī, the first ṣūfī Author in Transact. of the III intern. Congr. for the History of Religion*, Oxford, 1908, I, 292 ff.

٦) Dr. Margaret Smith: *An Early Mystic of Baghdad*. London 1935, pp. 44-49 et passim.

٧) Abd-al-Ḥalim Mahmoud: *Al-Mohasibī, un mystique musulman religieux et moraliste*, Geuthner, Paris 1940.

٨) Louis Massignon: *Recueil de textes inédits concernant l'histoire de la Mystique en pays d'Islam*, — Geuthner, Paris 1929. pp. 17-24 — cf. du même, *Essai sur les origines du lexique technique de la Mystique musulmane*, Geuthner, Paris 1922, pp. 211-225.

وشبيس[١] وازبري[٢] وسميث[٣] خاصة او من تعاطى تاريخ الآداب العربية كبروكلمن[٤] .فلم نجد للمخطوط الذي نحن بصدده ذكرًا . وكنا نظن ان بروكلمن الذي نوّه الى عشرين[٥] مؤلفاً للمحاسبي قد وقع على مخطوطنا . فلم نحظَ بينهم على المؤلف الغالي الذي تكرّم به علينا الاستاذ احمد آتش من جامعة استنبول بعد ان وصفه في مجلة « اورينس »[٦] الالمانية .

فمخطوطنا يتيم اذًا لم نعثر له على شبيه في مكاتب الشرق والغرب . وهو مقتطف من مجموعة مؤلفات صوفية ضخمة (٢٧٠ ورقــة) تحت رقم ٢٧١٣ . كتب على ورق عاديّ بخطّ نسخي واضح دون زخرفة، ولقد اغفلت نقط الحروف فيه فصعبت قراءته . مجلّد تجليدًا نصفيًا وعند تجليده اهمل تتابع الملزمات فيه فتقدّمت الواحدة الاخرى دون ان تضيع منه ورقة . وتنبئنا بذلك الصفحة ١٨٠ اذ حوت ثبت كل تلك المؤلفات فنجدها كلها مع بعض الالتباسات . فلا نرى تتابعاً مثلًا بين الصفحة ١٤٩ والصفحة ١٥٠ اذ ان الصفحــة ١٤٩ تكمل في الصفحة ١٦٠ وما بين الصفحة ١٥٠ وال ١٦٠ يتعلّق بمؤلّف آخر . حبره اسود . زيدت في الهوامش بعض الكلمات المنسيّة في النصّ . حالة المخطوط سيئة وهذا ما يدلّ على ان المجموعة قد تداولتها الايدي. نجد في الصفحة ١٧٩ a اسم الكاتب وهو يونس بن عبد الله وقد انهى نقل المجموعة في شعبان ٦١٥ الّا ان الصفحة

(١ Otto Spies : *Ein Fragment aus dem Kitāb aṣ-Ṣabr war-Riḍā' des al-Ḥāriṯ al-Muḥāsibī.* in Islamica, Band VI, Heft 3, 1934, pp. 283-290.

(٢ Arthur J. Arberry : *Kitāb al-Tawahhum by Harith ibn Asad al-Muhasibī* — Cairo, 1937. — Cf. du même, *Sufism an Account of the Mystics of Islam.* London 1950, pp. 44-49.

(٣ Margaret Smith : *Kitāb al-Riʿāya lihuqūq Allāh* by Abū ʿAbdallah *Ḥārith ibn Asad al-Muḥāsibī*, in « E. J. W. Gibb Memorial », new series, vol. XV, 1940.

(٤ C. Brockelmann : *Geschichte der arabischen Litteratur*, erster Band-Brill-Leiden 1943, p. 213. — Cf. du même, *GAL, suppl. Band* I, p. 253..

(٥ لم يذكر منها لويس ماسينيون الا ١٨ مؤلّفًا . راجع ... Essai ص ٢١٢ – ٢١٥

(٦ *Oriens*, éd. Brill-Leiden vol. V (1952) n. 1, pp. 28-29

٢٧٠ b تنبئنا ايضاً باسمه وباليوم الذي فيه نجز نقل المخطوط وهو الخميس ٢٥ شعبان ٦١٥ .

قياس المجموعة ١٦،٧ × ١٢،٤ س ومساحتها المكتوبة ١٢،٥×٩ س . وفي كل صفحة ١٧ سطراً .

⁂

تعاطى المحاسبي — من تعوّد محاسبة نفسه — الدرس النفساني وتحليل الارادة في نزعاتها المختلفة . فتراه في كتبه المطبوعة — كما نراه هنا — يلج رويداً رويداً الى اعماق النفس يسير في خباياها دارساً وواصفاً . وما درسه الّا ليقف على عيوب النفس وآفات الاعمال . وما وصفه الّا ليساعد في سيره ذلك المريد الذي يفتش عن الطريق المؤدية الى الكمال .

وكأني به طبيباً ماهراً اتصف بدقة التحليل وحسن التعبير وقوة الحجة يفتّش عن اصل تلك الآفات ليستأصله فيصوّب مبضعه الى الرياء ، تلك العلة العظمى التي تعكر صفاء النيّة وطهارة الجانب وتجعل الانسان يبتعد عن نفسه ومتطلباتها الاصيلة فيسيء الى ذاته ، ذلك الرياء الذي يحمل الانسان على الخبث واللهو والترف وحب المادة فلا يصدق له وعد فينبذه الناس ولا يحترم ميثاقاً فلا يؤتمن على امر . ويجرّب اذاً وصف العلاج عامداً الى التأثير على السالك من باب العقل فيحبّب اليه الصدق وحسن الظنّ والصمت والخلوة فاذا ابى ولم يعقل عمد اذاك الى تحريك عواطفه وشعوره بالخوف والرجاء ، بالترغيب والترهيب ليحمله على ترك المعاصي والسيئات . فان هو همّ في اتباع النصائح ولم ينجح بات قلقاً مضطرباً ومائلاً الى القنوط فيقوم اذاك المحاسبي ليزجره عن القنوط .

وهذه هي الطريقة التي اتبعها المحاسبي في هذا المخطوط وفيها من صراحة التحديد ودقة التحليل ما يجعله بين احسن مؤلفاته واجزلها فائدة .

⁂

وانّنا نرجىء الى الخاتمة درساً ضافياً عن تطوّر فكرة المحاسبي في هذا المخطوط وعن لغته ومفرداتها العلمية ومقابلة مخطوطنا هذا بكتب المحاسبي الموعقة .

(١٧) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

باب الاجتهاد والخلوة وقصر الامل وغير ذلك

قال الامام ابو عبدالله الحارث بن اسد المحاسبي رضي الله عنه اعلم رحمك الله ان اهل طاعة الله قدموا بين يدي الاعمال لطيف معرفة الاسباب التي بها يستدعى صالح الاعمال ويسهل عليهم ماخذه توطيناً منهم لانفسهم على استصحابه الي انقضا اجالهم فيصير مآلهم في الدنيا يوماً واحداً وليلة كلما مضت استأنفوا النية وطلبوا من انفسهم حسن الصحة ليومهم وليلتهم فكل ما مضى عنهم يوم تحسن منهم الصحبة له او ليلة راقبوا انفسهم فيها على جميل الطاعة كان عندهم غنماً وذكروا اليوم الماضي فسروا به وصبروا انفسهم عن المستقبل لانقضاء الأجل فيه او في ليلة وطرحوا شغل القلب بذكر غد واعملوا ابدانهم وجوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت عنهم الامال وقربت منهم الاجال وتباعدت اسباب وساوس الدنيا من قلوبهم وعظم شغل الاخره (2r) في صدورهم فنظروا الي الاخره بعين صحيحة بصيرة وتقربوا الي الله باعمال زاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة فاحبوا البقاء في الدنيا عمر الدنيا حين ساعدتهم الزيادة من التقوى فقرت بالخوف اعينهم وتعموا بالحزن في عبادتهم حتى نحلت اجسادهم وقل مع المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة سيدهم فقلوبهم بملكوت السماوات متعلقة وفكرهم باهوال القيامة مقبلة مدبرة وابدانهم بين المخلوقين عاريه فعموا عن الدنيا وصموا عنها وعن اهلها وما فيها ووضح لهم امر الاخره حتى كانهم ينظرون اليها فتخلص قوم الي ذلك من طريق الاجتهاد فاجتهدوا في الصوم لهدوء الجوارح عنهم ولتذل الانفس لهم وتخضع الجوارح واجتهد قوم في الصلاة لدوام الخشوع عليهم واجتهد قوم في الورع ليطيب لهم المطعم وفطنوا انه لا يزكوا لهم عمل من اعمال البر الا بطيب مطعمهم واجتهد قوم في ترك الشهوات وطلب القوت وما اشبه ذلك

بين رياضة النفس حتى افضوا بالانفس الى الجوع ونحول الجسم [2٢] فنظرت في ذاك فلم از شيئاً اقرب في مصلحت (كذا) النفس والعيش من حمية النفس عن إلفها وقطعها عن مزاولة المخلوقين بمنع الحواس عن الاخبار التي فيها تهيج القلوب بالحركات واضطراب الجوارح وتهيجها على العمل وانما اعني بالحواس السمع والبصر والشم الذي يمكن تحس الشي. فاذا فقد القلب ما تجتاب له الحواس سكن عن الحركه فاجابته الجوارح بالهدو. فعند ذلك يتفرغ القلب لاعمال البر ويصغر فيه كيد ابليس لان سلاحه قد تعطل عند تطلع ما تجلب الحواس عنه ورهن سلطان الهوى فيه وقويت دلالات سلطان العقل بالفكر واشتمل وغلب على القلب اذ ضعف ضده فعند ذلك يلي قلب العبد بالفكر فيهيج من ذلك الخوف وتسورت عليه طوارق الاحزان فيبحث[1] عن امر الاخره ويترك الدنيا وما فيها فيورثه ذلك حب الخلوة فيحبها ويلزمها ويانس بها ويستوحش من المخلوقين ويفرقهم وذلك حين جرت عذوبة حلاوته في اعضايه كما تجري الما في اصل الشجره فاورقت اغصانها واثمرت عيدانها [3٣] ولحق جوف ما تجي به القيامه بما يجي به قلبه فخالط سويدا قلبه فيهيج من الخلوة فنون من اصول الزهد في الدنيا لو اجتهد العبد في فن منها ان يستحكم له من غير هذا الطريق عظمت عليه فيه المونه واشتد عليه فيه العلاج فاما عازم على الصبر واما عايد الى طباعه في التخليط فاذا رقي العبد الى درجة الخلوة بالكره لذلك (X) والصبر عليه وداوم على ذلك واستحلاه نقله ذلك الى حب الخلوة فاول ما يهيج من حب الخلوة طلبه العبد للاخلاص والصدق في جميع قوله وفعله فيما بينه وبين ربّه ومخرجها من الصدق فورثه حب الخلوة راحة القلب من غموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين في الاخذ والاعطاء ومخرج ذلك من صحّة العقل واسقط عنه حب الخلوة وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومداهنة الناس فيما فيه تلفُ دينه من تركه لذلك ويخلوا بتتبع أمر نفسه ويهيج من حب الخلوة خمول النفس والاغماض في الناس وهو اول طريق الصدق ومنه الاخلاص . ويهيج من حب الخلوة الزهد في معرفة الناس والانس بالله واشتغال مجالسه غير [3٣] اهل ذكر الله ويورث حب الخلوة طول الصمت من غير تكلف اذا كان غير مصيب

[illegible] وغلبه [illegible] ومنها يظهر الحلم والاناة ويهيج من حب الخلوة شغل العبد بعيوب نفسه وقلة شغله بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس ويهيج من حب الخلوة كثرة الهموم والاحزان ومنها يهيج التفكر وهو افضل العبادة ومخرجه من خالص الفكر ويهيج من حب الخلوة الاعمال التي تغيب في اعين الناس وتظهر لرب العالمين وقليل ذلك كثير ومخرجه من الصدق ويهيج من حب الخلوة التيقظ من غفلة اهل الدنيا وفقد اخبار ما يذكر منها الخاص والعام ويورث حب الخلوة الامن من الريا وترك التزين للمخلوقين وكل ذلك من دواعي الاخلاص وهو محض الصدق ويورث حب الخلوة قلة المراء وترك الخصومة والجدال وهما ينفيان طلب الرياسة ويسلمان الى الصدق ويهيج من حب الخلوة اماتة الطمع ودواعي الحرص والرغبة في الدنيا وفيه قوة العقل ويورث حب الخلوة قلة الخلف في [٤٢] المواعيد والتوقي من الحنث في الايمان ومخرجه من الصدق ويورث حب الخلوة قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحنا والغل للامة بسلامة الصدور ورقة القلب من طريق الرحمة وهما ينفيان الغلظة والقسوة وهما من دواعي الخوف ويهيج من حب الخلوة تذكر النعم وطلب الالهام للشكر والزياده من الطاعه ويهيج من حب الخلوه وجود حلاوة العمل والنشاط في البكا بحزن من القلب مع تضرع واستكانة ويهيج من حب الخلوة القنوع والتوكل والرضا بالكفاف والعفاف والاستغنا عن الناس ويهيج من حب الخلوة عزوف[1] النفس عن الدنيا واشتياقها الى لقاء الله تعالى وهو من طريق حسن الظن بالله تعالى وخوف النقص في الدين ويهيج عن حب الخلوة حيا القلب وضيآ نوره ونفاذ بصره في عيوب الدنيا ومعرفة النفس ومعرفته بالنقص والزياده في دينه ويهيج من حب الخلوة الانصاف للناس والاقرار بالحق واذلال النفس بالتواضع وقلة الاعتداء ويهيج [٤٣] من حب الخلوة خوف ورود الفتن التي فيها ذهاب الدين والشوق الى الموت قبل وقوعه خوفاً من سلب الايمان ويهيج من حب الخلوة الوحشة من الناس واستثقال كلامهم والانس بكلام رب العالمين الذي جعله الله نوراً وشفا للعالمين وحجة ووبالاً على الظالمين فاجعل الكتاب مفزعك الذي اليه تلجا وعصمتك الذي به تعتصم وحصنك الذي اليه

١) في النص عروف وهو غلط .

تاوي وذليلك الذي به تهتدي وشعارك ودثارك ومنهجك وسبيلك فاذا التبست عليك الطرق واشتبهت عليك الامور وصرت في حيرة من امورك تضيق بها نفسك فعليك بالرجوع الى عجايب الكتاب الذي لا حيرة فيه وقف على دلالتها من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والي ما ندب الله تعالى اليه المومن من الطاعة وترك المعصية فانك تصير بصيرًا من حيرتك وعارفاً من جهالتك ومستانساً من بعد وحشتك وقويًا بعد ضعفك فليكن وليك من دون الخاوقين تفرمع الفايزين ولا تهزه كهز الشعر ولا تنثره نثرا كنثير الرمل (53) وقف عند عجايبه وحدوده وما اشكل عليك فكله الي عالمه ولا قوة إلا بالله واعمل بالمحكم وآمن بالمتشابه وكل علمه الي الله تعالى واذكر العلما ما حملته من الحدود والسنن وخذ بما اجمعوا عليه وما اختلفوا فيه فخذ لنفسك بالحزم ولا تحمل لخلق الله تعالى عليه ولا تلومهم نصحاً وحسن نظر . واعلم ان الاقاويل محفوظة والسراير مبلوة وكل نفس بما كسبت رهينة وقد اصبح الناس متفرقين مدحورين الا من عصم الله فقايلهم باغ وسامعهم عايب وسايلهم متعنت ومجيبهم متكلف يكاد افضلهم رأياً يرده عن افضل رايه ادنا الغضب ويكاد اصلبهم عوداً تنكلوه اللحظة وتستجره الكلمة فلا فقر اشد من الجهل ولا مال اعز من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا مظاهرة اوفق من المشورة ولا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ولا عبادة كالتفكر .

(لها بقية)

اليوبيل المئوي الرابع للجامعة البابوية الغريغورية

١٩٥٣ - ١٥٥٣

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

هناك مؤسسات لا تبرح على ممرّ القرون تسطع بالفكر وتمسك الانسان عن التفرط وتصدح مدويّة بالقيم الروحية وباهميتها واستمرارها لنحيي معها انها تسرتي شتى ضروب بؤس الدهور ودهورة بعض العقليات التي تعتقد انه بمقدورها العيش بمعزل بعيدة عن الخير والشرّ .

وتشتمل هذه المؤسسات الكثيرة على ذوي حياة تذيب نفسها في التنقيب عن الحقيقة وابلاغها لغيرها ، على انه من الدواعي المرغّبة في الاستطلاع رؤية وجوه هؤلاء العلماء وضّاحة نضرة صافية تلقي في الذهن ان ذويها يعيشون في عالم ثانٍ مع كونهم يفكرون في هذا العالم ويحاولون اكتشاف المبادئ التي ينبغي لها ان تنظم المجتمع في سيره الى الامام وفي تقدمه .

ويحف بهذه المؤسسات سلام مستفيض مع انه ربما اشتدت فيه الحروب الفكرية اشتدادًا كبيرًا ولكنها لن تتحول ابدًا الى صراع اخوي يفتك فيه الشقيق بشقيقه . اجل انه السلام الذي يخيّم عليهم فهم يحاولون الاستزادة من العلم ويكافحون لا في سبيل الغلبة بل يكافحون ليشركوا غيرهم بوجهات نظرهم لانهم يعتقدون انهم قابضون على الحقيقة . اجل انهم مناضلون متحمسون ولكنهم يخضعون لحقيقة تسيطر على جميعهم . امّا رجال العلم فكأنهم ما برحوا يعيشون بعقلية الاطفال، هذه العقلية التي تكوّن جذلهم وعظمتهم .

ومن بين هذه المؤسسات مؤسسة ذات شهرة عالمية : الا وهي الجامعة البابوية الغريغورية التي احتفلت في شهر تشرين الاول الماضي بيوبيل تأسيسها المئوي الرابع . ولقد اسسها القديس اغناطيوس دي لويولا في رومة سنة ١٥٥١ ولم تتخذ لقب جامعة الا سنة ١٥٥٣ اي عندما شرعت تدرّس اللاهوت . وكانت وضيعة في سنيها الاولى ومع ذلك كان لا بدّ لها من ان تبدأ وان تفكر في الدفاع عن الكنيسة التي هاجتها الانشقاقات الداخلية والخارجية

ولا سيما البروتستانتية التي كانت تحفر لها الاحافير وتفصل عنها اعضاء كثيرين ومناطق برمّتها ، وتلك البروتستانتية التي زعمت انها المعقل الوحيد للعلم الحقيقي.

ولقد اسّس اغناطيوس المدرسة الرومانية بما قدّمه له فرنسيس دي بورجيا ، — وكان اذ ذاك مارًا برومة وقد ينخرط يومًا في الرهبانيـة اليسوعية ويصبح رئيساً عامًا لها — وبما اعطاه اياه البابا يوليوس الثالث . وكان على هذه المدرسة، بحسب فكرة اغناطيوس، ان تستخدم لتثقيف ابنائها وجميع الذين كانوا يتأهبون للدراسات العليا ولمراكز حكومة الكنيسة الرئيسية .

وكانت هذه المدرسة في عهودها الاولى حقيرة وبمنزل فقير على اقدام الكابيتول ولكنها بعد سنتين ضاقت عن استيعاب الطلاب الذين كانوا يؤمّونها بكثرة من جميع الامم مما اضطر اصحابها الى ان ينقلوها الى قرب كنيسة السيدة « supra Minervam » وعلى اثر كارثة سمحت بها العناية الالهية انتقلت المدرسة الرومانية الى مكان آخر وذلك سنة ١٥٥٩ . واتفق ان احدث فيضان نهر التيبر بها اضرارًا واذ استشعر البابا بيوس الرابع عمق فعلها في جماعة طلّابها آثر بنفوذه على اشراف رومة لانشاء دار أخرى بُنيت بجانبها كنيسة اسمها كنيسة سيدة البشارة فكانت من حيث هندسة بنائها ومن حيث رسومها مفخرة من مفاخر اخوة الرهبانية اليسوعية . وفي ذلك المقام نشأت اول اخوية مريمية « Prima Primaria »

وكان لا بد لازدياد عدد الطلاب ولتسنم غريغوريوس الثالث عشر السدّة البابوية العليا من ان يغيّروا مقر المدرسة الرومانية . وبصفة كون ذلك البابا صديقًا لليسوعيين ومعجباً باعمالهم في الحقلين المدني والديني اصدر امره بهدم المدرسة الرومانية وباعادة بنائها بحسب فنّ متقن فسمح لها اتساعها بان تقبل عددًا كبيرًا من الطلاب .

وفي سنة ١٥٨٣ بعد ان اعيد بناء المدرسة الرومانية كان لا بدّ لها من ان تحمل اسم المحسن الكبير غريغوريوس الثالث عشر وتصبح الجامعة الغريغورية الحقيقية.

وغريغوريوس الخامس عشر الذي رأى ان كنيسة البشارة كانت ضيّقة جدّ الضيق لاستيعاب عدد الطلاب الكبير الذين كانوا يؤمّونها من جميع الاصقاع قرّر ان يهدمها وان يعيد بدلًا منها بناء كنيسة لائقة بالجامعة ويجعلها باسم مؤسّس

الرهبانية اليسوعية الذي جُعل في مصاف القديسين سنة ١٦٢٢ . وهذه الكنيسة بفسيح ارجائها ورسوم سقفها وجدرانها تشير الى مهارة صانعها العظيمة وبثروتها الوافرة التي تزدان بها مذابحها تعدّ من اجمل كنائس عاصمة المسيحية.

قد كان على الآباء اليسوعيين ان يديروا هذه المدرسة الرومانية طوال ٢٢٠ عاماً قدموا في خلالها خدمات جلّى لمختلف العلوم الاكليريكية ووفقوا توفيقاً عظيماً في خدمة الكنيسة ، وحسبنا ان نشير الى اسماء بعض الذين اشتهروا بتدريس اللاهوت والفلسفة والعلوم والكتاب المقدس كالقديس بلارمينوس والكردينالين دو لوغو (de Lugo) وتولت (Tolet) والآباء سوارز وفاسكيز وكورنيليوس الحجري (Cornelius a Lapide) وكلافيوس الملقب باوقليد زمانه وغيرهم كثيرين . ولن ننسى بوسكوفيتش وبلافيشيني .

وما انفكّ الطلاب يتدفقون بكثرة فبلغ عددهم سنة ١٦٠٠ الفي طالب جاؤوا من المدارس المجرية – الجرمانية ومن المدرسة الاكليريكية الرومانية ومن المدارس الانكليزية والايرلندية واليونانية والمارونية والكبرانيكا الخ :

وكان في المدرسة الرومانية مختبرات تخوّل الطلاب ان يجروا التجارب بانفسهم وانِس فيها الاب كلافيوس سنة ١٧٨٤ مرصداً كانت له شهرته الكبرى في جميع اوروبة مع المتاحف الفنية جداً التي ادارها الاب كيرشر الطائر الصيت.

وزد على كل هذا فان المدرسة الرومانية كانت تدرس اللغات القديمة كالعبرانية واليونانية واللاتينية والسريانية وقد اضيف اليها معهد للثقافة الدينية للعلمانيين امه كثيرون من كبريات شخصيات المدينة الخالدة . واذا ما استمحنا انفسنا ان نذكر من بين طلاب هذه الجامعة الغريغورية اشدّهم نبوغاً فاننا لنذكر الذين طوّبتهم الكنيسة وهم القديس لويس غونزاغا وجان بركمنس وروبر بيلارمينوس وكميل دي ليليس (Camille de Lellis) وليوناد دي بورت موريس (Léonard de Port - Maurice) . ودرس في هذه الجامعة باباوات عظام كغريغوريوس الخامس عشر واوربانوس الثامن واينوشنسيوس العاشر وكليمنضوس التاسع وكليمنضوس العاشر واينوشنسيوس الثاني عشر وكليمنضوس الحادي عشر واينوشنسيوس الثالث عشر وكليمنضوس الثاني عشر ولاوون الثالث عشر

وبندكتوس الخامس عشر وبيوس الحادي عشر وبيوس الثاني عشر المالك سعيدا.
وانا لنستبيح لانفسنا الحق بان نشير الى جميع طلاب المدرسة المارونية المشهورين الذين داوموا على الجامعة الغريغورية وكان لهم بعدئذٍ شهرة تعليمية عظمى في اوروبة كالسماعنة والحصارنة وعميرة والشدراوي والحاقلاني ومبارك والباني وغيرهم.

ج

لقد حالف التوفيق الجامعة الغريغورية حتى سنة ١٧٧٣ ــ وهي السنة التي أُلغيت فيها الرهبانية اليسوعية — وقد سلّمها الحبر الاعظم لكهنة روما العالميين فاداروها تحت اشراف لجنة من الكرادلة حتى عهد البابا لاوون الثاني عشر الذي اصدر براءته (Cum multa) وامر فيها بارجاع الجامعة الى الآباء اليسوعيين وذلك سنة ١٨٢٤ فكان عميدها الذي عُيّن لها الاب تابارلّي دازغليو (Taparelli d'Azeglio) الشهير.

وعقب حوادث سنة ١٨٧٠ افلت من يد الجامعة الصرح الجميل الذي كانت فيه وانتقل معهدا الفلسفة واللاهوت الى قصر بورمايو (Borromaeo) واوقفت الدروس اللاتينية والادبية بامر من الملك. اما الذين جعلوا شهرة للجامعة في ذلك العهد فكانوا: بيرونه (Perrone) وغوري (Gury) وفرنزلين (Franzelin) ومازيلّا (Mazella) وبالمياري (Palmieri) وسكّي (Secchi) وكلوتجن (Kleutgen) واورابورو (Urraburu) وفرنز (Wernz) وبيّوت (Billot) ودي لاتايل (de la Taille) ودربيني (d'Herbigny) ودي غيبرت (de Guibert) وفرمرش (Vermeerseh) وفروبيس (Froebes) وغيرهم. وكانت العلوم على تقدم مستمر مع اساتذة كهؤلاء. وكان عدد الطلاب يزداد يوماً عن يوم.

والحق البابا بيوس التاسع سنة ١٨٧٠ معهداً للحق القانوني بالجامعة واجريت توسيعات كثيرة فيها في عهد خلفائه.

واصدرت الجامعة في حزيران سنة ١٩٢٩ المجلة الفلسفية اللاهوتية الغريغوريانوم (Gregorianum). وخوّل مجمع الدروس المقدّس سنة ١٩٢٢ الجامعة اعطاء شهادة (Magister aggregatus) لتثبت كفاءة الطلاب الذين تبعوا صفوفها بنجاح ويرغبون في الاستزادة من العلوم. وفي سنة ١٩٢٤ ضمّ اليها البابا بيوس الحادي عشر معهد التعليم العالي للادب اللاتيني. واذ ضاقت الامكنة فيها

انشأوا ابنية جديدة قرب (Piazza della Pilotta) ودشّنوها سنة ١٩٣٠ وقد اضافوا اليها تدريس التاريخ وعلم الارساليات .

واتّسعت في هذه الفترة معاهد دراسة التوراة والاستشراق والثقافة الدينية العليا للعلمانيين. اما في السنوات الاخيرة فقد افتتح فيها معهد الدراسات الاجتماعية. ولاسبيل لاغفال الاشارة الى مكتبتها فهي غنيّة جد الغنى وتشتمل على خمسئة الف مجلد.

فالجامعة الغريغورية هي الجامعة التي تستكمل فيها اتمّ الدراسات الاكليريكية . فهي جامعة البابا وعميدها هو مدير المجمع المقدس للدروس والمعاهد الاكليريكية . اما رئيسها فيمثّله الحبر الاعظم .

•

ولقد تكافأ تدفّق الطلاب على هذه الجامعة مع المجهودات التي بذلتها الرهبانية اليسوعية لتزودها بعدد كبير من الاساتذة الذين يزيدون على مئة استاذ ينتمون الى عشرين امّة . وبلغ عدد طلابها سنة ١٩٥٢ – ١٩٥٣ الفين وثلاثة واثنين وسبعين طالباً ينتمون الى ٦٠ امّة بينهم ١٢٧١ من الاكليروس العلماني و ١٠٠١ من الرهبان .

•

كان من حقّ هذه الجامعة الغريغورية ان تحتفل بيوبيلها المئوي الرابع احتفالاً لن تندثر ذكراه وذلك من اليوم الثالث عشر الى اليوم العشرين من شهر تشرين الاول الماضي .

وانها لفكرة جميلة راودتها ان تحشد في مؤتمر علمي للابحاث العلماء الوافدين من مختلف الامم فكان الاحتشاد مساء يوم الثلاثاء قبل افتتاح المؤتمر في رواق الجامعة حول الرئيس والاساتذة وحول رئيس الرهبانية اليسوعية العام للترحيب بالوافدين وتحية الحبر الاعظم – وغداة اليوم الثاني عند الساعة التاسعة صباحاً كان الاجتماع في الكابيتول لتحية محافظ روما السيد ربيكيني (Rebecchini) الذي رحّب بقدوم مندوبي الامم المختلفة الى عاصمة بلاده ليشرّفوا بحضورهم الجامعة البابوية . امّا افتتاح المؤتمر الحقيقي فكان عند الساعة العاشرة . ولقد كان من المقرّر ان تكون هناك خمسة اقسام : القسم اللاهوتي والفلسفي والتاريخ الكنسي والحق القانوني والارساليات . فانتشر مندوبو

مختلف الجامعات العالمية والمشتركون بالمؤتمر البالغ عددهم زهاء ٤٠٠٠ شخص في شتى ردهات الجامعة الواسعة . فبينا يعالج الاب برون (Brown) لاهوتي البار النهج اللاهوتي العلمي وهناك يبحث الاب لويس دي رادماكر (de Radmaeker) خاصة البرهان على وجود الله ويبحث الاب ارنو (P. Arnou) تنزه الله وكيانه المستقل تام الاستقلال عن الكون الذي خلقه بفعل ارادته الحرّ ، وهناك الاب كيرشبوم (P. Kirschbaum) يتحدث عن حفريات دياميس الفاتيكان الجديدة والاب ستيكلر (P. Stickler) عن صلة الكهنوت بالامبراطورية والاب ميكيلس (P. Michiels) والاب فويتس (P. Wuyts) عن الشخصية الادبية ، ويتكلم الاب نيف (P. Nève) على الحياة التأملية في بلدان الارسالية والاب زاميزا (P. Zameza) على تعاليم المرسل الروحي .

وهذه البحوث والكثير غيرها وما تخللها من مناقشات مشرقة مفيدة كان لا بدّ لها من ان تستغرق الوقت حتى يوم السبت الواقع في ١٧ من الشهر وهو اليوم الذي جاء فيه الحبر الاعظم من قصر كاستيل غاندلفو لمقابلة المندوبين الى المؤتمر والمشتركين فيه بالفاتيكان . ولقد كان عددنا زهاء اربعة آلاف شخص خطب فينا الاب الاقدس بصدد العمل العلمي اللاهوتي وبصدد البحث عن الحقيقة واهمية اللاهوت الوضعي في يومنا الحالي .

وغداة يوم الاحد التالي احتفل الكردينال ميكرا (Micara) نائب قداسة البابا في مدينة رومة بقداس حبري ضمّ حول المذبح رجال المؤتمر ، وفي مساء اليوم نفسه وفي الردهة التي تحمل اسم البابا بيوس الثاني عشر القائمة عند طرف شارع (della Conciliazione) احتشد جمع كبير ، حول عشرة كرادلة و ٩٠ الى ١٠٠ اسقفاً ، زهاء خمسة آلاف شخص في وسط جو سحري فتان ليشهدوا نتائج المؤتمر .

وكان المندوبون البالغ عددهم حوالي ٢٠٠ مندوب وقد وفدوا من جامعات اوروبة واميركة وآسية وهم من الاكليريكيين والعلمانيين يشقون جمهور الحاضرين ببذلاتهم الرسمية ويصعدون المنصة ويلتفون حول الكردينال بيزاردو (Pizzardo) ورئيس الرهبانية اليسوعية العام ورئيس الجامعة الغريغورية .

وشكر الرئيس الحاضرين وخاصة مندوبي مختلف الجامعات والحبر الاعظم الذي شرّف اليوبيل والمؤتمر برسالة شخصية وجهها اليه شخصياً وشكر الله الذي

وهبنا النور والشجاعة للبحث عن الحقيقة والعمل على نشرها .

وكان بعد ذلك دور مندوبي اقدم الجامعات الثلاث وهي جامعة بولونيا (Bologne) وباريس (السوربون) وسلمنكا ، وهذه الاخيرة قد احتفلت بيوبيلها المئوي السابع منذ عهد قريب وفي شهر تشرين الاول نفسه .

وبعد ان اثنى هؤلاء الثلاثة على المجهود المستمر الذي تبذله الجامعة الغريغورية اوضحوا الرغبة الشديدة بان تستوحي الحكومات في اعمالها الفكرة المسيحية المستمدة من منابع الوحي .

ومن ثمَّ كان دور الكردينال سيري (Siri) رئيس اساقفة جنوى الذي شدّد بصدد اهداف الجامعة الروحية منذ تأسيسها حتى الآن . وقد توالى على الخطابة بعده الكردينال بيزاردو مدير مجمع المعاهد الاكليريكية والدراسات وهو عميد الجامعة الاكبر واخذ يبدي نصائحه التي تقتضي بها الظروف للحاضرين . وختم كلامه بتحية للحبر الاعظم .

ولقد كان المؤتمر وشيك الانتهاء . وفي غداة الاثنين التالي كانت نزهة خارج المدينة في جبل كاسينو (Monte Cassino) ضمت عدداً كبيراً من الطلاب القدماء ، ويوم الثلاثاء احتفل باقامة قداس لتذكار المتوفين منهم من اولئك التلاميذ الذين من تأسيس الجامعة الى اليوم تداولوا على استقاء العلوم من ينابيعها . فكان ذاك مسك الختام .

=

اجل في مقدورنا القول ان الافكار هي التي تسيّر العالم ولكن مهما يكن من امر فان هؤلاء الباحثين المتجردين الذين يقضون حياتهم في الدرس والتقرب من منطوق ابعد ما يكون عن النقصان للتعبير عن الحقيقة يريدون ان ينيروا اخوانهم في سيرهم الحثيث نحو الآخرة ، فهم هم الذين يدعمون مجتمعاً يتطور بسرعة ويسير نحو تهديم ذاته لولا انعاش الفكر للقلوب الكبيرة . فان التاريخ الحقيقي ليس التاريخ الذي تقرّره الحروب وشُهب الارماح ولكنه التاريخ الذي يتلد بنضج مستمر في عقول الذين يريدون ان يخدموا انسانية متألمة وافئدتهم باعطائها مـا هو من شأنه ان يقويها بالحقيقة ، وخاصة اذا كانت هذه الحقيقة مستمدةمن ينابيع الوحي في كنيسة لن تقوى قوات الشر وابواب الجحيم عليها .

نهر الكلب

(اصل اسمه)

بقلم الخوري لويس الخازن

نهر الكلب وهو المعروف قديماً باسم « ليكوس » ويبعد ١٢ كيلومتراً عن جسر بيروت لجهة الشمال حيث يصب في البحر المتوسط واصله من الينابيع المتفجرة في اعالي صرود كسروان اي من نبع اللبن ونبع العسل ونبع القنا ونبع عين التنور وغير جداول فتتجمع هذه المياه كلها في اسفل ميروبا ثم في وادي الصليب ومنها تتصل بمياه مغارة جعيتا ومنها الى البحر .

قبل ان نذكر اشتقاق اسمه الحقيقي نروي ما قيل عنه على سبيل التفكهة لدى بعض المؤلفين الاكثر شهرة .

جاء في كتاب « المرآة الوضية في الكرة الارضية » تأليف كرنيليوس فنديك الاميركاني المطبوع في بيروت سنة ١٨٥٢ ص ١٠٢ : « اما نهر الكلب فمخرجه في جبل لبنان بقرب جعيتا من مغارة هناك وهو يجري الى الجنوب الغربي ويصب في بحر الروم الى الجنوب من جونة كسروان وكان عليه جسر قديم بنساه الملك انطيوخوس قيصر بالقرب من شاطئ البحر فهدم بتراكم الاشجار عليه قد اقتلعها السيل واقام الامير بشير جسراً غيره فوق المكان الذي كان فيه سنة ١٢٢٤ للهجرة وهو ثابت الى الان » وكرر هذا الكلام ص ١٦٧ وقد اضاف الى ما قاله سابقاً ان مياه نهر الكلب هي افضل مياه كسروان .

ثم جاء في الكتاب المسمى « الدليل الاخضر » بيروت والجمهورية اللبنانية لمؤلفه روحي الجميل وهو مطبوع في بيروت سنة ١٩٤٨ : وعلى بعد ١٣ كيلومتراً (من جسر بيروت) جسر نهر الكلب المبني في عهد السلطان عبد الحميد الثاني وبعد هذا الجسر الى اليسار قرية صغيرة على الضفة اليمنى من نهر الكلب الذي كان يسمى في العهود القديمة ليكوس . ثم يصف الآثار البالغ عددها ١٨ اثراً حتى يصل الى صفحة ١٢٠ حيث يقول : « وعلى قمة الجبل الى اليمين صخرة بيضاء

تشرف على البحر منحوتة بشكل قاعدة وتزعم الاسطورة ان هـذه القاعدة كانت تحمل تمثال الذئب (ليكوس) الذي كان العرب يسمونه كلب وقد اطلقت اسمه على النهر واليك ما يرويه بهذا الصدد الشفاليه (دارفيو) في مذكراته الجزء الثاني ص٣٧٨ طبعة ١٧٣٥ : كان في قديم الزمان وجه كلب ضخم قد حفره الوثنيون على صخرة في رأس متقدم في البحر كان يستخدم لاستكشاف الجيوش والتنبيه عنها بصرخات قوية جداً بحيث كانت تسمع من جزيرة قبرس . ويستدل من هذا على انه كان له صوت قوي جداً . ولكن الاتراك الذين يمنعهم دينهم من قبول اي وجه منحوت نزعوه والقوه في البحر حيث يشاهد الى الآن حينما يكون البحر هادئاً . ولكنه لم يعد ينبح ومن المؤسف ذلك . لاني كنت مستعداً لبذل كل شيء كي اشهد هذه المعجزة بنفسي. ولعلي لو شهدتها اصدقني الناس اعتاداً على قولي اكثر مما يصدقونني اعتاداً على الاسطورة التي انقلها هنا . «الدليل الاخضر ص ١٢٢»

وقال العلامة الاب هنري لامنس في مؤلفه «تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار المطبوع في بيروت سنة ١٩١٤ الجزء الاول ص٥ » : ثم تعبر نهر الكلب الذي كان يدعوه الاقدمون ليكوس ومعناه الذئب وتسير مدة فتصل الى ضيعة موقعها شمالي النهر تدعى صربا وهي منتصبة فوق الصخور المشرفة على خور جونية وهو شرم في البحر يعد من احسن خلجان سورية . وفي صفحة ٦ قال «بلينوس الطبيعي» : ان بين نهر ليكوس (نهر الكلب) ونهر ادونيس (نهر ابرهيم) مكاناً يدعى پاليبلوس (Palaebyblos) وزاد عليه ايضاً اسطرابون الجغرافي قال : اذا سرت من بيبلوس (جبيل) جنوباً تلقى في طريقك اولاً نهر ادونيس ثم جبل كليمكس « [illegible] » ثم بعدها بالیبلوس واخيراً نهر ليكوس . وفي ص ٨ « ان طريق جونيه يقطع نهراً طالما ورد ذكره في تاريخ سواحل فينيقية وهو نهر الكلب وليست خطورة هذا النهر بعمق غور مياهه او طول مسافة سبيله لان اصله كما لا يخفى من مغارة في سفح جبل جعيتا تبعد عن البحر ستة اميال فقط وتختلط مياهه عند خروجه بالمياه المنحدرة من اعالي لبنان من نبعي اللبن والعسل فيجري من ثم مرغياً مزبداً حتى ينتهي الى البحر فيصب فيه . وانما لنهر الكلب شأن في تاريخ

الفتوحات العظمى القديمة . وقد قدمنا ان اسمه باليونانية « Λύκος » اي ذئب فعرب بنهر الكلب . ولكن انى له هذه التسمية وما سبب هذا اللقب ؟ نجيب ان الاقاصيص الشائعة بين العامة تروي عن اصل هذا الاسم اموراً غريبة منها ان كلباً هائلاً كالغول كان يحرس هذا الممر الحرج فلا يدع احداً يجتاز ما لم يحل له لغزاً يعرضه عليه . وهذه الرواية اشبه شيء بحكاية اليونان عن ابي الهول (Sphinx) الذي كان يفترس من لم يستطع الى فك احاجيه سبيلاً . ومنهم من زعم ان النهر دعي كلباً لان الوثنيين قديماً نصبوا هناك صنماً على هيئة كلب يعبدونه ويدعون انه اذا وافاهم العدو ينبح الكلب فيحذرهم من هجماته . ويقولون ان بعض الصخور المجاورة للنهر تمثل جسم هذا الصنم بيد ان رأسه قطع فالقي في البحر . ولا نظن ان في هذه الاحاديث شيئاً من الصحة . لان العلماء لم يقفوا بعد البحث على اثر للتمثال المذكور فضلاً عن ان الكتبة الاقدمين لم يذكروا شيئاً من امره . والرأي الصواب عندنا ان النهر يسمى ذئباً او كلباً لصخابة صوته عند انصبابه في البحر حيث تصطدم مياهه بالامواج المتلاطمة فيسمع له دوي عظيم . ويشبه هذه التسمية اسم الليطاني الذي دعاه القدماء نهر الاسد « Λέοντος ποταμός » فعرب بالليطاني وهو الذي يصب في البحر بين صور وصيدا ويسمى عند مصبه بنهر القاسمية » . وقد ذكر العلامة لامنس ص٩ في الحاشية ان ما زعمه عن لقب نهر الكلب اخيرًا يطابق ما قاله الكاتب الالماني Ritter Erdkunde XVII.92 ويضيف ان لهذا المؤلف تفسيرًا آخر لا حاجة الى ذكره هنا .

وان تعجب لامر فاعجب كيف ان علامة كالاب لامنس غاب عنه ان اسم ليكوس هو اسم اله كادونيس ورد ذكره كثيرًا في الاساطير والخرافات اليونانية والرومانية وهو شقيق ملك تيب Thèbes المدعو نكتيوس Nyctéus الوارد ذكرهما في الخرافات التيبية Légendes Thébaines ولا سيما في اسطورة انتيوب Antiope التي خدعها يوبيتر Jupiter[1] وبعض علماء الاساطير يرى في

(1) Mythologie grecque et romaine par P. Commelin. Editions Garnier Paris 1948. Domenico Bassi. Mitologia greca e romana Firenze 1917 — المؤلف الاول ص٣٤٨ والثاني ص٤١٠ — ٤٢٠ وكذلك ايضاً حضرة الاب العلامة رنه موترد

هذه الخرافة رمزاً لليل وللنور ويشتق اسم ليكوس من اصل كلمة Lyk التي معناها النور (راجع المؤلف بادي المذكور في الحاشية ص ٢٤٢ — ٢٤١) فاذن يمكن تفسير كلمة ليكوس بغير كلمة ذئب وقد ورد ذكر هذه الخرافة عند هوميروس (Odyssée (XI 260 ولكن ما لنا وللاساطير والخرافات فقد ورد ليكوس بانه اسم نهر على لسان الشعراء. فقد قال فرجيل :

Ibat; et ingenti motu stupefactus aquarum
Omnia sub magna labentia flumina terra
Spectabat diversa locis, Phasimque Lycumque etc.
Georgica (IV 365-7)

اي ذهب مندهشاً من هدير الماء. وكان يشاهد الانهر التي تسقط تحت الارض العظيمة في اماكن مختلفة الفازي وليكوس[1] وقال اوفيد في كتابه عن تغيرات الطبيعة

Ovides. Les Métamorphoses XV 270

وكأني به يصف نهر الكلب الذي نحن بصدده حيث قال :

Hic fontes natura novos emisit, at illic
Clausit; et antiquis tam multa tremoribus orbis
Flumina prosiliunt, aut exsiccata residunt.
Sic ubi terreno Lycus est epotus hiatu,
Existit procul hinc alioque renascitur ore.

نرى من الهزات الارضية العميقة بعض الانهر تنفجر من الارض وبعضها

R. Mouterde اليسوعي في كتابه النيم عن نهر الكلب المطبوع في بيروت سنة ١٩٣٢ Le Nahr El-Kelb (Fleuve du chien) Guide Archéologique فانه بحث مدقق في تاريخ الصور والكتابات المنقوشة قرب مصب النهر في البحر وجل ما ذكره عن اسم نهر الكلب ان اليونان والرومان كانوا يسمونه ليكوس اي الذئب ثم اطلق عليه العرب اسم الكلب . صفحة ٤

وقد اتى على ذكر نهر الكلب واسمه القديم ليكوس حضرة الاب اليسوعي العلامة زومرفن في كتابه عن ارض لبنان المطبوع في بيروت سنة ١٩٢٦ صفحة ٧

G. Zummoffen S. J. Géologie du Liban

[1] قال شراح فرجيل في اللاتيني ان نهري الفاز وليكوس هما في مدينة قلشيد في ارمينيا Colchide .

يغور وينشق وهكذا (نهر) ليكوس بعد ان يكون ابتلع ضمن شق الارض في موضع يخرج بعيدًا من شق آخر على سطح الارض .

وهذا الامر نفسه يحدث قرب مغارة جعيتا وقد شاهدته بعيني في زمان حداثتي حيث نرى قسماً كبيرًا من النهر يغور ثم يخرج من تحت صخر هناك. وقال شراح اوفيد انه يوجد عدة انهر باسم ليكوس والشاعر يعني نهرًا في مقاطعة فريجيا في اواسط اسيا الصغرى Phrygie .

وقد ورد ذكر ليكوس في هيرودوتوس (Hérodote VII 10) وعند بلينوس (Pline N. H. II 225) وعند سينكا (Sénèque Nat. Quaest. III 26) وعند كل هؤلاء المؤلفين يقصد به اسم نهر .

وفي هذا القدر كفاية لتأكيد ما اشرنا اليه عن اسم نهر الكلب[1] اما لماذا اطلق على هذا النهر اسم الاله ليكوس فلعلّ المقصود به منبعه من الشرق او لانه ينضم الى نبع مغارة جعيتا لان الخرافة تقول انه لما جرح جرحاً مميتاً نكتيوس عهد الى شقيقه ليكوس لينتقم له ويقاصص ابنته انتيوب Antiope او لعل المقصود به حادثة اخرى من حوادث الاسطورة المذكورة فالله اعلم .

١) في العدد القادم نبين اصل كسروان وحدشيت وبعض اسماء غيرهما .

العناصر النزرة في كيميا الاحياء

بقلم الاب شارل نيرون اليسوعي

لا يشك احد اليوم في ان معرفة تركيب الاحياء الكياوي غدت ضرورية لكل من يريد ان يتفهم وظائف الاحياء كيف تؤدي عملها . اذ لا سبيل بدونها الى معرفة الفسيولوجيا والپاثولوجيا ، اي الى علمي الوظائف والامراض .

اول ما ترتب على الباحث في هــذا « التاريخ الطبيعي » كان ان يجري نوعاً من التحليل او من التشريح الكياوي مماثلًا لعلم التشريح العام الــذي يؤلف توطئة للاطلاع على تركيب الجسم الانساني اطلاعاً تاماً . ولقد قام السلف بهذه المحاولة ، وما العناصر الاربعة المأثورة التي جهدت الفلسفة القديمة في توزيعها بالقسط على الجواهر الارضية تعليلًا لمختلف خواصها ، الا هذه المحاولة الاولى ، لكنها كانت جد متعثرة .

اما في ايامنا فلقد انتقل العلماء الى البحث في الذرات والاجرام البسيطة — وليس فيها من بسيط الا الاسم — ووضعوا بها لائحة شاملة او تكاد . فما عساها تكون هذه الاجرام التي يتركب منها نسيج اعضائنا حتماً ؟ ان الجواب على هذا السؤال اصبح الآن واضحاً وضوحاً لا بأس به بفضل مــا بُذل من عمل كؤود دقيق ، جعلنا نعلم ان ٢٩ عنصراً من اصــل الـ ٩٢ التي يتركب منها عالمنا ، هي موجودة دوماً وحتماً في كل كائن حي .

لقد استطاع اول علماء الكيميا الجديرين بهذا اللقب ان يتحققوا منــذ اواخر القرن الـ ١٨ من وجود اربعة عناصر في الكائن الحي وجوداً لازماً هي الكربون والهيدروجين والاكسيجين والازوت . وتؤلف هذه ٪ ٩٣،١٣ من كتلة جسمنا ، ونصفها من الماء . ثم تيسر لهم ان يضيفوا اليها في غير كبير عناء الكلسيوم والفسفور والكبريت فبلغ الحاصل ٪ ٩٩،٢٣ . ثم طولوا اللائحة قليلًا حتى صارت تحوي ١١ عنصرا نعتوها بالعناصر الكبرى ، وبلغ مجموعهــا ٪ ٩٩،٩٥ من مادتنا الحية .

اوليس في هـذا القدر الكفاية ؟ فما بالنا بعد ان تعرفنا الى معظم العناصر المتركب منها جسمنا ، نهتم لهذه الـ ٪ ٠٫٠٥ الباقية ، وما بالنا لا نهملها على ضآلتها من جرد ميزانيتنا الكيماوية ؟

ذلك ان هذا الباقي المزدرى يشمل ١٨ عنصراً ، منها الحديد الذي يصل الى ٣½ غرام في جسم الانسان المكتمل . ويجمعون على انه لا غنى للجسم عنه كساعد على تركيب الهيموجلوبين التي يستحيل علينا بدونها ان نلتقط من الهواء الاكسيجين الضروري لخلايانا والضروري لمركبات اخرى اقل كمية منها ، لكننا بحاجة اليه حاجة لا تستعاض .

فاذا سلمنا بضرورة الحديد فانا نعود ونتساءل ما فائدة الـ ١٧ عنصراً الاخرى من هذا الغبار من الذرات الذي يتقاسمه هذا الباقي الضئيل ؟

ان كيميا الاحياء لولا هذا الباقي الضئيل من العناصر النزرة لما كانت استطاعت ان تخطو خطوتها الحاسمة الى الامام . فانها علمتنا ان هذه الصغائر النزرة « المضئلات الكيماوية » كما دعيت بصواب ، لا يستطيع جهازنا العضوي ان يؤدي عمله بانتظام الا بها . فمعظم الاجرام الداخل في تركيبها الكربون والازوت التي يتألف منها جسمنا ، فانها لن تكون بدونها كتلة حية ، بل تظل كتلة جامدة آسنة صائرة الى الفساد . فالاجرام الحية في حاجة الى عناصر قد لا تتجاوز بضعة اجزاء من الف جزء من المليغرام، لكنها حاجة لا مندوحة عنها . فاذا انفقدت هذه الصغائر النزرة تنتج من جراء ذلك في النبات والحيوان امراض معاومة قد تعرف ارباب الزراعة وتربية الحيوان على عدد كبير منها ، كما سنمثل ادناه على البعض منها .

بديهي ان يتساءل المرء كيف استطاع العلماء ، ازاء هذه « الآثار » من المادة الفارقة في مادة تزيد عنها زيادة متناهية، لا ان يتثبتوا من وجودها وجوداً مستديماً فحسب ، بل ان يثبتوا ضرورة وجودها ؟

اجل ، قد يتبادر عفواً الى الذهن ان هذه الآثار الموجودة في جسمنا هي موجودة في كل ما يحيق بنا ، واننا لا نستطيع ان نتفادى ان تعلق بنا كما يعلق بنا الغبار فنتنشقها ونبتلع منها . فكان لزاماً على العلماء بادئ ذي بدء ان يدحضوا هذا الاعتراض ويحددوا الفارق بين العناصر المحمية حقاً وبين العناصر

العابقة به عرضاً من جراء ملامستنا المحترمة لمحيطنا الخارجي . ولا يتسع المجال هنا لوصف الطرق الفنية التي ساعدت على القيام بهذا العمل الحي .

اما الدور الخفي الذي تلعبه هذه العناصر النزرة في صميم خلايانا فليس من اليسير ان نحدده دائماً بالتدقيق . لكنا نعلم ان الزنك مفعولاً في عملية المبادلات الغازية التي تدفع الغاز الكربونيك المتحصل باستمرار فينا الى الرئات حتى نتخلص منه بالطرد الى الخارج . كما اننا نعلم ان النحاس وان لم يكن من مقومات الهيموجلوبين ، فانه ضروري لحصول تكوينها . وهذان العنصران يأتيان في المرتبة التالية بعد الحديد في سلسلة العناصر النزرة .

لا يمكننا ان نعدد جميع الحالات المعترف للعناصر النزرة فيها بأثر ، مما يؤول بنا الى استعراض قصة كيمياء الاحياء بأسرها . فلنجتزئ بذكر انموذجين على سبيل التمثيل ، هما البوريوم والكوبالت .

ان زراعة الشوندر وهي عماد صناعة السكر الضخمة ، قد تتعرض للتلف والانهيار كلما خلت التربة من عنصر البوريوم فتصاب بداء سمي «مرض القلب» للشوندر . ولم ينجع في هذا الداء دواء الا عندما اضيف هذا العنصر الى التربة بشكل حامض البوريك الفريد المفعول ، فادى ذلك الى الحفاظ على هذه الزراعة الواسعة الرقعة في كثير من البلدان .

اما الكوبالت فقصته اشد غرابة . لقد كاد يكون عديم الفائدة في الصناعات ولم يسترع امره الاهتمام به الا يوم اكتشفوا انه هو المسؤول — سلباً بالافتقاد — عن داء عضال متفشٍ في القطعان في استراليا ونيوزيلندا وفلوريدا . فاخذوا يعالجون الداء بزج العلف بتراب مستجاب من مناطق خلو من الداء . وثبت اذ ذاك ان سبب الداء ناتج عن نقص عنصر من مقومات التربة . ثم اظهر التحليل ان تربة المناطق الموبوءة كانت خلواً من الكوبالت الذي كانت سائر المناطق السليمة تحوي كميات طفيفة منه . وفي الواقع لقد كانت املاح الكوبالت وحدها دون سائر المعادن الاخرى كالحديد والمنجنيز ذات فائدة علاجية .

لكن الكوبالت فاز بنصر صريح يوم فرز العلماء من الكبد تلك البلورات البهية الحمراء الباهرة الجمال والتي يستعملها الطب في ايامنا ويدعوها الفيتامين

ب۱۲ ، ضد فقر الدم المستفحل والموصوف لذلك بالخبيث . تحوي هذه البلورات ٪ ؛ من الكوبالت . وربما بدت هذه النسبة عالية . لكن هذه الـ ٪ ؛ تدخل في مجروع الكبد الذي لا يحلي طن كامل منه الا بضعة مليغرامات ، فضلًا عن ان الكمية التي تفيد الشفاء لا تتعدى بضعة اجزاء من الف جزء من المليغرام الواحد . وهي فاعلية تفرق اشد اشباه القلويات فاعلية كالاكونيتين مثلًا .

في الماضي كان العلاج المأثور لفقر الدم يقوم على تناول الكبد النيْ وكان على المريض ان يأتي على كمية كبيرة منه ؛ اما اليوم وقد كشفنا عن سر مفعوله او قل عن احد اسرار مفعوله ، فبان لنا انه احد العناصر الكيماوية التائه في كتلة الكبد الواسعة ، ان جاز لنا هذا التعبير .

فاذا كان لدراسة كيميا الاحياء من مغزى فما احقها بتطبيق مغزى المثل القديم علينا : كثيرًا ما يحتاج الكبير الى الصغير .

من يهمه التوسع في هذا الموضوع توسعًا علميًا اشمل ، فليقرأ الكتاب الذي ظهر عند فلاماريون في مجموعة الفلسفة العلمية : العناصر الكيماوية وعالم الاحياء ، لمؤلفه السيد جاقيليه ، ص ٢٦٦ .

مطبوعات شرقية

الحركة الفكرية في سورية ولبنان

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

ان مادة هذا المقال مأخوذة من الكتب والمجلات التي اهديت الى ادارة مجلة المشرق والى المكتبة الشرقية اللاحقة بجامعة القديس يوسف واذ نأتي على وصف الكتب نراها ترجع بالاجمال الى ابواب الادب وما اليه شعراً ونثراً تاريخاً وقصصاً بعضها مبتكرة واكثرها منشورة عن النصوص القديمة وهناك شيء من المؤلفات في التعليم والحقوق والسياسة والجغرافية والمياه والزراعة وما الى ذلك من حياة الارياف ؛ اما المجلات فلا تكاد تخرج عن المواضيع ذاتها او اذا طرقت باباً من ابواب العلوم فليس الا على سبيل المصدفة والتفكهة . وانا مع اتقاننا فن الطباعة واظهار المؤلفات العربية برونق التصوير وجمال الاحرف لا نزال بحاجة الى العمل والسعي ليكون اللب لا اقل قيمة من القشور فتنتعش الحركة الفكرية بروح العلم المستوحاة من التعمق في العلوم النظرية والفلسفية التي تختمر فيها العبقرية ويتفتح العقل على الاكتشاف والا فنحن نتغنى بامجاد الاوائل من سبقونا بخمسة او عشرة قرون ولا نزال على عتبة ابوابهم واقفين وبيننا وبين ما بلغت اليه العلوم الحديثة مسافات لا قياس لها ويليهما الشعر والنثر وسائر منتوجات العاطفة والخيال عن النظر بعين الاصابة والصدق الى ما نحن بحاجة اليه لنسير بخطوات غير متباعدة جداً عمن يسبقنا في الدراسات الرياضية والفيزيائية والكيميائية وغيرها ؟ ولست ادري هل ظهر منها في الحقبات الاخيرة من المؤلفات غير ما نراه معرباً بايدي تلامذة البكالورية .

على اننا مع ابدائنا هذه النظرات عن حب واخلاص للبلاد العربية ، لا يسعنا الا الثناء على كل من جاء القراء بما يساعد ولو عن بعد على انماء الحركة الفكرية واخصابها اكان ذلك من باب الادب او غيره . واي خير لا يرجى من النشاط والهمم في الجيل الناهض اذا تكونت بيننا مؤسسات تضم جهود المجاهدين في سبيل العلم ليس فقط كمؤسسات المجامع العلمية العربية اللغوية

في دمشق ومصر وبغداد والحجاز وكالمعهد الافرنسي الدمشقي او معهد الدروس المصرية ولكن في حلقة الاطباء والمهندسين والاختصاصيين المتخرجين في جامعات اوروبة واميركة ايضاً فمن شعلات دروسهم المتوقدة تطير الشرارات التي تشحذ الاذهان وتتفتق العقول على الابتكار والتأليف بلغة الضاد وتعود الى العرب بالصلة بين حاضرهم وبين الماضي المجيد .

واذ نتكلم عن الحركة الفكرية في سورية ولبنان خاصةً سوف نذكر مؤلفات ظهرت في سائر البلاد العربية من المجلات عامة فنعرف القراء اليها مع اوجاتنا وصف الحركة الفكرية في كل قطر من الاقطار العربية الى ان تتوفر لدينا الكتب عنه كما جرى لما تكلمنا في مشرق العام الماضي عن الحركة الفكرية في العراق (ايار — حزيران) ثم في القطر المصري (تموز — تشرين) .

الالفاظ السريانية في المعاجم العربية

بقلم مار اغناطيوس افرام الاول برصوم بطريرك السريان الارثوذكس
عضو المجمع العلمي العربي

نشرت تباعاً في مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقي . مطبعة الترقي بدمشق ١٩٥١

قبل اثنتين واربعين سنة كان الفتى الاكليريكي تلميذ الاباء الدومينيكان في الموصل يستعد للعلوم الكهنوتية وعليهم درس السريانية فيأتينا اليوم بهذا الكتاب ومقدمته تفيدنا عن الروابط التاريخية واللغوية بين السريان والعرب وتزودنا بلائحة الالفاظ « السريانية » مرتبةً على حروف الهجاء . فمنها الالفاظ السريانية البحتة التي دخلت العربية على رأي المؤلف وعددها ٣٥٢ ومنها الالفاظ التي رجح سريانيتها وعددها ٢٧ ومنها وعددها يبلغ نحو ٣٧٢ يذهب فيها المؤلف شتى المذاهب في علاقاتها في اللغات من فينيقية وآشورية الخ . وهذا الدرس لا يعالجه المعالجة القيمة الا ذوو الاختصاص . وغرض له صاحب الغبطة بطريقة مسالمة وقال : « من آنس في بياناتنا مقنعاً وافقنا على رأينا راضياً ؟ ومن آثر حواراً ونقاشاً فلسنا نفرغ له ويبقَ على مذهبه » . فلا نؤاخذ المؤلف بأخذ ولكن نستبيح الاذن في السؤال : اين القاعدة الاساسية التي تثبت ان اللفظ العربي اصله من السرياني ? او لا يجوز السؤال والقول : لمَ لا

يكون اللفظ العربي هو الاصل والسرياني مأخوذا منه . اليس من المرجح ان لفظة سبط قد تكون من صميم العربية من بسط وليس من حاجة الا انتسابها الى السريانية .

او الا يكون الصواب في البحث اولًا عن ارومة اللغات السامية فتُعرف منها اشتقاقاتها باللغات العربية والسريانية وغيرها . وقد كان من المفيد لغبطته مطالعة ما كتبه الاب فليش اليسوعي في هذه[1] الناحية .

ولم نرَ اسمه بين الاعلام التي استشهد المؤلف بهم في درسه بينا ان المؤلف ذكر العشرات ممن هم بعيدون عن الاختصاص في درس اللغات السامية؛على اننا نشكر له جميله في خدمة العلم .

الدارس في تاريخ المدارس

تأليف عبد القادر بن محمد النُعَيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٢٧ ه

الجزء الاول عني بنشره وتحقيقه جعفر الحسني عضو المجمع العلمي العربي

ص ٦٦٥ قطع ٨ كبير مطبعة الترقي بدمشق ١٣٦٧ ه ١٩٤٨ م

قال الناشر في تمهيده الى الكتاب (ص ب): «ان كتاب الدارس في تاريخ المدارس الذي نقدمه الى القراء هو اجلّ كتاب عرفناه عن تاريخ دمشق بعد تاريخ ابن عساكر جمع فيه المؤلف تاريخ دور القرآن والحديث والمدارس والخوانق والتكايا والربط والزوايا والترب والجوامع المعروفة في دمشق منذ القرنْ الخامس حتى العاشر للهجرة (١٢_١٧ ميلادي) وذكر فيه تراجم اصحابها وسير من درس فيها فهو خير كتاب يبسط لنا النهضة العامة في دمشق خلال خمسة قرون ويصف لنا تسابق ابنائها على انشاء دور العلم والمعاهد الدينية والمؤسسات الخيرية » .

ولعل الكتاب يكون مختصر ابن طولون تلميذ النعيمي وهو احد نواب القضاة الشافعية بدمشق المشتهر بعلمي الحديث والتاريخ وصاحب المؤلفات في تلك الناحية من المعارف .

(1 Henri Fleisch, Professeur à l'Université St Joseph de Beyrouth, Introduction à l'étude des langues sémitiques. Paris, 1947

اعتمد الناشر في هذا الجزء الاول مخطوطة المجمع العلمي العربي وحققها وضبطها على نسخة مونيخ وهي اقدم النسخ واقربها لعهد المؤلف وعلى نسخة التغلبي ونسخة المؤيد وعلى بعض المراجع الاجنبية اخصها كتاب سوفاجه على بنايات دمشق التاريخية وفيه الفصول عن « دور القرآن الكريم » وعن « دور الحديث الشريف » وعن دور القرآن والحديث معاً ثم عن المدارس الشافعية ثم عن المدارس الحنفية وقد جاء ذكرها تتابعاً مع تتابع الاحرف الهجائية وقد يسهل مراجعها ما يقرأ على هامش المتون من اسماء المؤسسين والواقفين والعلماء وغيرهم ونتمنى لنشر هذا الكتاب في جزئه الثاني ان يُذيّل بفهارس اهم الاعلام من الاشخاص والاماكن المذكورة وبفهرس اهم المواد التي تساعد المطالع على التقاط الاخبار والنكت والتعليمات الاجتماعية المنيرة التاريخ العام والتي يمتاز بها الرجال بصفات شخصية لامعة جديرة بالاعتبار من امثال ذلك ما جاء عن زين الدين دلامة (ص ٩) وقف « دار القرآن الكريم الدلامية » ورتب بها اماماً وقيماً وستة انفار من المهاجرين في قراءة القرآن وستة ايتام بالمكتب وناظراً وعاملاً ولكل من هؤلاء الدراهم تدفع لهم شهرياً او سنوياً على حسب استحقاقهم الى ان قال (ص ١٠) «ولارباب الوظائف خمسة عشر رطلاً من الحلاوى ورأسي غنم اضحية ولكل من الايتام جبة قطنية وقميصاً كذلك ومنديلاً » ...

ومن المعلوم ان الحروب الصليبية جرت في الزمان الذي كتب عنه النعيمي ولعل بعض اخباره يشع منها نور على التحقيق في حوادث تلك الايام . جاء (ص ١٧) ذكر ما وقف المملوك يوسف الرومي . فهل يكون مسيحياً واسلم وقد يكون من سبايا الحروب ؟ وفي الكلام على دار الحديث الدوادارية جاء ذكر علم الدين سنجر وكان من الاسرى في ايام الظاهر ثم اعطي امرية حلب وله معروف كثير واوقاف بدمشق والقدس (ص ٦٦) وجاء في ذكر صلاح الدين ان ولده الافضل وهو سلطان الشام دفنه بنفسه ودفن معه سيفه الذي يحضر به الجهاد وذلك عن امر القاضي الفاضل تفاؤلاً بانه يكون معه يوم القيامة يتوكأ عليه حتى يدخل الجنة . فمثل هذه التفاصيل جدير بان يهتدي اليه المطالع بفهارس خاصة ومن محاسن الكتاب الحواشي ذيل بها الناشر الصفحات ليس بالاشارة الى مواضع مختلف القراءات فقط ولكن بالتعليمات

المفيدة ايضاً لفهم ما جاء من امثالها في كتب المؤرخين وقد اشار اليهم فاستحق وافر الثناء .

المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية INSTITUT FRANÇAIS DE DAMAS

ديوان ابي فراس الحمداني

عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه سامي دهان دكتور دولة في الآداب في باريس ، ثلاثة اجزاء : ١ ص ٢٥٥ . ٢ ص ت ٣٢ + ٣٢٠ . ٣ ص ٣٢١ — ٦٢٥ قطع ٨ كبير المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٤٤

«بفضل السيد دهان اغتنت الآداب العربية بمجموعة جديدة حلّت من الاعتبار محلّا لا تزاحمها عليه غيرها من المجموعات» الى هذه العبارة التي قدم بها المستشرق بلاشير هذا الكتاب يطيب لي ان اضيف : ان العمل الذي قام به الدكتور سامي دهان جدير بان ينال اعجاب كل من اشتغل بنشر آثار الاقدمين طبقاً للاساليب العلمية المستحدثة بابراز مخطوط المؤلف كما ظهر باصله على قدر المستطاع .

الجزء الاول من الكتاب وُضع باللغة الافرنسية للمستشرقين خاصة وفيه خلاصة ما جاء في الجزئين الثاني والثالث من تعليقات الناشر مع صور اهم المخطوطات وجداول جاءت آية بالدقة والترتيب يُرجع اليها لمعرفة اهم القراءات في المتن على اختلاف انواعها وتعداد مصادرها .

وان ذلك المتن من الديوان الذي لا يزيد عدد اشعاره كثيراً على الالفين قد استغرق في الجزئين الثاني والثالث ٦٢٥ صفحة فضلًا عن المقدمة (ص ٣٢) وهو كالجوهرة في اطار من ذهب افتتحه الناشر بوصف وجيز للحالة السياسية في القرن الرابع ه يظهر ابن فراس في بيئته من الزمان والمكان وترجم لحياته في الديار السورية ولجهاده واسره واطلاق سراحه وموته واقبل على اصوله المخطوط فدرس ما ينيف على الاربعين منها ونقد ما ظهر قبلها بالطبع وعرفنا الى قيمتها والى مواطن الصدق او الظنون فيها واقبل على رواية ابن خالويه مؤدب ابي فراس ورفيقه وكاتب اسراره وحافظ اشعاره فعنها نشر الاشعار والشروح التي علقها عليها ابن خالويه وهذه الاشعار وهذه الشروح لا يرتاح العالم اليها في

الوقوف على صحة نسبتها ودقة متنها لما يوجد من التباين بين نسخة ونسخة من المخطوطات ذلك التباين الذي حال دون الديوان وهمــة العلماء المستشرقين في ابرازه للنور فيحاولون نشره بين احجام واقدام ويظل دفين المكاتب الى ان يأتي الدكتور سامي الدهان فيبلغ منه المرام .

ومن اسلوبه البياني الفضفاض في التوطئة (ت ٩ — ٣٢) وفي كلمة الختام (٦٢٣—٦٢٥) تشعر انه احب ابا فراس واحب شعره واحب الايام التي قضاها في معيته بقتل المخطوطات درساً . فحبذا المثال يقتدي به الجيل النــاهض في التنقيب على آثار الاقدمين فيفيدونا بها ومنها يستفيدون بما يعونه من معانيهــا ويستنبطونه من معادنها ولعل اهم من ذلك وافيد لهم ولنا هو التروض العقلي الذي يجهدون عليه انفسهم في فتح ما اغلق عليهم وعلينا من المعارف . ومــا احرانا برواية شيء من توطئة الناشر بحرفها قال :

تفرقت مخطوطات الديوان في أطراف العالم ، وتوزعت في مكتبــات الدنيا ، فما زرت خاصة الا وقفت على مخطوطة له ، وما طفت مكتبة إلا عثرت على شعر له ؛ فكنت افرح لكل جديد لان النسخة ستزيد على ما عندي ، فهي تضيف شعرًا او تصحح رواية او تكمل شرحًا او تضبط بيتًا ، لهذا طوّفت كثيرًا وراء شعره ، وتسقطت كثيرًا خبر نسخــه ؛ فاشركت المستشرقين في ذلك ؛ منهم من يصف لي النسخ في بلده ويعهد لي الزيارة ؛ ومنهم من ينسخ لي من صحائفه ومنهم من يصور لي من فواتحه وخواتمــه ونظرة الى ما نورد من اسماء المخطوطات وبلدانهــا تشرح الحال . فهو في أقصى الشرق وأقصى الغرب . هو في طهران والنجف واستانبول وحلب ومصر وفاس والرباط ، وهو في فلورانس واستراسبورغ وتوبنيـگن ، ومونيخ ، وغوطة ، وبرلين ، واكــسفورد ، وكمبريج ، ولندن ، ولننغراد ، وليدن ، ومدريد . . . وهذه النسخ تبلغ الخمسين ، حصلنا ما ينيف على الاربعين منها . هذه الخمسون تختلف في كل شيء . ولا بد في اختصار اوصافها من تقسيمها الى طوائف اربع ؛ فكل زمرة من النسخ تتشابه في رواية واحدة للابيات او الشروح ؛ فتتحــد في الخطأ والصواب . وفي حواشي هذه الطبعة بيان لتشابه الروايات في كل طائفــة من المخطوطات يكفي تصفحها فهم وجه التقسيم .

لهذا انصرفت الى هذه الطبعة مستفيدًا من مكتباته اوربة ومخطوطاتها العربية النادرة ، فلن يتاح ذلك في كل حين . وانا اعرف ان هذا الجهد ينكره كثيرون ، واعلم ان هذه الحواشي يستثقلها كثيرون ! ولكن ما حيلتي والنسخ التي جمعتها كثيرة تعدو الاربعين ؛ مختلفة الترتيب جدًا ، قابلتُ بينها جميعًا لان كل مخطوطة منها تفيــد ما لا يفيد غيرها ، فلم استطع الاستغناء عن واحدة منها . ولم أكتفِ بالدواوين بل سعيت وراء المجاميع الشعرية المخطوطة ، افتش عن شعر ابي فراس في برلين وغوطة ومونيخ . . . فاذا هي تضيف وتصحح ايضًا .

وبحثت عن مخطوطات المستشرقين والشرقيين ومن عمد لطبع ديوان ابي فراس.

وحرصت على مراجعة كتب الأدب والتاريخ المخطوطة منها والمطبوعة القديمة والحديثة ، فهي تروي تراجم ومختارات من الشعر لابي فراس ، وفيها كذلك ما يصحح الابيات ويقيم الروايات . ورجعت الى المصادر الغربية التي تبحث في الروم وقوادهم وتاريخهم لعلاقة الشاعر بهم في اسره وحربه ، فترجمتها الى العربية جميعاً . وقارنتها جميعاً ، وأوردت وجوه ذلك في حواشي هذه النشرة .

واما بعد هذا كله لا اثق باني بلغت ما اريد من طبع الديوان على كثرة النسخ ، ولعل الزمان يتحف العربية بنسخة ابن خالويه الاصلية بخط يده فتكفي مؤونة الحدس والتقدير .

ولقد قلت اني بنيت هذه الطبعة على نسخة برلين (رقم ٧٥٨٠) جعلتها مثابة ، اعارض عليها بقية المخطوطات والمراجع ، فجعلت في المتن أصح الروايات في نظري واثبتها في رأيي ، واقربها الى لغة ابي فراس وروحه ونفسه ، واثبت في الحواشي بقية الروايات المتعارضة ، ولم اذكر من كل طائفة الا نسخة او نسختين حين يغني ذلك عن ذكر المخطوطات الباقية ، لئلا اثقل الحواشي والهوامش ، واهملت ذكر الاخطاء والتصحيف البين في كثير من الاحيان لقلة غنائه . وضبطت شعر ابي فراس ونثر ابن خالويه بالشكل الكامل ورقمت القصائد بالتسلسل ورقمت ابيات كل قصيدة مستقلة عن غيرها واضطررت الى وضع ارقام غريبة في النثر لحاجة الطبعة الى توزيع الارقام ليس غير . وجعلت الفهارس لبيان الكتب التي راجعتها ، والشعر الذي تضيفه الطبعة . ولتسهيل مراجعة القصائد بالبحور ، او بالقوافي او بالمعاني الشعرية او بالموضوع العام ؛ ولذكر اعلام الاشخاص والاماكن والامم والبيوت التي وردت في الطبعة ، ونشرت من صور المخطوطات النوادر او التراجم زيادة في الايضاح والتعريف .

كتاب في السياسة

تأليف الوزير الكامل ابي القاسم الحسين بن علي المغربي المتوفى سنة ٤١٨ ﻫ

عني بنشره وتعليق حواشيه سامي دهان . . . دمشق ١٣٦٧ ﻫ ١٩٤٨ م ص ١٢٢ قطع ٨ كبير

De l'Éthique — Par Al-Wazir Abūl Qasim Al-Magribi I. Texte Arabe.

سمّى الدكتور سامي دهان هذا الكتاب بالافرنسية Éthique (الاخلاق ؟) ولعله كان اقرب الى الصواب بتسميته Politique ... وهو عبارة عن صفحات يزيد عددها على ١٧ وقعت في كتاب مطول بما اودعه الناشر من مقدمة ترجم فيها للمغربي وحلل فيها كتابه وعرف باصوله ووازن بينه وبين غير ذلك من الكتب التي ظهرت في القرن الرابع الهجري وذيله بالفهارس فجاء تحفةً ليست دون ما قلناه عن « ديوان ابي فراس » دقةً وكمالاً . وننتظر ظهور تام «طبقات الحنفية » وتاريخ حلب لابن العديم لنصفها .

كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات

تأليف ابي الحسن علي بن ابي بكر الهروي المتوفى بحلب ٦١١ هـ

عنيت بنشره وتحقيقه جانين سورديل-طومين دمشق ١٩٥٣ ص ١٤٢+٥٥ قطع ٨ كبير

وهذا الكتاب ايضاً هو شاهد على التعاون الثقافي بين الغرب والشرق نشرته سيدة افرنسية لمؤلف عربي فهو ديني وتاريخي جغرافي وهو كما جاء في عنوانه كالدليل الى المواضع التي زارها المؤلف وقد ولد في هرات ومات في حلب ٦١١ / ١٢١٥ وقبره لا يزال محفوظاً فيها جنوبي مقابر الصالحين وباب مقام ابراهيم منقوش اسمه على حجرة رتاج باب قديم . زار في حياته بلاد الشام وفلسطين والساحل ومصر والمغرب وصقلية وقبرس والقسطنطينية وبلاد الجزيرة والعراق والحجاز واليمن وبلاد العجم ودوّن كتابه ما دونه من ذكر آثارها من اسلامية ومسيحية بما رآه بعينه او سمعه عنها باذنه .

جاء في (ص ٥٧) : « مدينة روميَّة الكبرى بها بطرس وشمعون الصفا وبولص من حواريّ المسيح عم في توابيت من الفضة معلقة بسلاسل في هيكل الكنيسة العظمى التي لهم . . . »

وحدثني من اثق بقوله انه دخل جزيرة لويزل اقصى بلاد الفرنج ورأى هناك كنيسة بها رهبان وسدنة من قبل البابا وبها ثلاث شجرات ورقها احمر شديد الحمرة وتحمل كل شجرة من الطيور شيئاً كثيراً ويأخذون الطيور ويهدونها الى ملوكهم . . . »

ان اصول هذا الكتاب ترجع الى اربعة عشر مخطوطاً محفوظة منها ثلاثة في برلين واثنان في كمبريج وواحد في دمشق وواحد في استنبول وواحد في مانشستر وواحد في اكسفرد وواحد في باريس واربعة في القاهرة .

وبينها مختلف القراءات وتفاوت في الزيادة والنقصان وليس من سبيل الى تحقيق نسبة المخطوط الواحد الى المؤلف بمعزل عن غيره على ان السيدة جانين اتخذت مخطوط باريس اساساً للكتاب الذي نشرته واستندت فيه الى مخطوط كمبريج وذهبت بين سائر المخطوطات تلتمس من القراءات المختلفة نوراً يشع على متن الكتاب يهتدي به القارئ الى ضبط الاصول بفضل الشروحات

العديدة التي ذيلت بها الصفحات فضلاً عن فهارس الاعلام والامكنة وتصاوير المخطوطات التي درستها واذا روت شعرا ذكرت بحره ومصدره الخ . فجاءت بعمل جدير بان يستفز همة الاوانس الاديبات في البلاد العربية يهدن به الطريق الى التحقيق والتدقيق في الرجوع الى آثار الاقدمين ويسارين اوانس الغرب في مضمار الثقافة .

المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية

ثلاث رسائل لابي حيان التوحيدي

عني بتحقيقها ونشرها الدكتور ابراهيم الكيلاني دمشق
المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥١ – ص ٩٠ قطع ٨ كبير

لقد وفق ناشر الكتاب الى اكتشاف اثار التوحيدي هذه : ١ً رسالة السفينة وهي تمثل جانب النضال بين الشيعة والسنة في عصر بني بويه. ٢ً رسالة في علم الكتابة وقد اثبت فيها التوحيدي معرفته بالخطوط العربية وانواعها ودقائق صفة الخط . ٣ً رسالة الحياة وفيها ثمانية اصناف : ١ً « الحيوانية » ٢ً العقلية ٣ً الاجتماعية ٤ً الدينية ٥ً الاخلاقية ٦ً المؤلفة بين الحيوات السابقة ٧ً الجديرة بالثناء والخلد ٨ً العاقبة التي هي الغاية القصوى .

وقد ترحب دور الكتب العربية بظهور هذه النشرة النفيسة فنشكر للناشر حسن ذوقه في اختيار مواضيعها وتحقيقها على الاصول المخطوطة وابرازها بحلة مطبعية علمية لا شائبة تشوبها .

تائية عامر بن عامر البصري

عني بنشرها وشرحها وتعليق حواشيها
الشيخ عبد القادر المغربي دمشق ١٣٦٨–١٩٤٨
المطبعة الكاثوليكية بيروت ص ١٠٢ قطع ٨ كبير

الى الشيخ الوقور عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمي الدمشقي الفضل في ابراز هذه التائية الى النور وهي عبارة عن ٥٠٦ شعر للشاعر الصوفي عامر البصري بيد ناسخها احمد الكرلي في سنة ٧٨٢ ﻫ ١٣٨٠ م (في حلب يوجد في يومنا اسرة الكرلي المسيحية الارمنية الكاثوليكية) في صدر الكتاب تقديم

للاستاذ ماسينيون قال :« اما شخصية هـذا المؤلف (عامر) فهي غامضة » فيكون من اصحاب الطريقة السبعينية .

ومن المعلوم ان الاسماعيلية ينتسبون اليها فيكون عامر من مشايخهم وتنقسم التائية الى اثني عشر نوراً : ١ً في التوحيـد . ٢ً في معرفة الروح . ٣ً في معرفة النفس الناطقة . ٤ً في الهيولى . ٥ً في رموز المعجزات . ٦ً في المبـدأ والمعاد وذكر القيامة . ٧ً في معاني رموز دقيقة في القرآن . ٨ً في تغير الزمان وانحراف مزاج اهله . ٩ً في بيان صاحب الوقت وعلامـة ظهوره . ١٠ً في خواص النفس . ١١ً في القيامة الكبرى وعلاماتها . ١٢ً في الآداب والاخلاق والكمالات الانسانية . لمة في شرح طرف من احوال النـاظم . والكتاب مذيل بالفهارس المفيدة. اما مذهب الاسماعيلية الغامض فيفيدنا عنه الكتاب التالي.

اربع رسائل اسماعيلية

تحقيق عارف تامر

سلمية سورية ١٩٥٣ ، مطابع دار الكشاف بيروت ص ١٣٦ قطع ٨

جاء في المقدمة (ص ٣) :«اتجه رجال الفكر المعاصرون في الآونة الاخيرة، واخص بالذكر منهم الذين عنوا بالنواحي الفلسفية الاسلامية والدراسات الباطنية الشرقية الى التحدث عن الآراء والمعتقدات الاسماعيليـة وما تخفيه وراءها من رموز وكتابات والغاز واشارات وما خلفه أئمتهـا وحججها ودعاتها في العصور المتقدمة والمتأخرة من نصوص علمية وبحوث فلسفية ورسائل فقهية » ... ظلت في الخفاء الى ان كشف عنها ... وكانت موضعاً لشتى الظنون . (ص ٤) .. فنحن لا نريد الدخول في نقاش مع علماء ارادوا اظهارنا باننا اعداء للقوميات العربية او من العاملين على تهديم كيان الامة الاسلامية . ـــ وذهب المؤلف يعرف بالاسماعيلية :

« ان الاسماعيلية او الباطنية هي الاولى بين الفرق الاسلامية في هذا العلم (الموجودات) لها علم مستقل بنفسه :« العدد السابع والثاني عشر » واخـذ المؤلف بالاشياء التي تحسب بالسبعة : النار والهواء والماء والتراب والمعـدن والنبات والحيوان كما وان ايام الاسبوع عددها سبعة وعـدد الانبياء النطقاء

المشرعين سبعة وهم : آدم نوح ابراهيم موسى عيسى محمد القائم (او المهدي) وهؤلاء عدد حروف اسمائهم ثانية وعشرون حرفاً مطابقة لحروف الابجدية.الخ.

ويلي المقدمة رسالة مطالع الشموس لابي فراس ورسالة اسبوع دور الستر للكرواني ورسالة الدستور للطيبي . ثم القصيدة التائية لعامر البحري التي وصفناها في الكتاب السابق وهي تختلف بمواضع عديدة من نشرة رئيس المجمع العربي الشيخ عبد القادر المغربي .

وليس المقام للتوغل في درس الديانة الاسماعيلية وللاب لامنس صفحات مختصرة في هذا الموضوع يمكن مراجعتها في كتاب «الاسلام» ص ٢٠٥ . على اننا نثني على همة السيد عامر تامر بما ينشره عن الاسماعيلية وكان خفياً عنا فاظهر شيئاً منها . هذا وتباعها يقولون «بالتقية» اي انهم يتظاهرون بانهم من ديانة غير الاسماعيلية اذا ما رأوا حاجةً الى ذلك .

منشورات دار الكتب الوطنية بحلب

المحاضرات العامة لعام ١٩٥٢

مطبعة روطوس قطع ٨ كبير ص ٢٤٢

Publications de la Bibliothèque Nationale. Alep - 1. Les conférences générales pour l'année 1952.

بسعي السيد سامي الكيالي مدير دار الكتب الوطنية وسخاء «بلدية» حلب تمتع اعيان حلب وادباؤها بين شباط وايار من السنة ١٩٥٢ بالسماع للمحاضرات العشر التي تفضل بالقائها رجال يشار اليهم بالبنان في الحركة الفكرية العربية في ايامنا وهذا الكتاب يحفظ للقراء نص تلك المحاضرات وينشر فوائدها ما وراء الحدود الحلبية . في طليعتها مقالة طريفة لسامي الكيالي عن تاريخ حلب الادبي خصها بذكرى بركوك المستشرق الانكليزي الذي اتقن العربية على فتح الله باوني وعاد الى بلاده بالمخطوطات التي ابتاعها فحفظها من التلف في مكتبة اوكسفرد . ويليها المقالات عن معترك الحياة لحسان التويني وعن التطور الاجتماعي لعبد الرحمن الكيالي وعن اهداف الشباب لاديب نصور وعن الادب لخليل الهنداوي وعمر يحيى واحمد الطرابلسي وكلها حافلة بالنظرات التي

تؤدي مادةً واسعة لحديث المنتديات فيشكر اصحابها على ما اتوا به من دروس جاءت شاهداً على ما لهم من استعداد اهلهم لكتابة ما كتبوا .

وقد افادنا من بعدهم ما كتبه وجيه السمان باللغة العربية عن سير العلوم وعن المواد العلمية في الكهرباء وعبّر ذلك مما نحن باشد الحاجة الى تمرين اللغة عليه ونبهنا محمد سعيد الزعيم في كلامه عن نمو الاقتصاد العربي وواجب توجيهه للصمود في وجه اسرائيل الى ان ختم فؤاد البستاني سلسلة المحاضرات بكلامه عن التفاعل السياسي والثقافي بين البيزنطيين والحمدانيين وكانت الفرصة سانحة لرواية اشعار المتنبي وابي فراس على الطول والعرض لكن المحاضر اظهر حسن ذوقه في الاقتصار على ذكر ما في الشعر من « شواهد تاريخية وثيقة لم تستغل بعد كما ينبغي » فاستغلها واجاد عن ابتكار وشخصية .

قدري العُمَر

مدير معارف الجزيرة — من الادب — الجزء الاول

مطبعة ابي الفداء · حماة ١٩٤٧ قطع ٨ كبير ص ٢٤٠

ولد المؤلف عام ١٨٩٩ ودرس في الكتاب ثم في المدرسة الابتدائية ثم في اعدادي حماة ثم في تجهيز دمشق ثم في الكلية الصلاحية في القدس الخ... وجاء هذا الكتاب نتيجة لتلك التقدمات فيشهد لصاحبه بثقافة تنم عن قراءات واسعة لم تنحصر في دائرة معارف ضيقة فيسأل ما هو الادب ويحاول تحديده اخذاً باقوال الاقدمين والمحدثين ويسأل عن « متعة » الادب وفائدته ويذهب في الجواب شتى المذاهب عن انطلاق في الكلام متصدياً لاصوات تصاعدت من عهد الجاهلية الى عهدنا في الجزيرة العربية وفي الشرق والغرب وخص بعض الفصول بابي نواس وابن المقفع وابي العتاهية وابي تمام فاظهر اجتهاداً مشكوراً.

فريدة نخله ١٨٧٤ــ١٩٣١

بقلم ت . كامل

كراس ١٥ صفحة قطع ٨

هي الامرأة المسيحية الكاثوليكية الفاضلة زوجة السيد نقولا نخله الوجيه النبطي ربت اولادها الثانية بخوف الله وعاشت عيشة صالحة كانت فيها قدوة

لامهات العائلات فلا عجب ان افتقدها الله بالآلام فاحتملتها بالصبر وقدست ايامها بالتقشف والاعمال المبرورة وتركت بعد وفاتها ذكرى فضائل تدعو بالمؤمنين الى تقفي آثارها في سبيل الصلاح .

عبادة قلب يسوع الاقدس في الطائفة المارونية

بقلم الاباتي يوسف حبيقة البكتاوي الراهب الماروني

كراس ص ٥١ قطع ٨ مطبعة المرسلين اللبنانيين جونية ١٩٥٢

هذا الكتيب تركه المؤلف مخطوطاً وانتقل الى رحمة ربه بعد ان اوصى شقيقه الخوراسقف بطرس حبيقه بطبعه . وهو عبارة عن منتخبات شعرية ونثرية تقوية اخذت من مصادر مارونية وغايتها تكريم قلب يسوع الاقدس . لفت نظرنا فيها منشور البطريرك يوسف اسطفان فيدعو به المؤمنين الى صوم اربعة ايام « من عيد الزام » استعداداً لعيد قلب يسوع وان يمتنعوا فيه عن الاشغال اليدوية . ص ٢٥

حول انتزاع الاقرار ، اكسير المحققين في القرن العشرين

بقلم موسى نجيب برنس المحامي بالاستئناف

مطابع « الدنيا » شارع الكبوشية — بيروت ١٩٥١ ص ٢٦٩ قطع ٨

. اذكر فيما اذكر عن زياراتي السجون وتفقدي السجناء . منذ نيف وخمس وعشرين سنة طبقاً للقانون اللبناني الذي يأذن لرجال الدين في ارشاد السجناء . اني تعرفت الى رجل حكم عليه بالاعدام بعد ان اقرّ على نفسه بجريمة « القتل » فقال لي بعد ان عاد من مجلس المحكمة الى السجن : يا ابتِ اي قيمة لاقرار انتزع مني بالضرب والتنكيل ؟ وامثال هذا التاعس كثيرة في السجون وان يحجم رجال القضاء عن وسائط العنف والتعذيب فهناك وسائط علمية فنية مستحدثة يستعملونها ليجبروا المتهم على الاقرار بما يرغبون في معرفته من اسرار وقوع الجريمة . انه مشكل عويص عالجه مؤلف الكتاب المعالجة القديرة وهو على حداثة سنه عضو مؤسسة « التشريع الجزائي » الدولية وامين سرها العام في لبنان وعضو جمعية « الدفاع الاجتماعي » الدولية ومندوبها في الشرق العربي وعضو رابطة

« العلوم الجنائية » العاملية وقدر جهوده رجال القضاء وشهدوا له بطولة الباع في الدرس والتأليف مما يدعو الى الثقة باقواله وارشاداته فنثني عليه ونتمنى لكتابه الرواج بين ايدي القضاة والمحامين سائلين لهم من الله النور ليسيروا بالرشاد الى انصاف المظلومين وخدمة الحقيقة وما اصعب اكتشافها في الملفات التي تتكدس حول القضايا في المحاكم ! ولما كان موضوع الكلام خطيراً فيكون اصلح للمؤلف في طبعة ثانية ان يجرده عن اللهجة الخطابية المتحمسة ليحصر بيناته في اوضاع مرتبة متقنة كما هو مرغوب في هذا الميدان من البحث ولا يجري فيه الا الفارس المنقاد بدليل العقل الثاقب وحسبه في البلوغ الى هدفه الشريف حجّته الدامغة البعيدة عن اساليب الشعر والخطابة .

علي الزين

مع التاريخ العاملي

مطبعة العرفان صيدا ١٩٥٤ ص ٢٠٧ قطع ١٢

جبل عاملة هي المقاطعة الواقعة جنوبي لبنان اخذ المؤلف بدرس تاريخها واخبار سكانها ونسبهم وعوائدهم عن الوثائق : منها الاقوال الشائعة ووثيقة الركيني وقصيدة غلي باك الاسعد ومقدمة شبيب باشا وغيرها وشرح تلك الوثائق وعلق عليها بالاستناد الى اقوال العلماء الذين كتبوا عن المتاولة ومنهم الاب لامنس فجاء كتابه مرجعاً قيماً لدرس تاريخ لبنان عامة ولهذه الناحية من اراضيه خاصة وترى من طيات حياتها الاقطاعية صورة مصغرة لسائر ما جرى من امثال حوادثها في حكم الامراء والمشايخ وفيها الذكرى والعبرة والتفكهة وقد اهدى المؤلف كتابه الى « الاخوان » في المهجر ، فله الشكر .

العقد الفريد لابي عمر بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

مضبوط الشروح بقلم كرم بستاني

مكتبة صادر بيروت جزء من ١٥ «ادب المنابر» الى ٢٦ والاخير « النساء والمتنون »

لقد سبق المشرق (المجلد ٣١) ونشر لجبرائيل سليمان جبور درساً على ابن عبد ربه وعقده وهذا الكتاب من « اشهر المجموعات الادبية عند العرب » وهو

كدستور لمعارف المتعلمين في زمان حياة المؤلف . لم يكن آنذاك برنامج موضوع كما في يومنا لطلاب المعاهد الثانوية والعليا ولم تكن مرافق التعليم مرتبة كما هي في يومنا ولكن العقد الفريد وعيره كنهاية الارب للنويري وصبح الاعشى للقلقشندي كانت الكتب التي يتذرع بها الادباء لختم علومهم . وان طبعة العقد بكاملها اثقل من ان تتداولها ايدي القراء . فالفضل كل الفضل للاستاذ كرم البستاني باظهارها مفرقة على هذه الكراريس كل كراس يحوي مادةً مستقلة بذاتها تستهوي نظر المطالعين برونق غلافها وحسن طبعها فيحملها القارئ في جيبه في سفراته وتنزهاته ويطالعها بسهولة وثمنها مفرقة اقرب منالاً للعامة منها بمجلدها الضخم . فنشكر له سعيه في سبيل احياء الآثار العربية .

العادات والاخلاق اللبنانية

بقلم اديب لحود

مكتبة صادر ١٩٥٣ قطع ١٢ ص ٢٢٨

ما اكثر ما كتبه في هذه الناحية من الادب صديقنا الاستاذ لحد خاطر محرر «البشير» ايام ازدهاره وما اطيب ما خطه قلمه السيال عن التقاليد في العيلة اللبنانية وتربية الاولاد وحفلات الاعياد وسائر ما تلذ مطالعته اللبنانيين عن اطوار حياتهم القومية ولعل ما كتبه امسى بعيد المنال عن القراء في الصفحات المطوية من البشير وفي تقاويمه فنشكر لصاحب هذا الكتاب همته في تجديد ذكرى تلك العادات والتقاليد والاضافة عليها بما يزيدها قيمة ، وفي الاعادة افادة .

بقلم اديب لحود

١ الزباء ملكة جزيرة العرب

تمثيلية تاريخية ذات اربعة فصول – مكتبة صادر بيروت ١٩٥٢ ص ٨٥ قطع ١٢

زينب او زينوبيا ملكة تدمر في ٢٦٧ م احتلت جنودها مصر وهاجمت الجنود الرومانية في آسية الصغرى وحاربها اورليان وغلبها ٢٧٢ واشتهرت في بلاد العرب ونسجت على اخبارها الاساطير منها الاسطورة التي اتخذها المؤلف

موضوعاً لروايته وخلاصتها بينة في المقدمة بشعر شائق لذيذ : ارسلت رسولاً الى جذيمة ملك العراق تدعوه الى الزواج فغدرت به ثم قتلت نفسها مسمومة .

٢ً الشهامة والشرف

تمثيلية تاريخية ذات خمسة فصول ١٩٥٢ ص ٩٥ ثمنها ١٠٠ غ. ل.

شيرين معشوقة ابرويز ابن هرمز ملك الفرس يريد مربيها ان يبعدها عن عشيقها فيرميها في دجلة فتنجو وتلجأ الى دير حيث تقيم فيه ٥ سنوات مرتدية الثوب الرهباني ثم تدبر حيلة فتعود الى ابرويز وتشرب السم على قبره بعد ان اغتاله الثوار .

٣ً امرؤ القيس والفتاة الطائية

ذات ثلاثة فصول ص ٦٤ قطع ١٢ ثمنها ١٢٥ غ. ل.

سافر امرؤ القيس الشاعر الجاهلي الشهير يطلب عروسة يتزوجها ولا يرضى الا بالتي تحل المسائل والاحاجي «ما كان يشتاق الحسان لحسنها ، بل للذكاء وخلقها الفتان» . ولقي ضالته المنشودة وهي ايضاً لم ترضَ به عريساً لها الا بعد ان فك الاحاجي التي طرحتها عليه . وهذه الرواية تحيي ذكرى عوائد الفروسية عند العرب .

٤ً بشر بن عوانة

ذات اربعة فصول ص ٧٨ قطع ١١ ثمنها ١٥٠ غ. ل.

بشر عشق ابنة عمه فمنعته عنها القبائل فقاتلها واشترط عليه ابوها الا يعطيه ابنته الا بان يأتي بنوق خزاعة مهراً ودون النوق المشقات والمخاطر فاقتحم بشر الصعاب وذللها بقتل الاسد والثعبان اللذين كانا يقطعان طريقه الى خزاعة ونال مرامه .

وقد استوحى المؤلف الشاعر كثيراً من الظروف التي اظهر فيها ابطال الروايات من امثال ذلك مما ظهر عند اليونان ولبسهم لبس العرب واطلق على السنتهم لغة عربية لذيذة فصيحة جديرة بترويض الناشئة على الكلام بانيق العبارة اذا ما اقبلت على تشخيص هذه الروايات وكلها تصلح للمنتديات الادبية.

الجمهورية اللبنانية

وزارة الزراعة ، مديرية التعليم الزراعي ، دائرة الارشاد الزراعي

الاشجار المثمرة ، التفاح — تأليف تيموثي فيليب معلوف

بيروت ١٩٥٢ — مطبعة المناهل قطع ٨ كبير ص ٢٢٣ مصور متقن التجليد بالقماش الازرق

لا عجب ان يظهر هذا الكتاب برونقه وكمال طبعه وقد امنت نفقات اخراجه ادارة التعاون الفني الاميركية (النقطة الرابعة) . وهو الحلقة الاولى من سلسلة ابحاث علمية سوف يتلوها غيرها من المنشورات الفنية الزراعية ، على بركة الله . قال المؤلف في المقدمة ص ٨ : لقد وضع الكتاب في سبعة ابواب تحوي اثنين وثلاثين فصلًا تسير بالمزارع تدريجياً من تعريفه الى تأثير البيئة الطبيعية في طبائع نمو اشجار التفاح وثمارها ، الى كيفية انشاء بساتينها ، وتعهدها وتعهد ثمارها ، وصفات اصنافها ، وطرق تكثيرها ، واساليب وقايتها من فتك الآفات الزراعية والاعراض الطبيعية . .

كل باب من الابواب ، الا الخامس ، مذيل بمراجع عديدة كلها اميركية تقريباً . وهي تدل على اجتهاد المؤلف « استاذ علوم في الزراعة » وقد جمع في كتابه بين ناحيتي العلم والعمل فهو جدير بان يرشد المزارع الى النشاط في العمل وتوسيع غرس التفاح فيساعد على انماء ثروة البلاد وفتح مرافق جديدة لاستثمار خيراتها .

الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية

وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلم بحوادث لبنان واحواله يُدلي بها من رواة الدروز شاهد عيان ويساهم بها واحدٌ منهم لاول مرة في تاريخ لبنان

الراوي : حسين غضبان ابو شقرا — المؤلف يوسف خطار ابو شقرا — حرّر نصها وعلّق حواشيها وملاحقها ووضع مقدمتها وفهارسها عارف ابو شقرا — حقوق الطبع والترجمة محفوظة — مطبعة الاتحاد — شارع الامير بشير — بيروت — ١٩٥٢ ص ٢٤٤ قطع ٨ كبير

عنوان هذا الكتاب يغني عن التبسط في وصف فحواه . اية قيمة هي لشهادة المؤلف ؟ يمكن معرفتها بما كتبه ص١٣٥ : « توجه فؤاد باشا الى دمشق للبحث

واجراء الفحص عن حدثة الشامية التي وان كانت اعظم وافدح من الحادثة الديرية (مذابح دير القمر) غير انها كانت اسهل حلاً وايسر امراً اذ بعد تأكده ان القوة الحاكمة لم تحاول ردع المتقاتلين واخماد نار القتال بل مدت هي الى العمل يداً اصدر امره اخيراً بشنق الوالي الذي كان حائزاً على رتبة المشيرية ايضاً وباعدام نفر من القادة والضباط ونفر من اعيان دمشق ايضاً بحيث انصف بين عدد المقتولين من الطائفتين وفقاً للشريعة الغراء والنظام العالي » .

وجاء تعليقاً على هذا الكلام باسفل الصفحة : « ذلك لان المشير يحسب كانف رجل تجاه النظام واليوزباشي كذا وهلم جراً وهكذا استوى عدد المعدومين من المسلمين ومن قتلهم الاسلام من المسيحيين اي ستة آلاف بستة آلاف (المؤلف) [كذا] فيسلم المؤلف ان عدد قتلى المسيحيين كان ستة آلاف كما جاء في التاريخ ولكن لا بدّ له من ان يبيّن بان البلاء قد حلّ في الطرفين على السواء فيخترع « حسبة المشير بالف . . . » واذا افترضنا ان هناك كان ستة مشيرين فكان شنقهم تعويضاً تاماً كاملاً عن مقتل ستة آلاف مسيحي . . . ومن هذه الخبرية احكم عن استقامة المؤلف بتمحيص الحقائق وعن قيمة شهادته . .

واذا صح ما جاء في الكتاب عن عدد الوافر من الدروز القتلى فلمَ لا لا ينصفهم المؤلف ببضعة مشيرين يشنقون ؟ ولم يذكر شيئاً من ذلك !

راجع كتابنا « وثائق تاريخية عن حلب ٣ دفتر الخورية عزبان الارمن ١٩٠٠ واقعة الشام في ٤ تموز غربي سنة ١٨٦٠ » اخيراً عن المشرق .

حنكشيات

حقوق الطبع محفوظة للجنة

اهداء « زحلة الفتاة » مطبعة حديثة ص ٢٣٦ قطع ٨

« اذا كان في مياه البردوني كما تقول الانشودة « لذة وبرودة » فان في كل ما يخطه قلم الفنان الموهوب الاستاذ نجيب حنكش « لذة وحرارة » لذة النكتة البريئة التي تحملك على الضحك والتفكير . . . وتفرح قلبك . . . وتنسيك هموم الحياة . . وحرارة الايمان بلبنان وجماله والمثل العليا التي بدونها لا قيمة للحياة ! » بهذه الاسطر يعرف السيد شكري البخاش كتاب الحنكشيات فوفاه حقه من الوصف .

الاسلام في نظر الغرب

بقلم فيليب حتي . . . وغيره من المؤلفين

نقله الى العربية الدكتور اسحاق موسى الحسيني علق عليه الدكتور علي عبد الواحد وافي
دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٣ ص ١٥٣ قطع ١٢

هذا الكتاب يحتوي ثمانية مباحث في الاسلام اعدها والقاها ثمانيـــة من المتكلمين في المؤتمر السنوي الخامس الذي نظمه معهد الشرق الاوسط في واشنطن في اوائل شهر مارس ١٩٥١ — وللكتاب فهرس مختصر مفيد باعلامه .

حضارة العرب في الجاهلية والاسلام

بقلم اديب لحود

مكتبة صادر – بيروت ١٩٥٣ – ٢٠٤ ص قطع ١٢ كبير

نرحب بالكتاب وبما فيه من المحاسن المفيدة للالمام، عن نظرة سريعة، في تاريخ العرب من اوائله في عصور الجاهلية الى عصور الخلفاء الراشدين فالامويين فالعباسيين فالعصر الاندلسي الى انتقال الخلافـة العباسية الى مصر . ويفهم المؤلف «الحضارة» بالحالة التي انتقل اليها العرب بعد ما كانوا في عيشتهم البدوية. ويشيد بذكر مبانيهم ونهضتهم في سائر العلوم والفنون متحمساً والحماسة ممدوحة في الشباب . ولعل المحقق من القراء تمنى للكتاب في طبعة مجددة ان تزاد عليه المصادر اللازم الاستناد اليها في الحكم على صدق عدد غير قليل من الاقوال التي جاءت جزافاً ولعلها تتناقض كما في القول تارة ان بلاد العرب في القـدم كانت في «ما بين النهرين (ص٩) وتارةً انها اليمن» ص ١٠ . فاين الصواب ? وقال : « الفينيقيون جيل عربي» ص ٩ وان اللبنانيين عرب وانهم عرّبوا مؤلفات اليونان الخ . . ص١٠ فهذا ما يحتاج الى تمحيص وبرهان وقال عن الجزيرة العربية (ص ٧٠٦) انها صغيرة ! ومساحتها ٣،٠٠٠،٠٠٠ كيلومتر مربع اي ثلث اوقيانيا ! وقال انه وضع كتابه سلاحاً « ترد به اضاليل من ينخشونك بلغتك وسيادتها ويخيبونك بلغتهم : ومن هم هؤلاء ? لعل صاحب الكتاب يشير الى اصحاب المعاهد التي تدرس العلوم باللغات التي فُكرت فيها واختمرت وابرزت الى عالم الوجود المخترعات الحديثة في سائر اصناف المعارف في الرياضة والكيمياء.

والفيزيا، والطب مما تعي لغة الضاد التعبير عنه فقد اساء بظنه واخطأ الهدف . ولعل بعض المدارس تجد مادتها معرّبة في شيء من الكتب المستحدثة فتكتفي بها لتعليم العلوم بالعربية ولكن اي هو الاطفاء لغليل العطشان اماء الساقية او ماء العين الزلال ؟ والكتب العلمية للتدريس لا تزال الى يومنا تستقي من الينابيع الاجنبية فلمَ نزجها ؟

ياجوج وماجوج

بقلم منير الياس وهيبه

ديوان شعر زجلي نفساني مصور ، مطابع جوزف سليم صيقلي بيروت ١٩٥٠ ، ص١٢٥ قطع ٨

في هذا الكتاب ما ينيف عن اربعين قصيدة زجلية تتراوح بيوتها بين ١٦ و٤٠ تثور فيها العاطفة ويجمح الخيال باسلوب خلاب عالج فيها المؤلف مشاكل حياتنا بلهجة الحزن الشديد ولم يكن تفسيره لوجود الالم ما كان يرجى ممن يؤمن بالله والثواب والعقاب وهو القائل :

فيق يا انسان قدّامك ممات للتراب مها تعش مرجعك
واترك متلي صالحا بسفر الحياة يوم القيامه غيرها ما ينفعك

فانه بالغالب يئن أنين اليأس والكفر فيا ليته سخر عبقريته لا في البعث الى التشاؤم والقنوط ولكن الى الثقة بعناية من قال انه يمسح كل دمعة من دموعنا في نعيمه الخالد بعد زوال هذه الدنيا الفانية .

رباعيات وتأملات

بقلم حليم دموس

مجموعة شعرية نثرية الخ ، منشورات دار الاتحاف بيروت ١٩٥٢ ص٩٤ قطع ١٢

يا ليت صاحب هـذا الكراس ، وهو الشاعر الموهوب ، يسخّر قلمه في المواضيع الواقعة في حقل دراسته وثقافته الخاصة فيطربنا بوصف الطبيعة وما يسرح فيها من خيال يتغنى به الشعراء . وكفاه بذلك خدمة للادب فلا يتعداه لبحث فلسفة الاديان والتوفيق بين الانجيل والقرآن فيخوض غبار ميدان ليس هو من فرسانه اذ يختم آخر قصيدة من كتابه بهذا الشعر :

« فالمسُ في القرآن عيسى ابن مريم والمحُ في الانجيل روح محمّـد »

فلا القرآن يقول بميلاد الابن الازلي . . . ولا الانجيل يلمح الى نبي المسلمين . إلتمِ بغير موضوع يا شاعر !

تربية النحل

بقلم عادل ابو النصر

مكتبة صادر بيروت ١٩٥٢ قطع ١٢ ص ٢٤٠ مصوّر

صاحب هذا الكتاب مهندس زراعي وله طولة الباع في التأليف عن المواضيع الزراعية وقد اتحفنا اليوم بهذا الكتاب المفيد عن النحل وما جاء عنها في اقوال الحكماء الاقدمين وما بلغ اليه العلم الحديث في تعريفها في حياتها «الاجتماعية» وفيها الملكة والعاملات والذكور فوصف طباعها ووظائفها وذهب الى درس اقسامها الخارجية وتشريحها الداخلي واجناسها وانواعها وذهب بالقارئ ليفتش على موارد ارتزاقها في الحقول والجبال وعلى النباتات التي تستخدمها النحلة لصنع العسل والشمع وهي في ذلك تحمل اللقاح الى الزهور فتخصبها واحسن في دعوته الى تربية النحل في المدارس لما لها من الاثر العلمي والخلقي في نفوس الاحداث فقال ص ١٩٠ .

و« النحل من الحشرات العجيبة التي نود الخالق سبحانه وتعالى بقيمتها في الكتب المقدسة فكم تكون الفائدة عظيمة اذا شاهد التلميذ تلك المخلوقات العجيبة وهي دائبة على العمل في مصنعها . . . مثالاً للجد والسعي » .

شهرزاد في ليالي الف ليلة وليلة الموسوعة العربية الخالدة

يصدرها مكتب المراسلات الدولية بالاشتراك مع دار الثقافة في بيروت

الجزء الاول ص ٨٠ الجزء الثاني ص ٩٦ مصور قطع ١٢

وصفنا مع الثناء في المشرق ١٩٥٣ ص ٦٨٣ ظهور بعض حكايات مأخوذة من كتاب الف ليلة وليلة ويسرنا ان نقدم الى القراء شيئاً من هذه الحكايات ايضاً ونكرر ما قلناه سابقاً ان مفتاح الف ليلة وليلة قذر وسخ كيفما تالج الناشر امره وياليته يهمله او يكاد لان الكتاب لا يخسر قيمته الادبية بذلك الاهمال ؟ هذا وقد وفق المرحوم الاب انطون صالحاني اليسوعي بعض التوفيق في الكلام في فاتحة الكتاب عن اسباب نكبة النساء في بلاط الملك دون

ان يشوش افكار القراء في امره . راجع كتاب الف ليلة وليلة المطبوع في المطبعة الكاثوليكية بخمسة مجلدات .

ابو العلاء المعرّي

لزوم ما لا يلزم — اللزوميات

تحقيق وشرح ابراهيم الاعرابي مكتبة صادر بيروت ١ ص ٣٢٢ ، ٢ ص ٣٤٧ ، ٣ ص ٣٨٥ ، ٤ ص ٤٤٣ قطع ٨

لهذا الكتاب اصول مخطوطة محفوظة في مكاتب مصر واوروبة والهند وله طبعة ظهرت في القاهرة سنة ١٩٣٠ فرأى الناشر افادة في اعادتها وتكفلت بها مطبعة صادر فجاء الكتاب حسن الاسلوب متقن النشر يستهوي العين بسطوره الوضاحة والاشعار فيه مشكلة بالحركات مما يساعد على فهمها مع ما يذيل الصفحات من الشروحات اللغوية .

ديوان ابن هاني

تحقيق وشرح كرم البستاني

مكتبة صادر بيروت ص ٤٢٧ قطع ٨ صغير

طبع هذا الكتاب سنة ١٨٣١ في بولاق القاهرة واعاد طبعته مصححا مع تفسير بعض الفاظه محمد انيس محير في مطبعة المعارف بيروت ١٨٨٤ ومضى عليها الزمان فجاء السيد كرم البستاني بهذه الطبعة الجديدة الممتازة بالشكل والايضاح وشرح الالفاظ الغريبة وهي كثيرة . « كأن الشاعر يبحث عن الكلمة الغريبة الضخمة ليستعملها في حين كان في طاقته الاستغناء عنها بما يرادفها من الالفاظ الفصيحة المأنوسة في الاستعمال الواضحة المعنى » ترجم الناشر لابن هاني وقسم ديوانه الى خمسة ابواب : المدح والرثاء والغزل والهجاء والى اغراض مختلفة . وصدر القصائد بعناوين . وددنا لو انه اشار الى مصدرها هل هي من ابتكاره او اخذها عن اصل مخطوط وايّ هو ذلك المخطوط ؟ — على اننا نثني على جهوده ونتمنى لكتابه الرواج بين ايدي القراء .

قطوف الاغاني

وقف على شرحه وتحقيقه الاستاذ كرم البستاني

١٦ نصيب – نصيب الاصغر – ابو قطيفة – الوليد بن عقبة ص ٢٢٢ قد ٣٠٠ غ. ل.

مكتبة صادر – بيروت – قطع ٨ ومير

شهير كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني وقد عني به المستشرقون عناية بليغة ومنهم عويدي واضع فهارسه . وقد تجددت طبعته منذ السنوات في مصر لكنه لا يزال بعيداً عن متناول العامة بمجلداته الواحد والعشرين وان المرحوم الاب انطون صالحاني نشر عنه كتاب رنات المثالث والمثاني بثلاثة اجزاء للمدارس لكنه لم يستنفد ذخائره . اما الاستاذ كرم البستاني المعروف بتضلعه من العربية وآدابها فاقبل على الاغاني الكبير واستخرج منه مواد رتبها ترتيباً جديداً جمع فصولها تحت الاعلام التي عنون بها هذه القطوف ومنها ومن محتويات الفصول نرى انه احسن انتخابها لتكون مرجعاً لدرس التاريخ العربي في عصوره الاولى ولاستقاء اللغة العربية من افصح مواردها؛ انها في مواضيع عديدة مالحة كماء البادية لا يسوغ مذاقها الا للمتعطشين اليها وما فيها وما ترمي اليه من ذكرى الحوادث ابعد من ان يتناولها عامة القراء ولكنها تراث الاقدمين فمن صبر على بحثها ودرسها ومعالجتها لا يخيب امله من استنباط كنوزها . الى هذا النشاط دعانا الاستاذ الواقف على طبع الكتاب فله الشكر .

مذكرات دينار

بقلم الدكتور داهش

صدر هذا الكتاب سنة ١٩٤٦ واهدي الى مجلة المشرق في سنة ١٩٤٨ وليس فيه ذكر المطبعة التي نشر فيها ولم تساعد الظروف على وصفه حتى اليوم وكنا لنسدل عليه ستار النسيان لولا الضرر اللاحق من السكوت عليه ولعلنا ان في المشرق مراجع يرجع اليها زماناً بعد الاشارة اليها .

ان المؤلف تحت عنوان مذكرات دينار يسرد ما يوحي اليه خاطره من اخبار متنوعة بتنوع الظروف التي يمر بها ذلك الدينار . او بالاحرى يعرب فيه عن افكاره في الذهب كآلة يستعملها البشر في حياتهم . انها بذاتها ليست خيراً

ولا شرًا انما هي خير بيد الاخيار : تعمر المعابد والمدارس والمستشفيات والمياتم والمآوي للعجز والفقراء الخ وهي شر بيد الاشرار : تدعو الى الكذب والسرقات والخيانات والمساومة بالعرض والشرف طمعاً بالمال الخ قال داهش ص ٢٩٧ سطر ١٨ : « انني احمل فكرة سوداء عن البشرية » فيستوحي من هذه الفكرة احكاماً وانتقادات اقل ما يقال فيها انها والحقيقة الواقعية على طرفي نقيض فلا عجب ان يأتي كلامه مشحوناً بالافتراء والكذب والنميمة وما كان احراه بان يسخر قلمه السيال لا للهدم ولكن للعمار فيأتي « الدينار » برأس ماله والفائظ شأن الوزنات في يد العبد الصالح الامين الذي دعي الى الدخول في فرح سيده.

الوجيز في تحليل المياه

بقلم الدكتور راتب محلجي

اخصائي بالكيمياء الغذائية من جامعة المختبرات باريس — مطبعة الترقي بدمشق

عام ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م ص ٢٥٠ قطع ٨

« لا تزال خزانة الكتب العربية تفتقر الى مرجع يبحث في تحاليل المياه، اذ لا يكاد القارئ يجد في هذا الباب الا ما ندر من مواضيع معدودة ومقتضبة واردة في كتب الكيمياء التحليلية . لذا عزمت منذ ان كلفت بتدريس علم المياه على وضع كتاب مختصر يخفف عن الطلاب عناء النسخ والمطالعة في الكتب الاجنبية وبذلت الجهد لتضمينه معظم التحاليل الاساسية العائدة لبحث الماء بشكل موجز ولغة سهلة » بهذه الاسطر افتتح المؤلف كتابه وفيه الكلام عن انواع المياه العذبة وعن فحصها وعن اصلاح الماء ثم عن المياه المعدنية وتحليلها والى غير ذلك من التعليمات المفيدة جزيلًا .

هذه تونس

تأليف الحبيب تامر

مكتب المغرب العربي مطبعة الرسالة ص ١١٠ قطع ٨

هذا الكتاب مصوّر بصور زعماء المجاهدين في سبيل تحرير المغرب وهو الاول من ثلاثة كتب وعد مكتب المغرب العربي باصدارها (الجزائر — مراكش)

يتناول اجمالاً حياة البلاد التونسية منذ بدء التاريخ الى عهد الحماية الافرنسية فيأتي على ذكر الفينيقيين والعرب الفاتحين ويتبسط في الكلام على جغرافية البلاد وتاريخها في ايام الخلفاء. الفاطميين وعلى دولة الصناجة وعلى غزوة بني هلال وعلى دولة الموحدين ثم الحفصيين ثم على عهد الاتراك فالافرنسيين ثم على النظام الدستوري وما اليه . مما يعرف هذه البلاد الى الكثيرين من القراء العرب الذين هم بحاجة الى الاطلاع على شؤونها .

« *الابحاث* » — هي المجلة التي تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت . في الجزء الثالث من سنتها السادسة ص٣٨١—٣٩٦، مقال عنوانه : تخلف المسلمين عن ركب المدنية « بقلم احمد زكي » بناء على كلمة قالها في الحفل السنوي لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية ببيروت ميّز بين الاسلام والمسلمين ونسب اسباب التخلف لا للدين ولكن لامزجة واخلاق الشعوب التي تدين به وعالج القضية من سائر اطرافها الاجتماعية والتاريخية والعلمية معالجةً سريعةً طريقة قد يتحمل وحده تبعة الكلام عنها الى ان قال في ص ٣٩٢ « ولكن التعلّم اداته اللغة . واللغة في الامم وعاء التفاهم ووعاء الثقافة ووعاء كل علم وكل معرفة وكل ما يتصل بالمنطق وبالعاطفة ؟ انها وعاء الحياة والعرب له لغات الكلام والعرب لهم لغة غير لغة الكلام . . . انه يكفي الطفل العربي من العسر ان له لغتين لغة امه ولغة كتابه فما اجدره بتيسير لغة الكتاب بتيسير رسومها وكتاباتها . ان الطفل الافرنجي يعرف نصف مجهود الطفل العربي في التعليم في تعلم الكتابة والقراءة . . والطفل العربي اذا طلب الثقافة العصرية وجد بابها اللغات من انكليزية الى الفرنسية الى المانية . . . واللغة العربية لغة الاسلام تباعد ما بينها وبين العلم الحديث والمدنية الحديثة والحياة الحديثة في شتى صورها عند البقال وعند النجار والحداد والطرزي وفي الورشة وفي المصنع وفي الارض وفي السماء . وتقرأ للرجل الغربي عن مسكن او ملبس او مأكل او مطعم فتفهم ما يقول وتقرأ للعربي في مثل هذا فيبهم عندك الكثير مما يقول وتقرأ الحذاء فلا تدري اي حذاء يعني وتقرأ الكرسي فلا تدري اي المقاعد يريد وتفرنج النساء فلا تدري عن اسماء ما يلبسن شيئاً . وكذلك الرجال وفي الامم العربية مجامع للغة غارقة

في ماضيها اكثر مما هي عارقة في حاضرها ومستقبلها » . . .

« **الورود** » ـــ مجلة عربية تصدر عن بيروت في مطلع كل شهر ، لصاحبها بديع شبلي — جاء في عدد كانون الثاني من سنتها الرابعة ١٩٥٤ ص ١٦ ، مقال لقبلان الرياشي عن حركة عين الماضي والمضارع ، قال :

ان العرب افرغوا مجهودهم في ضبط هذه الحركة وعينوا لها مواضع وحدوداً بحسب الحالات والمعاني التي تنقلب فيها فضموا حركة العين ماضياً ومضارعاً في الافعال التي تدل على السجايا والغرائز : كحسُن وقبُح ونعُم وخشُن وثخُن وغلُظ وصغُر وكبُر ولطُف وعظُم وسمُج وبخُل وسهُل وصعُب ونحوها . ثم الحقوا بها الكيفيات العارضة وهي قسمان : كيفيات حسية كسخُن وبرُد ونظُف وقذُر الخ . وكيفيات معنوية كطهر ونجس وخبث وما اشبه . ونجري مجراها الافعال الدالة على الاطعمة باشكالها والوانها كحمض وملح ودسم وعفص ومنها ما دل على صفة نسبية ثابتة من حيث المكان كقرب وبعد او الزمان كقدم وحدث او الخفاء والنموض كغمض وصرح ...

وكسروا العين في الافعال التي تدل على العوارض الداخلية في الانسان كفرح وحزن ورضي وغضب ومرض وشقي وعطش وظمىء وروي وشبع وتشاكلها ايضاً الافعال التي تدل على المدارك الداخلية واضدادها كفطن وفهم ونسي وذهل وولِه وكره . وتماثلها افعال الحلي والعيوب والالوان الظاهرة كبلج ودعج وعرج وعور وعمي واشباهها ومثلها افعال الاعضاء الداخلية كسمع وبلع وزرد ولحم الافعال الدالة على بقاء او فناء كبقي وغني وبيس وصفر ونحوها .

وقد يمكن الاضافة الى ما سبق اختصاراً ان الفعل اللازم يغلب عليه ضم العين في المضارع . وان عين المضارع في الافعال الثلاثيـة التي حرفها الثاني او الثالث هو حلقي ح خ غ ق ه يغلب فيها الفتح بالمضارع ينفح يسخر يقلع ينجع ينهى وان المضاعف يغلب فيه الضم بالمضارع يمدّ يبدّ يشدّ

« **مجلة الازهر** » ـــ شهرية جامعة تصدر عن مشيخة الازهر — مصر — جاء في الجزء الثاني من المجلد الخامس والعشرين ص ٢١٧ : « الدعوة لتحديد النسل هدم لكيان الامة وجريمة في حقها » . قال مندوب « المصري » لفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد الخضر حسني شيخ الجامع الازهر : كان لا بد للقراء ان يقفوا على رأيكم في مشكلة تحديد النسل وهي مشكلة الساعة . فقال فضيلته : « ان التفكير في تحديد النسل لافراد الامة كلها امر لا يجيزه الدين بحال ولا ترضاه الشريعة الاسلامية السمحة ». . . وقد كان العزل جائزاً في اول

الاسلام ثم نهى عنـه « رسول الله ص » بقوله ان العزل هو الوأد الخفي » — السنا في حاجة الى اعداد جيشنا اعدادا يتفق ومقتضيات العهد الجديد ? وهذا لا يتأتى الا عن طريق ابناء الامة واكثار عددهم...

« انباء مغربية » — هي مجلة شهرية تصدر من رباط المغرب جاء في عددها ١٥ سبتمبر ١٩٥٣ ، مقال عن نشاط مصلحة الغابات بالمغرب ص ١٣ « تقوم الغابة بالدور الفاصل في العمل القائم لصيانة الاراضي « الجمال والماء والخضرة » لقـد كان ذلك شعار العرب في العهد القديم — واذ كانت الغابة عزيزة على الشعراء والرسامين والسواح فان عدوها اللدود رغم ذلك هو الانسان . . . ان الغابة بفروعها واغصانها وتربتها الحية وجذورها تكوّن احسن عنصر للمحافظة على الارض والماء — وتصبح الغابة اسفنجة عظيمـة تشرب مياه الامطار بالاعين والآبار . . . وتُعد الغابة المغربية بصورة عامة مركبة من اشجار ونباتات في كفاح مستمر ضد الجدب والانسان وقطعان الماشية . . . منذ غزوات الهلاليين خسر المغرب وحده حوالي خمسة ملايين من هكتارات الغابات ». واتخذ الجنرال ليوطي التدابير للمحافظة على الغابات وعلى غرس الاشجار . التقى يوماً باحـد المشرفين على غرس الاشجار ولامه على تباطؤه بالعمل فاعتذر الرجل من كون النتائج لن يحصل عليها قبل مرور قرن . فاجابه المرشال : « اذاً وهذا من جملة الاسباب الداعية للشروع في العمل على التو والحين » .

« اهل النفط » — ختمت هذه المجلة سنتها الثالثة في ختام ١٩٥٣ وهي لسان حال الموظفين والعمال في شركة نفط العراق والشركات المتحدة معها . تُطبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ويقوم بتحريرها وتصويرها نخبـة من الادباء والفنانين وقد تعالج مواضيعها سائر ما يهم الموظفين والعمال من المسائل الاجتماعية في العائلة والتعليم والفن والصنعة . مما راقنا من تصاويرها الصفحة التي تبرز فيها الوجوه في مسابقة اجمل طفل (ايلول ١٩٥٣ ص ٣٤) بدل الاشتراك السنوي ٢٠٠ فلس او مل او غرش سوري او لبناني . وان هذا السعر الواطئ لا يغطي النفقات التي تطلبها هذه المجلة لتظهر بحلتها القشيبة وورقها الصقيل وتصاويرها الجميلة لولا موجة النفط ذلك الذهب الاسود الذي يغطي عجز الكثير من النقصان .

« **الايمان** » — مجلة شهرية لسان النادي الثقافي القومي — الكويت — السنة الاولى ١٩٥٣ العدد ٩ تشرين الثاني ص ٣ : « ظهر في مجتمعنا العربي كثير من العادات والتقاليد ، قد لا يصلح منها لهذا المجتمع الا النزر اليسير !! والاحتفالات التي تقام ابتهاجاً بعيد الهجرة ، او مولد الرسول محمد « ص » ما هي الا ضرب من ضروب التقاليد المرتجل المأخوذ عن القوي المتبوع : الغرب ؟ ! فان فيها من الفوائد ما يجعلها تستحق منا الابقاء والتخليد ، ولكن المهتمين باجلاء فوائدها قليلون ... ولذلك لا يخطئ القائلون بالغاء هذه الاحتفالات حينما يشاهدون الخطباء يتزاحمون على المنبر ليعيدوا على الاسماع ما حدث منذ مئات السنين ... او يرون الحاضرين يصفقون حماساً او اعجاباً ثم يخرجون كما دخلوا للحفل لا عبرة ولا اعتبار ، ولا رغبة في تغيير او تبديل » .

« **ثقافة الهند** » — مجلة تصدر اربع مرات في السنة منذ ١٩٥٠ من « مجلس الهند للروابط الثقافية » — حيدر آباد ، دلهي الجديدة وغايتها التعاون الثقافي بين الشعوب « لانه الداعي الى التعارف والتفاهم وحسن النية والصداقة ونحن في اشد الحاجة اليه والشرق في يقظته الجديدة . بين يدينا اعداد هذه المجلة والاخير منها مؤرخ في مارس ١٩٥٣ كلها حافلة بالمواضيع اللذيذة الخطيرة وموقعة باسماء علماء وكتبة قد آن الزمان لنتعرف اليهم ولهم مكانتهم الممتازة في عالم الادب والفن والعلم فمنهم الدكتور تاراشند في « دخول المسلمين الى الهند » والاستاذ همايون كبير في « الفن الهندي » ومولانا ابو الكلام آزاد في « شخصية ذي القرنين المذكور في القرآن » ومولانا امتياز علي عرشي في « لامية الهند » ومنو دهرما ساسترا في « الفقه الهندوسي الاكبر » ورادها كرشنن نائب رئيس الجمهورية الهندية في « مؤسس الديانة البوذية — كوتما بوذا » الخ الخ . ومما يلفت النظر ان المجلة هندية لكنها لسان الحال البوذيين والمسلمين من اهل الهند عامة ومفيدة جداً بالاخبار التي يذيل بها كل عدد من الاعداد وطبعتها انيقة جميلة على ورق صقيل فتشوق طلعتها ومطالعتها ؛ وان لغتها العربية حقيقة بكل ثناء واعجاب أكرم بها صلة بين اواسط آسية واقاصي المغرب .

« صوت الهند » — مجلة يصدرها مكتب النشر والاستعلامات بالسفارة الهندية بالقاهرة . بين يدينا اعداد سبتمبر واكتوبر من ١٩٥٣ وهي سنتها السادسة.

من عناوين المقالات تبدو غاية هذه النشرة فهي تدعو الى السلام والى تحرير الشعوب عامةً والعرب خاصةً من قيود الاستعمار الاجنبي فتتغنى بالحكمة الاسيوية الممثلة بشخصية غاندي وتفاخر باول رئيسة للامم المتحدة السيدة نيجايا لكشمي بانديت وتنشر الخطاب الذي رحمت فيه للعالم السلام ثم تتكلم عن سائر الروابط الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي تصل بلاد الهند في الشرق الادنى وفي بلاد العرب مع ذكر الشخصيات الكبرى والحوادث الحالية المهمة.

« نشرة جمعية الضمان الاجتماعي الدولية » — تشرف على نشرها الامانة العامة للجمعية الدولية للضمان الاجتماعي. لوزان — جنيف ظهر العدد الاول من سنتها الاولى كانون ٢ ١٩٥٣ — هدف الجمعية : احلال التعاون الدولي التام وبذل اقصى الجهود لنشر انظمة الضمان الاجتماعي في سائر انحاء العالم والدفاع عنها واتقانها من جميع النواحي الفنية والادارية وهي منظمة فنية تسهل لاعضائها امكان تبادل الاراء وعرض تجاربهم المتبادلة في ميدان الضمان الاجتماعي sécurité sociale في مختلف البلدان اما لسان حالها فهو هذه النشرة.

« الجندي اللبناني » — هو عنوان مجلة شهرية تبحث في الفنون العسكرية والثقافة العامة وتعنى بشؤون الجيش والدرك والشرطة والامن العام ، تصدر عن دار المكشوف بيروت لبنان.

قرأنا في الجزء السادس ت ٢ من ١٩٥٣ وهي السنة الثانية عشرة من ظهورها (ص ٢ — ٥) مقالاً شائقاً اللواء رفعت خانقان وزير الدفاع في سورية على تنظيم الجيوش وتعبيتها وسوقها عند العرب فهي صفحات مكتظة بالفوائد والتدابات التاريخية كتبت لعامة القراء من افراد الجيش وهي جديرة بان تسترعي همة كل رجل مثقف يتطلع على تطور الاحوال السياسية في البلاد العربية ؛ تكلم المؤلف ١) على الجندية عند العرب وقد بدأ التجنيد الاجباري عندهم في عهد الدولة الاموية ٢) على الاسلحة عند العرب : السيف والرمح

والقوس النشاب والترس والدرع وآلات الحصار كالمنجنيق والدبابة والكبش والنفط والنار اليونانية ٣) عن تعبئة الجيوش : التمنوف ، تعبئة الكراديس ، سوق الجيوش...

فقال : « برع العرب في سوق الجيوش الى حد وابرز دليل على ذلك فتوحاتهم العظيمة في الامصار البعيدة ، فقد سبقت الجيوش العربية مسافات بعيدة جداً فبلغت الهند وجبال فارس والقسطنطينية ومصر وافريقيا الشمالية والاندلس وكان الانتصار حليفها في حملاتها جميعاً ».

مجلة الحج — مكة المكرمة — جاء في الجزء الاول من السنة السابعة مارس : ١٩٥٣ (ص ٢) اما تفاهم المسلمين جميعاً في امر الحج والحجاج وتتبع سير الحاج ومعرفة احواله وارشاده وتبادل الآراء فيما يؤدي الى تحسين حاله فهو الهدف الذي انشئت هذه الصحيفة من اجله.

وان الدراسات والمقالات في مجلة الحج امنية اجتماعية لا غنى للاطلاع عليها لمن يهمه الوقوف على الحركة الفكرية في الجزيرة العربية.

وجاء في الجزء السابع من السنة السابعة سبتمبر ص ٤٧٨ « تنبيه وتحذير عن دلائل الخيرات » صادر عن هيئة الامر بالمعروف بمكة المكرمة. « ان هذه الدلائل (وهو كتاب صلوات) هي فتنة في الدين من امهات الفتن اختلقها زنديق ليصرف الناس عن تدبر كتاب ربهم... ويقول : من قرأ هذه الصلاة مرة واحدة كتب الله له بكل حرف يقرأه قصراً في الجنة — مع ان هذا الجزاء المزعوم لم يرد لمن قرأ كتاب الله العزيز ... ولهذا تجد المغفلين يحافظون على تلاوة هذه الدلائل اكثر من محافظتهم على تلاوة كتاب الله طمعاً منهم في ان يكونوا اصحاب ملايين القصور في الجنة . هيهات هيهات ايها المساكين ان الجنة لا تنال الا بتقوى الله وعبادته ... »

« *الحديث* » — هي المجلة الحلبية لصاحبها سامي الكيالي . جاء في عددها السادس من السنة ٢٧ حزيران ١٩٥٣ عن « سورية العربية واثرها في تاريخ الحضارة » . في خطاب اللواء فوزي سلو بافتتاح معرض المكتشفات الاثرية قال ص ٣٧١ « ان الشعوب التي تتابعت مدنياتها في سورية منذ بضعة آلاف

من السنين حتى الفتح كالعموريين والكنعانيين والحثيين والفينيقيين والاراميين والتدمريين لم تكن الا عربية خالصة كانت هجرتها من الجزيرة العربية الى هذه البقعة تتوالى خلال فترات منقطعة من التاريخ وان لغات هذه الاقوام العربية لم تكن الا بنات اللغة العربية الاهلية كاختهن اللغة الحميرية وعندما تم الفتح الاسلامي لبلاد الشام في العام الثالث عشر من الهجرة النبوية الشريفة كان اهلها الاصليون من العرب ولذلك كانوا اكبر عون للجيوش الفاتحة على طرد المستعمر الروماني...»

نقول ونحن مع مفاخرتنا بما لسورية من الفضل على تكوين الامبراطورية العربية وهي قلبها النابض على عهد الوليد ٧٠٥ — ٧١٥ ومع اعتبارنا ان حدود الجزيرة العربية في عهد خراب سد مأرب ونزوح آل غسان الى الشمال «ارض الخمر والخمير» في القرن الرابع او الخامس الميلادي لم تكن محدودة كما هي يومنا وليس في البادية السورية حدود طبيعية؛ لا يسعنا ان نسلم بان اللغات الفينيقية والارامية والحثية والتدمرية والحميرية هي «بنات» اللغة العربية فلم تنشأ بعدها ولم تتولد منها! بل هي والعربية اغصان الفرع السامي من اللغات البشرية فنبتت وانتشرت في البلاد مع انتشار اصحابها وتركت ما تركت من ... تدل على نفوذهم المتفاوت مع تفاوت قيمهم الثقافية وعلى كل فارك غسان الحيرة مسيحيون العرب كانت بلادهم غوطة دمشق وحيرة العراق بينما انطاكية عاصمة سورية السلوقية ولم تنتشر العروبة بعزها في سورية الا ... دين الاسلام بين سكانها أعرباً كانوا او سرياناً آراميين وكذلك جرى ... وسكانها الاقباط لما دخلوا افواجاً افواجاً في الدين الاسلامي واصبحوا استعربت بهم البلاد.

... ربطة الاخويات» — انشأ هذه المجلة حضرة الاب جورج الخوري في شباط ١٢٠ فحلت محل «رسالة الاخويات المريمية» وسارت تدعو المسيحيين الى ... ش الاخويات حيث هي موجودة وتأسيسها حيث لا يكون لها كيان. وفي شهر كانون الاول ١٩٥٣ اظهرت عدداً ممتازاً بتصاويره وحملت الى القراء منشور صاحب الغبطة البطريرك مكسيموس الرابع الملكي الكاثوليكي وصدى

منشور غبطة السيد انطون عريضه البطريرك الماروني وغير ذلك من المقالات الملتهبة حبا للعذراء مريم في افتتاح السنة المريمية.

«رسالة قلب يسوع» — في العدد ١٢ لسنة ١٩٥٣ وهي الرابعة والثلاثون لهذه المجلة اعلن محررها حضرة الاب روفائيل نخله انه يوقف طبعها الى اجل غير معيّن لاسباب ادارية. واننا فيما نعيد النظر في مجموعتها لا يسعنا الا الشكر لقلب يسوع الاقدس بركاته علينا وعلى من تعبوا في انشائها وتحريرها وطبعها واخصهم الاب روفائيل نخله المعروف باخلاصه لعمله وطولة باعه في التأليف نثرًا وشعرًا وهو صاحب العواطف الرقيقة المختلجة في صدر رحب يطفح محبةً لله والقريب. لقد تحل مجموعة رسالة قلب يسوع محلها في المكاتب العامة والخاصة وعطرها الفواح بالامثال الصالحة ينتشر في الشرق والغرب اينما حل كتاب «اربعة آلاف مثل» الذي ظهر اولًا فيها ثم نشر باربعة اجزاء على حدة. اما اشعارها المطربة فنغماتها ترنّ في آذان كل من يطالع ديوان «اناشيد المنفى» الذي ذكره المشرق في عدده الاخير من ١٩٥٣

وان الآداب العربية حافلة منذ العصور القديمة بتراجم الرجال وذكر المسيحيين منهم ضئيل فاكرم بالاب روفائيل نخله مؤلفًا مبتكرًا حريصًا على آثار جدودنا. نشر سير عدد غير قليل منهم في مجلة قلب يسوع عسى ان يوفق الى جمع هذه السير في كتاب واحد يؤدي به مادة غالية لكتابة تاريخ الشرق المسيحي.

«الرسالة المخلصية» — مجلة دينية تاريخية ادبية علمية. تصدر مرة في الشهر، عن دير المخلص، صيدا — لبنان: جاء في الصفحة ٢٤١—٢٥١ من سنتها العشرين ١٩٥٣ عدد نيسان في مقال للاب لوسيان معلوف المخلصي «نظرة في تاريخ زحلة». ان اول اسقف كاثوليكي رسم على مدينة زحلة هو افتيموس فاضل المعلولي وكان يقيم اغلب الاحيان في دير المخلص ثم يتردد على زحلة فينزل في دير مار الياس — الطيبة وتنازل عن الاسقفية سنة ١٧٧٢ وخلفه الاب يوسف فرحات من مزرعة الدير باسم جبرائيل سنة ١٧٧٥ افاد الشعب المسيحي بوعظه وارشاداته واتقن دار الاسقفية في زحلة وشيد كنيستها على اسم السيدة رقد بالرب سنة ١٧٩٦ وهو اول اسقف دفن في كنيسة السيدة في

الدار الاسقفية في رحلة . وخلفه سنة ١٧٩٩ الاب باسيليوس جبيلي المخلصي
فشيد كنيسة الدرزل وحضر المجامع الملكية ١٨٠٦ و١٨١١ وتوفي سنة ١٨١١
وخلفه الاب مكاريوس طويل ومن بعده الاب اغناطيوس عجوري الحلبي ١٩١٣
ولم يكن من رهبان دير المخلص ... » لكنه اعلن انه يعتبر ذاته في كل
حال واحداً من رهبان دير المخلص وابناً خاصاً للرهبانية المخلصية » .

« الرعية » — نشرة شهرية لابرشية بيروت المارونية . اصدرها للمرة الاولى
سنة ١٩٣٦ خادم رعية مار مارون الخوري اغناطيوس زيادة، وهو راعي الابرشية
الحالي فيعود الى نشرها بعد ان حجبتها الحرب الكونية الثانية وتختص هذه
المجلة بشؤون الابرشية العامة وتمتاز بما فيها من المباحث القانونية : في المعاملات
القانونية قبل عقد الزواج (شباط ص ١٦—٢٠) — في حق الكنيسة في التربية
(خطاب سيادة المطران انطون عبد تموز — آب ص ٢٤) — اسبوع الدراسات
الكهنوتيه وخطاب الخوري يوسف سلامه عن الزواج (ت ١ و٢ ص٢٢—٢٧).

« النابل » — بيروت ، السنة الثامنة ١٩٥٣ خصت في الصفحة ٤٨٦-٤٩٤
نيافة الكردينال اغناطيوس تبوني بطريرك السريان الكاثوليك بمقال بمناسبة
يوبيله الذهبي الكهنوتي ويوبيله الفضي البطريركي . نقتطف منه اهم تواريخ
حياة الحبر المفضال مع تقدمتنا له تمنياتنا البنوية بالعمر الطويل لمجد الله الاعظم
ورفع شأن الكنيسة .

ولد جبرائيل تبوني سنة ١٨٧٩ في الموصل اسم ابيه عبد الاحد وامه امينة
زبوني . دخل اكليريكية الآباء الدومينيكيين في الموصل ١٨٩٢ سيم كاهناً
١٩٠٢ وتولى التعليم في الاكليريكية المذكورة نحو ستة اعوام . في سنة ١٩٠٨
اتخذه القاصد الرسولي فيما بين النهرين كاتباً لاسراره . في ١٩١٣ رقاه البطريرك
افرام الرحماني الى المقام الاسقفي في ماردين ورقى معه السيد فلابيانوس ميخائيل
مكي الى اسقفية الجزيرة وقد قتل ذلك الاسقف في سبيل الايمان مع الكثيرين
من ابناء رعيته سنة ١٩١٥ .

وسيق المطران جبرائيل تبوني مخفوراً الى حلب ثم الى جبل سمعان حيث
القي في السجن . وافرج عنه بعد الحرب الكونية الاولى . وفي ١٩٢١ تولى

مطرانية حلب فعزز فيها الخدمات الخيرية ورتب امورها الروحيـة والزمنية وفي ١٩٢٩ انتخب بطريركا على الطائفة السريانية الكاثوليكية وفي ١٩٣٥ ضمه البابا بيوس الحادي عشر الى مصاف الكرادلة .

وفي الرسالة التي بعثها الحبر الاعظم للكردينال تبوني مهنئاً بحفلات اليوبيل قال : « لما رقيت الى الدرجة الاسقفية . . . حولت عنايتك وجهودك الى المحافظة على حياة المسيحيين من اية طائفة كانوا والى الاهتمام بجمهرة من الايتام بانقاذهم من العبودية وقد تعرضوا لمختلف الاخطار [سنة ١٩١٤ — ١٩١٨] وخلال تلك الحقبة نفسها انضم فيها بفضل غيرتك الى حضن الكنيسة عائلات عديدة » ممن كانوا بعيدين عنها .

« الشجرة » — صحة وجمال وثروة . مجلة زراعية علمية فنية توجيهية تصدرها جمعية اصدقاء الشجرة في بيروت — صاحب الامتياز رئيس الجمعية الدكتور فؤاد غصن . المدير المسؤول امين الجمعية العام فؤاد سعاده — من المقالات المفيدة التي ظهرت في هذه المجلة راقنا خاصة الكلام في « تقديم الاعمال الزراعية خلال تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول وفيه النصائح المفيدة للمزارعين لكي يتقوا الاضرار التي تسببها قلة الخبرة وجهل الاساليب الصالحة لاكثار الانتاج في محصولات الارياف والمزارع . قالت (ص٦٤) : « في اواخر تشرين الاول تطلق المواشي في الحقول المحصورة ويعتني الفلاح كذلك بنظافة الاسطبلات وتطهيرها وتجديد هوائها ويبتدئ الدجاج بتغيير ريشه وينقطع بعضه عن البيض والبعض الآخر يبيض قليلاً فيقـذف بالحبوب وتطلق الطيور الداجنة نهاراً في الحقول المحروثة فتلتهم الديدان المختلفة الانواع والحشرات وينتهي اشتيار (جمع) العسل من الخلايا ويترك قسم منه لتغذية افراد الخلية شتاء ».

« الشرطة والامن العام » — هذه المجلة هي في عامها الاول طبعت في المطبعة الكاثوليكية في بيروت وفيها مظاهر غاية ما رقي اليه فن الطباعة العربية من جمال الاحرف وبهاء التصاوير وهي كالمرآة لرجالات الدول العربية عامة والسورية خاصة ومن البديهي ان اصحابها توخوا بها مجاراة ارقى مـا يظهر من المجلات كمجلة اخبار لـندن المصورة « لندن ايلوستراتد نيوز » ومجلة الحياة الاميركية

« لايف » ومجلة التصاوير « ايلو ستراسيون » الافرنسية وقد اصابوا الهدف .
واننا مع اعجابنا بما في مجلة « الشرطة والامن العام » من المقالات الشائقة ومن تصاوير الرجال والمناظر وددنا لو تسمت بغير اسمها لان ذكر « الشرطة » يمثل للخيال ما يدور حول رجال البوليس من جماعات مسلحة بالنبوت ومآلها المخافر والسجون ! والعياذ بالله ! وودنا ايضا لو اكتفى المصور الكاريكاتوري بصورة واحدة او اثنتين ممن يمسخهم من رجال الدولة تسلية للقراء وما وراء الابتسامة عبرة وموعظة ولكن المسخ وقطع الرؤوس على طول مما لا يليق بنشرة ونتمنى ان نفاخر بها اينما حطت في سورية وخارجاً عنها .

« **الشرق والغرب** » — مجلة دينية ادبية اسست سنة ١٩٠٥ جاء في عددها من ١٩٥٣ ص ٣٢١ : « احتدم الجدل مرةً اخرى هذه الايام حول مشكلة تحديد النسل ووقف الملتزمون المحافظون من المسيحيين والمسلمين على السواء الى جانب التحريم والمنع ووقف الاحرار العصريون الى جانب الجواز والاباحة . ومنذ سنوات التأم مجمع اساقفة الكنيسة الاسقفية في العالم واصدر قرارا نشرناه في حينه ولا بأس ان نعيد نشره :

« متى وجد التزام ادبي قوي يدعو الى تحديد النسل او منعه وجب ان تقرر الوسائل وفاقا للمبادئ المسيحية واولى تلك الوسائل هي الامتناع عن الاختلاط الجنسي في حياة مروضة خاضعة لسلطان الروح القدس . على انه في الاحوال التي تتوافر فيها الالتزامات بتحديد النسل او منعه والبواعث السليمة التي تحول دون الامتناع عن الاختلاط الجنسي فان المؤتمر يوافق على استعمال الوسائل المانعة الاخرى . . . » و ص ٣٢٤ « وليس محرماً ان يمتنع الزوج او الزوجة عن اكثار النسل متى احسّا ان مواردهما المالية لا تكفي لاعالة اطفال آخرين او ان ظروفهما الصحية والاجتماعية لا تهيئ الجو الصالح لتربية جيل صحيح سليم ولهما دون سواهما ان يقررا طريقة ذلك سواء أكان باللجوء الى موانع الحمل ام بالامتناع بتاتاً عن كل اختلاط جنسي » . . .

واننا في مشرق ١٩٣١ ص ١٤٠ في الكلام عن مؤتمر الانكليكان المنعقد في لامبث قرب لندن في شهر تموز ١٩٣٠ كنا قد اتينا على ما نشرته مجلة

الشرق والغرب » في اكتوبر ١٩٣٠ عن قضية تحديد النسل وقلنا « كنا نتوقع من مجلة الشرق والغرب » الدينية اما ان تعرض عن الكلام في الموضوع او ان تردّ عليه وهيهات ان يكون دستوراً للتعليم الديني العام في انكلترة (كما اثبتنا ذلك بالشواهد في المقال المذكور) ولكنها نشرته وزادت في تأثيره اذ قالت :« انه صادر عن مؤتمر ديني خطير قوامه ثلاثمئة وسبعة من كبار اساقفة الكنيسة الانكليكانية » ... وجئنا من ثم بالرد عليه ، واثبتنا تعليم الكنيسة الكاثوليكية عن لسان الكردينال بورن رئيس اساقفة وستمنستر :« كل وسيلة مباشرة لمنع الحبل الناتج طبيعياً من الاتصال الزواجي سواء أكان ذلك في الزواج او خارجاً عنه انما هو رذيلة ضد الطبيعة اي خطيئة ضده سبحانه وتعالى» ولم يمض الشهر على صدور كلام الكردينال بورن الا ونشرت الصحافة بلاغاً موقعاً باسم نحو خمسين من خدمة الرعايا الانكليكان في لندن وضواحيها وفيه اعرابهم عن ارادتهم بالتمسك بالمبدأ الكاثوليكي التقليدي في مشكلة تحديد النسل واتخذوا عبارات الكردينال بورن بحرفها اعراباً عن افكارهم . راجع المشرق ١٩٣١ ص ١٤٠ وما بعدها .

« الشهرباء » — مجلة علمية ادبية اخلاقية . صاحبها ومنشئها المسؤول الخورسقف اغناطيوس سعد . ودعت في كانون الاول ١٩٥٣ عامها الثامن والعشرين ومن ميزاتها انها تتحف الحلبيين في بلادهم والمهجر باخبار بلدتهم فضلاً عما تنشره من المقالات المفيدة طبقاً لبرنامجها وفي عددها الاخير المقالات المتنوعة « الاصطبل » عن بابيني — المخدرات — الروم الملكيون في الاسلام ...

«المجلة الصناعية التجارية» — تقدمها الشركة المصرية اللبنانية الى الصناعيين ووكلاء الشركات لتمكينهم من الاتصال مباشرة وبطريقة اكيدة «بالتجارة الصغيرة» وبالفنادق والمطاعم. صاحب المجلة ورئيس تحريرها اسكندر جبيلي — المدير المسؤول ميشال اسمر. ظهر العدد الاول من سنتها الاولى في تشرين الاول ١٩٥٣ واننا نذكر هذه النشرة في سياق كلامنا على الحركة الفكرية في لبنان لان الصناعة والتجارة على انصرافها الى العناية بالماديات لا يبلغان الى الرقي المطلوب الا بنشاط الفكر و«الرأسمال لم يعد يكفي اليوم بل يحتاج الى العلم والاختصاص» (عدد ت ٢ ص ٤).

«صوت الشرق» — هذه المجلة الثقافية الشهرية المصورة غايتها «تعزيز الروابط بين بلدان الشرق». ومن المجموعة التي توفرت منها بين يدينا رأينا ان للصور والمقالات عن الهند النصيب الاوفر في استغراق الصفحات الاربعين من كل نشرة. ومن اعدادها الجديرة بان تحفظ للتاريخ العدد العاشر تموز ١٩٥٣، وفيه صورة محمد نجيب يطوق الباندت نهرو باكليل الورد بمناسبة زيارته الاخيرة لمصر وقد حدثت عقب اعلان الجمهورية «الذي وضع حداً لنظام الملوك والسلاطين والولاة وكان بدؤه في عهد الفراعنة».

«العرفان» — مجلة علمية ادبية شهرية مصورة، ختمت في آب ١٩٥٣ سنتها الاربعين. والفضل في ادارتها للشيخ الوقور احمد عارف الزين في صيدا، وهي ترجمان الحركة الفكرية لاهل الشيعة — لم تزل تتحف القراء بالمقالات المتنوعة المفيدة قرأنا منها وصف صاحب العرفان رحلته بين الشرق والغرب لحضور مؤتمر الشعوب في سبيل السلم فاطنب في ذكر ما رآه من مظاهر الرقي والعمران في بلاد سويسرا والمجر وتشكوسلافية ومن لذيذ ما كتب ص ١٠٩١: «وكنا حين خروجنا من مجلس السلم العالمي يجتمع علينا البنات والصبيان والنساء والرجال طالبين توقيع اسمنا في دفاترهم ومفكراتهم وكنا احضرنا معنا زهاء مئتي بطاقة تحمل من جانب اسمنا ومن جانب صورتنا (والشيخ يظهر فيها بعمامته البيضاء) لكن ما يصنع هذا العدد الضئيل امام ذاك الجيش اللجب فكنا تارة ندفعهم بالتي احسن وطوراً نلبي طلبهم ... ونعم السعي في سبيل السلام بين الناس ونشر روح الاخاء بين الشرق والغرب».

«العروة» — مجلة قومية عربية، تصدرها جمعية العروة الوثقى في جامعة بيروت الاميركية — السنة ١٨ شباط ١٩٥٣، عدد خاص بالنازحين العرب. عالجت فيه القضية الصهيونية منذ نشأتها ومسألة النازحين العرب واحصائيات الهجرة اليهودية فاذا كان عدد اليهود في فلسطين سنة ١٨٨٢ ٢٤٬٠٠٠ يبلغ سنة ١٩٣٩ الى ٤٤٥٬٤٦٠ وسنة ١٩٤٩ الى ٩٦٦٬٠٠٠ وما خرج الانجليز من فلسطين حتى بدأ اليهود يتدفقون اليها بغير حساب حتى يقدر عددهم بمليوني

نسة في سنة ١٩٥٢ وتكلمت عن الارهاب اليهودي وعن مقترحات ومشاريع هيئة الامم المتحدة لتذليل المصاعب الناتجة من هذه المشكلة العالمية .

«**العمل الكاثوليكي**» — هي مجلة شهرية دينية — تصدر من خورنية طائفة اللاتين من بيت لحم — الاردن وتطبع في مطبعة الاباء الفرنسيين في القدس. ختمت سنتها الاولى بالعدد ١٢ كانون الاول ١٩٥٣ وفيه المناداة بافتتاح السنة المريمية في براءة الحبر الاعظم ثم المقالات القيمة :الوطنية والدين لسيادة المطران ميخائيل عساف ، اما رسول واما جاحد للاباتي باسيل غانم ، المسيح والبشرية للاب ميشيل زيتون الخ.

«**الكتاب**» — مجلة شهرية تصدر عن دار المعارف في مصر ، رئيس تحريرها عادل غضبان . جاء في جزئها السادس للسنة الثامنة يونية ١٩٥٣ مقال للسيد محمد تيمور عن لغة المجتمع ص ٦٩١ : ان مجتمع الناطقين بالعربية فريقان : جمهور امي عام يستقل بلغته العامية التي تتسع الهوة بينها وبين فصيح الكلام وجمهور مثقف خاص مستمتع او على الاصح مرزوء بلغتين اثنتين تتنازعانه فيما يلفظ من قول وما يرسل من تعبير اعني الفصحى والعامية ، او لغة الكتابة والخطابة ، ولغة المشافهة والخطاب — فاذا نحن اردنا لحجة الاجماع والسماع ان تظل قائمة ، لتوثيق الجديد من الالفاظ ، ولباب القياس ان يظل مفتوحاً لاستقبال الجديد من الصيغ ، فلسنا بمستطيعين ان نعول في ذلك على جمهورنا الامي العام خشية ان تذوب الفصحى في محيط اللهجات العامية التي لا ضابط لها ولا نظام ولكننا نستطيع ان نعول كل التعويل على الجمهور المثقف الخاص ذلك الجمهور الذي استوعب طوائفه وفئاته ضروب العلوم والفنون والآداب والذي تعلم الفصحى ، واشرب ذوقها ، واصبح قمناً ان تكون له ملكة الانتخاب والاختيار فيما يأخذ وما يدع من الالفاظ والعبارات .

... وجاء صاحب المقال بـ ١٣٠ لفظة من الالفاظ المستحدثة للاعراب عن الاشياء المستحدثة وعرضها على القراء ليروا فيها رأيهم وتدخل في القاموس اذا وافق عليها اولياء الامر في المجامع العلمية.

«**الكلمة**» — مجلة الاحسان والادب والاجتماع — مطبعة الضاد حلب ، صاحب

امتيازها ورئيس تحريرها المحامي فتح الله صقال — اسس مشاريع « الكلمة » في سنة ١٩٢٤ الاب بولس قوشاقجي . دخلت في عامها الـ ٢٨ — بين يدينا عددها الممتاز الذي نشرته بمناسبة تدشين مستشفى الكلمة ١٧ حزيران ١٩٥١ في حلب وهذه « الكلمة » ما اشبهها بحبة الخردل التي ذكرها الانجيل . بدأت حقيرة ثم نمت وعظمت وصارت شجرة وارفة الاغصان تأوي اليها طيور السماء هم العجز والفقراء والمرضى الذين يجدون عالتهم في مشاريع الكلمة اثب الله المحسنين على حسناتهم . وهذه « الكلمة » مسماة باسم الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس تيمناً بالبركات التي نسأله تعالى ان يفيضها على قرائها اينما حلت كالزرع الجيد في حقل العالم .

« المجلة الكهنوتية » — تصدرها الرابطة الكهنوتية ، تحت اشراف السادة الاساقفة الاجلاء في لبنان — هي في السنة الرابعة . من مقالاتها في العددين ٩ و ١٠ من ١٩٥٣ : رسالة البابا العامة بمناسبة السنة المريمية — تكوين رتبة العماد للخوري ميخائيل ذوميط — وكلاء الاوقاف للخوري باخوس نعالي — شروح قانونية لمجلة الحق القانوني للكنيسة الشرقية .

« مجلة المجمع العلمي العربي — دمشق . نشرت في العدد الرابع من المجلد الثامن والعشرين ص ٦٦٩ ، لائحة اعمالها في السنوات العشر الاخيرة ١٩٤٤—١٩٥٣ — في غضونها عقد المجمع ٤٣ جلسة ونشر عشرة مجلدات من مجلته عالج فيها اعضاء المجمع من عرب واجانب مواضيع لغوية ادبية تاريخية فلسفية ومطبوعات عددها ٢٢ منها فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ وملاحقه) للدكتور يوسف العش ١٩٤٧ . والقيت المحاضرات ٥٢ للرجال و ١٢ للنساء « اما محاضرات النساء فقد كانت السيدات يقمن على كل شؤونها ولا دخل للرجال بشيء من ذلك » — اعضاء المجمع العلمي العربي ٨٩ الاحياء و ١٠٢ الراحلون .

في عددها ١ نيسان ١٩٥٢ مقال وجيز لرئيس المجمع العلمي الاستاذ محمد كرد علي خصه بالاب لويس شيخو ١٨٥٩—١٩٢٧ وحط من مكانته في عالم الادب ... وليس المقام الى نقد المقال وقد انتقل كاتبه الى رحمة الله تعالى في

٢ نيسان ١٩٥٣ ولكن لا اقل من الرد على كلامه في قوله ص ١٦١ : انصرف شيخو الى تعليم الآداب العربية في كلية القديس يوسف في بيروت ونشر خلال ذلك عدة كتب مدرسية ودينية اهمها « مجاني الادب » . . . وقد اصبحت معتمدة في جميع المدارس الطائفية والتبشيرية في الشام وغير الشام ... وفاته ان يقول انها اصبحت معتمدة في المدارس الاسلامية ايضاً في سائر اقطار العالم ولعله لو زار الحجاز وام القرى توجد فيها عشرات النسخ من « مجاني الادب على رفوف المكاتب وبين ايدي التلامذة حتى في يومنا لان « المجاني الحديثة » التي اظهرها اساتذة الجامعة اليسوعية مغيّرةً عن طبعة شيخو القديمة لم تغن عنها . ومن ثم اخذت المطبعة الكاثوليكية تعيد تلك الطبعة « التبشيرية » القديمة نزولاً عند طلب المدارس في المملكة السعودية وفي مراكش وسائر البلاد العربية وكفانا بذلك شاهداً لفضل الاب شيخو على العربية وقد خدمها بامانة واخلاص يحسده عليها الحاسدون والسلام . . . ورحمة الله على اعضاء المجمع العلمي الراحلين .

وجاءتنا مع « تحيات المجمع العلمي » نشرة في « مناظرة لغوية ادبية » امتدت احد عشر شهراً من ت ٢ ١٩٢١ الى اكتوبر ١٩٢٢ بين عبدالله البستاني والمغربي والكرعي وشكيب ارسلان وقد تناقلتها الجرائد واعيد طبعها سنة ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م ثم اكل الدهر عليها وشرب ومضى عليها نحو عشرين سنة وهي في طيات المكاتب فابرزتها في بدء هذا العام ادارة « المجمع » واهدتها الينا ... وعهدها ، عهد الشيخوخة ، مضى كما مضى الراحلون الذين روت عنهم آراءهم في مناقشاتهم بين جزر ومد في الفاظ لا يكاد يتجاوز عددها اصابع اليد الا بالقليل ، وقد استغرقت جهود العلماء الاعلام على احد عشر شهراً في ٩٩ صفحة من هذه النشرة بقطع ٨ . وقد يموتون من صدمة شكيب ارسلان عليهم ! . . (كذا ص ٩٦) .

واننا مع تقديرنا هذه الدروس حق قدرها نتمنى للعاملين الاحياء من اعضاء المجمع ان يباشروا بتعريب منظم للالفاظ العامية اخذاً بقاموس لاروس (مثلاً ؟) ونحن بامس الحاجة اليها ! عافاهم الله !

« مجلة المجمع العلمي العراقي » ـ الجزء الاول من السنة الاولى ايلول ١٩٥٠

— مطبعة التفيض — بغداد قطع ٤ ورق صقيل ص ٢٩٩ .

هذا الكتاب عنوان للهمة القعساء التي تقوم بادباء العراق الى مساهمة العالم العربي في الدرس والنشر والثقافة . نظام المجمع العلمي العراقي اقرته الحكومة العراقية . اعضاء المجمع منهم العاملون وعددهم لا يتجاوز خمسة عشر عضواً . ومنهم المؤازرون ثم الفخريون ثم المراسلون . وبين هؤلاء نرى اسماء رجالات مذكورة اسماؤهم في المجمع الدمشقي والمصري . وفي رابطة « التراسل » دفع للوم اللائمين على المجمع تأسيسه الذي يخشى منه تفريق القوى وضعفها اذا ما شتتت بين مجمع مصر ودمشق وبغداد . لان في المراسلة الواسطة للتفاهم والتضافر للسعي الى الغاية الواحدة وهي تكوين مرجع رسمي للبت في شؤون العربية .

نلفت نظر القراء الى المقالة في مقدمة للرياضيات ص ٣٠٦—٣٢٩ تأليف وايت هيد وترجمة الاستاذ محي الدين يوسف ونتمنى لادارة المجمع المحترمة مواصلة العمل في تمرين اللغة العربية على ترجمة المواد العامة المستحدثة .

« المسرة » — ختمت العام ٣٩ منذ ظهورها في شهر ت١ ص ٤٥٢ كتبت في البيان من بطريركية الروم الملكيين الكاثوليك « عن الصندوق الطائفي قالت : « بعد ان اصدر غبطته منشوره الكريم في انشاء هذا الصندوق الطائفي العمومي وضرورته وتنظيمه وطريقة تغذيته وكيفية صرف المال المجتمع التي انشئ لاجلها وصل الى غبطته اصداء كثيرة من تحبيذ الشعب هذا المشروع وتشجيعه . . فنحن اشد حاجة من سوانا الى التضامن لانه من الواضح انه ما عاد ممكناً الاعتماد الا على انفسنا في اغلب الاحيان للقيام بمشاريعنا الحيوية وهذا التعاون على خدمة المصلحة العامة يفترض مساهمة كل ابناء الطائفة . . . ولكي يقدم رجال الاكليروس المثل الصالح للعلمانيين تقرر ان لا تطلب مساعدة العلمانيين قبل ان تجمع تقادم الهيئات الكنسية . »

وتعليقاً على هذه الاسطر المسجدية لا يسعنا الا التمني بان سائر الطوائف تقتدي بمثال الطائفة الملكية الكاثوليكية فتزخر كل طائفة بصندوق واحد ما يساعدها على اعالة الكنائس الفقيرة والقوي يحمل الضعيف لئلا نرى الرعايا

في القرى مهملة ولا كاهن يخدمها لعدم امكانها القيام باود معيشته .

« المعلم الجديد » — مجلة تربوية ثقافية ؛ تصدرها وزارة المعارف العراقية — جاء في ايلول ١٩٥٣ في جزءها الاول والثاني من السنة السابعة عشرة :

« قد بذلت اسرة التحرير وسعها في تحسين نوعيات الطباعة والاخراج » وانها نجحت في مرماها وخصت هـذا الجزء بالتعليم الثنوي في العراق » كتب فيه الدكتور مصطفى جواد مقالاً عن الثقافة النسوية في العصور الاسلامية قال:

« كان القول الاجتماعي السائر ان النساء مستثنيات عن الكتابة غير مستأهلات لسكنى الغرف ولا مستحقات لان يقال لهن « نعم » عند كل سؤال منهن . فلم يُرد منهن ضبط ديوان فيتعلمن الكتابة ولا الاشراف على حركة المرور ولا التفرج في سكنى الغرف اي البيوت العالية . ولمَ لم يكن ذلك؟ والحكمة التي لهجت بها الالسنة قديماً ان « المرأة ريحانة وليست بقهرمانة » . .

« اندرأت على العالم الاسلامي سيول من الجنس اللطيف من مختلف الامم الاعجمية غير المسلمة عن طريق الغزوات وما يغنيها في الاغلب من الفتوح وكان الجلابون يختلفون الى حدود دار الحرب في الثغور والتخوم فيجلبون الرقيق من الجنس الرقيق وضده الى كبريات المدن وامهات القرى فيشتريه النخاسون ويبيعونه . . . فنفقت سوق الجواري اي نفاق وشاع اتخاذ السراري باوسع نطاق ورغب النخاسون في الربح الوافر باغلاء اثمان الجواري بالتأديب والتهذيب فانشئت المعاهد لتعليم الغناء والرقص والكتابة والقراءة والمدارس والكتاتيب لتلقين القرآن وتعليم الكتابة والادب ولا سيما المقطعات الغزلية وما يذبها من نسيب وتشبيب . . . وصارت الجارية التي لم تدرب تسمى «الساذجة » ولا يتجاوز ثمنها ثلاثة آلاف درهم الا في النادر على حين كانت الجارية المعلمة قد يبلغ ثمنها خمسة وعشرين الف دينار وفي الاحوال الشاذة أكثر من ذلك المبلغ . . .

اما النساء الحرائر بالعراق فان الشعور بتخلفهن عن طبقة الجوارى حفذت ناساً كثيرين من المجتمع الى تطوير الحالة النسوية والظاهر ان الامام احمد بن حنبل كان في طليعة من رأى اخراج الحرائر من عزلتهن المتينة ولزوم تثقيفهن وتأديبهن وكانت ابنته فاطمة من المحدثات المتقنات الثقات واقتدى بالحنابلة غيرهم من الطوائف الاخرى وخصوصاً الشافعية فاشتهرت بينهم نساء مثقفات فاضلات واعظات متصوفات . . . »

وجاء في الصفحة ٧٠ من المعلم الجديد في مقال للدكتور نوري الحافظ :

« ان الاديان السماوية كانت تبيح الطلاق» ولو كان اطلع على التعليم المسيحي الكاثوليكي في هذه الناحية لما غور جذا القول ورجع الى ما جاء في سفر التكوين وفي الانجيل: «لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران جسدًا واحدًا ؛ فليسا هما اثنين ولكنهما جسد

واحد وما جمعه الله فلا يفرقه انسان . فقال الفريسيون ليسوع : لماذا اوصى موسى ان نعطي كتاب الطلاق ونخلي ؟ فقال ان موسى لاجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم ولم يكن في البدء هكذا !

« **المعلم العربي** » — هي المجلة التربوية الثقافية الصادرة عن وزارة المعارف السورية . جاء في العدد السادس من سنتها السادسة نيسان ١٩٥٣ ص ٥٦٣ — ٥٧٦ ، مقال للدكتور فاخر عاقل عن اهدافنا التربوية . عالج فيه قضية التعليم النسوي ، وبعد ان وصف حالة المرأة العربية السورية التي « لم تبدأ بالخروج من القرون الوسطى ومفاهيم القرون الوسطى عنها وحقوقها وواجباتها وكرامتها الا بعد الحرب الكونية الاولى وما زال السواد الاعظم من نسائنا في القرى والارياف والعشائر وفي بعض الطبقات في المدن يرزح حتى الآن تحت هذه المفاهيم الجائرة الخاطئة ... »

قال ص ٥٧٢ : « وما هي الاهداف التي يجب ان نستهدفها اذا اردنا الاصلاح وابتغينا التقدم نحو الأفضل ؟ فاجاب بواجب تحضير الفتاة منذ نشأتها في المدرسة الى حياتها المقبلة كزوجة اوربة بيت ... الى ان قال :

« قد تكون الفتاة في المستقبل شيئا آخر غير الزوجة والام وربة البيت ، قد تكون عاملة او معلمة او طبيبة او مهندسة او غير ذلك من افراد المجتمع... وسواء احببنا هذا ام لم نحبه فان المرأة قد وطدت العزم على الخروج الى الحياة ، بل انها خرجت الى الحياة فعلاً ، ان المرأة السورية — على حداثة عهدها بالتحرير — صارت طبيبة وصارت معلمة وصارت صيدلية وصارت موظفة في وزارة الخارجية ووزارة الشؤون الاجتماعية وغير ذلك ، فهل نستطيع تجاهل ذلك ؟ بل هل من صالحنا ان نتجاهل ذلك ؟ او ليس خيراً لنا ان نفتح عيوننا على الواقع وان نحاول مسايرته وضبطه ؟ ان علينا نحن المربين ان نعدها لهذا النوع من الحياة اعداداً لا يفسد انوثتها ولا يمس اخلاقها ولا يدفعها الى الخلط بين الحرية والوقاحة او بين الكرامة والاستهتار الخ ...

« **مجلة النفط** » — تصدر شهريًا من لندن باللغات الانكليزية والفرنسية والاسبانية والعربية . ودخلت في عامها العشرين من مقالاتها في عدد آب١٩٥٣ — ارتفاع صادرات النفط من الاتحاد السوفيتي — تغير الحال في المملكة العربية

السعودية الخ . جاء في آخر المقالة : « وسائل النقل قد تحسنت في المملكة العربية السعودية ولا تزال مستمرة في التحسن بسرعة وعلى احدث خط وقد ظهرت جاليات برمتها تعيش في مدن مجهزة بوسائل الراحة الحديثة وتعمل في اعمال صناعية ثابتة منتظمة وحتى « الربع الخالي » الذي صيغت حوله الاساطير قديمًا تجري الآن دراسة ارضه ومعرفة طبيعته ويتبين من هذا كله ان النفط قد احدث حقًا تغيرًا كبيرًا في المملكة العربية السعودية » .

المسلمون في المتوسط الشرقي

بقلم الجنرال بوهرر والجنرال اندرى — تعريب لويس الحاج

منشورات المكشوف ، مطبعة الاتحاد ، شارع الامير بشير

بيروت ، ص ١٥٤ ق١٢ الثمن ٢٢٥ غ. ل.

هذا الكتيب هو الحلقة الاولى من سلسلة « الاسلام في العالم الحديث » وضعه افرنسيان من رجال الاختصاص في شؤون الاسلام وما له من العلاقات مع فرنسة بحثا فيه تطور نفسية الاسلام في الماضي فنقله المعرب لما رأى فيه من الفوائد للبلاد العربية عامة وللبنان وسورية خاصة فله منا الشكر . وجاء في ختام الكلام « اذا اقتنع مسلمو آسية الصغرى بامكان انصهار العناصر في الدولة على اساس احترام الاديان وحقوق الاقليات العنصرية والدينية . . . وسلموا اخيرًا بضرورة الاستعانة بالاجنبي ، فازوا بالنظام السياسي الوطيد مع بقاء الاسلام محافظًا على طابعه وقواعده الاساسية .

جامعة الدول العربية

الادارة الثقافية — حولية الثقافة العربية — السنة الثالثة

تأليف ابو خلدون ساطع الحصري

القاهرة — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٣ قطع ٨ ص ٥٦٠

قد هدف صاحب الكتاب الى وضع « ما يحاكي موسوعة تضم المعلومات والوثائق الاساسية من اوضاع الثقافة العربية في منتصف القرن العشرين » (كلمة المؤلف ص ج) عسى ان يوفق الى تحقيق امانيه . نزه هذا الكتاب على كثرة

مواده لا يكاد يحوي اكثر من المقارنات والاحصائيات بين سائر الدول العربية ومرافق انظمة التعليم والثقافة فيما بين المدارس الابتدائية والثانوية والعليا وما اليها من حاجات ونوادي ومجامع علمية واثرية . ذكر المؤلف الجامعة الاميركية ص ٢٧٣ ولم يذكر شيئاً عن الجامعة اليسوعية – عالج قضية تعليم اللغات الاجنبية فقال ص ١٤ : « ان تعليم اللغات الاجنبية في المدارس الابتدائية يبدأ في لبنان من السنة الاولى ، في الاردن من السنة الرابعة ، في العراق وفي مصر من السنة الخامسة . واما في سوريا فلا تدرس لغة اجنبية في المدارس الابتدائية». وفاته ان يذكر ان كتابة الحروف اللاتينية التي هي في اساس الثقافة الغربية ومنها التركية في يومنا لا يكاد يتطلب من التلميذ اكثر مما يتطلبه رسم الارقام فاذا ضبطها في صغره كانت بين يديه مفتاحاً لاغنى عنه لمن يدخل العالم ولم يتجاوز مرحلة التعليم الابتدائي فلا اقل من ان يستطيع ان يفك عنوان مكتوب محرر بالابجدية اللاتينية او يقرأ على رتاج حانوت اسم المحل وصاحبه اذا ما سافر الى بلاد غير البلاد العربية ... الخ الخ . وقد بلغنا ان ادارة المعارف في الجمهورية السورية عدلت عن التشديد في التمسك بمنع تعليم لغة اجنبية في المدارس الابتدائية واخذت تتحدث باعادة تعليمها في تلك المدارس اسوة بالاردن والعراق ومصر .

النشرة الثقافية

تصدرها مراقبة التعاون الثقافي العربي

مطبعة جامعة فؤاد الاول العدد الثاني – يناير ١٩٥٣ .

جاء في الكلام على العلاقات الثقافية عن شؤون الطلبة الشرقيين ص ١١٨ :

تمر بلاد الشرق في الوقت الحاضر حركة نهضة وبعث في سائر نواحي الحياة وبالاخص في الناحية التعليمية ، وترقب مصر معظم شعوبه وتتطلع اليها لانها الشقيقة الكبرى التي كانت ولا تزال موطن العروبة ومركز الثقافة الاسلامية وحضارتها ، واكبر دليل على ذلك كثرة البعوث العلمية التي تفد اليها من هذه الاقطار ، وشدة اقبال الطلاب الشرقيين للارتشاف من منهلها وذلك من بلاد فلسطين والعراق ولبنان وسوريا والمملكة العربية السعودية والاردن وعدن واليمن والكويت وحضرموت والبحرين ولحج وايران وافغانستان والصين والهند وباكستان والملايو واندونيسيا في آسيا ، ومن بلاد الصومال وارتيريا والحبشة

ونيجيريا وزنجبار وسنغال واوغندة وليبيا وتونس والجزائر ومراكش في افريقية وغيرها ، وكلهم آمال في التزود من الثقافة المصرية والعودة الى بلادهم والمساهمة في نهضتها .

وترحب مصر بوفود هؤلاء الطلاب لانهم رسل الثقافة التي تقرب بين الشعوب وتربطها برباط وثيق هو رباط المحبة والالفة والتآخي على مر السنين ونعد كلًّا منهم ذخرًا للعروبة .

الاب فردينان توتل اليسوعي

تاريخ لبنان العام

تأليف الدكتور يوسف مزهر

كتاب قيم يقع في مجلدين عدد صفحاتها ١٣٨٧ مطبوع طبعاً نظيفاً بمطبعة الآباء البولسيين في حريصا بقطع الثمن وسط. ويقول المؤلف في مقدمته ان المعلومات التي دونها ليس له فيها فضل شخصي فقد استقى مواردها من الذين كتبوا عن لبنان مثل فلان وفلان وهنا يذكر عددًا لا بأس به من الكتبة والمؤلفين من شرقيين وغربيين ويقول « بما ان هؤلاء لم يكتبوا تاريخًا عامًا متسلسلًا عن لبنان بل اكتفى بعضهم بكتابة نبذة موجزة لا تعطينا صورة صحيحة عن لبنان الحقيقي ودون البعض الآخر حوادث عصر خاص من عصوره او ذكر لبنان عرضاً اثناء كتابة تاريخ بلاد اخرى لذلك رأيت (والكلام للمؤلف) ان املأ هذا الفراغ واضع تاريخًا خاصًا للبنان اسرد فيه اخباره من بدء عصر التاريخ الى الآن بطريقة متسلسلة سهلة . . . فيطلع اللبنانيون على تاريخ بلادهم ويتعرفون الى عظمة اسلافهم فيتشبثون بوطنهم لبنان ويسعون الى توطيد كيانه ورفعة شأنه .

فهل نجح المؤلف في خطته ؟ فالذي نراه انه توفق في خطته بوضع كتاب جامع يشتمل على تاريخ لبنان في جميع ادواره واملأ فراغاً نحن في مسيس الحاجة اليه وهو على ما نعلم الكتاب الاول من نوعه. نعم يوجد كتابان قبله عن لبنان الاول لحضرة الاب العلامة مارتن اليسوعي وقد نقله الى العربية المعلم رشيد الشرتوني وطبع في بيروت سنة ١٨٨٩ ولكن مداره على تاريخ لبنان القديم . والثاني كتاب جمعه نخبة من الادباء في ايام اسماعيل حقي بك متصرف لبنان في الحرب الكبرى الاولى وقد طبع في بيروت سنة ١٣٣٤ ه (١٩١٥م) وهو مجموعة مباحث علمية واجتماعية وتاريخية عن لبنان . واما سائر المؤلفين مثل

الاساتذة اسد رستم وفؤاد افرام البستاني وغيرهما فقد وضعوا عن لبنان كتباً موجزة لطلبة المدارس بعضها ثمين وبعضها غث ولكنها ليست كتبا تاريخية يعتمد عليها . وكذلك ايضاً يبدو لنا ان المؤلف جد موفق في كتابه فهو ليس بالطويل الممل وليس بالموجز الغير كافي وقد بذل جهده ليكون بحثه علمياً صرفاً بعيداً عن الغايات الخاصة فيروي الحوادث راجعاً بها الى مصادرها وعللها الثابتة بالنقد التاريخي وباقوال الرواة الثقة . وللكتاب فهرسان الاول هجائي للاعلام والثاني للمواد مما يسهل على الدارس وعلى المطالع الوصول الى الغاية . ولكن كنا نتمنى ان يكون المؤلف اكثر دقة في ذكر المصادر التي اخذ عنها وان يذكر لنا الكتاب والصفحة والطبعة الى آخر ما هنالك مما تتطلبه الطريقة العلمية الراهنة وان لا يكتفي بذكر المصدر الذي لا يمكن ان يكون مرجعاً ذا ثقة فتراه يقول مثلاً : جاء في تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس . فالمثلث الرحمات المطران يوسف الدبس ليس هو مرجع علمي يستند عليه خلا بعض الامور التي هي ضمن دائرة ابحاثه او قريبة من عصره كما لا يغرب . كذلك ايضاً تراه من جهة ثانية يهمل بعض مصادر لا يجوز اهمالها او الاغفال عنها من ذلك فانه عند بحثه عن المردة واصلهم ص ١٧٤ — ١٨٣ لم يأتِ على ذكر المرحوم المطران يوسف دريان الذي الف كتابا قيماً اسماه « البراهين الراهنة في اصل المردة والجراجمة والموارنة » طبع في بيروت سنة ١٩٠٤ يقع في ٢٠٤ صفحات وهو تأليف نفيس وضعه العلامة دريان على اثر مساجلة على صفحات المشرق الغراء بين العلامتين الاب هنري لامنس اليسوعي والاب انستاس الكرملي من جهة وبين العلامة المطران يوسف الدبس من جهة اخرى . وقد اتى العلامة دريان ببراهين لامعة وحجج دامغة وكان كلامه فصل الخطاب . وعندي بها ان الشيء بالشيء يذكر ان اصل المردة من مرديت الالبان اي الارناووط وان اتكر ذلك متصرف لبنان واصا باشا كما اشار الى ذلك المؤلف الدكتور مزهر ص ١٨٠ . ولكن كل هذه الهنات لا تقلل من قيمة الكتاب ونحن نكرر ما قاله بكل حق واضع المقدمة الدكتور جورج حنا « ان الدكتور يوسف مزهر في سفره هذا استحق شكر جميع اللبنانيين وطلاب المعرفة».

الخوري لويس الخازن

نداء المجازيف • شعر

بقلم شفيق معلوف

١٧،٥ × ١٢،٥ س – ١٤٣ ص – دار الاحد – بيروت لبنان ١٩٥٣

انها العواطف الثرة وانه الشعر العميق المتفجر من فؤاد اتحـد بالاشياء والكائنات ليفهمها . وانها الثروة بالاوزان لتدلّل على تضلّع الشاعر تضلّعاً تامّاً من الآلة الشعرية وعلى ادراكه الكامل لعرض الشعر المكين الشفاف الـذي اعرب عنه بدون تكلّف . وان كل هذا ليوضح لنـا مبلغ توفيق الشاعر في ديوانه باتحافنا مثلاً من قريحته الفياضة .

ولا يستطيع المطالع في درج قراءته الّا ان يلتقط ما فيها من الدرر. اجل ان ثمة سبلاً للاعراب عن عاطفة لا يتـنى لكل انسان ان يعرب عنها وهناك امور عادية عرف شاعرنا ان يدبّ فيها الحياة وان يعطيها معناها الحقيقي . او ليس الشاعر هو ذلك الذي اوتي المقدرة على فهم الرموز التي تعرض له ؟ — وكل امر في عينيه رمز — على حين ان غيره لا يرى فيها الا الامور المألوفة... واليكم برهاناً على ذلك هذه الابيات :

ذهب الارض بعلم الله سال يبدله غيرُ تربة الاجـداد ...
متى حار عقل المرء عند جلالها يقول له هذي حدودك فارجع ...
تدلى النامُ باطراف ثوبك والانجم افترشت منكبيك ...
بجانحهنَّ على قدميكَ واوكارهنَّ نجومُ الفلكْ ...

واننا لنهنئ الشاعر على هذه القريحة الشعرية كما نتوجه بتهانينـا الى دار الطباعة التي عنت باصدار قصائده على ورق وبحروف لاتقين بها واخرجتها اخراجاً لم تدع معه مجالاً لنتمنى خيراً منه . ا. عبده خليفه .

مي في حياتها المضطربة

بقلم جميل جبر

دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٣ – ١٦٩ ص قطع وسط

جميل جبر اديب فتى كلّل جبينه بغار مجد استحقه. بسيط وسهل في انشائه ولكنه حقيق من ابتكاره وفنه . يمتاز بحبه للحقيقة والواقع وتأثيرهما النفساني

ودقة الملاحظة . تدور احداث حياة مي في ساحتها اليومية حرة امينة . فالنفوس الكبيرة تبلور الامور العادية بلونها وتلبسها من العظمة ما تستحق . فتوصل المؤلف ان يصور بدقة كاملة تلك العواطف النفسية التي هبت وكادت تطرح بنفس مي واعصابها فدونها ببساطة مؤثرة جدا .

فجميل جبر ينظر الى الاشياء والحوادث بعين الرجل الذي شبع من الحياة اختبارًا ولهذا فانك تشعر، من خلال اسلوب قلّت فيه الصور ولم تتخمه المخيلة، بقلب يخفق واساريب يثب تتحقق منه شخصية المؤلف .

ولربّما كان بامكان الاديب ان يتلافى بعض النقص الذي لا يحط في شيء من قيمة كتابه ، نعني بذلك مثلًا قلة التوسع في تصوير بعض الاحوال النفسانية التي كنا نود ان يعطيها ما تستحقه من التحليل وغير ذلك. ا.ع. خليفه

كتاب اللُمع في الرد على الزَيغ والبدع

تأليف الشيخ الامام ابي الحسن علي بن اسمعيل الاشعري

نشره الاب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي — المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٣ · ١٠٩ ص + ٢٧٥ص + ٣٨ ص للمقدمة — قطع كبير

سيساعد الكتاب الذي نشره الاب مكارثي مساعدة كبرى في دراسة العلوم الدينية الاسلامية . ولقد كنا نعرف الاشعري مناضلًا عنيدًا في صفوف المعتزلة ومن ثم مناضلًا عن تعليم السنة الديني وعرفناه ايضا من كتبه التي نُشرت كالابانة ومقالات الاسلاميين وغيرها الخ . وهي حملات عنيفة على التعليم الذي يزعزع الاسلام ويفككه من الداخل .

اما الكتاب الذي اصدره الاب مكارثي فعرض شديد الوضوح للعلوم الدينية الاسلامية لدى السنة وهو بشكله المدرسي باسئلة واجوبة . والمؤلف يشتمل على عشرة فصول تعالج اهم القضايا : هي البراهين على وجود الله وعلى صفاته وعلى ان القرآن هو كلام الله وعلى الارادة الالهية وعلاقاتها بالمخلوقات وعلى رؤية الله في الحياة الاخرى وعلى مسألة القدر حيث يبسط الاشعري نظريته في الكسب وهو ضرب من المناقلة الحقوقية الخارجية التي تجعل الفعل مختصًا بالانسان وان كان من الله ، وعلى مسألة الفعل الانساني وقضية الايمان والعذاب

الابدي والامامة . وفي تبرير وجهة نظره يرجع الاشعري في مثل هـذا المقام الى القرآن ورجوعه اليه قد كان اكثر من العودة اليه غالبا في كتب المسلمين السنيين الدينية التقليدية .

والحق الاب مكارثي ترجمة مضبوطة شيقة بالنص المطبوع .

ولئن كان من الصعب ايجاد العبارة المضبوطة تتضمن معنى النص فمع ذلك قد وفق المؤلف في عمله كل التوفيق . وفضلاً عن كل هذا قـد اغنى طبعته بملحوظات ومراجع وفهارس وملاحق عدة جعلت من كتابه موجزاً علماً شاملاً لعلم ذلك المناضل العنيد الديني الا وهو الاشعري .

وارتأى الاب مكارثي انه من المناسب اعادة طبع رسالة الاشعري في استحسان الخوض في الكلام والمعروف ان المؤلف حاول في تلك الرسالة تدبير استخدام العقـل لتشييد علم الكلام فاحسن الناشر صنعاً بان ضمها الى كتابه اللمع مع ترجمة له الى اللغة الانكليزية .

وتبشر هذه المساهمة التي ساهم بها الاب مكارثي في الاستشراق بوفرة اعماله في المستقبل . فان مؤلفات كالكتاب الذي حللناه لتستحق ان تحل في المكتبات الكبرى المحل الاول فهي مصدر تفكير للباحثين عن طريقة علمية دقيقة .

ا . ع . خليفه

اخبار العالم

اخبار دينية

— الحبر الاعظم : مكثت صحة قداسته اسابيع عديدة في حالة شديدة اقلقت افكار العالم الكاثوليكي فرُفعت الصلوات الحارة الى الله في طلب شفاء راعيه الاعظم الذي احبّه ووضع في غيرته وحكمته تدبير الكنيسة المقدسة ثقة تامة . والحمد لله قد زال الخطر عن قداسته وصحته على تحسن دائم .

الكنيسة الكاثوليكية في الصين : لا تزال الحكومة الشيوعية في الصين مجدّة في ملاشاة الكنيسة لانها ترى في الدين المسيحي وبالاخص في الكنيسة اكبر عدوّ لمبادئها . ومن اهم النتائج التي توصلت اليها لبلوغ غايتها الاستيلاء على مؤسساتها التعليمية والخيرية وملاحقة خدمتها الروحيين :

كل منشآت التعليم الكاثوليكي هي اليوم بيد الشيوعيين اي الجامعات والمعاهد الثانوية والابتدائية والمراصد الجوية والمؤسسات العالية للمباحث العلمية والمياتم والمستشفيات . . .

وقد انتهت تقريباً من طرد ما كان فيها من مرسلين اجانب . في سنة ١٩٤٩ كان في الصين ما يناهز ستة آلاف من المرسلين والمرسلات فلم يبق منهم اليوم الا مئة وخمسون اكثر من نصفهم في السجون . ولم يبق اذن لقيام بالخدم الروحية لدى الكاثوليك في الصين — وعددهم ثلاثة ملايين تقريباً — الا الاكليروس الصيني اي الف وخمسة كاهن علماني ونحو اربعمئة راهب . وعدد كبير منهم لا يقدر ان يقوم بمهامه الروحية الا بالخفية وبالمخاطرة بحريته وحياته . ومنذ شهرين بدأت الحكومة تضطهدهم وقد اوقفت منهم كثيرين في هونكونغ وبكين .

والشعب الكاثوليكي في الصين صامد بثبات ازاء الاضطهاد مستعد لتحمل العذابات والموت احتفاظاً بايمانه . .

مشكلة الاحوال الشخصية في مصر : اقرّت حكومة الثورة مراراً عديدة بالمساواة التامة بين جميع المصريين من اي دين كانوا وعدم التمييز في الحقوق بين غير المسلمين والمسلمين . ليت الحوادث تثبت دائماً ما تعلنه الخطب .

يوم الثلاثاء ١٦ آذار دعت محكمة القاهرة للحضور امامها المونسنيور زغبي الوكيل البطريركي للروم الكاثوليك فلما مثل امامها هددته بالقائه في السجن بعد ثمانية ايام ان لم يسلمها في هذه المهلة الفتاة فيفيان حلاق ، وهي ابنة ثماني سنوات .

كان ابوا الفتاة المذكورة قد تقاضيا امام المحكمة الكنسية في دعوى فراق اي في مادة تخص الاحوال الشخصية التي يعود البتّ فيها للمحكمة الدينية . فلما رأى السيد حلاق بان حكم هذه المحكمة سوف يكون عليه لزوجته عمد الى جحد دينه الكاثوليكي واعتناق الاسلام للتخلص من عواقب الحكم ثم رفع دعواه كمسلم الى المحكمة الشرعية

وحكمت له وخولته حق الاحتفاظ بابنته . وكان الحكم الكنسي قد سبق وحكم للزوجة بالاحتفاظ بها . فقامت السلطة الروحية المسيحية — وقد تكون هذه المرة الاولى — ثائرة ازاء قرار المحكمة الشرعية واعتبرته غير قانوني لان زواج المتخاصمين قد تمّ حسب الشرائع المرعية امام السلطة المسيحية . لذلك برضى الام اخفى المونسنيور زغبي الابنة فيفيان في محل امين وعبثاً حاولت المحكمة الشرعية في وجودها . وقد ساند المونسنيور زغبي في مقاومته هذه لفيف الرؤساء الروحيين من كل الطوائف المسيحية، لذلك لما طالبته المحكمة بالابنة رفض طلبها واعلن لها بانه مصمّم على عدم تسليمها لان حق البتّ في امرها يعود الى المحكمة المسيحية وحدها ولان حمد السيد حلاق دينه هواه شخصي لا يمس بالحقوق الراهنة .

فكيف تنتهي هذه المسألة المهمة وهل نرى يوماً في مصر ما يدلّ حقيقة على المساواة في الحقوق بين الاديان في الاحوال الشخصية وغيرها .

اخبار عالمية

مصر : لا تزال الحالة السياسية في مصر غامضة متقلبة . وقد تتابعت فيها الحوادث مؤخراً بنوع غير طبيعي . اتتنا في ٢٥ آذار اخبار تنبىء بانحلال الثورة ثم بعد ثلاثة ايام عادت فاكدت ان الثورة ما زالت ولن تزال قائمة الى ان تصل الى اهدافها مهما طلب ذلك من الزمن وان اللواء نجيب لا يزال متسلماً زمام الحكم وان الاتفاق تام بينه وبين مجلس الثورة .

اما اسباب عودة اللواء نجيب الى الحكم فكانت على ما يقال مداخلة جزء عظيم من الرأي العام مطالباً برجوعه خصوصاً الجامعة والمحامون والصحف ومنظمات سياسية مختلفة منها الاخوان المسلمون والوفديون حتى والشيوعيون . واللواء نجيب بقي مصراً على اعادة البلاد الى الحكم الشعبي الدستوري . ومما قد قرر لهذه الغاية : الافراج عن المساجين السياسيين والسماح بالعمل للاحزاب السياسية المنحلة منذ سنة ١٩٥٢ وتخلي مجلس الثورة عن الحكم في ٢٤ تموز المقبل غداة الانتخابات المقررة لوضع الدستور الجديد .

لكن السلطة العسكرية رفضت هذه القرارات وقد دعمها في موقفها هذا الجمعيات العمالية فاعتصب عمال النقل وهددت البلاد باعتصاب عام . فاضطر اذذاك اللواء نجيب الى الغاء قراراته السابقة المتخذة في ٢٥ اذار حينئذ قام الاخوان المسلمون بتظاهرات عنيفة معادية عقبها من الحكومة اعلان حالة الطوارىء في ٣١ اذار وعدلت عن فكرة الانتخابات للمجلس الدستوري وقرّرت الاستعاضة عنه بمجلس شوري يؤخذ اعضاؤه من مختلف المنظمات الوطنية والمهن على ان يبقى الحكم بيد مجلس الثورة .

سوريا : اليوم عينه الذي وقعت فيه بمصر ثورة الزعيم جمال عبد الناصر على اللواء نجيب ووضعه تحت المراقبة قامت في سوريا ثورة ضد حكومة الشيشكلي بقيادة الكابتان مصطفى حمدون اذ ارسل هذا من حلب انذاراً للشيشكلي يضطره الى التخلي حالاً عن الحكم وترك الرئاسة للسيد هاشم الاتاسي (وعمره اليوم ٧٩ سنة) . فاذعن وترك البلاد الى لبنان ثم الى السعودية . بهذه المناسبة يذكر بعضهم بان الشيشكلي كان معادياً لفكرة تحقيق « سوريا

الكبرى» او الهلال الخصيب» التي تسعى انكلترا الى تحقيقها بالاتفاق مع اميركا . ولجوء الشيشكلي الى السعودية بعد هربه من دمشق له معناه في هذا الصدد فالسعودية لاترضى بهذه الفكرة .

على حدود اسرائيل : كثرت في المدة الاخيرة الاصطدامات الدامية على حدود البلاد العربية واسرائيل وتعددت الشكايات الرسمية الى لجنة الامن الدولية من الجهتين والتوتر بين الدول العربية واسرائيل يزداد من يوم الى يوم ، وقد يكون اسرائيل متعمداً على اعمال العنف هذه لاجبار الدول العربية على عقد سلم نهائي معه . ولا تخفي الدول الغربية وخصوصاً اميركا وانكلترا رغبتها في ذلك لاقرار الامن في الشرق الادنى .

الهند الصينية : اشتدت في هذه الاسابيع الاخيرة قوة مهاجمة الشيوعيين في الهند الصينية ورغماً عن الخسارات الهائلة بالارواح فهي لا تزال قائمة . لكن المدافعين ثبتوا صامدين امامهم بجأش متكبدين هم ايضاً خسائر هامة .

القنبلة الهيدروجينية : اخذت العالم هزة خوف عظيم لخبر انفجار القنبلة الهيدروجينية في ١ آذار في جزائر مارشال . ويُقال بان قوتها التدميرية فاقت كثيراً على ما كان العلماء يتوقعونه ، وعقب الانفجار الاول انفجار آخر في ٢٦ آذار بنجاح تام . والاخبار الشائعة بخصوص احوال نتائجها مما يرعد الفرائص ويحمل على التكهن بان خراب العالم النهائي قد يكون يوماً عمل الانسان نفسه .

مؤتمر الشرق والغرب : افتتح اليوم في جنيف هذا المؤتمر وغايته تقرير مصير كوريا وانهاء حالة الحرب فيها وبحث مشكلة الحرب الهندية الصينية ولا ينتظر الرأي العام من هذا الاجتماع نتيجة حاسمة فان آراء المؤتمرين ومبادئهم هي هي لم تتغير قط ولا يرجى بان ينتج من هذا المؤتمر اكثر مما نتج من التي سبقته .

المشرق

السنة الثامنة والاربعون — ايار – حزيران ١٩٥٤

على اقدام مريم الطاهرة

بقلم الاب ا. عبده خليفه اليسوعي

بين ذلك الابن وتلك الام من يضع حاجزًا ؟ ايستطيع لسان ان يقول: يسوع دون ان يتمتم معه وإثره في هدوء الصمت : يا مريم .

وانها مريم ! هي من الطهر كله ومن الجمال كله ، ومن اعماق نفسها العميقة ، هي توق الى الله لا محدود ، تجنح اليه ارادتها ، وتهتف باسمه الفاظها ، [illegible]له الازلي في كيانها له مقر ومبيت . لقد عرفت كيف تلتقيه يوماً غبّ يوم [illegible]سطور الاسفار المقدسة ! ولقد احبته كثيراً .

[illegible] كل ما فيها صفاء ! على شغف نفسها الفريدة الطهر تنعكس اسرار الثالوث [illegible]رائقة المحببة .

وانها مريم ام يسوع لكذا قدر لها النصيب الاوفر . فلم يكن لعدوّ البشر عليها سلطان ، غمست بآلام ابنها ، قبل الامه ، فاذا هي نقية من وحول الاثم بريئة من لذعة الشرّ . انها البريئة لانها ام البريّ الاول والاخير . ويوردها الضمير ونقاء الفكر ، اعدها الله تحمل ابنها الى البشرية ويكون به الخلاص.

٥

يشهد لها الكتاب : انها تلك المرأة التي ، في فجر التكوين ، صدت بوجه الحية النافثة السم في جسم الانسانية . انها العذراء . حواء الاولى كانت مطلع الموت ، وحواء الثانية هي ينبوع الحياة .

ادم وحواء مالا عن سنة الخالق ، فحلّ بهما العقاب وحلّ من بعدهما بقافلة البشرية . ولكنها قافلة يقودها سيد يشاء لها الخلاص . وبوجه ذلك الفرع الاول الاثيم ، أنبت فرعاً آخر هو فرع تلك المرأة العجيبة ، قاهرة الثعبان : سأضع عداء بينك وبين المرأة ، بين نسلك ونسلها . انها ستسحق رأسك (تكوين ٣:١٥) .

وهذه المرأة الطالعة مع صباح الخليقة هي العذراء مريم . بذا قال اباء الكنيسة ومفكروها عبر الاجيال فيعلن القديس يوستينوس: «من تلك العذراء سيولد ذاك الذي اعده الله لهلاك الثعبان وتابعه[1]» . ويعين القديس ايريناوس «ذلك الثعبان الناهش» القتّال ، المبعد الانسان عن درب الهه ، كان له الظفر الى ان كان ابن مريم فسحق راسه[2] . ويقول القديس قبريانوس: «ذاك من الوحي ان نسل المرأة سيحطم راس الحية[3]» . ويصيب ابيفانوس قولاً اذ يشهد ان «الظفر العتيد لم يصنع لحواء بل لنسل مريم الطاهر القديس»[4] . وايرونيموس القديس الضخم الصوت ، ينادي بالمرأة الموعود بها في الكتاب انها هي هي التي تكلم عنها بولس في رسالته الى الغلاطيين[5] . وهكذا قال القديس برنردوس ايضاً .

١) موسوعة الاباء اليونان ٦/٧١١
٢) موسوعة الاباء اليونان ٧/٩٦٤
٣) موسوعة الاباء اللاتين ٤/٧٤٠
٤) موسوعة الاباء اليونان ٤٩/١٣٠
٥) موسوعة الاباء اللاتين ٣٠/٨٢–٨٣

هذه الشهادات لم تكن اعتبارات باطلة . فلقد جعل منها تعليم الكرسي الرسولي حقيقة ان تقبل من بعد جدلاً ولا شكاً . اما أقربيوس التاسع في براءته Ineffabilis Deus بان اباء الكنيسة وكتابها علّموا هذه الحقيقة واعلنوا ان وعد سفر التكوين هو وعد بمخلص عتيد الى العالم وبامه الطوباوية العذراء مريم وبعدائهما للحيّة . — اما اعلن بيوس الثاني عشر المالك سعيداً في براءته Munificentissimus Deus، ان اباء الكنيسة منذ الجيل الثاني عرفوا في مريم وجه حواء الثانية ، حاملة الظفر ، قائدة المعسكر الجديد الى غار النصر النهائي على قوى الشر التي تهدد البشرية . انها فوق الزوابع والعواصف ، وانها لا تُمس ، وانها تقطن افاق الجمال حيث تُنادى باسمها ! انك الجمال كله يا مريم.

٥

رآها اشعيا ، من اغوار مخيلته الجبارة ، عذراء ، تحبل وتلد ابناً يسمّى عمانوئيل (١٤/٧) وهي مرة اخرى نجد فيها رسم تلك المرأة السرية برفقة «الولد العجيب» . انه ابنها ، هي امه ، ولم تعرف رجلاً بل عاشت في جوّ من الطهر ما عرفته مخلوقة قبلها وبعدها ، لانها الوحيدة بين النساء ، لانها ام وعذراء حقاً، طاهرة الذيل وهي والدة . انها اعجوبة الخلائق وتحفتها . انها المعطية الخلاص لبيت داود ، ذلك الخلاص الذي انفجر وحياً على عيني اشعيا المنذهلتين قبل ان ينفجر حقيقة ملموسة على اعين التاريخ .

٥

ثم نسير صعداً بين اسفار النبيّين من العهد القديم ، وقد علاها الغموض ، فلا رسم للعذراء واضح الملامح ، بيّن التقاطيع ، من خلال تلك السطور ، واذا بنا على عتبة العهد الجديد نصغي الى هتاف الملاك البشير : « السلام لك يا ممتلئة نعمة ! » ونص الانجيل باللغة اليونانية فيه من القوة ما يجعل العذراء امتلاء من النعم لا مزيد عليه .

هذا الامتلاء هو نتيجة علاقة العذراء بابنها ، هي امه وهي مشاركة له في جميع مراحل حياته ، منذ ما وضعته عارياً على حضيض المذود الى الساعة التي رأته فيها عارياً على خشبة الصليب . وعندما استندت الكنيسة على السلام

(١) مجموعة الاباء اللاتين ١٨٣/٦٣

الملائكي تعلن عقيدة الانتقال ، اعلنت ضمنا بان جسم العذراء الذي ما عرف خطيئة هو اهل ترافق روحها الى خدر السعادة المطلقة .

ويزيد الملاك المبشر : « مباركة انت ومباركة ثمرة بطنك » بركة متبادلة بين الام والابن ، تتجاوب من خلالها النعمة التي تجعل من ام الاله وريثة اولى لعطايا الاله .

•

واذا بكلام اليصابات يلقي نورًا جديدًا على سلام الملاك . أما هتفت : « أنى لي ان تأتيني امّ ربي ؟ » . اية قداسة واي كمال يتطلب هذا اللقب ! ولقد كانت مريم كمال القداسة البشرية ، أبدعها الله أقرب ما يكون من صورته ومثاله ، واسبغ عليها دون عدّ وحساب عطاياه الازلية ، وجعلها باقصى ما تستطيع الخليقة ان تجمل وتحمل من جمال الخالق . لقد قال لتلاميذه مرةً : كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل هو . وهـذا الكمال افاضه كله على من أُعدت منذ موعد البشر مع الارض ان تكون امه .

•

لم يستطع الشر ان يخدش كيان يسوع ولم يستطع احد ان يثبت عليه خطيئة . وفي جونا الموبوء بنفثات التنين الهائل وسمومه ، يسوع ما اشتم غير عطور القداسة . وكذلك امه . هي المرأة الجبارة التي تلمحها يوحنا في رؤياه ، ما جرحت قداستها اظافر الثعبان ، ذي السبعة الرؤوس : « فأعطيت المرأة جناحي العقاب العظيم ، لتطير الى البرية ، الى خلوتها ، بعيدا عن وجه الحية ؛ حيث تعال زمانا ، وأزمنة ، ونصف زمان . فالقت الحيّة من فيها ، في إثر المرأة ، ماء كالسيل ، لتهلكها به . فاغاثت الارضُ المرأة ؛ فتحت الارض فاها وابتلعت السيل الذي القاه التنين من فيه ... » (رؤيا ١٢ : ١٤-١٦) .

•

على نصوص مثل الذي ذكرنا شيد التقليد المسيحي اعتقاده الراسخ بعقيدة الحبل بالعذراء دون دنس . وكان بوسعنا درس هـذه النصوص درساً ممحّصاً ولكنه عمل عقيم في هذه الساعة من هـذه السنة حيث يترك المسيحي جفاف العلم والتمحيص ليتطلع بالحب والشوق نحو ذلك الوجه الرائع ، وجه العذراء .

الحامل التعاري ، امطلّ الآن من شرفة الخلود على وادي الدموع ، وادي البنين المنشدين من غربة المنفى وجه امهم الحبيب .

•

كانت مريم المخلوقة الاولى التي سبقت الى استحقاقات الفداء ؟ وكما دفع المسيح دماءه ثمناً عنا ، دفع عنها ايضاً دماءه ولم تكن بعد في الوجود ، حافظا اياها من وصمة الخطيئة . هي الاولى في لائحة الخلاص ولقد هتفت بذلك في سكرة ذلك السلام الروحي الذي غمر نفسها : « تعظّم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي ! » .

وهذا الاعتقاد بعقيدة الحبل بها دون دنس لم يصادف اجماع اللاهوتيين في الكنيسة على ممرّ الاجيال . لقد اصطدموا بصعوبةٍ قادتهم الى الخطاء في فهم الحقيقة التي اصبحت ميراثاً كان للكنيسة منه كنوز وكنوز ، لقد اعتقدوا ان العذراء لم تكن بحاجة الى الفداء لانها عُصمت من الخطيئة الاصلية وكيف تظل خليقة واحدة خارج تأثير الفداء . وهذه الصعوبة ذلّلها الايمان المسيحي حين أعلن ان العذراء قد فُديت من الخطيئة الاصلية قبل ان تولد . ولذلك فقد وُلدت معصومة بريئة .

•

مائة سنة مرت على اعلان العقيدة التي نعيّد تذكارها اليوم . وكيف يمرّ التذكار المئوي ولا يكون عيداً من ابهى افراح السنين. لقد كان ذلك حدثاً ، لمئة عام مضت . وانه حدث اليوم تتداعى الى لقائه اشواق القلوب المسيحية قاطبةً من كل بلد ودار . هي العذراء تنادي بنيها فاذا بهم يتألبون جماعات جماعات على اقدامها وانظارهم ،وقد انقلتها غبرة الشر والموت في العالم، عالقة بذلك المحيا البهي، بتلك الام التي هدّمت امام بنيها اسوار الشر ، وحطمت مغاليق الموت . .

من انظارها تكتسب انظارهم تلك الطهارة المحرّرة ، ومن روعة شبابها الابدي يستمدون البطولة التي لا تشيخ ويصعدون جبل الحياة الى قمته ولا يخافون صخوراً واشواكاً . وترافقهم من اعالي السماء عين الام الساهرة ، انها سلطانة الامل وسلطانة البحر ! وانهم هم الراحلون في سفر بين اهوال النوء الشديد ، يحدقون اليها، الى تلك النجمة التي لا يغوّرها ضباب وغيوم ؟ انها قائدة مركب الكنيسة الى شاطئ الطمأنينة والسلام !

ذكرى مريم العذراء والحبل بها بلا دنس الخطيئة

للخوري ارسانيوس الفاخوري ✝ (١

قال موشحا في سيدة الانام مريم العذراء. وذلك حينما وفدت البشائر باثبات براءتها من كل عيب ودنس منذ حبل بها بريئة من الخطيئة الاصلية وابراز الحكم بكل ذلك ابرزه قداسة الحبر الاعظم السعيد الذكر البابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٤ :

لاحَ بدرُ الحقِّ والبُطلُ انصرمْ وهلال الشكِّ وَرَاهِ العَدمْ
واليقين اليومَ اضحى كالعلمْ جالساً في العرش بالعزِّ زَفَلْ

حدّد الحبرُ مقالًا وانتهى مبحثٌ عن مريمٍ ذاتِ النُّهى
مثبتًا للقولِ فيه إنها حُفظت من دَنَسٍ منذُ الحَبَلْ

١) الخوري ارسانيوس الفاخوري الشاعر قاضي نصارى جبل لبنان في عهد الامير بشير الكبير والامير حيدر اللمعي وعضو مجلس ادارة جبل لبنان عن المارونة تقلب في مناصب عديدة دينية ومدنية وله تآليف شتى في النحو والشعر والبيان وقد اشتهر في فن البديع فنظم اربع بديعيات ثلاث مطبوعة وواحدة لم تطبع وله غراميات سرياني شعرًا ونثرًا وقد اولع بحب السيدة العذراء التي حبل بها بلا دنس ام الله البتول فله فيها القصائد المطولة والقطع الموجزة ما يبلغ نحو ٨٠ قصيدة وقطعة ومنها هذه القصيدة التي نظمها في اثبات العقيدة التي لا ريب فيها وهي عقيدة الحبل بها بلا دنس وهذا الموشح اللذان نشرهما في هذه السنة المريمية الموافقة لمئة سنة خلت الواحدة لاثبات العقيدة المذكورة من قداسة البابا بيوس التاسع المثلث الرحمات في ٨ كانون الثاني سنة ١٨٥٤ والثانية اي الموشح في الموضوع عينه وفيها تواريخ اثبات العقيدة المذكورة وذلك احياء لهذه الذكرى ولذكره ايضاً .

ان قصائد المرحوم الخوري ارسانيوس في السيدة العذراء الذي لا يضاهيه شاعر ما بهذا الموضوع نقلها عن ديوان ورثته آل سليم الفاخوري وارسلوها مجلدة تجليدًا مذهبًا متقنًا الى المكتبة المريمية في رومية بعنوان قداسة البابا بنديكتوس الخامس عشر المثلث الرحمات فتعطف واهدى اليهم صورته مع بركته الرسولية والغفران الكامل عند الموت ولا يزالون يحتفظون بالصورة المذكورة ذكرى مباركة .

خصّها الله بكون أقدسِ وسمَتْ طهرًا ببرٍ أنفسِ
وحباها فيضُ روح القدسِ لابنه أما دعاهـا من ازل

وافتِ البُشرى لإكرام البتولْ ببروز الحكم من حبرٍ جليل
أنشط الالباب بل سرّ العقولْ وكساها بهجةً ما قد حصلْ

فرحتْ قلبَ الكئيبِ المستهامْ كم ازالت منه غمًّا وقتـامْ
وشذاهـا كم وكم أبرا ذُكامْ وجلاها للمـلا يشفي المِلَلْ

من كؤوس وشراب الخندريس[1] مالتِ الأكوان بالتيـهِ تميسْ
وغدتْ تختالُ في دُرٍّ نفيس وتجرُّ الذيل من اسنى الحللْ

زالتِ الاتراحُ والغمُّ عفـا وافتِ الافراحُ والوقت صَفا
راقت الكاساتُ والأنس شفا طابتِ الاوقاتُ والبؤس رَحلْ

زُهرةٌ غرّا تلالت في العَـلا كوكبُ العَيوقُ بالنور اعتلى
قمرُ السرّاء بالسعدِ عـلا زُحلُ الضرّاء بالنحس أفـلْ

مُذ بدا عيوقنا في السُنبُلـةْ صاحَ ذاك المشتري بالهيللـةْ
رَنَّمَ المرّيخ قول السبحُلَةْ مذ رأى السَّعْدَ اعتلى برجَ الحملْ

يا لبكرٍ طُهرُها نجّى المـلا وسناها لقيومٍ قد جـلا
أترى يا صاح فيهـا قد حَلا عقـد نظم زانه دُرُّ الغزَلْ

مَلَك الوُرّادَ ريّا وِردِها طيِّبَ الاشمامَ منا وَرْدُهـا
خيّر العُشّاق طُرًّا بُرْدُهـا من حُلاها ازدان اصحابُ العِلَلْ

---

[1] الخندريس الخمرة .

عاشقوها في هواها كملوا ندماها من طلاها ثملوا
وبتاجٍ من عفافٍ كلّلوا وغا الايمان فيهم والأملْ

فاقت الابدارَ ظرفًا وكمالْ عات الاقمارَ نورًا وجمالْ
وتعالت ببهاءٍ وجلالْ والدّراري كلها جندٌ خولْ

يا عروسَ النشدِ قومي كلّلي عرس لبنان بمجدٍ سربلي
في علاها رنّمي او هلّلي بنشيدٍ لا يحاكيه مثلْ

فهي عرش ملَكٍ كرسيُّ القديم وهي ذاك البابُ والطور العظيم
وهي تابوتٌ لعهدٍ والكليمْ قد رأى شبهاً لها فوقَ الجبلْ

قسطُ منِّ طورسينا والغمامْ وعصا هارونَ ذياك الإمامْ
فُلكُ نوح برج داودَ الهمامْ دُرّةٌ قد عمَّ اجزاها اليلَلْ

قد غدَتْ سلطانةً زادت على كلّ مخلوقٍ بارض وعلا
فحباها ربّها هذا الولا وسمت مجدًا على كلّ المِلَلْ

فضلها قد عمَّ ابناء البشرْ وبها حازوا خلاصاً منتظرْ
وبها نيل المُنى ثم الوطرْ ورضى مولى السلاطين الاجلْ

بسناها الخلقُ طرًّا أعجبا وسناها كلَّ ذلّ قضّبا
وبهاها الورى العزّ حبا والسنى الوضاحُ بالمجد اتصلْ

يا بتولًا قد أتتنا بالسلامْ بوأتنا بالوفا أعلى مقامْ
بهواها قد شفينا من سقامْ وبرتنا من كلومٍ وشللْ

فارمقي عبدًا ذليلًا ورقيقْ قد دعا ضمن بكاءٍ وشهيقْ
إنه في لجّة الحزن غريقْ فانقذيه واخصصيهِ بالجذلْ

أنتِ أمُّ الرحمة العُظمى التي شأنها انقاذُ مَن في ذلةِ
طهّري قلبي ونقّي مُقلتي وارحميني وقت إقبال الأجلْ

وقال ، رحمه الله ، مؤرخاً سنة الاثبات كون الحبل بسيدتنا مريم العذراء بريئاً من دنس الخطيئة الاصلية . والتاريخ في البيتين الاخيرين من الابيات الآتية ويحويان ستة عشر تريخاً وفي البيت الخامس تاريخ ناطق بسني السيد المسيح ظاهر بدلالته عليها :

قبشارةُ الاثباتِ للحبل النقيّ م بمريَم العذراء سيّدةِ الملا [1]
في أنّ ذا الحبلَ الشريفَ مطهَّرٌ من كلّ عيبٍ ثمّ عن دنسٍ علا [2]
وبريّة من وصمةٍ [3] وخطيئةٍ اصليّةٍ فالسرُّ في هذا انجلى [4]
سُرّتْ قلوبُ المؤمنين باسرهم وسرورُها الاكوانُ طُرّاً قد مَلا
سنة الثمانِ لمايةٍ مع اربعٍ الحق بها خمسين مع الفٍ تلا
بختامها بزغ السنى ولهُ اتيتُ م مؤرّخاً مُتتبعاً هذا الولا [5]
والنظمُ ذا التاريخ في البيتين من هذا النشيدِ ها الاخيران اجتلى [6]
في كلّ شطر منهما هو كامل وكذا بمهمل كل بيتٍ يُجتلى
وكذا بمعجمه تراه كاملًا تكراره لذوي القرائح اذهلا
وكذاك مهمل كلّ شطر منهما مع مهمل من اي شطر قد جلا

١) الملا : الخلق .
٢) علا : ترفّع .
٣) الوصمة : النقص والعار والعيب .
٤) انجلى : انكشف .
٥) الولا : اصله اولاء خفف الحكم .
٦) اجتلى : بمعنى عرض يجتلي يعرض ولم يذكر المعجم غير هذا المعنى . ومعنى نظر الى الشيء وغيرها مما لا يوافق المقصود .

ان كان من اعلاه مع ادناه او بخلافه تاريخه فيه جلا
وكمثل ذاك مُعجم بل كيفما قلّبته عدد التواريخ انجلى

وبذاك يبدو سرُّهُ المخفي به وبه بيان سنى المعاني اكتملا
خذها عرائس[1] تنجلي مجموعها ست وعشر ضمن نظم اكملا

نورُ السرور بأرضنا اكياً[2] جبي بسرور حجر لاصب يقضي العَلا
كيس[3] الحصور بمريم برجُ القضا بسرير حكر قضا بها جبر دلا

---

١) العرائس : جمع عروس .
٢) اكيا: مصدر أكيَ يكي اي استوثق استيثاقاً . جبي اجرى وجمع والضمير عائد الى نورالسرور . واكيا مفعول به مقدم الحجر الثقل لاصب متمسكن يقضي يتم الملا الرفعة والشأن . والمعنى ان نور السرور بارضنا جمع الاستيثاق سرورالثقل ملتصق به لاتمام الرفعة والشرف .
٣) الكيس: الظرافة ؛ الحُصور الذي يتجنب النساء اختياراً ولا يتزوج ، الحكر اشد العجب ، الجبر الاحسان . .

عقيدة الحبل بلا دنس في الكنيسة السريانية

بقلم الخوري اسحق ارملة السرياني

رحب العالم الكاثوليكي في الخافقين ترحيباً بنوياً عذباً جداً بالرسالة العامة التي أصدرها ابو المؤمنين العام البابا بيوس الثاني عشر بتاريخ ٨ ايلول ١٩٥٣ معلناً الاحتفال بمرور قرن كامل على ما قرّره سالفه الخالد الاثر البابا بيوس التاسع تقريراً احتفالياً بشأن عقيدة الحبل بمريم العذراء المغبوطة دون دنس او عيب البتة .

ولقد طفح قلبي حبوراً وشكراً عندما أفتى اليّ مدير مجلة المشرق الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي الجليل لاكتب كلمة في هذا الصدد أنقلها عن تصانيف ائمة السريان ومشاهيرهم .

ولعمري اي قلب لا يستعذب ويستحلي تلك الصفة الجميلة الفريدة التي لم يمن بها الربّ السخيّ الّا على العذراء الجزيلة قداستها والفائقة طهارتها ونقاوتها منذ اللحظة الاولى لتكوينها في حشا والدتها القديسة حنة ؟

ويحق لكنيستنا السريانية خصوصاً ان تفتخر الافتخار كله لان اولى البيّنات الصادعات الساطعات التي دبّج بها الحبر الاعظم المالك سعيداً رسالته المومأ اليها عن عصمة العذراء من الخطيئة الاصلية قد نقلها عن تصانيف أبينا مار افرام السرياني ملفان الكنيسة الكاثوليكية وهي : « انك يا يسوع قد أحرزت انت وامك البهاء كله . لانكما وحدكما منزّهان عن كل عيب ! » .

ولعمري اذا كانت زيارة العذراء القديسة لنسيبتها اليشاع قد قدّست يوحنا جنينها وهو بعدُ في مستودع أمه أفيكون مستغرباً وعجيباً ان تحبل بها أمها دون وضر أو دنس ؟ حاشَ والف كلّا !

على اننا في مقالنا هذا نعمض عن سرد جميع الصفات البديعة النادرة التي أطلقها آباؤنا السريان عن العذراء الطاهرة . ونقتصر عن ذكر ما حبّروا به تآليفهم من الصفات الشائقة المنوطة بحبلها النقي دون درن اصليّ ودون وصمة البتة . فقد صرّحوا بانها عليها السلام تضارع ابنها القدوس بنقاوتها وقداستها .

وانها تفوق الكواريب والسواريف وجميع الاجناد العلويّة بطهارتها . وانها لؤلؤة يتيمة لا درن فيها اصلاً . وهي هيكل طاهر نقيّ استقرّ فيه يسوع ابنها ربّ القداسة . وتابوت العهد . وجزّة جدعون وطلّها . وعرش الاله العليّ . وام الحياة والخلاص . وسماء ثانية حلّ فيها رب السماوات يسوع القداسة . وهي الماحقة لعنة آدم وحوّاء والديها والمعيدة اليها والى ذرّيتها حالة البرارة الاولى الخ الخ .

بعد هذا التصريح الواضح الجليّ رأينا ان ننقل عن السريانية ما اثبته مشاهير آبائنا في قصائدهم الرنّانة الخالدة عن هذه الحقيقة الدينية الراهنة :

اولاً : الخيل بلا دنس ومار افرام الملفان الكبير (٣٧٣ ✝)

أنشد مار افرام في باكورة قصائده المشهورة بقصائد نصيبين[1] مخاطباً يسوع فادينا عزّ شأنه :« انك انت وأمك وحدكما تسوان جداً وتفوقان الجميع . اذ لا عيب فيك ولا شائبة في أمك » . وأردف : « نسجت مريم حلة المجد ووشحت أباها الذي تعرّى بين الاشجار .وسترت عريه . حوّاء امرأته اسقطته والعذراء ابنته أنهضته فانتصب جذلاً مجبوراً » . واستلى :« بكَ يا ربي وبأمك اجتمعت الكمالات بأسرها من كل وجوهها . فلا عيب فيك ولا شائبة في امّك ... لقد أحرزت يا يسوع انت ووالدتك البهاء كله . لانكما وحدكما منزّهان عن كل وصمة » .

وكتب في نشيد بشارة العذراء :« ان مريم هي حديقة الله العليّ . وليس فيها شجرة معرفة الخير والشرّ ولا حيّة تغري وتطغي ولا حوّاء تهلك وتردي. لاح المخلص من مريم واعاد المنفيين الى السماء . »[2]

وكتب في وصفه انتقال العذراء الى السماء : « مرحباً بنفس نقيّة مقدسة لم تتلوّث قط بخطيئة ? مرحباً بجسد نقيّ طاهر أعاد الحياة الى آدم ... ان

---

١) هذه القصائد نشرها الاستاذ غوستاف بيكل الالماني عام ١٨٦٦ وصرح في المقدمة ان اقوال مار افرام عن الحبل بلا دنس قد حملته ان يهجر البروتستانية وينضم الى الكنيسة الكاثوليكية عام ١٨٦٥ ثم ارتقى الى الرتبة الكهنوتية عام ١٨٦٧ وتوفي عام ١٩٠٦ بالغاً ٦٨ سنة .

٢) قنفيث ١ : ١٢١

الروح القدس قد اعفى مريم من لعنة الامّ الاولى ، لانها لم تفتح بابا للخطيئة »[1].

وانشد كذلك : « ان للعذراء الطاهرة ربوات من المحاسن الجميلة لا ادري باي منها اقرّظها . فهي والدة الله وهي اعجوبة العجائب والسماء الثانية . وقد حملت حامل البرايا طرًا باشارته »[2] .

وقد نقل اليونان والسريان الملكيون هذه العبارة الذهبيّة عن مار افرام وهي : « انكِ اكرم من الشاروبيم وأرفع سموًّا من جميع الطغمات السماوية » . وأدمجوها في انشودتهم الشهيرة « بواجب الاستئهال حقًا نغبط ... » وهم يترنمون بها بنغمات شتى[3] .

ثانيًا – الحبل بلا دنس والقديس ربولا مطران الرها (٤١٢–٤٣٥)

شُغف هذا القديس الجليل بمحبة والدة الله العذراء المجيدة . وأبدى في مواعظه وكتاباته واناشيده محاماته خصوصاً عن أمومتها الالهية . وارتحل الى قسطنطينية والقى في كنيستها الكبرى خطبة باللغة اليونانية مفندًا ومزيفًا دعوى نسطور الملحد . وراسل في هذا المعنى صديقه مار قرلس الاسكندري[4] . ويكرم السريان الملكيون تذكاره في ٩ ايلول[5] والسريان في ١٧ كانون الاول.

ونظم مار ربولا الاناشيد اللطيفة بعنوان « ܒܥܘܬܐ » ابتهالات تعدّ نغماتها الرخيمة من أعذب النغمات وأشجاها وأشدّها تأثيرًا في الافئدة . نثر في تضاعيفها دررًا نفيسة قدّمها للعذراء الطاهرة . نقتطف منها ما له صلة بموضوعنا :

أنشد في الابتهال الاول :

« يحييك الجميع ايتها القديسة والدة الله مريم . يا كنزًا ثمينًا ونبراسًا لامعًا يضيء المسكونة كلها ... يا هيكلًا طاهرًا نقيًا لبارئ البرايا جمعاء ... لقد حيرني يا اخوتي رونق مريم الفائق البهاء ... فهي فتحت ينبوع الخلاص وغدت أسمى وأرفع من الملائكة ! من تراه لا يغني بتذكارك ايتها العذراء الطاهرة الفائقة القداسة ؟ ومَن لا يكرّم عيدك يا ام الله ؟ انك أسمى وأبهى من السماء عينها ! » .

---

١) فنتيث ٦ : ٤٠٦

٢) الاشحيم ١٣٧

٣) المشرق ٣١ : ١٩٣٣ : ٨٨٤ .

٤) اخبار الشهداء والقديسين : طبع الاب بولس بيجان ج ٤ : ٣٩٦–٤٧٠

٥) كلندار الكنيسة الانطاكية (المشرق ٥ : ١٩٠٢ : ٦٨) .

وأنشد في الابتهال الثاني :

« عليك السلام يا مريم والدة الله الكلمة العليّ . أيتها العذراء الطهور القديسة . عليك السلام يا سماء ثانية لكلمة الآب الازلي . . . أنا استناداً الى الايمان الحق نعظم ام الله المفعمة قداسة . ولكن انى يتاح للسان الترابي ان يرتقي مديحها وقد قصر الملاك عنه في تقريظها ؟ »

وترنم في الابتهال الثالث :

« اصبحت يا مريم مدعاة الى خلاص جنسنا المؤمن . ومجلبة للخيرات والبركات ومجددة لحقنا . . . كيف يتيسر لنا ان نقرظك ايتها الفيفة ؟ انك وحدك فريدة بالقداسة . ومنك تتدفق الخيرات والبركات لجميع المؤمنين . . . وطدي ايماننا وأنيري العالم كافة » .

وهتف في ابتهاله السادس :

« ان أمرك ايتها النقية الطاهرة يدهش الملائكة عينهم . لانك ولدت وانت عذراء ابن الله المساوي لوالده . وقد اتخذ جسداً من طهارتك لينقذ آدم وذريته » .

وترنم في ابتهاله السابع :

« انحدر ابن الله الى مستودع بنت داود فرفع راس جنسنا الذي خفضته مخالفة الوصية . هو الكريم الذي خلق من مريم بنت داود لعنة حواء واتّلد منها » .

أخيراً يحدثنا مار ربولا المغبوط بنشيده التالي البديع عن عواطف العذراء المفعمة رقة وعذوبة وروعة ومهابة فيقول :

« تتساءل مريم قائلة : من مثلي عزيزة قديرة حملت رب الملوك ؟ في صوّر الملهمون أجمع والانبياء كافة اسرارهم وألغازهم وأمثالهم . اني أسمى من الملائكة وأقدس من أجواق السوارفيم !! هذه هي ابنة داود . فيها نشأ غصن الحياة والخلاص الذي اياه تسبح . ولوالدته نقرظ جميعا ! »[1] .

ثالثاً — الجبل بلا دنس ومار اسحق الملفان († ٤٦٠) .

. أزهر مار اسحق الملفان في القرن الخامس وكان رئيس دير كبير في ضواحي انطاكية . واشتهر في عهد المجمع الافسسي ٤٣١ والمجمع الخلقيدوني ٤٥١ المسكونيين ، وورد اسمه ما بين آباء المجمع الافسسي[2] . ونظم قصائد دقيقة محكمة[3] فند بها زعمي نسطور واوطيخا الملحدين . وأيد بأبلغ عبارة

١) كتاب الفرض العمومي ٧٧–١٣٧

٢) مخطوطة دير الشرفة ٤–٧

٣) نشرها عام ١٩٠٣ الاب بولس بيجان المذكور في الحير .

وافصح لحجة ان في مخلصنا يسوع اقنوماً واحداً وطبيعتين .

وخلّف مار اسحق خطباً سريانية نقلت الى اليونانية ومنها الى العربيّة . ورجّح الاب لويس شيخو اليسوعي الخالد الآثار ان ناقلها هو ابو الفضل الانطاكي الملكيّ . فرأينا ان نقتصر منها على ما اثبته الملفان القديس بشان الحبل النقيّ بالعذراء القديسة قال :

« استحقت السيدة العذراء الشرف والبهاء والجلال والرفعة بالكمال على طغمات الملائكة . . . اليوم يعزي آدم جفنا عرم القديسة المباركة الجليلة المجيدة الطيبة الآدمية . ملكة السلالة الانسية . الطاهرة النقية التي لم يوجد في الاجيال الناشئة اطهر منها جسداً ! القديسة التي لم يوجد في البرايا العقلية اقدس منها نفساً !

« ان الجليلة في النساء نالت نعمة الله باصطفائه اياها ليتجسد منها ويتأنس من قداسة دمائها . فلم يكن في الاولين من يضاهي طهارتها . ولا صار في الاخرين من يشاكل قداستها . ولن يصير ذلك قط !. .

« فلنبادر اجمعين الى اكرام سيدتنا وملكة طبيعتنا مادحين جمال طهارتها . موقرين دوام بتوليتها . مكرمين سمو قداستها . يا فخر البنات ويا زينة الامهات . يا والدة لا رجل لها . ويا بتولاً حاملة لولدها . يا عجباً عجبت منه الملائكة والانبياء والمرسلون . وعجزت الملائكة الاقدسون !

« فاشفعي بنا يا من لا تُرد شفاعتها ولا تُخيّب طلباتها . القريبة من اللاهوت الازلي والثالوث المتصري . الفائقة العلوّ على المواكب الشاروبيمية . العالية السمو على الصفوف الساروفية . . لكي نصل بشفاعتك عند انتقالنا الى الخير الدائم والتنعم في ملكوت السماوات والسكنى في دار الحياة »[1] .

رابعاً — الحبل بلا دنس ومار يعقوب اسقف سروج (٤٥١ — ٥٢١)

نظم مار يعقوب اسقف سروج الملفان الكبير قصائد مستملحة جمة في تقريظ مناقب العذراء الشائقة النادرة . نكتفي منها بخلاصة ما نثره من اللآلئ اليتيمة في قصيدته البديعة بعنوان « تقريظ العذراء الطوباوية والدة الله مريم » . التقط منها آباء السريان الموارنة شذرات أدمجوها في « الاشحيمة » اعني الصلوات الاسبوعية[2] وقس عليهم آباء السريان الكاثوليك والسريان الباقية .

وغير خافٍ ان فريقاً من المستشرقين وغيرهم زعموا ان مار يعقوب لم يكن ارثوذكسياً قحاً او بالاحرى كاثوليكياً محضاً . فتجردنا لتزييف زعمهم ونشرنا

---

١) المشرق ١٧ : ١٩١٤ : ٢٧٥ — ٢٦٧

٢) صفحة ١١٣ و٢٨١ و٤٤٨ الخ .

في هذا الصدد عام ١٩٤٦ كتابا دعمناه باصدع البراهين وأدمغ الحجج . وكتب لنا رهط من الائمة المدققين يحبذون ما أثبتناه وقررناه . نخص بالذكر منهم البحّاثة الشهير الاب بولس پترس اليسوعي البولندي . اذ نشر في هذا الصدد مقالا مستوفى[1] .

بعد هذا الشرح الوجيز نعرّب نبذا من القصيدة المنوّه بها قال :

« دعتني العذراء الجزيلة القداسة لامدحها . فلننق سمعنا ولنصغ الى خطابها النقي البهي لئلا تلحقنا ملامة او حقارة . فهي السماء الثانية حلّ في مستودعها رب الاعالي ولاح منها لينشر غياهب الظلام عن الاقطار . هي المباركة في النساء استأصلت اللعنة من الارض ووضعت حدّا للعقوبة . هي العفيفة النقية المملوءة محاسن القداسة . يعجز لساني عن استيعاب اوصافها . . هي حواء ثانية ولدت الحياة للموتى ومزقت صكّ امها حواء وكفّرت عنه . مدت يدها الى امها العاثرة وانهضتها من ورطة الحية القتالة . هي ابنة سجت حلّة المجد ووشحت بها اباها وتلافت عُريه بين الشجر . هي مقصورة جنة زاهية شادها الملك ودخلها وحلّ فيها ولم تُفتح ابوابها بعد ما غادرها . . . لا نظير لها اصلا بين العذارى والقديسات والعفيفات ولا بين النساء والوالدات والجاريات .

« اني امدح مريم متعجبا محتارا . لا ادري الى اي ذروة سامية ارتفعت ابنة البشر . فهل انحدر ابن الله تكرما وتفضلا ام هي اعجبته فاصطفاها امّا له ؟ من الواضح الجلي ان ابن الله العلي هبط الى الارض تكرما فرحبت به مريم لان قداستها تفوق كل قداسة . نظر الى تواضعها وحلمها وتفاوتها وحلّ فيها . ولمّا كان التواضع حدّ الكمال استأثر الله العلي الحلول في المتضعين .

« اشتهر بالتواضع موسى وابرحيم ويوحنا المعمدان وغيرهم ممن شارعهم . بيد انهم لم يبلغوا اصلا ما بلغته مريم بتواضعها . وبرهاننا على ذلك انه لم يرتق احد الى ما ارتقت اليه مريم . فلو شوهدت عذراء أطهر وأنقى من مريم لحل في تلك وعدل عن مريم . ولو وُجدت نفس أطهر وأقدس من نفس مريم لاصطفاها واهمل مريم . فقد نظر سبحانه النساء كافة وانتقى منهن أجملهن وأقدسهن . . . انحدر من السماء وحل في العذراء المجيدة لانه لم يكُ لها نظير في الدنيا . . . عذراء وضيعة نقية طاهرة مترفعة عن الدنس استحقت ان تكون امه . . .

« رضي عزّ شأنه ان يستقرّ في هيكل فريد بقداسته وهو مستودع مريم المتلالئ بالبتولية . وعرف انها مفعمة كلها بخواطر مقدسة . ومزدانة بمحاسن طبيعية وارادية . ومترفعة عن كل درن ووصمة . لاحت منذ الحبل بها دون شائبة . وسارت في طريق قويمة دون جريرة البتة . طبع نزيه . مزدانة بمزايا جميلة نقية . عذراء بجسدها . قدوسة بنفسها دائما وابدا ! . . .

« عرفت انها صارت امّا لابن الله الازلي فآمنت وصدقت انها هي وحدها أطهر وأقدس من كل من في الدنيا . شاء الآب القدوس ان يختار امّا لابنه فتريث زمنا حتى اصطفى فتاة كلها محاسن خفية وجلية . فريدة ممتازة بقلب نقي لتدرك ما صح فيها من الاسرار . . .

[1] *Analecta Bollandiana*: Tome LXVI, 1948 . Page 134-198

البابا بيوس التاسع
محدّد عقيدة الحبل بلا دنس

ولد في ١٣ اذار ١٧٩٢ . تسلم العرش البابوي في ١٦ حزيران (١٨٤٦ - ١٨٧٨) . مدة ٣٢ سنة . وهي أطول حبرية في تاريخ الكنيسة .
حدّد عقيدة الحبل بلا دنس في ٨ كانون الاول ١٨٥٤ . وايضاً العصمة البابوية في المجمع الفاتيكاني في ٨ كانون الاول ١٨٧٠ .
توفي في ٢ شباط سنة ١٨٧٨ بعد حياة هي سلسلة فضائل وجهاد وامجاد .
قبل دعوى تطويبه وتثبيته البابا الطوباوي بيوس العاشر ١٩٠٤ .

فانه عز وجل يحب احزان الاختياري ويثني على المدينة الصالحة اذا أرضته. وعدد العذراء التي افرزتها قد اعجبته فاصطفاها اماً لانه لانها تفرّدت بتواضعها وطهارتها واستقامتها ومشيئتها الصالحة. فلو كانت نفسها مشوّهة بوصمة او دنس لاصطفى بدلاً منها اما منزهة خالصة من كل شائبة . . .

« فجمال مريم يفوق كل جمال على الاطلاق. ولم يظهر في الدنيا بأسرها جمال أبدع وأروع منه! تنقّت مريم في مستودع امها من كل وصمة مثلما تنقى يوحنا المعمدان والنبي ارميا وملكيصاداق المشاهير العظام .

« هي عهد البؤس والشقاء الذي فتك بآدم واقبل عهد الصلاح . . . فعوضاً عن حواء التي سجلت اثمها بين الشجر وافت مريم ابنتها فكفرت عن دينها ودين آدم. . . جددت مريم البنيان الذي قوّضته الحية . « وحيث كثرت الخطيئة هناك طفحت النعمة » (روم ٥ : ٢٠) لتنجي آدم. ثم ان الحيّة لم تسلّم على حواء لانها لم تقصد الّا الغش والخداع والغواية والهلاك . اما جبرائيل سفير ابن الله الذي قفد جاء مريم ببشرى الفداء والخلاص . حياها بالسلام وبلّغها بشرى الخلاص والامان . . . وبقدر ما استوجبت حواء اللوم بسبب صمتها بقدر ذلك استحقت مريم الشرف والثناء بحديثها مع الملاك . . . »

وختم مار يعقوب الجليل قصيدته هذه البديعة بابياتٍ اقتضبها من تصانيف مار افرام قال :

« تجلت لنا مريم مثل رسالة مختومة انطوت على اسرار الرب وغوامضه. فجسدها الطاهر النقي يحاكي قرطاساً ناصع البياض دوّن فيه كلمة الله اسمه . على ان ابن الله هو الكلمة والعذراء هي الرسالة التي سجل فيها صكّ العفو والغفران لجميع المذنبين . . . هنيئاً لها لان جمال قداستها يفوق كل جمال وقدرتها منتشرة في كل الاصقاع . طوبى لها لانها جددت ذرية آدم وانتشلتها من سقطتها . عليها السلام لان جسدها لم يتدنس قطعاً وأصلاً . . . »(1)

ليت شعري ايُّ عقل لا يقتنع ببراهين هذا القديس الملفان الثابتة ؟ أم ايّ قلبٍ لا يطرب بنغماته الساحرة وتعابيره المسجدية ؟ أم ايّ لسانٍ يتيسر له ان يسترسل مثله في مديح حبل العذراء المغبوطة المنزّه عن كل وضر او دنس او شائبة ؟

خامساً – الحبل بلا دنس والصلوات القانونية الاسبوعية

انطوت الصلوات القانونية الاسبوعية على مُلَحٍ لذيذة عديدة بشأن الحبل البريّ من الدنس فرأينا ان نعرّب منها ما يلي :

١ً – صلاة يوم الاثنين

« ان العذراء مريم هي حقل مبارك أينعت فيه سنبلة الافراح . . . وهي لؤلؤة لا درن فيها مدبجة في تاج الملك : اينما توجهت لاح سناؤها وبهاؤها كالشمس » .

(1) نقلاً عن ملحق كتاب مار سهدونا . طبع الاب بولس بيجان ٦١٤ – ٦٢٩

٢ – يوم الثلاثاء

ان مريم هي مقصورة الاقداس . انحدر الملك واستقر فيها . . . هي سماء جديدة حملت الله الكلمة . . . بشري مريم اقبلت نعمة امنا الاولى . وبث ثغرها بالخلاص . . . ايتها العذراء القديسة تصادرت بعوسجة موسى . فالعوسجة تشير الى جسدك الطهور واوراقها التي لم تحترق تشير الى حصانتك » .

٣ – يوم الاربعاء

أرصدت الكنيسة السريانية يوم الاربعاء للاحتفاء بذكرى العذراء المجيدة. ففي صلاة ذلك اليوم تقول :

« فليكن تذكار صالح في الاقطار الاربعة في الكنائس والاديار للعذراء مريم الطاهرة الفائقة القداسة بتوليتها . استحسنها ملك الملوك وانحدر فاستقر في مستودعها . . . تشبه العذراء سحابة جسية وسماء لاح فيها شمس البرارة . . . هي مركبة خفية حملت حامل السماوات والارض . . . المجد للآب القدوس الذي ارسل ابنه القدوس فانحدر وحل بالقداسة في حشاء مريم الطهور الاقدس . . . هنيئا لك ايتها المقصورة الحافلة بزينتها . فيها رحبت بالبناء العلوي : حامل وانت بكر . ولدته ولبثت طاهرة نقية . . . اصبحت مريم سماء ثانية ثوى فيها ابن الله القدوس بقداسة . . . تجسدت يا كلمة الله الحي حينئذ من مريم المغبوطة المتفرّدة بطهارة نفسها وقداسة جسدها . . . رحبت مريم بالمطر السماوي وأثمرت باقة الافراح وأشبعت البرايا » .

٤ – يوم الخميس

ترتئف البرايا وتقول :

« السلام معك ايتها العذراء والدة الله المتمة بمحاسن القداسة . ابتهلي الى ابنك ليمنح الكنائس والاديار امانا وسلاما براقته وشفاعتك . . . السلام عليك يا احلى النساء المتمة بمحاسن . عليك السلام يا سحقا منشورا على البرايا . عليك السلام ايتها البرارة التي لم تشوه بوصمة » .

٥ – يوم الجمعة

« لم يظهر قطعا ما بين العذارى والشابات في الاجيال بأسرها مثل مريم . وليس الذهب الابريزي ولا اي جمال كتناوتها وجمالها . . . سقيا لك يا درة نقية لا وضر فيها ولا دنس . شاهد الملك عفافك فانحدر وتجسد فيك ليعتق آدم وذريته من عبودية الخطيئة » .

٦ – يوم السبت

« مثلك موسى بالعوسجة وداود ابوك بقبة العهد . وجدعون بالجزة والطل . ويعقوب بسلم ارتقى فيه البشر الى السماء . . . في الحق انك مثوى الله الذي لاح منك وكرم تذكارك وعظمه . . . أصبحت العذراء باكورة ومنها تسلسل الخلاص . . . سبحان الله العلم الذي

سبق فاصطفاك ضد القدم ايتها العذراء القديسة . والشكر ليسوع ابنك الذي شاء فاتخذ جسداً منك . والتمجيد للروح القدوس الذي اتخذك هيكلاً وحلّ عليك . . . فليكن تذكار في الكنائس والديورة للعذراء النقية مريم والدة الله المتفرّدة بطهارتها وقداستها . . . لاحت العذراء سماء جديدة . فيها لاح شمس البرارة واضاء المسكونة ومحق ظلام الضلال . تبارك الذي اتلد منها وعزّ تذكارها » .

سادساً – الحبل بلا دنس وتعاظيم العذراء

المراد بالتعاظيم تقاريظ للعذراء نسبة الى اللفظة الاولى من تسبحتها الشائقة: « تعظم نفسي الربّ وتتهلل روحي بالله مخلّصي » يتلوهـا السريان كل يوم في صلاة الليل . ويترنّمون بها في الآحاد والمواسم ليلاً وصباحاً . والى القارئ ما نعرّبه عنها مما ينوط بموضوعنا :

١ : اننا نبجّلكِ ونمجّدكِ ونكرّمكِ يا والدة الله . لان مستودعك الطاهر قد اتسع فحوى ابن الله الذي لا يحصره حدّ . انكِ أسمى من اجواق السماويين وأرفع من أجناد الكروبيين الكثيري الاعين .

٢ : ان محاسنكِ السامية ايتها النقية تذهل العقول وتدهش الالباب . انك امّ عذراء بتول والدة الله . وعروس مزدانة بالمحاسن جمعاء ... تحتار العقول لدى تأملها مجدكِ وبهاءكِ ايتها القديسة . وتكلّ الالسن عن وصف مناقبك . فانت مقصورة حافلة بالزينة حلّ فيها يسوع الملك . وانتِ سفينة منحتنا كنز الحياة ...

٣ : اننا نبجّلك يا والدة الله العذراء . يا نقية طاهرة بجسدها . واضحت نفسها خزن الاقداس . وحوى مستودعها باعجوبة باهرة الاله الذي لا حد له .

٤ : ينشد الاكليرس في النغمة السابعة : عليك السلام ايتها العذراء الطاهرة القديسة . يا لؤلؤة لا درن ولا عيب فيها .. قد حملتِ ابن الله الجبار حامل البرايا . اياك تغبط القبائل جمعاء . . . هنيئاً لك ايتها العروس الشريفة يا والدة مانح النور . ابتهجي لانكِ حملتِ في مستودعكِ من لا تسعه الخلائق طرّاً . افرحي خصوصاً ايتها الكريمة لانكِ اسمى من الكراريب ! فاستأهلت ان تحملي فادي النفوس .

٥ : وينشدون في النغمة الثامنة : اننا نمدحكِ بنغمة حلوة واناشيد روحية يا ام الربّ ملك الملوك السماويّ . لقد ولدتِ كلمة الآب باعجوبة باهرة

فوق العقول جميعها . فاسترنا وارفع من جميع احزان المسيحيين !

اخيراً يرتل الكاهن في جميع الصلوات القانونية مساءً وصباحاً وفي الساعة السادسة استغفارية عمومية يصدرها بهذه الصفات الكريمة فيقول :

« يؤدي الحمد لله السامي المجيد الذي شرف تذكار والدته في السماء والارض – وتقدم مدونة صلوات الساعة الطويلة الآن عندها قبائل الارض القديسة المجيدة المباركة الرفيعة الشأن الدائمة البتولية المؤمنة والدة الله مريم » .

سابعاً – الحبل بلا دنس وبطاركة السريان الكاثوليك

١ – البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان (١٦٦٢ – ١٦٧٧)

هو اول بطريرك سرياني كاثوليكي جاهر بعقيدة الحبل بلا دنس ، ذلك ان الاب يوسف بسون اليسوعي لما عرض عليه هذه القضية في حلب صرّح قائلاً :

« اني اثبت ما عرضه عليّ الاب يوسف بسون اليسوعي في أمر براءة العذراء مريم الكلية الطهارة من الخطيئة الاصلية . وأقر بانه موافق للتعليم الارثوذكسي كما أعلنه كثيرون من الاباء الاقدمين ومن ملافنة الكنيسة السريانية »[1] .

٢ : البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة (١٧٨٣–١٨٠٠)

نُكب هذا البطريرك المغبوط نكبات فظيعة فتاكة في اسفاره الشاقة انقذته من غوائلها مريم العذراء القديرة . وكان يحمل صورتها الكريمة المنقوشة على خشب ويستغيث بها في ملماته كلها . ومنذ السنة ١٧٧٤ حتم على اولاد ابرشيته الحلبية ان يحتفلوا بعيد الحبل بلا دنس . ثم نهى عن تقريب الذبيحة الالهية اي كاهن لا يسبق فيرتل في الصلاة الفرضية « تعظيمة » العذراء الجليلة[2] . ولما وصل الى لبنان عام ١٧٨٤ شاد باسمها المبارك دير الشرفة تيمناً باسم العذراء « سيدة النجاة » .

٣ – البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري (١٨٥٣ – ١٨٦٤)

في ٣٠ تشرين الثاني ١٨٥٣ عقد اساقفة السريان مجمعاً في دير سيدة النجاة بالشرفة واصطفوا بالصوت الحيّ السيد يوليوس انطون سمحيري مطران ماردين بطريركاً انطاكياً . فسألهم ان تقام حفلة تنصيبه في ٨ كانون الاول تيمناً

١) المشرق ٧ : ١٩٠٤ : ٤٠٢

٢) مخطوطة دير الشرفة ١٩ : ٢

بعيد الحبل الطاهر بسيدتنا مريم العذراء المغبوطة . وكان قد بلغه صدى صوت إمام الاحبار البابا بيوس التاسع الطيب الاثر مذيعاً تلك الحقيقة الدينية محرضاً اولاده الكاثوليك عرباً وشرقاً ان يقيموا في اثناء السنة ١٨٥٤ حفلات يوبيلية تكريماً للعذراء البريئة من الدنس استمطاراً لنعمها وبركاتها .

وفي حزيران السنة عينها ارتحل البطريرك الى عاصمة الكثلكة ووشحه ابو المؤمنين في ٢ تموز بالدرع المقدس . ومما صرّح به البطريرك يومئذٍ لقداسته انه معوّل ان يؤسس كاتدرائية في ماردين مركز كرسيه تيمناً باسم العذراء المنزهة عن كل وصمة ودنس . ابتهج الحبر الروماني الابتهاج كله وكتب رسائل توصية الى احبار فرنسة وبلجيكة وهولندة وزعمائها ليساعدوا البطريرك الانطاكي في انجاز رغبته المقدسة . فزار البطريرك تلك المواصم وانثالت عليه الحسنات السخية والتحف الثمينة وعاد الى رومية يؤدي حميم الشكر لخليفة شمعون الصفاة ومنها سافر الى ماردين ووضع اوّل حجر لبنيان الكاتدرائية المريمية ودشنها في ٥ آب ١٨٦٠ باحتفال منقطع النظير اذ كان جمهور المؤمنين يذرفون دموع البهجة والشكر لله عزّ وجلّ ولسلطانة الحبل بلا دنس ولبطريركهم المحبوب.

ولم يكتف البطريرك بذلك بل سار الى الموصل وطنه واسنى لاولاده المواصلة ٨٠ الف عرش ذهباً لتشييد كنيسة كبرى باسم « العذراء الطاهرة » واضاف الى ذلك المبلغ مبلغاً ثانياً لاجل انجازها وقس عليها كنيسة بغداد . واتصف هذا البطريرك الطيب المآثر بفرط غرامه بالعذراء فابتنى باسمها المبارك عدة كنائس . واعتاد في اواخر عمره ان يجتمع عشية كل يوم بابنائه الكهنة ويتلو معهم السبحة الوردية . وانتقل الى راحة الابرار في ١٦ حزيران ١٨٦٤ وهو يهتف ذات المرار « يا عذراء ! يا عذراء ! » .

٦ — البطريرك اغناطيوس افرام رحماني (١٨٩٨ — ١٩٢٩)

اغتنم هذا البطريرك المغبوط فرصة مرور نصف قرن على اعلان عقيدة الحبل بلا دنس فاقام في كنيسة بيروت عام ١٩٠٤ حفلات تقوية جميلة دعا اليها السادة الاساقفة الكاثوليك واكليروسهم . وفوّض الى رهط منهم ان ينظموا بلغات شتى تقاريظ للعذراء الطهور الجزيلة قداستها . فلبوا طلبه وانتهت الحفلات على اتم ما يرام من الرونق والابهة والخشوع . وختمها البطريرك الجليل بموعظة

رائعة عدد فيها مناقب العذراء. ولا سيما الحبل بها المنزّه عن كلّ عيب ودرن .
ثم اصدر منشوراً في هذا العدد اقتضب اعلب بيناته من آباء السريان ولا سيما
من ابينا مار افرام الملفان الكبير وبعث به الى جميع الابرشيات اللائذة بكرسيه
الانطاكيّ . واستصنع اثنتي عشرة نجمة ذهبيــة كلل بها تاج صورة العذراء
الكبرى في دير سيدة النجاة بالشرفة .

٥ – الكردينال البطريرك اغناطيوس جبرائيل تبوني (١٩٢٩ –)

نُكب هذا الحبر الانطاكي المغبوط بتهمة فظيعة كادت تقضي على حياتــه
الثمينة . ذلك انه صباح اول ايار ١٩١٨ قُبض عليه في مــاردين واستيق الى
المحكمة وصدر الامر بنفيه . وفي ١٧ حزيران غادر ماردين ابرشيته وسافر
الى حلب مخفوراً بالجند . وفي ٢٢ الشهر عينه استُــدعي الى دائرة الاستنطاق
فلم يثبت عليه المستنطق حجةً فاعادوه الى السجن وانزوى فيه حتى السبت ١٠
آب وهو يستغيث بربّ الرحمات وسيدة النجاة لينجو من تلك الغائلة الفتاكة .
ويوم الخميس ٥ ايلول استيق المطران المحبوب الى جبل سمعان وحُشر في مغارة
ضيقة مستكرهة . وظلّ الاب يوسف ربّاني[1] الهمام يفرغ الجهود كليــا في
تخفيف الشدة عن مطرانه الجليل ويودّ لو يفتديه بنفسه غير مبالٍ بمــا يحيق به
من الخطر . وفي ٢٩ ايلول استُدعي تكراراً المطران جبرائيــل البريّ الى
المجلس العرفي ثم أُعيد الى سجنه .

استيقن المطران المحبوب بدنو الاجــل بسبب استحكام الوهن في جسمه
وتفاقم عذابه فلم يرَ الّا ان يجدّد ثقته البنوية بالعذراء سيدة النجــاة وامّ
الخلاص صباح اول تشرين الاول معتقداً الاعتقاد كله بانها تنقذه من تلــك
الورطة في احد ورديّتها المباركة . وقد أنجته تلك العذراء القديرة الكريمة في
ذلك النهار عينه وسارع الى كنيستها في حلب وجثا يشكر للعناية الربانية عميم
فضلها وللعذراء الكريمة وفور جميلها . وعند المساء حمل صورتها المقدسة وطاف
بها في الكنيسة بين اناشيد الاكليرس والمؤمنين.

على هذا الاسلوب أنقذت العذراء العطوف ابنها الوفيّ فنذر عربوناً لولائه

[1] ارتقى عام ١٩٢٩ الى الكرامة الاسقفية ليرعى ابرشية حمص وحماة وتوابعها .

ووفائه لجميلها واحسانها ان ينشر عبادة ورديتها ويسميها شفيعة ومحامية خصوصية للطائفة السريانية جمعاء. ثم اذاع عام ١٩٣٥ رسالة رعوية بديعة استرسل فيها في وصف مناقبها النادرة ومزاياها الحلوة شفعها عام ١٩٥٠ برسالة ثانية في فرصة اعلان انتقالها بالنفس والجسد الى النعيم السماوي. وصمم ان يعزّز ديرها في الشرفة بلبنان فاخذ منذ عام اول يونس بجانبه بناء فخماً ضخماً. وما برح العملة يشتغلون به. كافأته العذراء السخية باغزر البركات واوفر النعم وأطول الاعمار.

٦ – السيد اقليميس يوسف داود مطران دمشق (١٨٧٩ – ١٨٩٠)

جاد المولى السخيّ على هذا الحبر النبيل بتوقّد الفكر واتساع النظر وطول الباع في شتى العلوم واللغات. فصنف كتباً جمة تُعدّ من أثمن الخرائد وأدق المواضيع. وتفرّغ مدة عشرة اعوام للنظر في كتب الفرض القانوني وتصحيحها وتنقيحها وضبطها بالشكل الكامل. وجعل منذ السنة ١٨٨٤ ينشرها بالطبع. ودبّج المجلّد الاول الخصوصي بصلوات قانونية يترنّم بها الاكليرس في عيد الحبل النقيّ من الدنس صنف هو معظمه ونقل بعضه عن أيمة السريان واللاتين. فجاء فرضاً جميلاً بديعاً يستحق لاجله ثواباً وافراً من العذراء ام العفاف والطهر والقداسة وثناء جزيلاً متواصلاً من الاكليرس السرياني. تغتمد الربّ نفسه باغزر رحماته.

هذا ونضرب الصفح عن احصاء الكنائس التي أسسها آباؤنا المغبوطون في مختلف الابرشيات تبركاً باسم والدة الله المنزّهة عن كل وصمة. أقدمها كنيسة سيدة الانتقال في حلب وسيدة النجاة في دير الشرفة والحبل بلا دنس في ماردين والطاهرة في الموصل وكنيسة الحبل بلا دنس في بغداد. وقس عليها كنيسة البصرة وكنيسة دير الزور وكنيسة قطنة بدمشق وكنائس النبك وحماة وزيدل بابرشية حمص وسيدة نياي بالقاهرة والاسكندرونة والبشارة ببيروت والانتقال في الحسجة والقامشلي الخ الخ. نضيف اليها كنيسة العذراء في كمبو مارسيو برومية العظمى وقد منّ بها على الطائفة السريانية البابا بندكتوس الخامس عشر الطيّب الآثار والمآثر. وكنيسة الانتقال التي جاد بها الآباء الفرنسيسيون الافاضل على السريان في طرابلس.

ويقيم السريان كل عام ١٢ موسماً للعذراء الجليلة : ١ : موسم الحبل بها بلا دنس . ٢ : ميلادها . ٣ : تقدمتها للهيكل . ٤ : احد بشارتها . ٥ : عيد بشارتها . ٦ : زيارتها لاليشباع . ٧ : تهنئتها بميلاد المخلص وحيدها . ٨ : تقدمتها ابنها في الهيكل . ٩ : انتقالها الى السماء . ١٠ : استمناح بركتها للزروع . ١١ . وكذلك للسنابل . ١٢ : الكنيسة الاولى التي تأسست باسمها . وننبه القراء النجباء ان عيد انتقال العذراء يدعى كذلك « عيد الجفنة » . فالسريان يستغيثون بالعذراء في مواسم انتقالها ومباركتها الزروع والسنابل مستمنحين بركتها للقمح والعنب كي يُعَدّا للبرشان والخمر في تقريب القدّاس الالهيّ .

الخاتمة

يحقّ إذن للكنيسة السريانية ان تجاهر على رؤوس الملأ بافواه جميع أيمتها العظام وملافنتها الاعلام مصرّحة بان قداسة العذراء والدة الله عزّ شأنه تضاهي قداسة ابنها يسوع قدّوس القديسين . وقد جاد الرب السخي عليها بهذه النعمة المتألقة منذ اللحظة الاولى لحبلها في حشاء امها حنة بأقدس قداسة وأكمل طهارة وأسمى نقاوة . فهي أقدس من السرافين وأرفع من الكواريب واكمل من جميع اجناد العلويين وكفى .

تلك زنبقة جنيناها من روضة الكنيسة السريانية وزففناها الى القراء الاحبة ليضاعفوا شغفهم بالعذراء الطاهرة النقية من كل وصمة وينعشوا ثقتهم بشفاعتها المقبولة .

ويلذّ لنا ان ننهي المقال بعبارات لطيفة سديدة يختم بها الاكليرس السرياني صلواته القانونية مساء وليلاً وصباحاً هذا تعريبها :

« نجنا يا رب من الشدائد والاخطار . وأنقذنا من النوائل والاهوال . . . بشفاعة وحماية ام الرحمة المتوشحة بالنعمة والانتصار . السماء الثانية . فخر المسيحيين الحقيقيين . العذراء المنزهة عن كل وصمة ودنس . القديسة والدة الله مريم » آمين .

عقيدة الحبل بلا دنس وأئمة السريان الارثوذكس

للخوري اسحق ارملة السرياني

من تصفح تصانيف أئمة السريان الارثوذكس وأنعم النظر في ما كتبوه ونظموه عن سيدتنا العذراء مريم أم الله القدوس تجلى له جزيل اعتبارهم لمناقبها الشريفة الممتازة واستحلى استرسالهم في وصف مزاياها النادرة الوافرة. فتوخينا ان نلتقط منها شذرات تدور حول موضوعنا اعني الحبل بها من امها القديسة حنة دون وصمة او درن.

اولاً : أئمة السريان الارثوذكس

١ : البطريرك سويرا (٥١٢-٥١٩ ✝ ٥٣٨)

هو اول بطريرك انطاكي ناهض عقيدة المجمع الخلقيدوني المسكوني المقدس فعزله البابا اغابيط الروماني (٥٣٥-٥٣٦) وانطلق الى مصر وفيها توفي. وخلف هذا البطريرك خطباً او مواعظ باللغة اليونانية نقلت منذ القرن السابع الى السريانية. نذكر منها خطبته في تعداد مناقب العذراء الفريدة نقلاً عن مخطوطة لندن السريانية (رقم ٨١٤) هذا تعريبها :

« خطبة مار سويرا البطريرك في تقريظ والدة الله مريم الدائمة بتوليتها.

« اني لما اعتزمت ان اقرّظ والدة الله العذراء وأخذت القلم بين انامل لادوّن نعوتها واوصافها شعرت بصوت الاعيّ خفيّ يرنّ في اذنيّ ويقول : اياك ان تدنو من هنا ! ».

ثم طفق الخطيب يستقصي مناقب العذراء الجزيلة قداستها واصفاً طهارتها وتواضعها وعفافها واصوامها وصلواتها المتواترة وقيامها وقعودها مع الفتيات حواليها في الهيكل مورداً ما اشار اليه عنها الآباء والانبياء والملهمون ولاسيما عصمتها من كل شائبة.

٢ : يعقوب الرهاوي (✝ ٧٠٨)

هو في طليعة ناظمي الصلوات القانونية. ومن منظوماته قصيدة يهجو بها نسطور عدوّ العذراء المغبوطة ورد فيها ما تعريبه :

؟ تلد اسير الرجيم عن النسر مند حواء . غير ان العذر . عدت عبه وحطنه . رحبت حواء بذأ الموت فأنتحت الموت . اما مريم فاصحت الى شرة الحياة فولدت احياد والخلاص . في بيان عمرتنا رحمة مريم بوساطة جبرائيل ملاك السلام و اشر الامان » (١

٣ : طيمثاوس مطران جزير (١١٠٩ — ١١٦٣)

نظم هذا المطران الجليل قصيدة افرامية في مديح انتقال العذراء المغبوطة الى السماء بنفسها وجسدها . وهي من أنفس القصائد وأجملها . منها نسخ شتى يطالعها اخوتنا السريان . وقد نشرها برمّتها الاب جبرائيل قرداحي الماروني في « كنز الثمين » (ص ١٤٥—١٥٩) نقتطف منها ما يلي :

« ان العذراء الفائق سموها سموّ السماء قد دُفنت في الارض . . . وعوضاً عن احتفائها يسوع ابنها قد احتفى السواريف بانتقالها . وبدلاً من مناغاتها ليسوع طفلها ترنم جمهور الملائكة بمدحها . . . ما من احد من الانام المختارين المشاهير احب الى يسوع ابنها او اعز منها لديه ! تمت في الابن وامه المساواة والموافقة الكاملة . ساوى ابن الله نفسه وعادلها مع نفس امه مريم ! ليس في السماء او الارض أسمى وارفع من مريم ! فاح من جسدها الاقدس عَرفٌ الاهي استنشقه الملائكة المحدقون بها اجواقاً وصفوفاً . وانتشوا بالاريج الزكيّ الصادر من جسدها الاقدس !

«فديونيسيوس الكبير الاريوفاغي وصف انتقالها هذا العجيب المدهش وعنه أخذنا نحن . باي عطورٍ نكرّم جسدها النقي الطاهر ؟ وباي اناشيد نمدح الهيكل الذي ثوى فيه ابن الله عز شأنه ؟ مع جسد العذراء المقدس انبثقت اشفية وادوية شتى وأبرأت المرضى والسقام . . تحققت الاسرار وصحت الالغاز فيها وفي جسدها المقدس . وأدرك الملائكة والبشر معاً انها ارفع وانقى من السماء فبها وطفقوا يترغون هاتفين : مرحباً بك يا عرش الاله العلي ! يا مركبةً حية ! فاذا كان لله السخيّ يكافئ اصفياءه مائة بدلاً من الواحد فما قولنا في مكافأته للعذراء التي تفوقهم مجداً وقداسةً ؟ فلقد تفرّدت العذراء دونهم بقداستها المصونة عن كل وصمة وشائبة . . . الا ايها البشر ارفعوا رؤوسكم مبتهجين لان مريم بنت داود استحقت لكم السماء !!! » .

ثانياً : الاستغفاريات

يُعَد يوحنا الثالث بطريرك السريان الارثوذكس (٦٣١—٦٤٩) اول من انشأ الابتهالات الاستغفارية . ونسج على منواله رهطٌ صالح من البطاركة والاساقفة ورؤساء الديورة والرهبان . وضُمن تآليفهم هذه الى الصلوات

١) الكنز الثمين : للاب جبرائيل قرداحي ١٨ و١٩

القانونية . وأحصى منها ٣٦ مجلداً البطريرك افرام برصوم المغبوط في لؤلؤه المنثور[1] » . منها سبعة منسوخة على الرق منذ القرن العاشر حتى السادس عشر . هذا سوى ما تحويه الكنائس السريانية وخزائن اوربا وأميركا ودير الشرفة بلبنان وغيرها . وها نحن ننتخب منها ما يدور حول موضوعنا :

١ : استخارية عيد ميلاد العذراء في ٨ ايلول .

« تبارك الربّ الذي أشرق من مستودع العذراء القديسة مريم . منها نشأ الخلاص للبشر طرّاً . وفيها صح ما كتبه اشعيا النبي (٢٩ : ١١ و١٢) وهو : « كأقوال كتابٍ مختومٍ يناولونه لمن يعرف الكتابة قائلين : اقرأ هـذا . فيقول : لا استطيع لانه مختوم . ثم يُناوَل الكتاب لِمن لا يعرف الكتابة ويُقال له : اقرأ هذا . فيقول: لا اعرف الكتابة » . ذلك لان هذا الكتاب مصونٌ ليسوع القدير . مشيراً بذلك الى اصطفاء مريم العذراء القديسة التي باركها الربّ قبل ميلادها ! وأنذر بها الانبياء الملهمون فقالوا : ان النعمة الالهية سبقت فاصطفتها ...

« فيا ايتها النساء جملةً احتفلن بهذا العيد الروحانيّ واهتفن قائلات : اليوم حُبل بجنسنا على الفرح القديم . لان حواء أمّنا انتجت لنا السقوط ومريم أنعشتنا وبهجت لنا السبيل السوي الى الفردوس الذي طُردنا منه ... أبهجنا يا ربّنا بميلاد العذراء مثلما أبهجت الملائكة ... ان جسدها طاهر نقيّ منزّه عن كل وصمة ... هي السحابة الخفيفة التي ولدت المطر السماوي ورحضت وصمة آدم ابيها . ونصبت لذريتنا غرسة البتولية الاولى ... الحمد للربّ الكريم الذي سبق فاصطفاكِ منذ الحبل بكِ وأحبّ ان تكوني أمّاً له »[2] .

٢ : عيد بشارة العذراء .

«هو الاله المحتجب قدّس بروحه القدّوس مثوىً مستودع العذراء القديسة المجيد قبل الحدادرد العجيب اليها ! فحيّاها جبرائيل رئيس الملائكة قائلاً : « السلام الك يا ممتلئة نعمة»[3] . إذن كانت العذراء مفعمة نعمةً وقداسة قبلما يبشرها رئيس الملائكة .

١) اللؤلؤ المنثور ١٠٠-١٠١

٢) الصلوات القانونية ٦ : ٤٣٨ و ٤٤٠ و ٤٥٣

٣) لو ١ : ٨٦

٣ : احد وحي يوسف .

قال الملاك ليوسف في حلم :

« لا يخاصمك ربّ يا يوسف بسبب مريم خطيبتك . لانّ بتوليتها مصونة معصومة ولا اثر فيها للدنس والفساد . . . طوبى لها وطوبى لنفسها لانها أقدس من الكواريب ! فقال يوسف : اني اجد لك يا سماء جديدة تفوق السماء سموًّا وجلالًا » (١

٤ : عيد تهنئة العذراء بميلاد ابنها يسوع .

« مَن تراه يستطيع ان يضفر اكاليل تهاني جديدة بقداستك ؟ انكِ أسمى من السواريف وارفع من الكواريب ! فالسارافيم أخذ جمرة بملقط من المذبح ولمس فم اشعيا (٦ : ٦ و٧) . اما انتِ فحملتِ الربّ في مستودعك » .

٥ : تذكار العذراء لتبارك السنابل (١٥ ايار) .

« لقد أشرفتَ يا ربّ بمحبتك الفيّاضة من سماء جلالك الرهيب واصطفيت ارضاً جيدة نقية اعني مستودع ابنة داود الفريدة بطهارتها والسامية بقداستها ومنحتَ الخلاص للبشر » .

٦ : عيد انتقال العذراء الى السماء بنفسها وجسدها .

« ان الملائكة وصفوف رؤساء الملائكة وجماهير الكواريب والسواريف يترنمون مجبورين ويهتفون قائلين : مرحبا بكِ يا سماء ثانية وعرشاً الاهيًّا سامياً ومنارة حافلة بمصابيح نيّرة !

« ترى مَن من البشر يستطيع ان ينسج حلةً من التقاريظ جديدة بقداستكِ يا ايتها العذراء الدائمة بتوليتها والفريدة بقداستها ! اننا نحتفل بموسمك البهيج يا والدة الله احتفال الملائكة والرسل . انت جفنة منزهة عن كل وصمة وعيب . . . » (٢

ثالثاً : العذراء والدة الله في الشعر العامي

نظم فريق من السريان الكاثوليك والسريان الارثوذكس عدة مدائح عامية في وصف محاسن العذراء الجزيلة قداستها (٣ نقتصر منها على ذكر احدهم

١) فيه ١ : ٣٢٤

٢) فيه ٦ : ٣٧٥ و ٣٤١

٣) نشر الاب لويس شيخو الطيب الاثر بعض مدائح العذراء في الشعر العامي (المشرق ٧ : ١٩٠٤) فنهجنا منهاجه .

الغفران شمعون الطوراني (١٧١٠—١٧٤٠) السرياني الارثوذكسي . فقد حاك انشودة رقيقة مؤثرة ما برح اهالي ما بين النهرين يتغنون بها في الكنائس وفي البيوت . وهو ينعت العذراء بكونها ام المعونة وكنز الرحمة ووالدة الحياة وتبر الخلاص وسفينة نوح وشفيعة الخطأة والوسيطة بين الله العليّ والبشر الخ . قال :

اما أمدحك والدة الله أم المُعين   حتى أنال شفاعتك في يوم الدين
في عمري بفعلي الاثام في كل حين   ودنا الرحيل وانا غافل فبمن استعين ❖
ممن اطلب باب من أقصد أقرع واصيح   الا بابك كنز الرحمة أم المسيح
أصرخ وأنوح وابكي دائمًا ولا استريح   حتى انال منكِ الشفاء لقلبي الجريح ❖
ما مَن يصعب عليه عني في المخلوقات   ما مَن يحمل غمّ هلاكي بالسيئات
عليك همي ألقي امي أم الحياة   اطلبي لي غفران ذنبي قبل الممات ❖
لاجل ذلك انا ملقى بين يديكِ   أرغب منك تتوسلين لحبيبكِ
كي يرحمني ويغفر ذنبي بشفاعتكِ   ولا يخيبني من رجائي بمعونتكِ ❖
ارجو منك يا سفينة نوح الصديق   مدي يدكِ وانشليني من الغريق
اذ ليس لي سواكِ امي احد صديق   يساعدني ويفرج غمي في وقت الضيق ❖
في حياتي اغفري لي كل زلاتي   وساعديني بشفاعتك حين وفاتي
لدى الديان حامي عني يا نجاتي   وامنحيني بياض الوجه يا مولاتي ❖
هذا املي وكل رجائي طول الايام   اسعفيني واعضديني على الدوام
منكِ مريم والدة الله فخر الانام   أرجو غفران كل الذنوب مع الآثام ❖
منكِ اندفق نهر الخلاص للعالمين   ومنك صدر الرجا التام للمأيوسين
ردي عنا كيد الاعداء والظالمين   وترحمي على نفوس الراقدين ❖

ليت شعري هل يسوغ لاحدٍ من اخوتنا السريان الارثوذكس الاعزاء وهم يطالعون ما أثبته آباؤهم وأجدادهم ان ينكروا على الله القدوس القدير ان يقدس نفس العذراء وجسدها منذ اول دقيقة من الحبل بها من امها القديسة حنة ؟

ألا فليكن ذكرٌ صالح ومؤبد لاحبار رومية العظام خلفاء مار بطرس رئيس الرسل الذين نادوا بهذه العقيدة الايمانية الراهنة . ونشروا رياها الفوّاح الزكي في مشارق العالم الكاثوليكي ومغاربه !

مريم العذراء

لنبيه صقر

حولَ ٱبتهاجكِ بالسَّناء صدَحتْ قياثيرُ السماء

لمّا سموتِ الى عجابِ المجدِ في دهشِ العلاء

وتسارعتْ أجنادُهُ حشدًا إلى فرحِ اللقاء

وزهتْ أساريرُ المدى وتمايدتْ عُمُدُ الفضاء

وشدا الشذا وتغنّتْ زُمَرُ الملائكِ في الغناء

وتعطّرتْ بأريجِ ذاكَ الطُّهرِ أنفاسُ الهواء

ورنتْ اليكِ مواكبُ الأجيالِ تلهجُ بالثناء :

طوباكِ يا صُبحَ الهدى الأزهى ونورَ الأنبياء !

انتِ المباركةُ المليئةُ نعمةً بينَ النساء

إشراقُ مجدكِ هالةٌ قَدُسَتْ وتاجٌ من ضياء

يا رحمةَ الرحمانِ يا بحرَ المحبّةِ والجداء

ويدَ الندى وشريكةَ الحَمَلِ المبجَّلِ في الفداء

أحييتِ حوّاءَ الخطيئةِ بالتواضعِ والنقاء

واستأصلتْ تلك الحرابُ السّبعُ أشواكَ العِداء

مِنْ صبغِ قلبِكِ بالأسى ووحيدِ قلبِكِ بالدماء

ما استرجعتْ فرحَ الخلاصِ نفوسُنا لو لم تشائي

إذ قلتِ لِلمَلَكِ المُبَشِّرِ بالأمومَةِ مِن عَلاء :

انا لستُ يا جبريلُ للمولى سِوى إحدى الإماء

انا نشوةٌ مِن طاعةٍ للسرمَديّ ومِن وفاء

سيُعزِّزُ القُدّوسُ نَذرَ تبتّلي ، رَسمَ انتمائي

قُربانَ إجلالٍ لَهُ حُرُّ التضرُّعِ والدُّعاء

ويصونُ نفسي في الطَّهارةِ والنَّضارةِ والرُّواء

ما ذَرَّ في الآفاقِ نجمٌ طالِعٌ أو غارَ نائي .

يا أمَّ فادينا الحبيبِ ضحيَّةِ الحُبِّ البراء

صُوغي لِعالَمِنا السلامَ مِن التَّعاضُدِ والإخاء

حفَّتْ بِعَرشِكِ في نعيمِ الخُلدِ راياتُ الرَّجاء

وَهَمَتْ شآبيبُ الكرامةِ من بَنانِكِ والعَطاء

كم شامَ مُنخَطِفٌ سَنائِكِ وكم رَوَى رُؤْياكِ رائي ،

رُؤيا بفيضِ جمالِها وَهجاً بأوجِ الإرتقاء ،

كالشمسِ صاعِدةً على سُحُبِ التألُّقِ والبَهاء !

عقيدة الحبل بلا دنس

في الكنيسة السريانية المارونية

بقلم الاب يوسف حبيقة الراهب اللبناني ✣

توطئة

للمرحوم الاب يوسف حبيقة احد ابناء رهبانيتنا اللبنانية مباحث ودروس تاريخية قيمة في اللغة السريانية التي كان متضلعاً منها ومولعاً بها ، فأدى بذلك خدمة تذكر فتشكر . وقد انكب على جمع الشهادات الواردة في الفرض الاسبوعي الماروني ، الصادعة ببراءة الطوباوية مريم العذراء الكلية قداستها ، فترجمها من اللغة السريانية الى العربية ، اتينا على نشرها في مجلة المشرق للقراء ، لمناسبة هذه السنة المريمية ، بعد مرور مئة سنة على تحديد هذه العقيدة التي اعترفت وجاهرت بها الكنيسة السريانية المارونية منذ القدم ، كما هو ظاهر من تلك الشهادات التي انتقاها رحمه الله ، من ثلاثة مصادر : الشحيم ، والفنقيطين ، والتشمشت ، كما سترى . وقد اعدنا النظر فيها ، ونقحنا ما اوجب تنقيحه ، معلقين على بعضها الحواشي تعميماً للفائدة .

الاب بطرس ساره

اللبناني

اولاً : في الشهادات المأخوذة عن كتاب الفرض الماروني الاسبوعي[1] المعروف بالشحيم[2] .

١ جاء في صلاة العطر التي قبل باعوث القومة الأولى من ليل الاحد لوالدة الله هكذا :

ܟܠܬܐ ܒܬܘܠܬܐ ܘܐܡܐ ܠܐ ܡܬܛܫܝܬܐ ܗܝ ܕܒܡܟܝܟܘܬܐ
ܘܟܠ ܡܘܩܪܝܢ ܗܘܬ ܐܡܐ ܠܐܠܗܐ ܡܪܐ ܕܟܠ ܒܛܝܒܘܬܗ.

اي ايتها العروس البتول « والام الغير المدنسة » التي بسمو علائها صارت اماً لله سيد الكل بنعمته .

---

١) من مؤلفي الفرض الاسبوعي القديس افرام النصيبيني السرياني (✝٣٧٨) . وبلاي احد تلامذته (٤٠٠) ، والقديس مروثا اسقف ميافرقين ، والقديس اسحق الكبير (٣٩٠–٤٦٠) ، والقديس يعقوب السروجي (٤٥٢–٥٢١) وغيرهم من آباء الكنيسة السريانية الذين عاشوا في الاجيال الاولى .

٢) معناه « البسيط » دعي كذلك لخلوه من التراكيب المعقدة ولتمييزه من صلوات الاعياد . والشهادات الواردة منها ما يثبت العقيدة بوضوح وجلاء لا لبس فيه ، ومنها ما يشير الى ذلك تلميحاً وتلويحاً وفي كلها غنة المرتاد .

تمثال العذراء . خلقه ونحته الاستاذ يوسف الحويك بمناسبة المؤتمر المريمي
في لبنان . وهو تمثال العذراء عروساً مشرقة آتية من لبنان

٢ وبعد حساية القومة الاولى من ليل الثلاثا. جاء هذا بلحن ܘܗܝ ܡܠܟܬܐ

ܫܠܡ ܠܟܝ ܡܪܝܡ ܒܪܬ ܕܘܝܕ ܡܠܝܬ ܫܘܦܪܐ ܘܡܗܝܡܢܬܐ ܘܣܝܡܬ ܐܪ̈ܙܐ. ܫܠܡ ܠܟܝ ܡܕܝܢܬܐ ܚܣܝܢܬܐ ܕܚܛܝܬܐ ܠܐ ܫܠܛܬ ܒܗ. ܒܗ ܫܠܡ ܠܟܝ ܓܢܘܢܐ ܕܡܠܟܘܬܐ ܕܡܠ̈ܟܐ ܡܨܒܬܐ.

السلام عليكِ يا مريم بنت داود المملوءة محاسن والمهين للوعب اسراراً السلام عليكِ «ايتها المدينة المحصّنة التي لم تتسلط الخطيئة عليها» السلام عليكِ يا مقصورة ملك الملوك المزيّنة .

٣ وفي لحن ܢܝܪ ܫܡ̈ܝܐ من ليل الثلاثا. يقال :

ܒܡܪܝܡ ܗܘܐ ܣܒܪܐ ܠܓܢܣܐ ܕܢܫ̈ܐ ܕܒܗܬܬܐ ܕܒܦܪ̈ܨܘܦܝܗܝܢ ܘܚܣܕܐ ܕܒܐܕܢ̈ܝܗܝܢ ܒܗ ܚܣܝܐ. ܐܝܟ ܗܘܝ ܘܠܐ ܡܪ̈ܢܝܢ.

اي قد صار الرجاء بمريم لجنس الاناث لانها «قد حررتهنّ من الخزي اللاحق بوجوههنّ والعار العالق بآذانهنّ فأضحينَ بغير لوم».

٤ وفي حساي القومة الاولى من ليل الخميس يُتلى :

ܡܪܝܐ... ܕܐܡܟܟ ܢܦܫܗ.. ܘܫܪܐ ܒܡܫܪܝܐ ܒܬܘܠܝܐ ܗܘ ܕܩܕܡ ܐܬܩܕܫ ܒܪܘܚܐ ܘܩܘܕܫܐ. ܗܘ ܕܝܢ ܐܡܐ ܕܝܠܗ ܡܟܝܟܬܐ ܛܠܝܬܐ ܕܠܐ ܡܘܡ ܡܪܝܡ ܩܕܝܫܬܐ ܘܡܫܒܚܬܐ ܒܟܠ. ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܫܪܝܪܐܝܬ ܘܠܐ ܐܝܟ ܣܒܪܐ ܕܛܘܥܝܝ. ܗܝ ܕܪܡܐ ܡܢ ܪܘܡܐ ܕܫܡܝܐ.

ايها الرب الذي واضع ذاتــه وحلّ بالمستودع البتولي الذي سبق فتقدس بالروح القدس اي مستودع امه الدمثة الاخلاق «والصبيّة اللاعيب فيها» مريم القديسة والكلية المجد والدة الله حقاً وليس كزعم الضلالة (اي والدة الانسان لا الاله[1]) تلك التي تفوق السماء علاء وارتفاعاً .

١) اي بدعة نسطور القائل ان في المسيح اقنومين وان العذراء والدة الانسان لا الاله .

٥َ وفي حساي القومة الاولى من ليل الجمعة وَرَدَ :

ܡܫܝܚܐ ... ܗܘ ܕܡܛܠ ܦܘܪܩܢܢ ܐܪܟܢ ܪܘܡܐ ܡܫܒܚܐ
ܕܪܒܘܬܗ ... ܘܫܪܐ ܒܥܘܒܐ ܕܒܬܘܠܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܠܐ ܡܬܡܠܠܢܐܝܬ
ܥܡܪ. ܗܝ ܕܒܢܦܫܗ̇ ܘܒܦܓܪܗ̇ ܩܕܝܫܬ ܐܬܕܟܝܬ ܘܒܡܘܗܒܬܐ
ܕܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܐܬܩܕܫܬ ܗܝ ܕܐܬܝܩܪܬ ܡܢ ܟܠܗ̇ ܒܪܝܬܐ
ܐܬܥܠܝܬ ܒܡܠܬܐ ܚܝܐ ܕܡܢܗ̇ ܐܬܓܫܡ.

ايا المسيح الذي لاجل خلاصنا طأطأ علوّ عظمته المجيد «وحلَّ في حشا البتولة القديسة حلولًا لا يوصف تلك التي تقدمت (فتطهرت نفساً وجسماً، وتقدست بمنح الروح القدس) وتجلّت فوق الخلائق طرًا بالكلمة الحي الذي تجسم منها» .

٦َ وفي آخر باعوت هذه القومة نقرأ :

ܬܘܕܝ ܠܪܘܚܐ ܕܥܒܕܗ̇ ܡܥܡܪܐ ܠܐܠܗܘܬܗ.

الشكر للروح القدس الذي جعلها مسكنًا للاهوته[1] .

٧َ وفي الحساي[2] الاخير من هذه الصلاة ما يلي :

ܢܬܕܟܪ ܕܝܢ ܥܡ ܗܠܝܢ ܘܥܡܗܘܢ ܗܝ ܕܐܝܬܝܗ̇
ܫܘܒܗܪܐ ܕܒܪܝܬܐ ܟܠܗ̇. ܗܝ ܕܗܘܬ ܫܡܝܐ ܕܬܪܝܢ. ܗܝ
ܛܘܒܬ ܠܫܪܒܬܐ ܡܢ ܟܠܗܝܢ ܫܪܒܬܐ ܕܐܪܥܐ ܒܬܘܠܬܐ
ܕܠܐ ܡܘܡ ܩܕܝܫܬܐ ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܡܪܝܡ.

ونذكر بالاخص مع هؤلاء وبعدهم من هي فخر المسكونة باسرها تلك التي صارت «سماء ثانية» والمستحقة الطوبى من جميع قبائل الارض . اعني بها «البتولة اللاعيب فيها» القديسة والدة الله مريم .

٨َ وفي باعوت[3] القومة الاولى من ليل السبت هذا :

١) بذلك دليل واضح على ان لا وجودَ ولا سكنَ للخطيئة حيث مسكن اللاهوت، كما يصرّح بذلك القديس افرام . . .

٢) صلاة الغفران .

٣) طلبة، تضرع .

ܒܢܫ̈ܐ ܕܬܢܝܐ ܕܠܘܛܬܐ ܕܐܪܥܐ ܒܗ ܐܬܥܩܪܬ. ܘܕܝܢ
ܘܫܠܡ ܡܢܗ ܘܠܥܠ ܕܝܢܐ ܕܠܘܛܬܐ. ܢܟܦܬܐ ܡܫܒܚܬܐ
ܘܡܠܝܬܐ ܫܘܦܪ̈ܐ ܕܩܕܝܫܘܬܐ. ܕܠܐ ܣܦܩ ܠܗ ܦܘܡܝ ܕܢܡܠܠ
ܥܠ ܐܝܩܪܐ ܕܪܡܘܬܗ܀ ܫܘܒܚܐ ܠܐܒܐ ܕܓܒܐ ܠܡܪܝܡ ܡܢ
ܒܝܬ ܫܪ̈ܒܢ. ܘܣܓܕܬܐ ܠܒܪܐ ܕܢܚ ܡܢܗ ܒܩܕܝܫܘܬܐ. ܬܘܕܝ
ܠܪܘܚܐ ܕܡܠܝܗ̇ ܥܘܬܪܐ ܣܓܝܐ ܪܒܐ. ܘܥܠܝܢ ܪ̈ܚܡܐ
ܒܟܠܥܕܢ ܒܨܠܘ̈ܬܗ̇.

« يا مباركة انت في النساء. التي بواسطتها استؤصلت لعنة الارض وحكم اللعنة انتهى منها فصاعداً » . ايتها العفيفة المملوءة من محاسن القداسة التي لا يكفي في الحقير قدرها السامي وصفاً ❊ المجد للاب الذي اختار مريم من بين القبائل . والسجود للابن الذي اشرق منها بقداسة . الشكر للروح القدس الذي ملأها غنىً وثروة وافرة . وعلينا المراحم بصلواتها دائماً .

٩ وفي الحساي الاخير من هذه الصلاة هذه الفقر :

ܘܒܟܠ ܩܕܝܫܐ ܘܒܪܝܟܬܐ ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܘܥܡܗ ܘܒܨܠܘܬܗܘܢ
ܕܬܬܪܥܐ ܐܠܗܐ ܐܝܟ ܒܪܚܡܝܟ ܘܒܥܘܬܗܘܢ ܩܒܠܝܢ ܘܥܡ.
ܘܕܗܝ ܒܪܝܟܬܐ ܒܟܠ ܘܠܐ ܡܬܛܫܬܐ ܘܛܘܒܢܝܬܐ
ܡܪܝܡ ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ.

أهِّل كل هؤلاء لمراحمك ومحبة بشريتك وغفران خطاياهم بواسطة صلوات جميع قديسيك وخصوصاً بواسطة صلوات تلك المباركة «والغير المدنسة والطوباوية والدة الله مريم» .

١٠ وبعد حساية قومة ليل الجمعة الاولى ورد هذا بلحن (ܘܡܢ ܓܒܠܐ) :

ܬܘ ܟܠ ܥܡ̈ܡܝܢ ܘܐܡܘ̈ܬܐ ܢܪܡܐ ܫܘܒܚܐ ܠܐܒܐ ܕܫܕܪ
ܠܒܪܗ ܝܚܝܕܝܐ ܠܡܪܝܡ. ܘܗܘܐ ܒܪܐ ܘܐܬܓܠܝ ܡܢ ܩܕܝܫܘܬܗ
ܘܐܫܬܒܚ ܒܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܘܠܐ ܐܫܬܢܝ ܡܢ ܒܬܘܠܘܬܗ
ܒܪܘܚܐ ܘܒܬܘܠܘܬܐ ܒܫܠܡܐ ܢܛܪ ܠܗ

اي تعالوا يا جميع الشعوب والامم نرتل المجد للاب الذي ارسل ابنه الى

مريم . ونشكر الابن الذي اتلد من نقاوتها . ونسجد للروح الذي «حفظها بدون مضرة (الخطيئة) » وها هو ذا تذكارها يتبجل فوقاً وأسفل صلاتها معنا .

ثانياً : في الشهادات المأخوذة من المعيدات المعروفة بالفنقيطين[1]

١ جاء في سدر حساية صلاة المساء لميلاد العذراء بلحن (ܐܦܪܝܡܝܐ) :

ܘܠܐ ܟܠܝܗ (ܠܝܘܝܩܝܡ) ܒܪ ܐܠܗܐ ܡܢ ܣܘܟܝܐ ܕܒܥܘܬܐ. ܘܒܬܪܟܢ. ܚܢܐ ܒܟܐܢܘܬܐ ܒܬܪ ܙܒܢܐ ܕܥܩܪܘܬܐ.

اي ولم يحرم الله يواكيم من رجاء طلبته «فحبلت حنة بالبرارة» بعد زمن العقرية .

٢ ܦܪܚܬ. ܨܠܘܬܗ (ܕܝܘܝܩܝܡ) ܥܢܝܬܗ. ܠܫܡܝܐ ܢܣܩܬ. ܘܒܛܢܬ ܒܕܟܝܘ ܕܝܠܗ. ܚܢܐ ܠܡܪܝܡ ܐܘܠܕܬ.

وطارت صلاة يواكيم بإجابات الى السماء «فحبلت حنة حالاً بمريم بنقاوة».

٣ وفي اللحن الثاني من مساء عيد البشارة تنشد ما يلي بوزن ܒܬܫܒܘܚܬܐ ܕܝܫܘܥܘܬܐ :

ܒܬܫܒܘܚܬܐ ܡܠܐܟܐ ܕܡܢ ܪܘܡ. ܒܣܒܪܬܐ ܕܐܝܬܝ ܥܡܗ ܡܠܐܟܐ ܠܒܬܘܠܬܐ. ܫܠܡ ܠܟܝ ܡܠܝܬ ܛܝܒܘܬܐ. ܘܒܬܫܒܘܚܬܐ ܕܫܡܝܐ ܡܪܝܡ. ܒܣܒܪܬܐ ܕܐܝܬܝ ܒܪܐ. ܚܝܠܐ ܡܠܝܐ ܐܬܝ ܠܒܬܘܠܬܐ. ܗܐ ܡܠܝܬ. ܡܪܝܡ ܒܟܝ. ܘܡܪܝܡ ܐܡܪܐ ܗܘܝܬ. ܠܗ. ܐܝܟ ܡܠܬܟ ܘܒܚܣܝܢ. ܦܪܘܩܢ. ܒܨܠܘܬܗ ܡܠܟܐ ܡܫܝܚܐ ܢܬܠ ܠܢ ܚܘܠܐ ܒܚܝܠܗ ܘܢܦܪܘܩ ܠܥܠܡܝܢ.

١) الكتابين او المجلدين المعروفين بالفنقيط الصيفي والفنقيط الشتوي طبعا في رومية الاول (١٦٥٦) والثاني (١٦٦٥) وفي كليهما صلوات فرضية تتلى في اعياد المسيح والعذراء مريم وبعض القديسين . ومؤلفو هذه الصلوات ، على رأي العلامة المطران يوسف الدبس ، هم من النساك والحبساء الافاضل ، وفيها شيء من اقوال القديس افرام الدرّية وغيره من الآباء مؤلفي الفرض الاسبوعي . نُظِم معظمها من القرن السابع غير متجاوزة ، على ما ترجح ، القرن الخامس عشر .

ان البتول الصبيّة التي أُخذت من آدم ادخلت الموت على جميع القبائل بوسوسة الحية لها . « اما البتول مريم فقد ادخلت الحياة الجديدة على البرية ببشارة الملاك لها » . فتلك (حواء) تعرّت من مجدهـا في جنة عدن « ومريم نسجت لها حلة المجد وسترت عريها » بحق صلواتها ايها المسيح الملك البسنا قوة خفيّة لنعظم والدتك .

٤ وفي الستار نقول :

ܐܘ ܡܬܥܠܝܬܐ ܡܢ ܟܪܘܒܐ ܘܡܫܒܚܬܐ ܡܢ ܣܪ̈ܦܐ. ܦܠܛܝܢ ܡܠܟܘܬܗ ܕܡܠܟ ܡܠܟ̈ܐ.

« ايتهـا الارفع من الكاروبيم والامجد من الساروفيم بلاط ملك الملوك المتنفس » .

٥ وبعد الحساي تنشد البيعة بلحن ܠܒܪܬ ܒܬܘܠܐ :

ܛܣ ܓܒܪܐ ܘܢܚܬ (ܡܠܐܟܐ) ܘܝܗܒ ܠܗ̇ ܫܠܡܐ ܠܕܟܝܬܐ ܗ̇ܝ ܕܐܬܓܒܝܬ. ܕܬܗܘܐ ܓܢܘܢܐ ܠܒܪܘܝܗ̇.

« طار الملاك وانحدر واعطى السلام لتلك (النقية) التي اختيرت لتكون خدراً لباريه تعالى » .

٦ وفي صلاة الليل تقول الكنيسة بلحن ܒܫܡܝܐ :

ܚܕ ܡܠܐܟܐ ܡܢ ܪܘܡܐ ܘܚܕܐ ܛܠܝܬܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܕܡ. ܦܓܥܘ ܒܚܕ̈ܕܐ ܘܥܒܕܘ ܗܘܘ ܫܠܡܐ ܘܫܝܢܐ ܐܦ ܬܪܥܘܬܐ. ܬܪ̈ܥܘ ܠܣܝܓܐ ܕܐܝܬ ܗܘܐ ܒܡܨܥܬܐ. ܘܫܝܢܘ ܠܐܒܐ ܕܪܓܝܙ ܗܘܐ ܠܐܕܡ. ܘܫܝܢܘ ܠܥܠܝ̈ܐ ܥܡ ܬܚܬܝ̈ܐ. ܘܗܐ ܡܫܝܢܝܢ ܚܕܐ ܚܒܘܪܐ. ܘܡܩܪܒܝܢ ܩܘܕ̈ܫܐ ܬܠܝܬܝ̈ܐ: ܒܪܝܟ ܕܫܠܚܗ. ܐܘܪܚ ܫܝܢܐ ܠܟܠ ܒܪ̈ܝܬܐ ܗ̄ ܘ ܗ̄

ملاك من العلا. وصبيّة من آل آدم التقيا وصنعا سلاماً واماناً ورضىً . ونقرا السياج المتوسط وارضيا الآب الذي كان مغضباً على آدم وصالحا بين العلويين والسفليين وها هم في صف واحد يهتفون تقديسات ثلاثية قائلين مبارك

الذي زرع السلام في البرايا بسلامة . « قلت فلو كانت العذراء تحت غضب الله لما استطاعت ان ترضيه تعالى عن آدم وبنيه » .

٧ وفي آخر الصلاة ترتل بلحن ܥܘܢܝܬܐ[1] :

ܥܘܒܶܟ ܕܡܠܶܟ ܩܘܕܫܐ ܡܠܐ . ܕܠܐܠܗܘܬܐ ܒܩܕܡܝܘܬܐ ܪܫܝܡ . ܘܐܬܪܐ ܕܩܘܕܫܐ ܝܩܝܪ ܛܒ ܠܐܠܗܐ ܕܒܗ ܢܫܪܐ .

قال لها الملاك : « ان حشاكِ مملوء قداسة لأنه مرسوم في اللاهوت منذ القديم والمكان المقدس عزيز جداً على الله ان يحلّ به » .

٨ وفي سوغيت[2] صلاة الصبح تترنم البيعة قائلة :

ܗܐ ܒܟܝ ܒܘܟܪܐ ܡܠܟܐ ܡܪܝܡ ܒܢܝܣܐ ܕܒܗ ܦܪܘܩܢܗ ܀ ܘܡܠܟܗ ܕܐܒܐ ܒܟܝ ܕܒܠ ܗܘܐ . ܘܒܟܝ ܢܟܣܗ ܪܓܠ ܕܢܫܪܐ ܒܗ ܀ ܐܘܟܠ ܒܟܝ ܘܢܟܝ ܕܡܫܝܚܐ ܠܐܠܗܘܬܐ ܘܥܡܗ ܗܘܐ ܡܪܝܡ ܀ ܚܕܐ ܡܫܒܚܬܐ ܘܡܢ ܡܠܐܟܐ ܦܠܚܢ ܒܫܡܝܐ ܘܡܢܗ ܒܗ ܀ ܐܠܗܐ ܘܟܢܐ ܕܐܒܐ ܡܢ ܟܠ ܡܪܝܐ ܘܡܪܐ ܘܐܕܡ ܀ ܕܗܘܐ ܒܗ ܒܘܟܪܐ ܗܘ ܡܫܝܚܐ ܕܐܬܝܠܕ ܒܣܪܐ ܟܕ ܠܐ ܐܒܐ ܀ ܦܪܘܩܐ ܠܒܪܢܫܐ ܘܡܢ ܟܘܠ ܕܡܝܐ ܒܗ ܐܒܐ ܕܡܢ ܒܗ ܀ ܡܫܒܚܐ ܒܟܠ ܒܢܝܐ ܀ ܕܢܣܒ ܡܢܗ ܒܣܪܐ ܕܡܢ ܦܓܪܐ ܒܗ ܀ ܦܪܘܩܢܐ ܗܘܐ ܡܠܟܐ ܚܕܬܐ ܘܡܫܒܚܬܐ ܕܒܗ ܠܐܠܗܐ ܀ ܡܫܒܚ ܠܒܪܗ ܐܡܗ ܕܐܬܝܗ ܗܘܐ ܚܘܐ ܐܒܘܗ ܟܕ ܠܐ[3] ܐܪܥܐ .

وكم هي مملوءة مريم من المحاسن لمن يتأمل بها بتفطّن وبما انه نظر الى عظم طهارة نفسها ونقائها ، شاء ان يحلّ فيها . قد امتلكت مريم هاجساً نقياً ونفساً محبة لله . فقيرة وملاك التقيا وصنعا أماناً . « ان الصبيّة مريم والملاك لاشيا منا العداوة التي كانت بين الرب وآدم » . « وقد منحها تعالى جمال حواء قبل ما اخطأت . » ان الروح القدس قد اختار البتولة اولاً ثم حلّ

١) اغنية .
٢) انشودة ترنيمة .

فيها كما حسن له . ان الله قد اعطى مريم ذخيرة البنين بالروح القدس اذ حل فيها . ان البتول المملوءة حباً وامانة وجدت شيّرة (اي جميلة عند الله . » وقد قدّس تعالى جسدها كما كانت حواء امها من قبل ان تشتهي » .

٩ في سدر[1] الحماية تقول بلحن ܐܦܪܝܡܝܐ :

ܠܩܘܕܡ ܕܝܢ ܪܘܚܐ ܩܕܫܗ̇ . ܘܗܝܕܝܢ ܚܝܠܐ ܫܪܐ ܒܗ̇

« ان الروح القدس قدسها اولاً ثم حلّت القوة فيها » .

١٠ وقالت ايضاً :

ܒܟܠܗܝܢ ܢ̈ܫܐ ܐܬܒܩܝܬ ܘܚܙܝܬ. ܠܗ̇ ܫܦܪܬ ܡܢ ܟܠܗܝܢ.
ܕܚܙܝܬܗ̇ ܒܗ̇ ܩܕܝܫܘܬܐ ܘܕܟܝܘܬܐ ܘܒܬܘܠܘܬܐ.

« خاطب الآب الملاك جبرائيل قائلاً » قد تأملت في النساء جميعاً وحسنت لديّ اكثر منهنّ كافة لأني رأيتها مستجمعة للقداسة والنقاوة والبتولية .

١١ وفي حساي ستار الميلاد تقول :

ܒܗܘ... ܕܐܬܒܛܢ ܒܥܘܒܐ ܕܗܘ ܐܬܩܢܝ ܒܨܒܝܢܗ.
ܘܐܬܚܒܫ ܒܟܪܣܐ ܕܗܘ ܒܪܝܗ̇ ܕܟܝܬܐ: ܘܕܢܚ ܡܢ ܥܘܒܐ
ܕܗܘ ܒܪܝܗ ܩܕܝܫܬܐ. ܘܐܬܝܠܕ ܡܢ ܒܬܘܠܘܬܐ ܕܗܘ ܢܛܪܗ̇
ܕܟܝܬܐ.

لذلك الذي حبل به في الحشا، الذي اتقنه باختياره . وحبس في البطن الذي خلقه نقياً . « واشرق من الحضن الذي برأه مقدساً وولد من البتولة التي حفظها نقية » .

ثالثاً : في الشهادات المأخوذة عن كتاب الشحيم[2]

العدد الاول

يتضمن الشهادات الواردة في صلاة الوردية

١ جاء بلحن ܩܘܩܝܐ ܢܛܘܪܐ ܠܒܝܬܟ هذا :

١) صدر الكلام .

٢) معناها « المدمة » . وهو كتاب ضخم يحتوي عدة صلوات للسيدة العذراء وبعض

ܒܪܐ ܐܒܐ ܒܚܟܡܬܗ. ܡܪܝܡ ܒܬܘܠܬܐ ܢܩܝܬܐ. ܘܚܪܐ
ܒܡܘܟܟܗ̇ ܬܡܝܗܐ. ܘܫܦܪ ܒܗ̇ ܣܓܝܐܝܬ. ܘܡܠܐ ܢܦܫܗ̇ ܡܘܗ̈ܒܬܐ
ܐܠܗܝ̈ܐ ܘܛܝ̈ܒܘܬܐ ܒܡܘܬܪܐ. ܘܥܒܕ ܒܗ̇ ܪ̈ܘܪܒܬܐ ܘܨܒܬܗ̇ ܒܗ̇
ܒܫܘܦܪܗ̇.

« قد برأ الآب بحكمته مريم البتول نقية . ونظر الى تواضعها العجيب فشاء بها
بهجة . فاوعب نفسها من المنح الالهية والنعم المضاعفة وصنع بها العظائم وزينها بغناه » .

٢ وفي لحن ܒܥܘܕܪܢܗ ܕܪܘܚܐ ورد .

ܟܕ ܨܒܐ ܐܠܘܗܝܐ ܒܪܘܝܐ ܕܥܠܡ̈ܐ ܠܡܥܒܕ ܒܪܝܬܐ
ܕܫܦܝܪܐ ܠܪܒܘܬܗ. ܨܒܐ ܗܘܐ ܒܚܝܠܗ ܘܒܪܐ ܡܪܝܡ ܒܪܬ ܕܘܝܕ
ܘܗܘܬ ܚܬܡܐ ܕܬܕܡܪ̈ܬܗ.

« اذ شاء باري العوالم ان يخلق خليقــة تليق بعظمته شاء بتحننه وخلق
مريم بنت داود فكانت خاتمة عجائبه الخفية » .

٣ ܒܡܠܝܘܬ ܛܝܒܘܬܐ ܘܒܡܝܬܪ̈ܘܬܐ ܪ̈ܡܬܐ ܐܥܬܪ ܢܦܫܗ̇
ܕܟܝܬܐ ܒܟܠ. ܘܨܒܬܗ̇ ܒܡܘܗ̈ܒܬܐ ܕܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ.
ܘܐܪܝܡ ܕܪܓܗ̇ ܥܠ ܟܠ ܒܪ̈ܝܬܐ.

« واغنى نفسها الكلية النقاوة بغنى النعمة وبالفضائل السامية وكلّلها بمنح
الروح الالهي ورفع مقامها فوق كل البرايا » .

٤ ܛܘܒܐ ܕܕܟܝܘܬܐ ܘܡܫܒܚܬܐ ܕܐܡܘܬܐ ܕܝܠܟܝ ܟܠܗ̇.
ܠܐܠܗܐ ܕܫܠܐ.

القديسين ، وهو مخطوط لم يظهر بالطبع حتى الآن . والاظهر ان مؤلفي هــذه الصلوات كثيرون يرتقي عهدهم الى اكثر من قرن فصاعداً . لان بعضها من قلم العلامة الدويهي († ١٧٠٤) والبطريرك يوسف اسطفان († ١٧٩٣) ومن قلم ابن اخيه المطران يوسف اسطفان († ١٨٢٣) . وبعضها الاخر من قلم المطران جرمانوس فرحات († ١٧٣٢) . وينسب بعضها الى المطران عبدالله قراعلي († ١٧٤٢) مؤسس الرهبانية اللبنانية . والى القس عبدالمسيح الحلبي (١٧٤٢) . ومن طالع هذه الصلوات رأى نقي الفاظها ورشيق عباراتها وسامي معانيها فحكم بأن مؤلفيها علماء اعلام وكلهم حجة دامغة . وسنأتي ، ان شاء الله ، في جزء آخر على درس تاريخي قيّم في هذه الصلوات ومؤلفيها .

« يا خدر النقاوة ومخدع اللاهوت قدّمي عنا الصلوات لاله الكل »

٥ وفي السراغيت هذه الابيات :

ܐܘ ܒܥܠܐ ܒܬܘܠܬܐ ܕܡܢ ܩܕܝܫܘܬܐ ܠܡܫܝܚܐ ܐܘܪܙ ܙܪܩܝܢ ܀
ܒܪܬܗ ܕܐܒܐ ܘܐܡܗ ܕܒܪܐ ܘܟܠܬܗ ܕܪܘܚܐ ܩܕܝܫܬܐ ܠܡܪܝܡ ܀
ܟܠܗ ܕܛܘܒܢܐ ܘܕܟܝܘܬܐ ܘܟܠ ܫܘܦܪܐ ܕܕܠܐ ܡܫܚܬܐ ܀ ܘܒܗ
ܒܗ ܡܠܟܘܬ ܘܒܗ ܐܫܬܟܚܘ ܕܪܘܡܐ ܘܥܘܡܩܐ ܡܢܗ
ܡܬܥܕܪܝܢ .

ما اغنى قداستك بالفضائل ايتها الطوباوية مخزن المحاسن . يا بنت الآب وام الابن وعروس الروح الموعبة عجائب . يا كنز الخيرات والجمال ويمّ المنح اللّا حدَّ له . قد استجمعتِ كل هذه المحاسن وانحصرت فيك حتى ان العلو والعمق يستفيدان الفضل منك .

٦ وفي صلاة الليل بلحن ܒܥܒܪܝܢ ܢܣܒܐ ܟܬܒܐ تقول البيعة :

ܫܘܒܚܐ ܠܟ ܐܒܐ ܕܪܚܡܐ ܕܠܐ ܡܬܐܡܪܝܢ . ܕܓܒܝܬ ܡܪܝܡ
ܡܢ ܟܠ ܒܪܝܬܐ . ܘܡܠܝܬܗ ܛܝܒܘܬܐ ܘܟܠ ܡܘܗܒܬܐ .
ܘܥܒܕܬܗ ܫܘܪܐ ܕܪܚܡܐ ܠܟܠܗܝܢ ܫܪܒܢ .

المجد لك يا أبا المراحم الـذي اخترت مريم من كل البرايا « وملأتها نعماً ومواهب » وجعلتها سور المراحم لجميع القبائل .

٧ وفي لحن ܒܥܠܝ ܡܢ ܣܕܪܐ ܕܪܘܚܢܐ تصلي هاتفة :

ܥܠܝ ܡܢ ܣܕܪܐ ܕܡܠܐܟܐ ܡܫܬܒܚܐ ܟܠܬܐ ܩܕܝܫܬܐ
ܕܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܝܡܐ ܕܚܘܒܐ . ܘܡܫܬܥܠܝܐ ܥܠܝ ܡܢ ܫܘܦܪܐ
ܕܥܝܪܐ . ܡܛܠ ܕܗܘܝܬ ܡܪܟܒܬܐ ܠܒܪܗ ܕܐܒܐ .

« يا عروس الروح القدس بحر الحب انك لاسمى من محـاسن العلويين وممدوحة اكثر من صفوف الملائكة لانك صرتِ مركبة لابن الآب » :

٨ وفي لحن ܐܒܪ ܩܕܝܫܐ تقول :

ܠܐ ܐܝܬ ܕܛܘܒܐ ܕܗܘܝܐ ܗܘ ܒܒܬܘܠܘܬܐ . ܘܠܐ ܒܥܒܪܘܬܐ

ܠܐ ܫܟܝܚܐ ܒܐܪܥܐ ܕܐܝܟ ܒܬܘܠܬܐ ܠܥܠܡܝܢ ܕܢܫܬܟܚ.
ܘܒܪܘܡܐ ܠܝܬ ܐܝܟܘܬܗ. ܠܗܝ ܕܝܠܕܬ. ܐܠܗܐ ܒܪܢܫܐ
ܒܬܕܡܘܪܬܐ.

انه لا يوجد في الارض مِثلٌ للبتول ابدًا . ولا بالعلا يوجد قِرنٌ لوالـدة الله . لانها مرتفعة بالصفوف النارية « ومباركة بين نساء العالم » لانها ولدت باعجوبة الاله انسانًا .

٩ وفي صلاة الساعة الثالثة بلحن ܡܠܐ ܘܫܡܥܝܢ :

ܒܣܦܪܐ ܕܫܝܪܝܢ ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܚܘܝ ܒܫܘܒܚܐ ܒܪܬܐ.
ܘܐܡܪ ܕܐܝܟܢܐ ܫܘܫܢܬܐ ܒܝܢܬ ܟܘܒ̈ܐ. ܗܟܢ ܩܪܝܒܬܝ
ܫܦܝܪܬܐ ܒܝܢܬ ܒܢ̈ܬܐ ܕܢܦܠܝ ܒܚܘܒܠܐ.

ان الروح القدس قد ابان في نشيد الاناشيد « عن الحبل بك بلا دنس ما » فقال « كالسوسنة بين الشوك[1] كذلك قرينتي الجميلة » بين البنات اللاءي سقطنَ في الاثم .

١٠ ܐܠܗܐ ܕܒܚܘܒ ܠܒܗ ܓܒܗ ܡܢ ܩܕܝܡ ܘܐܥܠܝܗ ܥܠ
ܥܝܪ̈ܐ. ܘܡܠܝܗ ܢܦܫܗ ܛܝܒܘܬܐ ܘܫܘܦܪ̈ܐ ܕܝܩܪ̈ܐ. ܐܝܟ ܕܐܡܪ
ܪܘܚ ܩܘܕܫܐ ܒܦܬܓܡ̈ܐ ܕܡܬܠ̈ܐ ܕܝܩܝܪ̈ܐ.

ان الله بمسرة قلبه اختارها منذ القديم « ورفعها على الملائكة وملأ نفسها نعمة ومحاسن مبجلة » كما قال الروح القدس في سفر الامثال العجيبة .

العدد الثاني

الشهادات الواردة في صلاة شرف العذراء من كتاب التشحيت

١ جاء في الفاتحة هكذا :

ܫܘܒܚܐ ܠܟ ܐܒܐ ܡܠܟܐ ܡܠܟ̈ܐ. ܕܒܚܘܒܟ ܓܒܝܬ
ܡܘܗܒܬܐ ܠܒܢܝ̈ ܐܕܡ ܕܢܗܘܐ ܠܥܠܡܐ ܡܫܝܚܐ. ܘܐܩܝܡܬܗ
ܘܥܠܝܬܗ ܡܢ ܟܠ ܡܠܐܟ̈ܐ ܘܐܪܘܡܬܗ ܒܫܘܦܪ̈ܐ.

---

1) نشيد ٢:٢ .

نسجد لك ايها الآب علة العلل يا من صورت بعقلك قديمًا ابنتك مريم النقية علّة افراحنا وكونتها « وحفظتها من كل دنس اصلي » وشرفتها بالمحاسن.

٢ وفي لحن ܪܘܡܐ ܡܫܒܚܐ نقرأ :

ܡܪܝܡ ܩܒܠܬ ܛܝܒܘܬܐ. ܠܡܢ ܕܪܘܚܐ ܩܘܕܫܐ ܒܟܪܣܐ
ܕܐܡܗ. ܘܐܬܢܛܪܬ ܡܢ ܠܘܛܬܐ ܟܘܠܢܝܬܐ ܕܥܒܪܬ ܠܢ.
ܒܥܒܪ ܦܘܩܕܢܐ ܩܕܡܝܐ ܒܡܪܚܘܬܐ.

« ان مريم وجدها قبلت نعمة الروح القدس منذ وجودها في حشا امها ونجت من اللعنة العامة التي حلّت بنا بتجاوز الوصية الاولى بجسارة ».

٣ ܒܪܝܐ ܕܟܠ ܓܒܐ ܠܒܬܘܠܬܐ ܡܪܝܡ ܘܓܒܝܗ ܡܢ
ܟܠܗܝܢ ܢܫܐ. ܘܐܬܥܠܝܬ ܒܡܝܬܪܘܬܐ ܥܠ ܥܝܪܐ ܘܒܢܝܢܫܐ.
ܗ̇ܝ ܕܝܠܕܬ ܦܪܘܩܐ. ܗ̄ ܫܪܝܪܐܝܬ.

« ان بارئ الكل فضّل البتول مريم فاختارها من بين جميع النساء. وتسامت بالفضائل على الملائكة والبشر لانها ولدت المخلص حقًا ».

٤ ܡܪܝܡ ܢܣܒܬ ܡܢ ܡܘܠܕܗ ܐܝܩܪܐ ܘܪܒܘܬܐ ܕܠܐ
ܡܬܕܪܟܐ. ܗ̇ܝ ܕܩܪܒܬ ܠܗ ܡܢ ܒܪܝܬܐ ܟܠܗܝܢ.
ܫܡܝܢܝܐ ܘܐܪܥܢܝܐ ܗ̄ ܫܪܝܪܐܝܬ.

« ان مريم نالت من ولدها الشرف والعظمة التي لا تدرك لانها اقتربت اليه اكثر من البرايا السماوية والارضية جميعها ».

٥ وفي المرماية ورد :

ܒܥܝ ܚܠܦܝܢ (ܐܘ ܒܬܘܠܬܐ) ܡܢ ܚܬܢܟܝ ܫܡܝܢܐ
ܕܒܪܟܝ ܟܕ ܐܢܬܝ ܕܟܝܐ.

ابتهلي عنا ايتها البتول الى عريسك السماوي الذي خلقك « اناء نقيًا ».

٦ وفي فاتحة الستار جاء :

ܫܘܒܚܐ ܠܡܬܘܡܝܐ ܕܡܢ ܒܪܫܝܬ ܓܒܝܗ ܒܫܘܒܚܐ ܠܡܪܝܡ

ܟܠܗ̇. ܕܒܬܘܠܘܬܐ ܘܩܕܝܫܘܬܐ ܘܫܘܦܪܐ ܠܠܒܘܫܗ̇. ܘܡܢ ܟܠ
ܛܘܼܫܐ ܩܕܡܝܐ ܕܢܛܪܬܗ̇ ܘܡܢ ܕܟܝܘܬܗ̇ ܐܬܓܫܡܬ.

ايا الوحيد السرمدي الذي اخترت بحبك منذ البدء مريم البتول والبتيا العزّ والبها « وحفظتها من كل دنس اصلي » وتجسدت من نقاوتها.

٧ وفي لحن ܒܪܝܟܐ ܕܡܟܝܟܘ ܒܗ ܟܐܢܐ يقول :

ܐܡܪ ܐܘܪܡܝܐ ܢܒܝܐ. ܕܒܪܐ ܡܪܝܐ ܒܪܝܬܐ. ܒܪܝܬܐ ܚܕܬܐ ܟܠܠ
ܐܘܟܠܐ. ܘܒܪܝܬܐ ܠܥܠܡܐ ܚܕܬܐ܀ ܩܕܝܫܬܐ ܒܪܝܬܐ ܚܕܬܐ.
ܕܛܥܢܬ. ܠܦܪܘܩ ܒܪ̈ܝܬܐ. ܕܫܪܝ ܡܢ ܟܪܣܗ̇ ܗܘܐ ܠܡܐܬܐ. ܘܐܬܐ
ܠܥܠܡܐ ܚܕܬܐ.

قال ارميا النبي ان « الاله الحق خلق خلقة جديدة على الارض انثى تحيط برجل جديد » . فالقديسة مريم هي الخليقة الجديدة التي حملت مخلص البرايا الذي ابتدأ من حشاها ان يأتي الى العالم .

٨ وفي الحساي جاء ما يلي :

ܘܫܠܝܡܘܢ ܚܟܝܡܐ ܐܘܕܥ ܥܠ ܗܘܝܗ̇ ܕܒܠܥܕ ܚܛܝܬܐ.

« وسليان الحكيم برهن على تكونها بدون خطية »

٩ وفي الباعوث ما يلي :

ܘܪܘܚܐ ܦܪܩܠܝܛܐ. ܚܕܝ ܒܟܝ ܡܪܝܡ ܒܪܬ ܕܘܝܕ.
ܘܚܘܝ ܒܟܬܒܐ ܩܕܝܫܐ. ܕܫܠܝܡܘܢ ܗܘ ܚܟܝܡܐ. ܘܩܥܐ
ܘܐܡܪ ܗܟܢܐ. ܟܠܟܝ ܫܦܝܪܐ ܟܠܬܐ. ܘܡܘܡܐ ܠܐ ܫܟܝܚ
ܒܟܝ ܡܢ ܥܠܡ. ܒܠܚܘܕ ܒܓܢܣܐ ܕܒܪ̈ܢܫܐ.

ان الروح القدس قد سُرّ بكِ يا مريم بنت داود وابان عنكِ بسفر سليمان الحكيم المقدس وهتف صارخاً هكذا كالك جميلة ايتها العروس « ولا عيب فيكِ بتة انت وحدكِ بين جنس البشر » .

١٠ ܘܟܕ ܢܗܘܘܢ ܐܘ ܩܕܝܫܬܐ. ܒܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܡܬܩܕܫܬܐ.
ܘܟܠܢܝܟܝ ܒܪܘܚܐ ܘܒܦܓܪܐ. ܒܚܝ̈ܠܐ ܠܐܠܗܝ̈ܐ. ܘܢܛܪܟܝ

ܒܡܘܬܪܐ ܡܫܪܐ. ܥܠ ܐܠܗܘܬܟܝ ܕܩܘܕܫܐ. ܘܢܛܪܟܝ ܡܢ ܟܠ ܙܘܥܪ̈ܐ. ܕܢܦܫܐ ܘܦܓܪܐ ܕܡܠܬܐ.

قد ظهر نورك ايتها القديسة مريم للروح القدس الحي الذي رفعك فوقاً واسفل بالشرف الالهي وزينك بالجمال المبجل وأعلاكِ على المراتب الروحية «وحفظك من كل دنس النفس والجسد».

١١ ܢܫܒܚ ܠܐܒܐ ܩܕܝܫܐ. ܕܓܒܝܟܝ ܡܢ ܟܠ ܒܬܘ̈ܠܬܐ. ܘܢܫܒܘܚ ܠܒܪܐ. ܕܐܬܝܠܕ ܡܢܟܝ ܒܕܟܝܘܬܐ. ܘܢܝܩܪ ܠܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ. ܕܥܒܕܟܝ ܟܠܬܐ ܡܨܒܬܬܐ. ܘܐܪܝܡܟܝ ܥܠ ܓܢܣܐ ܕܢܫ̈ܐ. ܕܐܬܛܢܦ ܒܟܠ ܛܘܠܫ̈ܐ.

نشكر الآب القدوس الذي اجتباكِ من بين جميع البتولات ونمجّد الابن الذي ولد منكِ بنقاوة ونكرّم الروح القدس الذي خلقك عروساً مزينة «وشرفكِ على جنس الاناث اللاءي تلطخنَ بالادناس».

١٢ وفي صلاة الصبح بلحن ܩܘܡ ܒܫܘܒܚܐ ورد:

ܡܠܦܢ̈ܐ ܕܥܕܬܐ ܫܪܝܪ̈ܐ ܕܐܬܡܠܠܘ ܒܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ. ܗܢܘܢ ܚܘܝܘ ܠܢ ܕܡܪܝܡ ܒܪܬ ܚܢܐ ܠܐ ܐܬܛܢܦܬ. ܒܚܛܝܬܐ ܗ̄ ܗܕܐ ܡܣܬܟܠܢܘܬܐ ܐܬܚܙܝܬ ܡܢ ܡܠܦܢܘܬܗܘܢ ܢܨܝܚܬܐ.

ان ملافنة البيعة الحقيقيين الذين تكلموا بالروح القدس ابنتوا لنا ان «مريم ابنة حنة لم تتدنس بالخطية» وقد انجلى هذا الرأي من تعليمهم الشريف.

١٣ ܡܪܝ ܐܝܪܢܝܘܣ ܙܪܩ ܠܪܥܝܢܐ ܡܫܝܚܝܐ ܘܚܘܝ ܕܟܝܘܬܗ ܕܡܪܝܡ. ܡܢ ܣܗܕܐ ܡܫܪܪܐ ܕܗܘ ܐܬܒܣܡ ܒܗ ܐܦ ܗܘ ܐܡܪ ܐܠܗܐ ܗ̄ ܡܢ ܡܠܦܢܘܬܗ ܘܬܚܘܝܬܐ ܒܡܫܡܠܝܘܬܐ ܕܚܘܝܘ ܐܒܗ̈ܐ ܕܝܠܢ.

ان القديس ايرونيوس محق الفكر السمج «وبيّن براءة القديسة مريم من

(١) النشيد ٤:٧.

الخطية الاولى التي تلطخ بها بنو آدم وقال هكذا قولاً سديداً : من يجسر ان يرمي دنسا بمريم ام الله » .

١٣ ܐܝܟܘ ܕܐܠܗܐ ܓܒܐ ܠܗ ܥܡܐ ܡܢ ܥܡܡܐ ܘܦܪܫܗ ܠܢܦܫܗ ܒܐܝܩܪܐ. ܡܢܐ ܐܡܪ ܐܢܬ ܥܠ ܡܪܝܡ ܕܓܒܗ̇ ܡܪܗ ܘܦܪܫܗ̇ ܠܢܦܫܗ ܡܢ ܠܥܠܡ ܘܢܛܪܗ̇ ܒܟܪܣܗ ܕܝܠܕܬܗ̇ ܘܨܒܬܗ̇ ܒܡܥܠܝܢ ܕܟܝܢܐ.

اذا كان الله قد اختار لذاته شعباً من بين الشعوب وخصه بنفسه مكرّماً فماذا تقول اذن عن مريم التي اختارها الرب وميّز نفسها منذ الازل وحفظها بحشا والدتها وزينها بالفضائل السامية » .

١٥ وفي المرماية تقول الكنيسة :

ܐܪܝܡܝܢ ܒܥܝܢܐ ܡܪܚܡܢܝܬܐ ܐܘ ܡܪܝܡ ܝܘܢܐ ܫܦܝܪܬܐ ܘܒܬܘܠܬܐ ܡܢܗܪܬܐ ܕܡܢܟܝ ܕܢܚ ܢܫܪܐ ܥܬܝܩ ܝܘܡܬܐ ܘܡܠܟܝ ܥܠ ܟܠ ܒܪܝܬܐ ܥܠܝܬܐ ܘܬܚܬܝܬܐ.

« ارمقي بنا بعين رؤوفة يا مريم الحمامة الوديعة والبتول المشرقة يا من ظهر منك النسر القديم الايام ورفعك على البرايا العلوية والسفلية » .

١٦ وفي لحن ܒܥܘܬܐ ܕܡܪܝ ܝܥܩܘܒ تقول البيعة :

ܘܝ ܠܟܦܘܪܐ ܕܐܡܪ ܕܡܪܝܡ ܦܫܬ ܐܦܠܐ ܙܒܢ ܩܠܝܠ ܬܚܝܬ ܫܘܠܛܢܐ ܕܒܝܫܐ. ܒܥܘܒܐ ܕܥܩܪܬܐ. ܘܪ̈ܫܝܐ ܕܥܕܬܐ ܐܚܪܡܘܗ̇ ܠܗ̇ ܪܥܝܢܐ ܕܡܣܪܝ ܘܡܣܠܝ.

« الويل لمن يكفر قائلاً : ان مريم مكثت تحت استيلاء الشرير ولو زمناً يسيراً اذ حبل بها من امها العاقر فان رؤساء البيعة جرموا هذا الرأي المرذول والمرفوض » .

١٧ ܬܫܒܚܬܐ ܕܚܘܒܐ ܘܩܘܠܣܐ ܕܠܐ ܫܠܝܐ ܢܣܩ ܥܡܡܐ ܟܠܗܘܢ ܠܬܫܒܘܚܬܟܝ ܢܩܪܒܘܢ ܠܟܝ ܡܪܝܡ ܕܠܐ ܚܛܝܬܐ ܕܐܢܫܐ ܘܩܕܝܫܬܐ ܡܢ ܟܠ ܕܪܐ.

ان سكيستوس الرابع وبيوس الخامس العظيم وسائر الاحبار والاغوسطينوس قد أثبتوا لنا جميعهم « ان حبل حنة البارة بمريم هو طاهر وبريء من كل دنس.

١٨ ܚܣ ܠܗ ܠܦܪܘܩܐ ܕܢܫܒܘܩ ܠܗܝ ܕܒܬܐ ܕܗܘܬ
ܘܬܗܘܐ ܐܡܗ ܘܛܥܝܢܬ ܪܒܘܬܗ. ܕܬܫܠܛ ܥܠ ܢܦܫܗ ܕܟܝܬܐ
ܚܛܝܬܗ ܕܚܘܐ ܕܥܒܪܬ ܥܠ ܫܪܒܬܐ.

« حاشا المخلص ان يترك تلك السيدة ان تكون امه وتحمل عظمته ، تتسلط على نفسها النقية خطيئة حواء التي عمت القبائل .

١٩ ܚܣ ܠܗ ܠܐܠܗܐ ܟܐܢܐ ܕܥܩܪܐ ܕܩܕܝܫܘܬܐ ܕܢܫܪܐ ܒܡܘܬܒܐ
ܡܛܘܫܫ ܒܚܛܗܐ. ܐܠܐ ܓܒܐ ܠܗ ܡܐܢܐ ܕܟܝܐ ܘܫܦܝܪܐ ܕܫܘܐ
ܗܘ ܠܐܝܩܪ ܫܘܒܚܗ.

« حاشا الاله البرّ اصل القداسة ان يسكن خدرًا مدنسًا بالخطايا » . انما يختارة اناء نقيًا وجيلًا يليق لاكرام مجده .

٢٠ ܡܪܝܡ ܕܐܬܢܛܪܬ ܡܢ ܚܛܝܬܐ ܩܕܡܝܬܐ ܘܡܢ ܛܘܫܐ ܕܥܒܪ
ܦܘܩܕܢܐ. ܐܬܒܚܪ ܒܚܕܝܟܝ ܕܢܗܘܐ ܠܗ ܗܝܟܠܐ ܕܟܝܐ
ܒܢܫܡܬܐ ܪܘܚܗ ܕܐܘܪܒ ܐܝܩܪܟܝ.

« يا مريم التي الحفظتِ من الخطية الاصلية ومن دنس تجاوز الوصية » ابتلي الى وحيدك لتكون له اخدارًا نقية بنسمة روحه الذي عظم شرفك .

٢١ وفي لحن ܝܘܡܐ ܕܒܬܐ جاء :

ܐܝܟ ܕܝܗܘܕܝܬ ܨܒܬ ܒܨܘܡܐ ܘܡܟܝܟܘܬܐ ܐܪܥܝܬ ܠܐܠܗܐ
ܘܗܕܝܐ ܠܐܠܗܐ. ܦܣܩܬ ܪܫܐ ܕܪܒ ܚܝܠܐ ܕܐܬܘܪܝܐ
ܘܫܒܚܘ ܚܙܝܐ ܗ̄ ܡܪܝܡ ܕܐܪܥܝܬ ܠܡܪܢ ܦܣܩܬ ܪܫܐ
ܕܒܝܫܐ ܒܗܘܝܗ.

كما ان يهوديت تزينت بالصوم والاتضاع وارضت الله قطعت رأس قائد جيش الاثوريين فانشد بذلك الناظرون « هكذا مريم التي ارضت الرب قطعت رأس الشرير فور وجودها » .

٢٢ ܐܠܗܐ ܕܟܠ ܐܘܣܦ ܛܝܒܘܬܗ ܠܡܪܝܡ ܘܢܛܪܗ̇ ܡܢ ܟܠ ܚܘܒܐ ܕܨܒܝܢܐ. ܒܦܪܢܣܘܬܗ ܕܝܠܢܝܬܐ ܡܚܝܠܬܐ ܕܚܝܠܬ ܠܪ̈ܓܫܝܗ̇ ܕܢܦܫܐ ܘܦܓܪܐ ܘܪܚܩܬ ܡܢܗ̇ ܒܥܠܕܒ̈ܒܐ ܒܝܕ ܡܠܐ̈ܟܐ ܥܡܘܪ̈ܝ ܡܠܟܘܬܗ.

ان اله الكل ضاعف نعمه لمريم « وحفظها من كل اثم اختياري بعنايته » الخاصة التي قوّت حواس نفسها وجسدها وابعدت عنها الاعداء بواسطة الملائكة القاطنين في الملكوت .

٢٣ ܒܝܬ ܩܘܕܫܐ ܡܗܝܡܢܬܐ ܕܒܡܠܐܟܝܟ ܐܠܗ̈ܝܐ ܣܡܟܝ ܠܡܚܒܒܝܟ. ܫܪܪܐ ܕܕܟܝܘܬܗ ܡܪܝܡ ܕܕܟܝܬܐ ܡܢ ܚܛܗܐ ܩܕܡܝܐ ܘܚܘܒܐ ܕܨܒܝܢܐ ܗ̄ ܐܦܝܣܝ ܥܡܗ̇ ܠܐܠܗܐ ܕܢܚܐ ܩܕܡܘܗܝ ܚܝ̈ܐ ܩܕܝܫܐ.

يا بيعة القدس المؤمنة يا من بواسطة ملائكتكِ الالهيين اثبتِ لمحبيك « حقيقة براءة مريم النقية من الخطية الاصلية » والاثم الاختيــاري ابتهلي مع مريم الى الاله لكي نحيا امامه حياة مقدسة .

٢٤ ܒܬܘܠܬܐ ܡܪܝܡ ܕܢܛܪܬܝ ܡܪܟܝ ܡܢ ܒܟܪܣܐ ܕܐܡܟܝ ܟܝܢܐ ܕܐܡܟܝ. ܘܟܝܢ ܒܥܠܡܐ ܕܢܛܪܟܝ ܡܢ ܟܠ ܒܨܝܪܘܬܐ ܘܚܘܒܐ ܩܪ̈ܝܒܬܐ ܗ̄ ܐܦܝܣܝܗ̇ ܕܢܫܒܘܩ ܚܛܗ̈ܝܢ ܕܨܒܝܢܐ ܘܠܐ ܕܨܒܝܢܐ.

« ايتها البتول مريم التي حفظتِ سيدكِ في حشا امك من الدنس » الاصلي « وحفظكِ في العالم من كل نقص واثم اختياري » تضرعي اليه ليمحو ذنوبنا الارادية واللا إرادية .

٢٥ وفي لحن ܥܠ ܕܡܫܝܚܐ هذا :

ܒܫܘܒܚܐ ܒܟܠܝܠ ܢܘܗܪܐ ܡܪܝܡ ܗܝ ܕܠܐ ܚܛܝܬܐ ܡܬܟܠܠܐ ܒܚܘܒܐ. ܘܐܝܟ ܫܘܫܢܬܐ ܕܒܝܬ ܚܘ̈ܚܐ ܡܢ ܩܘܒܠܐ ܘܢܫܝܡܘܬܗ̇ ܛܒ ܡܢ ܒܢ̈ܬܐ. ܐܠܐ ܕܐܬܦܠܬ ܒܣܘܟܠ ܡܪܝܐ ܕܒܓܘܗ ܘܐܬܢܨܪܬ ܩܠܠܐ.

« دخلت الهيكل مريم الفتاة المحتاجة للتطهير لانها اطهر من الشمس واشرف من الملائكة » وانما دخلت لتكمل ناموس الرب الذي « اختارها » ولكي تتم الالغاز المنذرة فيها .

٢٦ وفي السواغيت يقول هكذا :

ܠܐ ܐܬܐܣܪܬ ܒܐܣܘ̈ܪܐ ܡܡܬܘܡ ܕܚܛܗܐ ܩܕܡܝܐ ܘܪ̈ܓܝܓܬܐ.

« اي : ان البتول مريم لم تربط ابدًا برباطات الاثم الاول والشهوة » .

٢٧ وفي الحسايه تنشد البيعة .

ܒܗܘ ܡܪܐ ܕܓܒܐ ܠܡܪܝܡ ܡܟܝܟܬܐ ܘܒܗ ܐܬܢܝܚ. ܘܐܘܪܒܗ ܒܫܘܒܚܐ ܡܛܠ ܡܟܝܟܘܬܗ ܘܥܠ ܒܪ̈ܝܬܐ ܡܪ̈ܓܫܢܝܬܐ ܘܪ̈ܘܚܢܝܬܐ ܐܘܪܗ̇.

لذلك السيد الذي اختار مريم الوضيعة وتأنس منها ورفعها بالشرف لاجل تواضعها . « وجعلها فوق الخلائق الحسية والروحية » .

العدد الثالث

الشهادات الواردة في صلاة عيد الحبل بلا دنس من الشحيم

١ جاء في فاتحة صلاة المساء هذه الفقر الدرية :

ܡܪܝܐ . . . ܕܒܒܘܪܟܬܟ ܥܒܕܬ ܘܠܐ ܡܩܒܠܢܐ ܕܚܢܐ ܥܩܪܬ ܒܥܘܗ̈ܕܢܝܟ. ܘܒܬܘܠܬܐ ܡܪܝܡ ܕܠܐ ܚܛܝܬܐ ܩܕܡܝܬܐ ܕܐܬܚܝܒ . . . ܕܐܕܡ ܐܒܘܢ ܡܛܠ ܕܥܒܪ ܦܘܩܕܢܟ ܐܠܗܝܐ.

اي : ايها الرب الاله الذي ببركتك جعلت مستودع حنة العاقر والعقيم خصبًا بالبنين « فحملت بالبتول مريم بدون الخطيئة الاصلية التي استولت على آدم » لانه تجاوز امرك الالهي .

٢ وفي الصلاة الثانية وردت هذه .

ܡܩܒܠ ܐܠܗܐ ܠܒ̈ܥܘܬܢ ... ܒܗܢܐ ܝܘܡܐ ܩܕܝܫܐ ܕܒܗ
ܒܛܢܬ ܚܢܐ ܠܡܪܝܡ ܩܕܝܫܬܐ ܕܠܐ ܡܢ ܚܛܝܬܐ ܩܕ̈ܡܝܬܐ.

اللهمّ اسمع صلواتنا بهذا اليوم المقدس الذي به حملت حنة « بمريم القديسة بغير خطية اصلية » .

٣ وفي اللحن الاول ܩܘܩܠܝܐ ما يلي :

ܐܢ ܗܘܐ ܘܡܠܐܟܐ ܕܐܠܗܐ ܐܩܝܡ ܐܝܟ. ܡܫܡܫܢܐ
ܠܐܠܗܘܬܗ ܘܛܟܣ ܟܝܢܐ ܕܝܠܗܘܢ. ܟܡܐ ܝܬܝܪ ܠܢ ܕܢܗܝܡܢ
ܒܒܬܘܠܬܐ ܡܪܬܗܘܢ. ܕܒܪܗ ܘܨܒܬܗ ܝܬܝܪ
ܡܢ ܟܠܗܘܢ ܟܠܗܘܢ.

اذا كان الله تعالى جعل الملائكة خداماً للاهوته ورتّب طبعهم فكم يجب ان نؤمن بالبتولة سيدتهم التي ابدعها وجمّلها اكثر منهم جميعهم .

؛ ܒܕܝܬܩܐ ܥܬܝܩܬܐ ܠܐܪܡܝܐ ܢܒܝܐ ܩܕܫܗ. ܘܒܚܕܬܐ
ܐܦ ܠܝܘܚܢܢ ܡܫܕܪܗ ܙܕܩ ܘܩܕܫܗ. ܟܡܐ ܗܟܝܠ ܒܡܪܝܡ
ܐܡܗ ܐܫܦܥ ܥܘܬܪܐ ܕܪܒܘܬܗ. ܘܚܪ ܒܗ ܒܫܦܝܪܘܬ ܠܒܗ
ܘܡܠܐ ܢܦܫܗ ܒܛܝܒܘܬܗ.

ان الله تعالى في العهد القديم قدّس ارميا النبي وفي العهد الجديد برّر يوحنا قاصده فكم اذن قد افرغ غنى عظمته بمريم امه ونظر اليها بحسن قلبه[1] « وملأ نفسها بنعمته » .

٥ ܐܢ ܐܡܪܝܢ ܕܒܪܘܚܐ ܠܐ ܡܪܝܐ ܡܫܬܟܚ ܠܐܡ ܙܪ̈ܥܐ. ܡܢ ܟܠ
ܓܒܐ ܘܡܫܒܚܬܐ: ܒܬܘܠܘܬܗ ܕܡܪܝܡ. ܘܐܢ ܐܡܪܝܢ ܕܗܘ
ܡܫܬܟܚ ܐܠܐ ܠܐܢܬܬܐ ܡܪܟܒܝܢ. ܕܒܡܠܬܗ ܡܪܝܐ ܟܠ ܡܕܡ
ܕܐܬܒܘܝܗ ܘܡܥܒܘܪܝܢ.

---

(١) بجرة قلبه وجودته .

« ان قلنا ان الباري تعالى لا يقدر ان يعصم امَّ ربنا من الاثم والسقطة (الاولى) نكفر بقدرته . وان قلنا انه قادر على ذلك لكنه تعالى لم يشأ نكذب لأنه قد ملأها بنعمته محاسن لمجده وخلاصنا » .

٦ ܚܙܐ ܦܠܐܬܗ ܕܡܪܝܡ ܡܪܝ ܝܘܚܢܢ ܒܓܠܝܢܗ . ܟܣܝܐ ܓܝܪ ܒܫܡܫܐ ܕܟܐܢܘܬܐ ܘܣܗܪܐ ܟܒܝܫ ܗܘ ܬܚܝܬ ܪ̈ܓܠܝܗ̇ . ܘܬܢܝܢܐ ܕܫܒܥ ܪ̈ܫܝܢ ܠܐ ܐܫܟܚ ܡܚܒܠܘܬܗ̇ ܕܐܠܗܢ . ܘܡܪܝܐ ܚܝܠܗ̇ ܠܗ̇ ܕܠܐ ܢܗܘܐ ܫܘܠܛܢܐ ܥܠ ܐܡܗ .

قد ابان ماري يوحنا في جليانه[1] بهاء مريم فقال انها متشحة بشمس الحق والقمر تحت اخمصها وان التنين ذا الرؤوس السبعة لم يستطع ان يضرها لان « الرب قواها حتى لا يكون للتنين استيلاء على امه » (فكان هذا التنين خزاه الله :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

٧ ܒܦܘܩܕܢ ܡܪܝܐ ܥܒܕ ܡܘܫܐ ܩܒܘܬܐ ܕܠܐ ܡܬܚܒܠܐ . ܕܢܫܪܐ ܒܗ ܐܕܘܢܝ[2] ܠܦܘܪܩܢ ܥܡܐ ܕܡܬܚܒܠ . ܡܪܝܡ ܩܒܘܬܗ ܕܡܪܝܐ ܕܒܚܛܝܬܐ ܠܐ ܐܬܚܒܠܬ . ܕܓܒܗ̇ ܡܪܗ̇ ܡܢ ܩܕܡ ܥܠܡܝܢ ܘܫܪܐ ܒܗ̇ ܥܡܪܐ ܘܐܬܩܕܫ .

بامر الرب صنع موسى تابوتاً من خشب لا ينخر ليسكن فيه الله لخلاص الشعب المفسود « ومريم هي تابوت الرب الذي لم يفسد بالاثم لأنه تعالى ابنها اختارها منذ الازل ثم حلّ في مستودعها الطاهر » .

٨ ܡܪܢ ܕܒܡܫܡܫܢܘܬܗ ܕܟܝܐ ܥܒܕܐ ܘܐܡܗܬܐ . ܘܕܟܝ ܐܢܘܢ ܒܫܡܫܘܬܗ ܕܥܡܗ ܥܒܕܘܗܝ ܒܡܓܢ . ܐܝܟܢܐ ܠܐܡܗ ܘܝܠܕܬܗ ܠܐ ܢܕܟܐ ܡܢ ܚܛܝܬܐ ܩܕܡܝܬܐ . ܡܛܠܗܕܐ ܚܙܝܢ ܕܠܐܡܗ ܕܟܠܢ ܒܢܘܗܪܐ ܐܠܗܝܐ .

« ترى اي فاقد اللب يفكر بان سيد الاطهار الذي طهّر خدامه مجاناً حتى

١) رؤيا ١٢ : ١-٣ .

٢) من اسماء الله تعالى عند العبرانيين .

اللصوص المردة قد ترك امه (تحت تبعة الخطيئة) وهي المحبوبة اكثر من الملائكة العلويين . اذن فلنؤمن بدون شك انه زينها بالمحاسن السرمدية » .

٩ ܠܐ ܐܬܛܒܥܬ ܩܒܘܬܐ ܡܢ ܡܝ̈ܐ ܕܗܘܐ ܛܘܦܢܐ ܕܐܬܩܢܗ ܗܘܐ ܢܘܚ ܐܘܡܢܐ ܘܚܫܒܗ ܡܛܠ ܦܘܪܩܢܐ܆ ܩܒܘܬܐ ܕܩܘܫܬܐ ܡܪܝܡ ܕܐܬܩܢܗ ܡܪܝܐ ܐܘܡܢܐ܂ ܘܥܠܝܗ ܡܢ ܟܠܗܘܢ ܟܐܢ̈ܐ܂ ܘܥܒܕܗ ܓܘܣܐ ܘܡܥܕܪܢܐ܂

لم تتفسد السفينة من مياه الطوفان لان نوحاً البار احكم صنعها لاجل النجاة . « وهكذا لم تتفسد سفينة الحق مريم التي بناهـا الرب متقن البرايا ورفعها على جميع الابرار وجعلها ملجأً وملاذاً » .

١٠ وفي المرماية تقول البيعة :

ܐܘ ܕܟܝܬܐ ܕܒܥܘܒܗ ܕܚܢܐ ܐܡܗ̇ ܐܬܒܪܝܬܝ ܕܠܐ ܚܛܝܬܐ ܘܥܠ ܪܫܗ ܕܚܘܝܐ ܒܝܫܐ ܕܐܛܥܝܗ ܠܓܢܣܢ ܕܫܬ ܘܐܬܪܘܪܒܬܝ܂

« ايتها النقية التي تكونت في حشا امها حنة بدون خطية وتشرفت فوطئت راس الحية الخبيثة التي اضلت جنسنا » .

١١ وفي اللحن الثاني ܡܫܘ ܐܘܪ̈ܚܐ تقول هذا :

ܢܦ̈ܫܬܐ ܕܒܢ̈ܝ ܐܕܡ ܡܢ ܡܬܒܪܝܢ ܟܕ ܐܣܝܪ̈ܢ ܡܫܥܒܕܢ܂ ܐܢܐ ܕܝܢ ܐܡܪܐ ܡܪܝܡ ܒܨܒܝܢܗ ܒܪܝܢܝ ܘܨܒܬܢܝ ܒܫܘܦܪ̈ܐ ܘܐܡܪ ܠܝ ܗܐ ܗܘܝܬܝ ܫܦܝܪܬܐ܂

ان أنفس بني آدم تخلق مربوطة مذللة « اما انا ، تقول مريم ، فقد برأني الباري بحبه » وزينني بالمحاسن وقال لي : ها انك جميلة .

١٢ ܡܛܠ ܕܐܬܩܢܝܬܘ ܐܡܪ ܠܝ ܡܫܝܚܐ ܐܘ ܟܠܬܐ ܐܝܟ ܫܘܫܢܬܐ ܒܝܬ ܚܘܚ̈ܐ܂ ܗܟܢܐ ܪܚܡܬܐ ܕܝܠܝ ܒܝܬ ܒ̈ܢܬܐ ܕܒܝܬ ܚܘܪ̈ܐ ܦܠܛܬ ܚܘܪܐ ܡܢ ܟܠ ܡܘܡ ܘܡܘܒܐ ܠܝܬ

اذ وجدته قال لي : قد وضعتكِ يا عروسي كالسوسنة بين الشوك[1] وسائر البشر تدنسوا « وهي بمفردها تحررت من كل عيب » وصارت اماً .

١٣ ܟܕ ܐܨܒܝ ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܠܡܪܒܝܬܐ ܕܐܫܬܒܚܬܝ ܡܪܝܡ ܕܟܝܬܐ. ܬܗܪ ܒܟܝ ܕܘܕܐ ܟܕ ܐܡܪ. ܐܘ ܡܫܒܚܬܐ ܗܘܝܬܝ ܫܦܝܪܬܐ ܒܟܠ ܡܕܡ ܘܡܘܡ ܠܐ ܐܝܬ ܒܟܝ.

اذ شاء الروح القدس أوضاعَ مبداكِ ، يا مريم النقية ، تعجب بها فقال يا حبيبتي انتِ جميلة بكل شيء « ولا عيب فيكِ[2] » .

١٤ وفي السواغيت تترنم بقولها :

ܐܬܝܬ ܠܥܠܡܐ ܡܢ ܦܘܡ ܡܪܝܐ ܝܚܝܕܝܬܐ ܕܥܒܕܘܗܝ.

تقول مريم اني جئت الى العالم من فم الرب وحيدة اعماله .

١٥ وفي الحسابة تنشد :

ܗܕܐ ܕܡܢ ܚܢܐ ܐܬܒܛܢܬ ܕܠܐ ܡܢ ܚܛܝܬܐ ܩܕܡܝܬܐ.

« هذه التي حبلت بها حنة بدون الخطيئة الاصلية » .

١٦ وفي السدر تقول :

... ܚܟܡܬܐ ܕܐܠܗܐ ܐܒܐ ܟܕ ܚܙܐ ܠܐܒܕܢܢ ܐܬܪܚܡ ܥܠ ܓܢܣܢ ܘܝܗܒܬ ܦܘܪܩܢܐ ܥܠܬܐ ܠܢ. ܟܕ ܠܡܪܝܡ ܕܒܝܬܐ ܕܕܘܝܕ ܕܝܠܗ ܒܚܪ. ܘܒܠܒܝ ܚܛܝܬܐ ܩܕܡܝܬܐ ܐܬܒܛܢܬ ܒܗ. ܘܐܦ ܐܝܟ ܚܘܒܐ ܦܪܝܫܐ ܢܛܪܗ̇ ܠܗ̇ ܕܠܗ ܡܪܝܡ ܐܒܐ ܠܒܬܘܠܘܬܐ ܐܦܝܩ ܒܗ̇ ܢܘܟܪܝ. ܘܠܐܠܗܐ ܘܠܡܘܠܟܗ. ܘܗܝ ܠܐܡܗ ܠܡܫܘܚܘ ܐܬܒ ܠܡܫܘܚܗ ܠܒܪܗ. ܘܠܐ ܐܬܦܪܫܬ ܠܚܝܐ ܕܩܢܘܡܗ ܡܫܝܚܐ ܕܠܘܬ ܡܪܝܡ ܒܬܪܘܗ.

ان حكمة الله الآب اذ رأى هلاكنا تراءف على جنسنا ومنحنا علة الخلاص

1) نشيد الاناشيد ٢ : ٢ .

2) نشيد ٤ : ٧ .

« اذ برأ مريم النقية مجبولًا بها نجشا حنة من عيز الخطيئة الاصلية ولم يدع يد الحية الخبيثة ان تمسها بل قال لها اني اجعل العداوة بينكِ وبين المرأة وبين نسلكِ ونسلها وهي تسحق رأسكِ وانت ترصدين عقبها[1] . ولم يستطع التنين الكثير الرؤوس ان يدنو من مريم البتة » .

١٧ ثم تقول هكذا :

ܗܕܐ ܕܒܡܫܒܚܬܐ ܐܣܬܝܪ ܡܠܟܬܐ ܕܐܡܪ ܠܗ ܡܠܟܐ ܐܚܫܘܪܫ
ܢܡܘܣܐ: ܕܢܡܘܣܝ ܦܘܩܕܢܐ ܕܝܠܟܝ ܠܐ ܗܘܐ. ܘܝܬܝܪ ܡܢ ܐܣܬܝܪ
ܐܬܥܠܝܬ ܕܐܠܗܐ ܡܠܝܗ ܛܝܒܘܬܐ ܘܨܒܬܗ ܒܡܝܬܪܘܬܐ.

« هذه التي ماثلت استير الملكة التي قال لها الملك ارتحشتا ان شريعتي ليست عليكِ[2]. بل قد فاقت استير فضلًا لان الله ملأها نعماً وزينها بالفضائل ».

١٨ وفي لحن ܩܘܡܝܬ تقول :

ܘܢܛܪܗ̇ (ܠܢܦܫܗ ܕܡܪܝܡ) ܡܢ ܟܠ ܥܘܠܐ ܘܚܫܐ ܡܪܝܪܐ.

« اي : وعصم نفس مريم من كل هاجس ضدي ومن الآلام المقيتة »[3].

١٩ وفي المرماية تقول :

ܫܘܒܚܐ ܘܬܘܕܝܬܐ ܢܣܩ ܠܐܠܗܐ ܕܒܪܟܝ ܟܠܬܐ
ܩܕܝܫܬܐ ܡܢ ܟܕ ܒܛܢܬ ܐܡܟܝ ܒܟܝ ܘܕܠܐ ܚܛܝܬܐ

« ونمجد ونمدح الله الذي خلقكِ خدرًا مقدساً فورَ ما حبلت بكِ امكِ من غير الخطية الاصلية » .

٢٠ وفي الـ ܡܥܕܥܕܢܐ تقول :

ܒܒܛܢܗ̇ ܕܥܠܝܡܬܐ ܡܪܝܡ. ܐܬܐ ܕܢܗܘܐ ܕܘܟܪܢܐ. ܕܡܢ
ܫܘܪܝܐ ܪܨܨ ܪܫܗ ܕܚܘܝܐ.

انه ليجب علينا ان نصنع تذكارًا للحبل بمريم « لأن وجودها منذ البدء رضضَ راس الحية الخبيثة » .

1) تكوين ٣ : ١٥ .
2) سفر استير ١٥ : ١٢ .

٢١ وفي الباعوث تقول ما يلي :

ܛܟܣ ܡܪܝܐ ܒܐܚܝܕܘܬܗ ܚܝ̈ܠܘܬ ܢܘܗܪܐ. ܘܕܟܝ̈ܢܘܢ
ܐܢܘܢ ܡܢ ܟܠ ܡܘܡܐ. ܘܙܕܩ ܐܘܦ ܠܢ ܠܡܗܝܡܢܘܬܗ
ܕܡܪܝܡ ܐܡܐ ܕܝܚܝܕܝܗ. ܕܟܝ ܢܦܫܗ ܡܢ ܟܠ ܡܘܡܐ.

«ان الله رتّب بقدرته ملائكة العلاء وتزههم عن كل عيب . فيكم اذن يجب علينا ان نؤمن أن الابن وحيد مريم قد نزّه نفس امه عن كل عيب » .

٢٢ وفي فاتحة صلاة الستار تقرأ :

ܫܡܘܥܐ ܕܨܠܘ̈ܬܐ . . . ܕܩܒܠܬ ܒܥܘܬܐ ܕܚܢܐ ܘܝܘܝܩܝܡ
ܝܗܒܬ . . . ܘܒܪܬܐ ܕܚܒܝܒܬܐ . . . ܕܒܠܥܕ ܚܛܝܬܐ ܩܕܡܝܬܐ
ܐܬܒܛܢܬ ܒܗ̇ ܐܡܗ̇.

يا مستمع الصلوات يا من قبلت ابتهال حنة ويواكيم ومنحتها ابنة محبوبة «حبل بها من غير الخطية الاصلية » .

٢٣ وفي لحن وفحما حوا جاء :

ܡܐ ܬܡܝ̈ܗܝܢ ܫܘ̈ܪܝܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܟܝܬܐ ܒܪܬ ܚܢܐ
ܡܟܝܟܬܐ. ܕܪܘܚܐ ܚܝܐ ܕܐܠܗܐ ܐܣܗܕ ܐܢܝ ܘܐܬܕܡܪ ܒܗ̇
ܘܗܘ ܐܡܪ ܗܘܐ ܗ̄ ܕܟܠܟܝ ܫܦܝܪܐ ܐܢܬܝ ܘܡܘܡܐ ܣܢܝܐ
ܡܣܬܟܠ ܠܐ ܡܫܟܚ ܒܟܝ.

ما اعجب اوضاع مبادئك يا مريم النقية ابنة حنة المتضعة لأن روح الله الحي شادها وتعجب بها قائلاً : « كالك جميلة وليس فيك من عيب[1] ممقوت بتة » .

٢٤ ܘܐܢܬܝ ܒܢܝ̈ܢ ܛܘܒܢܝܬܐ ܠܐܘܪܫܠܡ ܕܟܘ̈ܠܗܘܢ
ܒܫܪܪܗ ܕܟܠܗ ܡܫܝܚܝܐ. ܘܒܠܥܕ ܚܘܫܒ̈ܐ ܟܠ ܐܢ̈ܫܐ
ܕܡܫܝܚܐ ܘܟܠ ܡܬܟܠܠ ܕܐܘܟܠ ܘܐܬܪܘܡܪܡ ܗ̄ ܕܗܘ ܡܫܪܪܐ ܗ̄
ܡܟܢܫܐ ܗܘ ܡܫܪܪܐ ܘܡܗܝܡܢܐ ܠܐ ܚܙܐ ܒܟܝ.

---

1) نشيد ٤ : ٧

ان اصالكِ طاهر ايتها السيدة الروح القدس الذي ابان عنه في سفره الموعب حكماً وزينكِ بالمحاسن اكثر من الاجواق السماوية ورفعكِ على الناطقين الارضيين وقال جميلة انتِ يا حبيبتي جميلة انتِ « ولا دنس فيكِ[1] » .

٢٥ ܟܠ ܢܦܫܬܐ ܕܒܢܝܢܫܐ ܢܦܩܢ ܟܕ ܡܫܥܒܕܢ ܗܘ̈ܝ ܐܦܢ̈ܝ. ܡܛܠ ܚܘܒܐ ܕܐܕܡ ܪܝܫܐ ܕܫܪ̈ܒܬܐ ܕܥܒܪ ܦܘܩܕܢܗ ܕܐܠܗܐ ܕܒܪܘܝܗ ܗ̄ ܡܪܝܡ ܕܝܢ ܗܝ ܒܠܚܘܕܝܗ̇ ܒܪܗ̇ ܡܪܝܐ ܘܨܒܬܗ̇ ܒܫܘܒܚܗ.

ان انفس البشريين تخلق مأسورة بعلة اثم آدم رأس القبائل الـذي تجاوز امر باريه تعالى اما مريم « فقد برأها الرب وحدها » وزينها بمجده .

٢٦ ܡܘܫܐ ܢܒܝܐ ܥܒܕ ܐܪܘܢܐ ܒܗܘ ܙܒܢ ܘܣܡ ܒܗ ܠܘ̈ܚܐ ܘܡܢܢܐ ܥܡ ܚܘܛܪܐ ܘܥܒܕܗ ܡܕܝܪܐ ܕܢܫܪܐ ܒܗ ܡܪܝܐ ܨܒܐܘܬ ܚܠܦ ܦܘܪܩܢܐ ܕܥܡܐ ܥܒܪܝܐ ܗ̄ ܡܪܝܡ ܐܝܬܝܗ̇ ܟܡܕܘܐ ܐܪܘܢ ܡܪܝܐ ܕܠܐ ܥܒܕܬ ܚܒܠܐ

ان موسى النبي صنع التابوت في ذلك الزمان ووضع فيه لوحي الوصايا والمن وعصا هارون وصنعه مذهباً ليسكن فيه الرب الصباوت لاجل خلاص الشعب العبراني « ومريم هي تابوت الرب الذي لم يعتره فساد » .

٢٧ ܥܠܬܐ ܕܒܪܝܬܐ ܕܐܚܒܗ̇ ܡܢ ܟܠ ܝ̈ܠܝܕܐ ܚܕܬܗ̇ ܘܥܒܕܗ̇ ܕܐܚܕܗ̇ ܕܬܗܘܐ ܓܠܝܬܐ. ܘܥܒܕܗ̇ ܚܬܢܬܐ ܘܫܒܩܗ̇ ܟܠܬܐ ܡܨܒܬܬܐ ܘܐܝܟ ܫܘܫܢܬܐ ܒܝܬ ܟܘ̈ܒܐ ܫܒܩܗ̇ ܗ̄ ܫܪܟܐ ܕܐܢܫܐ ܐܬܛܘܫܘ ܘܡܪܝܡ ܒܠܚܘܕ ܢܛܝܪܐ ܡܢ ܟܠ ܡܘܡ.

ان خالق الخلق احب البتول اكثر من جميع المولودين وبرأها جديدة وجعلها عروسا مزينة ووضعها كالسوسنة بين الشوك[2] وسائر البشر تدنسوا « ومريم وحدها حفظت من كل عيب » .

---

١) نشيد ٤ : ٦ .

٢) نشيد ٢ : ٢ .

٢٨ وفي الحساية يقول :

ܠܗܘ ܐܠܗܐ ܡܬܘܡܝܐ ܘܒܪܘܝܐ ܩܕܡܝܐ ܕܠܒܪܬܗ ܕܕܘܝܕ
ܒܪܐ ܘܡܢ ܟܠ ܛܝܒܘܬܐ ܡܠܝܗ̇ . ܗܕܐ ܕܐܒܐ ܒܪܝܟܐ ܒܪܟܗ̇ ܘܒܪܐ
ܥܠ ܒܪܝܬܐ ܟܠܗܝܢ ܝܬܪܗ̇ . ܘܪܘܚܐ ܩܕܝܫܐ ܢܛܪܗ̇ ܡܢ ܟܠ
ܚܒܠܐ ܟܕ ܒܟܪܣܐ ܕܐܡܗ̇ ܐܬܒܛܢܬ . ܕܠܐ ܚܛܝܬܐ ܩܕܡܝܬܐ
ܘܗܝܟܠܐ ܡܨܒܬܐ ܒܡܘܗܒܬܐ ܐܠܗܝܬܐ .

لذلك الاله السرمدي والبارئ الاول الذي برأ ابنة داود وملأها من كل نعمة ، هذه التي باركها الآب المبارك . وفضلها الابن على جميع البرايا والروح القدس « حفظها من كل فساد اذ حُبل بها في حشا امها من غير الخطية الاصلية » وجعلها هيكلاً مزيناً بالمنح الالهية .

٢٩ وفي السدر ورد :

ܡܪܝܐ ܐܠܗܐ ܗܘ ܕܟܕ ܨܒܐ ܕܢܒܪܐ ܒܪܝܬܐ ܨܪ ܒܡܕܥܗ
ܩܕܡܝܬ ܨܘܪܬܐ ܕܒܬܘܠܬܐ ܡܪܝܡ . ܘܟܕ ܥܠ ܒܢܝܢܫܐ
ܚܬܡ ܕܢܗܘܘܢ ܬܚܝܬ ܪܘܓܙܐ ܡܛܠ ܚܛܗܗ ܕܐܕܡ ܦܩܕ
ܕܡܪܝܡ ܐܡܗ ܕܐܠܗܐ ܠܚܘܕ ܬܗܘܐ ܡܫܬܘܙܒܢܝܬܐ ܡܢ
ܐܦܘܦܐܣܝܣ ܘܡܢܛܪܢܝܬܐ ܡܢ ܟܠ ܛܘܠܫܐ ܐܘܦ ܕܡܪܝܐ ܒܟ
ܒܬܐ ܪܘܚܢܝܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܕܡܬܡܠܟܐ ܡܢ ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܒܗ
ܐܡܪܐ ܕܡܪܝܡ ܒܬܘܠܬܐ ܐܬܒܛܢܬ ܡܢ ܚܛܝܬܐ ܕܥܠܡܐ ܟܠܗ
ܕܟܠܗ ܩܕܝܫܬܐ ܐܬܩܢܝܬ ܒܗ ܦܪܨܘܦܐ ܕܡܠܟܐ . ܘܡܢ ܛܘܒܢܝܬܐ
ܐܬܟܠܝܬ ܘܟܘܟܒܬܐ ܕܡܫܬܐ ܐܪܥܢܝܬܐ . ܘܒܬܐ ܩܕܝܫܬܐ
ܩܕܝܫܐ ܠܒܢܘܗܝ ܕܐܝܬܘܗܝ ܠܡܘܫܐ ܗܘ ܩܕܝܫܐ ܕܒܗ ܫܪܐ
ܕܐܬܐ ܒܡܪܝܡ ܒܠܒܝ ܫܦܝܪܬܐ . . . ܘܫܪܐ ܗܘ ܗܘ
ܪܡ ܛܘܒܢܘܬܗ ܘܩܘܕܫ ܛܝܒܘܬܗ ܕܡܢ ܒܛܢܗ ܐܬܒܪܟ .

ايا الرب الاله الذي شاء ان يخلق الخلائق صوَّر بعقله اولاً صورة مريم البتول . واذ قضى على الانام بان يكونوا تحت الغضب لاجل خطيئة آدم « امر ان تكون مريم ام الله وحدها ناجية من هذا الحكم ، ومنزهة عن كل دنس »

كما اثبتت لنا ذلك البيعة الرومانية المقدسة المتعلمة من الروح القـدس قائلة : « ان مريم البتول عُصمت من الخطية الاصلية فورَ ما اتحـدت نفسها المقدسة بجسدها الطاهر » . وامتلأت نعمة وتزينت بالمنح الحسنى . لذلك امرت البيعة المقدسة بنيها ان يعيدوا عيد الحبل بها من غير خطية اصلية . وهذا العيد هو مبتدأ سعادتها والمنح التي نالتها من لدنه تعالى .

٣٠ ثم يقول :

ܚܢܢ ܕܝܢ ܡܗܝܡ̈ܢܐ ܒ̈ܢܝܗ̇ ܕܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܡܒܪܟܝܢܢ ܠܗܢܐ
ܒܛܢܐ ܕܚܢܐ ܠܡܪܝܡ ܘܠܬ̈ܕܡܪܬܐ ܕܒܗ ܒܟ̈ܠܗܝܢ ܕܐܡܪܝܢ ܒ
ܐܡܪܝܢ ܡܒܪܟ ܗܘ ܒܛܢܐ ܩܕܝܫܐ ܕܚܢܐ ܠܡܪܝܡ ܗܝ ܕܒܟܝܢܐ
ܐܢܫܝܐ ܕܒܫܘܒܠܐ ܠܘܬ ܚܒܠܐ. ܢܛܪܬ ܕܟܝܘܬܐ ܕܡܠܐܟܐ ܕܠܐ
ܕܟܝܢܐ ܕܡܠܐܟܐ ܕܟܝܢܗܘܢ ܪܘܚܢܐ ܡܫܬܥܒܕ ܗܘܐ ܡܢ ܚܒܠܐ.

اي : اما نحن المؤمنين اولاد البيعة المقدسة فنبارك هذا حبل حنة بمريم ونخبر بالخوارق المجترحة فيه قائلين : « مباركة حنة بمريم التي حال اتحادها بالطبع البشري المائل الى الفساد حفظت النقـاوة التي سمت بها على الملائكة المنزه طبعهم الروحي عن الفساد .

٣١ ثم نقرأ :

ܢܚܕܐ ܝܘܡܢܐ ܩܕܝܫܐ ܢ̈ܫܐ ܕܐܪܥܐ ܒ̈ܢܬܗ ܕܚܘܐ ܕܡܢ
ܒܚܘܒܗ ܐܬܒܛܢܬ܆ ܘܒܛܠܬܗ ܕܠܘܛܬܐ ܘܒܛܠܗ ܫܘܠܛܢܗ ܕܣܛܢܐ
ܘܫܥܒܕܐ ܕܥܒܕ ܐܢܝܢ ܣܛܢܐ.

فلتفرح نساء الارض بهذا اليوم المقدس بمريم « التي حُبل بهـا من جنسهنّ ولاشت الغضب المحتوم عليهنّ وسحقت الشيطان الذي استعبدهنّ » .

٣٢ وفي لحن ܠܡܘ ܒܥܠܡܐ يقول :

ܡܢ ܩܕܡ ܥ̈ܠܡܐ ܕܒܪܐ ܐܢܝ ܐܠܗܐ ܒܚܝܠܐ ܐܡܬܐ ܕܒܗ̇ ܢܫܒܘܚ.
ܡܕܡ ܒܥܠܡܐ ܡܢ ܚܘܐ ܘܐܬܒܛܢܬ ܒܪܚܡܐ ܕܐܡܗ̇.
ܘܒܪܐ ܠܢܦܫܗ ܩܕܝܫܬܐ ܘܡܥܒܕܬܐ ܕܒܪܬܐ ܘܦܘܫܐ ܠܗ

ܓܒܝܗ̇. ܘܡܢ ܡܠ̈ܠܐ ܕܫܒܝܗ̇ ܘܚܒܒܗ̇ ܕܐܝܟ ܠܒܝܬܗ̇
ܘܒܢܘܫܩܬܐ ܕܦܘܡܗ ܢܫܩܗ̇.

من قبل العوالم التي برأها الله بقدرته الفائقة اختطَب البتولة من بين النساء. وهندم جسدها في حشا والدتها «وبرأ نفسها مقدسة» وزينها بالمحاسن وجعلها له خدرًا واحبها اكثر من جميع الناطقين وعانقها بحبه المضطرم وقبلها بقبلات فيه.

٣٣ وفي باعوت مار افرام وَرَدَ :

ܡܝ̈ܐ ܕܛܘܦܢܐ ܐܘܒܕܘ ܠܒ̈ܢܝܢܫܐ ܕܚܘܛܝܐ. ܘܠܐ ܚܒܠܘ
ܠܗ̇ ܩܒܘܬܐ ܕܐܬܥܒܕܬ ܗܘܬ ܠܦܘܪܩܢܐ. ܡܪܝܡ ܐܝܬܝܗ̇
ܫܪܝܪܐ ܩܒܘܬܐ ܕܢܘܚ ܬܪܝܢܐ. ܕܐܬܩܢ ܘܨܒܬܗ̇ ܒܡܬܟܠܘܗܝ
ܘܥܒܕܗ̇ ܠܥܠܡܐ ܦܘܪܩܢܐ.

«ان مياه الطوفان اهلكت بني البشر الاثمة ولم تفسد تلك السفينة التي صُنعت للخلاص ومريم هي بالحقيقة سفينة نوح الثاني التي صنعها الرب وزينها بِراهيه وجعلها خلاصاً للعالم».

٣٤ ܩܒܘܬܐ ܕܢܘܚ ܐܬܥܠܝܬ. ܠܥܠ ܡܢ ܛܘܪ̈ܐ ܘܪ̈ܡܬܐ.
ܘܠܐ ܩܪܒ ܠܘܬܗ̇ ܚܒܠܐ ܕܛܘܦܢܐ ܗܘ ܐܪ̈ܥܢܐ. ܪܘܫܡܐ
ܕܡܪܝܡ ܩܕܝܫܬܐ ܕܐܬܢܛܪܬ. ܡܢ ܢ̈ܫܐ. ܘܐܬܥܠܝܬ ܡܢ
ܟܐ̈ܢܐ ܘܡܫܒܚܝ ܒܡܥܠܝܘ̈ܬܐ.

«ان سفينة نوح البار ارتفعت فوق الجبال والتلال ولم يعترضها فساد من الطوفان الذي اغرق الارضيين وذلك هو رسم مريم القديسة التي انحفظت من بين الاناث وسمت على الصديقين المتسامين بالفضائل».

٣٥ وجاء في فاتحة صلاة الصبح.

ܡܪܝܐ ܕܐܥܒܪ ܥܩܪܘܬܐ ܕܝܘܩܝܡ ܘܚܢܐ ܒܝܕ ܡܪܝܡ
ܕܡܢ ܟܠ ܚܛܗܐ ܐܬܢܛܪܬ

ايها الرب الذي ازال عقرية يواكيم وحنة بواسطة مريم «التي انحفظت من كل خطاء».

٣٦ وفي لحن ܒܒܠܥܕܘܗܝ ܕܦܬܩܐ تقول الكنيسة .

ܗܘ ܪܐܙܐ ܕܠܐ ܡܬܦܫܩ ܗܘܐ ܘܐܬܝܒܠ ܠܝܘܐܩܝܡ ܕܟܝܐ . ܘܡܪܝܡ ܒܪܬܗ ܩܒܠܬܗ ܒܒܛܢܐ ܕܟܝܐ . ܕܒܠܥܕ ܥܘܠܐ ܐܬܒܛܢܬ ܒܗ ܕܚܝܠ ܒܨܒܝܢܐ ܕܩܕܝܫܐ

ان السر الذي لا يفسر تسلسل حتى الى يواكيم الطاهر ومريم ابنته قبلته بحبل نقي « لانها حبل بها بجشا امها بدون اثم » وذلك بارادة القدوس .

٣٧ وفي لحن ܒܪܫܐ ܕܥܒܝ ܕܫܠܡܬ هذه السطور :

ܟܕ ܨܠܐ ܙܕܝܩܐ ܠܡܪܝܐ ܘܩܪܒ ܬܢܚܬܐ ܠܗ ܩܕܡ . ܐܬܚܙܝ ܠܗ ܡܠܐܟܐ ܘܠܒܒܗ ܘܐܡܪ . ܕܗܐ ܫܡܥܬ ܨܠܘܬܟ ܩܕܡ ܡܪܝܐ ܕܐܚܒ . ܘܚܢܐ ܐܢܬܬܟ ܬܒܛܢ ܒܪܬܐ ܘܬܟܒܘܫ ܫܐܕܐ .

« اذ صلّى يواكيم البار الى الله وقرّب له التنهدات ظهر له الملاك وشجعه قائلًا : قد سمعت صلاتك قدام الرب الذي أحبك . وهوذا حنة امرأتك تحبل بولد ويقهر الابالسة » .

٣٨ ܐܘ ܕܒܕܟܝܘܬܐ ܐܬܒܛܢܬܝ ܣܛܪ ܡܢ ܥܘܠܐ ܩܕܡܝܐ . ܠܕܡܝܩܪܝܢ ܠܕܘܟܪܢܟܝ ܚܘܣܝܐ ܕܢܬܠ ܠܗܘܢ ܒܪܟܝ . ܒܥܝ ܡܢ ܡܠܝܟ ܚܒܝܒܐ ܕܠܒܟܝ ܢܦܪܘܩ ܚܘܒܐ . ܘܡܢ ܟܠܗܘܢ ܕܥܒܕܝܢ ܢܦܪܘܩ ܟܠ ܥܒܕܐ ܣܢܝܐ .

« يا من حبل بــك من غير الاثم الاول » اسألي ولدكِ الحبيب ان يمنح الغفران لمن يكرمون بتذكار اعيادك وينقذ من شبه الحافل كل عمل مخالف .

٣٩ وفي المرماية جا. :

ܡܪܝܐ ܠܐܠܗܐ ܟܬܒ ܠܢ ܢܒܝܐ ܐܒܗܐ ܠܕܘܟܪܢܗ ܕܡܪܝܐ . . ܘܐܬܝܠܕܬ ܕܗܘܬ ܡܘܬܒܐ ܡܪܝܡܐ ܕܡܢܐ ܡܪܝܡ ܐܡܗ ܕܒܗ ܚܝܐ ܐܬܒܛܢܬ ܒܟܠܗ ܥܬܝܩܬܐ . . . ܘܠܐܠܗܐ ܡܪܝܡܬܗ ܡܘܬܒܐ ܕܟܝܐ

اجعلنا اللهم محادع نقية لسكناك ولتكن نياتنا قربانا مرضيا لك شبه مريم تلك « التي حبلت بها حنة من غير الخطية الاصلية » . وقربتها لله قربانا طاهراً .

٤٠ وفي لحن ܡܠܟܘܬܐ هذا البيت :

ܬܘܬܒܠܬܐ ܒܪܝܟܬܐ ܕܡܢ ܐܘܟܠܐ ܕܒܝܬ ܐܒܪܗܡ ܙܪܥܗ
ܒܟܠܗ ܥܠܡܐ. ܘܛܥܡܗ ܒܣܝܡܐ ܠܐܘܟܝܡܢܝܐ ܟܠܗܝܢ
ܘܡܛܝܐ ܥܕܡܐ ܠܚܢܐ ܗ̄ ܕܡܢܗ ܢܦܩܬ ܡܪܝܡ ܘܒܛܢܗ
ܠܐ ܛܡܐ ܠܓܡܪ.

ايتها البتول الحصلة المباركة التي تسلسل سرها بنسل ابرهم البررة ومذاقها العذب لذّ اقطار الدنيا متسلسلاً الى حنة التي نشأت منها البتول مريم القديسة « بحبل لم يتدنس قط » .

٤١ ܗ̄ ܗܝ ܕܒܐܝܕܝܗ ܡܢ ܛܘܥܝܝ ܦܨܬ ܥܕܬܐ ܕܟܝܬܐ.

هذه التي بواسطتها نجت البيعة « النقية من الضلالة » .

٤٢ ܡܪܬܐ ܕܟܠ ܒܪܝܢ ܘܡܟܪܘܬܐ ܪܚܝܡܬܐ ܕܐܒܐ ܘܐܡܐ
ܕܒܪܐ ܝܚܝܕܝܐ. ܘܟܠܬܐ ܕܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܕܒܒܛܢܐ ܕܚܢܐ ܢܛܪܟܝ
ܡܢ ܚܛܗܐ ܘܡܪܕܐ ܣܢܝܐ ܗ̄ ܒܨܠܘܬܟܝ ܢܬܢܛܪ ܡܢ ܢܟܝܠܘܬܐ
ܕܣܛܢܐ.

يا سيدة البرايا باجمعها وخطيبة الآب المحبوبة وام الابن الوحيد النقية وعروس الروح القدس « التي حفظك بالحبل بكِ في حشا املكِ حنة من التمرد والاثم المقوت » بصلواتك نحفظ من وساوس المارد .

٤٣ وفي المرماية ما نصه :

ܒܡܥܠܝܘܬܐ ܕܟܝܬܐ ܠܒܛܢܐ ܕܚܢܐ ܕܒܠܐ ܚܛܝܬܐ
ܩܕܡܝܬܐ ܗܘܐ ܡܫܒܚܝܢ.

اي : اننا نميد بالفضائل النقية « لحبل حنة الذي تمّ من غير الخطيئة الاصلية » .

٤٤ وفي لحن ܩܘܡ ܦܘܠܘܣ ما يلي :

ܥܠ ܚܢܐ ܛܘܒܢܝܬܐ ܒܪܬ ܦܢܘܐܝܠ . ܘܥܠ ܚܢܐ ܐܡܗ
ܕܫܡܘܐܝܠ ܓܒܝܐ ܝܬܝܪܐܝܬ ܐܬܪܘܡܬ . ܚܢܐ ܕܡܪܝܡ
ܠܥܡܢܘܐܝܠ . ܕܡܪܝܐ ܐܪܝܡܗ ܥܠ ܛܓܡܐ ܕܓܒܪܐܝܠ .

ان حنة ، بريم والدة عمانوئيل ، فاقت شرفاً على حنة بنت فنوئيل ، وعلى حنة والدة صموئيل المختار ، لان الرب رفعها بالشرف على طغمات جبرائيل .

٤٥ ܓܒܝܬܐ ܕܚܝܠܐ ܢܛܪܟܝ ܡܫܝܚܐ . ܘܥܒܕܟܝ ܐܘܪܚܟܝ
ܒܟܪܣܐ ܕܚܢܐ . ܘܗܘܝܬܝ ܠܗ ܢܘܗܪܐ ܕܟܝܐ ܘܩܕܝܫܐ .
ܒܥܘܬܟܝ ܢܥܡܪ ܥܡܟܝ ܒܐܬܪܐ ܪܘܚܢܝܐ .

ايتها المختارة التي حفظك الابن الوحيد في حشا حنة امكِ ، وابعد عنك الخطاء الاصلي ، فاضحيتِ له خدراً نقياً حقيقياً اسألي لنا ان نسكن معكِ بذلك المكان الروحاني .

٤٦ ܦܩܘܥܬܐ ܕܡܢ ܓܘܫܡܐ ܕܡܠܟܐ ܕܡܬܕܡܪܢ ܢܒܥܬ . ܘܡܢ ܙܪܥܐ
ܐܒܗܬܐ ܕܐܝܩܪܘ ܠܐܪܥܐ . ܘܡܢܗܘܢ ܐܒܗܝܟܝ ܡܪܝܡ ܕܐܒܗܬܬ
ܠܚܘܝܐ . ܐܬܟܫܦܝ ܠܒܪܟܝ ܕܢܫܦܘܥ ܚܢܢܐ ܥܠܝܢ .

ايتها العنقود الذي نبت من جفنة الملوك العجائب[1] ومن زرع الآباء الذين شرّفوا الارض وتسلسل منهم ابواكِ يا مريم ، التي اخزيتِ الحية الخبيثة ، ابتهلي لابنكِ ليفيض علينا التحنن .

٤٧ ܡܪܝܡ ܕܚܢܐ ܢܛܪܬܗ ܡܢ ܟܠ ܡܘܡܐ . ܘܠܐ ܐܡܪܚ
ܚܘܝܐ ܕܢܩܪܒ ܒܢܦܫܟܝ ܡܘܡܐ . ܡܛܠ ܕܐܡܗ ܐܝܬܝܟܝ ܕܒܪܐ
ܘܡܪܬܐ ܕܥܠܡܐ . ܦܝܣܝ ܠܒܪܟܝ ܕܒܫܝܢܗ ܢܗܘܐ ܒܝܢܬܢ .

« يا مريم التي الحفظتِ في حشا امكِ حنة من كل دنس . ولم تجسر الحية ان تدني نفسكِ بعيب ما » ذلك لانكِ ام الابن وسيدة العالم فابتهلي اليه ليملك السلام بيننا .

١) المجنّب جم .

٤٨ ܡܪܝܡ ܕܒܟܪܣܐ ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ ܢܛܪܟܝ. ܟܕ ܒܪܐ ܒܪܝܐ ܢܦܫܟܝ ܘܚܝܕܗ̇ ܒܦܓܪܟܝ. ܐܫܬܐܠܝ ܠܟܢܫܐ ܕܡܝܩܪܐ ܠܟܝ ܪܒܐ ܕܢܬܒ. ܕܢܬܒܣܡ ܡܢ ܝܡܝܢܐ ܕܒܪܐ ܕܝܠܕܬܝ.

«يا مريم التي حفظكِ الروح القدس في حشا امكِ فورَ ما برأ نفسكِ واتحدها بجسدكِ» اسألي لهذا الجمع الذي يكرمكِ بمجد عظيم ان يتمتع بالجلوس عن يمين الابن الذي ولدكِ.

٤٩ وفي لحن ܡܠܐܟܐ ܢܚܬ هذان البيتان :

ܒܪܝܐ ܕܡܢ ܟܪܣ ܚܢܐ ܒܪܬ ܠܘܝܐ ܐܫܘܝܗ̇
ܠܡܪܝܡ ܢܩܝܬܐ ܘܠܡܥܒܕܗ̇ ܒܠܐ ܚܛܝܬܐ ܩܕܡܝܬܐ.
ܐܦ ܐܦܨܚ ܥܕܬܐ ܥܡ ܐܡܟ ܛܘܒܢܝܬܐ ܕܒܕܢܚܟ ܐܦܨܚܬ.

ايها البارئ الذي انشأتَ مريم النقية من حشا حنة بنت اللاويين بدون الخطية الاولى «وزهت ايضا في البيعة زهاء مع امك الطوباوية التي ابهجتها بظهورك.

٥٠ ܥܕܬܐ ܩܕܝܫܬܐ ܪܗܘܡܝܬܐ ܐܘܕܝ ܠܒܪܐ ܕܒܚܢܢܗ ܚܝܠ.
ܟܝܢܐ ܕܚܢܐ ܕܬܒܛܢ ܒܠܐ ܚܘܒܠܐ ܘܒܟܪܣܗ̇
ܢܛܪ ܠܐܡܗ ܘܐܒܗܬ ܠܒܝܫܐ ܘܠܪܫܗ ܕܫ.

ايتها الكنيسة الرومانية المقدسة اشكري للابن الذي قوّى بعنايته طبع حنة حتى «حبلت بدون اثم وحفظ في حشاها امه واخزى الشرير وسحق رأسه.

٥١ وفي لحن ܩܠܐ ܫܘܒܚܐ هذه العبارات.

ܗܘ ܒܪܝܐ ܕܒܛܝܒܘܬܗ ܣܥܪ ܠܐܠܝܫܒܥ ܐܡ ܝܘܚܢܢ
ܕܡܝܩܪܬܐ. ܗܘܝܘ ܣܥܪ ܠܚܢܐ ܡܟܝܟܬܐ ܘܒܛܢܬ ܠܡܪܬܢ
ܡܪܝܡ ܡܢ ܚܘܒܠܐ ܕܡܣܝܒܪܐ.

ان الباري تعالى الذي افتقد بنعمته اليصابات ام يوحنا المكرمة هو افتقد حنة الوديعة «وحبلت بسيدتنا مريم من غير الاثم المقوت والدنس».

٥٢ ܡܢ ܠܐ ܢܬܕܡܪ ܒܚܢܐ ܕܒܛܢܬ ܒܡܪܝܡ ܕܟܝܬܐ
ܒܡܘܠܟܢܗ ܕܡܪܝܐ ܡܫܝܚܐ . ܘܠܘܬܗ̇ ܡܪܝܡ ܠܐ ܐܬܩܪܒ ܚܘܒܐ
ܩܕܡܝܐ ܕܥܠ ܓܢܣܢ ܐܥܠܗ ܒܝܫܐ .

من لا يندهل لحنة التي «حبلت بمريم النقية كوعد الله لها ولم تقترب من مريم الخطية الاولى التي ادخلها الشرير على جنسنا» .

٥٣ وفي لحن ܒܬܘܠܬܐ هذه الابيات :

ܡܪܝܡ ܒܪܬ ܝܘܝܩܝܡ ܕܫܬ ܠܪܫ ܬܢܝܢܐ ܗܘ ܕܫܒܝܗ̇ ܠܐܕܡ ܪܫܐ ܕܓܢܣܢ ܘܩܛܠܗ
ܒܦܓܪܗ . ܘܗܕܐ ܡܢܗ̇ ܒܚܝܠܗ ܕܡܪܝܐ ܕܟܠܗ ܘܗܟܢܐ
ܒܟܠ ܡܕܡ ܕܫܒܝܚ . ܘܐܬܦܨܝܬ ܡܢ ܒܝܫܐ ܒܝܕ ܝܫܘܥ
ܕܦܨܐ ܠܐܢܫܐ ܗܘ ܕܐܝܟ ܪܒܘܬܗ .

«ان مريم ابنة يواكيم قد داست رأس التنين» الذي اسر آدم رأس جنسنا وقتله بجسده وذلك منها بقوة الرب الذي كله وهكذا نجت من الشرير بواسطة يسوع الذي خلص الانسان مثال عظمته .

٥٤ ܒܬܘܠܬܐ ܡܪܝܡ ܕܒܛܢܬ ܚܝܐ ܐܬܝܠܕܬ ܒܫܦܝܘܬܐ
ܘܕܟܝܘܬܐ . ܦܨܝܬ ܡܢ ܚܘܒܐ ܩܕܡܝܐ ܕܐܕܡ ܥܩܪܐ ܕܥܡܡܐ .
ܐܦܝܣܝ ܠܡܘܠܕܢܟܝ ܪܡܐ ܕܢܦܪܘܩܝܢ ܡܢ ܛܘܠܫܗ ܕܒܝܫܐ ܪܝܫ ܡܘܡܐ .

«ايتها البتول مريم التي حبل بكِ في آخر الايام نقية من دون الخطية الاصلية خطية آدم اصل الشعوب» . ابتهلي لوالدكِ العلي لينجينا من وشاية الشرير رأس العيوب .

٥٥ وفي الحساية هذه السطور :

ܫܘܒܚܐ ... ܕܫܪܐ ܠܥܩܪܘܬܗ ܕܝܘܝܩܝܡ ܘܕܚܢܐ ܥܩܪܬܐ
ܘܐܝܠܕܘܗܝ ܠܡܪܝܡ ܩܕܝܫܬܐ ܕܠܐ ܡܘܡܐ ܘܕܟܝܐ
ܚܛܝܬܐ . . . ܘܐܬܦܨܝ ܠܗ ܠܓܢܣܢ ܡܘܗܒܬܐ ܣܓܝܐܬܐ
ܛܒܬܐ .

ايها الاله الذي حل عقرة يواكيم وحنة «فولدت مريم القديسة بحبل غير مدنس بالخطية الاصلية» وبواسطتها منح جنسنا كل الخيرات .

٥٦ وفي الـدر تهتف البيعة :

ܐܠܗܐ . . . ܕܫܕܪ ܩܕܡܝܬ ܠܡܠܐܟܐ ܡܗܝܡܢܐ ܠܘܬ
ܝܘܝܩܝܡ ܐܒܘܗܝ ܕܚܢܐ ܘܐܘܕܥܗ ܕܥܬܝܕ ܠܟܠܗܘܢ ܣܒܪܬܐ
ܡܫܒܚܬܐ ܘܒܠܒܘܒܗ ܘܐܦܢܗ ܐܠܨܬܐ ܡܢ ܚܛ̈ܗܐ ܕܪ̈ܝܐ ܫܪܒܬܐ
ܘܡܢܗ ܐܬܢܛܪܬ ܐܝܟܢܐ ܕܚܣܝܐ.

ايها الاله الذي ارسل اولاً الملاك الامين الى يواكيم واعلمه انه سيولد له ابنة وهكذا بشّر حنة « فحبلت بمريم من غير الخطيـة الاولى والحفظت في حشا امها من مخالب الباشق الخبيث وادبر التنين الجهنمي مُقصياً عنها » .

٥٧ ثم تقول :

ܗܘܝܘ ܒܒܪܝܫ ܣܒܪܬܐ ܫܪ̈ܝܪܬܐ ܚܒܠ ܒܟܪܣܬܐ
ܕܚܢܐ ܒܡܪܝܡ ܕܡܢ ܒܪܫܝܬ ܩܢܝܗ̇ ܡܪܝܐ ܘܨܪܗ̇ ܫܘܦܪܐ
ܘܐܠܒܫܗ̇ ܫܘܒܚܐ. ܘܥܠ ܒ̈ܢܬ ܥܬܝܪ̈ܐ ܐܪܝܡܗ̇ . . .
ܗܘܝܘ ܝܘܡܐ ܡܢ ܚܛܗܐ ܫܪܫܝܬܐ ܕܚܢܐ ܒܛܢܬ ܠܡܪܝܡ
ܓܙܬܐ ܪܘܚܢܝܬܐ ܕܥܠܝܗ̇ ܢܚܬܬ ܛܠܐ ܕܪܘܚܐ
ܫܡܝܢܝܬܐ ܘܥܠ ܐܪܥܐ ܟܠܗ̇ ܝܒܝܫܘܬܐ ܘܚܘܪܒܐ.

« في مثل هذا اليوم حبلت حنة من غير خطية اصلية بمريم التي اقتناهـا الرب منذ البدء » وصورها بجنة والبسها المجد ورفعها على بنات الاغنياء . « في مثل هذا اليوم حبلت حنة بدون خطية اصلية بمريم الجزة الروحية التي عليهـا وحدها نزل ندى الرضى السماوي » وجفاف النقمة والغضب على الارض كلها .

٥٨ ثم تقول :

ܗܘܝܘ ܝܘܡܐ ܕܒܗ ܒܛܢܬ ܚܢܐ ܠܡܪܝܡ . . . ܕܒܪܟܬ.
ܠܥܕܬܐ ܕܪܘܗܘܡܝܐ ܘܗܘܬ ܠܗ̇ ܕܒܗ ܒܛܢܬ ܠܡܪܝܡ ܗܘܝܘ ܡܢ
ܟܠܗ̇ ܡܚܒܠܢܘܬܐ ܘܢܛܪܬ ܠܒܢ̈ܝܗ̇ ܘܕܒܗ ܗܘܐ
ܘܠܥܡܘܪ̈ܝܗ̇ ܦܘܪܩܢܐ ܘܚܝ̈ܐ.

في مثل هذا اليوم حبلت حنة بمريم التي باركت الكنيسة الرومانية وهذه

اي الكنيسة انتت ان «حنة حبلت بمريم بدون الاثم الاصلي وزذلت الجاحدين براءة الحبل بها ونبذت المفـندين الناقضين حقيقة هذا الحبل البري» .

٥٩ وفي لحن ܦܫܝܛܐ وَرَدَ :

ܬܐ ܒܫܠܡܐ ܒܪܬܐ ܓܢܝܣܬܐ ܕܟܠܟܝ ܫܘܦܪܐ ܒܗܝܪܐ . ܬܐ
ܒܫܠܡܐ ܦܪܕܝܣܐ ܕܢܛܪܗ ܟܪܘܒܐ ܢܘܗܪܢܐ .

« تعالَي بالسلام ايتها الشريفة يا من انتِ بجملتك جمال باهر تعالَي بالسلام ايتها الفردوس حارس الكروب النوري » .

٦٠ وفي سدر صلاة الصبح لبيان القديس يوسف .

جاء بوزن ܐܦܪܝܡܝܐ

(ܐܒܐ) ܓܒܐ ܠܗ ܐܒܐ ܡܒܪܟܬܐ ܕܚܛܝܬܐ ܠܐ ܫܠܛܬ
ܒܗ̇ . ܘܫܕܪ ܓܒܪܐ ܠܡܣܒܪܘܬܗ̇ ܕܒܪܗ ܡܬܝܠܕ ܡܢܗ̇ .

ان الآب قد اختار لابنه امًّا مباركةً «لم تتسلط عليها الخطية» قط وارسل اليها الملاك يبشرها بان ابنه يولد منها .

٦١ وفي صباح عيد القديس يوحنا مارون اول بطريرك على الطائفة المارونية جاء في لحن ܩܠܐ ܒܪܐ :

ܒ̄ ܒܥܝܢܐ ܕܢܒܝܘܬܐ ܚܙܐ ܒܪ ܐܝܫܝ ܠܫܘܒܚܐ ܕܨܒܬܗ̇
ܠܡܪܝܡ ܒܪܬ ܕܘܝܕ . ܘܒܩܝܬܪܗ ܫܩܠܗ ܙܡܪ ܟܠܗ ܕܫܘܒܚܗ̇
ܫܘܦܪܐ ܕܒܪܬ ܡܠܟܐ ܡܢ ܠܓܘ . ܘܐܘܕܥ ܠܢ ܕܐܬܦܨܝܬ
ܡܚܪܪܬܐ ܡܢ ܚܘܒܬܐ ܩܕܡܝܬܐ . ܢܒܗܬ ܦܘܡܗ ܕܒܨܘܝܐ ܕܩܐܡ
ܠܩܘܒܠܐ .

قد رأى ابن يسى بعين النبوة المفاخر التي فطرت بها مريم بنت داود واخذ يترنم باوتار قيثاره قائلاً ان جمال بنت الملك كله من داخل ليعلمنا بذلك « انها (اي البتول) مبرأة من الاثم الاصلي » فليخزَ اذن الباحث الذي يقف خصماً لذلك .

وجاء في مفتتح صباح الاحد هذا البيت في الشحيم باحن :

ܬܫܡܫܬ ܕܒܝܬܐ.

ܠܟ ܬܫܒܘܚܬܐ ܡܠܬܐ ܚܝܐ ܕܐܠܗܐ ܕܐܬܓܫܡܬ
ܡܢ ܡܪܝܡ ܛܘܒܢܝܬܐ ܗܝ ܕܒܢܦܫܗ ܘܒܦܓܪܗ ܕܟܝܬܐ
ܘܡܫܬܟܚܬܐ. ܛܥܢܬܟ ܒܩܕܝܫܘܬܐ ܘܝܠܕܬܟ ܠܥܠ ܡܢ
ܡܠܠܐ ܣܛܪ ܡܢ ܙܪܥܐ ܐܢܫܝܐ ܘܒܒܛܢܐ ܡܢ ܪܘܚܐ ܕܩܘܕܫܐ.

لك المجد ، بكلمة الله الحي ، لأنك تجسمت من مريم الطوباوية » التي وجدت نقية بنفسها وجسدها » . وقد حملت بك بالقداسة وولدتك ميلاداً يعلو عن الوصف بدون زرع بشري وبحبل من الروح القدس .

عدد اخير

انه ليجدر بنا ان نختم موضوعنا هذا بباعوت قومة ليل الثلاثاء الاولى الذي تتغنى به كنيستنا المارونية تتيه تدللاً وفخراً بمناقب سيدتنا البتول السامية ، وفضائلها العالية ، وعلاء قدرها الراسخ ، وبهاء جمالها الباذخ الذي عطف مولاها تعالى اليها وَبهر مسماه القبائل جمعاء . فلم تمالك من تأدية الطوبى لها وستؤديه ، بنعمة الله ، ما تصرّمت الايام وانقضت الاعوام وهذا هو :

١ ܒܬܗܪܐ ܐܡܪ ܬܗܝܐ ܡܪܝܡ ܡܢ ܕܚܠܐ ܐܝܟܐ ܘܠܐܝܕܐ
ܡܥܠܬܐ ܣܠܩܬ ܒܪܬ ܡܣܟܢܐ. ܛܝܒܘܬܐ ܟܝ
ܐܚܬܬܗ ܠܒܪܐ ܠܘܬܗ. ܐܘ ܗܝ ܫܦܪܬ ܕܬܗܘܐ ܐܡܐ
ܠܒܪ ܩܕܝܫܐ.

« اني اقول في مريم ، منذهلاً مذعوراً ، الى اية درجة ارتقت ابنة المساكين . فهل النعمة أحدرت الابن اليها او هي حسنت ان تكون اماً لابن القدوس ? »

٢ ܕܛܝܒܘܬܐ ܢܚܬ ܐܠܗܐ ܠܐܪܥܐ ܠܘܬܗ. ܘܕܟܝܘܬܐ
ܡܪܝܡ ܫܦܝܐ ܗܝ ܒܟܠܗ. ܒܡܚܫܒܬܗ ܘܒܢܦܫܗ
ܘܒܦܓܪܗ. ܚܙܐ ܘܒܚܪ ܒܗ ܕܒܡܥܡܪܐ ܦܢܐ ܠܗ ܕܢܫܪܐ.

عني عن البيان ان الله تعالى انحدر الى الارض بالنعمة ، » وان مريم اقتبلته لكثرة تفاوتها « . وقد نظر الله الى تواضعها وهدوئها وتفاوتها فحلّ فيها لانه يسهل لديه تعالى أن يحل في المتضعين .

٣ ܠܘܬ ܡܢ ܐ̈ܚܘܪ ܐܠܐ ܠܢ̈ܝܚܐ ܘܠܡܟ̈ܝܟܐ. ܚܙܐ ܘܫܪܐ ܒܗ ܕܡܟܝܟܘܬܗ̇ ܡܢ ܟܠܗܝܢ. ܐܦ ܗܝ ܐܡܪܬ. ܕܒܡܘܟܟܗ̇ ܚܪ ܘܫܪܐ ܒܗ ܘܡܛܠܗܕܐ ܗܝ ܡܫܬܒܚܐ ܕܒܟܠ ܫܦܪܐ.[1]

قال الله : الى مَن انظر الّا الى الهادئين والمتضعين . لذلك نظر الى مريم وحلّ فيها لانها وجدت متضعة اكثر من جميع المولودين . ومريم ايضاً قالت ان الرب نظر الى تواضعها وحلّ فيها فلذلك تُمدح بقدر ما حَسُنت .

٤ ܫܘܒܚܐ ܠܐܒܐ ܕܫܕܪ ܠܒܪܗ ܠܒܪܬ ܕܘܝܕ. ܘܣܓܕܬܐ ܠܒܪܐ ܕܕܢܚ ܡܢܗ̇ ܒܫܘܠܡ ܙܒ̈ܢܐ. ܬܘܕܝ ܠܪܘܚܐ ܕܡܠܝܗ̇ ܥܘܬܪܐ ܘܣܝܡܬܐ ܪܒܬܐ. ܘܕܢܚ ܡܢܗ̇ ܡܠܬܗ ܕܐܒܐ ܨܠܘܬܗ̇ ܥܡܢ.

المجد للآب الذي ارسل ابنه الى بنت داود ، والسجود للابن الذي اشرق منها في آخر الازمنة ، » الشكر للروح القدس الذي ملأها غنًى وكنزاً عظيماً « ، فاشرق منها كلمة الآب صلاتها معنا « .

---

١) هذه الابيات الثلاثة الرائعة منقولة عن قصيدة مار يعقوب اسقف سروج (٤٥١–٥٢١) . وقد شرحها الاب بولس بيجان في ملحق كتاب سهدونا (٦٤٩–٦٣٩) وهي مدونة في الاشحيمة المارونية (ص ١٧٢) من طبعة الآباء اليسوعيين عام ١٩٠٦ (المشرق) .

لوْ كانَ للافلاكِ نُطقٌ او فمٌ...

من ديوان المطران جرمانوس فرحات

تغنّى المطران جرمانوس فرحات بمريم العذراء واشاد بفضائلها واظهر في شعره غنها من الورع والقوّة ، من التحسّس بقدرتها المطيبة والمخيّلة ، من الشعور الصادق وبساطة التعبير ما جعله قيثارةً لمريم تأخذ بالعقول بانغامها الشجية . فرأينا ان ننتطف من ديوانه المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٤ هذه القصيدة العصماء ، ابلغ ما مدح به الشعراء مريم العذراء، ونتحف بها قراء المشرق الكرام .

لوْ كانَ للأفلاكِ نُطقٌ أو فَمُ ... لترنَّموا بمديحكِ يا مريمُ

أنتِ التي وردَ الالهُ مؤنَّساً ... منها وفيها شأنها يتعظَّمُ

وبروح قدسٍ حازَ منها جسمَهُ ... مُتقدِّساً وبقُدسهِ يتجسَّمُ

أمُّ الإلهِ بهِ غدَوْتِ حقيقةً ... مَن شكَّ يكفُرُ والكفورُ سيندمُ

فالإبنُ يأخذُ من أبيهِ وأمهِ ... سِرًّا وطبعاً فيهما يتقسَّمُ

أَخذَ المسيحُ من الإلهِ أبيهِ ما ... لأبيهِ من لاهوتهِ إذ يحكُمُ

ولهُ منَ البكرِ البتولةِ أمهِ ... ناسوتُهُ المتجسِّدُ المتجسِّمُ

فتراهُ مثلَ أبيهِ ربًّا قادرًا ... هدمَ الأنامَ وعرشُهُ لا يُهدمُ

وتراهُ يحملُ ما لمريم أمهِ ... متألمًا وبجسمهِ يتألَّمُ

بمشيئتيهِ غدا الورَى متدبِّرًا ... ثمَّتْ نجا بطبيعتَيهِ آدمُ

فاذا نظرنا في يسوع وأمهِ ... فنراه فيها طابعاً إذ يختمُ

فهمٌ وعقلٌ ثمَّ حسنٌ فائقٌ ... هذا بتلك وتلك فيهِ ترسمُ

فبأيِّ مقدارٍ أشبِّهُ عِظمها ... حتى يُشبهها الإلهُ الأعظمُ

إن قلتَ شمساً فالكسوفُ يَعيبها ... أمّا بَهاها فكلَّ يومٍ يعظُمُ
أو قلتَ بدراً فالخسوفُ يَشينهُ ... أمّا سَناكِ فكلَّ يومٍ يَضرمُ
أو قلتَ نجماً فالكواكبُ كلُّها ... تجثو لديك باحتشامٍ يكرمُ
أو قلتَ كاروبيمَ عرش إلهنا ... فسموُّهم بسموِّ شانكِ يُهضَمُ
أو قلتَ ساروفيمَ طُغماتِ السما ... لولا وليدُكِ ما سَمَوا وتعظَّموا
أو قلتَ جبرائيلَ بين جنوده ... فنراهُ نحوكِ بالرسالة يَخدمُ
أو قلتَ ميخائيلَ يومَ قراعهِ ... إبليسَ لكن من عُلاكِ يُترجمُ
أو قلتَ طُغماتِ الملائكِ كلِّهمْ ... لكن سناهم مع بهائكِ مُظلمُ
لسنا نرى شِبهاً يُوازي حسنها ... ألا ابنَها ذاكَ الإلهُ الأعظمُ
لا غروَ أنَّ الابنَ يُشبهُ أمّهُ ... إنْ أشبَهَ الابنُ أمَّهُ لا يظلمُ
لاقت لهُ أمّاً ولاقَ ابناً لها ... اذ مَنطِقُ المعلول علّتهُ الفمُ
لمّا بنعمتهِ كساها فاكتسى ... منها بجسمٍ كاملٍ يَستعظمُ
هيَ بالطبيعةِ أمهُ حقّاً وهو ... منها بنعمتهِ ابوها المنعمُ
فمتى تُناديه بابني يا أبي ... فكذا يُناديها بعكسٍ يُفهمُ
بالإتضاعِ مُشبَّهٌ فيهِ كما ... قد أشبهتهُ بنعمةٍ لو تعلمُ
وتظاهرا متشابهَينِ فأذهلا ... نُسطورَ ذيّاكَ اللعينُ المجرمُ
والمبدعونَ تمزَّقت آراؤهم ... وبذا الرَّدى بهلاكهم يترنَّمُ
لا يَسلَمُ الشَّرفُ الرَّفيعُ من الأذى ... حتى يُراقَ على جوانبهِ الدمُ
سكَنَ الإلهُ بعرشها فكأنّهُ ... في عرشهِ العالي يسودُ ويحكمُ

فرشت لهُ من قلبها وفؤادِها ... إستبرقاً وغارقاً تتسوّمُ
جعلت كِلاها وسادةً من تحتهِ ... كيلا ينامَ على وسادٍ يؤلِمُ
وحنوُّها أحنى حنيّ ضلوعها ... منها بمنزلةِ السريرِ يهوِّمُ
حتى اذا ولدتهُ طفلاً مرضعاً ... بحليبها وهو المقيتُ المنعمُ
كانت تُقبلهُ ويلزمُ صدرها ... متلازمَينِ لزومَ ما هو ألزمُ
فاذا رصدتَ بأوجِ عقلكَ صوتَها ... يُشجيكَ لحنُ هديرها المتنغِّمُ
قد سلَّمتهُ نفسها وفؤادَها ... مُلكاً لهُ وبملكهِ يتنعَّمُ
فإذا رأيتَ الإبنَ يدعو أمَّهُ ... عجباً لجهلكَ كيف لا يتعلَّمُ
وإذا رأيتَ اللهَ فيها ساكناً ... عجباً لكُفركَ كيف لا يتألَّمُ
واذا رأيتَ الصمَّ تسمعُ مدحها ... عجباً لشعركَ كيف لا يترنَّمُ
واذا رأيتَ المدح فيها واجباً ... عجباً لقلبكَ كيف لا يتكلَّمُ
طوباكِ يا تاج الخلائقِ كلِّهم ... فبدونكِ الإنسانُ لا يتحكَّمُ
وبدونكِ الساعي المجدَّ مقصِّرٌ ... وبدونكِ الخاطي أسيرٌ مُلجَمُ
لا علمَ لي ماذا أجيدُ لكِ الثنا ... وبمدحكِ المنطيقُ ألكنُ أبكمُ
هذا أقولُ ولستُ فيهِ كاذباً ... وجزا الكذوبِ بما يقولُ جهنَّمُ
فيكِ اعادَ اللهُ ثانيَ مرَّةٍ ... ما قد براهُ والدليلُ همُ همُ
لولاكِ قد بادَ الورى من شرِّهِ ... لكن بفضلكِ ليس حقّاً يعدِمُ
ندمَ الإلهُ الآبُ حين برا الورى ... لكن لأجلكِ إذ عوضَ لا يتندَّمُ
فلذاكِ صرتِ للخلائقِ موئلاً ... يرقون نحوكِ والمديحُ السُلَّمُ
قد جئتُ نحوكِ خاضعاً ومسلِّماً ... مذ جاكِ جبرائيلُ وهو يُسلِّمُ

عقيدة الحبل بلا دنس في الطقس البيزنطي

بقلم الاب نقولاوس قادري قب

يدخل الانسان ، مولود المرأة الى العالم حاملاً في ذاته نتائج الخطيئة الأصلية ومتغرباً عن الحيـاة الالهية التي قصد الله ان يعطيها للانسانية كلها كما اعطاها لآدم وحواء عندما خلقهما في الفردوس. وضاعت هذه الحياة الالهية في فردوس عدن وتجرد منها ابوانا الأولان فكان لا بد لكل انسان ولد مرة اولى للحياة البشرية ان يولد ثانية للحياة الالهية. وهذا هو السبب الاساسي من وضع سر العماد كواسطة للخلاص ولفيض الحياة الالهية ومن لا يعتمد بالماء والروح فلن يدخلَ ملكوت السماوات ولا بلدَ القديسين ولن يصبح ابناً في أسرة ابنـاء الله وعضواً في الجسد السري وغصناً في الكرمة الحقيقية في يسوع المسيح .

مع ذلك خليقة واحدة دخلت الى العالم وهي كاملة النقاوة وحائزة على نعم الله ورضاه بالرغم من السيل الجارف الشامل لكل ابنـاء آدم . وحدها دخلت الكيان البشري وكانت « كلها جميلة ولا عيب فيها » اجل لقد ولجت الى العالم وهي مزيّنة باجل النعم وهذه الخليقة الفريدة هي مريم العذراء ام الله . وتسمّي الكنيسة المقدسة هذا الانعام الذي لا يعادله شيء بالحبـل بها البريء من الخطيئة الاصلية .

ففي الثامن من كانون الاول من عام ١٨٥٤ حدّد البابا بيوس التاسع بأن مريم العذراء « بنعمة خاصة وبانعام فريد وبالنظر الى استحقاقات يسوع مخلص الجنس البشري وجدت بريئة من وصمة الخطيئة الأصلية منذ أول لحظة من الحبل بها.[1] » فهذه العقيدة الجديدة في وضعها القانوني والقديمة الأجيال في الاحساس بها احساساً قلبياً وعن طريق الصلاة والتأمل في اسرار الديانة المسيحية هي موضوع بحثنا من خلال الطقس البيزنطي .

١) راجع براءة بيوس التاسع في تحديد الحبل بلا دنس ومطلعها « الاله الذي لا يوصف » دانزغر عدد ١٦٤١ .

عيد الحبل بوالدة الاله

في القرون الاولى للنصرانية اتجهت افكار المسيحيين نحو يسوع المسيح موضوع أبحاثهم وتعاليمهم. وما ان اشرق القرن الخامس إلا وحدّد في مجمع افسس عام ٤٣١ امومة العذراء الالهية[1]. ومنذئذ تطلعت الأبصار بارتياح الى وجه مريم الغني بالصفات والسمات الفريدة وارادت ان تطل على ضياء هذا الجمال الخالد لتنعم بكنوزه فراحت تعمل الفكر والقلب والخيال واذا بالشعر والموسيقى والنحت والتصوير « ترفع للعذراء الهياكل المجيدة وتشيّد لها المعابد على دعائم العبقريات والايمان[2]. فالاشواق السامية والخيال المبدع والعواطف المختلجة في القلب البشري والاحلام التي كانت توزع على الليالي القمراء كواكب جديدة وذلك الانتظار الطويل ، انتظار العوالم والقرون وُجدت على الفور مترعة عندما ظهر هذا الوجه الجلي وجه مريم العذراء والأم الالهية ليسوع المسيح ابن الله الوحيد .

وغدا هذا الموضوع الجديد يؤلف وحدة قوية بين الابن والأم وابتدأت اعياد العذراء مريم تنبجس من قلوب المؤمنين . فرسموا عيد البشارة وعيّدوا لسر الامومة عقيب مجمع افسس . وفي القرن السادس أقاموا عيد مولد العذراء. وأتبعوه بعيد انتقالها الى السماء. وفي مطلع القرن الثامن بزغ عيد الحبل بوالدة الاله فكان الشرق البيزنطي السابق الفخور بحبه وتعلقه بمريم العذراء. فأقام لها الاعياد والاعياد ليبرهن على انه المستطلع الاول على امتيازاتها وسمو طهارتها وقداسة طبيعتها التي تكوّنت بحسب المجرى الطبيعي ، ولكن ابن الله سبق فانتخبها من بين سائر الاجيال لتكون اماً له وصانها بريئة من العيوب معصومة من الخطيئة الأصلية . ومن تبعات هذه الخطيئة .

ومن هذه الشهادات قانون القديس اندراوس اسقف كريت (+ ٨٢٠) ي تنشده الكنيسة البيزنطية في صلوات العيد الموضوع لليوم التاسع من كانون

1) Cf. Martin Jugie. D.T.C. « *Immaculée Conception dans l'Eglise Grecque*». T. 7. col. 893

2) Cf. Pierre Molaine: *L'Itinéraire de la Vierge Marie.* Corréa, 1953 p.7-8
Cf. Louis Chaigne: *Histoire de Marie.* Paris 1949 p. 26-27

الاول ومطلع هذا القانون : « ايتها المتألمة العقل حنة منذ عيد اليوم لحبلك لانك اذ قد أُطلقت من القيود العقرية حبلت بالتي وسعت الذي لا يسعه مكان»[1]
ونجد اول عظة في موضوع هذا العيد عند يوحنا اسقف افيه (Eubée) معاصر القديس يوحنا الدمشقي (+ ٧٤٩) . فالاسقف المذكور يدعو حبل حنة أول الاعياد وبحسب النظام التاريخي[2] وقد عمّ هذا العيد كنائس المملكة البيزنطية في أيام فوتيوس (٨٦٩) ورفعت درجة الاحتفال به الى مقام الأعياد الاحتفالية المبطلة للعمل في زمان الملك باسيليوس الثاني (٩٨٤) وهـذا الامبراطور نفسه حدّد يوم الاحتفال في التاسع من كانون الأول . ومن بعده أثبت الامبراطور مانويل كومنين ببراءة ملوكية ظهرت سنة ١١٦٦ واجب الاحتفال بهذا الموسم العظيم كما هي المراسيم الجارية في الاعياد الكبيرة .

موضوع العيد في الطقس البيزنطي

كل من تصفح نصوص الآباء والشعراء والصلوات الليتورجية وجد ان للعيد موضوعاً شاملاً لنقاط ثلاث :

النقطة الاولى هي البشارة . جاء ملاك الله الى يواكيم وحنة وبشرهما باستجابة مسألتهما وصلواتهما : « ايها الربّ لقد استجبت طلبة جديك الصديقين وأتممت مسألتهما المقدسة ومنحتها ثمرةً وهي والدتك النقية»[3] . هذه هي نقطة انطلاق العيد وقد استوحاها الشعراء من انجيل يعقوب المزيّف[4] وحولها حاكوا نواة العيد « ان حنة العفيفة اذ كانت قديماً تصلي بايمان سمعت صوت الملاك محققاً لها استجابة مسألتها فخاطبها علانية ان طلبتك قد بلغت الى الرب فلا تحزني بل كفكفي الدموع لانك ستصيرين زيتونة حسنة الثمر مخرجةً غصناً بهياً .»[5]

١) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٩٧ عمود ١٣٠٥ وكتاب الميناون العربي الجزء الأول صفحة ٢٩٣

٢) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٩٦ عمود ١٤٧٧

٣) ٩ كانون الأول قانون أودية ١-٣

٤) Cf. E. Amann ; *Le Protévangile de Jaques*. P. 99

٥) ابو ستيخن قطعة ثانية .

النقطة الثانية هي اعجوبة الحبل الذي تمّ في حشا عقيم: « ان حنة التي هي النعمة الالهية قد هتفت قديماً وهي تحلي من اجل ولد صارخة نحو خالق الكل والهم: يا أدوناي الصبازوت انت عارف عارَ العقم فازل ألمَ قلبي وافتح مسالك احشائي واجعل العادمة الثمر مثمرة[1]» وربما تكون هذه النقطة موضوعَ الاحتفال في مظهره الخارجي فيكون العيد شكراً لله على الاعجوبة التي صنعها مع يواكيم وحنة. وتثبيتاً لهذه النقطة تصرّح الكنيسة في صلواتها وتردّد صدى الاعجوبة: « ان الذي أنبع من الصخرة ماء، قد منح جوفكِ يا حنة ثمرة وهي السيدة الدائمة البتولية التي سيأتي منها الخلاص فقد تخلصت من العار فلا تسكنين بعد على الارض كأرض عادمة الثمر لانك تولدين ارضاً تثمر سنبلة الحياة[2]». الا ان الاعجوبة لا تذكر بالنسبة الى نتيجتها « فقد منح جوفك يا حنة ثمرة وهي السيدة الدائمة البتولية التي سيأتي منها الخلاص ».

والنقطة الثالثة للعيد البيزنطي هي الحبل في نتيجته اي في اتيان ام الله الى الوجود بطريقة مقدسة وبجمال مستغربة وبالهام صانع كل المبرؤات ويصرّح القديس اندراوس في قانونه عن نتيجة الحبل كانها محور العيد وغايته الاولى: « يا حنة لقد شرع يُنسج في جوفك برفيرة ملوكية التي اذ يتسربل بها الاله ملك الكل يظهر للأنام ويقهر الاعداء المحاربين لنا على الدوام[3]».

ويبقى للعيد توجيهه الأولي وتغدو العذراء مريم غاية الاناشيد ومرمى الشعراء وصدى لاقوال الأنبياء: « ان اقوال الانبياء السابقة قد تمت لان الجبل المقدس يستقر في الحشا. والسلم الالهية تنتصب والعرش العظيم للملك يهيأ ومكان اجتياز الاله يُعدّ والعوسجة الغير المحترقة قد اخذت في الافراع وخزانة طيب التقديس تفيض الآن انباراً[4]» ومن خلال هذه النبرات نشعر مع الكنيسة بان مريم لبثت بالنسبة الى الخطيئة الأصلية كالعليقة غير المحترقة (Βάτος ἡ ἄφλεκτος) بنار الخطيئة. وهي في سموّها وطهارتها كانت منذ اول لحظة خزانة طيب التقديس (ἡ Μυροθήκη τοῦ ἁγιάσματος).

١) ابو ستيخن قطعة اولى.
٢) غروب قطعة ٢
٣) قانون ٧-٢
٤) غروب ٩ ك ١ قطعة ٣

والنقطة الاولى هي التي أوحت العيد وأدخلت الاحتفال في التقويم الليتورجي ولكن لا ننس ان نتيجة البشارة كانت ترمي الى اتيـان الفائقة القداسـة التي سوف تقدس البشرية « بطيب التقديس » اجل لم يكن العيد ناشئاً عن مجادلات ومحاورات لاهوتية وابحاث فلسفية ولم يتخطَّ في التمجيد الا عما يشعر به المؤمن في تأملاته وسجوده وايمانه ولم يدخل العيد اليوناني كما كان دخوله في الغرب نتيجة مباحثات منطقية وفلسفية بل كان بحاجة الى إكمال الاعياد المريمية . وقد أوحى الانجيل المنسوب الى يعقوب الرسول الموضوع الاول في مظهره التاريخي أي انه اوحى البشارة المقدسة حنة بالحبل العجيب والالهي[1] ἐν τῇ θείᾳ Συλλήψει واما العنصران الآخران فاتحدا طبيعياً وبديهياً بتلك النواة الأولية وتُسمى مريم ثمرةَ برٍّ أي ثمرة قداسة جديدة بين وهبها . وثمرة وحيدةً في جنسها تحوي كل الصفات .

بيد أن العنصر الثالث اعني الحبل بوالدة الاله قـد شغل المقام الأول في فكرة الشعراء والآباء. فأنشدوا حبلَ حنة لانها حبلت « بثمرة سوف تفتح باب الفردوس بالنعمة » (Παράδεισον τὴν Θύραν τῆς Χάριτος)[2]. وباب الفردوس قد أُغلق بسبب الخطيئة الأصلية ومريم تفتحه لانها تسمو على الخطيئة. ونجد في اناشيد العيد صدًى قريباً لهذه القضية التي تهمنا. وتتغنى الشعراء والكتاب باتيان مريم الى الوجود وتصورها بالحشا العقيم ومنذئذ اصبحت الخليقـة الجديدة التي صـدرت من يد الخالق بنوع عجيب وهذا هو السر المستغرب الذي لا تدرك عظمته من الملائكة والبشر يظهر طفلًا في احشاء. حنـة العفيفة اعني به مريم فتاة الله مهيأة لسكنى ملك الدهور كلها[3]. « ليست اعجوبة الحبـل بالسر المستغرب وانما شخص مريم المتكوِّن في احشاء حنة بنوع الهي هو موضوع السر المرموز اليه وليس ظهور مريم بالوجود بالسر المستغرب وانما طريقة ظهوره للوجود على خلاف عادة المولودين هو السر المستغرب لأن مريم هي « فتاة الله والمهيأة لسكنى ملك الدهور كلها » اذا يجب ان يكون دخولها للعـالم بنوع فائق وبقداسـة سامية .

---

١) Cf. Μηναῖα Tom. B' P 419. Ἐν Ῥώμῃ 1889

٢) قانون اودية ٣–٢ ٣) ٩ كـ١ غروب كانين .

وقد رأى الشعراء كما رأى الخطباء رأوا في شخص مريم المزمعة ان تكون اما ليسوع المسيح صورة ابنها المتجسد لفداء البشرية و«لتجديد الجبلة الانسانية» وقد افسح هذا العيد المجال للشعراء ان يعبروا عن اعتقادهم بقداسة مريم والدة يسوع الاله الانسان فقالوا في وصفها : «ان مصف الانبياء قد سبق فأنبأ قديماً عن النقية البريئة من العيوب الابنة فتاة الله التي حبلت بها حنة وهي عقيم عادمة الثمر . فلنغبطها اليوم بابتهاج قلب نحن المخلصين بها بما انها وحدها بريئة من كل عيب »[1] «ὡς μόνην Παναμωμον» ففي هذه النبرة الاخيرة وحدها بريئة من كل عيب نجد صدى للانعام الخاص بمريم التي حبل بها بدون الخطيئة الأصلية والخطيئة هي عيب بنظر اللاهوتيين والآباء . ومريم وحدها وُجدت من أول لحظة من كيانها الانساني معصومة من هذا العيب بريئة منه ومن كل العيوب .

وبسبب هذا الاعتقاد المتجذر الى الحقيقة المخصبة نجد عناوين العيد في اكثر الكتب والكتب الليتورجية البيزنطية ترمي الى الحبل في نتيجته وفي سره وغرابته وبعده عن المسير الاعتيادي . من هذه العناوين : « حبل حنة بوالدة الاله » وهذا العنوان نجده شائعاً في القرون الوسطى عند اليونان والسلاف وما تحمل هذه العناوين نتيجة الحبل فحسب بل ان اغلب الصلوات الموضوعة لهذا العيد تهدف الى الحبل في نوعه المقدس وفي حده الأخير : «اليوم من أصل داود قد تفرعت برفيرة ماركية واخذت تنبت زهرة يسى السرية[2]» وهذه الحقيقة تصرح بها حنة اذ تقول : « ها انا أتقبل في احشائي التي سبق داود فدعاها ملكة ساأله شفيعة جميع المؤمنين.»[3] واذا كان موضوع العيد شاملاً لهذه النقاط الثلاث مع ذلك يبقى الحبل المقدس النقطة الاساسية والصلوات هي صدى للايمان الحي يتوضح على مر الاجيال .

نوع التعبير عن العقيدة في الطقس البيزنطي

يرجع تحديد العقيدة الى الثامن من كانون الأول ١٨٥٤ وقد أعلن البابا بيوس التاسع ببراءته «الاله غير الموصوف» صيغة التحديد بهذه الأوضاع : «بسلطة

١) كاثسما اولى . كانين .
٢) غروب عيد الحبل كانين ابو سيخن .
٣) قانون ٨-١

يسوع المسيح والرسل الاماجد بطرس وبولس وسلطتنا نحن نعلن ونحدد بانه بنعمة خاصة وانعام فريد من قبل الله القدير واعتباراً لاستحقاقات يسوع المسيح مخلص الجنس البشري نحدد بأن مريم العذراء وجدت لأول لحظة من الحبل بريئة من كل وصمة الخطيئة الأصلية.»[1]

في الطقس البيزنطي لا توجد مثل هذه الأوضاع الصريحة وهذه التعابير التي أفضت اليها المباحثات اللاهوتية على توالي الاجيال وانما في العيد البيزنطي والصلوات اليونانية اساليب عديدة لبسط هذا الايمان النيّر وللتحسس بهذه الفكرة الاساسية التي تؤلف موضوع التحديد المباشر.

وفي الاجيال الاولى الثلاثة للنصرانية تتكلم الآباء اليونان عن مريم العذراء فدعوها حواء الجديدة كما دعوا يسوع آدم الثاني ونعتوها بالكلية القداسة وام بتول لانها ام يسوع المتجسد وقد شاركت ابنها في عمل الخلاص الذي جاء ينقض اللعنة وعملَ الهلاك الذي جرّته حواء الاولى على البشرية. وكما ان ربنا خلّص بطاعته ما أضاعه الإنسان الأول بعصيانه: «كما انه بمعصية انسان واحد جُعل الكثيرون خطأة كذلك بطاعة واحدٍ جُعل الكثيرون أبراراً»[2] كذلك العذراء مريم ام الكلمة المتجسد تبدو واسطة خير وآلة خلاص للبشرية المتجددة: «ان الله استرجع بعمل مناقض لعمل صورته ومثاله اللذين شوههما الشيطان فاستخدم لذلك عذراء ثانية ليعطي العالم الكلمة الفادي حتى ان الجنس الذي كان سبب خسارتنا هو نفسه يصير آلة خلاصنا.»[3]

والقديس يوستينوس الفيلسوف رسم هذه الفكرة لأول مرة في حواره مع تريفون: «صار ابن الله انساناً من عذراء حتى تأخذ المعصية حدها على منوال ما ابتدأت» عندما قبلت حواء في قلبها كلام الحية وبهذا الفعل ولدت المعصية والموت) كانت عذراء وبدون فساد وأما مريم العذراء فعندما كانت نفسها ممتلئة من الايمان والفرح اجابت الملاك جبرائيل رسول الفرح والسعادة: ليكن لي

١) رسالة البابا بيوس التاسع Ineffabilis Deus الصادرة في ٨ ك ١ سنة ١٨٥٤

٢) رومية ٥–١٩

٣) موسوعة الآباء اللاتين Migne مجلد ٢ عمود ٧٨٢ ترتليانوس

حسب قولك.»[1] والقديس ايرناوس يتوسع بالموضوع نفسه ويعطيه مقاماً مهماً في تعليمه « لقد جدد يسوع المسيح كل شيء. اذ بدأ بالهجوم على الشيطان عدونا فصرعه وتغلب على من في البدء اسرنا بشخص آدم وسحق له رأسه بحسب قول الله للحية.»[2] ثم يتابع تحقيقه لهذه المقابلة بين مريم وبين حواء : « قرب آدم كانت حواء المرأة الاولى التي اعطاها الله عوناً بازاء آدم وشريكة له ولكن بعصيانها صارت لذاتها سبب موت وللجنس البشري بأسره. وقرب آدم الجديد كانت مريم وهذه بطاعتها هذه سببَ خلاص للجنس البشري بأسره بما ان الجنس البشري خضع للموت بسبب عذراء هكذا من جديد حصل الخلاص بواسطة عذراء بحسب التوازن العادل فطاعة عذراء (مريم) عوّضت ما أضاعته وخسرته معصية عذراء (حواء.)[3] والآباء قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥ يسمون مريم العذراء القديسة Ἁγία Παρθένος » فهي قديسة بنفسها وجسدها ومنها اخذ الكلمة جسداً يتوافق مع تحقيق مقاصده الرحيمة وقد دعوها العود غير الفاسد ξύλον ἄφθαρτον الذي صنع منه تابوت العهد اي بشرية يسوع المسيح غير الفاسدة فالمسيح يسوع هو بدون خطيئة بما انه بحسب بشريته من العود غير الفاسد اعني من مريم العذراء الطاهرة البريئة من كل العيوب ومن الروح القدس[4].

ومن مجمع نيقية حتى مجمع افسس (٣٢٥ — ٤٣١) على الرغم من اهتمام الآباء العظام بالعقائد اللاهوتية والردّ على الاراتقة وانشغالهم بالمسائل الكبيرة كالثالوث ولاهوت يسوع المتجسد نجد مع ذلك مسألة طهارة مريم البتول موضحة بأوضاع تفيض بالتعبير الجلي فديديم (Didyme) الاسكندري ينعت مريم « بالعذراء البريئة دائماً وابداً[5] Ἀεὶ Καὶ διὰ παντὸς ἄμωμος παρθένος وهي دائمة البكارة وكاملة الطهارة ولا تعني الكمال الطبيعي فحسب بل تمتد ايضاً الى كمال الروح والنفس وبما ان مريم دائماً عذراء فهي دائمة القداسة . وبما

١) موسوعة اليونان Migne مجلد ٦ عمود ٧١٠
٢) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٧ عمود ١١٧٩
٣) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٥ عمود ١١٧٥
٤) Cf. X. Le Bachelet. *Imm. Concep*. D. T. C. tome VII. Col. 873,874
٥) موسوعة الآباء اليونان مجلد ٣٩ عمود ٨٣٢

عن ان الحركة الالهية تستقر في العذراء منذ أول نشأتها في احشاء امها حنة فتكون قد استفادت من الامتلاء من النعم ولا يمكن للكنيسة ان تفترض تكوّن جسد مريم بدون زرع كما يزعم بعض الارثوذكس[1].

والبرهان الليتورجي يستند الى نصوص الآباء ومعتقدهم فيصبح آنذاك دليلا ثابتاً وقوياً على ان الطقس البزنطي يعبر عن عقيدة الحبل المنزه عن العيب بأوضاع كثيرة فيقول عن مريم : « ان ميلادك بريء من العيب ايتها البتول البريئة من العيب والحبل بك غير موصوف »

«Ἄχραντός σου ἡ γέννησις. Παρθένε ἄχραντε. ἄφραστος ἡ σύλληψις καὶ ἡ ὠδὶς»[2]

فهذه شهادة مباشرة وواضحة ولا يمكن انكارها فالقديس اندراوس اسقف كريت يثبتها عن معتقد عميق ولا يعني بكلمة « ميلادكِ » ἡ γέννησις ميلاد يسوع لان النشيد انما وضع لميلاد العذراء في الثامن من أيلول وليس لعيد الميلاد .

ويقول انها «بريئة من العيب» «ἀκηλίδωτος» وبريئة من كل العيوب «παναμώμητος» وانها انتخبت منذ الأزل لتكون في الزمن وبحسب الجسد أمًا للاله : « اليوم حنة تهتف قائلة : يا رب لقد سمعت صلاتي ومنحتني ثمرة الموعد التي هي والدتك الطاهرة النقية السابق تحديدها من بين سائر النساء ومن قبل جميع الاجيال[3] والكنيسة في صلواتها كثيرًا ما تستدعي المؤمنين ليكرموا الحبل بمريم المقدس : « فلنكرم الحبل بها المقدس »[4] و « هلم يا معشر المؤمنين لنبادر نحو البتول التي قبل تصورها في الحشا سبق تحديدها امًا لالهنا تولد من اصل يسى »[5] ويصوت

---

١) راجع الارثوذكسية السنة الثالثة تشرين الاول ١٩٥٣ عدد ٨ صفحة ٤ « لاوعن حبل حنة بالعذراء والدة الاله الفائقة القداسة بدون مضاجعة يواكيم لها وهذه هي البدعة التي يسوغها (الحبل بلا دنس) كأن صاحب المقالة « غير الارثوذكسية » لم يبحث بتعليم الكنيسة الكاثوليكية ولا علم له بالحقائق اللاهوتية وانما ينسب الضلال عن غاية في النفس .

٢) قانون اندراوس الاقريطشي ٨ ايلول أودية ٥–٣ Μηναῖα T. T.P 98

٣) قانون اندراوس الاقريطشي ٨ ايلول اودية ٤–٣

٤) كانين بعد الأودية الثالثة .

٥) ٨ ايلول كانين ابو ستيخن .

صورة السيدة العذراء مع الطفل يسوع والملائكة لفرا انجيليكو - محفوظة في فلورنسة

الانسان الأول خُلق وجُبل من ارض طاهرة فكان يجب على الانسان الكامل ان يولد من عذراء طاهرة وبريئة من العيب «Ἐκ τῆς ἀχράντου. Καὶ ἐπειδὴ ἀχράντου Παρθένου» وجه المقابلة بين الارض والعذراء. وقد وُلد منها آدم الأول وآدم الثاني هي الفكرة المشتركة ἄχραντος. وهذا النعت يُفهم بالوضع الأول عن الأرض البكر ولا تدعو في وضعها الثاني الا الى الكمال البتولي ويفهم هذا النعت ἄχραντος نجد ذاته عن الأرض التي لم تتدنس بخطيئة آدم وبالنتيجة لم تخضع للعنة الله . وعندما نحمل هـذه الصفة على شخص مريم في الوضع الثاني من المقابلة فانها تسمو وتدل بوضوح على الكمال والنزاهة من كل عيب «παρθένος οὖσα καὶ ἄφθορος» .

والقديس ابيفانوس يتخطى المقابلة بين حواء ومريم الى ما ابعد واعمق فلا يحصل التعليم عن آدم الجديد وحواء الجديدة بآية سفر التكوين ٣—٢٠ فحسب بل يستنتج عدة نتائج عن المهمة التي تختص بها مريم . ينظرها بصور ورموز في المرأة الاولى آخذة اسم حواء وأم الأحياء . اجل يقول هذا القديس «اخذت حواء هذا الاسم بعد ان سمعت هـذه الكلمات : انتِ ارضٌ والى الارض تعودين اي بعد الخطيئة . فلماذا اعطيت هذا اللقب بعد سقوطها ؟ اذا اعتبرنا فقط الحيـاة الجسدية والمادية فالجنس البشري كله متحدر حقيقةً من حواء ولكن بالحقيقة مريم ادخلت الى العالم الحياة الحقيقية وهي التي ولدت الحي وتدعى أم الأحياء.»[1] ألا تفترض هذه المهمة نعمة وقداسة فريدة ؟ والقديس ابيفانوس يفترض هذه النعمة والقداسة عندما يقدم لنا العذراء مريم « كـكن وهيكل معدّ لتجسد الكلمة وتعدها لهذه المهمة اعجوبة مذهلة وجودة الله . » ولا يرضى ان تكون مريم الهاً او آخذة جسدها من السماء:[2] Οὔτε γὰρ θεὸς ἡ ἐξ οὐρανοῦ Μαρία, οὔτε ἀπ' οὐρανοῦ ἔχουσα τὸ σῶμα . وهو ينفي عن مريم الحبل بلا زرع كما تعلم الكنيسة الكاثوليكية « ليس الحبل بالعذراء مريم حبلًا بدون زرع فمريم خاضعة للاحوال التي ترافق التوليد البشري الذي يفترض فعل الزواج Καθὼς πάντες, ἐκ σπέρματος ἀνδρὸς καὶ μήτρας γυναικός[3] ولا شيء يمنع

١) مجموعة الآباء اليونان مجلد ٤٢ عمود ٧٢٨

٢) مجموعة الآباء اليونان مجلد ٤٢ عمود ٧٤٣

٣) مجموعة الآباء اليونان مجلد ٤٢ عمود ٧٤٩

الشاعر دشعب المسيحي يحتفل بالحبل الالهي : «هلمّ نعقد اليوم محفل روحيا وبعده اشوق لتقدمة العيد هدية النشائد المقبولة لوالدة الاله فخر جنسنا مكرمين الحبل الالهي بها على عيد أمل.»[1] فهذه الاوصاف العديدة تبرهن عن تفرد هذا «الحبل العجيب» و «الحائز من قبل الله» و «الذي تمّ بجمال الهبة.»

والطقس اليوناني في صلواته العديدة والنوبة كثيرا ما يقابل بين العذراء مريم وطغمات الملائكة «فهي اكرم من الشاروبيم وارفع مجدًا بغير قياس من السارافيم». ومهما تسامت هذه الطغمات في الطهر والنقاء «فمريم تفوقها جميعاً «ايتها البتول لقد ظهرت اسمى من الشاروبيم وارفع من السارافيم وارحب من السماوات وانت ارفع سموّا من جميع المخلوقات»[2] ومريم لأجل نقاوتها وطهارتها وتنزهها عن العيب أحبها الاله العلي واتخذ منها جسدًا من جسدها هذا النقي البريء من كل عيب والذي لم يوجد لحظة تحت سيطرة الخطيئة لان للعذراء جسدًا لم يقبل سَرَيان الخطيئة الأصليه بحسب شهادة الشاعر جاورجيوس الذي تغنى بالحبل البريء من العيب : «يا والدة الاله النقية ان عجائبك تفوق قوة الاقوال سموّا لاني أُدركُ ان لك جسدًا يفوق الوصف لم يقبل سَرَيان الخطيئة لذلك اهتف نحوك بشكرانك ايتها البتول النقية بالحقيقة ارفع سموّا من جميع المخلوقات»[3] Σῶμα γὰρ ἐν σοὶ Κατανοῶ ὑπὲρ λόγον, ῥύπος ἁμαρτίας ἀνεπίδεκτον».

هذه هي الخطيئة الأصلية التي تسري الى جميع ابناء آدم ولكنها تقف في سيرها عند مريم الحاجز وهذا النص يكاد ينطق بالعقيدة كما حددتها الكنيسة وارتكزت في تحقيقها على شهادات الكتاب المقدس والتقليد وخصوصاً على نصوص الليتورجيا التي تنطق ببراءة مريم الفائقة. واذا ما قال الطقس البيزنطي بأن مريم حازت نعمة دائمة عند الله وانها خلقت شبيهة بآدم قبل ان يخطأ وهي المجددة لآدم وحواء : «ان ملكة الكل الخدر الالهي الذي سبق الختم بجعلها مسكنًا لله التي بها وطئت الجحيم الهائلة وبها حواء مع كل ذريتها تلج في حياة

١) ٨ ك١ غروب كبيريه ا
٢) ٢١ ت٢ اودية ٩—٣
٣) قانون جاورجيوس ٢١ ت٢ أودية ٩—

مصونة »[1] ظهرت مريم الساحقة لرأس الحية كما صورها كتاب الخليقة وتنبأ عنه اذ قال الله للحية سأجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك وبين نسلها فهي تسحق رأسك وانت ترصدين عقبها[2] فمريم هي التي انجبت النسل الكريم يسوع المسيح الذي به ومعه سحقت رأس الحية سحقت الشيطان عدو الانسانية لانه « بحسد ابليس دخل الموت الى العالم »[3]. و « الشيطان هو قاتل الناس منذ البدء »[4] وهو يضل المسكونة ويخدعها . »[5] فمريم اذن هي التي شنت الحرب والصراع الخالدين على الحية وعلى ابليس وانتصرت عليه وسحقت رأسه بقدميها الطاهر البريء .

والعذراء وحدها ما احتاجت الى المصالحة مع الله لانها تقدست وتبررت منذ ظهورها في حشا امها حنة . وهي كانت دائماً مباركة ووحدها مباركة وبالاخص لو وجدت هذه الفكرة تحت قلم كتاب وشعراء وصفوا الخطيئة الأصلية باللعنة وقد علموا بانه من المستحيل ان نفترض بمريم اقلّ عيب وأصغر دنس ان في النفس او في الجسد لانها بريئة من كل العيوب وأم الهنا « و « قد سبقت فبشرت كل العالم يا علة حياتنا واضمحلال اللعنة وهبة البركة[6] . Κατάρας ἀναίρεσις, εὐλογίας ἡ ἀντίδοσις وكيف تضمحل اللعنة لو كانت العذراء مارثة بالخطيئة وتحت سيطرة ابليس وكيف تكون تجديد آدم وحواء . كما تسميها الليتورجيا . « لنضرب القيثار الروحي في موسمنا هذا البهي لان فيه قد ولدت أم الحياة فأزالت الظلام بما انها ينبوع عدم الفساد وتجديد آدم وحواء التي بها تألمنا ونجونا من الموت »[7] في كل هذه الأوضاع نرى مريم تزيل ظلام الخطيئة وتغدو ينبوع عدم الفساد ينبوع النعم وهي ممتلئة نعمة كما سلّم عليها جبرائيل « افرحي يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة انت في النساء . ومباركة هي ثمرة بطنك »[8] ولو كانت مريم مارثة بالخطيئة لما استطاعت ان تكونَ تجديد

١) ٨ ايلول لتين العيد قطعة رابعة .
٢) تكوين ٣–١٥
٣) سفر الحكمة ٢–٣ و ٤
٤) يوحنا ٨–٤٤
٥) رؤيا ١٢–٩
٦) ٨ ايلول ابو ستيخن قطعة ٣ Μηναῖα T. I. P. 92
٧) ٨ أيلول كانين لتين .
٨) لوقا ١–٢٨ و ٣٢

آدم وحواء » وعلة « تقدّنا » . فهي اذن النقية التي تقدست لله قبل الحبل بها :
« ايتها النقية انك قد تقدست لله قبل الحبل بك »[1] وبذلك يمكنها ان تسحق
رأس الحية « ولا تلامسها يد مدنسة بالكلية »[2] Πάναγνον μολυσμοῖς γὰρ ἀχράντων
فهذه العذراء التي لا تمتد اليها الخطيئة ولا تسري الى جسدها ونفسها فهي
« السيدة التي وحدها تعلو الجمع »[3] فيكون الحبل بها بريئاً من الدنس منزهاً
عن العيب جديراً بالتمجيد « ايتها النقية اني امجّد الحبل بك واعظم مولدك
الغامض الوصف »[4] ولِمَ هذا التمجيد وكيف يكون مولد العذراء غامض الوصف
لو كان للشيطان اليدُ في تلويث هذا الجسد الطاهر منذ أول لحظة وكيف
يكون الحبل بالعذراء غريباً كما تقول صلوات الكنيسة : « ايتها العذراء ان
الحبل بك مستغرب ومولدك عجيب » فأين الغرابة والاعجوبة لو كانت مريم
خاضعة كبقية الناس لسَرَيان الخطيئة الأصلية ؟ وكيف تزهر سنبلة عدم
الموت ؟ وكيف « تفتح باب الفردوس بالنعمة »[5] وكيف « تزيل بميلادها اللعنة
التي وجبت علينا بآدم »[6] ؟ لو خضعت مثل آدم لحكم اللعنة ؟

ومدلول الصلوات واضح والهتافات بنقاوة مريم المطلقة بالنسبة الى البشر
تعلو من كل قلب وتحلو على كل فم : « ايتها الفائقة القداسة والدة الاله
خلصينا »[7] والايمان بقداسة مريم السامية يبقى صريحاً في صلوة ايتها السيدة
النقية الطاهرة العذراء عروس الاله العادمة العيب البريئة من الأدناس[8] » .

وهي الممتلئة نعمة حتى في حين الحبل بها كما رأينا وهي « العطر الذكي
التي تبدلت طيب الحياة »[9] ولم « يشتم منها رائحة الفساد »[10] « يا انها الملكة
وعروس الآب البريئة من العيب »[11] .

ومريم العذراء هي الفريدة من بين النساء المغمورة بالنعمة الالهية ، كيف

---

١) ٢١ ت٢ كاثسى ثانية .
٢) ٢١ ت٢ تاسعة ، Μηναῖα T. II. P. 233.
٣) ٩ ك ١ قانون ثاني ١-٦
٤) ٢٠ ت٢ قانون ٦-٥
٥) ٩ ك١ قانون اودية ٣-٢
٦) ٧ ايلول كيريه غروب قطعة ٣
٧) مدائح . قانون .
٨) اقشين نوم الصغرى .
٩) ٩ ك١ قانون ٧-٣
١٠) ١٥ آب قانون اودية ٦-٢
١١) ٨ ايلول ابو ستيخن قطعة ٣

تكون خاضعة للخطيئة الاصلية والخطيئة هي اللعنة وهي الفساد ؟ وقد دعاها الشعراء ينبوع عدم الفساد وتجديد أدم والتي بها تألهنا ونجونا من الموت الروحي. كيف تكون ينبوع النعمة و «موزعة النعم[1]» كما يدعوها يوحنا الدمشقي اذا كانت الخطيئة الاصلية قد اقتربت من نفسها او جسدها ولو لحظة واحدة وهذا الأمر لا يكون لان الله يحب أمه وقد تدخل بنوع خاص وبانعام منه ومنة الهية تدخل ليقدس الحبل بها لانها ستكون بالحقيقة ام الله . وام يسوع السيد وطيب الحياة . وقد هيأها بلاطاً لائقاً به فتصبح بالحقيقة على حسب كلام الليتورجيا ابنة الله Θεοπαις الكلية القداسة والفردوس الذي غرسه الله والخدر الكلي الجمال وعرش الله العلي الذي استقرَّ فيه بالجسد . فكل هذه الأوضاع التي استعملها الآباء والشعراء والكتاب في تسمية مريم العذراء بريئة من العيب تدل بوضوح على سلامة المعتقد في الكنيسة اليونانية ورسوخ هذا الايمان فيها وتدل بنوع كاف على فكرة الحبل البريء من وصمة الخطيئة الأصلية كما فهمتها الكنيسة الكاثوليكية في تحديدها القانوني وايمانها الراسخ .

---

١) ٢٥ ك١ قانون اودية ٩–٦

LA VIERGE MARIE

DANS LA LITTÉRATURE MÉDIÉVALE DE L'ARMÉNIE

PAR LE

PÈRE JEAN MÉCÉRIAN S. J.

Au moyen âge il y eut chez le peuple arménien une renaissance littéraire et artistique qui a suivi de près le relèvement politique et la prospérité économique des régions qu'il habitait.

Cette renaissance, commencée au dixième siècle dans le cœur du pays, interrompue pour un temps par l'invasion seldjoucide, reprit avec un élan nouveau sur deux fronts à la fois, mais en marge plutôt que dans le centre du pays. Ce fut au Nord-Est de l'Arménie, sur les marches frontières transcaucasiennes sous l'égide de la Géorgie, et, au Sud-Ouest du pays, en Cilicie arménisée, sous l'impulsion de dynastes émigrés et au contact des Byzantins et des Francs.

Dans la pléiade des écrivains illustres de l'époque je retiens deux noms, ceux de deux docteurs dont la plume a exprimé sur la Vierge Marie, Mère du Verbe incarné, les sentiments les plus véhéments et les plus tendres unis à une exacte doctrine théologique. Ce sont deux saints, Grégoire de Narek et Nersès de Lampron, dont je voudrais présenter la pensée aux lecteurs de notre revue, à l'occasion de l'*année mariale*; et pour rendre plus palpable la portée du témoignage de ces deux serviteurs de Marie, je dirai d'abord quelques mots sur la vie de chacun d'eux.

CHAPITRE PREMIER

SAINT GRÉGOIRE DE NAREK

I. — L'Homme

Extrait d'un ms. arm.

Cet homme, surnommé le *Pindare arménien*, a résumé et réalisé en sa personne l'idéal ascético-mystique et poético-littéraire de la nation arménienne. Et pourtant nous ne savons rien de sûr ni sur la date de sa naissance, ni sur celle de sa mort. La Diaspora arménienne a célébré naguère le millénaire de sa naissance, en s'appuyant sur des dates traditionnelles qui se sont avérées inexactes. Grégoire a dû naître au plus tôt en 940 et au plus tard en 949; la première limite est suggérée par des considérations d'âge, tandis que la seconde s'appuie sur une donnée historique: le père de notre futur saint, lui-même homme docte et influent, est déjà mentionné comme évêque en l'an 950. Quant à la mort de notre saint, elle a dû avoir lieu entre les années 1009 et 1011. Tout jeune privé de mère, Grégoire fut confié, ainsi que son frère aîné Jean, aux soins de l'abbé du monastère de Narek situé sur un mamelon au Sud du lac de Van; à une faible distance au Nord du monastère s'étalait donc un splendide panorama vers les rives, les eaux et les îles de ce beau lac situé à 1650 mètres d'altitude.

L'abbé du monastère était proche parent des deux jeunes disciples à lui confiés. Il comptait, tout comme

leur père et d'autres membres de la famille, parmi les lettrés et les spirituels de l'époque. D'ailleurs c'était la première étape de la renaissance arménienne. Dans les deux royaumes arméniens reconstitués sous la suzeraineté du Califat abbasside en déliquescence, dans la province du Schirak (au Nord du Mont Ararat) comme dans le Vaspourakan (autour du lac de Van), on réparait les monastères anciens, on en bâtissait de nouveaux; des moines arméniens refluaient des territoires byzantins vers leur patrie en voie de renaissance; ils apportaient avec eux, avec l'amour des études, le goût des lettres grecques remises en honneur dans les territoires de l'empire. L'influence byzantine fut particulièrement sensible au monastère de Narek par l'adoption de la doctrine chalcédonienne sur les deux natures de Jésus Christ et par un goût marqué pour l'étude de la langue grecque.

C'est dans un tel milieu que grandit et vécut notre moine Grégoire. Il fut chargé à son tour de la formation intellectuelle et spirituelle de ses jeunes confrères. Sa sainteté était universellement reconnue au dehors et à l'intérieur du monastère. Mais son prestige et son zèle de réformateur, plus encore sa communion de foi à l'Église byzantine et par là même à l'Église universelle, — dont la Byzantine n'était pas encore séparée malgré le schisme passager de Photius —, excitèrent la jalousie de quelques confrères. Il fut dénoncé aux évêques et aux princes comme *dzayth.* Si l'étymologie de ce mot reste incertaine, le sens en est clair; Grégoire était traité d'hérétique.

Les traditions populaires racontent de gracieuses légendes pour montrer comment ses détracteurs furent confondus. Qu'il me suffise de mentionner la cantilène composée quelque 300 ou 400 ans plus tard par le troubadour Hovhannès de Telgouran. Après avoir rapporté une résurrection opérée par le saint accusé, la cantilène continue comme suit:

La renommée de ce miracle de Grégoire arriva jusqu'à Sis :
«Il est un docteur au village de Narek qui ressuscite les [morts».
Trois archimandrites, tous trois de la ville de Sis,
Se mirent en route pour aller voir ce saint docteur.
Ils le rencontrèrent sur la montagne où il faisait paître ses [moutons,
Il était un peu myope ; les trois hommes se regardent et se [mettent à rire.
Grégoire avait l'âme sainte, il saisit leur pensée intime ;
«Seigneurs, dit-il, excusez-moi, je suis le disciple du Docteur».
Sept loups étaient assis au sommet de la montagne et lorgnaient les moutons ;
Il appela les loups et leur ordonna de garder les moutons.
Il prit les bâtons des archimandrites et ils se dirigèrent vers [sa cellule.
Il saisit trois pigeons — c'était un mercredi, jour maigre —,
Il les prépara et rôtit et les mît devant ses hôtes ;
«Allons, mes bons hôtes, goûtons à ce bon plat ».
Les trois se regardèrent et se posèrent le doigt sur les lèvres;
« Seigneur, excuse-nous, aujourd'hui c'est mercredi, jour [maigre ».
— « Mangez, mes bons hôtes, ou donnez-leur l'ordre de [s'envoler ».
Les trois archimandrites restèrent stupéfaits à ces mots..
Grégoire s'avança, invoqua le Dieu vivant,
Etendit sa droite et toucha les oiseaux.
Les pigeons ouvrirent leurs ailes et voltigèrent sept fois sur [la tête du Docteur ;
Le saint Docteur les bénit, et ils allèrent rejoindre leur essaim.
Les trois archimandrites tombèrent aux pieds du saint Doc- [teur ;

« *Tu mérites bien, lui dirent-ils, les éloges que mille bouches [faisaient de toi ;*

« *Nous irons porter la nouvelle au patriarche de Sis ;*

« *Ce qu'on dit de toi est donc bien vrai : tu ressuscites les [morts* ».

Ne regardons pas de près à l'anachronisme commis par cette cantilène: vers l'an 1000, époque de Grégoire de Narek, il n'y avait pas encore de patriarche à Sis, future capitale du futur royaume de la Cilicie arménienne. Mais admirons-y la naïve grâce du François d'Assise de l'Arménie, apparu environ deux siècles et demi avant celui de l'Italie (1182-1226).

Tel se montre bien à nous le moine arménien Grégoire dans quelques *Hymnes*, *Panégyriques* et dans son *Commentaire du Cantique des Cantiques*. Mais il n'est pas que cela, précisément dans son ouvrage principal qu'est son *Livre d'Elégies*; il s'y présente plutôt comme un condamné qui, en se cramponnant de toutes ses forces à quelque planche de salut, refuserait d'entrer dans l'Enfer de Dante. Cette planche de salut est, après la miséricorde sans bornes du Christ Rédempteur, la très sainte Vierge Marie, sa mère, dont une Hymne et un Panégyrique chantent avec ravissement l'excellence et la beauté. D'ailleurs *l'Hymne* et *le Panégyrique* sont tout embaumés du parfum du *Cantique des Cantiques*.

On sait par les mémoriaux ajoutés à ses œuvres que son commentaire sur ce dernier ouvrage est une œuvre de jeunesse à laquelle ont dû succéder ses Hymnes. Nous savons d'autre part que son Panégyrique de Marie a précédé de quelque vingt ans son livre d'Élégies composé à son tour vers la fin de sa vie. Le contenu et le ton même des morceaux que je vais présenter semblent bien correspondre à l'évolution psychologique de la forte personnalité de notre saint moine.

II. — L'Hymne de la Théophanie

Les Hymnes de saint Grégoire de Narek sont de courts poèmes d'allégresse juvénile et candide, retrouvant à travers le courant optimiste des Pères Grecs, spécialement des Pères Cappadociens, qu'il semble avoir beaucoup fréquentés, la saveur des plus antiques chants nationaux des bardes d'Arménie. Quel amour de la nature chez ce mystique et avec quelle fraîcheur il la décrit! La nature constitue pour lui un tout vivant, doué d'un sublime symbolisme. Elle est la lyre de Dieu; vraiment pour lui *les cieux chantent sa gloire.* Mais la lyre par excellence est le cœur de l'homme pour qui tout a été fait. Et sa lyre à lui, le jeune moine Grégoire sait qu'elle ne vibre qu'au toucher de Dieu, du Christ et de sa Mère toute vierge. Cela transparaît magnifiquement dans son chef d'œuvre parmi ses Hymnes qu'est *son poème sur la Nativité du Sauveur et sur l'Epiphanie.* L'ancien rituel arménien associe ces deux fêtes le même jour (6 Janvier) avec le souvenir du Baptême du Christ: c'est la triple *Théophanie*, comme disent les Saints Pères. Dans ces mystères, dans lesquels le Fils et sa Mère Vierge sont intimement unis, la pensée de notre poète se développe en quatre étapes.

Le poète commence par décrire l'hymen de la nature au printemps, quand la rosée se dépose sur les feuilles des arbustes et que le soleil, descendant sur les gouttelettes, les fait scintiller. Ainsi a fait le Fils de Dieu, lumière de gloire, soleil d'amour, qui par amour est descendu dans le sein de Marie la Vierge, s'unissant à elle dans cet ineffable mystère.

Quelle est donc celle qui fut choisie pour un tel mystère? Le poète la décrit, la Vierge choisie, sans en oublier ni les yeux, ni les tresses de cheveux autour de ses joues, ni les lèvres et les seins, ni la tunique et la ceinture, ni la légère et gracieuse démarche. Tout cela est dit avec un réalisme candide qui risquerait de nous

étonner, si saint Paul ne nous en avait déjà prévenu : *Omnia munda mundis*, tout est pur aux purs. Notre poète lui-même confirme le dire de l'Apôtre, car, au lieu de terminer logiquement cette seconde étape de sa pensée par quelque mot ardent sur la Vierge idéale qu'il vient de décrire, il remonte d'un coup d'aile à la source même d'où découle cette beauté, en disant :

A ce Roi, à ce Sauveur nouveau-né,

A celui qui t'a couronnée, gloire éternelle!

Maintenant qu'il a uni dans la même sublime destinée le Fils et sa Mère, Grégoire va de l'avant avec audace; il décrit Marie devenue Epouse céleste, puisque Mère, par les mots mêmes du Cantique des Cantiques, auxquels il recourt pareillement de suite après, pour décrire le Roi né à Bethléem, visité par les bergers et adoré par les mages, Christ béni de tous dans les siècles des siècles.

En présence de *la bonne nouvelle* de ce grand mystère qui s'est révélé, du mystère de la splendeur du Père se manifestant à travers une essence née de la chair et de l'argile, notre poète ne tient plus : il annonce *la bonne nouvelle*, en répétant toujours le même mot, à tous les êtres associés au mystère de la Théophanie. *A Marie tout d'abord, Mère du Seigneur, bienheureuse, semblable aux séraphins, siège des chérubins, suprême clarté proche de la Trinité, astre de lumière évoluant dans les hauteurs ; mille et mille êtres scintillent et brillent dans ton faisceau lumineux ; (mais) menu et discret sentier, tu conduis vers la voie de l'Inconnu. Bonne nouvelle à toi, Mère du Seigneur, Vierge Marie, temple du Verbe.*

Le cœur du poète déborde à présent, il crie la «bonne nouvelle» tour à tour à la maison d'Adam dont la malédiction fut levée en ce jour; aux patriarches, aux prophètes, à Bethléem. Ici, visuel et émotif à la fois, Grégoire passe de suite à la nature matérielle: *Bonne nouvelle aux fleurs qui souriantes éclosent sur les arbres et qui*

avec leurs belles couleurs annoncent les fruits agréables à la vue, doux au goûter ; bonne nouvelle aux bouquets serrés, qui répandent un parfum réjouissant ; la pointe de leurs roses s'ouvre gracieuse, leurs pétales s'étendent radieuses au milieu de la verdure de leurs feuilles drues. Jean le Précurseur, qui avec sa mère a embrassé et adoré le Christ, est lui-même saisi d'émotion et, comme un enfant, court et confie la bonne nouvelle *aux sources mêmes des multiples courants d'eau, qui, bruissants et souriants, tantôt en filets à travers les méandres du sable, mais bientôt grossis par leurs mélanges, se précipitent vers le Jourdain à travers monts et vaux.*

Dès lors bonne nouvelle au Jourdain et au Précurseur qui crie dans le désert. Jean se la répète à lui-même la bonne nouvelle que ses mains vont baptiser le Seigneur et redit son invitation aux noces du Saint Epoux. Encore *bonne nouvelle au Jourdain dont les eaux réchauffées dans leur course à travers les rochers brûlants de l'Hermon et du Sanir fendent profondément la mer elle-même dans leur chute, mais se retournent aussitôt pour voir le Christ au baptême. Bonne nouvelle à l'univers ; aux fils des hommes, formés d'argile, qui virent aujourd'hui l'Esprit sous la forme d'une colombe. Bonne nouvelle, car aujourd'hui s'est révélé le mystère de la Sainte Trinité. Chantons toujours : «le Christ est béni éternellement».*

Tout cela est dit avec une tendresxe ravissante et dans un langage fort bien adapté: on dirait une délicieuse musique où pensées, sentiments et expression s'allient merveilleusement.

III. — Panégyrique de la Théotokos

Le Panégyrique consacré à Marie par saint Grégoire de Narek est aussi un poème, mais un grand poème jailli d'une poitrine au souffle puissant. La doctrine de l'Incarnation y est approfondie sous ses divers aspects et cela n'est que le fondement, l'occasion pour exalter et chanter l'exceptionnelle dignité et la magnifique beauté de la Vierge Marie, Mère de ce Verbe Incarné. Ici en-

core tout cela est dit avec une tendre piété dans un style sublime soutenu.

Il me semble reconnaître dans la marche du panégyrique une certaine ressemblance avec le poème grec qu'est l'*Hymne Acathiste*, si célèbre dans toutes les églises de rite byzantin. Je crois voir dans les deux pièces un procédé analogue de composition, de développement de la pensée et même la répétition du même mot: *Réjouis-toi*. Une brève analyse du Panégyrique, avec quelques allusions à l'Hymne byzantine, prouvera suffisamment, me semble-t-il, cette assertion que je me permets d'avancer. Cela confirmera du reste mon opinion sur la pénétration de l'influence byzantine dans la région du Vaspourakan et sur la connaissance de la langue grecque chez saint Grégoire de Narek. Nous devons seulement avoir présent devant les yeux le fait que l'Hymne Acathiste est, malgré sa longueur, une suite de strophes, donc *en vers*, destinées à être chantées et même chantées debout, tandis que le travail de Grégoire est un panégyrique, à savoir un long discours de circonstance *en prose*, quoique souvent en prose rythmée, avec des membres de phrases monorimes, imitant le procédé dès lors en vigueur dans les milieux persans et arabes; d'ailleurs notre écrivain accentuera son imitation vers la fin de sa vie et donnera à ce procédé un tour personnel qui sera la marque distinctive de son style dans son *Livre d'Elégies*.

ooo

Dans un exorde solennel et quelque peu contourné, notre panégyriste avance que la Vierge Marie, Mère de Dieu, mérite les louanges les plus exceptionnelles, mais que c'est là chose fort malaisée que n'osent entreprendre même les chœurs angéliques comme Elle le mérite. *Marie*, en effet, *a contenu sous son toit fait de terre Celui qui est inaccessible aux êtres de feu ; Elle a enveloppé par les liens palpables de son corps Celui qui est indicible aux séraphins ;*

Elle, de ses mamelles, a allaité Celui qui nourrit les chœurs des anges. Quel chant peut donc être assez digne pour bénir et honorer le réceptacle de l'Invisible et le salon du Magnifique, le tabernacle du Seigneur et le pavillon de la Divinité, la coupe du banquet incorruptible, le sanctuaire de la pureté et l'autel de la chasteté, le prototype de la virginité et le modèle de la béatitude, le foyer indissoluble de l'Époux intemporel et la demeure où se complaît la Divinité incréée. Mais puisque la Terre fut associée au Ciel pour porter le Dieu-Sauveur, chœurs célestes et chœurs terrestres, formons ensemble un seul chœur et chantons en délire.

Le reste du Panégyrique, à savoir tout le corps du discours, est en fait un chant adressé directement à la Vierge-Mère du Dieu Incarné, ayant environ 24 paragraphes d'inégale longueur. Six de ces paragraphes commencent par le mot: *Réjouis-toi*, et tous commencent ou se terminent par l'épithète fondamentale de Marie: *Mère de Dieu, Mère du Seigneur, Mère de Jésus, Mère du Christ.* Ne peut-on pas voir dans les particularités que je viens de signaler quelque indice de la connaissance de la part de notre panégyriste de l'Hymne Acathiste qui se compose aussi de 24 strophes, dont les strophes impaires se terminent toutes par une litanie de treize vers, treize χαῖρε, *Ave*, *Salut*, et mieux en arabe: افرحي le treizième vers de la litanie étant toujours le même: Χαῖρε νύμφη ἀνύμφευτε, *Ave Sponsa innupta*, افرحي يا عروسة لا عروس لها

⁂

Ici je suis embarrassé pour résumer cet épithalame de la Vierge exhaussée à la Maternité du Fils de Dieu, des épousailles du Verbe divin avec la nature humaine, avec Marie elle-même dans les chastes entrailles de cette Vierge prédestinée, et de tout ce qui, de cette union, a découlé des plus intimes et des plus touchantes relations entre la Mère et son Enfant qui est le Dieu-Sauveur. La piété et la tendresse dont déborde le dis-

cours du moine arménien de l'an mille fusionnent si spontanément avec la profondeur doctrinale et l'inspiration poétique que l'on serait tenté d'en reculer la composition deux ou trois siècles plus tard, vers les âges d'un Saint Bernard de Clairvaux, d'un Saint François d'Assise ou d'un séraphique Saint Bonaventure. J'y glane quelques fragments entre des centaines; comme ils sont intraduisibles!

Après avoir rappelé que le Fils de Dieu devenu homme s'est approprié le trône de David son père, — dont la maison est l'univers et sa ville, la terre entière — et que par l'œuvre de la croix Il a rétabli le temple primitif détruit en Adam, le panégyriste continue:

«*Or, Toi seule, Madone bénie, Sainte Théotokos, Tu fus apte à recevoir et à distribuer tant et de si grands bienfaits et, par ta chaste virginité, Tu fus l'encensoir de l'Etre suprême. Car, comme une mixture d'oliban, de myrrhe, d'acacia et de fins parfums, attisée au feu de la pureté, Tu offris à l'odorat divin et à l'agrément du Père la fumée toute odoriférante de la sainteté, Toi, qui es, ô Sainte Mère de Dieu, pure dans ta vie, pleine de bonté, établie dans la mansuétude, parfaite en vertu et ruisselante de douceur.*

«*Réjouis-toi, ô Marie, d'un élan total, heureuse entre les femmes, Toi qui, de ton sein virginal et inviolé, as engendré le Verbe, racine de bénédiction contre les maux de la malédiction, fils de joie du Père Adam: C'est pourquoi nous, bénis en ton Fils Sauveur du monde, nous Te rendons grâces et nous Te proclamons bienheureuse, ô Sainte Théotokos!*

«*Toi, en ce bas monde, Tu as allaité et nourri de ton lait maternel le fils véritable du Père de lumière; Toi, Tu as enveloppé et gardé avec soin comme sous des ailes Celui qui contient tout. Le cours de ta vie présente, Tu l'as dirigé suivant la voie*

مولد العذراء مريم — (القرن الرابع عشر)

(متحف نوفجورود)

de la vie lumineuse (de l'au delà) ; et, à la ressemblance d'un oiseau dans les airs, Tu t'envolas de cette vie passagère ; et, au milieu des chœurs des anges, Tu te manifestas comme tenant la Divinité. Sur un nuage de lumière et honoré par eux Tu fis ton ascension, et créature faite de terre, Tu reposas au milieu des chœurs des chérubins ; par toutes les ravissantes beautés du Paradis, Tu fus reconnue Etoile du matin, et, sous une nature humaine palpable, Tu fus cachée dans le mystère de la grâce ineffable.

Le panégyriste continue ses élévations en approfondissant, toujours du même accent poétique, le mystère inénarrable et inimaginable de l'Incarnation, et partant de la Rédemption, dans lequel le Fils et la Mère sont associés si intimement et si gracieusement.

IV. — La prière du désespéré

Saint Grégoire de Narek a aussi composé vers la fin de sa vie, comme nous l'avons dit, un *Livre d'Elégies ;* nous l'appellerions plutôt un *Livre d'Elévations*, connu jusqu'à nos jours sous le nom de *Narek* tout court, du nom du couvent où notre Saint fut moine et maître de novices. Ce livre a été vénéré jusqu'au début du XXème siècle, pendant que le peuple arménien vivait dans sa patrie ancestrale, à l'égal des Évangiles, pour ne pas dire plus. On le plaçait au chevet des malades; on en lisait certains chapitres sur les infirmes, les moribonds, sur les gens atteints d'insomnie, et aussi sur les champs de culture pour les préserver contre les fléaux.

La teneur générale de ce Livre d'Élégies, l'accent tout spécial qui donne un cachet propre à ces élévations sont tellement différents de la fraîcheur et de l'optimisme révélés par les écrits analysés jusqu'ici que l'on est tenté d'en attribuer la paternité à un auteur différent. Malgré cette difficulté et celle que présentent les colophons (mé-

moriaux) des divers ouvrages, nous reconnaissons à tous pour père Grégoire de Narek, sans nous attarder ici à étayer notre point de vue.

Les quatre-vingt quinze pièces ou prières dont se compose cet ouvrage sont déroutantes au premier abord et difficiles à saisir. En des périodes tumultueuses, dans un langage rythmé et même souvent rimé, comme nous l'avons dit à propos du Panégyrique, les mêmes pensées, les mêmes sentiments se répètent sous des formules nouvelles; plutôt ils dévalent devant nous comme un torrent, en des images, en des tableaux d'un saisissant réalisme. Ces Élégies sont le dialogue d'une âme exceptionnelle avec son Maître et Seigneur Dieu, avec qui elle a un un procès à débattre, le procès de la vie ou de la mort éternelle, dont la sentence irrévocable est prononcée pour chaque personne, donc aussi pour Grégoire, non seulement au grand jour du jugement dernier, mais encore à l'instant de la mort individuelle.

Grégoire sait cela et il sait de plus, au point d'en être obsédé, que lui-même est à la fois corps et âme, que le péché comme Satan le tentateur sont des réalités qui mettent constamment en danger sa vie éternelle, plutôt son union amoureuse avec Dieu pour toujours.

Que faire donc? Se décourager et désespérer? N'y a-t-il point un motif d'espoir? — Si, répond Grégoire, puisque l'accusateur n'est autre que le juge lui-même et que ce juge, le Christ Sauveur, est toute bonté, toute miséricorde. N'a-t-il pas pardonné à Salomon, à Manasseh, à Pierre...? Pourquoi ne pardonnerait-il pas également à lui Grégoire? D'ailleurs pourquoi menace-t-Il, si ce n'est par miséricorde et par amour, afin d'empêcher la défaillance? Dès lors lui Grégoire espérera en la miséricorde de Dieu, plutôt il montera plus haut, à l'exemple des plus grands saints, jusqu'à la charité parfaite, non point par crainte de l'enfer, mais par amour pour son Créateur et Seigneur, non point par désir du don qui l'attend, mais par amour du donateur

lui-même qu'il supplie avec un accent déchirant de le garder uni à Lui.

C'est lors d'une des plus fortes crises de frayeur et de désespoir, disons mieux d'amour ardent, que Grégoire, pourtant si innocent, si saint, «ange revêtu de corps», comme dira de lui Saint Nersès de Lampron, poussera vers la Vierge toute sainte, mère de son juge, les cris que voici d'une si poignante et si confiante supplication. C'est l'élévation 80ème que je reproduis tout entière. J'en emprunte la traduction rythmée à un ouvrage encore inédit préparé par un jeune père jésuite arménien, le P. Isaac Kéchichian, qui a traduit en français toutes les prières du Narek et de ses traductions a imprimé la présente prière à la Vierge (80ème) ainsi qu'une prière au Christ (la 41ème), dans la revue *Proche-Orient Chrétien*, 1953.

I.

A présent, devant tant de motifs de désespoir,
et de durs brisements de cœur,
devant la rigueur terrible des colères divines,
l'esprit plongé dans une extrême désolation,
c'est toi que je supplie, Sainte Mère de Dieu.
Ange issu des hommes,
Chérubin revêtu d'une chair visible,
Reine du ciel,
limpide comme l'air,
pure comme la lumière,
immaculée telle une fidèle image de l'Etoile du matin
au plus haut point de son essor.
O plus sacrée que la Demeure impénétrable du Saint des Saints,
Lieu de l'heureuse Promesse,

vivant Eden,
Arbre de la Vie immortelle, gardé de tous côtés
par l'épée flamboyante.
Toi qui as été fortifiée et protégée par le Père Très-Haut,
préparée et consacrée par l'Esprit qui s'est reposé sur toi,
embellie par le Fils qui a habité en toi et qui t'a rendue son tabernacle :
Le Fils unique du Père est devenu ton Premier-né :
ton Fils par la naissance et ton Seigneur par la création.
Avec ta pureté sans souillure et sans tache, tu es bonne ;
avec ta sainteté immaculée, tu es une Avocate tutélaire.
Reçois de moi qui t'acclame cette prière de supplication,
Présente-la, offre-la (à Dieu) en y joignant mon ancien Discours
dans lequel je faisais l'éloge de tes grandeurs,
dans les prières que je t'adressais (1).
Entrelace, unis en elle mes soupirs amers de pécheur
avec tes demandes bienheureuses et au parfum d'encens,
ô Plante de vie du Fruit de bénédiction,
afin que par toi toujours secouru et comblé de tes bienfaits,
ayant trouvé refuge et lumière auprès de ta sainte Maternité,
je vive pour le Christ, ton Fils et Seigneur.

2.

Assiste-moi par les ailes de tes prières,
ô toi qu'on proclame Mère des vivants,
afin que, à ma sortie de cette vallée terrestre,
je puisse sans tourment marcher vers la demeure de vie,
qui nous a été préparée,

---

(1) Allusion au Panégyrique de la Théotokos que nous avons présenté dans les pages précédentes.

pour que soit rendue légère la fin d'une vie,
alourdie par mon iniquité.
Change pour moi en fête d'allégresse mon jour d'angoisse,
Guérisseuse des douleurs d'Eve!
Sois mon Avocate, demande, supplie :
car comme je crois à ta pureté indicible,
voici que je crois aussi au bon accueil qui est fait à ta parole.
De tes larmes aide-moi, moi qui suis dans le péril,
ô toi, Bénie entre les femmes.
Fléchis le genou pour obtenir ma réconciliation,
ô toi, Mère de Dieu.
Aie souci de moi qui suis malheureux,
ô Tabernacle du Très-Haut.
Tends-moi la main dans ma chute, ô Temple céleste.
Glorifie ton Fils en toi :
qu'Il daigne opérer divinement en moi
le miracle du pardon et de la miséricorde,
Servante et Mère de Dieu :
que ton honneur soit exalté par moi,
et que mon salut se manifeste par toi!

3.

(Il en sera ainsi) si tu réussis à me retrouver, ô Mère du Seigneur ;
si tu as pitié de moi, ô Sainte;
si dans ma perdition tu me recouvres, ô Immaculée ;
si dans ma frayeur tu m'accueilles, ô Bienheureuse ;
si, dans la honte où je suis, tu me fais approcher, ô Toute-Gracieuse ;
si, coupé que je suis de tout espoir, pour moi tu intercèdes, Vierge toujours sainte ;

si de l'exil tu me fais rentrer dans la Famille, ô toi que Dieu a exaltée ;
si à mon égard tu montres ta compassion, toi qui romps les liens de la malédiction ;
si dans mon agitation tu me tranquillises, ô Repos ;
si le trouble de mes émotions, tu le changes (en paix), ô Pacificatrice ;
si de mon égarement tu me donnes le moyen de revenir, ô Louée ;
si pour ma défense tu entres en lice, toi qui fais reculer la mort ;
si mes amertumes, tu les adoucis, ô Suavité ;
si tu abolis la distance qui me sépare (de Dieu), ô Réconciliation ;
si mes impuretés, tu les enlèves, ô toi qui foules aux pieds la corruption ;
si, livré que je suis à la mort, tu me délivres, ô Vivante Lumière ;
si la voix de mes sanglots, d'un seul coup tu l'arrêtes, ô Allégresse ;
si, alors que je suis terrassé, tu me redonnes de la vigueur, ô Remède de vie ;
si dans ma ruine tu jettes un regard sur moi, ô Pleine de l'Esprit ;
si avec miséricorde tu viens à ma rencontre, toi qui en legs (nous) fut donnée.
O toi qui n'es bénie que par les lèvres immaculées des bouches bienheureuses,
voici qu'une seule goutte de ton lait virginal,
tombée en pluie sur mon âme,
me redonne force et vie,

Mère du très-haut Seigneur Jésus, Créateur du ciel et de la terre entière,
que, d'une manière indicible tu as enfanté avec toute son humanité et toute sa divinité,
Lui qui est glorifié avec le Père et l'Esprit-Saint
en son Essence et en notre nature qu'Il s'est unie d'une manière inscrutable,
Lui qui est tout et en toutes choses,
Un de la Trinité ;
à Lui gloire dans les siècles des siècles ! Ainsi soit-il.

CHAPITRE SECOND

SAINT NERSÈS DE LAMPRON

Extrait d'un ms. arm.

A l'inverse de saint Grégoire de Narek, saint Nersès de Lampron, autre docteur médiéval, est un homme d'action, mais non moins dévot à la Vierge Marie et non moins tendrement éloquent, comme en témoigne le Panégyrique prononcé par lui un jour de fête de l'Assomption.

Nersès fut certes un homme d'action, à l'égal de saint Bernard, son contemporain occidental. Prêtre à seize ans, supérieur de couvent et archevêque de Tarse à vingt trois ans, Nersès passa une grande partie de sa

vie «à cheval», comme l'a dit un récent essayiste. Il fut occupé en pourparlers ecclésiastiques et diplomatiques, — autre trait de ressemblance avec saint Bernard —, avec les Byzantins, les Francs, les Syriens et ses propres compatriotes. Il était toujours sur la brèche pour les prédications et les œuvres charitables. Mais cet homme était aussi, de nouveau comme l'abbé de Clairvaux, tiraillé par un désir intense de solitude, d'étude, de prière et de contemplation, auxquelles il se livrait durant tout le temps que lui laissaient ses travaux apostoliques, plus exactement durant les intervalles considérables qu'il dérobait à son temps de sommeil et de nourriture. Dès lors usé avant le temps par ses veilles, ses mortifications, les voyages et non moins encore, par les soucis, les contradictions et les déceptions, cet homme extraordinaire mourut à l'âge de quarante cinq ans le 14 juillet 1198.

Une anecdote doit être rapportée ici qui explique l'exorde de son panégyrique et la tendresse de son accent. Né en 1153 (nous avons tout récemment fêté le VIIème centenaire de sa naissance) dans le château de Lampron (au flanc du Taurus qui domine à l'Ouest la plaine de Tarse en Cilicie), fils d'un des plus puissants seigneurs arméniens émigré du Caucase et engagé au service de l'empire byzantin, le jeune Nersès avait été précédé deux ans plus tôt au berceau de famille par un enfant mâle. Aussi lui, avait-il été voué par ses parents au service de Dieu dès avant sa naissance. L'enfant vint au monde, «mais d'un visage si beau, nous dit son biographe contemporain, que ses parents violèrent leur vœu. Il ne faut pas, se dirent-ils, priver cette beauté si remarquable des jouissances du monde. Qu'il reste dans l'héritage de sa principauté paternelle. Si Dieu nous accorde un autre fils, nous l'offrirons à Dieu à sa place».

Mais c'est ce fils que Dieu avait choisi pour son service. Aussi, une maladie mystérieuse survenue bientôt mit-elle la vie de l'enfant en grave danger. C'est quasi

mourant qu'il fut pris par sa mère dans ses bras et porté d'urgence à l'autel de Marie dans le monastère voisin de Skévra, apanage du château de Lampron. Dès qu'il fut offert à Dieu pour la seconde fois et pour de bon, l'enfant rouvrit les yeux. Il guérit, il grandit et devint saint Nersès de Lampron, archevêque arménien de Tarse, « nouveau saint Paul » au dire de ses contemporains, le réformateur du clergé, le promoteur de l'unité religieuse des Églises chrétiennes et le ferme appui de l'État arménien renaissant en Cilicie.

Aussi, bien des années plus tard, dès les premiers mots de son panégyrique, l'archevêque de Tarse se considérera-t-il *comme un cep de vigne planté par Marie au milieu des multiples rameaux du saint temple établi par Dieu*, et, aussitôt saisi par le souvenir de sa miraculeuse guérison, continuera-t-il en une prose rythmée et rimée, à la manière de Grégoire de Narek envers qui il avait une grande vénération :

A l'exemple de Samuel je suis offert
Et voué par mes parents à la Mère de Dieu.
Portant encore tablier, nourri au service du temple,
A sa voix éveillé en ce jour,
Je suis en cette fête envoyé comme un messager.
Restez donc près de moi, vous, peuple de Dieu, qui aimez [cette fête,
Et attentifs soyez aux pensées, qui, en ce grand jour,
Jaillissent du cœur d'un serviteur propre et familier
De la très sainte et très bénie Vierge.
Et si dans mes dires quelque chose déplaît à votre sagesse,
Qu'à l'indulgence de votre volonté il soit livré,
Et qu'à l'accent de vérité de ma voix il soit examiné.
Aussi mon cœur, endurci comme une pierre,
Frappé par l'éclat de cette belle journée,
Laissera-t-il jaillir les étincelles qu'inspire son amour.

Tel est le préambule du discours prononcé par saint Nersès en l'honneur de Marie. Le titre même qu'il porte dans les manuscrits mérite d'être relevé: *Panégyrique en l'honneur de l'Assomption de la très bénie Mère de Dieu, prononcé par Nersès, à Elle consacré par la promesse de ses parents.* Les manuscrits semblent avoir conservé le titre donné par Nersès lui-même à son discours et justifié par son préambule. Le reste du discours, sans autre exorde, est en fait une vie de Marie, commencée à l'annonce même de sa divine maternité, lors de l'incarnation du Fils de Dieu dans son sein virginal, jusqu'au jour de sa glorieuse assomption. Notre panégyriste suit l'ordre chronologique des récits évangéliques et traditionnels, mais il a une manière à lui de présenter les faits: c'est un récit vivant d'un bout à l'autre, plus exactement *un mystère médiéval*, où les diverses anecdotes de la vie de Marie deviennent de ravissants tableaux introduits en discours indirect et qui se continuent en touchants dialogues entre la Vierge-Mère et les divers personnages de la scène en question. C'est dans cent petits détails des tableaux et dans maintes expressions des dialogues que se manifestent les vastes connaissances, la tendre piété et le talent oratoire de notre panégyriste. Je vais parcourir rapidement le discours, en y glanant quelques passages, sans pouvoir montrer les dialogues sous leur véritable relief de crainte de faire de trop longues citations.

L'orateur, doublé d'un théologien averti qu'est l'archevêque de Tarse, va d'emblée, de suite après son préambule, au point fondamental qui établit l'éminente dignité de Marie et requiert toutes les faveurs exceptionnelles qui lui furent accordées. C'est le fait de l'incarnation du Verbe dans son sein, comme nous l'avons déjà dit. Aussi est-ce par le tableau de l'Annonciation que Nersès commence son «mystère». Le Verbe divin

est le créateur de la matière; mais à présent la matière à Lui offerte pour son incarnation, *est préparée et disposée par la Vierge inviolée, le champ non foulé. Elle, pures entrailles, vase plein de candeur, grappe de bénédiction, jardin fermé, fontaine scellée, tige fleurie de Jessé, Elle a fourni à la Sagesse divine de la matière pour bâtir le temple de son corps; Elle a procuré le mélange indicible de la nature sensible; d'Elle nous apprîmes le feu devenu terre, le Verbe devenu corps, la lumière unie aux ténèbres, Dieu fait homme...*

Le panégyriste énumère tous les contrastes réalisés dans le *Dieu fait homme pour sauver l'homme* et, en habile rhétoricien, confirme son exposé par les paroles du messager envoyé par Dieu lui-même, en exaltant la grandeur de Celui qui sera aussi Fils de Marie, pour amorcer de la sorte la question ingénue de jeune fille: *Comment cela se fera-t-il, puisque je ne connais point d'homme?* Nersès y répond en continuant à sa façon la réponse de l'ange nourrie des réminiscences bibliques:

Cela se fera, ô colombe candide, comme le rocher se fendit sans que l'homme intervînt, afin de te servir d'antétype. Cela se fera, ô chaste tourterelle, comme la tige fleurit pour te servir de modèle. Cela se fera, ô sainteté cachée, comme la toison se remplit de rosée, emblème de ta conception. Tu engendreras sans connaître d'homme, afin qu'Isaïe n'ait point menti dans ses prévisions...

Alors la Vierge Marie dilata ses désirs,
Et reçut en Elle le rayon parti du Haut des cieux;
Elle fit de son sein l'abri de l'essence ineffable,
Et le lieu où s'unirent les deux natures.
Le Verbe de Dieu s'unit à un corps de matière,
Et devint un homme créé à la manière d'Adam.
O grand mystère décrété dans les hauteurs,

Et œuvre admirable accomplie ici-bas sur terre :

Une Vierge devient Mère de l'Emmanuel,

Et la nature devient la source d'où transparait le Rayon du
[Père.

Voici que Nersès chante et commente cet ineffable mystère par la bouche d'Elizabeth «la vieille», — de la Vierge-Mère dont l'âme glorifie le Seigneur —, et par le rappel des emblèmes bibliques et des événements survenus en Judée. Alors Marie comprend toute la portée des paroles de l'ange et l'étonnante réalité accomplie dans son sein; et de suite après qu'Elle a enfanté,

De ses lèvres Elle baise le Dieu fait homme,

Et de ses mains Elle le caresse,

Et de sa bouche Elle lui parle :

— Emmanuel, Dieu fait chair, qui naquis de moi ta servante,

Permets-moi de presser mes mamelles,

Et de t'allaiter Toi qui nourris l'univers.

Marie amène l'Enfant au temple avec deux pigeons et les offre comme holocauste en retour de son fils. Après avoir écouté les paroles du vieillard Siméon paraphrasé par le panégyriste, Marie lui demande: *Comment savez-vous cela*? Siméon lui répond: *O Marie, il m'est impossible de vous montrer à vous sa mère l'honneur du Fils né de vous, car peut-être par crainte renonceriez-vous à l'élever et à l'allaiter, en vous rappelant la crainte des séraphins; mais sachez qu'il est votre Fils et qu'il rétablit la nature humaine dans sa gloire primitive et renverse le démon...* A la prophétie de Siméon qui prédit le glaive de douleur perçant son cœur, longuement paraphrasée en discours direct adressée à Elle, Marie se reconnaît humblement gardienne des grands mystères, obéit à l'ange et met en sécurité la vie de l'Enfant en prenant la fuite pour l'Egypte. Nersès sait la légende que les idoles y tombent de leurs socles à l'arrivée des hôtes de Judée.

Après le pèlerinage à Jérusalem, quand l'Enfant-Jésus fut retrouvé au temple, l'entretien de Marie avec son Fils est touchant. Marie prend Jésus dans ses bras et l'embrasse en pleurant de joie; les gens de sa parenté qui l'accompagnaient font de même.

« Cher fils, comment as-tu agi de cette sorte avec nous? Pour te cacher nous nous sommes enfuis en Egypte; pour mettre ta vie en sécurité, nous avons quitté notre propre patrie et nous avons émigré à Nazareth. Je frémis encore au souvenir du massacre des enfants de Bethléem. Cher fils, comment t'es-tu éloigné de nous? Dans l'angoisse nous te cherchions, car Archélaus a succédé à son père Hérode et il est aussi rempli de jalousie que lui. Cher fils, nous souffrions et nous te cherchions, car ces scribes et ces pharisiens avec qui tu parles furent bouleversés à ta naissance et ont appris à Hérode, en devinant grâce aux prophètes, comment te tuer. A présent tu m'es rendu d'entre les morts, échappé, cher fils, aux dents des bêtes. Viens, allons à Nazareth, car je crains que quelqu'un d'entre les princes, jaloux, ne te fasse de mal ».—Ayant entendu ces paroles, Jésus obéissant suivit ses parents à Nazareth et là, douce et affable, sa Mère conservait tout dans son cœur et s'adonnait aux soins de son Dieu en toute humilité.

Cette vie cachée de Marie à Nazareth ne pouvait échapper aux effusions du contemplatif que fut Nersès de Lampron. Quelle grandeur que celle de Marie! Car, si les séraphins sont appelés saints et le sont par le fait qu'ils servent *en serviteurs* et les chérubins sont appelés et sont *une effusion de la sagesse* par le fait que Dieu est en eux, quel rang plus élevé et de notre part quels honneurs plus grands ne mérite-t-elle pas, Marie, cette Mère de Dieu? Le Cantique des Cantiques fournit à notre pané-

gyriste les épithètes et les métaphores pour exalter Marie; ce sont réminiscences plutôt que citations—tant notre saint a ruminé ce *vade-mecum* des contemplatifs —, qui jaillissent agencées spontanément et expriment ses pensées.

Soixante sont les reines, sans compter tout le reste ; unique est ma colombe, ma parfaite, unique est la mère choisie pour sa naissance. Les jeunes filles l'ont vue, les reines l'ont proclamée bienheureuse et les concubines l'ont louée. En effet sur terre parmi les âmes éprises de Dieu, et au ciel parmi les anges sans nombre des sept chœurs en service, unique est la très bénie Vierge Mère de Dieu, comme est unique le soleil brillant au milieu de la foule des étoiles, arrivée par la grâce au degré suprême de la sainteté. Unique est la mère choisie (par Dieu) *pour la naissance de son unique engendré ; car, comme unique est son Fils premier-né parmi ses nombreux frères, unique est aussi sa Mère parfaite au degré suprême au milieu des âmes élues. Les filles de la Jérusalem céleste la virent et la déclarèrent bienheureuse à la vue de l'Essence inaccessible devenue le fruit de ses entrailles ; mais encore les reines de toutes les églises ouvrent leurs bouches aujourd'hui et la bénissent et la louent sur tous les points de la terre. Car Elle fut l'Orient du Soleil de justice, le champ du germe de la vie, le cep de la coupe d'immortalité, l'arbre du fruit béni, le réceptacle de la nature indicible, la terre où la lumière se revêtit (d'humanité), le tabernacle dont Dieu devint l'hôte, la mère qui engendra l'Emmanuel et à qui obéit celui-ci. Car, comme le Père, à cause de son obéissance jusqu'à la mort, l'a élevé au-dessus de tout nom et lui accorda d'être adoré et glorifié par tous ; et le Christ ne s'est pas honoré lui-même, mais il a accepté l'honneur que lui donnait le Père en lui disant : «Asseyez-vous à ma droite» ; de même fit sa Mère vierge : Elle mit*

en avant son Fils pour faire son premier miracle dans le monde, en obéissant à Celle qui lui avait donné le jour...».

Notre panégyriste commente finement le récit évangélique des noces de Cana, afin de mieux prouver la grandeur de Celle, de sa mère, sur les ordres de qui le Christ Jésus avait fait son premier miracle. Ensuite Marie suivait son Fils partout sur les lieux de son apostolat et le soignait tendrement, tandis que Jésus l'honorait toujours et lui obéissait. Ainsi en fut-il jusqu'aux jours de la Passion.

L'épisode de la Passion devait sans doute inspirer à l'auteur du «mystère» que nous présentons un accent plein de tendresse, mais combien plus dignement, à l'exemple des pleureuses, ou plutôt de la femme qui principalement porte le deuil lors des funérailles d'une personne. Marie commémore divers épisodes où le Christ semait les bienfaits et quelles avanies au contraire ne reçoit-il pas à présent.

«Qu'est-elle devenue ton annonce, ô ange Gabriel, car, voici qu'à la place du roi David, c'est mon fils que je vois couronné d'épines ; à la place du trône de David, c'est une croix qui est là avec mon fils innocent pendu, et je deviens folle à cet affreux spectacle...».

«Mon Fils Jésus, pour quel péché de ta mère vierge es-tu ainsi puni, Toi mon unique? Quelle dette paies-tu ainsi étendu sur le bois, Toi mon premier né? Vierge je t'ai engendrai et avec un juste gagne-pain je t'ai nourri. Mon Fils, Tu as besoin d'une goutte d'eau et Tu cries de soif et moi je ne puis Te rafraîchir moi qui T'ai porté durant neuf mois et T'ai allaité durant trois années...».

Jésus confie sa mère à Jean jusqu'au jour où Il l'amènera auprès de Lui et Il rend le dernier soupir.

Que dire de la douleur de cette mère exceptionnelle dont le Fils mis à mort est aussi exceptionnellement innocent? Marie le reçut dans ses bras, approcha de ses lèvres le visage de Jésus et, en y déposant un baiser, y versa un torrent de larmes et continua à lui parler tendrement.

On enterre Jésus; Marie continue ses lamentations autour du tombeau malgré sa peur des Juifs, la jalousie des prêtres et l'épée des soldats. Elle reste là, près du tombeau en compagnie des saintes femmes et se lamentait avec elles «*comme on se lamente sur les grenadiers massacrés dans les champs, comme on se lamente sur un très cher premier-né*» (suivant la prophétie de Zacharie). Ainsi firent-elles du vendredi soir jusqu'à l'aube du dimanche matin, quand soudain la terre trembla, les rochers se fendirent, les anges se mirent à voler autour du tombeau, rassurèrent les saintes femmes et dirent à Marie:

«*O Vierge Marie, la rose aux fuilles rouges a fleuri de manière à ne plus se faner; éclose de joie elle s'est épanouie de manière à ne plus mourir; le voici mûri le fruit béni de votre grappe de bénédiction. Ne craignez point, mais réjouissez-vous. Jésus que vous cherchez est ressuscité; la place est vide et voici le linceul*».

Les saintes femmes courent annoncer la nouvelle aux disciples; mais Marie n'est pas satisfaite; elle s'asseoit près du tombeau et dit aux anges:

«*Quelle consolation est-ce là pour moi que l'annonce de la résurrection, dès lors que je ne vois pas le ressuscité? Je désire voir ressuscité et avec allégresse embrasser celui que, mort, je reçus dans mes bras et en pleurant je mis au tombeau. Tant que je n'aurai pas vu mon fils, bien que ressuscité, il est encore comme un mort à mes yeux*».

Marie se détourne un instant des anges et c'est à Jésus absent qu'elle adresse la parole. Puis, tandis qu'elle

reprend son dialogue avec les anges, elle les voit tout d'un coup, saisis de frayeur, se mettre debout ; pensant que la cause en est l'arrivée inopportune de quelque méchant juif, elle se retourne et voit le Christ lui-même, mais sans le reconnaître. «*Femme, pourquoi pleurez-vous, qui cherchez-vous ?*» C'est l'apparition de Jésus à Marie Madeleine sous la forme du jardinier qui est tout simplement transposée par notre panégyriste et appliquée à la mère du Sauveur, sans même en prévenir ses auditeurs, ce qui nous étonne quelque peu (1). La réponse de Marie la Vierge-Mère est formulée en conséquence: *O Jardinier, si c'est vous qui l'avez enlevé, dites-le moi, pour que je le reprenne ; il était mon unique fils et je n'ai point d'autre fils pour me consoler ; pourrai-je peut-être me consoler quelque peu avec son corps de défunt* ».

Jésus se fait reconnaîte et le dialogue continue à présent entre le Fils et sa Mère avec la transposition requise de la scène évangélique. Au bout de cet intime entretien le Christ donne à Marie l'intelligence du mystère de sa divinité, de son incarnation et de son règne à la droite du Père dans les cieux.

Marie se rend auprès des apôtres. Finalement au bout de quarante jours, Jésus ressuscité, en s'entretenant avec sa mère et ses disciples, les conduit à Béthanie en passant par Gethsémani ; après avoir consolé sa mère

(1) Grand lecteur et avide d'ouvrages exégétiques, Nersès de Lampron a certainement dû lire le commentaire de S. Ephrem sur le Diatessaron de Tatien, très anciennement traduit en arménien, chez qui se trouve une exégèse pareille (Venise, texte arménien. 1836, p. 145 sqq.). Mais tout le contexte de Nersès dénote aussi chez lui la connaissance des commentaires des Pères grecs avec toutes leurs variantes, dont M. Ciro Giannelli vient de faire une si suggestive recension dans la *Revue des Etudes Byzantines*, XI, 1953, (Mélanges Martin Jugie), pp. 106-119 : *Témoignages patristiques grecs en faveur d'une apparition du Christ ressuscité à la Vierge Marie.*

une dernière fois, le Christ monte aux cieux. Marie rend grâce à Dieu et ajoute:

O fleur du sein de Dieu le Père,
Et de moi, mère vierge, fils unique et premier-né,
N'oublie pas celle qui est ta servante et ta mère;
Amène-moi au ciel, garant en étant ton corps,
Que de moi tu as pris et tu es monté au ciel;
Afin que je me réjouisse à la vue de ta gloire,
Et que je te contemple assis sur le trône de ton Père.
Ne me laisse pas sans fin ici-bas étrangère,
Où douloureuse je suis assise dans le deuil,
Et j'ai hâte de venir auprès de toi pour toujours.

En trois pages délicieuses, Nersès de Lampron nous montre Marie, entourée des pieuses veuves chrétiennes, assidue auprès de Pierre, de Jacques et de Jean, « les colonnes de l'Église» à Jérusalem. Elle reçoit le Saint-Esprit avec tous les apôtres le jour de la Pentecôte; elle s'associe par ses conseils et ses encouragements aux joies et aux épreuves de l'Église naissante. Tout cela est dit d'une façon charmante, avec des détails concrets. Ainsi, lorsque, à la parole de Pierre, le boîteux de la porte du temple fut guéri, Marie *entend* la parole de Pierre, *voit courir* le boîteux et se prosterne le visage contre terre pour rendre grâce à Dieu le Père; lorsque Etienne le Diacre rend le dernier soupir sous les coups des pierres, tandis qu'il voyait Jésus assis glorieux à la droite de Dieu, *une joie indicible s'empara de la Vierge à l'audition de cette nouvelle, car, non seulement les êtres célestes, mais encore de cette terre des pupilles puissantes furent dignes de contempler son premier-né assis dans la gloire de Dieu.*

Pierre et Paul se partagèrent l'humanité et restèrent fidèles à leur engagement, *mais seulement*, dit saint Paul, *souvenons-nous des pauvres, et pauvre était la divine Mère vierge en compagnie des veuves, qui, comme Elle,*

avaient besoin du service des apôtres, car là où son fils avait été crucifié, on lui avait donné à Elle le surnom de pauvre. Jacques frère du Seigneur et Jean le disciple bien-aimé restèrent à Jérusalem en son honneur et pour la servir ; ils se privèrent d'apostolat au dehors jusqu'au rappel de Notre Dame au ciel».

Quelle humble obéissance envers Marie de la part du troupeau du Christ, de la part de Pierrre en particulier, chef de ce troupeau, en souvenir de l'obéissance du Christ lui-même à Marie sa mère. *Mais Elle, la source de la mansuétude, la mère de la modestie, la perle sans tache, toujours humble, était à la peine avec eux et les encourageait dans l'œuvre évangélique ; elle consolait les affligés et lors des persécutions elle réconfortait par l'espérance de la gloire. Elle était toujours la première à la prière ; elle visitait les lieux des souffrances de son fils et y faisait constamment des tournées avec de l'encens et des lanternes ; et elle subissait beaucoup d'insultes de la part des Juifs. Ceux-ci empêchaient Marie de prier dans les lieux de souffrances du Sauveur ; ils suscitèrent beaucoup de persécutions et d'ennuis à la Vierge Sainte. Mais l'autorité appartenant aux Romains et eux ne pouvant porter la main sur sa personne, ils reculaient devant leurs mauvais desseins. La Vierge Sainte resta à Jérusalem sous la garde de Jacques et de Jean jusqu'à l'instant de son passage au ciel... Mais elle n'y est pas entrée gratuitement ; elle a mené une vie mortifiée et par de multiples persécutions (qu'elle a subies), elle a participé à la croix de Jésus.*

Enfin le jour du rappel est arrivé. Le panégyriste y consacre treize sur les quarante quatre petites pages de son discours total. Nersès va mettre en œuvre toutes les ressources de son talent et de sa piété pour paraphraser à sa façon le récit du Trépas de Marie attribué au

pseudo-Denys l'Aréopagite, le Cantique des Cantiques fournissant les accents de tendresse requis par les circonstances. Il est un détail curieux que n'a point relevé l'éditeur du texte, c'est que le nom du disciple de saint Paul, Titus, qui intervient dans le récit, est devenu Réthéos dans les manuscrits arméniens, par une bévue des copistes.

A un signal divin tous les apôtres arrivent à l'improviste à Jérusalem et demandent à Jean le motif de leur convocation. Jean répond que l'*invitation à Marie d'entrer au lieu du repos préparé est déjà arrivée et qu'eux sont convoqués pour honorer ce grand jour par leur présence.*

En chœur les apôtres pénètrent auprès de Marie, la saluent profondément et demandent au disciple Réthéos de prononcer le discours de circonstance en l'honneur de Marie. Beau discours plein d'émotion rappelant le mystère de l'Incarnation et l'association de Marie à la vie du Sauveur; mais le discours est plus d'une fois fictivement interrompu par d'autres. Gabriel l'archange invite Marie auprès des anges dans la Jérusalem céleste, avec les termes du Cantique des Cantiques «*Viens du Liban, ô Epouse, viens du Liban...*». Jean murmure en versant de douces larmes: «*Mon cœur et mon corps défaillent, ô Sainte Vierge ; vous m'avez été donnée comme part et mère pour toujours et moi je reste à présent loin de vous en une basse région*». Michel (l'archange) dansait de joie et disait: «*Tu m'as ravi le cœur, ma sœur fiancée...*». Ainsi de suite, alternativement, Saint Paul, les séraphins, saint Jacques. L'orateur d'occasion choisi par le chœur apostolique achève son discours. Tandis que les assistants s'avançaient plus près de Marie et lui offraient à présent leurs ultimes souhaits, *Elle prit entre ses mains le tableau de son portrait, l'appliqua et le serra contre son radieux visage et y déversa, avec la rosée de ses larmes, des grâces merveilleuses.* Les apôtres consolés se passent le tableau les uns aux autres et le baisent pieusement.

Les paroles rythmées et rimées se pressent sous la plume du panégyriste. J'abrège. Le ciel s'ouvre, une vive lumière inonde l'espace, la cour céleste en descend avec le Fils de la Vierge sainte; une lumière incorruptible couvre les flambeaux des apôtres, un parfum incorporel efface celui de l'encens... Le Fils glorieux est là au chevet de sa Mère et l'invite dans son domaine paternel. Marie fait signe aux apôtres que son Fils est là et dit:

«*C'est la voix de mon Fils; le voici venu en courant sur les montagnes et bondissant sur les collines; le voici revenu dans l'intime lieu de son habitation. Mon Fils me répond et dit: Lève-toi et viens, ma Mère, ma Belle, ma Colombe, viens au domaine paternel et repose-toi dans un tabernacle magnifique. Allons, vous, collège des apôtres, vous qui êtes les demoiselles d'honneur de mes noces, introduisez-moi dans le cellier, dressez au-dessus de moi l'étendard de l'amour, soutenez-moi avec des parfums...*».

Enfin après une dernière invitation adressée à sa Mère avec des termes empruntés toujours au Cantique des Cantiques, son Fils *la* prend (le pronom *la*, remplaçant le mot mère et non le mot âme), tandis que les apôtres enveloppaient *son corps* dans un linceul et le transportaient en procession dans un tombeau à Gethsémani. Le récit traditionnel des apocryphes continue: les Juifs s'émeuvent; celui qui a osé porter la main au cercueil se la voit détachée de son bras, d'autres deviennent aveugles; les apôtres les gourmandent et finalement les guérissent. Le saint corps est déposé dans le tombeau et durant trois jours les anges chantent et dansent tout autour.

Ici le panégyriste ne mentionne pas l'anecdote de l'apôtre retardataire qui oblige le collège apostolique à rouvrir le tombeau; mais il rapporte de suite que le Christ Seigneur, ayant soulevé dans les airs l'esprit de sa mère avec son corps, les emporta avec joie et allé-

gresse et les reposa dans le temple du roi céleste son Père. Après un bref éloge de ce temple céleste, c'est le défilé devant la Divine Mère de chacun des chœurs des troupes célestes avec les louanges appropriées à leurs bouches. Remarquons les derniers mots de cette catégorie: *Aujourd'hui le Chérubin rentre dans le fourreau son épée de feu et fraie le chemin, pour que la Vierge sainte puisse toucher à l'arbre de vie.* L'orateur a ménagé la transition; il peut maintenant introduire les êtres de la race humaine.

Adam *voyant la ravissante grâce de sa fille* dit: «*Celle-ci est la mère de tous les vivants*». Ève embrasse sa fille *qui mit une limite et fit reculer ses douleurs d'enfantement et sa tristesse.* Abraham et Sara viennent lui donner un baiser, *car en son Fils furent bénies toutes leurs descendances.* Notre orateur fait défiler à la suite Moïse, David, Salomon, les prophètes Isaïe, Ezéchiel et Zacharie. Jean *le fils de la Stérile* vient au devant de sa parente et crie à haute voix le chant même dit par sa mère à lui: «*Tu es bénie entre les femmes et béni est le fruit de tes entrailles, ô Mère de mon Seigneur, qui viens auprès de nous au ciel*».

Mais déjà notre orateur passe du jour historique du *Transitus* de Marie au jour anniversaire qu'est la fête de l'Assomption et qui rassemble toutes les créatures du ciel et de la terre dans la glorification de Marie. La prière suivante termine ce beau morceau littéraire qu'est ce panégyrique de saint Nersès de Lampron:

«*O Marie, Mère qui avez engendré Dieu, douce et accueillante à ceux qui espèrent en vous; Vous, honneur des vierges et gloire des anges, Vous seule intercédez avec audace pour l'univers; Vous, dépositaire des biens et source de miséricorde pour ceux qui avec foi sont suspendus à vos pieds sacrés; l'assemblée ici réunie est dans l'attente et à genoux implore votre pitié! Vous, Sainte Vierge, qui aujourd'hui fûtes placée proche de la Sainte Trinité, implorez pour l'Eglise la paix et pour nos personnes le salut; Vous, Notre Dame, qui êtes toute audace auprès de votre Fils*

unique, priez pour son troupeau racheté au prix de son sang, afin qu'Il garde au complet ses divers membres en vue de la pleine croissance de son corps : les Episcopes pour guider, les prêtres pour expier, les autres ordres pour donner de l'espoir, les clercs pour éduquer, le peuple entier pour les suivre avec docilité. L'Eglise vous implore et à genoux vous supplie, condescendez et priez votre Fils unique pour la tranquillité des rois, la joie des princes, la protection des soldats, la sauvegarde des villes et la tutelle de tous ceux qui, de tout âge, s'y trouvent abrités ; afin que, par des chants unanismes et en chœur unique, nous Vous fêtions ici-bas et dans le pavillon de vos fils aînés, en vue de la gloire de la Très Sainte Trinité, Père, Fils et Saint-Esprit, maintenant et toujours et pour l'éternité des éternités. Amen ».

◇◇◇

Ce n'est pas le lieu de souligner l'importance que revêt l'apparition de pareilles productions chez un peuple pour caractériser l'évolution de sa littérature nationale ; j'ai voulu seulement signaler aux lecteurs les pensées pleines de tendresse et de doctrine, toute embaumées du lyrisme du Cantique des Cantiques, jaillies des lèvres de deux saints arméniens qui ont vécu respectivement l'un à la fin du X^{e} siècle, et l'autre du XI^{e}.

1er Mai 1954

L'IMMACULÉE CONCEPTION DANS LA TRADITION ORIENTALE

(Antiquité et Moyen-Age)

d'après le R. P. Martin Jugie A. A.

PAR LE

PÈRE FERNAND DE LANVERSIN S. J.

A la veille de l'année mariale paraissait le livre du Père Jugie: l'Immaculée Conception dans l'Écriture Sainte et dans la Tradition Orientale.

La foi inébranlée de notre Orient chrétien au privilège de Marie s'y manifeste surabondamment: cela mérite sans doute d'être exposé en un tableau d'ensemble pour ceux qui n'ont pas le loisir d'en poursuivre l'étude plus détaillée.

Marquons-en d'abord les limites.

Je dis: les limites, plutôt que les ombres: car si quelque ombre s'est prolongée durant les quatre premiers siècles, c'est vraiment la pleine lumière à partir d'Éphèse (431).

Jusque là les plus grands eux-mêmes, un saint Basile, un saint Chrysostome prêtent à Marie quelque imperfection. Origène a vu dans le glaive prédit par Siméon, non pas la seule douleur qui devait transpercer de sa pointe aiguë le cœur maternel à la vue de son Fils livré par les siens et «abandonné de Dieu», mais de l'hésita-

tion, du doute à son sujet (1). Cette exégèse malheureuse eut une emprise tenace. Saint Cyrille n'en est pas entièrement dégagé (2), et on en retrouve encore après lui quelques échos tardifs.

Avant la définition d'Éphèse Saint Epiphane (3) est, chez les Pères grecs, le plus net et le plus affirmatif de tous touchant l'absolue pureté de la Mère de Dieu. C'est premièrement d'une inimitié entre le diable et le Fils de Marie qu'il entend l'annonce de Gen. 3; il hésite même à croire que la Vierge toute pleine de grâce (κατὰ πάντα κεχαριτωμένη) ait passé, ne fût-ce que transitoirement, par la mort.

Mais la définition d'Éphèse a été pour l'Orient une lumière décisive. «Mère de Dieu», cela dit tout. Le peuple chrétien sent d'instinct ce que Dieu doit à sa Mère ou plutôt veut pour sa Mère, et pas une voix n'y viendra troubler franchement l'accord entre la foi des fidèles et l'enseignement des doctes.

Il en fut autrement — on le sait — en Occident.

Là s'est posée la question: une fille d'Adam, descendant de lui suivant la loi de l'humaine génération, peut-elle échapper à la contagion? Et, sous forme plus précise: le peut-elle autrement que par Jésus-Christ? Dès lors soustraire la conception de Marie à la tache originelle, n'est-ce pas soustraire Marie elle-même à la Rédemption du Christ, qui n'a plus lieu de s'exercer sur l'heureuse immaculée?

C'est à cette objection que butèrent longtemps les plus doctes: un saint Bernard, un saint Thomas, tandis que le peuple chrétien continuait de célébrer la fête de la Conception sans s'embarrasser des difficultés, ou persuadé par avance qu'elles trouveraient leur solution.

---

(1) in Lc. Hom. 17 P. G. 13. 1045. Corpus Berol. 9, 116, Jugie p. 64.
(2) Homil. in occursum Dni P. G. 77, 1049. Jugie p. 78.
(3) Adv. Haer. 78 P. G. 42, 728-29. Jugie p. 71.

La solution se fit attendre. Elle finit cependant par triompher de toutes les hésitations, et un mot de la Bulle *Ineffabilis* en contient l'essentiel. La Bienheureuse Vierge a été «préservée», mise à l'abri. En droit, vu son origine, elle devait contracter la souillure, et seule la Rédemption de son Fils pouvait l'en exempter. Elle est la première des rachetées, d'une Rédemption plus excellente, qui la préserve au lieu d'avoir à la guérir.

En Orient la question ne s'est pas posée.

Non que le dogme du péché originel y fût inconnu. Des textes très explicites affirment que tout descendant d'Adam vient au monde souillé. C'est chez Origène que nous lisons un des premiers témoignages du baptême des enfants, «de tradition apostolique», dit-il, dans l'Église et dont le motif est l'état de souillure de tout homme qui vient au monde (1).

Dans les textes même où ils traitent de la conception de Sainte Anne, il arrive aux Pères grecs de faire allusion à la corruption universelle de la famille humaine, — jamais cependant sous forme d'objection à résoudre, uniquement pour montrer en Marie le point de départ d'un ordre nouveau de grâce et de pureté.

Aussi n'est-ce pas sous forme négative d'exemption ou préservation du péché qu'ils présentent le privilège de Marie, — mais toujours sous forme positive de sainteté, pureté parfaite.

Autrement dit, il serait vain de chercher dans leurs œuvres l'affirmation explicite du dogme de la Conception *sans péché*. C'est implicitement qu'il faut le reconnaître dans leurs affirmations.

Est-ce possible?

Je crois qu'il faut dire: c'est non seulement possible, mais facile et cela s'impose au regard simple et droit du fidèle.

---

(1) in Levit. H. 8, 3 P. G. 12, 495-6.

Dans le concert unanime de louange et d'admiration qui salue l'entrée au monde de la Vierge, dans la place qui lui est assignée, dans l'idée qui nous est par tout l'ensemble suggérée de sa beauté, de sa pureté, il paraît évident que l'idée d'une souillure primitive, si peu durable fût-elle, détone absolument.

Mais, cela dit, le Père Jugie nous met en garde contre trop grande précipitation. Un choix sévère s'impose, nous dit-il, des épithètes où se puisse reconnaître le privilège unique de la Théotocos.

D'autres que Marie, une sainte Cécile par exemple, seront dites couramment «toutes saintes», «toutes pures», «jardin fermé», «source scellée». Plus expressive et plus forte, sans être absolument décisive, l'adjonction de l'article, qui sépare, comme privilégiée, *la* toute sainte ἡ παναγία *la seule* toute pure ἡ μόνη πανάμωμος ; et, de toutes les expressions, la plus parlante à ses yeux serait: *la Bénie, la seule toujours bénie*, parce que s'opposant à la malédiction.

Autrement dit, c'est moins un titre, si décisif nous parût-il, qui doit avant tout éveiller notre attention qu'un thème de doctrine et de réflexion. Ce sont ces quelques thèmes, revenant sans cesse, par rappel explicite ou par allusion, dans la prédication et les écrits des docteurs byzantins du Vème au XIIIème siècle, que nous voudrions parcourir rapidement pour en montrer la portée spécialement efficace.

C'est en la fête de la Conception de Ste. Anne que sont prononcées un bon nombre des homélies auxquelles nous devons nous référer. Il semble utile avant d'en aborder les développements de dire un mot de la fête même. Jusqu'à Éphèse une fête unique de la Vierge, la «Commémoraison de Sainte Marie» se célèbre dans l'année liturgique, aux entours de Noël. Après Éphèse, très rapidement se développe tout le cycle marial: conception

(9 déc.) (1) et naissance (8 sept.), annonciation (25 mars) et assomption (15 août), la Présentation (hypapante) restant fête du Sauveur. Le cycle est complet et bien établi dès le temps de Justinien.

De ces fêtes, celle de la conception, dite «conception d'Anne», rappelle l'entrée au monde de la future Mère de Dieu: conception miraculeuse mais non virginale, de parents stériles mais ayant commerce entre eux, comme celle de Jean-Baptiste. La fête en célèbre l'annonce par un ange, comme pour le Précurseur, elle en glorifie le caractère miraculeux et surtout l'entrée au monde de la Théotocos.

Voyons donc quelques-uns des développements familiers aux prédicateurs de cette fête.

On pourrait presque dire qu'ils tournent tous autour du titre de *nouvelle Eve*. Mais c'est le cas de nous souvenir de l'avertissement du Père Jugie: un simple titre serait peu. Voyons ce qu'il recouvre, ou plutôt ce que prétend y montrer la théologie et la piété des docteurs byzantins.

Naturellement l'accent porte d'abord sur les deux personnes, Ève et Marie; et tout, de ce point de vue, porte sur la nouveauté de l'œuvre divine. En Marie, comme en Ève la première mère, c'est *du tout neuf* qu'inaugure le Tout-puissant et Tout-bon Créateur.

«Argile nouvelle», «ferment nouveau» nous disent André de Crète (2) et Théodore Studite (3); «monde nouveau» νεόκοσμος; «modèle nouveau» νεοπλάστης reprend Jean le Géomètre (4); et Photius: « chef-d'œuvre taillé dans le pur roc par le Divin Sculpteur».

---

(1) La différence de date entre Orient et Occident semble tenir aux idées physiologiques des anciens qui attribuaient à la portée normale d'une fille au sein maternel un jour de moins que pour un garçon.

(2) Jugie : op. cit., p. 105-113.

(3) ibid., p. 130-2.

(4) Jugie: p. 185-9.

Les comparaisons se multiplient selon le génie propre de chaque orateur ou écrivain. Un Psellos (1), grand polygraphe, plus heureux ici qu'en son panégyrique de Cérulaire, tout en déclarant qu'il ne saurait trouver similitude adéquate, utilise les notions cosmogoniques de son temps: «Comme le ciel est formé de la fleur des éléments primordiaux, d'où sa stabilité son incorruptibilité, ainsi à plus forte raison le corps de cette Vierge est-il de la plus pure substance pour servir de sanctuaire à cette âme».

Plus simple, mais non moins parlante, la comparaison tout évangélique de Néophyte le Reclus (+ 1220) que nous retrouverons plus loin, nous parle d'un peu de pur levain mêlé aux trois mesures de notre pâte vieillie.

C'est déjà nous parler de *prémices*.

Le terme et l'idée reviennent souvent, chez André de Crète, chez Jean d'Eubée, pour mettre en parallèle, non plus les seules personnes, Ève et Marie, mais leur fonction, leur rôle; et le parallèle dès lors se double du contraste.

Ève et Marie: l'une et l'autre mère de vie. Mais tandis que la première ne transmet qu'une vie corrompue et vouée à la mort, la Vierge «porte de vie» nous introduit à la vie incorruptible, «Bénie entre les femmes» elle arrête le flot impur qui depuis la première se déverse sur sa descendance. Elle est «rupture de la malédiction» λύσις τῆς ἀρᾶς nous dit la Liturgie, que répètent en termes équivalents Théodore Studite et Nicétas David.

En une émouvante prosopopée Pierre d'Argos (début du Xème s.) (2) évoque la nature humaine et lui prête cette belle élévation en la fête de la conception d'Anne: «Je vous rends grâces, Seigneur, de ce que vous avez commencé à arracher les épines de ma condamnation. Voici que nait de moi dans le sein d'Anne cette rose qui me délivre de la pesanteur du péché».

(1) Jugie: p. 190-3.

(2) Jngie: p. 183.

Un aspect souvent rappelé de la faute de notre première mère est la victoire remportée par l'ennemi de notre race.

Sa défaite définitive est préparée et assurée par Marie, mère de Jésus son Vainqueur, ainsi que l'attestent, entre bien d'autres, S. Ephrem, Chrysippe de Jérusalem, S. Epiphane, Théodore Studite, Jean le Géomètre.

Il semble utile d'insister ici quelque peu.

C'est le plan même de Dieu — ce que Saint Paul appelle «le Mystère» — que les pères ont lu en toute clarté dans la sentence portée contre le serpent (Gen. 3,15). Sur la portée de ce texte nos exégètes modernes s'interrogent et discutent: y peut-on reconnaître Marie? A quel titre, et selon quel sens? Sens purement typique ou sens plénier prolongeant le sens littéral? Les pères n'hésitent pas : ils voient Marie directement visée. Ainsi comprennent-ils la sentence, claire annonce du plan divin:

Par une femme tu as vaincu: par elle tu as introduit le péché, la mort et leur esclavage. Par une femme tu seras définitivement écrasé: la vie sera rendue, la grâce et la bénédiction. Ἐκεῖθεν ὅθεν insiste Théodore Studite: «*De là* même *d'où* nous venait la mort, la vie surgira». Et Jean le Géomètre en son texte quasi intraduisible: «Par une et un, femme et homme, malédiction et tristesse (nous sont venues); aujourd'hui par une et un c'est la bénédiction et la joie». καθάπερ διὰ μιᾶς καὶ ἑνός, γυναικὸς καὶ ἀνδρός, ἡ ἀρὰ καὶ λύπη, οὕτω καὶ νῦν διὰ μιᾶς καὶ ἑνὸς εὐλογία τε καὶ χαρά.

C'est bien là, semble-t-il, que se manifeste le mieux la pensée des pères sur la Vierge, Mère du Dieu Rédempteur, Sauveur du monde et Vainqueur de Satan; Mère de Celui qui devait, son heure étant venue, annoncer clairement: «C'est maintenant que le prince de ce monde va être chassé». Inséparable de Lui, dans cette

œuvre du Fils de l'homme, les pères grecs ont vu sa mère. Dès son apparition au sein d'Anne l'œuvre est commencée et la défaite annoncée pour le prince de ce monde. Toute sa puissance *sur notre race* expire devant ce rejeton nouveau qui bientôt portera son fruit.

D'autres convenances apparaitront sans doute, dont on ne saurait nier la valeur. Future mère de Dieu, Théotocos, ne doit-elle pas de sa propre substance fournir au Fils de Dieu sa chair et son sang? Comment ne serait-elle pas toute pureté et incorruptibilité?

Elle est de ce fait plus que le Temple, plus que le Saint des Saints.

Aussi, recueillant la tradition du Protévangile de Jacques, suivant lequel la Vierge, présentée au temple à trois ans, aurait été nourrie dans le Saint des Saints: ce n'est pas elle qui en est sanctifiée, déclare Saint Germain, mais le Saint des Saints lui-même par sa présence. De sa subtance sera comme pétri plus tard le Pain de vie. Citons ici la page du Reclus Néophyte, à laquelle nous avons déjà fait allusion (1):

«Anne délivrée par le Créateur des liens de la stérilité, conçoit Marie, la fille de Dieu Θεόπαις qu'elle a enfanté aujourd'hui comme prémices de notre salut; et la Mère immaculée du Dieu Verbe, comme les prémices de la rénovation de notre nature vieillie et terine par la transgression. Imitant la femme de la parabole qui mêle un peu de levain à trois mesures de farine pour faire lever toute la pâte, le Créateur a repétri et renouvelé par ce levain pétri de ses mains divines toute notre pâte vieillie. Mais voici la merveille des merveilles: le Boulanger divin s'est mêlé lui-même ineffablement à ce levain très pur et en ayant pris une petite partie a travaillé de manière admirable toute la fournée. C'est pourquoi Il disait: Je suis le Pain vivant».

---

(1) Jugie: p. 209.

Ainsi les pères nous apprennent-ils à ne pas isoler les mystères, à les replacer toujours dans l'ensemble du plan divin, où ils s'éclairent l'un l'autre.

C'est ainsi que fréquemment à propos de la Dormition ils rappellent ce que fut dès son premier instant le corps de la Vierge et sa vie toute pure. Conception et Dormition se répondent: à conception nouvelle, nouvelle dormition; celle qui apparut toute pure en sa conception même ne saurait retourner à la terre. «Arrière, la corruption: pas de poussière sur toi: tu es refonte de vie: Ἐρρέτω χοῦς ἐπὶ σοί ἀνάπλασις εἶ» (1).

L'invitation de Pie XII en sa bulle sur l'Assomption était donc déjà celle des pères orientaux du VIII[e] et IX[e] siècles: nous remettre en face du portrait de sa Mère, tel que Dieu l'a conçu et tel qu'il se révèle à nous dans l'Écriture et la Tradition. Cela doit suffire à nous manifester qu'il y manquerait un trait essentiel sans la pleine victoire sur la mort.

C'est ce que, à la suite des mêmes pères, nous avons essayé de montrer pour l'Immaculée Conception.

La contre-épreuve est facile. Le privilège une fois admis, tout s'éclaire. Plus d'hyperbole, mais exacte vérité dans les affirmations les plus hardies: en Marie tout est unique (2); — la grâce en elle prévient la nature (3); — le sexe féminin est réhabilité (4). L'inépuisable litanie des titres de la Vierge, dont celle de Lorette n'est qu'un abrégé, n'est plus faconde orientale, mais authentique richesse. «Prémices, monde nouveau, conçue dans la joie, rose parfumée, lis entre les épines, bénédiction, délivrance, porte de la vie, rejeton de justice, temple saint...». Nous avons parcouru quelques-uns des vocables, et, prudemment mis en garde, nous avons sus-

---

(1) S. German. Const. H. II in Dorm. P. G. 98, 357.
(2) S. Germ. Const. H. in Amunt. P. G. 98, 328.
(3) S. Ioan. Damasc. in Nativ B. M. P. G. 96, 664.
(4) Proclus de Const. P. G. 65 717.

pendu notre jugement. Mais tout bien examiné, il apparait qu'ils ne sontpas le fait de panégyristes en quête de mots à effet, mais la voix même du peuple chrétien; que leur accumulation témoigne non de surenchère, mais de son impuissance à exprimer ce qu'il croit et ce qu'il sent.

C'est bien en effet la foi de tout le peuple chrétien qu'expriment au long du M.-A. les principaux théologiens et prédicateurs de l'Orient dont nous avons, à la suite du Père Jugie, évoqué les textes et les noms: avant tout, dans la 1ère moitié du IXème siècle, S. André de Crète et S. Germain de Constantinople, les deux grands docteurs mariaux, avec leur contemporain S. Jean de Damas, mais à leur suite une lignée ininterrompue où ne manquent pas les gloires secondaires: Théodore de Stoudion, Jean le Géomètre, Michel Psellos, le grand exégète Théophylacte.

Il faut le redire: durant toute cette période, pas une voix discordante. La première à élever, non pas même une protestation, mais un doute sur le privilège de Marie ne viendra qu'entre 1320 et 1330 de la part de Nicéphore Calliste, comme un lointain écho des controverses d'occident; la négation catégorique et obstinée étant réservée à notre temps en réaction à la définition Romaine.

Parmi ceux qui, non pas explicitement, mais le plus clairement se sont montrés partisans du privilège de Marie il faut compter le patriarche Photius. On sait assez de quelle érudition sûre et de quelle science théologique se peuvent prévaloir ses écrits, tant que ne s'y glisse pas l'esprit d'opposition à Rome.

Chez lui, comme chez ses contemporains c'est sous forme positive plutôt que sous forme d'exclusion de toute tache qu'il faut retrouver le privilège, bien que deux fois au moins il écarte très explicitement de l'âme de Marie durant la Passion le soupçon même d'un doute

sur la divinité de son Fils que lui prêtait l'exégèse d'Origène (1).

Citons ce beau passage de la seconde homélie sur l'Annonciation (2) : «L'archange va vers Marie, la fleur odorante et immarcescible de la tribu de David, le très grand et très beau chef-d'œuvre de la nature humaine taillé par Dieu lui-même. Cette Vierge cultive les vertus pour ainsi dire dès le berceau; elles croissent avec elle; sa vie sur la terre est digne des esprits immatériels... Aucun mouvement désordonné vers le plaisir, même par la seule pensée, dans cette bienheureuse Vierge. Elle était tout entière possédée du divin amour. Par cela et par tout le reste elle annonçait et manifestait qu'elle avait été véritablement choisie pour épouse au Créateur de toutes choses, même avant sa naissance. La colère, ce monstre redoutable, elle l'enchaînait par les liens indissolubles du calme intérieur et faisait de toute son âme le sanctuaire de la douceur.

On ne la vit jamais relâcher les ressorts de sa mâle vertu et de son courage. Même durant la Passion du Seigneur, dont elle fut témoin, elle ne laissa échapper aucune parole de malédictions et d'irritation, contrairement à ce que font les mères quand elles assistent au supplice de leurs enfants... C'est ainsi que la Vierge mena une vie surhumaine, montrant qu'elle était digne des noces de l'Époux céleste et donnant l'éclat de sa propre beauté à notre nature informe, qu'avait souillée la tache originelle. C'est à elle que Gabriel, ministre du mystère de l'avènement du Roi, tient ce noble langage: «Salut, pleine de grâce; le Seigneur est avec toi», qui, par ton intermédiaire va délivrer tout le genre humain de l'antique tristesse et malédiction».

— N'est-ce pas pour nous bonne occasion de cons-

(1) Hom. sur l'hypap. (Aristarchis I, 185).

(2) ibid. II, 372.

tater comment se fait dans l'Église le progrès dogmatique?

A question nouvelle qui se pose l'Église s'interroge.

Non par quelque mystérieuse prise de conscience qui équivaudrait à un prolongement de la Révélation, mais par procédés bien spécifiquement humains. Elle réfléchit sur sa doctrine; elle scrute son passé.

Le raisonnement et la déduction auront leur part: ils ne seront pas seuls.

L'enseignement de ses docteurs, les écrits de ses théologiens, les pratiques de son culte et la dévotion de ses fidèles sont évoqués tour à tour.

C'est de cet ensemble qu'avec l'assistance divine, mais suivant le mode de juger et de conclure, de maniement délicat, mais tout à fait approprié à semblables questions, le magistère forme son jugement.

Lumière communicable à l'âme loyale, disions-nous dès le début.

Nous ne saurions donc trop souhaiter que de voir nos frères séparés étudier avec des yeux neufs leur passé, ceux qu'ils reconnaissent comme leurs docteurs, bien assurés qu'ils y reconnaîtraient le privilège de Marie.

N'y aurait-il pas dans ce pas un rapprochement décisif, et notre confiance serait-elle vaine en celle qui est la très sûre et céleste Porte?

المشرق

السنة الثامنة والاربعون | تموز – آب – ايلول – ت ١ ١٩٥٤

الآثارُ المطويّة (تابع)

جمعها وعلّق عليها ونشرها الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس الطرش جبيل

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في الغزل »[1]

ان للشيخ ناصيف اليازجي ثلاث قصائد غزلية في هذا المخطوط الذي نحن بصدده عدا ميميته الفريدة في بابها، ومما لا ريب فيه انهُ نظمها في عهد شبابهِ، يوم كان الشعر من طلّابهِ، ولا نظنّ ان شاعراً مهما كان مقامهُ وحالهُ، يخلو شعره من غَزَلٍ او نسيب. ويظهر ان الشيخ بعد نظمه هذه القصيدة الغزليّة الاولى، ضرب عنها صفحاً بعد ان استعار ما استطابهُ من ابياتها، وبدل بعض كلماتها، وصدّر بها قصيدتهُ الجوابيّة للسيد عبدالله محب من بغداد[2]. واننا ننشرها على هذه الصفحات كما هي مسطَّرة في المخطوط، لا رغبةً في الغَزَل او التشبيب والنسيب،

---

١) المخطوط ص ٤٥٤.

٢) راجع هذه القصيدة الجوابيّة في مجموعة ديوانَي المثلّث، صفحة ٥٩، « نفحة الريحان» المطبوع بالمطبعة الشرقيّة، الحدث–لبنان، سنة ١٩٠٤، بنفقة ميخائيل ابرهيم رحمه.

بل لانها اثرٌ مطويٌ ، من آثار الشيخ ناصيف اليازجي ، مواصلين نشر ما احتجب من آثار قلمه الشائقة .

شوقٌ جميجٌ وقلبٌ طالما خفقا ... لةٌ في الدجى علّمتُها الأرقا
ومهجةٌ وهي نارٌ في المحبّة قد ... دبت على شمعةٍ ، فاعجبْ لما اتفقا
يا من بخدّيهِ نارٌ من عجائبها ... اذا تباعد عنها قلبي احترقا
أشبهتُ لامًا ومن عطفيك لي ألفٌ ... ألم تري الفًا باللام معتنقا
مَن منصفي يا لقومي في المحبة من ... ظبيٍ انا عبدهُ وهو الذي أبقا
كأنما حدّثوه أنّ منطقهُ ... درٌّ فغار عليه كلّما نطقا
سرقتُ من وجههِ فاقتصّ من كبدي ... لحظًا بلحظٍ وهذا شأنُ من سرقا
وعاهدَ الطرفَ سرّاقًا فحاذَرَهُ ... فظلّ ينظرُ في أعطافهِ فَرَقا
مهفهفُ القدّ لدنُ العطف معتدلٌ ... كالغصن قد حمّل الديباج لا الورقا
خصرٌ تصوّب من صدرٍ الى كفلٍ ... من قال بينها وادي النقا صدقا
خطّت يدُ الحسن في مصقول جبهتهِ ... سطرًا ملخّصهُ سبحان من خلقا
وقال خطّ عذاريهِ احذروا فانا ... قد خطّني سحرُ تين المقلتينِ رُقى
لم انس يوم المصلى وهو منتزرًا ... قد مرّ بي حيث لات الحين حين لقا
بكيتُ فازورّ عمرًا ولا عجبٌ ... فهكذا البدر فوق البحر منطلقا
دعوتهُ بلسانٍ لو دعوتُ به ... بعض الحجارة من اذلالهِ شققا
قال عجبًا-وقال أصبر ، فقلتُ نعم ، ... عدّ لي بقلبي فلي صبرٌ بهِ التحقا
وكيف اصبرُ عمّن لو عرضتُ به ... يومًا على الصبر قال الصبرُ واقلقا
نرجو الليالي والايامُ تسعدنا ... صبرًا وانت جمعتَ الصبح والغسقا
حقٌّ عليك دلالٌ انت طارقهُ ... والوجدُ حقٌّ على قلبي الذي طرقا
لو نال حسنك بدرُ الافق دلّ ولو ... رآكَ رضوانُ من فردوسه عشقا
قيل العفاف ولو تقتي نطاوعني ... على فؤادٍ عفيفٍ قطّ ما علقا
اني حضرتُ وما عيني بلا بصرٍ ... ولا فؤادي جمادًا يلبُ الحدقا
قد كنتُ ابكي دموعًا من صدودك لي ... حتى نأيت فصارت ادمعي علقا
وليس وجهك الا الشمس قد أفلت ... عن مقلتي فأبقت فيها شفقا

« وقال »[1] :

لمن طللٌ بذي سلمٍ محيلُ ... عفت آثارهُ الريحُ القبولُ

---

[1] المخطوط ص ٤٥٥

وقفتُ وناقتي في جانبيهِ غداةَ البين فاجتمعت طلولُ
أسائلهُ وليس لهُ لسانٌ فيخبرني وأفهمُ ما يقولُ
اذا اعترك الحوادث ذو فؤادٍ فأخفى ما يلوح لهُ دليلُ
بكت عيني وقد أنستْ ولذَّتْ بهِ فدموعها عبثًا تسيلُ
ومن عشق العيون يلذُّ منها بآثارٍ اذا امتنع الوصولُ

ه

ألا يا في ذمام الله ركبٌ لهم ولمهجتي كان الرحيلُ
فتلك وفيهم يرعى ولكن أضاعوها وفاتهمُ الجميلُ
وبين الركب ناعمةٌ فتاةٌ تؤرّقها القراطقُ والحجولُ
يظلُّ الردفُ يقعد معطفيها فذلك عندها السببُ الثقيلُ
ألوفٌ طالما ألفتْ فبرَّت وذلك في الكواعب مستحيلُ
اذا ذكرت معاهدها استهامت فحنَّت مثلما حنَّ النصيلُ
لقد حملتْ جبالاً من دمانا فواعجبًا تُساقُ بها الحمولُ
وكيف استودعت حرَّان قلبي ولم تُحرق بهِ فهيَ الخليلُ
اقولُ لخصرها لما تثنَّى أنمشقها فما هذا النحولُ
فقال لقد عشقتُ نعم ولكن عذابًا بين عشّاقي يطولُ
فرحتُ وقد علمتُ بان فردًا عليه جماعةٌ لهوَ القتيلُ
وقلتُ لنفسيَ اصطبري فخصي جميلٌ حقُّهُ الصبرُ الجميلُ

ه

ألا هل في سبيل الله طيفٌ فليس اليك يا سلمى وصولُ
ومن طلب الكثيرَ فلم يجدهُ غنى ان يكونَ لهُ القليلُ
هنيئًا للعُذَيبِ وانت فيهِ فقد صار العُذيبُ كما يخيلُ
وطوبى للنسيمِ وانت منهُ بمحتقٍ فكيف هو العليلُ
ترى هل يبعثنَّ لنا رسولًا اليك فيبلغ الحيَّ الرسولُ
وما يغني الرسول ودون سلمى جبالٌ تشتكي منها السهولُ
بزعمي ان تنوب الرسلُ عنا وعن خلواتنا زيدٌ يقولُ
ولكن اذ دعونا ذاك حالًا علينا ان يكون لهُ حؤولُ

« ثمَّ وقال من ابيات »[1] :

يا تُرى ما الذي لقلبيَ شاقا والذي نبَّه الهوى فاستفاقا

١) المخطوط ص ٤٥٦

كان لا يعرفُ الهوى ابن قلبي   من ترى دونهُ عليهِ وِفاقا
علمتني عيناكِ رِفقًا او عينا   يَ أ راسلتني الأحداقا
فانا في الهوى حديثٌ ولكني م   عول الهوى سبقتُ الحاقا
كان لي قبلما عرفتُكِ قلبٌ   فكتبنا على يديكِ الطلاقا
تعلمين الطلاق وما تدرين م   ماذا الذي جعلنا الصداقا
لا ارى بين جانبيَّ فسيحًا   واراكِ اتخذتِ صدري رواقا

⁂

انا في الحبِّ قاصرٌ لستُ ادري   قبلكِ العشقَ لا ولا العشّاقا
علّمتني الهوى عيونك والبُعدُ م   لقلبي يعلّمُ الأشواقا
علّميني ماذا اقولُ اذا نحنُ م   افترقنا وكيف اشكو الفراقا
وأصحبيني ولو ببعض كلامٍ   منكِ زادًا يُذكّرُ الميثاقا
وأعذريني اذا رأيت دموعي   فوق خدّي يبتدرنَ سباقا
ليس من شيمتي البكاء ولكنَّ م   الليالي تغيّرُ الأخلاقا
نلتُ ما لا يُنال من فرطِ حبّكِ م   ولاقيتُ منهُ ما لا يُلاقى
لو تعمّدتُ ان أحبّكِ ايضًا   فوق هذا عجزت أن أتراقى
كان لي من أحبّهُ فاذا بي   كنت في حبّ كلهم مذّاقا
لم يدع رقّةً سواكِ ولا اعجبني م   منهُ فقد اهنت الرفاقا
لا ارى من يحبّ غيرك لا ذاتًا م   ولا خلقةً ولا اخلاقا

⁂

قامةٌ تفضحُ الغصونَ وعينٌ   مَن رآها يُبيحُ الخلاقا
يضحكُ الكحلُ بين أهدابها السو   دِ على ثغرٍ فيجري اندلاقا
وحديثٌ لو كان خمرًا تعاطا   ها نديمٌ لماتَ قبلًا أفاقا
وجمالٌ لو نالهُ قمرُ الافقِ م   لما نال في السُّرار[1] محاقا

⁂

انّ آتاك غيبةً وحضورًا   ويذوبُ الحشى اليك اشتياقا
يجذبُ الشوقُ بي اليكِ ويثني م   عنكِ الحياء طاقًا فطاقا
لا أريدُ الحبّ ولكني أكذبُ م   ان قلتُ لا أريدُ العناقا
لستُ ادري وربما سوف ادري   كيف هذا الهوى أتاني استراقا
علقتني صبابةٌ علقتكِ الامسِ م   واليومَ والغداةَ اعتلاقا
ليس خيرٌ فيها ولا بدَّ منها   والهوى يأخذُ الفتى استرقاقا

---

1) السُّرار : آخر ليلة من الشهر (حاشية في الاصل) .

سرقت عينك الرقاد ونامت م … سامح الله طرفك السراقا

*

لبست ثوب راهب واستباحت … دمنا فانظري الدها والنفاقا
لا تبالي لمثلها بسواد الوجه م … اذ قد تعودته خلاقا
ليس بدعاً في ظلمها وهي الظلا م … والوصف قد يجيء اشتقاقا
غير اني استغفر الله لا تحلو م … جفوني من الكرى اطلاقا
إنَّ فيها فلانةً وهي قد نا … مت جا ملء جسمها استغراقا
لا أسمّيك غيرةً يا ابنة الكرام م … وخوفاً من ويبة ان تساقا
صرت من فرط ما أهابكِ هيَّا … بًا وقلبي تعوّد الاخفاقا

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في القس انطون الحلبي[1] »

جهد الليالي ان اكون كما ترى … قدماً مقصّرة وربما أقفرا
ولطالما نظرت اليَّ فأبصرت … رجلاً يعاف طباعها متكبرا
مارستها فعرفت بعض صفاتها … وعرفت من نظر الاقل الاكثرا
وعرفت من ابنائها ما ساءني … فبررت حين عرفته متحذرا
لا اشتكي عبث الزمان لانني … قدماً شكوت فما حمدت المصدرا
وصبرت حتى ملَّ ظهري همّتي … مدداً وقال الصبر ليتك تضجرا

*

ولقد وقفت على المنازل وقفةً … والنجم يوشك ان يميل الى الكرى
قالت سهرت ولو رددت جوابها … لكتبت فيها من دموعي أسطرا
فلاشكرنك يا ديار الى الفلا … ولاشكونّك يا ظلام الى السُرى
ولاختمنَّ على القوافي معرضاً … حتى اودّع شيخهنَّ الاكبرا
انا شاعرٌ في الجاهلية قد … عند القريض وان يكن متحضرا
قد كنت اطمع أن أبلَّ جوانحي … لمّا رأيت الشعر يقسم أبحرا
وطمعت ان تجني يدي من بحره … درّاً فواقه العظيم ولا الدرا[2]
هيهات ما عمرت لديك يونة … ورجوت بيتك بعدها ان يثمرا
قد كان راعي الشوق ينشد نوقه … شعراً فصاروا ينشدون الشذرا
يا صاحبيَّ تقضّيا نظريكما … واذا بدا وجه لعذري فاعذرا
لا تحسباني قلت ما قد قلته … مللاً ولكن خفت أن تتفطرا

---

١) المخطوط ص ٤٦٣

٢) الدُرا : هي الدُرر والالف للاطلاق ، ويسمّى عند البديعيين اكتفاء .

يا ليتَ شعري هل اقولُ قصيدةً لا تعقدُ الشكوى عليها خنصرا
تيمُ الزمانِ كما صحبتكما اذا فان السلامُ عليكما فتحذَّرا
والمرء في الدنيا بثروتهِ ولا عجبٌ فان الناس أبناء الثرى
أخطأ بنسبته التراث وربّما أغنى ولكن لو أصاب لأفقرا

ـ

ولقد صحبتُ من الافاضل سيّدًا كالخدِّ ماءً والصفيحةِ جوهرا
ساءَتْ عن اخباره فسمتُها متعجبًا حتى رأيتُ المخبرا
صدقتْ به عيني لديَّ وطالما قد كنتُ قبلًا لا أُصدّقُ منظرا
وتمثّلها حتى سمعتُ حديثهُ فرأيتُ كلَّ الصيدِ في جوف الفرا[1]
يا ألطف النسمات روحًا لا تزدْ طربًا عليَّ من الحديث فأسكرا
وأعدْ حديثك حين تسكنُ طربتي اني لأستحلي الشراب مكرَّرا
واحذرْ فؤادي ان تُصيبك نارهُ فلقد حللتَ بهِ حلولًا مضمرا
لو لم يكن في القلب نارٌ لم تكن يا جنّتي في صفحتيهِ مصوَّرا
قالوا هويتَ وكنتَ تعتزلُ الهوى فأجبتُهم لا تسألوا عمّا جرى
ان المقدَّر كائنٌ لا يُمَّحى ولكَ الامانُ من الذي قد قدّرا
اني رأيتُ من الشمائل مزَّةً ما لو يمرُّ على الجماد لكبّرا
وشربتُ منها مشربًا لو ذاقهُ جبلُ الكرُومِ لبات يحلول العُرى
وأنستُ أفضل هيكل في طيه ذاتٌ ارقُّ من النسيم اذا سرى
خضريّةٌ شاميّةٌ حلبيّةٌ لو شامها ماء السماء تحضّرا[2]
نفسٌ تُوقّد غيرةً في جسمها رغمًا لقومٍ يوقدون المنبرا
أنسيّةٌ قدسيّةٌ ملكيّةٌ فلكيّةٌ في الارض ما بين الورى
لا تعرفُ الخضراء[3] بين صفاتها وتميدُ مثل قضيب موسى اخضرا
تذكو أشعتُها ويصفو ثوبها فتكاد تحت حجابها ان تظهرا
إيّاك اعني لا سواك بمنطقي ولربَّ مذكورٍ ولو لم يُذكرا

ـ

ولقد سهرتُ على مديحك ليلةً ما كان أطولها عليَّ وأقصرا
أعربتُ بالتمييز حالك ظاهرًا وعرفتُ فضلك اذ عرفتُ المصدرا

١) حمار الوحش (في الاصل) .
٢) ماء السماء : اسم ملوك العرب (في الاصل) .
٣) اي لا يقال نفسٌ خضراء . وهي صفة يُراد بها (هنا كلمتان أُلقتا بقراض التجليد) (حاشية في الاصل) .

فومات من قبل الوصول الى الحمى ... فردًا يجرّ من القوافي عسكرا
لا اشكي حصر المقال وانني ... ما زلت أجرى من لبيد وأشعرا
عكفت في شعر الاوائل راحتي ... فاذا عجزت دعوته مستحضرا
لا تنكروا اني سرقت قوافيا ... من شعرهم فركبت امرًا منكرا
قد قلّ ما عندي الى ان قلّ في ... صدري الكلام فما سرقت تجبُّرا
ولربّ نظّار بعتبة عاتب ... كثر العتاب وليته لو أجهرا
قد زادني حلمًا فأنقصني به ... كالاسم لمّا زيد حرفًا صُغّرا
ولئن تعثّر من يظنّ به فقد ... يكبو الجواد ولو يكون الأبجرا
ولربما عثر المصيب وربما ... لم يدرِ كيف يصيب حتى يعثرا
بأبي وبي، يا من تخذتك لي أبًا ... فرأيت منك البرّ منه وأغيرا
أوتيت من فصل الخطاب لطائفًا ... لا ترتضي لك غيرَ قلبي منبرا
اني رأيتك في سوادِ ملابسٍ ... متهللًا فرأيت ليلًا مقمرا
وعلمت وجهك جامعًا شمل البها ... لمّا تصفّحت الجبين الأزهرا
وعرفت نعمتك التي غلبت على ... شكري وكيف الرمح يشكر سمهرا[1]
فلاشكرنك ما حييت وان أمت ... فلتشكرنك أعظمي تحت الثرى[2]

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) يمدح الامير بشير الشهابي عند رجوعه من القاهرة سنة ٢٣٩ »[3] :

قامت وفي يدها يلوح إناء ... وزنت فكادت تسكر الصهباء
عذراء لو ندبت على نظراتها ... صخرًا لقام وماتت الخنساء
شربت بمسّ الكأس مبسمها فلم ... تدرِ الذي شرب الطلا الندماء
حتى تبسّم فادّعت بحبابها الكاسات ... لمّا لاحت اللألاء
بدوية هي في الحجاز فما لها ... تأبى الخطاب كأنها عجماء
ولعلّها عذرت بتيه دلالها ... ان الدلال على الجمال وقاء
يا للعجائب وهي ظبية ربربٍ ... ترمي السهام فلا يكون خطاء

1) سمهر : رجل كان يقوّم الرماح (في الاصل) .

2) وتلي هذه القصيدة، قصيدة أخرى قالها الشيخ ناصيف في القس انطون الحلبي المذكور، وهي منشورة في ديوانه «النبذة الاولى» ص ٨ طبعة مخائيل رحمه، وابياتها في المخطوط اكثر عددًا من المطبوع .

3) المخطوط ص ٢١٠ .

لا بدعَ ان عبقت لنا أنفاسها ... بالمسك فهو به تجيء ظباء
ناديت معطفها يرجرجه الهوى ... ريًّا فقد أيقنت انك ماء
ثمّ التفت بوجهها[1] فنفرت من ... جزعٍ وقلتُ ووراءك الرقباء
ولها لحاظٌ لا يخال بطرفها ... سحرٌ فقد دُهيت بها السحراء
قالت فما بك وهي قد سلبت بها ... عقلي فقلتُ المرأةُ السوداء
هان الحِمامُ عليَّ ان رضيت به ... يا حبذا لو ترتضيه فناء
وكرهتُ بذل النفس خوف فراقها ... قبلًا يكونُ من «البشير» لقاء
ملكٌ من الافراد طلعة وجهه ... عند البصائر هيبةٌ وجلاء
متوشحٌ الديباج تحت رقيقه ... ما يطرقُ الديباج منهُ حياء
تلقاهُ مبتسمًا وفيه عبوسةٌ ... وتراهُ غضبانًا وفيه رضاء
ريّان معتدل الطباع كأنه ... فصلُ الربيع تجوده الأنواء
نَثرَ الدراهمَ عند وفد عفاتِهِ ... بيضًا تُفرّقها يدٌ بيضاء
كالبدر في كبدِ السماء وحولهُ ... تحت الرقيع كواكبٌ غرَّاء
كفٌّ تسيلُ على العفاةِ مواهبًا ... وسيلُها تحت العجاج دماء
وَصَلَ الحسامَ بها فأرعدَ نصلهُ ... وعليها منها رونقٌ ومضاء
من فوق ادهمَ قال من في وجههِ ... نظر الثريَّا انه الظلماء
لو قام يوم البعث صوتُ صهيله ... ما شك ان الصور منهُ صداء

٥

يا خير من لبس الشفوفَ وخير من ... لاحت عليه عمامةٌ خضراء
ألبستَ لبنان الضياءَ كأنما ... جبريل فوق الطور منهُ نداء
وعلى الكنانة من نداك نضارةٌ ... فكأنها فوق الرؤوس لواء
لو كان يدري «النيلُ» انك قادمٌ ... مصرًا ثناهُ عن الفيض حياء
لا بدع ان ذابت لفرقتك الحصى ... منها واوشك ان يجفَّ الماء
فلقد تركت بها عوارفَ أنعمٍ ... ذكر الخصيب بعرفها النقباء[2]
وأثبتَ ترفلُ في ظلال مؤيّدٍ ... رفلت بظلّ جلالهِ الوزراء
فردٌ من الاقبال أمّا مالهُ ... فـدىً وأمّا جارهُ فحماء
عزت به جنبات مصر وكيف لا ... وهو العزيز محلّهُ العلياء

---

[1] نظر وجههُ كما يكون في المرآة (حاشية في الاصل).

[2] الخصيب: اسم ملك. والكنانة لقب مصر. والنُّقباء: الذين يحصون اسماء الناس. (في الاصل).

ما ضرّها ان فاتها مطر السما … فلها بجود يديه عنه عناء
هو سيدٌ يحيي وقاهرة الورى … في كفه تنقاد كيف يشاء
يتقبّل الوزراء تحت لوائه … طوعاً وتحت لوائك الأمراء
ما كان عهد البدر قبلك طالعاً … من مغربٍ قد تمّ منه ضياء
حتى أتيت بطلعةٍ رقصت لها … لو لم تخف ازعاجك ، الدنياء
وعلى ربى لبنان حين أتيتها … ما بالنسيم يُذاد عنه الداء
لو تستطيع وقد قصدت ربوعها … لاقتك لو طاع الربوع لقاء
ولقد نسخت بحقّ بأسك أرسماً … هامت بتيه ضلالها الآراء
وهديت اهليها الصراط فانها … انت الرسول ، وان يروك رعاء
انت الشهاب بنور وجهك تنجلي … حُجُب الظلام وتُرجم الاعداء
ولأنت طلّاع الثنايا عندما … بدرت لديك ملمّةٌ صمّاء
لو كان نطقك في الشفاه مقسّماً … في الناس لم تتفاضل الخطباء
ولو اقتسمت صواب رأيك بينهم … لم تدر نفسٌ ما يكون خطاء
تكفي الورى حكماً اذا طلبوا وما … لصفات خلقك بينهم أكفاء
بهل الخطاب بها فلو نطقت به الافرنج ما عثرت عليها الراء
لا بدع ان خلت الكرام فلم تدع … أكرومةً تأتي بها الكرماء
ألّفت شمل البر بعد شتاته … كالبحر مجتمعاً اليه الماء

٥

انا غرسُ نعمتك التي عوّدتني … فنموت حيث الطيّبات رواء
وعززتُ عند تعلقي بك في الورى … كالسلك ترفع شأنه اللألاء
وتجهت انادي اليك مصرّحاً … فكأنما الافعال والأسماء
وأضاف ذكرك قربَ نطقي واصلاً … سنداً فأثبتَ رفعهُ القرّاء
وعلى ودادك لي فؤادٌ لم يزل … لذخائر الأسرار وهو إناء
خجلٌ برأيي وهو يعلو فوقهُ … وتهاب مسّ صفاته الأعضاء
قسماً بمغناك الرقيق وصبوتي … فيها الصباحُ وان أرثّ مساء
ما خضتُ في ذكراك إلّا قلتُ قد … طفحت بلجّة منطقي البيداء
تتزاحمُ الكلمات عندي مثلما … ورد الزلال طلائحٌ انضاء
فكأنني الكندسُ فيك وليس لي … عند اذكارك وقفةٌ وبُكاء
هل تبلغنّ عني الحجاز بأنني … بك شاعرٌ فتزورني الشعراء
معناك علّمني القريض فها انا … بعد الشاعر شاعرٌ روّاء

صقلت مناقبهم غرار قريحتي فاذا به من ذي الفقار مضاءُ
وجلا جمالك رؤيتي فكأنما كانت بعيني تنظرُ الزرقاءُ[1]
يحلو بمدحك نظمُ شعري مبدعًا وبديع شعري من ثناك سناءُ
فاذا خلا من ذكركم فكأنهُ حرفُ الثناء ينوبهُ الفأفاءُ[2]
فلأحملنَّ اليك كلَّ قصيدةٍ هيهات من اياتها الاقواءُ[3]
نأتي قوافيها النشاد وانما لا بدع ان يضطرها الإيطاءُ
فاسلمْ ودمْ تُهدى الثناء وتُنثنى وعليه من اهل الثناء ثناءُ
حتى يقول الدهرُ وهي مقالةٌ يكفي فعندي بعدك الخلفاءُ

« وله (للشيخ ناصيف اليازجي) في الامير فارس الشهابي[4] »

قفْ بين ريحان العقيق وخالهِ وقل السلامُ على العقيق وآلهِ[5]
وقل السلامُ على العشيرة من فتىً لولا الشباب يتستُ لمح خيالهِ
لي بينهم رشأٌ أغنُّ مهفهفٌ ابدًا يفوحُ الطيبُ من اذيالهِ
رشأٌ يلوح الصبح من طربوشهِ ويميلُ غصنُ البان من سروالهِ
خشيَ الكمالُ على شمائله وقد عذبت فعوَّذها[6] عزَّ دلالهِ
فغدا يلين الصخرُ قبل فؤادهِ وينال بدرَ الافق قبل منالهِ
نزل العقيق فكان بعض ظبائه وله فؤادٌ كان بعض جبالهِ
ذابت شمائله لِلينِ عطفهِ فمذرتُ قلبي فيهِ من بلبالهِ
وبشعبِ ذي سلمٍ غزال انما شتّان بين غزالها وغزالهِ
ما زال مذ صعد الثنيّة مقمرًا[7] لمّا تصفّحه على اقبالهِ
يا عاذلي ما انت بعد لقائهِ إلّا على صفة الجماد وحالهِ

---

١) امرأة كانت حادّة النظر (في الاصل) .
٢) الذي يردّد حرف الفاء (في الاصل) .
٣) الاقواء في اللغة : التقوّض . وعند العروضيين : اختلاف حركة الرويّ (في الاصل) .
٤) المخطوط ص ٤١٧ .
٥) ان الشيخ قد صدّر بهذا البيت قصيدته الى بعض اصحابه العلماء (راجع النبذه الاولى من ديوانه ، طبعة ميخائيل رحمه ، ص ٤٦) .
٦) عوّذها : علّق عليها عوذة ، وهي كالتميمة يتّقى بها السحر والعين (حاشية في الاصل) .
٧) قيل : ان الغزال اذا نظر القمر ، نشط (في الاصل) .

ولعلّ رشدك غاب عند حضوره فنطقتَ نطق الأحمقِ المتبالهِ
او كان لومك غيرةً مني على شغفي بـهِ وتلقّي بوصالهِ
او شمت اقبالَ الامير بوجهـهِ حتى استهنتَ بحسنهِ وجمالـهِ
الفارسُ ابن السيّد الحسنُ ابن سيّد م نا العلي لبني الرسول وآلـهِ
الهاشميُّ من العشائر سادة العرب م الكرامِ لعمّهِ او خالـهِ
رجلٌ يعيرُ النصن لين قوامهِ ويعيرُ بـدر التمّ حسن كمالهِ
يُلهي الوفودَ عن التحيّـةِ وجهُ حتى ترى الآدابَ في استقبالـهِ
ريّانُ يحتسبُ العطاة تنيصةً ان كان لا يعطيك قبل سؤالهِ
البرُّ بين لسانـهِ وفؤاده والبحرُ بين يمينهِ وشمالـهِ
يَسرتْ اناملـهُ فلو أوما جا نحو الاسير لفُكَّ من أغلالـهِ
او كان يلثمُ بعضها فمُ اخرسٍ يومًا لفاض لسانهُ بمقالـهِ
متبسّمٌ متهلّـلٌ متهذّبٌ متفرّدٌ بصفاتهِ وخصالـهِ
وجمالهِ وكمالـهِ وجلالهِ وخلالهِ ومقالهِ وفعالـهِ
يا فاضلًا يا باسلًا يا كاملًا يا واصلًا يا باذلًا من مالـهِ
يا مَن يُرى من طيب فعلك حاضرٌ ما ليس يخطرُ قبلها في بالـهِ
انت التقي انت الهنا انت المنى انت الغنى للمرءِ في آمالهِ
ما زار دارك مَن أُصيب بحادثٍ إلّا وبشّـر نفسهُ بزوالـهِ

« وقال يمدح الامير قاسم الشهابي[1] » (ابن الامير بشير الكبير)

يـا بارقًا لاح في اكناف لبنانا امطرتَ لكن جعلتَ السحبَ اجفانا
اعاذك الله ما ابرقت من كذبٍ وصادقُ الشوق في الاحشاء ما خانا
ما شامَ ضوءك طرفي غير منسكبٍ كأنَّ للدمع في كفّيك ارسانا
لـنا نراك سوى برقٍ فواعجبًا أبرَيتَ ماءً وقـد هيجت نيرانا
متى اذوك دليلًا لي عـلى سُبلي تركتني بحجـاب الدمع حيرانا
اشكو اليك تباريحًا علمت بها لو كنت تسألُ عني النجم سهرانا
وما انتفاعي بان اشكو اليك ولا اشكو الى القاسم المفضال هجرانا
كلاكما مـاطرٌ لكنَّ بينكما تفـاوت الحال أسواءً وإحسانا
تبارك الله جسمٌ حلّ فيـه دمٌ نظنّهُ السكّر المعقود قضبـانا
حلو الشمائل طلق الكفّ مبتسمٌ في وجهه البشرُ يزهو كيفما كانا

---

١) المخطوط ص ٤١٨ .

صفا ورقّ وما رقّت عزائمهُ … كالنصل ما رقّ ينمي وما لانا
كأنما نحوهُ في عطفه لعبت … ريحٌ ترنّح غصن البان ريّانا
لا يحسب العيش الا بذل مكرمةٍ … او خوض ملحمةٍ او ريّ ظمآنا
تمضي الليالي وأشقاها التي عبرت … له ولم ترحم الضيفان ضيفانا
جدّي بنا يا نياق السير لا تقفي … فقد تحمّلتِ شوقًا ليس ابدانا
وحقّ نعماهُ ان بلّغتني يدهُ … ألبستُ هامكِ من نعماهُ تيجانا
لا تحسبي كلَّ من لاقيتِ كابن « ابي … سعدى »(1) ولا مثل «بيت الدين» اوطانا
نعم نعم ان هذا لا شبيه فلقد … جاء الشبيه به خلقًا ورضوانا
جلّ الذي خلق الحسنى وخصّ لها … بعضًا ولو عمّ كان الخلقُ انسانا
لولا القباحة ضاع الحسن فهي لقد … جاءت على حسن اهل الحسن برهانا
يا أبن الكرام ، وما كلُّ الكرام سوا … فقد أصرتم كرامَ العصر غلمانا
قد علّمتني نظم الشعر أنعمكم … حتى غدت لعروض الشعر ميزانا
لو لم يكن بك غير الجود من خُلُقٍ … جمعت مدح الورى سرًّا واعلانا
وعلّة المدح احسانٌ فان حصلت … كفتْ ولم يكف شيءٌ غيرها الآنا
أهديك قطعة شعرٍ من ثناك ولو … وفيتُ بعض الوفا أهديتُ ديوانا
ومن اراد عيانَ الشمس أبصرها … لمحًا ولم يستطع في الشمس إمعانا

« وقال في اخيه الامير خليل(2) »

قسمًا بما حوت الثغورُ من اللعَسْ … وبما حوى وردُ الخدود من القبَسْ
وبأعين الخفرات وهي ذوابلٌ … كالناعساتِ وما بها أثرُ النعَسْ
وبذمّة العشق المبرّحة عند من … ذاق الغرام ولم يذقهُ الملتمسْ
وبحرمة العشاق لولا انهم … يتمسّكون به وشيمهمُ انبجسْ
ولأصبرنّ عليه او تُبلى به … نفسي وتُنكرُ مهجتي رَجْع النفَسْ
ولأحملنّ خطوبهُ ولو انّها … هجرُ الخليل وملتقاه اذا عبسْ
احدُ الكرام القاطنين وانّما … في نفسه كلَّ المكارم قد غرسْ
يقفو الكريم فعالهُ وكأنّهُ … من بيت مال المسلمين قد اختلسْ
وضحت فضائلهُ فكنْ كمصحفٍ … دَرَس الفقيهُ به وراجعَ ما دَرَسْ
تتحدّث الافكارُ ناطقةً به … ويعودُ باللهِ اللسانُ من الخرَسْ

---

1) لقب للامير بشير الشهابي الكبير ، قد عُرف به ، ومرّ ذكرهُ .

2) المخطوط ص ٤٢٠ .

الأشهبُ البـازيُّ في يوم الوغى — والكوكبُ النديُّ في جنح الغلسْ
والفاضلُ البرُّ المنيفُ من التمسْ — والكامنُ الحرُّ البعيدُ عن الدنسْ
لا تشتيلُ الغيدُ موطنهُ ولا — تلوي المدامةُ جانبيهِ على الهوسْ
وتراهُ في الحالين مطّرد[1] النُهى — كحروف ما لايستحيلُ اذا انعكسْ
جمعت شمائلهُ المحاسن كلّها — وجموعهنَّ من التفرّق في حرسْ
فكأنّه غصنُ الاراك اذا مشى — وكأنّهُ بدرُ التمام اذا جلسْ
وكأنّهُ مطرُ السحاب اذا همى — وكأنّهُ اسدُ العرين اذا افترسْ
وكأنّهُ وبأن يقال كأنّهُ — وهم المشبّهُ والقياسُ قد التبسْ
لم يلهُ عن كرمٍ ونلهي المعتفي — رؤياهُ عن أخذِ النوال المقتبسْ
لو كان يحملُ ما افاد من النُهى — في اليوم وهو على الجوادِ لما رفسْ

*

يا خير من لبس الشفوف وخير من — حمل السيوف وخير من ركب الفرسْ
فقتَ العباد ولست إلّا بعضهم — والناس بينهمُ شجونٌ لم تُقسْ
كالشعر ليس سوى الكلام مركّبًا — وبه التفاوتُ في القريحة والنَفسْ
من قال فضلك لا يحاكي سيدًا — إلّا «البشيرَ» اباك وهو قد احترسْ
لا زال ربعكما الخصيبُ نعيمهُ — ايديكما مطر السحاب اذا احتبسْ
حتى يقول الناظرون اليكما — ما مات ذكرُ الاولين ولا اندرسْ

« وقال في اخيه الامير امين لما تسلّم الديوان[2] »

بشرى المعالي فقد نالت امانيها — فقمْ بنا غير مأمورٍ نهنّيها
وليس اعظمُ من هذا يقالُ به — لك الهناء وهذا الشهمُ داعيها
صدقتَ يا من تسميه « الامين » لنا — فهو الامينُ على العليا وحاميها
وهو الشهابُ اذا جنّتْ لياليها — ضوءًا ورجمًا اذا قامت اعاديها
تلقّف المجد إرثًا والعلى حسبًا — وللسيوف مجالٌ في نواحيها
لا يركبُ الخطبَ إلّا غير مكترث — ويركبُ الرأيَ اجلالًا وتنزيها
سجيّةٌ عن « ابي سعدى » تداولها — قسرًا وقال خذوا الدنيا وما فيها
اقام في صدر ديوانِ القضاء لهُ — وقفًا عليه فأعطي القوس باريها
ما زال ديوانهُ لولا مهابته — يكاد يرقصُ من ادلاله تيها
ويوشكُ الشعرُ في معناهُ لو فقدت — ابياتهُ منشدًا رنّتْ قوافيها

---

[1] مطّرد : مستقيم (في الاصل) .
[2] المخطوط ص ٤٢١ .

كذا وإلّا فلا ان الملى حَرمٌ واللهُ يعلمُ حقًا من يُدانيها
توغَّل القومُ في الدعوى جما فاتى بعضٌ بذاتٍ وبعضٌ جاء تشبيها[1]

« وقال يمدح مصطفى آغا بربر » (متسلّم طرابلس)[2]

خطرت كما خطر القضيبُ الأملدُ غيداء معطفها يقومُ ويقعدُ
ممشوقةٌ تضع البنان بخصرها فيكادُ بعضٌ فوق بعضٍ يعقدُ
هي بنت ظبي الوادي ولكن لي جا لمحٌ من الفردوس قامت تشهد
ما ضرَّها وهي المراضُ جفونها لو اننا يا صاحبيَّ العوَّدُ
لقيتْ بطلعتها الهلال فأعلمت انَّ الأهلّةَ طالما تتولَّدُ
وتأوَّدت بين الرماح فلم يبنْ لولا السنانُ ، الاسمرُ ، المتأوّدُ
ورخت غدائرها تمالت خصرها كأراقم الوادي انثنت تتجعّدُ
والله بما مدّت سلاسل شعرها إلّا لتسبي القلب وهو مقيَّدُ
فتنتْ مقاصيرَ الخيام بقامةٍ كالغصن في مرّ الصبا يتردّدُ
وبمقلةٍ نادت على عشّاقها : لا تقربوا فأنا البلاء الأسودُ
ما بين وجنتها ودمعي نسبةٌ فكلاهما من حمرةٍ يتوردُ
وكأنَّ ليلي شعرها فكلاهما متطاولُ الاطراف اسودُ اجعدُ
تذكي لواحظها ويخمدُ شعرها فكأنّهُ في الكافرين موخّدُ
لا بدع في سلسال ريقك ان روى فهو المبرّدُ[3] والزلال مُبرَّدُ
قسمًا بثغرك يا أميمةُ درّةٌ لي ادمعٌ منَّ الجمانُ[4] يُنضّدُ[5]
دررٌ تُقضُّ ذوائبًا قاطُها اهدابُ جفني والصبابةُ تعقدُ
ما كنتِ سيدة الملاح من الدُمى[6] إلّا وعبدُكِ في الشيرة سيّدُ
حسبي بحبّك عزّةٌ وبأنني بالرقّ عند عزيز حسنكِ اشهدُ

---

١) وتلي هذه القصيدة ، قصيدةٌ أخرى في مدح الامير امين ، تراها مطبوعة في النبذة الاولى من ديوانه ص ٥ طبعة ميخائيل رحمه ومطلعها :

تفارقكم ونضرب في البلاد فلا تترحلون عن الفؤاد

٢) نشر في خلال ترجمة الشيخ ناصيف في بدء ديوانه ، طبعة رحمه ، مقطعان من هذه القصيدة صفحة (ن) ، واننا ننشرها بكاملها كما هي مسطّرة في مخطوط دير الشير ص ٤٢٣ .

٣) المبرّد : اسم رجل راوية (في الاصل) .

٤) الجمان : اللؤلؤ (في الاصل) .

٥) ونضّده : جمع بعضه فوق بعض (في الاصل) .

٦) الدُمى : الصوَر (في الاصل) .

ولديَّ منك مواعدٌ ما تنقضي ... فاليوم يُشقيني ويُسعدني غدُ

ما انتِ كاذبةٌ جُللتِ انما ... سوء التصيب يقودُ ما لا يقصدُ

ولقد اسفتُ على الصدور لأنها ... كانت وانت قريبةٌ تستطردُ[1]

وشكرتُ حسنَ المطل منكِ لأنهُ ... قد كان يومَ يكونُ منك الموعدُ

ولقد تداولنا العواذل ليلةً ... حلفت بألّا غاب منها الفرقدُ

لاموا وقلبي من أحبَّ وعندكم ... قلبي فكيف خطابُ من لا يوجدُ

ولقد صبوتُ فقال انّك أشيبٌ ... رأسي وقال القلبُ انّك امردُ

والنفسُ ناصحةٌ ولكن عندها ... رفقٌ اذا اعتذر الفتى لا يُجحدُ

ولهوتُ عن ادبي القديم وكيف لا ... وصباي في طيّهِ تتجدّدُ

ونسيتُ نظم الشعر لولا شيمةٌ ... في «المصطفى» تدعو الحصور فينشدُ

في اوحد الفضلاء والفقهاء والكرماء ... م والبلغاء لا يتقيّدُ

كالبدر او كالفجر او كالقطر او ... كالبحر او كالدهر اذ يتشدّدُ

ريّان تفتخرُ المكارمُ عندهُ ... كبرًا ويصغرُ في يديهِ المسجدُ

يتوهّمُ الاقلال في صون اللُّهى ... ويظنُّ جمعَ المال وهو يبدّدُ

وكأنّما ظنّ الهبات ودائعًا ... عند التوافل والودائع عُوَّدُ

سمحُ الانامل في العطاء فكأنّما ... قلّت خزائنُه تراهُ يجوّدُ

لا شيءَ اهونُ عندهُ من مالهِ ... إلّا المنيّة في الوغى تتورّدُ

متقلّدٌ بيض النصال وانّما ... بيضُ النصال بكفّهِ تتقلّدُ

يا من يقول لسيفهِ يوم الوغى ... هاك القلوب فقد شكتك الأكبُدُ

لو شئت إكحالَ العيون بحدّهِ ... ضربًا لمرّ كما يمرّ المرودُ

يا من ينال اذا تكاثر وفدُهُ ... طرب السوى بالمال لمّا يحشدُ

ما سرّ وفدك ما بذلت اشدّ مما ... سرّتك حين انت تفرّقهُ اليدُ

صدق المخبّرُ عن صفاتك قومهُ ... حتى اطال فقال انك أوحدُ

ذكر الحديث الى جلالك مُسندًا ... فانصاع وهو الى حديثك مُسندُ

وعلى طرابلس الشآم صبابةٌ ... مذ غبتَ عنها فهيَ صبٌّ مقعدُ

لو أنصفتك وقد رحلتَ ربوعها ... هرعت على آثار ركبك تنشدُ[2]

ما كنت إلّا رحمةً في ارضها ... بعُدت ولكن فضلها لا يبعدُ

أخصبتها جودًا فكانت جنّةً ... لو كان ساكنها بها يتخلّدُ

---

١) تستطرد : تتتابع (في الاصل) .

٢) اسرعت تطلب (في الاصل) .

ما كان احسن برهةً تحدمت بنا … كفاك حقَّ الله وهو مؤيدُ
شهدت لك الاحكامُ انك ربُّها … والله يشهدُ انها لك أعبدُ
لله دركَ ما أجلَّك سيدًا … واسدً رأيك والطريقُ مسدَّدُ
واشدً بأسك في الخطوب فكلَّما … عبست رأيت كأنّها تتنهَّدُ
تغدو اليك الحادثاتُ فتنثني … شيبًا ولكن وجهها بك اسودُ
لولا تألفها أضلَّت بعضها … مثل النياق أضلَّهنَّ الفدفدُ(١)

○

انا اشعرُ الشعراء فيك ولا تقلْ … هذا الغلامُ بجهلهِ يتمردُ
لو لم أكن في الشعر أكبر غائصٍ … ما خضتُ بحر ثناك وهو المزبدُ
والشعرُ ريحانُ النفوس وانما … ريحانُ روضتهِ الصحيحُ الجيّدُ
لولا نباهةُ لما بذلوا على … افرادهِ الآلافَ تبرًا يُنقدُ(٢)
ولقد نظمتُ فانني متقدمٌ … حتى كَتَبتُ فانني لمولَّدُ
وحمدتُ نفسي بامتداحك معجبًا … ان النجوم على الظلام تُحمدُ
تزففتها من آل عيسى غادةً … الفى عليها المعرباتِ تحسَّدُ
انشأتها فوجدتُ شعري بعدها … فضلاتِ تلقِ في النهى تتولَّدُ
واذا نظرتُ الى الخلائقِ فالورى … رجلٌ وكلُّ الشعر بيتٌ مفردُ
مَن كان مثلك لا تطالبُ امهُ … لو انها حواء في من يولدُ
فيك الصيانةُ والزهادةُ والتقى … واللطفُ والكرمُ الذي لا يجحدُ
والحلمُ ثمَّ العلمُ ثمَّ الحزمُ ثمَّ … العزمُ ثمَّ الفهمُ ثمَّ السؤددُ
يا فضلُ بل يا عدلُ بل يا وبلُ بل … يا نصلُ بل يا شبلُ بل يا سيّدُ
لم تجتمع فيك المحاسنُ انما … انت المحاسنُ وهي فيك تعدَّدُ
ما شمتُ قبلك من يغارُ لمالهِ الباقي … من المال الذي يتبدَّدُ
وكأنَّ مهجتهُ تغارُ لنفسها … من انفس القتلى التي تتجرَّدُ
يرضيك دون الريِّ واعجبًا ولا … ترضى الفرات لسائلٍ يتوردُ
وكأن نفسك في الكريهة غيرها … في السلم وهي لطيفةٌ تتوددُ
لو أخمد الحزنَ التأسي ما بكى … ممن قتلتَ ابٌ على ابنٍ يفقدُ
او كان يُحيي الجود نفسًا لم يمت … من كان في ميمون عصرك يوجدُ
حيَّ المطايا فهي أولى من بني … عمّي جئتها عليَّ وأعودُ

١) الفلاة (في الاصل) .
٢) محدث (في الاصل) .

وعجبتُ منها وهي قد وردت سنا ... بدر التمام على طريقٍ تورَدُ
يتلو عليك الحمد في صلواتهِ ... من قال بسم الله ثمّ يردّدُ
ما أكثر الجهلاء لكن شرّهم ... من كان عن أبواب فضلك يُطرَدُ

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) يمدح الامير امين الشهابي »
« عند رجوعهِ من مصر القاهرة »[1]

حسبي بحبك يا مليحةُ عاري ... اني القتيلُ وليس يُطلب ثاري
وأشدُّ عارًا ان قُتلتُ ولم يكن ... قتلي بخطّارٍ ولا بتّارِ
وأشدُّ منهُ صحبتي وبفائلي ... مرضٌ فذلّاني وكان الضاري
وأشدُّ منهُ انْ نفسي حرّةٌ ... وغريها أمةٌ[2] من الكفّار
عينٌ حواليها السمورُ ذرائبٌ ... قالت لقلبي مُتْ قتيلَ أُوارِ
وعلامَ تدركها الزيارة وهي قد ... حُميت بحاجبها عن الزوّارِ
يا من اخذت من القسيّ حواجبًا ... ها إن لي حسبًا من الاوتارِ
وأبيكِ ما جاءت وأمّك نوعها ... إلّا مؤكَّدةً وجوب عثاري
أتسوغ عندكِ يا سلامةُ قتلتي ... واليك مرود طاعتي وقراري
ما انتِ إلّا من كرام أعاربٍ ... والمذهبُ العربيُّ حفظُ الجارِ
بيني وبينكِ خطوةٌ وكأنّما ... بيني وبينكِ شقّةُ الاسفارِ
واذا دنوّ الدار لم يكُ نافعًا ... فالبُعدُ خيرٌ من دنوّ الدارِ
لولا سرورك بالرياض لأصبحت ... بسموم انفاسي من الآثارِ
كرت الخدود مدامعي بمياهها ... فكأنّما هيَ مارجٌ من نارِ

٭

يا للعجائب من دلالِ غزالةٍ ... صادت بمنظرها الاسود ضواري
وقفت على لحظاتها سفكُ الدما ... فكأنّهنّ سهام قوس الباري
حوراء يخفي الكحل أسود حدبها ... ويبينُ ناحلُ خصرها بازار[3]
ما بين مقلتها وقلبي نسبةٌ ... فكلاهما المكسور في الجبّارِ
لمّا تجلّت نون حاجبها على ... صادٍ بمقلتها ولامِ عذارِ
راودتها عهدًا بكسرةِ طرفها ... فرنت اليّ سكينةَ الابصارِ
باهت بفضّةِ جيدها فأريتُها ... لي وجنةً صفراء كالدينارِ

١) المخطوط ص ٤٤٦ .
٢) يريد بهذه الأمة عينها (حاشية في الاصل) .
٣) عبارة عن رقة الخصر . اي انهُ لولا الازار لم يكن يظهر (في الاصل) .

وزهت بلؤلؤ ثغرها فلثيتُها بمدامعي مثل العقيق جوارِ
يختار من ثنيها صغارُ درّهِ عجباً ومن دمعي اختيارُ كبارِ
وكأنّ كنهها وغضرة خدّها زهر الربيع يلوحُ في آذارِ
سفرت وقد ضحكت فرقرق دمعها وتكلّمت فجبينهنّ دراري
ورنت اليّ بمقلةٍ نوّامةٍ منعت منامي عندها وقراري
فكأنّها عين الحداة[1] وانّما بُدِلت بمجرّدة من الاضارِ
فتنت لطافتها الصباة فراقبت تمويها لتسرّ في الاسحارِ
واشار معصمها الينا فانثنت بيض النصال فغِبنَ في الاستارِ
طابع السوارُ بها وليس بجائرٍ اخفاء بعض نظيره بسوارِ
ومن المحارم ان تقوم وعنقُها بيضاء يحجبها سوادُ خمارِ
غرثى الوشاح[2] كأنّما خُلقت من الماءِ الزلال صفا من الاكدارِ
لولا الثيابُ لشفّ دونك صدرُها عن قلبها فطمعت بالاسرارِ
ماكان وجهكِ يا سلامةُ روضةً إلّا ودمعي كان من امطارِ

٥

ومن العجائب روضةٌ فيّاحةٌ كرمت بجاورة الحيا المدرارِ
لي بين صدرك والمحيّا وقفةٌ بين الأبيرقِ والنقا المزّارِ
واللّه ما احدقتُ نحوها سوى لأرى الهلال يلوحُ فوق نضارِ
ما فوق حسنك في الورى حسنٌ ولا فوقي من العشّاق قطُّ مبارِ
لا ادّعي كبر الغرام وانّما نسبي اليك لقد افاد فخاري
اصبر اليك على التهتُّك[3] في الهوى ان المحبّ مهتّكُ الاستارِ
لا اشتكي خدرًا[4] برجلي عابثًا ودعايّ باسكِ ليلي ونهاري
أحببتُ ذكركِ والطروبُ مولَعٌ شغفًا بذكرِ مواقع الاوتارِ
فاذا ذكرتكِ في القفار وجدتُ بي ما بالترتيل ثمالةِ الخمّارِ
واذا فحيتُكِ في الدجنّةِ لم اكن إلّا صحيب الكوكب السيّارِ

---

١) الحداة : الرخمة . قيل ان عينها اذا وُضعت تحت رأس النائم فلا ينتبه بحيث لا يعلم (حاشية في الاصل) .

٢) رقيقة الخصر (في الاصل) .

٣) لقد طغا قلمُ الشيخ فسطّر هذا البيت عن دوس . وللشعراء مثل هذا الطرفان في الشعور فيقولون ولا يفعلون .

٤) قيل : اذا خدرت رجل الانسان فدعا باسم أحبّ الناس اليه زال الخدَر (في الاصل) .

واذا لقيتَ بكَ الخليفةَ شافعاً ... أغنى قوامكِ عن قضيب النارِ[1]
يدعو جمالك الى المحبّة غاصباً ... عجباً وتُصغين بالعطّارِ
فكأنّهُ حجرُ الملال وقاب من ... يدنو اليه فتنةُ الحجّارِ
لولا قناعكِ اصبحت مهجُ الورى ... من آل عذرةَ خالعاتِ عذارِ
ما زالتِ صائنةً جمالكِ مثلما ... صان « الامين »[2] ودائعَ الاسرارِ
طلقُ الانامل واللسان وانّما ... بها اختلافُ البذل والادخارِ
لو كان بذلُ بنانهِ بلسانهِ ... ولّت سرائرهُ على الادبارِ
او صان درهمهُ كرمُك لم يجد ... بالبعض منهُ على السؤال لِمارِ
حسن الوفاء وفاؤهُ لسموألٍ[3] ... لولا المذلّةُ في احتمال الثارِ
كالنار بالانوار والاقدار بالاخطار والازهار بالاعطارِ
يلقاك مبتسماً ويبسُ مرّةً ... فتروح بين مواقع الاقدارِ
فكأنّ بلجتَهُ[4] حاجبيهِ مسافةٌ ... طُبعت عليها شفقةُ الاعمارِ
ريّانُ معتقلُ القنا فتعجّبوا ... ما يفعلُ العطّارُ بالعطّارِ
يلقى بساعدهِ الكماةَ وانّما ... يلقى بسيفِ عاتيهِ الكرّارِ
لو كان في ذي قارَ يوماً اذ لمّا ... نادى بنو شيبانَ في ذي قارِ[5]
وهوى المجوسُ رواكعاً لحسامهِ ... أدباً . وقد عبدوهُ شعلةَ نارِ
يبلو محجّلةً حكت بعض الدجى ... أقرن ثمّ خلّفنَ بالاسحارِ
لو نال صاعقةَ الغمام صهيلُها ... لم تستطع فرقاً فراقَ وجارِ[6]
ما شئتُ قبلها جراداً فوقهُ ... أسداً ولا اسداً بلا إظفارِ
يبغي الظبا فيكادُ قبل وصولها ... ينشقُّ مفرقُ هامةِ الجبّارِ
وتكاد تشتعلُ القناةُ بكفّهِ ... لولاهُ يسقيها دمَ الأنفارِ .

---

١) قيل ان الحكماء اليونان اذا دخلوا على الملوك يحملون قضيب النار تفاؤلاً بقضاء غرضهم (في الاصل) .

٢) الحمد لله على التقاء الشيخ بالامير بعد طول المسافة والمسير . ومن عادة الشعراء الاقدمين ان يستهلوا قصائد مدحهم بالغزل والتشبيب .

٣) السموأل : رجلٌ اودع عندهُ امير قيس درعاً ، فما سلّمه لغيره ومات من اجله (في الاصل) .

٤) البلجة : ما بين الحاجبين (في الاصل) .

٥) ذوقار : مكان فيه حرب بين العرب والعجم وكانت النصرة فيه عن يد هاني مسعود الشيبان (في الاصل) .

٦) الوجار : الوكر (في الاصل) .

ابدًا يفرُّ من الفرارِ كأنّما ظنَّ المنونَ تخبّأت بفرارِ

ويخوضُ فرسانَ الوغى فتخالهم فردًا ازاءَ الفيلقِ الجرّارِ

ومتى تفحّصهُ المقدّمُ مقبلًا نادى بصاحبهِ حذارِ حذارِ

ليس المقدّمُ بالجبانِ وانّما بين الرجالِ تفاوتُ المقدارِ

يلقى الوغى فردًا ولكن حولهُ رُسُلُ المنيّةِ فهوَ في أنصارِ

والخيلُ تعثرُ في العجاجِ ضليلةً نظرًا ، فتهديها بروقُ شفارِ

عند النبارِ فلو رماهُ برمحهِ رجلٌ تعلّق في أديمِ غبارِ

وعلا فلولا ان يُظلّلَ فوقهُ هبطت عليهِ طوالعُ الاقمارِ

عجبًا لهُ نحيي وتقتلُ كفّهُ في حالةِ الإيرادِ والإصدارِ

فكأنّما البحرُ العرمرمُ جامعًا للناسِ بين النفعِ والاضرارِ

لو تسأل الاعداءَ عنها انكرت ان لا تكون من القضاءِ الجاري

او تسأل العافي لأنكر قتلها وهيَ الحياةُ ، بصارمٍ بتّارِ

غمرَ العفاةَ نوالهُ فتخالهم سُفُنًا تردّدُ بين موجٍ بحارِ

شكروا مواهبهُ ولو لم يُعطهم شكروهُ خوفًا من هجاءٍ عمارِ

صبُّ الألوفَ يمينهُ وكأنّهُ للأريحيّةِ لم يجد بيسارِ

لو لم يزرهُ القومُ نحو ديارهِ جعل الهباتِ لهم من الزوّارِ

ما زال مستبقَ السؤالِ كأنّما ظنَّ السؤالَ من ارتكابِ العارِ

لولا ارادتهُ عمومَ نوالهِ أعطى خزائنهُ لأوّلِ طارِ

لا بدع في كرمِ الاميرِ فليسهُ بأجلَّ من ادبٍ بهِ ووقارِ

لو شاء انكار المكارمِ والتقى لأتى على التسليمِ بالانكارِ

يا من اذا ما صال قال حسامهُ « حكمُ المنيّةِ في البريّةِ جارِ[1]

واذا اتاهُ المالُ قالت كفّهُ « ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ »

واذا اقتفاك على ارتحالك راكبٌ لم يدرِ هل هو سائرٌ ام سارِ[2]

واذا تُباعُ كريمةٌ او تُشترى فسواك بائعها وانت الشاري

لا يفرد الحسّادِ حلمُك انّما حسدُ المواهبِ آفةُ الارطارِ

ذهبت بهِ قدمًا نحو عيشٍ على جفن الهباتِ بقيّ كلّ فرارِ

انت أبنُ اشرافٍ ولو لم يشرفوا لشرفتَ انت بخلقك المختارِ

---

١) مطلع قصيدة لابن الحسن التهامي يرثي بها ولده .

٢) السائر : الماشي نهارًا . والساري : الماشي ليلًا (في الاصل) .

ولقد يُباري في الفخّار مطاولاً حتى يُقال بنو الشّهاب مبارِ
سبق « البشيرُ » ابوك في سَنن العلى فلحقتَهُ في اول المضمارِ[1]
فلو انتهبتَ على تريلك جالساً سادى « أبا سعدى » فقلتَ بدارِ
او راكباً او ضارباً او خاطباً او كاتباً او راهباً او قارِ
عجباً لسيفٍ في بنانك كيف لا يخضرُ من خصبٍ لها بجوارِ
وعجبتُ يحملك الجوادُ وقد جرى خَبَباً وكفُّك حامل الاقطارِ
لم تُبقِ سهماً في الكنانةِ بعد ما وافيتها لشوائب الاكدارِ
لو لم يقل هذا الامينُ مبشّرٌ ظنّتك يوسف مالك الاحرارِ
جادت عليك ببعضها ولو انّها لك ما بخلت جا على أبنِ مزارِ
وتنايرت حسداً عليك فلو إذن قدرت لضُمَّت كلُّها في دارِ
يا مالك العليا ولو لم تأتها لأتتك ماشيةً على الابصارِ
لم يرضها رجلٌ سواك وهل لها كفٌ نظيرك من بني الأعصارِ
حتى اذا فارقتها لم تستمر كمروس هذبةَ ، مدبة القصّارِ

⁂

هذا مديحك ، بل لأنت مديحهُ يا كعبة الشعراء والأشعارِ
اني نظمت لك القريض وطالما نفحت بنانُك ناظماً بنثارِ
والشعرُ احسن ما تكلّفهُ الفتى للقاء مثلك في عباد الباري
ما زلتَ خيرَ العاملين وخيرَ ما للعاملين رويّةُ الافكارِ

« وقال يرثي[2] » (بـترس بك انطون بـترس)

هل نُبالي بمن تركتَ يتيما ونُبالي بمن تركتَ سقيما
لا وعينيكَ والترابُ عليها بدل الكحل فوقها قد أُقيما
لستَ بالراحل الذي يذكرُ الاهلين او يذكرُ الحمى والرسوما
عندنا فجعةٌ عليك وما نحنُ نبالي ولستَ منا عليما
تكذبُ الريحُ لا نؤدي سلاماً بك منا فنبعثُ التسليما
بيننا أبعدُ البلاد وأدنى القرب م لا حبّذاهُ قرباً ذميما
رحلةٌ لا تعودُ منها ولكن عن قريبٍ تجرُّ منّا المقيما
لو تدومُ الحياةُ قبلاً لحيٍّ لرجونا حياتنا ان تدوما
كلُّ حيٍّ يميتهُ الدهرُ حتى يوشك الدهر ان يميتَ النجوما

---

١) الميدان (في الاصل) .
٢) المخطوط ص ٤٧١ .

لم تدُمْ هذه الحياةُ ولم تبقَ لحيٍّ فحلَّ مرمى الكليما
خلقَ الناسُ بالزمان حديثًا وتلقّاهُ آخرون قديما
ليسَ في الدهر علةٌ لبنانٍ فهو يخفي ويستحثُّ الجسوما
ليلةٌ لا صباحَ فيها وخطبٌ حيلة المرء عندهُ لن تقوما
يُقتلُ المرءُ بيننا ثمَّ لا نطلبُ ثأرًا وقد عرفنا الغريما
جابَ الدهرُ اهلهُ فاذا طا لبَ بالأخذ لا يعدُّ ظلوما
واذا ما أدعى الترابُ علينا انّنا منهُ أوجبَ التسليما
يذكرُ الشيخُ والإمامُ فصولًا ليس تغني المرؤوس والمأموما[1]
علّةُ الموت فوق ذاك ودريا قُها لا ينالُ تلك السموما

○

أيّها الغائبُ الذي غاب في التر بِ رويدًا فقد تركتَ الصميا
لم يغبْ ذلك المحيّا عن العينِ ولكنّهُ اختفى توهيما
انت نصب العيون تخطرُ في النفس فما زلتَ للنفوس نديما
ومن الغائبينَ أدنى الينا من حضورٍ ترى لهم اقنوما
لم يمُتْ ذكرك الجميلُ ولا ما تت سجاياك حين متَّ كريما.
انت تبلى والصبرُ والانسُ واللذّاتُ قد صار كلهنَّ دميما
ويعيشُ البكاءُ والنوحُ والوحشةُ والشوقُ بعدهنَّ عموما
لك في الحيِّ خطرةٌ بعد أخرى كلّما نذكرُ التقى والحُلوما[2]
لو يصحُّ الفداءُ عنك لأقدمتُ وأخرتُ يومك المعلوما
ذلك اليوم كم أذاب قلوبًا نترها العيونُ دمًا سجيما
قد اخذتَ النعيمَ قسمًا كما اختر تَ وخلّفتَ في القلوب الجحيما
سرت عنا بلا وداعٍ فودّعنا المسرّات والتقينا الهموما
عدم الصبرَ عنك شاحبُ عينٍ تستهلُّ الدموعَ دالًّا ومِيما
ليس في قلبه منًى بعد أيا مٍ تقادُ فكيف صار الحطيما

○

أيّها اللوذعيُّ «بطرسُ» الشهمُ العصاميُّ والهمامُ الحكيما[3]

---

1) الشيخ: لقب الرئيس ابن سينا. والإمام: لقب بقراط. والمرؤوس والمأموم: الذي يشكو رأسهُ وأمّ رأسهِ (في الاصل).

2) من الحِلم بالكسر: الاناة، وضدّ الطيش، والعقل. جمع احلام وحُلُوم.

3) ان نصب لفظة «الحكيم» اقواء في اصطلاح الشعراء، وقد يجوز تخريج النصب باضمار لفظة (أنادي او اعني) لا سيما ان المقام مقام منادى، والمنادى مفعول به بالمعنى.

لك من جدّك السميّ لك أسمٌ وصفاتٌ تحكي الجانَ النظيما
عفّةٌ في فكاهةٍ في احتشامٍ في مضاءٍ في حكمةٍ لن تضيما
وسلوكٌ في طاعة الله لا ينفكّ يقفو صراطها المستقيما
عشتَ في الناس راحمًا يا ابن انطون وقد متّ بينهم مرحوما
ما بقي حاجةٌ لدى نفس يعقوب[1] وقد جئت حضن ابراهيما
طالما كنتَ في الفضائل تحتار سيرًا لدى الالهِ قويما
خيرَ سعيٍ سعيتَ فاسمع تاريخي جزاءً فقد بلغتَ النعيما
٢٠١ ١٤٣٢ ١٨٤ ١١

سنة ١٨٢٨

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) في رسالةٍ بعث بها الى المعلم بطرس كرامه »[2] .

شوقٌ اليك بقلبٍ عنك لم يغبِ أليس ذلك في الدنيا من العجبِ
وحبّذا الشوق منسوبًا اليك ولو اذاب قلبي فان الحبَّ بالنسبِ
يشوقني أنكم طيبًا فاذكرهُ فلا تلمني اذا استغرقتُ في الطربِ
وما ذكرتُ لقاءَ الحيّ عن عبثٍ وما طلبتُ لقاءَ الحيّ عن أربِ
قد وحّد الحبَّ حبّيكَ القديمَ بي قلبٌ تكنّيه احشاءي ابا لهبِ
اخشى على الحبّ من نيران صبوتهِ لو لم يكن حبّكم من خالص الذهبِ

لا واخذَ اللهُ اقلامي بان بدلت رؤيا الوجوه برؤيا الخطّ في الكتبِ
وهكذا الدهرُ يا مولايَ عوّدني كلَّ ابتدالِ اذى في كلّ مطّلبِ
يا طالما ضنتْ نفسي عن تعرّضهِ وطالما جدّت الايامُ في الطلبِ
اقولُ ما ليس يرضيني توهّمهُ «وانّ في الخمر معنى ليس في العنبِ»[3]
لا بارك الله في نظم القريض فما حصلتُ منهُ على شيءٍ سوى التعبِ
وكلّما قلتُ يا مولايَ قافيةً سمعتُها ، يا حماك اللهُ ، تضحكُ بي

1) مثل من امثال العرب يُضرب في نوال جمع المطلوب (في الاصل) .

2) المخطوط ص ٣١٢ . نُشر من هذه القصيدة في ديوان الشيخ ، طبعة ميخائيل رحمه ص (ع) اربعة عشر بيتًا فقط . واننا ننقلها عن المخطوط المشار اليه وننشرها بكاملها ، وهي في الديوان المطبوع غفلٌ من اسم بطرس كرامه المهداة اليه . وقد عرّض الشيخ ببعض ابيات هذه القصيدة باغراض لا تخفى عن القارئ .

3) عجز بيت شعر للمتنبي :

وان تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرَها فانّ في الخمر معنًى ليس في العنبِ

وما القريض ومن معنى يُرادُ بهِ ... إلّا انتراضٌ لهُ من غارة الخَببِ
نطفةٌ يبتغيها المرءُ منفردًا ... ويشفيها اذا مرَّت على الصُحُبِ
قد كان لي ، والاماني غصَّةٌ ، طمعٌ ... في جانب النصر او في جانب الصَّلَبِ
حتى تبيَّنتُ في الاوراقِ ضرب يدي ... كضربةٍ فضحت ورقاءَ[1] في العربِ
يا طالما قَلِمتْ عيني بهِ سهرًا ... اجفانَها فجزاها الظلمُ من كَثَبِ
وطالما لزمت كفّي اليراعَ فلم ... تعرف سواهُ ولم تفتن بالقصبِ
نخبةٌ كلَّ يومٍ منهُ يقرأها ... على الاماني رسولُ المكرِ والكذبِ
سمعتُها قبل انشادي نفستُ لها ... فورًا وأنشدتُ واعتادت فلم أجبِ
من يجمع النار فوق الماء في يدهِ ... يكادُ يفرق بين الفقر والادبِ
مطيّةٌ ربّما افضت براكبها ... حتى امتطتهُ ، ولا تسألْ عن السببِ
لولاك واللهِ لم أضربْ لهم وتدًا ... في ربع تيسون لا في ربعهِ الخربِ
وكم تكلّفتُ بيتًا كنتُ أضربهُ ... فرحتُ بين عمودِ البيتِ والطُّنُبِ
انت ابنُ بجدتهِ الراوي غرائبهُ ... ومن سواك غريبُ الدار والنسبِ
تجري اليك بهِ الاقلام ساعيةً ... على الرؤوس وذاك السعيُ لم يجبِ
وما بكائف مثلي نظمهُ وانا ... أهنا نصيبيَ منهُ سورةُ النصبِ

⁂

حسبي اذا قيل اني شاعرٌ صفةً ... وليس حسبي كتابُ الشعر في السغبِ
استغفرُ اللهَ من عصرٍ أضعتُ بهِ ... بعضًا من الجِدّ في بعضٍ من اللعبِ
واللؤلؤُ الرطبُ ان لم يغنِ صاحبهُ ... فأين فرقُ الحصى واللؤلؤ الرطبِ
تكاثف السعد اقوامٌ على سببٍ ... فناهم وأتى قومًا بلا سببِ
وان سهمك لا حظٌّ يلاحظهُ ... ولو رميتَ به البيداء لم تصبِ

⁂

ومُزعجٍ فيَّ طرفًا لا يقلّبهُ ... إلّا على جهةٍ مأنوسة الرِّيَبِ
يا طالما لفظتني عينهُ وانا ... كالكحل يُلفظ من جفنٍ ولم يعبِ
من دونهِ قابُ قوسٍ حين انظرهُ ... مني ودون رضاهُ سبعةُ الشُّهُبِ
يُبغضني ويزورُّ إعراضًا فظلتي ... من شدّة الحلم لا من شدّة الغضبِ
طوى على عثراتي كشحَ متّهمٍ ... وليتنا لو تواقفنا على عتبِ
وما بعينيهِ وهنٌ حين ابصرني ... لكنَّ وجهي من البأساء في نُقَبِ[2]

---

١) ورقاء : رجلٌ عبسي ، ضرب قاتل ابيهِ بالسيف ولم يعمل شيئًا ، فسار مثلًا (في الاصل) .

٢) جمع نقاب .

من لي وإيّاك اعني بأمنٍ منحبةٍ ... يقول ابن الهنا من موضع النُقَبِ[1]
رسالةٌ انت اولى من عرفت بها ... وانت بالامر اولى من اخٍ وابِ
وان نسبةَ قلبٍ بيننا جمت ... ادنى لنا صلةً من نسبة العصبِ

٥

كرامةٌ منك بين القوم نعرفها ... منقولةً عنكَ عن آبائك النُجُبِ
«وقلّما ابصرت عيناك من رجلٍ ... إلّا ومعناهُ في اسمٍ لـهُ لقبِ»
وانت امرءٌ من لبى واصدقُ من ... وفى وخيرُ امرء للخير مُنتدَبِ
متى اخذتُ عليك العهد واحدةً ... فان ثانيةَ العهدين لم تجبِ

«وله في الشيخ امين الدحداح[2]»

لعينك ما بقلبي من شجونٍ ... فيا عجب الحريق من العيونِ
ومنك صبابتي وعليَّ منها ... تحمّلها وليتك بالمعينِ
عرفتُ هواك منذ عرفتُ نفسي ... فعهدي بالجنون من الجنينِ
وأعجبُ انني أقوى ويقوى ... وينمو كلّما ذبلت غصوني
اليك اليك اشكو غير اني ... أُعيذك من جرا الحقّ المبينِ
وما الشكوى اليك وانت خصمٌ ... وما في الشوقِ يا أُمي أرحميني
ولكنّي ألذّ بذكر وجدي ... واشتقُّ الظنون من اليقينِ
وأحجنُ منهُ صافيةً وان لم ... يكن بين الصفاء الى الحجونِ
يهيجُ مدامعي شوقي فاني ... أصبُّ القلب او صبُّ الجفونِ
وأصفو كلما كدرت كأني ... امينُ الطبع او طبعُ «الامينِ»
همامٍ فاضلٍ برٍّ أنوفٍ ... إمامٍ كاملٍ حرٍّ رصينِ
تعالى الله ما احلاهُ وردًا ... وأعاقَ راحتيهِ بالفنونِ
توشّح بالمكارم فهي ثوبٌ ... ولكن لا يرثُ الى المنونِ
اذا مرّت بشأليهِ خفافًا ... تناولها ثقالًا باليمينِ
يعدُّ المطل في الاحسانِ عيبًا ... وقد حسب الحياتِ من الديونِ
وبين بنانهِ قلمٌ قصيرٌ ... لهُ فضلٌ طويلٌ في الشؤونِ
اذا ما خطّ في القرطاس خطًّا ... أرانا الملكَ فوق الياسمينِ
وفي نظم القريض لـهُ قروطٌ ... تُعلَّقُ بالنهى لا بالجبينِ
يكادُ يسيلُ من لطفٍ ولكن ... قواعدهُ على الوجهِ المتينِ

(للمقال صلة)

١) الجرَب .
٢) المخطوط ص ٤١٧ .

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

ابتداء دولة المغول وهم التتر

ان وطن التتر الاوّل قبل تبسّطهم في هذه البلاد الخارجية كان وادياً او بقعةً فسيحةً شرقي شمالي المعمور مساحتها مسير ثمانية شهور طولاً وعرضاً. وبقعتهم هذه يحدّها شرقاً وطن الكتيّين الصينيين اعني الخطا . وغرباً وطن اليغوريّين الاتراك . وشمالاً ارض تدعى سلنجاي. وجنوباً الهند . وقبل ظهور جنكزخان اول ملوكهم لم يكن لهم زعيم بل كانوا يؤدون الجزية لملك الكتيّين اعني الصينيّين . وكانوا يلبسون جلود الكلاب والذئاب ويأكلون (٤٠٩) الفيران وسائر الحيوانات الكريهة الميتة . ويشربون حليب الافراس . وعلامة زعيمهم الفارقة أنّ ركاب فرسه يكون من حديد وركاب البقية من خشب .

وفي هذه السنة وهي السنة ١٥١٤ لليونان (١٢٠٣ م) و٥٩٩ للعرب كان أونك خان اعني يوحنا الملك المسيحي متوليّاً شؤون قبيلةٍ من قبائل الهونيّين البرابرة يقال لها كريت . وكان جنكزخان ناهضاً بخدمته دائماً فلمّا اطلع اونك خان على نباهته وذكائه ونجاحه المتواصل حسده وحاول ان يقبض عليه ويفتك به . فشعر صبيّان من صبيان اونك خان بالدسيسة وأخبرا جنكزخان . وهذا بدوره أخبر أصحابه فتركوا خيامهم ليلاً واختفوا في مكمن . وعند الصباح تفقد اونك خان الخيام فلم يرَ بها احداً . وانقضّ عليه اذ ذاك اصحاب جنكزخان واصطدم الفريقان بجانب معين يقال له بالشريه . وانتصر فريق جنكزخان وانكسر فريق اونك خان . وتناوش الفريقان غير مرّة حتى هلك فريق اونك خان وقتل هو كذلك وسبيت نساؤه وابناؤه وبناته . امّا ذانك الصبيّان فقد شرّفهما جنكزخان ووضع لهما ناموس حريّة بانهما في اي معركة حضرا هما وأبناؤهما من بعدهما جيلاً بعد جيل فلا يؤخذ منهم أحد .

ولهم ان يدخلوا دُور الملوك دون استئذان . واذا اقترفوا ذنباً فلا يُعاقبوا. ثم كافأ سائر الذين رافقوه في تلك المعركة وجعلهم زعماء . وكان في جملتهم بعض المغول المشهورين باسم اويرتيين وقد أبدوا بطولةً اكثر من غيرهم وجاهدوا خير جهاد وبالغ جنكزخان في تشريفهم ووضع شريعةً تفرض (٤١٠) على كلّ ابناء الملوك المتحدّرين من سلالته ان يتخذوا العرائس من بناتهم . وان يتخذوا هم كذلك العرائسَ لبنيهم من بنات الملوك . وجرت تلك الشريعة بينهم حتى يومنا هذا .

اما الملك يوحنا الكريتيّ فلم يرذله الله تعالى الّا بعد ان زاغ قلبه عن محبة المسيح مولاه الذي رفع مقامه. فقد اقترن بامرأة اسمها قراخطا من القبائل الصينية. وهجر دين آبائه وعبد الآلهة الغريبة . ولهذا انتزع الله جلّت احكامه المُلك من يده وأعطاه لمن هو أفضل وأعدل منه .

وظهر آنئذٍ بين التتر رجل يطوف الجبال والتلال عرياناً وسط الشتاء في البرد والزمهرير القاسي في تلك البلاد ويغيب اياماً ثم يأتي ويقول : اني زرتُ الله سبحانه وكلّمني وقال : ان الارض باسرها قد اعطيتها لتموجين واولاده وسمّيته جنكزخان . وكان اسمه القديم تموركين وسمّاه التتر تُبُت تنكري.

ابناء جنكزخان

وَلد جنكزخان بنين وبنات كثيرين . اشهرهم واعظمهم اربعة هم الذين ولدتهم الملكة الكبيرة واسمها ياسونشين باجي. اولهم توشي . ثانيهم جغاتايَ. ثالثهم اوكتاي . رابعهم تولي . فولّى توشي امر الصيد والطرد وهو احبّ الامور واكرمها لديهم . وولّى جغاتاي أمر الشرع وهم يدعونه ألياسه . وولّى اوكتاي سياسة المملكة . وولّى تولي الصغير أمر الجيوش والقواد . وعيّن لكلٍ من الاربعة بلداً خصوصياً يقيم فيه . اما اخوه (٤١١) اوتكين تومان فانام مع ابناء عمه وانسبائه في بلاد الخطا .

الشرائع التي وضعها جنكزخان

لم يكن للمغول كتاب وكتابة فامر جنكزخان العلماء الايغوريّين فلقّنوا

ابناء التتر لتتهم . وصاروا يكتبون اللغة المغولية بحروف ايغورية كما يكتب الاقباط لتتهم بحروف يونانيـة والعجم بحروف عربية . ثم أمر ان تُكتب الشرائع التالية :

الاول : اذا ارادوا ان يكتبوا الى الخوارج او يرسلوا اليهم سفيرًا فلا يهددونهم بكثرة جيشهم وعددهم بل يكتفوا ان يقولوا لهم : ان اطعتمونا فزتم بالخير والراحة وان خالفتمونا فـلا نعلم نحن بل الله الازليّ يعلم ما يحلّ بكم. وفي ذلك يبدو اتكالهم على الرب وهذا ما جعلهم يغلبون وينتصرون.

الثاني: ان يعتبروا ويحترموا الاعفّاء والأطهار والابرار والاساتذة والحكماء من ايّ امّة كانوا . وان يمقتوا الاشرار والاثمة . وبما انهم شاهدوا العفاف وتلك المزايا في المسيحيين اكثر من غيرهم فقد احبوهم في بدء دولتهم مدة وجيزة ثم انقلبت محبتهم بغضاً حتى أصبحوا لا يرضون ان يلحظوهم بعيونهم ثم أسلموا قاطبةً ربوات في ربوات من مختلف الامم .

الثالث : ان لا يلقبوا ملوكهم واقطابهم القابا كثيرة حافـلة بالتقريظ والتبجيل على مثال سائر الامم ولاسيما المسلمين . وان يكتفوا لمن يستوي على عرش المملكة بلقبٍ واحدٍ فقط وهو خان او قان . اما اخوة الملك وانسباؤه فيجب ان يسموه باسمه الاول يوم ميلاده .

الرابع : عندما يكونون في طمأنينة من قتال الاعـداء يجب ان يلتهوا بالقنص ويدرّبوا ابنـاءهم في قنص الحيوانات كي يصبحوا محنّكين في الحرب ويحرزوا القوّة والصبر على الضيم . واذا بارزوا اعداءهم وجب ان يبارزوهم مبارزة الوحوش دون هوادة .

الخامس : يجب ان يتولى رئيسٌ واحد على عشرةٍ من المحاربين ممن بلغوا العشرين من سنيهم فصاعدًا . ويتولى كذلك رئيس على المائة ورئيس على الالف ورئيس على الربوة

السادس : يلزم كلَّ الشعب (٤١٢) المغولي ان يساعـد الملك كل سنة بماله وثروته من خيل وغنم ولبنٍ حتى الصوف .

السابع : يجب ان يظـلّ العسكري في صفة سواء اكانَ من الالف ام من المائة ام من العشرة ولا ينتقل الى مكان آخر والّا قتل هو والذي يقبله .

الثامن : يجب ان يُفرز من كل ربوتين من الخيل مركوبٌ للسفراء يقف على ناحية الطريق .

التاسع : لا يؤخذ شيء للملك من تركة من يموت دون عقب . بل يجب ان تبقى تركته وامرأته لمن كان يخدمه .

وللمغول شرائع اخرى كثيرة ضربنا الصفح عنها حذرًا من الاسهاب وقد اوردنا منها برضاً من عِدٍّ .

كيف انضمّ المغول الى عبادة الاوثان

لم يكن للمغول في اول الامر كتـابٌ ولا دين خصوصيّ لكنهم عرفوا الاهاً واحدًا خالق الكلّ . وكان بعضهم يسمّون السماء الاهاً ويعتقدون هكذا حتى تغلبوا على الاتراك الايغوريّين وصادفوا بينهم سَحَرةً يقال لهم قاميون . وسمعنا الكثيرين منهم يشهدون ويقولون : اننا سمعنا اصوات الابالسة تكلمهم من نوافذ الخيام . ذلك بعد ما يتنجسون من رجالٍ آخرين لان اغلبهم خناثى . وتبلغ قذارتهم الى حـد انهم اذا راموا عمل شيء من سحرهم اغتصبوا كل من صادفوه واضطرّوه ان ينجّسهم . فلمّا شاهدهم المغول على تلـك الصورة مالوا اليهم بقلبٍ سليم .

وبعد هذا بلغ جنكزخان ان للصينيّين اعني الخُطا اصناماً واحبارًا حكماء فارسل اليهم وفودًا وطلب منهم احبارا ووَعد انه يعاملهم اكرم معاملة . ولما وصلوا اليه امر ان يعقدوا جلسة مع القاميّين للمناظرة والجدال في قضية الدين . فتكلم الاحبار واوردوا شيئاً من كتابهم الذي يسمّونه «نوما» وتغلّبوا على خصومهم وأفحموهم وهم خالون من كل علمٍ . ومن ثم ازداد اعتبار الاحبار لدى المغول فامتثلوا امرهم (٤١٣) واستنبطوا لهم اصناماً وسبكوا لهم تماثيل على شاكلة بلادهم وجعلوا يقرّبون الذبائح والضحايا كعادتهم . وعلى اكرامهم للاحبار لم يحتقروا خصومهم القاميّين وغدا الحزبان مـا بينهم يتفرّد كل حزب بعمله لا يحتقر احدهم صاحبه . ذلك خلافاً للامم اصحاب الكتب والانبياء . فانهم كلما اجتمعوا ثلبَ احدهم صاحبه وحكم بانه كافر .

وفي كتاب الاحبار المذكور نُبَذٌ من أمثال الوثنيين ممّا اورد بعضه التديس

غريغوريوس اللاهوتي وبينها شرائع حسنة : كالنهي عن الغدر والاذى وعن مقابلة السوء بالسوء وعن قتل الحيوان الصغير كالقمل والبق . وهم يعتقدون عقيدة افلاطون بتناسخ الارواح . وان الابرار والصديقين الصالحين تنتقل بعد موتهم ارواحهم الى اجساد الملوك والزعماء . وتنتقل ارواح الاشرار والائمة الى اجساد مقترفي الشرور فتعذبها وتنكل بها . وقس عليها اجسام العجماوات والدبابات والطيور . واذا أحضر احدٌ لاولئك الاحبار لحماً ليأكلوا سألوه : هل قتلتَ هذا الحيوان لاجلنا ام اشتريته من السوق ؟ فاذا قال لاجلكم أبَوا اكلهُ .

ما الذي دفع المغول ليحاربوا بلاد العجم وغيرها من بلاد الغرب ؟

لم يكن للمغول حضارةٌ فاحتاجوا الى استحضار ألبسة وفرش من سائر المدن . وكتب جنكزخان الى التجار يؤمّنهم كي يحضروا الى بلاده وامر حرّاس الطرق اعني القرقوشيين ان لا يتصدّوا لاحد منهم . فأقبل ثلاثة رجال من بخارى في ثياب واقمشةٍ ممتازة وبضائع مختلفة عرفوا ان المغول في حاجةٍ اليها ووصلوا الى المعسكر الكبير . فأمر جنكزخان اصحابه فأشرفوا على تلك البضائع (٤١٤) وسألوا عن قيمتها . فطلب احد احد اولئك التجّار الثلاثة الفين ومائة درهم فضةً بما قيمته عشرة دنانير . فسخط جنكزخان وقال : هل يظنّ هذا الانسان اننا لم نشاهد بضاعةً البتة ؟ ثم اشار الى القهارمة فأحضروا بضائع مذهبة كثيرة وعرضوها على اولئك التجّار . ثم أمر باعتقال ذلك التاجر وكتابة كلّ ما معه . ثم احضروا التاجرَين الآخرين واطّلعوا على بضائعهما وسألوا عن قيمتها فلم يذكراها لهم لكنّهما قالا : انا جئنا بهذه البضائع كرامةً للخان فاذا احبّ ان يتكرّم علينا بشيء فهو يعرف . فأعجب الخانَ كلامهما وأمر ان يدفعوا لهما بدلاً من كل آنيةٍ مذهبة سبعمائة مثقال . وبدلاً من كل قطعتي قماش قطن سبعمائة مثقال فضة . ثم اشفق على التاجر الثالث ودفع له مثلما دفع لرفيقيه .

ثم اصدر السلطان امره الى الملكات والى ابنائه وبناته ليدفعوا ذهباً لعبيدهم ويرسلوهم مع اولئك التجّار الثلاثة ليأتوهم ببضائع . فامتثلوا الامر

واجتمع زهاء اربعمائة تاجر وأرسل معهم سفيرًا الى محمّد سلطان العجم يقول : قد أوصينا ان يسود الامان دولَ الارض كلَّها منذ الآن فصاعدًا . وان يغدو التجّار ويروحوا دون خطر ليعيش الاغنياء والمساكين في السلام ويشكروا الله تعالى . ولمّا ارتحل السفير والتجّار ووصلوا الى مدينة اوترار بالعجم أرسل ايناشاوق الوالي فاخبر السلطان فطمع السلطان بما معهم وأمره ان يقضي عليهم كافةً خفيةً . فنهض الوالي بما أمر وأفلت واحدٌ منهم باشارة الهية وعاد فاخبر جنكزخان بما جرى . فاستشاط غضبًا وقصد وحده قمة الجبل وكشف رأسه ولصق وجهه بالتراب واقام هناك ثلاثة ايّام طاويًا (٤١٥) يحدّق في السماء ويقول : ايّها الربّ الخالق الاكوان انت تعلم ان غايتي انما هي للخير . وهذا عدوّي هو الذي بدأ يريد الشرّ . فأتوسّل اليك ان تجازيه حسب اعماله . ومذ ذاك جعل جنكزخان يوجّه الجنود الى بلاد العجم ليحاربوها بفم السيف كما سنذكر ذلك .

انتزاع الفرنج قسطنطينية من اليونان .

في نيسان السنة ٦٠٠ للعرب و ١٥١٥ لليونان (١٢٠٤م) انتزع الفرنج قسطنطينية من اليونان وألغوا دولتهم منها . وكان ملك اليونان قد اقترن باخت الملك فرنسيس وولدت له ابنًا . وكان لملك اليونان اخ خرج عليه وفقأ عينيه وأماته في السجن . فانهزم ابن القتيل يريد خاله الملك فرنسيس فحملته النخوة وحشد الجنود واقبل الى قسطنطينية وحاصرها . وكان الاهالي حاقدين على الطاغية قاتل اخيه فاضرموا المدينة بالنار والتهى المحاربون على الاسوار فتسلّق الفرنج وهبطوا المدينة وهزموا الطاغية . وقلّدوا ذلك الفتى عرش المملكة بالاسم والصورة وتولّوا هم الامر . وجعلوا يضايقون الاهالي بالضرائب الباهظة . وابتزّوا امتعة الكنائس والصلبان وصفائح الاناجيل وما على الصُوَر من ذهبٍ وفضّةٍ .

ولمّا شاهد الاهالي تلك القساوة وذلك النهب وثبوا الى الفتى ابن الملك وفتكوا به واخرجوا الفرنج من المدينة واغلقوا الابواب في وجوههم . وظلّ الفرنج يتراسلون في الحرب خارجًا حتى كلّ الاهالي وخارت قواهم وأرسلوا

يستغيثون بالسلطان ركن الدين صاحب قونية ولكنه لم يتمكن من مساعدتهم وعند ذلك ثار التجار الفرنج القاطنون المدينة وهم (٤١٦) زهاء ثلاثين الفاً لم يدر احد بعددهم هذا الغفير نظراً الى اتساع العاصمة واضرموا النيران في المدينة ثانيةً حتى التهمت ربعها تقريباً . ثم فتحوا الابواب للفرنج فدخلوا واستشقوا السيوف وقتلوا من اليونان جماهير غفيرة . ولاذ الكثيرون منهم بكنيسة اجيا صوفيا فسار اليهم الفرنج وخرج اليهم البطريرك والاساقفة والقسّان حاملين الصلبان والاناجيل وخرّوا امامهم صارخين مبتهلين في شأن البقية التي في الكنيسة فلم يكترث لهم الفرنج بل اجهزوا عليهم وعلى الكهنة وانتهبوا الكنيسة .

وكان يتولى قيادة الفرنج ثلاثة زعماء : اولهم دوقس البنادقة وهو شيخ ضرير وفي سفنه ومراكبه ركبوا . ثانيهم المركيس مقدّم الافرنسيس وثالثهم غوندفلند . واقترعوا على مَن يملك قسطنطينية فخرجت القرعة للثالث . وتولى البنادقة جزيرتَي اقريطش ورودس وغيرهما من الجزائر . وتولى المركيس البلاد التي هي شرقي الخليج الذي يمرّ في البنطس كاللاذقية ونيقيّة وفيلدلفية وغيرها . ولكنّها لم تدم له لان لشكري البطريق اليوناني تغلّب عليها وانتزعها منه .

وكان نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وابن عمه قطب الدين محمد ابن زنكي صاحب سنجار على ولاء تام . لكنّ الملك العادل القى بينهما الخلاف . ومن ثم زحف نور الدين الى نصيبين وهي لابن عمه وحاربها وكاد يحتلّها لو لم يأتهِ الخبر من الموصل بان مظفّر الدين كوكبري ابن زين الدين علي كوجك صاحب اربيل زحف الى نينوى وسباها واحرق غلاتها . بناء عليه ترك نور الدين (٤١٧) نصيبين وسار الى مدينة بَلَد فسمع ان مظفّر الدين عاد الى اربيل فسار هو الى تلّ عفر واخذها عنوةً . وكان الملك الاشرف بن العادل في حرّان يومئذٍ فاقبل الى راس العين واتّفق مع مظفّر الدين صاحب اربيل ومع صاحب آمد وحصن كيفا ومع صاحب الجزيرة وصاحب دارا ليمنعوا صاحب الموصل عن اخذ شيء من صاحب سنجار . واحتشدوا جميعاً في نصيبين ثم ساروا الى باعربايا . وسار نور الدين الى كفر زمّار ومنها الى بوشنّه وحلّ هناك هو وعسكره ليستجمعوا قواهم . فركب الاشرف ومن معه ونازلوا نور الدين فانكسر جيش نور الدين اقبح انكسار وأفلت مع اربعة من رجاله

فقط الى الموصل . وزحف خصومه الى ضواحيها وسبوا واحرقوا وعاثوا خصوصا في مدينة بَلَد .

قيل ان امرأة كانت تطبخ طعاماً سمعت مـا جرى من السبي فاخرجت دملجين من معصميا وطمرتها في النار وانهزمت . فاقبل احد الفرسان الى بيتها يبحث عن شيء يأكله فلم يظفر الا ببيضة واحدة فاخذها وقعد النار ليشويها وفيما كان يقلب النار عثر على ذينك الدملجين . تلك مصادفة غريبة .

واقام خصوم نور الدين اياماً كثيرة يعيشون في الضواحي والرسل يغدون ويروحون حتى استرجعوا تل عفر واعطوها لابن عمه وعقدوا الصلح وتفرّقت العساكر .

وبعد ما احتلّ الفرنج قسطنطينية استجمعوا قواهم واقبلوا الى فونيقية وسبوا حتى الاردن واجهزوا على كثير من العرب ووصلوا الى حماة فخرج اليهم ناصر الدين بن تقيّ الدين بن شاهنشاه بن ايوب فانكسر اقبح انكسار وانقلب الى حماة . وخرج الحمويون ليبارزوا الفرنج فهلكوا قاطبة . فارسل الملك العادل وأعطى الفرنج الناصرة وسائر البلاد التي كانت غلّاتها تقسم بين الفرنج والعرب وعُقدت (٤١٨) الهدنة .

وما عتم ان خرج اقوام آخرون من الفرنج واقبلوا الى مصر وغنموا غنيمة وافرة وعادوا .

وفي تلك السنة انتزع السلطان ركن الدين صاحب ملطية وقونية مدينة انقرة من اخيه بعد ما حاصرها اعواماً لانها كانت حصينة جداً . وأخرج منها اخاه وابنيه واعطاهم قلعةً في الحدود الجارجية . وفيما كانوا ذاهبين وجّه اليهم اخاه ركن الدين واصحابه بشكل لصوص وفتكوا بهم . ولم يمض على قتلهم خمسة ايام حتى أصيب بداء المفاصل ومات حالاً . وخلفه ابنه قلج ارسلان وهو في سنّ الفتوة . وكان ركن الدين داهيةً منتظماً في اعماله ميّالًا الى رأي الفلاسفة الخوارج لا يتظاهر بذلك .

وفي تلك السنة حدثت زلزلة مريعة قوّضت سور صور وابنية كثيرة في مصر وفلسطين وما بين النهرين والموصل وقبرس وصقلية .

وفي السنة ٦٠١ للعرب (١٢٠٤) نشأ خلاف بين الزعماء في بلاد الروم .

وارسل اميرٌ من امراء اوج ببلاد التركان الملاصقة لبلاد اليونان فطلب غياث الدين كيكسرو الذي كان قد هرب ولاذ باليونان . وحشد جيوشاً جرّارة زحف بها الى قونية . فخرج عساكرها وكسروا المهاجمين وهزموهم . امّا غياث الدين فحار في ما يصنع والى اين يذهب فلاذ بمدينة صغيرة مجاورة لقونية تدعى انجرام . ولمّا شعر اهالي أقسرا اشفقوا عليه وطردوا حاكمهم ونادوا باسم غياث الدين وضارعهم اهالي قونية فاجتمعوا بزعمائهم ونادوا باسمه وبعثوا فاستحضروه اليهم . فالقى القبض على قلج ارسلان الفتى ابن اخيه وسجنه هو واصحابه وما عتم ان خضع له (٤١٩) اهالي البلاد اجمع . وجاء اليه اخوه قيصرشاه من الرها وكان قد هرب من وجه اخيه ركن الدين عندما انتزع منه ملطية فاعطاه ذهباً وافراً واعاده الى الرها ولم يرضَ ان يبقى لديه .

وسار السلطان غياث الدين الى قيسارية وزاره الملك الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط ونظام الدين صاحب حصن زياد وأبديا له الخضوع فعظم اسمه جداً .

وفي تلك السنة سار ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا ارسلان صاحب آمد يريد الاشرف بن العادل وسأله ان يتوجه معه ويميد اليه حصن زياد مثلما وعده . فحشد الاشرف جنود سورية والموصل وسنجار والجزيرة وزحف الى تلك المدينة واحتلها وجعل الفريقان يحاربان في القلعة . واذ ذاك وجّه صاحب حصن زياد الى السلطان غياث الدين ليستنجده فسيّر اليه ستة آلاف فارس بقيادة الملك الافضل صاحب سميساط . وببلوغهم الى ملطية سمع الاشرف وصاحب آمد فانحرفا نحو خرت برت (حصن زياد) وسارا الى بحيرة سمانين وفيها قلعتان احداهما لصاحب آمد والثانية لصاحب حصن زياد وصوّبوا القتال نحو قلعة حصن زياد وامتلكاها واقاما فيها حراساً . ولما وصل السلطان الى خرت برت ارتحل صاحب آمد الى بلده ورجع جيش السلطان الى بلاد الروم .

وفي السنة ٥١٦ لليونان (١٢٠٥ م) زحف الكرج الى اذربيجان وقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا غنائم وافرة . ثم توجهوا الى خلاط وارضروم . فتوجه صاحب خلاط يريد ابن قلج ارسلان صاحب ارضروم واخذ من عنده جيشاً وعاد فبارز الكرج وقُتل في الحرب زكي الصغير القائد الكرجي وانهزم

الكرجيون الى بلادهم .

وفي تلك السنة ولدت امرأة ولدًا ذا (٤٢٠) رأسين واربع ارجل واربع أيدٍ ومات في يومه . ودخل اعميان عريان ليلًا احد مساجد بغداد وقتلا أعمى آخر يظنان انهما يجدان معه دراهم . ولما كان الصباح خافا وخرجا ليفرّا الى الموصل ولقيهما جنديّ ذاهبٌ في امرٍ من الامور فقال على سبيل المزاح ان هذين الاعميين قد قتلا ذلك الاعمى . لانه لا يقتل الاعمى غير الاعمى . ولما سمعا كلمة الجنديّ جلس احد الاعميين على الارض وقال : اقسم بالله لست انا الذي قتله بل هذا . فقال الثاني : كلّا بل انت قتلته . فقبض عليهما معًا وسيقا الى الحاكم فأقرّا ان الواحد أمسكه والثاني خنقه بالحبل فامر الحاكم ان يُقتَلا.

وفي السنة ٦٠٢ للعرب (١٢٠٥ م) ظهر جنسٌ من الاكراد التيرهانيّة انحدروا من جبال حاداي واحدثوا خرابًا عظيمًا في تلك الانحاء . فزحف اليهم جيش العجم وقتل بعدد غفير منهم . على ان هؤلاء الاكراد لم يدينوا بدين الاسلام بل استمرّوا في عبادتهم الوثنية المجوسيّة القديمة . وكانوا اذا وقع بين يديهم مسلمٌ نكّلوا به اشدّ التنكيل وقتلوه . ومن عاداتهم انه اذا وُلدت لاحدهم ابنةٌ وقف على باب بيته وصاح قائلًا : مَن يخطب هذه البنت ؟ فاذا قرر احدٌ خطبتها تركها حية والّا قتلها . ولهذا السببُ نساؤهم قلائل وقد تكون المرأة لجميع رجال البيت الواحد . واذا غشيها الواحد منهم ترك حذاءه على الباب لئلا يدخل احدٌ غيره ربما يخرج هو فيدخل الثاني . اما الولد الذي يتّلد فيكون الكبير فيهم أباهُ .

وفي السنة ٦٠٣ للعرب (١٢٠٦ م) زحف الكرج ثانيةً الى بلد خلاط ونهبوا واحرقوا وقتلوا وانقلبوا . واحتلّ غياث الدين كيكسرو في شهر شعبان انطاكية وهي على ساحل البحر . وكان قد وجه اليها الجيوش في السنة الماضية وبعث اهاليها اليونان الى قبرص القريبة منهم يستنجدون الفرنج (٤٢١) . اما السلطان فاستدعى جيوشه من المدينة واقامهم كمنًا في الجبال فكانوا كلما خرج منها احد قبضوا عليه . وظلّوا متقلّبين في الضيق حتى ارسلوا الى السلطان وسلّموه المدينة . واتّفق الاتراك واليونان وحاربوا الفرنج وانتزع السلطان قلعتها واستأسر من فيها من الفرنج واحتلّ كوتلس كذلك .

وفي هذه السنة استفحل امر محمد بن بكتمر سلطان خلاط فقتك بجمهره هزار ديناري قاتل ابيه وقــد تقلّب في عيش بذخ منذ نعومة اظفاره فابغضه الخلاطيون . وانتفض عليه بلبان احد عبيد شاه ارمن في منـازكرد وارسل بعض الخلاطيين الى ناصر الدين ارتق بن ايلغـازي بن ألبي بن تيمورطاش بن ايلغازي بن ارتق صاحب مـاردين يقولون : ان هذا ابن خال ابيك ليس له رأس ليعيش فهلمّ نسلمك المدينة . فزحف صاحب مـاردين في جيوش اتراك ومعدنيين وهم جياع وتهيّأوا للحرب . غير ان بلبان ارسل الى صاحب ماردين يقول : ان الخلاطيين ينفرون من المعدّيين الذين معك فالأولى ان تترك خلاط وانا ادبّر امرك . غير انه لم يرضَ فارسل اليه بلبان يتهـدّده ألم يرجع الى بلده . واخيرًا لما رأى ان جيوشه قليلة خاف وعاد وشاهد بلده قد غزاه الملك الاشرف . وقد اقام الاشرف في دُنيسر وجمع منها اموالًا كثيرة وتركهـا وعاد الى حرّان .

اما بلبان فحشد الجنود وزحف الى خلاط ولم يتيسر له احتلالها حربًا . وجعل يعد الخلاطيّين وعودًا طيبة وأقسم لهم ايمانًا مغلّظة بانه لن يؤذي احدًا البتة فسلّموه . ولما دخل المدينة اوثق ابن بكتمر وسجنه في احـد الحصون وقوي أمره . وفي تلك الغضون سار الملك الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل واحتل قلعة (٤٢٢) موش ومدينتها وتوجه الى خلاط . فاغلق بلبـان الثغور وفتك بكثيرين من اصحابه وافلت نجم الدين مع قليل من المصابين بالضربات ووصل الى ميافرقين بلده .

وفي تلك السنة احتلّ الكرج مدينة القَرص بولاية خلاط بعدما حاصروها اعوامًا كثيرة وقطعوا عنها الذخيرة . وفي هذه الســنة ٦٠٤ للعرب (١٢٠٧ م) ارسل الملك الاوحد الى ابيه الملك العادل يستنجده ليزحف الى خلاط . فسيّر اليه الملك الاشرف في جيش كثيف وحطوا الرحال قرب المدينـة فبرز اليهم بلبان ولكنه عجز عن مناهضتهم وانهزم من امامهم وعاد الى خلاط وارسل سفيرًا الى مغيث الدين بن قلج ارسلان صاحب ارضروم يستنجده . فاقبـل هو بذاته وخرج بلبان الى لقائه ونازلا كلاهما الملك الاوحد واخاه وحطماهما وهزماهما. وواصلا الزحف الى موش وكادا يحتلانها لو لم يغدر ابن قلج ارسلان

بيلبان ويقتله ليتولى هو خلاط . لكنه لما توجه اليها سدّ الاهالي الابواب في وجهه فانقلب الى منازكرد فقاومه اهاليها كذلك فعاد الى بلده مأيوسا . ثم ارسل الخلاطيون فاستدعوا الملك الاوحد وولوه المدينة .

غير ان الولاة العرب المجاورين لم يُرِقهم ابن العادل اذ كانوا يتخوفون من ابيه . فجعلوا يغزون الخلاطيين ولاسيما الكرج . ثم انتقض بعض الامراء الخلاطيين على الاوحد واحتلوا قلعة وان وهي من احصن القلاع في تلك الانحاء . واحتلوا معها ارغيش . ولم يتمكن الاوحد من استرجاع وان الا بعد مضايق كثيرة وتوسّط الاشرف اخيه . وقد استاء الخلاطيون بتسليم المدينة الى اصحاب العادل . ولهذا لمّا خرج الاوحد الى منازكرد لينظمها (٤٢٣) كما يجب وثب الخلاطيون زعماء الصفوف اعني المنجدابكير بلسانهم الى احزاب الاوحد وطردوهم من المدينة وحاصروا القلعة . فسمع الاوحد وزحف الى خلاط في جيوش ما بين النهرين . ووقع اذ ذاك خلاف بين الاهالي فاحتل الاوحد المدينة وفتك بجماهير غفيرة من الخلاطيين واعتقل الكثيرين ورحلهم الى ميافرقين . هكذا خمدت فورة الشبان زعماء الصفوف الذين كانوا ينصبون ويعزلون من شاؤوا .

وفي تلك السنة مات غياث الدين كيخسرو وخلفه ابنه عزّ الدين كيكاوس . فقبض على اخيه علاء الدين كيقباد واعتقله في قلعة مسارا التي باسفل دير مار اهرون بالجبل المبارك قرب ملاطية .

وفي السنة عينها زحف الفرنج من طرابلس الى حمص وعاثوا في ضواحيها وتعذّر على صاحبها اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه الكبير ان يدحرهم . واستولى القبرصيون كذلك على سفن عربية شتى واعتقلوا اصحابها . فسمع العادل وغادر مصر في جيوشه فكفّ الفرنج .

وفي تلك السنة مات كذلك علاء الدين بن قرا سنقور صاحب مراغة وخلفه ابنه الصغير وما عتم ان مات هو كذلك . فاقبل نصرة الدين ابو بكر ابن البهلوان صاحب تبريز واحتلّ المدينة وضمّها سوى قلعة راوند فقد قاومه فيها الحاجب مربّي الفتى المتوفى .

وفي السنة ٦٠٥ للعرب (١٢٠٨ م) زحف جيش ضخم من الكرج الى

ضواحي خلاط ودخلوا مدينة ارغيش واحتلوها وانتهبوها وفتكوا بشيوخها وشبانها واعتقلوا النساء والبنين والبنات وقوّضوها وتركوها قاعاً صفصفاً . وكان نجم الدين الاوحد في خلاط ولم يتمكن من مبارزتهم لكثرة عددهم فضلاً عن انه لم يكن واثقاً بالاهالي وقد سبق ففتك بالجماهير منهم . واعتقد انه ان غادر المدينة تمرّد اهلها وسلموها الى الكرج .

وحدث في تلك السنة زلزال قويّ (٤٢٤) في نيسابور اضطرّ الاهالي بسببه ان يغادروها قاطبةً الى البرّية ومكثوا هناك اياماً كثيرة حتى انتهى الزلزال فعادوا . وحدث زلزال كذلك في خراسان الا انه لم يكن قوياً كزلزال نيسابور .

وفي السنة ٦٠٦ للعرب (١٢٠٩م) عُقد الصلح بين الملك العادل ونور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل . وزفّ نور الدين ابنته الى احد ابناء العادل . ثم اتفقا على ان ينتزعا سنجار من صاحبها قطب الدين ويتولاها العادل . ثم يحتلان جزيرة قردو من ابن سنجر شاه صاحبها ويتولاها نور الدين . وتأهب العادل واقبل فاحتلّ الخابور ونصيبين وكانتا لصاحب سنجار . فسمع نور الدين وندم وأمسى كمن افاق من سكرته وافتكر انه اذا احتل سنجار والجزيرة فلا بدّ ان ينتزعها منه وينتزع الموصل كذلك من يده . ولما شاور المفكرين لاموه جميعاً لانه لم يبح لهم بما عقده مع العادل سرّاً. ثم قالوا له :لا مندوحة لك الّا بالجاز ما وعدته به . والّا فيقيم عليك الحجة ويأتي اليك كمن يأتي الى من نقض الأيمان . واذ كان يتخبط بتلك الهواجس ويتظاهر بانه يهيء جيشاً ليرسله الى نجدة العادل وافاه سفير ليلًا من قبل مظفر الدين كوكبري صاحب اربيل يعده بان يحشد جيوشه ويوافي اليه ويتفقان معاً على كفّ يد العادل من تلك البلاد . فابتهج نور الدين كل الابتهاج وحلف على ذلك وعاد السفير في الليلة عينها واخبر مظفر الدين . فحشد جنوده وسارع حالًا وحلّ خارج الموصل . ثم ارسل سفيرًا الى الخليفة ليكتب الى العادل ويعنّفه بسبب طمعه . وسيّر سفيرًا ثانياً الى الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والى السلطان عزّ الدين كيكاوس فوعده الجميع بالمساعدة . زد عليه ان اصحاب العادل انفسهم لم يحاربوا سنجار حرباً قويّة ولا سيما أسد الدين صاحب حمص فقد

كان يرسل علانيةً الى المدينة قمحاً(٤٢٥)وعنماً . وكان صاحب سنجار مستعداً ان يسلّم البلدة ويأخذ عوضها ولكنه تشجّع وتثبّت . ثم وصل سفير الخليفة الناصر ووبّخ العادل فلم يرَ الّا ان يعقد الصلح ويكتفي بالخابور ونصيبين ويعود الى سوريّة .

ولمـّا كان مظفّر الدين صاحب أربيل يومئذٍ في الموصل زفّ ابنتيه الى عزّ الدين مسعود وعماد الدين زنكي ابنَي نور الدين وكان مظفر الدين فيما سبق يعضد اصحاب العادل لكنّه لمّا ارسل صاحب سنجار ابنه متوسّلاً اليه ليراجع العادل كي يتركه في مركزه كتب اليه في ذلك واثقاً بانه لو طلب نصف بلاده لما رفض طلبه . لكنّ العادل أغمض عن توسّله فارتاب مظفّر الدين وانضمّ الى نور الدين على رغم ما كان بينهما من المشادّة قبل ذلك .

في هذه السنة مات فخر الدين الرازيّ بالغاً ثلاثاً وستين سنةً قمريّةً وكان من افاضل فقهاء زمانه وقد استنار العرب وما برحوا يستنيرون بتصانيفه الكثيرة. ضارع اوريجانيس الذي بعدما استفاد علماء الكنيسة بتآليفه عادوا فاعتبروه هرطوقياً وكذلك الرازيّ فقد اعتبره العرب كافراً مجارياً اريسطو في آرائه .

وفي السنة ٦٠٧ للعرب (١٢١٠ م) مات محمّد بن حسن إمام الاسمعيليين . وقد ضاهى أباه في علم الفلسفة وأفرغ كلّ الجهود في تقويض اركان الدين الاسلاميّ . وفتك على يد اصحابه بجماهير من الولاة الذين لم يؤدّوا له جزية فكان يرسل أعوانه ليصارعوا اولئك الولاة فتجري بين الطرفين ملاحم فظيعة. وقد طالما ضحّى الاسمعيليون بحياتهم انحيازاً لرغبة مولاهم الاثيم الطاغية (٤٢٦) واستغرقت إمامَتهُ العاتية ستاً واربعين سنة حتى هلك وخلفه ابنه جلال الدين حُسَين . وتظاهر في اوّل امره انه موافق للدين الاسلاميّ يصوم ويصلّي. وكتب الى خليفة بغداد والى السلطان محمّد خوارزمشاه والى سائر ولاة العرب بانـه انصرف عن عادات ابيه السيّئة ونجعل يسير في الطريقة الاسلاميّة . فوثقوا به وابتهجوا واجزلوا له العطايا والهدايا الفاخرة .

وفي تلك السنة مات نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مردود بن زنكي ابن اقسنقور صاحب الموصل . وكان عادلاً قوياً يهابه ابناء رعيّته وملوك عصره. ولمّا دنا أجله استحلف زعماءه بشأن الملك القاهر عزّ الدين مسعود ابنه الكبير.

وولّى عماد الدين زنكي ابنه الصغير قلعتي العقر وشوش مع اصقاعهما . واقام وصياً لهما مملوكه بدر الدين لؤلؤ وكان رجلاً مهيباً حكيماً يستحق ذلك المنصب . على انه لمّا ثقل المرض على نور الدين اشار الاطباء بان يسبح في عين دير القديس زينا بسواحل دجلة فسار مع بدر الدين وسبح ولكنه لم يستفد لان داءه كان داء الموت . وما كاد يُركبه بدر الدين سفينةً ليعيده الى الموصل حتى عاجلته المنون . ولم يكن معهما سوى مملوكَيْن فقط . فحمله الثلاثة ليلاً الى داره دون ان يشعر احد وظلّ بدر الدين طول النهار منصرفاً الى تنظيم الشؤون الضرورية حتى الساعة التاسعة فأعلن خبر موتهِ وشيّعوه ليلاً ولحدوه في قبر سبق فأعدّه لدفنه تجاه داره . وخلفه ابنه الملك القاهر واصبحت سياسة الولاية بيد بدر الدين .

وفي السنتين ٦٠٨ و٦٠٩ للعرب (١٢١٢–١٢١٣م) لم نعثر على خبر يستحق الذكر .

وفي السنة ٦١٠ للعرب (١٢١٤ م) مات المهذّب المعروف بابن هبل الطبيب البغدادي في الموصل . وكان وحيد عصره . درس على ابي البركات الطبيب اليهوديّ البغداديّ . انتقل من بغداد الى الموصل ومنها الى اذربيجان ومنها الى خلاط واقام بخدمة شاه ارمن وربح اموالاً طائلة . ولمّا مرض الملك اخذ الطبيب تفسرته ليفحصها كالعادة فقال له احد العبيد : ذقها ايها الطبيب . فسكت الطبيبُ وتنذّر ثم استدعاه في خلوةٍ وقال له : هل لقّنك احد ان تقول لي ما قلتَ ؟ هل أمرك الملك او احد أهاليه بذلك ام قلته من عندك ؟ قال العبد كلّا . لكني سمعتُ يقولون ان شرط اختبار التفسرة ذوقها . كما ان لسائر الاشياء لونها ورائحتها وقوامها . فقال الطبيب الامر كذلك ولكن لا في كلّ الامراض . واعلم انك اسأتَ اليّ كثيراً بكلمتك هذه لان الملك اذا سمع هذا ظنّ اني قد أخللتُ بشرط واجب من شروط خدمته . ثم انه عمل على الخروج من خلاط خوفاً من العاقبة واعطى ذلك العبد مبلغاً من الدراهم راغباً اليه ان لا يتفوّه بعبارة مثل هذه . وما عتم ان استعفى من الخدمة واستأذن في العودة الى الموصل واقام بها حتى وفاتهِ . وعدم بصره في آخر ايامه وكان الكثيرون يتردّدون ويقرأون الطب عليه ويتقنونه . وعاش خمساً وتسعين

سنة. وصنف كتابا حسناً في الطب سماه المختار في اربعة مجلدات تتداوله ايدي الكثيرين حتى يومنا .

وفي السنة ٦١٠ للعرب عينها صمّم جنكزخان ان يذهب بذاته الى بلاد العجم . ولما وصل الى نواحي تركستان سار في خدمته جميع الامراء هناك في عساكرهم . منهم ايدي قوب من بيش باليغ وعساكره . والامير سقناق(٤٢٨) تكين من الماليغ مع فرسانه وغيرهما . واذ ذاك وجه جنكزخان ابنه توشي الكبير في خمس ربوات الى ناحية خجند. وارسل ابنَيه الآخرين جغاتاي واوكتاي الى مدينة اوتراد وتوجه هو نحو بخارى وأوصى الذين ساروا الى اوترار ليشدّدوا القتال عليها وقد ظلّت خمسة أشهر تناوشهم . لان السلطان محمدًا لم يكن يترك فيها اكثر من خمسين الف فارس وعلى رأسهم غاير خان وعشرة آلاف غيرهم وعلى رأسهم قراجا الحاجب الخاصّ . ولما رأى قراجا المذكور ان عساكره لا توازي عساكر التتر خرج في جمهور منهم من باب صوفي يريد المغول فعوّقوه الى الصبح ثم مضوا به الى ابني جنكزخان فاستنطقاه واستعلما منه كنه احوال المدينة وعساكرها وقالا له : اذا كنتَ انتَ ما ابقيت على مولاك فلن تبقي علينا كذلك ونحن في غنًى عنك . ثم أمرا بقتله وقتل كل من معه . وفي اليوم عينه احتلّ التتر المدينة وأخرجوا جميع اهاليها رجالًا ونساء الى ظاهرها واغاروا على ما فيها . وبقي غاير خان في عشرين الفاً من خيرة رجاله متفرّقين في سطوح البيوت العالية وفي ابراج السور لم يتمكن منهم المغول . وجعلوا يخرجون خمسين خمسين راجلين يقاتلون التتر ويُقتلون حتى بقي منهم نفران لا غير مع غاير خان على سطح البلاط . واحتشد عليهم اغلب التتر حتى فتكوا بذينك الاثنين بعد عناء جسيم . وبقي وحده وقد نفدت سهامه يقاتل بالآجر واللبن الذي كانت الفتيات الجواري يناولنه من الجدار . وكان قد برز مرسوم الخان ان لا يُقتل في الحرب بل يُقبض عليه حيًّا . فامتثل التتر أمره وقبضوا عليه بعد تعب جسيم ومضوا به اليه (٤٢٩) فأمر بقتله في كوك سراي اعني الدار الخضراء .

وفي السنة ٦١١ للعرب (١٢١٤ م) استولى السلطان عزّ الدين كيكاوس على سينوف بساحل بحر البنطس وقتل قير ألكس صاحبها . وفي السنة التالية

احتل انطاليا من الروم للمرة الثانية .

وفي السنة ٦١٣ للعرب (١٢١٦م) مات الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب حلب واوصى بالولاية لابنه الصغير الملك عزيز محمد وكان عمره يومئذ سنتين وبضعة اشهر . وكان له ابن ثانٍ اكبر ولكنه فضّل الصغير لان امه كانت بنت الملك العادل معتقداً ان يعامله بالحسنى . واقام الظاهر للابن الصغير وصياً يقال له شهاب الدين طغرل الموصوف بعدالته وعطفه. وقد رتع الحلبيون في عهده في بحابح الخير والسلام بسبب سياسته الرشيدة.ورد الاسلاب التي استلبها الملك الظاهر في حياته الى اربابها بعد موته .

وفي السنة ١٥٢٨ لليونان (١٢١٧ م) وهي السنة ٦١٤ للعرب ارسل بابا رومية الى جميع ملوك الفرنج امراً قاطعاً ليحشدوا جنودهم ويزحفوا الى اورشليم المدينة المقدسة وينتزعوها من يد العرب . فاجتمع امم كثيرة واقبلوا الى عكة . ولما سمع العادل زحف حالاً من مصر الى اورشليم . وبرز الفرنج من عكة وحلوا عند الماء في مغارة اللصوص . وكان العادل يجتهد ان يسبقهم اليها فتعذّر عليه ذلك وحلّ في باسان . وزحف الفرنج ليبارزوه لكنه بسبب وفرة عدد الفرنج ارتحل الى جوار دمشق ينتظر اجتماع الجيوش. فسار الفرنج وغنموا كل ما وجدوه من حدود باسان حتى بانياس وقتلوا مَن قتلوا واعتقلوا مَن اعتقلوا وعادوا الى مرج عكة (٤٣٠) في غنائمهم . قيل ان العادل لما غادر باسان لقي رجلاً حاملاً حملاً يسير ساعةً ويستريح ساعة . فدنا منه وحده وقال له : ما بالك تقتل نفسك يا ايها الشيخ ؟ لا تستعجل . فقال الشيخ : اذهب قل للسلطان ان لا يستعجل . لانه لو لم يستعجل هو لما استعجلتُ قطعاً ولما غادرتُ بيتي اصلاً . فخجل العادل وتركه وانصرف .

وفي تلك الغضون مات البرنس بوهيمند وخلّف ابناً اسمه روفين ولدته له ابنة روفين ملك الارمن . وكانت المملكة تحقّ له لكنّ عمه اقتحم فانتزعها منه واحتلّها . عند ذلك سخط لاون ملك الارمن شقيق روفين الارمنيّ ونهض يدافع عن روفين الفرنجي ابن بنت اخيه فسار الى انطاكية واستحلف اهاليها بحضوره . لكنّ روفين الاحمق بعد ما ملك تجبّر وتكبّر وحاول ان يقبض على لاون وليّ نعمته ويستولي على قيليقية ايضاً . وما ان اطّلع الاخوة الفرير على

مضمرات قلبه حتى اخبروا لاون فأفلتَ دون أذى .

وفي السنة ٦١٥ للعرب (١٢١٨ م) أبحر الفرنج الى دمياط وساروا في ارض جنزه واصبح النيل بينهم وبين دمياط . وابتنى العرب برجاً كبيراً وسط النيل يقيم فيه محاربوهم ليصدّوا الفرنج عن دخول المدينة . وظلّ الفرنج يحاربون العرب نحو اربعة اشهر حتى احتلّوا البرج واجهزوا على مَن به وحطموا السلاسل التي على النيل . وكان الملك الكامل ابن الملك العادل في جهة دمياط الثانية ولمّا شاهد تلك السلاسل قد تحطّمت ربط مكانها جسراً ضخماً فحطمه الفرنج كذلك . فأحضر سفناً كبيرة نقبها واغرقها في ذلك المكان لئلا تسير فيه سفن الفرنج . غير ان الفرنج حفروا في الجهة الاخرى خندقاً كبيراً عميقاً وشقّوا ترعة اجازوا فيها غديراً عظيماً من النيل (٤٣١) وسيّروا فيها سفنهم حتى دنوا من سور المدينة وجعلوا يحاربون وهم في الماء . امّا الدمياطيّون فلم يكترثوا للفرنج اذ كانوا يعلّلون انفسهم بقرب وصول الكامل وجيوشه وكانت تأتيهم حاجاتهم كلّها من البرّ . واتفق باذن الله تعالى ان وصل الخبر الى الكامل بموت ابيه العادل في دمشق وتأهّب الامير ابن مشطوب وسائر الامراء الاكراد الهكاريّة ليولّوا اخاه الملك الفائز على مصر . فاضطرّ الكامل ان يرحل الى مصر ويترك دمياط . فنشط الفرنج وخرجوا الى البرّ واحتووا على ما بقي من الاثقال في معسكر العرب وحاصروا المدينة من البحر ومن البرّ معاً. امّا الدمياطيّون فظلّوا يحاربون مؤملين وصول نجدة اليهم من العرب . وظلّ الفرنج يحاصرون تسعة شهور . وقطع الدمياطيون رجاءهم من المساعدة ولاسيما لان الكامل لا يتيسّر له ان يغادر مصر خيفة الخيانة والغدر . بناء عليه غُلبوا على أمرهم وسلّموا المدينة بالامان . ولمّا احتلّها الفرنج نادوا باطلاق سبيل مَن شاء من العرب ان يغادرها في مؤونته وابقاء مَن شاء البقاء فيها . والكثيرون ظلّوا فيها .

ولمّا شاهد الكامل شجاعة الفرنج خافهم خوفاً شديداً وارسل فقوّض اسوار اورشليم لئلا يتخذها الفرنج معقلاً اذا امتلكوها .

وفي تلك الغضون تضايق زوفين الفرنجي صاحب انطاكية من البرنس الاعور عمه صاحب طرابلس . وكان لاون الارمنيّ قد تغاضى عنه لانه حاول

ان يقابله بالسوء بدلاً من معروفه . لذلك ترك روفين انطاكية وتوجه الى دمياط عند هنري جوان ملك الفرنج واقام عنده حتى مات (١٣٢) لاون .

وقد استحوذ الرعب في هذه السنة على العرب لا لخروج الفرنج عليهم من المغرب فحسبُ بل لتدفق المغول كذلك عليهم وزحفهم من المشرق . فقد وصلوا الى همذان واذربيجان وارزون واقتعلوا الاهوال والفظائع في كلّ بلاد العجم .

وفي ٢٧ ربيع الاوّل من تلك السنة مات الملك القاهر عزّ الدين مسعود بن نور الدين صاحب الموصل واستغرق ملكه سبع سنين وتسعة شهور . وكان طول حياته يخاف الموت ويتقلّب في بحابح المعيشة كمن يحاول ان يخطف شهواته من يد الموت . وخلف نور الدين ارسلان شاه ابنه الكبير بالغاً العشرين من سنه ودُعي باسم جدّه . وقبل وفاة الملك القاهر اقام بدر الدين لؤلؤ وصيّاً لابنه كما كان وصيّاً له . وقد أحسن الوصاية وارسل الى الخليفة الناصر وحصّل له الفرمان بالملك . وراسل سائر الملوك كذلك ووطّد الصلح معهم . وساس مملكة الموصل سياسةً راسخةً مع ان الكثيرين نظير عماد الدين عمّه صاحب العقر واعمام ابيه كانوا يحاولون قتل الشاب ليملكوا مكانه . غير ان بدر الدين منعهم عن ذلك بسياسته . ثم جاد بسخاء على الزعماء وعلى وجهاء المدينة وضواحيها فأحبّوه جميعاً .

وبعد هذا كتب عماد الدين صاحب العقر عمّ الشابّ الى مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب اربيل يقول : ان بدر الدين يحاول الغدر بيتنا وانتزاع المملكة منّا . فزحف مظفر الدين الى قلعة العمادية وحشد بدر الدين جنوده وسار اليها كذلك ليدافع عنها ويقبض على عماد الدين . غير ان الشتاء وتراكم الثلج في تلك الجبال اضطرّه ان يعود الى الموصل . عند ذلك استجمع عماد الدين قواه واحتل سائر قلاع الهكارية والزوزانيّة .

وفي تلك السنة رام السلطان عزّ الدين (١٣٣) كيكاوس صاحب بلاد الروم ان يحتل حلب ولاسيما لان صاحبها طفل رضيع بعدُ . واشار زعماؤه انه من السبيل اخذها ان استصحب معه الملك الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط وتظاهر بانه يقاتل في سبيله ليردّ له مملكةَ ابيه صلاح الدين لكونه ابنه الاكبر . فكتب اليه السلطان واستحضره من سميساط وجاد عليه بذهب

والبسة وخيل كثير وسلاح وهيأه ليرافقه الى سورية بشرط ان تبقى حلب وتوابعها للملك الافضل ويتولى عز الدين كل ما ينتزعه من الملك الاشرف من مدن ما بين النهرين هكذا حشدا الجنود وزحفا اولًا الى عينتاب واحتلّاها وتسلمها الملك الافضل واستأنفا الزحف الى تل باشر واحتلّاها كذلك وتسلّمها السلطان عزّ الدين ولم يعطها للافضل . فامتعض الافضل وندم الذين سلموها . ومن ثم حقد الافضل على السلطان وجعل يؤجل عز الدين عن القدوم الى حلب وقال : الاحرى ان يحتل اولًا منبج وغيرها كي يتمكن من احتلال حلب عندما تبقى كحمامة نُتف جناحاها . ولمّا زحفوا الى منبج ارسل شهاب الدين الحاجب الى الملك الاشرف يتوسل اليه ليذهب يساعد الفتى الصغير ابن اختهِ . فتحمس الاشرف وسار الى منبج وقاتل عساكر السلطان عز الدين وكسرهم في اول وهلةٍ فلم يَرَ السلطان الا ان يترك كل شيء وينقلب الى بلده . اما الاشرف فانتقل الى عينتاب واحتلها واحتل تل باشر كذلك واعطاها ثانية لصاحب حلب . اما الذين سلّموا تل باشر الى الاشرف فلما رجعوا الى بلادهم قبض عليهم السلطان عز الدين واحرقهم في احد البيوت دون شفقة .

وفي تلك السنة كان الفرنج كما قلنا محتلين دمياط . وفي ٧ جمادى الآخرة مات الملك العادل (١٢٣٠) بالمّ الخامسة والسبعين ونُقل عن علقين الى دمشق ودُفن في المقبرة التي اعدّها لذاتهِ . وكان داهيةً حقودًا صبورًا ينتقم بعد زمانٍ . وخلّف هولاء البنين وهم : الملك الكامل ناصر الدين ابو المعالي صاحب مصر . والملك المعظم مظفر الدين عيسى صاحب دمشق واورشليم . والملك الاشرف شرف الدين موسى صاحب الرها وحرّان وخلاط . والملك المظفر شهاب الدين غازي صاحب ميافرقين . والملك الحافظ صاحب قلعة جعبر . والملك العزيز عثمان صاحب بانياس . والملك الصالح اسمعيل صاحب بُصار . والملك الفائز يعقوب . والملك الامجد عباس . والملك الافضل قطب الدين . والملك القاهر تاج الدين اسحق .

وفي تلك السنة لما رأى بدر الدين ان مظفر الدين صاحب اربيل اتفق مع عماد الدين زنكي صاحب العقر لينازلا بلد الموصل ويحتلّا القلاع وان التذلل

لا يفيده ويتعذر عليه محاربتها وحده استغاث بالملك الاشرف صاحب ما بين النهرين وخلاط ووعده ان يكون منقاداً له كأحد زعمائه . فسُر الاشرف ووجّه الجنود الى نصيبين ليعضدوا بدر الدين متى استدعاهم .

وفي السنة ٦١٦ للعرب (١٢١٩ م) انحدر عماد الدين زنكي من قلعة العادية الى قلعة العقر ليحتلّ بلاد السهل بعد احتلاله بلاد الجبل . فسمع بدر الدين وارسل الجيوش ليحرسوا البلد . واتفق الزعماء والقوّاد معاً ليذهبوا الى جانب العقر ويحاصروا عماد الدين زنكي دون علم بدر الدين . فساروا الليل كلّه ولمّا اصبح نهار الاحد سلخ محرّم التحم القتال تحت قلعة العقر فانكسر (٤٣٥) زنكي اقبح انكسار وانهزم الى اربيل عند مظفر الدين وعاد المواصلة الى موضعهم . واقبل اذ ذاك وفود الخليفة الناصر والملك الاشرف وصالحوا الفريقين وهادنوهما .

وما كادت تُعقد الهدنة حتى مات الفتى نور الدين ابن الملك القاهر صاحب الموصل وكان طول حياته عليلاً لا يركب ولا يظهر الّا مرة في كل عشرة ايام. فنهض بدر الدين وولى مكانه اخاه ناصر الدين محموداً وهو في الثالثة من سنيّه. واستحلف الزعماء بحياته واركبه ليشاهده الشعب . وقد ابتهجت قلوبهم كل الابتهاج لانهم شاهدوا ملكاً من عترة اتابك التي كانوا يحبّونها حبّاً جمّاً .

وعلى اثر موت نور الدين وخلافة اخيه الصغير تحرّش كذلك مظفر الدين وزنكي بالمواصلة ونشبوا يغزون الضواحي . امّا بدر الدين فكان قد وجّه اغلب العساكر الموصلية الى حلب ليساعدوا الملك الاشرف في غزو بلد الفرنج. فارسل من ثم الى ايبك قائد جيش الاشرف وهو في نصيبين وأحضره اليه . ولمّا رأى ان عسكره قليل خالجه الريب وتردّد متحيراً ولا سيا لان الجيش الذي ارسله الى الاشرف كان اوفر عدداً . غير ان ايبك جعل يتغطرس واضطرّ بدر الدين ان يعبر دجلة في عسكره ويذهبوا ليغزوا بلد اربيل . وما ان سمع مظفّر الدين حتى حشد عساكره وعبر الزاب . وسار بدر الدين وايبك وحلّ الجانبان احداهما مقابل الآخر . وعند انتصاف الليل نهض ايبك ليذهب فيقابل عساكر اربيل . فنهاه بدر الدين ليصبر حتى الصباح فأبى. وركب هو وأركب اصحابه ورأى بدر الدين ان يتبعه كذلك . والتقيا هما والخصم وانهزم

ايبك الى ميسرة صاحب اربيل وحملت ميمنة اربيل على ميسرة بدر الدين (٣٣٦) فبقي في القلب مع قليلين ولم يمكنه الوقوف تجاه قلب عسكر صاحب اربيل فانهزم اسرع ما يكون وعبر دجلة الى الموصل ولم يقف بل استأنف الذهاب الى مدينة بلَدَ ليجمع عساكر جديدة . وتبعه مظفّر الدين واقام وراء تلّ حصن نينوى ثلاثة ايّام . ولمّا علم ان بدر الدين مستعدّ ليواجهه ليلاً انقلب الى اربيل . ولم يؤذِ احداً حين مروره بنينوى لكنّ بعض الشهرزوريين الذين معه خطفوا فتاةً وهي عروس جديدة من قرية بيت سحرايا فثار اهلها وانقذوها وفتكوا ببعض الاكراد. فسمع المظفّر وتفاقم غضبه اذ قيل له : ان الفلّاحين شتموه وهتفوا بحياة بدر الدين صولجان الذهب . ووجّه جيشاً الى تلك القرية ودخل بعضهم الى الكنيسة حيث كان اغلبهم متحصّنين وفتكوا بثلاثمائة رجل تقريباً وذهبوا . ومرّوا ببرطلي وبتروا بالسيف يد احد الشبّان. وبعد هذا كلّه تبادل الفريقان بالوفود وعقدا الهدنة.

وفي السنة عينها رأى المتحصّنون في قلعة كواشي ان عماد الدين زنكي احتلّ جميع القلاع فارسلوا وسلّموه ايّاها وطردوا منها اصحاب بدر الدين. ولمّا عرف بدر الدين ان مظفّر الدين لا يثبت في عهوده ولا يكفّ عن اثارة زنكي ليتحرّش به ارسل الى الملك الأشرف يسأله ان يأتي هو عينه لمساعدته ويردع صاحب اربيل. غير ان خصوم الأشرف يومئذٍ كانوا كثيرين : منهم السلطان كيكاوس وصاحب آمد وحصن كيفا وصاحب ماردين والامير ابن مشطوب والأمير عزّ الدين الحميديّ . فلذلك لم يتمكّن من القدوم الّا بعد زمان.

وفي ذي القعدة ٦١٦ (٤٣٧) وهي السنة ١٥٣١ لليونان (١٢٢٠م) في كانون الثاني مات السلطان عزّ الدين كيكاوس بن كيسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم. وكان قد حشد الجنود ليزحف ثانية وينازل الاشرف في ما بين النهرين. وما ان وصل الى ملطية حتى اشتدّ عليه داء السلّ .فرجع ومات. وبعث الاقطاب وأطلقوا علاء الدين كيقباد من حبسه في قلعة مارا بالجبل المبارك ونادوا به ملكاً . وذكر بعضهم ان السلطان عزّ الدين قبل موته ارسل فأطلقه واستحلف الزعماء ليملكوه اذ لم يخلّف ابناً يستحقّ المُلك . على انه لما رأى في اول عهدِه أن خصومه كثيرون كاليونان والارمن جيرانه وعمّه

صاحب ارضروم صادق الملك الاشرف وسأله ان يزفّ اليه اخته . وقد اجاب الى طلبه بعد ثلاث سنوات.

وفي هذه السنة وهي السنة ٦٦٨ للارمن مات لاون ملك قيليقية وكان محنّكاً في الحروب وبطلًا مغوارًا في المعارك ولم يخلّف الا بنتاً واحدة اسمها ايزابيل وتولّى سيرادان بالي صاحب قلاع ساحل البحر العناية بها والاشراف على المملكة نحو سنتين ثم فتك به الاسماعيليّون.

وفي محرّم السنة ٦١٧ للعرب (١٢٢٠ م) نزل جنكزخان على مدينة بخارى وهي كعبة الدين الاسلاميّ في البلاد الواقعة بعد نهر جيحون . واناخ على باب القلعة . واقبل معه جيوش كثيفة من المغول يفوق عددهم عدد الجراد والنمل وحلّوا افواجاً افواجاً حول تلك المدينة التاعسة . وكان فيها نحو عشرين الف فارس مقدّمهم سونج خان وكشلي خان. فلما رأى هذان (٤٣٨) ضخامة جيوش التتر قطعا الأمل وخرجا عند غروب الشمس وانهزما . ولمّا وصلا الى سواحل جيحون وثب اليهما حرّاس الطرق المغول واجهزا عليهما وعلى كلّ من معهما . امّا اهل المدينة فلمّا لم يبقَ من يدافع عنهم فتحوا الابواب وخرجوا الى خدمة جنكزخان فأشفق عليهم ولم يقتل احدًا منهم . ولمّا دخل المدينة ليشاهدها ووصل الى باب المسجد الكبير قال : هل هذا دار السلطان ؟ قال الكتبة العرب: كلا بل بيت الله . فنزل عن حصانه ودخل فجلس قدام المحراب وصعد تولي ابنه الصغير درجات المنبر. وقال جنكزخان : ان الصحراء خالية من العَلَف فانتم اشبعوا الخيل الجائعة . فذهب الزعماء وفتحوا الانبار وآبار الحنطة والشعير وجعلوا ينقلون على اكتافهم العَلَف للخيل ويجلسون ينتظرون. واحضروا الخمور وسقوا التتر واستدعوا المطربين والمطربات والرقاصات يرقصن وقلوبهن مملوءة حسرات وأسفاً.

ثم استدعى جنكزخان الزعماء وقال لهم : ان الأموال التي فوق الارض لا حاجة بنا الى استلامها وانما نريد ان تظهروا لنا الدفائن التي في قلب الارض وتعطونا اياها فتحيوا. فقبلوا بالسمع والطاعة وساروا فحفروا واخرجوا واحضروا كمّيّة لا تُعدّ. ولأنّ جماعة من عسكر السلطان كانوا مختفين بالمدينة أمر فرموا بها النار فاحترقت كلها مع كلّ ما كان مخفيًا بها . وتفرّق الاهالي في مختلف

البلاد . وقد سأل الخراسانيون تجارياً وصل اليهم عمّا جرى فقال : ما لكم تعبوني ؟ قد وصل التتر فقتلوا وحفروا واحرقوا وسبوا وذهبوا . من له اذنان سامعتان فليسمع.

وفي هذه السنة سار ابن مشطوب الذي ذكرنا انتقاضه على الاشرف متوجهاً الى نصيبين يريد السفر الى مظفّر الدين في اربيل (٤٣٩) فبرز اليه متولي المدينة وكسره وشتّت من معه . وانهزم ابن مشطوب مع القليلين الى بلد سنجار . فسمع فروخ شاه بن زنكي بن مودود بن زنكي وارسل جيشاً قبض عليه واحضره اليه معتقلاً . وكان فروخ محالفاً للاشرف غير ان ابن مشطوب أفسد بينهما واقسم انه يواصل القتال حتى ينتزع الموصل من يد بدرالدين ويتسلّمها . ذلك ما حمل صاحب سنجار على إطلاق ابن مشطوب وجهّزه بعساكر خيّالة ووجهه الى باعربايا ليغزوها . فسمع بدر الدين ووجّه جنوداً تغلّبوا على ابن مشطوب فانهزم الى قلعة تل عفر وهي لصاحب سنجار . فعرف بدر الدين وزحف اليها بشخصه حتى دوّخها واعتقل ابن مشطوب وبعثه الى الملك الاشرف فسجنه في حرّان وفيها مات .

ثم ان الملك الاشرف تخلّى لصاحب آمد عن حاني وجبل جور ووعده بان يحتل دارا ويوليه اياها . وبعدما فصله عن صاحب ماردين تقوّى واقبل الى دنيسر واحتل ضواحي ماردين باسرها وحصر صاحبها في القلعة ومنع عنه الذخيرة. فسار صاحب آمد وتوسّط بين الاشرف وبين صاحب ماردين وصالحها وانتزع الاشرف منه راس العين وثلاثين الف دينار وضُمّت موزر بارض شبكتان الى صاحب آمد . وزحف الاشرف الى نصيبين فخافه صاحب سنجار ووجه اليه سفيراً وسلّمه بلدته وهو في الطريق واخذ بدلاً منها الرقة وسار اليها في اخوته واهله وجميع امواله . وبعدما احتلّ الاشرف سنجار جعل يرسل جنوده الى الموصل قاصداً الذهاب الى اربيل وتبعته شراذم من الفرسان سيّرها أمامه وأقبل بعدها الى الموصل يوم الثلاثاء ١٩ جمادى الاولى من تلك السنة . وجاء اليه السفراء من قبل الخليفة ووعدوا (٤٤٠) باسترجاع كلّ الحصون التي انتزعها زنكي وتسليمها الى بدر الدين ليجري الصلح ما بينهم. لكن الاشرف رفض وارتحل من الموصل وعبر دجلة وتوجه الى قرية سلامية قرب نهر الزاب.

وكان مظفر الدين نازلاً في جانب الزاب الآخر . اما ناصر الدين صاحب آمد وحليف الاشرف فكان مرتبطا بصداقة خفية مع مظفر الدين ولذا اشار الى الاشرف ان يعقد الصلح ويعود معززًا مكرمًا . وقال له : اذا انتصرتَ أسخطتَ الخليفة وذلك العرب جميعًا . واذا انكسرتَ خلفتَ لك ولاصحابك اسمًا سيئًا . فاقتنع الاشرف ووافق على الصلح واخذ معه عماد الدين زنكي صاحب العقر بمثابة رهينة ريثما يردّ الحصون التي أخذها ثم عاد الى سنجار . ثم سار بعضهم لينتزعوا الحصون ويسلموها الى اصحاب بدر الدين لكنهم لم يتسلموا الا حصنًا واحدًا من بلاد الهكارية اما البقية فقد قاوم اصحابها ولم يريدوا ان يسلموها . واستغاث مظفر الدين زنكي بشهاب الدين غازي اخي الاشرف وهذا توسط بينه وبين الاشرف فترك له تلك الحصون . وقد ارتاب في ذلك بدر الدين لكنه لم يقدر ان يناقض ارادة الاشرف .

واطلع يومئذ بدر الدين سرًا على ان الاشرف يحاول ان ينتزع منه قرية تل عفر لانها كانت فيما سبق تابعة لسنجار فارسل وسلمه اياها . اما زنكي فبعد ما تولى حصون الهكارية والزوزانية جميعها طفق يعنت اصحابها ويضايقهم بالطلب . فندم الذين عاهدوه وحاولوا ان يتفقوا مع بدر الدين ولكنهم تخوفوا مما اظهروه له من المعاكسة سابقًا . اما بدر الدين فارسل يؤمنهم بالاقسام والعهود ويؤكد لهم انه لن يضرهم (٤٤١) بل يحسن اليهم ويحسب ذنبهم نعمةً بخروجهم على الاشرف . واتفق اصحاب حصن العمادية اولًا ان يسلموه . غير ان بدر الدين لم يستطع ان يأخذ شيئًا دون امر الاشرف واذنه فارسل اليه يستشيره . فأبى الاشرف ولم يأذن له في ذلك الا بعد ما تخلى له عن حصن الحدث المجاور لنصيبين وعن مكان ما بين دجلة والفرات . وبعد هذا تولى بدر الدين العمادية وجاد على الذين سلّموها بعطايا أوفر مما وعدهم بها . وبلغ ذلك سائر اصحاب الحصون فسلموها له . ومما يدعو الى الاستغراب ان الجيوش الوافرة العدد التي احتشدت من سورية وما بين النهرين وارمينية وسائر البلاد لم يتيسر لها ان تحتلّ تلك الحصون وقد احتلها بدر الدين بحنكته دون معارضة. وصحّ في ذلك قول الكتاب : « الاعتصام بالربّ خيرٌ من الاتكال على العظماء » (مز ١١٧ : ٩) .

وفي تلك السنة مات الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماة بالغاً الخمسين من سنه . وأوصى ان يخلفه ابنه الملك المظفر تقيّ الدين وكان يومئذٍ عند خاله الملك الكامل في مصر . غير ان الزعماء ارسلوا فاستحضروا من دمشق ابنه الثاني الملك الناصر قلجْ ارسلان وسلموه المدينة .

وفي السنة ٦١٨ للعرب (١٢٢١ م) سار الملك المعظم صاحب دمشق والملك الاشرف وصاحب ماردين والجيش الحلبيّ والملك الناصر صاحب حماة والملك المجاهد صاحب حمص لينجدوا الملك الكامل . وزحفوا جميعاً الى دمياط وحصروها وقطعوا الطرق عن الفرنج . فتخوفوا واتفقوا ان يسلموا المدينة مع جميع الاسرى العرب الذين في عكة بشرط ان يدعهم العرب يرحلون الى بلادهم بالامان . واخذ منهم الكامل رهائن ريثما يسلمون المدينة والاسرى . وأيد الصلح (٤٤٠) القاصد الرسولي نائب البابا الروماني وكان متولياً قيادة الجيش الفرنجيّ ثمانية اعوام واتفق معه في ذلك جوان صاحب عكة[1] هكذا استرجع العرب دمياط وأمسى عمل الفرنج دون جدوى. على ان الملك الكامل قبل وصول النجدة اليه ألحّ على الفرنج في عقد الصلح مقرراً ان يتخلى لهم عن اورشليم وعن عسقلان وطبرية وصيدا وجبلة واللاذقية ويكتفي بدمياط كي تنجو منهم مصر واصقاعها لكنهم رفضوا طلبه واستزادوا قلعة الكرك وثلاثمائة الف دينار بدلًا مما اخربه الكامل من اسوار اورشليم . ذلك ما حمل الكامل على الاستنجاد باخوته وابناء دينه فاقبلوا واسترجعوا دمياط مجاناً . وخسر الاخوة الدواويّة كذلك نصف ما كانوا يستاون من حمص وخسر الاسبتاريون ما كانوا يقبضونه جزيةً من بارين . وقد بقيت دمياط هذه المدّة مع الفرنج سنةً واحدةً وعشرة شهور واربعة وعشرين يوماً .

وفي تلك الغضون وثب الاسمعيليون الى سيرادان مدبّر مملكة الارمن وحصروه في مضيق تجاه كنيستنا في سيس المبنيّة باسم مار برصوما وفتكوا به . وخلفه بالي بارون قسطنطين بن بارون باسيل خال الملك لاون . ولمّا بلغ روفين خبرُ وفاة الملك لاون ومقتل سيرادان أخذَ امه ابنة الملك روفين الكبير

[1] هو يوحنا دي برين ملك اورشليم .

وانحرا حتى وصلا الى ميناً حصن توريغس يريد ان يتولى قيليقية . اما صاحب الحصن المذكور اعني البارون بهرام صاحب شاكد فسد دونه الطريق وهدده بان يتزوج بأمه والا يقبض عليه ويهلكه . فتضايق زوفين وتوسل (٤٤٣) الى امه في ذلك. فانزعجت كل الانزعاج وجعلت تولول وتقذف بهرام بالمسبات والشتائم. غير ان السادة والسيدات اقنعوها حباً لمصلحة ابنها فهيا كلفها الامر. فاضطرت ان تجيب الى الحاحهم وهي تصرح بان زواجاً كهذا تحسبه زنى قسراً لا زواجاً شرعياً. وبعدما اقترن بها بهرام بالغ في اكرامها وسار في خدمتها وخدمة ابنها الى طرسوس واحتلها. ومن هناك توجه الى آطنة واحتلها كذلك. ثم زحف الى المصيصة فحشد بالي بارون قسطنطين جيوشه وثار الى بهرام وناوشه فانهزم بهرام وامرأته وابنها وتبعهم بالي بارون الى طرسوس وقبض على ثلاثتهم وفتك بهم . وجعل يؤمل من الزعماء الارمن ان يشيروا عليه ليتزوج احد ابنائه الخمسة بابنة الملك لاون ويتولى المملكة . غير انهم لم يقولوا له شيئاً في هذا الصدد فارتاب منهم وبدل سياسته معهم.

اما الزعماء فارسلوا واستدعوا فيليب ابن البرنس الاعور وزفوا اليه ايزابيل بنت الملك لاون وولوه قيليقية ونهض بسياستهم سياسة خرقاء مدة سنتين واكثر. فقد خطر له ان يهلكهم جميعاً ويقيم الفرنج مقامهم وجعل يستحقرهم ويسمي الجنود فلاحين ولا يرخص لهم ان يتناولوا الطعام على مائدته. وكانوا اذا طلبوا ان يزوروه لا يأذن لهم في ذلك الا بعد ان يقصدوه عشر مرات او اكثر. هكذا ازداد بغض الارمن له ولم يسعهم بعد ان يحتملوا عتوه فاحتشدوا عند بالي بارون قسطنطين وتوسلوا اليه ليجد لهم طريقة للتملص منه معربين له عن تندمهم بسبب اقامتهم اياه ملكاً عليهم. فأقسم لهم بالي في ذلك وأعد الجنود والابطال ووثب الى فيليب ليلاً وهو راقد في فراشه وخطفه من حضن الملكة (٤٤٤) فجعلت تبكي وتخدش وجهها وتضج وتولول وتقول : سيد سيد ! لانها كانت كلفة به جداً. اما الجنود فلم يكترثوا لها ولم يعبأوا باصواتها بل اوثقوا فيليب واستاقوه من موضعه في تل حمدون الى سيس وحبسوه هناك سنتين. اما البرنس ابوه فعلى عزة نفسه لم يرَ ان يغيظ الارمن خيفة ان يهلكوا ابنه فارسل اليهم الوفود طالباً ان يطلقوا سبيله وهو يتخلى لهم عن الملك . وظل

يبعث الوفود حتى كلّ وملّ فرأى ان يذهب بذاته الى تلّ حمدون ويسألهم ان يعطوه ابنه . فأذعنوا له ومضوا بابنه الى حصن العامود وكتبوا اليه ليبعث ويأخذ ابنه . ولما عوّل على أخذه قيل له ان ابنك لن يعيش اكثر من عشرة ايام لان الارمن قد سقوه سمًّا وقد تحقق ذلك . على ان البرنس بعدما توعّدهم وتهدّدهم تركهم وانصرف وما عتم ان بلغه خبر موت ابنه ولم يعرف احد اين دفنوه .

ولما نُعي الى الملكة وقطعت الرجاء منه سارت الى قلعة سلوقية على ساحل البحر واستعانت بالاخوة الفرير فبالغوا في اكرامها . ثم قدمت اليها امها من قبرس وهي فرنجية ابنة ملك تلك الجزيرة ولما زفوا ابنته الى فيليب ارادوا ان يزفوها كذلك الى السير غوفري صاحب سروند وهو ابن البارون سنباط اخي البارون قسطنطين بالي . غير انها رفضت الزواج فطردوها من بلدها وسارت الى قبرس . وفي هذا الزمان رجعت الى ابنتها واقامتا كلتاهما في سلوقية حتى رحّلهما بالي على كره منهما .

احتلال التتر سمرقند

وفي هذه السنة ٦١٨ للعرب (١٢٢١ م) بعدما احتلّ التتر بخارى ساروا الى سمرقند وهي مدينة عظيمة (٤٤٥) حافلة بقرى كثيرة مكتظة بحدائق شهيرة. وقد رتّب فيها السلطان محمد مائة وعشرة آلاف فارس يقومون بحراستها. ولما سمع جنكزخان نزل عليها بشخصه واحدق بها المغول واحصوا ابراجها واشتعلت الحرب بينهم وبين اهاليها على السور . وخرج في الغد جنود المدينة راجلين الى التتر وحاربوهم حرباً عنيفة واجزوا على الكثيرين منهم وقبضوا على غيرهم واستاقوهم الى المدينة ونكلوا بهم واماتوهم شرّ ميتة . ولما شاهد الاهالي ذلك خافوا جدًّا وقال احدهم لصاحبه اذا اغمضنا وتغاضينا فسيتقم العدوّ لقتلاه . ثم تشاوروا معاً وارسلوا رسلًا الى جنكزخان خفيةً ووعدوه ان يفتحوا الابواب ليلًا ويسلموه المدينة . فابتهج لذلك وقرّر لهم الامان . وعند المساء اتفق القاضي وشيخ الاسلام وجمهور الاهالي وفتحوا الابواب فدخل المغول وانهزم المحاربون الى القلعة ولاذوا بها . وشمر التتر في السبي والنهب .

وصاروا يخرجون من الرجال والنساء مائة مائة بالعدد الى الصحراء واجلسوهم افواجاً افواجا سوى خمسين الفا احتموا بالقاضي وشيخ الاسلام ولم يخرجوا . ولما كان الليل خرج التتر واجهزوا على كلّ الذين خرجوا خارجا ولم يتركوا من البنين والبنات الّا مَن كان دون العشرين من العمر . على ان واحدًا من زعماء القلعة أبدى بسالةً فائقة فاخذ نحو الف رجال وشقّ صفوف التتر وجاز بينهم دون أذًى ولاذ بالفرار الى خراسان يريد السلطان محمدا .

احتلال التتر خوارزم

ولما استراح جنكزخان من محاربة سمرقند بعث ولديه جيغاتي واوختاي الى خوارزم . وخوارزم اسم لاقليم عاصمته (٤٤٦) جرجانية . فلما سبق بعض التتر سائرَ الجيوش كالوف عادتهم ووصلوا الى باب المدينة ظنّ الاهالي ان اعداءهم هم هؤلاء القليلون فقط فخرج جمهور غفير منهم راكبين وراجلين ليبارزوهم . وعند بلوغهم الى كرم كورام وهو على مسافة علوة انقضّ عليهم جيش المغول وفتك بهم قاطبة . وكان عددهم نحو مائة الف . وبعد هذا زحف التتر بكل قواهم واحتلوا المدينة دون صعوبة واخربوها وفتكوا بسائر اهاليها.

اما السلطان محمد فكان قد غادر خوارزم الى خراسان وظلّ يشاور الزعماء في ما يصنع وكيف يتيسر له التخلص من أيدي هذا العدوّ القويّ ؟ فقالوا له : لقد قطعنا الامل من البلاد التي ما وراء جيحون نبقي علينا ان نحصن خراسان ونهيّئ العساكر لينازلوا الاعداء متى قدموا . فقال السلطان: لم يبقَ لنا قلب لمبارزتهم واذا اقبلوا الينا فليس لنا الا الفرار الى الهند من وجههم . غير ان ابنه جلال الدين خوارزمشاه لم يوافق على الهزيمة بل رأى ان يواصلوا الحرب حتى النهاية . فانتهره ابوه وجعل كمن سيعاجله الموت يأكل ويشرب ويتقلّب في رغد العيش ويشبع اهواءه . وهو كذلك اذا بالتتر قد عبروا مياه جيحون فلاذ بالفرار نحو همذان ووجّه نساءه واولاده الصغار الى قلعة بالان. ولما وصل التتر الى همذان انهزم السلطان في الجبال يريد مازندران. فتبعه التتر فانهزم بحرًا الى احدى جزائر هرقانية واقام هناك حتى ورده الخبر بان التتر احتلوا تلك القلعة واعتقلوا نساءه وابناءه وبناته (٤٤٧) وفتكوا

بالذكور وأرسلوا الاناث الى قراقورم . فاستحوذ عليه من الكمد ما استحوذ وقاسى ما قاسى من المرض حتى ادركته المنون في تلك الجزيرة ودفنوه هناك ثم نقلوه بعد زمان الى قلعة اردهان .

ولما نعي السلطان محمد الى ابنه جلال الدين قطع اربعين غلوةً في ليلةٍ واحدة حتى بلغ بلاد العجم التي بجدود الهند . واجتمع اليه تسعون الفاً من خيرة الفرسان . ولما علم جنكزخان ذلك وجّه اليه جيشاً جرّاراً من المغول فسمع جلال الدين وخرج ليبارزهم وقال لاصحابه ان يترجّلوا جميعاً ويقبض كلٌّ منهم على حصانه بيده مستهيناً بالموت . وقد فتكوا يومئذٍ بعددٍ غفيرٍ من المغول وبطحوهم على الارض . وبات الصفان تلك الليلة كلٌّ في مكانه . وفي الغد لما رأى التتر شجاعة الخوارزميّين حاولوا الفرار وتبعهم الخوارزميّون وفتكوا بخمسمائة بطل منهم . وما ان سمع جنكزخان حتى وصل كالبرق في جيوش كثيفة لا تُحصى فشاهده جلال الدين واستيقن انه عاجز عن مقاومته وانتوى ان يعبر نهر جيحون الى المشرق وأوصى باعداد السفن . فسمع جنكزخان وسيّر جيشا ضخماً سدّ الطريق دونه . فلم يبقَ له الا ان يقاتل حتى النسمة الاخيرة . فاصطفّ الفريقان والتحم القتال وانكسرت ميمنة الخوارزميين ثم ميسرتهم وبقي جلال الدين في الوسط مع سبعمائة فارس لا غير وجعل يطفر كالذئب من ناحية الى ناحية ويجيز على التتر وهم يزدادون عدداً ويثبون اليه من كل جهةٍ . عند ذلك أسرع ابن خاله الامير الخوارزمي وتشبّث بضفائر حصانه وردّه (٤٤٨) الى ورائه . فانحدر جلال الدين مأيوسا وقبّل اهله واولاده وهو يبكي بكاءً مرّاً ثم تركهم وركب حصانه وقال للفرسان اصحابه : من أحبني فليتبعني في الحياة والممات . ثم ضرب حصانه وشقّ صف التتر واقتحم الماء راكباً .

ولما شاهد ذلك جنكزخان هرول الى شاطئ النهر وجعل يتفرّس في جلال الدين متعجباً غاية العجب . واراد بعض المغول ان يقتحم الماء ويدركوه ولكن جنكزخان نهاهم ووضع يده على فمه متعجبا وقال لولديه : من ابٍ مثل هذا ينبغي ان يولد ابنٌ كهذا ! وقال للزعماء : مثل هذا يجب ان يُدعى رجلًا . فهذا لما افلتَ هذه المرة بلغت اعماله الوافرة العجيبة للعيان ولا يمكن

ان يتلد منه رجل مغفل !

ثم ان جلال الدين نجا بسيف وترس ومزراق من الماء والنار والحرب في ستة فوارس فقط عبروا معه . واقام هناك على سواحل جيحون نحو يومين حتى اجتمع اليه زهاء خمسين فارسا وتوجه الى نواحي الهند . وتبعه بعد ذلك من اصحابه نحو مائة فارس وارسلوا امامهم جاسوسا جس الارض وعاد فاخبرهم ان في المكان الفلاني الفين من العساكر الهندية . فسار الخوارزميون وقبضوا عليهم وقتلوهم جميعا واحتلوا خيليهم . وازدادوا حتى بلغوا خمسمائة فارس . ثم اجتمع خمسة آلاف من الهنود واتوا وبارزوهم فانكسروا . وما ان بلغت الاخبار سائر الخوارزميين المنهزمين والمختفين في مختلف الامكنة حتى اقبلوا اليه واصبحوا نحو ثلاثة آلاف . ولما رأى ملوك الهند انهم عاجزون عن مقاتلة الخوارزميين عقدوا الصلح مع خوارزمشاه وارسلوا اليه تحفا وافرة . غير ان الخوارزميين لم يستطيعوا الاقامة هناك وقد دب فيهم المرض (٤٤٩) وبلغهم ان التتر تركوا خوارزم فعبر جلال الدين نهر جيحون نحو المشرق وخرج برجاله من الهند ووصل الى شيراز . فارسل اليه اتابك سعد صاحبها اموالا كثيرة وعبيدا وجواري . ومن هناك اقبل الى اصفهان .

وفي السنة ٦٢٠ للعرب (١٢٢٣ م) احتلّ السلطان علاء الدين قلعة حصينة في ساحل بحر ادرياتيك وسمّاها باسمه علائيه .

مقتل امين الدولة توما في بغداد

وليلة الخميس ٢٨ جمادى الاولى ٦٢٠ للعرب (١٢٢٣ م) قُتل الطبيب المشهور بالفضائل امين الدولة ابو الكرم صاعد بن توما البغدادي من جماعتنا اليعقوبية . كان متضلعا من الطب امينا في سيرته حكيما سخيا ووسيطا صالحا في سد حاجات البائسين وتلبية مطالبهم واكمال اعمالهم . وقد احبه وكرّمه الخليفة الناصر ورفع منزلته وولاه تدبير مملكته وبنيه وبناته ونسائه . وكان الخليفة في آخر ايامه قد ضعف بصره وتعذر عليه ان يكتب اسراره لوزيره . فاستحضر امرأة بغدادية تُعرف بست نسيم وكانت تكتب خطا قريبا من خطه وجعلها بين يديه وكشف لها اسراره . وكان كلما شاء ان يكتب شيئا استكتبها اياه .

واذا وصلت الكتابة الى الوزير مؤيد الدين ابن قصيمي اعتقد انها خط يد الخليفة اذ كان يجهل هو كذلك ضعف بصره . واستمرت الجارية كذلك برهةً حتى شاركها في ذلك خادم اسمه تاج الدين رشيق وصارا يكتبان ما ارادا الى الوزير عن فم الخليفة فيقوم الوزير بما يكتبان .

وكتب الوزير ذات يوم الى الخليفة في شأن من الشؤون وجاءه جواب فيه إخلال بيّن . فتوقف وانكر . ثم استدعى الحكيم امين الدولة المجيد (٥٥٠) واستفسره عن ذلك سرًّا فعرّفه ما هو عليه الخليفة من عدم البصر وان امرأة تكتب خطًّا كخطه وان الخادم رشيق متفق معها فيكتبان ما ارادا دون علم الخليفة . ومن ثم توقف الوزير عن العمل باكثر الامور الواردة اليه . وشعرت المرأة والخادم بان امين الدولة فضح سرّهما لانه هو وحده كان يزور الوزير ويحادثه . بناء عليه بأمّا اخوين يُعرفان بولدي قمر الدين فرصدا الحكيم في بعض الليالي وهو خارج من دار الخليفة عائد الى بيته ووثبا عليه بسكّينيهما . فحدّق بهما وصاح قائلًا : اقبضوا عليهما فيها فلان وفلان . فعاد اليه ذانك الاثنان وأجهزا عليه تماما وضربا بالسكين كذلك حامل فانوسه . فارتجت المدينة عندئذٍ وقلقت دار الخليفة كذلك وحُمل الطبيب ونُقل الى بيته ودُفن فيه وبعد تسعة شهور شيَّعوه الى كنيسة مار توما ودفنوه مع آبائه .

وليلة مقتل الطبيب المجيد قُبض على قاتليه الملعونين وشقّ بطناهما وصُلبا في الموضع الذي قتلا المرحوم . وقد خلّف رحمه الله تعالى ثلاثة بنين كرام وهم : شمس الدولة وفخر الدولة وتاج الدولة كبيرهم .

وفي السنة ٦١٨ للعرب (١٢٢١ م) مات جلال الدين حسن إمام الاسمعيليين وخلف ابنه علاء الدين محمد وهو في التاسعة من سنه . وقد نشأ مع الفتيان الصغار زملائه منصرفا الى اللعب وتربية الخراف والطوفان مع الجمال واناط تدبير ولايته بالنساء . وبعد خمس سنوات لولايته فصده طبيب من اطبائهم مع انه لم يكن مفتقرًا الى الفصد وتدفّق منه دم غزير كان سببا لتفاقم المرارة السوداوية عليه وجعل يتخيل تخيلات شنيعة . حتى ظن انه الاله . وكان اتباعه بسبب تسكعهم في الضلال يصدّقون كل ما يقول لا يخالفونه . بل كانوا يفتكون فتكًا ذريعًا بكل من يعترض عليه او يعانده . ذلك ما حمل بعض الحكماء

المرتبطين بخدمته ان يعظموه كالاه خوفا منه . وكان من ذات طبعه يكره الزينة ويكتفي لكسوته بثوب من صوف او من قطن ازرق ويساكن الغنم دائما.

حكي انه لما كان ذات يوم جالسا بجانب احد الجبال وحوله وفود اقبلوا اليه من قبل الملوك المجاورين اشار بجبينه فقط الى خمسين من رجاله الواقفين امامه فألقوا بنفوسهم من علوّ الجبل وهلكوا . هكذا اخذ ملوك الارض جميعا يهابونه ويمشون اليه بجزية يدفونها بخيرات اراضيهم .

وفي السنة ٦٢١ للعرب (١٢٢٤ م) مات في سميساط صاحبها الملك الافضل ابن صلاح الدين بن ايوب . وكان متضلّعا من العلوم والبلاغة والشعر لكنه كان ضعيفا في سياسته قليل الخبرة الضرورية للملوك . ذلك ما حرمه مملكة ابيه واضطر ان يرضى ببلدة صغيرة عوضا عن ملك ابيه الواسع الارجاء .

وفي السنة ٦٢٢ للعرب (١٢٢٥ م) مات الخليفة الناصر ابو العباس احمد في السن السبعين . وتمّ ذلك ليلة عيد فصح العرب . وكان متيقظا جدًّا مجتهدًا يغيّر زيّه دائما ويخرج فيطوف شوارع بغداد يحاول الوقوف على كل كبيرة او صغيرة . وكان يتزيّا تارة بزيّ الاتراك وطورًا بزيّ العجم واونةً بزيّ التجار ولهذا (٤٥٢) قضى على الكثيرين اذ كان كلما شعر باحدٍ عرفه ارسل فقتله دون شفقة . وكان يطوف كذلك مع رجال مشاهير من خواصه فكان اذا مرّ في طريق انهزم الناس منه . وكان الرجل اذا سار مع امرأته لئلّا خاف ان يحدّثها حديثا كيفما كان اذ كانا يخافان ان يكون الخليفة معهما في البيت او في النافذة او على السطح . وقد رأوه غير مرّة يتعرش بجدران البيوت الى السطوح ليسمع اخبار ما يحدث لا في ولايته فحسب بل في كل الممالك .

حكي ان الخاتون ابنة السلطان قلج ارسلان الخلاطية شخصت الى بغداد في حجها مكة . فاخبروا الخليفة عن جمالها فارسل اليها عجائز البلاط لكي يخطبها فاحتجّت بان لها زوجا ولا يمكن ان تتزوجه فتركته وانطلقت الى مكة وافتكرت ان تعود في طريق سورية الى وطنها خوفا منه . وافتكر الخليفة كذلك انها ستصنع كذلك فارسل فرقة من الجنود يصحبونها متظاهرين بانهم يريدون الحجّ نظيرها . ولما عولت على الرجوع في طريق اخرى ثبطوها وردّوها على كرهٍ منها الى بغداد . وما ان وصلت حتى بلغ الخبر بموت زوجها .

والله يعلم كيف مات ! ثم ارسل الخليفة وادخلها البلاط وتزوجها . وكلف بها غاية الكلف حتى انها لما عرضت عليه ان يبتني لها دارًا كدارها في خلاط ويضم اليها حديقة وسألها عن هندستها أرسل يستدعي الوزير ليلًا واعطاه تصميم الدار والحديقة فخرج من عنده وهيأ مائتي بنّاء والفي فاعل واعدّ ما يلزم من القرميد والجصّ وجعل كل منهم يشتغل في جهة وانتزعوا من ابواب البلاط مصاريع حاضرة وجعلوها على مقاس أبواب الدار الجديدة (٤٥٥) . واقتلعوا كذلك الاشجار من اصولها وغرسوها في الحديقة الجديدة . ولما صار المساء كان العمل كله منتهيا كاملًا . ثم مُدَّت الحُصُر والسجف وتهيأت كل الحاجات وسارت اليها الخلاطيّة . وما مرّت سنوات حتى ماتت . ولبس الخليفة الحداد كدًا عليها . ثم أمر ان تقوّض تلك الدار وتلك الحديقة وتُترك خرابا وابتنى لها هناك ضريحًا ممتازًا لا يزال القراء المسلمون حتى يومنا يقيمون فيه الصلوات وتتوزّع عليهم الصدقات .

بعد الناصر الظاهر ابنه

تولى تسعة شهور وكان ابوه قد بايعه بالخلافة ثم خافه وألغى المبايعة وسجنه وبايع بدلًا منه الامير عليًا ابنه الصغير . ومات الامير عليّ في حياة ابيه وخلف بنين صغارًا وحزن عليه ابوه حزنا شديدًا لا يوصف حتى انه بعث الى كل الملوك يستغرب كيف انهم لم يرسلوا اليه سفيرًا او رسالة تعزية . ومكث وحده في بيت مُظلم اياما كثيرة . وحزن معه جميع اهالي بغداد خاصتهم وعامتهم وكانت فرق النساء يجلسن في كل حي من احياء بغداد ويندبنه . وكانت فرق اخرى يطفنَ الشوارع لابسات المسوح مسودات الوجوه يندبنَ وينحن اياما كثيرة حتى صدر الامر بان كلّ امرأة شاءت ان تبكي لزمها ان تبكي في بيتها دون ان تخرج خارجا .

ولما مات الخليفة الناصر اخرج ارباب الدولة ابنه الظاهر من سجنه وبايعوه بالخلافة اذ كانوا يحبونه لفضله وحلفوا له وأجلسوه على عرش ابيه . ولما اجلسوه قال : كيف يليق ان يفتح الانسان دكانا بعد الساعة التاسعة ؟ فقد نيفتُ على الخمسين سنة وهنذا اتقلّد الخلافة ؟ ثم أظهر من العدل والكرم ما اظهر وردّ اموالًا

جزيلة الى اصحابها كان ابوه قد انتزعها منهم لانه كان طمّاعا . وارتفع عن الناس ما كانوا ألفوه من الخوف وكفّ المفسدون عن السعايات. وعقد لبغداد جسرًا ثانياً على دجلة فصار فيها جسران ولم يكن لها منذ مائتي سنة الّا جسر واحد فقط .

وفي هذه السنة خرج الملك المعظّم صاحب دمشق وغزا ضواحي حماة . فسمع اخوه الملك الاشرف وارسل يلومه . فارتاب منه وارسل اليه شهاب الدين غازي اخاه الثاني الذي كان سابقا في خلاط وميافرقين وحرّضه لينتقض على الاشرف. فخرج الاشرف الى خلاط وانتزعها من اخيه وقبض عليه ولكنه لم يقتله بل وجهه الى ميافرقين ليتولاها .

وفي تلك الاثناء وجّه بارون قسطنطين بالي الى السيد اغناطيوس بطريركنا (١٢٢٢—١٢٥٢) والى قسطنطين جاثليق الارمن ليقصدا ابنة الملك لاون ويأتيا بها من سلوقية ليصطلحا ويتفقا معا في ما يؤول الى فائدة المسيحيين عموما . على ان السلطان علاء الدين صاحب بلاد الروم انتهز فرصة الخلاف بينهما فاحتل كثيرًا من حصون قيليقية . بناء على ما تقدم سار المغبوطان وألحّا عليها ونصحا لها فلم تقتنع بل زادت على ذلك ابنا لامتها وادّعت انها حالفا القاتل سافك الدم الزكيّ . ولم يتيسر لهما ان يعترضا فتركاها وعادا دون جدوى .

بعد هذا سار بالي ذاته اليها وسأل الاخوة الفرير ان يسلموه اياها قسرًا . فقالوا له : ان بيوتنا وقلاعنا انما هي ملاذ للمسيحيين وليس في امكاننا ان نسلّم امرأةً ملكةً استجارت بنا . فاحتال بالي واشترى منهم القلعة مع كل ما فيها وأخرجهم منها وصار الامر والنهي بيده . وأمسك بكتف الملكة وسحبها ونقلها جبرًا الى طرسوس وجمع البطاركة والاساقفة والكهنة وكلّلوها مع ابنه هيثوم ونادوا بهيثوم ملكا على قيليقية يوم احد العنصرة ١٤ حزيران ١٥٣٧ لليونان.(١٢٢٦ م) . وظلّت الملكة ايزابيل عشرة اعوام لا تسوّغ للملك (٤٥٥) هيثوم ان يعرفها . وبعد ذلك اتفقت معه وولدت له بنين وبنات .

وفي ١٤ رجب السنة ٦٢٣ للعرب (١٢٢٦ م) مات الخليفة الظاهر .

بعد الظاهر المستنصر ابنهُ

تولّى سبع عشرة سنة . واخذ يركب ركوباً ظاهرًا يغدو ويروح لا يختفي

في ركبته عن الفرس . وادى من المسالة اضعاف ما ابداه والده . ووزع صدقات عائدة وجدد ابنية كثيرة. وتقدم بانشاء مدرسته المعروفة بالمستنصرية التي لم يعثر في الدنيا مثالها. ورتب فيها اربعة مدرسين لكل مذهب من المذاهب الاربعة مدرس واضاف اليهم ثلاثمائة فقيه لكل فقيه معاشا يكفيه يوما فيوما . وشاد لهم حماما خاصا لا يدخله غيرهم . واقام لهم طبيبا خاصا يعالج مرضاهم.

موت جنكزخان

في السنة ٦٢٤ للعرب (١٢٢٦م) قفل جنكزخان من بلاد خراسان عائدا الى المشرق . واعتزم الرحيل الى بلاد تنكرت بجدود الهند وهنالك عرض له داء دوي بسبب عفونة الهواء. ولما قطع الامل من معالجة الاطباء استدعى اولاده جغاتي واوكتاي وتولي وكلكان وجورختاي واوردجار وقال لهم : اني مزمع ان اموت ولا بد من شخص كفوء ينهض بحفظ مملكتي دون تضعضع . وهذه هي ارادتي مثلما اعلنتكم غير مرة أن ابني اوكتاي يخلفني في كرسي مملكتي لاني واثق بذكائه ومتين رأيه . فما قولكم في هذا يا ابنائي ؟ فجثوا جميعا على ركبهم وقالوا : انت ابونا وسيدنا وملكنا ونحن عبيدك السامعون المطيعون لكل ما تأمر وترشد . وبعد هذا اشتد داؤه وتوفي في الرابع من رمضان شهر صوم العرب (٢٤ آب ١٢٢٧ م) .

وبعد هذا ارسل الابناء الحاضرون (٤٥٦) وفودا استدعوا سائر البنين والانسباء . فوصل من طرف القفجاق توشي الابن الكبير وهردو وباتو وسيقان وتنكوت وبراكه وبركجار وبغاتيمور واقناس وجماتي. واستدعوا من الجنوب اوكتاي الذي أحيلت اليه المملكة . ومن المشرق استدعوا عمهم اوكتين وبلكتاي نوين والجتاي نوين وتولي . اما سائر الاخوة الصغار فكانوا في معسكر جنكزخان وقد انتظروا نحو سنتين حتى اكتمل جمعهم . واجلسوا اوكتاي على تخت المملكة .

وفي هذه السنة مات الملك المعظم بن العادل صاحب دمشق واورشليم وكان رهيبا مخيفا يبرى امتلاك جميع البلدان . واقام المصديين يغزون سائر البلاد ولاسيا حمص وحماة . وخلفه الملك الناصر صلاح الدين داود وحمل عمّاه

الملك العزيز والملك الصالح ركابَ السرج امامه .

وفي السنة ٦٢٥ للعرب (١٢٢٧ م) غادر مصر الملك الكامل ليأتي الى دمشق وينتزعها من ابن اخيه . وبوصوله الى السامرة برز الامبراطور[1] الالماني الى يافا فأحجم الملك الكامل عن مسئلة دمشق وقدم اليه اخوه الاشرف والملك المجاهد صاحب حمص وساروا معاً الى تلّ العجول وبعثوا وفوداً الى الامبراطور واطّلعوا على سبب قدومه . فقد صرّح لهم بانه انما اقبل غيرةً على بيت الربّ في اورشليم . فتنزّل العرب للفرنج عن المدينة فقط لا عن ضواحيها وعُقد الصلح .

في هذه السنة مات حسنون الطبيب الرهاوي . دخل (٤٥٧) بلاد الروم وخدم سيف الدين امير آخور واختيار الدين حسن . ثم خرج الى ديار بكر وخدم ابناء شاه ارمن وهزار ديناري الذي خلفهم وابناء العادل الذين ملكوا هناك واخيراً عاد الى الرها . ولما سمع ان طغرل الخادم صديقه القديم منذ عهد خدمته لاختيار الدين قد اصبح ابا ومشيراً في مملكة حلب توجه اليه . لكنّ طغرل القليل الخبرة لم يستقبله بالاكرام كما كان يجب عليه . ولما عُوتبَ على ذلك قال : انا مقصّر بحقه لاجل نصرانيته . واقام حسنون الطبيب في حلب كثيراً متعضاً . ولما عزم العودة الى الرها ادركته حمى شديدة لحقها اسهال سحجيّ في الامعاء ومات في حلب ودُفن في بيعة القديسة بربارة . وكان شيخاً جليلاً بدينا خبيراً بالطبّ ملمّاً بالفلسفة . وكان يطالع كتاب الاركيّ دائماً . وكان طيّب المحادثة حافظاً للكثير من اخبار الملوك والحكماء الاقدمين والمعاصرين . واشتهر في زمانه كذلك جبرائيل الطبيب الفاضل في الرها وصنّف في السريانية كتباً طبية وفلسفية جمة .

وفي السنة ٦٢٦ للعرب (١٢٢٨ م) اتفق الملك الكامل والاشرف اخوه وهما في تلّ العجول على انتزاع دمشق وضواحيها من اخيهما الملك الناصر داود ابن المعظّم . وان تكون المدينة حتى تل فيق للاشرف ومن فيق الى غزّة للكامل . وان يعطي الاشرف للناصر بعض الاماكن في المشرق بدلاً من دمشق . ووافقهما الناصر في ذلك وسار الى دمشق لينقل امتعته واهله ويخرج

[1] فردريك الثاني ملك النمسا .

لكنه ندم اخيرا ورفض ان يسلمها . عند ذاك سار الاشرف في جنوده وجنود الكامل الى دمشق (٤٥٨) وحاصرها. فامتنعت عليه . فارسل يستدعي الكامل اخاه فأقبل وحاصر المدينة حصارا شديدا واحتلها في اول شعبان وسلمها الى الاشرف . واعطى الاشرف لكامل اخيه بدلاً منها الرها وحران والرقة وسروج وراس العين وموزر وجملين . وترك للناصر قلعة الكرك والبلقاء وضواحي اورشليم والسامرة . ثم ارسل الكامل الجيوش مع الملك المظفر تقي الدين الى حماة لينتزعها من اخيه الملك الناصر قلج ارسلان . غير ان الناصر انحدر من القلعة وقصد الكامل ووعده بالذهب وسأله ان يبقيه في حماة. فرفض الكامل طلبه فقال له الناصر : ان كان لا بدّ لك من اخذ حماة فاحلف لي بانك لن تعطيها لاخي تقي الدين . فحلف الكامل وبعث رجاله ليحتلوا المدينة . غير ان اهالي المدينة والقلعة جاهروا قائلين : اننا لن نرضى الا مليكنا وجعلوا يحاربون بشدة . فارسل اليهم الكامل يقول : هوذا ملككم تقيّ الدين عندكم فسلموه . ففرحوا جداً وسلّموه وسار الى القلعة وبعد ايام انطلق الى حران وكان الكامل يومئذ فيها يشرف على البلاد التي وُهبت له . فرحّب به وزفّ اليه ابنته ووشحه ومن معه بالحلل وأعاده الى حماة ولاسيما لان بعض المتطرفين كانوا يقولون له ان تقي الدين لن ينحدر من قلعتها الى الابد ولن يقع نظرك عليه . لكنه لما سار اليه دون تكلف أعزه واكرمه . وفي تلك السنة احتلّ السلطان علاء الدين مدينتي ارزنجان وقاماخ.

جلوس الخان على تخت دولة المغول بعد ابيه جنكزخان

في السنة ٦٢٦ للعرب (١٢٢٨ م) اكتمل اجتماع ابناء جنكزخان وارباب المغول واكلوا وشربوا ثلاثة ايام ثم قالوا لاوكتاي : لقد صدر امر جنكزخان (٤٥٩) بان تخلفه في المملكة . فقال لهم قول حكيم : ان أمر والدنا مهما كان فان لنا اخا اكبر مني واعماما أولى مني بالمملكة ثم ان تولي اخانا الصغير متولّ المعسكر الكبير وكان ملازماً لابينا في الخدمة دائماً وقد اختبر نواميس المملكة وسياستها اكثر منا فاذا شئتم فليجلس هو . فصرخوا باجمعهم وقالوا: لا بدّ من امتثال مرسوم ابينا المبارك مهما كلفنا الامر . ثم كشفوا رؤوسهم

ورموا مناطقهم على اكتافهم واخذه جغاتي بيده اليمنى واوتكين بيده اليسرى واجلساه على سرير ذي اربعة مساند اشارة الى اربعة اقطار الدنيا ولقّباه الخان. وتقدم تولي الاخ الصغير الذي ذكر اوكتاي ان الدولة تحقّ له وسقاه كاس شراب وجثا على ركبتيه وانحنى مبدياً له الخضوع التامّ . وصنع مثله جميع الاخوة الحاضرين والاقطاب الذين خارج الخيمة فجثوا له على ركبتيهم تسع مرّات ثم برزوا الى خارج وجثوا للشمس ثلاث مرات كعادتهم . ولما استقرّ الخان على التخت فتح كنوز ابيه وخزائنه ووزّع على اخوته واعمامه وعلى سائر الاقطاب كل واحد حسب مقامه . وانتخب الاقطاب من بناتهم اربعين عذراء ذوات جمال رائع وزيّنوهن بافخر الحلي والحلل والقلائد المنظومة بالحجار الكريمة وقدّموهن للخان . وفرحوا جميعاً فرحاً عظيماً جداً . وبعد هذا حتم الخان بان تحفظ جميع نواميس جنكزخان ومراسيمه وصرّح بان من يخالفها يُقتل قتلاً.

وكان جلال الدين خوارزمشاه يظفر يومئذ كالايل في بلاد خراسان فوجّه الخان جورماغون نوين في ثلاثة آلاف من خيرة (٤٦٠) رجاله الى تلك الاطراف وسيّر سنتاي المجاهد في جيش جرار الى ناحية تبدوقية وبلغارية وبعث غيرهم الى انحاء الهند وسار هو مع الاخوة والانسباء الى الصين .

وفي السنة ٦٢٧ (١٢٢٩م) انتزع الملك الأشرف مدينة بعلبك من صاحبها الملك الامجد ونقل كلّ ما كان في خزائنها وحمله الى دمشق واستقرّ بها .

وفي اول تلك السنة نزل خوارزمشاه جلال الدين منكبرانى بن خوارزمشاه محمد على خلاط وحاصرها اشدّ حصار. وكان فيها تقيّ الدين عباس ومجير الدين يعقوب أخوا الاشرف . وانتوى جلال الدين منذ خمس سنوات ان يحتل ارض سنجار وسار الى دقوقة وبيت وازيق واخرب واحرق وقتل بحدّ السيف ثم زحف الى مروج شهرزور وارسل اليه مظفّر الدين صاحب اربيل هدايا كثيرة وعقد معه صلحاً . وفي هذه السنة زحف الى خلاط ونصب عليها عشرين منجنيقاً من ناحية البحيرة وتضايق الخلاطيون بسبب الحرب والجوع حتى اكلوا لحوم الكلاب والجحاش. وبيع الرطل السوري من الخبز اعني ستة ارطال بغدادية بدينار مصري.

وعند ذلك حشد السلطان علاء الدين كيقباد عشرين الفاً وسار الى ملطية ووجّه عشرة آلاف الى ارزنجان وأبقى العشرة لديه وكتب الى الاشرف

يشجعه ويصرّح له بانه متوجه بنفسه الى خلاط ليبارز خوارزمشاه واذا شاء الرب فسيسقي خيله من مياه جيحون بالعجم . ثم ارسل سفيرًا الى خوارزمشاه يقول : انك سلطان ابن سلطان فلا تصنع ما يخالف الشرع . واعلم ان اباك بسبب ظلمه اثار عليه الله تعالى جيوشَ التتر من المشرق . وهذا بيت (٤٦١) ايوب بيت كبير مبارك يركب اخوته وابناء اخيه وابناء عمه وابناؤهم في الفي فارس . ولا تظننّ اني عدوّهم لكني صديقهم ومحاربٌ لاجلهم لان ما بيننا مصاهرةً وعمي كذلك هو صهرهم . فيجب ان تحسن معاملتهم حتى تصبح نحن وهم اعداء لاعدائك .

اما خوارزمشاه فاتقح واجابه بانه يتعذر عليه ان يترك خلاط . ثم بالغ في محاربتها. فسخط بعض اهالي وان وسلّموا المدينة الى الخوارزميّين فامتلكوها وانهزم اخوه الاشرف وحسام الدين القيمرىّ صهر الاشرف زوج اخته من الامّ وتبعهم عزّ الدين ايبك حاكم خلاط وتحصنوا في القلعة . وما عتم ان طلبوا الامان وسلّموها كذلك . وبعدما احتلّ خوارزمشاه المدينة لم يعتقل اخوة الاشرف بل جعلهم في خدمته يركبون معه ويلعبون امامه كل يوم في الميدان . فخاف الاشرف وسارع في القدوم الى ابلستين واجتمع اليه جنوده . وبرز كذلك السلطان علاء الدين في جنوده واحتشدوا جميعًا في آق شهر . وخرج خوارزمشاه في عساكره للقائهم ومعه اربعون الفًا . وشاهدوا نحو اربعة آلاف فارس من فرسان علاء الدين مشتّين ففتكوا بهم قاطبةً . ثم اقتتل الفريقان قتالًا شديدًا يوم الجمعة وكانت الغلبة للملك الاشرف . وباتوا ليلة السبت يَقتلون ويُقتَلون وعند الصباح التحم القتال وانكسر الخوارزميون كسرةً عظيمة وقُتل منهم خلق لا يُحصى عددهم واستؤسر بعض الامراء والجبابرة المشاهير وانهزم الكثيرون منهم الى طرابزون وبلاد الكرج . وسقط نحو الف (٤٦٢) وخمسمائة فارس من كهفٍ عالٍ ليلًا وماتوا . وتم ذلك في آب ١٥٤١ لليونان (١٢٣٠ م) .

(يتبع)

صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام

بقلم حبيب زيات

٩ — الرقوق

جمع رَقّ ويستدل من لفظها انها كانت جاودًا رقاقا قيل لورّاق ما تشتهي ؟ قال : قلماً مشّاقاً وحبرًا برّاقاً وجاودًا رقاقاً[١] . وكان منها نوع في غاية الرقة والنعومة لا يكاد يفرق من الورق بشي. وصفه المسعودي بقوله : رأيت بمدينة اصطخر من ارض فارس في سنة ٣٠٣ (٩١٥ م) عند بعض اهل البيوتات المشرّفة من الفرس كتاباً عظيماً يشتمل على علوم كثيرة من علومهم واخبار ملوكهم وابنيتهم وسياساتهم ... مصور فيه ملوك فارس من آل ساسان ... وكان تاريخ هذا الكتاب انه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣ (٧٣١ م) ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية الى العربية . . . والورق فرفيري اللون عجيب الصنع فلا ادري أورق هو ام رق لحسنه واتقان صنعته[٢] وان لم يكن من ورق الصين العالي فلا محالة انه كان من الرق لان الورق السمرقندي لم يكن صُنع بعد في سنة ١١٣ للهجرة .

وفي الشعر القديم ذكر مستفيض للكتابة على الرق كقول طرفة :

كسطور الرق رقّشه بالضحى مرقش يَشِمُه[٣]

ولحسان بن ثابت :

عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الرق القشيب[٤]

ولحاتم الطائي :

أتعرف آثار الديار توهمّاً كخطك في رق كتاباً منمنماً[٥]

١) ادب الكتاب للصولي ٩٥

٢) التنبيه والاشراف ١٠٦–١٠٧

٣) العقد الثمين ٣٢

٤) ديوانه طبعة ليدن ١٨

٥) الاغاني طبعة الدار ٨ : ٢٠٤

وللحارث بن خالد المخزومي :

هل تعرف الدار اضحت آيها عجبا كالرق اجرى عليه حاذق قلما[١]

ومما كانت تختار كتابته خصوصاً في الرقوق كتب الامان والعُوَذ التي كانت تعلق في اعناق الاحداث لصبرها على الدعك واللمس . قال ابن همام السلولي من قصيدة يخاطب ابن زياد :

فقد خُطَّ لي الرق فيه الاما نُ اليك مخافة أبنائك[٢]

وفي الاغاني : ان ام ذي الرمة جاءت الى الحصين بن عبدة بن نعيم العدوي وهو يقرئ الاعراب بالبادية احتساباً بما يقيم لهم صلاتهم فقالت له : يا ابا الخليل ان ابني هذا يُروَّع بالليل فاكتب لي معاذة اعلقها على عنقه فقال لها : ائتيني برق اكتب فيه فقالت : فان لم يكن فهل يستقيم في غير رق ان يكتب له . قال : فجيئيني بجلد وأتته بقطعة جلد غليظة فكتب له معاذة فيه[٣] .

وكانوا يؤثرون كتابة القرآن في الرقوق[٤] اجلالاً له ويختارون للغاية نفسها تدوين الحديث في الرق وبالحبر دون الورق والمداد . وفي تاريخ بغداد : ان المعتز بعث الى القاضي احمد بن بديل الكوفي واراد ان يسمع منه ا حديث قال فاخذ الكاتب القرطاس والمداد فقلت له : أتكتب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في قرطاس بمداد قال : فبِمَ تكتب قلت : في رق بحبر فجاؤوا برق وحبر[٥] . واستثنى البطليوسي بعض انواع الحبر فقال : يختار ان لا يكتب في الجلود والرق بالحبر المثلث فانه قليل اللبث فيهما سريع الزوال عنها وان يكتب فيها بالحبر المطبوخ وفي الرق بما احب[٦] .

وروى البشاري المقدسي ان اهل المغرب كل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة

١) الاغاني ٣ : ٣٢٨

٢) انساب الاشراف للبلاذري ٥ : ٨

٣) الاغاني طبعة بولاق ١٦ : ١١١

٤) صبح الاعشى ٣ : ٤٧٦

٥) تاريخ بغداد للخطيب خزانة باريس ٢١٢٨ ص ٩٠

٦) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ٦٧–٦٨

في رقوق[١] ولذلك لما تبين للاخشيد امير مصر خطأه بقبول المسير الى بغداد بين يدي المتقي لله وخدمته اياه واراد استدراك هذا الخطأ قال احمد بن عبدالله الفرغاني: فدعوت رجلا من المغاربة له اخ بالمغرب فقلت له: خذ رقاً واكتب فيه كتاباً من اخيك وقل فيه: « لما اتصل بامير المؤمنين القائم بامر الله (الفاطمي) مسير الاخشيد الى المتقي جهز العساكر في البر والبحر الى مصر واغتنم خلوها ». واذا كتبت الكتاب ففركه وادعكه حتى يصير كانه قديم ... ثم حمله (الاخشيد) الى المتقي وقرأه عليه ... فقال له: سر ولا تتأخر[٢].

وغلب على الدواوين السلطانية في الاندلس الكتابة في جياد الرقوق بأجل الاقلام. ومن فصل للوزير ابي حفص بن برد الاكبر من رقعة كتبها عن المظفر بن عامر: « ان ورد لاحد من الخدمة بعد وصول ذلك العهد اليه كتاب اعتراض او عمل في رق ردي او بمداد دني او خط خفي فيه لحن ... ليبطلن سعي كاتبه في ما يكتب وليعاجلن بعقوبة العزل ». وكتب ايضاً: « ان قوماً من خدمة الحضرة قد عادوا الى ما نهوا عنه فكتبوا الخط الدقيق في دني الرقيق دقة من هممهم ودناءة في اختيارهم »[٣].

وربما أعوزهم الرق النقي فيعمدون الى القديم منه او المكتوب فيقشرون وجهه ويسمونه « مبشوراً » ويعتذرون عن الكتابة فيه. ولما ولي المستظهر بالله ابو المطرف عبدالرحمن بن هشام الناصري سنة ٤١٤ (١٠٢٣ م) رفع اليه شاعر ممن هنأه بالخلافة يوم بيعته شعراً له كتبه في رق مبشور واعتذر عن ذلك بهذين البيتين:

الرق مبشور وفيه بشارة ... ببقا الامام الفاضل المستظهر
ملك اعاد العيش غضاً شخصه ... وكذا يكون به طوال الادهر

فاجزل المستظهر بالله صلته ووقع له على ظهر رقعته بابيات منها:

قبلنا العذر في بشر الكتاب ... لما احكمت من فصل الخطاب
وجدنا بالجزاء بما ندبنا ... على قدر الوجود بلا حساب[٤]

١) احسن التقاسيم ٢٣٩
٢) المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٤ : ٤١
٣) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام ١ : ٨٧
٤) الذخيرة لابن بسام ١ : ٤٤

ولكن هذا التفاؤل بالبشر والبشارة لم يعصم المستظهر من القتل والموت في السنة نفسها .

وكان في قرطبة رَبَض يدعى « ربض الرقاقين » تباع فيه الرقوق بالقرب من باب العطارين وعرفت اشبيلية بصناعة الرقوق وفي كتاب الحسبة لابن عبدون « يجب ان لا تبسط الاتذار على اقبتها مثل جلود الدباغين والرقاقين » وان لا يعمل الرق الا مبشوراً ولا يصنع الا من الضان المهزول »[١] يريد بالبشر ان تقشر البشرة التي ينبت عليها الشعر .

ولما احرق ابن عباد كتب ابن حزم قال ابن حزم يصف ما أحرق له من رق وقرطاس وكاغد :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي   تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي   وينزل ان انزل ويدفن في قبري
دعوني من احراق رق وكاغد   وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والا فعودوا في المكاتب بدأة   فكم دون ما تبغون لله من ستر[٢]

ومن اغرب الحيل التي لجأ اليها احياناً بعض الخطباء في المشرق والمغرب كتابة خطبهم في رق بخط جليل والصاقه في الحائط بحيث يستعينون بقراءته قريباً منهم لئلا تخونهم الذاكرة فينقطعوا ويفتضحوا وهو ما حكاه احد موالي بني امية وكان ذا علم باخبارهم القديمة والحديثة واخبار بلاد الاندلس . حدث عنه حرملة صاحب الشافعي قال :

« كنت قد نظرت يوماً في بعض جوامع بواديهم الى خطب مكتوبة بخط غليظ في رق ملصق في الحائط بحذاء المنبر الذي يخطب عليه فكان اذا قعد للخطبة نظر اليها فلم يدخل عليه سقط ولا تلعثم فتكلمت معه في ذلك وعبت عليهم وقلت لهم : انتم اهل المشرق المنسوب اليهم البلاغة والخطب على البديهة وتفتقرون الى مثل هذا ؟ ما رأيت مثل هذا في نواحي المغرب وهم اضعف الناس في البلاغة فما تقولون ؟ فقال لي : قد كان الطف من هذا عندكم وفي بيضة بلدكم وموضع سلطانكم . كان يخبرني ابي عن جدي انه كان عندكم

---

١) كتاب الحسبة لابن عبدون Journal Asiatique 1934 p. 217 et 250
٢) ادب الكتاب للصولي ٦٥

بقرطبة قاض في الزمان يسمى عنترة بن فلاح وكان تقيا ورعا استسقى يوما بالناس فاحسن في دعائه وقيامه بالخطبة فقام اليه رجل من عامة الناس فقال: ايها القاضي الواعظ قد حسنت ظاهرك وحسن الله باطنك فقال له: آمين لنا اجمعين فهل اخبرت شيئاً يا ابن اخي فقال له: نعم بتفريغ اهرائك يكمل استسقاؤك فقال القاضي: اللهمّ اني أشهدك ان جميع ما حواه ملكي من المأكول صدقة لوجهك ثم آلى ان لا يريم مقامه حتى يقصد داره ويفرق جميع ما ادّخر قال فأغيثوا من يومهم غيثاً عاماً. قال لي وكان هذا القاضي عنترة يقول: متى لحظت الناس لم اجد كلاماً فكان اذا خطب سدل على وجهه من ثوبه فكان يذكر عنه ان معناه غير ذلك وان خطبته كانت مكتوبة في صحيفة مشتبكة في الثوب المسدول على وجهه فهذا من نحو ما رأيت عندنا وهذه الخطب لها آلات واستجماع[1].

وللرقوق اذا تداولتها الايدي قعقعة كان يضرب بها المثل قال البشاري المقدسي في كلامه على اصحاب الكهف: على كل رجل منهم جبة. وكساء اغبر يتقعقع كما يتقعقع الرقّ[2]. وهذه القعقعة هي التي كانت سبباً لسقوط زينب اخت الحجاج بن يوسف ومقتلها وكان لما خرج ابن الاشعث وجّه بها مع حُرمه الى الشام خوفاً عليهنّ «فلما قتل ابن الاشعث كتب الى عبد الملك بن مروان بالفتح وكتب مع الرسول كتاباً الى زينب يخبرها الخبر فاعطاها الكتاب وهي راكبة على بغلة في هودج فنشرته تقرأه وسمعت البغلة قعقعة الكتاب فنفرت وسقطت زينب فدقّ عضداها وتهرّى جوفها فماتت»[3].

وفي دار الكتب في القاهرة امثلة نفيسة من الجلود والرقوق المكتوبة. وفي الخزانة الظاهرية بدمشق صحف من الرقّ منتزعة من كتب عربية قديمة جُلّدت بها اجزاء في الحديث وبعض العلوم.

١٠ ــ الطروس

قال ابن سيدة: الطرس الكتاب الذي مُحي ثم كُتب والجمع اطراس

١) كتاب القضاة بقرطبة لابي عبدالله محمد بن الحارث الخشني طبعة مدريد ص ٣٥-٣٦
٢) احسن التقاسيم ١٥٣
٣) الاغاني ٦ : ٣٦

وطروس . وقال الليث : الطرس الكتاب الممحو الذي يستطاع ان تعاد عليه الكتابة . وفي اللسان ايضاً : الطرس الصحيفة ويقال هي التي محيت ثم كتبت وكذلك الطلس[1] palimpseste .

وقد سبق انه لما كانت فتنة الامين نهبت الدواوين واخذ ما فيها من الجلود المكتوبة فحيت او غسلت وكتب الناس فيها عدة سنين وفي كتب التراجم والتاريخ عدة اشارات الى من غسل كتبه اما تورعاً قبل موته واما في حياته لغرض من الاغراض واشتهر من الاولين سفيان الثوري يقال انه لما حضرته الوفاة غسل كتبه كلها خوفاً كما قال ابو العلاء :

والخوف الزم سفيان ان يفرّق كتبه[2]

. وجاء في ترجمة المبارك بن ابي طالب الكوفي المتوفى سنة ٥٨٥/١١٨٩ انه كان « اوحد زمانه في حسن الخط وكان ضنيناً بخطه جداً فلذلك قل وجوده كان اذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستاً ويغسله »[3] . وروي عن ابي الحسن علي بن عيسى النحوي الربعي ومات في بغداد سنة ٤٢٠/١٠٢٩ « ان احد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة فقام مغضباً واخذ شرح سيبويه (من تصنيفه) وجعله في إجانة وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم به الحيطان ويقول : لا اجعل اولاد البقالين نحاة »[3] .

ومما يجدر ذكره ان ابن الدهان الوجيه وكانت وفاته ببغداد سنة ٦١٢/١٢١٥ « حضر بدار الكتب التي برباط المأمونية وخازنها يومئذ ابو المعالي احمد بن هبة الله فجرى حديث المعري فذمّه الخازن وقال : كان عندي في الخزانة كتاب من تصنيفه غسلته فقال له الوجيه : واي شيء هذا الكتاب قال : كان كتاب نقض القرآن فقال له : اخطأت في غسله »[4] .

واذا صح ان الكتاب كان حقاً لابي العلاء ولا نعلم ان احداً نسبه اليه كانت هذه الحكاية من اولى الشواهد على ان نكبات العلم وضياع بعض ذخائره

---

١) لسان العرب ٧: ٤٢٧–٤٢٨ وتاج العروس ٤: ١٧٧

٢) اللزومات طبعة الهند ٤٤

٣) ارشاد الاريب لياقوت ٥: ٢٨٤

٤) ارشاد الاريب ٦: ٤٣٥

ونوادره لم تكن من جناية الدهر فقط وكساد الوراقة واهمال النساخ بل احيانا من تفريط الخزّان المؤتمنين على حراسته وصيانة ودائعه وتركاته ورب حارس محترس منه .

ومن روايات ياقوت ايضاً : قال الشميم الحلي : عملت مقامات مرتين فلم ترضني فغسلتها وما اعلم ان الله خلقني الا لأظهر فضل الحريري[1] .

١١ ــ البردي والبرديات

في مفردات ابن البيطار ان البردي كان يقال له الحلفا[2] ودعاه ايضاً الفافير بفائين وهو تعريب papyrus وكثيراً ما تعاقب الفاء الباء.[3] ونقل عن ابي العباس النباتي انه « موجود بصقلية معروف بها واهل البلاد يسمونه بيبر ببائين معجمتين في المنطق بنقطة واحدة من اسفلها بعدهما ياء باثنتين من اسفل ثم راء »[4] . ومن هذا الضبط يتضح غلط النساخ في طبعة ابن حوقل حيث ورد لفظ « البربير » بزيادة راء بين البائين بدلا من البيبر قال في كلامه على مدينة بلرم في صقلية : « في خلال اراضي بلرم بقاع قد غلب عليها البربير المعمول منه الطوامير ولم اعلم لما بمصر من هذا البربير نظيراً بوجه الارض الا ما بصقلية منه واكثره يفتل حبالا للمراكب واقله يعمل منه للسلطان طوامير لا تزيد على قدر كفايته »[5] .

وقد فات ابن حوقل ان البردي كان ينبت ايضاً في فارس وفي افريقية وبطائح السودان والحبشة قال الشيخ داود الانطاكي :« وينبت ايضاً بغوطة الشام وعندنا مما يلي السويدية[6] . وكان معروفاً ايضا في ديار العرب شبهوا المرأة المتصفة بالشطاط وحسن القامة بأباءة البردي اي قصبته فقال احد الشعراء :

1) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ١٢٣
2) في الاصل المطبوع غلطاً « الحفا » باسقاط اللام .
3) وقد تصحف في الاصل المطبوع الفافر بالغافر بالغين بدلا من الفاء .
4) الكتاب الجامع لمفردات الادوية والاغذية لضياء الدين عبدالله بن احمد المالقي العشاب المعروف بابن البيطار طبعة القاهرة ١ : ٣٥ و٨٦
5) المسالك والممالك طبعة ليدن ٨٥ — ٨٦
6) تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجاب ١ : ٦٥

وحقة مسك من نساء لبسنها شبابي وكأس باكرتني شمولها
جديدة سربال الشباب كأنها أباءة بردي سقتها غيولها [١]

وكان المصريون يعملون من البردي في ما عدا القراطيس اي صحف الكتابة حبالًا للمراكب وينسجون منه الحصر الغليظة المعروفة بالاكياب[٢] ولم ترد هذه اللفظة في مكانها من المعجمات واحسن وصف رأيناه للبردي والقرطاس المعمول منه ما رواه ابن البيطار عن ابي العباس النباتي قال: « هو نبات ينبت في الماء له ورق كخوص النخل وسوقه طوال مستديرة خضر في غلظ عصا الرمح القصير نحو القامة واكثر وهي خوارة مفرّقة تنشظى اذا رُضّت الى شظايا دقيقة وربما صلحت ان تصلح منها الارشية وفيها قوة وعلى اطرافها رؤوس مستديرة ضخمة كأنها رؤوس الثوم الكراتي الا انها اضخم عليها هدب ذهبي اللون مليح المنظر.

« وصفة عمل القرطاس عند المصريين في الزمان الاول كانوا يعمدون الى سوق النوع فيشقونها نصفين من اولها الى آخرها ويقطعونها قطعاً قطعاً وتوضع كل قطعة منها الى لصق صاحبتها على لوح من خشب املس ويأخذون ثمر البشنين[٣] ويرجونه بالماء ويضمون تلك الازوجة على القطع ويتركونها حتى تجف جداً ويضربونها ضرباً لطيفاً بقطعة خشب شبه الارزبة فتصير في قوام الكاغد الصرف المتاني »[٤].

وقد اشار ابن الحشاء من رباط الفتح في كلامه على القرطاس المحرق الموصوف في الادوية الى صناعة البردي فقال: « كان يتخذ قديماً بديار مصر من صنف من البردي يسمّى بها الفافير مع رطوبة نبات ينبت في الماء يسمى البشنين يتخذ الواحا على غلظ الكف وتجفّف وتستعمل في الطب. وقد ترك اليوم عمله مع وجود النباتين حتى لا يعرفه الا القليل سماعا لا مشاهدة »[٥].

وكان معوّل الدواوين السلطانية قبل ظهور الورق السمرقندي على الصحائف

---

١) الكامل للمبرد طبعة ليبسك ٤١٤
٢) تذكرة اولي الألباب والجامع للعجب العجاب ١: ٦٥
٣) البشنين نبات يقوم على ساق ولا ورق له ويسميه المصريون عرائس النيل (nymphea lotus)
٤) مفردات ابن البيطار ١: ٨٦-٨٧
٥) مفيد العلوم ومبيد الهموم طبعة سنة ١٩٤١ ص ١١٧

البرديات ومنها دفائن كثيرة في صعيد مصر واول ما اكتشف جانب منها سنة ١٨٢٤ في ضواحي مدينة منف القديمة بالقرب من هرم سقارة ودير مار ارميا عُثر منها على صحيفتين في باطن جرّة مختوم عليها وكانت عادة القوم في تلك الازمنة حفظ ما يشاؤون صيانته واستبقاءه من البرديات والكتب في قوارير من زجاج او جباب من فخار رفقاً بها لسرعة تكسرها وتهرئها بتداول الايدي لها . وفي تاريخ ٩ يونيو — حزيران سنة ١٩٤٩ روت الجرائد ان بعض الفلاحين لقوا في مغارة بالقرب من نجع حمادة على بعد ٥٠ كيلومترًا شمالي الاقصر خابية كبيرة أودع فيها اثنا عشر مجلدًا بالقبطية لم يبرح جلدها سليماً وفيها عهود دينية عديدة من القرن الثالث بعد الميلاد .

وبقيت عادة حفظ البرديات في الجرار متبعة الى القرن الثالث للهجرة كما يستفاد من رواية ابن خلكان في ترجمة يحيى بن معين بن عبد الرحمن المري البغدادي المتوفى سنة ٢٣٣ / ٨٤٧ قال : « خلف من الكتب مائة قمطر واربع حباب شرابية مملوءة كتبا . »[1] وفي تاريخ بغداد للخطيب انه خلف ثلاثين قمطرًا وعشرين حباً[2] . وكان من شاء سلامة كتبه من الفساد يصونها في الفخار ويظهر ان محمد بن اسحق فعل كذلك بنسخة له من كتاب السيرة صنفه لسلمة ابن الفضل قال ابو الهيثم صنف محمد بن اسحق كتاب السيرة في القراطيس فكانت تفضل رواية سلمة على رواية غيره لحال تلك القراطيس »[3] .

وبعد نحو نصف قرن من الاكتشاف الاول عقبه اكتشافات اخرى في الفيوم والاشمونين واهناس وبهنسا واخميم واشقاو وادفو بلغت الآلاف من الصحف والرقاع والرسائل والشروط والعقود والحجج والبراءات والصكوك الديوانية والكتابات الخاصة والعامة وفيها من الاخبار والفوائد واوصاف الحياة والمجتمع منذ الفتح ما تتجلى فيه مرآة تلك العصور ويعد اصدق شاهد بما كان يجري فيها من سياسة وولاية وتدبير وجباية ورسوم وظلامات وصناعة وتجارة وتصرف بالسفن والمراكب وتعريف اثمان الرباع والعقارات واجور المزارع

١) وفيات الاعيان ٢ : ٣١٩

٢) تاريخ بغداد ١٤ : ١٨٣

٣) تاريخ بغداد ١ : ٢٢١

وتقلب اسعار الارض والاغذية والمآكل واختلاف قيم النقود من ذهب وفضة وهلم جرا من الاحوال والشؤون العمرانية التي تدرجت اليها الحضارة العربية بعد اختلاطها بالروم والقبط .

وبمثل هذه الذخائر والكنوز يستطيع المؤرخ اليوم ان يستدرك ما فات المتقدمين علمه من حقيقة الحوادث والاخبار السالفة او ما لم يتهيأ لهم وصفه على وجهه الصحيح من تاريخ العصور الاولى. واقدم اثر من هذه الآثار الصادقة مدوّن في سنة ٢٢ للهجرة اي سنة ٦٤٢ — ٦٤٣ للميلاد وفيها ما هو متأخر يرجع الى ختام القرن الثامن وهي محفوظة اليوم في الخزائن الاوربية وقسم منها في دار الكتب المصرية وما كادت تشتهر مزيتها حتى اقبل العلماء على دراستها وفك ما اعتاص منها وانفتح لهم في مطالعتها ابواب جديدة للنقد والاستدراك والتصحيح لم تكن في الحسبان وتولد منها علم جديد دعوه علم البرديات papyrologie وبعض هذه البرديات مكتوب باللغتين العربية والرومية وبعضها بالقبطية وبلغ ما اقتناه الارشيدوق رينياي (Régnier) من مكتشفات الفيوم ١٢٥٠٠ رقعة بين صحائف واوراق منها عشرة آلاف بالعربية وخمس مئة بالقبطية .

ووجد في ادفو بين الجزازات والدشت كتاب واحد مخروم قليلاً مجلد برق ملفوف في خرقة من الكتان عنوانه « الجامع في الحديث » لابي محمد عبد الله ابن وهب بن مسلم القرشي المصري (ولد سنة ١٢٥ للهجرة (٧٤٢ — ٧٤٣ م) وتوفي سنة ١٩٧ (٨١٢ — ٨١٣ م) وعدد صفحاته ٨٧ . طبعه وعلق عليه المستشرق Y. David Weil في مجموع منشورات المعهد الاثري في القاهرة .

ويتضح من النظر في البرديات المكتشفة انها كان منها اجناس مختلفة تتباين في الرقة والصفاقة والجودة والقطع واللون ومنها ما هو خشن يصلح للصر وما هو غليظ صلب كالورق المقوى وما هو احمر ولكن البياض هو الغالب وبه اشتهرت القراطيس المصرية ولذلك صح لاحد الشعراء قوله في الهجاء :

ثياب طباخه اذا اتسخت انقى بياضاً من القراطيس[1]

---

١) النهاية في التعريض والكتابة للثعالبي ٢٩

ولابي نواس في تشبيه الناقة :

واحتازها لون جرى في جلدها يقق كقرطاس الوليد هجان[1]

١٢ ـ القرطاس

اضطرب كلام القوم في تفسير لفظ القرطاس الذي كان يطلق على صحف البردي وهو من الرومية (Χάρτης) تكلموا به قديماً وجاء في القرآن (ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس) فقال اللسان : القرطاس الكاغد يتخذ من بردي يكون بمصر . ثم اطلقه على الصحيفة من اي شيء كانت[2] ونقل القلقشندي ان القرطاس والصحيفة بمعنى واحد وهو الكاغد وان كل كاغد قرطاس[3] وهو تفسير مولّد تتوسع فيه الاصل لان الكاغد من القنب والكتان . والقرطاس من قصب البردي ولذلك قال ابن البيطار : متى قيل في الطب « قرطاس محرق » فيراد به القرطاس الذي يكون من البردي[4] . ومن ثم لا بد للناظر في كتابات المتقدمين من التمييز بين معاني القرطاس في عصوره المختلفة فكل ما جاء منه قبل الهجرة وبعد الخلافة الاموية الى شطر من الخلافة العباسية في القرن الثالث انما يُقصد به صحف البردي وبه يجب ان يفسر قول طرفة في معلقته يصف ناقته :

وخدٍ كقرطاس الشامي ومشفر كسبت اليماني قدّه لم يجرّد

ثم لما ظهر الورق السمرقندي وعم استعماله وانقطع بسببه عمل الورق البردي تحول لفظ القرطاس الى معنى الكاغد والتبست الكلمتان .

وربما قيل : قرطس بحذف الالف كما في بيت للمخبّل العقيلي في وصف رسوم دار شبهها بخط الزبور فقال :

كأن بحيث استودع الدار اهلها مخطّ زبور من دواة وقرطس[5]

ويجمع على قراطس كما في قول احدهم :

1) ادب الكتاب للصولي ١٠٦
2) لسان العرب ٨ : ٥٤ــ٥٥ والتاج ٤ : ٢١٥
3) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٤
4) الكتاب الجامع لمفردات الادوية ١ : ٨٦
5) تاج العروس ٤ : ٢١٥

حملت اليك عروس الثناء على هودج ما به من جير
على هودج من قراطيس مصر يبين على الطي بين الحرير[1]

واشتهر الرهبان بالكتابة على القراطيس فقال جرير :

كأن ديار الحي من قدم البلى قراطيس رهبان احالت سطورها[2]

وكان القرطاس يعمل في عدة مواضع قديمة من مصر لم يعرف منها الا الفار وافراجون – بالجيم وضبطها ياقوت بالحاء المهملة – والفسطاط وبورة التي ينسب اليها السمك البوري ووسيمة[3] . في كتاب الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة لابن ظهير : « دقهلة وكورتها يعمل بها القرطاس الطومار الذي يحمل منه الى اقاصي بلاد الاسلام والكفر »[4] ويؤخذ من بعض الروايات انه كان يعمل قديماً في الاسكندرية ايضاً[5] .

وقد سبق من كلام ابن حوقل ان القراطيس البردية لم يكن يعمل منها بصقلية الا المقدار الذي كان يحتاج اليه السلطان فكانت مصر معدنها الوحيد في الشرق ومنه كان يستمد اهل الغرب مؤونتهم الى اوائل القرن الثاني عشر الميلاد . ولما ابتدأ المعتصم بالله ببناء سامرّا سنة ٨٣٧/٢٢١ « حمل اليها الناس من كل بلد وامرهم ان يعمروا عمارة بلدهم وحمل قوما من ارض مصر يعملون القراطيس فعملوها ولم تأتِ في تلك الجودة[6] وزاد ابن الفقيه انه « حمل صناع القراطيس الى سر من رأى مع تربتها ومائها وامرهم باتخاذه هناك فلم يخرج منه الا الخشن الذي يتكسر »[7] وهذا القول يعني ان المعتصم ادرك فائدة استنبات البردي في ارض سامرّا لعمل القراطيس فامر بجلب ترابه ومائه وصناعه من مصر ولما صحت تجربته ونجحت سوقه اوعز الى صناعه الاقباط بتقطيعها والصاقها على الشكل الذي اعتادوه في مصر فلم تأتِ القراطيس

١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ٤٢١
٢) نقائض جرير والفرزدق ١ : ٥٢٧
٣) كتاب البلدان لابن واضح اليعقوبي ١٢٦–١٢٧
٤) خزانة باريس ١٧٦٧ ص ٣٣
٥) *Dictionnaire Encyclopédique Quillet* p. 3406
٦) تاريخ اليعقوبي طبعة ليدن ٥٧٧ و٢٦٤
٧) كتاب البلدان طبعة ليدن ٢٥٣

منها في اللين الكافي وغلبت عليها الخشونة اما لجفاف هواء سامرا وقلة الرطوبة والبردي يجيء في مصر على ضفاف النيل واما لاسباب اخرى خافية . ويظهر ان الزراع لم ينقطعوا عن استنباته على علاته ولعلهم اتخذوا منه بدلا من صحف الكتابة قراطيس للصرّ وهو ما يستفاد من النِسَب الى القراطيس وصناعتها في بغداد . قال السمعاني : القراطيسي نسبة الى عمل القراطيس وبيعها . والمشهور بها ابو عمرو وقيل ابو عثمان سعيد بن بحر القراطيسي والقاضي المحاملي مات في رمضان سنة ٢٤٣. وابو ذرّ القاسم بن داود بن سليمان البغدادي القراطيسي.. وابو بكر محمد بن بشر بن مروان القراطيسي اصله من انطاكية سكن بغداد[١] ومن الشعراء الذين عرفوا بهذه النسبة اسمعيل بن معمر القراطيسي . كان بيته مألفًا للشعراء كابي نواس وابي العتاهية ومسلم وطبقتهم[٢].

وكان بالكرخ درب القراطيس ذكره الطبري والجاحظ وعمرو بن متى وماري بن سليمان وغيرهم قال الجنيد : «مررت بدرب القراطيس فسمعت جارية تغني». وفي ربيع الاول سنة ٩٨١/٣٧١ وقع حريق بالكرخ من حد درب القراطيس الى بعض البزازين من الجانبين»[٣].

وفي الاساطير الاسلامية ان يوسف اول من عمل القراطيس واتخذها وكتب فيها[٤] ولما جاء شابوليون المشهور الى مصر وجد بين اوراق البردي حسابات يرتقي تاريخها الى سنة ١٧٠٠ قبل المسيح[٥] واول ذكر للقراطيس بعد الفتح كان في ايام عمرو بن العاص . قيل امر عمر بن الخطاب زيد بن ثابت «ان يكتب الناس على منازلهم وامره ان يكتب لهم صكاكًا من قراطيس ثم يختم اسافلها فكان اول من صك وختم اسفل الصكاك»[٦].

ولا يعلم متى بدأت زراعة البردي بالتناقص بمصر وتبعتها صناعة القرطاس بالاضمحلال بعد رواج الكاغد . ويظهر انه بقيت بقية من زراعته الى سنة

١) كتاب الانساب ٤٤٥

٢) وفيات الاعيان ١ :١٤٧

٣) تاريخ الاسلام للذهبي خزانة بريتش موزيوم Add. 48 f° 15

٤) الاعلاق النفيسة لابن رسته ١٩٣

٥) *Dictionnaire Quillet* p. 3406

٦) تاريخ اليعقوبي ٢ :١٧٧

١٤٠٠ للميلاد في بركة قارون في الفيوم وفي اعلى الصعيد . وكان لا يزال يعمل في دمياط سنة ١٧٩٦ حبال وحصر من قصب البردي . ويظن ان صناعة القرطاس بدأت بالسقوط والتلاشي منذ سنة ٣٢٥/٩٣٦ على اثر انتشار الورق السمرقندي في خراسان والعراق والشام والمغرب واسبانية وايطالية وفرنسة . ومع ذلك لم ينقطع استعمال القرطاس في الشرق والغرب حتى النصف الاول من القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للميلاد وظلت دواوين البابوات تكتب فيه الى سنة ١٠٥٧ .

وقد سبق قول ابن البيطار ان القرطاس كان يحرق ويستعمل في الطب ومن فوائد رماده ايضاً ما ذكره ابو حاتم السجستاني قال : اذا اردت ان تضمن كتاباً سراً فخذ لبناً حليباً فاكتب به في قرطاس فيذرّ المكتوب اليه رماداً سخناً من رماد القرطاس فيظهر المكتوب وان كتبت به باء الزاج الابيض فاذا ذرّ المكتوب اليه عليه شيئاً من العفص ظهرت الكتابة وكذلك بالعكس[1] .

وقد اغفل ابن البيطار في وصفه عمل القرطاس ذكرَ صقاله وباي طريق واداة كان يتم . ويظهر انهم بلغوا فيه حد الاتقان والجودة كما يستفاد من قول جعفر بن حمدان المدمري الكاتب وقد استوفى فيه وصف حسن لونه وطيّه وصقاله :

في يديه من القراطيس كالمز نة جادت بواكف مدرار
كالملاء الرخيص كالبيض يغزا ل هند كالبيض كالمياه الجواري
كالسراب الرقراق في عنفوان الـ صيف نصف النهار في ايار
ما تبالي أجلْتَ عينك فيه حين يُطوى ام في خصور العذاري
يسبح الخط فيه عفواً فما يكـ بو بوعث فيه ولا بعثار[2]

ومن اغرب ما صنع من القرطاس قميص للقاضي عمران بن عبد الله سنة ٨٩/٧٠٨ وكان هجا عبدالله بن عبد الملك عامل مصر بابيات ثلاثة لعزله اياه

١) وفيات الاعيان لابن خلكان ٢٠٧ والوافي بالوفيات للصفدي خزانة باريس ٢:٦٥ ص ١١٣

٢) ادب الكتاب ١٠٦-١٠٧

« فامر عبدالله ان يقطع له قميص من قراطيس ويكتب فيه عيوبه ويوقف للناس . فصُرف عبدالله قبل ان يوقف »[1] .

طراز القراطيس (filigrane)

كانت صناعة القراطيس بمصر محصورة في ايدي العمال النصارى ككثير من الصناعات في الدولة الاموية وكانت عادتهم في ايام الروم البيزنطيين ان يرسموا في رؤوس الطوامير بسملة الصليب في الطراز وظلوا كذلك بعد الفتح الى شطر من خلافة عبد الملك بن مروان وهو اول من تنبّه لها وانكرها واستبدل بها الآية القرآنية كما حكاه البلاذري في كلامه على الدنانير قال :

« كانت القراطيس تدخل بلاد الروم من ارض مصر ويأتي العرب من قِبَل الروم الدنانير فكان عبدالملك اول من احدث الكتاب الذي يكتب في رؤوس الطوامير من «قل هو الله احد» وغيرها من ذكر الله فكتب اليه ملك الروم : انكم احدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه فان تركتموه والا اتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهونه قال فكبر ذلك في صدر عبدالملك فكره ان يدع سنَّة حسنة سنَّها فارسل الى خالد بن يزيد بن معاوية فقال له : يا أبا هاشم احدى بنات طبق واخبره الخبر فقال : افرخ روعك يا امير المؤمنين حرّم دنانيرهم فلا يُتعامل بها واضرب للناس سككاً ولا تُعفِ هولاء الكفرة مما كرهوا في الدنانير فقال عبد الملك : فرّجتها عني فرج الله عنك وضرب الدنانير . »

قال عوانة بن الحكم : وكانت الاقباط تذكر المسيح في رؤوس الطوامير وتنسبه الى الربوبية — تعالى الله علواً كبيراً — وتجعل الصليب مكان بسم الله الرحمن الرحيم فلذلك كره ملك الروم ما كره واشتد عليه تغيير عبد الملك ما غيره.

وقال المدائني قال مسلمة بن محارب : اشار خالد بن يزيد على عبد الملك بتحريم دنانيرهم ومنع من التعامل بها وان يدخل بلاد الروم شيء من القراطيس فمكث حيناً لا يُحمل اليهم[2] .

واسند البيهقي شرح القصة الى الخليفة هرون الرشيد وفيه بعض الخلاف

١) تاريخ مصر وولاتها للكندي ٣٢٨-٣٢٩

٢) فتوح البلدان طبعة ليدن ٢٤٠

لرواية البلاذري . واهم ما هناك ان صناع الطراز كانوا من الروم ولذلك كانت القراطيس تطرز بالرومية وكان طرازها « ابا وابنا وروحا قديشا » ولا يخفى ان هذا القول هو ترجمة الاصل الرومي الى السريانية نقله الرشيد احد النساطرة في بغداد قال :« ولم يزل الطراز كذلك صدر الاسلام كله يمضي على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك فتنبه عليه وكان فطناً فبينا هو ذات يوم اذ مر به قرطاس فنظر الى طرازه فامر ان يترجم بالعربية ففعل ذلك وقال : ما اغلظ هذا في الدين والاسلام ان يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الاواني والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك ما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله واهله تخرج منه هذه القراطيس فتدور في الآفاق والبلاد وقد طُرزت بشرك مثبت عليها . فامر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر بابطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك وان يأخذ صناع القراطيس بتطريزها بسورة التوحيد « وشهد الله انه لا إله الا هو » وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب الى عمال الآفاق جميعاً بابطال ما في اعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد بعد هذا النهي شيئاً منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل»[1] .

وظلت آية التوحيد ترسم على القراطيس البردية وتحمل على هذه الصورة الى بلاد الروم والاقطار النصرانية قبل انتشار صناعة الورق في اسبانية وايطالية وفرنسة . ولو درى عبد الملك ان آية القرآن سيُخطّ فوقها من بعده باقلام البابوات ورجال الدين اعظم عقائد النصرانية واخبارها مدة تربي عشرة اضعاف على الحقبة المروانية التي كتبت فيها اقوال الخلفاء واوامرهم فوق طراز التصليب لما قرير العين وقد ادرك ثاره مما عده غلطاً في الاسلام .

وفي الخزائن الاوربية اليوم بعض بقايا من للقراطيس البردية المطرزة بآية التوحيد منها منشور البابا يوحنا الثامن كتب سنة ٨٧٦ محفوظ في دار الكتب بباريس علق عليه العالم بالمصريات شامبوليون فيجاك سنة ١٨٣٥ درساً بعنوان :

Charte Latine sur papyus d'Egypte

(١) المحاسن والمساوئ طبعة القاهرة ٢ : ١٢٦-١٢٩

وفي طراز هذا المنشور اسم المشرف : سعيد بن عبد الرحمن (وكان حيا سنة ٨٠٣) .

وفي خزانة بريتيش موزيوم في لندرة مخطوط رقم Ar. 5001 يُرى في ورقته الاولى صليب في الطراز[1] .

وما خلا آية التوحيد كان يطرز ايضاً على مدارج القرطاس اسم عامل مصر والمشرف على صناعة البردي وتاريخ عمله ومحله واحياناً اسم خليفة الوقت وولي عهده ووزيره وما اشبه ذلك من القيود الديوانيـــة باللغتين العربية والرومية ثم اقتصر فيها على القلم العربي وحده واختلفت ايضاً صور الكتابة بحسب اختلاف العمال والولايات ومنها في البرديات المكتشفة ضروب وانواع يطول تعدادها .

اقيسة القرطاس

لم نقف في كل ما طالعناه على نص صريح يذكر مقادير القرطاس واقيسته وقطعه قديماً خلا ان السيوطي في كلامه على خصائص مصر روى ان القرطاس «كان يعمل طوله ثلاثون ذراعا واكثر في عرض شبر»[2] ويتبين من معاينة الصحائف القديمة ان اقيستها كانت تتباين بحسب الشظايا التي تتألف منها وربما بلغ طول الشظية الواحدة ٧٥ سنتمتراً وعرضها ٢/١ ٤٤ يُلحق بعضها ببعض الصاقاً محكماً يكاد لا يبين وتؤخذ العشرون منها تقريباً في قياس ٣٠ ذراعاً او ٢/١ ١٤ متراً وتلف في مدارج مختومة كان يقال للسدس منها في الرومية (τομάριον) اي طومار وهو اقل ما كان يُطلب ويباع منها .

وبين البرديات المحفوظة في مجموعة الارشيدوق رينياي رقاع كتب فيها بعد البسملة : « ادفع الى رسولي من القراطيس النقية كذا طوماراً » وبذيلها هذا التوقيع « الحسن بن سعيد يؤمن بالله ورسوله » بتاريخ اول المحرم سنة ١٩٦ (= ٢٣ سبتمبر ٨١١) .

وفي كتب اللغة ان الطومار هو الصحيفة . وأريد به في الاصطلاح مجرد

---

(١) *Bulletin Officiel de la Chambre Syndicule du Commerce des pupiers de France* n° 210 Avril 1938 p. 6300

(٢) حسن المحاضرة ٢ : ١٩٤

الورق ولكن حيثما ورد في الكتابات التي سبقت ظهور الورق السمرقندي لا يُعنى به الا قطع السدس من قرطاس البردي وهو المعروف بالدرج والفرخة . وكان يكتب فيه بقلم خاص يقال له « قلم الطومار وهو قلم جليل قدّر الكتاب مساحة عرضه باربع وعشرين شعرة من شعر البرذون وبه كانت الخلفاء تكتب علاماتهم في الزمن المقدّم في ايام بني امية فمن بعدهم »[١] وله قلم آخر يسمى قلم مختصر الطومار .

قيل ان الوليد بن عبد الملك « هو اول من كتب في الطوامير وامر بان تعظم كتبه ويجلل الخط الذي يكاتب به وكان يقول تكون كتبي والكتب اليّ خلاف الناس بعضهم الى بعض »[٢] « فهو اول من جوّد القراطيس وجلّل الخطوط وفخّم المكاتبات وكتب لمروان بن محمد آخر الامويين عبد الحميد بن يحيى الكاتب المشهور فاطال الكتب واطنب فيها حتى يقال انه كتب كتاباً عن الخليفة جاء وقر جمل واستمر ذلك في ما بعده »[٣] .

ولا ندري عمن نقل القلقشندي هذا الخبر العجيب ومن الخوارق ان يبلغ كتاب خليفة حمل جمل ولا ريب انه كان مكتوباً بخط جليل موسّع فيه بين السطور حتى بلغ حجم الكتاب هذا المقدار الهائل الذي يغلب على سامعه الشك في صحته . واين هذا الاسراف في التبذير من تقتير عمر بن عبد العزيز وقد ذُكر في مناقبه « انه أُتي بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت مال المسلمين »[٤] قال عمرو بن ميمون : ما زلت الطف انا وعمر في امر الامة حتى قلت له : يا امير المؤمنين : ما شأن هذه الطوامير التي يكتب فيها بالقلم الجليل يُمدّ فيها وهي من بيت مال المسلمين ؟ فكتب في الآفاق ان لا يكتبنّ في طومار بقلم جليل ولا يُمدنّ فيه . قال فكانت كتبه انما هي شبرًا ونحوه »[٥] .

١) صبح الاعشى ٣ : ٥٣
٢) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٤٣
٣) صبح الاعشى ٦ : ٣٩١
٤) « « ٣ : ٥٣
٥) طبقات ابن سعد طبعة اروبة ٥ : ٢٩٥–٢٩٦

وكان الطومار يُجزأ الى اجزاء اعظمها الثلثان واقلها السدس . ولكل منها اختصاص بحسب منزلة المكتوب اليه وفي كتاب القلم والدواة لمحمد بن عمر المدائني « ان الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن ابي سفيان وذلك انه كان يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار . والى الامراء من نصف . والى العمال والكتاب من ثلث . والى التجار واشباههم من ربع . والى الحساب والمساح من سدس . فهذه مقادير لقطع الورق في القديم وهي الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس »[1] ومنها اتخذت فيما بعد مقادير الورق البغدادي الكامل .

وذكر الصولي مقادير القراطيس التي يكتب فيها فقال : « يكتب الامام في الثلثين من الطومار الى ملك الملوك وعماله ويكتب عماله اليه في مثل ذلك ويكاتبه وزيره في النصف في امور العامة الديوانية فاما الخاص الذي يكتبه بخطه او يكتب بين يديه ففي خمسين ويكاتبونه في مثل ذلك في الخاص والعام الا من كان منهم في ادنى الطبقات فانه لا يكاتب الا في النصف في الحالتين جميعاً وتتكاتب الاكفاء في الاثلاث والارباع وتحتمل المودة بينهم كل شيء تحتمله من التسمح في ذلك . والاسداس للتوقيعات وقال بعض الكتاب :

انت لما ابتدأت تكتب في الأنصا ف رخفنا من قلة الإنصاف
وعلمنا ان مثلك لا يجمع بين الإنصاف والأنصاف[2]

وكانت اجزاء الطومار توصل ويلصق السابق منها باللاحق في الرسائل الطويلة والكتابات الديوانية وربما بلغ طولها ستين ذراعاً وفي تاريخ الصابئ « احضره صاحب القرطاس ثلث قرطاس ووصل القول بما ملأ به الثلث واستدعى ابو علي (ابن مقلة) ثلثاً آخر واستتم الامر فيه وفي ما اراد خطابه به في معانيه فكان ذرع الثلثين اللذين كتب فيهما نحو ستين ذراعا »[3] .

ويظهر ان إلصاق الوُصل كان يوكل عادة الى الخدام والغلمان وكان لا بد

١) صبح الاعشى ٦ : ١٨٩ وديوان الانشاء خزانة باريس ٤٤٣٩ ص ١٧٧
٢) ادب الكتاب ١٢٨-١٢٩
٣) تاريخ الوزراء ٢٣٩

من بعض الحذق والدربة به لئلا يستبين وعُدَّ ذلك من فضائل بشر غلام كشاجم الشاعر المشهور ولما مات بشر قال في رثائه :

يطوي الطوامير بلا كلفة واللصق بالالصاق لا يستبين(١)

ظهور القراطيس

قال الصولي : كره الناس الظهور (اى الكتابة في ظهور القراطيس) وأمر بترك استعمالها في النُسخ وانشائها فكيف في المكاتبة وقيل هي تذيع الاسرار بما في باطنها .. وتغض من سمو الدولة واعتذر آخر من كتابته في الظهر فقال:

ان كتابي لك في الظهر يخبر اني ظاهر الفقر(٢)

وقال صفي الدين الحلي يعتذر عن الكتابة في ظهر قرطاس :

كتبت على ظهر اليك لانني رأيتك ظهري في جميع النوائب(٣)

وفي كتاب يواقيت المواقيت للثعالبي :

انما يكتب في ظهر اذا اعوز بطن(٤)

ولا يخفى ما في هذا البيت من التورية القذرة .

ومن مجون ابن المعتز وسقطات شعره جوابه على حبيب له في ظهر كتابه قال فيه :

وأجبتُ في ظهر الكتاب إذا اتى ليلوط خطي في الكتاب بخطه(٥)

ولهذا السبب الذي نقلناه كانت النسخ المحفوظة في الدواوين السلطانية كثيرة البياض خالية الظهور وتقدم قول الشافعي :« كنت اجيء الى الدواوين فأستوهب منها الظهور فاكتب فيها » وفي كتاب الاغاني « قال مخارق كانت الحال بين ابي العتاهية وبين ابرهيم الموصلي لطيفة فكان يبعثني اليه في الايام اتعرف خبره فاذا دخلت وجدت بين يديه ظهراً ودواة فيكتب اليّ ما يريد

١) ديوانه طبعة بيروت ١٨١
٢) ادب الكتاب ١٦٨-١٦٩
٣) ديوانه ٤١٦
٤) خزانة الاسكوريال رقم ٥٣١ : ٤٦
٥) ديوانه ١ : ٨٧

واكامه»[1] ولما مات ابو الفرج الاصبهاني أخرجت مسودة كتابه الاغاني الى سوق الوارقين لتباع « فبيعت في النداء باربعة آلاف درهم وان إكثرها في ظهور وبخط التمليق »[2] وكان ابن سينا « يجمع بين يديه ظهورًا من القراطيس وكل حجة ينظر فيها يثبت مقدماتها القياسية ويكتبها في تلك الظهور »[3] . وفي كتاب الإمتاع والمؤانسة ان ابا جعفر ملك سجستان خاطب ابا سعيد السيرافي في مئات من المسائل واجاب عليها ابو سعيد . قال لعلها تقع في الف وخمسائة ورقة لان اكثرها في الظهور»[4] .

ومن اغرب ما كانت تصلح له الظهور وضع الناطف فيها لنقائها وبياضها « قال ابو العباس بن الفرات : كنت منذ دهر مجتازًا في بعض الطرقات فرأيت في دكان نطّاف ظهورًا مطلّقة ليُجعل فيها مـا يبيعه من الناطف على الناس »[5] وهو ما يدل على ان الظهور كانت متوفرة جـدًّا تتخذ في ما عدا الكتابة والتسويد للتغليف والصرّ في الحوانيت والاسواق .

ومن اجل ذلك كانت القراطيس احيانًا تباع عند البقال . قال عمر بن ابي ربيعة لصاحبه وقد اراد ان يكتب لجارية عجيبة الحسن رآها تتهادى بين جواريها « اجنح بنا نأخذ قرطاسًا . قال فـمـال الى بقال فاخذ منه قرطاسًا وكتب اليها »[6] .

غلاء القراطيس واثمانها

كانت مصر كمـا سبق القول هي المنبت الوحيد للبردي ومعدن صناعته وتجارته الى كل صقع وقطر فظل القرطاس المصري فـذًّا منقطع القرين تتنازعه اسواق الشرق والغرب دهرًا طويلًا الى حين ظهور الورق . فلا غرو اذا كان عزيز المنهـل ممتنعًا على من يروم كفايته منه او التوسع في الانتفاع به

١) الاغاني ٣ : ١٤٠
٢) ارشاد الاريب لياقوت ٥ : ٦٤
٣) تتمة صوان الحكمة ٤١
٤) ارشاد الاريب ٣ : ١٠٠
٥) نشوار المحاضرة للتنوخي بمجلة المجمع العربي بدمشق ١٢ : ٤٦١-٤٦١
٦) تاريخ ابن عساكر في الظاهرية ١٣ : ٢-١٢٢

وبقيت لذلك اثمانه مرتفعة في الغالب ولعلها لم تسقط قط الى ما دون القيراط لكل طومار اي ١/٢٤ من الدينار ولاسيما ما كان معروفاً منه بالجودة والاتقان وبلغت احياناً في اوائل القرن التاسع للميلاد ديناراً ونصف دينار لكل مدرج وانحطت قليلاً الى دينار وربع دينار . ومثل هذه الاسعار يجب ان تعدّ من الغلاء لانها كانت تعادل وقتئذ اجرة فدان او حانوت بمصر ولهذا السبب ولاشتداد الطلب على القرطاس والحاجة اليه ولاسيما في الدواوين السلطانية كانت الخلفاء تكثر الوصية بالقصد والاقلال في استعماله وكان عمر بن عبد العزيز اكثرهم توفيراً له فكان يناقش الكتاب والعمال في عدد القراطيس ويأمرهم بجمع الخط كراهة الاسراف فيها وروي عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم « ان اباه كتب الى عمر بن عبد العزيز يسأله قراطيس فكتب اليه عمر : ان رقّق القلم وأوجز الكتاب فانه اسرع للفهم . وكتب الى عامل آخر كتب اليه يطلب منه قراطيس ويشكو قلتها عنده : ان رقّق قلمك وأقلل كلامك تكتفِ بما عندك من القراطيس »[1] وفي رواية ابن عبد الحكم ان ابا بكر بن محمد بن حزم والي المدينة كتب الى سليمان بن عبد الملك يستمد منه جانباً من القراطيس وكانت في عهد بني اميـة توزَّع بمقادير محدودة على العمال والولاة فكان من اعوزهُ جانب منها يكتب الى الخليفة باستطلاقه من بيت القراطيس. وكان لها بدمشق بيت خاص وفيه وُضعَ الوليد بن عبد الملك حين ضُرب في حادثة مقتل عمرو بن سعيد الاشدق « وذلك ان ابرهيم بن عدي احتمله فادخله بيت القراطيس »[2] واتفق ان توفي سليمان بن عبد الملك وخلفه عمر بن عبد العزيز فارسل يقول الى ابن حزم « اما بعد فقد قرأت كتابك الى سليمان تذكر انه قد كان يُجري على من كان قبلك من امراء المدينة من القراطيس لحوائج المسلمين كذا وكذا فابتُليتُ بجوابك فيه فاذا جاءك كتابي هذا فأرقّ القلم واجمع الخط واجمع الحوائج الكثيرة في الصحيفة الواحدة فانه لا حاجة للمسلمين في فضل اضر ببيت مالهم والسلام عليك »[3] .

١) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٦٨–٦٩

٢) مروج الذهب للمسعودي بهامش نفح الطيب ٣ : ٥١٨

٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ٦٤

وليتهم ذكروا لنا عـدة القراطيس التي كانت معينة لولاة المدينة وسائر مدن الحجاز والعراق ومصر والشام ومن هـذا التوزيع والتخصيص تتبين عزة القراطيس وقتئذ وصعوبة منالها وغلاء قيمها ولاجل ذلك كانت الدواوين بمصر اذا خاطبها احد في امر له تتقاضاه ثمن ما يُكتب له فيه وتسميه كما في بعض البرديات المكتشفة « ثمن الصحف » وقد نهى عمر بن عبد العزيز عن مطالبـة الناس بها رفقاً بهم وكتب الى عامله عبد الحميد بن عبد الرحمن « لا تأخـذ في الخراج « ثمن الصحف » فكان اهل الخراج لا يؤخـذون برزق عامل ولا ثمن صحف ولا قراطيس »[1] . وفي نظير ذلك كانت الدواوين العباسيـة في وزارة ابي الحسن بن الفرات وخلافة المقتدر توزّع القرطاس والورق مجـاناً لاصحاب الرقاع والقصص اي للمتظلمين وتؤثر ان يغرمها بيت المال . والوزير ابو الحسن ابن الفرات هو اول من تحملها من الوزراء وتبرع بها . قال الصابئ في كلامه على داره « وفي جانب الدار ادراج كثيرة لاصحاب الحوائج والمتظلمين حتى لا يلزم احد منهم مؤونة لما يبتاعه من ذلك وانصاف قراطيس واثلاث»[2] واقتدى المقتدر بالله بالوزير ابن الفرات « فامر يُمناً الطولوني وكانت اليه الشرطة ببغداد ألا يكلف الناس ثمن الكاغد الذي تكتب فيه القصص وان يقوم به »[3].

وبقي القرطاس في الخلافة العباسية الى ايام الرشيد عزيزاً صعب المنـال وجرى المنصور طبعاً على خطة عمر بن عبـد العزيز في توفيره والتشدّد في ايجاز الكتابة فيه . قال يوسف بن صبيح كاتب عبدالله بن علي بن محمد بن العباس وذكر استدعـاء المنصور له يوماً : امرني بالجلوس ثم رمى اليّ بربع قرطاس وقال لي : اكتب وقـارب بين الحروف وفرّج بين السطور ولا تسرف في القرطاس »[4] وكانت مع ذلك خزائنه ملأى بالقراطيس . ونظر يوماً الى مـا اجتمع في خزائنه من كثرة القراطيس فدعـا بصالح صاحب المصلّى فقال له : اني امرت باخراج حاصل القراطيس في خزائننا فوجدته شيئاً كثيراً جدّاً فتول

١) كتاب الخراج لابي يوسف ١٠٢ و١٠٣

٢) تاريخ الوزراء للصابئ ١٩٥

٣) تاريخ الامم والملوك للطبري المطبعة الحسينية القاهرة ١٢ : ٣٧

٤) كتاب الوزراء والكتّاب ١٦٩

بيعه وان لم تُعطَ بكل طومار الا دانقاً فان تحصيل ثمنه اصلح منه. قال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم (اي ست دوانق) فانصرفت من حضرته على هذا فلما كان في الغد دعاني فدخلت عليه فقال لي: فكرت في كتبنا وانها قد جرت في القراطيس وليس يؤمن حادث بمصر فتقطع القراطيس عنا بسببه فنحتاج ان نكتب في ما لم نعوّده عمالنا فدعِ القراطيس استظهاراً على حالها»[1].

ويتحصل من رواية الشابشتي ان القراطيس انقطعت في ايام الواثق او قل وجودها لاسباب لم تنتهِ الينا فبلغ ثمن الطومار الواحد درهمين اي ضعف ما كان عليه في خلافة المنصور وكان الواثق قد همّ بتقليد اسحق بن ابرهيم بن مصعب خراسان بعد وفاة عبدالله بن طاهر وامر ان يُطلق له خمسة آلاف درهم معونةً واستشار في ذلك احمد بن ابي داود فقال له احمد: ههنا ما هو خير من ذلك قال: وما هو؟ قال: طومار بدرهمين تكتب فيه الى طاهر بن عبدالله ابن طاهر بالتعزية عن ابيه وبتجديد الولاية له وتربح ما تنفقه»[2].

وفي فتنة المستعين والمعتز(٢٤٩—٢٥٢) ضاقت الصحف والقراطيس بكتاب الدواوين فوقّع لهم محمد بن عبدالله بن طاهر: «دقّقوا الاقلام واوجزوا الكلام فان القراطيس لا تُرام والسلام»[3].

ومن ابين الدلائل على قلة القراطيس في كل وقت انهم كانوا يغسلونها ويعيدون الكتابة عليها وقد تقدم من توقيع الحسن بن سعيد سنة ١٩٦ / ٨١١ طلب القراطيس «النقية» وفي بعض الرسائل الخاصة «اعذرني يا سيدي في القرطاس فلم يحضر نقي» وهو ما يفهم منه ان القراطيس كانت تغسل احياناً كالرقوق ويطرّس عليها اي يُخطّ من جديد عليها لغلائها في كل وقت وقلة الجاهز منها.

ومن الاسباب التي خفيت لاجلها علينا اثمان القراطيس في ازمانها المختلفة انهم كانوا يدخلونها في جملة نفقات الديوان مدمجة فيها وقد عدد الصابئ هذه

١) كتاب الوزراء والكتاب ١٤٩
٢) كتاب الديارات رقم ٨٣٢١ خزانة برلين ورقة ٦
٣) خاص الخاص للثعالبي طبعة تونس ٧٨

النفقات في اول خلافة المتضد بالله فقال :«ارزاق الكتاب واصحاب الدواوين والخزائن والبوابين والمـدبرين والاعوان وسائر من في الدواوين وثمن الصحف والقراطيس والكاغد ... من جملة اربعة آلاف دينار وسبعمائة في الشهر »[1] وبلغت هذه النفقات في خلافة المقتدر بالله اي «جاري ديوان السواد وكتابه مع ثمن الكاغد والقراطيس نحو سبعة آلاف دينار في كل شهر »[2] وهي تكاد تكون ضعف نفقات المتضد ولا ريب ان اثمان الصحف والقراطيس كانت اشد غلاء وقتئذ ولذلك كان ابو الحسن بن الفرات كلما تقلد الوزارة يوزع منها مجاناً كل ما يحتاج اليه اصحاب الحوائج وذكر غير واحد من المؤرخين ان سعر القراطيس كان يرتفع في وزاراته الثلاث لكثرة استعماله اياها[3].

وقام بعد ابي الحسن بن الفرات وزراء كانوا يختانون الدولة في ما يعين للدواوين من الارزاق والنفقات ويقتطعون مـا يشاؤون من جاري الصحف والقراطيس فيها وقد نبه على ذلك ابن مسكويه فقال :«كانوا يصرفون الورق والقراطيس ثم يبيعونه فيحصل لهم منـه مال »[4] . وفي سنة ٣١٩/٩٣١ اشار مؤنس على الكلوذاني الوزير بتقليد ابي الفتح الفضل بن جعفر ديوان السواد » فقلده الكلوذاني مكرهاً وانقطعت بتقليده مواد كانت تصل الى الكلوذاني وابي الفياض من ارزاق .قوم لا يحضرون وتسبيبات باسماء قوم لم يخلقوا ومـا كان يسبب للغلمان والوكلاء في الدار والحاشية برسم الفقهاء والكتاب ومـا كان يستطلق لهم من الورق والقرطاس ويبتاع ببعضه مـا يحتاج اليه واشياء تشبه هذه »[5] .

ونظرًا لعزة القراطيس وقيمتها كانوا يحرصون ايضاً على جميع ما كان رثاً مبتذلاً منها للانتفاع به في دور الطراز كما يؤخذ من حكاية الجاحظ في كتاب البخلاء قال :« كان ابو سعيد المدائني اماماً في البخل... وكان ينهي خادمه

١) تاريخ الوزراء ٢٠–٢١
٢) تاريخ الوزراء ٢١
٣) صلة الطبري لعريب ٦١ وتاريخ بغداد لابن النجار باريس ٢١٣١ ص ٢٥
٤) تجارب الامم لابن مسكويه ٥ : ٣٤٤
٥) تجارب الامم ٥ : ٢١٢–٢١٣

ان تخرج الكساحة من الدار وامرها ان تجمعها من دور السكان وتلقيها على كساحتهم فاذا كان الحين جلس وجاءت الخادم ومعها زنبيل فعزلت بين يديه من الكساحة زنبيلا ثم فتشت واحدا واحدا فما كان من القراطيس فللطراز»[1] فهل يستدل من هنا ان الطراز لم يكن ينسج دائما في الثوب بل ينقش احيانا في القراطيس التي تجعل عليه وتناط به.

ومن الملح المروية ان محمد بن بشير من شعراء اهل البصرة كان له في داره بستان ... فافلتت شاة لجار له يقال له منيع فاكلت البقل ومضغت الخوص ودخلت الى بيته فلم تجد فيه الا القراطيس فيها شعره واشياء من سماعاته فاكلتها وخرجت فعدا الى المسجد يشكو ما جرى وعاد فزرع البستان ونظم في هجو شاة منيع قصيدة طويلة قال في اولها :

لي بستان انيق زاهر ناضر الخضرة ريان ترف

وفي ختامها في الدعاء على الشاة :

فاذا صاروا الى المأوى بها احلوا الآجر فيها والخزف

ثم قالوا ذا جزاء للذي يأكل البستان منا والصحف

لا تلوموني فلو ابصرت ذا كله فيها اذن لم انتصف[2]

١٣ ــ الورق الصيني

قال ابن النديم انه كان يعمل من الحشيش وهو اكثر ارتفاع البلد[3] اي اكثر ما يستجلب منها وفي ارجح الاقوال ان اختراعه كان بين سنتي ٢٢٠–٢١٠ قبل المسيح وانتقلت صناعته من الصين الى سمرقند وخراسان بعد سنة ٧٥١/١٣٣ كما سيجيء. وكان نادرا طريفا في زمان بني امية لعزة مناله وغلاء اسعاره وجلب منه جانب في جملة الطرائف الصينية بعد فتوح البلدان وبقيت الرغبة فيه شديدة حتى ما بعد اصطناع الكاغد لجودته وتنافس الملوك والخاصة فيه . حكى ابن البواب المشهور بحسن الخط انه اراد ان يتم جزءا ناقصا

١) كتاب البخلاء ١٢١

٢) الاغاني ١٢ : ١٢٠–١٢٢

٣) الفهرست ٣٢

من قرآن بخط ابن مقلة في خزانة بهاء الدولة بن بويه في شيراز وكان قد اشترط لاتمامه ان يعطى خلعة ومئة دينار قال: فدخلت الخزانة اقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف وكان فيها من انواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كل طريف عجيب فاخذت من الكاغد ما وافقني وكتبت الجزء واذهبته وعتقت ذهبه وقلعت جزءا من جلد الاجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعت منه الجلد وعتقته ونسي بهاء الدولة المصحف ومضى على ذلك نحو سنة ... واقمت مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يماطلني ويعدني فلما كان يوماً قلت: يا مولانا في الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح فتعطيني المقطوع كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير قال: مرّ خذه فمضيت واخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت به سنين»[1].

ولا ريب انه كان للورق الصيني وقتئذ اثمان طائلة حتى ارتضى ابن البواب بالمقطوع منه العتيق دون الصحيح في نظير خلعة ملوكية ومئة دينار عيناً وقد تقدم في الكلام على الجلود انه كان منه جانب في خزانة ابن ابي بقرة جماعة الكتب التي زارها ابن النديم واثنى عليها . ومما كان يكتب خصوصاً في الورق الصيني تكريماً لها اقوال بعض المتصوفة والزنادقة ولما جدّ الوزير حامد ابن العباس في طلب اصحاب الحلاج «استتر ابن حماد وكبس دار له فاخذت منه دفاتر كثيرة وكذلك من منزل الشأني (محمد بن علي) فكانت مكتوبة في ورق صيني وبعضها مكتوب بماء الذهب مبطنة بالديباج والحرير مجلدة بالادم الجيدة»[2].

وكانت رايات الصبيان تعمل احياناً من الورق الصيني مع غلائه وندرته . قال الجاحظ في كلامه على مسيلمة المتنبيّ: «صنع راية من رايات الصبيان التي تعمل من الورق الصيني ومن الكاغد وتجعل لها الاذناب والاجنحة وتعلّق في صدورها الجلاجل وترسل يوم الريح بالخيوط الطوال الصلاب»[3]. وقوله:

١) تاريخ بغداد لابن النجار خزانة باريس ٢١٣١ ص ٧٠ ومعجم الادباء لياقوت ٥ : ٤٤٦-٤٤٨

٢) صلة الطبري لدريب ٩

٣) كتاب الحيوان طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ مجلد ٤ : ١٢٠-١٢١

ر «من الكاغد» حكاية لما كان يمل من هذه الروايات في زمانه لان الكاغد لم يكن معروفاً في زمان مسلمة .

وحكى شهاب الدين العربي في مسالك الابصار ان بعض صناع الصين عمل ثياباً من الورق وباعها على انها من الكمخاوات الخطائية لا يشك فيها ثناك ثم اظهرهم على ذلك فعجبوا منه[1] . والكمخا نوع من الثياب لا يزال اليوم معروفاً وكانت العساكر من الامراء وغيرهم تلبسه في دولة المماليك[2] . ووصفه الثعالبي فقال «لاهل الصين الحرير المدفون الذي تخفى فيه الصور وتظهر ويقال له الكمخا وهو في شعر لابن الرومي»[3] ومن العجيب ان ينقاد الورق لمثل هذه الصور وهو ليس اقل غرائب صناعاتهم التي اشتهروا بها .

١٤ ــ الكاغد او الورق النباتي

الكاغِد والكاغَذ (بالدال والذال والكسر والفتح) لفظة فارسية وتقال غالباً في المغرب الكاغيط بالياء والطاء وتجمع على كواغيط . ولم نجد لاحد وصفاً شاملاً للنباتات التي كان يُصنَع منها الكاغد واشتهر منها القنب والحبال البالية التي تفتل منه وربما دخل بينها مشاقة الكتان ونفاية الاقطان واوحد شاهد عثرنا عليه من القطن قول ابي هلال العسكري في رسالة التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : «حكى ابو عبيدة فيما حكى عنه ابو حاتم انه اوصل الى احمد بن سعيد بن سهل الباهلي اربعة عشر الف مثل عربي بعضها في الجلود وبعضها في القطني وبعضها في القرطاس»[4] . ولا يبعد انه كان يصنع في بعض البلاد من الحلفا والقش والاتبان وقشور الارز واشباهها . ولدينا نص صريح على لحاء شجر المرخ .

ولفظ الورق مستعار من ورق الشجر ولم يرد في الكلام القديم وكان يراد به قبلاً الرقوق من الادم وفي اللسان : الورق أدم رقاق واحدتها وَرَقة ومنها

١) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٨
٢) الخطط ٣ : ٣٥٣
٣) كتاب الامثال خزانة الجامعة الاميركية بيروت ٦٢٧
٤) مجلة الزهراء سنة ١٣٤٧ ج ٥ ص ٢١٤

ورق المصحف»[1] . وبه الزمخشري على هذا المعنى فقال :« وكُتِب في الورق وهي جلود رقاق»[2] ومن شواهده كذلك قولهم « كان الشطرنج يُلعب على ورقة مربعة حمراء من أَدَم»[3] وبهذا المعنى يجب ان يفسر قول الاخطل :

فكأنما هي من تقادم عهدها ورق نُشِرنَ من الكتاب بوالي[4]

ونظيره قول جرير :

لمن الديار بعاقل فالانعم كالوحي في ورق الزبور المعجم[5]

وقد تضاربت الآراء في تعيين الزمن الذي أحدث فيه الكاغد في الاسلام وحكى ابن النديم ما كان شائعاً في عهده فقال :« يقال أنه حدث في ايام بني امية وقيل في الدولة العباسية وقيل انه قديم العمل وقيل ان صناعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني»[6] . وهذا القول الاخير هو الصحيح رواه الثعالبي نقلًا عن صاحب المسالك والممالك ولم نجده في احد الكتب المعروفة اليوم بهذا الاسم فقال : وقع من الصين الى سمرقند في سبي سباه زياد بن صالح في وقعة اطلح من يصنع الكواغد ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فعم خيرها والارتفاق بها في جميع الآفاق»[5].

وهذه وقعة اطلح حدثت سنة ٧٥١/١٣٣ وكان ملك الصين قد حصر ملك الشاش حتى نزل على حكمه « وبلغ الخبر ابا مسلم فوجّه الى حربهم زياد بن صالح فالتقوا على نهر طراز فظفر بهم المسلمون وقتلوا منهم زهاء خمسين الفاً واسروا نحو عشرين الفاً وهرب الباقون الى الصين»[7] . ووُجد بين هؤلاء الاسرى من كان يجيد صناعة الكاغد في الصين ففشا عمله عن يدهم في سمرقند.

وفي سنة ٧٩٥/١٧٩ انتدب الرشيد الفضل بن يحيى الى الديلم لقتال يحيى

---

١) لسان العرب ١٢ : ٣٥٤
٢) اساس البلاغة طبعة الدار ٢ : ٥٠٣
٣) كتاب بغداد لطيفور ٢٩٣ ومروج الذهب للمسعودي بهامش الكامل .
٤) ديوانه طبعة بيروت ١٥٦
٥) معجم ما استعجم للبكري ١٠٦
٦) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٤٣١-٤٣٢
٧) الكامل لابن الاثير ٥ : ١٦٨

ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب[1] فر بخراسان وشاهد ما بسمرقند من ارحية الورق فاشار باتخاذ مثلها في العراق بعد رجوعه في آخر السنة المذكورة كما يؤخذ من شهادة ابن خلدون في كلامه على الوراقة قال : ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثر ترسل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فاشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذه الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت[2] » .

وروى القلقشندي قريباً من هذا فقال : اجمع رأي الصحابة على كتابة القرآن في الرق لطول بقائه او لأنه الموجود عندهم حينئذ وبقي الناس على ذلك الى ان ولي الرشيد الخلافة وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس فامر ان لا يكتب الناس الا في الكاغد لان الجلود ونحوها تقبل المحو والاعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فانه متى محي منه فسد وان كشط ظهر كشطه وانتشرت الكتابة في الورق الى سائر الاقطار وتعاطاها من قرب وبعد واستمر الناس على ذلك الى الآن »[3] .

وانما تأصلت صناعة الكاغد في سمرقند لكثرة المياه فيها ووفرة القنب والخبال وهي قوام الورق ومادته ومن سمرقند دخلت مدن خراسان وبغداد . وزعم الاصطخري ان الكاغد في القرن الثالث كان يصنع ببلاد ما وراء النهر فقط[4] . وتبعه السمعاني فقال : «لا يعمل في المشرق الا في سمرقند »[5] وقد سبق نسبة احداث الورق في بغداد وشيوعه في الدواوين وبين الناس الى الفضل ابن يحيي والرشيد ولا حاجة الى التنبيه على تعدد الانبار في بغداد وكثرة الكتاب والحساب والعلماء فيها والورق قوتهم اليومي فيبعد جداً ان لا تكون صناعته انتشرت في مدينتهم وهي حاضرة الخلافة وانما خصت سمرقند بأجود انواعه فقط

١) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٢٣٢

٢) مقدمة ابن خلدون ٣٥٢

٣) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٥–٤٧٦

٤) مسالك الممالك ٢٨٨

٥) الانساب للسمعاني ٤٧٢

واشتهرت باول ما صنع منها لانهـا كما قال النويري « احسن وانعم وارفق وارق »[1] .

١٥ ـ صفة عمل الكاغد قديماً

قل جداً من تنبه لوصف طريقة صنع الكاغد وعلاجه في خراسان والعراق ومصر والشام منذ القرن الثاني للهجرة وغاية ما وقفنا عليه من الاشارة اليها في المخطوطات العربية في الغرب ثلاثة اسطر في كتاب في علم المصطلح الشريف في خزانة باريس غفل من اسم مؤلفه وعنوانه الصحيح ويُرجح انه من القرن التاسع للهجرة قيل فيه :

« اصل الورق من نبات القنب اقصره يطول على القصب الفارسي ويسمى الخنـدريس وبزره الشذانق (الشهدانق) وينبت ببلاد الشرق وبلاد الفرنجة فيكسر ذلك النبات ويدق ويلف حبالاً جافية تعمل في المراكب الكبار الى ان تذهب قوتها فتباع وتجلب الى معامل الورق وتصنع اوراقاً والجيد منه بحسب رطوبة الارض المستعملة فيها والزمن واعطائه حقـه في التخمير ونقاء غسله وصفاء الماء وحسن النشا وجودة الصقل بالزجاج بوجهيه واحسنه ما صنع في فصل الربيع »[2] .

واوحد ما ورد في تعريف عمل الكاغد بالتفصيل الباب الآتي من كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الالباب الذي أُلف للامير المعز بن باديس ننقله بلفظه من نسخة للاستاذ طنجي اوقفنا عليها الاستاذ مصطفى المهندس رئيس الفهارس العربية في دار الكتب المصرية الملكية وروايتها اتم واصح الروايات الواردة في نسخ الدار قال :

١) نهاية الارب ١ : ٣٦٧

٢) خزانة باريس رقم ٦٦٣٩ .

الباب الحادي عشر

في عمل الكاغد والاوراق وسقيها

« تأخذ الحبل القنب الجيد الشامي فتنفض فتله وتبله وتسرحه بالمشط حتى يلين وتأخذ ماء الجير الابيض العال فتنقعه فيه ليلة الى الصباح ثم تفركه بيدك وتبسطه في الشمس حتى يجف نهارًا كاملًا ثم تعاوده الى ماء الجير غير الماء الاول ليلة الى الصباح ثم تفركه بيدك كفركك الاول وتبسطه في الشمس ثلاثة ايام او أكثر من ذلك فان بدلت ماء الجير كل يوم كان اجود فاذا تناهى بياضه اقرضه بالمقراض صغارًا ثم انقعه في ماء عذب سبعة ايام ايضًا تبدل له الماء كل يوم فاذا ذهب منه الجير دقه في جرن دقًا ناعمًا وهو ندي طري فاذا لم يبقَ فيه شيء من اليبس والعقد تأخذ ماء آخر في اناء نظيف فتحلله حتى يصير مثل الحرير ثم تعمد الى قوالب على قدر ما تريد تكون معمولة من السأر[1] تكون على شكل السل في النسيج عرضها وطولها على ما تحب من تقطيع الورق وتكون مفتوحة الحيطان ثم تعمد الى ذلك الحبل القنب المعمول فتضرب به ضربًا شديدًا حتى يختلط في قصرية كبيرة وتغط ذلك القالب في الماء وتحركه وتسويه بيدك على وجه فلا يكون موضع ثخينًا وموضع رقيقًا فاذا احكمته فأقمه على قالبه منصوبًا حتى يأتي على ما تريد ثم تقلب اعلى القالب على لوح وتلصقه على حائط نظيف عملس وتتركه حتى يجف ويسقط ثم خذ الدقيق الناعم الحوارى والنشا المصفيين فتمرس الدقيق والنشا في الماء البارد حتى لا يبقى فيه شيء مختلف ثم تغلي ماء حتى يفور فاذا فار صبه على ذلك الدقيق والنشا وحركهما حتى يمتزجا ثم اصبر حتى يسكن ويروق ثم اعمد الى ذلك الورق واطله بيدك من وجه واحد واتره على قصبة فارسية فاذا جف اطل وجهه الآخر كالاول وجففه ثم رده على لوح ورش عليه الماء رقيقًا وجهًا بعد وجه وانت تجففه فاذا اعجبك بعد ذلك جفافه تصقله .

صفة سقي الكاغد

« وهو المسمى في مصطلح الناس الآن « الملاج » تأخذ الارز تطبخه في طنجير مجلي من الصدا بماء عذب صاف حتى يخرج نشاه كاملًا تصفيه وتدلي الورق في ذلك النشا المصفى وتنشره على القصب الفارسي حتى يجف تصقله ويكون ذلك الماء المغلي فيه الارز لا كثيرًا فيصير مائعًا ولا قليلًا فيصير كثيفًا يتجسد على الورق ويتقشر بل يكون في القصد . ومن الناس من يطبخ الرداده وهي نخالة الحنطة الناعمة التي بها اثر الدقيق . واما النخالة القشر فلا حاجة فيها فاذا طبخ الرداده المذكورة وخرجت خاصيتها كما تقدم دلي فيها الورق كما تقدم ومنهم من ينقع الكثير حتى يصير لها قوام ويسقي بها الورق» .

---

١) السأر نوع من القصب كانت تصنع منه السلال كما في تكملة المعجمات العربية لدوزي .

صفة تعتيق الكاغد

« يؤخذ طنجير نحاس يصب فيه نشا نقي جيد ويغلى حتى ينقص من الماء مقدار قيراطين فاكثر ونجعل فيه يسيرًا من الزعفران بقدر ما تحتاج اليه من تلوينه ويصب في طبق واسع ويغمس فيه الورق غمسًا رفيقًا كيلا يتقطع وينشر على قصب فارسي[1] مفسح عن بعضه لئلا تلتزق اطراف الورق على بعضها فتذوب ويكون نشره في الظل ويحفظ عليه من الغبار والشمس فانها يفسدانه وكلما جف يسيرًا تقلبه على القصب لئلا يلتزق فيه فاذا جف اصقله[2] فقد انتهى ».

صفة تعتيق آخر

« يؤخذ التبن القديم الذي تأكله البهائم ثم ينقع في الماء ثلاثة ايام او اكثر من ذلك ويغلى حتى يذهب نصفه ويطرح فيه النشا على البيان المذكور في الصفة الاولى فانه يعتق ويكون غاية ».

وكان تعتيق الورق حيلة يُلجأ اليها لايهام ان الكتابة الواردة فيه قديمة كقِدَم الكاغد وممن عمل بها الرئيس ابو علي بن سينا وهو يومئذ وزير لعلاء الدولة وجرى فصل من اللغة فتكلم فيه ابن سينا فقال له ابو منصور بن الجبان النحوي : « انت منطيقي ما نعارضك وكلامك في لغة العرب ما نرضاه فسكت ابو علي خجلًا وبعد انفصاله من المجلس نظر في اللغة وتبحّر فيها وعمل رسائل اودعها نوعًا متوفرًا من اللغة وعتق ورقها وسأل علاء الدولة سؤال ابن الجبان عما تضمنه من الغريب فسأله فعلم بعضه وانكر بعضًا فقال ابو علي الكلمة الفلانية معناها كذا وهي مذكورة في الكتاب الفلاني وشرح جميعها واحال على الاصول فخجل ابو منصور بن الجبان وفطن لما فعله ابن سينا في تصنيف كتاب في اللغة واعتذر اليه اعتذارًا طويلًا[3]

ولما ارادوا امتحان ابي العلاء صاعد البغدادي في حضرة المنصور بن ابي عامر الحاجب المشهور في قرطبة كلفوا المنصور ان يأمر بتصغير كاغد ابيض وتغيير بهجته ليدل على قدم المخطوط الذي سألوه عن محتوياته[4]

---

١) في نسخة اخرى « يُنشر على خيط قنب رقيق في الظل ».

٢) في بعض النسخ « يُصقل بصاقل الزجاج ».

٣) انباه الرواة على انباه النحاة لكمال الدين القفطي (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) في دار الكتب المصرية المجلد ٢ الجزء ٤ ص ٤٥٢ – ٤٥٣

٤) الذخيرة لابن بسام القسم الرابع المجلد الاول ٨

وكان بعض المعوزين اذا نفد ما بايديهم يعمدون الى هذه الحيلة في طلب الرزق والقوت وممن عُرف بها عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السهوري الخطيب « كان بالقاهرة تحصل له ضائقة وتلجئه الحاجة والفاقة فيأخذ ورقاً ويكتب فيه فلفطيريات[١] ويمثله ويبيعه بشيء له صورة »[٢]

وبقي عمل الكاغد معروفاً الى القرن الحادي عشر للهجرة وربما انفرد بصنعه بعض كتبة المصاحف ليكونوا على ثقة من طهارته وممن مهر فيه عبد الرحمن الخولاني الحيرازي المتوفى سنة ١٠٠٣/١٥٩٤ « بلغ به حرصه الشديد على اجلال القرآن انه اصطنع له بيده كاغداً وحبراً ممتازين ليكون طاهراً بالاجماع »[٣]

وكذلك كانت تفعل الزنادقة في الخلافة العباسية ويحتكرون الورق النقي الابيض لنسخ كتبهم ويستجيدون لها اجمل الخطوط وينفقون على تزيينها ما شاؤوا من الذهب والفضة . وفي سنة ٣١١/٩٢٤ في نصف رمضان « أحرق على باب العامة صورة ماني واربعة اعدال من كتب الزنادقة فسقط منها ذهب وفضة كان على المصاحف له قدر »[٤] . وروى الجاحظ ان ابرهيم بن السندي « قال مرة : وددت ان الزنادقة لم يكونوا حرصى على المقالات بالورق النقي الابيض وعلى تخلل الحبر الاسود المشرق البراق وعلى استجادة الخط والإرغاب لمن يخط فاني لم ارَ كورق كتبهم ورقاً ولا كالخطوط التي فيها خطاً واذا غرمتُ مالاً عظيماً مع حبي للمال وبغضي الغرم كان سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليلاً على تعظيم العلم وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سكر الآفات قال الجاحظ : قلت لابرهيم ان انفاق الزنادقة على تحصيل الكتب كإنفاق النصارى على البيع »[٥]

ويؤخذ من كلام ابن الحاج على حسبة الوراقين انهم كانوا في ما عدا القنب والحبال البالية يتخذون الكاغد من الاوراق المنبوذة المطَّرحة او المكتوبة

١) الفلفطيريات لفظة رومية يراد بها نوع من كتابة الطلاسم .
٢) اعيان العصر للصفدي بدار الكتب المصرية رقم ١٠٩١ ج ٣ : ٢٩٨
٣) خلاصة الاثر للمحبي ٢ : ٣٦٠
٤) المنتظم للجوزي ٦ : ١٧٤
٥) كتاب الحيوان طبعة القاهرة سنة ١٣٢٣ ج ١ : ٢٨

المستعملة باعادة حلها وعجنها وهو قوله في وصية الوراق « ان لا يعمل شيئاً من الورق المكتوب الا بعد ان يعرف ما فيه لانه قد يكون فيه شيء له حرمة شرعية .. لان الصناع يدوسون ذلك بارجلهم » ووصف جانباً من احوالهم وهيئتهم في داخل المعمل فمنع ان يشتري احد الورق من الوراقة «في وقت يعلم انه يكشف فيه على عورات من يعمل فيها من الصناع اذ ان اكثرهم يجعلون في اوساطهم خرقة تصف العورة لصغرها وانحصارها على العورة وابتلالها بالماء والفخذ عن آخره مكشوف »[1] .

وحذّر عامل الورق وبائعه « من الغش في ما هو يحاوله . مثاله ان يعطي الدست الذي يساوي ثلاثة دراهم فيبيعه على انه من الدست الذي يساوي اربعة لان الورق في ذلك يختلف ثمنه بسبب صفته فقد يكون زائداً في البياض وفي الصقال ويكون مما عُمل في الصيف وآخر عكسه اعني فيه سمرة ونقص في الصقال او البياضة وعُمل في الشتاء . وما بين ذلك ...

وحذر البائع ايضاً ان يخلط الورق الخفيف بالورق الجيد الذي يصلح للنسخ لان ذلك تدليس على المشتري لان الخفيف لا يحمل الكشط لخفته ... »[1]

ومن الورق ما كان يُصقل وجه منه واحد ويترك الاخر دون صقال كالمنصوري بخلاف الورق العادة « فان فيه ما يصقل وجهاه ويسمى في عرف الوراقين « المصلوح »[2] . ولم يذكر احد من اين أُخذ هذا اللفظ .

وكان طلاء الكاغد من الصناعات التي عرف بها النساء . وربما عوّد اولادهن على حب الوراقة وفي سنة ٥٤٨/١١٥٣ توفي احمد بن ابي غالب ابو العباس المعروف بابن الطلاية ولد بعد الستين والاربعمائة[3] (١٠٦٧–١٠٦٨ م) .

وقد فاتنا كثير من اوصاف الوراقة وما استُحدث فيها من الالفاظ والمصطلحات واوحد ما مرّ بنا منها لفظ « المشاجن » في كلام البيروني قال: هي الحجارة المشدودة على اعمدة الجرازات المنصوبة على الماء الجاري للدق

١) كتاب المدخل ٤: ٨١–٨٨

٢) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٦–٤٧٧

٣) المنتظم للجوزي ١٠ : ١٥٢

كالحال لسمرقند في دق القنب الكواعد[1] ولم نجد هذه اللفظة في شيء من كتب اللغة .

١٦ ـ عزة الكاغد وغلاؤه

اكثر ما كان يطلب الكاغد لكتابة الحديث والعلوم الدينية فضلاً عن حاجة العلماء والادباء والشعراء وارباب الدواوين السلطانية اليه . ومع تعدد مصانعه في خراسان والعراق ومصر والشام كان علم الحديث يفني معظم ما يرد منه الى الاسواق ولذلك كانت اسعاره دائماً فوق متناول العامة والفقراء . قال بقي بن مخلد الاندلسي وكانت وفاته سنة ٨٨٩/٢٧٦ « اني لاعرف رجلا باع سراويله غير مرة في شراء كاغد حتى يسوق الله عليه من حيث يخلفها »[2] وكثيراً ما ضاق ذرع المصنفين بتحصيل ورق لتبييض مصنفاتهم . ومن الكتب التي حُرمها العلم اعجز مؤلفها عن تبييض مسودته تاريخ مصر لابي محمد عبدالله ابن خلف بن رافع المكي . قال ياقوت : « جمع تاريخاً لمصر أجاد فيه وهو قد عجز عن مسوداته ان يبيضها لفقره فبيع على العطارين لصرّ الحوائج »[3] . وكان المحدّثون يتهافتون دائماً على احتكاره وذكر عن احمد بن قاج بن عبدالله الجلحي الوراق « انه ورث ثلاثمائة دينار او سبعمائة فاشترى بجميعها كاغدا في صفقة واحدة ومكث سنين كثيرة يكتب فيه الحديث . »[4] وحكى ابن شاهين الواعظ انه كتب باربعمائة رطل حبراً وقال حسبتُ ما اشتريت به الحبر الى هذا الوقت (سنة ٣٨٠ ـ ٣٨٥ = ٩٩٠ ـ ٩٩٥) فكان سبعمائة درهم . قال الداودي : وكنا نشتري الحبر اربعة ارطال بدرهم . »[5] ولا يعلم الا الله ما سوّد الحديث من الكاغد لمحدّث واحد . وفي زعم كتاب طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى الفراء ان احمد بن حنبل كان يحفظ سبعمائة الف حديث[6] قيدها بخطه

١) الجماهر في معرفة الجواهر ٢٣٤
٢) ارشاد الاريب لياقوت ٢ : ٢٧
٣) معجم البلدان ٤ : ٥٢١
٤) تاريخ بغداد للخطيب ٤ : ٢٥٥
٥) « « « ١١ : ٢٦٧
٦) طبقات الحنابلة طبعة دمشق سنة ١٣٥٠ ص ١٤٤

قبل ان يستظهرها في ذاكرته . وفي تاريخ ابن عساكر « سُئل يحيى بن معين وهو من كبار المحدثين « كم كتبت من الحديث يا ابا زكريا . قال : كتبت بيدي هذه ستمائة الف حديث »[1] فما الظن بعد ذلك بما دوّنه غيره من آلاف آلاف الاحاديث وبما افنتهُ هذه الارقام الهائلة من اثمان الكاغد وقد احترق مرة سوق باب الطاق في بغداد فاتهمت النار لابن الخفاف الوراق وحده الفا وثمانين منا كلها من سماعه[2] ولذلك دفع حب الاقتصاد والتوفير رجال الحديث الى اتخاذ خط دقيق مقرمط في كتابة رواياتهم وموضوعاتهم ولم يستنكف بعض الخلفاء من التمرن عليه قال الخطيب البغدادي : وفد علي بن حرب الطائي على المعتز بسرّ من رأى في سنة اربع وخمسين ومائتين(٨٦٨ م) فكتب المعتز عنه بخطه ودقق الكتاب فقال عليّ : اخذت يا امير المؤمنين في شؤم اصحاب الحديث فضحك المعتز »[3] .

فلا عجب بعد ذلك ان كان الكاغد دائمًا نادرًا عزيزًا ثمينًا يُخان فيه ويُسرق . حكى كمال الدين القفطي ان بعض منتحلي صناعة التصنيف رغب في جمع اخبار النحاة وسأله إعانته قال : فاجبته الى ملتمسه ونبهته على الترتيب والتبويب وأعنته بغاية امكاني فلما فرغ منه او كاد طلب ورقًا ليبيض منه نسخته لاجلي فمكنته من ذلك ثم بلغني انه باع الورق وتعلل عن النسخ»[4] .

ومن اظهر الدلائل على ندرة الكاغد وارتفاع اسعاره ما رواه السخاوي في كلامه على محمد بن سعيد الدين جمال الدين ملك المسلمين من الحبشة قال : عنده امير يقال له حرب جوش كان نصرانيًا لا يطاق في القتال فاسلم وحسن اسلامه فهزم الكفار من الحبشة مرارًا وانكى فيهم فغنم غنائم عظيمة بحيث بيعت الراس من الرقيق بربطة ورق[5] » .

ومن الطف الابيات التي اعتُذر فيها عن البخل الكاغد ما رواه ابو بكر

---

١) الخزانة الظاهرية بدمشق ١٨ : ٩٧
٢) تاريخ بغداد للخطيب ٣ : ٣٥٠
٣) تاريخ بغداد ١١ : ٤١٩
٤) انباه الرواة على انباه النحاة (رقم ٢٥٧٩ تاريخ) في دار الكتب المصرية ١ : ٣
٥) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ٧ : ١٥٣

ابن شاذان قال : سألت ابا الطيب محمد بن الحسين بن حميد بن الربيع ان يملي عليّ شيئاً فأبى ثم سألته فاجاب فقلت له : اعطني ورقة فقال : والورق من عندي ؟ اكتب وانشدني هذه الابيات :

ربّ ما اقبح عندي عاشقاً	متهاماً يتفنّا سمنا
قلت من ذاك ؟ انا ؟ فاستضحكت	ثم قالت : من تراه ؟ فانا ؟
قلت زوريني فقالت عجبا	انا والله اذن قاري مني
اذ يصلي وعليه زيتهم	انت تهواني وآيسك انا ؟ [1]

ولا يخفى لطف هذه الابيات وحسن موقعها .

ولدينا ايضاً مرثية طويلة غاية في الظرف يستدل منها على شدة غلاء الكاغد وندرته ندب بها ابو الشبل البرجي ثُلث درج شرق منه وعدّد محاسنه في حكاية اخبر بها الحسن بن علي الشيباني قال :

« دخلت على ابي الشبل يوماً فوجدت تحت مخدته ثُلث قرطاس فسرقته منه ولم يعلم بي فلما كان بعد ايام جاءني فانشدني لنفسه :

فكَر تعتري وحزن طويل	وسقيم انحى عليه النحول
ليس يبكي رسماً ولا طللا	ح كما تندب الربى والطلول
انما حزنه على ثلث	ن لحاجاته فغالته غول
كان للسر والامانة والكتـ	ـمان ان باح بالحديث الرسول
كان مثل الوكيل في كل سوق	ان تلكّا او ملّ يوماً وكيل
كان للهمّ ان تراكم في الصدو	ر فلم يشفَ من عليل غليل
لم يكن يتقي الحجاب من الحجّا	ب ان قيل ليس فيها دخول
ان شكا حاجباً تشدّد في الاذ	ن فللحاجب الشقي العويل
يرفع الخبر عنه والورق والكسرة عنه فهو المطرود وهو الذليل	
كان يُثنى في جيب كل فتاة	دونها خندق وسور طويل
يقف الناس وهو اول من	تُدخله القصر غادة عطبول
فاذا ابرزته باح به في النصـ	ـك وغير مملول
وله الحب والكرامة من	بات صباً واللثم والتقبيل
ليس كالكاتب الذي يابى الطـ	ـات يكنى قد شابه التطفيل

---

[1] تاريخ بغداد ٢ : ٢٢٦-٢٢٨

ذا كريم يدعى وذا طفيلـــــي وهذا وذا جميعا ذليل
ذاك بالشر واجاعة يلقى ولهذا الحجاب والتنكيل
لم يعد فودة الزمان على الالسن منه عطف ولا تنويل
كان مع ذا عدل الشهادة مقـــبولا اذا عز شاهدًا تعديل
واذا ما النوى الهوى بالاليفين فلم يرع فاصلًا موصول
فهو الحاكم الذي قوله بين الاليفين جائز مقبول
فلئن شتت الزمان به شمل دواتي وحان منه رحيل
لقديمًا ما شتت البين والالــــفة من صاحب فصبر جميل
لا تلمني على البكاء عليه ان فقد الخليل خطب جليل

قال : فرددته عليه وكان اتهم به ابا الخطاب الذي هجاه في هذه القصيدة فقال لي : ويلك نجيت (كذا) ووقع ابو الخطاب بلا ذنب ولو عرفت انك صاحبها لكان هذا لك ولكنك قد سلمت[1] » .

١٧ ــ الورق السمرقندي

ذكرنا فيما تقدم كيف انتقل عمل الورق الى سمرقند على يد صناع اسرى من الصين بعد وقعة اطلخ سنة ١٣٣/٧٥١ وكان نظير الصيني في الحسن والنعومة لا يقاربه شيء مما عمل من جنسه في سائر بلاد الشرق ولذلك قال ابن حوقل : لهم الكاغد بما وراء النهر الذي لا نظير له في الجودة والكثرة[2]. وقال البشاري المقدسي : لا نظير لكاغد سمرقند[3]. وظل يعدّ في كل وقت من افضل انواع الورق في الاسلام واغلاها قيمة وعلل النويري هذا الفضل بقوله : من خصائص سمرقند الكواغد التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون عليها لانها احسن وانعم وارفق وارق[4] . ولذلك كان يؤثر الكتابة فيه جلة الوزراء والعلماء.

وكان الوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات لا يستعمل له الا الورق السمرقندي

١) الاغاني ١٣ : ٢٩-٣٠
٢) المسالك والممالك ٣٣٢
٣) احسن التقاسيم ٣٢٦
٤) نهاية الارب ١ : ٣٦٧

ويُحمل اليه في مصر في كل سنة » وكان في خزانته عدة من الورّاقين. فاستعفى بعضهم فامر بان يُحاسب ويصرف فكمل عليه مئة دينار فعاد الى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء. قال محمد بن طاهر المقدسي : سمعت ابا اسحاق ابرهيم بن سعيد الحبال يقول: خرّج ابو النصر السجزي الحافظ على اكثر من مئة شيخ لم يبق منهم غيري وكان قد خرّج له عشرين جزءا في وقت الطلب وكتبها في كاغد عتيق فسألت الحبال عن الكاغد فقال هذا من الكاغد الذي كان يحمل للوزير من سمرقند وقعت الي من كتبه قطعة فكنت اذا رأيت فيها ورقة بيضاء قطعتها الى ان اجتمع هذا فكتبت فيه هذه الفوائد »[1].

ولاجل هذه الشهرة التي عرف بها الورق السمرقندي في النفاسة والاتقان فضّله بعض المحدثين لكتابة الحديث كما كانوا يختارون لها قبلًا الرق اجلالًا وتكريمًا . قال ابو القاسم محمود بن علي بن نصر النسفي بسمرقند وذكر ابا نصر الكاساني: قدم بلخ علينا وكان يقول: كتبت من الكاغد مئتين وخمسين منًا فيه حديث رسول الله[2] (صلعم) يعني بالكاغد الورق السمرقندي.

وقد فاتتنا معرفة الانواع التي كانت تصنع منه ولم يُذكر لنا منها الا المنصوري نسبة الى ابي الفضل منصور بن عبد الرحيم بن ليث بن مجير الكاغدي من اهل سمرقند توفي سنة ٣٢٣/٩٣٥ بسمرقند . قال السمعاني واليه ينسب الكاغد المنصوري المشهور ببلاد خراسان وعدّ من كان ينسب نظيره الى عمل الكاغد وبيعه وقال : المشهور بهذه النسبة ابو تربة سعيد بن هاشم الكاغدي السمرقندي مات سنة ٣٤٩ (٩٦٠ م) وصاحبنا ابو علي الحسن بن ناصر الكاغدي المعروف بالدهقان اليه ينسب الكاغد الحسن الذي لم يلحقه من سبقه في جودة الصنعة ونقاء الآلة وبياضها . . . ومن القدماء ابو عمرو محمد بن خشنام بن سعد الكاغدي من اهل نيسابور . . . وابو الحسن احمد بن محمد بن احمد بن جعفر الصوفي الكاغدي من اهل نيسابور . . . توفي سنة ٣٤٦[3] (٩٥٧ م).

ويستدل من بعض الاخبار ان الورق المنصوري كان متوفرًا في بغداد في

---

١) ارشاد الاديب لياقوت ٢: ٤١٣

٢) تاريخ بغداد لابي ابرهيم بن الفتح البنداري ٦١٥٢ خزانة باريس ٨

٣) كتاب الانساب ٤٧٢

القرن الثالث للهجرة ولعله كان يصنع فيها كما صنع فيما بعد في مصر وذلك لكثرة ما كان يوزّع منه على الناس في وزارة ابن الفرات «قيل انه لما خُلع على ابي الحسن بن الفرات خلع الوزارة زاد في ذلك اليوم في ثمن الشمع قيراط في كل منّ لكثرة استعماله لها لانه كان من رسمه ان لا يخرج احد من داره في وقت عشاء الا ومعه شمعة مَنَوِيّة ودرج منصوري»[1].

قال ابو اسحق الصابئ يصف كتابا كتبه في ايام الحداثة بين يدي الوزير ابي محمد المهلبي: استدعيت دواتي ودرجاً منصوريا وكتبت كتاباً اقتضبته بغير روية ولا نسخة»[2]. وكان الورق المنصوري معروفاً ايضاً في الاندلس اشار اليه المقري في نفح الطيب[3].

وقد تقدم ان الحسن بن ناصر المعروف بالدهقان كان يصطنع ورقاً لا يعادله ورق آخر في الجودة والنقاء. وقد اعيانا البحث لنجد ذكر ورق منسوب اليه في ما مرّ بنا من الاخبار والآثار فلم نعثر على شاهد واحد فكيف طارت شهرته بعمل افخر الورق في سمرقند دون ان يعرف بالدهقاني كما اشتهر سائر انواع الورق باسماء اصحابها كما سيجيء.

وهنالك ورق آخر ذكره الامام ناصر الدين في الملتقط ودعاه الدرّي وقال انه كان مشهوراً بين علماء سمرقند. ولم نجد اشارة اليه اخرى في مطالعاتنا وابحاثنا عن الورق ويظهر انه كان منه نوع جيد وآخر لا يصلح للكتابة[4].

(للمقال صلة)

---

١) تاريخ الوزراء ٦٣

٢) ارشاد الاريب ١: ٣٤٢

٣) طبعة دوزي ١: ٦٩٤

٤) نصاب الاحتساب للشيخ عمر بن محمد بن عوض الشامي في مكتبة دار الآثار بالقدس ٨

انشقاق فوتيوس - تاريخ واسطورة (تابع)

بقلم الاب يوحنا كابلوس اليسوعي

٣ — فوتيوس وروما : لو كان فوتيوس قد اراد ان يتبوأ سدّته بطمأنينة لكان عليه ان يطلب عاجلاً ان تثبت روما انتخابه ؟ وفي مثل هذا المقام سنصادف نقولا الاول واغناطيوس وفوتيوس وجهاً لوجه . ففي سنة ٨٦٠ غنم ميخائيل الثالث فرصة ارسال (اعتراف فوتيوس بالايمان) « Synodique » الى نقولا الاول ليدعو البابا الى ايفاد مندوبين الى بيزنطية اذ كان في نيّته ان يعقد مجمعاً فيها ليحدّد مجدّداً التعليم الكاثوليكي بشأن تكريم الصور(ص١١٧—١٢٣) فاجابه البابا شاكراً اهتمامه حيال الكنيسة ولكنه اظهر دهشته لعزل المجمع لاغناطيوس من دون موافقة الحبر الروماني — لان الدعوى المقامة عليه لم تبدُ له صحيحة — ومن ثم اللجوء الى انتخاب علماني وذلك ما تحرمه القوانين — فهو يرفض اذاً الاعتراف بفوتيوس قبل ان يتناول التحقيق الذي سيقوم به مندوباه. « ليعرف اذا كانت قد روعيت حرمة القوانين او لا حتى اذا تسلّمنا تقريرهما نقول بسلطاننا الرسولي ماذا يجب ان يتم لكي تستطيع كنيستكم التي طالت فيها القلاقل بسبب هذه الاشجان ان تحيا بسلام وامان » (ص ١٢٣) . وختم البابا رسالته طالباً الى الامبراطور ان يردّ الى كرسي روما حقّ ولايته على ايليريكوم « Illyricum » وما يؤول اليه شرعاً من ممتلكات كالابر « Calabre » وصقلية « Sicile » والحق بالاحتفاظ بسيامة رئيس اسافقة سيراكوزا « Syracuse » وهي امور حرمته اياها بيزنطية . أمّا جوابه على اعتراف فوتيوس بالايمان فوجيز حازم لكنه مفرغ بقالب ودّي : اعرب فيه عن ارتياحه لتلقي اعترافه بالايمان المستقيم الرأي « الارثوذكسي » واخذ عليه الاسراع في سيامته اسراعاً مخالفاً للقوانين ومع ذلك فقد أكّد له انه اذا كان التحقيق الذي كلف موفديه القيام به يأتي في مصلحته فانه « سيعانق البطريرك ويمحضه خالص ودّه في محبة اخوية » .

انه ما من سلوك اعقل من هذا السلوك فالبابا لم يدلِ بحكمه سلفاً على شيء لا في مصلحة اغناطيوس ولا ضد فوتيوس .

فماذا اعتقدت البعثة الرومانية التي ذهبت الى القسطنطينية سنة ٨٠١ انها ستجد ؟ وهي التي كانت مؤلفة من رادوالد دبورتو « Rodoald de Porto » وذكريا داناني « Zacharie d'Anagni » . وماذا صادفت بالواقع ؟ انها صادفت وفداً مثقلاً بالهدايا كما كانت العادة [فاعتقد المؤرخون خطأً انه كان لشرائها] وقد ذهب قدامها حتى سالونيك . اما في القسطنطينية فعجزت في مخادعها ! واذا استطاعت الاتصال باغناطيوس فانه كان من المستحيل عليها تقريبا كل اتصال باليونانيين وكان موعد افتتاح المجمع قد طال لانها وصلت حوالي عيد الميلاد فبدأت جلساته بعد عيد الفصح ولم يسفر كل ذلك عن شيء مستحب .

واول ما كان يهتم له مبعوثا الحبر الروماني هو ان تسير الدعوى طبقاً وفق تعليمات البابا بيد انها قد تبين لها صراحة انها لم تكفيهم ابداً . اذ ان الاحداث قد سارت في سيرها منذ سنتين ولم تبقَ التوجيهات الواصلة تتفق لا مع وجهات نظر الامبراطور وفوتيوس ولا مع عادات كنيستها فنجم عن ذلك ان رفض كلاهما العمل بموجبها . ففي رأيها ان اغناطيوس قد حوكم واستقال وان فوتيوس قد تسلم تسلماً قانونياً كرسيه ولا سبيل لاعادة النظر في كل القضية .

واجاب الامبراطور الذي كان ميالاً للمسالمة : « اننا نسمح باعادة درس القضايا العائدة للبابا وذلك تكريماً للكنيسة الرومانية ولقداسة البابا نقولا في شخص نائبيه » وقال بولس اسقف قيسارية (Césarée) الناطق باسم الكنيسة البيزنطية « لقد اصدر المجمع حكمه على اغناطيوس فدعواه في كنيستنا قد انتهت ... ومع ذلك نوافق بل رضانا على ان يعاد النظر والحكم فيها في سبيل تكريم القديس بطرس وقداسة البابا المسكوني نقولا (ص ١٢٧ — ٨) فمثل اغناطيوس وعلائم التأثير بادية على وجهه واصرّ المندوبان الباباويان (١٣٢) على عزمها لاعادة النظر في دعواه بصفة كونهما يمثلان الحبر الروماني مستندين الى قوانين سارديك « Sardique » التي يستفاد منها ان لاسقف روما صلاحية اعادة

النظر في دعوى اي اسقف كان – فرد عليها اسقف اللاذقيــة (Laodicée) باسم كنيسة بيزنطية بقوله « ان كنيستنا نفسهـا لتغتبط بذلك وهي لا تمانع ابداً ولا تسنا. » ولكنه كان قد تثبت بأسف ان اغناطيوس كان قد ازدرى طلبين وجهها اليه مندوبا البابا ليرى نفسه فاقترح موفدو الملك ان يوجه اليه طلب ثالث حتى اذا اصر على موقفه حوكم وفقاً للاصول القانونية (ص ١٣٢— ٣٣) اما مندوبا البابا فاعلنا انها لا يريدان الا اتباع العادات الرومانية . . . وعندما ابدى بعض الناس دهشتهم من ملاطفتها البطريرك السابق كل الملاطفة وكان يتفوّت[1] عليها حتى اهانها اجاب المندوبان الرسوليان نحن لا نريد مقاضاته على الاهانات التي الحقها بشخصيها بل لتجاوزه على القوانين فبات مذنباً حيال الكنيسة — واردف دفورنيك « Dvornik » قائلا انها لرجابة صدر ليست من ذوق الآباء. لان اسقف اللاذقية قـد صرّح : « ان لكنيستنا عاداتها المغايرة لعادات كنيستكم (ص ١٣٣) واما امبراطورنا القديس فخاضع لارادتكم » فتدخل رسل الامبراطور ووضعوا فوراً حداً لتلك المناقشة باعلانهم اعلانا قاطعاً : « اننا لا نريد المحاكمة بحسب عاداتنا بل وفقاً لسلطان القوانين ودستور الكنيسة الرومانية » .

وانثنى رفض اغناطيوس حضور الجلسة الثالثــة التي ترئسها الامبراطور وبارداس الى اصدار الامبراطور امراً بجلبه اليها حيث اخذ ينكر صلاحية مندوبي البابا (ص ١٣٤) « Ega non appellavi... quid vultis judicare».

وعلى رغم ما الحّ عليه بـه الامبراطور والآباء الذين اعترفوا بملء خاطرهم بمندوبي البابا كقاضيين شرعيين اقتصر اغنـاطيوس بالجواب عليها متهكماً — وقد صدر الحكم النهائي عليه في الجلسة الرابعة ونقض المندوبان الحكم الذي اصدره بحق اسبستاس(Asbestas) وجماعته ومن ثم طالبا بان يؤدي ٧٢ شاهداً الشهادة على عدم مشروعية انتخاب اغناطيوس وعقب بعض التردد بالنظر الى غرابة هذا الطلب فقد نزلوا عند ارادتها حول هذه النقطة . فـابرم المندوبان الرومانيان الحكم ونزع عنه الشماس بروكوب « Procope » شارات البطريركية

---

١) يقال فلان يتفوت على ابيه في ماله اي يـنفذه بغير اذنه .

فاطاع اغناطيوس فسمح له بالاقامة في قصر بوزيس « Posis » (١٣٩) الذي كان لوالدته .

والآن لا بدّ لنا من تقدير تصرّف المندوبين (ص ١٤٠) .

يقول اتباع اغناطيوس ان جماعة فوتيوس قد رشو المندوبين وتوسلوا باعمال العنف — وينكر دفورنيك عليهم هذه المزاعم ويقول : الحقيقة ان المندوبين قد قاما باعمال اكثر مما تقضي عليهما به التعليمات التي معهما فقد كانت تقضي عليهما تلك التعليمات بان يقوما بالتحقيق لا بأن يصدرا الحكم النهائي المحتفظ به لشخص البابا بنفسه.

فكيف يمكننا ان نعلّل انهما اعتبرا نفسيهما مفوضين في الامر وخالفا التعليمات التي اعطيا اياها ؟

يجيب دفورنيك على هذا السؤال جواباً فيه دقة كبرى وهو جواب موضوعي برمّته وهو الجديد في هذا الامر . ومفاده ان المندوبين بعد ان اقاما مدة طويلة في بيزنطية رأيا فيها ان الحالة الفكرية لم تكن كما كانوا يتخيلونها في روما وان حزب اغناطيوس لم يكن كبيراً كل الكبر وان انصاره لم يكونوا كما يدعون : انهم لا يسترسلون فيما يوجب ملامتهم ولاسيما ان محاكمة مندوبي البابا لبطريرك القسطنطينية وحكم ممثلي الكرسي الروماني عليه قد ايد حقوق كرسي روما التاريخية حتى على بيزنطية التي لم تكن تنكرها ضمناً لانها كانت تلجأ غالباً وتطلب تدخله وتقبلها . اما في هذه القضية فان هيبة التسلط التي استخدمها فنفّذت على البيزنطيين الذين كانوا يريدون المناقشة ولا يرغبون في قبول حكم كرسي غريب كما هو قبل ان يستمعوا الى اقوال المذنب .

ولندع الكلام لدفورنيك (ص ١٤١) :« لنفكّر في المراد منها بصفة كونها ضفا الدولة ، لقد كان رادوالد وزكريا عالمين قانونيين ضليعين وكانا مطلعين اطلاعاً كافياً على سياسة نقولا الاول الدينيـة ليدركا ان العمل الذي كان صنعها ينطبق على رغبة سيدهما الباطنية وان البابا الذي عرف ان يفرض سلطانه على جميع الاساقفة الغربيين واخمد رغائب كنيسة الفرنك الاستقلالية وهي قوى الكنائس الغربية كان من المؤكد سيقدر لهما عملها بقيمته الحق وكانا يعلمان ايضاً ان البابا لم يكن يريد ان يخوّل ممثليه حق اصدار القرار الاخير

ولاسيما في قضية اغناطيوس التي احتفظ فيها بهذا الحق لنفسه فلذلك عارضا طويلاً طلب الامبراطور الذي لم يوافق على عودة انعقاد المجمع الا على شرط ان يفصل في الجلسة نفسها في القضية فصلاً حاسماً .

ولم تكن تلك المعارضة مستحبّة لدى ميخائيل وتداركا ذلك ، ومن دون شك انهما انهما اذا استمرا على اصرارهما فالامبراطور يقلع الاقلاع كله عن فكرة المجمع وعند ذلك لا يتمكّن نقولا الاول ابداً من ان يسمع صوته في قضية اغناطيوس . وحيال هذه النتيجة التي بدت لها ، وهما العالمان القانونيان نتيجة رئيسية عقدا النيّة على تجاوز صلاحيتهما وعلى ان لا يقوما بعمل المحققين فقط ولكن بعمل القضاة . ويعود اليهما الفضل في اعتراف كنيسة القسطنطينية اعترافاً كاملاً وعن طيبة خاطر بحقوق الحبر الروماني في ان يحاكم بطريركاً بيزنطياً ... والكنيسة البيزنطية اذا سمحت بمحاكمة اغناطيوس امام ممثلي البابا فانها قد سلمت للكرسي الرسولي باكثر من حق الاستئناف اليه وقد رأينا البطريرك الاسبق لا يستأنف الى الكرسي المقدس .

وهذه النتيجة يجدر بها ان تفوز ببعض الامتيازات التي قدمها رادوالد وزكريا على امل ان يرضى عنها البابا .

ومن الاكيد انه لم يكن بالاستطاعة تلاوة رسالة البابا الى الامبراطور في المجمع بنصها الاصلي فعدّلا فيها وحذفا منها خاصة الفقرة التي احتفظ فيها البابا لنفسه بحق الحكم النهائي ... واتفق لمثل هذا الامر ان حدث في المجمع السابع . . . اذ انه لم يكن ممكناً تلاوة رسائل البابا هدريان الاول (Hadrien I) بحرفيتها امام الآباء فعدّلها مندوباه ومع ذلك لم يرَ البابا في ذلك العمل شيئاً يؤاخذون عليه .

واذا ما اكملنا الرواية في هذه السابقة ولاسيما في النتيجة التي جاء بها رادوالد وزكريا للبابا الا وهي اذعان الكنيسة البيزنطية لحكمه فالمسؤولية التي تقع على عاتقها بسبب هذه الخدعة التي ارتكباها « اذ اصح ان كان ثمت ما نسميه خدعة » فانها لحقيقة كل التخفيف .

هذه هي النتيجة التي وصل اليها دفورنيك .

فكيف استقبل نقولا الاول مندوبيه عند عودتهما ؟

لقد وصل مندوبا البابا الى روما في خريف سنة ٨٦١ وهما يحملان رسالة من فوتيوس . واطلعا نقولا الاول على الاسباب التي اجبرتهما على ان يشطّا عن مهمّتها . فلم يستطع البابا ألّا أن يتأكد مما احرزا من انتصار للكرسي الرسولي على البطريرك الشرقي الواسع النفوذ .

ويبدو انه لم يكن غير منشرح الصدر على مندوبيه لانه كلف وادوالد الاضطلاع بمهمة كبرى في البلاط الفرنجي بيد ان نقطة واحدة لم تصادف استحساناً لديه ! لان المندوبين لم يفوزا بشيء فيما يختص ببلغاريا وايليريكوم ومع ذلك لم يكن قد انقطع امل نقولا الاول في هذا الصدد : لان فوتيوس اذا اراد ان يعترف به الحبر الروماني فما عليه الا ان يتزل عند رغبته حول هذه النقطة ...

وقد اعلن البابا قراره هذا لبطاركة حلب وانطاكية واورشليم الشرقيين ليجعل لكلمته وقعاً اعظم فدعاهم الى ان يطبقوا موقفهم على موقف روما وبات عبثاً ينتظر الجواب . — وما تلقى بدلا منه الا الراهب تيوجنوست « Théognoste » الذي قدم من القسطنطينية تصحبه حاشية من اتباع اغناطيوس الذين حملوا واجبهم استمالة البابا الى جانبهم — فلم يفلحوا الفلاح كله في ما عقدوا النية عليه ! فعقد البابا مجمعاً في روما (٨٦٣) دُرست فيه اعمال مجمع بيزنطية لسنة ٨٦١ فليمَ المندوبان وحُرما ونُقضت اعمال المجمع البيزنطي .

فكيف نفسّر هذا الانقلاب المفاجئ ؟ يعتقد دفورنيك ان لا جواب على هذا الانقلاب المفاجئ غير تقرير تيوجنوست المؤثر الذي صوّر فيه اغناطيوس الرجل المرغوب فيه في بيزنطية كما صوّر اعادته مدعاة للامل في ان يحمل على ردّ ايليريكوم اعترافاً منه بالجميل . اما نقولا الاول فدعدغه الوهم !

وقد تلقى البابا في اواخر صيف ٨٦٥ رسالة جديدة اللهجة من ميخائيل الثالث يتلوّم فيها عليه ويقول له انه لم يقدر الامتيازات التي أعطيها الكرسي الروماني بتخويل مندوبيه حق محاكمة اغناطيوس حق قدرها وطلب من نقولا الاول ان يُرجع تيوجنوست وصحبه الذين قوموا له معلومات خاطئة الى القسطنطينية والا اتخذ تدابير عسكرية ليتزلهم عند رغبته .

ولقد اتخذ الخلاف طابعاً خطراً – ! وبات على البـابا ان يجيب ! وفي ذلـك التاريخ كان نقولا الاول مريضاً مرضاً شديداً . وقد يـكون من المحتمل ان كُلّف اناستاس قيم المكتبة ان يكتب الجواب بناء على تعليمات البابا العامة التي قدمها له . – ولقـد اصبحت تلك الرسالة من اهم الوثائق في تاريخ البابوية ولذلـك لا نرى مندوحة عن تبيان ما كانت تحويه باختصار .

في القسم الاول منها – لام نقولا الاول ميخـائيل على تحدثه عن خليفة بطرس بشكل مهين – انه لامر لم يسمع بمثـله ان يقوى امبراطور على ان يأمر البابا ليرسل مندوبيه ولكنهم قد كانوا يرجونـهُ بكياسة ان يتنازل بايفاد ممثليه الى المجمع – اما فيا يتعلق بالبطريرك اغنـاطيوس فليعلم الامبراطور انه لم يُعزل حتى الآن اي بطريرك كان او حكم عليه بدون موافقة كرسي روما . اما الحكم عليه فغير عادل لانه ليس بمقدر من كان ادنى منه ان يقاضيه وانما ذلك لمن اختصاص محكمة عليا : من صلاحية الكرسي الروماني.

وفي القسم الثاني . – حدّد البابا تحـديداً قاطعاً حقوق الكرسي الرسولي التقليديّة التي لا يمكن نسخها لانها الحقوق التي اعطاها المسيح نفسه القديس بطرس وهو قد سلّمها خلفاءه ، وهـذه الامتيازات تخول البابا السلطان على جميع الكنيسة وحتى حق السهر على كنيسة القسطنطينية وهذا هو السبب الذي يهتمّ من اجله البابا لقضية اغنـاطيوس التي احتفظ بحق الفصل فيها لنفسه . – ومن حقه ان يستدعي الى روما اي اكليريكي كان وبناء عليـه طلب من اغناطيوس وفوتيوس ليرسلا اليه ممثليهما ورجا الامبراطور ان يوفـد اليه ايضاً ممثليه – فلا يتوجّس الامبراطور لان البابا سيكون قاضياً عدلاً.

ولم يَدَعْ نقولا الاول قلبه ينخلع امام تهـديدات الامبراطور فقد كان عارفاً حق المعرفـة حقّه وواجبه وعازماً على ان يكون برّاً بكلا الاثنين (ص ١٦٧) . وانه لمن الصعوبة بمكان ان نقول ما كان لتلـك الرسالة من وقع في بيزنطية – ومها فكّر الكثيرون من مؤرّخي الكنائس المنشقة ولاهوتيها

في هذه الرسالة فانها لم تكن تحوي شيئاً جوهرياً – جديداً بشأن رئاسة كرسي روما (ص ١٦٢) . ولقد سنحت الفرصة امام نقولا لاثبات هذه السلطة اثباتاً بعيداً عن معترك الظنون وقد اعترف بها في كل الاجيال فاعلنها بصلابة لا مثيل لها قد كانت في حزم طبع ذلك البابا الشديد الاسر حتى خيل للكثيرين انهم يسمعونه للمرة الاولى .

ومن الخطأ تاريخيا الزعم ان نقولا الاول كان مبتدع قضية رئاسة الكرسي الروماني في شأن السلطة لان ذلك مرجعه الى الانجيل . اما اذا كانت لهجته خرشاء[1] وفي غير مناسبتها فذلك مما نسلم به بسهولة بيد انها قد اصابت رهيف الشعور البيزنطي في الصميم ذلك الشعور الذي تصلّب في عناده تصلّباً حمله على الازراء بسلطة اعترف بها التاريخ .

وقد قال دفورنيك لم يكن البيزنطيون يجهلون التاريخ ولكنهم لم يكونوا يستشهدون به الّا متى جاء في مصلحتهم فقط . فالافكار التي اعرب عنها نقولا الاول في رسالته كانت صحيحة كل الصحة بذاتها بيد ان هذه الافكار نفسها (ص ١٦٨) لم تكن قد بلغت بعد تطورها درجة دقيقة الوضوح في بيزنطية تحاكي وضوحها في الغرب . – وان ما قاله نقولا الاول عن بطريركية القسطنطينية انها لم تكن من اصل رسولي وانها تأتي بعد بطريركيتي الاسكندرية وانطاكية قد عضّ انوف (انانية) الكثيرين ، اما فوتيوس الذي لم يكن جاهلًا التاريخ فلم يكن بمقدوره الا ان يرى الحق في قول البابا حول هذه النقطة .

وعلى كل فقد كان من الخرق التذكير بكل هذه الامور لكنيسة كانوا يسعون لاحلال السلام فيها والتحدث معها .

اما الامر الذي طفح الكيل بصدده فهو قضية بلغاريا ، او عقدة الخلاف الدائم . فقد كان بوريس (Boris) يريد بطريركاً وفوتيوس لا ينزل عند رغبته فادار بوريس وجهه نحو روما فبعث اليه اسقفين مع مرسلين وضمّ اليهم البابا

[1] الاخرش الصلب الخشن وقد استخدمنا هذه اللفظة لترجمة كلمة « maladresse » الفرنسية .

ثلاثة مندوبين كان عليهم ان يكملوا طريقهم الى القسطنطينية لعقد مجمع .
ولكنهم كانوا على يقظةٍ في بيزنطية . وكانوا لا يجهلون ما يجري ببلغاريا —
وطفقوا ينتظرون المندوبين اكثر من اربعين يوماً في الحدود وما انقطعوا في
تلك الاثناء عن العمل في القسطنطينية فقد قرروا انه اذا كان المندوبون يريدون
عبور الحدود عليهم ان يوقعوا سلفاً اعترافاً بفوتيوس كبطريرك — ولما لم يكن
باستطاعة المندوبين النزول عند هذا الشرط قفلوا راجعين الى روما (ص ١٨١)
وكان لا بدّ للبابا من الاستسلام الى التفكير ، ومن المؤكد انه كان بعيداً عن
الاشتباه بما كان يعدّه ضدّه فوتيوس الذي عقد مجمعاً في صيف (٨٦٧) ساهم فيه
اساقفة كثيرون وحاكموا نقولا الاول واسقطوه عن كرسيه وحرم .

واتفق في تلك المدة ان نودي بلويس الجرماني الثاني (Louis II le Germanique)
امبراطوراً بحضور ميخائيل الثالث وباسيليوس (وهــذا الاخير كان قد اغتال
بارداس واتخذ مركزه في الحكومة) فأمل فوتيوس بان يكتسب من جراء تلك
التدابير مساعدة الغربيين ولويس الثاني وجزءاً من مطارنة اللاتين الذين كانوا
مستائين من تصرف الحبر الروماني فوجه رسالة رعائية الى بطاركة الشرق شجب
فيها بعض العادات الغربية (كصيام السبت وتبتل الكهنة . . . وما شاكل)
واضافة الانبثاق من الابن (Filioque) الى قانون الايمان .

فيا له من عمل قد تمّ وما هو الا اُهولة من الهُوَل[1]

ولقد علق دفورنيك على موقف فوتيوس (ص ١٩٢) بقوله انه كان موقفاً
لا يعدو حدود اللياقة حيال نقولا الاول حتى ذلك العهد ولكنه قد غيّره بتغيّر
وضع قضية بلغاريا، بيد ان هذه الاسباب ليست كافية كما يقول دفورنيك لعذره
على بادرته الاخيرة : فقد ارتكب ذلك الامر الذي لم يسمع بمثله في كل التاريخ !
(ص ١٩٣) اذ جرأ على اصدار حكم بحق البابا ! فعرّض للخطر بذلك الوحدة
المسيحية لانه امر لا يغتفر ولا سبيل لتبريره . — وهو ما ندعوه في التاريخ
انشقاق فوتيوس الاول .

---

١) ما هو الا اُهولة من الهُوال وذلك ان تناهى في القبح والهُوَلة ما يفزّع به
الصبي وقد استعملنا هذه العبارة لترجمة كلمة monstrueux الفرنسية .

ويجمع كل المؤرخين من دون استثناء على اعطاء الحق لدفورنيك في مثل هذا المقام.

واردف دفورنيك ملمعاً الى بعض الاعتبارات التي لها قيمتها والتي لم تتفق عليها جميع الآراء حتى الآن.

ومما قاله انه لو كانت بادرة فوتيوس لا تغتفر واذا كان لا بد من شجب رسالته الرعائية المفعمة غيرة وحقداً فمن الواجب ان لا نغالي بقيمتها ولا باهميتها كما فعل بعض المؤرخين.

ومن رأي دفورنيك ان فوتيوس لم يهاجم الكنيسة الرومانية ولا رئاستها وانما شخصية نقولا الاول. وانها ليست الا حرباً شخصية. — واول من اعطى هذه البادرة قيمة لم تكن لها كان بارونيوس! ومع ذلك لقد اصبحت بادرة فوتيوس سواء اكان بحق او بغير حق فعلاً استند اليه بعد ذلك واقتدى به جميع الذين مزقوا بدورهم وحدة الكنيسة. فرسالته الرعائية ستكون منجماً لا ينضب يستمد منه المنشقون في يومنا الحاضر سلاحهم دائماً ضد روما.

(ص ١٩٣) ويعتقد فورنيك ان بادرة فوتيوس تلك كانت قبل اوانها وكانت طائشة متهورة. فقد اخطأ باهماله موقف الانتظار الهادئ وكانت العناية الالهية تعمل على تدبير الامور = . ولقد مات نيقولا الاول في ١٣ تشرين الاول ٨٦٧ وهو لا يزال يجهل الحكم الذي اصدره بحقه البطريرك الجامح. فان جميع هذه الاحداث كانت معروفة في التاريخ. اما بحوث دفورنيك العلمية فجاءت تؤيدها. — اما تأويل بادرة فوتيوس المشؤوم تأويلاً ملطفاً فربما لا يعلق باذهان جميع الناس.

فماذا كانت ردة الفعل في روما ؟

يبدو انه عقب وفاة نيقولا الاول ترتسم طلائع تبدل في سياسة الكرسي المقدس الشرقية (ص١٩٤) فذكريا الاناني Zacharie d'Anagni الذي كان حكم عليه نيقولا الاول قد نال عفواً من خلفه وكان يعرف الشرق وكان بمقدور البابا الجديد ان يستفيد من خبرته في هذا الصدد. والرهبان اليونانيون الذين لجأوا الى روما وكان نيقولا الاول يؤمن لهم يومياً وجبة طعام في قصر لاتران

(Latran) كانوا يتجنبون ان يحتكوا ايما احتكاك بهادريان الثاني (Hadrien II) الذي اعتقد ان الضرورة تقتضيه القيام ببادرة تودد نحوهم لتخفيف المشادة فأدب لهم مأدبة في العشرين من شباط سنة ٨٦٨ وما استنكف عن ان يصب الخمرة لهم بيده وطمأنهم في احد الانخاب الى ان لا يخشوا شيئاً وانه سينهج سياسة سلفه نفسها . اما في روما فلم يكونوا يعرفون شيئاً عن التبدل الذي طرأ في بيزنطية ولا شيئاً عن ثمرة فوتيوس ضد نيقولا الاول . — فماذا جرى ؟

٤ ـ باسيليوس الاول ومجمع ٨٦٩ـ٨٧٠

انتزع باسيليوس العرش الامبراطوري في الرابع والعشرين من شهر ايلول سنة ٨٦٧ وكان قد اغتال قبل ذلك بثلاث سنوات ٢١ نيسان سنة ٨٦٤ بارداس ومن ثم ميخائيل الثالث فلم يكن باستطاعته طبعاً التعويل على الحزب الذي كان يناصرهما لكي يتمكن من الحكم فعزم على قلب سياسة سلفه الدينية رأساً على عقب : ونفي فوتيوس الى احد الاديار وعاد اغناطيوس الى تسنم الكرسي البطريركي (٢٣ تشرين الثاني سنة ٨٦٧) .

وكان من الواجب اعلام روما بالامر لانها كانت تجهل كل شيء . ولكن ما هو العمل لاجتلاب عطفها ؟ فلقد كان الجميع في القسطنطينية قد اشتركوا في مجمع فوتيوس المشؤوم وتواطأوا معه على « ان الكرسي الاول لا يستطيع احد محاكمته» وكان ذلك المبدأ الذي تقيدوا به ولقد شهد باسيليوس ذلك المجمع الذي قد يكون «لصوصية جديدة »! فاقدم على افناء اعمال ذلك المجمع الزائف لكي لا يستطيع استخدامها احد ضده وارسل على جناح السرعة الى روما افتيموس (Euthyme) وزوّده رسالة الى البابا تطلعه على مجرى الحوادث ولكنه كان يجهل موت نيقولا الاول فاهتم خلفه هادريان الثاني في هذه القضية . وانقضى اكثر من سنة ونصف السنة بالذهاب والمجيء بين روما وبيزنطية... ولما اعتقد هادريان الثاني انه اطلع اطلاعاً وافياً على الامر عقد مجمعاً في كنيسة القديس بطرس (١٠ ك٢ سنة ٨٦٩) اما حزب فوتيوس فلم يستطع اسماع صوته لان ممثله بطرس كان هلك غرقاً في الطريق فدعا البابا مرات عدة الراهب ميتوديوس (الوحيد الذي ظل حياً من الذين صحبوا بطرس) ليحضر ويدافع

عن فوتيوس فابى فاهمله البابا وحرم رسمياً فوتيوس واصدر امراً باحراق مقررات المجمع المشاغب التي جاء بها موفدو الامبراطور (ص ٢١٠) وقرر ان ينعقد مجمع (كان قد طالب بعقده باسيليوس ايضاً) في القسطنطينية (هو مجمع ٨٦٩ — ٨٧٠ المدعو بالثامن المسكوني) برئاسة الاسقفين دونات واسطفان والشماس مارن . وكان هؤلاء يحملون رسالة الى باسيليوس واغناطيوس تدعو الامبراطور الى تنفيذ حكم الحبر الروماني بحق جميع الذين تواطأوا في الحوادث الاخيرة .

ولم يكن باسيليوس يريد الا شيئاً واحداً الا وهو استتباب النظام والسلام فكان مستعداً ليتقيد بالمطالب الرومانية بيد ان مصلحته لم تكن من جهة ثانية تقضي باغضاب انصار فوتيوس باستخدام الصرامة معهم لان حزبهم كان قوياً فلذلك الحّ على البابا بان يكون متسامحاً حيالهم .

والباعث على الشجى في هذه القضية هو ان باسيليوس لما كتب تعليماته لموفديه كان يجهل ما طرأ من تبدل في روما من جراء وفاة نيقولا كما كانوا يجهلون في روما ما جرى على ضفاف البوسفور .

وقد شهدنا هذا الاختلاف (ص ٢١٢) بين مقاصد باسيليوس ومقررات البابا للمرّة الاولى في اثناء مقابلة المندوبين الرومانيين في البلاط .

وكان مندوبو البابا مزودين برسالة « Libellus » تنصّ على عدم قبول احد في المجمع قبل ان يوقع عليها سلفاً — مما افضى الى الدهشة العامّة في بيزنطية فاجاب الامبراطور والبطريرك انه لامر جديد وانهما يريدان ان يطالعا على مضمونها — فاطلعا عليها — وكان ذلك النص يشتمل على « قانون ايمان » البابا هورميسداس Hormisdas (ص ٢١٣) الذي وقعه الاساقفة الشرقيون المرتدون عن انشقاق اكاس « Acace » . وكان قد ادخل فيه بدلاً من حرم المنشقين حكم طويل وحادّ اللهجة بحق فوتيوس وانصاره . ومن الطبيعي ان الرئاسة الرومانية كانت مؤيدة فيه تأييداً قوياً — فقبل باسيليوس نصه وانما ساءه القالب المفرغ فيه وجعل امر التوقيع عليه شرطاً لا ندحة عنه للقبول في المجمع — وكتب دفورنيك في هذا الصدد (ص ٢١٣) قائلاً : انه بالنظر الى هذا الامر لم يبق اي سبب كان من الاسباب لانعقاد المجمع بعد ان قُضي

في هذا الشأن سلفاً . وما كان ذلك يتفق ومقاصد باسيليوس الذي اراد ان يبحث المجمع من جديد القضية وان يصدر مندوبو الحبر الروماني حكمهم باسم المجمع والبابا . وتوقع الامبراطور ان يفضي اسلوب البابا ومندوبيه في تصرفهم الى تعقيد الامور وافساد خططه » – وقد اظهرت الاعمال التالية صدق حدسه .

ولقد جاء المندوبون من روما والوهم يدغدغهم وكانوا من المتفوقين في اللاهوت والحق القانوني ولكنهم لم يكونوا يفقهون امراً اكيداً عن نفسية ذلك الشعب الماهر بنسج حبائل الدسائس المحكمة . وكان البيزنطيون يرغبون في المناقشة اما المندوبون فقدموا لهم حكماً جاهزاً فكان ذلك اذلالاً لآباء المجمع . وبتلويح المندوبين تلويحاً ظاهراً كل الظهور بالاوامر التي تلقوها من روما وبتعرضهم غالباً الى ذكر الرئاسة الرومانية لم يفعلوا الا على استفزاز ردات افعال الانقباض النفساني لدى البيزنطيين .

ولقد عرتهم الدهشة لدن سماعهم البطريق بانس « Baanès » (الذي ترأس في الدورة الثامنة المجمع باسم الامبراطور) يعرض رأيه الغريب القائل بايجاد بطريركيات خمس اي نظام خمس بطاركة يديرون الكنيسة الجامعة قائلاً ان الله قد اسس كنيسته على خمس بطريركيات واكد في الاناجيل انها لن تسقط ابداً لانها رؤوس الكنيسة . – أفلم يؤكد المسيح ان ابواب الجحيم لن تقوى عليها ؟ (ص ٢٢٠) .

وادرك المندوبون الذين اعترى الحزن عزيمتهم انهم اذا تقيدوا بحرفية التعليمات التي لديهم انهم واصلون الى عكس النتيجة التي تسعى اليها روما نظراً الى الحالة الفكرية والبيئة النفسية القائمة ولقد كانت الطريقة التي اتبعها المندوبون من حيث وجهة نظر البيزنطيين طريقة غير عادلة وحزبية (ص ٢٢١) فهبوا بحكم غريزتهم الى الانتقاض على النظرية الرومانية التي عرضت بحسب رأيهم بصورة فظة – فبدلاً من تهدئة الخواطر قد اسخطوها – ويا له من برهان قاس ذي حدين ! – ويخيل الينا ان اولئك الفرسان المدججين بالحديد المتمنطقين بالمراسيم وقوانين المجامع تمنطقاً قوياً انهم سيجابهون رماة خفافاً تمرنوا الحركات العسكرية الدائمة لا يحلمون بخدع جديدة حتى كان من المستحيل اخذهم ! !

وشاء المندوبون ان يقوموا بواجبهم ويتقيدوا بتعليماتهم بكل شجاعة واستقامة ولكن لسوء الحظ من دون لباقة – وكان لا بدَّ لهم من ان تراود ذاكرتهم ما صار اليه سلفاهم رادوالد وزكريا – ولقد مثل امامهم فوتيوس فتلوا عليه الاضبارة المشتملة على الاحكام التي اصدرهما بحقه نقولا الاول وهادريان فلم يستطع انكار ما عزي اليه من الاعمال واعتصم بصمت عميق، وبناء على اقتراح المندوبين صدر الحكم بالحرم عليه ومن ثمَّ جرى توقيع اعمال المجمع وختمت الجلسات.

وقصارى القول ان ما فاز به مندوبو سنة ٨٦٩ لمصلحة نفوذ روما كان اقل جدًا ممّا توصل اليه مندوبا سنة ٨٦١ لان ما يمكن الفوز به من اليونانيين عن طريق المسالمة لاكثر ممّا يستطاع الحصول عليه منهم عن طريق سوقهم بالقوة (ص ٢٢١). ومهما كان ذلك الحكم عادلًا فلم يكن انتصارًا للمندوبين واذا بادر الى اذهانهم ان النظام والسلام قد استتبّا فقد كانوا مخدوعين لان مفاجأة اخرى كانت تنتظرهم عندما اعتقدوا انهم قد احرزوا الظفر (ص ٢٢٢).

وفي شهر شباط جاء القسطنطينية وفد بلغاري: وها هي ذي قضية الايليريكوم ستبعث برمتها مجددًا: لان بوريس كان يريد فورموز (Formose) رئيس اساقفة لكنيسته لانه كان مرتاحًا اليه كل الارتياح، اما روما فلم تتجه بسؤله فجاء الى بيزنطية لمقابلة المندوبين والبطريرك اغناطيوس وكان البطريرك يعرف نيات روما فتجنّب الانزلاق في هذه الورطة وحكّم في الخلاف ممثلي البطريركيات الشرقيين الذين اصدروا طبعاً حكمهم في مصلحة كنيسة بيزنطية فرفض المندوبون حكمهم فلم يكترث اغناطيوس لرفضهم بل سام رئيس اساقفة وعشرة اساقفة وارسلهم مع كهنة اخرين الى بلغاريا، وما اطلع هادريان الثاني على الامر حتى حرم اغناطيوس وكل من جرأته نفسه في بلغاريا على اغتصاب السلطة الاسقفية (ص٢٢٢–٢٢٩).

وادركت المنيّة هادريان الثاني قبل ان يرى ما تفرّع عن هذه القضية التي قبض عليها بيد حديدية خليفته يوحنا الثامن (٨٧٢–٨٢) ليصل بها الى خاتمة حسنة.

٥ ـ يوحنا الثامن وفوتيوس

لم يخفف مجمع انصار اغناطيوس ايما تخفيف التوتر في بيزنطية ورأى اغناطيوس نفسه امام اكليروس كان وفياً لفوتيوس وفاء اعتقد معه باسيليوس انه من الضروري ان يطلب من البابا ان يجعل التدابير المتخذة ضد الاكليروس المتعلق بفوتيوس حليمة وتقدم اغناطيوس بعريضة يطلب فيها ذات الطلب فرفض هادريان الثاني ان يرجع عن مقررات نقولا الاول ومقرراته هو بسبب سلوك اغناطيوس في القضية البلغارية وزد على ذلك فان خليفة هادريان الثاني، يوحنا الثامن، اشتكى على اغناطيوس شكاية اعظم خطورة: ومآلها انه قد استخدم في بلغاريا رجال اكليروس معظمهم سامه فوتيوس .

وقال دفورنيك « لو كانت هذه المعلومات مضبوطة فاننا لنرى فيها ما يثبت اثباتاً جديداً اخفاق مندوبي الحبر الروماني في مجمع اغناطيوس وسياسة البابا هادريان الثاني الشرقية لان الشدة التي استخدمها البابا واستخدمها مندوبوه خاصة بالقسطنطينية قد اسخطت الامبراطور والبطريرك واعقل اصدقائه»(ص٢٣٢).

واتفاق فوتيوس مع باسيليوس واغناطيوس قد اتى على آخر اثار « الفوز » الروماني في بيزنطية . — ومن المؤكد ان فوتيوس قد عومل معاملة قاسية في بدء عهد نفيه الى سكيجه (Skegsè) فتذمر خاصة لكونه مُبعَداً عن كتبه الغالية عليه ومن ثم عرف رويداً رويداً بفضل طبعه الهادئ المسالم اياماً اشد هناءة وظلت اواصر الصداقة قائمة بينه وبين موظفين عدة ما برحوا في اعمالهم في ظل العهد الجديد (١٣٤) ولم يفتأ الاكليريكيون يحتفظون بالعطف عليه فاستمر بواسطتهم يدير عن بعد كنيسته .

ووجد باسيليوس نفسه مرتبكاً كل الارتباك في تلك الاوضاع . فانه لم يكن يريد ذلك فروما ومندوبوها لم يجدوه اية مساعدة كانت، على حين ان اكليروس فوتيوس كان يقوم بمهارة بأعماله ، ففي كل سانحة كان يؤكد لباسيليوس ولاءه . فلم يبق امامه الا امر واحد ليعمله وهو اغتنام مساعدة فوتيوس واصدقائه .

وتم ذلك التحول منذ سنة ٨٧٣ واصبح فوتيوس صديق الامبراطور المخلص

الذي اناط به تعليم ابنائه وخصّص له غرفة في القصر الامبراطوري وربما استأنف ايضاً التعليم في جامعة مانيور (Magnaure) (٢٣٥—٦—٧) .

ونفهم من جميع هـذه الامور (٢٣٨) ان اقصاء فوتيوس عن الكرسي البطريركي لم يكن الا موقتاً ليعود الى ارتقائه لاول فرصة . — فان الزمان والسياسة كانا يعملان في مصلحته (٢٣٩) فما كان عليه الا ان ينتظر وكان له من الذكاء ليفقه ذلك وهذا ما فعله .

وبعد ان اتفق فوتيوس مع باسيليوس اتفق ايضاً مع اغناطيوس والتقيا في القصر الامبراطوري وركع كلاهما على ركبتيه وطلب السماح من صاحبه (ربما حوالي ٨٧٦) وهذا ما يرويه فوتيوس نفسه في تأبينه لباسيليوس الذي مات بدوره مقتولًا(٢٤٠)[—يناقش دفورنيك الاساطير التي نشرها اتباع اغناطيوس ضد اعمال فوتيوس طول تلك المدة ص ٢٤١—٢٤٥] .

وعلى رغم هذا كله لم يكن ذلك الهدوء كاملًا (٢٤٥) لان عددًا كبيرًا من الاساقفة والكهنة الموالين لفوتيوس كانوا لا يزالون في المنفى ويعانون الاضطهاد ، اما باسيليوس فكان يودّ الانتهاء من ذيول ذلك الخلاف .

ويقول دفورنيك (ص٢٤٦) من المحتمل ان يكون فوتيوس قد اضطلع حقيقة بمهام البطريركية قبل ان يموت اغناطيوس بسنة وان يكون اغناطيوس وافق على ان يخلفه ، فلم يبقَ من معنى للحكم الذي اصدره المجمع بحق فوتيوس بعد ان تم الاتفاق ، وبحسب عادات الكنيسة الشرقية ان الحكم الذي يصدره مجمع لا ينقضه الا مجمع آخر فقد طلب باسيليوس ذلك من يوحنا الثامن ورجاه ان يُرسل مندوبين من عنده (ص٢٤٦—٤٧) فنزل البابا على طلبه املًا انه يرمي عصفورين بحجر واحد: اقرار السلام نهائياً في الكنيسة البيزنطية وتسوية المسألة البلغارية فسلّم في سبيل هـذه الغاية مندوبيه بولس واوجين رسالة الى اغناطيوس يهدده فيها بأقصى العقوبات شدة اذا رفض سحب كهنته من بلغاريا . وذهب المندوبان الى بيزنطية متفائلين .

ويا لسخرية القدر! فان اغناطيوس توفّاه الله في الثالث والعشرين من تشرين الاول ٨٧٧ قبل وصول المندوبين وارتقى فوتيوس السدة البطريركية بموجب الاتفاق المعقود بين باسيليوس واغناطيوس من دون مجمع ولا انتخاب وانما

لنتصور انذهال المندوبين وارتباكهما حيال هذا الموقف الذي لم يكن منتظراً ومما لا تعليمات لديهما بشأن الطريقة التي يجب ان ينتهجاها كما انهما تذكرا ايضاً مآل رادوالد وزكريا ، فماذا يعملان ؟

ولما رأى باسيليوس انه لم يأته رجال مطلعون اطلاعاً اوسع من خبرة المندوبين الموفدين في الامور البيزنطية (كزكريا رفيق رادوالد وكان قد طلبه خصيصاً) ادرك انه لم يبق عليه الا ان يفعل شيئاً واحداً وهو ان يكتب الى يوحنا الثامن وهكذا فعل هو والبطريرك الجديد. في تلك الاثناء وقف المندوبان «مكتوفي الايدي» لا يقومان بعمل خشية الانزلاق في الورطة، فرأى يوحنا الثامن في تصرفهما ذكاء قليلاً اذ حرمه (٢٥٧) معلومات مضبوطة حول الحالة حتى بات عليه ان يكتفي ببيانات الامبراطور والبطريرك، فقبض بعزم وبيد قوية على القضية وكانت لديه مصاعب اخرى في الغرب وكانت مساعدة الملك له ذات قيمة كبرى . ففكّر انه يستطيع في سبيل المصلحة العامة التغاضي عن بعض الاعمال الشاذة واغضاء العين عن الماضي لاحلال السلام في تلك الكنيسة المرزوءة ولكن من دون ان يضحي باي مبدإ عقائدي كان وبأي امتياز كان لكرسي القديس بطرس فقرر الخطة التي سيسير عليها في مجمع روماني .

واننا نعلم تفاصيلها (٢٤٩) من الرسالة التي بعث بها البابا الى الامبراطور والاكليروس القسطنطينية وفرتيوس وزعماء حزب اغناطيوس. اما مندوباه فابلغهما تعليمات خاصة في بلاغ (Commonitorium) حمله اليهما الكاردينال بطرس : انه سيعترف بفوتيوس على شرط ان يستميح اولاً المجمع العفو عن سلوكه الماضي وان يرد بلغاريا . . وكان على المندوبين ان يتبعا تعليماته بذكاء وبعد نظر .

وقد جاءت النصيحة في ميعادها : فعلى المندوبين ان لا يريا في هذه التوصيات الا ايعازاً بفهم الامور اكثر من التقيد بالحرف ليضطلعا بمسؤولياتهما . وجّه المندوبان منذ بدء افتتاح المجمع رُفض فوتيوس الجازم للقيام بفعل الاتضاع المطلوب منه فعله امام المجمع انه قد اخطأ لانه اذا كان قد اخطأ فان مجمع ٨٦٩ قد انزل به القصاص اللازم في حكمه عليه ، فأدرك المندوبان انهما اذا ما ارادا ان يتقيدا بحرفية تعليماتهما فانهما مخفقان لا محالة وما كان باستطاعتهما ان يفكرا في مراجعة روما من جديد .

وكان الامبراطور ينتظر على احرّ من جمر . ألم ياسها البابا على نقصان قوة المبادرة الشخصية لديها ؟ فحاولا طويلًا الوقوف في وجـه اهواء الامبراطور ونصائحه وما كان يحضّها عليه ولكنها نزلا اخيرًا بمـا لها من سلطان عن الشرط المفروض على فوتيوس واكتفيا بأن يطلبا منه كتعويض ان تعود بلغاريا الى ولاية روما . وباتَ من الواضح في تلـك الحالة ان لا يقويا على تلاوة رسائل البابا بنصوصها الاصلية امام المجمع وكان عليها ان يحلاهـا تماشية للظروف الراهنة التي اتضحت لها (٢٥٨ — ٥٩) وبات عليها ان يتخذا عـلى مسؤوليتها كما صار سنة ٨٦٧ وسنة ٨٦٩ تحويرها تحويرًا ملائمًا على ان يطلعا روما بعد ذلك على الاسباب . وفضلًا عن هذا كان عليها ان يترجماها الى اليونانية ـ واين كان بمقدورهما القيام بذلك في مكان افضل من مستشارية الامبراطور او البطريركية اذ كانوا يعرفون هناك كيف ينبغي تقديم الامور للبيزنطيين ليجعلوها مقبولة لديهم .

وجاءت التحويرات في رسائل البابا كبيرة وتعجّب منها المؤرخون ، ولا يخلو من الفائدة ان نشير الى بعض تفاصيلها (ص ٢٥٩) فقـد استأصلا في مقدمة رسالة البابا الى باسيليوس لانها بدت لها جافة وزيد الاسهاب في التقريظ الذي وجهه البابا الى الاسرة الامبراطورية زيادة واسعة ... وما ذلك بالامر الخطير كل الخطورة، اما الامر الاهم فهو الفقرة التي اشار فيها البابا الى رئاسة سدته وهذه لم يتناولها شيء تقريباً من التبديل ـ وهاك ما نقرأه في الاسهاب اليوناني (ص٢٦٠) : « وبما انـكم ترغبون في اقرار هذا الوفاق ذاته وفي انعام النظر فيه فقد توجهتم بموفديكم وبرسائلكم الى الكنيسة الرومانية المقدسة منتظرين بثبات ان تساعدكم في عملكم وتساندكم مساندة قوية . فانتم لستم اول من فعل هذا فقد اتبعتم عادة الذين تولّوا الامبراطورية قبلكم الطيّبة واقتديتم بهم وانه لحقيق ان نبحث عمن علمكم ان تقوموا بعملكم على هذه الصورة : لا شك في ان اول الرسل بطرس هو الذي اقامه المسيح رئيساً على جميع الكنائس عندما قال له : ارعَ نعاجي . وليس هـذا كل شيء فهناك المراسيم القدسية والشرائع المقدسة المستقيمة وشهادات الآباء كما تثبت ذلك رسائلكم الالهية المقدسة وانكم لتعملون على هذه الصورة اشباعاً لايمانكم

الراسخ كل الرسوخ والذائع كل الذيوع اشماعاً اعظم » .

أما قالب الانشاء الاصلي فكان اشد وضوحاً في اعلانه الرئاسة الرومانية واليكم نصه :« انكم تبعاً لمثل اسلافكم الاباطرة الشديدي الورع تعربون عن احترامكم للسدة الرومانية وتخضعون لها كل سلطة أيْ لمؤسسها اول الرسل اذ قال له السيد المسيح : ارعَ نعاجي . فله ان يكون الرئيس الحقيقي على جميع الكنائس وهذا ما تعلنه قوانين الآباء الرئيسية ومراسيم الامراء المستقيمي الرأي وهذا ما تؤيده ايضاً رسائلكم الموقرة كل التوقير (ص ٢٦٠ لمحوظة) .

ولا بد من الاعتراف بان صيغة قالب الانشاء اليوناني توضح فكرة البابا الرئيسية ايضاحاً كاملاً . افليس من الباعث على الدهشة ان ترى ان من كان حتى الان ينظر اليه اجمالياً كعدو ألدّ لهذه الرئاسة لم يمسّ فقرة « شديدة المناددة[1] ؟ »

والى ابعد من هذه الفقرة فقرة اخرى قد تقيدت بالنظرية الرومانية بقضية رئاسة السدة البابوية وان ادخل عليها تعديل . وهاك ما نطق به فوتيوس عن لسان البابا :« لقد خيّل الينا انه من المناسب اقرار السلام في كنيسة الله فلذلك ارسلنا موفدينا لكي ينفذوا ارادتكم وان سبقتنا قدسكم واقررتم هذا الرجل قبل وصول مندوبيكم . واننا لنقبله (على كل حال) وذلك ليس بسلطاننا وان كان بوسعنا ان نفعله ولكن بسبب المراسيم الرسولية . . .

ولما كان هذا الكرسي الرسولي قد اخذ مفاتيح السماء من عظيم رئيس الاحبار الاول يسوع المسيح بواسطة اول الرسل بطرس الذي قال له « لك اسلم مفاتيح مملكة السموات » وان « ما تحله على الارض . . . الخ » له السلطان ان يربط ويحل كل شيء . ويجب قول ارميا ان يقتلع ويغرس ولهذا السبب نفسه وبما اننا نستخدم سلطان رئيس الرسل بطرس نعلنكم مع كل كنيستنا ونعلن بواسطتكم . . . بقية الاساقفة والكهنة وجميع كنيسة القسطنطينية اننا على اتفاق . . . فاقبلوا هذا الرجل بدون ايما تردد ولا يحتجن احد بقررات المجامع غير المنصفة التي اتخذت بحقه . . . فاننا قد غفرنا له جميع هذه الامور وان كنا

[1] يقال ندّ بعضهم عن بعض اي ذهب كل في وجه .

غير مستحقين بين يدي رئيس الرسل وبواسطتــه على اكتاف يسوع المسيح حمــل الله الذي يغفر خطايا العالم . . . فوطدوا محبتكم وايمانكم وخضوعكم واحترامكم فيه وبواسطته في الكنيسة الرومانية المقدسة . فان من لا يقبله لا يقبل طبعاً مراسينا او مراسيم الكنيسة المقدسة الرومانية فانه لم يعلن الحرب علينا ولكن على الرسول بطرس الكلي القداسة او بالاحرى على يسوع المسيح ابن الله الذي كرّم ومجد كثيراً رسله واعطاه السلطان ان يحل ويربط (ص ٢٦١-٢٦٢) . وفي هذه الاقوال بوضوح كوضوح اقوال البابا نفسه ولا يذكرهــا الغرب الا تعظيماً لسلطة البابا وللتدليل على حقه في ان ينقض اي حكم كان . ويقول دفورنيك ان هذا الامر لم يشر اليه حتى الآن من سوء الحظ اشارة كافية .

ورسالة البابا الى البطاركة الشرقيين مــا برحت حتى الآن تقريباً سليمة بقلم فوتيوس وما برحت تتضمن الكلمات التي اثبت فيها البابا حقوقه واليك هذا المقطع وفق الطبعة اليونانية :

« ان غيرتكم المفعمة عطفاً قد توجهت الى محبتنا باستشهادها بامير الرسل بطرس لكي تعانق البطريرك فوتيوس الكلي القداسة الذي اعيد الى كنيسة القسطنطينية وان نقبله معنا فهذا ما فعلناه بسرعة وعن طيبة خاطر متقيدين بما قيل في الانجيل للراعي الاول الذي قال له السيد المسيح : « لقد صليت من اجلــك يا بطرس لكي لا يتزعزع ايمانك . وانت وقد اهتديت ثبّت اخوانك » . فبخضوعنا للكلام الالهي وبالسلطان الكامل الــذي اعطينا لمساعدة جميع المسيحيين — على قدر ما نستطيع ان نفعل من دون ان نجلب علينا الملامة والشجب — سلطان كامل بلغت شهرتــه حتى اقاصي الارض ، واقتداء بامثال اسلافنا لقد اعترفنــا بفوتيوس فلا يتمنن اخونا فوتيوس اذا طلبنا منه ان يثني مطرياً امام المجمع عطفنا وفضلنا او بالاحرى ان يمجــد فؤاد الكنيســة الرومانية . فلقد عطفنا عليه عطفاً اخوياً بالاعتراف به كبطريرك شرعي اقيم وفقاً للقوانين وكشريــك لرأس الرسل بطرس . ولقد فتحت له

جميع الكنيسة الرومانية قلب الام تمشياً على مثل غيرنا من اسلافنا ... وان عدداً عديداً من الاساقفة بعد ان ذهبوا الى المنفى ظلماً عادوا الى كراسيهم عن طريق التدخل الرسولي ... »

ولذلك اذا كان فوتيوس قد اهمل الشرط الذي فرضه البابا وهو ان يطلب السماح امام المجمع فانه لم يلمس الفقرة المتعلقة بالرئاسة الرومانية الاولى الجوهرية في النص (ص ٢٦٣).

وثمت فقرات اخرى تتناول خاصة الاختلاف بين وجهة النظر الرومانية والبيزنطية اهملت ولطفت واسهب فيها حيال قضية فوتيوس. فبعض التبسط في الاسهاب خطابي ونافل كالاطراءات الموجهة الى الامبراطور والبابا وفوتيوس نفسه لتحمل الناس على الاعتقاد بقيام اتفاق تام بين رومة وبيزنطية ولتستشهد باللهجة الودية التي تظهر في بعض النقاط في النص الاصلي اللاتيني.

وعلى كل ان جميع هذه الامور سطحية؛ اما المقاطع الجوهرية في النص البابوي حول اولية الكرسي الروماني فلم تمس وهذا هو الامر المهم اهمية اولية. ويسعنا ان نستنتج كما استنتج دفورنيك: « لنكن منصفين ولنعترف بأن فوتيوس واتباعه لم يستطيعوا قبول وجهة النظر الرومانية في قضاياهم. فلقد كانت وجهات نظر خصومهم التي اوعز بها الى الرومانيين تيوجنوست (Théognoste) الد اعداء فوتيوس (ص٢٦٤). — ولم يكن باستطاعة فوتيوس ان يذهب بعيداً في الامتيازات التي اعطاها المندوبين كما ان هؤلاء لم يكن بمقدورهم قط اغضاب الاكليروس البيزنطي بتصلّب متطرّف. وعلى هذا الاساس توصلوا الى تفاهم فاستطاع المجمع ان ينعقد. ويسعنا القول ان المندوبين الرومانيين قد انقذوا ما هو جوهري من حقوق الكرسي المقدس وان فوتيوس اظهر المسالمة. اما في قضية بلغاريا فلقد اجاب عليها: « ان الامر الذي نرغب فيه هو السلام ولا يأتينا تدبيرنا لمقاطعة جديدة الا بتشاغل بال جديدة وليسترجع الكرسي الرسولي ممارسة ولايته على بلغاريا. وبعد ان قطعت هذه الضمانات اعترف المندوبان بفوتيوس رسمياً وكان لا بد بناء على اقتراحها من ان يرمز الى ذلك الاتفاق التام بين اباء المجمع بان يحتفلوا معاً بالاسرار المقدسة يوم عيد الميلاد يشترك فيه فوتيوس مع جميعهم. وختم المجمع اعماله بهتافات طويلة ليحيا

الثامن وفوتيوس ووقعوا على اعماله وكان اول موقع المندوب بولس ومن ثم المندوبان الآخران وبعدهم الاساقفة الشرقيون وعددهم ٣٨٣ اسقفاً وما كان ناقصاً الا توقيع الامبراطور الذي لم يحضر ولا جلسة من جلساته. ولذلك اقروا قيام دورتين اضافيتين احداهما عند الامبراطور والثانية في كنيسة القديسة صوفيا وعلى هذه الصورة كان ختامه الرسمي .

٦ ــ هل كان هناك انشقاق ثان لفوتيوس (ص٢٨٦ وما يليها)

استأنف المندوبان وقلبهما لا يخلو من بعض الغصة طريق عودتهما الى رومة وكانت مهمتهما ناجحة في النتيجة اذ استقر السلام بين الكنيستين بالتنازل عن امتيازات مهمة . أيقبل يوحنا الثامن ذرائعهما ؟ وهل يسلم بأنهما لم يكن بمقدورهما ان يفعلا غير ما فعلا ؟ فلقد كان معقد املهما في رومة على زكريا الاناني الذي كان يشغل في المستشارية وظيفة آنستاز قيم المكتبة لانه كان على صلات ودية بفوتيوس جعلت له بعض النفوذ في انهاء تلك القضية انتهاء حسناً .

وعلى كل قد استقبل يوحنا الثامن المندوبين في صيف ٨٨٠ واطلع على اعمال المجمع ورسائل الامبراطور وفوتيوس . ونحن لا نجهل تأثيره من جوابه الذي ردّ به على هذا الاخير . وابدى البابا دهشته (ص٢٨٩) "كيف بدّلت وحوّرت امور كثيرة كنا قد حدّدناها من دون ان نعرف غلطة او نيّة من حرّفها على الرغم مما قررناه خطياً وشفوياً لاستخدام الرحمة حيال فوتيوس — وزد على ذلك انكم تلفتون في رسالتكم النظر الى ان الرحمة في رأيكم ينبغي ان لا يطلبها الا المجرمون وانه لموقف نتوقعه بالاحرى في الذين لا يعرفون الله. فنحن لا نريد تجسيم اعمال الماضي خشية من انزال عقابنا على قدر الاستحقاق. فكان من الواجب الا تستخدم مثل هذه الاعذار .

وبناء عليه فلا تفتخر حكمتكم المشهورة بمرونة الاتضاع اذا ما دعيتم لطلب الرحمة من كنيسة الله المقدسة او بالحري اذا ما دعيتم للاتضاع كي تعظموا وتعرفوا ان تمنحوا عطفكم الاخوي للذي اظهر الرحمة لكم واذا ما بذلتم الجهود لمضاعفة اخلاصكم واستقامتكم حيال الكنيسة الرومانية المقدسة وحيال شخصنا الحقير فاننا نعانقكم كأخ ونتخذكم كصديق حميم " .

وهكذا وان اظهر يوحنا الثامن جودته وابوته لم يفصل الحزم عن الرحمة، فانه وان لم يغالِ في تصوير ماضي فوتيوس فهو يعرفه حق المعرفة وثمّت لفوتيوس اسباب عدة تحمله على الاحتفاظ بالاتضاع واظهار نفسه عارفاً جميل من لم يعامله بقسوة . وختم يوحنا الثامن رسالته قائلاً « اننا نوافق بمحبة على ما تقرر في القسطنطينية بمرسوم يحمي لاعادتكم الى السدة البطريركية واذا اتفق ان عمل مندوبانا عملاً يخالف تعليماتنا الرسولية في هذا المجمع نفسه فنحن لا نوافق على عملهم ولا نعيره اية قيمة (ص٢٨٩) . ولقد بدا هذا البند الاخير غريباً في نظر المؤرخين (ص٢٩١) . وقد لاحظ بحق دفورنيك اننا ان رأينا فيه تراجعاً عما قبل لن يكون الا ان جعلنا البابا في موقف تناقض مشهود مع نفسه بعد كتابة سطرين او ثلاثة فلذلك ينبغي ان لا نرى في هذا البند الا مبدأ احتياط اراد من جرائه يوحنا الثامن صيانة حقوق الكرسي الرسولي وذلك اذا ما اتفق للمندوبين ان اتخذا تدبيراً ما لا يتفق مع رئاسته .

وحرص البابا على الاشارة الى ان اعادة فوتيوس الى كرسي البطريركية لم يكن الا تدبير عطف . وقد بين في رسالته الى باسيليوس (ص٢٩٣) موقفه المسالم هذا : « لقد اظهرتم اخلاصكم الصادق حيال كرسي بطرس وارجعتم الى ولايتنا دير القديس سرجيوس القائم على اراضي مملكتنا وكان قديماً يخص حقوقياً الكنيسة الرومانية المقدسة . — وسمحتم للقديس بطرس ان يعود الى ابرشية بلغاريا » . وصفوة القول لقد كان يوحنا الثامن مرتاحاً الى النتائج التي فاز بها مندوباه .

وفي الواقع لقد افلتت بلغاريا في النهاية من تحت الولاية الرومانية . افلم يكن ما وهبه باسيليوس لفوتيوس الا خدعة ؟

كلا ان الوقائع هي غير ذلك . ان تخلي (ص٢٩٥) باسيليوس وفوتيوس عن بلغاريا كان تخلياً صادقاً ونفذ عملياً . بيد ان الملك بوريس (ص٢٩٩) هو الذي غير فكرته اذ كان يرغب ان يجعل بلاده مستقلة على قدر المستطاع . واذ كان قد تعب من تلك المنافسة المستمرة بين البطريركيتين منافسة كانت بلاده مسرحها . فغنم الفرصة المناسبة لتحقيق حلمه القديم والفوز ببطريرك خاص .

ولقد انجز هذه الخطة التي رسم خطوطها بوريس بنفسه ابنه سيمون (Symeon) سنة ٩١٨ بتشييده بطريركية بلغارية مستقلة استقلالاً ذاتياً اعترفت بها رسمياً بيزنطية سنة ٩٢٧ . فلم يكن لفوتيوس اي ضلع بالامر .

وما هي الا سنتان تنقضيان على ذلك الاتفاق الذي طالما تمنوه حتى ادركت الوفاة يوحنا الثامن (١٥ ك١ ٨٨٢) فانتخب مارن (Marin) بابا مكانه وهو الذي كان في سنة ٨٦٩ — ٨٧٠ قطب المجمع الذي حكم على فوتيوس.

وفي مثل هذا المقام اثيرت المسألة الشهيرة وهي ان نعرف فيما اذا كان يوحنا الثامن قد شعر وهو في ساعته الاخيرة بان فوتيوس قد ضحك منه فاستوقد فيه حنقه وحرمه بدوره من على منبر القديس بطرس — فيكون ذلك انشقاق فوتيوس الثاني — وهذه هي الرواية التي يعتمدها مؤرخونا (ص٣٠٢) .

وفي هذا الصدد لا يحجم دفورنيك عن التأكيد انها ليست الا اسطورة ابتدعها برمتها اتباع اغناطيوس، اعداء فوتيوس الالداء . وهذا هو القسم الجديد حقاً في بحوثه . فالنتيجة التي توصل اليها والتي تتفق كل الاتفاق مع بحوث الاب عرومل « Grumel » المستقلة عن بحوثه في هذا الموضوع نفسه ومع انتقادات المصادر عينها هي النتيجة صريحة فلا يوحنا الثامن ولا اي كان من خلفائه : مارن، واسطفان السادس، وفورموز « وهاريان الثالث الذي لم يشر اليه الراوي الجماعة » قاطعوا فوتيوس .

فمن اين جاءت هذه الاسطورة وكيف ائتلدت ؟

لقد ناقش دفورنيك في اكثر من خمس وعشرين صفحة(٣٠٢—٣٢٨)مناقشة طويلة كلام المؤرخين البيزنطيين هذا ليستنتج في الختام ان الاسطورة « كانت تستند الى مرويات بعض الوثائق التي ادخلت في الكتاب الذي هو مجموعة مقتطفات ضد فوتيوس واضيفت في بعض المخطوطات اليونانية الى اعمال المجمع الثامن» (ص٣٠٢) .

وجامع تلك الروايات لم يكن له غاية سواء أكان من وراء تحريفه الحوادث ام من وراء مزجها بعضاً ببعض ام بابتداعه ابتداعاً رسائل الباباوات والاساقفة الشرقيين وسواء باختراعه اموراً برمتها (كحادثة وفد مارن الثاني الى القسطنطينية الذي كلفه ايفاده ان يسجنه الامبراطور ثلاثين يوماً — وكحادثة

المنبر الا ان يبرهن على ان فوتيوس الذي تواترت الاحكام عليه لم يكن باستطاعة احد ان يحله ولا البابا نفسه فاذن هو بطريرك لاشرعي .

ولقد الّف هذا الكتاب حوالي نهاية القرن التاسع في عهد البابا فورموز (٨٩١ – ٨٩٦) واستُمدت منه الذرائع للتدليل على ان البابا يوحنا الثامن وثلاثة من خلفائه قد حكموا على فوتيوس .

وبمقدورنا ان نقرأ عند دفورنيك نقده لهذا الكتاب الذي أُلِّفَ ضد فوتيوس ، واننا سنكتفي لنبين طريقته بان نورد باختصار اسطورة حادثة المنبر :

بعد ان ذكر المؤلف الجماعة مقطعاً من احدى رسائل نقولا الاول وشذرة من اعمال المجمع الروماني لسنة ٨٦٩ اضاف اليها تصريحاً لرئيس الشمامسة يوحنا « وهو الذي صار بعد ثلاث سنوات البابا يوحنا الثامن) الذي يقدمه كناطق باسم آباء ذلك المجمع فكان ذلك التصريح ذمّاً لاذعاً لفوتيوس وقد انتهى على الشكل التالي : « وليمزق حديد حكمنا ذاكرته ولتقيد روابط الحرم الذين يتبعونه ويحمونه »...

ومن ثم يواصل المؤلف الجماعة قوله :«عندما ارتقى يوحنا الذي لفظ هذه الاقوال السدة الرسولية بعد هادريان حرم هو ايضاً فوتيوس وذلك لما حاول هذا بمداوراته خداع اوجين والموفدين الذين انفذهم البابا الى بلغاريا . فبعد ان اخذ البابا الانجيل صعد المنبر واعلن جميع الذين كانوا يستمعون اليه : ليكن محروما من لا يعترف بان فوتيوس قد حكم عليه الله حكماً مشروعاً وانه للوضع الذي ابقاه فيه سلفانا الكلي القداسة البابا نقولا والبابا هادريان .. » – وبعد ان عدّد المؤلف الجماعة البابوات الذين حكموا على فوتيوس اردف يقول : « ما من احد من خلفاء نقولا قد حلّه ولم يكن لديهم حتى السلطان لحله . وعندما كان اغناطيوس لا يزال حيّاً وارسل يوحنا اوجين ورفاقه في صدد القضية البلغارية استولى عليهم فوتيوس وضغطهم شتى الوسائل ليحملهم على الاشتراك معه ليجر البشر الى التسكع في اودية الضلال . ولكن بعد عودتهم الى روما وبّخهم يوحنا وحرمهم من على المنبر » (ص٣٠٤–٥) .

وان جميع هذه الروايات لمدعاة للتفكير! فنحن لا تزال لدينا اعمال المجمع الروماني لسنة ٨٦٩ ، فالناطق باسم الآباء لم يكن رئيس الشمامسة يوحنا بل غودريك (Gauderic) اسقف فيليترية (Velletri) . والاكيد ان يوحنا قد وقع على اعمال ذلك المجمع ولكن بعد توقيع الاساقفة والكهنة التابعين لكنائس روما عليها . وهنا يبتدع المؤلف الجماعة تصريحاً طويلاً عن لسان يوحنا البابا المقبل ويزعم انه رسالة مجمعية اصدرها البابا يوحنا الثامن ضد فوتيوس — وان حكم يوحنا الثامن على مندوبيه من على المنبر لهو اختراع محض ! — كلا ثم كلا انه لم تقم قطيعة قط بين يوحنا الثامن وفوتيوس وانما على العكس اذ ان هذا الاخير قد حفظ ذكر معرفة جميل هذا البابا الذي انتشله من تشدد نقولا الاول وهادريان الثاني فقد دعاه في كتابه « ميستاغوجي » « Mystagogie » « باسم بُطلي يوحنا » .

واننا نعرف عن مارن الذي شهد المجمع الثامن الذي صدر فيه الحكم على فوتيوس انه احتفظ بالبرودة حيال البطريرك اما التاريخ فلا يعرف قطيعة بين الاثنين (ص ٣٠٧ — ١٤) . واما هادريان الثالث (٨٨٤ — ٨٥) فلم يأت الكتاب « المجموعة » على ذكره وانما نعلم بلسان فوتيوس نفسه ان علاقته بهذا البابا كانت ودية — والظاهر (ص ٣١٥) ان الامور ساءت في عهد اسطفان السادس (٨٨٥ — ٩١) الذي جدد بحق فوتيوس حرمانات العهد السابق. ولا يجد دفورنيك مشقة في تبيان خطإ هذا الافتراض . فان هادريان الثالث قد اوفد في غضون عهده القصير بعثة الى القسطنطينية كانت، كما يؤخذ من شهادة فوتيوس، تقصد بطريركها لتبادل الرسائل المجمعية المعتادة . ولما كان هادريان الثالث لاقى حتفه عاجلاً فان اسطفان السادس هو الذي شكر موفد تيودوز اسقف اوريا (Oria) وهنأه على المجاز ميته بامانة . وقد علق دفورنيك تعليقاً فيه الكثير من النظر الدقيق الصائب على ذلك فقال : « اليس من الباعث على الدهشة ان تقرأ اطراء حبر روماني وشكره لمبعوث كان عليه ان يبلغ تحيات الكرسي المقدس للامبراطور ويطمئن في الوقت نفسه البطريرك الى ان كنيسة روما كانت ترغب في ايجاد علائق ودية معه وهو الذي تعتبره قد جعل القطيعة مع كنيسة بيزنطية» (ص ٣١٩) — فالعلائق اذن

قد كانت ودية في عهد اسطفان السادس .

وقد بقي البابا فورموز (٨٩١ — ٩٦) افهو الذي حكم على فوتيوس ، طبعاً لا كبطريرك (لان فوتيوس كان قد عزل من خمس سنوات في سنة ٨٨٦) ولكن بالنظر الى ماضيه والى اعماله في اثناء عهده بالبطريركية . وبالاستناد الى رسالة من فورموز الى ستيليان يعتقد الاب غرومل هذا الاعتقاد. اما دفورنيك الذي تعمق كل التعمق في نقد تلك الرسالة فرأيه مناف كل المنافاة لاعتقاد الاب المذكور (ص ٣٤٨ — ٦٠) . — اذا كان حقاً ان المشاجرات نشبت بين اتباع اغناطيوس واتباع فوتيوس بعد ذهاب هذا الاخير فعكرت مجدداً صفاء كنيسة بيزنطية ولم يستطع فورموز اخمادها ، فما من دليل يقيم البرهان على ان القطيعة قامت من جديد بين روما وبيزنطية (ص ٣٥٣—٤—٥) وليس من شيء في الادب المعاصر قد احتفظ باثر منها — ففورموز (ص ٣٥٧) يتكلم على انشقاق ، لكن هذا الانشقاق هو انشقاق داخلي في كنيسة بيزنطية بين اتباع اغناطيوس واتباع فوتيوس لا بين بيزنطية وروما.

واسطع برهان في نظر دفورنيك (ص ٣٥٩) على عدم حرم اتباع فوتيوس هو سكوت المصادر اليونانية عن مثل هذا الحرم لان عملاً على هذه الصورة يضع في متناول اتباع اغناطيوس حجة من خير الحجج . فعليه ان الناسخ (وهو احد اتباع اغناطيوس الشديد التعصب) لم يستغل هذا الحدث . فالنتيجة التي لا مفر منها « انه ما من امر يخوّل التسليم بقيام مشادة جديدة بين بيزنطية وروما نجمت عن غلطة فورموز وعن قصر نظره » (ص ٣٥٩) . اما الانشقاق الداخلي في الكنيسة البيزنطية بين انصار اغناطيوس وانصار فوتيوس فقد استمر الى بعد وفاة فورموز (٨٩٦) .

ولنعد الى فوتيوس — لقد اقترع المجمع الذي ارجعه الى كرسي البطريركية (٨٧٩—٨٠) على عقوبات صارمة بحق الذين يأبون الاعتراف به كبطريرك شرعي ، بيد ان تلك التدابير لم توفق الى قمع معارضة اتباع اغناطيوس المتطرفين ، وعندما تسلم فوتيوس عرشه البطريركي انسحب الكهنة التابعين لكنيسة القديسة صوفيا من الكنيسة مقاطعين الاحتفال بالاسرار المقدسة . وانه لمن الصعوبة بمكان ان نقوى على قول شيء واضح عن اهمية تلك المعارضة وعن

عدد الذين ظلوا غير مهادنين حتى بعد ان لفظت روما كلمتها في مصلحة فوتيوس. اما الاساقفة الاشد تصلباً في تردهم فابعدوا الى المنفى لكن عددهم لم يكن كبيراً جداً ؛ وكانت العناصر الاكثر تعصباً من بين رجال الاديار خاصة . وكانوا على قدر قلة عددهم تشتد حمية عصبيتهم (ص ٣٣٠). والعناصر المعتدلة كل الاعتدال من الاساقفة والاكليريكيين التابعين لاغناطيوس قد انضمت الى فوتيوس .

ومن الواجب ان نشهد له انه عمل كما كان في مقدوره ان يعمل لاحلال الهدوء في كنيسته ، ومع ذلك وعلى الرغم من كل الامور فقد انشأت اقلية ضئيلة من المتطرفين برئاسة زعيمها ستليان النيوزاري «Stylien de Néocésarée» ومتروفان الازميري «Métrophane de Smyrne» «كنيسة صغيرة» ظلت غير مُهادنة تحاشت عن الاتصال بفوتيوس وبمن سامهم من الاساقفة.

وما هو الا وقت قليل حتى غيرت وفاة باسيليوس غير المنتظرة مجرى الحوادث مجدداً — فارتقى ابنه لاوون العرش ودشن عهداً بارتقائه منصة الحكم (٨٨٦) فقد ابدى منذ مطلع عهده عطفه على حزب المتعصبين فقط الذي كان يميل اليه في ايام ابيه وان لم يكن عن اقتناع شخصي فمن امتعاض من والده ومن سياسته (ص ٣٤٠).

ولم يكن صعباً اقناع ليون بانه لن يقوى على الاحتفاظ بفوتيوس في كرسيه. اجل لقد تولى فوتيوس تعليم لاوون (٣٤١) وكان استاذه طوال سنتين او ثلاث فقط ولم يكن ليون يتجاوز انذاك الثانية او الثالثة عشرة من عمره. وكان الاستاذ والتلميذ لا يحب احدهما الاخر الحب الجم واتفق للبطريرك ان أنب غالبا لاوون على حياته الخاصة وعلى تصرفه حيال والده .

وقد عقد لاوون النية على التخلص من البطريرك من دون ان يتوسل بالعنف لكي لا يثير ردة افعال الاحرار فشدد على فوتيوس ضغطه ليحمله على تقديم استقالته، وتذرع بانه يريد ان يعهد بالكرسي البطريركي الى شقيقه اسطفان الذي اعده لهذه المهمة باسيليوس ابوه (٣٤٢)— ومن المحتمل ان فوتيوس وافق على ان يوقع صك التنازل فرقي اسطفان الى السدة البطريركية البيزنطية ولم يكن له من العمر الا ١٨ عاماً فقط . وَنُفي فوتيوس الى هيريه (Hiéria)

على شاطئ اسيا الصغرى ، وهي فناراسي « Phanarassi » في يومنا الحاضر حيث استأنف اعماله العلمية والادبية ويرجع ميعاد وضع كتابه : (Mystagogie du Saint-Esprit) الى ذلك التاريخ . ولقد جهد فوتيوس جهده ليبين بواسطة العهدين القديم والجديد وبواسطة كتابات الآباء ان الروح القدس ينبثق من الاب وحده .

ومن ثم فقدنا آثار فوتيوس تاماً واختفى من المسرح اختفاء نجهل معه حتى تاريخ وفاته الصحيح : اما دفورنيك فيجعله في شباط ٨٩٢ على حين ان غيره يؤخره حتى ٨٩٦ (ص ٣٦١) .

وحسبنا ان نقف عند هذا الحد من بياننا.

لقد قرر الاب لابوتر « Lapôtre » في كتابه القيم عن يوحنا الثامن (١٨٩٥) الحقيقة بشأن موقف هذا البابا حيال فوتيوس. ومن رأيه ان يوحنا الثامن لم يخرب قط عمله الخاص. بيد ان الاب لابوتر لم يكن قد اوضح قضية المنبر. وقصر الاب امان (Amman) في مقالاته العلمية (يوحنا الثامن ، ويوحنا التاسع وفوتيوس) التي صدرت في المعجم اللاهوتي الكاثوليكي نفسه على اعلان السجل المضاد لفوتيوس وقبل منه جزءا من الاسطورة المستندة الى السجل نفسه .

ويلخص دفورنيك في سنة ١٩٣٣ بكتابه « اسطورتا قسطنطين ومتوديوس كما تراهما بيزنطية » ما يلي « ليس لدينا وثيقة حاسمة تخولنا تأكيد انقطاع العلاقات بين روما وبيزنطية قبل سنة ٨٥٥ . وليس بالامكان نسبة بادرة من هذا الشكل الى غير البابا اسطفان الخامس — . وخطا الاب غرومل في السنة نفسها خطوة الى الامام بتقريره ان اسطفان الخامس اعتبر فوتيوس كبطريرك شرعي ولكنه قد توقف متردداً امام البابا فورموز فقد يكون هو الذي اصدر الحرم — اما دفورنيك فيعتقد ، كما رأيناه ، ان من واجبه التصريح في المعنى السلبي .

وانه لمن شأن اولي الاختصاص ان يبينوا لنا عما اذا كانت براهين دفورنيك قاطعة لا مرد عليها وتؤدي الى الاقتناع التام . ومن يجهل الصعوبة القصوى حيال النصوص المتناقضة لينتخب منها بعضها ويستخرج منها الحقيقة؟ فان القيمة

النسبية النفسية ، وهي ضرب من النظر الثاقب والتخمين الذي يكون نوعا اما لمصلحة الشخص الذي نتتبع اثاره واما لغير مصلحته ، ليمثل دوره بدون شك ويوجه التنقيبات ويؤثر على الاحتكام الذي نجهد الجهد لاستنباطه منها . — والمؤرخون الذين يستأنفون بعد دفورنيك اخضاع هذا السجل لمبضع نقدهم هم الذين سيقولون لنا اذا كان قد عرف ان يجد لحمة التاريخ الحقيقية.

ومن لا يتمنى ان لا تلاقي ذكرى رجل كفوتيوس من التاريخ الذي طالما ارمضها تعويضاً يسعه وحده ان يأتي به.

ولقد اكد فوتيوس انه يفضل دروسه وكتبه العزيزة وانه لم يسعَ وراء المجد. ولنسجل له هذا الاعتراف. بيد انه قد القى في ذهننا انه كان يستثمر قيمته استثماراً رفيعاً جداً ليرى نفسه جديراً بها حتى اذا ما وصل الى مركزه فان كبرياءه لا تخوله ان يتنازل عنه . وزد على هذا انه لم يجرأ على القيام بعمل الاتضاع الذي طلب منه البابا ان يقوم به امام المجمع . وهو لو كان فعل لكان اكتسب حتى احترام الاعداء. ولكان عمله هذا سهّل عليه بعد ذلك احلال السلام في كنيسته . لكنه اعتمد على مرونته التي لم تكن دائماً لتفوز بالنتائج الاشد استمراراً .

ولئن كان من الصعب التسليم بان فوتيوس يستحق التكريم الذي أسبغ عليه من بعد—هذا التكريم الذي يستوجب صفات اخرى لكي يصبح مفروضاً على الاحترام الشامل— فانه من الواجب علينا ، ولو على الاقل، ان نمدح ثقافته العالية فقد كان من ابرز ممثلي ذوي الكفاءة لذلك التجدد الادبي والعلمي الذي كان يعدّ من رجاله بعد الامبراطور تيوفيل القطبان تيوكتيست وبارداس . وكان يلذّ له التاريخ والقواعد والتفسير واللاهوت . اما حب الاطلاع الذي كان يساعده ذكاء نادر فكان شاملاً . اما مؤلفاته فتقيم لنا برهاناً ساطعاً على سعة علمه اكثر منه على فكرة اصيلة مبدعة . وهذا ما جعله على طرفي نقيض مع اغناطيوس الذي لم يكن ورعه التقشفي يتذوق الادب العلماني الّا تذوقاً قليلاً واوجب احترامه على الطبقة المثقفة في العاصمة فاكتسب عطفها.

ولا يسعنا الا شكر الاب دفورنيك الذي استجلى غوامض كانت مستحكمة في هذا الباب ولانه قال قوله الفصل والعدل في « المزيفات » التي اكتسبت طويلاً قيمة تاريخية .

كتاب
الدر المرصوف في تاريخ الشوف

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره

الاب اغناطيوس سركيس

من الرهبانية الشويرية

تمهيد

المؤلف

١

اصل آل المنيّر من حلب[1] حيث كانوا ، على ما يظهر ، منذ امد بعيد يشتغلون بصناعة وتجارة النسيج المنيّر وهو الذي تكون حياكته على نيرتين . ومن هنا اسمهم . وهو بالكسر على صيغة الفاعل كما يلفظ في حلب . وان كانوا في لبنان يلفظونه بالفتح على صيغة المفعول . وكانوا هناك ثلاثة بطون يرجعون في الاصل الجامع الى بني «هلال» ويحفظ التاريخ ممن اشتهروا منهم هناك اسم القس بولس عيسى المنيّر الذي خدم ابرشية حلب الملكية الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبتها .

---

١) على ذلك اجمع كل من تكلم عن اصل اسرة المنير من المؤرخين المعاصرين . على اننا عثرنا بعد كتابة ما تقدم على اوراق لدى احد أفراد بيت المنير . وهي تثبت ان جد الاسرة واسمه يوحنا المز خرج من مصر حوالي ١٦٠١ على اثر حوادث مؤلمة. وقطن مع اخوته في بيت المقدس وتزوج هناك من بيت جالا واشتغل بصناعة التنيير والحياكة فاشتهر بها حتى غطت على لقبه الاصلي «المز» وهو احد اولاده جاء في ما بعد الى ذوق ميكائيل ونشر صناعة الحرير المعروفة فيها . ومنه تفرعت اسرة المنير في لبنان . . .

ثم رحل بنو المنيّر الى لبنان واقاموا في زوق ميكائيل قبل القرن الثامن عشر على الارجح . بدليل ان القس حنانيا ، وهو مولود سنة ١٧٥٦ حين يتكلم عن مولده ومحتده ، لا يشير بشيء الى اسم حلب . وهذا مقتاه ان امر هجرتهم من هناك كان قد اصبح اقدم من ان يشار اليه .

وكان بينهم وبين المشايخ اليازجيين وشائج قربى اكيدة ، على ما يثبت قدماؤهم . ولعل هذا النسب كان من عوامل الصداقة الصادقة التي ربطت بين صاحب الترجمة والشيخ ناصيف . والتي كان من ثمارها تبادل قصائد المدائح بين الاديبين .

وممن اشتهر من هذه الاسرة في زوق مكائيل الياس المنيّر ١٨٦٠ — ١٨٨٣ وكان على ما يظهر من زعماء الثورة الشعبية التي قامت في كسروان بين ١٨٤١ و١٨٧٣ . وكان الناس يتغنون باسمه باقاويل منها هذا البيت :

يا بو الهدوم يا صغيّر يا بو الرايات يا منير

اشارة الى غناه وصغر قامته ومسير الناس وراء رايته حباً وكرامة[1] .

ومن آل المنيّر اليوم رجال كثيرون متفرقون ، مرفوري النجاح في بيروت وسائر المدن اللبنانية .

٢

« حنانيا المعروف بابن المنيّر نسباً ، والمكنى بالزوقيّ لقباً ، المنضوي تحت نير الطاعة في رهبنة دير مار يوحنا الشويرية » (المترجم له في كتابة تاريخ الرهبانية ص ١)

ولد في زوق ميكائيل سنة ١٧٥٦ ؛ ودخل الرهبانية وتقيد بنذورها سنة ١٧٧٥ ؛ وارتسم كاهناً سنة ١٧٩٩ . اما سنة وفاته فلم نتصل الى معرفتها على وجه الضبط . فهي ليست مذكورة في مكان . وكل ما نعرفه بشأنها انه يوم انقسمت الرهبانية الى فرعين ، حلبي وشويري [2] سنة ١٨٢٣ ، كان احد الذين

---

١) راجع في يوسف ابراهيم يزبك ، ثورة وفتنة في لبنان ص ٨٠

٢) «رهبنة دير مار يوحنا» كما سميت حينذاك ، او الرهبانية الباسيلية الشويرية ، كما هي معروفة اليوم . نشأت مع مطلع القرن الثامن عشر في دير مار يوحنا قرب الشوير . واجرى الله على يدها خيراً كثيراً في خدمة الكنيسة والنفوس . واشتد نطاق عملها في بلدان

نابوا عن اخوتهم البلديين – الشويريين في الاشراف على تنفيذ الاتفاقية وقسمة الارزاق والممتلكات . وكان عمره اذ ذاك قد قارب السبعين .

اما حياته الكهنوتية فقد قضاها في اديرة الرهبانية واعمالها . منصرفاً على الارجح . الى العمل العقلي والدرس والمطالعة والتأليف ، متخلياً عن الاعمال الخارجية والادارية . وهو ما يفسر ، في ظننا ، سكوت السجلات عن ذكره . ومما يحملنا على هذا الاعتقاد ان ما تركه من المؤلفات يتطلب فراغاً لا تسمح به اعمال الخدمة والرسالة الخارجية ، في مثل ايامه .

وفي دير مار انطونيوس « القرقفة » في كفرشيما ، توثقت ولا شك علاقته بالشيخ ناصيف اليازجي. وكان صعود الشيخ الى الدير متواترًا . فضلًا عن اقامته فيه سنتين (١٨١٦–١٨١٨) كاتباً للبطريرك اغناطيوس الخامس . وقد مدحه الشيخ بقصائد ليست في ديوانه ولكنها محفوظة في خزانة الاستاذ اسكندر المعلوف . منها هذان البيتان ، على اثر عودته من سفر :

عاد الديار فكان خير نزيل وكذا البدور تعود بعد افول
هو مقبل كان البشر بوفده نشر العبير على نسيم اصيل

وفي كتابه «تاريخ الرهبنة» اشارات قليلة الى شيء من تفاصيل حياته . قال في حوادث سنة ١٧٨١ . وفيه مشهد من غصص مشاكلهم اليومية :

«في هذه السنة في شهر حزيران ذهب راهبان من دير مار يوحنا بأمر رئيسهم ... لدير مار الياس في زحلة واصحبوا معهم راهباً آخر (يعني ذاته)

الشرق العربي . وفي سنة ١٧٢٣ و ١٨٢٩ ، انقسمت الى فرعين حلبي وشويري . وما زالت ، في فرعيها هذين ، تعمل بجد واخلاص في الميدان الروحي الذي نذرت نفسها له .

وبين ابنائها ، فضلاً عن اشتغلوا بسائر فروع المعرفة والتأليف ، نفر رغبوا في تدوين حوادث التاريخ وتركوا فيه آثاراً . منهم ، الى جانب القس حنانيا المنير :

القس رفائيل كرامه . وقد نشر تاريخه في بيروت (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٩٢٩ بعنوان « مصادر تاريخية لحوادث لبنان وسوريا . من ١٧٤٥ الى ١٨٠٠ » والقس قسطنطين طرابلسي وكتابه معروف « بتاريخ النافيشلا » اذ قد وضعه مؤلفه حين كان وكيلاً لرهبانيته في روما في انطوش كنيسة النافشلا وحوادثه من ١٧٢٩ الى ١٧٧٢ . ومخطوطته في خزانة دير مار يوحنا .

وغيرهم .

ونزلوا لسهل البقاع يصطادون سمكاً في الليل . وكان يومئذ حاكم في البقاع محمد آغا العبد . فقبض عليهم ووضع الحديد في اعناقهم وتهددهم بالقتل . واخيراً عفا عنهم اذ قدموا له خمسة ارطال قهوة وقفتين رز . وكنت الفقير من جملتهم . واقمنا في الجنزير يوماً واحداً » .

وفي حوادث ١٧٩١ ، يصف معركة طاحنة قامت في زحلة بين عسكر الدولة والامير جهجاه الحرفوش امير بعلبك . وكانت على ما يظهر مشهداً عجباً . خرج الناس من بيوتهم وتجمعوا على المشارف يتفرجون برؤيتها . قال : « والفقير كنت حاضراً هذا المشهد مغيراً ملبوسي » . — وقد ذكر ذلك ايضاً في « الدر المرصوف » وفي مخطوطة بكركي حيث يقول : « وكنت الفقير موجوداً هناك في تلك المعركة اسمع وارى » .

٣

في مقدمة كتاب « مذهب الدروز » يلقب الاب حنانيا نفسه بالطبيب . وقد ذكر في سجل اسماء الرهبان الى جانب اسمه : « صنعته طبيب » . وذكر له الشيخ ناصيف هذه الصنعة في احدى مدائحه بقوله : وروّية في الطب يحسد خوضها في المشكلات حنين اسرائيل .

وقد عثرنا بين مخطوطات دير مار يوحنا على بعض الكتب التي كان ينسخها او يختصرها او يطالعها . وفيها ما يثبت اكبابه على صنعة الطب واتقانه لها ، شأن الكثيرين من كهنة ورهبان تلك الايام . فقد كانوا ، لقلة الاطباء وفقر الشعب ، يتقنون مع علم الروح علم الاجساد . فيعم نفعهم للناس روحياً وجسدياً.

ومن تلك المخطوطات كتاب « تطف ازهار البستان ومختصر غاية الاتقان بغاية التدقيق وبالله التوفيق . قد اختصره لذاته القس حنانيا المنير حاذفاً منه انواع الحميات وامراض العين وبعض امراض يقتضي لعلاجها مطالعة المطولات . وذلك سنة ١٨٠١ » . وفي صفحاته الاولى حواش وفوائد طبية مختلفة منها هذان البيتان يتضمنان « معرفة الايام الجيدة للفصادة » في الشهر القمري . نذكرهما على سبيل التفكهة ، ولما فيها من الاشارة الى معتقدات القدماء واساليبهم :

وعمرك وعمري يانهي وضناك يضنيني اما
انفرطه افسد به وبما حل عند الضنا

على ان المنير لم يكتف بدرس الطب وممارسته . فمطالعاته وتآليفه تثبت انه كان اديبا واسع المعرفة ، رحالة كثير الاسفار ، شاعراً خصب الانتاج ، عالما ملماً باكثر شؤون الدين والدنيا . ولا سيما التاريخ .

فمن كتبه التي تمكنا من العثور عليها والتي تدل على اتجاهه الفكري « ديوان ابن الفارض . قد تم وكمل كتابة بيد احقر من كل من خط وقرا واوفر خطأ من سائر الورى الاخ حنانيا المنير الزوقي الراهب القانوني . وذلك في نصف تشرين اول ١٧٩٧ في دير مار اشعيا » وكتاب « الشذور الذهبية في التوبة المرضية » . « صار برسم الاخ حنانيا منير راهب مار يوحنا الشوير١٧٨٥. وقف مؤبد برسم اخوية الرهبان الروم القانونيين بدير مار مخائيل ».

٤

ولو ان جميع مؤلفاته ومخطوطات مكتبته وادوات مطالعته باقية سليمة لدينا ، لاستطعنا ان نرسم لهذا العالم الاديب صورة كاملة واضحة ولكن الايام في حدثانها جارت عليه فطمست على اكثر آثاره ؛ وتألمت ، لاسباب نجهلها ، على اخفاء اسمه وفضله . فمن الغرائب ان سجلات رهبانيته لا تشير بكلمة الى حياته واعماله . ومن الغرائب ان خزائن اقرب الناس اليه خالية من جميع مؤلفاته . ومن الغرائب ان مثل كتاب « الدر المرصوف » ليس منه في لبنان ، رغم جهدنا في التفتيش ، اكثر من نسختين . احداهما في خزانة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . والثانية نسخة المرحوم سليم رستم باز وعنها اخذت نسخة المكتبة الشرقية التي بين ايدينا .

على انه يتراءى لنا من خلال مدائح الشيخ ناصيف له ، راهباً ورعاً تقياً مخلصاً لدعوته ؛ يزين فضائله بتاج التواضع ، ظريفاً خفيف الروح ، سليم النفس مسالماً ، حلو المعشر ، سريعاً الى الخدمة ؛ اديباً غني القريحة سريع البديهة :

شاكي السلاح سلاحه من كاغد وفرنده جمل من الانجيل

طبيباً عالماً نشيطاً مكباً على العمل . وعلى الجملة فانه تميز

بمناقب كالدر الا انها كانت منزهة عن التحليل

ومهما فرضنا في هذه المدائح من المبالغة الشعرية ، يظل فيهـا كثير من الدلالة على فضله وجمال نفسـه .

آثاره

٥

ان آثار المنير المعروفة الآن مردها ، من حيث الموضوع ، الى ثلاثة ابواب:

١) في التاريخ : الدر المرصوف ؛ وتاريخ الرهبنة ؛ ومخطوطة بكركي .

٢) في الدين : شرح عقائد الدروز ؛ ومختصر امثال سليمان .

٣) في الادب : مجموعـة امثال لبنان وبر الشام . ومجموعة مقامات ؛ وديوان شعر .

وهذه كلمة موجزة عن كل منها .

ا — الدر المرصوف في تاريخ الشوف .

وسيأتي الكلام عنه مفصلاً .

ب — تاريخ الرهبنة

في حوادث سنة ١٧٧٨ من الدر المرصوف يذكر المؤلف بكلمـة موجزة قصيرة قضية القا. رهبنـة الراهبة هندية الشهيرة . ثم يضيف هذه الملاحظة : « ومن اراد ان يقف على تفصيل ذلك بالكفاية فعليه بكتابنا الآخر المختص بتواريخ الرهبنات . »

ولا ندري هل للمنير كتاب مختص بتواريخ الرهبانيات ضاعت نسخته ام انها غلطة من الناسخ اراد فيها كتاب « تاريخ الرهبنة » الشويرية الذي وضعه. ولخص فيه تاريخ رهبانيته منذ تأسيسها حتى سنة ١٨٠٤ .

وفي هذا الكتاب كثير من اخبار الرهبانية غير مذكور في سجلاتها . كما ان فيه كثيراً من الاخبار والمعلومات عن لبنان الديني والسياسي في منطقة المتن خاصة .

منه نسخة عند الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف. وواحدة عند القس انطونيوس شبلي اللبناني . وواحدة في بكركي قديمة مخرومة الطرفين .

ج – مخطوطة بكركي

في خزانة المخطوطات في بكركي مخطوطة محرومة الطرفين . فلا تحمل عنواناً ولا توقيعاً ولا اسم مؤلف او ناسخ . تحتوي على نحو ١٣٠ ورقة بقياس ٢٣=١٦ . ذات خط فارسي انيق يشبه ان يكون خط الشيخ ناصيف اليازجي. وفيها حوادث من تاريخ لبنان تمتد من سنة ١٧٣٠ الى ١٨٠١ مع نقص كثير في صفحات القسم الاول منها .

ولا موضع للشك عندنا في ان هذا التاريخ ايضاً من وضع القس حنانيا لما فيه من الشبه بتاريخيه المذكورين . ولان بعض الامور مذكور في الثلاثة بالاسلوب نفسه وبالتعابير نفسها احياناً . كملاحظته التي ذكرناها عن الراهبة هندية . وكملاحظته عن وجوده في زحلة يوم معركتها التي مر ذكرها .

الا ان سرد الحوادث هنا اوسع . لا يقف عند اخبار الحروب والسياسة بل يمتد الى اخبار الاسر والمجتمع والى النكات الادبية والفرائد الشعرية .

وسواء كانت هذه المخطوطة الفريدة نسخة مطولة من الدر المرصوف ، وليس لهذا الافتراض من مبرر ، او تاريخاً مستقلاً قائماً بذاته ، فان ضياع نسخة كاملة منها تعد خسارة كبيرة – ولعل المستقبل لا يضن بالهداية الى ما يعوض عن هذه الخسارة . وفي ذلك ما فيه من الفائدة للتاريخ والادب اللبنانيين .[1]

د – شرح عقائد الدروز .

قال في مقدمته بعد البسملة : « يقول القس حنانيا منير الطبيب . انه قد كلفني احد الخلان ذو رغبة في معرفة اصول الاديان ان افحص له عن قاعدة ديانة الدروز ومبانيها وان اشرح بالاختصار غوامض معانيها . وكنت الفقير ممن يرغبون انجاز طاعته ويحاذرون جوار عصاوته ؛ فافرغت كنانة العناية لتكميل هذه الغاية » ثم يذكر كيف استعان . بعد طول التفتيش . بكتاب مسمى « مختصر البيان في مجرى الزمان » : فاستخلص منه خلاصة كاملة تامة المنال لعقائد مذهب الدروز .

١) ونود بهذه المناسبة ان نثبت هنا كلمة شكر للمونسنيور مخائيل الرجي امين خزانة الكتب في بكركي ، لما اظهره من الحب وسعة الصدر في اطلاعنا على كل ما رغبنا فيه مما هو تحت يده .

وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية وطبعه بنصه العربي والافرنسي مع مقدمة وشروح وتعاليق المستشرق هنري غيز ــ ولعله هو الذي طلب الى المنير وضع هذه الدراسة القيّمة – وقد قال فيه المستشرق الشهير دي ساسي . وهو ممن قضوا حياتهم في درس ديانة الدروز ونشر عنها كتاباً في مجلدين :« لو عرفت بهذا الكتاب من قبل لوفر عليّ كثيراً من العناء ولامدني بكثير من المعلومات »[1] .

ه – مختصر امثال سليمان

في ٢٩ فصلاً . و٨٤ صفحة.

قال في مقدمته : « يقول العبد الفقير الى مولاه الغني ، حنانيا ابن المنير : انني لما رأيت من العباد ذوي الرغبة والاجتهاد ، مكبين على تلاوة الاسفار ومجتهدين بمطالعة الاخبار ، دارسين مؤلفات المعلمين وباحثين مصنفات الآباء القديسين.. .وقد كلفني احدهم ان اجمع له كراسة وجيزة تحوي فصولاً عزيزة ونصائح فريدة تتضمن معاني سديدة ، فانتدبت الفقير لطلبته وجمعت له من امثال سليمان وحكمته تلك الفصول والقراءات المدونة في كتاب النبوات. . . وبينت في تعريف الفصول الامكنة التي عنها منقول ».

و – مجموعة امثال لبنان وبر الشام .

نحو اربعة آلاف مثل بعضها فصيح وبعضها عامي مأخوذة من الكتب المنزلة او الاحاديث او الحكمة الشعبية . مبوبة في نحو اربعين باباً على حسب معانيها الجامعة ، كالشغل والصبر والعلم والبخل وما الى ذلك.

شرحها ونشر اكثرها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في المشرق السنة الثانية عشرة. عن نسخة عنده معنونة :« مختصر فاكهات البستان لنزهة الخواطر والاذهان من ديوان الخوري حنانيا المنير الراهب الحناوي الشويري رحمه الله».

ز – مجموعة مقامات .

استنسخ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عن اوراق قديمة اربع مقامات

(1) *Théologie des Druzes, ou Abrégé de leur système religieux.* — Traduit de l'arabe. Avec texte arabe par Henri Guys. Paris 1863.

منها ووجدها » تدل على براعته وان كان قد نحا فيها نحو العامة في نثرها وشعرها مع مجون دعا اليه المقام في الطب وغيره ».

ح — ديوان شعر .

اكثره ضائع. الا ان بعض قصائده مذكور في محله من كتبه ولا سيما في الدر المرصوف كهجاء الجزار ومديح سليمان باشا . وقد وصف المرحوم الاب شيخو شعره بان « نظمه رقيق منسجم . بليغ المعاني وان لم يكن من النمط العالي. وهو دليل على ان صاحبه من ذوي العقول البارزة... ثم نشر امثلة من هذا الشعر في «المشرق» السنة الرابعة وفي كتابه « الآداب العربية في القرن الثامن عشر » الجزء الاول.

قرظه الشيخ عبدالله اليازجي بهذين البيتين قال :

عش بالهنا والخير والرضوان يا من عنيت بنظم ذا الديوان .
اني لقد طالعته فوجدته نظماً فريداً ما له من ثاني[1]

والى القارئ هذه الابيات من رثائه للبطريرك اغناطيوس صروف سنة ١٨١٢ .

فلام دمعي من عيوني يذرف والام لا برقا ولا يتكفكف
هل كابدت كبدي لظى لا ينطفي ام في حشاي لهيب نار يتلف

...

يا شمس افق الشرق ذاع ضياؤه في الغرب اني شمس فخرك تكسف
يا رأس كهنة بيعة الله التقي ثق انت ايضاً في الاعالي اسقف
اواه ! واسفي ولوعاتي على من كل من يفدي به يتأسف
قساً فلو يفدى لكنت فديته بالروح مرتاحاً ولا اتوقف .

...

٦

الدر المرصوف في تاريخ الشوف .

والاجدر ان يقال تاريخ السياسة اللبنانية مدى حكم الشهابيين . فحوادثه تبتدي مع : اول من تولى حكم جبل الشوف وجلس على كرسي دير القمر بشير الشهابي سنة ١١٠٩ (١٦٩٧)؛ ويتهي في حكم الامير بشير الثاني الكبير

١) راجع عيسى الملوف . في النشرة الرهبانية ١٩٦٢ ص ٦١ — ٦٥

سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) . وقلما يتعرض ، كما سنرى ، لغير سياسة الشهابيين ومايتبعها عن قرب او يمت اليها بسبب .

اما لماذا تقف حوادثه في هذه السنة بعينها ، مع ان حكم الامير بشير امتد حتى ١٨٤٠ ، ومع ان المؤلف عاش حتى سنة ١٨٢٣ ، على اقل تقدير ، فذلك امر لا سبيل الى البت فيه في الوقت الحاضر ، لقلة ما لدينا من المعلومات عن تفاصيل حياته ، كما اشرنا . ولنقل هنا ان « تاريخ الرهبنة » يقف هو كذلك في سنة ١٨٠٤ (١٢١٩) .

وانما دعاه « بتاريخ الشوف » لان مركز الامارة في دير القمر جعل من تلك المنطقة المسرح الطبيعي لاهم الحوادث السياسية والحربية . على انـه لم يغفل الاشارة الى المهم من حوادث سائر المناطق . بل وسائر البلدان المجاورة كما قال في المقدمة : « وقد اقتصرت فيه على حوادث بلاد الشوف ونواحيها واضفت اليها ما حدث في غيرها مما انتهى الى حدوثه فيها » .

ولهذا التاريخ ميزات يتفرد بها .

اولها الايجاز على غير اقلال . فقد جمع تاريخ اكثر من مئة سنة في ما لا يبلغ المئتين صفحة . وذلك انه حصر موضوعه في نقطة واحدة . وعرف كيف يتجنب التفاصيل النافلة وان يستغني عن سرد الوثائق الطويلة بتلخيص مضمونها.

نضيف الى ذلك صدق الرواية وصحة الاخبار والتدقيق في اختيار الاحاديث وتمحيص المعلومات . ولا سيما وهو يتكلم عن امور يجري اكثرها بالقرب منه .

اما المصادر التي استعان بها في جمع معلوماته فهي اولًا المعلومات العامة التي يستعين بها كل مؤرخ من مرويـة ومكتوبة . وثانياً احاديث ورسائل اخوته ابناء الرهبانية الشويرية . وكانوا اذ ذاك منتشرين في كل اقطار البلاد بين لبنان وسوريا وفلسطين ومصر . ومرجعهم الى دير مار يوحنا وسائر اديرة الرهبانية . وثالثاً مشاهداته العيانية . فهو كثيرًا ما يصف امورًا رآها بذاته . وما احراه ان يقول في العديد من صفحاته ما قاله في معركة زحلة المار ذكرها . « وكنت الفقير هناك ارى واسمع » .

وهو ميله هذا ولا شك جعله يخصص جهده بالتاريخ المعاصر ، وان يضع ما لم يكن تحققه بذاته عـلى مسؤولية اصحابه . كما نبه عليه في مقدمة الدر

المرصوف وفي مقدمة « تاريخ الرهبنة » ايضاً .

ولنذكر ايضاً تجرده وموضوعيته المحسوسة. وفراغ قلبه ، في سرد الامور ، من كل ميل او هوى . فهو ليس شهابياً ، كالامير حيدر مثلاً ، ليتعرض للشهابيين – وفي الامكان ذكر امثلة تثبت هذا الفرق – ولا هو ينتسب الى حزب من احزاب زمانه ؛ ولا مصلحة له مع احد من ارباب الامر . وانما هو راهب قابع في صومعته وديره ، ينظر الى الامور من عل ، ويذكرها بتجرد. ويعبر عنها برصانة تامة . اللهم ! الا حين يبلغ الى الكلام عن الامير بشير الكبير فانه لا يستطيع ان يضبط اعجابه واعظامه . والا بعض حالات معدودة يكون الظلم فيها فاضحاً فلا يملك معه تأثراته ، كقوله مثلاً في حوادث ١٧٩٠ عن نصور التويني حين ضده الامر بقتله انه « مضى الى لعنة الله » وعن فارس الدهان : « فالهم الله الجزار فقبض عليه » . وامثال تلك الحالات قليلة عنده .

اما تدقيقه فقد اشار اليه في المقدمة ايضاً حين قال انه كان يفحص « فحصاً حثيثاً عن حقائق الامور قبل تسليمها الى السطور » . وهو يذهب فيه الى حد بعيد : الى حد ربما دفع القارئ الى الابتسام احياناً . فانظر اليه يصف طغيان الجراد الذي مر بلبنان سنة ١٧٩٦ « وكان عاماً من بلاد صفد الى طرابلس» فيقول : « وكان قبل ذلك لم يترك في جميع الاراضي التي مر بها نباتا اخضر قط : الا غصناً دقيقاً من الدفلة على جانب نهر الصفا كان يجتمع عليه فيلتوي الى الماء . »

على ان هذا التدقيق خانه في بعض الاحايين . من ذلك قوله في وصف طاعون ١٧٨٤ «انه مات في مصر في ذلك الطاعون ما ينوف عن ثلاثين كرة.» (مع العلم ان الكرة كانت تساوي مئة الف).

واسلوب المنير الانشائي يتصف بالبساطة المقرونة بالمتانة والانسجام . وهذه الصفة هنا مخالفة لما يغشي على انشائه من بعض ركاكة في كتاب « تاريخ الرهبنة » . مما يدعو الى التوقف والتساؤل عن تفسير لمثل هذا التفاوت.

والذي نراه ان الامر يحتمل تفسيراً من اثنين. فاما ان المنير وضع كتاب « الدر المرصوف » بعد كتاب « تاريخ الرهبنة » — وهو الارجح — وكان الوقت قد اتاح له التمرس والتمكن من ضبط لغته وعبارته . واما ان الشيخ

ناصيف اليازجي مسح هذا الكتاب قبل نسخه ، بريشته الانيقة. وهو افتراض عن لنا وليس لدينا ما يثبته . وانما نعلم ان ناشري تاريخ الامير حيدر افترضا الشيء نفسه في ما يخص « الغرر الحسان. (المقدمة ص يج).

ومهما يكن من امر، فالدر الموصوف متين اللغة ، منسجم العبارة ، رشيق التركيب ، يستعذب المطالع متابعة قراءته.

٧

ولم يكن العناء كبيرًا في ضبط النص الذي ننشره. فمن بين نسخه الثلاث المعروفة لدينا ، نسخة عيسى المعلوف لا سبيل الى الاطلاع عليها الآن بسبب مرض الاستاذ المعلوف وبعده عن خزانة كتبه . بقيت نسخة المكتبة الشرقية وهي ناقصة من آخرها لا تخلو من مواضع فراغ في صفحاتها . الا ان نسخة المرحوم سليم رستم باز المأخوذة سنة ١٨٨٣ « عن نسخة قديمة بخط المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي » والتي عنها اخذت نسخة المكتبة الشرقية . تعد نسخة كاملة جميلة الخط . وان كانت لا تخلو من مواضع نقص وغموض في اوائلها خاصة . فعلى هاتين النسختين اذن نعتمد في اقرار النص ، معلقين عليه بعض حواش حين نرى ذلك ضروريا.

الكلمات الدخيلة في العربية

بقلم الاب روفائيل نخله اليسوعي

ان العرب في تاريخهم الطويل وفتوحاتهم الكثيرة الممتدة على عدد كبير من اقطار اوربة وآسية وافريقية ، قد خالطوا عدة شعوب بمدة قرون وتعلموا لغاتها ، واقتبسوا من امدنها بعض العلوم والفنون . فنتج حتماً عن ذلك اندماج مئات كلمات من السنة تلك الاقوام في لسان العرب ، ولا سيما الناقصة في قاموسه .

لقد توخينا في هذه المقالة تقييد نتائج بحثنا المتعب عن اكثر تلك الالفاظ الدخيلة استعمالاً ، وترتيبها بشكل جداول ابجدية على حسب اللغات التي اخذها العرب عنها ، مع بيان لفظ كل منها في اللسان الاصلي ، ولم نذكر معناها فيه الا اذا اختلف عن المعنى العربي . قد اختصرنا مقدمات تلك الجداول ، لان هذه جوهر مقالتنا ، ولم نُرد من جهة اخرى اطالة بحثنا الى حد الافراط .

من الواضح للخبراء ان معالجة هذا الموضوع شديدة الوعورة ، لان العرب ومن ورثوا لغتهم في العصور الاخيرة لم يدرسوا اصل الكلمات الدخيلة في لسانهم درساً علمياً كما فعل معظم شعوب اوربة ، ولم يعيّنوا مثلهم في القواميس مصدر تلك الكلمات الا ندرةً ، مكتفين في الغالب بقولهم انها دخيلة . على كل حال لم يُخمد همتنا سلوك طريق غير ممهّد في مجاهل موحشة ، بل بذلنا قصارانا لمعرفة اصل مئات من الكلمات الدخيلة ، ولم نُدرج منها في الجداول الآتية سوى ما ايقنّا مصدره المباشر او رجّحنا حقيقته ، تاركين في زوايا الاهمال ما لم نستطع تبين اصله .

الفصل الاول : بعض الكلمات المقتبسة من الفارسية

قد غزا العرب ايران بُعيد انتحالهم الاسلام ، فقتلوا سنة ٦٥١ ملكها ازدشير الثالث ، وفتحوا بلاده ونشروا دينهم بين اهاليها ، فدامت سيادتهم لذلك القطر ، بدرجات مختلفة من اتساع نطاقها ، نحو ستة قرون الى سنة

١٢٢٠ . قبل تلك الحقبة الطويلة كان الفُرس من امدن شعوب العالم ، ذوي ثقافة اعلى جدًا من ثقافة العرب ، وقد نبغ مئات منهم في العلوم والآداب والفنون الجميلة ، ولا سيما النحت والتصوير الملون والموسيقى . فلا بدع بكون فاتحي بلادهم قد اقتبسوا حصة وافرة من ذلك التمدن واقترضوا من الكلمات الفارسية اكثر مما اقترضوه من سائر اللغات . نجد بين تلك الكلمات الآتي جدولها ، مما يدل على المعاني التالية وما يتعلق بها : ١٥ للطعام والشراب ،١٥ لمواد الحياكة والملبوسات ، ١١ للبناء والمساكن ،٩٦ للآنية ، ١١ للآلات ، ٢١ للحِرف والوظائف ، ٩ للموسيقى ، ١٢ للحيوانات ، ٣٩ للنباتات ، ١٤ للمعادن والكيميا ، الى غير ذلك مما هو اقل عددًا . لا نلقى ما يوازي هذه الكثرة مع شدة تنوع المعاني في الكلمات المقتبسة من لغة غير الفارسية .

من جهة اخرى يسهل على من قرأ بانتباه الجدول الآتي ان يلاحظ كون حرف الگاف في الكلمات الفارسية — وهو يُلفظ مثل الحرف g في الكلمة الفرنسية guerre — يكثرُ تحوله في لغتنا الى كاف او جيم . من امثلة التحول الاول ان لگن صارت لَكَن، وبازرگان بازرگان ، وپرگار بركار . ومن امثلة الثاني ، وهو اشد تواترًا ، ان بادنگان صارت باذنجان ، وبنگ بنج، وگلاب جُلّاب ، وگوهر جوهر . فنستنتج من ذلك ان العرب كانوا يلفظون الجيم مثل الگاف الفارسية ، كما يفعل المصريون في لغتهم العامية .

نلفت ايضًا نظر القُرّاء الى كون الهاء المنتهية بها آلاف كلمات فارسية — ولفظها يشبه e الفرنسية — تتحول في لغتنا على عدة وجوه . تصير تارةً تاء (روزنة من روزنه) وطورًا جيمًا (بنفسج من بنفشه) او قافًا (دلَق من دله) او قافًا وتاء (بوتقة من بوته) ، الى غير ذلك مما يطول شرحه .

إبريسم (حرير) من أبريشم .
إبريق من آبريز المركبة من آب (ماء) وريز جذر المصدر ريختن (سكب) .
آذريون (زهرة صفراء) من آذرگون âzargoun التي معناها الاصلي «بلون النار» فانها مركبة من آذر âzar (نار) وگون goun (لون)
أرجوان من أرجُوان .
ازدَرَخت (شجر) من آزاد دَرَخت . معنى آزاد حُر ، ومعنى درخت شجرة .
إسباناخ (البقلة المعروفة) من سِاناخ .
إسبيداج و إسفيداج (كربونات الرصاص الابيض اللون) من إسفيداج المشتقة من سَفيد (أبيض) .
استاذ من استاد ostâd .
أُسرُب (رصاص) من اسرب باللفظ ذاته .
اسطوانة (عمود) من استوانه ostovâné .
الإستانة (اسم إستنبول) من آستانه (عتبة)؛ لان تلك المدينة قد عُدت كعتبة اوربة .
أنجر (مرساة) من لنگر .
إيوان من إيوان eïvân (رواق) .
بابوج من پاپوش (حذاء) المركبة من پا (رجل) وپوش جذر المصدر پوشيدَن (لبس) .
بابونج من بابونه .
باج (ضريبة على الثمر) من باج (ضريبة) .
بادزهر (تجسد مرضي كروي او بيضي الشكل ، يتكون في بعض الحيوانات) من بادزَهر .
باذَق (ما طبخ من عصير العنب ادنى الطبخ) من باده (خمر) .
باذنجان (البقلة المعروفة) من بادنگان .
بازار (سوق) من بازار .
بازدار (حامل البآز او نحوه في الصيد) من بازْدار المركبة من باز (بأز) واللاحقة (suffixe) دار (صاحب) .
بازركان (تاجر) من بازارگان المركبة من بازار واللاحقة گان الدالة في الغالب على الاهلية لعمل من الاعمال .
باشا من پادشا (ملك) .
برسام (التهاب الحجاب الذي بين القلب والكبد) من بَرسام المركبة من بر (صدر) وسام (التهاب) .
بركار (آلة ذات ساقين لرسم الدوائر) من پَرگار .
برنامج من برنامه (مثال يُتشبه به) .
بستان من بوستان المركبة من بو (رائحة) واللاحقة ستان الدالة على مكان يوجد فيه الاشخاص او الاشياء .
بشتخته (صندوق صغير) من پيش تخته (منضدة مستطيلة في مخزن او نحوه) المركبة من پيش (أمام) وتخته (منضدة) .
بَمّ (اغلظ اوتار العود او اصواته) من بَمْ (اغلظ اصوات الغني) .
بنج (نبات مخدّر) من بنگ .
بنجرة (كوة المدفع) من پنجره pandjereh (نافذة) .
بند (فصل او فقرة في كتاب) من بند (قيد ، فقرة) .
بندر (ميناء ، مدينة بحرية) من بندر (ميناء ، مدينة تجارية) .
بُندُق من بُندُق .
بنفسج من بنفشه bénafché .
بُنك (اصل الشيء) من بُنك bonak (اساس) .
بهلوان من پهلَوان (بطل ، شخص ممتاز بقوته) .
بوتقة وبودقة (وعاء تذاب فيه المعادن) من بوته .
بورياء (حصير من القصب) من بوري

(نوع من القصب ينبت في المستنقعات) .
بولاد من پولاد .
بيذق (الماشي ' قطعة من التي يحركها اللاعبون بالشطرنج) من بيدق bêdagh المشتقة من پياده piyâdé التي لها معنا بيذق .
بيمارستان (مستشفى) من بيمارستان المركبة من بيمار (مريض) واللاحقة ستان .
تخت (سرير ' عرش ملك) من تخت .
تنبك من تنباكو (تبغ ايراني يختص بالنارجيلة) .
جام (كأس) من جام .
جاموس من جاموس التي اصلها گاوميش ' وهي كلمة واحدة مركبة من گو (بقرة) وميش (نعجة) .
جبخانة (مخزن مواد الحرب) من جبه خانه djabêkhâné المركبة من جبه (درع) وخانه (بيت) .
جرموق (حذاء يلبس فوق غيره لوقايته من الطين) هي على المرجح من چرم (جلد مدبوغ) .
جزدان (محفظة الدراهم) من جزدان المركبة من جزء (قسم) واللاحقة دان الدالة على الاحتواء .
جزر (البقلة المعروفة) من گزر .
جل (ورد ' ياسمين) من گل gol (ورد) .
جلاب وجلّاب (ماء الورد) من گلاب golâb المركبة من گل (ورد) وآب (ماء) .
جلنار (زهر الرمان) من گل نار المركبة من المضاف گل (زهرة) ' الذي علامته الكسرة في آخره ' والمضاف اليه نار (رمان) .
جلنجبين (معجون مصنوع بالورد والعسل) من گل انگبين golauguébin المركبة من گل (ورد) وانگبين angabin (عسل) .

جناح (ذنب) من گناه gounâh .
جندار (حرس ملك او امير) مشتقة على الارجح من جان (نفس) واللاحقة دار الدالة على صاحب الشيء او حافظه .
جنزار (خضرة تعلو النحاس) من زنگار .
جنزير (سلسلة) من زنجير .
جوالق وجوالق (كيس من صوف او شعر) من جوال djovâl (كيس كبير) .
جورب (لفافة الرجل) من جوراب .
جوجك (مرتب موظف الحكومة) من djamégui (اجر) .
جوهر (كنه الشيء ' الحجر الكريم) من گوهر gowhar .
خام (نسيج من القطن غير مقصر ' اي غير مدقوق ومبيض) من خام (نيء ' غير منقى) .
خان (فندق حقير) من خان .
خانة (مقطع من الصوت في الموسيقى) من خانه (بيت) .
خديوي (لقب امراء مصر الماضين بسلاطين تركية) من خديو khadiv (ملك ' امير) .
خردق (قطع كروية دقيقة من الرصاص) من خرده khordé (قطعة دقيقة) .
خشكار (خبز النخالة) من خشكار التي اصلها خشك (يابس) وآرد (طحين) .
خفتان (نوع من الثياب) من خفتان .
خندق من كنده (محفور) .
خواجه من خواجه khâdjé (استاذ ' رجل ممتاز) .
خوان من خوان khân (مائدة) .
خوذة (ما يلبسه المحارب على رأسه ليقيه) من خود .
خيار (الثمر المعروف) من خيار .
خيار شنبر (شجر له ثمر كالخرنوب) من

حيار چنبر . معنى چنبر : حلقة ' دائرة .
دانق (سُدس الدرهم) من دانگ dāng .
دبّوس (عصا من خشب او حديد ' في رأسها كُرة) من توپوز topoz .
دَربان ودربان (بواب) من دَربان المركبة من در (باب) واللاحقة بان الدالة على حافظ الشيء .
درويش (زاهد ناسك عند المسلمين) من درويش (فقير) .
دست (في التعبير « الدست لي » بمعنى غلبت' المختص بلعب الشطرنج) من دست (يد ' انتصار) .
دستان (وتر من العود او نحوه) من دستان (لحن) .
دستجة (حزمة) من دسته ' مع اضافة اللاحقة چه الدالة على التصغير .
دستور (قاعدة) من دستور dostour .
دسكرة (ضيعة كبيرة) من دسكرة daskaré (مدينة ' حصن) .
دفتر من دفتر باللفظ ذاته (كتاب ' سجل حساب) .
دكان من دكان dokkān .
دلق (حيوان اصفر اللون بحجم القط) من دله dalé .
دُهقان ودِهقان (حاكم اقليم ' تاجر) من دِهقان (حاكم بلدة ' فلاح) المركبة من ده (ضيعة) واللاحقة گان التي بمعنى ياء النسبة عندنا
دِهليز من دهليز باللفظ ذاته ' وهي على الارجح مشتقة من دهله (ممر) .
دُوادار ودُويدار (كاتب) ترجع اشتقاقها من دَوات (دواة) واللاحقة دار الدالة على صاحب الشيء .
دُولاب ودَولاب (كل آلة تدور على محور) من دُولاب (ناعورة) المركبة من دول (سطل) وآب (ماء) .
ديباج (نسيج سداه ولحمته حرير) من ديبا (نسيج حرير مطرّز باسلاك ذهب او فضة) .
دَيدُبان (حارس) من ديدبان المركبة من ديد (نظر ' فحص) واللاحقة بان .
راتينج (صمغ الصنوبر) من راتيانج المشتقة من ρητίνη rétini اليونانية .
راوَند (نبات) من راوند .
رخت (ما يوضع على الحصان من سرج ونحوه) من رخت .
رزدق (صف من الناس او النخيل) من راسته (صف) .
رهنامج (كتاب يهتدي به الملاحون في البحر) من راهنامه (كتاب يدل على الطريق) المركبة من راه (طريق) ونامه (كتاب) .
رهوان (حصان معتدل السير) من راهوار (معتدل السير) المركبة من راه واللاحقة وار الدالة على مميزة شخص او شيء .
روزنامة من روزنامه المركبة من روز (يوم) ونامه (كتاب) .
رَوزنة ورَوشن (كوة) من روزنة rowzané (نافذة) .
زِرفين (حلقة من الشعر) من زُرفين .
زركش (طرّز بخيوط او اسلاك ذهبية) من زركش (نسيج فيه خيوط او اسلاك ذهبية) المركبة من زر (ذهب) وكش جذر المصدر كشيدن kéchidan (جر) .
زرلخت : راجع ازدرخت .
زنجار (صدأ النحاس) من زَنگار .
زنجبيل (نبات) من زنجبيل zandjébil
زنجفر وزُنجُفر (معدن متفتت احمر) من زنجرف المشتقة من κιννάβαρι kinnavari اليونانية .

زيج (خيط البنَّاء) من زيك .
ساذج (بسيط) من ساده .
سختيان (جلد الماعز المدبوغ) من سختيان باللفظ ذاته .
سُرادق (خيمة) من سَرادق (حائط او حاجز من نسيج غليظ حول خيمة) .
سرجين (زبل) سَرگين .
سرداب (بناء تحت الارض) من سَرداب وهي مركبة من سرد (بارد) وآب (ماء) ، ومن معانيها مستودَع جليد .
سرسام (التهاب في حجاب الدماغ) من سَرسام المركبة من سر (رأس) وسام (التهاب) .
سرَق (شُقق من الحرير الابيض) من سره saré (الجيِّد من البضائع) .
سرقين (زبل) من سَرگين .
سرموج (نوع من الاحذية) من سرموزه .
سروال من شلوار .
سُفتجة (كمبيالة في لغة لبنان ومصر العامية) من سِفْت (متين ، مُحكَم) .
سكباج (مرق يُصنع باللحم والخل) من سركه با serkéba المركبة من سركه (خل) وبا (مرق) .
سلاحدار (حامل السلاح) من سلاحدار التي تدل فيها اللاحقة دار على حامل صاحب الشيء .
سلجم (نبات) من شلغم .
سُلحفاة مشتقة على الارجح من سُولاخ پاي ، وهي كلمة ثمانة مركبة من سولاخ (ثقب) وپاي (رجل) تدل على ان ارجل السلحفاة تظهر خارجة من ثقوب غلافها العظمي .
سمنجوني (بلون السماء) من سمانگونه المركبة من سمان (السماء) وگونه gouné (لون) .
سميذ (دقيق ابيض) من سميد (حجر ابيض) .
سنباذج (حجر المسنّ) من سُنباده .
سُنبُك (طرف حافر الحصان ونحوه) من سُنبك ، سمفر سب (حافر) .
سنبوسق وسنبوسك من سنبوسك .
سنجة (ما يوزن به كالرطل) من سنجه (وزن) .
سنديان من سنديان sendiyân .
سيخ (سكين كبير) من سيخ (سفّود : حديدة يشوى بها اللحم) .
سيرَج (دهن السمسم) من شيره (عصير) .
سيكاه (لحن من الحان الموسيقى) من سه گاه (علامة او لحن في الموسيقى الايرانية) المركبة من سه (ثلاثة) وگاه (زمان او مكان) ، ومعناها المقام الثالث .
شاكريّ (اجير ، مستخدَم) من چاكر (عبد) .
شاه (ملك : هي ايضًا اسم بيذق في لعب الشطرنج) من شاه .
شاه بلوط (شجر الكستنة في لهجة لبنان) من شاه باوط بدون تشديد اللام ، المركبة من شاه وبلوط (سنديان) .
شاه بندر (رئيس التجار) من شاه بندر (قنصل ، مدير او موظف في مركز كمرك) المركبة من شاه وبندر (ميناء ، مدينة تجارية) .
شاهين (طير من جنس الصقر) من شاهين .
شبيث (نبات كالشمرة) من شود chéved .
شِطرنج من شطرنك المركبة في الاصل من شش chech (ستة) ورنك (لون) دلالةً على كون القطع التي يحركها اللاعبون من ستة انواع .
شمدان من شمدان التي تدل فيها اللاحقة

دالّ على الاحتواء .
شَنْدر وشَندور من شُفُندر chofondor (سلق) . هذان النباتان من نوع واحد .
شهْتَرج وشاهتَرج (نبات) من شاهتره المركب من شاه وتره taré (كرّاث) .
شوبق (خشبة يسوّى بها الرغيف قبل خبزه) من چوبك tchoubak مصغّر چوب (قضيب) .
شَوكران وشَيكران (نبات سامّ يشبه البقدونس) من شوكران choukrân .
شيرَج : راجع سيرَج .
صابون من صابون .
صاروج (الكلس واخلاطه) من ساروج (ملاط) .
صرم (جلد مدبوغ) من چرم tcharm .
صُرناية (آلة طرب) من زورنا zornâ .
صك (كتابة للاعتراف بدين او غير ذلك) ترجع اصلًا من چك tchak (جملة مكتوبة) .
صَنار وصنّار (شجر الدلب) من چنار tchénâr
صنج (آلة طرب) من سنج .
صَوبج وصَوبج : راجع شوبق .
صَولجان من صولجان sowladjân .
طاق (بناء بشكل قوس) من طاق .
طابَر (سلاح بشكل فأس) من تبَر (فأس) .
طَبَرزذ (السكر الابيض الصلب) من تبرزد .
طَبَرزين (سلاح بشكل فأس) من تبرزين .
طِراز (نمط) من تراز téràz (هيئة) .
طربوش من سربوش المركبة من سر (رأس) وپوش جذر المصدر پوشيدَن (لبس) .
طرخون (نبات) من ترخون .
طست (اناء من نحاس لغسل الايدي) من طشت .
طُنبور (آلة طرب باوتار نحاسية) من تنبور (عود) .
طواشيّ (خصيّ) من طواشي .
فالوذَج (حلوى من دقيق وماء وعسل) من فالوده (شراب مصنوع من النشاء المخثّر والمصور بشكل خيوط) .
فالوده مشتقة من پالوده (مصور) .
فِرزان (الملكة في لعب الشطرنج) من فرزين .
فرسخ (مقياس لطول المسافات) من فرسَنك .
فرمان (امر سلاطين تركية للولاة) من فرمان (امر ، امر مالك) .
فِرِند (نوع من الثياب) من پرند parand (حرير موشّى او ممزوج اللون) .
فستق[1] من پسته pesté .
فنجان من پنگان pengane .
فِهرس من فهرس باللفظ ذاته (جدول ، جدول مواد كتاب) .
فولاذ من پولاد .
فيلجة (بيت تنسجه دودة الحرير) من پيله .
قبج (طير يشبه الحجل) من كبْك (حجل) .

١) كون الكلمة تشتق من اصل فارسي لا يناقض تأكيدنا في مقالة سابقة ان لغات اوربة قد اقتبستها من العربية . البرهان على ذلك ان اسمها pistache في الفرنسية ، pistocchio في الايطالية ، pistachio في الانكليزية ، fistachka في الروسية ، fistiki في اليونانية الخ ؛ وكل هذه الاسماء اشبه بفستق منها بالاصل الفارسي pesté . هذه الملاحظة تنطبق على عدة كلمات عربية اخرى .

قمقم (قنينة لماء الزهر او نحوه) من قمقمه .

قند (عسل قصب السكر المجمّد) من قند (سكر) .

قهرمان (وكيل ، وكيل الدخل والخرج) من قهرمان (محارب ، بطل) .

قيروان (قافلة) من كاروان kārvāne المشتقة منها الكلمة الفرنسية caravane .

كاخية (معتمد الوالي وكاتم اسراره) من كدخدا (حاكم مدينة) .

كاغد وكاغد (الورق الذي يُكتب عليه) من كاغذ kāghaz .

كامخ (إدام) هي على الارجح من كامه kāmé المائة .

كرباس (ثوب خشن) من كرباس (نسيج خشن من القطن) .

كرابج (حانوت) من كوبه المائة .

كرج (شيء جيئة المهر يلعب عليه) من كرج (الفم الثاني في مقدم السرج) .

كشتبان من انكشتوانه angochtvāné المركبة من انكشت (اصبع) واللاحقة وانه المحرّفة عن بان الدالّة على حفظ الشيء او حراسته .

كشك (ماء الشعير) من كشكاب .

كشك (شبه رواق بارز من بيت) من كوشك (بيت ، قصر) .

كسر (بناء فيه عقد) من كسر (منطقة) .

كمنجة من كمانچه .

كنار (نبق ، وهو ثمرة شجرة السدر) من كنار (سدر) .

كهرباء من كهربا المركبة من كاه (دوص) وربا جذر المصدر ربودن roboudane (خطف الشيء ، الذهاب به) ، دلالةً على اجتذاب الشيء المكهرب للدوص .

كوخ وكاخ المائة من كاخ (سكن ، دار ، قصر) .

كوز (اناء كالابريق واصغر منه) من كوزه .

كوسج (الذي لحيته على ذقنه ، لا على العارضين) من كوسه (خفيف اللحية) .

لازورد (معدن يتخذ للحلى) من لاجورد .

لعل (حجر كريم احمر) من لعل .

لكن (اناء من نحاس للغسل والعجن) من لگن lagane .

لوزينج (حلوى كالقطائف تؤدم بدهن اللوز) من لوزينه lowziné .

ليمون من ليمون .

ليوان : راجع ايوان .

مايج (آلة يطين بها) من ماله .

مالق (مالج ، خشبة عريضة تسوى بها الارض) من ماله .

مردقوش (نبات عطري) من مرزنگوش المركبة من مرز (فأرة) وگوش (أذن) ، فمعناها الحرفي اذن الفأرة .

مرزبان (رئيس عند الايرانيين القدماء) من مرزبان المركبة من مرز (ارض) واللاحقة بان الدالة على حفظ الشيء او السهر عليه .

مهتار ومهتر (امير ، والي) من مهتر (اكبر ، اكبر سنا ، رجل عظيم) ، وهي بمعنى افعل التفضيل من مه meh (كبير ، متقدم في السن) .

موميا (جثة محنطة على طريقة المصريين القدماء) من موميا (محنط) المرجح اشتقاقها من موم (شمع ، مادة عطرية) .

نارجيل (جوز هندي) من نارگيل .

نارنج ونرنج من نارنج .

ناي (آلة طرب) من ناي (قصبة ، آلة طرب بالمعنى العربي) .

نرجس من نرگس .

نرد (لعبة تسمى الطاولة في لهجتي لبنان ومصر) من نرد .
نسرين (ورد ابيض عطري الرائحة) من نسرين .
نشا ونشاء (مادة مستخرجة من الحنطة) من نشاسته néchasté .
نُشادر (مادة قلوية) من نشادر néchâder
نيمبرشت (مشوي نصف شيّ) من نيم برشت المركبة من نيم (نصف) والمصدر برشتن (شيّ) المقتضب .
نَوروز (اول يوم من السنة الشمسية عند الايرانيين) من نوروز nowrouz ، المركبة من نو (جديد) وروز (يوم) .
نيزك (رُمح قصير) من نيزه neïzé (رمح) .
نيلج ونيلنج (دخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضرّ) من نيله .
نيلوفر ونينوفر (نبات مائي) من نيلوبر التي ترجع انها مركبة من نيل (نبات يستخرج منه صبغ ازرق) وبر (جناح) فيكون معناها الحرفي ذو جناح نيلي .
هنداز (قياس) من أندازه .
هندسة من أندازه .
هندام (حُسن القامة) من أندام (قامة) .
يارَج (السوار ، حلية النساء) من ياره .
ياسمين من ياسمين باللفظ ذاته .
يشب (حجر كريم) من يشب باللفظ ذاته .

﴿ الفصل الثاني : بعض الكلمات المقتبسة من اليونانية ﴾

لم يفتح العرب بلاد اليونان ، بيد ان كثيراً منهم قد خالطوا على توالي الاجيال فئة من اكبر فلاسفتها وسائر علمائها بقراءة مؤلفاتهم في لغتها الاصلية او في ترجمتها السريانية . وقد نبغ بينهم الفارابي ، المتوفى سنة ٩٥١ ، الذي طالع كل كتب ارسطاطاليس وشرحها مع كتب افلاطون لمعاصريه وشرحه لهم ، ثم ابن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٧) واضع كتاب الشفاء في ثمانية عشر مجلداً جعل فيها خلاصة العلوم الفلسفية .

من جهة اخرى قد ظلت اليونانية العامية مدةً طويلةً بعد نشأة النصرانية ، لغة يتكلم بها وبلغاتهم الخاصة اهالي جميع اقطار الشرق الخاضعة للرومان وقسم كبير من اهالي الغرب ، ولذلك قد كُتبت بها كل اسفار العهد الجديد ، ما عدا انجيل القديس متى المكتوب بالآرامية . فلا بدع بكون نصارى سورية ومصر وغيرهما من بلاد الشرق الادنى التي فتحها العرب ، فصاروا ينطقون بلغة الضاد ، قد اقتبسوا من اليونانية عشرات الكلمات المختصة بدينهم .

نجد بين الكلمات اليونانية الآتية ، المندمجة في لساننا ، مما يدل على المعاني التالية : ٢٨ مختصة بامور مسيحية ، ٢٨ بالنباتات ، ٨ بالحيوانات ، ١٣ بالمعادن والكيمياء ، ٢٠ بالفلسفة وسائر العلوم .

هاكم بعض الملاحظات على شيء من غرائب التغير الحادث لتلك الالفاظ اليونانية عند تعريبها. كثيرًا ما اضيفت همزة الى المبتدئات منها بحرف ساكن، كما ترى في اسطول، اسفنج، إسكيم، اقليم، إقليد، اكليرس. حرف χ اليوناني، الذي يلفظه المعاصرون كالخاء. او بما يشبه الشين، على حسب موقعه، يتحول في لغتنا الى شين (ابرشية، افشين، بطرشيل، شدياق)، او خاء (أخيون، خلقين، ملوخية))، او هاء (درهم))، او كاف (إسكيم، كُندُر، كيلوس)، او قاف (انقليس، قلون))، او جيم (منجنيق). اما حرف κ الملفوظ كالكاف، فكثيرًا ما يصير قافًا كما ترى في فندق، قانون، قرميد، قُلقاس، قِلِّيَّة، قُنّبيط، قُنـداق، قندلفت، قنديل، اسقف، اغاريقون، اقاقيا، اقليم، اقنثوس، اوقيانس، ايقونة، بطاقة.

ابرشية من ἐπαρχία (1) eparchiya. (ولاية، اقليم).

إبريز (ذهب خالص) من ὄβρυζον ovrizon.

ابنوس (شجر) من ἔβενος evénos.

اثير (مادة لا تقع تحت الوزن، منتشرة في كل الفضاء) من αἰθήρ éthir (هواء اعلى طبقات الجو).

أخطبوط (حيوان) من ὀκταπόδης oktapodhis التي معناها الحرفي ذو ثماني ارجل.

أرغن من ὄργανον orghanon.

اخيون (نبات) من ἔχιον échion.

ارثذكسي من ὀρθόδοξος orthodhoxos (صحيح الايمان).

ارُز (نبات) من ὄρυζα oriza.

اركون (رئيس) من ἄρχων arkhon.

اسطُرلاب (آلة فلكية) من ἀστρόλαβος astrolavos.

إسطقس (عنصر من عناصر الكون الاربعة عند الاقدمين) من στοιχεῖον stichiyon.

اسطول من στόλος stolos.

إسفنج من σπόγγος sponghos.

اسقف من ἐπίσκοπος épiskopos.

إسقنقور (نوع من الضب) من σκίγκος skingos.

إسكيم (ثوب الراهب او ما يلبسه على رأسه) من σχῆμα skhima (شكل، زي؛ وفي اليونانية الحديثة ثوب راهب).

اغاريقون (نوع من الفطر) من ἀγαρικόν agharikon.

إفسنتين (نبات) من ἀψίνθιον apsin-thion.

---

1) — قد دللنا على لفظ الكلمات اليونانية بالحروف اللاتينية، كما يلفظ بها الآن اهل اليونان؛ وذلك لاختلاف آراء العلماء في شأن لفظ اليونانيين القدماء. الحرفان dh يلفظان كالذال، th كالثاء، gh كالغين، kh كالخاء.

افشين (اسم بعض الصلوات) من εὐχή efchi (صلاة) .
افندي من αὐθέντης afthendis (سيد امير) .
افيون من ὄπιον opion .
اقاقيا (شجر) من ἀκακία akakiya .
إقليم من κλίμα klima .
اقنثوس (نبات) من ἄκανθος akan-thos .
إكليد او إقليد (مفتاح) من κλείς klis .
اكليرُس من κλῆρος kliros .
الماس من ἀδάμας adhamas .
الوّة (نبات) من ἀλόη aloï .
إنجيل من εὐαγγέλιον évanguélion (بشارة) .
انقليس وانكليس (سمكة بشكل حية) من enchélis ἔγχελυς المشتقة من الكلمة اللاتينية anguilla (حية صغيرة) .
انيسون (نبات) من ἄνισον aniçon .
اوقيانس من ὠκεανός okéanos .
اوقية من οὐγγία oungiya .
اوكسيجان من ὀξυγόνον oxighonon .
ايقونة من εἰκών ikon .
ايكونوستاس من εἰκονοστάσιον iko-nostacion .
بابا (الحبر الاعظم) من πάππας pappas (اب ' في لغة الاطفال) .
بارود من πυρίτης piritis (من نوع النار ' مزيج كياوي للكبريت بمدن) .
بال (حوت) من φάλαινα faléna المشتقة منها الفرنسية baleine .
باميا (بقلة) من μπάμια bamia .
برج (بناء) من πύργος pirghos .
برفير (ارجوان) من πορφύρα porfira .
بطاقة على الارجح من πιττάκιον pitta-kion (لوح رقيق للكتابة) .
بطرشيل من πετραχήλι pétrakhili المركبة في الاصل من السابقة ἐπί épi (فوق) و τράχηλος trakhilos (عنق) .
بطريرك من πατριάρχης patriarkhis .
بقدونس من μακεδονήσι makédho-nici .
بقس (شجر) من πύξος pixos .
برمون من παραμονή paramoni .
بِطال من πέταλας pètalas .
ترمس من θέρμος thermos .
ترياق (دواء يدفع السموم) من θηριακός thiriakos (دواء لمعالجة عضة الوحوش) المشتقة من θήρ thir (وحش) .
تلغراف من τηλεγραφεῖον tiléghra-fiyon المركبة من السابقة τῆλε tilé (الى مكان بعيد) و γράφειν ghra-fein (كتابة) .
تلفون من τηλέφωνον tiléfonon المركبة من السابقة المشار اليها و φωνεῖν foneïn (تكلّم) .
جاثليق (متقدم الاساقفة) على الارجح من καθολικός katholikos (عام) دلالة على كون رفعة مقامه او سلطته عامة .
جغرافية من γεωγραφία yéoghrafiya .
جمشت (حجر كريم) من ἀμέθυστος améthistos .
جنس من γένος yénos .
جيولوجية من γεωλογία yéoloyiya .
حوت (سمك كبير جدا) من κῆτος kitos .

جلقين (مرجل كبير) من χαλκεῖον khalkion (شيء مصنوع بالنحاس) .

خورس (محل الكنيسة المختص بترتيل فرض الكهنة) من χορός khoros (غناء في تمثيل مأساة) .

خوري من ἱερεύς yérefs (كاهن) .

دُرّاقن (نوع من الخوخ) من ῥοδάκινον rodhanikon .

درهم من δραχμή dhrakhmi (وحدة وزن ' قطعة نقد) .

دفلى (نبات) من δάφνη dhafni (غار) .

دُلفين (سمك) من δελφίν dhelfin .

زرنيخ من ἀρσενικόν arsénikon التي معناها الاصلي « مختص بالذكور » مما يدل على قوة مفعول الزرنيخ .

زُمرّد من σμάραγδος zmaraghdhos .

زُنّار من ζωνάρι zonari .

زيزفون من ζιζυφιά zizifia (عنّاب)[1] .

سفسطة من σόφισμα sofizma .

سنكسار (مجموع سير القديسين) من συναξάριον sinaxarion .

سيماء (علامة) من σῆμα sima .

سينودُس (مجلس كنسي) من σύνοδος (مجلس) sinodhos .

شدياق (شماس انجيلي) من ἀρχιδιάκονος archidhiakonos .

شرطنَ (رقّى شخصاً الى رتبة من الرتب الكنسية) من χειροτονῶ chirotono .

طغمة (جماعة) من τάγμα taghma (فرقة عسكرية) .

طقس (بالمعنى الكنسي) من τάξις taxis (ترتيب) .

طِلّسم من τέλεσμα télezma (قبول اشتراك شخص في طقوس سرية لبعض الاديان الوثنية القديمة) .

فانوس من φανός fanos .

فسفور من φωσφόρος fosforos .

فلسفة من φιλοσοφία filoçofiya .

فنار (مشعل ' منار) من φανάρι fanari (مصباح) .

فُندُق من πανδοχεῖον pandhokiyon

فيلسوف من φιλόσοφος filoçofos .

قانون (قاعدة) من κανών kanon .

قُبرُس (اجود النحاس) من Κύπρος (جزيرة قبرس) Kipros .

قِرميد من κεραμίς kéramis .

قرنفل من καρυόφυλλον kariofillon .

قُلقاس (نبات) من κολοκασία kolokaciya .

قلم من κάλαμος kalamos (قصب) .

قلمون (حيوان) من χαμαιλέων khaméléon المركبة من χαμαί khamé (على الارض) و λέων léon (اسد) .

قِلّية (حُجرة ناسك او راهب) من καλιά kalia (كوخ) .

قُنّب من κάνναβος kannavos .

قُنّبيط (نبات) من κουνουπίδι kounoupidhi .

قُنداق (نص قصير حاوٍ مختصر موضوع العيد اليومي في بعض الطقوس) من κοντάκιον kondakion .

قندلفت من κανδηλάφτης kandilaftis ' التي معناها الحرفي مُشعل القناديل .

١) يتضح للقرّاء تغيّر معنى الكلمة اليونانية بعد انتقالها الى لغتنا .

قنديل من κανδήλα kandila (مصباح زيتي) .
قيثارة (آلة طرب ذات اوتار) من κιθάρα kithara .
قيراط من κεράτιον keration ' التي معناها الحرفي قرن صغير .
كاتدرائية من καθέδρα kathedra (كرسي) لان الكاتدرائية كنيسة الكرسي الاسقفي .
كاثوليكي من καθολικός katholikos (عامّ) لان الكنيسة الكاثوليكية تعم العالم .
كُرُنب (نبات) من κράμβη kranvi .
كِنّارة (نوع من الورد) من κινάρα kinira .
كُندُر (نبات) من χονδρίς khondhris .
كيلوس (عصير الاطعمة المهضومة) من χυλός khilos .
لُبان (كُندُر) من λίβανος livanos .
لوبياء (نبات) من λουβί louvi (بقلة وهي النطاء المستطيل الذي فيه حب بعض النباتات) .
مِتر من μέτρον métron (قياس) .
مجوسي من μάγος maghos (ساحر ' كاهن من كهنة ايران القدماء) .
مرمر من μάρμαρον marmaron .
مصطكى (شجر) من μαστιχιά mastikhia .
مغناطيس من μαγνήτης maghnitis .
ملنخوليا (السوداء) من μελαγχολία melankholiya المركبة من μέλας mélas (اسود) و χολή kholi (مِرّة الكبد) .
مُلوخيّة (نبات) من μολόχη molochi (خُبّازة) بسبب الشبه الكبير بين هذين النباتين .
منجنيق (آلة حربية لرمي القذائف) من μηχανικός mikhanikos (ميكانيكي) المشتقة من μηχανή mikhani (آلة حربية) .
مَيرون من μύρον miron .
ميكروب من μικρόβιον mikrovion .
ميل من μίλιον milion (الميل الروماني بطول الف خطوة) المشتقة من الكلمة اللاتينية mille (الف) .
ناووس (حجر منقور لدفن ميت ' مقبرة النصارى) من ναός naos (معبد ' كنيسة) . ربما كان سبب تطور معنى الكلمة العربية وجود معبد في المقابر .
نردين (نبات) من νάρδος nardhos .
نطرون (مادة كيماوية) من νίτρον nitron .
نفط من νάφθα naftha .
نوتيّ من ναύτης naftis .
هالة (دائرة نيّرة تحيط احيانًا بالقمر) من ἅλως alos .
هدروجان من ὑδρογόνον idhroghonon .
هرطقة من αἵρεσις érécis .
هرطوقي من αἱρετικός érétikos .
هيولى (المادة في الفلسفة) من ὕλη ili .

الفصل الثالث : بعض الكلمات المقتبسة من السريانية

اللغة الآرامية الغربية ' المشتق اسمها من آرام ' اسم سورية في العبرانية '

قد انتشرت بلهجات مختلفة في الاناضول، سورية، لبنان، فلسطين، مصر وشبه جزيرة العرب، ولا يزال يتكلم بلهجاتها الجديدة اهل ضيعة معلولا الواقعة في شرق دمشق وسكان بقعة من العراق مجاورة لمدينة الموصل واهالي ناحية اورمية في ايران. السريانية لهجة من لهجات الآرامية الغربية، وقد بلغت آدابها اوج الكمال من القرن الثالث الى الثامن. في تلك الحقبة كانت لهجة الرها[1] السريانية اللغة الادبية الوحيدة لكل نصارى الشرق الادنى. ثم ضاق نطاقها شيئاً فشيئاً بعد الفتح العربي، فصارت لغة كنسية، لا غير، تتلى بها بعض صلوات القداس في طائفتي الموارنة والسريان. حين الفتح العربي كان ادباء سورية دائبين على ترجمة اشهر مؤلفات اليونانيين الى السريانية، وقد حفلت اديار رهبانهم بتلك الترجمات النفيسة، فتردد اليها كثير من ادباء العرب ونقلوا الى لغتهم قسماً كبيرًا من كنوزها.

مع ذلك لم تخلف السريانية مئات الكلمات الا في لغة لبنان العامية، وقد ذكر كثيراً منها الخوري يوسف حبيقه في الجزء الثالث من مجلة المشرق لسنة ١٩٣٩. اما العربية الفصحى فلم تقترض من السريانية سوى عشرات الالفاظ. في الجدول التالي نجد منها ٢١ مختصة بالدين المسيحي، و١٠ لتسمية اشهر السنة لم تنتشر في مصر. لدقة الدلالة على لفظ تلك الكلمات وغيرها قد استعملنا الابجدية اللاتينية المضافة اليها عدة حروف مختصة باللغات السامية، وهي التي استحسنها معظم المستشرقين.

آب (الشهر) من إُب ob.
الآب (في الثالوث الاقدس) من أَٰبا abo.
آذار من أذر odor.
اقنوم (شخص) من قنوما qnoumo.
ايار من أيّر iyor.
ايل (حيوان) من إيلا aïlo.
ايلول من إيلول ailoul.
باعوث (صلاة ثاني عيد الفصح) من بُعوثا bo'outo (صلاة؛ طلب).
برّاني (خارجي) من برّيا baroyo.
برشان من فورشون fourchon (تقدمة، خبز القربان المقدس).
ترعة (قناة عميقة) من تورعتا tour'to.
تشرين من تشرين techrin.
تلميذ من تلميذا talmido.
تموز من تموز tamouz.

1) الرها مدينة قديمة غنية توجد آثارها في جنوب تركية الشرقي، وقد صار اسم المدينة الواقعة بقرب تلك الآثار اورفا.

تنور من ܬܢܘܪܐ tanouro .
جبّرت وجبروت (قدرة عظيمة) من ܓܒܪܘܬܐ gaboroutho .
جوّاني (داخلي) من ܓܘܝܐ gawoyo .
حزيران من ܚܙܝܪܢ hziron .
دشن (اعطى) من ܕܫܢ dachen .
دمية (صورة ، صنم) من ܕܡܘܬܐ dmoutho .
دنح (عيد الغطاس) من ܕܢܚܐ denho (إشراق ، ظهور) .
دير من ܕܝܪܐ dairo (مسكن ، دير) .
رشم (كتب) من ܪܫܡ reham (رسم ، كتب) .
زبون من ܙܒܘܢܐ zobouno (مشترٍ) .
زفّر (اكل اللحم) من ܙܦܪ zfar (توسخ[1]) .
زيّاح (زياح القربان او غيره) من ܙܘܝܚܐ zouyoho (تطواف) .
زيّح (زيّح القربان او غيره) من ܙܝܚ zayah (طاف) .
سكّر الباب (اغلقه) من ܣܟܪ skar (اغلق) .
سلّاق (عيد صعود السيد المسيح) من ܣܘܠܩܐ souloqo (صعود) .
شليح (رسول) من ܫܠܝܚܐ chliho .
شباط من ܫܒܛ chbot .
شبين (كافل الطفل في العماد ، شاهد سر الزواج) من ܫܘܫܒܝܢܐ chouchbino .
شحيم (كتاب فرض الكهنة عند الموارنة والسريان) من ܫܚܝܡܐ chhimo (بسيط) .
شلح (عرّى) من ܫܠܚ chalah .
شمّاس من ܫܡܫܐ chamocho (خادم) .
صنم من ܨܠܡܐ salmo (صورة ، صنم) .

عربون من ܥܪܒܘܢܐ ʿarbouno (كفالة ، رهن) .
عمّد (منح سر العماد) من ܥܡܕ aʿmed (اغطس ، عمّد) .
فدّان وفدان (ثوران يقرنان للحرث) من ܦܕܢܐ fadono .
فرزل (قيد) من ܦܪܙܠܐ farzlo (حديد ، آلة من حديد ، قيد) .
قبعة من ܩܘܒܥܐ qoubʿo .
قدّاس من ܩܘܕܫܐ qoudocho .
قسّيس من ܩܫܝܫܐ qachicho (شيخ ، كاهن) .
كانون (شهر) من ܟܢܘܢ konoun .
كبرح (بيت ناسك او راهب) من ܟܘܪܚܐ kourho (كوخ ، مسكن حبيس) .
كرفس (نبات) من ܟܪܦܣܐ krafso .
كنيسة من ܟܢܘܫܬܐ knouchto (اجتماع ، جمع ، كنيسة) .
كهنوت من ܟܗܢܘܬܐ kohnouto .
لاهوت من ܐܠܗܘܬܐ alohouto .
مار (يعني قديس) من ܡܪ mor (سيّد) .
مطران من ܡܝܛܪܢ metran .
معمدان (القديس يوحنا معمد السيد المسيح) من ܡܥܡܕܢܐ maʿmdono .
معمودية من ܡܥܡܘܕܝܬܐ maʿmoudito .
ملفان من ܡܠܦܢܐ malfono (استاذ ، معلّم) .
ملكوت من ܡܠܟܘܬܐ malkouto .
ميمر (ترتيل قبل قراءة الرسائل في القداس الماروني) من ܡܐܡܪ mimar (عظة ، نشيد ، كتاب) .
ناسوت (طبيعة السيد المسيح البشرية) من ܐܢܫܘܬܐ nochouto .

[1] سبب التوسخ هنا ما يبقى في الاصابع من آثار اللحم .

(در، ذهب، شمعدان ذو عدة فروع).

ناطور (حارس الكرم او نحوه) من ܢܛܘܪܐ notour (حارس).

ناقوس (قطعة طويلة من حديد او خشب يضربونها لدعوة النصارى الى الكنائس، وقد استعملت هذه الكلمة بمعنى جرس) من ܢܩܘܫܐ noqoucho (جرس صغير).

نبراس (مصباح) من ܢܒܪܫܬܐ nabrechto

نيسان من ܢܝܣܢ niçon.

يبروح (نبات اللفاح البري) من ܝܒܪܘܚܐ yabrouho المركبة من ܝܒ (جب) وܪܘܚܐ (روح)، وهما بمعنى منعش او منبه دلالة على خواص اليبروح الطبية.

يوناني من ܝܘܢܝܐ yawnoyo.

الفصل الرابع : بعض الكلمات المقتبسة من لغات اخرى

القسم الاول : بعض الكلمات المقتبسة من العبرانية

لم يكن للعبرانية تأثير يذكر في القاموس العربي، فما اندمج منها فيه سوى كلمات قليلة يدل اكثرها على امور مختصة باليهود ودينهم. قد دللنا على لفظها الاصلي بالحروف اللاتينية لزيادة فائدة قراء الشرق الذين يجهلون الابجدية العبرانية.

افود (ثوب يلبسه الكهنة اليهود في بعض الاحتفالات) من אֵפֹד éfod.

آمين من אָמֵן âmên (في الحقيقة، على وجه اكيد، فليكن هكذا).

اسرائيلي هو الاسم المنسوب الى اسرائيل بن اسحاق، وهو من יִשְׂרָאֵל yisrâel.

تلمود (مجموعة تقاليد علماء اليهود في شرح شريعة موسى) من תַּלְמוּד talmoud (تعليم).

توراة من תורה torâ (شريعة، تعليم).

جهنم من גֵּי הִנֹּם gué Hinnom (وادي هنم). هذا الوادي في جنوب اورشليم وقد كثر فيه قبل مجيء السيد المسيح احراق الاطفال في النار تضحية لمولوخ اله العمونيين.

حاخام (كاهن يهودي) من חכם hâkhâm (رجل عاقل، فيلسوف).

ساروفيم (طبقة من طبقات الملائكة) من שְׂרָפִים seurâfîm، التي معناها الاصلي الاشراف.

سبت من שַׁבָּת chabbâth (يوم الراحة، السبت).

سوسن (زنبق ابيض) من שׁוֹשָׁן cho-chân.

شبور (بوق) من שׁוֹפָר chofâr.

شيطان من שָׂטָן sâtân (عدو، مشتك).

صباؤوت (مجد الله تعالى) من צְבָאוֹת seubâoth (جيوش)، وهي جمع צבא sâbâ.

عنصرة من עֲצָרָה 'asârâ (محفل، عيد).

فردوس من פרדס pardès.

فريسي من פרוש pârouch.

فصح من פסח peçah.

كروبين وكروبيم من כרובים keurou-bîm (طبقة من طبقات للملائكة).

كمون (نبات) من כַּמֹּן kammôn.

لاويّ ، الاسم المنسوب الى لاوي بن اسحاق بن يعقوب ، من לוי Lewi .

منّ (طعام اليهود القدماء حين سفرهم من مصر الى ارض الميعاد) من מן man .

يوبيل من יובל yobel (صيحة فرح ، رنة بوق) .

القسم الثاني : بعض الكلمات المقتبسة من التركية

سلطان الاتراك سليم الاول قد حارب المماليك وانتصر عليهم سنة ١٥١٦ ، فاستولى على سورية ، لبنان ، فلسطين ، ما بين النهرين ومصر . منذئذ الى زوال السلطنة العثمانية سنة ١٩١٨ بعد انكسار الاتراك في الحرب العالمية الاولى ، قد ظلت تلك البلاد خاضعة لسيادتهم وانتشر فيها لسانهم ، على الاخص بين موظفي الحكومة ، واندمجت مئات كلمات منه في اللغات العامية . مع ذلك لم تقتبس العربية الفصحى من التركية سوى كلمات قليلة توجد كلها تقريباً في الجدول الآتي ، وقد اضطرتنا الظروف الى طبعها بغير الابجدية التركية الحديثة .

إسكلة (ميناء من موانئ البحر المتوسط في البلاد التي كانت قبل سنة ١٩١٨ خاضعة لسلاطين تركية) من iskelé المشتقة من الكلمة الايطالية scala (سُلّم) .

بارة (جزء من اربعين من القرش التركي القديم) من para المشتقة من الكلمة الفارسية پاره (قطعة) .

برتقان من portokal التي هي ايضاً اسم بلاد البرتغال ، فقد كثر استيراد ذلك الثمر منها .

برغي من bourghou المشتقة من المصدر bourmak (لَيّ) .

بُقجة (صرة من الثياب او غيرها) من boghtcha (حزمة ، كيس صغير) .

بك من beī (سيد ، امير) .

بوغاز (مضيق في البحر بين ساحلين) من boghaz (حلق ، مضيق) .

بيرق من baīrak .

تِنبَل (كسلان) من tembel .

تنك (صفيحة حديد رقيقة مشبّاة بالقصدير) من ténéké .

توتيا (معدن الزنك) من toutia .

جوخ (نسيج الصوف) من tchokha .

خاتون (امرأة شريفة الاصل او عالية المقام) من khâtoun .

دَوزن العود او نحوه (شد اوتاره المرتخية) من duzen (ترتيب، تآلف الاصوات) .

دَوشك (فراش) من deuchek .

سراية (قصر) من saraī المقتبسة من سراي (بيت) الفارسية .

طبَنجة (سلاح كالمسدس يطلق رصاصة واحدة) من tabandja .

طرخان (لقب عواهل تركستان القدماء ، رئيس) من tourkhân (شخص من الاشراف) .

طُغراء (كتابة مشتبكة الحروف في فرمانات سلاطين تركية وسكوكاتهم) من

طرب ذات وتر واحد بشكل tongura . طنجرة (قدر من نحاس) من tendjéré . إجاصة) .
قاووق (قلنسوة طويلة) من kavouk . لغم (جهاز حربي ينفجر بالاصطدام) من lagheum .
قبّان (ميزان للاشياء الثقيلة) من kapan . قبُز (آلة طرب) من kopouz . وُجاق (موضع النار) من odjak .

فضلاً عن الكلمات السابقة المندمجة في لساننا قد انتشرت فيه عشرات الفاظ اقتبسها الاتراك منه واستعملوها بمعنى غير عربي ، ثم عادت اليه بذلك المعنى الجديد ، فشاع بين غير المتضلعين من لغتنا ، وهم آلاف مؤلفة . قد ادرجنا في الجدول التالي بعض تلك الكلمات ووضعنا بعد كل منها معناها التركي ثم العربي .

كلمات عربية	معناها في التركية	معناها في العربية
استحصال	الحصول على شيء	هذه الكلمة غير عربية
استحكام	توطيد ، تحصين	صيرورة الامر متقناً
استكشاف	اجتهاد للكشف	سؤال شخص ان يكشف شيئاً
اشقياء	لصوص ، عصاة ، ثُوار	تعساء
اعتباراً من	ابتداء من تاريخ كذا	الاعتبار بالامر : الاتعاظ به
انفعال	استياء ، غضب	مطاوع فعل
ايراد	دخل	إحضار المورد ، الاحضار مطلقاً
تبخُّر	تحول الى بخار	تطيُّب بدخان ما يُحرق
تبييض	نسخ نص بعد تنقيحه	جعل الشيء ابيض
تحرير	كتابة ، تسجيل	تحرير كتاب : تحسينه ، تصحيحه
تحصيل	درس ، تعلم	الحصول على شيء
تشريف	وصول ، انطلاق ، زيارة	منح الشرف
تعجيز	إضجار ، إزعاج	جعل شخص او عدو عاجزاً
تعصُّب	تعلق مُفرط بالدين	غيرة على الدين ، الدفاع عنه
تقليد	تشبه	وكالة عمل او وظيفة الى شخص
حظ	لذة ، فرح	نصيب
رسم	مكس	الامر بشيء ، تمثيل هيئته
فريق	قائد فرقة كبيرة من الجيش	جماعة
قصور	عيب	نقص الخ .
مخابرة	مكاتبة ، تبادل اخبار	مزارعة شخص بمشاطرته وجهه
مرخص	مندوب	مجوّز ترخيصاً

كلمات عربية	معناها في التركية	معناها في العربية
معاش	مرتب موظف او غيره	ما تعيش به من طعام وشراب
مقاولة	عقد ، اتفاق	مباحثة ، مجادلة
موسم	وقت ، فصل من فصول السنة	عيد كبير الخ
نفر	شخص ، جندي بلا رتبة	الناس كلهم ، جماعة رجال من ٣ الى ١٠
هوس	ميل ، شهوة	شيء من الجنون ، خفة العقل

القسم الثالث : بعض الكلمات المقتبسة من اللاتينية

هذه الكلمات قليلة جدًا ، ولا رابطة بين معانيها ، ونرجح ان اكثرها قد اندمج في العربية بواسطة اليونانية او الايطالية .

أسطبّة (مشاقة الكتان) من stuppa .
إسطبل وإصطبل من stabulum .
إفريز (طنف بناء) من phrygium الاسم المنسوب الى Phrygia ، وهي قطر كان يسكنه شعب قديم في آسية الصغرى .
امبراطور من imperator .
دينار من denarius (نقد من الفضة عند الرومان) .
سجلّ هي على الارجح من sigillum (ختم) بسبب عادة وضع الختم على ما قيد في السجل من العقود ونحوها .
سجنجل (مرآة) هي على الارجح من sexangulum (مسدّس الزوايا) ؛
النعت الدال على شكل بعض المرائي .
فسقيّة (حوض) من piscina (حوض ماء لتربية السمك) المشتقة من piscis (سمكة) .
قلنسوة (نوع من ملابس الرأس) هي على الارجح من calantica (ملبس للرأس من نسيج يختص بالنساء) .
قنطاريون (نبات) من centaurium .
قيصر (لقب عواهل الرومان القدماء) من caesar .
كِلس من calx .
كمرك من commercium (بضائع ، سوق) .

القسم الرابع : بعض الكلمات المقتبسة من الايطالية

قد تواترت العلائق التجارية مدة عصور بين دويلات ايطالية المستقلة واقطار الشرق العربي ، فنتج عن ذلك شيوع مئات كلمات ايطاليـة بين شعوب تلك البلاد ، ولا سيما المتعلقة بالتجارة والبضائع . بيد ان اكثرها قد ظل محصورًا في اللهجات العامية ولم يندمج في لغتنا الفصحى . هاكم بعض الامثلة عليها من لهجة لبنان :

سكوت من biscotto ' بندوره من pomodoro ' بوسطه من posta ' تياترو من teatro ' بيره من birra ' جيرو (تحويل شك او نحوه) من giro ' سيكورتا (تأمين) من sicurtà ' صالون من salone ' طاوله من tavola ' فاتوره من fattura ' فبركه ' fabbrica ' كبّوت (رداء) من cappotto ' كرّوسه (عربة) من carrozza ' كريزه (ازمة) من crisi ' كلسه (جورب) من calza ' كمبيو (صرف) من cambio ' كونترانو من contratto ' مركه (علامة مختصة ببضائع معمل) من marca ' مكنه من macchina ' موبيليا (اثاث) من mobilia .

اما الكلمات الايطالية المستعملة في العربية الفصحى ، فاكثرها في الجدول التالي :

إفرنج (سكان اوربة ما عدا الاتراك) من franchi (بالفرنسية francs) وهم ابناء القوم الجرماني الذي استوطن غالية من القرن الثالث الى الخامس ، ثم أطلق اسمه عليها فسميت فرنسة .
بالة (كيس قطن او غيره) من balla .
بركان من vulcano .
برميل من barile .
برنيطة من berretta .
بسلّى (بقلة) من piselli .
بطاطة من patata .
بنطلون من pantaloni .
بنك (مصرف) من banco .
بورصة (مصفق) من borsa .
بوقال (كوز بلا عروة) من boccale .
بوليصة (سفتجة ، بيان) من polizza .

ترسانة (مستودع ادوات وذخائر حربية) من darsena (مرسى السفن في ميناء) .
خارطة وخريطة (رسم بلد او بلاد) من carta .
سمسار من sensale .
سردينة...

فاصولية (بقلة) من fagiuolo .
فرن (مخبز) من forno .
قرصان (لصوص البحر) من corsari .
قنصل من console .
كمبيالة (سفتجة) من cambiale .
مكرونة من maccherone .
موسيقى من musica .

---

١) اسمها في لهجة مصر طاطِم ، وليس لها اسم في اللغة الفصحى لان منبتها الاصلي في اميركة .

القسم الخامس : بعض الكلمات المقتبسة من الفرنسية

كان ارتباط تجارة الشرق العربي بفرنسة منذ القرون الوسطى اقل جداً منه بايطالية ، ومن اسباب ذلك قرب هذا القطر من بلادنا . فلا بدع بان نرى للفرنسية تأثيراً لا يكاد يُذكر في العربية ولهجاتها العامية . هاكم اكثر الكلمات الفرنسية المندمجة في لغتنا الفصحى :

بروتستاني من protestant .
بكالورية من baccalauréat .
برلمان من parlement .
بوليس من police . .
تلفزة (الرؤية عن بعد) من télévision .
جنرال (قائد جيش) من général .
دُكتور (طبيب ، اسم ذوي اعلى درجة من الناجحين في الفحوص الجامعية) من docteur .
راديو (مِذياع ، اذاعة) من radio ، وهي مختصر radiophone .
سردين (سمك) من sardine .
سينما من cinéma ، وهي مختصر ciné-matographe .
كرتون (ورق مقوّى) من carton .
كردينال من cardinal .
مارشال من maréchal .
ماسوني من maçon بمعنى franc-maçon .
مليون من million .
مليار من milliard .

القسم السادس : بعض الكلمات المقتبسة من لغات شتى

لا شك في ان تلك الكلمات تُعد بالعشرات ، غيرانه يصعب جداً جمعها وتحقيق اصلها ، فلا مندوحة لنا عن الاكتفاء بذكر شيء منها بعدما تأكد لنا مصدره .

من الاسبانية

بلاتين (معدن ثمين) من platina المشتقة من plata (فضة) .
سيكارة (لفافة التبغ) من الفعل cigarar (لف بالورق) .
كنار وكناريّ (طير) من canario ، وهو طير موجود بكثرة في جزائر كناري الواقعة بقرب ساحل مراكش الجنوبي ، وقد سماها العرب الجزائر الخالدات .

من الانكليزية

ترامواي من tramway المركبة من tram (قضيب غير ناتئ عن الارض لسكة

حديدية) و way (طريق) ، فمناها طريق مصنوع بقضبان حديد غير نائة عن الارض.
شِك (حوالة على مصرف) من cheque المشتقة من check (تحقيق حساب) .
فِلم من film .

من الهولندية

يخت (سفينة فاخرة للنزهة او لبعض الاحتفالات) من yacht .

من الارمنية

زُنْبُرُك (نابض) من zeusbanag المشتقة من المصدر zeusbel (قهر ، كبح) .
مكّوك (وعاء حاوٍ خيط اللُّحمة يُمرّره الحائك بين خيوط السدى) من ma- gouyg (زورق صغير) ، لان المكوك بشكل زورق دقيق .

نظرة عامة في الكلمات الدخيلة

قد ذكرنا في الجداول السابقة من هذه الكلمات ٢٢٠ فارسية ، ١٣٠ يونانية ، ٦٣ سريانية ، ٢٢ عبرانية ، ٢٥ تركية ، ١٣ لاتينية ، ٢٤ ايطالية ، ١٦ فرنسية ، ٩ من لغات اخرى[1] ، فيبلغ مجموعها ٥٢٢ ؛ تلك هي التي ايقنّا او رجحنا حقيقة اصلها الاعجمي . واذا فرضنا انّ عدد كل الكلمات الدخيلة حول ثلاثة ، فهو نحو جزء من ثمانين من قاموسنا ، فان الفاظه لا تقل عن زهاء خمسة وستين الفاً . من ثمّ يتضح ان لغتنا في مجموعها متجانسة العناصر كالارمنية والمجرية ، بينما نجد في معاجم الانكليزية والتركية والفارسية آلافاً مؤلفة من الكلمات الدخيلة .

قد ابدى العرب القدماء شدة ذكائهم وغيرتهم على لسانهم اذ اغنوه ببنات الالفاظ الاعجمية التي لم يكن فيه ما يؤدي معانيها ، غير انهم قد جعلوها على صيغ عربية او شبيهة بالعربية ، ولهم من المهارة في ذلك التحويل ما يُقتدى

١) في هذا الاحصاء قد غضضنا النظر عن وجود صيغتين في لغتنا بالمعنى ذاته لبعض الكلمات الدخيلة ؛ كما ترى في بولاد وفولاذ .

منه العجب . وايم الحق، هل يخطر ببال غير الخبراء كون كلمة بستان مقتبسة من الفارسية ، برج من اليونانية ، ترعة من السريانية ، فصح من العبرانية ، طنجرة من التركية ، دينار من اللاتينية ؟

اما ورثاء لسان العرب المعاصرون فنرى فيهم نفوراً مفرطاً من اغنائه باقتباس الكلمات الناقصة فيه من لغات الاعاجم ، مع ان اغنى لغات الغرب بالكلمات والآداب ، كالفرنسية والانكليزية والالمانية ، لا تزال تزيد ثروتها اللفظية على ذلك الاسلوب الرشيد . الكلمتان تلغراف وتلفون اليونانيتا الاصل قد اندمجتا في قواميس اكثر لغات اوربة ، وقد اشتقت منهما افعالاً ونعوتاً وظرفيات (adverbes) . اما نحن فقد خفنا خوفاً غير معقول من تشويه لغتنا باقتباسهما ، فسمينا التلغراف برقاً والتلفون هاتفاً ، وهما اسمان مبهمان لا يدلان على المعنيين المقصودين دلالة واضحة . فعسى ان نقتدي برحابة عقل العرب الاقدمين وبفطرتهم الفطنة على لغتهم ، فنُغنيها كما فعلوا ، بنات كلمات نُفرعها على مثالهم في قوالب الصيغ العربية بقدر الامكان . انما الاقتراض العلاج الناجع للعوز .

حبيب زيات

١٨٧١ – ١٩٥٤

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

هو ذلك العالم الواسع الاطلاع المولع بالتنقيب والبحث ولم ينشر يوماً مقالًا مبتذلًا بل كان يدأب دائمًا وراء مخطوطات العهد العباسي الذي كان يحبه عساه ان يجد فيه المادة التي تشبع روحه المتعطشة الى الحقيقة وعساه ان يستنح الفرصة ليضبط اقوالًا تناقلها مؤرخو الادب بدون تحقيق اعتبروها صحيحة. ولم يكن هذا الرجل العلامة يرتضي بان يردد اقوال الذين سبقوه بل كان يعتبر ان مجال التنقيب ما برح فسيحاً وان ثمة حقولًا ، وان نقبوا فيها مرات عديدة، ما زالت تشتمل على امور جمة تقتضي المنقب الحقيقي طوال اناة وصبر وجلد.

ولقد عاشرت حبيب زيات واطلعت عن كثب على طويته وذلك منذ سنة ١٩٤٦ وتمكنت ان اميّز في عقله المتعطش الى المعرفة ، في عقله الثاقب ، حب الاستطلاع وتحري الحقيقة التي لم يحترم سواها .

وحبيب زيات كان يضمر في قرارة نفسه حباً للناس اما اذا اقتضاه الامر للدفاع عن الحقيقة فلم يكن حبه لهم يثنيه عن البوح بها . وانني لا ازال اذكر ثوراتٍ كان يعدّها وما كان يعتريه من مضض اذا كان مضطراً للجهر ببعض الحقائق، فقد كنت احسّ ان في صدره قوة تسوقه الى التصريح بها وان جرحت مؤلف الكتاب . وما قامت شهرته الا على حكمه الصائب وثقافته الواسعة وتضلعه من اقوال الادباء القدماء. مما كان يحمل الجميع على ان يعلقوا اهمية كبرى على نقده .

والذي ينبغي لنا ان لا ننساه هو ان حبيب زيات قد بدأ حياته في التجارة ولم يستطع ان يتمشى في اوضاع ربما اقتضته ان يتسامح مع ضميره . ففضل اتخاذ الكتب اصدقاء له والفراغ الى التحدث اليها باطول الاحاديث واشدها جدوى على غرار الجاحظ ، فالكتاب صادق ولا ينتفض ، عند النقد ، انتفاض الانانية الجريحة العنيف ، وبالاستطاعة تقليب صفحاته بدون ان يعارضك معارض ،

ولذلك من المستحسن ان تعقد معه اواصر الصداقة . فجال في مدن اوروبا زائراً مكاتبها مقلباً مخطوطاتها وقاطفاً منها ما يروق ذوقه الصحيح والدروس التي وقف لها حياته فكان ينتقل من باريس الى ليدن الى الفاتيكان الى مدريد فالاسكوريال فلندرة الى غيرها من المكاتب الكبرى التي كان ينوي زيارتها للمرة الثانية او الثالثة ثلاثة اشهر قبل موته[1] . وكان يؤكد لي في تشرين الاول الماضي ان في نيته التنقل في مكاتب باريس وليدن والبريتش موزيوم للوقوف على بعض المصادر لدراسات مقبلة .

٥

ولقد قلت ان حبيب زيات كان يحاول التعمق في تاريخ العهد العباسي وخاصة ان يتلخص الحقيقة فيما يتعلق بمسيحيي الشرق من جميع ما كانت تشتمل عليه تلك المخطوطات من وجهات نظر تستوجب الالتفات اليها ولم تكتشف بعد . وكانت ادق التفاصيل تحتل مقاماً هاماً في نظره لان عهداً لا يمت حياً في احداثه الجسام التي امتاز بها فحسب ، وانما يستمد غالباً طابعه الخاص من احداثه الصغيرة . ألم يضع احد كبار المؤرخين الفرنسيس ، لنوتر (Lenôtre) ، سلسلة كتب عنون لها بكاملها « التاريخ الصغير في خدمة التاريخ الكبير » . ولئن قلت ان حبيب زيات كان يهتم لكل شاردة وواردة فلا يعني ذلك انه كان يهتم للتفاصيل فقط ويحلها محلاً ممتازاً ويهمل الاحداث العظيمة .

ولا يستطيع من يتصفح « الخزانة الشرقية » الا ان يتحقق غزارة تفاصيله وفكراته الكبرى في شتى مقالاته في هذه المجموعة المشتملة على دراسات عديدة في موضوعات مختلفة .

وكان حبيب زيات يرتاح الى نشر مقالاته في المسرة ومجلة الشرق الادنى المسيحي ولاسيما مجلة المشرق التي كان يحبها ويحب ان يدعوها مجلته ، وكان يحب ان يذهب بمقالاته لمقابلة جميع المستشرقين في انأى اقطار المعمور ليطلعهم على شؤون يجهلونها .

ولئن اطلعنا على مجموعة الخزانة الشرقية وغيرها من كتاباته كخزائن

١) راجع مقال السيد حبيب سيوفي ، المسرة ، آذار ١٩٥٤ ، ٢١٦

الكتب في دمشق وضواحيها ، والصليب في الاسلام ، واديار دمشق وبرّها في الاسلام ، والديارات النصرانية في الاسلام ، وسمات النصارى واليهود في الاسلام ، وخبايا الزوايا في تاريخ صيدنايا ، والملكيون في الاسلام لتولتك الدهشة من شدة دقة ملاحظته وغزارة علمه ولا سيما دقته الوجدانية اذا ما تعرّض للتمحيص في قراءة ما يشك فيها ، فيأخذ بمناقشتها ليرفضها او يسلّم بصحتها .

لقد ذهبت يوماً لأراه في دمشق واتفقت معه على طبع مخطوط كبير الاهمية . فذهبنا معاً الى المكتبة الظاهرية ومكثنا هناك . اما هو فطفق يعمل واما انا فاخذت اقلب المخطوطة التي استحسنتها . بيد ان وفرة الاسناد فيها ، اذا ما طبعت طبعاً حديثاً ، تفضي الى الملل . فلم يرضَ بحذفه او بتره وطالب بالابقاء على الاسناد جميعه . واذ عدنا الى داره واستأنفت الحديث معه بالامر ضرب لي مثل احد اصدقائه الذي نشر مخطوطاً وبذل فيه لسوء الحظ كلمة على اعتقاد منه انه احسن في صنعه فما كان منه الا انبه تأنيباً مريراً .

وما هاتان الحادثتان الا مثلا صغيراً من اعماله الكثيرة التي تدل جميعها على صفاء عقله وصدق علمه .

اما التنظيم فقد كان رائده في حياته الشخصية وفي مكتبته ليدل دلالة صريحة على سيطرته على نفسه سيطرة كاملة وعلى صيانة نظاره وبعده في العمل .

ولشدّ ما زرته بمنزله في نيس وتحدثنا معاً عن مصنفاته التي كان مزمعاً ان ينشرها او عن شروح كان له ان يزيدها في دراسات عتيدة . فكان يتجه بكل سهولة نحو ادرج طاولته الناصة بكل ضروب العلوم المكدّس بعضها فوق بعض منذ سنين عديدة او الى خزانة كتبه ويتناول منها مصنفاً مطبوعاً او مخطوطاً ويفتحه بيد مرنة في الصفحة التي كنا نتحدث عنها .

ومـا على القارئ الا ان يطّلع قليلاً الى خطّه المستقيم المتسق والذي ظل كذلك حتى اخر ايامه . وما هي الا بضعة ايام بعد ان غادرته في شهر تشرين الاول الماضي حتى بعث اليّ برسالة لم يكن خطه فيها يختلف عما كان يكتبه قبل ذلك لسنين عديدة .

ولماذا لا نتحدث عن انشاء حبيب زيات . والانشاء هو صورة عن الانسان. لقد كانت لغته صافية وخالية من الشوايب ، وكلماته منتقاة وعبارته سيالة جزلة واضحة لانه كان متمكناً من مفرداته ليعرب عما يريد الاعراب عنه بدون زيادة او نقصان وبدون تشويش وحذلقة .

فمن قائل يقول : كل هذا تفاصيل وهنات ! . . . فما اكثر الذين يعدون انفسهم سعداء اذا تميزوا بمثل هذه « الهنات » ليتركوا للخلق ما يحاكي تلك الاستقامة والدأب في العمل والنظر الثاقب والتعلق بالحقيقة على شاكلته . ان حبيب زيات سيترك بعده الذكرى .

٥

لم يغب عن نظر ذلك الرجل الذي سبر غور العهد الذي درسه والبحوث التي دأب في متابعتها الامر الجوهري لانه لم يتفق لي قط ان صحبته مرة الا وحدثني عن القضية الدينية . ولقد احببت فيه تعلقه البنوي بامنا الكنيسة الكاثوليكية الشاملة المقدسة تعلقاً خالياً من التباهي والتصنع . فحبه لها كان حب ابن كريم صادق ويشجيه احياناً بعض الظاهرات الخارجية لامه الكنيسة بيد ان ذلك الحب كان مطرد النمو وحراً .

واذا انضجته آلام سنيه الاخيرة ادرك حبيب زيات سر هذه الآلام التي تشهد ولادتنا وتصحبنا في شتى تقلبات حياتنا ولا تغيب ابداً عن افراحنا وشدائدنا ، فهي تصحبنا بين ذراعي الاب السرمدي لنقدم له وفاءنا كعربون عن تعلقنا به ولتشفع بنا لديه .

وحبيب زيات كان ابناً للكنيسة مطيعاً . اما ما استطاع ان يكتشفه فيها من ضعف بشري فلم يثنه قط عن التعلق بها وسماعه لها واتحاده اتحاداً كاملاً بها . فانها كانت في نظره الام الحنون . وكفى .

وفي شهر تشرين الاول الماضي حدثني عن ذلك والدموع في عينيه فانه كان يشعر بدنو الاجل . . . لا بل كان ، كما قدمنا ، يروم الذهاب الى الاسكوريال وكمبريدج وليدن وغيرها من المكاتب . . . وما كان يفكر ان المنية ستعاجله بمثل تلك السرعة مع انه كان يعرف ان الانسان لا يستطيع البقاء الى الابد على هذه الارض فخفف سيره لملاقاة ربه الاخيرة الدائمة .

وهكذا كان شاعلاً فكر حبيب زيات اولًا انه ما برح عليه ان ينجز في حياته اعمالًا اخرى وثانياً ان من واجبه ان يستمد استعداداً اكمل لهذا اللقاء الاخير .

كان حبيب زيات عاملًا صالحاً في ميدان العلم وعاملًا صادقاً في سبيل الحقيقة التي تقول له بدون ريب : تعال ايها الخادم الامين فقد اخذت خمس وزنات واشتغلت فربحت خمساً اخر فادخل ملكوت سيدك .

وحبيب زيات سيبقى في نظرنا الرجل العالم الذي عرف ان يخدم ربه بوجدان مستقيم والعلمَ بوجدان لا يقل عن ذلك استقامة واخلاصاً .

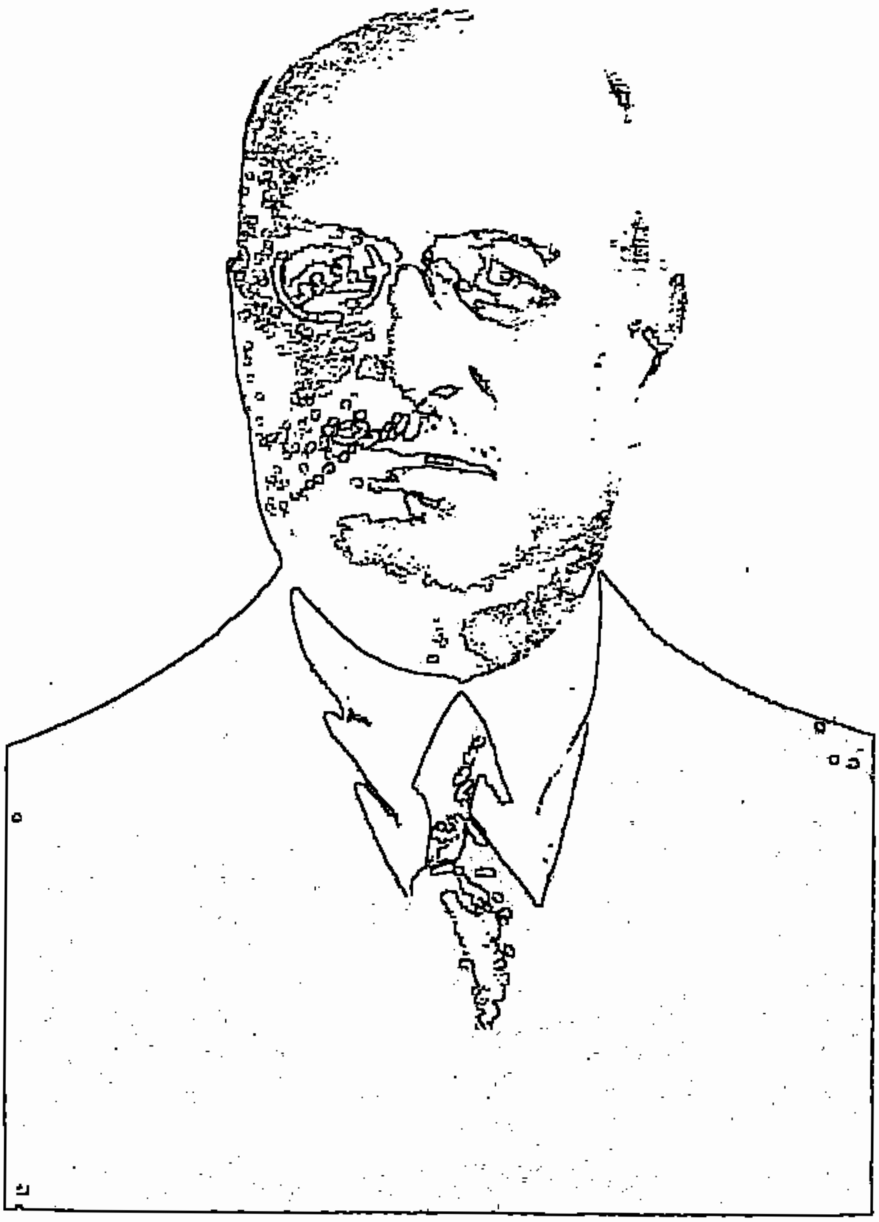

حبيب زيات

١٨٧١ — ١٩٥٤

تعريف عن الكتب

الكتاب المقدس

العهد الجديد

نقله عن اليونانية وعلّق عليه الاب جورج فاخوري البولسي

مطبعة الاباء البولسيين – حريصا – لبنان ١٩٥٣

ان ما وقع فيّ وقعا جميلاً حيال هذه الترجمة للعهد الجديد هو بساطة اللغة وضبط ترجمة العبارات اليونانية وتقسيم الفصول والفقرات . ولئن اطربت ترجمة سهلة قراءتها فما ذلك بالامر اليسير ، لانها تدني المؤمن من الله ومن كلمته . وليس بالقليل ان نطرى العبارات العربية الموفقة لتأدية معنى الكلمة اليونانية الاصلية. اما الاخراج فله شأنه الكبير ليحفزنا على مطالعة هذه الترجمة الجديدة. ولقد عرف المؤلف كيف ينبغي له ان يختار الفاظه العربية التي تؤدي معاني الكلمات اليونانية مع ما لها من قرائن في كل تعبير . واليك المثل على ذلك. فلفظة gnosis لها معنيان مختلفان ولقد احسن المؤلف بترجمتها« معرفة » لا «علما» وباستطاعتنا ان نذكر امثالا كثيرة .

ولئن سمّى المؤلف ترجمته جديدة فهي بمظاهرها مقتبسة عن الترجمات السابقة . أجل لم يكن بمقدوره ان يفعل غير ما فعل لان جميع المترجمين الذين سبقوه قد سعوا ايضاً للاستناد الى النصّ الاصلي وان يتابعوه عن كثب .

وكنا نودّ ان يضع المترجم في آخر ترجمته جداول الطقوس الشرقية كلها للرسائل والاناجيل التي تقرأ في القداس الالهي وان لا يقتصر على ما يتعلق بالطقس البيزنطي فقط .

ونحن نتمنى توفيقاً كبيرا لهذه الترجمة .

ا. ع. خ.

سير قديسين وكتب دينية

Mgr Jean de Hemptinne, o.s.b. : *L'Ordre de Saint Benoît.* — 3e édit. revue. — Édit. de Maredsous, 1951. — 138 pp.

تضع الطبعة الجديدة الثالثة لكتاب الاسقف de Hemptinne في متناولنا النص الاساسي المنبثق من يراع حكيم بنوي . وقد ضمّت اليه ملاحق صغيرة.

ويطلعنا المؤلف بجلاء وحماسة كبرى على باطن روح رهبانية القديس مبارك. والاحداث الثانوية لا قيمة لها في نظره الا على قدر ما تشتمل عليه من الروح الصادق المنبعث من حياة الرهبانية . اما التاريخ فيمثل مقاماً ثانوياً في اعتباره بالنسبة الى روح القديس المؤسس .

والذي يشهد على هذا الامر هو كيفية عرض الكتاب الذي درس فيه قبل اي امر آخر كان مقصد القديس مبارك الاول، هذا المقصد الذي انبثق منه مفهومه للصلاة والشغل ، ومفهومه الخاص الذي ميّز رهبانيته . وبالاستناد الى ذلك القى المؤلف نظرة عجلى على تنظيم الدير وخلص الى لمحة تاريخية لبدأة الرهبانية والى حالتها الحاضرة .

ونحن لا يسعنا الا شكر المؤلف لانه عرّفنا بشكل شخصي الى الروح التي تدبّ الحياة في هذه الرهبانية عبر الاجيال . فالقديس مبارك يحيا بالروح التي تنعش ابناءه . ا. ع. خ.

Dom I. Ryelandt : *Saint Benoît, sa physionomie morale.* — Édit. de Maredsous, 1952. 123 pp.

هذا الكتاب الصغير الغزير المادة ليس الا من اربعة فصول . ولقد استنبط المؤلف من صورة المؤسس القديس المعنوية دراسة حيوية للرهبانية التي شيّدها . فحاول اولاً متكئاً على القواعد التي سنّها القديس مبارك نفسه دراسة الروح التي تنبعث منه ، ومن ثم بحث في اقوال القديس غريغوريوس ليستنبط منها سمات الرجل الرئيسية الذي هيمن على الحياة النسكية في العصور الاولى .

وقارن المؤلف عقب ذلك بين روح القديس فرانسوا دي سال والقديس مبارك فوجد وجوه شبه عديدة بين ذينك العلامتين . علامتي الحياة الروحية ،

وعلى رغم ان اولها كتب للرهبان وثانيها كتب للعلمانيين فالقرابة الوثيقة بينها قائمة على وحدة المبادئ وعلى طريقتها الاعراب عنها .

واننا لنشكر المؤلف لتوفيقه في دراسة النفسية الدينية لاننا لا نفهم كتاب احد ما لم نربطه ربطاً صحيحاً بصورته الشخصية وبالحوافز الباطنية التي شحذت عزيته ليضعه .

ا. ع. خ.

Rev. Joseph Eid. D.D., Ph. D.: *The Hermit of Lebanon Father Charbel.* — Paulist Press, New York. 1953, 110 pp.

يطيب لنا ان نقرأ كتاباً حسن الاخراج ككتاب الاب عيد المطبوع على ورق صقيل والمخرج اخراجاً انيقاً . ولسنا نستغرب هذا الامر اذا ما رأينا جميع المطبوعات الاميركية لما وراء البحر . ومع هذا فامر اناقة الطباعة ليس ذات اهمية في نظرنا على قدر ما يطيب لنا ان نثني على المؤلف لانه جلب انتباه القارئ الى « قضية القديس شربل » في الفصول الاولى . وانما هناك قضية ثابتة. واننا من نكد الحظ بعد هذه البداءة الرائعة يقع نظرنا فوراً في بسط الموضوع على خلل في التنسيق لا يبعث الى الارتياح . فما الداعي لمكان فهرست مؤلفات الكاتب والصلاة لتطويب الراهب القديس الذي ما برحنا في سياق الحديث عنه ؟ ومما نرغب فيه هو ان يعمد المؤلف في الطبعة الثانيــة الى تنسيق افضل لكتابه الذي يحتوي دون شك على براعة نبيلة لتعريف بطله .

واننا لم نعثر على شيء جديد لم نكن نعرفه من كتاب الاب شبلي القيم. اما المؤلف فكان بمقدوره ان ينتحي وجهة نظر تؤول الى توحيد اقواله ومكتشفاته واما ما جئنا به من نقد فلا يقلل شيئاً من قيمة هذا التأليف.

والامر الاكيد ان الكتاب ادى شهادة رائعــة في الاوساط الاميركية على قداسة الراهب اللبناني الزهدية الانجيلية .

ا. ع. خ.

P. Daher : *Vie, survie et prodiges de l'Ermite Charbel Makhlouf.* — Édit. Spes. 1953, 143 pp. — in-8°. Paris.

الكتاب محاولة شيقة في دراسة النفسية الدينية وهو دراسة كان يقتضيها تعمق اوسع وبحوث اوفر . وما كان اشدنا رغبــة بان لا يتردد المؤلف الذي اراد ان يعاني هذا الضرب من الدراسة عن الاقدام على تحليل الاقوال التي

نقلت عن شربل نفسه ويرى اساسها النفساني والديني . وعنوان الكتاب يعلن انه قسمين وهما متفاوتين في طولها .

لقد كنا نرغب بان تكون لغة المؤلف في تدوين حياة دينية ابعد عن الشعر كما كنا نود ان تكون بعض مباحثه التاريخية اشد توسيعا لانها توشك كما هي ان تخدع القارئ (راجع مثلاً الصفحة ٤٤) . وبالاستطاعة ان نفكر بما نريده بصدد المقارنة التي اقامها المؤلف بين سيدنا يسوع المسيح ورجل الله شربل . لذلك كنا نود ان لا يكون لها محل في هذا الكتاب لان ابقاءها غير مستحب بسبب بعض المغالاة التي تفسح لها مجالاً . فكرامة شربل قائمة على كونه عاش بحسب الارادة الالهية فتمشقها بفرح وتجرد ، وعلى كونه ذهب بتجرده عن كل خارق وبروح الصلاة حتى البطولة وعلى كونه قد اقتدى بروح يسوع المسيح .

ا. عبده خليفه

MARIE ANDRÉ : *Sœur Rosalie.* — Apostolat de la prière. Toulouse. 73 pp., 1953.

انها نفس مضطرمة عرفت ان تقف كل ما اوتيت من وزنات على خدمة الله والفقراء البائسين الذين قلب لهم الدهر ظهر المجن فلم يستطيعوا ان يعيشوا حياة انسانية راقية باسمة .

ولقد استطاعت الراهبة روزالي ان تكون بلسم القلب وتعزيته فتكسو فقراء عديدين وتهديهم طريق الحياة السوي . وقد عرفت ان تخلق لها من يساعدها وينهبا ويتحمس في خدمة اولئك الفقراء الذين كان مجرد دنوهم ممن يساعدها كافيا ليبدل حياتهم .

ولم يغرب عن واضعة هذا الكتيب ذي الفقرات الغزيرة المادة والباعثة على التفكير ان تصور ذلك الوجه الآخذ بمجامع القلوب بما تجلى به من مروءة اذ كان خيالها وحده كافياً في وسط الثورة والرصاص ان يعيد الهدوء والسلام .

فانه لكتيب جزيل النفع يحث بعضهم على القيام برسالة اجتماعية تدعو الحاجة دعوة ملحة للقيام بها في شرقنا العزيز .

ا. ع. خ.

JOHN GÉRARD : *Vie et passion d'un Jésuite Elizabéthain.* — Préface de Graham Green, Plon. Paris, 1953. — XVI-291 pp.

انه لعهد يحيا برمته بهذا التاريخ ؟ الا وهو الحقبة التي سمت فيها انكلترا

البروتستنتية لتدفع عن نفسها مَنْ كانت تدعوهم الخاضعين للبابا الذين وفّرت لهم ضروب اضطهاد وتعذيب حقيقة بالقرون الاولى .

واننا لنرى كيف عرف المجاهدون في سبيل المسيح والمدافعون عن حقوق الكنيسة ان يحبطوا حيل حكومة سريعة التأثر وملكة صخرية القلب .

واننا لا نجد في هذه الصفحات ما يقلّ عن الوسائل التي يلجأ اليه الفارون في يومنا من حصون حصينة . ولقد تمكّن جيرار استخدام خديعة كأنها من ابتداع امس الدابر . وهذه رسائله المكتوبة بعصير الليمون الحامض او بشراب البرتقال ... ممّا يدلّ على ان الانسان لا يعدم الدهاء اذا اقتضاه الامر ان ينقذ حياته .

ولاشك في اننا واجدون فائدة جزيلة من مطالعتنا لهذا الكتاب. ا.ع.خ.

GENEVIÈVE DUHAMELET : *Mère Marie-Xavier Voirin, fondatrice de la Congrégation des Sœurs de la Providence et de l'Immaculée Conception de Champion.* — Desclée de Brouwer, 1953, 366 pp.

لقد وفّق المؤلف المختص بتدوين السير في بعث عهد بعيد وبناه النفساني والفائق الطبيعة العميق كل العمق. ولئن نستطيع التحدث عن نفس كابدت الآلام وامتحنها الله تعالى لا بد لنا من ان تكون لدينا نفس تحاكي في اهتزازتها تلك التي نتحدث عنها .

وبعد ان تتبع المؤلف تقلبات نفس ممتازة لم يلاق اقل صعوبات ليستعرض الرئيسات العامة اللواتي توالين على رأس جمعية تميزت دائماً بروحها الرسولية وقوة نشاطها .

ولئن اسفت على شيء فاسفي على ان المؤلف لم يجعلنا نتعرف عن كثب من وقت الى آخر بتفكير الراهبات العظيمات اللواتي ادرن الجمعية. ا.ع.خ.

Missel quotidien des fidèles, par le R. P. J. FEDER S. J. — Tours-Maison Mame 1953.

نِعْمَ العمل الذي جاء ناجحاً نجاحاً حقيقياً سواء أكان ذلك من حيث الاخراج ام من حيث احكام الترجمة وجدتها حتى كان الكتاب برمّته اسداء خدمات جلّى الى اعمال المؤمنين التقوية ، ولقد نفد بسرعة كلية . اما الطبعة الثانية فستكون جاهزة للبيع في مطلع شهر تشرين الاول من هذه السنة .

وانه لمن الامور المهمة ان نسهّل على المؤمنين حضور القداس والاشتراك فيه . لان اللغات الطقسية مهما بلغت ضرورة استخدامها فانها غالبا تقوم بين المؤمنين وفهم معانيها .

ومما لا سبيل للريب فيه ان كل ترجمة ليست صالحة لان الواجب يقضي بان لا تنفر القارئ كما انه ليس من السهل ترجمة كلام الوحي بالضبط لذلك نثني ثناء طيباً على هذه الترجمة التي نشرنا عنها تقريراً لنشير باقتنائها على الذين يريدون متابعة الطقوس الشرقية ان يستفيدوا من المجهود المبذول في وضع كتاب صلوات القداس فيستلهموا منه وينتفعوا من اللغة العربية وما فيها من غنى انتفاعاً مؤدياً الى اسداء جليل الخدم للمؤمنين ، وكتاب « دليل المؤمن » ليس الّا مثلاً على هذا الباب .
ا. ع. خ.

MGR BREYNAT : *Évêque volant. Cinquante ans dans le Grand Nord Canadien.* — Amiot - Dumont. Paris, 251 pp.

الكتاب هو رواية الاعمال الارسالية في الالسكا الكبيرة حيث يقضي المرسل ايامه مع الله مصلياً ومضحياً بنفسه ومبتهجاً بخدمته بين الجليد والثلوج وهو يقاسي ضروب الحرمان ويرتعد خوفاً من المتوحشين الذين ينقلبون احياناً الى اصدقاء مخلصين .

وهذه الرواية الطويلة احينا تضع تحت اعيننا تقلبات احدى النفوس التي وهبت ذاتها برمّتها لله تعالى . ولقد كنّا نرغب بأن يدع المؤلف الاحداث تتكلم من ذاتها اكثر مما اظهر نفسه في كتابه .
ا. ع. خ.

لغة

HANS WEHR : *Arabischen Wörterbuch für di Schriftsprache der Gegenwart.* — In-8°. 986 pp. en 2 vol. — Leipzig — Harrassowitz, 1952.

لقد سدّ الاستاذ فهر ثلمة كبيرة تبرم المكتبة العربية بمعجم للغة الحديثة وتحمّل مشاق الغوص بين النصوص لانتقاء عبارات مما اقتضاه زماناً طويلاً أبرم فيه ابراماً . وبوجدان دقيق اتمّ الاستاذ فهر عمله ولكنه لم يُشر الى المراجع التي عاد اليها وهي لا شك النصوص الكثيرة التي درسها واستمدّ الفاظه منها.

وعمل الاستاذ ڤهر له مبرّراته لان ثمة لغة عربية حديثة تثبت يوماً فيوماً شخصيتها ، لغة حديثة تحاكي القديمة باحتفاظها بصرفها واعرابها اي بكل نحو اللغة المدرسية وان اختلفت عنها بمفرداتها وتركيب جملها من جرّاء تأثرها كل التأثر باوروبة .

وعليّ شاكلة كل شباب لا تطمع هذه اللغة الحديثة بان تحلّ محلّ اللغة المدرسية بل انها ما برحت تبحث عن طريقها فان المستقبل سيساعدها على التطوّر والثبات . ومن الصعوبة بمكان الوصول الى نتيجة بسن قوانين توحدها في جميع هيئاتها وتطبيقاتها فان البلدان العربية المختلفة لها اساليب مختلفة لتظلّ قريبة من اللغة القديمة ، فتزيّن المؤلفات العربية الحديثة بمفردات قديمة الخ .ولا بدّ من ايجاد مجمع علمي تكون اعضاؤه من البلدان العربية في سبيل الوصول الى توحيد لغة تستخدم كوسيلة رائعة لنقل الافكار والعلوم الحديثة . ولئن شئنا الحكم على الصعوبة التي تثيرها اللغة الحديثة وعلى العمل الشاقّ الذي يتطلبه اختيار المفردات فلا مندوحة لنا عن الاستعانة بدراسة المؤلف نفسه وهي : ـ

Entwicklung und traditionelle Pflege der arabischen Schriftsprache in der Gegenwart, in ZDMG, (XLVII, 1943, pp. 16-46).

وعلى رغم صعوبة هذا العمل لا بدّ لنا من الاعتراف بان المؤلف قد حقّقه خير تحقيق اقتضاه مطالعة واسعة وفكر واضح لم يستغن معها عن اللجوء الى ادباء العربية ليأتي بالقول الفصل بصدد كلمة اختلفوا حول اصول معانيها . فقام المؤلف بجميع هذه الامور ولم يتردّد عن اطلاعنا على ما وقع عليه اختياره الشخصي . وانه لعلى حق بذلك ويحق لنا ان نسأله عن القاعدة التي استند اليها ليبدي رأيه في هذا الاختيار .

لقد اوجبت عليه ضرورة الساعة ان يتخذ قاعدته النصوص المصرية . وهو عامل الآن على اعداد ذيل يشتمل على اللهجتين اللبنانية والسورية .

ولا يسعنا إلّا الثناء على الناشرين للعناية الكبرى التي بذلوها في اخراج هذا الكتاب الذي يستحق اخراجاً رائعاً .

ا . ع . خ .

اربعة آلاف عرباوية اي تعبير مختص باللغة العربية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

مطبعة الاحسان في حلب سنة ١٩٥٤ ، حجم وسط ١٢٨ صفحة

اعتاد الاب نخله ان يضع في متناول الطلاب والاساتذة موجز عمله الطويل الذي كان نفعه عمياً بفضل تضلعه من العربية ودقائقها وبفضل الخبرة الطويلة التي اكتسبها من التعليم .

ولقد شاء ان يجمع بصورة معقولة اربعة آلاف عرباوية نعثر فيها على كل ما في اللغة من غنى نكتسبه من ممارستها لكي يسهل العمل فيها ويبعث تذوق لغة شغف بها . وانها لخدمة جلى يسديها المؤلف للغة العربية . اما الطلاب وغواة الادب فيحسنون صنعاً بمطالعتهم كتابه واقتنائه في مكتباتهم .

وطبيعي اذا شئنا التمكن من الكتابة الصحيحة ان نعرف وجوه التصرف بالكلام والتعابير التي تشتمل على ثروة قرون اوجدتها عشرات الاجيال .

ولا يسعنا الا شكر الاب نخله على ما يبذله من اهتمام في سبيل خدمة المتعلمين .

ا. عبده خليفه

شعر وادب

Julien Harb : *Feuilles éparses : Poèmes*. — Edit. An-Nafir, Tripoli, 1950. Préface de Camille Klat, 89 pp.

انه شاعر فتي يصطبغ شعره بما للفتوة من ميزات كالعفاف والنضارة ورحب الخيال والتحليق صوب اللانهاية .

والذي هزني في قصائد جوليان حرب هو احساسه الروحي بما وراء الحياة ولاسيما بالحب وعدم سد المخلوق لفراغ قلبه ، فنفسه تجتذبنا لانها تهزنا بحقائق تفوق الطبيعة ما وراء المخلوق .

والذي هزنا ايضاً نغمة الحزن الطافية فوق مجموع قصائده لان الشاعر الجدير بحمل هذا اللقب يشعر دائماً بضيق عالم لا يشبع نفسه .

وقد الاستاذ كميل خلاط في مقدمته ان تدرك عبقرية الشاعر طور الرجولة

فلن نخالفه في رأيه . بيد اننا نرغب بان يسير هذا النضج في نفس الجاهه هنا . فالشاعر يبحث عن الجمال ويتغذى بالجمال ، فلا يصح له ان يقف او ان يحط الحقائق التي يتحدث عنها لكي يفكر تفكير عصره وانما عليه ان يكون سيدًا لعصره وان يحلق فوقه .

واننا لنتمنى لشاعرنا الشاب توفيقًا وازدهارًا ينسجم ومواهبه الكبيرة .

ا . عبده خليفه

قصة تريستان وايزلت

جدّد وضعها جوزف بيديه من الاكادمية الفرنسية — نقلها الى العربية
يوسف غصوب — ابتكرت صورها للنص العربي خاصة السيدة غيليه نابرلي
المنشورات العربية ، حجم كبير

ليس بمقدورنا الّا اطراء اخراج هذا الكتاب الذي تشف كل صفحة من صفحاته عمّا فيه من ذوق وانشا شعري انيق .

ولا مندوحة لنا عن امتداح المترجم الاستاذ يوسف غصوب لتخيّره القالب اللغوي الميّال الجذاب والكلمات التي تخلب منا اللب وترجع بنا الى العهود القديمة التي وضعت فيها القصّة ، اما اسلوبه فسهل على جزالته . والفكرة الرئيسية من ترجمة هذا الكتاب وما يليه هي ان يضموا في متناول الشرق مآثر لغة اجنبية ، فيتمّ الفكرة . بيد ان الترجمة مها سما قدرها حتى ولو كانت بالتالي بين ايدينا فانها لا تستطيع ان تقوم مقام الاصل . فقد تظل هناك نقطة لا يوفّق فيها المترجم لتأتي محكمة احكام الاصل . وفضلًا عن ذلك ان المآثر الادبية الغربية لا يقرأها الا المثقفون الذين يعرفون اللغات الاجنبية ولاسيما اللغة الفرنسية . فمن ايّ شيء تعوض الترجمة اذًا ؟ وما هو الفراغ الذي تسدّه ؟ وهذا ما نتساءل عنه .

ا. عبده خليفه

علم اللاهوت

Jean Colson : *L'Évêque dans les Communautés primitives.* — Tradition paulinienne et tradition Johannique de l'Épiscopat des Origines à Saint Irénée. Édit. du Cerf, 1951, Paris, 131 pp.

افضت بالسيد كولسون مباحثه الى التثبت من وجود تقليدين نقلا عن الرسولين

بولس ويوحنا الانجيلي وذلك بصدد تأسيس منصب الاسقف. فالاول قد ازدهر بواسطة كليمنتس في روما وراعي هرماس والثاني نرى تفرّعاته لدى اغناطيوس الانطاكي ورؤيا يوحنا .

ولكنّ المؤلف، على ما يبدو لنا، قد اصرّ اصرارًا تامًا ان هناك تقليدين ازدهرا بدون ايّما اتّصال واحتكاك بعضها ببعض . فان الادلّة على تقليد بولس للاسقفية الملكية موفورة، واننا لنتذكر فورًا اسمي تيتس وتيموتوس، فقد توليا ابرشيات وكانت لهما جميع الميزات التي تميّز الاسقف ولاسيما وضع اليد.

وهذه الادلّة القليلة جدّ القلّة تحدو بنا الى القول ان التعليم الواحد كانوا يعرفونه في الأصل وكانوا يعيشونه وانما لم يشعروا بالحاجة الى اعلانه برمّته رسميًا وزد على ذلك اننا لا نجد لدى بولس ويوحنا مواقف صريحة وتعليماً واضحاً كاملًا بل دقائق كافية وافية . وهذه الدقائق تحملنا الى معرفة الفعليتين، وقد قال بولس : الرب واحد والوحي واحد .

وعلى رغم هذه الايضاحات يبدو لنا ان كتاب السيد كولسون لا يبرح مفيدًا ولذلك لم يكن الاسقف بلانشه الّا مقسطًا في الثناء عليه. ا.ع.خ.

Romano Guardini : *Vie de la foi* ; Collec. « foi vivante ». — Éd. Revue des jeunes. Paris, 1951, 124 pp.

الايمان هو المسألة التي تقضّ مضجع الانسان قضًا والكتب العلمية التي توضح نقاط هذه المسألة المهمة كثيرة . بيد ان ما برح هناك فراغ ليسدّه علماء يرغبون في التفكير تفكيرًا عميقاً بايمانهم في الاوضاع الراهنة لوجودهم ليقفوا علمهم على خدمة جميع الناس .

ولئن كان الايمان واقعيًا فمن الواجب ان يبعث الحياة في جميع الفعالية الانسانية . فينبغي له ان يتناول الانسان برمّته وان لا يترك شيئًا من الفعالية الانسانية يخرج عن نطاقه الخلاصي .

ولقد اضطلع المؤلف بهذه المهمّة الشاقة في كتابه الصغير الجزيل في بلاغته. والعملي جدّ العملي اذ حاول ان يُلقي اضواء ساطعة على نقاط جوهرية من الحياة الانسانية مستمدًا المعونة من ايمانه وذلك في فصوله العشرة بعد ان حلّل في الفصلين الاولين مفهوم الايمان بصورة موضوعية وبالاستناد الى الكتاب المقدس.

ولقد حاول على وضح هذا الايمان الذي ينير الطريق بعض النقاط الجوهرية: الرجاء والحياة العملية والمحبة والعقيدة والسر ولم يهمل الالتفات الى الصعوبات العديدة التي تعتري الانسان في اقرار ايمانه والتي تكوّن عظمة الانسان وبؤسه. وجهد المؤلف جهده ليقرّر ما المعرفة والعلم من دور في الايمان . فالكتاب مفيد جدّ الفائدة وهو لعصرنا المضطرب ومن واجب الجميع ان يطلعوا عليه . فكأننا بالكتاب المقدّس يستردّ حياته في مؤلف أسسه كتابية . ونبني واضع هذا الكتيّب فانه عاش بايمانه الذي تشف عنه بقوة كل كلمة من كلماته. ا.ع.خ.

Georges Tavard : *L'Angoisse de l'Unité.* — Bonne Presse — Paris, 69 pp., 1952.

بمقدمة وجيزة بليغة غزيرة المادة يلفت المؤلف القارئ الى مسألة الانقسام بين الاخوة المسيحيين الباعثة على الشجى في الكنيسة ويلقي بذهنه مذكّرا رغبة السيد المسيح في توحيد جميع المؤمنين به ومن ثمّ يتحفنا بعدد من النصوص المختارة من كتابات الرسل وآباء الكنيسة والكتّاب الاكليريكيين الحدثين . وقسمها الى خمس نقاط تفضي ممارستها الى ايجاد وحدة اعمّ بين المؤمنين : الندامة ، الصلاة العقلية والطلب والاقتداء والتأمل .

وجمع المؤلف في ملحق بعض الصلوات التي تلاوها في اسبوع وحدة المسيحيين . ا. ع. خ.

Dorothy Dohen : *La Sainteté des Laïcs*, traduit de l'anglais par A.-M. Rognet. — Les éditions du Cerf, 1953 — Paris — 293 pp.

يضع هذا الكتاب في متناولنا تجربة مسيحية فؤلفه علماني جاء يعرض على العلمانيين المبادئ المسيحية وكيفية تطبيقها في مختلف ظاهرات الحياة . ولئن كانت المبادئ تظهر من خلال كل كلمة وجملة ولئن استوحى واضعه استيحاء كبيرًا في بعض نزعاته من القديس توما الاكويني فان مطالعة الكتاب لا تنفر العلمانيين ذوي الاشغال ولا تبعث في انفسهم الملل الذي يعترضهم عند عرض المبادئ في كل سانحة .

واستعرض المؤلف قضية اتحادنا بالمسيح اتحادًا يجعلنا متقدين معه لاخواننا كما استعرض ايضًا قضيّة اوليّة المحبة والفقر الذي يعتنقه الكثيرون بمحبة صافية

وقضيّة التجرد والصلاة والانفراد وخيبة الآمال والسرور والسلام والنضج الروحي.

وختم هذا الكتاب بفصل خصّه بروح المحبة وبسيدتنا مريم العذراء. ومما امتاز به الكاتب مداركه الدقيقة واناته الجلية ولذلك لا ريب في ان كتابه سيفضي الى خير جزيل. ا. ع. خ.

Josse Alzin : *Jésus incognito, le premier essai sur les prêtres-ouvriers.* Téqui, 1953, in-12ⁱ; 23 pp.

انها وايم الحق لشهادة. فالمؤلف بلجيكي تنقل في حرف عديدة وقد كان كاهناً من المثال لذلك اعرب في كتابه عن عطفه الصادق على عالم العمال الذي تأكد ابتئاسه الروحي والمادي كما تأكد الاسباب التي كانت في طليعة الاسباب التي افضت الى ايجاد الكاهن العامل.

ولقد كان من الافضل ان لا يتعرّض لهذه المسألة الشائكة ويكتب فيها. فالذين تتعلّق بهم انما برحوا يفتشون عن طريقهم وهم انفسهم قد طلبوا اليه ان لا يكتب شيئاً. فمن الواجب ان لا نقدم للناس افكاراً لم يتأهبوا لفهمها خشية عدم بلوغنا الهدف المتوخى.

وما خلا هذه الشهادة التي تدلّ على حسن نية المؤلف فالكتاب من النوع الخطابي الذي تحتسه صاحبه كل التحسّس. اما المعضلات فرويت تفصيلاً واوجد لها المؤلف حلاً. ولقد كان من المستحب ان يشتمل الكتاب على تعاليم اكثر يسمنا على نورها رؤية المعضلات واظهارها بوضوح ابين فكانت شهادة المؤلف اشد جدوى. ا. ع. خ.

Charles Journet : *Primauté de Pierre dans la perspective protestante et dans la perspective catholique.* Alsatia — Paris, 153 pp. 1954.

يبدو كتاب المونسنيور جورنه الصغير الانيق كاساس يرتكز عليه للمحاورة القائمة في مشكل وحدة الكنائس. والمحاور فيها اوسكار كولمان (O. Cullmann) الذي اصبح كتابه «بطرس تلميذ ورسول وشهيد» موضوع احاديث المجلات وادلة الكتب في الاشهر الاخيرة.

وجرياً على القاعدة المتّبعة في مثل هذه الموضوعات لقد كانت نقطة الانطلاق الايمان المشترك: المسيح اله حقيقي ومخلّص عاش بيننا، مكوناً في الزمن

والتاريخ الحدث الوحيد والحادث المحور الذي ينتظم معه كل شيء ضمن المقصد الالهي .

وينطلق من هنا نظر المؤلف الثاقب حالاً الى ما افضى الى الانقسام والى ما هو في نظره اساس الخصام الحقيقي وموضوع المحاورة الحقيقي. ويرى بعضهم ان الحادث ليس الا ذكرى علينا ان نعثر عليها في الصفحات القليلة التي حفظت لنا بصدق بعض آثارها. فنها يستلهم المسيحيون اليوم وينشرونها ويعيشونها تحت تأثير الروح . ويرى غيرهم ان الحادث يستمر حياً في كنيسة منبثقة من المسيح وقد اخذت منه شكلها الجوهري المتطور مع الروح القدس .

فمن جهة ، يحيا الانسان الاله في الكنيسة بذكراه وتعليمه الذي ارجعه اكتشاف الاناجيل بعد اربعة عشر جيلاً . ومن جهة ثانية ان الانسان الاله مستمرّ بتدبيرها بواسطة الروح القدس بصورة غير منظورة وبشكل منظور بواسطة تسلسل الرئاسات التي اسسها هو برئاسة بطرس .

ومن ثمّ فيتابع المؤلف سرد افكاره. تتوالى الفصول اثنين اثنين وتتعارض حول مختلف المسائل كاستمرار عصمة التعليم الحبري من الخطاء ، وميزات بطرس ، وقوانين الخلافة ، والاراء البروتستنتية والعقيدة الكاثوليكية .

ونحن نسدي المونسنيور جورنيه شكرنا لانه اتبع خطوة خطوة المؤلف واشار بوضوح ودقة الى فروضه الاعتباطية : كشكل السلطان الرسولي الممكن انتقاله بدون انقسام او غير الممكن نقله وهذا المشكل هو ذو حدين، ونسيان الفصل الثامن عشر من انجيل متى ، وتفسير معنى الاساس تفسيراً مبتوراً.

ولا شك في ان الكثيرين، ما عدا المجادلة، سيقدرون عرض عقيدة رئاسة بطرس عرضاً واضحاً . ولقد كان هذا الخدم فرصة لايضاح العقيدة كما كان في المباحث المدرسية في الزمن الغابر . وقد كدس العالم اللاهوتي في كتابه هذا المعرفة الواسعة المجموعة في الالفي صفحة من كتاب الكنيسة والكلمة المتأنس . فنحن لا نأخذ عليه بعض العبارات العلمية البحتة او خاصة به وان كان اشدّ فائدة ان يعرض اللاهوت بلغة الانسان المثقف البسيطة .

ف. ده لانفرسان

Recherches Bibliques : *L'Attente du Messie*, par L. Cerfaux — J. Coppens — R. de Langhe — V. de Leeuw — A. Descamps — J. Giblet — B. Rigaux. Desclée de Brouwer et Cie. 1954. 188 pp.

يحتوي هذا الكتاب الذي اذيع عن صدوره منذ مدة طويلة على معظم الدروس التي القيت بلوفان « Louvain » في غضون الايام المخصصة بدراسة التوراة سنة ١٩٥٢ .

وقد وصفه الاستاذان سرفو « Cerfaux » وكوبانس « Coppens » اللذان جمعا حول هذا المبحث الجديد كل الجدة دراسات طلابها ومساعديها ، ولهما في ذلك التقدير ومعرفة الجميل .

واننا لندهش اذا ما فكرنا بهذه الدراسات التي القيت سنة ١٩٥٢ من توجيهها وغزارة علمها ووفرة مصادرها التاريخية .

ومما لا شك فيه ان هذا المؤلف الذي عاشى الظروف ــ الجزء حتماً — ليس بالمركب الذي كنا نرغب فيه ليعوض عن كتاب موفينكل « Mowinckel » لانه لا يحدونا لننسى ذلك العدد الرائع لشهر نيسان سنة ١٩٥٣ من مجلة « Lumière et vie » المخصص « بيسوع ابن الله » فهو ليس بالواقع الا تصحيحاً وتوجيهاً .

وما دراسة الاستاذ « B. Rigaux » الافتتاحية الا بيان تاريخي منطقي قيم للاعمال الحديثة ، فالعهد القديم قد عولج مباشرة وبسرعة كما نظن وتلخيص الاستاذ « J. Coppens » يصحح درس الاستاذ النروجي ويوضح العناصر الرئيسية التي تتكون منها عقيدة اليهود بملك المسيح .

وانه ليعلق بذهننا القسم الذي وفق بتخصيصه بالمالمح السابقة بملك المسيح والمسمى « sotériologie » « طريق الخلاص » والاماني التي كانوا يضعونها « بملك يهوا » (ص ٣٦) . واذ تحددت هذه المبادئ فلا بد من الاكتفاء بدراستين خاصتين : هما نبوءة عمانوئيل ومبحث خادم يهوا .

اما العهد الجديد فعلى العكس قد أولي كل عناية . ففي بضع صفحات اتحفنا « L. Cerfaux » باحد هذه الدروس التي غدا معها لاهوت يوحنا عادياً مألوفاً منذ دراسات ج. هوبي ، ا. م دوبارل ، وك. ليون دفور ، واوسكار كولمان
J. Huby, A.-M. Dubarle, X. Léon-Dufour et O. Cullman.

وقد ميّز بين « العلامات » و«الاعمال» في معجزات السيد المسيح بدون ان يفرق بينها : وانه ليبهجنا ان تعرض هذه القضية على القراء الفرنسيين بمثل هذا التشخيص الاكيد . — وعرض ا . دكامب « A. Descamps » دراسة ذات طابع خاص ، مبتكرة ودقيقة ، وذلك على « ملك المسيح العتيد في العهد الجديد » : واقام الحجة المكينة على ان المسيح لا يتمثل فقط «كابن الانسان» او « كمسيح الانقضاء » ولكن كالمسيح الحالي . واننا لنرى كيف يجمع على نقيض ر . بولتمان « R. Bultmann » بين سلطانه في اتيان المعجزات وعقيدة ملك المسيح العتيد وتصدّى بجرأة ج . جبله في الصفحات الخمسين من دراسته الرائعة لمعالجة عقيدة ملك المسيح العتيد للفرق « الانقضائية » ولاسيما لفرقة « العهد الجديد » وجعلها في مصاف « عقيدة ملك المسيح العتيد النبويّة » .

وهذه الدراسة الفريدة الطابع برمّتها هي احدى الدراسات التي تطبع — في عين القارئ — الايام المخصّصة بدراسة التوراة بلوفان سنة١٩٥٢بطابع خاص.

وانه ليسر ابناء الشرق الادنى ان يقرأوا ر . دلانج لانه اوضح من نصوص رأس شمرا . فدراسته — التي ربما كانت تفتقر الى الوحدة اكثر من الدراسات الاخرى — صريحة كالسابقة :

ولوفان التي طفقت تهتم مؤخراً بعلاقة الكتاب المقدس بالتعاليم الجدلية القائلة ان الانسان بمقدوره ان يفهم الله وصفاته والحياة الابدية قد عزمت ان تنظر باهتمام الى الادب السامي واليهودي ، وما الامثال التي ذكرها ر . دلانج وانتقاداته الجريئة التي ابداها الا الدليل على ذلك .

وصفوة القول انه كتاب لا يستغني عنه استاذ اللاهوت وطالبه الا بكل صعوبة . اما صفحاته المخصصة بالعهد القديم فبالاستطاعة ان تكون تأثرت بمناقشات مدرسة موفنكل والصفحات المخصصة للعهد الجديد — وهي اشد جرأة في جزمها — تعدّ صراحة ذات طابع خاص . وعلى المستقبل ان يلفظ كلمة فيما اذا كان هذا الاتجاه سيوالي السير فيه . ل . ليجيه

Charles Becker : *La nuit pascale*, avec une introduction du R. P. J.-A. Jungmann, S. J. — Traduction du R. P. Benoit Lavaud O. P., Desclée de Brouwer 1953, 206 pp.

يعدّ هذا الكتيب بغلافه الكرتوني تحفة من تحف الطباعة ، فغلافه ودقة

ورقه وجلاء حروفه تدلّ على شدّة عناية دار الطباعة « Desclée de Brouwer » ولا مشاحة فان ما يشتمل عليه لجدير بهذه الغاية بالنظر الى غزارة مادته غزارة نادرة.

ولقد قدّم له الاب « Jungmann » اليسوعي المعروف لدى الجمهور الفرنسي بترجمته «Missarum Sollemnia» (Collection «Théologie», 2 vol.) . اما شرح « Charles Becker » فبالغ حدّ الكمال : اذ استمد من تعليم آباء الكنيسة والتاريخ واللاهوت والطقسيات القسط الاوفر .

ولقد استفاد من مآثر ف . دولجر (F. Dölger) وڤيلبرت (Wilpert) و. ه. راهنر (H. Rahner) وآخر ما نشره الاب دانيلو (Daniélou) و ل . بوير (L. Bouyer) . واذا ما ترجم نصًّا لآباء الكنيسة المع اليه على قدر المستطاع وفق مجموعة « Sources Chrétiennes ». اما التعليقات فتردّنا إلى كتب افرنسية . اما معنى السرّ المسيحي فاصبح شفافا فيه وممتاعاً . وباستطاعة كلّ منا ان يعتمد هذا المصدر .

ولماذا لا تجاري الترجمة الفرنسية سحر الشعر اللاتيني وجزالة النص الالماني؟ ان نتيجة اصلية من هذا النوع جديرة بالمعالجة المتقنة العميقة . على حين اننا نحسّ من الصفحة الاولى المقطع الرابع، بتأويل ثقيل مزعج قلّما يتبدّل . فقوله «ترديدات طاربات» « ritournelles jubilantes »عندما يتكلم عن ال « Exsultet » (ص ١٩) يتنافى بمع الذوق . اما الترجمة في مواضيع كثيرة فعباراتها قديمة « la tant bienheureuse passion » (ص ١٧) . . . اما النصوص الطقسية فمن سوء الحظ ليست ترجمتها بافضل من ذلك لانها قد استؤنفت فيها الكلمات القديمة : « ليبدّد نور المسيح القائم بمجد من بين الاموات حالك القلب والروح » (ص ٣٣) وان حماسة ال « Exsultet » وشاعريتها تزولان : « ان ولادتنا لم تكن لتفيدنا شيئاً لو لم تفتد » « naitre ne nous eût servi de rien sans l'a- vantage d'être rachetés » (ص ٣٧) وفي جملة واحدة خطأ املاء وغلطة بالترجمة فكلمة « Ascendit » في الصفحة ٣٨ كان من الواجب ان تكتب « Accendit » والعبارة « Jam columnae hujus praeconia novimus » قد ترجمت : قد عرفنا مجد هذا العمود . . . » عندما كان من الواجب ان يُقال : نعرف من الآن وصاعدًا (او الآن) . . .

وقصارى القول كنا نود ان نعرف فيما اذا كانت هذه الترجمة قد قرئت على الشعب قبل الطبع . لانه من الصعوبة ان يقبلها جمهور المتكلمين بالافرنسية مما يشجينا اذ اننا لا ننسى جهود الناشر.

ل. ليجيه

PIERRE BLANCHARD : *Sainteté aujourd'hui.* — Un vol. 14×22 cms. 196 pp. Paris, Desclée de Brouwer, 1954.

قد يبدو من باب المتناقضات التحدث في عصر الالحاد عن الصبا الى القداسة . على حين ان المراقب اليقظ يتضح له كل الاتضاح احتلال هذا الموضوع المقام المرموق في الادب والحياة العصرية : كالسينما والمسرح والقصة والتاريخ والفلسفة .

واذا كان القديس يلفت انتباه انسان القرن العشرين ويخلب عقله اكثر من الحكيم — الشديد الاريستوقراطية — ومن البطل الذائع الشهرة — فلانه يبدو له كائنت حقيقة وجودية واسطها واشدها وثوقاً . واننا نستمع اليوم الى مخاطبة الانسان والله .

وقد عرّف السيد المسيح القداسة وقدم عليها نموذجاً لا يحكيه نموذج . فما هي تأثرات انسان اليوم حيال عناصر قاعدة الكمال الفريدة الجوهرية .

وترانا في هذا البحث مسوقين الى ادراك جدلية التاريخي والازلي وجدلية الكائن والفائق الكل وحضوره في اعماق الوجدان .

وتفرض القداسة مبدأ تنبثق منه في وجود كلم تواق ويحدونا الشوق لمعرفة الاوقات الحاسمة لهذه المغامرة الروحية والسفر الباطني لا في خطوط بنائها الشكلية العامة المثالية بل باختبارات موضوعية : من خوف الانسياق « J. Rivière » حتى نهاية تقديس الكائن .

ويدرس الكتاب دراسة واسعة مدقق الرفض عند « A. Gide » ، ورغبة بلوغ ما لا تبلغه الآمال عند «Saint - Exupéry» والاتحاد بالمسيح بدون وساطة الكنيسة عند « S. Weil » وقبول النعمة الطلبية والمفرية عند « Ch. du Bos » .

وحرص المؤلف على ان يجعل للتحاليل النفسية الدينية عن طريق الاستشهادات الكثيرة طابع الوضوح والدقة الموضوعية الذي من شأنه ان يضفي عليها القيمة العلمية .

والقداسة على ما فيها من صعوبة وعدم إكمال ، مبدئيا وعمليا ، هي الخط الوحيد للانسان الذي يفتش عن حقيقته في الظلام. فهي اذن خلاصة . واذا ما اراد ان يؤثر على تطور التاريخ فيعرف لنفسه اذًا دعوة ورسالة. د.د.ب.

P. R. Bernard, O.P. : *Le Mystère de Marie*. — Un vol. 12×20,5 cms. 346 pp. Paris. Desclée de Brouwer 1954.

انه واحد من اثنين او ثلاثة مؤلفات رئيسية مخصصة بمريم العذراء. يبين ان هناك « سرّ مريم » : اي امومتها بالنعمة .

ويعرض الكتاب هذا السر بكل حقيقته وعلى وضوح الاحداث الانجيلية. وما الامومة العظيمة لامرأة من جنسنا الّا الامومة الروحية الحقيقية برمتها المتصلة باسبابها العميقة ، فمريم امّ المسيحيين لانها ام يسوع العظيمة كل العظمة. فهي لا تنزع من ابنها شيئاً بل تقتبس منه كل شيء. ولا تحط من قدره بل تنشر ما له من سلطان وقوة وهي اسمى عمل من اعمال السيد المسيح .

وتتأتى هذه الامومة الانسانية التي لا تحدها حدود من الامومة الالهية التي اضطلعت بها والدة يسوع .

ولقد لُخِّصَ سر مريم ، الغالي على انفس كثيرة ، منذ بداءته واتّبعه المؤلف في كل عمل من اعمال امّ الاله العظيمة وتطوّرها : اولًا في تدرّجها بالنموّ على الارض تدرّجاً كلّي الاستحقاق ومن ثم اغتباطها الحبيب السماوي والقوة التي تنبعث منها . وتلقي العقيدتين عقيدة الحبل بلا دنس والانتقال المجيد اللتان تحتفل بها الكنيسة في هذه السنة الوارا ساطعة على مرحلتي سر مريم .

ويجد في هذا المؤلف جميع الذين يتأملون بامتيازات سيدتنا مريم العذراء علم لاهوت واسع ومنهم حرارة يبعث في ذهننا استشباراً لوجود مريم حياتنا ولذتنا ورجائنا . د. د. ب.

Angelo Colombo : *Le Origini della Gerarchia della Chiesa Copta Cattolica nel secolo XVIII*. Pont. Institutum Orientalium Studiorum. Roma, 1953. XIV — 253 pp.

ما برح تاريخ الكنيسة القبطية بجملته مجهولًا ولاسيما تاريخ انضمام قسم من ابنائها الى كنيسة روما .

ولقد اتحفنا المؤلف بدراسة تماشي الظروف وافرة الادلة لم يسبق اليها احد اذ بسط امامنا نظرة اجمالية عن عصر غنيّ بحوادثه من العصور المصرية عامة وعن احد عصور الكنيسة الكاثوليكية بصورة خاصة .

ومهّد الكتابه بدراسة مقتضبة للاوضاع التي هيأت الارتداد والانضمام بعد ان استعرض بجلاء وضع مصر السياسي - الاقتصادي في القرن الثامن عشر .

ومن دون ان يهمل الالماع الى الصعوبات التي اثارها ذلك الانضمام تابع المؤلف دراسته مصوّراً موقف الكهنة الذين رغبوا بالانضمام وما عانوه من اضطهاد كما صوّر موقف الاسقف اثناثيوس في تردّده وموقف المرسلين . . . مستنداً في جميع تلك الاحداث الى ادلّة لم يسبق اليها .

وفي سبيل الاطلاع على الاوضاع الصحيحة باحد العهود، لا شك في ان هذه الدروس التاريخية هي ضرورية ولا مندوحة عنها .

ولا يسعنا الا ان نشكر المؤلف على عمله الذي نرغب اليه ان يتبعه باعمال اخرى من نوعه في سبيل استيفاء معلوماتنا حول فترة ما برحت تخفي عنا نقاطاً كثيرة في غموضها .

ا. عبدو خليفه

Ivan Kologrivof : *Essai sur la sainteté en Russie.* Beyaert. Bruges, 1953. 443 pp.

لقد رسم لنا المؤلف بريشة العالم القابض على ناحية موضوعه لوحة الحياة الروحية في روسيا فجاء كتابه ملبّياً رغبتنا الباطنية في التعرّف الى جميع قديسي روسيا الذين اعطوها صورتها الحقيقية في الماضي .

وكشف لنا هذا المؤلف الذي صدر عن خير مصادر مؤرخي القديسين الروس منذ مئة سنة عن النفس الروسية الدينية — المتأثرة طبعاً ببيزنطية — ذات الشعور العميق بتفاهة الاشياء المخلوقة، وبحقارة الانسان، وبالتجرد، والنزاعة الى الحياة الثانية الى تبديل وتجديد الكون في آخر الزمان والى الخلاص الشامل .

وانه لمن المستحيل ان نقوى على اختصار مثل هذا الكتاب لان ما فيه من مادة وافرة يقصر عنه كل تحليل فلذلك لا مندوحة عن مطالعته .

ا. عبده خليفه

فلسفة

Averroès : *Tafsir ma ba'd at-Tabi'at* ; texte arabe inédit établi par MAURICE BOUYGES, S.J. — Notice, CCXVII pp. — in-8° raisin : 16×25 cms.

اصدر الاب بويج في الاجزاء الثلاثة الاخيرة التي نشرها (٢٢٠٠ صفحة) الطبعة العلمية للترجمة العربية لعلم ما وراء الطبيعة لارسطو الـذي شرحه ابن رشد والطبعة العلمية لهذا الشرح . ولهذه الطبعات مقامها الهـامّ جدًا سواء أكان ذلك من حيث فلسفة القرون الوسطى (شروح ابن رشد) ام من حيث موضوعية علم ما بعد الطبيعة لارسطو ذلـك النص الذي كانوا يشكون دائمًا من عدم معرفته في العربية . امّا الآن فزال ذلك المجهول بفضل كتاب الاب بويج وهو الطبعة الاصلية .

ولئن شئنا الحكم على قيمة هذا الكتاب فلا مندوحة لنا عن ان نعرف كيف كانت طريقة الاب بويج في التفتيش والعمل . ولقد اشار الى ذلك في الجزء الذي تركه ولم ينجز طبعه الى الطريقة التي انتهجها والى حالة المستندات التي استخدمها (مخطوطة ليدن العربية اليتيمة غير المتجانسة مع اوراق مهشمة او مبعثرة او مفقودة) والى مـا استعان به من ترجمتي كتاب ابن رشد الى اللاتينية والعبرية في القرون الوسطى والى جميع المعلومـات التي كدّسها حول مسائل عديدة تتّصل باصل الترجمة العربية (او بالاحرى الترجمات العربية) لعلم ما بعد الطبيعة اليوناني وحول الترجمتين اللاتينية والعبرية لشرح ابن رشد الكبير.

فلولا هذا المصنّف الصغير (٢١٧ صفحة) لظلّت المؤلفات السابقة كلها مشوّهة .

ولقد انجز طبع هذا الكتاب بفضل الاب هنري فليش الاستاذ في معهد الآداب الشرقية .

ا. ع. خ.

H. URS VON BALTHASAR : *Le chrétien et l'angoisse.* — Traduction de Claire Champollion. Un vol. relié. 11,5×18,5 cms. 120 pp., Paris. Desclée de Brouwer 1954.

وضع اساقفة اجيال الكنيسة الاولى علم اللاهوت للاجابة على اسئلة ايامهم وتعاليمها . اما الاوضاع الجديدة فتقتضينا اجوبة جديدة .

ومنذ امد بعيد صوّر الرجال المفكرون غصص ايامنا الآخذة دائمًا بالازدياد.

ولئن كان الجواب اللاهوتي في هذا الصدد ما برح مفقودا فقد تولى اورس فون بالتازار سدّ هذه الثلمة ووضع درساً لاهوتياً يعالج قضية الاجابة على غصص الانسان واصدره في « Présence Chrétienne » مجموعة الشؤون اللاهوتية والدينية القائمة .

د. د. ب.

تاريخ

حول كتاب الهدى وتاريخ الطائفة المارونية

بقلم الاب بطرس فهد

مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونية – لبنان ١٩٥٤ ، ٢٧٠ صفحة – حجم كبير

لا نضنّ بالاطراء على طبعة « كتاب الهدى » الشهير اساس الحق القانوني للامة المارونية . فقد نال في وقته كل تحبيذ وثناء اذ ان حضرة الاب فهد قد بذل في سبيله كل ذكائه وافرغ في وضعه جميع شغفه بالعمل والدأب على البحث العلمي .

وعلى رغم كل هذه المجهودات ما برحت هناك بعض نقاط موضع الاختلاف فيها وغير واضحة كل الوضوح كالوقوف على واضع الكتاب واسمه الاصلي ، او كثبات المارونيين مثلاً على تمنقهم بالسدّة البطرسية وغيرهما .

ولقد تريث المؤلف ليقع على تعليقات اولي الكتابات بصدد ما جاء به من اقوال فجمعها في فصول مختلفة واجاب عليها في كتابه هذا . فمعظم الكتاب الذي نحن بصدده يدور حول الدراسة التي خصّها الاستاذ غراف بطبعة كتاب الهدى وتناول فيها قضية ثبات المارونيين على استمساكهم بالطريق القويمة ، ويلوح لنا ان هذه القضية قد تشغل وقتاً طويلاً العلماء بدون ان يوفقوا الى اجماع رأيهم بشأنها. ولئن وردت شهادات لا سبيل لدحضها على ثبات المارونيين في تمسكهم باعداب السدّة البطرسية فثمة من ينكر ذلك وينتقده بالاستناد الى نزعاته الخاصة . لذلك من رأينا اقفال هذا الباب . اما حضرة الاب فهد فقد أيد اجوبته حول هذه القضية بالبراهين المقنعة .

والقسم الآخر من الكتاب يشتمل على اجوبة سابقة ظهرت غداة صدور طبعة كتاب الهدى وهي ردود على كل من سوّلت له النفس التصدي الى

احدى النقاط التي يؤيدها المؤلف .

وقد جمع المؤلف في آخر كتابه شتّى الايضاحات التي نشرتها المجلات الكبرى .

ولكني لا اقوى على اهمال ذكر تلك الصفحات القيمة التي افرغ فيها المؤلف جميع ما يكنه فؤاده ولاسيما اذا ما تصدّى الى الكلام على القديس مارون والمارونيّين والطوائف الاخرى .

ولا يسعنا الا الثناء على الكاتب الذي اقتضاه مؤلّفه عملاً كبيرًا كما انه يثلج صدرنا ان ينسج غيره من المؤلفين على منواله ليقفوا علمهم الواسع وجرأتهم على اسداء خدماتهم الى ما ورثناه من مآثر عن الاجداد .   ا. عبده خليفه

ALY MAZAHÉRI : *La vie quotidienne des Musulmans au Moyen âge. X^e au XIII^e siècles*, 319 pp. Hachette, Paris, 1951.

لا نستطيع الا ان نشكر قيّم مخطوطات المكتبة الوطنية الايرانية على هذا الكتيّب الرائع الذي اتحفنا به ، فهو كتيّب من المستحيل تلخيصه لانه معين معلومات لا ينضب يتداول حياة المدن الاسلامية البورجوازية ولاسيّما مدن الشرق الادنى من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر .

والعبارة المدوّنة على غلافه « الف يوم ويوم لالف ليلة وليلة » تشير مدلّلة الى روعة هذه المجموعة ذات العلم الثرّ .

اما ما ورد من التفاصيل وقد اشير اليها اشارة خاطفة فمجموعة في لوحات : العيلة ، حياة المدينة ، الحياة الصناعية . على حين ان المستندات قليلة بعد ايضاح نوع الكتاب وحصرها في آخره وذلك مما يبعث على الاسف لانها لا تدلّ على من يتصفّحه . اما ثبت الكتب الموجز كل الايجاز لجميع هذه الثروات التي ينبغي التعمّق في معرفتها فانه لا يعيد ذكر المؤلفات المشار اليها في المستندات مما جعلها غير كاملة . وعلى رغم هذه الشوايب التي يسهل تداركها في الطبعة الثانية فالكتاب لا تستغني عنه مكتبة اي اديب كان ليطلع من وقت الى آخر على فصل من فصوله .   هـ. ش.

IDA-MARIE FRANDON, Docteur ès-lettres : *l'Orient de Maurice Barrès, Étude de Genèse*. in-4°, VIII — 494 pp. — Société de publications romanes et françaises. XXXV, Genève et Lille, 1952.

بارتياح كبير تلقّينا هذه المأثرة الرائعة التي زانها عنوان لطيف باسم احمد

باء هذه الجامعة ، جامعة القديس يوسف ، التي استقبلت بارس (Barrès) واطلق عليها في كتابه الـ Enquête الاسم الذي اصبح تقليدياً راغباً الا وهو : « منارة البحر المتوسط الشرقي الفكرية » . وقد احتفر له اثر تذكاري اعترافاً بذكراه.

واذا ما اطلعنا على هذا المؤلف تولتنا الدهشة حيال الاهتمام والدقــة الوجدانية اللتين وضعت بها الدكتورة فراندون هــذا الكتاب من دون ان تهمل شخصاً او نصاً او رأياً . ففيه الف مقارنة دقيقة وطويلة النفس.

والذيول والتعليقات مع استشهادات المراجع والفهرست وتلخيص الفصول وكلها موسعة توسيعاً كافياً قد جعلت في آخر الكتاب وباستطاعة الباحث ان يتبصَّر بكل الوجوه دون عناء ، امّــا اذا كان لديه بعض متّسع من الوقت فان اول ما يصادفه فيــه من الكنوز يقوده حتماً الى مطالعة الكتاب من ألفه الى يائه .

ولسنا من اولي الادب والفلسفة والتاريخ لندّعي انه باستطاعتنا تقدير هذا الكتاب ومع ذلــك نرى من واجبنا ان نشير الى كونه انسانياً آخاذاً والى تحليلات نفسانية بارس المتنوعة الالوان وقــد اوضحت بفنٍ عرف ان يصهر بالنص الاستشهادات الكثيرة التي لا مندوحة عنها . ولقد اماطت اللثام عن الشعر الشرقي وخاصة الفارسي الذي نقله بارس وفُسِّر تفسيرًا مدققاً. وكل هذا يُظهر لنا رجلاً عميقاً ورقيقاً كنا نعرفــه ولكن لم نكن نحسّه الاحساس المرهف الذي ظهر هنا .

ولئن استمحت لنفسي ان اعرب عن شيء ظبعاً لا عن انتقاد ولكن عن اسف رؤية اقتضاب الفصل المخصص في نهاية هذا المؤلف بكتاب الـ Enquête . فان هذه الدراسة الدقيقة البحث كان عليها ان تسمو به الى ارفع الذرى .. . ومهما كان هذا التحليل الذي جيء به في هذا المقام دقيقاً فانــه ما برح يفتقر على الاقل الى شيء من الحيوية بالنسبة الى الفصل السابق. فانه لم يرو لنا غليلاً.

ولكن عُرضت علينا صوفية بارس بشكل شديد الخلابة فانها لو أوضحت بالالوان وانمشت بالشعور الذي خطــه كتابه الـ Enquête لكانت اشد خلابة وباتت ذات قيمة جلّى ، كما نراه في تصويره منخفضات ادونيس او جبال النصيرية او رقصة راقصي قونيه وقد اعتراهم منها الانذهال وسط انسجام الحركات.

ولقد حشد امامنا حدس المؤلفة في الفصل السابق المعنون « في نهاية الحلم» ميزات اوريانت (Oriente) وايزابل وما ذلك الا لتبرز لنا هيام العليي الضعيف وخيانته من دون دناءة» . امـا بالنظر الى التوسع في دراسة un Jardin sur l'Oronte وما ترمي اليه فقد كان بمقدور ايدا ماري فراندون ان تنتهي اليها . افليس باستطاعتنا ان نعتبرهـا حقاً آخر مأثرة لبارس ؟ افليس Enquête II من قبل الحرب ؟

ان دراسة un jardin sur l'Oronte هي ايضاً كالقصة نفسهـا فهي دائر صغير ، وحلية حية نابضة ومؤثرة ورائعة كفرخ العصفور الصغير الغريب . فبهذه الحياة وبهذا الفن ان لم تبلغ الصوفية الحقيقية فالى أعمق انغام موسيقى بارس الشعرية الباطنية على الاقل .   ه. ش.

VICE-AMIRAL GODEFROY: *L'aventure de la force X à Alexandrie(1940-1943)*. — In-8° ; IV+532 pp. — Plon. Paris, 1953.

لا شك في ان الجميع في الشرق الادنى، صديق فرنسة، سيقبلون على مطالعة هذا الكتاب تحدوهم الرغبة في معرفة « سبب » المواقف التي اتخذها اسطول الاسكندرية ابان الهدنة وفي معرفة سر جموده المتطاول على رغم المثل الذي ضربته الباخرتان « اوبانيو واتيين دورف» (Aubagneau , Étienne d'Orves) ؟ وعلى رغم نزول القوات في افريقيا الشمالية واجتياح فرنسا وطولون .

والظاهر ان عنوان الكتاب « المغامرة » لا يدل مطلقاً على الواقع بعد جمود د. الاساطيل طوال ثلاث سنوات الحرب . وفي سبيل ذكرى الاوامر التي اصدرها مفوض بحرية حكومة الجزائر واقال من الخدمة بموجبهـا اميرال القوة واحاله على التقاعد للجمود الذي ابداه اسطول قتاله واستمر عليه على حين ان السر اندروس كنيجهام واسطوله كانا يبذلان مجهوداً فوق طاقة الناس فان اضبارة هذه المستندات والتعليقات الشخصية الكبيرة هي قبل كل شيء «مرافعة ودفاع شخصي» .

ويمهد لهـذه المرافعة بمقدمة نشك بموضوعيتها . فانه لم يكن موضوعياً الاخذ بذرائع سنة ١٩٤١ في عام ١٩٥٣ بشأن الطائرات الالمانية على المطارات السورية . فلقد انقضى اثنتا عشرة سنة على التحقيق الذي قام به السيد هنري

سيريج (Seyrig) ونشره بدقة وجدانية معروفة واوضح بالاستناد الى برقيات الجنرال دنتز (Dentz) عدم صحة تلك الحقائق المبتورة .

وما يغضنا في هذه الصفحات التنكيل الذي يقوم به الأميرال غودفروا بتلك الحركة التي يرفض ان يسميها فرنسا الحرة والمحاربة . ولقد كان اولى بقائد كبير اكثر من غيره ان يفهم عظمة المهمة التي اضطلع بها الجنرال ديغول طوال مدة المأساة وثابر عليها في تلك السنوات السوداء . فعلى ظهر الباخرة دوكن (Duquesne) كانوا يجهلون الشعار القائل : « اصعبُ امر في فرنسا المقاتلة وان نتمكن من الوصول الى القتال». وفي غضون الانتظار الطويل بين معركتين وفي اثناء تعيين « الدوائر » لقد كان كل فرد متطوعاً ويجدد دائماً تطوعه للقتال . اما الاميرال وضباطه وبحارته فقد كان تحت امرتهم بوارج حربيـة ومدافع مصنوعة للقتال ولم يشاؤوا ان يستخدموها على حين ان «المغامرين» رجال المغامرة الحقيقية الرائعة، كان عليهم ان يستجدوا وقتاً طويلاً واحياناً ان يعيدوا خلفائنا — وكانوا غير مؤهبين بالذخائر — اعتدة وحتى القطع المفككة من السيارات او من البوارج . فقد عاشوا مغامرتهم لا كما يعيش اولاد جوقـة المرتلين بل بتفكيرهم كقرصان . واننا اتحدث عن بحارة عرفتهم كانوا يحرصون الحرص كله على الشرف العسكري وعلى القانون الذي ينص على ان من يلقي سلاحه قبل ان يستنفد جميع ما لديه من وسائل الحرب يُعدّ مجرماً . واذا ما طالب تسامُح الاجيال الطالعة للتريث بالاستناد الى الزعم انهم انتـذوا الاثاث فمن المناسب ان تفهم تلك الاجيال المقبلة وتكرّم الذين دفعتهم مروءتهم الى ان يضحّوا بانفسهم في سبيل انقاذ الشرق فان هؤلاء قـد قضت لهم الحرب بان الحق في جانبهم .

واذا كان الاميرال قد انصف في تأويلاته الطويلة الذين خاطبوه من رجال الاسطول البريطاني لسمة نظرهم وكياستهم وصداقتهم القيّمة ولا سيا السر اندروس كنيجهام فانه ولا ريب غير منصف لرفضـه الاعتراف بنبل تشرشل ذلك الرجل الحاد الطباع والذي نزل عند رغبة بحارته وانتظر حتى نهاية ١٩٤٢ ليمنع عن اسطول الاسكندرية ... نفقاته الشخصية .

وبلغ اذ ذاك ضيق نظر الاميرال غودفروا مبلغاً قلب ضده في اثناء نزول

الحلفاء في افريقيا الشمالية جميع الآراء بالاجماع وحتى رأي اصدقائه كنيجهام ورفاق جيرو (Giraudiens) بالجزائر . ولقد اتهم جميعهم بانهم لم يفهموا صعوباته التي كان يلاقيها ليطيعه ضباطه ورجاله ، بيد ان الذي يحمل على الدهشة هو انه كان قد جعل من النظام القضية المسيطرة على رجاله الذين كانوا قابعين في كنف الراحة . وكيف لم يتدبر الامر مبكرًا ولم يوسع نظره منذ مونتوار (Montoire) ليتقيد الآن بامر ضيق النظر . ولربما كانت ذرائعه وحججه التي تذرع بها من تشرين الثاني ١٩٤٢ حتى ايار ١٩٤٣ مقبولة ومجدية قبل وقوع الحوادث المنتظرة ، فتذرعه بانه قد اطاع اوامر مارشال قد سجنه العدو وعدم تمكنه من فرض معنوياته الفردية بازاء رأي المجتمع ليستا الا حجة عليه . فلو كان نقى موقف رجاله المعنوي من الشوائب مسبقًا لكانوا ذللوا بسهولة صعوبات اعداد بوارجهم للقتال .

وبعد استماعنا الى هذا الدفاع بمقدورنا الاستمرار في الاعتقاد مع الحكومة التي كان يمثلها السيد جاكينو (Jacquinot) « ان ذلك التريث ما زاد في غنى المواصلات البحرية الفرنسية » . واننا لنوافق بملء ارادتنا على الحكم الذي اصدره السيد و . ويلكيه في المؤلف One World : « هو ضابط افرنسي كفوء . . . يكاد يكون غافلاً عن كل معنى للحرب فيما خلا دائرة رتبته كضابط ولقد تأتى خوفه من اعمال البحرية البريطانية ضد بوارجنا ورجالها عن غفلته هذه . ولئن جرح بحري افرنسي فذلك امر مألوف . اما القائد المطلع على الستراتيجية البحرية فعليه ان يتوقع ان القضية هي قضية موت او حياة . وان بوارجه قد تذهب ببضع دقائق الى قعر اليم ، وان على حلفائنا ان يتخذوا الاحتياطات لسلامتهم وان يحافظوا على التوازن في البحر الابيض ، ذلك التوازن الذي كان واهنًا وان الانكليز بعقليتهم القصيرة والفطرية لا يفترضون البتة ان القواد – بينما يفرضون احكامهم – وهم وحدهم الحكم في المأزق الحرج ، يرفضون مقترحات مقبولة وان لم تكن الا اللجوء الى المارتينيك كما يقترح الاميرال غودفروا نفسه على درلان سنة ١٩٤٢ .

ورأى حلفاؤنا انفسهم قبيل انتهاء مدة الانذار لينتقلوا بوحشية الى التقتيل لان قائدًا بحريًا اعوزته القوة ورباطة الجأش فابرق يستمد الاوامر ويدافع عن

نفسه . اما سمرفيل (Somerville) وجنسول (Gensoul) فانكفا عن العمل كقائدين في مرس الكبير، وما كانا الا منفذين : وتمثلت ادوار المأساة المخيفة بين لاڤال وتشرشل . واما القوة X فكان نصيبها ان يصبح على رأسها احد القوّاد مع ضباطه فيضطلع وحده بالمسؤوليات فكان من حظّها ان يرابط بالاسكندرية كضيف على رجل بحر كبير ، اميرال بكل ما في هذه الكلمة من معنى واميرال حسب التقاليد البحرية التي لا فناء لها . فعرف الاميرال كنيجهام بسعة نظره ورحابة صدره ان يجد الحلول المقبولة لرفاقه القدماء في القتال الذي نال منهم البؤس مناله بسبب هزيمة بلادهم . ويوصف هذا الاميرال الانكليزي قائداً للبحر تمكن بما لديه من اخلاق ان يستخدم نفوذه كسيد بعد الله وان يفرض حلّه ويضع رئيس حكومته تشرشل نفسه امام الامر الواقع وان يحافظ على هذا الحلّ بارادة حازمة وصبر لا هوادة فيه وكياسة سمحاء على رغم الضغط القوي .

وحري ان يطلق اسم « المغامرة » الذي اختير لهذا الكتاب على هذا الرجل النبيل الذي تجسّمت فيه صداقة الاسطول البريطاني للبحرية الفرنسية . واذا استطاعت فرنسا وحلفاؤها ان تستخدم في سنتي الحرب الاخيرتين اسطولنا واسطول قناصة البحر فالفضل في ذلك عائد الى نبل هذا اللورد وحكمة قاهر تارنت (Tarente) وماتابان (Matapan) وقوته . اما قيمة الصفحات التي كتبها الاميرال غودفروا فاعراب فرنسا وبحريتها له عن جميله امام التاريخ.

هنري شارل

RÉGIS BLACHÈRE : *Histoire de la Littérature arabe des origines à la fin du XV[e] siècle de J.-C.* — Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, Maisonneuve, 1952, XXXIII — 186 pp. grand format.

لقد شرح صدرنا اسلوب المؤلف وغزارة موضوعه في هذا الكتاب الذي اعتذر في مقدّمته تكراراً وبرّر نفسه عن اعتاده هذا الاسلوب في عمله ، وما ذلك الا صدق العالم او بالحري تواضعه .

ولا سبيل للريب في ان تواضعه ليس الّا تواضع العالم الحقيقي الذي لم يحل بينه وبين اتخاذه موقفاً صريحاً حول غير نقطة من النقاط التي درسها كتعريفه

الادب في معنى ضيّق لا يتناول حتماً كل ميــدان المكتوب وكاقتراحه تقسيماً جديداً لعصور الادب العربي مقتبس من اعتبارات ادبية اكثر مما يستنــد الى ثورات الاسر المالكة او الى الحوادث السياسية وان كانت عظيمة الاهمية ، لان مثل تلك الحوادث قد تؤثر على اديب او على غيره بيــد ان الذي يبعث الفتوة في القوالب القديمة التي لها محلها في تحوّل التيار فانشاء المراكز العقليــة وظهور تيارات فكرية .

ولم يهمل المؤلف الموضوعي في تبسّطه التفكير في ان اصطناع اللغة بتطوّرها، وان الوسط الجغرافي والجنسي والاجتماعي كل هــذه تؤثر كل التأثير على شتى الادباء وتُبدع عصر ادب جديد .

ويخيّل الينا أن هذا من عمل المؤلف الشخصي الذي ولج به الادب العربي واسترشد به في دراسته^(١) اما عمله الآخر فيقوم على اهتمامه شديد الاهتمام باللغة وبادخال الكتابة .

ويبدو لنا ان طريقته هذه هي خير الوسائل لشهد ازدهار الادب ان كان عليه ان يماشي اتساع اللغة .

وهذا المصنف الذي اخذنا على عاتقنا امر تحليله مؤلف من دراستين تشتمل اولاهما على ثلاثة فصول وثانيتهما على فصلين فقط . امــا فصوله فعرض جزيل المعاني تتناول قروناً ومعضلات وشؤوناً حاول المؤلف ان يحلّلها . . . اما لوائح الكتب الغزيرة المناهل والملحوظات الصيمة الفوائد فضمان على مــا جاء به من اقوال .

ونحن على احرّ من الجمر بانتظــار جزئه الثاني من تاريخ الادب العربي الذي سيكون بدون شك جزيل الفائدة لباحثي النقد .

ويا ليته لم يهمل الحاق فهرست يراده في آخر الكتاب وتبت بالاسماء اتماماً للفائدة .

ا. عبده خليفه

Bibliotheca græca Aevi posterioris, *I Studies and Documents relating to the History of the Greek Church and People under Turkish Domination*, by Theod. Papadopoulos, M. A. (Lond.) Gr. in-8°, XXIV-507 pp. 2 pl. Sealdis, Wetteren — Belgique, 1953.

ما برحت مجهولة حقبة تاريخ الكنيسة اليونانية الممتدّة من سنة ١٤٥٣ الى

١٨٠٠، ولا تزال المستندات التي تتعلق بها قليلة ومبعثرة فلذلك نشكر المؤلف على الماعه الى اسماء الكتب والمصادر اليونانية» للمستندات » و«السلطات الاولى» بيد انه ما زال هناك امور جمة بعد ثبت « E. Legrand » وهو الثبت الوحيد الشهير للمراجع اليونانية .

وفي صفحاته الاولى البالغ عددها ١٨٥ صفحة وكلها توطئات وصف المؤلف وصفاً خاطفاً استئناف الكنيسة اليونانية لسلطتها الخارجية والروحية عقب سقوط الامبراطورية البيزنطية (والامتيازات التي منحها محمد الثاني) ومن ثم وصف تنظيمها الاداري وتقسيمها الجغرافي لمراكز الاساقفة وكراسي البطريركيات وعواقب النظام الاكليريكي (الذي حلّ محل الامة) بالنظر الى مصاير الكيان اليوناني .

وشرع الاستاذ Popadopoulos بعد عرضه الميزات العامة عرضاً جلياً بمعالجة غرض موضوعه الاساسي فنشر القصيدة الشعرية المحفوظة في المخطوطة الاضافية ١٠٠٧٧ بالمتحف البريطاني وعنون لها بما نقوى على تسميته «بمحق الانشقاق » .

اما صاحب تلك القصيدة الهجائية فما برح مجهولاً غير ان التحليل والنقد الباطني فيدلان على انها وضعت حوالي سنة ١٧٥٠ ويحتمل ان يكون احد العلمانيين الذي كان يعمل مستخدماً في البطريركية ابان احتدام ذلك الخصام الذي قسم اليونانيين حول قضية سر العماد بعد ان اوجبه البطريرك كيرللوس الخامس على كل لاتيني ينضم الى الكنيسة الارثوذكسية .

وذلك الهجاء الذي تظاهر بانه من انصار البطريرك كان تلميذ خصمه اللدود متروبوليت بريلاف (Priilav) كاللينيكوس (Kallinikos) فحمل من طرف خفي على فرقة « الاناباتيست » .

وما اشعار المخطوطة الاولى وعددها ١٥٨٠ بيتاً الا تشنيع بحق اوكزنتيوس (Auxentius) (احد الرهبان المتطرفين من انصار البطريرك كيرللوس الخامس).
اما من الشعر الـ ١٥٨١ الى البيت ٣١٧٩ فخصّه بالبطريرك كيرلاوس وبشجب نظريته .

ومما يوضح ما المعت اليه تلك القصيدة ، المجادلات التي كانت محتدمة آنذاك، ومناهضة كبار رجال الكنيسة الرسمية لتدخل رسالات القسطنطينية وحلب

اللاتينية في عهد كيرلوس الخامس (١٧٤٨—١٧٥٧) والمكايد السياسية .

ويوضح الكتاب (Critical Introduction) هـذا الموضوع ايضاحاً كافيا ويشتمل على تقدير مؤرخي ذلك العصر (تفضيل ماكرايس على فندوتيس) ومن ثم الى احكام كيرللوس الخامس والى نقد بلانوسباراكتيس (Planosparaktès) من وجهة النظر التاريخية .

وهذه الدروس والمستندات مما من وضع مؤرخ علماني وقومي يدفع عن يوناني القرون المظلمة تهمة الجهل ويستصوب مناهضة الاكليريكيين لتـدخل « اللاتين » ويـرى انقاذ الكنيسة للغة اليونانية فتُعدّ بذلك الحماسة اللاهبة للاستقلال الذي اخذ يشجعه كبير الاكليريكيين تحت الضغط التركي .

وهذا المؤرخ هو من المعجبين مع ماكرايوس بكيرللوس الخـامس ضدّ جدعون مؤرخ البطريركية الشامة الشهير فهو اعمى كما نقرأ ذلك في الصفحة ٢٤٣ ، فحيال هذا الامر قد تطوّرت عقائد الكنيسة مها بدت ثابتة وتبدّلت الظروف التاريخية وذلك اما عن طريق الاضافة اليها واما عن طريق تأويلها تأويلا مَرناً . ولئن صدّقنا الاسطر التالية : « ان ما نسميه انشقاقاً » ليس الا مماشاة للظروف و« شكل تنظيم اكليريكي جديد » .

أفليسَ من الباعث على الاسف ان يقدم مؤرخ ليس بلاهوتي على ابـداء رأي جري، في شؤون لاهوتية ؟ ر. م.

Marius Canard, Professeur à la Faculté des Lettres d'Alger: *Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie.* Tome I. in 4° de XVIII-864 pp. avec 10 cartes ou plans hors-texte. Publication de la Faculté des Lettres d'Alger 1951.

تقع في هذا المجلد الكبير الجزيل الفوائد على تاريخ وصول قبائل الصحراء السورية الى اعتلاء كرسي السلطة وكيفية بسط سيادتها في غضون الفترة الفاصلة بين عهد انحطاط الخلافة العباسية وبين الامبراطورية السلجوقية في القرن العاشر المسيحي .

ولقد مهّد المؤلف لوصف الحوادث بدرس انتقادي لمراجع موضوعه ومصادره وخصص خمسة واربعين صفحة بذكر المؤلفات التي تتصل عن كثب بموضوعه .

وهذا المؤلف العلمي التاريخي ينقسم الى خمسة ابواب هي : المحيط الجغرافي،

ونشأة الاسرة الحمدانية ، وامارة الموصل وامـارة حلب والحرب بين العرب والبيزنطيين وطليعة الحروب الصليبية .

ويستحق الامراء الحمـدانيون ولاسيما اشهرهم سيف الدولة المحبوبون الى قلب السوريين ان يكون تاريخهم اوسع انتشاراً .

وان ما تحلّى به اولئك التغلبيون من عزيمة وشجاعة ومن ثقافة اكتسوها وهم ابناء الصحراء السورية ، وذلك عقب الفتح الاسلامي الذي كان مفاجأة كبرى لهم ، وان ادراكهم الرهيف للسياسة في غضون العهد العباسي قد خوّلهم تأسيس دولة حقيقية من ولايتين متجانستين تضمّ جميع البلاد التي كانوا يقطنونها اولاً وارتحلوا عنها . ولقد عملوا في القرن الرابع الهجري اكثر مما عمله الامويون واصلهم من الحجاز لنشأة الوطن السوري .

وانا لنرجو ان يرسم لنا الجزء الثاني الحياة السياسية والاجتماعية في سورية الشمالية على ضوء الوقائع التي تصدّى لها في هذا الجزء بذلك العهد وان يصوّر الحياة في حلب عاصمتهم الشديدة الزهو والفتنة .

واذ نحن ننتظر قريباً صدور هذه الدرة اليتيمة لا يسعنا الا شكر السيد كانار على بحوثه التي استوجبت منه تنقيبات طويلة واعية. هنري شارل

اجتماعيات

ممَّ يشكو الناس ، مصير العالم ، رهن مصير العامل

مطبعة العمال اللبنانيين – الحازمية – بيروت ١٢٢ ص قطع ٢١ × ١٤٫٥٠ س

لا تزال المؤلفات التي تعالج المعضلة الاجتماعية قليلة باللغة العربيـة مع ان الحاجة شديدة اليها ولذلك لا نستطيع الا ان نبتهج اذا ما رأينا كتاباً ككتاب الاستاذ صقر يصدر ويتحفنا بتاريخ الحركات الاجتماعية ، ويحكم عليها على ضوء التعاليم الروحية السديدة . وقد اعطى المؤلف الواسع الاطلاع على الكتب الاوروبية في هذا الشأن في كتابه الصغير الحجم والمشحون بالافكار تلخيصاً لدراساته ولاسيما لاختباراته وتفكيره .

ولا اودّ ان اغالي بتقدير قيمة كتاب يفرض نفسه فرضاً في بابه غير اننا لم نتعوّد الا قليلاً الكتابات الاجتماعية لنسرّ بها فلا نكاد نوليها اهتماماً كبيراً.

وما تفتيشه عن الوسائل التي اتخذتها الافكار لشق طريقها وما ابرازه بشكل جلا. ووضوح مسؤوليات رأس المال والكادحين في بلدان غيرنا الا استثمارنا للاوضاع الراهنة الذي يجنبنا الثورات والانقلابات التي رافقت في البلدان الاوروبية تناحر الطبقات او الربح الذي تجنيه الطبقة المالكة من الطبقة العاملة . فينبغي ان يكون كتاب الاستاذ صقر موضوع تفكير الكثيرين من قادتنا وان يكون في اساس تكوين الناشئة الطالعة تكويناً اجتماعياً .

ا. عبده خليفه

Le Génissel : *Proche-Orient Moderne — Perspectives Sociales.* Éditions « Les Lettres Orientales ». Beyrouth, 1952. 190 pp.

لقد اعرب عنوان الكتاب الذي نشره الاب لوجنسيل مدير معهد الاداب الشرقية عما يقصد منه تماماً ، اذ اراد ان يوضح اشكال مجتمع الشرق الادنى الاساسية ويجمل تطورها بخطوطها الكبرى في غضون السنين الاخيرة . وفائدة هذه الدراسة قائمة على كونها مستجدة لان المعضلة الاجتماعية في الشرق الادنى لم ينظر فيها حتى الآن بمجموعها . واستطاع المؤلف بصرفه النظر قصداً عن تفاصيل هذه القضايا ان يبين بجلاء اتم ملامح كتلة الشرق الادنى وان يوضح ان معضلة التنظيم الاجتماعي واحدة فيه على رغم اختلاف اجناس شعوبه واديانها واشكالها الاقتصادية والسياسية . وعلى رغم مجهودات بعض حكوماته البارزة وهي المجهودات التي لا تفتأ تبذلها فان هذه المعضلة لم تجد بعد حلاً وافياً .

وتسمح لنا النتائج التي فازت بها مختلف حكومات الشرق الادنى ان نقيم المقايسة بين شتى ضروب تشريع العمل فيه . فيتجلى لنا بوضوح ان العمل الاجتماعي ما برح في اوله وانه يتقدم تقدماً بطيئاً . ولا يقوم الامر بتطبيق قواعد مفهومة ضرورتها المنطقية سلفاً وانما يقتضي الواجب بان يحقق الامور الضرورية، فعلى الحكام ان يقيموا البرهان على تحليهم بفكرة وطنية واعية حكيمة وبالعزم على فهم الوقائع فهماً مرهفاً . وميزة مؤلف الاب لوجنسيل هي كونه خير معوان للمسؤولين للاستزادة من ادراك الواجبات التي تقع على عاتقهم بانجازه في الغاية التي توخاها الا وهي مساعدة امم الشرق الادنى على ايجاد توازن داخلي افضل منه الآن لتزويد شعوبه العاملة بالرفاهية والطمأنينة اللتين ما برحتا مفقودتين . ا. ع. خ.

Naissance du prolétariat Marocain. Cahiers de l'Afrique et de l'Asie. III. chez Peyronnet et Cie — 33 rue de Vivienne — Paris. 291 pp. — 61 planches hors-texte.

للمجلد الثالث من « الدفاتر » الافريقية الاسيوية المخصص لمنشأ الطبقـة الكادحة المراكشية اهمية كبرى لا للعلماء الذين يكبون على دراسة تطور الطوائف الاسلامية الحاضر فقط بل لكل علماء الاجتماع . والقضية التي تناولها بالدرس هذا المجلد من « الدفاتر » ليست القضيـة المراكشية وحدها بل هي القضية ذات المسألة المتشابهة على جميع ضفاف حوض البحر المتوسط الجنوبي الشرقي . ولقد اسفر التحقيق الـذي استمر سنتين بادارة السيد ر. مونتاني (R. Montagne) وقام به زملاؤه الكثيرون عن عناصر معلومات قيّمة في جميع الحقول : من عنصرية واقتصادية وثقافية واجتماعية الخ . . . وهذا التحقيق لا يدعي انه قد تناول الواقع المراكشي برمّته ، بيد انه يتصل باحـد اشكال الحياة المراكشية الحضرية البارزة : الا وهو هجرة السكان من المنطقة الجنوبية صوب مدن الشمال والساحل الاطلسي .

وان سبب هذه التنقلات الرئيسي مردّه الى ما يلاقيه الفلاحون في الجنوب من صعوبة في حياتهم آخذة دائمًا بالازدياد ، لان عدم انتظام الامطار جعل الزراعة بدون انتظام ، ولان زوال الثابات من على القمم قلل من تهطالها وصيرها من الندرة بمكان فلذلك ازدادت الهجرة في سني الجفاف ازديادًا عظيماً . ولئن قلنا الهجرة فنريد بها هجرة الشبان الوقتيّة قبل كل شيء فهؤلاء الشبان يؤمون المدن ليكسبوا ما يقوم باود عيالهم التي ظلت في الدائرة « دوار » حتى يجيء موعد الموسم الجديد .

والى جانب هذه الهجرة الموقوتـة ثمة هجرة ثانية تزداد يوماً عن يوم الا وهي الهجرة التي لا عودة بعدهـا . ونعني بها هجرة عيال برمّتها تنتمي الى قبيلة واحدة لتزم رساتيق المدن الكبرى وتبني لها فيها مخيمات صغيرة من الخشب وتقيم فيها . فتألف على هذه الصورة احيـاء جديدة من هؤلاء الكادحين ، أحياء محرومة الطرقات المنظمة والماء ويسمونها « الرساتيق » (bidonvilles) .

وفي هذه الاحياء الجديدة لا تعرف الحياة استقرارًا . اما شروطها الصحية فسيئة واما الاخلاق فيها فقد تراخت تراخياً عظيماً .

وزد على ذلك فان العدد الجم من هؤلاء المهاجرين يفضلون السكن في رساتيقهم على الاقامة بالمدن المكتظة بالسكان لانهم ينعمون برساتيقهم بقسط اوفر من الحرية . وليس بمقدور هذه الجماعات التي غادرت مواطنها ان تبقى على هامش الامة وانما عليها ان تندمج شيئا فشيئا بجمهرة المدينة اندماجا يسفر عن معضلة الحياة بمراكش في الساعة الراهنة .

والتحقيق الذي عرضه السيد مونتان لا يكتفي ببسط احصاءات الهجرة وانما قد اجتهد بتصوير مراحل تطور هؤلاء المدنيين الجدد تطورا نفسيا واجتماعيا اذ ضرب لنا امثالا على ذلك استمدها من الافراد وانتزعها من الحياة وبواسطة تصوير كل عيلة على حدة .

ولقد اوضح لنا كيف توزع هؤلاء المهاجرون في وسط شتى المهن : كعمال مصانع ، وتجار صغار ، وصناع ، ومستخدمين تحت ايدي غيرهم في المصالح البلدية الخ ... وافهمنا الاسباب التي حملتهم على اختيار هذه الاعمال .

وثمة امر مهم قد اوضحه لنا ايضا الا وهو محافظتهم في قلب فئاتهم المقتلعة من مواطنها على تقاليد القبيلة . ولم يقبل بدون صعوبة برير الجنوب العادات التي استمرت عليها طويلا حياة هؤلاء الاقوام القبلية وهي احرى بالمدن الاسلامية ولم يذعنوا لها بسهولة . ولقد كان لاحتكاكهم بالاوروبيين وبالحياة الغربية اهمية عظمى بالنسبة الى تطور الفرد والعيلة .

وكان اسرع الناس تطورا خاصة المرأة اذا ما عملت عند الغربيين . اما العيال الفتية المقيمة في رساتيق المدن فقد اكتسبت بسرعة كلية استقلالا وشخصية تبعدان بها شيئا فشيئا عن حياة القبائل التي خرجت منها . اما الصعوبة الجدية للاندماج مجددا بالقبيلة فهي التي تعترض الشبان البالغين الذين ذهبوا الى فرنسا ليشتغلوا في مصانعها وذلك بعد عودتهم منها على حين ان الكثيرين من بلديهم لا يتورعون عن الذهاب للسكن في ضواحي المدن الكبيرة .

ولقد اثارت هذه التنقلات الداخلية قضية صعبة في وجه حكومة المخزن لانها كونت حدثا اجتماعيا لا سابقة لاتساعه .

ويبلغ عدد هؤلاء المدنيين الجدد زهاء السبع مئة الف في المدن الساحلية وكلهم من الارياف والرعاة . واذ كان من الواجب ان لا تضر هذه الهجرة

بحياة السكان الاقتصادية وبالاوضاع الصحية والسياسية والطبيعية فقد شرعت الحكومة تهتمّ لايجاد حاول تحدّ من هذه الهاجرة نحو الشمال وذلك عن طريق تحسين اوضاع حراثة الأرض في الجنوب فاخذت تبذل مجهوداتها لتحسين حياة المهاجرين المادّية : انها انتهجت سياسة تحسين المسكن عن طريق تحويل هذه المضارب رويداً رويداً الى احياء سكنى طبيعية — باستخدام اليد العاملة وبالعمل الثقافي والاجتماعي (فانشأت مدارس جديدة ومراكز طبية اجتماعية الخ . . .) وبايجاد تشريع اجتماعي اشد ملائمة — وبتثقيف هذه الجماهير النازحة تثقيفاً مدنياً واخلاقياً . اجل انه لعمل كبير لن يقدّر له ان يتحقق استقراره الا في غضون ذريّات كثيرة ، ويجدر بالملاحظة ان هؤلاء الكادحين الجدد يؤلفون شعباً سليماً من الوجهة السياسية . ولم تستمل منهم التعاليم المتطرفة الوافدة من الخارج الا عدداً قليلاً،فالذي يبغونه هو العمل والخبز وبعض الرفاهة . ولا ريب في ان تطور البلاد نحو شكل اشد ديموقراطية يسير شيئاً فشيئاً ومن دون اصطدام بعقبات.

وقد اخذ القادة الذين اصبحوا موضع ثقة حكمة هذا الشعب الصغير الريفي يبذلون مجهوداتهم باتخاذ التدابير التي لا بدّ منها ليجعلوا شكل النظام المراكشي القديم اشدّ مماشاة للعصر ولينتزعوا هذه الجمهرة من عاداتها القبليّة التي ما برحت قويّة وليغرسوا فيها مفهوم الامة الاجتماعي الحديثة فتحتشد هذه العناصر الشديدة التباين التي تؤلف الشعب المراكشي في السلم والتآخي .

ا. لوجنتيل

Robert Mantran et Jean Sauvaget : *Règlements fiscaux ottomans.* 140 pp., (avec Index et bibliographie). — publié par l'Institut français de Damas. — Adrien - Maisonneuve — 11, Rue Saint - Sulpice, Paris (VI^e) 1951.

يشتمل كتاب الاستاذين منتران وسوفاجه على مستندات جديدة لم يسبقاليها وذلك بصدد حياة الولايات السورية الاقتصادية في القرن السادس عشر .

ولم تنحصر فائدته بالشؤون الاقتصادية فقط وانما قد تمّت الرسوم الاميرية عن مجمل حياة الشعوب السورية الاجتماعية من فلاحين ومدنيين وكشفت عن الشكل الاداري وعن مختلف الاجناس والمذاهب وضروب حراثة الفلاحين والمنتجات الصناعية والعوائد الدينية وطرقات النقل والتجارة في المدن والطبقات

الاجتماعية الخ . . . ولا يسع مكتبات المؤرخين وعلماء الاجتماع والاقتصاديين الا ان ترحب بهذا الكتاب كل الترحيب .

اجل انه لتاريخ وجيز يحدثنا بالارقام عن حياة العهد العثماني الجميل ويمثله بشكل لا شك انه يبعث الارتياح في نفس علماء الاحصاءات المعاصرين .

وتظهر الرسوم الاميرية دقة الادارة العثمانية وعدم تناسقها في آنٍ واحد لانها كانت تختلف بعضها عن بعض بحسب الولاية لكون السلطة كانت تحترم آنذاك كل الاحترام التقاليد الموضعية وتماشيها بكل مرونة .

اما جميع تلك الانظمة فلم تكن مستقرة بل كان كل سلطان يميزها بطابعه فيلغي منها ما يريد ويضيف اليها الجديد من عنده . والذي لا مندوحة لنا عن اخذه بعين الاعتبار هو ان الدين كانت له كلمته ليقولها حتى في الامور الغريبة عنه . وفي سبيل تعزيز تلك الانظمة كان السلطان يعلن انطباقها على الشريعة القرآنية اما اذا اتفق له واراد ان يلغي منها شيئاً مما اقره سلفاؤه فكان يقول عنه انه ابتداع جديد آثم . اجل انه لمظهر ان حمل على شيء بالاقل فانه يحمل على تصوير مبلغ سيطرة الشرع القرآني الشاملة على حياة الجماعة العثمانية .

وزد على كل هذا فان الكتاب يشتمل على مراجع عدة مفيدة . وفيه ملحوظات على هامش النص هي من خير الذرائع القيمة في متناول العلماء الذين يهتمون بعض الاهتمام لماضي الشرق . ولقد اوقظ فينا الكتاب ذكرى ذلك العلامة المنقب الذين لم تبن له عزيمة الا وهو جان سوفاجيه الذي لم نقرأ ما اطراه به من ثناء استحقه الاستاذ منتران في توطئته له من دون ان نشعر بتأثرنا عليه .

ا. لوجانيل

فن

Charles Hanin : *Algérie... terre de lumière*, gr. in 8° de 336 pp. sans jaquette avec des dessins de S. Hanin et de nombreuses illustrations h.-t. en similigravure. Paris, Alsatia, 1950 — 750 frs.

اننا نقع في هذا الكتاب على وصف ادبي محض الطابع بكل معنى الكلمة للاماكن الاثرية والتاريخية واشهر مشاهير الجزائر . وهذه الصفحات التي تحاول بعث الحياة في ماضٍ غامض صاخب واستجلاء مستغلق اوضاع

حاضر غير مستقر كانها تهيب بنا قبل كل امر اخر الى زيارة البلاد. ه. ش.

Pierre Fromentin : *16.000 Kms. à travers l'Afrique.* in-8° 248 pp., 16 pp. de similigravures et 1 carte. Paris, Plon, 1951.

مدينة الجه ، الرأس ، عبور ١٣٢ مسابقاً جميع افريقية من الشمال الى الجنوب على ٤٢ سيارة ، انقضاء سنتين في المفاوضات لاجتياز عشرة حدود ، واعداد المحروقات ، كل ذلك هو المغامرة الرائعة الرياضية التي قصت علينا بشكل مفكرة يومية .

انها لمرجع مع ما يتعلق به من شعر ودراسة شعوب ، وهزل ، وصداقة ، ودين ، وصفوة القول انها دراسة عميقة شيقة للجغرافية الانسانية . ه. ش.

Y. et E.-R.-Labande : *Rome.* 246 pp., 222 héliogravures, couverture héliochromie d'après une aquarelle d'yves Brayer. Paris, B. Arthaud, éditeur — 1951, 17×23 cms .

ان هذا الكتاب الجديد الذي يتناول بالبحث « رومة » وان كان ليس كتاب ذكريات تاريخية او دليلا اثرياً دقيقاً استوعب كل شأن من الشؤون فهو لا يشبه في شيء اي كتاب آخر كان .

وانه لكتاب لم يفته منظر من المناظر الا تناوله فقد عدّد روابي المدينة الخالية التي ترهج بضروب الجمال العديدة رابية فرابية والتي تأخذ بمشاعر النفس في الوقت نفسه ، اذ ان الحياة الروحية تظهر غالباً زاهية كل الزهو امام اعيننا من خلال القناع الخارجي .

للكتاب توطئة عن لون روما . وبعد ذلك مقدمة اخرى تتناول لمحة تاريخية وجغرافية عن شعوبها . اما نموّ المدينة الطبيعي فكان الصورة المتبعة في تنسيق فصول الكتاب المتتابعة . فقد احتلّ البلاتن رابية روما الام والكابيتول اللذان يقومان كانهما رقيبان يشرفان على انقاض الفورم — الحذران المفككان الرازحان تحت اعباء التاريخ — المقام الاول. وجاء الفاتيكان الذي يمتد على جانبه حي العراقي Prati الجديد في ختام الكتاب موقظاً لدى الكثيرين من حجاج السنة المقدسة ١٩٥٠ بعض الذكريات العظيمة .

وعلى طول الطريق التي تنساب من حدائق البلاتن الى كنيسة القديس بطرس صور اتقن صنعها تزيد في دقة الكتاب . وان العين لترتاح اذا ما

توقفت عند مشهد جديد من مشاهد الفورم مستجلية وفرة مآثر كبار رجال الفن. والمدينة لا شك في انها من اعظم مدن الدنيا بتنوع اثارها التي تقع عليها العين من بين جديد وقديم .

وغلاف الكتاب يعطينا صورة من صنع ايف برير (Yves Braver) تثير الذكريات . . . .

ع . خ

R. Pottier : *Le Sahara*, 190 pp. in-8°, orné de 150 héliogravures, couverture aquarelle de R. Pottier et une carte. Arthaud, Paris-Grenoble, 1950.

يشبه هذا الكتاب في شكله دليل السياحة ، وهو يشتمل بعد مقدمة من النصائح للمسافرين على ثلاثة فصول حول وسيلة السياحة في جنوب الجزائر يليها ثلاثة فصول اخرى بصدد واحات المقاطعات في جنوب كولومب بشار وغوارديا وورقلا ومن ثم الخلاصة وهي لمحة حول مستقبل الصحراء .

وتزلف المعلومات التي يشتمل عليها بصدد حياة السكان وعاداتهم وبشأن تاريخ هذه السنوات الاخيرة من حيث ضبطها دراسة حزئية بلغت النظر فهي توطئة من خير التوطئات لمدنية الصحراء التي ما برحت في الواحات شبيهة بمدنية الرعاة باستخدامها لغة الواحات العربية نفسها .

وما قلب الصحراء أي هوغار وأدرار . . . ألا للسياحة والتسلق وللاستثمار ايضا . وقد خصص لهذا البحث مؤلف اخر بقلم فريزون - روش Frison-Roche مع التعليق عليه لدى الناشر نفسه فتبعث هذه الصور رغبة في القارئ بالسياحة توقظ فيه الذكريات اذ هي جميلة رائعة كالتي يصورها ارتو .

وليس بمقدوري الا ان اشير الى ما تمكسه اشجار النخيل على مياه الفوليا في رسوم مواطنيّ السيدين مارمونيه (Marmonnier) وريجو (Rijaux) وكشان الخط الكبير الشرقي في رسوم الدكتور اندو (Andoux) التي تضم في اطارها رسم امرأة زنجية من العبيد : فيا لها من بساطة داعية الى الاعجاب في هذه الخطوط وهذه الكتل من الظلال المشار اليها باثر وجود العبدة الوضيع وهي كذخيرة سائرة في طريق الاضمحلال .

هنري شارل

Edouard Schuré : *Sanctuaires d'Orient, Égypte, Grèce, Palestine.* — in-8°. XII — 136 pp. Librairie Académique Perrin — Prix 660 frs. — Paris 1953.

طبع هذا الكتاب للمرة الاولى سنة ١٨٨٩ . اما هذه الطبعة فالسابعة والعشرون . ولئن ظلّ مستمراً الاقبال عليه فلكونه لم يكن بياناً للسياحة تبلى جدّته ، وانما هو سفرة روحية وحج للعقل والجمال والحبّ لانه قد احتك باديان مصر القديمة ويونان الاجيال الغابرة والاراضي المقدسة وتدبّرها بالتأمل . ويشتمل هذا الكتاب تحت شكل مقدمة على بعض نظرات في قيمة الاسلام . ولكنه ما برح على شاكلة كل خلط بين شتى التعاليم المتباينة الاصل التي يصعب التوفيق بينها فلذلك كان المؤلف سطحياً في هذه المحاولة .

اجل لا بد للمرء لكي يقوى على فهم الاديان القريبة عنه من ان يعيش احدها ، اما المؤلف ، فعلى ما يبدو ، لم يتفق له ذلك وانما قد اتم بسمة عهده المنصرم ليعتقد انه متحرر بمحاولته ضرب التعليم القائل بقدرة العقل الانساني على معرفة كل حقيقة والتعصب الاكليريكي بعضها ببعض من دون ان يشعرنا لماذا هما على خطأ .

ولقد اعترف المؤلف مخلصاً بانه لم يرَ كيف يكون بالاستطاعة ان يتم مركب جديد من جميع هذه « الايمانات» التي التقطها من حول البحر المتوسط الشرقي . والواقع انه لم يأت الا بما استشعره وجاد فاعرب عن هذا الرجاء .

ولسنا نحن الا على شاكلته في هذا الرجاء وانما رجاؤنا في النور والمحبة اللذين لا يعطيان لنا اللثام عنها الا بتعميق ايماننا الحي وتمسكنا الكامل . هـ. ش.

H. Harrer : *Sept ans d'aventures au Thibet.* — in-8°. 15,5×21 cms; 270 pp. 40 héliogravures h.-t. sous lisense en couleurs, avec une carte vue cavalière du Thibet Sud. — B. Arthaud. Paris, 1953.

هارير رجل نمساوي من غراتز (Gratz) ومن متسلقي الجبال قد تخصص بذلك على سفوح الايجر (Eiger) مصالية وهو بطل من ابطال التزلج ووقع عليه الاختيار ليكون في عداد البعثة الالمانية التي عهد اليها باكتشاف طريق جديدة للوصول الى نانجا برباط (Nanga Prabat, 8114) . واذ دهمته الحرب بالهند فاعتقل بالسجن قام بردة فعل يدافع طبائعه الجبلية فعمد الى الهرب ثلاث

مرات واجتاز مرتين سلسلة جبال حملايا وقطع ١٠٠٠ كيلومتر في اكام شانع تدنع الوعثا. واتخذ مقرًا في لاسا (Lhassa) وتمرس باعمال الادارة التيبتية وحظي بثقة دالاي — لاما (Dalaï - Lama) وصداقة كل الشعب .

ويجد غواة المغامرات فيه جميع ما يرتاحون اليه ويقع المولعون بدراسة خصائص الشعوب وكل الذين يعنون بالانسان على مستند نادر قيم كما يصادفون لديه خلقًا جميلًا ليتخذوا منه صديقًا لهم .

والرسوم الرائعة عنده ان هي الّا مستندات باعثة على الاعجاب لانها رسوم فنيّة ورسوم علم خصائص الشعوب . وهذا الكتاب لا يسلمنا مفتاح المغامرة فقط فان صوره الخلابة كفلم حقيقي يدور امامنا تجعلنا نعايشها . ه.ش.

Le Louvre, La Nuit. — 15×19,5 cms. — fait en collaboration par Marcel Aubert, André Parrot, Pierre Verlet, Pierre Devambez, Jacques Vandier — Paris, B. Arthaud.

منذ وضعت الحرب اوزارها شرع اللوفر يفتح ابوابه بعد الظهر . ومن الساعة ٢١ الى الـ٢٣ من كل يوم جمعة تستقبل خمسة فروع للنحت والمآثر الفنية غواة زائري تحفها التي تتدفق عليها الانوار الاصطناعية روعة اجمل من روعتها في النهار . ويتولى خمسة اشخاص من كبار الشخصيات ارشاد الزوار في فروعهم الخاصة بواسطة بيان غزير المادة يوضح تاريخ التحف الرئيسية ومزاياها . اما صناعة الايقونات الحفرية فتتمثل في عناصرها الجوهرية . ويسعنا بنظرة واحدة ان نتابع بكل سهولة عن طريق الذكرى فنّ صناعة التماثيل في العالم وعلى مر العصور من عهد السومريين الى المصريين فاليونان فالرومانيين حتى القرون الوسطى والعصور الحديثة . اما الرسوم التي في درج الكتاب فليست دليلية فقط وتلبي رغبة المصوّر الفنّان ليمهر في اخراج الكثير من مآثره الرائعة بل تجعل من هذا الكتاب التام دليلًا ومصنفًا فنيًا . ب. ا.

Fosco Maraini : *Tibet secret*, in-8° carré de 316 pp., orné de 68 héliogravures. Collection « Exploration ». Arthaud. Grenoble — Paris, 1952.

لقد اثارت بلاد التيبت في كل آن وآونة غريزة حب الاستطلاع والاهتمام لدى الروّاد لسبب عزلتها الجغرافية في قلب آسيا ووراء حواجز جبلية هي من ادهش مفاتن الكرة الارضية .

وجلّ ما كنا نعرفه عن تلك البلاد كان مقصوراً على ما كتب عنها في اثناء الرحلات السريعة اليها .

ويجد علماء خصائص الشعوب في هـذا الكتاب الذي ألفه احد زملائهم الذي تمم على السيد ج . توتثي الاختصاصي باتنيت والذي ساعدته صور جميلة وليدة قريحة رسام ماهر يخوّلهم اجراء مقارنات علمية حقيقية . والفهرست المسهب وثبت المراجع هما من خير الذرائع التي تقدم لهم المساعدات القيمة .

وهذا المجلد هو في متناول الجميع بطريقته البسيطة ومراجعه والريبورتاج الرائع الذي ترجمته بانشاء جذاب جوليت برتران Juliette Bertrand . ه.ش.

Georges Marçais et Louis Poinssot avec le concours de Lucien Gaillard : *Objets Kairouanais, IX^e au XIII^e siècle.* — grand in-4°. — Notes et Documents, XI, fasc. 2 de la direction des Antiquités et Arts de Tunis ; pp. 367 à 596, avec 54 pp. d'index des objets, noms de lieux et de personnes, 138 fig. et LXIX pl. hors-texte. — Tunis et Paris 1952.

ها هوذا لدينا الجزء الثاني من المؤلف الاول واعني بذلك ما يتكلم عن الزجاج والفخار والحلي . امّا التلافات ودراسة الزخرف ووصف اجزائه واللوحات المصوّرة الخاصة بكل منها فتكون موضوع دراسة مجلد آخر . ويشتمل كل موضوع على دراسة اصل الاشياء المعروضة وعلى وصف مفصّل مع المقارنات التي تلقيها في الذهن . وثمّة بضع صفحات للخلاصات تلفت النظر الى الابقاء على استخدام اشكال وزخارف قديمة في الصناعة اليدوية المصرية : كضروب اطرزة اصلها مصري وسوري او من بلاد ما بين النهرين وقد ساهمت المدنية الفاطمية في نشرها . هنري شارل

J. L. Miegé : *Le Maroc* ; in-4° de 230 pp. et 170 héliogravures sous couvertures en couleurs avec une carte en lissuse. Collect. « Les Beaux Pays ». Arthaud — Grénoble — Paris, 1952.

يعجبنا في كتب هذه المجموعة وفرة رسومها الجميلة وتنوّعها وقد وضع معظمها السيّد جاك بلين (Jacques Belin) .

ولسنا نستغني عن امتداح نصوص المقدمة التي تشتمل على خلاصة جغرافية مراكش وتاريخها واقتصادياتها . اما بقية الفصول فتتناول المدن والمناطق الشهيرة من كازا حتى جبال الاطلاس وتمرّ بفاس ومراكش .

ان الملحوظات المتعلقة بالسياحة وعلم الآثار واجناس الامم التي سيثيرها

للمواكب البنايات والمناظر المختلفة اخذ بعضها برقاب بعض كأنها قد انتضدت تنضيداً رائعاً كصور الكاليدوسكوب التي تسحب الناظر في تيهها .

وانه لمن الحيف ان لا تكون هذه المعلومات اشدّ تنسيقاً . . . وعلى كل ان السائح وعالم الآثار والمؤرخ وعالم طبقات الامم يجد في مطالعة هذا الكتاب الفائدة والمنفعة .

ه. ش.

MAURICE RICORD: *Croisières en Méditerranée.* — 17,3×22,7 cms. : 128 pp 149 photographies. B. Arthaud — Paris — Grenoble.

ليس هذا الكتاب دليل رحلات واسفار . وانما ربما كان مرشداً وبياناً للمشاهد والابنية الاثرية التي تكوّن روعة البحر المتوسط واهميته ، فهو مجموعة انطباعات وذكريات وصور وملحوظات فنية وايحاءات خطته براعة صحافي مثقف ثقافة جامعيّة مكينة قام حتى اليوم بثنة وثماني وثلاثين سفراً بحرياً وبرحلات عديدة في البلدان التي تحيط بها « بحر المفاجئات » للدراسة والبحث .

ومجرد تعداد عناوين هذا الكتاب يؤلف خريطة البحر المتوسط : من ساحل بروفنسه الى كورسيكه فسردينيه فالمحطات الايطالية في البحر التيراني وصقلية واسبانية القائمة على البحر المتوسط فافريقية الشمالية فالتطواف في الصحارى التي تشوقنا الى زيارتها فالمحطات الليبية والتطواف في البلاد اليونانية تطوافاً نموذجياً فالمحطات التركية والسورية والاراضي المقدسة والسفر الى الجزائر الايونية وبحر الادرياتيك والسفر الى مصر من منارة الاسكندرية حتى سد اسوان . فان المؤلف لم يهمل مشهداً من مشاهد البحر الابيض فكتابه مجموع تاريخي وجغرافي ومجموع لتاريخ الفنّ لم يطغَ منه الشعر ولا الخيال اللذين احتلا مقامها بين تعليق اقتصادي وسياسي وخاطرة ادبيّة وفنيّة. والكتاب يتجه الى كل رائد من قاطني ساحل البحر المتوسط والى كل جوابة خبير او الى كل سائح مقيم في مخدعه يتوق الى تجواب مخيلته .

وتزين هذا الدليل للاسفار والرحلات ١٤٩ صورة شمسية اختيرت من افضل المجموعات العصرية . اما هذه الطرفات المختلفة فلا تضع في متناولنا مشهد البحر المتوسط العام فقط بل توحي الينا في كل سانحة اموراً لم تطبع في كتاب فريدة في نوعها مفيدة في فنها .

ب. ا.

Collection HÉLÈNE STATHATOS — *Les bijoux antiques*, par PIERRE AMANDRY. — in folio, 150 pp. 54 pl. 80 fig. — Strasbourg, 1953. — En dépôt chez l'auteur, Institut d'archéologie de l'Université de Strasbourg.

هذا الكتاب الذي استوجب نفقات كثيرة هو واضح الفائدة الفنية والعلمية فالسيدة هيلانة ستاتوس لم تختر مما يعرضه بائعو التحف القديمة اجمل الجواهر واكثرها دلالة على الماضي فحسب بل حرصت في الوقت نفسه — في انتاء جمعها القطع التي هي من جنس واحد وكان بعثرهــا البائعون — على اعادة تركيب الكنوز وتحديد مصدر كل منها على رغم ما في عملها من صعوبة حيال المنقبين السريين الذين يغذون السوق بالتحف القديمــة . فمنذ عشرين سنة (١٩٣١— ١٩٣٥) تكونت مجموعة ال Chalcidique عن طريق شرائين وهي تشتمل على ١٦٧ قطعة مقدونية من العصر الحديدي (C. III. pp. 35-72, pl. XI-XXIX) وهذه التحف التي عثروا عليها المرة الاولى في مقدونية هي شهود « على حضارة توجد بعض اشكالها من الدانوب الى البيلوبونيز وفي ايطاليا » ولم نكن نعرفها الا عن طريق الاثاث الـذي كانوا يضمونه مع رؤساء سكان ايليريا المائتين . وظل صناع الجواهر المقدونيين بعد ذلك طوال اربعة اجيــال اوفياء لفنهم ، فاليهم منسوب صنع جواهر تساليا اليونانيــة (nn. 217-266) . على حين اننا لا نعرف الا النزر القليل من الفنون الصغرى في الاسكندرية وانطاكية وان صناعة الجواهر حتى القرن الثالث قبل المسيح لم تمثل الا في روسيا الجنوبية. « ولذلك كانت المكتشفات في تساليا تقدم دفعة واحدة لشمالي بلاد اليونان ما يوازي اغنى الاثاث المكتشف في القرم وتمان » (Crimée et Taman) . واذ سبر السيد اماندري روحية المجموعة قرب بين تحف السيدة ستاتوس وتحف غيرها ربما برزت الى النور في الوقت نفسه ومن المحتمل عينها ودخلت متحف باناكي (Bénaki). ولقد بحث اصل كل قطعة بعد ان قابل المجوهرات والمفروشات الاثرية بالقطع التي عثر عليها في ميسان (Mycène) وارغوس (Argos) واولنت (Olynthe) وباتلي (Patéli) وفي مصر وفي بالستريتا وفترولنيا فيما يتعلق بالطراز المصور (filigrane) واخذ يناقش طابع كل منها . وثمة كتابتان على آنية بشكل ميسيني او هندسي بامضاء المأسوف عليه فرنان شابوتيه (Chapoutier) والدكتور فرومارك (Furumark) . اما المجموع فيدل على اطلاع المؤلف وصابة حكمه .

ر . م .

A. T'SERSTEVENS : *Le nouvel itinéraire espagnol.* Petit in-8° carré de 432 pages de texte avec 1 carte et 32 planches en héliogravure noires SEGEP, Paris, 1952.

ان هذه « السفرة » هي طبعة جديدة من الدليل الاسباني الصادر عن بلون (Plon) ونفدت نسخه وقد نقح برمته وزيد عليه خمسة عشر فصلاً فتناول الاندلس وقشتاله (Castille) .ويوصف تسرستفن رائداً وكاتباً قصصياً وصديقاً كبيراً لاسبانيا لم يعبرها مرات عدة كسائح من غواة السياحة ولكن كسافر حطّ عصا الرحال فيها وكعاشق لسحر فجرها الناعم فلذلك كان دليلاً مستحباً جداً . ومن ميزاته انه لا يُعنى بالعمارات والمناظر فقط بل بالناس واخلاقهم حتى اذا كان بمقدوره ان يحتكّ بهم لم يتورّع عن الاحتكاك بسكان المدن وسكان الارياف . ولقد احسن جدّ الاحسان في اختيار « كليشياته » وذلك بصرف النظر عن الموضوعات التي كان عليه ان يعانيها والتي عنّت له اتفاقاً ليجعلنا اصدقاء للناس ومحبّين لامورهم . واننا لندرك لماذا يأسفون في فونتارابيه (Fontarrabie) وتفيض اعينهم بالدموع على تركهم ارض اسبانيا القديمة والاسبانيين ذوي القلوب الكبيرة . هنري شارل

ANDRÉ MAUROIS : *Rio de Janeiro.* Images de Jean Manzon. In-4° carré de 46 pp. de textes et de 130 pl. en héliogravure commentées en 10 pp., avec 1 carte de Rio. Collect. de la France et du Monde, Nathan, Paris, 1951.

لئن عدت المآثر فهذا الكتاب الذي وصل الينا متأخراً هو مأثرة حقيقية اما فرصة الربو اعجوبة الدنيا فتستحق هذا الاخراج .

ومادة الكتاب على قصرها غزيرة وهي خفيفة طلية ، ففيه القصة والوصف والجاد « الاجواء »المستحبة . اما رسومه ففي معظم صفحاتها موفقة جدّ التوفيق وتوضح تماماً وبدقة صافية — ما عدا اللون — جمال الطبيعة وقلة الاهتمام بنظافة مدينة كثيرة التناقض .

واننا لنتصفّح هذا الكتاب القيّم ونعيد قراءته بدون ضجر وملل . ويطيب للكثيرين من اللبنانيين ان يتعرّفوا بواسطته الى عاصمة بلاد يقيم فيها عدد كبير من ابناء وطنهم . ه. ش.

ALBERT CHAMPDOR : *L'Alhambra de Grenade*. Grand in 4° de 150 pages ornées de 128 photogravures d'Albert Guillot dont 13 en couleurs. Collection « les Hauts Lieux de l'Histoire ». Albert Guillot, Paris, 1952.

بدأ البرت شامبدور يبارر رسومه الملونة بارن واحد فني وبقوتها يجعلنا نعيش كفاح البدايات مظافر ضد ابي عبدالله . فهذا هو اصل الموضوع . ليبدأ وصف القصر الشهير الذي انشأ عزة غرناطة آنذاك وما هو بالوصف الذي يكون لائحة مصطلحات علم الاثار الاسلامية الجافة وانما هو بعث لتاريخ مفعم بالزهو والشمور باض مجيد وبالاهواء والعظمة والجمال يمت الى هندسة الاقواس والحياض وتلبيس الابنية والكتابات على الرخام .

وتثير الصور المنقوشة باللون الاسود حافز الاعجاب ... وحسبنا الاشارة ما عدا شتى الكليشيهات المحفوظة في ردهة الاسود الى صور ميرادور دراكسا « Mirador de Daraxa » بدقائقها المفصلة تفصيلًا وافيًا حتى في الصفوف الاخيرة من الرسوم . ولئن جرأنا على الاشارة لنقص في تنقيح الالوان تنقيحاً يزيل بروزها المتناسق فان بريق خنادقها ليوأم كل المواءمة اجسداء سيارانيفادا « Sierra Nevada » الشفّافة .

وفي الوقت نفسه الذي يطلعنا فيه البرت شامبدور على آثار غرناطة وتاريخها بما لديه من معلومات واسعة يغدقها علينا بغزارة يخبرنا عن الحضارة الاسلامية وفنونها وانظمتها وايمانها وتعصبها المجحف وشجاعتها واللذة الصادرة عن هوائها وفنها . وانه لينقلب بنا المطاف الى نزهة ترافقها الكآبة في حدائق الجينارليف « Généraliffe » والكنها نزهة تنسجم انسجاماً شديداً مروعة في ترنيمة عذبة تضاهي ترنيم المياه المتدفق في تلك الحدائق . وقبل ان نذهب الى غرناطة مستبقين فجرها لا بدّ لنا من الحرص على ان لا نفقد شيئاً من تذوقنا لكتاب البرت شامبدور .

هنري شارل

ARNOLD J. TOYNBEE. *Le Monde et l'Occident*. Traduit de l'anglais par Penrose Du bos. précédé de la *Pensée historique de Toynbee* par Jacques Madaule. 200 pp. in 8°. Desclée de Brouwer, Paris 1953.

مهما يكن وضيعاً الدور الاجتماعي والعالمي الذي نقوم به فاننا لا نعدم من ينذرنا عن تصرفنا السيء او عن اهمالنا فنقول لقد علمونا تعليماً سيئاً واعدونا اعداداً عاطلًا .

وهو نحن ذو نقوم وجهاً لوجه امام الصراع العنيف بين مدنيتنا الغربية والعالم . فيا، في ختام تعليق الناشر في المقدمة :« مـا كان يوما يتطلب من المسيحين ان يفكروا بمسؤوليتهم كمسيحيين كما نحن عليه اليوم». فإن اقل ما يستحقه كتاب ارنولد توينبيه هو ان يلزمنا بان نستشعر هذا الاستشعار .

وتضع مقدمة ج. مادول بقوة ووضوح هذه المحاضرات التي اذاعتهـا الاذاعة البريطانية ، بين مجموعة افكار المؤرخ الانكليزي ، وينتقد ايضا عنده مّا يدعوه نزعات التبني (adoptianistes) فيا يختص بالمسيح بيد ان ذلك ليس الا تحفظاً بسيطاً حول بعض فقرات الكتاب التي يستطاع تأويلها تأويلًا مناسباً على ضوء بعض اقوال القديس بولس بصدد المسيح في ختام هذا الكتاب الذي لا يضمه مع بعض زعماء الانسانيـة كايزيس (Isis) وميترا (Mithra) وبودهيساتيفا (Bodhisattva) :« ان المسيح قد تجرّد من سلطانه ومجده الالهين ليتجسّد ويحتمل الموت على الصليب لاجلنا » .

وانه لربما كان ذلك تناقضا في نظر الماركسيين . امّا توينبيه فيضع امامنا هنا تأيدًا من اشد تأيداته وضوحا عندما يطلب الينا ان نعتبر الشيوعية — على شاكلة الاسلام — وهو اليهودية بالاصل الا انه انكر مجيء المسيح الذي تنتظره اليهودية — كأحد انشقاقات المسيحية الشرقية ، اذ ليست الا مجموعة افكار حول الاخاء الشامل التي تحوّلت الى افكار علمانيـة محضة وقد استمدّ الشرق التعبير عنها من الغرب مع ما للغرب من الطرق الفنيّة ليعيش منها ويحاربه بها .

وفي مثل هذه الظروف فان الحظ الوحيد لانقاذ حضارتنا يقوم على استئناف العمل الروحي كما فعـل في الهند والصين نوبيلي (Nobili) وريتشي (Ricci) وشال (Shall) او ان يرتكز على اتجاه الضمير المسيحي الرسالي الحالي كما يبدو في اعمال الكنيسة اليوم كما سنتها البراءة (Rerum Ecclesiae) لا ان تستند الى الافكار والآراء الضيّقة التي كانت من اسباب اخفـاق انتشار ثقافة العصور الحديثة ولا الى دين تحوّل علمانيًا بعلومه فيستند الى الفنّ والانظمة والقوانين وقد قُطعت صلتها بالغاية السامية التي لاجلها كُوِّنت . وعلى الغرب ان لا يقدّم للعالم صورةً مارقةً عن المسيحية لثقافته وانما من واجبه ان يجرّد المسيحيةَ التي انعشت القوانين والانظمة لا من شوائبهـا فقط بل مما الحقه بها الغرب من

زوائد تصدم صدما عنيفا الحساسية الاسيوية .

فالبشر الذين يظهرون حساسية شديدة بالمفاهيم الشيوعية التي انفصلت عن القدس المسيحية يرضون بان يلتقوا مع الغرب اذا استندت علومه الى ناموس المحبة ليغذوا منها الشعوب النامية دائمًا في آسيا .

وهذه هي الحالة الوحيدة التي تستطيع ان تنقذ حضارتنا من توتّر اعصابها القتّال ، وتعيش . وقد انشأت وحدة من العالم رفيعة المستوى الانساني ؛ وهذا هو الامكان الواحد الذي بمقدور التاريخ ان يجعلنا نتوقعه كما استشعره ارنولد توينبيه . وناك ج . مادول في ختام مقدمتـــه يجب على المسيحيين ان ينطلقوا من هذه النقطة وان لا يتراجعوا امام هـــذه المهمة العظيمة التي هي جزء من واجب وجودهم في العالم والتي ليس بالاستطاعة بأيـــة حالة كانت تأجيلها لان الساعة الراهنة تتطلّب انجازها بالحاح .

هنري شارل

العلوم الاثرية والادبية

C. W. Céram : *Des Dieux, des tombeaux, des savants.* In-16, 438 pp., 40 pl., fig. dans le texte, index, 2 cartes. Paris, Plon, 1953.

يتقدّم علم الآثار بوثبات متباينة وهو كالتاريخ لا يخضع لمبـــداء الضرورية . فدور الشخصيات القوية والفواد العبقريين فرموق فيه . ولهذا فان ثمة موضوعا « لرواية علم الآثار » ، ذلك هو الكتاب الذي يبسطه امامنا الاستاذ سيرام «Céram » وهو على نمط كتاب « مكافحو الجراثيم» (Chasseurs de microbes) الذي رسم فيـــه الطبيب الاميركي بول ده كرويف (Paul de Kruif) لوحة المكتشفات الجرثومية الباعثة على الاسى .

اجل ان بحث هذه المكتشات الاثرية الواسع مردّه الى التاريخ اكثر منه الى الخيال بحسب آراء واقوال رجال الطليعة فينكلمان (Winckelmann) وشامبوليون (Champollion) ، وبوتا (Botta) ولايار (Layard) وسكليمان (Scliemann) وستيفنس (J. L. Stephens) وتومبسون (J. E. Thompson) وغيرهم في اراضي Campanie ال والترواد (Troude) والكريت (Crète) ومصر ومـــا بين النهرين وغواتيمالا والمكسيك .

وبيّن المؤلف في الصفحتين ١٧٥—١٧٦ السبب الذي لم يتصد من اجله الى حضارات الانكاس (Incas) والصين والهندوس (Indus) والحثيين ، واختيار الحضارات التي كان اكتشافها حدثاً يقرب الى القصة الخيالية الحقيقية . ويستند مؤلفه الى معلومات واسعة وراسخة مستمدة من الآداب الالمانية والانكليزية وتزينه خرائط ومراجع وفهرست تساعد للبحث عن المعلومات والمقارنات الضرورية . اما زخرف الكتاب فذو معنى عميق لا ينطبق كل الانطباق على موضوعه . وكان بالاستطاعة بدون اجحاف البتة ان يفضّل الكلام على نابوليون وحملته على مصر بدلاً من فينكلمان بيد ان وجهة نظر المؤلف هي وجهة نظر عدد كبير من علماء الالمان التي لها ما يبرّرها . وعلى كل فالظاهر ان الكتاب لا مكان فيه للتحيّز لانه لم يلمع الى دور ماريت (Mariette) فقط بل الى ما قام به براسور ده بوربورج (Brasseur de Bourbourg) باكتشاف كتابات دياغو ده لاندا (Diégo de Landa) . ولئن لم نرَ اسم ماري (Mari) في الفهرست فان الملحوظة الاولى في الصفحة ٣٩١ تدعونا الى انزال تاريخ عهد حمورابي من ١٩٥٥—١٩١٣ الى ١٧٢٨—١٦٨٦ بعد ان اكتشف « علماء افرنسيون مؤخرًا في مريام (كذا) ، الفرات الاوسط ، اضبارات من المراسلات بين حمورابي وساماي — اداد الاول ، ملك آشور » .

فكم من موحيات اثرية وكم من حماة علم سيوقظ هذا الكتاب بموضوعيته وطرافته .

د. م.

RACHEL L. CORSON : *Cette mer qui nous entoure.* In-16, 275 pp. — Paris — Librairie Stock, 1952.

يشتمل هذا الكتاب القيم على دائرة معارف صغيرة بصدد ما هناك من طرق واساليب لمعرفة البحر ومشاكله . وهو في متناول الجمهور . فانه بيان وتبيين حقيقيان . فكم من القرّاء الذين لم يعرفوا البحر الّا من سواحله او انهم تأملوه بدون انتباه من على ظهر احدى السفن . فاولئك وهؤلاء طبعاً لم يفكروا بسعة اسراره وتنوّعها ، هذه الاسرار التي يحجبها جلاله الصامت المقفر في الظاهر . وانهم يشهدون مع المؤلف المطر الباعث على الدهشة في غضون الاجيال المتعددة ، ذلك المطر الذي كوّن البحر على سطح كرتنا منذ مليارات

السنين . ومن ثمّ يتصدى المؤلف الى اشكال الحياة في مياهه ليفودنا من ذلك الماضي السحيق من على سطح المجاري المخددة التي تعج في بعض الاماكن بالاحياء ، ليبيد بعضها بعضا بدون انقطاع على قدر ما هي آخذة بالازدياد ، الى التجاويف العجيبة القائمة في السهول تحت الماء والى الاعماق والهوات الهائلة المخيفة المظلمة في قعر المحيط . وثمّة ايضا مدهشات اخرى تعيد الينا الذكرى ان البحر الذي يغطي القسم الاكبر من كرتنا يأتي ، اكثر من الارض البارزة، باعمال تؤثر على تغيير الاحوال الجوية وبانقلابات تاريخه الكبرى منذ ابعد العصور السحيقة وهو يتأهب لينجز العمل نفسه في المستقبل .

وانهم وقد انتابتهم رعدة في الحقيقة ضيقة سيعرفون انه البحر في صعود مستمر ليغطي يوماً كلّ وجه الكرة او جزءا منه، ولربّما اغرق بعد بضعة عقود من آلاف السنين (وهي برهة يسيرة بالنسبة الى تاريخه) عدداً من المدن التي تكتظ اليوم بالسكان وعدداً من السهول التي تؤمّن لهم حياتهم .

ولقد وضعت هذا الكتاب احدى النساء العالمات المولودات في اميركا وكتبته خاصة لأبناء وطنها . واذا لم نجد فيه مقاماً مرموقاً للبحر المتوسط الغني بالذكريات التاريخية والمثير غريزة حبّ الاستطلاع لدى علماء المحيطات، ولا لبلدان الشرق التي تحف به ، فلا يدعونا ذلك الى الاستغراب . وعلى كل فقد اشارت المؤلفة في الفصل الاخير من كتابها ، في الصفحة ٢٤٣ ، الى اولئك البحارة الاولين الجديرين باسم رجال البحر ، ألا وهم الفينيقيون، الذين ربّما بلغوا في اسفارهم الى الصين والى المحيط الهادي عن طريق الشرق ولم يتركوا لسوء الحظ كتابة تنبئ عن اكتشافاتهم متذرعين بالحكمة التي ربما عمدوا اليها ليتلافوا عن قيام منافسين لهم .

ب. م.

فهارس

كتاب وقف اسعد باشا العظم

حقّقه وعلّق عليه الدكتور صلاح الدين المنجد

دمشق ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م — ١٧ صفحة قطع وسط

واضع هذا الكتاب معروف بكتب تجتذب انتباه الطائفة المتعلمة اليها .

فهو يبحث في المكتبات ويقل للقراء بامانة نتائج مبحوثه ، وفي هذا الكراس نبش صك وقف اسعد باشا العظم وبيانا عن تلك الهبة الخطيرة ومعهما تعليق قليل مهم وتوطئة تثبت في ذهننا ذكرى المحسن . ولا يسعنا الا ان نهنئ المؤلف ونشجعه ليتحفنا بالغزير مما تشتمل عليه مكتبات دمشق من الكنوز. ا.ع.خ.

فهرس المؤلفين والعناوين للكتب العربية الموجودة بالمكتبة العامة للحماية

نيابة التربية والثقافة

دار الطباعة المغربية – تطوان ١٩٥٢ ، ٦١٠ صفحات ، حجم كبير

اجل انه عمل جليل وذو فائدة هذا الدليل الذي يشتمل على اسماء جميع الكتب المطبوعة وهي موجودة في مكتبة الحمية الاسبانية براكش . وهذا الدليل قسمان الاول يشتمل على اسماء الكتب بحسب الحروف الابجدية والثاني يضم اسماء المؤلفين ويكشف لنا عن ثروة هذه المكتبة ثروة تروي غليل المتعطشين الى التنقيب . والذي نتوق اليه هو وضع دليل باسماء مخطوطات المكتبة نفسها وغيرها من المكتبات التي تضم كنوز مخبوءة لم يستفد منها المنقبون هواة العلم . وينبغي لنا ان لا ننسى بعض الصور الشمسية التي زين بها الكتاب والتي أخذت من مخطوطات قديمة. ا. ع. خ.

Richard Ettinghausen: *Books Periodicals in Western Languages dealing with the Near and Middle East.* . Completed Summer 1951. The Middle East Institute in 4°. III — 111 pp. Washington, 1952.

تشير توطئة هذه المراجع الى ميزتها الابتدائية والى كونها قد اعدت «للابحاث الاولية » والذي يبعث فينا الاسف هو انها قد اهملت غالباً الفوائد التي تكون مشاكل مختلفة لتخولنا اعداد مستندات كاملة لاحد الموضوعات .

ومن الامثلة على ذلك : اننا نفتش عبثاً بين المجلات الشهرية عن مجلة الدروس الاسلامية الباريسية التي لا يستغني عنها كل متوغل دراسة الاسلام دراسة رصينة في الشرقين الادنى والاوسط ... كما اننا نبحث ايضاً من دون جدوى عن غودفروا — دومبين (Gaudefroy - Demombynes) وكتابه التنظيمات الاساسية في الاسلام الذي هو من خير المؤلفات على وجهة الاسلام .

ومما لا شك فيه هو ان الفقرة التي عنوانها « الثقافة » هي بالحقيقة شديدة الايجاز . فما من كتاب بالافرنسية او الانكليزية . فكان يقتضي لهذا الفصل عدد كبير من التبويب .

فلو قرأ طالب اميركي الفقرات الاربع عشرة فهل يفكر في عمل التثقيف الكبير الذي تحقق على يد المدارس والكليات والجامعات الكاثوليكية من بيروت حتى مادورا . وهل يفكر في اماني « مصالح الثقافة الوطنية » للبلدان العربية ؟ ان ما اورده الاستاذ فاضل الجمالي في القضية التي قدمها في جامعة برنستون عن مدارس البدو الرحل في العراق كان بالاستطاعة ان تعد بسطاً للمشكلة.

ان المكتبات الاميركية على رغم وفرة ما فيها من المؤلفات ينبغي لها ان تكون كاملة . ونحن على انتظار لطبعة ثانية يقوم بها معهد الشرق الاوسط ، طبعة تكون اشد اتزاناً بصدد هذه المراجع التعريفية . هنري شارل

اخبار العالم

اخبار دينية

القديس بيوس العاشر : بعد اعلان قداسة بيوس العاشر في ٢٩ ايار المنصرم صار عدد الباباوات التي ثبتت الكنيسة قداستهم سبعة وسبعين يزاد عليهم سبعة طوباويين .

ثم في ١٣ حزيران احتفل في روما باعلان قداسة خمسة آخرين وهم : بيار شانل ودومنيك سافيو وماريا كروسوفيسا دي روزا وغاسباري دلبوفالو وجوزف بيناتلي .

مؤتمر رومة المريمي : كان افتتاح مؤتمر اتحاد الاخويات المريمية الاول في روما في ٨ ايلول وقد حضره من المشتركين في اخويات العذراء عشرة آلاف يمثلون ثلاثاً وستين بلدة . انشئت الاخوية المريمية الاولى في عاصمة الكثلكة سنة ١٥٦٣ انشأها الاب لونيس اليسوعي الفلامندي مدة دروسه في المعهد الروماني . للاخويات المريمية في العالم كله اكثر من خمسين الف مركز .

صار الاحتفال بافتتاح المؤتمر المريمي في كنيسة القديس بطرس وبحضور الحبر الاعظم : وقد مرّ ستون سنة على قداسته من يوم تكرس هو ايضاً عضواً في اخوية العذراء .

اعلان العذراء ملكة : في اليوم الاول من تشرين الثاني القادم يحتفل قداسة البابا بيوس الثاني عشر باعلان مُلك العذراء مريم : والعالم المسيحي بامره سوف يشترك بهذا الاحتفال تمجيداً لمريم ملكة السماوات والارض امّ ملك الملوك ربنا يسوع المسيح . ثم بعد ذلك سوف يكلل الحبر الاعظم هامة ايقونة لها تكرّم في معبد بورجيس بتاج فاخر هو هدية قدمها العالم الكاثوليكي لمريم في هذه المناسبة ثم يضع تاجاً ثانياً على رأس ابنها يسوع .

يعقب حفلة الاعلان بمُلك العذراء مؤتمران مريميّان يختص الاول بالبحوث اللاهوتية في العظائم التي صنعها الله في مريم وفي سرّ مقامها في الكنيسة جسد المسيح السري . والثاني يختص بدعوة الشعب الى تفهّم فضائل مريم ودورها الفعّال في النفوس لخلاصها وتقديسها . وينظّم في الوقت عينه في روما معرض دولي للكتب المريمية .

المرسلون في الصين الشيوعية : كان عدد المرسلين في الصين قبل استيلاء الشيوعيين عليها نحو خمسة آلاف لم يكن باقياً منهم بتاريخ ١ تموز الا مئة وخمسة وثلاثون وهم : اربعة اساقفة واربعة نوّاب رسوليين وستة وسبعون كاهناً واحدى وخمسون راهبة . ومن هؤلاء ثلاثة وعشرون في السجون وغيرهم منفيّون من خورناتهم وآخرون يحرمون بالكلية مهامهم الروحية وبعضهم مهملون يتصبّون على اعمالهم الكهنوتية بكل تحفظ وفطنة

مؤتمر بيروت بمناسبة السنة المريمية : طاف في لبنان تمثال العذراء مريم من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية تحيط به الجماهير العديدة بمظاهرات باهرة تجلى بها صدق ايمان اللبنانيين الراسخ في قلوبهم رسوخ صخر جبالهم وتفوّقهم وبحبهم لمريم ملكة لبنان ارزته المجيدة .

في الساعة التاسعة ونصف من مساء الثلاثاء ١٩ تشرين الاول وصل الى مطار بيروت الدولي نيافة الكردينال انجلو رونكالي بطريرك البندقية موفد الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر ليترأس رسميا باسم قداسته مؤتمر بيروت المريمي . وقد استقبلته السلطات الروحية باجمة عظيمة والسلطات المدنية بين المراسيم التي يستقبل بها رؤساء الدول . وبعد وصوله انتقل بين هتافات الجموع الى قصر الضيافة الذي أعدّ له في قصر الدكتور جوزف قطالي . ثم في مساء اليوم التالي وهو الاربعاء ٢٠ تشرين الاول الساعة السادسة مساء ترأس الاحتفال بافتتاح المؤتمر . اما اقبال الجماهير من المدينة ومن الجبل على الاشتراك في المؤتمر فما لم يشاهد قط لبنان مثله بعدد الزوار وتنوّعهم ومظاهرات الابتهاج والحمية .

الاخبار العالمية

اهتمام الكتلة الاوربية الغربية في مشكلة الدفاع : كانت فكرة انشاء المجتمع الاوربي الدفاعي آخر ما توصل الغرب اليه وعليه علّق آمالاً كبيرة اقراراً لسلام العالم وتوطيده ازاء الدول الشيوعية المعادية فاهتمت كثيراً واميركا بنوع خصوصي وجهدت في حمل سائر الدول الغربية على قبولها وتحقيقها لكن دون جدوى .

هاك لمحة عن منشأ هذه الفكرة :

في ١٧ ايار ١٩٤٦ وقّعت بلجيكا وهولندا واللوكسمبورج على ميثاق دفاعي مشترك بعد ان تعهدت فرنسة وبريطانية العظمى بتقديم مساعدتها العسكرية لسنده اذا ما وقع هجوم على المتعاقدين : هذا ما سمّوه « Bénélux »

ثم في ٤ نيسان ١٩٤٩ نشأ الميثاق الاطلسي الشمالي « OTAN » : انضم اليه مع الدول الخمس المذكورة اعلاه سبع دول اخرى هي : الولايات المتحدة وكندا وايطاليا والبرتوغال والنروج والدانمارك وايسلندا .

لكن الكتلة الغربية بعد انتقال خط القتال الى الشرق بحرب كوريا رأت بانه من الضروري ان ينتقل معه خط دفاعها الى الشرق وانه من اجل هذا لا بد من اشراك المانيا في الاتحاد الدفاعي عن اوربة الحرة اي عن الغرب . فساومت اذ ذاك فرنسة فكرة اعادة حرية التسلح من جديد لالمانيا وعرضت على الحلفاء الغربيين انشاء جيش اوروبي يسمح لالمانيا الاشتراك فيه : هذا ما سمّوه المجتمع الاوروبي الدفاعي « CED » . اما حكومة لندرة فقد حبّذت هذه الفكرة لكنها رفضت الاشتراك فيه عملياً . وتمسكت الولايات المتحدة بتحقيق هذا المشروع تمسكاً شديداً وهدّدت فرنسة بتسليح المانية هي نفسها اذا رفض

عليها فوراً . والمجلس الاوربي بعد تردد ومماطلة طال مداهما رده رافضاً البحث فيه حينئذ تأثرت الكتلة العربية تأثراً شديداً من هذا الرفض وعمدت في ايجاد مشروع آخر يقوم مقام المجتمع الدفاعي العربي . . . وبعد الحيرة والتشاور قرّ الرأي على ان يجتمع في لندرة للمباحثة في الامر تسع دول هي : ايطالية وفرنسة والمانية وبلجيكة وهولندة واللوكسمبورج وبريطانية العظمى وكندا والولايات المتحدة . وبعد عدة اجتماعات اتفقوا على نقاط عمومية اهمّها اثنان : اعادة السلطة المدنية تماماً الى المانية . ودرس الشروط الضرورية لتمكين المانية من التسلح من جديد .

اتفاق الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية في مسألة الجلاء عن قناة السويس : تم توقيع هذا الاتفاق في ١٩ تشرين الاول الحالي بعد ان دام هذا الاحتلال ٧٢ سنة .

مشكلة تريستا بين ايطاليا ويوغوسلافيا : كانت هذه المشكلة تُعدّ من اعسر المشاكل حلّاً واخطرها في اوربة وها هي قد انتهت بسلام لما ابداه الفريقان من الرزانة والمساهلة في التوصل الى الاتفاق المنشود وقد وُقّع الاتفاق بين ايطالية ويوغوسلافية بالتراضي نهائياً في لندرة في ٥ تشرين الاول وهو يحتم بابقاء الحالة الناتجة من التقسيم الذي عقب الحرب على ما هي فتحتل ايطالية المنطقة الاولى بما فيها مدينة تريستا ومرفأها والمنطقة الاخرى تبقى ليوغوسلافيا .

BIBLIOTHECA ARABICA SCHOLASTICORUM

SÉRIE ARABE

Textes établis par le Père Maurice BOUYGES, S. J.

Tome I. — ALGAZEL, *Maqâcid al-Falâsifat.* (*en préparation*)

Tome II. — ALGAZEL, *Tahâfot al-Falâsifat,* ou « Incohérence des Philosophes ». XXX + 447 pp. - Imprimerie Catholique. 1927.

Tome III. — AVERROÈS, *Tahâfot at-Tahâfot,* ou « Incohérence de l'Incohérence ». XL+679 pp. - Imprimerie Catholique, 1930.

Tome IV. — AVERROÈS, *Talkhîç Kitâb al-Maqoûlât,* ou « Paraphrase du *Livre des Catégories* d'Aristote ». XL+184 pp. - Imp. Catholique, 1932.

Tomes V-VI-VII. — AVERROÈS, *Tafsîr Mâ ba'd at-Tabî'at,* ou « Grand Commentaire de la *Métaphysique* d'Aristote ».

Tome V,1. — (NOTICE). CCXVII pages. - Impr. Catholique 1952.

Tome V,2 — Livres petit ALIF, grand ALIF, BA', GIM. VIII + 472 + [24] pp. - Impr. Catholique 1938.

Tome VI. — Livres DAL, HE, ZAY, HHA, TTA. XVI + 762 + [34] + 4 pp. Impr. Catholique 1942.

Tome VII. — Livres YA' et LAM, et Table des Matières. XVI + 520 + [24] + (317) + 2 pp. Impr. Catholique 1948.

Tome VIII. — ALFARABI, *Risâlat fî'l-'Aql,* ou « Opuscule sur l'Intellect ». XXIV + 48 pages. Impr. Catholique 1938.

فهارس المشرق العامة

تتناول المجلدات الاربعة والاربعين الاولى

المطبعة الكاثوليكية - بيروت . ١٩٥٢ . ٣١٢ ص . عني بنشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

Ignace-Abdo KHALIFÉ, S.J. — *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université Saint Joseph.* Seconde série — Impr. Catholique - Beyrouth, 1952.

Pedro DIB, Docteur en Droit — *Essai sur une théorie des Mobiles en Droit Ḥanafite.* — Préface de Choueri CARDAHI. — Imprimerie Catholique. Beyrouth 1952. - XVII + 416 pp.

اهدت الينا ادارة معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية الكتب التالية :

١	: المحاضرة الافتتاحية	الاستاذ ساطع الحصري
٢	: محاضرات في القانون المدني العراقي مصادر الالتزام غير التعاقدية ، والاوصاف المعدلة لآثار الالتزام	الاستاذ منير القاضي
٣	: محاضرات في القانون المدني اللبناني (آثار الالتزام)	الدكتور صبحي المحمصاني
٤	: محاضرات في القانون المدني (حوالة الحق في قوانين البلاد العربية)	الدكتور شفيق شحاتة
٥	: مصادر الحق في الفقه الاسلامي	الدكتور عبدالرزاق السنهوري
٦	: محاضرات عن معروف الرصافي	الاستاذ مصطفى علي
٧	: « « جميل الزهاوي	الدكتور ناصر الحاني
٨	: « « حافظ ابراهيم	الاستاذ احمد الطاهر
٩	: محاضرات عن سوريا من الاحتلال حتى الجلاء	الدكتور نجيب الارمنازي
١٠	: محاضرات عن العراق من الاحتلال الى الاستقلال	الاستاذ عبد الرحمن البزاز
١١	: محاضرات في اقتصاديات الاردن	الاستاذ علي الدجاني
١٢	: محاضرات في التشريع الجنائي في الدول العربية	الدكتور توفيق الشاوي
١٣	: محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي	الدكتور محمد يوسف موسى
١٤	: البلاد العربية منذ ظهور الاسلام	(خريطة زمنية)
١٥	: نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق	الدكتور جميل سعيد

المشرق

السنة الثامنة والاربعون — تشرين الثاني - كانون الاول ١٩٥٤

صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام (تابع)

بقلم حبيب زيات †

١٨ ـ الورق الخراساني

عند ابن النديم ان الورق الخُراساني كان يعمل من الكتان[1] ولا نخال ان هذا الرأي كان صحيحاً باجماله لان خراسان كانت اكثر الامصار قطناً ولذلك قال الجاحظ : « قد علم الناس ان القطن لخُراسان وان الكتان لمصر ثم للناس من ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقداره في بعض هذين الموضعين »[2] وكانت نيسابور وحدها تنسج من القطن من الثياب « ما ينقل الى سائر بلاد الاسلام وبعض بلاد الشرك لكثرتها وجودتها »[3] وكان في مرو ايضاً القطن اللين والثياب التي تجهّز الى الآفاق[4] فمن القريب جدًّا ان لا يكون

---

١) الفهرست ٣٢

٢) لطائف المعارف للثعالبي ليدن ٩٧

٣) مسالك الممالك للاصطخري ٢٥٥-٢٥٦

٤) مسالك الممالك ٢٦٣

احد من الوراقين تنبه لاصطناع الورق من خرق القطن على كثرتها عندهم ورخصها .

ولا نعلم بالضبط اي المدن في خراسان كانت متخصصة بعمل الورق وقد نص منها على جيهان واليها ينسب الورق الجيهاني روى ياقوت قول محدث مروي : كتب لي ابو الفضل بن ابي سعد بخط يده طبقاً من حديثه على الورق الجيهاني الكبير[1] .

ولا يبعد ايضاً ان صناعة الورق كانت شائعة في نيسابور وقد تقدم ذكر بعض من كان مشهوراً بالكاغدي من اهل نيسابور. ومن المدن التي أطلق عليها بالفارسية اسم صناعة الورق الخراساني خونج من اعمال اذربيجان قال ياقوت تسمى الآن « كاغد كنان » اي صنّاع الكاغد[2] .

واكثر ما كان ينسب الورق الى امراء خراسان وولاتها وعدّ ابن النديم من انواعه : السليماني والطلحي والنوحي والفرعوني والجعفري والطاهري[3] .

وكان السليماني اول ما عرف منها وهو منسوب فيما يظهر الى سليمان بن راشد كان يلي الخراج في خراسان في خلافة هرون الرشيد[4] وكان الوراقون والنساخ يرغبونه لنسخ الكتب وهي تعرف احياناً بذكر عدد اوراقها كقول ابن النديم : المرزباني له من الكتب كتاب عدد ورقه عشرة آلاف بخطه في سليماني فيه اخبار الشعراء المذكورين[5] وقول ياقوت : ابو سعيد السيرافي له شرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني[6] قال ابن النديم : وانما يعنون بالورقة ان تكون سليمانية ومقدار ما فيها عشرون سطراً في صفحة الورقة[7] .

وهذا التنبيه جليل الفائدة . وفي بعض الاقوال ان الصحيفة السليمانية كانت قريباً من ٣٢ سنتمتراً طولاً و٢٤ عرضاً . وممن اشار الى عرضها هلال

١) معجم البلدان ٢ : ٩٥
٢) معجم البلدان ٢ : ٥٠
٣) الفهرست ٣٢
٤) تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة القاهرة ٦ : ٥٢٩
٥) الفهرست ١٩
٦) ارشاد الاريب ٨٧
٧) الفهرست ٢٢٧

بن المحسن الصابئ في كلامه على الكتب السلطانية قال :

« الذي جرت به العادة القديمة في الكتب السلطانية ان تكون في القراطيس المصرية العريضة فلما انقطع عملها وتعذر وجودها عدل الى الكاغد السليماني[1] العريض هذا في كتب العهود والولايات والالقاب وما يكتب به الى اصحاب الاطراف وما يكتبون به . فاما ما يجري من الخليفة مجرى التوقيع من وزيره المقيم بحضرته مجرى المطالعة فالمستحب فيه الكاغد النصفي »[2] .

ويغلب على الظن انه اراد بالكاغد النصفي الورق الطلحي نسبة الى طلحة بن طاهر امير خراسان اقام والياً عليها في ايام المأمون سبع سنين[3] . وكان الطلحي اكثر ما يتخذ انصافاً لكتابة الاجزاء . قال ابن النديم « الذي رأيت من شعر ابي العتاهية بالموصل نيف وعشرون جزءاً انصاف الطلحي »[4] . ورأى ايضاً كتاب القبائل الكبيرة والايام لمحمد بن حبيب في طلحي نيف وعشرين جزءاً في كل جزء مائتا ورقة واكثر ولهذه النسخة فهرست لما يحتويه القبائل والايام في طلحي نحو خمسة عشر ورقاً »[5] .

ولا يخفى ان لفظ الطلحية للدرج من الورق آت من قطع الطلحي قديماً . ويراد بالدرج قطع طويل من الورق يكتب فيه ويلف . ويظهر انه كان يسمى ايضاً بالطبق . وقد وردت هذه التسمية في بعض الاقوال القديمة ومنها قول السمعاني في كلامه على قصيدة ابن دريد المشهورة :

« اما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجى »

سمعت ابا العباس بن ميكال يذكر صلة ابيه للدريدي في انشائه القصيدة قال لم تصل يدي اذ ذاك الا الى ثلاثمائة دينار صببتها في طبق كاغد ووضعتها بين يديه »[6] .

وكان الدرج لا يكفي الكتابة احياناً كثيرة في الدواوين فكانت تلحق

١) في الاصل المخطوط « الكاغد الشيطاني » وهو من تحريف النساخ
٢) رسوم دار الخلافة . تحقيق ميخائيل عواد بغداد ١٧٨
٣) تاريخ الامم والملوك للطبري . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ٧ : ١٧٠
٤) الفهرست ٢٣٧
٥) ارشاد الاريب ٦ : ٤٧٦ ، والفهرست ١٥٦
٦) انساب السمعاني ٥٥٠–٥٥١

به اوصال متعددة حسب الحاجة . وفي النثر والنظم امثال كثيرة عليه ومن لطائف السراج الوراق في التورية :

نصب الحشا عرضاً فقرطس اذ رمى وفي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال بحجتي يا ليت شعري من هو الوراق (١

وورد قليلاً ذكر الورق الفرعوني كقول الجوزجاني عن ابن سينا :« امرني الشيخ باحضار البياض وقطع اجزاء منه فشددت خمسة اجزاء كل واحد منها عشرة اوراق بالربع الفرعوني »[٢] ويظهر ان الفرعوني كان معروفاً بسعة الطول والعرض فكان يختاره من اراد الاقتصاد والتدقيق في الكتابة كفعل اصحاب الحديث . قال صالح جزرة.« شارطت هشام بن عمار على ان اقرأ عليه كل ليلة بانتخابي ورقة فكنت آخذ الكاغد الفرعوني واكتب مقرمطاً فكان اذا جاء الليل اقرأ عليه فيقول : يا صالح ليس هذه ورقة . هذه شقة»[٣] ولابي حيان التوحيدي كلام مسودة مثالب الوزيرين في « دست كاغد فرعوني »[٤] . ولم نجد لاحد قولاً في تعليل نسبة الفرعوني .

وكذلك اخطأنا التوفيق في ارتياد بعض شواهد الكاغد النوحي والجعفري والطاهري. والاول تترجح نسبته الى نوح بن سامان احد اميري الدولة السامانية المشهورة . واولى ما يبدر الى الذهن ان الجعفري قد يكون منسوباً الى جعفر بن يحيي البرمكي . ولكن من الغريب ان يعرف الكاغد باسم جعفر ويحرم منه اخوه الفضل الذي كان اول من اشار بصناعته . ولا شكّ ان الطاهري معزوّ الى الدولة الطاهرية في خراسان .

ومما يدل على قيمة الورق الطلحي انه كان يُحمل في جملة الهدايا الى الملوك قال الامير المختار المسبّحي:« في يوم الاثنين اثنان من صفر (سنة٤١٥— ١٠٢٤) اهدى الرسول العجمي المقدم ذكره الى الحضرة المطهّرة نحو الخمس عشرة ناقة محملة ورقاً طلحياً واهليلجاً وغير ذلك »[٥] .

١) خزانة الادب لابن حجة الحموي طبعة القاهرة ١٣٠٤ ص ٢٤٥
٢) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٨ وتاريخ حكماء الاسلام للبيهقي ٦٦
٣) تاريخ بغداد للخطيب ٩ : ٣٢٦
٤) الامتاع والمؤانسة طبعة القاهرة سنة ١٩٣٩ ج ١ : ٦١
٥) جزء من اخبار مصر وفضائلها ومحاسنها وطرائفها وعجائبها تصنيف الامير المختار

وكانت هذه الكواغد الخراسانية لاتساع مقاييسها تجزأ ايضاً الى اثمان فضلاً عن الاسداس . ومن شواهد الاثمان قول الخطيب البغدادي :« كان الحافظ الصوري دقيق الخط صحيح النقل . حدثني انه كان يكتب في الوجهة من ثُمن الكاغد الخراساني ثمانين سطراً »[1] . لا شكّ بخط مقرمط كخط المحدثين . ومنها ايضاً قول ابي عبيد الجوزجاني في كلامه على كتاب الشفاء لابن سينا :« كتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل »[2] .

١٩ ــ الورق البغدادي

وصف القلقشندي الورق البغدادي فقال :

« هو ورق ثخين مع ليونته ورقة حاشيته وتناسب اجزائه ولا يكتب فيه في الغالب الا المصاحف الشريفة[3] . وفيه كانت تكتب خصوصاً عهود الخلفاء وبيعاتهم وعهود اكابر الملوك والمكاتبات الى الطبقات العليا من الملوك كاكابر القانات من ملوك الشرق[4] وكانت قاعدة ديوان الإنشاء انه كلما كبر قطع الورق في المكاتبات كان تعظيماً للمكتوب اليه بدليل ان كل من عظم مقداره من الملوك كان قطع الورق في مكاتبته اكبر[5] .

قال : وكان الورق البغدادي على قطعين : كامل وناقص . وفي الكامل تكتب الكتابات السلطانية من العهود ومراسلات الملوك والدرج منه مركب من عدة اوصال وهو في عرف الزمان عبارة عن عشرين وصلاً متلاصقة لا غير[6] . وكانت اوصال الورق في الزمن المتقدم طويلة فكان يكتب في كل وصل

عبد الملك محمد بن عبيد الله بن احمد بن اسماعيل بن عبد العزيز المسبّحي رقم ٥٣٦ من خزانة الاسكوريال في اسبانية ١٦٨

١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣: ٢٩٤

٢) عيون الانباء ٢: ٦

٣) صبح الاعشى ٢: ٤٧٦

٤) « « ٦: ١٩٠

٥) « « ١: ١٥٥

٦) « « ١: ١٣٨

ثلاثة اسطر وبين كل سطرين اكثر من عرض ثلاثة اصابع ثم قصرت الاوصال وصار كل وصل لا يسع في القالب اكثر من سطرين[١] وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بذراع القماش المصري[٢] .

وهذه الاقيسة والمقادير هي التي استقر عليها مصطلح الديوان الشريف في مصر في المئة الثامنة للهجرة في ايام القلقشندي . ويؤخذ من كلام الصابئ ان طول الوصل في القرن الثالث كان ثلاثين ذراعا اي طول الدرج في عهد المماليك قال : استدعى ابو الحسن بن الفرات في بعض الايام ابا علي بن مقلة وابا عبدالله والد ابي القاسم بن زنجي وقال لابي علي : استدع قرطاساً يكتب فيه فاحضر صاحب الدواة ثلث القرطاس ... واستدعى ابو علي ثلثاً آخر واستتم الامر فيه وفي ما اراد خطابه في معانيه فكان ذرع الثلثين اللذين كتب فيهما نحو ستين ذراعاً[٣] .

واما عرض الدرج الكامل فقد ذكر القلقشندي مرة انه ذراع واحد بذراع القماش المصري[٤] ومرة اخرى انه ثلاثة اشبار وخمسة اصابع وطول الوصل كذلك[٥] .

« وكان عرض الدرج البغدادي الناقص دون عرض البغدادي الكامل باربعة اصابع مطبوقة وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك وربما كتب فيه للطبقة العليا لإعواز البغدادي الكامل[٦] » ولم يذكر ما كان طوله وانما سمي الناقص لانه كان دون الكامل وهو المعوّل عليه في المكاتبات والمعاملات والمعنيّ دائماً في كتب المصطلح الشريف بقولهم « قطع العادة » .

ويترجح انه كان للورق البغدادي انواع كما كان للخراساني ومنها نوع كان يقال له « المأموني » لعله نسب الى الخليفة العباسي المأمون ان لم يكن

١) صبح الاعشى ٧ : ٢١٧
٢) « « ٦ : ١٩٠
٣) تاريخ الوزراء ٢٣٩
٤) صبح الاعشى ٦ : ١٩٠
٥) « « ١٠ : ١٥٣
٦) صبح الاعشى ٦ : ١٩٠

لمقترح له بهذا الاسم من الوراقين في الاعصر الاولى قال ياقوت: كان ابو الحسن بن طباطبا مشتاقاً الى عبدالله بن المعتز متمنيا ان يلقاه او يرى شعره ... وقد حُملت الى بغداد نسخة من شعر عبد الله بن المعتز فاستعارها ... وتمكن من النظر فيها وخرج وطلب محبرة وكاغدا واخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطعات من الشعر حتى فرغ من نسخها وملأ منها خمس ورقات من نصف المأموني وأحصيت الابيات فبلغ عددها مئة وسبعة وثمانين بيتاً تحفظها من شعر ابن المعتز في ذلك المجلس[1]». ولا يخفى ما في هذا الحفظ من الغرابة واذا صح وزال كل ارتياب فيه يكون كل نصف من المأموني اتسع لما ينيف قليلاً عن ٣٧ سطرا وهو دليل على سعة قياس هذا النوع من الكاغد.

ولم يتفق مرة لاحد كتاب المصطلح الشريف في كلامهم على انواع الورق المستعمل في دواوين الانشاء. وذكر قطعه واقيسته ان يشيروا الى اوزان الدروج منه لنعلم منها مقدار ثخانته او رقته. وكان يعمل منه في بغداد نوع غليظ يبلغ احياناً ثلاث مرار او اربعاً سمك الورق العادي لان بعض النقلة والنساخ كانوا يختارونه لطول بقائه على الدهر وهو الورق الذي كان يكتب فيه حنين بن اسحق العبادي ما استخرجه من مؤلفات اليونان. قال: «كنت اذا نقلت لاحدهم كتاباً اخذت منه وزنه دراهم» وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلاً بمثل[2] وقد وُفّق ابن ابي اصيبعة في ايامه للحصول على بعض هذه المخطوطات القديمة ووصفها بقوله: «هي مكتوبة بالكوفي بخط الازرق كاتب حنين وهي حروف كبار بخط غليظ في اسطر متفرقة وورقها كل ورقة منها بغلظ ما يكون من هذه الاوراق المصنوعة وتتذ ثلاث ورقات او اربع وذلك في تقطيع مثل ثُلث البغدادي وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه لاجل ما يُقابَل به من وزنه دراهم وكان ذلك الورق يستعمله بالقصد ولا جرم ان لغلظه بقي هذه السنين المتطاولة من الزمان»[2].

وقد فاتنا ايضاً معرفة اثمان الورق البغدادي واختلافها بين ارتفاع وهبوط

١) ارشاد الاريب ٦: ٢٨٥

٢) عيون الانباء ١: ١٩٧

بحسب القلة والكثرة والازمنة والاحوال وقلما اشير الى رخصها وهو مـا جـ. مرة في تاريخ الخطيب البغدادي في كلامه على رجال المئة الثالثة للهجرة قال : جاء صبيان الى محمد بن غالب التمتام فقالوا : يا أبا جعفر أخرج القمطر فنحن بنادرة الحديث فقال : اكتبوا — لا خيّركم الله — فاخرجوا كاغداً رثاً فقال لهم التمتام : يا بني الكاغد رخيص ببغداد فلو كتبتموه في كاغد اجود من هذا فقالوا : يا ابا جعفر انا نكتب في الكواغد على قدر الشيوخ[1] .

وكانت وفاة التمتام سنة ٢٨٣/٨٩٦ ولكن يتحصل من عدة دلائل اخرى ان الورق كان اقرب الى الغلاء لشدة الطلب له وقد سبق ان اسعاره كانت ترتفع كلما ولي ابو الحسن بن الفرات الوزارة لوفرة ما كان يهب منه كل من دخل داره . قال ابو الحسن ثابت بن سنان : انا اذكر انه كلما تقلد ابو الحسن بن الفرات الوزارة زاد سعر الثلج والشمع والقراطيس زيادة مفرطة وافرة وكان ذلك متعارفاً عند التجار[2] ». وكان معنى القراطيس وقتئذ قد بدأ يتناول كل انواع الصحف والمراد به هنا الورق المنصوري حسبما نقلناه آنفاً من قول الصابئ او الكاغد باجماله كما حكي عن المقتدر بالله انه « امر نسيّما الطولوني — وكانت اليه الشرطة ببغداد — الا يكلّف الناس ثمن الكاغد الذي تكتب فيه القصص وان يقوم به»[3] ويعني بالقصص هنا الرقاع او العرائض التي كانت ترفع الى ولاة الامور في حوائج المتظلمين .

وقد تقدم ان المصطلح عليه قديماً من الورق قطع الثلثين والنصف والثلث والربع والسدس واحياناً الثمن . وكان ثمن البغدادي يستعمل للنسخ بالخط الدقيق كما ذكرناه من الثمن الخراساني قال ابن اصيبعة في ترجمة شمس الدين الخسروشاهي : رأيته يوماً وقد اتى اليه بعض فقهاء العجم بكتاب دقيق الخط ثمن البغدادي معتزلي التقطيع »[4] وربما كتب ايضاً في قطع نصف ثمن البغدادي في الاجزاء الصغار . وممن كان شديد الرغبة فيه خصوصاً اسعد بن الياس بن

١) تاريخ بغداد ٣ : ١٤٧

٢) تاريخ بغداد لابن النجار ٢١٣١ باريس ٢٥

٣) صلة الطبري لعريب ٧١

٤) عيون الانباء ٢ : ١٧٣

المطران الرومي الملكي طبيب صلاح الدين الايوبي وكان صلاح الدين ضنينا به يحترمه ويجله لما تحققه من علمه وحسن علاجه وما زال به حتى حمله على الاسلام واتبه موفق الدين وكان لديه عدة مقالات متفرقة في الطب ومنها جملة في مجلد واحد «فاستنسخ كلا منها بذاته في جزء صغير قطع نصف ثمن البغدادي بسطرة واضحة وكتب بخطه ايضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الاجزاء الصغار مجلدات كثيرة جدا فكان ابدا لا يفارق في كمه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان او اين توجه . وبعد وفاته بيعت جميع كتبه ... واخرجوا من هذه الاجزاء الصغار الوفاً كثيرة اكثرها بخط ابن الجمالة وان القاضي الفاضل بعث يستعرضها فبعثوا اليه بل. خزانة صغيرة على ما وُجدت كذلك فنظر فيها ثم ردها فبلغت في المناداة ثلاثة آلاف درهم ... وحصل الاتفاق مع الورثة في بيعها انهم اطلقوا بيع كل جزء منها بدرهم فاشترى الاطباء منهم هذه الاجزاء الصغار على هذا الثمن بالعدد»[1].

وكان ببغداد سوق للصاغة تليها سوق للوراقين كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء[2] وفي سنة ٢٧٦ / ٨٨٩ كانت حوانيت الوراقين في ربض وضاح المعروف بقصر وضاح الذي قال فيه علي بن الجهم :

سقى الله باب الكرخ من متنزّه الى قصر وضاح فبركة زلزل

قال ابن واضح المعروف باليعقوبي : اكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون اصحاب الكتب فان به اكثر من مئة حانوت للوراقين»[3] ونقل القزويني ان بالكرخ دكاكين الكاغد والثياب الابريسمية[4] ولكن لم يدل احد على مواضع الوراقات التي سبقت القرن السابع للهجرة وقد آل امرها حينئذ ان تكون في آخر خراب بغداد بعد اجتياح التتار للمدينة . قال ياقوت في تعريفه محلة جهارسوخ اي المربعة في قبلة الحربية : «خرب ما حولها من المحال وبقيت هي والنصرية والتابون ودار القز متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب

١) عيون الانباء ٢ : ١٧٨–١٧٩

٢) مناقب بغداد لابن الجوزي ٢٦

٣) كتاب البلدان . ليدن ٢٤٥

٤) معجم البلدان ٢ : ١٦٧ و٥٢٢

بغداد يعمل في هذه الحال في ايامنا هذه الكاغد[1].

وليس لدينا ايضاً الا لمع ضئيلة الى ما اصاب الوراقات والوراقين قبل مجيء التتار من الاضرار والخسائر في الفتن التي كانت تنتاب بغداد بين السنة والشيعة وما كانت تلتهمه النيران في كل حريق من معامل الكاغد وحوانيته واوحد ما وقفنا عليه من اخبارها قول الصولي: «في سنة ٣٣٢ (٩٤٤ م) في ذي القعدة وقع في هذا الشهر بالكرخ حريق عظيم من حد طاق التكك الى الساكين وعطف على اصحاب الكاغد واصحاب النعال»[2].

وفي سنة ١٣٥٦/٧٥٧ توفي حسن بك بن الحسين بن ابغا بن ايلكان السلطان الكبير الحاكم على بغداد قال الصفدي : وجرى في ايامه ببغداد الغلاء العظيم حتى أبيع الخبز على ما قيل بصنج الدراهم ونزح الناس من بغداد وعدم منها الورق وكان يجلب منها الى الشام ومصر وغيرهما »[3].

قال السمعاني : وقد يقال لمن يبيع الورق ببغداد الوراق ايضاً وهو اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها »[4]. ومن نسب فيها الى بيع الكاغد او عمله : احمد بن علي الكاغدي ابو عبد الله يعرف بابن اخت علوي من اهل محلة دار القز توفي سنة ٥٤٦»[5] (١١٥١ م) واحمد بن علي بن ابي الجرد ابو العباس بن ابي الحسن القاسم الكاغدي من ساكني محلة العتابيين اخو ابي القاسم المبارك الكاغدي مات سنة ٦١٣[6] (١٢١٦ م) والحسن بن ناصر الكاغدي وابو بكر بن عمر الكاغدي من المحدثين[7].

وقد تقدم من كلام القلقشندي ان الورق البغدادي كان يكتب فيه في الغالب المصاحف الشريفة ومن اشتهر بكتابتها محمد بن شريف بن يوسف الشيخ الكاتب شرف الدين المعروف بابن الوحيد صاحب الخط الفائق ... كان قد اتصل بخدمة الامير بيبرس الجاشنكير واعجبه خطه فكتب له ختمة في سبعة

١) معجم البلدان ٣ : ١٦٧ و٢٢٢.
٢) كتاب الاوراق ٢٦١
٣) ذيل ابن قاضي شهبة ١٥٩٨ باريس ١٦٠
٤) كتاب الانساب ٥٧٩
٥ و٦) تاريخ بغداد للدبيثي ٢١٣٣ باريس ٣٢ و٦١
٧) تاريخ بغداد لابن النجار ٢١٣١ باريس ٣٨ و١١٦

اجزاء بليقة ذهبية في قطع البغدادي فاعطاه بيرس الجاشنكير برسم الليقة .. غير الفا وستمائة دينار وقيل الف واربعمائة فقيل له في ذلك فقال : متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الختمة »[1] .

٢٠ ــ الورق الشامي

كانت صناعة الورق في الشام قديمًا اعم منها في العراق ومصر وعرف بها من مدنه :

دمشق وحماة وحلب ومنبج وطرابلس وطبرية وفي بعض الاقوال عسقلان ايضاً .

ولا يعلم بالضبط متى بدأ عمل الورق في وادي بردى ويظهر انه نقل اليها من حماة ولذلك اشتهر فيها الورق الحموي في كل زمان وقد ذكر البشاري المقدسي الورق في جملة ارتفاعات دمشق في المئة الرابعة للهجرة[2] اي في جملة ما يستخرج منها ويحمل الى الشرق واليمن والحجاز وبلاد الروم وعرف في الغرب سنة ٩٨٥ اى ٤٨٥ للهجرة ويدعى عندهم Charta Damascena ومما ساعد على انتشار هذه الصناعة في قاعدة الخلافة الاموية كثرة الانهار فيها وتعدد زراعات القنب ولا تزال اقصاب القنب ترد كل يوم الى المدينة وتباع على الافران للوقيد وتفتل من قشورها الحبال والامراس وظل الكاغد يعمل فيها الى ايام البدري في المئة التاسعة وعده بين القافات التي كانت في زمانه تحمل من دمشق الى مصر قال : وفيها تعمل صناعة القرطاس يحسن صقاله ونقي اوصاله[3] .

ويظهر انه كان دون البغدادي في الرتبة قال احد مؤرخي المصطلح الشريف في القرن التاسع :

«هو ثلاثة انواع :

النوع الاول : الحموي وقد صار ذلك علماً عليه لانه كان مبتدأ عمله بمدينة حماة ثم نقل عمله الى مدينة دمشق واستعماله بديوان الانشاء نادر .

١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي في الجامعة المصرية في القدس مجلد مصور عن نسخة مصر ٦ : ١٦٧

٢) احسن التقاسيم ١٨١

٣) محاسن الشام ٣٦٣-٣٦٤

النوع الثاني : الورق الشامي المشهور وتسمى الفرخة منه في البلاد الشامية « طلحاً » والدست « كتة » وهو المستعمل بدواوين الممالك الشامية وبلاد المشرق واقليم اليمن والروم والاقطار الحجازية ويستعمل في الدواوين الشريفة في المربعات والتذاكر والفرامين وبديوان الانشاء في الدفتر خاصة وربما استعمل بالديوان في المكاتبات والولايات ولا يكون ذلك الا في السفر في الركاب الشريف عند عدم الورق المصري ويستأذن كاتم السر السلطان على استعماله بديوان الانشاء ويأخذ بالاذن له مرسوماً شريفاً مرتباً لان الورق المصري له مهابة عند جميع الملوك والممالك ويختص بالكتابة بالورق الاحمر الواردة على الابواب الشريفة كافل السلطنة الشريفة بالشام ونائب الكرك ليس الا.

النوع الثالث : ورق الطير وربما قيل ورق البطائق وهو غاية ما يكون من رقة الحاشية والفرخة منه زنة درهم ونصف ويستعمل في ديوان الانشاء في الملطفات والبطائق لا غير»(١.

ويؤخذ مما تقدم ان الورق الشامي كان منه لونان ابيض واحمر ولكل منها استعمال خاص وممن ذكرهما ايضاً القلقشندي في كلامه على المطالعات الواردة من اكابر اهل الدولة بالديار المصرية والبلاد الشامية من النواب ومن في معناهم فقال :

« قد جرت عادة من يكتب الى الابواب السلطانية من اهل هذه الرتبة ان يكتب جميعهم كتبهم في قطع العادة فان كان بالديار المصرية ففي الورق البلدي وان كان بالبلاد الشامية ففي الورق الشامي وجميع ذلك في الورق الابيض الا نائب الشام ونائب الكرك فانهما قد جرت العادة فيها بانهما يكتبان الى الابواب السلطانية في الورق الاحمر الشامي شيء اختصاً به دون سائر اهل المملكة »(٢ .

واخبر عمن يوثق به انه رأى عهد المعتضد بالله والمتوكل على الله من خلفاء مصر العباسيين مكتوباً في قطع الشامي الكامل قال :

« وكأنهم لما تقهقرت الخلافة وضعف شأنها وصار الامر الى الملوك المتغلبين على الخلفاء تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع الكامل البغدادي الى قطع الشامي »(٣ .

واشار الى قطع الشامي الكامل فقال :« عرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله وهو قليل الاستعمال بالديوان الا انه ربما كتب فيه بعض المكاتبات كما كتب فيه عن الاشرف شعبان بن حسين لوالدته حين سافرت الى الحجاز الشريف»[٤].

١) خزانة باريس رقم ٤٤٣٩ ص ١٧٧
٢) صبح الاعشى ٨ : ٥٤
٣) « « ٩ : ٣٩٤
٤) « « ٦ : ١٩٢–١٩٣

وذكر ايضا القطع الصغير وانه « في عرض ثلاثة اصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام»[1] . اي حمام الزاجل او الحمام الهادي .

ولا بد لمعرفة مقادير الورق الحموي والشامي واقيستها بالضبط من تفقد ما يوجد اليوم من المخطوطات القديمة باقلام مؤلفيها وقد اعتاد بعض المؤرخين اذا ذكروها ان ينبهوا على قطع الورق المكتوبة فيه كقول ابن قاضي شهبة الاسدي في كلامه على تاريخ صلاح الدين بن شاكر الكتبي المعروف بعيون التواريخ : « هي بخطه في اربعة وعشرين مجلداً في نصف قطع الحموي»[2] وكقول فضل الله الصقاعي ان ابن الحواري جمع في اوصاف دمشق ومحاسنها والماجريات فيها قدر خمس مئة كراس بقطع الدمشقي الكامل »[3] وفي الخزانة التيمورية بالقاهرة بعض مجلدات بخط ابن شاكر يسهل قياسها وتحقيق مقادير الورق الحموي فيها . وفي مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ما هو عريق في القدم خط منذ منتصف المئة الثالثة للهجرة فلتراجع وينظر فيها ليسهل علينا تعين قطع الورق الشامي او غيره منها . ولا يجهل احد شأن هذا الدرس وفائدته الجلى في تاريخ الوراقة .

وندر جداً ان يشار الى اسعار الورق قديماً في جملة ما كان يطرأ على الاسواق من رخص وغلاء. وغاية ما وقفنا عليه قول البدر العيني : في اواخر المحرم (سنة ٨٠٦=١٤٠٣) تحسنت الاسعار جداً . . .ووصل الدشت من الورق الشامي وهو خمس وعشرون فرخة الى ستة عشر درهماً والدشت الحموي إلى عشرين درهماً »[4]. وذكر اسعار سنة (٨٢٣/١٤٢٠) فقال :« تحسنت اسعار الكتب جداً ورخص الورق الشامي بعض الرخص فبيع الكف منه بثلاثين درهماً فلوساً والكفة منه خمس وعشرون فرخة »[5] .

١) صبح الاعشى ٦ : ١٩٢–١٩٣
٢) كتاب الذيل ١٥٩٨ باريس ١٧١
٣) تالي كتاب الاعيان ٢٠٦١ باريس ٧٦
٤) عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ١٥٤٣ باريس ٦٥
٥) عقد الجمان ١٦٥

وكان بدمشق وراقات اتخذت في جوار الانهار او العيون لحاجة الصناعة كان منها واحدة في خارج باب السلامة عند عين كُشتكين و«تقع هذه العين في زقاق يسمّى اليوم زقاق العين على يمين الخارج من باب السلامة»[1] . وكان قريبا منها مسجد يدعى مسجد الوراقة وهو الرابع والاربعون من مساجد كتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي . ومنها ثانية في محلة عُنَيبة الحمى « عند دار البطيخ في مكان المدرسة الشامية البرانية»[2] . وهنالك عين تسمى عين علي[3] . ورد ذكر هاتين الوراقتين في الكتابة التي لا تزال تقرأ فوق عتبة مدرسة نور الدين الشهير التي يقال لها النورية الكبرى في السوق المعروفة اليوم بسوق الخياطين وكانت تدعى قديما سوق الخواصين[3] اي بائعي الخوص وهو ورق النخل .

ومنها وراقة ثالثة تحت المدرسة العزية اشار اليها صلاح الدين الصفدي في ذكره وفاة عبد الوهاب بن فضل الله العمري سنة ٧١٩ (١٣١٩ م) قال : ودفن بتربة له جوار المدرسة العزية التي عند الوراقة ظاهر دمشق»[4] وفي غربي هذه الوراقة الزاوية اليونسية بالشرف الاعلى كما جاء في المنهل الصافي لابن تغري بردي[5] . وعندها عين تسمى عين الوراقة كما في مخطط الصالحية للاستاذ دهان واياها دون ريب اراد ابن الراعي بقوله :

وكم جمعنا الشمل في الوراقة عين تراها بالصفا براقة[6]

ويظهر انه كان بدمشق وراقة رابعة ذكرها ابن عساكر في كلامه على وفاة علي بن محمد بن علي بن داود ابي الرضى الانطاكي قال : توفي ودفن في الوراقة التي خارج باب الفراديس عقيب صلاة الجمعة الثامن من رجب سنة احدى وتسعين واربعمائة (١٠٩٨ م) .

---

١) الوراقات بدمشق للاستاذ صلاح الدين المنجد (المشرق المجلد ٦٢ (١٩٦٨) الجزء ٣ : ٣٦٠

٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ : ٢٢٦

٣) البداية والنهاية ٩ : ٣٥١

٤) اعيان العصر دار الكتب المصرية رقم ١٠٩١ ج ٦ : ٢٢٣

٥) المنهل الصافي الجامعة المصرية ٤ : ٢٠٢

٦) البرق المتألق في محاسن جلق ٧٤٦٠ دار الكتب المصرية .

ولم نعثر في كل مطالعتنا على اقل اشارة الى عمل الورق في حماة او حي الوراقات فيها لقلة احتفال المؤرخين باخبار الصناعات والفنون والتجارة وهو الشقاء الذي كتب على تاريخ الحضارة العربية في الشرق .

وجلّ ما انتهى الينا من آثار اصطناع الكاغد في حلب اشارة الى وراقة قديمة فيها خصت بالذكر في احد المراسيم السلطانية في دولة المماليك ولا يزال حيّ من احياء حلب يعرف اليوم باسم الوراقة[١] .

وقد تنوسيت اخبار منبج ودرست آثار صناعة الورق فيها ولكن بقي صداها في الغرب شاهداً بتقدّمها . وكان يجلب الكاغد منها في جملة مجالب اوربة من الشام في الصدور المتوسطة ويسمى عندهم Charta Bombycèna لان منبج كانت تعرف عندهم باسم Bombyce او Bombyx وهو ترجمة الاسم العربي اي الورق المَنْبَجاني .

وفي سنة٤٣٧/١٠٣٥ مرّ بطرابلس ناصر خسرو المروزي ووصفها في رحلته « سفرنامه » فقال : « يصنعون فيها الورق الجميل مثل الورق السمرقندي بل احسن منه »[٢] . وهذه الشهادة تدل على نهاية جودة الورق الطرابلسي وهي تخالف القول الشائع ان ورق السمرقند منقطع القرين .

واما طبرية فاوحد من نبّه على عمل الكاغد فيها حين مرّ بها هو البشاري المقدسي وعدّه في جملة ما كان يرتفع منها في ايامه[٣] ولا عجب من تخصصها بهذه الصناعة وفيها البحيرة المشهورة .

وفي التقاليد العربية ان عسقلان كانت ايضاً من المدن الشرقية التي كانت تشتمل على الوراقات في عهد الصليبيين ولا يزال بعض المؤلفين يذهبون في حكاية منشإ الورق في فرنسة الى ان بعض اسرى الصليبيين من جند الملك لويس التاسع تلقنوا اسراره في معامل دمشق وعسقلان ولما تخلصوا من الاسر وعادوا الى بلادهم في اوفرنيه (Auvergne) كانوا اول من احدث هذه الصناعة

(١ J. Sauvaget : *Décrets Mamlouks*, in Bulletin des Études Orientales 1933, p. 23.

(٢ Charles Scheffer : *Relation du voyage de Nasiri Khausrau*. Paris 1881, p. 41 — تعريب الخشاب ١٣

(٣ احسن التقاسيم ١٨٠ .

فيها ودعوا بعض القرى حولها باسمها، تذكرهم بدمشق وعسقلان La Dame et Escalon ولكن المحققين اليوم من مؤرخي الورق ينكرون هذا الرأي ويرجحون انتقال الوراقة اليهم من الاندلس في جملة ما صار اليه من الصناعات والفنون الدمشقية على يد من رحل اليه من الشاميين بعد سقوط الخلافة المروانية .

٢١ — الورق المصري

قال القلقشندي في كلامه على الورق المستعمل في الدواوين الشريفة :

« ودون البغدادي والشامي في المرتبة الورق المصري وهو ايضاً على قطعين : القطع المنصوري وقطع العادة . والمنصوري اكبر قطعاً وقلّما يصقل وجهاه جميعاً . واما العادة فان فيه ما يصقل وجهاه ويسمى في عرف الوراقين « المصلوح » وغيره عندهم على رتبتين عال ووسط » (١ .

وفي مخطوط المصطلح الشريف في خزانة باريس شرح اتم واوفى قيل فيه :

« الورق المصري على نوعين . النوع الاول : الورق المنصوري وهو اوفى الاوراق قطعاً واعظمها حجماً ومنه تفصل دروج الولايات والمكاتبات الكبار بديوان الانشاء وتسمى الورقة الواحدة منه فرخة والدست خمس وعشرون ورقة والرزمة خمسة دسوت وكان في القدم تسمى الفرخة طومارا وتجمع على طوامير واشتقاقه من طمرت الشيء اذا اخفيته والدرج في الغالب يطوى ليخفى ما فيه(٢ ومقدار قطعه على ضربين الضرب الاول ما كان يستعمل في زمان الخلفاء وهو على خمسة مقادير قال محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم انه كان يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار والى الامراء من نصف طومار والى العمال والكتاب من ثلث طومار والى التجار واشباههم من ربع طومار والى الحسّاب والمسّاح من سدس طومار ومنها استخرجت المقادير المستعملة الآن .

والضرب الثاني : مقادير قطع الورق المستعمل الآن بديوان الانشاء وهو على تسعة مقادير .

الاول الطومار الكامل وعرض درجه ذراع ونصف بذراع القماش .

الثاني عرض ورق البغدادي وعرض درجه ذراع .

الثالث قطع البغدادي الناقص وعرض درجه دون البغدادي الكامل باربعة اصابع مطبوقة . . .

الرابع قطع الثلثين والمراد به ثلثي الطومار للمنصوري الكامل وعرض درجه ثلثي ذراع بذراع القماش . . .

١) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٦—٤٧٧

٢) سبق القول ان الطومار لفظة رومية .

الخامس : قطع النصف من الطومار الكامل المنصوري وعرض درجه نصف ذراع بذراع القماش .

السادس : قطع الثلث من الطومار المنصوري الكامل وعرض درجه ثلث ذراع . .

السابع : قطع العادة وعرض درجه ربع ذراع وقيراط بذراع القماش وفيه تكتب التواقيع والمراسيم الصغار ومناشير جند الحلقة ومقدميها ومناشير الامراء الصغار من المماليك الشامية وعشرات التركمان وبعض المسامح والامانات والطرخانيات واوراق الحلف والطريق وبعض الملطفات وجميع الامثلة خلا ما يكتب لبعض الملوك وهو أكثر ما يستعمل في الديوان .

الثامن : قطع ورق الملطفات وغالباً يكون من ورق الطير

التاسع : قطع ورق البطائق وعرضه ثلثة اصابع مطبوقة [١] . . .

وقد اخل الكتابان بوصف ورق الطير على كثرة استعماله في رسائل حمام الزاجل وربما ذهب الوهم الى ان الورق المنصوري المشار اليه هو منسوب الى مدينة المنصورة . وانما يراد به ما كان مثال قطع الورق السمرقندي المنسوب الى منصور بن مجير الكاغدي الذي تقدم ذكره في الكلام على سمرقند . ومما يؤيد ذلك ان ابن سعيد متمم كتاب المغرب لما وصف مصر وصفاً حافلاً بالفوائد والملح وكان وصوله للاسكندرية سنة ٦٣٩ /١٢٤١ قال ان المطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة[٢] . فلم يكن شيء منها في المنصورة بمصر .

وقد فاتنا معرفة المواضع والجهات التي كان يصنع فيها الورق المصري في ما عدا الفسطاط وفوة ودقبلة . وفي زمان المقريزي كانت الوراقات بالقرب من باب القنطرة ظاهر القاهرة في الموضع المعروف بخطة لحم واولها شرقي الكنيسة المعروفة بيكاشيل عند خليج بني وائل[٣] ولا شك ان هذه الوراقات وغيرها مما لم يبلغنا ذكرها كانت ذات شأن واتساع حتى طمحت عين الوزير كريم الدين الى الاستئثار بارباح ما يدخل فيها من المواد والمؤن « فاحتكر الاصناف قليلها وكثيرها حتى حبال القنب للوراقات وقصب القساب وقش الحصير »[٤]

١) خزانة باريس رقم ٦٤٣٩ ص ١٧٧–١٧٨

٢) نفح الطيب للمقري ١ : ٤٩٢؛ والخطط للمقريزي مطبعة النيل ٢ : ١٨٩.

٣) الخطط ٢ : ٧٧

٤) نهاية الارب للنويري خزانة ليدن Arab, 19b Gail. f° 24

وكان في القاهرة « حارة الوراقين » بسوق المرحلين . « وخط خان الوراقة ما بين حارة بهاء الدين وسويقة امير الجيوش »[1] .

ومن وزراء مصر وشعرائها المشهورين الذين تقارضوا الشعر لافلاسهم من الورق جمال الدين بن مطروح. قال ابن خلكان: « اخبرني بهاء الدين بن زهير ان جمال الدين بن مطروح كتب اليه في بعض الايام يطلب منه درج ورق وكان قد ضاق به الوقت واظنها كانا ببلاد المشرق جميعاً :

افلستُ يا سيدي من الورَق فَجُدْ بدرج كعرضك اليَقق
وان اتى بالمداد مقترنًا فرحبًا بالمدود والحدق

قال بهاء الدين زهير : وقد فتح الراء من الورَق وكسرها تبينها الى حاله فكتب اليه :

مولاي سيَّرتُ ما رسمتَ بهِ وهو يسير المداد والورق
وعزَّ عندي سير ذاك وقد شبَّهته بالمدود والحدق »[2]

وقوله : فتح الراء من الورق وكسرها اشارة الى المعنيين اي بالفتح الى الكاغد وبالكسر الى الدراهم المضروبة .

وكان بمصر محلة مشهورة فيها سوق الكتب والدفاتر والطرائف كالآبنوس والزجاج وغير ذلك تسمى زقاق القناديل[3] .

٢٢ — الورق التهامي

لم نجد ذكرًا له في كتاب الفهرست وحده ولا ندري هل لفظة «التهامي» الواردة في الاصل هي صحيحة ام انها تحريف لفظة الشامي ولا يخفى كثرة ما اعتور نسخة الفهرست في طبعتيه الاوربية والمصرية من الاغلاط والتصحيفات التي شانت عبارات ابن النديم وحالت احيانًا دون فهم مغزاها ومدلولها. وهذا نص الفصل الذي جاء فيه ذكر الورق التهامي ننقله برمته لما تضمنه من الفوائد النادرة ووصف بعض الكنوز العلمية وتعداد نقاش الآثار القديمة التي لم يخل

---

١) الخطط ٣ : ٢ و ٢٧
٢) وفيات الاعيان طبعة باريس ٣٨٥
٣) معجم البلدان ٢ : ٩٣٧

الشرق العربي من حذاق وجماعين لها على معرفة باعلاقها وبصيرة بقيمتها واقدارها .
قال محمد بن اسحق :

«كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن ابي بعرة جماعة للكتب لم ارّ لاحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والادب والكتب القديمة فلقيت هذا الرجل دفعات وأنس بي وكان فخوراً ضنيناً بما عنده خائفاً من بني حمدان فاخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود وفلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي وجلود أدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسمار والانساب وغير ذلك من علوم العرب وذكر ان رجلا من اهل الكوفة ذهب عني اسمه كان مستهترا بجمع الخطوط القديمة وانه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينهما وافضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فانه كان شيعيا فرأيتها وقلبتها فرايت عجباً الا ان الزمان كان قد اخلقها وعمل فيها عملا ادرسها واحرقها وكان على كل جزء او ورقة او مدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً اثر واحد يذكر فيه خط من هو . وتحت كل توقيع توقيع آخر وخمسة او ستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض . ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي رضي الله عنه . ثم وصل هذا المصحف الى ابي عبدالله بن حاني رحمه الله . ورأيت منها بخطوط الامامين الحسن والحسين . ورأيت عنه اماانات وعهوداً بخط امير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم . ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو بن العلاء وابي عمر الشيباني والاصمعي وابن الاعرابي وسيبويه والفراء والكسائي . ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم . ورأيت ما يدل على ان النحو عن ابي الاسود ما هذه حكايته وهي اربعة اوراق احسبها من ورق الصين ترجمتها هذه : فيها كلام في الفاعل والمفعول عن ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر . وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط علان النحوي . وتحته : هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه» (١) .

وقد اطلنا التنقيب والفحص لعلنا نظفر باشارة اخرى الى الورق التهامي او نص على عمله فذهبت اتعابنا سدى ولم نهتدِ الى ضالتنا . ومع ذلك لا نظن اننا نخطئ كثيراً اذ قدّرنا امكان نسبة الورق الى تهامة على ما يظهر في باديء الرأي من تعذرها وبعدها اذ لا يجب ان ننسى ان تهامة كانت تعد من اليمن وان اليمن كان في الجاهلية والاسلام وطناً من اهم اوطان الفنون والصناعات اشتهر بحلله ووشيه وطرائفه وتقدم حضارته فلا ينتفي ان تكون

---

(١) الفهرست ٦٠-٦١

صنعا. مثلاً من مدنه قد تبيّنت لاصطناع الكاعد لما رأته من شدة الحاجة اليه في العلم والدين والتجارة وقد وصف الهمداني مدن اليمن التهامية والنجدية ودعا صنعا. ام اليمن وقطبها وقال :« لم يزل بها عالم وفقيه وحكيم وزاهد.. ولهم خط المصاحف الصنعاني المكسر والتحسين الذي لا يلحق به ولهم حقائق الشكل ذكرهم بذلك الجليل ومنهم الخطبا. والعلما. واصحاب النجوم والشعراء »[1] فمن الغريب ان لا يكونوا سبقوا في كفاية مؤونتهم من الورق على ولعهم بالخطوط والمصاحف والآداب ولما مرّ البشاري المقدسي بعدن قال: « وباليمن يلزقون الدروج ويبطنون الدفاتر بالنشا وبعث اليّ امير عدن مصحفاً اجلده فسألت عن الاشراس بالعطارين فلم يعرفوه ودلوني على المحتسب وقالوا عساه يعرفه فلما سالته قال من اين انت قلت من فلسطين قال انت من بلد الرخاء لو كان لهم اشراس لأكلوه . عليك بالنشا . ويعجبهم التجليد الحسن ويبذلون فيه الاجرة الوافرة وربما كنت أعطى على المصحف دينارين »[2].

ولا يخفى ما في هذا الوصف وذكر إلصاق الدروج والاوراق والتجليد من تلميح الى عمل الكاغد ولا عرو اذا اهمل المؤرخون عدّ اليمن وتهامته في جملة البلاد التي تصطنعه وتتّجر به وقد اغفلت وتناست كثيراً منها واقتصرت على تسمية ما اشتهر بينها فقط دون استيفاء لها .

٢٣ ـ الورق المغربي

لم نقف من اخبار الورق في إفريقية والمغرب الا على لُمع يسيرة في كلامهم على مدينة فاس وكثرة المياه والارحاء فيها وقد زارها ابن حوقل فقال: «نهرها عظيم الماء عليه ارحية كثيرة »[3] واضاف البكري ان على باب دار الرجل رحاه وبستانه بانواع الثمر وجداول الماء تخرق داره والمدينتين (عدوة القرويين وعدوة الاندلسيين) ازيد من ثلاث مئة رحا وفيها نحو عشرين حماماً وهي اكثر بلاد المغرب يهوداً يختلفون منها الى جميع الآفاق»[4] . ومع ان ياقوت نقل هذا

١) كتاب صفة جزيرة العرب . ليدن ٥٥—٥٦

٢) احسن التقاسيم ١٠٠

٣) المسالك والممالك ٦٥

٤) المُغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب طبعة الجزائر ١١٥

الكلام بالحرف اتبعه بزيادة لم يذكر عمن نقلها قال فيها : « ان النهر اذا انتهى الى المدينة طلب قرارتها فيفترق منه ثمانية انهار تشق المدينة عليها نحو ست مئة رحاً في داخل المدينة كلها دائرة لا تبطل ليلًا ولا نهارًا تدخل من تلك الانهار في كل دار ساقية ماء »[1] . ولعل الاصح ما حكاه ابو محمد صالح بن عبد الحليم مؤلف كتاب روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس حيث قال : « أحصيت الارحاء التي دار عليها سور المدينة فوجدت اربع مئة حجرًا واثنان وسبعون حجرًا . وروى قول ابي الفضل النحوي في مدح المدينة :

يا فاس منك جميع الحسن مُسترق والساكنوك أهنيهم لقد رُزقوا
ارض تخللها الانهار داخلها حتى المجالس والاسواق والطرق[2]

ولا ريب ان غزارة المياه فيها مع ما اجتمع اليها لا محالة من مزروعات القنب والحلفاء هي كانت الباعث على عمل الورق وتعدد ارحائه وقد اشار اليها ابن عبد الحليم فقال : « كان بها اربع مئة حجر لعمل الكاغد وخرب ذلك كله في ايام المجاعة والفتنة التي كانت في ايام العادل واخيه المأمون وابنه الرشيد وذلك من سنة ثمانية عشر الى سنة سبع وثلاثين وستمائة (١٢٢١—١٢٣٩ م) وكانت مدة توالي الخراب عليها عشرين سنة الى ان ظهرت الدولة المرينية فانجبرت البلاد وتأمنت الطرق . قال المؤلف : نقلت ذلك كله من تقييد الشيخ الفقيه المشرف ابي الحسن علي بن عمر الاوسي نقله من زمام بخط المشرف القديم مشرف المدينة في ايام الناصر الموحدي »[3] .

وفي تسمية تاريخ فاس لابن عبد الحليم بروض القرطاس ايماء ظاهر الى عمل القرطاس اي الكاغد في المدينة . ويظهر ان جنسه كان دون ورق المشرق لقول القلقشندي بعد وصف ورق العراق والشام ومصر : ودون ذلك ورق اهل المغرب والفرنجة فهو رديء جداً سريع البلى قليل المكث ولذلك يكتبون المصاحف غالبا في الرق على العادة الاولى لطول البقاء »[4] .

---

١) معجم البلدان ٣ : ٨٤٣
٢) روض القرطاس ١٨٦٩ باريس ١٢ و ٢٠
٣) روض القرطاس ٢١
٤) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٧

ولا يبعد ان يكون اليهود هم الذين احدثوا صناعة الكاغد في فاس كما فعلوا قبلًا في مدينة شاطبة في الاندلس . ومما يدل على وفرة عديدهم في فاس قول روض القرطاس في ذكر زيادة جامع القرويين: « وابتدأ القاضي الفقيه ابو عبدالله محمد بن داود بشراء الاملاك والديار التي قبلة الجامع وغربها وشرقها فاشترى منها ما احب واحتاج اليها باحسن شراء دون غبن على احد من ذلك وكان اكثرها ديارا لليهود لعنهم الله »[1] .

ومن الاخبار التي تنم على وجود الورق في فاس ما ذكره ابن عبد الحليم ايضاً قال : « لما دخل الموحدون المدينة وذلك يوم الخميس الخامس عشر لربيع الآخر سنة اربعين وخمسمائة (٥ اكتوبر تشرين الاول ١١٤٥) خاف فقهاء المدينة واشياخها ان يستنقض عليهم الموحدون ذلك النقش والزخرف الذي فوق المحراب لأنهم قاموا بالتقشف وبالناموس فقيل لهم ان امير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي يدخل غدا المدينة مع اشياخ الموحدين برسم صلاة الجمعة بالقرويين فخافوا لذلك فباتوا بالجامع تلك الليلة فغطوا على ذلك النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ثم لبّسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض وذلك فسقطت كل النقوش كلها وصارت بياضاً »[2] .

ولما ذكر ليون الافريقي مدينة فاس وعدد اسواقها بعد تنصره وكان اسمه قبلًا الحسن بن محمد الوزان الفاسي قال : وغرباً نحو من ثلاثين حانوتاً للوراقين »[3] . ومن الغريب ان البشاري المقدسي لم يزد على قوله فيها : واما فاس فان اهلها ولراتبهم عاوق[4] . ولم يشر بحرف الى وراقيها .

وفي بعض الاقوال ان الوراقة كانت معروفة في مدينة سبتة[5] . وروى آخرون انها كانت في مراكش ايضاً وتونس ولا ندري في اي من مدن المغرب

---

١) روض القرطاس ٢٧

٢) روض القرطاس ٢٩

٣) Léon L'Africain : *Description de l'Afrique*. édit. Ch. Schelfer. Paris, 1896. p. 89.

٤) احسن التقاسيم ٢١٩

٥) C.M. Briquet : *Recherches sur les premiers papiers employés en Occident et en Orient du Xe au XIVe siècle*. Paris, 1886, p. 37.

كان يصنع الورق الذي شكا القلقشندي من رداءته وقلة متانته ولا يجب ان يُقضى من قوله على كل كواعد المغرب فقد كان بينها مــا هو غاية في الجودة غريب في صنعته . حكى المقري « ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل ابن العادل ابن ايوب رقعة في ورقة بيضاء ان قرئت في ضوء السراج كانت فضية وان قرئت في الشمس كانت ذهبية وان قرئت في الظــل كانت حبراً اسود »[1] وهو ما يدل على ذكاء عملها وتميز صاحبها بعلم الوراقة .

ومن المغاربة الذين مهروا في عمل الورق وبلغوا غاية الإعجاز في الكتابة عليه بخط دقيق عبدالله بن محمد بن ابي عبدالله الجمال المغربي السوسي ثم المصري« كان اعجوبة الدهر في صناعة الاشياء الدقيقة حتى كان يصنع بيده ورقاً يكتب فيه بخطه الدقيق سورة الاخلاص وآية الكرسي وقصيدة مديح من نظمه ويجعلها في فلقة كزبرة يابسة ويغطيها بالاخرى »[2] . وهو ما يأبى العقل اليوم تصديقه لكونه من الخوارق التي يستحيل امكانها في اعتقادنا .

٢٤ ــ الورق الاندلسي

كانت شهرة الوراقة والوراقين في الاندلس بالغة اقصى آماد السعة والذيوع في زمان الرحالة البشاري المقدسي اي سنة ٣٧٥ — ٩٨٥ ردد صداها في كتابه فقال: اهل الاندلس احذق الناس في الوراقة[3] » واربى عليه الشريف الادريسي فذكر « ان مدينة شاطبة (Yativa) يعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الارض ويعم الشرق والغرب »[4] . ونقل مثل ذلك ياقوت في كلامه على شاطبة[5] وجاء بعدهم المقري فقال :«من اعمال بلنسية شاطبة التي يضرب عنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له[5] » . ولا تزال هذه الشهرة متداولة الى اليوم في المغرب حيث يدعى ورق بعض المخطوطات القديمة « شاطبيا » ويمتاز بثخانته وحسن صقاله .

١) نفح الطيب ٢ : ٥١

٢) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ٥ : ٥٧

٣) احسن التقاسيم ٢٣٩

٤) *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, édit. Dozy et de Goy, p. 192

٥) معجم البلدان ٣ : ٢٥٣

ويتحصل من شهادات بعض الروايات المتقدمة ان اليهود هم اول من ادخل هذه الصناعة شاطبة . قالوا ان الصانع لها كان سنة ١٠٧٤ ويدعى Aben Massifa ابن مسيفة اذا صحت هذه القراءة. وفي خزانة دير سانتو دومينكو دي سيلوس[1] مخطوطان في الصلوات على ورق شاطبي من بواكير الصناعة . وفي مفتتح القرن الثاني عشر زار اسبانية احد الرهبان الفرنسيين[2] وعاين فيها بعض المخطوطات على الورق اليهودي . وفي سجلات مدينة برسلونة ذكر للرسوم التي كانت تؤخذ من اليهود بتاريخ ٨ شباط فبراير سنة ١٢٧٣ على مصنوعاتهم في شاطبة[3] .

ومن المذهل الغريب انه لم يقم الى الآن في اسبانية من اراد جمع اخبار هذه الصناعة القديمة على ما كان لها من جلالة الشأن والانتشار في المملكتين المحمدية الاندلسية والمسيحية الاسبانية . وقد امتاز العرب خصوصاً بين شاميين ومغاربة بالحرص على اقتناء الكتب والدواوين وحشد الآلاف منها في الخزائن السلطانية والخاصة وتكاثر من اجل ذلك عدد الوراقين بين باعة ونساخ حتى بلغ مبلغاً لا يدركه الا من تتبع التاريخ الاندلسي علماً . وكفى بشهرة الحكم المرواني عبد الرحمن المستنصر بالله دليلاً على افتتان القوم بالمطالعة والحفظ والإقبال على العلوم الدينية والادبية التي تقوم عليها اسواق الوراقة . وقد نبه من اطرأ زمان الحكم ان خزائنه كانت ملأى بالاعلاق والنفائس الخطية «حتى غصت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه . . . وكان اخوه عبدالله على مثل هذه الحال . . . ولم يسمع في الاسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وايثارها . . . وكان له وراقون باقطار البلاد ينتخبون له غرائب التآليف ورجال يوجههم الى الآفاق فيها[4] . . .

ولا حاجة الى القول ان مثل هذا الولع والاستهتار في تحصيل العلم وجمع آثاره كان يقتضي طبعاً تعدد مصانع الورق لشدة الافتقار اليه واتصال الرغبة فيه . ومن اجل ذلك تكلفنا عناء السفر الى اسبانية فزرنا مدريد والاسكوريال وقرطبة

(١ Santo Domingo de Silos près de Burgos.

(٢ Pierre le Vénérable, abbé de Cluny (1092-1156).

(٣ André Blum : *Les origines du papier*, p. 45.

(٤ الحلة السيراء لابن الابار . طبعة ليدن ١٠١-١٠٣

واشبيلية وغرناطة لعلنا نجد بين التركات العلمية فيها ما يصف لنا الزمنة من ازهى عصور العلم والادب في الغرب ولكن ساء فألنا وخاب رجاؤنا وعدنا بآلم الاسف والتحسر صفر اليدين لضياع كل ما كتبته الاقلام العربية عن تلك العصور الزاهرة .

وغاية ما وقفنا عليه من اوصاف الورق انه كان يصنع منه نوع احمر خاص بالكتابات والصكوك الديوانية وتوقّع في اعلاه العلامة السلطانية . وقد شبّه لسان الدين الخطيب هذه العلامة السوداء في الصحيفة بالخال في الوجنة الحمراء فقال :

كأن سواد الخال في وجناته علامة مولانا على احمر الطرس[١]

وكتب ابن هزيل الفزاري للغني بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب :

ليس لي يا مولاي من جابر اذا غدا قلبي من البلوى جذاذا
غير صك احمر تكتب لي فيه عناك اعتناء « صح هذا »[٢]

وقد اطلنا البحث والفحص كثيراً فلم نجد في ما عدا شاطبة ذكر مدينة اخرى اشتهرت نظيرها في اصطناع الورق ولكن لا يجب ان نستنتج من ضياع مثل هذه الشهادات او سكوتها ان الكاغد مع شدة الطلب له لم يعمل في غير بلد من البلاد التي اجتمع فيها وجود المياه وتوفر المؤن التي قامت عليها هذه الصناعة كالقنب والحبال والخرق البوالي ومشاقة الكتان وفتات الاقطان والحلفاء وقشور الارز . وقد مرّ بنا في كتاب الحسبة لابن عبدون التجيبي في جملة وصايا المحتسب في اشبيلية انه "يجب ان يُزاد في قالب الكاغد وفي دلكه ايضاً"[٣] . وهو دليل صريح على انه كان في هذه المدينة صناع للورق حتى احتاجوا الى هذه التوصية . ويؤخذ ايضاً من بعض الاقوال ان صناعة الكاغد عرفت ايضاً في بلنسية وطليطلة[٤] . وأشير اليها كذلك في بعض سجلات مملكة أراكون حيث رُسم مرة ان تجمع الخِرَق المتبرئة لعمل الورق في جزيرة منورقة[٥] ولعل المستقبل يبدي لنا ما نجهله اليوم.

١) نفح الطيب ٦ : ١٨٦

٢) نفح الطيب ٣ : ٤٥٣

٣) Journal Asiatique. Mars-Juin 1934, p. 238.

٤) C. M. Briquet : *Recherches sur les premiers papiers employés en Occident et en Orient du Xe au XIVe siècle.* Paris. 1886, p. 37.

٥) C. Parpal y Marques: *Hubo fabrica de papel en Menorca en tiempo de los Arabes?* in (Bibliothèque Nationale). Revista de Historia Española... 1900, p. 294.

٢٥ ــ ورق الطير والبطائق

سبق وصفه في الكلام على الورق الشامي . ويراد بالطير حمام الزاجل او حمام الهدي وكان الورق يلف ويعلق باجنحتها وتكتب فيه الملطفات السلطانية والبطائق وربما كتبت فيه المصاحف الصغيرة التي تحمل في الجيوب او تختار لتلاوة الليل لسهولة حملها ومن كتب مصحفاً منها جواد بن سليمان بن غالب ابن معن ينتهي نسبه فيما قيل الى النعمان بن المنذر . ولد سنة ١٣٠٥/٧٠٥ «وكان من اتقن الناس للصنائع كتب مصحفاً مضبوطاً مشكولاً يقرأ فيه بالليل وزن ورقه سبعة دراهم وربع وجلده خمسة دراهم»[1] .

وكان وزن الدرج من ورق الطير او الفرخة درهماً ونصف درهم وعرضه ثلاث اصابع مطبقة فهو غاية ما يكون من رقة الحاشية[2] .

ومن اجل هذه الرقة الشديدة كان الورق شفّافاً جداً يشفّ عمّا تحته . روى الصفدي ان عماد الدين بن الشيرازي الكاتب المتوفى سنة ١٢٨٣/٦٨٢ «بلغه ان ربعة في بغداد بخط ابن البواب كتبها بخفف المحقق فاستعمل من ورق الطير جملة واخذه معه وتوجه الى بغداد واخذ تلك الربعة جزءاً فجزءاً وكان يضع ورق الطير على خط ابن البواب فيشفّ عما تحته ويُجلي الكتابة له فيكتب عليها لا يخلّ بذرّة منها . قال الصفدي :«وقد رأيت انا من هذه الربعة التي كتبها عماد الدين جزءاً وما في الورقة مكتوب الا وجهة واحدة فكنت اتعجب لذلك . فلما سمعت هذه الواقعة علمت السبب في ذلك»[3] .

٢٦ ــ ورق الصرّ او المزاود

سماه عبد اللطيف البغدادي «ورق العطارين» وكان يعرف ايضاً في مصر بالورق «الفويّ» نسبته الى فوّة بليدة من نواحي مصر قرب رشيد واليه اشار المقريزي بقوله : ما يستعمله العطارون من القراطيس والورق الفوي والخيوط . . .

١) المنهل الصافي لابن تغري بردي نسخة باريس ٣ : ١٢

٢) صبح الاعشى ٦ : ١٩١–١٩٢

٣) الوافي بالوفيات للصفدي طبعة استانبول ١ : ٢٠٢

التي تلقى على المزابل»[1] ووصفه القلقشندي في كلامه على الورق المصري فقال: وفيه صنف يعرف بالفوي صغير القطع خشن غليظ خفيف الغرف لا ينتفع به في الكتابة يتخذ للحلوى والعطار ونحو ذلك»[2]. وكان الوراقون يتخذون له من المواد ما كان رخيصا او ساقطا في الرتبة كالاكفان القديمة التي ذكرها عبد اللطيف البغدادي في وصف اصحاب المطالب ونبشة الفراديس قال :

« ومما يقوي اطماعهم ويديم اصرارهم انهم يجدون نواويس تحت الارض فسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لُففوا باكفان من ثياب القنب لعله يكون على الميت منها زهاء الف ذراع وقد كُفّن كل عضو على انفراده كاليد والرجل والاصبع في قمط رقاق ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى يصير كالجمل العظيم ومن كان يتتبع هذه النواويس من الاعراب واهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان مما وجد فيه تماسكا اتخذه ثيابا او باعه للوراقين يعمل منه ورق العطارين »[3].

ولما مرَّ بمصر ناصري خسرو المروزي في النصف الاول من القرن الخامس للهجرة شاهد هذا الورق في كل الاسواق والحوانيت وقال : « ان العطارين والبقالين هم الذين يعطون المشتري ما يحتاج اليه من زجاج او خزف او ورق لتعبئة ما يشتريه منهم »[4].

وكانت امثال هذه الاوراق تتخذ قديماً من ساقط البردي ولم يكن لها اسم خاص تتميز به ولذلك ترد احياناً لفظة « القرطاس » للدلالة على ما سماه العماد الكاتب الاصبهاني « مزاوداً » (cornets) في بيتين له تشاءم فيها من خط كتبه فقال بغاية الضعة والظرف .

هي كتبي وليس تصلح من بعـــدي لغير العطار والاسكاف

فهي اما مزاود للعقاقـــير او بطائن للخفاف

وقد اشار الى هذه العادة الطبيب ابن بطلان فقال :« صارت الكتب تباع على العطارين للحوائج وعلى الذهبيين للسفاتج وعلى الملاحين للمزاود »[5]

---

١) الخطط ٣ : ١٥٤

٢) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٦-٤٧٧

٣) كتاب الافادة والاعتبار ٥٣

٤) سفرنامه تعريب الخشاب ٦١ *Relation du voyage de Nasiri Khosrau,* traduction de Ch. Schefler. Paris, 1881, p. 153.

٥) دعوة الاطباء طبعة زولر ١٣

ومن بيعت مسودات كتبه قبل تبيضها عبدالله بن خلف بن رافع المسكي ابو محمد المصري « جمع تاريخًا لمصر اجاد فيه ومات وهو قد عجز عن مسوداته ان يبيضها لفقره فبيع على العطارين لصر الحوائج كأن لم يكن بمصر من يعينه على تبييضه ولا ذو همة يشتريه فيبيضه »[1] وهذه من اقل آفات حرفة الادب في الشرق .

٢٧ ــ الورق المقوّى

هو المعروف اليوم باسمه الاعجمي « كرتون » ولم نقف على ذكر له في ما خلا قول مؤلف زبدة التواريخ نور الدين لطف الله الهروي من اهل القرن التاسع للهجرة المشهور باسم حافظ ابرو في وصفه نهب الغُز نيسابور سنة ٥٤٨/١١٥٣ وما حل بخزائن الكتب فيها من الضياع والخسار فقال : بيعت المجلدات فيها بقيمة وزن الكاغد المقوّى[2] .

٢٨ ــ المصنوعات من الورق

ذكرنا قبلًا في الكلام على القراطيس انه صنع منها سنة ٨٩/٧٠٨ قميص للقاضي عمران بن عبدالله كتب فيه عيوبه لجنايته عامل مصر بابيات ثلاثة. وفي ايام الحاكم بامر الله « عمل اهل مصر صورة امرأة من ورق بخفّيها وازارها وفي يدها قصة فيها من الشتم والامن والمخالفة شيء كثير فلما رآها ظنها امرأة فذهب من ناحيتها واخذ القصة من يدها فقرأها فرأى ما فيها فاغضبه ذلك جدًا فامر بقتلها فلما تحققها من ورق ازداد غيظًا الى غيظه »[3] .

واذا صحت هذه الرواية يكون دليلًا على حذق الصناعة في مصر وبلوغها الغاية من الاتقان والتقليد . وقد فاتنا كثير من اسرار الحضارة ومزاياها في الصناعة والتجارة فلا عجب اذا غُرّ الحاكم بالصورة وهي امرأة منتقبة .

وكان الورق يدخل في اعمال الحِرَف وضروب من الملابس والازياء لا سبيل لنا اليوم الى تعدادها . ومنها على وجه التمثيل الطواقي الجركسية « يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع واعلاها مدوّر مقبّب .

١) معجم البلدان ٦ : ٥٢١

٢) *Relation du voyage de Nasiri Khosrau*, appendice p. 281.

٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ : ٩

وبالغوا في تبطين الطاقيـة بالورق والكثير « وبيا بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس »[١] .

وقد تقدم شعر العماد الاصبهاني وتشاؤمه ان كتبه تصبح من بعده بطائن للخفاف . وفي كتب الحسبة صدى هذه العادة قال عبد الرحمن الشيزازي يعني الاساكفة : « لا يعملون الورق والبد واشباهه في اخفاف النسوان لكي تصر عند المشي كما يفعله نساء بغداد فانه تبيح وشهرة لا تليق للاحرار »[٢] .

وكان الورق في الصين والخطا يدخل في جملة الثياب. حكى الشباب العمري عن بدر الدين حسن الاسعردي ان بعض صناعهم عمل ثياباً من الورق وباعها على انها من الكخاوات الخطائية لا يشك فيها شاك. ثم اظهرهم على ذلك فعجبوا منه[٣] (مسالك الابصار) .

ومما يجدر التنويه به هنا من مآثر الحضارة العربية انهم تنبهوا لحل الورق حتى يصير كالعجين واتخذوا منه بعض الاواني والادوات . قيل ان اول من تفطن له المهندس كريم الدين ابو بكر بن محمود السلماسي . قال كمال الدين الفوطي : تقدم علينا سنة اربع وستين وستمائـة (١٢٦٥ م) الى حضرة مولانا نصير الدين بالرصد المحروس وكان له معرفة بحل الكاغد الى ان يصير كالعجين ويعمل منه الآلات كالاطباق والزباري والمقالم وهو الذي صنع كرة من الكاغد وتجاذت مجوفة في غاية ما يكون وخططوا عليها صورة الاقاليم »[٤] .

ولكن بعض الفقهاء كانوا يكرهون هذه المصنوعات من عجين الكاغد لا شك خشية أن يكون بعضه قبل حله خط فيه اسم الله وكان فريق منهم يشدد فيه ويزجر عنه زجراً بليغاً. قال مؤلف « انتصاب الاحتساب » فعلى هذا القياس يمنعون من اتخاذ الطشت في الوليمة من الكواغد في العيد وليلة النصف من شعبان[٥] .

---

١) الخطط للمقريزي ٣ : ١٦٨

٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشيزري ٧٣

٣) صبح الاعشى ٤ : ٤٧٨

٤) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب طبعة الهند . جزء فيه كتاب الكاف في خزانة الجامعة العبرية بالقدس ٧١–٧٢

٥) نصاب الاحتساب للشيخ عمر بن محمد بن عوض الشامي الحنفي . نسخة في خزانة دار الآثار في القدس منقولة من المكتبة الخالدية .

الآثارُ المطويّة (تابع)

جمعها وعلّق عليها ونشرها الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش حمص

الشيخ ناصيف اليازجي يمدح الامير ملحم ابن الامير بشير الشهابي الكبير

أَلِفَ الشعراء في عهد الشيخ ناصيف اليازجي ، التقرُّب من الامراء والمشايخ الحكّام الاقطاعيين وذوي الوجاهة ، باطلاق السنتهم في مدحهم نثرًا او شعرًا ، تزلفًا اليهم لنيل الحظوة لديهم ، لِمَا كان لهم من الصولة والسطوة والسيطرة والعظمة والمناعة والرهبة في النفوس ولِمَا في قبضة يدهم من الأكياس المنتفخة بالفلوس ، لذلك كان الشعراء يتبارون ويتسابقون الى إطرائهم وإلباسهم من حلل الوصف والثناء ثوبًا فضفاضًا مجرَّر الذيول. والشاعر الذي تقع قصيدتهُ عندهم موقع الاستحسان والقبول ، يكون محمودًا مرموقًا بلاحظة الرضا والاعجاب.

وقد اعتاد هؤلاء الشعراء في ذاك العصر ، المنافسة والمسابقة في نظم الشعر وتضمينه الاحاجي والالغاز والتواريخ الكثيرة وانشاء الاوزان على حروف الهجاء محبوكات الاربعة الاطراف ، او من الجناس العاطل ، دليلًا على قدرتهم وخبرتهم في صناعة النظم وتلاعبهم بفنّ الشعر وضروبه . وكانوا يرقبون الفرص لإعلان هذا المديح حتى اذا سمعوا بأن ذاك الامير او الشيخ الاقطاعي ذهب الى الصيد وظفر بالطرائد ، او عاد من سَفَر ، او انتصر في معركة ، او اطلق شعر لحيته ، او فرش ديوانه بالمقاعد والحشايا ، بادروا الى قصد القصائد في مدح هذا الامير او ذاك الشيخ ورفعه فوق السحاب ، ومنهم من ضمَّن قصيدته مئات التواريخ وبعض الاحاجي والالغاز . وكانوا يستهلّونها بالغزل والتشبيب متخطّين منه الى الممدوح جريًا على عادة الشعراء الاقدمين .

وها اننا نرى الشيخ عبدالله البستاني « معلّم الفصحى وربّ بيانها » ينظم ثلاث قصائد لغوية ، شبيهة بقصائد عرب الجاهلية ، في تهنئة العميد اللبناني البطريرك الياس الحويك بتسنّمه عرش البطريركية . وقد ضمَّن الثانية منها

ستة آلاف ومئتين وستة عشر تاريخًا لسنة ١٨٩٩ التي فيها انتخب الحويك بطريركا ، فسميت « آية في المعجزات » والثالثة مؤلفة من اربعة ابيات ، فيها مئة وعشرون تاريخًا ، نظمها عندما أهدت الذات الشاهانية الى غبطته الوسام الاول المجيدي[1] .

وقد شطّر الشيخ عبدالله معلّقة عنترة الشهيرة فاستهلها :

« هل غادر الشعراء من متردّمِ فقدتْ لمتنه برأسِ المرقمِ
أم هل وردت ظباء منعرج اللوى «أم هل عرفتَ الدار بعد توهّمِ»

وأودعها ما رقّ وطاب للنفس ، من كلم الثناء على المطران يوسف الدبس ، وكشف عمّا غمض من مفرداتها وابياتها وأثبتها في آخر مجموعة تهاني الشعراء للدبس بعيد يوبيله الفضي[2] الذي جمعها البستاني ورتبها ووقف على طبعها ورفعها الى سيادته ، مختالةً ببرد تشطيره معلّقة عنترة القشيب الحبّر .

ومما هو معروف ، ان الشيخ عبدالله بعد ان أتمّ تشطير هذه المعلّقة تلاه على مسامع صديقه الاديب الكبير الشيخ ابراهيم الحوراني ، راغبًا اليه في إبداء رأيه فيه . ولمّا اتم تلاوة القصيدة ، أعجب الحوراني بحسن سبك التشطير وسلامة المعنى وقوة المبنى اللذين لا يفترقان ولا يشذّان عن الاصل ، واثنى الثناء المستطاب على مقدرة البستاني ، غير ان الحوراني لاحظ ضعفًا او اضطراب معنى في عجز احد الابيات فكاشف به صاحب التشطير ، فاجابه البستاني : « ان عجز هذا البيت ليس هو لي ، بل لعنترة » . وكان الشيخ عبدالله من المعجبين بشعر عنترة ، وهو الذي رصّع ديوانه المطبوع في بيروت بهذين البيتين النفيسين :

ديوانُ عنترةَ العبسيّ ثابتةٌ في كلّ فنٍّ يفوق البدوَ والحضرا
ان لم يكن أفرسَ الفرسانِ عن ثقةٍ فانهُ دون شكٍّ أشعرُ الشُّعرا

فبرهن الشيخ عبدالله بهذه القصائد البليغة الجبّارة ، وبتشطيره معلّقة عنترة العبسيّ ومماشاته في صعيدٍ واحد ، على خبرته الواسعة وقدمه الفارعة في اللغة العربية .

---

١) طالعها في كتاب « لجة المنى في تهاني غبطة بطريرك الشرق » صفحة ٧٥-٨١ . مطبعة الارز ، جونية – لبنان . سنة ١٩٠٠ ، في ٣٦٦ صفحة بقطع كبير .

٢) كتاب « عرفان الجميل لصاحب اليوبيل » مطبعة جريدة المصباح ، بيروت سنة ١٨٩٧ ، في ٤٨٧ صفحة ، بقطع كبير .

ومما يدعو الى الاسف، هو ان بعض ادباء عصرنا يعتبرون مثل هذه الآيات الباهرات في الشعر غير مستحبات اليوم، ولا يستنكفون من الادلاء بهذا التصريح! وان دلّ على شيء فعلى الاقرار من حيث لا يدرون، بما اتاه ائمة اللغة وجهابذتها من البدائع والروائع الكاشفة الستار عن نبوغهم ومقدرتهم وضبطهم عنان الضاد، شأن اربابها الفوارس الميامين.

وقد نحا الشيخ ناصيف اليازجي بانشائه هذه القصائد في مدح الامير ملحم ابن الامير بشير الشهابي الكبير، نحو صفي الدين الحلّي في مدح الملك المنصور بمجموعاته الارتقية، والفيزاني المغربي في منظوماته المحبوكة الطرفين المبنيّة على حروف الهجاء المثبتة في صفحة ٣٣٢ من مخطوط خزانة دير الشير بكفين — سوق الغرب الذي نحن في صدده، مما يُنبئ عن جودة قريحة الشيخ وقدرته على التصرُّف بضروب اللغة وخبرته بفنونها واساليبها وانقياد مفرداتها له. وانّنا لا نستكثر ذلك على الشيخ ناصيف، لانه كان موهوباً ويقدّره رجال الادب والعلم قدره وقد باحثوه وراسلوه وأجلّوه ومدحوه بابلغ عبارات الثناء والاطراء. ولما انبثقت تلك المناظرة او المناقشة العلميّة بين الشيخين فارس الشدياق وابرهيم اليازجي وبلغت من الاحتدام والاضطرام اقصى مدى[1]، انبرى ابرهيم بك الاحدب والشيخ يوسف الاسير الشهيران لمناصرة الشدياق، فاخذا يفلّيان وينتقدان بعض مؤلّفات الشيخ ناصيف، فقال ولده الشيخ ابرهيم عنهُ:

ان ممدوحَ اربعين كريماً لا يبالي «بأحدب» او «اسير»

وكان الشيخ ناصيف اشهر من نار على عَلَم، يحجُّ بيتهُ الادباء والشعراء من جميع الطبقات والمذاهب، للاستمتاع بحديثه والاستفادة من معارفه. وكان معروفاً بتمسّكه بعمامته التي لم تفارق رأسه طوال حياته، وكأني به يقول عن نفسه:

انا ابنُ جلا وطلّاعُ الثنايا متى اضع العمامةَ تعرفوني

---

١) عليك بها في كتابنا «الشدياق واليازجي» مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونية، سنة ١٩٥٠، في ٢٠٠ صفحة بقطع كبير.

الشيخ عبد الله البستاني

١٨٥٤ — ١٩٣٠

وقد أطلق على قصائده هذه اسم « المحصنات » ، وهي مسطّرة في صفحة ٤٢٧ من المخطوط المذكور ، ومصدّرة بهذه العبارة وهي :

« وله (للشيخ ناصيف اليازجي) قصائد في مدح الامير بشير الشهابي ، كلّ قصيدة منهنّ عشرة ابيات مبنيّات على احرف الهجاء محركات الاربع وسمّاهنّ بالمحصنات » .

قافية الالف

الى مَ جفاءٌ بل على مَ جفاءُ … أهاجرتي علّ الوصال خطاءُ
ألم تعلمي ان الجفا معظم الخطا … اذا صحّ بين العاشقين ولاءُ
أضعتِ عهودي في هواكِ وانّما … أضعتُ حياتي ، حيث ليس حياءُ
أيحسن ما بين المحبّين هكذا … أبى اللهُ ، ان المنكرات جزاءُ
أنا سيّدُ العشّاق طرًّا لأنّنا … أقلّ مِلاحَ العصر منك لواءُ
أخذتُ هواك الجوهرَ الفردَ عندما … أخذتُكِ ذخرًا خيلَ منهُ غناءُ
أريتُ فنونًا في البديع أجلُّها … إشابةُ رأسي ، والزمانُ صباءُ
أماتًا من الشوق المبرّح بعدما … أصاب الضنى جسمي ، وعزّ شفاءُ
ألا وقفةٌ في الربع عندكِ ريثما … أبثُّ اليكِ الوجد كيف اشاءُ
اذا لم يكن لي في الهوى صلةٌ بما … أسرُّ ، فعندي بالخطاب رضاءُ

قافية الباء

بين الدموع ومقلتيّ كتائبُ … برزت فولّى النومُ وهو الهاربُ
باتت ومنها في الجفون تقلّبٌ … بُدلت لديهِ من الدماء سواكبُ
بأبيكَ دعْ عنك الملامة واتّئبْ … بعد الوقيعةِ في الهوى يا صاحبْ
بي علّةٌ لم يأتها متطبّبٌ … سقنا ، فكان لها عذابٌ واصبُ
برح الجفاء فخذْ ولستُ بمتعبٍ … بيدي ، وعلّك في النهوض مجاذبُ
باحتْ دموعُ العينِ ، وهي سواكبُ … بسرائري ، فأنا المبيحُ الحاجبُ
بُعدًا لهنّ مدامعًا لن تكتبَ … بعضَ الحسودِ ، بما لهنّ تراتبُ (١)
برّتْ وعقّتْ ، والعقوقُ مسبّبٌ … بالبرّ ، وهي طوائعٌ ونواهبُ
بئس المصيرُ ، وما دموعي إنْ تجبْ … بالمذنباتِ ، وللدموعِ نوادبُ
بدّلَ الهلالُ طلوعهُ لتحجّبٍ … بالحجبِ ، فهي مواطرٌ وسحائبُ

(١) عطام الصدر (في الاصل) .

قافية التاء

خلت علينا ازدا الندية · ترينا وميض البرق ضمن الدجنة
غابيَّةٌ جيات ملاكٌ جلالة · تلقى بفيض الوحي أهلَ النبوّة
تلت مقلتاها سورة الفتح ليلةً · تلا عطفها السبع المثاني القديمة
غبيبة أحلاقها خندُفيّة(١) · تنادي علينا عينها يا لمرّة
تبارك ما أحلى وألطفَ ما أتت · تصوّد في الأبصار حوراء جنّة
تراءت لعيني في الحجاب فأوشكت · ترى لن تُرى لو لم تري حُجبها التي
تعلّقت الأبصارُ منها بما رأت · تطلّق روح الغيب منها بحضرة
تمثّلت بها كالوهم في النفس فانثنت · تمودُ على رسم المدى بالحقيقة
تعشّقتُها منذ الصبا فتشفّعت · تلاقي الحافظ لما كالمنيّة
تعبتُ بها فاعجبْ وإنْ هي كلّمت · تراها ، وما في كفّها الصورُ أحيت

قافية الثاء

ثنى عطفهُ عني الهوى وهو عابثُ · ثناه ، فهل يا ثانيَ العطف ثالث
غزالٌ بعلياء الدلال مُحدّثٌ · ترى ارضه ، ان النجوم نوافثُ
ثوى في الحشى لكنّهُ غيرُ مُحدث · ثوى في الحنايا فهو فيهن ماكثُ
ثقيلٌ من الاعراب ردفًا مُؤنّثٌ · ثنايا عهودي خفّةٌ فهو ناكثُ
ثناياه(٢) درٌّ بالعقيق مثلّثٌ · غنيٌّ ومنهُ الدرُّ حين يحادثُ
ثقيفُ قوامٍ مائل القلب كم تجثّثت(٣) · م دونهُ الاومال والوصلُ باعثُ
ثبوتٌ على تيهِ النفار مرنّثٌ · ثياب الوفا مستقبل العذر حانثُ
ثبرتُ(٤) به من لامني وهو محدثٌ · ثيوري فهل ودٌّ جزاهُ الكوارثُ
ثلمتُ شبا الاعراض عنهُ ولم يئت · ثلم الحشى من لحظهِ وهو فارثُ(٥)
ثبتُ الى ان مات صبري ولم ارث · ثوابًا سوى ما عوّدتني الحوادثُ

قافية الجيم

جبينك من زُهر الكواكب ابلجُ · جمالًا ومن زَهر الكواكب(٦) أبهجُ

١) الخُندُوف : المتبختر في مشيهِ كبرًا وبطرًا.
٢) ثنايا : مدمّث بلال مهد (في الاصل) .
٣) تجثّثت : تقطع (في الاصل) .
٤) ثبره : طرده (في الاصل) .
٥) قاطع (في الاصل) .
٦) الكواكب الاولى : النجوم . والثانية : ما طال من النبات .

حمت اليها فالناسُ من كلّ منهجٍ جميعًا حيالَها المحاسن تلجُ
جلوت المحيا في العقيق فمالجٌ جوانبها تحت الدجنة ترهجُ
جعلت لطمر الليل غير مفرّج جيوبًا بفراض الشعاع تفرّجُ
جرحت بسهمٍ من لحاظك خارجٍ جوارحَ ظلّت بالدما تتضرّجُ
جنيتُ الذمى منها بلحظٍ متى يلجْ جهات الحشى نادى عليها الا أخرجوا
جفونك في الاكباد وهيَ غوانجٌ جفونٌ لها بانت بها تتفلّجُ
جرى دون خدّيها من النار مارجٌ جلاهـا وظلّت بالدما تتهيجُ
تجزمت بارعاد الفرائص ان تجع جبالٌ من الردف انثنت تترجرجُ
جليتُ الهوى منها فكان لمانعٍ جنونًا ولكن اين اين المخرّجُ

قافية الحاء

حبّذا مـا شربتُها كأس راحٍ حلوة الطعم راحـة الارواحِ
حرّةٌ غرّةٌ صراحٌ رداحٌ خُـبئت من معـادن الافراحِ
حار فيهـا فؤادُ كلّ فصيحٍ حينا جـاء ذكرها باقتناحِ
حُصر النطق دونها عند شرحٍ حسبك الذكر يا أخا الشرّاحِ
حيثما لاح ذكرهـا في مديحٍ حوّل الليل في اهاب(١ الصباحِ
حسدت أنجمُ الاثيـر ضواحٍ (٢ حَبَبًا لُحنَ فرقها كالصحاحِ
حصلت في قلوبنـا وهي رَوحٌ حيَّ هل(٣ بالصلاح نحو الصلاحِ
حرّمت شربهـا على غير ناحٍ حانها قبل صوت داعي الفلاحِ
حكّم الكفَّ بالاكؤس واسمح حكمةً بالاحـداق في الاقداحِ
حسنٌ ان رجعتَ مني بنصحٍ حذرًا ان تبيت يا صاحِ صاحِ

قافية الخاء

خدها على الاوتار وهي صوارخُ خمرًا لهـا صافي الزجاج برازخُ (٤
خلّابةٌ غلّابـةٌ من لم ينخ خذًا لها فيبيتُ وهو الراضخُ
خودٌ من الماء الزلال لهـا اخٌ خُطبت اليه وليس عقـدٌ فاسخُ

---

١) اهاب : جلد (في الاصل) .

٢) الضاحية : الناحية البارزة والظاهرة من كلّ شيء ج ضواحٍ . ومنهُ يقال: شكت ضواحيه اي ما برز منهُ للشمس كالكتفين والمنكبين .

٣) حيَّ هل : اعجل (في الاصل).

٤) استار (في الاصل) .

حلفت وقد زفت اليه مافرح حنقت عليه كأنها نتناح
حلقت من الحص النديم ولم تنخ حورًا فترضيها لذاك مشايخ
حاضت حامية فكان تلطخ حصبت به وكذا الدماء لواطخ
خلع النديم حجابها فضمخ خزف الدنان وناشق متبازخ (١
خجلت فألهبا الحياء فلم تبخ حفرًا ولو ألقي عليها الناضخ
خانت حامدها السقاة فلم تصغ خبثًا لما يدعوه صوت صارخ
خدعت فجاءة الحتف وهو مرسخ خبر التناسخ ان يصح تناسخ

قافية الدال

در بكأس المدام يا ابن الجياد در بكأس المدام وانعش فؤادي
دع لظى مهجتي تقرّ ببرد دائم من لهيبها مستفاد
داو سقمي بها فنشدي وجد داؤه كان أكْلَ الاكباد
دافع الروح فاسقنيها لرد دون ذاك الدفاع قبل الطراد
دار اوشيك واجلها بين ورد دبجته بأحمر وقاد
دمية من رضابها لك شهد دانيات قطوفه للايادي
دنها معدن الحياة وورد دافق بالسرور للوراد
دأبها شن غارة لم يرد دحضت بالصلاح جيش الفساد
دم على وصلها اللذيذ مزد دين مفروضها على كل صاد
دين حق يراه كل رشيد دين حق فكن من العباد

قافية الذال

ذو جدوة (٢ يحشر لدينها الهربذ (٣ ذخرًا وخذها ذات نور نوخذ
ذهبيّة ليست بذات تفلذ ذهب الظلام بنورها يتفلذ (٤
ذرّت لنا في الكأس لاهبة اذ ذرّت خشيت على الزجاجة تنفذ
ذهل النديم فجاءها بالماء اذ ذاك اللهيب مخافة يتعوذ
ذات احتجاب في الخدور فلم يلذ ذو الستر ساحتها ولكن ابن ذر (٥
ذرت الدموع لفكها من آخذ ذلًا وأومت اين ابن المنقذ

---

١) متناعس (في الاصل) .
٢) جمرة لا تخمد حتى ترمد (في الاصل) .
٣) كاهن المجوس (في الاصل) .
٤) يتقطع (في الاصل) .
٥) ابن ذر — الستر . وهو اكتفاء .

ذعنت وكانت لا تلين لشامدٍ (١ ذيل السطاء وطالما تستحوذُ
ذبلت لمرجعا المياه فقلتُ اذ ذبلت لعمرك حار فيك الجهبذُ (٢
ذقها على عبث الندم بها ولذ ذا المتندى(٣ ان كنتَ من يتلذَّذُ
ذو(٤ عندها ذكرى حبيب واتخذ ذكرى الكؤوس فما سواها يُنبذُ

قافية الراء

وثباك في عين المشوق الباصرِ ريٌّ تنزّه عن صدور الصادرِ
رمقت محاسنك العيون فلم تذرْ رمقًا لعين محاسدٍ في الخاطرِ
رعيًا لوجهك من هلالٍ نيّرٍ رعت الغزالة نورهُ من باكرٍ
رمد الحسود به فقلتُ لهُ أذّكِر رجمان حسّاد الإمام الناصرِ
راقِ العلى شرفًا امير زاجرٌ ريبَ الحوادث صاغرًا عن كابرِ
رحبُ الذراع من النضار مشطِّرٌ ردفين بين ميامنٍ ومياسرِ
رامت حواسدهُ انتحالَ نظائرٍ رُدَّت وقد ظفرت بحال القاصرِ
رشمت بأنفسها الصفات فلم تمرْ رسمَ الصفات حقائقًا من قادرِ
رفعت لمجدك يا سلالةَ حيدرٍ رايات حول الله بين عشائرِ
راضت مناقبك الرواةُ فحامرٌ رقّت حواشيه لحمرةِ آخرِ

قافية الزاي

زيّن نظمي لوصفك المعجزُ زيّنهُ خودٌ بالحلى تبرزُ
زخرفتُ ابياتًا بيه لم تمز زخرفَ ما صاغوا وما طرّزوا
زاوج عيني نصبها انْ غَزْ زاخرهُ والنصب ما ميّزوا
زهت قوافيه فان الاتجز زها لديَّ الحظّ والمركزُ
زفّفتُها كالخود لم تستجزْ زائرها إلّا رضًى يحرزْ
زهرٌ ارتنا طلعهُ لم تفزْ زُهرُ العلى فيها ولو عزّزوا (٥
زجّ حجبها وانظر اليها وززْ زخرفها .هل كان ما يكتزُ
زلّت لراحيها فلم يتهزْ زيدٌ وعمرٌ وبعض ما يلمزُ
زوامل من ذكركم لم تجزْ زجرًا لها والسير مستوفزُ
زارتك فانفحها قبولًا وحزْ زاخرَ شكرٍ كان لا يعجزُ

١) شمذ ذيله : رفعه (في الاصل).
٢) النقّاد الخبير (في الاصل) .
٣) المتندى : المحفل (في الاصل) .
٤) ادفع (في الاصل) .
٥) اشارة الى قول عبد المجيد (في الاصل).

قافية السين

سواك يميلُ عن أدبِ النفوسِ ... ساء او يميلُ الى الكؤوسِ
سلمتَ من العيوب فانتَ رأسٌ ... سموتَ جلالةً بين الرؤوسِ
سانك لا يجاريها التباسٌ ... سوافرُ في المآثر كالشموسِ
سجايا كالعقود سنًى ونفسٌ ... سنيةٌ جوهرٍ فردٍ نفيسِ
سليل الحرس المخزوم غرسٌ ... سناك الله يا خير الغروسِ
سلكتَ طريقةً ونداك درسٌ ... سميرك في القيامِ وفي الجلوسِ
سهرتَ على الكمال ولست ناسٍ ... سوالف عهد حرمته الرئيسِ
سعيتَ الى طلاب المجد حاسٍ ... سلافَ المجد لا بنتَ القسوس (١
سبقتَ الى المحامدِ غير نكسٍ ... سباقَ الخيل في حرب البسوس (٢
سُقيتَ من الفضائل كلَّ كأسٍ ... سبت بالصفو كأسَ الخندريسِ (٣

قافية الشين

شهد الفضلُ فيك غير مُحاشٍ ... شاقنًا في كمالك الدهّاشِ
شاهدتك النفوسُ في ظلّ عرشٍ ... شادهُ اللطفُ فانثنت بانتعاشِ
شاقها منك طلّق وجهٍ بشوشٍ ... شفَّ عنها فلألأت في النواشي
شنفت منهُ صبوةٌ بحواشٍ ... شاركت دونها الدما في الحواشي
شاع في الصُحْف من صنائك رقمٌ ... شبهَ روضٍ بزهرها في انتعاشِ
شرحها عجزةُ العقول منشٍ ... شُهُبَ الفكر ليس بالمتلاشي
شمَلٌ لي بذكرها وانتعاشٌ ... شدَّ ازري فشدَّني في انتعاشِ
شاعرٌ شاعرٌ جنٍ موشٍ ... شفةَ الشعر شبه وشي الرياشِ
شرع الشهمُ في معالك مشٍ ... شعرهُ فانثنى بعزمة حاشِ
شرَّف الله فيك أرجاء عرشٍ ... شرَّفتهنَّ منك خطوةُ ماشِ

قافية الصاد

صفاتك تبرٌ في الصحائف مخلصٌ ... صحائفهُ كادت هنالك ترقصُ
صفت رقّةً حتى حكت وهي غوّصٌ ... صبا نجدَ في عرف الكبا(٤ تتقمّصُ

١) يريد بنت القسوس : مشتقة الدير ، اي الخمرة .
٢) لقب ناقة قام بسببها الحرب بين بكر وتغلب سنة ٤٩٠ (في الاصل) .
٣) من اسماء الخمر (في الاصل) .
٤) الكبا : البخور (في الاصل) .

صحائفُ نبرٍ نزّهت من تنافسٍ | صوادعُ حسنٍ نورهنّ مصحصحُ (١
صدعنَ قلوبَ الحاسدين فان تمس | صباغوها منهم جريرٌ وأحوصُ (٢
صفا للشحوردُ الدهر من متحصصٍ | صفـاءُ باطف الله لا يترَبّصُ
صبوحٌ صنوحٌ حافظ العهد مخلصٌ | صمودٌ لهُ في ذروة المجد أخمصُ (٣
صدوقُ روايات الخطاب منصّصٌ | صدوعٌ بآيات الكتاب مُلخّصُ (٤
صبورٌ علي هول الوغى غير ناكصٍ | صدومُ حنايا الشوسِ والشوسُ(٥ تنكصُ
صبورٌ لهُ عضبٌ شجيٌّ مفضضٌ | صديُّ الحلى في سوقِهِ الدمُ يرخصُ
صقيلٌ حكى لما أتى وهو قانصٌ | صبًا بقرطٍ من عقيقٍ يُخرّصُ

قافية الضاد

ضاءت بعناك قوافي القريضْ | ضمن تجلّيها الطويل العريضْ
ضاءت بهِ الشمس فإمّا تغضْ | ضلّ النهى ثمّ اهتدى بالوميضْ
ضاق مقاليداً بكم خافقٌ | ضاع وقد هام بذاك الحضيضْ
ضرّ بهِ الحوض فان يرتبض | ضاءَ به الوجدُ فأنشا يفيضْ
ضمّت شمل المجد لم ينتقض | ضمّاً وأجريتَ الندى لا يغيضْ
ضمنت بالنصر لمستنهضٍ | ضامنك الادغام للمستفيضْ
ضربتَ سرادقاً لمعترضٍ | ضوء القرى تبدو ثناياك بيضْ
ضربك دون الوحش من ايضٍ | ضيافةٌ والزادُ لحمٌ غريضْ
ضع يا اخي الوقرَ فمن يعترضْ | ضاحي الضحى عاد بطرفٍ غضيضْ
ضنّ بهِ وارجع لمّ وانتهضْ | ضعفًا وقل اني الصحيحُ المريضْ

قافية الطاء

طلتَ باعًا اصابات الخططْ | طالب الالسنة ممّا فرطْ
طبتَ اصلاً ثمّ فرعًا فاغتبط | طيّب النفس لك الدهرُ غبطْ
طاعك الدهرُ فأنى تشترط | طلبًا فالدهرُ من بعد الشُرَط (٦
طاف سبعًا حول عناك فنط | طرفهُ الأيسرَ بالرضوى فقطْ

---

١) واضح (في الاصل) .
٢) شاعر (في الاصل) .
٣) باطن القدَم (في الاصل) .
٤) يريد بالكتاب : الكتاب المقدّس المعروف بالتوراة .
٥) الاشوس : الجريء على القتال الشديد ج شُوس .
٦) الجنود (في الاصل) .

طبت النفس لكم من حائط ... طبعهُ ناحظ منها والنقط
طاهر القلب رحيم مقسط ... طرب ناحرد بعود النمط ١)
طابق الكف حصيف فاره ... طرفهُ دائرة الكون وسط
طارق الهيجاء قرن ضاغط ... طالع رايته لم تُرق قط
طاعن أسره ان يغتبط ... طرفاه كان مثواه الوسط
طال عمراً في سير باسط ... طالما مد الصباح وانبسط

قافية الظاء

ظفرت بوجهك أعين الالحاظ ... ظفر المسامع منك بالالفاظ
ظهرت خلالك في المدى فلاحظ ... ظرفاً لها وموله بحفاظ
ظن الحسود بلوغها بتيقظ ... ظن الوهاد تساوياً بشناظ ٢)
ظمئت عداتك منك فهي فوائظ ... ظمأ تواصل حره بشواظ ٣)
ظل لذات الفضل انت محافظ ... ظمن الفضائل باللطائف حاظ
ظلاف نفس(٤ عن هواها مبظ ... ظور العفاة برفدك الباظ
ظام الى نيل العلى متيقظ ... ظامي المهند يوم خوض عكاظ ٥)
ظلت يداك الودق فهي جوائظ ٦) ... ظلماً تريك تصاحب المتاظ
ظرفت سجاياك الرقاق فلم تغظ ... ظلماً ٧) وعندك مكنة الاحفاظ ٨)
ظلت ديارك خير ملجا حافظ ... ظمئت اليه كتائب الاوشاظ ٩)

قافية العين

على ديارك اوطار البلى تقع ... علماً بانك للاوطار متجع
عودتها العز ثوباً غير منتزع ... عنها وعادتها في ربعها الورع
عروس خدر لها في مهرها بدع ... عفيفة ما لها في غيركم طمع

---

١) الطريقة (في الاصل) .
٢) حرف الجبل (في الاصل) .
٣) لهيب النار (في الاصل) .
٤) عن كذا . . . (هنا كلمة طارت بالمقراض) . رجل ظلف النفس : اي نزِهها .
٥) عراك (في الاصل) .
٦) جاظ (في الاصل) .
٧) الظلم : الضيق (في الاصل) .
٨) الاغضاب (في الاصل) .
٩) الجماعات (في الاصل) .

عاجت اليك عادت بالحبور تندعُ   عهدَ التآلف وبي ما تدعُ
عزت بسيمك نيرًا وهو ناصعٌ   عزَّ الحمام سكبتَ منك تسطعُ
عذبٌ متى سلَّ من يمناك في دمٍ   عرفت كيف الحبّ سالت له تبعُ
عاد العراقُ وميضًا وهو مترعٌ   عند القتال غناء ظلّ يرتفعُ
عمَّ الثرى منهُ خالٌ وهو متسعٌ   علًا وكم لاح برقٌ ليس ينفعُ
عش بالسعادة يا مولايَ في منعٍ   عن الزمان وسعدٍ ليس يمتنعُ
عالي المراتب ما غنّت على قطعٍ   عنادلٌ طاب من تغريدها السمعُ .

قافية الغين

غيرك من يبالي بخطبٍ بالغٍ   غمًّا ومن بات بليلٍ نابغي (١
غيّرَ اسلوب الـذيّ ولم ترغ   غيثًا على حزولٍ حالٍ فانغِ
غلامك الدهر وليس سائغٌ   غصّةً سوى دواك السائغِ
غلبتَ بالله سطاء مبتغٍ   غليك ؛ فارتدَّ بحالٍ فارغِ
غالك وليّ من إمامٍ بالغٍ   غايات مجدٍ جبلًا في المبالغِ
غزيرٌ فضلٍ للعفاة نابغٍ   غديرهُ الفائض بالنوابغِ
غوثٌ . اذا خشّت اليه ارسغٌ   غاصت جامات المدى اللواذغِ
غالبٌ طول في الوغى مصبغٍ   غمر المذاكي (٢ بالدما البوائغِ (٣
غصنٌ على نقا كثيبٍ دابغٍ (٤   غلائهُ من رفدهِ السوابغِ
غنى الصبا ان لاح وهو بازغٌ   غارت عيونُ الشُهبِ البوازغِ

قافية الفاء

في نسج مدحك يحسنُ التفويفُ   في الناظات فكلّهنَّ شنوفُ
فرضٌ علينا الجريُ فيه فإنْ نقفْ   فالتيهُ من عاداتهِ التوقيفُ
فعلت لطائفهُ بفعل مؤلّفٍ   فعلَ السلافِ فحبّذا التأليفُ
فكأنَّ فكري في صفاتك إنْ أصفْ   فلكٌ بهِ زُهرُ النجوم تطوفُ
فعلى ديارك من تحيّةِ مشغفٍ   فقرٌ رسولُ جريرها المدروفُ
فهي البروجُ حوت نجوم عوارفٍ   فيها يلوحُ الكوكبُ المروفُ

---

١) اشارة الى قول النابغة الذبياني (في الاصل) .
٢) المذاكي : الخيل الفتيّة (في الاصل) .
٣) وباغ دمهُ : هاج (في الاصل) .
٤) دابغ : ناعم (في الاصل) :

فلا طرقنْ ربوعها رفائف ... فوق السجوف لها الشعاعُ سجوفْ
فثنت مقاصير الخيام بزخرفٍ ... شأنت وكان العاطفُ المعطوفْ
فاليكها كالخود ذات مراشفٍ ... فلج حكاها الكوثرُ الموصوفْ
فرَّت الى علياك وهي هواتفٌ ... في نسج مدحك يحسنُ التفويفُ

قافية القاف

قسماً بصبح جبينك المتألق ... قد زال من مكنون صبري ما بقي
قلْ احتيالي في البعاد ولم تطق ... قدمي التقدُّم من مهابة مشفقِ
قدّمتُ من خُطاي اليك فشُقْ ... قرب الديار وسابقٌ لتشوّقي
قُلْ فادنُ مؤتمناً فحلمي لم يضقْ ... قبلاً على سعةِ الجلال المطبقِ
قرّت عيونُ الزائرين به فشق ... قلباً ودونك عصمة فتعلّقِ
قُمْ فأجنِ ما تهواهُ نفسك واعتنق ... قِطَعَ الجواهرِ من يديَّ ومنطقي
قست بناني من حبايَ لطارقٍ ... قساً يوءنبيَ المسافرُ ما لقي
قالت لهُ وغديرها متدفقٌ ... قف حجرةً (١) قبل الشجاج المفرق
قلّدت عنق الدهر حتى لم يرقْ ... قطفُ (٢) اللآلئِ عينهْ في الأعنقِ
قومي بنو بدرٍ واني لاحقٌ ... قومي على نهج الكمال الضيّقِ

قافية الكاف

كرمتَ خلقاً وخُلقاً أيها الملكُ ... كأنما انت من افق العلى مَلَكُ
كرمتَ من كلّ فضلٍ جلّ عن دركٍ (٣) ... كأساً طهوراً من التقوى لها دَرَكُ (٤)
كرمتَ كفّاً لنا بالمال من مُسُكِ ... كلّا وفيتَ فمن انفاسك المُسُكُ
كفلتَ للخلق رزقاً غير منتهكٍ ... كانت طلائعهُ للبوءس تنتهكُ (٥)
كدتَ العدى بجنانٍ منك مشتركٍ ... كنهاً بشدّة بأسٍ ظلّ يفتتكُ (٦)
كافحتهم بحسامٍ غير ذي سهكٍ (٧) ... كالبرق من دونه الامطار تنسفكُ
كم راح منك شديد البأس في ضنكٍ ... كرباً وكم راح خافٍ هزّهُ الضحكُ

---

١) قف حجرةً : ناحيةً (في الاصل) .
٢) القطف : العقد (في الاصل) .
٣) لحاق (في الاصل) .
٤) قرار (في الاصل) .
٥) تضعف (في الاصل) .
٦) امكنهُ . . . (هنا كلمة ذهبتُ بالمقراض) .
٧) السهك : . . . هنا كلمتان قطعها المقراض .

كالبحر يترك موآرًا عن هالك ... كل الأسود ونحو ضمنه السمكُ
كن يا ابن حيدر صائبًا عند معترك ... كرهًا ، وتهدًا اذا ما فات معتركُ
كفيت رمك جذبًا فهو في ضحك ... كأنك الدرُّ فنًا والحصى فلكُ

قافية اللام

لولاك يا حدث القضاء المُقبل ... لم يفصل الاعناق حدُّ الفيصل
لبس الحديد مضاك متشحًا فقل ... قد درُّك يا فرند المنصل
لقيتْ عزائمك العجاجَ فلم تزل ... لذكائها تُصلي رطيبَ القسطل (١
لو تسأل الابطال عنها لم تطلْ ... لغةً لأنَّ جوابها لا تسأل
لبيت بافئدة الرجال فراجلٌ ... لحق الفلا وسواهُ لم يترجل
لجوا الخيول ومن سطاتك إن تَصُلْ ... لُحُمٌ لهم في الحرب لم تتحول
لبست ترائبهم حماةُ عوامل ... لطوال سمرك وهي ذاتُ غلل
لمّا التوت كالرقم وهي عواسلٌ ... لقفت نفوسهمُ ولم تتمهل
لك في المدارج يا كريم سلائل ... لوحٌ تلقب بالطراز الأوّل
لبّت دعاك الحادثاتُ ولم تقلْ ... لبيك إلّا وهي صدرُ المحفل

قافية الميم

ما بال سيفك في الهداة يُقسَمُ ... ما كان ملثمًا وانك مُلجمُ
ماض اذا ما صحتَ خاف فلم يقمْ ... من خوفه فنبى بها يتكتمُ
متوقدٌ لم يطفِ بعض تضرمِ ... ماء الحشى من صفحتيه ولا الدمُ
مسَّ الترائبَ فاحترقنَ بعظمِ ... ممّا به فاهها الدخانُ الأقتمُ (٢
ما زال قاضبه يرقرق من دمِ ... مثل النامة(٣ رقَّ منها المرزمُ
ماجت لديه الارض ذات تبسُّمٍ ... موجًا فذا موسى وتلك القلزمُ
مشت الرجال لديه وهي هزائمٌ ... من كلّ باكٍ وهو أبلجُ يبسمُ
من لي بقائلة تقول لبيضهم ... من ذاق طعم دمِ الفوارس يلم (٤
مولايَ عش في عزّةٍ واسلمْ ودُمْ ... متمتعًا بسعادة لا تُختمُ
ما ناح في فنن الغصون حمامٌ ... مثلًا وغرّد بلبلٌ يترنّمُ

١) النيار (في الاصل) .
٢) عبارة عن النار (في الاصل) .
٣) النامة : السحاب . . والمرزم : . . . (هنا كلمات طار نصفها بالمقراض)
المُرزم : الاسد .
٤) عبارة عن ان سيوفهم لم تذق طعم الدم (في الاصل) .

قافية النون

نادت ظباك وحالُ السكر برهانْ نعم نعم ان هاماتِ الندى حانْ
نالت بها من دمٍ خمراً ومن بدنٍ نقلاً عليه صليلُ الوقع ألحانُ
نورٌ اذا ما أغلت تُجلى بها دُجنٌ نارٌ لها جثث الابطال قربانُ
نواهبٌ لم ترزا١ في ضبهنّ فمن نضالها في سبيل الحق رضوانْ
نضوتها مستطيراً بالبنان فان نبذتها فبنانُ الكفِّ مرّانُ
ناسبت شأن السجايا ينهنَّ فمن ندى يديك استفادت فاستوى الشانُ
نعم البلاغُ بلاغٌ تلته حسنٌ نامت عليه الليالي وهو سهرانُ
نافستَ عصرك بالحلم النفيس فمن ناداك لم يدعُ إلّا يا سليمانْ
نظْ درّة الحمد في جيدالكمال وكنْ نفساً فان معالي المجد ابدانُ
نعمتَ بالآء ودم باقهِ في منن نعيمها ببقاه العمر يزدانُ

قافية الهاء

هذا الشهابُ فقمْ بنا لنراهْ هشت عيونٌ في الضحى نلقاهْ
هو ملحمٌ فاعجب وزهر جمالهِ هشت جنٌّ من الدجون جباهُ
هادٍ حكى بدر الدجنّة حولهُ هالات سعدٍ أحدقت بعلاهُ
هلّت أشعتهُ قدام كمالهُ هيهات نقص اهلّةٍ يغشاهُ
هندت٢ الدراري عارضٌ طلقٌ لهُ هربت جيوش الليل عند لقاهُ
هامت فلو نطقت وقد علقت به هتفت بموجدهُ ليس إلّا أهُ
هويت شمائلهُ العباد ولطفهُ هل للعبادِ تفضّلٌ بسواهُ
هزّت به ولها منى في ذكرهِ هلّا انت وجيمها افواهُ
هصرت٣ عراجين الخطوب بطوله هزّاً وكنْ حياذلاً لولاهُ
هامت عزائمهُ فبانت عندهُ همُ الزمان فبتنَ تحت لواهُ

قافية الواو

وحرمة بحر جودٍ منك زهو وبيض مكارمٍ تروى وتروي
ولطف شمائلٍ غرّاء تصحو وليس بمن رآها بعض صحو
وسودة عزمةٍ كالنار تذكو ولينٍ كالمياه ذوات صفو

١) لم ترز : لم تأثم (في الاصل) .
٢) هندتهُ المرأة : اورثته عشقاً (في الاصل) .
٣) كسرت . والعرجون : العود الملتوي كأنه نصف دائرة (في الاصل) .

وشأنك ان شأنك روض زهرٍ · وشأني في مدائحك نظم شعرِ
وُجودك في ربى لبنان صوبٌ · وجودك فوقها امطارُ برِّ
وست ربوه بالانوار تجري · رضيٌ كأنّما جبريلُ يثري
وُليتَ على المكارم وهي تسمو · ولا عجبٌ بذلك كلّ شأوِ
وبتّ بسورة الانعام تتلو · وفًا بجود خالقك المولّي
ورودُ الشعر في مغناك تحلو · وكلُّ النظم فيك أجلُّ نأوٍ[1]
وصلتُ به الى علياك ارجو · وصالَ البرّ من عذرٍ وعفوٍ

قافية اللام مع الالف

لآلئُ المدح فيك يا ابن جلا · لاقَ بجنَ النظم مرتجلا
لاح لديَّ ضياها مشتعلًا · لان غدا العقلُ فيه مشتغلا
لا بدع ان اورثت بنا غللا · لأنها أحدثت لنا عضلا
لازمتها فانثنت تقولُ ألا · لا حول بالله قلتُ ولا
لأنت يا ابن الكرام بدرُ علا · لامعُ نورٍ يجاورُ الحملا
لاقيت جنح الخطوب منسدلا · لاشيئةٌ فانجلى وكدّ خجلا
لاأنت يا بدرُ في سما ملاٍ · لاحظتهم بالضياء مكتملا
لانَ لديك الزمانُ ممتثلا · لأيّ امرٍ ندبتهُ فعلا
لاذ بك المستجيرُ مبتهلا · لاجٍ فجادت نبالهُ أملا
لا زلتَ بالطيّباتِ مشتملا · لا عطفَ في فعالها ولا بدلا

قافية الياء

يمسي يمسي الوحى يا معطي · يمٌّ جودٍ عبابهُ[2] عسجديّ
يا حوادي ان كنتِ انتِ الصوادي · برزك الوِردُ وِردُهُ الكوثريّ
يا لقومي من سيّدٍ اريحيٍّ[3] · يدهُ بالسماح بحرٌ طميّ
يافعٌ نافعٌ نقيٌّ تقيٌّ · يققُ[4] الوجه كوكبٌ درّيّ
يامرٌ سيفهُ يمين المعالي · يلبٌ[5] دون ذاتها يثربيّ

---

١) الشعر السالم من العيوب (في الاصل) .
٢) العباب : معظم الماء (في الاصل) .
٣) اريحيّ : واسع الصدر (في الاصل) .
٤) يقق : ابيض (في الاصل) .
٥) يلبٌ : الدرع (في الاصل) .

يوسفيٌّ حماسةً حاتميٌّ يوم جودٍ وعدلهُ كسرويُّ
يقظاتٌ مات في اهاب الليالي يرقب النجم فكره اللوذعيُّ
يتبع الدهرُ امرهُ كالعوالي يتابعنَ حيث جاء الرويُّ
يتهادى فلو رأتهُ الدراري يتحلى قالت لأنت الوصيُّ
يا فتى المكرماتِ لا زلتَ تحيي يافعَ الحمدِ والزمانُ صبيُّ

ولهُ فيهِ بيتان قد ضمَّن كلًّا منها اربعة تواريخ

أميرٌ أعام الفضل في ما نداتهِ من الفضل حرٌّ اسمهُ الفضلُ في الملا
لهُ دُرُّ نظمي قد اتاهُ قريحتي أغرٌّ حكى نظم القلائد بالطلا (١

(للمقال صلة)

١) الاعناق (في الاصل) .

كتاب
الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف (تابع)

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره
الاب اغناطيوس سركيس
من الرهبانية الشويرية

بسم الله الحي الازليّ

الحمد لله الواحد القهار المنزه عن البداية والنهاية والاغيار المحتجب عن ذوي البصائر والابصار والمتعالي على اعلى العقول والافكار المانح الاحكام للحكام ذوي السلطة والاقتدار والكاتب اخلاق القوم العتاة الفجار الذي جعلنا بواسطة التواريخ والاخبار نعرف ما حدث في جميع الممالك والاقطار حتى اذا سمعنا ما صدر من الرجال الاخيار من العدل والشهامة وحفظ الذمم والاسرار وما فرط من الاراذل الاشرار من المظالم وارتكاب الاوزار نقتفي من الصالحين تلك الآثار ونجتنب طرق الماردين الموصلة الى سوء الدار .

اما بعد فيقول الفقير الى عفوه تعالى الراهب حنانيا المنيّر احد رهبان دير الشوير انه اذ كان النسيان مستحوذاً على كل انسان وكانت الحاجة تدعو في اكثر الاحيان الى معرفة ما حدث في سالف الزمان وقد ثبت ان ما لا يكون مسطوراً لا يثبت في الاذهان تصديت لانشاء هذا التاريخ القريب العهد باذلاً في احسانه كل الجد والجهد . وقد اقتصرت فيه على حوادث بلاد الشوف ونواحيها . واضفت اليها ما حدث في غيرها مما انتهى الى حدوثه فيها فاحصاً فحصاً حثيثاً عن حقائق الامور قبل تسليمها الى السطور . وقد شرعت في هذا العمل ولا ادرى متى يحل الاجل . فاريد ممن يقف على كتابي هذا ان يصلح ما فيه من الخلل . والذي يكمله بعدي فله الثواب الاكمل . واسأل الله تعالى حسن العناية في اتمام هذه الغاية لان زمن الموت مجهول ، كما انظم فاقول :

الموت سهم قاتل فيما سرى	حكم من الباري على كل الورى
هل يعلم الانسان يوم وقوعه	ام كيف ام اين الوقيعة يا ترى
لو كنت ابصره منعت قدومه	لكنه سهم خفي لا يرى
طوبى لمن بالموت كان مذيده	وكذاك من كلّ الورى الفى ورا
بين الامانة والخيانة يا فتى	بون كما بين الثريا والثرى
ولكل ساعٍ عند ربك ما سعى	ولكل قلب ما نواه واضمرا
وانا الذي اصرفت عمري غافلًا	فررت منيًا كأني في الكرى
يا رب كن لي صافحًا عمّا طغت	قدمي وكن لي غافرًا ما قد جرى
وادوم من اهل البصيرة من رأى	هذا الكتاب وكل من فيه قرا
كرمًا يغض الطرف عن غلطاته	فالجود خلق لا يباع ويشترى
يا ناظرًا كل الزمان وعالمًا	بالكائنات وانت في اعلى الذرى
امنن بتوفيق لما ترضى به	يا خالقًا ما لا نراه وما نرى

تنبيه [1]

اعلم وفقك الله انني قد عثرت على بعض حوادث تقدم وقوعها في هذه البلاد . منها ما سمعته من شيوخ ثقاة قد حدثت في عهدهم : ومنها رأيته مسطورًا من اقوام مشهود لهم بصدق الرواية . فرأيت ان اذكر بعضها لتكون مقدمة لما بعدها . وهي منذ انقراض دولة بني معن واقامة بني شهاب . فاقول .

حكم الامير بشير الاول ١١٠٩ – ١١١٧ (١٦٩٧–١٧٠٥)[2]

انه قد كان اول من تولى حكم جبل الشوف وجلس على كرسي دير القمر هو الامير بشير الشهابي وكان ذلك سنة ١١٠٩ من الهجرة (١٦٩٧) . لانه في تلك السنة كان قد توفي الامير احمد معن ولم يكن له ولد ذكر فاجتمعت بعد وفاته مشايخ البلاد من السبع مقاطعات . وهي الشوف والعرقوب والجرد والشحار والغرب والمتن وكسروان . لانه كان حاكمًا في البلاد واجمع رأيهم على تسليم الحكم للامير بشير المومأ اليه . وارسلوا فاعرضوا رأيهم على وزير

١) العنوان هنا وحده من وضع المؤلف . اما العناوين الآتية بعده فجميعها من وضع الناشر .

٢) السنوات واردة في الاصل بالتاريخ الهجري . الا اننا وضعنا الى جانبها ما يقابلها من التاريخ المسيحي .

صيدا . فارتضى به تحت دفع دراهم كانت مكسورة عند الامير احمد معن المتوفى. وتسلم الامير بشير زمام الحكم وعدل في حكمه وخضع له اهل البلاد جميعهم الا اليمنية. لان البلاد كانت حزبين في تلك الايام: بني قيس وبني يمن[1] كما هي الآن يزبكية وجنبلاطية . ورفع اليمنيون دعواهم للباب العالي انهم لا يرضون الامير بشير حاكماً عليهم . فقبلت الدولة سؤالهم وحضر امر من السلطان ان يكون الامير حيدر ابن الامير موسى الشهابي حاكماً في البلاد ويكون الامير بشير مؤازراً له في تدبيره لانه كان قاصراً ابن اثنتي عشرة سنة . وكانت امه بنت الامير احمد معن. ولما وصل الامر السلطاني الى صيدا واطلع عليه الوزير. عرض للدولة بان الامير حيدر صغير السن لا يصلح للولاية. وان العمدة من اهل البلاد لا يقبلون بولايته . فرجع الجواب بتقرير الامير بشير على الحكم وتولى على كل ما كان في يد بني معن وكان ذلك سنة ١١١٠ (١٦٩٨) .

وفي هذه السنة تولى على ايالة طرابلس رسلان باشا . وتولى على ايالة صيدا اخوه قبلان باشا[2] . فحدث في هذا العهد ان حاكم بلاد بشارة عصا على قبلان باشا وعمد على مقاومته فاستنجد قبلان باشا بالامير بشير وطلب اسعافه . فاتاه بثمانية الاف رجل . وكبس ذلك العاصي وقبض عليه وسلمه الى قبلان باشا فازداد عنده قبولاً . وساطه على ايالة صيدا ، من بلاد صفد الى جسر المعاملتين في كسروان وشاع ذكره وعظم شأنه حتى عند الدولة العلية .

وفي هذه السنة كان حكم بلاد جبيل في ايدي المشايخ بني حماده. وكانوا يلبسون خلعة الحكم من يد وزير طرابلس . فحدث منهم مطاولة على حقوق رسلان باشا فغضب عليهم ونزع الولاية منهم . فتوسط امرهم الامير بشير واسترضاه واعادهم الى الولاية .

حكم الامير حيدر ١١١٧ - ١١٤٣ (١٧٠٦ - ١٧٣٠)

وفي سنة ١١١٧ (١٧٠٥) توفي الامير بشير في بلاد صفد . ودفن في مدينة صيدا ، في مدفن بني معن . وكان قد اقام في الحكم سبع سنوات .

١) سيرى القارئ ان هذه العصبية التي استفحل امرها في القرن السابع عشر قد اضمحلت في لبنان في اوائل القرن التالي .

٢) سيجي في آخر الكتاب معجم باسماء الاعلام .

وكان عادلاً شجاعاً كريماً ذا هيبة ووقار ، اصهب طويل القامة حسن الصورة وقيل : كان سبب وفاته انه خرج في جباية الاموال السلطانية الى نواحي صفد . وبينما هو في الطريق ، التقاه بعض الامراء بني عمه من حاصبيا وسألوه ان يضيفهم . وكان بالقرب من مساكنهم . فاجاب وانعطف معهم الى منزلهم . فاحتفلوا به وقدموا اليه في اطعمتهم شيئاً من الحلوى بعضه ابيض وبعضه احمر . وكان الاحمر مسموماً . فكانوا لا يأكلون منه . واكل منه الامير بشير . فدبّ السمّ في اعضائه ، وكان ذلك السم لطيفاً فلم يظهر له اثر حتى انصرف الى طريقه . فكان يعتلّ يوماً فيوماً حتى مات . وكان ذلك حسداً منهم وطمعاً في اتخاذ الولاية بعده. ولما توفي الامير بشير ، اجتمعت مناصب البلاد واكابرها . وتداولوا في من يقلدونه الولاية فاتفق رأيهم على الامير حيدر الذي مرّ ذكره . وكان قد تزوج ورزق ولدين احدهما يقال له الامير ملحم والاخر الامير احمد . فاحضروه من حاصبيا بالعز والاكرام . وسلموه امرهم واقام في دير القمر . وقبلت الناس ولايته وطاعت اوامره . الا حكام بلاد المتاولة . فعصوا ورفضوا اوامره وتصلبوا لمقاومته . وكان حينئذٍ حكم بلاد المتاولة في يد المشايخ بني علي الصغير من يد بشير باشا والي صيدا . وحكم عكا وبلاد صفد في يد المشايخ اولاد بني زيدان . وحكم بلاد الدروز والسبع مقاطعات في يد الامير حيدر الشهابي . وكان الامير حيدر ، لما تحقق عصاوة المتاولة عليه جمع رجاله وتوجه لقتالهم . واما هم فقد اجتمعوا الى قرية النباطية وعولوا على قتاله فكبس القرية المذكورة والقى فيهم السيف . فقاتلوه . وكانت النصرة له . فتتك بهم ودخل القرية عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى بلاده ظافراً . وكان ذلك سنة ١١٢٠ (١٠٧٨) .

وهذا كله كان بغير اذن بشير باشا ولا علمه . فانكر ذلك على الامير حيدر وغضب عليه . وكان باقياً من اليمنية بعض رجال من الامراء بني علم الدين في الجرد والغرب . فانفذ اليهم بشير باشا وطيب قلوبهم وانهضهم ضد الامير حيدر وامرهم ان يطردوه من البلاد ويتقلدوا الحكم مكانه . ووعدهم بان يؤازرهم على ذلك . واشتهر هذا الامر . وتظاهر بنو علم الدين . وتكاثر حزب اليمنية ونهض لاسعافهم الامير يوسف رسلان . وكان حاكم الغربين الاعلى

والادنى . وكان مقامه في قرية الشريفات . وانحاز الى عرض اليمنية كثير من القيسية . منهم الشيخ محمود من بني هرموش . وكان عمدة في البلاد . ونهضوا جميعهم للقتال . وضعف عرض الامير حيدر ، فخشي ، وانكسرت نفسه ، وارسل عياله الى حيث يأتمن عليهم في كسروان . واقاموا هناك تحت الخفاء في قرية صغيرة . وكابدوا الذل الشديد . واما الامير حيدر فانطلق الى الهرمل مقاطعة الامراء بني الحرفوش واختفى هناك في بعض الكهوف حيث تأوي الوحوش وكان المشايخ بني الخازن يرسلون اليه الذخائر الى هناك سراً . وتسلم زمام الحكم الامير يوسف علم الدين واخوه الامير منصور ، من يد بشير باشا والي صيدا . وكان المدبر في دولتهما الشيخ محمود هرموش . فجاروا على الرعايا لا سيما بني قيس . واقاموا على ذلك سنتين الا قليلًا . فقامت الحركة في البلاد واتفقت القيسية على اعادة الامير حيدر الى الولاية . وراسلوه عن يد المشايخ بني الخازن . واستدعوه ان يوافيهم الى المتن . فاجابهم وحضر الى دار المقدم حسين ابي اللمع . وبلغت الاعلام كل بني قيس . فتبادروا اليه وكان عمدتهم الشيخ قبلان القاضي من جباع الشوف . والشيخ سيد احمد ابو عذرا من الباروك في العرقوب . وعلي ابو نكد من المناصف . ومحمد تلحوق من الغرب . والشيخ خازن من بني الخازن من كسروان . والمقدم مراد ابن المقدم محمد ابي اللمع من المتن . وتكاثرت القيسية عنده . واجتمعوا في رأس المتن . وبلغ ذلك أمراء اليمنية . فانفذوا اخبروا بشير باشا والي صيدا فحضر حالًا بعسكره الى حرش صنوبر بيروت وانفذوا فاستغاثوا بنصوح باشا والي الشام . ووعدوه بايراد ذراهم نفقة عسكر . فقبل سؤالهم واقبل مسرعا بعسكره الى قب الياس في البقاع . وتجمعت رجال اليمنية من الشوف والغرب والجرد وحضروا جميعهم الى قرية عين دارة بالقرب من طرق المتن الاعلى . وصار الاتفاق ان يرتفع بشير باشا من حرش بيروت الى قرية بيت مري في طرف المتن الادنى ونصوح باشا الى المغيثة في اعالي المتن ورجال اليمنية الى حمانا في باطن المتن . وان الثلاثة عساكر تمشي في وقت واحد معهود بينهم بحيث تصل معا وتكبس القيسية والامير حيدر في رأس المتن . وبلغ الامير حيدر هذا الاتفاق. جمع بني قيس الذين عنده . وتداولوا فيما يكون . فاتفقوا ان يكبسوا اليمنية

ليلاً في عين دارة . وكان كذلك .

وفي تلك الليلة ركب الامير حيدر ببني قيس وتوجهوا الى عين داره . وكانت ليلة الجمعة من ثامن عشر محرم ١١٢٣ (١٧١١). فانقسموا ثلاث فرق وهجموا على القرية حتى وصلوا اليها . فصاحوا واطلقوا البارود . فثارت اليمنية وانتشبت الحرب . وحملت بعض الرجال القيسية فملكت جانباً من القرية واهوت عليها البقية فدخلوا. واتصلت القيسية باليمنية. فتركوا البارود وامتشقوا السيوف والانجاق . واراد الله ان يظفر القيسية فاستظهروا عليهم . وقتل في تلك الليلة خمسة امراء من بني علم الدين وخلق كثير من اليمنية. وهرب الذين سلموا فلم يوجد منهم احد . قيل : وكان قاتل هؤلاء الخمسة الامراء المقدم حسين ابي اللمع .

وبعد انصراف الوقيعة دخل عليه رجل فلقبه بالمقدم على عادته . فغضب وقال : اقتل خمسة امراء ويقال لي مقدم ؟ ! وقام اليه بالسيف فقتله . يريد ان يلقب بالامير . لان المقدم طبقة بين الامير والشيخ .

وقبض الامير حيدر على الشيخ محمود هرموش . واراد ان يقتله . فمنعه المشايخ عن ذلك خوفاً من سلوك هذه العادة في قتل المشايخ لانهم لم تكن لهم عادة في القتل ولا في الحبس ايضاً . فاذا اذنب احدهم كان قصاصه الطرد او سلب المال او اتلاف ماله من اغراض وابنية ونحو ذلك . ولما لم توافقه المشايخ على قتله قطع لسانه وابهام يديه واطلقه . وكان اذ بلغ الوزيرين ما كان انصرف كل منهما بعسكره خوفاً من وصول الطائلة اليه . وتوجه الامير حيدر الى دير القمر وفي ركابه موكب القيسية . ومن ذلك العهد تأيدت القيسية في البلاد وتبددت اليمنية منها . فضبط الامير حيدر املاكهم وديارهم واموالهم . وانعم على من كان في نصرته من اكابر البلاد . واعطى المقدم حسين ابا اللمع قاطع بيت شباب وبكفيا. وتزوج بابنته سعود. واعطى المقدم مراد ابا اللمع نصف حكم المتن وبسكنتا. وتزوج بامه لان اباه كان قد توفي. واطلق على بني ابي اللمع لقب الامارة . واعطى الشيخ قبلان القاضي اقليم جزين . واعطى الشيخ علي ابا نكد الناعمة وما يليها . واعطى محمد تلحوق الغرب الاعلى واطلق عليه لقب شيخ . وقام ضد الامير يوسف رسلان . لان

الامير يوسف كان حاكم الغربين . فلما تظاهر بالغرض لليمنية نزع منه الغرب الاعلى وسلمه لمحمد تلحوق . وجعل يكتب لهؤلاء المذكورين : الاخ العزيز .

وحكم . وعدل في حكمه ومالت اليه الناس . وعظم شأنه عند الجميع . وبعد مدة طويلة نهض ضده بعض مشايخ البلاد . وارادوا ان يخاموه وينصبوا مكانه الامير احمد ابن الامير منصور الشهابي من راشيا . فاستنجدوا لاتمام مطلوبهم بالامير سيد احمد حاكم حاصبيا . ولما علم الامير حيدر بذلك استدعى اليه الامير احمد . ونوه له انه يريد ان يعطيه ابنته ويستوزره في اموره. فركب الامير احمد وحضر الى دير القمر . فالتقاه الامير حيدر احسن ملتقى وكان له سرية عند الامير نجم الشهابي في حاصبيا. فكتب له انه يريد ان يقتل الامير احمد وانه متى بلغه العلم بقتله ينهض على الامير سيد احمد فيقتله ويتولى مكانه بمعاضدته . ثم ان الامير حيدر امر اولاده بقتل الامير احمد . فنهضوا عليه ليلاً وهو نائم فقتلوه . وارسل حالاً يخبر الامير نجم بذلك ليقتل الامير سيد احمد فسبقه الرسول عبد كان مع الامير احمد وكان لما قتل مولاه انهزم ومضى الى حاصبيا . فاخبر الامير سيد احمد . ولما علم الامير سيد احمد بذلك . خاف على نفسه . وانهزم ايضاً الى نواحي دمشق .

واقام الامير حيدر في الحكم ستة وعشرين عاماً الى ان توفي . وكان عادلاً شجاعاً كريماً شديد الرأي اسمر اللون حسن الصورة . وكان قد تزوج بسبع نساء . منهن اثنتان من بنات عمه من حاصبيا . واثنتان من بني ابي اللمع من المتن كما ذكرنا . وثلاث سراري . ورزق تسعة اولاد ذكور وهم الامير ملحم والامير احمد من ام واحدة . والامير منصور . والامير يونس . والامير علي والامير حسن من ام اخرى وكلتاهما من بنات عمه كما مرَّ . والامير عمر من والدة المقدم مراد ابي اللمع . والامير بشير من ابنة المقدم حسين. وكانت وفاة الامير حيدر سنة ١١٤٣ (١٧٣٠) واقاموا له مناحة عظيمة اربعين يوماً . ولبست النساء اثواب الحداد في جميع البلاد . وحدث في ايام ولايته حوادث كثيرة عدلنا عن ذكرها طلباً للاختصار .

حكم الامير ملحم ١١٤٣ — ١١٦٧ (١٧٣٠ — ١٧٥٣)

وبعد وفاة الامير حيدر تولى مكانه ولده الامير ملحم . وكان عادلًا في حكمه لكنه كان صارماً جدًا فلا تأخذه رأفة في القصاص . ولا يقبل شفاعة شافع . فهابته الناس ولزم كل انسان حده . والقى الفتنة بين مشايخ البلاد وحكامها . فكان ذلك سبباً لتأييده وثبات حكمه . وكان الوالي يومئذ في صيدا اسعد باشا العظم . وكان مبغضاً للامير ملحم ويرغب ان ينزع الحكم من يده . ولكن لم يتيسر له ذلك فاقام اربع سنين في صيدا . ثم جبرت له ولاية دمشق الشام . وتولى مكانه اخوه سعد الدين باشا . وكان يكره اخاه اسعد ويحب الامير ملحم حباً شديدًا . وبعد ذلك بايام اراد اسعد باشا ان يزعج خاطر الامير ملحم فادعى عليه دعاوى باطلة وجهز عسكرا وحضر به الى نواحي البقاع لمجاورة الامير ملحم . ولما بلغ الامير ذلك جمع عسكرًا من البلاد وركب يطلب اسعد باشا حتى وقع عليه بتلك الرجال التي معه . فلم يجد له طاقة على قتال الامير ملحم فانهزم . وساق الامير في اثره الى قرب دمشق . ثم انعطف في رجوعه الى البقاع فاحرق ونهب اكثر قراها . وشاع خبر جبرته . وهابته الدولة وعظم شأنه عند الشعوب المجاورين له وكان ذلك سنة ١١٥٤ (١٧٤١) وهي السنة الثانية عشرة من حكمه .

وفي سنة ١١٥٦ (١٧٤٣) عصت المتاولة على سعد الدين باشا . وابوا ان يدفعوا له المال السلطاني ، واستهانوا به . فارسل يخبر الامير ملحم بذلك . وطلب منه الاسعاف . فجمع عسكرًا عظيماً من رجال البلاد وتوجه لقتال المتاولة . وكانوا لما بلغهم قيام الامير ملحم خافوا وارادوا ان يتلافوا امرهم . فنزلت مشايخهم الى صيدا وترامو على الوزير واعتذروا اليه واقروا له بايراد الاموال المرتبة عليهم فرضي عنهم وعرف الامير ملحم بذلك وامره بالرجوع عنهم . وكان الامير قد وصل الى الاولي قرب صيدا . فلم يحفل بقول الوزير . واخذ في طريقه اليهم لانهم اتفقوا مع الوزير عن غير يده ولا علمه . وما زال حتى وصل الى قرية نصار . ولما تحققت المتاولة وصول الامير ملحم الى بلادهم واصراره على قتالهم لم يكن لهم بد من التأهب . فاستعدوا للقتال وجمعوا

رجالهم . ثم انتشب القتال بينهم . فكانت موقعة عظيمة الى حين من الزمان . فانكسرت المتاولة وفر من وجد سبيلًا للفرار . وكان كثير منهم قد تحصنوا في القرية فدخل عليهم الامير ملحم برجاله واعمل السيف فيهم حتى اتى على آخرهم فقتل منهم في ذلك اليوم الف وستة وستة انفار . واستلم الامير ملحم وقومه اموالهم وخيلهم وسلاحهم واحرق بلادهم واستأسر منهم اربعة مشايخ من اكابرهم وعاد منهم ظافرًا غانمًا . فجعل طريقه على صيدا وطلب من الوزير نفقة عسكر . فارسل اليه وبعث الامير ملحم الى الوزير بالاسرى الذين معهم وحضر الى دير القمر . ووقعت له هيبة في قلب الوزير واهل البلاد .

وفي سنة ١١٥٨ (١٧٤٥) وهي السنة الخامسة عشرة من حكمه ، انجد له ولد سماه الامير يوسف .

وفي سنة ١١٦٣ (١٧٤٩) وهي سنة العشرين من ولايته . غضب على الشدياق بطرس المشقوتي وكان مدبرًا في دولته . وذلك لان الشدياق بطرس كان قد داخله العجب والطمع فتطاول على بعض ارزاق تخص الامير ملحم بغير اذنه . فامر بحبسه وضبط جميع املاكه . فعظم عليه جدًا وهانت عنده الحياة ثم فقطع خصيته بيده ومات . فاغتاظ الامير ملحم لموته وتأسف عليه وندم على ما فعل لانه كان نافعًا له في حسن تدبيره .

وفي هذه السنة كان سليمان باشا العظم واليًا في دمشق الشام . فغضب على الانكشارية ونفاهم من البلاد . فحضر ضابط زعامهم احمد آغا القلطقجي وبعض آغوات من اتباعه الى حماية بني يزبك . وكان يغزون في اثناء ذلك الى اطراف دمشق فينهبون ويقطعون الطرق . فكتب سليمان باشا الى الامير ملحم ان يطردهم من بلاده . ولما عزم الامير ملحم على طردهم منعه الشيخ شاهين تلحوق والمشايخ بني عبد الملك . فارسل الامير واحرق ديار بني تلحوق في الغرب وبني عبد الملك في الجرد . وقام الشيخ شاهين واحمد آغا الى نواحي البقاع حتى دخلت جماعة واسطة في الصلح فسالموا بين سليمان باشا والانكشارية ورجع احمد آغا وجماعته الى دمشق . ورجع الشيخ شاهين الى البلاد . وعوض عليه الامير ملحم مما كان اتلفه وصفا خاطره عليه .

وفي سنة ١١٦٦ (١٧٥٢) اتفق ان رجلًا من دير القمر تخاصم مع رجل

من خدم المشايخ النكدية فقتل خادم المشايخ . فقبض الامير ملحم على القاتل وحبسه لانه لم يكن قتل متعمداً . وكان الامير ملحم يريد ان يطلقه بعد تأديبه . فهجم بعض المشايخ المذكورين على السجن ليقتلوا المسجون بغير ارادة الامير . فمنعهم . وصار هياج بالشعب عظيم في دير القمر حتى اضطر الامير ان يأمر بقتله رغماً عنه فقتل . واثر ذلك في قلب الامير ملحم وعول على نكبتهم. فالقى الفتنة بين الشيخ خطار والشيخ كليب نكد وجدت العداوة بينهما حتى نهض بعضهما على بعض . فاقصاهما الامير من البلاد الى حاصبيا واحرق منازلهما في الدير وهدمها الى الارض . ثم توسط امرهم الامير اسماعيل حاكم حاصبيا واصلح بينهم . فرجعا الى البلاد واقاما في المناصف الى ان توفي الشيخ خطار وصفا خاطر الامير ملحم على الشيخ كليب فرجع الى الدير وعمر وسكن .

وفي هذه السنة . بعد رجوع الامير ملحم وانتصاره على المتاولة كان في عكا الشيخ ظاهر العمر من بني ابي زيدان اصحاب بلاد صفد المتقدم ذكرهم. كان الامير بشير قد ولاه تلك البلاد وكانت في ايدي آبائه من عهد بني معن حتى اراد الله فتولى الشيخ ظاهر مدينة عكا واقطاعها تابعاً تحت يد وزير صيدا . فلما رأى الشيخ ظاهر ظفر الامير ملحم بالمتاولة وسطوته عليهم غير مبال بامر الوزير خاف ان يسطو على بلاده ايضاً . وكان لعكا سور قديم قد تهدم كثير منه فاصلحه الشيخ ظاهر . وجدد ما كان قد دثر منه وتأهب في كلما يحتاجه من التحصين والمهمات . وقال بعض شعراء العصر مؤرخاً تجديد ذلك السور :

سور منيع عاصم عكا . فما	تغتال . اذ قد عاد منه الداثر
من ظاهر العمر الذي اشتهرت له	بين البرية انعم ومآثر
. تمت محاسنه فيرنو ناظر	في حسن مبناه ويخسأ ناظر
لما بناه الشيخ ظاهر عنوة	اعناه تاريخي بناه الظاهر

وفي سنة ١١٦٧ (١٧٥٣) ، دخلت شوكة من لوح صبير في يد الامير ملحم فآلمته جداً . ولكنه لم يكترث بها . فاستحم واستعمل الطيب فورمت يده وعظم الامر حتى عجزت الجراحون والاطباء عنه ونحل جسمه جراء ذلك

واشتغل بمداواة نفسه . فطمعت فيه مشايخ البلاد . واتفقوا عليه بواسطة اخوته . فاضطر ان يتنازل عن الحكم .

وفي هذه السنة حضر الشيخ عثمان ابن الشيخ ظاهر العمر الى دير القمر نازلاً عند الامير ملحم لانه كان قد اغتاظ من ابيه فحضر غضباناً فتوسط الامير ملحم امره مع ابيه ورجع الى عكا واصطلح مع ابيه .

وفي هذه السنة قتل الامير اسماعيل ابو اللمع ابن عمه الامير احمد. فركب الامير منصور وقاصرهم وضبط ارزاقهم . ثم رضي عنهم واخذ منهم عشرين الف قرش .

حكم الاميرين احمد ومنصور ١١٦٩—١١٧٧ (١٧٥٥—١٧٦٣)

وفي سنة ١١٦٩ (١٧٥٥) تسلم حكم جبل الشوف الامير احمد اخو الامير ملحم واخوه الامير منصور . واقاما في دير القمر . ونزل الامير ملحم الى بيروت وصرف اتباعه وابقى عنده اربعة انفار من المسلمين لخدمته .واتخذ كتباً في العبادات الاسلامية ومشايخ يراجعهم في امر الدين وتورع في الديانة الاسلامية.

وفي هذه السنة كان نائباً عن دمشق الشام عبد الله باشا الشتجي . وكان عداوة في دمشق بين وجاق الانكجارية والقبيقول . فارسلته الدولة بعسكر ثلاثة عشر الف نفر لاجل قطع هذه الخصومة . فاجتمعت عند قدومه اهل المدينة الى الميدان ليمنعوه عن الدخول . فكبسهم ليلاً وقتل منهم خلقاً كثيراً. ودخل الى البلد رغماً. فهابته النفوس وسكنت تلك البلابل التي كانت بينهم وقيل انه كان يتنكر كل ليلة ويطوف في شوارع المدينة وكل من وجده في الليل يقتله . فعظم امره عند الدولة . وكان في اصله مملوكاً كرجياً . ولذلك كان يحب النصارى كثيراً . وكان يحب الامير ملحم محبة عظيمة . وكان يقول ليس في الدنيا مارد الا عبد الله باشا الشتجي والامير ملحم الشهابي والشيخ ظاهر العمر . ثم انعزل عبدالله باشا عن دمشق الشام . وتولى مكانه حسن باشا .

وفي هذه السنة انقضت صاعقة على قلعة بيروت فهدمت جانباً منها . فامر الامير ملحم ببناء ما هدم منها .

حكم الامير منصور ١١٧٧–١١٨٤ (١٧٦٣–١٧٧٠)

وفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦) وقع الاختلاف بين الامير احمد والامير منصور وابن اخيهما الامير قاسم ابن الامير عمر فتوجه الامير قاسم من البلاد الى نواحي البقاع . وقطع الطرق السالكة الى البلاد. فارسل الامير احمد والامير منصور واسترضياه واعطياه قرية غزير . وتزوج بابنة الامير منصور وسكن في غزير .

وفي هذه السنة كان غلاء عظيم في بلاد الشمال حتى كان رطل الخبز يباع بنصف قرش . ودام الغلاء سنة كاملة . وقيل انهم في بلاد الرها ونواحي بغداد كانوا يأكلون لحوم الخيل والبغال والحمير .

وفي هذه السنة ، نهبت العرب الحج عند قلعة القطرانة . فدخل الباشا القلعة وحاصر بها . فحاصروه اياماً . واخذوا المحمل . وقيل ان ام السلطان عثمان كانت في الحج فماتت رعباً. ولم يسلم من الحج غير القليل . وكان للباشا صديق من امراء العرب . فاخرجه من القلعة ليلاً وهرب الى غزة.. وقيل ان العرب كانوا يطبخون اللؤلؤ ويظنون انه ارز .

وفي سنة ١١٧١ (١٧٥٧) ، ثارت الحرب بين انكشارية دمشق والقبيقول وصار بينهم وقائع كثيرة . وكانت الناس من اهالي جبل الشوف في تلك الاطراف . فكانوا يسعفون الانكشارية وينصرونهم على القبيقول . وقتل من الفريقين نحو اربعين نفراً وحاصرت القبيقول في القلعة . وجرى بينهم وبين الانكشارية اربع وقائع . والانكشارية تنتصر عليهم باسعاف الدروز . وبعد رجوع عبدالله باشا الشتجي الى دمشق امر عسكره ان يكون مسعفاً للقبيقول. وطلب من الانكشارية عشرة آلاف قرش وكان رئيس الانكشارية محمد آغا ابن والي فامتنع عن ذلك ورد رسول الباشا . فغضب وامر العسكر ان يكبس منازل الانكشارية فوقع بينهم القتال وانكسر عسكر الوزير وقتل منه عشرون نفراً . وخرجت الانكشارية من البلد نحو الف خيال . ووقع القتال بين اهل المدينة والوزير . فقتل من اهل المدينة نحو مئة قتيل . ثم نادى عبدالله باشا بالامان . وكف عسكره عن القتال .

وكان في هذه السنة غلاء فاحش حتى بلغ ثمن كيل الحنطة ستة قروش .

ثم نادى الباشا في دمشق على خزنة الحنطة ان يبيعوا الكيل بقرشين ونصف. فكان كذلك .

وفي سنة ١١٧٢ (١٧٥٨) توفي السلطان عثمان ابن السلطان مصطفى . وقيل انه مات بالسم . وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثمانية اشهر . وخلفه السلطان مصطفى ابن السلطان احمد .

وفي هذه السنة ظهرت في البحر مراكب قرصان . واستوسقوا على سفينة لاهل بيروت فهاجت الاسلام في بيروت . وقاموا على الافرنج الذين في البلد وهجموا على دير البادرية . وقبضوا على الرهبان. واتلفوا ما في الكنيسة مما يتلف ونهبوا ما ينهب . فغضب الامير ملحم من ذلك . وقبض على الذين اثاروا تلك الحركة من اسلام بيروت . وشنق منهم اثنين . واستخلص للبادرية ما كانوا نهبوه من الدير .

وفي هذه السنة كان الامير احمد والامير منصور بعد توليها حكم البلاد قد قل احتفالها باخيها الامير ملحم ولم يعد له عندهما مقدار . فشق عليه ذلك. ولم يجد له سبيلًا الى منازعتها الولاية . وكان في ايام ولايته قد تولى ايالة صيدا مصطفى باشا القواص . فدعاه الامير ملحم الى دير القمر فحضر . واخذه الى نبع الباروك . وقدم له الخيل والسلاح . وبالغ في اكرامه وصار بينهما محبة عظيمة . ثم انعزل مصطفى باشا ورجع الى القسطنطينية . وصار له منزلة في الباب العالي . وقد ذكرنا ما كان بين الامير احمد والامير منصور . وبين الامير قاسم ابن الامير عمر . وكانت لم تزل بينهم جفوة تامة . ولما رأى الامير ملحم استخفافها به دعا اليه الامير قاسم وكتب معه الى مصطفى باشا القواص ان يسعى له في اخراج الولاية باسمه من الباب العالي . وارسله الى هناك . فرحب به مصطفى باشا واكرمه وانزله احسن منزل وسعى في حاجته فلم يردّ وحصل الوعد بقضائها . واتفق في تلك الايام انه قبل اتمامها . توفي السلطان عثمان وقام مقامه السلطان مصطفى . وكان يكره مصطفى باشا القواص . فنفاه من القسطنطينية .

حكى الامير قاسم قال . كنت ذات ليلة عند مصطفى باشا القواص في القسطنطينية . واذ قد دخل عليه رجلان بايديهما مصابيح ودفعا اليه صحيفة

صغيرة . فقرأها ونهض من فوره وسار معها وقال لنا امكثوا هنا الى ان اعود . فبقيت انا ونائبه ساهرين نتحدث في ذلك ولا نعلم السبب . وما برحنا الى ان رجع مصطفى باشا بعد نصف الليل ومعه الرجلان عصابيحهما . فنهضنا عند دخوله حتى جلس وامرنا بالجلوس فجلسنا ولم نجسر ان نسأله عن شيء . فقال هل علمتم لماذا دعينا ؟ قلنا لا . قال قد انتقل الى عفو الله تعالى مولانا السلطان عثمان . فذهبنا صلينا عليه ودفنـاه واقمنا مكانه السلطان مصطفى الثالث الاسم ابن المرحوم السلطان احمد الثاني وباركنا له بالملك ورجعنا . وغداً تصير الزينة في المدينة ويخرج السلطان الجديد الى الجامع . ثم قال لنائبه : استأجر لك مكاناً يكشف على الطريق ليتفرج الامير قاسم على خروج السلطان . فارسل واستأجر داراً ذات مشارف على الطريق . وعند الصباح ذهبنا وجلسنا هناك . ثم اخذت الارط تتوارد كل ارطة بزيها وملبوسها وهو ينبئني باسمائها الى ان وردت الاثنتان والسبعون ارطة ثم اقبلت رجال الدولة بالجواهر والحجـارة الكريمة ونورها يدهش البصر . واقبل السلطان مصطفى بكرك اخضر وقاووق اخضر . وقد غطته مراوح مزخرفة من ريش النعام . وهو شاب اشقر اللحية متقلد بسيف مذهب مرصع بالجواهر النفيسة . وفي يده مصحف كذلك . ومر في طريقه الى الجامع . فصلى ورجع من هنـاك الى داره في البحر . ورجعت المراكب على ترتيبها .

وفي سنة ١١٧٣(١٧٥٩) . توفي الامير ملحم في مدينة بيروت . وحزنت عليه عائلته حزناً عظيماً لانه كان بمنزلة اب لهم . وقـد اعطاهم كثيراً من الاملاك . وهو الذي ربى جميع اخوته . لانه لما توفي ابوه الامير حيدر لم يكن بالغاً في اولاده غير الامير ملحم والامير احمد . وكان محباً للجميع بالمساواة . ولما توفي الامير ملحم كان جميع اولاده صغاراً . وكان وكيلاً عليهم ومربياً لهم سعد الخوري صالح من رشميا .

وفي هذه السنة رجع الامير قاسم الشهابي من القسطنطينية الى دمشق الشام. وكان بعد نفي مصطفى باشا القواص من هناك قد انقطعت وسائله ولم يبق له مسعف على حاجته . فانقطع رجاؤه منها الا ان مصطفى باشا كان له شراكة في القسطنطينية يقال له علي باشا الحكيم . فاوصاه به عند خروجه من هناك

ان يكون مسعفا له . وكانت الاحوال مضطربة بعد قيام السلطان الجديد . فامره علي باشا ان يعود الى دمشق ويكتب معه الى عبد الله باشا . فاضطر الامير قاسم الى الرجوع . واصحبه علي باشا بكتاب الى عبدالله باشا. ولما دخل الامير قاسم على عبدالله باشا دفع اليه الكتاب ، فقبله بكل اكرام وكان قد حان خروجه الى الحاج فعرض على الامير قاسم ان يعطيه المقاطعة التي يريدها في إيالة دمشق . فلم يقبل . وبقي في دمشق حتى رجع عبدالله باشا من الحج . فسار الامير قاسم الى ملتقاه وقدم له ثلاثة عشر حصانا من جياد الخيل. وكان ملتقاهما في صحراء المزاريب . وهناك حضر الى الباشا اعلام بوفاة علي باشا الحكيم . ورجع الامير قاسم من هناك الى دمشق مع عبدالله باشا. واقام عنده اياماً . فاتته العزلة . وتولى مكانه شاليش باشا . فضاق صدر الامير قاسم وساءه عدم ذلك التوفيق . فخرج من دمشق واتى الى فالوغا في المتن ونزل عند الامير شديد ابن الامير مراد ابي اللمع . واقام عنده سنة ثم ارسل عمه الامير احمد والامير منصور فاسترضياه . وحضر الى حدث بيروت حيث كانت عياله .

وفي سنة ١١٧٤ (٧٦٠) . اتحد للامير احمد ولد وسماه الامير حيدر . وهو المؤرخ المشهور .

وفي هذه السنة تولى دمشق الشام عثمان باشا الكرجي الملقب بالصادق . وكان السبب في هذا اللقب انه كان من بعض مماليك اسعد باشا العظم والي دمشق . وكان اسعد باشا قد تولى دمشق سنين كثيرة وجمع اموالا لا تحصى وبنى ابنية عظيمة في دمشق . منها الخان المعروف باسمه الى الآن . ومشى الحج بنفقته سنوات. فانعمت عليه الدولة بطوق إشاداً لانعطافها اليه. وامرت ان لا يقتل ولا يشهر عليه سلاح. ولما علمت بكثرة امواله التي جمعها ، ارسلت فقتلته خفية في الحمام وضبطت امواله فكانت مبلغاً عظيماً لا يقع تحت حساب. وكان اسعد باشا يحب مملوكه عثمان المذكور لاجل نباهته واستقامته في الخدمة. فكان يقربه اليه ويثق به في اسراره ولما قتل مولاه ووقع الضبط على داره طلبوا عثمان المملوك وسألوه عن خزائن سيده . فقرر لهم عنها كما هي . وبعد ذلك وجدت حافظة بعلم تلك الاموال . فكانت كما ذكر المملوك . وبلغ

ذلك الدولة العلية فانعمت عليه بثلاثة اطواق . وقيل له عثمن باشا الصادق . وكان من الاستقامة في القول والعمل على جانب عظيم .

وفي هذه السنة اصطلح الامير قاسم مع عميه الامير احمد والامير منصور اصطلاحاً تاماً وسكن في قرية بشامون من قرى الغرب الاعلى .

وفي سنة ١١٧٥ (١٧٦١) ولد للسلطان مصطفى غلام سماه السلطان سليم . وارسل البشائر الى جميع المدن في مملكته . وقامت الافراح والزينات في كل مكان . ونظم هذا التاريخ :

لما بدا بدر العلى ... في ذروة المجد العظيم
والسعد قد عم الملا ... ارخت محفوظاً سليم

وفي هذه السنة حدث اختلاف بين طائفة الروم والكاثوليكيين في مدينة حلب واخرجت الروم اوامر من الدولة العلية في القبض على البعض من وجوه الكاثوليكيين. فقبض عليهم الوزير وحبسهم فاعرضت طائفة الكاثوليكيين الى الباب العالي وخرجت فتوى من المحكمة الهمايونية بعدم التعرض لهم وهذه صورتها :

وما قولكم ادام الله فضلكم في رجل ذمي تولى بطريركا او مطرانا على النصارى الذميين الاروام وغيرهم من الغرباء القاطنين في مدينة حلب او دمشق الشام او غيرهما من مدن المملكة العثمانية بموجب خط شريف من حضرة مولانا السلطان لتعاطي امورهم الكلية والجزئية في دينهم من عقد نكاح وصلوات وغير ذلك من الاحكام . ثم ان فرقة منهم تعدت عليه وخالفته ضد امر مولانا السلطان . واختلطت بالافرنج الحربيين وتدينت بديانتهم وصلت في كنائسهم تريد في ذلك مخالفة امر مولانا السلطان والاستعلاء على المسلمين فهل تجبر على طاعة الامر العالي بامتثالها للبطريرك او المطران المذكورين . وان خالفت امر مولانا السلطان واستعلت على المسلمين فهل تكون حربية وينتقض عهدها وتجري عليها احكام الحربيين وتكون دماؤها هدراً واولادها غنيمة للمسلمين ام لا ؟ افيدوا بالجواب . ولكم الاجر والثواب .

الجواب : الحمد لله مانح الصواب . انت خبير بما هو مصرح به في كتب ائمة مذهب امامنا النعمان وشرحه وفتاويه ان الكفر ملة واحدة . فان تدين النصراني بما تدين به اليهودي او تدين اليهودي بما تدين به النصراني او بما تدينت

به الافرنج فلا يكون ذلك ناقضاً لعهدهم لتصريح صاحب الكنز وغيره من معتمدي ائمتنا بان الذي لا ينقض عهده الا بالتحاقه بدار الحرب او بالغلبة على موضع الحرب . فان علمت ما قررناه ظهر لك ان الفرقة من النصارى الذميين اذا اجتمعوا بالافرنج وتدينوا بدينهم وصلوا في كنائسهم لا يكون ذلك تعدياً منهم ولا استعلاء على المسلمين ولا نقول انهم قد انتقلوا من دين الى دين . لما قررناه من ان جميع الاديان المخالفة لدين الاسلام في الكفر على حد سواء . ولاجل ذلك لا ينقض عهدهم ولا تجري عليهم احكام الحربيين لان الافرنج الحربيين اذا دخلوا دار الاسلام بامان يكونوا مستأمنين . وان مكثوا سنة ولم يعودوا الى دارهم يكونوا ذميين . وتجري عليهم احكام اهل الذمة . ولا يجوز سفك دمائهم ولا اخذ شيء من اموالهم ما داموا في دارنا كما هو مصرح به . ولا يكون عدم ادائهم الجزية مبيحاً لشيء من ذلك . ولا عدم اخذ الجزية من الافرنج القاطنين في دارنا تقصير منا . بل ان ابوا عن دفعها ايضاً كما يقول صاحب الكنز فلا ينقض عهدهم بابائهم عن الجزية ولا نقول انهم حربيون . واذا كان لا يجوز لنا سفك دماء الافرنج المذكورين في دارنا ولا اخذ شيء من اموالهم بغير حق فالاولى ان لا يجوز لنا ذلك بالنسبة الى الذميين الخاضعين لاحكامنا . ولا يجوز لاحد ممن يؤمن بالله واليوم الاخر ان يتعرض للفرقة الذميين سواء كانوا حلبيين ام دمشقيين ام غيرهم او يأمرهم بالطاعة للبطريرك او المطران المذكورين بالكفر . وقد تقرر في قواعد اهل السنة ان الرضى بالكفر كفر هو . نعوذ بالله من ذلك . وتوليتها عليهم بخط شريف من حضرة مولانا السلطان لا ينافي تدينهم بدين غيرهما . فان وجد بالخط الشريف ما يشعر باستتباعهم الى البطريرك او المطران فانه يكون قد وقع سهواً مرتباً على انباء البطرك او المطران لاستحالة وقوع ذلك قصداً من مولانا السلطان ايده الله تعالى . فيثاب حضرة مولانا الوزير وحكام الاسلام عن منع الذمي البطرك او المطران من تعرضهما للذميين الاغراب . وهذا الجواب المعتبر المعول عليه . ولا يعمل بغيره ولا يلتفت اليه . والله سبحانه اعلم . حرره الفقير اليه تعالى سليمان المنصوري الحنفي .

وفي سنة ١١٧٧ (١٧٦٣) اختلف الامير احمد والامير منصور في الحكم

فنزل الامير منصور الى بيروت واحضر محمد باشا العظم والي صيدا الى حرش بيروت وطلع به الى دير القمر . فقام الامير احمد من الدير الى كفرنبرخ . وحامت عليه مشايخ اليزبكية . وحضر الى دير القمر الشيخ عبد السلام عماد والشيخ شاهين تلحوق . وتوجه الامير يوسف ابن الامير ملحم واخوته وعيالهم الى المختارة . وضبط الامير منصور جميع املاكهم . ثم توجه الامير يوسف الى راشيا فالتقاه الامير منصور حاكم راشيا بكل اكرام ودخل في الصلح الشيخ علي جنبلاط والشيخ كليب نكد بينه وبين عمه الامير منصور. وحضر الامير يوسف الى بشامون قاطناً عند ابن عمه الامير قاسم ابن الامير عمر الذي تقدم الكلام عنه . وحضر كاخيته سعد الخوري الى بسكنتا . واقام عند الامير احمد ابن الامير حسين ابي اللمع حاكم بسكنتا . وابتدأ الشيخ علي جنبلاط يترامى على الامير منصور في رفع الضبط عن املاك عائلة الامير ملحم . وكان الامير منصور له طمع في ميل الدولة اليه . فرد سؤال الشيخ علي ولم يرفع الضبط . وكان في ذلك الوقت اتفاق حسن بين الشيخ علي والشيخ كليب نكد . وهما يحبان الامير يوسف محبة صادقة . وكان شيخ العقل في تلك الايام الشيخ اسماعيل ابو حمزة . فارسله الشيخ علي جنبلاط الى الغرب . الظاهر لكي يحافظ على الخلوات حسب العادة . والباطن لكي يربط مع اهالي البلاد على قيام مصلحة الامير يوسف . وبعد حضور الشيخ اسماعيل الى الغرب اتفق الشيخ علي والشيخ كليب مع الامير يوسف ان يتوجه الى دمشق ويجمع البلاد في غرضه . فتوجه الامير يوسف الى قب الياس في البقاع . وحضر اليه سعد الخوري من بسكنتا . وتوجه به الى دمشق الشام . وكان عليها عثمان باشا الكرجي الصادق الذي تقدم الكلام عليه فالتقاه بكل اكرام ورجع الامير منصور الى بيروت ومحمد باشا الى صيدا . وقدم له الامير منصور خدمة عشرة الاف قرش . وتوجه الشيخ كليب الى حاصبيا خوفاً من الامير منصور. وكان محمد باشا الكرجي ابن عثمان باشا نائباً على طرابلس الشام . فكتب اليه عثمان باشا ان ينعم على الامير يوسف بحكم بلاد جبيل . لانها في ذلك العهد كانت تابعة ايالة دمشق . وخرج الامير يوسف بذلك الكتاب الى مدينة جبيل والتقاه الشيخ كليب نكد الى الطريق . وسار معه . ولما وصل الى

جبيل حضرت اليه اكثر مشايخ البلاد وتقدم من هناك الى طرابلس وكان عمره يومئذ اثنتي عشرة سنة . وانما سعد الخوري كان يدبر اموره . وكان الامير يوسف كريمًا فاحبته الناس ومالت اليه اهالي البلاد .

وفي سنة ١١٧٨ (١٧٦٤) ركب عثمان باشا الصادق على الشيخ محمد الجرار في قلعة سانور . وارسل الى الامير يوسف فجمع الامير يوسف عسكرًا والتقى به عثمان باشا فعظم امره عنده واكرمه غاية الاكرام . وكان الامير منصور حنقًا على الشيخ علي جنبلاط . فاتفق مع الامير قاسم والامير علي والشيخ عبد السلام العماد على قصاصه . ولما علم الشيخ علي بهذا الاتفاق ارسل فدفع الى الامير يونس اخي الامير منصور سبعة الاف وخمسة قرش حتى يقوم الى الشوف . فقبل الامير يونس . وقام من دير القمر الى مزرعة الشوف فحضرت اليه المشايخ الجنبلاطية برجال الشوف والبعض من رجال البلاد . واشتدت الحركة . وفي ذلك الوقت اتفق انه انعزل محمد باشا العظم من صيدا ومات السيد علي المرادي في دمشق . وهما عمدة الامير منصور وبهما كان يشتد عزمه . فضعف عزم الامير منصور وعدل عما كان في نفسه . وحضر الشيخ علي والامير يونس الى مواجهته في دير القمر وحصلت الالفة بينهم . ورجع منصور الى بيروت والامير يونس والشيخ علي الى منازلهما .

وفي هذه السنة كان امير الحج في مصر حسين بك كشكش . وكان بطلًا في الحرب . لا يطاق . وكان يخرج بالحج ويرجع بدون ان يعطي رمية العربان . وكان في ذلك الموسم امير الحج الشامي عثمان باشا الصادق . فالتقيا هناك ووقعت بينهما منافرة . فتلافاها الشريف مساعد بن زيد سلطان مكة . وكان يميل الى عثمان باشا وبقي في نفسهما اثر من ذلك . وعاد كل منهما الى مكانه . وبعد رجوع الحج المصري كان فيه الامير علي بك وكان عنده خزندار يقال له محمد . فالبسه كاشفًا عن المنوفية . ثم البسه سنجقًا . وكانت عادة الغز انه حين يلبس احدهم على السنجقية يخرج من دار مولاه وينثر الفضة على الخدم . فخرج محمد ونثر الذهب فقيل له ابو الذهب . واما استاذه علي بك فانه بعد ذلك تمرد على السناجق فاتفقوا عليه واخرجوا امرًا من الوزير بنفيه واخرجوه من مصر منفيًا الى الاقطار الحجازية . فاقام مدة في السويس . ورجع

سرًا الى مصر ومعه مملوكه محمد ابو الذهب ودخل الى بيت حسين بك كشكش . وارسل محمد ابا الذهب الى بيت عثمان بك الجرجاوي . ولما علمت السناجق برجوعه عقدوا ديوانًا . فجزم الامير خليل بك شيخ البلد وبعض السناجق برجوعه الى الحجاز حسب امر الوزير . فابى حسين بك وعثمان بك لدخوله منازلهما . واخيرًا اتفقوا على خروجه الى بلاد الصعيد فانزلوه البحر وجهزوه بما يحتاجه وتوجه الى مدينة اسيوط ومعه مملوكه محمد ابو الذهب . وكان منفيًا هناك صالح بك تابع مصطفى بك . وبعد ذلك اخذ علي بك وصالح بك يكاتبان الوزير وبعض السناجق قال اليهم حسين بك جوجو . وربط مع الوزير حمزة باشا وبعض ارباب الوجاقات على قتل الامير خليل بك شيخ البلد وعثمان بك الجرجاوي وحسين بك كشكش . وصار الاتفاق انهم متى حضروا لتهنئة الوزير بالعيد يثبون عليهم ويقتلونهم . وكان ذلك في اواخر شهر رمضان . ولما كان العيد حضروا كعادتهم مستأمنين . وجلسوا بحضرة الوزير دخل عليهم اربعة انفار واطلقوا عليهم الرصاص . فاصابوا عثمان بك الجرجاوي فقتل . وهربت بقية السناجق الى باب القرب وباب الانكشارية . وقامت لحمايتهم رجال الوجاقات وثاروا على الوزير والقوا عليه الترسيم وطلبوا حسين بك جوجو واصحابه فاختفوا في البلد ثم خرجوا الى الصعيد والتقوا بعلي بك وصالح بك . واخبروهما بقتل عثمان بك الجرجاوي . وكان الشيخ همام حاكم الصعيد يحب علي بك محبة عظيمة . فالتجأ اليه علي بك وسأله النجدة فجهز معه عسكرًا من العرب والهوارة . وانضمت اليهم الغز المنفية الى بلاد الصعيد من قديم الزمان . وساروا بتلك العساكر يطلبون مصر . ولما علم بذلك خليل بك والسناجق الذين في مصر جهزوا عساكرهم . وخرجوا الى ملتقاهم . فالتقت العساكر في مكان يقال له البياضية وانتشبت بينهم الحرب . فانكسرت عساكر خليل بك . ورجعوا طالبين بلاد غزة والاقطار الشامية . وتقدم علي بك وصالح بك الى قرية يقال لها البلد . فنزلا هناك . وخرجت اليهما اكابر الوجاقات . وعلماء البلد ونائب الوزير والاعيان وادخلوهما الى مصر باحتفال عظيم . ولما دخلوا المدينة قصدوا القلعة واخرجوا حمزة باشا من تحت الترسيم . فخلع على علي بك واقامه شيخ البلد وعلى صالح بك واقامه متوليًا .

وفي هذه السنة اصلح الامير اسماعيل ابن الامير نجم حاكم حاصبيا قلعة بانياس وبنى ما كان قد هدم منها من ايام بني معن ونزل بها قاطناً . فحضر اليه عثمان باشا الصادق والي دمشق وحاصره اياماً . وكان لما بلغه خروج عثمان باشا ارسل استنجد الامير منصور الشهابي . وقبل ان تصل اليه النجدة سلم القلعة عن يد يوسف آغا ابن جبري نائب عثمان باشا . ولما تسلم القلعة عثمان باشا قبض على الامير اسماعيل واخذ منه اثني عشر الف قرش ونهب كل ما كان في القلعة . ثم امر بهدمها واطلق الامير اسماعيل بعد ذلك . فاراد ان يتوجه الى القسطنطينية . وسار حتى وصل الى بلاد بعلبك . فارسل الامير منصور اخاه الامير علي وابن اخيه الامير قاسم الذي كان توجه الى القسطنطينية سابقاً ورجع فارغاً . فعدلاه عن ذلك . وحضروا جميعاً الى بيروت . واصلح الامير منصور بين الامير اسماعيل واخيه الاكبر سلمان . لانهما كانا قد اختلفا على حكم وادي التيم . ورحل الامير سلمان الى بيروت . وبعد اتفاقهما رجعا معاً الى حاصبيا . واقاما مدة هناك . فغدر الامير اسماعيل بالامير سلمان . وقتله . وكان له ولدان فهربا الى بيروت . فتمكن الامير اسماعيل من حكم وادي التيم . واتفق مع المشايخ المتاولة والشيخ ظاهر العمر . وخافت منه اهالي تلك البلاد . وكان قد زوج اخته بالامير منصور وصار بينهما محبة شديدة . وكانت اخته الاولى زوجة الامير ملحم واتخذ الامير اسماعيل كثيرا من الخدم والخيل والسلاح . وصار في ثروة واسعة . واصلح الامير منصور امر اولاد الامير سلمان . وجعل لهم معاشاً على عمهم . ورجعوا الى حاصبيا واقاموا هناك.

وفي سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) رجع الامير خليل بك وحسين بك كشكش ومن معهما من بلاد غزة هاشم ومعهما عساكر كثيرة عربان ومغاربة ودالاتية ووصلوا الى مدينة المنصورة . ولما بلغ الامير علي بك قدومهم جهز اليهم العساكر مع مملوكه محمد بك ابي الذهب . وخرجت معه الوجاقات السبعة فالتقوا في نواحي المنصورة واشتد بينهم القتال اكثر من اربع ساعات . فانكسرت عساكر علي بك ورجعت الى مصر . فجرد علي بك ركبة ثانية وخرج معها صالح بك ومحمد بك ورجال الوجاقات السبعة . ولما علم الامير خليل بك والامير حسين بك بتجريد العساكر عزما على المسير الى اراضي الصعيد . فلم

يحميها العسكر الذي معهما على ذلك . وانصرف كل منه الى بلاده . فسار خليل بك وحسين بك بعشيرتهما الى هناك . ونزلا في قرية يقال لها طلدة . واجمع رأيهما على ترك القتال ومراسلة السناجق الباقين في مصر ان يقبلوهما . وكان صالح بك لما بلغه دخولهما الى تلك الاراضي سار اليهما ومعه محمد بك ابو الذهب . ولما اقترب من طلدة اجتمعت اليه اكابر الوجاقات . وقالوا له الاوفق لنا ان لا نتعاطى امر القوم ومعنا محمد بك ابو الذهب لاننا نعلم انه لا يخامر عليهم . واذا انتشب القتال بيننا وبينهم لا بد ان يتخلى ويتركنا في المقدمة . فان رأيت ان نفوض الامر اليه . فقبل صالح بك رأيهم . وساروا جميعاً الى خيمة محمد بك ابو الذهب . وقالوا له : انت ابن الامير علي بك وهؤلاء اخوتك . وانتم عائلة واحدة . ونحن قد فوضنا هذا الامر اليك . فافعل ما تراه صواباً . فدعا محمد بك كاشفاً يقال له ذو الفقار الفيومي . وامره ان يمضي الى طلدة ويظهر انه قد غاب عن ابي الذهب وينضم الى خليل بك وحسن بك ويحتال على قتلهما . فتكفل له ذو الفقار ذلك . وسار برجاله الى هناك . وكان القوم لا يحترسون منه . لانه كان من عشيرتهم . فاطمأنوا اليه . وعند وصوله هجم عليهم برجاله فأصاب عبده حسين بك برصاص فقتله. وكان الى جانبه مملوك له . فقتلوه ايضاً . وانذعر القوم من ذلك فتشتتوا . وكان في طلدة مقام للسيد احمد البدوي تشبيه الاسلام . ففر خليل بك ودخل ذلك المقام . واحتمى فيه مع مماليك علي بك الملطي وعثمان بك. وتلاه حمزه بك والوالي . فادركتهما جماعة ذي الفقار وعبده قبل دخولهما الى المقام وقتلوهما هناك . وفرّ اسماعيل بك ابو مدفع الى الجهة الشرقية ودخل مدينة المنصورة . وكان ذو الفقار قد قطع رؤوس الذين قتلوهم . فارسل تلك الرؤوس الى محمد بك ابو الذهب واعلمه بدخول خليل بك ومماليكه الى مقام السيد احمد البدوي . فارسل محمد بك اعلم مولاه علي بك بذلك . فرجع الجواب ان خليل بك واصحابه حيث دخولهم مقام البدوي . لا يهجم عليهم حفظاً لحرمة المقام . ولكن يخرجهم بالامان ويرسلهم الى الاسكندرية . واخرج امراً من الوزير بذلك وان يطوف محمد بك وصحابه في جميع الاقليم ويقتل كل من وجده من السناجق والكشاف. فخرج خليل بك ومماليكه من المقام وسافروا

الى الاسكندرية بالامان ورجع محمد بك وصالح بك الى المنصورة . وقبضا على اسماعيل بك وحسين كاشف ومحمد كاشف . وقطعا رؤوس الثلاثة . ورجعا الى مصر . وتلك الرؤوس قدامها على الصواني الفضية . فارسل علي بك الى القسطنطينية واعرض للدولة العلية ان هؤلاء القوم كانوا عصاة مفسدين وانهم حبسوا الوزير في القلعة . واخرج اعلاماً بذلك من العلماء والاشراف . وبعد ذلك ارسل الى الاسكندرية وخنق خليل بك شيخ البلد في القلعة . ودانت له الايام . وخافت من سطوته اهالي تلك البلاد . وكان علي بك رجلاً جباراً يحب الرئاسة ولا يريد ان يكون له شريك فيها . فكان يبذل جهده في قتل السناجق والكشاف حتى لا يبقى امامه احد . وجعل يتخذ رجالاً جديدة ويجتهد في قرض الوجاقات القديمة . وحدثته نفسه ان يسطو على الحجاز واليمن والشام ويعيد دار الخلافة الى مصر كما كانت في ايام الشراكسة. واقام علي بك في تلك الايام والياً على البلاد رجلاً يقال له احمد الجزار . وكان هذا الرجل اصله من بلاد البشناق من اقليم البوصنة . حضر الى مصر وخدم عند احمد كاشف. ولبس ملبوس المماليك وبعد ذلك توفي سيده. فانتقل الى خدمة رجل من السناجق يقال له عبدالله بك . واتفق ان عبدالله بك خرج يوماً الى الجيزة فقتله العرب المنادي . فانتقل الجزار الى خدمة ذي الفقار . فاقامه متسلماً على القرية في نواحي العرب الذين قتلوا مولاه فكان يترصدهم ويقتل من ظفر به منهم . فقتل اربعة من مشائخهم . وارسل رؤوسهم الى مصر . فصار له اسم هناك . وكان كلما قتل واحداً منهم يقول : يا لثار عبدالله بك . وبذلك قيل له احمد الجزار . واحبه علي بك وقربه اليه حتى جعله والياً كما مر . وبقي احمد بك الجزار في رتبة علي بك الى ان دعاه في بعض الايام . وطلب منه ان يسير مع محمد بك ابي الذهب الى قتل حسن بك جوجو . فمضيا . وراقباه حتى خرج من منزله ليلاً ومعه الجن علي بك . فهجما عليهما وقتلاهما وهربت اصحابهما . وعاد محمد بك واحمد بك الى الامير علي بك واعلماه بذلك فاغتاظ من قتل الجن علي بك . فاعتذرا اليه انه قتل غلطاً . وبعد ذلك البس علي بك الجزار سنجقاً وعلت منزلته عنده . وكان ذلك بغير رضى صالح بك . فاحتسب علي بك منه وعزم على قتله . فدعا احمد بك الجزار

وامره ان يسير في قتاله مع محمد بك ابي الذهب . فقال ان بيني وبين الرجل عهداً من حين كنا بالصعيد ان لا يخون احدنا صاحبه . والآن لا انقض ذلك الميثاق . فانكر علي بك ذلك خوفاً من ان يعلم الجزار صالح بك . وتلافى الامر معه . فقال له : حياك الله يا احمد بك . الآن عرفت انك تحفظ الوداد . وانا اردت ان اختبرك . فقد حظيت الآن عندي اضعافاً . وخرج من عنده احمد بك الجزار الى صالح بك من فوره . واعلمه بما كان فقال صالح بك : ما اظن ان اخي علي بك يفعل هذا . لان بيني وبينه عهوداً ومواثيق . كما بيني وبينك .

ومن الغد حضر علي بك الى دار صالح بك وهو يعلم ان الجزار لا بد ان يعلمه بذلك . وقال له : يا اخي هل اخبرك احمد بك الجزار ما قلت له ؟ قال نعم. فقال علي بك: وانت يا اخي ينبغي ان تختبر رجالك لتعرف الخائن من الوفي . فلان من لا يحفظ الوفاء لغيرك لا يحفظه لك . ثم رجع علي بك الى منزله واخبر محمد بك ابا الذهب بكل ذلك . وقال له الاصوب لنا ان نقتل صالح بك واحمد بك ايضاً . لاننا لا نأمن شرهما .» ومن ذلك الوقت صار محمد بك ينتهز الفرصة الى ان خرج يوماً صالح بك واحمد بك الى خارج البلد . فخرج معهما محمد بك ابو الذهب . ولما كان في بعض الطريق مشى محمد بك خلف صالح بك . وضربه بالسيف . فخر على الارض قتيلاً . وهربت اصحابه . وكان احمد بك الجزار متأخراً عنهما فخادعه محمد بك ابو الذهب . وتقدم به الى الجيزة وكان احمد بك على حذر منه لا يمكنه من فرصة عليه حتى جلسا ناحية في الجيزة واخذ محمد بك يباسطه حتى يأنس به . ثم جعل يمسح سيفه من الدم . ويقلبه . ويعجب من مائه ومضائه . وقال لاحمد بك : يا اخي كيف سيفك ؟ ارني اياه . فقال : ان سيفي لا يخرج من غمده الا ليدمي . ونهض قائماً . فضحك محمد بك . ومازحه ليريه انه اتى ذلك بقلب سليم . ورجعا بعد ذلك الى المدينة . فمضى احمد بك الى منزله . ولبس لباس المغاربة وسافر الى بولاق . ثم الى الاسكندرية . ثم الى القسطنطينية . ثم الى حلب . ثم الى دمشق . وسيأتي تمام الكلام عنه .

واما علي بك فلما رجع اليه محمد ابو الذهب واخبره بقتل صالح بك وما

كان بينه وبين احمد بك الجزار امر علمانه ان يدعوا الجزار من منزله . فاتوا منزله . وسألوا عنه فقالت زوجته : انه مريض . وبعد ثلاثة ايام ذهب محمد بك ابو الذهب الى منزل الجزار فلم يجده . وعلم انه قد سافر . ولكن لم يعلم الى اين . فارسل علي بك في طلبه برًا وبحرًا . ولم يجده . وقيل له انه سافر الى القسطنطينية . فاكتفى بذلك . وطابت له الايام . وانفرد بالولاية في مصر . ولم يبق له ضد ولا ند . واخذ يسطو على الوجاقات فيقتل بعضاً وينفي بعضاً . ويكثر من الجنود والانصار حتى تمهدت له الاقطار المصرية وعظم موكبه وكان اعظم اصحابه محمد بك ابو الذهب . وكان محمد بك رجلًا مهيباً جميل الصورة سعيدًا في ركوبه خبيرًا بالقتال شجاعاً لا يبالي بالاخطار . ونظم الامير علي بك احوال مصر وقطع اللصوص والخطفة واجرى العدل والامان وهابته الناس وشاع ذكره في جميع الاقطار .

وفي سنة ١١٨١ (١٧٦٧) خسفت الارض في جانب نهر الصفا تحت قرية كفرنبرخ . وتزلزلت تلك الارض . فانتقل الجبل الذي هناك الى الجانب الثاني . وراحت اغراس لا تحصى تحت الهدم . وابيات هناك علاها الردم . فمات بها جملة اناس وكثير من المواشي وقيل انه بعد ايام كان يسمع صياح الديوك من تحت الردم . واجتمع كثير من التراب وغيره في مجرى النهر فاحتقن جملة ايام . وظل ماؤه معتكرا جملة سنين وكان في ذلك المكان معادن كبريتية وهي باقية الى الآن في جانب النهر . واذا مست فاحت منها رائحة الكبريت ولعلها كانت هي السبب في ذلك . وقيل ان رجلًا من كفرنبرخ كان فوق ذلك الجبل . واذا بالجبل يمشي به كالسفينة . فاذا به قد صار في الجانب الاخر . فلم يضره ذلك . ولكنه اندهش فاختل عقله وعاش بعد ذلك عدة سنين مجنوناً . وكانت تلك الخسفة في ثامن عشر شهر كانون الاول .

(يتبع)

معجم العلائلي

بقلم الاستاذ منصور ابي صالح

شرع الشيخ عبدالله العلائلي باصدار معجمه « مقدماً بشكل دوري ليكون في جديده محلاً للنقد والتصويب » (ص ٢٣) فاستقبله الجمهور استقبالاً رائعاً في الصحف والمجلات والنوادي واعتبره اكثرهم حدثاً جديداً في اللغة يجدد شبابها ويرقى بها درجة عليا بعد وثبة الشدياق في القرن الماضي ونهضة المطران جرمانوس فرحات من قبل . واحتفى به الخاصة بحفلة حافلة قيل فيها كل جميل وقام رجال الحكم بواجبهم نحو المؤلف « فايد مجلس النواب اشتراك الحكومة بتقديره وشراء نسخ منه » (نشرة المعجم ص ١).

واطلعنا على الكتاب فاذا بنا امام جهد بالغ ونصب مضن وجلد عجيب وثمرة « ليالي مؤرقة بين اشتات الكتب قديمة وحديثة » على حد ما قال المؤلف (ص ٢٢) .

الا اننا لم نقع ، في ما قرأناه عن الكتاب ، على بحث يليق بجهد المؤلف يصح تسميته مؤازرة له بالبحث والدرس بطريقة علمية تفي بالموضوع مع ان المؤلف دعا كل قارئ « الى ابداء الرأي حتى ولو (كذا بالاصل) مشرباً بالازورار » (ص ٢٣) وذلك شأن المنصرفين للخدمة بالاخلاص .

وهذه المشاركة بالبحث والدرس هي اجدى في نظرنا ، وفي نظر المؤلف على ما نعتقد ، من التقريظ والمكافأة المادية .

لذلك رأينا ان نؤدي ما يفرضه علينا الموضوع تلبية لداعي الواجب بدرس الكتاب بما امكن من الايجاز والاستيعاب مجتنبين الاختصار المخل والتفصيل الممل .

١
نظرة عامة

١ – شكل الكتاب

الكتاب بقطع نصف يشتمل على مقدمة وبعض حرف الالف (الى اخين) منوع الحرف بين دقيق وكبير رائق التبويب ما بين اصل وفرع ، وفعل واسم

وحرف ، مجرد ومزيد ، معلوم ومجهول ، لازم ومتعد ، الى آخر ما وسع المؤلف من عناية بالفروق وايراد المقابل من لغتي الانكليز والفرنسيين .

٣ – لغة الكتاب

المؤلف متجدد متحرر . للغته في البحث الجديد طابع خاص عليه مسحة من الغموض والابهام شأن كل حديث غير مألوف يؤدى بلغة جديدة لا يدرك المطالع مرماها بسهولة ولا سيما القارئ العادي فلا ينجلي قصد المؤلف وحقيقة فكرته الا بكد الذهن واعمال الروية وتكرار المطالعة واذا انجلى فهيهات ان يستوثق القارئ من انه احسن الفهم مثاله «لاوليتها غنى» «المحل المتهافت» «الصيرورة» بناء فوقي «السببية العقلية» «دلالة الما صدق» اقصى التخالل في اللطائف واعلى التسدذ في الجوامد (ص ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ١٨ ، ٢٨) ولغته كلها على هذا النمط في ما يبديه المؤلف من ارائه الخاصة حتى اذا تناول الابحاث المطروقة جاءت سهلة يتلقاها القارئ دون عناء .

فهذه اللغة وان تكن مفهومة بذاتها تغدو غامضة عند تطبيقها على الموضوع ومحاولة استشفاف مقصد المؤلف من خلالها على ان ذلك ان جاز في بحث علمي معد لنخبة من الاختصاصيين فلا نراه يجوز في الابحاث المعدّة للعامة فحبذا لو ان المؤلف وضع نفسه موضع القارئ العادي وحاول افهامه بلغته على نحو ما كان يفعل المؤلف الافرنسي «موليار» المروي عنه : انه كان يقرأ على خادمه ما يكتبه ويسألها عما فهمت منه.

اضف الى ذلك بعض اغلاط شائعة على اقلام الكتاب اذا اغتفرت لهاتهم في مطبوعاتهم اليومية البخسة فلا يجوز ان يؤخذ بها مثل الشيخ اللغوي الذي لا يجيز لنفسه الا استعمال الكيماوي ولم يكتب ولو مرة واحدة الكيماوي او الكيموي . فخليق بمثله الا يستعمل التعابير الآتية : سبق ونوهت به ، اتفق ورأينا ، حتى ولو ، كاي حي ، (صفحة ١٠ ، ١٣ ، ٢٣) بله الاغلاط المطبعية وهي غير قليلة ، لا يمكن التسامح بها في مؤلف جدي معد لتثقيف الناشئة والا باتت مدرجة لتعميم الخطإ وهذا ما انكره المؤلف نفسه (في كتابه مقدمة صفحة ١١٢ بختامها) ووصفه «بانه ترويج للخطأ واشاعة للاغلاط».

وهناك بعض عبارات ليس لها من ميزة الا طلاوة الجديد : مهما يكن من شيء ، المنوه به ، حتى لحامر ، الخ . . (صفحة ٤ ، ٥) .

٣ – مكانة الكتاب

على ان قيمة التأليف ما كانت ولن تكون بالمبنى جلّ او حقر بل كل العبرة بالفكرة المتجسدة فيه فالكتاب اذا قسنا متنه اللغوي بامثاله رجح عليها جميعاً ترتيباً وتبويباً وسبكاً وايضاحاً غير ان المؤلف أدرك ان سلوك الطريقة القديمة ولو بتفوق كبير لا يفي بالحاجة بل لا بد من طريقة علمية منطقية تنهض باللغة الى مصاف اللغات الحية الوافية بمطالب الحياة .

وكل واقف على معاجمنا يدرك انها ركام من المتناقضات بل تيه يضل فيه الخبير ولا غرابة في الامر فجل الذين عنوا بها اعاجم غرباء عنها من سيبويه المأثور عنه قوله خذوا لتتكلم من اعجمي . الى الفيروزبادي صاحب « الضادي والمضادي والضوادي » (ص ٢ من مقدمته) الى الروانف والجيوب والضرط والصلة والشناتر الخ الخ (ص ٤ من مقدمة الهوريني الثانية عليه) ومن بالغ النكاية ان الهوريني اورد هذه العبارة وامثالها في مقدمته التي سماها « فوائد لطيفة » . وجعل عبارة الضرط والصلة السابقة من مفاخر الفيروزبادي البالغة والجناية البالغة انه نسبها الى سيد البلغاء بلا منازع الامام علي .

وقد تنبه الى هذه العيوب اكثر المشتغلين باللغة من القدماء الى المحدثين كالشدياق واليازجي وزيدان فطرقوا الموضوع وادوا خدمات جلى للغة . واظل العلائلي والسيل لا يزال في مبتداه فاخذ على نفسه مهمة الاصلاح وذلك حيث يقول :« كثيراً ما اتهمت العربية بان الكلمة فيها تنشر جناحيها وتطويها على معاني شتى من كل وادٍ » (ص ١٤) والواقع ان المؤلف ترفّق بالمؤلفين بقوله : « اتهمت » لان معاجمنا خالية من كل صلة معنوية او رابط منطقي فليس هناك تهمة مشكوك بها بل حقيقة ناصعة وكل مادة في اي معجم شئت تشهد بان لسان العرب لم يدرس بطريقة منطقية علمية بل ان اصحاب المعاجم قصروا همهم على جمع اللغة كما تيسر لهم اكداساً وكلما قُدّم بها الفرع الغريب على الاصل الفصيح كانهم رأوا ان مهمتهم تفسير الغامض اولاً وخلطوا به الدخيل

والحوشي والمائع والجلي بحيث اختفى على العربي وجه لغته اختفاء تاماً .

فتلافياً لذلك استهدف المؤلف القاعدة الآتية : « استخلاص الوحدة المعنوية الاشتقاقية الكبرى اي المعنى الجامع بين كل مشتقات الجذر اللغوي الواحد سالكاً فيها حكاية تطور الجذر بين حقيقة ومجاز » (ص ١٤) ويليه اهداف اخرى كالتفرقة بين ابواب الافعال تبعاً للمعاني وبين الحقيقة والمجاز والتنزيل والنقل الى عدة اهداف غيرها بلغت الخمسة عشر فضلاً عن قواعد اربع وضعها للموازين وتأصيل الفروع والافعال والتعدية واللزوم الخ . . .

فسبيلنا الالمام بهذه الاهداف والتعقيب عليها بما يبدو لنا ورائدنا تسديد الخطى في خدمة اللسان. اما ان نخطئ او نصيب فذاك شأن كل باحث وللجمهور الرأي الاعلى .

وغاية المأمول ان يتناول العارفون الموضوع بالعناية اللائقة به ليستقر الجمهور على رأي نهائي فاللغة لغتنا حياتنا لحياتنا .

٢
الوحدة الاشتقاقية

ذكر المؤلف لكتابه عدة حسنات كما قدمنا . فأولى هذه الحسنات بالعناية « الوحدة الاشتقاقية او المعنوية » لانها بنظرنا تشبه السلسلة الفقرية للغة . وكل جهد لغوي لا ينحو هذا النحو مصيره الاخفاق التام — واكبر عيوب معاجمنا اهمالها هذه الناحية المنطقية . فللمؤلف كل الفضل باتخاذه هذه القاعدة اماماً يحتذى ونبراساً يستضاء به .

غير ان القاعدة شيء واستعمالها شيء آخر فالعبرة كل العبرة في تطبيقها :

ان ابن خلدون وضع مقدمة لتاريخه جاءت بدعة في عصره ولا تزال للان ذات شأن ولكن التاريخ الذي وضعه جاء مطبوعاً على غرار ما تقدمه وبقيت اصول مقدمته الثمينة حرفاً مهملاً .

مقارنة

فهلم ننظر في الوحدة اللغوية وتسلسلها المنطقي عند المؤلف مبتدئين باول

المواد : الالف والباء . فنثبت المتن اولاً اخذًا عن المعاجم السابقة كاللسان والفيروزبادي ومحيط المحيط والبستان ثم نقابله بما ورد لدى المؤلف ثم نعرض ما لدينا .

١
في الثنائي

١ً – مثال اول

ا) — ابَ : في المعاجم السابقة وردت كما يلي :

« ابَّ للسير » : تجهز ، الرحل : صاح ، الى وطنه : حنّ اليه ، هزم بجملة صادقة ، يده الى سيفه : ردها اليه ليسله ، الشيء : حركه ، أبّ أبّه ، قصد قصده . ويليه المزيد .

« ابّ » : صاح ، تابَّ فرح كثيرًا وتعجب ، ائتبَّ تهيأ وتجهز .

« الأباب » : الماء والسراب ، الأباب معظم السيل .

« الابُّ » : ما تشتهي الانعام رعيه كالفاكهة للانسان .

« الإبابة » : الطريقة .

ب) — ابَ — عند العلايلي

وبالرجوع الى معجم العلايلي نراه قدم لهذه المادة بما خلاصته : « لهذا الجذر في الساميات معنى دبيب الحياة وتجدد النضرة والخصوبة . . .

اما القدر المعنوي الجامع في دائرة العربية فانه جمع العزم على الرغبة وصبّه في حركة او نزوع الخ » وقد اطال المقدمة ولم يعلل لرأيه هذا بدليل ما ، ولا حاول تطبيق المادة على مقدمتها ليمكن ان يقال ان رأيه مستمد من متن اللغة وان الإستعمال يشهد بصحته وذلك انه اورد المتن كما يلي .

« ابَّ لم الرجل لشأن ما كالسفر : تهيأ واستعد وتجهز .

« ابَّ » « مجازا » الى الوطن : حن ، في وجه خصمه : صاح ، يده الى سلاحه ردها ليسله .

« ابَّ » المحارب : ، غاب بجمجمة صادقة ، الشيء : حركه .

« ائتبَّ » المسافر ، تجهز ، ابّ النازع : صاح .

« تابَّبه » : فرح كثيرًا ، السامع : تعجب بسذاجة ، الفتى : تمم تمم الابله .

الأباب : الماء والسراب ؛ الأباب معظم السيل او الموج .

« الابابة » : الطريقة ؛ الاب : المرعى .

« إبّان » : الوقت ولا يستعمل الا مضافاً . اهـ .

فلا ادري اذا كان لمقدمة هذه المادة علاقة ما بمعانيها المتصلة اعلاه وهل من دبيب للحياة فيها او جمع العزم وصبه . ثم هل تظهر الوحدة الاشتقاقيــة والمعنى الجامع بين المـــاء والسراب والموج والوقت وهل من فرق كبير بين ما ورد في المعاجم السابقة وما تقدمه المؤلف .

والنتيجة التي ارى مفردات هذه المادة لا تزال غامضة متضاربة بعيدة عن المنطق شأنها في المعاجم القديمة .

ج) — ابّ — كما وردت لدينا

وددنا لو نسجت هذه المادة كما يلي :

« ابّ » : تحرك وحرك .

« ابّ يؤب ويئب ابا وابابا وأبابة وإبابة وابيباً » : الرجل : (لازم) تحرك صائحاً من فرح او حنين الخ .

« ابّ ابه » : تحرك كحركته بمعنى قصد قصده .

« ابّ للسير » : تحرك له بمعنى تجهز .

« ابّ الى وطنه » : تحرك اليه حنيناً .

« ابّ على خصمه » : حمل عليه حملة صادقة هزمه بها .

« ابّ الشيء » : (متعد) حركه .

« ابّ يده الى سيفه » : مدها اليه ليسله .

« الابّ » : كل ما تنبت الارض من مرعى للانعام كالفاكهة للانسان .

« الاباب » : (مصدر) الحراك مطلقاً ويرد بمعنى الجهاز يقال : هو في ابابه (اي في جهازه) .

واطلق على الماء والسراب والسيل والموج [وارى جواز اطلاقه على اشباهها كالضياء والرواء والسراب والضباب الخ . . .] ومنه المثل : « اذا اصابت الظباء الماء فلا عباب وان لم تصبه فلا اباب » اي ان وجدته فلا تعب منه (والعب الشرب بغير تنفس) وان لم تجده فلا تسعى اليه . يضرب لمن يعرض عن الشيء استغناء .

« الأباب » : معظم الشيء من الموصوفات اعلاه (اي معظم الماء والسيل والموج الخ . . .)

« الأبابة » : (مصدر) الحركة بمعنى الطريقة يقال : ابت ابابته بمعنى استقامت طريقته (اي حركته) .

« اب ونأبب وأتئب »: مزيدات اب بمعناها اي) تحرك: صائحًا . او فرحًا او متمجبًا او متجهزًا .

تعليل : ومن حق القارئ ان يسأل ما هو الدليل على ان « ابَّ » معناها « تحرك وحرك » وان الاباب هو الحراك وليس الماء والسراب الى آخر ما خالفنا فيه اصحاب المعاجم .

فهوذا الجواب : اما ان معنى اب « حرك » فان جميع المعاجم الكبيرة قد نصت عليه وان تكن ذكرته في آخر المادة واغفلت تحرك . واما ان هذا المعنى هو الاصلي دون سائر المعاني الكثيرة المتكدسة في المعاجم كما اثبتناه اعلاه فدليله ان الكلمة قلما تحتمل عدة معان اصلية بل هي في الاعم الاغلب ذات معنى واحد اصلي تتفرع عنه سائر المعاني بالاستعمال مجازًا او استعارة او تشبيهاً او كنايةً الخ .

فسبيل اللغوي استعراض المادة والالمام بجميع معانيها ثم العناية بتقصي المعنى الاصلي بدلالة ما عقلية او نقلية والضابط العام الذي قلما يخطىء بهذا السبيل هو ان المعنى الاصلي ينطبق على معاني الفروع ولا يعكس فاذا سلكنا هذا الطريق في تقصي المعنى الاصيل في ابَّ نرى المعاجم نصت على الحركة ونرى الحركة قوام سائر المعاني فلا استعداد ولا تجهز ولا هجوم ولا صياح ولا شهر سلاح دون « حركة » مع ان الحركة يمكن ان تقوم بغير سلاح وهجوم وصياح وتجهز واستعداد، لذلك لم نتردد بان المعنى الاصلي هو « تحرك » لِلّازم من « اب » و « حرك » للمتعدي منها وكل من الف البحث العلمي يسهل عليه تتبع الموضوع .

اما المعاجم الصغيرة الموجزة كمعجم الطالب والمنجد والمعتمد فقد اغفلت المعنى الاصلي بتاتاً وذكرت ما استحسنت من الفروع وكان الاولى بها ايراد المعنى الاصلي وبه الكفاية ولها ذكر ما يروقها من الفروع .

اما المعاجم المستوفاة فان وجب فيها تقصي المعنى الاصلي وايراده فلا يكفي الوقوف عنده بل يجب مواصلة البحث على الخطة ذاتها في ترتيب الفروع فكم من فرع اصبح اصلًا جديدًا تبنى عليه فروع جديدة تبعاً للحاجة، فلا بد

من مرافقة الالفاظ بتطورها وتحولها من مدلول سابق الى مدلول لاحق الى ان تستوفى مفردات المادة كلها .

واما « الأباب » فلا يستطيع الخروج على مادته فهو مصدر اب فيجب ان يحتمل معناها ولا عبرة بشروح اللغويين وتفاسيرهم فهي موسومة غالباً بطابع التسامح وعدم الدقة بل العبرة كل العبرة بالنصوص اللغوية الواردة في المتون الموثوقة كالشعر الجاهلي والمخضرم والاموي والنثر الصحيح واعلاه الكتاب الكريم (القرآن) وما صح من نهج البلاغة وامثاله :

واليك البيان : نصت جميع المعاجم ومنها معجم العلائلي في مادة « اب » ان الاباب هو الماء والسراب ومنهم من قال الماء او السراب الا انهم في مادة « عب » قالوا : العباب شرب الماء ومنه قولهم : « اذا اصابت الظباء الماء فلا عباب وان لم تصبه فلا اباب » وشرحوه بقولهم : « اي ان وجدته لم تعب منه وان لم تجده لم تتهيأ لطلبه وشربه » وهو يضرب لمن ظفر بشيء فاعرض عنه استغناء » .

. وقد شرح لسان العرب لفظة الاباب في المثل المذكور بقوله : لم تأتب له ولم تتهيأ لطلبه فهذا المثل هو نص لغوي ثقة ردّ اللغويين الى الصواب واجبرهم ان يعطوا « الاباب » معناه الصحيح اي الائتباب او التهيؤ اي الحراك كما رأيت اعلاه ذلك برغم اجماعهم في مادة « اب » على ان الاباب هو الماء والسراب .

وللمكابر ان يقول : لماذا لا يكون شرح المثل بالتهيؤ والائتباب هو الخطأ . والاولى شرحه بالماء والسراب فهذا الجواب : لو صح ان الصواب هو الماء والسراب لبات المثل بلا معنى اذ يكون التأويل اذا اصابت الظباء الماء لا تشرب وان لم تصبه فلا ماء ولا سراب اي لا تشرب ايضاً ! فهل هذا كلام معقول . ولو انه ممكن القبول لما عدل عنه اللغويون الى الائتباب اي التهيؤ او الحراك . والنتيجة ان الاباب لا يمكن ان يطلق على الماء والسراب الا من باب الوصف على ما اثبتناه اعلاه . وفي شروح اللغويين ابهام وتسامح وعدم دقة كأنهم ارادوا ان يقولوا الاباب صفة الماء والسراب فاختصروا وقالوا : الاباب هو الماء والسراب ومثل ذلك كثير .

« الإبّان » : لم نتبه بهذه المادة لان الاشبه به ان يكون من الأبنة ' العقدة في العود ' ومنه قولهم جاء في ابان الرطب والثمار اي وقت خروج الرطب والثمار من أُبْنَتِه

او أبنيه ومنه اطلق على الوقت فقيل ابان الحر والبرد كما قيل : كنت الواكه في ابّانها — ولهذا ورد « ابان » في المعاجم السابقة في مادة (ابن) . واكثر استعماله مضافا كما رأيت إلا ان هذا لا يمنع وروده غير مضاف ومنه عن اللسان .

ايان تقضي حاجتي ايانا   اما ترى لنجحها أبانا

ومن نثر الجاحظ على لسان معاذة العنبرية قوله « لكل شيء ابان » (كتاب البخلاء قصة اهل البصرة من المسجديين .)

مثال ثانٍ

ا) — « ات » — في المعاجم السابقة

« اتّ فلانا » : غته بالكلام ، كبته بالحجة ، داسه ، شدخه .
« اتا في السير » : استقام .
« اتت الماشية ، الشجرة » : غث .
« اتا عليه او به » : وشى به عند السلطان .
« الاتاء » : النماء ، الزبد .
« الإتاوة » الخراج ، الرشوة ، وقيل الرشوة على الماء خاصة .
« الاتاويّ والاتيّ » جدول تسوقه وتسهله الى ارضك ، السيل الغريب ، الرجل الغريب .
« الإتو » الطريقة ، الموت ، البلاء ، المرض الشديد ، الشخص العظيم ، العطاء .
« الاتوة » الدفعة . ومنه حديث الزبير كنا نرمي الاتوة والاتوتين ، اي الدفعة والدفعتين ، يريد رمي السهام عن القسي .
« اتاه يأتيه » جاءه ، حضر ، عليه الدهر : اهلكه ، الامرَ فعله ، على الشيء انفذه ، الشيء بلغ آخره ومرّ به ، اتى لفلان امرُهُ : هيأه
« أُتي فلان » اشرف عليه العدو .
« اتّى الماء وللماء » وجه له مجرى حتى يأتي الى مقره .
« آتى » اعطى ، اليه الشيء ، ساقه ، فلانًا : حاذاه ، على الامر : وافقه ، تأتّى له الامر : تهيأ وسهلت له طريقه .
« استأتاه » استبطأه .
« الميتاء » التلقاء ، العطاء .

ولا حاجة لاسترعاء انتباه القارئ الى التضارب الظاهر ما بين الكبت بالحجة والدوس والشدخ . وما بين :

اتا في السير استقام ، والاتوة الرشوة والخراج . وما بين .

الاتو الطريقة والموت والبلاء والشخص العظيم والعطاء .

فلننظر الآن في « المعجم » لعله يجلو الابهام .

بديعية في عيد ميلاد السيد المسيح

للخوري ارسانيوس الفاخوري

للمرحوم الخوري الشاعر ارسانيوس الفاخوري قاضي نصارى جبل لبنان عدة تآليف في اللغة العربية وله ديوان شعر[1] مطول فيه ثلاث بديعيات الاولى في مدح السيد المسيح ووالدته ورسله الاطهار مطبوعة ومشروحة مطلعها :

فحيّ حيّ الجليل الجامع العظم   وبت لهم وآلا قد سمت جم

والثانية في مدح السيد المسيح وأمه ورسله وكنيسته مشروحة شرحاً مطولاً مسهباً طبعت ابياتها في شرح مقالات علم الادب للمرحوم العلامة الطيب الأثر الاب لويس شيخو اليسوعي والثالثة لم تزل غير مطبوعة في مدح الطفل الالهي ننشرها في هذا العدد من المشرق بمناسبة تذكار ميلاد السيد المسيح وهي :

الجناس المطلق : للشوقِ ابكي والرشا يتبسّمُ
بل من لظى وَجْدي وُجودي مُعدمُ

الجناس المُصحّف : والدمعُ فاض من الندى لكنّهُ
قد غاض من نار بقلبي تُضرمُ

اجناس الملاحق : ولأنّه بالوصل شحّ ولم يَجُدْ
قد سحّ جفني والمدامعُ عَندمُ

نوع الاكتفاء : ولو اجوى هم يكتمون جواهم
والدمع يفشي ما بـه هم يكتمو[2]

الجناس المركب : يا صاح يمر بي نحو ذياك الحمى
يمر بي به ثم الهنا والمغنمُ

نوع الاستخدام : وأمدُّ يدًا لي كي اليه تقودُني
وامنن بها كرمًا فانت المُنعمُ

---

١) شرح هذا الديوان شرحاً مطولاً وافياً المعلم يوسف الفاخوري حفيد ابن اخي الشاعر القاضي .

٢) اي يكتمون .

الجناس التام : فالراحُ فيه نديرُ راحَ مسرّةٍ
يلقى بها عزٌّ أعزُّ واعظمُ

الجناس المذيل : فالقلبُ يشكو ثمّ يشكرُ خالقَهُ
واهاً لشاكٍ شاكرٍ يتكلّمُ

الجناس المقلوب : عن عهده ما حالَ لمّا لاحَ من
إعراضهِ ما للفؤادِ يكلّمُ

الجناس المعنوي : بل كان فيه ابا معادٍ راسخاً
اذ لا تُزعزعُهُ رياحٌ تهدمُ

نوع المطابقة : فالصدُّ أحنى غصنَ قدّي بالاسى
والعطفُ يوليني المنا ويُقدّمُ

اختلاف اللفظ مع المعنى : كالقوس بل وترٌ وسهمٌ صرتُ من
وَجْدٍ اهاجت قوسُهُ والاسهُمُ

نوع الافتنان : ما اقبحَ الصرْمَ الذي حرم اللقا
ما أحسن الوصل الذي لا يحرمُ

الجناس اللفظي : فانا الذليل قواهُ اورثني الضنا
وليَ الدليل على الضنا لا يلزمُ

نوع التذييل : بَسمَ الخليُّ لدى بكائي انا الشجيّ
إنّ الخليّ لدى بكاهِ يبسمُ

نوع الالتفات : لبكايَ يضحك عازفاً ومغنياً
فاصمُتْ فانك جاهلٌ لا تفهمُ

نوع حسن الاتباع : فاعشق وذُقْ طعم الهوى قبلا ولمْ
ما في الهوى من لذّةٍ لا تَسلَمُ

نوع التوجيه : فلفعل حبّ جاز رفعاً ذو الهوى
اذ رَفعُ فِعلٍ فاعلاً مستلزمُ

الجناس المحرّف : وعليَّ في حُكمٍ بغى حَكَمُ الهوى
اذ لم يُراعِ الحق في ما يحكُمُ

نوع الالتزام : اني لاحكام القضاء مسلِّمٌ
ولسانُ حاليَ بالهوى متكلّمٌ

نوع سلامة الاختراع : أتُرى أرى هذا الخليَّ بلوعةٍ
والدهرُ يغنمهُ الوصالَ ويصرمُ

نوع النزاهة : بي التسالمُ والإخاءُ لـه سرى
فأبيتُ اذ بالصدق لا يتكلّمُ

نوع الاستعارة : أنا بباطني الزمانُ بمعصمٍ
كأس المنى وبراحها يتنسّمُ

نوع مراعاة النظير : ذيل الهجا قد طولته عواذلي
خاطوا رداء بالملامة سهّموا

الجناس الملفّق . ظبيٌ ارى قدمي يسعى في هوا
هُ قد اراق دمي لاني مغرمُ

نوع التفضيل : قد افتن العشاق باهي حسنه
فالحسنُ فيه جوهرٌ لا يعدمُ

المدح في معرض الذم : لا عيبَ فيه سوى جمالٍ باهرٍ
تُزرى بها الأقمارُ ثمَّ الأنجمُ

نوع الاستطراد : انوارُهُ لنواظرٍ راقت كما
قد راقَ بدرٌ في ليالٍ تظلُمُ

نوع الاستدراك : قالوا نرى رميَ السهامِ به فقلـ
ـتُ بلى ولكن فيَّ هذي الاسهُمُ

نوع الابداع : فالصبُّ لا يحظى لنيل مراده
« حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ »

نوع المراجعة : قال العدوّ أترك هواهُ قلت لا
قال أسلُهُ قلت السلوُّ محرَّمُ

نوع المراجعة : بل انت سالٍ قال لي فاحبتُهُ
نورًا لجسمي واللظى بي تُضرمُ

نوع المناقضة : اني لأرجعُ عن هواهُ اذا الشيـ
ـبُ الِمَّ وعدتُ طفلًا يفطمُ

نوع المقابلة : فالبعدُ عنه منقّصٌ ومصغّرٌ
والقرب منه مسعدٌ ومعظّمُ

نوع رد العجز على الصدر : يستعلمُ الولهان عن شرع الهوى
فينالُ ما يهواهُ من يستعلمُ

نوع الهزل الذي يراد به الجد : بردّ حشاك بنار عشق قال لي
لما رآني باللظى انضرمُ

نوع ارسال المثل : لي حد لتعتك ما حسنة فاحبت لا
يعلو لديَّ سوى هواهُ مُطعَمُ

نوع الموازنة : يا عاذلي قف أنت مرءٌ عاقلٌ
واترك ملامًا ثمَّ طمًا يؤلمُ

نوع التمريض : ما أشنعَ العذل الذي لم يأتهِ
لذوي الهوى الا الخليُّ الأسأمُ

نوع تشابه الاطراف : دعني وشأني انني ذو لوعةٍ
ذو لوعةٍ من شأنهِ لا يسأمُ

نوع التصريع : اني بهِ راضٍ لهُ مستسلمٌ
فالعذرُ من كلاتِ نصحك ينجمُ

نوع التسليم : هبْ إنني سلمت في ما ترتأي
أفأيُّ بعدٍ ذا ليَ يُقدمُ

نوع الاستثناء : فاليَّ أحسنَ كلُّ عالمٍ حالتي
ما ساءني إلَّا العذولُ المُجرمُ

نوع الهجاء بعرض المدح : ما ساءهُ أحدٌ اذى وإهانةً
الا ودان له فلا يستنيمُ

نوع الترصيع : ولـدٌ شهيٌّ ثغرهُ متبسِّمٌ
وبهيٌّ قدرُهُ متعظِّمُ

نوع التعريف : رشأٌ ظريفٌ طرفهُ هو دائمٌ
والطرف في رشأٍ يزولُ ويَعدَمُ [1]

نوع المماثلة : ببهائهِ متوحِّدٌ بطباعهِ
متكمِّلٌ لكمالِهِ مستلزمٌ

نوع المناسبة : ولطيف جسم لطفهُ مستغربٌ
وظريف شكلٍ ظرفهُ متحكِّمُ

نوع العكس : نفس الجمالِ جمالُ نفس متيَّمٍ
لكمالِ كلِّ العاشقين ! محتِّمُ

نوع التبسيط : باهي السنى كلُّ المُنى معطي الهنا
نائي العنا كثر الثنا والمكرمُ

---

[1] أراد به الطفل الالهي .

نوع حصر الجزئي والحاقه بالكلي : فهو الضيا والعالِمُ الغدني والـ
خيرات اجمع والندى والأنعمُ

نوع الاتساع : طفلٌ وشيخٌ في فعالِ صبائهِ
والكلُّ في امرٍ لـهُ مستلمُ

نوع التشبيه : عيناه مثل حمامتين على مجا
ري الماء نحو هيامنا مترسِّمُ

نوع التدبيج : نجلٌ حبيبٌ ابيضٌ بـل اشقرُ
وبياضُهُ لسواد قلب يهدمُ

نوع التجزئة : قنـاؤهُ متكرِّمٌ وضيـاؤهُ
متضرِّمٌ وسخـاؤهُ متعظِّمُ

نوع ائتلاف اللفظ مع المعنى : خُرطت يداهُ من سبيكة عسجدٍ
في مضجع الغردين يوماً يضجعُ.

نوع التشبيه : تُحكى ضفائرُهُ سعوف النخل بل
مثل الغرابِ سوادُها المتفحِّمُ

نوع اللغز : فرعٌ جا يشفي اصبٍّ قلبَـهُ
وعداهُ من تصحيفهِ تتهزَّمُ

نوع التمثيل : وبروق مبسم العين مطلعُ فرقهِ
والصبحُ يعلو ثغرُهُ اذ يبسمُ

نوع الاقتباس : شفتاهُ مرًّا تقطرانِ وحلقُـهُ
حلوٌ يروق الدينَ منـهُ المبسمُ

نوع التشريع : جاء السنى فالليـل ماط ازارَهُ
وافى المنا ونأى الشقـاء المُسئمُ

الجناس المشتق : في الارض ضاء ضياؤهُ هـذا الضيا
وبه استضـاء كلُّ الانام وآدمُ

نوع التوشيع ــــــ : للمشرين العُرب والعجم الضيا
ء هداهُمُ وعن الضلالة أحجموا

نوع الفرائد : وبه المروءة رنّمت بنشيدها
عِقدَ المديح بدرّ لفظٍ تنظمُ

نوع المبالغة : غتودُ كافورٍ حبيي عرفُـهُ
قد عرَّف الدنيا وفيـهِ تنعُّمُ

نوع التعريف : ما روضة فاقت شذًى يوماً ناط
بٌ من شذًا منه ينم ويعظمُ

نوع الاغراق : لو شمّهُ الأعمى لأبصر ناظرًا
والطيبُ منه لكل جرح بلسمُ

نوع الغلو : فاذا على ميتٍ صباهُ تنسمت
فبذا النسيم يكادُ يحيا المُعدَمُ

نوع التهكم : ظبيٌ حبيبي فهو لي وانا لهُ
وبنار حبٍ في الهوى اتضرّمُ

نوع الفند : أفأين ترقد في الظهيرة قايلًا
أوْ أين ترعى جائلًا لا أعلمُ

ائتلاف المعنى مع الوزن : ان المحبة أضعفتني للنوى
واذابنا شوقي اليه المُسقمُ

نوع الاشارة : واذا رأيتم من لهُ نفسي صبت
فصفوا لهُ ما بي عسى لي يرحمُ

نوع المزاوجة : فاذا الحبيبُ دنا فيشفى ذو الجوى
منهُ الوصالُ بدا فيشفى المُغرمُ

نوع الجمع مع التفريق : وهو السنى للصحب طرًّا رشدٌ
والنارُ للاعداء سالٍ معدمُ

نوع تجاهل العارف : أجمالُ وجهٍ ام سنى بدرٍ بدا
منه على أهل الهوى يتحكمُ

نوع الايغال : بدرٌ محل الحب مني مالِكٌ
وعلامةُ التمليك فيه توسمُ

نوع التطريز : وبجيدٍ استولى على اجزائه
فبذا بجملتهِ لهُ لا يُقسمُ

نوع التورية : لوصاله اهوى البكا وفناء عي
نٍ لمْ مالٍ ما به اتكرّمُ

نوع التوشيح : ولهُ نثرت الدمع السخيّ تشوّقًا
دُرًّا وفي سلك الهوى له انظمُ

نوع الاتفاق : فهوَ المسيحُ الناصريُّ المشتهى
والنصرُ يُرتقى من اليه يقدمُ

نوع الايجاز : ختم الحنيفة شرعه ومجيئه
والانبياء فقولهم هو مختمُ

نوع التكميل : حملٌ فدى كل الانام بذبحه
فسما حنوًا والفدا ذاك الدمُ

نوع التتميم : قد مات طوعاً بالصليب مطلقاً
ونجا بذاك الموت حقاً آدمُ

نوع العنوان : وبفصحه نجت الانام كما نجا
في فصح موسى شعبه المتظلمُ

نوع المساواة : بقيامه وصعوده فتح السما
لاهوته للمعجزات متممُ

نوع التوزيع : انعامه عمَّ العفاة معزيًا
وجميعهم عادوا بعزٍ يعظمُ

نوع المختلف والمؤتلف : ساوى الملائك بالطهارة والسنى
وعليهم بكرامة متقدمُ

نوع العطف : مولى تدين من ابيه حاكماً
للناس اجمعهم يدينُ ويحكمُ

نوع ائتلاف المعنى مع المعنى : قاس رحيم في القضا يقسو على الـ
أشرارِ أما التائبين فيرحمُ

نوع تشبيه شيئين بشيئين : منه ندى عمَّ الأنام بأمرهم
كالسيل والمزن الندى والمعصمُ

نوع الترتيب : بالأمس ثم اليوم ثم غدٍ ندا
ه فائضٌ ابدًا لهم لا يختمُ

نوع الجمع : فالحلمُ والاشفاقُ والغفرانُ مَرْ
حمةٌ به فينالها من يندمُ

نوع الطاعة والعصيان : كم يرحمُ الصدّيقَ حين بلائهِ
والمعتدي من رحمة كم يعدمُ

نوع المشاكلة : يجزي الفضيل بفضله ثم الـ
أثيم باثمهِ يومًا بحكم يجزمُ

نوع السلب : لا يمنعُ العاني الفضيل وصالَهُ
بل يمنعُ العاني المدي ويصرمُ

نوع حسن النسق	: للنار هادٍ والخوارج مبسلٍ والخلّ مغنٍ والمعادي مُعرِمُ
نوع نفي الشيء بإيجابه	: مالمنّ قطعًا لا يشين نواله بل من زحام عفاتهِ لا يسأمُ
نوع المجاز	: كفّ واعطاء وجودٌ فائقٌ بحرٌ وامواجٌ وسيل مفعَمُ
نوع الطي والنشر	: يا سائلين استعطفوه بأمّهِ بجرى الندى وبها تُرانْ وتُرحَمُ
نوع الترديد	: فهي الشفيعةُ والمحبّة والرجا والخيرُ والانعامُ ثمَّ المغنمُ
نوع الكناية	: احسانها عمَّ البرايا كلّها ابوابها من قاصديها تُزحمُ
الجناس الملفّق	: يا عاشقين هي الشفاءُ لجرحكم وطلا هواها حشوهُ هو مرهمُ
نوع الاماج	: قابلوا الشفا والدمع جارٍ فوقَ خـ ـدٍّ عسجديٍّ فيه لون عَنْدَمُ.
نوع التكرار	: هيهات هيهاتٍ الشفا والدمعُ لم يذرفه جفن بالبكا يتكلّمُ
نوع الاشتراك	: حقًا بماء العين نيلٌ للاسا في عينِ رحمتها وفيها تعظُمُ
نوع الاستتباع	: تسمو باحسانٍ سوى نروَفِ ونبيت عبدًا في حماها يخدمُ
نوع التفويف	: فتقدّموا وتلطّفوا وتوسّلوا واستعطفوا واستغفروا واسترحموا
نوع براعة الطلب	: يا ربّ نفسي انها في حاجة فسخاك في حاجاتها هو أعلمُ
نوع التحريك	: بلواي شدّت إزرَ مرّ حاقني نماك حلت طمّة يا منعمُ
نوع الاستعطاف	: فالبدرُ من انوار وجهك اهدني سُبُلَ الخلاص ابا سراجًا تضرمُ

نوع حسن البيان : اني الى صلة لاحوجُ كسَن هفا
عدّني وصلي يا سخيًا يكرمْ

نوع السهولة : ولك الثنا والشكر من كل الورى
والحمدُ يهدي القلبُ مني والفمُ

نوع الاحتراس : واليك خذني غير مأمورٍ وفي
ربع المُلا الباهي بخدرك أخدمْ

نوع الترشيح : والدرُّ انظُمُهُ به للمدح في
عُلياك والنمُ بالقريض يُدمدمْ

نوع التهذيب والتأديب : يشدو به ثغر الملائك مُجْريًا
صوتًا رخيمًا بالمديح يُنغمْ

نوع الايضاح : وبروقُ مدحٍ بلابلٍ في عرشهِ
فيشيد تسبيح بلفظٍ ينظُمُ

نوع البسط : وعلي ستر الرحمة أسدل منعمًا
ولك الثنا ومن البلايا أسلمُ

نوع حسن الختام : حسن الختام انا الرفيق فارتجي
أنعمْ به يا خيرَ مولى يُنعمُ

الاب اسحق ارملة السرياني

١٨٧٩ - ١٩٥٤

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

في شهر شباط الفائت توارى وجه المستشرق الكبير حبيب زيات تاركاً وراءه فراغاً عظيماً في دراسات تاريخ الشرق المسيحي الاسلامي . وفي ايلول من هذه السنة نفسها وارى الثرى عالماً اخر تاركاً بعده ثلمة كبرى في دراسات الادب والتاريخ السرياني ، الا وهو المرحوم الاب اسحق ارملة الذي ما برحت ابتسامته منطبعة في ذاكرة الذين عرفوه وغرفوا من بحر علمه الزاخر وكان ذلك العلامة يقوم بخدماته صامتاً ولفظ انفاسه ذات صبح من اصباح ايلول وكان وحده مع ربه الذي دافع عنه بجرأة وحزم كما سيمر بنا .

ومما تميز به الاب ارملة في اثناء اضطلاعه بوظيفته الكهنوتية ذلك الوجدان وتلك اليقظة المستمرة لكهنوته . فانه كان كاهناً طوال ايام حياته . ولقد رسخته بحوثه التي قام بها في ذلك الوجدان بدلاً من ان تقصيه عنه .

وان انس فلن انسى زيارتي له وهو على سرير مرضه تمضه اشد الاوجاع ومع ذلك كانت سمات الارتياح والاطمئنان بادية على محياه الذي لم ينتزع طلاقته منتزع لانه كان يحيا في ابدية الانسان الذي خدم ربه باستقامة وبدون تهاون وانتظر مشاهدته التي لا نهاية لها .

٥ .

لئن تصفحنا فهرست ما كتبه الاب ارملة لاستولت علينا الدهشة للعمل العظيم الذي جاء به ذلك العلامة الصامت الرزين . واذ كان مؤرخاً لامته ولبعض الاسر والاشخاص الذين اشتهروا بعلمهم وحسن سلوكهم وفضلهم على الامة السريانية ، واذ كان لاهوتياً بارعاً وعالماً لغوياً لم يستعص عليه حل مشكلة عويصة بدون ان يجد لها حلاً يذلل صعوبتها في لغته السريانية ، واذ كان عالماً يوضح صحة العقائد الدينية ، واذ كان محامياً عن الحقيقة مخلصاً فقد اظهر في جميع ميادين اعماله العلمية هذه مقدرة لا تفاوت فيها ، ولقد اتصل بي أنه كان يحسن الكتابة بكلتا يديه ، فرأيت في هذه السهولة رمزاً الى انشغافه بالتأليف

ورمزاً ليضع في خدمة الحقيقة نامه وعلمه لانه رأى ان اليد الواحدة لا تكفيه وحدها لذلك ...

وما اكثر ما خطه يراع المرحوم الاب ارملة. اما اذا المعت الى ما نشره في المشرق فلا يسعني الا ان امتدح فضلاً عن تعدد موضوعاته المقدرة التي كان يقبض بها على ناصيتها قبضاً كان اذا عالج معه احدها فصل في خطته لحدته. اما اذا رأيناه يكثر من الاستناد الى الاستشهاد ولا سيما الاستشهاد المستمد من المصادر السريانية، فلأنه كان واثقاً بان الخطى التي كان يخطوها مؤدية به الى الحقيقة التي نذر نفسه ان يكون خادمها الامين.

وكتابات الاب ارملة التي يسودها الروح التاريخية كان لا يُبدي فيها رأياً بدون ان يسنده الى الشواهد ويرجعه الى المصادر التي عرف منها بموجب طريقته الدقيقة التي يقتضيها التاريخ.

وما عدا هذه المقالات التي اتحدث عنها ثمة غيرها في مستوى جمهور اكبر لان الاب ارملة كان يريد ابلاغ الحقيقة التي استهوته وتعطش اليها. اما مؤلفاته التي تعدّ مآثر حقيقية ومفخرة للامة السريانية التي خدمها بتجرد واخلاص فاني لا اودّ الالماع الا الى اثنين منها كانا ايضاحين لمنهجه يكفيان للحكم له او عليه، وهما تاريخ دير الشرفة وعقيدة الرياسة البابارية بحسب اقوال المؤلفين السريان. اما طريقته فانه لم يكن يحبّ الاسهاب في التوسع النظري بل كان يقدّس الواقع والضبط في التفصيل والمعنى اللذين يماشيان الزمان والمكان.

ولئن اوضح الاب ارملة العقائد الدينية فاننا لنشعر به انه اصبح في المناضلة عن تلك العقائد رجلاً غير ما هو عليه عادةً، ولاسيما عندما يناضل عن الدين القويم ضدّ بعض تبجحات اليعقوبيين. وانني اود ان اتحدث خاصة عن مؤلفه «كتاب الرجمة» الذي خاصم فيه ذلك الذي كان له ان يصبح يوماً رئيس طائفة السريان الارثوذكس، غبطة البطريرك برصوم، فناقشه الحساب.

وان اذكر فاني لذاكر تلك الحملة الشعواء بصدد زنار العذراء في جريدة البيرق البيروتية. ولم تكن حملة بدون اساس. فكان يطيب للاب ارملة ان يلاحق خصمه حتى في عقر داره محاولاً ان يحمله على مناقضة نفسه بنفسه وان يبيّن له النصوص التي لم يحسن قراءتها والذرائع التي فسرها تفسيراً

خاولنا . تما لقته فكنا نحسها من الموضوع الذي كان يعالجه، فهي واضحة في بيانه وتاريخية تحت لتصبح شديدة الاسر وحتى حادة اللهجة في الخصام . وانه لم يخرج قط عن حدود اللياقة في كتاباته . ولذلك كان لا بد لكل خصم من التفكير الطويل قبل ان يقيس نفسه بذلك العالم الوضيع الذي كان ينشب كالاسد للقتال وللذود عن العلم الصحيح والعقيدة الصادقة .

ومن الاسباب التي مكنت للاب ارملة ان يصل الى تلك الدقة اشتغاله الطويل في ميادين لها اهميتها الرئيسية في سبيل الوصول الى منهج علمي وان لم تكن ذات رهجة . فاني اتكلم عن الفهرست الذي وضعه لمخطوطات دير الشرفة ونرى فيه طول اناة الباحث ذي العلم الواسع (وكنا هنا نود ان يكون ابلغ ضبطاً ، بيد انه لن يقدر لاحد من المرة الاولى ان يصل الى اتقان احد المناهج) .

واذا لم اتحدث بعد عن الترجمات الكبيرة الاهمية التي عاناها الاب ارملة فلأن تاريخ الازمنة لابن العبري الذي نشره على صفحات هذه المجلة كاف ليبين لنا قيمة لقته وصفاء ترجمته. واننا لنستميح القرّاء بان نطيل الكلام حول مؤلف يكاد يطيبه الصمت وذلك لكي لا نتكلم عن غيره . فان لقته فيها واضحة عادة، ولكنها تصبح مفعمة برغبته في ان يحاكي النص الاصلي ، وما ذاك الّا لأنه كان المترجم الماهر الذي كان انشاؤه ينطبق تاماً على فكرة المؤلف وتصوراته .

⁂

لقد اردت ان ابيّن بصورة عامة نفسية ذلك العلّامة الذي طواه الردى . ولماذا نسكت في مثل هذا المقام عن المؤلفات التي كان اعدها للطبع ولم يستطع لسبب من الاسباب ان ينشرها . فثمة اثنا عشر مؤلفاً وكلها ذات قيمة، من بينها تاريخ الدول الارامية السريانية وتاريخ الكنيسة السريانية واخر على القداس وغيرها كتب اخرى لها اهميتها ولا مجال لذكرها هنا .

ويشوقني ان المع فقط الى غزارة معارفه في اللغة السريانية والخدمات التي استطاع ان يسديها بسبب ذلك لأنه لم يكن يفوته منها سر من اسرارها وكان يحب ان يجد آثارها في اللغات الاخرى او في المؤلفات الدينية المدونة باللغة العربية .

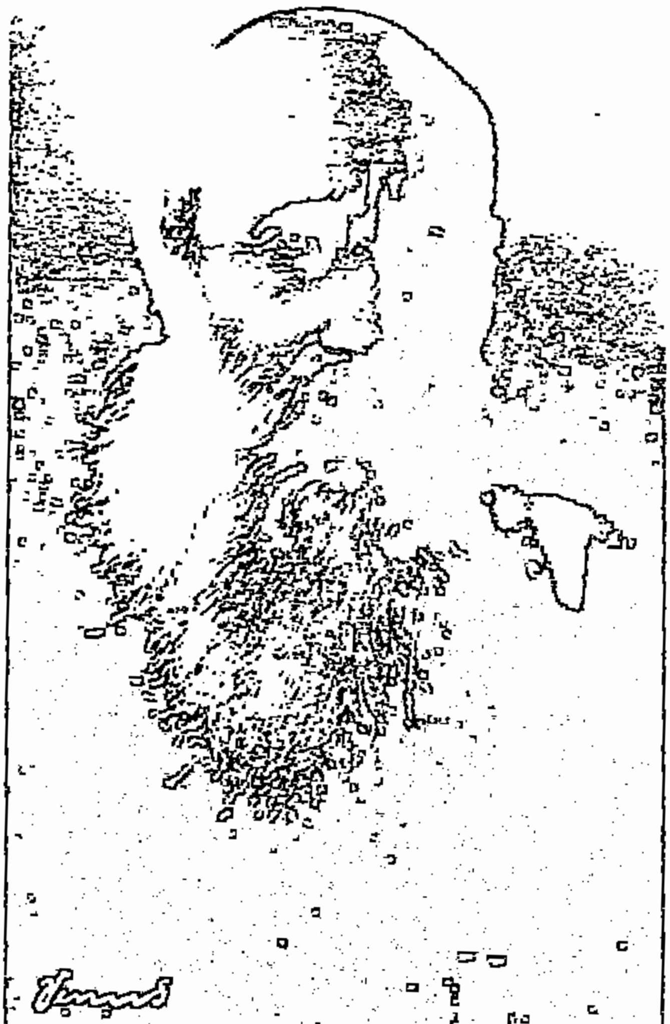

الأب اسحق ارملة السرياني

١٩٤٤ – ١٨٧٩

ولقد تمكن من الوصول الى بيان التأثير العريق في القدم وهو التأثير الذي احدثته هذه اللغة في تكوين اللغة العربية وتكوين المفكرين الدينيين والفلاسفة الذين كتبوا بالعربية .

٥

ليس بمقدوري ان اختم حديثي هذا بدون ان أروي هنا حادثة شخصية . فقد وضع الاب ارملة كتابه بصدد القديس افرام ورفعه بواسطة سيادة المطران حبقاري الى الحبر الاعظم الذي تلقى منه كلمة تقريظ بليغة على مزايا تنظيم الكتاب وعلم المؤلف اللذين دلّ عليهما . ولقد جئته بعد ذلك طالباً اليه مقالاً حول عقيدة الحبل بلا دنس عند الطائفة السريانية فبشّ لي مرتاحاً فشكرته فقال لي فوراً : من واجبي انا ان اشكرك لانك افسحت امامي المجال لاتكلم على العذراء . كلاماً لن ارى اعذب منه على قلبي لذلك ستكون مقالتي هذه خير مما استطعت ان اكتبه طوال ايام حياتي لاني اكتبها لتمجيد امي العذراء . فانا اتمنى ان اودع هذا المقال كل محبتي البنوية لمريم .

ولقد كان ذلك العلامة مسيحياً حقيقياً وكاهناً بكل ما لهذه الكلمة من معنى . واذا كان صحيحاً ان الكثير من العلم يدنينا من الله والقليل منه يبعدنا عنه فيسعنا القول اذاً ان الاب ارملة قد تقي بعلمه الغزير طريقاً الى الله الذي اراد ان يخدمه طوال ايام حياته .

التآليف التي وفقته العناية الربانية ان ينشرها بالطبع وهذه لائحتها :

١ رغبة الاحداث : في جزئين .
٢ الزهرة الزكية في البطريركية السريانية الانطاكية .
٣ الزجمة في تنفيذ « كلمة انتقادية » .
٤ اديار ماردين القديمة ودير مار افرام .
٥ سياحة في طور عبدين سنة ١٩١٣ .
٦ التذكار الحسيني لوفاة السيد اغناطيوس انطون سمحيري .
٧ النصارى في نكبات النصارى .
٨ طرفة من اخبار دير الشرفة .
٩ اليونان وكتبة السريان .
١٠ الاصول الابتدائية في نحو اللغة السريانية . في جزئين .
١١ سلسلة بطاركة السريان الانطاكيين .
١٢ انباء الزفان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان .
١٣ بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري .
١٤ القنصلية الفرنساوية والطائفة السريانية في بغداد
١٥ الحروب الصليبية في الآثار السريانية .
١٦ رسائل بركيلو ويرشفاتو وداود بيت ربان « في السريانية » .

١٧ سلوى الراقدين في امثال ماردين .
١٨ التكريزات المريمية في الكنيسة السريانية .
١٩ لمة في المنظومات والاغاني السريانية .
٢٠ لوعة القاصي والداني على البطريرك اغناطيوس افرام رحماني .
٢١ البطريرك الجديد – مار اغناطيوس جبرائيل الاول تبوني .
٢٢ فرنسيس شيحا واخبار اسرته السريانية .
٢٣ السريان في قبرس .
٢٤ الرئاسة البابوية في الكنيسة السريانية .
٢٥ الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية .
٢٦ خراب ايلون (معرب عن السريانية).
٢٧ الرهبنة البندكتية في فلسطين .
٢٨ اجمل زهرة في حديقة ال «ميرا» .
٢٩ رحلة المونسنيور فرنسيس بيطت الى بلاد ارمينيا والعجم .
٣٠ الملك اللبناني الامير بشير الشهابي الثاني .
٣١ وثائق خطية في علاقة ال طرازي بالملة السريانية .
٣٢ فهرس مخطوطات دير الشرفة .
٣٣ الملكيون – بطريركيتهم الانطاكية .
ولغتهم الوطنية والطقسية
٣٤ القرى السريانية في لبنان وسوريا والجليل .
٣٥ اثار قرننا ومآثرها في لبنان وسوريا .
٣٦ مار يعقوب السروجي الملفان – بحث انتقادي تاريخي ديني .
٣٧ نصارى غسان والسريان .
٣٨ اسرة ال طرازي .
٣٩ تاريخ ديرسيدة النجاة اي دير الشرفة .
٤٠ خلاصة اخبار القديس يوحنا بسكو .
٤١ خادم الرب الامين الخوري افرام احمر دقنه .
٤٢ ترجمة ابن العبري تاريخ الكنيسة .
٤٣ مار افرام السرياني .
٤٤ تنقيح وطبع الكتاب المقدس بالنيابة عن مطران جنان قليان .
٤٥ الحق مغتصب .
٤٦ الطوباوي دومنيك سافيو .
٤٧ تاريخ ابن العبري (المشرق) .
٤٨ ترجمة الاناجيل (الاربعة) عن (البشيطة) نسختين .
٤٩ مار افرام السرياني ملفان الكنيسة الجامعة .
٥٠ مقال عن العذراء في المشرق .

الكتب التي صنفها ولم يتيسر له نشرها بالطبع :

١ تاريخ الدول الارامية السريانية في نحو ٥٠٠ صفحة .
٢ تاريخ الكنيسة السريانية .
٣ القداس السرياني في ٣٠٠ صفحة .
٤ كتاب ضخم بالتراتيل للعذراء وبعض زيارات القربان .
٥ ترجمة صلوات الصوم الاربعيني واسبوع الالام .
٦ مختصر اخبار العهد العتيق في السريانية (مصور) .
٧ حقائق تاريخية عن اسرة شيحا السريانية .
٨ لمحة تاريخية عن اسرة هندي الحلبية .
٩ عقد اللآل في شجرة آل قتال .
١٠ ال ابرهيمشاه في التاريخ .
١١ سيرة القديس يوليان الشيخ صاحب النهرين
١٢ عقد اللآل في شجرة ال كفوري .

هذا عدا مقالات نشرها في مجلة المشرق وفي البشير وفي مجلة الآثار الشرقية مجلة الحب والسلام ورسالة المثال ورسالة قلب يسوع الاقدس الخ.

مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث والعشرون

بقلم الاب ا. عبده خليفه اليسوعي

عقب انتهاء مؤتمر المستشرقين الدولي الثاني والعشرين الذي انعقد في اسطنبول سنة ١٩٥١، تقرر عقد المؤتمر التالي في مدينة كمبريدج الجامعية المتسعة الارجاء لاستيعاب الذين دعتهم الجمعية الملكية الاسيوية من الباحثين في العلوم المشرقية كدراسة عصور ما قبل التاريخ والدينين المسيحي والاسلامي.

وكان لا بدّ من مدينة كمبريدج الهادئة الصافية الاديم القائمة في قلب اخضرار سندسي ويشقّها نهر كام « Cam » الكبير من ان تستأنف في الحادي والعشرين من آب الماضي لا حياتها فقط بل من ان تعود اشدّ صخباً واعظم حركة لان عدد المشتركين بالمؤتمر كان بين تسعمئة او الف شخص.

وشهدنا في هذه المدينة الجامعية اوروبيين واميركيين واسيويين كانت بينهم البعثة الروسية التي لم يكن عددها بالقليل، كما رأينا بعثتي الشرق الاقصى وافريقية. وسمعنا لغات عديدة ووقع منا النظر — الى جانب اللحى البيضاء — على فتيان وشبان من المستشرقين الذين اثاروا اهتمامنا بحيويتهم واتساع نظرهم بعد ان جاءوا يشقّون طرقات جديدة في الاستشراق او يتممون التقاليد السابقة في اتجاهها نفسه.

وضمت جلسة افتتاح المؤتمر التي انعقدت في مجلس شيوخ مدينة كمبريدج جميع الموفدين اليه، وبعد ان سلّم رئيس المؤتمر السابق السيد ز. ف. توكان (Z. V. Togan) صلاحياته الى خلفه السيد رالف تُرنر (Ralph Turner) رحّب الرئيس بجميع العلماء الذين اقبلوا الى المؤتمر ليستأنفوا اتصالاتهم وينجزوا معاً نتيجة اعمالهم. وما كان من رئيس البعثة الروسية الّا ان وقف وخطب بالجمهور، دالّاً بذلك على وجود روسية وبعثتها في المؤتمر مما ادهش الانكليز اذ انهم لم يكونوا بانتظارهم. وكان مسك الختام لجلالة الملكة اذ تُليت على الحاضرين برقية ملوكية تهنئهم بالمجيء وتتمنّى لهم النجاح.

واذ كان قد مرّ ثلاث سنوات على انعقاد المؤتمر السابق كان لا بدّ من تجديد اواصر الصداقة والعمل على تعزيزها طوال مدّة المؤتمر الحالي وذلك بسبب تقسيم رجاله الى فرق فرق مؤلفة كلّ منها من مئتين او ثلاثمئة شخص، اقامت كلّ منها في كلية من كليات كمبريدج بحيث اتيح لنا ان يرى بعضنا بعضاً في معظم اوقاتنا نتحدّث في شتّى الموضوعات التي هي من اختصاص احدهم او غيره. فكنّا ننتقل من الدراسة اللغويّة الى الصوفية الاسلامية فالى مختلف الفروع المتّصلة ببلاد الحبشة في تطوّرها فالى الادب الاسلامي الخ.

ولمّا كان اليوم التالي لافتتاح المؤتمر يوم احد وهو عطلة، هرع المؤتمرون الى التعرّف الى المدينة قبل ان يضطرّوا للانشغال باجتماعاتهم. فكنّا نراهم يطوفون شوارعها محدّقين بكلّ جديد فيها. فزاروا كنائسها القديمة التي حوّلها البروتستنت الى معابد كما زاروا متاحف كمبريدج ومفاخرها من المعاهد. ويوم الاثنين التالي، وعند الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين، بدأت اجتماعات المؤتمر العمليّة لتستمرّ حتّى يوم الجمعة.

ومن اشهر اسماء الذين كانوا في فرع دراسة الآثار المصريّة القديمة اسم ب. مونته (P. Montet) وكونتز (C. Kuentz) وا. بدوي وب. ه. ستريكر (B. H. Stricker) وج. لكلان (J. Leclant) الذين استردّت مصر القديمة حياتها في محاضراتهم، فترى كيف تعيد الكتابات الاثرية الحياة لبناء قديم سكتت عنه الايام الغابرة فيرتفع امامك ضاحكاً فتيّاً.

ودراسة معجمية الالفاظ احتفظ بها لفرقة الدراسات السامية التي كانت ضماناً لنجاحها شهرة ألبرايت (Albright) ودروڤيليه (Dauvillier) (الذي لم يستطع حضور المؤتمر) والعالمين ريكمنس (Rykmans) وميلاس فيليكروزا وكريمر (Kreamer) (وهو المستشرق الفتى المفعم حيوية واقتداراً) وه. فلايش (H. Fleisch) ولسلو (Leslau) (الذي لم يتمكن من الحضور) وموسكاتي. ولقد اجتذب هذا الفرع من الدراسات عدداً كبيراً اليه فكانت مناقشاته متتالية. وكنّا نشهد مبلغ الحماسة في صدور المستشرقين لدراسة تأصيل الالفاظ العربية سواء أكان ذلك من حيث تطوّر المباني ام من حيث المقارنة التي ينبغي اقامتها بين مختلف اللغات السامية. فعرض الاستاذ كريمر المعنى بدراسة

شتى معجمات الالفاظ دراسة على مجموعها سيطلع على ملخصها قراء الشرق في اعدادنا القريبة . اما دراسات المستشرقين ريكمنس ذوي الاطلاع الواسع الدقيق لنقوش سابا الحجرية القديمة المكتشفة سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ فكان لها وقع شديد في نفوسنا . وتكلم المستشرق هـ. فليش على لهجة معاصر بيت الدين الابانية .

ولقد دلّت جميع هذه الدراسات على رغبة شديدة في التنقيب .

اما الفريق الذي عُني بدراسة الاثار الآشورية القديمة ودارسي ايران وارمينيا فقد كان اقبال المستمعين عظيماً عليهم بسبب شهرة الاختصاصيين شيفر (Scheaffer) ومينورسكي (Minorski) واحمد اتش (A. Ates) .

وجعلت البعثة السوفياتية رهبة لفرع الدراسات الالتائية (لغة سكان سلسلة جبال التاي في آسيا الوسطى) بيد انّنا كنا نحسّ التحيّز في مآتيهم لانهم اوّلوا التاريخ وفق ارائهم وبحسب التطوّر التاريخي الديالكتيكي . وقد برهنوا عن تعصّب فكري اذ كان في رأيهم ان على التاريخ والحوادث التاريخية ان ترضخ لتأويلهم . فلم ينجحوا . امّا بحوثهم فكانت باللغة الروسية ومع ذلك كان بالاستطاعة متابعة افكارها الرئيسية في ترجماتها الانكليزية التي وزعت بسخاء على المؤتمرين الذين رغبوا في الاطّلاع عليها . امّا ما تصدوا اليه من معلومات فكان بادي التحيّز وقائمًا ، كما قدمنا ، على اعتباطيّة فلسفيّة ، مما جعل معلوماتهم تفقد شيئاً من قيمتها العلمية .

اما فرع دراسات اللغة التركيّة القديمة فكانت شهرة المستشرقين تشنر (Teaschner) وتوكان (Togan) ودُني (Deny) ضمانًا حقيقيًا لانجاحها . اما الموضوعات التي عُولجت في هذا الفرع فكانت تاريخية بوجه اخصّ . بينما فرعا الهند والشرق الاقصى تناولا البحوث التاريخية وعلم الآثار والدين والرياضيات وكثيراً من الموضوعات الاخرى . وكان الحاضرون يودّون الاسترسال في المناقشات والاستزادة من اشباعها اذ اثيرت فيها القضايا والعلاقات والصلات الثقافية الرئيسية حول تطوّر الفكر الانساني فتناولت السنسكريتية وبوذا وامر الخلاص والتجدّد في الادب الياباني الخ. وهي مظاهر مختلفة تفضي بها كفاءة مشتركة وبحوث دقيقة الى نتيجة حسنة .

وطوال مدة المؤتمر قد لفت انتباهنا الفرع الاسلامي الذي ساهمنا فيه وكان منقسما الى قسمين : الاول للعناية بالادب اجمالاً والثاني بالتاريخ والدين . اما الاعمال جميعا فسادها النظام واما المباحثات فكانت مثمرة .

والذي افضى الى نجاح هـذا الفرع نجاحاً باهراً هو شهرة الاختصاصيين خلف الله (Khalafallah) وكوينتز وصلاح المنجد وتيراس وثيت (Wiet) وروزنتال (Rosenthal) وغبريالي (Gabrieli) وفون كرنبوم (Von Grunebaum) وماسه (Massé) وماسينيون وكارده (Gardet) وسارنالي (Sarnelli) وزياده وادريس وبلسنر (Plessner) . ولا يفوتنا هنا ان نشير الى عدد المستشرقين الالمان الذين كانوا محطاً للانظار لنذكر من بينهم ديتريش (Dietrich) وبارت (Paret) وغيرهما . اما الموضوعات التي عالجوها فتناولت جميع فروع العلوم الاسلامية ، كعلم الاثار وقصر الحمراء في غرناطة والشعر وتصوف ابن العربي والمحاسبي ودراسة اللهجات وتاريخ المدن والاقوام والفن . وعني المستشرق روزنتال ببحث صلات التاريخ بالفلسفة عند ابن خلدون . وعالج المستشرق ماسينيون موضوع العاطفة الدينية بالاستناد الى دور فاطمة في الشيعة .

ولولا ادخال احدهم بعض النيات السياسية في النطاق العلمي لانتظمت جميع المباحث على خيرما يرام . فقد اراد بعضهم ان يتناول بالبحث تطور مفهوم « الاسلام » ليقتصر على الكلام من ناحية تأصيل الالفاظ جازماً بحكم خاطئ سلفا ان التأصيل لم يكن له معنى ولا قيمة دينية في فكرة محمد . فاحتدم الجدل وتعقدت المناقشات . اما الخطيب الذي كان يهودياً فاصر خطاء على وجهة نظره مما دعاني الى استئناف النظر في الامر مع المحاضر لكنه ردد على محاضرته بدون ان يضيف اليها اصلاحاً ولو جزئياً .

ولم تكن المناقشة التي عقبت محاضرة السيد كارده باقل احتداماً . اما الانسة دالفرني (D'Alverny) فلم تجد صعوبة في ايضاحها ان لغة المحاضرة قد ظلت منحرفة عن الطريق السوي، اذ ان المحاضر استعمل لغة بعيدة عن كلام فيلسوف من فلاسفة العصور الوسطى وقد بات يجزم بان ابن سينا كان من العقليين الذين لم تتأثر نفسهم بوجهة نظر انسانية ودينية .

وتفادياً عن التطويل اذا شئنا ان نتصدى لذكر شتى ضروب الجدل اكتفينا

بالاشارة الى فكرة ذلك الاجتماع العامة الذي التقى فيه عدد كبير من اولي الكفاءات الثقات .

وختاماً نرانا لا مندوحة لنا عن قول كلمة حول الفرعين اللذين عنيا بامر الشرق المسيحي وافريقيا لاشير الى محاضرة السيدة ن. ف. بيكولفسكايا (N. V. Pigulevskaya) التي حدثتنا عن فقرات من الزبور في اليونانية السريانية والعربية حديثاً شيقاً جداً وان تطلب مزيداً من التنقيب لتقرير قيمته وتحديد فحواه .

فماذا نستنتج ؟

ان الدراسات الاسلامية الشرقية عامة هي بتقدم مستمر . اما الحقول المدونة والحقول التي ما برحت تفتقر الى التدوين فما زالت واسعة جداً الاتساع مما نرغب معه بان يتفرغ عدد كبير من الاختصاصيين لسد هذه الثلمة .

واذا قصرنا كلامنا على النطاق الاسلامي وحده فلان ثمة مخطوطات عديدة ومؤلفات لكبار العلماء ما برحت مفقودة ولم تنشره لكننا متى رأينا علم الهيآت الاشعري يصدر ومعه تفسير مكين وعرفنا ان هنالك مؤلفات اخرى اخذ المستشرقون يتأهبون لاصدارها فمن الواضح اننا سنكون شديدي الاغتباط بمجرد تفكيرنا بان ميدان المجهول يتضاءل في هذه النواحي . ومع ذلك فان هذا لن يكفي وانما من الواجب ان نقوى على ولوج بعض النقاط التي ما برحت بعيدة المنال لنخرج بتؤدة منها الثروات التي تخول الباحثين ان يطلعوا غيرهم على جوهر المعضلات الحقيقية ، اذ علينا ان نؤمن مسبقاً بفائدة مثل هذه المآتي وان لم يكن الا لتقدم الفكر الانساني .

L'IMMACULÉE CONCEPTION DANS LA TRADITION ORIENTALE (depuis le M.-A.)

d'après le R.P. Jugie A. A.

par le P. Fernand de Lanversin S. J.

Ce n'est que vers 1325, constations-nous dans un premier article (1), que pour la première fois un doute positif se fait jour chez un théologien oriental touchant l'Immaculée Conception.

Jusque là la question n'est pas posée en sa forme explicite: exclusion du péché originel; mais sous forme positive est affirmée la parfaite pureté de la Vierge, qui est toute nouveauté, re-commencement dans l'histoire de notre race.

L'émulation universelle à signaler ce cas unique, à lui trouver de nouveaux titres nous a paru réponse suffisante à la claire question posée en Occident.

C'est sans doute que dans les « Sentences » et les « Sommes » de l'époque la doctrine du péché et de la grâce tenait une place de première importance, la Mariologie y faisant, nous semble-t-il, plutôt figure d'annexe. Solidement ancrés en leurs positions touchant la chûte d'Adam et l'universalité de ses conséquences les docteurs ne voyaient pas jour à exception; et à la question des fidèles ou plutôt à leur réponse instinctive touchant la Mère de Dieu, opposaient l'inflexible rigueur de la loi: de parents contaminés ne peut naître par voie normale de génération qu'une descendance contaminée.

C'est l'inverse en Orient. La doctrine du péché originel n'y est pas inconnue: les textes sont là, très heureusement rappelés par le Père Jugie en ses *Questions préliminaires*. Mais elle ne fait pas partie, semble-t-il, ou du moins pas aussi profondément de la substance de l'enseignement traditionnel. La Mariologie au contraire tient depuis Éphèse une place de premier rang dans la théologie comme dans la vie chrétienne, ajoutons: comme dans la vie de la cité et de l'empire. Nous avons dit la rapide propagation des fêtes mariales qui dès le règne de Justinien font partie de la vie de la nation. Telle fresque célèbre de

(1) Cf. Al-Machriq, 48 (1954), mai-juin.

la Théotocos portant son Fils comme en médaillon sur sa poitrine et, du haut de la gloire, couronnant le basileus Manuel et sa femme est également bien parlante.

A part le *de fide orthodoxa* de St. Jean Damascène les traités méthodiques complets de théologie sont rares chez les anciens Orientaux. A en juger par leurs œuvres leurs préoccupations vont surtout, à la suite de S. Cyrille d'Alexandrie, vers le côté positif de la grâce et de l'œuvre de Jésus-Christ: grâce habituelle, divinisation du chrétien et conformation au Christ Jésus. Ils y marquent de bonne heure la place prépondérante, unique, de la Mère de Dieu. Nous en avons entrevu l'expression chez les Théologiens du VI^e^ au XII^e^ siècle.

Leurs successeurs du XIV^e^ et XV^e^ vont développer cette vue.

C'est pour la théologie orientale une belle période que ces deux siècles.

Le chapitre que lui consacre le Père Jugie s'ouvre sur Nicéphore Calliste (vers 1325) dont nous avons signalé le doute, presqu'aussitôt, semble-t-il, rétracté.

Parmi les auteurs qui suivent les plus célèbres sont sans doute: Grégoire Palamas († 1359) et Nicolas Cabasilas († 1396), avec Georges Scholarios qui, sous le nom de Gennade II, occupa le trône patriarcal après la prise de Constantinople par les Turcs et fit certainement belle figure en face de Mahomet II. D'autres moins connus sont pourtant à leur rang de vrais et sérieux théologiens. Deux noms d'empereurs y figurent, ce qui n'étonne nullement à Byzance: celui de Mathieu Cantacuzène (1354-56) et celui de Manuel II (1391-1425), auteur des meilleurs exposés du dogme catholique à l'adresse des Musulmans et bien au courant des choses d'Occident où il a séjourné plusieurs années. La précision qu'il apporte en son *Homélie sur la Dormition* est-elle une trace de ce séjour? « Dès qu'Elle fut née, je dirai même: dès qu'elle fut conçue, Celui qui l'avait choisie pour sa future mère la remplit de sa grâce ».

Nous ne nous arrêterons pas à détailler la pensée de chaque auteur. Nous aurions mauvaise grâce à répéter le Père Jugie, alors que nous lui devons tout. Nous voudrions plutôt retrouver à travers ses excellentes monographies le développement de la pensée Orientale qui nous est apparue déjà si ferme aux siècles précédents.

C'est toujours le plan divin qu'envisagent nos Théologiens et la Bienheureuse Vierge continue d'y avoir sa place de tout premier plan.

Mais, d'une part, ce n'est plus seulement comme terre nouvelle, roche intacte sous le ciseau de l'Artiste Divin qu'elle se présente, mais en active co-opératrice de la sanctification de l'homme; d'autre part, apparaît de façon parfois très explicite ce qu'on nomme la doctrine de Scot touchant le motif de l'Incarnation, et qui est plutôt ici un aspect du plan divin, mais aspect essentiel, admis de tous comme un présupposé et comme l'atmosphère même où se meut la pensée théologique, savoir: l'absolue primauté du Verbe incarné.

Les Théologiens Orientaux, nous l'avons dit, considèrent dans l'œuvre du Christ le côté positif de sanctification plus que le côté de réparation. N'est-ce pas la logique même de cet aspect positif, premier à leurs yeux, qui leur montre dans l'Homme-Dieu et dans sa Mère la fin premièrement voulue de Dieu, à laquelle tout doit s'ordonner?

C'est dans cette perspective que Marie apparaît toute première dans l'idée divine, puisque c'est en elle que se fera la rencontre, d'elle que le Créateur doit tenir son être de créature et s'unir ainsi à son œuvre.

Elle est « l'homme », l'homme selon l'idée divine, tel qu'il doit être présenté à Dieu en vue de l'union: dès lors, prédestinée, préparée toute première. Adam et sa descendance n'est que la voie, la montée vers Elle et son Fils. Adam, terre vierge, d'où Dieu tire la première Eve d'où tout doit sortir, Eve mère des vivants...

La terre hélas! a été souillée. Les Pères Grecs ne l'ignorent pas; mais c'est pour eux, oserait-on dire, secondaire. Le plan divin ne saurait en être détruit; la folie de l'homme triompherait-elle de la toute-Sagesse et toute-Puissance de Dieu? — Le Christ et sa Mère demeurent, But suprême, malgré les accidents de la route: tout sera réparé, et de nouveau s'offrira la terre vierge à la venue du nouvel Adam. Comment? cela demeure habituellement hors de l'horizon des Orientaux.

Si même, une fois ou l'autre, plus distinctement la question se pose: comment échapper à la souillure nécessairement inhérente à la naturelle descendance d'Adam, la réponse englobant la Vierge dans l'universelle contagion pourra se rencontrer comme par surprise, bloc aberrant, sans que l'attention soit spécialement éveillée, tant est ferme et assurée la conviction de la totale pureté de la Mère de Dieu.

Ne serait-ce pas le cas de cet Isidore Glabas († 1397) dont l'ho-

mélie sur la Dormition (1) a alerté la sagacité du Père Jugie, qui conclut soit à interpolation, soit à une œuvre de jeunesse dépassée et contredite plus tard par la pensée plus mûrie de l'auteur.

Donnons quelques détails qui montreront combien cette idée de l'Homme-Dieu, Fin de la création et premier dans l'idée divine, commande alors toute la théologie Orientale.

Chez l'un ou l'autre elle ne va pas sans quelque excès confinant au Baïanisme. Ainsi Théophane de Nicée († 1381) ne conçoit-il pas d'autre fin possible de la création que l'union personnelle de Dieu avec sa créature, et plus spécialement avec celle de ses créatures où se rejoignent monde spirituel et monde matériel.

Plusieurs, parmi lesquels Grégoire Palamas, voient expressément dans le Christ le médiateur des Anges aussi bien que des hommes: conséquence logique de la doctrine qui lui assigne la première place dans le plan de l'univers. Tout le reste est pour lui, ordonné à sa gloire; mais tout aussi est par Lui, qui non seulement présente à son Père toute la création, mais par ses mérites donne à tous, purs esprits ou esprits incarnés, accès auprès de Lui.

Ainsi Marie est-elle « cause de ce qui l'a précédée, comme elle préside à ce qui la suit; principe, source, racine des biens ineffables, sommet de toute sainteté » (2). Elle est la pincette préparée pour saisir le Charbon ardent, l'Homme-Dieu, le buisson qu'Il imprègne sans le consumer.

«Avant tous les siècles Dieu se l'est réservée... Le Saint Esprit a choisi ses ancêtres afin qu'aucune souillure ne passât en elle et qu'elle pût donner au Verbe une chair nouvelle et pourtant nôtre σαρκὸς καινῆς ὁμοῦ καὶ ἡμετέρας. (3)

Tout est bien ici œuvre de l'Esprit Saint car pour cette Vierge avoir part à l'existence est avoir part à l'Esprit Saint: αὕτη γὰρ ἡ τοῦ πνεύματος μετουσία καὶ τοῦ εἶναι ταύτῃ γέγονε μετουσία. (4)

---

(1) Voici ce texte qui tranche si nettement, non seulement sur le reste de l'œuvre de Glabas mais sur tous ceux de l'époque : ἡ παρθένος προῆλθε μὲν ἐκ τῆς ἰδίας μητρὸς ὥσπερ ἄνθρωπος· καὶ διὰ τοῦτο τὸ ἀρχαῖον πάγος, λέγω δὲ τὴν προγονικὴν ἁμαρτίαν, μεθ' ἧς ἐγεννήθη, ἥν τε ἀκουσίως εἴληφε. διαφυγεῖν τε τρόπος ἦν οὐδεὶς οὐδὲ ὑπερβῆναι.

(2) Palamas (P. G. 151, 473).

(3) id. (édit. Sophoclis, p. 120).

(4) Théophane de Nicée (édit. Jugie p. 179).

L'active coopération de la Vierge demeure du reste entière. Telle formule maladroite de Démétrius Chrysoloras († 1470) paraîtra teintée de pélagianisme et Nicolas Cabasilas lui-même conclut son développement sur l'image de Dieu imprimée en tout homme, qu'Adam avait déformée et qu'Elle a parfaitement restituée en Elle par ces mots: « C'est toute sa gloire: car elle n'a rien reçu de plus que les autres hommes »; entendons: rien de plus que le premier homme en sa sainteté native. « Elle première et seule a montré ce qu'est l'homme ». Image de Dieu: cela demeure aussi profond dans la pensée du théologien oriental que dans la race, et cet optimisme, reconnaissons-le, ne l'a pas ici desservi. L'homme, pour lui, c'est Marie: l'homme, tel qu'il a été conçu dans l'idée divine, prêt à recevoir son Créateur et à Lui être uni.

Notons enfin en cette belle période de théologie byzantine la réaction discrète du traducteur et disciple de Saint Thomas, Demetrius Cydonès († 1398) contre son maître vénéré. Si Jérémie et Jean-Baptiste ont été sanctifiés dès le sein maternel, combien plus Dieu dut-Il sanctifier et préserver totalement son propre temple?

A partir du XVI[e] siècle la belle unanimité des Orientaux n'existe plus. Ils se présentent désormais en deux groupes: partisans du privilège et adversaires du privilège. Cherchant les causes de cet obscurcissement le Père Jugie signale avant tout chez ces nouveaux théologiens l'ignorance de leur tradition byzantine. Beaucoup ont fait leurs études à Saint Athanase de Rome, à Padoue ou à Venise; d'autres ont séjourné en Allemagne. Il y ont été mis au courant de la controverse qui y divise les docteurs. Faute d'enracinement suffisant dans leur propre passé plusieurs ont pris position contre le privilège. Deux textes, l'un de S. Grégoire de Nazianze, l'autre de S. Jean Damascène, connus de leurs aînés qui les interprétaient bénignement ou passaient outre, deviennent difficultés majeures: ces deux Pères y entendaient le *Spiritus superveniet in te* de l'Ange Gabriel d'une purification préalable de la Vierge. C'est souvent que reviendront désormais ces textes dans les Homélies ou les écrits du temps, amenant une interprétation, tantôt étroite de véritable purification et tantôt large, de sanctification nouvelle, d'accroissement de grâce.

A ces raisons ajoutons: la polémique. Non pas qu'elle s'exerce spécialement et formellement sur le sujet de la Conception de la Vierge; mais il paraît assez révélateur que la position négative touchant son

privilège se rencontre très spécialement en des ouvrages de polémique. N'est-ce pas un indice de plus, s'il en était besoin, qu'elle n'est pas dans le courant naturel, spontané de la pensée traditionnelle en Orient?

Il ne s'agit pas encore de polémique anti-Romaine. L'heure viendra où la prise de position de Rome et finalement la définition de 1854 suscitera des réactions plus ou moins vives dans le monde orthodoxe. Aux XVI^e^ et XVII^e^ siècles c'est d'une part dans leur polémique contre Lucaris et le courant protestant, d'autre part contre l'école de Kiev et contre les vieux-Croyants de Moscou que les théologiens Byzantins sont amenés à nier et à combattre la doctrine de la Conception immaculée de Marie.

On sait les remous causés dans l'Église orthodoxe par le célèbre Cyrille Lucar qui, de 1612 à 1638 où il fut mis à mort par les Turcs, occupa jusqu'à sept fois le trône patriarcal de Constantinople. Tout le fonds du Calvinisme: foi justifiante, réprobation positive, libre arbitre détruit chez les non-régénérés... avait passé dans les 18 articles et 4 réponses de sa Confession de foi. Condamné à Constantinople dès le lendemain de sa mort par les deux patriarches de Jérusalem et d'Alexandrie et 21 métropolites, puis par le Synode de Jassy, elle suscita dans les Églises des travaux de défense comme le *Catéchisme* de Pierre Moghila et l'*Antirrhesis* de Mélèce Syrigos, écrit et publié à l'instigation et sous le patronage du patriarche Dosithée de Jérusalem.

Or Lucaris était resté, sincèrement semble-t-il, dévôt à la Mère de Dieu. En plusieurs Homélies, pour la Dormition en 1612, pour la Nativité en 1616, il affirme aussi formellement que possible l'Immaculée Conception de la Mère de Dieu. « Elle fut sanctifiée d'une manière excellente, et cette sanctification fut si efficace qu'elle fit que la souillure du péché originel n'approcha pas d'elle » (de Dormit.). — « Quant à la Panaghia qui ne sait qu'elle est pure et immaculée, qu'elle fut un instrument sans tache, sanctifiée dans sa conception et sa naissance, comme devant contenir Celui que rien ne peut contenir » (de Nativ.). Étonnante profession de foi chez un homme si ouvertement calviniste et propagateur des idées de la secte: on n'y croirait pas, délare le Père Jugie, si l'on ne possédait les autographes de ses Homélies préparés pour l'impression.

En son *Antirrhesis* Mélèce Syrigos se croit obligé de prendre position contre l'ancien patriarche même sur ce point, où il continuait

pourtant l'ancienne et solide tradition. « Née de père et de mère, déclare-t-il, la Vierge ne pouvait que contracter la tache originelle ».

Comme Mélèce c'est également dans une polémique que son patron, le patriarche Dosithée se déclare contre le privilège marial. C'est à l'école de Kiev qu'il en veut. Sa réputation croissante portait-elle ombrage à la somnolence de Jérusalem ou le patriarche parlait-il de sincère et profonde conviction? Toujours est-il qu'il dénonce parmi les « innovations » de l'école la doctrine de l'Immaculée Conception que lui avait vraisemblablement léguée son fondateur Pierre Moghila.

En même temps qu'il intervenait personnellement par ses lettres au patriarche œcuménique Callinique II, Dosithée trouvait en Sévastos Kyménitès son homme pour combattre sur le terrain théologique les prétendues nouveautés de Kiev: dans son *Enseignement dogmatique de l'Eglise d'Orient*, Sévastos consacre 150 pages à la Conception de Marie.

Polémique encore, la réponse de Paisios Ligaridès, ancien élève de Saint Athanase et prêtre catholique passé à l'Orthodoxie, devenu le conseiller ecclésiastique très écouté du Tzar Alexis Mikhaïlovich. Il s'agissait de réfuter la supplique du pope Nikita qui, au nom de la tradition, dénonçait comme une hérésie l'attribution à Marie du péché originel, contenue dans le nouveau livre liturgique *Skrijal*.

Tels sont en ces temps nouveaux les principaux adversaires du privilège de Marie. Les partisans ne manquent pas non plus.

A côté de Lucaris, trop compromis par ses idées protestantes, en face des théologiens de Kiev et des vieux-croyants de Moscou, l'authentique tradition byzantine compte, elle aussi, de sérieux défenseurs. Citons au XVIIe siècle les deux Gérasime, l'un et l'autre patriarches d'Alexandrie, Gérasime I de 1621 à 1636, Gérasime II à la fin du siècle († 1710): Nicolas Coursoulas († 1652) élève de Saint Athanase de Rome et auteur d'un des rares manuels de théologie dogmatique. A la p. 338 du tome I de sa *Synopsie* nous lisons: « L'âme de la Vierge a été sans aucune tache de la faute originelle dès le premier instant où elle fut créée et unie au corps ». Au XVIIIe siècle les principaux adversaires se réclament de Sévastos Kymérités; mais de nouveau surgissent d'excellents défenseurs, entre autres Elie Méniatis mort à 41 ans en 1714, mais dont les deux ouvrages πέτρα σκανδάλου et διδαχαί ont été maintes fois réimprimés. Un poète, Constantin Dapontès, a laissé sous le titre bizarre « Amulette raisonnable » un recueil délicieux dont nous extrayons ces deux strophes:

Tu es toute belle, ô mon amie, toute belle!
Aucune tache en toi, ni dans ton corps, ni dans ton cœur.
Je te glorifie, ô Marie,
Toi en qui l'on ne peut trouver aucun sujet de blâme.
Tu es incorruptible en ton âme, en ton corps, en ton esprit, ô Marie,
Ta chasteté, ton incorruptibilité sont ineffables.
Tu es « l'homme sans péché », ô Marie la toute pure,
En toi l'immunité complète du péché,
En toi on n'a trouvé aucune fausseté, ô Marie immaculée,
Tu as échappé à toutes les intrigues du dragon astucieux.
Tu es le sommet de toutes les grâces,
Tu es parmi les hommes et parmi les femmes la seule bénie...
Dieu engendre son Fils sans mère;
Marie engendre le même sans père.
Le Fils est sans péché,
La mère est aussi sans aucune malice...
La nature entière n'a vu que deux corps
Exempts de tout péché et de toute passion:
Celui du Dieu fait homme
Et celui de sa Mère, amie des hommes,
La Sainte des Saints qui a enfanté le Saint des Saints.

La tradition Russe que nous présente le Père Jugie en ses derniers chapitres est, elle aussi, bien suggestive.

Parmi les plus anciens monuments, le livre liturgique intitulé *le Prologue* dont on a des exemplaires du XII^{e}-XIII^{e} siècle contient pour les fêtes de la Conception (9 déc.) et de la Nativité (8 sept.) des textes remarquables:

« Aujourd'hui, mes très chers, est conçu et formé dans le sein d'Anne la juste, d'après l'annonce de l'Archange, *le commencement de notre salut*, la petite fille de Jessé, de la tribu de David. C'est par elle que les liens d'Adam ont été rompus... Accourez, mes très chers, car c'est en ce jour que nous célébrons l'honorable Conception de Notre-Dame, la très pure Mère de Dieu ».

et le 7 sept.: « Vous savez, mes frères, que ce jour est la vigile de la Nativité de Notre Dame, la très sainte Mère de Dieu... Vous viendrez à l'office du soir et à celui du matin, ainsi qu'à la liturgie (messe). Car ce jour, mes frères, est saint et le commencement de notre salut...

C'est en ce jour que Dieu a commencé à vouloir renouveler notre existence, en envoyant son Ange porter au juste Joachim et à Anne la bonne nouvelle de la naissance de la très sainte Mère de Dieu, qui a enfanté selon la chair N. S. Jésus-Christ».

C'est bien ici comme à Byzance la pensée du plan divin dont la réalisation commence avec l'apparition de Marie.

Nous pouvons aux siècles suivants apercevoir les racines profondes du culte de l'Immaculée dans les différents centres religieux de la Russie.

Kiev, berceau de la foi des Russes, a perdu de bonne heure sa suprématie, supplantée par Vladimir puis par Moscou, mais reste métropole pour toute la Russie du Sud. Nous avons fait allusion déjà à son école théologique — plus tard, Académie — fondée par Pierre Moghila, dont la réputation ne fera que croître. Nous avons vu la contradiction provoquée chez Dosithée de Jérusalem et Sévastos Kyménidès par son attachement à la Conception immaculée de Marie.

Kiev demeure fidèle à sa tradition. Les noms de ses théologiens, tous défenseurs du privilège marial s'alignent durant tout le XVII^e^ siècle: Lazare Baranovitch dans la «Trompette des prédicateurs», Varlaam Jasinski, Dimitri de Rostov, Etienne Javorski. En 1705 Innocent Popovskij, recteur de l'Académie, écrit dans son *Cours biennal de Théologie sacrée :*

« La Vierge, Mère de Dieu, ne contracta pour aucun instant le péché originel. Telle a été la croyance de la Sainte Église Orientale; et l'Église occidentale elle-même la partage ». Et un peu plus bas: « La bienheureuse Vierge n'a pas contracté le péché originel. Cette conclusion est de foi; et bien qu'elle n'ait pas été définie par les conciles, elle doit être tenue par les catholiques ».

Dans la suite, il est vrai, le second successeur de Popovskij, Théophane Procopovitch soutient la thèse contraire. Mais la grande diffusion de sa *Theologia christiana orthodoxa* et l'appui de Pierre le Grand, dont il fut le théologien favori, n'imposèrent pas définitivement silence aux partisans de l'Immaculée, et de courageuses protestations s'élevèrent de la part des recteurs de l'Académie, Lévitskij et Doubnevitch.

On notera aussi que l'hostilité qui a toujours divisé Polonais et Russes, et assombri hélas! jusqu'à nos jours les relations même entre catholiques Polonais et catholiques Russes, s'est toujours arrêtée devant l'Immaculée. Durant tout le XVII^e^ siècle, alors que petits-Russiens

et blancs-Russiens sont sous la domination Polonaise, on ne peut constater entre eux et la nation suzeraine qu'émulation à qui honorera le mieux la Vierge Mère et son Immaculée Conception.

A Moscou, la tradition de la Russie du N., pour être moins brillamment représentée n'en apparaît pas moins profonde. On y est très étroitement orthodoxe: l'uniôn de Florence, apparue comme un désaveu de cette orthodoxie fut rejetée. Aussi la réforme du patriarche Nicon au milieu du XVII^e siècle ne manqua-t-elle pas de susciter de vives réactions. Il se trouva que le nouveau livre liturgique qu'elle imposait, le Skrijal, simple traduction en slavon de l'*Explication de la liturgie* du grec Jean Nathanaël, niait le privilège de Marie. La chose put passer d'abord inaperçue, vu que le même synode de 1667 qui confirmait l'approbation du Skrijal, recommandait un autre ouvrage *le bâton de gouvernement* (gezl pravleniia) de Siméon Polotskij, spécialement écrit pour la défense de la réforme, mais qui, lui, affirmait clairement la Conception immaculée. Bientôt parvint au tzar Alexis une protestation du pope Nikita Constantinov Dobsynine, auquel se joignait le moine Lazare de Poustozok.

Ces vieux croyants s'étaient sentis spécialement blessés dans leur foi et leur dévotion et ne pouvaient s'empêcher de le manifester.

Deux autres centres religieux importants apportent également leur témoignage. A *Vilna*, en 1520, Léonce Karpovich, premier archimandrite de la nouvelle métropole, dans un beau sermon pour la Dormition développe le texte: *gloriosa dicta sunt de te*. L'architecte divin a bâti lui-même sa maison; il en a dessiné le plan, multiplié les figures et symboles. « Son fondement est sur les montagnes saintes » où atteignent à peine en leur sommet les autres édifices. « Un fleuve en rejoint la demeure »: plénitude de grâces. « Dans le soleil il l'a fixée »: éclat de sa pureté. Tout en elle est privilège unique: admirable fut sa conception, admirable sa naissance.

A Polotsk, autre métropole de la Russie blanche existe une Confrérie de l'Immaculée Conception approuvée par l'archimandrite du lieu Kononovitch.

Nous avons en tout cet exposé suivi de près, pillé, pourrions-nous dire, le livre du Père Jugie. Puissions-nous avoir éveillé chez quelques-uns le désir d'en explorer les richesses, d'y retrouver, ou même d'aller rejoindre jusqu'en ses sources l'authentique tradition de notre Orient Chrétien.

تعريف عن الكتب

J. Spencer Trimingham. *Islam in Ethiopia*. XVI — 300 pp. in 8° avec 2 cartes h.-t. et un index Oxford University Press, Londres, 1952. Prix 25 sh. net, chez Geoffrey Cumberlege, Amen House, Warwick Sq. London E. C. 4.

ليس هذا الاثر الا القسم الثاني من دراسة وصفية للاسلام في افريقية بدأت بدراسته في السودان ، اما كلمة ايتوبيا فتعني هنا جميع القسم الجغرافي الذي تقع فيه مناطق امبراطورية منليك واريتريا ومناطق الصومال الثلاث لا مملكة الحبشة المسيحية وحدها .

ولقد كانت منطقة الجبال الايتوبية المرتفعة مع ساحل البحر المتوسط احدى المناطق النادرة من افريقيا التي كوّنها اقليمها صالحة لانتشار الحضارة فيها .

ومن نكد الدهر ان البيد والصحاري السودانية قد سدّت المنافذ امام دخول الحضارات المصرية والفينيقية والاغريقية ... فلم تستطع ايتوبيا ان تتلقى في شمالها منذ اول القرون الوسطى قبل التاريخ المسيحي الا مؤثرات جوالي اليمن السامية ، ولقد افضت هذه المؤثرات في ناحيتي البحر الاحمر الى حضارة مشتركة توطدت بعد ذلك في وحدة الدين المسيحي . ومنذ القرن السابع الميلادي اصبح الاسلام عامل التوحيد الروحي بكل الشرق الادنى وافريقية الشمالية . فاوجد هذا النهج الجديد تصدعا فصل الحبشان عن العرب فصلا تاما كما فصلت اعماق البحر الاحمر الطبقات الجيولوجية من جهة الى جهة .

وما جاءت الحضارتين اولا متناقضتين ، فان المسيحية الحبشية في ايتوبيا الشمالية قد انتشرت طوال العهد الذي نستطيع ان نسميه العهد السابق للتاريخ في الجبال وضمّت اليها جميع حبش الاغاوو — الحامي « agao - hamitique » .

وفي غضون القرون نفسها ، بسط العرب نفوذهم على جميع الساحل الافريقي الشرقي ولقد ساعد هذا الانتشار الافتقار الذي كان يحس به السكان الافريقيون الى تفتح عقليتهم اللامبالية التي ارعبتها عبادات الطبيعة الوثنية تفتحا ضمن شعور المجتمع الاسلامي القوي القائم فوق اعتبارات الاجناس والاقاليم وحاجتهم الى

مستوى ادبي سهل . وتلك الاوضاع كانت ملائمة ايضا لاكتساب الشعوب الزنجية التي هي من اصل حامي ، لان تقلص الحياة البدوية قد تطلب بقوة من ذلك العهد نفسه رابطة دينية تقوم على قاعدة حضرية على شاكلة رابطة الاسلام ليتم تطوره نحو دور التحضر والزراعي والحياة في المدن .

والحبشة المسيحية التي كانت مطوقة من كل جانب كان عليها ان تعتنق الاسلام اما فجأة عقب فتح عنوة ، واما على مر القرون على أثر تغلغل بطيء . وذلك منذ الساعة التي وقفت فيها الحضارة الاسلامية — الحامية فوقعت قدمها في حصن الجبال العالية ، ولم يعد يسع احد ان يوقف انتشار الاسلام في جميع القارة السوداء مبتلعاً الفرع الثاني من العرق الحامي الذي صادف فيه دعاته الاقوياء على شاكلة دعاته في السودان وافريقية الشمالية .

ولقد حوّل الاحابيش المحصورون في حصنهم الطبيعي نشاط توسعهم الى المقاومة ، بيد ان مستواهم الثقافي والروحي الذي ردهم اليه انعزالهم لم يمكنهم من معارضة ذلك « الاختيار » الذي فُرض عليهم على حين غرة على شاكلة فرضه على اوربة حيال الاسلام . وتركت صدمة الانتصار الاسلامي في القرن السادس عشر ومن بعده غزوة الغالاس « Gallas » المدامة قوى الشعب الباطنية بدون ردات فعل ومنهكة . والمسيحية الحبشية المنحصرة في « ارثوذكسيتها » عنوان استقلالها وايمانها ، لم تقو الا على ان تكون ضعيفة النمو في مصاف شكل ديني قبلي اعلى . فكانت الجزيرة صغيرة في وسط خضم اسلامي يحيط بها من كل جانب — فان الخريطة رقم ٦ تبين ذلك بياناً باعثاً على الاسى — اما محاولة الآباء اليسوعيين في عهد النهضة ليحملوا دماً جديداً الى الاحابيش فلم توفق لانهم كان يعوزهم ان يعاشروا نفسيتهم فلذلك لم يتأت لها ان تكون ناجعة في معالجتهم من كانوا يشكون من فقر بالدم .

وعلى كل فان الحبشة قد غيرت وجه تاريخ افريقية بمقاومتها . وكانت مسيحيتها الصخرة التي تكسرت دونها امواج الانتشار الاسلامي الوافدة من شبه الجزيرة العربية من جهة ومن الساحل الافريقي الشرقي ووادي النيل من جهة اخرى .

واذ استنزف الاسلام قواه على تلك الصورة لم يبق بمقدوره التركز لا على

جبال الحبشة ولا على الساحل الشرقي بقوة سياسية راسخة دائمة يحدون تأثيرها ومقدرتها قاعدة لينتشر منها صوب قلب القارة ويتمكن من تحقيق وحدة افريقية تحت رايته ، فان مقاومة الحبشان للضغط الوافد من جهة وادي النيل ومن افريقيا الشرقية قد وفرت الوقت لدخول دين آخر نشيط الا هو دين المسيحية الغربية الذي تفوق بسرعة على الاسلام الوافد بجماعته من الاقليم الحار وتصد انتشاره .

ولو عرف اقدام مجهود المرسل المسيحي وقوته منذ مئات السنين الاخيرة ان يتخلصا مما هو غربي محض ولا يكون جزءا من تقاليده الدينية ، لكان باستطاعة المسيحية على رغم نجاح الاسلام في الشمال الافريقي والسودان ان تكتسب النفس الافريقية، ولصارت القوة الموحدة لافريقية الجنوبية والوسطى، وذلك ما هو مدينة به لبطولة المسيحية الحبشية العريقة الوفية .

هذه هي النظرة الاجمالية التي اتحفنا بها الكتاب الرائع الذي وضعه المؤلف سبنسر ترينغهام وجاء بها في مقدمته التي تبين الى اي مبلغ لا ينفصل تاريخ الحبشية وتاريخ كنيستها الجليلة الوطنية عن دراسة تاريخ الاسلام جميعه في ايتوبيا وعن منظماته وجمعياته على مختلف جماعاته القبلية والدينية وسيكون هذا المؤلف، الذي لم ينحصر في حدود عنوانه، دراسة بالواقع للاوضاع التاريخية والجنسية والجغرافية وللتفاعل الذي تم في خلال قرون عدة لقيام المسيحية والاسلام في هذه المناطق .

وفضلا لما لهذا المؤلف من قيمة بالنظر الى الاضواء التي يلقيها على تاريخ الكنيسة في ايتوبيا ونفسية الحبشان بدراسته للاسلام فانه لذو فائدة لا يستغني عنها جميعنا .

هنري شارل

فهارس المشرق

للسنة الثامنة والاربعين

١٩٥٤

فهرس اوّل

لمواد اعداد السنة الثامنة والاربعين من مجلة المشرق ١٩٥٤

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثامنة والاربعين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

٢ — مطبوعات اوروبية

A

B

C

D

E

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثامنة والاربعين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

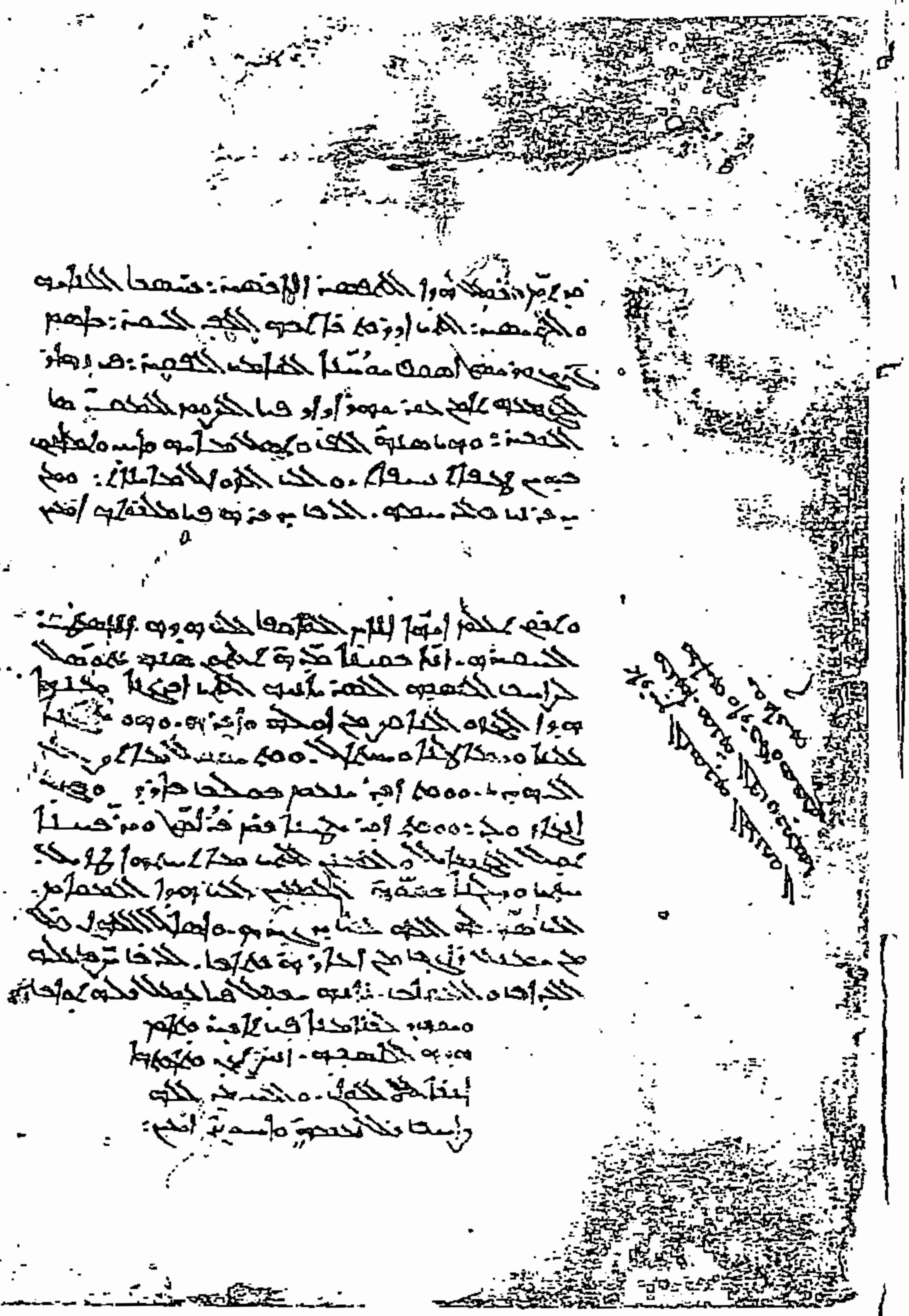

الصفحة الاخيرة من مخطوط بكركي

اصلاح بعض اغلاط وقعت في المشرق

	ص	سطر	خطأ	صواب
	٣٦	٢٢	لحبّ	لحبُّ
	١٥٩	١	احبَّ	اخبَّ
حاشية	١٥٩	٤	الشيخ	الشيخ
	١٦١	٢٦	بإغلاق	بأغلاق
	١٦٢	١٧	شموس قوم	شموسٍ قومٍ
	١٦٣	٦	النذيرُ	النذيرَ
	١٦٣	٩	جانبك	جنابك
	١٦٥	١٤	خطاب	خطَّاب
	١٦٧	٢١	اقه له	اقاله
	١٦٧	٢٥	احببتُ	احببتَ
	١٦٨	١٧	الأبيّة	الأبيَّة
	١٧٠	٢	عليّ الله مراتبه	عَلّى الله مراتبه
	١٧٠	٢٠	القياسات	القياساتِ
	١٧١	٤	الهوى	الهواء
	١٧٢	١٧	والقرى	وأراء
	١٧٣	١٠	قيارة	اصلح الفاء
	١٧٥	٣	ذاك	ذلك
	١٧٧	٥	ضدين	ضدان
	١٧٨	٢٠	اثل	اقل
	١٨٤	١٣	تنطقهُ	تقتطفهُ
	١٨٦	٩	قصبت قراءته	قصبت قراءته
	١٨٧	٥	الدرس النفساني	النفسيّ
	١٨٧	١٧	عد اذاك	عد اذ ذاك

ص	سطر	خطأ	صواب
١٨٨	٩	ليلةٍ	ليلةٌ
١٩٠	١١	الحنث	الحنث
١٩١	١٤	ادنا	ادنى
١٩٣	١٠	بكفرة	بكثرة
١٩٦	١٠	ينمون	ينمون
١٩٧	١٤	بالفاتيكان	بالفاتيكان
١٩٧	١٥	بصدد البحث	البحث
١٩٧	٢٦	بخاصة	خاصة
٣٩٨	٣	الثرى	الثرا (الثراء)
٣٩٩	٣	مستحضرا	متضرا
٤٠٤	٧	لاقيتِ	لاقيتُ
٤١١	٢٠	بنضى الظبا	بنضو الظُبى
٤١٧	١	أبن	ابن

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE

PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction

des Pères de la Compagnie de Jésus

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Quarante-huitième année

1954

BEYROUTH

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

1954

TABLE DES SOMMAIRES

XLVIIIe ANNÉE, 1954

◆

JANVIER - FÉVRIER

MARS - AVRIL

MAI - JUIN

JUILLET - OCTOBRE

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

المشرق

السنة التاسعة والاربعون

كانون الثاني – شباط ١٩٥٥

كتاب
علم صناعة الطبّ وبرء ساعة
(مخطوط طبّي عربيّ)

تعريف عنهُ

للاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

عثرنا في عين عنوب (قضاء الشوف) اثناء القائنا رياضة روحية فيها، في اواخر شهر ايار سنة ١٩٥٣، على كتاب خطّي في الطبّ العربيّ، عند السيّد بشاره جرجس فرنسيس حرب[1] احد الملّاكين الموارنة في حيفا (فلسطين) والمقيم حاليًا في عين عنوب. وهذا الكتاب منسوخ بالحرف العربي بالحبر الاسود، واما عناوينهُ فبالحبر الاحمر. طولهُ ٢٠ سنتمترًا وثلاثة مليمترات. عرضهُ ١٤ سنتمترًا

١) ان اسرة حرب في مشيخا (قضاء المتن) وتنّورين (قضاء البترون) وعين عنوب، هي اسرة واحدة لجدّ واحد.

عدد صفحاته ٢٤٢ صفحة . وهو عبارة عن كتابين طبيين خطيين منفصلين ، وبخطين سقيمين مختلفين ، مضمومين في جلد واحد من الكرتون امسى متهرئاً ، غير مذكور فيهما اسم مؤلفها وناسخها . الاول مخروم من اوله ، منسوخ على ورق رقيق اعتيادي ، يتضمن عدة وصفات طبية متنوعة ورقى وطلاسم وعلم الابراج ، ينتهي في صفحة ١٢٢ . والثاني على ورق عادي ، يسمى « كتاب علم صناعة الطب وبر. ساعة » . يبتدئ في صفحة ١٤٣ وينتهي في صفحة ٢٤٠ ، وهو ينطوي على واحد واربعين باباً ، وأقحمت ورقات في هذا الكتاب ليست منهُ ، كُتب عليها بخط رديء حديث ، بعض وصفات طبية متفرقة ربما كانت لمقتنيه .

أما الباب الواحد والاربعون ، المشتمل على بيان السبب الذي من اجله وُضع هذا الكتاب ، فقد اغفل الناسخ كتابتهُ واعتاض عنهُ باثبات عنوان كتاب آخر في الطب مع نص مقدمته وفهرسه ، بدون تسطير فصوله . وهذا الكتاب يُدعى « تسطير منهاج الدكان ودستور الاعيان[1] » في ٢٢٨ صفحة ، يحتوي تفصيل الاشربة والربوب والمربيات والمعاجين والجروشات والسفوفات والاقراص واللعوقات والحبوب والايارجات والفتايل والضمادات والاطلية والطوخات والشيافات والمراهم والدهونات . وهذا الكتاب هو : « للعبد الفقير الذليل ابو المنى ابن العطار ابن ابو نصار ابن حافظ المعروف بالكاهن العطار الاسرائيلي الهاروني بالقاهرة المحروسة سنة ثمانية وخمسين وستمائة » ، ويا ليت الناسخ اثبت الفصول المصدرة بهذه العناوين التي تشوق الى معرفة ما وسعتهُ من الفوائد الطبية .

وبعد كتابة فهرس كتاب ابن العطار ، سطر الناسخ الباب الاول من « منهاج الدكان » صفحة ٢٣٣ ، المشتمل على تفسير اسماء بعض اعشاب وادوية غريبة ، والمعنون هكذا : « تسطير منهاج الدكان واسماؤه » ، وهي التي تبتدئ اسماؤها بحرف الالف . وسيأتي نص هذا الباب في آخر هذا المقال . وان الصفحة الاخيرة من هذا المخطوط هي « في الاشيا التي تلزم الطبيب معرفتها » ، وهي

---

١) بعد تسطير هذا المقال وقفنا على هذا الكتاب مطبوعاً تحت هذا العنوان : « منهاج الدكان في تركيب الادوية النافعة للابدان ، تأليف ابي المنى ابن ابي نصر العطار الاسرائيلي الهاروني » طبع في مصر سنة ١٣٥١ هـ . بنفقة علي محمد عبد اللطيف الخطيب يقع في ٢٨٨ صفحة بقطع متوسط .

علم تفسير النباتات مفندة، وعلم الكمية والكيفية، وعلم المعادن وقوة المركّبات من المعاجين والشربات والحقن والاقراص الخ» . . .

ذكر الناسخ عناوين هذه المفردات والمركّبات ولم يُثبت منها إلّا الباب الاول في حرف الالف من «منهاج الدكان» في تفسير اسماء بعض الاعشاب والادوية، على ما ذكرنا .

ولمّا كان المخطوط المسمّى «كتاب علم صناعة الطب وبر. ساعة»، الذي نجهل اسم مؤلفه وربّما كان لابن العطّار، لا يخلو من الفوائد الجديدة بالاعتبار، رأينا ان نقدّم مثالًا منهُ لقرّاء مجلّة «المشرق» الكرام .

واليك عنوانهُ وفهرس ابوابه ومقدّمتهُ وامثلة منهُ :

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

ان علم صناعة الطبّ ، علمٌ جليل ينبغي ان يؤثَر ويتقدَّم اذا كان فيه رفع العلل ومضرّاتها ، واحوال البدن للاصحا، وكل ما امر به العلما. الاماثل من الادمان والنظر والمواظبة على الخدمة ، والصواب لا يستغني من يريد ان يقتص امر الصناعة عنه . غير ان اكثر المتخيلين لها لمّا اضطرهم قصر احوالهم الى التكسب ومنعهم عدم الكفاية من استقصا. عللها واخراجهم طلب المعاش الى المبالغة في ما يؤدّيهم الى تعجُّل القوت ، صاروا يتخايلون صناعة الطبّ بالاسم ، من غير يقرؤن ويصنفون (من غير ان يقرأوا ويصنّفوا) للعلّة ضد ما

يحتاج اليه ، ولا يقفون (او يقفوا) عليه ولا يعرفون (او يعرفوا) العلّة ما هي.

وكثيرٌ من العامّة يريدون من الطبيب علم الغيب واخبارهم بما يجدون من غير مسئلة (سؤال) وذكر الشي، بما يشتكون . ولا يجد المتخيّل للطبّ عندهم بدًا من القول الوهم واستعمال الترجيم ، ولعلّ الامر يجري في ما يذكره من العلّة بالضد ، ومن العلاج ما يُحتاج اليه ولا يجري عندهم مجرى المتخلّفين ومن لا يخسر شيئاً فاطرحوه .

وقد جمعتُ في هذا الكتاب اشياء اختصرتها من قول علماء في ما يحدث في كلّ عضوٍ من العلل وعلاماتها ومجازاتها ، وذكرتُ علاجاتها باختصار ليقرب على القارئ ان يمن النظر فيه ويفقهُ ، فان بها اكثر ما يحتاج اليه ، اصلح من الترجم والوهم اذا فاتهُ الاستقصاء والنظر الشافي .

الباب الاول : في تركيب البدن وعظامه

اعلم ان بَدن الانسان مركّبٌ من خمسة عشر جزءا : من جلدٍ وعظمٍ، وعصبٍ وعروقٍ ، ولحمٍ وشحمٍ ، ومخٍ وعضلات وسيقان ، واظفار وشعر ، ودمٍ وصفراء وبلغم وسوداء .

وفي جسد الانسان مئتان وثمانية واربعون عظماً كما فصّلها جالينوس. والاعصاب تثبت وتربط العظام والعضل ، وتوصلها باللحم والعروق وتسقي الجسم كلّهُ .

واعلم ان في كلّ يدٍ واحد واربعين عظماً . منها في الكتف خمسة وثلاثون. وفي السواعد اثنان . وفي العضد واحد . وفي الكتف ثلاثة . وكذلك في اليد اليسرى . وفي الرجل ثلاثة واربعون عظماً . منها في القدم خمسة وثلاثون. وفي الساق اثنان . وفي الفخذ واحد . وفي مشط القدم ثلاثة ، وصكتفة الركبة ، وكذلك في الرجل اليسرى . وفي الصلب ثماني عشرة فقرة . وفي الجنب الايمن تسعة اضلاع . وفي رقبة الانسان ثماني خرزات . وفي الرأس سوى الاضراس ، خمسة عشر عظماً ، منها في اللسان عظمان وفي الذقن عظمان . وفي الصدر في كل جانب عظم ، وللانسان اثنان وثلاثون سناً وضرساً . وفي الجمجمة وما حولها سبعة عظام .

واعلم ان عروق الجسد ثلاثمئة وستّون عرقاً . منها عروق ضوارب ، مئة

وثمانون عرقاً . وساكنة غير ضاربة ، مثلها . واصل العروق التي ليست بضوارب ، الوَتين . وهو مجاور القلب فيما بين الصدر والظهر ، مستوطن فيما بين الترجين الى الصلب . ومنهُ تأخذ عروق الجسد الشؤون التي بين انهار الجسد وتسقيه كلَّهُ . فتأخذ منه الكبد ثمانية وعشرين عرقاً . سبعة منها تسقي الجسد ، وهي فوق المفاصل ، وتنزل حتى تتلو الصلب . وسبعة منها تسقي الكبد والقلب ، وفيها قوّة الدم الذي يخرج في العروق . واربعة منها تسقي الدماغ وتهبط حتى تبلغ الكليتين .

وفي تجويف القلب اربع قطرات من دم الحياة ، ولا تخرج منهُ إلّا عند الموت . ويصعد من الكبد عرقان حارّان الى الدماغ ، وينزل منهُ عرقان باردان الى الكليتين . ويتصل بالطحال اربعة عروق دقاق . وفي الصلب تسع فقرات متصلة بالاضلاع ، وهي سبعة عشر ضلعاً . ولكلّ ضلعٍ عرقٌ يأخذ من الوَتين الى اسفل الفقرات ويتصل بكلّ فقرة ضلع . وعرقان الى جانبه يسقيان الصلب والنخاع . ويتفرّق الوَتين بين الوركين فيصير منهُ عرق النسا . ويتفرّق من كلّ منها عِرقٌ يتشعّب ايضاً من خمسة عروق لتسقي الرجلين . وحيث يتفرّق الوتين بين الوركين فهناك مجمع الزرع الذي يكون منهُ النسل .

ويصعد الوتين في القلب ويتفرّق منهُ اثنان : احدهما الى القلب ، والآخر يصعد حتى يتفرّق في مجمع الصدر بين الترقوتين ، ويتفرّق منهُ ستة عروق ، يجري منها اثنان الى اليدين ، وهما الاكحلان . ثمَّ يتفرّق من كلّ واحدٍ من الاكحلين خمسة عروق تسقي اليدين ، وتتفرّق الاربعة الباقية فيأخذ من كلّ جانبٍ منها اثنين ، فيتشعّب من كلّ واحدٍ منها خمسة عروق : فعرق منها يسقي اللسان ، وعرقان يسقيان الاضراس ، وعرقان يسقيان الصدغين . وتصعد سائر العروق حتى تلتقي في مندوة الانسان .

واعلم ان العروق التي تُفصد كثيراً ، من السواكن : اربعة عشر عِرقاً . منها الاكحل . وهو لسائر البدن . ومنها الباسليق ، من الجانب الايمن وهو لعلل الكبد والصدر والجنبين وضيق النَفَس والربو وعلل الرئة واشباه ذلك . ومن الجانب الايسر لوجع الطحال ومن العلل الحادثة في الجانب الايسر ، ويُفصد من الباسليق ما هو متشعّب منهُ ، ويجري مجراهُ الباسليق الابطي وحبل الذراع .

والاسليم في ظهر الكف بين الخنصر والبنصر . ومنها القيفال (κεφαλή) ، وهو لعلل الرأس والعنق والكتف . ومنها عروق في الجبين بين الحاجبين . وعرق الماقين ، يُفصد لاوجاع العين . ومنها عِرق النزع ، فانهُ يُقطع ويُسل للصداع الكائن في مقدّم الدماغ . ومنها عِرقُ وراء الاذنين ، يُقطع للصداع الكائن والحادث في مؤخر الرأس . ومنها الودجان ، يُفصد للجذام واختناق الصوت والبحّة . ومنها الصافن على ظهر القدم ، يُفصد لوجع الورك والساق والقدم وما يليها ، والى اطلاقه في الطمث . ومنها عرق النسا ، يُفصد لعلته . ومنها عِرقُ تحت اللسان ، يُفصد لوجع الفم .

واعلم ان لبن (حليب) الامرأة كونهُ من دم البدن . وفي جسد الذكورة من الناس عشرة ثقوب . وفي جسد الاناث اثنا عشر ثقباً لسبب ثقبي الثديين.

الباب الثاني : في العلامات الدالة على زيادة الاخلاط وهيجانها في الفصد

اعلم ان صحّة البدن ، تكون باعتدال الطبائع الاربع ، فمتى كثرت الاخلاط حدث عنها امتلاء ، وهذا ظاهرٌ بثقل البدن وقلّة الشهوة للغذاء وامتلاء المجسّة . فتجب تنقيتها واخراجها بالفصد وشرب الادوية المسهّلة والتهوّع والتعريق في الحمّام واستعمال الرياضة . ومتى زاد هيجان الطبائع احتيج الى اعاقة الخلط الثائر ، فيُستعمل الفصد لاخراج ذلك الخلط .

والدم اذا هاج ، فدلائلهُ : حمرة الجلد ، وثقل الرأس ، وكثرة النوم ، وحلاوة الفم ، وسخونة الاطراف ، وكثرة الضحك ، وسرعة الدمعة ، وغلظ البول وحمرتهُ ، وعُظم المجسّة ولينها وتخالفها وتوسّطها بين السرعة والابطاء . ويحدث اكثر ذلك ، في سنّ الحداثة ، وفي زمن الربيع ، وفي البلد الحارّ الرطب .

وان حدث مع هيجانه حمّى كانت ملازمةً غير مفارقةٍ البتّة . وان زادت المِرّة الصفراء ، فدلائلها : صفرة الجلد ، ومرارة الفم ويبسهُ ، والعطش ، وقلّة النوم ، وتنوير العينين ، وبرد الاطراف ، والقشعريرة ، وصفرة البول وصفاؤهُ وشقرتهُ ، والحرقة ، والنخس واللذع ، وصلابة العروق وتقبضها ، وسرعتها وتتابع دقّاتها . ويهيج الدم اكثر ما يكون في سنّ الشباب ، وزمان الصيف ،

فان عرض السرسام من دم ، فعلامته : ان يعرض لصاحبه هذيان وضحك من غير سبب .

وعلاج ذلك في مبتدإ هذا الامر وانتهائه ، تخفيف الدم .

وان حدث من المِرَّة الصفراء ، واكثر ما يحدث منها ، اذا عفنت العروق واشتدَّت الحمَّى يوماً وخفَّت يوماً بغير تشعريرة ولا عَرَق . ويعرض لصاحبه في اليوم الرابع والسابع غشيان وخفقان . ويكون مع هذه الحمَّى السهر ، واضطراب عند النوم ، وقلق وفزع من اشيا ، رديئة تتخيَّل لصاحب هذا المرض في نومه ، وان كُلِّم اسرع بالجواب .

وان عرضت من سودا ، محترقيا الصفرا ، فقلَّما يعرض منها لصاحبه فزع شديد وضجر وعَبَث بيده .

علاج السرسام : ان كان الدم بصاحبه قويًا ، القصدُ في الابتدا ، قبل استخدامه ، لان الدم مجانسٌ الصفرا ، بالحرارة . ويكون اخراج الدم بحسب القوَّة ، ويُدهن الرأس بدهن الوردِ المضروب بالخلّ وماء الورد وماء الحصرم ، واستفراغ البَدَن قليلًا قليلًا بالادوية التي تُضعف الصفرا ، ، كالإجاص (الخوخ) والتمرهندي والبنفسج ونحو ذلك . ثمَّ يُسقى ماء الشعير مع الرُّمَّان ، وماء الاجَّاص ، وماء القرع المشوي مع الرُّمَّان المرّ . فان احتبست الطبيعة ولم يشرب العليل الدواء ، حُقن بماء الشعير والبنفسج اليابس والبابونج والعنَّاب والسبستان مع دهن البنفسج والسكَّر الاحمر .

وان عرض له تذفٌ (استفراغ) ، يُسقى رُبّ التفَّاح ورُبّ الرُّمَّان ورُبّ الريباس ورُبّ السفرجل ورُبّ الحصرم وسوَيق حبّ الرُّمَّان وسويق التفَّاح . وتضمَّد معدته بالعود النيء والزعفران وماء الآس (الريحان) وماء التفَّاح وماء الخلاف (صنف من الصفصاف) .

وان نالته خلفةٌ يُسقى اطراف الطباشير المتخذة برُبّ الحمَّاض مع رُبّ الريباس ورُبّ الحصرم وماء سويق الشعير المقلي ودهن الورد . وتضمَّد معدته وبطنهُ باطراف الكَرْم والخلاف واطراف الكمثرى ، والورد اليابس والآس والرامك (ضربٌ من الطيب) .

وان عرض له عَرَقٌ كثيرٌ يُمسح بدهن الآس ودهن الخلاف وماء الحصرم ،

فان عرض البرسام من دم، فعلامتهُ : ان يعرض لصاحبهِ هذيان وضحك من غير سبب .

وعلاج ذلك في مبتدإ هذا الامر وانتهائهِ ، تخفيف الدم .

وان حدث من المِرَّة الصفراء ، واكثر ما يحدث منها ، اذا عفنت العروق واشتدَّت الحمَّى يوماً وخفَّت يوماً بغير تشعريرةٍ ولا عَرَقٍ . ويعرض لصاحبهِ في اليوم الرابع والسابع غثيان وخفقان . ويكون مع هذه الحمَّى السهر ، واضطراب عند النوم ، وقلق وفزع من اشياء رديئة تتخيَّل لصاحب هذا المرض في نومهِ ، وان كُلِّم اسرع بالجواب .

وان عرضت من سوداء تحرقيا الصفراء ، فقلَّما يعرض منها لصاحبهِ فزع شديد وضجر وعَبث بيدهِ .

علاج البرسام : ان كان الدم بصاحبهِ قويًّا ، الفصدُ في الابتداء قبل استخدامهِ ، لان الدم مجانسٌ الصفراء بالحرارة . ويكون اخراج الدم بحسب القوَّة ، ويُدهن الرأس بدهن الورد المضروب بالخلّ وماء الورد وماء الحصرم ، واستفراغ البدَن قليلًا قليلًا بالادوية التي تُضعف الصفراء ، كالإجّاص (الخوخ) والسرهندي والبنفسج ونحو ذلك . ثمَّ يُسقى ماء الشعير مع الرمَّان ، وماء الإجّاص ، وماء القرع المشوي مع الرمَّان المزّ . فان احتبست الطبيعة ولم يشرب العليل الدواء ، حُقن بماء الشعير والبنفسج اليابس والبابونج والعنّاب والسبستان مع دهن البنفسج والسكر الاحمر .

وان عرض لهُ تذفٌ (استفراغ) ، يُسقى رُبَّ التفَّاح ورُبَّ الرمَّان ورُبَّ الريباس ورُبَّ السفرجل ورُبَّ الحصرم وسَويق حبِّ الرمَّان وسويق التفَّاح . وتُضمَّد معدتهُ بالعود النيّ والزعفران وماء الآس (الريحان) وماء التفَّاح وماء الخلاف (صنف من الصفصاف) .

وان نالتهُ خلفةٌ يُسقى اطراف الطباشير المتخذة برُبّ الحمّاض مع رُبّ الريباس ورُبّ الحصرم وماء سويق الشعير المقلي ودهن الورد . وتُضمَّد معدتهُ وبطنهُ باطراف الكرم والخلاف واطراف الكمثرى ، والورد اليابس والآس والرامك (ضربٌ من الطيب) .

وان عرض لهُ عَرَقٌ كثير، يُمسح بدهن الآس ودهن الخلاف وماء الحصرم،

وان ناله سهر ، ألقي له في ماء الشعير وزن درهمين من الخشخاش الابيض المرضوض ، وصُبّ على رأسه ماء البابونج والبنفسج اليابس والورد والنيلوفر وقشور الخشخاش ، وبزر الخس ، ويُسقَّط النيلوفر ودهن البنفسج بلبن (حليب) جارية . ويُستدعى له النوم بالهدو. وقلّة الكلام والحركة ، ويثابر على شرب بزر قطونا والجلاب وشراب البنفسج او ماء الرُّمان . والغداء ، ماش وقرع واسفيناخ ، وسويق شعير يُطبخ بدهن اللوز الحلو وزيت انفاق او معسول . ويُطعم الرُّمان والاجّاص والتفّاح ولبّ القثاء والخيار .

ـــــــــــ

أمّا الصرع : فيحدث من افراط بلغم محرق ، او من مرَّة سوداء ، يغلب احدهما على الدماغ والمعدة ؛ او من ريح غليظ بارد يصعد من بعض الاعضاء الى الدماغ فيصرع صاحبهُ . فان حدثت هذه العلّة للدماغ نفسه ، نال صاحبها جبنٌ وفزعٌ شديد ، وثقل في الرأس وغشاوة في العين ولطىً في الجنبين. وان كانت من المعدة نالهُ اختلاج وخفقان دائم ولذع وصياح وزَبَد ، وهو اخصُّ علاماته ، وربّما بال واحدث من غير معرفة وخرج منهُ المني ايضاً. فاذا ظهرت هذه العلامات دلّت على صعوبة العلّة ، وعسر برؤها وانها قاتلة .

وان كانت العلّة من عضو آخر غير الدماغ والمعدة مثل الساق والذراع وغيرهما ، او اخبر صاحبها بارتفاعها الى رأسه ، فعلاجها هو هذا :

التهوّع ، وهو القيء بماء يُطبخ فيه شبث وفوتنج مع سكنجبيل العسل ، والاسهال بطبيخ الانتيمون والايارجات الكبار ، وحجامة الساقين ، وشدّ العضو الذي تصعد منهُ العلّة في الحال . ومن بعد ان يطلى بالشيطرج والزرنيخ ، يُعالج ويُسقى العليل الدرياق ويدخل الحمّام ويُمنع من اكل لحم البقر والجاموس والتيوس والسمك الطري . والمالح والالبان والكرفس .

ـــــــــــ

وأمّا الوسواس : وهو ذهابُ العقل من غير حمّى ، فيحدث من المرَّة السوداء والصفراء المحترقة ، ومن الدم الذي يحدث من دمٍ ، فيكون بعدهُ هذيان وضحك وطرب ورقص ، فصاحبهُ سريع البرء . والذي يحدث من المرَّة الصفراء فصاحبهُ يغشى غشياناً شديداً ، او يضرب الناس لاسيّما من يعرفهُ منهم ويتمنّى الموت .

والذي يحدث من المِرَّة السوداء ، فينال صاحبهُ فزعٌ وضجر ، ويخاف الموت ، ويبغض معاشرة الناس ، ويحبّ الخلوة والوحدة . فيقتضي لهُ تنقية البَدَن بالاسهال من الخلط الذي تحدث العلَّة عنهُ ، وبما يدرُّ البول ، وتجنُّب ما يولّد السودا. مثل لحم البقر والمكسور والعَدَس والكرفس والكرَّاث ، ويُطعم الاشيا. المولّدة الكيموس ، المحمودة (scammonée) ويسقط ويدهن ويُطعم الدسم والادهان ليرطّب الفضلات ويقوّي الادوية على اجزائهِ .

٥

وأمّا الصداع : فانهُ يعرض من بخار الاخلاط الحارَّة ، او من بردٍ ، او من روائح عطرة حارَّة . فعلامتهُ : ان كانت من حرارةٍ ، فيكون مرافقهُ لدغٌ وقرص . وان كان مع ذلك حمرةٌ في اللون ، فانهُ بخارُ خلطٍ حارّ . ومما يعين على معرفة سبب الصداع ، مزاج صاحبهِ ، والبحث والسؤال عن الاشيا. التي تقدّمت من التدبير وحال الزمان وما يحدث من حرارة .

فعلاجهُ : الوردُ المضروبُ بالما. يوضع على الرأس ، وصبُّ الما. الفاتر عليه . وان كان من ريحٍ او بردٍ ، عولج بدهن الخَيْري ودهن السوس ودهن البابونج . وأمّا ما كان حادثاً من شرب النبيذ وثقل المعدة ، فعلاجهُ : بالاسهال والتهوُّع الذي هو القيء ، والهدو .

وان كان من امتلاء الرأس ، فيُعالج بالعطاس ، وتجلُّب البصاق بالمستكي مع شيءٍ من عاقر قرحا وفلفل .

٥

وأمّا الشقيقة : فسببها ، كيموس بارد رطب بلغميّ ينصبُّ على النصف الضعيف في الرأس فيسدّ عروقهُ .

وعلاجهُ : تحليل تلك الفضلات بالعطاس وشرب الايارج والصبر وحبّ القوقيا ، ويدهن ايضاً بالكبريت ويُؤخذ عشرين حبَّة من الشونيز تُداف بزيت انفاق .

وأمّا النسيان : فيحدث من بلغمٍ كثيرٍ في الدماغ فيرطّبهُ جدًّا . وصاحبهُ لا يذكر شيئاً ، فان قرب وقتهُ ورثهُ التثاؤب وفتحُ الفم وهو يحبُّ اغماض عينيه ، والهدوّ والنوم ، لاغلبية الرطوبة التي تخنق المرآة النفسانيَّة والحسَّاسة ، وتغلظ الرأي والذهن .

وعلاج الرطوبة التي يحدث منها النسيان، ان تُجفَّف بالادهان المسخنة المحلّلة، وشرب ايارج فيقرا، وجوارش البلاذُر، فانهُ خاصٌ بالنفع لهذه العلّة، والمعجونات الحارّة، والزنجبيل المربّى، وحَبّ الصبر (هو حَبُّ الرشاد)، وحبّ المستكي الصفراء، والباذُريطوس، والسعوط بالشيلثا، واستعمال الحقن الباردة، ودهن الرأس بالاشيا. الحارّة مثل دهن الورد المضروب بخلّ خمر، وعصير الفودنج، او شيء من الجندبادستر. ويجتنب الالبان والسمك وكلّ باردٍ رطبٍ.

ه

وأمّا الكابوس: فهو منذرٌ بالصرع، وحدوثهُ من كثرة طعامٍ باردٍ وغليظٍ بطيء الانهضام، يتصاعد منهُ بخارٌ غليظٌ باردٌ يملأ الدماغ فيمنع القوى والاعصاب من افعالها فتعجز الحركة على النائم الى ان ينحلّ ذلك البخار.

وعلاج ذلك: قطعُ الاغذية الغليظة الباردة واخراج الفضلات بالاسهال والتبرُّع.

ه

وأمّا السُّبات: فيحدث من بخار حارٍّ رطبٍ، وتكثر احلام صاحبهِ في نومهِ. وينتبه بفزع، ويسترخي لحيتهُ الى اسفل.

وعلاج ذلك: ان يُدهن الرأس بدهن الورد، او بدهن البابونج المضروب بخلّ خمر، ويُسقى صاحبهُ ما يحلّل الفضلات من الرأس.

ه

وأمّا السدَر والدوار: فيحدثان من خلطٍ حارٍّ، ويرتقي الى الدماغ بخارهُ.

وعلاج ذلك: فصدُ القيفال والعرقين اللذين وراء الأُذنين، ويستفّ في كلّ يوم على الريق، من الكندر الذكر والخردل والفلفل، من كلّ واحدٍ وزن درهمين، ويشربُ ايضاً الخيارشنبر وطبيخ الانيسون والبيادريطس وايارج فيقرا.

ه

وأمّا السهر: فيكون من يبس الدماغ من بخارٍ حارٍّ يابسٍ يجفّفهُ.

وعلاجهُ: ترطيب الدماغ بدهن البنفسج والنيلوفر، ودهن حَبّ القرع والسعوط بماء في لبن جارية، وحبّ الماء الفاتر الذي قد طُبخ فيه بنفسج وورد ولينوفر وقشور الخشخاش وبزر الخس، على الرأس، فتنقص الاخلاط التي يرقى بخارها اليه من المعدة.

وأمّا الزكام : فانهُ ثلاثة اصناف ، يحدث اذا اصاب البدَن بردٌ ، ولا سيّما عقب العَرَق والدف. ، فينفض المسام ويحصر البخار ويمنعهُ من التنفّس والخروج ، فيرتقي الى حجاب الدماغ فينشف . واحدى علاماته انهُ ينحدر الى الانف .

وعلاجهُ : فصدُ القيفال وشرب ماء الشعير المطبوخ معهُ الخشخاش ، ودهن حَبّ القرع الحلو مع بنفسج مربّى ، او مع شراب البنفسج ، او مع شراب الخشخاش ، او مثقال من دهن اللوز ، وأكلُ البقلة اليمانيّة والماش والشعير المقشور والقرع والاطرِبيّة (atropa) واستعمال النطول بالرمّان الاملس ، ومصّ قصب السكّر . ويجتنب الاشياء الحارّة ، ويأخذ الخشخاش بما. الرمّان الاملس وفانيد خزائني ، ودهن الورد ودهن حَبّ القرع .

الباب التاسع عشر : في علل اليرقان (الريقان)

يحدث الريقان من المِرّة الصفرا. ، انها اذا كثرت فاضت على الكبد وغيّرت لونها الى الصفراء واضعفتها وتفرّقت في سائر البدَن ممتزجةً بالدم . فان عفنت واكدرت انتابت الحمّى صاحبها واصفرّ لونهُ .

وان سبب هيجان الصفرا. وغلبتها ، تناول الاغذية المفرطة الحرارة كالتوابل الحارّة ، مثل الفلفل والخردل والزنجبيل والثوم او شرب ادوية حارّة .

وعلامتها : انك ترى في بول صاحبها شبه الطين الاحمر والزنجفر مختلطاً بالصفرا. ، وعليه زَبَد اصفر . ويصيب صاحبها عطش وورمٌ وطعم مرارة في فمه وسهر وتقلّ عندهُ شهوة الطعام . فان صعدت المِرّة الصفرا. الى الرأس ، امسى الما. ابيض . وان طرأ الريقان العليل قبل اليوم السابع من ابتداء علته ورافقتهُ الحُمى فلا يسلم من التلف ، وان طرأ الريقان بعد اليوم السابع كان صاحبهُ شبيهاً بالبحران ، وتلك علامة محمودة .

وعلاجهُ : فصدُ الباسليق من اليد اليمنى ، وتسهيل المِرّة الصفرا. بما. اللبلاب ، وما. الرمّان ، وماء الهندبا. ، والاكشوث ، وعنب الثعلب ، والبنفسج اليابس ، والاجاص ، والتمر هندي . وان زادت حرارة الحمّى ، لا ينبغي ان يُسقى الاهليلج ، بل يُسقى ما. الشعير والطباشير ، ويُغذّى بالقرع والماش والعدس ولبّ الشعير ولبّ الخيار . وان تحسّن وسكنت الحمّى في آخر الامر ، يخيض البقر .

باب منهاج الدكان

حرف الالف

المعنا في توطئة هذا المقال الى باب كتاب « منهاج الدكان » لابو المني ، ابن العطّار ، ابن ابو نصّار ، ابن حافظ ، المعروف بالكاهن العطّار الاسرائيلي الهاروني ، المثبت في هذا المخطوط الطبي الذي نحن بصدده ، صفحة ٢٣٣ ، المتضمّن تفسير بعض اسماء حشائش وادوية غريبة ، وهو يبتدئ بحرف الالف ، واننا ننقل عن باب منهاج الدكان هذا ، ما استطعنا قراءته من اسماء النباتات وتفسيرها :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اذناب الخيل : هي لحية التيس او ذَنَب الفرس .

اطريون : فقّوس الحمار ...

بو علي : خس الحمار .

اطريلال : قال في اختبارات البديعي : انهُ رجل الطير ، ورجل الغراب ، وجوز الشياطين . الماهية من منهاج الدكان : الاطريلال ، هو نوع من انواع الجذر ، حبّهُ يشبه حبّة اليانسون في طعمهِ حدة ومرارة . يُستعمل في ادوية البرص ويُعرف برجل الغراب . قال في ... شرح الموجز : الاطريلال هو اسم ... رجل الطير ، وهذا النبات يُعرف بالديار المصرية برجل الغراب . وهو يشبه النبت في ساقه وقامته واصله ، غير ان النبت زهرها اصفر ، وهذا النبات زهره ابيض وينعقد حبّاً على هيئة القذح .

الاغيلك : لغة اهل دمشق . يسمى عود الريح ، اجل ، قال في الاختبارات البديعي : هو الاجل .

احريص : يقال له مشبرع ، هو الزعفران .

احان : قالوا هو نشاء الخنطة .

اخيوس اخريوس : قال بعضهم الخنطة لا الورق ، تنبت في الصحراء ، والمحقق انه نبات يقرب الماء الجاري ، ثمره اسود وصغير وزهره ابيض .

ادخر : يقال لهُ تبن مكّة .

اداد : يقال لهُ الاشخيص .

ادزناس : يقال لهُ قاقياء (عصاه) .

حوط ياه حولشاني : هو بخور مريم .

اذريون : قال صاحب اختبارات البديعي ، يقال لهُ ازركون ؛ وعلى قول صاحب الجامع ، انهُ نوعٌ من الاقحوان (على الاصح) . وقال بعضهم : اذريون . نوعٌ من الرياحين البرّية يدخل في ادوية القلب .

آذان الفار : ويقال لهُ . ابا غنس وسسق وريحان داود ، وسيف غبوب ، ومرزنجوش ، وزبل خوش . وبالفارسي : مرزنكوش . وباليوناني : مروس اقطي . الماهية : هو المردكوش (marjolaine)

عين الهدهد : من كتاب الاختبارات البديعية اسم نبات بافريقية : آذان النار .
آذان الارنب : يقال لهُ آذان النزال، وهو نوعٌ من لسان الجمل .
آذان الفيل : قيل انهُ القلقاس . وقيل : انهُ اللوف الكبير . وهذا هو الاصح .
آذان التيس : قال صاحب الاختبارات البديعية : هوقوصولدون ، وهو نوع من حي العالم .
آذان الذيب : قال صاحب الاختبارات هو البوخير .
ارزّ : قال صاحب الاختبارات ، اجودهُ الجوهري . وبالفارسي : برنج .
اريدبك : هو دواء يشبه البصل المشقوق ، ويطلى به البواسير .
ارغوني : قال صاحب الاختبارات ، انهُ نباتٌ يُشبهُ الخشخاش ، ولونهُ بلون شقائق النعمان .
ارجوان : قال هو زهر احمر . وبالفارسي يقال لهُ ارغوان . بوكل زهرهُ .
الماهية من منهاج الدكان : ارنب بريّ اجودهُ المائل الى سواد .
أجاذ : قال انهُ لوف البري ارسطولوخيا (aristoloche) قال صاحب الاختبارات البديعية : ارسطولوقيا ، هو الزراوند الطويل .
أشنة : من كتاب الاختبارات البديعية . يقال لها شيبة العجوز ، تنبت قشور على شجر الصنوبر والجوز والبلوط .
اشخيص : من كتاب الاختبارات البديعية هو نوعٌ من المازريون . وقيل انهُ اللوف .
اشنان : من كتاب الاختبارات البديعية : الحرض . هو الغاسول والقلي .
اصابع صفر : من كتاب الاختبارات البديعية ، يقال لهُ : اصابع مريم واصابع

عايته . والماهية من منهاج البيان : ورس كركم ، عقدهُ صفراء .
اصابع هرمس : من كتاب الاختبارات البديعية ، هو تفاح السورنجان (Colchique) .
اصابع العذرا : من كتاب الاختبارات البديعية ، هو بزاز الحاده . نوعٌ من العنب .
اصابع الفتيان : من كتاب الاختبارات البديعية ، هو اصابع الفتيات .
اصفر : من كتاب الاختبارات البديعية ، هو اصل الكبر .
اصطفين : من كتاب الاختبارات البديعية ، هو الجزر .
اصطرك : من كتاب الاختبارات ، صنمهُ بلون العناب ، احمر مائل الى السواد . وهو نوعٌ من الميعة ، وصنمهُ من حجيرة الروم . وقال جالينوس وغيرهُ مثل ما قال انهُ صمغ الزيتون وهو المحقق
اضراس الكلب : من الاختبارات البديعية ، يقال لهُ : بسفايج .
اطريه : من منهاج البيان ، هو الفطير ، يتخذ من العجين القوي العجن الذي يعمل كالسيور ويجعل في الماء ويطبخ بلحم جمال او بغير لحم .
اغرسطس : من كتاب الاختبارات البديعية ، هو النيل .
افتيمون : من كتاب الاختبارات البديعية ، هو زهرٌ وقضبان .
افيون : من شرح الموجز ، وهو عصارة الخشخاش .
افسنتين : من كتاب الاختبارات البديعية ، يقال له : خطرني ، وهو نوعٌ من البرنجاسف زهره يشبه الاقحوان ، وهو الشيبة .

افرك : هو المرجان

اطاط : من كتاب الاختبارات البديعة ، الطموط والطيوط . والثلاثة هي البندق الهندي ويُعرف بالدواء الهندي ، وهو في قوّة ابو زيدان .

اضفار الطيب : من الاختبارات البديعة ، هي اعين السرطان .

اطط : من كتاب منهاج الدكان ، هو البندق الهندي .

اقطن : من كتاب الاختبارات البديعة ، هو بلغة اهل اليمن : الماش . الماهية من منهاج البيان : اكليل الملك ، زهر نبات شبيّ اللون ، هلاليّ الشكل مع خلخلة صلابة . منهُ ابيض ومنهُ اصفر ، واجودهُ الحديث الاصفر الرطب المائل الى الياض ، وبزرهُ اصفر .

الكـكت : من كتاب الاختبارات البديعة ، قال صاحب المنهاج : انهُ جوزة الهند ، وقال انهُ البندق الهندي وهو الاطوط . وهذه الاقوال التي لصاحب المنهاج ، سهوٌ وخطأٌ . وقال صاحب الجامع : انهُ حجر العقاب ، وحجر النسر ، وحجر الولادة ، وباليوناني اناطيطس . الماهية من منهاج البيان ، الكتت ، من الادوية الهندية . وقيل : انهُ اطوط .

الكـوبران : من كتاب الاختبارات البديعة ، هو رعي الحمام (verveine sauvage) .

اللبني : من منهاج البيان ، هو الميعة ، وهي سيل شجرة التوت ، ومن شرح الموجز : اللبني : هي الميعة السائلة .

اورمالي : من كتاب الاختبارات البديعة ، ويقال لهُ : اومالي ، وباليوناني دهن العسل وعسل داود ، عليه السلام ، ودهنهُ يحصل من ساق الشجرة .

رعي الابل : من كتاب الاختبارات البديعة ، هو الاسفانس ، او اسفاني .

الالينون : من كتاب الاختبارات البديعة ، هو الراسن .

امبر باريس : من كتاب الاختبارات البديعة ، يقال لهُ ، ذرشك . الماهية من منهاج الدكان : امبر باريس ، هو الزرشونه ، وهو البربريس .

ارطاماسيا : من كتاب الاختبارات البديعة ، ويقال لهُ : ارطاماسيا وبرنجاسف وامبروسيا (armoise) .

اصبوص : هو الانيسون البريّ وهو الفاجاه ، وهو بزركرماخ الرومي البريّ .

ام غيلان : من كتاب الاختبارات البديعة ، هي شجرة معروفة ، وهو نوع من السنط (acacia) ثمرهُ مثل القرط وقدرهُ قدر الخرنوب . وهو اصفر كبير ، يكون في بلاد الصعيد ، ويعرف بالسنطة البريّة .

ام غيلان : من منهاج الدكان ، شجرة بالبادية معروفة ، وتُعرف بالشوكة المصرية .

انجبار : من كتاب الاختبارات البديعة ، انهُ ينبت على حافة الانهار . عصارتهُ تشبه ماء القون . الماهية من شرح الموجز : انجبار ، هو نبات اكثر ما ينبت على شط الانهار بين الطيّق . ورقهُ يشبه ورق الرطبه على زغب كالنبار ، ولهُ اغصان دقاق اغلظ من اغصان الرطب ، مائلة في لونها الى حمرة . يعلو قدر قامته اذا كبر بتدرّج ويشتبك بالطّيق ، وتنسج اغصانهُ عليهِ ، ولهُ زهر احمر يخلفهُ خراريب صغار فيها بزر ولهُ اصل خشن غائر في الارض ،

ويضرب لونهُ الى سواد .

انجدان : من كتاب الاختبارات البديعية ، هو نوعٌ يُقال لهُ بالفارسي : انكدان وانكدن . وهو شجرة الحلتيت . الانجدان الرومي : سيالبوس . الماهية من شرح الموجز : انجدان ، هو صنفان ، احدهما الابيض ، الطيّب الذي يسمّى بالسرخس . ويسمّى اصلهُ المجروة في الادوية والاغذية . والآخر الاسود المنتن الذي يُخلط ببعض الادوية . صمغ الانجدان ، اي الحلتيت . فالطيّب منه يكون من الانجدان الطيّب ؛ والمنتن من المنتن .

نفان : الماهية من شرح الموجز : يانسون ، وهو بزر الرازيانج الرومي والمصري ، وفيه حلاوة وحرافة .

انجره : وهي بزر القرّيص ، وعين الجراد الذَكَر .

الشقاقل : من منهاج الدكان ، هو القرّيص .

أقاغالس : نوعان كبير وصغير ، ويُعرف بالقبّيس ، وهو مفرّحٌ جداً . اذا قطع اخضر يخرج منهُ لبنٌ يشبهُ لبن التين ، وهو ان تفركهُ في يدك فتفوح رائحتهُ . وهو آذان الفار ، اي المردكوش .

انزروت : من كتاب الاختبارات البديعية ، هو صمغ الشوك . ويُقال لهُ : عتروت وعترورو ، وبالشيرازي : كوزه . الماهية من شرح الموجز : صمغٌ يضرب لونهُ الى الحمرة والصفرة . والانزروت يُعرف بالكحل الفارسي . ويسمّى : سرمنلس وعتروت .

انفحة[1] : من كتاب الاختبارات البديعية : كلّ الانافح حارّة يابسة ملطّفة . وهي التي زالت عنها لطوفة اللبن .

انتهى هذا الباب في حرف الالف

فائدة

الترياق : حكّهُ قبل ان تستعملهُ ، ولينهُ في حال سحقهِ بقليلٍ من دهن اللوز .

المحموديّة : ان المحمودية ، تُفرك بالاصابع ولا تُسحق . اذا اردت شيئاً من المحمودية في السفرجل او التفاح ، فشقّ السفرجلة او التفّاحة نصفين وأدخل المحمودية في داخلها واشوِها اي راتنج المحمودية (Résine de scammonée) .

---

١) الإنفحة والإنفِحة والإنفَحّة والمِنفَحة : شيء يستخرج من بطن الجدي قبل ان يُطعم غير اللبن فيُعصر في صوفة مبتلّة في اللبن فيغلظ كالجبن . وهو المعروف عند العامّة « بالمجبنة » (المنجد) .

هذا ما رأينا ان ننقلهُ من الامثلة عن المخطوط الطبي العينعنوبي ، مقياساً لسائر امجاثهِ . والله اعلم بما نالنا من الجهد والعناء في قراءته وذلك لرداءة خط ناسخهِ وكثرة اغلاطهِ وتشويش كتابتهُ . ومن تصفَّحهُ لاول مرَّةٍ ، ظنَّ انهُ يقرأ ضرباً من الطلاسم والرُّقى يستحيل عليهِ اذلالها وفهمها وتحقيقاً لذلك خذ مثلاً من كتابة كلماتهِ : يحدث ، يكتبها هكذا : يحدة . كثرت : كترة . عليهِ : عليهي . نبدأ : نبدق . بهِ : بهي . لهُ : لهو . الميعة : الميبة . الانف : الانيف الخ . وهناك بضع كلمات واسماء ادوية واعشاب غريبة ما استطعنا قراءتها ولا معرفتها بالرغم من سهرنا في الانكباب عليها ساعات طويلة . ولا حول ولا قوَّة الّا بالله العليّ العظيم .

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير

رحمه الله

كتاب

محمد بن عبد الملك الهمداني

من الايام المقتدرية الى البيعة الامامية المستظهرة بالله

سلام الله عليه ورضوانه

عني بتحقيقه وضبط نصوصه وتعليق حواشيه

عن المخطوطة الفريدة في مكتبة باريس الاهلية

البرت يوسف كنعان

خريج معهد الاداب الشرقية ، بجامعة القديس يوسف

تمهيد

يعود الفضل الاول في بعث هذا السفر الفريد ، وهو الجزء الاول من تكملة تاريخ الطبري ، لعبد الملك الهمداني ، الى حضرة الاستاذ المحقق البحاثة المدقق حبيب زيات . فهو – رحمه الله[1] – حبب الي ذلك وعهد الي ان اقوم به ومهد لي بارشاداته ، قبل ان قبضه الله الى رحمته ، فاهتديت بهديه ما وسعني الجهد ، وقمت بالمهمة ما وسعت الطاقة وتناوله علمي ، فاستوى لي ما يراه القاري في هذه التعليقات ، فانا اشكر لحضرة الاستاذ حبيب هذه الثقة الغالية التي وكلني بها ، فانها جميل قمين بالذكر والشكر الجزيلين .

والى مجلة المشرق الغراء ، بشخص مديرها الفاضل العالم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي ، الذي تفضل وافسح لهذه التكملة ان تقف في صف ما في المشرق من روائع خالدات .

والى معلمي الذي افاض علي من علمه الغزير ، رئيس الجامعة اللبنانية ، فؤاد افرام البستاني ، ما فتح امامي مصاريع التحقيق لما كان عمدتي في ما كان يعترضني من عقبات .

الى هؤلاء الافاضل ، اتقدم بواجب الشكر اعترافاً بالفضل واشهاراً للجميل .

---

[1] توفاه الله الى رحمته في اول شباط سنة ١٩٥٤ .

وصف المخطوطة الخارجي

– اسمها تكلة تاريخ الطبري – اسم مؤلفها محمد بن عبد الملك الهمداني (بالدال المهملة)
– تشتمل ، كما يقول مؤلفها في صدرها ، من الايام المقتدرية ، الى البيعة الامامية المستظهرة بالله .
قلت ، ولم يعرف منها الا هذا الجزء وهو الاول ، والباقي لم يزل في خزانة الضياع .

– انتهت الى خزانة باريس الاهلية من مراكش بواسطة الاستاذ المستشرق Bienand ، ورقمها فيها اليوم Arabe 1469 – وصف هذا الجزء منفهد فهرست المكتبة الاهلية في باريس للمخطوطات العربية . ج.١ الصفحة ٢٨٢ وهو الاستاذ M. le Baron de Slane قال : – انها ملحق بالطبري ، مؤلفها ابو الحسن ابن عبد الملك الهمداني المتوفى عام ٥٢١ ه. وهي تبدأ بخلافة المقتدر وتنتهي عام ٤٨٦ ؛ بخلافة المستظهر ، وهذا هو الجزء الاول وينتهي عام ٣٦٧ . عدد اوراقها ١٥٤ . وفي الصفحة ١٩ سطراً ؛ قلت واري هذا الوصف منقولاً عما كتب على الصفحة الاولى من المخطوطة – قاعدة الخط مغربية سهلة – فيها بعض اماكن بياض دلت عليها حيثما عرفت .

– جاء في فهرست مخطوطات القسم العربي من مكتبة باريس . ان هـذا المخطوط من تراث القرن السابع عشر ، ولو القينا نظرة عجلى على اساليب الانشاء والترسل في ذلك العصر لالفينا الكتابة فيه هزيلة الاسلوب غالبة عليها الامانة في بعض الحروف ، حتى لنستطيع القول انها من الركاكة في الحد الادنى . واليك وصف اسلوب الناسخ في مخطوطتنا الفريدة هذه .

ا – تخفيف الهمزة الى ياء اذا وقعت وسطاً ؛ كقوله في قبائل ؛ نفسائل ؛ وثلاثمائة ، فانه يكتبها قبايل ؛ نفسايل ؛ ثلاثماية .

ب – واذا وردت الهمزة في الكلم مضاعفة ؛ كما في آل ؛ قرآن ؛ كآبة : كتبها : ءال ، قرءان ، كئابة .

ج – واذا وقعت الالف مقصورة في آخر الكلم ، حسبما تقتضيه شروط الصرف . فالناسخ يجري فيها على سياق واحد في الغالب ؛ فهو يكتب استدعى ؛ مضى ؛ ادعى ؛ نوى . جرى ورأى استدعا . مضا . ادعا . نوا . جرا ورءا .

د – والتاء المربوطة هي في اسلوب الناسخ في بعض الكلمات مبسوطة كما في مرآة فهي مرءات .

هـ – نقطتا الياء في الحرف في ؛ وكلمة اي ساقطتان في الغالب الاعم .

و – وكاني بالكاتب ، يكتب كما يلفظ فهو يقول في حجفلة حجفة – اما اسلوبي حيال اسلوب الناسخ ، فلم يتعد التصويبات مشار اليها بالهوامش ، وقد اجتهدت ان احتفظ بالاصل كما هو ، ولم اتجاوزه في شيء .

بعض مصادر التكملة وموارد اخبارها

– اذا تصفح متصفح هذا الجزء الوحيد من تكلة تاريخ الطبري ، وقع امامه جملة من اسماء الكتب التي اعتمدها كما اعتمد قبله الطبري جملة من المصادر كانت موارد ما فيه من اخبار .

ولو وصلتنا هذه التكملة كاملة ، لوضحت امامنا اصولها اكثر ، فهي في هـذا الجزء غير بالغة

البروز ، ولكنها تدل على ان الهمداني كان جماعة اخبار ومحقق حوادث واليك بعض ما وجدته مذكوراً من اسماء الكتب في هذا الجزء :

١ : رسائل ابي اسحاق الصابي – ٢ : الامتاع والمؤانسة للتوحيدي – ٣ : يتيمة الدهر للثعالبي : – ٤ : جامع التواريخ للقاضي التنوخي – ٥ : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي – ٦ : تاريخ الصولي – ٧ : كتاب الزهرة للاصفهاني – ٨ : كتاب الفقهاء للشيرازي – ٩ : تاريخ الوزراء للصابي – ١٠ : تاريخ ابن سنان – ١١ : الجمهرة لابن دريد – ١٢ : ويروي عن ابيه .

صاحب التكملة في كتب الاصول

اسمه : اتفقت بالاجماع الاصول التي ترجمت لصاحب التكملة هذا هو ان اسمه محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد ابو الحسن بن ابي الفضل الهمذاني (بالذال) الفرضي ، وكنيته ابو الحسن .

نسبته : اما نسبته الى همدان ، فقد انقسموا فريقين ، ففريق يقول انه الهمذاني (بالذال) منهم ابن الجوزي في المنتظم ، وابن كثير في البداية والنهاية ، وابن الاثير في الكامل . والفريق الاخر وعلى رأسهم بروكلمان ، وماسينيون وحاجي خليفة في كشف الظنون ، وحبيب زيات و Slane فانهم يقولون الهمداني (بالدال) المهملة .

علمه : قال ابن الجوزي في المنتظم ٨/١٠ انه من اصحاب التاريخ . واولاد المحدثين والائمة .

وقال ابن الاثير ٣٢٥/٨ انه صاحب التاريخ .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١٩٨/١٢ انه صاحب التاريخ من بيت الحديث .

وفاته – قبره

اجمعت المصادر التي ذكرته ان وفاته كانت في شوال سنة ٥٢١ وقبر الى جنب ابيه عند قبر ابي العباس بن سريج .

التكملة بين الاصول

اعتمدت التكملة في تحقيق جملة من كتب الاصول – فقد اعتمدها المستشرق H. F. Amedroz في تحقيقه لتجارب الامم وفي تحقيقه لكتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء للصابي المطبوع في مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت سنة ١٩٠٤ – وكذلك الاستاذ لويس ماسينيون في جمعه لديوان الحلاج الذي نشره في المجلة الاسيوية في باريس سنة ١٩٣١ – وكذلك اعتمد التكملة في تصحيح الكامل الشيخ عبد الوهاب النجار وقد تم طبعه سنة ١٣٤٨ . والجدير بالذكر ان حضرة المصحح يذكر وفاة الهمداني في اخبار سنة ٥٢١ ولا يعلق على ذكره ان التكملة هي له :- والاستاذ العلامة حبيب زيات دلنا عليها ، وكان قد طالعها في خزانة باريس ، وكتب الينا ان نعمل على اخراجها مضافة الى ما في خزانة المشرق من مشرقيات روائع .

والتكملة هذه من الاصول المعتمدة في عرض الصراع العنيف الذي كانت اعاصيره تدور حول الخلافة ومطامع الاتراك وانخذال العنصر العربي ، وكيف كان يطوح بالرؤوس الى خزانة الرؤوس . . .

اسلوب التأليف

سلك الهمداني في تأليفه سلوك معلمه الطبري ؛ مسلك التاريخ الحولي – اسلوب الهمداني في سرد الاخبار . اسلوب سهل التعبير ؛ لا حشو فيه ولا زخرفة تعلوه ، لذلك جاءت جمله الاخبارية قصيرة بخلاف جملة ابن الاثيروابن مسكويه واضرابهما . – ما اقرب جملة ابن مسكويه الى جملة الهمداني ، كأنهما قطرتان من نبع واحد ، ولم اجد بين المورخين من يماثله بعد ابن مسكويه الا المنتظم لابن الجوزي ، فانه كذلك قريب من قريب . – الهمداني لا يغالي في سرد الحوادث ، اي انه لا يثقلها بعصبية اقليمية او دينية ليبالغ في تأثيرها بين الناس شأن ابن الاثير في الكامل والسيوطي في تاريخ الخلفاء : ولا يحوم حول ما يسمى بال Originalty في اخبار الناس الخاصة والعامة كالمسعودي في مروج الذهب . – وانك لتجد اكثر اخبار هذه التكلة – الجزء الاول هذا – مبثوثة في عدة كتب الفت بعدها كالكامل ، وتاريخ الخميس وتاريخ ابن الوردي وتواريخ ابي الفدا والسيوطي والقرماني ومن لف لفهم . ولكنك تجد في هذة التكلة بالاضافة الى التاريخ ، الادب . فان الهمداني يتبسط في اخبار ادباء من عصره ، فقد اسهب في اخبار الحلاج والاصبهاني صاحب كتاب الزهرة والزجاج والمتنبي والمهلبي الوزير ، واورد نتفاً من اشعار ابن الحجاج والسري الرفاء وابي فراس الحمداني وغير هؤلاء ، مما يدل على ان في نفسه نفحة من الادب زكية .

٢/ب بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله[١] وسلم

اما بعد الحمد لله الذي وفقنا لهدايته . ووهب لنا التمسك بشريعته . والصلاة على نبيه محمد الذي اختاره لرسالته . وفضله بنبوته . صلى الله عليه وعلى آله[٢] وصحابته . والدعاء لمن الدنيا مهناة[٣] بصادفة سلطانه والفضايل مستفيدة من تيامن احسانه . والدهر مفتخر بحصول عنانه في يديه . ومثوله[٤] في جملة العبيد لديه . سيدنا ومولانا الامام المستظهر بالله امير المؤمنين . لا زال سلطانه باذخ المكان . راسخ الاركان . وايامه رفيعة العماد . منيعة البلاد . ليورخ من مناقبها ما لا تتعلق النجوم باذياله . وتقصر عن الزمان عن شماله .

فان علم التاريخ رغب في الاطلاع عليه سادة الامم والقبايل . واهل المحامد والفضايل . الائمة من ولد العباس رضوان الله عليهم . وهم الاسرة الطاهرة . والدوحة الزاهرة . هداة[٥] الاعلام . وشموس الاسلام . وكانوا اكثر

١) في الاصل وءاله .
٢) في الاصل ءاله .
٣) في الاصل مهنات .
٤) في الاصل ومثوله .
٥) في الاصل هدات .

الخلق رواية لمن تقدمهم . واثار من كان قبلهم . فما كان في ذلك من استقامة في الاحوال كان بالنعم مذكرًا . وما شاهدوا فيه من الاختلال كان منبها ومنذرا .

وقد روي ان رجلا سال سعيد بن المسيب رحمة الله عليه فقال : رايت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي (؟) فقال له . يا هذا ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا فمن كان على خير بشره وامره بالزيادة ومن كان على شر حذره وامره بالتوبة .

والاطلاع في اخبار الناس مرآة[1] الناظر تصدق عن المحاسن والمقابح . ويهذب ذوى البصاير والقرايح . وبها يذكر الله تعالى[2] من عباده ما يراه اهلا لذكره . ومستوجبا لكريم ثوابه واجره .

هذا المنصور رضي الله عنه وهو باذل الاية . وكافل الامة قال لاصحابه الملوك اربعة معاوية وكفاه زيادة[3] وعبد الملك وكفاه حجاجا وهشام وكفاه مواليه وانا ولا كافي لي . واجماله لذلك استنباض منه لهم على معرفة اخبارهم .

وهذا المهدى رحمةالله عليه لما حج في سنة ستين ومائة (٧٧٦) جعل ينظر الى بنا. الوليد بن عبد الملك واخبر اصحابه بسيرته في بنايه وان الناس لهجوا في ايامه بالبنا.[4] وشرح لهم امور بني امية حتى اخبرهم باحتجاج الوليد بن يزيد على هشام حين انكر عليه الاسراف في ثمن عمامته فقال له : انت ابتعت جارية باضعاف ذلك لاخس اطرافك فما تنكر من ابتياعي هذه لاكرم اطرافي .

واخبر عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال : لو كنت في قتلة الحسين بن علي عليهما السلام ثم امرت بدخول الجنة لم افعل حيا. ان تقع عيني في عين محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا المهدي رضوان الله عليه اخبر عن السندى بن شاهك قال : كنت

---

١) في الاصل مرات

٢) في الاصل تنى

٣) كذا في الاصل ولعله يريد زياد بن ابيه الذي الحقه معاوية بنسبه كما هو مشهور

٤) في الاصل بالبنا

معه بجرجان[١] فسمع بين بساتينها صوت رجل يتغنى (كذا) فامر باحضاره فقلت له : ما اشبه قصة هذا الجاني[٢] بقصة صاحب سليمان بن عبد الملك فقال: وما ذاك . فقلت :

خرج سليمان في متنزه له مع حرمه فسمع صوت رجل يتغنى فدعا صاحب شرطته وقال علي بصاحب الصوت . فاتى به فقال له : ما حملك على الغنا.[٣] وانت على القرب مني وبجانب حرمي اما علمت ان الفرس يصهل فتستغاي[٤] له الرماك[٥] وان الحمار ليشحر فتودق له الاتن وان البيس[٦] ليهب فتزعج له الغنم وان الرجل ليغني فتغتلم[٧] المرأة[٨] يا غلام جبه فجبه .

فلما كان في العام المقبل رجع سليمان الى ذلك المنزل فذكر الرجل وما صنع به فقال لصاحب شرطته : علي بالرجل الذي جببته ان كان حيا فاتاه به فقال له : اما بعت فوفيناك واما وهبت فكافيناك . فما دعاه الرجل الا باسمه وقال: يا سليمان قطعت نسلي وذهبت بها. وجهي وحرمتي لذتي ثم تقول اما بعت واما وهبت لا والله حتى اقف بين يدي الله عز وجل. فقال الهادي لصاحب الشرطة لا تعرض للرجل .

وكان الرشيد رضوان الله عليه في بعض اسفاره وقد نزل الثلج فاذاه فقال له بعض اصحابه الى متى سيرك يا امير المومنين فقال اسكت ، للرعية المنام وعلينا القيام ولا بد للراعي من حراسة الاغنام.

وقد روى قطن بن وهب عن ابيه أن عمر بن الخطاب امير المومنين رضي الله عنه اجتاز في بعض اسفاره على صاحب غنم فقال (كذا) يا ذا الرجل ان كل راع مسؤول عن رعيته واني رايت في المكان الفلاني عشبا امثل من موضعك. ثم اثنى على عمر رضي الله عنه وذكر سيرته يقول الشاعر فيه :

---

١) في الاصل بجرجان

٢) في الاصل الجاني

٣) في الاصل الثنا

٤) كذا في الاصل ولعله فتشناي . من شنى الرجل تشنية : بال تقطيرًا (اقرب الموارد ١ : ٥٩٨)

٥) في الاصل الرمال

٦) كذا في الاصل ولعله يريد التيس

٧) في الاصل تتلم ، واغتلم غلب شهوة

٨) في الاصل المراة

غضبت لغضبتك القواطع والقنا لما غضبت لنصرة الاسلام
ناموا الى كنف لعدلك واسع وسهرت تحرس غفلة النوام

ولو تتبعت امثال هذا لاطلت . ولم ارّ اجمعّ لهذا العلم من كتاب محمد ابن جرير الطبري فرأيت ان اضيف اليه مجموعا عولت فيه على ما نقلته من تصانيف المؤرخين وتأليف المحققين كالصولي والتنوخي والخطيب ابي بكر احمد ابن ثابت المحدث وابي اسحاق الصابي واولاده وابن سنان وغير هؤلا.. واضفت الى ذلك ما حفظته من شعر الشعرا وحكايات العلما. تشهد بالحال. واختصرته بجهدي ولخصته بحسب طاقتي واقتصرت فيه على الامور المشهورة . والاحوال السايرة المأثورة . وختمته ببيعة سيدنا ومولانا الامام المستظهر بالله امير المومنين الذي قضى[١] حق الله في بريته وارتسم امره في رعيته . فمن نظر في فضايله داوى فكره العليل . وشحذ طبعه الكليل . وما من احد اوتي دخيرة تحصيل وبصيرة رأي اصيل يبدع في تدوين مناقبه . ولا يغرب في اثبات فضايله . ومن قصر في جمعها فله في انعام المتأمل لذلك مجال يحرسه عن الم التقريع[٢] وثقته بفصح الناظر تغني عن التبذل والمعاذير . فالرغبة الى الله تعالى[٣] في ان يمد (كذا) ظلال ايامه التي بها اعتدل المايل وارتدع الجاهل وامن السابل وقصر المتطاول ، وان يجعل له من سيدنا ومولانا عمدة الدين عضدا ينو[٤] بقوتها ويبدا يسطو[٥] ببسطتها وان يبلغه منه قاصية الايثار . وينيله منه غاية الاختيار . وتبديد اعدايه تحت الذلة والصغار . والخيبة والخسار . لا يعتصمون بعصمة الا اباح الله حوزتها ولا يتخذون بفرقة الا شتت الله كلمتها .

ومن نظر في عزمات سيدنا ومولانا الامام المستظهر بالله امير المومنين رضوان الله عليه وعلى ابايه[٦] الطاهرين وابنايه الاكرمين علم انها تاتي بما لم يقرع الاسماع من قبلها . ولاعثر في السير بمثلها . وتحقق انها ابعد مجدا. وان كانت اقرب عهدا . وارفع عمادا . وان كانت احدث ميلادا . فحفظ الله على الدنيا سياسته . وعلى اهلها حسن رافته . حتى تضع له الدنيا خدودها

١) في الاصل قضا
٢) في الاصل التعريع
٣) في الاصل تعلى
٤) في الاصل كذا
٥) في الاصل يسطوا
٦) في الاصل ابايه وابنايه

ضارعة. وتستجب[١] لامره سامعة طايعة. انه ولي ذلك والقادر عليه بمنه ولطفه.

ولما ختم ابن جرير تاريخه* سنة اثنين وثلاثماية (٩١٤) وهي السنة السابعة من خلافة المقتدر بالله رضي الله عنه. واشار الى الامير اشارة خفية. رايت ان ابتدي بخلافته ووقت بيعته وبالله التوفيق.

(خلافة المقتدر بالله)[٢]

مدة خلافة المقتدر بالله ابي الفضل جعفر ابن المعتضد بالله، اربعة وعشرون سنة وشهران وعشرة ايام ومولده لثمان (٧/٩) بقين من شهر رمضان سنة اثنين وثمانين ومايتين (٨٩٥) ولم يل الخلافة اصغر سنا منه[٣].

وليها وسنة ثلاث عشرة سنه وشهر واحد وعشرون يوما. بويع[٤] له لما مات المكتفي[٥] بالله، ابو احمد العباس بن الحسن، وكان قد مال الى تقرير الامر لعبدالله بن المعتز بمشورة ابي عبدالله محمد بن داود بن الجراح. فثنى رايه عن ذلك ابن الفرات. وقال ان ابن المعتز يخبُر نعَم اصحاب السلطان ويعرف اسرارهم وذخايرهم، وقد خالط الناس وفهم امورهم، فعينه ممتدة الى ما في ايديهم. وان كان جعفر بن المعتضد بالله صغيرا. فانت تدبره، فقرر ذلك في نفسه.

ولما مات المكتفي بالله[٦]، انفذ الوزير العباس بن الحسين، بصافي الحرمي الى دار ابن طاهر والمقتدر بالله بها فاحدره الى دار الخلافة. واجتازت[٧]

---

١) في الاصل ويستجب

* افاض الاستاذ علي جواد في درسه الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ١ و٢

٢) هذا العنوان ليس مذكورا في الاصل، انما اثرتناه تبيانا لابتداء الموضوع كما هو في الاصول المعروفة

٣) كتب هذا المقطع في الاصل بحروف اكبر تمييزا لها كعنوان

٤) كذا في الاصل، والصواب بايع، اذ المبايع له: ابو احمد العباس بن الحسن

٥) نسبه في الكامل ٧/١٠١ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ٢٥٠ وفي صلة عريب ١٤ وله ترجمة في المنتظم لابن الجوزي ٦/٦٧ وابن الطقطقي في الفخري ١٩١ وغيرها من الاصول الاسلامية وكلها معروف

٦) توفي المكتفي سنة ٢٩٥ هـ زبدة الحلب ١/٩٢ وابن الاثير ٦/١١٨. انظر تجارب الامم ٧: ٥/٥٧ والطبري ١٣/٢٠٤ وصلة الطبري لعريب ١٣.

٧) في الاصل واحتازت

الحراقة[١] على دار الوزير . فامر الوزير غلمانه فنادوا الملاحين بالدخول ليغير زيه . فظن صافي ان ذلك لتغير راي فيه . فجرد سيفه على الملاح وامره ان لا يعرج على مكان غير دار الخلافة[٢] .

وبويع حينئذ وصلى صلاة الاستخارة واطال الدعا . وكان العباس ابن الحسن قد عول على ان ينصب في الخلافة ابا عبدالله بن المعتمد على الله او ابا الخير بن المتوكل على الله فماتا مختلسين .

سنة ست وتسعين ومايتين

قد ذكرت ميل ابي عبدالله محمد بن داود بن الجراح صاحب الديوان (٢٩٦ هـ) الى ابن المعتز . فلما لم يجد عند الوزير ما يريده عدل الى الحسين بن حمدان فاشار عليه بالمعاضدة على فسخ[٣] امر المقتدر بالله وتمهيد حال ابن المعتز . وبادر الحسين[٤] ابن حمدان الى الوزير العباس بن الحسين وقد ركب من داره بدرب[٥] عمار عند الثريا الى بستانه المعروف ببستان الورد عند مقسم الما[٦] ، فاعترضه بالسيف فقتله وقتل معه فاتكا المتضدى ، وكان المقتدر بالله قد ركب لمشاهدة اجراء الخيل ، فسمع الضجة ، فبادر الى الدار . وكان الحسين قد قصد الفتك به ، واغلقت الابواب دونه ، فانصرف الى المخرم وجلس في دار سليمان بن وهب ، وعبر اليه ابن[٧] المعتز وكان نزل بدار على الصراة وحضر ارباب الدولة من الكتاب والقواد والقضاة[٨] فبايعوه ولقبوه[٩] المرتضي بالله .

واستخفى ابن الفرات . واستوزر ابن المعتز ابن الجراح . ومضى[١٠] ابن

---

١) الحراقة ، ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر ج حراقات اقرب الموارد ١ / ١٨٣ . وراجع ، زيات ، حبيب في معجم المراكب والسفن في الاسلام المشرق س٤٣ / ٣٢١ وما بعدها

٢) قال في الصلة ص ١٦ وكانت البيعة للمقتدر في القصر المعروف بالحسني

٣) في الاصل فسح

٤ - ٦) في الكامل ٦ / ١٩ وفي تحفة الامراء للصابي في اكثر من صفحة الحسن وقد تقدم هذا في الصفحة السابقة

٥) في الاصل بدرب

٦) في الاصل الما

٧) في الاصل بن

٨) في الاصل القضات

٩) في الاصل ولقبوه

١٠) في الاصل ومضا

حمدان الى دار الخلافة فقابله[1] الخدم والغلمان على سورها ودفعوه .

وكان مع المقتدر بالله غريب الخال[2] ، ومونس الخادم الذي لقبه بالمظفر . ومونس الخازن

ولما جن الليل[3] مضى[4] ابن حمدان باهله وماله واصعد الى الموصل . واصعد غريب الخال ومونس المظفر في الزبازب الى المخرم . فهرب الناس من عند ابن المعتز ، وخرج وحده واستجار بابن الجصاص .

واستتر علي[5] بن عيسى وابن الجراح عند بقلي ؟ فاخرجها العامة وسبوهما وسلموهما الى خادم اجتاز[6] بهما فحملها على بغل .

وقتل مونس المظفر جميع من بايع ابن المعتز غير علي بن عيسى وابن عبدون (؟) والقاضي محمد بن خلف بن وكيع .

وانفذ المقتدر بالله مونسا الخازن لطلب ابن الفرات وكان قد استتر عند جيرانه فكتموه امره فحلف لهم ان السلطان يريد ان يستوزره ، فاظهروه وحملوه الى الخليفة ، فولاه وزارته .

ونم خادم[7] لابن الجصاص بخبر ابن المعتز الى صافي الحرمي فكبس عليه واخذه واخذ ابن الجصاص معه ، فصودر على اموال جمة . وسال ابن الفرات فيه .

واستنقذ ابن الفرات علي[8] بن عيسى ومحمد بن وكيع القاضي وابن عبدون . ونفى[9] ابن عبدون الى الاهواز . ونفى[10] عليا بن عيسى الى واسط . فلما حصلا بالموضعين قرر سوسن مع المقتدر بالله احضار ابن عبدون وتوليته الوزارة .

فلما حصل بواسط بلغ ذلك ابن الفرات فاغرى[11] المقتدر سوسن حتى قتله ،

---

١) في الكامل ٦ / ١٢١ فقاتله

٢) في الكامل ٦ / ١٢١ غريب الخال ، بخاء معجمة . وهو الصواب

٣) في الاصل الليل

٤) في الاصل مضا

٥) في الاصل على

٦) في الاصل جهم

٧) سماه في الكامل ٦ / ١٢٢ سوسن

٨) في الاصل فكبس

٩) في الاصل على

١٠) في الاصل ونفا

١١) في الاصل فاغرا

وانفذ الى عبدون من صادره واعتقله ، وكتب علي بن عيسى الى ابن الفرات يسأله[1] ابعاده الى مكة ليزول[2] عنه التهم ففعل وسار اليها على طريق البصرة وظهر موت ابن المعتز[3] فسلم الى اهله ميتا[4] .

وكان ابن الجراح مستترا وعزم ابن الفرات على التوصل الى الصفح عنه . واتاه رجل برقعته ، فامره بالاستتار حتى يدبر طريق العفو عن جرمه العظيم ، واعلمه ان صافي الحرمي يعـاديه فلم يصبر ابن[5] الجراح ، فتتبعت امراة نصرانية كانت تحمل رقاعه ، فاخذ وحمل الى مونس فقتله .

واتى ابن الفرات رجل فاخبره انه يعرف مكانه ، فقال ان كان هـذا صحيحا فلك الف دينار ، والا عوقبت لكذبك الف سوط . فرضي وامر ابن الفرات حاجبا له ($\frac{١٠}{٨}$) بمراسلته ليمد عن المكان الذي هو فيه مستتر .

فلما علم انه قد تركه ، ومضى[6] الى غيره انفذ بالساعي به مع صاحب الشرطة ، فلم يجدوه . فامر ابن الفرات بضرب الساعي مايتي سوط واشهاره والندا على نفسه هذا جزاء من يسعى[7] بالباطل . ثم امر له بمايتي دينـار ونفاه الى البصرة سرا وقال لو لم افعل هذا به سعى بي الى الخليفة بانني توانيت في امره .

واما ابو عمر القاضي فسأل[8] فيه ابوه يوسف بن يعقوب القاضي ، فاحترم لكبر سنه ، وادى عنه مايه الف دينار على ان يلازم منزله .

وانفذ الخليفة ، بالقسم بن سيما[9] وابي الهيجاء[10] بن حمدان[11] لمحاربة اخيه

---

١) في الاصل يسئله

٢) كذا في الاصل والصواب تزول

٣) ترجم له في المنتظم ٦ / ٨٤ والصولي في الاوراق : اشعار اولاد الخلفاء ص ١٠٧ ولعبدالعزيز سيد الاهل كتاب فيه طبع في بيروت سنة ١٩٥١ والاسحاقي في اخبار الاول ٩٧

٤) خبر موته تنوع ، راجع بشأنه الكامل ٦ / ١٢٢ وصلة عريب ٢٠ وفي تجارب الامم ٦ / ٨ . وفي المنتظم ٦ / ٨٤

٥) في الاصل بن

٦) في الاصل ومضا

٧) في الاصل يسعا

٨) كذا في الاصل والصواب فسُئل

٩) في الاصل سيا

١٠) نسبه في الكامل ٦/١٣٥ ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان

١١) في الاصل احمدان

الحسين بن حمدان فهزمها ودبر ابن الفرات حتى كتب له امانا وولاه قم . انتهى .

وفي هذه السنة ، قلد يوسف ابن ابي الساج اعمال اذربيجان[١] وارمينية ، على ان يحمل بعد اعطاء الجند والنفقات مائة وعشرين الف دينار في السنة .

وقدم بارس غلام اسماعيل بن احمد صاحب خراسان في اربعة الاف تركيا مفارقا لصاحبه ، فقلد ديار[٢] ربيعة .

وكان للوزير العباس بن الحسين ابن كنيته ابو جعفر واسمه محمد فمضى[٣] بعد قتل ابيه الى بخارا ، واقام عند الملوك السامانية ، ومن شعره

نبن اصبحت منبوذا ... باطراف خراسان
وبجفوا نبت عن ... لذة التنميض اجفاني[٤]
ومحمولا على الصعبة ... من اعراض سلطان
(١١/٨) ومخصوصا بحرمان ... من الاعيان اعياني
ومكلوما باقطار ... ومكدوما باسنان
وملقى[٥] بين اخفاف ... واظلاف توطاني
ومـ دنى الى حق[٦] ... هو عني عطفه ثاني
سوى انى ارى في الفضل فردا ليس لي ثاني
كان المجد اذ اكشفه عني كان غطاني
سأسترفد صبري ... انه من خير اعواني
واستنجد عزمي ... انه والحزم سيان
وانضو الهم من قلبي ... وان انضيت جثماني
وانحو اتجاه ان ... قضاء الله نجاني
الى ارضي التي ارضى ... وترضيني وترضاني
فان سامني الله ... وبالصنع تولاني
واوطاني اوطاني ... واعطاني اعطاني
واخلى ذرعي الدهر ... وخلاني وخلاني
فاني لا اجد الود ... ما عاد الجديدان

---

١) في الاصل اذرسجان
٢) في الاصل دينار
٣) في الاصل فضا
٤) في الاصل اجنان
٥) في الاصل وملقا
٦) كذا في الاصل ولم اهتد الى صوابه

الى الغربة حتى نغرب الشمس مع[1] بشرفان
فان غدت لها يوما فسجاني فسجاني
وللموت الوحي الاحمر القاني القاني

وقال بعض الشعراء في العباس بن الحسين (١٢/٩) وقد ساء خلقه بعلو سنه

يا ابا احمد لا تحسن باباملك ظنا
فاحذر[2] الدهر فكم اهلك املاكا فانني[3]
كم راينا من وزير صار في الاجداث رهنا
اين من كنت تراهم درجوا قرنا فقرنا
فتجنب مركب الكبر وقل للناس حسنا
ربما امسى[4] بمنزل من باصباح يجنى[5]
وقبيح[6] بمطاع الامر الا يتانى[7]
اترك الناس واياملك فيهم نتنى[8]

قال جحظة[9] اضقت مرة اضاقة شديدة، فجلست مع ملاح، ومعي طنبوري، وانحدرت حتى دار الوزارة بالمخرم، والوزير اذ ذاك العباس بن الحسن، والسماء متغيمة والستاير منصوبة والماء زايد على نيف وعشرين ذراعا، فامرت الملاح، فشد السميرية[*] في الروشن وغنيته

علاني بجامة وبطاس قهوة من دخاير الشماس
سقياني فقد صرفت صروف الدهر عني بدولة العباس
ملك ينثر الشمس من الدر بالفاظه على القرطاس

فامر بي فاصعدت وامر لي بالفي دينار

١) كذا في الاصل
٢) في الصلة ١٩ واحذر
٣) في الاصل فافنا وفي الصلة ١٩ وافنا
٤) في الاصل اسا
٥) في الاصل يجنا
٦) في الاصل ومبيح
٧) في الاصل يتانا
٨) في الاصل نتسنا
٩) في الاصل جحظه
راجع في وصفها الزبات، حبيب في معجم المراكب والسفن في الاسلام، المشرق ٤٣/ ٣٢١

سنة سبع وتسعين ومايتين

($\frac{١٣}{٩}$) فيها انفذ سبكرى[١] مقلد فارس مع كاتبه الفضل عبد الرحمن ابن جعفر الشيرازي ، طاهرا ويعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار . وكان قد اسرهما ، ثم عزم سبكرى على الخلاف فانفذ اليه ابن الفرات مونسا مصالحه على عشرة الاف[٢] الف درهم ، فلم يرض بذلك ابن الفرات وانفذ اليه جيشا ومعه محمد بن جعفر العبرتاني ، فواقعوا سبكرى على باب شيراز فهزموه الى سجستان ، فاسره احمد بن اسماعيل واسر معه بعض بني عمرو بن الليث وانفذهما الى بغداد .

وتوفي العبرتاني[٣] بفارس ، فقلد مكانه عبدالله بن ابراهيم المسمعي .

وفيها غرقت فاطمة القهرمانة في طيارها تحت الجسر في يوم ريح عاصف فحضر صهرها بني[٤] بن نفيس جنازتها ، وجعلت السيدة مكانها ام موسى .

سنة ثمان وتسعين ومايتين

فيها اعتل صافي الحُرمي[٥] ، ووهب داره بقصر عيسى لغلامه قاسم ، وابراه من كل امر ، ومات فحمل الى ابن الفرات من ماله مائة وعشرون الف دينار وسبعماية منطقة ذهبا وفضة ، فحملها ابن الفرات الى المقتدر بالله فاقره مرتبة استاذه .

وولى غريب الخال ، ما كان يتقلده صافي من الثغور الشامية .

وفي هذه السنة ، مات المظفر بن حامد امير اليمن ، وحمل الى مكة ($\frac{١٤}{٦}$) فدفن بها . وكان ملاحظ قد انفذه الخليفة مددا فتولى مكانه .

وفي هذه السنة ، توفي[٦] احمد بن ابي عوف ، وشارعه في الجانب الغربي

---

١) في الاصل سبكرى والتصويب عن الاصول المعروفة .

٢) في الاصل ١٠الاف

٣) الكامل ٦/١٣٨ قال وفي سنة٢٩٨حصلت وفاة العبرتاني وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٥٦ جعفر الفرياني ، وفي تجارب الامم ٥/ ٢٠ العبرتاي

٤) في الاصل نبي والتصويب عن تجارب الامم ٥/ ٢٠

٥) في البداية والنهاية ١١/ ١١٥ الحربي . وله ترجمة في المنتظم ٦/ ١٠٨

٦) في الاصل توفى .

معروف ، وكان احد العدول ، وتوفي[١] وسنه نيف وثمانون سنة .

وقال اصابني هم لم اعرف سببه في بعض الايام ، فخرجت الى بستان لي على نهر عيسى ، فاجتاز بي ركابي ، ثم وقف في ظل[٢] شجرة ، فتقدمت له بما ياكله ، لانني رايته والجوع غالب عليه ، فاكل ثم نام . فاخذت الكيس الذي فيه كتبه ، فاذا فيه كتاب التجار من الرقة الى اصدقايهم ببغداد ومعارفهم ، يامرونهم بشرا،[٣] كل زيت بغداد ، ويخبرونهم انه معدوم عندهم. فبادرت وامرت وكلائي[٤] بابتياع ما يقدرون عليه من الزيت ، فابتيع الى اخر[٥] النهار بعشرة الاف[٦] دينار وكنت قد وعدت الركابي بدينارين ان اقام ليلته عندي ، ولم اعرفه السبب . ولم يبت ببغداد زيت لغيري . فلما اصبحت سرحت الركابي ، وانتشر الذين وصلت اليهم الكتب في طلب الزيت ، فلم يجدوه ، فاربحوني في كل درهم درهما . فعلمت انه انما كان خروجي الى بستاني لاحرز عشرة الاف دينار من غير مشقة .

وفي هذه السنة توفي محمد بن داود الاصبهاني الفقيه[٧] ، صاحب الكتاب المعروف بالزهره[٨] .

حكى الشيخ ابو اسحاق الشيرازي في كتاب الفقها. عن القاضي ابي الطيب الطبري عن ابي العباس (﷫) الخضري قال كنت جالسا عند ابن داود فاتته امراة فقالت ما تقول في رجل له زوجة لا هو ممسكها ، ولا

---

١) في الاصل توفى

٢) في الاصل ظل

٣) في الاصل بشرا

٤) في الاصل وكلاءي

٥) في الاصل ،اخر

٦) في الاصل ،الاف

٧) ورد في البداية والنهاية ١١/١١٠ وفاة محمد بن داود هذا في اخبار سنة ٢٩٧ ويقول المسعودي في مروج الذهب ٤/٢٢٥ ان وفاته كانت سنة ٢٩٦ وعريب في الصلة ٣٤ سنة ٢٩٧

٨) اقرأ عنه ، وعن كتابه هذا ، بابا مطولا من كتاب الحب العذري ، نشأته وتطوره لمؤلفه الاستاذ احمد عبد الستار الجوادي ص ٩٦ – ١٥٣ ، وتاريخ بغداد ٥/٢٥٦ – ٢٦٣ ، وله ترجمة في مروج الذهب للمسعودي ٤/٢٢٥ .

هو مطلقها . فقال ابو بكر قد اختلف اهل العلم في ذلك ، فقال قايلون يونس[١] بالصبر والاحتساب، ويبعث على الطلب والاكتساب . وقايلون يونس[١] بالانفاق ، والا يحمل على الطلاق . فلم تفهم المراة ، فاعادت مسئلتها ، فقال : يا هذه ، قد اجبتك الى مسئلتك ، وارشدتك الى طلبتك ، ولست بسلطان فامضي ، ولا زوج فارضي ، ولا قاض فاقضي . فذهبت المراة ولم تعرف قوله .

ولما مات ابوه ، قال الشيخ ابو اسحاق في كتاب الفقها . كان يحضر مجلس داود اربعماية صاحب طيلسان . احتضر فجلس محمد مكانه ، فاستصغره الناس ، فسالوه عن حد السكر ، فقال مبادرا حد السكر ان تعزب عنه الهموم ، وان يبوح من سره المكتوم ، فعلموا نجابته حينئذ[٢] .

وكان يهوى محمد بن جامع ، ولاجله صنف كتاب الزهرة . وكان محمد ابن جامع من احسن الناس ، واكثرهم مالا ، ولا يعرف معشوق كان ينفق الاموال على عاشق الا ابن جامع مع ابن داود .

قال الخطيب في تاريخه[٣] وخرج ابن جامع من الحمام ، فاخذ المرآة[٤] فنظر الى وجهه ، فغطاه وركب الى ابن داود ، فلما رآه[٥] مغطى الوجه ، قال له ما الخبر ، وخاف ان يكون قد دهته آفة[٦] فقال رايت وجهي في المرآة[٧] ، فغطيته واحببت ان لا يراه احد قبلك ، فغشي على محمد بن داود اه ٭

(١٦/١١) وحضر ابن داود وابن سريج[٨] مجلس ابي عمر القاضي فتكلما في مسئلة العود ، فقال ابن سريج عليك بكتاب الزهرة . فقال ابو[٩] داود ابكتاب الزهرة تعيرني وانا اقول فيه

---

١) في الاصل يونس

٢) وقال الذهبي في دول الاسلام ١/١٣٢ انه كان من اذكياء زمانه .

٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ٥ ٢٦٠

٤) في الاصل المرات

٥) في الاصل رواه

٦) في الاصل افة

٧) في الاصل المرات

٨) في الاصل سريح

٩) كذا في الاصل ولعله يريد ابن

اكرر في روض المحاسن وجهه[١]
وامنع نفسي ان تنال المحرما[٢]
وينطق سري عن مترجم خاطري
فلولا اختلاسي ردّه لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم
فما ان ارى حباً صحيحاً مسلما

فقال ابن سريج او علي مفخر بهذا القول وانا الذي اقول

ومساهر بالغنج من لحظاته[٣]
قد بت امنعه لذيذ سباته
ظنا[٤] لحسن حديثه وعتابه
واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ما الصبح لاح عموده
ولى بخاتم ربه وبراته

فقال ابن داود لابي عمر ايد الله القاضي ، قد اقر بالبيت وادعى البراءة ، مما توجبه . قال ابن سريج : من مذهبي ان المقر ، اذا اقر اقرارا وناطه بصفة، كان اقراره موكلا الى الصفة . فقال ابن داود للشافعي في هذه المسألة قولان، فقال ابن سريج فهذا القول الذي قلته اختياري الساعة .

سنة تسع وتسعين ومائتين

فيها قبض ابن الفرات[٥] ، وهتكت حرمه ، ونهبت دوره ودور اسبابه فكان صاحب الشرطة مونس الخازن المعروف بالفحل تحت يده تسعة الاف فارس وراجل ، واذا كثر النهب وعظم الخطب ($\frac{١٧}{١١}$) يركب فيسكن المنتهبون عند ركوبه ، ويعودون الى النهب عند نزوله . ودام ذلك ثلاثة ايام بلياليها .

١) في الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٦١/٥ مقلتي ولعله الاصوب
٢) في الخطيب تاريخ بغداد ٢٦١/٥ محرما
٣) في الاصل لحظاته .
٤) في الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٦١/٥ ضنا
٥) نسبه في المنتظم ١٠٩/٦ وصلة عريب ٢٦ هو علي بن محمد بن الفرات

وتقلد بعده ابو علي محمد بن عُبيد بن يحيى[١] ابن خاقان الوزارة . وكان ابو علي[٢] يتقلد ديوان الضياع بعد وفاة ابيه في وزارة الحسن بن مخلد .

وكانت ام موسى القهرمانية تعنى بابني ابي[٣] البغل. فولى ابا الحسن منهما اصبهان ، وولى الاخر الصلح والمبارك .

وكان ابن الفرات قد نفى[٤] ابا الهيثم العباس بن ثوابه الى الموصل[٥] لقرابته من ابن عبدون ، فاستدعاه ابن الخاقاني وقلده مصادرة بني الفرات ، فاسرف في المكروه بهم وغلب على الاحوال .

وكان في احوال الخاقاني تناقض ، وكان يتقرب الى العامة ، فانحدر يوما في زبزبه الى دار السلطان ، فراى[٦] جماعة من الملاحين يصلون على دجلة ، فصعد وصلى معهم .

وولى ابنه عَرض الكتب على الخليفة[٧] ، وكان مُدمنا للشرب ، ففسدت الامور بذلك . وكان اولاده وكتابه مرتفقون من العمال بما يولونهم به الولايات . ثم يصرفونهم اذا راوا بطئا . فاجتمع بحلوان ، في خان بها ، سبعة عمال اولاهم في عشرين يوما ، ماء الكوفة . وكان اذا ساله انسان حاجة قال نعم وكرامة ودق صدره . وكتب الى بعض العمال « الزم وفقك الله المنهاج ، واحذر عواقب الاعوجاج ، واحمل ما امكن من الدجاج » . فحمل ($\frac{١٨}{١٢}$) العامل دجاجا كثيرا ، وقال هذا دجاج وفره بركة[٨] السجع .

سنة ثلاثمائة

طالب القواد الخاقاني باستحقاقهم ، فقصر واعتذر . فعزم المقتدر بالله على رد ابن الفرات ، فاشار مونس ان يولي علي بن عيسى ، وذكر ديانته وثقته

١) في الاصل يحيا
٢) نسبه في الكامل ١٣٩/٦ : ابو علي محمد بن يحيى بن عبيد
٣) في الاصل ابى
٤) في الاصل نفا
٥) في الاصل تكررت الى الموصل
٦) في الاصل فرءا
٧) اسهب في تجارب الامم ٢٣/٥ في خبر هذه الوظيفة لابن الفرات هذا
٨) في الاصل بركه

وقال يقبح ان يعلم الناس ان الضرورة قادت الى ابن الفرات للطمع في ماله . فامر المقتدر الخاقاني ان يكاتب علي بن عيسى بالحضور ، واظهر له الايثار لاستنابته له ، فكان الخاقاني يقول قد استدعيت علي بن عيسى لينوب عن عبدالله ابني في الدواوين. ثم ركب الى دار السلطان فقبض عليه وعلى اسبابه.

سنة احدى وثلاثمائة

قدم فيها علي بن عيسى من مكة ، فقلده المقتدر وزارته وخلع عليه ، وسلم الخاقاني اليه ، فصادره واسبابه مصادرة قريبة ، وصان حرم الخاقاني .

واعتمد على علي بن عيسى ما اشتهر عنه من افاضة المعروف وعمارة الثغور والجوامع والمارستانات في سائر الاوقات ، ورد المظالم بها . وكتب في ذلك كتابا اوله بسم الله الرحمن الرحيم[1] ، سبيل ما يرفعه اليك كل واحد من المتظلمين[2] قبل النوروز من مظلمته ، ويدعي انه تلف بالآفة من غلته ، ان تعتمد في كشف حاله على اوثق ثقاتك ، واصدق كفاتك ، حتى يصح لك امره ، فتزيل الظلم عنه ، وترفعه ، وتضع الانصاف موضعه ، وتحتسب (١٩/١٢) من المظالم بما يوجب الوقوف عليه حسبه ، وتستوفي[3] الخراج بعده من غير محاباة[4] للاقوياء ، ولا حيف على الضعفاء . واعمل بما رسم لك ما يظهر ويذيع ويشتهر ويشيع ، ويكون العدل به على الرعية كاملا ، وللانصاف لجميعهم شاملا ان شاء الله .

وساس علي بن عيسى الدنيا السياسة المشهورة التي عمرت البلاد حتى قال له ابن الفرات لما ناظره قد اسقطت من مال امير المومنين خمسمائة الف دينار في السنة . فقال لم استكثر هذا المقدار في جنب ما حططته عن امير المومنين من الاوزار ، لانني حططت المكس بمكة ، والتكملة[5] بفارس ، وجباية الخمور بديار ربيعة ، ولكن[6] انظر الى نفقاتي[7] ونفقاتك ، وضياعي وضياعك ، فاسكته .

---

١) في الاصل الرحمن الرحيم

٢) في الاصل المظلومين ، ثم ضرب عليها وكتب المتظلمين كما هي

٣) في الاصل وتستوفى

٤) في الاصل محابات

٥) كذا في الاصل وفي تجارب ٥/٢٨ قال : وكتب باسقاط التكملة بفارس

٦) في الاصل ولاكن

٧) في الاصل نفقاتي

وزادت في ايامه العماره وتضاعفت الزراعة، حين كتب اليه عامله ان قوما[1] ببادوريا لا يودون الخراج، فان امرت عاقبناهم. فكتب اليـه ان الخراج دين، ولا يجب فيمن امتنع من ادا.[2] الدين غير الملازمة، فلا يتعد[3] ذاك الى غيره والسلام.

ومما استحسن من افعال الخاقاني بعد عزله، ان قوما زوروا عليه باطلاقات ومسامحات، فانفذ بها علي بن عيسى يسأله عنها ليمضي منهـا ما اعترف به، فصادفه الرسول يصلي. فلما راى[4] ابنه يتامل التوقيعات، قطع صلاته وقال هذه توقيعاتي، صحيحة، والوزير يرى رايه فيمضي ما آثر[5] منها ويعرض علي ما احب منهـا. والتفت الى ابنه حين خرج (٣٠/١٣) الرسول فقال اردت ان تتبغض الى الناس فنكون السبب في رد ما تضمنتـه ويتنزه علي ابن عيسى[6] من ذلك، فلمَ لا تتحبب بالاعتراف بها، فان امضاها حمدنا وان ردها عذرنا[7].

وتقيد القواد علي بن عيسى باسقاطه[8] الزيادات التي زادهـا ابن الفرات ووقعوا فيه وثلبوه.

وفي هذه السنة، خلعَ على الامير ابي العباس بن المقتدر، وهو الذي ولي الخلافة ولقب بالراضي، واستخلف له مونس.

وفيها انفذ علي بن احمد الراسبي[9]، الحسين بن منصور الحلاج. وقد قبض عليه بالسوس، فشهر على جمل ببغداد، وصلب وهو حي. وظهر عنه بانه ادعى[10] انه الله.

---

١) وصفهم الصابي في تحفة الامرا ٣٦٦٠١
٢) في الاصل ادا
٣) في الاصل يتمدا ولعل الصواب كما هو في تحفة الامرا ٣٦٦ تتعد
٤) في الاصل ر١٠
٥) في الاصل ١٠اثر
٦) في الاصل عسى
٧) راجع بهذا الشأن الكامل ١٤١/٦ وتجارب الامم ٣١/٥
٨) في الاصل باسقاصه
٩) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٥٣/٥ الرأسبي
١٠) في الاصل ادعا

ومات الرابسي، بعد قليل، فاخذ السلطان من ماله الف الف دينار.

وفيها ورد الخبر بان اسماعيل بن احمد صاحب خراسان قتله غلمانه على شاطئ نهر بلخ، وقام ابنه ابو الحسن نصر[1] مقامه. وانفذ اليه الخليفة عهده.

وفيها ورد الخبر بان خادما صقلابيا لابي سعيد الجنابي[2] قتله وخرج فلم يزل يستدعي قايدا قايدا ويقتله حتى قتل جماعة[3]، ففطن به النساء. فصحن بالامر، فقام ابو طاهر سليمان بن الحسن مقام ابيه.

واتى القرامطه في هذه السنة البصرة[4] في ثلاثين فارسا والناس في صلاة الجمعة، فقتلوا الموكلين بالباب ومن خرج اليهم من المطوعة. وبلغ الخبر امير البصرة محمد بن اسحاق بن يندا جيق[5] فغلق الابواب[6]

٣٠٢ سنة اثنين وثلاثمائة

ورد فيها كتاب ابي الحسن نصر بن احمد صاحب خراسان بانه واقع عمه اسحاق واسره ه.

وفي هذه السنة، خرج مونس الى مصر، وضم اليه علي بن عيسى اخاه عبد الرحمان، وقلده كتابته، وذلك عند سماعهم قرب الخارج بالقيروان، وواقعه مونس، فانهزم من بين يديه.

وهذا الخارج، ذكر الصولي عن اصحاب النسب انه عبيدالله بن عبدالله بن سالم من اهل عسكر مكرم، وجده سالم، قتله المهدي، رضوان الله عليه على الزندقة.

وانفذ ابا عبد الله الصوفي الى المغرب، فارى الناس زهدا وعبادة، وطرد زيادة الله بن عبد الله ابن الاغلب، واتاه عبيد الله، فقال الى هذا ادعوكم.

---

١) في الكامل ٦/١٤٠ ابو الحسن نصر بن احمد

٢) كذا في الاصل عبالي والتصويب عن المنتظم ٦/١٢٤ وتجارب الامم ٥/٣٣ والذهبي في دول الاسلام ١/١٣٤

٣) قال الذهبي في دول الاسلام ١/١٣٤ وفيها (اي سنة ٣٠١) قتل ابو سعيد الجنابي راس القرامطة. قتله مملوك له صقلابي راوده في الحمام، ثم خرج فاستدعى قائدا من اصحاب الجنابي فقال السيد طلبك فلما دخل قتله، وخرج فطلب آخر فقتله، حتى قتل اربعة فضج النساء واخذ المملوك فقتل اه. وفي المنتظم ٦/١٢١ ما يشبه هذه القصة

٤) في تجارب الامم ٥/٣٣ باب البصرة

٥) كذا في الاصل وفي الكامل ٦/١٤٠ وتجارب الامم ٥/٣٣ كنداجيق

٦) ورد هذا الخبر في الكامل في جملة اخبار سنة ٢٩٩ ه.

فلما اظهر عبيدالله شرب الخمر تبرا الصوفي منه، فدس عليه عبيدالله من قتله، وملك بلاد المغرب، فهزمه مونس، وتصدق المقتدر بالله عند هزيمته باموال كثيرة.

وفي هذه السنة، صودر ابن الجصاص، قال الصولي وجد له بداره بسوق يحيى[١] خمساية سفط من متاع مصر، ووجد فيها جرار خضر وقماقم مدفونة فيها دنانير، واخذ منه الف الف دينار[٢].

قال الصولي وحضرت مجلسا جرى فيه بين ابن الجصاص وابراهيم بن احمد المادراني خلف، فقال ابراهيم. ماية الف دينار من مالي صدقة لقد ابطلت في الذي حكيته عني، فقال ابن الجصاص تفيز دنانير من مالي صدقة (٣٢/١٤) انني صادق وانك مبطل، فقال ابن المادراني. من جهلك انك لا تعلم ان مايه الف اكثر من قفيز، فانصرفت الى ابي بكر بن ابي حامد فاخبرته، فقال: نعتبر هذا. فاحضر كليجة[٤]، فملاها دنانير، ثم وزنها، فكانت اربعة الاف، فنظرنا فاذا القفيز ستة وتسعون الف دينار كما قال المادراني.

وكان ابن الجصاص قد انفذ له من مصر ماية عدل خيشا، في كل عدل الف دينار، فاخذت ايام نكبته وتركت بحالها، ولما اطلق سال فيها فردت عليه فاخذ المال منها، وكان اذا ضاق صدره اخرج جوهرا يساوي خمسين الف دينار وتركه في صينية ذهب ويلعب به، فلما قبض عليه، وكبست داره، كان الجوهر في حجره، فرمى[٥] به الى البستان، فوقع بين شجره، فلما اطلق فتش عليه في البستان وقد جف نبته وشجره وهو بحاله.

وفي هذه السنة، ختن اولاد الخليفة[٦]، ونثر عليهم خمسة الاف دينار، ومايه الف درهم. وبلغت نفقة الطهر[٧] ستماية الف دينار. وادخلوا الى المكتب، وكان موديهم ابو اسحاق ابرهيم بن السري الزجاج. (له صلة)

---

١) في الاصل يحيا

٢) في الكامل ١٤٨/٦ وتجارب الامم ٣٥/٥ وصلة عريب ٣٣ وصف لهذه الثروة

٣) في صلة عريب ٣٤ وفي بعض المصادر الاخرى الماذراني

٤) قال الجوهري في الصحاح ١٦١/١ الكيلجة، مكيال والجمع كيالج وكيالجة

٥) في الاصل فرما

٦) البداية والنهاية ١٢٢/١١ والمنتظم ١٢٧/٦ قال: وفيها ختن المقتدر خمسة من اولاده فنرم على ختانهم ستمائة الف دينار

٧) في الاصل الظهر

كتاب الخلوة والتنقّل في العبادة ودرجات العابدين

تأليف الامام العارف ابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي (تابع)
رحمه الله

نشره لاول مرّة عن نسخة يتيمة
الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

باب معرفة الاصل الذي يتفرع منه جماع الخير

سال سايل عن باب معرفة الاصل الذي يتفرع منه جماع الخير قال أخبرني عن الاشيا التي يتفرع من معرفتها جماع الخير (٥٦) وتجري بها المنافع ويتصلح بها الاعمال من بعد اليقين بالله تعالى فقال اعلم ان اصول الاشيا التي منها يتفرع جماع الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليها الاعمال من بعد اليقين، معرفة النعم والعمل باداء الشكر وان يصح عندك ان جماع الخير مواهب من الله تعالى وهو تاسيس العفو وهو من طريق الرضا وان جميع الشر من المعاصي عقوبة وهو من طريق الخذلان وهو علامة السخط، فاذا عرفت ذلك كثرت حسناتك وقلت سياتك ان شاء الله لانك اذا عرفت ان الاحسان نعمة ومواهب منه بادرت في الشكر واستقللت اكثر شكرك عند اصغر نعمه عندك فجريت في ميدان الزياده من الخير وطمعت في العفو والرضا واذا عرفت ان الاساة منك خذلان منه اياك وانه من طريق السخط فزعت الى التضرع والاستكانة فبادرت بالتوبة واستحييت مما تعرف من كثير احسانه ان تتضرع له بقلبك استكانة مرادك الاحسان جبرًا ثم التمست لطيف الشكر على انتقالك عن الاساة ثم الشكر على تحويلك الى الاحسان (٥٦) فاذا انت في جميع احوالك زايد شاكر لم تعجزك معرفة الاحسان من اين فشكرت ولا معرفة الاساة من اين فاستغفرت فهذا اصل يتفرع منه فنون الخير وتعلق به جماع ابواب الشر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

باب الاستدراج

وساله فقال متى يكون العبد كثير الاساة غير راجع عنها وهو لا يعلم .

قال اذا كان عمياً عن عيوب نفسه كان كما وصفت وهو لا يعلم قال ومتى يكون مصراً عليها وهو يعلم قال اذا عرف عيوب نفسه فعرفها فلم وهو لا ينزع عنها ، كان مصراً علي الذنوب وهو يعلم ، فمتى يكون مفتوناً تايباً وهو يعلم ، قال حين عرف عيوب نفسه فعرفها فلم يرض بها ونازعته نفسه اليها فجاهدها فغلبها وغلبته كان كذلك وهو يعلم قلت فمتى يكون محسناً وهو لا يعلم قال فانه اذا اشتد خوفه مما قدم من الإساءة ظن ان لا يقبل منه معيبا احسان ويخاف على احسانه ان يكون اساءة فانه يكون حينئذ محسناً تايباً وهو لا يعلم لغلبة الخوف عليه قلت فمتى يكون تايباً (٦٢) وهو يعلم ، قال فانه اذا كان لا يعرف عيوب نفسه فعرفها فانتقل عنها كان تايباً وهو يعلم ، قلت فمتى يكون مستدرجاً وهو لا يعلم ، قال اذا عرف عيوب نفسه فعرفها ولم ينتقل عنها فزيد في بصيرته وفي الحجة الظاهرة واعجب بعلمه وقوي على عبادته فهو مستدرج وهو لا يعلم قلت فمتى يكون مستدرجاً وهو يعلم قال هذا محال لان المستدرج ما لم يتبين له ما هو فيه لا يعلم من اين استدرج ، فاذا عرف وعلم فقد اريد به خير لانه استبان عيباً كان عنده حسناً فلما عرف وعرف فراجع وخضع وتضرع فقبل واستنقذ من طريق الاستدراج وهو العابد المضيع الشكر . والاستدراج اسم لمعنيين فمعنى استدراج عقوبة يرجي منه الانابة واستدراج سخط لا انابة فيه ولا رجوع عنه واستدراج كل عبد علي مقدار بغيته فمنهم من يستدرج في الدنو من الملك والحظوة عنده ، ومنهم التاجر يستدرج في التوسع في تجارته ، ومنهم العامة تستدرج في الاهل والولد والناشئة والتبع في الدنيا ويوطا عقبه ومنهم (٦٣) من يستدرج بعلمه اذا طالب ان يكرم عليه ويعظم ويسمع قوله وذلك حظه من علمه وفيه استدراجه ، والعابد يستدرج بالزيادة في بصيرته وجميع من ذكرنا من المستدرجين لا يخلون من العجب والريا كل مزين له ما هو فيه لا يرى الا انه مقبول منه احسانه وقد عمي عن فتنة الاستدراج ومنهم من ينبه فينتبه فيراجع الانابة ويتفرغ للاستكانة ومنهم من يعمل علي ذلك الي حضور الاجل يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه فهذه فتنة الاستدراج وقال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات

بل لا يشعرون وهذه فتنة الاستدراج قال وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً فهذه فتنة من الاستدراج، والمستدرج مفتون لا يشعر بفتنته مزين له ذلك، مستحسن ما فيه هو طالب للزيادة منه وهو لا يعلم فاحذروا فتنة الاستدراج اعاذنا الله واياكم منها فان للاستدراج عقوبة للمضيعين شكر النعم .
وسألت متى (٦٢) يكون الرجل غير موقن وهو لا يعلم، قال اذا كان فيه اعمال ظاهرها اعمال الموقنين وباطنها اعمال اهل الشك فهو يعمل في الظاهر باعمال الموقنين وباطنه مشتمل على تكذيب ظاهره وهو لا يعلم انه كذلك فهو حينئذ غير موقن ولا يشك انه موقن وذلك لان اعمال باطنه اولى من اعمال ظاهره، ويحقق ذلك قول الحسن ان لك سريرة وعلانية فسريرتك اولى بك من علانيتك، وسألت متى يكون الرجل غير موقن وهو يعلم، قال اذا عرف فنون اليقين واشكاله واعمال اهل الشك واشكاله فراى ان باطنه مشتمل على اعمال اهل الشك الزم نفسه انها غير موقنه ولم يلتفت الى ظاهر اعمالها، يحقق ذلك قول الحسن لقد وارت الارض اقواما لو رأوكم قالوا ما يؤمن هاؤلاء بيوم الحساب، وسألت متى يأتيه اليقين وهو لا يعلم، قال اذا عرف اضداد اليقين فتبرأ منها وعزف باطن اعمال الموقنين فسكن اليها وهو مستوحش من جميع اعماله لما دخله من رعب اعمال اهل التكذيب، فهو مشغول بما قد راعه من (٦٢) اقامته على اعمال اضداد اليقين ولا يبعد هذا من ان يثبت فيه اليقين وهو لا يعلم، قلت فمتى يكون موقنا وهو يعلم، قال اذا عرف باطن اعمال اضداد اليقين وظاهرها فجانبها سرا وجهرا فبلغ معرفته كان موقنا وهو يعلم، فاذا فتن او زل او حاد عن الطريق راجع من قريب فعاود طريق اليقين بالتوبة والندم قلت فما بال الموقنين يدينون قال ليعرفهم الله تفضله عليهم واحسانه اليهم عند اسائتهم الى انفسهم، فتجدد عندهم النعم ويستقلوا ويستقبلوا بالشكر فيرقوا بذلك الى اعلى درجاتهم . واعلم ان للموقن علامة واضحة يعرفها وذلك ان الموقن تعظم عنده الذنوب والخطا والزلل وان كانت مغفورة له لغفلته عنها وهجوم ابليس عليه فيها وطمع النفس فيما هو اعظم منها، واصغر ذنوب العبد عند الموقن كبيره يظن ان الله عز وجل ماقت عليها وساخط عليه فيها وانه مسلوب بها ما انعم الله عليه من نعمه لعظم خطر صغير العهد عنده فاذا كان

العبد كذلك كان موقنا وهو يعلم .. قلت فمتى يكون الرجل معجبا (٨٢) وهو يعلم قال هذه مسالة تلحق بجميع المستدرجين مما وصفنا، فالملوك يعجبون بملكهم والتبع يعجبون بحظوتهم ودنوهم من ملكهم والتجار يعجبون بما بسط لهم من الدنيا والعامة يعجبون بما اوتوا من الاموال والاولاد والعلما يعجبون بما بسط لهم واعطوا من علمهم والقرا يعجبون بما نالوا من نسكهم وسمتهم والعباد يعجبون بما قووا عليه من عبادتهم فليس من هذه الاصناف صنف الا ومنه العجب عند تضييع الشكر وليس منهم صنف الا والريا فيه ثابت وليس منهم صنف الا وهو يحب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه ويخرج ذلك كله من التحير فهذا فنونه فاذا ثبت التحير في القلب ثبتت فتونه جميعا فالتحير اصل يتفرع منه جماع الشر من الغضب والطمع والعجب وحب التعظيم والرياسة ومنه السفه والنزق والطيش والعجلة والحرص والشره والمكر والخديعة والجريرة والغش والخلابة والتكبر والكذب والغيبة والقسوة والغلظة والشح والجفا وقلة الحيا مع جميع فنون الشر فاذا ثبت التواضع (٩٢) في القلب ثبت معه جماع الخير من الرقة والرافة والرحمة والاستكانة والتورع والرضا والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء واتقاء الطمع واحتمال النفس وسلامة الصدر وبذل المعروف والتشاغل بالنفس والمبادرة بالخير والانتقال عن الشر، كل امرى على قدر ما فيه من التركيب يكون فعله على قدر ذلك وجزاؤه على قدر ذلك وان كنت تسأل عن العجب الذي يلحق باصحاب الاعمال من العباد فسأخبرك بعظم فتنتهم وبليتهم فتوقها واحذرها واستعن بالله تعالى فانه ليس شي اعجب الى عدو الله تعالى من فتنة العابد لان فتن اهل الدنيا مكشوفة بطلبهم الدنيا فالناس قد عرفوها منهم فمنهم من يحتملها وهو يعلم انه مفتون بها، فاما فتنة العابد فاعظمها فتنة واشدها صرعة لانه قد ترك عمارة الدنيا وجد في طلب الاخرة وكابد المفاوز والعقاب وجاهد نفسه على ترك الدنيا بمعرفة واقبل على طلب الاخرة ايثارا لها بالتصديق وحسن الاراده غير ان الله تعالى يمتحن هذا الخلق في كل احوالهم في تمسكهم بالدنيا وفي (٩٣) تركهم لها وفي طلبهم الاخرة وجعل في كل نوع من ذلك مؤونة من الصبر ووعد ابليس وعدا فهو منجزه له الي يوم القيامة بان اسكنه وذريته صدور بني آدم يجرون منهم مجرى الدم فذلك المطيع والعاصي وانبيائه واوليايه

وذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ما من احد الا وله شيطان قال ولا اياك قال ولا اياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم فليس للعابد في عبادته ان ينفي الشيطان عن قلبه وان يزعجه عن المسكن الذي مُكن فيه غير انه اذا كان متيقظ القلب يئس فخاس فليس له سبيل الا مع الغفلة من العباد وطبع الخلق جميعاً على الغفلة والتيقظ وأيد العبد بالمعونة لمكايدته فليس احد احوج الى صحة التركيب من هذا العبد الذي قصد قصد خلافه وقوي على ترك الاسباب التي يصل بها ولد ادم من فنون الشهوات فحذف ذلك اجمع وخلفها خلفه ثم قرب من العقبة التي ان نجا منها وصل الى الجنة باذن الله فتجرد له ابليس وعلم انه لم (١٥٢) يبق له الا هذه الدرجة ان سلم منها نجا وعلم انه ان اضله فيها اضل خلقاً كثيراً فلا يسلم منه الا باذن الله ان شا الله ولا اعظمه او يستعذه الله تعالى رحمته سعي للعبد ان يُتيح له ويجمع له قلبه وذهنه ويعدد عليه بما يأتي وما يكثر من عبادته وينفذ معرفته بمكايدة عدوه مثله ويدين نفسه من عملها لطلب الثواب ويلزمها ايضا لو انها تقطعت في عبادتها انها لم تبلغ درجة العفو العظيم بما جنت نفسه من الاساءة ولو ان تلك العبادة والاحسان كانت لذنب واحد من جميع ذنوبه لاستاهل ذلك ولو انه يتعرض المعفو عنه بمثل جميع احسانه مثل لو يقطع عمر الدنيا عبادةً فورد يوم القيامة الموقف وكان جميع عباده اهل ذلك الموقف في ميزانه ثم ذهب من ذلك ذنب من جميع ذنوبه وشغفوا فيه كان قد اعطى واعطو عظيماً فالى الله نشكوا غفلتنا وقلة معرفتنا بما نحن اليه صايرون ولا قوة الا بالله فكيف يجمع اساته وعظيم ذنوبه مع قلة ما يستقبل اضماراً لتوبه والمراجعة ثم يحصل نفسه ما استطاع فان عارض ابليس او رفعت نفسه راسها لتذكر احسانها (١٥٣) بما قد عرفه الله تعالى من قديم اسايتها وحديث عيوبها فانقمعت وزجر عدوه عندما اراد من خديعته ليوقعه في العجب والباطل فلو كان عجب من حقيقة من احمال نفسه طاعة الله باطراحها لها وبقيت كان اولي الاشيا به مع صدق النفس في الطاعة والرجوع الي الشكر فكيف انه اذ عرض له بعجب باطل ليس فيه مونة ولا احتمال فالان حين اعرفك باطل بما قد عوضت به وازجرك بعون الله صاغراً أرددك على عقبيك ناكصاً محسوراً والزمها الذنب والريبه قديماً وحديثاً وارجع الى الذي

امكنني من اسرك وعرفني عداوتك وحوائي على خلاف نفسي وعرفني محبوبها بالشكر له معترفاً له بالنعم مقراً له بالتقصير مستجيراً به راغباً اليه في العصمة منك عايذاً من شرك وشر حزبك وخيلك ورجلك ومن شر اتباعك فاذا رقي العبد الى هذه الدرجة واعطى هذه المعرفة فلا تكون له همة ولا بغية ولا مالة ولا اراده الا النقلة عن ضيق الدنيا وغمها مخافة ان تعارضه فتنة من فتنها تحول بينه وبين معرفته الى راحة الاخرة وروحها ليامن فيها من نزعات ابليس وخلاف (١١٤) نفسه. قال بعضهم اخاف ان يهجم علي ما يحول بيني وبين الاسلام وهو من الصفوة التي اختارها الله تعالى لصحبة نبيه في زمان لم تهج فيه الفتن ولم تختلف فيه القلوب خاف مع سابقته وجهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهجم عليه اقل مما انت فيه فيحول بينه وبين ما كان يعرفه من حلاوة الاسلام فكيف بك بلا سابقة يمنها الا في الشر ولا حلاوة عرفتها قديماً من الاسلام الا حلاوة المعاصي وانت نازل في دولة الفتنة وتمنيك الكثرة تحب البقاء طمعاً في الزيادة فهذه خدعة من النفس بحبها للبقاء التي بعثت لك الذنوب وتريدك ثقلاً على ثقلك فهي تطمعك في البقاء للزيادة وهي تعدك منك النقص فيه ولم تنعم انت علينا حباً للبقاء فخدعتك فيه وانت لا تعلم احوالك. واما ابليس فهو يخوفك مع تعجيلك حب الخروج من الدنيا ويطمعك في البقاء فتخويفه اياك دفع عن خير تناله بقلبك وطاعة تستوجبها الى قابلك من غير ان يمنعك ذلك من خير تدفعه او شر تدفع عنه الى بلوغ اجلك وليس حبك للموت بالذي ينقص من عمرك يوماً واحداً ولا ساعة (١١٥) واحدة حتى تستوفي اقصى مدتك منها وتبلغ اقصى عمرك منها غير انه خوفك شراً هو خير فصدقته وطمعت وكانت عقوبة مثلك ان يحال بينك وبين ذلك الخير الذي به تجتلب فنون الخير فلم تنله ولم تصل اليه وانت تعرف ان ذلك يكون لك لا يستطيع بلوغه حتى يتوب مما صدقته في كذبه ما خوفك من الشر الذي هو خير تهجم عليه ان احببت الموت الا ان تستبدل به بحسن الظن بالله تعالى ولو ورد عليك الموت الساعة رضيت وتنصرف عن طمعه اياك الزيادة في البقاء الا ان تحب مفارقته الساعة معرفة منك انه لا يسلم لك صحة نوع من الخير تطمع بان لا يعارضك فيه نفاد فهل سمعت او رايت بعدو يحب ان يلازم عدوه وهو

جاهد في عطبه وهو متيقن انه عدو ويكره مع ذلك مفارقته او هل سمعت او هل رأيت من يدعي انه مسجون يكره ان يراح ويخرج عنه من سجنه لعمري انه من احب مفارقة صاحب يكره فراقه انه لنعم الصاحب وان دعواه له عدو لباطل ولعمري انه احب المقام في سجن وهو يكره الخروج منه (١٢) انه لفي غبطة وسرور وان دعواه انه في سجن لباطل ولكن العقول تتفاضل وتتباين والتقصير في شكر نعم العقول ظاهر، فاذا كان المطيع غير عالم بما يكره من الطاعة في عبادته ولا عارف بمكايدة عدوه فيستصغر المخلوقين وتكون نفسه عنده انه لا عدل لها في الانفس زكاةً وطيباً ولعلها اخبث الانفس وانتنها رائحةً واسقطها من عين باريها ، فكل ما موات له نفسه من عمل فاحتملت لصاحبها مع مساعدته اياها وشدة رضاه عنها مع نحول الجسم وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة ما فتن به التولي واستمالت به المموهين من العقلاء والطالبين درج الطاعات، فامتد لها الذكر فامتنعت فاحتجبت وتعظمت وتكبرت فلم يوصل اليها الا في الحين ولم تبذل نفسها الا للخواص، فاذا وصلت الى هذه المرتبة وخليته الدنيا بصنوف زهرتها لاهلها وطرقت عظم العبادة استدراجاً وفتنة، استصغرت اعمال من كان قبلها من الصالحين وطافت عليهم من جهة التقصير وهي عند نفسها ازهد واقوى على ما هي فيه من كثير منهم ، فاتى منه وهو لا يشعر وصرعه (١٢) عدوه من حيث لا يعلم فيا ويحها من نفس ما اشأما واعطلها لمن لا يعرفها انه يخيل الي انه لا يسلم منها من يعرفها فكيف من لا يعرفها وصاحب هذه الصفة التي وصفنا انه اتى من قلة معرفته بما فحاد عن طريق الشكر فليس العجب ممن لم يؤت معرفتها كيف يُركب ولكن العجب ممن لم يؤت معرفتها كيف يسلم .

باب الصمت ومخالفة الهوى وغير ذلك

قال بعض الحكماء . اني اعدُّ كلامي فيما لا بُدَّ لي منه مُصيبةً واقعةً استعين بالله على السلامة منها واني لاعد صمتي عما لا يعنيني غنماً وحادث نعمه التمس الشكر عليها اذ علمت ان من وراء كل كلمة رقيباً عتيداً فأنزل ما اضطررت اليه من القول مصيبةً نازلةً وان ما كفيت من الكلام غنيمة

باردة . واعلم انك في زمان غلبة الهوى فيه على الاحمر والاسود على الجاهل والعالم بامور الدنيا والآخرة فلتعرفن نفسك منك انك لا تثبت لها عملا يساعديك على احتمال المونة فيه الا وهواها فيه سابق واعرفها انها ما احتملت لك من علم بعمل في طاعة او بصيرة بعيوب عمل في طاعة ان ذلك احتمال (13:) فساد ومها تقدمت فيه من طريق هداها ان ذلك مردود عليها فاذا عرفت ذلك منك بيست من ان تثبت لها خيرا ومها احتملته لك فالزمها اياه وسل الله العون عليها في اصلاح فساد اعمالها وليصح عندك انها لا تساعدك على طلب معرفة عيوبها الا وقد احتضنت من وراء ذلك داء هو اضر عليك من عيوب عملها فاذا عملت عملا احتملت مونة فارجع الى الله تعالى بالشكر لتسخيرها لاحتمال ما كنت تستثقل منها واستغفر الله لها من سقم نيتها في ذلك العمل وان ظهر لك منها بكاء من خوف تدعيه فاتبع بكأها بكاء بمعرفة منك بقلة صدقها في بكايا فان ظهر تلك منها حزن عند ذكر الآخرة فاتبع حزنها حزنا معرفة منك بعظيم كذبها في حزنها ولكن ذلك بكا توجع القلب لعظيم مصيبتك في كذبها مصيبة نازلة بك في احوالها فانك عسيت ان صح لك من عملك شي او قبل منك شي ان يقبل منك استغفارك لها من سقم نيتها في عملها وبكاء معرفتك بعلة صدقها في بكايا وحزن معرفتك بعظيم كذبها في حزنها فاعلم اني انا طمعت لك في قبول (13:) ذلك لانك عرفت الحق على نفسك لله تعالى فاقررت له على نفسك بالحق فكان لك في الحق حظ ونصيب وقد قيل افضلهم يومئذ من عرف الحق في ذلك الزمان فاقر به، وقيل عارف الحق كفاعله وقد يأتي على الناس زمان المقر فيهم يومئذ بالحق ناج، وانك لما تبينت اعمالها وبكايا وحزنها ومعرفتها في مواطن الصبر على ما تصبر عليه الوالدان يظل ذلك كله فيعود جهلا وعامة الذي ظهر منها من يحتملها وبكاتها وحزنها كان منها على غير اصل من الصدق اذ كانت اللحظة والكلمة والشي اليسير يهدر ما اظهرت وتلحقه فشكرت الله على معرفتك بالحق واقرارك به على نفسك لله وسالته العون عليها وعلى عدوك لحسن موازرته اياك فانه شاكر، وهب لك المعرفة ثم قبل منك اقرارك بما عرفك من الحق شكرا يثيبك عليه في العاجل نورا لحكمة في قلبك وجزيل الثواب في الأخرى انه شكور

حليم وبالحري ايضاً ان ينفي عن قلبك العجب بثبات خوف البلوى في نعمك كما ابتلي صاحب العمامة وكما ابتلي صديق بني اسرائيل والذي قال لا (١٤١) يغفر الله لك وهو ايضاً من طريق الاستدراج فيما اظن لاهل الدين ولعله يبتلي بالهوان فتجد ذلك في نفسك وتري انه صنع بك ما لم تكن اهله ولعلك تبلي الاخبار بالكرامة من الناس فتقبله قلبك وتري في نفسك انه صنع بك ما كنت لذلك اهلاً ولان تكون نفسك عندك بانها في مثل حالها العذاب اولي بها . ثم يقول وان شا غفر لي فانه وليسع بالمغفرة اولي بها . ثم يقول وان ساعدتني بعض ذنوبي فنسأل الله الهنا ومولانا ان يهدينا واياكم بالمعرفة الى تمعزتنها والعزم على خلافها . والعصمة من عدوها والتوبة من ذنوبها وان يدخلنا واياكم في سعة عفوه وطاعته ولا يكلنا واياكم اليها ولا الى احد سواه وان يستنقذنا واياكم من عاجل فتن الدنيا وآجل جميع اهوال الاخرة حتى يوصلنا واياكم بمنه وفضله الى رحمته انه فعال لما يريد وهو القريب المجيب .

باب علامة المرائي

قلت فمتى يكون مرائياً وهو لا يعلم؟ قال ان العبد لم يزل منذ هو ناش الى ان بلغ اشده طالباً للدنيا والاثرة لها في اعمال (١٤٢) الريا المحض ملوكها وسوقها عقلاوها وجهالها يتعاملون بالريا لا يمتنعون من ذلك . الملوك تعامل الملوك بالريا وتظهر بعضهم لبعض الاجلال وهو في الباطن يعمل على ان يجمع ملكه الى ملك نفسه والاتباع يظهر بعضهم للملوك الخضوع والاستكانة ويود السايس منهم انه يقدر على ان يصير هو الملك والملك هو السايس وكذلك العامة وكذلك التجار على هذا المعنى فكذلك الصناع فجميع اعمال طالبي الدنيا لا تتم الا بالريا فاذا ارتعوي احدهم والريا فيه طباع فياتي يطلب الذين بتلك الطباع فاذا ارتفع الي العبادة وتعبد وذلك طباع فيه لا نعرفه من نفسه لغلبته عليه ومنشاه وفيه ويعرفه من نور الله الحكمة في قلوبهم فيهم يرون فعله فعل اهل الريا فمنهم من يمسك على معرفته بصاحبه وانه لو ابدي له عيوبه نفر منها وذب عن نفسه او ابطل ما ينسبه اليه فصار عدوًا مشاحناً . وقال يحسدني على ما اتاني الله من فضله من القوة على ديني او متزول متعسف مبتدع يطعن على

اهل الخير مما لم يحبه العلماء. فلما عرف (15:) الحكيم اهل زمانه وان زمانه زمان غلبة الهوي واعجاب كل ذي رأي برأيه إعتزل نفسه ونفر عن العامة بالمخالطة والصحبة وعرف ان في زمان المعروف فية منكر والشر فيه قد احاط بالخير فزاول نفسه ليقبضها فنكلت وانكرت وابت الا لزوم طباعها الكيانى ففكر الاديب وقال واعجباه ممن لا تجيبه نفسه الي الاستقامة بما قد عرفت، يريد ان يحمل سواه على ما قد جهلت فوضح له الامر وقصد قصد نفسه يأسا من قبول احد منه بعد ردّ نفسه عليه مع المعرفة بالحق الذي لا ينكره والعلم الذي لا يدفعه وعجز العامل عن مجاهدتها وردها عن طباعها الا مكرهة مغلوبة فشغل بنفسه عمن سواه الا طالبا سائلا او مجاملا مريدا وليس كل العباد اوتوا معرفة عيوب النفس لانه امر خاطر فمن تنبه لذلك فقد نبه لعظيم من غير ان يعرف عيوب نفسه فكيف به لو عرف منها شيئا ثم وهب له بعده معرفة سروره بالمعرفة ثم وهب له من بعد سروره بالمعرفة حب حلاوة المعرفة ثم وهب له (15ب) من بعد حب وجود المعرفة العمل بما جاءت به المعرفة من اصلاح عيوب النفس ما كان النفس يحسب به علي العبد حسنات فلما خلا عن قلب العبد رآها سيات فدأب في اصلاحها فاضطربت عليه عندما كشف تالله للعبد عن غطآء عيوبها واخفاه زينتها فان اتى هذا العبد من طريق يتعبد به من الزيادة في الاعمال فانما يوتى من استصغاره عظيما فيعمل على الشك في فضلها ما اوتي فيتيه حينئذ على قدر يقينه بالاخرة وفضلها فيقدر ضعف يقينه وتردده في نفسه بالاخره كذلك يكون تردده في هذا الان هذا فضيلة من فضائل الاخرة اوتيها فان كان ثبت اليقين بالاخرة كان ثبت اليقين بما اوتي من اسبابها فليمتحن العاقل ان وجد عاقلا بيقينه هذا فان كان مستثبته اليقين بما اوتيت من نعم الله تعالى محققة لا يلها عن ذلك مثل اهل الدنيا جميعا عما امتن به عليها وجعل لها اهلا وان شك الخلايق فيها فليعلم ان اثبات اليقين فيها على قدر ذلك وان تردد مع المترددين ومال مع المايلين (16:) عنها كان يقينه بالاخرة على قدر ذلك فاذا اقبلت النعمة من الله علي عبده بمعرفته عيوب نفسه فاول ما يبتليه الانتقال عن طباعه الريا ويعلم ان طباعه التي لم تزل فيه وعليها نشأ طباع عزيزة وكذلك نجد في الانتقال عنه ولا يكون له همه غير قصد نفسه لانها مطبوعة

الكذب والكذب والصدق لا يتقاربان ولا يسكنان في وعاء واحد الا ان يغلب احدهما على الاخره فينفي ضده فاذا عرف العبد ريب النفس فعرفها وكان طالباً للصدق فاولي الاشيا. به ان ينفى فنون الكذب عن قلبه بالجد والحرص وهو الشكر من العبد لحق هذه النعمة فاذا قصد قصدها بالبغضة لها نفرت عنه دواعي الكذب وفنونه واناكان الله ذلك من العبد لماوجهتها علي قلبه فلما اظهر البغضة والاستثقال نفرت عنه غير بينة منه لطول صحتها ونشبت النفس بها لقربها من طباعها وشهوتها والعبد حريص علي التقى والنفس حريصة على الاستبقا طامعة في هلاك صاحبها من طول علاجه ليقيها من ارتجاع النفس (١٦٣) اياها فلما تبين الصدق من العبد والجد في اننفا. الكذب وفنونه فشرقت للعبد حلاوة قبوله فازداد العبد الى الصدق شوقاً وازداد الى الكذب مقتاً . واذا كان نفاد الصدق وفنونه من قلب العبد لغلبة الكذب وفنونه عليه فيتبين العبد بتشوق الصدق اليه ، ولما ثبت فيه ومنه اعمال الكذب فلم يفارقها بعد وازداد حرصاً الى حرصه طمعاً في اقامة الصدق فيه وانفاء الكذب عنه فالريا من اعمال الكذب والعجب من اعمال الكذب وحب الرياسة والمحمدة والتعظيم والتجبر من اعمال الكذب فمن دأب في نفي الكذب برى من الريا ومن العجب ومن جميع دواعي الحسد والشر واذا خلا من ذلك ثبت فيه الصدق بفنونه فان احببت ان تجعل الصدق في هذا الموضع هو اليقين بالاخرة وتصديقك بجميع ما فيها وصدقك في جميع اعمالها فمت ويصير الكذب الشك والتكذيب بالاخرة فتكون جميع اعمالك الظاهرة مثل دعواك الظاهرة فتكون اعمالاً كاذبة وجميع تفسير ما ورد تفسيره واجل في هذا الباب من طريق الصدق والكذب فان عرفت هذا الباب عرفت جميع الرتب وان (١٧٠) قويت علي العمل به قويت على دفع جميع ما يقال من اعمال الكذب والمؤنة من الله تعالي والعبد محمود على نعمة الاحسان والعون عليها من الله ومذموم علي الاساة ، والعاصم منها الله فالله مشكور علي جميع احوال بني ادم لانه ان احسن منهم محسن فنعمة الاحسان واقعة عليه ملتمسة منه الشكر وان امتنع عن الاساة فنعمة العصمة واقعة عليه ملتمسة منه الشكر وان تمادي في الاساة فنعمة التوبة واقعة عليه اذ كانت له مبسوطة غير ماخوذ عند اساته فقطوع زايده والتوبة ملتمسة منه الشكر وهي اعظمها نعمة . قلت فمن

يعلم انه يعلم؟ قال اذا زيد في علمه فازداد به وجماً علم انه يعلم لقوله من يزدد علماً يزدد وجماً فسي ما يزداد به وجماً علماً؟ فاما وصل الي القلب وجع العلم علمت انك قد علمت . قلت فمتى يعلم انه لا يعلم قال اذا كثر نفاقه وكثر كلامه في فنون من العلم وانتشرت كتبه وازداد قلبه على ذلك غلظاً وقسوة حتى يعرفها هو من نفسه فقد علم انه لا يعلم وان كثر ذلك منه . قلت فمتى ينتفع بعلمه قال اذا كان (١٧ ب) مطيعاً لعلمه متبعاً دلالته؟ قلت فمتى ينفعه علمه قال غدا اذا كان على ما وصفنا ورجح به ميزانه انتفع بعلمه قلت وهل ينتفع بالعلم سواه قال اذا كان هو عاملا يعلم نفسه وعلم سواه نفعه تعليم غيره . قلت فمتى ينفع غيره علمه قال اذا كان هو عاملا فافاد علمه سواه فعمل به فحينئذ ينامه عمل غيره. قلت فمتى يضر غيره علمه قال اذا ضيع هو شكر الله في علمه فعمل بخلاف علمه فياسوا به في عمله وخالفوا ما استفادوا منه فكما ضيع العالم علمه ضر غيره علمه. قلت فمتى يضره علم غيره قال اذا كان هذا المستفيد ممن يضيع العمل بعلمه فتاسى به غيره كان قد ضره علم غيره . قلت وكيف يضره علم غيره والعلم نافع لكل من استفاده قال الا تعلم انك تاسيت بعلمه من اجل ما ظهر لك من علمه ولو كان جاهلا ما تاسيت بعلمه الا ترى انه ضرك علمه . فان قال فهل ينتفع بالمعرفة اذا كان مقصرا في العمل قال فسائلتك جوابان قال لان التقصير في العمل والمضيع للعمل لا يعني انه لم يبلغ الشك على قدر النعمة وهو يعمل بالدلالة غير ان عمله قليل (١٨ أ) والتضييع للعمل ما كان منه من عمل وان كثر فهو ضايع لانه خلاف دلالة النعمة فذلك وان كثرت من صاحبه الاعمال فهي خفيفة الوزن لا وزن لها غير ان المعرفة نعمة اقبلت لاجتلاب الخير الي من اقبلت اليه مع قيام من اقبلت اليه بالشكر اذا تادي في الشر مع تضييع من اقبلت اليه بالشكر؟ فليس احد قوي الا من طريق الشكر ولا ضعيف الا من تضيعه لان النعم سابقة من الله تعالى الى خلقه لان الله عز ذكره اوجب على نفسه لخلقه جميعاً الابتداء بالنعمة وهو اولي بالاحسان الي بريته وفرض عليها الشكر فرضاً ثم اوجب لهم عليه الزيادة منه امتناناً واوجب العقوبة على من ضيع منهم شكره امتحانا فصفح عمن شا وعاقب من شا .

بحث تاريخي في كتاب التشمشت للطقس الماروني

للاباتي يوسف حبيقة اللبناني (+)

توطئة

ان للطيب الذكر الاباتي يوسف حبيقه الراهب اللبناني بحثاً تاريخياً قيماً في كتاب «التشمشت» وهو مجموعة صلوات لبعض القديسين المشيد على اسمائهم كنائس في لبنان. وقد بلغ عدد تلك الصلوات مئتين واثنتين لم تُنشر بالطبع، منها ٤٧ صلاة يعرف مؤلفوها، و ٥٥ صلاة غير معروف من ألّفها. رأينا نشرها وتعليق بعض حواشٍ عليها، في مجلة «المشرق» الغراء، لما فيها من معلومات وفوائد تاريخية، ملفتين النظر الى الاهتمام والعناية بحفظها حيث وُجدت، فلا تذهب طعمة العث وفريسة الاهمال.

وقد نشرنا له في «المشرق» – ايار – حزيران سنة ١٩٥٤ما انتقاه في الفرض الاسبوعي الماروني، وترجمه من الشهادات الصادعة ببراءة العذراء، الكلية قداستها، من دنس الخطية الاصلية بمناسبة سنتها المريمية ١٩٥٤.

الاب بطرس ساره اللبناني

كتاب التشمشت

مقدمة

من كتب الموارنة الطقسية كتاب «التشمشت» مرخم «ܬܫܡܫܬܐ» السريانية وتفسيرها خدمة ورتبة صلوات القداس. ومعناها عامة كتاب الصلوات البيعيّة التي وضعت لاعياد بعض القديسين والتذكارات والاعياد السيدية، ولبعض الآحاد مما لم يطبع بعد، كما هو معروف عندنا في لبنان.

والتشمشت مجموعة كتاب ضخم للغاية لذلك قسم مجلدات يحتوي بعضها على الكثير من هذه الصلوات وبعضها يقتصر على القليل منها، بحسب غنى خزائن الكنائس او فقرها. ولاكثر تلك الصلوات نسخ في كنيسة حلب الكاتدرائية المارونية.

عبارات صلوات التشمشت في الغالب رشيقة منسجمة. ومعانيها رقيقة

مندمجة ، تبعث في النفوس هزة روحية تسمو بها الى الخالق وملاءه الاعلى تبارك وتعالى .

والتشمشت هو غير « الفنقيطين » الشتوي والصيفي المعروفين المطبوعين في رومية العظمى ، الاول سنة ١٦٥٦ ، والثاني سنة ١٦٦٥ وهو ايضاً غير الصلوات التي تقع في ايام الصوم المقدس وتسمّى « الكتاب الصيامي » الذي لم يزل خطاً الى اليوم . وغير كتاب « الحاش » لاسبوع الآلام المقدس الذي طبع في جونية « لبنان » سنة ١٩٠٢ ، بطبعة الارز لصاحبيها شهيدي الوطن المرحومين الشيخين الشقيقين فريد وفيليب الخازن .

اما زمان الابتداء بوضع صلوات كتاب « التشمشت » هذا ، وتأليفها ، فعريق في القدم جدا لسببين :

اولاً : ان مؤلف هذا الكتاب الثمين ومصنفه ومنسّقه ومنظّمه ، هو واحد فقط للادلة الآتية :

١ : وحدة انشائه

٢ : ما ورد في مستهل اللحن الاول من صلاة مساء الاثنين منه وهذه ترجمته : « تعالوا اسمعوا فاقص عليكم ما فعلته بنت صهيون بفادي اسرائيل » .

٣ : ما جاء في الوقفة الاولى من صلاة ليل الاثنين منه . وهذا تفسيره : « أجر اللهم فيَّ ينبوعاً لاشيد لك بالاناشيد المملوءة حباً » .

٤ : ما ورد في صلاة صبح الاثنين منه وهذه ترجمته : « تعالوا ، ايها الاخوان ، فاقص عليكم » .

٥ : ما جاء في اواخر اللحن الثاني من صلاة مساء السبت العظيم ، وهذه ترجمته : « ايها الصالح الذي استأجر فعلة لحراثة كرمه في الساعة الحادية عشرة ، اقبل مني الاحد عشر اكليلاً التي قدمتها لمآتك ؛ واهلني بواسطتها لمغفرة خطاياي فاشترك مع قديسيك » .

٦ : ما جاء في المحل المذكور وهذا تفسيره : « ان صلاتي ، ايتها البيعة المقدسة ، هي ان تتضرعي لاجلي الى عروس الحق الذي سجَّمتُ في آلامه باصوات الحزن مثل الحمامة » .

٧ : ما جاء في البيت الاول من ابيات « الحاش » من الصلاة المذكورة وهذه ترجمته : « لقد اسرعتُ فلذتُ بالجلجلة مندهشاً مما حدث ورفعت عينيَّ فرأيت نسوةً : « مريم امه — اي ام يسوع — واخت امه وبكيان » . فترى ان المؤلف يتكلم باسمه المفرد . وفي الحاش شيء زهيد من الشحيم بنصٍ واحد ، او بما يقرب من النص الواحد .

اما عهد تأليف الحاش فهو عريق جدًا في القدم ، ولو اساسًا ، بدليل ان ترجمة الانجيل المقدس المعروفة بالحرقلية التي اتمها توما الحرقلي سنة ٦١٦ ، مضموم اليها جزء ثالث يشتمل على قراءات الحاش الخلاصي المجموعة من الانجيليين الاربعة ، على ما جاء في كلام المأسوف عليه كثيرًا ، الخور اسقف منش الحلبي الماروني ، على الترجمة الحرقلية المذكورة في مجلة المشرق الغراء سنتها ١١ : ٢٠٩ .

ثانيًا : ان قدم هذه الصلوات يظهر من قدم الكنائس المشيدة على اسماء القديسين الموضوعة لهم :

١ً : قال العلامة الدويهي وغيره ايضًا : ان دير سيدة قنوبين بناه ثوادسيوس الكبير ٣٣٦-٣٩٥ .

٢ً : ان كنيسة مار ادنا الماقورة التي كانت قديمًا كاتدرا لاسقف هذه البلدة ، بنيت سنة ٥٠٩ مسيحية نقلًا عن تاريخ نادروس اسقفها الذي كان حيًا سنة ١٢٩٦ كما سترى اثبات ذلك عند ذكرنا صلاة مار إدنا وهذا الاسقف الجليل .

٣ً : ان احد قسمي كنيسة مار لابي الرسول في حصرون يرتقي تاريخه الى سنة ٦٧٧ مسيحية كما جاء في جريدة «البشير» الاغر عدد ٣٠٧٣ تاريخ ١٠ ايلول سنة ١٩٢٣ ، كما سترى عند ذكرنا صلاة هذا القديس الرسول العظيم .

٤ً : ان كنيسة مار ماما في اهدن بنيت سنة ٧٤٩ كما ذكر العلّامة الدويهي في كتابه «منارة الاقداس» ١ : ٢٧٦ و ٢٧٧ .

فيصعب والحالة هذه ان نصدّق بان علماء الموارنة لم يضعوا في هذه التواريخ صلوات طقسية فرضية لاعياد مثل هؤلاء القديسين الذين شيّدوا لهم هذه الكنائس . وقد كان منهم احبار ونساك وعلماء اعلام وكانت اللغة السريانية اذ ذاك حيّة بين ظهرانيهم ، بكل ما في كلمة الحياة من معنى .

ولزيادة اثبات قضيّتنا هذه نورد في ما يلي البراهين والادلّة الآتية :

١ً : ان العلّامة الدويهي في تاريخه المطبوع صفحة ١١٥ يذكر كتابًا للصلاة خطّ سنة ١٢٨٣ ولعله يكون من نوع صلوات كتاب «الشحيمة» الذي نحن في صدد الكلام عنه . وفي مكتبة بكركي كرسي البطريرك الماروني ، صلاة لمار ميخائيل الملاك تاريخها سنة ١٢٧٩ (مخطوط سرعل) . وسنذكر هذه الصلاة في ما يأتي .

٢ : بدليل ما جاء في حساي صلاة المساء لمار الياس النبي العظيم (وهي غير المطبوعة في حلب سنة ١٩٢٥ في المطبعة المارونية بهمّة المثلث الرحمات المطران بخائيل اخرس) . وهذه ترجمته : واغفر لنا جميع ما اخطأنا به اليك ان كان بالمأكل مع اليهود او بأكل ذبائح الوثنيين ؛ وان كان بمعاشرة المبتدعين (حاشية) :

١ : قد حُرِّم اكل المخنوق وذبائح الاوثان في القوانين الرسليّة .

٢ : في مجمع غنفرة المنعقد ما بين سنة ٣٤٣ و٣٨٠ .

٣ : في مجمع اورليان سنة ٥٣٣ .

٤ : كينيكست سنة ٦٩٢ . وبقي هذا التحريم معمولاً به حتى الجيل الثامن في الكنيسة اللاتينية .

على انه من الثابت ان هذا المنع بطل في الجيل التاسع كما جاء في اجوبة نقولا الاول البابا ٨٥٨—٨٦٧ على استفتاء البلغاريين ، وقد الغى الشريعة سنة ١٤٤١ ، المانعة تماماً ، اوجين الرابع البابا (١٤٣١—١٤٤٧) ليس للاتين وحدهم بل ايضاً للشرقيين الذين كانوا ارتدّوا الى الكنيسة وظلوا متمسكين بتلك الفرائض .

قلت ويؤخذ من هذا ان صلاة مار الياس النبي هذه قد وضعت في الجيل التاسع حيث اخذت كنيستنا المارونية تتقرّب في عوائدها وفرائضها من الكنيسة اللاتينية . والّا فلا اقلّ من ان تكون وضعت قبل اوائل الجيل الخامس عشر قبلما بطلت تماماً تلك العوائد . وفي كل الاحوال للامر قيمته التاريخية الجليلة .

٣ : بدليل ما جاء في صلاة مار سابا الراهب التي سيأتي ذكرها . وهذه ترجمته :

« هب للمتزوجين ان يحفظوا الفرائض اليومية في الاحاد والاعياد وفرائض الجمعة والاصوام ولا يقتربوا في هذه الايام الى المضاجع لانهم يشتركون بها في الاسرار الالهية » .

هكذا امر الاباء . وتاريخ الازمنة للعلّامة الدويهي ص١٠٣ ومنارة الاقداس ١ : ٢٧٦ حيث يقول ايضاً :« وفي هذا المعنى فهم قول الآباء في مجمع قرطجنة

الثاني سنة ٣٩٠ » . ان القسوس والشمامسة عليهم ان يحفظوا الطهارة ويمتنعوا عن نسائهم عند ممارسة الاسرار .

نقول ان وضع مثل هذه الفرائض في الكنيسة قديم جداً ، كما يعلم من لهم المام بمثل هذه الامور . لكننا في الوقت نفسه لا نقدر ان نقطع بزمان تأليف هذه الصلاة . واقدم صلاة من صلوات « الشمشت » ... نعرف تاريخها بتأكيد هي صلاة الملاك ميخائيل المخطوطة سنة ١٢٧٩ .

وصلاة « مديح العذراء » عليها السلام ، وقد كان لها نسخة في دير سيدة قنوبين[1] كرسي البطريركية المارونية القديم ، نسخها قبل سنة ١٣٠٠ الحبيس اليشاع الحدثي ولها نسخة في كنيسة حلب المارونية تاريخها سنة ١٥١٩ ونسخة في بكركي تاريخها سنة ١٥٢٧ .

ولما كنت ممن نقبوا عن هذه الصلوات وتعمقوا في البحث عنها وعن مؤلفيها وعن تاريخ بعض نسخها وتاريخ بعضها الآخر جئت ادوّن ذلك في هذه المقالة خدمة للعلم والادب السرياني والآثار الكنسية الخطية الطقسية الثمينة لئلا يذهب ذكرها مع مرور الزمان وتفقد اوراقها المشتتة في مكان ومكان اذ بدأت اوراق بعضها النادرة الوجود ان تتهرأ واوشكت ان تعبث بها الأرضة والعث وعوامل الاهمال . ويا حبذا لو أنّ السلطة الكنسية المارونية العليا ، اهتمت لتجديد نسخ هذه الكنوز التي علا بعضها الغبار وعبثت بها الغِيَر خصوصاً ما يوجد منها في كنائس العاقوره مما قد لا يوجد له نسخ غيرها ، اذن لأتت عملاً جميلاً تشكرها عليه الاجيال المقبلة كفى بذلك اجراً فوق الاجر العلوي .

وقد قسمت هذا البحث الى قسمين . الاول : في الصلوات التي يعرف مؤلفوها مع ذكر ما الّفه منها كل واحد منهم . والثاني : في الصلوات التي لا يعرف مؤلفوها . وساذكر اتماماً للفائدة ، تواريخ وضع هذه الصلوات الى الجيل التاسع عشر ، فاقول وبالله المعونة :

---

١) لفظة يونانية معناها « الحياة المشتركة » . وهذا الدير كان يعيش فيه الرهبان النساك عيشة مشتركة .

القسم الاول

في من يعرف من مؤلفي هذه الصلوات

اولًا : البطريرك اسطفانوس الدويهي († ١٧٠٤)

عدد ١ – له صلاة القديسة مارينا راهبة دير قنوبين كرسي بطاركة الموارنة القدم . وقد طلبها المسيو لاون كلينيه احد محرري «الشرق المسيحي» فارسلناها له مع ما يتعلق بهذه القديسة من الطقوس لعيدها الواقع في ١٧ تموز ، وتاريخ حياتها . فنشرها حضرته بالطبع في مجلته المذكورة وفي مجموعته في ترجمة هذه القديسة العجيبة . وقد وجد ترجمة حياة هذه القديسة في كتاب خط سنة ٧٧٨ («رسالة السلام» سنة ١٩٢٧ : ٩ : ٣٨٥) . ومن هذه الصلاة نسخة في دير طاميش للرهبان اللبنانيين بخط المطران بطرس مخلوف النوسطاوي († ١٧٢٠) . كما قرأت في اوراق دير مار جرجس الرومية – كسروان «لبنان» .

ثانيًا : القس يوحنا زنده الحلبي الماروني († ١٧١١) .

عدد ٢ – له صلوات سبّة الاستعداد للميلاد المجيد . ويقال ان القس عبد المسيح لبيان الحلبي الآتي ذكره هذّبها . وفي كنيسة مار جرجس الناقوره صلوات لسبّة الاستعداد للميلاد كتبها الخوري يوسف الدحداح الذي كان حيًّا سنة ١٦٥٣ . وفي هذه الكنيسة ايضًا صلاة ليوم الجمعة من صلوات سبّة الاستعداد للميلاد في اوراق عتيقة رثة جاء فيها اسم المطران حنا سنة ١٣٣٠ . وقال السيد الدبس انها للمطران يوسف اسطفان († ١٨٢٣) .

عدد ٣ – له ايضًا صلوات سبّة الخواريين[1] وهي السبّة التي تلي عيد القيامة المجيد . قيل ان صلاة اثنين الخواريين هي للقس عبد المسيح لبيان الحلبي الآتي ذكره . وصلاة الثلاثاء للقس عطا الله زنده الآتي ذكره ايضًا . وفي بكركي صلاة لاثنين الخواريين تاريخها سنة ١٦٨٣ وفي دير سيدة طاميش صلوات سبّة الخواريين خطها المطران بطرس مخلوف النوسطاوي .

وفي يدنا اثر كتابي لزيارته وطننا بسكنتا سنة ١٧٠٧ . وقد رأينا ايضًا توقيعه في اوراق دير مار جرجس الرومية سنة ١٧٢٠ . ويظن بعضهم ان حياته

---

١) كلمة حبشية معناها الرسل . ومعناها ايضًا « البيض » من « ܚܘܪܐ » السريانية .

امتدت الى سنة ١٧٤٠ «المنارة» (١٩٣٣ : ٧٠٢) . وفي دير مار انطونيوس النبع (بيت شباب) صلوات المساء فقط لستة الاستعداد لعيد الميلاد المجيد .

ثالثاً : المطران جرمانوس فرحات (✝ ١٧٣٢) .

(المشرق ٧ : ٤٩–١٠٥)

عدد ٤ – له صلاة عيد القربان الاقدس ألفها اذ كان راهباً مقيماً في (لبنان) . واثبتها البطريرك يعقوب عواد في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٧٠٧ ، وهي : مساء . ستار . مطلع القومة الاولى من الليل والقومة الرابعة . صبح كاملة ، وقد نشرناها سنة ١٩١٤ ما عدا صلاة الليل منها مع ترجمتها بالعربية والافرنسية احتفاء باليوبيل الفضي الاسقفي للبطريرك الياس الحويك (✝ ١٩٣٢) وبالمجمع القرباني الـ ٢٥ المنعقد في مدينة لورد « فرنسة » في ٢٢ تموز سنة ١٩١٤ افتتح مؤلفها سواغيت المساء منها بقوله : « ܗܢܘ ܐܡܪܐ ܕܒܚܘ ܥܡܗ . ܐܡܪ ܘܐܟܠܘ ܦܣܚܗ ܘܥܡܗ هذا هو الحمل الذي ذبحه موسى بين المساءين كما أمر » . فهي غير الصلاة التي وضعها لعيد الجسد القس عبد المسيح لبيان الحلبي الماروني كما سترى قريباً .

وقال السيد لويس : إن صلاة الرسولين بطرس وبولس هي له ايضاً .

رابعاً : القس عطا الله زنده الحلبي الماروني (١٦٧٦–١٧٣٢)

اننا نذكر هنا ترجمة هذا الاب الفاضل نقلاً عن المأسوف عليه الخوراسقف جرجس منش الحلبي الماروني ، حرصاً على بقائها لاننا لا نعلم ان احداً نشرها ، فنقول : هو عطا الله بن نخايل عطا الله زنده . ولد في مدينة حلب ، فنصّره القس يوحنا الحصروني في ٣ ت ٢ سنة ١٦٧٦ ودخل الكتاب الماروني في اول عهده ، فتلقن فيه اصول اللغات العربية والسريانية والايطالية ، حتى اذا ناهز الشباب أخذ دروس اللاهوت من الفيلسوف الخوري بطرس التولوي البتروني الشهير . ومهر خاصة في آداب السريانية ، فكان من اربابها الافاضل في القرن الثامن عشر .

ومنذ صغره ربّاه والده على التقوى . فعكف على العبادة واعان الكهنة على اقامة الشعائر الدينية كالطرائف والصلوات والاخويات التقوية فانتدبته الرعية الى درجة الكهنوت السامية ، فلبى الدعوة طائعاً ورحل الى لبنان فرقّاه البيا ، في اوائل ايار سنة ١٧٢٢ ، نخايل البلوزاوي مطران حلب (١٧٠٤–١٧٢٥) .

فعدَّ الناس انتدابه « اعلاناً الهيًّا » لما ازدان به في عهد كهنوتـه من الخلال والفضائل الحميدة .

ولما نهض جرجس بن موسـان على المطران جبرايل حوا في اثناء سنة ١٧٢٥ ، في قصادته الرسولية ، ينعي عليه اعماله ومساعيه في سبيل الطائفة ، وقف القس عطا الله زنده الى جانب المطران يعضده في مهمته ، ويأتمر بامره فعاكسه حزب ابي موسان اشد معاكسة ، وتحمّل بسبب ذلك مرَّ المحن حتى الضرب والسجن ، فكان قدوة صالحة يأتسي بها اهل عصره في سبيل الدين القويم .

وقصارى القول انه وقف حياته كلها على خدمة الكنيسة والطائفة العزيزة ، فكان كاهناً فاضلاً ومرشدا غيورًا واباً صالحاً لا تأخذه لائمة في خطته الكهنوتية ، وهذا جلّ ما عرف من ترجمته ، الى ان استأثرت به رحمة الله تعالى « ودفن في الكنيسة » في بعض شهور سنـة ١٧٣٢ على ما ورد في سلسلة كهنة حلب الموارنة (المشرق ١٧ : ٦٧) . تغمده الله برضوانه واسكنه رحيب جنانه . .

وقد درس السريانية واشتغل بادابها طويلاً . ومن آثار قلمه السيال الصلوات الفرضية الآتية التي اثبتها النابغة المطران فرحات وأوجب استعمالها في كنيسة حلب ، فرزقت حظّ البقاء . وتداولتها الالسن الى اليوم .

عدد ٥ — له صلاة نياحة مار يوسف البتول خطيب العذراء مريم . وفي كاندرا حلب المارونية صلاة لهذا العيد ، تاريخها سنة ١٦٥٨ وصلاة في بكركي تاريخها سنة ١٦٨٤ ، قد يكون رضوان المولى عليه ، أصلح احداها فنزيت اليه او أن الصلاة التي وضعها هو مستقلة بذاتها .

عدد ٦ — صلاة احد بيان يوسف خطيب العذراء مريم عليها السلام . وفي بكركي صلاة لهذا الاحد تاريخها سنة ١٥٠٦ « ومخطوط مترين » (مجلة المنارة ١٩٣٣ : ٣٥٩) .

عدد ٧ — صلاة لثاني احد المنصرة . وفي بكركي صلاة لهذا العيد تاريخها سنة ١٦٨٤ .

وقد اخبرني حضرة الاب بولس البرعوني الوكيل العام للرهبانية اللبنانية ، انذاك ، انه وقع في يده صلاة للرسل اجمالاً تاريخها سنة ١٥٧٥ قدمها حضرته لمكتبة بكركي .

عدد ٨ – صلاة لعيد مار بطرس وبولس الرسولين ، عيدهما في ٢٩ حزيران وقال السيد الدبس انها للمطران جرمانوس فرحات .

عدد ٩ – صلاة لعيد الرسل اجمالاً عيدهم في ٣٠ حزيران ، وفي كنيسة مار جرجس الناقورة صلاة لهذا العيد تاريخها سنة ١٥٥٠ . وفي كنيسة مار سركيس وباخوس بجه بلاد جبيل ، نسخة « للرسل اجمالاً » .

عدد ١٠ – صلاة لثلاثا الحواريين ، وفي حلب صلاة لهذا الثلاثا ، تاريخها سنة ١٦٦٠ . وقد تقدّم عدد ٣ انه يوجد في دير سيدة طاميش نسخة لصلوات ستّة الحواريين بخط المطران بطرس مخلوف النوسطاوي († ١٧٢٠) .

عدد ١١ – صلاة لمعترف ما : مساء . صبح . أما صلاة الستار فهي للقس عبد المسيح لبيان الحلبي كما سيأتي .

عدد ١٢ – صلاة الشهداء اجمالاً . وفي كنيسة مار جرجس الناقورة صلاة للشهداء اجمالاً . وفي دير مار اليشاع بشرّي صلاة للشهداء اجمالاً تاريخها سنة ١٧٠٠ ، بخط يد القس عطا الله المباركة وهذه الصلاة تتلى ايضاً في عيد كل قديس او شهيد ، لا صلاة خصوصية له . والعلّامة الدويهي قد استشهد في كتابه « منارة الاقداس » (١ : ٤٤٢) . بصلاة الشهيد وهو ، رزقنا المولى شفاعته ، بدأ تأليف منارته هذه سنة ١٦٥٦ ، كما قال في ترجمته العلّامة المطران بطرس شبلي ، رئيس اساقفة بيروت الماروني فقيد الدين والوطن (صفحة ٢٠٢) .

عدد ١٣ – صلاة لعيد قلب يسوع الاقدس : مساء ، ستار ، ليل ، صبح ، ثالثة ، سادسة ، تاسعة ، وقد اضاف اليها الحبر العلامة غنائيل اخرس مطران حلب الماروني صلاتي السادسة والتاسعة ؛ ونشرها بالمطبعة المارونية في حلب المحميّة سنة ١٩٢٤ . وقد افادني ثقة ان القس عطا الله زنده المار ذكره شاركه في وضعها . وقد افتتح مؤلفها سواغيث صلاة المساء منها بقوله : انتم الذا لووهنه وحده وهمو محبب حمد ܕܩܠܗ

وقد وقع في يدي سنة ١٩٣٧ اذ كنت شتاء في دير سيدة طاميش ، صلاة لعيد قلب يسوع الاقدس – مسوّدة ، خرطوش ، ثمّ خرطوش ثانٍ عن الاول ، فاصلحتها وبيضتها . وقد افتتح مؤلفها سواغيث المساء منها بقوله : ܐܚܠ ܒܥܘܙ ܡܚܠܡܗ ܠܐܘܚܠ . ܘܡܚ ܠܡܥܠ ܒܚܠ ܘܐܚܡܢ وسيأتي في عدد ٩٩ ذكرها عند ايراد الصلوات التي لا يعرف مؤلفوها . ونظن انها للبطريرك

يوسف اسطفان والله اعلم[١] .

عدد ١٦ — لهُ صلوات الصبح لسبة الاستعداد لعيد الميلاد المجيد . « عن رد حضرة الاب مسعد الراهب الحلبي على حضرة الخوري مخايل الرجي » (صفحة ٨٢) . وقال السيد الدبس ان صلوات سبة الاستعداد للميلاد هي للمطران يوسف اسطفان († ١٨٢٣) .

خامساً : القس عبد المسيح لبيان الحلبي (١٦٧٥—١٧٤٢) .

هو تلميذ العلّامة الخوري بطرس التولاوي البتروني الشهير . درس عليه الفلسفة واللاهوت النظري والادبي ففاز بالتحصيل ، لأنه رحمه الله كان بارع الفهم سريع تناول المعاني ، جيد الحفظ جليدًا على الدرس والمطالعة وقد شهد له بهذا كثير من معاصريه . ولا بدع فانه كان أبرع اهل السريانية في عصره، وادقهم علماً بمواضع الالفاظ ، وارجحهم فهماً برونق التأليف .·. فأيّما خاطر خطر له ، وأيّما معنى تصوره ، أبرزه كاسياً بحلة البيان والجناس والبديع ، وتلك غايةٌ قلّ من انتهى اليها احدٌ من معاصريه . . .

(من ترجمته للخور اسقف جرجس منش) (المشرق ٥ : ١٩٠٢ : ص ٧٨٦—٧٩٢) .

وهذه هي الصلوات التي الفها رحمه الله :

عدد ١٥ — صلاة عيد الوردية المقدسة في الاحد الاول من تشرين الاول : مساء ، ستار ، صبح ، الثالثة . وتتلى ايضاً في الاحد الاول من كل شهر ، المعروف في الطائفة المارونية « باحد الوردية » .

عدد ١٦ — صلاة لعيد جميع القديسين . مساء . ستار . صبح . وتتلى ايضاً في اعياد الشهداء الذين لا صلاة خصوصية لاعيادهم .

عدد ١٧ — صلاة عيد مار جرجس الشهيد : مساء . ستار . صبح ، وهي غير المطبوعة في الفنقيط ، وفي حلب صلاة لعيد هذا القديس تاريخها سنة ١٦٧١ « المشرق » ٥ : ١٩٠٢ : ٦٨٧ . وفي مار جرجس الماقورة صلاة لهذا العيد ، تاريخها قبل سنة ١٦٥٣ فتدبّر .

١) قد جمعت في كتاب لا يزال خطياً كل ما يتعلق بعبادة قلب يسوع الاقدس منذ نشأتها في طائفتنا المارونية . وقد عني بطبع هذا الكتاب مؤخراً شقيقه الخور اسقف بطرس حبيقه في مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونية سنة ١٩٥٢ تحت عنوان : « عبادة قلب يسوع الاقدس في الطائفة المارونية » .

عدد ١٨ – صلاة للاحد الاول بعد عيد العنصرة ، وهو احد الثالوث الاقدس . وقد عرفت بصلاة الثالوث الاقدس وهي مؤلفة من مساء . ستار . صبح .

عدد ١٩ – صلاة الاحد الجديد وهو الاحد الاول بعد عيد القيامة المجيد مساء . ستار . صبح . ولمار توما الرسول ايضاً . الذي عيده في ٦ ت ١ . وفي بكركي صلاة لهذا الاحد تاريخها سنة ١٦٨٢ . وفي حلب ايضاً ، وتاريخها سنة ١٦٥٨ ، وفي دير سيدة طاميش ايضاً ، وتاريخها سنة ١٧٠٧ . وقد اتى بشهادات من هذه الصلاة العلامة الدويهي في كتابه « منارة الاقداس » ١ : ٣٣ وقد بدأ بتأليف كتابه هذا سنة ١٦٥٦ كما رأيت . واستشهد ايضاً منها في كتابه « الاحتجاج » جزء ثالث . وقد نشرته تباعاً مجلة « المنارة » الغراء للآباء المرسلين اللبنانيين في جونيه . ثم نشروه على حدة .

عدد ٢٠ – صلاة لعيد الحبل بالعذراء مريم بدون دنس الخطية الاصلية : مساء . ستار . صبح[١] .

عدد ٢١ – صلاة شرف العذراء عليها السلام : مساء . ستار . صبح . تتلى ثاني عيد الميلاد . وفي عيد سيدة الزروع في ١٥ ايار ، وفي عيد تقدمة العذراء الى الهيكل في ٢١ ت ٢ . وفي الاحد الثالث من كل شهر (ف : ٥١) . غير ان حضرة الشيخ الجليل المغفور له الخوري يوحنا السبعلي المرسل اللبناني يرجّح ان هذه الصلاة للعلامة البطريرك يوسف اسطفان († ١٧٩٣) ونحن نظن ان هذا ليس بثبت لان هذه الصلاة مسجّعة شأن باقي الصلوات التي الفها القس عبد المسيح المذكور حتى اضحى التسجيع علامة فارقة لها عن غيرها من الصلوات التي ليست له . والله اعلم .

وقيل ان الاولى للبطريرك يوسف اسطفان والثانية لابن اخيه المطران يوسف اسطفان .

عدد ٢٢ – صلاة لعيد مار مارون ابي الطائفة المارونية († ٤٠٨) – مساء . ستار . صبح . مع رهبانه الثلاثمئة والخمسين شهداً . وعيد هذا القديس في ٩ شباط . وعيد رهبانه الشهداء يقع في ٣١ تموز . ويقال ان في المكتبة الواتيكانية تحت عدد ٣٤٧ او الاصح تحت عدد ٣٠٠ او ٢١٧ – كما في تمليناني على بعض اوراق « شحيماً » خط سنة ١٥٠٨ ، في نيكوسية – قبرس – في دير الصليب الذي كان يخص الموارنة الى السنة ١٦٦١ ، فاعطوه للافرنجة .

ويقال ان في هذا الدير « الشحيم » ملحقاً فيه كلندار لاعياد السنة ، بينها

١) وقد جمعنا شهادات الكنيسة المارونية المثبتة هذه الحقيقة وعربناها ونشرناها بالطبع سنة ١٩٠٤ . راجع المشرق (ايار – حزيران ١٩٥٦ : ٣٢٨–٣٩٢) .

عيد مار مارون الانبا القديس وعيد مار يوحنا مارون بطريرك الموارنة الاول ، عيده في ٢ آذار ويقال انه مضاف الى هذا الشحيم صلاة فرضيّة من نوع صلوات «التشمشت» لكل من هذين القديسين . فحبذا لو بحث احد اباء الموارنة الموجودين في رومية العظمى عن هذا الشحيم الذي ذكر وجوده هناك بعض علمائنا، وعمل فيه درساً واضحاً ونشره بالطبع حتى لا يبقى امر هذا الشحيم من المعميات الى زمان طويل .

عدد ٢٣ — صلاة الاحد الذي بعد عيد الجسد الالهي، وضعها المؤلف سنة ١٧٣٩ ، فعرفت في حلب «بصلاة القربان» . وكان بعض اساقفة حلب يتلونها في عيد الجسد المقدس. وهي مؤلفة من مساء . ستار . ليل . صبح . ثالثة[1].

وهي غير صلاة عيد القربان التي ألّفها العلامة المطران جرمانوس فرحات التي ذكرناها في عدد ٤ من مقالتنا هذه ولزيادة الفائدة والتحقيق اقول :

«انه يوجد في دير سيدة نسبيه — غوسطا — احد اديار رهبانيتنا اللبنانية صلاة عيد «شرف القربان المقدس» مساء . ستار . ليل . صبح . ثالثة» .

وهي مسجعة وقد افتتح مؤلفها سواغيت المساء منها بهذا البيت :

[illegible]

قد تكون هي عين الصلاة التي ألّفها القس عبد المسيح لبيان المذكور كما نرتأي . عسى يحصل فرصة لنا او لغيرنا لمقابلة هاتين الصلاتين بعضها ببعض فتعرف الحقيقة كاملة . وقد اثبت النابغة فرحات صلاة القسّ عبد المسيح هذا. ولزيادة الفائدة انه مضموم الى الصلاة المذكورة الموجودة في دير غوسطا صلاة لعيد قلب يسوع الاقدس خطّية — هي عين صلاة قلب يسوع الاقدس ، التي وضعها الطيب الاثر القس عطا الله زنده الحلبي ، ونشرها بالطبع المثلث الرحمة ميخايل اخرس مطران حلب الماروني سنة ١٩٢٤ كما رأيت في عدد ١٣ من مقالتنا هذه .

---

١) قد جمعنا شهادات كنيستنا المارونية المثبتة حقيقة وجود جسد المسيح ودمه في الاوخارستيا وترجمناها ونشرناها بالطبع سنة ١٩٠٨ وعددها ٥٥٥ شهادة ؛ كما نشرنا كثيراً من الكتب والمقالات التي تثبت هذه الحقيقة سنة ١٩٢٥ و١٩٢٦ و١٩٣٠ و١٩٣٩ .

عدد ٢٤ – صلاة لرسول ما : مساء . ستار . صبح .

عدد ٢٥ – صلاة الستار لمعترف ما . اما صلاة المساء والصبح من هذه الصلاة فهما للقس عطا الله زنده الحلبي الماروني الذي سبق ذكره في مقالتنا هذه (راجع عدد ١١) .

عدد ٢٦ – صلاة لمار الياس النبي العظيم . مساء . ستار . ليل . صبح . ثالثة . عيده في ٢٠ تموز .

وقد نشر هذه الصلاة بالطبع المطران مخايل اخرس سنة ١٩٢٥ بالمطبعة المارونية في حلب . وفي كنيسة مار جرجس الماقورة صلاة لهذا النبي القديس ، تاريخها ١٦٥٣ . وفي كاتدرا حلب المارونية واحدة تاريخها سنة ١٦٧١ (المشرق ٥:١٩٠٢–٦٨٧) ولم يكن المؤلف ولد اوكان طفلاً رضيعاً بعد فتدبر .

ويظهر كما تقدم القول ان هذه الصلاة عريقة في القدم جداً لانه يطلب في مطاويها مغفرة الخطايا التي تتأتى عن مشاركة اليهود في الاكل وعن الاكل من ذبائح الاوثان وعن معاشرة المبتدعين . ومعلوم ان وضع مثل هذه الفرائض قديم جداً في الكنيسة . وقد المنا الى زمان بطلانه في ما تقدم .

عدد ٢٧ – وله تهذيب صلوات سبة الاستعداد لعيد الميلاد المجيد . وفي كنيسة مار جرجس الماقورة صلوات لهذه السبة كتبها المتودي يوسف الدحداح سنة ١٦٥٣ . اما صلوات الصبح فهي للقس عطاالله زنده (راجع عدد ١٤) .

عدد ٢٨ – صلاة الاحد الاول من الصوم المقدس ، اصلح عباراتها والحان الستار من نظمه .

عدد ٢٩ – صلاة الاثنين الحواريين قبل انها له . وفي بكركي صلاة لاثنين الحواريين تاريخها سنة ١٤٨٣ كما ذكرنا ايضاً في عدد ٣ من مقالتنا هذه حيث قلنا ايضاً انه يوجد ايضاً في دير سيدة طاميش صلوات لسبة الحواريين خطها المطران بطرس مخلوف الغوسطاوي († ١٧٣٠) .

عدد ٣٠ – صلاة للملاكين مخايل وجبرايل اللذين يعيد لها في ٦ حزيران و ٦ ايلول و ٨ تشرين الثاني .

اصلح عبارتها واضاف اليها بعض صلوات من صلاة « شرف مريم » وفي كنيسة مار جرجس الماقورة صلاة لهذين الملاكين وهي ايضاً للملائكة عموماً تاريخها ١٠ نيسان سنة ١٥٧٢ . ومن نحو ٢٥ سنة وقفت على صلاة لهذين

الملاكين في دير مار مخائيل – المتن – لبنان – مسا . ستار . القومة الاخيرة من الليل . الصبح . كاملة مخطوطة بقلم « بطرس » سنة ١٦٠١ ولعلّ بطرس هو المطران بطرس حليب ابن حبيب الخوري سابا ابن الشماس حليب (اليمني الغرض) الذي كان خورياً للرعيّة المارونيّة في الشام حينما زارهم الاب اليانو اليسوعي ابان سفارته الى الموارنة سنة ١٥٨٠–١٥٨٢ وقد رقّى البطريرك يوسف الرزّي الخوري بطرس المذكور الى درجة الاسقفية سنة ١٦٠١ وتوفي ١٦٠٦ في قرية العبادية – المتن الاعلى – لبنان . ودفن في بيروت . وقد لقبه «بالدمشقي» ابنه البطريرك يوسف حليب العاقوري † ١٦٤٧ في غرامطيقه السرياني المشهور الذي طبع في رومة العظمى سنة ١٦٤٧ (ص ٥٥٣) . ولهذا البطريرك كتاب مواعظ خطّه سنة ١٦٥٨ القس افرام البالي (المشرق ٥:١٩٠٢–٥٥٦) . ولقبه « بالاشتر » المطران جرجس حبقوق البشعلاني في آخر كتاب « ترجمة الانبياء » المخطوط سنة ١٦٥١ الموجود في مكتبة حضرة الخوري لويس الخازن . (طالع جريدة البشير عدد ٤٠٦٣ سنة ١٩٢٦) وقد عدّه ابنه البطريرك يوسف حليب المذكور في غرامطيقه المشار اليه ، من علماء اللغة السريانية في عصره . فلا عجب اذا كانت صلاة الملاكين مخايل وجبرايل من وضعه . يؤيد هذا الرأي قوله في آخر هذه الصلاة : « كُتبت هذه الاسطر الجديدة بيد انسان حقير خاطي بين البشر يدعى بطرس » ومن هذا يظهر ان المراد بكلمة الاسطر الجديدة « ان الصلاة حديثة الوضع » . قد يكون كاتبها وواضعها واحد وهو المطران بطرس حليب المذكور . وربما يكون موجود صلاتان او اكثر لهذين الملاكين واحدة منها غير الاخرى . ولا تعرف الحقيقة الا بمقابلة هذه الصلوات بعضهـا ببعض . وهذا يصعب جداً في هذه الايام . والنسخة التي وقفت عليها في دير مار مخايل بنابيل مخطوطة بعلامة « التركيخ والتقشي » اي بعلامات الترقيق والتفخيم بحسب اصطلاح السريان . وفي دير مار شعيا برمانا « تششت » مخطوط بهذا الشكل يحوي جملة صلوات وفي بكركي « مخطوط سرعل » يحوي صلاة للملاك مخائيل تاريخها سنة ١٢٧٩ .

عدد ٣١ – صلاة للنبي دانيال لها نسخة في حلب مؤلفة من مساء . ستار . صبح .

عدد ٣٢ – وقد صحح واختصر القس عبد المسيح صلاة الاربعين شهيداً الذين بيد لهم

الموارنة في ٩ اذار ذكرها المرحوم العلامة المونز اسقف جرجس منش الحلبي الماروني في كتابه « الفروض القانونية في كنيسة حلب المارونية » (ص ٢٤) وللاب عبد المسيح بعض اناشيد وميامر سريانية نكل اظهارها والتحقيق فيها الى الباحثين عن مثل هذه الامور والى مرور الايام . وقد غلب التسجيع في مؤلفات القس عبد المسيح العلامة رحمه الله تعالى رحمة واسعة واجزل ثوابه في جنات الخلد والسرور . وقد شارك القس عطا الله زنده في وضع صلاة عيد قلب يسوع الاقدس كما تقدم القول عند ذكرنا ما ألّفه هذا الاب العلّامة .

سادساً : الشماسان الحلبيان مخايل جباره وانطون زكره .

عدد ٣٣ — لهما صلاة لعيد مار اغوسطينوس ملفان البيعة عيده . في ٢٨ آب .

عدد ٣٤ — صلاة لوجود المسيح في الهيكل . او دخول المسيح الهيكل . ولهذا العيد الواقع في ٢ شباط ، صلاة اخرى خاصة مطبوعة في كتاب « الفنقيط » .

عدد ٣٥ — صلاة للثلاثمئة والخمسين شهيداً من رهبان مار مارون ابي الطائفة المارونية ومؤسس امجادها . عيدهم في ٣١ تموز . وجاء في تاريخ « كروان » (ص ٢٠٩) : انها للبطريرك يوسف اسطفان الآتي ذكره ،وقال المطران الدبس انها للمطران يوسف اسطفان († ١٨٢٣) . وقد تكون الواحدة منها غير الاخرى » .

سابعاً : الخوري يوسف الشراباتي الحلبي (توفي في العشر الاول من القرن التاسع عشر) .

عدد ٣٦ — له صلاة ملائكة الحراس — (راجع عدد ٢٩) بشأن صلوات الملائكة . وبما تقدم ترى الفضل الجم الذي لاكليروس حلب الماروني على طقوس طائفتنا المارونية وفروضها واداب اللغة السريانية . شمّ الله تعالى نفوسهم في جنات الافراح .

ثامناً : البطريرك يوسف اسطفان († ١٧٩٣)

عدد ٣٧ — له صلاة للقديس افرام السرياني ملفان البيعة . عيده في ٢٨ كانون الثاني . وضعها اذكان كاهناً . ومنها نسخة في كنيسة مار افرام في مزرعة كفرديان .

عدد ٣٨ — صلاة لاحدى البتولات وضعها اولاً وهو بطريرك للقديسة كاترينا السيانية (١٣٤٧—١٣٨٠) عيدها في ٢٩ نيسان .

عدد ٣٩ — له المدرش الذي في آخر صلاة القديس يوحنا مارون ، وهي لابن اخيه المطران يوسف اسطفان الآتي ذكره . وقد افتتح هذا المدرش بقوله :

ܐܝܟܢܐ ܕܐܡܪ ... [illegible]
[illegible]

اي لقد احتال الدو المارد بكل حيلة ليبيد المشرق مصدر ام الانوار الجميلة . . . وهو من اجمل المدارش وابدعها . وله البيت المشهور الذي ارتجله عند وصوله عائداً الى كرسيه مار يوسف الحصن « غوسطا – لبنان » بعد احداث يطول شرحها . وهذا البيت هو باحن: فتحها وهذا هو :

ܦܬܚܝ - ܐ ܠܒܢܢ ܬܪ̈ܥܝܟܝ ܠܩܘܒܠܝ ܕܐܚܝ̈ܕܢ ܗ̱ܘܘ .
ܩܥܐ ܙܟܪܝܐ ܢܒܝܐ ܟܕ ܚܙܐ ܫܘܦܪ̈ܝܟܝ ܪܘܚܢ̈ܝܐ . ܚܣܝ̈ܢܐ ܥܫܝ̈ܢܐ
ܣܡ ܒܟܝ ܡܪܝܐ ܐܒܘܢ ܡܪܘܢ ܘܡܪܝ ܝܘܚܢܢ ܡܪܘܢ . ܘܠܬܠܬܐ
ܘܚܡܫܝܢ ܣܗ̈ܕܐ ܘܠܡܪܝܢܐ . ܘܕܘܡܢܝܢܐ ܐܦ ܘܨܠܘ̈ܬܗܘܢ
ܢܗܘܝ̈ܢ ܠܥܘܕܪܢ ܒܢ ܐ ܡܥܕܪ̈ܢܘܬܐ

« اي افتح ، يا لبنان ، ابوابك التي كانت مغلقة في وجهي ، هتف زكريا النبي عندما رأى الروح محاسنك الروحية . لقد جعل الرب فيك حصوناً منيعة : ابانا مار مارون ومار يوحنا مارون والثلاثة والخمسين شهيداً ومارينا ودومنينا صلاتهم تسعفنا » .

عدد ٤٠ – صلاة لمار يعقوب تلميذ الانبا مارون . في الطائفة المارونية عيده في ٢٢ ت ١ .

عدد ٤١ – صلاة للقديس ليميانوس تلميذ الانبا مارون ايضاً . عيده في ٢٢ ت ١ . ولكل من هاتين الصلاتين نسخة في كتاب « الشحيم » في كنيسة مصيف مطرانية بيروت في عين ساده (بيت مري – لبنان) .

عدد ٤٢ – صلاة للثلاثة والخمسين شهيداً من رهبان مار مارون (راجع عدد ٣٥) .

ويقول السيد الدبس في نبذته على الفروض انها لابن اخيه المطران يوسف اسطفان . قال السيد الدبس ان صلاة مار مارون هي له . . .

، تلساً : المطران يوسف اسطفان († ١٨٢٣)

عدد ٤٣ – له صلاة القديس يوحنا مارون البطريرك الاول على طائفتنا المارونية . عيده في ٢ اذار . واقدم كتاب طقسي ماروني نعرفه ذكر عيده هو : « مخطوط حدشيت الثالث » الموجود في مكتبة بكركي البطريركية المنسوخ سنة ١٤٩٦ ، والله اعلم بقدم تاريخ النسخة التي نسخ عنها هذا المخطوط . . . وكذلك كلندار الشحيم القديم المنسوخ سنة ١٥٠٨ ، في قبرس والموجود تحت عدد ٧ او ٢١٧ او ٣٠٠ . يذكر عيده في ٩ شباط .

وسترى في آخر نبذتنا هذه كلمة عن هذا الكتاب . وقد دونا كلمة عن العيد في درسنا العلمي التاريخي على كتاب الشحيم (ص ٦ و٦١) .

اما المدرش الذي في آخر صلاة القديس يوحنا مارون ، فهو لمثلث البطريرك يوسف اسطفان كما ذكرنا في عدد ٣٩ .

وقال السيد الدبس ان صلاة الـ ٣٥٠ شهيدًا هي له . وكذلك صلوات ستّة الاستعداد للميلاد .

عاشرًا : المعلم منصور الحكيم .

عدد ٤٤ – يقال كثيرًا ان لهذا المعلم صلاة لعيد قلب يسوع الاقدس وان لها نسخة في بكركي كرسي البطريركي الماروني . لكننا بعد البحث لم يطابق الخبرُ الخبرَ . وسيأتي الكلام في عدد ٨٢ عن صلاة لهذا العيد المجيد وقعت في يدنا – مسودة – خرطوش – من سنوات فاصلحناها وبيضناها صونًا لها من التلف . عسى بحث الباحثين في المستقبل ، يحقق لمن هي هذه الصلاة من علائنا الاعلام الافاضل ، لانها بديعة جدًا ، ولعلها هي الصلاة المعزوّة الى هذا المعلم الفاضل او هي بالحري للبطريرك يوسف اسطفان (طالع عدد ٨٢ من هذا البحث) .

حادي عشر : الاب ميخايل التنوري الراهب الماروني اللبناني († ١٩١٤) .

عدد ٤٥ – له صلاة القديس قبريانوس والقديسة يوستينا الشهيدين موجودة في ديرهما المبارك (كفيفان – لبنان) عيدهما ٢ ت ١ .

الثاني عشر : الخوري يواكيم الزغبي « عجلتون » (لبنان † ١٩١٨) .

عدد ٤٦ – له صلاة القديس الفونسيوس ليكوري (١٦٩٦–١٧٨٧) ، موجودة بكنيسة السيدة في عجلتون وهي مؤلفة من مساء . صبح . وعيد هذا القديس في ٢ آب .

الثالث عشر : الاب يوسف حبيقه البسكنتاوي الراهب الماروني اللبناني واضع هذا البحث .

عدد ٤٧ – له صلاة المساء لعيد سيدة لبنان الذي يحتفل به في الاحد الاول من شهر ايار ملحق بها طلبة طقسية لهذا العيد نظمها على الحروف الابجدية .

وعلى الزهور والعطور اختتمها بقوله :

يا ارزًا مظلّلًا على اللبنانيين

رابع عشر : المؤلفون المعروفون دون ان يعرّف ما ألفه كل منهم هم الآتي ذكرهم :

السيد عبدالله قرا علي مطران بيروت († ١٧١٦ — ١٧٤٢) (المشرق ١٠ : ٦٢٥—٦٩٥) تنسب اليه الافراميات التي تتلى في القداس . واناشيد جميلة لسيدتنا مريم العذراء . والمطران بطرس مخلوف الذي كان حيًا سنة ١٧٢٠ . وقد ذكر العلّامة الدويهي انه ألف ميامر و«تشمشتات» اي صلوات طقسية فرضية «المشرق» وله من المؤلفات :

١ً : سنكسار ماروني شهري وقمري منه نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٦٩١ ونسخة في حوزة احد معارفنا تاريخها سنة ١٦٩٤ وهي اكثر واخصر تذكارات من سنكسار النابغة فرحات المستعملة الآن في طائفتنا المارونية واعل هذا الكتاب«بستان القديسين»هو كتابه .

٢ً : كتابه « حياة السيد المسيح » نقله من اللاتيني الى العربي وفي آخره حياة العذراء مريم . وجمله في مقدمة « بستان القديسين » .

٣ً : كتاب « مفتاح البيعة » يحوي مقالات عديدة ألّفها وافرغها في شكل اسئلة واجوبة . باشر فيه بالماء المصلى ثم تناول الكلام في الانجيل والحبر الاعظم . فالكنيسة تشرح مشاكل الانجيل . اما الناسخ فهو القس سليمان من مشمش . ويلي هذه مقالات في المجامع المسكونية ثم في صحة الكتب المقدسة ثم في (القراءات) بحث انتقادي في عشرين فصلًا .

٤ً : شارك بعض الاساقفة في ضبط الشرطونية المصدقة من العلّامة الدويهي على شرطونية البطريرك ارميا المشيتي بخط يده سنة ١٢١٥ وعلى شرطونية تادروس مطران الناقوره المخطوطة سنة ١٢٩٦[1] .

٥ً : معلومات عن الكنيسة الطقسية تاريخية جمعها في كريرية تتضمن اموراً تاريخية ولاهوتية وعلمية وروحية .

٦ً : له نسخ صلوات كثيرة من كتاب « التشمشت » والانجيل المقدس . منه نسخة جميلة بدون تجليد في دير طاميش خطها في دير مار انطونيوس النبع في (بيت شباب—لبنان) .

---

١) اخذنا اكثر هذه المعلومات عن فقيد العلم الخوري بطرس غالب وقد ذكرناها هنا من حيث انها مجهولة عند الاكثرين .

معجم العلائلي (تابع)

بقلم الاستاذ منصور ابي صالح

ب) — « أت » — لدى العلائلي

نصَّ المؤلف في مقدمات ثلاث لهذا الحرف ان الوحدة الاشتقاقية في :

« أتَّ » هي : « انبثار التماسك تحت ضغط شديد ». وفي .

« أنا » : هي تماسك الطاقة الحيَّة في الضويات خلال مسراة تحلُّقها لتنتهي . . . بتحوُّل الكيفِ الى كَمٍّ . . . وغلب في الثبات ونقـل مجازًا الى الضريبة والدفق المتكاثر » . وفي .

«أتى» : هي « الطاقة المنطلقة من البعيد او الاعماق او المجهول بتماسك واستحواذ الخ» .

ثم اورد المتن كما يلي :

« انا الشجر » : كثر جناه — الماشيةُ : نمت — الحاكمَ ' اتاوة : رشاه .

« انا المسافر اتوًا في السير » : استقام واطرد .

« اتا به » : سعى به الى خصمه ترلُّفًا و—عليه : وشى .

« الإتاء » : ريع الزروع والزَّبَد .

« الإتاوة » : الخراج والرشوة وقيل خاصةً بالماء .

« الأتو » : النمط — الاغداق بالعطاء — حركة ثني الرجل في السير .

« الأتوة » : الدفعة في رمي السهام .

ثم اورد مادة «أتى» كما يلي :

« أتى الزائر » : جاءَ — النائب : حضر — الشيءَ : فعله .

« أتى الحاكم لفلان الأمرَ » : يسَّره — المعروفَ : فعله .

« آتى النقيرَ » : اعطاه — اليه الشيءَ : ساقه — على السرِّ : اوقفه .

« استأتى استئتاء » : طلب اليه الحضور — استبطأه — الانثى : اغتلمت .

المأتى الوجه المسلوك اه موجزًا .

فاذا نظرنا في هذه المقدمات الثلاث رأينا « انبتار التماسك » يليه « تماسك الطاقة » ثم « انطلاقها » من الاعماق او « المجهول » وهذا مع ما فيه من منافاة بعضه لبعض نراه مناقضاً لقواعد مقررة اليك بيانها :

اتفق المتقدمون والمتأخرون ان الهجاء او المقطع الواحد معنىً خاصاً فاذا اضيف اليه هجاء ثانٍ او ثالث كان لك معنى جديد يضاف الى الاول وان المؤلف نفسه بعدما عرَض في كتابه (مقـدمة لدرس لغة العرب) جميـع الابحاث السابقة من القدماء الى المحدثين كالدبس واليازجي وزيدان والكرملي استقرَّ على القواعد التالية : (اخذًا عن كتابه المذكور صفحة ١٢٣ و ١٢٤).
(ان كل اللغات مرَّت بادوار ثلاثة :

ا) دور المقطع البسيط مثل با Ba وقد ولّد المقاطع الواحديّة وكان في كل صوت يدل دلالة بعينها فمثلًا « عو » يدل على الحيوانات الثَّدْيية و« وا » الصوت المتكرر . وكرر ذلك مثبتاً القاعدة (صفحة ١٢٩) حيث قال :« وجملة القول ان الدور الفطري في غايته ادّى الى الحروف بأصواتها لتدل دلالات ثابتة تختلف باختلاف الصوت مع الحرف ».

ب) الدور ذو المقطعين مثاله « عو » الحيوان المفترس « وا » الصوت المتكرر وبادغام المقطعين تُوُصِّل الى « عووا » بمنى حيوان يصوت او يواصل التصويت .

ج) الدور ذو المقاطع اذ كان الانسان يجمع من المقاطع البسيطة الواحدية والمقاطع الثنائية ويؤلف منها دلالة مركبة) .

وقرر المؤلف (صفحة ١٢٧) ما معناه في ما نظن : ان الحروف بأصواتها هي اللغة الفطرية بنيت على المصادفة والمحاكاة والتقليد .

ثم بعد بحث مستفيض في الموضوع انتهى الى القول « السداسي يرجع الى الخماسي وهذا الى الرباعي وهذا الى الثلاثي وهذا الى الثنائي وهذا الى الاحادي » انتهى صفحة ١٥٤ .

فهذه القواعد التي سنَّها القوم ووافقهم المؤلف عليها ببسط وايضاح وتعديل نراها صحيحة واجبة التطبيق فهل من الممكن تطبيقها على حرف « أتَ » وهل

يأتلف الانبتار مع تماسك الطاقة ثم انطلاقها من الاعماق او المجهول واين هي الدلالة الثابتة للهجاء او المقطع الواحد التي نصّ عليها العلماء. ومنهم المؤلف.

واذا انتقلنا الى المتن اللغوي وجدناه على ما اثبتناه اعلاه وتساءلنا عن العلاقة بينه وبين مقدماته وعن علاقة مفرداته بعضها ببعض وهل من وحدة معنوية تربط ما بينها من قريب او بعيد أوَ لا تزال المادة الواحدة تناقض بعضها ؟ فانّ

« أتّ » نقرن الكبت بالحجة الى الدوس بالرجل.

و « أنا » نطوي جناحيها على النمو والرشوة والخراج والسعاية والوشاية.

و « الانو » يضم النشط الى العطاء وحركة تي الرجل وقد اغفل الداء والبلاء والموت والشخص العظيم.

و « اتى » تعني : حضر ، كما ان مزيدها « استأتى » تعني : اغتلم

وقد اغفل بهذه المادة (أتيّة) الجرح اي مادته.

فهل من فائدة للمقدمات وهل تنطبق على المفردات وهل من وحدة معنوية بين الأصولِ والفروع او فيما بين الفروع نفسها مما يربط بعضها ببعض.

ج) ات — عندنا

ورد هذا الحرف لدينا كما يلي :

اتا : سار

« أتا في السير يأتو أتوًا » : استقام فيه واسرع ومنه.

« المأتور » : ما احسن أتو يدي ... الناقة او الفرس.

« أتت الشجرة » : تأتو أتوًا إتاءً اذا دبّ بها النموّ وبدا صلاحها وطلع ثمرها وكثر حملها.

« أتت الماشية اتاء » : نمت ومنه.

« أتا عليه اوبه » : سعى به عند السلطان مثلًا لا قيد.

« أتوته » : لغة في أتيته ومنه قول ابن زهير. « كنت اذا أتوته من غيب »

« أتوته » : دفعت له الإتاوة (اطلبها فيما يأتي).

« الأتو » م. الأتوة : مصدر يؤدي كل معنى الفعل. اي السير والعدوّ والنمو والعطاء — ومنه.

المأتور : اذا مُخض السقاء وجاء بالزبد يقال : « جاء أتوه ».

« الأَنْوُ »: الطريقة ، ومن .

المأثور : « ما زال في كلامه على أنوٍ واحدٍ » ومنه .

« الأَنْوُ » : اطلقت على الشخص العظيم [الممتاز بأنوٍ يعرف به] .

ومنه حديث الزبير : « وكنا نرمي الأَنْوَةَ والأَنْوَتَيْن اي الدقمة والدفنتين.

يريد به رمي السهام عن القسيّ – ومن هنا اطلق على البلاء والمرض الشديد والموت .

« الإناء » : مصدر : نماء الزرع وريعه وثمره.

« الأناء » : ج آناء وأُنِيٌّ : ما يسقط من إكال الشجر وخشبه وورقه .

« الأناء » : الزبد ومنه لابن الاطنابة :

شعر: وبعض القول ليس له عناجٌ [رباط] كمخض السيل ليسَ له أناءُ

« الإتاوَة » : ج . أَتاوَى وأَتاوي وندر أُتِيّ كَمُرِي : اما رسم مقرر يدفعه صاحب الارض المستقي لتأتيه الماء. واما رشوة تدفع لاستقاء الماء. ثم عممت لكل رشوة.

ومنه للتغلبي :

شعر: ففي كل اسواق العراق إتاوَةٌ وفي كل ما باع امرؤٌ مكسُ درهم

ونعلي « أُتِيّ » من باب رُمِيّ . ومنه للطرماح :

شعر : لنا العضد الشُدَّى على الناس والأُتِيّ ومنه له ايضاً :

شعر : وأهل الأُتِيّ اللاتي على عهد تُبَّعٍ

« الأَتاويّ » : السيل يأتي من بلدٍ مُطر فيه الى بلدٍ لم يمطر فيه .

« : النهر تأتي به من أرض سواك الى ارضك وهو دون السريّ [ومنه مجازاً] :

« : الغريب ، الدخيل في القوم ومنه لحاجبة الانصار :

شعر : أطعمتَ أتاويّ من غيركم فـلا من مرادٍ ولا مذحجِ

ارادت بالأَتاوي النبي فقتلها الصحابة وأهدر دمها ومنه ايضاً :

شعر : لا يعدلنَّ أتاويُّون تضربهم ومنه عن عثمان بن عفان :

حديث : « قولا له إنا رجلان أتاويَّان » ومنه :

المأثور : نسوة أتاويَّات . ومنه لابن الارقط .

شعر : يصبحن بالقفر أتـاويَّاتٍ

اتى

« أتى وأتاه يأتي أتْياً – م – أتية وأَتْياً ، وإتياناً – م – اتيانة [على ندور] ومأتى – م – مأتاة فهو آتٍ وأتِيٌّ ومأتيٌّ» [مفعول] : جاء ، حضر . قربُ ، دنا . ومنه :

« قرآن » اتى امر الله فلا تستعجلوه

" انه كان امره مأتياً

المأثور : أتيت اجا الرجل اي دنا منك العدو .

« اتى » الامرَ من مَأتاه ومأتاته : اتاه من وجهه الذي يؤتى منه .

" الامر والذنب : هيأه وفعله ، بلغ آخره ، مرّ به .

" على الشيء : انفده استكمله .

" عليه الدهر : اهلكه ، مات .

" عليه ذو اتى : اهلكه .

" به : اخذه (قرآن) اينما تكونوا يأتِ الله بكم جميعاً .

« إِيتِ و تِ » : فعل امر مثل خذ وكل ومر :

شعر : تِ لي آل زيدٍ فابدهم في جماعة

« أَتِيّ فلان » : فوجئ كأن يشرف عليه العدو او يدنو منه بغتة . ومنه :

المأثور : فلسنا اتانا أُتِينا وانه السبُع

« الأتيُّ » : رجع اليدين في السير :

المأثور : ما احسن أتيَّ يديَّ . . الناقة او الفرس

« الأتية والإتيانة » : الأتية المرة الواحدة من الإتيان تقول اتاني فلان اتيةً واحدةً ولا تقل اتيانةً واحدة الا في اضطرار الشعر وهو قبيح لان المصادر الثلاثية كلها اذا جعلت واحدة ردت الى بناء فعلة وذلك اذا كان الفعل منها على فَعَلَ او فَعِلَ فاذا ادخلت الى الفعل زيادات فوق ذلك ادخلت فيها زيادتها في الواحد كقولك : اقبلت اقبالة واحدةً .

« الأتيُّ كالأتاوي » : اي السيل لا يُدرى من اين يأتي ومنه :

الشعر : لأمخضنَّ جوفك بالدَّلي حتى تنودي اقطعَ الأتيّ

اذ كان الشاعر يستقي الماء من البئر ويخاطبها قائلاً :

سأمخضُ جوفكِ بالدلاء حتى ينقطع ماؤكِ . ومنه :

الشعر : سيلٌ اتيٌّ مدَّه أتيُّ

« الأتيّ » : الدخيل في القوم ومنه ما رُوِيَ ان النبيَّ سأل عن شخص توفي : « هل تعلمون له نسباً فيكم ؟ » فاجيب : « لا انما هو اتيٌّ فينا » فقضى الرسول بميراثه لابن اخته . كالأتاء اي ما يقع في النهر من خشب او ورق او غير ذلك . ج . آتاء وأتى .

« المأتي » : اسم مفعول من أتى بمعنى المقضي المنجز ، ومنه :

« كان وعده مأتياً » قرآن

ومن امثالهم مأتيٌّ انت ايها السواد اي لا بد لك من هذا الامر .

« أتيّة » : الجرح وإتيّته مادته التي تسيل به من مصبها .

« مأتى . م . مأتاة » : مكان الإتيان اتى الامر من مأتاه ومأتاته . ومنه :

شعر : ائتها وحدي من مأتاتها ومنه لشاعر عصري :

شعر : والشيء من مأتاه لا يستغرب

« الميتاء » : والاصل مئتاء مفعال من أتى بمعنى تلقاء وازاء . ومنه :

المأثور : داري بميتاء دار فلان او ميداء دار فلان

[اي في المحل الذي تأتي منه الى دار فلان او الذي يؤدي اليه فيكون تلقاءه او ازاءه]

« الميتاء » : بمعنى الخطة او النسق ومنه :

المأثور : « بنوا بيوتهم على ميتاء واحد او ميداء واحد » . اي على خطة واحدة ونسق واحد .

« الميتاء » : غاية الشوط في الميدان حيث يقف جري الخيل . ملتقى الطرق او مفارقها . [مصلّية] .

حيث يكثر الاتيان كقولك روضة محلال . يحل بها الناس كثيراً ورجل مفضال كثير الفضل ومنه طريق ميتاء : اي يأتيه الناس بكثرة فهو عامر سالك ومنه :

الحديث : لولا انه وعدٌ حقٌّ وطريقٌ ميتاء لحزنا عليك اكثر .

وحديث اللقطة : ما وجدتَ في طريق ميتاء فعرّفه سنة [اي اعلن عنه مدة سنة] .

« الميتاء » : المعطاء اي الكريم الجواد .

« آتى » فلاناً والى فلان شيئاً : جعله يأتي اليه بمعنى اعطاه اياه وساقه اليه .

« آتى يؤآتي » : ايتاء وآتاه ايتاء : جازاه واعطاه وقد قرئ :

« ان كان مثقال حبّة من خردلٍ أتينا وآتينا بها » [اي اعطينا وجازينا] .

« آتاه » : اتى به . ومنه قرآن :

« آتنا غداءنا » : إئتنا به .

« آتاه » على الشيء يؤاتيه مواتاة : طاوعه ووافقه [كأنه قال اتى على مأتاه] ومنه :

الحديث : خير النساء المواتية لزوجها .

والشعر : فقال خذ قلت كفي لا تؤاتيني .

« أتى » الماء وللماء. تأتياً وتأتية : وجّه له مجرىً [مثل تنّى] وعن ظبيانْ في صفة ديار ثمود.

حديث : « أتّوا جداولها اي سهلوا طرق المياه فيها » .

« أتى لأرضه أتِيّاً : [جدولاً] ساقهُ اليها . ومنه عن الفقعسي :

شعر : في كل تيه جدول تُؤتّيه

« تأتّى » له الامر : تهيأ .

« تأتّى » للأمر : اذا أتاهُ من وجهه وترفق له . وتأتّى : تهيأ له . ومنه للاعشى :

شعر : اذا ما تأتّى تريد القيام .

« استأتاه » : طلب ان يأتيه [كأنه استبطأه] .

〃 المرأة الرجل : ابدت الرغبة بأن يأتيها .

أتّ

« أتّ » فلاناً يؤتّه أتّاً : داسه وشدخه .

〃 غتّه بالكلام وبكّته بالحجة .

« المِئَتّة » : مفعلة منه اي الموضع الذي يكثر فيه الأتّ .

[باستقراء هذه المادة « أتّا ، أتى ، أتّ » يظهر ان الاصل فيها « أتّ » يجانسها « أدّ » وكلتاهما حكاية صوت الدوس مماثلتان فلما مدّ الصوت بالحركة دلّ على امتداد الدوس وان شئت فقل السير وعن السير او الدوس تفرع معنى السير اللازم فالمتدي فسواهما على ما مرّ بك تفصيلاً اعلاه .

اما « أتّ » فالتشديد فيها اضاف الى الدوس او السير معنى الشدخ وهو بحسب النصّ اللغوي كسر الرطب او الاجوف كالبطيخ والحنظل وذلك يأتلف تماماً مع الدوس والسير بمعنى ان الدوس مثلاً لا يكسر الحجر او ما هو قاس بل اذا سار المرء على شيء ليّن او داسه قيل أتّه او شدخه ولا يقال كسّرهُ . ثم اضاف التشديد معنى الغلبة الحقيقية او المجازية بالكلام والحجة] .

٣ : مثال ثالث

١) : ـ اث ـ في المعاجم السابقة

« أثأه بسهم » : رماه به .

« إئتثى » : لم يشتهِ الطعام .

« الإثية » : الجماعة ومثلها الاثيه من أثّ .

« اثّ » : كثر والتفّ .

« الأثاث » : الكثير من المال وافضل منه : قولهم ما يستعمله المرء ويلبسه من الغطاء والوطاء .

« الأثُّ » : والأثيث ، والأثوث : الكثير العظيم .

« أثا يأثُو أثوًا » : وشى به .

« أثي أثيًا إثاية » : سعى به .

« تآثى المتخاصمون » : ترافعوا عند السلطان .

ب) : أث — عند العلائلي

لهذا الحرف عند المؤلف اربع مقدمات فيها بيان الوحدات الاشتقاقية المعنوية وحكاية تطور الجذر :

الاولى : « أثّا » : ووحدتها التحرك الجميع الكثيف .

الثانية : « أثّ » : ووحدتها الكثافة الملتفّة .

الثالثة : « أثا أثوًا وأثي اثاوة » : النتوء بكثافة .

الرابعة : « أثي اثيًا » : التخفي الكثيف .

[فانت ترى الوحدة المطلوبة في المواد الاربع هي الكثافة يضاف اليها في كلّ مادّة معنى آخر أي التحرك والالتفاف والنتوء والتخفي فمن اين جاء ذلك ؟

واذا انتقلنا من المقدمات الاربع الى متون هذه المواد ظهر لنا التناقض بدلًا من ان تجيء المتون مؤيدة للمقدمات . ففي الاولى ورد :

« أثا الهدف بسهم » : رماه به . والاثيّة : الجماعة .

فاين المعنى الجامع بين الرمي بالسهم والجماعة . وفي الثانية ورد

« أث الشعر والشجر » : التفّ وكثر ومن المزيد ورد تأثث : أصاب متاعًا ورياشًا . والتاجر عاش بخفض ونعمة .

فأين ظهرت الرابطة المعنويّة بين كثافة الشعر والشجر والمتاع والرياش والعيش بخفض ونعمة . وكذلك قل في المادتين الباقيتين اذ في :

« أثيّ إثاوة » : نشر العيوب وفي مزيده إئتثى : فارقته شهوة الطعام .

فأي رابط بين المعنيين ؟ ومثله قل في :

« أثا أثوًا » : غاله بالوشاية وخدشه . واثا عليه : وشى باختلاق .

والنتيجة : ان المقدمات النظرية لم تقدمنا ولو خطوة واحدة في بيان الوحدة الاشتقاقية المعنوية] .

ج) : أثّ : كما يجب ان تكون في عرفنا

« أثّ » : النبات يؤثّ ويأثّ ويئثّ أثاثًا وأثاثة : كثّ وكثُفَ وكثر والتفّ .

« الأثاث » المتاع اذا وطّأتَه ووثّرته ونضّدته لباسًا او فراشًا دثارًا او رياشًا لاستعمالك الشخصي او المنزلي : ولمجال كثرته كنى به بعضهم عن المال والخير مطلقًا [وهو توسع لم يغلب بالاستعمال فالاولى به الاهمال وقصر المعنى على الامتعة الشخصية او البيتية] .

« الأثوث » : الكثيف من كل شيء يوصف به الشعر الكثير والنبات الملتف [ارى اطلاقه على المقوّى اي الكرتون] .

« الأثّ » م . أثّة ج . أثاث . كالأثيث م . أثيثة ج . أثائث : الكثير ، الكثّ ، الملتفّ ومنه :

المأثور : نبتٌ أثيث وشعر أثيث ولحية أثّة وأثيثة . وورد الأثائث النساء الطوال التامات [من النساء] . ومنه لامرئ القيس :

شعر : وفرعٍ يزين المتن أسودَ فاحمٍ
أثيثٍ كقنوِ النخلة المتعثكلِ

اي انّ شعرها الاسود الفاحم المتجعّد المتلبّد مرسل على ظهرها يزينه كأنه قنو (عذق او عنقود) نخلةٍ مُلبّد بالثمار .

« أثّث الأثاثَ » : وطأه ووثره .

« تأثّث فلان » : اعدّ الاثاث لنفسه او لمنزله . ومنه توسع به بعضهم فقالوا : اصاب الخيرَ والمال مطلقًا .

« الأثيّة ج. الأثاثيّ » كالاثفية ج. الاثافي زنة ومعنى اي حجارة تجمع فتنصب وتجعل القدر عليها .

[ومن المعنى الاصلي اي « الكثافة » والمعنى الفرعي « جمع الاحجار » الى بعضها لوضع القدر عليها نشأ معنى التجمع والجماعة فورد :]

« الإِثْبِيَّة كالأثْيَة » : جماعة القوم . قالوا : جاء فلان في إِثْيَّة من قومه اي في جماعة كما ورد :

« الإثاء » : الحجارة [المجموعة] ومنها :

« أثأه » : بسهم [او بحجر] يأثؤه أثأ وأثاءة فهو آثئ : رماه به ومنه مجازاً .

« أثا » : الرجل وبه وعليه أثوا وإثاوة (واوي) ومثله أثى الرجل وبه وعليه أثياً وإثاية (يائي) فهو آث وثى به وسمى [اي رماه بالعيب ونمّ عليه وشكاه الى ذي سلطان مثل لا قيد] . ومنه عن ابي الحارث الازدي :

حديث : « لا آثين عليا فلا ثين بك » : اي لاشين بك ومنه :

حديث : « انطلقت الى عمر أثي على ابي موسى الاشعري » .

شعر : وإن امرأ يأثو بسادة قومه
حري لعمري ان يذم ويشتما

شعر : ولست اذا ولى الصديق بوده
بمنطلق آثو عليه واكذب

شعر : ولا اكون لكم ذا نيرب آث [النيرب : الشر والنميمة]

« المأثاة » : (واوية) والمأثية (يائية) : السعاية والوشاية .

« آثى يؤاثي مؤاثاة » : فهو مؤاث [واشٍ] : خاصم .

« تآثى » : المتخاصمون وتأثوا ترافعوا عند السلطان [اي ترامو لديه بالسعاية والوشاية] .

« إِنتشى يأتثي » : فهو مؤتث : خاصم [سعاية ووشاية] .

« الطعام » : اكثر منه حتى عافه وبات عطشان لا يروى .

[وهكذا ترى المادة تدرجت من التكثف الطبيعي الى التكثف بفعل فاعل كالاكثار من الاكل وجمع الحجارة والسهام الى الترامي بالحجارة او السهام ثم الترامي بكل شيء حقيقة فالترامي المعنوي والسياسي وشاية وسعاية ولا أثر لعناصر التحرك والتخفي في تطور المادة ولا شاهد عليها في الاستعمال] .

٢

في الثلاثي

حسبنا من الثنائي الامثلة المتقدمة دليلاً على حال معاجمنا ونهجنا في محاولة تنظيمها واحلال المنطق فيها محل الفوضى .

وفيما نرى الثنائي كله ، الا ما ندر ، يجري مجرى الامثلة التي ضربناها ننتقل الى المواد الثلاثية وهي اصعب مراساً فنبدأ باشارة موجزة الى ما في المعاجم ثم الى ما قدمه المؤلف على ان من شاء من البيان مزيداً يستطيع الرجوع الى الأصول . ثم نعرض ما لدينا فنضرب بعض الامثلة بياناً لطريقة معالجتها .

وعندنا ان اكثر الثلاثي مركب من ثنائيين ولسنا في مقام التفصيل والتدليل وبناء النظريات وايراد الشواهد فذلك امر يطول ويقصر دونه المقال فنضرب بعض الامثلة رأساً ولعلها تغني عن مزيد الايضاح .

مثال اول

أبت

أجمع اصحاب المعاجم السابقة على القول .

« أبتَ اليوم » : اشتدّ حرّه وسكنت ريحه الخ . . .

اما المؤلف فلديه في هذا الحرف وجهان فالوجه الاول ما نصّ عليه في مقدمة المادة وهو ان الوحدة الاشتقاقية فيما هي :

« العزم البالغ غاية الفعل وانه يقدر رجوعه الى ثاني « بتّ » وانه بالتخصيص يبلغ درجة الاشتمال الخ . . . »

والوجه الثاني ما نص عليه في متن المادة من ان المعنى ارتفع الحرّ والتظى وفار فجأة واحتدم .

وملحوظ ان المؤلف لم يُبيّن كيف ان العزم البالغ الغاية خُصّص بالحرّ وانواعه : الارتفاع والالتظاء والفوران والاحتدام ولا من اين جاءت هذه الفروق بحيث يبقى القارئ متطلعاً الى اكتناه السبب لهذا التقسيم راغباً في الايضاح .

اما ما لدينا فهو كما يلي :

« أبتَ » : [من « أبّ » تحرك و « بتّ » قطع = انقطعت الحركة] . اي سكن الهواء فاشتدّ الحرّ . [ومن الدارج على السنة العامة في عهدنا كناية عن مثل هذه الحال قولهم : « نهار ما فيه غصن يهز » .] « يأبُتُ » : وأبتَ . يأبُتُ . أبتاً

وأُبوتاً . اليوم : اشتدّ حرّه فهو : آبِتٌ . وأبِتٌ . وأبْتٌ . ومَأبوتٌ : حارٌ ومحرور .

« أَبْتةُ النضب » : سورته وشدته .

« تأبَّتَ الجمر » : احتدم فهو « مُتأبِّت » : محتدم ومن المأثور ليلة آبِتةٌ وأبِتَـةٌ وأبْتةٌ . شديدة الحرّ .

وهكذا ترى « أب » حافظت على دلالتها ، الحركة و« بتّ » حافظت على دلالتها ، القطع ، وفقاً للقاعدة المبيّنة اعلاه (ص ٧٢) .

ومن اجتماع الدلالتين «الحركة والانقطاع» نشأ المعنى الجديد : « اشتداد الحرّ » وعندما ارادوا التعبير عن « احتدامه » قالوا : « تأبّت » فدلوا بتشديد اللفظ على شدة المعنى وفقاً للقاعدة القائلة : « لا بدّ للزيادة من معنى » .

وعلى هذا النحو تجري اكثر المواد] .

مثال ثانٍ

أَبَثَ

في المعاجم السابقة محيط المحيط ابتدأ بأبَثَ المتعدي فقال :

« أبَثَ » : سعه عند السلطان . ثم انتقل الى اللازم فقال :

« أبِثَ » : شرب لبن الأبل حتى انتفخ وامتلأ « الأبِث » واستدركه التاج بمعنى القفز .

ومثله اللسان بدأ بالمتعدي بالواسطة فقال :

« أبَثَ عليه » : سبّه عند السلطان خاصة [فبدّل سعى بسب] ثم اورد « الأبث » عن التهذيب فقال هو القفز وقد أبَثَ يأبَثُ أبْثاً ولم يزد [فكأنه قال أبَثَ معناه افتقر ولم يورد نصّاً لغوياً شاهداً ولا يمكن ايجاد وحدة معنوية بين الفقر والنفر والسبّ والسعي وشرب لبن الابل] .

اما المؤلف فقد جعل الوحدة المعنوية « العزم الفاعل في الفساد والنشاط الأشر والفراغ المترف السامح بالبطر » .

وهذا قول مطلق لا يظهر وجه تخصيصه بهذا الحرف كما لا يفهم المقصود من قوله « فراغ مترف » واين الفراغ من شرب البان الابل والمجابهة بالسب عند السلطان .

على انه في تحريره المتن أصاب بابتدائه بالمعنى الأصلي شرب البان الابل حتى الانتفاخ كما أصاب بجعله مجازاً الى الانتفاخ موجدة على الزميل حتى السب عند السلطان واحسن باعتماده القفز عن التاج دون الفتر والقفر .

الا انه لا يُدرى القصد من قوله « الزميل » ما لم يكن الرجل كما مثلت سائر المعاجم . كما انه لم يعلل للمعنى الاصلي ولا كيف تخصصت المادة بشرب البان الابل حتى الانتفاخ . ولو انه حاول تطبيق القاعدة القائلة ان كل هجاء او مقطع له «دلالة ثابتة» كما قرره الباحثون وقد وافق هو عليه (يراجع تعليقنا على مادة أت ص ٧٢ وما يليها) تتجلى له سير المعنى .

اما ما لدينا فهو كما يلي :

« أبِثَ » : [من « أبّ » تحرّك و « بَثّ » نشر واثار = الاشَر ، البطر ، القفز السب] يَأبَثُ أبَثاً الرجل فهو أبِثٌ [لازم] شرب من البان الابل حتى انتفخ واخذه كهيئة السكر فهو أبِثٌ أي أشِر وبطر وفرح ونشط الخ .. وعليه قول ابي زرارة البصري : أصبح عمّارٌ نشيطاً أبِثاً .

[وعلّة ذلك فيما ارى ان البان الابل حامضة تختمر فتحرك فتنبث في جسم شاربها فينتفخ ويأخذه كهيئة السكر لذلك خصّت المادة بشرب البان الابل . ثم استعير الانتفاخ الحقيقي للانتفاخ المجازي حدة واحتداماً وموجدةً حتى السبّ بحضرة الحاكم ومجابهة الخصم كما ترى فيما يلي] :

« الأبَاثَى » : [وفي البستان الأباثى] : ورد قولهم إبلٌ أباثى : بَرُوكٌ شِباعٌ [استعارة من شارب لبن الابل حتى اخذته هيئة كالسكر وهي بحسب القياس ج أبْثَى بالفتح مفرداً وجمعاً كما اثبتها المعجم .

« الأبْثُ » : مصدر أبَثَ التالية : الفقر [من الاشر والبطر مما يلابس الانتفاخ الحقيقي او المجازي] .

« أبَثَ يأبِثُ أبْثاً فهو آبِث » : الرجلَ خصمه وعليه : سبه عند السلطان ويصح سببه ومعناها شتمه ووقع فيه .

« أنتَبَثَ » : ورد منه « المؤتَبِثة » سقاء يملأ لبناً ويترك فينتفخ .

[وكما رأيت « أبّ » محافظة على معناها « الحركة » في « أبث » كذلك تراها في « أبث » محافظة على المعنى نفسه وبادغامها بجذر « بث » . نشأ المعنى الجديد اي : الانتفاخ

من شرب البان الابل الحامضة ، ومن هـذا الانتفاخ الحقيقي نتج الانتفاخ المجازي اشرًا وبطرًا ونتنًا نوجدة فحدّة حتى السبّ بحضرة الحكام ذوي السلطان .

وهذه القاعدة مطّردة في كل الجذور فانّ «بتّ» تحافظ على معناها حيثًا وقعت وكذلك «بث» وبجّ وبحّ الخ . كما سترى في «أبد» .

الا ان الثلاثي قد يكون اصيلًا اي غير مركّب من ثنائيين بل مشتقًا من جذر جامد فعندئذ لا وجه لتطبيق القاعدة كما لو اعتبرنا ان «الابرة» وجدت ابتداء على لفظها الحالي مرتجلة ارتجالًا او مستعارة من لغة اخرى ثم اشتق منها الافعال والاسماء الواردة في المعاجم فبهذه الحال لا معنى للبحث عن مباني الجذور . وبالعكس اذا اعتبرت الابرة مأخوذة اساسًا من جذر «أبّ» و«بر» او «برى» الخ فيجب تقصي معنى الجذور ، وقطعًا للجدل نفرض اننا نستعمل فعل «قلّم يقلم قلمًا فهو قالم ومقلوم» اخذًا من لفظة القلم والاقلام فبالطبع لا يمكن الرجوع بهذه الالفاظ الى جذرين والا كان ذلك كقول بعضهم «الاندلس من التدليس» و«البغل من عين الثلب» ولا اسخف من هذا الهذيان] .

«الأَبّج» : الأبد [وهي تحريف عنه ولذلك وردت منفردة] .

«أَبخَ» : الطب وبّخ .

مثال ثالث

أبد

في المعاجم السابقة

الأبد : الدهر . الدائم . القديم الأزلي . الولد اتت عليه سنة

الأوابد : الوحوش الضواري . القوافي الشرد .

أبد : غضب . توحش . الأمة . الفرس . الولود .

الأبيد : نبات .

تأبد : توحش . أقفر . كلف . طالت غربته . أو عزبته . أبد بالمكان أقام فيه .

أبد

في معجم العلائلي

وضع المؤلف لهذا الحرف مقدمة غريبة حقًا ففيها :

١ – الدزم الفاعل في امتداد وشمول وتمكن .

٣ – فاشتق منه معنى الدهر الذي كان في خيال القدماء القوة الدائرة بالانشاء والإبادة .
٣ – (مجازاً مرسلاً بالمجاورة) نقل الى معنى التوحش .
٤ – (مجازاً المترل القفر يلحظ أن الأثر المجسد لمواطئ اقدام الدهر المرعبة .
٥ – أو بمعنى التوحش ينظر الى ثاني « بد » اي التبدد أو ثاني « بدو » أي البداوة .
٦ – أصل الجذر ترجمي « ميثولوجي » ينظر الى « بد » اله الفناء .
٧ – وأخيراً لم يفته الإستشهاد لرأيه بكلمتي « لابد » و « أبداً » .

واما المتن اللغوي فقد اثبته كما يلي :

« أبد يأبد أبوداً » : الرجل بالمكان الموحش أقام لم يبرح .

« أبد يأبد » : توحش بعد ان لم يكن .

« الأبد » : صفة . الانثى تضع كل عام . (راجع المعجم ص ٢٠) .

أما ما لدينا فهو كما يلي :

الأبد

« أبدَ » : [من « اب » حرك : و « بدَ » فرّج ابعد] . « يأبدُ أبـداً » : فهو « أبِدٌ » الرجل [ابتعد وهجر ونفر وشرد . وعبّر عنه اللغويون بلفظ] توحّش . ونفر وغضب [ومعلوم ان الابتعـاد والغضب يتلازمان اذ يغضب المرء فيبتعد او يبتعد فيغضب] .

« وأبدَ » : الشاعر ابعد مرماه في شعره فاتى بالعويص وما لا يفهم معناه في بادئ الرأي .

« الأبَد ج. آباد ، وأبود » : الدهر المتمادي لا حدّ له او الدائم و – الولد اتى عليه العام [كأنه متى بلغ السنة صارت حياته مأمونة وبالتفاؤل مأمولة الى الابد] .

من الحديث : ألعامنا هذا أم للابد .

من الامثال :– طال الابد على لُبَد (مثل لما تقادم من الامر) . الدنيا امد والآخرة ابد .

من المأثور : لا افعل ذلك « أبدَ الأبِيد وأبدَ الآباد وأبد الـدهر » الخ . والمعنى واحد وهو تأكيد دوام الامر .

« ابداً » : ظرف زمان لتأكيد المستقبل مثاله : في النفي : ما فعلت ذلك قط ولن افعله ابداً . في الاثبات : خالدين فيها ابداً .

« الأبديّ . . . الأبديّة » (نسبة الى الابد) : الدائم لا انتهاء له .

« أبدَ ـُ أبوداً فهو آبد م. آبدة ج. اوابد ، أُبّد » : الرجل بالمكان [القفر الموحش]

اقام به لم يبرحه و – البهيمة . نفرت وتوحشت وشردت فهي آبدة . ومنه :

يغذو اوابد قد افلين اهارا

« الآبدة » : الكلمة او الفعلة الغريبة ، يقال : جاء بآبدة (حديث) .

و – ايضاً الداهية [يبقى ذكرها الى الابد] .

و« الآبدة » : الامر العظيم تستوحش منه .

و – [مع هاء الجمع : كالسائلة لجماعة السوام والمقاتلة لجماعة المقاتلين والملاحدة لجماعة الملحدين] . يطلق على جماعة الوحش ذكوراً واناثاً وفي الحديث :

اراح عليَّ من كل آبدة اثنتين

و – [الهاء للمبالغة] النافرة الشاردة ومنه حديث رافع بن خديج قال : اصبنا نهب ابل فندَّ منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه فقال الرسول : ان لهذه الابل اوابد كاوابد الوحش .

و – الطير المتوحشة المستقرة في ارض قفر فاذا انتقلت في اوقات معلومة – موسمية – فهي القواطع [ومنه مجازاً] .

« اوابد الشعر والنثر » : ما تناهى بالغرابة او الجودة .

جواد قيد « الاوابد » : [مروية عن امرئ القيس : « بمنجرد قيد الاوابد هيكل »] .

كناية عن سرعة جريه [وراء اوابد الطرائد فيلحقها وكانه قيد لها] .

« الأبِد » : صفة للانثى كالامة والاتان والفرس ، وورد اتان أَبِد في كل عام تلد . اللسان(1)

« الأَبيد » : نبات كالشعير له سنبلة كسنبلة الدخنة حبها اصغر من الخردل تعلف بها البهائم فتسمنها جداً .

« أَبَّدَ » : (ومشتقاتها) خلد يقال وقف ماله مؤبداً اذا حبسه على اعمال البر او على ذريته فلا يباع ولا يورث .

« تأبد المنزل » : خلا منه اهله واوت اليه الوحوش .

و – الرجل : طالت عزبته وصدف عن النساء .

و – الوجه : تجهم تكلف فيه .

و – ت الناقة : توحشت واعتاصت .

و – الشيء : صار ابدياً .

(يتبع)

---

١) في المعاجم « الأبد صفة للانثى تلد كل عام » والمادة لا تحتمل معنى الولادة فيظهر انهم عندما وقعوا على هذا المثل توهموا ان الصفة ملازمة للانثى معان المقصود ظاهر اي ان تلك الانثى مع توحشها تلد كل عام وليس هذا قيداً اي يجوز ان لا تلد كل عام او ان لا تلد بتاتاً .

L'EXPÉDITION DE MASLAMA CONTRE CONSTANTINOPLE (717-718)

par

M^R R. GUILLAND

En mars 717, au moment où Léon III, stratège des Anatoliques, inaugurait, en montant sur le trône, la dynastie isaurienne, qui allait gouverner l'empire pendant tout le VIIIème siècle, la situation de l'empire Byzantin était assez critique. Le péril arabe menaçait la capitale même. Mais Léon III était capable d'y faire front. Stratège des Anatoliques depuis 713, il avait réussi à tenir en échec les Arabes, grâce à ses qualités de général et de diplomate. Il connaissait fort bien le monde arabe et en parlait vraisemblablement la langue. Léon III était l'homme que réclamait la situation.

La campagne d'Asie Mineure (715-717).

L'empire arabe s'étendait alors de l'Atlantique à l'Indus, de la Caspienne aux cataracates du Nil (1). Mais si le calife était devenu le souverain le plus puissant de son époque, s'il pouvait rivaliser avec l'empereur de Constantinople, ce dernier n'était pas encore complètement vaincu. L'existence de la Ville-reine rappelait à tout instant aux Musulmans que le but du *djihâd*, la guerre sainte, fixé par le Coran même, était la soumission de tous les infidèles et ce but n'était pas atteint. Cet esprit de guerre sainte, d'aspiration à la domination universelle, lança les Arabes, au début du VIIIème siècle, à la conquête de l'Asie Mineure et de Byzance.

En février 715, Sulayman ben Abd al-Malik succédait à son frère Walîd, dont le règne marqua l'apogée du califat omayade. Il accéléra

(1) P. Lammens, «La Syrie». Beyrouth 1921, p. 85.

les préparatifs pour une attaque contre Constantinople. Les lettrés l'auraient informé, en effet, que le calife, qui s'emparerait de Constantinople, porterait le nom d'un prophète. Certain qu'il était destiné à réaliser cette prophétie, Sulayman intensifia ses préparatifs (2). Sulayman est, en effet, la transcription arabe de Salomon. Aussi s'était-il juré de « ne pas cesser de combattre contre Constantinople avant d'avoir épuisé le pays des Taiyayé (les Arabes pour les auteurs syriaques) ou de l'avoir prise» (3). Selon le pseudo-Denys de Tell-Mahré, les troupes arabes étaient innombrables (4). D'après Michel le Syrien, Sulayman « réunit 200.000 hommes de troupe, et 5.000 bateaux, qu'il remplit de troupes et de vivres. Il rassembla 12.000 ouvriers, 6.000 chameaux, 6.000 ânes pour porter la nourriture des chameaux et les provisions de route des ouvriers, sur les chameaux il fit charger les armes et les instruments de siège. Il leur fit préparer des vivres pour plusieurs années » (5). Abul-Faradj Bar-Hebraeus ajoute qu' « avec eux allaient 30.000 guerriers combattant pour leur compte et à leurs frais, dans le Chemin d'Allah et ils les appelaient dans leur langue « Mutawaʿ an celui qui tient pour une obligation de combattre les Infidèles » (6). Enfin, le Kitâb al-ʿUyûn signale dans l'armée de Sulayman « des troupes levées parmi les forces de As-Sham (Syrie) et de Al-Gazia (Mésopotamie). Du matériel de guerre pour l'été et pour l'hiver, des engins de siège et du naphte avaient été rassemblés » (7).

La concentration des troupes eut lieu dans la plaine de Dabiq, près d'Alep, en présence du calife (8). La maladie l'ayant immobilisé à

---

(2) E. W. Brooks. The campaign of 717-718 from Arabic sources. Journ. of Hel. St. XIX (1899), p. 20, 21.

(3) Michel le Syrien, éd. et trad. J. B. Chabot, II (Paris 1901), p. 484. Cf. Tabari dans E. W. Brooks, op. cit., p. 30.

(4) Ps.-Denys de Tell-Mahré, trad. J. B. Chabot, Paris 1895, p. 12.

(5) Michel le Syrien, op. cit., p. 484.

(6) Abul-Faradj. Chronographie, éd. et trad. E. W. Budge. Oxford 1932, p. 107.

(7) Kitâb al-ʿUyûn; E. W. Brooks, op. cit., p. 21.

(8) Kitâb al-ʿUyûn; id., p. 21; Tabari, éd. de Goeje II, p. 1315; trad. dans E. W. Brooks, op. cit., p. 30; Yaʿkubi, trad. dans E. W. Brooks. The Arabs in Asia Minor from Arabic sources. Journ. of Hel. St. XVIII (1898), p. 194; Chronique syriaque, de 846, trad. dans E. W. Brooks; Zeitsc. der Morgengesellschaft (1897), p. 583; Cf. Encyclopédie de l'Islam I (1913), 907-908, R. Hartmann. Dabiq. Cette ville, située près de Qinasrin, l'antique Chalcis,

Dabiq, Sulayman confia le commandement de l'expédition à son frère Maslama ibn 'Abd Al-Malik. Ce dernier, que la basse origine de sa mère écartait du trône, mais qui servit fidèlement ses quatre frères qui s'y succédèrent, était un vaillant soldat mais un médiocre diplomate (9).

Les sources ne sont d'accord ni sur les noms, ni sur le nombre ni sur les attributions des lieutenants de Maslama. Selon Théophane, ils étaient au nombre de trois: 'Umar, qui commandait la flotte hivernant en Cilicie, Sulayman et Baccharos (10). Tabari ne mentionne qu'un seul lieutenant: 'Umar ibn Hubayra (11). Le Kitâb al-'Uyûn écrit que Maslama avait trois lieutenants: Sulayman ibn Mu'ad, le même personnage vraisemblablement que celui mentionné par Théophane, Al-Battal et 'Umar ibn Hubayra (12), qui était, d'après Ya'kubi à la tête de la flotte (13). Quant aux trois officiers, cités par Agapios de Manbidj: Sulayman ibn Mu'ad, commandant des troupes de terre, 'Umar ibn Hubayra, commandant la flotte et Bakhtari ben al-Hasan, ils semblent pouvoir être identifiés avec les trois mêmes officiers cités par Théophane (14).

L'armée arabe se mit en route au début de septembre 715, passa par Germanikia (Marasch), s'empara, en passant, de la place frontière de Lulum et vint hiverner à «Afik» (15). Au cours de l'été 716, Sulayman arriva devant Amorion, tandis qu'Umar longeait avec sa flotte la côte de Cilicie (16). La ville était mal défendue, car les habitants étaient en conflit avec Léon, stratège des Anatoliques. D'après Théo-

---

au sud d'Alep sur la route de caravanes d'Antioche à l'Euphrate, était, en général, le lieu de concentration des armées arabes, qui devaient envahir l'Asie Mineure.

(9) P. Lammens. Maslama. Enc. de l'Islam III (1936), p. 447-448.

(10) Theoph. Bonn 293, de Boor 386, 26-28. Théophane ne parle plus de 'Umar, après l'hivernage.

(11) Tabari, E. W. Brooks, op. cit., p. 30. Il assiège Amorion.

(12) Kitâb al-'Uyûn, E. W. Brooks, op. cit., p. 24. Il ne mentionne pas d'opérations sur mer.

(13) Ya'kubi, E. W. Brooks, op. cit., p. 194.

(14) Agapios de Manbidj. Patrol. Orient. VIII (Paris, 1912), p. 50. Cf. M. Canard. Les expéditions arabes contre Constantinople. Journal Asiatique CCVIII (1926), p. 91-92.

(15) Kitâb al-'Uyûn, p. 21. Localité non identifiée.

(16) Théop. Bonn 593, de Boor 386, 26-28. Amorion, aujourd'hui Astar Kal'a, près du village de Hajj Hamza.

phane, la raison en était le ralliement d'Amorion à la cause de l'empereur Théodose III, alors que Léon se déclarait fidèle à Anastase II (17). D'après Michel le Syrien, c'était la détention, sur l'ordre de Théodose III, dans Amorion de la famille de Léon, à cause des intrigues de Léon avec les Arabes (18). Les Arabes, d'après Théophane, écrivirent à Léon: « Nous savons que tu es digne de l'empire des Romains; viens donc nous trouver, pour parler de la paix » (19). Les pourparlers semblent avoir été laborieux, Léon et les Arabes cherchant à se tromper mutuellement. D'après les sources orientales, le Kitâb al-ʿUyûn, le pseudo-Denys de Tell-Mahré et Agapios de Manbidj, Léon aurait proposé aux Arabes de l'aider à s'emparer du trône (20). Sulayman, voyant Amorion sans troupes et hostile à Léon, commença le siège, en attendant l'arrivée de Maslama. Au moment où ce dernier approchait de la ville, les Arabes saluèrent Léon empereur et engagèrent les habitants d'Amorion à les imiter. Léon savait fort bien qu'Amorion était incapable de tenir longtemps. Aussi écrivit-il à Sulayman: « Si tu veux que je vienne te trouver et que nous parlions de paix, pourquoi assièges-tu cette ville? » Sulayman répondit: « Viens et je me retire ». Escorté de 300 cavaliers, Léon se rendit auprès de Sulayman et pendant trois jours, ils s'entretinrent de la paix et de la levée du siège d'Amorion (21).

Le récit de Théophane semble être peu clair. Il est probable que les Arabes voulurent s'emparer de Léon. Ce dernier, afin de mieux connaître les intentions des Arabes ou peut-être aussi afin de mieux communiquer avec les assiégés, invita à un banquet les principaux chefs arabes, tandis qu'un émissaire de Léon réussissait à pénétrer dans Amorion. Mais durant le banquet, une sentinelle vint annoncer à Léon que 3.000 cavaliers arabes cernaient le camp. L'un d'entre eux vint trouver Léon et lui dit: « Un esclave s'est enfui après avoir volé une forte somme d'argent; c'est à cause de lui, que nous sommes venus ». Mais Léon était trop fin pour ne pas éventer la ruse; il se contenta de

(17) Theoph. Bonn 592, de Boor 386, 15-16.

(18) Michel le Syrien II, 484.

(19) Théoph. Bonn 593, de Boor 387, 1-2.

(20) Kitâb al-ʿUyûn, 20-22; Ps.-Denys de Tell-Mahré 12; Agapios de Manbidj, 60.

(21) Théoph. Bonn 593, de Boor 387, 9-18.

répondre: « Ne nous tourmentez pas; si vraiment, il est venu dans notre camp, nous le trouverons » (22).

Cependant, l'émissaire de Léon avait réussi à convaincre les derniers hésitants parmi les habitants d'Amorion et il revint en compagnie de l'évêque de la ville. En apprenant la présence de l'évêque dans le camp de Léon, les Arabes demandèrent qu'on le leur livrât. Mais Léon sut faire évader l'évêque sous un déguisement et, pour couper court à toute discussion avec les Arabes, il leur offrit de les accompagner auprès de Maslama. Le lendemain, escorté de 200 cavaliers et de quelques Arabes, Léon sortit pour chasser. En le voyant abandonner les sentiers connus et se diriger vers le nord, les Arabes lui en demandèrent la cause et déclarèrent ne pouvoir l'accompagner. Léon leur répondit qu'il cherchait un nouvel emplacement pour son camp. N'ayant pas d'ordre pour aller plus loin, les Arabes laissèrent Léon s'éloigner. Ce dernier expliqua aux siens que les Arabes avaient voulu s'emparer de sa personne, mais qu'il avait déjoué leur ruse et il établit son camp à 10.000 pas plus loin. Le lendemain Léon envoya son domestique des strators reprocher aux Arabes leur perfidie et justifier ainsi sa propre conduite (23).

Maslama approchait, sans que Sulayman le sût. Ce dernier, cédant aux instances de ses émirs, leva le siège d'Amorion, ce qui permit à Léon de faire entrer des renforts dans la place et de gagner ensuite la Pisidie (24). A l'arrivée de Maslama en Cappadoce, les Cappodociens lui demandèrent d'accepter leur soumission. Mais Maslama, instruit de l'hostilité entre Léon et Théodose III, tenta de se servir de Léon pour conquérir tous les territoires byzantins et il feignit de signer la paix avec lui. Il interdit à ses troupes de piller les régions dépendant de Léon (25). En l'apprenant et pensant que Sulayman avait informé Maslama de sa fuite, Léon écrivit à ce dernier pour lui dire son hésitation à aller le trouver, car Sulayman avait tenté de s'emparer de sa personne. Maslama, ayant appris le ralliement d'Amorion à Léon, songea tout d'abord dans son dépit à briser toute relation avec Léon et décida de s'emparer d'Amorion pendant l'été, d'attendre la flotte et d'hiverner en Asie Mineure (26). Puis, se ravisant, il reprit les

(22) Théoph. Bonn 594, de Boor 387, 19-29.
(23) Théoph. Bonn 595-596, de Boor 388, 13-23.
(24) Théoph. Bonn 596, de Boor 388, 25-29 et 389, 1.
(25) Théoph. Bonn 596-597, p. 389, 3-10; Denys de Tell-Mahré, 12.
(26) Théoph. Bonn 597, de Boor 389, 22-25.

relations avec Léon. qui lui envoya deux personnages consulaires en ambassade. L'accord réalisé, tandis que les deux plénipotentiaires revenaient auprès de Léon, Maslama, qui ne pouvait entretenir sa nombreuse armée, attaqua Acroïnon (27). Léon se dirigea alors vers Nicomédie où il fit prisonnier le fils de Théodose III (28). Maslama hiverna en Asie et 'Umar, avec sa flotte, en Cilicie. Quant à Léon, ayant pris avec lui son prisonnier, il se rendit à Chrysopolis, d'où il engagea des négociations avec Constantinople. Le patriarche Germanos servit d'intermédiaire et le 25 mars 717 (29), Léon faisait son entrée solennelle à Constantinople par la Porte Dorée et était couronné par Germanos à Sainte Sophie (30). Théodose III et son fils terminèrent leur vie dans le calme d'un monastère (31).

Au printemps, Maslama marcha sur Constantinople. Il s'empara en chemin de Sardes, de Pergame et d'autres villes dont il emmena les habitants en captivité (32).

Le siège de Constantinole (15 *août* 717 — 15 *août* 718).

Ce n'était pas la première fois que les Arabes tentaient de s'emparer de Byzance. Déjà, sous Constantin IV, de 673 à 677, Mu'âwiya avait essayé, mais en vain, de se rendre maître de la « Ville gardée de Dieu », et il avait dû lever le siège « avec honte et grande tristesse, ayant, grâce à l'aide de Dieu et de la sainte Mère de Dieu, perdu un grand nombre de vaillants guerriers et subi le plus grave échec » (33). Les Arabes espéraient bien cette fois s'emparer de la « Reine des Villes »,

(27) Ville de Phrygie au sud-est d'Amorion. Aujourd'hui Afyou Karahisar. Théoph. Bonn 599, de Boor 390, 11-14.

(28) Théoph. Bonn 599, de Boor 390, 14-16. Cf. Michel le Syrien 484, Agapios de Manbidj, 502.

(29) Théoph. Bonn 599, de Boor 390, 19-24. Cf. V. Grumel. L'année du monde dans la Chronique de Théophane. Échos d'Orient, 37ème année (1934), p. 406.

(30) Nic. le Patriarche, Bonn 59.

(31) Théoph. Bonn 599, de Boor 390, 24-26.

(32) Théoph. Bonn 599-600, de Boor, 390, 26-31 et 391, 1-2; Michel le Syrien, 483. La Chronique syriaque de 846 (p. 583) ajoute que les Syriens, trouvés dans les villes prises, ne furent pas inquiétés. Quant à Abul-Faradj, il prétend que Maslama se rendit maître alors de Rhodes. Il est vraisemblable que cette île fut prise en passant par la flotte de 'Umar, alors qu'elle se dirigeait vers Constantinople.

(33) Théoph. Bonn 544, de Boor 354, 5-8.

car rien n'avait été négligé pour y réussir: préparatifs énormes, complicité plus ou moins escomptée de Léon III. Le Prophète aurait, du reste, dit : « Vous conquérrez Al-Kustantiniya; salut au prince et à l'armée qui emporteront ce succès » (34).

Les sources ne permettent pas de se faire une idée exacte et sûre de ce que fut ce siège mémorable. Les sources (35) sont tardives et même contradictoires et les récits les plus anciens, en particulier les récits arabes, ne sont plus de l'Histoire, mais déjà de la légende. Le récit le plus cohérent est celui de Théophane, circonstancié et précis même pour les opérations maritimes. Nicéphore le patriarche présente quelques différences de détail et n'observe pas la même chronologie. Parmi les sources syriaques, Michel le Syrien a puisé à des sources identiques à celles des historiens grecs, mais il y ajoute certaines traditions orientales. Quant aux sources arabes, elles sont très confuses. Ya'qubi est très bref; Tabari rapporte des anecdotes, tirées de sources différentes et même divergentes.

Le Kitâb al-ʿUyûn n'est pas clair et semble avoir connu des traditions autres que les traditions arabes. La chronologie est inexistante et il rapporte à Constantinople des événements que Théophane permet d'affirmer s'être déroulés à Amorion. De plus, le Kitâb al-ʿUyûn ne dit pas un mot de la flotte, alors que les sources grecques parlent presque exclusivement des opérations maritimes; par contre, le Kitâb al-ʿUyûn est riche en renseignements sur les pourparlers diplomatiques qui, dans les sources grecques, ne sont plus mentionnés à partir de l'avènement de Léon III. Enfin, il est intéressant de noter qu'Agapios de Manbidj, qui écrit en arabe, a recours plutôt à des sources identiques à celles auxquelles avaient puisé les auteurs grecs; il ne donne, d'ail-

(34) J. H. Mordtman, Constantinople, Enc. de l'Islam I, 1913, p. 888.

(35) Sources grecques: Théophane, Bonn 607-612, de Boor 395-398, Nicéphore de Constantinople, Bonn, p. 59-61 et 62; sources arabes: Ya'qubi, Tabari et Kitâb al-Uyûn, traduites par E. W. Brooks, Journ. of Hell. St. XVIII (1898), p. 194-195 et XIX (1899), p. 20-33, Mas'udi, Livre de l'avertissement et de la révision, trad. Carra de Vaux, Paris 1896, p. 226-227, Agapios de Manbidj, trad. A. A. Vasiliev, Patrol. Or., VIII (Paris 1912), p. 501-502; sources syriaques: Michel le Syrien, trad. J. B. Chabot, t. II, Paris 1901, p. 483, Denis de Tell-Mahré, trad. J. B. Chabot, Paris 1895, p. 12-14, Chronique anonyme de 846, Trad. E. W. Brooks, Zeitsch. der Morgengesellsch. 1897, p. 583.

leurs, aucun détail sur les opérations du siège proprement dit. Aussi serait-il peu logique de présenter un récit du siège de Constantinople, en tentant une synthèse des différentes sources; il semble plus sûr de donner les deux versions, celle des auteurs grecs et celle des auteurs orientaux et d'essayer de dégager les faits qui apparaissent comme certains ainsi que les détails obscurs et contradictoires.

Il importe avant tout de régler une question délicate: la chronologie du siège. On se trouve en présence de trois computs différents. Théophane et Nicéphore suivent l'ère alexandrine (36), les auteurs arabes, l'ère de l'hégire et les chroniqueurs syriaques, l'ère des Séleucides.

Selon Théophane, le siège de Constantinople commença en l'an du Monde 6209 et se termina en 6210. L'année alexandrine commence le 25 mars et non le 1er septembre, comme l'année byzantine (37). Léon III fut couronné le 25 mars 6209, quinzième indiction (38), soit le 25 mars 717. Le siège commença le 15 août 6209 (39), soit le 15 août 717 et prit fin le 15 août suivant (40). Nicéphore ne donne pas la date à laquelle commença le siège, mais il dit que le siège se termina le 15 août 718, après avoir duré 13 mois (41); ce qui fait que, d'après lui, le siège de la capitale aurait commencé en juillet 717.

Les sources arabes ne donnent de date précise ni sur le début ni sur la fin du siège et le font durer un an, deux ans et même trois ans. Elles lient le rappel de Maslama avec l'avènement du calife ʿUmar ibn Al-Aziz, prince pacifique, dont l'avènement eut lieu le 21 Safar 99 de l'hégire, soit en septembre 717, l'an 99 de l'hégire commençant le 14 août 717. En conséquence, Tabari ainsi que Yaʿqubi placent le siège en l'an 98 de l'hégire (42). Quant à Agapios de Manbidj, il mentionne une campagne de Maslama en Galatie la première année du règne de

(36) V. Grumel, L'année du monde dans la Chronographie de Théophane. Éc. d'Or. XXXIII (1934), p. 406 et l'année du monde dans l'ère byzantine, Éc. d'Or. XXXIV (1935), p. 319.

(37) V. Grumel, op. cit., ibid.. Cf. G. Ostrogorsky. Die Chronologie des Theophanes von 7. u. 8. Jahrhundert. ByzNeugr. Jahrbücher VII (1930), p. 34.

(38) Théoph. Bonn 600, de Boor 391, 5.

(39) Théoph. Bonn 607, de Boor 395, 18.

(40) Théoph. Bonn. 613, de Boor 399, 6; Niceph. Bonn 62.

(41) Nicéph. Bonn 60.

(42) E. W. Brooks. The Arabs... Journ. of Hel. St. XVIII (1898), p. 195, The campaign..., Journ. of Hel. St. XIX (1899), p. 29.

Sulayman (février 715 — février 716) et il place, en conséquence, le siège de Constantinople la deuxième année du règne de ce calife, soit février 716 — février 717 (43). Ainsi, les historiens de Byzance placent le siège en 717-718 et les historiens arabes en 716-717.

Wellhausen (44), suivi par Canard (45), fait partir Maslama de Dabiq à la fin de l'année 96 de l'hégire, soit vers août 715, l'année 97 de l'hégire commençant le 5 septembre 715. Le siège débute ainsi en 98, soit en août 716 et prend fin vers l'époque de la mort du calife Sulayman (septembre 717).

Brooks (46), au contraire, tente de ramener la chronologie des auteurs arabes à celle des auteurs grecs. La cause de la confusion, à son avis, est l'erreur, commune à tous les écrivains arabes et vraisemblablement aussi aux sources orientales de Théophane, d'après laquelle le siège de Constantinople eut lieu sous Sulayman et le rappel de l'armée immédiatement après l'avènement de 'Umar II, alors qu'en fait Sulayman mourut, peu après le début du siège ,qui se prolongea dix mois et demi après l'avènement d'Umar II. Le rappel de l'armée par ce dernier est un fait incontestable, mais, faute de date précise, les chroniqueurs arabes ont cru que ce rappel eut lieu immédiatement après son avènement. L'erreur provient de ce que les chroniqueurs arabes confondent la salutation impériale de Léon III devant Amorion, pendant l'été 716, avec son couronnement officiel à Constantinople, en mars 717. Ils font ainsi se dérouler à Amorion des événements qui se déroulèrent en réalité à Constantinople et, par suite, ils font durer le siège de Constantinople un an et demi, ou même deux ans, comme le Kitâb al-'Uyûn, alors que le siège dura au plus 13 mois. Par suite du caractère mouvant du calendrier arabe, ils font rappeler l'armée arabe, après le deuxième hiver, bien que Sulayman fût mort à la fin de l'été.

Il semble que l'on n'a pas prêté assez d'attention à la chronologie de Michel le Syrien. D'après lui, Léon III commença à régner en l'année 1028, c'est-à-dire, en 98 de l'hégire. L'année 1028 de l'ère

(43) Patrol. Or., p. 500 et 501.

(44) J. Wellhausen. Die Kämpfe der Araber mit den Romäern in der Zeit der Umijaden. Nachrichten der K. Gesellschaft der Wiss. zu Göttingen, Philos. histor. Kl. 1901, Heft 4, p. 32.

(45) M. Canard. Les expéditions arabes contre Constantinople. Journal Asiatique CCVIII (1926), p. 80.

(46) E. W. Brooks. The campaign..., p. 20.

séleucide s'étend entre le 1er octobre 716 et le 30 septembre 717; l'année 98 de l'hégire du 25 août 716 au 13 août 717. Cette chronologie concorde donc avec celle de Théophane. D'après Michel le Syrien, le siège commença après l'avènement de Léon III (47). Mais ce qui semble être plus décisif encore, c'est son affirmation que Sulayman mourut en automne, sa mort ayant été tenue cachée par Maslama pendant tout l'hiver. On peut noter que Mas'udi place le retour de l'armée arabe en l'an 100, qui commence le 3 août 718 (48).

Il ressort de ces remarques que la chronologie de Brooks semble être la plus solide.

Le siège de Constantinople débuta, d'après Théophane, le 15 août (49) et d'après Nicéphore, en juillet (50). Il est vraisemblable que Léon III, dès son avènement, prévoyant l'attaque arabe, avait préparé la défense de la capitale et y avait accumulé, entre autres, des vivres. C'est ce qu'indique Michel le Syrien. « Maslama, écrit-il (51), en apprenant que Léon régnait, en fut content, car il pensait qu'il lui livrerait la ville. Léon l'entretenait dans cet espoir trompeur, tandis que lui-même fortifiait la ville et la remplissait de vivres ». Maslama attendit vainement en Asie l'accomplissement des promesses de Léon; ne recevant rien de lui, se sentant joué, il partit pour Abydos et fit passer en Thrace une armée nombreuse (52).

Quelles étaient les promesses faites par Léon III à Maslama? Théophane ne le dit pas. Il n'est guère vraisemblable que Léon III ait promis de livrer à Maslama la capitale et par le fait l'empire, même s'il n'avait pas l'intention de tenir ses engagements. Léon III proposa probablement de se reconnaître vassal du calife et de lui verser une importante contribution. Maslama, croyant jouer au plus fin, espérait peut-être, grâce à la complicité de Léon III, augmenter le trouble et la confusion dans l'empire, s'emparer ainsi facilement de Constantinople et se débarrasser ensuite de Léon III, pour soumettre à sa puis-

---

(47) Michel le Syrien, trad. J. B. Chabot, 485. Sur l'ère des Séleucides, cf. W. Hartner, Zaman, Encyclop. de l'Islam IV (1924), p. 1278.

(48) Mas'udi. Livre de l'Avertissement de la révision. Trad. Carra de Vaux, Paris 1896, p. 227.

(49) Théoph. Bonn 607, de Boor 395, 18.

(50) Nicéph. Bonn 59.

(51) Michel le Syrien, trad. J. B. Chabot, II, p. 485.

(52) Théoph. Bonn 607, de Boor 395, 13-16, Nicéph. Bonn 59.

sance tout le territoire byzantin. Quoi qu'il en soit, Maslama s'aperçut que Léon III fortifiait sa capitale et il décida de l'assiéger. Franchissant l'Hellespont en face de Lampsaque (53), il s'empara des principales villes de Thrace et, le 15 août 717, paraissait devant Constantinople. Il commença aussitôt le siège, entoura les murs terrestres d'un large fossé, qu'il défendit avec un mur de grosses pierres sèches (54), dressa ses machines et attaqua les remparts de la Propontide à la Corne d'Or, tandis que la flotte bloquait la ville du côté de la mer. A l'arrivée de Maslama, Léon III lui aurait demandé une entrevue et lui aurait offert pour prix de la paix une contribution d'une pièce d'or par habitant. Mais Maslama aurait répondu qu'il ne saurait être question de paix avec des vaincus et que la garnison arabe de Constantinople était déjà désignée (54bis).

Le 1er septembre arriva la flotte arabe, sous le commandement de Sulayman, que Théophane semble prendre pour le calife (55) et formée d'énormes et puissants bateaux et de dromons, au nombre de 1.800, ce qui semble être un nombre bien élevé (56). Pendant deux jours, la flotte arabe resta « entre le cap occidental de l'Hebdomon ou de la Magnaure et le cap occidental du Cyclobion » (57). Le 3 septembre, le vent du sud permit à la flotte d'appareiller. Longeant les remparts maritimes, une partie aborda sur la côte asiatique, près du port de Chalcédoine, aux localités d'Anthémios et d'Eutropios (58). L'opération avait pour but de bloquer l'entrée sud du Bosphore. Une autre partie s'engagea dans le Bosphore et, remontant vers le nord, occupa la côte européenne entre le château de Galata et le promontoire de

(53) Constantin VII, de adm. imp. Bonn. 102, Moravcsik-Jenkins, p. 92, 118.

(54) Théoph. Bonn 607, de Boor 395, 20-21, Nicéph. Bonn 59, G. le moine, de Boor, 745, 4-5.

(54bis) Gibbon. Hist. de la décadence et de la chute de l'empire romain. Paris 1837, tome II, p. 499. Lebeau-Vivien de Saint-Martin, Histoire du Bas-Empire, t. XII (Paris 1831), p. 115. Cf. Abul-Faradj, éd. et trad. E. W. Budge, Londres 1932.

(55) Théoph. Bonn 607, de Boor 395, 23.

(56) Théoph. op. cit., Nicéph. Bonn 58.

(57) Théoph. ibid. Cf. sur la situation de ces deux caps, R. Janin. Constantinople byzantine, Paris 1951, p. 138 et 412.

(58) Théoph. ibid., Sur Anthemius, cf. R. Janin, op. cit., p. 439-440; sur Eutropios, p. 452-453.

Kleidion (59). Le but était de fermer la mer Noire à la navigation grecque et d'enfermer ainsi la flotte byzantine dans la Corne d'Or et dans le Bosphore. Mais l'arrière-garde de l'escadre, formée d'une vingtaine de lourds transports, montés chacun par cent soldats armés et cuirassés, alourdie par sa propre masse, surmontait avec peine les courants du Bosphore ainsi qu'un violent vent du nord, qui s'était levé. et ne suivait que de loin le reste de la flotte. Léon III, qui observait la manœuvre depuis l'Acropole, lança contre la flotte arabe un grand nombre de bateaux à feu grégeois. Lui-même, monté sur un vaisseau de course pyrophore, se glissa au milieu de la flotte, incendiant les navires et mettant le désordre parmi eux. Une vingtaine de bateaux en feu vinrent échouer au pied des murs maritimes, d'autres furent engloutis avec leurs équipages, d'autres, enfin, furent poussés par le vent jusqu'aux îles de la Marmara, Oxia, et Platéa, où ils vinrent se briser (60).

Ce succès rendit courage aux habitants de la capitale, tandis que les Arabes restaient effrayés. Ils avaient l'intention, la nuit suivante, de donner l'assaut aux murs maritimes, mais, écrit Théophane, « Dieu, sur l'intercession de la très sainte Mère de Dieu réduisit à néant leur projet ». La même nuit, en effet, Léon III fit relâcher secrètement la chaîne tendue de Galata jusqu'aux murs de Constantinople et qu barrait l'entrée de la Corne d'Or. Les Arabes, pensant que l'empereur voulait les attirer dans le golfe pour les y enfermer et les détruire avec ses brûlots, allèrent se mettre en sûreté au promontoire de Sosthène (61).

Le 8 octobre, d'après Théophane (62) mourait Sulayman, leur « chef », ἀρχηγὸς αὐτῶν, et 'Umar lui succédait. Le texte de Théophane ne permet pas de savoir s'il s'agit du calife ou du général; il semble bien, toutefois, que Suleyman désigne ici le calife(63). 'Umar, qui lui succédait, était le fils de 'Abd-al-Aziz, qui avait gouverné l'Egypte pen-

(59) Théoph. ibid., Sur Galata, cf. R. Janin, op. cit., p. 418 et sur Kleidion, p. 431.

(60) Théoph. Bonn 608, de Boor 396, 3-12. Nicéph. Bonn 60.

(61) Théoph. Bonn 609, de Boor 396, 15-23. Sur Sosthenios, cf. R. Janin, op. cit., p. 227 et 436.

(62) Théoph. Bonn 609, de Boor 396, 23-24, Nicéph. Bonn 60.

(63) Ch. Diehl. Le monde oriental de 395 à 1081 (Paris 1936, p. 251) déclare qu'il s'agit du chef de la flotte et non du calife.

dant plus de vingt ans et que son frère 'Abd-al-Malik avait proclamé héritier présomptif du trône.

Les attaques continuaient sur terre, mais grâce à l'habileté de Léon III, toutes étaient repoussées. L'hiver de 717-718 fut particulièrement rigoureux et long. Pendant cent jours, le sol disparut sous la neige durcie par le gel; le froid intense fit périr dans le champ ennemi une quantité d'hommes, de chevaux, de chameaux et d'autres bêtes de somme (64).

Au début du printemps 718 arriva, sous le commandement de Sufyân (65) la flotte réunie en Egypte et comprenant 400 navires lourds, chargés de troupes et de ravitaillement et des navires de course. Par crainte du feu grégeois, Sufyân alla mouiller sur les côtes de Bithynie, au port du Bon Champ (66). Il y fut rejoint quelques jours plus tard par une autre flotte venant d'Afrique, de 360 navires, chargés de vivres et de munitions. Pour la même raison, Yazid, le chef de cette seconde flotte (67), aborda sur la côte de Bithynie, à Satyros, Bryas et Kartalimen (68). D'après Théophane et Nicéphore, les marins égyptiens, qui formaient une bonne partie de l'équipage de la flotte arabe, désertèrent vraisemblablement par sympathie pour leur coréligionnaires grecs, et gagnèrent Constantinople, où ils entrèrent en acclamant (69) Léon III. Renseigné par eux sur le mouillage des deux flottes, Léon III lança contre elles des bateaux à feu grégeois. Ce fut un incendie général: les hommes qui sautaient dans la mer du haut des bateaux en flammes, étaient assommés à coups de crocs ou de rames ou percés de flèches et les vaisseaux, qui ne furent pas incendiés furent pillés et coulés. Les équipages byzantins rentrèrent dans la capitale, chargés de butin et au milieu de cris de triomphe (70).

Maslama, cependant, s'entêtait à continuer le siège. Manquant

(64) Théoph. Bonn 609, de Boor 396, 24-27, Nicéph. Bonn 60.

(65) Théoph. Bonn 609, de Boor 396, 28, Nicéph. Bonn 60. Théophane l'appelle [illegible] et Nicéphore [illegible]. Il n'est pas connu autrement.

(66) Sur le port du Bon Champ, cf. R. Janin, op. cit., p. 430.

(67) Théoph. Bonn 610, de Boor 387, 2 l'appelle [illegible], Nicéphore 60 [illegible] Cédrène I, 789, [illegible].

(68) Sur ces trois localités, cf. R. Janin, op. cit. Sosthenion, p. 227 et 436, Bryas, p. 230, Kartalimen, p. 227, 230-231. Théoph. Bonn 609-610, de Boor 396-397, 1-5, Nicéph. Bonn 61.

(69) Au dire de Théophane (de Boor 397, 8-9), ils étaient si nombreux que « depuis Hieria jusqu'à la ville la mer paraissait être entièrement couverte de barques ».

(70) Théoph. Bonn 610, de Boor 397, 9-15, Nicéph. Bonn 61.

de vivres, il avait fait passer en Asie Mineure un corps de troupe, sous les ordres de Merdasan, qui ravageait toute la région comprise entre Pylae, en Bithynie jusqu'à Nicée et Nicomédie. Attaqués par des troupes légères byzantines, en embuscade dans les bois, dans les creux de rochers, dans les ravins, à Libos et à Sophon, entre Nicomédie et le Sangarios, et qui combattaient, « à la manière des Mardaïtes », c'est-à-dire, en tombant brusquement sur eux, les Arabes, après avoir perdu un grand nombre de soldats, durent évacuer cette région boisée et difficile (71). Le résultat fut que Constantinople fut largement ravitaillée. La crainte du feu grégeois tenait éloignée la flotte et les corsaires arabes; aussi les bateaux de pêche byzantins allaient-ils pêcher en toute tranquillité jusque dans la Marmara et les îles (72).

Toutes les sources, grecques et autres, sont d'accord sur ce point. Par contre, les Arabes souffraient terriblement de la famine. Ils mangeaient leurs souliers, les cadavres et s'attaquaient mutuellement, au point que personne n'osait s'aventurer seul (73). Michel le Syrien confirme ces renseignements donnés par le Pseudo-Denys de Tell Mahré. Les Arabes, dit-il (74), dévoraient les cadavres des morts, les excréments et les déjections des uns et des autres (75); ils en vinrent même à se battre entre eux pour manger. Le muid de froment valait dix dinars! Lorsqu'ils trouvaient des pierres tendres, ils les dévoraient. Les sources arabes sont, elles aussi, d'accord pour constater cette famine effroyable: les Musulmans subirent des privations, comme ils n'en avaient jamais encore subi de semblables, au point qu'un homme avait peur de sortir seul de son camp et qu'ils se nourrirent de bêtes de somme, de cuir, d'écorce, de racines, et de feuilles d'arbres (76). Ces invraisemblables aliments déchaînèrent la peste, qui emporta un très grand nombre d'Arabes (77), 300.000, au dire de Paul Diacre (78), chiffre manifestement exagéré.

---

(71) Théoph. Bonn 610, de Boor 397, 15-19.

(72) Théoph. Bonn 611, de Boor 397, 20-23. J. B. Bury. A history of the Later Roman Empire from Arcadius to Irene (395-800), II, London 1889, p. 406.

(73) Denys de Tell-Mahré, trad. J. B. Chabot, p. 13.

(74) Michel le Syrien, p. 485.

(75) Théoph. Bonn 611, de Boor 397, 23-26 confirme, lui aussi, ce détail.

(76) Kitâb al-'Uyûn, éd. W. Brooks, Journ. of Hel. St. XIX (1899), p. 29.

(77) Théoph. Bonn 611, de Boor 397, 27-28.

(78) Paul Diacre, de gestis Longobardorum VI, ch. 47.

Maslama obtint, enfin, de 'Umar II l'autorisation de lever le siège. Il était en train de gagner ses vaisseaux, lorsque, d'après Théophane(79) il fut attaqué par une armée de Bulgares, qui intervenaient vraisemblablement moins par sympathie pour les Byzantins que dans la crainte de voir s'installer à leurs frontières un peuple puissant et toujours insatiable dans ses conquêtes. Maslama aurait perdu 22.000 hommes, avant de pouvoir atteindre ses vaisseaux. Michel le Syrien (80) place l'intervention bulgare, dès le début du siège. Maslama, qui commandait l'arrière-garde, aurait eu beaucoup de peine à échapper aux Bulgares et à rejoindre le camp arabe devant Constantinople. Malsama se trouvait ainsi menacé à la fois par les Byzantins et par les Bulgares; aussi, conclut Michel le Syrien, « les Romains étaient prisonniers, mais les Taiyayé (les Arabes) l'étaient bien davantage ».

Le 15 août 718, enfin, un an jour pour jour après le début du siège, les Arabes se retiraient « avec grande honte » (81). A la sortie du Bosphore, une violente tempête dispersa la flotte arabe, jetant une partie des navires sur l'île de Proconèse et les autres îles, une autre sur les côtes de la Marmara. Quant aux navires, qui avaient échappé à la tempête, en naviguant dans la mer Egée, « la vengeance redoutable de Dieu tomba subitement sur eux: une grêle de feu s'abattant sur eux mit en ébullition l'eau de la mer et la poix ayant fondue, les navires furent engloutis avec leurs équipages. La providence divine en sauva seulement dix d'entre eux, pour nous annoncer à nous et aux Arabes les grandes choses réalisées par Dieu contre eux. Mais les nôtres, les ayant rencontrés, purent en couler cinq; les cinq autres réussirent à se mettre à l'abri en Syrie, où ils proclamèrent la puissance de Dieu » (82).

Telle est la version grecque, complétée par les chroniqueurs syriaques. Ces sources insistent surtout sur les opérations navales, qui ne furent que désastres pour les Arabes. Le nombre de vaisseaux, donné par Théophane, semble être quelque peu exagéré: 1.800 sous le commandement de Sulayman, 800 sous celui de Sufyan, 360 sous celui de Yazid et 5 seulement réussissant à revenir en terre arabe. Ce dernier détail est particulièrement suspect. Il y a lieu de remarquer encore que

(79) Théoph. Bonn 611, de Boor 397, 28-30.
(80) Michel le Syrien, p. 485.
(81) Théoph. Bonn 613, de Boor 399, 6-7, Nicéph. Bonn 62.
(82) Théoph. Bonn 614, de Boor 399, 12-19.

Sufyan et Yazid ne sont mentionnés par aucune source arabe ou orientale. Quant à Sulayman, il semble être confondu par Théophane, avec le calife Sulayman, qui ne quitta pas Dabiq, où le retint la maladie. Le Kitâb al-'Uyûn et Agapios de Manbidj mentionnent un Sulayman ibn Mu'ad, mais ce dernier commande sur terre et il semble être le Sulayman opérant à Amorion; peut-être, comme le remarque avec raison M. Canard (83), faut-il supposer l'existence d'un troisième personnage, portant le nom de Sulayman. Quoi qu'il en soit, il semble être certain qu'il y eut d'importantes opérations navales, peu heureuses pour les Arabes. Aussi, leurs chroniqueurs en parlent peu ou même pas du tout et préfèrent donner des renseignements sur les négociations diplomatiques, qui montrent la duplicité de Léon III.

Le Kitâb al-'Uyûn, après avoir parlé du siège d'Amorion, montre Maslama, traversant les détroits et venant assiéger Constantinople, alors que Théodose III régnait encore et que Léon était resté à Amorion. Maslama rassemble des « montagnes de provisions » dans son camp et bloque étroitement la capitale. Mais Maslama assiège en vain pendant un certain temps Constantinople: « c'était cependant un vaillant homme, mais, parmi ses compagnons, il n'y avait personne capable de le conseiller ». Maslama écrivit à Léon pour lui annoncer qu'il était sur le point de s'emparer de la ville et de le faire roi (84). Léon se rendit alors auprès de Maslama et ce dernier l'envoya en ambassade aux habitants de la capitale avec une lettre, où il disait: « Je ne partirai pas avant que mon *mawlâ* (client) Léon soit roi et que vous lui ayez remis votre royaume. Alors je m'en irai, en vous laissant en paix, vous, votre pays, vos églises, votre religion ». Mais Léon tint aux habitants un tout autre langage. Il leur promit que, s'ils le faisaient empereur, il renierait Maslama et le combattrait : il se faisait fort d'obtenir de Maslama tout ce qu'il voudrait (85). Une série d'allées et ve-

(83) M. Canard, Les expéditions..., p. 91-92.

(84) Kitâb al-'Uyûn 24. Le même renseignement est donné par Michel le Syrien (p. 484): Maslama promit à Léon qu'il le ferait empereur des Romains une fois qu'il se serait emparé de Constantinople.

(85) Kitâb al-'Uyûn, p. 25. Mas'udi, p. 226 donne les mêmes renseignements: « Alors Léon usant de ruse envers lui, lui demanda la permission de correspondre, en son nom, avec les principaux de l'empire et de servir d'intermédiaire entre eux et lui... Il les engagea à lui donner, à lui-même, le pouvoir, afin qu'il pût efficacement travailler à leur salut et écarter Maslama ».

nues eut lieu entre le camp arabe et la ville. Léon était accompagné de Sulayman Ibn Mu'ad, de 'Abdallah al-Battal, commandant de la garde et d'escadrons de cavalerie. Léon, eut, entre autres, une entrevue avec l'évêque et les patrices (86). A la suite de cette entrevue, Léon alla trouver Maslama et lui dit: « Il n'y a qu'un moyen de les convaincre; ils ne croient pas que nous ayons engagé une lutte sérieuse avec eux et ils se figurent, en voyant tes approvisionnements considérables, que tu traineras les choses en longueur. Si tu donnais l'ordre de les brûler, ils comprendraient que tu vas combattre sérieusement et, au bout de deux ou trois jours, ils en passeraient par où tu voudrais» (87). Maslama accepta cette proposition et il fit brûler ses provisions, à l'exception d'une petite quantité.

Ces détails sont inconciliables avec le récit des auteurs grecs. Il est très probable que certains épisodes, comme l'entrevue avec l'évêque de Constantinople et l'insistance à faire proclamer Léon, se rapportent aux négociations devant Amorion. Quant à Sulayman, il semble être le même personnage mentionné par Théophane. Brooks (88), cependant, pense que l'histoire invraisemblable de Maslama faisant brûler ses approvisionnements n'est pas tout à fait sans fondement. Il la rapproche du récit de Théophane, où Maslama s'abstient de ravager les territoires sous l'autorité de Léon, parce qu'il s'imagine que Léon est un ami des Arabes et où il déclare que Léon faisait trainer en longueur les négociations, afin d'épuiser ainsi les provisions de l'ennemi (89).

Léon et sa garde du corps revinrent alors à Constantinople, où Léon fut proclamé empereur (90). Maslama avait obtenu de Léon la

(86) Kitâb al-'Uyûn 25, Mas'udi, p. 226 écrit: « Il eut des entretiens avec le patriarche de Constantinople, chef du culte et les patrices, chefs des troupes »

(87) Tabari (p. 30) rapporte un fait semblable.

(88) E. W. Brooks, The campaign..., p. 25.

(89) Théoph. Bonn 597, de Boor 389, 8-10.

(90) Pour Mas'udi, Léon alla voir Maslama et obtint de lui qu'il s'éloignât quelque temps; il rentra, fut couronné et s'empara des provisions laissées par Maslama, qui s'aperçut qu'il avait été joué et qui recommença le siège; mais il n'avait plus de vivres. De son côté, Tabari rapporte que Maslama autorisa Léon à prélever, pendant une nuit, une partie de ses vivres. Léon rassembla une flotte nombreuse et, en une nuit, il emmena presque toutes les provisions de Maslama, qui fut ainsi « trompé par une ruse qui n'aurait même pas trompé une femme » (p. 31).

promesse solennelle que ce dernier lui remettrait toute la fortune de Byzance, en monnaie, vaisselle précieuse, joyaux, armes, étoffes de soie, entassées par les empereurs, ses prédécesseurs, lui paierait l'impôt de capitation, *jiziyat* et s'engagerait d'être « l'esclave de Maslama », aussi longtemps qu'il resterait en vie.

Trois jours après le couronnement, Sulayman demanda à Léon III s'il avait l'intention d'aller bientôt retrouver l'émir, mais Léon III lui répondit qu'il n'entendait nullement quitter son empire, et il fit savoir à Sulayman, qui lui reprochait d'être infidèle à sa promesse, qu'il n'avait qu'un but, conquérir le trône et que ce but, il l'avait atteint. « Je pense, dit Léon III, qu'en rompant (mon) accord avec (Maslama), j'exalte la chrétienté et sa défense est ma meilleure récompense ». — « Tu m'as tué, répartit Sulayman, car l'émir me rendra responsable de tout cela ». — « J'aime mieux ta mort, lui répondit Léon III, que l'abandon de mon empire. Vous figurez-vous que j'allais vous donner tout ce qu'ont amassé nos souverains jusqu'à ce jour? » Et Léon se vante d'avoir réduit les Arabes à la situation la plus critique, en les obligeant à brûler leurs approvisionnements. Ils ne pouvaient recevoir aucun secours. Aussi Léon III offrit-il, non sans ironie à Sulayman de ne pas inquiéter la retraite de Maslama. Atterrés, les Musulmans revinrent vers Maslama, qui dit à Battal: « Tu es, pour moi, au-dessus de tout soupçon, en ce qui concerne l'Islam et ses intérêts. Mais, Sulayman était-il au courant de quelque chose? » Et, sur la réponse affirmative de Battal, Sulayman se suicide aussitôt, en avalant le poison contenu dans le chaton de sa bague. Maslama donne l'ordre de crucifier son cadavre.

Cependant, le siège continuait « au milieu de la mort constante, de la famine et du mauvais temps, jusqu'à ce que beaucoup d'hommes eussent péri ainsi qu'une grande partie des bêtes de somme » (91). Le siège était, du reste, alors très dur pour les habitants de la capitale. Les Byzantins députèrent à Maslama avec pleins pouvoirs un plénipotentiaire pour négocier et obtenir la levée du siège. Ce dernier, qui s'appelait « l'homme de quarante coudées, Tessarakontapechys, déclara représenter le peuple de Constantinople. Mais Maslama ne voulut pas le recevoir et chargea 'Umar ibn Hubayra de lui dire: « Si Léon était un homme ayant obtenu son royaume à bon droit, ou encore s'il était

(91) Les détails qui précèdent sont tirés du Kitâb al-'Uyûn, p. 25.

de noble naissance, je ne ferais aucune difficulté pour rencontrer son ambassadeur et pour conférer avec lui, mais on a la même estime pour un ambassadeur que pour celui qui l'accrédite et je ne me soucie pas de conférer avec un ambassadeur de Léon, étant donné sa pauvre valeur et sa basse origine. » Mais le plénipotentiaire répondit qu'il était envoyé par ses compatriotes et concitoyens, afin de les protéger et de les défendre et qu'il ne s'inquiétait pas de la qualité de celui avec lequel il discutait. Il proposa donc une rançon d'un dinar par habitant mâle et adulte; mais Maslama refusa cette proposition, parce que « lorsque son frère Sulayman l'avait envoyé devant Constantinople, il lui avait donné l'ordre de rester devant la ville jusqu'à ce qu'il l'eût prise ou qu'il reçût l'ordre de revenir ». Le plénipotentiaire grec se retira, en annonçant que les Grecs feraient aux Musulmans une guerre sans merci pour défendre leur pays et leur religion et il prédit, en outre, un hiver très rigoureux.

Cet intéressant épisode est ignoré de toutes les autres sources; il semble indiquer que les Byzantins négocièrent même à l'insu de Léon III pour tenter d'éloigner les Arabes à prix d'or.

Puis, le chroniqueur arabe anonyme déclare que Maslama passa devant Constantinople un hiver, un été et un nouvel hiver très rigoureux, pendant lequel « il mangea ce qu'il avait semé ». Il y a là confusion; il est à peu près certain que le premier hiver, dont il est ici question, fut l'hiver passé en Asie Mineure et non devant Constantinople. Cet hiver fut, en effet, très meurtrier pour les Arabes. Les habitants de Constantinople étaient, par contre, bien ravitaillés, grâce à une ruse de Léon, qui avait obtenu, au moment où Maslama brûlait ses vivres, que les Arabes laissent pénétrer dans la capitale une certaine quantité de blé, afin que les habitants de Constantinople « pussent juger de ses bonnes intentions à leur égard » (92). Pendant l'hiver, Léon III harcela les Arabes, mais nous n'avons aucun renseignement sur ces opérations. Quant à Sulayman, qui se trouvait à Dabiq, il ne put, contrairement à ce que rapporte Théophane, envoyer des vivres, « à cause du froid et de la neige ».

A la mort de Sulayman, son cousin et successeur 'Umar ibn 'Abd-al-Aziz donna l'ordre à Maslama, par l'intermédiaire du gouverneur de Mélitène de revenir. Ce dernier vint au devant de Maslama

(92) Kitâb al-'Uyûn, p. 26-27.

avec des chevaux et des vivres. Mais Maslama, prétextant qu'il allait s'emparer sous peu de Constantinople, demanda un délai, que le gouverneur refusa, car il avait l'ordre, si Maslama refusait d'obéir, de lire lui-même aux troupes l'ordre de rappel. Et Maslama, d'après le Kitâb al-ʿUyûn (93), s'exécuta sur le champ.

Il est intéressant de rapprocher du récit du chroniqueur arabe celui de Michel le Syrien: «Lorsque ʿUmar, écrit-il, succéda à Sulayman, il envoya chercher des nouvelles de l'armée. Maslama écrivit des lettres mensongères, disant que l'armée allait bien et que la ville allait être prise. Lorsque ʿUmar apprit de l'envoyé que Maslama avait écrit le contraire de ce qui se passait au camp, il lui manda de prendre l'armée et de se retirer. Mais, comme on était encore en hiver, ils ne purent nullement sortir. Lorsque la rigueur de l'hiver eut pris fin, Maslama n'avait pas encore fait connaître aux Taïyayé la mort de Sulayman. Les Romains leur crièrent du haut du mur: « Votre roi est mort! » Un nouvel envoyé arriva pouvant ordonner la retraite, même si Maslama refusait d'obéir. La retraite eut lieu; elle fut désastreuse par suite d'une sortie des Romains et de la destruction de la flotte par le feu grégeois et la tempête (94). Ces récits, on l'a dit, appartiennent plus à la légende qu'à l'Histoire, mais il semble que Léon III réussit à se jouer de Maslama et, par un moyen quelconque, à ravitailler la capitale et à priver l'ennemi de ravitaillement.

L'échec de cette importante entreprise arabe est-il dû à l'incapacité de Maslama? Les sources arabes sont sévères pour lui. Toutefois, il importe de ne pas oublier que l'armée arabe était très éloignée de ses bases, situées en Syrie et en Mésopotamie. De plus, Constantinople était très bien défendue. Si l'on songe aux sièges des Bulgares, qui se terminèrent par un échec et aux difficultés rencontrées, sept siècles plus tard, par les Turcs, qui avaient leurs bases tout proches en Thrace et en Bithynie et qui disposaient d'effectifs bien plus nombreux et de moyens offensifs bien plus efficaces, on conclura que le manque de moyens plus que l'incapacité expliquent l'échec de Maslama (95).

---

(93) Kitâb al-ʿUyûn, ibid. Masʿudi déclare que Maslama revint non sans difficultés et après avoir subi des pertes sévères (p. 227).

(94) Michel le Syrien, II, p. 485.

(95) F. Gabrieli, Il califfato di Hisham. Mémoires de la Société royale d'Alexandrie, VII, 2, 1935, p. 86.

C'était le troisième siège que Constantinople avait victorieusement soutenu contre les Barbares: les Perses et les Avars, en 626, sous le règne d'Héraclius, les Arabes, en 677, sous Constantin IV, avaient essayé, mais en vain, comme en 717-718, d'emporter la « Ville gardée de Dieu ». Léon III avait vraiment sauvé l'Empire. Aussi 718 est-il une grande date dans l'Histoire non seulement de Byzance mais aussi dans l'Histoire de l'Europe. L'historien Bury la qualifie de « date œcuménique » (96) et l'historien grec Lampros, qui compare cette guerre aux guerres contre les Perses des Grecs de l'Antiquité, donne à Léon III le nom de Miltiade de l'hellénisme médiéval (97). Ce fut la dernière offensive des Arabes contre Constantinople. La conquête arabe était, pour bien des années, arrêtée en Orient, comme elle allait l'être en Occident par la victoire de Charles-Martel, à Poitiers, en 732.

Le siège de Constantinople frappa profondément les imaginations. Il en sortit une abondante littérature légendaire surtout dans le monde musulman (98).

Asolik, historien arménien du X^e siècle, en présente le récit que voici. « L'empereur Léon, ayant aperçu cette innombrable multitude d'assaillants, qui couvraient toute la mer, ordonna de disposer la barrière faite de grillage de fer et de fermer la porte des ouvrages de défense, formée par des chaînes. Il ne permit à personne d'en venir aux mains avec l'ennemi. Plein de confiance en Dieu, il attendit le salut d'En Haut. Ayant chargé sur son épaule l'étendard invincible de la Croix, accompagné du patriarche et de tous les habitants, portant des cierges et faisant brûler de l'encens, au son des cantiques, ils sortirent hors des murs. L'empereur toucha avec la croix l'eau de la mer, disant trois fois: « Viens à notre secours, ô Christ Sauveur du monde! » Aussitôt les abîmes se soulevèrent et engloutirent les Ismaélites. Une partie des navires fut poussée par les flots agités sur les côtes de la Thrace, les autres jusque sur les îles éloignées. Cette armée comptait plus de 500.000 hommes. Muslim fut fait prisonnier et conduit à l'empereur, qui lui dit: « Dieu a jugé; je ne porterai pas la main sur

(96) J. B. Bury. History of the later roman Empire II (London 1889), p. 405.

(97) Lampros. Ἱστορία τῆς Ἑλλάδος t. III Athènes, p .729.

(98) Sur la tradition légendaire du siège de 717-718, cf. M. Canard. Les expéditions des Arabes contre Constantinople. Journal Asiatique CCVIII (1926), p. 80-102.

toi. Va, retourne dans ton pays, raconte les merveilles que Dieu a opérées » (99).

La littérature arabe transforma progressivement l'échec de Maslama en une victoire. Selon une tradition très ancienne, qui se trouve déjà dans le Pseudo-Denys de Tell-Mahré, Maslama serait entré à Constantinople: « Maslama, dit-il (100), demanda à Léon de pénétrer dans la ville pour la visiter. Il y entra avec ses cavaliers, y circula trois jours et visita les œuvres royales ».

Karamani présente le « roman » du siège de Constantinople (101). Maslama resta sept ans devant Constantinople, en combattant chaque jour et Battal fit des hécatombes de chrétiens. Léon offrit un tribut considérable, mais Maslama ne voulut pas se retirer, avant d'être entré dans la capitale. Léon lui permit d'entrer seul. Maslama accepta, mais à condition que Battal se tiendrait à la porte de la ville, qui resterait ouverte. Battal attendrait Maslama jusqu'à la prière de l'après-midi, l'*ʿasr*; si ce dernier ne reparaissait pas, il devrait se précipiter dans Constantinople avec tous ses cavaliers et tuer tout ce qu'il rencontrerait. Maslama, à cheval, vêtu de blanc, turban en tête et ceint de deux épées avec la lance en main, pénétra dans Constantinople par la porte-d'Andrinople et s'avança jusqu'à Sainte-Sophie entre une double haie de cavaliers grecs, devant un peuple stupéfait de sa bravoure et de son audace.

Léon accueillit Maslama à la porte de Sainte-Sophie et lui baisa la main. Puis Maslama pénétra dans la Grande Eglise, à cheval, au milieu de la stupeur et de l'émotion des Grecs. Il se dirigea vers un grand crucifix richement orné, posé sur un trône d'or, le prit et le mit à l'arson de sa selle. Devant les protestations des moines, Léon fit savoir à Maslama combien le mécontentement du peuple était grand. Mais Maslama déclara qu'il ne partirait qu'avec la croix. Léon apaisa alors les Grecs, en leur promettant une croix semblable et en leur rappelant qu'Al-Battal était à la porte de la ville avec ses cavaliers, prêts à entrer dans la ville, si Maslama tardait à revenir. Enfin, précédé de Léon, ce dernier sortit, la croix à la pointe de sa lance. Léon envoya ensuite le tribut promis et rendit hommage à Maslama, qui le reçut

(99) Asolik de Taron, Hist. Univ. trad. Dulaurier, Paris, 1883, p. 160.

(100) Ps-Denys de Tell-Mahré, trad. J B. Chabot, p. 13.

(101) Karamani, en marge d'Ibn al-Athir. Le Caire, 1290 hégire (1876) IV, p. 214-218. Cf. le résumé dans M. Canard, op. cit., p. 99-101.

avec hauteur. Maslama, qui était parti de Damas avec 80.000 hommes, y revint avec 30.000 hommes seulement.

L'épopée intitulée *Vie de l'émira Dat-el-Himma, mère des champions de l'Islam* (102) présente un récit populaire des exploits accomplis par les Musulmans, lors du siège de Constantinople. Le principal héros est Sahsak, l'un des fils de Dat-al-Himma. Après avoir sauvé la sœur de Maslama ibn 'Abd-al-Malik, il devient le protégé de ce dernier et commande l'avant-garde des troupes destinées à attaquer Constantinople. L'un de ses premiers exploits est de s'emparer d'une jeune Grecque dans un couvent, qu'il épouse, après qu'elle se fût convertie à l'Islam. La flotte de Maslama, composée de navires livrés par le roi chrétien de Qonieh (Iconion), ayant été détruite par le feu grégeois, les Musulmans furent poursuivis sur terre, mais ils furent sauvés par Sahsak. Mais la chance tourna. Les Musulmans s'emparèrent de la flotte grecque, franchirent le Détroit et assiègent Constantinople. Il leur fallut déjouer les ruses du moine Shammas et repousser la flotte et l'armée du roi franc Amlaq. Prévoyant un long siège, les Musulmans construisirent une ville en face de Constantinople. Enfin, après avoir repoussé l'armée de la reine Baktous, reine de Géorgie, les Arabes obligèrent Léon, inquiet des ravages de la famine, à traiter avec eux. Maslama mit comme condition de la paix, la construction à Constantinople d'une mosquée et l'entrée solennelle des Musulmans dans la capitale. Au jour fixé, après avoir assisté au sermon dans la mosquée, ils pénétrèrent dans Sainte-Sophie qu'ils souillèrent des excréments de leurs chevaux. Après avoir supplicié le moine Shammas, l'armée, chargée de butin, repassa le Détroit, protégée par Sahsak, qui quitta le dernier Constantinople (103).

Ce roman renferme une allusion très nette à la mosquée qu'aurait bâtie Maslama à Constantinople. Un hadith avait, en effet, prédit la construction d'une mosquée dans la Ville gardée de Dieu: « Dans la seconde expédition, vous conclurez avec les ennemis une paix, stipulant que vous construirez dans leur ville une mosquée » (104). Selon Muqaddisi, qui écrivait en 985, lorsque Maslama entra dans Constan-

(102) Cf. M. Canard. Delhemma, épopée arabe. Byzantion X (1935), p. 283-300, des guerres arabo-byzantines.
(103) M. Canard, op. cit., p. 286-287.
(104) M. Canard. Les expéditions des Arabes..., p. 95.

tinople, il imposa à Léon la construction d'une maison en face du Palais et de l'autre côté de l'Hippodrome et destinée à recevoir les prisonniers arabes de marque (105). Il est vraisemblable, comme le remarque Canard, que cette maison devait avoir aussi une mosquée, ou tout au moins, une salle de prières. Les historiens arabes postérieurs font souvent allusion à cette mosquée, depuis Abul-Mahasin, au XIème siècle jusqu'à Karamani, au XVème siècle. Ce dernier rapporte, en effet, que les Turcs, pénétrant à Constantinople en mai 1453, se hâtèrent de se rendre à la mosquée, construite jadis par Maslama, et transformée en église par les Grecs (106).

Ces renseignements des sources arabes sont confirmés, du reste, par les écrivains grecs. Constantin VII Porphyrogénète, par exemple, écrit que la mosquée des Sarrazins fut construite sur la demande de Maslama dans le Praetorium impérial (107). Détail, qui confirme le texte de Muqaddisi, car le Praetorium, d'après Constantin VII lui-même, servait de prison pour les prisonniers arabes (108). Il y eut, très vraisemblablement, à Constantinople, une mosquée, construite avant le Xème siècle. Mais rien ne permet de soutenir qu'elle fut construite par Maslama. Seul, l'amour-propre musulman rattacha cette construction à une prétendue victoire de Maslama.

Tel fut le siège de Constantinople de 717-718, où s'affrontèrent dans une lutte épique deux mondes, l'Europe et l'Asie et qui fixa à l'une et à l'autre pour de longs siècles leurs frontières ainsi que leur caractère.

R. GUILLAND

---

(105) M. Canard. op. cit., p. 95.
(106) M. Canard, op. cit., p. 97.
(107) Constantin VII, de adm. imp. Bonn 101-102, Moravcsik-Jenkins, p. 92.
(108) De Caerim. II, 15, Bonn I, 592; cf. p. 615 et 767.

تعريف عن الكتب

أدب

دفتر الغزل

تأليف امين نخله

الطبعة الاولى في سنة ١٩٥٢ ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٣٨ ص. قطع وسط.

تحت قناطر ارسطو

الطبعة الاولى ، مطبعة الجريدة - بيروت سنة ١٩٥٦ - ١٤٢ص. قطع وسط .

كتاب الملوك معه «وجدة غانية» وفي «سبيل الصواب»

الطبعة الاولى ، منشورات مطبعة دار الكتب بيروت ١٩٥٦ ، ١٤٠ ص قطع وسط .

ان ما احبه في امين نخله هو قبضه على زمام لغته قبضاً يخوّله ان يتصرّف بها تصرفاً عجيباً واذا ما قرأناه يخيَّل الينا اننا نشهد مولد فكرة يضطرد اتساعها بتؤدة اضطراداً مضموناً مع كل ما يطيف بها لتستوفي جميع دقائقها وتبلغ الى الفكرة القطب تأيداً قوياً ، وانه ليخلب منا اللبّ بصافي فنّه ، ويدور بخلدنا ان المؤلف يحاكي في شعره ومنثوره خلجات الذى يتكلّم عليه او انه يحاكي اهازيج الحياة في احدامها وتقدمها قاصداً اجتذاب تارئه الى ان يشعر بالاختبار ذاته وقاصداً خاصة ان يولّد في نفسه الرغبة بالاستسلام الى السحر الشعري وسحر الاحلام. وان انشا. امين خلاب . وما كلماته الا لتضفي على خلابته قيمة اللون وقيمة الشدّة اذا ما اقتضاه ان يصف الامور الصعبة. اما اذا اقتضاه ان يؤكد محبته لابنه وحدبه عليه تقيمة العذوبة .

وفي ديوانه الشعري «دفتر الغزل» يضعنا امين نخله امام جميع هذه الميزات، تعدد الاوزان والانغام وسحر الكلمات وعذوبة العواطف وذلك في كل موضوعاته من الرثاء حتى وضعه لمشهد استمد اصوله من الانجيل او من احدى الذكريات التاريخية. اما ما اوآخذ اميناً عليه فهو رغبته في تكرار الاعراب عما يريد بالكلمات نفسها ، فهو ليس بحاجة الى هذه « الالعوبة » ليؤثّر على القارى.

لان في قوسه الف منزع ، فان قرضه للشعر بسهولة غريبة يصبغ قصائده بلهجة الحق والصدق صباغاً يجعل منها كانها تعبير طبيعي عن النفس ، ولن استشهد الا بقصيدة « عود الربيع » .

والى جانب الشعر الذي يهيمن فيه الشعور كالقصيدة التي اشرنا اليها هناك قصائد اخرى تمثل فيها المقارنات والافكار المكانة الرفعى وهي خالية من التصنع والتقعير ، وحسبنا انتباهاً منطلقاً كل الانطلاق لتميز دقائق المشهد بدون ان يفوتنا منه شيء « كتذكار سيد درويش » او « ام موسى » مثلاً .

اما كتاباه النثريان فان « تحت قناطر ارسطو » هو احاديث في الادب « وكتاب الملوك » هو بعض خطب مناسبات من مدائح وتأبين ، وفي كليهما احب الفكرة الصريحة التي لا تخشى الحقيقة . اما ما يشتملان عليه فاجوبة واقعية على متناقضات طارئة ، وانها لمن التاريخ الذي يبعث حياً في صفحات نجيل فيها : هل ينبغي لنا ان نزداد اعجاباً بانشائه او بتلك الاقاصيص القصيرة التي تبعث حية فيها قروناً من الاحداث والمناضلات وبمقدور امين ان يجمع بدون تكلف قرناً كاملاً من التاريخ في قطعة صغيرة .

ولئن شدّدنا الالتفات الى الحوادث البارزة وتفسيره لها تفسيراً يبعث الاعجاب بكلام مبين ، فلكوننا نتمنى ان يكتب تاريخ لبنان ، وهو عمل طويل سيظهر مزايا نفس شاعرة دقيقة مؤرخة ، نفس فيلسوف مذعن للوقائع ومنفتح على الثقافات الغربية التي تخوله اقامة المقارنات المضبوطة اذا ما انصرف الى المقارنات الضرورية المزيلة ظلمات الغموض .

ان مؤلفات امين لا يستغني مستغن عن قراءتها اولاً وثانياً وان وراء الفاظه وعباراته تنكشف لنا شخصية بنة وجه لرجل منفسح الخطو في بساطته وبسيط على ما عليه من تضلّع : مما يشفّ عن شخصية عالٍ كعبها. ا. عبده خليفه

الهوى والشباب

تأليف بشاره الخوري — الاخطل الصغير

دار المعارف ١٩٥٣ ، ١٩٨ ص – قطع كبير

اودّ ان احسن القول بديوان الاخطل الصغير واودّ ان اتكلّم على اخراجه

الجيل (انني لا احبّ رسوم غلافه ولا الصور التي يشتمل عليها ، فانا نفض عن فنّ مبهم ما برح حائرًا وبدائيًا) انني اودّ التحدث عن شعره الصحيح السبك واودّ ان اتحدث ايضًا عن روح الشاعر التقليدية ، ولكن كيف يتأتى لي كل هذا الاطراء بدون ان افكر بما اضطلع به من الآن من واجب النقد الذي يأبى عليّ اطراء بغير قيد ، ولئن كان الشاعر غمر القريحة وواسع الخيال وموفقًا في تأويل بعض القصائد الاجنبية فقد كان عليه ايضًا ان يجدد بعض التجديد في تبث مقاييسه لانه لم يخرج بنا عن الاساليب القديمة ولا عن المشاعر القديمة لتبدو لاعيننا في تجرّدها من الشخصية متكلفة وبضاعة مزجاة . وزد على هذا فاننا لا نقع عند هـذا الشاعر الكبير بشاره الخوري على رغبة في الاتجاه بشعره الى ما وراء المادة والحواس عـلى حين ان بودلير ورمبو لما جاشت فيها القريحة الشعرية فاعربا عن نفسيها الشهوانية العميقة ابديا ما يشتمّ منه على رغمها انها لم يكونا مرتاحين كل الارتياح الى عملها وهـذا الذي يجذبنا الى شعرهما ، وهذا مـا يجعلنا نتقصّى فوائده اذا ما قرأناه بانتباه وانصرفنا عن التفتيش عن الشهواني ، وان من يحسن المطالعة يرى خلال قصائد الشاعر رغبته بالمطلق رغبة تبعث على الارتياح التام ؛ على حين اننا لا نقع في قصائد شاعرنا على غير القصائد ، فما من نافذة تطلّ على غير هذا الامر ، وربّما لا يكون خير الشعر الشعر الذي يتوقف القارئ عنده بل الذي يتسنّى في فكر القارئ ليوحي اليه امرًا اسمى ، وانني لا اريد هنا ان اغمط قصائد الشاعر التي كتبها طوال حياته ما لها من ميزات الاخراج الفخم الذي زاد في ثروتها بيد انه يشجيني ان يكون الشاعر قد اتخذ اسم الاخطل لانه فرض على نفسه ان ينتحي منحى شاعر بلاط من الصعب عليه ان يتخلّص منه بسهولة ، وهذا ما بيّن ان الفرق بين قصيدته الاولى والاخيرة كان ضئيلًا جدّ الضؤولة ، مما جعلنا على حق لنتساءل : ألم يضع الشاعر في عنقه غلًّا ثقيلًا . ويخيّل الينا ان بشاره الخوري ربّما كان قد تطوّر اكثر من تطوّر الاخطل الصغير .

ا. عبده خليفه

آهة من بلادي

تأليف اميلي فارس ابراهيم

منشورات اهل القلم، مطبعة عون وحداد ١٩٥٦ - ١٢٩ ص. قطع وسط

انها لامرأة اديبة تتحدث عن امرأة اديبة بهذا العطف وهو هبة الثقافة والحب الشخصي العميق ، ففي كل سطر نشعر باهتزاز نفس المؤلفة وبالحب الذي تكنه لسلمى صائغ يبرز باحرف من نار ، واننا لنتبع في تاريخ هذه السيرة تقلب حياة سلمى صائغ ليعتورها الجيشان تارة والسكون طوراً بيد اننا نشعر في كل الصفحات بهذه الوحدة لحياتها وبهجة النفس تلك التي تجعل منها بدون ريب نفساً سيظل اسمها في تاريخ اداب السنين الاخيرة . فوحدة حياتها واضحة كل الوضوح : لم تحد سلمى قط عن المثل الاعلى الذي كانت تنشد بلوغه سواء أكان ذلك في انشائها ام في التعبير عما يداخل اعماقها .

ولكن أكان من الضروري والمؤلفة تروي حياة وتحاول تنفيذ ارادة المائتة ان تعمد الى الإدلاء بتصريح كفري كما في الصفحة (١٩) ، فان الكتاب لو اعتصم بالصمت لما كان فقد شيئاً بل على العكس لكان حقق ارادة المائتة . اما تحقيقها كما حققتها المؤلفة فناقصة دون جدال . ولقد كنا نتمنى ايتاناً اكثر ولو على الاقل الاعتصام بصمت يوحي الاحترام .

وانه ليبعث فينا الاسف اخراج هذا المؤلف اخراجاً ناقصاً نقصاً كبيراً شعرت به المؤلفة لتسد هذا الخلل في الطبعة الثانية .

ا. ع. خ.

منشود ، رواية

تأليف نسيب عازار

منشورات دار المكشوف ١٩٥٤، بيروت، قطع متوسط . الثمن ٢٥٠ غرشاً لبنانياً

يعرب هذا الكتاب اعراباً جلياً عن الازمة الروحية التي يمر بها عدد من الشبان اليوم في العالم برمته ، انها مُطهِّرة ، لان الالم المشكك يُعزم او ينقذ . وهذان وضعان لا ثالث لهما فاذا عَرِمَ الانسان فلأنه قد اصبح يتنأى عن

ايان محيي فنّال ، فمعضلة الشرّ كانت ابدًا وداعًا منذ منشا. الانسانية المعضلة التي بلبلت الافئدة وصدمت العقول ، فالنفوس التي لا ترجو شيئا بعد الحياة الارضيّة ليس امامها الا منطق واحد تتقيّد به فهو اما الانتحار واما الالحاد الذي لا يفضي الّا الى القضاء. على الذات بالموت ، فالنفوس التي لا تعرف ان تتطلع الى الصليب لا تجد حلًا ، فيبدو كأن السما. مقفلة مع انها مفتوحة الابواب في وجه الذين يرون للالم معنىً وجدوى وذلك عندما يدركون ان برئيًا قد قدّس الميم وبؤسهم بموته على الصليب ، وان معضلة الشرّ لا حلّ لها الّا تحت اقدام الصليب ، واننا حتمًا لا نفهم احدهما الّا بسمينا لايضاحه على نور الاخر.

ولقد عرف المؤلف بتوسيع متسارق وطبيعي ان يمحّص فكرة الالحاد هذه ، ومعضلة الشر ، وعرف ان يحلّل شخصية منشود ويعارضها بشخصية رحيب ، ولو لم يكن في كتابه بعض الاوصاف التي هي على شيء قليل من الواقعية في التصوير ، ولو لم ينهِ روايته بانتحار سيا ، تلك اليد الخيّرة التي أثّرت في انقلاب رحيب ، لكان طافحاً بالصحة ، بيد ان جميع ما فيه طبيعي وبعيد عن التصنّع ، وانه لخطوة تقدّم ونجاح.

ا. ع. خ.

ليلى العفيفة

تأليف عادل الغضبان

دار المعارف ، مصر ١٩٥٤ — ١٧٦ ص ، قطع وسط

عادل الغضبان كاتب مشهور بكفاءته فهو يعنى عناية خاصة في الرواية التاريخية ، واننا لنشكره لانه اتحفنا برواية تظهر فيها اهم الاحداث حيويّة بدون ان تترك ظلّا ظليلًا على غيرها من الحوادث الاخرى التي تساعدها على البروز.

واننا لفي افتقار باللغة العربية الى ان ينتشر فنّ الرواية ويتسع مدى تأثرها.

ا. ع. خ.

تاريخ

مريم ام الله

عدد خاص بالسنة المريمية من مجلة المسرة ت ١ ١٩٥٤

قطع كبير – ٢٢٣ ص. مطبعة الآباء البولسيين – حريصا

لا نستطيع الا الثناء على مجموع هذه المقالات التي كتبت بعلم وورع لتمجيد ام الله وذلك بمناسبة اليوبيل المئوي لتحديد عقيدة الحبل بلا دنس ، وانه لمن الصعب ايضاح كل مقالة على حدة فمن الواجب ان تُقرأ ويُستفاد منها . ولكنني اودّ ان الفت النظر هنا الى ما قال مؤلف المقال ص ٦٩٢ بصدد ارتداد الموارنة الى الكثلكة ، « ومما اقتبس الموارنة عن اللاتين بعد عودتهم الى الكثلكة . . . »

لقد اتيحت لي الفرصة في هذه المجلة ايضاً لاعلق بايضاح على « كتاب الهدى » الذي اصدره حضرة الاب بطرس فهد فقلت ان قضية استمرار الموارنة على التمسك بالكثلكة قد نضب دونها حبر المحابر بدون الوصول الى نتيجة . فلذلك ينبغي تركها لان المستندات مفقودة للنزول الى الميدان بشأنها . وانها لقضية على الخصوم ان يحترموها لأن ما يزيد معاكستها مفقود . وما السكوت هذا الا التفسير المؤيد لتمسك الموارنة بالطريق المستقيم .

واني لاسأل كاتب المقال الذي اخذت منه هذه العبارة ثلاثة اسئلة : ١ً لماذا لم تحتفظ روما ، وهي صاحبة التدقيق والتحقيق العلمي ، بين مستنداتها بمستند يشير الى ارتداد الموارنة الى حضن الكنيسة الكاثوليكية ، فاذا كان لدى الكاتب هذه المستندات الرومانية فليتفضل بنشرها وعندها نسلّم بها بكل طيبة خاطر ٢ً هل يريد ان يعطينا تاريخ هذا الارتداد لان امراً مهماً بهذا القدر (الامر يتعلق بامة برمتها برؤوسائها الروحيين وبزمنيها) كان لا مندوحة عن الاشارة اليه كما اشير الى ارتداد الكنيسة القبطية في القرن السابع عشر ٣ً هل بمقدوره ان يقول لنا : أحفظ التاريخ اسماً يذكر فيه الموارنة المنشقين والموارنة اصحاب البدعة والموارنة الكاثوليك .

وبالحقيقة انه لمن المستغرب ان تقحم في مقالات تظهر في حلّة علمية تأكيدات

جازمة كل هذا الجزم كتأكيدات صاحب المقال على حين ان أسس التأكيد العلمية لا وجود لها البتة .

وان بعض المستندات التي نعثر عليها ذات اليمين وذات اليسار ضد استمساك الموارنة بدينهم القويم لا تغني شيئاً حيال سكوت روما القاضية وحدها بالحقيقة والحكم الفريد في صحة الدين القويم . ا. عبده خليفه

ولادة استقلال

تأليف منير تقي الدين

دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٥٣ – ٢٥٦ ص – قطع كبير

هو كتاب سهل مطالعته . واننا لنشهد بقوة تلك الاوقات التي يرويها المؤلف وهي ليست بعيدة عنا جداً البعد . وكم كنت اودّ ان يكون اقل تحيّزاً في لهجته واقرب الى الموضوعية . وكم كنت اودّ ان لا تكون رغبته في سرد احداث تاريخ استقلال قد وجّهت عقليته توجيهاً اقلّ ما نقول فيه انه توجيه لا يُنزّه عليه وعلى لهجته كل من عاش تلك الفترة من الزمن . ويخيّل الينا انه اراد ان يخلق في نفس القارئ الاهتزازات ذاتها – ولكن ما العمل فنحن ما برحنا شديدي الاقتراب من حوادث لكي نقوى على ان نضع قصّتها موضوعية رائقة ؛ ومع ذلك فاننا نشكر المؤلف على حفظه في مؤلفه المستندات الصحيحة على الحوادث التي يرويها للتاريخ الذي سيكتب يوماً .

ا. ع. خ.

Bishr Farès : *Le livre de la Thériaque*, manuscrit arabe à peintures de la fin du XII[e] siècle, conservé à la Bibliothèque Nationale de Paris. Le Caire, Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1953. - 56 pp. x XXI planches et 12 pp. en arabe.

متى وصف بشر فارس احدى اللوحات او ساغها فانه يبعث الحياة في نصوص ميتة ويوقظ في نفس القارئ، لاوصافه الشعور ذاته الذي سينشره هو إبان عمله؛ فما هو هذا كتاب الترياق الموضوع في القرن الثاني يبعث حيّاً في وصفه الدقيق الملائم للاوضاع الزمانية والمكانية ؛ فاننا نتابع فيه دائرة غرسة يضمها ونرى تفاصيلها واننا نلج في نفسه عندما يقابل احدى لوحات مخطوطة ثمينا او

مخطوطة باريس وكلاهما في موضوع واحد وعلى كلٍّ فان هذه المقارنة هي التي تكوّن جوهر هذا العمل الحسن الاخراج والذي دبّجته يراعة شاعر ، ومهما يكن فانها ليست المرّة الاولى التي يشتهر فيها بشر فارس بمصنفاته الخلابة ، فكتبه قصيرة وموجزة ولكنها بليغة وممتازة بالاعتناء باخراجها اعتناء بالغاً يماشي ما تشتمل عليه . فقد امتدح المخطوطة — موضوع اكتشافه — كأنها احد كنوز فرع المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية وهو على صواب في ذلك لأنّ الصور هي مفيدة حتى بدون بريق الوان النسخة الاصلية ، وانه ليشوقنا ان يواصل بشر فارس ابحاثه في هذا الباب حيث تعاظمت مهارته : اما التوشية بالنقوش حسب الطراز العربي ، اما الاناط والاختراع والخطوط فقد كانت جميعها موضوع الدرس درساً رفعت من شأنه عند دقة التفصيل .

ا. ع. خ.

مذكرات ناريمان زوجة الملك فاروق .

دار المكشوف ، بيروت — ١٢٦ص . ١٩٥٤ قطع وسط

ان ما نجده في هذه « الذكريات » هو صدق اللهجة وبساطتها ، فملكة مصر السابقة تتكلّم وتحدّث كشاهدة لحوادث ما برحت مؤثّراتها عالقة حيّة بنفسيّتها وهي تتحفنا بايضاحات عن اخلاق فاروق من المفيد معرفتها .

ا. ع. خ.

ضحكات القدر : من فاروق الى الثورة

تأليف حبيب الزحلاوي

مطبعة دار المنار ، مصر ، قطع وسط

يقول لنا المؤلف في مقدّمة كتابه انه يريد الخروج على المسالك المطروقة في الرواية التاريخية ليقصّ كما يفهم وينقل حياة بطله وميزاته النفسية كما يشاء .

انه يريد انْ يطبق في الرواية العربية ما يفعله الروائيون الاجانب من وقت بعيد ان لم نقل ما يفعلونه منذ البدء .

فهل قُدِّرَ له التوفيق ؟ يخيّل اليّ ان توسيمه لميزات النفسية قد كان على

جانب من الايجاز الموجز، اما تحليله للنفس ذاتها فلم يبرح على بعض الاقتضاب. اما انه قد توصل الى خلق جو يجعلنا نعايش فيه نفس الشعور الذي يستشعره فما لنا ان نقول انه قد بلغ من جده زهيد البلوغ ويبدو ان كل شيء لديه سريع وكل شيء. هين لكي لا نقول انه سطحي ... اما لغة الكتاب فوفق بينها وبين الهدف الذي اخذ على نفسه البلوغ اليه، وثمة من آن الى اخر بعض عبارات تعد بمثابة كنوز عثر عليها، بيد ان لغته في القالب الاعم لغة بسيطة خالية من التوشية والتخيل ومع هذا فانشاؤه مشرق اشراقاً كأنه موضوع لغير يومنا، فكأنه اراد ان يحاكي به الانشاء الشعري على حين انه يقوم تفاوت بين الاساليب الاثنين حتى جاء انتقاله من اسلوب الى اسلوب بعيداً عن التدقيق على حين ان محاولته شائقة . ا. ع. خ.

روحيات

سيرة مار افرام السرياني

ملفان الكنيسة الكاثوليكية (٣٠٠ – ٣٧٣) (ص ٣٦٩)

طالعنا بعذوبة فائقة هذه التحفة النفيسة التي ضمّنها مؤلفها المرحوم الخوري اسحق ارملة سيرة مارافرام السرياني ملفان البيعة الكاثوليكية فألفيناها من كل وجوهها شاملة جامعة لاصدق الروايات واوثق الاخبار الواردة عن ذلك القديس المجيد والملفان الكبير، وعرفنا انه ينحدر من أسرة مسيحية اشتهر غير واحد من افرادها باحرازه اكليل الاستشهاد واشتهاره باعمال التقوى .

على ان مار ايرونيس الملفان معاصر مار افرام قرّر ان ابيات مار افرام الشعرية بلغت ثلاثة ملايين وان المؤمنين ولا سيّما العذارى طفقوا ينشدونها في الحفلات الكنسيّة في حياة ناظمها . وقد أحرز بواسطتها اكليل الانتصار على ارتقة عصره .

وادرج المؤلف في كتابه هذا خطبة القديس غريغوريوس اسقف نيصص وانشودة مار يعقوب الملفان اسقف سروج في مديح مناقب مار افرام، وزيّن الكتاب بتعريب براءة البابا بندكتس الخامس عشر التي اذاعها عام ١٩٢٠

معلناً مار افرام ملفاناً للكنيسة الجامعة . ثم اورد المؤلف رهطاً صالحاً من المستشرقين الذين درسوا تصانيف مار افرام ونشروا بعضها بالطبع تعميماً لفوائدها .

ولم يغمض المؤلف عن ذكر اعتبار السريان الموارنة والملكيين والكلدان والسريان والارمن لهذا الملفان المعظم وتصانيفه الفريدة العديدة .

على ان سيادة المطران باسيليوس افرام حيقاري الجليل شاء ان يردف الكتاب بخلاصة سيرة الملفان السرياني ويثبت نصّ البراءة البابوية المشار اليها بالفرنسية تعميماً لفوائدها .

ثم رفع المؤلفان الجليلان كتابهما هذا هدية بنوية الى ابي المؤمنين الحبر الاعظم البابا بيوس الثاني عشر المالك سعيداً .

اننا نعتقد ان الطوائف المارونية والكلدانية والسريانية خصوصاً تُقبل على مطالعة الكتاب وعلى تلاوة قصائد مار افرام في المواسم الكبيرة ليجتنوا منه اشهى الثمار واوفر الفوائد . ا. ع. خ

رسالة الايضاح لرسوم الكمال

تأليف جبرائيل فرحات الحلبي

نشرها الخوري ميشال بريدي – مطابع خياطة ، طرابلس ١٩٥٣ ، ١٢٥ ص

ان دور نشر المخطوطات الروحية لدور كبير الاهمية لمساعدة النفوس التوّاقة الى ان تحيا ديناً الدعوة لحياة الهية بتبصرة وطمأنينة ، وزد على ذلك ان في نشرها مجالاً للعثور على مفردات ربما كانت ضرورية لمضاعفة نشب لغتنا الروحية .

ولقد حاول الاب بريدي بجهود تراوح بين التوفيق وعدمه تلبية لهذه الرغبة فنشر مصنّف مطران حلب جرمانوس فرحات « الايضاح لرسوم الكمال » ورغب في ان يضمّ الى النصّ الاصلي المصادر التي استمدّ المطران فرحات موضوع كتابه ، واتم الحقّ انها لمحاولة حميدة بيد انه لمركب خطِر التفتيش عن مصادر مؤلف لم يذكرها هو وايجاد الصلات الجوهرية التي بمعزل عن الشبهات بينهما وبين نصوصه ، اما التقريب بين المفردات اللغوية ولا سيّما في هذا المضمار فاس

سهل غير انه لن يكون حاسماً كل الحسم لأن النفس الانسانية اذا اعربت عمّا هو عميق فيها كل العمق تعرب عنه بصورة واحدة .

ولقد وددنا ان يكون سهر الناشر على الاغلاط المطبعية التي توالت في جميع صفحات الكتاب سواء. منها الاغلاط العربية واللاتينية سهرًا اشدّ ، ولا اذكر استشهادًا على ذلك الّا ما ورد في الصفحات (٥٠و٨٤ و١٠٩) وثمّة بعض اخطاء لغوية كان سهلًا تنقيحها كما في الصفحة ١٤ السطر السادس وغيرها . . . وزد على هذا الطباعة المشوهة فالملحوظات قد وضعت في وسط الفصول .

واني اودّ ان اقول كلمة الآن عن المقدمة التي جعلها المؤلف في مطلع الكتاب ورغب في ان يضمّنها رؤوس اقلام عن الكمال المسيحي ، على حين ان مقدمته كانت خاطفة في سرعتها لتؤدي المنفعة لمن يريد التقاط ما فيها ، فهي لا تفيد لا العلماء ولا المؤمنين الورعين بهذه الامور العامّة وتلك الاقوال الغامضة العديدة . وقد كان احبّ الينا ان يسعى المؤلف الى ان يتعمّق في التعاليم التي تعرّض للكلام عليها قبل مباشرته الاتيان ببعض المقارنات . وفي سبيل التدليل على ما اقول انني اورد مثلًا على ذلك ما ورد في الصفحة ١٤ وهو مقارنته تعليم القدّيس فرنسوا ده سال بتعليم القديس اغناطيوس لويولا . فالاول قد يكون قائمًا في الدرجة الاولى على محبة الله والثاني على النسك ومحبة الصليب الخ. . .أفلم يقرأ الناشر «اساس» الرياضات الروحية . فالقديس اغناطيوس يثبّت فكر من يصنع الرياضة منذ كلماته الاولى على محبة الله . اما النسك فيظل واسطة لبلوغ هذه المحبة . فهو ليس الامر الاول ولا يستطيع ان يكونه ؟ أوَ لم يقرأ المؤلف المقدمة «لمدخل العبادة» ليرى عند القديس فرنسوا ده سال دور النسك الاولي المعروض بشكل جذاب . ان اساليب التعبير لا تكوّن عامة اختلافات في التعليم ، ولا شك في ان الناشر سيكون اقلّ تسرّعًا واشدّ انتباهًا في طبعته الثانية لكي لا يبدي من الآراء الّا ما يستطاع ابداؤه .

ا. ع. خ

René Laurentin : *Le titre de Corédemptrice, étude historique.* — Rome, édit. « Marianum » 1951, 65 pp.

وضع المؤلف اطروحة للدكتوره ناصعة البيان في الموضوع المشار اليه بالعنوان

فدلّ لاعلى عمل اقتضاه جلدًا طويلًا فحسب بل على دقة لاهوتية ليفهم من وراء قواعد قدامى اللاهوتيين الوعرة الملتبس احياناً استمرار التقليد في اطلاق اسم الشريكة في الفداء على مريم العذراء ، وهذا الكتاب التابع لمصنّفات المؤلف الكبيرة على الدراسة اللاهوتية يشتمل على ثلاثة فصول يدرس فيها المؤلف اصل التسمية « الشريكة في الفداء » وقد اعطى في ذيل سِفرًا غنيًا بالمستندات التي تتعلق بهذا الموضوع ، وانه لا يسعنا الّا ان نشهد باعجاب استمرار تقليد ودوام يقظة الكنيسة النظور لتقدر دور مريم العذراء القديسة تقديره الحق في افتدائنا ، فان كتاباً على هذه الشاكلة ليحضّ الباحثين الكثيرين على جمع المستندات الآئلة الى تقدّم العلم اللاهوتي بواسطة الدراسات العلمية.

واننا لنهنئ السيد لورنتان على تمهيده الرائع لدراسة اللاهوت .

HENRY DUMÉRY : *Foi et interrogation*, Édit. Téqui. Paris, 1953, 157 pp.

ليس هذا المصنف دراسة لاهوتية للايمان ولا كتاب دفاع عنه بل هو شهادة وتحديد وضع .

ولقد واصل فيه المؤلف محاورة مع الجحود العصري وجبه اعتراضات اساتذة المروق الجدد: سارتر ومرلو — بونتي وكاموس وبولان. وحاول ان يبيّن ان الايمان المسيحي ليس خلوًا من الشجاعة ولا تنازلًا عن الحرية وعارض « ايمان التنازل » الذي يتنكر للجرأة المسيحية « بايمان — التصعيد » الذي يستفهم ويبحث ويفضّل التفتيش على التطامن .

وفي عرفنا ليس من محلّ في ادب المسيحية اليوم لمثل هذه الارادة التي تسترجع من الاساتذة الشباب المارقين الحق لتزيد ان الانسان هو كائن صانع لنفسه خالق حري، لذاته بذاته وصانع حرّ ومسؤول عن مصيره ، بيد ان استقلال الانسان الذاتي هذا بدلًا من ان يعني بذلك موت الله كما تعتقد النيتشية الجديدة يتطلب على العكس تدخل النعمة المحرّر ، وعلى هذه الصورة تعود النظرية الانسانية ثانية مسيحية لا عن طريق التصادف بل من حيث الجوهر.

ان فائدة الكتاب لتقوم على صدق مباحثته للمارقين مباحثة دقيقة جيء بها للتدليل على انهم لن يصلوا الى منتهى فكرهم الحقيقي :

ولقد عرف المؤلف من جهة ثانية ان يضمّ الى بياناته النظرية ما يجلو الغامض في الاذهان اذ جاءت دروسهُ حول تصرفات الكاثوليك في الكنيسة ودول العيلة والبلاد مصبوغة بصباغ الصدق البليغ وجاء نقده حديدا عنيفًا مما جعل لاقواله روعة لن يقوى احد ان يظلّ لاابالياً حيالها .

وانه لكتاب تفكير وعمل وكتاب تبصرة مسيحية لا تطمئن الى غضاضة هو هذا المصنف : « الايمان والاستفهام » وقد وضع لجميع الذين يرومون ان يذكروا في انفسهم حميّة الحياة والبهجة في التفكير .

P. R. Bernard O.P. : *Le Mystère de Marie : les origines et les grands actes de la Maternité de grâce de la Sainte Vierge.* — 4e édit. Desclée de Brouwer, 1954, 443 pp.

لقد كان لا مندوحة عن طبع هذا الكتاب الكبير المرّة الرابعة فان كثيرًا من الانفس قد راحت تستقي من مصادر لاهوت ممتاز التعبد لمريم والحبّ الصحيح لمن هي ام وغاية الكمال .

وبالنسبة الى الطبعات السابقة لا نرى شيئاً جديداً في هذه الاخيرة ، اما ضروب التصحيح الضرورية التي يستلزمها تحديد عقيدة الانتقال فسهل وضعها ومع ذلك فانه لا يسعنا ان نكتم ارتياحنا الى القول باننا نلمس في هذه الصفحات التي تطفح بالحياة الروحية نفس مؤلف لم تسيء قط الى وجهة الكتاب العلمية الصرف وليسبغ عليه مسحة لم يفقد معها شيئاً .

واودّ ان اشير الى المنطق والدقة اللذين بيّن بهما المؤلف الصلة بين شكلي العقيدة ذاتها : الامومة الالهية والامومة الانسانية ، فمريم هي أم البشر لانها أم الله .

واننا لفي افتقار الى مثل هذه المصنفات التي تضمّ الى اعلى دروس اللاهوت النظري معنىً عميقاً جدّ العمق في غزارة مادته وهو اولى بنا ان نحياه من ان نحلله .

ا . ع . خ .

اخبار العالم

اخبار دينيه

الحبر الاعظم وكاثوليك الصين الشيوعية : وجه قداسة البابا بيوس الثاني عشر الى كاثوليك الصين رسالة مؤرخة بانيوم الثامن من ايلول ١٩٥٤ أرجىء اعلانها الى ٢٣ كانون الاول لئلا يقوم « الستار الخيزراني » حاجزاً يمنعها من الوصول الى من اليهم أرسلت . في هذه الرسالة يبدأ قداسته باثبات حقيقة وجود الاضطهاد في الصين : وكان السيد انلي عند عودته من زيارته للحكومة الشيوعية قد انكر وجود اضطهاد دينيّ في الصين .

بعد هذه المقدمة تثني الرسالة على صمود الكاثوليك الصينيين ازاء هذا الاضطهاد وما يحتويه من شجون وسجون وعلى تعلقهم المكين بالكرسي الرسولي والايمان الكاثوليكي ورفضهم البات للانتماء الى الكنيسة المنشقة من روما التي جهدت حكومة الصين في تأسيسها . ثم يُطري قداسته وطنيتهم الحقة وأمانتهم لبلادهم ويحثهم على الثبات في حبهـا وخدمتها معا ادّعى المضطهدون كذباً بان الروح الوطنية هي مخالفة لروح الدين المسيحي الكاثوليكي .

الاضطهاد الديني في الصين : في اواخر سنة ١٩٥٠ كان في الصين تسعة وسبعون اسقفاً اجنبياً فلم يبق منهم في نهاية ١٩٥٤ الا اثنان وكلاهما في السجن والآخرون طُردوا بامر من الحكومة — وكان عدد المرسلين خمسة آلاف وخمسة منهم ثلاثة آلاف وخمسون كاهناً فلم يبق بعد الا ثمانية وخمسون : منهم ثمانية عشر في السجن وست وعشرون راهبة وثلاثة اخوة .

ومن ضحايا الاضطهاد الذين قُتلوا أو ماتوا في السجن : اربعة اساقفة وستة وخمسون كاهناً اجنبياً وستة كهنة صينيين . ويوجد اليوم في السجون ثلاثة اساقفة وستمئة كاهن صينيّون تقريباً .

لبنان : ظهر في مجلة اعمال الكرسي الرسولي بتاريخ ١٥ تشرين الثاني قرار قبول دعوى تطويب الراهب مخلوف شربل وتعيين لجنة جديدة لهذه الغاية برئسها صاحب السيادة انطوان خريش المطران المساعد لابرشية صيدا ومعه مستشارون ثلاثة حاصلون على شهادة الملفنة في اللاهوت والحق القانوني هم الآباء جوزف خوري ويوحنا شديد وباخوس فغالي .
وقد اعتمدت اللجنة الاولى من بين عجائب الراهب القديس المديدة على اثنتين هما شفاء الاخت ماري آبل من راهبات القلبين الاقدسين والسيد اسكندر عبيد .

لبنان : بتاريخ ٧ تشرين الثاني نُكبت بيروت بحادث مؤسف تألم له جميع البيروتيين واظهروا بهذا المناسبة بنوع جلي مؤثر عاطفة اخوية صادقة سامية : في فرصة الاحتفال بعيد المولد نظم بعض اصحاب العيد تطوافاً فخماً بالمشاعل في شوارع المدينة . ولاسباب لم نتجلّ بعد لما حان الوقت للخروج الى التطواف اندلعت النيران فجأة بين حاملي المشاعل وهم في باحة احدى المدارس وأخذ ينتشر انتشاراً سريعاً هائلاً فذعر لهذا المنظر حاملو المشاعل وحلّ في الصفوف الاضطراب والبلبلة . وقد بلغ عدد ضحايا هذه الفاجعة نحو اربعين شاباً تتراوح اعمارهم بين خمس عشرة وسبع عشرة سنة واصيب غيرهم بجروح خطرة .

فشاء البعض انتهاز هذه الفرصة الحالية لسنّ قانون يضع حدوداً مفرطة لحرية المظاهرات الدينية وهمّت الحكومة بارضائهم لكنها اصطدمت حالاً بمقاومة عنيفة حازمة اضطرتها الى العدول عن هذه الفكرة .

اخبار عالمية

الاتحاد السوفياتي : اجتمع السوفيات الاعلى في اليوم الثالث من شباط وانتهى من اعماله في اليوم التاسع . من اهمّ حوادث هذه الاجتماعات استقالة مالنكوف من منصب الرئاسة وقد اعتذر في تقديم استقالته بعدم مقدرته وقلة اختباره في القيام باعباء الرئاسة العليا التي عُهد بها اليه . وقد عُيّن خلفاً له المارشال بولغانين وهو رجل ذو حُنكة قام بوظائف هامة عديدة عسكرية ومدنية في خدمة بلاده . . وقيل ان مالك السلطة اليوم فعلاً في روسيا السوفياتية هو كروشتشيف رئيس الحزب الشيوعي

جزيرة فورموزا (طيوان) : بعد القتال في كوريا وفي الهند الصينية هوذا هجوم جديد للشيوعيين الصينيين على جزيرة فورموزا التي هي بيد الصين الوطنية . وقد اعلنت الحكومة الشيوعية عزمها على انتزاع الجزيرة من الوطنيين مهما كلفها الامر فنهضت الولايات المتحدة لانجاد الوطنيين وعاهدت تشان كي شك بمساعدته لردّ هذا الاعتداء . وينظر اليوم العالم بقلق الى هذه الحرب الجديدة .

المعاهدة التركية العراقية : في ١٩ كانون الثاني شاع فجأة خبر اتفاق العراق مع تركيا لعقد محالفة دفاعية فتأثر له العالم العربي تأثراً شديداً وفي مصر خصوصاً احتج الرأي العام لهذا النبأ فقامت حكومتها تتدبر للامر داعية دول الجامعة الى الانعقاد سريعاً للنظر في الحادث المفاجىء والعمل لحمل العراق على العدول عن توقيع هذه المعاهدة الى ان يتمّ الاتفاق بين دول الجامعة العربية بقبولها او رفضها . وقد اجتمع في ٢٢ كانون الثاني في مصر مؤتمر رؤوساء وزارات البلاد العربية لكن نوري السعيد رفض الحضور معتذراً بانحراف صحته

الم به . . . وبعد اجتماعات عديدة ومداولات عنيفة انفض جمعه دون ان يصل الى نتيجة .
وكانت الحملات شديدة على العراق خصوصاً من قبل الحكومة المصرية تسندها الدولة السعودية فقد ندّدت بانفراد العراق في سياستها الخارجية وعرض الجامعة العربية الى الاخطار دون اضطرار اذ انه لا حاجة للعراق الى تركيا للدفاع عن نفسها والمعاهدة البريطانية ومساعدات الولايات المتحدة عسكرياً تكفيها ثم ان المعاهدة التركية العراقية ترمي البلاد العربية في خطر حروب لا تريدها وذلك لانها مرتبطة بالميثاق الجماعي الدفاعي .

مصر واللواء نجيب : في ١٤ تشرين الثاني عزل اللواء نجيب من منصب رئاسة الجمهورية المصرية ومجلس الانقلاب عقب شهادة اداها امام المحكمة اثنان من المتهمين بمحاولة اغتيال الزعيم جمال عبد الناصر في الاسكندرية .

يوم الانقلاب في تموز ١٩٥٢ ظهر نجيب لاول مرة في مصر مظهر بطل . ثم في شباط ١٩٥٤ عزله مجلس الانقلاب من مناصبه الحكومية بتهمة الطمع بالدكتاتورية لكنه ما لبث ان اعاده اليها بفضل ضباط الخيالة العسكرية الذي تمردوا على عزله . واخيراً بعد شهرين اضطرّه مجلس الانقلاب الى التخلّي عنها من جديد . فتسلّم الزعيم جمال عبد الناصر رئاسة المجلس وبقي منصب رئاسة الجمهورية خالياً .

المشرق

السنة التاسعة والاربعون — آذار – نيسان ١٩٥٥

من الرسائل الصغرى للشيخ ابن عبّاد الرُنْدي

نشرها الاب بولس نويا اليسوعي

عُرف الشيخ الصوفي ابو عبدالله محمد بن عبّاد النَفْزي الحميري الرُنْدي (٧٣٣ — ٧٩٢ هـ/ ١٣٣٢—١٣٩٠ م) خاصة « بالتنبيه » الذي وضعه على « حِكَم » ابن عطاء الله السكندري (+ ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م)، ذلك التنبيه الذي قال عنه الشيخ احمد زرّوق (+ ٨٩٩ هـ/ ١٤٩٤ م) أنه « بستان الفن وخزانة أحكامه وجامع لبه بحيث لا يكفي غيره عنه ويكفي هو عن غيره[1] وان كل من كتب على هذا الكتاب (= الحكم) شيئاً ممن لقيناه او سمعنا به فانما هو دونه في القصد والتحقيق (...) وما انا في كل ما اكتبه الا خلف ركابه وسائل ممدود اليد اليه خلف ابوابه . »[2]

١) عن « سلوة الانفاس » للكتاني ج ٢ ص ١٣٦

٢) « كتاب مفتاح الفضائل والنعم في الكلام على بعض ما يتعلق بالحكم » مخطوطة الاسكوريال رقم ٧٧٦ ص ٤ أ

غير ان « التنبيه » رغم شهرته ورغم ما له من المكانة العُليا في تاريخ التصوف الاسلامي[1] لا يكوّن أهمّ ما وصلنا من الشيخ ابن عبّاد — فقد جُمعت من قلمه رسائل صوفية اقل ما يقال فيها — حسب قول أسين بلاسيوس — انها لا مثيل لها في التراث الصوفي وانها فريدة من نوعها في هذا الفن الصوفي الذي لم يلتفت اليه بعد المستشرقون وغير المستشرقين . فلو لم يكن لها الا هذه الخاصية فهي خليقة بان تجلب انظار كل من له اقبال على تاريخ التصوف واهتمام بهذه النزعة الروحية .

ونحن نظن ان درس رسائل ابن عباد ضروري لكل من يريد ان يقف مباشرة على طوايا قلوب الصوفية ويتبين من خلال مكاتبات شخصية ما هو هذا الجهاد الاكبر الذي قاموا به في سبيل التقرب الى مولاهم وما هي الصعوبات النفسية التي يلاقونها والازمات الضميرية التي يمرون بها قبل الوصول الى الحرية الروحية . فان رسائل ابن عباد ليست الا حديث شيخ الى مريده او حديث واصل خبير الى سالك مبتدئ : يكشف له هذا عن حالات نفسه ويعلمه بما يقلق ضميره من قسوة في الصلاة او عدم رقة في تلاوة القرآن او تشويش البال في طلب الرزق او خوف من الموت او وسوسة في عمل الخير الخ ويجيب ذلك على كل هذه الحالات ناصحاً مُريده بما من شأنه ان ينير طريقه ويدله على خير واسطة للتقرب من الله . اجل ! إنّا نجد في كتب التصوف الشيء الكثير عن آداب الشيخ مع مريده وآداب المريد مع شيخه . غير انّا لا نجد الا في رسائل ابن عباد[2] نصوصاً تاريخية تدلنا على ما كانت في الواقع هذه الآداب وكيف كان الشيخ يعامل مريده في ارشاده وحول اي موضوع كان يدور هذا الارشاد.

وللشيخ ابن عبّاد مجموعان من الرسائل دُعي الواحد منهما « بالرسائل الكبرى » والآخر « بالرسائل الصغرى » لاختلافهما في الحجم. وقد طُبع المجموع

---

١) أنظر مقالة آسين بلاسيوس عن ابن عباد في مجلة « الاندلس » ١٩٣٣ ص ٧-٧٩

٢) على كل. فلم نقع بعدُ في ايدي أحد رسائل صوفية تضاهي رسائل ابن عباد في القيمة والكمية وان كان هناك رسائل متفرقة قليلة العدد تشابهها مثل رسائل ابن العريف التي وقفنا عليها في فاس في خزانة صديقنا عبد السلام بن سوده صاحب « دليل مؤرخ المغرب »

الاول في فاس سنة ١٣٣٠ﻫ (٦٦٢ صفحة)[1] . اما الرسائل الصغرى — وهي خمس عشرة رسالة — فلا زالت غير مطبوعة ومنها اقتطفنا الرسالة التي نقدمها اليوم الى قراء «المشرق» . وان لم نستطع حتى الآن ان نحقق اسم المريد الذي وُجّهت اليه هذه الرسالة فغالب الظن انها كُتبت الى المحدّث الرحالة يحيى السراج[2] (ت ٨٠٣ او ٨٠٥ ﻫ/١٤٠٠ او١٤٠٢ م) «الذي اكثر رسائل ابن عبّاد» كما يقول احمد زروق .

اما طريقتنا في النشر فهي طريقة الأب بويج اعني اننا اتبعنا مخطوطة واحدة ثم قابلناها بالمخطوطات الاخرى. واليك كلمة عن كل واحدة من هذه المخطوطات :

إس = مخطوطة الإسكوريال رقم ٧٤٠ ، ٣° ص : ١٨٣ أ — ٢٣٥ أ (انظر وصفها في قائمة الاسكوريال لدرنبور) . هي المخطوطة التي اتبعناها ها هنا ولم نعد عنها الا ثلاث مرات لتكميل المعنى وقد أشرنا اليها بين القراءات المخالفة . مخطوطة بلا تاريخ ظنّها الاستاذ أسين بلاسيوس معاصرة للشيخ ابن عباد لما يُذكر في اول المجموع انه كان مُلكاً للسلطان ابي فارس . غير ان هذا ابا فارس ليس المريني كما خُيّل الى الاستاذ أسين بل السعدي ابن ابي العباس احمد المنصور الذهبي[3] (١٠١٢ ﻫ / ١٦٠٣) الذي خلف اباه بضع اسابيع على مراكش . وهو أخو مولاي زيدان المتغصب منه بعد ذلك سلطنة مراكش . وفي أيام هذا الأخير جرت الحوادث التي أدّت بالمكتبة الأميرية الى الاسكوريال كما هو معروف . وان لم تكن هذه المخطوطة من العهد المريني وأقدم من مخطوطاتنا الاخرى فهي على كل حال معاصرة لأقدمها[4] ومما يدل على قيمتها هيئتها المتقنة وخطها الاندلسي الفاخر ودخولها الخزانة الأميرية . لهذا فضلناها على اخواتها رغم ما فيها من السهو الدال على ان المخطوطة لم تقابل مع الأصل بعد كتابتها[5] .

---

١) وقد اقتطف منها الاستاذ ماسينيون رسالتين في « المقتطفات الصوفية » (Recueil...: ص : ١٤٦–١٤٨

٢) هذا ما يُستنتج من بعض كلام الشيخ ابي عبدالله محمد بن السكّاك (٨١٨ ﻫ /١٤١٥) أحد تلاميذ ابن عباد . انظر « كتاب الاساليب » مخطوطة الاسكوريال رقم ٧٨٢ ص١٢٧ ب

٣) يشهد بذلك ما نقرأ في اول المجموع : « ملك لله بيد عبده ابي فارس امير المؤمنين [ابن] احمد المنصور أمير المؤمنين . . . »

٤) ونحن نميل الى الظن بان هذه النسخة هي التي تشير اليها مخطوطة سيدي العابد الفيري الفاسي قائلة بانها بخط الشيخ يحيى السراج . فجميع القراءات الشاذة التي نذكرها هذه المخطوطة وننزيها الى نسخة السراج نجدها في نسخة الاسكوريال .

٥) كما قُوبل شرح الحكم في المجموع عينه حيث نقرأ في آخره : « بلغت المقابلة من اصل صحيح جهد الاستطاعة فصحت بصحته » ص : ١٨٢ ب .

رب١ = مخطوطة خزانة الرباط العامة رقم ١٧١٧ ص ١ ب – ٥١ ب (انظر وصفها في الفاتحة) . يُقرأ في اخرها : « انتهى كتاب الرسائل الصغرى (. . .) على يد العبد الفقير الراجي عفو مولاه القدير عبد الرحمن بن ابي القاسم بن ابي علي بن احمد الجابري ثم الصلبي نسبا المالكي مذهبا (. . .) وكان الفراغ من نسخه ضحوة يوم الجمعة السابع عشر من شهر شوال الذي من عام اثنين والف سنة . . . » (١٥٩٣ م) .

ق = مخطوطة كتبة القرويين بفاس رقم ٧٨٧[1] ص ١ ب – ٣٥ ب . طولها ٢٨ س وعرضها ٢٠ س . في كل صفحة ٢٣ سطرًا . بخط مغربي سيء . محت فيها الأرضة في اماكن كثيرة . وهي بغير تاريخ لانه يتبعها مجموعة الرسائل الكبرى وقد سقطت منها الصفحات الأخيرة . غير ان عليها تاريخ دخولها خزانة القرويين اذ قد أوقفها على الجامع ابو العباس احمد المنصور الذهبي سنة ١٠٠٨ ه / ١٥٩٩ .

ف = مخطوطة سيدي العابد الفهري الفاسي مكتوبة بتاريخ ١٠٨٣ ه / ١٦٧٢ م وبخط مغربي جميل . وقد كُتب في اولها بخط آخر ان ناسخها الشيخ الشهير ابو عبد الله محمد المهدي بن احمد بن علي بن يوسف الفاسي (✝ ١١٠٩ ه ١٦٩٨)[2] . على كلٍّ فقد نُسخت باعتناء كبير وشُكّلت فيها جميع الكلمات . ويظهر من بعض محوظاتها انها نُسخت عن أصلٍ نُسخ عن أصلٍ آخر « عليه خط المؤلف » . ونحن نشكر صاحبها الكريم الذي ساعدنا على مقابلتها مع مخطوطة الاسكوريال عند مرورنا بفاس .

ك = مخطوطة الشيخ عبد الحي الكتاني مكتوبة بتاريخ ١١٢١ ه / ١٧٠٩ كما يقرأ في آخرها : « وكان الفراغ من نسخها عشية يوم الخميس سنة احدى وعشرين ومائة وألف على يد كاتبه عبد الله تعالى . . .[3] غفر الله (له) ولوالديه ولجميع المسلمين آمين » . وهي بخط فاسي جيّد . تقع في مائة صفحة تحتوي كل واحدة منها على ٢٣ سطرًا . وهي النسخة الوحيدة التي لم نرها باعيننا انما لنا منها صورة « ميكروفيلمية » .

رب٢ = مخطوطة خزانة الرباط العامة رقم ٨٩١ ص ٤٣ أ – ٩٤ ب وهي مبتورة جدًا تحتوي فقط على بعض الرسائل منها كاملة ومنها غير كاملة . وبعض الرسائل الكاملة الرسالة التي نشرها هنا . وهي بلا تاريخ غير انها تظهر قديمة . فيها سهو كثير وفيها ايضًا قراءات حسنة لا توجد في غيرها (انظر وصفها في الفاتحة) .

رب٣ = مخطوطة خزانة الرباط العامة رقم ٦٧٣ ص ٥٨ ب – ١١٦ أ (انظر وصفها في الفاتحة) وهي بلا تاريخ غير ان الورق والحبر والكتابة يدلّون على انها حديثة جدًا . وبعد مقارنة بعض اقسامها مع المخطوطات السابقة رأينا انها لا تُفيد شيئًا فتركناها جانبًا .

---

١) يقابل في قائمة الاستاذ بيل (Bel) ١٩١٨ م رقم ١٨٤٩ . في هذه القائمة تُذكر نسختان من الرسائل الصغرى . ولكن الواحدة منها لم يبق لها أثر !

٢) انظر ترجمته في كتاب الاستاذ ليڤي بروڤنسال على « مؤرخي الشرفاء » (Les historiens de Charfa) ص ٢٧٣–٢٧٥ ؛ وفي « صفوة من انتشر » للإفراني ص ٢١١ ؛ وفي « سلوة الانفاس » للكتاني ج ٢ ص ٣١٦ .

٣) قد أُمحي هنا اسم الناسخ .

س = مخطوطة سيدي عبد السلام بن سوده (ص ١ ب - ٣٩ أ) مكتوبة بتاريخ ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م وبخط فاسي دقيق . يظهر انه كان بيد الناسخ اصلان : أصل نجهله وأصل هو نسخة سيدي محمد المهدي الفاسي (انظر ص ٣١ ب) . على كل فهي تشابه كل المشابهة هذه النسخة الأخيرة . غير ان ناسخها زاد في اول كل رسالة : «وله ايضاً رضي الله عنه» الشيء الذي لا يُرى في غيرها .

إد = مخطوطة صديقنا الاستاذ إدريس الادريسي مكتوبة بتاريخ ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م وبخط فاسي صعب القراءة ' قابلناها بمخطوطات إس-ف-س فرأينا انها لا تأتي بشيء جديد فتركناها جانباً لهذا ولحداثة تاريخها .

ونحن ان قابلنا هـذه المخطوطات بعضها ببعض نجد من جهة مخطوطة الاسكوريال ومن جهة اخرى جميع المخطوطات الاخرى . وفي هذا القسم الثاني نجد تشابها من جهة بين ف وإدس ومن جهة اخرى بين ق ورب ١ ك رب ٢ رب ٣ وان كان رب ٢ يختلف بدوره عن هذه الاخيرة بقراءات كثيرة .

ولنلاحظ اخيراً ان كل هذه المخطوطات جيدة بالعموم وانه قلما نجد بينها اختلافاً يغيّر جوهر معنى الكلام . وان منها من نُسجل بالهامش اختلاف القراءات وقد أشرنا اليه بحرف خ كما اشرنا الى بعض الطُرر التي ذكرناها بحرف ط .

فرموزنا اذن هي هذه :

إس = مخطوطة الاسكوريال .

رب ١ = مخطوطة الرباط رقم ١٧١٧ .

ق = مخطوطة القرويين .

ف = مخطوطة سيدي العابد الفهري الفاسي .

ك = مخطوطة الشيخ الكتاني .

رب ٢ = مخطوطة الرباط رقم ٨٩١ .

س = مخطوطة بن سوده .

خ = قراءة مختلفة ذكرت على هامش نسخة . نذكر هذا الحرف بعد الحرف الرامز الى مخطوطة .

ط = طرّة ذكرت على هامش نسخة . نذكر هذا الحرف بعد الحرف الرامز الى مخطوطة .

+ = كلمة زائدة .

− = كلمة ناقصة .

فيما يخص القرآن مراجعاتنا ترمز الى طبعة فلوگل

ليون ٩/١/١٩٥٥ . الأب نويا اليسوعي

[213.v.] كتاب[1] تضمّن التوصية والنصيحة لرجل اصابه ضيق في [219r.] صدره[2] بما[3] هو عليه من احوال غير مرضية عنده مع انه يريد الانتقال عنها الى احوال اخر مرضية عنده ومؤثرة له فلم يقدر على ذلك.

الحمد لله بقدر نعمته — اما بعد فقد وصلني كتابكم وانتم تصفون فيه احوالكم ونعماً[4] فعلتم — وحاصل ما ذكرتموه ان ما اتصفتم به من الصفات واستُعملتم فيه من الحالات هي مكروهة اليكم غير محبوبة لا ترضونها للتقرب[5] بها الى ربكم . وان ما توهمتموه او[6] تخيلتموه بعقولكم من احوال لستم عليها هي محبوبة اليكم غير مكروهة تتمنون ان لو كنتم عليها ووجدتم السبيل اليها .

وقد اتعبتم يا اخي انفسكم وأسأتم الادب في معاملاتكم[7] وكددتم[8] افكاركم فيما تذهب فيه اوقاتكم مجاناً بلا فايدة . بل ربما اضر ذلك بكم اذ[9] اشتغلتم بما هو حجاب عن مقاصد الاولياء العارفين وفيه التعبد[10] من رب العالمين . وانتم عندي معذورون في ذلك اذ سبقكم الى ذلك ناس كثيرون ممن تقدم وتأخر ولعلكم لا تجدون الا ذلك . وسبب وقوعهم في ذلك سبقية نظرهم الى ان لهم حولاً وقوة فيما يتصرفون فيه من الحركات والسكنات وشدة غفلتهم عن الاول المُدَبِّر والمُتَصَرِّف المُقَدِّر حتى اداهم ذلك الى اغاليط

---

١) س : وله ايضاً رضي الله عنه ونفع به كتاب . . .
٢) رب١ : صدر .
٣) ق : لما ؛ س : مما .
٤) س خ : ونعمَ ما .
٥) ق : للقرب .
٦) ق : و .
٧) ق ك رب١ : معاملتكم .
٨) س ط : بخط سيدي المهدي الفاسي « وكددتم » .
٩) رب١ : اذا .
١٠) لعلها « التبعّد » ؟ ؛ ف ق ك رب١ رب٢ : البعد .

وجبالات حادوا بها عن الصراط المستقيم وهم لا يشعرون .

ثم هم في ذلك فرق . اما من كان منهم[1] من اهل المعاملات الظاهرة من صلاة او صيام او حج او عمرة او ذكر او صدقة او غزو او تعلم علم او قضاء حاجة مسلم او غير ذلك من افعال البر القاصرة او المتعدية فمن أُستعمل منهم في شيء من ذلك ولم يجد له حلاوة ولم يعرف خيريّته عند ربه حسبما ذكرتموه عن انفسكم فانه يقع له من الاحوال الردية ما وقع لكم . ومنهم من يرتضي حاله ولا يحب زواله ولكنه [v. 219] اذا فتر عنه او اعتراه كسل او ملل او حيل بينه وبينه بسبب من الاسباب تضيق[2] درعه[3] ويتشوش عليه وقته وتضطرب اموره ويرى انه قد طُرد وأُبعد . ومنهم من لا يكترث بذلك ولا يبالي به ويرى انه قادر على العودة اليه فيما يستقبل . ومنهم من يعيّن لذلك زمانًا او مكانًا يفعله فيه كأن الامر في يده[4] فاذا جاء ذلك الوقت او حصل في ذلك المكان صادفه وقد اعتاد الفترة والفتور فطالب[5] نفسه بالانجاز ما وَعَدت والوفاء بما شَرَطت فلم تفِ بذلك ولم تنجز موعده بل سوّفته الى وقت آخر وهكذا يتمادى به الامر .

وكذلك من لم يكن أخذ في شيء من العبادات والمعاملات ولكنه اذا قرع سمعه شيء من حكايات السلف وما كانوا عليه من الاحوال السنية والاعمال المرضية يسبق نظره الى ان له قوة على ذلك لو اخذ فيه ثم يقول : سآخذ فيه اذا تفرغت من شغل كذا واذا[6] كنت على حال كذا ويقطع عمره بالتسويف كما ذكرنا . ومنهم من يعتقد أنه مُخلِّط لا يرى انه على شيء . اما ان يكون[7] حقيقةً اعني ان يكون كذلك في نفس الامر او مجازًا وهو ان يكون ذلك في اعتقاده فقط فاذا سمع شيئًا من ذلك او رأى من اتصف به يقول : مثلي

١) رب٢ : — منهم .
٢) الآخر : يضيق .
٣) الاخر : ذرعه .
٤) رب١ : بديه .
٥) رب٢ : ويطالب .
٦) رب ١ ك : او اذا .
٧) ق رب ١ رب ٢ : — ان يكون

لا يُعطى ذلك ولا يطمع ان يدركه ولا يقدر عليه فتسخو نفسه بتركه ولا يحدّث نفسه بالاخذ فيه . وجميع هذه الجبالات رأيناها في انفسنا وشاهدناها في غيرنا وسبب ذلك غلبة ما ذكرناه على قلوبنا .

واما العارفون والمحققون من اهل المعاملات الباطنة فقد سلموا من هذه الجبالات وذلك انهم عملوا على تصحيح التوحيد أوّلَ مرة بان الترموه عقدا ثم ابتهلوا الى ربهم بألسنتهم وقلوبهم في تحقيقه لهم حالا وحرصوا على ان يستصحبوه في احوالهم جهدَ استطاعتهم . فلما علم ذلك منهم رحمهم بان جعلهم لا يرون لانفسهم حولا ولا قوة فيما يأتون او يذرون[1] بل[2] تولى حفظهم وكلاءتهم وتكفل بمصالحهم وكفايتهم لانهم عبيده الصالحون لخدمته . وقد قال[3] تعلى : « أَلَيسَ اللهُ بِكافٍ عَبْدَهُ »[4] . وقال تعلى : « إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الذي نَزَّلَ الكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ »[5] وقال تعلى فيما يروى عنه : انا عند ظن عبدي [r. 220] بي . فسهّلَ عليهم الصعب ويسّر عليهم العسير واراحهم ووقاهم النفيس الخطير وأحلهم في نعيم وملك كبير. فلا يتحركون ولا يسكنون الا به ولا يعتمدون الا عليه ولا يرفعون همتهم[6] الا اليه[7] . وهذه هي الخاصية التي سبقت بها هذه الامة سائرَ الامم . وفي بعض الاحاديث النبوية : ان الله تعلى اوحى الى عيسى عليه السلام اني باعث بعدك امةً ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم . فقال عيسى عليه السلام : يا رب وكيف ذلك ولا علم ولا حلم فقال اعطيهم من علمي وحلمي[8] . وبهذه الخاصية ايضاً اتصفت هذه الملة[9] المحمدية بالسماحة والسهولة

---

١) الاخر : يذرون .

٢) ربـ١ : بان .

٣) ربـ١ : + الله .

٤) قرآن : ٣٩ : ٣٧ .

٥) قرآن : ٧ : ١٩٥ .

٦) الاخر : همهم .

٧) الاخر : + حسن ظنهم به .

٨) ف ربـ١ ك س ربـ٢ : حلمي وعلمي .

٩) ربـ٢ : الامة .

وهي وان كانت سهلة المتناول قريبة المرام فلا ينكر ايضاً ما فيها من التكاليف الشاقة ، والتسهيل العام لا يكون الا بهذه المشاهدة التي ذكرناها . قال الله عز وجل : «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ»[1] وملته انما هي الاسلام والتوحيد . وقال نبينا صلعم : «بُعِثْتُ بالحنيفية السمحة وهي ملة ابراهيم عليه السلام» . وقال بعض العارفين[2] في معنى قوله صلعم : «يسروا ولا تعسروا» معناه دلّوهم على الله ولا تدلّوهم على غيره فان من دلّك على الدنيا فقد غشّك ومن دلّك على الاعمال فقد أتعبك ومن دلّك على الله فقد نصحك . والمقصود من هذا ان تعلموا ان هذه الطائفة المذكورة يقلّ الغلط فيهم من هذا الوجه الذي ذكرناه لغيبتهم عن شهود انفسهم ورؤية حولهم وقوتهم ولولا ذلك لم يكن لهم حال ولا مقال[3] . فاذا وقع ذلك منهم نادرا تُدُورِكوا بالحفظ والكلاءة فثبتوا في مقاماتهم ووقفوا على مراكزهم عناية من الله بهم . واما اهل الكذب والدعوى فلا كلام معهم . وقد علمتم[4] بهذا من اين وقع الغلط على هذه الطوايف وباذا سلم من سلم، وما ذاك الا بهذه الحالة العظيمة التي اختص بها عباد الله وبها صاروا اولياء الله[5] .

فاذا علمتم موقعها من الدين وانها الوسيلة الى القرب من رب العالمين وتشوفتم الى ان ترتقوا الى هذا المقام الكريم وتنتظموا في سلك من آتاه الله بهذا[6] الملك العظيم [220. v.] فستعلمون مما قررناه انه لا سبيل لكم[7] اليها الا عليها ولا وسيلة لكم اليها الا بها كما قال بعضهم : «عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي» . ويُحكى انه سُئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل

---

١) قرآن : ٢٢ : ٧٧ ؛ ف ق رب١ ك : ÷ وَفِي هَذَا ؛ رب٢ : + لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ .

٢) إس ظ : هو سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه .

٣) ق رب١ ك رب٢ : مقام .

٤) ق رب١ ك رب٢ : فقد .

٥) ق رب١ ك : له .

٦) ق رب١ ك رب٢ : هذا .

٧) إس : اليكم .

له : أعرفت الله بمحمد ام عرفت محمدًا بالله فقال : لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكان محمد اوثق في نفسي من الله ولكن الله عرفني نفسه بنفسه . فالان اذ ظهر لكم اتحاد المتوسل به والمتوسل اليه على وجه لا تفهم كيفيته العقول ولم تروا في ذلك تباينًا ولا تغايرًا[1] فقد ظفرتم بحالة هي غاية الطالبين ونهاية رغبة الراغبين اذ لا يمكن التوسل الا بموجود حاضر قريب . فاذا كان المطلوب موجودًا عندكم وحاضرًا معكم وقريبًا منكم فماذا تطلبون من بعده وماذا[2] تتوسلون به سواه وما مثلكم في ذلك الا كمثل رجل بيده ذرة خطيرة لا يعرف لها قدرًا بل يحسبها في عداد الاحجار التي يعرفها بل لا شعور له بها وهو يشكو الضر والفقر[3] ويتكفف للناس[4]. فبينا هو كذلك اذ انكشف له حقيقة امرها وانه متمكن من ان ينال بها درجة الملك فلا تسأل عما هو فيه من الغبطة والسرور والنعمة والحبور . وقد قالوا : « ليس العجب من السيّارة حيث طلبوا الماء فوجدوا يوسف[5] وانما العجب من مذنب طلب المغفرة فوجد الله » . قال الله تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا ».[6]

وقد قرّبتُ لكم العبارة عن هذا الامر لعلكم تفهمونه والا فهو الطف من ان تضبطه عبارة او تحمله اشارة ولكل شيء سبب قدر الله[7] سببيته من غير حول من العبد ولا قوة . فقد تكون معرفتكم[8] واعتقادكم اني احسن الارشاد الى ما طلبتموه وكتبتم الي بما كتبتم به وجوابي لكم على ذلك اسبابًا في حصول مطلوبكم من غير حول منا ومنكم ولا قوة . وسترون بهذا النظر احوالكم كلها جارية هذا المجرى ابى الله ان يرزق عبده المومن الا

١) ق ف رب ١ : تباين ولا تغاير ؛ ف ط كذا .
٢) الأخر : ولماذا .
٣) ق رب ١ ك رب ٢ : الفقر والضر .
٤) رب ١ رب ٢ : الناس .
٥) انظر قرآن : ١٢ : ١٩ .
٦) قرآن ٤ : ١١٠ .
٧) ق رب ١ ك رب ٢ : + تعالى .
٨) ف ق رب ١ ك : + لي ؛ رب ٢ : + بي .

من حيث لا يعلم ففيمَ العناء والتعب والكد والطلب وعلى مَ الفرح والتأسف والندامة والتلهف «دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ»[1] . اما علمتم[2] ان في الله عوضاً من كل فايت وخلفا من كل ذاهب[3] بل من وجد الله فما فقد شيئا ومن فقده فما وجد شيئا .

فهذه هي القاعدة التي بنى عليها امورهم العارفون المحققون [221.r] فكل ما يعتريكم من الوساوس والافكار وما يحجبكم عن نيل المراد وقضاء الاوطار فانما ذلك لما غاب عنكم من هذا التحقيق . فاذا فتح الله عليكم في فهم ما ذكرناه واخذتم به انكم ان تكونوا عليه في مواردكم ومصادركم كانت عندكم عبادات[4] مسرمدة وقربات مؤبدة لا تتخللها[5] فتور ولا ملل من غير تعب منكم ولا نصب . وهذه هي الغنيمة الباردة والتجارة الرابحة والمزيد الذي اوجبه الشكر الذي انعم به عليكم من رؤيتكم الاشياء بالله ومن الله فطوبى لكم اذ ذاك وحسن مآب .

فتلقوا يا اخي ما قلناه لكم بحسن القبول وقدموه على كل معقول ومنقول واعلموا ان العقل لا يدركه والنقل لا يصرح به بل هو من العلوم اللدنية التي أودعها الله في غيابات القلوب وقد رُوي ان في بعض الكتب المنزلة على بعض انبياء بني اسرائيل : « لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في الارض من يصعد به ولا في البحر من يعبر به . العلم مجعول في صدوركم موضوع في قلوبكم فتادبوا بين يديَّ بآداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق النبيين الربانيين اظهر العلم من قلوبكم على السنتكم حتى يعمكم ويغمركم » . فهذا ما اردنا ان نذكره لكم بين[6] يدي الكلام على احوالكم ليكون اصلا ثابتاً يُرجع اليه واساساً يُبنى عليه .

---

١) قرآن ٣٧ : ٨٤-٨٥ .
٢) رب٣ : – علمتم .
٣) رب٣ : هالك .
٤) رب٣ : عبادة .
٥) الاخر : يتخللها .
٦) رب٣ : – بين . . . حسن .

امـا ما ذكرتموه من[١] ترتيب احوالكم في ليلكم ونهاركم فذلك كله حسن ينبغي[٢] لكم ان تشكروا الله تعلى على هدايتكم[٣] اليه واستعمالكم فيه فان جميع ذلك قرب الى انه عز وجل قلّ من يظفر بها . وانما تدخل عليكم الوسوسة في ذلك والتشويش منـه حتى لا تجدوا له حلاوة ولا رأيتم عليه طلاوة من قبل انكم فاقدون للمشاهدة المذكورة[٤] غافلون عنها . فلو اعرضتم عن نظركم الى انفسكم في ان تروا لها حولا او[٥] قوة او تنيلوها حظاً وشاهدتم انفراد الله تعلى بتدبير امركم وحسنتم الظن به لرأيتم من نعم الله تعلى عليكم وضروب تخصيصاته[٦] لكم ما يذهلكم عن تطلب امر وراء ذلك وان[٧] تصغوا بهممكم اليه . ومبدأ ذلك اعني ما ظهر لنا من النعم ان اخرجكم من ظلمة العدم الى نور الوجود ثم غذاكم بلطفه ورباكم بحنانـه ولطفه[٨] الى ان عقلتم وفهمتم [.221 .v] ثم حلاكم بحلية الاسلام والايمان وتعرف لكم بواضح[٩] البرهان وجعلكم من حملة كتابه وواجهكم بكريم خطابه وجعلكم محلاً لظهور صفاته واسمائه واهلاً لقبول تكاليفه وتصديق انبيائه ثم استعملكم في التعلم والتعليم ورقاكم الى هذا المنصب العظيم الى غير ذلك من انواع النعم الظاهرة وما غاب عنا وعنكم . اكثر كلّ ذلك من غير وسيلة منكم ولا استحقاق بل بمحض كرمه وفضله وفي كل واحدة من هذه النعم نعم لا تحصى نفعاً ودفعاً . « وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها »[١٠] . فمن شاهد هذه النعم ورأى نفسه فيها طفيلياً استغرقه الفرح بها والشكر عليها ومنعه ذلك من التشوف الى ما لم يوته الله تعلى وما[١١] يكون فيه هلاكه ولا يشعر بذلك

١) رب ٢ : في .
٢) رب ٢ : فينبغي .
٣) إس : هداكم .
٤) رب٢ : — المذكورة .
٥) ق : و .
٦) رب ٢ : تخصيصه .
٧) ق : او .
٨) ق رب١ ك رب٢ : وعطفه .
٩) ق : وضايح .
١٠) قرآن : ١٤ : ٣٧ .
١١) ق رب١ ك رب : + ربما .

ولا شيء احب الى الله تعلى من قيام العبد بحكم حاله التي هو عليها فبذلك تظهر عبوديته ويتحقق ادبه . قال عمر[١] بن عثمن المكي رضي الله[٢] عنه : « التصوف ان يكون العبد في كل وقت بما هو اولى به في الوقت » ونعني بذلك ان يكون العبد حاضرًا مع ربه عز وجل في ذلك قائمًا بحقوق الشرع فيه وكيفية حضوره مع ربه هو ما ذكرناه من معاملات اهل التوحيد . وكيفية قيامه بحقوق الشرع ان يتبع ما رسمه علماء الظاهر في المسايل الفقهية فان قدر على العمل بما اتفقوا عليه من غير حرج ولا ضيق صدر فقد حاز اعلى مرتبة في التقوى والورع ونال درجة المتقين والورعين. والا اخذ بالخلاف بعد ان يتقن[٣] علم ذلك على اربابه لان اختلاف العلماء رحمة في مثل هذا ولولا ذلك لهلك اكثر الناس . والامر في هذا قريب لمن نصح نفسه واقتصر من الدنيا على اليسير ولم يسترقه بطنه ولا[٤] فرجه وانما يصعب الامر على المتوسع في الدنيا ومن تداخل عليه من وجوه كثيرة فمثل هذا لا يسلم من ارتكاب مساخط الله تعلى بجهله وغفلته . ومن تشبثت به همومه في اودية الدنيا لم يبالِ الله تعلى في اي اوديتها هلك .

ولا شك ان تعليمكم[٥] الاولاد من افضل القرب الى الله تعـلى لكن اخذكم الاجرة على ذلك مما اختلف فيه العلماء . الا ان اكثرهم على جوازه فما اخذتموه ممن يُرضى كسبه او هو مجهول لا يُدرى حاله فهو حلال . فان اضفتم الى ذلك ان لا تستقصوا [222 .r] في طلب الاجرة منهم وتتخذون[٦] ما عفى وكانت همتكم في مراعاة تعليمه تقربًا الى الله تعلى فقط كان ذلك حسنًا منكم وقد مضى عليه ناس صالحون عملهم مثل عملكم وهو الذي اشار اليه ابن العريف فيما حكيتموه عنه . وعلامة صدقكم في ذلك ان لا تميل قلوبكم الى من يعطيكم اكثر من ميلها الى من لا يعطيكم او يعطيكم التافه اليسير ولا تحبون بقاءه عندكم اكثر من بقاء غيره .

١) الاخر : عمرو .
٢) رب ١ ك : + تعالى .
٣) رب٢ : يتيقن .
٤) ك : و .
٥) ق : تعليم .
٦) ك رب٢ : وتأخذوا .

فهذه هي العلامة القاطعة فيما ذكرناه . وتستعينون[1] على هذه الحالة ان[2] تعلموا ان رزقكم لا بد ان يصلكم[3] حتماً وان الحرص لا يزيد فيه وعدمه لا ينقص منه وان رزق الاخرة هو الذي ينبغي ان يُحرص عليه ويبذل المجهود في طلبه . « وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى »[4] . ثم انتم متمكنون من هذا فلِمَ تفرطون فيه . وما اخذتموه على[5] هذا الوجه يبارك لكم فيه حتى يكون الدرهم الواحد يقوم مقام[6] مائة الف درهم . فان تحققتم بما ذكرناه اولا من المشاهدات التوحيدية كفاكم ذلك في حصول هذا الطلب[7] وغيره . ويبقى عليكم النظر في وجه سياسة الاولاد وتأديبهم على اختلاف اطوارهم فان منهم الذكي والغبي والقريب والاجنبي والشريف والدني والفقير والغني الى غير ذلك من اختلاف احوالهم . وكل واحد منهم يقتضي منكم حقا توفوه له ولا تبخسوه شيئا . وانما تقدرون على ذلك بان تكون فيكم اربع خصال : ايمان راسخ وذهن ثاقب وعلم متين وخلق حسن . فباستكمال هذه الاربعة فيكم تقدرون على ان تنزلوا كل واحد في منزلته وتعاملوه بالمعاملة اللائقة به . فان لم تستوفوا ذلك فاسلكوا سبيل الاحتياط والمسامحة ما امكن فلان تخطئوا في العفو خير من من ان تخطئوا[8] في العقوبة . وهذا كله فقه حالي لا سبيل الى ضبطه .

واما ما ذكرتموه من انكم اذا تلوتم القرآن لا تجدون رقة وربما طلبتم انفسكم بالبكاء ، فلا تبكون فانما سبب ذلك غفلتكم حين قراءتكم عمن[9] هو كلامه وعلى من انزل وفيم انزل . وكيف يجيئكم البكاء واسبابه ضعيفة عندكم وقد وصف الله تعالى[10] الواجدين لذلك عند تلاوة القرآن بصفات جليلة

١) ربا : وتستعينوا .
٢) الاخر : بان .
٣) ف ربا ك : يصل اليكم .
٤) قرآن ٢٠ : ١٣١ .
٥) اس : — هذا . . . على .
٦) ق : — مقام .
٧) ق ربا ك : المطالب .
٨) ف خ س : تصيبوا .
٩) ق : عن من .
١٠) ربا رب٢ : — تعالى .

فقال تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا »[1] . فوصفهم [222.v.] اولا بايتاء العلم وبالمعرفة[2] بالله تعلى حيث نزهوه وعظموه بقولهم سبحان ربنا . وبغاية عبوديتهم له بخرورهم للاذقان سجدا وبيقينهم بالدار الاخرة والجزاء فيها بالثواب والعقاب[3] ثم وصفهم بالبكاء والخشوع وقال تعلى : « وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ »[4] الى آخر الايات فيهم . فوصفهم بمعرفة الحق والايمان به واللجا الى الله تعلى والافتقار اليه والطمع في القرب منه والاحسان في معاملته . وقد فسر رسول الله[5] صلعم « الاحسان » في الحديث الصحيح بقوله : « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » . وهذا كله راجع الى المشاهدات[6] المذكورة فاجماوها من بالكم وابنوا عليها صالحات اعمالكم تحمدون عاقبتها في حالكم ومآلكم كما ذكرناه لكم . وما يسر عليكم من التلاوة بانشراح من صدوركم فذلك نعمة عظيمة كان في ذلك رقة او لم يكن .

واما ما ذكرتموه من انكم خايفون من الموت ان يأتيكم على ما انتم عليه من الاحوال فذلك شي حسن وهو من نعم الله تعالى عليكم فاشكروا الله عليه وسلوه المزيد منه لانه من اقيم في مقام الخوف كان عاقبته الامن . يقول الله تعلى فيما يروى عنه : « لا اجمع على عبدي خوفين ولا أمنين : من خافني في الدنيا امنته في الاخرة ومن امنني في الدنيا اخفته في الاخرة » . ولانه ايضا من صفات العلماء بالله واهل رضوانه . قال الله تعلى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »[7] . وقال تعلى : « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ

١) قرآن : ١٧ : ١٠٨–١٠٩ .
٢) رب ١ ك : والمعرفة .
٣) رب ٢ : – والعقاب .
٤) قرآن : ٥ : ٨٦ .
٥) ك : النبي صلم .
٦) رب ٢ : المشاهدة .
٧) قرآن ٣٥ : ٢٥ .

لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ »[1] . واحسن من ذلك الخوف[2] ان تخافوا ان تلقوا ربكم وانتم تريدون غير ما اراده بكم مما فيه صلاحكم .

واما توهمكم ان ذلك يوديكم الى القنوط فذلك توهم باطل لان الرجاء يتبع منه والخوف والرجاء من مقامات العلماء العارفين[3] والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله من صفات الجاهلين الغافلين . وسبب غفلتهم وجهلهم رؤيتهم لانفسهم في اعمالهم الحسنة او السيئة ولو نظروا الى الواحد الاحد لاستوت الاحوال عندهم ولكانوا موصوفين بالخوف الذي يصحبه الرجاء وبالرجاء الذي يلازمه الخوف فاعلموا ذلك واعملوا به ولا تنظروا الى[4] اعمالكم فتقعون فيما وقعوا فيه والعياذ بالله .

واما [223.ر.] ما ذكرتموه[5] من انكم اذا اخذتم في شيء من اعمال البر لا تدومون عليه بل تكسلون عنه وتتركونه لشغلكم بالسيد والاهل حسبما ذكر لي من كلامكم فانما ذلك لفقدانكم المشاهدات[6] المذكورة فلو كنتم متحققين بها ثم اعتراكم الفتور والكسل[7] عنها نادراً بامر من الامور لكانت لكم معاملات اخر تقوم مقامها بل تزيد عليها من غير ان يدخل عليكم تلبيس او غرور ولو جرت الامور على وفق ارادتكم ربما لا تأمنون ذلك فيها . فثقوا بربكم وحسّنوا به الظن فهو اعلم بالمصالح منكم . وقد روي عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه[8] انه قال : « نمت ليلة عن وردي فاستيقظت فندمت فنمت بعد ذلك ثلاثة ايام عن الفرايض فلما استيقظت سمعت هاتفاً يقول :

كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا[9] لك ما فات بقي ما فات منا

---

١) قرآن ٩٨ : ٨

٢) ك ، ر : – الخوف .

٣) ق : والعارفين .

٤) ر١ : – الى .

٥) ق ر١ ر٢ : ذكرتم .

٦) ق : المشاهدة .

٧) ر١ : الكسول .

٨) ق : – رضي الله عنه .

٩) ر٢ : غفرنا .

ثم قيل لي يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا لله[١] فاسترحت ». ومع هذا فما فتح عليكم[٢] من العبادات[٣] وان قلّت فاشكروا الله عليها فانها لا تضيع عنده . وقد قال سيدي ابو العباس المرسي : « قليل العمل مع شهود المنة من الله تعالى خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من النفس » .

واما ما ذكرتموه من الوسوسة التي كانت تعتريكم وبقي عليكم منها بقية فاعلموا ان ذلك من البلايا التي يبتلي الله بها بعض عباده ويختص بذلك اهل[٤] الدين منهم فلا يزال العدو يلقي الوساوس في قلب الواحد منهم حتى يوقعه اما في البدعة او الكفر او اختلال العقل . واقل ما يصيبه به ان ينغص عليه عيشه ويمنعه وجدان راحته وكل ذلك بقضاء وقدر فنعوذ بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء وشماتة الاعداء .

وسبب ذلك فقدانهم للمشاهدات[٥] المذكورة فلو تحققوا بذلك[٦] لم يجد الشيطن سبيلا اليهم لانهم عباد الله حقا . وقد قال تعالى : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ »[٧] . وقال تعلى : « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » .[٨] فان وسوس اليهم رجعوا الى ربهم فصرفه عنهم واستعاذوا به فاعاذهم . قال الله تعلى : « إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ » .[٩] [223. v.] وقال تعلى : « وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .[١٠]

فان قلت : كيف يكون[١١] ذلك[١٢] من الشيطن وهو فيما يظهر دعاء الى

١) رب٣ : — فَرٍ .
٢) ق رب١ ك رب٢ : ÷ به .
٣) رب١ ك : العبادة .
٤) ق رب١ ك رب٢ : ذلك بأهل .
٥) رب٢ : المشاهدات .
٦) س : ذلك .
٧) قرآن : ٣٥ : ٦ .
٨) قرآن : ١٥ : ٤٢ .
٩) قرآن : ٧ : ٢٠٠ .
١٠) قرآن : ٤١ : ٣٦ .
١١) رب٢ : تكون .
١٢) رب٢ : — ذلك .

تصحيح الدين والحصول منه على اليقين وكيف يفرق بين الوسوسة المذمومة[١] والخاطر المحمود في ذلك وهما متشابهان فاعلم ان كون ذلك من الشيطان صحيح وانما ذلك لمخالفته للعلم ومضادته للتسهيل والتيسير والسماحة التي اتصف بها هذا الدين كما سبق فكان ذلك غلوا وبدعة وهذا هو الفرق بينه وبين الخاطر المحمود لان الخاطر المحمود لا يدعوا الا الى موافقة العلم . والوسوسة ايضاً من شأنها الا تزول ولو احسن العبد في عمله ووافق السنة . والخاطر قد يزول اذا احسن . وهي علة لا دواء لها الا الالتفا عنها واتباع ظاهر العلم والرغبة الى الله تعلى في زوالها . وملاك هذا كله التحقيق[٢] بالمشاهدات المذكورة اول الكتاب فذلك هو الاكسير الذي يقلب اعيان الاشياء وينسخ الظلمة بالضيا. والاماتة بالاحيا. رزقنا الله منها[٣] ما رزق اولياءه بمنه وكرمه . وقد رُوي عن بعضهم انه قيل له[٤] : ان فلاناً يعتريه الوسواس فقال : عهدي بالصوفية يسخرون بالشيطان والآن الشيطان يسخر بهم » — وكان سيدي ابو العباس المرسي رضى الله عنه شديد الكراهة للوسواس[٥] في الصلاة والطهارة[٦] ويثقل عليه شهود من كان ذلك وصفه . وقيل له يوماً : « ان فلاناً[٧] صاحب علم وصلاح وهو كثير الوسواس فقال واين العلم والصلاح يا فلان العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الابيض[٨] والسواد في الاسود » .

واما ما ذكرتم من انكم في بعض الاوقات تطالعون بعض الكتب من غير تعيين كتاب او فن واحد فذلك حسن واحسن منه لو اشتغلتم بتقديم[٩] الاهم[١٠] فالاهم — والاهم انما هو ما تستفيدون به مزيد حضور ومراقبة ككتاب[١١] ابن عطاء وغيره .

واما ما ذكرتم من انكم تشتغلون بالتجويد في بعض الايام فذلك حسن

---

١) رب٢ — المذمومة .
٢) ف رب١ ك رب ٢ : التحقق .
٣) س : منه .
٤) رب٢ : وقد قيل لبعضهم .
٥) ف : للوسوسة .
٦) الاخر : الطهارة والصلاة .
٧) ف ق رب١ : — ان ؛ فلان .
٨) رب٢ : — في الابيض .
٩) رب٢ : — بتقديم .
١٠) رب٢ : بالاهم .
١١) رب٢ : ككتب .

بشرط الا تعملوا بما اعتاده[١] الناس من غفلتهم عند ذلك ومراعاتهم لاصلاح السنتهم ومبالغتهم في [224.r.] اخراج الحروف من مخارجها مع الغفلة عن معاني ما يقرءون فتكونوا ضحكة للشيطان واحسن من ذلك لو التمستم رجلا له بصيرة في علم اليقين تجلسون اليه وتستفيدون منه وما اعز هذا في الوجود .

واما ما ذكرتم من ان اخي محمد بن ادبية رحمه الله ورضي عنه كان اشار عليكم بمطالعة الاحيا. لابي حامد الغزالي فذلك رأي حسن لان الكلام فيه مبسوط مهذب قل ان يوجد في غيره الا اني لا أرى ان[٢] تقرءوا منه الا ما يشتمل على عبادة او معاملة . واما ما يذكر فيه انه من علم المكاشفة او ما لا يتعلق به عمل فان قرأتموه فلا تشغلوا همكم[٣] به اذلا فايدة لكم فيه . واكثر هذا انما هو في ربع المنجيات واما الربعين[٤] الاولين[٥] فاكثر ما فيهما فقه وهو فيه امام متفق عليه . واما الربع الثالث فاكثر ما فيه منقول من كتاب الرعاية مع زيادة تهذيب وتحرير وفيه زيادات كثيرة مفيدة . فهذا ما عندي فيه . واذا طالعتم كتاباً اي كتاب كان فلترفعوا همتكم في ذلك الى الله تعلى[٦] في ان يفهمكم ما هو الحق من غير اعتماد على عقلكم . ولتقدموا بين يدي ذلك الاستخارة فان ذلك ادنى الى اصابة الحق والظفر به . وقد نبه على هذا السهروردي في كتاب عوارف المعارف اعني تقديم الاستخارة على مطالعة الكتب .

والذي اوصيكم به اولاً وآخراً ان لا تغفلوا. عما ذكرناه لكم تصريحاً او تلويحاً من المشاهدات التوحيدية والمنازلات اليقينية وقد كررناها عليكم[٧] كذا كذا[٨] مرة وبنينا مسايلكم عليها مسئلة مسئلة الا ما غفلنا عنه منها

---

١) ف خ : + بعض .
٢) س : اني ارى ان لا ؛ رب ١ : الا ارى ان .
٣) ق رب ١ ك رب ٢ : همكم .
٤) رب ٢ ك : الربعان الاولان .
٥) ف ق رب ١ : الاولين .
٦) ق ك : — تعالى .
٧) رب ٢ : لكم .
٨) رب ١ : وكذا .

حين الكتب وان تعولوا عليه وتركنوا اليه وتاتنسوه من مظانه وعند اهله فهو بحمد الله لباب اللباب والعاق النفيس الذي يتنافس فيه اولوا الالباب. واقل ما تستفيدون[1] به في دنياكم الراحة من شرورها وكروبها والاستغنا. بالنعيم المعجل فيها عن التقيد بعاداتها والتعبد لاربابها وفي الحديث المأثور عن رسول الله صلعم: « كفى باليقين غنى » . واذا كان ارباب الدنيا المشاغلون بها اذا اعتراهم الهم والغم فيها ومنعهم ذلك عما هم بسبيله من التمتع والتنعم بها يحرصون على ازالة [v. 224] ذلك عنهم بما يمكنهم من الاسباب وبما يكسبهم الروح والفرح فيها فتراهم عاكفين على شرب الخمر في المتنزهات والبساتين وعلى سماع النغم الموزونة من انفسهم ومن غيرهم وسماع اصوات الطيور وآلات الطرب وانواع الملاهي كما قال بعض الشعراء :

أصرفْ بصرفِ الراحِ عنكَ الأسى وروِّحِ القلبَ ولا تكتئبْ
وقل لمن لامكَ فيما بهِ تدفعُ عنكَ الهمَ : قدكَ إنتَبْ

مع ان هذه الاشيا. لا اصل لها في الحصول على ما طلبوه بل ربما اعقبهم ذلك في دنياهم انواعاً من الكروب والغصص التي لا يرضى بها عاقل فضلاً عما يورثهم ذلك في اخراهم . فبأن يحرص طالب الاخرة على ما يزيل غمه وهمه[2] في الدنيا ليستقيم فيها على العبودية لربه عز وجل والتلذذ بمناجاته اولى واحرى . وليس ذلك الا بهذه المعارف التي ذكرناها . وفي بعض الاحاديث : « روحوا القلوب ساعة بساعة » . وقال بعض العارفين : « طيبوا حياتكم بالسكون الى مجاري الاقدار ولا تنغصوها بالاضطراب عند وقوعها فتتعبوا » — وقال بعضهم : « الرضى باب الله الاعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين » .

فهذا ما حضرني من هذا[3] الكلام على مسايلهم واظنه موافقاً لما طلبتم . والله تعلى ولي التوفيق لي ولكم الى ما يحبه ويرضاه والسلام عليكم وعلى جميع اصحابنا ورحمة الله وبركاته .

---

١) ر٢ : يتنافسون .
٢) ق ر١ ك ر٢ : همه وغمه .
٣) الأخر : — هذا .

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)

رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

وفي هذه السنة ، غزا افسن الافشيني فاسر ماية وخمسين بطريقًا ، والفي فارس .

وفي ذي القعدة ، خلع علي ابي الهيجا ، ابن حمدان ، وقلد الموصل واعمالها .

وفيها ماتت بدعة جارية عريب[١] ، وكان اسحاق بن ايوب قد ضمن لابي الحسن علي بن يحيى[٢] المنجم عشرين الف دينار ، ان باعتها عريب منه بماية الف دينار فجا. (٣) وخاطبها ، فاستدعت بدعة وخيرتها بين المقام والبيع ، فاختارت المقام ، فاعتقتها ولم يملكها قط رجل[٣] .

وفي هذه السنة ، توفي[٤] ابو بكر جعفر بن محمد الفرياني ، وهو ممن طوّف شرقًا وغربًا لسماع الحديث . واستُقبل لما قدم بغداد بالطيارات والزبازب واملا بشارع المنار ، بباب الكوفة فحزر في مجلسه ثلاثون الفًا يكتب منهم عشرة آلاف[٥] . وكان في مجلسه ثلاثماية وستة عشر يستملون ومولده سنة سبع ومايتين (٢٢٨) ودفن بالشونيزي .

وفي هذه السنة ، توفي احمد بن عبد العزيز بن طوما الهاشمي ، نقيب العباسيين ، وولي مكانه ابنه[٦] محمد ، وتوفي وهو ابن اثنين وتسعين سنة ، وسمعت ان له عقبًا بالخاذانيه ذبانه[٧] البطيحه .

---

١) في صلة عريب ٣٨ عريب مولاة المامون . وفي الصفحة ذاتها لمعة عنها

٢) في الاصل يحيا

٣) في الاصل بعدها بياض ولكنه لا يقطع معنى وترتب القول

٤) في الاصل توفي ولم ترد الا هكذا في الاصل قاله ناشره

٥) في الاصل ١٠الاف

٦) في الاصل ابه

٧) كذا في الاصل بالخاذانية ذبابه

سنة ثلاث وثلاثمائة

فيها اطلق سبكرى من الحبس ، وخلع عليه خلع الرضا .

ووقع حريق في سوق النجارين بباب الشام[١] واحترق ، وطار الشرار فاحرق ستارة جامع المدينة .

وعصى[٢] الحسين[٣] بن حمدان ، واجتمع معه ثلاثون الف رجل من العرب وهزم رائقا[٤] الكبير ، واقام بازاء جزيرة ابن عمر .

وورد مونس من مصر ، وقد استدعاه علي بن عيسى لحرمه . فانهزم اصحاب الحسين ، واسره مونس ، وادخله الى بغداد ، ومعه ابنه عبد الوهاب فصلبه حيا على نقنق[٥] على ظهر فيل ، ونقله ابنه على جمل ، والامير ابو العباس والوزير علي بن عيسى $(\frac{٣٦}{١٥})$ ومونس وابو الهيجا بن حمدان وابراهيم ابن حمدان يسيرون بين يديه . وحبس عند زيدان[٦] القهرمانة .

وقبض بعد ذلك على ابي الهيجا واخوته .

وطلب الجند الزيادة فزيد الفارس ثلاثة دنانير والراجل خمسة عشر قيراطا[٧] .

وفي هذه السنة ، توفي ابو علي الجبائي[٨] ومولده سنة خمس وثلاثين ومايتين (٨٤٩) وكان ابو علي شيخ المعتزلة في زمانه . ومات بعسكر مكرم ، وحمل الى منزله بجبا . ولما احتضر قال اصحابه من يلقنه التوبة ، فلم يتجاسر احد على ذلك اعظاما له ، فقال اصغرهم سنا . انا القنه ، وتقدم وقرا وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون[٩] ، ففتح ابو علي عينيه وقال اللهم اني

---

١) في الاصل الشام

٢) في الاصل وعصا

٣) في الاصل الحين

٤) في الاصل رانقا

٥) في الاصل نعنق والتصويب عن تجارب الامم ٣٨/٥ ، والنقنق الظليم ، والنقنيق الخشبة التي يكون عليها المصلوب ، اقرب الموارد ١٣٣٩/٢ ولعلها الصواب .

٦) في الاصل ريدان براء مهملة والتصويب عن الاصول .

٧) في تجارب الامم ٣٨/٥ نصف دينار في كل شهر

٨) في الاصل الجباي ، وقد ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ١٢٥/١١ ونسبه في الكامل ١٥٢/٦ بقوله : ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المعتزلي ، راجع الحاشية رقم ٤ من ذات الصفحة

٩) ٣١ النور ٢٤

تنيب اليك من كل قول نصرته، كان الصواب عندك غيره ، واشتبه علي امره. فقال من حضره لو كان[١] على ذنب غير هذا لذكره .

وكان يذهب الى ان حكم النجوم صحيح ، على وجه ، وهو انه يجوز ان يكون الله تعالى[٢] ، اجرى العادة اذا صار الكوكب الفلاني الذي جعله الله تعالى[٣] وخلقه سعدا الى الموضع الفلاني كان كذا .

وكان ينكر على المنجمين ان الكواكب تفعل بانفسها ذلك ، فاجتاز بعسكر مكرم على دار سمع فيها صيحة لاجل امراة تلد، فقال ان صح ما تقوله المنجمون ، فهذا المولود ذو عاهة، فخرجت امراة ، فسالت ابا علي الدخول وان يحنك المولود ويوذن في اذنه ، ففعل فاذا به احنف[٣] .

سنة اربع وثلاثمائة

($\frac{٢٥}{١٥}$) في فصل الصيف فزع الناس من شيء من الحيوان يسمى[٤] الزفزف[٥] ذكروا انهم كانوا يرونه على السطوح ليلا . وربما قطع يد النايم ، وثدي النايمة. فكانوا يضربون بالهواوين ليفزعوه ، وارتجت بغداد في الجانبين لذلك ، وعمل الناس لاولادهم مكابا[٦] من سعف يكبونها عليهم[٧] .

وفي هذه السنة ، قبض على علي بن عيسى وعلى اهله . وصودر اخوه عبيد الله بن علي على ستين الف دينار ، وصودر اخوه ابرهيم بن عيسى على خمسين الف دينار . وسال ان يوذن له في المقام بدير العاقول[٨] فاجيب الى ذلك .

---

١) بعدها بياض

٢) في الاصل تعلى

٣) من به حنف ، والحنف اعوجاج في الرجل الى داخل

٤) في الاصل يسما

٥) كذا في الاصل وفي الكامل ١٥٦/٦ والمنتظم ١٣٩/٥ وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٥٣ الزبزب ، وصفه الدميري في معجم الحيوان ٣/٤ بقوله انه دابة كالسنور ابلق اسود قصير اليدين والرجلين، وفي البداية والنهاية ١٢٦/١١ الزبزب .

٦) في البداية والنهاية ١٢٦/١١ مكبات

٧) اطلب بقية هذه النكتة في المنتظم ١٣٩/٦

٨) راجع بشأن هذا الدير، العمري في مسالك الابصار ٢٥٦/١ ، وكذلك اسحاق روفائيل بابو في كتابه تاريخ نصارى العراق هامش صفحة ١٥ الحاشية رقم ١

والزم ابو بكر محمد بن عبدالله الشافعي اربعة الاف دينار. وشفع القاضي ابو عمرو منه فاطلق بعد ادايها .

وتم ذلك عليهم في وزارة ابي[1] الحسين بن الفرات الثانية .

وظهر ابو علي بن مقلة من استاره ، وكان استاره في ايام الخاقاني وعلي بن عيسى ، واختص بابن الفرات وتولى كتابة السيدة والامرا اولاد المقتدر بالله .

وكان يوسف بن ابي الساج قد قاطع على اعمال ابهر وزنجان والري وقزوين[2] واستبد بالمال ، واظهر ان علي بن عيسى كاتبه بذلك ، وانفذ اليه لوائين[3] وخلعا ، فانكر علي بن عيسى ، وقد عنفه ابن الفرات على ذلك وقال اللواء والخلع والكتاب[4] ، على حامله وكاتبه ولا من كتم ذلك .

فانفذ المقتدر خاقان المفلحي لمحاربته[5] فهزمه يوسف ، وشهر اصحابه بالري .

وقدم مونس من الثغر ، فانفذه المقتدر بالله لحربه ، فواصل ابن ابي الساج المكاتبة بالرضا (٢٦/١٦) والسوال في المقاطعة عما بيده من الاعمال ، وان يودى في كل سنة سبعماية الف دينار ، فلم تقع اجابة .

فسار من الري الى اذربيجان ، وركب الاشد وحارب مونسا ، فهزمه ومضى[6] مونس الى زنجان ، وقتل من اصحابه وقواده عدة .

وانفذ ابن ابي الساج يطلب الصلح ومونس لا يجيبه . ولو اراد يوسف اسره لتم ، ولكنه ابقى[7] عليه .

فلما كان في المحرم سنة سبع وثلاثماية (٩١٩) في ايام حامد بن العباس واقعه مونس باردبيل[8] ، واستوسر يوسف مجروحا ، وحمل الى بغداد في شهر ربيع الاخر ، وشهر على الفالج[9] ، وهو جمل له سنامان ، يشير عليه الخوارج على

١) في الاصل ابى

٢) في الاصل قروين

٣) في الاصل لوامين

٤) في الاصل بعدها بياض

٥) في الاصل لمحاربه

٦) في الاصل ومضا

٧) في الاصل ولاكنه ابقا

٨) في الكامل ٦/ص١٤٥ قال : على باب اردبيل

٩) قال الجوهري في صحاح العربية ١٦١/١ يحمل من السند للفحلة

السلطان . وترك على راسه برنس والقرا يقرأون[١] بين يديه والجيش وراءه .
وحبس عند زيدان القهرمانة[٢] . وخلع على مونس وطوق وسور وزيد في ارزاق اصحابه .

ولما انكفا مونس الى بغداد استولى سُبك غلام يوسف على الاعمال، فانفذ اليه مونس قايدا الفارقي[٣] لحربه فهزمه[٤] . وسال سبك ان يقاطع على الاعمال فاجيب .

واتصلت المداوة بين ابن الفرات وبين الحاجب نصر القشوري[٥] وشفيع المقتدري[٦] ، وكان ابن الفرات ، قد قلد ابن مقلة كتابة[٧] نصر ، فاستوحش ابن مقلة من ابن الفرات ، فاطمعه صاحبه وابن الحواري في تقلد الوزارة، وكان يهدى اليها اخبار ابن الفرات .

سنة خمس وثلاثمائة

فيها مات سبكرى بعد اطلاقه من الحبس .

وفيها اطلق ابو ($\frac{٢٧}{١٦}$) الهيجا[٨] واخوته ، وخلع عليهم .

وفيها مات غريب الخال [خال][٩] المقتدر بالله ، وعقد لابنه مكانه، وحضر ابن الفرات جنازته بداره ، بالنجمي . وفيها قلد ابو عمرو قضا الحرمين .

سنة ست وثلاثمائة

في هذه السنة ، تاخرت ارزاق الجند ، واحتج ابن الفرات بان المال صرف في نفقة الجيش[١٠] الذى جهزه لمحاربة ابن ابي[١١] الساج فقبض عليه[١٢] . فكانت

١) في الاصل يقرءون
٢) في الاصل زيدان براء مهملة والتصويب عن الاصول
٣) نسبه في الكامل ٦/١٥٦ وفي تجارب الامم ٥/٥٠ فقال: هو محمد بن عبدالله الفارقي
٤) في الكامل ٦/١٥٦ ، فانهزم الفارقي
٥) في الاصل القسوري
٦) في تجارب ٥/٥٢ شفيع اللؤلؤي
٧) في الاصل لكتابة
٨) في تجارب الامم ٥/٥٥ ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان
٩) زدناها حتى يستقيم التركيب
١٠) في الاصل الخيش
١١) في الاصل ابى
١٢) اسهب في تجارب الامم ٥/٦٠ في سبب ذلك القبض

وزارته هذه[١] سنة وخمسة اشهر وتسعة عشر يوما .

ودخل على جحظة[٢] بعض اصدقايه ، فقال له ما تتمنى ، فقال لم يبق لي مني[٣] غير نكبات الوزرا فقال له قد نكب ابن الفرات ، فقال جحظة :

احسن من قهوة معتقة	تخالها في اناءها ذهبا
من كف مقدودة منعمة	تقسم فينا الحاظها[٤] الوصبا
ومسمع نحض السرور اذا	رجع فيها نقول او ضربا
نعمة قوم ازالها قدر	لم يحظ حر فيها بما طلبا

وزارة حامد بن العباس

كان حامد يستدعي قسيم الجوهري ، خادم السيدة اذا خرج الى واسط لمشارفة اعمالها بها ، وبلاطفه ، فعاد من عنده وفد نكب ابن الفرات ، فاشار به ، فوافق ذلك مشورة ابن الحوارى[٥] ايضا . فوصل وقد كوتب الى بغداد في اليوم الرابع من القبض على ابن الفرات . وكان[٦] له اربعماية غلام يحملون السلاح وحدّة حجاب (٢٨/١٧) تجرى مجرى القواد .

واشار ابن الحوارى عليه بطلب علي بن عيسى ومسالة المقتدر بالله فيه ليخلفه على الدواوين ، ففعل ، فقال المقتدر بالله ما احسب علي بن عيسى يرضى[٧] ان يكون تابعا ، بعد ان كان متبوعا . فقال حامد[٨] انا اعامل الوزرا منذ ايام الناصر لدين الله ، فما رايت اعف من علي بن عيسى ، ولا اكبر نفسيا منه ، ولم لا يستجيب لخلافة الوزارة ، وانما الكاتب كالخياط يخيط يوما ثوبا قيمته الف دينار ، ويخيط يوما ثوبا قيمته عشرة دراهم . فضحك منه من سمع قوله وعيب بهذا .

١) الكامل ١٦٠/٦ هذه وهي الثانية .
٢) في الاصل جحضة وله ترجمة في الفهرست ٢٠٨
٣) في الاصل منا
٤) في الاصل الحاضها
٥) نسبه في تجارب الامم ٥٨/٥ وتحفة الامراء ٣٣ ابو القاسم بن الحواري
٦) في تجارب الامم ٥٨/٥ وكان مع حامد لما قدم اربعمائة غلام . . .
٧) في الاصل يرضا
٨) زاد في تجارب الامم ٥٨/٥ بحضرة الناس

وازدرى عليه ان ام موسى القهرمانة خرجت اليه برقعة من الخليفة فقراها، ووضعها بين يديه ، واخذ يتحدث حديث شق الفرن المنبجر ايام الناصر لدين الله بواسط ، وام موسى مستعجلة بالجواب ولم يجب الى ان استوفى حديث الشق . وحكايته معها في قوله لها والتقطي[١] واحذري ان تغلطي مشهورة[٢] .

وكتب ابو الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة، عن المقتدر بالله كتابا الى اصحاب الاطراف ، يذكر فيه وزارة حامد اوله اما بعد ، فان احمد الامور ما عم صلاحه ومنفعته ، وخير التدبير ما رجي سداده واصابته ، وازكى الاعمال ما وصل الى الكافة يمنه وبركته ، وافضل الاكوان ما كان اتباع الحق سبيله وعادته[٣] .

وخلع المقتدر بالله على علي بن عيسى ، وانفذ به مع صاحب نصر الحاجب وشفيع[٤] ($\frac{٢٩}{١٦}$) المقتدرى الى دار حامد على اعمال المملكة.

وكتب اليه علي بن عيسى في بعض الايام رقعة خاطبه فيها يعيده ، فانكر ذلك حامد وقال لست اقرا له رقعة اذا خاطبني بهذا ، بل يخاطبني[٥] بمثل ما اخاطبه به .

وكان يكتب كل واحد منهما الى صاحبه اسمه واسم ابيه . وشكر له علي بن عيسى هذا الفعل وسقطت منزلة حامد ، وتفرد علي بالامور ، وقيل فيها ، قال ابن بسام :

يا ابنَ الفرات تَعزى[٦] قد صار امرُكَ ايهْ
لما عُزِلتَ تحصلنا على وزير بدايهْ

وضمن علي بن عيسى ، الحسين بن احمد المادراني، اعمال مصر والشام بثلاثة الاف[٧] الف دينار ، فاوصله الى المقتدر بالله ، فخلع عليه وشخص الى عمله .

---

١) في الاصل ولتقطي
٢) اقرأ هذه القصة في مروج الذهب للمسعودي ج ٧٩/٨
٣) في الاصل زاد بعدها وانفذ ، ثم ضرب عليها وتابع الإخبار
٤) في الاصل وشفع
٥) في الاصل خاطبني
٦) في الاصل تعزا
٧) في الاصل ثلاثة الاف

وقدم علي بن احمد بن بسطام[١] من مصر فولاه اعمال فارس .

قال ابو الفضل العباس بن الحسين، وزير معز الدولة، رايت ابا القسم ابن سام[٢] وقد دخل الينا فارس عاملا، ومعه اثقال لم ير مثلها. ورايت في جملة اثقاله اربعين نجيبا موقرة[٣] اسرة مشبكة، ذكروا انه يستعملها في الطرقات للمجلس. والتمس يوما سجادة للصلاة بعينها[٤]، وكان يالفها، ففتشت رزم الفرش، فكان فيها نحو اربعماية سجادة .

ولما تبين ابن حامد ان منزلته قد وهت، استاذن في الانحدار الى واسط، فاذن الخليفة له، وليس له من الوزارة غير الاسم[٥] .

واقطع المقتدر بالله ابنه ابا العباس دار حامد بالمخرم، فانتقل ($\frac{٣٠}{١٨}$) حامد الى داره في باب البصرة .

ولما انحدر حامد استخلف مكانه صهره ابا الحسين محمد بن بسطام وابا القسم الكلوذاني، فظهرت[٦] كفاية الكلوذاني .

وتقلد ابو الهيجا بن حمدان طريق خراسان .

سنة سبع وثلاثماية

ضجت العامة من الغلا، وكسروا المنابر، وقطعوا الصلاة، واحرقوا الجسور[٧]، وقصدوا دار الروم ونهبوها. فانفذ المقتدر بن قبض على عدة منهم. واستدعى[٨] حامدا ليبيع الغلات التي له ببغداد، فاصعد وباعها ونقص في كل كر خمسة دنانير .

---

١) في الاصل لسطام والتصويب عن النجوم الزاهرة ١٨٦/٣ وتحفة الامراء ٨٦

٢) كذا في الاصل، ولعله يريد ابن بسطام الآنف الذكر

٣) في الاصل مدوره

٤) في الاصل بينها

٥) في الكامل ١٦٣/٦ ورد هذا الخبر في جملة اخبار سنة ٣٠٧ وهذا نصه : واستاذن المقتدر في الانحدار الى واسط ليدبر امر ضمانه الاول، فاذن له في ذلك، فانحدر اليها واسم الوزارة عليه وعلي بن عيسى يدبر الامور. وراجع تجارب الامم ٦٠/٥

٦) في الاصل فظهرت

٧) في الكامل ١٦٣/٦ الجسرين وفي تجارب الامم ٧٣/٥ خبر طويل بهذا الموضوع

٨) في الاصل واستدعا

وركب هارون بن غريب وابراهيم بن بطحا المحتسب الى قطيعة ام جعفر، فسعروا الكر الدقيق بخمسين دينارا ، فرضي الناس وسكنوا وانحل السعر .

سنة ثمان وثلاثمائة

ورد الخبر بحركة الخارج بالقيروان الى مصر ، فاخرج مونس الى هناك.

ودخل صاحب السند بغداد فاسلم على يدي المقتدر بالله .

وفي هذه السنة ، خلع على ابي الهيجا[1] ، وقلد الدينور.

وتحركت الاسعار فيها فافتتن بغداد لذلك .

وبرد الهوا في تموز فنزل الناس من السطوح وتدثروا بالاكسية واللحف .

سنة تسع وثلاثمائة

قريت الكتب على المنابر بهزيمة المغربي ، واستباحة عسكره .

ولقب مونس بالمظفر .

وخلع على محمد بن نصر الحاجب ، وقلد ($\frac{٣١}{١٨}$) اعمال المعاون بالموصل وعقد له لواء، وخرج الى هناك .

وهدمت دار علي بن الجهشيار ببغداد في عرصة[2] باب الطاق[3] . وكان هذا الباب علما ببغداد في الحسن والعلو وبنى موضعه مستغل[4] .

وعقد لمونس المظفر على مصر والشام .

وخلع على ابي الهيجا بن حمدان ، وقلد اعمال المعاون بالكوفة وطريق مكة.

وكبس سبعة من اللصوص ، دار ابن ابي عيسى الصيرفي واخذوا منه ثلاثين الف دينار ، ثم عرفوا بعد ايام ، فقتلوا واسترد منهم نيفا وعشرين الفا.

وفي شوال ، دخل مونس المظفر بغداد قادما من مصر ، فتلقاه الامير ابو العباس بن المقتدر وخلع عليه وطوق وسور على مائة واثني عشر قائدا من قواده .

---

١) نسبه في تجارب الامم ، والكامل ١٦٦/٦ ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان

٢) في المنتظم ١٥٩/٦ في الفرضة

٣) في الاصل الصاق

٤) كذا في الاصل وفي المنتظم ١٥٩/٦ مستغل

وانفذ الى ابن ملاحظ[١] عقد على اليمن وخلع .

ودعا المقتدر في يوم الاثنين لثمان بقين من ذي القعدة لمونس المظفر ونصر الحاجب ، وخلع على مونس خلع منادمة . وسأل في امر الليث بن علي ، وطاهر ابن محمد بن عمرو بن الليث ، ويوسف بن ابي الساج فوهبوا له.

وفي هذه السنة ، اهدى الوزير حامد بن العباس الى المقتدر البستان المعروف بالناعورة ، انفق على بنايه ماية الف دينار ، وفرشه باللبود الخراسانية.

وبلغت زيادة دجلة في بلسان ثمانية عشر ذراعا .

وانتهى[٢] الى حامد ابن العباس ، امر الحسين بن منصور الحلاج[٣] ، وانه قد موه على جماعة من الخدم والحشم والحجاب ، وعلى خدم نصر ، وانهم يذكرون عنه انه يحيي الموتى ، وان الجن يخدمه .

واحضر (٣٢/١٩) السمري[٤] الكاتب ، ورجل هاشمي ، مع جماعة من اصحاب الحلاج ، واعترفوا بان الحلاج يدعي النبوة ، وانهم صدقوه ، وكذبهم الحلاج وقال انما انا رجل اكثر الصلاة والصوم وفعل الخير .

[٥]واستحضر حامد بن العباس القاضي ابا عمر[٦] ، وابا جعفر بن البهلول فاستفتاهما في امره ، فذكرا انهما لا يفتيان في امره بشيء ، ولا يجوز ان يقبل قول من واجهه بما واجهه الا ببينة او باقرار منه ، وتقرب الى الله تعالى[٧] بكشف امره رجل يعرف بدباش[٨] تبع الحلاج ثم فارقه ، والحلاج مقيم عند نصر

---

١) في الاصل ملاحض

٢) في الاصل وانتها

٣) من اخبار الحلاج في المصادر العربية وفيات الاعيان ١/١٤٦ والنجوم الزاهرة ٣/١٨٢ و ٢٠٢ و ١/١٤٦ ، وتاريخ بغداد ٨/١١٢ ، وتاريخ الخميس ٢/٣٤٤ ، وفي المنتظم ٦/١٦٠ وفي الكامل ٦/١٦٧ وفي البداية والنهاية ١١/١٣٢ وتجارب الامم ٥/٧٦ وصلة عريب ٦٠ وهناك مصادر افرنجية اهمها ما كتبه المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون

٤) في الكامل ٦/١٦٨ الشري ، وفي صلة عريب الشري

٥) من هنا الى آخر السنة نقله ناشر ، صلة عريب في هامش صفحة ٦٠ — ٧٠ ولم يشر الى مصدر ما

٦) في الكامل ٦/١٦٨ ابو عمرو

٧) في الاصل تعلى

٨) في صلة عريب ٦٠ الحاشية رجل من اهل البصرة

القشوري مكرم هناك . ودافع عنه نصر اشد مدافعة، وكان يعتقد فيه اجمل اعتقاد .

فتكلم علي بن عيسى فقال له الحلاج فما بينه وبينــه قف حيث انتهيت والا قلبت الارض عليك ، فعزم حينئذ علي بن عيسى على مناظرته[١] .

وحضرت بنت السمري ، فذكرت ان اباها ، اهداها الى سليمان بن الحلاج وهو بنيسابور ، وكانت امراة حسنة الوجه ، عذبة الكلام جيــدة الالفاظ ، وقال لها الحلاج[٢] متى انكرت من ابني شيئا فصومي يوما ، واقعدي في اخره على سطحك ، وافطرى على ملح ورماد ، واستقبلي[٣] واذكري ما كرهت منه، فاني اسمع وارى .

وحكت ان ابنة الحلاج امرتها بالسجود له وقالت هــذا اله[٤] الارض. واكثرت في الاخبار عنه بما شاكل ذلك .

وحكى حامد انه قبض على الحلاج بدور الراسبي[٥] فادعى[٦] تارة الصلاح وادعى اخرى انه المهدي ، ثم قال له كيف صرت الاها بعد هذا .

وكان السمري ($\frac{٢٣}{١٩}$) في جملة من قبض عليه من اصحابه ، فقال له حامد ما الذى حداك على تصديقه ، قال خرجت معه الى اصطخر في الشتا ، فعرفته محبتي للخيار ، فضرب بيده الى سفح جبل ، فاخرج من الثلج خيارة خضرا ، فدفعها الي ، فقال حامد فاكلتها ، قال نعم ، قال كذبت يا ابن الف زانية في مائة الف زانية ، اوجعوا فكه فضربه الغلمان وهو يصيح من هذا خفنا .

وحدث حامد ، انه شاهد ممن يدعي النيرنجات[٧] انه كان يخرج الفاكهة واذا حصلت في يد الانسان صارت بعرا .

---

١) في صلة عريب ٦١ الحاشية فنهيب علي بن عيسى مناظرته

٢) في صلة عريب ٦١ الحاشية اني قد زوجتك سليمان ابني

٣) في صلة عريب واستقبليني بوجهك واذكري لي . . .

٤) في الاصل الاه

٥) في الصلة ٦٦ الحاشية الراسبي

٦) في الاصل فادعا

٧) في الاصل النيرنجيات ، والتصويب عن تاريخ بغداد ١٣٦/٨ وفي صلة عريب وفي فهرست ابن النديم ٤٢٩ النيرنجيات وقال الجواليقي في المعرب ٣٧٧ ما نصه : النيرج أخذ كالسحر وليس بسحر ، انما هو تشبيه وتلبيس ، وكذلك في اقرب الموارد ١٣٦٤/٢

ومن جملة من قبض عليه انسان هاشمي ، كان يكنى بابي بكر ، فكناه الحلاج ، بابي مغيث ، حيث كان يرض اصحابه ويراعيهم .

وقبض على محمد بن علي بن القناني[1] واخذ من داره سفط[2] مختوم فيه قوارير فيها بول الحلاج ورجيعه ، اخذه ليستشفي به .

وكان الحلاج اذا حضر ، لا يزيد على قوله لا اله الا انت ، عملت سوءا او ظلمت نفسي فاغفر لي ، فانه لا يغفر الذنوب الا انت .

وظفر من كتب الحلاج بكتاب فيه ، اذا اراد الانسان الحج ، فليفرد بيتا في داره طاهرا ويطوف به سبعا ، ويجمع ثلاثين يتيما ، ويعمل لهم مما يمكنه من الطعام ، ويخدمهم بنفسه ، ويكسوهم ، ويدفع الى كل واحد سبعة دراهم ، فان ذلك يقوم مقام الحج .

فالتفت القاضي ابو عُمر الى الحلاج وقال من اين لك هذا؟ قال من كتاب الاخلاص للحسن البصري ، فقال ابو عمر[3] كذبت يا حلال الدم ، قد جمعنا[4] بكتاب الاخلاص بمكة ، ما فيه ما ذكرت ، فقال حامد لابي عُمر[5] اكتب هذا فتشاغل عنه بكلام الحلاج ، واقبل حامد يطالب (؟) ابا عمر بالكتاب وهو متشاغل بالخطاب ، حتى قدم حامد الدواة من بين يديه الى ابي عمر والح عليه الحاحا لم يمكنه الدفع ، فكتب باحلال دمه .

وكتب من حضر المجلس ، ولما تبين الحلاج الصورة قال ظهري[6] حمى[7] ودمي حرام ، وما يحل لكم ان تتأولوا مني ما لم يُبحه الاسلام ، وكتبي موجودة في الوراقين ، على مذهب اهل السنة[8] .

١) في البداية والنهاية ١١/١٣٩ وفي صلة عريب ٦٦ الحاشية القنائي

٢) في الاصل سفط

٣) في الكامل ٦/١٦٨ ابو عمرو

٤) في البداية والنهاية ١١/١٤١ قد سمعنا كتاب الاخلاص وفي الكامل قد سمعناه بمكة

٥) في الكامل ٦/١٦٨ قال : فلما قال له يا حلال الدم وسمعها الوزير قال له ، اكتب بهذا

٦) ظهر الاسلام ٢/٧٣ والبداية والنهاية ١١/١٤١ ظهري

٧) في الاصل حما

٨) في الكامل ٦/١٦٨ ورد هذا الدفاع بهذا النص : ما يحل لكم دمي واعتقادي الاسلام ومذهبي السنة ولي فيها كتب فالله الله في دمي

وانفذ حامد بالفتيا والمحضر الى المقتدر ، فلم يخرج جوابها[١] ، فلم يجد بدا من نصرة نفسه ، فكتب الى المقتدر اذا اهمل امر الحلاج بعد افتاء الفقها باباحة دمه ، افتتن الناس به .

فوقّع المقتدر اذا افتى[٢] الفقها بقتله ،فادفعه الى محمد ابن عبد الصمد ، صاحب الشرطة ، ومره ان يضربه الف سوط ، فان تلف والا ضرب عنقه .

والحلاج يستطلع الى الاخبار ، فلما اخبر ان ابن عبد الصمد عند الوزير فقال هلكنا والله .

واخرج يوم الثلاثا لست بقين من ذي القعدة الى رحبة الجسر[٣] ، وقد اجتمع من العامة امم كثيرة ، فضرب الف سوط ، فما تاوه ولا استعفى ، وقطعت يداه ورجلاه ، وحُزّ راسه واحرقت جثته ، ونصب راسه يومين على الجسر ، وحمل الى خراسان ، فطيف به .

وزادت دجلة زيادة عظيمة ، فادعى[٤] اصحابه ان ذلك لاجل ما القي فيها من رماد جثته .

وادعى[٤] قوم من اصحابه انهم راوه راكبا حمارا في طريق النهر وان[٥] وقال لهم انا حوّلت دابة في صورتي ، ولستُ المقتول كما ظن هؤلاء البقر[٦]

وكان نصر الحاجب يقول انا قتل ظلما .

ومن شعر الحلاج[٧] :

(مجزوء) وما وجدت لقلبي راحةً ابدا	وكيف ذاك وقد هُيِّئت للكدر
لقد ركبت على التغرير واعجبا	ممن يُريد النجا في المسلك الخطر
كانني بين امواج تقلبُني	مقلبٌ بين إصعادٍ ومنحدرِ
الحزنُ في مهجتي والنارُ في كبدي	والدمع يشهد لي فاستشهدوا بصري

١) قال في الكامل ٦/١٦٨ وكتب الوزير الى الخليفة يستأذنه في قتله وارسل الفتاوى ، فاذن في قتله .

٢) في الاصل افتا

٣) في تجارب الامم ٥/٨١ المجلس

٤) في الاصل وادعا

٥) في الاصل المردان وكذلك في صلة عريب ٦٧ الحاشية والتصويب عن البداية والنهاية ١١/١٤٣ والكامل ٦/١٦٩

٦) في البداية والنهاية ١١/١٤٣ النفر ٧) ديوان الحلاج ١١٣-١١٤

ومن شعره :

الكاس سهل لي الشكوى فبحت بكم[١] | وما على الكاس من شراجا درك
هبني ادعيت باني مدنف سقم | فما لمضجع جنبي كله حسك
هجر يسوء ووصل لا أسر به | مالي يدور بما لا اشتهي الفلك
فكلما زاد دمعي زادني قلقا | كانني شمعة تبكي فتنسبك[٢]

ومن شعره :

النفس بالشيء الممتنع مولعة | والحادثات اصولها متفرعة
والنفس للشيء البعيد مريدة[٣] | والنفس للشيء القريب مضيعة
كل يحاول حيلة يرجو بها | دفع المضرة واجتلاب المنفعة[٤]

وله :

كل بلاء علي مني | فليتني قد اخذت عني[٥]
اردت مني اختبار سري | وقد علمت المراد مني
وليس لي في سواك حظ | فكيف ما شئت فاختبرني

وفي الصوفية من يدعي ان الحلاج ، كوشف حتى عرف السر ، وعرف سر السر ، وقد ادعى[٦] ذلك لنفسه في قوله :

(٦٦) مواجيد اهل الحق تصدق عن وجدى واسرار اهل السر مكشوفة عندى[٧]

وله :

الله يعلم ما في النفس جارحة | الا وذكرك فيها نيل ما فيها[٨]
ولا تنفست الا كنت في نفسي | تجري بك الروح مني في مجاريها
ان كانت العين مذ فارقتها نظرت | الى سواك فخانتها ماقيها[٩]
او كانت النفس بعد البعد آلفة[١٠] | خلقا عداك فلا نالت امانيها

وحكى[١١] ، انه قال الهي[١٢] ، انك تتودد الى من يوذيك ، فكيف لا تتودد الى من يوذى فيك وانشد :

١) في الديوان ١١٤ وصلة عريب ٦٧ الحاشية بتتابكم
٢) ديوان الحلاج ١١٣ – ١١٤
٣) في وصلة عريب ٦٧ الحاشية مديدة
٤) ديوان الحلاج ١١٣
٥) ديوان الحلاج ١٢٩
٦) في الاصل ادعا
٧) ديوان الحلاج ١٣٠
٨) ديوان الحلاج ١٢٦
٩) في الاصل مآقيها
١٠) في الاصل . الفة
١١) بعدها بياض في الاصل
١٢) في الاصل الاهي

نظري بــدو عشقي ويح قلبي وما جنى[١]
يا معين الضنى[٢] علي اعني عــلى الضنى[٣]

وكان ابن نصر القشوري قد مرض ، فوصف له الطبيب تفاحة فلم توجد، فاومى[٤] الحلاج بيده الى الهوا.[٥] ، واعطاهم تفاحة، فعجبوا من ذلك ، وقالوا من اين لك هذه ، قال من الجنة ، فقال له بعض من حضر ان فاكهة الجنة غير متغيرة ، وهذه فيها دودة ، قال لانها خرجت من دار البقا الى دار الفنا ، فحل بها جزء من البلا . فاستحسنوا جوابه ، اكثر من فعله .

ويحكون ان الشبلي ، دخــل اليه الى الــجن ، فوجده جالسا يخط في التراب ، فجلس بين يديه حتى ضجر، فرفع طرفه الى السما. وقال الاهي لكل حق $\left(\frac{٣٧}{٢١}\right)$ حقيقة ، ولكل خلق طريقة ، ولكل عهد وثيقة ثم قال يا شبلي ، من اخذه مولاه عن نفسه ، ثم اوصله الى بساط انسه كيف تراه ، فقال الشبلي وكيف ذاك ، قال ياخذه عن نفسه ثم يرده على قلبــه ، فهو عن نفسه ماخوذ، وعن قلبه مردود ، فاخذه عن نفسه تعذيب ، ورده الى قلبه تقريب، وطوبى لنفس كانت له طايعة ، وشموس الحقيقة في قلوبها طالعة ، ثم انشد :

طلعت شمس من احبك ليلا فاستضاءت فما لها من غروب
ان شمس النهار تطلع بالليل[٦] وشمس القلوب ليس تغيب[٧]

ويذكرون انه سمي الحــلاج ، لانه اطلع على سر القلوب ، وكان يخرج لب الكلام ، كما يخرج الحلاج لب القطن بالحلج .

وقيل كان يفعل بواسط بدكان حلاج ، فمضى[٨] الحلاج في حاجــة ورجع فوجد القطن محلوجا مع كثرته فسماه الحلاج .

وفي الصوفية ، من يقبله ، ويقول انه كان يعرف اسم الله الاعظم . ومنهم من يرده ، ويقول كان مموها .

ويذكرون ان الشبلي انفذ اليه بفاطمه النيسابورية ، وقد قطعت يده ، فقال

١) في الاصل جنا
٢) في الاصل الضنا
٣) في الاصل الضنا . الديوان ١٢٧
٤) في الاصل فاوما
٥) في الاصل الهوى
٦) في الاصل بالليل
٧) الديوان ٥٤
٨) في الاصل فضا

لها قولي له ان الله ايتمنك على سر من اسراره، فاذعته، فاذاقك حر[١] الحديد، فان اجابك فاحفظي جوابه، ثم سليه عن التصوف، ما هو. فلما جاءت انشأ يقول:

تجاسرت فكاشفتك[٢] لما غلب الصبر
وما احسن في مثلك ان ينهتك الستر
(٣٨/٢٢) وان خنفني الناس ففي وجهك لي عذر
كان البدر محتاج . الى وجهك يا بدر[٣]

وهذا الشعر للحسين بن الضحاك الخليع الباهلي.

ثم قال لها امضي الى ابي بكر وقولي له يا شبلي والله ما اذعت له سرا. فقالت له ما التصوف، قال ما انا فيه، والله ما فرقت بين نعمه وبلواه[٤] ساعة قط.

فجاءت الى الشبلي، واعادت عليه، فقال يا معشر الناس، الجواب الاول لكم، والثاني لي. وذكروا انه لما قطعت يده ورجله صاح وقال:

وحرمة الود الذي لم يكن يطمع في افساده الدهر
ما نالني عند هجوم البلا باس ونه مني الضر.
ما قدّ لي عضو ولا مفصل الا وفيه لكم ذكر[٥]

وكتب بعض الصوفية على جدع[٦] الحلاج:

لم يكن صدرك للاسرار حصنًا لا يرام
انما ينطق بالسر ويفشيه اللئام[٧]

سنة عشر وثلاثمائة

في المحرم، اطلق يوسف بن ابي الساج، وحمل اليه [مال][٨] وخلع. وحكي

١) كذا في الاصل حر ولعله يريد حدّ
٢) هذا الصدر بياض في الاصل والنقل عن الديوان صفحة ١١٠
٣) الديوان ١١٠
٤) في صلة عريب الحاشية بلوى
٥) الديوان ١٢٨
٦) كذا في الاصل ولعله يريد جذع
٧) في الاصل الليثام والبيتان في الديوان ١٢٨
٨) بياض في الاصل والزيادة عن المنتظم ١٦٥/٦ وتجارب الامم ٨٢/٥

انه انزل في دار دينار ، وانه انفد الى مونس المظفر يستدعي منه انفاذ ابي بكر بن الادمي[١] القاري ، فتمنع ابو بكر وقال انني قرات بين يديه يوم شهر وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة[٢] (١٠٢/١١) ورايته يبكي ، فاظنه حقد علي ذلك ، فقال له مونس لا تخف ، فانني شريكك في جايزته ، فضى[٣] اليه وجلا ، فلما دخل عليه ، وقد افيضت عليه الخلع ، والناس بحضرته والغلمان وقوف على راسه ، قال لهم هاتوا كرسيا لابي بكر ، فاتوه به، وقال اقرا ، فاستفتح وقرا قوله تعالى[٤] وقال الملك ايتوني به استخلصه[٥] لنفسي ، فقال لا اريد هذا ، بل اريد ان تقرا بين يدي ما كنت تقراه يوم شهرت ، فامتنع ثم قرا حين الزمه وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى[٦] وهي ظالمة. فبكى[٦] ثم قال هذه الاية ، كانت سببا لتوبتي من كل محظور ، ولو امكنني ترك خدمة السلطان لتركتها . وامر له بمال جزيل وطيب كثير .

وحضر يوسف دار الخليفة بسواد ، ووصل اليه ، فقبل البساط وخلع عليه، وحمل على فرس بمركب ذهب، وذلك يوم الخميس ، ثامن المحرم وجلس المقتدر يوم السبت وعقد له على اعمال الصلاة والمعاون والخراج بالري[٧] والجبال واذربيجان، وزينت له دار السلطان يومئذ فركب معه مونس ومفلح ونصر والقواد[٨] ، واستكتب ابا عبدالله محمد بن خلف النيرماني ، وقرر ان يحمل الى السلطان في كل سنة خمسماية الف دينار .

وخلع[٩] على طاهر ويعقوب ابني[١٠] محمد بن عمرو بن الليث الصفار ، وعلى الليث بن علي وابنه خلع الرضى[١١] .

وقدم اخ لنصر الحاجب من بلد الروم واسلم فخلع عليه .

وتوالت الفتوح على المسلمين برا وبحرا ، فقريت الكتب على المنابر لذلك.

---

١) في الاصل الادمي والتصويب عن البداية والنهاية ١١/١٤٤

٢) ١٠٢ هود ١١

٣) في الاصل فضا

٤) في الاصل تعلى

٥) ٥٤ يوسف ١٢

٦) في الاصل القرا . فبكا

٧) في الاصل بالبري والتصويب عن تجارب الامم ٥/٨٣

٨) في الاصل القواد

٩) في الكامل ٦/١٧١ لم يشر الى انه خلع على طاهر

١٠) في تجارب الامم ٥/٨٣ ابني

١١) في الاصل الرضا

وفي جمادى الاولى تقلد نازوك الشرطة ببغداد وعزل ابن(٥٦/٣٣)عبدالصمد[1] عنها.

واملك ابو عمر القاضي ، مسرور الحفلي ببنت المظفر بن نصر الداعي ، ومحمد بن ياقوت بابنة رايق الكبير ، بحضرة المقتدر .

وحكي انه خطب خطبة طويلة تعجب الناس من حسنها ، ولما فرغ منها ، وقد حمي[2] الحر وتعالى النهار ، قيل له[3] ضجر الخليفة بالجلوس ، فخطب خطبة ، اوجزها[4] بكلمتين ، وعقد النكاح ، فنهض المقتدر مبادرا لشدة الحر ، ووقع فعل ابي عمر عنده الطف موقع ، والتفت الى صاحب الديوان فقال ينبغي ان يزاد ابو عمر في رزقه واثنى[5] عليه .

فعاد صاحب الديوان الى داره ، فقال لمن حضره من خاصته قد جرى لابي عمر كل جميل من الخليفة ، وقد تقدم بالزيادة في رزقه .

قال صاحب الحكاية وكان ابو عمر رجلا[6] صديقي فدعتني نفسي الى التقرب بذلك اليه فجيته ، فانكر مجيي في وقت خلوته ، فحدثته بالحديث على شرحه ، فدعا للخليفة وقال لاعدمتك ، فاستقللت شكره وانصرفت .

فولد لي فكرا معمى[7] بان في وجهه من التعجب[8] مني ، وندمت ندما شديدا ، وقلت سر السلطان افشاه الى من هو احظى[9] عندي من وزيره ، ذكره الرجل لانه لي بادرت باخراجه ان راح ابو عمر وشكره .

فعلم انه من فعلي ما صورتي ، فرجعت ودخلت بغير اذن ، فلما وقع ناظره علي قال يا فلان ، ولا حرف ، فكانه[10] فشكرته وانصرفت .

وفي جمادى الاخيرة ، خلع على ابي الهيجا بن حمدان ، وطوق وسور .

وانفذ[11] الحسين بن احمد (٤٦/٣٣) المادراني[12] من مصر هدية وفيها بغلة معها

---

١) في تجارب الامم ٥/٨٣محمد بن عبدالصمد

٢) في الاصل حما

٣) بعدها بياض في الاصل

٤) في الاصل اوزجها

٥) كذا في الاصل ولعلها اثنى

٦) كذا في الاصل ولعلها رجلا

٧) في الاصل معما

٨) في الاصل التعجب

٩) في الاصل احضى

١٠) بعدها بيض في الاصل

١١) في الكامل ٦/١٧٢ قال وفيها – اي سنة ٣٠٤ وصلت الى ابي زنبور الحسين بن احمد الماذراني (بالذال)

١٢) في كتاب الولاة لكندي ٢٤٤ وتحفة الامراء وغيرها الماذراني المادراني وكذلك

فلو[1] ، وغلام طويل اللسان يلحق طرف انفه .

وخدل محمد بن نصر الحاجب ، قادما من قاليقلا ، في شهر رمضان وقد فتح عليه .

وفيه قبض على ام موسى القهرمانة ، واختها[2] ام محمد ، واخيها ابي بكر احمد بن العباس ، لانها زوجت بنت اخيها[3] ابي بكر[4] ، من[5] ابي العباس بن محمد بن اسحاق بن المتوكل[6] على الله ، وكانت له نعم عظيمة ، وكان لعلي بن عيسى صديقا ، واسرفت في الاموال التي نثرتها والدعوات التي عملتها ، حتى دعت اهل المملكة ثمانية عشر يوما ، وقالت لها السيدة انك قد دبرت ان يصير[7] صهرك خليفة ، وسلمتها الى ثمل القهرمانة ، وهي موصوفة بالشر ، وكانت قهرمانة احمد بن عبد العزيز بن ابي دلف ، فاستخرجت منها الف الف دينار .

وبلغت زيادة دجلة ثمانية عشر ذراعا ونصف .

وورد الخبر انه انبثق براسط سبعة عشر بثقا[8] ، اكثرها الف ذراع ، واصغرها مائتا ذراع ، وغرق من امهات القرى اثنان[9] وثلاثمائة قرية .

وحج نصر الحاجب ، فقلد ابن ملاحظ[10] الحرمين ، وصرف عنهما نزار بن محمد .

سنة احدى عشرة وثلاثمائة

في صفر مات ابو النجم بدر الحمامي بشيراز ، وكان يتولى اعمال الحرب

في الكامل ١٧٢/٦ ، واشير في الهامش الى انها وردت في بعض النسخ المادراني ، وفي البداية والنهاية ١٥٤/١١ الماردانى

١) في الاصل ملو

٢) في تجارب الامم ٨٣/٥ وعلى اختها واخيها

٣) في الكامل ١٧٢/٦ اختها

٤) في تجارب الامم ٨٣/٥ ابو بكر احمد بن العباس

٥) في المنتظم ١٦٦/٦ بن

٦) في الكامل ١٧٢/٦ من ابي العباس احمد بن محمد بن اسحاق بن المتوكل على الله

٧) في الاصل نصير

٨) في البداية والنهاية ١٤٥/١١ وفي المنتظم ١٦٧/٦ انشق بارض واسط

٩) في الاصل بثقا

١٠) في البداية والنهاية ١٤٥/١١ وفي المنتظم ١٦٨/٦ الف

١١) في الاصل ملاحض

والمعاون بفارس وكرمان ، ودفن بشيراز ، ثم نبش وحمل الى بغداد ، واضطرب الجند لموته بفارس ، فكتب علي بن عيسى (٣٢١/٣٢) الى ابي عبدالله جعفر بن القسم الكرخي بضبط[1] تلك البلدان فضبطها واستمال الجند .

وخلع على مونس المظفر وعقد له على غزاة[2] الصايفة ، وكان ابو الهيجا بن حمدان قد خلع عليه لولايه فارس وكرمان ، ثم عدل عنه الى ابرهيم بن عبد الله المسمعي فقلد ذاك .

وعقدت الكوفة وطريق مكة على ورقا بن محمد .

وفي شهر ربيع الاخر صرف حامد بن العباس عن الوزارة ، وعلي بن عيسى عن الدواوين ، وكانت وزارة حامد اربع سنين وعشرة اشهر واربعة وعشرين يوما .

وكثرت عداوة الناس لحامد لاسقاطه لارزاقيهم ونقصا له[3] ، فكان ذلك سبب عزله .

وكان علي بن عيسى يكتب ليطالب جيذ الوزير اسعده بكذا ، فسقط بذلك .

وجرى[4] بين مفلح وبين حامد مناكرة ، فقال حامد قد صح عزمي على ابتياع مايه اسود اقودهم واسمي كل واحد منهم مفلحا .

وكان المقتدر يستدعي ابن الفرات ويشاوره وهو محبوس .

واتفق انه انفذ الى المقتدر وساله ان يقرضه الف دينار ، اثنا عشر الف دينار ، فاجابه الى ذلك حيا . من رده ، مع ما اخذ من امواله . فلما اخذ ابن الفرات المال جاء به الى المقتدر ، فافرغه بين يديه وقال يا امير المومنين ، ما تقول في رجل يسترزق في كل شهر هذا ، فاستعظم المقتدر ذلك وقال ومن الرجل ، فقال : ابن الحوارى ، هذا سوى ما يصله من المنافع ، وينااه من الفوايد .

ورد ابن الفرات الدنانير ، وسعى[5] مفلح لتقليد ابن الفرات الوزارة (٣٢١/٣٥) واعتقل علي بن عيسى وسلم الى زيدان[6] القهرمانة .

وخلع على ابن الفرات لتقليد الوزارة الثالثة ، وعلى ابنه واخيه وجلسوا في

---

١) في الاصل بضط
٢) في الاصل عزاه
٣) في الاصل ونقصا لهم ولكنه ضرب على لهم
٤) في الاصل وجرا
٥) في الاصل وسعا
٦) في الاصل ابن ريدان

دورهم بسوق العطش للتهنية ، وسال ان يعاد الى داره بالمخرم[1] ، وكانت قد اقطعت للامير ابي العباس ، فاذن له المقتدر في ذلك .

وقبض ابن الفرات على جماعة من اسباب علي بن عيسى ، فيهم ابن مقلة .

واشير على ابن الحوارى بالاستتار ، وقيل له ان المقتدر لم يطو عنك وزارة ابن الفرات الا لتغير راى فيك ، فقال لا انكب نفسي ، وستر حرمه .

ثم قبض ابن الفرات على ابن الحواري ، وقبض على صهره محمد ابن خلف النيرماني ، وتوسط ابن قرابة حاله ، فصادره على سبعماية الف دينار ، وصادر ابا الحسين بن بسطام صهر حامد على مايتي الف دينار .

وشرط المقتدر على ابن الفرات ان لا ينكب حامدا ، وان يناظره على ما عليه ، فناظره بحضر الكتاب والقضاة[2] ، وقال المقتدر انه خدمني ولم ياخذ رزقا ، وشرط علي ان لا اسلمه لمكروه . فاضطر ابن الفرات الى اقرار حامد على واسط ، وكان يتاول عليه قولا ديوانيا .

وكان حامد يطالب بما حسبه من النفقه[3] على البثوق في ايام الخاقاني ، وهي مايتان وخمسون الف دينار ، فكانت تتاخر المطالبة جديدة الضمان ، ولانه شرط انه يحسب ذلك من ماله لا من مال السلطان .

فقلد ابن الفرات اعمال الصلح ابا العلا محمد ابن علي البزوفري .

وقلد ابا سهل اسماعيل بن علي النوبختي (٤٤/٣٥) اعمال المبارك ، وجعل الى كل واحد مطالبة حامد .

فاما ابو سهل فكان يخلط المطالبة برفق ، وكان البزوفري يستعمل ضد ذلك ، فكان حامد يقصده الى داره في رداء ونعل حذو مع هيبة حامد العظيمة ومنزلته الجسيمة منذ ستين سنة .

فلم ينفع ذلك في البزوفري ، بل زاد عليه انه ابتاع ضياعات سلطانية بنواحي الجامدة في ايام الخاقاني بخمسماية الف دينار ، وابن الفرات يحمل البزوفري على ما يعتمده ، وكاتب ابن الفرات ان حامدا ممتنع من اداء ما عليه ، مع ميل اهل البلد اليه ، واحتواء يده على اربعماية غلام لكل واحد

---

١) في الاصل بالمخرة

٢) في الاصل والقضات

٣) كذا في الاصل ولعل الصواب النفقة

منهم غلمان وسبعماية راجل ، فاجابه ابن الفرات ان المقتدر قد تقدم الى مفلح بالانحدار في جيش[1] للقبض على حامد. فاظهر البزوفري الكتاب قبل وصول القوم.

فحينئذ اصعد حامد في ساير جيشه[2] وكتابه وغلمانه ، وضربت البوقات يوم خروجه ، وخرج اصحابه بعضهم في الماء ، وبعضهم على الطريق ولم يقدر البزوفري على منعه ، فكاتب على اجنحة الطيور بالحال ، فانفذ المقتدر نازوك الى المداين للقبض عليه . فاخذ نازوك ما وجده له فاستتر حامد .

وجاء احد الجهابذة فتقرب الى المقتدر بماية الف دينار لحامد عنده .

وارجف الناس ببغداد ان المقتـدر امر حامدا بالاستتار ليقبض على ابن الفرات ، ويعيده الى مرتبته .

فاستتر آل[3] ابن الفرات واسبابه ، غير الوزير .

وكانت سعادة حامد (٣١١/٩٢٣) قد تناهت ، فصار الى دار المقتدر وعليه ثياب الرهبان ، ومعه مونس خادمه ، فصمد الى دار الحجبة ، فقال له نصر لم جيت الى هاهنا ، ولم يتم له ، واعتذر بانه تحت سخط الخليفة .

وقال المفلح الاسود[5] ، وهو الذي يتولى الاستيـذان على الخليفة انه تحت رحمه[4] ، ومثلك من ازال متغانيه ، وقال حامد لمفلح[5] تقول لمولانا امير المومنين عني ، ايثاري الاعتقال في الدار ، كما اعتقـل علي بن عيسى ، واناظر بحضرة الفقها والقضاة[6] والقواد ، وامكن من استيفاء حججي وما يجب علي من مال[7] .

فقالت السيدة لا يضر ان يعتقل في الدار ويحفظ نفسه ، فقال مفلح ان فعل هذا لم يتم لابن الفرات عمل ، وبطلت الاعمـال ، فقال المقتدر صدقت . وامره بانفاذ حامد الى ابن الفرات ، فبعد جهد ، مكنه مفلح من تغير زيه ، وقال لا احمله الا في زي الرهبان ، وهذا الصوف الذي عليه ، حتى تشفع فيـه نصر وانفذه مع الرنداق[8] الحاجب .

فلما دخل على ابن الفرات اسمع حامدا المكروه ، وقال له جيت بها داهية ،

---

١) في الاصل حيش

٢) في الاصل حبشه

٣) في الاصل ٠ إل

٤) في تجارب الامم ٥ / ٩٦ في حال رحمة وفي تحفة الامراء ٣٦ موضع رحمة

٥) في الاصل المفتح

٦) في الاصل والقضات

٧) بعدها بياض في الاصل

٨) في تحفة الامراء ٣٧٠ مع ابن الرنداق الحاجب

وكان الطائي[1] قد ضمن اسماعيل بن بلبل من الناصر لدين الله وانه في زي الرهبان ، فسلمه الى اسماعيل بن بلبل[2] فعامله باصناف المكاره ، واخذ منه مالا عظيما .

وامر ابن الفرات قهرمان داره[3] بان يفرد له دار اخيه ، يفرشها فرشا جميلا ، وان يحضر بين يديه ما يختاره من الطعام[4] ، ويقطع له ما يؤثره من الكسوة ، واستخدم له خدمين اعجميين (٢٥٦ب) ودخل اليه كل من عامله بالمكاره فوبخوه ، فقال قد اكثرتم ، وانا اجمل الجواب ، ان كان ما استعملته من الاحوال التي وصفتموها جميلة العاقبة ، قد امرت لي خيرا فاستعملوا مثله وزيدوا عليه ، وان كان قبيحا ، وهو الذي بلغ هذه الغاية فتجنبوه فان السعيد من وعظ بغيره .

فقال ابن الفرات لما بلغه ذلك ما ادفع شهامته[5] ولكنه[6] رجل من اهل النار ، يتقدم على الدما ومكاره الناس.

ومثل هذه الحكاية ، حكاية زينب بنت سليمن بن علي بن عبدالله بن العباس ، قالت : كنت عند الخيزران ، فدخلت جرية وقالت بالباب امراة لها جمال وخلقة حسنة ، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تستاذن[7] عليك ، وقد سالتها عن اسمها ، فامتنعت ان تخبرني ، فقالت الخيزران ما تريد ، فقلت اذني[8] لها ، فان تدمي ثوابا .

فدخلت امراة من اجمل النساء واكملهن ، لا تتوارى بشي ، وقالت انا مزنة امراة مروان بن محمد الاموي ، فقلت لها لاحيا الله ولا قرب ، الحمد لله الذي ازال نعمتك وهتك سترك ، تذكرين يا عدوة الله ، حين اتاك عجايز اهلي يسئلنك ان تكلمي صاحبك في الاذن في دفن ابراهيم الامام ، فوثبت عليهن ، فاسمعتيهن وامرت باخراجهن على الحالة التي اخرجن عليها .

قالت فضحكت ، فما الدر احسن من ثغرها ، وعلا صوتها بالقهقهة ، ثم قالت اي بنت عمي اي شي اعجبك من حسن صنع الله بي على العقوق ، حتى اردت ان تتاسي منه ، اني فعلت (٢٥٧آ) ما فعلت باهل بيتك واسلمني الله

---

١) في الاصل الطاي

٢) في الاصل بلبل

٣) في تجارب الامم ٥/٩٨ هو يحيى بن عبد الله

٤) في الاصل الصعام

٥) في الاصل سهامته

٦) في الاصل ولاكنه

٧) في الاصل يستاذن

٨) في الاصل ادني

اليك ، ذليلة فقيرة ، فكان هذا مقدار شكرك لله على مـا اولاك في ، ثم قالت السلام عليكم وولت .

فصاحت الخيزران بها انك علي استاذنت ، والي قصدت ، فما ذنبي.

فرجعت وقالت لعمري ، لقد صدقت يا اخيه ، وان مما ردني اليك ما انا عليه من الضر والجهد ، فقامت الخيزران تعانقها ، وامرت بها الى الحمام وخلعت عليها ، وجاء المهدي ، فاخبر بالحال ، فسر بذلك وكثرت انعامه عليها وافرد لها مقصورة من مقاصير حرمه .

واقرّ حامد بابتي الف دينار ، ولم يقر بغيرها ، وسامت منه .

وضرب المحسن ، مونس خادم حامد ، فاقر باربعين الف دينار دفنها في داره بالمدينة ، فحملت .

وصودر مونس الفحل ، حاجب حامد على عشرين الف دينار .

وصودر محمد بن عبدالله النضراني صاحبه ، والحسن بن علي الخصيب كاتبه على ثمانين الف دينارًا .

واستعمل الخصيب مع حامد من المكاشفة ، مـا لم يستعمله كاتب مع صاحب ، فرد ابن الفرات عليه ما صادره به لذلك .

واشخص ابن الفرات الفقها والقضاة[1] والكتاب ، فيهم النعمان بن عبدالله ، وكان قد تاب من عمل السلطان ، فحضر بطيلسان ، وناظره ابن الفرات مناظرة طالت كان عمد[2] ابن الفرات ان قال له الضمان الذي ضمنته من الخاقاني سنة تسع وتسعين ومايتين (٩١١) لا يحضيه الفقها والكتاب لانه ضمان مجهول، وضمنت اثمان غلات لم تزرع ، فقال له حامد فقد عملت بي كذلك حين ضمنتني اعمـال بالصدقات ($\frac{٦٨}{٢٧}$) والضياع بالبصرة وكور دجلة ، فقال ابن الفرات الغلة بالبصرة يسيرة ، وانا ضمنت الثمرة ، فقال حامد فمن احل بيع الثمرة قبل ادراكها ، وحضره في الزرع ، فقال المحسن لحامد هذا الكلوذاني ، كاتبك وكتابه يشهدون عليك بما اقتطعته ، فقال هؤلاء[3] كتاب الوزير الان[4] هواه .

ولزمت ابن الفرات حججه ، حتى قال له حامد لم امضيت ضماني في وزارتك الثانية ، فقال ابن الفرات لهذا نقلني امير المومنين الى حبسه . (له صلة)

١) في الاصل والقضات ٢) كذا في الاصل ٣) في الاصل هولاء ٤) بعدها بياض في الاصل

بحث تاريخي في كتاب التشمشت للطقس الماروني

للاباتي يوسف حبيقة اللبناني (†) (تابع)

القسم الثاني
في الصلوات التي لا يعرف مؤلفوها

صلاة لعيد قلب يسوع الاقدس راجع عدد ١٣

عدد ٤٨ — صلاة للاربعين شهيدًا ، لها نسخة في بكركي ، تاريخها سنة ١٣٧٩ واخرى في كنيسة حلب ، تاريخها سنة ١٥٦٢ (عيدهم في ٩ آدار) وقد تكون هي التي اصلحها القس عبد المسيح لبيان الحلبي (راجع عدد ٣١) .

عدد ٤٩ — صلاة عيد صعود الرب الى السماء . لها في بكركي نسخة تاريخها سنة ١٦٨٣ ونسخة في حلب تاريخها سنة ١٦٤٨ .

عدد ٥٠ — صلاة لعيد العنصرة اي عيد حلول الروح القدس على التلاميذ . لها نسخة في بكركي تاريخها ١٦٨٣ واخرى تاريخها سنة ١٥١٤ . (مخطوط ابطو) واخرى في حلب تاريخها سنة ١٦٤٨ .

عدد ٥١ — صلاة لمديح يوحنا المعمدان . تذكاره في ٧ ك ٢ لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٦٨٣ .

عدد ٥٢ — صلاة عيد القيامة المجيدة كاملة . لها نسخة في كنيسة مار اليشاع النبي في بشري المعروفة بمدينة المقدمين . تاريخ هذه النسخة سنة ١٦٦٠ . ونسخة في حلب تاريخها ١٦٩٥ ونسخة في بكركي تاريخها سنة ١٥١٤ ونسخة في كنيسة مار يوسف الحصن (غوسطا لبنان) تاريخها سنة ١٦٧٥ .

عدد ٥٣ — صلاة للقديس يوحنا الانجيلي . عيده في ٨ ايار و٢٦ ايلول لها نسخة في كنيسة مار اليشاع النبي في بشري . خطها جبرائيل تلميذ الحبيس يونان الاهدني سنة ١٥٣٠ . ونسخة في كنيسة مار جرجس الناقورة ، تاريخها سنة ١٥٧٢ في ١٠ نيسان . ونسخة في دير اللويزة ، خطها سنة ١٦٨٦ مخائيل المطوشي النعرسي الماروني . وفي اخرها ترجمة هذا القديس العجيب والتلميذ الحبيب .

عدد ٥٤ — صلاة مار رومانوس عيده في ٦ ايلول و١٨ ت ٣ . منها نسخة في كنيسة

.ار سركيس اهدن ، خطها سنة ١٥٦٦ · سركيس بن يوحنا من قرية بقوفا « المنارة » (١٩٣١ - : ٧٥٧) ونسخة في حلب تاريخها سنة ١٦٧١ وذكر تاريخ الرهبانية الانطونية الكريمة (ص ٢٣٤) خطت سنة ١٧٠٧ .

عدد ٥٥ - صلاة لمار موسى الحبشي . عيده في ٢٨ آب منها نسخة في دير مار موسى الحبشي الدوار « المتن » .

عدد ٥٦ - صلاة للقديس عبدا الاسقف الشهيد عيده في ٣١ آب لها نسختان في بكركي ، بتاريخ ١٤٨٢ و ١٥٦٣ . ونسخة في حلب ، تاريخها سنة ١٦٥٨ .

عدد ٥٧ - صلاة للقديس شربل . عيده في ٥ ايلول ، لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٤٨٣ ونسخة في كنيسة مار جرجس الماقورة تاريخها سنة ١٦٩٤ .

عدد ٥٨ - صلاة للقديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان عيده في ١٧ كانون الثاني . لها نسخة في حلب تاريخها سنة ١٦٧٢ .

عدد ٥٩ - صلاة للسبعة الراقدين في الكهف . عيدهم في ٢٢ ت ١ ، لها نسخة في حلب تاريخها سنة ١٦٧٢ .

عدد ٦٠ - صلاة لاحد الكهنة (قبل الصوم) لها نسخة في حلب تاريخها سنة ١٦٦١ .

عدد ٦١ - صلاة لاحد الابرار والصديقين (قبل الصوم) . لها نسخة في حلب تاريخها سنة ١٦٦١ .

عدد ٦٢ - صلاة لاحد الموتى المؤمنين (قبل الصوم) . لها نسخة في بكركي (مخطوط ابطو) ، تاريخها سنة ١٥١٤ ونسخة في حلب ، تاريخها سنة ١٦٧٥ .

عدد ٦٣ - صلاة لمار زخيا - له كنيسة في عجلتون - كسروان - لبنان - عيده في ٣١ آب . لها نسخة في هذه الكنيسة مساء صبح .

وله كنيسة في النيدار - جبيل - قديمة العهد جداً وبازائها منارة وخرائب معابد على اسم هذا القديس فوق رابية صخر شبه جزيرة على شاطىء البحر تحيطها المياه في فصل الشتاء من كل جهاتها . ومؤخراً شيدت كنيسة فخمة ازاء القديمة على طراز بديع بهمة وتبرع عيلة السادة بيت ملكان . وهذه الكنيسة عجائبية مشهورة باعطاء البنين للعواقر وغيرهن .

عدد ٦٤ - صلاة للقديس تاودورس التيروني . منها نسخة في بكركي - مخطوط ابطو - تاريخها سنة ١٥١٤ ونسخة في دير مار سركيس وباخوس في « قرطبا » (لبنان) عيده في ١٦ شباط .

عدد ٦٥ - صلاة للقديس بندلايمون عيده في ٢٧ تموز . له كنيسة في بجدرفل بلاد البترون ، وفي رياطا خاصة دير مار جرجس عشاش للرهبان اللبنانيين .

عدد ٦٦ – صلاة للقديس اشعيا الحلبي عيده في ١٥ ت ١ .

عدد ٦٧ – صلاة للقديسين قزما ودميانوس . عيدهما في ١٧ ت ١ .

ولمار داميانوس كنيسة في يبرود بنيت ٤٣٩ . (البشير ١٠ ك ٢ سنة ١٩٢٨) .

عدد ٦٨ – صلاة للقديس إذنا اوادناوس ، عيده في ١٢ ت ١ .

ويدعى طرخوس كان له في العاقورة « لبنان » كنيسة على اسمه ودير قربها . كان كرسياً لاسقفها . قال عنه المطران تادروس اسقف العاقورة الذي كان حياً في اواخر القرن الثالث عشر (١٢٩٦) في كتاب تاريخه : ان هذه الكنيسة بنيت سنة ٨٢٠ ي. ٥٠٩ م. كما نقل ذلك الخوري يوسف الدحداح العاقوري الخطاط والناسخ الشهير (١٦٠٠–١٦٧٧) ، في اخر كتاب «التشمشت» الذي كتبه في العاقورة . قال : « انه اخذ ذلك عن تاريخ المطران تادروس المذكور » . وقد اكد لنا بقلم جناب الفاضل موسى افندي غانم اللحفدي مدير قرطبا وبرمانا وبيت مري سابقاً ، انه من نحو ٢٥ سنة كانت نسخة من هذا التاريخ بيد رجل من لحفد سافر الى اميركا . ولا عجب في قدمية هذا الدير ، وها قد اكتشف حديثاً ان كنيسة مار قزما ودميانوس في يبرود « سوريا » جارة لبنان بنيت سنة ٤٣٩ م (طالع البشير الاغر تاريخ ١٠ ك ٢ سنة ١٩٢٨) . ويذكر البشير ايضاً في عدده ٤٤٥٦ بتاريخ ٣ ايلول سنة ١٩٣٢ ان كنيسة مار موسى في النبك « سوريا » بنيت قبل الجيل الثامن[1] واثباتاً لمثل قدمية تاريخ وجود النصرانية في جبل لبنان كما قدمنا الكلام نقول :

ان مجلة الآثار الشرقية لطائفة السريان الكاثوليك التي كان يصدرها العلامة البطريرك افرام الرحماني ذكرت في عدد ايار ١٩٢٧ صفحة ١٤٣ ما يأتي :

« يوجد في مكتبة لندن عدد ١٤٥٤٢ صفحة ٤١٧ انجيل منسوخ سنة ٨٢٠ ي ٥٠٩ م ورد فيه « فلنذكر لاونطي المولود في الحدث بلبنان لانه هو كان الداعي الى نسخ هذا الكتاب « الانجيل » وانجازه » فلنذكر مار حلفى الزاهد

١) قصر ابن وردان وكنيسة – شرقي سوريا بُنيا سنة ٥٦٤ م « المشرق » ٢٥–١٩٢٧ (ص ٣٢٠) .

الموجود في لبنان صلاته تكون سورًا للكاتب يوم الدين . امين » .

من جملة مؤلفات ابن القلاعي ÷ ١٥١٥ كتاب كرشوني قطع كامل صفحاته ٢١٥ وهو كتاب في اللاهوت تدور مباحثه على التجسد الالهي والطبيعتين والمشيئتين . ويشتمل على بعض براءات باباوية وفهرست ملوك القسطنطينية وسلسلة اساقفة رومية وعلى رسالة الاسرار الى المطران الحفدي نسخه سركيس السمراني في قزحيا سنة ١٥٧٥ جاء فيه صفحة ١٦ : ان سليمان من قرية بجنس شدياق مطران بجرصاف كتب كتاب اوريلوى[1] وطوماس لاون السرياني بتاريخ ٨٠٠ وكسور يونانية (اي وزيادة) اي نحو سنة ٥٠٥ م .

ان السيد الياس اسقف اهدن ١٦٣٧ — ١٦٥٩ بن الحاج حنا عم الدويهي الشهير اهدى فرنسوا دي شطوبل انجيلًا من مخطوطات الجيل السادس . ولعل هذا الانجيل هو نسخة لندن المذكورة . « ترجمة دي شطوبل » المشرق ٢٠ (١٩٢٢) : ٥٧١ — ٦٤٩ . وهذا يحقق ايضًا انتشار النصرانية والانجيل في الجيل الخامس ويرجح وجود مطارين كما نفيد كلمة ضحنه خلافًا لقول بعضهم ممن ينكرون وجود اثار ثابتة تحقق وجود النصرانية قبل الجيل السابع كتبنا ذلك للذكرى .

اما المطران تادروس المذكور فعندنا انه احد علماء الموارنة الاكليريكيين في تلك الايام وله الشرطونية (اي كتاب السيامات الكهنوتية) التي رتبها سنة ١٢٩٦ باجتماع الاباء لديه في دار ما إدنا المذكور وعلى موجبها وموجب ثلاث نسخ غيرها رتب العلامة الدويهي شرطونيته المعروفة والمستعملة الان للسيامات في الكنيسة المارونية . وللمطران تادروس المذكور كتاب التاريخ المدني الذي ذكرناه في ما تقدم والذي نقل عنه بعض فقرات الخوري يوسف الدحداح العاقوري كما رأيت قبل هذا .

ونرجح كثيرًا بل نرى من الواقع ان البطريرك ارميا الدملصاوي لما سافر الى رومية اثر انتخابه سنة ١٢٨٢ او على الراجح ١٢٨٣ آخذًا معه الانجيل

---

١) لنا كتاب قانون قوريلوس « مجلة المنارة » شباط سنة ١٩٣٥ : ٩٠ .

المقدس والاشحيمة (سيأتي ذكرها) اقام المطران تادروس المذكور وكيلا عنه مدة غيابه لأنه كان من علماء الموارنة في تلك الحقبة بدليل وضعه شرطونيته المنوه بها ، وبدليل وضعه تاريخه المدني الذي ذكره له الخوري يوسف الدحداح كما تقدم « في اخبار بعض الاسر » .

وقد نشرت « المجلة البطريركية » قسماً من هذا التاريخ وجد في بكركي مكتوباً بخط يد المرحوم المبرور الاب بطرس الهاروني العجلتوني الراهب اللبناني († ٩ ايلول سنة ١٩١٤) في مدرسة مار شليطا عجلتون للرهبانية اللبنانية وله على هذه المدرسة فضل كبير ، ودفن فيها . وذلك في عدد حزيران من المجلة المذكورة سنة ١٩٣٢ : ٤٠٣و٤٠٧ . الذي صرح (اي الاب بطرس) بانـه نقل ذلك عن نسخة الاسقف تادروس العاقوري المذكور حيث يقول في الختام « ونقل هذا التاريخ اي تاريخ نكبة كسروان القس بطرس الهاروني من عجلتون عن تاريخ المطران تادروس مطران حماه » تمت — وقـد يكون المطران تادروس المذكور مطراناً على حماه والعاقورة معاً وقد جعل سكنه في العاقورة .

بناء عليه لم يعد من شك في وجود هـذا المطران وزمانه ولا في حقيقة تاريخه المذكور .

اما الاب بطرس العجلتوني المذكور فهو احد اباء الرهبانية اللبنانية وكان وكيلاً لارزاق الكرسي البطريركي في الديمان وقنوبين ويقيم احياناً في بكركي مدة فكأن تاريخ المطران تادروس المذكور وقع في يـده فنقل عنه تاريخ نكبة كسروان بلاده في كراس خاص ابقاه في مكتبة الكرسي البطريركي في بكركي .

تقدم القول : ان الخوري يوسف الدحداح العاقوري نسخ « تشمشتاً » نذراً لدير سيدة الحبس في العاقورة سنة ١٦٥٠ وعلق عليه بعض حواش منها

« انه في سنة ١٦٠٨ يو ١٢٩٦ م » التأم الاباء في هـذا الدير وكتبوا الشرطونية بالضبط . »

ويقول المأسوف عليه الخوري بطرس غالب المكرزل الشبابي في ترجمة

المطران بطرس مخلوف ✝ الى ١٧٢٠ [1] التي نشرها سنة ١٩٢٤ في مجلة المشرق وعلى حدة « ان نسخة المطران تادروس — للشرطونية — قوبلت مع نسخة البطريرك ارميا المشيتي وكتبت سنة (١٦٠٧ يو ١٢٩٦ م .) وكانت هذه النسخة في دير مار اليشاع بشري » وهي احدى النسخ الاربع التي ضبط العلامة الدويهي شرطونيته بوجبها .

واخيراً فليسمح لنا القارئ الكريم ان نفصح عن رأي لنا في هذا الصدد ربما كان له الارجحية بخصوص تبرئة الموارنة من تهمة الخروج على الكنيسة المقدسة فنقول :

١ً — الارجح ان انتخاب البطريرك ارميا الدملصاوي تمَّ سنة ١٢٨٣ لا ١٢٨٢ . ٢ً — ان الاسلام اجتاحوا في اوائل هذه السنة بلاد اهدن في حكم قلاون ١٢٧٩—١٢٩٠ واسروا البطريرك دانيال الحدشيتي الذي دعوه بطريرك الحدث « المنارة » (١٩٣٤ : ٢٠٤) وقد يكونون بطشوا به اذ ذاك . ٣ً — انه بعد ذلك اقتحم البطريركية المطران لوقا من « بنهران » وهي في ذيل اهدن شرقي بزيزا يسكنها اليوم شيعيون وهذا المطران كان مشبوهاً بايمانه فعمل على التغلب على البطريركية وفاز بها . ٤ً — ان الشعب لسبب الشبهة بايمان هذا المطران لم يرض به بطريركاً فلم يمض الّا شهور قليلة حتى هبَّ لاسقاطه من البطريركية . ٥ً — والحالة ما تقدم هبَّ امير جبيل الصليبي واساقفة الطائفة ورؤساء الكهنة ورأب الصدع وانتخبوا بالقرعة المطران ارميا الدملصاوي بطريركاً عليهم وجرى ذلك في دير حالات (قرب جبيل) ثم ارسلوه الى رومية المدينة العظمى وترك اخاه (بالحبرية) المطران تادروس الماقوري بدير الرعية وجتم بشؤونها كما وجد مدوناً بخط يده على هامش الانجيل الموجود تحت رقم ١ في المكتبة المادئية في فيرنسة » .

وكان سبب ذهابه الى رومية على الاخص ليقدم طاعته للبابا ويدافع عن حسن ايمان طائفته ويوقف قداسته على ماجريات امورها من مثل امساك الاسلام لبطريركها دانيال الحدشيتي واقتحام لوقا البنهراني المتقدم ذكره للبطريركية ، والتماس الحل من الحرومات لطائفته اذا فرض وكانت ملتحقة بهم بسبب هذه الاحداث كما يلمح ابن القلاعي — ١٥١٥ في زجلياته .

هذا رأي اردت تدوينه لعل يكون به هداية الى الصواب .

---

١) وقد رأينا توقيعه بهذا التاريخ في احد صكوك دير الرومية .

ولنعد الى ما كنا فيه من بحثنا .

عدد ٦٩ – صلاة للقديس يوليانوس الحمصي .

عدد ٧٠ – صلاة للنبي اليشاع عيده في ١٤ حزيران .

عدد ٧١ – صلاة للقديس نداوس وهو نادي الرسول المعروف ايضاً بلابي الرسول . لها نسخة في كاندرا حلب المارونية ، تاريخها سنة ١٦٧١ . كتاب نومبو ٨١١ « المشرق » (١٩٠٢ : ٦٨٧) عيده في ١٩ حزيران وله كنيسة في حصرون (لبنان) يرتقي عهد قسمها الاول الى سنة ٦٧٧ والثاني الى سنة ١٠٧٧ كما سبقت الاشارة (راجع البشير) الاغر عدد ٣٠٧٢ تاريخ ١٠ ايلول سنة ١٩٢٣ وكنيسة في قرطبا .

عدد ٧٢ – صلاة للقديس نيقولاوس العجائبي ويعرف « بمار زخيا » (رسالة السلام » سنة ١٩٣٨ عيده في ٦ ك ١ وله كنيسة في عجلتون – كسروان – لبنان – .

عدد ٧٣ صلاة لمار الياس للنبي العظيم عيده في ٢٠ تموز . لها نسخة في كنيسة مار جرجس الماقورة تاريخها قبل سنة ١٦٥٣ فهذه لنير القس عبد المسيح نيبان الحلبي المذكور آنفاً (او انه اصلحها) . وفي كنائس واديار لبنان نسخ عديدة منها . وفي حلب نسخة تاريخها سنة ١٦٧١ .

عدد ٧٤ – صلاة القديس الانبا سابا الراهب الناسك ٤٤٠-٥٣٢ عيده في ٥ كانون الاول وفيه تطيب الخمرة الجديدة ومنه المثل عندهم . « في عيد مار سابا السبيق يتساوى الخمر الجديد بالعتيق » وقد استشهد العلامة الدويهي من حساي ستارهذه الصلاة « في منارته » ١ : ٢٧٦ – ٢٧٧ بما تعريبه « هب للمتزوجين ان يحفظوا الفرائض اليومية في الاحاد والاعياد وفرائض الجمعة والاصوام فلا يقتربوا في هذه الايام الى المناجع لانهم يشتركون فيها بالاسرار الالهية » .

قلت وهذا يدل على ان هذه الصلاه عريقة جداً في القدم لذكرها مثل هذه الفرائض التي كانت جارية في الكنيسة بالاجيال القديمة كما جاء في مجمع « قرطجنة » الثاني المنعقد سنة ٩٣٠ وهذا نصه « ان القسوس والشمامسة عليهم ان يحفظوا الطهارة ويمتنعوا عن نسائهم عند ممارسة الاسرار » وقد ذكرنا ذلك في صدر مقالتنا هذه . وفي بكركي نسخة لهذه الصلاة تاريخها سنة ١٦٦٦ خطها رزق تلميذ المطران جبرائيل البلوزاوي † ١٧٠٤ وذكر تاريخ الرهبانية الانطونية (ص ٢٣٤) نسخة لها خطها الخوري الياس القزيري في قنوبين سنة ١٦٦٦ وللقديس سابا هذا كنيسة في قصبة بشري – لبنان – بنيت سنة ١١١٢

كما ذكر العلامة الدويهي في منارته (١ : ١٠٣) وذكر العلامة الدويهي انه رأى نسخة من الفنقيط كتب في كنيسة مار سابا بشري مذكور فيها انه سنة ١٢٣٦ كان بطريرك الموارنة دانيال الشاماتي سنة ١٢٣٠ — ١٢٣٩ (الذي ترك دير ميفوق وسكن في كفيفان ثم دير مار يوحنا مارون كفرحي وسنة ١٢٣٦ كان في مار جرجس الكفر في بلاد جبيل) فيرجح ان هذا الفنقيط كتب في حياة البطريرك المذكور واذ ذاك لم يكونوا يفرقون بين الفنقيط والشحيم الذي فيه صلاة القديس سابا كما رأيت عند كلامنا فيه فلا يعقل ان يكون هذا الفنقيط او بالحري لا يسلم العقل انه كتب في كنيسة مار سابا بشري وانه من كتب هذه الكنيسة وهو يخلو من صلاة هذا القديس ؟ فوالحالة هذه يكون هذا الاثر اقدم اثر عُرف الى الان بذكر صلاة هذا القديس ١٢٣٦ .

عدد ٧٥ — صلاة للقديس مـ. الشهيد عيده في ٢ ايلول . له كنيسة في قصبة اهدن بنيت سنة ٧٤٩٠ كما ذكر العلامة الدويهي في منارته المحل المذكور اعلاه . ولها نسخة في كنيسة مار جرجس الماقوره . ويوجد كنيسة وقرية في بلاد البترون تدعى « مار ماما » قرب ميفوق .

عدد ٧٦ — صلاة مديح العذراء . تتلى ثاني عيد الميلاد المجيد وفي اعياد العذراء التي ليس لها صلاة خصوصية .

وقد سبق القول انه كان ذا نسخة في قنوبين نسخها قبل سنة ١٣٠٠ الخيس الشاع الحدثي كما جاء في « تاريخ الكنيسة المارونية » للاب العلامة الخوري مخايل غبريل (بيت شباب) (١ : ٧٤٨) ولها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٥٠٦ « مخطوط مترتب » واخرى تاريخها سنة ١٥٢٧ « المشرق » ٥ : ١٩٠٣ ص ٨٩٦) ونسخة اخرى تاريخها سنة ١٥٤١ ونسخة في كنيسة حلب المارونية تاريخها ١٥١٩ ونسخة في كنيسة مار جرجس الماقورة تاريخها سنة ١٥٧٢ .

عدد ٧٧ — صلاة القديس قورياقوس وامه يوليطا عيدهما ١٥ تموز . لها نسخة في كنيسة مار اليشاع بشري تاريخها سنة ١٥٣٠ .

عدد ٧٨ — صلاة القديس ساسين الاسقف . عيده في ٢٣ ت ٢ .

عدد ٧٩ — صلاة للقديسة موزا . لها كنيسة في ميفوق — لبنان — ولها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٤٦٨ عيدها في ٣ ايار ولها معابد في : ميفوق ، رشمين ، بشعي ، ريش ضمون ، ومديح في كنيسة مار الشاع القديم في سفح الوادي المقدس .

عدد ٨٠ — صلاة للاحد الجديد . وهو اول احد بعد القيامة المجيدة . لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٦٨٣ واخرى سنة ١٥١٤ — ١٥٣٢ . « مخطوط ايطو » .

عدد ٨١ — صلاة لاثنين الحواريين. لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٦٨٤ .

عدد ٨٢ — صلاة لسياحة القديس يوسف خطيب العذراء . عيده في ١٩ اذار . لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٦٨٤ .

عدد ٨٣ — صلاة لاثنين المنصرة . لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٦٨٤ .

عدد ٨٤ — صلاة لسبّة[1] البياض وهي السبّة التي بعد المرفع الكبير قبل مدخل الصوم. وقد استشهد العلامة الدويهي بها من صبح الثلاثاء ومن صلاة الخميس ومن صبح الجمعة وذلك في منارته ١ : ٣١٩ و ٣ : ٥٧ و ١٥٤ .

عدد ٨٥ — صلاة للقديسة تقلا اولى الشهيدات عيدها في ٢٤ ايلول . مساء . ستار . ليل . صبح . بموجب النسخة التي لها في كنيستها في بلدة « بكاسين » — لبنان — خطت سنة ١٧٣٢ .

عدد ٨٦ — صلاة لشهيد ما . لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٥٤٣ (مجلة المنارة) ١٩٣٤ : ٤١٦ .

عدد ٨٧ — صلاة للشهداء عموماً . لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٥٤٦ .

عدد ٨٨ — صلاة لناسك ما . لها نسخة في كنيسة مار جرجس الماقورة واخرى في قنوبين تاريخها سنة ١٦٨١ واخرى في بكركي تاريخها ١٦٨٧ .

عدد ٨٩ — صلوات سبّة الاستعداد لعيد انتقال العذراء الى السماء . لها نسخة في كنيسة مار جرجس الماقورة تاريخها سنة ١٥٧٢ باقٍ منها مساء الثلاثاء . ستار الاربعاء مساء الخميس . فحبذا لو صارت العناية بنسخها من جديد وصيانتها ولم يزل منها ايضاً باقيٌ صلاة الاثنين على اوراق رثة . ذكر فيها اسم المطران يوحنا سنة ١٨٣٠ ونرجح ان هذا الاسقف انتخب بطريركاً للطائفة المارونية باسم يوحنا العاشر سنة ١٣٣٩ — ١٣٥٧ كما قرأت مرة في سلسلة خطية للبطاركة الموارنة في دير الناعمه حيث يقول عنه انه كان من الماقورة . فورود اسمه في صلاة الاثنين المذكورة يزيد في ثبات الامر .

عدد ٩٠ — صلوات سبّة الكهنة . وهي السبّة الواقعة بسبّة قبل سبة المرفع . لها في كنيسة مار جرجس الماقورة نسخة تاريخها ١٥٧٣ في ١٠ نيسان مؤلفة من : مساء . ستار . صبح .

عدد ٩١ — صلوات سبّة الابرار والصديقين وهي السبّة الواقعة قبل سبة المرفع . لها في

١) لفظة سريانية ܫܒܘܥܐ اي الاسبوع .

بكركي نسخة تاريخها سنة ١٥١٦ (مخطوط ايطو) ونسخة في كنيسة مار جرجس الماقورة تاريخها سنة ١٥٧٢ مؤرخة في ١٠ نيسان .

عدد ٩٢ – صلوات لنسبة الموتى المؤمنين ، وهي سبّة المرفع قبل دخول الصوم المقدس . لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٥١٦ (مخطوط ايطو) ونسخة في كنيسة مار جرجس الماقورة تاريخها ١٠ نيسان سنة ١٥٧٢ .

عدد ٩٣ – صلاة للانبياء عموماً في الكنيسة المذكورة خطها الخوري يوسف الدحداح الماقوري سنة ١٦٧٧ .

عدد ٩٤ – صلاة للقديس شينا . عيده ١٥ ايلول و١٢ آب له كنيسة في قرية –قنات– لبنان الشمالي .

عدد ٩٥ – صلاة لتذكار الموتى الذي يصير في ٢ ت ٢ .

عدد ٩٦ – صلاة للموتى عموماً ، لها نسخة في الديمان او بكركي تاريخها سنة ١٥٦٩ .

عدد ٩٧ – صلاة للموتى من كهنة وسوام .

عدد ٩٨ – صلاة للاربعة الانجيليين . لها نسخة في بكركي تاريخها سنة ١٥١٦ « مخطوط ايطو » .

عدد ٩٩ صلاة الكرم . وهي مبنيّة على الفعلة الذين استأجرهم ربُّ الكرم . ويظهر انها كانت تتلى في الاحد الثاني من الصوم المقدس وهي موجودة في بكركي في مجلد يحوي مثل هذه الصلوات تاريخه سنة ١٥٦٩ « مجلة المنارة » عدد ايلول وت ١ سنة ١٩٣٦ : ٦٣٦ . ونحن نظن انها كانت تتلى في احد مدخل صوم الخمسين حيث يذكر احالة المسيح الماء خمرًا . . .

عدد ١٠٠ – صلاة للقديس ثوادوسيوس تتلى في السبت الاول من الصوم المقدس . عيده في ١٥ كان ٢ وهو احد زعماء النساك . ويذكر كتاب « كشف الخفاء عن المحابس والحبساء » (ص ١٠) انه ذهب لملاقاة ربه في ابتداء الجيل السادس .

وقد وقع في يدي انجيل هو اليوم في دير سيدة المعونات – جبيل – خط سنة ١٥٦٣ – ١٥٦٦ يذكر فيه انجيلًا معيناً لهذا القديس في اليوم المذكور اي في السبت الاول من الصوم . وفي بكركي نسخة لصلاة هذا القديس تاريخها سنة ١٥٤٣ . طالع « مجلة المنارة » سنة ١٩٣٤ : ٥٤٣ .

وقد ذهب البعض الى انه هو الذي بنى دير السيدة في « قنوبين » : لفظة يونانية معناها محل اجتماع النساك بعيشة مشتركة – في وادي « قاديشا » المشهور

— اي الوادي المقدس — موطن امجاد البطريركية المارونية وملاذهـا وملاذ شعبها في محنها ومحنهم . وذلك اي بناء دير قنوبين كان بواسطة فلافيوس تواديسيوس الكبير في القرن الرابع . ثم جدده ملك الروم طوارسيوس سنة ١٠١٣ طالع « رد التهم » (ص ٤١١) وتاريخ العلّامة الدويهي (ص ١٣٢) « ورسالة السلام » سنة ١٩٢٤ ص ٣٧٨ .

عدد ١٠١ — صلاة للقديس برصوم الوارد ذكره في صلاة القديس سمعان العمودي الموجودة في كتاب « الفنتيط » (١٤١) وهذا تعريب النص السرياني « هذا — اي القديس سمعان — الذي تاق الى لقيا مار برصوم الذي جاء يزوره ويسأل سلامته وكان قد تنبأ على زيارته هذه له قبل ثلاثة ايام » فلو كان برصوم هذا هو برصوم الاراتيكي كما يحب البعض ان يتوهموا ويوهموا لما زار القديس سمعان العامودي وهو الكاثوليكي القح ، ولما كان هذا القديس قبله بمثل هذه الحفاوة . فبرصوم هذا قد يكون هو القديس برصوم اسقف الرها الذي استشهد في ايام ترايانوس قيصر . والسنكسار الروماني يترجمه في ٢٩ ك ٢ .

اما برصوم الاراتيكي الذي يقصده الاخصام فقد ولد سنة ٤٥٧ او ٤٥٨ ، ولقي حتفه سنة ٤٩٦ والقديس سمعان العمودي لقي ربه سنة ٤٦٠ ، فلا يمكن ان يزوره برصوم هذا وقد كان له من العمر سنتان او ثلاث حين وفاة القديس سمعان . ولا يمكن ان يكون برصوم هـذا الارشندريت برصوم النسطوري المتوفى سنة ٤٥٨ . فوالحالة هذه لا يعقل ان القديس سمعان العمودي وهو المشهور بمضادته للاراتقة ان يلاقي بالحفاوة ايا من هذين الاراطيقيين .

والعلامة الدويهي يذكر هذه الصلاة في الجزء الثالث من كتابه « رد التهم — الذي هو تحت الطبع عند الاباء الكريميين — جونيه — لبنان — حيث يسميه في هذه الصلاة ܕܡܪܝ ܒܪܨܘܡ ܪܫܐ ܕܐܒ̈ܝܠܐ اي مار برصوم الرئيس العظيم في النسك .

ونذكر المطالع اللبيب بان البعض يدخلون بين صلوات « التشمشت » صلوات الصوم المقدس واحاده ، وصلوات اسبوعي العجائب وصلوات اسبوع الشعانين التي لها نسخة في « الديمان » ونسخة في حلب تاريخها سنة ١٥٤٢ وصلاة سبت اللعازر ولها نسخة في حلب تاريخها ١٥٨١ ونذكره ايضاً اننا لم نذكر في عجالتنا هذه الا النسخ القديمة ومحلات وجودها فيما انه يوجد نسخ

كثيرة غيرها منتشرة في الكنائس والاديار والمدارس تاريخ نسخها احدث من التواريخ المذكورة .

الى هنا انتهى ما بذلناه من الجهود في التنقيب عن هذه الصلوات والكنوز الثمينة واتقين انه يوجد ايضاً ولو بعض صلوات غيرها من نوعها لبعض القديسين والتذكارات في بعض الزوايا — وكم في الزوايا من خبايا وخفايا — لم تطلها يدنا القاصرة فنرجو من يعثر عليها او على شيء منها من اهل البحث والتنقيب ان ينشر ذلك على صفحات احدى المجلات المارونية تكميلاً للموضوع ونحن اكتفينا بنشر ما تقدم عملاً بالقول المأثور « ما لا يُدرك كله لا يُترك جله » .

ولا بد لنا في الختام من الثناء الطيب على الطيب العين والاثر المرحوم الخور اسقف جرجس منش الحلبي لنشره كتابه «الفروض القانونية في كنيسة حلب المارونية » الذي اخذنا عنه بعض فوائد عما يتعلق ببحثنا هذا .

وعلى حضرة الابوين الفاضلين الخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني وانطونيوس شبلي الراهب اللبناني اللذين اخذنا عنهما شيئاً من المعلومات عن بعض هذه الصلوات مما نشراه في مجلة « المشرق » الغراء . ونشكر ايضاً لحضرة الابوين الفاضلين الخوري لويس الهاشم العاقوري والخوري اسقف مخايل الرجبي اللذين اتحفانا ببعض افادات عن بعض هذه الصلوات لا زال حضراتهم في مقدمة خدمة التاريخ ونصراء العلم والادب .

الملائكة في التقليد الشرقي

بقلم الخوري انطون طربيه

يقتصر هذا البحث على القرون الثلاثة عشر الاولى . ويقسم الى مرحلتين :

المرحلة الاولى تنطوي على ثمانية قرون . تمر بها على بعض التلميحات عن الملائكة عند الآباء وعلى درسين .

احدهما بالرغم من انه نسب لديونيسيوس الاريوفاجيتي لا يتعدى اواخر الجيل الخامس والثاني تأليف يوحنا الدمشقي ويرتقي للجيل الثامن .

المرحلة الثانية من القرن التاسع الى الثالث عشر . فيها مقالتان قيمتان في الملائكة قمعتا وجمعتا كل معطيات الوحي والتقليد . احداهما لموسى ابن الحجر اسقف الموصل الذي عاش في اواخر الجيل التاسع والثانية لغريغوريوس ابن العبري من الجيل الثالث عشر وكلاهما بمقوريان .

المرحلة الاولى : الملائكة في التقليد الشرقي في الثمانية قرون الاولى

لا عجب ان كنا لا نجد شيئاً مهماً يخص الملائكة في تعليم الآباء خلال القرون الاربعة الاولى للكنيسة ، لان تعليمهم كان له وجهة عملية بحتة فشغلوا بما يتعلق بالوهية المسيح وبالثالوث الاقدس ضد الدوكتيين والاريوسيين .

ولم يتطرأوا لبحث ظل خارجاً عن نطاق اهتمامهم . اشار معظم الآباء الى وجود الملائكة كحقيقة موحاة واستندوا على شهادة الرسول بولس للقول باجواق مختلفة .

القديس ايرينه في مقالته ضد الارطقات :

« ليشرح لنا النيوستيك عدد الملائكة ورتبة الرؤساء . ليفيدونا عن الفرق بين السادات والرؤساء والسلاطين والقوات[1] .

كيريلوس الاورشليمي يقول للاريوسيين :

(1 Adv. Haer II,30, P.G. VII, 818.

« قولوا لي بماذا يختلف الجلّاس عن السادات فيمكنكم فهم ما يتعلق بالمسيح وما هي الرؤساء والسلاطين والقوات[1] » .

القديس باسيليوس تكلم عن ثمانية اجواق فاهمل رؤساء الملائكة[2].

لكنهم ظلوا مترددين بتحديد طبع الملائكة والبت بروحانيتهم . فظنوا ان الله وحده روح وما سواه فجسم اما كثيف واما لطيف . فشبّه القديس باسيليوس في مقالته عن الروح القدس طبع الملائكة « بنار غير هيولانية وبروح هوائية[3] » ونقترب اكثر من روحانية الملائكة مع غريغوار النزينزي في عظته اللاهوتية الثانية :

« ان قالوا ان الله له جسم ملائكي فمن اين للملائكة جسم وما هو ذاك الجسم[4] » .

اما اول تعليم ضاف عن الملائكة فينسب الى ديونيسيوس الاريوفاجيتي تلميذ بولس الرسول الذي قبل الانجيل في آتينا حسب نص اعمال الرسل ١٧: ٣٤. لكن المؤلف الحقيقي يرتقي الى اواخر الجيل الخامس واوائل الجيل السادس ويرجح انتماؤه على ما يظهر الى البطريركية الانطاكية والى بدعة القائلين بالطبيعة الواحدة . وذهب بعض المؤرخين امثال الدكتور Stiglmayer في اواخر القرن الماضي واخيراً السيد Honnigman الى القول انه ساقار الانطاكي او بطرس d'Ibère الذي شاء[5] وضع مؤلفاته تحت اسم تلميذ بولس ليثبها في كل الاوساط وخصوصاً بين الارثوذكسيين .

وبين المقالات الاربعة المنسوبة لديونيسيوس مقالة في الطغمة الملائكية اودعها خمسة عشر فصلاً كان لها الاثر الرئيسي في علم الملائكة سواء في الشرق ام في الغرب[6] .

---

١) Catech. XII, P.G. XXXIII, 705 et 1113.

٢) Orat. XXXIX, 2, P.G. LXXXV, 429.

٣) De spiritu sancto. P.G. XXXII, 137.

٤) Théolog. II, P.G. XXXVI, 36 B.

٥) Pierre l'Ibérien et les Écrits du Pseudo-Denys, par Ern. Honnigman, Mémoire, tome XLVII, fascicule 3. Bruxelles, 1952.

٦) Hiérarchie céleste, ch. I-XV. P.G. III, 120A-340B.

يبدأ المؤلف فيقول ان الكائنات السماوية خلقها الله بمجرد ارادته روحانية بحتة ولكنها تمثل لنا باشباه بشرية لنتوصل بواسطة الصور الحسية الى ادراك كائنات غير محسوسة .

انها اجواق مختلفة حددها المؤلف بتسعة ، نظمها في ثلاث طغمات وهذه الاسماء تدل على وظيفة كل منها .

فالطغمة العليا تحيط بالله بصورة مستديمة ومباشرة وتتألف من الساروفيم والكاروبيم والجلاس . تشرق عليها مباشرة الاعلانات الالهية .

والطغمة الوسطى تصل بين العليا والسفلى فتتألف من السادات والقوات والسلاطين .

اما الطغمة السفلى والاخيرة فتتألف من الرياسات ورؤساء الملائكة والملائكة .

تتلقى الاعلانات والالهامات من الطغمة الوسطى وتبلغها للبشر اذ انها على اتصال مباشر بهم[1].

نجد التقسيم نفسه عند يوروتيه او اسطفان ابن الصديلي في اواخر القرن الخامس .

ثم يتطرأ المؤلف الى شرح اسماء الاجواق السماوية باسهاب فيكرس لذلك ثلاثة فصول .

تسمية الساروفيم تعني الاحتراق والحرارة من جراء محبة الله .

والكاروبيم يدلون على كثرة المعرفة وافاضة الحكمة . .

والجلاس يدلون على الرفعة والابتعاد عن كل انحطاط .

اما السادات فيدلون على التحرر من كل عبودية .

والقوات على الجرأة التي لا تخمد .

والسلاطين على حسن النظام في اقتبال الهبات الالهية .

فاشتراك الطغمة الاولى في كمالات الله اتم من اشتراك الطغمة الثانية بها .

(1 Hiér. Cél. VI,2. P.G. III, 200D-201A.

كما ان الهبات التي تأتي الاولى بدون واسطة من اللاهوت ذاته هي انقى من التي تأتي الوسطى بواسطة الطغمة العليا .

وتسمية الرياسات تدل على مقام رئيسي سامي .

تسمية رؤساء الملائكة تشير الى مركز اسمى من مركز الملائكة .

وتسمية ملائكة تدل على انهم مرسلون من قبل الله الى البشر يحملون لهم اوامره والهاماته ويعنون باموره[1] . معهم تنتهي الاجواق السماوية .

ينسب للملائكة اعطاء الشريعة وفقاً لكلام القديس إسطفانوس حسب اعمال الرسل ٥٣،٧ : « الشريعة اعطيت بواسطة الملائكة » .

بخصوص وظائف الملائكة يعتقد ان لكل شعب وامة ملاكاً . يتكلم عن ميخائيل ملاك الشعب العبراني وعن ملاك المصريين[2] .

فضل ديونيسيوس يقوم بانه وضع نهائياً ونظم حسب ترتيب تدريجي العالم العلوي . فاستقى اسماء اجواق الملائكة من الكتاب المقدس : الكاروبيم من تكوين والساروفيم من اشعيا . اما الجلاس والسادات والقوات والسلاطين والرياسات فمن رسائل القديس بولس[3] .

وزاد على ذلك رؤساء الملائكة والملائكة .

فكان لديونيسيوس تأثير هام في تنظيم اجواق الملائكة وفي اثبات زوحاتيهم . ونظراً لمقامه الرفيع واصلته الوثيقة برسول الامم اتخذت اقواله كحقائق واقعية الهمت اليه فلا تحتاج لبراهين ولا تقع تحت جدال . وقد تأثر بآرائه كل لاهوتيي الشرق والغرب الذين تكلموا عن الملائكة واخذوا عنه تنظيم عالمه السماوي .

وانما درس ديونيسيوس لا يؤلف مقالة كاملة في الملائكة فهو لا يتناول الا بعض النقاط : طغمات الملائكة واجواقهم اسماؤهم ، عددهم ، كيتهم ، اناراتهم لبعضهم البعض . ويقول بعض الشيء في وظائفهم .

يهمل ان يثبت وجودهم وان يحدد طبيعتهم . لا يشعر بحاجة لدعم اقواله

---

[1] Hiér. Cél. VII₁-IX₂. P.G. III, 205B-260C.

[2] Hiér. Cél. IX₄. P.G. III, 261B.

[3] تكوين ٣: ٢٤ – اشعيا ٦: ٢ – افسس ١: ٢١ ؛ ٣: ١٠ كولوسي ١: ١٦

ببراهين الوحي او التقليد فكأن كل ما يفوه به حقائق موحاة مفروغ منها وليست بحاجة لبرهان او ادلة .

ميل متطرف للتكتم ورغبته للرموز حدت به الى التوقف على اسماء الملائكة واستتارتهم لبعضهم البعض بصورة تدريجية . فكان للافلاطونية المستحدثة عامّة ولبروكلوس خاصة التأثير الكبير على تفكيره وآرائه ولنظرية الفيض وقعاً كبيراً على رأيه في علاقات الله بالعالم : ينزل الوحي من الله الى الطغمة الاولى فالى الثانية ومنها الى الثالثة واخيراً الينا بواسطة الملائكة .

ان كان الابيوفاجيتي قد نال شهرة واسعة في العالم المسيحي ومقاماً رفيعاً حتى تناقلت تآليفه كتّاب الشرق والغرب بالاجلال والتقدير فقد لاقى اقبالاً اعظم في الاوساط الشرقية وخصوصاً بين القائلين بالطبيعة الواحدة فدعي بالعظيم ديونيسيوس .

القديس يوحنا الدمشقي ٧٤٩ .

له في الملائكة فصل خاص في درسه عن الايمان الارثوذكسي لا يخلو من الاهمية اذ انه يلخّص تعليم الآباء الشرقيين ويتابع تعليم الاريوفاجيتي .

يبدأ فيتكلم عن خلق الملائكة وطبيعتهم . لقد خلقهم الله على صورته بانعام منه ، طبيعة لا جسدية وروحاً مجردة عن المادة حسب قول مزمور مائة واربع : « صنع ملائكته روحاً وخدامه ناراً تتقد » . فهذه الجواهر الروحية العاقلة هي بانعام الهي غير مائتة ، لان كل مخلوق له نهاية . والله وحده اذ لا بداية له غير مائت بذاته . وهو الذي منح الطبيعة الملائكية عدم الموت .

الملاك له طبيعة روحانية عاقلة اذن له الاختيار والحرية ويمكنه ان يتغير من حالة الى اخرى . ومن له الاختيار يستطيع ان يعمل الخير او الشرّ حسب ارادته . لكنّه بعد السقطة قد ترسخ في الخير بانعام خاصّ فلم يعد بامكانه ان يحيد عنه فاتحد به بشكل نهائي .

اما طبع الملائكة فبما انه مخلوق فهو محدود في المكان الذين يعملون فيه . انهم ليسوا بالوقت ذاته في السماء وعلى الارض ينتقلون بالطاقة كلية حيثما يدعوهم الله فهم محدودون على صورة الارواح لا الاجساد .

ويختلف الملائكة برتبهم ومعرفتهم . الاعلى فيهم ينير الادنى . يتبع الدمشقي ترتيب الاريوفاجيتي فيتكلم عن تسعة اجواق وثلاث طغمات .

اما وظيفة الملائكة فتقوم في السماء برؤية الله وتمجيده وصنع ارادته وعلى الارض بالاهتمام بالشعوب والاماكن التي وكل الله اليهم حمايتها . يحرسون الشعوب والمناطق . يساعدونا ويهتمون بامورنا . لا يتكلم بطريقة مباشرة عن ملاك حارس لكل فرد .

ويختم درسه بسرد الآراء في زمن خلقهم :

منهم من يقول بخلقهم قبل بقية المخلوقات مثل غريغوار النزينزي وآخرون يقولون انهم خلقوا بعد خلق السماء.[1] .

يزيد درس الدمشقي على درس ديونيسيوس كل ما يتعلق بطبع الملائكة : روحانية ، عدم الموت ، حرية ترسخ في الخير والفضيلة ، لطافة تمدهم للتنقل بسرعة . بالرغم من كل ذلك فطبعهم محدود ووجودهم يقتصر على المكان الذي يعملون فيه .

هذا الدرس المختصر بمادته المحصور النطاق ليس الا خلاصة لتعليم القرون الاولى ولآراء الآباء الشرقيين في الملائكة . معه تبتت نهائياً روحانية الملائكة التي طالما تردد الآباء الشرقيين بالبت فيها وتكرس التنظيم الاريوفاجيتي .

ان كان الدمشقي قد شذب كثيراً من درس ديونيسيوس فلم يأخذ عنه الا ترتيب الاجواق والطغمات واستنارتها لبعضها البعض تاركاً جانباً شرح تلك الاسماء . فانه قد اكتفى بالتحليل العقلي في تحديد طبع الملائكة فلم يكن لبرهان الوحي والتقليد مكان في درسه .

يؤلف درسه ملخصاً قيماً في التعليم عن الملائكة خلال القرون الثمانية الاولى . يقتصر على اجواقهم وطبعهم ووظيفتهم . لكننا لم نوفق بعد بدرس شامل ومقالة كاملة في الموضوع . هذا سيكون عمل القرون المقبلة فالمواد اصبحت نوعاً ما متوفرة والتقليد بخصوص التنظيم الملائكي وروحانية الملائكة اخذ يستقر فآن الاوان للجمع والتنسيق .

---

1) De Fide orthodoxa, lib. II, ch. III, P.G. 94, col. 864-7-4.

المرحلة الثانية : الملائكة في التقليد الشرقي من القرن التاسع الى القرن الثالث عشر .

لنا في الجيل التاسع فقط اول مقالة قيمة في الملائكة . ترك لنا موسى ابن الحجر اسقف الموصل للملة اليعقوبية ٨١٣ – ٩٠٣ مع ما ترك من التآليف درسين مخطوطين كانا ولا يزالا عرضة النسيان في خزانيا كمبردج[1] الدرس الاول في خلق الملائكة اودعه المؤلف اربعة وخمسين فصلاً يبحث فيها عن وجود الملائكة ، عن زمان خلقهم ، عن عددهم وسكناهم[2] .

تطرأ مطولاً لتحديد طبيعتهم من الفصل التاسع الى الفصل الرابع والثلاثين : انهم ارواح لا جسد لها محصورون ومحدودون بالطبع . لطيفون وسريعو التنقل لا تعوقهم الحواجز .

بسيطون اذ لا جسم لهم وغير مركبين . لهم عدم الموت ليس بالطبع ولكن بانعام خاص من الله ، اذ لكل مخلوق نهاية .

قداستهم متفاوتة فكل ينال القداسة بانعام من الله حسب رتبته[3] . اما معرفتهم فمحدودة ومتدرجة اذ انهم ادركوا بمناسبة سر التجسد كثيراً من الاسرار التي كانوا يجهلونها .

ويتكلم المؤلف عن حرية الملائكة وعن سلطتهم الذاتية فيقول : الملائكة احرار ولهم السلطة الذاتية التي يمكنهم بواسطتها عمل الخير او الشر . وسبب ذلك انهم خلائق روحانية عاقلة وكل خليقة عاقلة لها الاختيار باتباع الخير او الشر . برهان على ذلك سقوط الشيطان الذي كان ملاكاً . فلو لم يكن مسلطاً على ذاته لما كان سقط واستحق العقاب . ولتحديد حرية الملائكة يميز المؤلف بين ثلاثة اعصر .

---

١) Cambridge Add. 3285 et 3294, pp. 122 v - 150 v et 151-168 v ; 106 r - 132 r ; 132-149 r.

٢) Add. 3285, pp. 124 r - 132 r.

٣) Add. 3285, pp. 132 v - 137 r.

العصر الاول منذ خلق الملائكة الى سقوط الشيطان : كان فيه الملاك يميل على السواء الى الخير والشر وكانت له الحرّية باتباع ما يريد .

العصر الثاني منذ سقوط الشيطان الى تجسد الكلمة . على اثر سقطة ابليس ترسّخ الملائكة الاخيار في الصلاح بفضل الامثولة التي اتخذوهـا من سقوط الملائكة المتمردين ومعاقبتهم فاصبح سقوطهم في الخطيئة عسراً .

والعصر الثالث منذ تجسُّد الكلمة الى قيامة الاموات . فالتجسد ثبتهم اكثر في الصلاح وافادهم عن الاسرار وقد ارتدعوا ايضاً بكلام المسيح الذي أنّب الخطأة وهدّدهم بالعذابات الاليمة[١] .

يتكلم ابن كيفا عن النطق فيميز بين النطق الصناعي المكتسب الذي يقوم بفن تركيب الكلام وحسن المناقشة وبين النطق الطبيعي التام بادراك الامور وتفهيمها . فهذا النطق الاخير يوجد فقط عند الملائكة فبما ان ليس لهم جسم فليسوا بحاجة الى كلام بارز[٢] .

ان كان لهم طبع واحد فانهم اجناس مختلفة متفاوتة بالقداسة والمعرفة والقدرة والعزم . واذا ما قابلنا الطبع الملائكي بالطبع البشري وجدناه اشرف منه بكثير ويستشهد على ذلك اقوال الآباء القديسين[٣] .

يبحث المؤلف اخيراً في وظيفة الملائكة . لكل امة ملاك يحرسها ولكل بقعة ملاك كما ولكل مؤمن ملاك يتبعه فيكون له بمثابة راع وناصح ومصلح لحياته . هذا ما اشار اليه السيد المسيح عندما قال : ان ملائكتهم في كل حين ينظرون وجه ابي الذي في السماء .

ومن كتاب دانيال يستدل ان لكل امة ومملكة ملاك خاص : يتكلم عن رئيس مملكة فارس ، وعن المسلّط على اليونان وعن ميخائيل المسلّط على بني اسرائيل[٤] .

---

١) كمبردج عدد ٣٢٨٥ صفحة ١٣٧ قوام الى ١٤١ قفا

٢) « « « صفحة ١٤١ قفا الى ١٤٢ قفا

٣) « « « « ١٤٤ قفا الى ١٤٥ قفا

٤) « « « « ١٤٢ قفا الى ١٤٤ قفا

هذا ملخص المواضيع التي بحث بها المؤلف في مقالته عن خلق الملائكة . زاد على دروس سابقيه انه برهن عن وجود الملائكة وعن خواصهم اعني الروحانية ، القداسة والثبات بالخير والصلاح والحرية مستنداً الى الكتاب المقدس والى شهادات الآباء القديسين فدرسه غنيّ جداً بما يخص طبيعة الملائكة . وقد تكلم مطوّلاً عن ملاك حارس يتبع كل مؤمن طيلة حياته على الارض . ونسب لكل امة وبقعة ومملكة كما فعل ديونيسيوس والدمشقي قبله ملاكاً خاصاً .

اما المقالة الثانية المختصة بطغمات الملائكة التي تؤلف مع المقالة السابقة وحدة . فقد اودعها ستة عشر فصلاً يقتصر بها غالباً على سرد آراء ديونيسيوس فيما يخصّ الطغمات والاجواق الملائكية ومعاني اسمائها . واحياناً يشرحها ويدعمها بشهادات مستقاة من الآباء ومن الكتاب المقدس . وجد لتنظيم الاريوفاجيتي للاجواق والطغمات السماوية صورة وبرهاناً في الصفوف الثلاثة من الحجارة الكريمة التي وضعت في رداء الغفران . فكل صف مؤلف من ثلاثة حجارة كريمة يمثل طغمة ملائكية وكل حجر كريم جوقاً من الاجواق التسعة[1] . ويتوقف على تعداد رتب الملائكة وخواصهم وشرح اسمائهم باسهاب من الفصل السادس الى الفصل الحادي عشر . وكل رتبة تمتاز عن الاخرى بدرجتها وبمعرفة توافق تلك الدرجة . وتتبع الاعلانات تنظيم الرتب فتأتي من العالي الى المتوسط فالادنى (فصل ١٢ و١٣) .

ويستدل المؤلف اخيراً من كلام الكتاب المقدس عن الملائكة انهم الوف الوف وربوات ربوات . غير ان العقل البشري لا يمكنه ان يتوصل الى معرفة عددهم تاماً فهم فوق العدّ ولا يحصيهم سوى الله وحده[2] .

المقالتان مؤلفتان دون شك بحثاً غنياً ضافياً في الملائكة ودرساً شاملاً استوعب الموضوع من كل نواحيه . لم يقتصر ابن الخير على سرد اجواق الملائكة وطغماتهم كما صنع الاريوفاجيتي ولم يتوقف على تحديد طبعهم باقتضاب كما فعل الدمشقي بل سعى بانشاء مقالة كافية في الملائكة .

١) كمبردج عد ٣٢٨٥ فصل ٦ صفحة ١٥٦ قوام
٢) « « « فصل ٦ صفحة ١٦٤ قوام

انبت وجودهم بالاستناد الى الوحي والتقليد وحدّد طبيعتهم باسباب فذهب الى التكلّم عن نطق الملائكة ، عن روحانيتهم ، بساطتهم وقداستهم وحريتهم . ولقد تطرأ الى حدود طبيعتهم : لهم عدم الموت ليس بذاتهم بل بنعمة الله . اما معرفتهم فمحدودة وتدريجية .

غير ان نظريته بحرية الملائكة وان كانت لا تطابق تماماً رأي الكنيسة التي تعتقد وتعلّم ان الملائكة بعد امتحانهم قد تثبّتوا نهائياً في الصلاح بانعام الهي فهي مبتكرة .

خلافاً لسابقيه يخصّ ابن الحجر الملاك الحارس بالذكر فيقول ان لكل مؤمن ملاكاً يرشده ويعنى بامر خلاصه .

ويحمله اختلاف اجواق الملائكة الى القول ان الملائكة متحدو الطبع مختلفو الاجناس وهذا سبب اختلاف درجاتهم وتفاوتهم في القدرة والمعرفة .

فهذا الدرس هو اوسع واتمّ واهمّ درس نعرفه في الملائكة قبل الجيل العاشر . وله اهمية كبرى في تاريخ علم الملائكة في التقليد الشرقي الّا انه ينقصه قبل كل شيء تصميم منطقي .

الافكار تتوارد دون ترتيب ولا انتقاء . فيحدث للمؤلف ان يمرّ من موضوع الى اخر دون اي تخلّص . يتساءل في الفصل السابع والاربعين من مقالته في خلق الملائكة عن سبب وجود ملاك حارس لكل فرد . يجيب بجملة على السؤال ويبدأ في الفصل نفسه بالتكلم عن نوع وجنس الملائكة . وكثيراً ما يعود لفكرة سبق فتكلم عنها : مثلاً فصل ٢٠ و٢٣ و ٢١ و ٢٢ و ٣١ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ .

فعدم الوحدة والتنسيق والتتابع المنطقي كما وعدم الصبغة الشخصية تفقد هذا الدرس كثيراً من قيمته . هو شهادة طويلة مستقاة من الوحي والتقليد النظريّ قسط البرهان العقلي بها ضئيل .

شاءت العناية ان يكون لليعاقبة القسط الوافر في تطوّر التعليم عن الملائكة في التقليد الشرقي . فوجد ابن الحجر خلفاً له من ابناء ملته ترك لنا اثراً قيماً اودعه خلاصة التعليم الشرقي الا وهو غريغوريوس ابو الفرج ابن العبري مفريان

اليعاقبة لبلاد العجم وما بين النهرين عاش في القرن الثالث عشر . شعر باقتراب الكارثة وباجتياح المغول فشاء ان يجمع لابناء ملته ولكل رائد في العلم تعليم كنيسته في اهم الامور الدينية لتكون لهم ذخيرة يزودونها متى نفذ المعلمون . فاتى بمجلد ضخم دعاه منارة الاقداس اودعه اثني عشر مقالة خصص الخامسة منها في الملائكة[1] . درس تآليف سابقيه ولا سيما ديونيسيوس وابن الحجر ونهل من معين هذا الاخير ما استساغه وانتقى من موادّه ما انتقى فرتب وجمع والف مقالة موحدة مقسّمة تقسيماً منطقياً اودعها كل ما يتعلق بالملائكة : اثبات وجودهم ببراهين عقلية وكتابية . البحث في اجواقهم وطغماتهم واسمائهم وعددهم واستنارتهم لبعضهم البعض وخلقهم . وصف طبيعتهم وحدّد وظائفهم . واخيراً ترك لنا مقابلة بين الملائكة والبشر وافادنا عن آراء الفلاسفة وعن بعض الاساطير التي كانت تتناقل عن الملائكة .

لم يكتف المفريان بسرد شهادات الكتاب المقدس والآباء بما يخص الملائكة بل جعل في درسه مقاماً مهماً للبرهان العقلي لم يهمل آراء الاخصام ومناقضاتهم فناقشها ونفاها بنداً بنداً .

استخدم لبناء مقالته درس ديونيسيوس الاريوفاجيتي ودرس ابن الحجر .

عن الاول اخذ كل ما يتعلق بالاجواق والطغمات الملائكية وخواصهم وميزاتهم واسمائهم .

وعن الثاني اخذ شرحه للاريوفاجيتي فاتم ما وجده من فراغ في درس الاول . اخذ عنه برهان الوحي والتقليد النظري فاورده غالباً حرفياً وبترتيبه الاصلي .

نباشر فنعطي تصميم مقالة ابن العبري ونأتي بعد ذلك على تأثيره في علم الملائكة .

تنطوي مقالته على خمسة فصول :

الفصل الاول يثبت وجود الملائكة بثلاثة طرق :

---

[1] Candélabre du sanctuaire : vt. syr. 168, 5e base, pp. 168 à 189r.

بالاستناد الى البراهين العقلية من قبيل المجانسة فالى شهادات الكتاب المقدس واخيرًا الى دحض آراء الذين ينكرون وجودهم .

ويختم الفصل بالقول ان الفلاسفة انفسهم قد سلّموا بوجود الملائكة . فيعني المؤلف هنا فلاسفة العرب اي الفارابي وابن سينا .

اما الفصل الثاني فيبحث في اجواق وطغمات ووظائف الملائكة. يتبع المؤلف تنظيم الاريوفاجيتي وآراءه في اسماء الملائكة ومعانيها كما في استنارتهم لبعضهم البعض . كل رتبة تنير الرتبة الادنى منها وهكذا تصل الاستنارة الينا .

اما وظيفة الملائكة فتقوم على الارض بحراسة الافراد دون استثناء سواء كانوا مؤمنين او غير مؤمنين يعنون بامر الشعوب والمناطق ويحركون العناصر الاربعة للافادة . ويزعم المؤلف على غرار ابن سينا ان لكل فلك ملاكٌ يديره .

في الفصل الثالث يتكلم عن خلق الملائكة وعن طبيعتهم وصفاتهم . فيفضل الرأي القائل بتقدم خلقهم على خلق بقية الكائنات المحسوسة .

اما طبيعتهم فلا يمكن ان تحدد تامًا اذ كل تحديد يقوم باعطاء الجنس والنوع . والملائكة لا نوع لهم لتجردهم عن المادة . لذلك يعمد ابن العبري الى وصف طبيعة الملائكة بالاستناد الى بعض التشابيه المستقات من الوحي والتقليد : كنار غير هيولانية وهواء . . فكون الكتاب المقدس يشبه الملائكة تشابيه مختلفة برهان على أنهم ليسوا باجساد اذانهم لو كانوا جسديين لكان مثليهم دائمًا بصورة واحدة وشكل واحد .

فالكتاب المقدس والعقل يدلان على ان الملائكة مخلوقون اذن هم محدودون بالطبع .

روحانيون هم ومن روحانيتهم يستخلص المؤلف عدم الموت بالطبع ومن كونهم عاقلين يستخلص حريتهم .

ونجد هنا فرقاً كبيرًا بين تفكير ابن العبري وتفكير ابن الحجر . هذا يقول ان الملائكة لهم عدم الموت لا بالطبع ولكن بانعام الهي مستندًا الى قول بولس الرسول : « الذي له وحده عدم الموت »[1] . وذلك ينسب لهم عدم

[1] تيموثاوس اولى ٦:١٦

الموت بالطبع لكونهم ارواح بسيطة مجرّدة عن المادة . وبما انهم احرار وضع الله لهم شريعة يمكنهم حفظها او تعدّيها .

وطبيعة الملائكة واحدة غير انه لكل جوق منهم جنساً خاصاً يختلف عن جنس الجوق الاخر . فاختلاف الاجناس سبب تعدّد الاجواق واختلافها . اما اعضاء الجوق الواحد فيختلفون بالاقنوم (او الشخص) . ينبذ المؤلف الرأي القائل بان لكل ملاك جنساً خاصاً يميّزه عن سواه . هذا رأي ابن سينا في العقول المفارقة قد طبّقه القديس توما على الملائكة[1] .

والفصل الثالث له اهمية كبرى في مقالة ابن العبري . اذ يبدو فيه المؤلف مبتكرًا ناهجاً طريقاً تختلف عن طريق ابن الحجر .

اما الفصلان الاخيران فهما اقلّ شأناً . يقابل المؤلف في الفصل الرابع بين الملائكة والبشر فيثبت بالبرهان ان طبع الملاك اشرف من طبع الانسان . ومعظم براهينه عقلية عن طريق اللياقة والمناسبة يدعمها بشهادة من الاريوفاجيتي وغريغوار النزينزي ويوحنا فم الذهب . ويدحض آراء من يزعم خلاف ذلك .

ويكرّس الفصل الخامس لسرد آراء الوثنيين في الملائكة . فالنظريات المنسوبة لفلاسفة وثنيين تحصّ بالصواب فلاسفة العرب لا سيما الفارابي وابن سينا اللذين لخصا وشرحا نظرية الفيض .

لقد اخذاها دون شك عن افلوطين وعن الافلطونية المستحدثة . وبالرغم من محاولاتهما لتوفيقها مع معطيات الدين الاسلامي ظلّت تناقضه من جهة الخلق الاختياري وصدور كل شيء مباشرة عن الله ذاته لا بواسطة عقول متسلسلة . قد دعا المؤلف الفلاسفة الذين اقرّوا هذه النظرية وثنيين لان فلسفتهم تناقض وحدانية الله .

الرأي الاول يتعلق بفيض العقول التسعة عن الواحد . عن الواحد يصدر العقل الاول ، وعن كل عقل يصدر عقل اخر وفلك الى ان يبلغ عدد العقول والافلاك تسعة . اما العقل التاسع الاخير فهو علّة وجود النفس والجسد وكل ما يحدث على الارض .

١) ابن سينا "الشفاء" جزء ٢ و٦٢٢ — Contra Gentes II, 93

ما هذه العقول الا الاجواق الملائكية التسعة . فالتوحيد بين العقول المفارقة واجواق الملائكة لم يعثر عليه لا عند افلوطين ولا عند فلاسفة العرب . جلّ ما نجده هو ان ابن سينا رغبة في التوفيق بين نظرية الفيض ومعطيات الدين الاسلامي القائل بوجود الملائكة[1] يوحد بين العقول والملائكة اذ يقول :

« واول رتبة هي رتبة الملائكة الروحانيين المجردين عن المادة المدعوين عقولاً ويعقبها رتبة الملائكة الروحانيين المدعوين نفوساً . هؤلاء هم الملائكة العاملين . واخيرا الاجسام السماوية فمنها شرف من سواها »[2] .

من هذه الفكرة دون شك ذهب ابن العبري الى القول ان الفلاسفة وحدوا بين العقول المفارقة وبين اجواق الملائكة .

اما بقية الآراء المنسوبة الى الفلاسفة فانها تبحث في طبع العقول المفارقة .

بما ان هذه العقول ليست مادية فهي ابدية اذ انها لو ابتدأت او كانت معرضة للتلاشي لكانت هيولانية مركبة . وكل عقل منها لكونه مجرّدًا عن المادة يؤلف جنساً خاصاً يختلف به عن سواه : يعقل سواه ويعقل ذاته بالوقت نفسه . وبما ان عقل بسيط فيعرف كل شي‌ء بنوع اجمالي عامّ وثابت — يدرك الاشياء الجزئية بنوع تامّ لا متجزي . والمتغيرة بنوع ثبت[1] .

ويختم مقالته بسرد بعض الاخبار المتعلقة بعبادة الملائكة قام بها مبتدعون . لقد عثرنا على بعضها فيما رواه عن الصابئة مؤرخو الاسلام : المخريزي والمسعودي والشهرستاني[3] .

يحق ان نتساءل الآن عن مدى تأثير ابن العبري في علم الملائكة وعن مركزه في التقليد الشرقي .

ان كان ابن العبري قد استقى معظم مادته من درس ابن الحجر فلقد نسقه ونظمه واعطاه باسلوب شخصي . كل ما اخذه من افكار صبغه بتفكيره الشخصي الخاص واعطاه كما لو كان منه .

فمن فصل لابن الحجر بنى برهاناً واعتراضاً وجواباً . اهمل النقاط التي لا

---

١) القرآن سورة ٣٥

٢) Vts 168, pp. 186 v - 188 r.

٣) D.Ch. Wolsohn : *Die Ssabier und der Ssabisinus.* 2 vol. st Petersburg 1858.

شأن لها والكلمات الحشو واستبدل الشهادات البعيدة عن الموضوع باخرى تتعلق به مباشرة .

اعطى ابن العبري في درسه المقام الاول للبرهان العقلي فاتت شهادات الوحي والتقليد تثبت ما اكده العقل .

فحيث يستدعي ابن الحجر وجود الملائكة كضروره فرضيّة من قبيل كمال الله يستدعيه ابن العبري كضرورة عقليّة . هذا يلجأ الى البراهين العقلية وذاك الى البراهين اللاهوتية المستقاة من الوحي والتقليد . ابن العبري يستند مثلاً الى العنصرين الموجودين في الانسان : النفس والجسد ليستنتج ضرورة وجود الملائكة . اما ابن الحجر فيستنتج من البرهان نفسه وجود الملائكة مستنداً الى كمال الخالق وكمال خليقته (ضرورة فرضية) .

ويستند ابن الحجر الى شهادات الوحي والتقليد لتحديد طبع الملائكة : روحانية ، عدم الموت . اما ابن العبري فيستنتج كل ذلك بالبرهان العقلي من كون الملائكة روحانيين .

« الموت هو افتراق النفس عن الجسد والفساد افتراق المادّة عن الصورة . فلمّا كان الملاك مجرّدًا عن المادّة ومنزّهاً عن الجسد لم يكن عرضة للموت والفساد بالطبع »[1] .

هذا ما يحملنا الى القول ان علاقة ابن العبري بابن الحجر علاقة مادّية اكثر منها معنويّة اذ في تصميمه وفي التوسّع بآرائه نهج نهجاً خاصاً . فبفضل تفكيره الثاقب وتعلقه بالوحي والتقليد رغماً عن بعض الهفوات اللاهوتية ظلّ بالاجمال مستقيم الرأي . ميّز بين ما يتعلق بالايمان وبين ما هو من قبيل الرأي فاعطى وجود ملاك حارس لكل فرد كحقيقة موحاة والقول بوجود ملائكة للشعوب وللطبيعة بمثابة زعم ليس الاّ .

نستخلص من درسنا هذا ان معطيات الوحي ضئيلة تكاد تقتصر على وجود الملائكة وظهورهم غالباً باشباه بشرية وتعداد بعض اسمائهم .

اما الآباء فبتفكيرهم على الوحي وجدوا في اختلاف الاسماء التي اعطاها بولس الرسول للملائكة اختلافاً في الاجواق . وحدا هذا بالاريوفاجيتي الى تنظيم

(1 Vts. 168, ch. III, p. II, sect 3, f. 182 r.

العالم الملائكي تنظيماً ثلاثياً محكماً . تعرّض بعضهم احياناً لوصف طبع الملائكة فلم يجمعوا على البتّ بروحانيتهم فكانت نظرياتهم مبعثرة خلال تآليفهم . واول لمحة موجزة في الموضوع تنسب للاريوفاجيتي حدد بها طغمات الملائكة واجواقهم وتكلم عن وظيفتهم بانارة بعضهم البعض وادارة شؤون البشر .

وزاد عليه الدمشقي تحديد طبع الملائكة والقول بروحانيتهم وعدم الموت . فكان كلاهما في بحثه نظرياً اكثر منه عملياً .

وجمع ابن الحجر وابن العبري بين الناحيتين النظرية والعملية اذ اثبتا وجود الملائكة بالاستناد الى الوحي والتقليد والبرهان العقلي . لقد احسنا استعمال البرهان العقلي فسدّا به ما وجداه من فراغ في معطيات الوحي .

بالرغم من بعض المبالغات ومن بعض الاراء التي لم يعد لها قيمة كوجود ملاك لكل من الافلاك فتعليم ابن العبري مصيب فيما يخص وجود الملائكة وطبيعتهم ووظيفتهم بين البشر .

اما آراؤه فلها قيمة متفاوتة فوجود الملائكة وخلقهم واختلاف رتبهم ووجود ملاك حارس لكل فرد حقائق موحاة اثبتها المؤلف بالبرهان العقلي . وما سوى ذلك فهو اماً قريب للايمان كروحانيتهم وعدم الموت واما محتمل كاختلافهم الجنسي واما رأي فقط كوجود ملاك حارس لكل عنصر من العناصر الاربعة . فبفضل ديونيسيوس كانت لنا اول لمحة في الملائكة وبفضل ابن الحجر وابن العبري اول درس لاهوتي شامل .

بيد ان درس ابن العبري يظلّ اهمّ درس عرفه التقليد الشرقي في الملائكة . لقد كان في هذا الحقل الشرق ما كان معاصره توما الاكويني للغرب . فمقابلة بين الاثنين لا تخلو من الافادة لكنها تستغرق درساً اخر ربّما تمكنّا من تحقيقه في مستقبل قريب .

COUP DŒIL SUR LA LITTÉRATURE KURDE

par

THOMAS BOIS, O.P.

Parler de littérature kurde étonnera peut-être quelques lecteurs peu informés qui s'imaginent — et j'en connais — que les Kurdes parlent mais n'écrivent guère. C'est là une grave erreur. Déjà il y a près d'un siècle, un des initiateurs des études kurdes, le consul russe A. Jaba, dans son: *Recueil de Notices et de Récits kourdes* (1860), nous faisait connaître le nom de huit poètes, presque tous originaires de Hekari et dont le plus ancien aurait vécu au XIème siècle. Depuis, les Orientalistes se sont mis à la recherche des textes, et des lettrés kurdes nous ont fait part de leurs découvertes. C'est ainsi que récemment paraissait à Baghdad (1952) une: *Histoire de la Littérature kurde*, gros volume de 634 pages (1), où l'auteur, Eladîn Sécadê, après une introduction sur le Kurdistan et les Kurdes (p. 3-68), rappelle les étapes et les formes de la littérature kurde (p. 69-146), puis avant de conclure sur les rapports entre les Kurdes et la littérature universelle (p. 559-624), nous donne de substantielles notices sur vingt-quatre poètes (p. 147-624), qu'il fait suivre d'une gerbe — simple liste un peu sèche — de 212 autres auteurs (p. 535-558). Mais il borne son énumération aux poètes, et encore à ceux d'Irak ou d'Iran. Il ne parle pas des prosateurs et ne nous dit rien des auteurs des autres régions kurdes (2). D'ailleurs les morts seuls ont droit à une citation. C'est vrai qu'il annonce (p. 536), un second volume, si Dieu veut! A l'occasion de ce bel ouvrage de

critique littéraire, je voudrais jeter un coup d'œil sur la littérature kurde en élargissant toutefois l'horizon de notre auteur (3).

Si l'on voulait — en gros — esquisser les étapes de la Littérature kurde, on pourrait y distinguer trois périodes:

I. — Les origines et l'âge classique (1407-1709);
II. — Le temps de l'abondance (1709-1920);
III. — L'ère nouvelle (1920-1955).

I. — Les origines et l'age classique (1407-1709)

Jusqu'en ces dernières années, les Orientalistes, à la suite de Jaba, faisaient remonter assez haut dans le passé l'origine de la Littérature kurde. Cette opinion garde toute sa valeur pour ce qui regarde le folklore dont certaines chansons de gestes ou épopées sont certainement très anciennes (4). Mais il semble qu'on soit obligé de reculer de plusieurs siècles les dates proposées pour les plus anciens poètes kurdes connus (5).

1. — *Les origines.*

S'il fallait maintenir le Xème siècle pour Elî Termûkî (6), «ce Ronsard kurde, extrêmement soucieux des formes poétiques», «artiste magique aux touchantes harmonies, noble et délicat ciseleur» (K. Badir-Xan), on serait obligé d'admettre que, d'emblée, il a trouvé la perfection et donné à la poésie kurde à la fois toute sa technique et tout son contenu, car il a chanté tout ce qui sera désormais le thème préféré de ses compatriotes: l'amour des beautés naturelles de son pays et le charme de ses filles, ainsi qu'on peut s'en rendre compte dans ses poèmes: *La Chanson de ma terre*, *Le Collier de rubis*, ou *Si la vie est un rêve.*

> Notre religion nous fait espérer un Paradis
> Où l'ombre sous les arbres est dense,
> Où l'eau des fleuves est douce comme le miel,
> Où des filles jolies comme des Anges se pavanent.
> Quand j'aperçois les sources et les femmes de mon pays,
> Je crois déjà pénétrer dans la Terre Promise.

Elî Termûkî aurait également composé la première *Grammaire* kurde et le récit de son *Voyage à travers le Kurdistan*. Son village natal, Termouk, est situé entre Makou et le Hekari.

2. — *Les premiers classiques* (XVème siècle) (7).

C'est au début du XVème siècle que naît le poète ŞÊX EHMED NIŞANÎ de Djézireh Botan (1407-1481), plus connu sous le nom de *MELAYÊ CIZERÎ. Contrairement à ce qu'on a cru parfois, il est donc postérieur aux grands poètes persans Saadi et Hafiz. Il a beaucoup voyagé en Irak, Syrie, Egypte et Perse et connaissait aussi, comme bien d'autres après lui, le persan, l'arabe et le turc. Son *Diwan* d'environ 2000 vers a été souvent édité et reste populaire chez les cheikhs et les mollahs plus que dans la masse, à cause de ses difficultés. Les idées et sentiments du poète sont «ceux du soufisme persan. Le vin de l'extase, les joies et les peines de l'amour mystique (qui se confondent souvent avec ceux de l'amour terrestre), l'attente du retour au Principe universel, forment les principaux thèmes chantés par lui». (R. Lescot). Il eut une grosse influence sur tout un groupe de poètes kurdes qui l'imitèrent plus ou moins, mais furent loin de toujours l'égaler. MELA EHMED de Baté (1417-1495) a aussi un *Diwan*, mais il est surtout connu pour son *Mewlûd*, ou poème célébrant la naissance du Prophète. Réédité au Caire en 1905 et à Istanbul en 1919, il est encore utilisé à l'occasion de cette fête religieuse. L'existence du *Diwan* de ELÎ HERÎRÎ (1425-1495) n'est guère connue que par Jaba. Malgré la date qu'on lui attribue communément (1307-1375), Mihemed de Muks, surnommé FEQEHÊ TEYRAN, le Juriste des Oiseaux, dont il connaissait le language, paraît-il, est contemporain des précédents puisque, outre de nombreuses *qeside* et *xezel*, dont *L'Histoire du Şêxê Senhawî* et *L'Histoire du Coursier Noir*, il a composé une *élégie* sur la mort de Melayê Cizerî, son maître. Tous ces poètes sont originaires du Hekari et du Botan. Leur langage (Kurmanci du Nord) « méritait le plus peut-être de devenir une langue littéraire » (Cl. Huart). Leurs poèmes contiennent pourtant une assez forte proportion de mots arabes.

Les débuts du XVIème siècle ne laissent pas que d'avoir été assez troublés au Kurdistan où la rivalité entre le Sultan Sélim et le Chah Ismaïl cherchait à se concilier les Kurdes et à les amener sous leur obédience. Grâce à l'habileté d'un des trois plus grands lettrés de son siècle, le Kurde IDRÎS de Bitlis, qui fut aussi le premier

historien de l'Empire ottoman, le Sultan réussit à attirer les Kurdes dans son camp et, après la victoire de Tchalderan (1514), organisa en sa faveur la féodalité kurde: ce système politique dura jusqu'au milieu du XIXème siècle. On ne trouve guère alors de noms d'écrivains dignes de retenir l'attention. La veine littéraire n'était point tarie sans doute, mais s'épanchait en d'autres langues, arabe ou persan. On notera toutefois l'intérêt que portait aux lettres et aux sciences un SULTAN HUSEYN (1576), émir du Bahdinan, qui recueillit alors à Amadia, sa capitale, une bibliothèque de plus de 2000 manuscrits, conservés dans la Medresa de Qahban (8). Quelques années plus tard, ŞEREF-XAN, prince de Bitlis, devait publier en persan son *Şerefname* ou *Fastes de la Nation Kurde* (1596), qui reste, sans contredit, «la base de nos connaissances sur l'Histoire kurde» (Minorsky). Chose étonnante, ce gros ouvrage qui a été traduit en français et plusieurs fois en arabe, ne l'a jamais été entièrement en kurde, contrairement à ce qu'affirme Bausani (9).

Il faudra attendre le milieu du XVIIème siècle pour voir refleurir au Kurdistan une littérature nationale. Certes les lettrés kurdes ne chômaient pas et un bon exemplaire nous en est fourni par ABDAL KHAN, prince de Bitlis, également (10), «poète, orateur, écrivain et artiste», philosophe et médecin, peintre et musicien. Ses œuvres personnelles en persan, arabe et turc, contenues en soixante-seize volumes reliés et cinq cents mémoires, furent vendues à l'encan avec le reste de sa riche bibliothèque en 1655, parce qu'il avait refusé hommage au Wali de Van, nommé par le Sultan. Ce personnage typique était peut-être moins rare qu'on ne l'imagine et c'est à travers toute l'histoire kurde et parmi toutes les tribus qu'on rencontre de ces chefs amis des lettres et des arts.

3. — *Un Maître incontesté: Ehmedê Xani.*

Mais la plupart négligeaient leur propre langue. Le premier qui fut en vive réaction contre cette coutume fut encore un Kurde du Hekari, *EHMEDÊ XANÎ (1650-1706) qui s'installa à Beyazid. Pour rehausser l'éclat de la littérature, il choisit l'épopée nationale populaire *Mamê Alan*, qu'il recomposa suivant les règles littéraires classiques et en l'islamisant davantage. Son long methnawi *Memozîn*

raconte en soixante *qeside* les amours de Mem et de Zîn. Ces personnages sont des symboles. Le prince Mem n'aura de repos qu'après avoir délivré Zîn, sa bien-aimée, qui symbolise le Kurdistan et cela malgré des difficultés sans nombre que surmonteront son courage et son amour. Mais avant d'entreprendre son récit, il consacre ses sept premiers poèmes à une véritable profession de foi patriotique. Ce qui était alors tout à fait original et devait jusqu'aujourd'hui rendre l'auteur si populaire. Il commence donc par louer Dieu (Chant I) et son Prophète (II), passe en revue les différentes religions (III) et entreprend l'éloge des Kurdes qu'il compare, non sans orgueil, aux peuples avoisinants qui s'en servent comme d'un bouclier. Pourquoi cet état d'infériorité alors que « chaque Emir kurde est un Hatem par la munificence et un Rostem par sa valeur au combat»? (V.61.62). C'est ce qui l'a décidé à écrire son épopée en langue kurde, pour bien montrer que son peuple n'est pas moins bien doué pour les lettres que pour les armes (VI). Il rappelle ses prédécesseurs Melayê Cizerî, Elî Herîrî et Feqehê Teyran et espère bien ne pas rester en arrière de Djami et de Nizami. Et certes il ne rougit pas d'être Kurde ni de son œuvre:

> Si ce fruit n'est pas assez succulent.
> Il est kurde. et cela suffit à mon propos.
> Si ce bébé n'est pas joli.
> C'est un nouveau-né, très gentil pour moi.
> Si ce fruit n'est pas très doux.
> Ce bébé ne m'est pas moins très cher.
> Ses vêtements et ses bijoux.
> Tout cela m'appartient et rien n'est emprunté. (VII. 115-122)...
> Je suis artisan et non point orfèvre.
> Je me suis fait moi-même. personne ne m'a élevé.
> Je suis Kurde, habitant des montagnes et des marches lointaines.
> Et ces propos que je tiens sont à la kurde! (VII, 141-144).

Outre ce long poème de plus de 5000 vers, Ehmedê Xanî a composé, en vers également, à l'usage des enfants, un vocabulaire kurdo-arabe: *Nûbuhar* (Prémices), où il utilise une assez grande variété de mètres (11). On connait encore une *Eqîda Imanê* de Xanî et on lui attribue aussi un livre de géographie, sans parler des nombreuses pièces de vers qu'il a écrites en turc, en arabe et en persan.

L'élève et successeur de Ehmedê Xanî dans son école de Beyazid fut Ismaîlê Beyazîdî (1654-1709) qui nous a laissé une quantité de *xezel* et différents poèmes en kurde, ainsi qu'un glossaire kurmandji-arabe-persan, intitulé *Gulzar*, la Roseraie.

Cependant, à l'autre extrémité du Kurdistan, les walis d'Ardalan, presque indépendants dans leur petite cour de Sina, ou les sultans d'Aoraman, réunissent autour d'eux toute une pléiade de poètes et de littérateurs qui s'expriment en gourani (12). Ils sont assez nombreux et leurs poésies lyriques ne manquent pas de fraîcheur. On peut citer parmi eux Şêx Ehmed Textî (vers 1640), Yûsuf Yaska, emmuré vif de par la jalousie de son prince Khan Ahmed (m. 1636), *Şêx Mistefa Besaranî (1641-1702) dont le *Diwan* est inédit et bien d'autres dont la date n'est pas déterminée, comme, par exemple, Mela Tahir Aoramanî ou Mihemed Qûlî Suleyman (que Sêcadê, p. 539, appelle Mihemed Elî Sultan) qui chante aussi l'automne blessé. Tous ces poètes se rattachent plus ou moins à *Baba Tahir (935-1010) de Hamadan, dont les *Quatrains mystiques* sont célèbres, mais de langue mélangée et d'interprétation difficile et que Huart baptise du nom équivoque de pehlevi musulman (13).

II. — Le temps de l'Abondance (1709-1920)

La deuxième période de la Littérature kurde qui s'étend sur une durée de plus de deux siècles peut s'appeler le temps de l'abondance. Ce n'est pas à dire que ce fut en réalité une période uniformément riche pour les Lettres. Et d'ailleurs il faudra y distinguer différents domaines: celui de la mystique et celui du lyrisme, celui du patriotisme et celui de la philosophie.

1. — *L'obscur XVIIIème siècle.*

L'éclat de l'œuvre de Ehmedê Xanî semble, contrairement à ses désirs, avoir provoqué une éclipse de la Littérature kurde dans le Hekari qui en avait été le berceau; et Sêcadê ne nous donne aucune notice pour tout le XVIIIème siècle. Tout au plus peut-on signaler Şerîf Xan de Culamerg (1688-1748) qui composa des poèmes en kurde et en persan et Murad Xan de Beyazid (1736-

1778) dont les nombreux *xezel* et poésies semblent perdus. Mais on retrouve en ces personnages l'intérêt que les Emirs kurdes apportaient à la littérature. Un ouvrage original, et probablement unique en son genre, est de MELAYÊ ERWASÊ qui, vers 1790, écrivit un livre de médecine: *Tiba Melayê Erwasê,* où il décrit les maladies et propose les remèdes dont il donne les formules. Un auteur inconnu, originaire du Botan, composa vers 1783, un long poème de 63 distiques, de mètre ramal mahzouf, sur la *Prière canonique musulmane,* son obligation, ses conditions, ses bases, ses différentes parties et formules (14).

Cette littérature religieuse florissait d'autre part en langue gourani, dans la tribu Caf avec KHANAY QUBADÎ (1700-1759) qui fait l'éloge de Mihemed et de Ali dans son poème *Salawat-nâma* et Mollah RAHÎM TAYJOWZI dans son *Eqida-name.* Avec MAHZUNÎ (1783), scribe à la cour de Khusraw Khan (1754-1789) nous revenons à la poésie lyrique:

> A l'ombre d'un beau rocher
>
> Le grand matin est agréable à l'ombre d'un beau rocher,
> A condition que le jaloux aux mauvaises couleurs
> Ne s'approche de toi à moins de dix mille parasanges,
> Pour t'asseoir, tout heureuse avec ton amoureux,
> A te rappeler les histoires du temps passé...

2. — *Le XIXème siècle religieux et mystique.*

Le XIXème siècle, en opposition avec le précédent, abonde tellement en poètes qu'on n'a que l'embarras du choix. Quiconque sait tenir une plume veut s'exprimer en vers. Mais l'expérience et le goût nous enseignent qu'il n'y a pas nécessairement de la poésie en tout cantique religieux, en tout hymne patriotique, en toute chanson d'amour et qu'il ne faut pas confondre versification et inspiration poétique. Nombreux sont les cheikhs et les mollahs qui désirent faire passer leur enseignement mystique dans les vers de leur *Diwan* et cela ne se fait point toujours sans répétition ni imitation. L'influence des poètes classiques persans est manifeste chez beaucoup.

Signalons pour commencer MEWLANA XALID (1777-1821) qui introduisit au Kurdistan la Confrérie des Naqşbendi, avant de

mourir à Damas, et Cheikh Marûf Nûrî (1755-1837) dont les œuvres religieuses sont contenues en vingt volumes et qui a écrit une *Risalet: Ehmedî* en arabe et en kurde outre ses poésies en persan. Mela Xelîl de Seert a composé son *Nehc-el Enam* ou *Chemin du Bonheur* vers 1830 et Mela Yehya Mizourî, grand conseiller de l'Emir Mihemed Kor de Rewanduz, à la même époque, a lui aussi un *Diwan* (15). Au Kurdistan persan, dans la région d'Ardelan, on doit remarquer *Mela Fetah Cibarû (1806-1876) qui compose en quatre langues; le fécond *Seyî Yaqo (1808-1881) aux vingt mille vers; et surtout *Mewlewî (1806-1882) qui introduisit des idées nouvelles dans ses poésies et, le premier, composa des strophes à rimes croisées. Son *Diwan* en deux volumes et son Esprit, *Rûhê Mewlewî*, ont été édités en 1938 et 1940, à Suleymanî, par Piremerd. Cheikh *Salem (1845-1909) se lamente sur les misères de la vie de ce bas-monde. Ce sont encore des théories soufies que le Neqşbendi *Mehwî (1830-1904) de Suleymanî expose dans son *Diwan*, publié en 1922, par les soins de Ali Kemal Bapir, ainsi que *Mela Salih (Heriq) (1851-1907). Cheikh *Riza Telabanî (1835-1910), dans ses nombreuses poésies en persan, arabe, turc et kurde, fait montre de beaucoup d'improvisation et ses vers, faciles à prononcer, n'en sont pas moins profonds pour le sens et la morale. Son *Diwan* a été édité en 1935 et 1946 à Baghdad. Cheikh Nuredîn Birîkfî (m. 1846) nous conte *l'Histoire du Sultan Ebûbekr Şiblî* et Evdirehmanê Axtepî, qui imite Xani dans son long poème de 360 pages, *Le Parc agréable*, nous fait l'éloge du Prophète et du Kurdistan. Dans ce *Rewz-el-Neîm*, écrit en 1884, l'auteur se vante d'en avoir banni tout mot turc. Parmi ces poètes religieux, il faut faire une place à part aux *defter* et *kelem* des mystiques gouranis qui, comme Teymûr Qulî (m. 1852), son successeur Seyfûr et le Derwîş Newrûz (vers 1875), dans leurs vers, bien abscons, exposent les théories spéciales aux *Ahlê-Heqq*. On trouve pourtant chez ces Gourans, Mela Welaw Xan (vers 1875-1885) qui mit en vers *l'Histoire de Leyla et Mecnûn*. Bien d'autres poèmes épiques anonymes virent le jour au cours du XIXème siècle. Signalons enfin Ehmed Bek Komasî (1795-1876) bien connu pour *l'Elégie* qu'il composa pour la mort de sa femme et dont voici quelques extraits (16).

Dans le désert pierreux du Tigre je répète: ô Leyla! ô ma Leyla!
Tristesses et souffrances sont mes compagnes de voyage.
Tourments m'oppressent sans arrêt.
Ainsi l'armée des chagrins m'a assailli
Et a pillé la caravane de mes pensées.
Les pesants soucis de mon cœur affligé
Sont comme des morsures de serpent qui suppurent.
La nuit, mon chevet est souillé de sang;
Un infidèle même aurait pitié de moi.
Ma maison est déserte, ma peine est proche de la folie:
Mes pensées sont confuses comme d'une gazelle errante.
De nuit: larmes et lamentations; de jour: mes gémissements!
Et soudain l'angoisse me prend à cause de ta solitude.
Comment vas-tu, ô Reine des Croyants?
Qui est ton confident, le matin et le soir?
Dans cette sombre demeure, pleine d'épouvante et de danger,
Quels sentiments éprouves-tu, ô ma gracieuse Leyla?
Comment te trouves-tu? es-tu tranquille?
Jour et nuit, qui est ton compagnon?
Dans ce froid de la pierre noire
Que sont devenus tes grains de beauté pareils à des turquoises?.
Au lieu des bras de ton infortuné Qays
Quelle sombre pierre te sert donc d'oreiller?..;

3. — *Lyrisme et patriotisme au XIXème siècle.*

A côté de ces poètes mystiques qui exigent le commentaire oral d'un maître pour être parfaitement compris du fidèle moyen, la littérature kurde nous fournit une bonne quantité de poésies lyriques ou patriotiques qui réclament moins d'effort et n'en sont que plus appréciées. Certains d'ailleurs ne manquent point de charme, à commencer par le *Diwan* de CHAH PIRTO de Hekari, publié à Téhéran en 1806. Une mention spéciale doit être faite de l'*Elégie de l'Amour et de l'Amitié*. MIHEMED AGHA, de la tribu Caf, la composa sous le coup de l'émotion qu'il éprouva lorsque l'Emir Evdirehman Pacha Baban (1790-1812) eût épousé — sans le savoir — la femme que le poète aimait lui-même. Les Baban d'ailleurs encourageaient beaucoup les belles-lettres. La famille SAHIBQIRAN s'honore de ses membres qui cultivaient la poésie, par exemple MISTEFA, dit *KURDÎ (1809-1849) qui dût se réfugier en Iran et composa également un Diwan persan et EVDIREHMAN «caravanier de l'inspiration», qui

prit le nom de *SALIM (1800-1866). Son *Diwan* de 106 pages, contenant des poésies lyriques, mystiques et patriotiques, a été publié à Baghdad en 1933. Sa *qesîde* qui narre les combats entre les Turcs et Eziz Bey Baban a été éditée en 1940 à Suleymanî. Parmi les poètes les plus renommés du XIXème siècle, citons MELA XIZIR ou *NALÎ de Chahzor (1797-1855) qui glorifia sa Patrie en une *qesîde* célèbre. Son *Diwan* fut imprimé à Baghdad en 1931. Il faut y ajouter sans contredit *HACÎ QADIR KOYÎ (1815-1892). Malgré son titre il ne fit probablement jamais le pèlerinage à la Mecque et n'était point de Koy, mais d'un petit village voisin. Très conscient de sa valeur, il s'estimait le seul poète kurde après Xanî. Son *Diwan*, publié en partie à Baghdad en 1925 et à Erbil en 1935 par les soins de Gêwî Mukrianî, (l'ensemble de son œuvre est un gros manuscrit de 800 pages), est plein des réactions que les progrès de la science lui suggéraient contre l'assoupissement intellectuel des mollahs et des cheikhs et du peu d'efficience de ces derniers pour la vie moderne. Il leur reproche leur égoïsme, leur paresse intellectuelle qui font obstacle à la libération de la pensée. Ses poèmes patriotiques enthousiasment encore les jeunes et son esprit influence encore beaucoup de poètes d'aujourd'hui, mais sa philosophie matérialiste se perd dans l'agnosticisme.

> Nous allons mourir et devenir poussière:
> Mais les alternances des jours et des nuits n'en seront point changées.
> Les souks des villes ouvriront leurs portes
> Et on continuera, celui-ci à vendre et celui-là à acheter.
> Celui-ci déchire ses vêtements pour la mort de son père,
> Et celui-là achète une toilette pour sa jeune épousée.
> Mais le Destin a posé les fondements de son moulin
> Et rien ne l'empêchera de tourner pour nous écraser.
> Le paysan arrose sa vigne et trace son sillon,
> Les animaux mettent bas, le chien aboie et l'âne braie.
> Et le secret de ce mouvement perpétuel n'est compris
> Ni de Platon ni même du Sage Lokman.
> Et si une génération atteint sa fin dernière,
> On ne connait pas le bout de cette discussion éternelle.

A Baghdad, le Mifti ZEHAWÎ (1792-1890) fut un maître pour beaucoup et, chez les Caf, *TAHIR BEG (1875-1917) manifeste une

belle imagination dans ses poésies d'amour publiées à Suleymanî en 1936.

En Iran, il importe de signaler MÎRZA REHÎM, ou *WAFA'Î (1838-1892) dont les poèmes appréciés ont été édités à Erbil en 1951 et surtout le délicat *EDEB (1859-1912), de son vrai nom EVDALAH BEG MISBAH, véritable artiste, peintre et musicien, qui préfère aux quatrains classiques les strophes de cinq vers devenues sa spécialité et dont la poésie, inspirée par l'amour qu'il portait à son épouse, Nesret Xanim, dont il fut longtemps éloigné à cause de son mauvais état de santé, par la finesse des sentiments exprimés et la grâce qui s'en dégage, tranche sur les poncifs qui encombrent trop de poèmes. Son *Diwan*, d'abord édité en 1936 à Rewanduz, l'a été de nouveau à Baghdad en 1939.

On ne peut passer sous silence le rôle joué par les femmes dans la littérature kurde, rôle si abondant, par ailleurs, dans la production des chansons d'amour ou de guerre où elles excellent. Citons seulement MAH ŞEREF XANIM d'Ardelan (1800-1847), surnommée la Chaste du Kurdistan et dont le *Diwan* persan parut à Téhéran en 1926; SIRE XANIM (1814-1865) de Diyar-Bekr et HEYRAN XANIM de Nakhtchivan; AICHA TIMIORIYA (m. 1902); MIHREBAN (1858-1905), fille de Mela Husni Berwari; PIROZÎ, fille de Hesen Kenoush (m. 1911) et XATO XURŞID (1881-1931), fille de Cheikh Marûf Kewlos. Elles sont toutes bien connues et estimées dans leurs contrées respectives.

III. — L'ERE NOUVELLE (1920-1955)

La fin de la première guerre mondiale qui a provoqué tant de changements dans le Proche et le Moyen-Orient par la formation de jeunes Etats issus de l'Empire Ottoman disloqué, n'a pas manqué d'avoir sa répercussion sur les lettres kurdes. Alors que Istanbul était un centre où bien des intellectuels kurdes et non des moindres aimaient se réunir et publier leurs œuvres, désormais c'est l'Irak surtout, avec sa capitale Baghdad, qui deviendra un foyer important, mais non unique, de littérature kurde.

Comme une large part des éléments de la suite de cette étude

provient du dépouillement, incomplet certes, de revues kurdes, il ne sera pas inutile de faire connaître, un peu sèchement sans doute, la Presse kurde d'hier et d'aujourd'hui.

LA PRESSE KURDE (17).

L'essor de la littérature kurde n'a pu se produire en effet que grâce aux efforts — souvent très désintéressés — de ceux qui ont édité des Revues kurdes où étaient publiées les œuvres des anciens poètes et où les jeunes pussent exercer leurs talents. Jusqu'en 1919, on ne compte que 7 journaux ou revues kurdes. Quatre furent édités à Istanbul: *Kurdistan*, le plus ancien (1897), dirigé par les Badir-Xan et qui, après maintes pérégrinations à Genève, Folkestone et Londres, finit au Caire en 1916; *Kurd*, en 1907; *Rojê Kurd*, devenu *Hetaw Kurd* (le Soleil kurde), en 1911-1913, organe du groupe *Hêvî* et enfin un nouveau *Kurdistan* en 1917-1918. D'autre part, parurent à Baghdad *Bangê kurd* (l'Appel kurde) (1913) sous la direction de Cemal Baban et enfin *Têgehiştinê Rastî* (l'Intelligence de la Vérité) dès l'arrivée des Britanniques en 1918. Ces revues étaient pour la plupart en kurde et en turc. De leur côté, les missionnaires américains d'Ourmia, en Perse, y publièrent un petit bulletin, *Kurdistan*, juste avant la guerre (avril 1914).

Mais c'est surtout après la fin des hostilités que la presse et les revues kurdes purent se développer à l'aise. Plus d'une trentaine de journaux et périodiques verront le jour. Notons toutefois que désormais plus rien de kurde ne sera publié en Turquie où la langue est proscrite. Les intellectuels kurdes quitteront donc Istanbul pour l'Irak, patrie d'origine de beaucoup et où les lettres kurdes pourront s'épanouir en deux grands centres. A Suleymanî d'abord, foyer du nationalisme, paraîtront *Peşkeutin* (le Progrès) en 1919-1922 (118 Nos.) et les hebdomadaires *Bangê Kurdistan* (l'Appel du Kurdistan) (1922), puis *Rojê Kurdistan* (le Soleil du Kurdistan), organe officiel du «Roi» Cheikh MAHMÛD (nov. 1922-mai 1923) (15 Nos) et ses succédanés: *Bangê Heqq* (l'Appel du Droit) (3 Nos.) (1923) et *Umidî Istiqlal* (l'Espoir de l'Indépendance) (1923) qui n'eurent qu'une vie éphémère. Un autre hebdomadaire *Ziban* (le Langage) (1938-1939) ne vécut pas davantage et la revue historique *Zanistî* (la Science)

(1938) n'eut pas de lendemain. Mais il faut mentionner d'une façon spéciale l'hebdomadaire quasi officiel de Suleymanî qui paraît depuis trente ans, d'abord sous le nom de *Jiyanewe* (la Résurrection) (1924-1926) (65 Nos.), puis de *Jiyan* (la Vie) (1926-1938) (553 Nos.) et enfin de *Jîn* (la Vie) (1939 et sv.). Il a maintenant dépassé les 1200 numéros. C'est le record de la presse kurde. Longtemps dirigé par Piremerd, il l'est maintenant par Goran, un autre poète contemporain.

A Baghdad, capitale de l'État irakien et centre intellectuel du pays, de belles revues, bien présentées et pleines de richesses littéraires et scientifiques, furent aussi éditées. D'abord l'hebdomadaire trilingue: kurde, arabe et turc, *Diyarî Kurdistan* (le Don du Kurdistan) (1925) qui ne compta que 16 numéros. Puis des revues de haute tenue: *Gelawêj* (Sirius) de 1939 à 1949 (105 Nos.), mensuel de 72 pages, que dirigeait Eladîn Sêcadê; *Dengê Gîtiyê Taze* (la Voix du Monde Nouveau) que, sous les auspices de l'Ambassade Britannique animaient des Kurdes aussi distingués et lettrés que Tewfîq Wehbî, plusieurs fois ministre, et Huznî Mukrianî (1943-1947); enfin *Nîzar* (le Rocher), bi-mensuel et bilingue (kurde et arabe) que Eladîn Sêcadê publia en 1948-1949 (22 Nos.). Ces revues font le plus grand honneur à la littérature kurde. Depuis 1950, l'Ambassade américaine à Baghdad édite un Bulletin d'informations hebdomadaire: *Agaw rudawî heftayî*, devenu *Peyam* (les Nouvelles) en septembre 1952. Son intérêt littéraire est relatif.

Signalons enfin à Rewanduz *Zarê Kurmancî* (la Langue kurde) (1926-1932), où Huznî Mukrianî publia de nombreux articles historiques dans la trentaine de numéros qui parurent. — A Erbîl, en 1936, on pouvait lire *Ronakî* (la Lumière). Depuis 1952, un groupe de professeurs y édite l'hebdomadaire littéraire kurde et arabe appelé *Hewlêr* (Erbîl). Tout récemment, en mai 1954, Gêwê Mukrianî a fait sortir *Hetaw* (le Soleil), bimensuel de 24 pages.

Depuis 1929, paraît trois fois par semaine à Érivan, à l'usage des Kurdes de l'U.R.S.S. un journal *Reya Taze* (la Voie Nouvelle), dont certains numéros sont parvenus jusqu'à nous de façon irrégulière. On ne sait même pas s'il vit encore.

En Syrie et au Liban, c'est à l'initiative des frères Bedir-Xan que l'on doit la parution d'excellentes revues: à Damas, *Hawar* (l'Alarme) de 1932 à 1935, puis de 1941 à 1943 (57 Nos.) et son supplément illustré *Ronahî* (la Lumière; 1942-1945) (28 Nos.). A Beyrouth, *Roja nû* (le Jour Nouveau) (1943-1946) (73 Nos.) et *Stêr* (l'Étoile) (1943-1945) (3 Nos.). En 1948-1950, l'Emir Kamiran Bedir-Xan a publié à Paris le *Bulletin du Centre d'Etudes kurdes* (13Nos) où l'on peut glaner quelques renseignements intéressant la littérature.

En Iran, la presse kurde n'eut qu'une existence précaire, soumise au flux des divers mouvements politiques qui agitèrent la vie des Kurdes iraniens. En 1921, sous le gouvernement éphémère de Ismaïl Axa Simko, parurent à Ourmia, trois ou quatre numéros de la revue: *Kurd.* En 1943-1945, Cheikh Latif, réfugié d'Irak, publie à Lahidjan la revue *Niştiman* (la Patrie), qui compta une dizaine de numéros. Roja nû (No. 61 du 5 novembre 1945) signalait à l'époque la parution récente en Iran des feuilles: *Çiya* (la Montagne) *Tirûske* (l'Éclair), *Yeketiya Têgûşin* (l'Unité du Savoir), mais je ne les connais pas par ailleurs et Sêcadê n'en parle pas non plus, pas plus qu'il ne signale la revue *Zagros*, que le Gouvernement iranien publiait en kurde à Sina, d'après Dengê Gitiyê Taze du 17 décembre 1945. Enfin, la République kurde indépendante de Mehabad (1945-1946) y favorisa l'éclosion de journaux kurdes. D'abord *Kurdistan*, journal officiel (113 Nos.), une revue littéraire du même nom : *Kurdistan* (1945-1946) (18 Nos.); une revue féminine, l'unique connue: *Helale* (le Coquelicot) (1946) (3 Nos. et un illustré: *Hawarê Niştiman* (l'Alarme de la Patrie) qui n'eut aussi que quelques numéros (18).

Toute cette presse kurde est du plus haut intérêt pour le sujet qui nous occupe, car elle est une mine de renseignements sur la langue, le folklore, les coutumes du peuple kurde et aussi sur son Histoire et la description du pays. On y trouve encore de nombreux textes des poètes et auteurs, anciens et contemporains, ainsi que de bonnes notices de critique littéraire. Sans doute tout n'y est-il pas de même valeur, mais leur dépouillement, rapide et sommaire,

mettra en évidence l'enrichissement récent de la littérature kurde. IDEES ET FORMES NOUVELLES.

Pour clarifier notre exposé et classer les auteurs d'après leurs différents dialectes, ainsi que nous l'avons fait ci-dessus pour le relevé des journaux et revues, nous avons choisi pour cette dernière partie de notre travail un plan géographique, c'est-à-dire que nous passerons en revue la situation littéraire dans les divers pays habités aujourd'hui par les Kurdes, sauf en Turquie, puisqu'il est interdit aux millions de Kurdes qui y demeurent d'utiliser leur langue maternelle. Rappelons qu'en Irak et en Iran c'est le Kurmanci du Sud qui est parlé, tandis que c'est le Kurmanci du Nord qui a cours en Syrie, en Turquie et en U.R.S.S.

1. — *En Irak, le rayonnement intellectuel de Suleymani.*

Le développement des revues a donné une belle impulsion à la prose. La ville de Suleymani, pépinière de fonctionnaire, d'officiers, de maîtres d'école et d'hommes de lettres va fournir un large contingent d'écrivains et, de ce fait, son dialecte fera prime en Irák, bien qu'il soit loin d'être le meilleur. Mais une langue est un être vivant qui ne peut se replier sur soi-même, mais se développe, se perfectionne et s'enrichit grâce aux apports du monde ambiant. Les contacts avec les littératures étrangères, arabe et anglo-saxonne surtout, élargiront l'horizon de la littérature kurde et une bonne proportion de traductions dans les articles de revues permettra au vocabulaire de se renouveler et de se moderniser.

Les récits des anciens voyageurs britanniques au Kurdistan sont un sujet de prédilection. NECÎ EBAS a ainsi traduit ou résumé un *Voyage d'Erzeroum à Van et Kotur*, puis *Wild life among the Koords* de Millingen et de Rich: *Narrative of a residence in Koordistan.* Ce Rich a d'ailleurs bonne presse, car QADIR XIFAF a encore traduit de lui: *Baghdad in by-gone days* et BEHAUDÎN NÛRÎ, *Travels in Koordistan.* Hobbard, *From the Gulf to Ararat* a également trouvé un traducteur en REŞÎD MUHÎYEDÎN. MECID SAID a fait connaître *Les Tribus kurdes*, d'après l'article de Johnson et HUZNÎ MUKRÎANÎ a rapporté les Voyages de Lord Curzon au Kurdistan Lour, tandis que B. ROJBEYANÎ nous relatait ceux de Freya Stark. ELÎ SEYDO GEWRÎ a publié

son propre voyage: *De Amman à Amadia*, mais au Caire et en arabe, en 1939.

D'autres traducteurs se sont attachés à des sujets divers: Contes, récits, tirés de revues arabes, comme par exemple REŞÎD NAMIQ, REMZÎ QEZAZ, MIHEMED TEWFIQ, OSMAN MISTEFA, etc. Les articles scientifiques et médicaux ont pour auteurs T. B. MERWANÎ ou les Docteurs HAŞIM DUXIRMECÎ et EVDIREHMAN EVDALAH. Pour les élèves des écoles, MIHEMED RUŞDÎ DIZEYÎ a traduit de l'anglais: *Mindalekane Daristanê taze* (Les Enfants du Bois Nouveau) (Baghdad, 1949, 124 pages).

Mais si la part des traductions est importante, il faut reconnaître l'abondance des travaux originaux. Le colonel TEWFIQ WEHBÎ qui possède, dit-on, la plus belle bibliothèque kurde d'Irak, n'a pas réussi à imposer le nouvel alphabet qu'il avait créé (19). Mais il a publié des articles lexicographiques et philologiques qui furent une sauvegarde du caractère kurde des vocables nouveaux nés des événements de guerre ou des progrès de la science. Il a édité aussi une grammaire: *Destûr-ê Zmanê kurdî* (1929). Une grammaire kurde, à l'usage des Arabes, a été publiée en 1948 par ELADÎN SÊCADÊ à Baghdad (20). Un dictionnaire arabe-kurde (*El-Murched* ou *Raber*) de 400 pages fut imprimé à Erbil en 1950 par GÊWÊ MUKRÎANÎ qui a préparé un autre dictionnaire (inédit) de 35.000 mots, anciens et modernes, en quatre volumes, ainsi que *Gùlê zêrine* (La Rose d'Or), ou dictionnaire kurde, arabe, persan, français et anglais.

MISTEFA ŞÊX NIMETELAH s'intéresse à la géographie de l'Irak; MIHEMED BABAN et F. HUŞYAR écrivent des articles sur les questions sociales et politiques, ainsi que le publiciste MARÛF CIYAWOK, qui collabore en outre à des journaux de langue arabe. EVDILWEHÎD NÛRÎ a publié également plusieurs brochures de sociologie. ŞÊX MIHEMED XAL, qui a traduit et commenté le Coran, fait un *Nouveau récit de la Naissance du Prophète* (1937) et traité de la *Philosophie des rites de l'Islam* (1938) insiste en ses écrits sur l'aspect moral et religieux des problèmes, tout comme MELA MIHEMED SAÎD.

Mais il est un domaine où les Kurdes se sont toujours trouvés à l'aise. Sans doute IBN ATHIR (1160-1234), IBN KHALLIKAN (1209-

1282) et ABOUL-FIDA (1273-1331), pour ne citer que ces trois-là, ont-ils écrit en arabe leurs ouvrages d'Histoire et ŞEREF-XAN BIDLÎSÎ, en persan, son *Şerefname* (1596). Cet héritage de la science historique n'a pas été abandonné par les Kurdes d'Irak. En 1925-1926, dans sa revue *Diyaré Kurdistan*, SALIH ZEKÎ SAHIBQIRAN a publié de nombreux articles sur les *Grands hommes du Kurdistan*. C'est de même à l'Histoire spécialement qu'était consacrée la revue *Zanistî* de SALIH QEFTAN (1938) qui a en outre publié une *Histoire de la Révolution française*. MEHMÛD CEWDET (1889-1937) a écrit une *Histoire de la Pologne*. ŞEX MIHEMED QIZILCI, lui, a édité la *Description des Mosquées de Suleymani*.

Mais il est surtout deux auteurs qui se sont appliqués à l'étude de l'Histoire de leur pays avec un zèle recommandable. SEYÎD HUSEYN HUZNÎ MUKRIANÎ (1886-1947), soit dans des articles de revues: *Zaré kurmanci* (Rewanduz) ou *Dengê Gitiyê Taze* (Baghdad), réunis ensuite en brochures, ou dans des ouvrages à part, certains assez volumineux, qu'il imprimait lui-même, nous a fait connaître: *Les Gouverneurs Baban*, *Les Kurdes Zend*, *Les Kurdes et Nadir Sah*, *Le Kurdistan Mukriani et l'Atropatène*, *Les Emirs Soran*, *Les Kurdes célèbres*, *L'Histoire des Emirats kurdes*, sans parler d'une *Histoire* (inédite) *du Kurdistan*, des origines à nos jours, en vingt et un fascicules. etc. etc. Il y a dans tout cela une mine précieuse de documents à décanter et mettre en ordre (21).

MIHEMED EMIN ZEKÎ (1880-1948), ancien officier d'Etat-Major de l'armée ottomane et qui fut huit fois ministre dans le Gouvernement irakien, a publié un certain nombre d'ouvrages en turc sur les événements de guerre auxquels il avait participé. En outre, dès 1908, il s'était décidé à écrire une Histoire des Kurdes et, dans les différents séjours que ses fonctions lui avaient permis de faire à Constantinople ou en Allemagne et en France, il avait recueilli dans ce but beaucoup de documents qui furent tous détruits lors d'un incendie en 1919. Ce n'est qu'après son retour en Irak, que la lecture de l'article: *Kurdes* de V. Minorsky dans l'Encyclopédie de l'Islam (22) lui redonna le désir de reprendre son travail. Son livre: *Résumé de l'Histoire des Kurdes et du Kurdistan* (1931) a donc pour base

le travail du savant orientaliste russe. L'auteur l'avoue simplement, mais il a repris toutes les sources indiquées, les a vérifiées et complétées par ses recherches personnelles. Malgré les objections qu'on lui a faites et les suggestions d'écrire en turc ou en arabe, il a tenu à composer son ouvrage en kurde pour encourager les jeunes à suivre son exemple. En 1937, il a publié l'*Histoire des Etats et Emirats kurdes à l'époque islamique*, également traduite en arabe (1948). Il a composé aussi une *Histoire de Suleymani et de son District* (1939) d'où il était originaire et enfin deux volumes de: *Célébrités kurdes et du Kurdistan* (1945-1947). C'est un répertoire alphabétique d'un millier de Kurdes — ou d'habitants du Kurdistan — qui se sont illustrés, depuis l'Islam jusqu'à nos jours, dans le gouvernement, la diplomatie, les armes, la religion, les lettres et les arts. Tout n'est évidemment pas de première main dans ces ouvrages et la méthode peut-être pas toujours conforme à ce qu'exige la rigueur des historiens occidentaux. Mais les Kurdes ne sont pas les seules victimes d'une formation première incomplète au point de vue scientifique (23).

L'activité littéraire des Kurdes d'Irak devait se manifester aussi par le zèle à éditer les œuvres des anciens poètes. C'est ainsi que plusieurs Anthologies virent le jour. L'ancien officier turc, originaire de Suleymanî, Emîn Feyzî Beg, lettré délicat, mourut à Istanbul en 1928, où il avait publié, outre ses «*Barbes d'épis*», un *Recueil de Belles-Lettres kurdes* (1920). Elî Kemal Bapîr a publié à Suleymanî, en 1938, un *Bouquet de poètes contemporains* et Mela Evdilkerîm, un *Recueil de poésies de poètes kurdes* à Baghdad (1938). Beşîr Muşîr, poète lui aussi et publiciste, donnait une 2ème édition du *Diwan de Edeb* (Baghdad, 1939). A son tour, dans son *Şihir û edebiyatê kurdî* (Poésie et Belles-Lettres kurdes) (Baghdad, 1941), Refîq Hilmî, présentait une brève notice biographique et des extraits de 14 poètes, anciens et modernes, par ordre alphabétique, mais on en attend toujours la suite. — Après une longue carrière dans l'Administration ottomane, *Hacî Tewfîq Pîremêrd (le Vieillard) (1867-1950) poète également, consacre les dernières années de sa vie à faire connaître aux jeunes Kurdes, dont il était très aimé, les beautés de leur pays, de leur langue, de leur Histoire et de leur littérature. Il

s'y dépense dans tous les genres. Travailleur infatigable, il fit du journal *Jin*, dont il fut longtemps directeur, la tribune où il exposait ses idées et le fruit de ses recherches sur les: *Conseils des Anciens*. Il recueillit plus de 6.000 *proverbes*. Il adapta le *Memozîn* de Ehmedê Xanî (1935) et publia le *Diwan de Mewlewî*, dans son texte gourani, accompagné d'une traduction en vers en kurde méridional (1938-1940). On lui doit aussi la publication de l'*Histoire des Douze Cavaliers de Meriwan* et *les Aventures de Mehmûd Axa*. En 1938, il présentait la traduction d'une pièce allemande: *Le Violonneux*, avec un second volume en 1942, et la même année: *Une vraie pièce historique*. Il composa aussi plusieurs ouvrages de philosophie sociale, des *Maximes et Propos* (Galte û gep) (1947), sans parler de ses nombreuses poésies disséminées en de multiples revues. Son *Diwan* vient d'être édité (1950). Pîremêrd est un esprit original, parfois fantasque, mais toujours sympathique. Gêwê Mukriani, dont l'imprimerie «Kurdistan» à Erbîl publie chaque année de nouveaux ouvrages kurdes en tous genres, vient de rééditer (1954) *Memozîn* (200 pp.) avec une belle introduction de 20 pages.

La critique littéraire a tenté bien des esprits, par exemple le jeune Yûnis Reûf, enlevé prématurément (1917-1948). Cemîl Bendî Rojbeyanî s'est surtout intéressé aux poètes et écrivains Zengene, Kelhur et des tribus avoisinantes. Il vient, en outre, de nous donner une nouvelle traduction arabe du *Şerefname* (Baghdad, 1953). Mais il convient dans ce domaine de donner la palme à Eladîn Sêcadê dont l'*Histoire de la Littérature kurde* (Baghdad, 1952) est un beau monument de science et de culture. Certes l'ouvrage n'est pas sans défauts et il ne serait pas difficile de relever en ses 634 pages maintes petites inexactitudes. C'est presque inévitable. On peut n'être pas toujours d'accord avec l'auteur dans ses rapprochements avec les littératures anciennes. Mais il a déblayé le terrain et apporté une masse de renseignements où nous avons puisé largement. Voici sa méthode d'exposition dans les études plus poussées des vingt-quatre poètes qui constituent d'ailleurs la part la plus importante de son travail (pp. 147-534). Il commence par faire en prose rimée un éloge du poète. Puis il nous en donne un aperçu biographique, dis-

cutant, si c'est nécessaire, les questions de dates et apportant les éclaircissements historiques de temps et de lieux. Il cite alors largement des extraits des œuvres — souvent inédites — et il en donne un commentaire, qui est parfois une véritable traduction si le dialecte employé n'est pas d'usage courant en Irak, tel, par exemple, le gourani. Il termine enfin en indiquant les différentes éditions, si elles existent, des œuvres présentées.

Mais si les prosateurs ont envahi ainsi le champ des lettres kurdes, il ne faudrait pas en conclure que les poètes ont disparu. Loin de là. D'ailleurs la plupart des auteurs que nous avons cités jusqu'ici riment aussi à l'occasion. On trouve encore quelques survivants du passé, c'est-à-dire ceux qui restent classiques dans leurs messages et leurs formules, ainsi par exemple *Ehmed Muxtar (1897-1935), fils de la noble Adilé Khanim que le Major Soane nous a fait connaître et *Kake Heme Narî (1874-1944) de Mériwan qui ont, le premier, chanté l'amour de la Patrie et, le second, l'amour de Dieu et de la solitude. Mela Mihemed Reşadê Mifti a tout récemment publié à Erbîl un *Mewlûdname* (1952). La ville de Suleymani a donné le jour à *Mela Hemdî Sahibqiran (1876-1936) au patriotisme actif et vibrant et aussi à l'aimable et spirituel *Zîwêr (1875-1946), poète en persan, en arabe et en turc, qui a laissé aux jeunes ses leçons rimées: *Destêgulê Lawan* (le Bouquet des Jeunes) (1939) et un *Diwan* kurde inédit, plein de lyrisme et de sensibilité, où il chante la nature, les astres et le sol de la Patrie. — Le tourmenté Faîq ou *«Bêkes», c'est-à-dire le Sans personne ou l'Isolé (1905-1948) ne vécut que pour la poésie, malgré une enfance assez malheureuse. Comme Kheyyam, il a chanté le vin, l'amour et les jardins, mais avec un accent douloureux. Farouchement patriote et épris de justice, toujours du côté des faibles contre les forts, il n'a jamais, malgré ses misères physiques et morales, cessé d'encourager la jeunesse, de l'exhorter au travail et à l'étude et d'exalter en elle l'amour de la Patrie et de la bonté:

> Un cœur vide de malice est sans poussière,
> Brillant comme le cristal!

Ses œuvres émouvantes sont éparpillées en maintes revues ou

inédites. Ce qui est d'ailleurs le cas de bien d'autres poètes contemporains, comme Evdilxaliq Esiri ou Eli Kemal Bapir. Certains n'ont pas hésité à adopter des idées nouvelles et des formes neuves, brisant délibérément le moule des anciennes strophes, ainsi par exemple Şakir Fetah, dans son *Pirşeng* (la Rayonnante) (1947) et dans ses autres recueils de *Contes* plus récents. Né en 1900, Mihemed Şêx Evdilqadir, commence, sous le pseudonyme plaisant de Qani', à publier, à Baghdad, son *Diwan* en plusieurs fascicules d'une centaine de pages, aux titres qui manifestent son amour de la nature et de son pays: *La Roseraie de Meriwan* (1951), *Le Jardin du Kurdistan* (1953), *Les Quatre Jardins de Pencwin* (1953), *Les Pics de Hewraman* (1954) et *La Plaine de Germiyan* (1955). Il sait aussi varier la métrique de ses poèmes et, dans un *xezel* de vingt-quatre vers: *Berê Nîştimanim*, il énumère les différents produits agricoles de son pays. Rapide leçon de géographie et de vocabulaire pratique. Le professeur Neriman (Mistefa Seyid Ehmed), né à Kufri en 1924, est un jeune poète qui a déjà publié à Baghdad en 1953, *Hawarê Lawan* (l'Appel des Jeunes) (98 pp.) et qui travaille à recueillir les poèmes des nombreux contemporains que Sêcadê n'a pas même nommés et que nous n'avons pas tous cités non plus. Mais signalons surtout Evdalah Suleyman ou Goran, un des plus grands poètes kurdes contemporains d'Irak. Il a déjà édité plusieurs recueils de poésies dont: *Buhuşt û Yadigar* (Paradis et Souvenir) (Baghdad, 1950), *Firmisk û Honer* (Ordonnance et Science) et des poèmes pour les enfants: *Yadigarê Lawan*. Dans sa dramatique poésie: *Gulê xwînawê* (la Rose sanglante), il a donné la forme d'un dialogue entre un jeune homme et sa bien-aimée: ce qui est une nouveauté tout à fait originale dans la poésie kurde littéraire, sinon dans les chansons populaires et il s'est inspiré du Chant de l'Alouette du poète anglais Shelley pour s'adresser ... Rossignol que rien n'empêche de chanter:

> O rossignol au petit bec,
> O bel oiseau bien aimé,
> Qui voltiges d'un parc à l'autre
> En les contemplant tour à tour,
> Tu te poses sur la branche qui te plait
> Et tu lances alors ta chanson

Aux douces et tristes mélodies
Qui portent lumière et chaleur dans la vie...
Mais nous, les pauvres et les faibles, ô rossignol,
Nous, dont les jours sont pleins de doutes et d'erreurs,
Nous marchons, égarés dans le désert de la vie,
Pour trouver craintes et inquiétudes en quel que lieu où nous allions,
Et plus que nous n'avions laissé dans le lieu précédent!
Donc, ô maître des chants éplorés,
Nos jours s'écoulent jusqu'à la mort
En questions ou dans les soupirs et les larmes.
Et alors, comment chanter?
Comme toi? ou comme les ivrognes
Avec la coupe de la joie et du bonheur?

2. — *Les œuvres variées des Kurdes d'Iran.*

En Iran, l'activité littéraire est toujours plus ou moins épisodique. A Téhéran, Evdilmecid (*Mecdî) (1849-1925) qui publia un *Diwan* persan en 1911 jouit d'une certaine renommée parmi les Kurdes. Notons en passant l'ouvrage un peu spécial du Dr. Saîd Khan Kordestanî († 1928), composé en 1924 dans le style des *defter* propres aux Ahlê Heqq. Dans ce *Kitab-ê Mizgani* ou Livre de la Bonne Nouvelle, en 515 pages de vers en gourani, l'auteur fait un exposé de la Religion chrétienne à laquelle il s'était converti dans son enfance. Il avouait d'ailleurs que les lettrés kurdes prenaient plaisir à lire cet ouvrage. En prose, dans la revue *Kuhistan*, de Téhéran, Cheikh Mihemed Ayatalah Kurdistanî a publié, il y a quelques années une *Histoire des Kurdes et du Kurdistan.* — Au temps de la République Kurde indépendante de Mehabad (1946) deux jeunes poètes patriotes et très féconds remplissaient les revues de leurs poésies et jouissaient de la faveur du peuple et du gouvernement. M. Heymen trouva des mots émouvants pour pleurer la mort d'une jeune kurde: *Sinê jinakurdek* et il n'hésita pas à faire appel au souvenir de Jeanne d'Arc pour exciter les jeunes filles à l'action patriotique. Evdirehman Hejar, né à Saouj-Boulaq (Mehabad) en 1920, s'est mis à l'école de Haci Qadirê Koyi et de Nali. En trois ans, il a composé des milliers de vers où il exalte l'amour de la Patrie et de la Liberté. Certains de ses poèmes, comme *Ala kok* (le Bel étendard), qu'il avait prononcé lors de l'inauguration du nou-

veau régime, ont été traduits en turc et publiés dans des revues d'Azerbaïjan. J'ignore ce que sont devenus ces deux chantres de l'Indépendance. En 1951, à Téhéran encore, M. MOKRÎ a publié un volume de *Chansons kurdes*, avec transcription, traduction persane et glossaire.

3. — *Les Kurdes de Syrie sous l'ascendant littéraire des Bader-Khan.*

En Syrie, les Kurdes sont assez nombreux, près de 200.000, mais d'origines diverses. Les uns installés depuis longtemps, soit dans les villes, comme Damas ou Hama, soit dans le Djébel Akrad, ne s'intéressent guère à la littérature. D'autres sont des réfugiés de Turquie, comme beaucoup en Djézireh, et n'ont pris la plume qu'après avoir déposé les armes. Cela nous permet de comprendre que leur amour de la Patrie perdue prendra dans leurs poèmes un ton à la fois plus agressif et plus sentimental que celui qu'on rencontre dans les poèmes des Kurdes d'Irak. Ceux-ci sont souvent d'anciens fonctionnaires ottomans ou irakiens. Ils vivent, bien nantis, sur leurs terres et dans la maison de leurs aïeux et n'ayant rien perdu ont peu à réclamer.

Le premier problème que les Kurdes de Syrie eurent à résoudre fut celui de l'écriture et dans ce domaine il faut reconnaître la place hors-pair qu'occupent les frères Bedir-Xan. Ils avaient de qui tenir. Sans parler de leur rôle politique, qui ne nous intéresse pas ici, notons que le premier journal kurde qui vit le jour à Constantinople, en 1897, était l'œuvre de MIDHET BEY BEDIR-XAN. Et les lettres kurdes s'honorent de posséder des œuvres d'autres Bedir-Xan, comme EVDIREHMAN, EMIN ALÎ, SALIH ou SUREYA. L'Emir CELADET (1893-1951) est sans contredit le pionnier de la renaissance des lettres kurdes. Il a doté son peuple d'un alphabet latin, simple et commode qu'il diffusa, à partir de 1932 et jusqu'en 1945, dans ses revues *Hawar* et *Ronahî* et qui permit à la jeunesse kurde de Syrie de prendre davantage conscience de son originalité. En outre, il publia, sous son nom ou sous son pseudonyme de HEREKOL AZÎZAN les éléments d'une *Grammaire kurde*, en kurde et français (Hawar, Nos. 27 et sv.), des notes lexicographiques nombreuses, de multiples

chansons qu'il traduisait aussi en français, des *Notices sur la littérature, mœurs et coutumes kurdes*, en particulier sur la légende de *Memé-Alan* (Nos. 4-28), sans parler de ses articles sur l'Histoire et les Tribus du Kurdistan. Il a accompagné de variantes textuelles et de notes critiques l'édition de *Memozîn* (Nos. 45-57). Il s'est même essayé au genre dramatique avec sa pièce: *Hevind* (No. 20, p. 314-324). A l'usage des enfants, il a traduit de l'anglais le conte de Bryan Guinness: *Coni û Cimêma* (1943) (36 pages). Il a malheureusement laissée inachevée (184 pages) une *Grammaire kurde scientifique*, en français, dont l'impression s'est arrêtée après la conjugaison des verbes. La première partie (p. 1-70) consacrée à l'alphabet et à la phonétique est des plus instructives. Il a aussi composé un *Dictionnaire kurde-français* de plus de 13.000 mots encore inédit. Bref il fut un animateur zélé qui encouragea toujours les jeunes et donna véritablement naissance à la littérature kurde en Syrie. La disparition de ce Mentor, prudent et toujours écouté, est une grosse perte pour les lettres kurdes. C'est pour honorer la mémoire de son mari défunt que Madame REWŞEN BEDIR-XAN vient de publier à Beyrouth (1954) quelques: *Pages de littérature kurde* (24), où elle traduit en arabe, et parfois même en vers, quelques poèmes d'une vingtaine de poètes kurdes, anciens et modernes, entre autres le délicat *Echo de la conscience*, composé en exil par son père SALIH. L'Emir Celadet fut aidé dans sa tâche par son frère cadet, l'Emir KAMIRAN (né en 1895) qui travailla également à l'enrichissement de la langue par sa traduction du *Coran* et de plus de sept-cents *hadith*. La Société Biblique ne pouvait donc trouver meilleur traducteur pour les *Proverbes de Salomon* (1947 et 1949), l'*Evangile de Saint Luc*, en caractères latins et en caractères arabes (Beyrouth, 1953) et l'*Evangile de Saint Jean*, non encore imprimé. Il a publié également des traductions françaises ou allemandes de *Proverbes kurdes* (Paris, 1937) ou de Récits, mi-historiques mi-légendaires, où le patriotisme est fièrement exalté: *Le Roi du Kurdistan* (84 pages), l'*Aigle du Kurdistan* (144 pages). Mais le Dr. Kamiran est avant tout un poète qui sait varier les genres. Pour les écoles, il a composé un charmant livret: *Dilê kurên min* (le Cœur de mes enfants) (1932) et, à l'imitation du mystique persan, il a

versifié 128 Quatrains: *Çarînên Xeyam* (1939). En voici un, bien caractéristique de l'humour kurde:

> Je buvais du vin. De toutes parts, cris, tumulte.
> On disait: c'est l'ennemi de la religion. Ne bois pas, c'est mal!
> Maintenant que je sais que le vin est l'ennemi de la religion,
> Par Dieu, je vais en boire: le sang de l'ennemi est licite!

Enfin il a écrit d'aimables petits poèmes lyriques: *Berfa Ronahiyê* (la Neige de la Lumière) où la délicatesse des sentiments s'unit au choix heureux de l'expression.

> Veux-tu vraiment me donner
> Ta beauté et ta douceur ?
> Dévoile-moi ton cœur...
>
> Les étoiles ajoutent leurs gouttes
> Au courant de la lumière
> Sous les ombres de la lune...
>
> Le vent est une cloche qui sonne
> Tendrement
> Dans les corolles des tulipes et des roses...

Son journal *Roja nû* (1943-1946) est une mine de textes de légendes et de chansons. Professeur à l'École Nationale des Langues Orientales Vivantes à Paris, il vient d'y publier une grammaire: *Langue kurde* (1953) et il prépare l'édition d'un *Dictionnaire français-kurde*. Son *Bulletin du Centre d'Etudes kurdes* (1948-1950) était surtout d'ordre politique.

Autour de ces deux maîtres s'est constitué tout un groupe de collaborateurs enthousiastes. Certains ont exercé leurs talents à mettre à la portée des lecteurs kurdes des récits de guerre qu'ils traduisaient de revues étrangères, ainsi, par exemple: SMAÎNÊ SERHEDÎ, HESENÊ MISTÊ, CEMÎLÊ TACDO, XELÎLÊ GENCO, SILÊMANÊ FERHO, DILAWER ÇARPÎNE, QADIRÊ FERMAN et EVDIREHMANÊ ROJKÎ. BIŞARÊ SEGMAN, de Duhok en Irak, préfère traduire des sujets historiques. NUREDÎN ÛSIF a traduit l'*Exilé* de Lamennais, les *Etoiles* d'Alphonse Daudet et donné quelques contes intéressants: *Xurşîd, Gulê, Keskesor*, etc. SILÊMANÊ HESEN MERCÊ et BRAHÎMÊ METÎNÎ rapportent agréablement d'anciennes légendes. Des poètes, de milieu aussi divers que EVDIREHMANÊ FEWZÎ, EHMEDÊ NAMI ou HESEN

HIŞYAR se rejoignent dans leur amour de la Patrie. Cependant, dans la masse des collaborateurs de *Hawar* ou *Ronahî* certains sont à distinguer. MISTEFA EHMED BOTÎ a des vers pleins de fraîcheur pour célébrer les paysages de son pays, mais je préfère ses Fables en prose, comme par exemple: *le Lion et le Bœuf roux*, *Le moineau et l'Eléphant*, *La Perdrix et le Chat*. QEDRÎ CAN, né en 1916, est de même un conteur agréable, qui choisit des sujets: *le Serment*, *la Faute*, *Gulçin*, qui lui permettent d'ouvrir l'esprit de ses lecteurs à des idées nouvelles. Dans ses poésies, il n'hésite pas à rompre avec les cadres classiques et à produire des vers aussi modernes par la pensée que par la facture, *le Maître de la fin des temps*, par exemple. OSMAN SEBRÎ, né en 1906, est un auteur fécond. Ses poésies: *En souvenir des anciens jours* (Ji bîrên rojên kevin), utilisent des mètres classiques divers pour exprimer les sentiments de tristesse qu'il éprouvait loin de la Patrie. Mais il se plaît à mettre en vers multiples des *Fables* d'animaux qui concluent toujours à la nécessité de l'union et de la bonne entente. Mais c'est surtout comme prosateur que Osman Sebri mérite d'être mentionné. Il parle avec compétence des montagnes d'Agri et de Sasûn et du cimetière d'Âmid. A l'occasion, il met au point quelques renseignements sur l'Histoire des Kurdes et du Kurdistan. Il donne des éclaircissements sur la religion des *Yézidis* (25) et une notice biographique de *Saladin* et de *Napoléon*. Mais il n'est jamais si bien à l'aise que dans ses récits d'aventures ou lorsqu'il parle des coutumes de ses compatriotes. Ses histoires de chasse sont pittoresques. Dans son style simple, direct, imagé, il fait revivre la scène devant nous. Il est probablement aujourd'hui un des meilleurs prosateurs pour le kurmanci du Nord (26).

Quelques poètes sont restés dans les traditions anciennes. MELA EHMED des Heyderan, que le malheur des temps obligea à émigrer dans le Caza de Nisibin a composé un *Diwan* de 300 pages, aux formules mystiques, que lui inspire son amour de la Patrie et qui est conservé chez son fils à Khalit près d'Amouda. Le même destin arriva à MELA EVDELMECIDÊ KENANÎ, qui vint aussi dans la même région et écrivit des poésies de même cachet classique. MELA ENWER d'Amadia en Irak, né en 1913, utilise le même dialecte. Outre son

Diwan, aux thèmes patriotiques, mystiques et lyriques, il a composé en vers un *Mewlûd* et un *Exposé de la Foi* (Tertepêleke bawerîyê) et recueilli environ 2000 *Proverbes*.

Mais le chef de file des poètes en Kurmancî du Nord est évidemment ŞÊXMÛSÊ HESEN, connu sous le pseudonyme de CEGERXWÎN, qu'on pourrait traduire en français par «Cœur meurtri». Il est né en 1903 au village de Hesar dans la région de Hisn-Kaifa. C'est le poète des jeunes. En 1945, il a publié un premier volume de vers de 164 pages: *Dîwanê Cegerxwîn* (27), où passe un véritable souffle poétique où l'on sent vibrer un patriotisme ardent. Ce mollah défroqué, si je puis m'exprimer de la sorte, est hanté par la pensée de sa Patrie absente qu'il s'agit de retrouver et dans ses vers, souvent classiques et parfois d'aspect plus moderne, il s'ingénie à forger les armes nécessaires pour cela, à savoir le dévouement des chefs à la cause commune, l'union de tous les Kurdes quelle que soit l'origine, la tribu ou la religion, et surtout l'instruction — tant des filles que des garçons — moyen le plus efficace pour sortir les Kurdes de leurs misères matérielles et spirituelles. Quelle âpreté dans sa description du Kurde que les épreuves de la vie politique ont réduit aux abois comme des loups sauvages:

> Frères loups, vous comme nous êtes des braves;
> Mais vous, vous êtes des géants, compagnons des tigres et des lions.
>
> Nous et vous sommes compagnons, — dans la misère:
> Nous, c'est de jour que nous crions; vous, c'est de nuit que vous hurlez!
>
> Nous, Kurdes et loups, sommes uns; nous sommes, en effet, des frères.
> Nous aussi, comme vous, nous fuyons par les montagnes.
>
> Nous aussi, comme vous, souffrons chaleurs, frimas, brouillards, [poussières.
> Qui d'entre nous se fait tuer, tout comme vous reste sans recours!
>
> Vertes campagnes pour les hommes; mais à nous, rochers et déserts!
> Vos ennemis sont les fils à Fendo, nos ennemis sont fils des Mongols!
>
> Notre désir, c'est le Kurdistan; votre désir, c'est les moutons!
> Mais chez vous, comme chez nous, chacun dit: Pour moi seul!
>
> Donnons-nous la main, contre l'ennemi unissons-nous:
> Ils ne nous feront plus violence, cet ennemi et ce chien!
>
> Bêtes et hommes, frères et compagnons d'infortune,
> Nous et vous sommes restés miséreux, parce que sans oncle ni tante!

Kurdes et loups, toujours à errer, sommes devenus brigands et voleurs.
Nous sommes malheureux: c'est grande honte à Ahriman et à Ormuzd!

Loups malheureux, au cou penché, au cœur blessé,
Kurdes impuissants, tous nous resterons «Cœurs meurtris»!

Mais ce poète a plus d'une corde à sa lyre et je ne puis résister à la tentation de traduire cet autre poème d'un genre tout différent:

Je m'éveillais du sommeil, quand je vis un marchand de roses.
J'en fus extrêmement joyeux: «Tu donnes une rose pour le cœur.
Tu donnes une rose pour le cœur?»

Je n'avais qu'un seul cœur plein de misère et de tristesse:
Je ne croyais pas qu'il donnerait une rose pour le cœur,
Qu'il donnerait une rose pour le cœur!

«Nous avons fait contrat, dit-il. Supplément je ne donnerai
Celui qui adore la rose, âme et cœur donne.
Âme et cœur donne!»

Je dis: «Qui donne âme et cœur pour une rose?»
— Il dit: «C'est le contrat. Tu donnes le cœur et sa tristesse.
Tu donnes le cœur et sa tristesse!»

J'ai donné l'âme et le cœur. Le cœur poussa un cri
Et dit: «Oh! Cegerxwin, tu donnes le cœur pour une rose,
Tu donnes le cœur pour une rose!»

Cegerxwîn vient de publier un second volume: *Sewra Azadi*, la Révolution de la Liberté (Damas, 1954). En dix ans, la pensée du poète a évolué. Il a maintenant dépassé le stade du pur élan nationaliste. Ce sont désormais des réformes sociales et des réformes de structure qu'il souhaite. Le ton change et rien ne montre mieux la transformation des points de vue que la comparaison des morceaux: *Konê reş et Xaniyê cotyara*, c'est-à-dire la Tente noire et la Maison des laboureurs, du premier volume avec la poésie du second tome, intitulée *Halê gundiya*, la Condition des villageois. D'un côté, c'est la pauvreté sans doute, mais aussi la joie d'une vie saine. De l'autre, on ne remarque plus que la crasse, la misère et la maladie. Les deux tableaux sont exacts et pris sur le vif; l'angle sous lequel on les regarde les change complètement.

Cegerxwîn a écrit aussi *Cîm û Gulperî* (Damas, 1946) qu'il présente comme un roman. En fait, c'est plutôt une nouvelle un peu

longue (44 pages), où s'intercalent des chansons, mais où naturellement le récit des aventures d'un jeune couple qui s'aime a plus de part que l'analyse psychologique de leurs sentiments. Cegerxwîn a composé également des livres de Grammaire: *Rastkirzimana kurdî: serf û nehw* et de Prosodie: *Xweşxwanên kurdî: erûza kurdî*, ainsi qu'une *Histoire des Kurdes* en prose et un *Şerefname* en vers. Tous ouvrages non encore imprimés. L'influence de Cegerxwîn est très grande parmi la jeunesse qui sait par cœur beaucoup de ses poésies.

Signalons enfin comme activité littéraire des Kurdes de Syrie Cheikh Sultan Memdûh qui a composé en prose une *Histoire des Emirs kurdes*, encore inédite; Qedri Cemil Paşa qui publia dans *Hawar* (Nos. 37-57) le *Diwan* de Mela Cizerî en caractères latins et le professeur Mihemed Hemze qui publia le texte de *Memozîn* à Constantinople en 1920 et le réédita, en caractères arabes malheureusement, à Alep en 1947. On peut regretter toutefois que ces éditions ne fassent pas mention des nombreuses variantes des manuscrits et ne soient accompagnées de notes vraiment critiques, tant historiques que littéraires.

4. — *Chez les Kurdes de Russie Soviétique.*

Notre tour d'horizon nous amène à jeter un regard furtif sur la littérature des Kurdes de Russie Soviétique. De tous les Kurdes du monde, ils étaient sans doute les plus déshérités, Yézidis pour la plupart et vivant dans la plus noire misère et la plus crasse ignorance, si l'on en croit un de leurs chefs spirituels, l'Emir Ismaïl Beg Tchol qui les visita en 1910 (28). Depuis, au dire de leurs porte-parole, c'est le Paradis sur la terre (29). Ce qu'il y a de certain, c'est que, partis de zéro, les Kurdes ont fait d'énormes progrès dans l'enseignement et la culture. Comme ils ne savaient ni lire ni écrire, il fallut d'abord leur donner un alphabet et c'est l'alphabet latin — non le cyrillique — qui fut choisi. Des linguistes arméniens, Khatchatourian et Chapoutian, aidèrent à la composition de grammaires et de dictionnaires kurdes. Des Kurdes alors, comme K. Kurdo ou Ç. Bakaev, ainsi qu'une femme Nourê Poladova, aujourd'hui maître de Conférences à l'École Normale d'Érivan, se mirent à l'école de l'Académicien N. Marr ou de ses élèves pour

s'initier aux questions linguistiques. L'analphabétisme disparut par suite de l'ouverture de nombreuses écoles pour lesquelles on publia plus de 300 ouvrages de classe : grammaires, livres de lectures, comme *Rencberê sor*, l'Ouvrier rouge (1930), dû à plusieurs auteurs et bien d'autres ouvrages. Un ancien portefaix, devenu philologue, EMÎNÊ EVDAL, et HACIYÊ CINDÎ, qui avait déjà édité le *Drapeau Rouge* en 1933, recueillirent chansons et légendes anciennes, publiées en un gros volume de 664 pages à Érivan en 1936: *Folklora kurmance* (30). ETARÊ SERO a travaillé à l'élaboration d'un second recueil, non moins copieux, qui devait paraître en 1950. Les classiques: le *Diwan* de Melayê Cizerî et l'épopée *Memozin* de Ehmedê Xanî ont de même été édités, transcrits en caractères latins.

Un gros travail de traduction s'accomplit et, semble-t-il, aux visées plus larges que celui qui se fait dans les autres régions habitées par les Kurdes. Outre les inévitables traductions de Marx, de Lénine et de Staline, ce qui obligea à des prouesses, tant pour le vocabulaire technique que pour l'expression d'idées si éloignées des préoccupations antérieures, on voulut initier le peuple aux productions littéraires russes. Ainsi ATAMÊ TEÎR fit connaître Lermontov, Tolstoï et Gorki. Des auteurs azerbaijanais furent également traduits par Haciyê Cindî qui, en outre, dans sa nouvelle: *l'Ami* a représenté l'héroïsme d'un soldat kurde pendant la dernière guerre. Un autre traducteur excellent est CESÎMÊ CELÎL, né en 1908, dans la province de Kars, de parents cultivateurs qui furent massacrés par les Turcs durant la guerre. Élevé à Alexandropol, aujourd'hui Léninakan, il termina ses études à Bakou et à Tiflis et de 1932 à 1938 il travailla en Arménie aux Éditions d'État comme dirigeant de littérature kurde. C'est ainsi qu'il traduisit du russe les œuvres de Pouchkine et de l'arménien celles de Toumanian (31). Mais Cesîmê Celîl n'en réussit pas moins dans l'art poétique. Dès 1930, il publia ses poésies dans la revue *Reya Taze*, puis de 1932 à 1936 il participa abondamment aux quatre *Almanachs des Ecrivains soviétiques kurdes* ainsi qu'à d'autres recueils. Ses créations se caractérisent par leur chaleur lyrique et leur sincérité et il faut mentionner tout spécialement ses chants d'amour et de la nature. Voici un spécimen, une berceuse, *Lorî*, qui ne manque pas de charme.

Lori, lori, beau garçon.
Aux yeux noirs, aux sourcils arqués;
Lorsque je te contemple
Mon cœur se remplit d'amour.
Dors tendrement, dors dans le calme,
Lori, lori, beau garçon.

Mon tendre bambin, grandis vite,
Deviens le soutien de ton père;
Grandis vite, deviens un homme intrépide,
Garde notre Monde Nouveau.
Dors tendrement, dors dans le calme,
Lori, lori, beau garçon.

La nuit est tombée, tes parents sont endormis,
Et endormi le cerf avec son petit;
Les étoiles ont paru, la lune s'est levée.
Dorment en silence montagnes et fleuves.
Dors tendrement, dors dans le calme,
Lori, lori, beau garçon.

Les vers du poète populaire EHMED MÎRAZÎ s'apparentent pour la forme et le rythme à ceux de Melayê Cizerî, tandis que ceux d'Atamê Teïr, dans sa ballade *Taiiar,* où il exalte l'amitié des peuples soviétiques, et ceux de VESÎRÊ NADYRI (m. 1947) rappellent plutôt, par leur mouvement et leur facture, ceux de Ehmedê Xanî. Vesîrê Nadyri, fondateur de la prose et de la dramaturgie chez les Kurdes de Russie, a écrit un roman biographique, intitulé *La Misère instruit* et des contes: *A Cegerbeg, Ali et Dilber* et bien d'autres, où il met en relief l'amitié fraternelle qui unit Kurdes, Arméniens et Azerbaijanais travaillant au même kolkhoze ainsi que la transformation de leur vie sous le régime soviétique. C'est aussi le sujet de sa pièce: *La Voie Nouvelle.* Un autre prosateur plein de mérite, est EREB ŞEMO ou ŞEMILOV, ancien berger devenu docent kurdologue de l'Académie historico-linguistique de Léningrad. Outre deux études, en russe, sur *les Kurdes de Transcaucasie* et *les Derviches kurdes*, il a collaboré à *Rencberê sor*, et a publié dans sa langue maternelle un écrit biographique également, *Le Berger kurde* (32). Dans ce vivant récit, l'auteur, avec beaucoup de naturel et de simplicité et non sans poésie, nous fait connaître, dans les détails de tous les jours, sa vie d'enfance de petit pâtre et les événements pittoresques de la

vie au grand air des tribus nomades. On ne lira pas ces pages sans émotion ni non plus sans intérêt, d'autant plus que ces coutumes séculaires tendent désormais à disparaître. Dans la seconde partie de son histoire, il raconte comment il devint communiste et, dans son étude sur *Les Kurdes de l'Alagöz*, il expose la méthode employée pour bolcheviser les tribus et le rôle qu'y jouèrent des émissaires arméniens. La poésie kurde d'U.R.S.S. reste donc bien vivante et, somme toute, dans une ligne qui reste celle de tous les Kurdes, à part, bien entendu, les vers mystiques qui ont complètement disparu. Mais la prose, dont le domaine, si l'on en excepte les traductions, demeure assez limité, est bien souvent outil de propagande et cependant elle a produit des œuvres qui pourraient être des amorces de romans de mœurs et qu'on chercherait en vain dans les autres régions du Kurdistan.

§§§

Ce rapide coup d'œil sur la littérature kurde nous en a montré la variété et la richesse. Mais on n'en aura pas moins remarqué certaines carences. C'est ainsi que le roman — roman d'aventures ou roman psychologique — n'existe pas encore. Le théâtre lui-même est presque inexistant et les quelques pièces qu'on trouve sont, ou de simples essais, comme *Hevind* publié dans *Hawar*, ou exploitent des thèmes patriotiques en style de patronage, comme chez les Kurdes d'U.R.S.S. (33). Et pourtant le genre théâtral ne semble pas étranger au génie kurde, si l'on se rappelle certains auteurs dramatiques de langue arabe, comme Djamil Sidqi Zehawi (1863-1936) avec son drame *Layla et Samir* (1928), qui est un Kurde authentique d'Irak, ou le Prince des poètes, Ehmed Chaouqi (1868-1932), qui a composé des tragédies classiques, et est lui aussi d'ascendance kurde. J'ai même rencontré un cinéaste palestinien, Kurde également et Bedir-Xan, par surcroît. Et, par ailleurs, que d'autres Kurdes se sont ainsi acquis la célébrité dans les Lettres arabes ou turques par leurs idées originales et souvent d'avant-garde, pour le féminisme, par exemple! Cette étude reste à faire.

Les jeunes Kurdes, conscients de l'originalité de leur culture et désireux d'en informer ceux qui l'ignorent, pourraient rechercher, cataloguer et décrire les nombreux manuscrits de poètes, historiens et lettrés kurdes ensevelis dans les bibliothèques de quelques cheikhs ou aghas ou des mosquées et tékiés du Kurdistan. Il serait bon aussi de préparer des éditions vraiment critiques des écrivains que l'on peut considérer comme d'authentiques classiques. Ils coopéreraient ainsi utilement et pacifiquement au rayonnement humain de leur Patrie.

Thomas Bois, O.P.

NOTES

(1) ELADÎN SÊCADÊ, *Mêjiwê edebê kurdî*, 634 p. Bexda, Mearif, 1952.

(2) A ce propos, rappelons que la langue kurde est une langue indo-européenne, comme le persan. En schématisant on peut dire qu'elle se divise en deux dialectes principaux: le *kurmancî* du Sud, parlé par la plupart des Kurdes d'Iran et ceux d'Irak, au Sud du Zab avec Suleymani pour centre, et le *kurmancî* du Nord, bien plus répandu puisqu'il est parlé par les Kurdes de Turquie, de Syrie, du Nord de l'Irak, de Russie soviétique et du Khorassan. Chaque dialecte comporte d'ailleurs des particularités régionales. Le malheur c'est que ces divergences linguistiques, loin de s'atténuer, risquent de s'accentuer, car si, pour des raisons politiques ou des scrupules religieux, les Kurdes d'Iran et d'Irak ont conservé l'écriture arabe avec des variantes d'orthographe bien gênantes, ceux de Turquie, Syrie et Russie, depuis vingt-cinq ans, ont adopté les caractères latins bien plus conformes au génie de leur langue, ainsi que le reconnaissent des Orientalistes aussi compétents et désintéressés que V. Minorsky, par exemple. cf. RONDOT, *Le problème de l'unification de la langue kurde*, in R.E.I. (1936), III, p. 297-307. — Pour les mots kurdes de ce travail, nous utiliserons d'ordinaire l'alphabet de la revue *Hawar*, qui est le plus simple et le plus pratique.

(3) Jusqu'à ce jour aucun travail d'ensemble n'existe sur ce sujet. Aux huit poètes cités par Jaba, V. Minorsky ajoute une vingtaine de noms d'auteurs contemporains dans son magistral article: *Kurdes* de l'Encyclopédie de l'Islam (1926). Dans son *Abrégé de l'Histoire des Kurdes et du Kurdistan* (1936), EMIN ZEKÎ donne une brève notice sur 28 auteurs, qu'il fait suivre d'une liste de 24 noms, ce qui ne nous avance guère. En 1941, l'Emir CELADET BEDIR-XAN, dans le revue kurde *Hawar* (No. 33, Oct. p. 322-330), dans une étude: *Klasikên me an şahir û edibên me ên kevin*, c'est-à-dire: Nos classiques ou nos anciens poètes et hommes de lettres, reprenait la liste de Jaba, citait quelques passages de leurs œuvres et ajoutait à sa liste 18 noms nouveaux, avec détails biographiques et bibliographiques, dont 3 seulement avaient été signalés par Minorsky. La notice consacrée à la *Letteratura curda* dans le gros ouvrage de F. M. PAREJA, *Islamologia* (Rome, 1951), p. 682-684 et due à la plume de A. BAUSANI est bien sommaire, non-exempte d'erreurs et sa bibliographie est bien antérieure à la guerre de 1939, sauf l'article de O. VIL'CEVSKI, *Bibliograficeskii obzor zarubeznyh kurdskih pecatnyh izdaniiv XX stoletii* in «*Iranskie Jazyki*», I, Moscou-Leningrad, 1945, p. 147-181. — Je fais précéder d'un astérisque * le nom des auteurs auxquels Sêcadê a consacré une notice.

(4) Le folklore kurde est extrêmement riche et assez bien connu par les textes et travaux publiés par les Orientalistes. En voici les principaux: LERCH, *Forschungen uber die Kurden* (S. Petersbourg, 1857-1858); PRYM et SOCIN, *Kurdische Sammlungen* (S. Pétersbourg, I, 1887, II, 1890); MAKAS, *Kurdische Studien* (Heidelberg, 1900); VON LE COQ, *Kurdische Texte* (Berlin, 1903); O. MANN, *Die Mundart der Mukri-Kurden* (Berlin, I, 1908, II, 1909); B. NIKITINE, nombreux articles; R. LESCOT, *Textes Kurdes*, I (Paris, 1940), II (Beyrouth, 1943); SÊCADÊ consacre au folklore une bonne partie de son ouvrage, p. 69-112.

(5) Les Orientalistes discutent encore sur la métrique kurde, tant populaire que savante. On pourra lire à ce propos: SOCIN, *op. cit.*, II, *Die Form der Kurdischen Poesie*, p. XXXVIII-LXIII; — SOANE, *Grammar of the Kurmanji or Kurdish language* (London, 1913), p. 160-170; — B. NIKITINE, *La poésie lyrique kurde*, in L'Ethnographie (1947-1950), No. 45, p. 39-53.

(6) Malgré toutes mes recherches je n'ai trouvé sur ce poète que les pages à lui consacrées dans: *Proverbes kurdes* de L. P. MARGUERITTE et KAMURAN BEDIR KHAN (Paris, 1937), p. 8-14. — Il reste ignoré de beaucoup d'auteurs et ceux qui le signalent, comme Emin Zeki ou Sécadê, se réfèrent à l'ouvrage ci-dessus indiqué qui lui nous laisse dans l'ignorance de ses sources. Dans une lettre récente (17 II 1954), l'Emir Kamuran m'apprend que les études et travaux que son frère Sureya et Eli Ewni avaient composés au Caire sur le poète Termûkî ont été brûlés pendant les bombardements de Berlin.

(7) L'expression est de l'Emir CELADET BEDIR-XAN dans son article déjà cité de *Hawar*, où se trouvent des remarques intéressantes et des extraits d'auteurs inconnus par ailleurs. — Une brève notice sur *Melayê Djézireh* est donnée par TAWÊSPARÊZ (R. Lescot), dans *Hawar*, No. 35, p. 563-564.

(8) TAWÊSPARÊZ, *La vie universitaire au Kurdistan*, dans *Hawar*, No. 33, p. 772-776.

(9) Le texte persan en a été édité par VELIAMINOF-ZERNOF à St. Pétersbourg en 1860-1862 et une traduction française de F. CHARMOY (*ibid.*, 1868-1875) en deux volumes et quatre tomes, avec d'amples commentaires. Je signale en leur lieu d'autres traductions et éditions.

(10) Cf. ARMENAK SAKISIAN, *Abdal Khan, Seigneur kurde au XVIIème siècle et ses trésors*, dans J. A., tome CCXXIX (1937), p. 253-270.

(11) Dans la liste des divers éditeurs de *Memozîn*, Sécadê, p. 190 et 213, confond avec ceux de *Memê-Alan*. Quant au *Nûbuhar*, il a d'abord été publié par YUSUF DIYA AL-DIN, *Al-Hadiya al-Hamidiya fi'l loghat al-kurdiya*, 320 pages (Istanbul, 1310/1892), qui lui attribue la date de 1094/1680; — puis en fac-similé par VON LE COQ en 1903; —à Rewandux en 1926 et enfin à Suleymani en 1936, par les soins de HACI FETAH (48 pages).

(12) Sur ce dialecte qui serait plus persan que kurde et d'ailleurs en voie de disparition, voir SOANE, *A Short Anthology of Guran Poetry* dans JRAS., 1921, p. 57-81; — O. MANN-HADANK, *Mundarten der Guran* (1930). Ce dialecte est la langue sacrée d'une secte kurde assez spéciale bien étudiée par V. MINORSKY, *Notes sur la secte des Ahlé-Haqq*, dans RMM. 1920-1921 (tiré à part de 182 pages) et encore: *The gûran*, dans B.S.O.S., 1943, p. 75-103, où il donne une liste de treize poèmes épiques de date incertaine et d'auteurs non identifiés et trente noms de poètes lyriques. Il est bon toutefois de noter que les usagers de ce dialecte se disent kurdes et sont considérés comme tels par les Kurdes. Sécadê, par exemple, qui les introduit dans son livre. C'est pourquoi j'ai cru pouvoir en faire mention dans ce travail.

(13) CL. HUART, *Les Quatrains de Bâbâ Tâhir 'Uryan en pehlévi musulman*, dans J.A., 8ème série, tome VI (1885), p. 502-545, dit ceci: «Pour les uns (Gobineau)

ses quatrains sont en dialecte *louri*, pour les autres (Chodzko) en patois du Mazendéran; mais je pense que Lutf 'Ali Bey, qui les range dans l'idiome de Réi doit avoir raison contre ces autorités» (p. 511-512). Chodzko d'ailleurs dans *Etudes philologiques sur la langue kurde*, dans J.A., 1853, p. 350-356, croyait Bâbâ Țâhir du XVIIème siècle et reprochait à ses compositions d'être persanes plutôt que kurdes. C'est aussi l'avis de V. MINORSKY, dans l'article *Bâbâ Țâhir* qu'il a consacré à cet auteur dans l'Encyclopédie de l'Islam et où il le qualifie de «mystique et poète dialectal persan». Ses œuvres d'ailleurs auraient été assez retouchées. Toutes ces raisons m'ont porté à ne pas admettre Bâbâ Țâhir de Hamadan au nombre des poètes kurdes, bien que Sécadê lui ait consacré une assez longue notice (p. 147-154) et qu'on cite ce vers assez curieux du poète:

«Le soir, j'étais Kurde et le matin j'étais devenu Arabe!»

(14) En voir le texte kurde et la traduction française avec commentaire par HUART dans J.A., 1895, p. 86-109.

(15) Sur cet auteur et les séances mystiques au Behdinan, on pourra lire: SADIQ-AL-DAMLOOJI, *Emaret Behdinan el-Kurdiye*, Mosul, (1951), p. 43-44, p. 61-68, 163-167.

(16) Texte complet et traduction anglaise dans MINORSKY, *The Gûrân*, p. 98-103. — On trouvera un autre exemple d'Élégie et cette fois d'origine yézidie, dans *Nivêjên Eyzidiyan* (Prières Kurdes) (Damas, 1933) et sa traduction dans TH. BOIS, *Les Yézidis et leur culte des morts*, dans Cah. de l'Est, (Beyrouth, 1947) 2ème série, No. 1, p. 52-58.

(17) Sur la presse kurde: C. J. EDMONDS, *A Bibliography of Kurdish Periodicals and Books published in Iraq* (1920-1936), dans R.C.A., Journ. (July 1937), p. 487-497; — *A Bibliography of Southern Kurdistan* (1937-1944), *ibid.* (May 1946), p. 185-191; — R. LESCOT, *La Presse kurde*, dans Roja nû, No. 1, 3 mai 1943;— Bishop M. LAURENCE RYAN, *Bibliography of the Kurdish Press*, dans R.C.A., Journ. 1944, p. 313-314; — O. VIL'CEVSKI, art. cit. supra, note 3; — SÊCADÊ, op. cit., p. 551-557.

(18) Durant les années 1945-1947, des feuilles clandestines circulèrent tant en Irak: *Azadî* (la Liberté), *Şûrêş* (la Révolution), *Rizgarî* (la Libération), qu'en Iran: *Réga* (la Voie). Mais naturellement ce n'est pas la littérature ou la science qui intéressait les rédacteurs de ces feuillets d'ailleurs simplement ronéotypés. Je dirais la même chose de *Dengê Kurdistan* (la Voix du Kurdistan) (1949), organe de la Jeunesse démocratique kurde d'Europe, qui publiait des articles de politique en kurde et en français.

(19) *Xondewariy' Baw* (Baghdad, 1933) (44 pages). Cf. P. RONDOT, *Trois essais de latinisation de l'alphabet kurde: Irak, Syrie, U.R.S.S.*, dans B.E.O. (Damas), tome V, 1935, p. 1-31.

(20) *Risâlat 'an kayfiyyat ta'allom al-loghat al-kurdiya* (Baghdad, 1948).

(21) Sur ce personnage sympathique de Rewanduz, le Caxton kurde, comme l'appelle Edmonds, on lira quelques détails pittoresques dans A. M. HAMILTON, *Road through Kurdistan*, 4ème édition 1945 (London), p. 93, 152, 182-183.

(22) Cet article, déjà ancien, puisqu'il date de 1926, est le seul travail

d'ensemble sur les Kurdes qui existe actuellement en français et qu'il est indispensable d'avoir toujours sous la main.

(23) Il faut mentionner ici MIHEMED ELÎ EWNÎ, né à Se'ert vers 1892, d'une famille d'Ulémas. Il fit ses études à El-Azhar et, installé au Caire, fut nommé au poste de traducteur pour les langues turque et persane dans la Chancellerie du Cabinet Royal, poste qu'il occupa jusqu'à sa mort (août 1951). Il a beaucoup travaillé pour sa nation, d'abord par la publication du texte persan du *Cheref-Nâma*, précédé d'une excellence préface en arabe (Le Caire, 1930), puis par la traduction arabe des ouvrages historiques de son ami Emin Zekî (Le Caire, 1939 et 1948), traduction qu'il accompagnait généralement de notes critiques très intéressantes. Il avait préparé aussi une traduction arabe avec commentaires du Cheref-Nâma. Sa mort n'a pas permis de livrer ce travail à l'impression.

(24) *Sefehât min el-edeb el-kurdî* (Beyrouth, 1954), 72 pages.

(25) Cf. OSMAN SEBRÎ et STIG WIKANDER, *Un témoignage kurde sur les Yézidis du Sindjar*, dans Orientalia Suecana, vol. II, fasc. 2/4, Uppsal. 1953, p. 112-118.

(26) On pourra juger de son talent de narrateur par les extraits publiés par TH. BOIS, *L'âme des Kurdes à la lumière de leur folklore*, dans Cah. de l'Est, 1946, Nos. 5 et 6. Tiré à part, à Paris, A. Maisonneuve (58 pages), p. 20-22 et 26-28.

(27) Cf. THOMAS BOIS, *Un poète kurde contemporain: Cegerxwîn*, dans Cah. de l'Est, 1946, No. 1, p. 126-129.

(28) ISMAÎL BEG CHOL, *The Yazidis, past and present* (en arabe), (Beyrouth Amer. Press, 1934), p. 20-26.

(29) Il n'est pas facile d'avoir des renseignements sur ce qui se passe de l'autre côté du rideau de fer. Pourtant certains échos nous en sont parvenus. On les trouvera dans: B. NIKITINE, *La littérature des Musulmans en U.R.S.S.*, dans REI (1934) I, p. 340-341; — P. RONDOT, *L'alphabet kurde en caractères latins d'Arménie soviétique*, dans REI (1933) III, p. 411-417; — *L'adoption des caractères latins et le mouvement culturel chez les Kurdes de l'U.R.S.S.*, dans REI (1935) I, p. 87-96; — L. RAMBOUT, *Les Kurdes et le Droit* (Paris, 1947) p. 109-112; — L. GHARIBIAN, *Les Kurdes de l'Arménie soviétique*, dans Temps nouveaux (1949), No. 34; — O. NADYRI, *Les Kurdes soviétiques*, dans Bulletin du Centre d'Études Kurdes (Paris), No. 4 (Févr. 1949), p. 5-8; — K. NUDAR, *La littérature des Kurdes soviétiques*, ibid., No. 13 (Sept. 1950), p. 23-26; — DJAOURÊ ADFIÊ, *La vie et la culture de la population kurde de l'Arménie soviétique*, ibid., p. 26-28.

On pouvait s'attendre, semble-t-il, à quelques renseignements sur la littérature kurde récente de l'U.R.S.S. à l'occasion du IIème Congrès des Écrivains soviétiques, tenu à Moscou du 15 au 26 décembre 1954. Or la Nouvelle Critique (nº 59, nov. 1954) dans un article succinct sur «*Diversité et situation des littératures nationales de l'Union soviétique*» (p. 215-229), pas plus d'ailleurs que dans son numéro spécial (nº 63, mars 1955) qui donne de larges extraits des Rapports, ne souffle mot des Kurdes. Même silence étonnant dans la série d'articles très intéressants d'ARAGON, *Petit essai sur le 2ème Congrès des Ecrivains Soviétiques*, dans

es Lettres Françaises (nº 552 du 13 janv. et sv.) où pourtant, dans son quatrième article (nº 556 du 17 février) «*Une famille qui parle plus de soixante langues*», il trouve moyen de citer les Tchouktchs, les Kirguizes, les Bouriat-Mongols, un romancier adygué, un écrivain oudmourt, des contes en langue oïrote....

(30) L'exemplaire, unique paraît-il, existant hors de Russie se trouve à Paris, chez Mr B. Nikitine, où j'ai pu le consulter.

(31) Depuis de nombreuses années Cesimé Celîl collabore régulièrement à la presse arménienne. En revanche, les Éditions d'État d'Érivan viennent de publier (1954) un élégant volume relié de 132 pages où, sous le titre de *Mizguinz*, est traduit, spécialement par S. Darontsi, un choix de ses poèmes écrits de 1948 à 1953. On y retrouve les qualités qui caractérisent cet auteur. — Ces mêmes Éditions ont publié, en 1953, la traduction arménienne du *Recueil des Poètes Kurdes Soviétiques*, paru en 1936.—A la fin de la même année 1953, ont paru à Érivan, par les soins de Haciyê Cindi, des extraits de la version kurde de l'épopée azerbaidjanaise du XVIIème siècle: *Koroglu* et leur traduction en arménien (240 pp.). Mais toute la partie kurde de ces récits (p. 139-237), recueillis de la bouche de paysans illettrés (cf. p. 233-235), est transcrite en caractères cyrilliques. C'est assez étrange. Les Kurdes soviétiques auraient-ils renoncé à l'alphabet latin? On aimerait savoir si les motifs en sont d'ordre politique ou culturel.

(32) Réédité à Beyrouth (Nassar, 1947): *Şivanê Kurd* (128 pages). A la fin du volume, p. 123-127, l'éditeur a ajouté quelques poèmes de Celali et de Mirazi, en vers libres et d'inspiration toute stalinienne. C'est certainement de la propagande, est-ce encore de la poésie? Les Kurdes de Russie transcrivent simplement: *imperialist*, *kapitalizm*, etc. Ceux de Syrie ont fait un plus gros effort et ont trouvé des vocables vraiment kurdes: *koledar*, *sermayedari*. Mais eux non plus n'ont pu découvrir en kurde d'équivalent à prolétaire, qui devient tout bonnement : *pirolêtar*.

(33) Voici un modèle du genre signalé par MANSOUR CHALLITA, *Le problème kurde dans l'Orient contemporain*, dans Mondes d'Orient, Ière année, août-sept., 1951, p. 201 : «En avril 1945, après deux ans de lutte clandestine, le parti (de la Jeunesse Kurde) révéla publiquement son existence à l'occasion d'une représentation théâtrale donnée à Mahabat. La pièce jouée représentait une femme appelée *Daik Nichteman* (Mère du Pays natal), en butte à trois vauriens — Irak, Iran et Turquie — finalement délivrée grâce au courage de ses fils. — L'auditoire fut particulièrement ému par ce drame au symbolisme si évident».

TABLE DES MATIÈRES

تعريف عن الكتب

فقه

Pedro Dib. — *Essai sur une théorie des mobiles en droit civil hanafite.* Préface de Choucri Cardahi. — Imprimerie Catholique 1952, VII-407 pp.

مما يثلج الصدر هو قراءة مأثرة كمأثرة الاستاذ ديب بآفاقه الواسعة وادلته المبتكرة التي لم يسبق اليها . فانه لم يُعطَ لجميع الناس ان يفهموا إحكاماً في الدقة بتناول كل شاردة وواردة في سرد التفصيلات ولا سيما في قضية تحليل حالات الضمير تحليلاً متناهياً في دقته وارهافه ووضوح عرضه . فاذا ما صحبنا المؤلف في جولاته الرتيبة احياناً بسبب الموضوع نفسه الذي يعانيه فاننا لنقوم بنزهة لا تعرف ابداً التعب لانه يبعث موضوعاته الجافة الغريبة عن حياة الناس اليومية بما لديه مَن نزعة فيها حية ناشطة ، هذه الموضوعات التي كانت الشغل الشاغل لبعض المؤلفين الفقهاء الذين يقضون اوقاتهم في جعلهم من الحبة قبة .

ولقد درس المؤلف اولًا عوامل فقدان ارادة الارتضاء . وهي الغصب والغرر والغش وجعل لكل قسم فروعاً ثانوية تابع فيها مفصلاً كيفية تطور هذه العوامل عبر اختلاط حابل النصوص بنابلها ، هذه النصوص التي حاول دراستها والقاء بعض النور عليها حارصاً على التغلغل في نفسية شتى المؤلفين .

وانا لنودّ ان نلفت القارئ الى ان الاستاذ ديباً قد أتى بعمل عالم وعمل عالم نفساني مقتنع بان النصوص المائتة هي كاشفة عن النفس والعقلية .

وفي القسم الثاني درس العوامل غير المشروعة مما جعلنا نرغب في الاشارة خاصة الى الفصل الثاني من هذا القسم الذي يحث فيه الحيلة التي تستحسنها الحنفية كمخرج يبرر الضمير ، بيد ان هذه الحيل والمخارج تحتل مقامها من الوجهة الشرعية لتحول دون تنفيذ القانون بجذافيره عليها .

ولئن شئنا ايضاح باقي اقسام الكتاب فنقول انها قد القت امامنا نوراً جليًا على فلسفة الحنفية بصدد ما تفرضه في امور التحليل والتحريم .

ان الجلد الذي تذرع به الاستاذ ديب ليطلق لنفسه العنان متوغلا في هذه الجولة العامية في مضامير تدعو الى التردد الكثير قبل المغامرة في الاقدام عليها وان الفكر الواسع الذي اقام البرهان عليه ليبيّن المبادئ التي يؤخذ منها ضمنا انبساط تقر مثل هذا الاثبات والعقلية التي كانت في اصل حلّ او حلّ آخر ، جميع ذلك يجعلنا حريصين على اطراء مثل هذا الكتاب والحثّ على مطالعته ، اما اذا لاقى القارئ نزوعاً في الصبر لاعتقاده انه سيضل في تيه التحليل والتحريم الاسلاميين فما عليه الا ان يقدّر تقديراً اوفى جرأة الاستاذ الذي اضطر الى استغراق السنوات الطويلة ليكتشف عبر هذه المجاهل الفكرة الخفية والطريق التي كانت تقودهم . اما المقارنات التي جاء بها مع القوانين الاجنبية فقد كنا نود ان تكون او اشد اتساعاً واقل ايجازاً او ان لا تكون لان القارئ غير المطلع على هذه الشؤون لا يستطيع ان يستفيد من مطالعته .

ا. عبده خليفه

ÉMILE TYAN. — *Institutions du Droit Public Musulman.* — Tome premier : le Califat. — Recueil Sirey, Paris. — Imprimerie S. Paul, Harissa, Liban, 1954. XIII-541 pp.

لسنا في افتقار الى الايغال في مطالعة هذا الكتاب القيّم ايغالاً كثيراً لنكتشف مزايا المصنف المرتفعة عن مقام التحدي ، فهو قابض على ناصية موضوعه ، واضح في تفاصيله، غزير في مستنداته وايضاح عرضه، فقد اظهر لنا في مختلف كتاباته مبلغ حرصه على متابعة موضوعه ومناولته المتعمق بدراسته تعمقاً لم تبق معه نقطة في زاوية الاهمال بدون ان يثبتها بنصوص تثبت صحتها ، وارداً المناهل ومدلياً بالحكم الدقيق .

وها هوذا بين ايدينا الان الجزء الاول من مصنفه الكبير يعالج فيه اشتراع الحقوق العامة الاسلامية في تطوّرها وتنوعها ، وها بين ايدينا دراسته على الخلافة التي ستتبعها اجزاء اخرى وتقارنها بالسلطنة .

وبعد مقدمة اطلعنا فيها المؤلف على غايته ومقاصده ، شرع في ثلاثة فصول يوسّع بدقة ما خوّله التاريخ والمستندات ان يأتي به من اقوال بشأن الخلافة .

ولقد درس في الفصل الاول البيئة العربية قبل الاسلام ، متبعاً طريقة

تاريخية رائعة بارجاع الاحداث الى اطار قرائنها وبان نجد في هذه القرائن الاصول او على الاقل النقطة التي توضح النظامات المتتالية الجادة في السيطرة على محيط دائم التشويش من جراء الفوضى، على محيط كانت ميزة الحياة المشتركة فيه القبيلة والعيلة والقربى وحفظ الذمام ونبذ بعضهم الناجم عن اقصاء الجماعة.

وتحدث في الجزء الثاني من هذا الفصل عن العلائق بين الفئات وصور تصويرا دقيقاً كيفية فقدان السلطة الاقليمية التي توحد جماعات بلاد واحدة. اما في الجزء الثالث فتكلم عن الانظمة والقوانين التي لم تكن الا العوائد التي تنظم تلك البيئة. فقد كان الغزو معترفاً به كنظام قانوني، والثأر (وهو ان يقوم كل فرد بتحقيق الحق) والجوار (وهو ان يلجأ احدهم، وقد حقّ به خصومه، الى حماية احدى القبائل للحفاظ على حياته) والايلاف (وهو حق حماية القوافل التجارية في بعض القبايل مقابل شيء من المكافاءات). وحاول المؤلف في القسم الرابع الايضاح ان الحالة السياسية والوظائف المنظمة حتى في مكة، موطن قريش، كانت بعيدة عن مفهوم السلطة السياسي. وخصّ القسم الخامس ببحث هذا الامر الاخير.

والفصل الثاني يشتمل على قسمين عرّف فيهما المؤلف كيفية الانتقال من الفوضى القبلية الى المجتمع السياسي الديني الاسلامي، ولقد حطّم محمد النظام القبلي وتصوّر انشاء نظام جديد للجماعة يرتكز الى الدين وكان ذلك النهج يقوم على المبايعة وعلى الجهاد في الكفار، فلذلك كانت سلطة محمد مدنية — سياسية ودينية.

وبعد وفاة محمد نشب الخلاف حول قضية الخلافة، لان النبي لم يكن قرّر شيئاً بشأن من يعود اليه الامر فيها، فمرّ القوم في فترة تردّد طويلة، حتى توصلوا في النهاية الى القول ان الخلافة يجب ان تكون قريشية وترتكز الى الصحابة، كما وصلوا ايضاً الى الحلّ التالي وهو ان السلطة يجب ان تكون ملكية.

ولم يستقر هذا التنظيم الا شيئاً فشيئاً كما يتضح من تردّد الخلفاء الاولين تردّد الخوف لإقرار قوائم النظام الادارية.

ويعرّف الفصل الثالث تنظيم الخلافة. هل اضطلع باعبائها الخليفة عن

طريق الوصية له بها ام عن طريق انتخاب سبقها ؟ لقد اسهب المؤلف في هذا المقام في الكلام بصورة خاصة على البيعة — الانتخاب ومن ثم اوضح لنا في الصفحات التالية اسباب اضمحلال الخلافة وتنظيمها موحدة متخذة سلطتها من الله.

وفي القسم الاخير من هذا الفصل حدثنا المؤلف عن الانظمة الاقطاعية التي تعاقبت وكان لها تأثيرها الكبير في انحلال الخلافة . فانتجت الخلافة امارة الامراء التي استمسكت على السلطة بكليتها والتي انتجت بدورها السلطنة التي سيدرس المؤلف شكلها في المجلد الثاني .

وفي ختام هذا الايضاح الخاطف لا نستطيع الا ان نصرح بالفائدة الكبرى التي اطلعنا بها على هذا الكتاب اذ جمعتنا مستنداته على اتصال بالفكرة الاصيلة وبانبثاق تلك القوانين . فالكتاب كتاب تحليل ولا يقوى ان يكون على غير هذه الشاكلة ، بيد ان الفكرة التي تلخصناها منه تخولنا رؤية المبادئ التي سيرت سياسة الاسلام منذ كان حتى انحطاط الخلافة .

واننا لنشهد في رواية المؤلف جميع الصعوبات والتقلبات وما تعاقب من عقبات اجتازتها الخلافة .

ولا يسعنا الا ان نرقب صدور الجزء الثاني من هذا الكتاب بقلم استاذ ماهر لنستكمل معلوماتنا . بيد انه ليزداد ابتهاجنا فيما لو شاء المؤلف ان يصلنا بالمراجع العربية الواسعة بدلاً من ان يستشهد بعبارة او بكلمة من استشهادات طويلة في الحواشي او في آخر الكتاب فبذلك يؤدي خدمة اجلّ واجدى .

ا. عبده خليفه

لغة وعلم الاديات

J. B. Segal. — *The diacritical point and the accents in Syriac.* (London Oriental Studies vol. 3). — In-8, XII-179 pp. — Oxford, University Press, Geoffroy Cumberlege, 1953.

تضع كتب التوراة العبرية امام نظرنا عدداً كبيراً من النقط الصوتية كالداغيش والمابيوس وحركات ذات اشكال مختلفة مما حدا بالمبتدئين حيال هذا العدد الكثير من الحركات الصالحة لتضليلهم الى ان لا يروا افضل من ان

يهملوا تدريجاً معظمها لكي لا يستجمعوا انتباههم ولو موقتاً الا الى ما يحتاجونه منها في قراءتهم .

ولا تستدعي مطبوعات اللغة السريانية من امثالهم ان يتقيدوا بهذه التفرقة لان هذه المطبوعات من نصوص طقسيَّة وكتب مدرسيَّة وحتى من نشر المتون قد الحقها واضعوها بضوابط صوتية حسنة كاملة وقللوا على قدر الامكان من النقاط الدالة على مخارج الصوت فباتت مفيدة وسريع فهمها لانهم لم يبقوا الا على ابسط ما يكون من النقط فوق الكلمات بحيث لا تختفي منها خافية .

والامر على العكس في المخطوطات لان ضوابطها الصوتية بالاحرف اليونانية الصغيرة لا يستطيع الكثيرون من الطلاب الاستغناء عنها بأية طريقة كانت مع انها لم تظهر عليها الا في الازمنة المتأخرة وبطريق العرض وفوق كلمات غريبة الاصل او فوق مقاطع اختيرت كيفما اتفق ، وما عدا ذلك نشهد فوق الكلمات وتحتها وفي نهاية الجملة او في نهاية اجزائها نقطاً منفردة او مزدوجة يدرك بعضها القارئ فوراً ويظل بعضها اقل وضوحاً لديه .

وبالحقيقة لا بلحمن اعتماد قدامى علماء القواعد كيعقوب الاورفي ويوسف بن ملكون وساويروس بن شكو وابن العبري ليختنوا او يجدوا تحت هذا التركيب الذي لا يختلف الا قليلاً عن غيره من حيث النقط البسيطة لا من حيث النقط الدالة على تمييز المخارج الصوتية فقط ، هذا الترتيب الذي اعدَّ ليعرفنا المفرد والمثنى والجمع في الاسم وصيغة الفعل وكيفية التلفظ به ويعرفنا ايضاً مجموعة قواعد للحركات شبيهة شبهاً غامضاً بجملة قواعد التوراة العبرية المتنوعة المعقدة . . المنفرة تماماً .

ولقد اكبَّ السيد ج. ب. سيجال بعزيمة ماضية على دراسة تاريخ النقطة التي تميّز المخارج الصوتية من جديد كما يشير الى ذلك عنوان كتابه اعني على الطرق التي تخالفها لتمييز الكلمات المختلفة بمعناها ولفظها فكانت محاولته لا بدَّ لها من ان تفضي الى امرين متباينين بصدد النقط الصوتية تتبعها ادلة مفيدة اخرى للتلفظ ببعض الحروف الساكنة ومن ثم اراد التصدّي لقضية هذه الحركات المهملة غالباً وتكاد تكون من باب دراسة علماء اليهود دراسة نقدية لنص التوراة والتي نقل قدامى النحاة والصرفيين ثبتها الينا .

ولقد كانت طريق واحدة ممكنة لتميز بدقة وموضوعية مراحل تطور علامات اللفظ الصوتية الواقعية وما قررته اقوال علماء الماضي الجائزة قليلاً بصدد تشكيل الحروف . وكان لا بدّ بالنسبة الى هذين العنصرين من بحث عدد كبير من المخطوطات المؤرّخة . والسيد سيجال قد اعلمنا انه بحث اكثر من مئتي مخطوط منها تمتدّ تواريخها بين القرن الخامس والثالث عشر فقدّم لنا في خاتمة كتابه كشهادة لا يأتيها الباطل اربعة صور منها مشروحة شرحاً كاملاً ومن جملتها الذيل ١٢١٥٠ .

ولا مراء اننا اذا ما اتّبعناه نقع على ايضاحات جديدة في هذه المسائل الخافة والتي لا تخلو من الاهميّة . وانّنا لنميّز تمييزاً افضل تتالي العلامات وتطوّرها وهي التي اوجدت تدريجاً ومن ثم تطورت حالاً تطوراً منفصلاً لدى اصحاب العقيدة بطبيعة واحدة «الغربيين» ولدى النسطوريين «الشرقيين» . وعلى قدر ازدياد عدم ميلنا الى التسليم بها للوهلة الاولى فعلى قدر ما نتأكد ان كتبة قد طبّقوا حقيقة وبكل امانة قواعد المعلمين فيما يختصّ بوضع النقط للجمّل وبالحركات الضابطة للقراءة الطقسية وذلك ولو على الاقل في عهد الازدهار ولا سيّما للنصوص المقدسة .

ومع ذلك ألم يبقَ في مقدورنا ان نعرب عن اسفنا ؟ ان هذا الكتاب يحسب مألوف الصرفيين والنحاة القدامى هو عبارة عن القواعد والضوابط المفروضة معرفتها وعدم الخروج عليها فهو يوضح بجلاء ضروب نجاح هذه القاعدة ولو على الاقل جزئياً وذلك في عهد الازدهار ، ولكن افلا يحق لنا ان نتمنى ايضاً بياناً عن كثرة الاهمال العظيم طبعاً في هذا الصدد ؟ وانه لفي مقدورنا ان نرغب رغبة اشدّ (ربما حققوها لنا في المستقبل) بايجاد اشارات موضوعية مرتكزة الى المستندات بصدد ضبط مخارج الصوت ونقاطها في المخطوطات الكثيرة العدد وهي بعد القرن الثالث عشر . بولس موترد

Thomas O'Shaughnessy, s. j. — *The development of the meaning of Spirit in the Koran. (Orientalia Christiana Analecta, 139).* — In-8°, 75 pp., Roma, Pont. Institutum Orientalium Studiorum, 1953.

مؤلف الاب اوشاناسي جدير بكل ثناء لصفته العلمية الصريحة ولدقة

صاحبه واستقلاله في المباحث الشرقية التي يقدّر ذا قيمتها ويُعنى بها ولا يضن عليها بتنقيح واضح متئد اذا ما رآه مناسباً ، فالدراسات التي كان موضوعها القرآن منذ قرن لم تبلغ بعد نهايتها وانها لم تبرح في بدايتها كما في اعتقادنا ، لكي تفسح اصوله وتحديد مفاهيمه (المعاني) وتحليلها المجال لابحاث مثمرة كل الثمر . فلذلك تدلنا دراسة الاب اوشاناسي تدليلاً واسعاً على هذا الامر .

ولقد درس مكدونلد بصورة ربّما كانت مستوفاة مفهوم « روح » في الاسلام سنة ١٩٣١ (Acta Orientalia, IX, pp. 307-351) واستأنف الاب المؤلف بعدة واسعة من التآليف التي طالعها دراسة هذا المفهوم بادئاً من المباحث اللغوية الدقيقة وقد استعملها برصانة كبرى ، من دون ان يتعدى نطاق حياة محمد متتبعاً بامانة في الوقت نفسه تدرّجه وتطوّره النفساني على قدر ما خولته ذلك اثبت المباحث واحدثها في هذا الموضوع .

وبدون ان نتوقّف عند فصول المؤلف المختلفة التي يوسع فيها شتّى معاني كلمة روح ويبحث عنها كما هي معروفة الى الآن في القرآن يخيّل الينا انه من الواجب ان نلفت الانتباه الى فصله الرابع حول الآيات الاربع التي وردت فيها كلمة « روح » مقترنة بكلمة « امر » الله ، وتتبع المؤلف بعزم صادق واستقلال فكري الدائرة التي يبيّنها تطوّر مفهوم كلمة « الروح » في مستقر شعور النبي ولا سيما في الدور الثالث المكي الذي أمليت فيه الآيات الاربع المذكورة ، واننا لنرى بعض التطور في هذا المفهوم الذي حالت الصعوبات الخارجية احياناً دون تقدمه مما يوضح بحسب رأي الاب اوشاناسي ذكاء النبي العملي ، اما ذلك التطوّر المستمرّ وجوده فمن المحتمل ان مردّه الى ما كان من تأثير لعظات معابد اليهود وللوسط المسيحي الزاعم انه يعرف كل اسرار الحياة الالهية في نفس النبي . . . وقصارى القول ان كلمة « روح » بحسب رأي الاب اوشاناسي تعني في الآيات الاربع المذكورة كائناً ذا شخصية غامضة (٨٧/١٧) كائناً على علاقة بنقل الوحي الالهي (١٦/٢) ومعادلاً لا شخصياً للنبوة والوحي الالهي (١٥/٤٠ ؛ ٥٢/٤٢) . ويجدر بنا ان نلحظ ان الاب المؤلف قد استند ما عدا السيرة الواسعة السديدة الاحكام في ادق تفاصيل بحثه الى كتب تفسير القرآن الاربعة منفرداً باضافته الى كل فصل من فصوله ثبتاً واضحاً يبين المواطن التي

اتفق فيها او اختلف المفسرون الاربعة في تفاسيرهم الكبرى : « الطبري والزمخشري والرازي والبيضاوي » وذلك بصدد الايات التي كانت موضع الدرس.

وصفوة القول لا بدّ لنا من الاعتراف بان في دراسة الاب اوشاناسي تقدماً عظيماً في معرفة عقلية النبي وفي الوقت نفسه مساهمة قيّمة في تاريخ العصر الديني .

ا. لاتور

جغرافية وطب

WOLFGANG LENTZ. — *Iran*, 1951-1952. (Sclaifter zur Geopolitik, 26). — In-8°, 48 pp. 2 cartes sur la couverture. — Heidelberg, K. Vowinkel, 1952.

ان مردّ التقلبات التي تمرّ بها اليوم دول عدة من دول الشرق الادنى الى تنازع رغبتها بالاستقلال التام وتملقها الاقتصادي الفعلي بالاجنبي .

فايران بسبب حقولها البترولية غدت مسرحاً لاحدى هذه المخاضات التي لم تجرِ تسويتها سنة ١٩٥٤ . ونشير ازمة ١٩٥١—١٩٥٢ التي يحصها السيد ف. لنتز الى نقطة النزاع الحاسمة التي تظهر فيها العناصر الجوهرية للمعضلة .

امّا مظهراها الاقتصادي والسياسي فقد اخذهما على التوالي بعين الاعتبار .

ويذكر المؤلف بعد ان سرد بايجاز تاريخ شركة انكلو — ايرانيان اويل (A I O C) وهو الاسم الذي اتخذته سنة ١٩٣٥ ، التي غدا لها اليوم ٢٥٠ فرعاً ، نصوص مقاولة سنة ١٩٣٣ والمجهودات التي بذلها الفرس لتعديل نصوصها وقانون تأميم التقيات البترولية الصادر في ٢٠ اذار ١٩٥١ مبيناً نتائج هذا التدبير والخسائر التي مني بها الجانبان والمجهودات التي لم يضنّ بها مصدّق لتحسين حالة بلاده المالية وتأييد مطالبه ومحاولات التسوية . فكان الملحق الذي عنوانه : ايران — احصاءات شركة الزيوت الانكليزية Iran and AIOC statistisches الايرانية . — واخذت الحكومة البريطانية تدعم الشركة AIOC على حين ان الاهتمام الاول كان منصرفاً في داخل ايران الى الشكل الاجتماعي والوطني على حين ان الرأي العام الوطني كان يعتبر المقاولة المعقودة بين بريطانيا العظمى والديكتاتور الفارسي رضا شاه سنة ١٩٣٣ مقاولة قديمة قد املتها هي عليه .

وليس الامر امر الكره العام للاجنبي ولكنه الرغبة بالاستقلال تجاه السرفيات

وتجاه الانكليز . وقد قام ضد هؤلاء. تشكّ الآنه انهم استخدموا المشروع الاقتصادي لعمل سياسي مارسوه خاصة مع قبائل الجنوب ومع نواب الجنوب والغرب — والخلاصة المستمدة من فم قيم المالية العام الجين كروسكلوز (Elgin Groseclose) ان الزمن لم يبق لتظاهرات القوة ولا للتدخل بشؤون البلاد الداخلية .

ويبدو ان هذه الدراسة مستوفية المعلومات ولكنها لا تدلّ كيف ينبغي العمل لحماية المصالح الاجنبية المتعيدة لبترول ايران د. م.

Les Guides Nagel. —*Israël.* In-16, VIII-336 pp. 24 pp. de plans en couleurs, 14 plans en noir. — Paris, Nagel, rue de Savoie (6e), 1953.

لقد اعدّ هذا الدليل للمسافرين الذين يزمون فلسطين عن طريق اسرائيل ، على حين ان زوّار الاراضي المقدسة القادمين بطريق بيروت دمشق الاردن اسهل عليهم بلوغ الامكنة المقدسة من هذه الناحية .

اما هذا الكتيّب فواضح وعملي وبالاستطاعة التزوّد به وبمقدورنا ان نقع فيه على معلومات بصدد الحركات الصهيونية وتكوين دولة اسرائيل وهو يشتمل على ثبت باسماء الامكنة الجغرافية الاعظم اهمية كما يطلعنا على معلومات عن توسع البلاد الاقتصادي وعن عقلية سكانها القديمة والحديثة وهي معلومات لا يتسنى جمعها بدون مشقة وتبدو كأنها مستقاة من مصدر لا بأس به .

وبسبب ما في الارض القائمة بين اسرائيل والاردن من مخارم ونشوز لا بد للمسافر من ان يحط عصا الترحال في حيفا وتل ابيب ليزور بوقت فراغه المناطق الاسرائيلية القائمة الى شمال مرّ نتانيا وجنوبه (ص ١١٠) . ويرشدنا هذا الدليل اولًا الى الجنوب ومن ثم يصل بنا الى القدس الجديدة ليسير بنا بعد ذلك الى النقب ويعيدنا من ثم الى حيفا بطريق الساحل لكي نبلغ الناصرة وطبرية . وفي سبيل التسهيل على الزوّار استخدامه نرى في ص ٢٤٠ — ٣٠٤ ان معالم الطرقتين تغشى القدس (المدينة القديمة مع القبر المقدّس وفناء الهيكل) وجبل الزيتون وبيت لحم واريحا .

وزوّد الاب سنيس اليسوعي والاب ماتياس دلكور هذا الدليل ببيان على

الدين الكاثوليكي في الارض المقدسة وبوصف شديد الابضاح لمخطوطات البحر الميت. اما تاريخ اسرائيل الذي وضعه السيد تيودور ف. ميزلس (Mysels)، العالم الاثري والكاتب الاسرائيلي، فشهادة ناطقة على التعلم الاكثر رواجاً في بعض دوائر الدولة الجديدة، وهو يشتمل على تخمينات تقريبية شديدة الافراط او الاغلاط عن فخر الدين فقال انه حكم بيروت من ١٥٥٥ الى ١٦٣٤ (ص ٤١) على حين انه قد توفي سنة ١٦٣١ (ص ٤٢) وعن الموازنة (ص ٥٢). ومما تنكب تاريخه عن ان ينسب الى اليهود بجسارة المتهور ان حضارة اسرائيل المادية لم تستطع مقابلة عظمة مصر بيد انها قد اعطت العالم دينين عظيمين ونحن مدينون لها بفتاح كل العلوم، مدينون لها بكتابة الحروف الابجدية (ص ١) مجرداً هكذا فينيقي رأس شمرا او جبيل — بيبلوس مكتشفي الابجدية من انبل لقب من القاب مجدهم !!!

Tuḥfat al-aḥbāb, Glossaire de la matière médicale marocaine. Texte publié pour la première fois avec traduction, notes critiques et index, par H.P.J. Renaud et Georges S. Colin. (Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines, Tome XXIV). In-8°, XXXV — 218 pp. - Paris, Geuthner, 1954.

ليس هذا الكتيب الذي يرتقي الى القرن الثامن عشر وقد وضعه احد ابناء مراكش الجنوبية الّا ثبتاً للكلمات التي كانت مستعملة آنذاك في المداواة الحلية، ولقد علقت عليه شروح موجزة باللغة العامة. ومن البديهي انه كان تتمة لكتاب طبي مفقود اليوم او بالاحرى لم يبقَ اسمه معروفاً، والكتاب على ما هو عليه فهرست ا ٦٢٤ كلمة تدلّ على ادوية معظمها من اصل نباتي وجزء منها قليل ولكنه مهم من اصل حيواني ومعدني وكلّها مستخدمة في الطبّ.

واننا لنستشعر فائدة تكديس هذه الاثبات نظراً الى كونها في الوقت نفسه كمستندات او كتاريخ للطب في المغرب وكدراسة لغوية للبربرية والعربية المراكشية. ولقد صدرت ترجمتان لهذا الكتاب بقلم الدكتور ا. ي. برتران وج. سالمون على صفحات المنشورات العلمية الحلية، بيد ان عمل هذين العالمين الذي تفردا به قد أعوزته الكفاءة الضرورية التي يتطلبها مثل هذا الموضوع.

وتشير هذه الادوية التي يردّنا استعمالها الى اسرار التطبيب القديم ولاسيما الى

عهد ديوسكوريد الى اسماء مشهورة قديمة مختلفة منها من اصل يوناني وفارسي وعربي ولاتيني وروماني اسباني وحتى من اصل قرطاجي.

والعبارات التي عرضها علينا العالم اللغوي كأنها معادلة لغيرها لا يستطيع انه يحققها احد ما لم يكن معتاداً طويلاً التحدث مع اهل البلاد وما لم يتخذ ضروب العناية اللازمة ليقوم ببحث اللهجات العلمية بحثاً حسب الاصول.

وفي اصدار المؤلفين للنص ابترجمتها الجديدة وتعليقات شروحها قد اشتركا بمعلوماتهما معاً الا وهي معلومات العالم الاختصاصي السيد رينو ومعلومات الاختصاصي بدراسة اللهجات السيد كولن. وان هذا العمل تحمل جملته على الاعتقاد ان تآزرهما قد اسفر حقاً عن اظهار القيمة التي كان بالمقدور استنباطها من الاثر الذي قدماه لنا. ب. م.

ادب

جدد وقدماء

بقلم مارون عبود

دراسات ، نقد ، مناقشات . دار الثقافة بيروت ١٩٥٤ — ٣٢٠ ص قطع كبير .

انها دراسات مختلفة او محاولات جمعها المؤلف في هذا الكتاب، والحكم فيها عن المؤلفين هادئ وقيم ، واننا لنرى لديه احياناً نزعة تحيز فاذا ما تحدث عن الاب لامنس او عن الاب يوسف الحداد واذا ما تحدث عن الاخطل الصغير فاننا نرى لديه احترام الموضوعية يبدو في خطوط دقيقة باستشهادات من مؤلفاتهم. اما اذا تكلم على امين نخله فاننا لا نستطيع الا ان نرى لديه نقده اللاذع واحياناً المجحف . واذا ما كان هذا الاديب الاخير في كتابه المنتقد قد استسلم بكثير من الصخب كملك الشعراء. فقد كان على مارون عبود ان يناقش هذه النصوص الاستشهادية بدون ان يسيء اليه هذه الاساءة وبدون ان يتهكم .

ان الكاتب لمعروف بروح النكتة فهو يضحك ويحمل غيره على الضحك فلغته البسيطة تنطبق على الافكار التي يعرب عنها ، وهذه هي صفة . واننا كنا نود في هذه المقالات لا اطناباً فقط بذكرى المؤلفين الذي يرغب في تقديرهم ، وانما دراسة عميقة لمؤلفاتهم . ان اختياره لمواضيعه لمفيد وان دراسته كان عليها ان تناسب بقيمتها المؤلفين الذين القت عليهم بعض النور. ا.ع.خ

لبنان الشاعر

بقلم صلاح لبكي

مطابع المرسلين اللبنانيين – جونيه ١٩٥٤ – ٢٢١ ص . حجم كبير – منشورات الحكمة

ان هذه المقالات المتفرقة حول الشعر الحديث في لبنان بقلم رئيس اهل القلم هي محاولة موفقة فريدة في بابها . انها بعض دراسات مفصلة حول شاعر او آخر درسها هو نفسه ولكن ليست دراسة عامة مع ان صورة الاديب تكتسب نوراً اذا ما دُمجت في درس تاريخ تطوّر الفكر والادب .

ان دراسة تمهيدية للجمال والشعر تعطينا فضلاً عن بعض الاثباتات الاصلية وجهات نظر لا بأس بها ولقد كنا نودّ ، بما ان المؤلف يعمد اليها ، ان يدرس بشكل اشد وضوحاً آراء القديس توما بحد ذاتها وفي تطوراتها عند مفسّريه العديدين او عند احدهم الذائع الصيت جاك ماريتان في كتابه الفن وفلسفة القرون الوسطى .

ومن ثم يستعرض المؤلف بعض كبار الشعراء من سلسلة اولئك الذين شهروا النهضة الادبية والعصر الحديث . فاحكامه مضمونة وهي احكام شاعر يحكم على غيره من الشعراء ، وانا بضعة وبساطة اللتين تدلان على صفات عالية . وانما لنرى الصداقة الخاصة التي يخص بها المؤلف جبران فقد درسه في اشكاله المختلفة وحلله بتفصيل وتدقيق مما يحمل على الاعتقاد ان جبران في فكر اللبكي احد اولئك الذين جعلوا للشعر اللبناني الحديث مقاماً في الشعر الجديد البناني لكي لا نقول انه اعظمهم . لقد حرّر جبران الشعر من قيود التقليد ودفع به في طرقات جديدة استوحى منها الآخرون . وجدير بلفت انتباهنا الصفحات القليلة التي اوقفها المؤلف على دراسة ابي شبكة . ان اثباتاته هي حقيقية . انها تلمس نفس الشاعر ، اعظم شاعر ابداعي لبناني .

ان دراسة المؤلف حول العصبة القلمية والعصبة الاندلسية تجعلنا نحيا بعض الاوقات مع هؤلاء الشعراء في المهجر الذين شهروا لبنان بثقافتهم وعبقريتهم . ولقد احسن فؤاد كنعان صنعاً بكتابته مقدمة هذا الكتاب ليحدثنا عن المؤلف الشاعر الدقيق والعميق والذي يوحي الشعور لديه عالماً اسمى وحبه للرمز ليس غير تماش يابحث عن الواقعية التي ظلت صافية مستقيمة .

ا. عبده خليفه

الشعر العربي في المهجر الاميركي

بقلم وديع ديب

دار ريحاني للطباعة والنشر – بيروت ١٩٥٥ ، ص ١٦٠ قطع وسط

مما يبعث على السرور قراءة هذا الكتاب وهو الاول الذي يتحفنا ببحث وافي التنقيب حول الادب العربي ولا سيا حول الشعر العربي في اميركة .

ولقد استعرض المؤلف في فصول محكمة التحليل نماذج الشعر العربي الرئيسية والقصيدة وحاول دعم اقواله باستشهادات عدة واقنعنا بتحليل قريب جد القرب من اقوال الكتبة مما جعلنا نرى هذه الدراسة نموذجاً في نوعها ، فبعد ان درس تمة الشعر وموازينه وعروضه والتجدد في المعنى والكلمات والغاية المتوخاة، وبعد ان اشار الى طابعه الشخصي وتحوله الى الانعتاق من التقليد واتجاهه في دخيلته وتأمله، اختتم كلامه بالرسالة التي يود ان يحملها للشعر الحديث .

ونحن لا نستطيع الّا تأييد اقواله فيما جاء به عن التجدد في شعر المهجر وانما كنا نرغب في ان يوضح بتدقيق اوسع خصائص هذه النفس اللبنانية مفصلاً في شعر المهجر : وهي المكوّنة من الرقة والسعي وراء مثل اسمى قد يغيب عن نظرها من وقت الى آخر ولكنها لا تبرح صابية اليه .

واراني لا استطيع الّا ان اضيف الى ما قلته امرين : لقد القى المؤلف في الذهن ان الواجب يستدعي توسيع القصة والروايات المسرحية فهو على حق بذلك، ولطالما نبّهنا هنا في سانحات كثيرة الى هذا الامر على صفحات المشرق ، فما من احد يخالجه ريب في مدى اجماع عقلية شعب على ان تحتشد في هذه الاقاصيص وفي المسرح احتشاداً غريباً يدلّل على نفسية الشعب .

ولا يسعنا الّا ان نرى لدى المؤلف بعض الرغائب في اثبات امور لا يعنيه شأنها لانه جزم مؤكداً بان لا وجود للفروقات التي يقيمونها بين الكاثوليكية والبروتستانتية، مما يحملنا على ان نأسف كل الاسف لهذه الاقوال التي جزم بها جزماً خاطئاً وهي لا تزيد في قيمة الكتاب شيئاً وكان من الافضل له ان يضرب عنها صفحاً .

ا. عبده خليفه

اخبار العالم

اخبار دينية

خطاب للاب الاقدس : وجهه الى زوّار روما من ايطاليين وغيرهم في فرصة الاعياد الفصحية . استهلّه ببشارة العيد : قد قام المسيح : وجّهها اولاً الى الزوار ثم عاد فوجّهها الى العالم بأسره .

بعد ذلك تحدّث قداسته عن حضور المسيح المنتصر دائماً بيننا مؤكداً بان هذا الحضور هو حقيقة لا يجوز نكرانها يشهد بصحتها عمله الحي النافذ في كنيسته ويشهد ايضاً بصحتها كل مؤمن صادق لا يضع بين ايمانه وحياته حاجزاً .

ثم مدّ ذراعيه للبركة . بارك اولاً البشرية كلها « الصالحة الارادة » وتمنّى لها النموّ الدائم فتكون في العالم البشيرة الجديدة حسب قول الرسول (١ كور ٥ : ٧) خميرة الحق والصلاح . . . ثم بارك متأثراً كل المضطهدين ظلماً من جراء ايمانهم لكي يكونوا بجميعهم بذراً خصيباً يقوم عن قريب لحصاد فائض الغلة والاثمار ومصدر حياة سعيدة حقاً . . . اخيراً بحزن شديد ألمح الى تخوّفه من امكان وقوع حروب جديدة .

تطويب ستة وخمسين شهيداً من الصين : في يوم الاحد ١٧ نيسان أعلن الحبر الاعظم باحتفال مهيب تطويب خمسة وستين شهيداً قُتلوا في الصين سنة ١٩٠٠ في حرب « البوكسر » من أجل ايمانهم . دخل الثوار فجأة الى مقاطعة الشيلي وهي رسالة في الصين الرهبانية اليسوعية وقتلوا فيها نحو خمسة آلاف . من هؤلاء احتفظت دعوى التطويب في روما بستة وخمسين ثبت استشهادهم منهم اربعة مرسلين وعشرون رجلاً وشاباً وست نساء واحدى عشرة فتاة .

خلاف في بلجيكا بين المدارس الكاثوليكية والحكومة : منذ ٢٦ اذار قامت وتتابعت مظاهرات الكاثوليك في بروكسل وشتى مدن بلجيكا ضد الحكومة لتثنيها عن التمسك بمشروع قد اعدّته انتصاراً للمدارس الرسمية على المدارس الكاثوليكية الحرّة .

قبل الانتخابات الاخيرة التي جرت في ١١ نيسان ١٩٥٤ كانت ازمّة الحكم في بلجيكا بيد الحزب الاجتماعي المسيحي فاهتمت اذ ذاك الحكومة بسنّ قانون منح هذه المدارس الاهلية الدينية مساعدات كافية لتكون مع المدارس الرسمية على درجة المساواة فيمكن للاهل دون صعوبة الاختيار الحرّ بين مدارس الحكومة والمدارس الدينية . . . فلما جاءت الانتخابات الاخيرة صار الحكم لعصبة من الاشتراكيين والاحرار تدعمهم الشيوعية وهي الآن تسعى في هدم ما بنته الحكومة السابقة . . . اما الكاثوليك في بلجيكا فانهم مصممون على المقاومة بكل وسيلة شرعية ومها كلفهم الامر .

اخبار عالمية

سوريا : اغتيال العقيد عدنان المالكي : بعد توقيع المعاهدة التركية العراقية دخل القلق الى سوريا وترددت اشاعات اضطربت لها البلاد . . . اخيراً جاء حادث اغتيال العقيد المالكي نائب رئيس اركان الجيش السوري فاثار النفوس وهبت الحكومة يسندها الرأي العام لمصادرة اعداء الوطن والمشاغبين .

حدث الاغتيال فجأة في ٢٢ نيسان بعد الظهر في مباراة الكرة بين منتخب الجيش السوري ومنتخب الجيش المصري اذ هجم فجأة المدعو يونس عبد الرحيم وهو من الشرطة العسكرية على العقيد وهو يحضر المباراة بين الاشخاص الرسميين ثم همّ بالانهزام ولم يقدر فقتل نفسه .

وتقول الاخبار بان العقيد عدنان المالكي كان من اعظم الضباط في الجيش السوري وانه كان متمسكاً باستقلال بلاده لا يرضى لها بالامتزاج مع العراق .

تظهر السلطات السورية متأكدة من انتماء القاتل الى الحزب القومي السوري وتتهم الحزب المذكور بالجريمة . . . وفي هذه المناسبة نددت الجرائد بالحزب القومي السوري تنديداً شديداً وذكرت ما له في القديم من اعمال ارهابية في البلاد .

جاءت هذه الجناية تدعو السوريين الى اليقظة والتحذر والى الاتحاد والتماسك امام الخطر القائم ناسين كل امر آخر من شأنه ان يفرق ما بينهم سياسياً كان او شخصياً .

مؤتمر باندونغ (اندونيسيا) : هذا اول مؤتمر كبير لم يشترك الغرب فيه : مؤتمر افريقي اسيوي . اما الدول التي دعت اليه فهي خمس : بورما وسيلان واندونيسيا والباكستان والهند .

ابتدأ المؤتمر اعماله صباح الاثنين ١٨ نيسان واتمها في ٢٦ . كان الاجتماع في قصر الحرية (مرديكا) يرفرف عليه تسعة وعشرون بيرقاً : بيارق الدول المشتركة فيه . افتتح المؤتمر بخطاب السيد سوكارنو رئيس الجمهورية الاندونيسية . بحث المؤتمر في شتى اجتماعاته مسائل عديدة نظرية ونتابع الخطباء ينتقدون ويتهددون ويحذرون خصوصاً في مسألة الاستعمار . . .

لاحظت بعض الجرائد بان الدول الغربية ولو لم تكن مشتركة في المؤتمر لم تكن غائبة فيه فان الخطب التي تتابعت فيه لم تحمل فقط على الاستعمار الغربي وعلى الصهيونية لكنها اغارت ايضاً بشدة على الاستعمار الشيوعي . ولا بد من ان السيد شوان لي والسيد نهرو قد اصغيا بمضض الى خطاب السيد جمال موفد العراق حليفة انكلترا . . . قيل ايضاً بان تركيا والعراق قد الحتا في اجتماع ٢٦ نيسان في طلب ادراج ذمّ الاستعمار السوفياتي في بيان المؤتمر النهائي . فاكتفى المجتمعون — بنصوص الاجماع في التصويت على القرارات النهائية — بذم « الاستعمار بكل انواعه » بما فيه السوفياتي . هذه هي اسماء الدول التي اشتركت في المؤتمر : افغانستان وكمبودج والصين الشيوعية والاتحاد الافريقي ومصر والعراق والاردن وسوريا

ولبنان وتركيا واثيوبيا وشاطئ الذهب وايران واليابان واللاوس وليبيريا وليبيا ونيبال والسعودية وفيلبين والسودان وتايلند والفيتنام الشمالية والجنوبية واليمن .

مصر : سافر الزعيم عبد الناصر رئيس الوزارة المصرية يرافقه الوزيران الماجور صلاح سالم والدكتور محمد فوزي في طريقه الى مؤتمر باندونغ بدلهي الجديدة يوم الثلاثاء ١٣ نيسان حيث قابلوا السيد جواهر نهرو . وكانت مصر والهند في ٦ نيسان قد وقعتا على معاهدة صداقة بينهما .

ثم في رجوعه من المؤتمر الى القاهرة استقبله المصريون استقبالاً باهراً حضره السفراء والهيئات الدبلوماسية في مصر . وقد لوحظ في هذه المناسبة غياب سفراء اميركا وبريطانيا العظمى وفرنسا .

المانيا الغربية : في ٥ ايار اعادت رسمياً الدول الحليفة الى المانيا حريتها الادارية التامة واستقلالها وتمام سيادتها حسبما تقتضيه اتفاقات لندن وباريس وهكذا انتهى الاحتلال الذي دام عشر سنين كاملة فاصبحت جيوش الحلفاء فيها لا محتلة لكن ضيوفاً . تم ذلك بعد تبادل ابرام الوثائق الرسمية في واشنطن وبروكسل وبون .

النمسا ومعاهدة الصلح مع روسيا والحلفاء : بعد عودة السيد يوليوس راب من موسكو حيث كان قد ذهب بدعوة رسمية من الحكومة السوفيانية اسرعت موسكو الى مطالبة الغرب بمؤتمر يجتمع باقرب وقت للنظر في معاهدة الصلح مع النمسا . فضّل الحلفاء ان يمهد لهذا المؤتمر باجتماع سفراء الدول الاربع في فينّا وقد انتهى هذا الاجتماع التمهيدي وسيتبعه المؤتمر . . . اما سبب اسراع الحكومة السوفيانية في عقد هذه المعاهدة فقد يكون انها ترى فيه مقدّمة تُسهّل لها المطالبة ببقاء المانية على الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية وقد اتفقت عليه مع السيد راب بخصوص النمسا .

مؤتمر الدراسات العربية الخامس

في الجامعة الاميركية في بيروت

عقدت هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية في بيروت مؤتمرها الخامس من ٢٥ الى ٢٩ نيسان الماضي وكان الموضوع العام الذي طرحته للمعالجة من عدد غير قليل من الاساتذة والمناقشين « مهمة الجامعة في العالم العربي » . فتبارى للمحاضرة الدكتور كامل عياد فحدد مفهوم الجامعة واسهب في تطور هذه الكلمة . وتبعه الاستاذ فؤاد افرام البستاني فتكلم عن نشأة الجامعة وتطورها في العالم العربي فاحسن اذ اعطى كتوطئة لمحاضرته درساً لغوياً مقتضباً

عن استعمال الكلمات واصولها كالجامعة والكلية والمدرسة ، والاستاذ والمعلم والمدرس ، والتلميذ والطالب وتوصل بعد ذلك في درس تاريخي وضعي اسنده الى النصوص المحققة الى اطلاعنا عن المواد التي كانت تدرس في الازهر والنظامية والمستنصرية وانتقل بعد ذلك الى ما كوّنه القرن التاسع عشر من الجامعات او شبه الجامعات كمين ورقة والجامعة الاميركية وجامعة القديس يوسف وانهى به الكلام على الجامعة اللبنانية .

وحاضر بعد الاستاذ البستاني الدكتور نقولا زياده عن اثر الجامعة في حياة العالم العربي فاصاب جداً . وكيف لا يؤثر التدريب الجامعي على عقلية بلاد باجمعها تتطور وتنتقل بكليتها الى ادراك كنه شخصيتها واكتشاف المقدرات الادبية المرونة والمبتكرة .

وكانت محاضرة الدكتور طه حسين مسك الختام فكان موضوعه «مستقبل الجامعة» . وكان الدكتور حسين قد نشر لسنوات خلت كتاباً عن مستقبل الثقافة في مصر واطلع الرأي العام عن افكار تقدمية وتوجيهية خيّرة فاتى في محاضرته يسند آراءه الى اختبارات شخصية تخوّله الكلام مع ما قاله من ضرورة التطور والانتاج .

وقد نوقشت كل هذه المحاضرات مناقشة علميّة وظلّت في جو هادئ من التبادل العقلي الصرف لولا تدخل بعض السياسة في احداهـا فاقحم المناقش وعاد ادراجه .

وقد اجتمع ليلة ٢٩ نيسان حول المحاضرين الكرام في مأدبة فخمة عدد غير قليل من الادباء اللبنانيين وغيرهم وفي مقدمتهم سفير مصر ومستشار السفارة المصرية فتبودلت الافكار وخطب الدكتور قسطنطين زريق رئيس الجامعة الاميركية والدكتور طه حسين . فالحّ كلاهما على ضرورة متابعة النشاط الذي لا تضجره العقبات ولا يثن من الصعوبات .

وانفرط بعد ذلك عقد اولئك الادباء شاكرين للجامعة الاميركية ولهيئة الدراسات العربية وعيها العقلي وهمتها ونشاطها وسخاءها .

عبده خليفه اليسوعي

المشرق

السنة التاسعة والاربعون — ايار – حزيران ١٩٥٥

كتاب
الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف (تابع)

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره

الاب اغناطيوس سركيس

من الرهبانية الشويرية

وفي هذه السنة توفي الامير قاسم ابن الامير عمر الشهابي في قرية غزير من معاملة كسروان في اليوم الثامن عشر من شهر نيسان . ودفن في تربة الامراء بني عساف في القبة القائمة في الجهة القبلية من غزير . وكان رجلاً مهيباً جليل القدر محمود السيرة . وهو الذي تقدم الكلام عنه في ذهابه الى القسطنطينية . وكان جسورًا على المخاطر . وكانت تهابه جميع اعيان البلاد . ولم يكن له

من العمر اكثر من اربعين سنة . وتوفي عن ولدين صغيرين احدهما الامير حسن والآخر الامير بشير . وقيل في وفاته [illegible] يخ :

ايا قاسماً قد فقت فضلاً على [illegible] [illegible]بت الى مولاك حي مبركا
فمن بالشهابيين قبلك قد [illegible] [illegible]ى درجات المجد ارخ نظيركا

وفي هذه السنة وقع اختلاف بين الشيخ كليب نكد وابني عمه الشيخ فهد والشيخ شاهين . وحضروا الى دير القمر وحدث بينهم جملة شرور . وكان ذلك بتدبير الامير منصور لانه كان يكره الشيخ كليب لاجل محبته لابن اخيه الامير يوسف . وبعد ذلك حضر الامير منصور وفصل بينهم .

وفي سنة ١١٨٢ (١٧٦٨) كان حاكماً في بلاد الصعيد الشيخ همام الذي تقدم الكلام عن التجاء الامير علي بك اليه وتجهيز العرب لنصرته . وكان هذا شيخ مشايخ العربان وتحت يده جيوش غفيرة وله صولة عظيمة في تلك البلاد وقد ذكرنا ان الامير علي بك كان له عنده صداقة عظيمة . وكان قد استظهر على خليل بك ودخل مصر واستولى عليها بامداده . ولما تمكن من ولايته دعا اليه الشيخ همام فحضر طامعاً في الجزاء الاوفى . حتى دخل عليه فامر بقتله في الحال من غير ذنب ولا سبب . وتشتت عشيرته بعد ذلك وضعفت احوالهم .

وفي ١١٨٣ (١٧٦٩) جمع على بك ما لا يحصى من العساكر وجهزها الى الاقطار الحجازية . واقام عليها مملوكه محمد بك ابا الذهب . وكان الظاهر انه يريد اخراج الشريف من مكة لسوء تصرفه في الاحكام . والباطن انه يريد أن يمتلك الحجاز . ثم اليمن . ثم يمتد الى الشام وما يليها . فتسلم محمد بك مدينة مكة واخرج الشريف مساعد . واقام مكانه الشريف عبد الله . وكان قد تسلم مدينة جدة بالامان واقام عليها حسن بك . فارتعدت منه تلك البلاد ورجع بعد ذلك الى مصر . فعظم امر الامير علي بك . ونفى الوزير القائم بامر الدولة في مصر وضربت السكة باسمه وتسلم قلعة السلطان والبس السبعة وجاقات من رجاله . وكان في تلك الايام حرب بين السلطان والدولة المسكوبية فكان ذلك اسعافاً له على مرامه .

وفي هذه السنة تظاهرت امور الشيخ ظاهر العمر حاكم مدينة عكا

وكان متفقا مع المشايخ المتاولة . وكانوا حكاماً في مدينـة صور وبلاد البشارة . وكان اكبرهم مالاً ورجا... ...ت ناصيف القصار . وكان تحت يده حصون وقلع متينة . وكان في تلك ... على دمشق عثمان باشا الصادق . وكان بينه وبين الشيخ ظـاهر العمر منافرة . فجمع كثيراً من العساكر . واتفق مع امراء جبل الشوف واضمر الغزو الى بلاد الشيخ ظاهر . فلما علم الشيخ ظاهر بذلك كتب الى الامير علي بك . وشرح له واقعة الحال . وكان قد بلغه المشاجرة التي وقعت بينه وبين عثمان باشا في مكة كما تقدم . ولذلك طمع منه في الاجابة وارسل اليه هدية جليلة وتعهد له بالاسعاف على كل مـا يريده في بر الشام . وكان علي بك قد عزم على الخروج عن طاعـة الدولة وامتلاك عربستان من العريش الى بغداد . وكتب الى الملكة كاترينا ملكة المسكوب ان ترسل اليه المراكب الحربية وهو يملكها المدن التي في عربستان . فلما وصلت اليه رسالة الشيخ ظاهر العمر رآها طبق المرام فجهز له ستة سناجق وقدم عليهم اسماعيل بك الكبير وكان من الشجاعة على جانب عظيم . وارسل معهم عشرة آلاف فارس من الغز والمغاربـة والعربان وامرهم ان يكونوا في طاعة الشيخ ظاهر العمر كما يأمرهم . فساروا حتى رجعوا الى غزة . وكان يومئذ عثمان باشا في اراضي القدس لاجل جباية الاموال السلطانية . فبلغه خبرهم فارسل يسألهم عن سبب قدومهم . فلم يردوا عليه جواباً . ولما رجع رسوله بغير جواب ارتب من ذلك وتحول من ساعته الى الجبال ثم رجع الى دمشق . ولما علم الشيخ ظاهر العمر باقبال العساكر الى بلاده ارسل اولاده الى ملتقاهم . فالتقوا بهم في اراضي يافا وحضروا بهم الى عكا برهج عظيم فلتقاهم الشيخ ظاهر بكل اكرام واحتفال وقدم لهم كلما يحتاجونه من الاقامات والذخائر . واما عثمان باشا فانه بعد رجوعه من جبل نابلس الى دمشق اخذ يتجهز للحج حتى قرب اوان خروجه . فنهضت العساكر المصرية من اراضي عكا وقدامهم الشيخ ظاهر العمر واولاده وعشيرته ورجاله . وكان موكباً عظيماً ينوف على عشرين الفاً وساروا الى ارض المزاريب . فطلب الشيخ ظاهر المسير فامتنع اسماعيل بك . وقال لا يجوز لنا ان نقاتل الزوار الى بيت الله . ولكن نرسل الى عثمان باشا ان يبرز الينا بعساكره لاننا قاصدون قتاله فقط . وارسلوا اليه بذلك .

فاجاب انني قصدت المسير الى الحج الشريف . ولا يمكنني الابطاء . فان كنتم تريدون محاربة الزوار الى بيت الله الحرام فنحن استمنا عليكم بالله .
ولما بلغ اسماعيل بك هذا الجواب قال: نعوذ بالله من قتال الحجاج الى حرمه . والدخول تحت غضبه . وكان اسماعيل بك قد ضجر من اخلاق اولاد الشيخ ظاهر العمر وعشيرته . فامتنع هذا الامتناع كراهة لهم لا مهابة من قتال الحجاج . وبعد ذلك رجعوا الى اراضي يافا . وكتب الشيخ ظاهر الى علي بك ليشكو اليه امتناع اسماعيل بك عن مباشرة ما اتى اليه . فاستشاط علي بك من ذلك واخذ يجهز العساكر والجنود .

وفي هذه السنة قبض الامير يوسف على جملة اناس من المشايخ الحمادية . فالتجأ قومهم الى وزير طرابلس . وامدهم بعسكر . فحضروا به الى قرية بزيزا . فسار اليهم الامير يوسف . ووقع القتال بينهم في اميون . فانكسر عسكر طرابلس . وصارت التفكجية في البرج الذي في اسفل القرية . وقتل منهم جملة انفار . ثم سلموا بالامان وانصرفوا الى طرابلس ورجع الامير يوسف الى جبيل .

وفي سنة ١١٨٤ (١٧٧٠) توفي الامير اسماعيل ابن الامير يوسف رسلان حاكم الغرب الادنى . ولم يكن له ولد فاوصى بتركته الى الامراء بني شهاب وحرم اقاربه منها لفتنة كانت بينه وبينهم . فتسلمت الامراء الشهابيون تلك التركة وكانت جانباً عظيماً ولم تأخذ اقاربه منها غير القليل على اصطلاح الدروز لان الوصية عندهم تنفذ من جميع التركة رغماً عن الورثة . الا ان الموصي يقطع ميراث وارثه بما اراد ولو بدرهم واحد . فلا تحق له المطالبة بغيره خلافاً للمسلمين . وكانت الوصية شائعة لبني شهاب . ولم يخصص بها الواحد منهم بشيء من التركة فاختلفوا عليها . وكان اكثرهم جهاداً في ذلك الامير علي اخو الامير منصور واخوه الامير يونس والامير سيد احمد ابن الامير ملحم . ثم دخل الامير منصور بينهم وترك لهم سهمه من الوصية وقسم بينهم بالسوية . فاخذ الامير علي وادي شحرور واخذ الامير يوسف بساتين البرج واخذ الامير سيد احمد طاحون المخاضة وبعض بساتين في نهر بيروت .

وفي هذه السنة في شهر شباط توفي الامير احمد الشهابي في دير القمر .

وحضر الى مناجته الامير يوسف واخوه الامير افندي والامير مراد ابن الامير منصور . واقام الامير يوسف في دير القمر . وكان الامير منصور مقيماً في بيروت.

وفي هذه السنة خرجت العساكر المصرية طالبة الاقطار الشامية والقائد عليهم محمد بك ابو الذهب . ولما وصل الى اراضي غزة والرملة التقاه اسماعيل بك والسناجق الذين معه . وحضرت اليه اولاد الشيخ ظاهر العمر والمشايخ المتاولة . وصار جيشاً عظيماً ينوف على الستين الفاً وسار محمد بك بتلك العساكر طالباً دمشق الشام . وكان عثمان باشا قد رجع من الحج ودخل مدينة دمشق في تلك الايام . ولما بلغه قدوم محمد بك ابو الذهب داخله الخوف والرعب . ولكنه تجلد وجمع العساكر وخرج بها لقتال العساكر المصرية في نواحي المدينة. ولم تكن الا جولة حتى انثنى منهزماً واخلى المدينة وهرب فضرب محمد بك سرادقه وحاصر البلد اشد الحصار . وكان قد اصحبه علي بك بكتاب. فارسله اليهم . وكان بهذه الصورة :

« صدر هذا الفرمان العظيم الشان من ديوان مصر القاهرة المحروسة المعالي دامت لها السعادة والاقبال على ممر الايام والليالي

« من من من من به الكريم المنان على اهل هذا الزمان فاظهر العدل والامان . وعم بالفضل والاحسان جميع المدن والبلدان . وارغم انوف اهل الجور والطغيان امير الامراء الكرام وكبير الكبراء الفخام . المختص بعناية الملك العلام . امير اللواء الشريف السلطاني والعلم المنيف الخاقاني الامير علي بك امير الحج سابقاً وقيمقام مصر المحروسة حالاً دام بقاؤه . ورفع بالسعد لواؤه .

« مضمونه حمد باري النسم ومحيي الرمم الذي قدس وعظم قدر الحرم وامر بالعدل في جميع الامم ووعد الظالمين بالهلاك والنقم القائل في كتابه المبين انه لا يحب الظالمين ولا يصلح اعمال المفسدين .

« وبعده الصلاة والسلام على رسوله الامين سيد الخلق اجمعين القائل وهو اصدق من يقول ان الضرر يزول وعلى اصحابه الذين سادوا وشادوا الدين صلاة وسلام الى يوم الدين.

« وبعده التحيات والتسليمات بمزيد الامن والبركات على حضرة العلماء المحققين والفقهاء المدققين المفتين بشريعة سيد الانام وقضاة الاسلام وارباب المناصب والحكام. والخاص والعام من اهالي دمشق الشام . اعزهم الله بنور العقل واحكامه واجارهم من الظلم وظلامه . وافاض عليهم جزيل إنعامه

« اما بعد يا ايها القوم فان الامة لا تجتمع على الضلالة . وقد علمتم ما عمله عثمان باشا في ارضكم من الظلم والجهالة وانه قد اعترض الحجاج والزوار وسلط عليهم الاشرار والفجار بالاذى والاضرار . وظلم المسافرين والتجار واذل الاماكن الشريفة وبدل امن الحرمين

بالحيفه . وتعدى على حدود الدين وفعل ما لا يليق بالمسلمين . وقد قال من لا تراه العيون «من يتعدى على حدود الله فاولئك هم الظالمون» . فلما بلغنا عنه ما بلغ وانه في الارض المقدسة قد ولغ بادرنا لسوء اعماله بالنقض كما نسخنا في العام الماضي من ظلمه البعض واردنا ان نطهر منه تلك الارض نصرة للدين وغيرة على المسلمين ورفقاً لاضراره على الارض المقدسة لما جاء في الحديث الشريف «ما حل بحرمكم حل بكم» وقد بلغكم ما فعله بعلماء غزة .وكيف رماهم بالذلة بعد العزة ودفنهم في الارض وهم في الحياة وقد جاء بالحديث القدسي عن الاله «من ذل اولياء الله اذله الله» وقد قال في كتابه رب السماء «انما يخشى الله من عباده العلماء». «فان كنتم بذلك غير راضين وعلى رفع ضرره غير قادرين فنحن بحول الله قادرون على ذلك . وقد افتتنا المذاهب الاربعة بذلك . فاستخرنا الله وهو نعم الولي . وسألناه ان ينصر دين محمد بعلي . وقد جهزنا العساكر والابطال نرضى الملك المتعال ليردوا الظالم ويستردوا المظالم ويميزوا العاطل من السالم . فالمراد منكم ترك الظالمين والبعد عنهم اجمعين . ومن يبقَ معهم منكم فانه يكون منهم . فاجتهدوا ان تبتعدوا عنه . وامير الحج السامي من طرفنا يتولاه حفظاً وصيانة لحجاج بيت الله . وكما قال الملك الرحمان «تعاونوا على البر بالتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» وها نحن قد اخبرناكم واختبرناكم . ومن اقامة هذا الظالم في ارضكم حذرناكم . والعساكر قاصدة اليه والجميع مائلون عليه . فلا تدعوه يقيم في ارضكم وبين عيالكم . وقد ساقتنا غضب الله وسخطه عليه . فاحفظوا منه جميع اموالكم واحوالكم . ورأي العلماء والاكابر اعلى . وانتم بفعل الخير اولى . وعلى القريب منكم والبعيد والطارف والتليد والاحرار والعبيد امان الله ورأينا السعيد . والله يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد . والخير يكون والصعب يهون بعون الله تعالى والسلام . »

فلما وصل هذا الكتاب الى اهالي دمشق خرجت اليه العلماء والاكابر وطلبوا منه الامان . فاكرمهم غاية الاكرام ودخل معهم المدينة .

وكان بين الامير منصور الشهابي والشيخ ظاهر العمر محبة عظيمة . وكان الامير منصور يكره عثمان باشا لانه كان يميل الى الامير يوسف . ولما بلغ الامير منصور قدوم محمد بك ابي الذهب الى نواحي دمشق ونجاح بغية الشيخ ظاهر العمر ارسل الى الشيخ ظاهر يهنئه بنوال مطلوبه . والشيخ ظاهر اطنب في مديح الامير منصور في ديوان محمد بك . واخرج له منه كتاباً يطيب قلبه به ويتخذه صديقاً له فارسل اليه الامير منصور مع الجواب هدايا فاخرة من الخيل والسلاح . ودخل في خاطره .

واما عثمان باشا فسار بعد ذلك الى اراضي حمص وارسل الى الامير يوسف يخبره بما كان ويطلب منه النجدة على ابي الذهب . فبادر الامير يوسف الى جمع الرجال . واستعد للسفر واما محمد بك ابو الذهب فانه دخل الى المدينة كما مر

وتسلم القلعة ونادوا باسمه في شوارع دمشق ودخلت في طاعته جميع الرعايا على احسن سبيل .

وكان اسماعيل بك قد اشمأزت نفسه من اخلاق عشيرة الشيخ ظاهر العمر واولاده وكره الدولة التي يكونون فيها . فاخذ يلعب بفؤاد محمد بك ابا الذهب ويوسوس له بالرحيل . واتفق في ذلك الوقت قدوم امين الصرة الى دمشق فاجتمع به اسماعيل بك واتفق معه على ذلك . فلام امين الصرة محمد بك على خروجه عن طاعة السلطان واكثر في خطابه من الترهيب والتهديد . وضمن له بعد عودته الى الدولة ان يعتذر عنه ويستعطف عليه . فانتبه محمد بك . وفي تلك الليلة جمع السناجق والكشاف ونادى فيهم بالرحيل . وما اصبح الصباح الا والقوم في الطريق . فعجبت الناس من ذلك ولم يعلموا له سبباً . وانقلب الشيخ ظاهر العمر وعشيرته على اعقابهم خاسرين . ولما بلغ عثمان باشا قيام ابي الذهب عن دمشق نهض راجعاً اليها . وكان الامير يوسف قد جمع عسكر البلاد وسار به طالباً دمشق الشام . وعند وصوله الى ارض البقاع بلغه رحيل ابي الذهب فاصرف اكثر العساكر وتقدم بجانب منه الى دمشق مهنئاً عثمان باشا بزوال المكروه فاكرمه عثمان باشا غاية الاكرام . واقام عنده اياماً ثم استأذنه بالرجوع . فانعم عليه ورده عزيزاً كريماً . وعظم الامير يوسف في اعين الناس ومالت اليه اكابر البلاد وضعف حزب الامير منصور .

حكم الامير يوسف ١١٨٤–١٢٠٤ (١٧٧٠–١٧٨٩)

فلما رأى الامير منصور ذلك وعلم انه لا يستطيع ان يثني الناس اليه كتب الى الامير يوسف وبعض المشايخ . واشهر خاطره بان يكون الامير يوسف حاكماً في البلاد . فتسلم الامير يوسف زمام الولاية وخرجت له الخلع من عثمان باشا وولده درويش باشا والي صيدا وصفت له الايام وطاعته اهالي البلاد واما عثمان باشا فانه بعد رجوعه الى دمشق الشام اخذ يجمع العساكر والجنود وخرج قاصداً حرب الشيخ ظاهر العمر حتى انتهى الى اراضي طبرية . فبلغ خبره الشيخ ظاهر فجمع رجال بلاده وتوجه الى ملتقاه . فوقع عليه ليلاً بخيله ورجاله . وكان القوم نياماً . فما انتبهوا الا وقد غشيتهم الرجال واعملت فيهم السلاح . فانذعروا

ولما يملكوا انفسهم للقتال فقروا وكثير منهم القى نفسه في البحيرة . واعتنم عثمان باشا الهزيمة فنجى وعاد في طريقه الى دمشق وقد قتل من عسكره مقتلة عظيمة . واغتنم الشيخ ظاهر وعشيرته اسلاباً واموالاً لا تحصى . وعاد ظافراً الى بلاده . وبلغ ذلك درويش باشا ابن عثمان باشا وكان في مدينة صيدا . فخاف ان يسطو عليه الشيخ ظاهر . فترك صيدا وتوجه الى دير القمر ومن هناك الى دمشق . فارسل الشيخ ظاهر متسلماً من قبله الى صيدا يقال له احمد آغا الدنكزلي كان يخدم الشيخ ظاهر . وكان مغربياً اكتع اليدين لكنه كان شجاعاً حكيماً فتسلم صيدا وتولى عليها بامر الشيخ ظاهر .

وفي سنة ١١٨٥ (١٧٧١) كان محمد بك ابو الذهب قد رجع الى مصر فشق ذلك على الامير علي بك وانكر عليه تلك الرجعة وكرهه لاجل ذلك فاشتعلت نار العداوة بينهما . وتغلب محمد بك على علي بك وطرده من مصر . فحضر فالتجأ الى الشيخ ظاهر العمر في عكا وكان معه جماعة كثيرة من الغز . فقبله الشيخ ظاهر بكل اكرام وتقوى به واتفق معه على العصاوة . وكتب الى ملكة المسكوب وطلب منها الاسعاف على الدولة العلية بان ترسل اليها العساكر في البحر ويسلمانها المدن البحرية واقاما ينتظران الجواب .

حروب المتاولة

وفي هذه السنة جهز الامير يوسف ركبة على المتاولة . وكانوا حينما رأوا انهم قد انتصروا على عثمان باشا في موقعة الشيخ ظاهر العمر وان علي بك قد حضر الى بلادهم واتفق مع الشيخ قد قويت شوكتهم وتمردوا فاخذوا يتطاولون على اطراف بلاد الشوف والخرنوب ومرجعيون وتلك الجهات . وتواردت عليهم الشكايات الى الامير يوسف فكتب الى خاله الامير اسماعيل حاكم وادي التيم واستدعاه الى الركوب معه عليهم . فاجاب . ونهض الامير يوسف بعسكره حتى وصل الى جباع الحلاوة اول بلاد المتاولة . وكان فيها الشيخ حيدر الفارس . فانهزم . ودخلها الامير يوسف فامر باحراقها . وانتقل الى النباطية . فحضر اليه كتاب من الشيخ ظاهر العمر يسأله ان يرفع الحرب عن البلاد وضمن له ثلاثة شروط : الاول ان يحمل مشايخ المتاولة على ان يحضروا ويترامو عليه ويطلبوا رضاه . والثاني ان يلزمهم ان يقدموا له نفقة عسكر دراهم معلومة . والثالث

ان يسلمه مدينة صيدا . وكانت هذه المراسلة عن يد الشيخ علي جنبلاط . فلم يقبل الامير يوسف سؤاله وما زال مصرًا على الحرب. وكان الشيخ عبد السلام عماد والشيخ كليب نكد في تلك الخطرة . وكان ميلهما الى الامير منصور . وكان الامير منصور يروم خفض شأن الامير يوسف . فكان يراسلهما على السعي في فساد امره . ولما حضرت اليه تلك الرسالة استشارهما بذلك فلم يشيرا عليه بالقبول وارسلا سرًا الى المشايخ المتاولة ان يتحلبوا للحرب وانهما عند القتال ينكسران قدام العسكر فيتبعها ويظفرون بالامير يوسف كما يشتهون . فاجتمعت المتاولة عسكرًا واحدًا وتجرد منهم نحو مئة خيال واقبلوا على عسكر الامير يوسف فانكسر العسكر امامهم ولم يصدقوا ذلك حتى رأوا العسكر يزاحم بعضه على الهزيمة. فساقوا في آثارهم. واعملوا في اقفيتهم السلاح . فمات منهم خلق كثير بالسيف وبعضهم بالتعب وبعضهم بالعطش وكانوا نحو ثلاثين الفًا ففقد منهم اكثر من الف وخمسمئة نفر . وتشتتوا في العواري والقفار . وكان يوم غنيمة للمتاولة فاغتنموا اسلابًا لا تحصى وعادوا الى بلادهم . ورجع الامير يوسف الى دير القمر مخذولًا . وقام العويل والنحيب في جميع اقطار البلاد وكنت ترى النساء في كل مكان كالاغربة من لبس الحداد. وانكسرت بعد ذلك نفس الامير يوسف وتمردت المتاولة .

الجزار في لبنان

وفي هذه السنة بعد هذه الموقعة بنحو شهرين من الزمان حضر الى دير القمر احمد بك الجزار ومعه عبد له ومملوك وسائس . فاقام في الدير مدة يسيرة وانعم عليه الامير يوسف . وانصرف من عنده عزيزًا كريمًا . وسيأتي الحديث عنه في مكانه . ان شاء الله تعالى .

وفي سنة ١١٨٦ (١٧٧٢) اراد الامير يوسف ان يجدد ركبة ثانية على المتاولة . فاستغاث بعثمان باشا الكرجي والي دمشق . فارسل اليه ولده درويش باشا وخليل باشا الذي يقال له دالي خليل واحمد بك الجزار ومعهم نحو الف فارس وجماعة من الغز . وجمع الامير يوسف عسكرًا من البلاد . وساروا في نصف شهر ايار الى صيدا وحاصروها سبعة ايام . وكان فيها احمد آغا الدنكزلي المغربي متسلمًا من قبل الشيخ ظاهر العمر . فضاق صدره واراد التسليم وارسل

يطلب الامان . وبينا هم كذلك اقبل الشيخ علي ابن الشيخ ظاهر ومعه نحو الف فارس من متاولة ومشايخهم . ومثلها من الغز من عسكر علي بك لانه كان لم يزل في عكا . وكان قائد الغز علي بك الطنطاوي . وكان بطلاً لا يقاس بالابطال . ولما اقبلوا على درويش باشا واصحابه نهضوا لملتقاهم وانتشبت بينهم الحرب فاقتتلوا اشد القتال . وجاهدت في ذلك اليوم رجال درويش باشا جهاداً عظيماً . وكاد عسكر الشيخ علي الظاهر ان ينكسر . وكانت الدروز في تلك المعركة من نظارة الحرب خلف عسكر درويش باشا لا تبدي ولا تعيد. فلما رأت المتاولة قد اوشكت ان تنكسر . ولت راجعة على اعقابها فاشتدت عزايم المتاولة وتصلبوا للقتال وانكسرت عزايم درويش باشا واصحابه. فانهزموا وطمعت فيهم المتاولة والغز . فساقت في آثارهم . وقتلت من ادركته منهم . وفقد في ذلك اليوم من عسكر درويش باشا نحو سبعمئة نفر . ومن عسكر الشيخ علي الظاهر نحو الف قتيل . وكان عسكر الدروز قد سبق عسكر الدولة في الجزيرة . كما مر . وتلاه عسكر الدولة . فلحقوهم واخذوا يسلبون من اطراف العسكر . فاظفروا به . واخذت عساكر الدولة في طريقها الى دمشق . ووصل الامير يوسف الى دير القمر وفحص عن الذين سلبوا عسكر الدولة . فامر عليهم بقصاص بليغ واسترد تلك الاسلاب وارسلها الى دمشق.

مراكب المسكوب تحاصر بيروت

وفي هذه السنة حضر الجواب الى علي بك والشيخ ظاهر العمر من الملكة كاترينا ملكة المسكوب وارسلت اليهما المراكب الحربية حسب طلبهما فارسل الشيخ ظاهر المراكب الى بيروت قصاصاً للامير يوسف عن حصاره صيدا . وخرجت الامراء الشهابيون من بيروت الى الجبل وتبعتهم النصارى وكان ذلك في شهر حزيران . فارسل الامير يوسف يستجير بعثمان باشا . واخبره بقدوم مراكب المسكوب الى بيروت ومقاومة عمه الامير منصور والامير احمد له . فارسل اليه احمد بك الجزار ومعه عسكر من المغاربة ولما علم الامير منصور بقدوم احمد الجزار استدعى رجلاً من المغاربة يقال له ابو عقلين ودفع له شيئاً من المال حتى يقتل احمد بك الجزار قبل وصوله الى بيروت . فاجاب . واكمن له في ميدان البلشة بالقرب من بيروت حتى مر من هناك فاطلق عليه الرصاص

فاصاب عنقه ولم يكن قاتلا . فانجرح . ودخل المدينة فاحضر له الامير يوسف جراحاً وداواه حتى برأ جرحه واقام في بيروت متسلماً من قبل الامير يوسف . ولم تزل المراكب على بيروت حتى دخلت اناس بالصلح بين الامير يوسف وعمه الامير منصور فاصطلحا . وارسل الامير منصور الى الشيخ ظاهر ان يرفع المراكب عن بيروت . فرفعها وقدم لهم الامير يوسف خمسة وعشرين الف غرش . وبقي احمد بك الجزار في بيروت محافظاً عليها بامر عثمان باشا .

قلعة قب الياس

وفي هذه السنة تسلم الامير سيد احمد اخو الامير يوسف حكم البقاع واقام في قلعة قب الياس وحصنها وحمل اليها المدافع واخذ بعد ذلك يتطاول على اراضي المشايخ بني جنبلاط وبعض مناصب البلاد . واخذ الطرق على القوافل . فكان ينهب ما ظفر به . حتى ضجت الناس منه وقامت المشايخ الجنبلاطية على الامير يوسف ليردع اخاه عن ذلك . فجمع الامير يوسف عسكراً من البلاد . وارسل الى عثمان باشا يطلب عسكراً منه فارسل اليه جماعة من الدولة والتقوا في البقاع . فحاصروا قلعة قب الياس نحو ثلاثة اشهر حتى نفد الزاد من عند الامير سيد احمد . فسلم عن يد خاله الامير اسماعيل حاكم حاصبيا . وخرج من القلعة . فامر الامير يوسف بهدمها . وتعبت فيها اهل الصناعة تعباً شديداً ولم يقدروا الا على هدم القليل منها لان الامير فخر الدين ابن معن كان قد بناها بناء منيفاً لتقوى على ضرب المدافع والقنابل في الحصارات .

مقتل علي بك

وفي هذه السنة اتفق السناجق في مصر على مخاتلة علي بك . وكان لم يزل مقيماً في عكا . فراسلوه في الرجوع الى مصر . وكان قد ضجر من الغربة . فاجاب ورجع وتوجه معه الشيخ سعيد ابن الشيخ ظاهر العمر والشيخ كريم الايوبي . ولما اقبلوا على مصر خرج محمد بك ابو الذهب والسناجق والعساكر الى ملتقاهم . وكانوا قد اشاروا الى بعض اتباعهم ان يتعرض لبعض اتباع علي بك بكروه فيقاتله ويتعصب له من حوله . فلما التقوا ترجلوا اليه واحتفلوا به وركبوا . حتى اذا كانوا في بعض الطريق ضج القوم وكثر الشغب بينهم فقطعوا عليهم واتصل القتال بين الجمهور من الطرفين . واشتعلت الحرب بينهم

فكانت موقعة هائلة . وانجرح الامير علي بك جرحاً بليغاً . وقتل علي بك الطنطاوي وكان ركناً عظيماً في رجال علي بك . فانفصل القتال واخذوا الامير علي بك على آلات من خشب الى محمد بك ابي الذهب . فانعكف محمد بك على يده يقبلها وبكى على مصابه . وكذلك فعلت بقية السناجق والكشاف . ودخلوا به الى مصر فما مكث الا قليلاً ومات . وقيل ان محمد بك ابا الذهب احضر له جراحين وعالجوا جرحه فامرهم ان يدسوا له سماً في المراهم فسرى السم في اعضائه ومات به .

تاريخ بيروت

وفي سنة ١١٨٧ (١٧٧٢) كان احمد بك الجزار لم يزل في بيروت . وبعد اتفاق الامير يوسف مع عمه الامير منصور كتب اليه ان يرتفع من المدينة . فابى واخذ يحصن المدينة واقام لها سوراً كان قد تهدم من زمان طويل وكانت بيروت في ما يقال مدينة عظيمة حتى قيل ان الديوان كان عند مقام الامام الاوزاعي وكانت القلعة في جبل المتن المشرف على الخضيض المتصل بها. وهناك الدير الذي يقال له دير القلعة الى الآن وفي خلال هذه المسافة ابنية كثيرة تحت التراب وآبار ومصانع واقنية للماء. ورسوم كثيرة تدل على قبور اليهود . وكان يأتيها الماء من نبع العرعار في اوسط المتن على مسافة طويلة في قناة من حجر . وكان في طريق الماء وادي عميق اذا انحدر اليه الماء لا يسلك اليها . فاقاموا له قناطر في الوادي بعضها فوق بعض حتى استوى طريق الماء على هذه القناطر . وعبر على الجانب الآخر من الوادي . والى الآن قد بقي شيء من هذه القناطر يقال له قناطر زبيده . وكثير من القناطر والمجاري في طريق هذا الماء الى المدينة قد علاه الردم من تمادي الزمان .

وكانت بيروت بتلك البندقية فلما ظهر الاسلام واستظهر على بلاد العرب مشى ابو عبيده ابن الجراح وصلاح الدين يوسف بن ايوب في فتح هذه المملكة حتى وصلا الى بيروت . فحاصراها تسعة ايام . وفي العاشر سلمت . فتسلماها واقاما بها من يقوم بحفظها وانتقلا الى صيدا فلاقاهما اعيانها بالمفاتيح الى البساتين التي في الخارج . وكانت جميع هذه البلاد يومئذ في يد الافرنج . فخرجت عنها وتسلمتها الاسلام . ومضى على ذلك ما شاء الله من الزمان .

فحضر ابن ملك البندقية الى بيروت بجماعة من الافرنج . فاحتسب الاسلام ان يتداخل قومه شيئاً فشيئاً . فيملكون عليهم البلد . وكان فيهم شيخ اعمى يقال له الشيخ شمس الدين . فقال انا اقتل هذا الغلام واكفيكم شره على ان تكفوا اصحابه عني اذا حملوا علي : فقالوا نعم . وكان بازاء القيسارية التي يقال لها القيسارية العتيقة مكان كان جامعاً للصلاة ثم ترك وصار حانوتاً للقهوه . وبازائه عند باب القيسارية فسحة داخلة في جانب السوق . فنصبوا كرسياً لذلك الغلام في تلك الفسحة . وعلم بمكانه الشيخ شمس الدين فحضر ومعه جماعة من المسلمين حتى دنا منه فسأله صدقة . وبينما اشتغل عنه باخراج ما يعطيه هجم عليه واخذ بعنقه . فوثبت اصحابه عليه . فاعترضتهم الاسلام ولم يصلوا اليه حتى مات . ومالت اليهم الاسلام بالسيف . فقتلوا بعضاً . ونجا بعض فنعوا الى الملك ولده فاستشاط غضباً وجهز عمارة عظيمة في البحر فتغلب على بيروت وافتتحها وقتل خلقاً كثيراً من اهلها . وهرب من سلم منهم . فاحرقت الافرنج المدينة وهدمت اكثرها . وتشتت بعد ذلك اهلها في البلاد الى مدة طويلة . فرجع بعضهم واصلحوا شيئاً من الابنية [١] . وما زالت كذلك الى ولاية الامراء التنوخيين فاقاموا بعضاً من ابنيتها . وبنى الامير منذر الجامع المعروف باسمه حتى الآن عند النوفرة . وافضت النوبة الى الامراء بني معن فبنوا البرج الكشاف وخان الوحوش ودار الولاية والجامع المنسوب اليها . ثم الى الامراء بني الشهاب . فاقام الامير ملحم خان الملاحة والامير يوسف قيسارية الصاغة والامير سليمان ابو اللمع قيسارية البارود والامير يونس القيسارية المعروفة باسمه والشيخ عبد السلام العماد القيسارية التي في رأس سوق العطارين والشيخ شاهين تلحوق القيسارية التي بالقرب من القيسارية العتيقة حيث قتل ابن ملك البندقية . وكانت القيسارية العتيقة لزوجة الامير احمد الشهابي وكان يقال لها ام دبوس ولها البرج المستدير بجانب السور والبرج الذي يقال له طاقة القصر وكان للامير منصور . وكان البرج الجديد الذي فوق طاقة القصر للامير مراد ابن الامير منصور . وبالقرب منه دار للامير علي وتحته دار للامير حسين وتحتها

١) لم نعثر على اصل لهذه الحكاية في ما تحت يدنا من تواريخ الحروب الصليبية . ولعل المؤلف اخذها عن تقليد محلي قديم .

دار للامير بشير السمين متصلة بالمدينة بالقرب من باب البلد الذي يقال له باب يعقوب الكسرواني . وكان يعقوب ماردًا يقطع الطرق فقتل في نهر الكلب ودفن في ساحة ذلك الباب . وله حكاية طويلة .

دير القمر واقسام لبنان

وكانت دار الولاية في الجبل ايام بني تنوخ ومن قبلهم في بعقلين . ولم يكن فيها ما. . وكان في جانب الوادي المقابل لها غابة فيها نبع من الماء كانت رعاة المواشي تقصده لتسقي مواشيها . وفي اعلى تلك الغابة دير للنصارى قد تهدم من تمادي الزمان . وكانوا ضعفاء لا يقدرون على بنايته . فكانوا يجتمعون ليلًا تحت ضوء القمر باهلهم جميعًا فيبنون فيه شيئًا فشيئًا لئلا تفوتهم اشغال النهار . ولذلك قيل له دير القمر . ولما صارت الولاية الى بني معن اختاروا ان يستوطنوا ذلك المكان لما فيه من الماء . فبنوا فيه منازل عظيمة وتحولوا الى هناك . وتبعهم الناس فبنوا واستوطنوا حتى استأهلوا تلك الغابة . وقام في بني معن الامير فخر الدين فتولى من غزة الى حلب الشهبا. وكان حد البلاد قبل ايامه من جزين الى غزير فقط . فكان اقليم الخرنوب واقليم التفاح واقليم جزين وجبل الريحان في يد وزير صيدا يرسل الى كل مكان منها متسلمًا من قبله . وكانت البقاع والمتن في ايالة دمشق الشام وبلاد جبيل والبترون والكورة والجبة والزاوية في ايالة طرابلس .

بيت الخازن

ولم تكن في البلاد ولاية في ايامه الا للمشايخ بيت الخازن في كسروان . وكان اول بني الخازن في كسروان رجل اسكاف يقال له ابو نادر قد رحل من قرية خبب احدى قرى حوران والقاه الدهر الى هناك . ودارت الدائرة على بني معن فلم يبق منهم الا طفل رضيع . فهربت به امه الى كسروان واتفق نزولها في بيت هذا الرجل . فعرفته بنفسها . وكتم عليها ذلك الى ان شب الغلام . وكان له احزاب وعصايب كثيرة في البلاد وكان لا يعلم الا ان الرجل ابوه . فاعلمه ابو نادر بابيه وخرج الى احزابه في البلاد فاعلمهم بمكانه . وقام بذلك الامير فخر الدين ما كان من امره . فانعم عليه بولاية كسروان . وكتب له الاخ العزيز . ولم يكن يكتب ذلك لاحد في البلاد . وترك له الاملاك السلطانية

عما يمتلكه من الارض . واقامه نائباً له في دير القمر وضرب الدهر ضرباته .
فتنكست اعلام بني معن . واقتصر حكم البلاد على الامكنة التي مرّ ذكرها .

محاصرة الجزار في بيروت

وافضت الولاية الى بني الشهاب ، فكانوا ينزلون صيفاً في دير القمر وشتاء
في بيروت . وعمرت بذلك المدينة حتى عصى فيها الجزار كما ذكرنا . فهدم دور
الامراء الشهابيين التي خارج المدينة الا دار الامير مراد فابقاها حصناً وبنى
بحجارتها السور واحرق بعض بيوت النصارى وجعل كنائسهم اصطبلات للخيل
وقطع اشجاراً كانت في جوانب المدينة لاهل الجبل . واتفق انه في ذلك الوقت
اقبل مركب فيه مال كثير لتجار بيروت . فضبط ذلك المال وكان نحو مئتين
الف درهم . واستخدم ببعضه رجالاً وارسل الى بعض مناصب البلاد يستميلهم
اليه ويعدهم المواعيد الحسان . فمال اليه الشيخ عبد السلام عماد والشيخ حسين
تلحوق وغيرهما من المشايخ . وكان يومئذ على دمشق الشام عثمان باشا المصري
وكان صديقاً له . فارسل اليه مالاً ليستخدم له به رجالاً . وكتب الى اصدقائه
له في دمشق وبعث اليهم بشيء من المال ليستخدموا له رجالاً ويبادروا بهم نحوه
الى ارض البقاع . فاجابوه الى ذلك واشتهر بالعداوة فاتفق الامير يوسف وعمه
الامير منصور ان يستنجدوا الشيخ ظاهر العمر . فكتبا اليه وسألاه ان يرسل
لهما المراكب المسكوبية . وكانت المراكب في قبرص . فاستدعاها الشيخ
ظاهر وارسلها الى بيروت . وكانت نحو اربعين مركباً . فحضرت ورست في
مينا بيروت . وكان سر عسكرها رجلاً يقال له الكونت جوني . فاتفق مع
الامير يوسف والامير منصور انه متى امتلك لهما بيروت يدفعان اليه ثلاثمئة الف
غرش . واخذ رهناً على ذلك الامير موسى ابن الامير منصور . وجمع الامير
يوسف عسكر البلاد وحاصر المدينة براً وحاصرتها الافرنج بحراً . واطلقت
عليها المدافع والقنابل حتى قيل انهم اطلقوا عليها ستة آلاف مدفع في نوبة
واحدة . فكلت المسامع من تلك الاصوات وظنت الناس انه قد قامت الساعة .
وسمع صوت المدافع الى فوق مدينة دمشق الشام على مسافة اربعة ايام . وكانت
لا تنفذ كثيراً بالمدينة لان حجارتها رملية تتحد بالكلس حتى تصير كأنها
حجر واحد . فكانت تأخذ على قدرها من الحجر الذي تقع فيه ثم ترجع عنه

وهو في مكانه ودام الحصار نحو اربعة اشهر فتضايق من في المدينة وقل من عندهم الزاد فاكلوا لحوم الحمير والكلاب واضطر الجزار الى التسليم . فطلب الامان عن يد الشيخ ظاهر العمر . فاجاب الامير يوسف . وحضر يعقوب الصيقلي من قبل الشيخ ظاهر وتسلم الجزار وسار به الى عكا . وتسلم الامير يوسف المدينة وضبط اسلحة المسلمين واخذ منهم المال الذي تعهد به للقبطان ودفعه اليه . فسافر براكبه عن المدينة . واتفق الامير يوسف مع عمه الامير منصور وتزوج بابنته ونكب الشيخ عبد السلام العماد والشيخ حسين تلحوق واخذ منهما جانباً من المال لاجل وسيلتهما مع الجزار كما مر . واقام الجزار عند الشيخ ظاهر اياماً . ثم اختلس بمال الشيخ ظاهر وسافر ليلاً .

وكان بين الشيخ ظاهر العمر وبين عثمان باشا المصري صداقة . وكان الشيخ ظاهر قد وقع تحت غضب الدولة لاجل اتفاقه مع علي بك وقتاله لعثمان باشا الكرجي واقامته على ولاية صيدا بغير امر الدولة . فارسل عثمان باشا المصري يترجم على مراحم الدولة العلية في الصفح عن الشيخ ظاهر وسأل الانعام عليه بتمليك الايالة تحت خمسة الف غرش يدفعها من الماضي ويدفع في المستقبل كل سنة مئتين وخمسة وعشرين الف غرش ويؤدي خدمة الجردة المعتادة . فأجابت الدولة سؤاله وارسل عثمان باشا الى الامير يوسف يبشره بذلك . فانف الامير يوسف من ذلك باطناً لانه لم يكن يريد ان يكون الشيخ ظاهر والياً على ايالة صيدا ويكون هو حاكماً من تحت يده . ولكنه اظهر المسرة بذلك . وارسل الى الشيخ ظاهر يهنئه بهذا الانعام .

وفي سنة ١١٨٧ (١٧٧٣) وقع الاختلاف بين عثمان باشا المصري والامير يوسف . فجهز عثمان باشا عسكراً وخرج به الى البقاع ونصب خيامه في بر الياس وكان عسكره ينوف عن خمسة عشر الفاً . فجمع الامير يوسف عسكر البلاد وتوجه به الى المغيثة وحدث جملة وقائع بين العسكرين . فارسل الامير يوسف الى الشيخ ناصيف النصار ان يحضر لاسعافه . فحضر بجميل بني متوال . ولما علم عثمان باشا بقدومه خاف من اجتماعهما عليه وعند وصول الشيخ ناصيف الى القرعون هرب عثمان باشا في الليل بعساكره . وفات اكثر الوطاق والمدافع . وعند الصباح سارت عساكر البلاد الى بر الياس واغتنمت كل ما

هناك. وارسل الامير يوسف الى الشيخ ناصيف النصار يدعوه اليه. فاجاب ان الحاجة قد قضيت ولي مهمات ابادر اليها. فرجع الى بلاده وعاد الامير يوسف الى دير القمر. وطابت له الايام وصار بينه وبين الشيخ ناصيف النصار والمتاولة محبة عظيمة .

وفاة الامير منصور

وفي سنة ١١٨٨ (١٧٧٤) انعزل عثمان باشا المصري من دمشق وتولاها محمد باشا ابن العظم . وحضر ولده يوسف باشا الى طرابلس الشام .

وفي هذه السنة توفي الامير منصور الشهابي في مدينة بيروت . وحزنت عليه بنو الشهاب حزناً عظيماً واقاموا له مناحة عظيمة . وكان قد بلغ من العمر ستين سنة . وكانت مدة ولايته ثماني عشرة سنة . وارتاحت الناس في ايامه وامتلكت عائلته كثيراً من الاملاك . وكان دفنه في جامع الامير منذر التنوخي ورثاه السيد احمد البربير البيروتي بقوله :

سقى هذا الضريح سحاب فضل وعمم بالرضى من في ثراه
اميرًا كان في الدنيا شهابًا ومنصورًا على قوم عصاة
فان بك عن عيوني قد توارى فحسبي ان قلبي قد حواه
ولما سار للفردوس فورًا وقربه المهيمن واصطفاه
اتى تاريخه في بيت شعر يود البدر ان يعطى سناه
فمهلة ومعجمه وكل من الشطرين تاريخًا تراه
شهاب رحمة المولى عليه هوى للترب بدرًا من رباه

والامير بشير السمين

وبعد وفاة الامير منصور بستة وعشرين يوماً توفي اخوه الامير بشير السمين . وكان عظيم الجثة الى غاية ما يكون حتى لم يكن احد يقاربه بذلك وكان قد تزوج واقام سنوات مع زوجته وماتت عنها وهي بكر لافراط سمنه. وكانت الخيل لا تحمله لشدة ثقله . فكان يركب البغال . وكان عظيم القدرة . فاذا اراد ان يركب وقف عند باب الدار في دير القمر على مرتفع هناك واخذ باذن البغل فجره اليه كما يجر السنور . وقيل انه حدث شغب في دير القمر بين الجنود وبعض اهل الدير ليلاً . فخرج ليفصل بين القوم . وكان قد ضرب للخيل سلاسل من حديد في الساحة . فعثر بشيء منها في طريقه . فقطعه ومر . ولما توفي ضبط الامير يوسف تركته لانه لم يكن له ولد ومنع اخوته من الميراث .

موت محمد ابي الذهب

وفي سنة ١١٨٩ (١٧٧٥) كان قد حضر قبجي من الباب العالي وعن يده فرمان الى الشيخ ظاهر العمر في العفو عنه والانعام عليه . وكان محمد بك ابو الذهب قد عرض للدولة يشكو تمرد الشيخ ظاهر العمر وخروجه عن الطاعة مع علي بك امير اللواء . ويستأذن في القيام عليه . فاذنت له الدولة وخرج من مصر بركبة ملوكية تنوف عن ستين الفًا . وكان الشيخ ظاهر قد اطمأن بذلك الفرمان وعول على صدق الوفاء واخلص نيته للطاعة . وبينما هو كذلك وفدت عليه اخبار محمد بك ابي الذهب فارتاع وضاق صدره واخذ يوزع خزائنه وامواله واخرج نساءه من عكا الى تلك الجبال وتجهز للفرار . ولما وصل محمد بك الى يافا اقام عليها الحصار . وكان الشيخ ظاهر قد حصنها بالعساكر والذخاير واقام عليها ابن اخيه الشيخ كريم الايوب . فاقاموا على حصارها مقدار شهر وافتتحوها بالغلبة . وامر ابو الذهب بضرب السيوف في اهلها جميعاً . فقتلوا من العساكر والرعايا نحو خمسة آلاف وسبوا النساء وذبحوا الاطفال وساروا نحو مدينة عكا . وكان الشيخ ظاهر قد هرب لما سمع بفتح يافا . وهرب الامراء الشهابيون من بيروت . وارسل اليه الامير يوسف هدايا فاخرة وطلب منه الامان . فاجاب احسن جواب وكان قد خرج من مصر ظاهرًا باذن الدولة . ولكنه في الباطن كان يضمر الخروج (عليها) . وكان يريد ان يمتلك قطر الشام ثم يتقدم الى ما بعده من عربستان . وكان يكره النصارى وان كان منهم في الاصل . فكان قد عزم ان لا يترك بيعة ولا راهبًا في البلاد التي يمتلكها . وابتدأ بدير مار الياس الكرمل فهدمه وهزبت رهبانه . وبينما هو قادم الى عكا نام في جثته صحيحًا . وبينما هو نائم صرخ صراخًا منكرًا واستحوذ عليه حال كالجنون . وكان يقول لمن حوله : اخرجوا عني هذا الشيخ المفترس فانه يريد ان يقتلني . وكانوا لا يرون احدًا حوله . فعجبوا من ذلك وارتاعوا . وما زال كذلك حتى مات في ضجعته . فداخل قومه من ذلك امر عظيم . واجتمعوا عليه فحنطوه وجعلوه في تابوت وعادوا به الى مصر فدفنوه هناك . وكان لهلاكه بهجة عظيمة في عربستان لان الجميع كانوا خائفين من سطوته . وقضى الله حاجة الشيخ ظاهر العمر على اهون سبيل . فرجع الى عكا وخلا باله .

معجم العلائلي (تابع)

بقلم الاستاذ منصور ابي صالح

٣

قاعدة الافعال او التفرقة بين الافعال تبعاً للمعاني

نخال الامثلة التي ضربناها على الوحدة المنوية الاشتقاقية كافية للدلالة على حقيقة اللغة بحسب رأينا وحقيقتها المشوَّهة في المعاجم حتى بات لسان العرب في نظر ابنائه طلاسم واحاجي .

ولهذا ننتقل الى القاعدة الثانية وما هي باقل اهمية من الاولى فاذا كانت الوحدة الاشتقاقية بمنزلة السلسلة الفقرية من اللغة فقاعدة تفريق الافعال تبعاً للمعاني هي بمنزلة حجر الزاوية اذا ضعف او اختل او استبدل به سواه اختل البناء وعمَّ الخطأ فلننظر ما هي القاعدة وما وجه تطبيقها ! ؟ .

عين الفعل الثلاثي معلوم امرها حيث نقول :

نصر ينصُر وينصِر نصراً فهو ناصر كما نقول فرِح يفرَح فرَحاً فهو فرِح او فتَح يفتَحُ فتحاً فهو فاتح الخ . بحيث كان للافعال ستة ابواب معروفة لدى الصرفيين .

اما المؤلف فقد قال (ص ١٢ من المعجم طبعة اولى) :

«درج المعجميون على الخلط بين ابواب التصريف خلطاً كبيراً بينا اتضحت لي حقيقة في كتاب مقدمة هي : انّ التصريف بمنى التلبس بحركة الفعل في الزمن الخاص يخضع دائماً لباب واحد هو الباب الثاني ضَرَبَ يضرِب بينا الابواب الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد . . . فالباب الاول ضرَب يضرُب يدل على التفوقية او التركب فوق التلبس بالحالة الفعلية كقولهم قارته فانا اقُره ولهذا طرده اللغويون في باب المفاخرة والمغالبة .

الباب الثالث فتَحَ يفتَح يدل على التفلت والانسراح .

الباب الرابع علِم يعلَم يدل على التغير خلواً وامتلاء وجوداً وعدماً .

الباب الخامس حسُن يحسُن يدل على الرسوخ والطبع .

الباب السادس ورِث يرِث يدل على التجزؤ او التقسيم . واضاف المؤلف قوله : وتبعاً لهذا التمييز بين الابواب كان لا بد من التمييز بين المصادر . . . نُلحُّ على القول بقياسية الافعال تبعاً للقصد » اه . ملخصاً .

الا ان الشيخ لم يعلل لنا هذه النظرية ولم يقدم سوى المثل الواحد على التفوقية والتركب — قمر يقمُر — ولم يورد لنا دليلاً واحداً يؤيد اختصاص سائر الابواب بالدلالات التي قال بها .

وبما انه قال ايضاً ان هذه الحقيقة اتضحت له في كتاب مقدمة فقد رجعنا الى كتابه المشار اليه فاذا به يقصر البحث على البابين الثاني والثالث وذلك حيث يقول ما نصه (ابتداء من آخر الصفحة ١٩٢) .

« ونظن بان العربي قصد ان يطرد الافعال المضارعة على الكسر دون تخلف دليلنا على هذا شيوع الكسر كحركة اصلية فهي في التقاء الساكنين وفي الابتداء بالساكن تكون على لزوم او ارجحية ، ثم . » وعلى هذه الملاحظة بنى الاملائيون القدامى قاعدة (الكسر ينلب غيره) ثم . . . « الجر على المجاورة شائع مشهور . . . بعكس الرفع فهو مردود كما ان الاتباع للكسر كثير ، الى ان ينتهي الى القول « لذا نعتمد الكسر اعتماداً لا تردد فيه بدليل غلبته في المزيد . »

ثم وضع القواعد فقال : « ولننظر صورة من الاستقرار المفروض في الافعال . للايضاح :

« الماضي يكون على وزن (فَعَل) مطلقاً الا بحالة معنوية فينتقل قياساً الى بابي طَرب وكَرُم والمضارع يكون على وزن (يَفْعِل) مطلقاً الا للحاجة المذكورة .

وهذا في غير الحلقي فيكون من باب فتح مطلقاً . والامر يتبع المضارع ، وعليه :

فكل ماض بالفتح مطلقاً .

وكل مضارع بالكسر مطلقاً

وكل حلقي بفتحها مطلقاً

وما بقي على غير ذلك فاثريات (ص ١٩٣) . »

فانت ترى انه لم يذكر سوى فتح الماضي مطلقاً وكسر المضارع مطلقاً وكل حلقي بفتحها (اي فتح الماضي والمضارع) مطلقاً ولم يتصدَّ للباقي اي الابواب الثلاثة الاخرى .

وتصفحنا كتابه مقدمة لعلنا نهتدي الى استيفاء البحث فلم نعثر بشيء سوى انه في حاشية الصفحة ٢٤٢ قال من اراد تحقيقاً ترتضيه على الافعال فعليه برسالة اللمع النواجم للشيخ ظاهر الشويري فعدنا الى تلك الرسالة القيِّمة واذا بصاحبها يقول (صفحة ٢٨—٢٩) مفتوح عين الماضي خمس طوائف خاصة واصل عام فالاصل العام كل فعل مفتوح عين الماضي ولم يكن في شيء من الطوائف

الخمس يجوز في عين مضارعه الكسر والضم (اي خلاف ما سنّه العلائلي) والضابط العام لدى الشويري في غلبة احدهما الاستخفاف أي من خف على لسانه الكسر كسَرَ ومن خفَّ عليه الضمُّ ضم واستشهد الشويري تأييداً لرأيه بالرضيّ في الشافية ثم بابي زيد القائل كلاهما (الكسر والضمّ) قياس ثم بالفيروزبادي الذي ذهب مذهب ابي زيد ثم بابن العرباس فابن درستويه وكلهم على هذا الرأي.

اما الطوائف الخمس التي قال بها الشويري فهي بعيدة ايضاً عن خطة المؤلف ولمن رغب في المزيد مراجعة رسالته فقد بسط الموضوع وتوسع فيه من المضموم العين ماضياً ومضارعاً الى مكسورها ماضياً ومضارعاً الى مفتوحها ماضياً ومضمومها او مكسورها مضارعاً بحسب اختيار المتكلم ما خلا الطوائف الخمس المذكورة اذ يجب فيها الضم حيناً والكسر حيناً آخر.

رأينا في الموضوع: نعترف اولاً اننا لم ننصرف الى درس الموضوع درساً علمياً واقعياً والا وجب علينا تتبع كل الافعال الثلاثية بحسب ورودها في المعاجم واستيفاء معانيها ثم تصنيفها بحسب تلك المعاني لنخرج منها برأي نرتضيه ونعوّل عليه سواء ايجاباً ام سلباً اي هل يمكن ايجاد ضابط عام لعين الفعل الثلاثي ام لا وهيهات ان يتيسر لنا مثل هذا الدرس ونحن غير منصرفين الى الموضوع ولا معنيين به الا مع الخاطر العارض في الفرصة السانحة وهذا لا يكفي.

ولكن يتراءى لنا ان الناحية السلبية هي الغالبة للاسباب التالية:

من المعلوم لدى العارفين ان الرأي المستقر عموماً هو ما اورده الشويري مستشهداً بالعلماء المذكورين اعلاه وهذا الرأي ليس مما يستهان به لان اصحابه صرحوا بانهم تجولوا في بلاد العرب من الحجاز الى اليمن الى سائر الاقطار وشافهوا العارفين في القبائل وخرجوا الى النتيجة المذكورة وهي ان عين الفعل الثلاثي لا ضابط لها من شاء ضم ومن شاء كسر وان من حفظ حجة على من لم يحفظ.

ولو صرفنا النظر عن شهادة اولئك الاعلام واعتبرناها كأنها لم تكن ونظرنا الى المسألة نظراً موضوعياً صرفاً واستجمعنا معارفنا بهذا الشأن، ضاقت ام اتسعت، لرأينا القضية ابعد غوراً.

فمن ناحية اولى - تبدو لنا اللغة بجملها اي بمفرداتها ومركباتها صرفاً ونحواً

على اباحة مطلقة فقد ورد فيها باع يبيع كما ورد يبوع وورد طغا يطغو كما ورد طغى يطغي وطغِيَ يطغى . وكما ورد جاء ابوك ورأيت أباك ومررت بابيك ورد ايضاً جاء اباك ورأيت اباك ومررت باباك كما روي : ومن يشابه أَبَهُ فما ظلم . وقالوا جاء وجاءت وجاؤوا الرجال ، لغة اكلوني البراغيث ، وتمادوا بهذه الاباحة حتى نصبوا الفاعل ورفعوا المفعول فقالوا شعرًا :

ان من صاد عقعقًا لمشومُ كيف من صاد عقعقان وبومُ

كما قالوا نثرًا : خرق الثوبُ المسمارَ ولم يأنف الصبان من قبوله لعلة ان المعنى مفهوم كأنْ لا شأن للحركة الا لاطلاق الصوت تنغيماً وترنيماً وذلك يتم بالرفع او النصب او الخفض على السواء . والقوافي لم يدخلها الاقوا. فيما نرى عن جهل او سهو بل عن قلة اكترات للحركة ولا نستطيع تصور العارفين الا وهم متمكنون من الاطلاع على هذا الطابع للغة بما يقضي علينا باقتصار الكلام وقد قيل لا تبشر مؤمناً ولا تطرق باباً مفتوحاً والا فالشواهد كثيرة مستفيضة من مثل قولهم :

ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها

وقولهم :

اذا اسودَّ جنحُ الليلِ فلتأتِ ولتكنْ خطاك خفافاً ان حراسنا اسدا

وحسبنا شهادة الشيخ العلايلي نفسه فانه ما فتئ يكرر ذلك في كتابه مقدمة من الصفحة ١٣ حيث يقول : « ان العربية انتقلت من دور كانت فيه صوتية تماماً على ادوار متعاقبة وان القرآن تناولها ولما تستقر بحيث كان سبباً قوياً في تهيئة الاستقرار وظلّت غير خالصة من علائق الفوضى في الموازين فصيغ الجموع وابواب الافعال الخ . . الى الصفحة ١٨٠ حيث يقول : « العربية لم تستقر لعهد القرآن . . . المتخلفات تمثل مع الموجود الارقى وضعاً قلقاً جداً وشاذاً ايضاً » الى اخر الكتاب صفحة ٢٤٣ حيث يقول : « في التعدي واللزوم ظاهرة اخرى من ظواهر قلق العربية وعدم استقرارها » .

ومن الناحية الثانية — يلاحظ المنتبهون ان كل اللغات المعروفة بالسامية اي العربية والارامية (الكلدانية والسريانية) والعبرية والحبشية القديمة وُضعت كل ابجدياتها (ايًا كان الواضع) مقصورة على الاحرف الساكنة دون الصوتية وهي

لم تضبط بالحركات الا في زمن متأخر وللآن لم توضع حروف صوتية الا للحبشية.

ففي ذلك على ما ارى دليل على ان الناطقين بهذه اللغات لو كانوا يعتدّون بالحركات اعتداداً جدّياً لما خلت ابجدياتهم ابتداءً من ضبطها بالشكل او بالحرف.

وهؤلاء ابناء اللغات الهندية – الاوروبية لا خلاف بأنهم اخذوا ابجديتهم عن ابجديتنا، المقتصرة على الحروف الساكنة، فاضافوا اليها حروفاً صوتية لاعتدادهم بالاصوات بلغاتهم.

فلو كان العرب بل الشرقيون عموماً يعتدّون بالنبرات الصوتية لمثلوها منذ الوضع بصورة ما وعلى الاقل لكانوا استردوا الاعارة من الاوروبيين باستعمال حروفهم الصوتية وذلك لم يقع الا مرة واحدة عندما ترجم تيوفيل الرهاوي الياذة هوميروس الى اللغة السريانية اذ شعر بضرورة الاحرف الصوتية لضبط الاعلام اليونانية الواردة في تلك الملحمة الخالدة فاستعار الاحرف اليونانية الصوتية ولكنه استعملها بشكل حركات تضبط حروفنا الساكنة لكيلا تستقر الى جنبها اسوة بها بل تبقى في مرتبتها الدنيا ولا تزال للآن مستعملة لدى السريان الغربيين (من الفرات الى البحر المتوسط).

والخلاصة المحتومة لكل ذلك ان الحركات في اللغات السامية ذات مركز ضعيف ثنوي كانها نزيلة على اللغة فلا تستحق الاستقرار والثبوت اسوة بالحروف الساكنة بحيث يبقى للناطق التصرف بها بعض التصرف ولهذا ترانا نقول العُمر والعُمُر والغُصن والغُصُن على اختيارنا كما يطيب لنا او كما تمليه القافية. وبالاعتبار نفسه نقول نصر ينصُر او ينصِر على ايثارنا فاذا صح ذلك ولا نخاله الا صحيحا لم يبقَ من الجائز لنا ان نقول مع الشيخ العلائلي:

« اتضحت لي حقيقة ان التلبس بحركة الفعل يخضع دائماً لباب واحد ضرب يضرب بينما الابواب الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد: التفوق والتقسيم » ... الخ، كما تقدم؛ اضف الى هذا ان نظريته كما نقلناها اعلاه بدأها بظن واتماها بالاثريات وقدّم لها وعقب عليها باثبات الفوضى المطلقة في اللغة – وهذا شأن كل اللغات قبل تهذيبها واستقرارها ثم خرج من كل ذلك الى قواعد راهنة مطردة بني عليها المعجم بناء متصلاً مستمراً بحيث تجزأت المادة الواحدة الى اجزاء بعدد الابواب.

نعم لو قال الشيخ: نرى تعديل اللغة على هذه الصورة لما جاء رأيه مناقضاً

لنفسه والواقع . اما ان يثبت الفوضى ويستنتج منها الاطراد فذلك ما لا يقره المنطق . على اننا لا نريد ان نجادل الشيخ المؤلف بثبوت صحة القاعدة او عدم ثبوتها بل اننا نود لو كانت ثابتة كل الثبوت لانها تخلصنا من بحران الفوضى الى سهولة الاستقرار . ولكن هيهات ...

اما وقد اقدم غير هياب فكنا نتمنى لو انه ضرب لنا امثلة عليها بحيث يطمئن القارئ بعض الاطمئنان الى انها قاعدة واقعية قياسية يعتمد عليها وذلك لن يكون الا باستقراء كل الافعال الثلاثية والتثبت من انطباقها كلها او اكثرها على القاعدة ولا دليل في المعجم على انه فعل لاننا تصفحناه فوجدناه يقول :

مثال اول : ابت

– « لافادة التلبس بالحال الفعلية قالوا – من الباب الثاني

أبَت يابِت اليوم ارتفع حره وسكنت ريحه

لافادة التفوقية في المنى قالوا – من الباب الاول –

أبَت يا بُت اليوم التظى حره

لافادة التنبير والاستلاء – قالوا من الرابع

ابِت يا بَت النهار فار حره فجأة بعد ان لم يكن وغمَّ بشديد قيظه .

فلا ندري في اي مرجع ورد هذا التفريق بمعنى أبت فالمعاجم التي بين ايدينا اقتصرت على تفسير « ابت » بسكون الريح واشتداد الحر .

ثم بفرض ورود هذا التنويع بالشروح في المعاجم فما هو الفرق بين اشتداد الحر والتظائه وهل الالتظاء متفوق على الاشتداد الا ان ننظر بمقياس الحرارة فنقول مثلاً لما دون الدرجة الاربعين أبَت يابِت بمعنى اشتد ولما فوق الاربعين أبت يابُت بمعنى التظى ولا نظن العرب تخيلوا شيئاً من هذا .

ثم – ابَت يا بَت – من اين جاءها فوران الحر بعد ان لم يكن وهل قال به مرجع ما

مثال ثان – ابر

« لافادة التلبس بالحال الفعلية قالوا :« من الباب الثاني » .

ابر يأبِرُ الزرعَ – اصلحه

لافادة التفوقية في معنى الفعل قالوا :« من الباب الاول » .

ابر يا بُرُ الزرع لقحه

ولا ندري ما وجه تفوق الالقاح على الاصلاح ومن قال به الا ان يكون كل ذلك بتطبيق قاعدة المؤلف فقط والمعقول هو العكس اي ان يجيء النص اللغوي مثبتاً للقاعدة ، لا ان تفرض القاعدة على النص فالنحويون عندما رأوا العرب يقولون جاء زيد وقام الزيدان والزيدون قالوا بان الفاعل مرفوع وان الفعل يتقدم عليه ويبقى مفرداً اما لو وضعوا القاعدة بمعزل عن النصوص اللغوية لكان ذلك تحكماً محضاً ولم يؤيده الاستعمال .

والنتيجة اننا لا نرى القاعدة ثابتة وكل ما في الامر أنَّ المؤلف تخيَّلها فاثبتها بالمعجم وجعل يفرضها على المواد بدلاً من ان تأتي المواد بطبيعتها مؤيدة لها .

الا اننا — كما قدمنا — لا نود مجادلة الشيخ في رأيه فنفرض ان القاعدة صحيحة وعندئذ لا يبقى من حاجة الى تجزئة المواد في المعجم تبعاً لها بل يكفي الايضاح الوارد في المقدمة ومن ثمَّ ايراد المواد متضامة اجزاؤها متتالية وليس من الصعب على القارئ حفظ القاعدة وتطبيقها فيتوفر على المؤلف كبر حجم المعجم وعلى القارئ بلبلة المادة وتشتيتها تبعاً للابواب واذا ابى المؤلف الا زيادة الايضاح فيتهيأ له الامر في الحواشي حيث يذكر الابواب فيستطيع ان يضيف الى كل باب اختصاصه كأن يضيف الى الباب الاول مثلا عبارة : مدلوله التفوق في المعنى والى الباب الثاني مدلوله : التلبس بالحالة الفعلية وهكذا الى آخر الابواب وهذا حسبنا .

٤

في تأصيل الفرع والتعدية واللزوم

اننا نوافق المؤلف كل الموافقة على قاعدتي تأصيل الفرع والتعدية واللزوم على ما عرضها في مقدمة المعجم (ص ١١ و١٣) فالقاعدتان صحيحتان كل الصحة كما ان العبرة كل العبرة بالتوفيق في التطبيق فهنا كل الاشكال ولهذا وجب الحذر الكلي عندما يقدم المعجمي على الخروج عن المألوف الى معقول جديد يرى فيه الصواب .

مع الملاحظة على القاعدة الاولى ان المواد اللغوية اذا حررت كما يجب وفقاً لنشوئها وتطورها جاءت بنفسها دلالة مشرقة ساطعة مبيّنة الاصل من الفرع دالة على ان هذا الفرع اصبح اصلاً جديداً ينشأ عنه فرع جديد كالابن يصير اباً وهكذا الى نهاية المادة وفقاً للاستعمال ولا حاجة للتوسع ببسط الموضوع وضرب الامثلة فحسبنا ان نشير الى مقال للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي في الضياء بعنوان المجاز وقوله فيه : «وقد يتفرع عن المجاز مجاز آخر وربما تعدد حتى يخفى وجه الاتصال بين اواخر سلسلة المعاني والمعنى الاصلي» وضرب مثالاً مادة «كف» فلمن شاء مراجعتها .

فلم يبقَ على حضرة المؤلف والحال هذه الا العناية بانشاء المواد اللغوية وارسالها على سجيتها الواقعية المنطقية بعيداً عن الحدس والخيال فتنحل العقدة من طبعها ويتعين الاصل والفرع والا بقيَ الابهام سائداً يظن معه الفرع اصلاً والغريب اصيلا .

واما الملاحظة الثانية على التعدية واللزوم فاننا نرى الاوفق لو اكتفى المؤلف بالتمثيل عليها بضبط ودقة دون النص عليها تكراراً .

خذ مثلاً مادتي « ابَّ » و « ابت » فهما خانيتان من نص له على التعدية واللزوم .

اما مادة « ابَّ » فبعد ان يورد المادة تراه ينص: « التعدي واللزوم » متعد بالنفس في رد اليد الى السلاح ' التحريك . . . متعد بالاداة ' باللام ' في التهيوء بالى: في الحنين . . . لازم في الصياح ' الغلبة .

وقد اغفل الاستعداد والتجهيز والمزيد فالمطالع المبتدئ خاصة واكثرنا بل كلنا في اللغة ذلك المبتدئ قد يحصر نفسه بنص المؤلف دون متن المواد ويتساءل ترى ما من شأن الباقي امتعد هو ام لازم ومجال التعدية ابالنفس ام بالاداة وباي حرف .

مع ان التمثيل بالمتن كاف والاخذ به اولى كما انه اعلق بالذاكرة يغني المطالع عن القراءة تكراراً ويكفي المؤلف مؤونة الكتابة والطبع وكبر حجم الكتاب وقد يجنبه مزالق الخطأ او في الاقل مواقع الاشكال وذلك ان المؤلف نص كما رأيت اعلاه .

«اب المحارب غلب» ونص في فقرة «التعدية واللزوم» بقوله «لازم في الصياح والغلبة» .

وقالت المعاجم : « اب » هزم .

فيتساءل المطالع هل يغلب المحارب نفسه او يهزمها ليكون الفعل لازماً واذا صح ذلك فلماذا لم يقولوا انغلب او انكسر وانهزم وبالعكس من ذلك ابر .

في محيط الفيروزبادي أَبِرَ كَفَرِحَ : صلح وفي محيط المحيط أَبِرَ الشيء يأبَرُ أَبَرًا : صَلَحَ ومثلها في البستان .

فالفعل بهذه الحال يظهر انه لازم .

اما المؤلف فقد اغفل « ابر » بهذا المعنى ونصَّ على التعدية « بالنفس مطلقاً » فلو إكتفى بالمتن والتمثيل عليه دون تكرار النص على التعدية لجنّب القارئ مشكل التوفيق بين قوله بالتعدية واقوالهم المستفاد منها اللزوم .

هذا ولا سيما أن المؤلف نص في المقدمة في قاعدة التعدية واللزوم التي وافقناه عليها على « توحد معنى الفعل والحرف توحداً يجعل من كل منها فعلاً جديداً مستقلاً عن الفعل الاصلي الساذج وان كلًّا منها مع حرفه المصاحب قدر مشترك فايّ معنى يبقى لكل افتراضات النحاة » .

ونحن نقول بالقياس نفسه اي معنى يبقى للنص على التعدي واللزوم ما دام كل فعل وحرفه المصاحب اصبح فعلاً مستقلًّا لا ينفك عنه وعلى المطالع ان يأخذ به لا يحيد فزيادة الايضاح جهد ضائع يشغل القارئ عبثاً وقد يربكه ويبلبل المادة على غير فائدة .

وهذا حسبنا فننتقل الى قاعدة الموازين .

O

قاعدة الموازين

اللغة اسم وفعل وحرف فاذا اهمل احد هذه الثلاثة اهمل ثلث اللغة وقد ابدينا ما لدينا بشأن الافعال وحاولنا وضعها في نصابها الطبيعي ولجراها مجراها المعقول .

فعلينا الان ان ننظر في الموازين التي تستوعب الاسم على انواعه فيدرك المطالع ما لها من الشأن الكبير .

عرض الشيخ لهذه الموازين فقال :

قرر علم اللغة المقارن ان التزايد في اللغات السامية يخضع لقانون الاشتقاق بينما هو في اللغات الآرية يخضع لقانون التركيب .

وسبق له ، في كتابه (مقدمة ص ٦٢ — ٦٤) ، الملاحظة ان العربية كانت تصدر عن سوابق ولواحق كسابقة « است » في استفعل التي تفيد الطلب او الصيرورة او العد ولاحقة (ين) التي تفيد الخلاصة . وأن لا شك بان ذلك هو مذهب العرب عن صورة مؤكدة .

ولكنه لم يأخذ بذلك اي لم يستعمل التركيب لامرين الاول خشية على سلامة التطبيق والثاني لان اضافة السوابق واللواحق الى الوزان تؤدي الى تزايد كبير في الموازين على اشكال لم تعرفها العربية العريقة لان اللواحق تشذبت وصارت جزءاً من الميزان بفعل الصقل المستمر . وان كثرة الموازين المحفوظة مغنية عن اللواحق وان الاخذ بها (بالموازين) وحده ينفذ بحق الوضع العربي . اه

لاجل ذلك مضى يستقصي دلالات الموازين بكثير من النصب تبياناً لطريقة اخذه بالعربية بما يتفق ومدى طاقتها التي لا تعرف النضوب .) (المعجم ص ٩)

فسبيلنا اذا الالمام بمسألتي التركيب والاشتقاق والدلالات الثابتة التي قررها للموازين ثم طريقته في الاخذ بها .

اما أنّ علم اللغة المقارن قرر ان التزايد في اللغات السامية خاضع لقانون الاشتقاق (الموازين) او التحرك من داخل بينما هو في اللغات الآرية يخضع لقانون التركيب (اللواحق والسوابق) او التحرك من خارج فامر لا ندري ما نقول به :

١ : بعد ان افاض الشيخ بالتدليل على ان العربية كانت تصدر عن سوابق ولواحق وان لا شك بانه مذهب العرب . وانه لم يتحول عنه الا خوفاً على سلامة التطبيق وتشويه وجه العربية . اما الخوف من عدم سلامة التطبيق فكل قاعدة معرضة للخطأ اذا تولاها غير العليم .

٢ : بعد ان اقنا الدليل على كيفية نشوء العربية في القسمين السابقين من هذا الدرس وحسبك بالامثلة التي ضربناها من الثنائي اب ات اث الى الثلاثي ابت ابث ابد ابر فالثلاثي الناشئ عن ادغام الثنائيين فالتركيب بينه اما من انكر صحته او رآه نحتا او ادغاماً فله رأيه .

وعلى كل فليس المقام مجال البحث بهذه الطريقة وثبوتها او عدمه لان المؤلف تجاوز عنها الى الاخذ بالموازين وهدفنا بهذا المقال البحث بما قدمه الشيخ .

تسديدًا للعمل وفاء بحق اللغة لا بما اهمله فنتقل الى الموازين ندرس بعض ما اورده على سبيل المثال ، قال :

١ – فَعَال : هو « ميزان غلب في الدلالة على التحقيق والحصول بالنفس دون مؤثر خارجي كسحاب للحادث الجوي فيقارب سابقة « Auto » ص ١٢) ولم يزد .

ويقرب منه رأي الشويري حيث قال : (اللمع ص ٥٠–٥٧) بزيادة الالف على فعل للدلالة على زيادة تثبت بمناه كالجمال والكمال والدلال والوقار والرجاء والصفاء والوفاء والقضاء .

او للدلالة على الثبات والزوال اي البقاء والفناء كالدوام والقرار والذهاب والرواج والهلاك والبوار والكلال والخسار .

فنتساءل ترى هل استوعبت هذه الضوابط كل خصائص هذا الميزان بحيث ينطوي تحت حكمها سائر المفردات من مثل :

الصباح والمساء والنداء والمشاء . والسلام والكلام والبنان والرمان والسنام والاثان الى غير ذلك كالمصادر (المتعدية خاصة) مثالها : الاثاء – من اثاه بسهم رشقه به ، البلاء – من بلاه يبلوه .

ولا يسمح المقام بتتبع جميع المفردات والنظر بدلالاتها فنقف عند هذا الحد متسائلين هل الصباح او السلام او السنام على اختلاف صيغها هي من الحصول بالنفس كما قال العلائلي :

او من زيادة التثبت بالمنى او من باب الثبات والزوال كما ارتأى الشويري ولا نظن الجواب سهلًا فننتقل الى الميزان الثاني .

٢ – « فُعال » عند المؤلف هو (بالمنى المصدري) « ميزان يدل على الاصوات : بُغام نُباح –

وهو (بالمنى الحاصل بالمصدر) يدل على الامراض المزايلة كزكام وصداع

وهو (اسمًا) يدل على رسوخ الوصف والانطباع به فيقارب لاحقة Graphe كغراب وغلام

أما فُعال عند الصرفيين القدماء فهي تدل على الداء او الصوت

واما عند الشويري فهو قياس مصدر ثلاث طوائف :

الاولى افعال الاصوات الدالة على ألم وتوجع كالصراخ والبكاء والنباح الخ

الثانية ما يدل على مرض وشبهه كالسعال والصداع والرعاف الخ

الثالثة ما يدل على طلب بصورة ما كالسؤال والدعاء والبناء الخ) ص ٥٢

وليس من السهل التوفيق بين الاثنين .

وهنا يتساءل المطالع ايضاً ترى هل تنطبق هذه الضوابط على المفردات التالية وامثالها :

أُباب : معظم الموج . أُباس : المرأة السيئة الخلق .

أُجاج : الشديد الملوحة : عُجاب ما جاوز حد العجب .

عُقاب : الطائر المعروف : جُناح : الاثم : الطائفة من الشيء .

فلنأخذ بميزان آخر

٣ – « فِعال » عند العلايلي يدل على التفاعل وبالمعنى الحاصل بالمصدر يدنو بتخصيص من سابقة Bis ولم يضرب مثلاً ما

واما الشويري فقد قال انه قياس مصدر خمس طوائف يدل فيها على امتداد الوقت لذلك سماه المصدر الموقت .

وهذه هي الطوائف الخمس :

١ – الافعال المشتركة بين اثنين : لقاء تراء

٢ – ما يقوم بفاعله دون عمل خارجي : صيام ، قيام

٣ – = = = مع = = دون اضطراب او تنقل : نباح ، فناء ، حداد

٤ – = = = = = ومع = = = : نفار ، هياج ، شِراد ، بناء .

٥ – ما يكون بوقت خاص [موسمي] : قطاف ، حصاد

وقد اهمل كلاهما فئة صالحة من فِعال اعتبرها الكثيرون اسم آلة :

رباط حزام ، زمام ، قياد خناق ، لثام ، فدام ، سداد ، هِمام ، عنان ، لجام اباض الخ .

بله ما كان من نوع اخر كبساط وإداض

٤ – « فِعالة » هي عند المؤلف « ميزان غلب في الدلالة على العلم او الصناعة او الفن كطبابة حدادة فيلاقي لاحقة Logie .

وعند الشويري هو قياس مصدر الصناعات والامارات واشباهها وهي اربع

طوائف الاولى المهن العملية كالتجارة والحدادة والخياطة والزراعة الخ .

الثانية : الولاية كالوزارة والامامة والكهانة

الثالثة : التبرعات الالتزامية الشرعية كالوكالة والكفالة

الرابعة : التبرعات الحبية كالسيادة والزيارة

فنتساءل ترى هل تنطبق هذه الضوابط على الغشاوة والعمامة او على الدعامة والعضادة والعياقة والجالة والقيادة وامثالها الكثيرة .

ه – « فُعالة » هي عند العلائلي « ميزان يدل على الحاصل من الشيء » كالخُلاصة والجُمالة والعصارة » وعند الشويري يدل على الحصة المتسكنة كالذُّعابة والبناية

فما القول بما جاء بمعنى البقية كالشفافة لبقية الماء في الاناء واللماظة لبقية الطعام في الفم والخُصاصة لما بقي في الكرم بعد القطاف وامثالها كثيرة .

وبما جاء بمعنى المنبوذ كالجُثالة والحُسالة والنُفاثة والنُفاية

وبمعنى ما يتساقط من الشيء كالنُشارة والنُحاتة والبُراية

وبمعنى ما يطفو على وجه الشيء كالطفاوة والطفاحة والرغاوة والطفافة الى غير ذلك

رأينا في الموضوع : ان ما قلناه عن عين الفعل الثلاثي يصح على الموازين فالموضوع يستدعي جمع مفردات كل ميزان وتصنيفها طوائف وفصائل ثم الانصراف الى درسها والتبحر بها وقتاً كافياً للخروج الى ضوابط ولو تقريبية . وهيهات ان يتمكن الفرد مها اتسع له الوقت وواتته الفرص من الاحاطة بالموضوع وتحديد وضع كل ميزان .

والذي يتراءى لنا على قصور درسنا هو في ما يلي :

المصدر الاصل هو فَعْل فاذا اعتبروا المعنى اوسع او اقوى او اشد او ابلغ ، وبالجملة زائداً عن المألوف من اي ناحية انت الزيادة ، بحيث يعتبرون اللفظ بات قاصراً عن استيفاء المعنى ، زادوا على اللفظ حرفاً ومدّوا الصوت فقالوا فَعال كالنجو مثلاً يدل على النجاة المألوفة فاذا حصلت النجاة بتعب او وقت طويل او غير ذلك وارادوا المبالغة بها قالوا النجاء او قالوا فَعول لما هو اقوى من فَعل واضعف من فَعال او قالوا فعيل لما هو ادنى منها .

واذا ارادوا التعبير عن حادث خاص كالمرة مثلاً استعملوا فَعْلة فقالوا النجوة او النجاة .

وكذلك فُعال فهو مدّ فُعْل ومثله فِعال مد فِعل وبحسب الحاجة يضيفون التاء للحادث الفردي فيقولون فُعالة او فَعالة او فِعالة .

والمصدر من حيث تعدد صِيَغِه حكمه حكم الفعل الثلاثي أي ان الاباحة التي سادت عين الفعل سادت فاء الاسم وعينه بحيث لا مفر للعربي من القاعدة القائلة ان اللغة سماعية فلا بد من اعطاء هذه القاعدة حكمها بهذا الباب

ولكن القول بالسماع لا ينفي القياس فاذا قلنا بالسماع فيبقى للقياس ان يجري مجراه وكل اسم سمع على هذا او ذاك الوزن يقاس مثله عليه على شرط ان يكون مثله مثله حقاً لا توهماً بان يستجمع شروطه . وهكذا ترى ان لكل من السماع والقياس مجاله الرحب فاذا سمع عن العرب الكُباد والقُلاب مرض الكبد والقلب ولم يسمع الكُتاف او الصُدار مرض الكتف والصدر فلا مانع من اخذهما بالقياس بعكس الرئة مثلاً اذ سمع ذات الرئة فيلزم التقيد بها وهذا بحث متسع اتساع العربية لا يمكن استيفاؤه عرضاً اثناء بحث آخر كما هي الحال بهذا المقال .

وقد يقول المؤلف انه عرض للموازين على قدر محدود وفقاً لحاجة المعجم . فاذا صح الاقتصار على تعداد بعض الموازين دون البعض الآخر فلا يصح الاقتصار على بعض دلالاتها دون بعض فاذا ذكر ميزان ما فالاولى استيفاء دلالاته وهذا مطلوب من الصرفيين تثقيفاً للغة، على حد تعبير المؤلف، بذاتها وضعاً لها في نصابها الصحيح . والمأثور ان المشتغلين بها انصرفوا الى النحو وما زالوا به حتى نضج واحترق بينما اقتصروا في الصرف حتى بقي قاصراً مغلقاً بعيداً عن النضج مع ان درس المفرد مقدم على درس المركب .

بقي علينا النظر في الطريقة التي اتبعها المؤلف في استخدام هذه الموازين فموعدنا بها عند الكلام على اوضاعه الجديدة التي غمر بها معجمه .

(يتبع)

محمد بن يسير الرياشي وأشعاره

بقلم شارل بلا

اذا شرع أديب عالم في تحقيق نص قديم مما ابقى لنا الدهر من آثار المتقدمين صادف عند كل خطوة صعوبات مختلفة الاهمية متباينة الخطورة لا يذللها الا بعد طول البحث والتفكير ولا يتغلب عليها الا بشديد الكد والمشقة؛ فمن تلك المشاكل ما ينجم عن رواية الأشعار في معظم المؤلفات القديمة وعدم اعتناء النساخ بضبطها ونسخها بصورة صحيحة حتى انه يلقى الناشر في كل صفحة من صفحات المخطوطات التي يعتمد عليها ابياتاً مشوهة محرفة عسيرة الادراك والتحقيق؛ فاذا كانت منسوبة الى فحل من فحول الشعراء الذين قد طبعت دواوينهم صار الامر سهلاً والبحث سريعاً في كثير من الاحوال؛ واما اذا رويت غير منسوبة الى قائلها ربما نفعت مراجعة الاغاني واللسان وغيرهما من المراجع المعتادة فعثر الناشر على ما يبحث عنه وربما كشف ايضاً عن اسم الشاعر، على شرط ان يكون ممن اعانهم الله بتوفيقه.

والى جانب ذلك فتروى اشعار منسوبة الى قائلها ولكن معظم الدواوين القديمة قد اكل عليها الدهر وشرب فضاعت تماماً او احتجبت في تضاعيف المكتبات الشخصية ولا يظهرها اصحابها ضناً بكنوز لا تنفعهم وشحاً على ذخائر لا يمكنهم تقديرها حق التقدير، فان صادف الناشر ابياتاً مروية لاحد الشعراء الاصاغر كان لديه الخيار بين موقفين: اما ان يبقيها على وجهها ولا يؤدي تمام واجبه، واما ان يلتمس أوجه الخطإ فيصحح ما تيسر له من ذلك ثم يبحث عن الشعر المذكور في جملة هائلة من الكتب مع ما في مثل ذلك الشغل من تضييع الوقت واتعاب النفس وخيبة الامل في كثير من الاحيان؛ فلذلك وددنا لو جمع الادباء ما يصادفونه عند قراءة الكتب من اشعار لشاعر او شعراء معدودين ثم نشروا — ولو موقتاً — ما التقطوه من الابيات والقطع والقصائد والاراجيز حتى يجعلوا مجموعات نافعة — وان كانت ناقصة — تحت تصرف من يحتاج اليها.

اما نحن فقد رأينا ان نقتفي أثر من سبقنا الى مثل ذلك العمل من المستشرقين وغيرهم فاخترنا من بين مَن يهمنا من الشعراء المتقدمين والمحدثين : ابن مُفرِّغ (١) وابا يعقوب الخُرَيمي والفضل بن عبد الصمد الرَّقاشيّ وعبد الصمد ابن المُعذَّل ومحمودًا الوراق وأبا الشيص وأبا النجم العجلي والجمَّاز ومحمد بن يسير الذي ننشر هنا ما « حصدناه » من اشعاره ، غير شاكين في ان روايتنا ليست بنهائية وان ما توصلنا انه قليل من كثير ولكننا لا ننسى قول الحكيم : « ما لا يدرك كله لا يترك أقله » .

ح

لقد ترجم (٢) عن محمد بن يسير عدة مؤلفين غير أن التراجم لا تأتي باخبار دقيقة عن حياته ولا تحتوي الا على نوادر متفرقة ليس لها فائدة سوى انها تدلنا

١) سيصدر إن شاء الله مجموع شعره في *Mélanges Louis Massignon* .

٢) لائحة المختصرات المستعملة في الحواشي :

اغ = كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، ط . بولاق .

بخلاء = كتاب البخلاء للجاحظ ، ط . الحاجري ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

بغال = كتاب البغال للجاحظ ، ط . Pellat (تحت الطبع) .

بيان = كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، ط . عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٣٦٧-٦٩/١٩٤٨-٥٠ .

البيهقي = كتاب المحاسن والمساوي ، جيسن ، ١٩٠٠ .

حيوان = كتاب الحيوان للجاحظ ، ط . عبد السلام محمد هارون .

شعر = الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ط . De Goeje ، ليدن ، ١٩٠٠ (الارقام التي في هامش ط . محمد احمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٦٤-٦٩) .

عقد = العقد الفريد لابن عبد ربه ، مصر ، ١٣٤٦/١٩٢٨ .

عيون = عيون الاخبار لابن قتيبة ، مصر ، ١٣٤٣-٤٩/١٩٢٥-٣٠ .

القالي = امالي القالي ، مصر ، ١٣٤٤/١٩٢٦ .

كامل = الكامل للمبرد ، ط لبيزيك .

مأمون = عصر المأمون لاحمد فريد رفاعي ، القاهرة ، ١٣٤٦/١٩٢٨ .

المحمدون = المحمدون من الشعراء للقفطي ، مخطوطة باريس رقم ٣٣٣٥ .

مختلف = كتاب مختلف الحديث لابن قتيبة ، مصر ، ١٣٢٦ .

معجم = معجم الشعراء للمرزباني ، مصر ، ١٣٥٤ .

موشح = كتاب الموشح للمرزباني ، مصر ، ١٣٤٣ .

ورقة = الورقة لابن الجراح ، مصر ، [١٩٥٣] .

على معنى القطع الشعرية المروية وتخبرنا ببعض خصائص الشاعر[١] ؛ فلا نعلم تاريخ ولادته – كما هي الحال لكثير من المتقدمين – ولا يمكننا ان نحدد تاريخ وفاته ؛ قال ابن قتيبة[٢] إنه « كان في عصر ابي نواس وعُمّر بعده حيناً » ولكننا لا نعرف مقدار ذلك الحين ؛ فما لم يكن سبيل الى الشك فيه أنه كان معاصرا لابي نواس المتوفى في اواخر القرن الثاني وادرك ايضاً الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ ؛ فلعله عاش الى عهد المعتصم (٢١٨ – ٢٢٧) اذ يحكي ابو الفرج[٣] ان الخليفة سمع اثناء بعض حروبه منشداً يتمثل في عسكره بابيات شاعرنا (رقم ٨) فسُرّ بها فيها وطابت نفسه حتى سأل عن قائلها فتفاءل باسمه وقال : « امر محمود وسير سريع » ؛ فتدل هذه الرواية على ان والده يسمى يَسيرًا (من اليُسر[٤]) بيد ان صاحب الاغاني وغيره من المؤلفين القدماء[٥] ومن نقل عنهم يسمونه بشيرًا وهو تصحيف ؛ واما نسبته فقد ظلت ايضاً موضع الاختلاف الفاحش اذ نسبه ابن الجرّاح والقفطي الى حِمْيَر ، فقالا : محمد بن بشير الحميري[٦] ، ونسبه الصولي إلى خَثْعَم وليس بمخطىء . غير انه ينسب عادة الى رياش – وبنو رياش من خثعم – فيقال له : أبو جعفر محمد بن يَسير الرِّياشيّ ؛ كان مولاهم والقول بانه منهم صليبة خطأ على ما يظهر .

. ولد ابن يسير بالبصرة في اواسط القرن الثاني للهجرة ولم يفارق وطنه « ولا وفد الى خليفة ولا شريف منتجعاً ولا تجاوز بلده وصحبة طبقته »[٧] ؛ فيمكننا ان نصدّق ابا الفرج ولكنّ في خبره شيئاً من الباطل لان الشاعر وان لم يخرج من البصرة فقد اتصل فيها باشراف من الأسرة المالكة كجعفر بن

---

١) مجداتم التراجم واوفرها في اغ ، ١٢ : ١٢٩ – ١٤١ ؛ يروي له القفطي وابن قتيبة في « شعر » عدة قطع ؛ اما الورقة فسقطت منها صفحة او صفحات .

٢) شعر ، ٥٦٠ .

٣) اغ ، ١٢ : ١٣٧ .

٤) القاموس المحيط ، مادة « يسر » .

٥) منهم ابن الجراح والصولي (كتاب الاوراق ، ٣٠) والمرزباني والقفطي .

٦) قال القفطي : « مولى بني سدوس ويقال هو مولى بني هاشم وقيل هو من جلام » ثم قال : « وكان ازرق ابرش وكان يلقب زريقاً » .

٧) اغ ، ١٢ : ١٢٩ .

سليمان وقثم بن جعفر بن سليمان ومحمد بن ايوب بن سليمان ويوسف بن جعفر بن سليمان وهم من ولد سليمان بن علي العباسي الذي ولي البصرة من ١٣٣ الى ١٣٩ ؛ فبقي بها ابناؤه واحفاده وولي بعضهم الولايات في النصف الاول من القرن الثالث ؛ فاتصل بهم محمد بن يسير كما يتبين مما جاء في الاغاني واكتفى بمعاشرتهم ولعله مدحهم ولكن لم يبق من مدائحه شيء .

فلم يشعر اذًا بوجوب الاغتراب ولم يحذُ حذو معاصريه من الشعراء الذين كانوا يقدمون العاصمة وهم يرجون الانضمام الى بطانة الخليفة ووفارة الجوائز والهبات بل كان قانعاً بنصيبه مكتفياً بما انعم عليه (رقم ٣٠ ، ٣٣) صابرًا على المكروه (رقم ٨ ، ١٧) راغباً عن « الروحات والدلج » (رقم ٨) ؛ فبقي في بلده وعاش بها عيشة كثير من البصريين المستهترين باللهو الطالبين اللذات غير انه لم يبالغ في ذلك ولا انكبّ على الملاذ بل طلب العلم وطالع الكتب ومزج بين الجد والهزل مزاجاً معتدلًا .

قال ابو الفرج[1] انه كان « ظريفاً من الشعراء المحدثين متقللًا . . . ماجناً هجّاء خبيثاً » وفي هذا القول شيء من الغلو والإفراط اذ ان ما بقي من شعره يخالف حكم الاغاني ؛ فان امعنا النظر فيه رأينا ان ابن يسير كان من المسالمة والوداعة بمكان وأن هجاءه غير موجع ولا خبيث ؛ فهجا مغنياً يقال له ابو النجم قد عبث به وباغضه في وليمة دعي إليه (رقم ١٠) ؛ وهجا امرأة قبيحة (رقم ٣٢) وهجا ايضاً صديقه عمرًا القصافي[2] في مجلس كانت فيه « مغنية حسنة الوجه شهلة تغني غناء حسناً .وكان القصافي يعين في كل شيء يستحسنه ويحبه »[3] فلم يلبث ان عابها فانصرفت محرومة شاكية العين وقال ابن يسير في ذلك شعرًا (رقم ١) ؛ وممن هجاه أيضاً يوسف بن جعفر بن سليمان وكان « اشد خلق الله عربدة وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يعربد عليه ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ »[4] فقال فيه القطعتين (٤١ و٤٣) ؛

---

١) اغ ، ١٢ : ١٢٩ .

٢) هو ابو الفيض عمرو بن نصر التيمي شاعر بصري من الشعراء الرشيديين ؛ انظر الورقة ، ٧–٩ .

٣) اغ ، ١٢ : ١٣٤ . ٤) اغ ، ١٢ : ١٣٦ .

وكان بينه وبين احمد بن يوسف الكاتب[١] معاشرة فاستبطأه مرة (رقم ٣٥) ثم وقع بينهما شرّ فبلغه انّ احمد يتعشق جارية سوداء مغنية فقال يهجوه القطعة (رقم ٢٤) ؛ « فزجه احمد يوماً تعرضا لشره وعبثاً به فأخذ ابن يسير باذن الحمار وقال له : « قل لهذا الحمار الراكب فوقك لا يؤذي الناس » فضحك احمد ونزل فعانقه وصالحه »[٢] ؛ وكان مرة جالساً في المسجد « والى جانبه قوم من اهل الجدل يتصايحون في المقالات والحجج فيها »[٣] فطعن فيهم طعناً خفيفاً (رقم ٢٧) ؛ فلا يدخل جميع ما ذكرناه في باب الهجاء اللاذع ولا تدخل فيه ايضاً القطع (رقم ١٨، ٤٦) التي رواها الجاحظ من بين مناقضات الفضل بن عبد الصمد الرقاشي وابي نواس وابن يسير في شان قدور رقاش ؛ فكان الشعراء المتقدمون ربما ينوّهون بصغر قدور خصومهم كناية عن بخلهم ويفتخرون بسعة قدور القبيلة التي ينتمون اليها كناية عن جودها ؛ فكان ذلك الباب قد يطرقه الاعراب ثم اتخذ ذلك المنى شعراء المدن بصفة اصطناعية فادخلوه في تهاجيهم رغبة في الاتيان بالغريب من الالفاظ والمعاني اكثر منهم حرصاً على الطعن في خصومهم .

وبما انه قد هجا ناساً فكان من طبيعة الحال ان يهجوه بعض الشعراء . ولكنا لم نعثر الا على ابيات قالها فيه جعيفران[٤] او أبان بن عبد الحميد اللاحقي[٥] وليس لها ادنى قيمة ؛ اما الجاحظ[٦] فيروي قطعة من قصيدة قالها ابو اسحق حين ادعى ابن يسير معرفة السحر والشعبذة فهجاه فيها ووددنا لو احتفظت تلك القصيدة باجمها .

اما خلاعة محمد بن يسير فزعم ابنه عبدالله انه كان « مشغوفاً بالنبيذ مشتبراً[٧] بالشرب وما بات قط الا وهو سكران »[٨] وفي ذلك ايضاً شيء من المبالغة ؛

١) الذي صار كاتباً للمأمون ومات سنة ٢١٣ .
٢) اغ ، ١٢ : ١٣٥ .
٣) اغ ، ١٢ : ١٣٨ .
٤) اغ ، ١٢ : ١٤٠ .
٥) اوراق الصولي ، ٣٠ .
٦) حيوان ، ٦ : ٢٣٢-٢٣٣ .
٧) كذا في اغ والصواب : مستهترًا .
٨) اغ ، ١٢ : ١٤١ .

فكان يحب النبيذ حقاً ولكنه « ما نبذ قط نبيذاً وانما كان يشربه عند اخوانه ويستقيه منهم »[1] ، وهناك عدة نوادر لا بأس بروايتها ؛ قال ابنه[2] : « فاصبحنا بالبصرة يوماً على مطر هادئ ولم تمكنه معه الحركة الى قريب من اخوانه ولا بعيد وكان يجنّ اذا فقد النبيذ ؛ فكتب الى والي البصرة وكان هاشمياً وهو محمد بن ايوب بن جعفر بن سليمان » رقعة (رقم ١٦) يطلب فيها اليه نبيذاً ؛ « فضحك وبعث اليه بزق نبيذ ومائتي درهم وكتب إليه : « اشرب النبيذ وانفق الدراهم الى ان يمسك المطر ويتسع لك التطفيل ومتى اعوزك مكان فاجعلني فيئة لك والسلام » ويدل هذا الخبر على ان الهاشميين انفسهم كانوا يشربون النبيذ ولا يسوغ لنا ذم ابن يسير على حبه له ؛ ويحكى[3] ايضاً ان محمد بن ايوب بعث اليه وقد بقي من الليل ثلثه او اكثر ؛ فكان في مجلس الوالي ثلاثة ندامى فقال لاحدهم : « من ترى ان يكون خامسنا ؟ — قال : محمد بن يسير — قال — : والله ما عدوت ما في النفس » ؛ ثم امر احدهم بنظم بيتين يدعوه فيهما ويصف له طيب ذلك الوقت وكان يوم غيم والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع ؛ فاجاب ابن يسير مشترطاً على الوالي شروطاً (رقم ١٤) ؛ فكتب اليه : « قد أعدّ لك كل ما طلبت ، فلا تبطئ » ؛ فلما حضر امر محمدُ بن ايوب باحضار المائدة ثم امر بمحمد بن يسير فشُدَّ بحبل الى اسطوانة من اساطين المجلس ؛ فجاس الحضور يأكلون بحذائه فقال لهم : « اي شيء يخلصني ؟ — قالوا : تجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب — قال : كفوا عن الاكل اذاً ولا تسبقوني به فتشغلوا خاطري » ؛ ففعلوا فأنشأ يقول القطعة (رقم ١٥) ثم حلوه وجلس يأكل معهم .

فكان يحب النبيذ وانما لا يطيق الشرب المفرط ومما يدل على ان ابنه قد بالغ قوله بعد ان اسكره قوم (رقم ٢٠) :

شاربت قوماً لم اطق شربهم يغرق في بحرهم بحري

واما موقفه من النساء فليس فيما بقي من شعره ما يجعلنا نعدّه من المجان

---

١) نفس الموطن .

٢) نفس الموطن .

٣) اغ ، ١٢ : ١٢٩ .

الذين يتميز بهم القرن الثاني والثالث ومما يساعدنا على مثل هذا الحكم اننا لم نجد من جميع اشعاره الا كلمة واحدة تنافي الاخلاق الحسنة ؟ وبالعكس يمكننا ان نقول انه كان عفيفاً بعض العفة رغماً عن نادرة لطيفة رواها صاحب الاغاني[1] ؟ فكان ابن يسير يتصل بداود بن احمد بن ابي داود[2] الذي كان من اسمج الناس خلقاً واقلهم ادباً الا انه كان وافر المتاع فكانت القيان يواصلنه ويكثرن عنده »[3] حتى ان احداهن هويت ابن يسير ؟ فبعث داود الى عبدالله بن محمد بن يسير برقعة طويلة يعاتبه فيها فاجاب شاعرنا برقعة (رقم ٦) فيها شي. من التهكم ؟ ثم غاب عن اهله[4] ففقدوه « اياماً وطلبوه فلم يجدوه وكان مع اصحاب له قد خرجوا يتنزهون فجاؤوا الى داود يسألونه عنه فقال لهم : « اطلبوه في منزل حُسْن المغنية فان وجدتموه والا فهو في حبس ابي شجاع صاحب شرطة خمار التركي » ؟ فلما كان بعد ايام جاءه ابن يسير فقال له : « ايها القاضي كيف دللت عليَّ اهلي ؟ — قال : كما بلغك وقد قلت في ذلك ابياتاً — قال : او فعلت ذلك ايضاً ؟ زدني من برّك هات ايش قلت»؟ فانشده :

ومرسلة توجّه كلَّ يوم	اليَّ وما دعا للصبح داعٍ
تُسائلني وقد فقدوه حتى	أرادوا بعده قسمَ المتاع
إذا لم تلقه في بيت حُسْن	مقيماً للشراب والسَّماع
ولم تر في طريق بني سَدوس	يخطّ الارض منه بالكراع
يدقّ حزونها بالوجه طوراً	وطوراً باليدين وبالذراع
فقد أعياك مطلبه وأمسى	فلا تغلط حبيس ابن شجاع

فجعل ابن يسير يضحك ويقول : « ايها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف خبره » ثم لم يبرح ابن يسير حتى اعطاه داود مائتي درهم وخلع عليه خلعة من ثيابه[5] .

---

١) اغ ، ١٢ : ١٣٣ .

٢) لعله الذي يذكر الجاحظ في البخلاء (٥٥) انه كان عامل كَسْكَر وربما ولي القضاء مع ان اسمه لم يرد في اسماء قضاة البصرة .

٣) اغ ، ١٢ : ١٣٣ .

٤) اغ ، ١٢ : ١٣٧ .

٥) وكان داود اذا انصرف ابن يسير من مجلس « اخذه معه فيمشي قدامه فان كان في

وحُسن هذه هي القينة التي عشقت ابن يسير فعلقها ؛ فكتبت اليه زوجته[1] تشكو اليه فراقه عنها فبعث اليها برقعة (رقم ٢٦) فيها من البساطة والصدق وصفاء الخلق – ممتزج الكل ببعض الوقاحة – ما يندر في الشعر العربي .

فقد رأى القارئ لهذه المقدمة والمتصفح لما جمعناه من اشعار ابن يسير انه ليس من المجون والهجاء والخبث بمنزلة عدد وافر من معاصريه ولا يجاري في هذا الميدان ابا نواس وحسين الخليع وامثالهما ؛ فأخطأ صاحب الاغاني في حكمه الاجمالي وتعامى عن اللطافة والعذوبة والروح الوادعة التي تنبثق من قصائد رواها ابو الفرج نفسه بحذافيرها دون ان يشير الى ما فيها من الخارق للعادة ؟ فكأنه قد استحسنها سرًّا ولم يتجاسر على التعبير عن استحسانه جهرًا لان تلك القصائد والقطع تخالف الذوق العربي الذي كوّنه او متّنه النقاد كما تخالف القواعد التقليدية في معانيها والفاظها .

فلسنا نريد ان نعلق اهمية مفرطة على ما يدخل في باب الزهديات من شعر ابن يسير كالقطعة (٤٥) التي انشدها في مجلس ابي محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عياض[2] فابكى جميع من حضر[3] وكالابيات المتفرقة والقطع المشتتة التي صارت امثالاً لما فيها من الحكمة الصالحة (٢ و٧ و٨ و١١ و١٧ و٢٠ و٣٠ و٣٣ و٤٤) لان ذلك مما لا يخلو منه الشعر العربي وتجده في دواوين المجان انفسهم ؟ ولا نريد هنا ان ننوه بالقصيدة الطويلة التي قالها ابن يسير في الحَمام (رقم ١٩) ؛ فقد كان طلب من ابن ابي عمرو المديني[4] فراخاً من الحمام الهندي فوعده ان يأخذها له من المثنّى بن زهير[5] ثم «نوّر» عليه اي اعطاه فراخاً غير منسوبة[6] دلسها

الطريق طين او بئر او اذى لقي داود شره ؛ فمات داود وانصرف ابن يسير ذات ليلة وهو سكران فعثر بدكان وتلوث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عنتا ؛ فقال يرثي داود قطعة (رقم ١٢) لا تمت الى المراثي بسبب .

١) اغ ، ١٢ : ١٣٢ .

٢) هو زاهد من زهاد الكوفة ؛ مات سنة ١٨٧ ؛ راجع فهرس البيان .

٣) اغ ، ١٢ : ١٣٧ .

٤) والده مذكور في الحيوان ، ٣ : ٦٩؛ و ٥ : ٥٩١ .

٥) كثيرًا ما يذكره الجاحظ في الحيوان ، وكان اعلم الناس بانساب الحمام .

٦) قال الجاحظ في الحيوان ، ٣ : ٢٠٩ : والذي يشتمل عليه دواوين اصحاب الحمام

عليه واخذ المنسوبة لنفسه ؛ فدعا عليه ابن يسير في قصيدة تدخل في باب الطرديات.

بل نريد ان نشير الى ما في عدة قطع من لطافة المعاني وبساطة الالفاظ فنجد احسن انموذج لهذا الابتكار الغريب في القصيدة التي يصف فيها بستانه الصغير ويذكر ما اوقعت فيه شاة منيع من ضرر وفساد ؛ فكان قد غرس في البستان « اصل رمان وفسيلة لطيفة وزرع حواليه بقلاً ؛ فافلتت شاة لجار له يقال له منيع فاكلت البقل ومضغت الخوص ودخلت الى بيته فلم تجد فيه الا القراطيس فيها شعره واشياء من سماعاته فاكلتها وخرجت ؛ فعدا الى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه وعاد فزرع البستان » ؛ فاشتهر بذلك حتى قال الجاحظ[1] ان المثل يضرب بشاة منيع وجعلها بازاء كلبة حومل وبغلة ابي دلامة ، انظر ايضاً الى القطعة اللطيفة (رقم ٣٤) التي يصف فيها عدم مبالاته بالزي والنعال وذلك انه مر يوماً بابي عثمان المازني[2] فجلس اليه ساعة فرأى مَن في مجلسه يتعجبون من نعل كانت في رجله خلقة وسخة مقطعة ؛ وكان مرة اخرى قد استعار حماراً من بعض الهاشميين فلم يجبه الى ذلك حتى اضطر الى ان يقضي حاجته ماشياً فكتب الى عمرو القصافي يشكو اليه حاله ويخبره بخبره ويفتخر بما يقوم به على رجليه (رقم ٣٩) ، فمع ذلك لم يتورع من ان يطلب (رقم ٤٣) بغلة سفوا. من مُوَيس بن عمران الذي كان اجود الناس واغناهم[3].

ومثل هذا السؤال مما دعا ابا الفرج الى القول بان ابن يسير كان بخيلاً[4] كما ان الجاحظ الذي يروى عنه مباشرة يقول في كلامه على مَن بخّله من الشعراء : « فاين انت من ابن يسير »[5] ، اي فاين انت منه في البخل والمسألة وكان شاعرنا حقاً ممن « يتكل على جاره » وقد رأيناه يستسقي نبيذاً ويستعير

اكثر من كتب النسب التي تضاف الى ابن الكلبي وغيره ؛ انظر ايضاً *Le Milieu baṣrien* ٣٤٨ ح ٩ ، و *Arabica* ، ١٩٥٤ ، ص ٢١٥ في ولوع البصريين بالحمام .

١) بخال ، ١٦١ .

٢) هو النحوي البصري الشهير ؛ مات حوالي سنة ٢٤٨ وهذا مما يساعدنا على القول بان ابن يسير ادرك عهد المعتصم على الاقل .

٣) انظر فيه فهرس كتابنا *Le Milieu* baṣrien .

٤) اغ ، ١٢ : ١٣٠ .

٥) بخلاء ، ١٦٥ .

حماراً ويسأل بغلة وانما تكارم يوماً في حلقة التّوّزي[1] فانشد القطعة (رقم ١٣) التي يقول فيها : «لا يعدم السائلون الخير افمله». فقام اصحابه الى بيته فاكلوا من جُلَّة تمر كانت عنده وحملوا بقيتها ؛ فكتب الى والي البصرة (رقم ٣١) فبعث الوالي الى اصحابه واغرمهم مائة درهم واخذ من كل واحد منهم جلة تمر ودفع ذلك اليه[2] . فلا ننكر انه كان من البخل في مكان ولكنه ليس بطامع ولا شاره بل كان كامثاله من الشعراء يعوّل على اصحاب المال والثروة وارباب الولايات والمنازل الرافعة فيسألهم تارة ويداريهم اخرى حتى يحصل على ما يشتهيه ولكنه لم يجاوز حد العدل الى الافراط ولا حد الحق الى الباطل .

وله جنس آخر من الشعر حسن طرق فيه باباً قلما طرقه الشعراء الذين سبقوه ؛ فوصف الكتب (رقم ٣) وصفاً فائقاً في قصيدة رواها الجاحظ بحذافيرها ، قال فيها :

ما مات منا امرؤ ابقى لنا أدباً نكون منه اذا ما مات نكتسب

ومع انه يصف نفسه «بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه»[3] حتى عوتب على حضور المجالس بغير ورق ومحبرة (رقم ٤ و٣٨) فنظم ابياتاً طريفة لما سرق منه تمّ بن جعفر بن سليمان ألواحه التي كانت في كمه (رقم ٩ و٣٧)؛ ففي ذلك شيء من التناقض ليس بالمهم ولا يحط من قدر شاعرنا (انظر ايضاً رقم ٢٥) .

فان اعتمدنا على ما بقي من شعر ابن يسير ، حكمنا بانه وان لم يختلف عن غيره من الشعراء اختلافاً كاملاً قاطعاً ، ادخل في الشعر معاني جديدة فطرق ابواباً قد انف معظم الشعراء عن طرقها لبساطتها وسذاجتها ولانها كما يقال بالفرنسية هي terre-à-terre ، فعبر في قسم من شعره «عن فلسفة النفس الوادعة المطمئنة»[4] وجاء بحكم اعجبت الناس حتى قال ابن قتيبة انه «قد يتمثل بكثير من شعره»[5]؛ فامتاز عن اكثر معاصريه بوداعة جعل الاستاذ طه الحاجري يقول فيه انه «يقول الشعر لنفسه الوادعة» وهذا من خصال الشاعر الصحيح .

---

١) لعله ابو محمد عبدالله بن محمد بن هارون التوزي النحوي البصري ؛ مات سنة ٢٣٣ .
٢) اغ ، ١٢ : ١٣٥ .
٣) اغ ، ١٢ : ١٣٨ ، ١٤٠ .
٤) بخلاء ، ٢٦٨ . ٥) شعر ، ٥٦٠ .

١ – [من الخفيف] في عمرو القصافي الشاعر (انظر اعلاه ٣٠٤) .

١ إنَّ عَمْرًا جَنَى بِعَيْنَيْهِ ذَنْبًا
قَلَّ مِنِّي فِيهِ عَلَيْهِ الدُّعَاءُ

٢ عَانَ عَيْنًا فَعَيْنُهُ لِلَّتِي عَا
نَ فِدَاءٌ وَقَلَّ مِنْهُ الفِدَاءُ

٣ شَرُّ عَيْنٍ تَعِينُ أَحْسَنَ عَيْنٍ
تَحْمِلُ الأَرْضُ أَوْ تُظِلُّ السَّمَاءُ

مصدر – اغ ١٢ : ١٣٤ .

تصحيحات – ٢ ، اغ : فدى وقل || ٣ ، اغ : تقل .

ه

٢ – [من السريع] فيما يأتي به الليل .

١ شَمِّرْ نَهَارًا فِي طِلَابِ العُلَى
وَٱصْبِرْ عَلَى هَجْرِ الحَبِيبِ القَرِيبْ

٢ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ أَتَى مُقْبِلًا
وَٱسْتَتَرَتْ فِيهِ عُيُونُ الرَّقِيبْ

٣ فَٱسْتَقْبِلِ اللَّيْلَ بِمَا تَشْتَهِي
فَإِذَا اللَّيْلُ نَهَارُ الأَرِيبْ

٤ كَمْ مِنْ فَتًى تَحْسَبُهُ نَاسِكًا
يَسْتَقْبِلُ اللَّيْلَ بِأَمْرٍ عَجِيبْ

٥ غَطَّى عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَسْتَارَهُ
فَبَاتَ فِي خَفْضٍ وَعَيْشٍ خَصِيبْ

٦ وَلَذَّةُ المَأْفُونِ مَكْشُوفَةٌ
يَسْعَى بِهَا كُلُّ عَدُوٍّ رَقِيبْ

مصدر – الشعر ، ٥٦١

٥

٣ – [من البسيط] . في الكتب .

١ أَقْبَلْتُ أَهْرُبُ لَا آلُو مُبَاعَدَةً
فِي الأَرْضِ مِنْهُمْ فَلَمْ يُحْصِنِّيَ الهَرَبُ

٢ بِقَصْرِ أَوْسٍ فَمَا وَالَتْ خَنَادِقُهُ
وَلَا النَّوَاوِيسُ فَالمَاخُورُ فَالخَرِبُ

٣ فَأَيْنَمَا مَوْئِلٍ مِنْهَا اعْتَصَمْتُ بِهِ
فَمِنْ وَرَائِي حَثِيثاً مِنْهُمُ الطَّلَبُ

٤ لَمَّا رَأَيْتُ بِأَنِّي لَسْتُ مُعْجِزَهُمْ
فَوْتاً وَلَا هَرَباً قَرَّبْتُ أَحْتَجِبُ

٥ فَصِرْتُ فِي البَيْتِ مَسْرُوراً بِهِمْ جَذِلاً
جَارَ البَرَاءَةِ لَا شَكْوَى وَلَا شَغَبُ

٦ فَرْداً يُحَدِّثُنِي المَوْتَى وَتَنْطِقُ لِي
عَنْ عِلْمِ مَا غَابَ عَنِّي مِنْهُمُ الكُتُبُ

٧ هُمْ مُؤْنِسُونَ وَأُلَّافٌ غَنِيتُ بِهِمْ
فَلَيْسَ لِي فِي أَنِيسٍ غَيْرِهِمْ أَرَبُ

٨ لِلَّهِ مِنْ جُلَسَاءَ لَا جَلِيسُهُمُ
وَلَا عَشِيرُهُمُ لِلسُّوءِ مُرْتَقِبُ

٩ لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم
ولا يلاقيه منهم منطق ذرب

١٠ أبقوا لنا حكماً تبقى منافعها
أخرى الليالي على الأيام وانشعبوا

١١ فأيما أدب منهم مددت يدي
إليه فهو قريب من يدي كثب

١٢ إن شئت من محكم الآثار يرفعها
إلى النبي ثقات خيرة نجب

١٣ أو شئت من عرب علماً بأولهم
في الجاهلية أنبتني به العرب

١٤ أو شئت من سير الأملاك من عجم
تنبي وتخبر كيف الرأي والأدب

١٥ حتى كأني قد شاهدت عصرهم
وقد مضت دونهم من دهرهم حقب

١٦ يا قائلا قصرت في العلم نهيته
أمسى إلى الجهل فيما قال ينتسب

١٧ إن الأوائل قد بانوا بعلمهم
خلاف قولك ما بانوا وما ذهبوا

١٨ ما مات منا امرؤ أبقى لنا أدباً
نكون منه إذا ما مات نكتسب

مصادر – حيوان ، ١ : ٩٤–٩٦ ؛ مأمون ، ٣ : ١٢١ (عن الحيوان) .

روايات – ٢ ، مامون : الى النواوير ‖ ٤ ، مامون : غير مجزم ‖ ٥ ، مامون : جارا لبوءة ‖ ١١ ، مامون : يوما اليه فدانٍ من يدي كثب ‖ ١٣ ، مامون : ثقات برة ‖ ١٧ حيوان ومامون ، قد بانوا وقد ذهبوا ‖ ١٨ ، مامون : يكون – يكتب .

شروح – ٢ ، قصر اوس : قصر مشهور بالبصرة : راجع معجم البلدان ، ٤ : ١٠٩ ‖ ٩ ، ذرب : فاحش ‖ ١٦ ، النهية : العقل ‖ ١٧ ، في هذا البيت قول القائل الجاهل ورد الشاعر عليه وفي البيت الثاني شرح لما سبق .

٤ — [من الطويل] . يصف نفسه بالاستغناء عن تدوين ما يسمعه .

١. إِذَا مَا غَدَا الطُّلَّابُ لِلْعِلْمِ مَا لَهُمْ
مِنَ الْحَظِّ إِلَّا مَا يُدَوَّنَ فِي الْكُتْبِ

٢ غَدَوْتُ بِتَشْمِيرٍ وَجِدٍّ عَلَيْهِمْ
فَمِحْبَرَتِي أُذْنِي وَدَفْتَرُهَا قَلْبِي

مصدر – اغ ، ١٢ : ١٣٨–١٣٩ .

٥ [من البسيط] في جارية طيبته بغالية في مجلس حضره .

١ يَا بَاسِطاً كَفَّهُ نَحْوِي يُطَيِّبُنِي
كَفَّاكَ أَطْيَبُ يَا حِبِّي مِنَ الطِّيبِ

٢ كَفَّاكَ يَجْرِي مَكَانَ الطِّيبِ طِيبُهُمَا
فَلَا تَرُدِّنِي عَلَيْهَا عِنْدَ تَطْيِيبِي

٣ يَا لَائِمِي فِي هَوَاهَا أَنْتَ لَمْ تَرَهَا
فَأَنْتَ مُغْرًى بِتَأْنِيبِي وَتَعْذِيبِي

٤ أُنْظُرْ إِلَى وَجْهِهَا هَلْ مِثْلُ صُورَتِهِ
فِي النَّاسِ وَجْهٌ مُجَلًّى غَيْرُ مَحْجُوبِ ؟

مصدر – اغ ، ١٢ : ١٣٨ .

٦ – [من الخفيف] . جواب على رقعة داود (انظر اعلاه ٢٩٥)

١ وَابَلَائِي مِنْ طُولِ هَـذَا الـكِتَابِ
أَسْعِدُونِي عَلَيْهِ يَا أَصْحَابِي

٢ أَسْعِدُونِي عَلَى قِرَاةِ كِتَابٍ
طُولُـهُ مِثْلُ طُولِ يَوْمِ الحِسَابِ

٣ إِنَّ فِيهِ مِنِي البَلَاءَ مُاتَقَى
وَلِتَيْرِي فِيـهِ الهَوَى وَالتَّصَابِي

٤ وَلَـهُ الوِدُّ وَالهَوَى وَعَلَيْنَا
فِيـهِ لِلْـكَاتِبَيْنِ رَدُّ الجَوَابِ

٥ ثُمَّ مِمَّنْ يَا سَيِّـدِي وَإِلَى مَنْ ؟
مِنْ هَضِيمِ الحَشَا لَعُوبٍ كَعَابِ

٦ وَإِلَى مَنْ إِنْ قُلْتَ فِيهِ بَعِيثٌ
لَمْ أُخْطِ فِي مَقَالَتِي بِالصَّوَابِ

٧ لَا يُسَاوِي عَلَى التَّأَمُّلِ وَالتَّفْـ
تِيشِ يَوْماً فِي النَّاسِ كَفَّ تُرَابِ

مصدر – اغ ، ١٣٣:١٢ .

٥

٧ – [من الكامل] من حكمه .

تَـأْتِي المَـكَارِهُ حِينَ تَأْتِي جُمْلَةً
وَتَرَى السُّرُورَ يَجِيءُ فِي الفَلَتَاتِ

مصدر – بيان ، ٣ : ٢٠٩ و ٢٣٠ .
روايات – بيان ، ٢٠٩ : يجي مع ؛ ٢٣٠ : يجيء في

٨ – [من البسيط] . في الصبر .

١ مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرَّوْحَاتِ والدُّلَجَا
أَلبَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكَبُ اللُّجَجَا

٢ كَمْ مِنْ فَتًى قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خَطْوَتُهُ
أَلفَيْتَهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا

٣ إِنَّ الأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا
فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتُتِجَا

٤ لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ
إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

٥ أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ
وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

[٦ لَا يَمْنَعَنَّكَ يَأْسٌ مِنْ مُطَالَبَةٍ
فَضِيقُ السَّيْلِ يَوْمًا رُبَّمَا انْتَهَجَا]

٧ أَبْصِرْ لِرِجْلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ مَوْضِعَهَا
فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلَجَا

٨ وَلَا يَغُرَّنْكَ صَفْوٌ أَنْتَ شَارِبُهُ
فَرُبَّمَا صَارَ بِالتَّكْدِيرِ مُمْتَزِجَا

٩ لَا يُنْتِجُ النَّاسُ إِلَّا مِنْ لِقَاحِهِمُ
يَبْدُو لِقَاحُ الفَتَى يَوْمًا إِذَا أَنْتَجَا

مصادر – بيان ، ٢ : ٣٦٠ (٣–٦) ؛ شعر ، ٥٦٠–٥٦١ (١–٥) ؛ اغ : ١٣ : ١٣٧

(٣-٤)، ١٣٨ (١-٢، ٤، ٣، ٥، ٧-٩)؛ المحمدون، ٥٧ (١ - ٥، ٧ - ٨)؛ معجم، ٤١٨ (٧-٨).

روايات: ١، اغ: البرما ومراتوكب ‖ ٣، بيان: استدت ‖ ٥؛ المحمدون: ودائم القرع ‖ ٦، يظهر ان هذا البيت انتحله احد نساخ البيان ‖ ٧، اغ: فاطلب لرحلك . . . فمن على زاق .

ه

٩ — [من الخفيف]. في الواحه بعد ان سرقت منه (انظر اعلاه ٢٩٨ وادناه رقم ٣٦):

١ عَيْنِ بَكِّي بِعَبْرَةٍ تَسْفَاحِ
وَأَقِيمِي مَآتِمَ الأَنْوَاحِ

٢ أَوْحَشَتْ حُجْرَتِي وَرُدَّ أَنَاتِي
فِي بُكُورٍ وَعِنْدَ كُلِّ رَوَاحِ

٣ وَاذْكُرِيهَا إِذَا ذَكَرْتِ بِمَا قَدْ
كَانَ فِيهَا مِنْ مِرْفَقٍ وَصَلَاحِ

٤ آبَنُوسٌ دَهْمَاءُ حَالِكَةُ اللَّوْ
نِ لُبَابٌ مِنَ اللِّطَافِ المِلَاحِ

٥ ذَاتُ نَفْعٍ خَفِيفَةُ القَدْرِ وَالمَحْ
مَلِ حُلْكُوكَةُ الذُّرَى وَالنَّوَاحِي

٦ وَسَرِيعٌ جُفُوفُهَا إِنْ مَحَاهَا
عِنْدَ مُمْلٍ مُسْتَعْجِلِ القَوْمِ مَاحِ

٧ هِيَ كَانَتْ عَلَيَّ [للعلم] وَالآ
دَابِ وَالفِقْهِ عُدَّتِي وَصَلَاحِي

٨ كُنْتُ أَغْدُو بِهَـا عَلَى طَلَبِ العِلْ

مِ إِذَا مَا غَدَوْتُ كُلَّ صَبَاحِ

٩ هِيَ كَانَتْ غَدَاءَ زَوْرِي إِذَا زَا

رَ وَرِيَّ النَّدِيمِ يَوْمَ اصْطِبَاحِي

١٠ آبَ عُسْرِي وَغَابَ يُسْرِي وَجُودِي

حِينَ غَابَتْ وَغَابَ عَنِّي سَمَاحِي

مصدر – اغ ‘ ١٢ : ١٣٩ .

تصحيحات – ٢ ‘ اغ : ورد ناتى منها . . . وعنه كل ‖ ٤ ‘ اغ : وهما حالكة ‖ ٦ ‘ اغ : وسريع جفونها ‖ ٧ ‘ اغ : يظهر انه سقطت كلمة .

شروح – ٥ ‘ حلكوك : شديد السواد ؛ الذرى : النواحي ‖ ٩ ‘ الزور : الزائر .

٥

١٠ – [من الطويل] في هجاء ابي النجم المغني (انظر اعلاه ٢٩٢) .

١ نَشَتْ بِأَبِي النَّجْمِ الْمُغَنِّي سَحَابَةٌ

عَلَيْهِ مِنَ الأَيْدِي شَآبِيبُهَا الفَقْدُ

٢ فَشَانَأَهَـا بِالنَّحْسِ حَتَّى تَصَرَّمَتْ

وَغَابَ فَلَمْ يَطْلَعْ لَهَا كَوْكَبٌ سَعْدُ

٣ سَقَتْهُ فَجَادَتْ فَارْتَوَى مِنْ سِجَالِهَا

ذُرَى رَأْسِهِ وَالوَجْهُ وَالجِيدُ وَالخَدُّ

٤ فَلَا زَالَ يَسْقِيهِ بِهَـا كُلُّ مَجْلِسٍ

بِهِ فِتْيَـةٌ أَمْثَالُهَا الهَزْلُ وَالجِدُّ

مصدر – اغ ‘ ١٢ : ١٣٢ .

١١ – [من الطويل] . من حكمه .

١ مَضَى أَمْسُكَ المَاضِي شَهِيدًا مُعَدَّلًا
وَأَصْبَحْتَ فِي يَوْمٍ عَلَيْكَ شَهِيدُ

٢ فَإِنْ تَكُ بِالأَمْسِ اقْتَرَفْتَ إِسَاءَةً
فَثَنِّ بِإِحْسَانٍ وَأَنْتَ حَمِيدُ

٣ وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الصَّالِحَاتِ إِلَى غَدٍ
لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَأَنْتَ فَقِيدُ

مصدر – معجم ، ١٨ ؛ (١–٣) ؛ المحمدون ، ٥٧ (١–٣) .

روايات – ١ ، المحمدون : شهيدا مد || ٣ ، معجم : وانت قصيد .

٥

١٢ – [من البسيط] . بعد ممات داود (انظر اعلاه ٢٩٥)

١ أَقُولُ وَالأَرْضُ قَدْ غَشَّى وَحَلَّلَهَا
ثَوْبُ الدُّجَى فَهْوَ فَوْقَ الأَرْضِ مَمْدُودُ

٢ وَسَدَّ كُلَّ فُرُوجِ الجَوِّ مُنْطَبِقًا
وَكُلُّ فَرْجٍ بِهِ فِي الجَوِّ مَسْدُودُ

٣ وَفِي الوَدَاعِ وَفِي الإِبْدَاءِ لِي عَنَتٌ
دُونَ المَسِيرِ وَبَابُ الدَّارِ مَسْدُودُ

٤ مَنْ لِي بِدَاوُدَ فِي ذِي الحَالِ يُرْشِدُنِي
مَنْ لِي بِدَاوُدَ لَهْفِي أَيْنَ دَاوُودُ

٥ لَهْفِي عَلَى رِجْلِهِ أَنْ لَا أُقَدِّمَهَا
قُدَّامَ رِجْلِي فَتَلْقَاهَا الجَلَامِيدُ

٦ إِذْ لَا أَزَالُ إِذَا أَقْبَلْتُ يَنْكُبُنِي
حَرْفٌ وَجُرْفٌ وَدَكَّانٌ وَأُخْدُودُ

٧ فَإِنْ تَكُنْ شَوْكَةٌ كَانَتْ تَحِلُّ بِهِ
أَوْ نُكْتَةٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ أَوْ عُودُ

مصدر – اغ ، ١٢ : ١٣٣ .

شروح – ٣ ، لماء : مشدود ، تداركا للإبطاء || ٥ ؛ الجلمود : الصخر الذي يمكنك ان تحمله بيدك قابضاً على عرضه || ٦ ، الجرف : مسيل الماء ؛ الاخدود : شق في الارض || ٧ ، النكتة : الأثر .

٥

١٣ –] من البسيط] . يتكارم أمام أصحابه (انظر أعلاه ٢٩٨ وادناه رقم ٣١) .

١ مَاذَا عَلَيَّ إِذَا ضَيْفٌ تَأَوَّبَنِي
مَا كَانَ عِنْدِي إِذَا أَعْطَيْتُ مَجْهُودِي

٢ جَهْدُ الْمُقِلِّ إِذَا أَعْطَاهُ مُصْطَبِرًا
أَوْ مُكْثِرٍ مِنْ غِنًى سِيَّانِ فِي الْجُودِ

٣ لَا يَعْدَمُ السَّائِلُونَ الْخَيْرَ أَفْعَلُهُ
إِمَّا نَوَالًا وَإِمَّا حُسْنَ مَرْدُودِ

مصادر – بيان ، ٣ : ٣٢٣ (٣) ، و٣ : ١٧٤ (١–٣) ؛ ورقة ، ١١٢ (١–٣) ؛ شعر ٥٦١ (١–٣) ؛ اغ ، ١٢ : ١٣٥ (٢–٣) ؛ عيون ، ٣ : ٢١٨ .

روايات – ١ ، بيان : لقل عارا اذا ضيف تضيفني ؛ ورقة : ضيف تضيفني || ٢ ، بيان : فضل المقل ؛ بيان وورقة : ومكثر في الغنى ؛ اغ : مصطبر . . . عينان في الجود || ٣ ، بيان : نوالي ؛ اغ : توالي .

ملاحظة – يقول الجاحظ (بيان ، ٣ : ١٧٤) بعد ان روى بيتين لابن يسير : وقال الاخر : لقل عارا (لأبيات الثلاثة) ثم يروى (٣ : ٣٢٣) البيت الثالث منسوباً الى ابن يسير .

١٤ – [من الطويل]. يشترط عدة شروط على من دعاه (انظر اعلاه ٢٩٤).

١ أجيءُ على شَرْطٍ فَإنْ كُنْتَ فاعِلاً
وإلّا فإنّي راجِعٌ لا أُناظِرُ

٢ لِيُسْرَجَ لي البِرْذَوْنُ في حالِ دُلْجَتي
وأنتَ بِدُلْجاتي مَعَ الصُّبْحِ خابِرُ

٣ لأَقْضيَ حاجاتي عَلَيْهِ وأَنْثَني
إليكَ وحَجّامٌ إذا جِئْتُ حاضِرُ

٤ فَيأْخُذُ مِنْ شَعْري ويُصْلِحُ لِحْيَتي
ومِنْ بَعْدُ حَمّامٌ وطِيبٌ وَجامِرُ

٥ ودَسْتيجَةٌ مِنْ طَيِّبِ الرّاحِ ضَخْمَةٌ
يُرَوِّدُنيها طائِعاً لا يُعاسِرُ

مصدر – اغ ١٢ : ١٣٠ .

تصحيح – ٣ : اع : حاجاتي اليه (وعليه ، اي : على البرذون) .

١٠٥ – [من الطويل] . يذم نفسه ليخاص من قيده (انظر اعلاه ٢٩٤).

١ أيا عَجَباً مِنْ ذا التَّسَرّي فإنَّهُ
لَهُ نَخْوَةٌ في نَفْسِهِ وتَكابُرُ

٢ يُشابِطُ لَمّا زارَ حَتّى كأنّهُ
مُغَنٍّ مُجيدٌ أوْ غُلامٌ مُؤاجِرُ

٣ فَلَوْلا ذِمامٌ كانَ بَيْني وبَيْنَهُ
تَلَطَّمَ بَشّارٌ قَفاهُ وَياسِرُ

مصدر – اغ ١٢ : ١٣٠ .

١٦ – [من البسيط] . يطلب نبيذًا (انظر اعلاه ٢٩٤).

١ كَمْ فِي عِلَاجِ نَبِيذِ التَّمْرِ لِي تَعَبُ
الطَّبْخُ وَالدَّلْكُ وَالْمِعْصَارُ وَالعَكَرُ

٢ وَإِنْ عَدَلْتُ إِلَى المَطْبُوخِ مُعْتَمِدًا
رَأَيْتُنِي مِنْهُ عِنْدَ النَّاسِ أَشْتَهِرُ

٣ نَقْلُ الدِّنَانِ إِلَى الجِيرَانِ يَفْضَحُنِي
وَالقِدْرُ تَتْرُكُنِي فِي القَوْمِ أَعْتَذِرُ

٤ فَصِرْتُ فِي البَيْتِ أَسْتَسْقِي وَأَطْلُبُهُ
... مِنَ الصَّدِيقِ وَرُسْلِي فِيهِ تَبْتَدِرُ

٥ فَمِنْهُمْ بَاذِلٌ سَمْحٌ بِحَاجَتِنَا
وَمِنْهُمْ كَاذِبٌ بِالزُّورِ يَعْتَذِرُ

٦ فَسَقِّنِي رِيَّ أَيَّامٍ لِتَمْنَعَنِي
عَمَّنْ سِوَاكَ وَتُغْنِينِي فَقَدْ خَسِرُوا

٧ إِنْ كَانَ زِقٌّ فَزِقٌّ أَوْ فَوَافِرَةٌ
مِنَ الدَّسَاتِيجِ لا يُزْرِي بِهَا السَّفَرُ

٨ وَإِنْ تَكُنْ حَاجَتِي لَيْسَتْ بِحَاضِرَةٍ
وَلَيْسَ فِي البَيْتِ مِنْ آثَارِهَا أَثَرُ

٩ فَاسْتَسْقِ غَيْرَكَ أَوْ فَاذْكُرْ لَهُ خَبَرِي
إِنِ اعْتَرَاكَ حَيَاءٌ مِنْهُ أَوْ حَصَرُ

١٠ مَا كَانَ مِنْ ذٰلِكُمْ فَلْيَأْتِنِي عَجِلاً
فَإِنَّنِي وَاقِفٌ بِالْبَابِ أَنْتَظِرُ

١١ لَا لِي نَبِيذٌ وَلَا حُرٌّ فَيَدْعُونِي
وَقَدْ حَمَانِيَ مِنْ تَطْفِيلِيَ الْمَطَرُ

مصدر – اغ ، ١٢ : ١٤١
تصحيح – ٩ ، اغ : حياء منك .

٥

١٧ – [من البسيط] في الصبر .

١ إِصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الإِدْلَاجِ فِي السَّحَرِ
وَفِي الرَّوَاحِ إِلَى الْحَاجَاتِ وَالْبَكَرِ

٢ لَا تَعْجِزَنَّ وَلَا يُضْجِرْكَ مَطْلَبُهَا
فَالنُّجْحُ يَتْلَفُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجَرِ

٣ إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ
لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الأَثَرِ

٤ وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُطَالِبُهُ
فَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ

مصدر – شعر ، ٥٦١ .

٥

١٨ – [من البسيط] في قدر الرقاشي (انظر اعلاه ٢٩٣ وادناه رقم ٤٦).

١ قِدْرُ الرَّقَاشِيِّ لَمْ تُنْقَرْ بِمِنْقَارِ
مِثْلَ الْقُدُورِ وَلَمْ تُقْتَصَّ مِنْ غَارِ

٢ لَكِنَّ قِدْرَ أَبِي حَفْصٍ إِذَا نُسِبَتْ
يَوْماً رَبِيبَةُ آجَامٍ وَأَنْهَارِ

مصدر – بخلاء، ٢٠٨.

٥

١٩ – [من الكامل] يدعو على تاجر الحمام (انظر اعلاه ٢٩٦)

١ يَا رَبِّ رَبَّ الرَّائِحِينَ عَشِيَّةً
بِالقَوْمِ بَيْنَ مِنًى وَبَيْنَ ثَبِيرِ

٢ وَالوَاقِفِينَ عَلَى الجِبَالِ عَشِيَّةً
وَالشَّمْسُ جَانِحَةٌ إِلَى التَّنْوِيرِ

٣ حَتَّى إِذَا طَفَلَ العَشِيُّ وَوَجَهَتْ
شَمْسُ النَّهَارِ وَآذَنَتْ بِغُؤُورِ

٤ رَحَلُوا إِلَى جَيْفٍ نَوَاحِلَ ضُمَّمًا
طُولُ السِّفَارِ وَبُعْدُ كُلِّ مَسِيرِ

٥ اِبْعَثْ عَلَى طَيْرِ المَدِينِيِّ الَّذِي
قَالَ المُحَالَ وَجَاءَنِي بِغُرُورِ

٦ اِبْعَثْ عَلَى عَجَلٍ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا
يَأْخُذْنَ زِينَتَهُنَّ فِي التَّحْبِيرِ

٧ فِي كُلِّ مَا وَصَفُوا المَرَاحِلَ وَابْتَدَوْا
فِي المُبْتَدِينَ بِهِنَّ وَالتَّكْبِيرِ

٨ ومضين عن دُورِ الخُرَيْبَةِ زُلْقَةً
دُونَ القُصُورِ وَحُمْرَةِ المَاخُورِ

٩ مَعَ كُلِّ رِيحٍ تَمْتَرِي بِهُبُوبِهَا
في الجَوِّ بَيْنَ شَوَاهِنٍ وَصُقُورِ

١٠ مِنْ كُلِّ أَكْلَفَ بَاتَ يُدْجِنُ لَيْلَهُ
فَغَدَا بِغُدْوَةِ سَاغِبٍ مَنْظُورِ

١١ ضَرِمٍ يُقَلِّبُ طَرْفَهُ مُتَأَنِّساً
شَيْئاً فَكُنَّ لَهُ مِنَ التَّقْدِيرِ

١٢ يَأْتِي لَهُنَّ مَيَامِناً وَمَيَاسِراً
صَكّاً بِكُلِّ مُذَلَّقٍ مَطْرُورِ

١٣ مِنْ طَائِرٍ مُتَحَيِّرٍ عَنْ قَصْدِهِ
أَوْ سَاقِطٍ خَلِجِ الجَنَاحِ كَسِيرِ

١٤ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ شَرِيدُهُنَّ فَإِنْ نَجَا
شَيْءٌ فَصَارَ بِجَانِبَاتِ الدُّورِ

١٥ لِلْمُشَمِّرِينَ عَنِ السَّوَاعِدِ حُسَّرٍ
عَنْهَا بِكُلِّ رَشِيقَةِ التَّوْتِيرِ

١٦ سُدُدِ الأَكُفِّ إِلَى المَقَاتِلِ صُيَّبٍ
سُمْتِ الحُلُوقِ بِجُؤْجُؤٍ وَنُحُورِ

١٧ لَيْسَ الَّذِي تُخْطِي يَدَاهُ رَمِيَّةً
مِنْهُمْ بِمُعْتَذِرٍ وَلَا مَعْذُورِ

١٨ يَتَبَوَّعُونَ مَعَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً
فِي كُلِّ مُعْطِيَةِ الجِذَابِ نَتُورِ

١٩ عُطفِ السِّيَاتِ مَوَانِعٍ فِي عَطفِهَا
تُعزَى إذَا نُسِبَتْ إلَى عُصفُورِ

٢٠ يَنفُثنَ عَن جَذبِ الأكُفِّ نَوَاقِباً
مُتشابِهَاتِ النَّدِّ وَالتَّدوِيرِ

٢١ تَجرِي بِهَا مُهَجُ النُّفُوسِ وَإنَّهَا
لَنَوَاصِلٌ سُلُبٌ مِنَ التَّخسِيرِ

٢٢ مَا إنْ تُقصِّرُ عَن مَدًى مُتَبَاعِدٍ
فِي الجَوِّ تَحسِرُ طَرفَ كُلِّ بَصِيرِ

٢٣ حَتَّى تَرَاهُ مُزَمَّلًا بِدِمَائِهِ
فَكَأنَّهُ مُتَضَمِّخٌ بِعَبِيرِ

٢٤ فَيَظَلُّ يَومُهُم بِعَيشٍ نَاصِبٍ
نَصْبَ المَرَاحِلِ مُعجِلِي التَّنوِيرِ

٢٥ وَيَؤُوبُ نَاجِيهِنَّ بَينَ مُضَرَّجٍ
بِدَمٍ وَمَخلُوبٍ إلَى مَنسُورِ

٢٦ عَارِي الجَنَاحِ مِنَ القَوَادِمِ وَالقَرَا
كَاسٍ عَلَيهِ بَصَائِرُ التَّامُورِ

٢٧ وَخَبَعثَنٍ فِي مَشيِهِ مُتَبَهْنِسٍ
خَطِفِ المُؤَخَّرِ مُشبَعِ التَّصدِيرِ

٢٨ مُتَسَربِلٍ ثَوبَ الدُّجَى أو غُبشَةً
شِيبَت عَلَى مَتنَيهِ بِالتَّنمِيرِ

٢٩ فَيَفِرُّ مِنْهَا فِي البَرَارِي وَالقُرَى
عَنْ كُلِّ أَعْصَلَ كَالسِّنَانِ هَصُورِ

٣٠ فِي حِينِ تُؤْذِيهَا المَبَايِتُ مُوهِنًا
أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ آخِرَ التَّسْحِيرِ

٣١ يَخْتَصُّ كُلَّ سَلِيلِ سَابِقِ غَايَةٍ
مَحْضِ النِّجَارِ مُجَرَّبٍ مَخْبُورِ

٣٢ عَجِّلْ عَلَيْهِ بِمَا دَعَوْتُ لَهُ بِهِ
أَرِهِ بِذَاكَ عُقُوبَةَ التَّنْوِيرِ

٣٣ حَتَّى يَقُولَ جَمِيعُ مَنْ هُوَ شَامِتٌ
هَذِي إِجَابَةُ دَعْوَةِ ابْنِ يَسِيرِ

٣٤ فَلَا لَقِينَكَ عِنْدَ حَالِ حَسْرَةٍ
وَتَأَسُّفٍ وَتَلَهُّفٍ وَزَفِيرِ

٣٥ وَلَتَلْقَيَنَّ إِذَا رَمَتْكَ بِسَهْمِهَا
أَيْدِي المَصَائِبِ مِنْكَ غَيْرَ صَبُورِ

مصادر – بيان ، ٣ : ٧٢ (١٠ ، ١٧ ، ١٩) ؛ حيوان ، ٥ : ٢٢٤–٢٢٦ (١٠ ، ١٢ ، ١٤–١٥–١٧–٢٣ ، ٢٥–٣٦) و ٢٧٢–٢٧٣ (٢٧ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٣١) ، اغ ، ١٢ : ١٣٥–١٣٦ (١–٣٥) .

روايات – ٢ ، اغ : الى التنوير ‖ ٣ ، اغ : بسوور ‖ ١٠ ، اغ : فغدا بعدوة ساعب ‖ ١١ ، اغ متتابياً . . . فكان ‖ ١٢ ، اغ : مزلق ممكور ‖ ١٤ ، اغ : شيئاً فمار ؛ حيوان : لا ينج ‖ ١٥ ، اغ : حمرا ؛ بيان : ومشرين ‖ ١٦ ، اغ : الجيوف ‖ ١٧ ، اغ: منهم بعدود ؛ حيوان وبيان : تشوى يداه . . . فيهم ‖ ١٨ ، اغ: يتسرعون ويمتطى ايديهم في كل طائفة الجدار بتور ‖ ١٩ ، اغ : دوائر في عطفها نعزى صناعتها ؛ حيوان : موانع في بذلها ‖ ٢٠ ، اغ : ينفبن عن جذب الاكف نواقبا ؛ حيوان : متشابهات صنن بالتدوير ‖ ٢١ ، اغ: سلت ‖ ٢٢ ، حيوان : ما ان بنى متباين متباعد . . .

يحسر ‖ ٢٣ ، حيوان عن سنتهن اذا قصدن لجمه متقطرا متضيخا بعبير ‖ ٢٥ ، حيوان : بين بجهلق دام ‖ ٢٦ ، اغ : ما يرى التامور ‖ ٢٧ ، اغ : فيوود متيقن في مشيه ؛ حيوان : كامل التصدير ‖ ٢٨ ، اغ : ذو حلكه مثل الدجى او غبثة شنب شديد الجد والتيسير ‖ ٢٩ ، حيوان : مما اعير مفر اغضف ضيغم ؛ اغ : فيمز . . . : عن كل اعبل ‖ ٣١ ، حيوان : مهذب مخبور ‖ ٣٢ ، اغ : ابن بشير ‖ ٣٤ ، اغ : حالي .

شروح – ١ ، ثبير : جبل بمكة ‖ ٨ ، الحربية : موضع بالبصرة ‖ ١٠ ، اكلف : يعني الصقر ‖ ١١ ، الضرم : الشديد الجوع ‖ ١٢ ، كل مذلق مطمور : يعني المخالب ‖ ١٤ ، الجانب : الغريب ‖ ١٥ ، يعني الصيادين ‖ ١٦ ، الحيوق : النفاذ ‖ ١٨ ، يعني القوس ‖ ١٩ ، يصف القوس ‖ ٢٦ ، القرا : الظهر ‖ ٢٧ ، الجبنّ : الاسد وانما اراد السنور ؛ المتبهنس : المتبختر ‖ ٢٩ ، فرّ عن اعصل : كشف عن ناب معوج ‖ ٣٠ ، التشير : التنقيط ، نقطة بيضاء ونقطة سوداء ‖ ٣٢ ، التنوير : من مصطلحات اصحاب الحمام معناه التدليس واعطاء فراخ غير منسوبة .

٥

٢٠ – [من الخفيف] من حكمه (انظر ادناه رقم ٤٥) .

١ أيُّ صَفوٍ إلَّا إلَى تَكْدِيرِ … وَنَعِيمٍ إلَّا إلَى تَغْيِيرِ

٢ وَسُرُورٍ وَلَـذَّةٍ وَحُبُورِ … لَيْسَ رَهْناً لَنَـا بِيَومٍ عَسِيرِ ؟

٣ عَجَباً لِي وَمِنْ رِضَايَ بِدُنْيَـا … أَنَا فِيهَا عَلَى شَفَا تَغْرِيرِ !

٤ عَالِمًا لَا أَشُكُّ أَنِّي إِذَا مُـ … ـتُّ إِلَى عَدْنٍ أَوْ عَـذَابِ السَّعِيرِ

٥ ثُمَّ أَلْهُو وَلَسْتُ أَدْرِي إِلَى أَ … يِّهِمَا بَعْـدَهُ يَصِيرُ مَصِيرِي !

٦ أيُّ يومٍ عليَّ أفظعُ مِن يو
م، بهِ تُبرزُ النُّعاةُ سريري !

٧ كُلّما مرَّ بي على أهلِ نادٍ
كنتُ حيناً بِهِمْ كثيرَ المرورِ

٨ قِيلَ: مَنْ ذا على سريرِ المنايا ؟
قِيلَ : هٰـذا مُحمّدُ بنُ يَسيرِ !

مصادر – كامل ٬ ٢٢٣ (١-٨) ؛ بيان ٬ ٣: ١٧٩ (٣-٤ ٧-٨).

روايات – ٢ ٬ بيان رضايَ بحال . . . منها ‖ ٤ ٬ كامل : عالمٌ لا اشك اني الى اهـ اذا مت او عذاب السعير .

ه

٢١ – [من السريع] . يصف حاله وهو سكران (انظر اعلاه ٢٩٤).

١ شاربتُ قوماً لم أُطِقْ شُربَهُمْ
بُغرقُ في بحرِهِمُ بحري

٢ لمّا تجارَيْنا إلى غايةٍ
قصَّرَ عن صَبرِهِمُ صَبري

٣ خرجتُ مِن عِندِهِمُ مُثخناً
تَدفَعُني الجُدْرُ إلى الجُدْرِ

٤ مُقبِّحَ المَشيِ كثيرَ الخُطا
يَقصُرُ عِندَ الجِدِّ عن سَيري

٥ فَلَستُ أنسى ما تَحيِيِّ مِنْ
كدحٍ ومِن جرحٍ ومِن أثرِ

٦ وَشَقِّ ثَوْبٍ وثور اخذ
وَسَقْطَةٍ بَانَ بِهَا ظِفْرِي

مصدر – اغ ، ١٢ : ١٤٠ .

ملاحظات – ٥ ، اغ نجي ولعل الصواب ما اثبت ‖ ٦ : ٢ ، نعتمد الى تصحيح ما جاء في الاغاني .

٥

٢٢ – [من المتقارب] . يصف جرحاً .

١ وَطَعْنٍ خَلِيسٍ كَفَرْغِ النَّضِيـ
ـحِ أَفْرِغَ مِنْ ثَعَبِ الحَاجِرِ

٢ تُهَالُ العَوَائِـدُ مِنْ فَتْقِهَا
تَرُدُّ السَّبَـارَ عَلَى السَّابِرِ

مصدر – حيوان ، ٦ : ٤١٥ .

شروح – ١ ، النضيح : الحوض ؛ الثعب : الماء السائل ‖ ٢ ، السبار : ما يسبر به الجرح .

٥

٢٣ – [من الرمل] في شان باب بيته[1] .

١ قُـلْ لِمَنْ رَامَ بِجَهْلٍ
مَدْخَـلَ الظَّبْيِ الغَرِيرِ

٢ بَعْدَ أَنْ عَلَّقَ فِي خَـ
ـدْيهِ مِخْـلَاةَ شَعِيرِ

---

١) « كان له بابان يدخل من احدهما وهو الاكبر ويدخل اليه اخوانه من الباب الآخر وهو الاصغر ومن يستشرط من المرد ، فجاء يوماً غلام قد خرجت لحيته كانت عادته ان يدخل من الباب الاصغر ، فمرّ من ذلك ، فجعل يخاصم لدالته ، وبلغ ابن يسير فكتب اليه » الابيات ؛ اغ ؛ ١٢ : ١٣٤

٣ لَيْتَهُ يَدْخُلُ إِنْ جَا
ءَ مِنَ البَابِ الكَبِيرِ

مصدر – اغ ٬ ١٣٤:١٢ .
شرح – ٢ ٬ كناية عن اللحية .

٢٤ – [من المنسرح] في هجاء احمد بن يوسف (انظر اعلاه ٢٩٣)

١ أَقُولُ لَمَّا رَأَيْتُهُ كَلِفاً
بِكُلِّ سَوْدَاءَ نَزْرَةٍ قَـذِرَهْ

٢ أَهْلُ لَعَمْرِي لِمَا كَلِفْتَ بِهِ
عِنْدَ الخَنَازِيرِ تَنْفُقُ العَذِرَهْ

مصدر – اغ ٬ ١٤٠:١٢ .
تصحيح – ١ ٬ اغ : دات .

٥

٢٥ – [من المتقارب] في ولوعه بكل نوع من العلم .

١ أَمَا لَوْ أَعِي كُلَّ مَا أَسْمَعُ
وَأَحْفَظُ مِنْ ذَاكَ مَا أَجْمَعُ

٢ وَلَمْ أَسْتَفِدْ غَيْرَ مَا قَدْ جَمَعْتُ
لَقِيلَ : هُوَ العَالِمُ المِصْقَعُ

٣ وَلَكِنَّ نَفْسِي إِلَى كُلِّ نَوْعٍ
مِنَ العِلْمِ تَسْمَعُهُ تَنْزِعُ

٤ فَلَا أَنَا أَحْفَظُ مَا قَدْ جَمَعْتُ
وَلَا أَنَا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ

٥ وأحصر بالعِيّ في مجلسي
وَعِلْمِي في الكُتْبِ مُسْتَوْدَعُ

٦ فمن يكُ في عِلْمِهِ هٰكذا
يكُنْ دَهْرَهُ القَهْقَرَى يَرْجِعُ

٧ إذا لم تكُنْ حافِظاً واعِياً
فجَمْعُكَ لِلْكُتْبِ لا ينفَعُ

مصادر – حيوان: ١: ٥٩ (١–٧) ؛ مامون: ٣: ١١٢ (١–٧) عن الحيوان .

روايات – ٢ ، مامون : العالِم المتنع || ٥ ، مامون : اشاهد . . . في البيت .

٥

٢٦ – [من البسيط] رقعة بعث بها الى زوجته (انظر اعلاه ٢٩٥) .

١ لا تَذْمِن لوعَةً إثْري وَلَا هَلَعَا
وَلَا تُقاسِنَّ بَعْدِي الهَمَّ وَالجَزَعَا

٢ بَلِ ٱئْتَسِي تجِدِي إنِ ٱئْتَسَيْتِ أسًى
بِمِثْلِ ما قد فُجِعْتِ اليَوْمَ قد فُجِعَا

٣ ما تَصنَعينَ بِعَيْنٍ عَنكِ طامِحَةٍ
إلى سِواكِ وَقَلْبٍ عَنكِ قد نَزَعا ؟

٤ إنْ قُلْتِ : قد كُنْتُ في وُدٍّ وتَكْرِمَةٍ
فَقَدْ صَدَقْتِ وَلٰكِنْ ذاكَ قد مُنِعا

٥ وَأَيُّ شيءٍ مِنَ الدُّنيا سَمِعْتِ بِهِ
إلّا إذا صارَ في غاياتِهِ ٱنْقَطَعا ؟

٦ لَمْ تُبْقِ عَيْنًا حُسْنٍ عِنْدَ لَحْظِهِمَا

لِغَيْرِهَا فِي فُؤَادِي بَعْدَهَا طَمَعَا

٧ وَمَنْ يُطِيقُ خَلِيعاً عِنْدَ صَبْوَتِهِ

وَمَنْ يَقُومُ لِمَسْتُورٍ إِذَا خَلَعَا ؟

مصادر – القالي ، ١ : ٢٢ (١–٧) ؛ اغ : ١٢ : ١٣٢ (١–٥، ٧) .

روايات – ١ ، اغ : لا تذكري . . . ولا جزعا ولا تفاـبن . . . والهاما ‖ ٢ ، اغ : عنك قد طمحت ‖ ٤ ، اغ : قد ترعا ‖ ٧ ، القالي : يطبق مذكر ؛ اغ : ام من يقوم .

شرح ٦ ، كانت القينة التي علقها تسمى حُسْنا .

٢٧ – [من المنسرح] . في اهل الجدل من المتكلمين .

١ يَا سَائِلِي عَنْ مَقَالَةِ الشِّيَعِ

وَعَنْ صُنُوفِ الأَهْوَاءِ وَالبِدَعِ

٢ دَعْ مَنْ يَقُودُ الكَلَامَ نَاحِيَةً

فَمَا يَقُودُ الكَلَامَ ذُو الوَرَعِ

٣ كُلُّ أُنَاسٍ بِدِينِهِمْ حَسَنٌ

ثُمَّ يَصِيرُونَ بَعْدُ لِلشَّنَعِ

٤ أَكْثَرُ مَا فِيهِ أَنْ يُقَالَ لَهُ

لَمْ يَكُ فِي قَوْلِهِ بِمُنْقَطِعِ

مصادر – مختلف ، ٧٥ (٣–٤) ؛ كامل ، ٢٣٢ (١–٤) ؛ اغ : ١٢ : ١٣٨ (١–٤) .

روايات – ٢ ، مختلف : يقول الكلام (مرتين) ؛ اغ : دع عنك ذكر الاهواء فليس ممن شاهدت ذو ورع ‖ ٣ ، مختلف : كل فريق بدونهم ؛ اغ : بدينهم حسن . . . للسمع ‖ ٤ ، اغ : يقال لهم .

٢٨ – [من المنسرح] . في شاة منيع التي اكلت بستانه وصحفه (انظر اعلاه ٣٠٩ وادناه رقم ٢٩) .

١ قُلْ لِبُغَاةِ الآدَابِ مَا صَنَعَتْ
مِنَّا إِلَيْكُمْ فَلَا تُضِيعُوهَا

٢ وَضَمِّنُوهَا صُحُفَ الدَّفَاتِرِ بِالْـ
حِبْرِ وَحُسْنِ الخُطُوطِ أَوْعُوهَا

٣ فَإِنْ عَجِزْتُمْ وَلَمْ يَكُنْ عَافٍ
يَبِيعُهَا عِنْدَكُمْ فَبِيعُوهَا

مصدر – اغ : ١٣٣:١٢ .

٢٩ – [من الرمل] . في بستانه وشاة منيع (انظر اعلاه ٢٩٧ ورقم ٢٨).

١ لِيَ بُسْتَانٌ أَنِيقٌ زَاهِرٌ
نَاضِرُ الخُضْرَةِ رَيَّانٌ تَرِفْ

٢ رَاسِخُ الأَعْرَاقِ رَيَّانُ الثَّرَى
غَدِقٌ تُرْبَتُهُ لَيْسَتْ تَجِفْ

٣ لِجَارِي المَاءِ فِيهِ سَنَنٌ
كَيْفَمَا صَرَّفْتَهُ فِيهِ انْصَرَفْ

٤ مُشْرِقُ الأَنْوَارِ مَيَّادُ النَّدَى
مُنْثَنٍ فِي كُلِّ رِيحٍ مُنْعَطِفْ

٥ تَمْلِكُ الرِّيحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ
فَإِذَا لَمْ يُؤْنِسِ الرِّيحَ وَقَفْ

٦ يكتسي في الشّرق ثوبيْ يُمنه
وَمَعَ اللّيل عليها يلتحفْ

٧ ينطوي اللّيلُ عليه فإذا
واجه الشّرق تجلّى وانكشفْ

٨ صابرٌ ليس يبالي كثرةً
جُزَّ بالمنجل أو منه نُتفْ

٩ كلّما ألحق منه جانبٌ
لم يتلبّث منه تعجيلُ الخَلَفْ

١٠ لا ترى للكفّ فيه أثرًا
فيه بل ينمي على مسّ الأكُفْ

١١ فترى الأطباق لا تمهلُهُ
صادراتٍ وارداتٍ تختلفْ

١٢ فيه للخارف من جيرانه
كلّ ما احتاج إليه مخترفْ

١٣ أقحوانٌ وبهارٌ مونقٌ
وسوى ذلك من كلّ الطّرَفْ

١٤ وهو زهرٌ للنّدامى أصلُ
يرضى قاطفهم ممّا قطفْ

١٥ وهو في الأيدي يحيّون به
وعلى الآناف طورًا يستشفْ

١٦ أعفِهِ يا ربِّ مِنْ واحِدةٍ

ثُمَّ لا أحفِلُ أنواعَ التَّلَفْ

١٧ إكفِهِ شاةَ مَنيعٍ وَحدَها

يومَ لا يُصبِحُ في البيتِ عَلَفْ

١٨ إكفِهِ ذاتَ سُعالٍ شَهلةً

مُتِّعَتْ بِشرِّ عَيشٍ بالخَرَفْ

١٩ إكفِهِ يا ربِّ وَقصاءَ الطُّلى

ألحَمَ الكَتِفَينِ مِنها بالكَتِفْ

٢٠ وكَلوحاً أبداً مُفتَرَّةً

لكَ عن هَتمٍ كَليلاتٍ رَجِفْ

٢١ ونَؤوسَ الأنفِ لا يَرقا ولا

أبداً تُبعِرُهُ إلّا يَكِفْ

٢٢ لَمْ تَزَلْ - أظلافُها عافِيَةً

لمْ يُظلِّفْ أهلُها مِنها ظَلَفْ

٢٣ فَتَرى في كُلِّ رِجلٍ ويَدٍ

مِنْ بَقاياهُنَّ فوقَ الأرضِ جَفْ

٢٤ تَنسِفُ الأرضَ إذا مَرَّتْ بِهِ

فَلَها إعصارُ تُربٍ مُنتَسَفْ

٢٥ تُزهِجُ الطُّرْقَ على مُجتازِها

تَبدَأُ في المَشيِ والخَطوِ القَطَفْ

٢٦ فِي يَدَيْهَا طَرَفٌ مِنْ مَشْيِهَا

خِلْقَةُ القَوْسِ وَفِي الرِّجْلِ حَنَفْ

٢٧ فَإِذَا مَا سَعَلَتْ وَاحْدَوْدَبَتْ

جَاوَبَ البَعْرُ مِنْهَا فَحَصَفْ

٢٨ وَيُخَفِّي الشَّعْرُ مِنْهَا جِلْدَهَا

شَبَّةٌ فِي جَوْفِ غَارٍ مُنْخَسِفْ

٢٩ ذَاتُ قَرْنٍ وَهِيَ جَمَّاءُ أَلَا

إِنَّ ذَا الوَصْفَ كَوَصْفٍ مُخْتَلِفْ

٣٠ وَإِذَا تَدْنُو إِلَى مُسْتَعْسِبٍ

عَافَهَا نَتْنًا إِذَا مَا هُوَ كَرَفْ

٣١ لَا تَرَى تَيْسًا عَلَيْهَا مُقْدِمًا

دُمِيَتْ مِنْ كُلِّ تَيْسٍ بِالصَّلَفْ

٣٢ شَوْهَةُ الخِلْقَةِ مَا أَبْصَرَهَا

مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِلَّا وَحَلَفْ

٣٣ مَا رَأَى شَاةً وَلَا يَعْلَمُهَا

خُلِقَتْ خِلْقَتَهَا فِيمَا سَلَفْ

٣٤ عَجَبًا مِنْهَا وَمِنْ تَأْلِيفِهَا

عَجَبًا مِنْ خَلْقِهَا كَيْفَ ائْتَلَفْ

٣٥ لَوْ يُنَادُونَ عَلَيْهَا عَجَبًا

كَسَبُوا مِنْهَا فُلُوسًا وَرُغُفْ

٣٦ لَيْتَهَا قَدْ أُوتِيَتْ فِي جَفْنَةٍ
مِنْ عَجِينٍ أَوْ دَقِيقٍ مُخْتَرَقْ

٣٧ فَتَلَقَّتْ شَمْرَةً مِنْ أَهْلِهِ
قَدْرَ الإِصْبَعِ شَيْئًا أَوْ أَشَفْ

٣٨ أَحْكَمَتْ كَفًّا حَكِيمٍ صُنْعَهَا
فَأَتَتْ مَجْدُولَةً فِيهَا رَهَفْ

٣٩ أُدْمِجَتْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ غَيْرَ مَا
أَثَّلَ الأَفْنَانُ مِنْ حَدِّ الطَّرَفْ

٤٠ قَابِضُ الرَّوْنَقِ فِيهَا مَانِعٌ
يَخْطَفُ الأَبْصَارَ مِنْهَا بِسَتِيفْ

٤١ أَلْحَتْهَا فَاسْتَخَفَّتْ نَحْوَهَا
ثُمَّ . . . . أَحَالَتْ تَنْتَفِ

٤٢ فَتَنَاهَتْ بَيْنَ أَضْعَافِ المَعَا
وَنَبَوَتْ بَيْنَ أَثْنَاءِ الشَّغَفْ

٤٣ أَوْ رَمَتْهَا قَرْحَةٌ زَادَتْ لَهَا
ذَوَبَانًا كُلَّ يَوْمٍ وَنَحَفْ

٤٤ كُلَّ يَوْمٍ فِيهِ يَدْنُو يَوْمُهَا
أَوْ تُرَى وَارِدَةً حَوْضَ الدَّنَفْ

٤٥ بَيْنَمَا ذَاكَ بِهَا إِذْ أَصْبَحَتْ
لَكَمَيْتٍ مُتْعَمٍ أَوْ مِثْلَ جَفْ

٤٦ شاعرا عرفوا بها قد أعْقَبَتْ

بَطْنُهُ مِنْ بَعْدِ إدمانِ الهَيَفْ

٤٧ وَغَدَا الصِّبْيَةُ مِنْ جيرانِها

لِيَجُرُّوهـا إلى مَأْوَى الجِيَفْ

٤٨ فَتَرَاهـا بَيْنَهُمْ مَسْحُوبَةً

تَجْرِفُ التُّرْبَ بِجَنْبٍ مُنْحَرِفْ

٤٩ فَإِذَا صَارُوا إلى المَـأْوَى بِهَا

أَعْمَلُوا الآجُرَّ فِيهَا وَالخَزَفْ

٥٠ ثُمَّ قَالُوا : ذَا جَزَاءٌ لِلَّـذِي

يَأْكُلُ البُسْتَانَ مِنَّـا وَالصُّحُفْ

٥١ لا تَلُومُونِي فَلَوْ أَبْصَرْتَ ذَا

كُلَّهُ فِيهَا إذَنْ لَمْ أَنْتَصِفْ

مصدر – ا غ : ١٢ : ١٣٠–١٣٢ .

ملاحظات – ١٩ ، الاوقص الطلى : القصير العنق ‖ ٢٠ ، ا غ : وكلوح ‖ ٢١ ، رقا : جف ؛ وكف : سال وقطر ؛ النووس : المسترخى (؟) ‖ ٢٨ ، ا غ : واخفى ‖ ٢٩ ، ا غ : بما ‖ ٤١ ، سقطت كلمة ‖ ٤٥ ، ا غ : لحيت مقعم ‖ ٤٦ ، كذا في ا غ .

٣٠ – [من البسيط] . في القنوع .

١ لأَنْ أُزَجِّيَ عِنْدَ العُرْيِ بِالخَلَقِ

وَأَجْتَزِي مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالعَلَقِ

٢ خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنَنًا

مَعْقُودَةً لِلِئَامِ النَّاسِ فِي عُنُقِي

٣ إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَتِي

وَكَانَ مَالِيَ لَا يَقْوَى عَلَى خُلُقِي

٤ كَتَارِكٍ كُلَّ أَمْرٍ كَانَ يَلْزَمُنِي

عَارًا وَيُشْرِعُنِي فِي المَنْهَلِ الرَّنِقِ

مصدر – المحمدون ، ٥٧ .

تصحيح – ٢ : المحمدون : مالى لايقوا .

شروح – ١ : اجترى : اكتفى ؛ العلق : ما نتبلغ به الماشية ، اي قليل من الطعام ؛ الجدة (من وجد) : الغنى .

=

٣١ – [من المديد] . يشكو ما فعل اصحابه بتمره (انظر اعلاه ٢٩٨ ورقم ١٣) .

١ يَا أَبَا حَفْصٍ بِحُرْمَتِنَا

عَنْ نَفْسًا حِينَ تَنْتَهِكُ

٢ خُذْ لَنَا ثَأْرًا بِجِلَّتِنَا

فَبِكَ الأَثْآرُ تُدْرَكُ

٣ كَهْفٌ كَفَى حِينَ يَطْرَحُهَا

بَيْنَ أَيْدِي القَوْمِ تَبْتَرِكُ

٤ زَارَنَا زَوْرٌ فَلَا سَلِمُوا

وَأُصِيبُوا أَيَّةً سَلَكُوا

٥ أَكَلُوا حَتَّى إِذَا شَبِعُوا

حَمَلُوا الفَضْلَ الَّذِي تَرَكُوا

٦ لَمْ يَكُنْ رَأْيِي إِضَافَتَهُمْ
غَيْرَ أَنَّ الرَّأْيَ مُشْتَرَكُ

مصادر – شعر ، ٥٦١ (٤–٦) ؛ اغ : ١٢ : ١٣٥ (١–٥) .

روايات – ١ ، اغ : نتهك ‖ ٢ ، اغ : فبك الاوتار ‖ ٣ ، كذا في اغ ‖ ٤ ، اغ : فلا سلم ‖ ٥ ، اغ : اخذوا الفضل .

٥

٣٢ – [من البسيط] . في فتاة قبيحة .

١ أُنبِئْتُ أَنَّ فَتَاةً كُنْتُ أَخْطُبُهَا
عُرْقُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطُّولِ

٢ أَسْنَانُهَا مِائَةٌ أَوْ زِدْنَ وَاحِدَةً
كَأَنَّهَا حِينَ يَبْدُو وَجْهُهَا غُولُ

مصدر – حيوان ، ٧ : ١٦٣ .

٥

٣٣ – [من البسيط] في التنوع .

[فَـ]لَوْ قَنِعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَةٍ
إِنَّ القُنُوعَ الغِنَى لَا كَثْرَةُ المَالِ

مصدر – موشح ، ٢٩٩ .

٥

٣٤ – [من الخفيف] . في نعاله (انظر اعلاه ٢٩٧)

١ كَمْ أَرَى مِنْ مُسْتَعْجِبٍ مِنْ نِعَالِي
وَرِضَائِي مِنْهَا بِلُبْسِ البَوَالِي

٢ كُلُّ جَرْدَاءَ قَدْ تَحَيَّفَهَا الخَصْـ
ـفُ بِأَقْطَارِهَا بِسَرْدِ النِّقَالِ

٣ لَا تُدَانِي وَلَيْسَ تُشْبِهُ فِي الْخِلْـ
ـقَةِ إِنْ أَبْرَزَتْ نِعَالَ الْمَوَالِي

٤ لَا وَلَا عَنْ تَقَادُمِ الْعَهْدِ مِنْهَا
بَلِيَتْ لَا وَلَا لِكَرِّ اللَّيَالِي

٥ وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ أُوثِرُ ذَا الْوُ
دِّ عَلَيْهَا بِثَرْوَتِي وَبِمَالِي

٦ مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلٍ
فَسِوَانِي إِذًا بِهِنَّ يُغَالِي

٧ أَوْ بَغَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي
فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

٨ فِي إِخَائِي وَفِي وَفَائِي وَرَأْيِي
وَعَفَافِي وَمَنْطِقِي وَفَعَالِي

٩ مَا وَقَانِي الْحَفَا وَبَلَّغَنِي الْحَا
جَةَ مِنْهَا فَإِنَّنِي لَا أُبَالِي

مصادر – بيان ٣ : ١١١ (١–٩) ؛ اغ ١٢ : ١٣٩ (١–٣، ٦–٩) .

روايات – ١ ، اغ : ارى ذا نعجب من ‖ ٢ ، اغ : تكتنفيها من اقطارها بسود النعال ‖ ٣ ، اغ : يشبه ‖ ٦ ، اغ : من الرجالى بنعل ‖ ٧ ، اغ : لوحداهن ‖ ٨ ، اغ : وفي وفاء ورائي ولساني ومنطقي .

شروح – ٢ ، سرد النّعال : خرز النعال المُلقة ‖ ٦ ، سوانی : غيري .

٣٥ – [مِنَ الخفيف] . في احمد بن يوسف حين استبطأه (انظر اعلاه ٢٩٣) .

١ هَلْ مُعِينٌ عَلَى البُكَا وَالعَوِيلِ
أَمْ مُعَزٍّ عَلَى المُصَابِ الجَلِيلِ

٢ مَيِّتٌ مَاتَ وَهُوَ فِي وَرَقِ العَيْـ
ـشِ مُقِيمٌ بِهِ وَظَـلٍّ ظَلِيلِ

٣ فِي عِدَادِ المَوْتَى وَفِي عَامِرِ الدُّنْيَا
أَبُو جَعْفَرٍ أَخِي وَخَلِيلِي

٤ لَمْ يَمُتْ مِيتَةَ الوَفَاةِ وَلٰكِنْ
مَاتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيلِ

٥ لَا أُذِيلُ الآمَـالَ بَعْدَكَ إِنِّي
بَعْدَمَا بِالآمَـالِ حَقُّ بَخِيلِ

٦ كَمْ لَهَا وَقْفَةٌ بِبَـابِ كَرِيمٍ
رَجَعَتْ مِنْ نِـدَاهُ بِالتَّعْطِيلِ

٧ لَمْ يَضِرْهَا وَالحَمْـدُ لِلّٰهِ شَيْءٌ
وَانْثَنَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ

مصدر – بيان ٤ ١ : ٦٥-٦٦ .

ملاحظات – ٢ ، ورق العيش : نضارته ‖ ٣ ، احمد بن يوسف يكنى ابا جعفر

٥

٣٦ – [من المديد] . من حكمه .

١ فِي .... أَمْرِ النَّـاسِ كُلِّهِمُ
وَأَنَا فِي ذَا مِنْ أَوَّلِهِمْ

٢ أَنْتِ تَدْرِي حِينَ تَخْبُرُهُمْ
أَيْنَ أَدْنَاهُمْ مِنْ أَفْضَلِهِمْ

مصدر – يان ٣ : ٢٥١ .

٣٧ – [من المديد] . في الواحه (انظر اعلاه رقم ٩) .

١ أَيْنَتِ الأَلْوَاحُ إِذْ أَخَذَتْ
حُرْقَةٌ فِي القَلْبِ تَضْطَرِمُ

٢ زَانَها قَصَّانِ مِنْ صَدَفٍ
وَاحْمِرَارُ السَّيْرِ وَالتَّامِ

٣ وَتَوَلَّى أَخْذَهَا قُثَمٌ
لَا تَوَلَّى نَفْعَهَا قُثَمُ

مصدر – اغ ١٣ : ١٤٠ .

٣٨ – [من السريع] . في استغنائه عن تقييد العلم (انظر اعلاه ٢٩٨).

١ مَا دَخَلَ الحَمَّامَ مِنْ عِلْمِي
فَذَاكَ مَا فَازَ بِهِ سَهْمِي

٢ وَالعِلْمُ لَا يَنْفَعُنِي جَمْعُهُ
إِذَا جَرَى الوَهْمُ عَلَى فَهْمِي

مصدر – اغ ١٣ : ١٤٠ .

٣٩ – [من البسيط] . في رجليه (انظر اعلاه ٢٩٧) .

١ إِنْ كُنْتُ لَا عَيْرَ لِي يَوْماً يُبَلِّغُنِي
حَاجِي وَأَقْضِي عَلَيْهِ حَقَّ إِخْوَانِي

٢ وَضَنَّ أَهلُ العَوَارِي حِينَ أَسأَلُهُمْ
مِنْ أَهلِ وُدِّي وَخُلصَانِي وَجِيرَانِي

٣ فَإِنَّ رِجلَيَّ عِندِي لَا عَدِمْتُهُمَا
رِجلَا أَخِي ثِقَةٍ مُذْ كَانَ حَوْلَانِ

٤ يُبَلِّغَانِي حَاجَتِي وَإِنْ بَعُدَتْ
وَيُدْنِيَانِيَ مِمَّا لَيسَ بِالدَّانِي

٥ كَأَنَّ خَلفِي إِذَا مَا جَدَّ جِدُّهُمَا
إِعصَارَ عَاصِفَةٍ مِمَّا يُثِيرَانِ

٦ رِجلَايَ لَمْ يَأْلَمَا نَكبًا كَأَنَّهُمَا
قَطًا وَقِدًا وادما جامدا كانى

٧ كَأَنَّمَا بِهِمَا أَخطُو إِذَا ارْتَهَيَا
فِي سِكَّةٍ مِنْ أَى ذَاكَ سَاكَانِ

٨ إِنْ يَبْعَثَانِي دَهَاسًا يَبْعَثَا رَهِجًا
أَوْ فِي حُزُونٍ زَكِيٍّ فَشِهَابَانِ

٩ فَالحَمْدُ لِلّهِ يَا عَمْرُو الَّذِي بِهِمَا
عَنِ العَوَارِي وَعَنْ ذَا النَّاسِ أَغنَانِي

مصدر – اغ ، ١٢ : ١٣٥ .

تصحيحات – ٣ ، اغ : جولان ‖ ٤ ، كذا بالتذكير ‖ ٦ ، كذا ولم نهتد الى تصحيح العبارة ‖ ٨ ، اغ : زكيٍّ فيها شهابان .

٤٠ — [من الوافر] . في قصر النوشجاني[1] .

١ ألا يا قصرُ النُّوشجانِي
أرى بكَ بعدَ أهلكَ ما شجاني

٢ فلو أعفى البِلاءُ ديارَ قومٍ
لِفَضلٍ منهمُ ولِعُظمِ شانِ

٣ لَمَا كانتْ ترى بكَ بيّناتٌ
تلوحُ عليكَ آثارُ الزمانِ

مصدر — اغ ، ١٢ : ١٣٦-١٣٧ .

٤١ — [من الكامل] . الى يوسف بن جعفر بن سليمان .

١ قد كنتُ منقبضاً وأنتَ بسطتَني
حتّى انبسطتُ إليكَ ثمّ قبضتَني

٢ أذكرتَني خُلُقَ النفاقِ وكانَ لي
خُلُقاً فقد أحسنتَ إذ أذكرتَني

٣ لو دامَ ودُّكَ وانبسطتُ إلى امرىءٍ
في الودّ بعدكَ كنتَ أنتَ غررتَني

٤ فَلْنَمْ نجتنبِ التذاكرَ بيننا
ونعودُ بعدُ كأنّنا لم نفطنِ

مصدر — اغ ، ١٢ : ١٤٠ .

١) « خرج مع بعض ولد النوشجاني الى قصر له في بستانهم بالجعفرية [الصواب : الحربية] وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن فاذا هو قد خرب واختل، فقال فيه محمد بن يسير » الابيات ، اغ ، ١٢ : ١٣٦

٤٢ – [من الكامل] . في هجاء يوسف بن جعفر بن سليمان .

١ لَا تَجلِسَا مَعَ يُوسُفٍ فِي مَجْلِسٍ
أَبَدًا وَلَمْ تَحْمِلْ دَمَ الأَخَوَيْنِ

٢ رَيْحَانُهُ بِدَمِ الشَّبَابِ مُلَطَّخٌ
وَتَحِيَّةُ النَّدْمَانِ لَطْمُ العَيْنِ

مصدر – اغ ، ١٢ : ١٣٤ .

٥

٤٣ – [من الكامل] . يطلب بغلة من مويس بن عمران (انظر اعلاه ٢٩٧) .

١ أَضْمُمْ عَلَيَّ مَآرِمًا قَدْ أَصْبَحَتْ
شَتَّى بِدَادَ شَتِيتَةَ الأَوْطَانِ

٢ بِزَفُوفِ سَاعَاتِ الكَلَالِ دَلِيقَةٍ
سَفْوَاءَ أَبْدَعَ خَلْقَهَا أَبَوَانِ

٣ لَمْ يَعْتَدِلْ فِي المَنْصِبَيْنِ كِلَاهُمَا
عِنْدَ التَّنَاسُبِ مِنْهُمَا الخَسَانِ

٤ إِلَّا تَكُنْ لِأَبٍ أَغَرَّ فَإِنَّهَا
تُنْمَى إِلَى خَالٍ أَغَرَّ هِجَانِ

٥ نَزَعَتْ عَنِ الخَيْلِ العِتَاقِ نِجَادَهَا
مِنْهَا وَعِتْقَ سَوَالِفٍ وَلَبَانِ

٦ وَلَهَا مِنَ الأَعْيَارِ عِنْدَ مَسِيرِهَا
جَدٌّ وَطُولُ صَبَارَةٍ وَمِرَانِ

مصدر – بنال ، ١١٣ .

شروح – ٢ ، الزفوف : الحسنة المشي السريعة ؛ الدليقة : السريعة الشديدة العدو ؛

السفراء : الحنيفة الربعة ‖ ٥ ، السالفة : ما تقدم من العنق والصدر .

ه

٤٤ – [من الكامل] من حِكَمه .

١ تُخْطِي النُّفُوسُ مَعَ العِيَانِ
وَقَدْ تُصِيبُ مَعَ المَظِنَّهْ

٢ كَمْ مِنْ مَضِيقٍ فِي الفَضَا
ءِ وَمَخْرَجٍ بَيْنَ الأَسِنَّهْ

مصدر – اغ ، ١٢ : ١٣٩ .

ه

٤٥ – [من السريع] . في الموت .

١ وَيْلٌ لِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ اللهُ
وَمَنْ تَكُونُ النَّارُ مَثْوَاهُ

٢ يَا حَسْرَتِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مَضَى
يُذَكِّرُنِي المَوْتَ وَأَنْسَاهُ

٣ مَنْ طَالَ فِي الدُّنْيَا بِهِ عُمْرُهُ
وَعَاشَ فَالمَوْتُ قُصَارَاهُ

٤ كَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِي مَجْلِسٍ
قَدْ كُنْتُ آتِيهِ وَأَغْشَاهُ

٥ صَارَ اليَسِيرِيُّ إِلَى رَبِّهِ
يَرْحَمُنَا اللهُ وَإِيَّاهُ

مصادر – بيان ، ٣ : ١٧٤ (٤–٥) ؛ كامل ، ٢٢٣ (١–٥) ؛ عقد ، ٣ : ٢٠١ – ٢٠٢ (١–٢،٤–٥) ؛ بيهقي ، ٣٨١ (١–٢–٤–٥) ؛ معجم ، ٤١٨ (١،٣–٥) ؛ اغ : ١٢ : ١٣٧ (١–٥) ؛ المحمدون ، ٥٧ (١،٣–٥) .

روايات – ٢ ؛ عقد : والويل لي من كل يوم اتى ؛ يهقى : يا حسرنا . . . اتى ؛ اغ : واغلتنا في كل يوم ‖ ٣ ، المحدون : من طلب الدنيا ولذاتها ‖ ٥ ، بيان و اغ : محمد صار الى ؛ عقد ومعجم وبيهقي والمحدون : صار البشري .

٥

٤٦ – [من الطويل] . في قدر الرّقاشي (انظر اعلاه ٢٩٣ ورقم ١٨).

١ وَتَوْمَاءَ ثَلْمَاءِ النَّوَاحِي وَلَا يَرَى
بِهَا أَحَدٌ عَيْباً سِوَى ذَاكَ بَادِيَا

٢ إِذَا انْتَاصَ مِنْهَا بَعْضُهَا لَمْ تَجِدْ لَهَا
رُؤُوباً لِمَا قَدْ كَانَ مِنْهَا مُدَانِيَا

٣ وَإِنْ حَاوَلُوا أَنْ يَشْعَبُوهَا رَأَيْتَهَا
عَلَى الشَّعْبِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَدَاعِيَا

٤ مُعَوَّدَةُ الإِرْحَالِ لَمْ تَرْقَ مَرْقَباً
وَلَمْ تَمْتَطِ الجُونَ الثَّلَاثَ الأَثَافِيَا

٥ وَلَا اجْتَزَعَتْ مِنْ نَحْوِ مَكَّةَ شُقَّةً
إِلَيْنَا وَلَا جَازَتْ بِهَا العِيسُ وَادِيَا

٦ وَلٰكِنَّهَا فِي أَصْلِهَا مَوْصِلِيَّةٌ
مُجَاوِرَةٌ فَيْضاً مِنَ البَحْرِ جَارِيَا

٧ أَتَتْنَا تُزَجِّيهَا المَجَاذِيفُ نَحْوَنَا
وَتَمْعَبُ فِيمَا بَيْنَ ذَاكَ المَرَادِيَا

٨ فَقُلْتُ : لِمَنْ هٰذِي القُدُورُ الَّتِي أَرَى
تَهِيلُ عَلَيْهَا الرِّيحُ تُرْباً وَسَافِيَا ؟

٩ فقالوا : وهل يخفى على كل ناظرٍ
قدورُ رقاشٍ إن تأمل رائيا ؟

١٠ فقلتُ : متى باللحم عهدُ قدورِكم ؟
فقالوا : إذا ما لم يكنَّ عواريا

١١ من أضحى إلى الأضحى وإلا فإنها
تكون بنسج العنكبوت كما هيا

١٢ فلما استبان الجهدُ لي في وجوههم
وشكواهم • ادخلتهم في عياليا

١٣ فكنتُ إذا ما استشرفوني مقبلا
أشاروا جميعاً لجةً وتداعيا

١٤ ينادي ببعضٍ بعضُهم عند طلعتي
ألا أبشروا هذا اليبيريُّ جائيا

مصادر – بخلاء ، ٢٠٤ (٢ – ١٢) و٢٠٨ (١، ١٤) ؛ عيون ، ٣ : ٢٦٦ – ٢٦٧ (١–١٢، ١٤) .

روايات – ٣ ، عيون : يشعبوها فاتها || ٤ ، عيون : لم توف مرقبا || ٧ ، عيون : المزاويا || ٩ ، عيون : ومن يخفى ... دانيا || ١١ ، عيون : الى اضحى .

شروح – ٢ ، الرووب : الاصلاح || ٣ ، الشعب : الاصلاح ايضاً || ٤ ، اي : تلك القدر معصومة من الانتقال الى المكان العالي ولا توضع على الاثافي السود || ٧ ، المرادى : جمع مردي ، وهي الخشبة التي تدفع بها السفينة || ١٠ ، العواري : جمع عارية ، اي : قد يطبخ فيها اللحم اذا أعرناها .

كتاب «السواعي» الملكي

بالسريانية الفلسطينية

للخورسقف غنايل الرّجي
حافظ الخزانة والمكتبة البطريركية

نشر حضرة المستشرق الانكليزي الدكتور متى بلاك مخطوطاً محفوظاً في مكتبة برلين تحت العدد ١٠١٩، عنوانه « .. نبدا نكتوب بعون الله وحسن توفيقه اسواعي. والله يعين » وهو بالسريانية الفلسطينية، ما عدا قليلًا منه فبالكرشونية [1] .

اشترى هذا المخطوط المستشرق الالماني بولس كهله (Kahle) من احد التجار السوريين في القاهرة سنة ١٩٠٦. واخذ عنه صورة شمسية ونسخة مكتوبة بيده. ودفع الثنتين الى الدكتور بلاك. فدرس الكتاب فيها وعنها اقرّ النصّ وترجمه الى الانكليزية، ونشره بالطبع مع الترجمة، مسبوقاً بفاتحة ومقدّمة، وملحقاً بفهارس. وقد صدر الكتاب عن « مطابع جامعة كمبردج » بانكلترا سنة ١٩٥٤، بغاية الاتقان ورقاً وطبعاً وترتيباً (ص ح) [2].

عرفنا الدكتور بلاك في اذار سنة ١٩٤٩، في ليدز بانكلترا، استاذاً في جامعتها: وكنّا حينئذ عن المخطوط وإعداده اياه للنشر. وقدّم الينا نسخة من مقالة كتبها عنه في مجلة «الدروس السامية والشرقية»[3]. وقد انتقل حضرته بعدئذ الى جامعة إدنبورج في اسكتلندا، يدرّس فيها العلوم الكتابية.

وحضرته من المستشرقين العاملين. فاكبّ على مخطوط « السواعي » يشبعه درساً وتمحيصاً. وكان له من علمه الواسع وسيلة لنشره على احسن وجه. فبسط ما انطوى عليه المخطوط من امور ايمانية وطقسية وكتابية ولغوية.

1) Ms. Or. Oct. 1019.

2) Matthew Black : *A Christian Palestinian Syriac Horologion.* Cambridge, University Press. 1954.

3) *Studia Semitica et Orientalia.* Vol. II, pp. 21-36. 1945.

ويسرّنا ان نوفيه حقّه من الثناء على ما عاناه في هذا السبيل ، وما العناء الا من شروط النجاح في الاعمال القيّمة ، ونهنئه بتوفيقه في نشر هذا الاثر الثمين الذي أغنى به الاداب الشرقية .

واذا كان لنا بشأنه بعض ملحوظات، لا بدّ منها في مثل هذه المنشورات التي تتطلّب المزيد من التمحيص لتنجلي على وضحه حقيقتها ، فما غايتنا، ويشهد الله ، سوى معاونته على تعريف المخطوط على وجهٍ اصحّ . وقد راسلناه في الامر واطلعناه على مجمل ملحوظاتنا .

المقدّمة : *Introduction* ص ٣–٢١

بين الفاتحة والمقدمة اربع صور لاربع صفحات من المخطوط توقفنا على مثالٍ من خطه الاسترنجيلي الخاص وعلى حالته من جهة سلامة اوراقه . وبعدها المقدمة باربعة اقسام : وصف المخطوط ، محتوياته ، المتوتيلة الملكية ، النصوص الكتابية .

١ً وصف المخطوط : Description of the Ms. : ص ٣ – ٥

قال الدكتور بلاك : يقوم المخطوط بـ ٢٤ كراساً وبعض الكراس ، معظمها من ٨ ورقات ، مرقومة بحروف الابجدية السريانية ، في اسفل اخر ورقة من كل كراس (ص ٣) . وعندنا ان الاصحّ عدّها ٢٥ كراساً . والأولى ذكر عدد الورقات في كل كراس بالتفصيل . فانها في الاول ٦ ورقات ، وفي الثاني ٧ ، وفي الثامن عشر والتاسع عشر ١٠ ، وفي الخامس والعشرين ٦ ، وفي البقية ٨ .

واذا كانت طريقة العدّ بالحروف عادية عند السريان ، كما افاد الناشر ، فالقيمة العددية لكل حرف ، من رقم ١١ فما بعد ، مختلفة في المخطوط عن الطريقة المألوفة . فقد رقمت الحروف بالتوالي من الالف الى الثين ، وفي يقيننا ان التاء كانت رقم الدفتر الاخير ، وهي ٢٢ حرفاً . وكتبت الاحرف الكاف والنون والفاء بصورتين ، فعبّرت عن ستة ارقام ، استكمالاً للعدد اللازم للكراريس . وجعلت قيمة الحروف العددية مقابلة لموقعها العددي في الابجدية . فكانت الالف ١ ، والباء ٢ ، والياء ١٠ ، والكاف ١١ ، واللام

١٢ ، والميم ١٣ ، الخ . بخلاف مالوف استعمالها : ا — ط للاحاد ، ي — ص للعشرات ، ق وما بعدها للمئات .

ويختلف الترقيم في المخطوط عن المألوف في سواه . فالرقم يرد في آخر الكراس ، وليس في اوله ، وعلى صفحتين . وهذا الامر الاخير يُلحظ في بعض المخطوطات ، حيث يرد الرقم الواحد نفسه في اول الكراس ويعاد في اخره . اما في المخطوط فالرقم الواحد مرسوم في صفحتين متواليتين ، اولاهما ، بحسب الارقام الفرنجية التي وضعها الناشر على هامش الكتاب المطبوع ، اخر الكراس ، والاخرى اول الكراس التالي . وهذا غريب ، الا ان يكون الغلط في وضع الارقام الفرنجية . وعلى ما فيه من غرابة ، لم يُشر الناشر اليه بكلمة ، ولا الى ما سبق من قيمة الحروف العددية ورقمها في آخر الكراس

ح

للمخطوط خاتمتان بالكرشونية يفصل بينهما دليل ، بالكرشونية كذلك ، على موقع الحروم والفصح في السنوات ٦٦٩٧ — ٦٧١١ لآدم ؟ والحروم هي الايام السابقة للصوم الحمسيني (ص٤٤٨—٥١) . كأن الناسخ قد بدأ بالخاتمة ، ثم انتبه الى دليل موقع الحروم والفصح ، فتوقف ليكتب الدليل ، ثم عاد الى الخاتمة فكتبها كاملة من جديد .

الخاتمة الاولى تورد سنة نسخ السواعي فقط (ص٤٤٨) . والاخرى تورد السنة : ٦٦٩٦ لادمٌ وهي ١١٨٧ للمسيح ؟ ومكان النسخ : بيت المقدس ؟ واسم الناسخ : القس نعمه الراهب ؟ واسم صاحب النسخة : القس فيمي . وهذا نصها بالحرف :

«نجز هذا السواعي في سنه سته الف وست ماية وسته وتسعين . في اخدت (آد.ل ؟) بيت المقدس . وكان اخرها في ثلاثا ايام في تشرين الأول . وهذه بايد القس نعمه المتريا بزي ارهبانيه . وهو للقس فيمي . رحم الله له ولوالديه . كامن قرأ فيها يسامحه في غلط . بشفاعة السيده وجميع القديسين . امين » (ص ٤٥١ — ٢) .

والدكتور بلاك يرجح ان المخطوط كان محفوظاً في دير القديسة كاترينا في

طورسينا ، لانه شبيه جداً بعدة مخطوطات صدرت عن هذا الدير (ص ح) .

وقد أشكل ، لسوء الخط ، على الناشر تحقيق اسم الناسخ . فلم يفطن الى ان كلمة « نعمه » اسم علم . بل ظنّها فعلاً ومفعولاً به ، فاعلها المتريّا . فترجم :

« وهذه بيد القس — انعم عليه المتريا بزي الرهبانية — وهو القس فيمي »[1] .

وكان في مقاله عن المخطوط ، في مجلة « الدروس السامية والشرقية » ، قد قال ان الناسخ « هو القس حبنياه (Habaniah) او فيمي ، وباليونانية اوفيميوس » . ولم يحتفظ بهذا القول في مقدمة المخطوط[2] .

كذلك اضاف لفظة « اخذت » الى السنة ، مع انها مضافة بدون اشكال الى بيت المقدس . ولم نتوصل الى تحقيق معناها . وجعل الضمير في « اخرها » عائداً الى المخطوط كأن اخره قد تمّ في مدة ثلاثة ايام من تشرين الاول[3] ، وليس الى « السواعي » التي أكمل نسخها في اليوم الثالث من تشرين الاول . كما اخطأ قراءة لفظة « ثمن » ، فقرأ « ولمن » وعطفها على « ولوالديه » .

وقد ذكرنا في رسالتنا الى حضرة الدكتور بلاك ان « نعمه » اسم علم ، مختصر عن « نعمة الله » ، لا يزال شائعاً في بلادنا وايامنا ؛ وان في مكتبات انكلترا مخطوطات عديدة ، ورد فيها هذا الاسم بصورتيه الكاملة والمختصرة ، مطلقاً على نساخ وغيرهم[4] .

قوام المخطوط ومحتوياته : Structure of the Service Book : ص ٥—١٠

بين الكتب الطقسية في الكنيسة اليونانية « الهُرُلجيون » اي كتاب الساعات . ويسميه الملكيون حتى يومنا « كتاب السواعي » ، كما جاء في عنوان

---

١) ... and this by the hand of the Priest—may he who is invested with the dress of monasticism favour him — and he is the Priest Pheme... ص ١٤٤

٢) اعلاه ، ص ٣٤١ ؛ — المجلة ص ٢٢ .

٣) ص ١٤٤ ...and the last of it was completed in three days of Tishri I.

٤) الفهارس السريانية لمكتبات : المتحف البريطاني : ورَيت ١ : ١٦٦ و ٦٣٠ ؛ — اكسفورد : باين سميث : ٥٣٦ ؛ — منشستر : منغانا : ١ : ٥٤٢ ، ٥٤٣ و ١٠٣٤ .

مخطوطنا[١]. ومحتوياته « صلوات ساعات الليل والنهار » كما ورد في المخطوط[٢].
وهي ثمانٍ : السحر : ور ١—١٩ ؛ الاولى : ور ١٩—٢٩ ؛ الثالثة : ور ٢٩—٣٩ ؛
السادسة : ور ٣٩—٥٠ ؛ التاسعة : ور ٥٩—٦٩ ؛ اسبرينا او المساء : ور ٧٠—
٧٤ ؛ النوم : ور ٧٤—١٠٨ ؛ ونصف الليل : ور ١٠٨—١٤٠ . وقد اردفت كل من
الساعات الصغار : ١ و٣ و٦ و٩ ، بساعات اضافية تدعى « مصوريون ». ووضعت
بعد السادسة « صلاة القرزموس » : ور ٥٠—٥٩.

ان هذه الساعات فروض او رتب او خدم طقسية ، تقوم بتلاوة مزامير
داود النبي وبعض صلوات ، وبإنشاد ترانيم كتابية او كنسية تراجع كل يوم
من ايام الاسبوع . ولكن للسبوت والآحاد ترانيم خاصة ، للاولى في نصف
الليل ، وللاخرى في نصف الليل والسحر[٣].

وقد جاء ، علاوةً على ذلك ، في « كتاب الساعات ، المعروف بالسواعية » ،
المطبوع في حريصا سنة ١٩٥١ ، كيفية تعديل هذه الفروض العادية لاجل ايام
الصوم ، وترانيم خاصة بالاعياد المتنقلة وغير المتنقلة على مدار السنة وغير ذلك .
على ان المؤلفين يحدّون محتويات « الهُرُلُجيون » اي كتاب الساعات بالقسم الاول ،
كما ذكرنا آنفاً ، بدون ايراد ما يزيد في مطبوع حريصا[٤] . وعليه مخطوطنا ،
باضافة قسم من كتب طقسية اخرى . وهاك محتوياته ببعض تفصيل .

تبدأ كل ساعة بتقدمات ابتهالية وجيزة هي عينها تقريباً في كل ساعة ،
وخلت منها صلاة « القرزموس » .

وتليها المزامير وهي للسحر : ٣ ، ٣٧ ، ٦٢ ، ٨٧ ، ١٠٢ و١٤٢ ؛ — للاولى :
٥ ، ٨٩ ، ١٠٠ ؛ — لمصوريون هذه الساعة : ٤٥ ، ٩١ ، ٩٢ و ٥٠ ؛ — للثالثة :
١٦ ، ٢٤ و ٥٠ ؛ — لمصوريون هذه الساعة : ٢٩ ، ٣١ ، ٦٠ و ٥٠ ؛ — للسادسة :
٥٣ ، ٥٤ و٩٠ ؛ — لمصوريون هذه الساعة ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٩ و ٥٠ ؛ — لصلاة « القرزموس » :

---

١) من السريانية : ܫܥܝܐ = شاعي = سواعي .

٢) ܨܠܘܬܐ ܕܫܥܝܐ ܕܠܠܝܐ ܘܐܝܡܡܐ .

٣) المؤلف الفرنسي « ليترجيا » المطبوع في باريس سنة ١٩٣٠ ، ص ٩٢٣ — ٦٢
Liturgia. Bloud et Gay.

٤) ليترجيا ص ٩٣٨ .

١٠٢و١٤٥ وفي آخرها : ٣٣ ؛— للتاسعة : ٨٣، ٨٤و٨٥ ؛ — ابوريون هذه الساعة : ١١٢، ١٣٧، ١٣٩ و٥٠ ؛— للمساء : ١٠٢ و١٤٠ ؛ — للنوم قسمها الاول : ٤، ٦، ١٢، ٢٤، ٣٠ و٩٠ ؛— قسمها الثاني : ٥٠، ١٠١ وبعدئذ بقليل ٦٩، ١٤٢ وقبيل الآخر ١١٦ ؛— لنصف الليل : ١١٨ ثلاثة اقسام : الايات ١ — ٧٢، ٧٣—١٣١، ١٣٢—١٧٦ ، مع هذا العنوان للقسمين الاخيرين : ܫܘܒܚܐ . ܘܪܫ ܥܢܝܢܐ (اي المجد . راس او بدء الانتيفونا) وبعدئذ : ٥٠

بعد المزامير في السحر : التسبحات وعددها تسع : تسبحات مريم اخت موسى النبي (خروج ١٥ : ١—١٩)— حنه ام صموئيل (صموئيل الاول ٢ : ١—١٠)— حبقوق النبي (في سفره ٣ : ١—١٩) — اشعيا النبي (في سفره ٢٦ : ٩—١٩) — يونان النبي (في سفره ٢ : ٣—١٠) — الاطفال الثلاثة (دانيال ٣ : ٥٢— ٦٠)— عزريا (دانيال ٣ : ٥٧—٨٨) — مرت مريم (لوقا ١ : ٤٦—٥٥) — زكريا الكاهن (لوقا ١ : ٦٨—٧٩) . هذا وليس بعده شيء في هذه الساعة .

بعد المزامير في الساعات الأخرى ترانيم مختلفة، أضيف اليها ، في ساعة المساء، ترنيمة « ايها النور البهج » وترانيم خاصة يدل معناها على أنها : الاثنين والثلاثاء للتوبة ، الاربعاء والجمعة لآلام السيد المسيح ، الخميس الرسل ، السبت للشهداء ، والاحد للقيامة . تسبحة سمعان الشيخ وترانيم للسيدة ، المعمدان ، لموسى وهرون وايليا واليشع ؛— وفي ساعة النوم جزئها الاول ، تسبحة اشعيا النبي : (آيات من الفصلين ٨ و ٩ بتقديم وتأخير ، وبعد كل آية هذه اللازمة : « ان الله معنا ». ترانيم. قانون الايمان النيقاوي . استغاثة بالسيدة والقديسين الذين تورد اسماء ٢٨ منهم ، مع هذه الردة بعد تسمية كل فئة : « توسلوا لاجلنا نحن الخطأة » وترانيم ؛—وفي ساعة النوم جزئها الاخر المؤلف على نمط مصوريين : صلاة منسى الملك . تسبحة الملئكة وصلاة القديس استراتيوس ؛— وفي ساعة نصف الليل : قانون الايمان . تسبحة الملئكة وصلاة حزقيا الملك ؛— وفي « صلاة القرزموس » : ترنيمة « أيها الابن الوحيد ». التطوبيات الانجيلية. ترانيم مع تريساجون. قانون الايمان والابانا ؛— وبعد ساعة نصف الليل ثلاثة ترانيم « ليوم السبت للراحة » وثلاثة اخرى « لليل الاحد » (ور ١٣٠ — ٤) ؛ و « طوربريات صحيحة علا العربي والروم » [= والرومي ، على الاصح] . وهي بالكرشونية ثلاثة اجزاء ، يحوي كل

منها ثلاث ترانيم اخيرتها لوالدة الله . وفي نهايته « وتقول اربعين جرت كرياليصون » . ور ١٣٤–٤٠

وما عدا السحر ، تنتهي سائر الساعات بابتهالات ختامية لا تتغير و ٤٠ « صوت كرياليصون » و١٥ « مطانية » وصلاة ختامية تتغير مع الساعات ، عُبّر عنها بهاتين اللفظتين : « وتختم أصلاة » (الساعة ١ و٦ و٩ ومصوريون الساعة ١) و« تسرح أصلاه » (سائر الساعات) . وتختم ساعة نصف الليل بصلاة استراتيوس .

واخيرًا ينتهي المخطوط بترانيم هذا عنوانها : « نبدا نكتوب مقرزموس أسواعي الذي علا ܠܡܕܡܘܢ ܡܫܡܫܢܐ » : طوبى للمساكين . وهي بالسريانية وبالالحان الثمانية وكل لحن منها لكامل ايام الاسبوع . ولكل يوم مجموعة ترانيم عددها اربع ، الا لايام الاحاد فانها سبع للاحد الاول والسادس والثامن ، وستّ للاحد الخامس ، وخمس لسائر الآحاد . والترنيمة الاخيرة كل يوم لوالدة الله (ور ١٤٠–٩٦) .

٥

يبين من المخطوط ، كما فصّلنا محتوياته ، انه يضيف الى كتاب السواعي ، في القسم الاخير المحكي عنه آنفًا ، ترانيم ترد ، في الطقس اليوناني ، في كتابي الاكتيوكس والبارقليطيقي اي « المعزي » ، الحاويين اولهما ترانيم الاحد والاخر ترانيم سائر ايام الاسبوع[1] .

اما ما يختصّ بكتاب السواعي عينه ، فجمله في المخطوط ، باستثناء القليل منه ، يوافق مثله في الطقس اليوناني . قال الدكتور بلاك : « ان المخطوط يقدّم الينا هُرُلجيون ملكيًا كاملا منقولًا معظمه عن هُرُلجيون الكنيسة اليونانية الارثوذكسية الى السريانية الفلسطينية ، وهي لهجة آرامية يستعملها الملكيون في اسفارهم المقدسة وفروضهم » (ص ٥) .

وقد اتضح لنا من مقابلة المخطوط بكتاب الساعات اليوناني وبالكتاب المطبوع في حريصا انه يتفق واياهما في عدد ساعات الليل والنهار ، الا ان المخطوط

---

١) ليترجيا ص ٩٣٨ ومقدمة الكتاب ص ٧

يبدأ بساعة السحر وليس بساعة نصف الليل كما في الهرلجيون اليوناني.

والتسبحات ينقصها في المخطوط تسبحة موسى الثانية (تثنية الاشتراع: ٣٢)، التي يتلوها اليونان في ايام الصوم فقط؛ وانفصلت فيه تسبحة العذراء عن تسبحة زكريا. فظلّ عدد التسبحات في الكتابين واحداً، اي ٩

والمزامير هي هي تقريباً عداً وتوزيعاً على الساعات. الا انها في المخطوط ينقصها المزامير: ٢٠و٢١ في مقدمات السحر ومزامير الباكرة ١٤٨ — ٥٠ في اخره، و١٥٠ في اخر صلاة النوم، و٥٠ في مقدمات نصف الليل، و١٢٠و١٣٣ في اخر نصف الليل، ولم يرد فيه المزمور ٥٠ بنصه مرةً واحدة على كثرة مراجعته. وقد خلا من ذكر تلاوة كاتيسمات المزامير اي اقسامها الموزعة في الطقس اليوناني على ايام الاسبوع خلال ساعتي المساء والسحر.

وما لفت نظرنا ان المزمورين ٢٠ و٢١ الواردين في مقدمات السحر[1]، لا نجدهما في المخطوط (ص ٧ و٨) ولا في الكتاب المطبوع في حريصا. وقد استفدنا من احد الآباء الملكيين انهما كانا في الطبعة القديمة، غير انهما كانا يتليان سرًا ويهملان غالباً. فهل يكون ذلك من آثار الطقس الملكي القديم الذي خلا منها على ما في المخطوط؟

اما الصلوات المنسوبة في الفرض اليوناني الى القديس باسيليوس والراهبين بولس وانطيوخيوس ومار افرام السرياني في صلاة النوم؛ والصلاة الاخرى المنسوبة الى القديس باسيليوس وصلاة القديس مرذاريوس في صلاة نصف الليل، فلا اثر لها في مخطوطنا. ويزيد فيه صلاة حزقيا الملك (اشعيا: ٣٨). وترد فيه صلاة استراتيوس في ساعتي النوم ونصف الليل ولا ترد في الفرض اليوناني الا في ساعة نصف الليل يوم السبت.

وينفرد المخطوط باحتوائه على صلوات ختام لكل ساعة، بعكس الكتاب اليوناني. قال الدكتور بلاك في صلاة ختام الساعة الاولى: « ان صلاة الختام ليست في الهرلجيون اليوناني. وهي جد بسيطة مطابقة لوضعها وجذابة » (ص ٧٦ حاشية ١).

---

١) ليترجيا ص ٩٢١

بقي الاناشيد او الترانيم على اختلاف انواعها. فبينا الكتاب اليوناني يورد اسماءها المتنوعة، لا يسمّي المخطوط منها الا الطروبريات. وهي في الغالب موجزة. ومنها ما هي واحدة في الكتابين، ومنها ما هي خاصة بالواحد دون الآخر. وما كانت واحدة فيها، فبعضها تقع في ساعات مختلفة او بحال مختلفة من الساعات. وفي عدة من الواردة فيها مما نجد غالباً اختلافات هامة في المبنى والمعنى. وبوجه عام ان الترانيم في المخطوط اقلّ منها في الهُرُلُجيون اليوناني. ومن الغريب ان ساعة السحر فيه تخلو من الترانيم تماماً.

هذا وقد خلا المخطوط من الطلبات «السينبتي»، وهي كرازة باجزاء عديدة تجيب الجوقة على كل منها: كيرياليسون. وليس فيه فرض خاص لايام الصوم ولا للاعياد، ولا لساعة نصف الليل في السبوت والآحاد، الا ما ورد فيه من طروبريات لهذه الاخيرة (ص ٧).

ويلي كلًّا من الساعات الصغيرة في المخطوط فرض يسمى «مصوريون». وهو ساعة اضافية بدأ استعمالها في الديورة منذ القرون الوسطى، وضمّت الى الى كتاب السواعي ثم اهملت[1]. وقال فيها حضرة الدكتور بلاك انها ساعات اضافية قصيرة تتلى خلال الساعات الكاملة ايام الاعياد (ص ٦ حاشية ١)

وفي المخطوط كذلك «صلاة المقرزموس»، وتدعى «تيبكون». يستعاض بها عن القداس في الايام التي لا قداس فيها، وتتلى في القداس ايام الآحاد والاعياد الحافلة قبل الدخول الصغير[2]. وجاء في «كتاب الساعات» المطبوع في حريصا انها تتلى بعد السادسة «اذا اهملت في الليتورجيا الالهية. . اما اذا تليت التيبكا في الليتورجيا الالهية» فتهمل بعد السادسة. «اما في الصوم الكبير فتهمل من رتبة التيبكا المزمورين ١٠٢ و١٠٥، وتبدأ حالًا بالتطوبيات ولكن في آخر الساعة التاسعة»[3]

وينتهي المخطوط بطروبريات التطوبيات «مقرزموس السواعي»، التي يحواها في الطقس اليوناني كتابا الاكتيوكس والبارقليطيقي. قال فيها الدكتور بلاك

١) ليترجيا ص ٩٢٤.
٢) ليترجيا ٩٢٤ و٩٠٢.
٣) كتاب الساعات ص ٢٤٧

انها « نحو من ٢٠٠ ترنيمة كلها قصيرة . وهذه الطروبريات احدُ اجزاء المخطوط الاكثر قيمةً واثارةً للاهتمام . وكثير منها لا ترد في البارقليطيقي ، وبعضها تختلف كثيرًا في المبنى والمعنى عن الترانيم اليونانية المقابلة لها » (ص ٧)

تبسطنا في تبيان الفروق بين الكتابين . وقد ذكر بعضها الدكتور بلاك وختم كلامه بقوله : « وما تبقّى من الفروق بين الفروض اليونانية والملكية ففي ارشادات التنبيهات (ربريك) ، فانها ، على مثال الفروض نفسها ، ابسط واوجز صيغة عند الملكيين ، وفي نظام الترانيم والصلوات ، وفي الترانيم والصلوات عينها » (ص ٩) .

ويلذُّ لنا ان نشير الى ان المخطوط والطقس الماروني يتفقان في بساطة التنبيهات وايجازها ، وفي ختم كل صلاة او فرض بصلاة الختام ، وفي خلوهما من كرازة السينبتي .

وفي هذا دليل واضح على ان صلاة الختام من صلب الطقس الملكي ، بعكس السينبتي . فصعب التخلّي عن الاولى وقبول الاخرى على الملكيين الاولين بعد ابدالهم الطقس اليوناني البيزنطي من طقسهم الاصلي . وهذه الظاهرات من الطقس الملكي التليد ، قد حافظ عليها الموارنة ، وهم من صميم الملكيين الاولين ، بكل امانة حتى ايامنا هذه .

٥

لذلك نرانا مضطرّين الى مخالفة الدكتور بلاك في تعيينه مصدر الصلوات الخاصة بالهرلجيون الملكي وبعض الترانيم الغريبة او المختلفة فيه عن الكتب اليونانية الحالية .

ان حضرته يعتبرها مترجمةً كلها عن اليونانية الى السريانية الفلسطينية . ذلك ان في المخطوط « طروبريات صحيحة علا العربي والرومي » استرعت انتباههُ . عددها احدى عشرة ترنيمة ، ترد الاربع الاولى منها فقط في الفرض اليوناني الحالي ، واما السبع الاخرى فخاصة بالمخطوط وحده . وهذه الطروبريات في المخطوط بالكرشونية وهي مترجمة في ظننا بل يقيننا ، عن السريانية وليس عن اليونانية . فما انها في العربية والرومية معًا ، فقد كانت بدون شك في احداهما كاصل وفي الاخرى كترجمة . فاكد حضرته انها ليست متخذة من اي

مصدر آخر سوى كتاب « الطقس اليوناني ». على ان العكس، كما سنرى قريباً، قد يكون غير مستحيل.

وزاد حضرته في هذا الموضوع فقال: « ان الترانيم الملكية المجهولة [حالياً في الطقس اليوناني] هي كلها تقريباً ترانيم كانت بتوكيد مستعملة يوماً في الطقس اليوناني... ويجب ان تكون ترانيم بيزنطية قديمة، بل في الاصل سابقة للبيزنطية. فحتى القرنين السادس والسابع لم تكن القسطنطينية قد تغلبت بعد على اورشليم كمحور للطقوس اليونانية. فكثير من هذه الترانيم الجديدة تاتي حتماً من اورشليم كمصدر لها » (ص ١٠).

وعقّب على ذلك بقوله: « اننا بفضل هذه الترانيم الكثيرة الجديدة وهذا العدد من الصلوات الحديثة، الواردة في الهُرلجيون الملكي، دون اليوناني ودون البارقليطيقي، والاخرى العديدة الواردة فيها جميعاً ولكن في الغالب باختلافات هامة في المبنى والمعنى... نستطيع ان نستعيد ترانيم وصلوات قد فقدت من التقليد اليوناني، ونقابل بالوقت نفسه الترانيم والصلوات الحالية في صيغتها الحاضرة بمثلها في الطقس الملكي » (ص ١٠) كأنها مترجمة عنه.

فما يمنع يا ترى ان تكون هذه الترانيم الجديدة او اقله بعضها، وبالاحرى الصلوات الخاصة، سريانية الاصل، فتغلبت على طغيان الطقس الرومي البيزنطي في الكنيسة الملكية. فالملكيون الفلسطينيون اصحاب المخطوط لم يكونوا من الروم، بدليل ترجمتهم الطقس الرومي الى لغتهم، بل كانوا من الشعب المشرقي الاصلي الناطق بالسريانية.

لنستمع بادئ بدء الى ما كتبه عنهم الدكتور بلاك: « يُظنّ بالملكيين انهم الفرع الوحيد من المسيحيين السريان الذين اعتنقوا، على وجه التمام، ما تحدّد بشأن المعتقد في خلقيدونية » (ص ٥)، وزاد بعدئذ: « ان من الضلال الظن بالملكيين انهم ليسوا اكثر من فرع سرياني، او سرياني فلسطيني، من الكنيسة الارثوذكسية اليونانية. فان الزيادة التي ادخلوها في المخطوط[1] توضح بجلاء انهم يشعرون هم انفسهم بانهم كنيسة مسيحية متميزة من سواها، منفصلة عن

---

١) يريد الطروبريات السبع المحكي عنها اعلاه.

الكنيسة اليونانية البيزنطية » (ص ١١) . ثم يُخلص الى اتهامهم وكنيستهم بالانحراف عن معتقد الكنيسة البيزنطية في قضية المنوتيلية ، على ما سيجي الكلام فيه .

فبما ان الملكيين ، على قوله ، ليسوا فرعاً من الكنيسة البيزنطية ، بل بعيدين عنها حتى في بعض قضايا المعتقد ؛ وبما انهم ذوو طقس خاص ادخلوا جزءاً منه في المخطوط المترجم عن المرُلجيون اليوناني ؛ وانهم من الواضح بعيدون عنهم كذلك في اللغة ؛ فما يضير والحالة هذه ان ننسب الترانيم الخاصة بهم او اقله اكثرها ، والصلوات الخاصة بهم ، الى اصل سرياني ملكي صرف ، عوضاً عن ان نجعلها كلها مترجمة عن اليونانية .

فمما لا ريب فيه ان صلوات الختام الخاصة بالمخطوط هي سريانية بحت . ففي الطقس الماروني الحاضر ، وهو في اساسه من الطقس الملكي القديم ، ما يقابلها معنى ومبنى . فلِمَ لا تكون الترانيم وهذه الصلوات من مصدر واحد ؟

وهنا لا مجال للاستفاضة في بحث قضية علاقة اليوناني بالسرياني وأيهما يتأثر بالآخر . ولكننا نشير اشارة خاطفة الى ان المستشرقين في الوقت الحاضر ، بالرغم من انحراف بعضهم ، على غير هدى ، الى ايلاء الاولية والاسبقية والافضلية الى كل ما كان بيزنطياً ، قد توصلوا الى الاعتراف « بأن الدروس الحديثة ، وبالخصوص ما كانت منها عن القديس افرام والقديس رومانس ، قد برهنت ان الترنيمة الطقسية البيزنطية تستعير نوعها ولونها الادبي من الشعر السرياني . وهذا امر يلقي نوراً جديداً على الاصول السريانية لعناصر صارت فيما بعد من مميزات الطقس البيزنطي » . . . وفيما خص القنداقات ، وممثلها الأعظم القديس رومانس الشماس السوري الذي انتقل من حمص موطنه الى القسطنطينية في اوائل القرن السادس ، فالراي السائد الان « انها مدينة كثيراً للشعر السرياني ، وخاصة لمؤلفات مار افرام »[1] .

وذهب الى ابعد من ذلك العالم بولس بيترس ، وهو من اشهر الآباء البولنديين ، المعروفين بالتدقيق والتجرد العلمي . فعارض تأكيدات العلماء ذوي الميول المتطرفة الى ما كان بيزنطياً ، حتى غدا من المقرر لديهم ان كل نص

١) من مقال للاب سلافيل في « ليترجيا » ص ٨٨٧ و ٩٢٩–٩٣٠ و ١٠٨١ .

سرياني، مقارن لآخر يوناني، يجب ان يكون مردّه الى اليوناني فقال: «ان فكرة تحدّر نص يوناني من اصل سرياني لم توفق بتاتاً الى ان تجد لها مكاناً في راس بعض المتبزنطين ... فهذا الوهم العتيق قد فتح اليوم ثغرة فيه. فمن الراهن الآن ان نصاً يونانياً، مقارناً لآخر سرياني، ليس حتماً اصل هذا الاخير، الّا ان يؤتى بالبرهان المعاكس. فالبحوث القيمة التي قام بها العلماء ماير وڤيهوفر ومركاتي برهنت ان قسماً صحيحاً او منحولاً من مؤلفات القديس افرام قد نقلت باكرًا الى اليونانية»[١].

وقد نبّه العالم الالماني بومشترك الى وجود كتب ملكية سريانية قديمة مترجمة عن اليونانية، كمخطوطات «تحوي عدداً مدهشاً من نصوص لا تعرف حتى الان اصولها ... وهذا الفرع من الآثار السريانية يعرّفنا بعدد كبير من نصوص جديدة بالكلية. ولكن بحثها يجب ان يُقرن بالمزيد من الفطنة، لانه من الممكن ان يكون كثير منها مؤلفاً في الاصل بالسريانية بصيغة القانون اليوناني».

واكّد هذا العالم ان في التراتيم البيزنطية «نوعاً شعرياً جديداً، مرتكزاً فقط على (accent) النبرة، وطنه بكل توكيد سوريا ... وان المرنم الكبير القديس رومانس، في القنداقات التي من وضعه، يواصل حقيقة التقليد الادبي السرياني القديم اي المدارش والسواغيت، التي لا يزال القديس افرام فيها المعلّم الذي لا يجارى»[٢].

وبهذا كفاية لتوجيه نظر حضرة الدكتور بلاك الى ان التراتيم وبالاحرى الصلوات الخاصة بالهرجيون الملكي ليست حتماً مترجمة عن اليونانية، بل من الممكن، وربما من الارجح، اذا لم يكن من المؤكد، انها سريانية اصلاً.

---

١) Paul Peeters. *Le Tréfonds Oriental de l'Hagiographie Byzantine.* Bruxelles, 1950.

٢) A. Baumstark : *Liturgie Comparée.* 3e éd. Chevetogne (Belgique) et Paris, 1953, pp. 104-5 et 115.

٣ً المنوتيلية الملكية(١ : Malkite Monothelitism ص ١٠-١٢

زاد الدكتور بلاك على كلامه في الملكين واستقلال كنيستهم فقال : « لم يكن حتى الآن في آثارهم المخطوطة ما يدلُّ على انهم كانوا انفصاليين ، على صعيد واحد ، بأية طريقة كانت من جهة المعتقد ، مع الهراطقة السريان : اليعاقبة (المنوفيسيين) او الموارنة (المنوتيليين) او النساطرة . على ان احدى ترانيم الهرمُّجيون تنطوي على وثيقة هامة راهنــة ، تلقي نورًا على موقف الملكين الاعتقادي . فانهم كانوا ، اقله في وقتٍ ما من تاريخهم ، منوتيليين » (ص ١١) .

و ترنيمة لوالدة الله (تيوتكيون) . ونظرًا لاهميتها نشر الدكتور بلاك ترجمتها بالانكليزية ازاء مقابلتها اليونانية الواردة في البارقليطيقي باللحن الرابع في آخر ترانيم السبت .

وهوذا النص ترجمناه عن السريانية واليونانية :

---

١) الدكتور بلاك اول من اتى بالجديد في هذا الحقل . وقد كلمنا في ليدز سنة ١٩٤٩ عن نص منوتيلي وارد في المخطوط . ووفقنا الله الى العثور على نص اخر في مجموعة قانونية ملكية سورية . فنشرنا النصين وعلقنا عليها بمقالين عربي وافرنسي تحت هـذا العنوان : «المنوتيلية عند الموارنة والملكين معًا» : مجلة المنارة : السنة ٢١ : ١٩٥٠ : ص ٢٤٦-٢٥٦ ؛ ومجلة *The Journal of Ecclesiastical History.* Vol. II, nᵒ 1. April 1951, pp. 38-42. London. وكنا على اتصال بمجلة « المشرق الادنى المسيحي » التي يديرها حضرة الاباء البيض في القدس . فاهدينا اليها نسخة من مقالنا بالافرنسية . فعرفت بِهِ قرّاءها بكلمة وجيزة . ولم تنكر النصين ولم تعمل على الحدّ من قوة مدلولها وما قد يكون لصداه من ترجيع في الاندية العلمية . ولكنها فضلت لسوء الحظ التعريض بالموارنة من جهة المعتقد بالمشيئة الواحدة : *Proche-Orient Chrétien.* Tom. III, fasc. II, Avril-Juin, 1952, p. 191. فاستكنفنا هذه المداورة على موضوع ، كأن يُقصد بها جرُّنا الى الجدل فيه ، ونحن اشدّ ما نكون كرهًا للجدل . فكتبنا الى حضرة الاب مدير المجلة ورجونا منه نشر كتابتنا الوجيزة . فكان جوابه التخوف من ان يفضي الامر الى تبادل ردود عديدة . فكتبنا اليه مجددًا باننا نكتفي « باشارة وجيزة ، بكلمتين » من عنده الى كتابتنا ، حتى لا نرشق بالعجز او بالجبن عن الردّ . وكان ذلك سنة ١٩٥٣ . والى الان لم يبدِ ولم يُحر . ووقفنا عند هذا الحدّ .

البارقليطيقي	المرُجيون
ان الكلمة الذي ولده الاب قبل كوكب الصباح ، قد حبلت به وولدته بالجسد ، انساناً تاماً معروفاً بفعلين ، ايتها الطاهرة، ومشيئتين . فتوسلي اليه ، كما للخالق والرب ، ليرحمنا نحن المرتسين لك ، ايتها العذراء ، عروس الله[٢] .	ذلك الذي ، قبل كل الدهور ، قد انلد من الآب ولا ابتداء له، وفي آخر الايام حلَّ في حشاك ، ايتها الطاهرة، والمعروف بطبيعتين وبمشيئة واحدة تامة ، اليه ، كما للرب وللخالق الكل ، توسلي لاجل خير عبيدك . فاننا نسألك مصالحةً وغفراناً وجميعنا بايمان نطوّبك[١]

ان الفرق بين النصين ظاهر . فبينا اليوناني ينعت الكلمة المتجسد بأنه انسان تام بفعلين ومشيئتين ، وبالتالي بطبيعتين ، ينعته السرياني بانه بطبيعتين وبمشيئة واحدة كاملة . ولهذا نوافق الدكتور بلاك على ان في النص السرياني تصريحاً جلياً بالاعتقاد بمشيئة واحدة في السيد المسيح .

لكننا نستطيع ان نخالفه بكل صواب في استنتاجه من هذا النص ما يلي : « على ضوء هذا النص الهامّ يلزمنا ان نعيد النظر في ما تفكره بشأن الكنيسة الملكية . فانها ، بالنظر الى الارثوذكسية البزنطية المتأخرة واعتقادها الديوتيلي (ذي المشيئتين) المتشدّد ، كانت كذلك هرطوقية » (ص ١٢) .

ذلك ان نصاً واحداً ، وان جزيل الاهمية ، لا يسوّغ لنا ان نستخلص منه مثل هذه النتيجة ، عنينا إلحاق الهرطقة بالكنيسة الملكية جمعاء .

أيمكن ، كما فعل الدكتور بلاك ، انكار « كل ارثوذكسية سريانية منذ نسطور فما بعد » (ص ١٢) بمثل هذه السهولة . فمن المقرر تاريخياً ان الخلقيدونيين في سوريا ، والملكيين كانوا منهم بمثل الموازنة ، قد ظلوا ، الى زمان طويل بعد نسطور وبعد يعقوب البرادعي ، ارثوذكسيين ، صحيحي المعتقد ، على صعيد واحد من هذا القبيل مع البزنطيين .

١) المخطوط ورق ١٧٢ الف ؛ بلاك ص ١١ : حيث ترجم : في حشاك الطاهر . . ولكنه بمشيئة واحدة جعل مكمّلاً . but with one will made perfect.

٢) انظر ترجمتها في كتاب « المزّي » اي « البارقليطيقي » . طبعة اورشليم سنة ١٨٥٨ ص ٢٥٧ .

لذلك حقَّ لنا العجب من تطويح الدكتور بلاك بكلامه في الموضوع الى هذا الحدّ . وخاصة لانه يصرّح على الاثر بان التعاليم المنوتيلية لم تكن مرذولة في الكنيسة البيزنطية قبل مجمع ترولو الذي حرم المنوتيلية سنة ٦٨٠ ، بل كان يستينيانس وساسة الامبراطورية يحاولون ، بنشر هذه التعاليم التي تفسح مجالًا للاتفاق مع المنوفيسيين ، ان يُصلحوا بين الكنائس السريانية كافة ، على قاعدة قانون الايمان الخلقيدوني (ص ١٢) . فالقائلون اذن بالمنوتيلية قبل مجمع ترولو ، والملكيون من قبله ، كما يؤكد الدكتور بلاك ، لا حرج عليهم .

ولقائل ان النص المنوتيلي وارد في مخطوط من القرن الثاني عشر ، بعد مجمع ترولو بخمسة قرون . فالجواب انه قد يكون اصله من قبل المجمع ، فنقله النساخ وتناقلته النسخ ، على غير هدى ، بدون ان يصح رشق اصحابه ، وبالاحرى كنيستهم ، بالهرطقة .

اما اذا ثبت ان هذا النص قد وضع بعد المجمع ، بحيث يصح عندئذٍ رشق اصحابه بالهرطقة ، فيبقى من الخطل الصاق البدعة المنوتيلية بالكنيسة التي ينتمون اليها . فعمل فرد بل افراد بل فئة ، لا يسوغ تحميل تبعته للمجموع[1]

ء

ما عدا النص المنوتيلي السابق ذكره ، خلطنا في المخطوط نصوصاً اخرى اعتادية ، قد تستوجب الشجب ، غربت عن بال الدكتور بلاك .

لا يجوز في الكنيسة البيزنطية توجيه التريساجيون اي التقديسات الثلاثة إلّا الى الثالوث الاقدس . فاذا خُصّ به الابن ، كما في الطقس السرياني ، فيستغربونه ولا يُقرّونه ؛ واذا أُضيف اليه احدى الصفات اللازمة من جوهرها للابن ، كالتجسد والصلب والموت ، فأنئذٍ ينادون بالهرطقة . من ذلك الزيادة الشهيرة : « قدوس انت يا الله ، قدوس ايها القوي ، قدوس ايها الغير المائت . يا من صلبتَ لاجلنا ، ارحمنا » .

اما في المخطوط فالتريساجيون يوجه الى الابن مرارًا إمّا ضمنًا واما صراحة . ففي « صلاه المترموس » تقع التطويبات الانجيلية بين ترنيمتين :

---

١) راجع مقالنا المذكور اعلاه عن المنوتيلية عند الموارنة والملكيين معًا .

الاولى : « الابن الوحيد » الشهيرة الموجهة طبعاً الى الابن. والاخرى : الموجهة اليه كذلك من القراءات، لمقابلتها للاولى . فهذه الاخيرة تحتوي على ترياجيون (ورة ٥٥ ؛ ص ٨١ و٢٣٧) .

وعلى الاثر ترنيمة، موجهة بصراحة الى الابن، تنتهي بترياجيون موجّه اليه . وتليها ترنيمة بالوضع نفسه لا شك في توجيه الترياجيون فيها الى الابن من خاتمته : مبارك الآتي باسم الرب (ورة ٥٥ ؛ ص ٨٢ و٢٣٧) .

في ساعة نصف الليل، بعد المزمور ١١٨، اربع ترنيمات تنتهي كل منها بالترياجيون، تليه هذه العبارة : « بشفاعة والدتك يا الله ارحمنا » (ورة ١٢٤ و١٢٥ ؛ ص ٩٦ و٣٣٧–٨) .

للساعة السادسة صلاة ختام تدعو الابن باسطاً يديه على الصليب ومع ذلك تنتهي بهذه العبارة : « ايها الاب والابن والروح القدس » (ورة ٥٨ ؛ ص ٨٢ و٢٤٣) .

وهذه الظاهرة عينها، ولكن بدون صفة خاصة بالابن المتجسد، نجدها في صلاة ختام ساعة النوم (ورة ١٠٧–٨ ؛ ص ٩٥ و ٣١٢–٣) .

على ان الجزء الاخير في هاتين الصلاتين يرد بالفاظ واحدة تقريباً . فيمكن والحالة هذه اعتباره قائماً بذاته موجهاً الى الثالوث، ومستقلاً عن الاول الرئيسي الموجّه الى الابن . وقد سبقنا فنبهنا الى ان هاتين الصلاتين خاصتان بالمُرُّ لِحِين .

في ساعة المساء، تلي المزامير ترنيمة الشكر المسائية، فتبدأ وتنتهي بعبارتين توجهانها بصراحة كلية الى السيد المسيح . غير انها تشتمل في وسطها على ذكر الثالوث الاقدس بدون ربطه بعلاقة ما بذكر المسيح : « ايها النور البهج . . . يسوع المسيح . ها قد بلغنا الى غروب الشمس . . . ونحن نرتّم للاب والابن والروح القدس . انك خليق بان تمجّد في كل وقت يا ابن الله الذي تهب الحياة » . (ورة ٧٠ ؛ ص ٨٥ و٢٦١) . الا ان يكون هذا الجزء الوسطي دخيلاً فشطر الترنيمة وشوشها .

ومثل هذه الظاهرة نجدها في احدى ترانيم نصف الليل السابق ذكرها : « من النوم والرقاد اقمني يا رب . . وافتح شفتي لاجد الثالوث الاقدس : قدوس . . . بشفاعة والدتك اللهم ارحمنا » (ورة ١٢٤ ؛ ص ٩٦ و ٣٣٧) .

ان تعبيرًا كهذا لا يسلم من كل مأخذ في نظر المتشددين المتصلّبين في الارثوذكسية الثالوثية ، فيبين لهم فيه اثر ، وان ضئيلًا ، من البدعة النسطورية التي تنسب الى المسيح اقنومًا غير اقنوم الابن ، فتجعل الثالوث رابوعًا . ونحن ، وان كنا لا نجزم في هذا الامر ، لان الترنيمة « ايها النور البهج » ترد بحرفيتها في الهرلجيون اليوناني ، فقد آثرنا الاشارة الى هذه الظاهرة .

هذا وقد المح الدكتور بلاك الى انه « من الممكن ان يتردد صدى متأخر لبدعة اقدم في تيوتكيون من ترانيم المقرزمي يوم الجمعة باللحن الاول » . وقد عُدنا الى هذه الترنيمة فوجدنا فيها ما يلي : « يا للعجب العجاب . . . كيف ، وانت الغير المتألم ، قد قبلتَ الآلام » . ولكنّا لا نرى مأخذًا في هذه العبارة : فالسيد المسيح ، غير المتألم بما انه إله ، قد تألم بما انه انسان (ور ١٤٧ ص ١٢ حاشية ٤ و٣٦٩) .

٤ً النصوص الكتابية : The Biblical Texts : ص ١٢–٢١

يدرّس اليوم حضرة الدكتور بلاك العلوم الكتابية في جامعة ادنبورج في اسكتلندا . فيبحث النصوص الكتابية الواردة في المخطوط . ونحن نكتفي بتلخيص مقاله في هذا الباب ونورده على عهدته .

حتى الآن لم يكن معروفًا من سفر المزامير بالسريانية الفلسطينية سوى خمسة مزامير كاملة ، يحوي منها المخطوط اثنين ويضيف اليها خمسة وثلاثين مزمورًا كاملًا . كما انه يورد التسبحات من العتيقة والجديدة نقلًا عن اليوناني . ويزيد صلاة حزقيا الملك من اشعيا وصلاة منسى من سفر غير قانوني (ص١٢–٣).

وقد لحظ حضرته ان نص هذه الاخيرة يختلف كثيرًا عن نصها اليوناني ، ويتفق في محال عديدة ، وخاصة بزيادات كثيرة وقراآت ، مع نص سرياني ليس من البسيطة ، قد ورد في ديدسقالية الرسل بالسريانية (١٣–٤) .

ثم يبحث اصل النسخة السريانية الفلسطينية للاسفار المقدسة . فيقول انها متخذة عن النص اليوناني المنسوب الى لوقيانُس ، وهو النصّ الكنسي الدارج عند الارثوذكسيين البزنطيين . لكنها في العهدين القديم والجديد تحوي فروقًا كثيرة غير بزنطية ، تتفق مع النسخ الكبرى الاخرى وتختلف عن كل المصاحف اليونانية (ص ١٤) .

ويرى ان هذه النسخة، مثل النصوص الكتابية الجديدة في المخطوط، متأثرة بالنسخة السريانية البسيطة. ويفسر ذلك بان مترجمها او مترجميها كانوا يستعينون بالبسيطة. على ان بعض هذه الفروق، المتوافقة بين النسختين، تشترك فيها النسخ اللاتينية كذلك. فتكون كلتا النسختين، والحالة هذه، عائدة الى مصدر واحد (ص ١٥–٦).

ويتساءل اذا كان بالامكان اكتشاف تأثير ما للترجوم اليهودي على المخطوط. فيجيب ان الامر يبين بعيد الاحتمال، ذاهباً في ذلك ضدّ العالم بومستارك (ص ١٩–٢٠).

وهنا يرى حضرته انه اذا كان عدد من القراآت، الواردة في المخطوط، لا ترد في البسيطة الحالية، فهذا لا يعني انها كانت مفقودة في نسخة العهد القديم السريانية التي استخدمها المترجمون السريان الفلسطينيون او اثرت على ترجمتهم. فانها على الارجح ظاهرة نادرة جدًّا من فروق للبسيطة سابقة لرابولا (ص ٢٠).

وبالنظر الى مثل هذه العلاقة الممكنة بالنسخة السريانية السابقة لرابولا، يعود حتماً اصل الاسفار المقدسة بالسريانية الفلسطينية اقلّه الى ما قبل القرن السادس، وعلى الارجح الخامس. وهكذا كنتيجة هامة لذلك لا يعود بالامكان الادعاء بان الفروق السريانية الفلسطينية، التي لا شاهد عليها من جهة اخرى في التقليد اليوناني او اللاتيني، تشتق من مصدر مصحف يوناني (ص ٢١).

بهذا الاستنتاج تنتهي المقدمة. ويليها بابان. الاول ثبت نقدي: Critical Notes (ص ٢٣–٤٩) بالفروق الكتابية في المخطوط، مقابلة بالنص اليوناني الدارج، خاصة في العهد القديم (ص ٢٤–٤٨). وعلى الاخص في المزامير (ص٢٥–٤١)، وفي العهد الجديد (ص ٤٩).

والثاني ثبت لغوي ابجدي: Vocabulary (ص ٥١–٧٢) بما في الكتاب من كلمات جديدة او معانٍ جديدة لكلمات معروفة، وبامثلة اضافية عن كلمات نادرة او عن استعمال نادر لبعض كلمات. والاعتماد في المقابلة على قاموس فرديناند سكلتس Schulthess.

الترجمة: Translation ص ٧٣-١٤٤

قابلنا الترجمة بالاصل في محالّ عديدة من الكتاب، ولكن بدون ان نتتبع النص ونتقصّى فيه كاملًا. فاذا المقاطع التي قابلناها مطابقة للاصل بنوع عامّ. وان كان بعضها لا يخلو من بعض مآخذ.

بان لنا ان المترجم لا يتقيد دائمًا بحرفية الاصل. فتارة يحمل الفعل وما اليه للمخاطب حيث هو للغائب، وبالعكس. وتارةً حيث يشكل عليه فهم كلمة او جملة، يميل عنها الى النص اليوناني. وطورًا يخطئ قراءة بعض كلمات او يترك الاصل السرياني الواضح، مستعيضًا عنه بما يقرب منه، فتجيء قراءته خطأً. وهذه امثلة عن ذلك.

قلنا سابقًا ما به الكفاية عن الخاتمة حيث ظنّ اسم العلم «نعمه» فعلًا ومفعولًا به. ومن هذا النوع ما جاء بالكرشونية عن السيدة العذراء: «لان فيكي سرًّا ان يسع الغير موسوع المسيح الهنا» (ورقة ١٣٨: ص ٣٥٨) فقرأ: «لان فيك سرًّا، يسوع، الذي لا تستطيع السماوات ان تسعه»، جاعلًا «سرًّا ان» كلمة واحدة «سرًّا»[1].

جاء في المخطوط بالكرشونية ايضًا: «وهذه طروبريات صحيحة علا العربي والروم» [والارجح: والرومي] (ورقة ١٣٤؛ ص ٣٥٢). فترجم: «والطروبريات التالية صحيحة وفقًا للعرب والروم»[2]. فا للعرب والروم هنا كشعبين. ان المراد بدون شك ان هذه الطروبريات صحيحة على [حسب النص] العربي و [النص] الرومي معًا.

ومن المؤسف ظنّه الياء الاصلية في كلمة «اسواعي» ضميرًا للمتكلم. (ورقة ١ و١٤٠؛ ص١٤٧ و٣٥٩). فترجم: «كتاب السواعي خاصتي»[3]. على انه قرأها وترجمها صوابًا في محالّ اخرى (ورقة ١٩٦و٢٩٨؛ ص٦ و١٤٣ — ٤ و٤٤٨ و٤٥١).

(١ ... for in thee is a mystery, Jesus, whom the heavens cannot contain. ص١٠١.

(٢ ... the following are the correct ones Troparia according to the Arabs and the Greeks. ص ١٠ و ٩٩.

(٣ my Book of Hours. ص ٧٣ و ١٠٢.

وقد اصلح بعض كلمات خطأً . من ذلك انه قرأ عن الشهداء : ܘܠܒܟܘ ܠܩܪܒܐ (ور ٧١ ؛ ص ٢٦٣) ومعنى اللفظة الاولى : والبسوا ، والثانية : القتال . واذ لم يستقم المعنى ابدل من ܠܩܪܒܐ كلمة قريبة منها لفظاً وهي ܠܐܪܓܘܢܐ : الارجوان ، وترجم : « ولبسوا الارجوان »[1] . على اننا نرى ان اللفظة الاولى هي ܠܒܟܘ ومعناها : امسكوا ، اخذوا ، فيستقيم المعنى مع لفظة القتال . وهذا التعبير كثير الورود في الصلوات عن الشهداء ، اي قاتلوا ، صمدوا في القتال .

ومنه ما جاء عن السيدة العذراء : « جعل حشاكِ اوسع من السموات » ܦܬܝܐ ܡܢ ܫܡܝܐ (ور ٧٣؛ ص ٢٦٥) . فترك هذه القراءة الصحيحة وابدل ܦܬܝܚܐ المفتوح : من ܦܬܝܐ القريبة منها لفظاً وترجم : « الذي فتح حشاك من السماوات »[2] !

ومنه اخيراً ، في معرض الكلام عن الموتى : « الحل ادم [جسده] في القبر ܐܬܚܪܪ ܒܪܘܚܐ ففرح وصاح » [عند نزول المسيح الى قلب الارض] (ور ١٣١ ؛ ص ٣٤٧) فترك اللفظة على حالها . ووضع عوضها في الحاشية ܒܪܘܚܐ ؟ بالروح ، وترجم : « ادم كان محرراً [من الخطيئة] ففرح بالروح وصاح »[3] الا ان تكون اللفظة ܐܬܚܪܪ : القي ، فيكون المعنى آدم المطروح الملقى في القبر .

ومن جملة ما ترجم خطأً كلمة ܡܡܠܠܬܐ و ܡܡܠܠܐ (ور ٧١؛ص٢٦٣ ور ٧٢ ؛ ص ٢٦٥) . فجعلها نسبة الى ܡܠܬܐ الكلمة ابن الله . وترجم الاولى ، والكلام عن الشهداء ، « حملان الكلمة » ؛ والثانية ، والكلام عن العذراء ، « فردوس الكلمة »[4] . والصواب انها نعت مشتق من ܡܡܠܠܐ : النطق ، الكلام ؛ والمعنى : الشهداء حملان ناطقة بشرية ؛ والعذراء فردوس ناطق بشري .

---

١) ص ٨٦ . who were clothed in[royal] purple.

٢) ص ٨٦ . who did open thy womb from heaven.

٣) ص ٩٨ . Adam was freed (from sin) ; in the spirit ? he rejoiced crying.

٤) ص ٨٦ . the lambs of the Word. Paradise of the Word.

الاصل : The Text : ص٤٤٥–٤٥٢

لم يجتمع لدى العلما. حتى الآن الا القليل من الكتب باللهجة السريانيـة الفلسطينية . فصعب تعريفها بوجهٍ كافٍ وافٍ ، وبالتالي ضبط مفرداتها وتقرير قواعدها .

ونحن نعترف بقصر باعنا فيها وبعجزنا عن التعليق على لغة المخطوط بكثير او قليل . فاننا لا نقرأها الا عن طريق السريانية الفصحى .

الفهارس : ص ٤٥٣–٨

في ذيل الكتاب ، فهارس ابجدية بما انطوى عليه :

من مواضيع : ص ٤٥٣ — ٤ ؛ واسما. مؤلفين وكتبة : ص ٤٥٤ ؛ ونصوص كتابية : ص ٤٥٥–٧ ؛ واقوال الآبا. : ص ٤٥٧ ؛ واسما. قديسين ملكيين : ص ٤٥٨.

وختاماً نود التحذير من اعتبار ملحوظاتنا هذه انتقاصاً لفضل الناشر او حطاً من قدر مؤلّفه . معاذ الله ، ففضله جزيل ومؤلّفه قيّم . اما غايتنا فخدمة قومنا باطلاعهم على هذا السفر النفيس وعلى الدرس الذي وضعه الدكتور بلاك ، فضلًا عن مساهمة ودية مع حضرته يتمكن بها ، بالطريقة التي يراها ، من استدراك ما كان . وليست العصمة لبني البشر .

اميل مبارك شاعر الضيعة

ونابغة الشعر اللبناني العامي

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

في الثلاثين سنة الاخيرة قد اشتد في لبنان رواج الشعر العامي ، ومن اوضح الادلة على ذلك كون خمس مجلات اسبوعية على الاقل ، مختصة به ، قد ظهرت في بيروت ، وهي « امير الزجل » ، « بلبل الارز » ، « العندليب » ، « الشعر القومي » ، « الزجل اللبناني » . بيد ان معظم القصائد العامية – اذا استثنينا بعض النوابغ الذين يُعدون على الاصابع ، مثل رشيد نخله ، « شحرور الوادي » ، ميشال طراد ، عبدالله غانم ، الزغني ، السبعلي – يدور محوره حول مواضيع مبتذلة ، خالية من عمق الفكر وسمو العاطفة ، مشحونة بالخيالات والتعابير المنتحلة . اما لغته فهي مشوهة شبه معانيه ، لانها خليط كريه من اللغتين الفصحى واللبنانية ، لا يستسيغه هُواة الاولى ويمجّه المغرمون بالثانية من ذوي الثقافة العالية والذوق السليم . ولا بدع بذلك في نظر الواقف على شؤون الالسن وتطور آدابها ، فانه موقن ان جميع اللغات العامية ، كلما حاولت الارتقاء الى المستوى الادبي ، تخشى الظهور بثيابها البسيطة ، فترى بوهم باطل ضرورة تحسينها برُقع من حُلل امها ، اللغة الادبية القديمة ، مع ان الترقيع ملازم للتشويه مهما كان جمال الرُقع .

اما النوابغ فانهم لا يلجأون الى تلك الحيلة المنكرة ، بل الحلية المسروقة ، لان لهم من قرائحهم الفياضة بالافكار السامية والعواطف النبيلة والخيالات المبتكرة ما يبلغ به شعرهم ، مع لغته العامية ، اوج الحسن الادبي . فهُم اذًا رُواد الادب الشعبي ، يشقّون له بعبقريتهم مهايع جديدة قد انطبعت عليها آثار خُطاهم الجريئة ، فلا يلبث ان يأتي بعدهم من يُقفي عليها بدون عناء . وايم الحق ان اميل مبارك لجدير كل الجدارة بان نعدّه في طليعة اولئك الافذاذ المعرضين عن ذل الانتحال والمبدعين مادة قريضهم وصورته ابداعاً ، مستخرجين

اياها ، لا من قصائد اسلافهم ، ولو كانت فرائد ساحرة ، بل من اعماق ارواحهم ومن صميم الطبيعة ، التي كانت منذ القدم ولا تزال الى منتهى العصور مورد الهام لا تنضب مياهه ، مهما كثر عدد المستقين .

لقد اسعدني الحظ بمعرفة اميل مبارك منذ نحو سبعة عشر عاماً ، اذ ضمني واياه مجلس من مواليد الاتفاق ، فتحادثنا في شأن الادب العامي واعوجاج طريقته المألوفة ، فاتضح ان لنا فيه رأياً واحداً . ثم صرح لي بانه من هواة الشعر العامي ، فاخذ ينشد بلهجة حية مؤثرة ، عدة قصائد متنوعة من نظمه ، فوجدتها من الروائع التي تسوغ مقارنتها بابدع ما جادت به قرائح اعظم شعرائنا المتقدمين والمتأخرين باللغة الفصحى .

وُلد مبارك في ضيعة عينطورة الزوق بلبنان سنة ١٩٠١ ، وتخرج في مدرستها الثانوية الشهيرة للآباء اللعازريين . بعد ختام دروسه فيها توظف ثلاثة اعوام في شركة السكك الحديدية المعروفة ، ثم انتقل منها سنة ١٩٢٣ الى مهنة التدريس في بعض معاهد الحكومة اللبنانية .

ظهرت الطبعة الاولى من ديوانه « اغاني الضيعة » في القاهرة سنة ١٩٤٦ ، وهو كُتيب بقطع صغير ، لا تشغل قصائده سوى ٥٠ صفحة . وقد صدّره حبيب جاماتي بمقدمة بليغة وصف فيها سرعة انتشار صيت شاعر الضيعة في لبنان ومهاجر اهله ، وصفاً دقيقاً ليس فيه ذرة من المبالغة ، فنقتطف منه العبارات التالية : « اغاني الضيعة هي اليوم على كل لسان ، ينشدها الغني في قصره والفقير « في كوخه ، ويطرب لها اللبنانيون جماعات في سهراتهم امام المواقد شتاء ، وفي « حلقاتهم على ضفاف الغدران صيفاً . . . وقد تجاوزت اغانيه حدود لبنان ، « ولا غرابة في ذلك ، فليس للبنان حدود بفضل مهاجريه ، فنصف لبنان مقيم « ونصفه الآخر مغترب . واللبناني دائم الحنين الى وطنه حيثما سار واينما حط « رحى الترحال . واغاني الضيعة اللبنانية لشاعر الضيعة اللبناني قد اقتبست « شيئاً فشيئاً الى حياة المهاجر في غربته ، فاختلطت بها . وهي الآن تنبعث « من افواه اللبنانيين المغتربين في مشارق الارض ومغاربها ، حاملة تحياتهم « وتحيات ابنائهم ، ممزوجة بالوفاء والشوق ، الى وطنهم الاول في عهده السعيد « الجديد ، عهد الحرية والاستقلال والسيادة » .

مما يزيد صحة هذه الاقوال ان فخامة رئيس الجمهورية السيد كميل شمعون ، بعد عودته من زيارة المهاجر اللبنانية في اقطار اميركة ، قد اكد لاميل مبارك ان شهرته في تلك البلاد لا تقل عما هي عليه في وطنه ، وان الجاليات اللبنانية قد ادخلت في برامج الحفلات المقامة اكراماً لممثل لبنان الاعلى ، انشاد بعض اغاني الضيعة ، وعبّرت له عن شوقها الحار الى مشاهدة ناظمها النابغة .

من يستغرب بعد كل ذلك كون الحكومة اللبنانية قد اخذت على عاتقها نفقات الطبعتين الثانية والثالثة لديوان مبارك النفيس ? قد صدرت الثالثة بآلاف النسخ في ايار ١٩٥٤ من مطبعة اليسوعيين في بيروت ، حاوية نحو مئة وعشرين صفحة ، وفيها الحان لكثير من القصائد وضعها السيد جورج فرح رئيس القسم العربي في المعهد الموسيقي .

ليس مبارك من الشعراء المكثرين الذين لا يكادون يدركون الدرجة الوسطى من الاتقان لفرط اكثارهم . انه يؤثر الاجادة على الوفرة ، ونعم الايثار ! قال لي سنة ١٩٤٠ انه لم ينظم سوى ست وعشرين قصيدة ، وان كلًا منها قد اقتضى نحو شهر من الاكباب على تمحيصها ، بل قد استغرقت هذه العملية زهاء اربعة اشهر في احدى قصائده ! اما لغته فهي العامية المحضة ، ما عدا بعض فلتات قلمه او الاضطرار في ظروف نادرة الى استعمال كلمة فصيحة للتخلص من مأزق الاوزان والقوافي ، مما يُعذر عليه .

لغته رائعة بكثرة الفاظها وتعابيرها ، الدقيقة المعاني ، اللذيذة الرخامة ، فلا تجد فيها حشوًا شائناً ولا ابهاماً مستهجناً . فضلًا عن ذلك يتحاشى في الغالب عن استعمال الكلمة ذاتها مرتين متقاربتين ، ولا يألو جهدًا في انتقاء اوفق الالفاظ للدلالة على المعنى المقصود ، مهما كلفه ذلك من الوقت والعناء . كفى شاهدًا على ذلك ما باح به لي من انه لم يهتد الا بعد شهر كامل من التنقيب الى هذا التعبير الدقيق « طرق المزراب » ، الوارد في قصيدته « العبا والتنوره » . فلا غرو من مبادرة الجرائد والمجلات الكبرى واذاعة لبنان وغيره الى نشر كثير من اغانيه .

معظم شعره وصفي ، يصور فيه على الاخص جمال وطنه المحبوب ، وقد

ابدع كل الابداع في وصف محاسن ربيعه وخريفه وشتائه ؟ اليكم قصيدته « الربيع » :

طل المعطّف عا لبنان ،	لبست مسلحا الوديان ،
سرح بالحقل الفرفور ،	النحله حامت عا البستان ،
رجع عا الغيضه المصفور ،	عا السهل طار الفرفور ،
المرجه فرشت ارضا زهور	تـا تنيّم قمر نيسان .
عا العلّيقه بان كبوش ،	طلّوا جلابيط المشوش ،
بالنده العشب مطروش	متل حبات المرجان !
الشجره صارت تمطي فيّ ،	ما بنتطلع لتقول « خيّ !»
حن الصخر وطلّع ميّ	تا تشرب منو الرعيان .
فاحت ريحة الزهره	فوق التلال المنحدره ،
ومن تحت وراق الخضرا	طل بنفسج النعسان .
صوت الطير ، خرير النهر	تسبّح الله طول الدهر ؛
.صاح الديك بشق الفجر :	«سبحان الخالق ، سبحان!»

اليست تلك الابيات الفتانة ابداع مصور يشاهد منظراً من مناظر الطبيعة بنظره الثاقب الذي لا تخفى عنه خافية من دقائق الاشياء ، ثم يفرغ كنانة جهده في تمثيل كل منها وفقاً للاصل ؟

بقدر ما ابهجنا وصفه لربيع لبنان نأسى عند سماع قصيدته في شأن الخريف :

ليكي ، يا اختي ، المرج كيف نام ودبل ؛	شوفي الزهور متشرنه فوق التلال ؛
وليكي الطيور مدشره كروم الجبل ؛	وطولوا ليالي السود واحمّ القمر !
شوفي البحر كيف اكتسى قمقان سود ،	وشوفي رمال السهل كيف نصبت عمود ؛
وشوفي الغيوم مزنره روس الجرود ؛	بطيات لحف الغيم نام بدر المتعب .
قومي الحقيني ؛ يلّا ضامو التعب ؛	جيبي المناجل ؛ ما بقى عندنا حطب ؛
فطسو الجدي واسودّ عنقود العنب ،	وراح لطف الصيف وجانا الزمهرير !
لا ترعلي عا الصيف ؛ ما بدّا بكي ؛	طيّب خريف بلادنا ؛ ما بيشتكي ؛
قديش بالغربه في ناس بتشتهي	قدم يجنب النار عا شقفة حصير !

كأن هذه الابيات قد خيمت علينا سحائب الخريف المتلبدة الدكناء ، فينقبض لها صدرنا فوراً . اما وصف مبارك للشتاء ، الذي تنطوي عليه قصيدته

« العبا والتنورة » ، فهو يفعم قلبنا نعيماً وحبوراً بما احتوى من محاسن ذلك الفصل الجذ ، وقد صورها الناظم بريشته الرشيقة تصويراً يضم الايجاز الى الاعجاز :

ما حلا الشته وما حلا البرد ،	لو عندك مونه بتكفاك ،
وندفة ثلج وطق السّرد ،	والقعده حد الشباك !
ما حلا الهوا بوسط الناب ،	وما حلا الكبوه حد النار ،
والرعد وطرق المزراب ،	والدوري اللاطي بالدار !
يا ما حلا زت النقناق	وصوت السنه والشحرور ،
وما حلا العيله بفرد لحاف	وسراج زيت شحيح النور !
ما حلا خرير الوادي	وبيت صغير وحاكوره ،
وما حلا يوم اللبّاده	والعبا والتنوره !

يحب مبارك الترنم بمحاسن لبنان المتنوعة بتنوع الفصول ، على انه كلف اخص الكلف بوصف جمال العيشة البسيطة ، الهنيئة في حماه المحبوب . عيشة بعيدة كل البعد عن ابهة التمدن العصري وبذخه ورفاهيته ، بيد انها مترفعة عن ضجته الناهكة لاعصاب الجسد وطمعه الاشعبي المضني بل المفني لاسمى قوى النفس ، ولا سيما عن فساده المتفاقم الهائل ، الذي يدهور الانسان الى ما دون مستوى الحيوان . عيشة فقرية ، ولكن القناعة تغنيها عن الثراء وتزيل عنها همومه الدائمة الفادحة . عيشة تقشفة ، على ان لذة الشغل المجهد وطهارة الاخلاق الموروثة من الجدود تفيض عليها من السعادة المحضة ما يغبطها عليه اصحاب الملايين ! لا نرى نداً لشاعرنا المفلق في تصوير هنا. تلك الحياة الخالية من ضروب الاكدار ، المضارعة اصفاء سماء لبنان الربيعية . اليكم قصيدة من غرر قصائده في هذا الشأن :

لو في عندي حاكوره	وكرم وعزال ،
ورحمة الله ، بتكفيني ؛	ما بدي مال !
ولو ان الارض فراشي	ولحافي الليل ،
كنت بعيش عيشه هنيه ،	مرتاح البال !
بقوم عا بكره بتنشق	عطر الورود ؛
بقطف من قاب الداليه	لابني عنقود ؛
بسوق بقراتي قدامي ،	بروح عالبرود ،

بفلح ويزرع في ارضي بزور الآمال !
بسرّب وبلاقي القِدره بعدا عالنار ؛
بلاقي ربّي وولادي راحوا مشوار ؛
بلاقي الكلبه ملتقحه بقلب الدار ،
وامي قدام العتبه ، بايدا مغزال ؛
يا ريت عندي حاكوره وكرم وعزال !

لقد ذاق مبارك طول طفولته نعيم تلك العيشة النقية ، الهادئة ، ثم حالت بينه وبينها اعوام الدراسة ، وبعد انقضائها تحتم عليه ، كما على آلاف من امثاله ، ان ينحدر من ضيعته العزيزة الى المدينة طلباً للارتزاق ، فلم يُنسه محيطه الجديد ، مع كل ما فيه من زخارف حضارة سريعة الترقي ، ملذات سنيه الاولى التي قضاها في حضن الطبيعة الرؤوم ، لا يدري من الحياة سوى اطايبها ومسراتها ؛ فهو لا يزال يتوق الى البيت الذي اظله في طفولته الرغيدة :

كنت صغير وصرت كبير ؛ برمت بلاد المسكونه ؛
غني عشت وعشت فقير ؛ ويا ما شفت بزماني ؛
وما في شي عا بالي بينّ غير البيت اللي ربّاني !
ما احلى الضيعه والزقات ، والراعي وصوت المترات ،
وما حلى خرير الشلالات تحت شلاح السنديانه !
يا ترى برجع شي يوم بشوف البيت اللي رباني ؟
ما حلى الكرم بشهر آب ، والشمس عند الغياب ،
والتلفيحة على التراب وتيلة بسط وغناني !
بفضّل بيتي ، ولو خربان ، على البلاد العمرانه !
ما حلى يوم الكنت صغير ، تفنوط عشوش عصافير ؛
ما حلى المورج ، ما حلى النير والبيدر والبلانه !
يا ترى برجع شي يوم اسكن بيت اللي رباني ؟

اذا لامه لائم على ذلك الشغف بحياته السالفة في مسقط رأسه ، فانه يهب فوراً ، كالممسوس في حدقة عينه ، للدفاع عنها وتفصيل محاسنها الجمة وافراحها الساذجة ، التي لا يشوب حلاوتها شيء من مرارات عيشة المدن المضطربة :

بتسألني : «شو في عندك في الضيعه نا انك مهتم ؟

« نسيت، يا روحي، بيت جدك	والمبور ودرب الكرم؟»
« بالضيعه عندي حفله ،	بتطاملا عشرين دراع ؛
« يا ما زرعناها بقله	وحوّشنا منا زوباع !
« في عندي القعده بكّير	تحت صنوبر ضيعتنا ،
« وترويقه قُرّه وجرجير ،	بتسوى الغربه وعيشتنا !
« عندي خلف البيت جبال	بتخبّم عاكرمتنا ؛
« يا ما اصطدنا فيها حجال	ويا ما رعيت قُرقتنا !
« يا ما عبّينا السله	تين اسود من تينتنا ،
« ويا ما لبنا عا التله	نحن وبنات جارتنا !
« عندي القعده بيت جدي	وعِشرة حنّه وبو طنوس ،
« وللعب عندي شدّه ،	وعنـدي للسهره فانوس .
« وفي عنـدي قرصنّـه	وبركه صنبره ونوفيره ؛
« سماع مني ؛ رجـاع تانتني	عا بجّات المتجـبره !

قد عبّر مبارك عن مثل تلك المعاني الجميلة في قصيدته « وادينا » و« عنت عا بالي الضيعه » ، اللتين يحول ضيق المقام دون ذكر مقتطفات منها. اذا قابلناهما بالسابقتين ، تجلت لنا فورًا مقدرة الشاعر الغريبة على معالجة الموضوع ذاته مرارًا عديدة مع الابتكار الدائم في الخيالات والتعابير ، بل في الاوزان ايضاً ، وفي ذلك حجة دامغة تشهد بنبوغه .

ان هيامه بلبنان يثير في فؤاده ذكر اخوانه المهاجرين ، وقد فرّق الدهر شملهم في الخافقين . فاذ ارخى المسا سدوله على وهاد لبنان وهضابه ، ونشر جرس التبشير رناته الشجية بين الظلال المتكاثفة ، هاج الحنين الى النازحين روح الشاعر الفائقة الرقة ، ففاضت باشعار تتبارى فيها حرارة العواطف وبهجة الخيالات الجديدة :

دقت جراس الدير	دقات النيـاب ،
وطل القمر نا الليل	يحلي للغياب .
بانوا طيور المرج	وسبت السكوت
بيوشوش الوديان	بظل الضباب .
ظل القمر بيهل	بحضن المسا ،

نـا القلوب تحن ويلـبن الامي !
يا قلب، ضمّ صبور بين عل وعى،
بركي الامور تهون ونشوف الحباب !
بركي الامور تهون ويروح الزعل،
ويفتحوا الزهرات بروج الامـل.
لـبدّ ما بديارنا يفـاتي الحجل
ويلتقوا الغيّـاب من بعد النيابه!

يجيد مبارك الشعر الرمزي اجادتـه للوصفي والعاطفي ؟ دونكم مثلًا « عنات الناعوره »، وهي حافلة بالرموز اللطيفة الواضحة، فضلًا عن الملاحظات والمغازي الصائبة :

ليكي النـاعوره من بعيد مبيّنه، ومروج خضرا بالزهور مزينه ؛
دولابا بيدور وبيبقى الزهور ؛ صارلو سنين وايام والدنيه دنه ؛
بكفاك، يا دولاب، برم وعنعنه !
ليكي الناعوره كيف بتسقي القطع، والنحل عميمص زهرات الربيع ؛
دنية شقا وجهود ما إلها شفيع ؛ عاكتاف الفقير بيعيش الغني ؛
بكفاك، يا دولاب، برم وعنعنه !
بكفاك، يا دولاب، تسقي هالسجر، وتسقي المواشي وضامن شقال البشر ؛
شربوا الميّه الصافيه ورميوا الحجر، وما كنت إفهم ليش عاشق ها الدنه !
بكفاك، يا دولاب، برم وعنعنه !
خفّف البرمات ؛ مش موجود حدا يقر بالمعروف ؛ جميلك راح سدى ؛
عنـات صونك صارخه ملو الفضا : « مظلوم ! دلوني عـا العيش الهني!»
بكفاك، يا دولاب، برم وعنعنه !

تلك بعض النموذجات من آيات اميل مبارك في الشعر العامي، وهي على رأينا من اجمل مفاخر لبنان في ميدان الادب العصري! بل يلذ لنا ان نرى في انوارها البهية والوانها الفتانة انبلاج فجر جديد، فجر الزجل اللبناني المتحرر في معانيه واوزانه من قيود الانتحال والابتذال، وفي لغته الشعبية المحضة من آفات الاختلاط باللغة الفصحى ! وحسب اميل مبارك، اجرًا لعناء نظمه، ان يكون ديوانه الضئيل بحجمه والعظيم بقدره مجلى سطوع ذلك الفجر المجيد !

تعريف عن الكتب

الديارات للشابشتي

حققه ونشره كوركيس عواد

١٩٥١ بغداد . مطبعة المعارف ٣٧٠ صفحة ، ٢٣ × ٣٠ سم ، ثمنه دينار

طالما تطلعنا الى نشر كتاب الديارات للشابشتي وتشوقنا ان يتاح لنا تصفحه والاطلاع على ما احتواه متنه ، فالشكر للسيد عواد على اتحافنا بهذا السفر النفيس الذي لم تنج من نسخه الا نسخة واحدة في مكتبة برلين وهي بتراء قد ينقصها على راي الناشر نحو الثلث . لكن ما سلم منها لا يزال ذا قيمة كبيرة . وصف حبيب الزيات الكتاب بانه ذخر للمؤرخ وغنية لكل اديب ، لما ورد فيه من الاحداث التاريخية عن بني العباس وامرائهم ووزرائهم ومن عاصرهم من ادباء وشعراء وندماء ومغنين ، ومن الاشعار التي ما سلمت من الضياع الا به ، فضلاً عن الاديرة التي وصفها فحفظ لنا اسمها وتزراً من المعلومات عنها لان اكثرها قد زال من عالم الوجود بتاتاً .

قدم الناشر للكتاب بتقدمات عدة ضافية وافية فذكر الظروف التي يسرت له فرصة نشره ، والسنين التي قضاها في التنقيب عما نقله الاقدمون منه ليجعل من تلك البواقي مصدرا لمقابلة نسخة برلين بها وتحقيق السفر على خير وجه . وذكر تنقيبه في دواوين اللغة والادب والشعر والتاريخ الخ للتحقق من صحة الاسماء الواردة فيه . واول الاسماء التي جلاها اسم المؤلف نفسه فالشابشتي كلمة فارسية مركبة من شاه پشتي ومعناها من يحافظ ظهر الملك . ثم ترجم لحياته واحصى مؤلفاته (الضائعة) وعرض نهجه في كتاب الديارات حيث لم يورد الا كل ما لذ وطاب من مستملح الاخبار وبديع الصفات . فكل دير اطال الشابشتي الكلام عليه يكاد ينفرد باستيعاب اخبار شخص من اعلام الادب او السياسة او الادارة . ثم اتى المحقق على الكتب العربية القديمة الباحثة في الديارات فذكر عدداً منها دالاً على نسخها ومواطنها .

اما المتن فيشمل قصة ٥٣ ديراً . الا انه كان يحوي على رأي الناشر

اكثر من ذلك لان نقولا قديمة تذكر اديرة ليست واردة فيما تبقى منه لدينا . وطريقة الشابشتي ان يعيّن موضع الدير والمدينة ويصف ما يحيط بالدير من اشجار ومناظر تميزه عن غيره ، ثم يستطرد الى ذكر الزيارات واهل البطالات والتطرب واللذاذات ، والاسمار والملاهي والفكاهات . فلا ينخدعن القارئ بالعنوان فيحسب انه قد يصل الى الاطلاع على كنه الحياة الرهبانية . فالمؤلف لا يبالي بالحياة الروحية ولا يبغي ان يتفهم منها شيئاً . فغايته الاطراب والعبث واللهو . لذا نرى في النص وفي الاشعار تعابير كثيرة مدارها في الغالب على الجواري والغلمان والخمر والتغزل بالرهبان والراهبات. وقد ابقى الناشر عليها كاملة محافظة منه على سلامة المتن . ويعلق الناشر على النص تعليقاً من اكمل ما يتمناه القارئ المدقق . فانه لا يترك كلمة او شعراً او واردة الا ويحققها ويذكر مصادرها .

وهو لم يكتف بهذا التعليق الضافي على النص فانه ذيّل الكتاب بذيول عديدة منها جدول مسهب مفصل عن كل من نقل من الاقدمين عن الشابشتي.
وذيل عن الديارات في المراجع العربية الحديثة .
وآخر عما ضاع من ديارات الشابشتي .
ثم اضاف ٢٨ ذيلًا تبسط فيها واكمل وصف كل دير بما وصلت اليه يده من المعلومات عنها سواء في الكتب او من بعض الادباء المعاصرين اليوم ثم اثبت التصويبات والاستدراكات واتبعها بفهارس عديدة ايضاً :

فهرس لاسماء الاشخاص .
وفهرس لاسماء الامم والقبائل والجماعات والملل والنحل .
وفهرس لاسماء الامكنة والبقاع والديارات والاعمار والكنائس .
وفهرس لاسماء الكتب والرسائل والمقالات والمجلات والجرائد .
ثم فهرس لآيات القرآن والاحاديث . . .
ثم فهرست القوافي .
ثم فهرس عمراني عام اورد فيه الالفاظ الدخيلة والمصطلحات . . .

لا نبالغ اذا قلنا ان عمل الناشر عمل جبار قد جعل من هذا السفر موسوعة تفيد فائدة جليلة فاستحق ان يُثنى عليه ثناء جليلًا ويُشكر شكرًا جميلًا. ي.ع

تاريخ العرب قبل الاسلام

الدكتور جواد علي

الجزء الثالث من القسم السياسي ١٩٥٣ . بنداد (مطبوعات المجمع العلمي العراقي)
٤٦٤ صفحة ٢٨ × ١٨ سم . مصور .

هذا الجزء هو الجزء الثالث من القسم السياسي تاريخ العرب قبل الاسلام الذي وقف الدكتور علي نفسه على وضعه ونشره ضمن مطبوعات المجمع العلمي العراقي . ولقد لازم نفس الاسلوب الذي اختطه في الجزءين السابقين فابقى على الرموز التي اصطنعها للكتب التي استعان بها واجل سرد اسماء مؤلفيها وجميع الفهارس على اختلافها الى خاتمة اجزاء الكتاب لنفس الاسباب التي اوردها من قبل .

اما مادة الكتاب فانها مقسمة الى سبعة فصول الاربعة الاولى تتداول مملكة النبط ومملكة تدمر ومملكة سبأ وتوابعها ثم مملكة كندة . نشأت مملكة النبط في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب بضعة قرون قبل الميلاد وقضي عليها في اوائل القرن الرابع بعد الميلاد . فيذكر المؤلف ما قاله المؤرخون الكلاسيكيون ويوسيفوس فلافيوس ، ثم ما ورد عنها في الكتابات النبطية واللاتينية وغيرها التي عثر عليها المنقبون ؟ فيستخلص من ذلك ان النبط عرب ارتحلوا من شرق الاردن حوالى ٥٨٧ قبل الميلاد ونزلوا ارض ادوم وحلوا محلهم . وهم في نظره اقرب الى قريش لمشابهة واضحة في الاسماء المذكورة في الكتابات . والحارث وهيرودس هم من مشاهير النبطيين الوارد ذكرهم هنا .

وتدمر اشهر ممالك الصحراء الشرقية فيبحث في اصل اسمها وفيمن تولى الحكم فيها كأسرة اذينة ثم الزباء . وما جرى لها من الرفعة تارة ومن الخذلان اخرى من قبل الرومان الذين جعلوا من تدمر مستعمرة رومانية . ولقد دل على الاماكن التي تحتاج الى تنقيب لاخراج ما تخفي في بطونها من آثار قد تساعد على معرفة تاريخها معرفة ادق . ولقد اكثر في هذا الفصل من الصور التي تشهد لتدمر بتقدم الفن فيها . لا تزال معلوماتنا عن سبأ ضئيلة لكن القارئ واجد هنا اموراً تروقه وتفيده مثل اسماء امكنة وملوك ودرسا مطولا

لثلاثة نصوص مؤرخة وطويلة وهذا نادر في الكتابات الحجرية العربية القديمة.
النص الاول مؤلف من مائة سطر ومؤرخ بما يناسب سنة ٤٤٩ م جاء فيه ذكر الملك شرحبيل يعفر واعادته لبناء سد مأرب عاصمة سبأ مع ما انفق عليه من الاموال وهو اول وثيقة ترد الينا عن تصدع هذا السد الشهير. والنص الثاني سنة ٤٦٧ م. ورد فيه اسم شرحبيل يكف. والنص الثالث خلفه لنا القائد الحبشي ابرهة وهو طويل يبلغ ٤٧٠ كلمة في ١٣٦ سطراً اورده المؤلف مصوراً في ثلاث صفحات وهذا دليل على ما لهذه الوثيقة من الاهمية في نظره. ويلاحظ ان النص يبدأ بهذا الكلام: بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطروا هذه الكتابة». ثم يذكر ترميم سد مأرب ذي المكانة الخالدة في القصص العربي وتجديده مرتين في ايام ابرهة، الى ثورات قامت فقمعها بشدة. ثم ان القارئ يطلع على ما لدينا من المعلومات عن شهداء نجران وانتشار المسيحية واليهودية في تلك البقعة من الجزيرة العربية. واهم ما نعرفه عن مملكة كنده اسمها وبعض افراد لا غير كالحارث بن عمرو وامرئ القيس الشاعر والسموأل.

الفصل الخامس والسادس يحتويان عرضاً ونقداً مفيداً لما جاء في ثلاثة كتب ذات اهمية كبرى اعني بها كتب بلينيوس، وكتاب الطواف حول البحر الاريتري وجغرافيا بطليموس من حيث تذكر الاعلام والاخبار لا من حيث تذكر الابعاد والدرجات. ويعرض في الفصل الاخير ما جاء في الكتابات اللحيانية والصفوية والثمودية، وكتابة النمارة الشهيرة التي تزين قبر امرئ القيس الملك.

ليس هذا الكتاب كتاب تسلية انما هو كتاب علم لم تكتمل مقوماته بعد، فمن الواجب على العربي الواعي ان يشكر فيشجع من يعمل في هذا الميدان ويقبل على قراءة ابحاثه وان لم يجد فيها ما يشفي الغليل. ي.ع

طوق الحمامة لابن حزم

ترجمه الى الانكليزية A. J. Arberry

١٩٥٣ . لندن . نشره لوزاك وشركاه. ٢٨٨ صفحة ٢١×١٣ سم . ثمنه ٢٥ شلنا

ان لابي محمد علي بن حزم الاندلسي (٩٩٤—١٠٦٤) شهرة راسخة في عالم

الفكر بفضل ما وضع من مؤلفات ضخمة في العلوم الاسلامية اشهرها كتاب الفصل في الملل والنحل وكلها من ضرب واحد الا هـذا الكتاب الذي نحن بصدده ، فهو فريد في الادب العربي القديم وفي مؤلفات ابن حزم نفسه وضعه يوم خذله الحظ بسقوط المستظهر اخر الامويين في الاندلس وكان له من العمر حوالي الثلاثين . وموضوع كتاب طوق الحمامة ومداره على الحب ما هو وما هي اعراضه واحواله وافاته وعلاجاته وذلك في ثلاثين باباً منسقاً اورد في كل باب منها ما حضره نثراً وادمج ما ناسب المقام شعراً كله من نظمه . فاستمان بما قاله الفلاسفة في طبيعة الحب وزينه ببعض الاخبار عن مشاهير العشاق مستشهداً ببعض ما حصل له في هذا الميدان في مقتبل شبابه ومناشداً قراءه بالتمسك بالدين ونواهيه الواردة في القرآن فجاء كتابه مزيجاً من التحليل النفساني الدقيق والزجر الرفيق مع عرض مشوّق للذاذات حسية وحركات واشارات نابية — على قلتها — قد تستوقف النفس الامارة بالسوء قبل ان يردعها وازع الدين.
على ان الكتاب ذو قدر وقيمة لاسباب منها انه ملخص لاختباراته الشخصية وللملاحظاته الدالة على دقة فهم ونفسانية لا تخلو من شهامة ونبالة ، وانه يطلعنا من خلال ما يتمثل به على حالة المجتمع في عصره ، ثم لانه مؤلف بالمعنى العصري لا مجموعة اخبار تتتابع عادة في الادب العرب دون تسلسل ولا انتظام ، فهو مؤلف قائم بذاته تترابط اجزاؤه ويكمل بعضها بعضاً فتجعله جديراً بالترجمة الى اللغات العصرية . ليس له الا مخطوطة واحدة في مكتبة ليدن نشرها الروسي بتروف سنة ١٩١٤ . لكن عدة علماء اخذوا بتنقيحها وترجمتها الى الانكليزية ١٩٣١ والالمانية ١٩٤١ والايطالية والفرنسية ١٩٤٩ والاسبانية ١٩٥٢ ثم هذه الترجمة التي افادت مما تقدمها وضوحاً وجزالة . فهي جيدة جداً في الجزء المنثور . اما الشعر وهو كله من نظم ابن حزم الذي تغلب عليه المنطقية ولا يتوفر فيه الخيال فان المترجم قد نقله شعراً بوزن وقافية فجاء مستساغاً للقارئ الانكليزي لكنه ربما ابتعد عن النص العربي في تشابيهه واستعاراته في بعض المواضع . غير انه قد حسّن النص العربي فاستحق بصنعه هذا شكر ادباء العرب بما اضفاه على هذا الكتاب من فنه الخاص .

ي. ع

Gabriel Saadé — *Ras Shamra. Ruines d'Ugarit*, In-16, 130 pp., 14 fig. 2 plans. Imprimé à Beyrouth, Imprimerie Catholique 1954.

ليس من السهل ان نوجز للجمهور والسياح كل ما هو معروف عن راس شمرا اما مؤلف هذا الكتاب الشيق فاطلع على اكثر من ٥١٠ مصنفات نشرت على اوغاريت (مدينة الملك القديمة القائمة على الرأس الداخل في البحر) وانما ليس مصنف واحد من بينها يعطينا لوحة كاملة واضحة ناجزة للمكان وموضعه، ومع ذلك فان فضل الاستاذ ج. سعاده قائم على كونه عرض بشكل جواب نتائج التنقيب الجوهرية التي ادارها الاستاذ كلود شافير من سنة ١٩٢٩.

وهذا الكتاب يشتمل على قسمين، تاريخ اوغاريت، ولوحة حضارتها. اما بيان ابجديتها وكتاباتها فيستغرق من الصفحة ٢٣ الى الصفحة ١٠٠، ويسير القسم الثاني بزائر هذه المدينة الذي عرف ما ينبغي له ان يعرفه من دراسته القسم الاول من الكتاب بين الآثار ويميز الحي الرسمي (القلعة والقصر والمعبد واحياء المدينة التي كانت تتجر مع منطقة بحر ايجه وآسية ومصر.

وفي هذا البحث نقطة واحدة تستوجب بعض التحفظ بصددها وهي وان كان الاوغرتيون قد اخترعوا الابجدية مسمارية من ثلاثين علامة فانه لا يبدو صحيحاً اعتقادنا «ان اصل الابجدية اليونانية السوري» هو جازم لان بحث صور اقدم حروف الابجديات اليونانية والاسماء التي كانوا يطلقونها عليها يدل على استعارتها من الحروف الفينيقية لا من الابجدية المسمارية تلك الحروف التي استخدموها يوماً في جبيل «بيبلوس».

فلندع للفينيقيين فضلهم في اكتشاف الحروف الابجدية التي اصبحت ابجدية الغرب برمته.

ر. م.

Bibel-Lexikon, *herausgegeben von Herbert Haag, Professor der Alttestamentliche Exegese, in Verbindung mit A. Van den Born und zahlreichen Fachgelehrten*. In 40 26/17 c. Benzinger, Einsielden Zürich et Cologne Première livraison parue en 1951. sixième (Matthäus-Personennamen) en 1954, septième (Petra — Sichem) en 1955.

اشار ناشر قاموس التوراة الجديد اشارة صريحة في مقدمته المقتضبة الى الهدف الذي وضعه نصب عينيه فقال ان الحاجة الماسة التي طفق يحسها العاملون باللغة الالمانية الى كتاب واضح في تفسير التوراة الحديث وما رافقه من تقدم كبير قد فرضت عليه ان يحث الخطى في اظهاره وكان ومن المرغوب فيه ان يضع بعض الوحدة في كتابته.

فالقاموس (Bijbelsch Woordenbœk) الذي نشره في (Roermond) سنة ١٩٤١ (A. Von du Borm) يطبق على وجهات نظره فلذلك قام بالاتفاق مع زميله الهولاندي ومساعدته باتحافنا بكتاب هو ترجمة الكتاب المذكور الجوهرية.

واذ بلغ الى اكثر بقليل من ١٣٠٠ عمود عند الحرف (P) فلا يقوى هذا الكتاب على ان يكون اكثر من ذلك ولا يدعى بانه مساوٍ في نوعه لقاموس التوراة او لذيله الذي يعرفه مفسرو التوراة الفرنسيون كل المعرفة، ومن المؤكد ان المؤلف لم يرم الى نفس الغاية ولا نستطيع ان نلومه اذا ما عرض علينا فقط في مقالاته لمحات خاطفة واضحة تخولنا تمييز الجوهري ومتابعة البحوث بفضل ذكره لاسماء الكتب ذكرا جليا.

واذا كان في مجموعه بلغ الهدف خير بلوغ فلا يمكننا ان ننكر ذلك، واننا لنحسّ بسهولة هذه الاداة الحقيقية للعمل في دراسة المسائل الكبرى كالتي عاناها تحت العنوانين : (Messiaserwartung) الموسمة خاصة تحت توقيع (M. J. Schildenbeyer) و (Evangelien Hebräeirbrief) قد تأثر تأثرا بصورة خاصة بهذه التفصيلات الكثيرة التي على المفسر ان يعانيها اتفاقا في اثناء بحوثه بدون ان يتردد طويلا ولا سيما باسماء الاشخاص الثانويين والامور والعوائد القديمة للشعوب المتصلة باسرائيل . ولا ريب في ان هذا القاموس الجديد سيلاقي الضرب من الرواج الذي سعى اليه الاستاذ (Haag) وهو ان يكون في متناول من يستخدمونه اداة حسنة . ب. م.

Das Konzil von Chalkedon. — Geschichte und Gegenwart, im Auftrag der theologisher Facultät S.J. Sankt Georgen. Frankfurt/Main, herausgegeben von Aloys GRILLMEIER S. J. und Heinrich BACHT S. J. — Band I, Der Glaube von Chalkedon - Band II, Eutschiduug um Chalkedon - Band III, Chalkedon heute. — 3 volumes, 23 / 17c., XVI-768 pp. XIV-967 pp., IX-980 pp. — Echter-Verlag, Würzburg 1952, 1953, 1954.

احتفل سنة ١٩٥١ بمرور المئة الخامسة عشرة على انعقاد المجمع الخلقيدوني، وطبعاً لم ينتبه لذلك الاحتفال الجمهور ولم يُتح الفرصة الّا لاحياء ذكريات متواضعة واننا قد وجبت علينا دراسة ذلك المجمع دراسة استثنائية مهمة بفضل ما قام به آباء معهد Sankt Georges اليسوعيون وهو معهد لاهوتي.

لقد كان الابوان Grillmeier و Bacht من ذوي النظر البعيد فقد توقعا للكتاب الذي كان لا يزال قيد التصميم ان يصدراه لا بمجلد واحد بل بثلاثة مجلدات وضعوا لها عنواناً باعثاً للنظرة الاولى على بعض الدهشة Das Konzil von Chalkedon «مجمع خلقيدونية في التاريخ والحاضر» . ولقد بدا لهما انهما لن يستوفيا موضوعها اذا ما عالجوا اولاً تاريخ المجمع نفسه ومن ثم الايام السوداء التي عقبته ابان الخصومات حول العقائد بالمسيح . وظل مجال للتساؤل كيف يفهمون عملياً في المسيحية الحديثة التي لا تناقش كلماته عبارة الطبيعتين في المسيح وكيف نعيش ايماننا اليوم في سر التجسد العظيم وهو السر الذي استمدوا منه موضوع المجلدات الثلاثة . . .

وعلى رغم العقبات التي لا بد من تذليلها لقد تحقق تصميما بحذافيره وما اطلت سنة ١٩٥٤ حتى كان الكتاب كاملاً اليوم بشكل ثلاثة مجلدات بليغة وثرة وباخراج يعود الفخر فيه الى دار الطباعة Echter-Verlag de Würzburg وللاهوتي Sankt Georges انتخبهم دراسات من اهم دراسات هذه المجموعة .

واستهل المجلد الاول ببيان الاب Aloys Grillmeier وهو Die theologische und sprachliche Vorbereitung der christologischers Formul von Chalkedon.

ويشتمل المجلد الثاني على بيان دقيق للاب Bacht وهو Die Rolle der orientalistischen Mönchtüms in der Kirchenpolitischen Auseinander setzingen um Chalkedon (431-519).

وتناول الاب Joseph Ternus بيان احدى مسائل البحوث في المسيح الحالية Das seelen und Bewusstsein Jesu. Problem geschichtlich systematische Unrsuchung.

وكان لا بد للناشرين ان يطلبوا من اللاهوتيين الاختصاصيين بالتاريخ الكنسي العديدين المؤازرة في هذا العمل فوجد القسم الاكبر من بينهم في المعهد الشرقي بروما وفي المانيا والنمسا ووجدوا في غير البلاد التي تتكلم باللغة الالمانية مؤازرين لهم في بلجيكا وفرنسا .

ونذكر في المجلد الاول اسماء عميد ال Saulchoir الاب Thomas Camelot و Ortiz de Urbina و Paul Goubert من المعهد الشرقي والاب Hugo Rahner من Innsbruck والمونسنيور Lebon وشارل Moeller من لوفان والدكتور Graf المعروف بدراسته للكتاب المسيحيين في اللغة العربية .

ونقع في المجلد الثاني على اسماء اختصاصيين بالتاريخ الكنسي ولاسيما الشرقي منه ومن جملتهم الاستاذ Fritz Hofmann de Würzburg والاستاذ Albert von Roey من لوڤان والاب Paul Goubert و Geory Hofmann من المعهد الشرقي ونقع ايضاً على اسمي الباحثين المدققين Gustave Bardy و Séverien Salaville .

اما في المجلد الثالث فيتبدل المشهد وترد مع اشكال لاهوتنا وروحيتنا الحديثة فكرة مصلحي البروتستنتية الحالية لوثير وكلفان ومفكريها الاشد بروزاً ككارل بارت واميل برونر ورودلف بولتمان وحتى اللاهوتيين الروس مثل Chomiakof, Bulgakof. Wladimir Soloviev مما فرض اختيار بعض المؤازرين كالاب Congar O.P. و Daniélou S. J. والاب Witte و Herman Volk, Rudolf Schackenburg .

ومجموعة هذه المجلدات الثلاثة اشتملت على خمس وخمسين دراسة موسعة جد التوسيع وبقلم خمسة واربعين مؤلفاً هي بدون شك عظيمة . وهي تعرض مع الماميا الماماً كاملاً بتاريخ المجمع الخلقيدوني قسماً تاماً للحركة اللاهوتية وللتاريخ الكنسي عبر خمسة عشر قرناً وهي مجموعة حقيقية يرجع الينا عند كثير من المؤلفين في ساحات عدة . فبدقة دروسها فقد ادت هذه الموسوعة خدمة جلى للاهوت والعلم ب . م .

اوراق لبنانية

يصدرها يوسف ابرهيم يزبك

مجلة شهرية تعنى بتاريخ لبنان' سنة اعداد ١٩٥٢-١٩٥٥

ان البادرة التي اضطلع بها الاستاذ يزبك لجديرة بالثناء. عليها اذ يسعها ان تحشد مجهودات عدد كبير من الرجال والكتبة اولي الكفايات المساهمة في هذه النشرة القائمة على خدمة التاريخ الوطني ' وان كثيرين — من غير الادباء — ينظرون في الاوراق المهملة في زوايا بيوتهم ويتمنون ان يساهموا في جعل هذا التاريخ معروفاً ومحبوباً اكثر مما هو معروف ومحبوب ' ومن المستحيل ان لا يثمر هذا العمل الذي يتطلب جلداً وحباً اقوى من الموت' بيد ان هذا الحب لا بدّ له من ان يعززه في فؤاد منشئ هذه الاوراق اللبنانية كل ما تحتويه مستنداته

التي توقظ فينا الرغبة في ان يزداد اتصالنا بالذين جعلونا نكون ما نحن كائنون وجعلوا البلاد على ما هي عليه وان يتضاعف اخلاصنا لهم .

ولا يسعنا الا تهنئة الاستاذ يزبك والرغبة في تشجيعه على الاستمرار في مشروع لا بدّ له من تضحيات جمّة . ا. عبده خليفه

غرائب اللغة العربية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

١٦٣ صفحة ، حلب ١٩٥٤ ، ثمن النسخة ليرة ونصف—والنشر نسخ١٢ ليرة ونصف يُطلب في لبنان من جامعة القديس يوسف – بيروت .

وهذا ، بعد « اربعة آلاف عرباوية » اثر فريد نفيس جديد لحضرة الاب رفائيل نخله ، يتضمن ابواباً ثلاثة : الاول ، في غرائب القاموس العربي ، الثاني ، في تأثير العربية في لغات العالم ، الثالث في الكلمات الدخيلة في العربية . والحق انه اثر فريد يفترض ، في وقت معاً ، تضلعاً من اللغة العربية ومن اللغات الاجنبية ، وتمرساً بالقواميس على اختلافها . قلما يتيسر لغير امثال الاب نخله من العلماء .

وانه اثر نفيس ، جليل الفائدة للطالب والباحث على السواء . فالطالب يجد فيه جداول الفاظ ، بوّبت تبويباً ، انكشفت فيه ميزاتها الفارقة ، مما يستلفت النظر ويسهل الحفظ . والباحث يجد فيه امثلة ترشده الى القواعد الاصيلة في فقه اللغة ، وكم كنا نتمنى لو ان المؤلف ، اشار كل مرة ، كما فعل اكثر من مرة ، الى هذه القواعد فاوضحها وكشف الاساس في تكوين اللفظ واشتقاقه فتروح عناؤه في التفتيش عن الامثلة بذكر اللحمة التي تجمعها .

والباحث يجد ايضاً في هذا الاثر امثلة تدله على ان اللسان الحي ، سواء في اللغات الاجنبية او في العربية ، لا يستنكف عن الاخذ بما يستسيغه من لغات غيره ، مما لا يتيسر له في تراثه ، على ان يحسن العربي «تعريب» الدخيل ويحسن الفرنجي « فرنجة » العربي . . . الخ . وعلى هذا جرى القدماء العارفون ، دون ان تصدّهم عنه غيرة على لغتهم ، وفي ذلك عبرة للمحدثين الغيارى .

وفيما نشكر لحضرة المؤلف هذه الثمرة الجديدة ، نتمنى للمؤلف الرواج الذي يستحق . وللمؤلف متابعة الجهد ، خدمة للغة الضاد وعملا على احيائها . م. ض.

تاريخ الوزارات العراقية بقلم عبد الرزاق الحسني

طبعة ثانية ، ستة اجزاء ، مطبعة العرفان – صيدا ١٣٧٢ ﻫ. ١٩٥٣ مسيحية ، قطع صغير

الكتاب دائرة معارف صغيرة تتناول تاريخ العراق السياسي في السنين الاخيرة وهو طافح بالاستشهادات وهو لا يشير الا الى الوقائع . وانما لطريقة تاريخية واعية قيمتها وانما من الباعث على الاسف ان نقع على انفعالات المؤلف الشخصية حيال الحادث الفلاني او الحادثة الفلانية ، غير انه لمن الصعب جداً الصعوبة ايضاح جميع ما احتواه كل جزء من هذه الاجزاء الستة . فنحن نودّ ان نشكر مطبعة العرفان على اهدائها لنا هذه المجموعة باجزائها .

ان القارئ ينتقل من وزارة الى اخرى وامامه برامج مختلفة وفكرة مركزة وهي ان جميع الوزارات تبحث عن مصلحة البلاد وحريتها . فهذه الوحدة في السياسة على تبدل الاشخاص هي الميزة الخاصة الفارقة. اما نحن فلا نقوى الا على ان نتبع تقدم البلاد في طريق تحررها بابتهاج وسرور واذا ما اسودت هذه اللوحة من وقت الى آخر فما ذلك الا غيم عابر ويزول. وهذا الكتاب يروي لنا حياة شعب بكامله في حياة حكوماته المتعاقبة.

ع. خ

محاولات في فهم الادب بقلم لطفي حيدر

منشورات دار المكشوف ، بيروت ١٩٥٤ ، ١٣٦ صفحة – قطع وسط

هو كتاب نقد ادبي جدير بالتقريظ بيد ان المؤلف الذي انصرف الى تحليل مختلف ظاهرات الفن في الادب العربي ولاسيما في الشعر فقد ظل من نكد الدهر بعيداً جداً البعد عن الوقائع ، فاذا تكلم عن الجمال فلا تقع عنده على مفهوم فلسفي مع انه كان عليه ان يعرض تحليلاً فلسفياً متافيزيقياً موجزاً بدون ان يخشى صعوبة على قرائه ليطبقه بعدئذ على الادباء . وفي الواقع ان المؤلف اذا ما عمد الى تحليل شعر بعض الادباء حلّق في تحليله لا في تحليل المفاهيم ، واذا ما تعرض الى قصائد المتنبي او ابي العتاهية او غيرهما نراه قد ولج الى جوهر ما اراد اولئك الشعراء ان يقولوا واوضحه بدقة . ولئن رأينا ما يقوى ان يتحفنا به هذا الكاتب في حقل التحليل الادبي فقد كنا نودّ رؤيته متعمقاً تعميقاً اوسع في تحليل الجمال والالهام الشعري (لقد تكلم طويلاً على شيطان

كل شاعر وبحث هذه النظرية بعض البحث) والشعر بنفسه ... ولقد كنا نروم ان نرى امثاً لغير الذين استشهد بهم في ثبت الادباء. سواء اكان افلاطون ام كنت او كلوديل الخ فذلك اجدى له .

والكتاب كما هو قد يكون شاحذاً للهمم للنسج على منواله .

ان استساغة المؤلف للتعابير الحديثة يعجّ بها الكتاب الذي يعاني مثل هذه الموضوعات الكبيرة فهو يحب الكلمات «كهربائية ميكانيكية» وكان بمقدوره ان يجد لها ما يقابلها فلا يمسّ الموضوعات التي عاناها بسوء . ع.خ

علي باشا جنبلاط والي حلب ١٦٠٥–١٦١١ بقلم الخوري بولس قرألي

منشورات دار المكشوف ، بيروت ١٩٣٩ – ٩٠ صفحة ، قطع كبير

لما كان المرحوم الاب قرألي منهمكاً بنشر النصوص التاريخية ليعيد ما انطوى من صفحات هذا الشرق الشديد الاضطراب قُدّر له ان يجعلنا نستشعر باننا نحيا كشهود عيان لتلك الاحداث .

ان عمله ذلك ليرتفع عن مقام التحدي وتلك موهبة من مواهبه ، ففي هذه الوثيقة التي نشرها دار المكشوف قد أزاح الستار عن السنوات الصعبة لمطلع القرن السابع عشر ، لانه سرد بدقة حياة علي جنبلاط وعلاقاته بفلورنسة وتوسكانة وعلق عليها بما وعاه من معلومات تاريخية واسعة جدّ الاتساع ، اما تعليقاته فلا تقل رغبتنا في مطالعتها عن تشوّقنا الى قراءة الوثيقة نفسها ، فلذلك لا يسعنا الّا ان نهنئ دار المكشوف على اكتشافه مثل هذه المستندات ونشرها .

Albert Champdor. — *Babylone et la Mésopotamie.* (Collection « les Hauts lieux de l'Histoire », n° 2°, 165 pages, 142 photogr., dont 8 et le frontispice en couleurs. Paris, Albert Guillot, 1953.

لا مندوحة عن الاعتراف لدار غليو ولمدير المجموعة السيد البرت شامبدر بيدهما البيضاء لوضعها في متناول جمهرة القراء كتاباً في مثل هذا الموضوع المشهور كل الشهرة ، فالكليشهات المأخوذة عن خزائن الفن والتاريخ وعن مجموعات المتحف البريطاني او عن مجموعة دار غليو للنشر وبينها ثماني بالالوان ومن اجمل الكليشهات جديرة بكل اطراء على اخراجها الممتاز ، بيد اننا كنا نودّ رؤية بعض مشاهد ضواحي بابل ونينوى الحالية لنعيد الى موضعها المستندات

القديمة المعروضة بكثرة امامنا ، ولقد قلّل المؤلف كليشهات المدن السورية على حين انه كان عليه ان يجعلها اوفر مما هي عليه لانها تعيد الى الذهن تلك المدن القديمة وحياتها منذ خمسة آلاف سنة ؟ ولكنه لا ينبغي لنا ان ننتظر من هذا الكتاب اوصافاً اثرية ولا لوحاتٍ تاريخية لان السيد شامبدور قد توجه به صراحة الى الجمهور المتعطش للامور الغريبة والمؤثرات الفنية لتنثر يراعة المؤلف بخفّة بعض النثر الاسحار. القديمة كأنها رنين الاجراس بين الضباب توقظ الاحلام اذ في هذه اللقطة الخلّابة حركة غنائية لا سبيل لمقاومتها (ص ٣٤ — ٣٥) وكذلك كان في البكاء على بغداد (ص٣٨—٤٠) ولان الامر يستوجب ايقاظ قوى احلامنا واحتالها بنفسٍ متواصل حتى تلك البلدان العريقة القدم ذات الماضي الاسطوري لتبعث في الذهن المدن والاشخاص الاسطوريين ومآتيهم العظيمة وفي ذلك ما يكفي لاستمرار تنويم مخيلة سكرى بالالوان وساوسن الحلي الشرقية تنوعاً يأخذ بجامع القلوب.

ولئن فضّل هذا النص الميثولوجية وتلك المعتقدات فبالمقدور التسامح بذلك في كتاب من هذا النوع ، وانما من دواعي الاسف اهمال التقيد بالتاريخ واحترامه كل الاحترام لكي لا نذكر الّا قولًا واحداً من جملة هذه الاقوال : فحمورابي الذي يقول العلماء الحاليون عنه انه كان يعيش في الالف الثاني قبل المسيح فقد جعله تارة في الالف السابع عشر او الثامن عشر او في نهاية الالف الثالث عشر بدون تدقيق (ص ٧٨) وطوراً جعله بـ ٢٥٠٠ قبل المسيح (ص ١٠٧)[1].

بيد انه يسرنا ان نقع على بعض الملحوظات البسيطة الدالة على معلومات مضبوطة حين يذكر مثلًا في (الصفحة ١٠١) مسلة نبوكدنصر في نهر الكلب ومسلته في وادي بريصا (Brisa) او عندما يجيز (ص ٥٦) ببيان خاطف مضبوط عقلية المسلمين الشيعيين الدينية.

ولا مندوحة عن القول ان تصفح هذا الكتاب لمشوّق ، لان الذين يرغبون في دغدغة مخيلاتهم دغدغة خلّابة وهاجة ملونة يقرأونه مرّات ، والذين يحبّون استطلاع التاريخ الصحيح يعجبون بدون تحفظ باظهار قيمته العالية التي جمعتها دار غيلبو وساعدهم ذوق السيد البرت شامبدور على ان يقدّروا خير تقدير الفن وقد دلّل عليه تدليلًا ممتازاً .

م. ت

---

1) Voir page 58 la confusion entre Atargatis, Astarté et les Sirènes, et p. 62. la finale sur les Yézidis.

اخبار العالم

اخبار دينية

لبنان : ببراءة رسولية خصوصية عين قداسة الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر خلفاً للبطريرك انطون عريضة المتوفى غبطة السيد بولس معوشي بطريركاً على الطائفة المارونية فاوفد سيادة المطران سيلفيواودي القاصد الرسولي في فلسطين الى مطارنة الطائفة يحمل رسالة التعيين فجمعهم في ٢٨ ايار في المقرّ البطريركي في بكركي وقرأها عليهم وأعلن حلّ اللجنة الرسولية .

والبراءة تلاحظ بان قداسته بمداخلته هذه المرة في تعيين البطريرك الجديد من اجل الظروف الحالية الشاذة لا يريد ان يمس قط بما اقره المجمع اللبناني من سلطات للبطريرك الماروني وحقوقه في تعيين المطارنة الجدد وحق المطارنة في انتخاب بطريرك الطائفة حسب التقاليد القديمة والامتيازات الممنوحة من الكرسي الرسولي .

صار الاحتفال بتتويج البطريرك الجديد في كنيسة بكركي يوم الاحد الواقع في ٥ حزيران بحضور شخصيات رسمية عديدة وجم غفير من الزوار .

وُلد غبطته في جزين (لبنان) في ١ نيسان ١٨٩٤ وسيم كاهناً في روما ٧ كانون الاول ١٩١٧ وانتُخب مطراناً في مجمع ١٦ نيسان ١٩٣٤ وثبّت انتخابه روما في ١ نيسان ١٩٣٥ رئيس اساقفة صور . وغبطته خطيب ولغوي بعيد الصيت .

الفاتيكان : في اليوم الاول من ايار القى الحبر الاعظم على مئة وخمسين الف من اعضاء جمعية العمال الايطاليين المسيحية خطاباً اعلن فيه بان اليوم الاول من شهر ايار يعتبر منذ الآن عيداً للعمال المسيحيين وانه يثنى عيداً خصوصياً للقديس « يوسف العامل » .

روما : تطويب مارسلان شامبانيا (١٧٨٩-١٨٤٠) : وهو مؤسس جمعية « اخوة مريم الصغار » الرهبانية (المريميون) لتربية الاولاد والشبان وتعليمهم : وقد حضر الاحتفال بالتطويب زوار عديدون جاؤوا من جميع اقطار المسكونة نخص بالذكر السيد انطوان بيناي وزير خارجية فرنسا وتلميذ الاخوة المريميين فقد اشترك رسمياً باسم حكومته في حضور حفلات التطويب .

الكنيسة الكاثوليكية في الولايات المتحدة : بموجب كتاب الاحصاء لهذه السنة قد بلغ الان عدد الكاثوليك فيها اثنين وثلاثين مليونًا وخمسمئة وخمسًا وسبعين الفًا وسبعمئة واثنين منهم مئة وثلاثة وسبعون الفًا تقريبًا في ألسكا وجزيرة هاواي . فتكون اذن الزيادة على السنة التي قبلها تسعمئة وسبعة وعشرون الفًا وسبعمئة وثمانية . وفي الولايات المتحدة اربعة كرادلة ومئتان واربعة من الاساقفة ورؤساء الاساقفة .

اخبار عالمية

بلجيكا : منذ آذار تعددت فيها مظاهرات الكاثوليك ضد قانون جديد يحرم المدارس الاهلية المسيحية من حقوق خاصة يتمتع بها بفضل شرائع البلاد . ورغمًا عن هذه المظاهرات العنيفة قد اقر المجلس النيابي البلجيكي القانون الجديد المذكور فان الاحرار والاشتراكيين والشيوعيين اتحدوا سوية ضد النواب المسيحيين لسنّه . والماسونية هي اليوم في بلجيكا صاحبة النفوذ تدير الحكومة الى حيث تشاء ولا تخفي هذه انتماءها اليها .

الارجنتين : بعد ان اقرّ المجلس قانون فصل الدولة من الديانة في ١٩ ايار وبعد قيام مظاهرات الكاثوليك ضد الجنرال بيرون لاضطهاده للكنيسة الكاثوليكية ولممثليها من الاكليروس والعاملين في خدمتها من العلمانيين وقعت في ١٦ حزيران ثورة دامية كادت تقضي على حكومة الجنرال لولا تدخل الجيش . اما الدلائل فتدل على ان الجيش لم يتدخل تملقًا بشخصية بيرون او استحسانًا لسياسته المادية للكنيسة لكن فقط منعًا لوقوع مصادمات داخلية دامية تؤول الى حرب اهلية . واليوم فالسلطة التامة هي بالحقيقة بيد الجيش مهما اعلن عن تملقه بيرون وخضوعه له . ومن الدلائل على قولنا هذا استقالة حكومة الجنرال بيرون ومجاهرته بانه ليس عدوًّا للكنيسة ولا يقصد اضطهادها ولا الاساءة اليها وانه هو كاثوليكي صادق . . . فلا بد ان تنجلي الامور عن قريب فنعرف بتأكيد حقيقة الحوادث . فالاخبار الشائعة لا تزال غامضة متناقضة تختلف باختلاف نزعات ناشريها .

استقلال النمسا : يوم الاحد ١٥ ايار عند الظهر قُرعت اجراس العاصمة فيينا متهللة تبشر باسترجاع الوطن حريته المفقودة . . . وقعت الدول الاربع الكبرى معاهدة انتهاء حالة الحرب ورجوع السلطة التامة الى الحكومة النمساوية الساعة الحادية عشرة ونصف . وعند الساعة السابعة عشرة احتوت كنيسة القديس اسطفانوس الكاتدرائية لاداء ترنيمة الشكر . ثم فاه الكردينال انتزر بخطاب مؤثر . وكانت الكنيسة غاصة بالحاضرين وفي ساحتها الخارجية جماهير غفيرة مزدحمة بلغ عددها خمسة آلاف نسمة .

كانت النمسا قد فقدت حريتها منذ سبع عشرة سنة يوم اجتازت حدودها في ١٣ ايار

١٩٣٨ جيوش المانيا النازية وكانت منذ معاهدة سان جرمان ١٩١٩ قد اضحت دولة صغيرة بعد فصلها من هنغاريا .

المانيا الغربية : في ٥ ايار اعترفت دول الكتلة الغربية بالدولة الاتحادية الالمانية الغربية دولة سامية تامة السلطة مستقلة وهكذا انتهى الاحتلال الذي عقب الحرب بعد ان دام عشر سنين . وقد قُبلت بعد ذلك عضواً في اتحاد الميثاق الاتلانتي الشمالي (NATO) وارتفع علمها بجانب اعلام سائر دول الاتحاد بالوانه الثلاثة : الاسود والاحمر والذهبي .

بولونيا : اجتمع في فرسوفيا ممثلو دول الكتلة الشرقية الشيوعية روسيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا ورومانيا والبانيا ووقعوا على ميثاق جديد لتوحيد قيادة قواتها الحربية . وعُين كونييف قائد جيوشها الاعلى .

المؤتمر اليوغوسلافي السوفياتي : ترك الوفد السوفياتي موسكو برئاسة بولغانين وغروتشيف قاصداً بلغراد عاصمة الدولة اليوغوسلافية في ٢٦ ايار ثم عاد اليها في ٥ حزيران وقد مرّ في طريق الذهاب على بلغاريا ورومانيا لمقابلة الحكومة في كل منها .

لقد اهتمت دول الغرب لهذا المؤتمر اهتماماً شديداً تخوفاً من عواقبه فيما يخص علاقات تيتو معها ومع روسيا الشيوعية . . وانتهت المحادثات بين تيتو والوفد السوفياتي بقرار مشترك وقعه الجانبان . . . أوّلت الصحف محتوى هذا القرار بعد ان خصصت لها ابحاثاً شتى تأويل مختلفة متناقضة حسب اميالها الخاصة . اما صحف الكتلة الغربية فقد لاحظت فيه نقطتين اعتبرتها عظيمتي الاهمية : الاولى رفض تيتو الرجوع الى الكتلة الشرقية والثانية اعتراف السوفيات بامكان وجود نظام شيوعي حقيقي يختلف عن النظام المُتبع في روسيا والدول اللاحقة بها . . . وقد يكون لهذا الاعتراف تأثير في حكومات هذه الدول يحملها على التشبّه باستقلال تيتو في نظامه الشيوعي واستقلال الصين بنظامها الخاص .

سوريا : منذ توقيع الميثاق التركي العراقي لم تزل سوريا في حالة قلق وحيرة واضطراب وقد زاد اغتيال العقيد عدنان المالكي في شدة هذه الحالة فثارت النفوس وهبّ مناصرو الاستقلال الى العمل تدعمهم السلطات العسكرية وأُتهم الحزب القومي السوري بالجريمة فاوقف عدد غفير من المنتمين اليه للاستنطاق والمحاكمة .

في سنين خمس شاهدت سوريا خمسة انقلابات داخلية : انقلاب الكولونيل الزعيم اذار ١٩٤٩ . انقلاب الحناوي آب ١٩٤٩ . انقلاب الشيشكلي اولاً في كانون الاول ١٩٤٩ وثانياً في كانون الاول ١٩٥١ . ثم انقلاب جيش الشمال ١٩٥٤ .

المشرق

السنة التاسعة والاربعون — تموز – تشرين الاول ١٩٥٥

الآثار المطويّة (تابع)

جمعها وعلّق عليها ونشرها
الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

الشيخ ناصيف اليازجي الشاعر (١)

تمهيد

لا يخفى ان الناس طبقاتٍ متباينة في المنازع والمشارب، متفاوتة في المدارك والاقدار بما تخلف بعدها من المآتي والآثار. وكما اننا نرى التباعد في اشباه الوجوه نراه ايضاً في اشباه العقول، لذلك يجري كلٌّ من الناس في الطريق

(١) ذكرنا سهوًا في توطئة «الآثار المطوية» (المشرق ٤٨ [١٩٥٤] ص ٦٥٤) هذا التصدير: «الشيخ ناصيف اليازجي يمدح الامير ملحم ابن الامير بشير الشهابي الكبير»

المؤدية الى الهدف الذي يرمي اليه وترغب نفسه فيه . وقد يبرع الواحد في فن من الفنون يقصر الآخر عن اللحاق به مهما كد وجد واستطال ، لان الفطرة لم تساعده على مجاراته ومباراته فيصدف عنه الى الحرفة والصناعة التي تستسيغها ذوقه وتنزع اليها روحه فيمارسها ويجيدها بطول المران . اما اذا لم يكن راغباً في خوض عبابها ولم تساعده الفطرة او الخبرة على ان يكون من طلابها ممن الصعب عليه اخضاع رقابها . والدليل على هذه البيّنة المتشاعرون المتلدون الذين يتوركون ويتعرّجون ويتوهون ويتحذلقون ادراكاً لشأو المبرزين المجلّين في مضمار المعارف بما جادت به اذهانهم من جلائل الاعمال التي رفعتهم الى المرتبة السماء . وهل يدنو البغاث الى مطير الأنسر ؟

خذ الشعراء مثالاً للموازنة والمناظرة ، فمنهم ناظمون متلدون ومنهم شاعرون منطورون . انك تلمس في شعر المتلدين الناظمين اليبس والجفاف والابتذال والاختزال ، لا يستوقفك معنى يهزّك ولا عبارة تزحزحك من مكان الجمود وتطفو بك الى مقاعد الانس والحبور . وربما أدّى بك شعرهم الى الحيرة والارتباك او الانقباض والامتعاض والتطيّر من نعابهم . فترمي هذا الديوان او تلك القصيدة في سلّة المهملات وانت في اشد التأثرات بما نالك من اعياء واعنات .

وانت خبير ان الشعراء المنطورين الموهوبين يتوذونك ، من حيث لا تدري ، بشعرهم الجذل الرنّان الى اسمى من مجالس الدنان فلا تستفيق من نشوة حتى تناجنك نشوة متقلّباً على بسط الزهو والطرب .

والشاعر هو الذي يتغلغل بشعره في البواطن محركاً فيها السواكن فتحس اذ ذاك بالرعشة المبهجة تغلف كل عضو من اعضائك فتتنقّل على اجنحة خيالك الى آفاق رحبة عامرة بالنور والجمال .

فالشاعر هو الذي يسمع همس اختلاجات النفس في امواج البحر ، وروعة الجبال ، وسكرة الجمال في جميع خلائق الله ، وفي تغريد الطير وتمايل الافنان ،

والصواب ان ابناء الامير بشير هم الامراء : قاسم وامين وخليل وسعدى ومسعود فقط. وليس من مجال هنا للتعريف عن الامير ملحم الشهابي الذي مدحه الشيخ ناصيف اليازجي بقصائد محبوكة الطرفين مبنية على احرف الهجاء ، فاقتضى التنبيه [illegible]

ودغدغة النسيم ، وخرير الينابيع ، وهديل الحمام ، وهدير النهر ، وشكل الزهرة ، ومنظر الشجرة المتمددة ، ومسبح القمر بانواره الفضيّة المتسللة خلال الاغراس حول الجداول ، ووداع الشمس عند الغروب . وهو الذي يتأثر بصمت الطبيعة وسكونها المهيب ، وبشاهد البؤس والألم فتستنزل دموعه النوادب ، ويحوك في قلبه مرأى الخرائب . فيستدرُّ من كلّ ذلك الوحي والالهام فيطلع بشعره على الناس بالبدائع والروائع . واذا نجمتْ الاهواء الجامحة فيلجمها بحكمة الرصانة فتمشي مسيّرة خاضعة لرويّته . ورحم الله من قال :

الشعرُ صوتُ النفسِ في اعماقها فاذا نطقتَ به فأنت الشاعر[1]

وكما تترك الشمس ذيولًا صفراء من الاشعّة عند غروبها تسبليك وتسهويك، كذلك يترك الشاعر اثرًا عميقًا في نفسك عندما تنتهي من قراءة قصيدته ، فتظلّ منتشيًا بصداها مترنمًا بجميأها الى ان تفيق على طربةٍ سواها .

والشاعر هو الذي يضحكك اذا ضحك ، ويبكيك اذا بكى، ويركبك الجياد اذا امتطى ، ويوقظ فيك النخوة اذا انتخى ، ويسوقك الى الحبّ اذا احبّ ، والى النفور اذا نفر ، ويحملك على تصديقه اذا كذب . فانه يقتادك بشعره لمرافقته راضياً مسرورًا من حيث لا تفطن انك صحيبهُ ورفيقهُ .

وهو النقّاشُ الماهر الذي يجيد رسم الاشياء بمحابيه (بقلمه) القادر اجادة الفنّان البارع بريشته في تصوير الالوان والخطوط والتقاسيم والاشكال جامعًا بين حسن الذوق واصالة الفنّ ، والاثنان يقدّمان لك مثالًا حيًّا على ائتلافهما وبراعتهما . وكما ان العين لا تشبع من تثبّت النظر في صورةٍ جميلةٍ لرسّام عبقري، كذلك القلب لا يمتلئ من تكرار قراءة قصيدة ساحرة المعنى والمبنى لشاعر موهوب .

والشاعر والفنّان هما فرسا رهان في ميدان الابداع والاتقان ، يتباريان ويتنافسان كلّ في مضماره ولكنّهما في صعيدٍ واحد يلتقيان، وكلاهما مجيدٌ في رسم نعومة البشرة واسالة الخدّين ودارة القمرين وترنّح العطفين وما اختلج في مطاوي النفسين وكلّ ما عليه مسحة من الجمال في الخلائق الجامدة والنامية والحسّاسة .

---

١) الشيخ احمد تقي الدين .

ومن الشعراء من لهم قوّة الخيال ورقّة العاطفة وجمال التصوير ولكنّهم يقصرون عن افراغ المعاني في قالبٍ جميل من المباني لضآلة ثروتهم في اللغة ، وهل تروقك جوهرةٌ لمّاعة في صدَفة كامدة اللون ؟

٥

واذا اطلقنا على الشيخ ناصيف اليازجي لقب الشاعر فهو اهلٌ له وحقيق به وجدير ، لانــه ألّف بين الفنّ والذوق واجتمعت في شعره الخلال الخمس المكتملات فكانت له سلماً للارتقاء الى أعلى الدرجات : رحابة الخيال ، وروعة الجمال ، ورقّــة العاطفة ، وسلاسة العبارة وبلاغتها ، وهداية العقل . الخيال الطلق في المعنى ، والحُسن المتناسق في المبنى ، والانسجام في الكلام المتساوق المستفيق بيقظة المشاعر المستضيئة بالذهن النيّر . واذا مــا تصاحبت وتساندت هذه المواهب الخمس في الشاعر فهناك دفقُ المَرح يجري فيّاضاً عن جوانبها . .

ان من امعن النظر في شعر الشيخ ناصيف ادرك بداهةً انه شاعرٌ بالفطرة حادّ الذهن متوقّد القريحة سامي المدارك يقول الشعر ارتجالًا في جميع المناسبات والظروف ، ويصدق فيه مــا قاله بديع الزمان الهمذاني في زُهير : «يُذيب الشعرَ والشعرُ يذيبه ، ويدعو القول والسحرُ يُجيبه» وليس من اثرٍ في شعره للغموض والابهام ولا للتكلّف والتقعّر ، والشاعرية في قصائده رجراجة صخّابة تتدفّق بالشعر الصافي تدفّق الجدول الرقراق في جنّة غناء . وان كان هناك من هنات فهي هيّنات بجانب ما له من وفرة الحسنات وما لسواه من الشعراء من كبوات وسقطات .

ان الشيخ ناصيف اليازجي اذا وصف روضةً فيّاحة فباستطاعته ان ينقلها امام ناظريك في شعره بكلّ محاسنها ومفاتنها وانت مستقرٌّ في مكانك ، فيريك الاخضلال والظلال وبدائع الحسن والكمال ، ويسقيك من مائها السلسبيل وينعشك بنسيمها البليل وأريجها العَطِر ، ويُسمعك اناشيد الطيور الراقصة على تصفيق الاغصان المتثنية طَرَباً ودلالًا . واليك ما قال الشيخ في وصف عرس الطبيعة :

هذه عروسُ الزهر نقّطها الندى بالدرّ فابتسمت ونادت معبدا

لمّا تفتّق سترُها عن رأسها	عبثَ الحياءُ بخدّها فتوردا
فتحَ البنفسجُ مقلةً مكحولةً	من المزارَ جا فقام وغرّدا
وتبرّجت ورقُ الحمام بطوقها	لمّا رأينَ التاجَ يعلو الهدهدا
بلغ الازاهر أنَّ وردَ جنانها	ملكُ الزهور فقابلتهُ سُجّدا
فرنا الشقيق بأعين مُحمرّةٍ	غضباً وأبدى منهُ قلباً أسودا
بسطَ الغدير الماءَ حتى مسّهُ	بردُ النسائم قارساً فتجمّدا
ورأى النباتُ على جوانب أرضهِ	مهداً رطيباً ليّناً فتوسّدا
يا صاحِ نعجباً للابسٍ	قد حاكها من لم يعدّ لها يدا
كلُّ الثياب يحولُ لونُ صباغها	وصباغُ هذه حين طال تجدّدا[1]

هل من رقّة اصفى من رقّة هذه الابيات في وصف عروس الزهر ؟ وهل من تصوير ادقّ من هذا التصوير ؟ وهل من بلاغة انقى من هذا التعبير ؟

٥

واذا خاض الشيخ ناصيف معمعة حربٍ خلتَ نفسك في ساحات احدى المعارك والملاحم تشهد مثار نقعها وانعقاد غبارها وبطولة رجالها ، وتسمع حمحمة خيولها وقعقعة سلاحها وصدى طبولها . فان كنتَ مخلوع الفؤاد فروقةً رعديداً شعرتَ بالوجيف ، او ذا شجاعةٍ وبأس لعبت الحماسة في رأسك ودرتَ دورةً مع الفرسان وشاركتهم في الكرّ والفرّ والطعان .

وهذه قصيدته في محمّد علي باشا والي مصر وابنه ابراهيم باشا التي نشرناها في السنة الماضية[2] ، تصدع بهذه الحقيقة وترفع الشيخ في شعره الى طبقات الشعراء المبرّزين ، ولو لم تكن مصدّرةً باسمه لظننتها من نفثات عنترة بن شدّاد في مواقع النزال والجلاد . فاقرأ قصيدته يخاطب محمّدَ علي عزيز مصر :

يا فاتحَ القطرين انت محمّدُ	هل دون فتحك في البلاد مسدَّدُ
العُربُ تشهدُ والحضارةُ قبلها	والزنجُ تشهدُ والجزائر تشهدُ[3]

---

١) النبذة الثانية من ديوان الشيخ ناصيف اليازجي ، طبعة ميخائيل رحمه ص ٩٦ جاء في انجيل متى ٦ : ٢٨ و٢٩ : « اعتبروا زنابق الحقل كيف تنمو ، انها لا تتعب ولا تغزل وانا اقول لكم ان سليمان في كل مجده لم يلبس كواحدة منها » .

٢) (المشرق ٤٨ [١٩٥٤] : ١٦٠) .

٣) العُربُ : يرمز الى حملته على الوهّابيين اذ أسر الامير سعود الكبير وارسله مخفوراً

مهلًا عليك فليس ترضيك العلى حتى يصافح اخمصيك الفرقدُ
جبلٌ بحرٌ الى الحجاز وظلّهُ لحقَ الشآمِ وظلَّ منهُ الأبعدُ
لو كنتَ نهرُ ارضهنَّ تزلزلت ولو ازدجرتَ النيلَ اوشكَ يجمدُ

ثمَّ يلتفت الشيخ الى ابراهيم باشا ابن محمد علي ويقول مشيرًا الى فتحه حصون عكا :

مَن مثل ابراهيم إلّا سيفهُ يوم الكريهة والقنا المتأوّدُ
ارسلت قبل الجيش جيشَ مهابةٍ جيشُ العدوّ لهولهِ يتبدّدُ
فاثبتْ مكانكَ وأبتْ اسكَ بعدها وكفى القتال بهِ وانت موسّدُ
ولقد ضربتَ حصون «عكّاءَ» التي كانت لهيبتها الفرائصُ ترعدُ
اقفُ اكبرُ ليس دونكَ قلعةٌ تُحمى ولا صرحٌ أشمُّ ممرّدُ
خافت جبال الارض منكَ وقد رأت هذي النصالَ بمثلها تتردّدُ
وتحصّنت منك الأُسودُ فلا نلمْ قومًا بأغلاق الحصون استنجدوا

ويتخطى الشيخ ناصيف الى مدح الامير بشير الشهابيّ الكبير فيقول :

شيخٌ لهُ سِنُّ الشيوخ وعقلهم وكأنّما هو في العزيمة أمردُ
فتكاد تعرفهُ الطريق اذا مشى من فوقها والسيف حين يُجرّدُ
هو طورُ لبنانَ العظيم وشخصهُ آل الشهاب فواحدٌ متعدّدُ
قد مهّد الجبلَ العصيَّ بسيفهِ قوموا أنظروا كيف الجبالُ تُمهّدُ
واقتادَ كلَّ شموس قومٍ فانثنى ينقادُ طوعًا واستراح المقودُ

ثمَّ يختمها به قائلًا :

لا حدَّ دونكَ في المكارم والعلى وعى البقاءُ عليك ليس يُحدّدُ
فالظلمُ إلّا من طباعكَ يُتّقى والنّمودُ إلّا عن جنابكَ يُحمدُ

ة

واذا رثى الشيخ أنَّ وبكى وحنَّ وشكى وتفجّرت دموعه في شعره تستلفت وتستبكي. ولا يستوقفك بما استنزف من العبرات حتى تكون شريكهُ وضريبهُ في تصعُّد الزفرات . واذا طالعتَ رثاءه احسستَ بالغُمّة والمسرّة معًا . أمّا الغُمّة فلأنه عدّد صفات المرثيّ العالية متململًا عليه ، وجعلك تأسف معه

الى الاستانة حيث عوقب بالموت . والحضارة : الى انتصاراته في بلاد الشام . والزنج : الى فتوحاته في بلاد النوبة والسودان . والجزائر : الى احتلاله جزر مورا في بلاد اليونان .

على تغنّيه في صفائح الضرائح . واما المسرّة فلأنه ألبس مرثيّته حلّةً منوّرةً من مرسل الكلام يليك بطنّته .ورنّته عن الحزن والأسى ، ذلك ما يكشف عن قدرة الشاعر على التلاعب بالعواطف واستمالتها كيف شاء واراد . واليك بعضاً من رثاء الشيخ للمطران اغناطيوس الدهّان ، فانه من ابلغ المراثي وأرقها كما يُثبتُ البرهان . قال :

هل بعد يومك عند من لم يصبرِ … غير الانين ولوعة المتحسّرِ

ويمَ انتحال الصبر بعدك او ترى … غادرتَ قلبًا ليس بالمتفطّرِ

ما كان عندي ان شمسًا أغربت … في الشرق قبلك في التراب الأعفرِ

حتى ورديتَ موسّدًا في حفرةٍ … فعجبتُ بعدك من بقاء البصرِ

لا استطيع لذكرِ نطقك منطقًا … لو كنتُ انطقُ عن «صحاح الجوهري»

لو ظلَّ في عينيَّ دمعٌ واحدٌ … لكتبتُ حول ثراك خمسةَ اسطرِ[1]

قد كان يحمدُ منظري بك مسمعي … طورًا ويحمد مسمعي بك منظري

حتى رجعتُ وقد فقدتُك حامدًا … من ليس مستمعًا وليس بمبصرِ

من للبلاغة والبراعة والحجى … والعلم بعدك والخلاء النيّرِ

وبعد ان تفجّع الشيخ على الدهّان ما شاء الله ان يتفجّع ، خلع عليه كفناً من الانوار هو متعة للبصائر والابصار . قال :

لو كنتَ تُنصفُ يا دفينًا في الثرى … إلّا بطيّ قلوبنا لم تُقبرِ

وعجبتُ ممّا كفّنوك وانت في … كفنٍ من الانوار أبيض عبقري

فعلى ثرى ذاك الضريح تحيّةً … نفحت بعرف الطيّبات العنبري

فلقد خلعتَ عليه ثوب نضارةٍ … من سندسٍ يقق الحواشي أخضرِ[2]

٥

---

١) عداد اصابع اليد الخمس .

٢) عليك بجذه المرثاة في المشرق (٤٨ [١٩٥٤] : ١٦٣) . اثبتنا في ذيل هذه القصيدة تاريخ ضريح المطران الدهان من نظم الشيخ ناصيف ايضاً ، وهو مؤلّف من ثلاث كلمات : « اغناتيوس السيد الدهّان » وقلنا انه لا ينطبق على السنة التي توفي فيها الدهّان اي سنة ١٨٣٤ ، ولكن اذا بدلنا التاء في اغناتيوس بالثاء فيصبح التاريخ صحيحاً موافقاً للسنة المذكورة .

ان المطران اغناطيوس الدهّان هو من الرهبانية الشويرية الكريمة وكان اسمه فلايانوس ، خلَف المطران ثاوضوسيوس بدره على كرسي بيروت الملكية . وقد سامهُ البطريرك اغناطيوس قطّان اسقفاً في ٢٦ كانون الاول سنة ١٨٢١ ، وقد اشتهر بالتقوى

لقد انتصب وهمٌ في اذهان جماعةٍ من الناس في منتصف الجيل التاسع عشر، وربما دبَّ دبيبه في الاجيال التي سبقته، هو ان الفصاحة والبلاغة لا يجري مسيلها في غير قناة اقلامهم ولا تسطع شمس المعرفة إلا من أُفق افهامهم، ولا ينحدر ماء الشعر الصافي إلّا من شلّالهم، ولا تجني لغة الضاد رأسها الا تحت اعتابهم كأنَّ الله خصَّهم وحدهم، من دون عباد الله، بالعبقريَّة والذكاء. فشمخوا بانوفهم وصعَّروا خدودهم ونفخوا اوداجهم وبلغت بهم الدعاوة الى انهم اذا وقعت عيونهم على شعر فصيح لشاعر نصرانيّ تنطَّعوا وقالوا: « هذا شعر نصراني » دلالةً منهم على ركاكته، لانه صدر من غير مصدرهم، وبهذا القول كفاية لطرحه ونبذه. والدليل على ذلك ان الشاعر بطرس كرامه لمَّا كان في القسطنطينية أطلعه احد شعراء الاتراك على منظومةٍ تركية ترادفت في قوافيها لفظة الخال ورغب اليه ان ينسج قصيدة في العربية على منوالها، فلبّى كرامه الطلب ونظم خاليَّته المشهورة، ومطلعها:

أمن خدّها الورديّ افتنتك الخالُ فسحَّ من الاجفان مدمعك الخالُ

وبعث بها الى داود باشا الذي كان والياً لبغداد سابقاً، فراقته واعجبته فعرضها على احد شعراء بغداد لمعارضتها بقصيدة على مثالها، فأنكر الشاعر البغدادي حسنها ودلالها لكون صاحبها هو نصراني — وهذا عيبها فقط — وأوحت اليه اخلاقه بان يرد عليها بقصيدةٍ مرسومة بقلم التعصُّب مؤلفة من ثلاثة وعشرين بيتاً استهلَّها بهذا الكلام الذي خاطب به داود باشا:

عهدناك تعفو عن مسيءٍ تعذَّرا الا فأعفنا من ردّ شعرٍ تنصَّرا
وهل من مسيحيّ فصيحٍ نعدُّهُ اذا اينع الشعرُ الفصيحُ وأثمرا

فردَّ عليه بطرس كرامه بقصيدة ذات ثلاثة واربعين بيتاً افتتحها هكذا:

لكل امرىءٍ شأنٌ تبارك من برا وخصَّ بما قد شاءَ كلًّا من الورى

والغيرة والحنكة في سياسة الابرشية. توفي في دير القديس سمعان العمودي في ٩ تموز سنة ١٨٢٤، ودُفن في كنيسة هذا الدير الواقع في وادي الكرم غربي بسكنتا في سفح جبل صنين الذي تسلَّمه المطران اثناسيوس الدهّان بن الامير سلمان اللمعي سنة ١٧٤٣ وجعله مصيفاً لكرسي بيروت.

الى ان قال :

كأنّي فخرًا ان شعريَ لم يُعَبْ بلحنٍ ولا وَهْنٍ ولم يحوِ مُنْزِرا

فلا تحسبني اعجبيًّا فان لي من العلم والآداب قومًا ومعشرا

من العرب مطبوع الفصاحة والندى وغنّى بشعري اهل فضلٍ فأسكرا

فذو العجب السامي انا حيث انني فُطرت سجيًّا وفضلي قد سرى

ففي حلب والشام رنّت قصائدي وشعريَ في روض الكنانة ازهرا

فأطرب ذا علم ورنّح ضيغمًا وهزّ اخا عشقٍ وأرقص جؤذرا

لقد افحم بطرس كرامه بقصيدته هذه الجوابيّة الشيخ البغدادي الذي تطاول عفوًا عليه ، واراد الانتقاص من شعره فردّ كيدهُ اليه ، وكال له الكيل كيلين ، ومسكه بتلابيبه من الطرفين . ثمّ ارتدّ الى قصيدته البغدادية فكشف عمّا تضمنته من المناقف والمغالط الصرفيّة والنحوية والبيانية مقيمًا الدليل على صحة نقده . وما فات بطرس كرامه من تخطئة هذه القصيدة فلم يفت الكونت اللغوي الشيخ رُشَيد الدحداح فكرَّ عليها بحدّ قلمه المصمّم فشرَّحها تشريحًا ومزّقها تمزيقًا دلّ على براعته في اللغة العربية[1].

ذلك ما كان يروى ويُسمع في عصر الشيخ ناصيف اليازجي فيتألم له ويتململ متحيّرًا متعجبًا من قول العارفين بمثل هذا الكلام ، كأن العربية لم تُسلس قيادها الا لاصحابنا ولم يعتلِ مقاعد آدابها الا هم ، فأحس بالشاعرية تتغلغل في صدره فيّاضة فوّارة دفّاقة كسيلٍ منهمر من الماء يهدر في جريه صخّابًا متدفقًا لا تقف في ممره حزول وسدود ولا تثنيه عن اطّراده عقبات ولا ينكفئ هدّارًا عجّاجًا حتى ترى السهل ممرعًا والجدب مخصبًا والحياة مبتسمة عن جانبيه ، لذلك ما استطاع الشيخ اخفات صوت تلك الشاعرية الجائشة في صدره فازاح عنها القناع لكل ذي عينين غير معصوبتين ودعا الشعراء الى المنافسة والمنازلة في ساح الشعر غير وجل ولا هيّاب كبر العمائم والقلانس عادًّا نفسه من شعراء الجاهلية وان كان متنصّرًا ، وهو فردٌ يجرّ وراءه جيشًا لجبًا من القوافي . واذا فاخرت العشيرة بالشاعر لبيد ، فالشيخ ناصيف يحق له ان يفاخر بنفسه ويقول

---

[1] طالع هذه المناقشة المنبية في كتاب « قطرة طوامير » للكونت رشيد الدحداح ، طبعة باريس سنة ١٨٨٠ في ٩٤ صفحة بقطع كبير .

انه أجرى منه في ميدان الشعر واسبق ، وملاحم الاقلام مبسوطة لحَمَلتها وبينها قلم الشيخ يرغي ويزبد صائلًا كرّارًا على كلّ من تحدّثهُ نفسهُ بالمصارعة والمواقعة . وهو واثقٌ من نفسه بالانتصار ولو نازله شاعرٌ من فحول الشعراء. فلا يأمل معه الانكفاء ليوصم بوصمة الاندحار والانكسار . وكأن جسمهُ ناء بثقل شاعريته ففاضت بها روحه على الصحائف توشيًا اقلامه بالطف المطارف والطرائف ، وعَنَت له رقاب القوافي مطواعةً ، فلا يشتكي هذا الشاعر النصرانيّ عند النظم حصرًا ، ويستسهل بماضي العزم وعرًا . وهو :

فخرُ النصارى صاحبُ الغرر التي ضربت على ذكر البديع واحمدا[١]

وقد قال لا فضَّ فوه :

انا شاعرٌ في الجاهلية نفسُهُ عند القريض وان يكن متنصّرا
فوصلتُ من قبل الوصول الى الحمى فردًا يجرُّ من القوافي عسكرا
لا اشتكي حصرَ المقال وانني ما زلتُ أجرى من لبيدَ وأشعرا
حكَّمتُ في شعر الاوائل ناحيًا فاذا عجزتُ دعونهُ مستضمرا[٢]

وقد عاب البعض على الشيخ ناصيف بانه كان من المقلّدين في شعرهِ لا من المولّدين . وقالوا : كثيرًا ما حاول الاقتداء بالمتنبي ، وقد كان معجبًا به ففضّلهُ على سائر الشعراء بقوله : ان الشعراء يمشون على الارض ، وأمّا المتنبي فانه يمشي في الجوّ . ولفرط ولعهِ بشعرهِ استظهر ديوانه وعمد على تحليل ما غمض من معانيه . وهل في تقليد المحاسن والمفاتن من منقصة اذا برع المقلّد في تقليده واجاد وافاد ؟ فاذا لم يتمكن الشيخ من ان يصافح المتنبي باليد، فقد حيّاه عن قرب وسمع صوته وزكن تقاسيمه وتقاطيعه وولج خبايا نفسه وتأثّر برقة حسّه فقدر ان يعطينا صورةً جميلةً عنه قريبة الشبه به مما يعجز غيره من بعض الشعراء عن مثل هذا الادراك ، وتلك ميزةٌ للشيخ ترفعه الى طبقات الشعراء المتميّزين.

امّا اولئك الذين يقولون : ان شعر الشيخ من الطراز القديم ليس عليه صبغةٌ من التجديد بالطريقة الرمزية التي هي من نتاج الروح العصرية ، فنجيبهم :

١) من ابيات نُقشت على صفيحة ضريحهِ من نظم ولده الشيخ ابراهيم اليازجي
٢) (المشرق ٤٨ [١٩٥٤] : ٣٩٧)

اين كانت مستحدثات هذا الزمن في عصر الشيخ ناصيف ؟ واي اثر كان في عهده لهذه الآفاق الواسعة التي تفتّقت عن جمالٍ ونور خلت منها تلك العصور ؟ واذا جاز لهم ان ينعتوا شعر المتنبي « بالقديم » صحّ نعتهم لشعر الشيخ ناصيف وكانوا بــه محتجّين ، ومع كل ذلك فقد وفّق الشيخ في مناسبات عديدة بين القديم والحديث وأتى بالسحر والبيان . وكأني به قد خرق بثاقب بصيرته حجاب الغيب وعرف ما سيحكم على شعراء ابنــاء الاجيال المقبلة المتقلّبة بالعوامل والدوافع ، فقال هذين البيتين :

قلْ لمن لا يرى الاوائل شيئاً ... ويرى للاواخر التقديمـا
ان هذا القديم كان حديثاً ... وسيبقى هذا الحديثُ قديمـا

أمّا الأُدباء الذين يزعمون ان الشيخ قد اخفق باحتذائه في مقاماته المسمّاة « مجمع البحرين » مقامات الحريري والهمذاني وظلع بهذا الحمل ، فكفاه فخراً انه باراهما وجاراهما. وبرزت في كل سطر من سطور مقاماته مقدرته اللغوية وبسطة علمه في لغة الضاد ، وانه انشأ مقامة « اليمامة » وهو راكبٌ ظهر فرسه من بيروت الى بحمدون مصيفه حتى اذا بلغها اسرع الى قلمه القصبي وكتبها في صحائفه . فهل لواحد من الناعين على « مجمع البحرين » ان يضع لنا مقامةً واحدة من ستين مقامة دبّجتها يراعة اليازجي الكبير شبيهةً باحداها لنقرَّ له بالالمعية وصدق زعمه ؟ فما اسهل الانتقاد واصعب الاحتذاء ! ولنــا ان نقول حالمــا درج « مجمع البحرين » الى عالم القرّاء تلقّاه الادباء والشعراء بالمسرّة والرضى وقرّظوه نثراً ونظماً منهم الاديب الكبير حسن بيهم ، وقد قال :

هذا الكتابُ فريدٌ في محاسنهِ ... نظيرُ صائغهِ يزهو بهِ الأدبُ
لو كان في الزمن الماضي لحجَّ لــهُ ... على الضوامر عجمُ الناس والعربُ
كأنهُ روضةٌ غنــاء تُتحف من ... يؤمُّها بثمار دونها الضَّرَبُ
اوصافهُ النثرُ قــد قالت مؤرخةً ... الدرُّ من «مجمع البحرين» يُكتَـتَبُ

سنة ١٢٧١هـ (١٨٥٤م)

ومما يدعو الى اكبار منزلة الشيخ ناصيف تمسّكه بعقيدته الكاثوليكية ولم يبع دينه بدنياه وبالرغم من سعة علمه واستطارة شهرته وتقريظ الادباء

له من جميع ابناء المذاهب والمشارب لم يستخفّهُ الغرور بل ظل على وقاره وجلالهِ ورصانتهِ ورزانتهِ ورفعة تواضعهِ واعتصامهِ بحصن دينهِ ، فلم تنفخ الكبرياء من ريحها في انفهِ ولم تنل منهُ عواصف المطامع وزعازع المرابح فتلويه الى المهابط والسفاسف بل استمرَّ على سكونهِ في عبادة ربّهِ عالي الجبين نقيّ الصحيفة . ومن انفس ما جادت بهِ قريحتهُ وخطَّ قلمه تلك القصيدة الميميَّة التي اودعها معظم حقائق الديانة الكاثوليكية . وقد برهن الشيخ بهذه القصيدة العصماء على رسوخ قُدَمهِ في عقيدته وسعة خبرته بعلم الكتاب المقدس كأنه من مهرة اللاهوتيين ، وعلى سهولة ومرونة في سبك الحقيقة بقالب شعره بحيث تقرأ هذه القصيدة مهلهلة منسرحةً غير مغلَّقةٍ ابياتها بغموض . ومن العجب ان كل الذين ترجموا الشيخ غفلوا او تغافلوا عن هذه الناحية من مناحي حياته وهي من المع صفاتهِ التي اكسبته العلوَّ في الحياة وفي الممات . قال رحمه الله :

نحن النصارى آلُ عيسى المنتمي حَسَبَ التأنُّس للبتولة مريمِ
وهو الالهُ ابن الالهِ وروحهُ فثلاثةٌ في واحدٍ لم تُقسَمِ
للآبِ لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنهُ وكذا هما والروح تحت تقسُّمِ
كالشمس يظهرُ جرمها بشعاعها وبحرِّها والكلُّ شمسٌ فاعلمِ

ومنها :

هذا مسيحُ الله فادينا الذي صلبتهُ طائفةُ اليهود كمجرمِ
بطبيعةٍ بشريَّةٍ قد أُلمتْ وطبيعةُ اللاهوت لم تتألّمِ
حمل الجراح بنفسهِ متمدّداً حتى نكون لجرحنا كالمرهمِ
من قال للاعدا انا هو فانحَوْا صرعى أليس بقادرٍ ان يحتمي
لو لم يُرِدْ لم يأتِ قطُّ فانهُ ادرى بهذا في علمهِ المتقدّمِ
لاهوتهُ العالي الوجود اذا اكتسى جسماً فهل ضررٌ لهُ بتجسُّمِ
واذا تألّم هل على اللاهوت من ألمٍ فليس الله بالمتألّمِ
لكنَّهُ قد شاء ذاك لحكمةٍ سبقت بناموس علمهِ المتحكّمِ

وبعد ان تبسَّط الشيخ في مثل هذا الشرح ما تبسَّط داعماً مقالهُ بالبرهان المقنع ، ختم قصيدتهُ داعياً الى تفنيد ادلّته ، هكذا :

فاذا اعتبرنا ما ذكرتُ بدا لنا بالحقّ وجهُ الحقّ غير مُلثَّمِ

وهو الدليلُ لنا على إثباتـهِ كالشمس تطلعُ في سماء الأنجمِ
ولكلِّ معترضٍ علينا مثلـهُ ان كان يدحضهُ بقولٍ مُلزمِ

٥

وجملة القول ان الشيخ ناصيف اليازجي كان شاعرًا مطبوعاً ملهماً ولو قُدّر ووُجد في هذا العصر لكان في طليعة الشعراء والمؤلفين البارزين بالرغم من المتنطقين المتمطقين، وكان شعرهُ وما زال ربيعاً زاهياً زاهرًا مليئاً بالحيويّة مرتعاً للنواظر ومتنفساً للخواطر لا يلابسهُ غموض ولا يلامسهُ تكاليف كشعر بعض ادبائنا الرمزي والنفسي الذين سبحوا في اجواء الخيال فانتهوا الى بيداء الضلال وعبثوا باوزان الخليل وضروب عروضه فتفككت وتخلّعت فمشت شوهاء عرجاء، وعجزوا عن التعبير في شعرهم عمّا يختلج في قرارة نفسهم بحيث يتطلب مهرة المنجّمين للافصاح عمّاً يبطنون . فهذا هو التجديد عندهم الداعي للنفخ بهِ بالابواق وعرض مساطرهِ للباعة في الاسواق، ألا لا كان هذا الجديد الغامض ونعم ذيّالك القديم الواضح !

. ومما ساعد الشيخ ناصيف على استقرار صفاء ذهنهِ واستمرار توقّد قريحته ومواصلة النظم والتأليف الى اواخر ايامهِ، السلام الذي اسبطرّت خيامهُ فوق عتبة بيتهِ فوقتهُ لوافح الرمضاء. فما اضطرَّ الى الاستظلال في غير ظلالهِ فعاش هانئاً بهناء اسرتهِ مستضيئاً بنبراس كُتبهِ واقلامهِ ومحبرتهِ — ورفٌ بلا كتاب كبيتٍ بلا سراج — مستمنئاً عشرتها طَربًا بطلعتها مستنيماً الى مودَّتها، لا يخشى من مصاحبتها خيانة ولا يتوقَّع من مسامرتها ملامة لانها حريصةٌ على الوفاء بعيدةٌ عن مظانّ المكر والدهاء . ولولا ذلك لَمَا استطاب الشيخُ السهر واستحلى السَمر، ولَمَا درَّت علينا اقلامهُ بمثل هذه الروافد والغرر . وقد حقَّ للشيخ ناصيف العبقريّ ان يقول عن نفسهِ ما قالهُ محمود الزمخشريّ :

سهري لتنقيح العلوم الذُّ لي من وصل غانيـةٍ وطيبِ عناقِ
وتمايلي طربًا لحلِّ عويصـةٍ اشهى واحلى من مُدامـةِ ساقِ
وصريرُ اقلامي على اوراقهـا أحلى من الدوكاهِ والعشّاقِ
وألذُّ من نقر الفتاةِ لدفّهـا نقري لألقي الرملَ عن اوراقي
أأبيتُ سهران الدجى وتبيتهُ نومًا وتبغي بعد ذاك لحاقي ؟

٥

لقد امتدَّ بنا الكلام واوجسنا خيفة ان يدنو الى القارى. السأم ، فأحببنا ان نروّح روحهُ باثبات قصيدة للشيخ نشر منها ولدهُ الشيخ ابراهيم ستةً وعشرين بيتاً في كتاب «نفح الازهار في منتخبات الاشعار» الذي ضبطهُ وصحّحهُ وجمعهُ شاكر البتلوني (طبعة رابعة في بيروت سنة ١٨٨٩ في ١٢١ صفحة) وفي ديوان الشيخ ناصيف طبعة مخايل رحمة واحد وثلاثين بيتاً . واننا ننشر هذه القصيدة الرقيقة بكاملها نقلاً عن مخطوط دير الشير المعهود صفحة ٤٩٠ كما صدرت من قلم الشيخ ناظمها وهي مصدَّرة هكذا :

« وقال (الشيخ ناصيف اليازجي) »

أَنظنُّ هذا الخال فوق المبسِمِ   إلّا عُبَيْداً حارساً دُرَّ الفمِ
ونظنُّ هذا الدُرَّ دُرّاً حولهُ   ماءٌ كماء البحر مثل العلقمِ
لا والذي خلق المياهَ فما بهِ   إلّا رُضابٌ كوثريُّ المطعمِ
وأجلُّـهُ عن ان نقول بأنَّهُ   شهدٌ جنتهُ النحلُ لا يروي الظَّمي
نقلَ الروايةَ طيبُ منطقهِ وما   ذُقنا وكان الوردُ أبردَ منتمِ
ألوى عليَّ فضمَّني وضممتُهُ   وصدورنا بصدورنا لم تلتمِ
أهوي عليهِ وفيَّ عفَّةُ يوسفٍ   حتى يميلَ وفيهِ عفَّةُ مريمِ
فيروح بين صبابتي وحنينهِ   وأروح بين حديثهِ وتبسُّمي
خضنا مليّاً في الحديث كما جرى   وكأنَّنا للشوق لم نتكلَّمِ
حتى رجعتُ كما رجعتُ واخمصي   متأخرٌ في نيَّةِ المتقدّمِ
يا ليلةً سمح الزمانُ ببعضها   بعض السماح وليتَهُ لم يندمِ
قد كنتُ ارجو مثلها فبلغتـهُ   والحادثات تقول طرفكَ فاسلمِ
حتى دخلتُ الدار ساعة غفلةٍ   وعرفتُ ربع الدار بعد توهُّمِ
فكأنَّ كلَّ الدهر مدَّة لحظةٍ   وكأنَّ كلَّ الارض دارة درهمِ
لثمت ثرى اوطانها قدَمي فلا   كبُرَتْ برأْيي ان يُقبِّل مبسمي
وتحاسدت أُذْني وعيني قبلما   لمستْ يدي فالكلُّ يحسدُ معصمي
يا هل تُرى علمت بناتُ عشيرتي   اني لقيتُ الشمسَ بعد الأنجُمِ
ان كان بعدي ساءهنَّ فسرَّني   يا غربتي طولي ولا تتصرَّمي
يا أمُّ معتنق الثريا انني   عانقتُها وكُفيتُ قول تقدَّمي
فسمعتُ ما لم تسمعي ونظرتُ ما   لم تنظري وعلمتُ ما لم تعلمي
ولقد عشقتُ فطبتُ نفساً فاقبلي   عذري ولستُ اقولُ يا أمّي ارحمي

واذا سمحتِ بسلب قلبي في الهوى فهي النعيمُ وغيرها لا تتهمي
أترينَ لي أُماً تنوحُ اذا الدجى جنَّت ولو سمعت هناك ترنُّمي
فارقتُها فنقيتُ أشفقَ مهجةً منها وجرأً في الصفات فهلمي

٥

ولقد جلستُ الى الفتاة سامراً ووشاتنا من غافلين ونُوَّمِ
ولطالما جلست الينا قبلها طيفاً وكان الطيفُ غير مُسلِّمِ
اخذت بسمعي قبل رؤيتها وقد أَسمعتُها الانشادَ قبل ترنُّمي
لو كنتُ اعرفُ وجهها صوَّرتُهُ في مقلةٍ بسوائها لم تحلمِ
غاصت بلجَّة نومها وتنبَّهت والسحرُ في العينين غير مهوَّمِ
فكأنَّ بحر النوم بحرٌ احمرٌ حتى انت وخدودها كالعندمِ
بالله يا راح الفؤاد وروحهُ من اين انتِ واين انتِ فترجمي
لا تنظري عرضاً[1] اليَّ فتجرحي قلبي وبجرح المُرْض أكبرُ مؤلمِ
اني لانظرُ منكِ لينَ معاطفٍ مثل المياهِ فأين يبسُ الأعظُمِ
ويُقال انك من ترابٍ فانظري هذي النهود وان قنعتِ فسلّمي
بالله يا كأس المدامِ تباعدي عنّا ويا ريح الخزامِ تعلّمي

٥

دارت فكاهتها وأعبق نشرها ماذا السلافُ وما لطائمُ منشمِ[2]
حوراءُ تضربُ بالسيوف جفونها ولحاظها ترمي القلوب بأسهمِ
قطرت دماً من فوق وجنتها فما كذبت علينا انهُ لونُ الدمِ
عينُ الغزالة عينها وجبينها لا ذاتها من رقَّةٍ وتبسُّمِ
ولطالما نفر الغزال وما درت كيف النفور وعرضها لم يُكلَمِ
عاتبتُها فاستضحكت وعتابها جهلٌ وكيف عتاب من لم يأثمِ
ما كنتُ اختارُ العتابَ وانّما كنّا وكانت حيلة المتكلّمِ
حتى رنت وكأنَّ هُدبَ جفونها وسواد قلبي قطعةٌ لم تُقسَمِ
وكففتُ وقد اخذت براحتها يدي لا بل فؤادي اخذةَ المتحكّمِ
ولرُبَّ جرحٍ ابرأتهُ يمينها فحلفتُ لا ابصرتُ وجهَ المرهمِ
وشفتُ مريضاً كان منهتكاً بها قِدَماً فعاد كأنَّهُ لم يسقمِ

---

١) نظر اليه عُرضاً : . . . (هنا كلمتان مقطوعتان بمقراض التجليد)

٢) السلاف : الخمر . واللطائم : . . . ومنشم امرأة . . . (هنا كلمات مقطوعة ايضاً بالمقراض) .

لله سيّدتي قضيتِ بما اقتضى شرعاً وعندي حبّذا ان تظلمي
لمّا حلوتِ حلت فمالكِ كلّها باللهِ هل لكِ جرعةٌ من علقمِ
هانت عليَّ فيا جراحُ تنثَّمي بعد اللقاء ويا منونُ تقدَّمي

٥

باللهِ يا ريح الصبا قبل الضحى ان جزتِ مانيك الديار فسلّمي
قسماً جا إلّا وقفتِ بعدرها بين النهود ولا اقولُ لكِ ألثمي
وضممتِ معطفها وقلتِ له ترى كم فيكِ غمزة حسرةٍ من مُغرَمِ
هيهات اسلوها وقد يخنتُ على قلبي بخاتم ثغرها المتبسّمِ
وهويتُ نظم الشعر لمّا اصرت عيني طلاوة دُرّهِ المتنظّمِ
لو لم يكن للشوق من سببٍ كفى ذاك الوداع ومدُّ ذاك المعصمِ
ان كان قتلُ النفس غيرِ محلّلٍ قولوا لها فالوصلُ غير محرَّمِ

افادات تاريخية

رأينا ان نثبت هنا بعض افادات تاريخية جليلة عن الشيخ ناصيف اليازجي استقيناها من مورد الراوية المعروف الفيكونت فيليب دي طرازي .

ان الذين رثوا الشيخ ناصيف اليازجي على المقبرة هم المعلّم سليم تقلا مؤسس جريدة الاهرام ، وكان اذ ذاك كبير الاساتذة في المدرسة البطريركية في بيروت (وهو من تلامذة الشيخ ناصيف) والمعلّم بطرس البستاني والمعلّم شاكر شقير . ورأس حفلة الجنّاز في كنيسة مار الياس للروم الكاثوليك في بيروت المطران اغابيوس الرياشي ، وأبّنهُ في الكنيسة البروتوبروزفيتروس (اي المتقدّم في الكهنة) فيلبُّس نُتير من زحلة رئيس المدرسة البطريركية وقتئذٍ . وقد نظم سليم تقلا مرثاةً خاصة لمأتم الشيخ .

وكان بيت الشيخ ناصيف في محلّة زقاق البلاط ببيروت، وموقعهُ في الوقت الحاضر منزلٌ جديد يسكنهُ ميشال بن رافائيل فرعون . ومشت الجماهير الغفيرة من بيته في زقاق البلاط الى كنيسة مار الياس ومنها الى المقبرة في حيّ الزيتونة ببيروت ، وقد أُقفلت بيروت بأسرها حداداً عليه وتعظيماً لمنزلته العلمية ومشت في جنازته . وكان كلُّ واحدٍ من تلامذة جميع المدارس ، وبينهم التلميذ

طرّازي ، حاملًا بين يديهِ كتاباً من تأليف الشيخ ناصيف وهم ينشدون مرثاة سليم تقلا بلحنٍ محزن .

ومّما رواهُ لنا الڤيكونت دي طرّازي ، ان المعلّم سليم تقلا كان خادماً في المدرسة الوطنية في بيروت لصاحبها المعلّم بطرس البستاني ، وكان الشيخ ناصيف في ذلك العهد يلقي دروساً في العربية على تلامذتها . وكان سليم تقلا لرغبتهِ في العلم ، يتحيَّن الفرص ويقف وراء شبّاك احدى غرف المدرسة التي كان يلقي فيها الشيخ ناصيف دروسهُ على التلامذة متسمّعاً الى دروس الشيخ الذي لمحهُ مرّةً وراء الشباك وأدرك قصدهُ ، وكان يعطف عليهِ لانهُ ابن ضيعته كفرشيما ، فانتهرهُ وسمح له بحضور الدروس مع التلامذة . هكذا تعلّم هذا الشاب الذي اصبح اديباً كبيرًا في عهدهِ . وهذه جريدة الاهرام التي انشأها بتاريخ ٥ آب سنة ١٨٦٧ في الاسكندرية لم تزل راسخةً بمبادئها الرشيدة رسوخ الأهرام الفرعونية وهي اليوم عميدة جميع الجرائد العربية في العالم شرقاً وغرباً .

وبعد ان تلقّى سليم تقلا العلوم العربية في المدرسة الوطنية ، عيّنتهُ المدرسة البطريركية فيها استاذًا اول بعد وفاة الشيخ ناصيف اليازجي .

٥

تواريخ للشيخ ناصيف اليازجي

ومّما ضمَّ مخطوط دير الشير ، بكفين – سوق الغرب ، عدة تواريخ[1] من نظم الشيخ ناصيف اليازجي ، لم تُنشر في دواوينهِ الثلاثة ، وهي مسطّرة في آخر قصائده في هذا المخطوط . واليك نصّها :

« ولهُ (للشيخ ناصيف اليازجي) تاريخ لدار الامير قاسم الشهابي » (ابن الامير بشير الكبير)

يا ربوة الوادي التي قد اصبحت من خنصر الوادي مكانَ الخاتمِ
ماذا يقول بكِ المؤرّخ واصفاً داركِ الشهابيِّ الامير القاسمِ

١٧٨ ٢٠٥ ٣٤٩ ٢٨٢ ٢٣٢

سنة ١٢٤٦ هجرية

---

١) المخطوط ص ٤٩٣–٤٩٨

« وله تاريخ بناء في دير المخلص »

قامت بحول الله خيرُ منازلٍ … نظرُ الكحيل[1] بها مديدٌ وافرُ
بشرى النزيل فان في تاريخها … ابداً بها وجهُ المخلّص ظاهر

« وله تاريخ لوفاة ميخائيل (فضّول) الجبيلي البيروتي »

حوى هذا الثرى قمراً منيراً … أحالتهُ المنونُ الى سُهيلِ
ولكن حرّرَ التاريخُ فيه … لميخائيل فضّول الجبيلي

٩٥ ٧٤١ ٩١٦ ٨٦

سنة ١٨٣٨

« وله تاريخ لوفاة عبّود ساروفيم الصوري »

لقد اصطفاهُ اللهُ من دار الفنا … وأحلّهُ دارَ البقاء المُنتظرْ
فابشرْ وقُلْ لمؤرّخيهِ بأنّهُ … عبُّود ساروفيمُ كُلّلَ بالظفرْ

٥٨ ٨٢ ٢٩٧ ٨٠ ١٢١٣

سنة ١٨٣٠

« وله تاريخ لوفاة بسترس بك انطون بسترس »[2]

كم حسرةٍ يا أبن انطونٍ عليك وقد … نزلتَ هذا الثرى والحيُّ منك خلا
أوحشتَ منك دياراً كنتَ بهجتها … بالامس واليوم قد آنستَ دار بلا
أدركت بسترسَ الجدَّ القديم لكم … لكن تركتَ اسمهُ في قلبنا علا
وحين غادرتَ اوطانَ الفناء لنا … داراً ولاقيتَ من دار البقا بدلا
نادى ثرًى انت بالتاريخ نازلهُ … برحمةِ الله يا مَن في الثرى نزلا

٩٣ ٦٥٠ ٦٦ ١١ ٩٠ ٩٠ ٧٤١ ٨٨

سنة ١٨٢٩

« وله تاريخ لوفاة انطون ابن اخي هذا المتوفّى »

بكت العيونُ وقد مضى متبسّماً … لمّا قضى في نعمة الروح القُدُسْ
وتهلّل الفردوس في تاريخهِ … لدخول انطون بن جرجس بسترُسْ

٦٧٠ ١١٦ ٥٢ ٢٦٦ ٧٢٢

سنة ١٨٢٦

---

١) اراد بالكحيل : « برئيس المقام ... » (هنا كلمات مشطورة بمقراض التجليد في الاصل) .

٢) وهو الذي رثاه الشيخ بقصيدة مرّت بك (المشرق ٤٨ [١٩٥٤] : ٤١٣)

« واقتُرح عليه تاريخ آخر له فقال »

من بعد يومكَ ساءَت الايامُ فالصبرُ بعدكَ والمنامُ حرامُ
وبكى الزمانُ على صباك وقد اتى بدءُ الضياءِ عليك وهو ختامُ
يا ويل قلب ابيك لو ودَّعتهُ فثنى كلومَ الشوق منك كلامُ
فمليك يا انطونُ افضلُ رحمةٍ وسنى ضريحك في الصباح غمامُ
وبرى النسيمُ مؤرّخاً فاذا به بَرَدٌ على صفحاتهِ وسلامُ
٧٨٢ ٧ ٢٠٦ ١١٠ ٥٨٤ ١٣٧

سنة ١٨٣٧

« وله تاريخ لوفاة الشيخ فرنسيس الدحداح »

هذا الضريحُ الذي انوارهُ سطعت في طيّهِ التبرُ ليس التربُ مرموسُ
مهذَّبٌ من بني الدحداح سيرتهُ لنا على صخرة الانجيل تأسيسُ
قضى الحياة بتقوى الله متصفاً لم يُطغهِ الجسمُ والدنيا وابليسُ
حتى انتهت بالتقى ايامُهُ ومضى الى نعيمٍ بهِ لا يُعرف البوسُ
وعندما حلَّ في هذا الضريح وقد دارت به حفَّتْ الاملاك قُدُّوسُ
قام المؤرّخُ أملى في مدائحهِ عليك رحمة ربّي يا فرنسيسُ
٨١ ٩٠ ١٩٤ ١٣٤ ٦٤٨ ٢١٢ ١١ ٤٦٠

سنة ١٨٣٦

« وله تاريخ لوفاة المعلم الياس إدّه »

حكَمَ الالهُ بما ارتضى واختار للفردوس عبدَهُ
والحالُ قال مؤرّخاً هذا رضى إلياسِ إدَّه
٧٠٦ ١٠١٠ ١٠٢ ١٠

سنة ١٨٢٨

« وله تاريخ لوفاة يوسف الشلفون »

لما قضى ومضى الى دارِ البقا نفساً وذاق الجسمُ كأسَ منونِ
خطَّت يدُ الانوار تاريخَ البها من حول تربة يوسف الشلفونِ
٣٩ ٩٠ ٤٤ ١٠٠٢ ١٥٦ ٤٩٧

سنة ١٨٢٨

« وله تاريخ دار للشيخ حسين حماده »

يا حسن دارٍ بناها ... حسينُ بنُ حماده
تأريخها الدار قامت ... دار الهنا والسعاده
٢٣٦ ٥٤١ ٢٠٥ ٨٧ ١٧٧

سنة ١٢٦٦ ه

« وله تأريخ بناء للشيخ يوسف حبيش »

لمّا بناهُ يوسفُ ... بعناية الملك الغني
قال المؤرّخُ دُمْ لهُ ... بالرغد والعيش الهني
٤٤ ٣٥ ١٢٣٧ ٤١٧ ٩٦

سنة ١٨٢٩

« وله تأريخ لوفاة مرتا بنت عازر عكّاوي »

سقتك غوادي الصبح لطفًا وأنعما ... ألا يا ضريحًا نلتَ ذخرًا مكرّما
وبشرًا فقد أودعتَ تربك درّةً ... بها اصبح النقّادُ صبًّا متيّما
فتاةٌ لها بين الملائك زفّةٌ ... وقد تركت للناس في الارض مأتما
فقال على علمٍ مؤرّخها جما ... لقد لحقت مرتا بعازرَ في السما
٨ ١٣٤ ٥٣٨ ٦٤١ ٢٨٠ ٩٠ ١٣٢

سنة ١٨٢٣

« وله تأريخ لزواج الامير يوسف الشهابي »

لك من نعيم العيش ما لا يوصفُ ... وعليك ظلُّ اللطف لا يتكفكفُ
خُذْ ما بدا لك من زمانك لذّةً ... وانعم فدهرك مسعفٌ ومُنصّفُ
انت الشهابُ يُنير وجهك في الدجى ... وبك السعودُ جميعها تتألّفُ
ما قمتَ تخطرُ بين اعطاف القنا ... إلّا وكادت غيرةً تتقصّفُ
يستنطقُ الشعراء وجهك مقبلًا ... حتى يقول الشعرُ ابن الموقفُ
ولطالما نظموا بمدحك أسطرًا ... فاذا بها وكأنّها هي أحرفُ
لا نجبُ الشهباء ان قارنتها ... فالشُّهبُ عادتُهُ قرانٌ يُعرفُ
يا حبّذا هذا القران وكيف لا ... وبه الموالي الهاشميّةُ تحلفُ
صفت الحياةُ به ورقَّ قوامُها ... وصفا الزمان فلم يزل يتلطّفُ

ونقدّم التأريخ قبلي قائلا ... لكمُ التهاني بالصفا يا يوسفُ
١٥٦ ١١ ٢٠٤ ٤٩٧ ٩٠ ١٤٢ ١٤٢

سنة ١٢٦٣ هجرية

« ولهُ تأريخ لميلاد ابنهِ الامير محمود »

لمَّا أتى النجلُ الشهابيُّ الذي ... فتن الكواكبَ وجهُهُ المسعودُ
نادى بهِ التأريخ ينشدُ قائلًا ... عشْ بالهنا والسعد يا محمودُ
٩٨ ١١ ١٧١ ٨٩ ٣٧٠ ١٤٢ ٣٦٤

سنة ١٢٤٥ هجرية

« ولهُ تأريخ لدار الامير اسماعيل الشهابي »

اذ بناها المولى الشهابيُّ اسما ... عيلُ نسلُ العليِّ من قد تسامى
جاءَ بعضُ المؤرّخين ونادى ... ادخلوا مرحباً وقولوا سلاما[1]
١٣٢ ١٤٩ ٢٥١ ٦٤٢ ٧١

سنة ١٢٤٥ = (١٨٢٩ م)

« ولهُ تأريخ لضريح يوسف سيُّور في بيروت »

هذا ضريحُ الفاضل الشهم الذي ... قد فاز بالمجد الذي لا يُوصفُ
أبكى بني سيُّور فيضَ دمٍ كما ... أبكى اليتامى ادمعًا لا تنشفُ
لمَّا استمدَّ لوفده جندُ السما ... وبدت ملائكةُ العليِّ ترفرفُ
نادى به جبريلُ في تأريخه ... اني بشيرٌ لا تخفْ يا يوسفُ
١٥٦ ١١ ١٠٨٠ ٣١ ٥١٢ ٦١

سنة ١٨٥١

« ولهُ تأريخ لقبر يوحنا ارقش في بيروت ايضاً »

هذا قبرٌ لابن ارقشْ ... نورُ العفاف عليه فائضْ
غصنٌ تكسَّر في الصبا ... سرُّ القضا أرّختُ غامضْ
١٨٤١

سنة ١٨٦١

---

١) نأسف لسقوط ورقة او ورقتين من هذا المخطوط ضاعت معها عدَّة تواريخ للشيخ ناصيف اليازجي .

« ولهُ تأريخ لابن قطرميز الحلبي »

حاز الطهارةَ نعمةُ الله الذي اي قطرميزُ ففاز بالجنات
وبروضة الفردوس حلَّ فأرِّخوهُ م ما يزالُ مثلّثَ الرحمات
٦٨٠ ١٠٧٠ ٤٨ ٤١

سنة ١٨٣٩

« تاريخ للخستخانة (المستشفى) المعمَّرة بدمشق ، من طوباويته (البطريرك مكسيموس مظلوم) ايضاً للشيخ ناصيف نفسه »

مكسيموسُ المظلومُ بطركنا ابتنى دارًا لطبِّ مريضنا كالمحرسِ
شملت محبتهُ الجسوم كما اقتضى تأريخُ غيرتهِ وحبِّ الانفسِ
٢٢٢ ١٦ ١٦١٥

سنة ١٨٥٣

« ولهُ ايضاً تأريخ لدار ابتناها السيّد غريغوريس عطا في ابرشيَّتهِ بقرية يبرود » .

غريغوريوس بن العطا مطرانُنا ابتنى لنا خيرَ دارٍ حبَّذا العملُ المرضي
على بابها خطَّ المؤرّخ أنَّهُ بنى أحد الآثار برجًا على الارضِ
١٠٣٢ ١١٠ ٢٠٦ ٣٧٣ ١٣ ٥٣ ، ٥٦

سنة ١٨٦٣

٥

ومما عثرنا عليهِ في عين دارا عند حضرة الخوري بطرس الخوري بدر كرّاس خطي قديم يتضمن عدة تواريخ لمولد وزواج ووفيات بعض الامراء الشهابيين بخروم الاول والآخر من نظم الشعراء : الشيخ احمد البربير ونقولا الترك والخوري ارسانيوس الفاخوري وبطرس كرامه والشيخ ناصيف اليازجي والياس أدّه وحنا بك الاسعد الصعبي والشيخ درويش عبد الاحد باز . وبين هذه التواريخ ثلاثة للشيخ ناصيف وهي :

الاول

« وقال الشيخ ناصيف اليازجي مؤرخاً وفاة الامير عبد الله حسن »

امير المجد عبدالله اضحى تربلَ الترب عن حكم القضاءِ

قضى بافه مسروراً اميناً وأبقى بحده غصص البكاء
ولمّا سار نحو العرش فوراً ونال المجد في دار البقاء
وجدنا منطق التأريخ صدقاً شهابُ الارض اصبح في السماء
١٩٥ ٣٠٨ ١٠٣٢ ١٠١ ٩٠ ١٣٢

سنة ١٨٥٨

الثاني

« وقال مؤرخاً وفاة الست صفا قرينة الامير اسعد حمود شهاب »

قد من آل الشهاب اميرةٌ يعلو لها هذا الضريحُ تشرُّفا
حوت النعيم فقال تأريخي جما بانت صفا بجوار شمعون الصفا
٨ ٨٠٣ ١٧١ ٢١٢ ٤٦٦ ٢٠٢

سنة ١٨٦٣

الثالث

« وقال مؤرخاً وفاة المرحوم الامير سعيد خليل بشير الذي توفي في بيروت ودُفن في مقبرة الموارنة بقبَّة مخصوصة شرقيها بناحية المدوّر ، ونُقش على ضريحه بالقبَّة المحرّرة »

هذا الاميرُ السعيد الحظّ تخدمهُ ملائك الله فوق العرش تجتمعُ
مذ قام ارقام تأريخ تحيط بهِ ان الشهابي على الافلاك يرتفعُ[1]
٤٢٧ ٧ ٥١ ٣٤٩ ١١٠ ١٦٣ ٧٦٠

سنة ١٨٥٧

ديوان الفارض بخط الشيخ ناصيف اليازجي

عثرنا على نسخة من ديوان عُمَر بن الفارض عند حضرة الوجيه وهبه عيسى ابي ضاهر شديد من مراح شديد (بلاد البترون) بخط الشيخ ناصيف اليازجي بالحرف العربي المائل الى الحرف الفارسي كما سترى . منسوخ بالحبر الاسود على ورق عبّادي سميك وعناوينهُ بالحبر الاحمر ، مجلَّد بجلد غير متين رثّ لتقادم عهدهِ . يقع في ٧٦ صفحة ، طولهُ ٢٢ سنتمتراً بعرض ١٥ س . وعرض

1) لا ينطبق على تاريخ سنة ١٨٥٧ المذيَّل بها ، بل على سنة ١٨٦٧

هامشه ٣ سنتمترات، تحتوي الصفحة منهُ ٢٤ بيتاً من الشعر. وطول شطر البيت ٤ سنتمترات، والصدر والعجز ٩ سنتمترات ونصف السنتمتر مع الفرجة بينهما. وبانت تقوب في اطراف بعض ورقاته وفي باطن هامشهِ الّا انها لم تصل الى كلماته. وأتمَّ الشيخ ناصيف نسخهُ في ٥ آب سنة ١٨٢٠. وقد سُطِّر على ظهر الصفحة الاولى منهُ عدَّة اشعار بخط مختلف ملتقطة من هنا وهناك. ويبتدئ نسخ الديوان على الوجه الثاني من الورقة الاولى منهُ، وصُدِّر بهذه الآية بحرفٍ ثخين:

(بالحبر الاسود) «بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ نستعين»

ثمَّ (بالحبر الاحمر) «وبعد فهذا ديوان الشيخ الامام العالم العلامة شرف الدين قطب العارفين ابي حفص عمر الفارضي السعدي»

وفي الصفحة ٧٤ من هذا الديوان الخطي، قصيدة للفارضي لم ارها مطبوعة في ديوانهِ المشروح بقلم البوريني وعبد الغني النابلسي المطبوع في الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٨٥٣ بطبعة شركة الفعلة في مرسيلية. وهذه هي القصيدة:

لله ما صنع الغرامُ بقلبهِ	أودى بهِ لمَّا ألمَّ بقلبهِ
لبَّاهُ لمَّا ان دعاهُ وهكذا	من يدعهِ داعي الغرام يُلبّهِ
ان الذي لا يستطيع اجيبهِ	ردَّ السلام فان شككت فعجْ بهِ
ظبيٌ من الاتراك ما تركت ظبي	الخاظهِ من سلوة لمحبّهِ
يا ما أُميلحهُ وأعذب ريقهُ	وأعيذهُ وأذلّني في حبّهِ
بل ما أُليطف وردةً في خدّهِ	وأرقّها واشدَّ قسوة قلبهِ
ان كنت تنكر ما جناه بلحظهِ	من سلبه يوم النوير فسل بهِ
او شئت ان تلقى غزالًا اعفرا	في سربهِ أسد العرين فسر بهِ
يا للرجال اظلُّ اطلبُ قربهُ	عجبًا وأصلُ بليّتي من قربهِ
نادى بنفسجُ عارضيهِ معارضًا	يا عاشقين تزوّدوا من قضبهِ

وفي آخر هذه القصيدة كتب الشيخ هذه الجملة: «لله الحمد سبحانه».

ثم كتب اسمهُ بهذه العبارة بحبر اسود وهي بحرفها الواحد:

«تم الديوان بعون الملك الرحمن بقلم العبد الفقير الى مولاه الراجي نيل

عفوه ورضواه ناصيف اليازجي رحمه الله موافقاً فراغه خمساً خلون من شهر آب الناهج من الشهر السنة العشرين بعد الثماني ماية والالف م » .

ثم تأتي هذه النبذة بخط الشيخ ايضاً بحبر احمر واسود وهي .

اسماء ساعات النهار عند العرب (ص ٧٥)

« فالساعة الاولى : الذرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم الدلوك ثم العصر ثم الاصيل ثم الصبوب ثم الحدود ثم الغروب ويقال فيها ايضاً البكور ثم الشروق ثم الاشراق ثم الراد (الرأد) ثم الضحى ثم المتوع ثم الهاجرة ثم الاصيل ثم العصر ثم الزوال ثم الطَفَل ثم الغروب »

« وقيل : ان الاصل في قولهم في المثل : لا ناقة لي في هذا ولا جمل . ان الصدوف المدولية كانت زوجة زيد ابن الاخنس وكان له بنت من غيرها تسمى القارعة كانت تسكن بمنزل منها في خبا (خباء) اخر (آخر) فغاب زيد غيبة فلهج بالقارعة رجل عذرى (عذري) يدعى شيئاً وطاوعته . فكانت تركب كل عشية جملاً لابيها وتنطلق معه الى ثنية يبيتان فيها . ورجع عن وجهته زيد فعرج على ماهنة اسمها طريفة . فاخبرته بريبة في اهله . فاقبل سايراً لا يلوى (يلوي) على احد حتى دخل على امرأته . فلما رأته عرفت الشر في وجهه . فقالت له لا تعجل واقفُ الاثر لا ناقة لي في هذا ولا جمل . فصار مثلاً يضرب في التبرؤ عن الشيء » .

ثمَّ يُثبت الشيخ هنا في هذه الصفحة ٧٥ قصيدة للفارضي : « قفْ بالديار وحيِّ الأربُعَ الدُرسا . . . » وهي اربعة عشر بيتاً تنتهي في الصفحة ٧٦ ، وفي آخرها كتب اليازجي ثلاثة ابيات في رثاء الفارضي وذكر في آخرها انها بقلم الناسخ (اي بقلمه) وهي معنونة هكذا :

« قال بعضهم يرثيه »

« جز بالقرافة تحت ذيل العارض وقل السلام عليك يا أبن الفارض »
« ابديت في نظم السلوك عجايباً وكشفتَ عن سرٍّ مصونٍ غامض »
« وشربت من بحر المحبة والولا فرويت من بحرٍ محيطٍ فائض »

« بقلم الناسخ ابقاً عفى عنه »

انتهى ما هو مسطَّر بخط الشيخ ناصيف بهذه العبارة وهي :« بقلم الناسخ ايضاً عُفي عنهُ » .

ويظهر ان هذا الديوان اتصل ليد ارسانيوس الخوري من كور (بلاد البترون) فطبع خاتمه في خلال ورقاته اربع طبعات . وقد علَّق هذه العبارة في ذيل الصفحة السادسة والسبعين الاخيرة من هذا الديوان بخطه العربي الجميل وهي :

« ملك ارسانيوس الخوري من كور (بلاد البترون) حرّر في اواخر شهر ايلول سنة ١٨٤٣ مسيحية الموافقة سنة ١٢٥٩ هجرية الف ومايتان وتسعه وخمسين هجرية هـ » (الختم)

وعلى هذه الصفحة عدة اشعار ايضاً بخطوط مختلفة .

ويظهر ان الشيخ ناصيف بعد ان ختم هذا الديوان باثبات اسمه على ما رأيت ، اطلع على قصيدة الفارضي : قف بالديار وحيِّ الاربع الدُرُسا . . . وعلى ساعات النّيابة فنقلها في الصفحة ٧٦ وذيَّلها بقلمه . وقد طبعنا ثلاث صفحات من هذا الديوان على الزنكغراف منها الصفحة المتضمنة اسم الشيخ ناصيف للوقوف على خطِّهِ منذ مئة وثلاثين سنة .

ولا حول ولا قوَّة الّا بالله العظيم .

صوفية الظلام في عرف غريغوريوس النيسي

بقلم الاب يوحنا دانيلو اليسوعي

لم يكن غريغوريوس النيسي اول من استخدم قضية الظلام فقد صادفنا اقليموس الاسكندري « Clément d'Alexandrie » واوريجانوس « Origène » قد استعملاها مرّات عديدة، ومعناها داخل في نطاق علم اللاهوت وهي تعني ان من المستحيل على قوى العقل الانساني الوصول الى ادراك الكنه الالهي من دون نعمة المسيح التي تسمو بالعقل الى ارفع مما هو لتصبح هذه المعرفة ممكنة، فيصير غير المرئي مرئياً . اما التأمل فهو اشراق العقل .

واتخذت قضية الظلام عند غريغوريوس النيسي معنًى جديداً صوفياً خالصاً ولا سيما في كتابيه الاخيرين حياة موسى ومياسره على نشيد الاناشيد اذ اوضح ان العقل لا يبرح عاجزاً عن ادراك الكنه الالهي وان أشرقَ بالنعمة . اما اختبار عجزه هذا فيكوّن اسمى اشكال التأمل . وقد تفرّد غريغوريوس باعرابه عن هذه ميزة الاختبار الصوفي في ارفع درجاته بطابع خاصّ به . فنحن نحصر كلامنا هنا بهذا الوجه من الروحانية الغريغورية تاركين جانباً كل ما من شأنه ان نعرف به الله، سواء أكان عن طريق مرآة النفس، ام عن طريق تعليم المشاعر الروحية؛ لان ذلك من خصائص التأمل الذي يعجز دونه التعبير[1] .

١ً الظلام : لقد وردت قضية الظلام عند غريغوريوس النيسي في معانٍ ثلاثة متتابعة : فهي تدل في احدى شذراته على عجز اليهود عن الوصول الى معرفة مجد الله (P.G. XLIV,1136. A, B) اما هذا المعنى فلا شأن لنا به، وجاءت في شذرة ثانية تدل على معرفة gnose الحقائق الالهية التي يستحيل ادراكها من دون وحي . اما هذه المعرفة التي هي نفسها نور فانها ظلام في نظر من لا يمتلكها . وقد تكرر هذا المعنى في مؤلفات غريغوريوس مرات . وتحدث في تفسير الايام الستة عن موسى الذي بعد ان ترك الجمهور في اسفل الجبل، ارتفع

(١ Voir Jean Daniélou, *La doctrine spirituelle de Grégoire de Nysse.* (*Platonisme et théologie mystique*). pp. 221-267.

بالروح فوق الاخرين وولج ظلام تأمل الامور الخفية (P. G. XLIV. 65 B. C). فرأى ما لا يرى وسمع ما لا يوصف وعرف نظام الخلق (P. G. XLVI. 913, C : XLIV. 64, B) مشيراً بذلك الى الوحي الذي انزل على موسى بشأن الخلق ، وتكلم بمثل هذا المعنى على قديسي العهد الجديد الذين أدخلوا الاسرار الالهية . وكان الظلام (γνόφος) لغريغوريوس العجائبي المشهد (θέατρον) الذي لا يستطيع ادراكه الاخرون . بذلك اعطى هو ومن تتلمذ له اظهار الغوامض. (XLVI, 913. C) وعلى هذه الشاكلة كان القديس باسيليوس « اذ رأيناه يلج غالباً الظلام (γνόφον) حيث الله موجود . وكان ايعاز (μυσταγωγία) الروح القدس وحده يجعله عالماً بما لا يستطيع غيره معرفته . وكان يظهر بشكل قد اكتنفه فيه الظلام حيث استترت كلمة الله (XLVI, 812. C) . . وانا لنلحظ في جميع المقاطع ان المقصود هو المناقضة القائمة بين معرفة قد حُرمت على « الغير » وبُلّغت احد المختارين. فنحن بحيال «سر» بحسب المفهوم البولسي ، اي حيال سر مقاصد الله الذي لا تستطاع معرفته من دون وحي ولكن بعد ان يوحى به يكون معروفاً حق المعرفة ؛ ولم نصل بعد الى اللامكانية الجوهرية لمعرفة الكنه الالهي.

والى هذا المعنى الثالث الذي يهمنا وحده ، نتوصل بسلسلة نصوص جديدة في غاية الاهمية . وقد ورد للمرة الاولى في مقاله الاول على الزبور . فتحدث عن موسى الذي ولج نظاره الظلام وتأمل فيه غير المرئي (τὸ ἀόρατον) (XLIV, 458 A) . اننا لنتردد حول تفسير هذه الفقرة التي قد تعني ان موسى رأى ما هو غير مرئي بذاته . وقد يبدو لنا ان الظلام لا يدل في هذا المقام بحسب الاب ماريشال (P. Maréchal) على « عجز قوانا فقط عجزاً كبيراً او قليلاً نسبياً بل على استحالة سبر عمق الالهي » .

(*Études sur la psychologie des mystiques*, II, p. 111).

وهذا ما سيظهر جلياً في مقاطع حاسمة من كتابيه حياة موسى ومياسره على نشيد الاناشيد .

ولا بدّ لنا في مثل هذا المقام من ان نذكر فقرته الواردة في كتابه حياة موسى لانها النصّ الرئيسي في بحثنا : « فما معنى دخول موسى في الظلام

(γνόφος) ورؤيته الله فيه . وتبدو هذه الرواية كأنها على طرفي نقيض مع ظهور الله للمرة الاولى : اذ كان ظهوره في النور ، وهـا هوذا الان يظهر في الظلام . وفي الحقيقة ان الكلمة يعلمنا بذلك ان المعرفة الدينية هي اولًا نور للذين تتجلى لهم : لانها تناقض ظلام الكفر . على ان العقل كلما توصل بتقدمه بازدياد انتبـاهه ، الى لمس مدارك الحقائق والاقتراب من التأمل (θεωρία) ، كلما ازداد من رؤية غير المرئي (ἀθεώρητον) من الطبيعة الالهية . حتى اذا ما ترك كل ما يظهر ، ليس مما تدركه الحواس فقط ، بل ما يظن العقل انه قد رآه ، فانه يزداد توغلًا في داخله حتى يلج بفعل العقل الى غير المرئي (ἀθέατον) والغير المدرك (ἀκατάληπτον) وهنا يشاهد الله . والمعرفة الحقيقية لما يبحث عنه تقوم على ان يدرك انَّ المبحوث عنه يسمو كل معرفة لكونه منفصلًا من كل جانب بعدم مفهوميته (ἀκαταληψία) كأنه مكتنف بالظلام . فالرؤية هنا تقوم على ان لا نرى . فلذلك قال يوحنا الحالق كالنسر الذي ولج هذا الظلام المنير (λαμπρὸς γνόφος) ان الله لم يَرَهُ احد قط (يوحنا ف ١ : ١٨) ، معرفًا بهذا النفي (ἀπόφασις) أنَّ معرفـة الكنه الالهي ليست مستحيلة على البشر فقط بل على كل طبيعة عاقلة . (XLIV, 376 C.377, A) ومن الواضح ان المقصود هنا بالظلام هو غير ظلام الحقائق الفائقة للطبيعة بالنسبة الى الانسان اللحمي ، فغريغوريوس فرض نفساً توصلت الى المعرفة المشرقة . مريدًا بذلك التقدم في التأمل . ففي ، اي النفس ، بعد ان تعرف من الله ما تستطاع معرفته ، تكتشف حدود هذه المعرفة . وليس اكتشافها هذا الا تقدمًا لانه معرفة لتسامي الله واستحالة فهمه . وهنا يقوم حقًا علم الالهيات السلبي وهو ما لا يعبر عنه . وذلك اختبار اذ هو الكلام عن رؤية . وما هذا الظلام الا حقيقة موضوعية تجعلنا نعرف الله . وبذلك يكون الظلام منيرًا . لانه ادراك لله الذي يفوق كل تحديد ولانه ابلغ صحة مما تكونه كل معرفة محدودة . وفي الحقيقة ان تسامي الطبيعة الالهية هو الذي تختبره النفس بهذا الظلام الذي يبين تفوق الطبع الالهي بالنسبة الى كل مخلوق . فتجد النفس ذاتها فوق الحالق كأنها تائهة في لا نهاية . هذا الظلام حيث لا تقبض على شيء ، وحيث من خلال عجزها هذا الكلي تستكشف الله .

ان ميزة تجربة الظلام هذه الصوفية مصرحة في نشيد الاناشيد حيث يفسر

غريغوريوس الاية : « في الليل التمسته على مضجعي فلم اجده » (نشيد ٣ : ١) فاوضح غريغوريوس ان كلمة « مضجع » تعني ان النفس قد اصبحت عروسة الكلمة الذي اشركها في خيوره واتحدت به بالمحبة (ἀγάπη) (XLIV, 892 C-D)

اما ماذا يعني الليل ؟ « ان الليل يدل على تأمل (θεωρία) غير المرئيات ، اقتداء بموسى الذي ولج الظلام حيث كان الله ، ذلك الاله الذي جعل من الظلام معقله (مزمور ١٧ : ١١) « جعل الظلمة حجاباً له » . ان النفس التي يحيط بها الظلام الالهي لتبحث عمّن هو مستتر في هذا الظلام . وهي مفعمة بحب من تتوق اليه . لكنّ الحبيب نفسه يفلت من قبضة (λαβή) افكارها . . . وبتخليها عن البحث عنه تعرف من تتوق اليه من انّ معرفتها له تسمو الفهم . فلهذا السبب تقول : « بما اني قد تخليت عن كل مخلوق واهملت كل معونة من العقل ، قد وجدت محبوبي بالايمان وحده . ولن اتركه ابدًا ، واني اتمسك به بقبضة الايمان حتى يلج مخدعي . اما المخدع فهو القلب الذي يصبح بمقدوره ان يكون سكناً (ἐνοίκησις) الهياً ، عندما يرد الى حالته الاولى » . (XLIV, 892 G- 893. C)

يا لها من ايضاحات قيّمة نقع عليها في هذا النصّ . اذ نرى انه يتحدث عن نفس وصلت الى اتحاد رفيع بالله لاصقة به بالمحبة . ونرانا اذن امام اسمى ذرى الحياة الروحية . وبمقدورنا الاعتقاد ان هذا الاتحاد ستصحبه رؤية الكنه الالهي ، على انه ما من شيء من هذا . فالله يفلت من مقابض العقل . فتفهم النفس اذ ذاك انّ معرفة الله الحقيقية لم تكن حيث كانت النفس تفتش عنها . « فكل تمثيل لن يكون الّا حاجزًا » (XLIV, 893 B) . فالله ابعد من ان يمثل . بيد ان هذا لا يعني ان النفس لا تستطيع ادراك الله لان سبيل هذا الادراك انما هو الايمان لا العقل . وظلام الايمان وحده هو ادراك الله المتسامي . واننا هنا لعلى الطريق المؤدية تماماً الى القديس جان دي لاكروا (St. Jean de la Croix) ان الله كما هو بذاته ، ظلام للعقل ، لكنه مُدرك بالايمان . وبهذا تظهر جلياً ميزة معرفة الله الموضوعية في الظلام .

ولقد تركنا جانباً في اقوالنا الاخيرة عنصرًا مهماً يفضي بنا الى ايضاح جديد ، هو امر سكنى الله في النفس . فبحسب اقوال غريغوريوس ان الايمان

هو الذي يسكن الله فيها . وهذا مما يدخل عنصرًا جديدًا في صوفية الظلام ، الا وهو عنصر تجربة اقتراب من الله . ان التجربة الصوفية هي تجربة حضور الله قائمًا في مركز النفس ، قياماً يظهر بافعاله التي هي النعم المفعمة بها النفس ، ومن خلالها تختبر حضور من هو مصدرها . وهذه التجربة هي من اختصاص مذهب المدارك الروحية التي لا شأن لنا بها هنا[1] . فان الله كما هو بذاته ، هو الذي تبلو النفس حضوره في تجربة الظلام . « فانها بعد أن اجتازت كل المحسوس » ليحيق بها من الان وصاعدًا الليل الالهي الذي يحضر فيه العروس (παραγίνεται) ولا يظهر (οὐ φαίνεται) . فكيف يظهر اذن في الليل من هو غير مرئي ؟ انه يمنح النفس شعورًا بحضوره (αἴσθησις παρουσίας) مُفلتاً كل الانفلات من المعرفة الواضحة ، محتجباً بعدم رؤية طبيعته (XLIV , 1001. B)

ولقد جاء غريغوريوس بالبيّنة القاطعة في هذه الكلمة على ميزة التجربة لصوفية الظلام في عرفه . ان الظلام في الحقيقة ، تجربة حضور الله كما هو بذاته . اي يعمي العقل عمىً كاملًا ويزيد في العمى كلما ازداد اقترابًا ، حتى يسعنا القول ان الظلام نفسه هو الذي يوضح حضور الله . فانه كلما ازداد الله حضورًا ازداد ظلاماً . ان الظلام ليس الّا طريقة للتعبير عن شدّة وطأة الوجود الالهي شدّة رهيبة لا يستطيع الانسان ان يتحملها .

ان ملء الوجود الالهي هذا — اذ يجوز من الان وصاعدًا ان نطلق هذه التسمية على الظلام — لا يقترب من النفس الّا تدريجيًا . وليس الظلام هو الذي تختبره النفس ، انما هي « قطرات الليل » لا غير ، لانها لا تستطيع ان تحتمل اكثر من ذلك . هذا ما يفسّره غريغوريوس في مقطع اخير : « اذا ما قبلتني وجعلتني اسكن فيك ، فتكون مكافأتك الندى الذي يغطّي رأسي وقطرات الليل التي تبللت بها غدائري . . . (نشيد ٥ : ٢) . انه لمن المستحيل على من يكون في الاقداس الغير المنظورة ان يتلقى مطرًا او وابلًا من المعرفة المشرقة (gnose) ، بل عليه ان يغتبط اذا ما بلّت الحقيقة عقله بافكار دقيقة مظلمة » (XLIV. 1004. A)

٢ً الانخطاف ان قرب الله بالنسبة الى النفس المتحدة به ، ذلك القرب

(1 Voir *Platonisme et théologie mystique*, pp. 235-274.

الذي يشير اليه الظلام ، يقرر في النفس خروجاً عن ذاتها ، تحت قوة الجاذبية التي تؤثر فيها . وان ما تمتاز به هذه الحالة هو ، بادئ بدء ، الانفعال . وهو عمل صادر عن الغير ، يجذب النفس الى جوٍ تقوم حياله ، وقد تخلت عن كل شيء تماماً . لذلك كانت التعابير التي تشير الى الاميال من حب وسكر الخ . . . لتدل ، بطريقة المقارنة ، على هذه الحال . فان النفس تدخل عالماً يتجاوز حدودها الخاصة بها . ألا وهو في الحقيقة عالم الخروج عن نواميس طبيعتها وعقلها . ويتمثل هذه الحال اشتداداً يعبَّر عنه بانه استغراق في الله يفقدنا الوعي . بيد ان هذا الامر هو ثانوي . فعنصر الانخطاف الجوهري ، كما كتب الاب هوزر (Hausherr) ، « هو خروج الانسان عن ذاته ، ليس عن طريق اللاشعور بايقاف الحواس ، ولكن بضرب من الامتداد تحت دافع الحب ، بمعزل عن نواميس العقل نفسه ». (Ignorance infinie. *Orient. Christ. per.*, 1936, p.356)

ان هذا الخروج عن الذات ، ميزة صوفية الظلام ، قد اوضحهُ غريغوريوس النيسي بتعابير شتى : انخطاف ، سكر ، وجد ، دوار ، رقاد ، جنون ، جرح . لتدل الصورة التي تعطيها كلٌّ من هذه الصور على ميزة دقيقة . ومهما يكن من امر ، لا ينبغي ان نرى فيها تعبيراً عن حالات مختلفة . اما تعيين اختيار احداها فمنوط بقرينة الكتاب المقدس قبل كل امر آخر . فكما ان الظلام متصل بموسى ، كذلك الانجذاب نراه في فقرات الكتاب المقدس عند الكلام عن ابراهيم (تكوين ١٢:١٥) ، وداود « مزمور ١١٥ : ٢ » ، والقديس بولس (مزمور ٦٧ : ٢٨) ، والقديس بطرس (اعمال ١٠ : ١٠) ، والسكر يرافق مأدبة الحكمة (امثال ٩ : ٢) ، ونشيد الاناشيد (نشيد ٥ : ١) ، والكأس التي تسكر (مزمور ٢٢ : ٥) ، وكأسي مروية *Calix inebrians* . واخيراً الوجد (éros) يرافق نشيد الاناشيد.

١ — الانخطاف السعيد . ان الانخطاف بمعناه الدارج (ἔκστασις) يفيد التحيير والضعة . وذلك اذا دلَّ على حال انسان خرج من نفسه تحت تأثير عارض جنون او سكر او رقاد او هوىً . وطابعه الانشغافي واللاعقلي هو واضح عند غريغوريوس النيسي . (XLIV, 973 C ; XLVI, 674 A) . اما بالمعنى الصوفي فهو نقيض الاول يدل على خروج النفس من ذاتها تحت شدة تأثير الحضور الالهي . وقد مرَّ ذكره في المؤلف الاول لغريغوريوس مداره على البتولية .

فهو يبين تسامي الله بالنسبة الى كل خير . فان الخيور بالنسبة اليه تعالى كقطرة ماء الى لجج البحر ، او كشرارة بالنسبة الى سطوع الشمس (XLVI, 361, A) ولذلك « لا يستطيع الذي رآه بواسطة احدى النعم الالهية الا ان يحتفظ بدهشته (ἔκπληξις) الغامضة في مطاوي ضميره . . . وهذه الاستحالة الغامضة (ἀμηχανία) قد احسن الاعراب عنها كما يلوح لي ، النبي العظيم داود . فانه ، عندما رفعت قوة الروح عقله وخرج نوعاً من ذاته ، رأى ذلك الجمال المستحيل (ἀμήχανον) وغير المفهوم (ἀκατάληπτον) في انخطاف (ἔκστασις) يثير الغبطة ، ليعرب ، كما ينبغي ، عما رآه ، فصاح قائلاً : « كل انسان كاذب » (XLVI, 361 B) والمراد في هذا المقام هو تسامي الطبيعة الالهية الذي ينتزع النفس من ذاتها ويلقي بها في الاندهاش والانخطاف . واننا لنلحظ عبارة (ἀμηχανία) ، التي مرت بنا وهي تدل على ان الانسان قد تخلى كل التخلي عن كل شيء .

وثمت مقطع آخر ، مستمد من كتاب ردوده على انوميوس (*Contre Eunomius*) يتعلق بانخطاف ابرهيم ، يرينا الموضوعات نفسها التي مرت بنا بمناسبة كلامه على ظلام موسى . بعد ان خرج ابراهيم من ذاته — ومن مسقط رأسه ؟ اعني بذلك بعد ان ترك ذهنيته المنحطة الارضية ، وبعد ان تعدّى ، في تصوره الله ، كلّ تمثّل محدود للطبيعة الالهية . وبعد ان طهّر عقله من اي مفهوم كان ، وبعد ان فاز بايمان لا غبار عليه ، اتخذ علامة لمعرفة الله معرفة اكيدة وواضحة ، الايمان بانهُ يتجاوز كل علامة محدودة . فلذلك هتف ، بعد الانجذاب الذي وقع عليه عقب تلك الرؤى ، وبعد ان رجع الى ضعفه الانساني : « اني رماد وتراب ، اعني ابكم وعيّ عن ايضاح ما رأيت » ، وتفيدنا هذه الرواية ان ما من سبيل للاقتراب من الله الا بواسطة الايمان الذي يوحّد العقل الباحث بالطبيعة الغير المدركة (XLV, 941 A-B) .

وهذا النص هو من كتاب لاهوتي لا صوفي : وهذا ما يوضح ان المقصود انما هو تسامي الكنه الالهي بالنسبة الى كل تحديد . ولكن ليس الكلام هنا عن التسامي السلبي فقط ، الشبيه بتسامي « الواحد » (العلة الاولى) ، لدى اصحاب الافلاطونية المستحدثة ، بل هو الانخطاف الذي « ينسكب » على النفس

ويخرجها من ذاتهـا ليدخلها في عالم الله ، فتنحدر بعد ذلك منه الى الضعف الانساني. واننا لنرى من ناحية اخرى ان الانخطاف مرتبط بالقرب من الله ، فاذاً بحضوره ؛ مما يتعلق بحقيقة اله التوراة الحي لا بالكنه الذي يقول به اصحاب الافلاطونية المستحدثة . وصفوة الكلام ان الايمان يبدو بوجه خاص كالطريق الوحيدة للاتحاد مع الطبيعة الغير المفهومة . تلك هي العبارات نفسها التي رأيناها في تفسيره نشيد الاناشيد بمناسبة كلامه على الظلام . وفي مثل هـذا المقام لم نخرج عن نطاق الموضوع نفسه . اما المهم هنا فالصلة القائمة بين علم اللاهوت الغريغوري وبين صوفية غريغوريوس . ان تقدم علم اللاهوت في القرن الرابع بشأن تسامي الله ، افسح مجالاً للاعراب باكثر دقة عن تجربة لم يكن المتصوفون القدامى يجهلونها ، على ما نظن ، انما قد كانوا عاجزين عن الافصاح عنها تماماً .

ب — السكر الزهدي — يتصل مبحث الانخطاف لدى غريغوريوس اتصالاً وثيقاً بمبحث السكر الزهدي . ومن المعلوم ان استخدام هذا التعبير يرتقي الى فيلون . ان هذا المبحث ، كمبحث الظلام والانخطاف ، يعرفنـا من جديد ، مدى تأثر غريغوريوس بالنسبة الى ذلك المتصوف اليهودي العظيم . فالسكر الزهدي تعبير مغاير للمألوف ينبغي ان نجعله على نحو الظلام المنير ، فهو يدل على شكل التجربة الانخطافية الانفعالي ، عن طريق المقارنة بين الخروج عن الذات بتأثير السكر الطبيعي ؛ بيـد انه سكر زهدي اي انه يسمو بالعقل ولا يحطه . كما يدل الظـلام المنير الى ظلام العقل لا بسبب فقدان النور كما هي الحالة في ظلام الجهل ، بل بالعكس بازدياد النور . والقضية تظهر ذات المرار في اقوال غريغوريوس (XLVI, 692 B-C; XLIV 873. D. 1032. C) اما النص الرئيسي فقد ورد في ميمره الحادي عشر على نشيد الاناشيد به فسر الآية (نشيد ٥ : ٢) : « اشربوا ايها الاصدقاء واسكروا يا احبائي » .

وقـد اوضح غريغوريوس « خاصة السكر (μέθη) بانها تحدث انخطاف (ἔκστασις) العقل الذي تغلبه الخمرة » ، اما هنا فالامر يتعلق بانخطاف وانتقال (μετάβασις) من الامور الدنيا الى الامور العليا (XLIV, 989 C) . وبذلك

(1) Voir Hans Lewy, *Sobria ebrietas*, p. 73-107.

دل على صلة الانخطاف بالسكر دلالة واضحة . وتابع يقول : ان « داود قد نَيلَ بهذا السكر في اليوم الذي خرج فيه عن ذاته ودخل في الانخطاف .. — ورأى الجمال الغير المرئي (ἀόρατον) وفاه بالآية الشهيرة : « كل انسان كاذب » (مز ١١٥ : ١١) (XLIV, 989 D) . واننا لنجد هنا قضية انخطاف داود مع التعابير نفسها التي نطالعها في مقالة البتولية . وقد تحدث ايضاً عن داود كانخطافي في مقاطع اخرى (XLIV, 509 C; XLVI, 693 A) . وعلى كل فقد حُدِّد مفهوم الانخطاف هنا بمفهوم السكر . اما تأمل غير المرئيات (ἀόρατα) فينبغي لنا ان نفهم به ، كما مر بنا الكلام عن الظلام ، ليس عدم الرؤية المتعلقة بالحقائق الفائقة الطبيعة في نظر الانسان الطبيعي ، بل عدم الرؤية الاصلية للكنه الالهي .

ولقد تابع غريغوريوس سرد امثال اخرى على السكر الانخطافي في الكتاب المقدس فقال : « ان بولس بنيامين الجديد قد سكر بهذا السكر عندما دخل الانخطاف — وهتف قائلاً : ان تعدينا حدود التعقل — فلله ، وان كنا متعقلين فلاجلكم (الرسالة الثانية لاهل كورنتس ف ٥—١٣) . وكان انخطافه نحو الله » (XLIV, 989 D) . ويتضح من العودة الى الزبور السابع والستين ، الآية : ٢٨ ، ان بنيامين الجديد يشير الى بولس المسمى بالمنخطف « هناك بنيامين الصغير في اختطاف (ἔκστασις) الروح (مزمور ٦٧ : ٢٨) وفسر غريغوريوس في مكان اخر ذلك بقوله : « لقد اشار العهد القديم سلفاً بصور ورموز الى سيات الرسل الخاصة بهم ، ويوجد بينهم بالاخص «بنيامين الصغير» في انخطاف ، متمرس بالاسرار . وما هذا الا بولس الرسول الالهي المنحدر من ذرية ابرهيم من سبط بنيامين » . (XLIV, 577 B) . وهنا المع غريغوريوس الى طابع للانخطاف ، هو كونه غير « قابل للوصف » . فلذلك لا يصلح او يستخدم للتعليم . ولا يغرب عنا ما قاله القديس بولس في هذا الصدد عن مواهب النطق بالالسنة او الوحي مقابل مواهب النبوءة .

وها هوذا بعد القديس بولس ، القديس بطرس يكمل لائحة الذين يداركهم الانخطاف . « اني اعلم ان الطوباوي بطرس قد سكر هذا الضرب من السكر ، فكان متعطشاً وسكران في آن واحد . وقبل ان يُقدَّم له الطعام

الجسدي ، بينا كان صادياً متشوقاً الى الشرب ، وكان اخصاؤه يعدون له المائدة ، ادركهُ السكر الالهي والزهدي واخرجه عن ذاتـه » . (ἡ θεία καὶ νηφάλιος μέθη) XLIV, 989 D; 992 A ، وردّنا غريغوريوس الى فقرة الفصل العاشر من اعمال الرسل الآيـة العاشرة حيث وردت فعلاً كلمة (μέθη) . وقد وُصِفَ هذا الانخطاف « كسكرٍ زهدي والهي » . ولنا هنا تعابير ما يخالف المألوف التقليدي . وبيّن غريغوريوس طابع « الزهدي » في هذا السكر ، مشيرًا الى ان بطرس كان صائمـاً . فيبدو كأنه المع الى خطاب بطرس نفسه في الفصل الثاني من اعمال الرسل الفقرة ١٥ : « ان هؤلاء ليسوا بسكارى (μεθύουσιν) ، كما ظننتم ، اذ هي الساعة الثالثة » . ومما يلفت النظر القول ان السكر قد « انصبَّ » على بطرس ، كما قيل في انخطاف ابراهيم. فعرف بذلك مجددًا طابع الانخطاف الانفعالي الحادّ الموقت .

ج — الرقاد المسهّد — يتلو مبحث السكر مبحث الرقاد مباشرةً وفق ترتيب النص ذاته في الميمر الحادي عشر في نشيد الاناشيد وقد جاء فيه : انام وقلبي ساهر (نشيد ٥ : ٢) . لقد اعرب النوم في هذا الموضع اعرابًا عجيباً عن الانخطاف . فانه في المعنى الحقيقي ، (ἔκστασις) ، انجذاب يخرج العقل عن ذاته لكي يخضعه للمخيلة . وبهذا المعنى تظهر اشياء الروحية كيقظة ، كتسهيد ، ينتشل النفس من احلام موهومة هي الملاذ اللحمية (XLIV 996 A-D) . اما من الطرف الآخر فان حقيقة الحضور الالهي السامية تقتلع النفس من ذاتها وعن طرق عقلها ، ليس بباطل الاحلام اللحمية ، بل بحقيقة الحضور الالهي السامية. فالكلام اذن عن رقاد هو اسمى من السهر ، لا ادنى منـه . يعرب عنه بخالف جديد للمألوف « غرابة الرقاد المسهّد » . والعادة هي ان يعقب الرقاد السكر . . . اما في هـذا الموضع فالكلام عن رقاد غير عادي (ξένος) وغريب عن الواقع المألوف . وصفوة الكلام ان الراقد في النوم المعتاد ليس بساهر ، والساهر هو من لا ينام ، فرقادٌ وسهادٌ ضدان يتعاقبان . فنرى هنا في المضادات مزجاً غريباً (παράδοξος) لم يسمع بمثله (καινός) (XLIV. 992 C).

ويسبغ هذا الرقاد الصوفي صورة جديدة على الانخطاف . اذ تستولي على

النفس حقيقة الله استيلاء تتلاشى معه النفس في تأملها فتفقد كل وعي « عما دون الحقيقة » فان التأمل بالحضور الحقيقية ، اذ يجعل النفس تنذدري كل امر آخر ، يوقف عمل المشاعر ، كأنه ضرب من الرقاد ، وتكون النفس المتحلية بالكمال طليقة من اي شيء يعترضها ، لانها قد استغرقت في تأمل الحقيقة السامية دون سواها . واذ ذاك يباشر القلب نشاطه ، وقد تطهر كل التطهير . ويتأمل العقل الحقائق العلوية ، من دون ان يعكر صفوه اي تأثير كان . وتنعم النفس بالتأمل وحده (θεωρία) في الحقيقة ، واذ تدع كل عمل جسماني في سبات من جراء تطهير العقل وتعريته ، تتقبل ظهور الله في سهرة إلهية . نتمنى ان نصير خليقين بهذا الظهور ، اذ نحقق بواسطة هذا الرقاد يقظة النفس (XLIV 993 A C) . والذي يلفت النظر ان غريغوريوس على جاري عادته ، لم يهتم لامر ايقاف المشاعر ايقافاً نفسانياً ، لا ينفك غامضاً ، وانما كان اهتمامه للواقع الصوفي بشدة وطأة الحضور الالهي ، حضوراً يستولي على النفس ويستغرقها بحيث يذهب بكل انتباهها . ولم يستثن ما لهذا الاستيلاء من اهتزاز نفساني ، بل يبدو ان ميزة التعريف الاختبارية الواقعية ، قد اثارته في الذهن .

د — الدوار — ان عمى البصيرة الذي يرمز اليه الظلام ، يوضح عجز النفس عن تحمل سنى النور الالهي والسكرُ عدم قدرتها على احتمال شدة وطأة السعادة الالهية . واعظم ما يرمز اليه الدوار ، مردّه بالاخص ، الى عظمة اتساع الله . فيبين شدة اضطراب النفس في قيامها امام حقيقة لا قياس مشترك بينها وبينها . ولقد قال غريغوريوس : « ان النفس محصورة ضمن حدودها الخاصة بها ، وهي من طبيعة عالم الفضاء والزمن » . فكيف يسعها ادراك الحقيقة التي تتعدى كل مقياس ؟ فلا وسيلة (μηχανή) لديها تمكنها من البقاء خارج ذاتها وان ترقى الى ما هو فوق جميع الكائنات والى الابدية نفسها » (XLIV, 729 C) . نرانا في هذا المكان امام معنى مفادهُ فقدانُ الأداة التي قد حددت ، في صدد الكلام على الظلام ، طبيعة العقل المخلوق مجرداً عن كل شيء ، حيال من لا قياس مشترك بينه وبينه .

ولم يوضح غريغوريوس هذا الامر مستنداً الى اعتبار نظري فقط ، بل الى تجربة حسية اعرب عنها بصورة الدوار الذي ردد ذكره مرتين في كتابه

فوردت فقرته الاولى في تفسير سفر الجامعة كما يلي : « لنفرض صخرة بحرية شاهقة ، ذات قمة محدودة ، وهي وعشة ، تشرف على شفار هاوٍ ، فاغرة الفم وتمتد حافتها فوق عمق لا نهاية له ، ولنتصور مـا يخالج الرجل الذي تلامس اطراف قدمه الحافة القائمة فوق الهاوية ، وهو لا يجد ايَّ مستندٍ لرجله ، وايَّ مقبض ليده . فان مثل هذا الشعور يستولي على النفس التي تعدت الفضاء الشاسع للبحث عن الحقيقة القائمة وراء الزمن والفضاء ، فهي (اي النفس) لا تجد شيئاً تتمسك به . لا مكان ولا زمان ولا مقياس ولا اي شيء آخر ، كان يستطيع ان يعرض على العقل ما يتمسك به : فتزلج النفس من دون أن تقوى على ان تتمسك من اية جهة كانت ، باية حقيقة ويستولي عليها الدوار معرَّاةً من كل شيء . (ἰλιγγιᾷ καὶ ἀμηχανεῖ) (XLIV, 729 D - 732 A) . »

وفي الميمر السادس على ضروب الغبطة ما يشبه هذه الصورة . اذ تحدث فيه عن جبلٍ شامخ مشرف على اللجة (βυθός) . فلا يخفى ما يشعر به مَن اجال من فوقه نظره في العمق . كذلك يستولي الدوار (ἰλιγγιᾷ) على نفسي بقيامها امام الفقرة : ما من احدٍ رأى الله . لان الصخرة الوعثاء لم تدع للعقل مقرًا يتمسك به ، وهي الصخرة التي جاءنا بها موسى بالبرهان على انه من المستحيل ارتقاؤها (ἀπρόσιτον) ، فلا يستطيع العقل ان يجد في اي موضع مستنداً له ، اذ أفلتت من يده كل وسيلة بالعبارة السلبية (ἀπόφασις) : « لا يمكن لاحد ان يرى الله ولا يموت » (XLIV, 1264 C) . والمعنى الذي ينبغي ان نعبر به هذه العبارة نجده بالمقارنة مع نص الفصل الثالث والثلاثين الآية ٢٠ من سفر الخروج (٣٣ : ٢٠) . لان الامر مردّه الى بهرة عظمة الله الحي الذي لا يقوى انسان على الدنو منه . وما الدوار سوى الصورة المعبّرة عن هذه الغُصّة .

هـ — الهيام اللّاشهواني : اذا كان الدوار قد دلّ على ما يجلّيه بالعقل من غُصّة حيال جلال الله النير المتناهي ، فان الهيام ليدل على الجنون في الحب ، جنوناً ينتزع العقل من ذاته على قدر ما يتضح له لطف الله تعالى ومحبوبيته النير المتناهية . وما يهمنا في هذا المقام ان نسرع فنقول ان هذا الهيام لا شبه ولا علاقه بينه وبين الهيام الافلاطوني الذي التبس امره على السيد اندرس نيغران

في الفصل الذي خصّه بدراسة غريغوريوس النيصي : الهيام والمحبة ، Eros und Agapé . فلا مندوحة لنا عن المقارنة بين هذا التعبير وبين السكر والانخطاف ، للدلالة على حالة النفس التي انتزعتها من ذاتها شدةُ وطأة حضور الاله المعبود بضرب من الجنون ، يخرجها عن مسالكها الخاصة بها ، ويجعلها تلقي بذاتها في مسالك الله . وليس المراد بهذا الحب الجنوني الرغبة في حصر كل ملكية بـ« أنا » ، بل حباً انخطافياً . وينطبق الهيام هنا ، كما قال غريغوريوس صراحة ، على المحبة الانجيلية في شكلها الاعظم اتساعاً : « اذا ما رأت النفس جمال العروس الفائق الوصف ، اتخذها جراحاً سهم المحبة (ἔρως) اللاجسدي المضطرم حباً . وهذا ما يسمى شدة وطأة المحبة . (ἡ ἐπιτεταμένη ἀγάπη) (XLIV, 1048 C)

والذي استرعى انتباه غريغوريوس قبل كل امر آخر ، هو طابع المحبة الانشغافي ، وقد بدا له خير رمز الى انفعال النفس التي سحرها جمال الاله الغير المتناهي بظهوره لها . ولهذا السبب برّر غريغوريوس استخدام سفر نشيد الاناشيد ، صورة الزواج ليعبّر عن الحب الالهي : « ان الكتاب المقدس ، ليفهمنا اسمى تعاليمه ، استخدم كرمز ، أعنف ما فينا من الاميال ، اعني عاطفة الحب (ἐρωτικὸν πάθος) ، لندرك بذلك ان النفس التي تتأمل جمال الطبيعة الالهية الذي يفوت الافهام ، قد سحرها (ἐρᾶν) على قدر ما في الجسم من اندفاع الى ما هو مشترك في الطبيعة معه ، فنفسنا ، بتحويلها هذه العاطفة الى لاشعور (ἀπάθεια) ، بحيث تكبت فينا كل شهوة لحمية ، تضطرم حباً (ἐρωτικῶς) بلهيب الروح دون سواه » (XLIV, 773 G-D) . والهيام اللاعقلي بصفة كونه انجذاباً طبيعياً يشد الاجسام واحدها الى الآخر ، فهو صورة لهذه الجاذبية الفائقة العقل التي تجتذب النفس غصباً الى الله بعاطفة لاحسية (πάθος ἀπαθές) (XLIV, 372 A) . اننا لنقع ايضاً على مغايرة جديدة للمألوف .

والذي يهمنا في مثل هذا المقام هو أن هذا الهيام كناية عن حالة النفس عندما يصبح جمال الله الغير المتناهي اشد اقتراباً منها . اذ كلما ازدادت معرفة بهذا الجمال ، كلما فهمت عدم استطاعة ادراكه ؟ فتحقق اذ ذاك انها تصل اليه بالشوق اكثر منه بالامتلاك ؟ كما انها تعرفه بالظلام اكثر مما تعرفه بالنور .

ان النفس المجذوبة بكلمة الله، والباحثة عما لا تجده ، ليحدمها ويثخنها ضرب من يأس (ἀνελπιστία) بحصولها على ما ترغب . لكنّ هذا الحجاب من الغم ليسقط ، عندما تعلم ان حصولها الحقيقي على من تحبه ، قائم بان تتوق اليه ابدَ الدهر . وعندما ترى النفس جمال المحبوب (ἀγαπώμενος) الباعث على اليأس والذي لا تحيط به حدود ، ينكشف لها هذا الجمال دائماً اشد عظمة عبرَ ابدية الاجيال ، فيحتدم فيها شوق اعظم وتعرب عن استعداد قلبها قائلة انها قد تلقت السهم الذي اختاره الله ، وأصابت قلبها شباة الايمان ، وقد جرحها الحب (ἀγάπη) جرحاً قاتلًا . (XLIV, 1037 C) .

هذا هو المعنى للهيام الانخطافي في عرف غريغوريوس ، يظهر جلياً . وهو ايضاً يقابل ذروة الحياة الروحية حيث تكتشف النفس الله اكتشافاً اوسع ، فتدرك تساميه ادراكاً اعظم . اما اكتشافها هذا الذي قد يرميها في حضن اليأس ، فهو بالحقيقة تجربة اقتراب اكثر دنواً من الله . انما ذلك عبارة عن ايمان حي يبعثه الحب الالهي في النفس ، ويُسكن الايمان فيها الثالوث ويجعلها تختبر جماله اللامتناهي . ويشعنا ان نردف ونقول انه اذا ما انتزع من النفس كل مطمع بامتلاك الله امتلاكاً يحاول معه ان تنقل الله الى ذاتها ، فالايمان يخرجها من قطبها الذاتي ليمركزها في الله مجرداً اياها تاماً عن اي مسلكية . وهذا ما يجعلنا نبلغ غور الصوفية الغريغورية ذاته . انه لمذهب الحب الانخطافي. وانه لذلك الشكل الذي يجعل غريغوريوس على طرفي نقيض مع كبار رجال التأمل العقليين كاوريجانوس اوايفاغر (Évagre) ففي عرفه اي (غريغوريوس) تتحول المعرفة المشرقة (gnose) الى حبّ (XLVI 96 D) .

٣ — الانخطاف التدرجي : اننا في الاقوال الاخيرة التي اوضحناها ، قد تركنا جانباً فكرة رئيسية لا بد لنا من ان نرجع اليها في النهاية ، الا وهي فكرة تدرّج النفس في تقدمها عبرَ ابدية الاجيال . فتجربة الله السامية التي يكوّنها الانخطاف ، لا تبدو كعمل يتكرّر فقط على شاكلة واحدة ، بل انه يشتمل على توسّع في نموّه لا نهاية له. فاذا كان الله لا ينقطع عن ان يكون ظلاماً ، فان النفس تتقدّم في داخل هذا الظلام ، وليس من شيء يدلّ افضل من هذا ، على الميزة الموضوعية التي يمثلها هذا الظلام . قد استشهد غريغوريوس

بنص رسالة القديس بولس الى اهل فيلبي(٣:١٤): «ناسياً ما ورائي ومتمدّاً بكليتي الى ما امامي» (ἐπεκτεινόμενος)، تبياناً لهذا النمو الذي يقوم ميزة تجربته المتفرد بهــا كل التفرد . ولقد اوضح قوة امتداد النفس هذه باستخدامه مرة الاسم (ἐπέκτασις) (XLIV, 288 A) . فلذلك اطلقت عــلى شكل هذه الحياة الصوفية اسم الانخطاف التدريجي (Doctrine Spirituelle de Saint Grégoire de Nysse. p.309. 32) وقبل القديس غريغوريوس كان نصّ اقوال القديس بولس مستخدماً للدلالة على الميزة التقدمية في الحياة الروحية . (عند القديس ايريني ، ردّه على الهراطقة، (P. G. II, 1002 B. P.G. :IV,11,2)؛ واقليموس الاسكندري Stromates VII ; P.G. IX, 412 D ; Origène, *Hom. Num.* — XVII, 5 ; *De Oratione*, 25 ; St. Basile. P.G. 144 D ; XXXI. 389 C) وعلى كل ان تلك الميزة تبدو عند غريغوريوس وحده، كأنها مقومة للحياة الصوفية ، وايضاً للرؤية السعيدة ، كما يلوح لنا .

ولا بد لنا في هذا المقام من العودة الى النقطة التي بدأنا بها اي الى الرؤية في الظلام في كتاب حياة موسى . وكان يبدو ان هذه الرؤية تمثل ذروة الحياة الروحية . فبعد رؤية الله على جبل سيدا يخبرنا سفر الخروج ان موسى طلب منه ان يتراءى له (الخروج ٣٣:٢٠) « ولمــا صعد الى اعلى القمم اضطرم شوقاً وظل متعطشاً للاستزادة ؛ ولم يبرح صادياً الى ما امتلأ منه وارتوى ، فسأل ، كأنه لم ينعم به بعد، متضرعاً الى الله ليتراءى له كما هو بذاته ، لا على مقدار ما يستطيع هو(موسى) ان يساهم في رؤيته ، بل كما هو بذاته» (XLIV, 403 D) . « كيف يطلب من الله الرجل الذي شهد ظهوره كثيراً ، ان يتراءى له ايضاً كأنه لم يحصل بعد على ما قاله لنا الكتاب المقدس انه وجده» (XLIV, 400 A) . اننا لا نبرح حيال الامر نفسه ، وهو امر رؤية الله غير المرئي ، كما هو بذاته . بيد اننا امام شكل جديد لهذه الرؤية ، وها هو بادٍ لنا .

لقد اجاب الله على سؤال موسى « بان منحه ما طلب ، وذلك بمجرد رفضه الطلب لما سأل » (400 A) . فانه يمتنع ان يمنح الله ما هو عليه بالذات . لان الكنه الالهي يتجاوز كل تحديد ، فمن يعتقد انه يدركه بمعرفة محدودة ، « فهو يمر به مرًا دون ان يكتنهه» (403 B) . غير ان الله لما رفض ان يظهر ،

كما هو لموسى ، فقد قال له انه سيراه مجتازًا من قفاه (سفر الخروج ٣٣: ٢٦).
مما يعني انه اذا كان وهماً حتماً ، فذلك لا يفيد انه ينبغي للنفس ان تعدل عن امتلاكها اياه ، لان الشوق نفسه ، الذي يجرها الى البحث عن الله ، هو ادراك له تعالى . وهذا الادراك وحده ينطبق في آن واحد ، على ما هو الله ، وعلى ما هي النفس : « بذلك تقوم رؤية الله الحقيقية ، اي بان من يرفع عينيه نحوه لا ينقطع عن ان يشتاقه (404 A) .... ان رؤية الله الحقيقية هي ان لا تشبع من هذا الشوق » (404 D) . « وفي مثل هذا المقام نقع على شكل جديد لعلم اللاهوت السلبي . فليست هنا العبارة : « الرؤية تقوم بان لا نرى » كما في الظلام ، بل هي رؤية الاله الغير المتناهي ، في شوق النفس الغير المتناهي .

ولهذا المفهوم اساسه في علم اللاهوت لغريغوريوس على شاكلة مفهوم الظلام . فهو يتصل بتعليمه بشأن الاشراك الذي به يشرك الله النفس في حياته . فتزداد مقدرتها ازديادًا بلا انقطاع يجعلها خليقةً بخيور جديدة . ولست اتبسط بالكلام حول هذا المظهر الاعتقادي (Voir *Doctrine Spirituelle de Grégoire de Nysse*, pp. 309-314) ، وما يهمنا هنا هو الوجه الصوفي الخاص للانخطاف التدريجي . اما المقصود فالعمل الذي يباشره الله على النفس ويرفعها الى فوق ذاتها ويحملها اليه . « كما تنجرّ الاجسام الثقيلة نحو الاسفل بحركة سريعة ، كذلك تثب النفس التي تخلصت من علاقاتها الارضية وثبة خفيفة سريعة نحو الاعالي ، فاذا لم يوقف وثبتها شيء آتٍ من اسفل ، وكان من طبيعة الخير المطلق ان يجذب اليه من يديرون وجوههم نحوه ، تزداد النفس دائمًا في ارتقائها فوق ذاتها ، منجذبة بالشوق الى الامور السماوية نحو ما هو الى الامام (ἐπεκτεινόμενος) كما قال الرسول (XLIV, 401 A) . فالانخطاف التدريجي المقصود صراحة هو بادئ بدء نتيجة الانجذاب الذي يباشره الله ويرفع النفس فوق ذاتها . وهنا نقع على شكل تجربة للانخطاف له ميزته ولا تخلو من الفائدة مقارنته مع اقوال القديس اغوسطينوس حيث يتكلم على الجاذبية التي يباشرها الله على النفس كثقل يرتفع الى الاعلى (pondus ad sursum) ويجعلها ترتقي دائمًا فوق ذاتها . اما ميزة غريغوريوس فتقوم بان تقدّم النفس هذا يكون مطردًا الى ما لا نهاية له ، وبان تعديها المستمر لحدود ذاتها هو لها التجربة لتسامي الاله .

واشار غريغوريوس في موضع آخر الى الطابع اللامتناهي لهذا النمو : «بعد ان نقل الرسول العظيم الى الكورنثيين الرؤى التي رآها ، وافاد عمّا استولى عليه من حَيْرةٍ حول الوضع الذي كان فيه عندما عرف الفردوس (ἀπαγωγία) اردف :لا اظن اني ادركت بجمالة العاوية لكي امتد الى ما امامي (ἐπεκτεινόμενος) ناسياً ما كُمِّل » ؛ حتى انه بعد ان عرف السماء الثالثة التي كان له وحده ان يعرفها ، وبعد ان سمع اقوالاً عن سر الفردوس يعجز اللسان عن وصفها ، لم يبرح توّاقاً الى الاعلى ، لا يوقف ارتقاءه غير جاعل مما ناله حدًا لشوقه ، علمنا بذلك ان ما نستكشفه في حقيقة الخيور السعيدة هو غزير حقًا ، لكن ما يتجاوز ادراكنا في كل لحظة ، هو غير متناهٍ . — وهذا يجري ابدَ الدهر— ان النفس تنطلق من اشواطٍ في اشواطٍ باشواطٍ لا نهاية لها . (XLIV, 941 A-944 C).

قد استخدم غريغوريوس للدلالة على هذه التجربة صورةً تساعدنا على فهم معناها وهي : رؤية نبع ماء دائم التفجر . فكما ان مـا ينكشف بدون انقطاع يبدو اكثر جدّةً (καινότερον) مما كان معروفاً من ذي قبـل (παραδοξότερον) ، كذلك من ينظر الى الجمال الالهي والغير المتناهي، يندهش مما لا ينقطع عن ان يظهر ؛ وهو لا يبرح توّاقاً الى الاستزادة من الرؤية ، لان المنتظر يستمرّ ابداً اشدّ روعةً واكثر الوهيةً مما رؤي (XLIV, 1000 A-B) .

والميزة هنا هي فكرة « الجدة » و « الغرابة » . فان تجربة الله هي تجربـة جدةٍ منتمرّة ، تبقي النفس في حالة دهشٍ وذهول . وقد دلت عبارة المغاير للمألوف (paradoxe) على الانخطاف . اما الانخطاف التدريجي فكأنه كناية عن نموٍ مستمرّ في الانخطاف ، كضرب من ضروبه ، بقدر مـا تتضح فيه الكمالات الالهية الغير المتناهية ، تلقي النفس في دهشة دائمة التجدد .

وما يجعلنا نلمس شكلاً اخيرًا للانخطاف التدريجي ، هو انه ليس المقصود به شوقاً لا يدرك شيئاً من هدفه الذي لا يكون سوى فراغٍ غير متناهٍ ، بل هو شوق لا ينفكّ عن ارواء غلته ، من دون ان يستنفد مرماه ابداً . وبذلك كان تقدماً لا نهايةً له . وهذا هو الذي يكوّن الانخطاف التدريجي بوجـه خاص ، ويجعل مضمونه مضموناً موضوعياً على اسمى وجـه . ولئن راجعنا سفر الخروج ٣٣ لوجدنا ان موسى قد أعطي رؤية اجتياز الله في «نقرة الصخرة».

وترمز هـذه الصخرة في نظر غريغوريوس الى استقرار الشوق الذي ، باستناده الى قاعدة وطيدة هي المكاشفة الدائمة التي يكشفها الله عن ذاته (وهذه صوفية النور) ، يستمد منها — هذا الشوق — تقدماً مستمرًا (وهذه صوفية الظلام).

بذلك نصل الى مغايرة للمألوف اخيرة ، الى تناقض سام هو «الحركة المستقرة» التي تعرّف حق التعريف الانخطاف التدريجي : «يا موسى ، بما انك مشرأبٌ بشوق عظيم الى ما هو في الامام (ἐπεκτεινόμενος) ، وبما ان جريك لا يعرف الوهن ، اعلم بانه يقوم قريباً مني فضاء واسع كل الاتساع بحيث انك باجتيازه لن تجد ابدًا حدًّا لجريك . اما من وجهة نظر اخرى ، فان هذا الجري هو استقرار (στάσις) . اني سأقيمك على الصخرة . وانه لمن اعظم الامور تناقضاً (παραδοξότατον) ان يكون الاستقرار (στάσις) والحركة (κίνησις) امرًا واحدًا . وانه لمن المعتاد ان من يتقدم ليس غير متحرك ومن هو غير متحرك لا يتقدم . اما هنا فمن حيث انه غير متحرك فانه يتقدم » (XLIV, 405 C) » .

ان الانخطاف التدريجي هو حركة ثابتة . فاذا كان هدي النفس من غنائم الاستقرار بالمعارضة لهيجان الاميال ، فيبدو هذا الاستقرار في اسمى درجاته ، ليس كانعدام الحركة ، ولكن كفاعلية روحية قوية جدًا ؛ فهو الجمع بين سكون عمق البذر وجري النهر (XLIV, 977 C) . واننا لنقع على انقلاب شبيه بالذي رأيناه في امر الظلام والانخطاف ؛ فظلام انخطاف وانخطاف تدريجي هي عبارات ثلاث لتجربة صوفية واحدة بعينها . ولقد مثل غريغوريوس تجربة الحركة الثابتة هذه بصورة الطريق : «ما ازداد الانسان استمرارًا وثباتاً في الفضيلة ، ازداد تقدماً في طريق الخير والصلاح . وباطلًا يوسّع الخطى مَن يتسلقون كثيباً من الرمال ، وعبثاً يجهدون انفسهم ، لان الرمال بانهياره يردّهم دائماً الى تحت : اجل ان هناك حركة مبذولة ، ولكن لا تقدم فيها . اما اذا انتشل انسان ارجله من الهاوية ، بحسب قول صاحب المزامير ، وثبتها على الصخرة — والصخرة هي المسيح — فان سيره ليزداد سرعة ، على قدر ما هو راسخ وغير متزعزع في الصلاح . واستقراره (στάσις) كجناح له . (XLIV, 405 C.) . وبذلك نرى كيف ان الانخطاف التدريجي ، بايضاحه شكلًا جديدًا لصوفية الظلام ، شكل الشوق الذي لا ينتهي ، يخوّلنا ان نوحد صوفية النور وصوفية الظلام ، مبيّناً انهما شكلان يستلزم احدهما الآخر ، ومتمّمان لشكل واحد ، هو شكل التجربة الوحيدة .

الهندوية

بقلم ...

كانت السفينة التي اقلّت القديس فرنسيس كسافير (St François Xavier) في الخامس والعشرين من نيسان سنة ١٥٥٢ تجتاز ميناء كوشان (Cochin) وما هي الّا بضع ساعات حتى غابت عن انظاره شيئاً فشيئاً اشجار النخيل والنارجيل على ساحل المليبار، في الافق البعيد. اما القديس فلن يرى في حياته الهند للمرة الثانية.

ولم يكن بمقدور ذلك الفاتح الذي اشرأب الى المستقبل متطلعاً الى اليابان والصين الّا ان يعيد النظر في سجلّ اعماله الماضية التي باشر اهمّها واعظمها قيمة في الهند.

ولا شكّ في ان بعض الكنائس كانت تقوم هناك في ظل حصون برتغالية. اما الهند بمجموعها فكانت لا تزال مغلقة في وجه المسيح، ومن المؤكد ان عدد الرجال القليل وجهل اللغات والعادات قد كانت عقبات كؤودا في سبيل بلوغ هذه الامنية، أفلم يكن ثمّت اسباب ابعد اثراً لهذا الاخفاق ؟

اجل ان دراسة خاطفة للدين الهندوي ستخوّلنا ان نعرف الجبّار الذي ستصطرع به المسيحية.

واكّد الاسقف سفرن (Mgr Sévrin s. j.) ان الديانة الهندوية هي سر من الصعب كل الصعوبة تحديدها. اما المشترعون فاعلنوا ان الهندوي هو كل مولود من ابوين هندويين ولم يتخلّ صراحة عن عادات السلف بانضمامه الى المسيحية او البوذية او الاسلام.

ووصف احد مؤرخي الاديان الهندوية بقوله:

انها ديانة اشبه بندوة اديان اكثر منها ديناً، فلا مؤسس لها معروف ولا سلطة مركزية فيها فهي ندوة تقبل في حضنها شتيت العادات والمعتقدات، من عادات القروي البسيط ومعتقداته، هذا القروي الذي يكسر جوزة نارجيل في صباح يوم المرض امام تمثال كانيش (Ganesh) الاله الذي له رأس فيل ويضع بضع ازهار على قاعدة احد الانصاب الذي يمثل الربّة، الى نظريات الفيلسوف وضروب المناجاة الصوفية، ويحتل كل شيء مقامه في عدد الجنة من الديانة الرفيعة حتى الجنة الدنيا — من نكد الطالع.

ولو شئنا تلخص عناصر الهندوية الجوهرية لكان في وسعنا القول: حسب الديانة الهندية، قبول الفيدا (Védas) اي كتب الحكمة الهندوية والايمان بالتناسخ — والولادة في احدى الطوائف الهندوية ، فليس الهندوي اذاً الا كمولود من ابوين هندويين وقد تبنّى عاداتها ،كشبه عقيدة وكهندويٍّ لقب ديني .

وتبدو الديانة الهندية كأنها من الرواسب التي تجمعت على ممرّ الاجيال من عناصر شتيتة انبثقت من تيارين كبيرين :

التيار « الدراڤيدي » (dravidien) والتيار «الآري» (aryen) . اما تمييز أرمها[1] فيرجع بنا الى اكثر من ثلاثة الاف سنة قبل المسيح اي الى الزمن الذي كانت تزدهر فيه حضارتا موهنجو دارو (Mohenjo Daro) وامري (Amri) في الشمال الغربي ، وكونّتا اساسها اذ كانت تتميز آنذاك اروبة عريقة في القدم من المحتمل انها الارومة السومرية (sumérienne) واصل هندي بحت .

ولقد كوّن الدراڤيون[2] الاصليّون المؤلفون من انصهار الامم الفاتحة مع الشعوب الاصليّة حضارة تفاؤلية وطوّروها على ركنين هما المحبة والحرب، وهذان الركنان عدّان الهندوية بآلهة الارهاب سيڤا (Siva) المهدّم والناسك الذي يتردّد الى المقابر والالهات والامهات التي ينبغي تسكين روعها .

وحوالى الالف الثاني قبل المسيح هبطت الهند جماعات فاتحة تتكلّم لغة آرية ، وبعد ان توقفت في البنجاب (Panjab) وفي الشمال الغربي انحدرت في واديي الهندوس (Indus) والكنج (Gange) وطبعت الهند بسمات لا تندرس ، فسقطت الاجناس الدراڤية التي اختارت الحرية السياسية تحت سيطرة فكرة الفاتحين الآرية ، وفقدت آلهتها واستقلالها لتصبح في عداد مجموعة الآلهة الهندوية الكبرى ، ولم يكن ذلك افراغ مادة لا شكل لها في قالب آري، وانما كان تبادلاً يجري بين حضارتين .

فماذا جاء اولئك الآريون ؟

---

١) أرمها جمع ارومة وهي الاصل .

٢) الدراڤي هي عبادة الحياة تحت شكلي الشجر والجداول .

ربما حملوا معهم ملحمتهم الروحية معروضة بشكل مقتضب نشير فقط الى مراحلها :

١ – اننا لواجدون بادق المعاني حصراً الفيدا وكتب الحكمة والتسابيح تتوجه بالصلاة الى الآلهة العديدة التي يمثل قسم كبير منها قوى الطبيعة ، وعلى الرغم من الحلولية الطبيعية في معتقدهم فان موقف الانسان كمتدين هو موقف المتضرع حيال الوهية متعالية ، فقيل انه يعبد الالهة .

٢ – تشدد كتب « الطقسيات » بأمر التضحية التي تمثل واجب الانسان الاعظم ، اما قيمة هذه التضحية فلا يعرفها الا من يعرف الرموز المقدسة : اي الكاهن البرهمي الساحر الذي يصعد على الجحفة[1] ويقيم فوقها رغم التبدلات الدينية والسياسية . اما العبارات التي تميز هذه الحقبة فتظهره « آمراً للالهة » .

٣ – وعقب مدة انتقال تفسر التضحية بمعنى رمزي تقدم الاوبانيشهاد (Upanishads) اي التعاليم السرية تأكيداً للانسان انه اله وروح ومنذ ذلك العهد اي حوالى القرن السابع قبل التاريخ المسيحي انبثق تياراً الفكرة الفلسفية . اما ما نفهمه بكلمة براهما (Brahma) او اتمن (Atman) او بالحقيقة الموجودة بذاتها تحت شكلها المزدوج ، فهو أن براهما هو الشكل التكويني واتمن الشكل النفساني . وهناك مفاهيم ذات قيمة كبرى : السمسارا (Samsâra) اي التناسخ وكرما (Karma) التي نستطيع ان نعرضها موقتاً كفكرة العدالة الفطرية ، والطائفة .

وحوالى مطلع التاريخ المسيحي تفتقت المناهج الفلسفية الستة او بالاحرى المظاهر الفلسفية الستة التي اصطنعت اهمها حكمة الاوبانيشهاد وعلى حين ان غيرها قد جاءت بتراث ماض قلما كان معروفاً .

وليست هذه المناهج بالمعنى الصحيح بمناهج ولا بتأملات ولكنها وسائل للخلاص . اما الجمهور فيجد غذاء لمخيلته ولشعائره الدينية اليومية في الملحمتين الكبيرتين الرامايانا (Ramâyâna) والمهابهاراتا (Mohabharata) وفي الاساطير القديمة البورانا (Puranas) .

ولئن كان لانفصال عناصر الهندوية انفصالاً عمودياً فائدته فانه يحرف ما ترسمه من اهداف اذ يعرضها علينا كحثل[2] ، او كنتيجة لتفسخ المدنيات الماضية في انحلالها ، على حين ان الواقع هو غير ذلك ، لانها ما برحت ذات فعل وحية .

١) الجحفة : الترس من جلد . وقد استخدمنا هذه اللفظة لترجمة كلمة (pavois) الفرنسية .

٢) كحثل : في القاموس هو ما لا خير فيه والردي من كل شيء . وقد اخذت هذه الكلمة لترجمة (résidu) .

وتمثّل هـذا المظهر على شكل اتمّ صورة نهر كبير : صورة نهر الكنج الذي تمدّه روافد عدة فيحفظها ويمزجها بعضها ببعض بدون ان يفقد منها شيئاً بل يستخدمها لاخصاب السهول غانماً من البحر ضروب الدلتا .

واذا ما ارتدنا دور الآثار وشهدنا باعجاب في المتاحف آثار الماضي ودرسنا النصوص المتعلقة بالديانتين اليونانية والرومانية فانه ليصعب علينا كل الصعوبة ان نتصور ذلك المجتمع بدون المسيح ، فاما نصوّره بالوان قاتمة ، واما نحيي فيه تفتق الانسان وانطلاق طريق الحياة ، ولذلك لا يتأتى غالباً لنا ببعب ما جاءنا عن طريق الوراثة المسيحية ان نحلل تحليلاً وافياً فكرة غير مسيحية .

والدين الهندوي ، الذي يبدو لنا كاحد الاديان الكبرى غير المسيحية ، والعريق في قدميته عراقة يسعنا القول معها عن بعض عناصره ان لها على الاقل خمسين قرناً ، لا بدّ له ، من ان يلفت انتباهنا لانه دين حيّ جعل معتنقيه يرتاحون اليه ، وقام كتكتلة متراصة لا يدع المسيحية تنال منه .

فما هي اذاً اسباب هذا النجاح ؟ ؟ ؟

اجل ، ان من بينها سبباً يعود الى طبيعة البلاد الخاصة ، اما الرئيسي فقائم على كون الدين الهندوي قد عرف ويعرف جميع رغائب القلب الانساني فحاول ان يجد لها حلاً ، حتى اذا سعى الانسان باحثاً عن الاتحاد بالله فانه ليمده بذلك ، مؤكداً له انه يعلم جميع الطرقات التي توصل اليه ، فهناك التوبة وشعائرها في متناوله لتطهّره ، اما رغبته في الروح النسكية فله في امثال اليوغيين (Yoguis) المشهورة ما يبعث في فؤاده الشجاعة على ان يترك كل شيء . ويكابد جميع الآلام وحتى اقسى ضروب العذاب .

ولئن اراد اشباع رغبته واستشعار نفسه انه على اتصال بالمقدس ، فان ظلام دهاليز المعابد وجوها العبق بالطيوب ليساعده على ذلك .

فهل يبحث عن الغبطة ؟ فان احتفالات التطوافات الصاخبة كتطوافات المادورا (Madura) لتمدّه بالمعونة ، وهل يبحث ساعياً عن حرية التفكير؟ فان الارثوذكسية الهندوية لتقتنع منها بالنزر اليسير ، فليعترف بالڤيدا (Védas) ككتب قدسية ، ومن ثم ليفسّرها كيفما طاب له ، اذ ليس من سلطة يحق لها ان تحرمه ، لان الهندوية لا تتعرف الى اية سلطة مركزية كانت ولا لاي

مؤسس تدريخي يفسّر نصوصها ، فكن حلولياً او معتنقاً مبدأ الوحدة التكوينية او وحدة الاله وحتى ملحدًا فذلك لا اهمية له ، اما اذا نبذتك جماعتك فانشئ لك غيرها ، وابقَ دائماً في حضن الهندوية ، اما حرّية العمل فلا وجود لها ، وانما على الانسان ان يتبع قوانين طائفته الشديدة الدقّة من المهد الى اللحد .

ومما هو اكثر من ذلك ان الانسان الواحد نفسه يستطيع ان يتحرك في ميادين مختلفة :

فاحجية العالم ستلاقي حلّها ضمن النطاق الفلسفي بفضل حل حلولي،وان ما تتوق اليه دينياً سيجد حلّاً له ضمن نطاق الايمان باله واحد مبدع لكل المخلوقات، اما الحياة اليومية فتسير وفق العادات التي ارتسمها المجتمع والطائفة ويفهم منها قبول وجود تعدّد الالهة .

واننا لنرى النفس اذًا حيال مجال فسيح انفساحاً بيّناً يشبع حاجات الانسان ولا يسمح للمسيحية بالدخول ، فالهندوية معارضة بصفاتها للمسيحية ، ومما لا شك فيه ان هذه الصفات ستستخدم يوماً لتكوين كنيسة كاثوليكية في الهند . وثمة طلائع رائعة يبدو ان انجازها قد أُرجئ الى مستقبل بعيد .

دين الخلاص

لنتفحّص بانتباه اسس الهندوية التي تُفسِّر سيطرتها ليس على الجماهير فقط بل التي جعلتها تفوز برضى الطبقات المنخوبة .

واذا ما اجتذبت الهندوية الجماهير اليها فلانها تتمثل لها كدين للخلاص ، وفي الواقع ان الانسان يتألم تحت كل سماء وفي جميع العصور ولا سيما بين الجماهير الهندية ، فالطبيعة عندهم خالة ضرّة اكثر منها امّاً : فهناك ضروب الجفاف وهناك المجاعات والفيضانات والاوبئة وموجات الغزاة المجتاحين التي تتدفق بمعدل كل ثلاثة قرون تقريباً ، وهناك الحروب ومنافسات الطوائف ، حتى لا يلبث الانسان ان يشعر بخوار عزائمه اذا ما ارمضت الشمس السهل .

فما هو سبب هذه الآلام جميعها ؟ ولماذا ضروب هذه التعاسة كلّها ؟ واي شيء هي الحياة ؟ ومن اين جئنا ؟ والى اين نحن صائرون ؟ ومن ذا الذي يدبرنا ؟ هذه هي الاسئلة التي يطرحها مؤلف احدى اساطير الاوبانيشهاد ، وانه للسؤال الدائم الذي يطرح على الالم والشر

وقد اجابت الهندوية جواباً بدا مرضيًا في اعين الذين اعتنقوها من المهد .

قضية الشر

تقوم اجوبة الهندوسية على هذه المسألة في الكلمات الجوهرية التالية :

سمسارا وكرما، وفارنا (Varna) اي التناسخ والعدل الذي يقتصّ لذاته من الجرائم والطائفة وموكشا (Moksha) الانعتاق .

ليست الحياة الا حقبة اختبار اولية ومطهرًا ضروريًا ، اما نحن فننزع الى مستقبل افضل ايًا كان نوعه ، ومدة الحياة وحدها لا تكفي لذلك بيد ان استمرار الذريّات الذي يكاد لا ينقطع فيؤهبنا لهذا المستقبل .

ولا يحول الرجاء في مستقبل افضل دون الانسان للتساؤل من نفسه عما اذا لم يكن في مقدور الالهة ان توجد طريقاً اقل وعورة يقودنا الى السعادة او عدم الالم ؟ ؟ والهندوية تطلب منا ان لا نشكو من الالهة وان نعرف ما نحن . ان الانسان هو الهي او جوهر لاهيولي محض ، او جوهر بسيط لا صورة له تتأتى منه جميع المركبات وابدي ، وعلى اثر جهل ابديّ ظاهر قد جهلنا طبيعتنا الحقيقيّة واتخذنا العالم والمادة اللذين ليسا الا حجاباً للحقيقة الواقعيّة وللذات ، فوقعنا في احبولة العالم الذي عملنا عليه وترك كل فعل من افعالنا اثره فينا ، ولقد اعدّ لنا حياة جديدة وكان البذرة التي لا بدّ لها من ان تنبت حكماً الالم حتى اليوم الذي نتطهّر فيه فنفلت من هذه الاحبولة ، اما اذا اناخت الشدائد بكلكلها علينا فلا نرفعنّ اليد نحو الالوهية بل لنلج نفسنا ولنعترفنّ باننا نحنُ الذين اوجدنا هذا الحاضر باعمالنا السابقة ، وقد شبّه طاغور هذا بالحدّاد الذي يشتغل بجرارة لیلًا نهارًا ليصنع سلسلة لا تُكسر ، حتى اذا فرغ من صنع حلقاتها التفت عليه ورأى نفسه سجيناً ضمنها .

فهذه السلسلة هي اعمالنا التي تكبّلنا وهي الكرما (Karma)

وبهرت الطائفة باتصالها بفكرتي التناسخ والعدل الاولي بلونها الخاص فتبدو كتعبير عن ذلك العدل الاولي :

وتقول لنا اقدم اساطير الاوبانيشاد والشاندوكيا (Chandogya) والبريهادارنياكا (Brihadaranyaka) :

اننا نلد حيث يضمنا ثقلنا الروحي ، فالاعمال الصالحة تسفر عن ولادة صالحة في اسرة كاهن برهمي او في اسرة محارب . اما الاعمال الطالحة فهي التدهور عوديًا في جسم خنزير وكلب وآكل الكلب ، فالطائفة اذًا شيء مقدس .

وفي سبيل الاستزادة بتقديسها بحثوا عن نصٍّ قديم في احدى تسابيح الفيدا يتعلّق بكيفية التكوين الاوليّة ويبيّن تطوّر كل جزء من العالم من جسم الجبّار المبدئي .

ألم يُقلْ هنا ان الكاهن البرهمي ولد من الفم او انه هو فم الذكر المتعالي ؟ وان المحاربين ولدوا من ذراعيه ، والتجار من فخذيه ، والسودرا (Sudras) الطبقات المنحطة من رجليه .

اجل ان القضية الاجتماعية قد وجدت حلًا لها وكوّنت الوظائف الاجتماعية كلًا منسجمًا ، وما كان على الآري ان يقضي على المغلوبين فذلك يحرمه الخدم ، ولا ان يمتزج بهم لان كبرياءه تأبى عليه هذا الامتزاج ، فابقاهم ومنحهم قانونًا شرعيًا ودينيًا . وغدا الاستقرار الاجتماعي مضمونًا ولم يبقَ اي وضع منحطّ كان واي الم كان من عمل القدر الاعمى ، ولكن ظاهرة العدل الازلي الذي لا يحق لاحد الانتقاض عليه .

واذا كان من جواب على مثل هذا الالم الخاص ، أفلم يكن هناك امكان للافلات من الالم الشامل المختلفة درجاته لدى كل انسان الا وهو الحياة في هذه الارض ؟ اجل ، ان الهندوية لتأتي ببارقة امل ، فبالاستطاعة تحطيم سلسلة التقمّص الطويلة ، فكل المناهج اللاهوتية الفلسفية الكبرى ليس لها الّا هدف واحد الا وهو ايضاح الطريق المؤدية الى الانعتاق .

الحل العقلي

هو الحلّ الاهمّ وان لم يكن الاول من حيث التاريخ ، فقد جاء به « شانكاراشاريا » (Shankaracharya) في القرن التاسع المسيحي . ومآله ان معرفتنا تبدّد غياهب الجهل التي تعمينا ، فقال لنا ان الكائن هو واحد وهو عقل ويمن ، وثابت ثباتًا كاملًا وغير قابل التغيير ولا ينسرح باية صورة كانت في العالم ، وجزم هذا الفيلسوف المتأكد من هذه الحقيقة الجوهرية ان الكائن لا يستطيع ان يوجد الّا كواحد ، اما العالم فتعدّد المادة والافراد فيه كل ذلك هو « المايا » .

(Maya) اي الوهم . فالعالم من حيث تكوينه من وجهة نظر الله ليس شيئاً ، وفي نظر الفيلسوف فغير مفهوم قطعاً لان الحكمة تندرس في الجهل ، وفي نظر الرجل العادي فالعالم يظلّ اختبارياً واقعياً فلم يتغيّر شيء في عادات حياتنا .

ويستوي فوق العرش على رأس هذا العالم الوهمي (mayique) غير الواقعي الخالق اسيفارا (Ishvara) وهو سيّد شخصي ، منظّم العالم ، ويتقبل شعائر عباده المؤمنين ، وصفوة القول :

ليس الاله والمؤمنون وضروب العبادة الا مشاهد لغير الواقعية ، وهذا الدين دين لا يتطوّر ولم يزعم قط انه يوصل الانسان الى ذروة السعادة والى الانعتاق ، اما الرؤيا التي يقصر عنها الوصف وتجربة وحدة الكائن المعجز وصنها اللتان يضمان حدّاً لبؤسنا ولشخصيّتنا فتقومان وراء علم الاخلاق العادي والدين المألوف عرفاً .

وسينعتق الانسان من حلم التعدد المزعج عندما يسعفه نصّ مقدس من نصوص الاوبانيشاد فيحقق وحدة ذاته بالمتعالي ، فاذا كنتَ كذلك فانت براهما ، وحينئذٍ تنهار جدران السجن الوهمي فلم يبق مطلقاً من (انا) ولا من ذات ولا من عالم ولا تظل الا الحقيقة الابدية : اي براهما المحض الذي لا تمييز فيه ، ونحن قد كنّا الاله . فنسيناه ، واعتقدنا واقعية شخصيّتنا الانسانية واعتنقنا المعرفة ، والمعرفة اليست اتحاد الموضوع والفاعل اتحاداً خالصاً ، فالفاعل هو الموضوع المعروف صورياً كما تؤكد واقعياً الفلسفة اللاهوتية كما يقول شانكارا (Shankara).

البهاكتي (La Bhakti)

البهاكتي او طريق المحبة . لا يستطيع هذا المذهب العقلي الصلف ارضاء رغائب القلب اما الموكشا (moksha) الانعتاق ، فيجب ان لا يكون تحطيماً لشخصيّتنا بل تعظيماً لها ، فنحن نزّاعون الى حياة اقوى ، وانما هي حياة فردية ستبلغ مكمّلها وتتحول الى صورة اخرى بدون ان تبتلعها .

وينبذ البهاكتيون (Bhaktas) الصورة التي يستخدمها القائلون بالنظرية الاولى وهي اننا سنكون في حضن الحق المطلق كنقطة ماء نقية في حوض ماء مملوء ماء صافياً ، لان العقل ليس مؤلفاً من اجزاء . وهو يأبى التلاشي وان في حضن الالوهية نفسها .

والباكتية (La Bhakti)، اي الاشتراك العاطفي وبالشوق في الالوهية، تقترح علينا حلًّا للافلات عن دائرة اتلادنا من جديد، وفي مثل هذا المقام نبلغ اسمى ذرى الهندوية الدينية اي اسمى ذرى الحياة الدينية الانسانية وذلك بصرف النظر عن الوحي المسيحي .

والجدير بالملاحظة ان دين المحبة هذا ليس جوابًا على تعليم شانكارا العقلي، لانه قد كان قبله منذ قرون عدّة، ويؤخذ من الرأي الاشدّ احتمالًا ان دين المحبة ظهر في القرنين الاول والثاني الاولين قبل العهد المسيحي في الباكافادجيتا (Bhagavadgita) تسبحة السيد الطوباوي كريشنا (Krishna) .

ولقد انحدر الاله كريشنا الى الارض وجعل نفسه خادمًا للانسان لكي يعلّمه، فهو صديق لكل مخلوق ورفيق الانسان، اما محبته فتتخذ اشكالًا متعدّدة، فهي محبة الاب للابن، والصديق للصديق، والواله لشخص محبوبه، وهو نور الانوار والمقيم في قلب الانسان .

وهذا الانحدار والنزول (avatara) الذي ليس تجسدًا، يتجدّد كل مرّة يضطرب حبل النظام ويقوم التشويش، اني آتي من جيل الى جيل في سبيل انتصار الاخيار وهلاك الاشرار فولادتي الهية كعملي !!

والانسان بصفة كونه ضعيفًا جدّ الضعف وشديد النقصان لكي يلبّي دعوة الهه فان الهه هذا يمدّه بمعونته، فكل من اقتبله يسعه ان يهتف « هـا انذا بفضلك راسخ وقد انعتقت من الشك » فيؤكد له كريشنا « انك ستجتاز بنعمتي كل الحواجز »، وتتناثر من شفتي الاله النصائح بالكمال الذي يقوم على تقديم كل شيء له : من اعمال ومأكل ومشرب وزكاة وتوبة وعلى ان نعمل بمحبة ومن دون ان نفرط في الاثرة (محبة الذات) .

ومما يضيفه هذا الاله الى قوله :

« قدّموا لي بتقى ان ورقة او زهرة او ثمرة او قليلًا من الماء فانا اسرّ بتقدمة التقوى من خادم تنعم قلبه حرارة الايمان .

وضمن هذا الاطار الواهم نمت اسمى المشاعر الدينية الهندوية التي اضيفت اليها على توالي القرون نوافل عاطفية وتارة شهوانية ولو على الاقلّ في صورة

التعبير عنها ؟ ولكنها لم تمنع الهندوي عن ان يعرب فيها عن رغبته في الاتحاد بالله في المحبة .

وخلف لنا الريسهي (Les rishis)، انبياء الفيدا ، تسابيحهم كنتائج خبرة تزيد عن خبرة الحياة اليومية ، فهل كان الايحاء الشعري هو الذي يرتدي في نظرهم اللباس الصوفي ؟

لقد ترك لنا حكماء الاوبانيشهاد شهادات عن الوصول الى ما كانوا يعتقدونه انه الحق المطلق ، وتغني البهكتيون (Bhaktas) معتنقو طريق المحبة على ممر القرون بفرح الاتحاد، بخروج الانسان من نفسه او بالاحرى بعودته اليها لان في قرارة (الانا) التي بتجريدها عن كل شيء. قد تذوقوا هذا الانصهار وهذا الاتحاد.

وما اكثر المسائل التي تثيرها هذه التأكيدات ، أو ليست هذه الدعوة الى التجربة ضرباً من الضرورة في ديانة يفتقر الايمان فيها غالباً الى الاسس العقلية ؟ وتنقصها السلطة التي ترشدها بيد حازمة ؟

وباطراحنا بجادة المنتفعين من المحترفين فان مثال النفوس العديدة ذات الايمان الحسن والتي جعلت من رغائبها حقائق واقعية ومن اعمال المخيلة حقائق موضوعية فاننا نرى النفس حيال عدد قليل من الاعمال التي لا يستطاع اعتبارها خداعاً او وهماً ، فكيف نفسرها ؟ انها احياناً عمل النعمة الالهية الباحثة عن النفوس ذات الارادة الحسنة تنقيها وتطهر مفاهيمها وشعائرها ، فمن يجرأ على انكار احتمال مثل عمل النعمة هذا ؟

واذا لم يكن بمقدوري الاشارة — بحسب معلوماتي — الى اية حالة كأنها تحقق هذا العمل الالهي،فانه ما برح ممكناً ، وبصرف النظر عن هذه الحالة فان هذه التجارب تمثل اذاً ثمرة اعمال الانسان العليا التي تنفتق عن معرفة خاصة لنفسنا وعن شيء يقوم وراء ادق تعليلاتنا العقلية ووراء الحدس الفني ومدركات الامور المنظورة بدون كلام ، وعن شيء لا يصل الى اسرار الحياة الالهية ولا يجعلنا على اتصال بالثالوث المقدس ولكنه يخولنا ان نقترب كل الاقتراب من علة المعلولات (Causa causarum) .

وانها لافتراضات ممكنة بيد ان الحكمة والحقيقة الموضوعية لا تسمحان لنا بان نتوغل الى ابعد .

وهذه الصوفية الطبيعية تفسّر للذين خبروهـا بسبب غموضها ذاته كيف خلفت جميع الاحكام الفلسفية الخاطئة حتى الحلولية او الوحدة الكيانية منها وهي تناقض صوفية حقيقية فائقة الطبيعة .

ولقد شعر كبار البهكتيين (Bhaktas) بالحاجة الى دعم تأكيداتهم الدينية بفلسفة .

ولا ريب ان البهاكافادجيتا قـد تغنت بوحدة جميع الطرق الاساسية ، فالقائلون بالوحدة الكونية والحلوليون والثنائيون — واسمحوا لي باستخدام هذه المصطلحات الفلسفية الغربية التي لا تنطبق تماماً على المفاهيم الهندوية — قـد استطاعوا ان يجدوا نقاط استناد في الجيتا (Gita) .

ولقد عرض رامانوجا (Ramanuja) نصوص البهكتية بقرائن فلسفية متماسكة على قدر ما سمحت له بتماسكها الاسس التي كان له ان يبني عليها ، بيد انه كان وريث تقليد طويل واسيره فلذلك كان متقيدًا بما جاء من تأكيدات صريحة في الاوبانيشهاد وهي الكتب التي يعتبرونها مقدسة . ألم تبشر هذه الكتب بوحدة الجوهر : « كل ذاك هو براهما » ، فلم يكن بالاستطاعة القول بالخلق في المعنى الصحيح ولا باتصال كياني مطلق للمخلوقات المتميزة عن الله ، وقـد كونها منتصرة على العدم . ولقد اتخذت جميع المناهج الهندوية فكرة الجيتا (Gita) وجعلتها فكرتها « ليس من وجود للعدم ولا من تحطيم للكائن » ، اما الفيلسوف فيعرف انه يمكن اجتياز الحاجز من احدهمـا الى الثاني ، اما الحكماء الذين يرون الحقيقة فيعرفون حدها .

وبما ان جميع هذا هو براهما فافراد البشر هم ايضاً براهما ، ولكن من المستحيل اكثار الجواهر واكثار الكائن ، لاننا لا نستطيع ان نضيف اليها شيئاً ، لذلك ظلّ حلّ واحد ممكناً . فنحن احوالٌ كبراهما واحوال لا بدّ منها ابدًا واذا ما رددنا كلمات رامانوجا نفسها « ان لبراهمـا وجودًا سعيدًا وشخصيًا» بيد ان هذا الوجود هو صفة تعيّنه خصائص النفوس اللاهيولية والمادّة:

اما نحن فاحوال براهما وصفاته فبدلًا من ان نحب الحق المطلق والمعبود قد انحرفنا متحوّلين نحو النسبية ونحو المادّة ، والالم الذي نصادفه في هذا العالم يقيم لنا البرهان بسهولة على اننا لا نستطيع ايجاد سعادتنا الا في ان نعود الى حب هذا الحق المطلق وهو حب عذب وهادئ كبحيرة لا يصدّها شيء في جريها .

ويأمل رامانودجا ان يخوّله هذا التميز الذي لا يستطيع بحسب مصطلحاتنا ان يكون جوهريًا ان يجنبه حلولية شديدة السماجة ويترك المجال حرًا امام عمل صوفي يتطلب مزيّة كائن مزدوج بذاته .

الحرية

لم يوضع لقضية النعمة وحرية الفكر ومسألة حرية الانسان وبراهما والحق المطلق حلّ باتّ ، وانما هناك سلسلتان من نصوص تدعم احداهما الثانية ضدّ مسؤولية الانسان ، فالله والانسان كملك ورعاياه : الاول يعلن القوانين والثاني يحتفظ على الاقلّ بحريته الطبيعية ان لا يتقيّد بها ، وهما شريكان في مشروع ، على الانسان ان يبدأ عمله فيه ، اما براهما فيقتصر دوره على السماح له بالعمل .
ومن جهة ثانية تبدو الكرما ثمرة اعمالنا الماضية كأنها في المقام الارفع لانه لا يستطاع الافلات من نتائجها الا عند الانفجار عندما تكون النار قد وضعت في البارود .

وهنالك نصوص تظهر لنا عطف الله المالك المتعالي على اعمالنا عطفًا يجعلنا ان نعمل ما يريده ، وثمّة امور كثيرة ما برحت غامضة لم ينقشع عنها حجاب الابهام ، وحسبنا ان تكون المعضلة قد اتّضحت في اصولها مع بعض حلولها ، وانقسم خلفاء رامانودجا الى معسكرين :

قبلي اتباع احدهما نظرية القرد لتفسير تعاون الانسان مع عمل الله قائلين كما ان انثى القرد لا تحمل صغيرها ما لم يتمسك بها ، كذلك ينبغي للانسان ان يفعل ليعاون عمل الاله ولا سيما العمل الذي يهدف الى اعطائه الخلاص والانتقال به الى ما وراء عالم التناسخ ، واعتنق اتباع ثانيهما التعاليم القائلة ان الكمال الممكن للانسان في الارض قائم على استغراقه بالتأمل المستمر طوال حياته وارادت ان تترك العمل لله وحده واتخذت نظرية الهرة : كما ان الهرة الام تحمل صغيرها بفمها ولا تشترط عليه الا ان لا يبدي مقاومة كذلك على الانسان ان يترك العمل الالهي يحمله لانه قد اتضح ان لا طائل لكل تعاون عملي يقوم به .

الانعتاق

ماذا تهمّ في هذه الارض الدياجير والصعوبات المطردة اذا كان البكتي (Bhakta) الحار الايمان بطريق المحبة يبلغ هدفه الاعلى في غير عالم الشقاء . هذا ، وليس هذا الهدف العديم بل هو القيام بصحبة الحق المطلق الذي ما برح يحتفظ بتمامه وهو وحده يستطيع تسيير العالم ، وليس هذا الهدف الّا الحياة

مع المحبوب في الفرح الابدي واتباع جميع الرغائب والتيقّن من عدم التعرّف مطلقاً على آلام هذا العالم .

اليوغية (Le Yoguisme)

لم يستنزف في طريق معرفة شبهنا الكلي بالحق المطلق وطريق المحبة المتبادلة بين الله والانسان وبين الانسان والله امكانات الفكر الهندوي الذي ما فتئ باحثاً عن حلّ لمعضلة الشر ، فاليوغية وهي الاتحاد والجهد تريد ان تقدم منهجا هذا ، ويمكننا ان نعرفها بانها « منهج » يقول :

الكون لا يستطاع ارجاعه الى وحدة وهي تسلّم بوجود ابدي لاشخاص لاهيوليين متملين، وبمادة ابديّة مظهرها القوة ، علة كل ما يظهر في العالم ، وان الاله الخالق مجهول اما الاله الذي تستخدمه كمين وكبزرة عاكسة للتأمل فيقبلة الذين يحتاجون الى هذه المعونة ، فهو غير ضروري للجميع ، واذا ما تحدثوا عن معونته فلا يريدون ابدًا القول ان الانسان لا يستطيع بقواه الوصول الى الانعتاق ، لما من اتحاد واقعي بين المادة الناعلة والاشخاص المتملين ، فالاشخاص يتأملون حركة المادة حتى يصل المتأمل الى الاعتقاد بذاته فاعلًا لا متأملًا فقط ، والشقاء الانساني سببه اذًا الاتحاد اللاواقعي لجوهرين وحيدين بذاتها : المادة والروح فمن الواجب ان يزول هذا الضلال ، ويجب ان تحزم اليقظة او السبات الشديد عمقه الكابوس الذي يرهقنا والتهاويل الليلية التي تشدّ علينا الخناق ، لان اليوغية تدعي بانها جاءتنا بنهج لتحطيم هذا الغلّ ولطرد الكابوس لتدعنا في الطمأنينة التي تشبه سباتاً اشد عمقاً .

ولا يرجع تاريخ التصوف الهندوي الى يومنا الحاضر فقد ظهرت على اختام موهنجو دارو (Mohenjo Daro) منذ ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح رسوم نساك جالسين تحت اشجار يخيل الينا انها من رسوم احد مشاهير الهنود في يومنا الحالي .

وكتب الفيدا وان حملت طابع التفاؤل قد تركت لنا صورة ناسك مدرع بالصبر وصورة حكيم وصامت ارتدى احدهم ثوب النساك الاصفر وتشعث شعوره وامتطى الريح وهو يسيطر على نفسه وعلى الطبيعة .

وعندما توطنت فكرة التناسخ في الهند تكاثر بسرعة السنيازيون (Sannyāsis) الذين تخلّوا عن العالم والفقراء والمتجردون عن الدنيا السرامانا (sramanas) . أفليس من الافضل هجر العالم لانه فاسد ؟

ان العمل الصالح او السيّئ قد جعلنا نتعلق بعالم الشقاء . هذا ، فالعمل الصالح

يؤدي الى ولادة جديدة صالحة والعمل السيّئ الى ولادة جديدة سيئة ، ألم يكن من الحكمة ان نظلّ متنحّين ? فالحياة لا تعدل المتعة لنحياها ، لان الشر في كل مكان : فينا ذاتنا وهو ثمرة عمل كل ما يحيط بنا من بشر وعناصر وحتى من تحاسد الالهة ، ولقد قيل لنا إنّ القيمة طالما لا تزال تحنّ الى عشاقها تبقى دائماً تاعسة ، اما اذا ماتت رغائبها فعندئذ تعرف الطمأنينة (la shanti) والصفاء . وبكلمة واحدة تغدو لا تتأثر بشيء ، اما اذا نهلنا من كأس اللذائذ واعتقدنا اننا بلغنا السعادة فسيحين وقت يحطّم اصنامنا اذ ليس من سعادة حقيقية على الارض ولا شيء ابدي فيها .

وخفف البوذيون من حدة هذه الاقوال التشاؤمية التي وان كانت في جوهرها تشاؤمية اولاً فقد احتفظت باتزان عدل في الصوفية ، وجاء في الجيتا (Gita) التي اوضحت انه اذا كانت الفعالية ضرورية لكل كائن وحتى للالهة فالذي يهمّ اقتلاعه هو « الانانية » لا الفعالية ، فلنعمل لا لانفسنا ولا لغاياتنا بل لله ولغيرنا لنقدم لهم قدوة ، اما الجيتا التي لم تطرح شيئاً فلم تنبذ الجوهري من الروح الصوفية اليوغية بل لطّفت تشاؤمها .

وفي القرن الخامس المسيحي وضع راو باتنجالي (Patanjâli) القانون الاساسي اليوغي يوغا سوترا وكتاب التقاليد العرفية اليوغية والحيز التقليد التشاؤمي للعالم واراد ان ننقذ نفسنا منه .

واليوغية بمعناها الاتحاد والجهد تقول ان الانسان يستطيع الوصول الى التسلط على نفسه والى ان ينبذ العالم بجهوداته وبدون اية مساعدة كانت ، فهي قريبة بعض القرابة من الزينونية عندما تتوخى في ما تمارسه من شعائر ان تسيطر على الالم غير انها لا تعلن انه لا وجود له ، فهي احرى بمذهب ناكري وجوب النعمة ، ان الانسان هو وحده منقذ نفسه بقوة ارادته وسيصل الى ذروة السعادة اي الى فقدان البؤس والفكر والفعالية والاتصال بالعالم ، والوحدة الكيانية الانسانية ستجد ذاتها في طمأنينة وسكينة ، اما الوجود وحده فسيكون حينئذ ما نستطيع ان نؤكده عنه ، وسيبلغ الانسان هذا الهدف بعمل باطني يزداد اكتمالاً على الدوام ، وقد دلّ الباتنجالي بدقة على مراحله باعداد بعيد واعداد مباشر ، باسطاً في اثناء شروحه ضرباً من علم النفس الهندوي

الذي يريد ان يقودنا الى ما وراء حالات اليقظة ، الى حالة الرقاد مع الحلم ، وحالة السبات العميق ، حتى الحالة الرابعة الغامضة ، وهي امر في مصاف ما نعيه وعياً ضعيفاً .

وفي بدء المجهود اليوغي تفرض الحياة الاخلاقية نفسها فرضاً ، وبالاستطاعة ايجازها في التأكيد التالي : « تجنب الشر واصنع الخير » وليس هذا التأكيد سلبياً لان الشر الذي علينا تجنبه يتخذ اشكالاً عدة : فهو السرقة وحتى الرغبة فيها والتعلق بالاشياء المخلوقة ، وهو ايضاً الاهيمسا (l'ahimsa) وعدم العنف ولاسيما عدم القتل ، اما الخير فهي طهارة الجسد والنفس والفرح الكامل والسرور من كل شيء ، من المطر ومن الشمس ومن الغنى ومن الفقر ، وعلينا الّا نتحمّل الآلام فقط بل علينا ان نستثيرها ، وواجب الناسك ان يجلس بين اربع نيران ومع الشمس المتوهجة فوق رأسه في يوم من ايام القيظ في الهند .

وليس بالاستطاعة ان نحيا هذه الحياة الاخلاقية من دون عون خارجي كمعاشرة رجال الصلاح وقراءة الكتب والمؤلفات النسكية ، واذا ما شددت التجارب الخناق علينا فيجب ان نوقفها بفكرة العواقب ، وينبغي لنا ان لا نعتقد ان التجربة هي منحدر محتوم فقد عرف غيرنا هذه المناضلات ، فالظفر اذاً في متناول الانسان ، فلنناضل .

ورأت الحكمة الهندوية مدى تأثير الاستعدادات الجسمية على المبدإ الروحي المتصلة به اتصالاً وان غير واقعي ، فجاءت بوصاياها الدقيقة بشأن الطعام اذ عليه يتوقف جهازنا العقلي اي افكارنا واعمالنا ، فينبغي لهدوء الطبيعة ان يساعدنا على تسكين نفسنا ، فوضع الجسد وانتساق الاستنشاق يقويان الانسان على تسكين النفس ويسمحان لنا بان نرتفع الى ممارسات اشد تسامياً .

واليوغي يتوصل هكذا الى ان يسيطر على جسده سيطرة خارقة العادة اذ يقوى على ان يفجر عضلاته ويبطئ خفقان قلبه .

وانه لخطأ شائع عند الاوربيين ان يردّوا الجوهري من اليوغية الى ٨٤ حالة سلّمت بها اليوغية عامة ، فبذلك يبحثون فقط عما فيها من الخوارق ، وان اثارت اليوغية معضلات في وجه الاطباء . فذلك امر اكيد ، اما سيطرتهم هذه على جسدهم فليست الّا واسطة تعزيز عمل النفس الباطني والشخصي .

واذا ما اردنا ان نجد « الانا » الحقيقة فعلينا ان نستجمع قوانا بالتعمق الباطني اذ « الانا » قد تشتت في تأمل مشهد العالم وعلينا ان نردها الى وحدتها ومن الضروري اولًا ان نقطع الجسور مع العالم الخارجي وان نوقف فعل الحواس ومن ثم الذكريات والذاكرة والمخيلة ذاتها ، وينبغي لتأملنا العقلي ان يقلّ شيئاً فشيئاً وان ينزع الى مناظر الاشياء الاشد لطافة .

وعلى شاكلة ضرب من ضروب الطرائق التي لا تنطبق الّا جزئيًا على محتوى العرفنّة اليوغية ، بالاستطاعة القول انه من اللازم الانتقال من اقامة البرهان العقلي الى الاحتكام البسيط ومن هذا الاخير الى حدس ، وهو تمثّل ازداد غموضاً شيئاً فشيئاً ، وانها طريقة تبديل مركز التقاط الصور ، لان الصورة التي ظهرت واضحة على الشاشة تزداد غموضاً شيئاً فشيئاً وتختفي .

واننا لنصل بهذا التطهير للفكر لا الى الخروج عن ذاتنا ولكن الى الدخول فيها والى استجماع كامل لقوانا بموقت اولًا ومن ثم دائم . اما الغاية من هذا المجهود فهي التوحد اي الوجود فقط من دون فكر ولا رغبة فعّالية بحيث يبقى السالك[1] هو وحده فقط .

واليوغية الكلاسيكية لا تؤدي اذًا الى التلاشي بالالوهية او الى اكتشاف بطلان العالم ولا الى اتحاد حب ، فالاعمال التي تمارسها اليوغية هي ذات قيم عدة اذا ما نظرنا اليها بذاتها ، فقد تستخدم كتمهيد لمعرفة شبهنا المطلق ببراهما ، وان لم تكن ضرورية لذلك ، او للاتحاد الحبي به ، وقد عرف كل منهج هندوي ان يستخدم حلقة الحياة الروحية التي قدمت او ادعت تقديم منفعة الا وهي التيقن من النتائج ، وفي مثل هذا المقام تقطع الهندوية علائقها بمفاهيمنا الصوفية الخالصة الفائقة للطبيعة والمجانية اذ ليس بمقدورنا هنا اقتحام الباب الذي يفضي بنا الى قدس الاقداس وانما باستطاعتنا بمعونة النعمة ان نعدّ نفوسنا لنتقبل من الجودة الالهة – عندما تشاء ان تفعل – الاختبار الحيوي الصوفي، ووعدت اليوغية انسان الامس وتعد انسان اليوم ، اذا ما قدمه اليهم مشعوذون ، بمجالات

---

١) السالك : المتدارك بالجذبة وهو الذي ترفع عن قلبه الحجب في اول الامر ويتوصل الى رؤية الحق ويتخلص من قيود ذاته واسر صفاته الجسمانية وهذه اعلى الرتب التي يقدر التصوف ان يتوصل اليها . . .

معرفة خارقة العادة ، وبالقيام بالتجربات ، وانها تبرّ ، من نكد الدهر ، بوعدها وانا برًّا بشكل آخر ، ويحضر في الذهن بينا اقول بهذا القول حالات انتهت باصحابها الى دور المجانين .

مزيج من التعاليم المتضاربة (LE SYNCRÉTISME)

انها التعاليم المتضاربة او بالاحرى جملة الاراء المقتطفة التي كانت على ممر القرون قوة الهندوية او ضعفها ، اذ خوّلتها ان تلتجئ الى معبدها الفسيح جميع آلهة القبائل المغلوبة على امرها اما بالقوة واما تحت سيطرة عليا ، فقد استمدت ثروتها من كل مكان ، وشرطها الاوحد المطلوب هو في كونها لا تريد ان تجعل لها الهاً متعالياً وواحداً ولا شكلاً دينياً شاملاً ولا قضية ايمانية كحقيقة مطلقة ذات قيمة لدى الجميع ، وفي مثل هذا المقام تظهر الهوّة العميقة جد العمق بين الهندوية والمسيحية .

وقد عرضت هذه الهندوية ذات الاشكال المتعددة نفسها مقرونة بالعظمة الخارجية لتكون دين البلاد ودين الجدود .

ومما لا شكّ فيه اننا نستطيع القول عن بعض مظاهر الهندوية انها قد انزلقت انزلاقاً كبيراً في هاوية السحر ، كما يجب علينا الّا ننسى انها على رغم ما في تعاليمها من مضال حقيقية وخرافات عديدة قد احتفظت بفضائل كثيرة طبيعية لمعتنقيها اذ قدمت للعالم مشهد نخبة ما برحت المسائل الروحية موجودة لديها .

النقد

ينبغي لنا ان لا نغمض العين عمّا في الفكر الهندوي من جمال ، وانه من العدل اولاً وانه لتمجيد الله اذ وضع في فؤاد الانسان بذوراً نمت مباشرة او غير مباشرة لتسبيحه ، وعلى شاكلة خبير فنان بكاتدرائية نستطيع ان نقف امامها لنشهد جزءاً من صنعها ، ونستنبط منه قيمتها ، بيد اننا لا نقوى على ان نتأثر الذي خلع على مجموعها ما يناسب الجزء ، فقد يقع منا النظر على تمثال ذي قيمة فنية كبرى في كنيسة حقيرة وعلى اثر فني في كاتدرائية فخمة يشوّه جمالها .

ولا يغرب عنا ان نصاً ما لا قيمة له الا بما يتبعه من ادلة وقرائن ادركناها ادراكاً موضوعياً .

واذ وضعنا نصب اعيننا هذه المبادئ فلنحاول ان نجمل خاتمتنا على الهندوية الملحوظات التالية .

وعلينا ان نميز في احتكاماتنا بين الهندوية والهند ، ولئن كان حقيقياً ان الهندوية قد صبغت الفكر الهندي عبر القرون بصباغها ، ولئن كانت اكبر عامل في توحيد البلاد المعنوي بنشرها الثقافة الواحدة في كل ارجائها ، فما ذلك كل شيء ، لانه منذ القرن العاشر بدأ التأثير الاسلامي بان يكون له فعله وان ضئيلاً حتى في جنوب الهند وفي الهند ذاتها التي عرفها القديس فرنسيس كسافير ، ولئن ابدينا تحفظات على المناهج الهندوية فقد يكون من الاجحاف ان نشمل بحكمنا الهندويين الذين يعتنقونها ، فالله وحده يستطيع ان يحكم على ما يدور في قلب الانسان ، اما نحن فلا ندرك ردات الافعال التي هي ثمرة البيئة الهندية .

واذا كانت عقائد قانون ايماننا تبدو واضحة لنا ولا يستطيع كل من يسمعها ان يبدي معارضة ، فان الهندوي لا يدركها ، من سوء الحظ ، الا من بجسب عقليته ، ولا شك في انها عقلية دقيقة ، وتنتهي الدقة بيد ان الكلمات لا توقظ لديه الافكار نفسها .

واليك المثل :

ان النقطة المركزية القائمة في اساس جميع اختلافاتنا كقضية خلق الله الواقعي الحر ، ليس من كلمة سنسكريتية تؤدي بالضبط هذه الفكرة ، ومن طبيعة الهندوي انه الف الاكثار من اقامة الحجج العقلية والاعتماد على المقارنات وكتبه الفلسفية مشحونة بها ، واذا طلب منا ان نضرب له مثلاً على عمل الله في الخلق فيعجزنا ان نقدمه له ، لان في عالمنا لكل امر اصله في وجود شيء سابق حتى الخالق الفني والخالق الموسيقي ، بيد ان الهندوي يأبى ان يتبعنا في استقراءاتنا الميتافيزيقية التي تبدو له انها تناقض استقرار الله والحكم القائل « لا يبدع شيء جديد من لا شيء » (ex nihilo nihil fit)

ولئن كان الهندوي من كبار الجدليين المنطقيين فهو حذر من النتائج

المنطقيّة الجدليّة ، أفلم يؤكد شانكارا (Shankara) .ان المتناقضات تقوم بين مؤسسي المذاهب الفلسفية ، فاتخذ الفيدا بمثابة نصوص مقدسة كرساة للخلاص .

ولا بدّ لنا في سبيل جعل وحدة الوحي الالهي مفهومة من التلويح بهذه النسبية التي تكوّن اساس فكرة عدد كبير من الهندوبين هذه النسبية التي صانت الهندوية من اضطهادات دامية وسم الهند بها مرور الاسلام فسمحت بقيام اتفاقات ضرورية جد الضرورة في بلاد تكدست على تخوم القرية الواحدة منها الاجناس والمدنيّات والعادات المختلفة .

ولا يجعل من السهل على الهندوية فهم موقفنا وصلابة عقائدنا ثقافتها السابقة لهذه النسبية ، فلا ينظر احياناً الهندوي والمسيحي نظرة واحدة الى اخذهم بالحقيقة ذاتها ، ولقد روى القديس فرنسيس كسافير نفسه حادثة نموذجية في هذا الصدد جرت بينه وبين احد الصديقين الابرار وهو كاهن براهمي جاءه طالباً منه ان يطلعه على علمه وقال له :

« كن واثقاً بانني لا احدّث احدًا عنه » .

وطبعاً قد افهمه القديس مدى اختلاف رغبته عمّا رغب فيه ذلك الكاهن الذي يعتقد ان الحقيقة كنز او حلية لا يسوغ للهندوي ان يحملها معه في الشارع ، فهي معدّة ليزدان بها في اندية الخاصّة وبين الاصدقاء الحميمين لانها ليست بذارًا للاسراف بها .

وهذا التباين بين الموقفين جعل نشر الرسالة المسيحية صعباً ولا يبرح يجعله شاقًا .

فحتام يستطيع الهندوي ان يظل عارفًا شوايب فلسفته النفسيّة ؟

ولقد تفتقت ايامه في بيئته ، فالصدمات التي نعرّضه لها ينظر اليها كهجات شنها على الهندوية اناس لا يفهمونها ولا يعرفون ما فيها من عمق حقيقي .

ولقد بسطنا مفصّلا هذه التعنقات الواقعيّة .

والذي يدهش له دارس المناهج الهندوية ولا يلاحظه من يمارسونها

في حياتهم اليومية الا لحظاً غامضاً ، فهو تلك الثنائية القائمة بين الرأس والقلب (العقل والعاطفة) اما القلب فليس بالحساسية السطحية فقط وانما هو رغائب الانسان العميقة ، المولودة من طبيعته ، والتي تناقض البراهين التي يقيمها المنطق .

وماذا يهمّ ان يكون لهاتين النزعتين جذورهما في الفيدا نفسها او ان ترتديا طابع الطريق السويّ تحت شكل آخر : البهكتية والعقلية فما ذلك في الواقع الّا صراع بين النزعتين وهو مأساة من مآسي الهندوية .

وفي سبيل الايجاز نستطيع ان نبسط الاختلافات على الصورة التالية :

الله ليس شخصاً — الله هو شخص .

الانسان وهم — الانسان حقيقة واقعية ابدية .

الانعتاق يعدم الانسان الوهمي ، فلن يبقى الا الله ، ان الانعتاق تعظيم العالم الحق المطلق الذي هو الانسان ويؤول غائياً الى فعل محبة ابدي .

واننا لنرى في جميع هذه المناهج نقيض مفهوم الخطية في منهج حاولي او منهج الوحدة الكيانية . فهل الله خاطئ ؟

وتتكدس الصعوبات ضمن هذه المناهج نفسها فمنهج شانكارا قد اضطر لايجاد شخص الهي ليتقبَّل شعائر العبادة ، أوَ لم يكن الانسان اذاً مرتاحاً الى حلّه القائم على الوحدة الكيانية ؟

واننا لواجدون في البهكتية هذه الثنائية فالدين يريدها والحاولية تنكرها :

ولقد قام في قلب المنهج دين الهي مؤسس على فكرة حاولية .

وعلى الرغم من الخوف الذي يداخل بعض الهندويين من كلمة « حاولي » فان التفكير ليؤدي اليها لان الاحوال والمادة واللاهيوليات تفضي اليها ، والمادة واللاهيولية هما حالتان ضروريتان ابداً للحق المطلق ، وفي جميع المفاهيم ، فان مفاهيم كارما وسمسارا اعني العدل اللازم لزوماً والتناسخ هي العناصر الاساسيَّة ، وهي وحدها تقريباً عقائد الهندوية ، وتبدو كانها تجعل ممكناً تفسير قضية الشر :

القاهر ان انسان اليوم هو نتيجة اعماله بالامس ، وليس من ظالم في العالم وما له من حل يعمل القدر المحتوم فوق الله نفسه ، فالمذنب يبحث عمن يستحقه ويترل به ، وجاء في احد الامثال ان الذنب كالعجل الذي يذهب احيانًا نيلًا عن امه في وسط قطيع عظيم ، وقال مثل اخر « انه مكتوب على جبيني » . وفي مثل هذه الحال ينقطع الله عن ان يكون الهًا لانه لم يبق من اختصاصه ان يدبر ساوكنا ، ولا القاضي بالعقاب ولا هو رب العقاب ، وادرك البهكتيون هذا الامر اذ جعلوا الكرما من متممات الله واتكلوا على عونه ومساعدته كأنه يحطم الافعال الماضية ، انه قلبهم الذي يتحدث وانما نزعات طبيعتهم العميقة التي تتكلم دائمًا على نقيض المنطق والقياس ، وينتقل هذا النزاع بين القلب والعقل مع الكرما من نطاق المناهج الى حياة الافراد ، فالانسان يحب ويريد ان تكون محبته خالدة ، فالام الغارقة في دموعها تتوق الى رؤية زوجها ثانية ولا سيما ابنها الذي تبكيه اليوم قد انتسخت حياتها من جديد ، لانها لا تستطيع التسليم والاعتقاد ان امرها قد انقضى الى الابد .

ومن هنا تدخل قضية التناسخ ، فالذي تبكيه اليوم قد وصل او انه في طريق الوصول الى اتلاد جديد قد يكون قريبًا او بعيدًا ولكن لا بد من هذا الاتلاد ، وان المبكي عليه سيرتدي مظهر شخص جديد وسيمثل دوره على مسرح العالم فيحب ويتألم ومن ثم يتوارى مجددًا تاركًا وراءه من احبهم وهم غارقون بالدموع ، ولئن كان الانعتاق يخولنا رؤية الاشخاص المحبوبين من جديد بعد ملايين السنين ، فما هو اذا هذا الانعتاق ؟ انه تحطيم لشخصيتنا الظاهرة الوهمية ، بيد ان طبيعتنا لترتجف منه فنحن نريد ان ندوم وان ندوم الى الابد ، اجل ان نفسنا لاكثر من موجة موقوفة على سطح المحيط الالهي ، ومسؤوليتنا تقيم لنا البرهان على ذلك ومعنى الخطيئة يدلنا على هذا الامر .

وحسبنا ان نزيد في البحث حول هذه النقاط وان كانت مهمة ، فان المنعتق لن يبقى ، وان من احبهم سيتوارون ايضًا وتخيب امال المحبة الانسانية ، واذا ما اردنا التوحد البحت الذي تعد به اليوغية فان الوحدة الكيانية اللاهيولية التي تقطع كل اتصال لها بالعالم وبالوحدات الكيانية الاخرى وقد ظلت بدون فكر ، بان التلاقي بعد حياة الانسان مستحيلًا عليها .

ولئن كان المبدأ اللاهيولي في الحل البهكتي يظل ابديا فكيف يتمثل

للذين واللواتي عرفوه على هذه الارض ؟ انه قد مثّل ادوارًا شتى في قرون لا يحصى لها عدٌ فهل يستطيع الاحتفاظ بها في عالم الالهة ؟

وربما قال من يقرأ هذا المقال انها حجج عاطفية فلا قيمة لها ، ألا تستند الى الرغبة الطبيعية في الانسان والى طبيعته نفسها ؟

ومما لا شكّ فيه ان الهندوي سيكون تأثره بهذه الذرائع اكثر من تأثره باي شكل منطقي كان ، ويستطيع ان يدرك صعوبات منهجه الباطنية ، حتى اذا ظلّ في حيرة امام هذه المسائل حانت ساعة النعمة التي نوقظ فيها عدم ارتياحه واستيائه ، او على الاقلّ نبعث في صدره شكًا بقيمة الهندوية ، فحينئذٍ يتعاظم حظّ المسيحية للاستماع اليها وفهمها ، هذه المسيحية القابضة بيدها على الحقيقة وعلى حلّ جميع المعضلات .

للذين واللواتي عرفوه على هذه الارض ؟ انه قد مثل ادوارًا شتى في قرون لا يحصى لها عدٌ فهل يستطيع الاحتفاظ بها في عالم الالهة ؟

وربما قال من يقرأ هذا المقال انها حجج عاطفية فلا قيمة لها ، ألا تستند الى الرغبة الطبيعية في الانسان والى طبيعته نفسها ؟

ومما لا شكّ فيه ان الهندوي سيكون تأثره بهذه الذرائع اكثر من تأثره باي شكل منطقي كان ، ويستطيع ان يدرك صعوبات منهجه الباطنية ، حتى اذا ظلّ في حيرة امام هذه المسائل حانت ساعة النعمة التي نوقظ فيها عدم ارتياحه واستيائه ، او على الاقلّ نبعث في صدره شكًّا بقيمة الهندوية ، فحينئذٍ يتعاظم حظّ المسيحية للاستماع اليها وفهمها ، هذه المسيحية القابضة بيدها على الحقيقة وعلى حلّ جميع المعضلات .

كتاب الخلوة والتنقل في العبادة ودرجات العابدين

تأليف الامام العارف ابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي رحمه الله (تابع)

نشره لاول مرّة عن نسخة يتيمة
الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

باب التمييز بين الخوف والرجا

قال وينبغي للعبد ان يكون اول شي ياخذ به لدينه بعد اقراره لله عز وجل بالوحدانية وانه خالقه ورازقه العلم بما امر به ومعرفته بما نهاه عنه فاذا علم ما يحتاج اليه من العلم عرف ان قوام ما علم الصدق وهو الايمان به فاذا نظر في الذي امر به عرف ان قوام ايمانه اليقين فاذا (١٨ب) ايقن بما آمن به وعرف ان تمام ايقانه الرجا والخوف فاذا نظر في رجايه وخوفه علم ان الرجا لا يتم الا بالرغبة والخوف لا يتم الا بالرهبة فاذا هو فكر في الرجا علم ان الرجا لا يكون الا بالتطلب وكذلك الخوف لا يكون خوفاً الا بالهرب فان قال قايل فكيف يكون حال الراغب الطالب قال ينبغي ان يكون مسروراً شاكراً والراهب الهارب يكون مهموماً محزوناً عندنا قلت لِمَ قال لان الراغب الطالب يرجوا الثواب ولان الراهب الهارب يخاف العقاب قلت فباي شي ينال ما وصفت قال لا ينال ما وصفته الا بالصبر قلت فما خير اداه الصبر قال الزهد والزاهد في الدنيا في حصن حصين شامخ قد جمع له الزهد خير الدنيا مع رجايه خيراً لاخره قلت فما قوام ذلك كله والذي انعقد له عُراها واليه مصيرها وماواها وبه جزاوها قال العقل قلت لِمَ قال لان الله لم يخلق خلقاً هو احب اليه من العقل قلت فالعقل الذي اعطاه بني ادم اي شي هو قال العقل عقلان عقل الدين وعقل الدنيا قلت بيّن لي عقل الدنيا قال ما وصفت لك (١٩أ) قلت فعقل الدنيا قال الصناعات كلها والحيلة منها قلت فعقل الدين قال فيه مالك وما عليك والثواب الذي لك منه والعقاب على ما عليك منه فاعرف ما ذكرت تاخذ بحظك ان

شا الله تعالى . واعلم انك مطبوع طباعاً حسنة وسيئة فاعدا عدوك سيات طبايعك واولي اوليايك حسناتها فقابل بعض ما قاتلت منها ببعض واعلم انك قد بليت من معالجة طبايعك ومكابدة اهوائك ومجاهدة نفسك بحرب لا حرب انفع لك منها فان رزقت الظفر منها والا اضرمت عليك الهزيمة منها ولا حرب الا سيحتاج صاحبها الى المادة فاستمد لحلمك من حلم احد ولعلمك من علم العلما ولعقلك من عقولهم فان العقل الفرد لا يقوى على امر العامة ولا يكتفا به في امر الخاصة واعلم ان راس ما يصلحك ويصلح به على يديك الزهد في الدنيا وانما الزهد باليقين واليقين بالعبر والعبر بالفكر فاذا انت تفكرت في الدنيا لم تجدها اهلاً ان تبيع بها دينك ونفسك ووجدت نفسك اهلاً ان تكرمها بهوان الدنيا فان الدنيا ذميمة الله تعالى وذميمة المرسلين وهي دار بلاء ومنزل قلعة (19ب) فاحذرها اشد الحذر . اياك والشهوات وليكن ما تستعين به على تركها علمك بانها مولهة لعقلك مشغلة لقلبك مهجنة لرايك مشغلة لك عن معاظم امورك شديدة التبعة عليك في اخرتك فانما الشهوات لعب فاذا حضر اللعب غاب الجد ولا تقوم الدنيا ويصلح الدين الا بالجد فلا تلقاه وان كان نال منها الا مستشعراً خوفاً زايلاً منها فان نازعتك نفسك الى اللهو واللذات فاعلم انها نزعت بك الى شر منتزع وارادت بك افضح الفضوح فغلبها مغالبة ذلك وامتنع منها امتناع ذلك ولا تداهن هواك في اليسير فتطمع نفسك منك بالكثير فان لكل عمل ضراوة ومتى عودت نفسك القليل دعتك الى الكثير واعلم ان اسعد الناس ادركهم لهواه ان كان هواه في رشد فقد سعد وان كان هواه في غير رشد فقد شقى بما ادرك منه وقد يمنع الحازم من استكمال لذة الشهوات خوفه اياها ووجله منها فلا تلقاه وان كان نال منها الا مستشعراً خوفاً زايلاً منها الى الندم ومخافة الندم منها وهذه صفة الزاهدين فاعقلها ان اولياء الله ان اقبلت اليهم الدنيا لم يكبروها وان ادبرت عنهم لم يذكروها يراهم الناس وليسو منهم تحسبهم منهم وليسو (20أ) منهم ليست لهم ديار يعمرونها يطمئنون اليها انما ديارهم وقصورهم وعشايرهم امامهم قد اخذت الدنيا بانفاسهم فلولا ما يستريحون اليه من مناجاة سيدهم لقاسوا من معاشرة الدنيا واهلها طول العناء فهم طلقا ربهم من غموم الدنيا وعتقاؤه من همومها اطيب بحياتهم من

حياة واحسن بمقامهم من مقام فهم الذين قاتلوا نفوسهم وباهدوها عما تميل بهم اليه من راحة الدنيا ونعيمها حتى رفضوها ليسو بمشتغلين بالاملاك المعتقدة ولا باصحاب القصور المشيدة ولا الانهار المطردة الذين عكفوا علي حب الدنيا وحطامها يعتدون ببعضها ويطعنون بعضها علاجاً بعد علاج لا يسأمون من جمها ولا تنقضي امانيهم من شهواتها يبيت اخو عشتها متمنيا للذاتها والوانها فلا يزال اخو الحساب مخدوعاً معللاً حتى حضرت منيته فكثرت حينئذٍ ندامته وحسرته وذلك هو الخسران المبين. طوبى لقلب صبر وتوكل علي ربه ولم يتذكر الراحة جزعاً طوبى لقلب تقي فرغ قلبه من ذكر الشهوات فذاقا الشهوة علي طلب الهدي ليس(213) كل من يُبتلا يهلك ولكن من لا يصبر للبلا يهلك فلا تعجب من البلاء الشديد ولكن العجب من الصبر كيف يحمله العبد، العلم دليل على الاعمال والعقول معاذن للراي فاذا تكامل ذلك في العبد نتجت الحكمة في القلوب فتفرغت علي الالسن، فالعلم مفزع للعاملين وذوي العقول مفزع لذوي المساواة في المضار والمنافع وذوو المعرفة مفزع عند اشتباه الامور فجالس يا اخي العلما وشاور العقلا وافزع الي ذوي المعرفة عند الثقلات من الامور وساصف الك وصف العلما. وذوي الالباب من العقلا وذوي البصاير من اهل المعرفة. فاما من خاف الله في سريرته اعظم من خوفه في علانيته وظهرت خشيته عليه في قوله وفعله فذلك العالم حقا وبذلك وصفهم الله عز ذكره فاذا لقيتهم فحط عند رحالهم واخفض لفضيلة عليهم جناحك فاما العقلا فتى عقل عن الله تعالى مواعظه وعرف ما يضره مما ينفعه فاتبع دلالات عقله لما ينفعه واجتنب ما خالفه وكان التذكر شعاره فذلك هو العاقل فاذا لقيتهم فاسكن اليهم قلبك وشاورهم في امورك واصدر عن رايهم واما ذوو المعرفة فان تراه قريباً بعيداً اصم سميعاً صموتا نطوقا سهلاً كزاً سمحاً شحيحاً (214) شجاعاً جباناً ابله فطناً عالماً جاهلاً محترماً صابراً ضحوكاً باكياً باسماً عبوساً مختلطاً مستوحشاً الوفا نافراً حذراً خايفاً راجياً احمق عاقلاً ممتنعاً موجوداً معروفاً خاملاً مهموماً مسروراً راغباً زاهداً صادقاً كاذباً خايفاً امناً موقناً مكذباً راضياً ساخطاً عزيزاً دليلاً متواضعاً متعظماً نايماً يقظان سلس للقياد صعب المرام حلواً مراً أنسه الوحدة وفرحه الحزن وسروره الهم وضحكه البكا وكلامه الصمت وقوله الفعل وجوابه الاسترجاع وموعظته

آدابه وفعاله ، ان رايته خلته مُحاطا وان كلمته خلته ابله وان اختبرته خلته ملكا متوجا عظيما لا يخلط هزلا بجد ولا يوثر دنياه على آخرته مشغول عن الخلايق بانشغاله بنفسه فالناس منه في راحة ونفسه منه في تعب وقال قايل لا تفرح بكثرة العمل مع قلة الحزن فان قلة حزن الاخرة الدايم في القلب ينفي كل سرور الدنيا فيه وقليل فرح وسرور فيه يداومه ينفي جميع حزن الاخره والفرح لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب فهي ميتة (21ر) والحزن يستطبه المتيقظ من خالص عين النفس وعلامة ثبات اليقين في قلب العبد استدامة الحزن فيه ولا شي. ابلغ في الزهد من ثبات حزن الاخرة في العبد وعلامة ثبات الحزن في القلب أُنسه بالوحدة والحزن يهيج بالتيقظ والسرور نتيجة الغفلة وعدم ان يوجد مسرورا محزونا من اهل زمانك وقد كان يمكن ذلك في الصادقين وقد يمكن العبد ان يكون محزونا ملتمسا بتحزن حلال الدنيا وجماع الطاعات يوجد بالتكلف والحزن لا يوجد بالتكلف الى ان يصل الى القلب السبب منه ويوجه فان قيل ولم قدمت بين يدي النفس شيا من الطاعات واليقين معدن به يُستنبط جماع الطاعات ومنه يتفرع البر قال لان اليقين لا يثبت في القلب الا بسببه ولان الله عز وجل لم يخلق شيا يدرك بغير سبب فعلمنا ان اليقين لا يثبت في القلب الا بسببه لانا وجدنا الاشيا بعضها مُصلح وبعضها مفسد والقلب لا يخلوا من التيقظ والغفلة والغفلة اسبقهما في القلب والتيقظ اعز من الغفلة اذ كانت الغفلة معترضة سابقة الى القلوب والتيقظ مفقود (22ر) مطلوب غير موجود ثم استثنا امر الاخره بما يثبت في القلب فاذا هي لا توجد الا باليقين بها ثم نظرنا هل لليقين من ضد يرفعه فاذا هو الشك فيها والشك اسبقها الى القلوب واوجد لان اليقين اعز مطلبا واقل وجودا فاستخرجنا جماع امور الاخرة من اليقين بها وما فيها ثم اضطرتنا المعرفة الى معرفة السبب الذي به يوجد اليقين اذ كانت الاشيا. لا تدرك الا بأسبابها فاسبق الاشيا الى القلوب الغفلة فالتمسنا بالغفلة وجود اليقين فاستحال ودلنا على الشك في الاخره فاوقعنا ضده وهو التيقظ على اليقين فاستنبطه واظيره واثبته والحقنا اليقين به وعلمنا انه سببه فالفنا بينهما فاقترنا وامتزجا واتفقا وبقي ضد التيقظ وهو الغفلة وضد اليقين وهو الشك فالفنا بينهما فاقترنا وامتزجا فصح عندنا ان مَخرج الشك من الغفلة وان جماع الشر

فثبّتوا عليه اقدامهم واصغوا اليه (23ر) اذانهم واستوعوه قلوبهم وتيقظو به في نومهم فاستدارت له قلوبهم وانارت به ابصارهم وحسن عند تلاوته اعمالهم فكان الى الخير داعياً واوليك الذين هداهم الله واوليك هم اولوا الالباب .

باب الصدق والارادة وثقل الصدق

قال ارج ما ثقل عليك من برك وعملك وَخَف ما خَف عليك من حسناتك فان الصدق ثقل خفيف العمل والكذب من النية الى العمل يخفف ثقيل العمل. قليل الصدق اكثر من كثير من الكذب واعلم ان ارادتك للعمل عمل فانظر في ارادتك وابصر ارادتك كما تبصر عملك وليرك الله وانت على نيتك داياً طالباً لها كما يرى الله ارادتك لعملك وطلبك لعملك فان يكن هذا من شانك يظفر بنيتك قبل عملك باجر اكثر من اجر عملك ، واعلم ان عدوك اعلم بدا منك واعلم بداء ما اخفيت منك واعلم بدا صحتك منك واعلم ان بدآ (×) منك واعلم بدآ خجل منك واعلم ان بدآ. كل برك منك وهو يخفى عنك من دآء برك وسقم نيتك في برك وما ثَمَنا على غيرك منك وهو يستر منك عنك من سُقم نيتك ما تستر انت (24ر) على غيرك وهو يستر منك ما تستر انت من عيب مثالك فهو يُرَغبك في الحسنات التي قد اخفى عنك ما فيها من السُقم فهو لا يثقل تلك الحسنات عليك ولا يُكرهها اليك ولا يقبحها عندك ولا يقبحها عند الناس منك وودّ ان الناس كلهم صدّقوك في نيتك اذ اظهر هو سقم نيتك في حسناتك وودّ ان يصحح للناس عملك اذا كان ذلك منهم يزيدك قوةً ونشاطاً في حسنتك التي قد سقمت فيها نيتك فهو يحسن عندهم امرك وتعظم عندهم منزلتك لتداوم على عملك وذلك البر وليس همّه ولا ارادته ولا محبته ان يعلم ما يعلم هو من سقم نيتك انا همه ما تجهل انت من سقم نيتك في حسناتك فالحسنة التي تجهل فيها سقم نيتك وارادتك ويجهلها الناس هي احب الحسنات اليه منك ليس همه ان يعلم من دآ عمل الحسنات ومن دآ ترك السيئات ومن دآ الترك للحسنات فان من دا تركها ان تدعها صيانة ان يقال قد رايا لعملها فتدعها فيصير دآء ومن دآ ترك الدنيا ومن دآء اخذ الدنيا مما يعلم هو من ذلك ولا ان يهمه ان يعلم الناس منك علما من دآء سقم نيتك في ذلك ،

احب النعم اليه الذي تجهله وابغض (24ر) النعم اليه الذي تعلمه ويقطن له من نفسك فخف علي حسناتك مما يعلم من ذلك وخف على ما قصر عنه علمك ووَدّ عدوك ان ادخل عليك سُرور الدنيا وملك الدنيا وتعظيم اهل الدنيا بالريا وبالخطايا لانه مَثّل ونظر وفكّر بين ربحه منك وربحك الدنيا كلها لسُقم نيتك في حسناتك فاذا هو قد ربح منك اكثر من ربحك الدنيا واخذ منك اكثر مما اعطاك واذا انت قد اعطيته كبيرًا كثيرًا باقيا واعطاك قليلًا صغيرًا فانيًا وانت منه ايضا على غير يقين من الظفر به فانت قد اعطيته اليقين وصدك عن اليقين بالشك والمُنى في الريا فهو يُخفي عليك ومنك من سقم نيتك في عُزلتك ويخفى على غيرك منك من سقم نيتك في عزلتك ويخفي عليك من سقم نيتك في مخالطتك ما يخفى على الناس منك من سقم نيتك حيلته في سترك من الناس سقم نيتك انت تريد ان يصحح عند الناس امرك وهو يريد ان يصحح نفسك عند نفسك ؟ امر الحسنات اليه منك كل حسنة عميت عن سقم نيتك فيها وعمى الناس عن سقم نيتك فيها وهو اعلم بدآ الخشونة في الملبس والمطعم منك وهو اعلم بدآ الحزن ودآ التحازن (25ر) منك حيلتك في سترك من الناس سقم نيتك منك حيلته في ستره منك سقم نيتك ما امرُ اليه الحسنات التي تصيبها الدنيا او ينال الدنيا هي اَمر اليه من الحسنات التي قد سقمت فيها النيات لانه يريد ان يفسدها عليك بعد صدق النية فيها بالمال او بالمال او بتعظم الناس فربما افسدها اولاً سُقم النية فيها وربما افسدها بتعظم الناس له بها او بالمال يجلبه عليه بحسناته فبادر على تلك الحسنات المال الذي اكتسبه في جنب حسناته من حجة او عروة او غير ذلك من برك فما اشد حرصه على هاتين الحسنتين على حسنتك التي قد سقمت فيها نيتك وافرحه بحسنتك التي قد لبست بها المال لان ما قد افدت من المال يزيد في رغبتك رغبة لم تكن وفي نشاطك نشاطًا لم يكن وقوة لم تكن كل ما زاد بك الدنيا زدت انت في الجدّ ولو انقصت من اصابتك نقصت انت من حرصك وذهبت حلاوة نيتك وثقل عليك خفيف سفرك وطال عليك قصير غيبتك وجئي يتمنى ان لم تكن سافرت ذلك السفر ولا خرجت في تلك الخرجة فاحذر ما قد علمته من مكيدته واحذر ما لا تعلم (25) من مكايده وما لا تعلم اكثر مما قد علمت وما خفي عليك اكثر

مما قد بدا لك وما ستر اكثر مما اظهر انا همته منك كل مكيدة يجهلها ليس همه منك كل مكيدة تعلمها واعلم ان اصح ما تكون عندك نفسك استقم ما يكون سقمها من صحتها وصحتها من سقمها انك ان ادخلتها في الصحة اخرجها من الصحة وان ادخلتها في السقم ادخلها لانه يعلم ما لا تعلم انت من نفسك اعني عدوك واعلم انه ليس يستوي علمك بنفسك وعلم الله تعالى بنفسك وابليس اعلم بك منك بنفسك والله اعلم بك منك ومنه ولا يستوي علم ابليس وعلم الله تعالى بك فعلم الله ابطش بك من علمك وعلم ابليس والذي عملت له اعلم بعلمك منك بعلمك فلا تامن من هو اعلم بعلمك منك بعلمك ان المُصح عند نفسه آمن والامن على العمل انه صحيح من افة العمل والامن على السيات اضر من السيات والامن على الحسنات اضر بالحسنات من السيات على الحسنات، آمن حسنة الي عدوك من سيئة بعد حسنة وقنوط بعد حسنة احب اليه من سيئة واستصغار صغيرة مع تركها احب اليه (٢٦٢) من صغيرة اخرى تعمل بها واحب اليه من كبيرة تعمل بها انت مُتعظم لها ومستصغر منها وترك الصغيرة على ما وصفت احب اليه من العمل بالكبيرة يتلوها الاستغفار انه يعين السنة الناس ان تنطق بمدح الصادق وليفسد عليه صدقه ويزيد في الصادق قوة في عمله وقوة في نيته حتى يسري من الصادق والكاذب واحذر تجديد قوة المدح وتجديد حلاوة العمل عند المديح فانه يزيد الصادق قوة عند حادث المدح فيفسد عليه صدقه بتجديد نشاطه لم يكن حادث قوة اقوى من القوة الاولى وكل ما زاد مديحهم وتجديد اعظامهم لذلك العمل حدد له منك حباً وفيه قوة ورغبة وعليه مداومةً وبه عنايةً وان ذموا ذلك منك غمك ما كان يفرحك وضاق بك فيه ما اتسع واظلم عليك ما كان انار عندك وصار مرّاً بعد ان كان حلواً تجد له تثقلاً ومنك فترة وله كراهةً فيفسد على الصادق صدقه من وجوه ما وصفت لك ويزيد الكاذب مُداومةً واجتهاداً في كذبه ويجدد من الصادق عند المديح استكباراً لذلك العمل وقد كان له مستقلاً حتى يصير في نفسه وغيره سواء (٢٦٣) يقال للصادق اكثر الله فينا مثلك وانت ممن ترجى ناحيته فتقبلها النفس او يرى رجل رؤيا فيقصها عليه فيحدث بها ظاهر قوة وظاهر مداومة وهو من الرئا فيفسد الصدق فيصيّره كذباً ويجدد ذلك كذب الكاذب فاحذر مديح الناس واعظامهم

تدعين الخوف من قلة الخوف وهو رياً لطيف فلا يظهر انك تخاف الا ان
ظهر ذلك الله فيعلمه الله من باطنك كما يعلمه من ظاهرك لانه يثبت لنفسك
لخوف حتى قلت اني خائف قلة الخوف لقد الطف في زيارته من ادعى المخافة
على قلة المخافة .

باب حاجة العبد الى صدق النية في الفرائض

ما اكثر حاجتك الى فرائضك وحاجتك الى ادبك في فريضتك مثل
حاجتك الى فريضتك وصدق نيتك فريضة عليك في فريضتك مثل فريضتك .
فرض الله عليك ان تخلص له في عملك كما فرض عليك عملك فالنية والصدق
في الاخلاص في الفرايض من الصلاة والزكاة والحج والبر المفروض فريضة
عليك منك تلك الفرائض لاتقبل الصلاة ولا الزكاة الا بها كما لا يقبل نافلة حتى
تؤدي الفريضة وكما لا تقبل صلاة بغير (27ظ) ظهور كذلك ارادة الله والاخلاص لله
بالفرائض وفي الفرائض فاعن بتصحيح نيتك في فريضتك كما تعنى فريضتك
بتصحيح نيتك في فريضتك فريضة عليك وتصحيح نيتك في نافلتك فريضة عليك
فصدق في النافلة فريضة وقد فرض الله عليك في النافلة ان تخلص له ولم يفرض
عليك النافلة فاعن بتصحيح نيتك في نافلتك فانه فريضة عليك وهو الزم لك
(×) له الزم من النوافل فالصدق في النية فريضة عليك في الفرائض وفريضة في
النوافل ولا تثيب ولا تقبل فريضة ولا نافلة الا به فسل عنه واطلبه كما تطلب
الفرائض فانه فرض لا يكون الفريضة الا به والاخلاص في اعمال الفريضة
والنوافل وفي طلب العلم وطلب السنة وهي للايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن والجنة والنار سوا اخلاص واحد فرض الله تعالى الايمان بذلك
وفرض ان لا يراد غير الله بذلك فقال فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا لا ايمان لمن لا صدق له ولا ايمان لمن لا يريد
الله تعالى بايمانه فالاخلاص لله فريضة في الايمان والاعمال وفي التقوى كله وهو
فريضة عامة (27و) على حرنا وعبدنا وذكرنا وانثانا وصحيحنا وسقيمنا وفي السفر
والحضر فاستو في فريضة الصدق في اخلاصهم في اسفارهم وفي اقامتهم وفي
سقمهم وفي صحتهم ولم تستو اعمال فرائضهم في انفس الاعمال واستوت عليهم

فرائض الله في الصدق لله والاخلاص له الا ترى ان المنـافق ترك فريضة الله الباطنة في نيته وارادته الايمان لله وبالله فلم يكن مؤمناً وان كان مقراً باللسان حيث ترك فريضة الله في تصحيح ارادته في باطنه فرض الله الارادة له بالايمان به كما فرض الايمان فاصاب المومن الصادق بنيتـه الفريضتين جميعاً الظاهرة والباطنة فريضة النية وهي الارادة لله بالايمان به ورسله ولا ينفع اصابة الفريضة الظاهرة لا باصابة الباطنة في الايمان والفرائض والنوافل فاذا رحلت في طلب العلم لهذه الفريضة او مشيت في طلب التعلم لها او جلست في طلب التعليم لها لعتيك فانت داخل في فريضة وجالس في فريضة وماش في فريضة وهو افضل من صيام يوم نافلة وافضل من قيام ليلة نافلة وافضل من صدقة نافلة وافضل من حجة نافلة وافضل من (28ª) غزوة نافلة وافضل من عتق رقبة نافلة وهو افضل ما اطيع الله فيه فانها فريضة قد فرضهـا الله وتركها بعض الناس وثقلت عليهم فما اكثر حاجتك في احسانك الى تصحيح نيتك وحاجتك الى ان لا يكرمك الناس ولا يعظموك مثل حاجتك الى احسانك وحاجتك الى ستر حسناتك اكثر من حاجتك الى حسناتك وما اكثر حاجتك الى جهالة الناس بك وبحسناتك وبعلمك لهذه الفريضة ليس فيها تعب بدن ولا بعد اثر ولا نفقة في ذات يدٍ وهي افضل من فرائضك فيما تركوا فرائضك وايمانك حاجتك الى حسناتك ان عقلت مـا وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا كلها ان تظهر حسناتك او ترى بها ما قبلت الدنيا ولو حملت عليك عقوبات الدنيا كلها على ان تراى بحسناتك كان ينبغي لك ان تصير الي تلك العقوبات وكيف ترا من لا ياخذ منه شيا في الدنيا ولا يحمل عنك شيا من العقاب ولم يبق عليك ولم يعدل ومن لا يعلمه منك ولو علمه منك لمقتك وتراي من انت علي يقين من نظره اليك ومن هو اعلم باظهار حسناتك دل ذلك علي جهلك فما احوجك الي اخفآء حسناتك وستر عملك .

(28ᵇ) باب قلة الاكل وتصغير الدنيا

يخافُ الله تعالى من ترك الميته وهو يعاف اكلها فهو يخاف الله ان يتركها وهو يخاف الله ان ياخذ الفضل منها يخاف ان يعصي الله في تركها اذا اضطر اليها

ويخاف ان يصيب منها اكثر من معيشته ان لو اكلها وهو غني عنها فهو ياكلها بحاجته اليها لا لشهوة لها فهذه غاية تصغر الدنيا فاذا كانت في هذا الموضع عند صاحبها لم يحزن عليها ولم يفرح بها من يفرح بشيء فاته او من يفرح بشيء اقبلت اليه بل يفرح بها مدبرة ويحزن بها مقبلة لانه على حد عافية واستعداد ولكن جعل محتاجاً الى الغداء فهو لا يستطيب ذلك وهو يحتاج اليه فحاجته مدّ يده اليها للمخافة على فوات لذات حلاوة الدنيا.

باب التماس المنفعة في الاكل والشرب واللباس

اذا كان لله تعالى ان من طلب الدنيا فريضة في المطعم والمشرب والملبس من قبل انه لو ان رجلاً قال لا آكل ولا اشرب وهو يقدر على المأكل والمشرب كان لنفسه قاتلاً قال الله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيماً فنهى عن اسباب القتل (29v) كلها فمن قتل نفسه بحديدة او بسم او بغرق او بحرق او بجوع او بعطش فسوا قتله اياها فالفريضة عليه ان يُخرجها من حد قتله اياها بما تيسّر وهان في الدنيا من مأكل الدنيا مما تأكل الا (×) وغير ذلك مما لا ياكله الناس فان اكلوه امسك انفسهم وكان فيه حياتهم وليس في المأكل شيء معلوم ولا محدود وفريضة اللبس لو ان رجلاً قال لا اصلي الا عريان ولا امشي الا عريان كان قد ترك الفريضة وهي الصلاة وكان قد ترك ستر العورة وستر العورة فريضة فكان تاركاً للفريضة في الامرين جميعاً فعليه ان يطلب من اللبس ما ستر عورته وادى فيه فريضة بغير لباس محدود ولا جنس من اجناس الثياب من وضيعها فان ادعى انه يريد ستر العورة بلباس كسرى وقيصر لم يصدق وان ادعى انه يريد سد الجوع بمأكل كسرى وقيصر لم يصدق وعلم ان هذا انما يريده للذة ومنها طلب الدنيا جمع ما احب من الدنيا فافهم — لا تخلوا العبادة الا بالفكر ولا يخلو الريا الا بالفكر قبل الريا ولا يخلو حب الدنيا الا بالفكر (29r) قبل حب الدنيا يقول العابد يراني الله تعالى في عبادتي وتراني الملايكة وهو يقول المرائي يراني الناس ويقول صاحب الدنيا اذا جمعت الدنيا صنعت كذا وكذا فيقع العلم بعد الخلا بالفكر تنبيه مصلي نايم ونايم مُصلي وصايم مفطر ومفطر صايم وكاس عار

ومتطهر غير طاهر فاما المفطر الصايم فرجل صرّم نفسه في ضدّ فطره من الاثامة فهذا الصوم المعروف في ضد الصيام وضد الافطار واما الصايم المفطر فرجل جوع نفسه وافطر من صيامه في نهاره وعند فطره وسحوره فليس له من صيامه الا اسم صيامه وجُوع كبده وظمأ هو اجره واما الكاسي فرجل يابس ثيابه من الاثامه فثوبه وصلاته من الاثمه فهو كاس من لباسه عار فيما بينه وبين ربه ومتطهر غير طاهر فرجل اكتسب طهوره لصلاته من مأثمة ومعصيته فهو متطهر ثيابه غير متطهر من الاثام طهوره فهذا طهور متطهر به فهو يطهر قذر بدنه بقدر الاثامه لدينه ويبقي درن بدنه بذنبه فالقذر لا ينقي من القذر والدرن لا ينقي من الدرن فقذر بدنه ودم علي (30ᵃ) جسده ايسر في الفاحشة من درن وضوء وقذر طهوره الذي اكتسبه من الاثامه فهو كرجل توضا من الحدث بالدم او غسل دماً بدم او رجل به نقى معصيته في ثوبه بمعصية في (×) ماء غسل به ثوبه فثمن طهوره افسد لصلاته من دم ثوبه وقذر جسده ومصلي نام صلي لينام واستجلب النوم بالصلاة لا لثواب الصلاة استجلب الصلاة وقد يكون مُريداً للنوم بالصلاة ومُريداً بالصلاة فصلاته شطران شطر منها لنومه وشطر منها مستجاب لصلاته فوات الصلاة قال واما النايم المصلي فرجل يريد بنومه القوة على صلاته ليستجلب بقوة النوم قوة الصلاة وذلك نيته فهذا نايم مصلي .

باب صدق حسن الظن والخوف والرجا

قال تظن انك قد ظننت وترجوا انك قد رجوت ولو ظننت عملت وتهم ان تهم ولم تهم وظننت انك حيث هممت ان تهم قد هممت ولو هممت عملت وظننت حتى رجوت انك قد رجوت ولو رجوت طلبت ما رجوت وظننت انك تخاف ولم تخف ولو خفت هربت والخايف ليس بساهي والذي يظنّ انه يخاف ساهي المخافة والهرب (30ᵇ) معاً والظن والعمل معاً والرجا والطلب معاً من حسن ظنه حَسُنَ عمله قال من اشتدّ خوفه اشتدّ هربه ومن اشتد رجاؤه اشتد طلبه قال ومن رجا واسا فاتّاتا تمني واحتري فابصر الحال التي يكون فيها خائفاً من الحال التي يكون فيها راجياً انما تمنيك ثم تحزنك فيظن انه يرجوك وكذلك

فعل باهل الكتاب قبلنا فمن هذا نهانا الله عز وجل فقال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يُجزيه وقال الراجي ساعي الراجي ليس بلاهي والراجي ليس بتوانٍ المتمنى لاهي ساهي وقد نعرف هذا ان الرجل قد يرجوا الشي من امور الدنيا ما فيه طمعه انه لو طلبه تدر عليه فلا يتوانى ولا ينهوا ولا يلهوا ولا يقصر بل يستر واذا رجا ما ليس طمعه انه يظفر به فاتا تراه مقصرًا غير مشتر لان الذي رجا انا كان منى ولو كان رجآ لطلب ما رجا فلما كان منى تقاصر عن طلب المنى ولم يحق منه حقايق الرجا فظن ان المنى رجا وان الرجا لا يكون الا بالتعب والتحبب قال من رجا الدنيا كان ترجا به حقايق حقيقة خدها في قلبه وحقيقة من ظاهره من عناية (31r) كذلك المنى للمتمني للاخرة وكذلك الرجا فالرجا له ليس له حلاوة في القلب ولا ظاهر عناية على البدن وكل رجاه لم يكن بهذه الصفة فهو رجا ان يكون راجياً ومن رجا وطلب فهذا ذاق حلاوة الرجا بقلبه وذاق مرارة العناية على بدنه فهذا اصاب الرجا في اصابة نفس الرجا .

باب يا اخي اعرف موضع ما منه الشكر وما منه تستغفر من ماكلك او ملبسك او مشربك او مركبك او مكسبك او زوجتك او ولدك امن مكسب طاعة او مكسب معصية فان كان من مكسب طاعة فاشكره وان كان من مكسب معصية فاستغفره فانك ان تستغفر في هذا المكان فقد استغفرته وشكرته وان انت جعلته موضع شكر فلم تستغفره فلم تصب بشكره طريق شكره فقد لقي يونس ما لقي فما زال من موضع طريق الغضب له وقد غضب له ولكن لم يكن نصب في الباطن غضب الباطن فلم ينفعه الغضب حيث اخطأ طريق الغضب الباطن بل كان الغضب في ذلك الموضع معصية فلا يومن عليك ان تكون اسوا حالًا من يونس حين شكره على مـا كان ينبغي ان يستغفر منه فلو ان (31v) احدًا افات من هذا افات يونس فلتكن الاصابة بالشي اهم اليك من اصابة الشي فان يونس اصاب الغضب ولم يصب بالغضب ما يكون الغضب طاعة لله تعالى لانه قد غضب لله في ظاهره وقد عصاه في باطنه بالغضب لله في ظاهره حتى اغضب الله بباطنه في غضبه لله في ظاهره فقال اذ ذهب مغاضباً على قومه ويُنسرها ؟ فظن ان لن نقـدر عليه ذلك البلا

الذي اصابه وهذا يدخل علي اصحاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحياء والبر كله والصمت كله فليكن الهم في ذلك كله الباطن.

باب فضل ترك المعاصي

ترك السيئة وان كانت صغيرة افضل من ان لو حججت ماية حجة ناقة فان ترك السيئة افضل وليس رجاوك الترك السيئة اعظم من رجايك لماية حجة ناقله بل لو اعتقت مع كل حجة رقبة كان ترك السيئة افضل والرجا لها اعظم والثواب من الله عليهما اكثر لي له غزوت عشر غزوات كان ترك السيئه افضل لان ترك السيئه فريضة والغزوات نافلة بل لو صمت عمرك وكنت فيه صايما لا تفطر نهارك وقايما (32r) في ليلك لا تفتر كانت فرايضك من ترك سيئاتك صغيرها وكبيرها وفرايضك من اعمالك المفروضة عليك افضل من ذلك كله وليكن رجاوك لفرايضك من ترك كذبه الي ترك فطره الي ترك مد شعره الى ترك خلف موعد انت له ارجى وهو منك اعظم وهو عندك اوثق من جميع ما وصفت من النوافل فانك ان وثقت بنوافلك تثقك بفرايضك سويت بين ما لا يستوي وان كانت نوافلك ازجي عندك واوثق لك من فرايضك اضررت بنفسك في تصغيرك لفرائضك فليك انه وانت معظم للفريضة ولاهل الفرايض فان تعظيم الفرائض اولى بك من تعظيم النوافل ومن الدليل على أعظامك الفرايض فيه ادلالك بالنوافل على اهل الفرايض ومما يدلك على تصغيرك وتقليلك الفرايض استطالتك بنوافلك على أهل الفرايض والفرايض اعم منفعة واعم بركة من نوافلك ليس في فرايضك عجب بنوافلك ولا اذلالك بنوافلك واستطالة نوافلك وفرايضك شفا ليس فيها دا وهي تذهب بالدآء فيها الشفا ونوافلك تجلب كبرك وعجبك واعراضك واستطالتك واستصغارك الفقرا (32v) واستهلاك الاغنيآء والحظوة عند الامراء وهي آلة الفرايض وهي دآ يصيبك وقد يصير دوآء نوافلك وذلك انك تستوي قدماك واقدام امتك في فريضتك وانت لا تستطيل من عملك بالعمل الذي يكثر فيه العمال معك انما يجلب ذلك عملك الذي تنفرد به وحدك وتقتصد فيه شركاوك فذلك دآوك الا ترى انك لا تدل على الجيران ولا على الاخوان بصوم

رمضان ذلك ما يهم وانت عند نفسك صيام حالك وحالهم سوآ فان انفردت بشعبان جلب ذلك عليك ولك عجباً وتكبرًا واستكبارًا ذلك لان الاخوان لم يساووك فيصومونه معك وهكذا كل اعمال البر من الفرايض فما اخفيا في (مستهلها) وَمَا اثقلها في عواقبها واعظم امورها فقد ترتجى فرايضك لنوافلك وتخشا نوافلك على انفسها وعلى فرائضك فلا نامن من نوافلك الرد لفرائضك ونوافلك فانك منها ومن سقم النية فيها على خطر عظيم ان يكون الله عز وجل راك تريد غيره بعملك عبدًا مثلك فتعطيه من ذلك وتوجه اليه اكثر مما وجهت الى ربك ان يكون حكم عليك مع غضبه عليك (33ᵃ) ان قال اعمل ما شيت فلا اقبل منك فانك تعمل في نافلتك وفريضتك في غير معتمل ثم تسليك معرفة ارادتك ومعرفة سقم نيتك فيستدرجك بتحسين ذلك عندك وقلة صرفه عليك ويستدرجك باعظام الناس لك وخشيتهم منك وتبوئهم قولك ويستدرجك بالقوة والنشاط والمداومة والمثابرة على عملك الذي تعمدت بنيتك فيه قصد ما وصفت لك حتى يرمينك عدوك بسهم حديث فيقول لك ان الصادق يُداوم والكاذب يفتر وقد جا. ان المراي لا يثبت اربعين ليلة بل انا اصف لك انه يثبت ثمانين سنة وان الصادق يفتر والفترة اليه اسرع والكاذب اقوى والفترة عليه ابطا لانه قد تعجل من عاجل حلاوة الدنيا وحلاوة تعظيم الناس وحلاوة ما اصاب به من الدنيا ما يقوى به على التعظيم من العبادة والتطويل من الريا ومن اوجه استدراجه لك ان ترى في منامك رويا تقويك على عبادتك او تُرى لك فتبلغك وتقص عليك حتى تامن علي عملك برؤياك او برويا غيرك .

باب الزجر عن القنوط

ترك القنوط فريضة مثل ترك السيه من الماكل والمشرب وَمثل العمل (33ᵇ) بالحسنه من الصلاة والصيام وليس مثلها في العمل بها وليس مثل الصبر لان الصبر امر تجزع منه النفس وانت لها مستكره ولها مكره ولا تسخط عما تحب النفس اذ فيه صادق وعادل ومجروح وترك القنوط حسن عمله بقلبك ليس فيه تصبر من نفسك علي حسن ظنك بها انها محلة حُبًا وتحمله حقًا لا صدقا من النفس ولا تصبرًا وقد يرجا لك من حسن ظنك وترك القنوط من ربك افضل مما تري من باطنك وقد يكون المومن عاصياً لله

تعالى في افعاله مطيعاً لله في تحريمه فعاله مطيعاً لله تعالى في تركه القنوط من الله
تعالى فطاعته في الوجهين جميعا في الطاعة اعظم من تلك المعصية في المعاصي
وقد يرجا لك ما وصفت وقد يكون المؤمن مطيعاً لله في بركة القنوط واليأس
من الله تعالى فطاعته لله في ذلك طاعة وفريضة وحمله بالمعصية ترك الفريضة
فقد يرجا بما عمل من عمل من فريضته في حسن ظنه بربه غفران ما ترك من
فريضته في طاعة ربه فهو فريضة يرجا بها غفران تلك الفريضة في تلك المعصية
وحذرك من امانك اياه وفرضه عليك (٣٤٤) ترك الامان على العصيان بالاحسان
وترك الامان بالاحسان على الاحسان كما فرض عليك ترك القنوط مع العصيان
فحرام الياس من الله وحرام الامن من الله على العصيان وعلى الاحسان فلا يامن
الله ان يرد عليك احسانك ويعذبك باصغر عصيانك ولا تقنط من الله تعالى ان
يغفر باقل الاحسان اكثر العصيان فانه قد اطمع في السرف ان يغفره فقال يا
عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونهى عن القنوط من
الله فيه فهو ذنب في الذنوب اعظم من الذنوب التي نهى الله تعالى عنها والتوبة
منه مثل التوبة من السيه التي قنطت بها من الله فتب الى الله من قنوطك كما
تتوب اليه من سياتك التي جلبت عليك قنوطك واستغفره منها واستغفر الله من
أمنك وعدّه ذنباً من اعظم ذنوبك وخفه كما تخاف اعظم ذنوبك فان الامن
على الحسنة كبيره والقنوط على السيه كبيره والقنوط ذنب لا تكتسبه تعب
بدنك ولا بسهر عينك وهو ذنب تكتسبه بقلبك لا بيدك ولا بنقل قدمك
ولا مأكل (٣٤٤) في بطنك قال الله عز وجل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ولم يقل اقتلوا انفسكم ولا حرقوا انفسكم ولم يقل
صوموا بقية اعماركم ولم يقل قوموا فاسهروا بقية ليلة من اعماركم ولم يقل ابذلوا
كل اموالكم ولا شطرها ولم يقل توبتكم تحريم ما حل لكم ولم يحمل في
توبتكم ما حمل على قوم موسى قبلكم ولكنه قال يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله يدعوكم الى ان يحسن ظنكم به وجعل فيه
فريضة ان حسن ظنكم بربكم يرجي لسرفكم وليس فيها توبة من
شرفكم ولكنها طاعة في سرفكم ترجي لشرفكم فانتم من سرفكم ومن
ظنكم في حسن ظنكم بين امرين بين ما يرجا وما يخشا وهو العدل والفضل

من الله نظراً منه لكم وحجزاً لكم ان تقعوا بسرفكم في ذنب لا تعمله جوارحكم وهو اعظم من جناية جوارحكم عليكم فقال ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ثم اخبرك ان ذلك بمشيته في قوله تعالى يغفر لمن يشا ويعذب من يشا من اهل السرف ومن اكتسب دون السرف (٣٥٥) وقال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والشرك من السرف غير السرف بالايمان والتوحيد وما شا من طاعات المطيع لمن يشا فقوله لا تقنطوا من رحمة الله نهي وهي فريضة وهي اطماع في عفو الله وليس فيه بيان غفران لذلك السرف فتركك قنوطك موقوف برجائك ويخشا عليك ما كان من السرف فالسرف يخشا على تركك القنوط وتركك القنوط يرجا للسرف ويدلك ذلك من جهة حسن ظنك بربك وتركك قنوطك واليأس من ربك قوله تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وانت لا تحمل الكفر اثقله على بدنك ولا تحمل الايمان ثقله على بدنك ولكن تحمل الحب لله وللايمان خفة بقلبك وتحمل الكره والسخط للكفر بقلبك كذلك تحمل احسن ظنك وتركك القنوط خفه بقلبك فليعظم رجاوك لمن لم تقنط من رحمته وليعظم خوفك من امن مكر الله فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون .

باب بيان السيه والهم بها وما يتبع (٣٥٣) من ضررها

قال الهم بالسيه همان هم اجماع وازماع عقد بالقلب واجماع من العقل وهم يخطر بالبال وليس بهم اجماع ولا ازماع ولا عقد بالقلب ولا اجماع من العقل ولا ثبات له وهو هم يوسف الذي لم يدعه الله له ولا مكنه منه وهو هم خطره وليس فيه هذه الصفة وهو الهم الذي لم يكن اجماعاً ولا عقد عقل وكذلك هو من كل مومن والهم الذي هو مثل هم يوسف والجماعة ذنب وليس هو بالذنب الذي هم به في نفس ذلك الذنب والمشا في ذلك الذنب الذي هذا الهم به الذي وصفت لك ممشا سيات والكلام فيه من سيات والمجلس لانتظاره مجلس سيه والنفقة في الذي اجمع عليه نفقة سيه والسفر فيه سفر سيه واثر سيه وليس هو بتلك السيه في نفس مشمر معمل تلك السيه ولكن سيه يطلب بها سيه ? فالفعل في طلب السيات يكتب سيات والاثار والنفقات في طلب سفك الدما واخذ الاموال وتعطيل الحدود سيات ظن بتلك السيات في

انفسها او لم يظفر بها فان جرت المقادير (36r) بفوق عمل تلك السيات في انفسها من ماكل او مشرب او ضرب بيد او وطى بفرج او قتل بسيف او تحريق بنار فالاثار والمسير والنفقات سياق وان جرت المقادير بالعمل بها كتبت تلك السيات سيات فتكتب تلك السيه في العمل بها في اكلها او شربها او وطيها على وجه ما اصيب فيه سية معتمل وتكتب الاثار في طلب تلك الاعمال اثار طلب سيات لان الاثر في طلب السيه سية والطلب للسيه لا يكتب حسنة فالسيه عظمة شومها كبيرة تبعتها كثيرة ، اوجه مما تستجلب بها السيات استحضارها واستقلالها من آفتها ومن علم ضررها والاضرار عليها من ضررها والاثار في طلبها من السهر والسفر من ضررها والحزن من فوته على ما فاته منها من ضررها والفرح بعملها من ضررها والتمشى لمثلها اولها في انفسها من ضررها والتاليف مثلها تلف معصية على صاحب ذلك كله في كل وجه من ذلك اعظم السبيل ويدلك على ذلك ان الله تعالى سجن يوسف بهمة وما تم له فعله بضع سنين في سجنه وهو في غير ذنب (36v) في العمل ببدنه ما اقتضا يوسف ولكن مشى فعاجل الله بينه وبمشاه وبمقامه وكلامه وبنظره فقال ولقد همت به وهم بها فوصف منها هما وهم بها فوصف منه مثل همها ثم حذر بعدهما كل من جاءه خبرهما فالهم ذنب ولا من يوسف ولا منها الذنب في معتمل الذنب فهمه لم تكن النية التي يحل سراويله لها والذي صرفت عنه السيه ولم تصرف عنه الهمة بها فانفلت من سيء معتملها واصابه وبال الاجتماع والهم والمقام والمشا والمقال والنظر فلم تكن تلك الاثار اثر حسنات وكانت الاثار سيات منه ومنزلته وهي من عشيرة مثالها منه سيات وليس هي بانفس من تلك السيات ممن هم بها فارادها كارادته وكهمته . قال وهم الخطره للذنب يواخذ بها هي مثل الصدمة والجزع عند صدمة المصيبة فتلك موضوعه ليست تلك بقلة رضا ولا ترك للتسليم ولا خروج من حد الصبر ولكنها جزعة عند المصيبة لا يملكها بشر موضوعه ومغفورة وليست بسيه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند مصيبته (37r) بابراهيم ابنه تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب فالدمعة وحزن القلب ليس مما يسخط الله وليس مما فيه ترك الصبر لله وليس فيه ترك

الرضا لله وليس فيه ترك الرضا والتسليم لامر الله ولكن وضعه الله عن ابن أدم لانه لا يستطيع صبرا ولا يكون الا كذلك ولو كان الدمعه والحزن عند الصدمة قلة تضني وسخطاً للقضاء وخروجاً من حد الصبر لحمى الله منه نبيه فهو للموت كذلك موضوع عنه .

باب بيان الحسنة والبر برا وما يتشعب من افعرها

فقال والهم بالحسنة حسنة والاجماع على الحسنة حسنة وليس في الحسنة خطرة ولا يقال خطرة للحسنة ولكن يقال ثم بالخطرة في الحسنة هو الهم بالحسنة والهم مضاعف الى ما شاء الله من التضعيف لا يحدا تضعيف ما بشكر الله ولا يحكا والمشا في الحسنة حسنة نحو السيات التي كتبت لك في صفة السيات والآثار في المحسنات حسنات كانت مكتسب من الحسنات حسنات من وجوه ما وصفت لك فما اعظم بركة الحسنات واعم منفعتها واكثر وجوه بركتها واكثر وجوه ما تجلب الحسنات (37ر) من الحسنات فالمومن ماجور في طلب الحسنات وفي الهم ماجور في النفقة في المحسنات فكن احد رجلين اما رجل اكتسب نوافل الحسنات وفرائض ترك السيات او رجل اصاب بترك السيات فرائض الله في ترك السيات وما اردت من بر فانظر فيه فان كان لله فان ارادتك حسنة وعملك حسنة وان لم يكن لله فتركه حسنة فريضة فقد تصيب بترك النافلة التي لا تريد الله بها فريضة لان الله عز وجل فرض عليك ترك ما لم ترده ولم يفرض عليك كل البر من النوافل فترك الريا في العمل فريضة والعمل بالريا ترك الفريضة والصدق في النية في النافلة فريضة فانت مصيب فريضتين من وجه ما وصفت لك فريضة في ارادتك الله اخلاصك لله وفيه فريضة الله عليك وفريضة حيث تركت اللذات من نيتك وتركت ما لم ترد الله به من عملك فيها وجهان من الفريضة فريضة ان عملت بالحسنة النافلة ان تخلص نيتك فيها وفريضة ان تركت حسنة النية فيها كاذبة وقد بين الله في آية من كتابه في الآثار والحسنات فقال ولا يطأون موطئاً لغيظ الكفار (38ر) ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب الايه فسوي بين الاثر والعمل وقال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً لغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح فالنيل والاثار والظما والمخمصة

والشقا والتعب والنصب والضجر كل ذلك عمل صالح طلب به الجهاد في سبيل الله تعالى فاعله يكتب بذلك كله حسنات قال وقد حضر حكيماً الموتُ فاجتمع اليه تلاميذه فقالوا وصنا فقال اني لمتكلف الكم الكلام على ما بي اخبروني امرتفون انتم بفضل الزهد ام لا قالو ما لزمناه الا لعلمنا بفضله قال اني الدنيا ذلك الفضل ام في الاخرة قالوا اما اذا قورنا بفضله ورانينا غير اهله افضل في الدنيا عيشاً من اهله فقد اضطرنا الراي الى ان يوجب ذلك الفضل لاهله في الاخرة قال فانكم ان كرهتم الموت الذي هو سبيلكم الى الاخرة فقد كرهتم المنزلة التي فيها الفضل لكم ورضيتم بالمنزلة التي فيها الضرر عليكم مع انكم احق ان تنظروا ما هذا الموت المكروه عند العامة هل تجدونه غير مفارقة الروح (38r) الجسد قالوا ما نجده غير ذلك قال فهل يسركم ما ادركتم من العمل او يحزنكم ما فاتكم منه قالوا نعم قال فباي ذينك الحُزنين يُقتنى العلم وايهما يقصر بكم عن استكماله ابالجسد الذي قد ترون ما به من العمى والصمم والبكم والضنى وقلة الغنا عند مفارقة الروح اياه ام الذي لا يزال الانسان سمعاً بصيراً ناطقاً عاقلاً ما رام فيه. قالوا بل بحيوة الروح وجهته تدرك العلم وثقل الجسد وغلظه يقصر عنه قال ان كان قد استبان لكم ان العلم ثمرة الروح فان المُوَطي بكم عنه ثقل الجسد فكنتم بدرك العلم مسرورين وبفوته محزونين لقد اضطركم الراي الى اختيار مفارقة الروح الجسد على ملازمته اياه الستم ترون ان شهوات الجسد النسا والبنون والاموال وفضول المطاعم والمشارب والملابس والمراكب وهي المضرة بالزهد وانكم لم تجعلوا تلك الاموال من الشهوات ولم تظهرو منها الا صيانة للعقول ورغبةً في زيادة العلم قالوا بلى قال اما اذا قررتم ان هذه اللذات المقوية للجسد هي المفسدة للعقول فان الاجساد التي (39r) تقبل اللذات هي لها افسد قالو فكيف لنا بان نجترى من الموت على مثل ما اجترات وتزهد في الحياة مثل الذي زهدت فيه قال لهم الحكيم الستم تعلمون ان الحكيم الخالص العاقل البري من الذنوب قد امات نفسه بيده قبل حين حتفه وذلك انه رفض من الاهل والنعمة والمال ما لا يراد الدنيا الا له واحتمل من نصب العبادة وعنآئها ما لا يريح منه الا الموت فما حاجة من لا يتمتع

بشي من لذة الحياة الي الحياة ام ما هرب من لا راحـة له الا في الموت من الموت لعمري لقد ظلم من التمس اسم الحكمة والزهد في الدنيا بغير استحقاق معناها وجهل من ظن ان له اليا مع النعيم والتلذذ سبيـلا فهل عسى ان ياتي احدكم برايه ان يجتمع له اسم الزهـد في غير سيرة الزهد وانواع المطاعم والمشارب والملابس والمناكح قالو ما نطمع في ذلك ولا نظنه وكيف نطمع في اجتماع الزهد واعمال زهره الدنيا وقد ري(رُي) انا احدنا اذا زاد في مطعمه ومشربه بعض الزيادة او قارب منها ما يثقل او يحرك في قلبه شي من اضداد العقل من (39ر) الشهوة والحرض والحسد واشباهه انكر عقله زماناً وان كان لم يباشر بشياً من ذلك الذي تحرك اليه فكيف بمقارنة تلك الامور ومباشرتها لعمري ما من شي انفع له من الصيابة ولا اسرع اليه من الفساد الي عقل الحكم قالو ما ترك قول معلمنا الحكيم لنا سبيلاً الى ان نتمتع بلـذة او نرغب في بقـا وما فضل جُرته على الموت على جرتنا عليه الا تفضل ما اصلح من نفسه ممن هو منا غير منصلح ولو قد اصلحنا من انفسنا مثل ما اصلح من نفسه مما هو غير منصلح ونفينا عنها من قرآينها من الحرض والشهوة والغضب مثل الذي نفا لحدث لنا من الجراة على الموت مثل الذي حدث له ؟ وقال قايل كانوا اذا تعلمو عملوا فاذا عملوا شغلوا واذا شغلوا عرفوا فاذا عرفوا هدبوا وقال نظرت في هذه الامور فاذا جميع الخلق قد حلت بهم العقوبة الا من شا الله وكذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنه احد بعمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة ويقـال انه قال عليه السلام لو اني وعيسى بن مريم أخذنا بما كسبت هاتين لعذبنا (40ر) عذاباً لم يعذبه احد واشار باصبعيه او نحو هذا فنظرت من ارجا الناس للرحمة فاذا هو المقبل على طلب الاخرة بالعبادة والزهد في الدنيا والورع. ونظرت اهو شي يعتمد عليه فاذا هو شي لا يعتمد عليه لانه لا يبلغ في ذلك مبلغاً يستحق الجنة بعمله قال ويقال ان عيسى بن مريم عليه السلام قال ان كان فيكم من وثق بعمله فاني لا اثق بعملي فنظرت هل تجوز ان يفوز المفرط او يهلك المجتهد فاذا ذلك يجوز فاذا الامر قد رجع الى مشية الله تعالي اذ لم يتساهل المجتهد بعمله ولم يقنط الله المفرط دون الشرك لسعة رحمته فنظرت هل من خلق فيهم بان

ذلك (×) فاذا العابد الذي قال للمفرط والله لا يغفر لك فغفر الله للمفرط
وكان تفريطه سبب النجاة والمغفرة وادخل العابد النار فكانت عبادته سبب
هلاكه واذا صديق بني اسرايل حيث قال انا صديق بني اسرايل كان سبب
هلاكه شدة اجتهاده وكان خليع بني اسرايل سبب نجاته تفريطه حيث ازرى
على نفسه فرايسُ هذا علم اخفى على الخلق الا انك ترجوا المجتهد في الخير
يخاف على المفرط ويرجوا (٤٥٣) بعد للمفرط ويخاف على المجتهد لانه
حكم عدل الا تري لو ان سارقاً سرق عشرة دراهم وسارقاً سرق ماية الف
درهم كان حكم الله فيها واحداً قطع اليد فكذلك لا يوس على من
عصى الله تعالى ان تحل به العقوبة الا ان يعفو عنه وكاني رايت ارجا الناس
للنجاة اخوفهم على نفسه الا تري ان يونس اذ ظن ان الله لا يعاقبه عجل عليه
العقوبة وقد ذكر ان قوماً ازروا على نفوسهم وخافوا الهلاك فعادو بلوم انفسهم
نحو حيث الاسكاف الذي قال اري الناس يدخلون الجنة وادخل النار والذي
اصاب دينا فقال ما يرضى عني ربي فكتب صديقاً والذي قال مثلي يدخل
المسجد ومثلي يجلس مع هاولا. فكنت صديقاً والعابد الذي قال لنفسه
من قبلك اتيت وليس عندك خير فقيل له ساعتك هذه التي ازريت فيها على
نفسك افضل من عبادتك كلها وقالت عائشة رضي الله عنها اذا علمت انك
محسن فانت مسي واذا علمت انك مسي فانت محسن وقال بعض الناس هلك
من لم يقر انه هالك وقال الفضل لعيسى بن يونس انا اخاف عليك انك تري
(٤٥٤) انك عالم وانت جاهل او ان تري ان عندك خيراً وليس عندك خير او
كما قال فراينا الازرا. اشبه الطرق ثم لم نامن ان نحبه من هذا الوجه فنقول
انك خايف وانك وجل فاستبشر فانك ناج وفايز فيا ويح المسكين ما
يدري انى يوتى وكيف يهلك ومن اي وجه يهلك امن وجه الاحسان ام من
وجه الاساءة الا ان الاحسان والاجتهاد احمد واعذر والخلق لله يغفر لمن يشا
ويعذب من يشا فنقول ما شا الله وقال ما اجتمن كثرة الصلاة والصوم ولكن
نبلُ الرجل وشرفه وصومه وبره وعقله ووُعده فاذا بلى بعمل من اعمال البر علم
الله منه عنايته بلقايه واحكامه واخلاصه واذا ابتلي باعمال الشر علم الله منه
حذره من الاثم في منطقه وسمعه وبصره وفرجه وجوارحه من مطعمه وغير

ذلك واذا ابتلي بذلك علم الله منه ندامته وفزعه وخوفه وتوبته فهذا مثل الرجل وشرفه وقد يكون كثير الصلاة والصوم ولا يكون له ذاك الحذر من الدين ولا دقة النظر في الامور وقد يكون كثير الصلاة والصيام وهو يحب كثرة المال (41ᵛ) ويحب المنزلة عند الناس وانما يدور الامر على الصدق والبر والورع والعقل ان يكون ثابتا لا يزول عند الرضا والغضب ولا عند اضاقة الدنيا ولا عند الزوال والمنع ولا عند التكرمة والهوان بشدة مذاهبه وشمايله في اي حالٍ كان على مرتبةٍ واحدةٍ فهذا المنسوب في الدنيا الى النبل والشرف في امر دينه وقال قايل في معرفة النفس اني اتهمت نفسي على ديني واتهمت معرفتي بنفسي فلما صححت النظر واطلت الفكر لاقع على حقيقة معرفتي بنفسي وجدتها تتكلم بكلام الخايفين ما لم تضطر الى الخوف وتقول بقول الابرار ما لم تمتحن بالتقوى وتصف وصف الصديقين ما لم تحتج الى العمل به وتدعى دعوى الموقنين ما لم تمتحن بالاخلاص وتزعم انها من المتواضعين ما لم تخالف هواها عند تهييج الغضب فلم اكن اتوهم عند وصفي للصدق واثبات قولي للحق وحلاوة منطقي بالاخلاص الا اني كذلك فاذا امتحنت في مواطن الحق بمحاسن القول مني وجدتني كاذباً واذا احتجت في مواطن الخوف الى خوفي وجدتني امنا واذا احتجت في مواطن الاخلاص الى الاخلاص وجدتني مرايياً (42ʳ) في غير موطن ولا (×). ولا اكثر من ان احصيه فان ثبت في وصفي بمحاسن قولي وجب ان يكون ذلك من مخرج الحق من قلبي اذ كنت احسن وصف الصدق بالقول ولا اجد حقيقة الصدق في العمل فظهر لي بذلك فساد عملي وصح عندي وصف منطقي فرجعت ملتمساً من اين فساد عملي فعلمت ان فساد عملي من فساد قلبي ولو صح يا قلبي لصح مني قولي ولصدق بالوصف لساني ولم يظهر مني التزين لمن لا يملك ضيري ولا نفعي فاطلت الفكر وصححت النظر واستعنت بالعلم لاقع على العلة التي فرقت بين محاسن وصفي وقبيح خبري في امتحاني ثم تدبرت ما يظهر من لساني فصح عندي ان اللسان مترجم القلب فوجدت اللسان يصف الحق فيحسن ويصف الصدق فيصيب ثم يمتحن الاخلاص بها فيجيد فتحيرت عند حسن هذا الوصف وبعد هذا الخبر وقلت ان كان لساني مترجماً عن قلبي فترجم بهذه المحاسن لم اشك ان ساكن قلبي الصدق وغامره الخوف ولولا

ذلك لترجم اللسان بخلاف ما قد ظهر منه من وصف البر والاحسان فاضطرتني العناية الى استرشاد (42ر) العلم والمعرفة والاستعانة بدليل العقل فاسترشدتهم فدلوني على ان النفس تقتل من علمها ومعرفتها وتضطر الى دلالة تجعلها في كل ١٠ هم به وجها عند الناس ليعرفوا فضلها في علمها وحسن سيرتها في ادابها واذا وقع الامتحان الذي ينبغي ان يعمل بعلمها ويتكلم فيه لله بما قدمت هواهـا واخرت عملها ورضيت بهواها فدلتني المعرفة بانها هي المُعَبِّرة عن نفسها بالصدق بالقول في غير مواطن الصدق وهي المجنة عن نفسها ؟ التزهن في قولها والريا في عملها اخفي كثير ذلك منها على العارفين من المدعين المعرفة بانفسهم فما ظنك بالجاهلين بانفسهم وانما تصح معرفة ما وصفنا عند جابذة العالمين من العارفين بانفسهم عند تحقيق الامتحان فلا تعبر بحاسن وصف نفسك الصدق فاذا احتجت الى صدقها كذبت ولا تطين الى صحة وصفها للحق فاذا احتجت الي قيامها به عدلت ولا تلتفـين الي حسن وصفها للاخلاص فاذا اضطررت الي اخلاصها رايت وتزينت ولا تغـتر بوصفها البر والتقوي فاذا امتحنت برها وتقواها غدرت وفجرت ولا تقبلن منها دعوي الخوف فاذا افتقرت (43ر) الي خوفها امنت وبطرت ولا تيقن باظهارها الرضا والتوكل فاذا عارضها خوف الفقر دون (× ×) قنطت ويئست وان عارضها ايسر البلا سخطت وجزعت ولا يغرنك ما تُظهر لك من تواضعها واسترخا. اذنبها فاذا احتجت الي حقيقة الامتحان تكبرت وتجبرت يا مغرور ولا تقبلن منها دعواها الحلم وكلما في مواطن التزين فاذا افتقرت الى حلمها عند استماع ما يجاب به من قول حتر فيها مما يسخط منه سفهت وغضبت فان مدحت بباطل مع موافقة ذلك هواها اهتزت وَفرحت يا مغرور ولا تفرحن ببادرتها في اصطناع المعروف والمبادرة في الخيرات فان لم تشكر على معروفها وتقرر لها احسانها غضبت وقطعت بك في كل حال يحتاج فيه الى صدقها وخذلتك في كل اوان يحتاج فيـه الي اخلاصها واايستك في كل اوان يحتاج الي شكرها المنعم عليها فلا تكتفين الي محاسن وصفها للتزين وكبير عملها للريا ولكن انظر كيف تبطل محاسن وصفها بقبيح خبرها واعلم انما تستخرج محاسن ما في القلوب من الصدق(43ر) ومساوي ما في القلوب من الكذب في مواطن الامتحان فعندها تبدو فضايح

ما تحن به ضماير الانفس من شر ان كان فيها او خير ان كان عندها فتغير نفسك بميزان عقلك في مواطن الامتحان فحققه عليها واستحي من دعواك الصدق وقد ظهر لك سبيل الريب منها وصح عندك مخرج الكذب من خالص ضميرها وليكن لك في الحق نصيب باقرارك عليها بكذبها واثباتك لها باطلها فتدبرت هذا الوصف من دلالات العلم والمعرفة وشهادة العقل لها بصدق ما دلا فوجدت الخبر الثاني فيه وعلمت أن لو كان ساكن قلبي الصدق والتقوى او كان عامره الخوف والاخلاص لاعانوني عند اوان حاجتي اليهم فلما فقدتهم في مواطن الحاجة اليهم ظهر من قلبي عند اضطراري الى الخوف الامن وعند استعانتي بالصدق ظهر منه الكذب وعند فوزي الى الاخلاص ظهر منه التزين وعند استعانتي بالتواضع ظهر منه الكبر وعند حاجتي الى الحلم ظهر منه السفه وعند امانتي لطمعي ظهر منه الحرص والشره وفي اوان التودة وحسن (٤٤٢ب) النظر ظهرت مني العجلة والرعبة وفي اوان حسن الظن والثقة ظهر مني الاستبطا والقنوط وخوف الفقر وعند حسن الثناء والمدح بما ليس في ظهر مني السرور والرضا به عند الذم بسوء السيرة بما قد عرفته مني ظهر مني الغضب تسخطاً لما قيل في فصح عندي مع تصحيح هذا الوصف ان ساكن قلبي وعامره الريب والكذب وعلمت ان قلباً عامره الريب وساكنه الكذب ان الكذب والفجور والريب مجانب لليقين غير انه يجب على العبد فرضاً عليه ان يقر بالايمان ولا يجحده فيكون زيادة في شره فعظمت عند تصحيح هذا الخبر مصيبتي وهذا حال فيه عظمت بليتي الا ان يتغمدني الله بجميل عفوه ولم ينقطع عند قبيح ما بدا لي من نفسي رجاي وعلمت ان الله تعالى اكرم من ان يزيد عباده بمعرفة او يمدهم بمعونة ثم يحرمهم عند اوان حاجتهم اليه او ان يطلبه العبد ويضطر اليه ويحسن الظن به ثم يخلفه ظنه فسهل علي ما بدا لي من قبيح امري وشرارة نفسي واحتيال ابليس لي في احوال وعلمت ان كيد الله عز ذكره (٤٤٣ا) اشد من كيد ابليس في بني آدم وعلمت ان من تفضل علي بموهوب معرفته وبهذا وصفي انه قادر على اصلاح فساد قلبي فلم ايس قال قلت فما تسهيله لك بمطلب الصدق قال اذ اظهر على عيوب نفسي وكذبها واقررت به فقد سهل لي طريق مطلب الصدق قال قلت فما الذي يحول بينك

وبين الصدق اذ تركت درجته وقد عرفك معارج الكذب قال يحول بيني وبينه ترك الشكر مني له على ما عرفني من عيوب نفسي وكذبها قلت فما شكرك هذه النعمة الي قد حالت بينك وبين ان تنال درجة الصدق قال تركي الكذب في مواطن الامتحان قلت فان عجزت عن ذلك فبما استعين عليه قال بالصبر على مخالفة هواها فيه قلت فان لم اطق في مواطن الامتحان اذا هي تكلمت ان امنعها من التزين والكذب قال فاجتبها فيه من الكلام قلت فان قهرتني وتكلمتُ وندمتُ قال نفرض عليك ان تهرب بها من كل موطن تعلم يقيناً انها تتهرك فيه على الكذب والتزين قلت فان لم اصبر على ان احبسها من هذه المواطن التي تتهرني (45ظ) فيها بالتزين والكذب قال فمن اجل غلبة حب الكذب عليك (×) بها محل الكذب والريا والتزين واعلم يقيناً ان بينك وبين الصدق عقبةً الكذب ينبغي لك ان تقطعها قلت قد صح عندي فضل ما بين الدرجتين واني لا اصل الي ركوب درجة الصدق الا بتزولي عن درجة الكذب ولكني قد رجعت مضطرًا الي معرفتي التي هي صلاح فساد القلب من بعد ان صح عندي الفساد ولم التفت الى عملي لانه قد صح عندي اي لا اادرك بستم عملي اصلاح فساد قلبي فرجعت ملتمساً من اين اتيت ومن اين ذهبت بفساد قلبي وما الذي ينفي عن القلب الكذب والريب فوجدته الخوف الصادق فصح عندي ان قلباً غامره الخوف الصادق ما للريب فيه مبيت ولا مقيل الا بالخطرات والوساوس من الشيطان ثم ينفيه الخوف عن مسكنه فلما صح عندي ذلك علمت ان الخوف اولًا يتفجر منه الخوف وطلبت العين التي يتفجر منها الخوف ما هي فوجدتها الشكر لله فلما صح عندي ان مخرج الخوف من الشكر علمت ان للشكر مجرًا يخرج منه الشكر وطلبت البحر الذي منه يخرج الشكر فوجدته (45و) اليقين فالتمست اليقين اولًا فلم اجده وطلبت مخرجه من اين هو فوجدت مخرجه من عند الله فانتهيت الى غاية الغايات فوجدت الله اول كلّ شي وخالق كل شي والدال على كل شي ووجدت الذي يتلوه وهو الدليل عليه الايمان به وهو اقرب الى اليقين من كُل شي لانه من ايقن بالمنعم عليه شكره على نعمه فطلبت ادنى الاسباب الى الشكر فوجدت الخوف اقرب الى الشكر من كل شي لانه من شكر الله تعالى على نعمه خافه على زوال نعمة ومن

خافه على زوال نعمه جانب معصيته ومن جانب معصيته فقد سارع الى طاعته فـاذا شكر القلب اليقين والشكر والخوف تنفر عن القلب الريب والكذب وخالفه الايمان وكان القلب منورًا باليقين مزيناً بالشكر مغصوماً بالخوف مستعملًا بالرجا مشتاقاً الى ما به قد ايقن زاهدًا في كل ما هو دونه فاذا كان القلب على ما وصفنا وجدت صاحبه متمسكاً عن وصف ما يعرف وذلك كله من فنه فاذا جأت الخطرات التي تحركه لما فيه عند حقائق الامتحان (٤٦ب) ظهر ما في القلب من الصدق في اوانه ومن التقوى في اوانه ومن الخوف في اوانه ومن الاخلاص في اوانه ومن الشكر في اوانه ومن التواضع في امتحانه ومن قول الحق في مواطن امتحانه ومن حسن التوكل في اوانه ومن كراهيته للمدح وحسن الثنا وقلة محبته للرياسة والتعظيم في اوانه ومن حبه احتمال نفسه في اوانه وذلك كله كامن فيه فلما تبينت ما فساد القلب بالمنى الذي وصفنا كبُر على دعوي الصدق بعد معرفتي نفسي وقلت كيف بالجراة مني على هذه الدعوى فدلني العمل على ان دعواك الصدق تاكل مـا فاتك من الكذب فنعمه حربك على دعواك فصدقته قلت قد فهمت عنك ما وصفته من فساد العمل وذلك لان نخرجه من فساد القلب ثم ايستني من اصلاحه الا بالخوف الصادق ثم اخبرتني ان الخوف الصادق لا يكون الا من اليقين وقد علمت ان من اليقين ما هو اكثر منه ثم لا منتهى لعظمة الله فصف لي الله فقد علمت ان باقله قد يدرك الادمي كل المنافع على قدره قال (٤٦ب) صدقت فاعلم ان اليقين نور يجعله الله تعالى في قلب عبده فيشاهد به القلب وامور الاخره كالمشاهد لها بالمغيب عنها فيري ما هنالك من الجنة والنار وعظيم ملكوت السماوات برؤية نور القلب بما هو انفذ من رؤية الاعين لمشاهدة الدنيا ثم يرجع الى القلب بالشهادة على ما قد نفذ فيه نور قلبه فيملا القلب باقل ما فيه من اليقين نورًا ينفي عن القلب كل ظلمة فهو قول الله في كتابه او من كان ميتاً فاحييناه ليس يعني ميتة الاموات وذلك ان الله لم يردد ميتاً مات الى الدنيا ولكن ميتة الاحيـا وهي الظلمة التي كانت في قلوبهم فانارهم الله باليقين فهي حياتها ومن اراد ان يتركه ميتاً. وهو حي يمشي بين ظهراني الناس وهو عند الله وعند الموقنين الاحيآ للظلمة التي في قلبه تركه الله في ظلمة لا يطالع بظلمة قلبه شيا من شواهد الاخره قد حالت الحجب بينه وبين

مطالعيا فهو يقول منا يقول الموقنون ويصف صفاتهم والقلب مظلم لا نور له فليس لوصفه حلاوة ولا لاعماله نور فقال اوَ من (47:ا) كان ميتاً فاحييناه فهو الكافر والمنافق والجاهل فاخرج الكافر من كفره والمنافق من نفاقه والجاهل من جهله فهي حياتهم ثم قال وجعل له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها افرايت من تركه الله في ظلمته. من يستطيع ان يخرجه منها الا الذي تركه فيها فاخبر الله تعالى انه ليس بخارج من الظلمة فقالت الجهلة ممن يدّعي الاستطاعة بل نحن نستطيع ان نخرج منها وقال الله تعالى ليس بخارج منها حتما وادعي الادمي الجاهل انه يستطيع حتما منه فلو علمَ المسكين انه اذا صار لا يستطيع كثيرًا ما تريد من احواله في دعواه الاستطاعة كثير من الاستطاعة كي يستطيع (ويلجا) الى الذي يملك ضره ونفعه في الطاعات والمعاصي ليعينه على ما لا يستطيع ونعود الى ذكر اليقين قال قايل اليقين اذا اوصل الى القلب يملا القلب نورا وينفي عنه كل الريب فيمتلي باقله القلب شكرا ومن الله تعالى خوفاً وذلك لان اليقين معرفة عظمة الله تعالى قدر عظمة الله وعظم قدر معرفة عظّم الله فلذلك يكون قدر (47:ب) الخوف من عظمة الله وبقدر كثرة الخوف لله يحتجز العبد من معصية الله ويصدق في الاعمال من طاعة الله فاذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه وعمر خرابه فاذا قل الخوف خرب القلب وقل عمرانه قال قلت فما عمران الخوف في القلب قال الحزن الدائم والاعتبار بما يري والاختبار بما تسمع قلت فما خرابه قال اذا لم يكن فيه ما وصفنا قلت فاذا لم يكن في القلب الخوف والحزن فما الذي يحلته ويعمره قال الامن منه والسرور بالدنيا والفرح ومن الفرح والسرور تنتج القسوة والغفلة ومن بينهما ينتج العجب ومن العجب يخرج الكبر كقول النبي صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم شحاً مطاعاً وهويً متبعاً واعجاب كل ذي راي برايه واذا سكن في القلب العجب ورثه الكبر وكان عامره حينئذ حب التعظيم وحب الثنا وحب الرياسة والمدح فان لم يفعل ذلك به انتفخت اوداجه واحمر حماليق عينيه غضباً وذلك محض الكبر قلت فاذا صح القلب بتصحيح الخوف فيه صحت الاعمال قال فما ظنك بالدابة اجهدها (48:ا) قايدها وحثها سايقها تُقصر في السير طاقتها ومجهودها قلت لا قال فلذلك لا

يستكن في هذه النفس المعيوبه اذ افادها الحق وسقاها الخوف الصادق انها لا تقصر في اعمال الطاعات بالاستقامة خوف العاقبة فانظر متى يخرج الامن والاستهانة من قلبك فكيف يوجوب الطاعات فيه ان العقوبات تعجلت مع الوثوب على المعاصي لاقصرنا عن المعاصي ولاستربنا حسن السيرة من الاخلاق والاداب لامور الدنيا وجدّت بنا الاستقامة لاعمال الاخرة ولكن العقوبات تاخرت فاستربنا قبح السيرة من الاخلاق والاداب لامور الدنيا ففقدنا الخوف وقعد بنا الامن والاجتهاد عن استقامة اعمال الاخرة ولكن من ثقة منا بصبرنا على وعيده وعقابه لبسنا ثوب الاستهانة ولكن من قلة يقيننا انما حذروا من عقابه فانا لله وانا اليه راجعون وقال قايل متعنا الله واياكم بالنعمة والعافية ومن علينا وعليكم بشكر يجلب المزيد ووفقنا واياكم لامتياز الحكمة والنغم ولايثار المبادرة على حسن الشكر منا عليه انى للعناية بنفسي ومن اعني (48v) به صرفت ما علمت لاختبر به ما جهلت فلم اجد احبط للاعمال المستورة ولا افسد للقلوب الجامدة ولا اضر بالحكمة البالغة ولا اجمع في هلكه العبد المريد ولا ادوم على اضرار الموفق ولا ابعد عن الانصاف ولا اقرب من الجور في الحكم ولا الزم لحجة العجب ولا اثر لجلب الهوي ولا اجهل لاصابة الحق ولا اعمل بالريا والتزين ولا ابرك لخالص النصح ولا اعمل بموافقة الهوى ولا اشد من (كلمة ناقصة من قلم الناسخ) سخطاً له اذا هو خالف منه الهوى ولا ابعد من حسن السيرة ولا اقرب من قبحها ولا احسن ظاهراً ولا اقبح باطناً من غفلة الرجل عن نفسه وقلة معرفته بها سيما ان كان عاقلاً مريداً فاجابته نفسه حينئذ الى احتمال من الطاعات او عالماً مودا فادرك بعلمه فضيلة لم تكن نفسه باملها ولا يبلغها بتلك من مالك الدنيا عظم نفسه حينئذ ترصده ارصاد تُصي له اصبا السبع في المكان الخفي كي تنال حظها منه في جهله بها فتثبُ عليه وثبة تملكه بهواها وتاسره بموافقتها فحينئذ (×) العبد في جهله بها وينشط (49r) في مساعدتها وان كان يدعى انه لا يثق بها فلا يغضب الا لها ولا يرضى الا لها ولا يحتمل من الاعمال الا ما وافق هواها وان كان فيه خلاف الحق ومع ذلك يفقد من مثله الخوف الا بالدعوى ويقل منه الخشوع والحيا ويكثر فيه التزين والريا وذلك غفلة العبد عن نفسه وجهله بها ويظهر منه عند ذلك الرجا الكاذب والخوف الكاذب ويحسن ظاهره

وكلامه ويفسد ويقبح باطنه وهمته واشارة ذلك في مثله ان يقل الايضاف من نفسه لغيره ويلتمس التعصب لنفسه من غيره انه من لم يعرف نفسه فهو من استقامة نفسه في اعوجاج ومن دنياه على قبح وفساد ومن دينه على غرور واني استرشدت العلم والعقل ان يقفاني على معرفتي بنفسي وبماذا اختلبه فارشداني بان العبد لا يصل الى معرفة نفسه الا بصدق الخوف واستدراك ما مضى من سيء اعماله السالفة واصراره على مساويه والمقام عليها فقلت اما ما مضى من الاساءة فان استدركها فلعله ان يتعرف بخبها واما المساوى التي هو مقيم عليها فقد (٤٩ب) عازه بتعرفها قال انا عازه معرفتها لجهله بعيوب نفسه ولا يتلافه بها قال قلت فكيف معرفتها عيوبها فانه قد قيل ان الله تعالى اذا اراد لعبد خيرًا عرفه عيوب نفسه فالنفس هل تتفرد بعيوب دون العبد وهل لها من عيوب غير العيوب الظاهرة من المعاصي كالفجور والسرق وشرب الخمر والغيبة وما شاكل ذلك مما يظهر للمخلوقين قال لها معاصي باطنه تخفى على العبد وعلى المخلوقين فادناها اضر على العبد من النظام من المعاصي الظاهرة قال قلت ثبت لي علم ذلك في التنزيل او في السنة او في الاثار قال ان كان مقنعك خمسون حجة والا زدتك قلت خمس من خمسين قال الم تسمع قول الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وفي قصة ولد آدم فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله قال بل سولت لكم انفسكم امرًا فصبر جميل وقال ما خطبك يا سامري الى قوله سولت لي نفسي وقال النبي صلى الله عليه وسلم رجعتم من الجهاد (٥٠آ) الاصغر الى الجهاد الاكبر مجاهدة النفوس وقال رجل ما افضل الجهاد قال مجاهدتك نفسك وهواك ويقال اكل شي نفس ونفس النفس الهوى ونفس الهوى الشهوات وقال الحسن حادثو هذه القلوب بذكر الله فانها سريعة الدثور واقدعوا هذه الانفس فانها ظلعة وقال يونس بن عبيد الي وحدث نفسي تحمل لي مرونة الصوم في الحر الشديد بالبصيرة ولا تحمل لي ترك كلمة لا يعنيها وقال اوحى الله تعالى الي داود عليه السلام يا داود عاد نفسك فيَ ودني بعداوتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يتعوذون بالله من شرور انفسهم فان النفس مطبوعة على الميل الى حب هواها ما لم يحفزها الخوف وقد حرم الله تعالى هواها في الكتاب والسنة ويحسبك من معرفتك

بشرها ان الله تعالى جعل هواها ضد الحق وهي قابلة من هواها قال الله عز ذكره يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال امير المومنين عليه السلام (٥٠٣) اخوف ما اخاف عليكم طول الامل واتباع الهوى فاما طول الامل فينسي الاخرة واما اتباع الهوى فيصد عن الحق وقال قايل اخاف عليكم بلايا شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب المرء بنفسه . قلت فالان ارجع مضطرا الى معرفة النفس وعيوبها اذ كنت لا اسلم عليها في اعمال الشر وارجع مضطرا الى علم معنى قول (سبعين؟) اذا عرف العبد نفسه لم يضره ما قيل فيه من ذم وما عمل من اعمال الخير سرا وجهرا وقد سمعتك تقول كل ما لا يضر فهو ينفع فما اري من العلم بعد العمل اعود نفعا على العبد من معرفته بنفسه فاشرح لي من ذلك ما يرجع بي الى النفع في اعمالي ويبصرني فساد اعمالي وصلاحها قال ما ازال تعقل ما سالت عنه لقد سالت عن اصل الخير والشر وفروعهما ما ظهر منها وما بطن ما يعقل منه وما يجهل وسالت عن علم لا يحتمل اليوم ومن احتمله فبعبارة القول منه فقط والعجز عن احتماله للعمل وذلك ان فيه علم الصبر والمكروه والتزوع عن ظاهر الشر وباطنه واحتمال ظاهر الخير وباطنه بمعنى حقيقة (٥١٤) الصدق في القول والاخلاص في العمل وهو التوبة النصوح والخوف الباطن والحزن الدايم والفكر في المعاد وهيهات ان يصل العبد الى معرفة عيوب نفسه الا بعقل وعلم غزير وبمعرفة شافية وحكمة بالغة وبصيرة ثاقبة يعرفونه ان فيه خالص الدين وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل الله اعبد مخلصا له ديني فلا تكبرن عليك الان اذ سالت عن الامر العظيم ان رجعت عليك المسالة بالجواب العظيم والوصف الشديد فانك لو علمت ما عنه سالت لاعددت لرجوع الجواب جلباب الصبر واحتمال اعظم المؤونة لجزيل الثواب والمعرفة النفس تفسير بكثر لا يمكن المستمع معرفة ذلك الا بالايجاز الا من قدم فراغ القلب له والنظر فيه ومراجعة السوال عنه فاني وجدت تاسيس ابن ادم على تاسيس التجارب فمن اجل ذلك ركب فيه ما ركب فيه من الاداة لدفع شر ما سلط عليه من العدو الا ترى انه يقول ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فاعقل عن الله تعالى ما حذرك من عداوتك واعلم ان ارادة ابليس وسلاحه الذي يصل (٥١٣)

به الي الظفر بك هو آثر الاشيا عندك وهو هواك واعلم ان محبتك للطاعة المحاربة لعدوك والمجاهدة لنفسك والمخالفة لهواك سيما اذا كانت نفسك موافقة لهواها وكان هواك سهم ابليس المسموم به يصل الي قلبك وهو كلام ان فرعناه تفنن وتفرع فكثر، ومعرفة نوع واحد من الاصول التي يستدل بها على الفروع اثقل على ابليس من معرفة الف مسالة، يحقق ذلك قول ابي هريرة لباب من العلم اصلح به فساد قلبي وفساد قلب من ياوي الي احب الي من صلاة حول مبرورة وصيام حول مبرور لان فساد الاعمال كلها انما يوتي العبد فيها من جهله بفساد قلبه ومصلحة فساد قلبه ولو عرف فساد قلبه من اين اتى لعرف صلاحه من اين يوتى اعلم الان ان معرفة علم النفس علم صغير وانه موجود وان سمعه من يدعي عقلًا انه بعقله فان عقله في الظاهر انه يصدق به في الباطن او ان اقربه في المشاهد انه يقربه في الوحدة كلّا انه اعز من ذلك والذي يدل على غيره انه قد صح مثل قول سفيان انه من عرف نفسه لم يضره (52ª) ما قيل فيه من خير او شر فاعلم علماً غير ذي شك انه اذا لم يضره انه قد نفعه فما ظنك الان برجل يبلغ في العلم درجةً ينفعه ما يضر غيره ولا اعلم عالمًا ولا عابدًا على وجه الارض ممن نعرفه الان وهو يضره ما قيل فيه من خير او شر ان مدح بخير فتنه ذلك المدح فضره وان مدح بشر فتنه فضره المدح وان ذم بحق احزنه وفتنه فضره الذم فاما من لا يعرف فلا يقدر علي ان يحى فيجوز في الحكم ذلك ليعلم اني لا اعرف من يعرف نفسه ولا اعرف من يعقل كيف ينبغي له ان يعرف نفسه لا ولا اعرف من ان اخترته بقيله او بفعله فمن ذلك ضرنا ما قيل فينا من خير او شر والله المستعان علي اغماضنا وعلى قلة هدايتنا لمعرفته وان وصف معرفة النفس عندي اليوم لخطر عظيم عند من يدعي العقل والمعرفة والعمل قال ابن المبارك :

تقرّب الحق حتى وصفه خطر عند الحليم وعند العالم الخبر

وقد صح عندي انه من لم يعرف نفسه فهو من دينه علي غرر ومن سيره دنياه على افتح السير واعلم انه من ضره ما قيل فيه من خير او شر في سر او علانية فهو يضره ما عمل من (52ᵇ) اعمال الخير او الشر وكل هذا لا يوجد الا بمعرفة الرجل نفسه واني لما تدبرت دلالات العلم والعلم لاقع على معرفة نفسي اصبت وصفي

ووصف من اعرف من اهل زماني ان قد ظهر من اهل زماني الوحشة والتقاطع والتدابر والتباين والحسد لامور الدنيا والغفلة والتسويف لامور الاخرة فاستوحشت لذلك وسآ ظني واني في طول الفكرة فيه حتى غلب علي همه فوجدت دلالات العلم ونظاير الحكمة وفطن القلوب قد نعوا الينا ازمنة الخير وذكرو ادبار دولته وحذرونا وانذرونا هجوم الشر واقبال دولته واني لاري زماناً قد استدار اهله ودارت رحاوه بالشر وغلبة الهوى فرايت الجاهلية من اهل الدين واهل زماني ممن اعرف قد تباغضت وتنافرت فالقلوب منهم قد اختلفت والاهوآ فيهم قد تفرقت وبعضها من بعض قد تبرات والعلما منه قد فتنت والى الدنيا قد ركنت وقراوها قد تحيرت ولدنياها قد اثرت وعلي ذهبها وفضتها قد حرصت وعن اخرتها قد غفلت والقلوب منها قد فسدت وشكرت (٥٣٣) وعبادها قد جهلت فتعظمت وتكبرت والعهود منهم مرحت والامانة فيهم قد قلت وفقدت والعقول منهم قد نقصت واهواهم عليهم قد غلبت والاحلام فيهم قد غربت والمروات والاداب منهم قد ذهبت والسكينة والوقار منهم قد قلت والجفا والقسوة والوحشة بينهم قد ظهرت وبعضهم لبعض علي المداهنة قد احتملت وذلك اني وجدت الدنيا قد سقت اهلها من حبها كاساً صرفاً سرقت له عقولهم وابدت فيه هواهم فعادوا الى هذا الوصف فلا تسال عما وراه فلقوس الهوي بموافقة النفوس في اعراض القلوب انفذ سهاماً من دلالات العقول ولاصابة الحق مخالفة في اهداف النفوس يحقق ذلك قول ابن مسعود انتم اليوم في زمان الحق فيه قايده الهوى وسياتي بعدكم زمان يقود الهوى فيه اعمال الحق وقال ابن عباس رضي الله عنه :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم   وما الدار بالدار التي كنت اعرف

وسمع صوت حين قتل عمر رضي الله عنه :

ليبك علي الاسلام من كان باكياً   فقد اوشكو هلكاً وليسو على العهد

وادبرت الدنيا وادبر خيرها   وقد ملها من كان يوقن بالوعد

(٥٣٧) فاعقل متى قيل هذا فاني وجدت لهذه الانفس الامارة بالسو حكومات بجور خفية يخفى اكثر ذلك من المرء عن نفسه فضلاً عن ان يتعرفه منها حتى ان الكلمة مما يزعجها ويوافق هواها ويخالف الحق به ليستخرجها وان الغضبة لتظهر كبرها فان المطمع الكاذب ليحوا ورعها

ويبطل تقواها وان الاعمال الظاهرة لباساً يعرف به اهلها اذ كانوا صادقين او يقصدونه اذا كانوا كاذبين وان اعمال الجوارح تصححها ضماير القلوب او تفسدها فان القلوب مهيمنة على الجوارح واعلم انا وافقنا الصالح من الماضين في اعمال الجوارح وخالفناهم بالهم والقلوب من الخوف فنفرت عند الاحزان الا بالتكلف وحزن التكلف لا ينبت او يتصرم ولم يعقل التواضع الا باظهار السيما في تقصير الثياب وجف الشوارب والهياه في اللباس فتحابينا في الالسن المرائقة على المداهنة وتباغضنا بالقلوب لاختلاف القلوب وعادي بعضنا بعضاً على المصادقة والف بعضنا بعضاً على المباينة في العشرة فتنافرت القلوب ووقعت فيها الوحشة (٥٤٢) فبهانا سيما الكاذبين تبينه فينا العادتون فاصبحنا مع قبح الوصف وسماجة هذه الآداب لا نساهل خروجاً عن بعض ولا دخولا في زيادة فما تلقى منا الا ذاماً لغيره مذموماً عند غيره مستوحشاً منه غيره غير واثق بغيره ولا هو موثوق عند غيره الا مع مرافقة الهوى على الغش والادهان لا نجد صديقاً فنتاسى به ونقتدي ولا خايفاً فيلزمنا الخوف ولا محزوناً بعلم وعقل فبقينا حيارى نطلب الصدق وما اليه سبيل افتعلم يا عاقل وصف من هذا هذا وصف عيون اهل زمانك من مقريهم وعلمايهم وعبادهم والمدعين للعقول منهم مشتهرين في رضاهم متكبرين عند خلاف اهوايهم اهل سنة. وغلو وجهالة عند غضبهم اهل حرص ورغبة ودناة نفوس عند اطماعهم حبهم بالمصافحة بالايدي ومودتهم مكاشرة عند التلاقي وفي القلوب دآ دوي صفة اخلاق المنافقين قال صديقه رضى الله عنه كنا نعرف المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اذا لقونا بدأونا بالمصافحة بالايدي والمكاشرة (٥٤٣) فاذا مضينا همزو لنا ولمزونا وذلك اني وجدت من اعرف من اهل زماني متفقهون بالالسن يامرون به ما وافق ذلك اهواء باطلة فيما خالف اهوانا واحتفون الزهادة في الدنيا بالالسن عاملون فيها بالحرص والرغبة بالجوارح والقلوب يدفعها عنا في الظاهر بالقول ويجترها الينا بالايدي والارجل في الباطن فبدلنا الخوف من اهوال الاخرة خوف الفقر قبل نزوله وبدلنا مكان الصدق في الاعمال جزيل الثواب من الله التزين عند خلقه ليعظموه ويقبلوا منا ويحسنو علينا الينا فصيرنا مكان الشكر لله على نعمه وجميل ستره طلب الشكر من المخلوقين فاحببنا تعجيل ثواب اعمالنا

من المخلوقين في الدنيا ونزعم انا نلتمس ثوابها من الله في الاخرة وقد حرم الله ذلك علي خلقه فطلبنا الصدق بالمنا وبالاختلاق الدنية وبالكذب في القلب فهذه صفة اهل زماننا فاعلمهم مستحوذ عليه هواه واعقلهم حزين مجانب لعلمه واحلمهم يسفه فيما يحلم عنه الصبي وابلغهم في منطقه متأول واصفاهم (٥٥٦) بالاستماع يرصدك الغوايل وانفذهم رايا يعمى عن عيوب نفسه واشدهم اجتهادا مفتون معجب واثبتهم عقلا جاير عن محجة الحق متمسك برشا الضلالة واكلهم بصيرة عاجز عن العمل ببصيرته وجاهلنا ذيب مختلس مستصغر لمن ليس في درجته مستدرج من حيث لا يعلم وعابدنا جبار لا يكلم فقد احاط بنا الجهل ونحن لا نعلم ميهات ما ابعدك وعظم ما ترى وكل من يرى من النسك بعري الاسلام قال ابن المبارك :

تغرب الحق حتى ما له علم يؤتى اليه ولا يرجى له احد

وقال ايضاً: تغرب الحق حتى وصفه خطر عند الحكيم وعند العالم الخبر

فاذا كنت في زمان وصف الحق فيه خطر عند من يدعي العلم فما ظنك بمعرفته والعلم به فانت في بحر تنطرب عليك امواجه فساجهم لم يثبت حتى يعرف ومن لا سباحة له فهو راسب فاليوم طالب النسك وهيات وكيف له بالتمني فيه والتسويف وان كان ياتيه من غير وجهه وكيف له ان كان عالما بصيرا عازما صابرا (٥٥٧) زكيا فطنا ان يقوم على فطام ستين سنة او خمسين سنة قد احاط بسويدا قلبه فاشتد عليه عظمه ونبت عليه لحمه وشاب فيه اصداغه وقدح فيه نابه ثم هم بالهوينا وقلة المعرفة والصبر يريده الان فان كان يريده فليحسر عن ذراعيه وليشمر عن ساقيه وليلج بابه وليعض على خيار الضير وليجد في الطلب ان كان راغبا في الجنة وهاربا من النار ومحبا لله تعالى وليتأهب وليتدرع فان مباشرة الف بتدجيج يصحرون له ايسر من واحد قد كمن له لا يدري من اي وجه يهجم عليه واعلم ان هذا كتاب لا يعقله عاقله الا عقل عباده ولا يقبله من سمعه الا قبول تعجب واقراره بلسانه انه الحق ومن يريده ويجهله اكثر فاما من يريده للعمل فلا اعرفه وانا رايته علما مهجورا لا يبتل ومن قبله لا يعقله ومن قبله وعقله فغايته المباهاة به فلقد هممت بتركه لانه ليس من علم زمانك ولاحاجة لهم به لانه علم يرد باهله الي مخالفة هوي

انفسهم ومجاهديها والخلق الا من عصم الله (56ر) دعايتهم اليوم من العلم والعبادة
هوي انفسهم ونسأل الله عفوه وعافيته والمعونة منه تفضلاً ورحمةً بنا وقال
لو ان اهل الثغر غزو كلهم وقاموا صفوفاً ها هنا يريدون خراب هذا الدين
لرايت الحزن ها هنا لصلاح النفس اوجب على الرجل من الحرب في فسادها
يريدون ثم قال ارايت لو كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اميرا والناس
كلهم مثل عمر رضي الله عنه وانت علي غير ما ينبغي ما فعل صلاحهم بفسادك
الم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وزمانهم قوم لم تنفعهم بركة النبي صلي الله عليه وسلم ولا صلاح ابي بكر
وعمر وزمانهم ثم قال اذا لم ينفعهم صلاح اوليك فما يغنيك اليوم صلاح غيرك
ثم قال عد انك قمت وجهدت علي ان اقمت الناس على حد كما ينبغي الخادم
الصغير والكبير ولم يتم لنفسك فما تغنيك اقامتهم علي الحد او ليس العجب
تركتهم نفسك وهي اعز الانفس عليك واقبلت علي هم غيرك او ليس هذا
العجب وقال انظر (56ر) زمان النبي صلي الله عليه وسلم اموالهم ونفقاتهم وتوهم
وارح النفقة في ذلك الزمان (ربما اسقط الناسخ بعض الكلمات في هذه الجملة)
كان يرفع صاحبه الي السما. حيا في المثل لانه كان اموالهم واخبارهم ونفقاتهم
ظاهرة وكان في ذلك الزمان الفقير خيراً من الغني فكيف ترى اليوم حيث
فسدت الاموال والانفس والزمان والنية ثم قال لا اعلم اليوم شيا. خيراً من
الفقر حتى لا يبلغ شي من اعمال البر النافلة مثل الحج والغزو وغير ذلك. ثم
قال ارايت لو ان رجلاً قام ها هنا من خيار هذه الامة وآخر من شرار هذه
الامة فتطاول هذا الخير علي هذا الرجل السو. فما يغنيه خيره وعبادته ولو كان
قد عبد اللهماية سنة. فاذا لم تستتم للخير ان يتطاول على الرجل السو. فكيف
ترى حال من يتطاول على من هو خير منه افره وقد بلغنا ان ثلثة اشيا
تقسي القلب كثرة الكلام في غير ذات الله تعالى. والذنوب اذا حمل بعضها على
بعض وملء البطن من الطعام وقال احفظ لسانك ولا تقولن الا حقا واسكت
(57ر) فانك اذا فعلت ذلك ادخلك في اصناف الخير والحمد لله وحده وصلى الله
على سيدنا محمد واله اجمعين وهو حسبي ونعم الوكيل. بلغ مقابلة بحمد الله.

الخلاصة

هذه هي المخطوطة اليتيمة التي نعزيها الى المحاسبي . وقد نفي بوعدنا فنقدم للقارئ ازائية نصوص هذا الصوفي المعروفة التي نشرت من كتاب الرعاية ومخطوطنا فندلّ بذلك على صحّة قولنا . واننا نلجأ الى هذه الطريقة من مقابلة النصوص لأننا لم نجد ، عبر التاريخ ، من يذكر هذا التأليف ولا من يعزيه الى المحاسبي ، كما قدّمنا .

لن يترب عن مطالع كتاب الرعاية ومخطوطنا أن ما بين المؤلفين من الشبه ، إن في الافكار او في انتقاء المفردات للتعبير عنها وإن في تركيب الجمل او في عناوين الفصول نفسها ، لحجّة كافية وبرهان قاطع على صحة ما تقدّم . فلا يستطيع المنقّب الّا الرضوخ امام هذا التقارب والشبه ولسان حاله يردّد : المؤلف واحد . وسوف نرى في الازائية التي سننشرها ان الاغلاط النحوية هي هي في المؤلفين ، مما يدلّ ايضاً على قدم المخطوطتين ، على ثقافة الناسخ الضئيلة او على سهو في الأصل .

ولكنّ ما يوقفنا في هذا الصدد هو ترديد بعض الافكار الاساسية التي شاد عليها المحاسبي البناء الروحي . فلا تقرّب من الله ولا وصول اليه الّا بقطع الرياء والحذر منه ، الّا بقلع العجب بالرأي والقيام باعمال الطاعة . واننا لا نجد عنده تحليلاً دقيقاً للوصال . فقد ترك لمن سيليه من الصوفيين ، ابن الفارض وغيره ، ان يقوموا بتلك المهمة . احبّ المحاسبي أن يوطّد اساس الحياة الروحية ، وعلى هذا الاساس يستطيع غيره تجميل البناء وتوسيعه .

أوَ نقول اذاً ان مخطوطنا ليس الّا ملخص كتاب الرعاية خطّته يد تلميذ معجب بافكار معلّمه . ولِمَ لا نقول ان المحاسبي نفسه احبّ ان يلخص لتلاميذه في مؤلف محدود الارجاء فكرته في الحياة الروحية ويزيد عليه ما رأى من الخير زيادته . فان تكلّم مرّتين في كتاب الرعاية عن الصدق وقلب الصادق فهو يُعيد الكرّة هنا ويتوسّع بالفكرة الى حدّ نرى من خلاله ان مخطوطنا ليس ذلك الملخص ولكنه مؤلف جديد لم يكن معروفاً الى اليوم .

ليس للمؤلف ان يُبدع في كل كتاب تخطّه يده افكاراً جديدة فاذا اودع الواحد منها عصارة دماغه والكثير من حدسه والنقط الاساسية لبناء هيكل تفكيره ، فلا بأس اذا توسّع في كتبه التالية بنقطة من تلك النقاط ذات فائدة وموضحة بعض المبادئ . فهكذا صنع المحاسبي ونجح .

واذا لمحنا الى التقارب الكبير بين كتاب الرعاية ومخطوطنا فلا نستطيع القول نفسه عن كتاب التوهم. فلم يكن في نية المحاسبي في كتابه هذا الاخير ان يعرض افكاراً روحية بل احبّ ان يصف فيه ما يعتري الانسان من الرهبة والوجل في يوم الحشر والنشر والحياة الباقية مع ما هنالك من صور خيالية استسلم اليها المفسرون. فلا غروَ اذًا ان تكون نصوص المؤلفين بعيدة عن بعضها في مفرداتها وافكارها.

٥

لقد توصل المحاسبي في تحليله الطرق التي على المريد ان يسلكها إلى أن يصور له، بدقة وصف وتمييز صافٍ بين التشعبات العديدة التي يُخاف ان يتتبعها وتُقصيه عن الكمال، تلك الخلوة الاولية الضرورية والاجتهاد في السعي وراءها. ولئن راح المريد يسير نحو الله بضمير صادق فعليه ان يعلم أن كل درجة وكل منزلة من درجات العابدين تتطلب منه زهدًا وتخليًا كاملًا عن الدنيا وزيادةً في التقوى اي في الخوف والرجاء. اذ لا يتوصل المريد الى الله الّا عن طريق الاستدراج اذ يرافقه الصمت ومخالفة الهوى. ولكن العقبة التي توقف المريد في طريقه نحو الكمال هي الرياء. وحبّ الترأس والعظمة فلذلك اخذ المحاسبي على عاتقه أن يصوّر الرياء والمرائي في صورة تولّد الاشمئزاز في نفس المريد وحب التخلص منه.

ولكن ماذا ينفع المريد إن تخلص من الدنيا وزهد في ملذاتها، اذا لم يعرف الطريق للوصول الى هدفه وغايته؟ فبعد ان يكون المحاسبي توقف مليًا عند السلبيات يأخذ في تصوير الايجابيات ــ وهذا هو الجديد في هذا المخطوط ــ في تصوير الصدق وصفا. النية وقوة الثقة والرجاء. بالله وكيف تقوّي هذه الفضائل المريدَ على التخلص من المعاصي والسيئات وتقوده الى القيام بما يقرّبه من الله، الى عمل الحسنات وما يتشعب منها.

هناك صفحات في المخطوط علينا ان ننسخها هنا بكاملها، اذ لا نقوى على اختصارها، فكل فقرة وكل جملة اصلية في تطوّر المعنى وفي التعبير الوافي عن الفكرة الاساسية. وهذا ما حدا بنا الى الوقوف عند هذا الحدّ من التحليل طالبين الى القارئ ان يتأمل فكرة المؤلف دون وسيط.

٥

واليك بعض تلك النصوص المحكى عنها. وقد يطول ذكرها اذا احببنا

ان نذكرها كلها فنقتصر على ذكر بعضها : فالارقام تدلّ على صفحات نشرة مرغريت سميث[1] لكتاب الرعاية وعلى ورقات المخطوط كما بدت في نشرتنا كتاب الخلوة والتنقّل في العبادة ودرجات العابدين :

كتاب الرعاية	كتاب الخلوة والتنقّل في العبادة ...
فاستوحشوا حين استأنس الناس استيحاشاً من الخلائق واستيناساً بهم فهذه مواريث التقوى لانها اساس العمل واصل الطاعة وهي اول منزلة العابذين ، ص ٧	درجات العابدين 1r
فالتقوى اول منزلة العابدين ، ص ٩	درجات العابدين 1r
	حالات مختلفة وطبقات متبدلات 22v
ونحن لا يأتي علينا يوم الا جددنا فيه ذنوباً لم تكن من قبل نضيفها الى ما خلا من الذنوب بالامس من ذنوب الجوارح وذنوب الضمير من الكبر والحسد والشماتة وسوء الظن والعجب والريا وغير ذلك ، ص ١١	وجميع من ذكرنا من المستدرجين لا يخلون من العجب والريا 7r
فاصل الطاعة الورع واصل الورع التقوى واصل التقوى محاسبة النفس واصل محاسبة النفس الخوف والرجاء والدليل على محاسبة النفس العلم بما نعبد الله ، ص ١٢	راجع 33v
انما الاعمال بالنيّة ، ص ١٣ الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، ص ٤٨	راجع 24v, 25r فنظرت من ارجا الناس للرحمة فاذا هو المقبل على طاب الاخرة بالعبادة والزهد 40r
كلما ذكر ما كان فيه من ذنوبه هاج خوفه وغاب همه وطال حزنه ، ص ٢٠	باب الخوف والرجاء 30r
ويتحول به عن خطاياه وذنوبه الخوف والرجاء لربه ، ص ٢١	باب التمييز بين الخوف والرجا 17v

[1] Kitāb al-Riʿāya liḥuqūq Allāh, by Abū ʿAbdallah Ḥārith ibn Asad al-Muḥāsibī. — edited by Margaret Smith, M.A.D. Lit. Coll. « E.J.W. Gibb Memorial ». New Series, XV, Luzac 1940. London. XIX — 343 pp.

وانما جعل الجزاء من العقاب والثواب للرهبة والرغبة من الله تعالى ، ص ٢٣	راجع ما بعد
فاخبر انهم لما رغبوا ورهبوا ، ص٢٣	راجع ما بعد
فاذا اعمل قلبه بالفكر بالتخويف لما خوّفه ربّه جلّ وعزّ لم يهيج منه الخوف سريعًا لطول غفلته ، ص ٣٠	فلا تلقاه وان كان نال منها الّا مستشعرًا خوفًا زايلًا منها 19r
ولا يهيج الخوف ، ص ٣٠	يجمع الحواس عن الاخبار التي فيها تهيج القلوب 2v
وناجاه بقلب راغب راهب ، ص ٣٤	وقف على ذلالتها من الترغيب والترهيب 4r
جهالة ، ص ٣٤	وما اكثر حاجتك الى جهالة الناس بك 28r اهل سفه وغلو وجهالة 54r
النوافل ، الفريضة ، المكر ، الطاعة ، الرياء ، قصر الامل ، اهل الشقاوة والعداوة ، الجوارح ، قبول المطرة ، النيّة ، مراتب العباد ، الخوف ، الرجاء ، التزيّن . . .	هذه المفردات غيرها في كل صفحة من صفحات المخطوطتين .

ه

واذا نوّهنا الى بعض الاغلاط النحويّة فاننا نعزيها ، كما قدّمنا ، الى السهو. وهناك بعض الامثال : فكل ما مضى منهم يوم . . . او ليلة (1v) ، وفكرهم مدبرة (2r) ، وليس فيها نوبةً (34v) الخ . . .

وهناك عادة للناسخ ، يكتب الافعال في المخاطب الجمع بدون الف اخيرة : فطنو ، وجدو ، وليسو . . . ومرّات يزيدها : اوتوا (8v) ومرات يضعها في المخاطب المفرد : يزكوا (2r) ، يخلوا (3r) ، يرجوا (18v) .

ومن طالع المخطوط وقف على بعض هذه الهنات بسهولة . فكفى .

ه

هذا ما لنا ان نقوله في كتاب الخلوة المحاسبي ولعلّنا وفينا بوعدنا تاركين للقارئ ان يستنتج ما له ان يستنتجه وآملين ان نكون ساعدنا ولو قليلًا على معرفة المحاسبي والدخول في نفسانية ذلك النفساني الكبير .

معجم العلائلي (تتمة)

بقلم الاستاذ منصور ابي صالح

٦

في الحقيقة والمجاز والشواهد والفروق وسواها

اشرنا في صدر هذا البحث (المشرق سنة ٩٥٤ ص . ٦٩٩) الى عدة قواعد استهدفها المؤلف في « المعجم » ابتغاء الدقة والايضاح فنعم الخطة . الّا ان السر في مدى التوفيق بسلامة التطبيق ، فحق علينا الالمام بهذه التعاريق سراعاً باشارات مقتضبة ، تاركين للشيخ النظر بها والعمل بما يرتضيه منها .

١ً — في الحقيقة والمجاز

مثال اول — قال في مقدمة مادة « ابَّ » (ص ٢٦ طبعة الاولى) .

«— و(مجازاً من الاخضرار) اشتقَّ منه للحنين الى الوطن بملاحظ ان المغترب مثله كمثل اليبس بداخله الحنين يترعرع ويخضر ويتجدد» . . . .

وفي ظننا اننا اثبتنا بما فيه الكفاية والى حدّ اليقين (المشرق سنة ٥٤ ص٧٠٦) ان « ابّ » معناها حرّك وان « ابّ الى وطنه » معناه تحرك قلبه اليه حنيناً .

بناء عليه لم تكن مقدمة مادة « ابّ » الا شعرًا نفيساً مبعثه ذكاء فوّار الى خيال خصب . امّا ان يكون علماً يقيناً فلا دليل عليه ولا اسناد فيه .

مثال ثان — قال في مادة « أَبَت » (ص ٢٨ طبعة اولى) .

(و « مجازاً » يسوغ ان تقول : ابت الممثل قام باداء دوره في حرارة ، تأدية للعبارة الفرنسية (Bruler les planches (acteur) .

والذي نفهمه من هذه العبارة ان الممثل كان سريع الحركة شديدها لبقًا بالاداء حتى كأنه يلهب اخشاب الملعب او يبعثها حيّة ومنه تنبعث الحرارة في الحضور المشاهدين .

وليس لأبت عندنا مثل هذا المعنى (راجع المشرق ص ٨٣ سنة ٩٥٥) بل معناها انقطاع الحركة (عبارة المعاجم : ابت اليوم سكنت ريحه) فباسناد انقطاع الحركة الى اليوم ينشأ اشتداد الحر .

اما اسناد عدم الحركة الى الممثل فينشأ عنه المعنى المعاكس عيناً اي ان

المثل جمد وسكت حتى نام الحضور او كادوا .

مثال ثالث — ابر الشاة .

واذا صح ان في المثلين السابقين مجالاً للجدل اخذاً ورداً وبالتعبير القديم اذا كان فيهما قولان فلا يمكن ان يكون في هذا المثال الثالث الا قول واحد فالغرابة فيه لا تكاد تصدق من مثل الشيخ اذ قال (ص ٣٣) .

« و « مجازا » ابر الشاة اطعمها الابرة » .

فكيف تطعم الشاة الابرة مجازاً ؟ اليس المجاز هنا مستحيلاً واطعام الشاة الابرة حقيقة مادية ملموسة . نعم لو اورد مثل قوله ابر الانسان بمعنى وخزه بالكلام على حدّ قولهم القمه حجراً بمعنى افحمه لامكن القول ان هناك مجازاً . اما ان يقال ابر الشاة اطعمها الابرة مجازا فكفر بالمحسوس لا يصح بعده شيء في الافهام .

مثال رابع — ابد الشاعر والرجل .

وبالعكس من ذلك فقد اصاب المؤلف حيث قال : (ص ٣٠) . .

« و « مجازاً » أبدَ الشاعر : أتى بالعويص ، و – الرجل : عزف عن النساء » الخ

٢ – في التنزيل والنقل

التنزيل يؤخذ به ولا يؤخذ عليه الا اذا نقل خطأ وهـذا بعيد الاحتمال لذلك نتجاوز عنه .

٣ – في الشواهد والفصح النهجية

الشواهد هي اللغة بالذات فلا بدّ منها تحقيقاً للمعنى وضبطاً لمرماه فالشروح وحدها تقصر عن ايراد المعنى كاملاً بحقيقته ومداه وليس الا الشاهد الصحيح يهدي الى الصواب ويعصم من الاشكال .

وملاحظتنا بهذا الشأن ان المؤلف لم يستوفِ الشواهد استيفاء وافياً بالمتن اللغوي ولو فعل بايراده النصوص اللغوية والقيام على الاخذ بها لعدّل اراءه . (تراجع الشواهد التي اوردناها في تحقيق معنى «اب»ص٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ المشرق سنة ٥٤) ومعنى « ات » (اتا اتى ات) ومعنى « اث » و « ابتَ » و « أبثَ » و « أبد » (من الصفحة ٧٥ الى الصفحة ٨٨ المشرق سنة ٥٥) .

وبالعكس من ذلك فقد اكثر المؤلف من نصوص يرويها على انها فصح نهجية وهي لم تجىء لخدمة المتن اللغوي بمقدار ما جاءت لترصيعه بآيات بيانية

بيئة . فمع صرف النظر عن نفاستها او خساستها وعن كونها فصحاً يصح ان تروى او محجرات كأنها الموميا. فهي بعيدة عن البنيان اللغوي . والمعجم انما مورده اللغة اولاً فالحاجة ماسة الى شواهد لغوية قبل الشواهد الادبية البيانية الا ما اصاب الغرضين فهو خير وابقى .

٤ – في الفروق

قال المؤلف : « هي ملامح دقيقة تدخل في حدّ التسوية والتدقيق » (مقدمة المعجم الطبعة الاولى ص ٢٠) فلم نفهم ما يعنيه بالتسوية وبتصفحنا المعجم وقعنا في مادة الابد (ص ٣١ عمود ١) على قوله :

(« فروق » اصطلاحياً الابد في جنب المستقبل كالازل في جنب الماضي .

ثم قوله في الابدي (الصفحة نفسها عمود ٢)

(« فروق » الابدي يقابله الازلي والسرمدي يعمها جميعاً . . .)

فهذا كلام مغلق علينا ولعله يقصد ان الابدي ما له بداية دون نهاية والازلي بالعكس والسرمدي لا نهاية ولا بداية له .

وهذا غير مفهوم من نصوصه بل مفهومنا نحن تقديراً . واما قوله (في مادة الآبق صفحة ٤٣) .

(« فروق » الفارّ من المولى تمرداً آبق والّا فهو هارب . ومثله الفرار من بلد او محلة) .

فهذا كلام مفهوم ولكنه غير مسند وللقارئ ان يتساءل من اين هذه الفروق وما تعليلها ؟ ومثله التفريق بين اجن واسن ص ٨٧ .

وكذلك قل في « الاجر لا يكون الا داخل عقد وفي المنافع والجزاء يقال مطلقاً » (ص ٧٩ عمود ١) فما هو تعليله ومن قال به .

وحبذا لو توفق بالفروق توفيقه ص ٥٠ حيث قال : « من ولدك دون فاصل والد ، والاب اعم فيطلق على الجد والاصول القديمة » فالتفريق واضح صحيح بل مثال يحتذى .

– في الكنايات

سقطنا من الكنايات على تأبط شراً وهي مألوفة فلها حق بحالها في « المعجم » واما ابن أباس : الداعر الفاجر وابن أبس : الذليل المهين فيها كامها أباس : المرأة السليطة السيئة الخلق فيها خليقانُ بالحذف والاولى حذف المادة برمتها

لندرتها في الاستعمال ان لم تكن مماتة . ولو خيرت لاخترت ايرادهـا بأدق حرف في الحواشي ابقاء على فائدتها التاريخية ليس الا .

ولو لم نقع اخيراً على الآبق من رضوان كناية عن الجميل الاخاذ لبقينا نتعوذ من شيطان تأبط شراً واباس وابنها فحمدنا حسن المآل .

٦ – في التراكيب

في التراكيب الفرض والنفل والنث والسين من أبتة الغضب ص ٢٨ واباته ص ٢٧ وابد الاباد وابد الابد . . وابد الدهر والعود المؤبد ص ٣١ وزمن الآبار ص ٣٣ .

وحسبك مركبات الابرة فهي معجم اضافي يصح الاستغناء عن اكثره .

٧ – في المولد والدخيل

من الضرورات العلمية معرفة الشيء باسبابه البعيدة والقريبة لذلك كان لا بد من بيان اصل الكلمة ومرجعها وقد اعتنى المؤلف بتعيين المولد والدخيل ولكن ينقصه دائماً الاسناد .

فجولة سريعة في المعجم يظهر منها قوله : مولد لبناني . مصري . عام الخ . الا اننا لم نعثر باسناد واحد . مثاله قال : « اباض : اداة توقيف او تخفيف (Frein) مولد » فترى اين ورد استعمال اباض بهذا المعنى ؟ في اي قطر ام في اي كتاب ؟ ومثله عهون ص ٢٥ مولد شامي .

واما قوله « تأبّدَ الشي : صار ابدياً . مولّد قديم » فلماذا يكون مولداً والمادة « ابد » تحتمله فلا يصح ان يدعى مولداً ولو تأخر رواجه في الاستعمال . بعكس قولنا الوقف المؤبّد او الحكم المؤبّد فهما من المولّد . اما « الابد » فلا ندري لماذا يكون مولداً قديماً او من الفارسية والمادة عربية اصلة لا يصحّ معها احد الفرضين .

٨ – في العنصر الموسوعي

قصد المؤلف « الى ادخال العنصر الموسوعي في معجمه باختصار » فله رأيه .

ورأينا ان الخطة العلمية على العكس عملاً بقاعدة التخصيص وبساطة الترتيب . كما ان الحاجة ماسة الى بذل الجهد في تحقيق المتن اللغوي ووضعه في نصابه الصحيح حتى اذا استوفت اللغة حقها امكن الالتفات الى العنصر

الموسوعي ومن الامثال الدارجة . « الذي يكبّر حجره لا يضرب » على حد قولهم بالفرنساوية qui trop embrasse mal étreint من اتسع نطاقه ساء وثاقه او celui qui ne sut se borner ne sut jamais écrire من لا يقتصر لن يحسن الكتابة . وقد جاء الواقع مصداقاً للتوقع فحرف الالف سيزيد على ٥٠٠ صفحة بالقطع الكبير مما يثقل اقتناء المعجم فتفوت الفائدة المتوخاة من مراجعته .

واذا نظرنا بوادره التي تكلف ايرادها وشرحها نرى اكثرها غريباً قلما تمسّ الحاجة اليه من مثل ابا تِيت، ابو غريف، ابو غريني، ابتمون، ابراكادبرا، ابرامس، ابركساس ابراكسيس الى الافراتوية بدعة افراتيوس .

وعليه نرى ان يقصر المعجم المألوف المطلوب واتقان المادة اللغوية باجادة سبكها تأصيلاً وتفريعاً واسرها بمنطق سديد .

٩ – الوضع الجديد

لنا على الوضع الجديد ملاحظات جمّة .

واولها ان اللغة وليدة الاستعمال تنشأ بالسليقة لا توضع وضعاً ولا يجوز لاي كان مهما سما شأنه وعلمه ان يستأثر بخلقها وكل ما يحق للغوي ان يقبل اللفظة فيدخلها في المعجم وعند الضرورة يقوّم من اعوجاجها ويضبط صيغتها كما له رفضها اذا جاءت غير مأنوسة او خارجة على النهج اللغوي وذلك لأن العامة قد لا تتعرف على الاوضاع المستحدثة بسهولة فتبقى حرفاً مهملاً لديها وتنحصر بالخاصة مما يؤدي الى ازدواج اللغة ويزيد في الطين بلة . الم يضع احدهم الصوق وآخر الشاري، وظل الجمهور يستعمل الحربة التي ابتكرها وتعارف عليها فدرجت على لسانه وبات يفهمها وحدها .

وهذا معقول منطقي لان كلا من الفلاح والنجار والحداد والتاجر وسواهم من سواد الشعب مسوق الى ابتكار اللفظ الذي يؤدي مراده الماثل في ذهنه هو لا في ذهن اللغوي فهو اولى بالاختيار كما يختار الوالد اسماً لابنه حتى اذا فعل يأتي دور اللغوي بالقبول او الرفض او التصحيح .

طالع الصفحة ٣٢ من المعجم الطبعة الثانية تجد المؤلف يقترح تخصيص لفظة ابزيم بما تسميه العامة بكلة وابزام للدقر والعائق او الساقط او الناجور الخ والابزين للكبشة ويبقى لك رأيك في ايها افضل .

وهذا موضوع رحب يضيق المقام عن استيفائه .

وثانيها بفرض جواز الاقتراح على اعتبار المؤلف احد الافراد فلا يجوز ادخال المقترحات في صلب المعجم تبعاً لمواده مادة مادة على التوالي اذ لا يستطيع القارىء تمييزها من الاصل الاصيل برغم المثلث الاسود الفاحم فلا بدّ من افرادها على حدة في اخر الكتاب او على الاقل في آخر كل حرف او في الحواشي .

وثالثها اذا صرفنا النظر عن كل ذلك فالمقترحات التي ابداها المؤلف لم ترد من جذور مناسبة للمعنى المقصود ولا مصوغة وفقاً للموازين التي قررها المؤلف وقد تكلمنا عليها (ص ٢٨٣ وما يليها) مثاله قال في الصفحة ٢٧ ما نصه :

الاب اليابس من الفاكهة . يشتق بملاحظته الآبة (فاعلة) : آلة تجفيف الفاكهة .

فلاحظتنا عليها اولاً ان جذر « ابّ » عند المؤلف معناه في الساميات عامة : دبيب الحياة وتجدد النضرة والخصوبة وفي دائرة العربية جمع العزم وصبه في حركة ونزوع . فمن اين جاءه الآن اليبس والجفاف والتجفيف .

اما عندنا فمعنى « ابّ » : حرك فلا يمكن ان تصرف الى معنى جديد

وثانياً لماذا مخالفة الموازين واستعارة صيغة « فاعلة » لاسم الآلة مع ما لدينا من الصيغ العديدة : مِفعَل (مقود) مِفعَلة (مكنسة) مفعال (مفتاح) فِعال (زمام) فعالة (قداحة) الخ .

ورابعها ان كل الامم تسعى لتنقية لسانها من العناصر الدخيلة حتى الاتراك انفسهم راحوا يعملون لحصر لسانهم بعنصره الاصيل فقال قائل ان نصف لسانهم مستعار من العربية والنصف الاخر من الفارسية فاذا استبعدا فماذا يبقى لهم .

ونحن لدينا لسان مبين معدنه اصفى من البلور نضن به ان يطمس عليه بدخيل غريب لا حاجة ماسة اليه من مثل :

اباجة ، ابجنة ، ابرج ابرجة ، ابرل ابرلة وابروله وهذا حسبنا .

الآراء الموراسية

بقلم الاب فيلكس سوانيون اليسوعي

الآراء الموراسية هي على الاخص علم اجتماع ولكنها تفرض فلسفة عامة او بالاحرى انها تحديد موقف من هذه الفلسفة وعلم ما وراء الطبيعة والاخلاق والدين.

الفلسفة العامة

يختصر علم ما وراء الطبيعة الموراسي السلبي برمته بكلمتين : الفلسفة الوضعية المحضة وانكار وجود الله .

ففي (الصفحة ٦٦) من كتاب موراس (L'Action Française et la Religion Catholique) روى الكاتب اصول فكرته الفلسفية . فلقد بدأ بالشك لدن قراءته باسكال . اما هيوم فخلبه . اما كنت « Kant » فبدون ان يرضيه تاما فقد اثّر فيه فتبنى من فلسفة كونت « Comte » قسمها السلبي التهديمي على الاقل (. الكلمة لمورو « Moreau » في مجلة الاكسيون فرانسيز لاول ايار سنة ١٩٠٠ صفحة ٧٤٩ وما يليها وهو من ذوي الحق بتفسير آرائه) : « لقد عرفت البهجة في فلسفته للجمال والسياسة بسبب التقاطي امهات الافكار باسمى وضوحها ، اما في الفلسفة البحت فلا» (L'Action Française et la Religion Catholique.page 67) فقد افسدت رطانة المذاهب الفلسفية لغته فقط . « ان الفلسفة الوضعية باهمالها المناجي للاسباب هي على طرفي نقيض للكاثوليكية » (ibid. p. 206) . « ان الفلسفة الوضعية هي علم التحقق من الامور وتثبتها الذي يحصي الحوادث ويستنبط النواميس » (Dilemme, p. 34) .

« ان اللامتناهي كما يقولون (الفلاسفة الالمان) والشعور باللامتناهي ليسا الّا هذه الاصداء المنافية للعقل ... وعليها ان تؤدي الى وضع مفهوم المتناهي فهو الوحيد المعقول » (Chemin de Paradis. p. XVI) « يلاحظ الفلاسفة الوضعيون بحق ان فكرة (الله) هذه باستطاعتها ان تنقلب الى الفوضى . ان فكرة هذا الرب غير المنظور والبعيد تبعده (اي الفرد) عن الاحترام الذي عليه لاربابه المنظورين والقريبين . . . ان هذه الالفة الصوفية (لله)

توحي الشك في العقليات والثورة عملياً ... وهذا هو مبدأ الزيادة والمبالغة الذي تضيفه فكرة الاله الى الهوى الفردي» (Trois idées politiques, pages 58 et 59) .

ومن حسن الحظ لقد انتزعت الكاثوليكية منه سمومه (ibid. p. 60 et 61) .

وانا انرى سلفاً ما سيكون عليه علم الاخلاق في نظر موراس، منطقياً ليس لفيلسوف وضعي شيء منه، فقد شيّد كونت علمه الاخلاقي بقوة تكرار ما ليس منطقياً، وقصره دوركهايم على ان لايكون سوى علم العادات التحليلي الخارجي . فموراس طبعاً كان منطقياً، فكتابه « Le Chemin de Paradis » ملفت للنظر « بعدم المبالاة الباعثة على الدهشة لقضية الفضيلة وجودة البشر » (Chemin, p. 263) . « ان الثقة الجنونية بالذي افترض كيانه واجباً قد كانت الكفر حيال ما هو كائن » (ibid. p. 278) . وستبدأ شيئاً فشيئاً المشادة حول الميل الى عدم تقدير الافعال البشرية الّا من الناحية الاخلاقية، وستلج قضية الخير بطبيعتها في قضية الحق (ibid. p. 282) . فإن كل علم اخلاق هو تصوّف . وكذلك فان كل فكرة حقوق هي الهية... فلا نتكلم على الحقوق، او لنفهم ان ضماناً لاهوتياً محتوى فيها « (Enquête, p. CIII) . » ان هذه الحقوق هي اخلاقية ودينية وقضية شعور وايمان اكثر منها عقلية .

اما قاعدته في حياته الشخصية فالكها : « التوفيق في قلوبنا بين الشيطان الديني وحب اللذات » (Chemin de Paradis, p. 18) .

فكيف يكون بالاستطاعة اثواء المسيحية في مثل هذا المنهج ؟

وبعد الفلاسفة المحدثين اكتشف موراس ضربين من المسيحية : المسيحية السامية والمسيحية الرومانية .

وفي كتابه « Le Chemin de Paradis » قال مركور لكريتون : « سيأتي مسيح عبراني الى العالم ويفتدي العبد ويحطّ الاقوياء عن العرش ويضع الاوّلين تحت الاخرين » (p. 175) . واستشف كريتون العصر الحديدي . « تنطفىء النيران المقدسة ويموت الفن الذي لا ينفع » (p. 189, 192) .

واوضح موراس في ذيل طبعته لعام ١٩٢١ قائلاً : « لقد اعرب الخدم عن ردّة الفعل ضد مجيء ثوري لعالم يهودي وبروتستنتي وهو في طريقه عندئذ لافتتاح باريس وفرنسة بصورة مبطّنة ... (p. 215) . ويوالي ... كأن هناك لي

مسيحين وانجيلين وكتابين مقدسين . . . ولكن قد يقال ايٌ من الاثنين كان في المفهوم كحقيقي وكواقعي ؟ وما شغلت هذه المسألة عقولاً بدون ايمان لا تبحث في التاريخ عن شهادات ولكن عن صور بسيطة لاشهار افكارها » (p. 216) . وفي الملحوظة (ص ٤١١) من كتابه (L'Enquête) يقابل موراس بين المسيح (الحالم الشرقي) وبين معلم الفلسفة الغربية اوغست كونت .

« لقد جعل اتفاق الاقدار شعوب جنوبي اوروبة المتمدنة قليلة الالمام بهذه الكتب المقدسة الشرقية المشوشة التي استخرجتها والقتها وفسرتها الكنيسة » (Chemin de Paradis, p. XXVII et XXVIII)

« لقد حملت رومة ابنة اثينة ووريثتها الى الجرمانيين قانوناً وحقوقاً وعقلاً ونظاماً وذوقاً وانضباطاً عقلياً وعلم اخلاق وجمال . . . فماذا تلقى الجرماني فوراً من اورشليم ؟ لقد اعطاه . . . اشعيا ويسوع وداود وارميا وحزقيال وسليمان بتشليهم وخطبهم شاذج الجنون المحق » (Revue Action Française 15-10-1899) . » وخيلَ اليّ ان. . . الليل قد انتشر على العصر الحديث تحت صليب هذا الاله المتألم » (Anthinéa, 5e éd. p. 62) . فقد حذف من الطبعة الاخيرة لكتابه » Chemin de Paradis « سمّ تسبحة البتول : فلتعظم نفسي للرب وادلى موراس بالملحوظة التالية : « انهم ينسون انني لحظت حالاً ان الكنيسة ترتل هذه التسبحة بشكل لا تدع معه مجالاً لانبثاق الفكرة السيئة» (p. 224) .

وان الذي رآه موراس من ابلغ الضرر في المسيحية البدائية هو تعليمها للمحبة . اذ قال في كتابه (Chemin de Paradis, p. XXV) ان استعباد بعض الناس وآلامهم هما ضروريان للتوازن الاجتماعي . فلقد اسفر القاء فكرة الاستقلال في الذهن عن « الالام الجديدة التي رأيناها بامّ العين » فما اكثر الذين نعرفهم ولدوا عبيداً وكانوا يجدون طمأنينتهم في اعماق سجونهم التي جلاهم عنها جلاء جنونياً التاريخ الحديث . وها هم ذو ما برحوا يموتون من اضطرابهم السخيف وينتنون بباطل الرثاء » فقد كان من الواجب الاسراع كل الاسراع لتوليتهم محاسن السجن او لتراهم قد بلغوا حالة اهتراء شديد فتستهم الشلل .

اجسادهم الاسماك (ibid. p. XXVI) .

ان نفوس البشر لم تستمد من اصل واحد ، فان بنات الصلصال لن يرتفعن الى مصاف اللواتي حبلت بها الالهة في اسرة من ارجوان» (ibid. p. 186).
ومن سوء الحظ انه مذ صرخ المسيح من اعلى الصليب : لقد انقضى كل شيء. « تسلم العبيد ازمة نفسهم » (ibid. p. 190) . « ان الذين كانوا انقذوا النفوس قد عقدوها ، فقد اطلقوا في الكون رغبة ثانية . . . وهي . . . تميل الى الامور القبيحة المشوهة الذليلة ، فان هذه الرحمة العاقة قد حطت الحب عن مقامها وسمت نفسها المحبة وتلقى الرعناء والضعفاء والعجزة قطرات نداها . وانتشر من ليل الى ليل بذار هذه الآفة وافتتحت الارض » (ibid. p. 193) . وهذا ما سبب الاختلال بالمواليد الذين كان سيد الدولة في الماضي يقيم فيهم التعادل .

تلك هي المسيحة السامية وهاكم المسيحة الثانية :

« ان هذه الكاثوليكية التقليدية التي تخضع (عوض عن كلمة تخضع في سنة ١٩١٢ بكلمة مؤلفة) الرؤى اليهودية والشعور المسيحي الى الانضباط الذي تلقته من العالم الاغريقي والروماني ، تحمل معا نظام الانسانية الطبيعي » (Trois idées politiques, p. 10) . ولقد ادخلت رومة روحاً جديدة في « المفهوم اليهودي الحرفي » وفي تعليم علماء اورشليم اليهود (Dilemme p. 24).

وما هو النغم الذي يغنيه النظام الوثني القديم باستناده الى عقيدة شرقية ؟ انه يغنم منها تعزيز الشعور له . والناس لا ينقادون بالعقل وانما قيادهم بالشعور . (Cf. Moreau dans l'A.F. 15-3.1906) . واذا تفاوتنا على الحقيقة كذلك فلقد نزعنا الى ان نلتقي على النافع . . . ووقعنا عملياً على الاتفاق في صلاح الكاثوليكية » (Dilemme, p. 191) ، ان هذه الانتهازية التحقيرية لمستمدة من رينان .

ولقد كتب غيلوان (Gillouin) البروتستنتي في مجلة اوروب نوفيل ١٩٢٧/١/٨ (ص ٤٧ وما يلي L'Europe Nouvelle,le 8-1-1927, (p. 47 sq.) يقول : « ان موراس يحب الكاثوليكية وانما بتحقير الانجيل ، فالذي امتدح الكنيسة الرومانية به هو كونها قد حولت شكل رسالة يسوع المسيح وافسدت صورتها ونسقتها وحنتها ونظمت فكرة الله المسيحية ونزعت منها سمتها » .

وكتب لانسون في تاريخه للادب الفرنسي (الطبعة ١٨ ص ١١٢٥ وما يليها) : ان موراس بمولده وتربيته الاولية ملكي وكاثوليكي ولكنه فقد الايمان مبكرا وهو يضمر الكره لما هو ديني صرف في الدين ويبغض التوراة ويناصب السامية العداء كل العداء. ويمدح الكنيسة لأنها حذفت من الدين الكاثوليكي العنصر اليهودي وعنصر التوراة والانجيل والتصوف في سبيل فلسفة عقلية واقعية ... فهو روماني لكي لا يكون مسيحيا .

علم الاجتماع

زعم موراس ان لا صلة ابدا تصل فلسفته العامة بسياسته ، لان سياسته وليدة تحقيق واختبار في شروط الازدهار الاجتماعي ، ولقد كان في هذا الامر منطقيا لان موضوعيته الصِّرف تأبى عليه كل بحث ابعد من التجربة وكل قاعدة سامية . « اننا نراقب طبيعة الانسان الاجتماعي لا ارادته وواقعية الاشياء ولا قسطها من العدل ، وانما نتحقق جملة احداث لا نستطيع ان نقول عنها ابدا هل هي اخلاقية ام غير اخلاقية لانها خارجة بجوهرها عن طائفة الحقوق والواجب» (Politique religieuse, p. 245. et cf. p. 98) . فلا نحكمن عليه باسم علم الاخلاق .

« ان الوسيلة المعصومة من الغلط لتضليل من ينام في النشاط السياسي هي استحضار مفهوم علم الاخلاق المحض على حين غرة في الوقت الذي عليه فيه ان يدرس علاقات الاحداث واختلاط بعضها ببعض » (ibid. p. 79) . وفي حالة الضرورة ؟ .. ان حالة الضرورة ليست حالة انطباق السلوك على قواعد علم الاخلاق ... ان قانونا سامي الرتبة او بعيدا جد البعد يتدخل آنئذ وبه تتعلق سياسة الخدعة الحربية بعظمها (ibid. p. 166, note 1) . فلا يتمنع الفكر الثوري عن ان يدخل المفهوم الاخلاقي في هذه النقطة الدقيقة حيث لا ينبغي لنا الا ان نبحث في علم الاخلاق (ibid. p. 246 dans l'édition de 1921) .

« ان تجاوز حدود البطولة قد يكون باعثا على الاسف في السياسة وحتى في مصلحة اسلم المبادئ ... ان الابطال لمجادلون محتدمون في المصالح »
(Dilemme, p. 55 et 57)

واذ رأى موراس نفسه بمأمن من اي تدخل السلطات الادبية والدينية الذي اعلن عدم كفايتها [١]. فيوسّع بطمأنينة كلّية نظريته السياسية والاجتماعية.

المجتمع

المجتمع جهاز عضوي حي، هذه هي قضية الواقعية الاجتماعية المستندة من كونت ومن مدرسة علم الاجتماع والتي اعتبرها صحيحة وان لم يرض الكثيرون من الكاثوليك الحديثين الشديدي الحرص، بصورة قاطعة، على الدفاع عن انفسهم ضد الفلسفة الهيجلية [٢].

ولننتبه الى التفسير:

ليست الروابط الاجتماعية من الباب الاخلاقي فان ما يوحّد الفرنسيين او يفرّقهم ما هي الارادات وانما ردات الافعال الطبيعية (Dilemme, p. 60). « كل مجتمع يتشيّد تبعاً لضرورات طبيعته ينبغي معرفة جوهرها بالضبط فلا نثبت او ننكر العدل،او صحته (La politique religieuse, p. 78). فالضمير والمسؤولية والاخلاص هي اوهام. « ان ابلغ ما يبلغه هذا الضمير وهذه المسؤولية لا وجود له بالحقيقة الا في نظام غير عضوي برمّته، ... ان جميع ما ينتجه الى (انا) كل واحد والى مسؤولية كل واحد نقتطعه من التنظيم الاجتماعي (Dilemme, p. 150) « ان الواجبات السامية التي ضحّي كل شيء في سبيلها في وجدان خير رؤسا حزب ... ليست تلك الواجبات الوطنية البعيدة المبهمة المستغلقة فاخلص الناس يضحون بكل شيء. وعليهم ان يضحّوا بكل شيء عملياً في سبيل العمل الجماعي المباشر: اريد جريدتي قبل كل شيء، وحزبي قبل كل شيء... (طبعاً يجب في ذلك استثناء الاكسيون فرانسيز) (Dilemme, p. 58 et 59). وبعبارة اخرى ان الشعور الوحيد الذي نستطيع التعويل عليه هو الانانية فمن الواجب ايجاد امر آخر لخلق الاتحاد في الجهاز العضوي الاجتماعي والابقاء عليه.

---

١) راجع المقال الصادر في المشرق (١٩٥٣ ص ٧٤ وما يلي) « هل السياسة مستقلة عن علم الاخلاق» كيف وجد موراس مساندة بين بعض اللاهوتيين الكاثوليك وكيف حكمنا هذه القضية.

٢) راجع (نيارا فلسفة الحقوق) المشرق ١٩٥٣ ص ١٠٠ وما يلي.

وثمة الاريستوقراطية ، « في الديموقراطية لا توجد رتبة البطريق الموجهة وحتى الاسرة التي تستطيع نفس الامة ان تفكر ذاتها فيها (Dilemme. p. 143) « لا ريب في انه يظل دائماً عدد قليل من ذوي العقول التي تتأثر والوجدانات التي تحسّ تلفظ الامة بوضوح امرهم الفرضي (ان شئت ان تعيش فرنسه)... فهل يقوم وجدان وارادة وحياة سياسية تحت المستوى حيث ممكن مثل هذا القدر وواقعي ؟

هناك فقط عادة وسنّة وتسليم اصمّ الى الاكراه والقوّة ... فلنستو على هذا الصعيد العالي حيث نقيم (Enquête, p. 117) . « ولئن عرف شروط (السلامة العامة) فرد واحد ضد ٣٨ مليوناً من الافراد فيحق لنا ان نعرضها ... وان نعمل لتعلوَ على رأي الاخرين بجميع الوسائل التي تكون في متناولنا . (ibid. p. 383, note 1)

٣ – السلطة

« طالما يتناسل البشر عن طريق الدم ... فينبغي ادارة النظام السياسي بالدم ، فالدول « بوصفها دولاً » سواء اكانت ملكية ام جمهورية ، قديمة ام حديثة ، اميركية اواوروبية ، مدعوّة لتكون سلطاتها وراثية » (Dilemme.p. 74) . فالمطلق والثابت الذي لا يتغيّر في العلم السياسي هو الحكومة الوراثية . « هذا الحق الالهي لجميع الذين مَن تكون الطبيعة عندهم الهبة » (ibid. p. 25) . « اذا كانت الامة مؤلفة من عيال فيجب ان توجّهها عيلة او عيال (Enquête,p. 124) « ان الحق الطبيعي يتزع الى دعوة هذه العيلة لتأمين الادارة الرئيسية للمصلحة العامة » (ibid. p. CXXV) ، وان المكانة هي التي تكوّن المقدرة الحكومية (ibid. p. LXXXVI) . « لا يستطاع تثقيف شعب وانما يستطاع تثقيف وليّ العهد (ibid.p. XCVIII) . « ان وضع فكر المواطن الملكي ... لا يتعلق بمجاسة الروح او القاب الامرين الادبيين ، بل بامر مادي : المكانة ، فملك البلجيكيين او ملك انكلترة هما الوحيدان من بين جميع الانكليز والبلجيكيين اللذان في مكانة يشعران معاً بمصلحة البلجيكيين والانكليز العامّة » (Dilemme, p. 63) .

وزد على ذلك ان الانانية هي الحافز الوحيد للملك . « ان ما يهم ليس

ان تختص السلطة في وقت ما، بمن هو اشدّ جدارة ولا بمن هو الافضل . . . بل ان يكون اشدّ حرصاً مباشرة على وظيفته الملكية . . . وهناك وسيلة لجعل الانسان حريصاً كل الحرص على ما يفعله وهي ان تجعل هذا الامر امره وان يظلّ دائماً امر ابنائه ؟ وان يصير ملك الدولة العام الملك الخاص للكها . . . ان تصير الدولة واحداً سياسياً مع اسرتها المالكة » (Enquête, p. XC) . « يجب ايجاد المطمع في التجرّد » (ibid. p. CXXIV) « ان اختلاط الانانية البريئة والغيرية المغوية المتلازمتين بردّات افعال وجدان الملك الطبيعية والذي كان بوسييه « Bossuet » يسمّيه وطنيته الفطرية سيمتزج نفسياً بممارسته الادبية لواجباته في الدولة » (ibid. p. 91) . « ان الوراثة الملكية التي توحّد مصالح الملك ومصالح الدولة تستطيع وحدها تأمين السلطة المركزية اي ان تلجئها لا بشعور وطني فقط بل بشعور المصالح القومية » (Enquête, p. 410, note 1) « انكم تجدون في اصل هذه العادات (للحكومة) ظاهرة طبيعية وظاهرة انانية ومصلحة طبيعيين » (Dilemme, p. 56) . ان الملك الضعيف او العاطل تمنعه مكانته عن احداث بعض الاضرار . « وانّ اقلّ ما مقدوره ان يفعله سيكون بلازه لهذا التجرّد ولعدم الاهتمام ولهذا التراخي في العزيمة ولزهرة السكينة التامة الوقحة او الساذجة ، وهي ميزات الديموقراطية حيال المصالح العامة والحيوية (Enquête, p. XCII) . فما هي هذه الديموقراطية للكرية في جوهرها ؟ انها الفوضى المحض . وان ديموقراطية عضوية هي دائرة مربعة . (Cf. Dilemme, p. 28 et 71) ، وان حكومة الفرد يسعها ان تستعير ما هو صالح من حكومة الكثيرين . . . وهذه الاخيرة تحطم نفسها متى عكست الاعارة (Enquête, p. LXXXII) . « بالاستطاعة تعريف الجمهورية الحقيقية بكونها سيطرة مصالح الاحزاب واهوائها وارادتها على مصلحة الشعب الفرنسي الكبرى » (ibid. p. 20) . « ففي الجمهورية الديموقراطية يشدّ كل ذي « انا » مسلّح بحقوقه من جهته (ibid. p. 43) » . وفي الاستطاعة تحديد النظام الانتخابي في علم النفس النظري : انه التضارب بالآراء الجنوني او الكامن غير المنقطع، تضارب آراء احد عشر مليون (انا) عندنا » (ibid. p. 87) . وبواسطة الملكية تنتزع اذاً السلطة . . . عن عدد الافراد الفاقدين الحركة » . ان الوطنية تلك الغريزة الشعبية

الضيقة تصبح في الملك الواعي عقلية وارادية، ولن تبقى متعددة كل التعدد ولا سمجة ولا بهيمية، فهي انسانية» (ibid. p. CXXX). « لقد كان غليوم الثاني الاخير المدافع الاخير عن السلم في شعبه الضاري » (ibid.). « ان الحكومة الملكية تأتي باقل ما يمكن من الحروب وبايديها على قدر المستطاع » (ibid. p. CXXXI) .

ما هي القاعدة التي ينظّم الملك بموجبها عمله ؟ ان قاعدته الوحيدة هي المصلحة ، ولكن من المستحسن ان يرى الشعب فيها امرًا اخر . « وان القاعدة المفيدة للدولة وللمجتمع تستمد هذه الحماسة، المفقودة من العقل الجاف، من الايمان والرأي والقلب (ibid. p. CIX)[1]».

٣ – اثبات التاريخ للنظرية

« تبدأ انتصارات الاجنبي ونجاحه على ارضنا من تاريخ انتصارات الديموقراطية وتقدمها ، (Enquête. p. XI) . « ولقد استطاع ملوكنا ارخاء العنان مرة او اثنتين في الداخل، اما في الخارج وجبناً للملوك فلم يتراخوا » (ibid. p. XXIII) . وليس عدونا في المانيه قيصرها «لان امبراطور المانية وملك بروسيه كان وقتاً طويلاً معقل السلم، وانما مطامع شعوبه قد كانت الاولى في ارادتها للحرب » (ibid. p. XLIX) . ان جميع الديموقراطيات هي بنات الثورات والقوة . . . الممزوجة بالحديد والمشروعة بالدم » (ibid. p. CI) ، لقد طفق العالم يتطور نحو الملكية . « يرتدي ملك انكلتره معطفاً وقبعة كاحد بورجوازي المملكة ، ومع ذلك أفليس هو من اقوى ملوك العالم ؟ وهل تدنى تقدم قوته وسلطته ليس فقط عن والدته وعن الاثنين او الثلاثة من سلفائه المباشرين ولكن ربما عن جميع ملوك اسرته في البحر ؟ (Dilemme, p. 86) .

٤ – النتيجة العملية – الاصلاح

لا يستطاع اجراء اصلاح التربية الا بعد الاصلاحات الاخرى ، وكذلك الامر في الاصلاحات الاجتماعية والادارية (Cf. Enquête. p. CIX, sq.)

« فاصلحوا اذًا الدولة اولاً » .

---

١) بصدد العلاقات الدولية : تعرض الاكسيون فرانسيز نظرياتها التي لا تطمع في ان تكون جميلة بل صحيحة في الوقائع التالية : (هناك لائحة نقاط الاكسيون فرانسيز) . . .
٢ – الخوف من الغريب وبغضه سواء اكان داخلياً ام خارجياً(Dilemme, p. 127 et 128) .

« من وجهة النظر التي برمتها عملية ولا تخلو نوعاً من الجهاد ... ومن وجهة نظر التعاقب في الزمان ... اولاً الامة ومن ثم المجتمع واخيراً الدين »
(Politique religieuse, p. 369, sous forme interrogative, équivalente à une affirmation).

« اننا نقول كجان دارك . لا بد من الملك اولاً ... ومن ثم جميع الباقي الذي يجب تنظيمه او على الاقل يستطاع تنظيمه عوضاً ان لا يُنظم شيء. بدون ذلك (Dilemme, p. 35) .

لقد تركت موراس يتكلم وحده وجهدت النفس لاستنبط تعاليمه من ادبه الكفاحي الذي يغشيه .

الاحتكام

١ — في الآراء الموراسية خليط دقيق من الافكار المضبوطة والافكار المستغلقة والافكار الخاطئة ، ينسب موراس الى نفسه احتكاره للافكار الصحيحة مع انه لم يجدها ولم يكتشفها وليست مدينة له بشيء كبير ، فنحن نعرف قبله مغريات الانانية ، وان العام هو قبل الخاص ، وضرورة النظام ومحاسن النخبة المنخوبة ؟ واننا لنعرف خيراً منه مبررات هذه الافكار وكيف تفرض نفسها فانيا على رغم نخضه لها وعلى رغم مقالاته لاسباب لا تتعلق بعمله قد تفوقت على الفكرة الثورية منذ جوزف دمستر (Joseph de Maistre) . فان بعض اثباتاته اما غامضة واما سطحية . وما هو بالرجل الذي يقيم وزناً للميزات فاما ان يسلم بها جميعاً واما ان لا يقبل شيئاً منها . وهل حلل مرة مفهوم النظام الشائع في اشتهاره وقد ابدى في سبيله كل هذه الحماسة ؟ فموراس لا يدرس وانما يرشق افكاراً مقولة كاملة وافكاراً محكمة بوضوح ديكارتي اعني بذلك ظاهر فقط .

ولقد تحدثوا عن « منطقه القاطع » فهو على الاغلب رحوم . وقضاياه الكبرى هي استقراءات دقيقة من المبادىء الموضوعية والمادية والتشاؤمية وهو لم يتراجع امام النتائج ولا توسل ككونت بالذرائع ليشيد علم اجتماع مدقق فان احتقاره العظيم للاحداث والمبادىء قد عرقل تشييده .

وعلى وجه التفصيل ان لغته تعج بالمغالطات عند ما يحاول توفيق نظرياته

والتجربة او ان يجد لها مبرراً في الظاهر ، فيسمنا حتى القول ان موراس من اعظم رجال السفسطة الذين لم تشهد لهم مثيلاً .

وانّنا لعلى اتفاق معه عندما يتكلم على شروط النظام الاجتماعي الطبيعية لانها عموميات فقط ولكن اذا ما ولجنا الحقل الانساني او الاخلاقي فلا ينبغي لنا القول انه ارتكب اهمالاً وشططاً فحسب بل انه قد كان معارضاً معارضة كاملة .

ولننظر الان في الجوهري

لقد وُفق موراس في مكافحته الفردية باستمارته ضلاليها وهما اقوى اسسها : المادية والانانية فهو يحارب مبدأ المدد الذي حاول ان يجعله جوهر الديموقراطية كله ليعوّض عنه بمبدإ الدم والقوة الطبيعية : قوة المادة ، وينكر ان يصبو الانسان الى التزيّد من الروحية والمحبة ، فكل شيء في نظره يستند الى الغريزة الانانية الثابتة ومستحيل التقدم ، اذ من الواجب قمع التظاهرات اللااجتماعية لا قمع الانانية ذاتها ، ويقول ان هذا الزجعَ منافٍ للطبيعة والذين بشروا به رجال حالمون ومضرّون .

وانه المنهج البابلي الذي جعله الحق الطبيعي .

د

ماذا ينبغي لنا ان نفكر في هذا الحكم المكرّر غالباً : ان علم موراس الاجتماعي هو علم ناقص مبتور من متمٍ باستطاعة اضافته اليه وانها ليست بثلمات ينبغي ان نرثي لها وان نسدها لان الاراء الموراسية هي خاطئة وفاسدة بجوهرها .

وان اشد ضروب ضلاله خطراً ليس انكاره لوجود الله، لان فولتير الذي كان مؤمناً بالله كان ستة زعافاً قاتلاً اكثر جداً من لاادرية كونت فموراس كان عمله اكثر من انكار الله والحياة الثانية والقوى الفائقة الطبيعة فهو ينكر العقل ويفسد الطبيعة وهو على طرفي نقيض من الحقيقة في الفلسفة والدين فقد تهجم على الروح المسيحية وفكرة القديس توما في وقت واحد وهو الذي يرى الحقيقة عندما يؤكد معارضته ليسوع الناصري التاريخي ، ومن وراء عشرين قرناً مرت بالمسيحية يعود الى الالتقاء بالوثنية القديمة ، فروح التآخي هذه التي استشفها

الزينونيون وجعلها المسيح موضوع وصاياه قد سمّاها احلاماً شرقية ولئلا هبط من على الصليب واراد ان يرجعها الى الوراء .

٢ – مصادر موراس : راجع المشرق ١٩٥٢ ص ٤٥٧ وما يلي

يعترف موراس ببعض تأثير لكنت « Kant » ورثه عنه من خلال مطالعاته الفرنسية ، اما في علم الاجتماع فيتمي بطيبة خاطر الى كونت ، والواقع انه منذ ولوجه حقل الاجتماع يدير ظهره الى هذا المعلم ليتبع رينان الذي قال فيه بير نولهاك (Pierre de Nolhac) « ان نفسه السلتية كانت ترشح بالجرمانية» (Cf. Discours de réception le 18-1-1923) وكان يفخر بذلك : انا مدين بمعظم فلسفتي لالمانية (Cf. Revue hebdomadaire, Janvier 1914, p.359) وكان يردف قائلاً :« اعتقد ان المسيح سيأتينا من هناك » .

ونظريات موراس وشتائمه جميعها موجودة لدى جماعة ما وراء الرين . « انني ادعو المسيحية بالطامّة العظيمة والفساد الوحيد الكبير . . . فمن احدث اعظم شرّ في الارض غير جنون الذين يرحمون» ؟ (نيتشه) .

ان الموراسية والهتلرية هما بنتا عم ومتشابهتان حرفاً حرفاً . راجع في مجلة « الدروس » ٢٠ – ٧ – ١٩٣٢ ص ١٤٢ وما يلي : ما هي الهتلرية بقلم روبر هاركور فلن تجد شيئاً تبدله سوى الموقع الجغرافي .

والخلاصة ان الاكسيون فرانسيز هي تبحّر في تأملات جرمانية ومحاولة لجعله بلاد القديس لويس بروسيّة .

٣ – فكر موارس وطبيعته

لست اتحدّث عن شخصيته الخاصة ، ولا عنه كروائي وكشاعر ، وانما ككاتب سياسي كما تمثله مؤلفاته .

لقد كان موارس مؤسس مدرسة وحزب سياسي شهير ورئيسها ، وقد اتخذه قسم كبير من الشباب الفرنسي والبلجيكي طوال بعض السنوات هادياً لهم ولقد انضم اليه انضماماً متحمساً عدد كبير من الرجال والنساء من كل الطبقات الاجتماعية وحتى من الكاثوليك والكهنة والرهبان على تسلسل درجاتهم وانتهى به الامر الى ان اثار عاصفة في الكنيسة .

والآن وبعد ان سقطت درجة الحمى لنبحث عن اسباب تلك الظاهرة: ان من بين اولئك المنضمين اليه كانت فئة تتعلق بشخصيته وغيرها دفعتها البيئة والظرف الى مسايرته.

لم يكن تأثير موراس على العقول ناجماً عن ذكائه فانه لم يكن مفكراً حقيقياً بل رجل نظري لا يتصل بالواقع ولا شعور له به ولم يكن مثالياً. فافكاره كانت افكار من درس دراسة اوّلية عالية، ومستمدة كما نعلم من ابن وبسيطة جدّ البساطة، ولقد قُدّر له ان يفرض نفسه وان يفلح بعنصر تعليمه الارادي العاطفي باقتناعه المطلق وبصلف عقيدته وبضرب من التصوّف لم تدع معها مجالاً لاية مناقشة كانت تتطلب الحماسة والاندفاع. اما لغته فلا تتّفق اقل اتفاق واللغة العلميّة الموضوعيّة، ولديه لغتان مختلفتان: ففي القضايا غير القابلة للمناقشة ويطرحها كمكتشفات وفي الاثباتات الجريئة التي لا يراد اخضاعها للبحث والمناقشة تبدو لغته احياناً صريحة حتى الخشونة في حدتها لتصبح في تصدّيه لبعض النقاط الدقيقة كعلاقات علم الأخلاق بالسياسة لغة متقلبة مستغلقة قصداً ومفعمة بالابهام ويستشف من عباراته نصب فخاخه متدبّراً دائماً لنفسه فيها مخرجاً للتهرب، اما بوصفه فناناً وخطيباً شعبياً ومحامياً فقد كتب محاورات وخطباً ومدافعات يفعمها التأثر والعنف.

ولا نحسّه من وراء الافكار التي تتصورها في مستقرّ شعورنا الا ضعيفاً جد الضعف فهناك الغرائز التي تتابعها.

والجدير بلفت النظر في موراس هو عجزه عن الحب ومقدرته على البغض اما الغاية من هذا البغض الرئيسية بعد المحبة كما رأينا... فالسلطة. غرابة؟ ظاهراً، نعم، ولكنها بالواقع: أهي السلطة الدينية؟ اننا نتملّقها ونبجّلها طالما نقوى على الاستفادة منها، واننا على شرط ان تسلس لنا قيادها. اما منذ تريد ان توجّه الضمائر في اتجاه مغاير وترفض ان تخدم قضية غير قضيتها فنحتقرها ونجرّها في الوحل بجميع الذرائع.

أهي السلطة المدنية؟ اننا نرفع سلطة مثالية حتى النعيم، سلطة الغد. ولكنها غير مزعجة الآن. اما السلطة الوحيدة القائمة الواقعة فاننا نحطّمها بجميع الذرائع.

اما العمل الذي ينادي به موراس ويوعزه فهو بالكلام وسلبي خاصة . اننا لا نعمل بل نأتي بردّات الفعل ، وينتهي بالفكر هذا التمرين الى ان يتّخذ طيّة باعثة على الاسف ... الاجحاف والضغينة .

ومها يكن الامر فاننا شديدو الدهشة من ان يلاقي تعليم وعقلية غريبان كل الغرابة عن روحنا القومية مثل هذا الرواج في اوساط كاثوليكية لنأتي على ذكر بعض الاسباب الظاهرة لذلك كما يلي :

كل رأي سياسي حتى وان كان اشد الاراء صواباً مردّه الى التعصب . فهو غير مقيد وغير مهادن ولا متسامح والانضمام الى الاكسيون فرانسيز رأي سياسي اولاً ساهمت في قوته اسباب وحوافز عدة : احترام الملكية التقليدية والعطف على البيت المالك في فرنسة واحترام الرجل الذي نجح في استرداد الشعبية والاخلاص لحبه فرنسة وحبّ ماضيها وامتيازها بكونها ابنة الكنيسة البكر والأسف على ضعتها الحالية والحنق على الماسونية والانتقاض والكفر المتصاعد والرغبة الشديدة في وضع حدّ لهذه المساوىء وفي ازالة جميع هذه العراقيل بارجاع الملكية وحدها ، ومن وراء ذلك محبة بعضهم لفكرة الطبقة . . . ان جميع هذه العوامل مع جبل بعض ما كانت تخفيه سياسة موراس تحتها وبدون اجهاد النفس لبحثها قد كونت مجموعة هدّامة متماسكة غير قابلة للانقسام .

وينبغي ان يضاف الى هذه الامور النقصان الملحوظ في دراسة الفلسفة في الاوساط الاكليريكية التي كانت تعرف عن يد القديس توما وتحيه برفع القبعة عالياً بدون ان نعرف من تعاليمه الّا النذر القليل .

وما كان الموالون لموراس يعرفون بتأييد البابا لشجب الكاردينال اندريو اراء موراس حتى عرتهم الدهشة ، فكم كان عدد الذين فكروا في ان يعيدوا نظرهم لتحليل اقتناعهم بما دعاهم موراس الى اعتناقه كما دعاهم اليه ، فقد رأى الكثيرون ان لا فائدة من اثارة هذه المسألة ، وانه من الجنون ان يحرقوا ما طلب اليهم ان يحرقوا ما كانوا يعبدون . فبحثوا عن تفسير هذه الظاهرة الكارثة ، فسعدوا على ايجاده : لقد كان البابا منزوياً في غرفته يحفّ به كرادلة يميلون الى الالمان الخ الخ . وكانت مطالعتهم للاكسيون فرانسيز

عودتهم الانتقاد والسخط والقحة فكان الانفجار الجنوني ، واذ اتضح لهم ان البابا ما اراد قبول احتجاجاتهم انكروا عليه الحق في محاكمتهم وطلبوا تحديد صلاحيته الخاصة في هذا الامر . . . وانتظروا البابا المقبل . فالاحكام الصريحة كل الصراحة لم تتناولهم ومقررات المجمع المقدس Saint-Office وديوان التوبة الرسولي كانت غير صحيحة ولم يخالجهم شك ان الكنيسة كانت مخطئة ، وغدا الحزب بدعة .

وان هذا الشر لكثير الوقوع في البلاد الفرنسية. ففي غضون قرون نشبت ازمتان او ثلاث ورطات جماعية : كدريفوس وبولانجه والسيّون وكلازيل . . . كما جرى قديماً نوستري واوسترازي والارمنياك وبيرغونية والرابطة « والاصلاح » البروتستنتي، وحرب الفلاح والكاردينال وبراءة البابا وبور رويال . . . ولا ريب في ان ذلك يدلّ على ضرب من المثالية فاننا لا نستطيع الاكتفاء بوجود كثيرين من اصحاب الآراء بل من الواجب ان نتهالك في سبيل فكرة ولاسيّما في سبيل شخص ومن سوء الحظ لقد تنوسيت اضاءة المصباح .

وثمّة عدد كبير من جهابذة العلماء مهمتهم تنوير الرأي العام وتوجيهه . . . وفي هذه الحالة لا بدّ من الاعتراف بانهم لم يوفقوا لان بعضهم قد جرّه المعلم العلماني واستلنوا الى ابعد حدّ تهاونهم . أما الذين جرأوا على رفع صوتهم معارضين فاغدقت عليهم الشتائم .

ومن ثم انه لواقع زمن نكد الدهر ! معروف في بعض الاجواء . وهو انه اتفق ان كانت هناك احياناً سلطات عاجزة اعتقدت ان تجم الاذن عن الدفاع بحجّة المحبة فخانت المحبة : « كان ينبغي ان لا تنزل ببوراس اية عقوبة وان خفيفة » أفليس كذلك ؟ اما الجمهور المشدوه بشادّات بعضهم وانهماك غيرهم فلم يدرِ بايّ شيء يتمسك ولا الى من يسمع ، وفي قلب تلك الظنون كانت الطاعة جديرة بالاستحقاق، وكانت بطولة لبعضهم لانهم بدون ان يقدّروا المبلغ الذي قد يتمدون معه عن توجيهها تمسّكوا بكلّ نفسهم بالحجر الاساسي الذي لا يخدع ابداً .

Œuvres de Maurras utilisées

La Politique religieuse, 2me édition 1912 (se retrouve dans le suivant).

La Démocratie religieuse — Le Dilemme de Marc Sangnier — La politique religieuse. L'Action Française et la religion catholique 1921.

L'Action Française et la religion catholique 1923.

Enquête sur la Monarchie, 1925. Le Discours préliminaire comprend les pages VII à CL.

Article de la Revue hebdomadaire, Mars 1910.

Chemin de Paradis, 1895; réimpression de 1921.

Anthinéa, 1902; réimpression de 1912.

Trois idées politiques, 5e édition, 1912, réimprimé avec Romantisme et Révolution en 1922.

Mes idées politiques, 1937. Ce médiocre résumé d'un disciple n'apporte rien d'essentiellement nouveau. Il introduit seulement dans le système un peu plus d'incohérence, retirant d'une main ce qu'il a eu l'air d'accorder de l'autre.

رواية آل السموأل

ذات مقدمة واربعة فصول

بقلم الاب خليل اده اليسوعي

رأت مجلة المشرق ان تعمد الى نشر رواية السموأل للاب خليل اده اليسوعي وقد اصابت في رأيها فانها بعملها هذا تخدم معاً عشاق التمثيل المسرحي وطلاب الادب العربي خدمة جلى فان رواية السموأل تسمو بموضوعها على سائر الروايات والسموأل بطل الوفاء يظهر فيها أسوة جليلة لا تماثل أسوة الوفاء ميزة النفوس الكبيرة خصوصاً وقد عاش في ازمنة وسموها بالجاهلية في اوائل القرن السادس.

والرواية تحفة ثمينة يقدمها المشرق لهواة التمثيل ولمقدري الادب العربي سواء فانها تمتاز بنسقها وسلامة لغتها وقد هم مؤلفها في التدفق في طبع ابطالها وانفعالاتهم النفسية ازاء حوادث خطيرة وقد أعمل فيها فكرته النافذة فحللها تحليلاً دقيقاً فاظهرهم على حقيقتهم التاريخية فرداً فرداً . ولغة المؤلف سلسة رقيقة بالفاظها سهلة بتعابيرها جلية انيقة في معانيها هي اللغة العربية بصراحتها وجزالتها وصفاء رونقها : لغة نتمنى لمتعلمي العربية في ايامنا ان يتخذوها مثالاً وان يتحاشوا تقليد كثيرين من مؤلفي عصرنا الذين تدربوا على اللغات الاجنبية فاقتبسوا منها تراكيب معقدة وتعابير غريبة يصعب فهمها واللغة العربية هي منها براء . وهؤلاء نفسهم يشهدون على غرابتها وتعقدها وصعوبة منال معانيها اذ يلجأون لتقريبها الى الاذهان الى استعمال شتى النقط والعلامات الكتابية يدرجونها في انشائهم ليساعدوا قراءهم على فهم ما يكتبونه : والعربية الصحيحة لا حاجة لها اليها لو احسن الكاتب معرفتها باخذها عن اصحابها لا عن اللغات العربية . ف. ق.

اسماء المشخصين

السموأل	(٦٠) سنة
عاديا	ابناه
دارم	
امرؤ القيس	
معاوية	ابنه (١٣) سنة
يزيد	ابن عم امرىء القيس
الربيع	بن ضبع الفزاري شاعر دليل امرىء القيس
الطماح	من بني أسد عدو امرىء القيس وعامل للمنذر ابن ماء السماء
شجاع	مولى عاديا
مسرور	مولى دارم
فاتك	يأتي رسولاً من عند امرىء القيس
سلمان	من فرسان السموأل
نصيب	
رسول	الطماح
غلام	

جند وفرسان

المقدمة

امام الابلق : واحة نخيل — في آخر المرسح شمالاً حصن السموأل

المشهد الاول

امرؤ القيس . معاوية . يزيد

يزيد : ها قد بلغنا المقصدَ يا ابن حجر . فدونك حصن السموأل بن عاديا .

هو الابلقُ الفردُ الذي شاعَ ذكرهُ يعزُّ على مَن رامهُ ويطولُ
رسا اصلهُ تحتَ الثرى وسما بهِ الى النجمِ فرعٌ لا يُنالُ طويلُ

فأبشرا بزوال العنا. وطلوع النجم السعد .

معاوية : الحمد الله . فقد نجونا من المخاطر ووصلنا الى ملجاء حصين . والحق يقال اني ساغبٌ لاغب . فقد أعياني الترحال وسئمتُ من ركوب الرحال . وتاقت نفسي الى الراحة .

يزيد : ولتصبحنَّ يا بنيَّ في ارغد عيش . لان السموألَ جوادٌ لا يُشقُّ لهُ في ميدان الكرم غبار (يلتفت الى امرئ القيس فيراه عابساً) . مالي اراكَ كالح الوجه منقبضاً كأنكَ تُقادُ الى سجن . فهل برّحَ بكَ ما قاسيناه من مضض النوى ومعاناة الاسفار ؟ عهدي بك يا ابن العم اقوى عوداً واصلب عظماً .

امرؤ القيس : لا يا أبا عمرو لم تكن الاسفار لتهدَّ ركني وتُنهكَ قوايَ وقد طالما ركبتُ المفاوز . وجبتُ الصحاري منذ ترعرعتُ . فلم يطب لي يوم ولم يهنأ لي عيش الّا على ظهور المطايا بين وعول الجبال وسباع الادغال . إلّا أني أراني كالمُفيق من سُباتٍ عميق . تشجعتُ المخاطر . واقتحمتُ الاهوال ولمَ ؟ لاستجيرَ بالسموأل . بعدوّي . فاينَ الرأيُ منكَ يا ابنَ حُجر . فقد والله أوهت الشدائدُ بصيرتكَ وذهبت بحجاكَ . فمن يلوذُ بخصمهِ ويرتمي في حضن من ناواه ... يا يزيد ارجع بنا . فالموتُ فريسة السباع . او صريع الاعراب خيرٌ من الالتجاء الى امرىء أهنتُهُ وهجوتهُ .

يزيد : ويحكَ يا امرأ القيس ما هـذا الكلام . أبعد الذي ذقناهُ من مرارة الفرار . وقاسيناه من خذلان الموالي والاصحـاب نرجعُ الى الوراء .
أحين أزفت ساعة النجـاة نعرضُ ارواحنا ثانيةً لأنياب المنايا ؟ اين الحزم . ألستَ القائلَ تعزّينا .

تشدّد اخي لا تبـكِ عينك انما نحاولُ ملكاً او نموت فنعـذرا

أفمن يُحاولُ ملكاً يُحجِمُ عند بلوغ المنى . افكر سنح . او هاجس خطر ؟

امرؤ القيس : لا تَلُمني يا يزيد . قُتِلَ ابي غيلةً فلم اجزع ولم أتركْ دمَهُ يطل حتى اثرتُ على قبائلَ العربِ جمعاً . خذلني الحارثُ بنُ شهاب . فلم أبالِ . أعرضَ عني ابنُ المنذر من جمعي واياهُ رباطُ الرَّحم فلم اواخذهُ . خانني هانئُ بنُ مسعود فلم أيأس . ولكن لمّا رأيتُ نفسي امامَ السموأل مستجيرًا بهِ مُستغفرًا على مـاءِ الحياء في وجهي فنفرتْ وأحجمتُ ذاك الذي هجوتُهُ بأبياتٍ سارت في احياء العرب فنكّست اعلامَهُ . آتيهِ لائذًا بهِ مستعصماً بحبله ؟ وبأيّ وجهٍ أتلقّاهُ . وبأيّ حديث أفاتحهُ . أأقولن لهُ ملكُ كندةَ أثمَ اليك فاعفُ عنهُ واجرهُ . لا وحقِّ الحق لا رضيتُ بهذا الذلّ ابدًا ... واني لأعجبُ مني كيف انقدتُ لرأيِ الربيع لما أشارَ عليَّ بالوفودِ على السموأل وبيننا ما بيننا . غيرَ انَّ المصائبَ أسكرتني فَرحتُ كالشاربِ المترنّح أهيمُ عـلى غير هُدى ... لا يا يزيد لا تطاوعني النفسُ بالتذلّل .

يزيد : يا ابنَ حُجر . صبرتَ على أهوالٍ يشيبُ لها الطفلُ الرضيع . فلا تجزع لأوهامٍ يُخيّمُها الظلام ويبدّدُها نورُ الصباح . قل لي ناشدتك الله ومن يذكرُ مـا حملك عليه نزقُ الشبابِ وقد مرّت عليهِ الاعوام . ثمّ انَّ السموأل لا يعرفك وجهاً لوجهٍ . فما علينا إلا ان نستجيرَ بهِ استجارةَ الملهوفِ بالكريم فانهُ لا يستكشفُ أمرَ أضيافهِ . ولا ينبشُ عمّا مضى من أحوالهم . فلنودعنّهُ وديعتَك ولدكَ معـاوية وادراعكَ الثمينة . وتذهبنَّ مستنجدًا بملكِ الروم . وانتَ آمنٌ على من تخلّفَ عنك .

ا. ق: حبذا الرأيُ لو لم يكن مِنَ المحال أتظنُّ أني لا أجدُ في حصن السموأل مَن يعرفُني وعيونُ المُنذر منبثَّةٌ في كلِّ الانحاء. . . تهيّجُ عليَّ الأعراب وتتوقّعُ فرصَ الايقاع بي ؟

يزيد : انك متنكر ينكرك اهلك فقد غيّر احوالك لفح السموم فضلًا عن توالي الهموم .

ا. ق: وهب ان افتضح أمرنا ؟

يزيد : اذا أمنك السموأل منعك حتى من نفسه .

معاوية : (يرجع وكان قد ذهب يتفرج) ابتِ ما لنا واقفين فقد اعياني السفر واضكني الجوع .

ا. ق: (ينظر اليه برقة فتدمع عيناه) .

يزيد : يحق ولدك يا ابن حُجر . هلّا ترحم غضارته فلو كان لنا غير السموأل ملاذًا لأتيناه ولكن سُدّت في وجهنا السبل قاطبة فاما الموت مع ولدك وخلفك الوحيد وامّا الاستغاثة بابن عاديا .

ا. ق: (يتنهد) صدقت يا يزيد . لا يجوز لي ان استكبر في جانب وحيدي شيئًا (الى معاوية) مهلًا بنيَّ فان الربيع لا يلبث ان يأتينا بالاذن على السموأل. فاني ارسلته يتنسّم اخباره ويطلعه على احوالنا (الى يزيد) عساه يبشرنا بما يرفع عن عاتقي العبء الذي انا حامله . وايم الله يا ابن العم لولا هذا الغلام لما رأيتني افترش غير لبد خيلي ولا ارتاح الا على صهوات أفراسي . لولاه لما أصليت الأعراب قاطبةً نار حربٍ عوانٍ لم يخمد لهيبها . بل لقلت على الدنيا وعشاقها السلام واعتزلت في بعض الفيافي اكفّر عن ذنوب حياتي الى ان ارى وجه ربي . . . الا ان للاولاد على الآباء حقوقًا مرعية هي نفوس مفدية يطالبنا بها الديان في الموقف الرهيب.

يزيد : نعم الرأي ولقد كاد ينفس كربتنا ويفرج ضيقتنا ولنبيتنّ في الابلق على احسن حال . فقد جئتُ قيصر وجئتَ النعمان فلم ار لضعيف نازل ولا لمجتدٍ مثله ولا مثل صاحبه فهو لا شك يمنع ضعفك حتى ترى ذات غيك . وهذا الربيع يحمل الينا اخباره .

المشهد الثاني

ا . ق . يزيد . معاوية . الربيع . (يرى معاوية الربيع يقوم ويأتي اليه مستجدًا)

معاوية : هلّا ندخل الحصن .

الربيع : عما قريب يا بني .

يزيد : ما وراءك يا ربيع ؟

الربيع : خيرٌ انشاء الله فاني دخلت القصر مستخبرًا . فأنبئت ان السموأل خرج في فرسانه ورجاله لبعض غزواته وانه لا يلبث ان يرجع فان القوم في انتظاره .

يزيد : أوليسَ في الحصن من يجيرنا ؟

ا . ق : ومن ارضى غير السموأل مجيرًا .

يزيد : (على حدة) تحدثني النفس بالتشاؤم من غيبة صاحب الابلق .

ا . ق : قفوا بنا هنا نتوقع قدومه . يا ربيع اسهر على الانتقال . ولكن رجالنا على حذرٍ والخَيل مسرجةً لئلا يداهمنا مكروه .

الربيع : اننا لفي امنٍ فما من احدٍ يجسر على انتهاك حرمة الابلق .

يزيد : (على حدة) ما احرج موقفنا .

معاوية : (وقد ارتقى على الخضيض يأخذ آلته ويدق عليها ثم يغني) .

أتاني واصحابي على رأس صُنْعٍ حديثٌ أطار النومَ عني فأنعما
فقلتُ لعجليٍّ بعيد مآبُهُ تبيَّنْ وبيِّنْ لي الحديثَ المجمجما
فقال : أبيتَ اللعنَ عمروٌ وكاهلٌ أباحا حمى حُجرٍ فاصبحَ مُسلَما

يزيد : أحسنت يا بني أحسنت .

ا . ق : فقال : أبيتَ اللعنَ عمروٌ وكاهلٌ أباحا حمى حجرٍ فاصبحَ مُسلَما

(يردد البيت مرة واحدة)

لك الشكر مني اطيبه يا عزيزي . فقد هيّج غناؤك في قلبي ذكر العهود . . وحقِّ حبك يا حجر لست بناسٍ ما وكلت اليَّ انجازه . آثرتني على اخوتي وانا اصغرهم . وخصصتني بوصيتك فلا وتربتك لا رجعت القهقرى

حتى أدرك بثأرك واسترجع ملك آبائك . . . غنّي بنيّ ثنيةً غنّي جعلت فداك عساك تستنهض عزيمتي وتنشّط قواي .

معاوية بعيد الغناء . وبينا هو مشتغل يظهر على المرسح عن بعد عاديا ومولاه شجاع فيسمعان الغناء . ولا احد يراهما حتى اذا قطع معاوية الصوت صاح به عاديا .

المشهد الثالث

الاشخاص عينهم . ثم عاديا وشجاع

عاديا : أطرب بالمغنّي الفتيّ ما أرخم صوته وما أشجى لحنه (معاويه يضطرب . امرؤالقيس يتلثم) لا تخف فان عاديا بن السموأل لم يبغ قط ببني السابلة شرًّا (يلتفت الى الباقين) عِموا مساءً ايها الكرام .

الكل : حيّاك الله وبيّاك .

عاديا : ارى آثار الطريق عليكم بائنة فكأني بكم تطلبون مأوىً تبيتون فيه فهاكم الابلق حصن السموأل بن عاديا فادخلوه آمنين .

ألا فادخلوا حصنًا منيعًا فجارُنا عزيزٌ وجارُ الاكثرينَ ذليلُ
بأرواحنا نفدي الذينَ نجيرهُم واموالُنا للسائلينَ تسيلُ

الربيع : اصبت المرمى يا ابن السموأل فانا اياكم قصدنا ولكن انبئنا بغياب الامير ابيك فوقفنا ننتظر إيابه .

عاديا : أويضيق حصن السموأل في غياب صاحبه عن قبول الضيف . لا وأبي ليس الامر كما توهمتم فان الابلق ملجأ الضريك ومثاب الشريد غاب صاحبه ام حضر فان كل من ينتمي للسموأل متخلق باخلاقه مزتمّ بكريم فعاله ولئن عدمتم أنساً يضيفكم لتنطقن جدران المنزل بالتأهيل سيّما ان اتيتم مستجيرين .

يزيد : (على حدة) هو الله ارسل لنا ملاكه نصيرًا (لعاديا) عش لا تنكّد ايها السيد الفتى فلأنت اشبه بابيك من الماء بالماء . ولو لم تنتسب لافصح كلامك عن طهر ارومتك وشرف جرثومتك . نعم أتينا مستجيرين . فهل لكم ان تجيرونا .

عاديا : يا ما أحيلى الجواب لقد طالما توقعت في غياب ابي فرصة تمكنني من ضيافة غريب او اغاثة ملهوف حتى يئست من الفوز وحزنت من امساك يديَّ عن المعروف . فأهلاً بكم فاني مجيركم ولو من المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (يلتفت الى معاوية) لقد أخذ التعب منك مأخذه فادخل واسترح وابق عندي ما شاء الله واذا طابت نفسك تغنيني فان الغناء احبُّ شيء اليَّ ولا أطلب جزاء منكم سواه .

ا. ق : أإفضال وعدم امتنان . فبأيِّ لسانٍ نشكرك يا أشهم العرب .

عاديا : (لولاه) هيا بنا يا شجاع أدخل القوم ومتاعهم ومطاياهم وحضر في المنزل احسن مقاصيره .

شجاع : سمعاً وطاعة مولاي (يخرج) .

يجتاز المرسح في آخره فرسان دراية ورماح من اليمين الى الشمال حيث حصن السموأل فعندها يقول عاديا : هذا ابي الخ . ثم يتوجه الى مكان ابيه . في اثناء ذلك يدخل الطماح مع بعض رجاله من الكوليس الثاني وعندما ينتهي من الكلام يدخل السموأل من آخر المرسح حيث قابله عاديا ومع السموأل دارم عن شماله ووراءهم الفرسان اي مزور فاتك نصيب وسلمان الخ .

عاديا : وانتم يا كرام أدخلوا بنا . (تُسمع جلبة) هذا أبي راجع مع اخي دارم وقومه .

ا. ق. وي. : (وقد عرفا الطماح) الطمَّاح !

ا. ق : يا لله .

يزيد : هلكنا لا محالة (لامرئ القيس) تثبّت ايها الامير .

الربيع : انتما الزما السكوت فانا وحدي بالنطق موكّل .

المشهد الرابع

امرؤ القيس . يزيد . معاوية . الربيع . عاديا ؛
ثم السموأل . ودارم . والطمَّاح . وفرسان

الطمّاح : (على حدة) (وهو داخل) مَن الغُرباء ولِمَ لا يحسرون عن الوجوه .

عاديا : (يبادر الى ابيه) يسرُّني قدومُكَ أبتِ وقد استوحش الابلقُ ومن فيهِ لغياب سيدهِ .

السموأل : وأنا لمَّا كنتُ أطوفُ البراري في طلب امرىء القيس (برنش ا . ق . وبزيد) كان ذكركَ يؤانسني ورجاء الاجتماع بكَ يسليني .

دارم : (على حدة) كأنني لستُ ابنَهُ .

السموأل : (وقد تفرّسَ بالغرباء) من القوم يا بني .

عاديا : قومٌ قصدوا ربَّ الابلق لائذين بجواره. فأدخلتُهم في ذمتك .

السموأل : نعماً فعلت (للغرباء) رُحبت بكم الديار فاقيموا بها بالسعة والهنا. ما شئتم .

الربيع ولقد انيتُ بني العاص مفاخرًا وانى السموألِ زرتُهُ بالابلقِ
فأتيتُ أفضلَ من تحمّلَ حاجةً ان جئتَهُ في غارمٍ او مُرهقِ
عرفت لهُ الاقوامُ كلَّ فضيلةٍ وحوى المكارمَ سابقًا لم يُسبقِ

الطماح : (على حدة) الربيع معهم . سمعت انه من احلاف الكندي .

السموأل : أو الربيع ايضاً من اضيافنا ؟ على الرحب يا ابن ضبع فلست بين آل السموأل غريباً وان اشعارك لتدوي في آذاننا فاهلًا بشاعر الابلق واهلًا بن اعداهم الينا .

الربيع : الى الموارد الصافية يفد الظمآن فقد عودتموني فيض احسانكم فلا ارد غيركم ولا يسوغ لي غير ماء أنزالكم مشرباً .

السموأل : أُدخلوا بنا فقد اضناكم السير . كما انهكني الجدُّ في إثر امرئ القيس. طاردته ولكنني راجع بخفيّ حنين . وهذا دأبي منذ أيام .

الطماح : (على حدة) ما للقوم ارتعشوا لذكر امرئ القيس . نفسي تحدثني انهم من أشياعه ... ما لم يكونوا .

دارم : (وقد اراد السموأل واضيافه الدخول) مهلًا سيدي كيف يُجير أخي قوماً لا تعرفهم حين عاهدنا المنذر على مطاردة امرئ القيس والقبض عليه . فما أدراك من هؤلاء . أفما تخشى غدرهم .

الربيع : ليس الغدر الا من طبع اللئام يا كريم وليس فينا مَن هذه صفته .

السموأل: ومتى كنا نسأل الضيف النازل علينا ان ينتسب لنا يا دارم على عوائد اهل الحيرة حيث نشأت فاعلم ان باب الابلق لم يُغلق قط في وجه مستجير ايًا كان .

دارم: جعلت فداك سيدي لا نكير ان الابلق مأوى الغريب وملجأ الضعيف . ولكنّ الرأي حتى في الكرم من الحكمة .

عاديا : ابتِ هؤلاء اول من أجرتُ أفلا تجيرهم .

السموأل: لا ريب في ذلك يا بني وان اخاك جاهلٌ بما نحن عليه .

دارم : ان لم يكن التحفظ من الاعداء من فضائلكم فلا حرج ولقد أعذر من أنذر .

الطماح: (على حدة) لا بد من كشف النقاب عن سرّهم (للسموأل) ايها الامير ايذن لي بالكلام .

السموأل: قل يا أبا فراس .

الطماح : هل أنت باقٍ على عهد المنذر ؟

س : ولِمَ تسأل . أو أتيت بما ينقضه .

ط : سيدي وعدت ابن ماء السماء بتسليم امرئ القيس بين يديّ .

س : (بعدة) لا حاجة الى تذكيري ما لم يتسنَّ لي بعد ان انساه . أنا كنت آنفًا في طلب بغية ملك الحيرة .

ط : ان كانت هذه بغيتك .

ا . ق (لا يتمالك برفع اللثام) كفاك يا طمّاح تعريضًا ودهاء (للسموأل) ايها الامير . كفاني تنكرًا . انا بغيتك . انا امرؤ القيس .

س. والكل : امرؤ القيس ؟

ا . ق: نعم انا ابن حُجر الكنديّ سيد اسد امامك . ولقد لجأ اليك لعلمه بأنّ السموأل لا يخذل مستجيرًا وان عدوًا .

س : (يبقى مطرقًا)

دارم : ها ان الاقدار قد خدمت سعدنا (ط . وفرسان يقبلون لالقاء القبض على امرئ القيس) .

ط : الحمد للآلهة التي مكنتنا من عدوّ سيدنا المنذر .

عاديا : وراءك يا هذا أتتجاسر فترفع يدك على جاري ؟

دارم : جارك ومن انت يا غلام ؟

عاديا : انا ابن السموأل وجاري جاره حتى من ملك الحيرة .

دارم : (لابيه) سيدي لقد والله أتى عاديا شططاً فازجره واوقفه عند الحدّ .

س : دعه يا دارم فقد صدق جاره جاري . فلا يمسّنه احدٌ بأذى .

ط : هذا بغية المنذر وليس لاحد ان يجيره .

س : (بجلال) الّا السموأل بن عاديا فاعرفه ان كنت جاهلاً .

ط : أبيت اللعن سيدي . اما وعدتَ بتسليم امرئ القيس .

س : وعدتُ بضافرة ابن ماء السماء على مقلق راحة القبائل لا على جاري .

ا. ق : حسبنا ما فعلت يا أكرم العرب فانّا لا نريد ان نكون سبب الفتنة بينكم فها إنّا راحلون عنكم واذا خرجنا عن حماكم فلينازلنا الطمّاح اذا شاء فان يد ابن حجر لا تزال ثقيلة على العبد العاتي . كنّا قصدناكم ولم نعلم إلا أنّا هجوناكم في ايام الصبا . فقلنا : ان السموأل اكرم من ان يخذل مستجيراً لهنات حمله عليها نزق الشباب . فلم نخطئ الظنّ اما الان وقد عرفنا ما يربطكم من المواثيق بابن ماء السماء . فالرحيل عنكم أصبح واجباً .

س : يا ابن حجر ان ابن عاديا اذا أسدى غمر . واذا البس اسبغ فلا وحرمة الجار لسنا ممن يخالف سنن العرب ويترك نهج الحق ابتغاء مرضاة ملك فابق يا امرأ القيس ما شئت عندنا فمالي ورجالي وولدي فداك وهاك يدي شاهداً على صدقي (يتصافحان) .

ا. ق : فقتَ الورى عزّاً وشيامةً فلا زال نجم سعدك في العلاء ساطعاً وغيث نوالك على الاعراب هاطلاً أيّد الله عزّاً هذه دعائمه ورفع بيتاً هذه أركانه .

منعتَ السليبَ من أكل ابن حجرٍ وكادَ الليثُ يودي بابن حجرِ
سأشكرك الذي دافعتَ عني وما يجزيكَ مني غيرُ شكري

فما جارٌ بأوثقَ منكَ جارًا وعصركَ للغريبِ أعزُّ نصرِ

يزيد : غمرتنا يا ابن عاديا فلا اللسان قادرٌ على ايضاح شكرنا ولا القلب واسع لملء حبنا .

س : جزاني وقد نلته اجارة آل حجر .

ط : (على حدة) ستكون عاقبة الامر عليكم وبالًا يا ابن عاديا .

س : هيًا بنا نرحب باضيافنا ونكرم مثواهم .

(يخرج الجميع ويبقى دارم فيسك عاديا) .

دارم : لي معك كلام يا اخي .

المشهد الخامس

عاديا دارم

دارم : حتّام تنازعني الامر والنهي ؟ حتّام أعثر بك كلما نزعت نفسي الى ما فيه مجدي ومجد بيتنا . حتّام تحول دون رغائبي . وحقّ ابينا لقد عيل صبري وما عاد لي طاقة باحتمال وقائعك .

عاديا : وقائعي ؟

دارم : لِمَ منعتني من الظفر ببغيتي وانت عالمٌ أنّ بها مرضاة ابن ماء السماء ودواء نعمتي عنده .

عاديا : يشهد الله يا اخي أني ما رمت في ذلك الاجحاف بصالحك فلو ظفرت بابن حجر في الصحراء لما كنت اتعرّض لك بل كنت سررت بنجاح سعيك واعلاء كلمتك عند المنذر . اما الان وقد دخل في ذمارنا فيأبى شرف اجدادنا ان نستبيح حماه ونسلّمه لاعدائه . والحمد لله الذي ألهم أبي صنيع ما صنع .

دارم : كان الاولى بك ان لا تجير غريبًا في غياب ابيك فان في تصرفك من قلة التدبير وسقم الرأي ما يجر على اهلنا وقومنا الويلات . ولكنك تحب الترفع وتتوق نفسك الى السيادة فانتهزت الفرصة لتُظهر للداني والقاصي انّ لعاديا بن السموأل حق الاجارة وانه اهل للامارة بودك لو

قال الجميع : عاديا الكريم ودارم اللئيم .. عاديا المتشبث بسنن اجداده ودارم المزري بها عاديا الوديع ودارم المتغطرس . أتراني لا افهم ما في صدرك .

عاديا : أعجب منك كيف تنبش بيننا اسباب العداوة وهذا دأبك منذ رجعت من بلاط ملك الحيرة فلا آتي امرًا الا طلبت فيه مغمزًا تأخذني به . ومن طلب عيبًا وجده . ربيت انت في الحضر بين الامراء والملوك وانا في البدو بين الاعراب والرعاة . فعش كيفما شئت واتركني وشأني .

دارم : بل يسوءني صنيعك لانك تلعب بعقل ابي وتبعده عما فيه صلاحهُ . ومهما كان من امرك فيما مضى فمرادي الان ان تسعفني على اخراج امرئ القيس من حمانا حتى اذا علم المنذر بما كان رضي عنّا فنأمن شره .

عاديا : ان أُخفر ذمتي وأُهدر دم جاري . قاتلك الله أهذا ما تريد . هذا لن يكون ابدًا ما دام الابلق راسيًا على جبله .

دارم : هذا شرط الاخاء بيننا والا ايقنت انك تحب الغريب المعادي اكثر من الشقيق الحميم .

عاديا : فديتك بروحي من كل مكروه. غير أني لن اضحي ابدًا شرفي وشرف اجدادي في سبيل ارضائك .

دارم : يا للغباوة .

عاديا : يا للشهامة .

دارم : أتؤثر الهلاك على نعمة ملك جبار .

عاديا : أتؤثر الشنار على مجدٍ مؤثّل .

دارم : ارقَ على ظلعك يا فتى ولا تجاهر بالعداوة فلست كفوءي .

عاديا : ان حسبت تمسكي بسنن اجدادي عداوة فهذا لك . اما انا فـأُوفي ما لأخي لأخي وما للجار للجار .

دارم : حذار ايها الغرُّ الجاهل. حذار بوادر غضبي فان فار فائره او هاج هائجه فلا الرحم يسكّنه ولا صوت الاخوة يخفض غلواءه .

عاديا : لقد وابي غشك مـا رأيت من حلمي فنسبته الى عجزي وحداثة سني

أو تظن اني اخشى بروق وعيدك او رعود تهديدك . ربيت في الصحراء ولكني ربيت على شريعة الله فلا اخاف سواه فاذا بدا لي امره بل لاح فلا التقريع يمنعني ولا الترهيب يوجفني ولا الموت يوقفني عن سماع صوته . هذا منهج ابيك واجدادك وحسبي .

دارم : اذًا لا تسألني على ان تبعد امرأ القيس .

عاديا : سأبذل دونة مهجة فؤادي .

دارم : سوف ترى يا جاهل نتيجة غرورك .

عاديا : لا اشكو حالًا ما دام العدل مرشدي والشهامة رايتي ولئن تعارض جاري بأذية لتجدني امامك . ولئن ترشقه بسهامك لتلقين صدري تُرساً يردُّ عنه حتى يتحطم (يخرج) .

المشهد السادس

دارم : شهامة شابٍّ غرّ لا يدري ما الدنيا وما فيها . . . سوف نطلعك على ما انت جاهله فلا تحسب انك مُوقفي عن ادراك مناي .

الفصل الاول

رواق في الحصن مُشرف على الصَّحراء

ستة اشهر بعد حوادث المقدمة (الموسم الحولي والسباق) =

المشهد الاول

دارم ومولاهُ مسرور

اثناء المشهد الأول، وخاصة في اوله وقت الغناء، يمرّ امراء في آخر الموسم ذاهبين وراجعين شأن المترحين.

دارم: (يتمشى مهمومًا. تُسمع نغمات آلات الطرب والغناء. ثم تبتعد الاصوات وتخمد). إطربوا وامرحوا. غنوا وارقصوا. فانَّ رنّاتِ مثانيكم ضرباتٌ مؤلمة على اوتار قلبي. ونبراتِ أصواتكم زفراتٌ مُفجعة في صدري: تناشدوا الاشعار. وفاخروا بالانساب. وأطلقوا الاعنّة لجياد القرائح في ميدان المدائح: فوالله إنَّ صوت الناعي لأشهى اليَّ من ترنيم ابياتكم.

مسرور: مولاي مالي اراك اليومَ يومَ الفرح في اضطرابٍ لم أعهدهُ فيك أوَ يُغيظك تبادُر أمراء العرب وعظائهم الى قصركم في الموسم الحوليّ يُحيُّونكم ويقرون لكم بالسيادة على من سواكم.

دارم: مالي؟ مالي؟ ألم تحزر يا مسرور؟ ألم تفهم ألم تقرأ على صفحاتِ وجهي ما يكنُّه صدري وأبي لقد أوهتِ الليالي نورَ بصيرتك فما عدتَ تدرك أسراري وتقفُ بالتفرسِ على غوامض افكاري.

مسرور: إن غاضَ نورُ التبصُّر في عيني يا مولاي. فانّ نارَ الحبّ لم تزل متقدةً في قلبي ولم تُخمد حرارتَها تلك الثلوج التي كوَّرتها الايام على هامتي فاكشف لي عمَّا يُزلزلك عساني أُفرِّجُ عنك بعض ما تجد.

دارم: مسرور كلُّ ما أراه واسمعهُ هنا منذُ رجوعي من الحيرة يُغيظني.

مسرور: عجبًا يا مولاي أما ترى قومنا كأنهم يتسابقون الى اكرامك؟ تغشاكَ أبصارُهم وفي صدورهم تخفقُ القلوب فخرًا وإعجابًا بابنِ سيدهم فانهم

يرون على محيّاك ملامحَ النجابة والشهامة وفي فعالك معالمَ الحكمة والدراية فيقولون أكرم به خلفاً لمولانا السموأل .

دارم : خان الحبُّ بصرك لا ليس الامرُ كما توهمتَ يا مسرور . انا ايضاً لمّا رجعتُ من عند المُنذر بعد اعوام طوال قضيتُها في خدمته أتعلّمُ ما يجبُ على الامير العاقل معرفتهُ حسبتُ أنّ السيادة تنقادُ اليَّ طوعاً . كنتُ أُعلِّلُ النفسَ بالرئاسة فاذا فتى غرٌّ متربعٌ في دَستِ الامارة وابوهُ بعدُ في قيد الحياة يأمرُ وينهى ويعقدُ ويحلُّ وابي طوعُ إرادته . اليهِ تُهدى المطايا وتُزفُّ الهدايا لهُ الحبُّ والاكرام . لهُ التقدمُ في كلِّ نادٍ كأنَّ دارمًا لم يكن كأنَّ دارماً لم يتعبْ سنينَ رغبةً في صوالحهم ولقد صبرتُ حتى اليوم واما الآن فقد طفحَ الاناء . وبلغَ السيلُ الزبى (بشي عانجاً) لا طاقة لي بالاحتمال وان لم تنقلب الحال

مسرور : هدى. بالروع يا مولاي فما عهدتُ قط من عاديا استعلاء على ذويهِ ولا تنسّمتُ من اعماله استخفافاً بأخيه .

دارم : ويحكَ يا مسرور أتقولُ إنَّ عاديا لا يستخفني ? فقد وحياتي وقعتَ انتَ ايضاً في شركِ مداهنته أنسيتَ معارضتهُ لي في أمر الكندي وتعصُّبهُ لعدوّ المُنذر وعدوّي . فقل لي لمَ منعني من القبض على امرئ القيس ? بل لمَ أجارهُ على الرغم مني ? لِمَ جاهرَ على رؤوس الملا بحبه لهذا الامير الضليل حتى حملَ أبي على امداده برجلنا وخيلنا وايصاله الى القيصر أليسَ لانهُ يُريدُ إسقاطَ كلمتي عند المنذر فأصبحَ عاجزًا عن منازعته الامارة ولكني واللهِ لأُرجعنَّ كيدهُ في نحره واعلمنَّهُ انَّ من تصدّى لدارم رجعَ بصفقة خاسر .

مسرور : ماذا تنوي يا مولاي .

دارم : ستُبدي لكَ الايامُ ما أنتَ جاهلٌ . اني بانتظار الطمّاح وقد وعدني بالتلاقي هنا في هذا الرواق وقد أوشكَ أن يَفِدَ علينا مع الاضياف .

مسرور : سيدي لا ترذُل نصيحة عبدٍ امين حذارِ من خداعِ هذا المكار انَّ الافاعي وان لانت ملامسُها عند التقلبِ في انيابها العطبُ .

دارم : اطمئنَّ بالًا فانَّ الدها. لا يُنسيني ما يقتضيهِ الشرف . ها هو قادم فاتركنا وحدنا .

مسرور : (وهو خارج) حفظك الله من مكائد الاشرار

المشهد الثاني

دارم . الطمّاح

الطماح : عِم صباحاً ايها الامير .

دارم : اهلًا بك يا كريم كنتُ أتوقَّعُ قدومكَ بفروغِ صبر .

الطماح : أراكَ مهموماً هلّا تُشاطر أهلكَ الفرح .

دارم : كأنك جاهل دواعي غمومي .

الطماح : (بخبث) وما هي .

دارم : (بتلهف) حبطت مساعيَّ . وذهبت اتعابي ادراج الرياح . فقد أفلتت الطريدةُ من أيدينا . وما أدراكَ مَن اطلق سراحها ؟ نحن نحن اطلقناها .

الطماح : أفلتتْ مِنا امرؤُ القيس ؟

دارم : نعم وهو الآن عند القيصر . بل لعلَّهُ راجع تكاتفهُ الكتائبُ الرومية وتؤازرهُ الفوارس الحميريَّة ليوقع في من عاداه وناواه . ولسوفَ ينقادُ اليهِ الاعرابُ صاغرين ونحنُ واقفون نحرّقُ عليهِ الأرَّم عاجزين ... فاذا عادَ مظفَّرًا فقُل معي على الابلق السلام فانَّ ابنَ حجر لا ينسى ما قابلناهُ بهِ من الاساءة والجفا . . . إنَّ موقفي لحرجٌ يا طمّاح فقد ورّطني تعصُّبي لابن ماء السمآ. واستعصامي بحبلهِ في هوة ليس منها نجاة .

الطماح : (بخبث) لا بأسَ عليكَ أنتَ فإنَّ عاديا لأميرٌ كريم يصفحُ عن الاساءة ولا يحقد على من أهانهُ لا سيما اذا تصاغر وتذلَّل فأرضهِ تعش بالهنا. في كنفهِ يرعاكَ طرفهُ الغضيض ويلحقك من فيضِ نعمهِ ما يكفيك .

دارم : أوَ أرضى انا بالتذلل لأخي وانا أحقُّ بالامر منهُ ؟ لا أُطيقُ المساواةَ بهِ فكيف الخضوع لهُ .

الطماح : إظعَن عن البلاد واذهب الى المُنذر وعش في خدمتهِ .

دارم : وبأي وجه اقابله بعد ما ركن الي واعتمد على مساعدتي له لقد كانت وحقك مواعيدتي كالبرق الخلّب لا أتوقع منه خيراً بعد هذا الفشل .

الطماح : ما الرأي اذاً (سكوت) .

دارم : عبثاً نزحتُ عن الاوطان وعشتُ في الغربة اعواماً ! عبثاً طأطأتُ الرأس وأنا ابنُ الملوك لأنال الحظوة عند ابن مـاء السمآء . عبثاً بذلت الجد واجتهدت في اكتساب المعارف عبثاً عللتُ النفس بترقية قومي الى أوج العلاء . فقد طارت اماني كما طار عصفورٌ عن غصن حط عليه ساعة ثم رام واضمحلت اماني كما اضمحلت الاحلام اذ أشرقت الغزالة . سكرة ايام الصبا أفقتُ منها ولكن القلب من فَقد جلاوتها صريع جريح .

الطماح : ياما أحيلى العيش في الابلق وعاديا يأمر فيه وينهي ياما احيلى العبودة في ظل امرىء القيس واصحابه الروم .

دارم : كفاكَ تهكماً يا طماح أأتيتَ تقرصني بلواسع لسانك ام تؤاسيني في مصابي .

طماح : (على حدة) بلغ الثمر وحان القطاف (الى دارم) وأنت ايها الامير كفاك ندباً وتحسراً فان التلهف بربات الخدور اجدر واما الرجال فالعمل دأبهم واقتحام الاخطار لبلوغ المنى ديدنهم ومناطحة الاقدار شيمتهم فانهض ولا تدع اليأس يستولي عليك فالنجاح بالسعي الدائم مقرون والفوز حليف الاريب الجسور . أوَ تظن أني لم اقف على اعمال امرىء القيس من يوم دخلَ قصركَ . فواللات لم تفتني حركة من حركاته . ولا سكنة من سكناته . ولم يخفَ عليَّ استنجاده بالقيصر وميل الروم اليه . ولكني لا أعبأ بجحافل الروم وكثرتها ولو تكاثفت كالجراد ولو طغت كمياه الفرات .

دارم : لا أفهم المقال .

الطماح : أعرني سمعك هنيهةً رعتك الآلهة ألم يستودعكم امرؤ القيس ماويةَ وأدرعَهُ المشهورة .

دارم : لقد صدقتك الانباء . فابن الكندي وادرعه بين ايدينا .

الطماح : فما قولك ان حصلت الوديعة في ايدي المنذر ? انما تكون درينةً تدفع عنا هجمات امرئ القيس وكتائبه ? واية توقف الكندي في سيره ? فواللات والعزة لن يستطيع حراكاً ما دام ابنه ووحيده في ايدينا .

دارم : قاتلك الله ما ادهاك ولكن الوديعة امنع من عقاب الجو وراء هذه الاسوار الشاهقة فمن يأتيك بها .

الطماح : نطلبها من السموأل فنأخذه اولًا من باب الوعد ونقول لهُ : ان في مؤاخاة المنذر مرافق لا تحصى . وان لهُ في اقارب امرئ القيس أنفسهم لأُسوةً . فقد كانوا أجاروهُ ثم خذلوهُ . وان لم ترُق في عينهِ بوارقُ الامال . قرعنا باب الوعيد فان المنذر جهز عسكرًا جرارًا . تركتهُ بالبطحاء على مسافة مرحلة من الابلق . وهو مستعدٌّ للايقاع بالسموأل اذا أصرَّ على رأيهِ . فقد حلف ليَعفِيَنَّ آثارَ الابلق . او يظفر بابن الكنديّ وأدرعتهِ . والمُنذر اذا أوعدَ فعل .

دارم : هيهات ان يعمل في قلب ابي وعد او وعيد فليس يُسلِّم امانتهُ والابلقُ على جبلنا راسٍ . . . فقد أجارَ الكنديَّ عدوًّا فكيف يخذلُهُ جارًا وصديقًا .

الطماح : ان لم تَغلب فاخلب : هذا قولُ المثل وانَّ في الامثالِ لحكمةً فان أعجزنا ادراكُ الوديعة عفوًا أو عنوةً أخذناها حيلةً فلو رأى الامير دارم ان يدفعها الينا .

دارم : (بحدة) أنا ? لقد أسأت الظن في دارم يا طمّاح . وان لم يكن في جعبتك من الحيل سواها فعليك السلام فما أنا من رجالك .

الطماح : (على حدة) لعنت الآلهة هذا الاصل ما أشرفهُ (بتذلل) حاشايَ ان احمل الامير على الغدر وانما سألتهُ ان يساعدنا على بلوغ غايتنا من تحقيق امالهِ وتمكينه من الامارة بعد السموألِ أبيهِ وماء وجهِهِ مصون ورواء عرضهِ مضمون فحسبنا ألّا تعارضنا اذا مددنا أيدينا الى الوديعة .

دارم : هذا لكم فاني لستُ بحفظها موكّلًا .

الطماح : كفى واللات والعزى لقد نزنا عما قليل يقام السباق الحولي فاذا دعاك ابوك فامتنع انت وكل رجالك واترك عاديا ينزل وحده في الميدان .

دارم : ولِمَ .

الطماح : تعالَ على انفراد اطلعك على ما ارتأيتُ . فانَّ في كتمان السرّ ما استطعنا شرط النجاح وفي هذا المكان لا تأمن الآذان فاني أرى الاضياف يتقاطرون اليه من كل جانب . (يسمع صوت الآلات كأن بابًا فُتح ثم اغلق فيقول على حدة) لأجعلنَّ فرحكم مناحة او تذعنوا لامري .

(يخرج هو ودارم من جهة – ويدخل يزيد ومن معهُ من الجهة المقابلة)

المشهد الثالث

يزيد . والربيع . وفاتك (رسول)

يزيد : (على حدة) الطماح هنا ايَّ دسيسة اتى يدسُّها لا بد من مراقبته (يلتفت الى الرسول) أحقًا تقول أو يكون امير كندة على بضع مراحل من الابلق على معسكر جرار .

فاتك : نعم مولاي وهو الذي أرسلني فطويتُ الفيافي وواليتُ بين السير والسرى لاحمل اليكم البشرى .

الربيع : ومعهُ من العساكر خلقٌ كثير ،

فاتك : عدد لا يحصى ولا عجب لان يوستينيانوس على ما عرفت أظهر لهُ من الاكرام والحفاوة ما لا نهاية وراءه . فلبّى مطالبهُ واقرَّهُ ملكاً على كندة وفلسطين وامدَّهُ بكتائبه ليذلل المصاعب ويُرغم انف كل معاند .

الربيع : أبشر يا أبا زهير بزوال الضيق واقبال الفرج فلسوف يرجع ابن عمك المياه الى مجاريها فاذا بدت اعلامهُ أقبلت اليه كل الاعراب وما تخلف عنهُ احد حتى من كان اشدَّهم لملك الحيرة تعصباً فاندبوا انفسكم يا بني أسد فلسوف تسمعون زئير الليث وقد خلتموهُ فريسةً باردة لانيابكم .

يزيد : أخاف يا ربيع من دارم فانهُ من اشدّ اخصامنا .

الربيع : (يتظاهر بالوداد)

يزيد : نعم . ولكن ما ادراك ما في صدره من الحزازات علينا وعلى اخيه انهُ لكريم غير ان شيطان الحسد والطمع ساطٍ عليه والطماح عدونا واقف له بالمرصاد يستعين به علينا .

الربيع : هيهات ان يقوى علينا . هل اصطاد البعوضُ النسر يوماً او اضطادت كلاب الحي نمراً فلا داعي للقلق والاضطراب . فطب نفساً وشارك ضيفك بافراح موسمه الحولي وتأهب للسباق فقد حانت ساعتهُ .

يزيد : (للرسول) اكتم الخبر خوفاً من مفاجأة مكروه وانا أعلم معاوية (يخرج الرسول) .

المشهد الرابع

يزيد والربيع من جهة . ومن جهة اخرى يدخل عاديا ومعاوية ياتمه

معاوية : بالله عليك يا عاديا لا تسابق .

عاديا : ويحك يا معاوية ما لك ? ما هذا الخوف الذي اعتراك (يرى الربيع ويزيد) هذا عمك والربيع فهلمّ نتقاضى امامها (للزيد والربيع) أما تعجبان لامره فانهُ من ساعة يمانعني عن النزول الى ساحة الميدان ولما سألته لم يبغي اعتزالي عنهُ لم يجب . . . فبحقي عليكما قولا . أيليقُ بي ان انتحى عن المضمار وهذه اول مرة يحلّ لي ان انازل الفرسان فلو طاوعتهُ لحقت بي وصمةُ العار وقالَ الفرسان وقد طالما توقعوا بروزي . انّ عاديا لجبان. أوَ ترضيان لي بالخزي والشنار .

يزيد : ولِمَ يا معاوية يغمك اشتراك عاديا بالسباق .

معاوية : نفسي تحدثني بان ليس وراءهُ خير .

عاديا : أوَ عنّ لك غرابٌ بارح فتشاءمت .

معاوية : لست ممن يعتقد صحّة هذه الخُرافات . غير اني اسمع في اعماق القلب صوتاً يُنذرني بوقوع المكروه .

يزيد : بخٍ بخٍ يا معاوية . أنبيٌّ أنت حتى يأتيك الله بعلم الغيب .

معاوية : لست نبيًّا ولكن ?

الربيع : ولكن ماذا ؟

معاوية : (بتردد) أخاف ان اكدر صفاء نهارك وانغص هنا. شرابك والمي إن بحتُ بما بي أحزنتك بما لا طائل تحته .

عاديا : لا لا بحقي عليك ألّا قلت .

معاوية : منذ برهة وجيزة كنتُ مارّاً بالقرب من هذا الرواق فسمعتُ همس أصوات فخففتُ وطء أقدامي وتطلعتُ فاذا اخوك دارم مع الطماح يتحادثان فخفقَ قلبي جزعاً لاني لا اطيق الاجتماع بعدونا فهممتُ بالهرب إلّا اني وطنت النفس وثبتُّ الجأش عساني اطلع على ما يهمنا معرفته وجعلتُ أُنصتُ لأعي حديثهما فلم ألتقط منهُ الّا شذرات لم افهمها الّا أنها هالتني فسمعتُهما يذكران عاديا وامرئ القيس والمنذر والسباق وهما مغضبان فخفتُ عليك يا اخي .

عاديا : أهذا الذي أقلقَ راحتك .

معاوية : أي وأبي فمن وقتها زال فرحي فاتعبت النفس لانفي الكرب عني فلم أنجح.

يزيد : أوهامٌ يا بني فلا تستسلم لهذه الهواجس واياك خاصةً ان تُظهر لدارم انك على ريبة من أمره (على حدة) ليس الامر كما أجاهر به فاني لا آمن مكائد الطماح عدوّنا .

عاديا : أوَ ترتب بأخي يا معاوية . سامحكَ الله . فانّ دارماً وان كان غضوباً إلّا انهُ كريمٌ شريف النفس . واما الطماح فهو عاجزٌ عن مسّي بأذى.

معاوية : صدقت ولهذا ما كنتُ لأجسرُ على الكلام لولا الحاحك عليّ بالسؤال.

عاديا : فاذا لم يكن لحزنكَ سببٌ غير ما ذكرت فقد اطمأنت نفسي وطابت فهيّا الى الميدان ودونك القوم اقتربوا لإعلام السباق .

المشهد الخامس

يدخل السموأل مع دارم . والفرسان والطماح

السموأل : قد جرت العادة ايها الاسياد منذ بني الابلق ان تقام بالقرب منها سوق حولية يتقاطر اليها اهل الحضر والوبر يبيعون ويشترون . ثم يجري

في ختامها سباق فيبادر امراء العرب وفرسانها بالخيول المطهمة وينزلون في ساحة الميدان مفاخرين بكريم جيادهم ومتنافسين بجودة فروسيتهم فيزداد موسمُنا نفعاً وعيدنا بهجة ورونقاً . وكان قد حان وقتُ السباق فمن منكم ايها الفرسان أراد النزول في المضمار فليبرُز ويُعلم باسمه واسم جواده على مشهدٍ منا ومسمع .

الفارس الاول : أنا أبو اياس بن قبيصة نثني ماوك الحيرة ولي في الحروب مواقع شهيرة . لأمت بين قومي الغوث وجديلة . وأزلتُ الشرّ من العشيرة . وفرسي جناح .

صافي الاديم كأن البرق غرّتُهُ	رحبُ اللبان أشمُّ الانفِ والقصبِ
كأسٍ من الليلِ بالظلماءِ ملتحفٌ	لكنّما زانهُ التحجيلُ بالحببِ
يكادُ يسبقُ لحظَ العين كيف جرى	فما يدانيه مَرُّ الريح بالخببِ

السموأل : أكرِم بك فارساً حسيباً . واكرِم به جواداً اصيلاً .

الفارس الثاني : أنا ابو نصر البراق بن روحان .

انا ابنُ السُمرِ من سعفي نزارٍ	كريمُ العرضِ معروفُ النجار

وفرسي الكُميت :

كُميتٌ كلون الارجوانِ نشرتَهُ	لبيعٍ ازدهاء في الصوان المكعّبِ
لهُ حرّتانِ تعرفُ العتقَ فيهما	كسامعتي مذعورةٍ وسطَ ربربِ
اخو ثقةٍ لا يلعنُ الحيَّ شخصُهُ	صبورٌ على العلّاتِ غيرُ مسبَّبِ

السموأل : ما تركتَ لسيدٍ فخراً يا أشرفَ نزار .

الفارس الثالث : أنا أبو بُجير الحارث عبّادُ بن قيس ابي وثعلبة عشيرتي قد اشتهرتُ مراهقاً في حربِ سدوس ووليتُ شاباً على بني ضُبيعة قبل حرب البسوس ـ شهدتُ يوم خزاز . وأبليتُ فيه أحسنَ بلاء . وفرسي النعامة :

تجري فتكبو الريحُ في غاياتها	حسرى تلوذ بجراثيم السما
لو اعتسفتُ الارضَ فوقَ متنها	أجوبُها ما خفتُ ان تشكو الجوى
ترضخُ بالبيد الحصى فان رقت	الى الربى أورت بها نارَ الحبا

السموأل : ويلَ الذي يسابقُ النعامة يا سيد ثعلبة . فكيف يرجى ان يكون

مُجليا . غيرَ ان الحكمة ميدانٌ لا يجاريك فيه فارس . وانت القائل

كلُّ شيءٍ مصيرهُ للزوالِ غير ربي وصالح الاعمالِ

عاديا : (وقد انتظر دقيقة يبرز) أوَ أنتسب .

السموأل : هذه العادة يا بنيّ .

عاديا : أنا ابنُ السموأل وحسبي .

الكل : ونعمَ النسب .

معاوية : إن أوجزَ عاديا فعليَّ أنا أن أُطنب إن اذنَ الامير .

السموأل : هذا لك يا ابن امير الشعراء :

معاوية : وإنَّ بني الديّانِ قطبٌ لقومهم تدورُ رحاهم حولهم وتجولُ
اذا سيدٌ منكم خلا قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ
وما أخمدتْ نارٌ لكم دون طارقٍ ولا ذمّكم في النازلين نزيلُ
وايامكم مشهورةٌ في عدوّكم لها غررٌ معلومةٌ وحجولُ

السموأل : لا فُضَّ فوك يا ابن الملوك الاعاظم . فانَّ شعركَ مثل غنائك رقّة وعذوبة .

عاديا : وفرسي ذو العقال :

لهُ ايطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وارخاءُ سرحان وتقريبُ تتفلِ
على الذبل جيّاشٌ كأنَّ اهتزازه اذا جاش فيه حميهُ غلي مرجلِ
مكرٌّ مفرٌّ مقبلٌ مدبرٌ معاً كجلمود صخرٍ حطهُ السيلُ من علِ

السموأل : هذا فرسُ امرئ القيس .

يزيد : ومن احق به من هذا الجواد ابن الاجاويد سادة تيماء .

السموأل : (لدارم) وانتَ يا بني ألا تُسابق ؟

دارم : لا تطيبُ نفسي بذلك .

الطماح : ألمْ يشكوهُ فاعذرهُ مولاي .

السموأل : قد كان بودّي لو رأيتُ ولديَّ في الميدان يتسابقان كفرسي رهان (يلتفت الى الفرسان) أما بقي أحدٌ يريدُ النزال (سكوت) وانت يا أبا فراس ألا تُنازل .

الطماح : لو لم يخط المشيبُ رأسي لما تركتُ أحداً يسبقني الى المضمار ولكنْ

لأمثالنا ميداناً آخر أحبّ اليهم .

يزيد : (على حدة) ميدان الدسائس والمكر .

السموأل : نُعلنُ على وجوه الملا أنا جعلنا الحكم يزيد بن معاوية والمدى خمسين غلوةً من كعب الجبل الى ذات الإصاد حيث بركة ماء . والسابق أولُ الخيل يكرعُ فيها . أرضيتم بالشروط .

المسابقون : (يعدون الايدي) رضينا .

السموأل : (للباقين) أأنتم عليهم شهود .

الكل : شهدنا .

السموأل : فهيا بنا الى الميدان .

عاديا : (يذهب ويقبّل يدي ابيه)

السموأل : سر على بركة الله يا بُني . وليكن الفوزُ حلفك .

عاديا : (لمعاوية) أدعُ لي بالتوفيق .

معاوية : وقاك الله من شرك اللئام (يخرج الكل)

المشهد السادس

يبقى السموأل والطماح

الطماح : ايها الامير إيذن لي بالكلام .

السموأل : الآن وقد حان السباق .

الطماح : لا بد منهُ فان غيرتي على صوالحكم لا تسمحُ لي بالانتظار اذ الخطبُ جسيم وتلافي ما أتوقعهُ من الشر فرضٌ واجب على كل عاقل بصير .

السموأل : قُل ما بدا لك .

الطماح : ان ابن ماء السماء ارسلني اليك بمهمة جليلة .

السموأل : أأتيتَ تحادثني بأمر الكندي .

ط : نعم .

س : لقد خلنا المسألة تمت او كادت .

ط : غركم ايها الامير اصطبار المنذر فنسبتموهُ الى النسيان او التهامل . لا واللات لم يكن ليتغافلَ عنكم . لما علمَ انكم أجرتمُ الكندي أبرقَ وأرعد واخذ يتوعدكم ولو لم الطف الامر وأخفف الجرم لكان أتبعَ الفعلَ الوعيد وناجزكم حرباً تبيدكم عن آخركم فلما انطفأت جمرةُ غضبه قال لي عفوتُ عن ابن عاديا وتناسيتُ صنيعَهُ مع عدوي وسأرجعُ اليه مودّتي على شريطة يُسلمني ابن امرىء القيس يكونُ عندي رهناً ويدفعُ الي ادرعَهُ المشهورة أستعينُ بها على أعدائي والا فليعلم ان ملك الحيرة .

س : (لا يمالك غضباً) أهذا أتيتَ يا طاح ؟ (يسمع صوت الطبول) .

ط : اصطف الفرسان في الحلبة الاولى .

س : كان الاجدرُ بك ان لا تفاتحني بهذا الحديث . ويلكَ أعلى السموألِ تعرضُ الخيانة ؟ أإياهُ تُغري بالمواعيد حتى يخفرَ ذمتَهُ ويسلّمَ جارَهُ أبعد ما لاح بمفرقي المشيب وذوى غصنُ الحياة النضير أرغبُ في الخنا ؟ لا واللهِ ولأن أتدثّر الثرى وألبس الفقر حلةً أحبُّ اليَّ من تدنيس عرضي فانهُ .

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

فامسك ولا تراجعني في المسألة .

ط : (يسمع صوت الطبول) يستعد الفرسان — ايها الامير أتيتُك ناصحاً فان لم تنتصح . . .

س : أوَ تهديدًا .

ط : لا تغترَّ ايها الامير فلا حصن ينجيك من غضب المنذر ولا يد تنتشلك من العطب اذا عثرت (يدق الطبول ثالث مرة) ركضوا — يا ابن عاديا هلّا تسلّم الوديعة .

س : وراءك يا لئيم فوالله لولا حرمة الضيف لمدتُ بك وصنعت .

ط : (يبتعد شيئاً فشيئاً الى الباب) يا مغرور نجّ ولدك عاديا . فهو في قبضتي (ثم يختفي) .

س : غدرٌ ! ثكلتك امك يا للطاح . . . (سكوت) ويلي كلُّ رجالنا في خارج الحصن . . . يا دارم (يسقط على المقعد) ربي . . نجّ ولدي .

الفصل الثاني

في الحصن في بيت السلاح

المشهد الاول

شجاع مسرور سلمان فاتك . نصيب (جنود يحملون السلاح)
(بينما سلمان وفاتك يلعبان بالسيف والترس)

شجاع : عافاك الله يا سلمان ان لك ضرباً يقد الصخر قدّاً .

سلمان : (وقد انتهى من اللعب) حذار يا ذئـاب الطماح بطش هؤلاء الاسود . (يقترب الكل) .

مسرور : لقد طال انتظارُنا الفرسان فهذا اليوم الثالث منذُ أنفذ السموأل السريّة في طلب الطماح واستنسام اخبار عاديا وحتى الآن لم يبلغنا عن احوالها شيء . وانّ في ذلك لعجباً لان يزيد ابن عم الكندي فـارس مغوار له الباع الطولى في الحروب والغزوات .

فاتك : ان ابطاءهم نذير الشؤم .

شجاع : وَاثـكلَ أماه كيف انقلبت الافراح اتراحاً والعزُّ والدلالُ ذلّا واذلالا . كان سيدُنا عاديا يخطرُ بيننا يوم السباق والوجه مُشرقٌ والثغر باسمٌ . واللسان بالثنا. على الكبير والصغير ناطق فـما جال جولة خارج الحصن الّا وهو أسيرٌ عانٍ . ولعلهُ واسفاه ذبيحٌ عاجل .

نصيب : تعساً لنا كيف اختطفَ الذئب مولانا من بين ايدينا ونحن عن منعهِ عاجزون . فوحق السموأل يا شجاع لقد كان عجزنا اشد نكايةً لنا من اختطاف عاديا .

شجاع : كنت انا أشهد السباق في عددٍ ليس بيسيرٍ من الرجال الّا انهم كلّهم اعزال . فرأيتُ عاديا على جوادهِ ذي العقال . فللهِ درهُ ما كان أفرسَهُ لما أرسلتِ الخيل وأخذت تنهبُ الارضَ نهباً تظاهرَ عاديا بالتقصير حتى رثى لحـالهِ الحضور غير انهُ ما عتم ان صاحَ بفرسهِ فطارَ حتى خلنـا

ان له جناحاً فضجَّ الجميعُ إعجاباً . وإنَّا لكذلك اذ أغارَ فارسٌ لم يكن في بادئ الامر فتثبتُّ فاذا هو الطماح فلما بدا لاقتهُ على بعدٍ منا كوكبةٌ من الفرسان ففصلوا عاديا ووارَوهُ وقفلوا راجعين ونحنُ واقفون كأن على رؤوسنا الطير لا نُبدي حراكاً فما أفقنا من حيرتنا حتى غاب عاديا وخاطفوه وتوغلوا في الصحراء. فوحق مولانا بكيتُ غضباً وما عهدي بقلبي خوّاراً ضعيفاً .

نصيب : تمنعنا أسوارنا من حد النصال ولا تدفع عنا مكائد الاشرار

شجاع : ومن ذلك اليوم المشؤوم لم يذقِ السموأل طعمَ الراحة ففي النهار يطلب الاعتزال وعند المساء يرقى الى الرواق الاعلى فيحيي الليل كأنهُ في السهر غائصاً في لجج الهموم فكأنهُ في العالم وليس من اهليه وفي الحصن وليسَ من ساكنيه وقد حاولتُ مراراً ان أخفف عنهُ ثقل همومه وحرقة غمومه فابى ان يتعزى .

سلمان : وليسَ مولانا وحدهُ حزيناً فان الغم شامل . وكأنهُ أرخى سدول ظلماته على القصر حتى خلت ان بهِ مأتمٌ وحيدٍ لابيه .

فاتك : ما أصبتَ يا سلمان لم يشمل الاسى كل الافئدة .

مسرور : (متأثراً) ما عنيتَ يا هذا .

فاتك : أقولُ ما أقول ان تكن نارُ الجوى كل الافئدة فقد إخالُها اغفلت قلب من بالتحسُّر والتلهف اجدر منّا .

مسرور : ومن هوذا .

فاتك : هو هو دارم .

مسرور : شلت يمينك والله ان عُدتَ فشنَّعتَ على مولاي لأضربنك ضربةً تتذكرها العمرَ كلهُ .

سلمان : دَعهُ يا مسرور فانه ... (يرى دارماً مقبلاً) صه هذا سيدنا دارم .

المشهد الثاني

يدخل دارم يقف الكل

دارم : هل الرجال أخذوا أُهبتهم للقتال فان الحرب دارت رحاها واخاف ان يكون الابلق لُهاها فاسهروا حتى اذا ما حانت الساعة كان كل واحد منكم رهن الاشارة .

مسرور : كلنا مولاي طوع اوامرك .

دارم : لا تهابوا يا ابطال جحافل العدو وكثرة عدده .

يعيّرُنا أنّا قليـلٌ عديدُنا فقلتُ لهُ ان الكرامَ قليـلُ

فاتك : دمُنا في سبيل مولانا عاديا حلال .

نصيب : والهناء علينا حرام ما دام عاديا اسير اللئام .

دارم : ارجعوا الى العمل (يتركهم في مؤخر المرسح ويأتي الى الامام) عاديا عاديا . آه آه لا ينفكُ ذكرُهُ في صدورهم واسمُهُ على شفاههم . لقد وأبي سحرَ عقولهم وسبي قلوبهم فقد بالغتُ منذُ ثلاثة ايام في مداراتهم ومصانعتهم علهم ينسون اخي ويأنسونَ بي فاخفقَ سعيي . لعمري لم يعصِ احدُهم لي امرًا غير اني لم اجد الى قلب احدٍ منهم مدخلًا .. صبرًا يا دارم فلسوفَ يقلبون ظهرَ المجن اذا ما آلَ الامرُ اليك .. ولقد أوشك أن يزول . ألستَ السيد المطاع منذ ثلاثـة ايام هل لك في الحصن عدلٌ فالرجال طوع بنانك وأبوك لا يورد ولا يُصدِر الّا عن رأيك والمنذر حليفك وولي نعمتك واخوكَ اذا رجع بعد تسليم الوديعة وانكسار امرئ القيس لا يكون الا كأحد مواليك فاهنأ ... ومع ذلك لا أجدُ ابي كما أحب فـلا أراهُ يهشُّ لي ولا يرتاحُ الي ولا يتعزى بحضوري . أو يرتاب بي لا لكنهُ من فراق عزيزهِ حزين ولا عجب فان الخطب جسيم والجرح حديث أليم سيندملُ اذا رجع عاديا ولا اخالهُ الا راجعاً لان ابي لا يعارضني بعد هذه الضربة المؤلمة (يدخل معاوية ثم يولي عندما يرى دارمًا)

المشهد الثالث

دارم ومعاوية . والفرسان في آخر المرسح

معاوية : (وهو داخل) دارمُ هنا آه لا أحبُّ الالتقاء بهذا الرجل

دارم : لِمَ تبتعد يا غلام أوَ يهولكَ دارم ؟

معاوية : عذرًا ايها الامير . ظننتُ عمي يزيد رجعَ من غزوتهِ فأتيتهُ مستخبرًا عن عاديا .

دارم : أراكَ مهمومًا جدًا لما حل بأخي .

معاوية : ليس همي اقلَّ من همكَ ايها الامير . فان يربطكَ واياه الرحم فقد أُوثقت بيني وبينهُ عرى الاخاء . آه ليتني افديهِ بدمي .

دارم : أوَ صدقًا تقول .

معاوية : اي وحق الأمير ولو بذلتُ دونهُ الف روح لما كان هذا الا نزرًا قليلًا في جانب ما بذلهُ في سبيلنا . كنتُ طريدًا فآواني . مظلومًا فأجارني . وقعتُ في وهاد الذل فانتشلني وعزز مقامي أفيجوز ان انساه . لا يا اخي لستُ ناسيًا ما طوقتني من المنن ما اختلف العصران وتعاقب البردان .

دارم : (على حدة) أكرِم بهِ غلامًا رقيق العاطفة وفيًّا أوَ تأخذني عليهِ الشفقة ؟ لا تُقدم رجلًا وتؤخر اخرى يا دارم والّا سقطت الدهر . وعلى كل فقد لاتَ حين ندامة (لمعاوية) يُعجبني منكَ الصدقُ والوفا . فابقَ على العهود ما عشت (ويخرج) .

معاوية : يحنُّ على اخيهِ وكنتُ أظنهُ مبغضًا لهُ . ولكن مصيبة عاديا اخذت بمجامع قلبه ولو كان صخرًا جلمودًا لأذابتهُ ... كانَ يحسُنُ بي أن اسأَلهُ عن سبب اختطاف عاديا لكان أطلعني على مكائد الطماح آه أشعرُ بقلبي يتفطرُ غمًّا لجلي بما يدسهُ اعداؤنا .

المشهد الرابع

الاشخاص عينهم . يدخل يزيد والربيع وفرسان

معاوية : عمي يزيد (يهجم عليه) اخي عاديا قل لي أرأيته . وهل يأتي عما قريب ؟

يزيد : انشاء الله .

شجاع : سيدي أرى اليأس على وجهك الكريم .

يزيد : أخفقت مساعينا فمنذ تركناكم سرنا الليل والنهار وطفنا في الصحراء نتقصى أرجاءها ونستكشف أردافها واعجازها لنقف على اثر الحطفة اللئام . فما عنَّ لنا حي . ولا رأينا لهم على الثرى اثرًا . فقد عفت الرياح حتى مواطئ الاقدام . . . آه ليتنا لاقينا العدو بجحافله الجرارة . اذن لكنا هجمنا عليه مع قلة عديدنا ومُتنا ضحية مجيتنا الكريم .

معاوية : يا ربّ ارفق بنا . . اما قلت لكم يا عماه ليس وراء ذلك السباق خير .

يزيد : صدقت اوهامك يا بني (يمشي بتحسر) ما العمل . ما العمل . ماذا اجيب السموأل ؟

شجاع : ما زال منذ سفركم مشرفًا على الصحراء يتفقدكم ولا احسبه الا مقبلًا يستخبر .

الربيع : ويل السموأل ما أشأم ما كان عليه قدومنا .

المشهد الخامس

(يدخل السموأل يتهادى - يقدمون له كرسيًا فيرتقي عليه)

السموأل : رأيتكم قادمين فبادرت فما وراءكم ؟

يزيد : (بحرقة) لم نقف لهم على اثر .

س : لله ما هذه الخيانة (ليزيد والربيع) ابقيا (للباقين) انتم اتركونا .

المشهد السادس

السموأل . يزيد . الربيع

س : أراني كمن دارت به الارض . فلا ادري اين المتجه وعلام المعوَّل . انا في حصني أمنع من عقاب السما ... وولدي ومهجة فؤادي يختطفه من بين يديَّ قوم لئام أنذال ولا اعرف مــا آل اليه امره . يتهددني عبدُ المنذر في قصري ويتبع الفعل بالوعيد وانا عاجز عن مجازاته على ما جنت يداه ويل امك يا ابن عاديا تقول . جارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل . فما أحراك بان تكذَّب وما احراك بان تسمع قهقهــة العداة يصيحون بك يا عزيز الجار ويا حامي الذمــار إرعَ ولدك . صدقوا وأبي صدقوا . يا للخزي يا للعار . أأبوحن بسري يا يزيد تحدثني النفس أن يد دارم في هذه الدسيسة .

يزيد : دارم ؟ ولكنه اول من غضب لاخيه وحنق على الطماح وكتب اليه . أن رُدَّ عاديا والا أوقعت بك . وهو الذي سيَّر الطليعة التي تقدمتها وامر رجالكم بان يستعدوا للحرب . فكيف يكون متواطئاً مع عدونا ؟

س : صدقت يا يزيد . وهذا ما ينفي عني العلم الاكيد بخيانته . غير اني لا استطيع ان ادفع عني الارتياب . فان هناك ظروفاً كلما تبصَّرت فيها لاح لي أن يداً اثيمة نسجت سداها ولحمتها .

الربيع : سيدي لا تدع غياهب الشبهات تسطو على عقلك .

يزيد : ان دارماً كريم وابن كريم فلم يكن ليضع زنده في وعاء اللئام .

س : ان الحسد يفسد الطباع اشرفها والاخلاق اسماهــا يا يزيد . وان دارماً تغلي في فؤاده مراجل الحسد فكم مرةً رمقته فرأيت وجهه يتقطب اذا ما فاز عاديا بغلبة . او حاز شرفاً . فبينا الكل يلهجون بالثنــاء الطيب على عاديا اذ هو وحده يلسعه بقوارص لسانه . وعاديا مع ذلك لا ينفك يداريه ويداليه . فكيف لا اخاف ان يتغلب شيطان الحسد على دارم فيحمله على ما يأباه الشرف وينهى عنه الله .

الربيع: معاذ الله ان يتورط ابنك في مثل هذه الآثام .

س : أعجب منكما كيف تناضلان عن دارم وانتما عالمان بما يضمر لكم من الشر .

يزيد : نبذنا الشر ظهريًا ايها الامير وقد تذكرنا ان دارماً ابن السموأل مجيرنا الكريم .

س : جازاكما الله عني خيرًا نعم ان دارماً ولدي والولد على ما نشأ ابوه عليه فهل ينبت الغدر في مغرس الكرم والوفاء .

شجاع: سيدي هذا رسول الطماح على الباب يستأذن عليك .

س : رسول الطماح أدخله حالًا عسى ان يكون الشر الذي ينذر بـه اخف من الذي نتوقعه (يخرج شجاع) يا قلب لِمَ تخفق لِمَ تضطرب اهذه اول مرة عضك ناب الزمان .

المشهد السابع

السموأل . يزيد . الربيع . شجاع . الرسول

الرسول: عِم صباحاً ايها المولى الخطير .

س : حييتَ بأمثل من اين آتٍ ؟

الرسول: من عند سيدي الطماح .

س : واين هو ؟

الرسول: لا ادري فقد تركته منذ ثلاث .

يزيد : (على حدة) سحقاً له ما أروغه فهذا ايضاً من دسائسه .

س : عساك تحمل الينا ما يطيب سماعه ؟

الرسول: هاك رسالة سيدي تجد فيها كل ما يهمك معرفته (يقدم الرسالة) .

س : (يقرأ الرسالة) أما بعد فقد نصحتك فلم تنتصح . وحذرتك من غضب المنذر فلم تعبأ بالمقال ونثقت باسوارك المنيعة وابراجك الشاهقة فلا خير لك فيها واليك مـا ينصه سيدي المنذر : اما ان تسلم ابن الكندي

، وادرعه . واما ان يقتل عاديا . فاختر . وقد امهلتك الى غد ساعة يتقلص الظل وترد الابل والسلام (سكوت) يا لله ... إما الثكل وإما الغدر .

يزيد : يا للخيانة .

الربيع : يا للفظاعة .

شجاع : ثكلتك امك يا لعين انك لاقسى من الوحوش الضارية .

س : (يتالك) اسهروا على معاوية ولا تدعوه يخرج من الحصن ولا يدري بشيء . والآن عليّ بدارم فاني اريد ان اخلوَ به .

يزيد : سيدي اموالنا وارواحنا كلها فداك وفدى عزيزك عاديا فلا والله لا نريد ان نكون سبب هلاكه .

س : احسن الظن بنا يا أبن آكل المرار أفتطلب الينا ان نجري على غير ما تمليه المروءة (يخرج الجميع) .

المشهد الثامن

السموأل وحده

س : إمَّا ثكل ... وإمَّا غدر ... فاختر ... وما اختار ... أأن أرى ولدي وحشاشة فؤادي مضرّجاً بدمائه ... أن أقتل أنا ولدي .. ان اطعن بيميني قلبه الرقيق ... ام ان اسلم وديعة جاري ومن ركن الى وفائي دون الملا طرًّا حتى أُسبّ مدى الاحقاب ويقال باع السموأل دينه وفخر آبائه ليشتري هناء عيش قصير ... هذا ما يسومني . حزن دائم او عار لازم ويلك يا طماح من انت أبشرٌ ام قذيف الجحيم ... لا وربي لم يخطر على بال أنسيٍّ ما رأيت . انا ابليس اللعين أملى عليك ما سطرته يدك الشريرة ... اوتحسب انك تغصبني على نقض عهدي وتسليم وديعتي ... ساء ما توهمت فلن يغلب لؤمك كرم السموأل ... هوذا دارم بيده حبل نجاتنا ... ربي ساعدني فقد جعلت عليك اعتمادي ومتكلي .

المشهد التاسع

السموأل . دارم

دارم : دعوتني أبتِ ؟

س : وفد علينا رسول حاملاً جواب الطماح :

دارم : وماذا يقول :

س : خذ واقرأ (يقرأ دارم والسموأل يتفرس به ، سكوت) .

س : (بعد قراءة الكتاب)

دارم : وهل في الامر للتردّد مجال ! يخيّرك المنذر بين مسالمته وحفظ حياة عزيزك وبين تسليمك ابن عدوّه وادرعهُ فكيف يمكنا التوقف .

س : اذًا لا سبيل الى التملّص فإمّا الثكل واما الغدر ولا ثالث بينهما .

دارم : معاذ الله ان أشيرَ عليك بالغدر وابن الغدرُ من ارضاء ملكٍ جبار وانقاذ عاديا من الهلاك وعدتَ الكندي بضيافة ولدهِ وصيانة دروعهِ ما دام الوفاء مستطاعاً أمّا وقد أضحى من المحال فالاخلافُ حلالٌ بل هو لعمرُ الحق ضربة لازبٍ علينا لان به حياة عاديا .

س : وَعدت الكندي ان اجيرهُ حتى من المنذر والحرّ اذا وعد وفى واذا أخلف غدر .

دارم : على الحرّ الوفاء ما لم يكن الوفاء اهراق الدماء .

س : أعجبُ منكم أرباب السياسة كيف تموّهون الباطل وتجاوزنه في معرض الحق . ومتى كان الخوف من الموت للايمان مُبطلاً متى كان حبُّ الحياة للحرمات محللاً ؟ متى كانت منافعنا للعدل والمروءة ميزاناً ؟ او يصبح الشر خيراً لان به سلامتنا او يصبح الظلمُ عدلاً لان به حقن دمائنا . لا وايمُ الله انَّ الشرَّ شرٌّ ولو به أحرازُ الكنوز والظلم ظلم ولو بهِ حياة النفوس . هذا منهجي هذا منهاجُ أجدادك .

دارم : وهل يأمر الله باهدار دمٍ زكي لحفظ الوديعة .

س : ينهى الله عن اتيان المنكر ولو بهِ ملك الارض كلها . أليس هذا ما تعلمتهُ في الحيرة يا ولدي .

دارم : (على حدة) ما هذا الصوت وما هذا التفرس ؟ أَوَ يرتابُ في امري ؟ تعلمتُ مولاي ان حياة الانسان اثمن من قطع حديدية وان وديعــة . تعلّمتُ ان الاب اذا خُيّرَ بين حياة ولدهِ وحياة أجنبي لا يحق له التردد وان . . .

س : (بفاطمه) وان فضّل الاجنبي فقد ظلم ؟ (سكوت) اذن نِعمَ الظلم فادعني ظالماً ان شئت .

دارم : ابتِ أبتِ دَم اخي لا تُهرقهُ .

س : ودم البريء معاوية ألا أحقنهُ ؟ أتنتصبُ أنتَ يومَ الحشر امـام الديان العادل لتغسل عني اثره . . . أتقومُ أنتَ من الاموات لتناضل عني . اذا ما سبّني الخلف وسوّدوا وجهي .

دارم : يا للعجب أأنا دارم أدافع عن حياة اخي . وأبي أبي يأبى الا قتله .

س : ان كانت حياة اخيك عزيزةً على قلبك فنجهِ واياي .

دارم : قُل كلمة يرجعْ وندك .

س : ويُداس شرفي ويُدنّس عرضي لا لا يا دارم مـالي وأهلي وولدي ولا عرضي ولأن اموت ثاكلاً خيرٌ من أحيا ظالماً هذه عزيتي لا انثني عنها ابدًا وان أردت اسعافي فاسعَ في ارجاع اخيك تنل رضاي .

دارم : (على حدة) واحيرتاه ما كان هذا في الحسبان .

س : ما لك صامتاً يا دارم . . . آه اجبني قُل لي ابتِ انا مُرجعٌ اخي بيدك في يدي فهذه اول مرة تنازل السموألُ فـأل . وإلّا أيقنت ان يد ابني دارم في المكيدة التي وقع فيها عاديا .

دارم : رباه . . . سيدي أوَ يُخالجك ريب .

س : لعلي ظالمك لكن الشك يمزقُ احشائي فاسع لي ورقَ حالي . . . تراكمت الشبهات في عقلي وكلما حاولتُ كشفها ازداد تكاثفها فانا بينها كالغارق

في لجج البحار كلما اراد مقاومتها غطّته بعباب تيارها حتى اذا خارت قواه كفنته باكفانها المائمة وبحّته جثة باردة على شواطئها . يا دارم يا بنيّ لا يكوننّ هذا مثلي . بدّد هذه الغيوم المتلبدة هدئ هذه الامواج الثائرة في قلبي. قُل لي انها اوهام وارجع أخاك . . .ألا تجيب.

دارم : لا أرى الى ارجاع والدك غير ما ذكر الطماح سبيلًا .

س : كفاني كفاني تذللًا امام ولدي كفاني تردُّدًا . لقد انجلت الحقيقة امام عيني . لا يا مصانع لا يا مخاتل . لا همَّ لك باخيك وانما همك ابعاده عن الامارة واستلام زمامها بعدي . انت تعلمُ حق العلم ان رجوع امرئ القيس ابطال سلطة ابن ماء السماء. انتَ تعلم ان الكندي عاجز عن بلوغ مآربه ان كان وحيده وخافهُ في قبضة ملك الحيرة . هذا ما يحملك على السعي في تسليمه لصاحبك واسترجاع اخيك . . . ما لك تضطرب أتراني لم افهم مكائدكم .

دارم : يا الله . . سيدي . . أوَ تظن .

س : حسبك دهاء اي والله لولاك لما نجحت دسيسة الطماح .

دارم : وحقك يا سيدي دمي فداء اخي عاديا .

س : دمك فداء اخيك عاديا ؟ انا أنتَ قاتله .

دارم : ابتِ .

س : لا تتغاضَ لا تتجاهل أنتَ أنتَ رميتَ اخاك في الورطة التي سقط فيها . لا تحسبني اعمى اصم لا أبصر ولا اسمع ؟ لماذا كنت مشتغلًا مع الطماح يوم السباق ؟ لماذا لم تنزل في الميدان بعدما كنت عولت عليه . لِمَ منعتَ فرساننا من اللحاق بالغادر ؟ لِمَ أبيتَ تضرعي . أي وأبي لانتَ الجاني . لأنتَ تحسُد أخاك فأردتَ ان تتخلص منهُ . ليصفو لك الجو وتصبح الخلف الوحيد في الامارة .

دارم : (يقاطعه) ابتِ ابتِ .

س : فلا وحق من بسط السماء لا وتربة أجدادي لا ودم عاديا الذي تتلطخ

به لا اعرفك وانا منك بري. سيموت عاديا سألحقه انا الى القبر ولكني أسلّم الوديعة لصاحبها . واما انتَ يا ولدًا عاقًا فلا تفيدك مكيدتك ذرةً . تراني شيخًا عاجزًا عن ارغامك ولكن الله جعلَ بيدي سيفًا قاطعًا سيف نقمته (دارم يتضرع : رحماك رحماك) فان لم ترعوِ فاخشَ قوارعَه . اخشَ حكمهُ اخشَ لعنتهُ . لعنة قاين على قاتل اخيه ومدنس عرض ابيه (يخرج)

المشهد العاشر

دارم (وحده)

(يتبع اباه وهو خارج حتى الكوليس) ابتِ مهلًا مهلًا . بحق عاديا لا تلعنّي لم اقصد قتل اخي انما طلبت اعلاء شأنك فآل الامرُ الى ما لم يكن في الحسبان

(ابوه لا يجيبه فيرجع دارم الى المرسح) عبثًا انادي . . . عبثًا اتضرع . عبثًا ابكي . قُضي الأمر . لعنة قايين على قاتل اخيه. لعنة ابي عليَّ لعنة دائمة يا لله. يا للفظاعة . يا للخمل الباهظ هذه ثمرة طمعي لا كانت ساعة سمعت قولك يا طماح السوء .

(متهيجًا) آه ماذا اشعر بيد حامية رسوم كاوية على جبهتي احرف نارية قايين قايين .(ينطي رأسه ، بعد سكوت) ما العمل لا استطيع للسكوت هنا اينما ذهبت لعنني رجال ابي ابن المنذر أأرجعُ الى المنذر أأنزح الى البلاد البعيدة أأتوغل في الصحراء. ولكن اللعنة ترافقني فهي مسطرة على وجهي ويلاه راسي راسي (سكوت)

(يسمع صوت غناء نشيد) على الله جعلت اتكالي فهو ابو اليتيم وملجأ الضعيف . على الله جعلت اعتمادي فهو يصغي الى صلاة الصديق البائس ولا يرذل تضرع الاثيم التائب انه الرحيم الغفور .

(يردد كلام النشيد) انه الرحيم الغفور صدق انه الرحيم الغفور خاطر يخطر في بالي وان سعيت في تخليص عاديا. . .هلا تعفي يد الرحمة ما سطرت يد النقمة (يبقى متأملًا فرحًا ويسدل الستار)

الفصل الثالث

في معسكر الطمّاح

المشهد الاول

بالقرب من خباء عاديا   الطماح وحده

الطماح: لقد واللات نجحت دسيستي فوقع العصفور في شركي كيف رأيت يا سموأل دهاني أوَ تعترف الان ان مَن عاندني انزلت به العار؟ لا بدَّ من اذلالك ايها العاتي او تذعن صاغرًا لاوامري.. ان ابن امرئ القيس وادرعه وسيلتي لنيـل العلى فلِمَ تقف في سبيلي لِمَ تحول دون مرامي ولكن ان أبى تسليم الوديعة ... لست احسبه فاقد اللب والرُشد حتى يتردّد في الاختيار بين ابنه وجاره ولكن إن أبى.. إن حملته عزّة النفس على تضحية ولده في سبيل الوفا... أأقتلنَّ الولد ودارم اخوه له عند المنذر المنزلة الرفيعة ؟.. اذًا يا طماح اترك ما طمحت اليه نفسك من المعالي... إنس ما قاله لك المنذر: ابن الكندي ودروعه ولك المنزلة الثانية بعدي في مملكتي. إنس الوعد وأرض بالذل. غدًا تُصبحُ أحدوثة يهزأ منك البدوُ والحضر: هذا الطماح حسبناه داهيةً فإذا هو اسخف الناس رأيًا. واللات والعزّى لأحققنَّ أمانيَّ وان سالت الدما... لو استعنت بعاديا ايضًا على ابيه هذا منتهى الدها.. أتوعَّده فاذا هلبني طالب الى ابيه ان يرحمه ولا شكَّ ان دمعةً من مقلته ترجع الشيخ عن قوله (يصرخ) يا غلمان (يدخل غلام) عليَّ بالاسير حالًا.

الغلام: سمعًا وطاعةً سيدي (يخرج).

طماح: تُرى باي وجه ألاقيه فاني منذ اختطفته أتحاشاه... ثبت الجأش يا طماح... أوَيروعك منظر فتى اعزل ولكنَّ للنفوس النقية هيبةً تحمي عرضها وتمنع ضعفها.

المشهد الثاني

عاديا . طاح

الطاح : اهلًا بالامير .

عاديا : كان يليق بالعبد ان يزور الامير لو شاء القيام بما عليه .

الطاح : (على حدة) سوف نخفض من كبرك يا شاب (لعاديا) لا شك في ذلك ولكني خفت ان الاقي بزيارتي لك ما لا أحب وقد سبق لي ما سبق من قبح الصنيع وسوء الجفاء .

عاديا : اذ تقرّ بإثمك فليتها ندامةٌ صادقة .

طاح : أسأنا اليك ايها الامير ولكنّ للضرورة احكاماً ولولاها ما نغّصنا فرح ذاك اليوم السعيد وقلبنا العيد مأتماً وحرمناك قصبَ السبق في المضمار بل لكنا اول من هناك بالنصر .

عاديا : (على حدة) لا ادري لِمَ تنفر نفسي من هذا الرجل ومداهنته (للطاح) لسنا ممن يُنكر الطاح على من اعترف بإثمه .

طاح : ايها الامير لسنا نريد بك ولا بقومك شرًّا وكيف لا نداريكم وانتم عند سيدي الملك في المحل الرفيع الذي لا يُرام ايجوز للعبد ألّا يكرم من كان الملك يكرمه .

عاديا : ما من احد ينكر ما اولانا المنذر من النعم فليس المقام مقام ذكرها .

طاح : العفو يا كريم دعني اذكرها ليتضح لك ما قابلتموه به من سوء المعاملة .

عاديا : أوَ تعرّض بابي ؟ ويلك ألهذا دعوتني فان كنت تتوقع مني ان اجاريك في هذا الميدان فبئس الظن ظنك .

طاح : لا اعرّض بأبيك وهو الكريم ابن الكرام . وانما خدعه كرمه فخيّل له انه من الامانه معاندة ملك جبّار لاغاثة الملهوف نعم المحافظة على حرمة الجار ولكن بئس الكرم وبئس الوفاء ان كانت عاقبته اغاظة ابن ماء السماء وجرّ الويلات على آل السموأل .

عاديا : نعمَ الكرم ونعمَ الوفاء ولو شربناه بدمائنا . هذا ديدننا يا طماح فان طُبعتم على غير ذلك فهذا لكم واما نحن فقد جرينا ولسوف نجري على ما خطه لنا اباؤنا وعلى كل حال لا سبيل هنا الى تأثيم والدي ولا على الابن ان يقضي على ابيه فدعنا من هذا الحديث .

طماح : لقد فرطت يا فتى وما كنت لاحسبك في هذه الدرجة من الغباوة أَوَتظن أني أتيتُ بك لأكرمك .

عاديا : الحمد لله الذي كشف الرغوة عن الصريح كنت عالماً ان الطماح يروغ كما يروغ الثعلب .

طماح : اريد ان تساعدني على نزع ابن امرئ القيس والادرع من يد السموأل ابيك .

عاديا : انا ؟ لقد اعماك الطمع يا طماح فضلاً عن ان أبي لا يحتاج الى مشورة انسان فالمروءة تُملي عليه ما ينبغي له فعله .

طماح : لا بد من ذلك والا هلكتم .

عاديا : وممن نخاف .

طماح : أَوَتجهل يا غبي عظمة المنذر بن ماء السماء . أَوَتجهل انه ما اقدم على امر الا نجح ولا رمى سهماً الا اصاب أَوَتجهل انه اذا اراد ان يسحقكم لم يحل دون مراده حائل .

عاديا : سوف تتحطم قواه على حصننا المنيع وتتكسر شوكته على اسه الصماء فلا نخشى عسكراً ولا نهاب عدداً .

طماح : عدوك في حصنك يا فتى غرا .

عاديا : كذبت يا عبد السوء ليس في قومنا خائن .

طماح : وسعني شتماً يا ايها المتشامخ بانفه فلأرغمنه بكلمة . عدوك في حصنك عدوك اخوك وهو الذي سلمك ولولاه لما نجحت مكيدتنا .

عاديا : أخي أخي ! ويلاه !

طماح : (يتهقه) اين إباؤك اين عزة النفس . اخوك يده في يد الطماح ابن السموأل

شريك عبد السوء. بل هو اذل منه لان الطماح يسعى على غريب واخا عاديا يسعى في هلاك اخيه .

عاديا : أخي أخي واحرقة الفؤاد !

طماح : كفى ايها الامير تلوعاً بل اعلم اني صدقتك لما قلتُ لك ان اسوارُكم اضعف من ان تخلصكم من ايدي المنذر فلا تتعرضوا للهلاك ولا تتورطوا في المعصية .

عاديا : ان جحد اخي سنن اجداده . ان ضل عن نهج الحق فجرَّه الطمع الى الغدر فاعلم يا طماح ان عاديا وابا عاديا لا يزيغان عن الهدى ولو سقطت السماء على رؤوسنا .

طماح : هذيان .

عاديا : بل قل شهامةٌ لا تسمو اليها نفسك الدنيئة .

طماح : (بغضب) أوأتيت تشتمني وانت في قبضتي ؟ أكتب الى ابيك واطلب اليه ان يعير أذناً صاغيةً لمطالب المنذر والا ذهبت انت ضحية تعصبكم. فإمّا دمك واما الوديعة فاكتب فلا أحسبُ أباكَ يتمنع اذا طلبتَ منه دمك فكّر في الامر وانا راجع اليك بعد هنيهة .

المشهد الثالث

عاديا وحده

عاديا : رباه ماذا طرق آذاني ؟ الموت او تسليم الوديعة . ولكنه لا يقدم على اقتراف هذا الاثم الفظيع وما ادراك يا عاديا ما ادراك ما الطمع في المعالي فقد قتل كثيرين وحملهم على اقتراف الجرائم... والطماح لا يبغي سوى مرضاة ابن ماء السماء. سوف يوقع بك لا محالة . فودع الدنيا يا شقي الحال لقد دنا اجلك ... أأموت وانا بريعان الشباب أأموت ولم اذق من الحياة حلاوتها أأموت واترك ابي وحده . . ولِمَ أتأسف على

الحياة أبعدما دنس اخي عرضنا تتوق نفسي الى هذه الدنيا الدنيئة كنت فيما مضى أتيه بحسبنا وكرم قومنا وكنت أرفع الراس الى الثريا افتخارًا باهلي واما الان فقد زال عزي ومجدي وان طفت بين احياء العرب قالوا هذا اخو الغادر الخائن صاحب الابلق . . . لا تحلو الحياة بعد موت شرفنا مُت يا عاديا مُت فعلى الاقل يكون موتك تكفيرًا عن اثم اخيك فان الله يقبل دم البرئ تعويضًا عن الاثيم .

نجومَ السما مني اليك تحيتي	فاني اراك اليوم آخر مرةٍ
يقولون لي فوق الكواكب جالسٌ	على العرش يرعانا الهُ البريَّةِ
فكم خاص المظلوم من كيد ظالمٍ	وكم خاص المنكوب من شرّ نكبةٍ
عساهُ ينجيني ويرحمُ والدي	هو العادلُ الرحمان ربّ البسيطةِ

المشهد الرابع

عاديا . دارم ومسرور (متنكرين)

(في اخر المشهد السابق يدخل دارم ومسرور متنكرين ويمشيان بتحفظ)

دارم : (على حدة) هو وحده (يقترب يترك مسرورًا للخفر) .

عاديا : (يلتفت في آخر كلامه يرى دارمًا ومسرورًا) من الرجلان لعلهما رسولا النقمة . ما لهما يتحفظان ويتطلعان من كل جهة . . . من انتما ؟

دارم : (يرفع اللثام) اخي عاديا .

عاديا : دارم هنا في هذه الساعة ؟

دارم : انا هو وهذا مسرور عبدي الامين واقفًا بالمرصاد .

عاديا : (برارة قلب) اتيت لا شك لتؤازر الطماح . أتيت تطلب اليَّ ان الحّ على ابي في تسليم الوديعة وانتهاك حرمة الجار . أتيت لترى كيف يموت اخوك ضحية الوفا . بل ضحية مكائدك كنت في غنى عن ذلك فسوف يصفو لك الجو اذا ما غيبني لحدي وأمات الحزن ابي من بعدي

فتصبح انت السيد الاعظم المطاع فاهناً ولكن دعني اموت بسلام .

دارم : (هو عالم بكل شيء) لا اعجبُ من كلامك يا اخي ولأنا احق الناس باستماع قوارص الكلام واحتمال لواذع الملام ولكني ابنُ السموأل وابنُ السموأل كريم ولو غره الطمع ساعةً .

عاديا : اتبت اذًا ؟

دارم : مستغفرًا ومجيرًا وقد أوصلتني العناية الالهية الى مقامك ولم تنتبه لنا العيون فان رجال الطماح يعرفون اني صاحب سيدهم فظنوا اني اتيتُ اليه في بعض مهاتي فما عارضني احد ولكن ليس المُقامُ مقام كلام (يترع رداءه ولثامه) خذ رداني .

عاديا : ما مرادك .

دارم : ... لما رأيتُ ابي متمنماً وما كنتُ اظنهُ يتمنع ويفضّل موتك على تسليم الوديعة ندمتُ على ما جنت يدي وانا لا أريدُ بكَ شرًا وانا بغيت مَرضاة المنذر من كانت له عليَّ الايادي البيضاء . وعزمتُ على نجاتك فالبس رداني واخرج مع منرور فان الخيل قريبة من هنا فيظنك الخُفراء انا فتمضي آمناً وتبلغ الى الابلق سالمًا .

عاديا : سقياً لك يا اخي فاني ظلمتُك .

دارم : عجل يا عزيزي مالك .

عاديا : فات ما فات يا اخي كفاني تعزيةً ان دارماً لم يخن شرف آبائه وكرمَ اصله واما أن أتركك هدفاً للموت بدلًا مني فهذا لا تطاوعني عليه نفسي .

دارم : ليسَ عليَّ خطر فاذا نجوتَ انتَ رجعت انا الى الابلق أَوَ تظنُّ ان الطماح يجسرُ على مسّ شعرة من رأسي وهو يعلم بمحبة المنذر لي . فعجّل واذا وصلتَ الى القصر قل لابيك ان دارماً ... (يقف متأثرًا)

عاديا : ما الكَ .

دارم : آه ما اثقل لعنة الوالدين ... لعنني ابي وتمنّاني تابين .

عاديا : حسرتي عليك يا اخي ما اشدّ ما تقاسي من العذاب ولكن ثق بالله فانه قد تقال عثرتك فما هي الا سكرة ساعة ازالتها الفكرة وكفرت عنها الدموع . واما ابي فلا يلبث ان يرجع اليك صافي مودته فان قلبه لا يزال يحن الى بكر ابنائه .

دارم : سمع الله دعاءك يا أخي ولكن بحياتك عجل بالخروج والا فاتتنا الفرصة ... ما بالك تتردّد ؟

عاديا : يشق عليّ ان ادعك في هذا الوقت الحرج هدفاً لسهام الاعداء بين مخالب المنية .

دارم : لا لا تخف قلت لك ان الطاح عبد ذليل لا يتجرأ على أذيتي .

عاديا : وان طاش سهم ظنك اكون انا سبب هلاكك اولى بنا ان ابقى انا وتذهب انت ساعياً لنجاتي .

دارم : لا حول ولا قوة الا بالله (لاخيه) لا يسعني العمل الا اذا ازحت عن عاتقي الحمل الذي يبهظني فاذا رجعت الى ابي وعرف توبتي واسفي رقّ لحالي وتناسى اثمي وان كان لا بد من سفك الدم فمن اولى بتضحية دمه مني . انا زرعت الشر فعليّ ان احصد الوبال فانجُ بنفسك ولا تطل الوقوف بحق والدنا بحق حبك لي وان ابيت الا البقا . تيقنت انك لم تصفح عن اثمي .

عاديا : أخي ! (يلبس رداء اخيه ويعطيه رداءه)

دارم : بدارِ بدارِ عساك تبشرني بالعفو العاجل .

عاديا : (يقبل اخاه) جعلت فداك من كل مكروه

دارم : عما قريب نلتقي .

عاديا : عما قريب ان شاء الله . (يخرج مع مسرور)

المشهد الخامس

دارم : (وحده ينظر من حيث اختفى اخوه) ها قد خرج من المعسكر فقد نجا آه كان الجبل تزحزح عن عاتقي فاني اشعر من نفسي راحة عدمتها منذ ساعات طوال . . . ارفع الآن عينيك يا دارم الى السما . بلا حيا . فان لك رجاء بانّ الرب غفر اثمك . . . ما احلى هذه الليلة ترى ما للكواكب يزداد لمانها . . . ما لها تراقبني بطرف يحنّ عليّ ويرق لحالي كانها رأت ما فعلتُ تكفيرًا عن خطيئتي فاستصوبته . . . أنيريني يا نجوم السما . تلألأي وقولي لي ان الاله رفع عني غضبه . . . اضيئي على رأس ابي المسكين وبشريه بقرب الملتقى بابنه عاديا . واعذريني واشهدي وقولي . . . اثمَ ابنكَ فتاب . قولي له دمُ السموأل دم طاهر كريم يأبى الدنايا ويؤثرُ المنايا . . (يسمع صوتًا » من القادم ? لا شك ان الطماح آت فان هذا مضربُهُ فعليَّ ان اتجلد حتى يبتعد عاديا فيعجز الطماح عن ادراكه . . ما أحرجَ الموقفَ ولكن لا بأس فان الموت اهون عليَّ من الحياة .

المشهد السادس

دارم . الطماح . رجال

الطماح : اما غرني البصر . . . أأنت هنا ? أنبئتُ أنكَ أتيتَ اليَّ فلما لم تجدني قفلتَ راجعاً مع فارس آخر . . . ما لي اراك وحدك اين الفارس واين عاديا .

دارم : نعم أتيتُ في حاجةٍ اليك واما رفيقي وعاديا فانهما ليسا ببعيدين .

الطماح : أملي انك أتيتَ تُساعدني على نيل بغيتي فان اباك على ما ارى يتمنع من اجابة سؤل الملك ابن ماء السما . وانت تعلم انَّ في تمنُّعه من الخطر عليكم ما لا يفوت الشاب الغرّ فكيف بالشيخ الاديب المحنك فبما بنا نقنع عاديا .

دارم : هذا من المحال لا يسعني مؤازرتك على اتمام مقاصدك ويا ليتني لم أصغِ الى اقوالك الخداعة .

الطاح: لم أعهدك بعد براعةٍ يلويها نفخُ ريحٍ ضعيفة لقد هالك ما رأيت ومـا سمعت في الحصن فخفتَ وجُبنت ولكن ليس هذا وقت جبانة انما هو وقتُ إقدام وقد كدنا نفوز بالمرغوب .

دارم : ليس الندامة جبانة يا طاح .

الطاح: ادعُها بأي اسمٍ شئتَ على انك لا بد لك من الاقدام والا سقطتَ من عيني سيدك ومولاك المُنذر .

دارم : أن أسقطَ في عين المنذر خيرٌ لي من وِزرِ لعنةِ أبي آه أتعلمُ ويحك ما لعنةُ الآباء ؟ هي لعنة الله عينه ... أتدري ما تحتها ... هي الجبـلُ الذي يسحقُ أقوى القلوب وأشدّها . هي العقارب التي تلسعُ النفس بلا انقطاع . . هي الافاعي التي تنهشُ الضمير بأنيابها السامة هي الظلمات تحيطُ بالملعونَ من كلّ جانب فيهيمُ على وجهِهِ . هي الهاوية مفتوحة امام رجليه لتبتلعهُ في كل خطوة يخطوها هي النار وحرُّها هي جهنم ودودها هذا ما شعرتُ بهِ من بعد ما انقدتُ لنصائحك اوَ تظن ان نعمة المنذر او الامارة او الملك بل ملك الارض كلها جديرٌ بان يُشترى بهذا الثمن لا لا وحق من خلق القلوب وطبع فيها مخافتهُ لا وحق الديان العادل الذي تنالنا يد غضبه حتى في هذه الدنيا . فالموتُ احلى من ذاك العذاب .

الطاح: ارجع الى رشدك فماذا ينفعك الندم ؟ اخوك في قبضتي فلا يراهُ ابوك . ألّا اذا رأيتَ بدلًا منه معاوية وادرعَ الكندي .

دارم : أخي ليس في قبضتك . أخي بعيدٌ الآن عنا . فقد أفلتَ أسيرُكَ .

الطاح: واسحقتاه . اذًا خدعتني . لقد انجلت لي الحقيقـة وحرّ سقر لأنتقمن منك شرَّ انتقام . عاديا نجا من أسره . . . واخيبة الآمال (لرجاله) أسرعوا في طلبهِ ! ! ليس بعيدًا عنكم بل انا الحقُ بهِ ولأنتشلنّهُ ولو من بين السماكين (لبعض رجاله) قيدوا عدوَّ سيدكم . . . فواللاتِ ان افلتَ اخوهُ ليذوقنَّ من العذاب امرَّهُ ومن التنكيل اشدَّهُ .

(يخرج مع بعض رجاله . يبقى دارم مع رجلين يقيدانه)

المشهد السابع

.دارم . ورجال الطماح يقيدونه

دارم : الموت لا اخافه . الموت حبذا الخبر . مرارتهُ حلاوة على قلبي فلا الضرب يبوئني ولا الجراح تهولني حرُّ عذابه طلٌّ بارد على نفسي يطهرها من اثمها . ونيرانه مقدسة تزيل عنها أقذارها . . . مجدُ السموأل ما ابهاك مجد السموأل أشرق على الاحقاب فلا عيب فيك الآن . مجد السموأل أضحى في سما الاعراب على ممرّ الاعوام . . فما ليلٌ عليك بجانح ولا كسوفٌ منك دانٍ .

أبيَّ اما ترضى عني ؟ أبطلتُ مكائد الطماح واعجزتهُ عن نيل وديعتك . . . رددتُ اليك ولدك وأرجعتُ شرفك وان أبى عاملُ المنذر الّا الايقاعَ بي فما اني مضحٍّ بحياتي في سبيل الوفا . . . . فارفع الآن يدك وبارك ولدك .

(يجثو ويقع الستار)

الفصل الرابع

رواق في الحصن

المشهد الاول

معاوية وحده يتطلع في الصحراء

معاوية: هذا عسكر الطماح قد أحاط بنا من كل جانب فيا له مَن رجل خبيث قبّح الله وجهه وجازاه شرّ جزاء . . . عاديا اخي عاديا اين انت . لِمَ اختطفك هذا الذئب الضاري . . آه لو ترى كآبة ابيك لمتَّ غمًّا . كل من فراقك حزين حتى فرسك سكاب فانه لم يأكل علفه كأنه يفهم ان صاحبه العزيز اسير اللئام . وأنا أنا . . . آه ما اعجزني عن فك قيودك وارجاعك الى القصر الى ابيك ؟ . . كنت بعد التعب والضنك في أرغد عيش بالقرب من السموأل حتى نسيت مصائب اهلي وصبرت على فراق أبي . . . ولكنَّ هنائي تحوَّل شقاء لا أجسر ان انظر الى السموأل فان منظره يفتت كبدي أمَّا دارم فلا أُطيق حضوره فكأنّي به أصل كل الشرّ . كان شجاع مولى عاديا يسليني فيما مضى واما الان فكأنه يؤنّبني ويقول انت سببُ مصابنا . . . وكلما أردت استكشاف سره تغاضى وأفلت من بين يديّ . . لِمَ يكتمونني الحقيقة . . أوَ أكون انا سبب ما حل بعاديا من الاضرار . . آه لو صح ذلك لكان الموت اهون عليّ من المكوث هنا . لا بد ان اطلع على الامر .

المشهد الثاني

معاوية وشجاع

شجاع: أَما انتبهت يا معاوية الى هذا الغبار المتصاعد في آخر الصحراء ؟

معاوية: غبارٌ أثارته الرياح .

شجاع: لا لا الريح ساكنة انما هذا غبار قوم بل عسكر جرار .

معاوية: أيكون أبي راجعاً من سفره .

شجاع: ما لم يكن المنذر آتياً لنجدة صاحبه اللئيم .. فليأت . فانّ حصننا يهزأ به وبكل جحافله فلا يخشى الا صواعق السما .. وزلازل الجحيم . وان رجالنا كلهم على حضر فلئن حاولوا أخذ الحصن عنوةً لنفنينهم عن آخرهم ضحية عزيزنا عاديا .

معاوية: ليته ابي فانه لا محالة ينجي عاديا وايانا .

شجاع: (هزأ برأسه) تتوهم يا ولدي المحال .

معاوية: لمَ هذا من المحال أما اتانا نبأٌ أن ابي قريب وقد فاز بمرغوبه .

شجاع: امانيك كسراب قفارنا يا معاوية ... صلِّ لعلَّ الله ينقذنا من هذه الضيقة .. فانه يُحب صلاة الصغار (يهمّ بالخروج) .

معاوية: (يمسكه) بالله عليك الا بقيت معي برهةً .

شجاع: مالك ؟.

معاوية: اظهرت لي من الوداد منذ دخولي الحصن ما عمل في فؤادي .. فأريد أعاملك بالمثل .

شجاع: (متأثر) ما أرقَّ هذا الولد ــ يدوم حزني حتى يرجع عاديا .

معاوية: أما من وسيلة الى تخفيف وطأته .. أما تُحبُّ الغناء ؟

شجاع: (على حدة) ما أدهاه ــ فقد اصاب مقاتل فؤادي ــ كيف لا أحبه وقد عشقته منذ صباي حتى لا اجد شيئاً يوازيه ولكن ليس الوقت وقت غناء يا بنيَّ .

معاوية: لعلك تؤثر الإنشاد ... فاني كثيراً ما رأيتك تميل الى الشعر . أفتريد ان أُنشدك بعض ابياتٍ لأبي كما كنت أُنشد عاديا .

شجاع: ابن الملك يقول الشعر ليسلي عبده .

معاوية: دع هذا وقل اتريد ولكن على شرط ان تجيب الى سؤالي .

شجاع: (بفكر) ما عساه يطلب مني ؟

معاوية: ابدأ قصيدة ابي التي مطلعها ألا عِم صباحاً .

شجاع: هذا اشهى شعر اليَّ وقد طالما تقتُ الى سماعه ولم يتسنَّ لي ذلك

معاوية: ارضيتَ بالشرط ؟

شجاع: رضيتُ يا خنَّاس .

معاوية: (ينشد)

ألا عِمْ صباحاً ايها الطلَلُ البالي وهل يَعِمَنْ من كانَ في العُصُر الخالي
وهل يَعِمن الا سعيدٌ مخلَّدٌ قليلُ الهموم ما يبيتُ بأوجالِ

ما قولك في هذا المطلع .

شجاع: لا يجوز ان يكون احسن منه .

معاوية: اسمع الان ما هو احكم وأفخر .

فلو أن ما اسعى لأدنى معيشةٍ كفاني ولم اطلب قليلٌ من المالِ
ولكنما اسعى لمجدٍ مؤثَّلٍ وقد يُدرِكُ المجدَ المؤثَّل امثالي

شجاع: (عند انتهاء الانشاد يقبل يد معاوية). غمرتني افضالك مولاي .

معاوية: لا تنسَ الشرط .

شجاع: قل مولاي فان عبدك طوع يديك :

معاوية: يا شجاع قل لي لِمَ اختطف الطاح عاديا ؟ وما هي مطالبه ؟

شجاع: ويلي خدعني . . . إعفني مولاي هذا سري وسر السموأل .

معاوية : لا لا وعدتَ فقم بوعدك ان كنت كريماً . انا علة كل ذلك . اما اصبت ؟

شجاع: (يطرق ولا يجيب) .

معاوية: سكوتك افصح من كلامك. اذن نحن جررنا الويلات على السموأل . .
لعمري صدق من قال عنا اننا قومٌ أشائم .

شجاع: مولاي ان التقادير . . .

معاوية: وماذا يطلب الطاح قل بالله عليك .

شجاع: يطلب ان يسلمك للنذر تكون عنده رهناً ويسلم ايضاً أدرعكم .
ولكن هيهات ان يرضى سيدنا . استودعك يا مولاي (وهو يبتعد)
يا خداع يا مكار .

المشهد الثالث

معاوية وحده

معاوية: هذا هو السر الذي طالما اجتهدوا بكتمانه ... لله درُّ مروءتهم . لله
شهامة السموأل ! يفضل موت ولده وعزيزه على تسليمنا ... ربي أأضحي
سبب هلاك عاديا ... آه هذا الفكر يمزق فؤادي . مجيري وصاحب
نعمتي يُذيقونه كأس الآلام وانا اعيش هنا في الرغد والتنعُّم ...
لا لا ... أفديك بروحي يا أخي عاديا ساعدني يا رب ... وماذا اقوي
على فعله انا .

المشهد الرابع

يدخل السموأل والربيع وشجاع (يبقى معاوية متنحياً)

السموأل: أما خانك البصر يا شجاع ؟
شجاع: أنذار مولاي .
السموأل: صدقت ... ولكن ماذا يُفيدنا امرؤ القيس اذا وفد يجد ابني عاديا
جثة باردة واباه غارقاً في لجج الاحزان يتوقع ملاقاة ربه بفروغ صبر
(يجلس) يا رب ما اسمى احكامك أجرتُ من كان عاداني غفرتُ لمن
أساء اليَّ فما كان جزائي الا ثكلاً بولدي ... فُجعت بولدي عاديا
فالحقني به يا رب فقد سئمت الحياة .
شجاع: ثق سيدي فان الفرج يأتي من حيث لا ينتظر .
السموأل: واي فرج اتوقع سوى فرج القبر ؟ حياة ولدي بيدي . ولكني لا

استطيع ان اشتريها الا بدم البريء . وخيانة الجار • فبئس الاختيار .
لا لا . وحق خالقي ودياني لست مدنساً عرضي . يا شجاع قل لي انت
تعرف ولدي عاديا . أما يشكو قساوة ابيه . . . أما يتظلم من حكمي
لاني أوثر ابن الغريب الضليل عليه . أما يموت مكموداً . كلما خطر هذا
ببالي شعرت بنار الجوى تكوي احشائي وتذيب عزائمي .

شجاع : سيدي ان ابنك عاديا مستعدٌ لان يموت ميتة صيانة لعرضك وشرفك فلا
يخالجنك في ذلك ريب .

السموأل : لك الشكر مني على حسنٍ ظنك بعاديا . نعم ان عاديا لشهم فهو
يفهم ما اقاسيه . . . لهفي عليك يا ولدي . لقد تمت اعجاباً بك فاقتصَّ
الله مني واراد ابعادك عني فليكن اسمه مباركاً . . . اتت الساعة
والرسول ينتظرُ جوابي يا ابا شقياً أحكم على ولدك بالموت .
(يحمل رأسه بين يديه) .

معاوية : (يتقدم ويجثو على ركبتي الشيخ) سيدي بحق حرمة الجار . لا تسلم ولدك
للموت إرض بطالب المنذر .

السموأل : انت يا بني . . . كيف ذلك . . . قد علمت بالحقيقة .

معاوية : سيدي لا تخيّب املي دمي في سبيلكم حلال .

الربيع : إسلم يا غلام ما اشهمك وانجبك (السموأل يتبع معاوية) .

معاوية : غمرتمونا يا آل عاديا فلم تبقوا للامتنان موضعاً . أفنكون علة خرابكم
الى الدهر . . هذا لا يرضاه الله هيا سلموني للطاح . اخرجوا الدروع
وليرجع عاديا . وعيشوا بالهناء . وانا اعيش في الاسر صابراً . وان خطر
لكم ذكر امرئ القيس فقولوا لم يكن من الجاحدين .

السموأل : شهامتك تعزيني ولكنها لا تثني عزيتي لست فادياً ابني بابن جاري .

معاوية : لا أريد القيام هنا فدعني اذهب . ألستُ حرًا لوجه الله في غياب ابي ؟

السموأل : انا ابوك ما دام امرؤ القيس غائباً وعدت اباك ألَّا يصيبك مكروه
وانا حي فلأقيمنَّ على العهد ولأوفينَّ بالوعد .

معاوية :لا حبذا العيش ان اشتريته بدم عاديا سيدي ارحمنا .

السموأل: يشقُّ عليَّ يا عزيزي مخالفتك فليس الى مرضاتك سبيل . أنظر بني الى هذه العمة البيضا. أترى فيها ما يلطخ نصاع بياضها أفتريد ان اسوّدها باخفار ذمتي ؟

معاوية :بحق عاديا اتركني وشأني .

السموأل: بحق عاديا دعني لا تلحّ عليَّ . لا توهن قواي في هذه الساعة الرهيبة.

معاوية :ربي ربي ما العمل .

السموأل: كفاني (يتقدم متهيجاً) حان وقت الذبيحة ايتها العواطف الابوية كفي عن الهيجان باحشا. الوالد هدّني نيرانك . اليك عني ايتها الخواطر الدنيئة معاذ الله ان استشيرك . يا اله ابرهيم قوني . . . يا من شددت ساعد الاب ليضحي بوحيده قوّني في هذه الساعة الرهيبة . هيّا اين الرسول ؟

المشهد الخامس

الرسول : حانت الساعة ايها الامير فان مولاي بانتظار كلمة من فيك ليرجع اليك ولدك . ها أنهم قد ربطوه على شجرة ليرشقوه بالسهام ويجرعوه الموت انفاساً فارحمه ارحم شيخوختك .

السموأل: (يتقدم بجلال)هذا آخر كلامي للخاطف الغدار قبل ان نلتقي امام الديان فبلّغه اياه . . . يقول السموأل . . . أقتل أسيرك اني مانع جاري (ثم يخرج ويتبعه الربيع وشجاع) .

السموأل: (قبل دخوله) ولدي قتلتك .

(يرجع متكئاً على ذراع الربيع وشجاع يسنده ثم يرتمي على المقعد) ولدي قتلته ها هوذا . ها هوذا مضرجاً بدمائه ــ سامحني يا ولدي . . . انا قتلتك.

معاوية :يا اله السما. ارحم هذا الاب المسكين .

السموأل: (يفيق) آه اين انا . . . عاديا . . . آه . . . ما أهول حلمي . رأيتني

كأني اطمن ولدي بيدي . لم يمت انما يتجرَّع الموت غُصصاً بين انواع الثكل . . . بنيَّ بنيَّ بحق حبي اذا ما شخصت امام الله فاضرع اليه ان يرحم اباك فيرسل اليه ملاك الموت عاجلًا فيجمعني واياك .

الربيع : مدَّ في عُمرك . . . وامتع بك قلوب اهلك . فانك اصبحت للمروءة والوفاء آيةً وللأعراب زينةً ومجداً .

س : ما المجد يا ربيع . . . زهرةٌ تذوي وعرفٌ يفوح . برقٌ يلوح او نغمةٌ تدوي ثم لا يبقى له اثر . . . ما هذا طلبت ولا لهذا ضحيت بولدي (يشير الى معاوية) خفرتُ ذمتي ونجيتُ هذا الغلام من الهلاك فاذا رجع ابوه دفعته اليه وانضمت الى آبائي — فلا خير لي في الحياة من بعد عاديا (اصوات في الخارج) .

الربيع : (يتطلع) ما هذا الاضطراب في معسكر الطماح ؟ ما هذه الضوضاء ؟

س : عواء الذئاب وقد احاطت بابني لتمزقه بانيابها .

الربيع : بل عواء الذئاب انقضت عليها الليوث الكواسر تنتشل فريستها من بين اظافيرها . . . هي وابي اعلام امرئ القيس فيما بين رجال الطماح .

معاوية : رجع ابي ? على يده يجري الخلاص .

س : (ينتعش) يا اله السماء . أيسوغ لنا الرجاء . لا لا وأسفاه سيقضي ولدي نحبه قبل وصول الكندي .

معاوية : يا ملائكة الله . . . إهدي ابي الى مكان عاديا .

الربيع : يزيد معه وهو دليله .

س : يزيد . . لله دره . . عجلوا عجلوا . . أخرجوا حالًا برجال الحصن لمؤازرة امرئ القيس . اطلبوا ولدي . عساكم تبلغون اليه قبل فوات الفرصة — وان صادفتم دارماً فبحقي عليكم لا تمسوه بأذى . . انه ولدي .

الربيع : لك هذا منا .

معاوية : وانا اصحبكم (يخرج الكل) .

المشهد السادس

السموأل وحده

س : ساعة واي ساعة ساعة اهوال ساعة يأس. وآمال تصعد بي تارةً من قعر الجحيم الى اعلى السما. وتهبط بي اخرى من أوج الرجا. الى اقصى الشقا. هلا قبلت ضحيتي يا رب واكتفيتَ بصدق نيتي هلا يكون امرؤ القيس الملاك ارسلته ليمسك يدي عن الذبيح آه يا لخفقان قلبي . مات ولدي ضحية وفاني .

المشهد السابع

عاديا يدخل بينا يتكلم ابوه

عاديا : لا يا أبت لم يمت ولدك .

س : رباه . . . أأنت هو ام خيال ولدي أتى من العالم الخفي يعزّي اباه

عاديا : أبي أبي أنا هو أنا هو عاديا .

س : بنيَّ وافرحتي . . . نعم هو هو (يتعانقان) اما مسك ضرّ يا بني أما جرحوك ؟

عاديا : انا بسلامة ابتِ . ولقد كنتُ طرتُ اليك من البارح لو لم يحدق الاعدا. بالحصن كالسوار فاختبأت في الصحرا. ولما ارتخى نطاق الحصار بفضل امرئ القيس وعساكره بادرت اليك من باب السرّ قبل ان يقتلك الاسى فاحمد الله سيدي .

س : الشكر لك يا أرحم الآبا. طلبت منك الموت والان اسألك الحياة . فان الفرح قتال . . ولكن يا للعجب !

عاديا : وممَّ تعجب ألم يطلعك دارم ؟

س : دارم آه لا تلفظ هذا الاسم لئلا ينكأ الجرح وقد كاد يندمل .

عاديا : ولكن هو هو مخلصي الما اخبرك ؟

س : دارم مخلصك وقد خلته بين اعدائك متآمرًا معهم عليك .

عاديا : أغواه الطمع ساعة فانقاد لمشورة الطاح الا انه لما رأى نتيجة مكر ذاك الخداع وسمع صوتك يقذفه باللعنة ندم على ما فات وأتى المعسكر سرًا ونزع رداء. فارتديت به ونجوت . اما هو فقال لي انه سوف يلحق بي اما رجع بعد ؟

س : لم يرجع بعد . . . والذي رُبط على الشجرة لُيرمى بالسهام . . . ايكون دارم الذبيح ؟

عاديا : وحرق كبداه أأوقع الطاح به وقد طالما اظهر انه آمنٌ شره .

س : هو دارم رُبطَ على شجرة العذاب . . . ويحي أأفقد ابني ثانية بعد ما وجدته . . . يا شهماً لم اعرفه . . . ويا كريماً ظلمته . . . ربي لا تؤاخذني بفعلي . . . ولكن مهما كان من امرك فتعزيتي في شهامة ولدي فقد اتضح ان الوفاء شيمتنا وان الخيانة لا تنجع في ارضنا .

عاديا : أبتِ أبتِ باركه فانه لا يبتغي على الارض سوى رضاك .

س : باركك الله يا بني ومحا عن وجهك آثار اللعنة . باركك الله وتقبل تحسرك ودموعك . . . لعنتك في ساعة اليأس فكانت اللعنة سبب عذابك وعساها لا تكون علة موتك . . . لعنة الآباء ما أنفذ سهامك .

عاديا : تراني حزيناً وقد كنت وعدت النفس بالفرح الدائم . خدعني اخي والا لما رضيت ابدًا بالمبادلة .

اصوات : لنا النصر لنا النصر (الاصوات مختلطة يسمع منها صوت لنا النصر) .

عاديا : تبدد الاعداء وعساكرنا في اثرهم (يتوجه الى الباب) هـذا اخي دارم يحملونه . . أحيٌ هو بعد ؟ بلى انَّا هو مجروح (يخرج الى لقائه) .

س : (يحاول المبادرة الى ابنه ثم يرتمي على المقعد) خانتني قواي . . آه .

المشهد الثامن

(يدخل دارم متكئاً على شجاع وعاديا ومعاوية معه)

دارم : (يحاول الركوع امام ابيه فيمنعه) باركني ابتِ فاموت سعيداً .

س : (بضمه) قد باركتك يا عزيزي ولقد غسل دمك الكريم نفسك الشريفة فهي انقى من الثلج . . فانس ما مضى فما أحد هنا الا يُثني على جميل فعالك .

دارم : أشكر الله على هذه المنة . تعال الان يا موت .

عاديا : لا يا اخي لن تموت لأنت اجدر بالامارة منا . فلا حرمنا الله امثالك

دارم : يا معاوية هلا تغفر لي .

معاوية : جُعلت فداك ايها الامير . . . أتستغفر مني وقد سفكت دمك في سبيلي .

دارم : (لابيه) والان ابتِ اطلب اليك والى عاديا قبل مماتي ان أسلم بيدي وديعتك الى صاحبها فاني اريد ان أظهر امام الملا ان بني السموأل يماثلون اباهم في الوفاء . واني وان عثرتُ فقد اقالني الله وان شاركت في الغدر فقد كان دمي شاهد ندمي .

عاديا : جاري اصبح جارك فقد اشتريت بدمك حق اجارته . . . وهاك امير كندة مخلصنا مقبلاً . (معاوية يذهب الى لقائه) .

المشهد التاسع

امرؤ القيس وفرسانه . . . السموأل واهله

امرؤ القيس : اهنأوا يا اوفى الناس فقد جمع الله شملكم وكسر شوكة اعدائكم وشتتهم ايادي سبا . . وأذلّ رئيسهم الطاح فاني عفّرت رأسه بالتراب وجعلته فريسة حسامي ثم غادرته للوحوش مأكلاً .

شجاع: نال الغدر جزاءه .

السموأل: اعلى الله شوكتك يا امير كندة وادام عزك .

ا. ق: ملكي وولدي فداك يا ابن عاديا ولو بذلنا دمنا اجمعين لما كان بجانب فضلك شيئاً عفوت عني واجرتني ومنعت وحيدي وبذلت ولدك حباً به فكيف نشكرك فهاك نصف مملكتي الك او لمن تحبه من ولدك .

س : ان ابيع الصنيعة لا وحق امير كندة فقد نلت جزائي وما اوفاه ألا وهو وفا. ولدي فاقبل وديعتك من يده انها لوديعة مقدسة طهرها دمه الزكي . (دارم يسلم معاوية والادرع لامرئ القيس .)

امرؤالقيس: آل السموألِ انتم آيةُ الجودِ فجودُكم بحرُ فضلٍ غيرُ محدود
صوتُ المشائرِ يدوي في الملا الآتي عجيبةٌ ظهرت تحت السمواتِ
صان الوديعة صوناً بالدمِ الجاري ضحّى السموألُ نجليه فدى الجارِ

السموأل: يقضي الوفاء على الانسانِ احيانا بالموتِ بذلاً فنِعمَ الموتُ ان كانا

في التصوير الاسلامي

نظرات في مؤلفات

بقلم الدكتور بشر فارس

هيهات ان يكون غرضي هاهنا احصاء المؤلفات التي خرجت شرقاً وغرباً في باب التصوير الاسلامي . فلطالب هذا أن يسترشد بالثبت الذي عمله المستشرق الانكليزي K. A. C. Creswell تحت هذا العنوان *A Bibliography of Painting in Islam* ، من منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، سنة ١٩٥٣ . (وللمستشرق الفرنسي G. Wiet تكملة وجيزة لهذا الثبت ظهرت في مجلة *Syria* ، ج ٣٠ ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٣٤٠-٣٤١) .

لست بتناول سوى طرف من ثمار المطابع لهذا الوقت ، ولعل في هذه المراجعات بعض الفائدة لعشاق الفن الاسلامي .

ء

١ - رتشارد إتنجهوزن - « الكركدن » - ١٦٢ ص للنص الانكليزي - ٤٧ ص للمصادر والمسارد - ٤٧ لوحاً و ٥ أشكال - القياس : ٢٣×١٥ سم .

Richard Ettinghausen. *The Unicorn*. (Studies in Muslim Iconography). Freer Gallery of Art. Washington 1950.

صاحب هذا الكتاب من الأمريكيين الراسخين في الفن الشرقي ، له مباحث نفيسة اكثرها في مجلة *Ars Islamica* ، وقد ظل يشرف على اخراج هذه حتى وقفت لثلاث سنوات مضت .

والكتاب موقوف على مطلب الحيوان المسمّى « وحيد القرن » وهو تارة « الكركدن » وتارة « الحريش » في المؤلفات العربية ، وقد كثر فيها الكلام عليه ودخل في فنون شتّى . وللقارئ العربي الطُلَعة ان يهتدي اليها في « معجم الحيوان » الذي صنعه امين المعلوف ونشرته مجلة المقتطف سنة ١٩٣٢ (مادة « كركدن » ، ص ٢٠٣-٢٠٧) .

ولقد أولع الفنانون المسلمون بتصوير هذا الحيوان العجيب في الأمصار

الاسلامية ، في ايران وسورية والأناضول والعراق والأندلس خاصة ، وصوروه على عدة مواد : الورق ، النحاس ، العاج ، الزجاج ، الحجر . وهذا الولع الذي حدا الاستاذ إتنجهوزن الى النظر في «وحيد القرن» ووصف جسمه واطرافه وجناحه مع سرد اسمائه المختلفة ، مستنداً في ذلك كله الى اقوال أهل الطبيعة والحيوان من العرب والمستعربين أمثال عبيد الله بن جبريل بن بختيشوع صاحب «نعت الحيوان ومنافعه» والقزويني صاحب «عجائب المخلوقات» وغيرهم من العلماء والأطباء والأدباء حتى الشعراء والأخباريين والسيّاح والتجار وعشاق الصيد من عرب وعجم. وأقبل في اثناء ذلك على الموازنة بين الوصف المكتوب والشكل المرقوم ، وقد استخرج من الآثار ولا سيما من المخطوطات رسوماً جمة. والتفت ايضاً الى اخبار «وحيد القرن» ونوادره في وثبه على سائر الحيوان والى صيده واساليب زجره ، وعرج على الكركدن الأليف. ثم فصل بعض خصائص هذا الحيوان نحو منافعه في باب السحر وباب الطب وباب الصناعة. ثم ذكر انواعاً له باسمائها ونعوتها. وخرج من ذلك التبحر الى الموازنة بين معرفة المحيط الاسلامي للكركدن ومعرفة الحضارات الأخرى له ، نحو حضارة الشرق الغابر ويونان وساسان وحضارة الصين والهند وحضارة الأمم المسيحية منذ الصدر الأول الى منتهى العصور الوسطى . ثم ختم بحثه بالنظر في «وحيد القرن» من حيث انه موضوع علم ومطلب فن ، فبيّن ان الكركدن علا شأنه واستقام شكله في المحيط الاسلامي منذ مختتم المئة السادسة للهجرة ، وأنه تبدل وتلون على مر الزمن في الأشكال المرسومة والمنحوتة حتى المئة الثانية عشرة هـ.

وما اظن الباحث اهمل شيئاً بسبيل «وحيد القرن» . فالمصادر المصوّرة والمسطرة جمعاً وافية جامعة ، وليس لي ان ازيد على المسطرات سوى سطرين وردا في «المخصص» لابن سيده (القاهرة ١٣١٨ ، ص ٥٨) : «الكركدن لا احسبه عربياً لأنه مفارق لأبنيتهم . قال كراع : الهرميس : الكركدن ، وأنشد : والفيل لا يبقى ولا الهرميس» ، وسوى فقرة في «نخب الذخائر في احوال الجواهر» لابن الأكفاني ، نشره الكرملي في القاهرة سنة ١٩٣٩ («القول على الخرتوت» ، ص ٧٩–٨٤) ، وسوى مقال لأمين المعلوف بشأن «الختو» في مجلة المقتطف (مجلد ٣٤ ، ص ٤٣٧ وما يليها) . هذا واما الذي

يتصل بالمصوّرات فقد عجب المؤلف (ص ١٥٩) كيف لم يصلنا أثر ما مصنوع في مصر يحمل صورة الكركدن. فالذي يقطع العجب صحن من الخزف ذي البريق المعدني للمئة الحادية عشرة م، محفوظ في متحف جامعة القاهرة (انظر زكي محمد حسن *Moslem Art in the Fouad I University Museum*، القاهرة ١٩٥٠، ج ١، لوح ص ٤٢).

=

٣ – كورت هُلْتِر – « منمنمات فارسية » – ٤٥ ص لنص الالماني – ٣٦ لوحا ملونا – القياس: ٢١ × ١٥ سم.

Kurt Holter. *Persische Miniaturen*. Kunstverlag Wolfrum, Wien 1951.

لهذا المؤلف دراية مكينة بفن التصوير الاسلامي، فقد عمل سنة ١٩٣٧ ثبتاً محكماً جامعاً للمنمنمات القديمة حتى سنة ١٣٥٠ م، ونشر أيضاً مباحث أجلّها رسالته في مخطوطين مزوّقين تملكهما خزانة الكتب الوطنية بمدينة ڤيننة: نسخة من «كتاب جالينوس في المعجونات» ونسخة من «مقامات الحريري». وله فوق ذلك مشاركة في باب الخزائن، فقد نشر من سنة وبعض سنة بحثاً مستفيضاً باللغة الألمانية:

Der Islam, in *Handbuch der Bibliothekswissenschaft*, 2. Auflage, Wiesbaden 1953.

والبحث يجري في اطراف الأخبار عن خزائن الكتب الاسلامية في البلدان العربية وفارس وتركية، وقد جاء متمماً لما كتبه اهل الشرق في هذا الباب، مثل «خزائن الكتب العربية في الخافقين» لفيليب دي طرازي (بيروت ١٩٤٨) و «خزائن الكتب القديمة في العراق» لكوركيس عواد (بغداد ١٩٤٨). والتتمة جاءت من الرجوع المتصل الى تآليف المستشرقين، فجاء على جانب عظيم من التثبت والتعقب.

واما هذا الكتاب الدقيق فيقدم اربعاً وعشرين منمنمة فارسية بالوانها الزاهية المستملحة، ويتناولها بالنعت الوافي من جهة الطريقة ومن جهة الموضوع. ومن دقة هذا الازدواج في التناول يتبين للقارئ ان التصوير الفارسي يتردد بين طرفين نقيضين أبدع تردد: بين السذاجة والإيغال، بين التمهل عند تفاصيل المرئيات والذهاب في تأويل المعاني، وهنا سرُّ السحر في هذا الفن الرهيف وقد يبدو فجاً غير مهذَّب لمن تفوته المقاصد الشرقية الغامضة لفرط لطافتها.

٣ – ايفان شتُوكين – «تصاوير المخطوطات التيمورية» – ١٧٦ ص للنص الفرنسي – ٨٨ لوحًا – القياس : ٢٨ × ٢٢ سم .

Ivan Stchoukine. *Les peintures des manuscrits timourides*. Institut français d'Archéologie de Beyrouth. Librairie Paul Geuthner. Paris 1954.

لمؤلف هذا الكتاب دراية بباب المنمنمة l'art de la miniature [1] . فمقالاته المنشورة في جملة من المجلات الافرنجية منذ عشرين سنة شاركت أي مشاركة في توسيع اطلاعنا على آثار التصوير في الكتب العربية والفارسية . وكتابه *La peinture iranienne* (Bruges 1936) من خير المراجع وان كان يعيبه إصرار مؤلفه على رجع المنمنمات العربية اللاحقة بالمذهب البغدادي الى النمط الايراني وسنَّتِه الفنية . وهذا الكتاب الجديد مقصور على المنمنمات التي ترجع الى عهد آل تيمورلنك ، اي من ١٣٨١ الى ١٥١٠ م . ففي هذا العهد استوى فن التصوير في ايران وتمكنت ادواته وقد خرجت عن ضغط النمط الصيني لتستوحي نفحات الأرض الفارسية نفسها .

لم تظفر منمنمات هذا العهد بدراسة قائمة برأسها حتى عمد اليها اليوم السيد شتوكين . فابتدأ بذكر المصادر الأدبية المتعلقة بالعهد وبتاريخه على سبيل التوطئة ، ثم اقبل على المخطوطات ، وعددها وافر وافر ، ينشر صفحات منها ويصفها وصفًا دقيقًا ويميز بعضها من بعض بالاضافة الى مصدرها ومنهجها وموضوعها جميعًا ، مشيرًا الى ما اندسّ فيها من تزاويق في زمن متأخر ، مصححًا بعض آراء قد غلبت على اذهان الباحثين السابقين . فقسم المخطوطات اقسامًا : ما خرج من بغداد ومن هراة ومن هنا وهنا في ايران خاصة . ثم اوغل في الفحص فجعل ينظر في عناصر التصاوير : النَّظارة paysage ، المُنمَّق décor الهندسي ، الحيوان ، وجه الانسان . وعند هذا العنصر الأخير تمهـل بازاء المصوِّر المفلق « بهزاد » الذي استطاع ان يبث الحياة الدافقة في هيئات الاشخاص وقد كانت من قبله أسيرة الجمود والتكلف كانها عرائس من شمع . ثم تصفح المؤلف

١) للاصطلاحات والالفاظ الخاصة الواردة في هذا المقال انظر رسالتنا : « اصطلاحات عربية لفن التصوير » من منشورات المجمع العلمي المصري ، القاهرة ١٩٤٨ ، وكذلك المسرد العربي – الفرنسي الذي ادرجناه في كتابنا « سرّ الزخرفة الاسلامية » من منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٤٥–٤٨ .

تأليف الصورة وتلوينها . وهذا الأسلوب الشامل في الفحص مما درج عليه وبرع فيه، وفائدته جليلة في سبيل التوضيح والتقسيم مع التفريق بين المناهج .

٭

٤ – مجلة « الفن الشرقي » – العدد الاول – ٢٦٧ ص للنص الافرنجي بلغات ثلاث – شكال وصور وافرة – القياس : ٣١×٢٣ سم .

Ars Orientalis (The Arts of Islam and the East). Vol. I. Freer Gallery of Art. University of Michigan 1954.

منذ احتجاب مجلة « الفن الاسلامي » *Ars Islamica* سنة ١٩٥١ ونحن نرتقب خليفتها بشوق بالغ، فهاهي ذي تخرج باشراف المشرف نفسه المستشرق رتشارد إتنجهوزن، صاحب الكتاب الموصوف فوق. والعدد الأول هذا حافل بالمباحث والوثائق . ودونك الملخص مع التعليق والتنبيه .

في اتصال الفن القبطي بالفن الاسلامي يدخل مقال Th. C. Petersen : « التجليد الاسلامي الاول وعلاقته بالصناعة القبطية » . ينظر الكاتب في طائفة من المجلدات الاسلامية المصنوعة بمدينة القيروان بين القرن التاسع والحادي عشر م . فيبين ان المجلدات جارية على سنّة الصنعة القبطية في الحجم والشكل والترويق، ولكن هذا الترويق يمضي في سبيله خطوة خطوة حتى يصير الى ذوق خاص رائع منقطع النظير .

وفي البحث عن المنمنمات نلقي الواناً من المقالات :

يخبرنا B. Gray ان خزانة الجمعية الآسيوية بالبنجال تضم جزءاً من كتاب « جامع التواريخ » لرشيد الدين بالفارسية، ينسحب من ٦١٧ الى ٦٩٨ هـ . ويضم احدى وعشرين منمنمة، وقد وقع نسخه وتصويره في حدود سنة ١٣٤٠ م . وتمتاز المنمنمات بصدق التعبير التاريخي، وهي منشورة في المقال .

ويحدثنا Oktay Aslanapa عن فن التنمنة في بلاط السلطان محمد الفاتح، فيعرض علينا نخبة من التصاوير موضوعاتها شتى : حيوان، زهر، رقص، جن، اخبار الامم . وكلها يدل على الحياة التي كان التركي يحياها في القرن الخامس عشر م . وأما اسلوب التصوير فعلى انواع . ولهذه النخبة بعينها يعرض M. Loehr لينقب في بعضها عن نمط الفن الصيني ومدى انتشار عناصره، مما يدل على ان مهارة الشرق الأقصى فتنت الأذواق على ساحل البسفور . وهذه

النخبة ايضاً يعرض R. Ettinghausen ليستخرج طرافة المرقّم في بعضها ، ولن تثبت هذه الطرافة للعين الا يومَ يجتمع تحتها نماذج أخرى من هـذا الصنف فتمكننا من نسبة التصاوير الى بلد معين . وما بحث الكاتب هاهنا سوى توطئة لامعة لتحقيق آت .

ومما يتصل بحديث المنمنات مقال تناول فيه صاحبه D. S. Rice تمثيل فصول السنة وتصوير الأفعال التي تجري في شهر شهر، استناداً الى آثار اسلامية أخذ يوازن بينها وبين آثار غربية من نوعها . وغرض المقال طريف . واكثر الوثائق المنشورة مما يزيد في الاطلاع على النشاط الفني ابّان الحضارة الاسلامية . غير ان منهج المقال لا يخلو من النقص والسقم في العرض والاستخلاص :

من ذلك ان الكاتب اعتمد في عرض فصول السنة على مخطوط محفوظ في الخزانة البدليان بمدينة أكسفرد تاريخ نسخه ٨٠١ هـ . واما عنوانه فهكذا: «كتاب البلهان» بحسب اشارة طارئة على المخطوط في المئة الحادية عشرة هـ . فما «البلهان» ؟ والكتاب موضوعه البلدان وعجائبها والتنجيم وما اليه ? وماذا تقول ديباجة الكتاب حتى نعرف وجه البلهان هـذه ? ولا طائل تحت ترجمة الكاتب للعنوان : « Book of Well-being » . وبسبيل المخطوط ايضاً فات الكاتب ان يذكر فضل من سبقه في تصحيح اسم مصنف الكتاب : « عبد الحسن بن علي بن الحسن » بـدلاً من « ابي معشر البلخي » . والسابق هو مستشرق انكليزيّ عالم بالموسيقى العربية ، اسمه H. G. Farmer (انظر كتابه *The Sources of Arabian Music*, Bearsden 1940, pl, 1.) . ــ ومن ذلك ايضاً ان الكاتب اخطأ حيث وصف احدى الآلات الموسيقية المصوّرة (ص ٥ ، اللوح ٢) بانها العود على حين انها الطنبور . ــ ومن ذلك انه كان يحسن بالكاتب ان يستأنس بمخطوطات اخرى في الفلك وما يندرج تحته من مطالب ؛ وهذا مخطوط عربي في دار الكتب الوطنية بباريس رقمه ٢٥٨٣ نسخ في مصر سنة ٧٠٠ هـ او قبل ذلك ، فيه تصاوير تعبر عن اقاليم البروج قد تستدعيها الموازنة او المقاربة (انظر Blochet, *Musulman Painting*, pl. 32, 33) . ــ ومن ذلـك انه كان ينبغي للكاتب ان يسعى سعي إتنجهوزن في كتابـه « الكركدن » المنعوت فوق ، فيقبل على كتب الأنواء وفصول الأدب يستفسرها ويسترشد بها ، ومما

نذكر على سبيل السرعة : « كتاب الأزمنة والأمكنة » للمرزوقي (جزآن ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٢ ﻫ) ففيه كلام مسهب على الكواكب والمنازل والبروج وعلى الفصول والأوقات والشهور وأطراف النهار والليل مع خصائصها وذكر الافعال التي تجري فيها ؛ و« كتاب سرور النفس بمدارك الحواس الخمس » للتيفاشي ، وهو مخطوط ، وقد اقتبس منه ابن مكرّم الانصاري وهذّبه في هذه الرسالة : « نثار الأزهار في الليل والنهار » (القسطنطينية ، ١٢٩٨ ﻫ) ؛ وفصلاً في « نهاية الارب » للنويري (القاهرة ، ج ١) ؛ وفصل الجاحظ : « سلوة الخريف بمناظرة الربيع والخريف » (القسطنطينية ، ١٣٠٢ ﻫ) . ففي هذه المصادر وما يشاكلها ويأخذ اخذها قرائن تصلح لتوضيح بعض المشاهد المصورة او لتعزيزها . فلو كان الكاتب قرأ مثلاً ما يصرح به الخريف في « مناظرة » الجاحظ (ص ١١٧) : « والشرب من اوفق الإشياء بالخريف وهو اصلح منه في سائر الفصول لأن الشراب فعله التسخين والترطيب الخ » ، لو كان قرأ هذا وقرنه بصورة الخريف لكان نجا من التخمين الملفوف بالتخليط (ص ٨–٩) .

لذلك كله يرتاب القارئ في النتائج التي يخلص اليها كاتب المقال في شأن الصلة بين تصاوير الفصول في الفن الاسلامي وتصاويرها في الفن الافرنجي .

ومما يزيد في الارتياب ان الكاتب قرأ في صدر مخطوط افرنجي مصوّر (ص ١٢ ، اللوح ٤ ، تحت) من القرن الرابع عشر م هذا النص العربي : « هذا كتاب من فلان مرسول من آزمير الى هذا المكان ومفهومه الاسرار السحر في الصورات (كذا) » ؛ فاستخلص من النص ان المخطوط أرسل في القرن الرابع عشر م من ازمير الى مكان عربي اللهجة قد يكون مدينة بغداد حيث جرى تأثيره في « كتاب البلهان » ذاك الذي قد يكون نسخ وزوّق في بغداد . ولك ان تعجب من الاستخلاص ما شئت ، ذلك ان كل من له دراية بأطوار الخط العربي يعلم ان النص المذكور لا يذهب البتة من جهة خطه الى ابعد من القرن السادس عشر م ، وذلك ان جعل الكاتب بغداد مكاناً عربي اللهجة لاستقبال المخطوط الافرنجي ثم لانجاز المخطوط العربي . كل هذا فرضٌ محضٌ لا يقبله البحث السليم ، وقد زلق اليه الكاتب عمداً لعله يقيم نظرية حلت له وحده . وهي طريقة يغلب عليها التخرّص فالاعتساف .

واذا فرغنا من حديث المنمنمات طرقنا باب الألطاف . فهذه مقالة في بضع مصنوعات منحوتة ترجع جميعاً الى العهد الأموي ، منها باب خشب في دير القريتين بين دمشق وتدمر ، ومنها قطع مختلفات من عظم وعاج . وقد عني الكاتب H. Stern بإبراز خصائص التنميق في هذه الآثار بالاضافة الى ما يشاكلها في رومية وميلانو والقاهرة ثم في إكس لاشاپل .

وهذا مقال نفيس جداً في الخزف الاسباني الاسلامي ذي البريق المعدني ، كتبه R. Ettinghausen ، يطول فيه البحث عن المزايا والخصائص اللاحقة بالصناعة الى جنب التصفح لصيغ التزاويق وموضوعاتها . ومن هذه موضوع « المحمل » في العادات الاسلامية مع مرده الى القبة التي عرفتها الجاهلية . وان نحن زدنا الى مصادره الأدبية في شأن القبة مصدراً فعلى سبيل التذكير العابر ، والمصدر هو B. Farès, *L'honneur chez les Arabes avant l'Islam*, Paris 1932, p. 100 . وقد احسن الكاتب في مرده ذلك اذ ربط القريب بالبعيد من طريق الآثار المصورة ربطاً وثيقاً على كرّ السنين . — ومن الموضوعات ايضاً اليد التي نسميها في الشرق العربي « خمسة وخميسة » ، ترسم وتنحت وتحفر لأجل قطع عين الحسود . وهنا ايضاً لمّ الكاتب المصادر المتشعبة وليس لنا عليها من مزيد سوى كتاب : Contenau. *La magie chez les Assyriens et les Babyloniens*, Paris 1947, p. 260 sqq. وكتاب : Jean Marquès — Rivière. *Amulettes. talismans et pantacles*.... Paris 1950, p. 122 sqq. — ومن مقاله خرج الكاتب على حق بان الخزف ذا البريق المعدني وقع في الأندلس تحت تأثير الصناعة المصرية الفاطمية .

ويعقب كلّ ذلك تقارير في شأن بعض التنقيبات . منها تقرير M. Van Berchem عن الحفائر في أطلال سدراتة الواقعة في صحراء الجزائر (سنة ١٩٥١— ١٩٥٢) وتقرير R. Ghirshman عن الحفائر في نواحي سوس (سنة ١٩٥٢—١٩٥٣) .

ويختم هذا العدد الأول من المجلة تعليقات أجلها شأناً مسرد لمؤلفات E. Kühnel أحد المشتغلين بتاريخ الفن الاسلامي ، ومسرد آخر لمؤلفات المرحوم J. Sauvaget ، والى هذا المسرد الاخير يضاف اليوم كتاب ظهر من اشهر في دمشق : *Mémorial Jean Sauvaget*, I, Institut français de Damas, 1954 :

٥ – م. س. ديماند – « الفنون الاسلامية » – ترجمة احمد محمد عيسى ؛ مع مراجعة وتقديم من احمد فكري – ٣٢٠ ص للترجمة – ١٨ص لمسرد الاصطلاحات وثبت المراجع – ٢١٣ وثيقة مصوّرة – القياس ٢٤ × ١٨ سم – مطبعة دار المعارف بمصر ؛ القاهرة ١٩٥٢ .

في مصر الآن تعمل « مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر » . ومما نهضت بنقله الى قراء العربية هـذا الكتاب ، وهو كتاب حسن ألفه M. S. Dimand القيّم على المتحف المتروبلتان بمدينة نيويورك ، حقيق بان يتداوله طلاب الفن من الشرق والغرب على السواء . غير ان الكتاب يعوزه باب العمارة ، فكان يحسن بالناشر او بالمترجم ان يحصر العنوان بحيث تخرج العمارة من مفهومه فيصبح « الفنون الزخرفية في الاسلام » وكذلك ظهرت الطبعة الاولى من الكتاب سنة ١٩٣٠ : *A Handbook of Mohammedan Decorative Arts* ، او كان يجمُل بالناشر ان يعهد الى احد من المشتغلين بفن العمارة في تقديمه لاجل تتميم الفائدة.

واخطر من هذا ان الكتاب في طبعته الثانية التي بين ايدينا الآن ، وقد خرجت سنة ١٩٤٤ ، ينقصه ما برز منذ تلك السنة في ميدان الفنون الاسلامية . وليس الذي برز مما يستهان به ، فقد تلاحقت التنقيبات والمعارض والمؤلفات ، وبُدلت آراء وصُححت واقعـات . فكان الاولى بمؤسسة فرانكلين ، وهي تقوم مقام الناشر ، ان تدفع بالنص الانكليزي الى صاحبه فيجيل فيه النظر ويجري القلم . ولا شك انـه كان استدرك الشيء الكثير . ولنضرب مثلاً مواضعَ من باب التصوير في طوره الأول : هنالك اقوال ارسلها المؤلف سنـة ١٩٤٤ ، بها اليوم حاجة الى المراجعة والتصويب على ضوء رسائل جديدة ، نحو هذه : ١) ما يتصل بقدم المصوَّرات : S. Ünver, *Istanbulda Dioscorides Eserleri*. Istanbul 1944; D. Schlumberger, *Deux fresques omayyades*, in *Syria*, XXV, 1946 - 1948, 1/2; B. Farès, *Le livre de la Thériaque*. Le Caire, 1953; R. N. Frye, *The Andarz Nâme of Kâyūs...*, in *Serta Cantabrigiensia*, Wiesbaden 1954 . ٢) ما يتصل بعرض الكتب المنمنمة : يضاف اليها اليوم ما كشف عنه نفر من المنقبين ، نحو الجزء الحادي عشر من مخطوط « الأغاني » تاريخه ٦١٤ هـ ؛ انظر B. Farès, *Une miniature religieuse* .... Le Caire 1948 ، ونبذة من كتاب الحيوان للجاحظ ترجع الى المئة الثامنة ؛ انظر Löfgren & Lamm, *Ambrosian Fragments*, Uppsala—Leipzig 1946 . – ٣) ما

يتصل باخبار تتعلق بالمخطوطات وقد جاءت غير ممحّصة : من ذلك قول المؤلف خطأ ان في اسطنبول اربع صور تمثل مناظر البلاط في زمن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، فالواقع ان في خزانة فيض الله باسطنبول صورتين وفي دار الكتب المصرية صورتين ، فضلاً عن انها جميعاً لا شأن لها بالبلاط ولا صلة لها ببدر الدين لؤلؤ ؛ انظر B. Farès, *L'art sacré chez un primitif musulman*, Le Caire 1955 (*BIE*, t. XXXVI, 2), p. 619-659 ، وكقوله خطأ ان مخطوط «الحيل» للجزري المحفوظ في طوبقابو سراي نُسخ سنة ٦٥٢ هـ ، أخذاً بوهم وقع فيه Stchoukine ، والصواب سنة ٦٠٢ هـ ؛ انظر كتابنا المذكور آنفاً ، ص ٦٦٨ .

فاذا كانت « مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر » اهملت فلم توعز الى المؤلف ان يقوم بالتنقيح والتكميل فما كان ينبغي لها ان تحمل المترجم او المراجع على ذلك السعي حتى على بعضه ، بحيث ينجو الكتاب من عيب يجدّ من فائدته لهذا الوقت حداً بالغاً .

هذا ، ومما لا يخفى علينا ان نقل كتاب في الفن ليس بالعمل اليسير ، فالمطلب صعب لطرافة الموضوع من جهة ولندرة المصطلح من جهة . ومها نأخذ على المترجم فنحن نقدر الجهد الذي توجّه له . ومما يثير الأسف ان المآخذ غير معدودات : اما الاسلوب فتردد في الغالب طوعاً لبناء العبارة الانكليزية فلا يلمع فيه السياق العربي سلامةً واطّرادا . وحسبي هذه الجملة الأعجمية مثلاً : « ورغم ان هذه الحَنيّات مختلفة في احجامها متباينة في زخارفها الّا انه مما لا شك فيه انها ، في الاصل ، جزء من الحنيّات الخ » (ص ٣٣) . و«رغم» هنا موضوعة في غير موضعها،واما استعمال الاستثناء بالّا في مثل هذه الجملة فما يتجافى عن سنن العربية .

هذا فضلاً عن سقطات في متن اللغة وقواعدها ، نعرض منها هذه : « كتاب مقامات الحريري يقص مغامرات الحارث وابو زيد » (ص ٤٢) ، والصواب : ابي زيد . — « مشكاوات » جمعاً لمشكاة ويريد بها lamp (ص ١٤٢—٢٤٧) ، وهنا غلطتان : الاولى صرفية فجمع مشكاة : مِشكيات ، والثانية تلحق بمفردات اللغة فكلمة lamp يواجهها « المصباح » لا المشكاة ، وفي القرآن : « كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاج » ، والمشكاة على ما ورد في دواوين

اللغة :«كوّة غير نافذة اي niche — «اشرطة متاوجة» (ص ١١٦) ازاء : wavy ribbons . و«تماوج» اشتقاق انما يفيد اظهار غير الواقع، على ان المراد هنا الواقع، فيقال : «مائج، متموّج، موّاج» . وليس «متاوج» بمعناها» — «الصحيفة» (ص ٤٦)، والمراد: الصفحة . — «الخزفي» لصانع الخزف (ص١٧٥)، على ان المسموع : الخزّاف . — «ومعه سيفان ودرع مستدير» (ص ٣٨)، فالدرع يغلب عليها التأنيث وان ذُكرت وقع اللبس اذ هنالك «درع المرأة» اي قميصها والتذكير عليه غالب .

وهنا وهنا في مطاوي الترجمة وجدنا مخالفات للأصل او انحرافات عنه، سواء في باب العلم او في باب الفهم. فمن الأولى هذه : «عين شمس بظاهر القاهرة» (ص ١١٥) بازاء : Ain as-Sira (p. 108)، والصواب : «عين الصيرة» وهو مكان معروف بين الفسطاط وضريح الامام الشافعي . — للجزري كتاب «يعرف باسم الحيل الميكانيكية» (ص ٤٤)، وفي الأصل : Automata (p. 27)، فكان على المترجم ان يعدل عن العنوان الافرنجي وقد جاء من باب الاصطلاح الى العنوان الأصيل يلتقطه من المصادر العربية وهو : «الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» . — «أسنان المنشار» بازاء Chevron (ص ٣٢٢)، وهذا خلط واضح، لأن «سنّ المنشار» غير ذلك انما ينظر اليه بالانكليزية saw-tooth وبالفرنسية dent de scie . — واما الذي يتصل بباب الفهم فمنه قول المترجم :«من المرجّح» (ص ١١٧) وفي الانكليزية : undoubtedly (p. 111)، فالوجه : «من المؤكد» . — وقوله : «والحفر اقرب الى الطبيعة واكثر اتقاناً من ... » (ص ١٢٠) وفي الانكليزية : the carving is less formal and elaborate than (p. 115)، فالوجه عكس ما ترجم : «... واقل اتقاناً» . — وقوله : «... تضم رسوماً آدمية وحيوانية ورسوم قديسين» (ص ١٢١) وفي الانكليزية : containing figures of animals and of saints (p. 114)، فمن اين هبطت كلمة «آدمية» ؟ — وقوله : «محفورة حفراً اكثر عمقاً» (ص ١٢٠) وفي الانكليزية : carved in a lower relief (p. 113)، والصواب : «محفورة حفراً اقل نتوءاً» .

بقيت المصطلحات وهي جمة . ويعترف المترجم في صدر الكتاب (ص ١٣)

بان طريقها وعر ، ثم يُقرّ بانه افاد مما استنبطه سابقوه ولكنه يُغفل اسماءهم ورسائلهم ويفوته ان يفرز ما اخذه عنهم مما جاء به هو ، وهذا تقصير لا يليق باهل الادب وقد جزنا طور السطو والجرأة على الاستخفاف بحق المؤلف المجتهد ولا سيما المؤلف الرائد . واكثر ما جاء به المترجم وليد التهاون او التسرع او الارتجال بغير رجوع الى مصادر اللغة للايضاح والاحتجاج ، حتى من دون رسوخ احياناً في الفن الذي ينقله . وحسبي هذه الطائفة من الأمثلة :

لا يتورع المؤلف من استعمال الفاظ أعجمية محض او عامية ، لها نظائرها في الفصيح او المسموع ، كقوله : « زخارفها مفرّغة كالدنتلّا » (ص ١٥٣) ، والوجه : « كالمخرّمات » والمخرّم كلمة متداولة في البلاد العربية . — وقوله : « لون باهت (منطفئ) » (ص ٣٢٦) ، والفصيح : نافض او حائل او خامد (راجع رسالتنا « اصطلاحات عربية لفن التصوير » القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٨) . — وقوله : « أرجواني فاتح » (ص ٣٢٥) ، والذي استعمله المولّدون : « مفتوح » (اطلب الكرملي « نخب الذخائر في أحوال الجواهر » لابن الأكفاني ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٨٥) . — وقوله : « تبشيرات » بازاء batchings (ص ٣٢٣) ، ولم أجد « التبشير » هذا في « لسان العرب » ولا في « تاج العروس » ، والوجه ما دونتُ في الرسالة المذكورة : « التسهيمات » من قولهم : « ثوب مسهّم » .

وهنالك اصطلاحات من حرفين ، والتطويل في الاصطلاح مستكره ، كقوله في غير موضع : « تصاوير او غيرها متعددة الالوان » ، وأيسر منه ما كنا استخرجناه في الرسالة المذكورة : « تهاويل » وأيضاً : « ثوب (وغيره) مبرقش » . وقوله : « الاسلوب الصناعي » بازاء technique (ص ٣٢٦) ، والصحيح المسموع والمطروق : « الصنعة » (راجع رسالتنا) .

ومن الاصطلاحات ما يوقع في اللبس والاضطراب ، من ذلك قوله جملة : « أرضية ، خلفية ، مهاد » بازاء background (ص ٣٢١) ، وقد شرحنا في الرسالة المذكورة ما الفرق بين الخلفية arrière-fond والمهاد fond . — وقوله : « مطرّز » بازاء embroidered (ص ٣٢٢) ، والتطريز له معنى خاص في النسج الاسلامي ، واستعمال الناس له اليوم على نحو ما فعل المترجم عامي ، والوجه : « موشّى ، محبّر ، مخلّب » (راجع رسالتنا) . — واستعماله لفظة « بَخت »

مرة (ص ٤٤) بازاء purely (p. 26) ، ومرة (ص٤٢) بازاء abstract (p. 27) والصواب في الأولى : « مجرَّد » (انظر مسردًا آخر لنا في كتابنا « سر الزخرفة الاسلامية » باللغتين العربية والفرنسية ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٤٥) .

ومن الاصطلاحات ما يحيد عن المراد ، كقوله : « تعبير زخرفي » بازاء motive (ص ٣٢٤) ، والوجه : « صيغة » (راجع رسالتنا المذكورة) ، والصيغة مأخوذة هنا من ألفاظ فقه اللغة فليس فيها معنى « التحسين والاجادة » على ما يتوهم المترجم (ص ١٤) ، وذلك اضافة الى ان كلمة « تعبير » موقوفة على ما في expression سواء في الأدب او في الفن . — وقوله : « رَجْعة » بازاء survival (ص ١١٧) ، والوجه ما استنبطناه في الرسالة المذكورة : « أثارة » وهي البقية توثر عن الأولين ، واما « رجعة » فتفيد العودة return بتبصر الى صيغة مضت اسبابها . — وقوله : « تذهيب » بازاء illumination (ص ٣٢٣) ، والصواب : « ترقين ، تزيين » ، واما التذهيب فمحصورة في gilding . — وقوله : « الاسلوب التأثيري او الانطباعي » بازاء impressionistic style (ص ٣٢٣) ، والتأثيري ضد المقصود هنا لأنه ايجابي الفعل ، والصواب : « التأثري » ، طلباً للسلبية الموجودة في كلمة « انطباعي » . — وقوله : « محاكاة » بازاء modeling (ص٣٢٤) ، ولا شأن للمحاكاة بالمعنى المطلوب ، والصواب : « تجسيم » (اطلب المسرد المذكور (ص ٤٧) . — وقوله : « التوريق (الزخارف النباتية العربية) بازاء arabesque (ص ٣٢١) ، وهو نقص بالغ ، لأن الاصطلاح الافرنجي يقع على طريقتين من الرسم العربي : الأولى تعتمد الورق والساق ، والثانية تعمد الى الخطوط الهندسية ، فالتوريق لا يقع الا على الاولى . وقد اوضحنا في « سر الزخرفة الاسلامية » (ص ١٤) ما يفصل الطريقتين وما يجمعهما ثم جئنا باصطلاحين لهما : « الرمي » و « الخيط » تضمها كلمة « الرقش » (ص ٤٧) .

أقطع دفقان القلم حتى لا يهجم الملل على القارئ ، والتفت لخاتمة الى تصدير المراجع الدكتور احمد فكري ، فارى فيه سعياً مشكورًا الى ابراز الروعة التي تلفُّ الفن الاسلامي . غير اني أعجب لاهماله كتابين حين احصى الكتب الشاملة للفن الاسلامي (ص ١) ، الأول : E. Kühnel. *Die islamische Kunst*, in A. Springer, *Handbuch der Kunstgeschichte*, VI, Leipzig

1929 ، والثاني : Georges Marçais, *L'art de l'Islam*, Paris 1946 . وأعجب فوق ذلك من اقباله علي زميل هو الدكتور زكي محمد حسن ، اذ يعرض لكتابه « فنون الاسلام » (القاهرة ١٩٤٨) فيجزم انه « نقل قائمة مراجع ديماند باكلها » . ومها يكن تحت هذا القول من مقصد فالتحقيق ان في كتاب زكي حسن ٩٩ مرجعاً ليس عند ديماند وان هذا ذكر ١١٨ مرجعاً ليس عند زكي حسن ، فضلاً عن ان زكي حسن تناول ابواباً من الفن نحو العمارة اعرض عنها ديماند ، يقابله اعراض زكي حسن عن نواحٍ اقبل عليها ديماند .

وختاماً املنا ان تخدم « مؤسسة فرانكلين » الثقافة العربية الناشئة في تنبه وتثبت فلا تلقى الينا بمنشوراتها القاء المتهاون المتسرع . وكيفما كانت الحال فالكتاب مطبوع طبعاً محكماً ووثائقه المصورة جلية جليلة .

٦ – محمد مصطفى – « متحف الفن الاسلامي » ١٣٦ ص – ٩٥ لوحاً – القياس ٢٠ × ١٤ سم – مطبعة وزارة المعارف العمومية – القاهرة ١٩٥٤

للدكتور محمد مصطفى مدير متحف الفن الاسلامي بالقاهرة اقبال على دراسة الآثار الاسلامية وله مشاركة حسنة في باب الخزف . ومن جيده ما ينشره في هذا الوقت من فصول قصيرة يقرّب فيها الوان الفن الاسلامي الى عامة الجمهور ولاسيما السياح الذين يقدمون مصر (راجع الاعداد الاخيرة من Egyptian Travel Magazine) ، وايضا ما يقدمه الى زوار متحف الفن الاسلامي من « اريس يعرض فيها عيون الألطاف المحفوظة فيه . وهذا الدليل الموجز مرتب بحسب قاعات المتحف ، قد برزت في صفحاته نخبة كبيرة من الآثار ، فيها المصورات على أنواع ، بعضها كان مطوياً ، يصحبها تعليق يمتاز بسهولة يتطلبها دليل قراؤه من المرتادين المستفسرين . والى جنب هذا الدليل ظفرنا بالكراسة الأولى من « مجموعات » المتحف ، وهي خاصة بسجاجيد الصلاة التركية (القاهرة ١٩٥٣) ، وفائدتها لطيفة لما تضم من آثار عناصرها مفصّلة ، مرتبة .

٧ – زكي محمد حسن – « مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي » – رسالة مستلة من مجلة « سومر » المجلد ١١ ، الجزء ١ – ٣٤ ص – ١٦ لوحاً – القياس ٢٨×٢٢ سم – بغداد ١٩٥٥ .

الدكتور زكي محمد حسن من رواد المشتغلين بالفن الاسلامي على اصنافه

واطرافه . فله من المصنفات الخارجة باللغة العربية منذ عشرين سنة ما روى الغلة اذ ادخل في الثقافة العربية الحديثة باباً كانت اليه مفتقرة . وليس هـذا المصنف ممن يقنع بالنقل الهيّن عن علماء الفرنجة، بل له جهد في الاستقصاء والتفتيش زيادة على همته في انشاء متحف في كليـة الآداب بجامعة القاهرة، الى جنب التدريس . وهاهو ذا استدعته وزارة التربية في بغداد ليخرّج فئة من الطلاب.

وقـد رأى وهو في قاب العراق العزيز ان يصنع رسالةً في آثار التصوير من المذهب العراقي، وهو ما اصطلح جمهور العلماء على تلقيبه بـ « مدرسة بغداد » . l'école de Bagdad

والرسالة على اقتضابها عرض واضح مرضيّ لقصة هذا المذهب . فيها سرد منظوم ومفحوص للآراء التي دارت حولها في اثناء خمسين سنة، مع الاتكاء على المصادر المكتوبة والمصوّرة جميعاً . ويتخلل ذلك كله تبيان لأجلّ المخطوطات التي وصلت الينا مع نعتها نعتاً دقيقاً في ايجاز . وسيفيد القارئ من الهوامش حيث يبذل اليه المصنف طائفة من المراجع الافرنجيـة لا سبيل عنها للطالب المستطلع والعالم المتتبع .

واليك مطالب الرسالة : كلمة في موقف الاسلام من التصوير وأخرى على نشأة هذا الفن في الحضارة العربية — السبب في تسمية « مدرسة بغداد » — عصر هذه المدرسة ومواطنها الفنية — موضوعات التصوير فيها — خصائص اسلوبها — مصادر المناهج الفنية فيها .

والتفاتاً الى فضل الرسالة من جهة، والى عظم شأن الآثار الخارجة من تلك المدرسة في موكب الحضارة العربية من جهة، يحسن بنا ان نتمم بعض اجزاء الرسالة، وذلك بالنظر في بعض الأحكام الواردة فيها ثم بذكر مصادر قد عز منال اكثرها على المصنف وهو في بغداد .

١ : مراجعة احكام .

— مدرسة بغداد تسمى ايضاً « المدرسة السلجوقية » (ص ٦—٧) — انظر مناقشة الدكتور مصطفى جواد في ذلك : « نظرات في التصوير عند العرب » مجلة الثقافة، السنة ٦، العدد ٣٠٢، ص ١٦ .

— نسبة مخطوط جالينوس المحفوظ في ڤينة، وموضوعه « الترياق »، وكذلك

نسبة مخطوط كتاب الأغاني الموزع بين القاهرة واسطنبول ، الى مدينة الموصل (ص ٩) . — اطلب تفنيدنا للنسبتين في كتابنا *L'art sacré chez un primitif musulman* ، مجلة المجمع العلمي المصري ، السنة ١٩٥٣ — ١٩٥٤ ، ج ٢ ، ص ٦٢٠—٦٧٧ (ظهر هذا المبحث على حدة في القاهرة ، ١٩٥٥ ، مع موجز باللغة العربية : « الفن القدسي في التصوير الاسلامي الأول ») .

— « ان اقدم التصاوير الايرانية المعروفة ترجع الى بداية القرن الثالث عشر » (ص ٨) . — يعدّل هذا الآن كشف عن مخطوط فارسي نسخ في جرجان سنة ٤٨٣ ﻫ . انظر R. N. Frye, *The Andarz Nāme of Kāyūs* in *Serta Cantabrigiensia*, Wiesbaden 1954, S. 7—23.

— الراجح ان ناسخ مخطوط ديسقوريدس المحفوظ في طوبقابو سراي والمؤرخ سنة ٦٢١ ﻫ هو الذي رسم تصاويره ايضاً (ص ١٤) . — انظر لابطال الترجيح ولوجود المخطوط في خزانة آيا صوفيا الآن كتابنا *L'art sacré*, p.659 .

— كان مخطوط « البيطرة » المحفوظ في دار الكتب المصرية والمؤرخ ٦٠٥ ﻫ اقدم اثر مصوّر منشور قبل اكتشاف « كتاب الترياق » المؤرخ ٥٩٥ ﻫ على يد بشر فارس (ص ١٢) . — اقدم من مخطوط « البيطرة » ذلك مخطوط عنوانه « الحيل » للجزري ، محفوظ في طوبقابو سراي ، مؤرخ ٦٠٢ ﻫ . انظر كتابنا *L'art sacré* اللوح ١١ ب ، ص ٦٦٨ والهامش رقم ١ حيث نصحح رأي Stchoukine في كتابه *La peinture iranienne*. p. 77.

— اجزاء مخطوط « الأغاني » المؤرخ ٦١٤ . اربعة منها في دار الكتب المصرية وتسعة في المكتبة الاهلية باسطنبول (ص ٢٢) . — اثنان منها فقط في خزانة فيض الله باسطنبول ، وهما الجزء ١٧ و ١٩ . انظر كتابنا *L'art sacré* ، الفصل الأول .

— ارتياب المستشرق الانكليزي د. س. رايس في صحة موضوع المنمنمة التي تزين الجزء ١١ من مخطوط « الأغاني » (ص ٢٢ — ٢٣) . — انظر لقطع الارتياب كتابنا المذكور وقد الفناه لهذا الغرض .

٣ : زيادة في المصادر .

— العرب والصين في باب صناعة الورق (ص٤—٥) . — انظر حبيب زيات

«صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام» مجلة المشرق ، السنة ٤٨ ، ج ٤ و ٥ ، ص ٤٨٦ ، ٤٨٣ وما يليها ، ٤٩٦ وما يليها :

— صلة الفن الصيني بمدرسة بغداد (ص ٥) — انظر E. Blochet, *Musulman Painting*, London 1929, see Index (*China; Chinese influences*); Wiet, *Une collection de faïences iraniennes*, in. *BIE*, XXIV, Le Caire 1941. p. 7.

— من الخطأ ان يقسم العلما. آثار مدرسة بغداد بحسب البلدان (ص ٨) .

انظر B. Farès, *Une miniature religieuse de l'école arabe de Bagdad*، من منشورات المجمع العلمي المصري ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٢ — ٢٣ ؛ وله ايضاً *Le livre de la Thériaque*، من منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ١١ × ؛ وله ايضاً *L'art sacré* ص ٦٧٣—٦٧٥ .

— تفنيد نظرية Stchoukine الذاهبة الى ان مدرسة بغداد ايرانية النهج (ص ٩ — ١٠) . — انظر B. F., *Miniature religieuse* الفصل الثالث والرابع .

— اقدم ما نعرفه من تصاوير مدرسة بغداد يرجع الى النصف الثاني من القرن السادس الهجري (كتاب النبات لديسقوريدس ، ص ١٠) . — انظر S. Ünver, *Istanbulda Dioscorides Eserleri*, Istanbul 1944, fig. 1-3, p. 6-7.

— مخطوط ديسقوريدس المحفوظ في طوبقابو سراي والمؤرخ ٦٢١ هـ (الآن في آيا صوفيا كما تقدم) ، (ص١٤) . — انظر S. Ünver. *Istanbulda*. fig. 4; B. Farès. *L'art sacré*, pl. 7.

— مخطوط ديسقوريدس المحفوظ في ضريح الامام رضا بمدينة مشهد لا يزال تاريخه موضع تحقيق (ص١٤) . — انظر B. Farès, *Thériaque*, p. 2, note 2.

— مخطوطات اخرى في النبات مصورة (ص ١٥) . — انظر S. Ünver. *Istanbulda*, fig 1-3, p. 5-7.

— في مخطوطات « مقامات الحريري » المصورة مادة غزيرة لانواع العمارة والأثاث (ص١٨) . — انظر M. E. Pauty, *L'architecture dans les miniatures islamiques*, in *BIE*, XVII, Le Caire 1935, p. 23—68.

— مخطوط «مقامات الحريري» المحفوظ في مدينة لينغراد (ص١٨—١٩) . — انظر المراجع عند 1) Kurt Holter, *Die islamischen Min. Handschriften vor*

1350, Leipzig 1937, n° 32; 2) Buchthal, Kurz & Ettinghausen, *Supplementary Notes to K. Holter's Check List...*, in *Ars Islamica*, VII, 2 (1940) n° 32; 3) B. Farès, *Miniature Religieuse*, répertoire *(A)* n° 13.

ـ مخطوط «مقامات الحريري» المحفوظ في دار الكتب الوطنية بباريس تحت رقم ٣٩٢٩ (ص ١٩). ـ انظر كتبنا الثلاثة: 1) *Miniature religieuse*, répertoire *(A)* n° 18; 2) *Essai sur l'esprit de la décoration islamique*, Le Caire 1952, pl. XII a, p. 31; 3) *L'art sacré*, pl. V b, XI a.

ـ مخطوط «مقامات الحريري» المحفوظ في دار الكتب الوطنية بباريس تحت رقم ٦٠٩٤ (ص ١٨). ـ انظر كتابنا *Essai sur l'esprit*, pl. 12 b, p.31.

ـ مدرسة بغداد ثمرة تفاعل لأنماط في التصوير مختلفة، على رأسها نمط التصوير المسيحي الشرقي ولا سيما في سنّته الدينية (ص٢٩-٣٤). ـ انظر كتابينا ضمناً من مراجع: *Miniature religieuse*, chap. III, IV, appendice; *Le livre de la Thériaque*, p. 19-34.

هذا ومما يتصل بهذا الباب قصة الفن المسيحي في الاندلس، وقد ظهر من سنة رسالة لطيفة في هذا: W. Neuss, *Probleme der christlichen Kunst im maurischen Spanien des 10. Jahrhunderts*, in *Forschungen zur Kunstgeschichte und christlichen Archäologie*, I, Baden-Baden 1954, S. 249-284.

ذلك ما بدا لنا ان نضيفه الى الرسالة وهي حقيقة بان تكون موضع عناية لتعمّ فائدتها في الشرق خاصة.

وقبل ان نرفع القلم نشكر للمصنف فضله في اذاعة طائفة كبيرة من المصطلحات التي وضعناها من قبل في ابواب الفنون، فقد استعملها ببصارة في ثنايا الرسالة وباقبال نعدّه جزاء للجهد الذي اقتضاه الوضع في حينه.

المؤتمر التومائي الدولي الرابع

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

اننا نعيش في عهد المؤتمرات، ففي ايلول الماضي وحده عقدت اربعة مؤتمرات كبرى جلساتها : ففي رومة انعقد «مؤتمر العلوم التاريخية والمؤتمر التوماني الرابع» وفي اوكسفورد «مؤتمر كتابات آباء الكنيسة» وفي اسطنبول «مؤتمر الجامعات» ومن البديهي ان تبادل الافكار يساعد على زوال التوتر من العقول ويعزز التفاهم بينها ، فلقد عاش موفدو عدد كبير من الامم ، ان لم نقل موفدو العالم برمته عيشة مشتركة لبعض الوقت وفي جوّ من التآخي والبحث عن الحقيقة وهم الذين تفصل بعضهم عن بعض عقائد مختلفة واحياناً متناقضة ، اما المباحثات فكانت مشبعة بروح الحماسة لتترك الاتصالات الشخصية شعوراً لا يقل حرارة بالرغبة المشتركة في البحث عن الحقيقة .

لقد ضمّ المؤتمر التوماني الدولي الرابع المنعقد في رومة من اليوم الثالث عشر من ايلول الى السابع عشر منه بقصر المستشارية مندوبي سبعين جامعة ومعهداً اي زهاء مئتين وخمسين موفداً انضم اليهم حوالى ثلاث مئة مستمع حرّ جاءوا من شتّى الامم والاقطار .

ولقد كنت ترى الاسباني والفرنسي والبلجيكي والايطالي والالماني والبورتغالي والاميركي وابن اميركا الجنوبية واللبناني الخ يجلس بعضهم على مقربة من بعض كما شوهد علمانيون واكليريكيون قد تملكتهم ايضاً الحمية نفسها لفكرة العلّامة القديس توما التي قورنت بفكرة هيجل وماركس وبالوجودية والعلوم في تقدّمها الحالي .

والابحاث والتقارير الثلاثة والثمانون التي تداولوها انشطرت الى ثلاثة موضوعات رئيسية : الاول تعليم القديس توما ومقارنته بوضع العلوم الحالي وكان الانتباه مركزاً في هذا المقام خاصة حول العلاقات القائمة بين الفلسفة والعلوم ، فتحدث الاب جرار دلوريه (P. Guérard des Lauriers) الدومنيكي مقرّر

هذا الفرع الى جمهور المستمعين عن «علمي ما وراء الطبيعة ووراء العلوم» واخذ بقدرة كبرى في تحليل العبارات الكبيرة التي يستخدمها علم ما وراء الطبيعة والعلوم : وهي مفاهيم الوجوب والجوهر والحياة والمادّة والكمّ والوصف وتحدّث اخيرًا عن حرّية الارادة ، وامكنه ليختم حديثه ان يستمدّ من بول ڤرنوت (Paul Vernotte) الذي كان حاضرًا في المؤتمر خلاصة تقريره : « لقد ضاعف وضع العلم الحالي ثروة الادلة وجعل اشدّ ضروب التحليل ضرورية وصيّر ممكنًا غالبًا اقامة براهين عدّة شديدة الدقّة من جنس واحد واوحى بدراسات لم تكن مرتقبة ، بيد انه لا بدّ من الاخذ بالحكمة البالغة في جميع هذه الامور فقد كنا مخدوعين غالبًا ، فالزيغان واقف لنا بالمرصاد اما اذا كانت مفاهيمنا قد سارت على نور « ذلك ما يستطيع ان يوجّه ابحاثنا العلمية والفنّية خير توجيه » فمن الواجب ان نتأكد ان العلم لم يغيّر شيئًا من الفلسفة التقليدية كما كان علينا ان نرتقب ».

وكانت المناقشات التي عقبت بيان الاب جرار دلوريه (P.Guérard des Lauriers) تهدف الى تأييد هذه النتيجة ، فمبادئ الفلسفة التقليدية قد ظلّت بدون ان تتغيّر وضروب الحدس الاساسية في تعليم القديس توما لم تبدّلها اكتشافات العلم الحديث الجديدة .

وتناول الموضوع الثاني الذي اثار مزيدًا من المداولات والمناقشات تعليم القديس توما المقارن بنظرية هيجل وماركس ذات الحدود الثلاثة : القضية ونقيضتها والمركب عنها وذلك في مبحث الجوهر في المنهج الهيجلي وفي منهج القديس توما ومفهوم الكائن في نظر هيجل ونظر القديس توما ومعنى التاريخ ومعنى ما هو كائن بذاته بدون ايّة علّة كانت والانسان كشعور بنفسه في فلسفة القديس توما ، تلك كانت المسائل الرئيسية التي اثيرت ليضاف اليها مسائل اخرى خاصة كمسألتي الملكية والاسرة .

ولم يستطع مذهب هيجل العقلي الّا ان يفضي في النهاية الى انكار مبادئ العقل الاولى ، ففي ارادتهم رفع الانسان بفصله عن غايته الاخيرة ، عن الكائن بذاته فانهم يغيب عن نظرهم الشخص المحسوس في مصيره الذي لا يستطيع احد مشاركته فيه ، وان الاهتمام الوجودي والتوماني برمّته للشخص

ولسزوليانه يرغم على تحطيم الحلقة الهيجلية ونظرية التكوين التي اعربت عنها الفلسفة الوجودية بعبارات اشدّ نفسانية تمكّن من ارجاع الانسان الى مقامه الحقيقي في الخلق ومن الوصول الى اسمى عبادة للعلّة الاولى وللمبدأ الاول.

ولم يكن هيجل الاول في اصراره على هذه الحقيقة وهي ان الانسان هو شعور بذاته. فالقديس توما قد ايّد هذه الحقيقة قبله بزمن طويل، ان الانسان هو شعور بذاته بحصر المعنى لان في مقدوره ان يعي حقيقة معرفته وهو روحي لكونه كشعور بذاته، اما اذا كان العقل مقياس الانسان الخاص به حسب عقلية القديس توما فلانه يشبه شبهاً كبيراً الحقيقة التي لا يعتريها تحويل. اما في نظر هيجل فالامر على العكس «ان الشعور هو الذي يعطي بذاته مقياسه الخاص به ولهذا السبب سيصبح البحث مقارنة الشعور بذاته» Phénoménologie de l'Esprit, I, p. 75 .

ومن الواجب ارجاع كل هذه الفكرة الهيجلية وغيرها من وجهات النظر التي هي موضوع ابحاث المؤتمرين الى تركيزها في حركة نظريته ذات الحدود الثلاثة التي شدّد عليها هيجل كل التشديد .

وفي نظر هيجل لا واقعي الا المعقول فالمتناقضات لا يمكن فصل بعضها عن بعض والكائن لا يستطيع ان يوجد بدون اللاكائن .

ان هذه التأكيدات الانكارية للحقيقة والتي تنكر خاصة الحقيقة الاولية لتنقضها الفلسفة التقليدية : فالله يستطيع ان يوجد بدون اي مخلوق كان وبدون اي عقل له حدوده، فهو الفكر الذي له وجوده والحياة الذاتيّة والكائن بذاته وغاية الانسان الاخيرة ومبدأ ارتقاء الكائنات .

ولقد ظلّ الموضوع الثالث الا وهو مقارنة تعليم القديس توما بالمناهج الوجودية.

وبحثت فيه ثلاث مسائل رئيسية: مسألة الحقيقة ومسألة وجود الله والالحاد واخيراً مسألة علم الاخلاق والوجدان .

والوجودية التي هي ظاهرة من اقوى ظاهرات الفكر العصري تبدو كأنها قد ارجعت كائن الموجود الى الظاهر المحض والبسيط ومع ذلك فهي تودّ ان تكون علم ما وراء الطبيعة للوجود الانساني بيد انها تقف لدى بعض الوجوديين عند حدّ الدراسة الوصفية التشاؤمية لظاهرة او لمجموعة ظاهرات محضة كما

توضحها التجربة وعند فكرة العدم وعند مرحلة سابقة لعلم ما وراء الطبيعة عامة وعند الظاهر الذي ينكر في النهاية الكائن والله والطبيعة الانسانية الحقيقية ، فقد استطاع احد تلامذة سارتر ان يكتب: «ان انكار «الوجودية» لله تعالى لا يهتمّ كثيرًا لاقامة البراهين على عدم وجود الله لكن لتجعل الانسان يشعر بوجوده الخاص به».

فيا لغرابة مصير الانسان الذي «جعلوه يشعر بوجوده» ... او انهم فصلوه عن الله غايته ، او انه اذا كان صادقًا في تأملاته احسّ ، وقد أُفردَ على هذه الصورة ، بمجابهته المؤلمة للارتقاء. فيا هو اوسع منه بدون ان يفقد فيه ذاته ، في الكائن الذي له منه الحياة ، الكائن بذاته ولاجل ذاته ، الله ، اما الفلسفة الوجودية فتريد توجيه الانسان نحو تحرّر كامل ومسؤولية اعظم و«بطولة» جبّارة ووجود ابلغ صحةً ونحو انتباذ كل استسلام وخسارة نفسية تكوّنه له فكرة الله ، لتتضح عدم جدوى هذه الفكرة وضررها ، لان الانسان هو مقياس الانسان وبروره في مراحل الشجاعة واثبات ذاته ينتهي به الامر الكي لا يدرك الّا عدمَ وجوده التافه «المهمل» الذي لا قيمة له .

ان الوجودية تصبح على هذه الشاكلة تعليمًا قائمًا على مفهوم مقتضيات الشخص الانساني الشاملة ولا تظل نقطة «المجادلة الالحادية» المركزية فيما مبدأ السببية بل معرفة كيفية اتفاق اثبات الكائن الضروري مع الحرية الانسانية ومع الوجود الانساني الغائص في التاريخ .

ومن هذه المبادئ القليلة الموجّهة ينجم علم الاخلاق الوجودي .

ان نفي وجود القريب نفيًا باتًّا يؤدي بالوجودية الى اثبات علم اخلاق فردي محض على حين ان الاختبار النفساني والتبحّر في علم ما وراء الطبيعة يفضيان الى الاثبات ان الانسان بجوهره هو صلة بغيره ولا تستطيع هذه الصلة ان يكون لها قيمة الّا اذا كان طرفها الآخر الذي يؤسس وجود الانسان كائنًا بذاته فالانسان ليس منغلقًا على نفسه ولربّما كان وصول سارتر الى انكار الله والجحود متأتيًا من كونه قد اضاع من امام عينيه مفهوم المصير والقوة .

واننا سنقف هنا في هذا العرض الموجز للمسائل الكبرى التي بحثت في اثناء المؤتمر التوماني ومع ذلك فقد كانت قضايا اخرى ليست باقل اهمّية منها

موضوع البحث فلذلك لا يخلو من الفائدة ان نشير الى اسماء بعض من كانوا من المتحدثين كالآباء جان ابليه (Jean Abelé) وكلوبرتانز (Kulbertanz) وسلفاجي (Selvaggi) و ج دوكوان (G. Ducoin) وكاريكو لاكرانج (Carrigou-Lagrange) وف غريغوار (F. Grégoire) وج دفينانس (J. de Finance) ور جوليفه (R. Jolivet) ول ريكار (L. Ricard) وش فابرو (C. Fabro) وس بروتون (S. Breton) وا دوندين (A. Dondeyne) والسادة ب فرنوت (P. Vernotte) وج شايكس روي (J. Chaix-Ruy) وش مورو (C. Moreau).

٥

عند انتهاء المؤتمر دُعي بعض موفدي الجامعات الى الكلام فابدى هؤلاء رغبتهم في التوالي في رؤية المزيد من التماسك بين الباحثين والمزيد في فهم مختلف المناهج فطالبوا بالاستزادة من التعمق في دراسة القديس توما استزادة يجدون فيها ثروة كبيرة لم تدوّن حتى الآن ويفادون منها في فهم دراسة الفلسفات العصرية فهماً أتمّ يهيئ لهم ما يخولهم القاء ضوء على مشكلات العالم المثيرة ومشكلة الانسان والله وقضيتي الوجود والحقيقة .

ولم يقتصر هؤلاء في كلامهم عن لفت انتباه رجال المؤتمر الى ضرورة توسيع علم القديس توما بمقارنة تعليمه بفلسفات الشرق القديمة بفلسفتي الهند والصين فيستفيد كلا مفكري المسكرين فوائد جمّة تضاعف معلوماتهم ولماذا لا تنعقد جلسات المؤتمر التوماني المقبلة في بلدٍ من بلاد تلك الحكمة القديمة .

٥

لقد كان للحبر الاعظم ان يفتتح المؤتمر بخطاب يوجّه فيه خطى اتجاهاته . فلما ذهب المؤتمرون لمقابلة قداسته في قصر كوندولفو تمكّنوا من رؤيته متمتعاً بكامل صحته وشاهدوه يرتقي عرشه بخفّة وبدون صعوبة ويستمعون اليه موزعاً عليهم تعليمه الواضح بقوة وجلاء، فقد كانت ايماءاته تقف عند جميع براهينه القاطعة ويقطعها تقطيعا وكان المستمعون مغتبطين لرؤية ذلك الشيخ الجليل ناعماً بتمام العافية والقوّة وبعد ان انتهى من خطابه اقبل يوجه كلمة الى الذين اسعدهم الحظ وكانوا على مقربة من عرشه فبدا لنا انه يعرفنا فقد كان يرحب بمجيء كلٍّ منّا ويخصّه بكلمة تنمّ على انه لم يكن غائباً عنه شيء من حياة الامم المختلفة.

فبعد ان رحّب الحبر الاعظم بمستمعيه ذكّرهم فائدة « معرفة تعليم القديس توما معرفة راسخة » بقوله «وذلك اذا كنّا لا نريد ان يجرّنا طيش الفلسفات الدارجة التي لن تكتب لها حياة طويلة والتي لا تدع وراءها الّا البلبلة والشكوك ».

ولم يشأ الحبر الاعظم الوقوف عند معالجة هذا الامر وحده بل رغب في توجيه الافكار الى مسألة اساسية من بنات الساعة الحاضرة تتطلب انتباهاً خاصاً ... الا وهي علاقات الاختبارات العلمية بالفلسفة .

وبعد ان لفتت هذه المقدمة انتباه المستمعين بحث الخطاب الحقيقي تكوين المادّة اولًا ومذهب الجبرية ومذهب حرّية الانسان ثانياً واخيراً العلاقة القائمة بين المادّة والقوة . فان الفلسفة وان كانت مستقلة عن العلوم عليها ان لا تنسى التقدّم العلمي. وختم الحبر الاعظم خطابه عند هذه النقطة قائلًا: « انكم تفهمون الفائدة الكبرى والضرورة القصوى اللتين تقتضيان الفيلسوف ان يعمّق معارفه في ضروب تقدّم العلوم فاننا لن نستطيع المساهمة في تفسير العلوم باسم الفلسفة ما لم نستوعب نتائج القضايا الرياضية العملية واوضاعها النظرية فان لكل فرع من فروع المعرفة ميزاته الخاصّة به وعليه ان يعمل بالاستقلال عن غيره بيد ان هذا لا يعني انه من الواجب ان تتجاهل لان صرح المعرفة الانسانية العظيم لا يستطيع الانبثاق الا من التفاهم والتآزر المتبادلين لينسجم مع الانوار العلوية والحكمة الالهية ».

BULLETIN
DE PUBLICATIONS ORIENTALISTES
EN LANGUE RUSSE

par le Père JEAN MÉCÉRIAN, S.J.

AVANT-PROPOS

Décidément le Gouvernement central de l'Union des Républiques Socialistes Soviétiques continue la diplomatie du «sourire». Non seulement il envoie en deçà du *Rideau de fer*, comme on a coutume de dire, des sportifs, des musiciens, des ballerines, mais encore des savants. Et c'est cet aspect du «sourire» qui nous intéresse.

On remarqua d'abord la participation active des savants russes à des Congrès internationaux de Sciences dites «exactes» (Astronomie, études atomiques...). Maintenant ils sont présents à des Congrès consacrés à des Sciences appelées par eux *sociales* ou mieux encore *humaines*: tels le XXIIIème Congrès Intern. des Orientalistes, tenu à Cambridge (21-28 Août 1954), et, tout récemment, le Xème Congrès Intern. des Sciences historiques, réuni à Rôme (4-11 Septembre 1955) ainsi que deux autres Congrès qui eurent lieu presque simultanément à Istanbul (Turquie): le Xème Congrès Intern. d'Études byzantines (15-21 Sept. 1955) et la Deuxième Conférence générale de l'Association Intern. des Universités (19-23 Sept. 1955). Qui aurait cru que même l'Espagne, sous le régime du général Franco, pût voir arriver pour assister au XXVIIème Congrès Int. de Chimie industrielle, des délégués officiels de l'Union Soviétique munis pour le président du Congrès d'un message signé par le président [illegible] par le secrétaire général de l'Académie des Sciences de l'U.R.S.S. (Octobre 1955).

Les savants soviétiques se présentent à ces congrès avec leurs communications, imprimées à l'avance à Moscou-Léningrad par les soins de cette Académie, en deux langues: en russe et en une autre langue: anglais, français ou italien, et les distribuent aux congressistes: geste très apprécié par ceux-ci.

Un autre aspect mérite d'être relevé dans l'activité scientifique des Russes: c'est la reprise, après un long couvre-feu qui leur avait imposé le silence, de certaines revues de grande valeur qui voyaient le jour avant la Révolution de l'année 1917. Tel fut le cas du: *Vizantiskiy Vremennik*, qui a repris sa publication, sous forme de volume annuel, en 1947, avec numérotation double I (XXVI). Le chiffre entre parenthèses disparaissait dès le IIIème volume; mais sa présence sur les deux premiers indiquait bien l'intention de ses éditeurs de continuer le périodique interrompu. Tel est aussi le cas d'une autre publication qui réjouira spécialement ceux qui s'intéressent de près aux problèmes culturels et religieux du Proche-Orient: c'est le *Palestinskiy Sbornik* (= « Recueil Palestinien »), portant la numérotation suivante: fascicule 1 (63), 1954, publié par la « Société Palestinienne Russe de l'Académie des Sciences de l'U.R.S.S. », Moscou-Léningrad.

Encore plus récemment les publications périodiques, relatives à l'ethnographie des divers peuples du Caucase, ont repris sous le titre de: « *Kavkazkiy Etnografitcheskiy Sbornik* » (= « Recueil Ethnographique Caucasien »), Moscou, 1955.

Divers organes orientalistes ont subi des changements. Citons, parmi ceux qui continuent à présent, les périodiques dont nous avons connaissance: *Sovietskoyé Vostokovedeniyé* (= « Orientalisme Soviétique »), les « Mémoires scientifiques » et les « Brèves Communications » de l'Institut d'Études Orientales ; *Epigrafika Vostoka* (= « Epigraphie de l'Orient »), sans compter la *Sovietskaya Arkeologuia* et trois revues spécifiquement historiques: *Istoritcheskié Zapiski*, *Vestnik Drevney Istorii* et *Voprossi Istorii* qui contiennent souvent des articles se rapportant à diverses disciplines proche-orientales.

Faut-il ajouter que les ouvrages relatifs à ces disciplines variées foisonnent dans la production colossale des Académies de l'Union Soviétique.

Obligé, pour mon enseignement et mes travaux personnels, de prendre connaissance parmi ces publications de ce qui m'est accessible, j'ai eu l'idée de livrer, à ceux que la matière intéresse, un modeste *Bulletin de Publications Orientalistes en langue russe*. Bien entendu je n'ai en vue que les études qui concernent le Proche-Orient au sens large du mot et, parmi ces études, je réserve au *Bulletin Arménologique* ce qui a trait au peuple arménien. Le Troisième Cahier de ce dernier *Bulletin* verra le jour dans un des prochains volumes des *Mélanges de l'Université Saint Joseph*.

Quant à la méthode, qu'on me permette de dire que je suivrai celle que j'ai adoptée pour ce dernier, à savoir que j'aurai en vue principalement ceux qui ne connaissent pas la langue russe ou qui n'ont pas facilement à leur disposition certaines publications et je ferai connaître assez largement le contenu des travaux que je présente, prenant soin de donner des indications précises de noms, de paginations etc. Je rencontre une difficulté de détail sur ce point, c'est que les savants soviétiques n'indiquent que par des initiales les prénoms des auteurs que nous risquons parfois de confondre, si nous ne les connaissons pas par ailleurs; nous sommes même embarrassés parfois ne sachant devant la terminaison féminine s'il faut nommer Madame ou Mademoiselle.

No. 1

PALESTINSKIY SBORNIK

Le « Recueil Palestinien », fascicule 1 (63), format 26×17, 130 pp., 15 pl. hors-texte, Moscou-Léningrad, 1954. Rédacteur responsable: N. V. Pigoulevskaya, membre-correspondant de l'Académie des Sciences de l'U.R.S.S.

Avant de souligner l'importance de cette nouvelle publication et d'en analyser le contenu, je crois opportun de présenter tout d'abord, en traduction française, l'introduction que la Rédaction du périodique a insérée au début.

§ I. — « De la part de la Rédaction »

« Le peuple soviétique est le champion du renforcement des relations culturelles entre tous les peuples. L'étude de l'histoire et de la culture des autres peuples mène à l'affermissement des rapports amicaux entre pays, et sert au mieux à la grande œuvre de la paix.

« L'opinion publique soviétique témoigne un profond (grand) intérêt à la vie et à l'histoire des divers peuples, au nombre desquels sont ceux du Proche-Orient. Cet intérêt a une tradition de longue date. Déjà au XIIème siècle les gens de Russie s'intéressaient vivement aux coutumes et à la vie de l'Asie Antérieure; de cela témoignent un remarquable ouvrage, comme l'est l'*Itinéraire de l'higoumène Daniel*, et la série de travaux de même genre qui lui ont succédé.

« A la science nationale [russe] est dûe une énorme part dans l'étude de l'Orient ancien et médiéval, mais aussi dans celle de l'histoire moderne et contemporaine, dans celle de l'économie, des langues et de la culture de ses peuples. En particulier, un assez grand rôle fut joué dans la question de l'étude du Proche-Orient par la Société Palestinienne Russe, née déjà dans les années quatre-vingt du siècle passé et devenue à la fin du siècle une puissante organisation scientifique. Bien que dans la Russie Tsariste l'activité culturelle et scientifique de cette Société ait été limitée, néanmoins elle

joua un rôle positif. Ainsi la Société, à n'en pas douter, créa certaines conditions favorisant le rapprochement culturel du peuple Russe à ceux du Proche-Orient. A cela contribua l'érection d'hôtelleries, d'hospices, de centres de secours médical en Palestine et dans les pays limitrophes de l'Asie Antérieure; là descendaient les voyageurs russes, au nombre desquels se trouvaient les savants.

« Une autre entreprise de la Société fut l'expansion de l'instruction élémentaire dans les masses de la population locale. Dans les écoles fondées par la Société l'enseignement était donné dans la propre langue de la population, à savoir l'arabe, mais la langue russe était aussi une des matières obligatoires. La langue russe, possédée, révélait les trésors de la culture russe, de la production des grands écrivains, penseurs et savants russes.

« Outre un nombre considérable d'écoles primaires, la Société ouvrit deux écoles normales, l'une d'hommes, l'autre de femmes, afin de préparer pour les écoles primaires un personnel enseignant pris dans la population locale. Les mieux doués d'entre les étudiants qui terminaient l'école normale étaient envoyés en Russie pour recevoir une instruction supérieure et rentraient dans leur patrie pour y être professeur ou médecin. Élevés dans les idées d'avant-garde des couches progressistes de la société russe, ils fournirent une contribution considérable à la vie culturelle du Liban, de la Syrie, de la Palestine; de leurs rangs sortirent les premiers traducteurs en langue arabe de la littérature russe classique, une lignée d'écrivains du Liban contemporain jouissant d'une large renommée.

« Mais l'aspect fondamental et le plus essentiel de l'activité de la Société fut son travail scientifique. A ce travail prirent part les plus grands savants de l'époque qui témoignaient de l'intérêt à l'étude des pays du Proche-Orient. Des recherches de toutes sortes furent entreprises par des orientalistes, des professionnels d'études classiques, des byzantinistes, des slavisants, des spécialistes de l'ancienne littérature russe, des critiques d'art et des archéologues.

« L'activité des membres de la Société dans le domaine des recherches se reflète dans une vaste entreprise d'éditions. Dès la

fondation de la Société, fut publié en fascicules séparés le *Palestinskiy Sbornik* (= Recueil Palestinien); mais à partir de 1891, il devint annuel sous le titre de *Soobstchenia Palestinskavo Obstchestva* (= Communications de la Société Palestinienne). Les « Recueils Palestiniens » constituaient tout particulièrement la collection des recherches scientifiques de la Société. Les « Communications », elles, relataient, en plus, des renseignements de caractère scientifique sur les nouvelles découvertes archéologiques, sur des manuscrits, des matériaux et des sources inédites.

« Dans les « Recueils Palestiniens » on a inséré des documents de littérature ancienne, ayant rapport au Proche-Orient; ils étaient édités avec apparat critique accompagné de traduction. C'est dans cette série que fut publié le travail en quatre volumes du professeur N. A. Mednikov: « La Palestine, de la Conquête arabe aux Croisades », ouvrage étendu et qui jusqu'à nos jours n'a pas perdu sa valeur. Il reste encore aujourd'hui un ouvrage important dans le domaine de l'historiographie arabe. On n'oublia pas non plus les documents biographiques; la publication de leurs traductions eut une grande portée pour l'histoire, la philologie, l'histoire de la culture.

« Il n'est pas permis de ne pas souligner la participation de la Société à l'édition en huit volumes, exécutée par l'Académie des Sciences, des matériaux biographiques de Porphyre Ouspensky, qui séjourna longtemps à Jérusalem. Pour la période des années 40 à 80 du XIXème siècle, les renseignements sur le Proche-Orient, conservés dans ses travaux, sont très précieux.

« Outre son activité consacrée aux recherches scientifiques et aux publications, la Société jouissait de toutes les possibilités requises pour l'acquisition de documents relatifs à la culture matérielle et à la littérature. Dans les locaux appartenant à la Société on conservait les documents archéologiques, les inscriptions, les monnaies, les imprimés, les manuscrits: tous objets de l'investigation des savants devenus membres de la Société. Celle-ci organisa plus d'une expédition archéologique scientifique. Tel fut le voyage

archéologique en Syrie et en Palestine de l'Académicien N. P. Kondakov, qui fut riche en résultats. Pour rechercher des manuscrits grecs et orientaux, la Société envoya au Sinaï un groupe de savants. Le succès de cette expédition fut pareillement considérable.

« Après la Grande Révolution Socialiste d'Octobre (1917), la Société russe palestinienne reçut une possibilité étendue pour servir au noble but de contribuer au renforcement des liens amicaux avec les peuples du Proche-Orient. Le travail scientifique des membres de la Société se poursuit à présent sur de nouveaux fondements et principes, établis à la base de la vie et de l'activité des savants de l'Union Soviétique. Les érudits soviétiques, qui travaillent dans le domaine des langues, de l'ethnographie, de l'histoire et de la culture des pays du Proche-Orient, mènent leurs recherches suivant de nouveaux principes méthodologiques et s'efforcent de répandre largement les hautes idées humanitaires de la science progressive soviétique. La publication des résultats de l'étude scientifique du Proche-Orient est la première tâche des « Recueils Palestiniens ». Les recherches des membres de la Société palestinienne sont, comme dans le passé, consacrées également aux périodes anciennes et médiévales de l'histoire du Proche-Orient et aux choses de notre temps. L'étude des langues vivantes proche-orientales, de l'histoire moderne et contemporaine, de l'économie, de la littérature actuelle et de l'art des peuples du Proche-Orient entre dans son objectif. L'activité éditrice de la Société, qui reprend avec la parution du présent recueil, contribuera à la réalisation de ces buts.

« Le présent recueil contient des articles se rapportant à l'histoire et à la philologie des pays du Proche-Orient. Le premier article, signé par V. V. Strouvé, traite une question prise dans l'histoire du Proche-Orient et débattue chez les historiens, à savoir la révolte qui eut lieu en Égypte en la première année du règne de Darius Ier. Le second article, dû à L. A. Lipine, concerne les plus anciennes Lois de la Mésopotamie découvertes naguère. N. V. Pigoulevskaya édite un manuscrit trilingue, ayant un millénaire d'ancienneté, conservé à la Bibliothèque d'État de l'U.R.S.S. au nom de V. I. Lénine. Le Recueil contient aussi des articles sur l'éminent orien-

taliste soviétique et ramarquable homme d'action que fut le défunt académicien I. I. Kratchkowsky».

§ II. — Remarques sur la précédente introduction

Malgré sa longueur, nous avons reproduit intégralement cette introduction, parce que c'est une page instructive de l'histoire de l'orientalisme anté-soviétique et le nom de grands savants russes reste attaché au titre du « Recueil ». Aussi pardonnera-t-on aux rédacteurs certaines redondances de style ainsi que leurs slogans. Mais je n'en dirai pas autant des prétéritions volontaires que j'y ai remarquées; c'est pourtant une publication de l'Académie des Sciences de l'U.R.S.S.

Notons d'abord que le titre complet de la revue, soit comme «Recueil», soit comme «Communications», a toujours contenu le mot *Pravoslavniy*, à savoir «Orthodoxe», dont nos récents rédacteurs ne soufflent mot. Ce caractère confessionnel du périodique resta toujours accentué au cours de son existence, de 1881 à 1914. Le contenu du premier fascicule, consacré tout entier à «l'Orthodoxie en Terre Sainte», par son ton, ses annexes sur les communautés et les œuvres catholiques et protestantes, ne fut-il pas le programme de la revue ainsi que de la Société, lorsque celle-ci fut fondée? Ce qui n'a pas empêché les savants membres de la Société de faire, dans leurs recherches, œuvre sereinement scientifique.

Je note en second lieu que les deux premiers fascicules étaient, semble-t-il, une entreprise personnelle, car ils ne portent comme nom d'éditeur que celui de V. N. Khitrovo. C'est à partir du troisième fascicule seulement (1883), que l'édition est attribuée, toujours à Saint-Pétersbourg, à la « Société Orthodoxe Palestinienne », auquel titre s'ajoutera un peu plus tard le mot « Impériale ».

Menues rectifications qui renseigneront ceux qui n'auraient pas à leur portée la collection de l'ancien périodique.

§ III. — Un soulèvement en Égypte

Le premier article de la revue (pp. 7-13), sous la signature de l'Académicien V. V. Strouvé, examine « la révolte en Égypte en la première année du règne de Darius Ier ».

C'est par une phrase sensationnelle que l'auteur commence son étude : « L'histoire du peuple égyptien, qui lutte si héroïquement contre l'impérialisme oppresseur anglo-américain, mérite, dans tous ses détails, une étude des plus approfondies. — Un de ces détails encore insuffisamment étudiés dans l'histoire multiséculaire de l'Égypte est la question des proportions de l'agitation qui eut lieu en la première année du gouvernement du roi Darius I ». Nous ne savions pas qu'on dût faire remonter si haut l'oppression exercée par l'impérialisme anglo-américain. Le reste de l'article est plus sérieux et mérite notre attention. Pour mieux saisir la pensée de M. Strouvé, revenons en arrière.

En 1936, dans son beau livre : *La première domination perse en Egypte, Recueil d'inscriptions hiéroglyphiques*, (Bibliothèque d'étude de l'Institut français d'Archéologie orientale du Caire, T. XI), M. G. Posener avait condensé en une synthèse très solide (pp. 184-191) les résultats historiques qu'autorisait son examen de divers documents hiéroglyphiques sur la situation de l'Égypte au temps du règne de Cambyse et de Darius I. Qu'il me suffise de rapporter brièvement ces passages de son *Introduction* (pp. XI-XIII).

Après une préparation minutieuse Cambyse déclenche son offensive au printemps 525 et conquiert l'Égypte. «Tout en organisant le pays conquis, Cambyse prépare de nouvelles expéditions vers le Sud et vers l'Ouest. La Libye et Cyrène se soumettent; les Phéniciens refusent d'appuyer l'offensive projetée contre Carthage, rendant cette opération irréalisable. Restent les oasis et la Nubie, dont la conquête constitue le complément indispensable à la soumission de l'Égypte. Deux armées partent de Thèbes; la principale, dirigée vers le Sud, est commandée par le roi lui-même. Les Éthiopiens voisins de l'Égypte sont assujettis, ainsi que l'oasis de Khargeh.

« Rentrant en Égypte Cambyse, pris de folie, aurait commis des atrocités, persécuté son entourage perse et le sacerdoce égyptien, bafoué la religion du pays. On verra que les textes de ce recueil ne semblent pas confirmer ces renseignements.

« En quittant l'Égypte, le roi laisse la nouvelle province entre les mains du satrape Aryandès. Cambyse meurt en Syrie (522), en route pour la Perse soulevée par le mage Goumata qui se fait passer pour le frère du roi.

« Darius I tue l'usurpateur et réprime rapidement (521-520) l'insurrection des provinces qui s'étaient séparées de l'empire. L'Égypte reste soumise aux envahisseurs et les difficultés que le nouveau roi y rencontre viennent, non pas des indigènes, mais du gouverneur perse. Aryandès, étend son autorité en soumettant Barca; ses velléités d'indépendance deviennent inquiétantes. Les inscriptions perses mentionnent l'Égypte au nombre des provinces révoltées et disent explicitement que Darius conquiert ce pays. Aryandès est exécuté ».

Les documents classiques et hiéroglyphiques semblent être d'accord pour reconnaître le rôle organisateur et bienfaisant de Darius en Égypte. Vers la fin de son règne en 486 les Égyptiens du Delta profitèrent de la lourde défaite subie par Darius à Marathon (490) pour se révolter. Le roi décida de punir en même temps les Grecs et les Égyptiens; mais il mourut avant d'avoir pu mettre son projet à exécution. Tout le monde est d'accord là-dessus. Le point en litige porte sur les premières années de Darius, lors des embarras causés par le mage Gaumata et des révoltes qui les accompagnèrent dans différents pays. Les Égyptiens eux-mêmes prirent-ils part aux agissements autonomistes du gouverneur Aryandès?

Deux savants américains: Roland G. Kent, *Darius' Behistun Inscription* et George G. Cameron, *Darius, Egypt and the «Lands beyond the Sea»*, dans *Journal of Near Eastern Studies*, T. II, 1943, pp. 105 et suiv.; pp. 307 et suiv., ont affirmé qu'il y eut alors une révolte égyptienne importante, étendue, sur laquelle les inscriptions de Darius garderaient un silence diplomatique.

L'auteur de l'article dont nous parlons à présent s'élève contre cette affirmation, explique le sens des expressions de Darius, dont *tous les exploits ne sont pas inscrits sur la table de Béhistun* (voir p. ex. l'inscription LVII chez J. Ménant, *Les Achéménides et les inscriptions de la Perse*, Paris, 1872, p. 120) et conclut: « Sur la base des données précédentes il convient de reconnaître que l'affirmation de quelques chercheurs américains sur les proportions considérables de la révolte en Égypte en la première année de Darius I ne correspond pas à la réalité » (p. 13).

Je crois opportun de rapporter l'avis de deux spécialistes en la matière: Etienne Drioton et Jacques Vandier, qui ont écrit après l'article en question des savants américains: « La révolte de Libye ne nous est connue que par les auteurs grecs. Il n'est pas impossible, on l'a vu, que la révolte de Libye ait été accompagnée d'une révolte en Égypte. Cameron (*J.N.E.S.*, II (1943), p. 310) suppose, en effet, que les Égyptiens se révoltèrent, en 522, contre Aryandès. L'hypothèse est confirmée par Polyen (VII, 11, 7). Cameron suppose, enfin, qu'Oudjahorresné ne fut pas mandé, en Perse, par le roi, mais qu'il dut quitter l'Égypte, à la suite de cette révolte, qui menaçait, non seulement Aryandès, mais aussi tous les fonctionnaires égyptiens qui avaient collaboré avec le vainqueur. Oudjahorresné ne revint en Égypte, « sur l'ordre du roi », que lorsque le danger eut été écarté et que le calme eut été rétabli». (Dans: *Les peuples de l'Orient méditerranéen*, II: L'*Egypte* (Collection *Clio*), 3ème éd. refondue et augmentée, Paris, 1952, p. 619). Cette note des deux spécialistes nommés plus haut ne s'accorde pas pleinement avec leur exposé à la p. 601 du même ouvrage, qui reproduit probablement le texte de l'édition précédente.

Concluons en disant que l'article de M. Strouvé, dont il faut lire aussi une étude antérieure: « Nouvelles données de l'histoire d'Arménie confirmées par l'inscription de Béhistun » (dans: « *Bulletin de l'Académie des Sciences de la R.S.S. d'Arménie*», 1946, nº 8, p. 31 et suiv.), a remis sur le tapis le problème de la révolte en question, qui mérite un nouvel examen.

§ IV. — Les plus anciennes lois mésopotamiennes

Il s'agit des lois contenues sur les tablettes découvertes par l'archéologue irakien M. A. Taha Békir à Tell Harmal au Sud de Baghdad et signalées par lui dans *Sumer*, a Journal of Archeology in Iraq, Baghdad, IV, 1948, pp. 52 et suiv. Albright Goetze et d'autres savants s'en sont occupés et le R. P. Pohl, professeur à l'Institut Biblique Pontifical de Rome, en a donné une nouvelle édition complète et améliorée.

Le savant russe L. A. Lipine en fournit à son tour dans le « Recueil » que nous analysons (pp. 14-58) une étude approfondie et comparative, suivie d'une traduction russe. Il dit p. 15 en note qu'à son grand regret le travail du P. Pohl n'a pu lui être accessible. Et, à mon tour, je me contente de ces quelques lignes en un domaine qui est hors de ma compétence.

§ V. — Un manuscrit trilingue du IXème s.

Madame N. Pigoulevskaya publie (pp. 59-90) une très intéressante étude sur « Un manuscrit grec-syriaque-arabe du IXème siècle ».

Ce manuscrit, composé de 4 feuillets en parchemin, se trouve à présent, sous le No. 432, à la « Bibliothèque de Toute l'Union Soviétique, au nom de V. I. Lénine » (à Léningrad). Il a été détaché du ms. grec — dont il devait constituer les feuilles de garde — conservé dans la même Bibliothèque sous le No. 432 et contenant des discours de S. Grégoire le Théologien. C'est Abraham Noroff, ministre de l'Instruction Publique de 1854 à 1858, qui l'avait acquis au couvent de Mar-Saba en Palestine avec 8 autres mss. grecs et 15 mss. slavons, lors d'un voyage entrepris en 1835 dans tout le Proche-Orient.

Les feuillets mesurent 29 cm. sur 23 et sont légèrement abîmés sur les bords, sans nuire au texte. Celui-ci, écrit sur trois colonnes, contient en trois langues: grec, syriaque et arabe, les Psaumes suivants: 70, 7-16; 73, 4-14; 77, 28-38; 79, 9-18. L'auteur reproduit

en photographie et en écritures modernes sur trois colonnes parallèles le contenu des huit pages du manuscrit. Une neuvième planche dresse le tableau des trois alphabets tels qu'ils ressortent des textes conservés.

Après une double étude très poussée sur les particularités paléographiques et sur la langue du triple texte de notre manuscrit, l'auteur en attribue la transcription à la seconde moitié du IXème siècle. Si on prend aussi en considération le lieu d'origine des fragments: le couvent palestinien si important de Saint-Sabbas, on voit quel intérêt ils présentent et on ne peut s'empêcher de regretter que nous ne possédions pas intégralement le psautier trilingue primitif.

L'auteur conclut son étude par un paragraphe de deux pages consacré à « l'importance du (ms.) polyglotte ». J'en traduis de longs passages.

« ... Les trois colonnes du manuscrit fournissent un excellent matériel pour des recherches paléographiques. Le caractère distinctif des trois écritures entières: élégante, la grecque; belle, la syriaque; nette, l'arabe, ne laisse pas de doute que, parmi les copistes de la laure de Sabbas, d'où provient le polyglotte, il se trouvait des gens qui possédaient à la perfection non seulement la calligraphie grecque, mais encore la syriaque et l'arabe. Si on compare les trois mains, c'est l'onciale grecque qui se présente la plus archaïque, la plus monumentale. L'arabe est la plus courante, portant dans la plupart des mots des tirets d'allongement. La syriaque, elle, occupe une situation intermédiaire, soit au point de vue paléographique, soit au point de vue matériel (sur le parchemin). Ce type d'écriture (qui a gardé des accointances avec l'estranghelo), reliant une partie des lettres et séparant les mots d'une manière distincte, a depuis longtemps perdu les caractéristiques du Code d'écriture. L'absence d'accents vocaliques dans le syriaque pour un manuscrit du IXème siècle dénote son origine melkite.

«Les particularités paléographiques du ms. polyglotte correspondent en plein aux traditions des ateliers palestiniens, comme cela se voit sur les manuscrits grecs. Quant à son attache directe

avec l'atelier de la laure de Sabbas, des manuscrits arabes en sont garants.

«Tout comme le texte grec du ms. polyglotte est conforme à la version alexandrine des Septante reçue dans la laure, la colonne syriaque se révèle beaucoup plus proche du texte syro-hexaplaire, auquel d'ailleurs est si apparentée la traduction arabe du livre de Job provenant justement de cette même laure. La colonne arabe, s'efforçant précisément de suivre le grec, se trouve aussi sous l'influence manifeste du texte syro-hexaplaire par rapport au vocabulaire et aux tournures particulières du discours ».

Après avoir rappelé l'utilisation du Psautier dans divers pays comme livre de lecture pour les débutants, l'auteur ajoute qu'il pouvait aussi servir pour l'étude de langues étrangères et continue: «Dans la laure de Sabbas étaient assemblés des gens appartenant à diverses nations et parlant des langues diverses. Elle était le centre non seulement de la culture grecque, mais encore de la culture arabe chrétienne et sa bibliothèque contenait des manuscrits syriaques, puisque l'influence de la langue syriaque en Palestine et en Syrie était inévitable. Le Psautier qui était le livre familier pour l'étude de la lecture a pu être aussi utilisé pour celle de langues étrangères». L'auteur voit même dans la place occupée par le texte syriaque entre les deux autres colonnes (grecque et arabe) un témoignage du rôle d'intermédiaire joué par les Syriens entre Grecs et Arabes. Ce sont les Syriens ou plutôt les Syriacisants qui transmirent aux Arabes les ouvrages grecs de philosophie, de mathématiques, d'astronomie, d'alchimie, aussi bien que ceux d'art, de médecine et la Bible.

Telles sont donc les lumières nouvelles que projette le manuscrit polyglotte millénaire sur l'activité scientifique et pédagogique de la laure de Saint Sabbas.

Dans cette étude si intéressante et si suggestive, je me demande si l'auteur,— spécialiste, il faut le reconnaître, dans le domaine syriaque—, n'a pas quelque peu exagéré les particularités paléographiques de la colonne syriaque, qui est en écriture *estranghelo*, à peine

entrée dans la voie de l'évolution vers le *serto*. On pourrait peut-être faire aussi quelque réserve touchant l'examen paléographique du texte arabe. Mais les conclusions de l'auteur gagnent en valeur par l'examen comparatif si approfondi des textes eux-mêmes et par la concordance des données paléographiques avec les données littéraires.

§ VI. — A la mémoire d'Ignace Kratchkovsky

Le reste de la livraison (pp. 91-129) est consacré à la mémoire de l'éminent et très sympathique orientaliste russe, plus spécialement arabisant, le défunt académicien Ignace Joulianovitch Kratchkovsky, né à Vilno le 16 Mars 1883 et mort à Léningrad le 24 Janvier 1951.

MM. V. I. Belyaev et I. N. Vinnikov retracent (pp. 91-105) un tableau de la carrière scientifique du défunt, très instructif au point de vue orientaliste.

Madame V. A. Kratchkovskaya, elle-même orientaliste et spécialiste en épigraphie arabe, évoque (pp. 106-124), grâce au diaire laissé par le défunt, le séjour de celui-ci au Liban et en Palestine de 1908 à 1910, ses études à la Faculté Orientale de l'Université Saint Joseph et ses nombreux déplacements. Notice intéressante, vivante, accompagnée de portraits et de paysages, qui mérite d'être traduite intégralement.

Enfin M. I. N. Vinnikov clôture le 1er (63ème) fascicule du « Recueil Palestinien » par une liste des Publications et Communications du même savant russe, soit posthumes, soit antérieures à sa mort, de 1946 à 1954, et qui n'avaient pas trouvé place dans la plaquette à lui dédiée en 1949 par l'Académie des Sciences (189 pp., Moscou-Léningrad).

تعريف عن الكتب

علم اللاهوت

Anne-Marie Couvreur : *Le rayonnement social de notre foi* — Édit. Spes, 1954, Paris 222 pp.

هو كتاب تفكير مسيحي مفيد حول المعضلة التي تشغل الآن بال المسيحي وغير المسيحي ، غير انه كتاب ابتدائي وللمبتدئين فقط . ولقد درس المؤلف فيه ما قدمته الفضائل اللاهوتية الثلاث وفضائل الحياة الطقسية والقداس لدراسة المعضلة الاجتماعية ، ولقد كنا نفضل دراسة اعمق لهذه الحقائق الدينية الكبرى لكي يأتي تطبيقها على المعضلة الاجتماعية اشد مواءمة للظروف والتدليل تدليلاً اوسع على موضوعية هذه الامور التي قدمها المؤلف ، اما الكتاب فعلى ما هو عليه يسدينا نفعاً جزيلاً . ا.ع.خ.

A. Michel : *Les mystères de l'au-delà.* — Édit. Téqui, 1953. — 156 pp.

ليس هذا السِفْر مجرّد اعادة طبع كتاب (Fins dernières) الصادر سنة ١٩٢٧ والذي اعيد نشره سنة ١٩٣٢ ، بل هو بالاحرى تأليف مُدمَج من عدد من الدروس الشاملة او مقالات المجلات اعرب فيها المؤلف عن فكرته بصدد اسرار عالم ما بعد الموت : وهي فكرة تجهد جهدها لتعكس تعليم الكنيسة الصحيح في حلبة الآراء لتتمسك بتعليم افضل اللاهوتيين وعلى وجه اخص بتعليم القديس توما .

وتجد العقول المتعطشة الى المعرفة والراغبة في تعميق معارفها الدينية حول الحياة في العالم الثاني غذاء مهماً وسليماً في هـذا السِفر كما تجد في اللمحات الجديدة حول بعض القضايا الحديثة الصدور عناصر احتكام متزن صحيح الموثق .

والمؤلف اذ جاب المراحل واشار الى اتجاهات الحياة الثانية الممكنة حقق بذلك تحقيقاً كاملاً برنامج سلسلة المجموعة (Présence du Catholicisme) فغدت حلبة الأيمان مكشوفة برمتها وحلبة العلم اللاهوتي صريحة الدقة ا.ع.خ.

Félix ASENSIO, S.J. : *Yahweh y Su Pueblo, contenido teologico en la historia biblica de la eleccion,* Romae, apud aedes Universitatis Gregorianae, 1953, 252 pp. — in Analecta Grgoriana, vol. LVIII, series Facultatis theologicae. sectio A (n. 8).

ان مجموعة (analecta gregoriana) لا تحتاج الى تعريف لان الموضوعات التي تعاني درسها مفرغة في قالب الجد ومطبوعة بالطابع العلمي . اما مصنف الاب ازنسيو فمفخرة لها ، اما موضوعه فدراسة عن حضور الله الدائم في حياة الشعب الاسرائيلي وتاريخه ولم يأت بشي. بدون ان اقام عليه البراهين والادلة العديدة مستندًا في ذلك الى فكرة الكنيسة الراسخة من جيل الى جيل ، وينقسم هذا المصنف الى فصول ستة تردد الاقوال ذاتها وانما بقوالب شتى مع التوسع التقدمي الفكري لتردد ان الله قد رافق شعب اسرائيل في تطوره .

ويودي ان اشير هنا الى الاهمية التي تتخذها دراسة المفردات اللغوية لتدلل تدليلًا صحيحًا على تطور الفكر . ولا مندوحة لنا عن الاشارة الى تضلع المؤلف من كل الكتاب المقدس بالتفصيل مما يجعل لتحليله قوة اعظم ووزنًا ارجح ، ولقد كنا نود ان يكون المؤلف قد جعل في نهاية الفصول او في اولها موجزًا مختصرًا لما يشتمل عليه تحليله ، اما توسعه فواضح جد الوضوح مما يعوض عن هذا النقص ، وعلى الجملة انه مؤلف لا يستغنى عن مطالعته . ا. ع. خ.

Joseph PIEPER et Henri RASKOP : *Je crois en Dieu.* — Édit. Desclée de Brouwer. — Paris, 1953. Texte français d'Armel Guerne, 165 pp.

قلما شعر العلماني شعورًا قويًا كاليوم بافتقاره الى تعميق معرفته بايمانه .

وفي الواقع ان هذا التعليم المسيحي وهذا البيان للمسيحية الموضوع للبالغين سن الرشد هو اوجز تدريب لدرس اللاهوت .

وانه لمن الواجب ان نتمنى لهذا الكتاب رواجًا كبيرًا ، اذ يليق به ان يكون الى جانب كتاب القداس في بيت كل مسيحي لانـه لا يستغني عنه المجاهد في مسيحيته وباسطاعة الكاهن اذا ما قرأه ان يستفيد منـه في التعليم الذي من واجبه ان يعلمه .

وهذا الكتاب الموضوع حول قانون الرسل يتناول ايضًا دراسة الكتب المقدسة وتاريخ الكنيسة ، وسيقدر القراء لارمل غرن ترجمته الجميلة. د. د. ب

M.-J. SCHEEBEN : *La Mère virginale du Sauveur.* — Desclée de Brouwer. Paris, 1953, 217 pp. — Traduit de l'allemand par A. KERKVOORDE, O.S.B.

اذا ما دار حديث عن شيبن (Scheeben) فاننا نلفظ اسم ذلك اللاهوتي الذي خلّف بعده في القرن التاسع عشر عملاً جبّارًا ومصنفًا باهرًا مشبع المادة والعمق من وجهات نظره التي كان فيها مبتكرًا واتحف به الفكرة اللاهوتية.

ولقد استمد هذا المؤلف من مجر علم اللاهوتي الكبير الذي عُني بدراسة المسيح والفداء. مما يوضح المقام الذي احتفظ به شيبن في لاهوته للعذراء مريم عروسة المسيح وام البشر.

وانه من الصعب تلخيص صفحاته لما فيها من افكار متراصة تجعلها تأبى التلخيص بيد انه من الواجب مطالعتها والتأمل بها نظرًا لما فيها من النفع والفائدة.

وعلينا ان نشكر المترجم الذي ذلّل صعوبات اللغة الالمانية وافرغها في قالب لغة افرنسي لم نره في ترجمة بيليت (Belet). ا.ع.خ.

Chan. Aug. GROEGAERT : *Commentaire logique du Catéchisme de Belgique — Canada — France — Suisse.* — Édit. Dessain, 1953. — Malines, Tome I : *Les vérités de la Foi.* 882 pp. — Tome II : *La vie chrétienne, les commandements,* 1954, 905 pp.

لا يفتقر الاب كروجرت الى التعرف ببيئة العلماء. لانه فرض بمؤلفاته الكثيرة الرصينة على الجمهرة المثقفة ان تلفت اليه انظارها. ويمتاز الكتابان اللذان امامنا الآن بخصائصهما العلمية ونصفتهما العقلية وبالمعرفة المتمتّعة بالدين وهو حياة متدفقة. ولهذا السبب حرص المؤلف من المقدمة على القول انه لم يشأ ان يجعل فاصلاً بين التعليم المسيحي كحقائق نظرية والتعليم المسيحي في الطقوس الكنائسية ، واذ كان المؤلف مقتنعاً الاقتناع اليقين باهمية الطقسيات الكبرى في الحياة المسيحية رغب بان يشرح حقائق التعليم المسيحي بردّها الى مكانتها بين قرائنها سواء أكانت طقسية ام من الكتب المقدسة ممّا جعل لكتابه التعليم المسيحي قيمة ومغزى روحيين ودقة دينية خلت منها كتب التعليم المسيحي الرائجة في المدارس.

ومن احدى ميزات المؤلف التي ليست باقل ما هناك من الميزات هي في ايجاده

نصوص تعليم الكنيسة لتربطها بقوة بحقائق التعليم المسيحي ربطاً وثيقاً مما يقتضيه الماماً واسعاً حقيقياً بمصادر الايمان خوله وضعها في متناول قارئه وتحت تصرفه، حتى غدا المطلع على كتابه يرى فيها معيناً لا ينضب لا من المعارف، وانما من الحقائق التي تعزّز اليوم الحياة المسيحية في رجال اليوم.

ونحن نشكر المؤلف على ثبت الكتب الذي اعطاه في آخر مؤلفه.

ا٠ ع٠ خ٠

Dom Georges LEFEBURE, *moine de Ligugé*: *Prière pure et pureté de cœur.* --- Édit. Desclée de Brouwer, 1953, Paris, 154 pp.

يزخر هذا الكتيب بالتعاليم على الصلاة، والنصوص التي جمعها المؤلف عن القديس غريغوريوس الكبير والقديس جان دلاكروا هي على غاية الاحكام في تدرّجها صعداً الجلي اما شروحه الخاصة التي تسبق مختلف فصوله واما دراساته الاشد تطويلاً فهي تعليم سديد خالي الشبهات، فلقد حاول ان يبيّن الصلات والاختلافات بين المؤلفين اللذين استقى نصوصه منهما، وحاول ان يبيّن بجاصة استمرار تعليم وان اختلف احياناً في ظواهره.

واننا لنرى في غير مواضع مدى ما كانه الانجيل معيناً لا ينضب لهؤلاء المؤلفين الكبيرين الروحيين ومدى ما كانت الكتب المقدسة غذاء مهماً قد استمدوا منها خير ما في نفوسهم.

ولقد كنا نفضّل ان يكون ثمة فارق بالطباعة بين اقوال المؤلف واقوال القديسين غريغوريوس الكبير وجان دلاكروا. ا.ع.خ.

La Bible Apocryphe, en marge de l'Ancien Testament. Textes choisis et traduits par J. BONSIRVEN — Librairie Arthème Fayard, Paris, 1953 — 336 pp.

لقد كان الاب بونسرڤن اولى الناس باصدار هذه المجموعة من النصوص المزوّرة وكان بمقدوره بصفة كونه ابن بجدة التعاليم المنبثق من التقليد اليهودي ومن مجادلات علمائهم وبصفة كونه ابن بجدة كل ما يتصل باسرائيل ان يطرف الجمهور المثقف بكل سهولة وبكفاءة كبرى بهذه النصوص التي غدت ضرورتها تزداد يوماً عن يوم لاتمام معلوماتهم.

سير القديسين

Pie X. — *Textes et légendes par Nello* VIAN. — Cent cinquante photos par Léonard Von Matt. — Desclée de Brouwer. — s. d.

ليست المرة الاولى التي يصدر فيها الناشرون ديكله وبرويه تحفة من التحف الفنية ، فهذه المجموعة التي بين ايدينا الرسوم والصور بالغة حدّ الاعجاب بما فيها من ذوق ومهارة وبساطة فاننا نتبع من خلال ملحوظات نللو ڤيان القصيرة خطوة فخطوة حياة القديس بيوس العاشر اما صوره فتلج بنا تلك البلدان ذات الوجوه المتباينة كل التباين والتي مرّ بها البابا القديس واستطاع ان يوحدها في بساطة حياة مفعمة وطافحة بالاعمال المجيدة ، ولقد جلّ شأن النصوص والصور بذوق واضعيها وبما لديهم من صفاء وكبير اتساع الفكرة الفنية التي تجتذب القارئ وتستفزه . ا. ع. خ

Xavier LÉON-DUFOUR, S.J. : *Saint-François Xavier.* — La Colombe. Éditions du Vieux Colombier, 5, rue Rousselet. Paris.

انها لحياة جديدة للقديس فرانسوا كزافيه تعقب حياة الاب برو وبلسور وكثيرين غيرهما . اجل انها لحياة جديدة بالحقيقة لانها حياة الباطن .

ومن مطلع مقدمته نبهنا المؤلف الى ان « هذا المصنف ليس تاريخ سيرة حياة بمعنى هذه الكلمة المتاد » فلقد فهم المؤلف ما في هذه « السير » من تقلبات وتفاصيل : فاللائحة التي جعلها في اول مصنفه والفهرست التي ختمه به تشهدان على انه قد وضع نفسه امام الملحمة الغريبة التي تتبع جميع تقلباتها المؤثرة ، والمصاعب المادية التي لا تصدق كل عديد مظاهر رسالة ينتقد بعضهم فقدان مواصلتها كما يعنّ بخاطرهم على حين ان غيرهم يأخذه العجب من بعد مرمى نظر مأتاها .

والذي يُعنى به الاب ل. د. فهو ملحمة مقارنةٌ لها وغير منفصلة عن الاولى ، ملحمة حياة فرانسوا الداخلية او على الاصح عمل الثالوث الاقدس فيه وبواسطته في الانفس كما اوضح ذلك في خاتمة سديدة النهج . ولكي يدون هذا التاريخ فبعد ان جمع معلومات واسعة على مهمة القديس غاص في درس مراسلاته .

ويخيّل الينا ان الكتاب بكامله يقوم على هذه المراسلات التي اعاد النظر فيها بدقة ونظمها . وهنا فهم المؤلف الاستعدادات الضرورية لتدريب الرسول ومن ثم اتبع يوماً فيوماً في غضون سنوات رسالته العشر دعة الرسول الذي يريد ان يكون لله وحده ولعمله فكان عليه لذلك ان يصارع ويجبه لا الارياح والامواج والمناهضات من جميع الاشكال فقط بل ان يجبه نفسه قبل كل امر فيضعها برمتها بين يدي ربه . وثمة ثلاثة اقسام عنوانها : التنبه للثقة ، الثقة في التجربة ، عمق الثقة ، تحملنا على ان نتّبع ارتقاء نفسه الروحي الغريب ، تلك النفس التي بدت لنا من بدء سيرها الروحي انها قد وهبت ذاتها تحت قيادة ابيها اغناطيوس الذي تشربت مثله الاعلى ووجهات نظره اكثر من اي كان غيرها وتشبثت بمثل معلمها بمكابدة المناهضات وبالعزلة وبتسليم تام وباخفاق تام فاعدّت لليابان والصين اياماً زاهرة .

وهنا هنا تقوم حياة كزافيه الروحية « ورسالته الخاصة به » التي دُفعت الينا ، ويقول لنا المؤلف ان الله وحده هو الذي يعمل بالرسول . « طاعة ودعة ! دعة وطاعة ! » ولكي نسمع هذا الصراخ صراخ الاستغاثة يجب ان نعرف قلب من يفوه بها ، او بالحري لا بدّ من الترفع فوق المجادلات بين بنيس ومولينا ... وحينئذ نلج عالم التسليم لله عالم كزافيه مردّدين : ان كل خير يصنعه الله ، اما الانسان فلا يصدر عنه الا الخطيئة . وهو لا يفكر بانتقاص قيمة العمل الانساني ولكنه كان يبدي تشوقاً شديداً لتمجيد الله ، اما خوف الرسول اذا ما اراد احراز سلطة لشخصه فهو ان يجعل نفسه موضع الله واذا ما حاول الاحتفاظ بها عن طريق احترام غيره له فهو ان يؤسس على نفسه (وهي كالرمل) فان ميله يسير به الى اقوياء العالم لا إلى الفقراء ، فهذا ما كان يخشاه فرانسوا لانه يريد ان يثبت الرسول على اساس لا يتزعزع ! فالله وحده ربنا والله وحده بيده الامر والله وحده العامل والله وحده يكلل هباته » .

وصفوة القول انه موضوع التسليم كل التسليم ومن احدث الجديد كما يستشف من الكتاب بطوله لينطلق واضحاً في الفصل الاخير ويظهر لنا الحرب التي يشنها الخصم بدون هوادة على ملكوت الله ، وقد يكون كزافيه كابد اكثر من غيره كره راس الابالسة الذي يدافع عن ملكه ضد رسول النور .

فلتبهنا هذه الحياة الجديدة حياة قديسين اخرى على الشاكلة نفسها فان للعمل خطره : فمن يُرِدْ ان يجعل نفسه قديسا بحسب فكرته فلن يوفق ، فالمعلمون الحقيقيون هم الذين يعرفون وحدهم كيف ينبغي لهم ان يلجوا تماماً نفس بطلهم ، وبدون ريب لا بدّ لنا ان نتحلى بقليل من هذه الدعة التي طالما نادى بها كزافيه الذي ينسى نفسه ويجعلها منسية ، فلنشكر الاب دوفور على ممارسته لها خير الممارسة .

ف . ل

Sœur Geneviève Gallois, O.S.B. : *La vie du petit Saint Placide*. — Préface de Marcelle Auclair. Un vol. 11×17 cm. — 228 pp. et 104 dessins. Édit. Desclée de Brouwer 1954.

كان في احد ديور الراهبات البندكتينيات راهبة اسمها الاخت بلاسيد .
سألت يوماً الام جنفياف المشهورة بمهارتها بالرسم وقالت : يا اختي بحق القديس بلاسيد ، أتريدين ان ترسمي لي صورة .

لم تصنع الام جنفياف صورة واحدة بل صنعت مئة واربع صور كذلك اتلدت حياة القديس بلاسيد الصغير .

ان حياة القديس بلاسيد الصغير هو مصنف ممتاز من الخطب بالصور وهو على صغره غنيٌ بالتعاليم على شاكلة زجاج شبابيك الكاتدرائيات اما نحن رجال اليوم فاننا اجوع من ذئب الى التصاوير من الجريدة الى السينا والى التلفيزيون اذ اننا اقل دنوًّا من الحياة الروحية من آبائنا اولئك الاميين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الذين كانوا يرون رموز النقوش وزجاج الكنائس صافية . وقد ارفقت الام جنفياف رسومها باساطير قصيرة لذيذة جوهرية .

وهتف بي الاب الدومينيكي الذي اريته خطوطها باعلى صوته : يا له من كنز لمرضاني !

واذ اننا جميعاً ابناء هذا القرن فنحن كلنا مرضى : انهكتنا الاوقات الضائعة سدًى والخانشة بالاباطيل وقد لسعتنا الانانية واستهوتنا الشهوات استهواء حتى بشمنا منه ومات به جسدنا ونفسنا .

ان صور الام جنفياف قد نصبت لغرورنا فخًا دقيقاً فاذا ما تصفحناها ادركتنا الدهشة واذا ما أنتقل منا النظر من خطوط القلم الى خطوط النور

ارتاحت منا النفس وتمّ تمثيل الدور الإلهي او بالاحرى ما تسميه الام جنفياف :
« هذه المأساة الالهية التي تمثل بين النفس والله ». د. د. ب.

Paul DONCOEUR, S.J. : *La Vierge Marie dans notre vie d'hommes.* — Édit. Desclée de Brouwer. Paris, 1954, 64 pp.

من المستحيل على المسيحي وربّما على اي رجل كان — ان يكتمل انفتاحه الصحيح اذا لم يفهم او اذا ابى القيم الروحية التي تمثلها مريم العذراء .

ولقد بيّن الاب دونكور بصفحات غزيرة المادة غزارة تحمل على الاعجاب المكانة التي للعذراء في حياتنا كبشر . د. د. ب.

فلسفة

J. C. LANNOY : *Nietzsche ou l'histoire d'un égocentrisme athée.* — Desclée de Brouwer, Paris, 1952, 398 pp.

اذا كان نسبيًا من السهولة بشيء تحليل طريقة احد المفكرين الفلسفية بالاستناد الى بعض القياسات الموضوعية فانه لاشد صعوبة ان نتبع ما يحفّ بها عبر نفسية الفيلسوف الحية « دراسة نفسية المؤلف وافكاره بالاتصال باحداث حياته الظاهرية والباطنية » .

ويقدم لنا السيد ج. ك. لانوا في هذا المقام دراسة رائعة لطريقة نيتشه ، ويحاول ان يستنبط من تقلباته المحزنة او من اجتماعاته التي كانت عن سبيل الاتفاق ومن صداقاته الآنية التي وسمت حياة الفيلسوف ردات الفعل العقلية والتوكيدات المميزة اشد التمييز لفكرة نيتشه .

وبعد ان تابع تطور فكرة الفيلسوف في فصوله العشرة الاولى متابعة تطبع فينا انطباعاً صريحاً ان صداقته لفكنر واجتماعه بزولتر او غيرهما واحتقار بعضهم له واعجاب غيرهم به وتأرجح غضبه دفعه الى التطرّف باثبات نفسه قد اثرت كل التأثير على طريقته التي نسبها لهذا السبب « طريقة الاوعية العضلية » . اجمل المؤلف في الفصل الاخير الطريق الطويل الذي اجتازه وارجع بحق فكرة الفيلسوف الى الوجودية المناقضة للمسيحية .

ولقد كان ذلك السبب الموجه لنيتشه في تطوّر ضروري وكان شعور كراهته

للمسيحية لا بد له من ان يظهر بقوة وما كتاباه « هكذا تكلم زرداشت » و« هذا هو الرجل » الا التعبير عن نفس امضتها الكبرياء ولم يساعدها الدين على ان ترسخ في رغبتها بالتسيطر او الاحتقار .

ولم يكن للمبادئ الفكر الانساني الخالدة اهمية في نظر فيلسوفنا لانه كان يحكم عليها بحسب وضعه النفساني الشخصي ، فاذا سمحت له ميوله بان يرتضي مبدأ او بغيره من الفلسفة المتعارف عليها لم يتردد عن قبوله وما عدا ذلك فان كل امر يصبح موضع بحث لديه .

واننا لنشكر السيد لانوا على معرفته تبيان خصائص فكر نيتشه بتدليله على تكوين قواها النفسانية ونفسيتها بدون مبالغة ولا مراعاة ، فجاء كتابه جزيل الفائدة للمطالعة . ا.ع.خ.

M. DUQUESNE : *Brèves réflexions sur l'athéisme marxiste*. Téqui, Paris, 1954. Prix 380 fr.

ان دراسة السيد دوكن ترسم الخطوط الكبرى للمادية الديالكتية والمادية التاريخية ، اما هذه الاخيرة فلا تقنعها المناداة بمناقشة الافكار ولا توضيحها التغيرات الجزئية ولا برنامج محدود فهي تطالب بتبديل الكون برمته تبديلاً كاملاً وتنادي بثورة شاملة كاملة وباعادة خلق البشر برمتهم خلقاً عاماً لانها تريد ان تخلق انساناً جديداً في عالم جديد ومن واجبه ان يتحرر كل التحرر فيسيطر على الطبيعة بصفة كونه سيدها وانما لن يكون ذلك لمصلحته الشخصية ولا بارهاقه اخوانه بل بالتآزر معهم في مجتمع خالٍ من الطبقات يعمه الاخاء كل الاخاء . بيد ان سيادة الانسان هذه في تآخٍ شامل تقتضيه ان ينبذ سلفاً « الابوة الالهية المبهظة » وان لا يهادن في الغاء ملكية وسائل الانتاج ليستطيع حينئذ وحينئذٍ فقط ان ينتظم الكوكب الارضي تنظيماً معقولاً وعلمياً وتقدمياً ويرجع الى كل انسان طبيعته الحقيقية في ظل البروليتاريا الطبيعة التي انتزعتها منه انظمة الاستثمار التي خدمتها الاديان ووطدتها .

وفي القسم الثاني من كتابه يلخص الجزء الذي تحويه الرسالة المركسية من حقيقة ، اما نحن فلا يسعنا الا ان نتمنى « قيام مجتمع من الرجال الاحرار حقاً وسادة الطبيعة ، مجتمع يسوده التآخي » وانما الذي نود ان نعرفه حق المعرفة

فهو الشروط التي يستطيع ان يقوم عليها مجتمع على هذا الشكل .

ان الحلول التي تقترحها الشيوعية — او تفرضها — تبدو غامضة كل الغموض ولا فائدة لها فهي على طرفي نقيض من الغاية المتوخاة . ا.ع.خ.

Jacques DELESALLE: *Le Dialogue*. Edit. Téqui, Paris, 1954. Prix 380 fr.

لقد غدت الكلمات المستخدمة لتأدية المعاني تطب المعضلات الفلسفية التي اكتشفتها ثانية الفكر الحديث فالوجودية من جهة والمركسية وتمديداتها السياسية من الجهة الثانية قد حملتانا على ان نقيس المسافة التي تفصلنا عن العقل وعلّمتانا مدى وهن الوعد بانسانية يحملها كلٌّ واحدٍ في ذاته .

وينشر الكتاب الحاضر القلق الذي ينيخ بكلكله على عصرنا الحالي ويذكّرنا ان اللغة هي فكرة تحيا وان المحادثة هي مفاتحة بالكلام لا ينحصر معها لثام الشبهات ، وبفصل اول يعرض المؤلف امام النظر اللغة المتطارحة بين الحسّ ومبدإ المعرفة العقلية المباشر متجاوزةً حدّ الاول وغير مساوية للثاني وهي مُغرية دائماً بان تدرج الكليّ الزائل الذي تستوحي منه في خدمة العنف والخداع .

والفصل الثاني يحلّل المحادثة ، فكما ان الحساسية تقف عقبة في سبيل انتصار العقل كذلك يحول الشعور دون اقرار مجتمع انساني حقيقي ، ولأنّ تميز الوجدانات تظل عاجزة عن التغلّب عليه ادق الصناعات واشد نزوات الحب حمية فان حياة شعور حقيقي لتقوم على التلهّي باسئلة واجوبة تستوجب السكوت بيد ان هذه الاسئلة والاجوبة لن تضمحل فيه بدون التباس وكتب كافكا يقول « الصمت ميزة الاكتمال » وهو غالباً علامة الانهزام لدى الرجل .

وفي قسم اخير « يوضح » « بمعنى الكلمة الجاسبري » ، « الاوضاع الاخيرة » المذكورة في القسمين الاولين ، ودرس الفصل الاول اللغة والثاني حلّل المحادثة والثالث عنوانه « الكلمة » ويحدد ان مبدأ كل لغة وكل مخاطبة لا يقوى على ان يكون لا عقل الفلاسفة ولا اعتباط الكائن الانساني وانما وحدة هذين المظهرين او خير من ذلك مندمج العقل الشامل الحي والتشيّع للحياة : يسوع المسيح ، فان السيد المسيح (qui facit utraque unum) هو في الوقت نفسه الوجدان المطلق الذي يفهم المتخاطبين ويؤسس مخاطبتهم والمشارك الحي الذي يساهم فيه ويسهّل جريه على الالسنة . ا.ع.خ.

Maxime ALEXANDRE : *Sagesse de la folie*, présenté par Paul Claudel. Edit. de la Revue des Jeunes. — Paris 1952. 123 pp.

انه لكتاب يشتمل على ثلاث روايات قدّمها مكسيم الكسندر عن كيفية اهتدائه وهو يهودي يروي باخلاص مؤثر الطريق التي ادّت به الى الله اله الاحياء لا ربّ الاموات ، وكان لا بدّ له ان يمرّ بازمات من اصعب الازمات غير ان نفسه ظلّت تنتظر وقد اشتدّ بها التعطش وهي متعلقة بهذا الاله الشخصي الذي لا تستطيع الاستغناء عنه . ان الملحدين يكنزون بين اضالعهم فقراً يقضّ عليهم مضجعهم. — اما اخلاص المؤلف ونُصحته فجعلا من مطالعة كتابه مطالعة مشدّدة للعزائم .

واسم كاوديل ، شاهد تنضّر المؤلف ، ما ورد هنا الا ليبين معنى مثل هذا الاهتداء الى المسيحية في قوته وقيمته اما تبادل الرسائل الموجود في نهاية الكتاب فتزيد المادة جدّ الغزارة ورصين بحسب طريقة كاوديل .

ا. ع. خ.

H. D. GARDEIL : *Initiation à la philosophie de St. Thomas d'Aquin*, Tome 1, Introduction, Logique ; tome second : Cosmologie ; tome troisième : Psychologie ; tome quatrième : Métaphysique. — Édit. du Cerf, Paris 1952 - 1953.

ان المصنفات التي صدرت على القديس توما اكثر من ان يحصى له عدد وكانت فلسفته او مبادؤه الفلسفية الواضحة كل الوضوح موضوع دراسات كثيرة ، بيد ان الكتب المدرسية اللاتينية قد كانت من الاسباب التي استحال معها على عدد كبير من الطلاب الوصول الى فكرة العلامة القديس الحقيقية ، ولقد اراد الاب غارديل ان يتحفنا هنا بمعرفة اولية بها قصرها في بساطتها على مصنف واضح وعلى تفسير لا يقل عنه وضوحاً ، ويحرص الاب على لفت نظر الجمهور المثقف الى فكر لا يأبه للزمان برسوخه وفحواه الذي لا تعتريه شبهة وجعل صاحبه يستحق لقب علامة الكنيسة العام .

والمؤلف في عرضه الحقيقة لم يقتصر في ابداء طريقته لتفهم القديس توما . واننا لا نروم ان نناقشه وجهات نظره المختلفة وانما نودّ ان ندلّل فقط على الدقة التي اراد ان يتابع بها فكرة العلامة عن كثب ، اجل انها

لمهمّة صعبة لانه كان على المؤلف ان يختصر من جهة وان يظلّ اميناً في ترجمته من جهة ثانية فوُفّق في اعتقادنا في الامرين .

ولقد ظلّ المؤلف متواضعاً لانه قال : ان كتابه هو في متناول المبتدئين ، وعلى كل لا بدّ من القول ان الذين يحبّون فكرة العلامة القديس سيجدون فيه غذاءهم وموضوعات مباحثهم وفوائد يتعلمونها . ا.ع.خ.

برتران راسال

السلطة والفرد . ترجمة محمد بكير خليل – مطبعة لجنة التأليف والنشر – القاهرة ١٩٥٣ – ١١١ قطع كبير

اننا نهنئ المترجم على اختياره مثل هذا الكتاب للترجمة ، فان الشخصية الحديثة وهي من مغانم الفكر العصري لتفتقر معرفتنا الى الاستزادة منها في عالمنا الشرقي ، لان الاقطاعية الاوربية التي هيمنت على الحياة حتى الثورة الفرنسية ما برحت مستمرة في بعض المناطق شديدة الوطأة على الرغم من تقدم الفكر العالمي لتتطلب ان توضحها لنا فكرة فيلسوف يريد ان يبيّن فقط في هذا الكتاب صلات السلطة والفرد المحكوم .

ونحن لا يسعنا الّا ان نقرأ هذا الكتاب الذي كان بالاستطاعة ان تكون ترجمته افضل مما هي عليه لنستفيد منه . ا.ع.خ.

Maurice COLINON : *Faux prophètes et sectes d'aujourd'hui.* — Collection « Présences » Édit. Plon, Paris 1953. — IV 277 pp.

عندما يختفي الدين تظهر الاساطير وتستولي على العقول التي ظنّت نفسها انها قوية . ولقد وضع مؤلف هذا الكتاب بين ايدينا ثبتاً قيّماً لجميع الاديان الكاذبة وكل سخافات العقل الانساني الذي اهمل بعيداً عن كل وحي وعن كل تسليم بتدخّل الله في حياته ، انه لازدهار غريب في عصرنا قد غذّته افكار مغامرة وجدت عقولاً ساذجة مريضة لتسير وراءها . ان الاوقات التي تعقب الحروب لاوقات دائماً مشؤومة على الانسانية ونتائجها تضرّ ابداً بالصحة الادبية والروحية ، وما علينا الا ان نتصفح هذا الكتاب الذي صُنّف بروح موضوعية كبيرة لانه ما برح قريباً كل القرب من الشواهد لندرك ما قلناه ، ولقد اكّد دانيال روبس في مقدمة بليغة واضحة « جهل جميع الذين يأخذون بهذه الضروب

من «الاديان» وبيّن على ايّ دركات يهوي العقل اذا خسر توجيهـه الحقّ في التفتيش عن الحقيقة الواحدة» . فهذا الكتاب حكم على العقل البشري الذي خسر اتزانه ودليل على أن الانسان وإن تعددت اسباب نقمته على الاوضاع القائمة لا يفوز بالسلم والفهم الحقيقي ما لم يثابر على التوجيه نحو علة الوجود .

ا. ع. خ.

Romano GUARDINI: *La Fin des Temps Modernes*, traduit par Jeanne Ancelet-Hustache; Édit. du Seuil 1952. — 122pp.

— : *La Puissance, essai sur le règne de l'homme*, traduit par Jeanne Ancelet-Hustache. — Édit. du Seuil. — 1954 Paris, 116 pp.

غوارديني هو ذلك الطبيب المتنبّه لنبضات قلب الزمن ليجسّها بلطف بدون ان يخشى قول الحقيقة الناصعة كل النصوع . والحقيقة منجاة .

لقد طفق العالم يتفكك واخذت الملاكات القديمة بالانهيار امام دفق الحياة الحديثة فلا تقوى على الثبات امامها . ألانها النيبيليستية الثورية . كلّا . ان غوارديني ما فكّر قط بالدفاع عن مثل هذه البدعة ، فهو في مرجوه كمفكر يعرف تاريخه ان يبيّن لنا ان ثمة فرصاً امام الانسان الحديث تخوّله ان يبني حضارة جديدة لا على اسس متزعزعة وانما على قواعد راسخة وذلك لا عن طريق الابتداء من لا شيء بل عن سبيل الانتباه الى ما هو قائم لينطلق منها ويأخذ بالبناء.. واذ وصف غوارديني كل هذا الانقلاب اقام البرهان على نُصفته العقلية وعلى اقتناعه الصحيح بان اليأس ليس ضرورياً وانه لا مبرّر له وإن كان وقتياً.

اما الكتاب الثاني فيوجّـه خطواتنا الى فصول زاخرة بالتفهّم نحو تطوّر الانسان الحديث في اتجاه تعاظم سلطته تعاظماً آخذاً بالازدياد عـلى الاشياء والطبيعة ، بيد ان عقدة المعضلة الكبرى لتقوم في مثل هذا المقام ، فهل يتأتى للانسان الذي يسير الى التسلّط على كل شيء ان يستطيع التسلّط على سلطان نفسه ؟ أفليس امامه الّا ان يختار اماّ التمسّك تمسّكاً جنونياً بماضٍ قد انقضى بدون رجعة او اما ان يسير نحو تحطيم كل شيء ؟ هذا ما يجيب عليه مؤلف غوارديني الزاخر بالاتجاه الروحي ، فقد رسم الكاتب صورة الانسان الجديـد الذي على الانسان الحالي ان يحققها والا قضى على ذاته الى الابد .

وهذان الكتابان الزاخران بامنيات فؤاد نبيل لا يستطيعان الّا ان يحملا

على التفكير اصحاب العقول التي تودّ الّا تنحرف انحرافاً كبيراً عن الطريق السويّ تحت تأثير تطوّر عالم اصيب بالجنون تطوراً سريعاً جد السرعة .

ا . ع . خ .

Joseph Pieper: *La fin des temps*. Traduit de l'allemand par Claire Champollion. Collection Textes et Études Philosophiques. Un volume de 204 pages. Édit. Desclée de Brouwer, 1954.

كان احد علماء اللاهوت وهو احد مؤرخي الكنيسة ايضاً سنة ١٨٦٠ منشغل الذهن كل الانشغال بقضية مجيء المسيح الدجال . ولقد بدت له وحدة العالم بعد اكتشاف كل بقاع الكرة الارضية امراً لا يسوغ التفكير فيه بسبب اتساع المسافات العظيم . اما هذا الوحدة فكانت الشرط لمجيء المسيح الدجال.

ويتمثل لنا اليوم الوضع في نهايات مختلفة كل الاختلاف ، فقد اكتشفنا للمرة الثانية صورة منتهى العالم وجوزف بيبر في كتابه « نهاية الازمنة » يدلّ على اتجاه التاريخ كما يعرضه علم اللاهوت والفلسفة ، وانه لكتاب لا يستغني عنه عنه الذين يرغبون بالتفكير في معنى التاريخ . د . د . ب .

Karl JASPER: *Raison et Déraison de notre temps*. « Textes et Études philosophiques ». Desclée de Brouver (s. d.); 80 pp.

يحلّل جاسبرس في المحاضرات الثلاث التي يشتمل عليها هذا الكتاب تحليلاً اجماليًّا مكانة العقل في العالم العصري ، ومن البديهي ان هذا التمحيص لا يستطيع الا ان يكون تحليلاً الّا جدّ عاماً فلذلك اذا ما شئنا ان نفهم كل ما يرمي اليه فلا بدّ من ان نحتفظ في ذهننا بمجموع الفلسفة الجاسبرية .

والمحاضرة الاولى تبحث دور العلم ومداه موضحة كيف تتقنّع الشيوعية والتحليل النفساني العميق بوجه اسطورة دينية بحجة امانتها للعلم وتتطلبان ايماناً اعمى لا بحثاً صحيحاً عن الحقيقة،ويعلن جاسبرس ان العلم الذي هو شرط لكل نُصفة عقلية يقتصر بطرقه ذاتها على حقل الاختيار المحدود جدّ الحدّ ، وانه لضلال مشؤوم ان نجعل منه معرفة مطلقة .

وتحرص المحاضرة الثانية على ان تصف لنا العقل وقوّته ومهماته ، وفي مثل هذا المقام نفهم النقطة المركزية لفكرة جاسبرس. ان العقل ليس واقعاً تدركه الحواس الخارجية فهو ليس موجوداً بصورة « اوتوماتيكية » منذ البدء. وهو

اشعاع حريتنا وهبة ينبغي التفتح عليها فهو الذي يخوّل البشر ان يحققوا انفسهم في الحب.

وفي الختام يشير جاسبرس الى الاخطار التي ترقب العقل في العالم القائم الذي يدير البشر وجوههم فيه بارادتهم صوب الاساطير كاسطورة التقدم الآلي «التكنيك» الذي يخوّلهم ان يرضوا متطلبات السعة التي تجتذبهم بالتوقان اليها؛ ويشير ايضاً الى الدور الضروري الذي على الجامعات ان تمثله في سبيل اعادة اقرار الشعور بقيمة العقل.

ان ترجمة هذه المحاضرات الثلاث واضحة جد الوضوح ومطّردة الرشاقة؛ وانها ستساعد الكثيرين من قرائها على الالمام الاولي بهذه الفكرة التي تلتقي بتعارف الافلاطونية المستحدثة العظيم على مر الاجيال «وليس حتماً بالافلاطونية» التي فيها الفلسفة ضرب من ال «Consolatio».

والخلاصة ان جاسبرس لاقرب من افلوطين اكثر منه الى افلاطون الذي ينقصه عنه تفاؤله الاساسي. واننا لنجد لديه اسلاس القياد شاكلة ما كان لدى الكثيرين الذين كانوا في عهد افلوطين لا حميّة الاندفاع.

ج. ف.

Jules Chaix-Ruy : *Les Dimensions de l'Être et du temps* (Problèmes et Doctrines-IV). Vitte Lyon (s. d.) ; 314 pp.

كان دفاهلنس قد اوضح في تحليله لفلسفة هيدجر انّ تحديد الوجود الانساني الذي عرضه علينا هذا الاخير لا يستطيع الادعاء بانه مطلق اما السيد شاكس - روي فاتخذ في كتابه الحالي مهمة مماثلة؛ واذ يدرس مسألة الكائن والزمان رأى من الضرورة المحافظة على التعادل بين تفسيري الحياة الانسانية اللذين يقوى كل منهما على القول انه يرجح على غيره بجزء من الحقيقة بصرف النظر عن مجموعها اما احد هذين التفسيرين فتفسير ج. ب سارتر الذي كان موضوع تمحيص طويل بكثير من العطف والفهم اما الآخر فلا ينكر صحة تحاليله فيما تحتويه من امر وضعي ولكنه يأبى ان يسلّم بالقرار البات الذي يضرب صفحاً عن حقل التجربة الانسانية الفسيح بحجة ان « الارادة العاطلة باساسها » قد افسدته؛ اما التفسير

الثاني تفسير لويس لافيل فمغالاته بالتفاؤل شديدة والسيد شاكس - روي مع تسليمه بقيمة استلهام هذه الفكرة وسموها يرى انها تحلّق فوق المستغلقات التي تكون بالحقيقة المصاعب الجوهرية والتي على الفلسفة ان تكافحها . اما المؤلف نفسه فقد تبنّى الحلّ الذي اقترحه بلوندل والذي يقوم بحسب رأيه بين الطرفين» وهذه الفلسفة مع اعترافها بان الوجود الموقت له حدوده وانحطاطه وانه عرضة لكل انواع المغريات بالتجارب لا تنفك عن الاشارة الى ميزة الكائن الانساني السامية . ان الانسان ليس محدودًا بتجربة منتهية حدها الموت وانما اذا ما ارتبط بحركة كيانه العميقة وتوحد مع الثانية التي تدعمه في وجوده فانه يحقق ذاته على قدر انفتاحه على « النعمة » المارية .

ولقد وضع هذا المصنف الذي يوجز ايجازًا موفقًا بعض تيارات الفكر العصري الرئيسية للجمهور بوضوحه ودقته وغزارة تحاليله .

ج . ف .

Martin Heidegger : *Kant et le problème de la Métaphysique*, introd. et trad. — Alphonse de Waehlens et Walter Bimel — Gallimard, 1953, 308 pp.

لقد ظهر هذا المصنف المتضمن موضوع تعليم استمر عشر سنين بسنتين بعد مصنف المؤلف الاساسي (Sein und Zeit) ولا يدعي هيدجر انه قد اختصر كل فكر « كَنْت » كما قال هو نفسه» اما غرض مصنّفه الحالي فتفسير « نقد العقل المحض » عند « كَنْت » بصفة كونه تشييدًا لاساس علم ما وراء الطبيعة » . مما يعني ان كتاب « كَنْت » سيجيب على سؤال هو ملحّ بخاصة في طريقة هيدجر» وينبغي الّا نعجب اذًا لو اثار تفسير هيدجر انتقادات حادّة من قبل اشياع « كَنْت » والاختصاصيين بدراسة فلسفته ولم يكتم هيدجر في مقدمته التي وضعها للطبعة الثانية وبيدنا ترجمتها هنا ان عمله كان معرّض الجانب لهذه الانتقادات . « ان ما في هذا المصنَّف من نواقص وخَلَل قد بدا لي واضحاً كل الوضوح باجتيازي هذه المسافة من طريق فكري حتى تراجعت عن طريق تحطيم وحدة هذا المصنَّف بملاحق وذيول ومقدمات . فالذين يفكّرون يستفيدون فائدة افضل من اغلاطه » .

ويريد هيدجر ان يبيّن بالاستناد الى تحاليل «كَنْت» ان علم ما وراء الطبيعة عليه ان ينطلق من الانسان بوصفه الوحيد الذي بمقدوره التساؤل عن كيانه ومن دراسة تكوينه «الاونتولوجي» ويدعى هيدجر البرهنة على ان عكسيا مُكوّن مما كان يسميه «كَنْت» المخيلة العليا المتأصلة الوقت الاولي، ويبين هيدجر في سياق كتابه بياناً جليًا ازومتي معرفتنا، الفكر والحدس. ويعلن متتبعاً «كَنْت» دائمًا ان كليهما يتأصلان في مخيلتنا، الفكر لأنه لا يتحقق الا بواسطة جهاز المخيلة، الحدس ان افقه قد ابتته المخيلة او بالاحرى الزمان الذي هو اساسها.

ولقد استطاع هيدجر بمثل هذا الايجاز ان يقرر ميزة نهائية الانسان ومعرفته التي يحدّها ضرورة الافق الذي يشيده الزمن الاولي.

ويقضي الواجب من جهة ثانية بالحرص على ان لا نعطي معنىً ضيقاً جد الضيق لارجاع الفكر الى المخيلة وايقافه على خدمة حدس حساس، ان كل ما يريد ان يقوله هو ان الفعل الاساسي ليس احتكاماً اما الحدس وكل ضرورة فليس مبدعاً لموضوعه وانما هو ضرورة حساس، وصفوة القول ان الحس ليس الّا علامة لنهائية الانسان، مبحث المؤلف الاساسي.

ان هذه الترجمة التي اتى بها رجلان معروفان من كبار الاساتذة ومن مفتري الفكرة العصرية لهي ممتازة، جلية ودقيقة دون ان تمثل سيرها مفردات خاصة بهيدجر، اما المقدمة فتعرض علينا ملخصاً للمؤلف يساعدنا على متابعة فكرة معقدة كل التعقيد وزادتها مناقشات ابحاث «كَنْت» المستمرة استغلاقاً. ف.

تاريخ احمد باشا الجزار

بقلم الامير حيدر احمد شهاب

نشره الابوان انطونيوس شبلي اللبناني واغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

مكتبة انطوان – بيروت، ٥٥٥ ص، حجم كبير – ١٩٥٥

لقد اكبّ الابوان انطونيوس شبلي اللبناني واغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

على درس وثائق قيمة جمعاها في هذا المجلد النفيس. وثائق تطلعنا على حياة الجزار وقصة بطشه وظلمه وكانت قد دوّنت هذه الوثائق يد الامير حيدر احمد شهاب ولم يضع عليها اسمه خوفاً من جور الحاكم. وقد بيّن الابوان الناشران بكل ما تتطلبه الطريقة العلمية صحّة نسبة هذا التاريخ للامير حيدر الشهابي: — وقد ضمّن الناشران هذا الكتاب وثائق عديدة عن الاسرة الشهابيـة وعن الشيخ مرعي الدحداح وعن معاطاة الروس مع بيروت الى ما هنالك ممّا يشوّق القارئ الى متابعة المطالعة وخاصّة تلك الوثيقة ذات الشأن وهي تاريخ الرهبنة الشويرية خطتها يد راهب عُرف برصانتـه وحكمته، مؤلف «الدر المرصوف» حنانيا المنيّر. وبينا يصوّر بعض الحوادث التي ذكرها الامير حيدر فانه يزيد عليهـا ويُدخلنا في جوّ يستشفّ منه كل ما اعترى حياة اللبناني في تلك الايام.

مجموعة وثائق قيّمة تجعل الكتاب منهلاً لدرس التاريخ اللبناني في حقبة معيّنة من الزمن وتضع القارئ على اتصال شخصي بتلك السنين وبمن كان لهم ان يوجّهوها.

ولقد اجتهد الناشران في مقدّمة جلّي في ان يصفا الجزّار خاصة والحكم في تلك الايام الاقطاعية عامّة. والمقدمة ملأى من الدرس النفساني المؤثر يجعلنا معاصري حكّام تلك الايّام.

واننا لنشكر لمكتبة انطوان التي همّت بنشر هـذه الوثائق وساعدت الابوين مساعدة تُحمد فتشكر. فالكتاب الذي يقع بحجم ٥٥٥ ص يبـدو بمظهر انيق رائع. خ. ا

الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر

بقلم الدكتور م. محمد حسين

الجزء الاول — المطبعة النموذجية — ٣٦٠ ص قطع كبير

امامنا الجزء الاول من دراسة اتجاهات الادب الحديث الوطنية الذي يدعونا في مقدمته الدكتور محمد حسين، بعد ان اوضح لنا خطته الاولى وكيفية تحولها تدريجاً، الى اقامة الدليل على فهم التاريخ فهماً دقيقاً في دراسة الادب العربي

الحديث والمعاصر ، ان التاريخي في اجحافه بحق بعض كبار العقول والشعراء والادباء غالباً قد برهن عن عدم تطبيقه الطريقة التي كان عليه ان يطبقها في التاريخ .

وانه لمن الصعوبة دراسة اديب من ادباء العصور الماضية بدون ان نردّه الى اطار ما كان يحيط به تاريخياً ، فلو درسنا شوقي مثلاً واردنا ان نطبق عليه مقاييس الاحكام العصرية لضللنا سبيلاً ولئن اخذنا عليه انه كان شاعر بلاط في قصائده من وقت الى آخر فذلك جهل منا لتأثير الزمن وتناس لكل تاريخ شعراء البلاطات الذين مجّدوا كالمتنبي سياسة من كانوا يمدحونه او الذين انتقدوا نقداً لاذعاً من كان خصمهم سياسياً . اجل انه لضرب من ضروب الادب قد اساء جدًّا الى الشعر ولكنه كان موجوداً .

والذي نريد ان نلفت اليه النظر بصدد هذا الكتاب الذي نحلله هو وفرة المستندات التي تدعم صحة حكم المؤلف ، ولقد احسن صنعاً في اشارته الى مختلف رسوم تلك الحركات السياسية التي افرغت في قوالبها الحياة آنذاك وان نرجع شتى الشعراء الى اطارها . فهل تأثر هؤلاء الاخيرون بالحركات السياسية وانهم ساهموا في انباضها الى مرتبة ارفع وتدعيمها ؟ ومهما يكن من امر فثمة تأثير بيّن متبادل .

وان هذا الضرب من الشعر السياسي هو كما قلنا سابقاً عريق في الشعر العربي . اما الشعر الحديث فيرتدي طابعاً خاصاً سواء أكان ذلك في الوزن ام في الافكار الموسّعة .

ذكريات

بقلم رضا التامر

مطابع الآداب ٣٢٤ ص — ١٩٥٥ . قطع كبير

العادة ان تدوّن المذكرات في « اليوميات » اذ يودع الكاتب انطباعاته اليومية في دفتر واننا نجهل هل يستفيد التاريخ يوماً من هذه الملحوظات الموضوعة المشرقة الديباجة ، ولقد روى لنا رضا التامر في ذكرياته — وقد

برهن فيها عن بعض الاجحاف بحق اشخاص لم يقرّوه سياسته — التي من المرجح ان يكون اودعها دفتره قصة رجل تألم وساهم عن كثب في حياة القضاء ببلاده .

فهي ملحوظة وجيزة تارةً رصينة واحياناً اشارة لبعض الحوادث التي نتساءل ما عسى ان تكون اهميتها في حياة رجل ، فلا نحاولنّ ولوج نفسية قاضٍ فالقضاء عالم اذا كان القاضي مخلصاً حيث لا يستطيع الولوج الّا الله ، فقد عهد اليه بحياة الناس ولن يقوى على لفظة واحدة بدون ان يرتجف .

ولئن قرأنا هذه اليومية (مذكرات) رضا التامر، ففائدتها كبيرة لنا كما انه يفرحنا ان نرى هذا النوع من الادب ينتشر عندنا .

واننا لعلى انتظار الجزء الثاني من هذه «اليومية» حيث يستعرض الرجال الذين عرفناهم . ا. ع. خ

اربع مسرحيات من الأدب الاميركي

بقلم يوجين أونيل — تورنتون وايلدر — سيدني هوارد
جورج كوفمان وموسى هارت

مقدمة بقلم توفيق الحكيم . مكتبة الانجلو المصرية
— القاهرة ١٩٥٦ — ٤١٠ ص . حجم كبير

ان ما تميّز به المسرح الاميركي في هذه المسرحيات الاربع : اتجاهه صوب القديم واتجاهه الى الرغبة في التجدد مما هو راجع طبعاً الى سليقة كل مؤلف الشخصية ، بيد ان الذي كان له وقعه فينا هو قوة الابتكار : اشخاص نماذج في اصليتهم يتبعون في سيماهم ونفسيتهم الخاصة بكلّ منهم ، نعم انه ليس من السهل الابتكار دائماً ، وربما كان المسرح الفنّ الذي تظهر فيه ابرز ظهور نفسية الشعب بحيث يستطيع الكاتب صبّ اقوى افكاره وألذع انتقاداته الثورية على المجتمع والدولة . ان المسرح لوسيلة الاصلاح والتقويم، اما الروائيون الاميركيون فيعمدون الى التحليل خاصة ، فالقوة اذا ربيبة العذوبة ، وبركان العواطف قريب لاعظم حنان الفؤاد .

ويقوم التجـدد على كون احد المثلين ذاته يجعلنا نتعرّف الى المثلين فهو يمثلهم للحكم عليهم ... ولا يسعنا الا ان نهنئ المترجمين الذين احسنوا ايجاد اللغة لترجمتهم .

أفليس عـلى المسرح العربي الاستفادة من احتكاكه بمسرح فتيّ يبشر بتقدم عظيم .

والجدير بالقراءة هي المقدمة التي وطّأ بها توفيق الحكيم لهذه الترجمة لانهـا تلقي في الذهن وجهات نظر يجب ان لا نغفل اخذها بعين الاعتبار .

ع. خ

قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثاني ــ حياة اليونان

بقلم ول ديورانت — ترجمة محمد بدران

نشر الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ١٩٥٤ — ٢٥٤ ص . قطع كبير

يسرنا ان نعرّف هذا الكتاب الذي اهتمت لترجمته ادارة التربية في الجامعة العربية ، وبودّنا ان نقرّ عملها هذا الخيّر واهتمامها في ايصال ثروة النشر العالمي الى الشرقيين والغربيين ، لانه مـا من شيء يؤدي اتحاد الشعوب بعضها بين بعض الا التفاهم عندما تفرّقهم الاديان .

ويتناول هذا الكتاب (القسم الثالث من المجلد الثاني) قسطاً واسعاً جداً الاتساع من الثقافة الانسانية في العهد اليوناني ومـا خلّفه ذلك العهد من علم وفنّ وفلسفة وثقافة انسانية للانسانية ، بيد ان جميع ما جاء فيـه من اقوال قيّمة بصدد هذه الموضوعات هو مذكور في كل كتب التاريخ .

والذي شاقنا في هذا الكتاب هو اجمال جميع الافكار والباسها طابعاً شخصياً فتماسك تماسكاً وثيقاً في تكوينها يجعلها اقل تضخماً .

واذ نشكر للمترجم على ترجمته السهلة المطبوعة فاننـا نراه قد ترسّم في بعض الاحيان النص الاصلي وكان بمقدوره ان يغفل عن بعض الاخطاء . في ترجمة الكلمات اللاتينية كما في الصفحة ٧ فقدكان من الواجب اصلاح الخطإ كما يلي «natura non facit saltus» .

ويا لها من فائدة جليلة اذا ما انفتحت الافكار على امور متسعة كل الاتساع في قراءتنا لمثل هذه المصنفات .
ا. ع. خ

Dr Abdülkadir KARAHAN : *Islâm — Türk edebiyatinde Kirk Hadis toplama, tercüme ve şerhleri.* — Ibrahim Horoz Basimevi, Istanbul, 1954, 364 pp. + 73 photos de mss. + 22 pp. d'introduction en arabe.

ان هذا الكتاب لاثر من المآثر التي اقتضت المؤلف سنين عديدة من البحث والنصب ، اما المؤلف الذي كانت المكتبات التركية الغنية تحت تصرفه فقد عرف الاستفادة منها ولا سيما وان الدولة التركية هي التي عنت بهذا الادب الذي كان له تأثيره الكبير . وثمة مؤلفون اتراك ترجموا الاربعين حديثاً ووضعوا منها ولقد انتشر علم الاحاديث الاربعين وبات الكتاب طلباً للشهرة والتفوق يعنون بالتأليف في هذا الباب ، ولقد شهدت القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر ونصف القرن الثامن عشر ازدهاراً رائعاً لهذا العام . ولقد كان على المؤلف وهو استاذ الادب التركي ان يحدثنا عن هذا الموضوع بما لديه من كفاية ومعلومات واسعة .

واصرّ المؤلف بحق على ان الاربعين حديثاً قد ساعدت على حفظ القواعد الاخلاقية الاسلامية او على تقدمها ، اما مختلف الاحاديث منذ محمد الى العهد الحالي فلا تقوى الا على ان تشدّد المؤمنين في مجهوداتهم وتجديد توجيه نضال انصار الدين الاسلامي ، وانني لالفتُ النظر بصورة خاصة الى غنى هذه الطبعة من الكتاب بطباعة حسنة جداً واخراج حسن فلو كان ثمة اختلاف في حروف الطبع لكانت قراءة الكتاب سهلة .

ونحرص على ان نخص الدكتور كاراهان تهانينا على مثل هذا التوفيق .
ا. ع. خ

دقائق العربية

بقلم امين آل ناصر الدين

الطبعة الاولى ، ٢٨٠ ص ، حجم كبير ، بيروت ١٩٥٣ – الناشر محمد سعيد محمود

طالعت باهتمام كتاب «دقائق العربية» لمؤلفه امين آل ناصر الدين وناشره

محمد سعيد مسعود ولا بدّ لي من الثناء على جهود المؤلف واريحية الناشر وغيرتها الصادقة على لغتنا العربية فانها بكتابها هذا قد خدماها خدمة جلّى تُذكر لها .

جزأ المؤلف كتابه ابواباً افضلها على رأينا الاربعة الاولى لما احتوته من نقد صحيح وملاحظات قيّمة اما الابواب الاخرى فهي بالاحرى موجز قواعد اللغة والبيان والبديع والعروض تمنينا لو طبعها المؤلف منفصلة عن الابواب الاولى وهي الاكثر فائدة وابتكاراً لكان قد سهّل نشرها ونفع اللغة نفعاً اعظم .

في الابواب الاربعة الاولى انتقاد صائب سديد لاغلاط عديدة فاضحة لغوية ومعنوية يقع فيها كثير من كتاب عصرنا وهم لا يعون اذ يطلقون العنان لاقلامهم دون تردّد في استعمال كثير من الالفاظ في غير معانيها وتعابير نقلوها عن اللغات الاعجمية واللغة العربية منها براء . نكتفي هنا بادراج مثلين او ثلاثة منها :

— ص ١٠٢ : « رضخ » طالما استعمل حملة القلم هذا الفعل بمعنى الخضوع فقالوا مثلاً : رضخ سعيد لسليم — ومعنى رضخ في اللغة : كسر شيئاً صلباً .

— ص ١٠٨ : « عطف » فان معناها يختلف باختلاف حرف الجرّ . فاذا قلت : « عطف اليه » فالمعنى : مال اليه — و « عطف عليه » : رثى له من امر اصابه .

ولم يقرع المؤلف بالكفاية على رأينا جهل كثير من الكتاب في تمييز معاني حروف الجرّ نذكر منها : « با. » الجر في موضع « في » و« اللام » في موضع « الى » فقالوا : « فلان يقيم ببيروت » كما يقولون « ضربتُه بالعصا » — والصواب « ب » للآلة والوسيلة و« في » للمحل ... كذلك « ذهبتُ للغاب للصيد » بدل « ذهبت الى الغاب للصيد » فان « الى » تدل على الحركة و« لِ » على الغاية ... وغيرها كثيراً مثل « بيت متراضع » (اي حقير) و« عمل كاهناً » (اي صار) ...

اننا نتمنى « لوثائق العربية » انتشاراً يستحقه خدمةً للغة البلاد ولمن يهتم اتقانها ورفع شأنها .

ف. ق.

Georg Steindorff. — *Lehrbuch der Koptischen Grammatik.* Un volume in 8°, 16×24 cm. XVI-250 pp. The University of Chicago Press, Chicago, Illinois, 1951.

كان قد اصدر جورج ستاندورف وهو صاحب عدة مستندات قبطية في سلسلة منشورات (Porta linguarum Orientalium) المشهورة وذلك منذ سنة ١٨٩٤ كتاباً موجزاً لقواعد اللغة القبطية اعيد طبعه بعد وقت .

ولقد ترك هذا المؤلف بعد وفاته كتاباً اوسع ختم به حياته فكان تتويجاً لمهنته الطويلة .

وكان الناشرون الاميركيون اعتزموا اصداره لا بلغة صاحبه بل مترجماً الى الانكليزية بيد ان وفاة السيد كروم سنة ١٩٤٨ الذي انيطت به مهمة تلك الترجمة الدقيقة قد حملتهم على التوقف عن طبعه لتراه بين ايدينا اليوم كما وضعه مؤلفه بلغته الالمانية .

وهذا الكتاب وضع خاصة للعلماء وحدهم الذين يُعنون بتفهم اسرار المخطوطات او اوراق البردي المكتشفة والتي لا يزال البحث جارياً لاكتشافها .

ولا يشبه هذا المصنف الكتب الاخرى ولا بخاصة كتاب الاب مالون المتخصص بدراسة اللهجة البحيرية المستخدمة في الكتب الطقسية فقط .

ومتوخى هذا المصنف ان يكون كتاباً كاملا لدراسة مخارج الاصوات وصرف جميع لهجات اللغة القبطية ونحوها اما اللهجة المتبناة كقاعدة فالسهيدية لا البحيرية .

وانه لمن شأن كبار الاختصاصيين ان يحكموا بما لديهم من كفاءة على قيمة كتاب القواعد القبطية الجديد وعلى ما اسداه لهذه اللغة من مساهمة في دراساتها . وان شخصية المؤلف نفسه والمعلومات الواسعة التي فاز بها والجهد المستمر الذي بذله طوال حياته في سبيل هذا المصنف لتضمن له على كل حال اهميته العلمية ورفيع مستواه .

ا. ع. خ

حضارة الشعوب

روسيا الجديدة بعد موت ستالين

بقلم هنري شابيرو – تعريب وتعليق جورج مصروعة

منشورات المكشوف ١٩٥٦ – ١٨٦ ص، قطع وسط

في الساعة التي تضرب فيها روسيا المثل للعالم ثانية على نشوب التوتر الداخلي فيها الذي كانت مسرحاً مستمراً له انه لمن السخرية ايضاح ملخص كتاب حول الزعيم الذي كان يحكم بالامس تلك البلاد العظيمة، فذلك الرجل الذي صفق له الزعماء الحمر امس يرى نفسه اليوم على رغمه مضطراً الى توقيع استقالة فرضت عليه فرضاً.

ولا شك في ان الكتاب الذي نوضح ملخصه يحدد مالنكوف فهو يبين المفاتحة التي اراد زعيم روسيا ان يتجه بها صوب الغرب ولكنه يبين ايضاً وبدون ضعف مبدأ تأصل الكفر في سياسة روسيا – حتى لو تبدلت بعض التبدل – ومدى استمساكها بعزلتها وشدة رغبتها في السيطرة الشاملة. ولقد استخدم المؤلف في اخراجه هذا الكتاب معلومات واسعة ومستندات من الطراز المعلم فقد كان مراسلاً صحفياً وشديد الاطلاع. وانه لمن المفيد للقارئ الاطلاع على هذا المؤلف وان كان ذلك بعد سقوط مالنكوف ليفهم مبلغ انبجاس الفكرة الموجهة لسياسة لا تتغير في جوهرها. ا. ع. خ

Ange KOLLER : *I Berberi Marocchini*. Édit. Tell Lugano, Como, 1952, 375 pp.

مَن يكشف ورائده الحب عن وجه امة ليست امته، ويعكف بنبل على دراسة معضلاته وميزاته واطماحه المتضاربة ومصاعب نموه يدلل بالبرهان اولاً على كبر نفسه اما اذا راح العلم الاشد صدقاً ينضم الى مثل هذه الصفات واذا ما دُرست المستندات بدقة دراسة المختبرات لتجعلها تقول ما تريد ان تقوله فقط ولنكتشف فيها النفس التي املتها فحينئذ يُقام البرهان على العقل الواسع اتساعاً كبيراً. ومؤلف هذا الكتاب المستساغة مطالعته والذي لا نجرؤ على تركه

لئلا نخسر شيئاً قد اتحفنا هنا بنتيجة عمل جبار ومتواصل طوال عدة سنوات، لا يستطيع الذين يهتمون للشعب البربري ان يستغنوا عن مؤلفه الذي يخولهم فهم نفس شعب خير الفهم، اما المؤلف فلم يُطل اكثر مما ينبغي التطويل في دراسة وجه البربري الفردي اذ ارجع درس هذا الوجه الى دراسة المجموع مما جعله اكثر بروزاً.

انه لكتاب جميل مستساغ ومفيدة مطالعته لما يكمن من غزارة مادة.

ا. ع. خ

اهدت جامعة الدول العربية لادارة مجلة المشرق الكتب التالية:

الدكتور احمد السمّان: محاضرات في اقتصاديات سوريا.

الدكتور عبد الرزاق السنهوري: مصادر الحق في الفقه الاسلامي.

الدكتور عبد الرحمن الجليلي: محاضرات في اقتصاديات العراق.

الدكتور عزة النص: احوال السكان في العالم العربي

وثائق ونصوص: ١ — دساتير البلاد العربية

اخبار العالم

اخبار دينية

الفاتيكان : في ٨ تموز الساعة السادسة والنصف قام السيد جواهر لال نوهرو رئيس وزراء الهند بزيارة رسمية لقداسة البابا بيوس الثاني عشر. وفي هذه المناسبة عبّر قداسته عن تقديره للرئيس وتمنياته لنجاح الهند وتقدّمها ثم ذكر مشاركة الكاثوليك فيها وخدمهم وتضامنهم في العمل لخير بلادهم .

ثم قدم الوزير فرداً فرداً مرافقيه في هذه الزيارة ومنهم ابنته مدام انديرا غاندي . فوجّه اليهم خطاباً تكلم فيه عن « المسؤولية العظمى التي تعود الى السلطات المدنية القائمة للجدّ الدائم في دعم السلام الحقيقي في العالم المؤسس على المحبة والعدالة بين جميع الشعوب » .

ريو دي جانيرو : المؤتمر الاوخارستي الدولي السادس والثلاثون .

في ١٩ تموز احتفلت عاصمة البرازيل احتفالاً عظيماً بافتتاح هذا المؤتمر بحضور زوّار امّوها من كل اقطار العالم الكاثوليكي بلغ عددهم ستمئة الف ونيف وبرئاسة الكردينال مازلا ينوب عن الاب الاقدس يحفّ به عشرون كردينالاً وثلاثمئة اسقف وعشرون الفاً من الكهنة والرهبان والراهبات .

وقد اغتنمت الحكومة البرازيلية هذه الفرصة فكرست البرازيل لقلب يسوع الاقدس بعد نهاية قداس يوم الاحد الحبري اذ اعلن رئيس مجلس الاعيان رسمياً هذا التكريس واشترك فيه عشرون عضواً من مجلس الاعيان والنواب .

اما الاحتفالات الشائقة المتكررة التي جرت في المؤتمر للاحتفاء بسرّ حضور المسيح العجيب في الاوخارستيا فقد أسهبت الجرائد والمجلات في وصفها وتقديرها باعجاب . قيل ان عدد المسيحيين الذين اشتركوا بحفلة اختتام المؤتمر في ٢٦ تموز بلغ مليونين تقريباً .

عيّن قداسة البابا بيوس الثاني عشر سيادة المطران بطرس ديب مطران القاهرة ملازماً للعرش البابوي تقديراً لعلمه وتفانيه في خدمة الدين .

في الثامن عشر من شهر ايلول الماضي لبى دعوة ربه المستشرق الالماني الكبير الدكتور جورج كراف عن احدى وثمانين سنة ولقد خسر الشرق بموته صديقاً عاملاً .

اتى الدكتور كراف البلاد الشرقية مرات عديدة قبل وبعد الحرب العالمية الاولى لينقب في المكاتب عن المخطوطات المسيحية باللغة العربية وكتب عنها المقالات وألّف المجلدات الضخمة القيمة التي تحفظ ذكراه « تاريخ الآداب المسيحية العربية » .

وبعد ان ترك رومة ومكتبة الفاتيكان التي رأت اعماله وجهوده المستمرة عاد الى وطنه وهمّ هناك باحياء « جمعية جورجس » ومجلة « الشرق المسيحي » .

اجتماع الكشافة الدولي (جامبوري) في كندا : يوم السبت ٢٣ آب ابتدأ اجتماع الكشافة العالمي الثامن في كندا عند شلالات نياغارا الشهيرة بين بحيرات اريا واونتاريو وقد اشترك فيه عشرة آلاف من الكشافة ينتمون الى ستين بلدة مختلفة .

بهذه المناسبة ارسل الحبر الاعظم الى كشافة كندا المضيافة رسالة ابوية حيّة وقدح قال فيها : « بينا يتهيأ الجامبوري العالمي في نياغارا لفتح ابوابه لمجتمع شبيبة مقدامة شعارها الخدمة والحزم والاستقامة انتأ بكل طيبة قلب نبعث اليكم يا كشافة كندا الكاثوليكية جوابنا حسب طلبكم . اليكم نوجّه والى كل ابنائنا من شتى الاوطان الذين اجتمعوا في ارضكم الرحبة تحريضنا الابوي على الاتحاد للتعاون في العمل لنجاح هذا الجامبوري الفاخر » .

كل اربع سنين تُدعى هكذا كشافة العالم كله الى اجتماع عالمي في بلدة يتّفق عليها .

اخبار عالمية

ميثاق بغداد – انقرة : بلغ عدد اعضاء هذا الميثاق خمسة بعد ان انضمت اليه انكلترة والباكستان وايران . اما اميركا فانها ولو لم توقع عليه فتحبّذه وتعضده ادبيًا وماديًا .

اراد الغرب هذا الميثاق لتوطيد قواه في الشرق ضد روسيا السوفياتية باتحاد البلاد العربية وغيرها من البلاد المجاورة لها مع تركيا . وقد اوشك ان يشطر البلاد العربية شطرين وإن يقسمها الى كتلتين متنافرتين فيضعف قوى الجامعة العربية ويصنع الشقاق فيها .

قد تكون العراق أملت من توقيع هذا الميثاق احتلال المنزلة الاولى في البلاد العربية وتحقيق ما دعوه الهلال الخصيب باتحاد سوريا معها . لكن آمالها آبت خائبة وبقيت لمصر منزلتها الاولى في الجامعة العربية . فان سوريا رفضت بتاتًا توقيع الميثاق وقاومت بشدة مناورات العراق الاتحادية ومحاولات تركيا بالضغط على حريتها . ثم جاء انتخاب السيد شكري القوتلي رئيسًا للجمهورية فثبّتها في المقاومة وقطع رجاء اخصامها في الوصول الى ارغامها . ومع ذلك فانها لم ترض بتوقيع الميثاق الثلاثي الذي عرضته مصر والسعودية عليها رفضته بعد ان ماطلت وبحثت وتردّدت في الامر كثيرًا وهكذا حافظت البلاد العربية على وحدتها .

الثورة في الارجنتين : في ١٦ حزيران قامت في بوينس ايرس مظاهرات عنيفة مشى فيها رجال من حزب بيرون فأحرقوا كنائس عديدة والدار الاسقفية . ولما ارادت بعد ذلك حكومة بيرون ان تعوّض عن الاضرار التي اصابت الكاثوليك في هذه المظاهرات وقرّرت لذلك مبلغًا كبيرًا رفض هذه المساعدة راعي الابرشية كما رفضها معه الدومنيكان والفرنسيسكان واليسوعيون وآباء الرحمة وغيرهم معتمدين على سخاء الكاثوليك ومحبتهم لترميم ما احدثته المظاهرات من خراب .

وفي ١٤ تموز نشر مطارنة الارجنتين في بلادهم رسالة رعائية باسمهم جميعًا متحدين يطالبون فيها من حكومة بيرون بضرورة اعادة الحريات المشروعة الى كل المواطنين على السواء : حرية الفكر وحرية النشر وحرية الاجتماع . . . لكن عبثًا .

ثم لم تلبث الحوادث ان تفاقمت في عاصمة الارجنتين خصوصاً . وفي ١٩ ايلول قامت ثورة ثالثة ضد الحكم البيروني اذ اتحدت القوات البحرية كلها تطالب باستقالة الحكومة البيرونية حالاً والا اطلقت نيران مدافعها على بوينس ايرس. حينئذ اضطرّ بيرون والجنرال لوسيرو الى الاستقالة ولجأ بيرون الى سفينة حربية للبراغوي كانت راسية هناك . اما القوات البرية فاذعنت مضطرّة الى اوامر القوى البحرية دون قيد ولا شرط .

اذ ذاك تسلم الحكم وقتياً الجنرال لوناردي وغادر بيرون مرفأ العاصمة الى البراغوي. لكنه لم ينقض خمسون يوماً على الثورة التي طردت بيرون حتى أُجبر الجنرال لوناردي بدوره الى التخلي عن منصبه وتسليم حكم البلاد الى الجنرال اوراميورو .

جزيرة قبرس بين انكلترا واليونان وحوادث تركيا : في هذه الاشهر الاخيرة تواترت مظاهرات الشعب اليوناني في قبرس يطالب بانضمام الجزيرة الى اليونان . والحكومة الانكليزية المحتلة بعد المواعيد والماطلات رأت ان تدخل الاقلية التركية في الامر ودعت الجانبين الى مؤتمر قامت فيه حكماً بينها . وقد رفضت طلب الاستفتاء الذي عرضه عليها اليونان كما رفضته الاقلية التركية مدعية بان لها حقوقاً ثابتة على الجزيرة . . .

فلما لم يحصل اتفاق عزز الانكليز قواهم في قبرس ولجأوا الى الشدة ضد المقاومة المتينة العنيدة التي يلاقونها .

اما في تركيا فقد حدث بعد ذلك حوادث هيجان وتدمير ما كان العالم يتصوّر امكان حدوثها في بلاد كان يعدّها منذ حكم اتاتورك من البلاد السبّاقة الى التمدّن :

في ليلة ٦–٧ من ايلول في مواقع شتى من الاراضي التركية وبالاخص في مدينة استانبول وازمير قامت جماعات من رعاع الشعب التركي باعمال هدم ونهب وحريق وشناعة مخزية فدمّرت الكنائس والمؤسسات التجارية والمخازن ومعاهد التعليم وسلبتها واحرقتها ونبشت المقابر واخرجت منها عظام الموتى وبعثرتها ووضعت النار فيها . . . لقد قضت ليلة كاملة تعمل اعمالها هذه بحرية تامة دون ان يتحرك للسلطة المحلية ساكن ودون ان يقوم الموكلون بحفظ الامن في المدينة لردع هذا الرعاع الهائج . . .

يقال ان عدد المخازن اليونانية التي اصابها الخراب في الاستانة يتجاوز الالفين وخمسة والكنائس الارثوذكسية المدمّرة ستون تقريباً . . . وكان هياج الذين هاجموا دير بالقلي وكنيسته شديداً للغاية فانهم لم يكتفوا بخراب الدير والكنيسة ونهبها بل انهم فتحوا مدافن البطاركة واخرجوا ما فيها من عظام وصبوا عليها زيت الكاز واحرقوها ثم قتلوا رئيس الدير ورموا جثته في النار . وكذلك نبشوا كل مقابر البلدة وبعثروا ما فيها من عظام وكسروا ما علاها من صلبان . . . وقد انتهكوا حرمة ثلاث كنائس كاثوليكية وفتحوا في احداها بيت القربان واخذوا منه الحُقّ بما فيه وذهبوا به . وما حدث في استانبول حدث مثله في ازمير في الليلة عينها وفي الساعة عينها .

هذه الاعمال الفظيعة دامت منذ الساعة الثامنة مساء الى الرابعة صباحاً اذ ذاك

اين كانت الحكومة المسؤولة عن امن المواطنين واموالهم وحياتهم هل انها لم تسمع ولم ترَ . . .

لم تتردّد الحكومة اليونانية باتهام حكومة انقرة بتدبير هذه الحركات الانتقامية الشنيعة . فماذا يا ترى يمكن ان يبقى بعد هذه الحوادث الجائرة المخجلة من « الصداقة التركية اليونانية » . . .

مصر والبلاد العربية تتسلح : لما رأى الكولونل جمال عبدالناصر بانه لا غنى له عن السلاح لردع اسرائيل ولما رأى ان الحصول من الغرب – من فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة – على سلاح كان امراً صعباً وبشروط لا يرضى بها نظر الى الشرق الشيوعي وطلب منه ما رفضه الغرب عليه فاتفق اولاً على شرائه من تشيكوسلوفاكيا فوافقت على طلبه وارسلت اليه مطلوبه منها . . . هذا فحوى ما اعلنه الكولونل نفسه .

بعد ذلك عرضت عليه سلاحاً روسيا السوفيانية نفسها . . . وهكذا صارت البلاد العربية تتطلع الى الشرق متسائلة متشاورة . . .

اذ ذاك ثار القلق في الاوساط السياسية الغربية لدخول روسية الشيوعية في امور الشرق الادنى وتقرّب الدول العربية اليها للتسابق في التسلح مع اسرائيل . . . وقد زاد في تخوّف الغربيين من هذا الحدث المفاجئ الجواب الذي سمعوه في مؤتمر الاربعة في جنيف من السيد ايليجينتشف الذي اكد بان الاتحاد الروسي « مستعد لمتابعة تقديم الاسلحة لكل الدول العربية المستقلة » .

مؤتمر الاربعة في جنيف : في ١٧ تشرين الثاني انتهى مؤتمر جنيف حيث اجتمع طويلاً للمداولة وزراء خارجية اميركا وفرنسا وانكلترا وروسيا لكنه لم يأتِ بالنتيجة المتوخاة . وقد لا يكون انخذاله قد خيّب املاً بعدما اختبر العالم قيمة المؤتمرات العديدة التي سبقت .

انتهى المؤتمر وعاد المؤتمرون كلٌّ الى بلده انتهى دون ان يقدر على تحقيق واحدة من غاياته الجوهرية الثلاث : توحيد المانيا وتوطيد الامن الاوروبي وفرض مراقبة متبادلة على التسلح .

والاهمّ من هذه الغايات الثلاث واول شرط لتحقيق السلام في العالم هو توحيد المانيا . لكن هل خفي على الغربيين بانّ روسيا لا ترضى بهذه الوحدة الا اذا كانت في صالح سياستها فهل من صالح هذه السياسة ان تذوب الاقلية الشرقية من المانية في المانية الغربية وهي الاكثرية الغالبة وهي اليوم مرتبطة مع الغرب بتعهدات لا يمكنها التخلي عنها .

قيل لهم : ان ذلك يخالف الايمان ، اجابوا : ذلك قول الفيلسوف . وبقيناً ، ان هذا هو النبيّ الكاذب ، لان من اثار الاعتراض ولم يحِد كمن سلّم به ، والى مثله اشار الكتاب عندما قال : من حفر بئراً او كشف بئراً ولم يغطها ثم جاء ثور جاره فوقع فيها ، التزم بالتعويض . وفاتح البئر هو هذا الذي يثير الاعتراض في امور الايمان ، وتارك البئر بلا غطاء هو هذا الذي لا يحلّ الاعتراض ، ولو كان عقله هو سليماً صافياً لا يغلط ، لان غيره، الذي ليس له صفاء عقله ، يغلط . ومن اثار الاعتراض التزم بالتعويض ، لان الذي سقط في الحفرة ، انما سقط على يده .»(١

في هذا النصّ اوضح دليل على ما كان يحيط بالرشديين من شبهات . فهؤلاء «البعض الذين انصرفوا الى الفلسفة» ليسوا جماعة عاشوا في زمان مضى ، بل هم معاصرو توما وزملاؤه في « الجامعة » ، « والفيلسوف » الذي به يحتجون واقواله يرددون ، ان هو الا ارسطو «الفيلسوف» على الاطلاق . اما الاقوال التي يرددون فلا يهمّهم منها انها منافية للايمان ، حتى اذا ما سئلوا عنها ، تنصّلوا منها . وهذا مسلك اقلّ ما يقال فيه انه لا يتّصف بالصراحة . اما كيف بلغ بهم الامر الى الجمع بين « اقوال الفيلسوف » وعقيدة دينيّة ما زالوا يعلنون انهم لم يتخلّوا عنها ، فسرّه في موقف من دلّهم على اقوال الفيلسوف وهداهم الى معانيها ، اي في موقف ابن رشد ، ناشر ارسطو وشارحه .

التوفيق بين الحكمة والشريعة

معلوم ان ابن رشد قال ، في باب التوفيق بين الحكمة والشريعة ، ان للشرع ظاهراً وباطناً ، وانه قال بضرورة تأويل نصّ الشرع اذا اختلف ظاهره عمّا يقول به العقل ، وانه لم يكتف بالالتجاء الى التأويل بل دعا الفلاسفة الى عدم البوح بتأويلاتهم . ومعلوم كذلك ان هذا التستّر جرّ على ابن رشد تهمة الزندقة وما كان يترتّب عليها من تنكيل ، لان خصومه لم يقتنعوا بما ادلى به من حجج تبريراً لتستّره . فابن رشد صرّح بانه لا خير للعامّة في الوقوف على تأويلات الفلاسفة ، لان العامّة لا يجنون من تأويلات الفلاسفة الا الاذى ، وهم لا يجنون منها الا الاذى ، لانهم لا قبل لهم بالحقيقة المجرّدة . اما خصومه فلم يقتنعوا بالحجة ، ورأوا ان التأويل ، لو لم يكن مخالفاً لتعليم الشرع ، لما كان ثمّة داعٍ لكتمانه . والتشديد على الكتمان دليل كافٍ على عدم الاتفاق .

١) آثار توما طبعة فرنه Fretté جزء ٣٢ ص ٦٧٦ .

ومهما كان من امر ابن رشد وما احاط بموقفه من غموض ، فالامر قد افتضح على يد اتباعه اللاتين ، فهم لم يتورّعوا عن اعلان ما لم يعلن ، وفصل ما لم يفصل . وامام ما يعرض من تعارض بين اقوال الكتاب واقوال الفيلسوف ، لم يأنفوا من التمييز بين العقل والدين . وعندهم ان للعقل حقلاً وللدين حقلاً . وحقل العقل هو حقل الاقتناع البصير ، اما حقل الدين فحقل الايمان الذي يخرج عن نطاق البصيرة . وعليه فالسبيل الاوحد الى الحقيقة هو سبيل العقل . اما ما يعلمه الوحي من آيات الله فخارج عن نطاق العقل ، وليس من الحكمة في شيء ان يقابل بما يقول به العقل ، او ان ينظر فيه على نور العقل ويحكّ على محكّه . وهاك ، على سبيل المثل ، ما كتبه احدهم ، سيجر البرابانسي في هذا الباب :

« ونحن انما نبحث هنا عن قصد الفلاسفة ولا سيما ارسطو ، وان اتفق ان رأى الفيلسوف غير ما نظن انه الحق ، وما يعلمه الوحي ، في النفس ، مما لا سبيل الى البلوغ اليه بالادلة الطبيعية ، لاننا هنا لا نبحث في آيات الله ، ما دمنا نبحث بحثاً طبيعياً في امور طبيعية. »(١)

ومن هذا النص يتّضح ان الرشديين كانوا يفصلون فصلاً تاماً بين الفلسفة والدين . فمحور الدين آيات الله ، والبحث فيها لا يكون بادلة طبيعيّة . ومحور الفلسفة قصد الفلاسفة والبحث فيه يكون بادلة طبيعيّة . وان اتفق ان يرى الفيلسوف غير ما يعتقده المؤمن او يعلّمه الوحي ، فلا حرج في ذلك . لان موضوع الدين اما ان يفوق ما يمكن البلوغ اليه بالادلة الطبيعيّة ، واما انه غير مقيّد بما يقصده الفلاسفة .

والالتباس بيّن في موقف هؤلاء الجماعة ، فهم تارة يتحامون وراء التاريخ ، وتارة يعزلون تعليم الوحي خارج نطاق العقل . وفي الامرين غموض . فعندما يبحثون عن قصد الفلاسفة هل يتوخّون تقرير الواقع فقط ام يتوخّون البلوغ الى الحق ؟ وعندما يعزلون تعليم الوحي خارج نطاق العقل ، هل يقصدون ان الوحي غير مقصور على ما يثبته العقل ام انهم يقصدون ايضاً ان تعليم الوحي لا يسلم في غربال العقل ، وانهم يؤثرون عدم البحث فيه حسماً للجدل ؟

نقد توما لموقف الرشديين

مثل هذا الالتباس لم يخفَ على توما ، وقد ردّ على المتحامين وراء التاريخ

(١ Mandonnet, *Siger de Brabant*, p.165 note 1.

بقوله : « ان غاية الفلسفة ليست معرفة ما رآه الناس ، بل معرفة ما هي حقيقة الاشياء . »[1] وعليه فلا بدّ من التمييز بين الفلسفة وتريخها . فتاريخ الفلسفة مفيد ، ولكنه ليس الفلسفة . الفلسفة علم مقصود بذاته ، غايته ارواء ظمأ الانسان الى الحقيقة . وقد اوضح توما الامرين ، فبيّن فوائد تريخ الفلسفة ، للفلسفة ، وبيّن كذلك عقم كل فلسفة لا تتعدّى التاريخ .

ففي تاريخ الفلسفة قال : « ينبغي الاطلاع على آراء الاقدمين ، لان في ذلك فائدتين : الاولى هي الاستعانة بالرأي الصحيح ، والثانية هي اتقاء الرأي الخاطئ »[2] وبديهي ان التمييز بين الرأيين من صلاحية الفيلسوف . ولا يظنّن احد انه ما من فائدة تجنى من التاريخ نظرًا لتراكم النظريات الواهية العقيمة وطغيانها على الرأي السليم ، لان الحقيقة هي ضالّة الانسان ، ولا بدّ له من السعي اليها ، والتفتيش عنها حتى بين الضلالات . وتوما ممن يعرفون قيمة الحقيقة ، وممن يقدّسون كل جهد في سبيلها ، وهاك ما كتب في هذا الشأن ، وهو بليغ : « ان كان ما يستطيع رجل واحد بجهده وذكائه ان يساهم فيه او يزيده على معرفة الحقيقة شيئًا زهيدًا بالنسبة الى معرفة الحق الشاملة ، فمع ذلك ان ما يتجمّع من كل هذه الجهود المؤتلفة ، المختارة ، المتراكمة ، انما هو شيء عظيم . والامر واضح في كل العلوم التي بلغت شأوًا عجيبًا بفضل جهود وفطن مختلفة »[3] فلا يستكبرنّ نابغة نبوغه ، ولا يستصغرنّ جهود غيره ، « فعقول البشر على ما يبدو ، قد تقدمت تدريجيًا في البحث عن اصل الاشياء . »[4] .

فتوما اذن يقدّر التاريخ حق قدره ، ويؤمن بتدرج العقل البشري في سبيل الحق ، وينظر الى تاريخ البشر نظرة تقدّمية ، ترى ما في مجراه من تصعيد ، ولا يفوتها ما يعترض هذا التصعيد من تعريج وانخفاض وجمود[5] .

---

١) في السماء والعالم في المرجع عينه ، حاشية ٥

٢) في النفس : ١ ، ٢

٣) ما بعد الطبيعة ٢ : ١

٤) في الجواهر المفارقة : ٧

٥) مضت اجيال على توما ، وظهرت نظرات اخر الى التاريخ ، تقدمية ايضًا ، ولكنها تكبل مجرى الفكر في سير محتوم (سواء كان الدافع حركة المادة ام منطق العقل) ولكننا ما زلنا نرى ان نظرة توما هي اوفى بالواقع ، واقرب الى العلم ، واحرص على كرامة الانسان .

لكن تقدير التاريخ لا يصرف نظره عن حقيقة الفلسفة . والفلسفة تميز وبناء ، لا جمع وعرض . وكل فلسفة لا تخلص الى ادراك الحق ، ولو بعضه ، مضيعة للوقت، ومجلبة لليأس، ولهوٌ خلوٌ من لذة اللهو . وليس اخبث من فلسفة تبعث في الانسان المتطلع صوب الحق نزاعاً لا يستقر ، بين ما ينشده ويؤمن به ، وما يظنّ انه يراه ويأمن فيه . وهذه الفلسفة هي فلسفة الرشديين، وعليها علّق توما بقوله :

« وافظع من ذلك قوله (سيجر) : اخلص بقوة العقل الى القول بان العقل واحد عددًا ، وبقوة الايمان اؤكد العكس تأكيدًا . فهو اذن يعتقد ان الايمان ممكن في امور يستطيع العقل اثبات عكسها . ولما كان لا يثبت بالعقل الا الحقيقي الضروري ، الذي عكسه خطأ ومحال ، لذلك ينتج ، بحسب قوله ، ان الايمان يعلّم الخطأ والمحال . والله عينه يعجز عن ذلك .»(١)

الى هذا بلغت الرشدية ، الى الفصل بين ما يثبته العقل وما يعلّمه الوحي . وقد يعلّم الوحي ما ينكره العقل . وما يكون حال المؤمن يا ترى ؟ ايثبت على ايمانه ؟ وما قيمة تأكيد يبدو للعقل محالًا ؟ واي ثقة للمؤمن اذ ذاك في ما يؤكد ايمانه ؟ ولا يسع الباحث ، بعدما آل اليه الامر مع الرشديين ، من العودة الى ابن رشد ، والتنبه الى دواعي تكتمه وتحفظه ، وتشديده على عدم البوح بالتأويل . تراه لو اجاز البوح بالتأويل ، اما كان بلغ الى حيث بلغ اتباعه .

ورب معترض يقول : اوليس الحق بجانب الرشديين ؟ او ليس من الثابت ان الدين يدعي كشف اسرار لا قبل للعقل بها ، ولا سبيل له الى اثباتها ؟ ومن شاء ان يبقى على ايمان بالخوارق دون ان يتخلى عن حكم العقل ، هل من سبيل مفتوح امامه ، غير السبيل الذي سلكه الرشديون ؟

ان هذا الاعتراض يدفعنا الى التوغل في البحث ، تبياناً للحقيقة :.

من الحق ان الدين لا يقتصر على ما يتسنى للعقل اثباته بالدليل العقلي ، ولو صحّ ان الدين لا يعلّم البشر الا ما يستطيعون ان يدركوه بعقولهم، لما شعر البشر بحاجة اليه ، ولاستغنوا عنه . لو صحّ ذلك ، لما كان الدين غير ضرب من ضروب تسهيل الفلسفة ، وجعلها في متناول عامّة الناس(٢) ، ولما كان واجباً على جميع الناس ، حتى الفلاسفة .

١) في وحدة العقل .

٢) وابن رشد لم يكن يرى في الدين غير ذلك .

ولكن من الحقّ ايضاً ان الدين لا يسعه ان يعلِّم الناس مـا يراه العقل محالاً ، ولو كان ذلك عن طريق الوحي.. وسببه ان المحال لا يروي غلة بل يأباه العقل . ولو صحّ ان الدين يعلِّم البشر المستحيلات ، وان الايمان يفرض على المؤمن التخلّي عن عقله ، لكان الدين ضرباً من الغرور والضلال .

على ان ثمّـة صراطاً ضيقاً بين الهاويتين. فبين ما هو ثابت بدليل عقلي قاطع ، وما هو محال بحكم عقلي قاطع ، حدّ وسط ، يتّسع لما لا يأبى العقل التسليم به ، وان لم يثبت ثبوتاً ايجابياً بدليل عقلي . فليس كل معقول قابلاً للاثبات بحجة عقليّة ، وليس كل ما لم يثبت بحجة عقليّة قاهراً لحكم العقل . وقد يرى العقل من واجبه ان يسلِّم بامور لم تنجلِ له انجلاء واضحاً بيناً ، لان حقائق الوجود ابعد من ان يسبر غورها عقل محدود . وحقائق الوحي ، هي مما لا يرى العقل غضاضة بالتسليم بها وان لم تنجلِ له بوضوح تامّ . هي اشبه شيء بالشمس . حدّق اليها ، تبهرك ، ومع ذلك فليس غيرها ينير سبيلك . لست تتبيّن فيها شيئاً واضحاً ، وعلى نورها تسير ، لانك تأخذ منها ما تقوى على الاحاطة به .

ولكن الرشديين لم يكلّفوا النفس التوغّل الى هذا المدى . اكتفوا بفصل ما بين الفلسفة والوحي ، ولم ينظروا في ما يعلِّم الوحي على نور العقل . تصرفوا كما لو كانت الحقيقة حقيقتين : حقيقة فلسفية ، ثابتة جلية ، وحقيقة دينية لا هي بالثابتة ولا هي بالجلية . ولم يروا داعياً لنبذ هذه الحقيقة الدينية ، بل كانت كل الدواعي الظرفية تدفعهم الى الابقاء عليها . وكأني بهم اصغوا الى الدواعي الخارجية واشدّها وطأة مراعاة البيئة والتقاليد ، ولم يصغوا الى الدواعي الباطنية التي كانت حرية ان تدفعهم الى الخروج من المأزق الذي زجوا فيه نفوسهم ونفس كل مؤمن .

اما توما فلم يكن يطيق مثل هذا المسلك الملتبس ، وعنـده ان الوحي والعقل ما دام كل منهما سبيلاً الى الحقيقة ، يجب ان يتّفقا حقيقة . وليس من الجائز ان يعلم الوحي ما يأباه العقل . وليس من الجائز كذلك ان ينكمش العقل فيصد عن الوحي . ولذلك فمن حقّ العقل ان ينظر في كل ما يعلّمه الوحي ، وان ينبذ ما يبدو له مستحيلاً ، ومن حق الوحي ايضاً ان يفرض على العقل غربلة المقدمات التي يسلِّم بها تسليماً بديهياً . ومتى استقام القصد من الناحيتين ، تسنّى للمؤمن ان لا يسلِّم بالمستحيلات ، وتسنّى للعقل ان ينفي من مبادئه ما ليس ثابتاً .

الاختلاف على التفاصيل

ونظرًا لما كان من اختلاف موقف الطرفين على الاساس، فلا نعجب ان يختلفا في التفاصيل. وقد كان للرشديين، في التفاصيل، مواقف لم يسع توما ولا غيره من المؤمنين ان يسلّموا بها. وان كان المؤمنون نبذوها حرصاً على ايمانهم، فقد شاركهم توما في هذا النبذ حرصاً على سلامة العقل ايضاً.

واقرب مرجع يفصل لنا الخلاف في التفاصيل هو مرسوم تحريم القضايا الرشدية، الذي صدر عن اسقف باريس سنة ١٢٧٠[1]. وقد تضمّن هذا المرسوم ثلاث عشرة قضية، هي هذه:

١ – ان عقل جميع الناس واحد عددًا وهو هو للجميع.
٢ – القول بان الانسان «يدرك»، هو خطأ وعدم تدقيق.
٣ – ان ارادة الانسان تريد وتختار ضرورة.
٤ – ان كل ما يحدث في العالم الاسفل خاضع لحكم الاجرام السماوية.
٥ – أن العالم قديم.
٦ – ليس ثمّة انسان اول.
٧ – ان النفس التي هي صورة الانسان بما هو انسان تفسد بفساد الجسد.
٨ – ان النفس المنفصلة بعد الموت لا تتألم بنار عادية.
٩ – ان الحرية قوة سلبية تندفع ضرورة الى ما يجذبها.
١٠ – ان الله لا يعلم الجزئيات.
١١ – ان الله لا يعلم ما سواه.
١٢ – ان اعمال البشر لا تديرها عناية الله.
١٣ – ان الله لا يستطيع ان يمنح الخلود وعدم الفساد كائنًا قابلًا للفساد والموت.

هذه هي القضايا الثلاث عشرة، وهي ليست مستقلة الواحدة عن الاخرى، بل مرتبطة بعضها ببعض بحيث يمكن ردّها، او ردّ ما كان منها فلسفيًا، الى اصول اربعة: قدم العالم، علم الله الجزئيات وعنايته بها، وحدة العقل، حرية الانسان. ولما كانت هذه الاصول هي هي التي كانت، الى حدّ بعيد، موضوع الخلاف، في الاسلام، بين المتكلّمين والفلاسفة، فليس من النافل ان نستطلع توما رأيه في كل منها.

---

(١) Mandonnet، المرجع عينه ص ١١١ حاشية ١

١ ـــ قدم العالم

شغلت هذه القضية مفكري الاسلام حقبة طويلة ، وتضاربت فيها حجج المتكلمين والفلاسفة من «تهافت الفلاسفة» الى «تهافت التهافت» مما لا مجال الى تفصيله . وبعد «تهافت التهافت» انتقل الجدل الى الغرب ، فثبت الرشديون على رأي معلمهم ، وحاربهم عامة اللاهوتيين ، — واشهرهم بوناونتورا — بالحجج عينها التي ردّ بها الغزالي على الفلاسفة من قبل .

ومما لا شك فيه ان القضيّة تهمّ علماء الدين بمقدار ما تهمّ الفلاسفة . فعلماء الدين ، سواء بينهم المسلمون والنصارى ، يهمهم منها ناحيتان : ناحية تقرير معنى «الخلق» الذي تعلّمه الكتب المنزلة ، وهو معنى لا يستقيم ، في نظرهم ، ان لم يفترض «حدوث» العالم . وناحية «حرية» الخلق ، وهي لا تسلّم في نظرية قدم العالم .

ونزل توما الى الساحة ، والعراك قائم . فالى اي جهة يقف ? اذا صحّ ان العقل يفرض القول بقدم العالم ، فكيف يجب فهم تعليم الوحي في الخلق ? واذا صحّ ان تعليم الوحي يفرض القول بحدوث العالم ، فكيف تدحض حجج الفلاسفة ? ومن الواضح ان دقّة الموقف وتمسّك الطرفين كل برأيه املى على توما الرجوع الى الاصول ، في تعليم الوحي وبراهين الفلاسفة ، وغربلة كل منها . وقد وفق توما في الوصول الى نتيجة حاسمة ، في هذا الجدل المزمن ، لم يكن احد الطرفين قد بلغ اليها من قبل . وسنلخص فيما يلي اقواله .

١ — العقل لا يفرض القول بقدم العالم

حجج الرشديين

ان القائلين بقدم العالم استندوا الى رأي ارسطو ، وحاولوا اثبات رأيهم بأدلة عقلية . فلا بدّ من البحث اذن في رأي ارسطو وفي قيمة الادلة العقلية .

فالاستناد الى رأي ارسطو ، ليس برهاناً قاطعاً . لان «الفيلسوف» ، وان اماماً ، ليس اماماً معصوماً . ثم ما قال الفيلسوف ? او لا يكون براء مما نسب اليه ? وبعد التدقيق تبيّن لتوما ان ارسطو قال باستحالة تولّد «المادّة الاولى» على نحو ما في العالم من تولّد وفساد . او يعني ذلك انه نفى نفياً قاطعاً تولّدها على نحو آخر ? هذا ما لا سبيل الى البتّ فيه بقوّة النصوص .

ويبدو ان حرص توما على ارسطو دفعه الى التفتيش عن هذا المخرج تبرئة

« للفيلسوف » وان كان ثمة شيء . اكيد فهو ان موقف المعلم الاول ، في هذا الباب ، لم يتّصف بالوضوح الذي اتصف به موقف اتباعه وشرّاحه من العرب واللاتين ، ولا سيّما موقف « الشارح » ابن رشد .

اما الادلة العقلية فمشهورة ، وسنجملها توطئة لعرض ردّ توما عليها .

العالم ، على زعمهم ، قديم ، سواء نظرت الى العلة ام الى المعلول .

– فبالنظر الى العلّة :

كل قول بحدوث العالم يفرض تراخي المعلول عن العلّة . وتراخي المعلول عن العلّة لا يبرره الا نقص في العلّة ، كان قبل حدوث المعلول فامتنع حدوثه ، ثم سُدّ فصدر . ولا يجوز ، في اي حال ، نسبة النقص الى العلّة الاولى .

كذلك كل قول بالحدوث يفرض تميّزًا في الله بين الفعل والذات . ولا مجال للتمييز في الله بين الفعل والذات . اما ان يفرض القول بالحدوث تمييزًا بين الفعل والذات فواضح . لان الحدوث يفرض التراخي ، والتراخي ، ان جاز بالنسبة الى الذات ، فلا يجوز بالنسبة الى الفعل ، فالقول به يجرّ الى فصل الفعل عن الذات . ولكن العقل في الله ازلي غير متميّز عن الذات . اذن . . .

– وبالنظر الى المعلول :

في العالم – وهو المعلول – كائنات ، منها ما هو متغيّر قابل للفساد ، ومنها ما هو غير متغيّر وغير قابل للفساد . وفي كل الحالين ، ينبغي القول بقدم العالم. ينبغي القول بالقدم استنادًا الى الكائنات المتغيّرة .

التغيير هو الحركة ، وكل متحرك حركته من غيره ، وغيره حركته من آخر متحرك بحركة سابقة . وهكذا دواليك ، دون ان يكون ثمة داعٍ للتوقف . وعليه فالحركة القائمة تفرض حركة قديمة . وبما انه لا حركة بلا متحرك ، فلا بد من ان يكون ثمة متحرك قديم .

وينبغي القول بالقدم كذلك استنادًا الى الكائنات غير المتغيّرة .

المتغيّر هو ما كان قابلًا للفساد . وغير المتغيّر هو ما كان غير قابل للفساد. وما كان غير قابل للفساد هو ما لا نهاية له. وما لا نهاية له ليس له كذلك بداية ، لانه لو كان له بداية لكان متغيّرًا . اذن ما من كائن غير قابل للفساد الّا وهو قديم.

هذه وغيرها من الحجج تذرّع بها الرشديون للقول بقدم العالم ضرورة .

ردود توما

انعم توما النظر في حجج الرشديين فلم يفته ما دخلها من سفسطة . واليك مجمل ردوده .

لا يفرض العقل القول بقدم العالم لا بالنظر الى العلة ولا بالنظر الى المعلول.

– لا بالنظر الى العلة لانها تعمل رضاء لا قسراً :

مع الرشديين نسلّم بان العلة الاولى لا يجوز ان يتطرق اليها النقص ، وبانه لا مجال الى التمييز فيها بين العقل والذات ، ولكننا ننكر عليهم القول بضرورة تكافؤ المعلول والعلة او الفعل في القدم، ولكان صح قولهم لو ان العلة الاولى تفعل ما تفعل قسراً واضطراراً ولكن العلة الاولى تجل عن هذا الاضطرار لانه نقص.

ثم أن يخلق الله العالم «لا منذ الازل» لا يعني ان ثمّة زمناً سبق وجود العالم، لان الزمن لاحق للعالم لا سابق له . انّما معناه ان الله حدّ زمن العالم كما حدّ ابعاده ، وان العالم محدود في «القبل» كما انه محدود في «الفوق» «والتحت» ، وعلة هذا الحدّ هي في الله لا في غيره . ولا تقاس علة وجود الكون جملة بعلة وجود الكائنات الجزئية . فعلّة الكائنات الجزئية هي في ما تصير اليه او في ما يصير اليها ، اما علة وجود الكون جملة فلا يمكن ان تكون الّا خارجة عن الكون فلا يمكن ان تكون الّا في الله . وعليه فعلّة وجود الكون « لا منذ الازل » ان هي الّا في الله وحده . وان عاد المعترض الى اعتراضه قائلاً : ولكن هذه العلّة هي في الله منذ الازل، لذلك اقتضي وجود المعلول منذ الازل، اجاب توما : لو صحّ ذلك ، لكان الله مجبراً على الخلق ، والله اعز من ان يُجبر .

–ولا بالنظر الى المعلول، لان الموصوف سابق للصفة ، سواء كان قابلاً او غير قابل للفساد:

فقول الرشديين بان الحركة القائمة تفترض حركة قديمة ، وانه لا حركة بلا متحرك ، قول مردود في المعنى الذي يقصدون ، فوجود حركة قائمة يفرض علة محركة ، متحركة او غير متحركة ، لا فرق . ووجود الحركة يفرض متحركاً ، بمعنى انه لا تقوم حركة بلا متحرك موجود ، لا بمعنى ان الحركة تفرض وجود المتحرك ، اذا لم يكن موجوداً . فالحركة صفة لاحقة ، والمتحرك موصوف سابق . ولا ينسب الموصوف السابق الى صفة لاحقة . ومن فعل ذلك قال قولاً هراء . وكيف لا يكون هراء . نسبة وجود الشيء الى صفة تبعة

لوجوده ؟ اما العقل فيقول بنسبة الشيء لا الى احدى صفاته بل الى علة خارجة عنه . والفلاسفة قد اتبعوا العقل عندما برهنوا عن وجود الله ، فلمَ يقولون في هذا الباب ، ما لا يقول ؟

وكذلك قولهم بان ما كان غير قابل للفساد قديم . ظنّ الفلاسفة ان ما لا نهاية له ، بما هو غير قابل للفساد ، لا بداية له ايضاً . ولكن ذلك لا يصحّ الا تبعاً لوجود الشيء ، لا قبل وجوده . ولو كان كل ما لا يفسد مفروضاً وجوده ، لكان كل ما لا يفسد واجب الوجود . وليس الا الله واجب الوجود . والفلاسفة سلّموا بذلك وانكروا ان يكون غير الله واجب الوجود .

وعليه فليست الحجج المدلى بها لاثبات قدم العالم ضرورة خالية من كل سفسطة . وعليه فلا يمكن التسليم بان العقل يفرض القول بقدم العالم . اذن اتراه ، على العكس ، يفرض القول بحدوثه ؟

ب – العقل لا يفرض القول بحدوث العالم

حجج المتكلمين واللاهوتيين

وقف علماء الكلام في الاسلام ، وعلماء اللاهوت في النصرانية ، في وجه الفلاسفة القائلين بقدم العالم ، وقالوا : من المحال ان يكون العالم قديماً ، بل حدوثه ضروري . وقد قالوا هذا القول غيرة منهم على سلامة تعليم الوحي ، ولكنهم ، امام الفلاسفة ، حاولوا قرع الحجة بالحجة . واشهر حججهم ما ورد في « تهافت الفلاسفة » وتردّد في الغرب على لسان بوناونتورا . وسنجمل هذه الحجج توطئة لعرض ردود توما عليها .

ان القول بقدم العالم يفرض القول بعدد متناهٍ وغير متناهٍ في وقت معاً ، وهو التناقض بعينه .

فلو صحّ ان العالم قديم لكان عدد دورات الافلاك غير متناهٍ من ناحية اوله ، متناهياً قابلاً للمزيد من ناحية آخره ، وهو محال .

ولا يحاولنّ الفلاسفة التهرّب من الحجّة بقولهم ان دورات الافلاك ليست غير متناهية بالفعل ، لانها ، ولو لم يكن لها ابتداء ، ليست موجودة معاً ، لان هذه الحيلة ، ان صحّت في عدد دورات الافلاك ، لا تصحّ في عدد النفوس . فنفوس البشر خالدة ، وبما هي خالدة ، فهي موجودة جميعها في وقت واحد ،

وعددها ، والحالة هذه ، غير متناه ومتناه في وقت واحد ، وهو محال .

وكذلك لو صح ان العالم قديم ، لشارك الله في القدم ، ولما كان مخلوقاً ، والله لا شريك له ، على الاطلاق. وعليه لا يستقيم معنى الخلق الا بافتراض الحدوث.

ردود توما

كان من مصلحة توما ، وهو لاهوتي مكلّف بالدفاع عن تعليم الوحي ، ان يجاري لاهوتيي زمانه في ردودهم على الفلاسفة. ولكن حرصه على الايمان لم يسوّغ له استغلال الحجج الواهية في سبيله ، وحرصه على الحق لم يسوّغ له التسليم بما لا يفرضه العقل . وقد رأى ، في هذا الباب ، غير رأي اهل زمانه من المؤمنين ، وهو ان العقل لا يفرض القول بحدوث العالم ، ودحض حججهم بما لم يوفق اليه الفلاسفة انفسهم .

فعلى قولهم بان قدم العالم يفرض وجود عدد متناه وغير متناه في وقت واحد ، اجاب بانه قول لا يستقيم ، لا من ناحية الواقع ولا من ناحية المبدأ .

— لا من ناحية الواقع :

لان قدم العالم لا يعني قدم الانسان . والحجة المستندة الى عدد النفوس تفرض قدم الانسان . فهي اذن حجة لا مجال الى الادلاء بها .

— ولا من ناحية المبدأ ،

لان كل عدد ، بمجرد كونه قابلاً للزيادة ، هو متناه ، واللامتناهي ، بحصر المعنى ، هو ما كان من طبعه غير قابل للعد . ولا يصح فيه ما يصح في المعدود. وعليه فالحجة فاسدة لانها تخلط بين ما هو قابل للعد وما هو غير قابل للعد . والقول بعدد غير متناه هو قول ، ان فهم بالحصر ، فيه تناقض ، لان كل معدود متناه .

وعلى قولهم بان معنى الخلق لا يستقيم الا بافتراض الحدوث ، اجاب ، بان الخلق انما يحدّ بالنسبة الى الامكان والوجوب لا بالنسبة الى القدم والحدوث . وان يكون العالم قديماً لا يعني انه واجب الوجود بذاته . ومن الخلط ان يفرض القول بحدوث العالم لان العالم معلول .

وعليه فالحجج التي ادلى بها علماء الدين ليست كذلك منزهة عن السفسطة. وكل هذا الجدل حمل توما في النهاية الى تخطئة الفلاسفة واللاهوتيين معاً ،

لان هؤلاء واولئك فرضوا على العقل مـا لم يفرضه العقل عليهم ، فالفلاسفة تولوا العقل ما لم يقل لان القول بالقدم اكثر انسجاماً مع نظرياتهم ، واللاهوتيون تولوا العقل ما لم يقل لان نظرية الحدوث تبدو اقرب الى معتقداتهم .

ولكن العقل السليم ما كان ليفرض على الفلاسفة ما ذهبوا اليه ولا المعتقد السليم كان يفرض على اللاهوتيين ما ذهبوا اليه .

وبعد ان محّص توما القضية هذا التمحيص تسنّى له ان يخلص الى نتيجة ايجابية . واليك زبدة هذه النتيجة :

– ان قضية اصل العالم قضية عويصة غامضة ، يعسر البحث فيها ، نظراً لطغيان الخيال او الهوى على المنطق المستقيم .

– ينبغي التمييز في هذا القضية بين ما يقطع فيه العقل، وما لا يقطع العقل فيه .

– فما يقطع العقل فيه :

– ضرورة اللجوء الى علة ينسب اليها الكون . فالكون ، قديماً كان ام حديثاً ، معلول على كل حال ،

– وضرورة الامتناع عن نسبة الزمن الى غير الكون . فالزمن من لواحق الكون ولا «قبل» ولا «بعد» الا بالنسبة الى الكون ، ولا قبل ولا بعد بالنسبة الى الله .

– اما ما تبقى فلا يقطع العقل فيه . فالعقل لا يقول بوجوب القدم ولا يقول بوجوب الحدوث ، وكما ان القول بالحدوث لا ينافي طبع الواجب كذلك لا ينافي القول بالقدم وحدانيّة الواجب .

وان كان العقل يقف عند هذا الحدّ ، فلا مانع من استطلاع رأي الكتاب . اما الكتاب فقد جاء في رأسه : « في البدء خلق الله ... » وهي آية تتضمّن معنيين لا داعي الى الانحراف عنهما : معنى خلق العالم ومعنى ملازمة الزمن للعالم .

فمعنى الخلق يفرض ان يكون الله علّة الكون ، وان يكون حرّاً في ما خلق . اما معنى ملازمة الزمن للعالم فيفرض ألّا ينسب الزمن الى غير الكون ، وان ينسب الى الكون مدى من الزمن محدود .

وهذه النقطة الاخيرة هي ما كان يتمسّك به اللاهوتيون بنوع خاص ، وما كان الفلاسفة يرفضونه ، حرصاً على طبع الواجب . ولكن اي ضير في ان يحدّد

الخالق لخلقه مقداراً من المدى، ما دام غير مسيّر في خلقه بوجه من الوجوه. ولو شاء الفلاسفة ان يعبّروا عن حقيقة ما بلغ اليه العقل من امر الخلق، هل كانوا يقولون غير ما قال الكتاب: «في البدء خلق الله...»

وخير ما يستخلص من هذه القضية، نسبة الى العقل والوحي، هو ان العقل، ان لم يتخطّ حدوده، وبمقدار ما ينعم النظر في مقتضياته، لا يأتي بما ينافي تعليم الوحي، وان الوحي الاصيل، ما لم يسأ فهمه، لا يعلّم، في ما يتناوله العقل، غير ما يتوقّعه العقل، ولا يعلّم كذلك، في ما لا يتناوله العقل، غير ما يفي بمقتضيات العقل ويوسع مداه.

٢ — علم الله الجزئيات وعنايته بها

وهذه قضية اخرى، قام عليها جدال، في الاسلام، بين المتكلمين والفلاسفة، وانتقل الجدال الى النصرانيّة. وانها قضية تهمّ الطرفين معاً، فمن حقّ الفلاسفة ان يحرصوا على طبع الواجب فينزّهوه عن كل امكان، ولو متأتياً عن عامة، ومن حق المتكلّمين ان يحرصوا على كمالات الله، فلا يخرجوا ممكناً عن تدبيره ولو بداعي تنزيه طبعه عن الامكان.

موقف الرشديين

ان الفلاسفة، المشارقة منهم قبل الغربيين، قالوا بان الله يعلم الاشياء، ولكنه يعلمها في ذاته لا في ذاتها، لانه اسمى من ان يحدّ علمه غير ذاته. ولا يفهمنّ من ذلك ان علم الله ناقص، لان الجزئيات ليس لها من الوجود الا بمقدار ما ترد من ذات الله، وان بتوسط العلل الثانوية. فالله اذن يعلم الجزئيات باسبابها، وهذه الاسباب مردّها اليه..

والقول بان الله يعلم الجزئيات باسبابها، وبالتالي في ذاته لا في ذاتها، مفروض بضرورة تنزيه معرفة الله عن التغيّر. ولا يتنزّه معرفة الله عن التغيّر من قال بان الله يعلم الجزئيات بذاتها، لان التغيّر يعرض للذوات الجزئية، ويعرض بالتالي لمعرفة الله، ومعرفة الله، لا يجوز ان يتطرق اليها تغيّر او امكان.

ولكن المتكلمين اخذوا على هذا الرأي نسبته النقص الى علم الله. فمعرفة الاشياء باسبابها هي، في رأيهم معرفة «كلية» والمعرفة «الكليّة»، في نظرهم،

اعمّ من ان تستوعب الجزئيات بخصائصها ، ولا يستوعب خصائص الجزئيات الا المعرفة الجزئية المباشرة . ولذلك اكّد الغزالي ، في ردوده على الفلاسفة ، ان الله يعلم الجزئيات بذاتها ومباشرة .

اما ابن رشد فلم ير في اعتراض الغزالي داعيا الى الرجوع عن المبدا الاول وهو ان الله يعلم الجزئيات في ذاته ، بما هو سبب وجودها . على انه انكر ان توصف معرفة الله بانها « جزئيّة » او « كليّة » . لان هذا الوصف ينسب الى معرفة الله صفات معرفة المخلوق ، ومعرفة الله اسمى من ان توصف بصفات معرفة المخلوق .

على ان هذا التحفّظ من جانب ابن رشد ، وهو شكلي على ما يظهر ، لم يوقف اتباعه عن استخراج النتائج التي تتبع المبدأ الاول . فهؤلاء اصرّوا على ان الله لا يعلم الجزئيات الا في ذاته ، وعلى ان هذا العلم هو علم كلي ، وعلى ان العلم الكلي ، لا يتناول الجزئي الممكن بما هو ممكن .

ولكن هذه النتيجة تتعارض وما هو مسلّم بـه في الدين من عناية الله بخلائقه حتى ادناها . وهذا ما نبّه الى الخطر في موقف الرشديين . على ان هؤلاء لم يكونوا ليخففوا من حدّة منطقهم ايّة كانت العاقبة . واليك ، ايضاحاً لموقفهم ، ما كتبه زعيمهم سيجر :

« اعلم انه لو علم عقل ما ، الممكن بما هو واقع ، قبل وقوعه ، وعلم هذا الممكن بذاته لا بغيره ، عندئذ غير قابل الخطأ ، لاصبح هذا الممكن واجباً ، ايّاً كان العقل ، عقل بشر كان او عقل الله . والاديان ، كما ذكر ابن سينا ، بقولها ان كل شيء مكتوب في اللوح ، انما تعني ان كل شيء يحدث ضرورة . وما عناه ابن سينا « باللوح » يسميه غيره « سابق علم الله » ، وعنايته ، وسفر الحياة . ولذلك ينبغي التنبّه الى انه ما من شيء ، حاضراً كان ام مستقبلاً معلوم عند الله بذاته هو (اي بذات الشيء) انما هو معلوم بغيره اي بالعلم الملومة به ذات الله عنده . وهـذا العلم ، المنزّه عن الخطأ ، الصحيح ابداً ، لا يجوز ان يفرض المستقبلات فرضاً ، لذلك ينبغي القول ، ان بعض هذه المستقبلات يحدث بدون سابق علم الله وتدبيره ، لان علم الله وتدبيره محصور في ما يصحّ . والحال ان صحّ ان معركة بحرية كما قال ارسطو ، ستحدث او لا تحدث ، فمن الممكن الا يصحّ الا احد الفرضين . ولو صحّ ان هذه المعركة ستحدث لاصبحت هذه المعركة ضرورية . »(١)

ومن تبصر في هذا النصّ تبيّن ان الرشديين انكروا على الله علم الجزئي

١) ماندونه : المرجع السابق ص ١٦٥

الممكن ، لانهم لا يرون مجالا للجمع بين الامكان في الحدوث والتأكد في العلم بالنسبة الى الموضوع عينه. فالممكن بما هو ممكن لا يعلم بتأكيد ، وان هو علم بتأكيد لم يعد ممكناً بل اصبح ضرورياً . وعلم الله بما هو منزه عن الخطأ لا يتسع الا لما هو مؤكد . اذن فالممكن ، بما هو ممكن ، خارج عن علم الله .

ولا يظنّن احد ان الرشديين اخرجوا الممكن عن حكم علم الله ، حفاظاً على حرية الانسان . لا ، ليس هذا السبب. فالممكن عندهم موقوف على تناسق الاسباب المتوسطة وعلى استعداد المادة. وقد تتضارب الاسباب المتوسطة ، وقد لا تطاوع المادة الاسباب الفاعلة ، فيعرض الممكن ، مما لم يكن في الحسبان . فالممكن اذن مجرد عارض ، والعارض هو ما لا يدخل في نظام ، اما وقوعه فمن لواحق هذا الكون المادي . وعليه فما يجري في الكون يسير على نظام ، وعلى نظام محتوم ، بفعل الاسباب المتوسطة ، المرتبطة بعضها ببعض . وما دام يجري على نظام فهو داخل في حكم علم الله ، بوصفه العلة الاولى لكل العلل المتوسطة . اما ما تعدى النظام ، عرضاً ، وهو الممكن فلا سبيل الى علمه .

موقف توما

ان نظرية الرشديين مبنية على الجبر ، والجبر تعبير عن الضرورات العقلية . وغني عن البيان ان عالماً هذه سنته لا يتسع لدين ولا لكرامة انسان . ومهما بدت هذه النظرية غرارة بجلائها وصراحة منطقها ، فان الطبع يأباها والحدس ينافيها ، ولا نعتقد ان ديناً ما يسلّم بها . وبعد ، لا تنتظرن من توما ان يندفع وراءها ، فتوما ، بين العقلانيين ، احكم من سار على نور العقل وآخر من اغترّ بجلائه .

عمد توما الى نظرية الرشديين فتفحص مبادئها ، ولفت نظره فيها امران : صوابية المبدأ الاساسي ، وخطأ النتيجة النهائية . فكان لا بد له من اعادة النظر في كل حلقة من الحلقات لاكتشاف الخلل في الاستنتاج . وعلى اثره سنعيد النظر فيها :

الله عقل ، وعقل بالفعل ، فهو عالم ، وعلمه لا امكان فيه ولا تحوّل ، وليس

اقرب اليه ولا اجدر بعلمه من ذاته . وفي ذات الله لا تميّز بين العالِم والمعلوم .

والله علة كل موجود ، فما من كائن وُجد او يوجد الا بفعله وعلمه ، فهو يعلم كل موجود بما هو سبب وجوده . ولكان يجهل ذاته لو فاته علم ما هو قادر على فعله . فالله اذن يعلم ذاته وكل ما يصدر عنه ، وان خارجاً عن ذاته .

وبمقدار ما يعلم الله بذاته ما ليس في ذاته ، يتنزّه علمه عن ان يكون معلولاً . وعليه فالله يعلم بذاته كل شيء ، حتى الجزئيات .

اقرّ توما المبدأ الاساسي في نظرية الرشديين ، لانه مبدأ لا خلل فيه . فما تراه يفعل اذا تقدمت به الخطى ؟ وكيف يحلّ الاعتراض المحرج : هل يعلم الله الجزئيات علماً جزئياً ام علماً كلياً ؟ وهل يعلم من الجزئيات الممكن عنه ، واذا علم الممكن علماً اكيداً ، هل يبقى الممكن ممكناً ؟ ان جواب توما واضح قاطع : ان الله يعلم الجزئيات علماً جزئياً ، ويعلم كل الجزئيات ، حتى المستقبلات الممكنة . وله على ذلك ادلة ، اليك بعضها :

— ان الله يعلم الجزئي بما هو سببه ، وهو سبب الجزئي بما هو جزئي ، فهو يعلمه اذن بعلم جزئي . وبيان ذلك إن الجزئي قائم « بالصورة » المعيّنة « بالكيفية » . والصورة والكيف كلاهما ، بما لها من وجود ، صادران عن قدرة الله ، فهما اذن ماثلان في علمه . واذا كانت الجزئيات هي جزئيات بما لكل منها من خواص مميزة ، فهذه الخواص المميّزة لا نصيب لها من الوجود الا بمقدار ما هي صادرة عن فعل الله . وعليه وبما انه ما من كائن يقوم بمعزل عن الله ، فما من كائن يعزب عن علمه .

اما الاسباب المتوسطة التي قد يؤدي تضاربها الى ما ليس في الحسبان ، فهي تفعل بفعل الله ولن يؤدي تضاربها الى ما ليس في الحسبان .

— ان الله يعلم الممكن ايضاً ، بما هو سببه . فالممكن هو ما كان قابلاً للوجود ، وبمجرّد كونه قابلاً للوجود ، يتميّز عن المستحيل ، الذي لا يمكن ان يوجد . وعليه فالممكن ، ولو لم يبلغ الى الوجود بالفعل ، وبما هو متميّز عن المستحيل ، له حظ من الوجود ، وهذا الحظ من الوجود هو له من الله ، فهو بالتالي داخل في علم الله .

على ان هناك فرقاً ، في علم الله ، بين الممكن الذي سيحدث والممكن الذي لن يحدث . فما سيحدث يعلمه الله كأنه حادث ، لان علم الله لا يتغيّر بزمان ، وما لن يحدث يعلمه الله على انه ممكن فقط ، ايًّا كان الحائل دون حدوثه .

وربَّ قائل يقول : ولكنَّ علم ما سيحدث على انه حادث ، هو اخراج الممكن من حيّز الامكان الى حيث الوجوب ، لان الممكن ، بما هو ممكن ، لا يصحّ ان يكون موضوع علم اكيد . اذن لا يعلم الممكن علماً اكيداً ما لم يصبح واجباً .

والجواب عليه هو ان عدم التأكد في تصوّر الممكن حادثاً او غير حادث انما يتأتى عن الزمان . فمن كان علمه لا يخرق حجاب الزمان لا يستطيع التأكد ممّا اذا كان الممكن سيحدث او لن يحدث . اما من لا يقف في وجه علمه حجاب ، لا من زمان ولا من مكان ، فليس ما يحول دون تأكده مما اذا كان الممكن سيحدث او لن يحدث . ولا يظنّن احد ان التأكد في العلم يفرض الوجوب في الوجود ، حتى اذا كان العلم علة الوجود ، لان علم الله الاشياء لا يغيّر طبعها ، وللكائنات من الطباع ما فطرها عليه الله . وعليه فالكائنات تفعل ، كل منها وفقاً لطبعه ، ولكن تبعاً لقدرة الله وعلمه ، لانها هي ما هي بقدرة الله وعلمه لا بمعزل عن هذا العلم وهذه القدرة .

ولعلّ اساس الخلاف بين النظريتين ، في هذا الباب ، هو اختلافهما في النظر الى سببيَّة الله . فالرشديّون ، بعد ابن رشد وبعد ارسطو ، بتصورهم المادة ازليَّة ، قد اخرجوها الى حد ما عن حكم سببيَّة الله المطلقة . هم يؤكدون ان المادّة ليست واجبة بذاتها بل بالله ، ويصفون ما ينسبون اليها من احوال واعمال كأنه منها وحدها لا من الله . وقولهم بازليَّة المادّة حال دون تفهيمهم الكافي لفعل الله في خلقه . ولذلك بلغوا الى نتيجتين منحرفتين متطرفتين ، هما فرضهم سنة الجبر على الكائنات ، واخراجهم الممكن عن حكم علم الله ، حتى غدا كل مؤكد محتوماً وكل ممكن ناشزاً ، وغدا عالمهم آلة غير محكمة الصنع .

اما توما فلا يسلّم بهذا الرأي . وعنده ان الواجب لا يفلت من فعله وعلمه كائن ، وان المادة ، مهما كان من قدمها او حدوثها ، لا يستقيم لها كيان ولا فعل ، لا في ماضيها ولا في حاضرها ولا في مستقبلها ، الا بفعل الله . وفعل الله في خلقه ابعد غوراً من ان يحول دونه تضارب الاسباب او عدم طوعيَّة المادّة حتى ولا استقلال الفاعل الحر . وعلم الله متكافىء وفعله . ولذلك فالكلي بعلمه ومنه ، والجزئي بعلمه ومنه .

وان شئت ان تبلغ الى نهاية فكر توما في الموضوع، فهو لم يتردد في ان يقول ان كل موجود، حرًا كان او غير حرّ، لا قيام له الا بالله . والسرّ ليس في فعله – لان الفعل تابع للكيان – بل في كيانه، وفي قيام هذا الكيان بفعل الله مع الحفاظ على سلامة الطبع .

٣ – وحدة العقل

وهذه قضيّة اخرى من القضايا التي قام الجدال عليها والتي كان للرشديين فيها رأي غريب . من المسلّم به ان مبدأ الاعمال الحيّة في الانسان هو النفس، وان مبدأ الادراك او المعرفة العقليّة بنوع خاصّ هو النفس العاقلة . ولكن فعل العقل ليس مقصورًا على واحد من الناس دون غيره، فهل يعقل كل منهم بنفس عاقلة خاصّة به ام انهم جميعاً يعقلون بنفس عاقلة واحدة للجميع ؟ هل النفس العاقلة واحدة في جميع البشر ام ان لكل انسان نفساً عاقلة متميّزة عددًا عن نفس الآخر ؟ ذاك كان السؤال الاهمّ في باب النفس . وكان للرشديين عليه جواب وادلّة مرتبطة بسائر نظريّاتهم .

موقف الرشديين

ان النفس العاقلة واحدة في جميع البشر، والعقل في الجميع واحد، وهو هو فيهم على تميّزهم . وهو هو الذي يعقل، وانه لمن الخطأ وعدم التدقيق ان يقال بان فلانًا يدرك، لان الادراك هو من فعل العقل، والعقل ليس وقفاً على احد، بما انه للجميع وفي الجميع واحد . وهذا العقل الواحد هو المدرك، وهو الخالد، دون النفوس الفرديّة، لان النفس الفرديّة، بما هي صورة البدن، تفنى بانحلال المركّب الانساني، والنفس الفردية الانسانيّة من هـذا القبيل هي ونفس الحيوان سواء .

اما الدواعي التي دفعت الرشديين الى اعتناق هذ الرأي فعديدة، وقـد بسطها زعيمهم سيجر في كتاب وضعه « في وحدة العقل »، ولا مجـال الى بسطها بالتفصيل، ولكنه نجتزئ بعضها، وهي تدلّ على ارتباط آراء الرشديين بعضها ببعض .

– قال الرشديون بقدم العالم . وقدم العالم، عندهم، يعني قدم الانسان .

واذا كان الانسان قديماً فعدد نفوس البشر غير متناهٍ . وهو غير متناهٍ بالفعل ، لان النفوس ليست كدورات الافلاك ، فدورات الافلاك تنقضي الواحدة فتفسح مجالاً للاخرى ، ولا يصبح عددها غير متناهٍ بالفعل . اما النفوس فتبقى ويصبح عددها غير متناهٍ بالفعل . وان يكون ثمّة عدد غير متناهٍ بالفعل امر محال . وبما انه ما من رجعة عن قدم العالم ، فينبغي ان لا تتعدّد النفوس الخالدة ، وينبغي الّا يخلد الا نفس واحدة ، هي النفس العاقلة . وبما ان شأن هذه النفس بعد الموت هو هو قبل الموت ، فلا بدّ من القول بوحدة النفس العاقلة حتى في هذه الحياة ، وبوحدة العقل على الاطلاق .

هذا دليل مستمدّ من نظرية قدم العالم . وهو دليل غير مباشر . وهناك دليل مباشر يؤخذ من تحليل المعرفة .

النفس العاقلة هي التي بها يدرك الانسان . والادراك غير الحسّ . فالمحسوس جزئي والمعقول كلّي . والمحسوس يعرف بحسّ ، اما المعقول فلا يعرف بحسّ . اذن النفس العاقلة ، التي تدرك ، ليس لها حسّ به تدرك كما لها حواسّ بها ترى وتسمع ؛ وان كان ادراكها مرتبطاً بعض الارتباط بالحواسّ . وبما ان الفعل والوجود متكافئان ، فكل كائن متنزّه عن الحسّ في فعله ، هو متنزّه ايضاً عن الحسّ في وجوده . والنفس العاقلة ، التي تدرك بغير حسّ ، متنزّهة عن الحسّ في عملها . فهي اذن متنزّهة عنه ايضاً في وجودها ، فهي اذن نفس مفارقة . ولكن الجواهر المفارقة لا تتعدّد في النوع الواحد ، لذلك اقتضى القول ان النفس العاقلة هي واحدة في النوع البشري .

هذا هو دليلهم الاهمّ وعنه تنتج سائر آرائهم في الموضوع .

وان سألت عن مدى اتحاد النفس بالبدن ، نظرًا الى انها واحدة ، اجابوك : ليست النفس العاقلة متحدة بالبدن اتحاد الصورة بالمادة ، والا لاقتضى ذلك ان تزول بانحلال المركّب ، كما يزول البدن ، وفقاً لمبادئ ارسطو ، ولكنها متحدة به اتحاداً مقصوراً على فعل العقل ، يمكّن النفس من استغلال صور الحواس لتدرك ، ليس الّا . ومن ثمّ يتبيّن لك مقدار الخطأ في قولهم « ان الانسان يدرك » ، وهو قول لا يصحّ الا على سبيل التوسع ، ويتبيّن لك ايضاً لمَ قالوا « بان النفس التي هي صورة الانسان بما هو انسان تفسد بفساد الجسد » ، اذ هم

يقصدون بذلك لا النفس العاقلة التي ليست صورة الانسان ، بل النفس الحيوانية ، التي لا يتميز بها الانسان عن الحيوان .

موقف توما

ان ما اوردنا من حجج الرشديين كاف لاظهار تطرّف موقفهم وجسامة تبعته في نظر الدين والوجدان . فلو صحّ ان العقل واحد وان النفس العاقلة واحدة لجميع الناس ، فما قيمة الفرد ومسؤولية الفرد ومصير الفرد ؟ واي وزن يبقى لتعاليم الاديان في خلود النفس ، والثواب والعقاب ، واختلاف المصاير باختلاف الاعمال ؟ مثل هذه النتائج اهابت بتوما الى التدقيق في الامر ، من الناحية العقلية عينها ، وباسم ارسطو ، حتى لا يؤخذ عليه انه لا يرى في الفلسفة الا ما يستمدّه من الدين .

واوّل ما استند اليه من اقوال ارسطو هو تحديده للنفس . فالنفس ، وفقاً لتحديد « الفيلسوف » ، هي كمال اول لجسم آلي ، من حيث ما يتولّد ، ويحسّ ويتحرّك ويدرك . ولا بدّ من التشديد على امر وهو ان الشخص الذي يحسّ ويتحرّك هو هو الذي يدرك . ولذلك ينبغي القول ان هذا الشخص عينه انما يدرك ، كما يحسّ ويتحرك ، بنفس واحدة ، وان النفس التي بها يحسّ ويتحرك هي هي التي بها يدرك . اما تميّز الاعمال ، من حسّ الى ادراك ، فناتج عن تميّز القوى في النفس الواحدة ، لا عن تعدّد النفوس ، ومثله ايضاً ارتباط هذه الاعمال بالبدن . فالنفس بحسّ ترى وبحسّ تسمع ، ولكنها تدرك بغير حسّ ، وليس هذا كافياً للقول بان النفس جوهر مفارق .

وبموجب مبادئ ارسطو ينبغي القول ان النفس — العاقلة — هي صورة الانسان ، وانها ، في الانسان ، مبدأ كل حياة نباتيّة كانت او حيوانيّة او عقليّة . وان نحن حدنا عن هذا القول ، جزأنا ما لا يتجزأ ، وهو الشخص ، الذي يفرض الحدس وحدته .

ولا بدّ هنا من التوقف على ما استناه الرشديون من ارسطو من ان الصورة تتلاشى بانحلال المركّب ، وهو قول يحول دون اثبات خلود النفس ، اذا ابقينا على ان النفس هي صورة البدن . وقد تنبّه توما الى الصعوبة ، فعاد الى نص

ارسطو ، ووجد ان المبدأ القائل بان الصورة تزول بانحلال المركب قد ورد في كتاب « الطبيعة » ، ووجد كذلك ان ارسطو عينه يذكر انه لا يتطرق في هذا الكتاب الى قضايا ما بعد الطبيعة ، وخلص من ذلك الى القول بانه لا يسوغ الاستناد الى ارسطو في الطبيعة للبتّ في قضايا ما بعد الطبيعة .

هذا في يتعلق بالصعوبة المستندة الى قول الفيلسوف . اما في ما يتعلق بالصعوبة بحدّ ذاتها ، فلا بدّ لحلّها من التنبه الى ان النفس العاقلة هي في سلّم الكائنات بين الصور المادّية والجواهر المفارقة ، وانها ، في موقعها هذا ، تأخذ من هذه ومن هذه ، فليست صورة مادّية تعرف بالحس وحده وتتلاشى بانحلال المركب ، وليست جوهرًا مفارقًا تعرف بمعزل عن الحس ولا تتعدّد في النوع الواحد ، انما هي بين بين ، تعرف بحسّ وبغير حسّ ، وتتحد بالبدن دون ان تتلاشى بتلاشيه . هي صورة البدن ، متحدة به اتحادًا جوهريًا ، لا تسلّم بدونه وحدة الشخص ، ولكنها لا تفنى بفنائه لانها جوهر روحاني .

اما حجّتهم المستمدّة من قدم العالم فقد انكرها لانه اثبت ان العقل لا يقضي بقدم العالم ضرورة .

هذا رأي توما في موقف الرشديين سواء من ناحية استناده الى ارسطو ام من ناحية قيمته المطلقة . ويلفت النظر فيه حرص توما على الفيلسوف ، وحرصه على الحقّ . حرصه على الفيلسوف اولًا فلا يرضى بالانفصال عنه ولا بان يقال باسمه ما لم يقل ، كما انه لا يأنف من تتميم ما بدا له ناقصًا فيه . وحرصه على الحقّ كذلك ولو على السنة الخصوم ، فلا ينبذ كل اقوالهم ولا ينكر عليهم ما استندوا اليه من مبادئ سليمة وان لم يجارهم في الاستنتاج . فمعهم سلّم بان الجوهر المفارق لا يتعدّد في النوع ، ومعهم وباعمق معنى اكّد ان النفس هي صورة البدن ولكنه رفض ان تكون النفس جوهرًا مفارقًا كالارواح السماوية ، او ان يجري عليها ما يجري على الصور المادّية .

ذلك ان توما ، ايًّا كان مضاء منطقه ، لا يضحي ، في سبيل منطق اعمى ، بمعطيات الوجدان البديهية . فان قلت : ان الانسان يدرك ، تفهم انه يدرك حقًّا ، وان قلت : « انا » تفهم انك تعني شخصًا واحدًا حقًّا ، سواء تحرك او ادرك ، وان هذا الشخص يتميّز عن الحيوان بمقدار ما يقول : « انا » . ولن

يفعل منطق ، ايًا كان ، في محو هذه الحقائق الاساسية .

ومتى سامت هذه الحقائق الاساسية ، وسامت كذلك امثالها من معطيات الوجدان الادبي ، كشعور المرء بكرامته وتبعته وتوقعه الثواب والعقاب ، سلم كذلك اساس الدين ، ولم يعد توما ولا غيره من المؤمنين بحاجة الى اللجوء الى تحفظات — هي الزندقة بعينها — من امثال : « انا نحن نبحث هنا في ما قال الفيلسوف ، لا فيما هو الحق . . . » لانه يعلم ان لا ثمرة من البحث في قول الفيلسوف ، ولا داعي الى تكلف عناء البحث في قول الفيلسوف ، الا بمقدار ما نلج ، على اثر الفيلسوف ، الى اقداس الحق .

٤ — حرية الانسان

ان حريّة الانسان من القضايا التي شغلت الفلاسفة والمفكرين منذ اقدم العصور وستشغلهم ابد الدهر . ذلك انها قضية دقيقة تطرق اليها الفلسفة بسهولة وانها ، على دقتها ، تعرض لكل راشد ، فيلسوفًا كان ام غير فيلسوف لارتباطها ارتباطًا وثيقًا بقضية مصير الانسان ، وقضية مصير الانسان تفرض ذاتها على كل راشد . وقد كان للرشديين في الحريّة رأي منسجم مع سائر آرائهم ولكنه غير منسجم مع تعاليم الدين . ولكن لما كان لهذه القضية من الاهميّة ما يتعدّى الخلاف الظرفي الذي قام بين توما والرشديين ، لذلك آثرنا بحثها في فلسفة توما العامّة ، على ان نذكر بما كان للرشديين ازاءها من موقف وعليها من حجج ما زال منكرو الحريّة يتذرّعون بها .

الظهور الالهي

نشيد للشاعر رومانس المرنم

عرّبه عن اليونانية وعلّق عليه
الاب نقولاوس قادري ق. ب.

توطئة

في ذلك الزمان تفتحت كوى السماء في لحظة من الأزل المتجدد وانبثقت عنه شعاعات من الضياء. تناثرت موجاتها على ضفاف الاردن فبدّدت عن تلك الشواطئ ما تكاثف مع تراكم الأجيال من ظلمات الجهل ودياجير الخطايا الحالكات. وراحت يقظةُ النور تغمرُ الأرضَ من سنى الله فأضحى الضياء يموجُ بالصفاء. فوق غمرة من المياه تنساب بين ضفاف النهر حاملة للمعمور انشودة الله للأزل البعيد: «هذا هو ابني الحبيب».

هذه الفترة الصغيرة من الظهور الالهي وهذه الومضة من اشراق الثالوث للبشرية كانت كافية لتدفق الحب والضياء على تاريخ الانسانية تتجدد بماء الاردن على يد يوحنا معمد المسيح.

اخذ رومانس هذه اللوحة الفريدة من مشاهد النصرانية وتوسع فيها بخيال وثاب وتحليل دقيق واناقة مرهفة فبسط الموضوع بثمان عشرة مقطوعة من الشعر جعلت من نشيده هذا حوارًا لطيفًا ومسرحية حقيقية تظهر فيها وحدة التأليف والموضوع منسجمة مع وحدة المكان والزمان. وهو قطعة من الجمالات الساحرة ونشيد من ملحمة النصرانية تفيض من ابرادها لُمَعُ الشعر والوحي الخصيب.

والنشيد حوار رشيق يدور بين يوحنا والمسيح. فالمقدمة عرض للموضوع تحمل في ابياتها السبعة ظهور الاله للبشرية. ثم تبدأ المقطوعة الأولى فتضفي على «جليل الأمم» «وكورة زابلون وارض نفتاليم» نورًا عظيمًا وفجرًا بهيًا وشمسًا روحية تنشر اشعتها على الدنيا فاذا بأبناء آدم العراة يتسربلون الضياء. سترًا لعريهم.

وفي المقطوعتين الثانية والثالثة يتواجه الاله المتجسد مع آدم . ففي تلك الدقيقة نحس صوتَ الله يتمشى في الفردوس ويدعو آدم ويخاطبه كأب يريد خلاص ابنه ثم يمدّ الخالق يديه ليضم اليه خليقته الساقطة .

ومن المقطوعة الرابعة الى السابعة يظهر يوحنا المعمدان بمظهر الخوف ووزن نفسه أمام عظمة الاله وسيد الملائكة الظاهر امامه في شكل خليقة خاطئة تطلب المعاد . فيتمنع يوحنا ويقدم اعذاره واسباب خوفه ويهمّ بالتخلص من هذه المهمة فيقول للفادي « فاختر لهذا الأمر الذي تطلبه مني آخر غيري لانك اعظم مني وانا اخاف » ويسعى بالتفلت : « انت تقول : عمدني والملائكة تراقبني من العلاء . ليقولوا اعرف ذاتك لا تتسرع . »

ثم يأخذ الحوار مجراه الطبيعي ويرتفع العمل المسرحي ويتبسط في اندفاع ووثبات خاطفة واذا بالمسيح يبدد خوف يوحنا ويستدعيه الى ان ينفض عنه هذا الارتعاد ويطلب الى السابق ان يرسل « يده كملاك ويعمده » .

فيتابع يوحنا استجوابه ثم اعتراضه على تعميد المخلص فهو يخاف ان يبسط يده فتحترق « بالنار » الواقف امامه في الاردن (مقطوعة ١٢) .

آنذاك يستحث المسيحُ يوحنا للاسراع في العمل دون جدال (مقطوعة ١٣) ويذعن يوحنا للأمر فيتقدم من « المخلص المتعري في الاردن » . (مقطوعة ١٤) ويستدعي الأنام لينظروا في « النهر البحر العظيم » (مقطوعة ١٥) واذ يشعر الله الجميع ببطء يوحنا وتلبيه بالخلائق يصرخ به : « ضع يدك وانا أقويها » (م ١٦) فيحس يوحنا برهبة العمل ويسائل نفسه كأنما هو في احتضار الخوف المتلاشي امام القوة المتفجرة من يسوع : « كيف اعمد النمر الشديد وانا من تراب ؟ » (مقطوعة ١٦)

وفي رهبة الخوف يهيب المعمدان بالطبيعة وما فيها من سماء وارض وينابيع مياه لتدفق معه مجاري الفرح والحبور (م ١٧) وفي يقظة الطبيعة هذه وانتباه السماء والارض يمدّ يوحنا يده الضعيفة ويبسطها على الملك ويقود الى الارض ربَّ الارض والبحار » . (م ١٨)

فتشق السماء اجواءها وتُسمع الارضَ صوتَ الله الآب يخاطب البشرية : هذا هو « ابني الحبيب » ثم يختم الشاعر نشيده بصلاة تملأ الدنيا من بركات

الثالوث الظاهر في عماد المسيح فوق ربوع الاردن وهكذا ينتهي العمل المسرحي ويعتمد يسوع من يد يوحنا فيتم الاتصال بين السماء والارض (م ١٨) .

ويشعر القارئ بالحياة تتدفق من هذه المقطوعات الفنية بالمعاني الرائعة والالفاظ الساحرة بتقاطيعها وأوزانها المتناسقة .

والشعر عند رومانس حيٌ بحياة الفن والصلاة وما الفن سوى إيقاظ المشاعر في نفسية القارئ والمفكر . والفن عرض الألوان امام لوحة الذاكرة والخيال . وما قصيدة رومانس في انبساطها وانطلاقها سوى سيل من الاستفهام والارتياب النفسي من القوة الذاتية : « ماذا تطلب من انسان ؟ . . . لِمَ تحني رأسك تحت يدي . . لِمَ وقفت في المجاري ؟ ماذا تريد ان تغسل ؟ » فيبقى يوحنا في شخصيته المترجرجة والمحجمة الى آخر لحظة من القصيدة والعمل المسرحي فيقول ليسوع : « لِمَ أقودُ اذن الخطر بيدي (م – ١٢) » ومع هذا الاستفهام يثبت يوحنا بشهادة الكتاب المقدس سبب ارتماده وتردده فيقول : « قديماً مدّ الحي يده ليُمسك التابوت فقطعت وانا عندما اضبط رأس الهي كيف لا يحرقني النور الذي لا يدنى منهُ (م – ١٢) واخيراً يصرّح بعدم جدارته وكفاءته : انا محتاج الى ان تعمدني . ماذا تطلب من انسان يا محب الانسان ؟ » (م٣–٦).

وما النشيد الا قوة الحياة تتفجر من القوة النيّرة العارفة قيمتها ووزنها فيسوع يبقى في شخصيته ونفسيته ذلك المتواضع الآتي « الى آدم العريان » واللابس الناسوت يأتي الى الخليقة ويمدّ يده ليضم اليه آدم : « اهابت بي احشائي بما اني رحيم ، فاتيت الى الخليقة باسطاً يدي لاضمك . فلا تخجل مني اذن فاني لاجلك انت العريان انا اتعرى واعتمد » (مقطوعة ٣) ثم يدنو من يوحنا بذلك التواضع عينه : « الا دع الآن فهكذا لاق ان اكمل ما حددته » . (م – ٨) والتواضع لا ينفي الجرأة ولا القوة . فيسوع يحب الاتزان والعمل الجريء : « دع عنك هذا الخوف[٨] لا ترتبك ! عمدني ![٦] » وهنا تظهر حاجة المسيح الى يوحنا وكأنه يَطلبُ الغنى من الفقير وهو الغني يفتقر طوعاً : « اقرضني يمينك لِمَ تهربُ مني ؟ تبصّر فتحرز النور » . (م – ٩)

والخيال الطليق يوقظ الحياة الشعرية فتنتفض قواها تحت ازميل الشاعر النحات او المصور الفنان يخلق الصور كأنها لوحة من الوان الطبيعة صورتها يد

الشاعر العبقري . فهناك « الثاوون في الظلمة » يشع عليهم المسيح فيطلع لهم « فجرًا منيرًا » . وهناك بنو آدم العراة يتسربلون المسيح سترًا . في تلك المقطوعة ينفتح الاردن مرحبا بالمسيح وبعدُ يوحنا سُبُلَهُ في المياه والمقول . « (م — ٣) وفي الاخرى يبصر يوحنا المسيح في الاردن كانه يبصر النهر في صحراء — والندى في اتون — والدية من عذراء . » (م — ٤)

والخيال الخلاق يرتدي بُردَ الاجواء يوشي بها قلادة القصيدة ومقطوعاتها فتنسدل الصور والمشاهد عن مناكب النشيد ضياء وصفاء وجمالًا يتناثر مع تناثر الالفاظ كما في هذا الجو المترع بالصور والخيال النضير : « ثم تقدمت من المخلص كما يليق بعبد وبانتباه نظرت الى الاعضاء المتعرية اعضاء من يأمر السماء فترتدي بالغيوم رداء ثم رأيت من جديد وفي وسط المجاري من ظهر قديمـا بين الثلاثة الفتيان ندىً في نار والآن نارًا في الاردن يضيء ويفيض النور الذي لا يدنى منه » . (م — ١٤) ولا يتأخر الشاعر الخيالي عن الوثوب الى روعة التصوير بدقة بالالوان توضح وتوحي غنى النفس التي رسمتهـا . فيخلق الشاعر العبقري بنبراته الساحرة ذلك الافق الفسيح الذي نقف امامه حيارى وقـد سيطرت علينا نشوة الانشاد ونغمة الوحي الطريف وقوة الذهول فاذا بنا نشاوى من خمرة الشعر والموسيقى ولا نلبث ان نلتهم الصور والالوان او نلتقط من راحتي الشاعر بُرادة الذهب المتناثرة من ريشته المبدعة كما في هذه الابيات : « وقف يوحنا في المجاري وبسط يديه على المسيح وهتف بالناظرين : «انظروا في الاردن الغيث الكريم ووابل النعيم في مجاري المياه ، انظروا في النهر البحر العظيم ! » (م — ١٠)

وحينا تشتد العاطفة ولا يبقى ليوحنا من سبيل الى التخلص من هـذا الواجب الذي فرضه عليه يسوع الفادي آنذاك يستعين المعمدان بالطبيعة كلها واذا « باعظم الانبياء » يغدو من شعراء الكون والطبيعـة فيهيب بالينابيع والبحار والسماء والارض لتشاركه الفرح الذي تمتع به حين مدَّ اليد وعمد رب الكائنات : « فافرحي يا سماء وابتهجي يا ارض وتقدسي يا ينابيع المياه لانه عندمـا ظهر ملأ كل شي بالبركات وانار كل الموجودات النورُ الذي لا يدنى منه . » (م — ١٧)

وتكثر في شعر رومانس وبالاخص في هذا النشيد صور البديع الرائعة : « انا في داخلك وخارجاً عنك »[٤] وهذه الصورة : « اقرضني يمينك فانا حائز على روحك وامتلك تماماً . »[٥] صور الخيال الطليق يتلاعب بالبديع في كل فقرة من ابيات النشيد : تعالوا اذن جميعكم يا بني آدم العراة نتسربله فنستدفئ اتيت للعراة ستراً وللمظلمين ضياء . » (م – ١)

والمقطوعة الرابعة قطعة ساحرة من الجناس العالي والطباق الأخاذ ففي كل بيت من ابياتها الأولى صورة شعرية حية قوية وغنية : « لما ابصر يوحنا المسيح في الاردن ابصر النهر في صحرا. — والندى في أتون — والدية من عذراء . »

وفي المقطوعة السادسة تتوى الصور وتجلو بالمعاني العميقة فتأتي مشعشعة برموزها المسيطرة على الذاكرة وقوة الخيال تأتي آية في البيان والسحر والجمال : « ليس من عادة النار ان تتهيّب ولا يعرف الفقر ان يقرض الغني – ولا يعرف الضعف ان يناوئ القوي ولذا عمدت النورَ . »

وتأتي الاستعارات الخفيفة رائعة جميلة مُمثّلة بالوحي الخصيب فاسمع مـا يقول المسيح ليوحنا : « انا ارسلت قبلاً جبرائيل فخدم خدمة جُلى في مولدك وانت ايضاً ارسل لي ذراعك كلاك كي تعمد النورَ . » (م – ٨) اجل ان يدَ يوحنا الصابغ حين تمتد على رأس المسيح تغدو للنواظر كلاك خفَّ من السماء ليشهد للمسيح انه ابن الله . وذلك « الندى في نار والنـار في الاردن يفيض النور الذي لا يدنى منه » (م – ٥) روعة ساحرة ولون خضيل من ألوان الشعر الزاهر المُخصب بالجمال والاناقة وهو الرمزية المجددة في القرون الحـاضرة ولذة الفن وغذاء العبقريات يستسيغه الفنانون والشعراء الملهمون .

وكأني بالشاعر رومانس على سلامة ذوقه وسمو فنه وبساطة تعبيره ورشاقة افكاره يصور بكلمات محدودة صوراً هي من عـالم الوحي البعيد المرمى والعميق الافاق من عالم اللانهاية « كيف – يقول يوحنا – كيف اعمد الغمر الشديد وانا من تراب ؟ » وهذه الصورة هي اوسع من مدى البحار : « انظروا في النهر البحرَ العظيم . » وهذا الفن في الشعر الصافي يظهر بمظهر التجريد الذي يوشي به رومانس ابيات النشيد وكم تأتي الصورة حية بجياة اللون في الرسم وحياة الخطوط في النحت تتدفق بالرموز والايحاء في كل بيت من أبيـات

مقطوعاته : « لا يعرف الفقر ان يقرض الغني »[٦] صورة الحياة تنتشر في بدائع المعاني كما في هذه المقطوعة : « اعرفك من الحشا فكيف أجهلك الآن انت الظاهر . »[٥] وتلك الصورة المعبّرة عن ايمان يوحنا العميق : « وانا عندما كنتُ بعد محتجبا شاهدتك انتَ المحتجب وارتكضت من الفرح . » (م ـ ٥) وذلك التجريد الجريئ : « لا يعرف الضعف ان يناوئ القوي »[٦] يضفي على الابيات فنًا وروعةً وذهولًا واعجاباً امـام نظرة خاطفة الى كلمة « فقر » أو « ضعف » مجردة والى كلمة « الغني » « والقوي » فهذا التجريد اللذيذ هو من الالهام الصافي والوحي الخصيب فتبقى الفكرتان في عراك دائم ولا يجمعها العقل الحائر الا بعد ان يتذوق الصورة القوية التي رسمتها يد الشاعر الملهم . فمثل هذه الاستعارات والصور الجريئة والجناسات والطباقات الفنية ترفع الشاعر الى ذرى اللذة الشعرية الساحرة وترقى بالقارئ الى عوالم الوحي الخضير والفن الأمثل .

مع هذا السمو بالتصاوير والمشاهد المتنوعة والجمالات الشعرية والمبتكرات الرمزية والتحليلات النفسية العميقة ينشر الشاعر رومانس افكاره فتلاقي مع تعاليم أئمة معلّمي اللاهوت الافذاذ . فهناك المسيح يشع بموجات الالوهة في مقطوعات النشيد فهناك اللازمة تتردد على مسمع البرايا حاملة للاذهان عقيدة جليلة واثباتاً واضحاً على لاهوت يسوع المسيح الذي وان بات بشراً كاملًا مع ذلك يبقى الهًا ازلياً يمشي على الارض وذلك « النور الذي لا يدنى منه » . (١ تيموثاوس ٦ – ١٥ و ١٦)

وهنا وهناك يظهر المخلص من خلال المقطوعات بتلك الصفات التي تجعل يسوع مخلص البشرية الوحيد الذي اخذ طبيعة آدم ليعطي ابناء آدم الالوهة والتي اليها صبا آدم ولم يحصل عليها في الفردوس : « آدم انت اين ؟ منذ الآن لا تتخفَّ عني ، اريد ان اراك ولو عرياناً ولو فقيراً ، لا تخجل ، اني تشبهت بك انت عندما اشتهيت لم تصبح إلهاً . اما انا فطوعاً صرت الآن جسداً . اذن ادنُ مني واعرفني . » (م ـ ٢) وهنا يظهر يسوع بمظهر التفرد والسمو في قداسته وطهارته التي تفصله عن باقي الناس : « لم وقفت في المجاري ؟ مـاذا تريد ان تغسل ؟ واية آثام ؟ فانت بلا خطيئة في الحبل بك وفي ميلادك . » (م ـ ٧) واذا ما احجم يوحنا وتهيب الموقف انما يحجم امـام الاله الطاهر

فيصرخ مستنفراً : « وانا عندما اضبط رأس الهي كيف لا يحرقني النور الذي لا يدنى منه ؟ » (م ـ ١٢) .

ويبقى لهذه العقيدة ذلك الجمال العميق الذي لا يندثر في لحظة بل يستمر في ذاكرة الفكر . فكلما غاص المفكر والاديب في تأمل ذلك الجمال الشعري وجد ذاته امام محيط بعيد القرار صافي القرار فيلقي مرساته في عرض البحار ويغوص حتى الاعماق القصية ملتقطاً من درر الفكر والخيال . وهذا النشيد في ابياته هو انشودة موسيقية بفكر فلسفي عميق فالمنطق يسود هذا الحوار الخاطف والمترع بالجمال والحياة والنور والشعر الخالد الصافي الذي يجسم المشاهد ويقربها للعقل وللخيال وللشعور ويجعلها كأنها من تراث الآن او يقربك من المشاهد البعيدة او يدنيك منها ويدنيها منك على بعد عشرين قرناً فتخال نفسك وانت تقرأ قصيدة رومانس انك امام شاعر تخذ الشعر اداة للعقل النير الخلاق ليبثّ في عقول وقلوب سامعيه افكاره وعواطفه واحساساته .

فيستمر رومانس على صعيد الشعر نشوة من عبير الزهر تتفتح مع صباح الفن كأنها ابتسامة الفجر يطل على المعمور ليقطف عن بتلات الزهور واكمام الأقاح لآلئ الندى وانشودة الطيور المغردة الصافية ويجردها من عوالم الضوضاء ليحصرها رحيقاً في مقطوعاته وأنغامه فتبقى ابياته وقصائده نغماً يشق عباب الأجيال فيرقص الزمن نشوان من رحيق الخلود والأزل المتجدد .

نشيد الظهور الالهي [1]

مقدمة

١ اليوم ظهرت
للمسكونة ، يا رب ،
ونورك
قد ارتسم علينا
٥ نحن مسبحيك عن معرفة .
لقد اتيت وظهرت ،
ايها النور الذي لا يدنى منه .

(١ Pitra : *Analecta Sacra Spicilegio Solesmensi parata*. Tome I. P.16-23. Paris. 1876.

١) لجليل الأمم
وكورة زابلون
١٠ وارض نفتاليم
أضاء المسيح،
ـ كما قال النبي ـ [١]
نورًا عظيمًا،
وللثاوين في الظلمة
١٥ بزغ الرب
فجرًا منيرًا
يتلألأ من بيت لحم،
لا بل من مريم.
ونشرت شمس العدل
٢٠ أشعتها
على المسكونة كلها.
فتعالوا اذن جميعكم،
يا بني آدم العراة
نتسربله فنستدفئ.
٢٥ اتيت للعراة سترا،
وللمظلمين ضياءً.
اتيت وظهرت،
ايها النور الذي لايدنى منه...

٢) لم يهمل الاله
٣٠ من سُلب بمكر،
ولا من تعرّى من الثوب الالهي
في وسط الفردوس
فمن العلى وافى
صوت مقدس
٣٥ يدعو اول من جبل [٣]
« آدم، انت اين؟
منذ الآن لا تتخف عني،
اريد ان اراك
ولو عريانًا، ولو فقيرًا،
٤٠ لا تخجل
اني تشبهت بك.
انت عندما اشتهيت
لم تصبح إلهًا،
اما انا فطوعًا
٤٥ صرت الآن جسدًا.»
اذن، ادنُ مني،
واعرفني لكي تقول:
« لقد اتيتَ وظهرت
ايها النورُ الذي لا يدنى منه.»

---

١) اشعيا ٩: ٢١. متى ٤: ١٥-١٦ ٢) تكوين ٣: ١-١٤ ٣) حكمة ٧: ١

٣) اهابت بي احشاني ،
بما اني رحيم ،
فأتيت الى الخليقة
باسطاً يديَّ
لأضمك .
٥٥ فلا تخجل مني اذن ،
فاني لاجلك انت العريان[٤]
انا اتعرى وأعتمد .
عندما أبصرني الاردن
انشق .
٦٠ ويوحنا هيأ سبلي
في المياه وفي العقول .
هذا ما قاله
المخلص للانسان ،
لا بكلمات
٦٥ بل بأفعال
اتى كما قال
دخل في النهر ،
ودنا من الصخرة
ومن السابق
٧٠ النورُ الذي لا يدنى منه .

٤) لما ابصر يوحنا
المسيحَ في الاردن ،
أبصر النهر في صحراء ،
والندى في أتون
٧٥ والديمة من عذراء ،
واضطرب من الخوف
لان ما حدث آنذاك
كان عظيماً جدًّا ،
جاء نحو العبد
٨٠ سيدُ الملائكة
مريدًا ان يصطبغ .
لذا لما عرف الصابغ ،
الخالق ،
ووزن نفسه ،
٨٥ هتف مرتعدا .
تمهل ، ايها الفادي ،
يكفيني
الى هذا الحد
اعرفك من انت
٩٠ ايها النور الذي لا يدنى منه[٥]

٤) تكوين ٣ : ١٠-١١

٥) تيموثاوس ٦ : ١٦

٥) لو أتمّ
ما تأمرني به ،
ايها المخلص ،
لرفعت شأني .
٩٥ بالحقيقة
انا لا أقوى
على ما يفوق طاقتي .
انا اعرف من أنا ،
ولو جهلتُ غاية إتيانك ،
١٠٠ فاعرفك من الحشا .
كيف اجهلك الآن
انت الظاهر (الآن) ،
وانا عندما كنتُ بعد محتجبا
شاهدتك انت المحتجب
١٠٥ وارتكضت من الفرح[٦] ؟
توقف ، اذن ، يا مخلص ،
ولا ترهقني ،
فيكفي اني أهلت
لرؤيتك . حسنٌ لي
١١٠ انك دعوتني سابقاً ،
فانت النور الذي لا يُدنى منه

٦) انا أبحث كيف أتركُ
مهمة المعمد لك ،
لأنها بك أليق .
١١٥ انا محتاج
الى ان تعمدني[٧] ،
وانت تأتي اليّ ،
تبادرني بطلب
ما اريد ان اطلبه منك .
١٢٠ ماذا تطلب من انسان ،
يا محبَّ الانسان ؟
لِمَ تحني رأسك
تحت يدي ؟
ليس من عادة النار
١٢٥ ان تتهيب
ولا يعرف الفقر
ان يقرض الغني .
ولا يعرف الضعف
ان يناوئ القوي !
١٣٠ ألا أغثِ الخطأة
فانهم بحاجة اليك ،
ايها النور الذي لا يدنى منه!

---

٦) لوقا ١ : ٤٤

٧) مت ٣ : ١٤

لِمَ وقفتَ في المجاري؟

وماذا تريد ان تغسل؟

١٣٥ وأيةَ آثام

فانت بلا خطيئة

في الحبل بك وفي ميلادك؟

انت تأتي إليّ،

والسماء والارض

١٤٠ تراقبان اذا كنت أتسرع.

انت تقول لي: عمدني

والملائكة تراقبني من العلاء.

ليقولوا لي آنذاك:

اعرف ذاتك!

١٤٥ لا تتسرع!

اذا كما قال موسى،

انتخب، ايها المخلص

لهذا الأمر الذي تطلبه مني

آخرَ غيري[٨]

١٥٠ فانت اعظم مني

وانا اخاف،

اسألك كيف اعمدك

ايها النور الذي لا يدنى منه؟

ان الذي يرى الكائنات

١٥٥ عندما لاحظ

خوف السابق

قال له:

حسن، يا يوحنا

حسن انت تتخوف مني.

١٦٠ ألا دعِ الآن

فهكذا لائق

ان اكمل ما حددته[٩]

دعِ الآن وانفض

عنك هذا الخوف.

١٦٥ ادِّ لي هذه الخدمة،

واجبك الآن إكمالها.

انا ارسلت قبلًا جبرائيل

فخدم خدمةً جلّى في ولادتك[١٠]

وانت ايضاً،

١٧٠ ارسل لي

ذراعك ملاكاً

كي تعمد

النور الذي لا يدنى منه

---

٨) سفر الخروج ٤: ١٣ ٩) متى ٣: ١٥ ١٠) ١: ١-٢٥

٩) تذهل الآن،
١٧٥ ايها المعمدان،
وتخاف العمل،
بما انه كبير،
انه كبير حقاً.
وقد ابصرت امك
١٨٠ اعظم من هذا.
انظر الى مريم،
وفكر كيف حملتني.
قل لي بوضوح
ما كنت تريده آنذاك
١٨٥ فاني اريده الآن حقاً.
لا ترتبك يا معمدني،
أقرضني يمينك
فانا حائز على روحك
وامتلكك تماماً.
١٩٠ لِمَ لا تقرضني يدك؟
انا في داخلك وخارجاً عنك،
لِمَ تهربُ مني؟
تَبصَّرْ فتحرز
النورَ الذي لا يدنى منه!

١٠) ايها المعمدان،
١٩٥ انا لا اسألك
ان تصعد الى الجبال.
لا اقول لك:
« قل لي ما قلته للأئمة،
٢٠٠ وما حرّضت به الخطاة»[١١]
عمدني فقط،
والزم الصمت،
وانتظر ما ينتج
عن العماد.
٢٠٥ فمنه ستحوز المجد
« الذي ما حازه الانبياء.
سأجعلك اعظم
من كل ابناء الأرض
ما رآني بوضوح
٢١٠ واحد من الأنبياء،
بل في رموز
وظلال وأحلام.
واما انت فتبصر الآن،
وتحرز واقفاً امامك عن رضى
٢١٥ النور الذي لا يدنى منه.

١١) متى ٣ : ٧ – ٨ و١٢

١١) دع ما نطقت به ،
واعمل بما تسمع ،
ولا تشهد بشيء ،
فان لي في السماوات
٢٢٠ شاهداً اميناً [١٢] .
وهذا الشعب الواقف
لا يقبل شهادتك
كما ينبغي .
دع الآن
٢٢٥ فانهم من السماء
يتلقنون
من انا ، وابن من انا ،
وما سأعطيه لاحبائي .
سأفتح السماوات ،
٢٣٠ واحدر الروح ،
واعطيهم هذا الروح
عربوناً .
فتعال انت ايضاً
وادنُ ، لكي تتعلم
٢٣٥ من اين يبرق
النور الذي لا يدنى منه

١٢) عندما سمع وليدُ العاقر
الكلام الرهيب وغير الموصوف ،
قال لمن ولد من عذراء :
٢٤٠ لا تغضب علي ، [١٣]
ايها الفادي
اذا ما نطقت من جديد .
فالضرورة القصوى
اعدتني لأن اتكلم
٢٤٥ بحرية كبرى .
لمَ اقود اذن
ايها المخلص ،
الخطر بيدي الشقية
وارميها الى النار
٢٥٠ حتى يعرفك هؤلاء ؟
قديماً مدّ الحي يده
ليمسك التابوت
فقطعت . [١٤]
وانا عندما اضبط
٢٥٥ رأس الهي
كيف لا يحرقني الآن
النور الذي لا يدنى منه ؟

---

١٢) متى ٣ : ١٧ ١٣) سفر القضاة ٦ : ٣٩ ١٤) سفر الملوك الثاني ٦ : ٦-٧

١٣) أيها الصابغ ،
ايها المانع .
٢٦٠ أسرع بايجاز
لا الى المناوأة ،
بل الى الخدمة .
ها انت تبصر
ما أتمم ،
٢٦٥ وانا ارسم لك
عن كنيستي
صورة واضحة وخطيرة .
بيمينك سأوزع القوة
التي سأمنحها بعد هذا
٢٧٠ بأيدي التلاميذ والكهنة.
اظهر لك بجلاء
الروح القدس ،
وأسمعك صوت الآب
يعلنني
٢٧٥ ابناً حقيقياً [١٥]
ويهتف :
هذا هو
النور الذي لا يُدنى منه .

١٤) بعد هذا الحديث الرهيب
٢٨٠ هتف ابن زكريا
نحو الخالق :
انا لا امانع ،
بل اتمم
ما تأمرني به .
٢٨٥ حينئذ قلت هذا للمخلص
وتقدمت منه
كما يليق بعبد ،
وبانتباه نظرت بورع
الى الاعضاء المتعرية
٢٩٠ اعضاء من يأمر السماء
فترتدي بالغيوم رداء
ثم رأيت من جديد
وفي وسط المجاري
مَن ظهر قديماً
٢٩٥ بين الثلاثة الفتية
ندًى في نار [١٦]
والآن ناراً في الاردن
يُضيء ويفيض
النور الذي لا يدنى منه

١٥) متى ٣ : ١٧

١٦) دانيال ٣ : ٩٥

١٥) عندما ابصر
٣٠٠ ابن زكريا المعجزات
وقف في المجاري ،
بهمة الكاهن ،
ووضع يديه
٣٠٥ على المسيح ،
وهتف نحو الناظرين
انظروا في الاردن
الغيثَ الكريم[١٧]
ووابل النعيم
٣١٠ في مجاري المياه
— كما كتب —
انظروا في النهر
البحر العظيم
اذن لا يعدني احد جسورا
٣١٥ لاني أتمم هذا الأمر
كخادم. لا كمتقدم .
انه هو الرب
وقد قال لي اصنع هذا
ولذا عمدت
٣٢٠ النور الذي لا يدنى منه

١٦) وهتف إله الجميع
عندما وجدني متباطئاً ،
انا الانسان المائت
« ضع يدك عليَّ
٣٢٥ فانا أقويها ! »
كيف اكون ضعيفاً
اذا كان الامر هكذا
وتمتْ ما قال .
كيف اعمد
٣٣٠ الغمر الشديد ،
وانا من تراب ،
لو لم اقبل القوة
واخذها من العلى ؟
اني احس الآن
٣٣٥ بأنه حاضر فيَّ ،
وما كنت قبلاً هكذا ،
بل ظهرت افضل
مما كنت عليه :
لهذا اذهل واتمجد ،
٣٤٠ ارى واحرز
النور الذي لا يدنى منه .

١٧) مزمور ٦٧ : ٩

١٧) انا لا اقول بعدما قلته قبلاً
لا احل سير حذائك[١٨] ،
فيا من الشواطئ
٣٤٥ اتقدم نحو الهامة ،
لا اطأ أرضاً من بعد ،
بل السماء نفسها .
لان ما اتممه
امور سماوية ،
٣٥٠ بل بالاحرى اسارع نحو الاعالي ،
فهي تحمل ،
ولكنها لا ترى ،
ما تحمل .
اما انا فانظره الآن واحمله .
٣٥٥ فافرحي ، يا سماء ،
وابتهجي ، يا أرض ،
وتقدسي ، ياينابيع ،
يا ينابيع المياه :
لانه عندما ظهر
٣٦٠ ملأ كل شيء بالبركات ،
وانار كل الموجودات
النور الذي لا يدنى منه

١٨) ان ابن زكريا ،
بالرتبة الالهية ،
٣٦٥ رفع العقل ،
ومدّ يده ،
وبسطها على الملك ،
غسله بالمجاري ،
وقاد الى الأرض
٣٧٠ ربَّ الارض والبحار ،
الذي من السماء
اظهره الآب
بالصوت كما بالاصبع ؛
وقال :
٣٧٥ هذا هو ابني «الحبيب»[١٩]
فللآب اذن
وللابن المعتمد ،
وللروح القدس
اهتف :
٣٨٠ ايها الفادي اسحق
من يحزن نفسي .
وهدّئ البحار
ايها النور الذي لا يدنى منه!

١٨) مرقس ١ : ٧
١٩) متى ٣ : ١٧

فوائد طبيّة عربيّة

عُني بجمعها ونشرها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

رأينا هذه المرَّة، ان نتحف قرَّاء «المشرق» الكرام، بضعة من فوائد طبيَّة عربيَّة جمعناها من كُتب خطيَّة، ومنها ما استقيناهُ ممَّن امتحنوها بأنفسهم فصدقت عند الامتحان وصحّت، لذلك لا ينبغي ان يُزدرى بها لحقارتها، وربَّ منفعةٍ كانت مستترة بسترٍ رقيقٍ ودقيقٍ لا يُؤبه لهُ ولا يُلتفت اليهِ. ومن السهل على كلّ امرىء تجربة هذه الوصفات الطبيَّة البسيطة حصولاً على الفائدة المنشودة. وقد أبقيناها على عبارتها ورميتها الساذجة، تناولاً لفهمها وادراكها على أيسر سبيل. وكثيرون يرغبون في مثل هذه الفوائد، التي امتحنها بعضهم فأتته بجليل العوائد، وحملتهُ على أن لا يستهين بابسط هذه الوصفات وأحقرها. وفي التجربة والامتحان يتضح صدقُ البرهان.

للجرح الطري

عصير جذع الموز. يدهن بهِ الجرح بعد تنظيفهِ بالسبيرتو، مجرَّب. أو عشبة الشمس، تُدقُّ وتُوضع على الجرح الطري، أو تُجفَّف في الظلّ لا في الشمس، وتُدقُّ وتُحفظ لحين الحاجة.

مرهم للجرح

شمع عسلي. تمرتينا. صابون بدون بلّ. زيت عتيق. زفت نظيف. أجزاء متساوية. تُغلى على نارٍ خفيفة، وبعد ان تبرد يوضع منها على الجرح.

للجرح

احرق قمع البلُّوطة، واسحقهُ ناعماً ورشّ منهُ على الجرح.

للجرح

خذ عشبة العَلَّيق وابرش الوبر الذي على ورقها وضلوعها ورشّ منهُ على الجرح الطري، فانهُ نافع جداً جداً.

للجرح

يُوضع المحلُّ المجروح في الماء البارد مدّةً معتبرة ، ثمّ يُغسل بمغلي ورق الجوز ، أو بمحلول السليماني ثلاث مرّات في اليوم ، وفي كلّ مرّة يُرشّ عليهِ اليودوفُوم ويغطّى بخرقة شاش نظيفة ، فوقها قطن مغموس بماء السليماني .

للورم من قبل الجرح

خذ بضع ضفاضع واغلها بالزيت والنبيذ وملح الطعام حتى يخرج خواصها ، وادهن بهذا المغلي .

رشوش للجروح والحبوب

يُؤخذ من الحجر الأحمر الموجود في الرمل ، ويُحرق حتى يُكلس ويُسحق ناعماً ، ويُستعمل للجروح بزوم البصل . وللحبوب ، بالزيت العتيق . وللحرق بصفار البيض . وللناسور ، بزوم البصل أو الزيت .

للحبوب

خذ السيراس واجبلهُ بالخلّ كالمرهم ، وادهن بهِ .

مرهم للطلوعات والحبوب

خذ من القطران ، والرماد ، والخشار المسحوق المنخول ، والشمع ، اجزاء متساوية واغلها على النار ، فانهُ نافع .

مرهم للحبوب غير المعروفة

سيراس ، وشبّة ، وجنزار . تُعجن هذه الاجزاء بالسيراج وتُستعمل .

للحبوب وللحرق

يُؤخذ جزء مرسنك ذهبي وجزء مرسنك ازرق . يُدقّ كلّ صنف على حدته دقاً ناعماً في هاون من نحاس ويبقى ٢٤ ساعة ويمزجان . يُدهن بهِ الحرق أو الحبوب كلّ ثلاث ساعات مرّة . نافع ومجرّب .

للحب في الانف وفي البدن وللربّة

خذ زهر شجرة الباني (البان) الابيض وضعهُ في السيرج ضمن قنينة ، وضع القنينة في الشمس اربعين يوماً . وبعد ذلك ادهن بهِ الحبَّ في الانف والربّة وكلّ حبٍّ في البدن .

للحبوب وللجروح وللفرعة

فلفل حار ، وصبرا شقرا ، وتوته زرقا ، أجزاء متساوية . وعَرَق وطحين قمح . تُجبل هذه الاجزاء بزيت عتيق ويُدهن بها . نافعة جداً .

انجع مرهم للحرق

هو ان تطرق زلال البيض طرقاً محكماً وتصبّ عليه من السيرج رويداً رويداً كمّيّة توازي كمّيّة زلال البيض . ثمّ ضع معهُ من الشمع العسلي الأصفر مقدار اللوزة ، واطرف الجميع ثانية طرقاً جيّداً حتى يصير هذا المرهم كالطحينة وضع منهُ على الحرق يبرأ .

للحبّة المزمنة

روح الجاز درهم ١٠ ، روح النشادر درهم ١٠ ، نيترات الفضّة درهم ١ .

مرهم لكافة الجروح العسرة الشفاء

تراب ارض ، وترمنتينا ، وزفت ، وشحم كلي ، وسيراج ، وعلك ، وقلفونة ، وشمع ، أجزاء متساوية . انهُ عجيب .

مرهم يُنبت اللحم ويُلحم الجروح

شحم خنزير،وزفت،وشمع،وراتينج. تُغلى هذه الاصناف على النار وتُحرَّك .

للآكلة وللحبوب الصعبة

النظافة البالغة بالماء والصابون والتنشيف جيّداً ، ثمّ يكوّع (يكوى) محلّ الألم بالزيت الحلو السخن بقدر الامكان . وبعدُ يدهن من المرهم الآتي : شمع،وزيت،وشحم،ودبس قليل . وعلى البارد،يوضع قطران قدر الربع ومسحوق قشر الصنوبر وشبّة بيضا ، ثمّ مرهم الزنك . يدهن بعد التنظيف كلّ يومين مرّة .

مرهم للجروح والدمامل

عسل ، وزبيب ، وملح . تُمزج وتُوضع على الدمّل يفتح .

مرهم للجروح ايضاً

صابون بدون بلّ ، ومسك ، وشمع عسلي اصفر ، ودنج نحل ، وحصى البان ، وقلفونه . تُغلى هذه الاصناف ويُدهن بها .

بلسم للجرح وعضة الكلب

شحم معزي،وشحم خنزير،وصمغ زيتون،وترمنتينا . تُدقّ وتُخلط بالشحوم .

مرهم للحبّة التي لا تُعرف

صبر ، وشبّة ، وزنجار . تُعجن بالسيراج .

للجرح الجديد

ضع على الجرح بيكربونات السودا .

مرهم للجرح

ربع أوقيّة زيت زيتون حلو ، وربع أوقيّة شمع عسلي ، وقليل من الملك (الملك) . اغلِ هذه الاصناف على النار يكون منها مرهمٌ نافعٌ للجروح .

مرهم للقروح

خذ كميّةً من قاوب الصنوبر واسحقها جيّدًا ، وامزجها بكميّة من الطحينة ، يكون لك مرهم نافع للجروح . مجرَّب .

للحب الذي يطلع (ينبت) في الوجه

خذ كبد الدجاج سخنةً ودقّها ولطّخ بها الوجه .

للحبّ في وجه الولد

ادهن الحبوب بالقطران بكرةً وعشيّةً ، مدّة خمسة ايام

للحبوب في وجه الاولاد الصغار

تُدهن بزوم (عصير) حبوب الزيتون الاخضر الازرق . مجرَّب

للربّة في رؤوس الاطفال

عشبة دوينة الجدي ، تُدقّ جيّدًا وتُوضع لزقةً على الرّبة تبرأ .

للربّة ايضًا

. احرق قشر البطيخ الأخضر واجبلهُ بالملح ، وضع منهُ لبخًا على الرّبّة

رشوش للحبّة الرديّة

خذ حشيشة الشلطه واحرقها ، وخذ رمادها وذرّ منهُ على الحبّة بعد ان تستأصلها إمّا بالكي وإمّا بالمبضع .

دواء للآكلة

نشادر وملح . يُعجنان بالعسل ويُوضع منها .

للجرح المنتن

خذ قشر الصنوبر الاحمر ، ودقّهُ وانخلهُ واعجنهُ في خلٍّ بكر وقطران ، وضع منهُ على الجرح .

للآكلة ايضاً

اسحق البصل واغسل بزومه. ثمَّ خذ من ابواق البزّاق وورق العجرم وزهر الزوباع، اجزاء متساوية، واسحق كلَّ صنفٍ وحده ثمَّ اخلطها جيداً، ورشَّ من هذا المسحوق على مكان الآكلة، بعد ان تغسلهُ بعصير البصل.

للحزازة

خذ بعر الجَمَل وامرتهُ (وامرتهُ) بخلٍّ حادّ واطلِ بهِ الحزازة تبرأ

مرهم للحزازة

اغلِ العفص والزيبق بسيرج، وادهن بهذا المرهم.

للحزازة ايضاً

لوز مرّ، دقّهُ وانخلهُ وذرّ منه على الحزازة.

علاج للحزازة ايضاً

بعر ماعز نيكُوب، وخلّ بكر. يُدقّ البعر ويُنخل بشاشة فوق الخلّ ويُضرب حتى يصير خاثرًا كاللبن، ويُوضع منهُ على الحزازة لبخة او اثنتين فتبرأ. هذا العلاج مجرَّب.

للحزازة ايضاً

خذ الحردون واقلِهِ بالزيت حتى يحترق ثمَّ دقّهُ ناعماً، وخذ كميَّة من عشبة العضيبة ودقّها واعصرها، واجبل مدقوق الحردون بعصيرها وادهن بهِ الحزازة، أو الامراض الجلديَّة.

للحزازة على انواعها

عصير الليمون الحامض، يُذاب بهِ ملح الطعام جيّدًا ويُدهن منهُ الحزازة.

للحزازة والطفرة

دقّ عشبة قبع القسّيس واعصرها وادهن بعصيرها مرّاتٍ.

للحزازة ايضاً

خذ حشيشة السمك، ودقّها واعصرها وادهن بعصيرها.

للحزازة ايضاً

خذ الكبريت واجبلهُ بالقطران، وادهن بهِ الحزازة بعد ان تغسلها بماء المالح.

للحزازة والثيلبة ايضاً

زوم (عصير) العشبة الصنوبريّة .

للمرض الجلدي مثل الاكزيما والحزاز

التنظيف بمغلي النخالة وورق الجوز والسنديان والميرون. يغسل وينظّف جيدًا بماء هذا المغلي الساخن على قدر الاحتمال ، ويبدل الثياب التي على الجسم . ثمّ يدهن الجسم كلّهُ بخلّ بكر مع شبّة بيضا. أو ملح أو راسب الكبريت او قطران ، كلّ يوم مرّة ، مدّة اسبوعين .

للمرض الجلدي ايضاً

حِنّة مسحوقة واق عد ٢ ، وريحان واق عد ١ ، وورق غار واق عد ١ ، تغلى بالماء حتى تحلّ جيدًا ويغسل بها .

مرهم للجَرَب

فازلين درهم ٣٠ ، راسب الكبريت درهم ١٠ ، كربونات البوتاس درهم ٥ ، يدهن كلّ يوم مرّة بعد النظافة جيدًا .

للثالول

انقع ورق الهندبا البريّة بالخلّ وادهن بهِ او تناوله ، فانه يزيل الثالول .

للثالول ايضاً

خذ الكلس واجبلهُ برغوة الصابون حتى يصير كالمرهم وادهن بهِ .

للثالول ايضاً

خذ زبل العصافير واعجنهُ بريق الانسان واطلِ بهِ الثالول يقلع حالًا .

للمسامير وللثالول

احرق ورق الصفصاف واعجن رمادهُ بالخلّ وادهن بـهِ مكان المسامير بالرجلين او الثالول فيزول .

مرهم للحكاك (الجَرَب)

قطران ، ملعقة — حامض ، ليمونة — زنك بودر — ترابة حمراء اصلية تُستعمل لطرش البيوت ، ملعقة — كبريت اصفر — بوريك — زيت قدر كافٍ لمزج هذه الاصناف . يدهن الجسم دون ان يغسلهُ ، أو يبدل الثياب الملوّثة ، مدّة اسبوع ، وبعد نهايتهِ يستحمّ المريض بدون ان يفرك جسمهُ بشدّة .

مرهم للاكزيما

	غرام
حمض الصفصاف	١
اوكسيد الزنك	١٢
نشاء	١٢
ڤازلين	٢٥

تُمزج جيدًا . يدهن بهذا المرهم موضع الاكزيما صباحاً ومساء .

علاج للحكّة

	غرام
ڤينول	١
حامض ساليسيليك	٢
حامض طرطريك	٣
كليسيرين نشوي	١٠٠

يُمزج ويُدهن بهِ في الخارج .

مرهم للامراض الجلدية

	غرام
زيت الكاد	٢
حامض السيليسليك	٢
ڤانول مكوفر	١
مرهم الزنك	٢٠

يدهن كلّ يوم مرّةً . الاستعمال خارجاً .

للحكاك

خذ الطيُّون واغلهِ بالماء ، واغسل بهِ مكان الحكاك .

لريح الشوكة

شبَّة بيضاء ، وصفار بيضة . تُدقُّ الشبَّة جيدًا وتُمزج بصفار البيض ، ثمَّ توضع على نارٍ خفيفة جدًا حتى تغلي ، وعندما تبرد يُوضع منها على ريح الشوكة .

لريح الشوكة ايضًا

خذ شحم البقر وشرش القرع ، دقّهما واعمل لزقة .

لبزر الحرارة

خذ قشر البطّيخ ، بعد ان تنزع منهُ الاحمر والازرق ، وافرك البزر باللبن الابيض فقط .

مرهم القطران

خذ من الشمع الابيض ، ومن شحم الماعز ، ومن القطران ،ومن الجنزار ، اجزاء متساوية . ذوّب الشمع والشحم بالقطران على نارٍ خفيفة وضع فوقها الجنزار حتى ينضج . يُستعمل للقروح والناسور والخنازير . وهو نافع جدًّا مجرَّب .

مرهم البامة

خذ ربع أوقيَّة بامة ، وربع أوقيَّة شمع اصفر ، وربع أوقيَّة ترمنتينا ، وربع أوقيَّة جنزار ، وخمسة دراهم صابون بدون بَلّ ، وخمسة دراهم زيت ، وخمسة دراهم مرّ حجازي . تغلي البامة حتى تذوب والشمع ايضاً ، وتضع فوقها الجنزار ، ثمَّ الزيت والمرّ الحجازي بعد ان تسحقهُ ناعماً وتُغلى هذه الاصناف على نارٍ خفيفة حتى تنضج . ثمَّ يُستعمل هذا المرهم للامراض الجلدية كالاكزيما والحكَّة والجَرَب والناسور الخ الخ .

لازالة الحرق حالياً

امزج زلال البيض بالزيت جيّدًا ، وادهن بهِ الحرق فيزول الالتهاب

للحرق ايضاً

امزج المغنيزا بالزيت جيّدًا ، وادهن بها الحرق .

لاجل تطبيخ الطلوعات

خذ البنفسج ، والزيت ، والسمن ، واجبلهُ بزهرة الطحين داخل قِدرٍ على نارٍ خفيفة ، وحرّكهُ دائماً حتى ينضج ، وضع منهُ لزقة على الطلوع .

أو اسحق بزر الخلزوم وضعهُ لزقةً .

أو خذ لوح الصبّير واشوهِ في ملال الجمر وضعهُ لزقةً .

أو خذ قلوب الصنوبر ، ودقّها واخلطها بالطحينة وضعها لزقةً .

لمسامير الرجل

خذ حبَّة زيتون ناضجة ، اسحقها جيّدًا وضعها على مسامير الرجل الليل كلَّهُ .

دواء للناسور

مقل ازرق ، يُحلُّ بماء وخلّ ومرارة ، ويوضع على الناسور

لتشقق اليدين

اغمس قطعة عتيقة من الكتّان بالعرَق الجيد ، وضعها على الشقوق ، وكلّما نشفت ابدلها بغيرها . ومما يفيد تشقّق اليدين أو الرجلين ، صمغ البطم ، يُدهن به الشقوق فانهُ يُلحمها . مجرَّب .

لالم اليدين والرجلين

طيُّون وحيّ العالم ، ضعها في وعاء فيه ماء ، وطبّخهُ جيدًا واغلهِ على النار حتى يبقى الثلث ، وادهن به الألم . ومما ينفع ايضاً شرش العرقبانة ، اغلهِ بالزيت حتى ينقص النصف ثمَّ ادهن به الألم .

للشكة

حشيشة القزاز (الزجاج) تُدقّ ناعماً وتُغلى بالخمر أو تُطمر في الملال السخن وتُوضع لزقة على محلّ الألم .

للنخزة

فلفل يُذوَّب بعرَق ويُدهن به مكان الوجع

للوثّاب

دقّ اللوز المرّ وامزجهُ بزيت اللوز وزيت الجوز واشربهُ . نافع جدًا أو امزج اللوزَ المرَّ بالماء واشربهُ .

للقولنج

بعر معزي ، انقعهُ بالخلّ واسقِ منهُ الموجوع .

للطلوعات

خذ حشيشة البنج ، ودقها مع لبّ الخبز والسكّر ، وسبع حبّات زبيب اسود . تدقّ هذه الاصناف جميعاً وتعمل منها لبخاً .

للجرَب

خذ تفّاحة ، وشقّها في النصف ، ورشّ عليها الكبريت الناعم ، ثمّ سخّنها في الملال وافرك بها موضع الجرَب .

أو استعمل مرهم المينكال ، يشفيهِ تماماً .

لوجع اليدين والرجلين والركب

خذ شرش العرقبانة واغلهِ في الزيت حتى ينقص النصف وادهن بهِ نافع جيدًا .

دواء للحرقة

خذ حشيشة القزاز (الزجاج) دقها واعصرها وخذ من عصيرها قدر فنجان ونصف فنجان من العسل وفنجان ماء فاتر . امزجها جيدًا وتناول منها على الريق .

لوجع الاضلاع

خذ من عرق السوس المدقوق عشرة دراهم ، وأضف اليها ستين درهمًا من الماء . واغلها حتى يبقى النصف . ثمَّ صفِّهِ وأضف اليهِ عشرة دراهم من السكر . يُشرب على الريق ، مدَّة ثلاثة ايام .

لوجع الظهر

خذ ورق الطيُّون دقهُ واعصرهُ ، وضع فوق عصيرهِ زيتًا طيبًا واغلهِ حتى يزول الماء ، وادهن بهِ الظهر .

للحكاك في كيس البيض

خذ ورق القوِّيسة واطبخهُ مع الخمر واغسل فيهِ ، أو اطل بهِ . ينفع

لوجع الجنب والمصي

خذ حشيشة القزاز (الزجاج) والبابونج والنعنع البرّي والزوباع ، دقّ هذه الاصناف دقًا ناعمًا وحمّصها في أوقيَّة زيت حلو وافرك بها موضع الوجع . نافع .

للمصي

خذ نصف أوقيّــة من الخلّ البكر ، واذا امكن فمن الخلّ الابيض ، ونصف أوقيَّة من السبيرتو الابيض عيار ٩٥ وقدّر اللوزة من الكافور الناشف ، وزلال بيضة . سخّن الخلّ وأذب فيـهِ الكافور ثمَّ الزلال والسبيرتو ، وادهن بهِ موضع الوجع . مجرَّب .

الروماتزم

اشرب في اليوم عصير عدَّة ليمونات حامض فان ذلك محلّل زيادة الحامض البولي

الروماتزم ايضًا

يُؤكل التفاح . البندورة . الجزر . البصل . على شرط ان تؤكل نيئة ، مع تجنُّب البرد .

لداء المفاصل

خذ مرارة بقر ، وشمعاً ، وشحماً ابيض واغلها جميعها سويةً حتى تذوب وادهن بها ، فهي نافعة .

للمفاصل ايضاً

بصل ابيض ، اشوهِ واعصره ، ثمَّ اسحق البهار واضفهُ اليه واغلهِ حتى يحلّ ، وادهن به . انهُ يسكّن ألم المفاصل . وممّا يفيد لألم المفاصل : الجوز الهندي أكلاً . الجرجير أكلاً . النعنع طلاء وشرباً بعد الغلي . البنار طلاء وشرباً ، خصوصاً زيتهُ . الزعتر بالعسل طلاء . اللفت أو بزره أكلاً . حبّ الرشاد شرباً بعد الغلي أو طلاء بعد سحقهِ ومزجهِ بالزيت . بعر الماعز ، طحين شعير أو قمح ، ملح ، أجزاء متساوية ، اجبلها بخلّ جيّد وضعها على ألم اليدين والرجلين . مجرَّب .

زبل البقر اغلهِ في خمر جيّد ، واطلِ بهِ على الوجع ، واذا انتقل فاسبقهُ .

شرش القبّار ، اغسلهُ واقشرهُ ويبّسهُ في الظلّ ، واسحقهُ جيّداً ، وامزجهُ بالعسل وتناول منهُ على الريق . انهُ ينفع وجع الظهر

معالجة الامراض العصبيَّة وداء المفاصل والظهر واليدين وعرق الانسر (النسا) وتشقّق اليدين

شوك المسيح مغلي بالماء شرباً ، وطلاء بعد السحق .

الخرنُبل مطبوخ مع السداب (الفيجم) والثوم بالزيت طلاء . انهُ مجرَّب للعصبي وعرق الانسر وللفالج واللقوة والخدر طلاء . زيت الخروع طلاء .

عشبة رجل الغراب مغليَّة بالزيت طلاء .

بزر الكتّان وعشبة دوينة الجدي ضماداً

الافسنتين مغلي بالزيت طلاء .

زبل بقر وطحين شعير طلاء .

ثمانية دراهم فيجم ، اغلها بثمانيــة دراهم زيت حتى يذهب نصف الزيت وادهن به ، مجرَّب .

عنقود سمّاق حلّهُ في كبَّاية ماء ، وأضف اليهِ فنجان عَرَقٍ جيّد ، وقدّر اللوزة شبّة بيضاء ، وقدّرها ملح طعام . وافرك بهــذا المزيج محلّ الألم حتى يحمرّ الجلد ، فانهُ نافع جداً بعد استعمالهِ مرَّات .

لداء المفاصل

	واق
زيت الحار	٢
روح النشادر	٢
رماد عود التين	٢

تُمزج هذه الاجزاء ببعضها . ثمَّ يُنتم موضع الوجع في البولاد قليلاً ، ويُدهن .

علاج العصبي

	غرام
خلاصة البلادونا	٢
خلاصة البنج	٤
يودُنم سيدنهام	٥
زيت البنج	١٠٠

يُمزج ويُدهن بهِ كلّ يوم مرّتين .

لعرق الأنسر (عرق النسا)

خذ ثلاثة دراهم من القبّار وذوّبها بشرابٍ واسقِ المريض . انهُ نافع جدًّا جدًّا .

لعرق الأنسر ايضاً

كيّ في أسفل كعب الرجل .

. دهون للنقرز ولداء المفاصل

خذ من القريّس الموجود في مقيل الماعز واغلهِ بالماء حتى يحتاج جيدًا ، ثمَّ أضف اليهِ طرطير النبيذ وضعهُ في الشمس حتى يسودّ ، ثمَّ اغلهِ بالزيت العتيق ، ونقِّس موضع الوجع في البولاد ، وادهن من هذا الدهون . انهُ نافع ومجرَّب .

دهون للنقرس

خذ خميرة عشبة بخور مريم ، واحرقها وامزج رمادها بالزيت العتيق ، ونقِّس موضع الألم في البولاد ، وادهن . انهُ مجرَّب .

لداء النقطة

يلزم صاحب هذا الداء اولاً ، ان يعمل مغطساً بالماء البارد يمكث فيه قدر ساعة ، في يومين متواليين ، وفي اليوم الثالث يُحقن بالماء البارد ، وفي اليوم الرابع والخامس يعمل مغطساً بالماء البارد كما مرَّ . وفي اليوم السادس والسابع يعمل حقنة بالماء البارد . ويداوم هذا التدبير مدة خمسة عشر يوماً ، ويشرب في هذه المدَّة من مغلي عشبة عصاة الراعي . وفي الأخير يأخذ ثقل فنجانين أو ثلاثة من مكلَس الرصاص . انهُ نافع ومجرَّب .

لوجع الكتف واليد

خذ شرش قثا الحمار ، وحمّصهُ على النار واسحقهُ جيدًا ، وحرقصهُ في الزيت وادهن بهِ مكان الوجع بحيث يكون الزيت فاترًا .

للبواسير

خذ كميَّة من الخبّيزة واغلها بالماء على النار جيّدًا ، ثمَّ ضعها في وعاء ، وترفص فوقهُ مدَّة من الوقت ، فهي نافعة جدًّا ، لا بل انها مزيلة البواسير .

للبواسير ايضاً

خذ قدر ربع أُوقيَّة من الشبَّة البيضاء ، وربع أُوقيَّة من شحم الخنزير ، وذوّبهما ببعضهما ، ثمَّ اعمل منها تحاميل في باب البدن . انها نافعة للبواسير .

للبواسير الظاهرة

خذ الجنزار العراقي ، والزرنيخ ، والشبَّة البيضاء ، والبخور الجاوري ، اسحقها سحقاً جيـدًا ، وامزجها ببعضها مزجاً جيّدًا ثمَّ حكَّ موضع البواسير في خرقة خشنة حتى تدمي ثمَّ ادهن بهذا الدهون ، وهو نافع جداً .

للبواسير ايضاً

اسحق بزر المشمش سحقاً جيّدًا وادهن بهِ البواسير .

للبواسير ايضاً

بزر شوك الجمال ، يُدقُّ ناعماً ويُنخل ويُعجن بعسل ، ويُعمل حبوب ويُؤخذ ، ثلاث حبَّات في اليوم .

للبواسير ايضاً

شبَّة بيضا. تُحرق وتُدقّ وتُنخل ويُضاف اليها شحم خنزير يذاب بها على النار، ويدهن بها البواسير، واذا كانت البواسير غير ظاهرة تُعمل تحاميل .

لوقف الاسهال

ارزّ بدون غسيل يُغلى بالماء على النار جيّدًا ويُصفّى، ويُضاف الى هذا المصفّى عصير ليمونة حامضة ويشربهُ . مجرَّب .

وممَّا ينفع ايضاً ليموناضة بمسحوق السمَّاق . وكذلك البيض المقلي بالزيت يضاف اليه الثوم والسمَّاق .

لقطع الاسهال ايضاً

خذ كميَّة من عشبة القطعوصل واغلها بالماء على النار واشرب منها باردةً . تنفع كثيرًا . مجرَّبة .

لهُ ايضاً

اغلِ الكونياك أو الرُّوم مع السكَّر ، واعصر فوقهُ ليمونةً حامضة ودعها تغلي . ثمَّ اشرب منهُ .

الزنطاري

خذ من النعنع البرّي نصف رطل ، ومن الثوم ١٢ راساً اقشرها وأضفها الى النعنع ، وضعهما في رطل ونصف من الماء . واغليها على النار حتى يبقى نصف الماء . ثمَّ صفّهِ وخذ كلّ يومٍ فنجاناً على الريق .

للاسهال ايضاً

اقطع الليمون الحامض قطعاً ، وانقعها في ليتر ماء . قدَر ساعتين ، ثمَّ اشرب منهُ . نافع للاسهال .

للزنطاري ايضاً

شربوط الحميضة البريَّة ، اغلهِ بالماء . واشرب منهُ .

لقطع دم الزنطاري

شرش عشبة السنَّارية وخشب المرّ يغليانِ بالماء . ويشرب ، فانهُ يقطع الدم الناتج من الزنطاري .

للزنطاري ايضاً

عشبة الرتنجن ، تُوجد على مجاري الماء ، وهي كعشبة القرّيص بالتمام إلّا أنها لا تُقرّس . خذ منها كميّة واغلها بالماء على النار حتى يصبح الماء نصف كميّته ، وخذ منها كلّ يوم ثلاثة فناجين شاي .

لمنع الاسهال والقيء

خذ كميّة من النعنع دقّهُ وامزجهُ بالخلّ والطحين وضمهُ لزقةً على فم المعدة.

للسعال وخشونة الصدر

خذ درهماً من رُبّ السوس ، ودرهماً من البنفسج ، ونصف درهم غاريقون. تُدقّ هذه الأجزاء . وتُعجن بدهن اللوز الحلو وتُعمل أقراصاً . تُستعمل صباحاً ومساء

للسعال ايضاً

خذ الخاتميّة جففها في الظلّ واسحقها ناعماً ، ثمّ اسحق صمغ الكثيره (الكثيراء) ناعماً والصمغ العربي ، وامزجها ببعضها واجبلها بالعسل . خذ منها في الصباح والظهر والمساء ، واشرب وراءها فنجان قهوة . وبدل الماء اشرب مغلي الخاتميّة .

للسعال ايضاً

زيتون الغار ، يُسحق ويُجبل بالعسل . انهُ نافع ، وينقي الصدر ، وينفع للمغص ووجع القلب .

للسعال ايضاً

يُؤخذ ماء النخالة المصفّى ويُطبخ بعرق السوس بعد ان يُرضّ في الهاون رضّاً شديداً ويُضاف اليه زبيب العنب وقليل من ماء الشومار ، ويُغلى في إناء غلياً جيداً حتى يحمّر ماؤهُ . ويُستعمل على الريق .

للسعال ايضاً

شرش الزعتر ، نظّفهُ واغلهِ بالماء . واشرب منهُ .

للسعال ايضاً

خذ أوقيتين من صموغ اللوز المرّ المقشور ، واوقيتين كوكلان . اسحقها جيداً واجبلها بالعسل . وخذ منها في الصبح والظهر والمساء . قدّر اللوزة ، واشرب وراءها كلّ مرّة فنجان قهوة .

للسعال ايضاً

يُؤخذ من رُبّ السوس ، والكثيرة البيضاء ، واللوز الحلو ، والصمغ العربي ، من كلّ صنفٍ ثلاثة دراهم ، ومن السكّر النبات خمسة دراهم . تُعجن بزوم السفرجل وتُعمل حبوباً وتُستعمل . توضع الحبّة تحت اللسان فتذوب تدريجاً . نافع جدّاً .

للسعال ايضاً

ضع بضع نقاط من الخلّ البكر الحادق (الثقيف) على قطعةٍ من السكّر وامتصّها . نافع للسعال .

معجون للسعال وضيق النفس

ثلاث واق صمغ صنوبر[1] ، وعشرون درهم قرنفل وبزر كتّان . يُدقّ الصنفان ناعماً ويُنخلان ويُعجنان في ثلاث واق من العسل . يُؤكل على الريق .

لوجع الزلاعيم

خذ كمّيّةً من زهر عشبة العَليا ، واغلهِ بالماء على النار واشرب منهُ يزول الوجع .

لوجع الزلاعيم ايضاً

اغلِ ورق الجوز بالماء على النار حتى يبقى نصف الماء . ثمّ أضف اليه من قشر الرمّان ، والافضل ان يكون من قشر الرمّان الخضيري ، ودعهُ يغلي معهُ نحو اربع دقائق . استعمل الغرغرة بهذا المغلي ، فانّهُ نافعٌ لكلّ وجعٍ في الزلاعيم . مجرَّب .

دواء لالتهاب الزلعوم أو الحلق

الغرغرة بعصير الليمون الحامض عشر مرّاتٍ في اليوم . فان هذا العصير يفيد كلّ التهابٍ ويفيد التهاب العين قطرةً ، ووجع الرأس ايضاً .

للتمنّي

خذ قليلاً من نشاء الطبخ ذوّبهُ بالماء الفاتر واحتقن بهِ مرّةً أو مرّتين بحسب اللزوم (الأكل لبن رايب)

لوجع البطن

خذ كمّيّةً من الزعتر واغلها بالخمر واشرب منهُ ساخناً .

---

[1] يريد بها ثلاث اواقٍ طبيّة ، والأوقيّة الطبيّة ثمانية دراهم .

له ايضاً

خذ شرش العلّيق وشرش الزوباع ، ونظّف هذه الشروش واغلها بالماء. واشرب منهُ .

للموالح

خذ كميَّة من حشيشة القزاز (الزجاج) ، ونصف أوقيَّة بخور عادي . ضع البخور في رقعة وانقعهُ في الماء من المساء الى الصباح ، ثمَّ خذ الرقعة الموجود فيها البخور واعصرها فوق الماء جيّدًا ، ثمَّ اغلِ في هذا الماء حشيشة القزاز وصبّهُ في قناني من زجاج واشرب من هذا الماء كلّ يوم ثلاثة فناجين كبيرة. فهو نافع للموالح والرمل .

للموالح ايضاً

خذ كلّ يوم على الريق عصير ليمونة او ليمونتين حامض على مدَّة ، تزول الموالح . وممَّا يفيد ايضاً ، الغرغرة بعصير الحامض ، فانَّهُ يشفي التهاب الحنجرة.

حقنة لوجع البطن المؤلم

خذ من السكَّر النبات ، ومن النشاء ، وصفار البيض ، وماء الورد ، والسكَّر القرداحي ، وماء الشعير . تُذوَّب هذه الأجزاء جميعاً ويُحقن بها المريض فاترةً.

لتقوية العروق ، ولكل ألمٍ صادر عن البرد

خذ القرّيسة واسحقها ناعماً واغلها بالسمن نحو ربع ساعة ، ثمَّ اعصرها بخرقةٍ نظيفةٍ وادهن بهذا المصير العروق وموضع الألم .

لورم الوجه

امزج الخلَّ بالماء واغسل بهِ عينيك .

لوجع الرأس

اسحق المردكوش واعصرهُ واستنشق منهُ تبرأ . ومما يفيد ايضاً : ان تأخذ كميَّة من البقلة وتدقّها وتضعها على الرأس. وايضاً : يُدقّ الزيتون البرّيّ ويُدهن بهِ الرأس . ومن علاجهِ ايضاً : عصير ليمونة حامض في قدَح ماء مخفّف .

لعرَق الرجلين

خذ كميَّة من الشبَّة واسحقها وضعها في النبيذ ٢٤ ساعة ، ثمَّ سخّنها على النار وضع فيها رجليك ، مرَّتين أو ثلاثاً تبرأ .

للرعاف

خذ الحُمَّص الأحمر واشوه بوعاء من فخَّار واسحقهُ وانخلهُ ثمَّ استنشق منهُ مثل العطوس .

للرعاف ايضاً

ضع قطعة ورق في فمك وامضغها عاجلاً. أو ضعها بين شفتك ولثة اسنانك العليا واضغط عليها باصبعك ينقطع الرعاف .

للرعاف ايضاً

اذا اصابك الرعاف ، سدَّ الأنف بقطعةٍ مبتلَّةٍ بعصير الليمون الحامض .

للبرقان ووجع الكبد

خذ أربعة دراهم من صمغ اللوز المرِّ المقشور ، ودرهمين من الافسنتين ، ودرهمين من اليانسون ، اسحقها جيّداً واجبلها بالماء واعملها اقراصاً ، وزن كلِّ قرصٍ ، درهم واحد ، واذا كان الجسم نقيًّا والعينان مائلتين للصفرة فليدخل الحمَّام ويستنشق الخلَّ البكر الحاذ فينزل من رأسهِ مادَّة مرَّة كثيرة . نافع ومجرَّب .

لقطع الدود من البطن

خذ كميَّة من ورق الخوخ واغلهِ بالماء على النار، واشرب منهُ يسقط الدود.

لهُ ايضاً

عروق الملّيق دقّها جيّداً واخلطها بالخمر واشرب ، يسقط الدود .

لدود البطن الذي يوجع القلب

خذ الرمَّان الأخضر ، والرشاد الأخضر ، والكزبرة الخضراء ، والنعنع الأخضر ، دقَّها جيّداً واطبخها على النار واشرب ماءها يسقط الدود .

للدود ايضاً

سليق ابيض ، اسلقهُ وكلهُ مع الثوم .

للدود الاحمر

ذوِّب الملح الخراساني بالماء واشربهُ . ينفع جداً .

للقرحة

يُدقُّ شلش البلغصون ويُغلى بالخلّ ويُوضع على الوجع .

دواء للدود ايضاً

شلش الخنشار وشلش الرمّان الحلو والحامض وشلش توت الشامي تُسحق جيّدًا وتُعجن بالعسل. يُؤخذ منها عند النوم قدر صفار البيضة. نافعة لإخراج الدود.

لانزال الدود من البطن ايضاً

خذ حشيشة الفيجم دقّها جيّدًا وضعها لزقةً على البطن مدّة يومين يسقط الدود.

لاستئصال الدودة الوحيدة

خذ خمسة رؤوس ثوم واشوها بالرماد الساخن ، ثمّ دقّها واجبلها بالحليب وضعها لزقةً على فم المعدة قبل ان تنام . وعند الصباح خذ عشرة رؤوس ثوم مقشورة دقّها وضعها في اربع اواقي ونصف من الحليب ، واغلها جيّدًا حتى ينقص نصف الحليب ودعهُ يبرد ، ثمّ خذه جرعةً واحدة .

لازالة الدوخة المسبَّبة من الصفراء

ضع ملعقةً صغيرةً من عصير الليمون الحامض في فنجان قهوة حلوة واشربهُ يزول الدوار .

للدوخة ايضاً

اللوز المرّ يُطبخ مع البصل ويُؤكل .

للصفراء

عشبة البسباس ، دقّها مع ورقها واضلاعها وانقعها في الماء من المساء الى الصباح ، واشرب منهُ مرّتين .

لسقوط العلقة من الفم

خذ بزر الخردل ودقّهُ واخلطهُ بالخلّ وغرغر بهِ ، تسقط العلقة .

للصديد السايل من الأذن

دقّ البخور وانقعهُ في النبيذ الحلو واقطر منهُ في الأذن .

أو خذ زوم ورق الدرّاق واقطر منهُ في الأذن .

لازالة ورم الثدي

خذ كميّةً من النعنع واسحقها وضعها على الورم فانهُ يزول .

لاكثار الحليب في الثدي

يُنقع بزر الخبّيزة في النبيذ الأحمر ويُشرب .

أو تُشرب مرقة الحمّص . او تؤكل قلوب الصنوبر .

له ايضاً

يُطبخ النعنع في النبيذ ويوضع لزقة على الثديين ، يفيض حليبهما .

لتحليل الحليب المتحجّر في ثدي المرأة

يُطبخ العدس بماء البحر ويُدهن بهِ الثدي . نافع .

لورم الثدي الصلب

اطبخ النخالة في زوم السداب (الفيجم) وضعها لزقة على الثدي .

للقروح في الامعاء

خذْ نصف رطل حليب وأربعة دراهم صمغ عربي واغلهما في الحليب ، ثمَّ اشرب منهُ ، انهُ نافع .

للبلغم

خذْ دود الارض وشكّهُ في خيط حتى ييبس ودقّهُ ، ثمَّ خذ المرسنك واسحقهُ واخلطهُ بمسحوق الدود ، وامزج الصنفين معاً بالخلّ واجعلهما كالمرهم وادهن بهِ البلغم .

لضعف القلب

خذْ عشبة لسان الثور ، وانقعها في النبيذ واشرب منهُ . انهُ نافع .

لبحّة الصوت

اغلِ الفجل الأخضر بالماء حتى يحلّ وغرغر بهِ صباحاً .

للمعدة

خذْ عود الطرفة (شجرة الطرفاء) واحرقهُ واجمع رمادهُ ، ثمَّ خذْ قشر عود الطرفة واغلهِ بالماء حتى يحلّ وأضف اليه الرماد ودعهُ يروق ، واشرب منهُ مدَّة خمسة ايام .

للطحال

اسحق نصف درهم نشادر جيّداً ، وذوّبهُ بماء الفجل بقدر فنجان واسقه للمريض فانهُ يشفى حالاً ، لأنهُ مجرَّب مراراً عديدة .

للطحال ايضاً

خذ الخلّ البكر (الثقيف) وضعهُ في إناء وضع معه قشر الجوز ، وطيّن عليهِ جيّداً واغلهِ قدر ٢٤ ساعة ، وبعدهُ اغمس خرقة بهِ وضعها على الطحال ساخنة بقدر الاحتمال ، فإنّها تمتصُّ كلَّ وهمٍ في الطحال .

للقرعة

خذ جلبوط حجّيج واذبحه وضع دمه في وعـاء ، ثمّ اغلِ الحجّيج بالملح والزيت وعندما يذوب الملح بالزيت ضع الدم فوقه ، وصبّ الجميع في قنّينة وعلّقها في الشمس وكلما طالت في الشمس كان مفعول هذا المركّب عظيماً . ثمّ اغسل الرأس المصاب بالقرعـة وحكّه جيدًا في رقعة خشنة حتى يدمى ، ثمّ ادهنه بهذا الدواء . نافع جدًا جدًا .

لمرض السكّري

اسحق أوقيّة ونصف اوقيّة من الثوم المقشور سحقاً خفيفاً ، وضعه في أوقيّة ونصف أوقيّة من السبيرتو النقي ، مدّة خمسة وعشرين يوماً ، ثمّ خذ كلّ يوم ثلاثين نقطة منه في نصف كبّاية ماء ، مدّة عشرة ايام ، ثمّ افحص بعد مضي هذه المدّة ، فاذا رأيت السكّر قد نقص خذ من هذا الدواء ، كلّ يوم بعد يوم مدّة عشرة ايام ايضاً .

وصفة ثانية له

شربوط اللوف ، ويكون مثل عرنوس الذره وقـد بلغ الاستواء وصار حبّه أحمر ، خذ هذا الحبّ الأحمر وامتصّه ثمّ ارمه . نافع جدًا .

وصفة ثالثة له

خذ ١٠ دراهم من الترمس اليابس ، و٥ دراهم من البزر الخراساني ، و١٠ دراهم من الحلبة ، و٥ دراهم من الشيح البرّي . تسحق هذه الاجزاء . وتمزج ببعضها وتوضع في برشان وسط . ويؤخذ كلّ يوم ثلاث برشانات .

وصفة رابعة له

اغلِ قشرة شجرة الزعرور بالماء . بعد دقها حتى تحلّ فيه ، ثمّ اشرب منه .

وصفة خامسة له

	غرام
ترمس برّي	١٠٠
حلبة	٤٠
بيكربونات السودا الانكليزية	٢٠

يسحق الترمس ثمّ الحلبة وينخل ويضاف اليها البيكربونات . توضع في برشان من الصيدليّة بحجم وسط او صغير . يؤخذ كلّ يوم ستّ برشانات ، مع ملازمة وقاية المآكل الضارّة بمرض السكّري .

وصفة سادسة لهُ

خُذ ١٢ ورقة جوز اخضر وجففها في الظلّ ثمَّ اغلها في ليتر ماء حتى يبقى نصف ليتر . واشرب من هذا الماء المغلي فنجان قهوة كبير قبل الأَكل .

وصفة سابعة لهُ

اغلِ بلُّوط السنديان بالماء. وأَضف الى مائهِ هذا خمرًا واشرب منه .

وصفة ثامنة لهُ

خُذ ورق الطيُّون النابت في ارض الجرود العالية وجففه في الظل ، ثمَّ اسحقه وتناوله ببرشان . مجرَّب .

وصفة تاسعة لهُ

اسحق الترمُس النيّ سحقًا جيّدًا وانخله بقطعة رقيقة من الشاش واملأ منه ثلاثين برشانة من الصيدليَّة . تأخذ كلَّ يومٍ ثلاث برشانات ، في الصباح وفي الظهر وفي المساء ، قبل الأَكل بنصف ساعة ، مدَّة عشرة أَيَّامٍ . وكن مُهيِّئًا كبَّاية من شرابٍ حلوٍ كماء الورد او البنفسج او غيرهما ، حتى اذا شعرتَ برجفةٍ في جسمك بعد أَخذه ، تتناول في الحال كبَّاية الشراب والَّا فتستغني عنه .

وصفة عاشرة لهُ

اغلِ شروش العريش وقشر السنديان بالماء ، نحو ساعة ونصف الساعة في وعاء مُحكم الضبط حتَّى يبقى البخارُ في داخلهِ. ثمَّ اشرب من هذا المغلي فإِنَّه مجرَّب.

لضبط البول

١ً اسحق البلُّوط واجبله بالعسل وكُلْ منه

٢ً أَو تُؤكل طرابين اللفت الطريئة .

٣ً أَوْ يُشرب ماء مغلي عشبةِ القوَيسة .

لهُ ايضًا

يُغلى بزر الكرَّاث بالماء ويُشرب منه .
أَو تُشرب مرقة الحمُّص .

لدرّ البول

خذ كبَّةً من السفرجل واطبخه بالعَسَل وكُلْ منه .
ومما يفيد ايضًا ، كبوش التوت البيضاء ، إِنَّها تدرُّ البول .

لمن يبول في الفراش وهو نائم

يُؤكل شحم الارنب .

لحصر البول الحاصل عن التسمّم

خذ كمّيّةً من طرابين الصنوبر الطرينة واغلها بالماء على النار واشرب منها، فانها تدرّ البول وتمنع التسمّم وتنقّي الكلى .

وممّا يفيد ايضاً عشبة القزاز (الزجاج) انها نافعة لدرّ البول شرباً ولزقةً فوق المحالب .

لمن يبول دماً

درهمان كابرا صفرا، تُسحق وتذاب بماء السليقة ويُسقى منها المريض فيبرأ .

للرمل في المرارة

خذ عشرين كراماً من سائل مرارة العجل، واجبله بسحوق السوس واعمل منه ستّين حبّةً : خذ كل يوم حبّتين .

الرمل في الكلى

خذ كمّيّةً من عشبة القرّيص، اغسلها واغلها بالماء على النار جيّداً، وعندما تبرد خذ منها كلّ يوم ثلاث كبّايات، مدّة عشرة ايام، ثمّ امتنع عن شربها عشرة ايام وعد الى الشرب منها، فانها تزيل الرمل وتذيب الحصى .

لرمي الدم

خذ شرش الطيّون وشرش العلّيق دقّه واعصرهُ واسقِ منه المريض .

لاجل رمي البشيمة

صبرا سقطرا تذوّب بالنبيذ الأصفر المرّ ويشرب منها فانها ترمي البشيمة حالاً .

للحدورات وورم الوجه

اسحق اللوز المرّ واغله بالحليب واجعل منه لبخاً في خرقةٍ زرقاء غير مبلولةٍ . ولكن الحليب فاتراً . انه نافع جداً .

للورم

خذ من زبل الخيل وطحين القمح ومن الطيّون والنعنع . اغسل الطيّون والنعنع والزبل بالماء على النار، ثمّ صفّه وامزج به الطحين اعمل منه لبخاً .

للورم ايضاً

خذ عشر ضفادع واغلها بنصف رطل ماء حتى تهترئ ثمّ اعصرها بخرقة نظيفة حتى يخرج منها الزوم قدر أوقيّة، وامزجه بنصف أوقيّة زيت زيتون عتيق ونصف أوقيّة نبيذ أصفر، وضعه في وعاء من نحاس واغله على النار حتى يمضي نصف أوقيّة، ثمّ ارفعه ودعه يبرد فيصبح أفضل دهون نافع للورم .

للورم والوجع

خذ من عشبة الافسنتين، وعشبة الفيجم، ومن الكمّون، وبصلة بيضاء اجزاء متساوية، واطبخ الجميع على النار بالزيت الحلو. ثمّ ابسط من هذا الدواء على خرقة نظيفة وضعها على الورم والوجع، فان مفعوله عجيب جداً .

مُبرّد للورم

ماء الشومار . ماء البابونج . ماء البلغصون .

للورم ايضاً

خذ الورق الأخضر من شجر الدلب، اسحقه واغله في الزيت وادهن منه مراراً

دهون للورم عن برودة

زوباع، ملح، زيت، نبيذ، أجزاء متساوية . اسحق الملح والزوباع واغليها في الزيت والنبيذ حتى يبقى الزيت فقط، ثمّ نقّس في البولاد (الموس) وادهن من هذا الدهون .

لمرض الزلال

خذ شوك الطنبور (شوك الجمال) وشرشه واغله بالماء جيّداً حتى يحلّ واشرب منه قدر ما تريد في اليوم مدّة اسبوع فيزول الزلال تماماً، انه نافع جداً ومجرّب[1]

للملاريا

خذ أوقيتين من طرابين الزيتون البرّي الطريئة واغلهما في ليتر ماء حتى يصبح كبّاية واحدة، تضعها مساء في الخارج في السحره، وتشربها صباحاً على الريق دفعة واحدة .

---

١) كان المرحوم البرديوط يوسف صادر من قرية بسوس، يداوي بمغلي هذا الشوك المرضى بمرض الزلال ويشفيهم، فكان يسحق هذا الشوك سحقاً جيّداً ويسلّمه للمريض ليغليهُ بالماء بدون ان يُنبئهُ عنهُ .

للملاريا ايضاً

خذ ثمين غراماً من ورق الآس (الريحان) البرّي وانقعه في ليتر ماء . يُشرب منه ثلاثة فناجين قبل حلول دور الملاريا . ويمكن استعمال الآس عوضاً عن الشاي : أي انه يُغلى كالشاي ويُشرب .

للحمّيات

اغلِ أوقية بنّ حجازي برطل ماء حتى يصير ثلاث واق ، واشرب منه في اليوم ثلاث مرار كلّ مرّة ملعقة كبيرة .

مرهم الكينا للحمّيات

خذ قدر ثلاثة دراهم ملح الكينا ، وقدرها شمعاً ومثلها زيتاً . يُذوّب الشمع ويُمزج بالملح والزيت ويُدهن منه حول الأذنين والكتفين والحالب والسرّة ، ويستعمل النطول في ماء الخردل الفاتر والفرك جيّداً .

للحمّى ايضاً

خذ من حشيشة البنج واسحقها جيّداً ، ومن النشاء والبخور المسحوق ، وامزج هذه الأجزاء بعضها وضعها لبخة على الجبهة .

للحمّى ايضاً

اسحق الخردل وامزجه بالحنّة (الحنّاء) وبالصابون المبروش والبنّ المحمّص المطحون وطحين الشعير، واضرب الجميع في الخلّ، وضع منه اللبخ على باطن الرجلين واليدين .

للحمّى ايضاً

اسحق بزر الكتّان واغله بالماء حتى يصير بقوام المرهم ، واجعله لبخاً على البطن . ويجب وضع العَلَق حول السرّة وحرّاقات على الزندين .

عمل الحرّاقات

ابسط خميرة طحين القمح على خرقة نظيفة مدوّرة ورشّ فوقها الدبّان الهندي المسحوق ثمّ الزيت ، وضع هذه الحرّاقة في المحلّ الذي تريده .

للحمّى الملازمة

يُؤخذ خمسة دراهم من حبّ الهال وعشرة دراهم من العسل . يُغلى العسل حتى تذهب منه الرغوة ، ثمّ يسحق حبّ الهال ويُجبل بالعسل ويتناوله المريض دفعةً واحدة . وليكن طعامه شوربة الارزّ بالسمن .

شراب قموع الورد

خذ قموع الورد وانزع بزرها واغلها بالماء مع قلحون العريش حتى تستوي، وأضف اليها قليلاً من الدبس، انها نافعة للحميات .

للدوريّة المثلّثة

يجب فصد عِرق الانسليم من قفا يد الشمال ويؤخذ الدم بقدر الكفاية، ثمّ يُحرق الكبريت العامودي تحت فم قنينة فيصعد اليها الدخان، ثمّ يوضع فيها قليل من الماء وتُرجّ جيّدًا، ويشرب المريض من هذا الماء قدر درهمين للكبير .

للورم من جرّاء الحميّات

خذ من دهن القرنفل ودهن جوزة الطيب اجزاء متساوية، امزجها وادهن منها مكان الورم بالفرك جيّدًا .

للحميّات ايضًا

خذ درهمًا من مكلّس اللولو، ودرهمًا من مكلّس المرجان، ودرهمًا من المغنيزيا، ودرهمًا من مكلّس قرن الأَيّل . تُسحق جميعها سحقًا ناعمًا وتُذوَّب بمستحلب البزورات كبزر القرع او بزر السفرجل ويُشرب منها تدريجًا .

لقطع الدور

خذ باقةً من البقدونس، وباقةً من النعنع، وباقةً من عشبة العرابينا، وحفنةً من ملح الطعام، وفنجانين من العَرَق، واغلِ جميع هذه الأجزاء سويّةً بالماء. يأخذ المريض من هذا الماء المغلي قدر نصف أوقيّة كلّ صباحٍ ومساءٍ عند النوم، مدّة ثلاثة أيام . نافع ومجرّب .

للالتهابات

درهمان بزر سفرجل انقعها في كبايتين ماء قدر ست ساعات، ثمّ صفِّ الماء وَحلِّه بالسكّر واشربه .

للبرديّة

خذ النعنع البريّ واغلِه في الماء ويدهن بهِ المريض وقت الدور جسمه كلّه، ويشرب منه نصف فنجان .

للاستسقاء

اغلِ الكرفس جيّدًا بالماء ثمَّ صفِّه عنه، ثمَّ اسلق القمح بماء الكرفس، وبعده يُؤكل القمح ويُشرب الماء .

معرّق

يُؤخذ درهم من مكلّس قرن الأيّل ويُذوَّب بقدر ثلاثة فناجين من ماء الورد . يُؤخذ كلّ ثلاث ساعات فنجانان .

للبردية المثلثة

خذ من الجلبا نصف درهم، ومن السنا ثلاثة دراهم، ومن المنّ الفرنجي عشرة دراهم، ومن اليانسون ثلاثة دراهم . اسحق هذه الأجزاء سحقًا ناعمًا وحلّ المنّ بدبس العنب واصنعها معجونًا، يؤخذ منه قدر اللوزة في اليوم الذي لا ينتاب المريض فيه الدور، ومنهم من يلزمهم من هذا المعجون قدر الجوزة الصغيرة، ومنهم قدر الجوزة الكبيرة بحسب قوّة المريض وعمره . واذا راجع المريض الدور يأخذ من هذا المعجون ثاني مرة ويشرب وراءهُ ماء فاترًا ويصوم خمس ساعات، ولا يتناول غير الشوربة بالسمن فقط مدّة ثمانية ايام .

للزكام

اسحق ورق الريحان وتنشّقه .

لهُ ايضاً

يجب فرك ظهر المُصاب وصدره بزيت التربنتينا عند المساء، وان يشرب فنجانًا من مغلي بزر الكتّان محلّى بالسكّر النبات، في المساء. وفي الصباح . ويلزم استعمال هذه الوصفة في ابتداء الرشح وهي: يلزم المصاب ان يغسل رجليه بالماء الساخن بقدر ما يحتمل، بعد ان يضع في الماء ملح الطعام حتى يصير كماء البحر، وليفعل ذلك مدّة ثمانية أيام، يأخذ في كلّ ليلة منها كبّاية ليموناده في ماء ساخن، فلا يعود يقربه الزكام .

لوجع الاسنان

خذ من خشب الصنوبر (اي اللقش) واغله بخل النبيذ على النار حتى يبقى النصف من النبيذ، ويخضخض بهِ حتى ينقّي الفم ويخرج بعض نقط سوداء .

علاج السلّ

صَبُّ الماء على الركب والمشي في الماء كلّ يوم مرّتين . ثمّ صَبُّ الماء البارد على أعلى الجسم في اليوم مرّتين صباحاً ومساء. ثمّ يُؤخذ من منقوع الحلبة كلّ يوم كأسان . ثمّ حمّام جلوسي بارد قدر دقيقة فقط كلّ يوم مرّتين وليداوم هذا العلاج مدّة ثلاثة اسابيع .

لنزف الدم

يُغلى ورق الآس (الريحان) بالماء ويُشرب .

لهُ ايضاً

ورق شجرة البطم يُعمل عَرَقاً كالنبيذ ، وتُسقى منه المرأة .

لهُ ايضاً

خذ من شرش السنديان ، ومن زوينات التوت ، اجزاء متساوية واغليها بالماء واشرب .

لهُ ايضاً

يُؤخذ ورق الجنيز أو عروقه ويُغلى بالماء على النار وتُسقى منه نازفة الدم تبرأ

لهُ ايضاً

خذ كمّيّة من عشبة القرَيص ، اسحقها واعصرها . يُشرب من عصيرها فيقطع نزف الدم .

لشوكة الصبّير في العين

تُكحل العين بريق الجمال ، فانه يُزيل منها شوك الصبّير .

غرغرة

	غرام
كلوزات البوتاس	١٠
صبغة الكينا	٢٠
غليسيرين	٣٠
صبغة الراتنس	١٠
ماء	٣٠٠

غرغرة كلّ ساعتين مرّة .

للطرش

يُؤخذ دهن اللوز المرّ ويُقطر منه في الأذن ، أو دهن الختام يُسخّن ويُنقّط منه في الأذن كلّ يوم ثلاث نقط .

للأذن الموجوعة

خذ من شرش العيرون واسحقه ناعماً ومرهمه في السيرج واعمل فتايل من الكتّان وادهنها من هذا المرهم وضعها في الأذن حتى تنظف .

للأذن المدوّدة والمقيّحة

خذ عصير ورق الخوخ واقطر منه في الأذن المدوّدة والمقيّحة ، فانه يشفيها .

لثقل السمع وطنين الأذن

يُؤخذ مرارة بقر ودهن لوز مرّ ويُقطر منه في الأذن .

للعين التي تدمع

دم حمامة بيضاء ، كحّل به كلّ يوم .

للبياض في العين

تؤخذ مرارة كلب ، ومرارة ماعز ، وحليب فرس . تُمزج ويُكتحل بها .

كحل للجرب في العين

مرّ درهم ، مكلّس لولو درهم ، صبرا شقرا خمسة دراهم ، توتيا زرقا خمسة دراهم ، سكّر نبات أوقيّة . اسحق هذه الأجزاء سحقاً جيّداً واخلطها ببعضها واستعملها رشوشاً بين جفني العين .

للبياض في العين ايضاً

خذ صمغ خرّوبي ، ويُسمّى سكّر خرّوبي ، وسقط حرذون أبيض ، اجزاء متساوية . اسحقها ناعماً جدّاً وانخلها بمنديل رفيع ، واكحل منها بالميل صباحاً ومساء .

للغشاوة في العين

اشوِ بيضة برشت، وخذْ صفارها وضع عليهِ من ملح الطعام الناعم واضربه حتى يصير كالعجين الرخو ، ثمَّ اشوهِ فوق اناء من حديد ويبّسهُ جيّداً واسحقه ناعماً ، وأضف اليه سكَّر النبَات ورش منه على الغشاوة في العين .

للغشاوة في العين ولضعف النظر

اعصر الرمّان الحلو وصفّهِ جيّداً في رقعة رقيقةٍ ، وضعه في قنينة ، وضع القنينة في الشمس اربعين يوماً . وبعد ذلك كحّل بهِ العين

للثآليل

خذْ من حشيشة البنج اثني عشر درهماً ، ومن حبّ الصنوبر ستّة دراهم ، ومن المرّ درهماً . تُعمل حبوباً وتُوضع تحت اللسان لكي تذوب ، تؤخذ حبّة عند النوم وحبّة في الصباح .

لعضّة الكلب

خذ كميَّةً من النعنع واسحقها مع الملح وضعها على جرح العضّة .

لعضّة الكلب الكلِب

يُؤكل لحم طير الرخامة يشفى .

لها ايضاً

يُؤخذ جوز أخضر يُسحق مع حشيشة القزاز (الزجاج) ويُتناول منهـا شربةً فيبرأ حالاً .

للسع العقرب او الحيّة

خذ ورق التفّاح واغلهِ بالماء على النار ثمَّ أضف اليهِ حليب الماعز واشرب منه

للدغ الدبابير

١ — ضع قليلاً من النشادر على محلّ اللدغة يزول الوجع .

٢ً — احرق البنّ في مكان الدبابير ، تهرب .

للشفاء من لدغ الأفعى

خذ شيئاً من خشب شجرة الدردار التي يسمّونها « لسان العصافير » .

للدغ النحل والزنابير

خذ زبل البقر وانقعه بالخلّ القوي ، ثمّ ضعه على الوجع .

للحبّ الفرنجي والبقجة

توتيا زرقا ، وصبرا شقرا ، أجزاء متساوية . اسحق كلّ جنس وحده ناعماً ثمّ امزجها وذوّبها بزوم قطّ الحمار ، وضعها في وعاء من فخّار حتى يجفّ جيّداً . ثمّ اسحقها ثانياً وخذ نصفها واستعمله رشوشاً على الجروح . والنصف الآخر اعجنه بطحين الشعير واعمله حبوباً ، الحبة بقدر حبّة الحمّص . يؤخذ من هذه الحبوب على الريق بحسب الحالة . ويداوم الرشوش على الجروح بعد غسلها بعصير عشبة العصية حتى تزول العلّة . ويجب ان يكون الأكل في مدّة العلاج الخبز بدون ملح والزبيب ، وهو يُشفي تاماً .

للحبّ الفرنجي

خذ الفاقوع المفتّح واطبخه في الماء واشرب منه مدّة اربعين يوماً ، أو اذا أخذت درهماً من شرشه مع مصل الحليب ، فإنّه نافع جدّاً .

دواء تبخير للحبّ الفرنجي والبقجة والجذام

على المريض ان يملأ فمه ماء ويغطّي رأسه في اللحاف . وأكله يجب ان يكون مدّة سبعة ايام الزبيب والحليب والخبيزة ، ثمّ يعدّ سبعماية من واحد الى الاخير ويرفع البخور .

وهذا هو دواء البخور :

زنجفر جزءان ، وفلفل جزء . يسحق ويستعمل كما مرّ .

لشقوق اليدين والرجلين من جرّاء الحبّ الفرنجي

يُؤخذ ثلاثة دراهم سلياني ، ودرهم شبّة بيضا . يسحقان ناعماً ويُخفقان بزلال البيض . ويُستعمل دهوناً . مجرّب .

لمنع سقوط الشّعر

	غرام
امونياك	٨
عطر الترمنتين	٢٥
ألكول مكوفر	١٦٧

تُمزج ويُفرك بها الشعر كلّ يوم صباحاً .

للحصّة في الشّعر

خذ بَصَل النرجس ، دقّه وضعه في الزيت وادهن بهِ الحصّة فتزول .

لازالة الكَلَف من الوجه

خذ عشبة حِسْن يوسف ، اسحقها وانقعها بالحليب وادهن بهِ فيزول الكلف

لانبات الشّعر

خذ قشر الثُوم ، واغلهِ بالزيت العتيق وادهن بهِ ، ينبت الشّعر .

للنَمَش

خذ من بيكربونات السودا أو ملح الطعام ، ٨ كرامات ، لكلّ ليتر ماء. واغسل بهِ وجهك . ثمّ امسحه بقطعة مغموسة بزيت الزيتون ، أو زيت اللوز . ثمّ ادهنه بالمركّب التالي :

اوكسيد الزنك ، كرامان ، ودهن بيرو ، كرامان ، واميدون ، كرام ، ڤازلين ، خمس كرامات ، لانولين ، خمس كرامات .

للبشرة الجافّة

	غرام
أوكسيد الزنك	١٠
بودر تلك	٢٠
مركّب الجير الزيتي	٢٠
لانولين وڤازلين	١٠

امزج وادهن بهِ وجهك ، قبلَ النوم .

كولد كريم

	غرام
زيت لوز حلو	٢١٥
منّ السمك	٠٦٠
شمع ابيض نقي	٠٣٠
ماء الورد.	٠٦٠
عطر العطره	٠٠١
صبغة بخور الجاوري	٠٠٥

يُمزج الزيت والمنّ والشمع، ثمّ صبغة البخور مع ماء الورد، ثمّ يُعطر بالعطر

للنمش ايضاً

خذ الباقية واسحقها ومرهمها بالعسل بعد تسخينهِ واطلِ بهِ موضع النمش نافعٌ جدًّا .

للنمش ايضاً

اسحق القرع واعصرهُ ، وادهن بهِ . نافع

للنمش ايضاً

خذ بزر القطن ، اسحقه وادهن بهِ ، فيزيل النمش وباقي اوساخ الوجه .

للكلف في الوجه

خذ بزر الفجل ، اسحقهُ واجبلهُ في الحليب واطلِ بهِ الكلف . نافع .

لابادة الفئران

انقع ورق الزيتون بالماء ، وضع معهُ الخبز واجعله في مكان الفئران ، فتأكل منه فتموت .

لطرد البرغش

احرق الكافور في غرفة النوم ، يذهب البرغش .

بلّ اسفنجة بزيت المردكوش، وعلّقها فوق رأس النائم، فلا يقربه البرغش

لغسل الطاطاي

خذ الزيبق واخفقهُ بالزيت الحلو ، واسحق الزرنيخ الاصفر واطرحه فوقه واخفقه جيدًا . ثمَّ خذ جزءًا من الخردل واسحقه وأضفه اليهِ وامزج الجميع جيدًا . ثمَّ خذ جزءًا من الخلّ البكر (الثقيف) وأضفه الى هذه الأجزاء المذكورة . ثمَّ ادهن مرَّةً أو مرَّتين في اليوم . انه نافع جدًّا جدًّا .

ضد سُمّ الفطر

ان أكل بزر الفجل يمنع التسمّم . والفجَيْلة مفعولها أقوى .

لتسهيل الولادة

خذ عشبة الزوفا ، ودقّها واعصرها وسخّن عصيرها قليلًا على النار، واسقِ منه الامرأة ، تسهل ولادتها .

وصفة غيرها

خذ درهمًا من القرفة ، ودرهمًا من الكراويا . اسحقها جيّدًا وضعها في ثمانية فناجين من الخمر الجيّد واسقها للمرأة

فوائد الزيتون

اذا طُبخ الزيتون على النار حتى يتناهى في النضج ، يكون دواء ناجعًا لالتهاب المستقيم وخاصةً البواسير .

نواة الزيتون اذا أُحرقت واستُنشق بخارها ، فان ذلك يقطع الربو ويفيد امراض الرئتين .

زيت الزيتون يطرد الصفراء ويفتّت حصى الكلى . ومنقوع اوراق شجره نافع للحمّى المتقطّعة .

فوائد الليمون الحامض

اذا غليتَ القماش الابيض مع قطع الليمون الحامض يبيضّ كثيرًا .

اذا شربتَ صباحاً كأس ماء ممزوج بعصير الليمون الحامض تلمع بشرتك.

الاسنان اذا فُركت بعصير الليمون ودقيق الفحم تبيضّ .

الرخام وغيرهُ اذا فُرك جيدًا بقطع الليمون الحامض ينظف ويبيضّ .

الضرس اذا نُقر ووُجع تُوضع قطعة من الليمون الحامض على النقر يسكن الوجع .

الرشح . اذا أُصبت برشح الدماغ تنشّق قليلًا من عصير الليمون الحامض ، يخفّ الرشح .

عصير ليمونة حامض في قدح ماء مخفّف ويُشرب ، ينفع لوجع الرأس .

حمورة العين ، اذا قطرت فيها من عصير الليمون الحامض ، أو اذا كررت مسحها به بقطنةٍ ، زال الاحمرار .

منافع بعض الأعشاب والاثمار

عشبة القوّة او المرّ

تنفع لتنقية الدم وتقويتهِ ، دون احداث ضغط .

عشبة القنطا

يُغلى ورقها بالماء ويُشرب منه ، تنفع للحمض في المعدة .

اللوز

ينفع لعضّة الكلب . دهنهُ ينفع لوجع الأذن . أكله قبل السكر يمنع السكر . أكلهُ يقوّي البَصر ، ويقتل الدجاج . مستحلبه نافع لوجع الخاصرة والسُعال .

الصنوبر

اذا سحق الصنوبر (القلوب) ومُزج مع عصير العنب وغُسل بهِ الوجه فانه يزيدهُ جمالًا .

الخيار

أكلهُ يزيل وجع المعدة والخاصرتين ويُكثر البول .

الفجل

اذا قُطر من عصيره على عقرب فيموت لساعته .

الزعتر

يُسكّنُ وجع الأسنان ، ويقتلُ الديدان المعويّة ، ويزيدُ قابليّة الأكل ، ويُزيلُ التشنّجات العصبيّة ، وعفونة المعدة وفسادها . واذا غُلِيَ مع العرَق وشُرب منه يقوّي الجسم . واذا مُزج بالكحول مع زهره وخُفف بقليل من الماء ، أفاد في التهاب اللوزتين غرغرة .

التربنتينا

زيتٌ طيّار يُستخرج من بعض الاشجار واخصّها من شجر البطم. منافعها : تدرُّ البول . واذا استُعملت لعوقاً مع العسل تنفع للسعال والسلّ ، وتُزيل أوجاع الصدر ، وتُحلّل الرياح ، وتنفع في النزلات الرئويّة ، وتذوّب الدرَن في المسلولين ، وتفيد في النزلات المثانيّة الحادّة .

الخشخاش

للخشخاش خاصّةُ الأفيون دون قوّته ، فيُطبخ وتُؤخذ خلاصته للتسكين ولا تُحدث تخديراً . ينفع للقولنج وأعجاج الامعاء والاسهال المصحوب بالحرارة والزحير . والأفضل ان يُطبخ بزرهُ فينفع في الاستسقاء والتزولات والمقدار لا يتجاوز حقّاً متوسط الحجم في نصف ليتر ماء ، ويُشرب في اليوم مراراً لتسكين السعال . ويفيد ايضاً في الرمد الصديدي .

الجزر

منافعه : هو نباتٌ كثيرُ التغذية اذا طُبخ ، وقد يُستعمل استعمال القهوة . كما ان جذورهُ وبزورهُ تُستعمل استعمالاً دوائيّاً . فالبزور مدرّةٌ للبول طاردةٌ للريح . والجذور مسهّلة المعدة . ولبّه الرطب اذا بُرِش ووُضع على الأورام أزالها ، وعلى الجروح أزال الصديد منها وأسرع بالتحامها . وعصارته تُستعمل مخلوطة

بالعسل ، علاجاً لسعال الاطفال والسلّ . ويُستعمل في القولنجات الكلوية ، ولأجل إخراج الحصيّات الصغيرة .

خواص روح الجاز

نافع للربو ، والفالج ، والربــة ، وجميع الحمّيات والبثور . يُؤخذ من اربع نقط الى سبع نقط .

خواص روح الكبريت

يُطفئ الحمّى المزمنة والملازمة ، ويدرّ البول .

عشبة القزاز (الزجاج)

ماؤها يُنظّف الوجه وينقّيه

حشيشة البلسم

اسحقها واصنع عَرَقها . انه نافع لأيّ وجع كان . ويُؤخذ منه شربة (مسهل) قدر ملعقة . واذا سحقت زهرها وجعلته في قنينة وصببت فوقه الزيت الحلو ووضعت القنينة مدّة في الشمس ، فانه نافع لأيّ جرح كان ، وللحبوب وغيرها

قصَل الدخان

خذ قصَل الدخان واحرقها وانخل رمادها ، وصبّ فوق الرماد جرّة ماء واغله على النار حتى ينقص ثلث الماء ، وارفعهُ ودعهُ يروق . ثم صفّه في خرقة وارمِ الرماد ، واغله ثاني مرّة في وعاء من نحاس حتى يبقى من هذا الماء رطل . ثم اغله في وعاء من فخّار حتى يحمرّ ويصير مثل الملح ، وضعهُ في قنينة . انه نافع للآكلة ولجميع الحبوب . واذا أُخذ منه مقدار حبّة الحمّص في فنجان نبيذ ، فإنّه نافعٌ لأي وجع كان .

عشبة الرنتجن

يُؤخذ منها كميّة وتُغلى بالماء على النار حتى يبقى نصف الماء ، ويُشرب منها فانها تنفع الزنطاري .

طريقة عمل البلسم

	غرام
سبيرتو عيار ٩٥	٢٠٠
قلفونة	٠٢٥
صبرا شقرا	٠١٢
صمغ حصى البان	٠١٢
مُرّ حجازي	٠١٠
مستكي	٠٠٨
صمغ لامي	٠٠٨
ساكا ماكا ابيض (وهي الكهلاكّا)[1]	٠٠٨

طريقة العمل : اسحق هذه الاجزاء جيّدًا ، وابقِ المستكي الى الأخير فاسحقهُ على حدةٍ لئلا يلتصق بباقي الاجزاء. ولا يمكن تنعيمه معها، ولكن متى سُحق على حدةٍ وأُضيف الى باقي الاجزاء، فيمكن امتزاجه بها جيّدًا وإلّا فلا.

فبعد ان تسحق كلّ هذه الأجزاء سحقًا جيّدًا انخلها في شاشةٍ وضعها في السبيرتو بقنّينةٍ بيضاء في الشمس ٤٠ يومًا ، بعد ان تسدّها سدًّا محكمًا في فلّين وطين رماد الحطب . ويجب ان ترجّها كلّ يومٍ مرّةً .

(أما وضعها في قنينة بيضاء لكي يخرقها نور الشمس) .

ان هذا البلسم مفيد ومدمل للجروح وللحبوب وللذع الافاعي بالشرب منه كلّ ساعة ملعقة تطلي ، ولنزف الدم الخ الخ .

لالصاق البلّور والزجاج والفخّار

خذْ مبروش الصابون الناشف وضعه في زلال البيض واخفقه بهِ جيّدًا حتى يزبد ، وادهن بهِ موضع الكسر وضمّه الى بعضهِ واتركه حتى ينشف

حفر الأحرف في الحديد والبولاد

خذْ أجزاء متساويةً من التوتيا الزرقا ، وملح الطعام ، وعصير الليمون

---

١) تجد هذه الاصناف في مخزن ذبّوس بسوق ابي النصر ، بيروت .

الحامض أو الخلّ أو الحصرم . اسحق هذه الأجزاء وذوّبها في الحامض ، ثمّ اطلِ الحديد او البولاد بالشمع واحفر فيه الحروف التي تريدها ، ثمّ صبّ من هذا الدواء على الحروف المحفورة في الشمع ، ودعهُ ٢٤ ساعة ، وعندئذٍ تنزع الشمع فيكون لك ما تريد .

لتنظيف الثياب من بقع الزيت

ادهن موضع الزيت برارة الماعز وبعدهُ اغسله بالماء فيزول الزيت .

لنزع الحبر من الورق

ذوّب ملح الطعام في الحليب واغمس به خرقةً ، وحفّ بها الأحرف فتزول .

لسقاية الحديد

خذ الطرطير وملح الطعام وذوّبها بالماء ، واطفئ بهذا المذوّب الحديد المحمي ، خمس مرار فيصير كالبولاد .

لسقاية الحديد وصيرورته كالبولاد (كالفولاذ)

خذ النعل غير المستكّف جديدًا واحرقه واسحقه ناعمًا ، وخذ قدرَهُ من الزجاج المسحوق ناعمًا واجبلها بعصير الليمون الحامض . ثمّ احمِ الحديد حتى يحمرّ ، ورشّ عليه من هذا الدواء فيصير كالبولاد

لابادة الجرذان

خذ ٧٥ جزءًا من مسحوق بصل الفار وضعهُ في ٢٥ جزءًا من السكّر واعجنه في الدهن أو الزبدة . وضع منه في محلّات الفئران والجرذان فتأكل منه وتموت . ولكي لا تأكله الكلاب أو غيرها ، عطّره بقليل من خلاصة الشمرة .

لقتل المنّ عن الزريعة

خذ كميّةً من اصول البنادورة الخضراء ، وأضف اليها كميّةً من الرماد

واغلها بالماء على النار جيدًا. ثمَّ بعد ان يبرد رشَّ منه على المنّ . والأفضل ان يكون الرشّ بواسطة مرشّة .

لاصلاح الخمر من الحمض

خذ ثلاث واق من الحنطة ، وحمّصها على النار كالبنّ وضعها في كيس رقيق مطاول وعلّقهُ في الخابية مدّة يومين ، يزول الحمض من الخمر . ويُستحسن بعد ذلك نقل الخمر الى وعاءٍ ثانٍ .

خميرة الكونياك

خذ تفاحةً واحدةً واجاصةً واحدةً ، وقليلًا من كبش القرنفل وجوزة طيب واحدة ، ومن القينيليا اصبعاً . ثمَّ اقطع التفّاح والاجاص قطعاً صغيرة ، واسحق جوزة الطيب في هاون مع كبش القرنفل والقينيليا ، وضع هذه الاجزاء في مرطبان من زجاج وضع عليها السبيرتو وحكّم سدّ المرطبان حتى لا يدخله الهواء ، وكلّما نقص السبيرتو زده حتى يكون دائمًا مغطّيًا المواد المذكورة . وعندما تختمر خذ من هذا الخمير اربع ملاعق كبيرة وضعها في رطل من السبيرتو المكرّر وأضف اليه قليلًا من السكّر المحروق ، تلوينًا له بحسب اللزوم . ويجوز ان تضيف الى الخمير المذكور قليلًا من الشاي وقشر الليمون وحبّ الهال .

كيفيَّة عمل الحبر الاسود (عن معمل انكليزي)

	غرام
عفص مدقوق	٥٠٠
صمغ عربي ناعم	٨٠
شبّة بيضاء ناعمة	٣٦
زاج أخضر	١٢٠
خشب البقم	٤٨

اجعل هذه الاجزاء في اربع كيلوغرامات من الماء ، ثم أضف اليها من الغليسيرين ٣٦ غراماً ، واغلِ الجميع على النار ثلاثة ارباع الساعة ، ثمَّ صفّها واجعلها في قناني ، فيكون لك افضل حبر اسود .

كيفيَّة عمل حبر لقلم الستيلو

سبيرتو ابيض عيار ٩٥	١٢٠
شبّة بيضاء	٤
متيلين ازرق او اسود مثلما تريد	٨

طريقة عمله : تأتي بالمتيلين وتسحقه جيدًا وتمزجه بليتر ماء في قنينة وتخلطه مع الجزئين الآخرين، وتضع القنينة في الشمس مدَّة حتى يذوب المتيلين والشبّة جيّدًا، فيصبح حبرًا أجود من الحبر الانكليزي والفرنسي .

طريقة لعمل مطبعة الجيلينين

خذ من الدلغان المخصوص كيلو عدد ٢، ومن الغليسيرين ٦٠٠ غرامًا، ومن السكّر ١٧٥ غرامًا، ومن ملح التوتيا ٢٥ غرامًا، ومن الماء ١٥٠ غرامًا امزجها واسحقها جيدًا حتى تصير كتلة متراصّة وابسطها عندئذٍ في صندوق محكم الغلق حتى لا يتسرَّب اليها الهواء أو الغبار .

ليموناده مثلّجة (مشروب لضعفاء الصحَّة)

ابرش (ابشر) قشور اربع ليمونات حامض وامزجها باوقيتين من السكّر واعصر الأربع ليمونات وضع عصيرها فوق المزيج، وضع الكل في اناء من الزجاج. ويكفي لكأس ماء مثلّج ملعقة واحدة من هذا المزيج .

عشر وصايا صحيَّة

١ً — كن حكيماً في أكلك ، واكثر من شرب اللبن وأكل الخضر

٢ً — اقلل من أكل اللحم والسكَّر ، واجتنب المشروبات الروحيَّة .

٣ً — روّض جسمك في الهواء الطلق . واذا وقفتَ أو جلستَ فكن منتصب القامة .

٤ً — تنفَّس الهواء ليلًا ونهارًا .

٥ً — اخرج في الشمس فان نورها منعشٌ ولازمٌ للصحّة التامّة .

٦ً — كن نظيفاً . اغسل يديك قبل الأكل وأكثر من الاستحمام ، ونظِّف أسنانك صباحاً ومساء قبل النوم .

٧ً — لا تهلك قواك الجسديَّة والعقليَّة بتحميلها فوق طاقتها .

الراحة بعد طعام الغذاء نصف ساعة ، من أفضل المقويَّات وليست دليل الكسل والتواني .

٨ً — نظِّم مواعيد أكلك ونومك .

٩ً — ابتعد عن الشرّ ومعاشرة أصحاب الأخلاق الفاسدة .

١٠ً — كن عاقلًا حكيماً في كلّ امورك . واذا أصبتَ بانحراف في قلبك فلا تُهمل اشارة الطبيب .

في الملائكة

مقارنة بين القديس توما وابن العبري

بقلم الخوري انطون طربيه

انشأ ابن العبري، كما رأينا في المقالة السابقة[1] درسا شاملًا في الملائكة واودعه كل معطيات الوحي والتقليد. فانطوى درسه على خمسة فصول تطرّأ بها لاثبات وجود الملائكة وخلقهم وطغماتهم وطبيعتهم ووظيفتهم واستند خصوصاً الى البراهين العقلية ودعمها بشهادات الوحي والتقليد. فاتت مقالته اولى الدروس اللاهوتية القيّمة في الملائكة في التقليد الشرقي واللمحة الاولى الشاملة اذ استعرض في سياق درسه كل ما كان يجول من الاساطير بخصوص الملائكة وكل ما زعمه فلاسفة العرب عن العقول المجرّدة نقلًا عن الافلاطونية المستجدّة. وبان لنا ان فضله يقوم بتلخيصه بمقالة واحدة كل معطيات الوحي والتقليد في الملائكة وقد خصّ البرهان العقلي مقاماً رئيسياً في مقالته.

اما القديس توما اللاهوتي فلم يترك لنا مقالة موحّدة في الملائكة. بل عدة ابحاث. فقد دعي بحق المعلم الملائكي.

كرّس بعض مباحث القسم الاول من خلاصته اللاهوتية في طبع الملائكة وصلتهم بالاجسام، وعلمهم وطغماتهم واجواقهم، ووظائفهم (مبحث ٥٠ — ٦٢ : ٨٩ : ١٠٦ — ١١٣ والموجز اللاهوتي، فصل ٧٥ — ٧٧؛ ١٢٥ — ١٢٦). تناول القديس توما الموضوع باجمعه ودرسه درساً نظرياً بحتاً دون تسلسل منطقي. فاعطانا خلاصة التفكير اللاهوتي في الملائكة، ذروة لم يكن توصّل اليها التقليد الغربي.

لقد كان للغرب في علم الملائكة ما كان معاصره ابن العبري للشرق غير اننا نجد فرقاً كبيراً بين الاثنين يبدو لنا بوضوح اذا ما قارنا آراءهما. نتبع في درسنا هذا تصميم ابن العبري اذ انه متسلسل منطقي.

١) راجع المشرق ٤٩ (١٩٥٥) : ص ١٨٥

١ – وجود الملائكة :

بينما يهتمّ ابن العبري بانشاء مقالة لاهوتية فيها القسط الوافر للوحي والتقليد نجد القديس توما في خلاصة اللاهوتية يقوم بتحليل عقلي لاهوتي مستعرضاً بعض نواحي الموضوع . فكأنه يقتبل دون جدال وكحقيقة اكيدة كلّ ما سلّم به الوحي والتقليد فلا يجهد النفس كابن العبري ، لاثبات وجود الملائكة ببراهين عديدة مستقاة من العقل والوحي والتقليد حتى اذا مـا تطرّأ اللاهوتي للامر اكتفى ببرهان واحد لتبرير وجودهم :

فيقول في الخلاصة اللاهوتية : لا بدّ لكمال العالم من وجود مخلوقات عقلية مجرّدة عن الجسم فبما ان العقل افضل من الحسّ ينبغي وجود بعض الكائنات الروحية ، مجردة عن المادة لا تدرك الا بالعقل[١] . نجد برهاناً مشابهاً عند ابن العبري يثبت وجود الملائكة من درجات الادراك في الكائنات[٢] .

ويجمع الاثنان على القول ان الملائكة مخلوقون . فبما ان الله له وحـده الكيان بذاته فهو وحده غير مخلوق اذ انه وجد منذ الازل . اما الملائكة فمخلوقون منه[٣]

« ما خلا الله من الكائنات ، مخلوق ، لانه تعالى عين وجوده وجميع ما سواه يتغاير فيه الماهية والوجود . وحده موجود بذاته والباقون بالمشاركة . فكل موجود بالمشاركة معلول لما هو موجود بالذات » . ويقول ايضاً في الفصل الثاني والثالث من المبحث نفسه ما ملخصه : لم يوجد الملائكة منذ البدء اذ ان الله وحده كان منذ البدء اما باقي المخلوقات فكان لهم بدء . ويرجّح انهم خلقوا مع العالم لانهم وجدوا لاتمامه . اما ابن العبري فانه يتبنّى الرأي القائل بأنّ الملائكة خلقوا قبل العالم المحسوس لانه يستند الى شهـادة معلّمين لامعين امثال غريغوريوس النزينزي والنيصي ويوحنا فم الذهب . ويدعم رأيه ببعض البراهين العقلية عن طريق اللياقة والمناسبة . ويدرس مار توما الحالة التي خلق الملائكة بها فيقول انهم خلقوا بحال النعمة التي وضعت فيهم كبذار السعادة

١) خلاصة لاهوتية : ١ : ٦١ – ١

٢) منارة الاقداس : الركن الخامس فصل ١ ، قسم ١ ، جزء ٢ برهان ٤ .

٣) خلاصة لاهوتية : ١ : ٦١–٢ ، ٣ .

الابدية مستندًا الى رأي القديس اغوسطينوس . بينما يوجد رأي ثان يقول بانّ الملائكة خلقوا في حال الطبيعة . فابن العبري لا يتعرّض للامر مباشرة غير انه اذ يتكلّم عن صلاح الملائكة يقول : انهم ليسوا صالحين بالطبع بل بالنعمة لان الله وحده صالح بالطبع فمن ليس له الكيان بذاته ليس له الصلاح بذاته[1] .

٣ – طغمات واجواق الملائكة :

تتنوع طغمات الملائكه واجواقها في نظر القديس توما بتنوّع الاساليب التي توجد بها المعقولات في العقل . لان المعرفة في العقول المجرّدة هي الفعل الاساسي لبقية الافعال التي تصدر عنها . يوجد طغمة اولى تصدر عنها الاعلانات لكل المخلوقات . فالجوق الاول يرمز الى الغاية التي يجب تحقيقها ، والثاني الى تصميم العمل في نفس الفنان ، والثالث الى تحقيقه .

اما الطغمة الثانية فتدلّ على فكرة الله كما توجد في العلل العامة . فالجوق الاول يأمر بما يجب عمله ، والثاني يحرّك الى التحقيق والثالث يزيل العوائق .

والنوع الثالث من وجود المعقولات في العقل هو دخولها في طور التحقق وبلوغها لنا ، وهذه ميزة الطغمة الثالثة .

فالرؤساء هم كامراء على البشر ، ورؤساء الملائكة يبشروننا بما يفوق العقل البشري ، اما الملائكة فيفيدوننا عما يهمّ سير حياتنا[2] .

ويسرد القديس توما طغمات الملائكة واجواقهم متبعًا تنظيم الاديوفاجيتي . ثم يشرح اسماء الاجواق فيقول : المراد بالطغمة الرئاسة وكلمة رئاسة تعني امرين : الرئيس والكثرة المرؤوسة . فلمّا كان الله رئيسًا لجميع المخلوقات كانت باسرها طغمة واحدة امامه . واما اذا ما اعتبرت بذاتها كانت مختلفة حسب اختلاف تدبيرها . وهكذا فالطغمات تختلف باختلاف الانارة .

يوجد ثلاث طغمات : الاولى هي على اتصال مباشر باللاهوت ، والثانية تدرك الامور بعللها الكلية ، والثالثة تعنى بالجزئيات . وفي كل طغمة يوجد ثلاثة اجواق : جوق اعلى وجوق اوسط وجوق ادنى . وسبب ذلك ان الطغمة جماعة مرتبة . فلزم ان يتخللها اذن مراتب مختلفة . فكما ان المراتب في المدينة

١) خلاصة لاهوتية : ١ : ٦٢ : ٢-٣ ، ابن العبري فصل ٣ ، قسم ٢ ، جزء ٤ ، جواب ٤

٢) موجز فصل ١٢٦

ثلاثة : الفلاحون والجنود والقضاة كذلك كل طغمة تنطوي على ثلاثة اجواق تختلف باختلاف الدرجة والوظيفة . واختلاف الدرجات يأتي من اختلاف القوى الطبيعية والمواهب المعطاة من الله لكل جوق[١] .

ويشرح اسماء الملائكة بالاستناد الى شرح ديونيسيوس الاريوفاجيتي . اما ابن العبري فاكتفى بان اورد طغمات الملائكة واجواقهم حسب تنسيق الاريوفاجيتي . غير انه دعم هذا التقسيم ببرهان من الوحي فرأى في الصفوف الاربعة من الحجارة الكريمة التي وضعت بامر الله في رداء رئيس الكهنة رمزا الى الطغمات الثلاث السماوية والى طغمتنا الارضية المؤلفة من الاساقفة والقسوس والشمامسة . وكما انطوى كلّ صفّ على ثلاثة حجارة كريمة مختلفة ، هكذا تنطوي كل طغمة على ثلاثة اجواق[٢] .

ثم يسعى الى الاستقصاء عن اصل اسماء الملائكة من الكتاب المقدس ويشرحها وفقاً لشرح ديونيسيوس[٣] .

ينبغي القول ان قسط الابتكار ضئيل في هذا القسم اذ ان الاثنين يكتفيان بايراد التنظيم الاريوفاجيتي وبترداد نظريته في معنى الاسماء . الا انهما اجتهدا الى تبرير هذا التنظيم فعمد القديس توما الى برهان عقلي لا بأس به ، واتى ابن العبري برمز من الكتاب المقدس. الا ان شرحه للصفوف من الحجارة الكريمة التي وضعت في رداء الغفران يظلّ مذهباً خاصاً ليس في النص ولا في التقليد ما يدعمه .

فالقديس توما وابن العبري يكتفيان اذن بمعطيات التقليد بما يخص طغمات الملائكة واجواقهم ، هذا التقليد الذي يرتقي الى التآليف المنسوبة للاريوفاجيتي والتي يرجح انها لم تتعدَّ الجيل الخامس . فلائحة الاريوفاجيتي المزعوم ما عتمت ان انتشرت في الشرق والغرب وتناقلها اللاهوتيون اجمع منذ القديس غريغوريوس الكبير الى يوحنا الدمشقي . ولقد وجدناها ايضاً عند ابن الحجر في الجيل التاسع . فلا بدع اذا ما تناقلها ايضاً القديس توما وابن العبري .

١) خلاصة لاهوتية ١٠٨ : ١-٣

٢) منارة الاقداس ركن ٥ فصل ٢ ، قسم ١ جزء ١-٣

٣) « « « « « ، قسم ٣ جزء ١-٢

٣ – طبع الملائكة :

إن كان وجود الملائكة لم يسترعِ انتباه القديس توما بل اكتفى ان ألمح اليه فقط فانه قد توسّع في درس طبعهم . فهذا القسم رئيسي عنده وعند ابن العبري . فالتحليل عند الاثنين عقلي غير ان ابن العبري يستنجد احياناً بشهادات الوحي والتقليد ليدعم ما توصل اليه بالبرهان العقلي . الملائكة ارواح بسيطة غير مركبة متنزّهة عن المادة وغير مرتبطة بها . ليسوا محصورين في مكان على شكل الاجسام المحسوسة والمادّية وغير منظورين . فكونهم ظهروا للمختارين باشباه متنوّعة ومختلفة يدلّ على عدم جسمانيّتهم . يستشهد ايضاً ابن العبري بغريغوريوس النزينزي وكيرلس الاسكندري .

انهم غير مائتين بالطبع، ولا يتيهم فساد، لكونهم ارواحاً مجرّدة، وصوراً غير مقترنة بمادّة . بما انهم عاقلون لهم الاختيار بان يحافظوا على شريعة الله او يتعدّوها ولكنهم بعد زمن الاختبار ترسخوا في الخير والصلاح فلم يعودوا يحيدوا عنه[1] .

نجد ايضاً عند القديس توما ان الملاك روح محض لانه اقرب الخلائق الى الله. فكمال الخليقة يقتضي بان يوجد خلائق روحانية متنزّهة بالكليّة عن المادّة. فجوهر الملائكة صورة بحتة متنزّهة عن المادّة . من هنا ينتج ان الجواهر الروحانية ليست مؤلفة من مادّة وصورة بل من صورة فقط . لذلك لكل ملاك جنس في ذاته اذ ان لكل اقنوم صورة فقط تستوعب الجنس تماماً ولا يمكن ان يشترك ملاكان في جنس واحد[2] .

ان ابن العبري ينقض هذا الرأي فيقول ان لكل جوق من اجواق الملائكة جنساً خاصاً . اما افراد الجوق الواحد فتختلف بالاقنوم. فرأي القديس توما نجده عند ابن سينا في العقول المفارقة وانه قريب للعقل اكثر من رأي ابن العبري فوحدة الجنس البشري الذي نشترك به جميعاً تأتي من قبيل المادة . اما الصورة فتتحقق في كل شخص بحسب اهلية واستعداد المادة . لذلك نجد افراداً كثيرين

١) منارة الاقداس : ركن ٥، فصل ٣، قسم ٣

٢) خلاصة لاهوتية : ١ : ٥٠، ١–٤

يشتركون في الجنس الواحد . اما في الملائكة حيث لا يوجد مادة فالصور تتعدد وتتميز بتميز الاقانيم . وهذا ما يجب ان يسلّم بهُ ابن العبري لانه ينفي عن الملائكة المادّة .

اما بخصوص حرّية الملائكة فيقول اللاهوتي . بما ان طبيعة الملاك عاقلة فله حرّية الاختيار الانسان العاقل هو من ادرك غايته والواسطة التي توصله اليها فوجّه ارادته وقواه لتحقيق ما يوافق هذه الغاية والانسان حرّ لكونه يوجّه ذاته للعمل[1] .

وهذا لا يعني ان الملائكة تقدر ان تسقط في الخطيئة او ان تخالف الله : فكما ان الملاك الصالح لا يمكنه ان يفكّر او يرغب بخلاف ما يريده الله هكذا لا يقدر ان يخطئ .

يبدو جلياً في هذا القسم ان ابن العبري يتوصل للنتائج ذاتها التي توصل اليها القديس توما بالاستناد الى التحليل العقلي — ما خلا اختلاف الجنس في الملائكة الذي نبذه ابن العبري ونسبه للفلاسفة الوثنيين فآراء الاثنين تكاد تتفق اتفاقاً تامّاً لانها يستندان الى التحليل العقلي ، فمن مقدمات مطابقة يتوصلان الى النتائج ذاتها .

غير ان تفكير اللاهوتي اكثر ايجازاً واقوى بناء وارسخ برهاناً . اما تفكير ابن العبري فاكثر استناداً الى الاختبار الحسّي واقرب مثالاً للفهم وميزته هي انه يستند الى شهادة الوحي والتقليد . وقد نجد في بناء ابن العبري بعض الضعف سواء كان بما يخصّ جنس الملائكة او بما يتعلق بحرّية الاختيار عندهم . يبدأ فيقول انه بامكان الملائكة ان يحافظوا على شريعة الله او ان يتعدّوها ولكنهم ترسّخوا في الصلاح بعد الاختبار . انه لاوفق واوضح عندما نتكلم عن حرّية الملائكة بان نتخذها بالمعنى الاغوسطيني . الحرية تقوم بعمل ما يوافق خير الانسان او غايته لا بمعنى امكانية اختيار الخير او الشر . فبهذا المعنى حرّية الملاك لا تنفي عدم امكانيته بارتكاب الخطيئة .

---

١) خلاصة لاهوتية : ١ : ٥٩ – ٢

٤ – علم الملائكة :

درس القديس توما هذا الموضوع درساً مسهباً فكرّس له في خلاصته اللاهوتية خمسة مباحث (مبحث ٥٤ – ٥٨) . وهذا دليل واضح على ما اعاره من الاهمية .

اما ابن العبري فلم يكد يتطرّأ له بصورة مباشرة — فيكتفي بالكلام عن انارة الملائكة بعضهم لبعض انارة تدريجية . غير انه في النظريات التي يعطيها في القسم الاخير من مقالته عن آراء الفلاسفة في الملائكة ينسب لهم في علم الملائكة بعض الآراء القريبة جداً من آراء القديس توما . كل عقل يعقل ذاته بعقله سواء اذ انه صورة مجردة بعيدة عن المادّة ويعرف كل شيء بصورة عامة اجمالية ولا متغيّرة لانه بسيط[1] .

لنأت الآن الى درس نظرية القديس توما في علم الملائكة . فيقول : بما ان وجود الملاك يمتاز عن جوهره فان تعقّله ليس عين وجوده لذلك فهو بحاجة لمعرفة ذاته . وان كانت النفس البشرية لكونها صورة الجسد لا تعلم الا عن طريق الحواس فيوافق الارواح المجردة ان تعلم بدون مساعدة الحواس[2] .

ويتكلم القديس توما عن معرفة الملاك بذاتها فيميز بين ما يدعوه معرفة صباحية يدرك بها الملائكة كل شيء بالكلمة ومعرفة مسائية يعرفون بها الاشياء ليس بذواتهم — هذه ميزة الهية — ولكن بواسطة صور مفاضة لانه كلما كانت الطبيعة سامية وكاملة كلما كان لها قوة مستكملة بالفعل فلا تحتاج الى صور مستقاة من الاشياء للمعرفة . لذلك قد وضع الخالق في الملائكة صوراً للاشياء .

فوجود معرفتين في الملاك امر محتمل اذ ان لكل معرفة طريق خاصة وموضوع خاص بها . اما الصور المفاضة فهي اعم واوجز عند الملائكة الاعلين منها عند الادنين فكلما كان الملاك اسمى كانت له قدرة اعظم لادراك عموم المعقولات بصور اقلّ . يوجد مثلاً اناس لا يقدرون لضعف عقلهم ان يدركوا

١) خلاصة ١ : ٥٥ ، ١–٣ ؛ ٥٨ ، ٧

٢) خلاصة ١ : ٨٩ ، ١

حقيقة عقلية ما لم تبين لهم على وجه التفصيل ومنهم من هم اذكى عقلاً واكثر ادراكاً فيستطيعون ادراك كثير من قليل[١] . هكذا فالملائكة الاعلون يدركون بقليل من الصور اكثر من الملائكة الادنين . وبما ان الملاك صورة مجرّدة ففي تعقله الاشياء يعقل ذاته فهو اذن معقول بالفعل ومعرفته الاشياء الطبيعية بواسطة الصور المفاضة معرفة عامة واجمالية[١]

وهو يعلم الاشياء المادية ايضاً . فكما ان الموجودات العليا اكمل من السفلى وان ما يوجد في السفلى على وجه النقصان والكثرة يوجد في العليا على وجه الكمال والبساطة . فالملائكة بما انهم اقرب المخلوقات الى الله واشبهها به فجميع الاشياء المادية توجد فيهم ببساطة وتجرّد اكثر من وجودها في ذاتها واقل كمالاً ووحدة من وجودها في الله .

ويؤكد القديس توما معرفتهم للجزئيات اذ انه لا يمكن ان يعتنوا بما ليس لهم معرفة به . وبما انهم يعتنون بالجزئيات اي بالافراد وبالاشياء، فان لهم معرفة بها . لا يعرفون المستقبل بذاته ، هذه ميزة الهيّة ، ولكن على سبيل الاستنتاج والتخمين .

لا يعرفون افكار القلوب وخفايا الضمائر بذاتها بل في مفاعيلها الخارجية كالطبيب الذي يعرف بواسطة النبض الانفعالات الداخلية . اما الاسرار الالهية فيعرفون منها ما شاء الله ان يكشف لهم[٢] .

فما الفرق اذن بين معرفة الملاك ومعرفتنا ؟

الفرق هو ان معرفة الملاك تامة كاملة منذ البدء . اما معرفتنا فتدعى ناطقة لانها تكتسب بالتدريج . وسبب ذلك ان العقول السماوية لها كمالها بالعقل اما الانفس البشرية ، فلها كمالها بالقوة وبالتدريج .

كل هذا الدرس مفقود في مقالة ابن العبري لانه دون شك لم يجده عند سابقيه لاسيما في درس الاريوفاجيتي وفي مقالة ابن الحجر . لذلك فنحن مدينون به لتفكير القديس توما الخلّاق الذي لم يكتفِ بتنسيق ما وجده من مواد — شأن ابن العبري — بل كمّل وزاد . انه دون شك تأثر بآراء فلاسفة العرب

١) خلاصة ١ : ٥٦ ، ١-٢ ؛ ٨٩ : ٣

٢) خلاصة ٥٧ : ١-٥

بما يخص معرفة العقول المجردة . فمن هذه الآراء استنتج بالتفكير العقلي نظريته في علم الملائكة . ومما يؤكد لنا ذلك هو انه يبعد بخصوص الملائكة ما يقوله في معرفة العقول المجردة[1] . غير انه يستطرد فيقول ان للملائكة معرفة تامة واجمالية بالاشياء اوضح واتم من معرفة العقول المجردة .

ويتكلم القديس توما في مكان آخر عن انارة الملائكة بعضهم لبعض فيقول : الانارة هي الطريقة التي يكشف بها ملاك فكرته لسواه . فالاعلى ينوّر الادنى . فاذا ما اقتبل الاول حقيقة بصورة اجمالية ابلغها للادنى فقبلها بصورة اقل اجمالاً . فالانارة من الاعلى للادنى ولا تعكس . اما كلام الملائكة فيقوم بان يتّجه تصوّر ملاك الى ان ينكشف بارادته لسواه . فالادنى بامكانه ان يخاطب الاعلى ولكن لا يمكنه ان ينيره اذ كل ما يعرفه ويعمله الادنى يعرفه ويعمله الاعلى بشكل اعم . وبما ان فعل الملاك العقلي مجرّد عن المكان والزمان فلا يؤثر المكان والزمان في كلام الملاك ، غير ان افكار الملاك لا تظهر الا للذي يرغب في ان يكشفها له[2] . من هنا يبدو الفرق بين الانارة والمخاطبة . الانارة تعني افادة الادنى واعلامه حقائق يجهلها . اما المخاطبة فهي مجرّد تبادل الحديث .

لقد نوّه ابن العبري ايضاً عن الانارة وقال انها تحدث بشكل تدريجي فالاعلانات تأتي مباشرة من الله الى الساروفيم الى الكاروبيم الى ان تنتهي الى جوق الملائكة فالينا .

وهنا يبدو تأثير الاريوفاجيتي جليًا بما يخصّ التسلسل في الانارة من الله الى البشر . فعنه اخذ القديس توما وابن العبري آراءهما في الانارة وفي تنظيم العلاقات بين الاجواق الملائكية[3] . اما التمييز بين الانارة والكلام فانه عند القديس توما .

يمكننا القول ان ابن العبري اقتصر بما يخص علم الملائكة على ما وجده في درس ديونيسيوس وابن الحجز غير ان القديس توما اوفى الموضوع حقه بالتحليل العقلي فادخل في التقليد الغربي درساً لم ينطو عليه الوحي والتقليد . وفضله

١) خلاصة ٨٩ : ١-٣ ، ٤ انظر ابن سينا : نجا ٥ : ٤٥٥ و٤٠٤

٢) خلاصة لاهوتية : ١٠٦ : ١ ؛ ١٠٧ : ١-٥

٣) منارة الاقداس : ركن ٥ فصل ٢ قسم ٣ جزء ١ : ٢

الكبير هو انه استخدم في كلامه عن الملائكة ما قاله فلاسفة الغرب في العقول المجردة فتوصل اليه بالتفكير العقلي من كونهم ارواح محضة .

• – وظيفة الملائكة :

كلّف الله الطغمة الثالثة بادارة شؤون الخليقة فاقام لكل فرد ملاكاً يحرسه اذ ان العناية الآلهية تقضي بان المتحركات والمتغيرات تحرّك وتدبّر بما ليس متحركاً . وهكذا فجميع الجسمانيات تدبّر بالجواهر الروحانية . لذلك شاء الله ان يوجد ملائكة حراس لسائر المخلوقات التي ابدعها . وهؤلاء الملائكة يقومون مقام العناية بالقرب من البشر فانهم يعنون بكل نفس ناطقة من المهد الى اللحد . فقسط المؤمن من عنايتهم كقسط غير المؤمن لان النعم التي يوليها الله الانسان من حيث هو مسيحي تبتدئ منذ العماد وما يوليه اياه من حيث هو خليقة ناطقة يخصه به منذ الولادة[١] .

ويحذو ابن العبري حذو القديس توما فيقول بملاك حارس لكل شخص ويثبت كلامه بشهادات مستقاة من الكتاب . ويدحض الرأي القائل بملائكة حراس المؤمنين فقط . يستشهد بالتثنية ٣٢ : ٨ « وضع العلي تخوم الامم على عدد ملائكة الله » (حسب نص السبعينية) وبسفر دانيال الذي يتكلم عن رئيس مملكة فارس فيقول ان لكل امة وشعب ملاكاً صالحاً او شريراً يدبّرها . وحتى العناصر الاربعة والطبيعة باسرها لها ملائكة تعنى بها وتحرّكها اما للفائدة واما للمضرّة .

انه لرأي نجده عند يوستينوس ثم عند اوريجانوس وابيفانيوس والكبادوكيين، يقول بان للطبيعة ملائكة يعنون بها . فيوستينوس يتكلم عن الملائكة الذين يهتمون بكل ما تحت السما[٢] . وهرماس يضع الملائكة في كل مكان ويقول ان للحيوانات ملائكة تعني بها[٣] . واوريجانوس يقول : انه يوجد ملائكة تدبّر العناصر : الهواء والنار[٤] . اما ابيفانيوس فيقول انه يوجد للمطر والغيم والثلج

١) خلاصة لاهوتية : ١ : ١١٣ ، ١-٤

٢) Apologie II, 5. P.G. VI, 432

٣) Hermas, simil. 8,3. P.G. II, 974 ; visis, 4,6, P.G., II, 902,928

٤) Origène, in Jerem. Hom. 10,6. P.G. 13, 365

والحرارة ملائكة خاصة[1] · راجع ايضاً انوخ المزيّف الذي هو مصدر كل هذه الآراء[2] .

ويزيد ابن العبري بالاستناد الى رأي قديم لمح اليه ارسطو في مـــا فوق الطبيعة ان لكل فلك من الافلاك ملاك يديره[3]

اذا ما سعينا باعطاء نتيجة هذه المقارنة بين درس القديس توما ومقالة ابن العبري وجدنا ان الاول يتعرض لبعض المواضيع فقط فيحللها تحليلاً نظرياً ويعنى خصوصاً بالنواحي الفلسفية من الموضوع : علم الملائكة ــ صلتهم بالمكان وكلامهم — وما سوى ذلك من النواحي التي تستند الى معطيات التقليد فانه اكتفى بان يلمّح اليها وان يجد لهــا تبريراً من قبل العقل : وجود الملائكة ، طغماتهم . اما الثاني فيجمع ويلخص كل معطيات الوحي والتقليد لانشاء مقالة مبنيّة متناسقة . لذلك تراه يحرص على درس كل نواحي الموضوع درساً لاهوتياً . يبدأ فيعطي برهان العقل ويعمد الى شهادات الوحي والتقليد ليدعم بها ما توصل اليه بالتفكير العقلي . يسعى الى ان يسكب في قالب نظري ما وصل اليه عن طريق التقليد كما رسمه العظيم ديونيسيوس[4] وتوسع به زميله ابن الحجر مدخلاً برهان الوحي والتقليد .

فابن العبري نظري في مقالته وحجته قوية غالبــاً غير انها لا تعادل حجة القديس توما . لقد كان له نظرية خاصة ونهج خاص في درسه غير انه ظل متقيّداً بما وجده عند ابن الحجر فحلّل ما وجده في التقليد تحليلاً عقلياً . غير ان تفكير القديس توما اغنى واعمق واكثر ابتكاراً وفلسفته اثبت . يلج موضوعه الى الغاية فلا يكتفي بأن يحدده من الخارج او يعرض ما قيل عنه مستقصياً كل الروايات التي كانت تروج عن الملائكة .

واحد يجمع ويتقيد بما يجمعه والآخر يولّد ويخلق مستعيناً احياناً بفلسفة لا

---

١) Epiphane ; P.G. 43, 276

٢) Henoch Ethiop. 43, 2 ; 60, 12 ; Hen. slave, 19,2 ; 16,7.

٣) منارة الاقداس ركن ٥ ، فصل ٣ بُقسم ٤ ، جزء ٤

٤) كان ديونيسيوس او الاريوفاجيتي المزعوم يعرف عند المونوفيزيين بالعظيم ديونيسيوس نظراً لسلطته .

صلة لها بالدين فيأخذ عنها ما ينتقيه مشذباً مصلحاً بعض الادوات التي يستخدمها في بنائه الجديد لخدمة الله والدين .

كل ادرك حاجة عصره وسعى الى ان يجاوب عليها باسلوبه الخاص . فابن العبري توخى بان يكون جامعاً ملخصاً للتقليد الشرقي تاركاً للاحفاد تقاليد آبائهم الدينية اما القديس توما فاراد ان يخلق شيئاً من لا شيء . فكلاهما حققا رسالتها احسن تحقيق . فعلم الملائكة مدين لابن العبري باول مقالة لاهوتية كاملة وللقديس توما باول تحليل فلسفي قيم . فالاثنان صورتان لمجرى التفكير في الشرق والغرب . بينا نرى الشرق يكتفي بالجمع والتلخيص نجد الغرب يعمد للخلق والابداع . وما ذلك الا لان نبراس الشرق قد ضعف من جراء الانقسامات والحروب وقضى على وحدة الكنيسة فاخذ الشرق المسيحي يعيش في ماضيه والغرب يسعى الى الامام .

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

وكان صاحب ارضروم وهو ابن عمّ السلطان علاء الدين وصهره قد تحوّل عنه واتّفق مع الخوارزميّين وشاركهم في القتال . فالقى السلطان القبض عليه واستأسره . ثم سار السلطان نفسه مع الأشرف الى ارضروم وحاصرها حصارًا شديدًا فاستحلفه الاهالي ان لا يقتل واليهم المأسور لديه وسلّموه المدينة . وكانت اخت صاحب ارضروم هناك وكان السلطان منذ امد طويل مغرمًا بها يريد ان يتزوّجها واخوها يعارضها . فتزوّجها الآن وسُرَّ بها اكثر من سروره بما احرزه من الانتصار . غير انها لما طلبت اطلاق اخيها من قيوده سخط عليها وقتلها وأغرق اخاها في البحر .

وبعد انكسار الخوارزميّين سار الاشرف الى خلاط كي يرتق فتقها ويصلح أمرها وارسل معه السلطان الف فارس في هدايا وافرة وعاد هو الى بلده . امّا جلال الدين خوارزمشاه فذهب بآله الى كوي باذربيجان وارسل تقيّ الدين اخا الاشرف مكبَّلًا هديةً الى خليفة بغداد وهذا فكّ قيوده واعاده مكرّمًا الى الاشرف . ثم ارسل الاشرف سفيرًا الى خوارزمشاه يقول : انك جئت فاخربت بلادنا وقتلت ونهبت مع اننا لم نسيء اليك . فان كنت تروم الانتقام منّا بسبب ما اخربه الحاجب عليّ من بلادك فان الحاجب المذكور قد قتل في الحرب ونال جزاء اعماله . والآن نسألك ان تتخلّى عن البلد الذي اخذته عنوةً وتتصالح معنا .

غير ان خوارزمشاه استخفّ به ولم يصالحه فتركه الاشرف وعاد الى بلاد ما بين النهرين . وكان الكامل في مصر . وبقي مجير الدين يعقوب اخو الأشرف مأسورًا عند خوارزمشاه .

وفي هذه السنة ارسل الاخوة الفرير الدوارية (٤٦٣) والاسبتالية يطالبون

صاحب حماة بالوف الدنانير المترتبة عليه بمثابة جزية . فرفض طلبهم مستخفًا بهم . فاحتشد خمسمائة فارس منهم والفان وسبعمائة راجل وزحفوا ليحتلّوا البلد. وبرز تقيّ الدين اليهم وكسرهم .

وفي السنة ١٥٤٢ لليونان (١٢٣١ م) زحف التتر يتعقّبون الخوارزميّين فانهزم خوارزمشاه الى اطراف سورية فادركوه في بلد آمد وأتلفوا عساكره وفرّ هو الى احد جبال الصوفانيّين ففتك به الاكراد دون ان يعرفوه . وذكر بعضهم ان حافظ امتعته هو الذى قتل أمّا خوارزمشاه فقد لبس ثياب القتيل الصوفيّة وافلت وجعل يطوف البلاد مستترًا .

واقبلت شرذمة من التتر الى حصن زياد ووصلت الى الفرات بحدود ملطية ومرّت بسهل هنزيط وانهزم الاهالي الى المدن العاصية في القلاع الحريزة ولم يحدث خراب كثير . وانقلب التتر الى اذربيجان وشهرزور واحتلّوهما واحتلّوا بلاد الكرج كذلك . فسمع مظفّر الدين وخاف وارسل يستنجد بالخليفة فسيّر اليه جمال الدين قشتمور في جيش كثيف . امّا البقية الباقية من الخوارزميّين وهي نحو عشرة آلاف فقد لاذوا بالسلطان علاء الدين صاحب بلاد الروم فاعطاهم بلادًا لمعيشتهم وظلّوا خاضعين له حتى وفاته .

وفي تلك الغضون اعتزم الخان بن جنكزخان ملك المغول ان يفتح بلاد الصين وهي الخطا . فسار التتر اول بدء الى مدينة خوجا بنو بقسين وهي على شط نهر قراموران وفيها عشرة آلاف مقاتل وحاصروها (٤٦٤) اربعين يومًا فعجز اهاليها وسار بعض اقطابها يطلبون الامان من الخان . امّا المحاربون فقد ركبوا السفن جميعًا وهربوا في النهر . واحتلّ الخان المدينة ولم يؤذ احدًا . ومن هناك دخلوا بلاد الخطا فجيّش التون خان اعني ملك الذهب مائة الف من الشجعان وانفذهم للقاء التتر واحاطوا بهم احاطة الخاتم بالاصبع . وما ان شاهد الخان بطشهم حتى تذرّع بوسيلة اخرى وهي انه أمر السحرة والرقائين ليبرزوا حجر المطر فابرزوه وانجزوا اسرارهم ثلاثة ايام وثلاث ليال وهبطت على الصينيّين امطار غزيرة وثلوج قاسية تبعها برد شديد في شهر تموز . وعند ذلك وثبوا كالذئاب تنهش الغنم واوقعوا بعسكر الخطا وكسروهم شرّ كسرة. وانهزم التون خان الى عاصمته واجتمع بنسائه واولاده واخوته واقاربه جميعًا في

بلاطهِ . وأمر عبيده قاطبة فكوّموا الحطب اكواماً اكواماً واضرموا فيها النيران فاحترق هو وكلّ ذويهِ. ودخلت عساكر المغول مدينة نامكينك ونهبوها ونهبوا غيرها من المدن وقتلوا خلقاً كثيراً وأسروا من البنين والبنات الممتازين بالجمال عدداً وافراً . ورجع الخان في غاية الابتهاج ووصل الى جبال قراقورم وابتنى مدينة سمّاها اردوباليق اعني مدينة المعسكر وهي تعرف اليوم بقراقورم واستحضر اليها صنّاعين واهالي من بلاد الخطا والعرب . وبينما كان مسروراً بتلك الغلبة توفي فتولّى اخوه الصغير وكان احب الاخوة اليه (٤٦٥) فحزن عليه حزناً شديداً وأمر ان تتولى تدبير ولايته زوجتهُ سرقوتني باجي وهي ابنة اخي الملك يوحنا . وكان لها اربعة بنين كبار اولهم : مونكا الذي صار فيما بعد ملكاً . ثانيهم قوبيلاي ثالثهم هولاكو رابعهم اريغ بوكا . فأحسنت تربيتهم وادهشت جميع اولاد الملوك بسياستها . وماثلت هيلانة الملكة بايمانها المسيحيّ القويم وعنها قال احد الشعراء .

فلو كان النساء كمثل هذه   لفضلت النساء على الرجال

وتوفّي كذلك توشي ابن جنكزخان الاكبر وخلّف سبعة بنين كبار وهم: تمثل . هردو . باتو . سيبقان . تنكوت . بَرْكه . بركجار . وقد انتقى الخان ثانيهم وولّاه بلاد الصقالبة الشمالية واللان والروس والبلغار وجعل مخيّمه على شاطئ نهر ايتيل . ولما سار في طريق الشمال من بلاد الكرج الى بلاد البلغار والسكوتيين اجهز على اهاليها بالسيف والغى ممالكها . واصدر الخان امره بان تقطع الأذن اليمنى من كل قتيل بلغاريّ وروسيّ وأُحصي عددها فكان مائتين وسبعين الف اذن . وتجهز الخان للدخول الى قسطنطينية من ناحية بلغاريه . فبلغ ذلك ملوك الفرنج فاحتشدوا ولاقوه وكسروه وهزموه ولم يعُد التتر يتعرّضون لبلاد الفرنج بل ظلّوا مقيمين في سهل القوقاس .

واحبّ سرتاق بن باتو الديانة المسيحية واعتمد وتعلّم الكتابة والقراءة ورُقّي الى الرتبة الشماسيّة . ومات في ذهابه لخدمة منكوخان على ما يظهر

وفي السنة (٤٦٦) ١٥٤٣ لليونان (١٢٣٢ م) زحف التتر كذلك وغزوا بعض الاماكن وعادوا الى بلاد العجم . وعجز السلطان علاء الدين عن مناوشتهم وقرّر لهم الجزية وصالحهم . ولما استراح من همّهم انتزع خلاط من الاشرف

واحتلّ حصوناً كثيرة من ارمينية ومدينة سُرماري . وانتزع الكامل صاحب مصر مدينة آمد من صاحبها واعطاه قرى لمعيشته .

وفي السنة ٦٣٠ للعرب (١٢٣٢ م) مات الطبيب المهذب المدعو دكوار الدمشقيّ . وكان في اوّل امره يجلس في السوق ويطبّب المرضى بالاجرة . ثم خدم احد ابناء العادل واساء كثيرًا الى الاطباء اقرانه وكفّهم عن الخدمة . وكان مكّارًا شتّامًا شرهاً نهماً واصابه في آخر ايامه داء عضال في لسانه الذي كان يؤذي به اقرانه وأمسى اخرس لا يتكلّم . وتفاقم الداء شيئاً فشيئاً حتى قتله . ولم يخلّف وارثاً وكتب في وصيّته ان تحوّل داره الى مدرسة لمن يعلّم ويتعلّم الطبّ ووضع فيه كتبه كلّها . وبلغ به اللوم مبلغه حتى حتّم ان يدرس فيها المسلمون وحدهم دون اليهود والنصارى . وما زال هذا القانون جارياً في دمشق حتى اليوم . وتلامذة الطبّ يقرأون على اليهود والنصارى خارجاً عن تلك المدرسة .

وفي رمضان ٦٣٠ للعرب (١٢٣٢ م) مات مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي كوجك صاحب اربيل ونقل الى مكة ودُفن هناك . وبعث اليها الخليفة جنودًا مع طاهر الدين ابي علي عارض والقائد بهاء الدين بنغوش ولكنّ الاهالي قاوموهما فاتبل شرف الدين شرابي وحاصرها (٤٦٧) واحرق باب عين كاوا ودخل المدينة ونهبها وما عتم ان احتلّ البغداديون قلعتها وتولّاها شمس الدين باتكين وعارض الغش وتولّى المدينة انسان شريف يقال له ابو المعالي محمد بن نصر بن صلايا والمشرف بن صَدَقة .

بدء مملكة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل

وفي السنة ١٥٤٤ لليونان (١٢٣٣م) كتب الخليفة فرماناً لبدر الدين صاحب الموصل وخُطب له على المنابر بالسلطنة . وكان الفتى ناصر الدين محمود بن القاهر بن نور الدين قد مات . وقد تشكّى بنو العادل من السلطان علاء الدين لانه انتزع خلاط منهم . وحشدوا حشدًا كبيرًا من مصر الى حلب واتفق معهم صاحب حصن زياد وصاحب ماردين وصاحب الموصل والملك الافضل بن صلاح الدين صاحب ميساط وجمهور من المعدّيين والتغلبيّين . وحشد السلطان

كذلك جماهير من الفرنج واليونان والارمن والكرج وخوارزم اوفى عـددهم على المائة الف كلهم من مشاهير الجنود.وزحف عام ١٥٤٥ لليونان (١٢٣٤ م) الى ابلستين حيث ازمع المصريون واصحابهم ان يقيموا. وارسل هولاء الجواسيس فتحقق لهم انهم عاجزون عن مبارزة السلطان فساروا الى حصن منصور واتلفوا ضواحيها جمعاء. ثم تفرّقوا شذر مذر وعادوا الى بلدهم .

أمّا السلطان فاقبل الى ملطيـة في جيش ضخم وعبر الفرات ووصل الى حصن زياد. واحتلّ المدينة حالاً وغزاها . امّا صاحبها فانهزم الى القلعة في ستة آلافٍ من الفرسان المصريّين وصلوا لينجدوه. فاقام السلطان المنجنيقات وحاصرها وضايقهم حرباً وجوعاً وعطشاً فطلبوا الامان . امّا السلطان فقد ارسل الى مصر جميع المصريّين الذين كانوا مع شمس الـدين (٤٦٨) صواب حاجب الكامل الكبير • وارسل صاحب حصن زياد مع اثقاله ونسائه الى ساحل البحر. فاقام هناك نحو ثلاث سنوات حتى أهلكه السلطان خفيةً وعزز القلعـة والمدينة وعمّرها . ووجّه جيشاً الى سميساط افسد ضاحيتها وتعذّر عليه احتلالهـا بسبب الشتاء . فتركها وسار الى انطاكية بساحل البحر ليشتي فيها كعادته . ولمـا اقبل الصيف حشد الجنود من امم مختلفة بلغ عددهم مائـة الف فارس وهيّأهم ليزحفوا الى آمد . واذ ذاك بلغه ان الكامل مضطرب لان ابنه الذي تولّى اليمن مرق من طاعته . ولذا اغمض السلطان عن الزحف الى آمد ولا سيّما لانها حصينة جدًّا لا يتيسر فتحها في زمن قليل .

وفي حزيران ١٥٤٦ لليونان (١٢٣٥م)وجّه السلطان جنوده الى الرها وملكها عنوةً وكان الرهاويين يقاتلون قتالاً شديدًا من الاسوار . ثم سار بعضهم الى سوبرك واحتلوها ووصلوا الى الرقّة كذلك واحتلوها واتلفوها ونهبوهـا نهباً ذريعاً . وخاف الحرّانيون وحملوا اليه المفاتيح وهو في ملطية فرضي عنهم وردّهم الى بلدهم مكرّمين . امّا الرهاويون فعاندوه بشدّة وسخروا به فسخط عليهم ووثب اليهم بذاته وافرغ جنوده كل قواهم واتلفوا المدينة بما فتحوا من الثغور وبالسلالم التي اقاموها على الاسوار حتى دخلوها وسبوا ونهبوا دور الزعمـاء. ونزعوا ثياب الرجال والنساء. ونهبوا حلل الكنائس الشهيرة وآنية القدس وأجلوا الفتيان والفتيات واخرجوهم خارج المدينة وأجلسوهم على الزبل ما بين الخيام

تلفحهم سموم تموز بحرّها (٤٦٩) وساقوا القوّاد والمحاربين وعددهم الفان عراةً الى بلاد الروم الداخليَّة . وعثروا في القلعة على كمية وافرة من الذهب والفضة والسروج والالجمة وعُدَد الحرب مما تركه الكامل وهو عائد من ابلستين . وبعد هذا تولّى السلطان تحصين المدينة واقام بها محاربين وبنائين ونجّارين . وصنع مثل ذلك في حرّان وعاد الى بلده . امّا الكامل فلمّا سمع بما حدث من الاهوال في الرها ارتحل من مصر في جيش كثيف واقبل اليها . ذلك بعد اربعة اشهر لانتزاح السلطان وجنوده عنها . وقوّض بشدّةٍ برج قلعتها الضخم ورحّل على الجمال جميع الزعماء والمحاربين والصنّاع وارسلهم الى مصر .

وفي هذه السنة نقصت الغلّة في بلاد الروم وما بين النهرين ونشفت الكروم ويبست الاشجار بسبب الشتاء الشديد . فمن تشرين الثاني حتى نصف شباط جمد الفرات ولم تمطر في الربيع .

وفي السنة ١٥٤٧ لليونان (١٢٣٦ م) وجّه السلطان علاء الدين جيوشًا وافرة العدد الى آمد وحاصروها اربعة اشهر فامتنعت عليهم فنهبوا ضواحيها واخربوها وانقلبوا .

وفي السنة ٦٣٣ للعرب (١٢٣٥) سار الملك الناصر داود بن المعظّم بن العادل صاحب الكرك الى زيارة خليفة بغداد ليرفع الشكوى على عمّيه الكامل والاشرف اللذين اغتصبا منه دمشق . وفي السنة عينها سار كذلك الى بغداد ركن الدين الملك الصالح اسمعيل بن بدر الدين صاحب الموصل ليزور الخليفة.

وفي تلك الغضون وصل التتر الى اربيل وعبروا الى بلد نينوى ونزلوا على ساقية قرية كرمليس فانهزم اهلها الى كنيستها فحاصرها التتر وقعد أميران منهم على بابيها فالواحد أذِن في الخروج للذين خرجوا من بابه . ومن كرمليس سار التتر الى سنجار وانقضّوا على قافلة كبيرة من (٤٧٠) التجّار المسافرين الى سوريّة وقتلوهم قاطبةً .

وفي السنة ١٥٤٨ لليونان (١٢٣٧ م) حشد السلطان علاء الدين كذلك حشدًا غفيرًا من معدّنيين وخوارزميّين وعونيّين ويونان وفرنج وارمن وكرج وأعدّهم ليزحفوا الى آمد . وكان يومئذ عيد العرب فصنع وليمة فاخرة لجميع الاقطاب وفيها كانوا يأكلون ويشربون ويتنعمون باشكال الاغاني والسلطان

مستو على عرشٍ عالٍ مبتهجاً برؤيتهم متطرفاً شعر بألم في احشائهِ وخرج الى المرحاض وجرى منه دمٌ غزير وقضى ليلته ونهاره متقلّباً في اشدّ الاوجاع حتى وافاه الاجل يوم الاثنين اول حزيران ١٥٤٨ لليونان (١٢٣٧ م) واول شوّال ٦٣٤ للعرب .

ومات في هذه السنة كذلك الملك العزيز صاحب حلب وخلفه ابنه الملك الناصر صلاح الدين وقد قتله التتر في ايامنا . وفيها كذلك مات المحسن بن صلاح الدين الاكبر في حلب .

وفي شوال تلك السنة زحف التتر الى اربيل ثانيةً وحطّوا عند نهر الزاب الاسفل فانهزم الاربيليّون عراةً الى القلعة واحتلّ التتر البيوت وأخذوا غنائم وافرة واحرقوا اغلب الدور . وحاصروا القلعة نحو اربعين يوماً فدفع لهم أصحابها مالًا جزيلًا قبضوه وانقلبوا عائدين .

وكان السلطان علاء الدين كيقباد السابق الذكر ممتازًا ما بين ملوك زمانهِ بمنظرهِ المخيف وذكائه المفرط وشخصه النقيّ المتنزّه عن كل الاهواء الرديئة خلافاً لملوك العرب المتعادين الانغماس فيها . وكان المجرمون يهابونه جدًّا اذ كان صارماً في احكامهِ . وقد اخضع لسلطانه مدناً واصقاعاً عديدة . وساعة وفاته عند نصف النهار اجمع ارباب الدولة على الخطبة لابنه غياث الدين كيخسرو (٤٧١) وادخلوه الى مدينة قيسارية وحالفوه وأجلسوه على عرش ابيه ونادوا به سلطاناً وابتهج الاهالي جميعاً به . فامر باطلاق جميع الاسرى المسجونين في بلاده . وأُطلق كذلك الاسرى في مصر تبوت من استأسرهم . وأُحصي عددهم فكان اثني عشر الفًا ممن نجوا من الضيق .

واراد السلطان الجديد ان يقبض على زعماء الخوارزميّين خيفة ان يتمرّدوا عليه فقبض على غاير خان احدهم وانهزم بقيّتهم وجعلوا يعيثون في كل بلدٍ حتى وصلوا الى ملطية وأوثقوا سيف الدولة السوباشي وعبروا الفرات راجلين عند حصن مسارة . وعند بلوغهم الى حدود حصن زياد بجانب بلدة كربزاج لاقاهم عساكر تلك الاطراف وانكسروا تجاههم وقُتل بيراميز صاحب حصن زياد . واغاروا على بلد سميساط وغزوه ثم انحدروا الى بلد سربرك وحاميتا واستقرّوا هناك نحو ثلاث سنوات يغزون الضواحي . ثم ساروا وادّوا الطاعة

لصاحب حلب الملك الناصر وهو فتى . فاعطاهم الرها وحران وسائر مدن ما بين النهرين واستراحت الارض منهم .

اما السلطان غياث الدين الجديد فقد طلب ابنة ملكة الكرج وتزوجها وأحبها حباً مفرطاً واصبح على مثال الصبيان منهمكاً في الشرب والاكل ومداعبة الطيور والحيوانات . وترك سياسة المملكة في ايدي عبيده فصار كل منهم يعمل ما شاء . وكانت الملكة الكرجية نصرانية وقد حضر معها يوم عرسها الجاثليق والاساقفة والكهنة والاكليرس واخوها داود الصغير صاحب الكرج الداخلية . غير انها جحدت بعد قليل ايمانها وأسلمت . وقبض على داود اخيها وعلى الجاثليق وسجنا في احدى القلاع وظلا (٤٧٢) هناك حتى اقبل التتر وفتحوا تلك القلعة واطلقوهما .

وفي بدء السنة ٦٣٥ للعرب (١٢٣٧ م) مات الملك الاشرف عيسى بن العادل بن ايوب في دمشق بالغا الستين . وكان جواداً كريماً مقبلاً على التمتع بالدنيا ولذاتها يزجي اوقاته برفاهية من العيش .

وفي السنة ١٥٤٩ لليونان (١٢٣٨ م) زحف التتر تكراراً الى اربيل وغزوا واخربوا . ووصلوا الى حدود بغداد الى موضع يسمى زنكاباذ وغزوه. ووصل بعضهم الى سرّ من رأى وفتكوا باهاليها . فخرج اليهم مجاهد الدين الدويدار وشرف الدين اقبال الشرابي في عساكرهما . فبارزا التتر وهزماهم وخافا من عودتهم فنصبا المنجنيقات على اسوار بغداد .

وفي تلك السنة هرب الملك الفائز يعقوب من وجه اخيه الملك الكامل صاحب مصر الى بغداد وأراد ان يقيم في خدمة الخليفة . وما عتم ان مات الملك المذكور ودفن في دمشق وكان رجلاً داهية مهيباً وبلغ السبعين من سنيه وخلفه ابنه الملك العادل باسم جده واقام في مصر . اما الملك الصالح اخو الكامل فملك سورية وقوي امره بالخوارزميين واضاف الخابور الى بلادهم . وكان الملك الناصر داود ابن اخيه صاحب الكرك سابقاً يحاول احتلال تلك البلاد ولكن الدهر عانده . وكان عالماً بارعاً بالعلوم الفلسفية . وحكي انه قصد شمس الدين كسروشاي الفيلسوف في دمشق وكان كلما ذهب ليدرس عليه انحدر من حصانه على مسافة بعيدة وترك هناك عبيده وحمل كتابه تحت

ابطه ودخل مدرسة الفيلسوف يطالع ويتعلّم ولم يدَع معلّمه ان يتخفى له .

وفي تلك السنة وثب الاسمعيليّون الى بدر الدين صاحب الموصل ولكنه لم يصب بضرر . (٤٧٣) وفي ذي القعدة من تلك السنة انقلب التتر ثانيةً الى حدود بغداد ووصلوا الى خانقين فخرج اليهم الجيش البغدادي وبارزهم فانكسر ولم يفلت منه الّا ثلاثة من الكبار وهلك البقيَّة بفم السيف . واحتوى التتر على غنيمة وافرة وانطلقوا .

وفي السنة ١٥٥٠ لليونان (١٢٣٩ م) وهي السنة ٦٣٦ للعرب فاض نهر بغداد واخرب دورًا كثيرة واغرق سفينتين هلك فيها زهاء خمسين نسمة . ولم ولم يحدث في السنة التالية شيء يستحقّ الذكر في البلاد المجاورة لنا .

وفي حزيران ١٥٥١ لليونان (١٢٤٠ م) زحف التتر وغزوا من بلاد الكرج حتى حدود ارضروم . واحتشد جنود بلاد الروم وزحفوا الى ارمينية ليصدّوا التتر عن التوغل في بلادهم . فسمع هولاء وتركوا وانقلبوا الى بلاد سقوتية . وظلّ جنود بلاد الروم هناك حتى الشتاء ثم عادوا الى بلدهم .

وفي تلك السنة وجّه المسلمون من بلاد الروم التاج بلغاري مركّب الدرياق بثابة سفير الى بغداد ومات هناك في السنّ التسعين .

وفي خريف السنة ١٥٥٢ لليونان (١٢٤١ م) وهي السنة ٦٣٨ للعرب ظهرت بدعةٌ مناقضةٌ لدين العرب . ذلك ان رجلًا تركمانيًا شيخًا ناسكًا يقال له بابا ظهر ببلد اماسيا ادّعى النبوّة وزعم انه هو رسول الله حقًّا . وان محمدًا كان كذّابًا لا رسولًا . وتبعه جمهور غفير من التركمان استغواهم بما كان يُظهره لهم من الحِيَل والمخارق . ووجّه الشيخ اسحق تلميذه الى بلد حصن منصور وهو آخر حدود بلاد الروم ليدعو التركمان الى المصير اليه . وقد استمال الكثيرين الى محبّة معلّمه . واعدّ له عُددًا حربيّةً وانضمّ اليه جميع الفلّاحين التركمان وباعوا حميرهم وثيرانهم واغنامهم واشتروا خيلًا وركبوا (٤٧٤) معه وغزوا بلد حصن منصور وجرجر وكاختين وفتكوا بكلّ من لم يُقرّ بان بابا هو رسول الله ونبيّ .

على ان زعيم ملطية حشد خمسمائة فارس واخذ لنجدته خمسين راجلًا من المحنّكين بضرب السهام من دير مار برصوما وزحف اليهم فانكسر ولم يفلت من اصحابه الّا القليلون . فتقوّى التركمان جدًّا وتبعتهم جماهير غفيرة وزحفوا

الى ابلستين وتغلّبوا على جيشها . وواصلوا الزحف بشدّة الى اماسيا ليزوروا الشيخ بابا زعيمهم . غير ان زعماء بلاد الروم كنوا لذلك الشيخ وقبضوا عليه وخنقوه . ولمّا وصل اسحق تلميذه في اصحابه ولم يجدوه اذاعوا بانه صعد الى السماء ليأتي بملائكة لنجدته وجعلوا يحاصرون اماسيا حصاراً شديداً . فاحتشد نحو ستين الف فارس من اصحاب السلطان غياث الدين ولكنهم لم يجسروا ان ينازلوا التركمان وهم ستة آلاف لا غير حتى اقبل الف فارس من الفرنج كانوا لدى السلطان وتشدّدوا وصرفوا باسنانهم وصنعوا اشارة الصليب على وجوههم ووثبوا الى اولئك الطغاة وشتّتوهم . وبعد هذا انضمّ اليهم العرب واحاطوا بالتركمان احاطة الهالة وقتلوهم طرًّا بحدّ السيف ولم يتركوا منهم رجلاً ولا امرأةً ولا ولدًا ولا حيواناً حيًّا . وهكذا قُضي على تلك البدعة .

وفي هذه السنة احتشد عساكر بلاد الروم واقاموا زعيماً لهم اسمه سينان سوباشي صاحب حصن زياد الذي خلف بيرامين المقتول وزحفوا الى آمد وحاصروها وكان صاحبها ابن الكامل صاحب مصر واتّفقوا سرًّا مع الحرّاس ووعدوهم بمالٍ جزيل فسلّموهم البلد . وكان معهم بعض الحلبيّين وافوا لنجدتهم (٤٧٥) . وبعد ما احتلّوا آمد ساروا الى ميافرقين ليحتلّوها كذلك . لكن الملك غازي اخا الكامل استنجد بالخوارزميّين الذين في ما بين النهرين وأغار على أعدائهِ واغمض الحلبيّون عن مبارزته لكونه أخا مولاتهم امّ الملك الظاهر والد الملك الناصر صاحب حلب .

وبعد ما احتلّ سينان آمد ورده الامر من السلطان ليزحف الى ارضروم ويقيم بها ويحميها من قوّة التتر . ولما وصل اليها اقبل جرماغون نوين في جيش جرّار من التتر وملك تلك المدينة الحصينة في ايام وجيزة وقتل رجالها ونساءها وأبقى على فتيانها وفتياتها واتخذهم عبيدًا . وفتك كذلك بسينان وابنه الشابّ وتركها قاعاً صفصفاً وارتحل .

وفي القابل اعني السنة ١٥٥٣ لليونان (١٢٤٢ م) وصل التتر الى حصن زياد ونهبوا كلّ ما وجدوا وانقلبوا الى بلاد العجم .

وفي السنة ١٥٥٤ لليونان (١٢٤٣ م) حشد السلطان غياث الدين جيوشاً كثيفة واتّخذ فرساناً من حلب ومن اليونان والفرنج والمديّين ودفع لهم ذهباً

ووعده صاحب حمص وملك غازي صاحب ميافرقين بالمساعدة ولكنهما لم يبرّا بوعدهما. وجاء اليه البارون قسطنطين ابو هيتوم ملك الارمن الى قيسارية فرحّب به واجزل له العطاء. ووعده قسطنطين بان يحشد جيش الارمن ويأتي الى نجدته. ثم ارتحل السلطان نحو سبسطية وزحف التتر الى ضواحي ارزنجان. فسارع السلطان والتقى الجيشان بموضع يُسمّى كوساذاغ اعني الجبل الامرد. غير ان جيش السلطان عاد القهقرى منذ المعركة الاولى ولم يتمكن من الوقوف تجاه التتر فانهزم وترك سلطانه وحده. فبهت السلطان (٤٧٦) واخذ امرأته وابناءه وسار الى انقرة وتحصّن بها. ولما رأى التتر ان العدوّ قد انهزم دون قتال وترك خيامه على ما هي واختفى ظنّوا ذلك مكيدة وانه قد حاد عنهم ليكمن لهم فاقاموا يوماً وبعثوا الجواسيس واستثبتوا الحقيقة ثم تنمّروا ودخلوا تلك الخيام وابتزّوا كلّ ما بها. وانتشروا في بلاد الروم ووصلوا الى سبسطية فسلّم اصحابها ودفعوا ذهباً وافراً وانقذوا نفوسهم من القتل وابناءهم وبناتهم من العبوديّة. ودخل التتر المدينة وافرغوا الخزائن الملكيّة واحتووا على كل ما طاب لهم واحرقوا آلات الحرب وهدموا من الاسوار نحو اربع اذرع على مدارها.

وانتهى زعيم آخر تتريّ الى قيسارية وأبى اهاليها تسليمها فاجتمعوا قاطبةً وثقبوا سورها بالمنجنيقات ودخلوها وافرغوا الخزائن الملكية واحرقوا الدور الفخمة ونكّلوا بالزعماء والاحرار وجعلوا يطعنونهم بالسيوف حتى انتزعوا كلّ ما لهم. ثم قتلوا ربوات كثيرة واستاقوا الصبيان والصبايا سبياً. امّا امّ السلطان فلمّا سمعت خبر النكبة اخذت ابنتها اخت السلطان وعبيدها وجواريها وكنوزها وسارت الى قيليقية ولاذت بالبارون قسطنطين ابي الملك هيتوم الذي وعد السلطان بالنجدة واستخفّ به منتظراً النتيجة. وما ان عرف التتر بانهزام الملكة اليه حتى ارسلوا سفيراً الى بالي ابي البارون يطلبونها وذكر بعضهم ان بالي عينه تزلّفاً الى التتر أخبرهم بان الملكة عنده وهو مستعدّ ليسلّمها لهم. فلمّا وصل السفير سلّمها اليه. وقد استفظع الملوك والخاصة والعامّة هذا العمل المنكر وأبدوا استياءهم من الارمن. هكذا استاق التتر تلك الملكة وما برحت مقيمة عندهم حتى اليوم (٤٧٧) مستعبدة.

وفي تلك الغضون زحف تركمان ابلستين الى ديرنا المجيد المعروف بدير البارد وفتكوا بخمسة عشر راهباً اغلبهم من جهابذة العلماء. والشمامسة والنساك. ولما عوَّل اولئك الملاعين على الهزيمة باغتهم التتر وفتكوا بهم قاطبةً . هكذا انتقم منهم العدل بعد ثلاثة ايام ورجع كيدهم بنحرهم .

ولما سمع اهل ملطيــة بانكسار السلطان قصد السوباشي رشيد الدين في بعض اهل البلاط ليلًا الخزانة الملكيَّة واقتسموا ما بينهم كلّ مــا رأوه من ذهبٍ وفضَّةٍ وفتحوا الابواب وفرّوا الى حلب . وانهزم مثلهم زعمــاء المدينة المشاهير ولا سيما المسيحيّون الذين امكنهم الهرب . وبوصولهم الى جبل الجوز على مسافة يوم من المدينة ادركهم فريق من التتر وقضى على اغلبهم واستاقوا البنين والبنات وأفلت القليلون وعادوا الى المدينة عراةً حفاةً . امّــا سائر الاهالي من بزّازين وحيّاك وغيرهم فلما شاهــدوا الاماثل والزعماء قد تركوا المدينة وانهزموا اجتمع العرب والمسيحيّون بمطرانها السيّد ديونيسيوس عنجور الذي صار فيما بعد بطريركا (١٢٥٢–١٢٦١)والتمسوا منه ان يبذل الجهد في حراستها لانه كان متيقّظًا حريصاً . وتحالف العرب والنصــارى وجعلوا يطوفون طول الليل على الاسوار بالمناوبة ويجلسون مدة النهار على باب المدينة . ولم يكونوا يفتحون الّا باب الرئيس او باب البلاط . واستقامت المدينة في وجلٍ وخوف زهاء شهرَين حتى انكشف التتر ولم يتعرَّضوا بجولة تعالى الّا للذين خرجوا منها منهزمين الى باب الجوز .

ـ وانقلب التتر الى ارزنجان وطلبوا الاموال من زعمائها فلم (٤٧٨) يذعنوا لهم فسخطوا واقاموا عليها المنجنيقات وقوّضوا بعض اسوارها ودخلوا فنهبوها وقتلوا اهاليها واخربوها تماماً . اما السلطان غياث الدين فقد وجّه اليهم الوفود وطلب الأمان فصالحوه على مالٍ وخيلٍ ومواشٍ وعبيد . وفي تلك السنة وهي السنة ٦٤٠ للعرب (١٢٤٢ م) مات الخليفة المستنصر .

بعد المستنصر المستعصم ابنهُ

تولّى ستّ عشرة سنة . وكان عقله عقل الصبيان لا يميّز الخير من الشرّ . اسرف زمانه بلعب الحمام والالتهاء بالطيور . وكان اذا قيــل له ان التتر

متأهبون ليكبسوا بغداد كبسهم لسائر المدن الشهيرة في العجم يقول لهم : ان بغداد هي تحتنا ولن يدخلوها ما لم نأذن لهم . وهكذا ازال الله تعالى الدولة العباسية في عهده .

وفي السنة ١٥٥٥ لليونان (١٢٤٤م) أقبل يساور احد زعماء التتر في الصيف الى ميافرقين وماردين واثرها وعبر الفرات الى حيلان بجوار حلب ولم يدخلها لان حوافر خيل عسكره تعطلت بسبب يبوسة الارض والحرّ وبعدما غزا تلك البلاد أرسل الى صاحب حلب يطلب مالاً فارسل اليه كلّ ما طلب . ورجع من هناك وزحف الى ملطية وأتلف الغلال والكروم والنحل . وفتك بكل من لقيه في طريقه . وارسل يتهدّد رشيد الدين والي المدينة وكان قد رجع من حلب فجمع كمّية وافرة من الدراهم والدنانير والحلى واواني الذهب والفضّة ما قدره اربعون الف دينار ذهباً . وابتزّ كذلك آنية القدس من كؤوس واطباق ومباخر وقناديل وصناديق قديسين اخرجها من (٤٧٩) خزانة الكنيسة الكبرى وبعث بها اليه فاحتوى على ذلك كله وانقلب الى فارس .

وبعد ذهاب التتر حدث في ملطية وضواحيها غلاء ووباء وكثر الفقراء وماتوا موت الحيوانات في الشوارع . وعرض الكثيرون ابناءهم وبناتهم للبيع فلم يشترهم احد .

واشتهر عصرئذ في ملطية عيسى الطبيب الرهاوي تلميذ الطبيب حسنون وانتقل الى قيليقية وخدم ملكها وشاد في سيس كنيسة بديعة باسم مار برصوما .

وفي السنة ١٥٥٦ لليونان (١٢٤٥ م) زحف التتر الى بغداد فقاومهم الشعب كله وردّهم فارغين . وثار في السنة عينها السلطان غياث الدين فارسل جيوشاً كثيفة ليخربوا قيليقية انتقاماً من صاحبها الذي سلّم امّه واخته الى التتر . فزحفوا الى طرسوس وحاصروها حصاراً شديداً وكان فيها يوم ذاك بالي ابو الملك هيتوم والقنسطنطيل ابنه الكبير . فقاوموا تلك الجيوش بشدة يساعدهم كثير من الفرنج الذين عندهم . وهطلت عليهم امطار غزيرة فتضايقوا جداً وتعذّر عليهم الانتقال الى مكان آخر وانقطع عن خيلهم العلف بسبب ما حدث هناك من الاوحال التي كادت تبتلع الخيل وركّابها معاً . وفيما كانوا متقلّبين في ذلك الضيم وردهم نبأ موت السلطان فانفرج غمهم وتركوا البلد وانصرفوا قبل

وصول الخبر الى الارمن . وكانت وفاة السلطان في الخريف بدء السنة ١٥٥٧ لليونان (١٢٤٦ م) وخلّف ثلاثة بنين صغار وهم : عز الدين وركن الدين وعلاء الدين . وبايع الاقطاب عز الدين كبيرهم وسمّوه (٤٨٠) السلطان كيكاوس . واقبل اذ ذاك سفراء المغول يسألونه ليسير لزيارة الخان فتعلّل محتجًّا بخوفه من اليونان والارمن لئلا يحتلّوا بلده في غيابه . وانتهى ذلك بارساله اخاه ركن الدين بدلًا منه ووعدهم بالذهاب اليه في فرصة اخرى .

خلافة كيوك خان لابيه الخان

ومرض آنئذٍ الخان وارسل الوفود في طلب ابنه كيوك ليخلفه في المملكة بعد وفاته . ولمّا ازمع القدوم وكاد يصل مات الخان ولم يشاهده . وكانت توركينا الملكة امرأته والدة كيوك ذات دهاء حكيمة فاتفق جفاتاي وباقي اولاد الملوك على ان تتصرّف في تدبير المملكة ريثما يجتمعون كافّةً ويتشاورون . فارسلوا الوفود وطلبوهم فاجتمعوا في ايام الربيع . اذ اقبل من المشرق كوتان واوتكين اخو جنكزخان والشاتي . وجاء من المغرب قراموري وبايدار وتوركان ابناء جفاتاي . وجاء من الشمال اربعة اخوة باتو ولم يحضر هو . وجاء من الايغوريّين الامير مسعود بك ومن خراسان الامير ادغون . ومن بلاد الروم السلطان ركن الدين . ومن قيليقية الملك هيتوم . ومن الكرج داود الكبير وداود الصغير . ومن سورية اخو صاحب حلب . ومن بغداد فخر الدين قاضي القضاة . ووفود من الفرنج ومن علاء الدين صاحب آلاموت اعني امام الاسمعيليين حاملي السكاكين .

وكان للخان ثلاثة ابناء يوافقون للمملكة وهم كيوك وكوتان وسيرامون وهو فتى صغير . وكانت امّهم توركينا تريد كيوك فوافقها اولاد الملوك كافة . ولما اخذ كيوك كمألوف العادة (٤٨١) يستعفي ويقول : ان فلانًا وفلانًا أولى مني اخذوه قسرًا واجلسوه على سرير المملكة وجثوا تسع مرّات على ركبهم منحنين واخذوا كأساً وشربوه : ولما استقرّ له الملك جعل يتصرّف حسنًا لانه كان حكيماً نجيباً .

(يتبع)

صفحة من تاريخ الموارنة

المسابكي الشهيد يتوقع حوادث الستين

بقلم الدكتور بشر فارس

فرنسيس المسابكي هو أحد الإخوة الشهداء بطش بهم السفاحون الغاشمون بدمشق سنة ١٨٦٠ في دير الرهبان الفرنسيسكان أنظع البطش اذ حركه تحمس أثيم وطيش طاغ . ولولا رجالات من أهل المروءة والسماحة والسخاء ، لدمشق وظواهرها أن تفخر بهم الى الابد ، كالأمير عبد القادر المغربي وصالح آغا وسليم آغا المهايني ومحمود افندي حمزة ومحمد آغا سويدان وغيرهم ممن ذكرهم صاحب « كتاب الأحزان » ما نجا من المستضعفين من «أهل الذمة» في الشام «واحد لا من الرجال ولا من النساء والبنات »[1] .

والإخوة الشهداء هم : فرنسيس وعبد المعطي ورفائيل المسابكي . ويجد القارئ قصة استشهادهم في رسالة بشاره الشمالي مطران دمشق . ومن مصادر القصة رواية نعمة بن عبد المعطي الشهيد .

ولما كانت الوثائق الخاصة بفاجعة الستين معدودة على حسب ما يسردها المطران الشمالي في رسالته ، رأيت ان انشر هنا كتاباً ارسل به فرنسيس المسابكي الى الشيخ ملحم بشير الدحداح في الثاني من تموز لسنة ١٨٦٠ اي سبعة أيام قبل وقوع الفاجعة . وفائدة الكتاب أن كاتبه الشهيد يخبر مراسله اللبناني بأن في الجو شيئاً يخيف فيذكر له ما يتخذه أصحاب الأمر من تدبير في أحياء المدينة اتقاء للشر حين يستطير . ومقصد الكتاب تجاري أولاً ، فقد كان فرنسيس هذا في تلك السنة شيخاً ثرياً يتعاطى تجارة الحرير ويعامل تجار لبنان وبيروت منهم آل الدحداح وآل الخازن . وأما ما ورد في الكتاب بشأن

١) كتاب الأحزان في « تاريخ واقعة الشام » مخطوط منسوب الى ميخائيل الزيات ، ص ٢٠٩–٢١٤ . عن « الاخوة الشهداء الثلاثة » للمطران بشاره الشمالي ، بيروت ١٩٢٦، ص ٥٢–٥٤

توقع الفتنة فليس بمستغرب ، ذلك أن فرنسيس كان عميد الموارنة في دمشق ومرجعهم وكان ايضاً ملاذ المسيحيين هنالك من وطنيين وغرباء ، يشهد بذلك ما سطره المطران الشالي في رسالته المذكورة[١] .

وهذه الوثيقة دفع بها اليّ ، في اثناء اقامتي بلبنان في صيف سنة ١٩٥٥ ، السيد بشاره المسابكي ، حفيد عبد المطي الشهيد وأحد وجوه بيروت وأصحاب المصارف فيها لهذا الوقت[٢] .

صورة الوثيقة

جناب الاجل الماجد الافخم الشيخ ماجم بشير الدحداح المحترم دام بقاه

· غب تقديم ما لاق وافتقاد كريم الخاطر ، نعرض بابرك الاوقات تشرفنا بورود تحاريركم ، أخرهم رقم ٢٨ الماضي ، وحمدناه تعالى لدوام بقاكم . وشرحكم فهمناه . ورسلكم ازجمات بدفع بوالسنا وصلة[٣] . وحجزتم من بوليسة الخواجه يوحنا ارسانيوس المايه ريال عامود[٤] ، المسحوبة بالغلط ، زايد عن بطلوبنا مع خسم[٥] القروش ١٠ مطلوبكم المصروف. فرصدنا عنكم حساب البوالس ، ودايماً ابقاكم الله مقصد[٦] . والقروش ٧ المراجع بها الخواجه ارسانيوس المذكور عن خنس فى قبض البوليسة فهذه جزئية لا تحرز[٧] . وقد انطلعنا[٨] على الشقة المرسلينها للاخ الخواجه ابراهيم بولاد فهذه[٩] الامور الحاصلة ساح من

---

١) ص ٣٨-٤٣ ؛

٢) تضاف الى الوثائق المعدودة التي يوردها الشالي فى رسالته كتابة مرقومة بالحبر على عمود كنيسة مار موسى فى برية النبك بين دمشق وحمص ، تصف الفاجعة باختصار ، رقمها « ليان ولد يوسف هبرا » يوم الاثنين العصر هجرية فى ٢ ذي الحجة سنة ١٢٧٦ / ٩ تموز سنة ١٨٦٠ - اطلعني على هذه الوثيقة ، في دمشق سنة ١٩٥٥ ، الخورفسقفوس يوسف هبرا ، النائب العام لمطرانية السريان الكاثوليك بدمشق ، منقولة بيده .

٣) وصلت .

٤) من اصطلاحات المعاملة المالية فى ذاك الوقت .

٥) خصم .

٦) لا يزال اهل لبنان يقولون : « الله يديمكم مقصد » .

٧) لا تحرز : تعبير شامي . وفى مصر يقال : ما يستهلش .

٨) اطلعنا .

٩) هنا يبدأ الكلام على توقع الحادث .

البارى وقصاصاً خطاياننا . ونبقى الاختباطاة[1] متساوية في كل محل لان بطرفنا حاصل وقوع خوف وخطر من هذه الاختباطاة . والنصاره ستكنة في بيوتهـا وموجودة تحت لطف الباري . ويحسن ملاحظة وساعدة جناب الاعيان واغوات البلدة الذين عمـال[2] يخمدون الهيجان الحاصل – وصار تعيين عسكر من اهالي البلد لاجل المحافظة . وكل أغة حـارة سهران ويحافظ لاهل حارته . كما انه نزل عسكر نظام الى حارات النصاره للمحافظـة سيما بسبب العيد يحصل الحادث . ولم يزل الناس حاصلة بعدم اركان[3] . وهـذه الحركة حصلة لخراب الجميع . فالله من جوده نحته يد في عباده ويخلصها من هذه الفالة ويصرفهـا على خير ويقدم الفرج . والخوف حاصل من داخل وخارج . الله يحل عسيرها ويغير هذه الاحوال لاحسن حال[4] فنرجو الافادة عنا بجد[5] بطرفكم من الحوادث الحاملة . هـذا ولا خلافه يعرض[6] . شرفونا بخدمتكم الكريمة . وبطيه تحرير لجنـاب الشيخ عباس الخازن . الرجاء تسليمه ليده مع عدم المواخذة . وادام الله بقاكم

في ٣ تموز سنة ١٨٦٠

الـداعي

فرنسيس مسابكي

وأولاده

---

١) نقول اليوم : الاضطرابات .

٢) عمّال .

٣) إركان . أي اطمئنان .

٤) هنا ينتهي الكلام على توقع الحوادث .

٥) عما يَجِدّ .

٦) لا يعرض لي شيء غير ما قلته .

تنبيه – تركت هفوات الكاتب على حالها

اخبار العالم

اخبار دينية

رسالة الحبر الاعظم بمناسبة عيد الميلاد : بعد ان تقبّل الاب الاقدس التهاني العيدية التي رفعها اليه نيافة الكردينال تيسران باسم المجمع المقدس القى خطاباً وجّهه الى العالم كله اذاعه راديو فاتكان ومحطات اخرى عديدة ثم أذيع بالراديو ذاته بثلاثين لغة مختلفة .

في هذه الرسالة يذكّر قداسته جميع سامعيه وخصوصاً المسؤولين منهم عن السلام في العالم بانه ليس وسيلة اخرى لتوطيد سلام عالمي حقيقي الا بالاستنارة بالنور المنبث من الميلاد لكي نعرف حقّ المعرفة ما هو مقام الانسان في هذه الارض : فالانسان في هذه الدنيا هو : سيد الخليقة — وخادم الله .

ومن هذه الحقيقة يُنتج قداسته نتائج عملية فيما يخص الحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية والحياة الدولية .

مشروع بناء كنيسة « للمسيح العامل » في روما : احتفاء بالذكرى الثانين للحبر الاعظم بيوس الثاني عشر التي تقع في ٢ اذار ١٩٥٦ قررت جمعية العمال في ايتاليا بان تشيّد في روما كنيسة جديدة تكرّسها « ليسوع العامل » وان تدعو جميع العمال في ايتاليا الى الاكتتاب للمشاركة في هذا المشروع .

نظرة الى اعمال قداسة البابا في هذه السنة المنصرمة : رغماً عما تحمّله قداسته من ألم وضعف في صحته في الشتاء الماضي لقد قام مدى هذه السنة باعمال جزيلة جليلة .

في هذه المدة قد اذاع قداسته تسعة وخمسين خطاباً او رسالة بلغات شتى منها خمسة وعشرون باللغة الايتالية واثنان وعشرون بالافرنسية وستة بالانكليزية وخمسة بالاسبانية وواحد بالبرتوغالية .

وقد تقبّل في هذه السنة زيارات رسمية عديدة . نذكر اسماء الزائرين البارزين :

فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية كميل شمعون . ورئيس الجمهورية الايتالية جيوڤاني غرونكي . ورئيس الوزارة التركية عدنان مندريس . ورئيس الوزارة الافرنسية منديس فرانس . ورئيس الحكومة الهندية جوهر لال نهرو .

سيدة فاتمة : كانت دورة تمثال سيدة فاتمة في الشرق الادنى في تشرين الماضي دورة اجلال وانتصار خصوصاً في حيفا والناصرة وقرى الجليل التي اجتازتها . كان التمثال يُصعد في الكنائس باحتفال عظيم ويبقى فيها مصموداً اربعاً وعشرين ساعة يحتاطه نهاراً وليلاً جوقة شرف وعدد غفير من المسيحيين يصلون صلاة الوردية .

في هذه الاحتفالات قد تجدّد الحادث العجيب الذي كان قد ظهر منذ سنوات ايام تجوّل التمثال في مدن اسبانيا وهو ان حمائم بيضاً من حمام البلاد كانت تأتي وتقف عند قدمي التمثال وتستقر هناك هامدة في الكنيسة كما في الطرق اوقات حفلات التطواف وذلك

رغماً عما يحدثه تنقلات الزائرين من الضجيج ورغماً عن الانوار الساطعة التي تضيء الكنائس احتفاء بالعذراء . وقد لاحظوا في طوافات التمثال في الطرق انه عند اطلاق عيار ناريّ ابتهاجاً بالعيد كانت الحمائم تختبئ لصداها دون ان تترك موقفها .

الغاء المحاكم الدينية في مصر : في ٢٠ ايلول الغابر وبعلّة اصلاح القضاء اصدرت حكومة الثورة المصرية قراراً بالغاء المحاكم الدينية -الشرعية والملّية- المحاكم التي تنظر في «الاحوال الشخصية » اي الزواج والطلاق والارث ... الخاضعة - عند المسلمين للقانون الشرعي - وعند المسيحيين للحق القانوني . ثم سوف يتبع هذا القرار قانون جديد للاحوال الشخصية .

يتضمن هذا القرار بنوداً تثير في محتواها الشكوك والاستغراب . نلاحظ منها اولاً : بانه منذ ١ كانون الثاني سوف يُضاف الى المحاكم التي اليها يعود القضاء في الاحوال الشخصية عدد من اعضاء المحاكم الشرعية الاسلامية المُلغاة دون غيرهم من اعضاء المجالس الملّية المسيحية وهكذا الى هؤلاء الحكام المسلمين الذين يجهلون الحق القانوني المسيحي بروحه واساليبه يعود امر الحكم في الاحوال الشخصية للمسيحيين . ونلاحظ ثانياً : بانه ينتج من الفقرتين السادسة والسابعة من القرار بانه اذا حدث في مجرى دعوى بين طرفين مسيحيين ان احدهما اعتنق الدين الاسلامي يكتسب حالاً الحق بان يُحاكم بموجب الشرع الاسلامي فيتسلم الاولاد بعد اعلان الطلاق . . . ما غاية المشترع يا تُرى بهذا القرار وهل يرضى به في دعوى طلاق بين طرفين مُسلمين .

بعد صدور قرار الغاء المحاكم الدينية اجتمع الرؤساء الروحيون من الكاثوليك وبرسالة عامة قُرئت في كل كنائسهم اعلنوا عدم امكانهم بقبوله ولاظهار عدم رضاهم به أمروا بالغاء قداس نصف ليل الميلاد وسائر احتفالات العيد التقليدية .

غضبت اذ ذاك الحكومة المصرية لموقف الاساقفة الكاثوليك واعتبرت منشورهم مُخلّاً بالامن فاوقفت وزجّت في السجن اثنين منهم وثلاثة خوارنة رعية - وبعد ايام قليلة جاء دور الاقباط فاذاعوا هم ايضاً امرٌ بالغاء الاحتفالات الميلادية في كنائسهم احتجاجاً على قرار الحكومة بخصوص المحاكم الملية . حينئذ اسرعت الحكومة المصرية في طلب وسيلة الى تسوية النزاع القائم . فتمّ الاتفاق على الشرطين التابعين :

١) اولاً في حال اسلام احد الطرفين يحقّ لزوجه طلب الطلاق لان عمله بتغيير دينه يضرّ بها : فيجب اذ ذاك على القاضي ان يجيب الى طلبها وان يحكم بحقها في حضانة الاولاد .

٢) يجب ان يُضمّ الى المحكمة التي تنظر في امور الزواج قاض من رجال الكنيسة . ثم اقرّت للقسس بحق التسجيل الرسمي للزواج - لكن بعد اتمام الرتبة الدينية . ثم بحقهم في حفظ السجلات كلها في الكنائس والابرشيات - لا بد اذن بعد هذا ان تمنح الحكومة المصرية للكاثوليك ما رضيت به للاقباط .

اخبار عالمية

الدستور المصري : في اليوم الاول من السنة الجديدة وامام حشد غفير بلغ عدده مئتين وخمسين الفاً اعلن رئيس الثورة المصرية البكباشي جمال عبد الناصر دستور الجمهورية

المصرية وقبل قراءة الدستور القى خطاباً حماسياً ابتدأ به قائلاً : لقد اقبل يوم مجد مصر . والدستور ليس بالحقيقة الا توطيد سلطة الثورة المطلقة بنظامها القائم : لخدمة الوطن سياسياً واداريًا واجتماعياً .

ولقد فوجئ العالم باعلان الدين الاسلامي دين الدولة : وفي مصر من اهل البلاد الاقدمين عدد عديد ليسوا من المسلمين .

اما استفتاء الشعب المصري للدستور وواضعيه فسيكون في ٢٣ من شهر حزيران المقبل .

استقلال السودان : نشأت في افريقيا دولة مستقلة جديدة هي السودان . كانت السودان منذ سنة ١٨٨٣ خاضعة للسلطة الانكليزية - المصرية . . . وفي هذه الاشهر الاخيرة بعد محاورات ومخابرات طويلة اتفقت انكلترة ومصر على استفتاء الشعب السوداني لتقرير الحكم الذي يريده لنفسه وذلك باشراف ممثلين من الدول المحايدة : اما الاستقلال او الانضمام الى مصر لتحقيق وحدة « وادي النيل » .

فحدث بغتةً في ١٥ كانون الاول ان اجتمع المجلس السوداني في الخرطوم واعلن باجماع الاصوات دولة السودان جمهورية مستقلة استقلالاً تاماً . ازاء هذه المفاجآت رأت لندره والقاهرة انه لا بد من الاعتراف بهذا الاستقلال فرضيًا به .

بعد ذلك انضمت الدولة الجديدة الى الجامعة العربية وطلبت قبولها في هيئة الامم المتحدة .

يتركب العلم السوداني من ثلاث شقق افقية : زرقاء (ترمز الى النيل) وصفراء (ترمز الى البادية) وخضراء (ترمز الى الزراعة) . وليس في العلم السوداني رمز ديني فهو يمثل حقاً البلاد كلها شمالها الاسلامي وجنوبها الوثني والمسيحي .

جزيرة قبرص : ما زالت ثورة القبرصيين قائمة فيها رغم الشدة التي تقابلها بها الحكومة المحتلة . منذ اضطرت لندرة الى ترك قناة السويس لمصر اضحت جزيرة قبرص نقطة دفاعية عظيمة الاهمية بل ضرورية لا بد لها من الاحتفاظ بها بها كلفها الامر .

يجاهد القبرصيون لنيل حريتهم في تقرير مصيرهم وغايتهم القصوى هي الانضمام الى اليونان . ان جهاد القبرصيين هذا ليس حديثاً وقد بدأ رسمياً نوعاً ما بجباية الكنيسة الارثوذكسية في ١٥ تموز سنة ١٩٥٠ . صباح ذلك اليوم انفتحت في الجزيرة ابواب الكنائس كلها كنائس الجبل الصغيرة وكنائس المدن الخمس الكبار الكاتدرائية لاستقبال الشعب القبرصي اليوناني بأسره . كل رجل اتمى الثامنة عشرة من عمره دُعي اذ ذاك لوضع اسمه على ادّعاء رسمي يقدّم الى الدولة المحتلة مطالباً بالحرية التامة للقبرصيين في تقرير مصيرهم . . . واليوم اذ تستعمل الدولة المحتلة الشدة في قمع المظاهرات والاضطرابات ترى ايضاً من الضرورة ان تحاول بايجاد اتفاق يُرضي المطالبين ولا يضر بمصالحها الدفاعية في الشرق ولهذه الغاية ها هي تفاوض في الامر الكنيسة الارثوذكسية في شخص ممثلها المطران مكاريوس .

الاردن : في هذه الاسابيع الاخيرة قامت في عمان والقدس مظاهرات صاخبة دامية احتجاجاً على اشاعات انتشرت في البلاد الاردنية بان الحكومة قد قررت انضامها الى ميثاق

بغداد – انقره . وقد تسلم الجيش مهمة الحفاظ على الامن وقمع المظاهرات بشدة وعنف . لكن هذه الحوادث المؤسفة اجبرت الملك حسين فدية للرأي العام على اقالة حكومته والاتيان بحكومة جديدة عهد برئاستها الى السيد هاشم رئيس مجلس الاعيان سابقاً .

والآن تظهر الحكومة الاردنية متحيرة في امرها يتقاذفها تياران متماسكان التيار العراقي الانكليزي والتيار السوري المصري السعودي .

هيئة الامم المتحدة : بلغ عدد اعضائها ستة وسبعين بعد ان انضم اليها دفعة واحدة ستة عشر عضواً جديداً وهم : البانيا والاردن وارلندا والبرتوغال والمجر وايطاليا والنمسا ورومانيا وبلغاريا وفنلندا وسيلان ونيبال وليبيا وكمبودج واللاوس واسبانيا . اما اليابان ففارقت روسيا السوفيانية قبولها وهذه هي المرة الثانية . . . لقد امتد بقبول هؤلاء الاعضاء الجدد مدى هيئة الامم المتحدة فهل يا ترى قد علا شأنها وزاد قدرها بذلك اذ وضعت على درجة واحدة بلاداً متقدمة بالعمران والتمدن وبلاداً لا يخفى على احد تأخرها بعيداً عنها .

نفوذ الحكومة الشيوعية في آسيا الوسطى : تخيّب الغرب لتنقلات بولغانين وخروتشيف في بلاد آسيا الوسطى وزياراتها الرسمية للهند وافغانستان وغيرهما وللخطب الحماسية والانتقادات اللاذعة والوعود والمواعيد التي تخللتها وقد جاء ذلك بعد مواقف الود التي وقفتها بعض البلاد العربية ازاء الحكومات الشيوعية . رأى الغرب في ذلك كله خطراً لا بد من تلافيه بأيّ وسيلة كانت فماذا يا ترى تكون هذه الوسائل . . .

أما غاية روسيا الشيوعية من التقرب الى الشرق فجليّة وهي انشاء علاقات تجارية واقتصادية تزيد في نفوذها السياسي .

سها عن بالنا ان نضع في مقال حضرة الاب انطونيوس شبلي « الآثار المطوية » في العدد الاخير من مجلة المشرق (تموز – تشرين الاول ١٩٥٥) الصفحتين اللتين نوّه عنهما حضرته في المقال المذكور عن ديوان الفارضي الذي هو بخط الشيخ ناصيف اليازجي .

فهارس المشرق

للسنة التاسعة والاربعين

١٩٥٥

فهرس اول

لمواد اعداد السنة التاسعة والاربعين من مجلة المشرق ١٩٥٥

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة التاسعة والاربعين للمشرق

على ترتيب أسماء مؤلفيها

١ – الكتب الشرقية

٢ – مطبوعات اوروبية

فهرس رابع

لجميع مواد السنة التاسعة والاربعين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

المشرق

السنة الخمسون | كانون الثاني – شباط ١٩٥٦

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

ثم ولّى ايلجيكتاوي بلاد الروم والكرج والموصل وسورية وقيليقية. وارسل يلواج الامير الكبير الى بلاد الختا . والامير سعود بك الى العجم . وولّى الامير ارغون خراسان وهمذان واذربيجان وشروان ولور وكرمان وطرف الهند . وقلّد سلطنة بلد الروم السلطان ركن الدين وردّ الملكَ هيتوم والكرج والفرنج مكرّمين . وخاطب سفير الخليفة مهدّدًا تهديدًا قاسيًا . وطرد رسل الاسمعيليّين محتقرين مهانين . واتّخذ قداق المسيحيّ حاجبه مديرًا ومدبّرًا .

وكان كيوك مسيحيًا قويًا ارتفع شأن المسيحيّين في عهده وحفل معسكره بالاساقفة والكهنة والرهبان . وعرفت يومئذ امرأة عربية اسمها فاطمة خاتون احرزت القربى لدى توركينا خاتون والدة كيوك خان واطّلعت على غوامض

اسرارها . ولسوء الحظ رفع بعضهم الدعوى عليها لدى كيوك خان بانها ساحرة تتحامل عليك وعلى اخوتك فبعث وطلبها من امه . فرفضت طلبه فأحضرها قسرًا وقتلها . وحدث بسبب ذلك خلاف بينه وبين امه وما عتم ان ماتت الام كذلك . وقد عرّوا فاطمة وتركوهـا اياماً دون اكل وشرب وظلّوا يصفعونها حتى أقرّت بانها ساحرة . فخاطوا منافذها الظاهرة والخفيّة وجعلوها في لبّاد واغرقوها في الماء ، وفتكوا بجميع أنسبائها الذين كانوا يجتمعون عندها . ولولا ذلك لاستولت بعد قليل على كلّ (٤٨٢) المملكة بسبب استئناس توركينا الملكة بها .

وفي تلك الغضون نهض كيوك خان يريد الذهاب الى بلاد المغرب ووصل الى مدينة بعيدة سبعة ايام عن بيت باليغ وهناك ادركته المنون .

وعلى اثر وفاة غياث الدين رام بعض الزعماء ان يخلفه ركن الدين ثاني ابنائه . فشمر الوزير شمس الدين اصفهاني وقبض عليهم جميعاً وفتك بهم . وتكبّر وتجبّر واتخذ ام السلطان عزّ الدين زوجةً له وولدت له ابنًا . واستاء الجميع من هذا التطاول . على ان شمس الدين هيأ ذهباً كثيرًا واقمشة ملكية وخيولا وارسلها مع الفتى ركن الدين بثابة وديعة الى التتر كما ذكرنا تأييدًا للصلح . ولمّا زار الفتى كيوك خان انتهز الفرصة بهاء الدين الترجمان ورفع الشكوى على الوزير لكونه قتل الزعماء واتخذ امرأة السلطان المتوفي زوجةً وأمر باقامة سلطان جديد دون امر الخان . فاصدر الخان امره بعزل عزّ الدين وخلافة ركن الدين الذي زاره . وان يتولى بهاء الدين الترجمان وزارته ويُعزل شمس الدين .

ولمّا عوّل الوفد على الرجوع تخوّف الوزير ووجّه رشيد الدين سوباشي ملطية في ذهب جزيل وجواهر ثمينة الى الخان ليأتيه بالخبر الصحيح . ولمّا وصل الى ارزنجان بلغه ان ركن الدين وبهاء الدين الترجمان يصلان قريباً فملكه الرعب وسار بالهدايا التي معه الى قلعة قاح وانهزم هو مع نفر الى حلب . وما عتم ان وصل بهاء الدين في الفين من المغول وخُطب للسلطان ركن الدين في ارزنجان وفي سبسطية وقيسارية وملطية وحصن زياد وآمد . ونصّب حكّام جددٌ وولاةٌ في كلّ مكان وعزلوا اصحاب عزّ الدين .

ثم وجّه الترجمان سفيرًا (٤٨٣) الى حلب فقبض على رشيد الدين الذي

نهرم وساقهُ الى قلعة هابيج وزجّه بها . وهي قمة لم يُسجن فيها أحد وينجُ من الموت سوى هذا الذي أُشفق عليه وأُطلق . ففي سور تلك القلعة المبنية على صخر شاهق باب عليه لوح صغير لا يتيسّر لاحدٍ ان يقف عليه او يجلس فوقه . وكان اذا صدر حُكم الموت على زعيم مشهور لا يريدون ان يقتلوه علانيةً بعثوه الى تلك القلعة واقاموه فوق ذلك اللوح واغلقوا الباب في وجهه . فيظلّ هناك واقفاً يوماً او يومين حتى يغلبه النعاس فيسقط ويموت . وقد تمت تلك الحوادث كلّها مع ذهاب الوفد الى التتر ورجوعه في مدّة ثلاث سنوات .

وفي السنة ١٥٦٠ لليونان (١٢٤٩م) وصل بهاء الدين والتتر فخاف الوزير شمس الدين الاصفهانيّ وحاول ان يأخذ السلطان عزّ الدين ويمضي في احدى القلاع التي بالبحر . فلمّا شعر بذلك شيخ من اقطاب السلطان علاء الدين اسمه جلال الدين القراطي وكان رجلًا صالحاً رحيماً زاهداً في اكل اللحم وشرب الخمر ومخالطة النساء : ارسل فقبض عليه في بيته واعتقله واخبر بهاء الدين حالًا . وهذا بدوره ارسل التتر فجعلوا ينكّلون به حتى اعلمهم بذخائر طائلة وبعد هذا اجهزوا عليه . وكان هذا الاصفهانيّ عالمًا ماهرًا جدًّا وعندما عرف انهم مزمعون ان يفتكوا به جعل يندب نفسه بعبارات فارسيّة بليغة مؤثّرة مفرغة في قالبٍ جذلٍ . وعلى اثر قتله تولّى جلال الدين وزارة السلطان عزّ الدين ووُزّعت البلاد على الاخوين فاصبحت قونية واقسرة وانقرة (٤٨٤) وانطاليه اعني بلاد المغرب لعزّ الدين والمدن الشرقيّة لركن الدين .

على ان اصحاب ركن الدين لم يكفّوا عن الخصام اذ كانوا يرومون ان يُسمّى هو وحده السلطان دون عزّ الدين فاحتال القراطيّ وارسل يقول لهم : ان ركن الدين هو السلطان الكبير طبقاً لرغبتكم ووفقاً لأمر الخان الذي معكم فانهضوا واتوا به الى اقسرة ويأتي كذلك عزّ الدين فيرضى بما يهبه له اخوه . فامتثلوا المشورة واقبلوا جميعاً . وتوجّه كذلك عزّ الدين من قونية . وعند ذلك كمَنَ جنود التتر في جانبٍ آخر واجهزوا على اصحاب ركن الدين وقبضوا على بهاء الدين اتابك ثم اخذ عزّ الدين اخاه ركن الدين الى قونية معه دون ان يؤذيه . وتولّى الاخوة الثلاثة عرش المملكة وضُربت سكّة الدراهم باسماء ثلاثتهم .

وفي السنة ١٥٦١ لليونان (١٢٥٠ م) خرج ملك فرنسا (لويس التاسع) ملك الفرنج في جموع عظيمة من فرسان ورجّالة وجنود ابطال وابحروا في مراكب وسفن ضخمة مشحونة ذهبًا وفضّة فوق الحدّ وأهبة وذخيرة وافرة . وارتجت الارض بخبرهم وذاع انهم يقصدون مصر . امّا الملك الصالح ابن الكامل صاحبها — وكان قد تولّى حمص وفلسطين على اثر وفاة أخيه العادل الصغير وحارب الملك الاشرف المتسلسل من اسد الدين شيركوه عمّ صلاح الدين الكبير ثم تولّى تل باشر — فهذا الملك الصالح لمّا بلغه خبر الفرنج ترك (٤٨٥) حمص وبادر الى مصر وحلّ في المنصوريّة المكتظّة بالأشجار واوقع صيحة في العرب فاجتمع اليه الجماهير من الاسكندريّة ومن قوص واسوان . امّا الدمياطيّون فلما رأوا الفرنج محدقين بهم ملكهم الرعب فافرغوا المدينة من كلّ ما بها قبل ان يضايقهم احد او يحاربهم وذهبوا باهاليهم واموالهم جميعها الى مصر .

اما زعماء دمياط فقد سألهم الملك الصالح هل ضايقكم الفرنج في القتال ؟ قالوا كلّا بل خفنا ان يحدث لنا ما حدث في عكّة لغيرنا اذ قتلهم الفرنج ولم يكترث لهم احد . فسخط الصالح عليهم وأمر بصلبهم وهم ٦٤ اميرًا على ٣٢ صليبًا زوجًا زوجًا كما هم بثيابهم ومناطقهم وخفافهم . وما عتم ان مات هو كذلك بسبب داء عرض له في فخذه فقطعوا الفخذ وهو حيّ . وارسل زعماء مصر في استدعاء الملك المعظّم ابن الصالح من حصن كيفا وملّكوه عليهم . وكان حاجبه فخر الدين عثمان ابن شيخ الشيوخ الوزير الاكبر .

امّا الفرنج فدنوا من سور دمياط ولم يسمعوا صوت حرّاس قطعاً ولم يشاهدوا احدًا في الابراج فدهشوا وارسلوا فريقًا الى الميناء فلم يشاهدوا مخاوتاً فعرفوا انهم قد انهزموا ودخلوا المدينة يوم الجمعة مطمئنين مسرورين ولم يشاهدوا فيها من يبول في حائط . وجعلت السفن تنقل لهم الميرة من البحر . غير ان عقلهم المعوجّ لم يَدَعهم يصطبرون ليختبروا عادة البلد ومنافذ الانهار والطرق بل سارعوا وعبروا غديرًا في النيل وساروا نحو مصر بعيدين عن الماء ووصلوا الى مكان قحل . وسار وراءهم بعض (٤٨٦) جنود العرب واحاطوهم فاصبح الفرنج بينهم وبين الماء يعذّبهم الجوع والعطش ويعذّب خيلهم . عند ذلك تشجّع العرب وضربوهم ضربةً هائلة جدًا وفتكوا باغلبهم واعتقلوا الملك واقطابه

ومضوا بهم الى المعظم فحبسهم عدة مدة . واشار عليه مماليك صغار اقرانه قائلين : ان قتلت هذا الملك الفرنجي فلن تنجو كلَّ حياتك من محاربتهم لان ملوكهم كثيرون واشدّاء . فالرأي ان تستحلفهم بانه منذ الآن الى مائة وعشرين سنة لا ينازل العرب لا هو ولا اخوته ولا ابناؤهم ولا حفدتهم واطلقه ليذهب ويشكر لك فضلك عند ابناء دينه . هكذا استرح وارتع في الطمأنينة ولا تبدّد ما خلفه آباؤك من الكنوز في سبيل الجنود . فاصغى المعظم الى مشورتهم واستحضر ملك فرنسا ليلًا اليه واستحلفه كما رأى واجزل له العطاء وسرّحه .

قيل انه لمّا كان ملك فرنسا المشار اليه معتقلًا ورده النبأ بان الملكة امرأته ولدت له ابناً في دمياط . فسمع المعظّم وسيّر اليه عشرة آلاف دينار ذهباً ومهدًا للطفل ذهبياً وحللًا ملكيّة .

امّا العبيد شيوخ والد المعظّم فلما شعروا باطلاقه ملك فرنسا ثار ثائرهم ووجّهوا السفن في البحر ليقبضوا عليه . ولكنهم لم يدركوه فاستلّوا السيوف وبادروا اليه فهرب منهم وصعد الى برج من خشب كان هناك فاضرموا فيه النار فلما وصلت رمى نفسه في البحر واختنق وضاعت جثّته .

امّا ملك فرنسا فسار الى دمياط واخذ آهله وتوجّه الى عكّة واقام بها زماناً وبنى مدينة قيسارية وغيرها من المدن وعاد الى وطنه .

وبعدما قُتل المعظّم (٤٨٧) صاحب مصر خلفه عزّ الدين التركمانيّ احد عبيد ابيه وتزوّج شجرة الدرّ الأمة التركيّة زوجة مولاه . وبعد زمان سار يوماً الى الحمّام ليغتسل فارسلت عبيدها الصغار فقتلوه لانها سبقت فعرفت انه يريد اهلاكها . وخلفه في مصر قوتوز عبدهُ التركيّ ودُعي الملك المظفر . وهذا قتلَ شجرة الدرّ والقى جثّتها للكلاب انتقاماً لمولاه ، الّا ان الحقيقة هي انه خاف ان تقتله فسبق واهلكها . ولقد كانت مشهورة ممتازة بجمالها الطبيعيّ وسياستها الرشيدة . وشعر يومئذ الملك الناصر صاحب حلب بان العبيد تولّوا مصر وجعلوا يقتلون بعضهم بعضاً كيفما كان فحشد جنوده واقبل الى دمشق وتولّى أمرها مطمئناً دون قتال .

جلوس مونككا خان على تخت المملكة المغولية

لمّا غادر باتو بن توشي بن جنكزخان معسكره في سقسين والبلغار وسار الى زيارة كيوك خان ووصل الى الاقاق قرب مدينة كيالج بلغه خبر موته . فمكث هناك وبعث الوفود الى جميع ابناء الملوك واستدعاهم اليه . فالذين تعذّر عليهم الذهاب كتبوا اليه يقرّرون الخلافة لباتو كبيرهم ويؤكدون موافقتهم له في كلّ امر . وكان ابناء كيوك خان في اوّل الامر واغول غالتميش خاتون امّهم المَلكة قد زاروا باتو واقاموا عنده يومين فقط وارتحلوا وتركوا تيمور نوين وقالوا له : متى اجتمع ابناء الملوك الكبار والصغار فنحن نوافق على ما يتفقون عليه . ولما اكتمل جمعهم كلّفوا باتو ان يتولّى امر الانتخاب فان شاء فيكون هو الخان والّا فلينتخب من شاء وهم راضون خاضعون له (٤٨٨) . فقال باتو : لستُ أرى من هو كفوء بالنهوض بهذه المملكة العظيمة نهوضاً حسناً الّا مونككا . فوافقوه كلهم على ذلك وقالوا : يستحقّ ويتاهل . وقد أبدى اعتذاره كالرجل الرزين العاقل . غير انهم أجلسوه قسرًا على سرير المملكة وخدمه باتو مع جميع ابناء الملوك جاثين على ركبهم وناوله الكاس كالعادة وسقاه . وتقلّد المملكة في ٩ ربيع الآخر ٦٤٩ للعرب (١٢٥١ م) . وجعلت الملكة المؤمنة الحكيمة سرقوناني باجي والدة مونككا خان تستأنس بالاقطاب والزعماء . وتقدّم لهم الهدايا السخيّة والتحف وتستميل الخواطر بالوعود الطيّبة .

واذ كانوا ينتظرون قدوم ابناء كيوك خان وامّهم اغول غالتميش وصل رجلٌ ممن يربّون السباع لتسلية ابناء الملوك وقال : اني لما فقدتُ احد السباع طاردته ثلاثة ايام حتى بلغتُ بيوت ابناء كيوك خان القادمين الى هنا وشاهدتُ عجلة محطمة وصبيًّا قريباً منها يرمّمها فاستدعاني لاساعده . ولمّا دنوتُ وقع بصري على اسلحة مستورة ضمن العجلة فسألت الغلام عنها فقال لي متعجباً كيف وانت منا تجهل هذا ؟ ان كل عجلاتنا هي مثل هذه . عند ذلك تركته وأقبلتُ لاخبركم فانتم تعرفون ما يجب . فامر مونككا خان ان يمضي منككسار القائد في الفي فارس ويلاقوا ابناء كيوك خان وقال لهم : يجب ان تحضروا انتم

مع القليلين الى مونككا خان وتزوروه ثم يأتي بعضكم جنودكم . فلم يروا الّا التسليم دون مراجعة . ولمّا وصلوا ومكثوا ثلاثة ايام ياكلون ويشربون ويستريحون أعلمهم مونككا خان بالخبر فخجلوا ولم يتمكنوا من الاعتذار قطعاً . عند ذلك أصدر الامر بقتل جميع الزعماء الذين ثبتت عليهم الجريمة (١٨٩) بدءا من ايلكيختاي نوين الذي كان كيوك قد ولّاه بلاد المغرب . وألقى جميع الباقين على الارض . ثم ارسل فاحضر كذلك نوين في العجلة واستنطقه فأقرّ بذنبه فقتله شرّ قتلة . وقتل كذلك امرأة كيوك خان وعفا عن ابنائها احتراماً للسلالة الملكية وعيّن لكل منهم مكاناً خصوصياً وخداماً قليلين . وهكذا استتبّت له المملكة . وأقطع اخاه قبلاي بلاد الصين اعني الخطا . واخاه هولاكو بلاد المغرب . وترك لديه اريك بوكا الصغير . ووضع شريعةً لبلاد الخطا بان يؤدّي كلّ غنيّ في السنة خمسة عشر ديناراً ذهباً جزية والفقير ديناراً واحداً . ولبلاد العجم ان يؤدي الغني عشرة دنانير والفقير ديناراً واحداً ولبلاد العجم ان يؤدّي الغني عشرة دنانير والفقير ديناراً واحداً . وامر كذلك ان تؤخذ دابّة واحدة ممن عنده مائة دابّة . ويعفى من ليس عنده اكثر من مائة دابة . وأطلق الاسرى والمسجونين . وأمر ان يعفى الاحبار والكهنة والشمامسة والرهبان وعلماء المسلمين من الضرائب . ولم يستثن من ذلك الكرَم الّا اليهود لا غير . وقد قال فيهم احد الشعراء : لا تصيب لك ايّها اليهودي في هذا الإنعام . انما نصيبك الاحتقار ايّها التاعس !

وفي هذه السنة ١٥٦٢ لليونان (١٢٥١ م) حصل شقاق ما بين المماليك الاتراك في مصر ووجّه بعضهم الى الملك الناصر صاحب دمشق يحرّضونه ليذهب ويتولّاها . فحشد جيوشاً كثيفة وسار الى غزّة يريد مصر . ولمّا عرف الاتراك المخالفون له حشدوا جيوشهم واطلقوا اغلب الفرنج المعتقلين لديهم واقبلوا جميعاً راكبين ولاقوه (١٩٠) بجانب غزّة وكسروه شرّ كسرة . وأفلت مع القليلين وانهزم عائدًا الى دمشق .

وفي كانون الثاني من تلك السنة توفّيت الملكة المؤمنة ايزابيل ابنة الملك لاون الكبير قرينة هيتوم بن قسطنطين ووالدة لاون الثاني الصغير ملك قيليقية . وكانت ممتازة بسخائها وفضلها وتواضعها . وكانت تتعهّد الكنائس حافيةً ولا

تكف عن البكاء مدة الصلاة . اراحها الله تعالى مع سائر السماء القديسات .

وفي القابل اعني عام ١٥٦٣ لليونان (١٢٥٢) توجه هيتوم ملك الارمن الى خدمة مونككا خان الكبير . وتناول الاسرار الخلاصية يوم خميس الفصح ورحل يوم جمعة الصلبوت . وبسبب تخوفه من ان يغدر به زعماء بلاد الروم أذاع انه يرسل اولا سفيرًا يأتيه بالأمر ثم يسافر . وكتب كذلك رسائل الى صاحب بلاد الروم في الصدد عينه . وخرج متنكرًا مع رسول له بزيّ الغلمان يسوق فرسًا لابسًا ثيابًا رثة راكبًا دابة خاملة . وطاف بلاد الروم دون ان يعرفه احد . ولمّا وصل الى ارزنجان عرفهُ رجلٌ من السوقة فقال : هذا هو الملك هيتوم . فسمع الرسول والتفت الى الملك وهو يسحب الفرس ولطمه وشتمه وقال : يا جاهل هل اصبحت هنا ملكًا واصبحوا يشبهونك بالملوك ؟ وبقوله هذا دفع عنه الشبهة . وظلّ الملك بزيّ الصعاليك حتى وصل الى حدود الكرج ثم اعلن ذاته . واستغرق سفره هذه المرّة زهاء ثلاث سنوات ونصف سنة ثم عاد الى بلده .

وفي هذه السنة انتهى الحشد الكبير لدى المغول وارتحل هولاكو اخو مونككا خان عام ٦٥٠ للعرب (١٢٥٢ م) الى بلاد المغرب حيث كان الكيكتامي متوليًا في عهد كيرك (٤٩١) وأمر مونككا خان ان يسير معه من الجيوش الشرقيّة والغربيّة اثنان من كلّ عشرة . وصحبه اخوه الصغير سنتاي اغول ومن جانب باتو : بلغاي بن سبقان وقوتار اغول وقولي في عساكر كثيرة . ومن قِبَل جغاتاي تكودار حفيده . ومن جانب جيجكان بيكي اخت الخان برقانيور في عسكر الاويرات . ومن ناحية الخطا الف بيت من صنّاع المنجنيقات والمشرفين على النفط . وسبق الجيوشَ الاميرُ كيدبوقا رئيس الخبّازين . وترك هولاكو ابنه جومغار بدلًا منه في خدمة مونككا خان مع امه الملكة الكبيرة وقد مات هذا الصبي في الطريق وهو قادم الى زيارة ابيه . ثم استصحب هولاكو ابنه الكبير اباقا وابنه الآخر اشموط اما دوقوز خاتون الملكة المؤمنة المسيحية الحقيقية فقد زُفّت اليه كعادة الملوك وسافرت معه . وارتفع بها شأن المسيحيين في كل الارض . وظلوا في طريقهم الى السنة ٦٥٣ للعرب (١٢٥٥ م) حتى بلغوا بلاد العجم .

وفي تموز هذه السنة بلغت ملطية جيش التتر وعلى رأسه يساور الذي كان قد وافى اليها منذ ثماني سنوات فغزا القرى والدساكر واحرق البيوت والبيادر وقتل كلّ من كان في طريقهِ . وحلّ الجيش في جهة المدينة الشمالية . وسار بعض التتر الى جوباس (٤٩٢) وقصدوا دير مقرونا وطلبوا من الرهبان ذهباً وطعاماً وشراباً . فرفضوا طلبهم لسوء الحظّ ظانّين انهم يتركونهم ويرحلون. غير ان اولئك التتر انقلبوا فاحضروا جنوداً كثيرين وعادوا فتوسّلوا الى الرهبان ليعطوهم شيئاً فأبوا فناوشهم التتر واضرموا في برج الدير ناراً اتّصلت باحمال صوفٍ وشمعٍ وزيتٍ كانت هناك فاشتعلت كلها واحرقت جميع الرهبان شيوخاً وشباناً . والتهمت معهم نحو ثلاثمائة من الرجال والنساء .

وفي تلك السنة ارتقى كاتب هذا التاريخ الى كرسي اسقفية جوباس وحضر في دير مار برصوما سيامة البطريرك ديونيسيوس عنجور . وكان في دير مقرونا المذكور الراهب فرج الدومنينيّ وتوما اللوزانيّ . ففرج رمى بنفسه من البرج ولم يؤذه التتر لكنه مات بعد قليل امّا توما فاحترق بالنار . وكان اهرون الشيخ الطبيب والد المؤرخ في قرية مرجا بالبيدر مع برصوما ابنهِ الصغير فلمّا انقضّ التتر لم يَرَ ان ينهزم الى دير مقرونا المذكور مع اهالي القرية بل توجّه الى جهة اخرى من الجبل واختفى في مغارة حصينة تطلّ على سواحل الفرات وظلّ مع ابنه هناك اربعين يوماً حتى انكشف التتر . وقد غرق بغلٌ واحد في النهر واقام سائر المنهزمين في برعاما وكانوا ينصرفون ليلاً ليُعدّوا القوت لهم ولدوابهم .

وفي السنة ٦٤٩ للعرب (١٢٥١ م) احتلّ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل جزيرة فردو . ذلك ان الملك المعظّم صاحبها المتسلسل من اولاد اتابك زنكي لمّا رأى بدر الدين المذكور يتقوّى ويتشدّد ويأمر وينهي أراد ان يتحبّب اليه فخطب ابنته لابنه (٤٩٣) الملك المسعود . لكنّ الشيطان اغواه فحقد عليها وأبغضها . وجعل ابوه ينصح له ليكتم حقده فلم ينتصح . واخذت امرأته تشكو امرها الى ابيها فارسل واستدعاها اليه . وما عتم ان مات المعظّم وخلفه ابنه الملك المسعود وطفق حموه يضايقه في الطلب حتى ارسل يقول له : أريد الجوهرة الفلانيّة التي في قلادة المرأة الفلانية . وأريد كذا وكذا من فلانة .

وكان صبره يبعث اليه بما يطلبه . واخيراً كتب اليه بدر الدين يقول : انك قد بعثني الجزيرة لما كنا في نصيبين . فاجابه المسعود : اني راضٍ بكل ما تطلب ما عدا التخلي عن ولايتي . عند ذلك حشد بدر الدين الجيوش وزحف الى الجزيرة يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الآخرة اعني نيسان من السنة المذكورة وحاصرها . فارسل المسعود يطلب الامان ووعده بدر الدين بقلعة قارح ليقيم فيها مع عياله ونسائهِ . فرضي المسعود وأطلق سبيل الحرّاس والجنود . لكن بدر الدين وجه حاجبه فقبض على المسعود واوثقه واركبه سفينة يوهمه انه يمضي به الى الموصل . ثم أسرّ الى الملّاحين والعبيد الذين ساروا معه ان يغرقوه في دجلة وينهزموا الى سورية ويذيعوا بانه هو الذي رمى بنفسه واختنق وانهم انما اقبلوا الى سورية خوفاً من ان يهلكهم مولاهم بدر الدين مدّعياً بانهم هم الذين أغرقوه . وقد امتثلوا الامر تماماً واغرقوا المسعود وساروا الى سورية واقاموا سنة كاملة ثم عادوا الى الموصل . واحتلّ بدر الدين الجزيرة يوم الجمعة ١١ رجب من السنة المرقومة . وهذه مدينة الجزيرة ليست من ابنية اليونان لكنّ بني عُمر المدنيين هم الذين بنوها (٤٩٤) واطلقوا عليها اسمهم فدُعيت (جزيرة ابن عُمر) .

وفي تلك الغضون كان بعض التجار يعبرون نهر جيحون الكبير في العجم وكان منهم رجل فقير لابس ثياباً رثّة وهو يقول للملّاحين اني انا هو السلطان جلال الدين خوارزمشاه وقد اذاعوا عني ان الاكراد فتكوا بي في جبال آمد. والحقيقة ان حافظ امتعتي هو الذي قُتل . امّا انا فما برحتُ منذ بضع سنوات اطوف في البلاد متنكرًا متنزّهاً . فخاف اولئك الملّاحون وقبضوا عليه ومضوا به الى زعماء المغول القريبين منهم فنكّلوا به تنكيلاً شديداً حتى مات وهو يقول بانه هو هو السلطان خوارزمشاه .

وفي السنة ١٥٦٥ لليونان (١٢٥٤ م) جعل وفود التتر يتقاطرون طالبين عز الدين سلطان قونية ليذهب بذاته الى زيارة الخان الكبير والّا فان جنودهم يزحفون الى بلده ويخربونه . عند ذلك اضطرّه الخاصة والعامّة ان يلبي الطلب . فسار الى سبسطية وهو منهمكٌ في الخلاعة والفجور والدعارة اذ كان كلما سمع عن امرأةٍ او بنتٍ او ابنٍ من الاعيان او من العامّة اقتاده قسراً وارتكب المنكر . ذلك ما حمل العظماء على ان يكرهوه ويبغضوه . وحاولوا ان يملكوا

عليهم ركن الدين اخاه الوسطاني بدلاً منه . فخاف عزّ الدين وانقلب عائداً الى قونية وأعدّ علاء الدين اخاه الصغير وبعثه الى الخان وحمّله رسالة يقول فيها : هنذا ارسل اليكم اخي علاء الدين الصغير وهو سلطان نظيري . اما انا فبما ان جلال الدين قراطاي حاجبي قد مات وثار عليّ العدو من بلاد المغرب فقد تعذر عليّ القدوم بذاتي ولكني سآتي في فرصة اخرى . هكذا ذهب الاخ الصغير وبعض العظماء معه لكن هولاء غدروا بـه في الطريق واجهزوا عليه . ولبث عز الدين وركن الدين في قونية . على ان عزّ الدين لمّا بلغه خبر موت اخيه حاول ان يفتك باخيه الثاني ويستبدّ بالملك وحده . فشعر الاقطاب بذلك وهزموه من وجهه . قيل (٤٩٥) انهم ألبسوه قميصاً قذراً لبعض غلمان الطباخين ووضعوا على رأسه طَبَق طعام واخرجوه من البلاط مساء واركبوه فرساً وأوصلوه الى قيسارية في ليلةٍ وضحاها . وأجلسوه على التخت الملكيّ واجتمع اليه اغلب الجيش . ومضى بهم ركن الدين ليحارب اخـاه عزّ الدين فبرز اليه عزّ الدين وكسره ثانية واعتقله وحبسه في قلعة دوالو .

وفي السنة١٥٦٦اليونان وهي السنة ٦٥٣ للعرب (١٢٥٥م) قُتل علاء الدين إمام الاسمعيليين في قلعة شيركوه اعني جبل الأسد وخلفه ابنه ركن الدين فارسل اليه هولاكو يقول : ان كانت نيّتك سليمة وان كنتَ تحبّ المصالحة والسلام لزمك ان تقوّض قلاعك كلّها وتتوجه الينا بنفسك والا فتأهّب للحرب. فارسل ركن الدين وأخرب حالاً خمس قلاع خالية من الذخائر ولا يتيسّر لها ان تقاوم التتر . وارسل الجواب الى هولاكو يقول : باشرتُ انجاز امرك وساقوّض سائر القلاع شيئاً فشيئاً . غير ان هولاكو عرف انه انّما يحاول التسويف والمماطلة فارسل كيدبوقا الى قلعة شهدير فحاصرها يومين واحتلّها واحتلّ معها ثلاث قلاعٍ غيرها مجاورة لها . ثم ان ركن الدين استدعى فتى مسكيناً ألبسه ثوباً ملكيّاً وسيّره الى هولاكو رهينةً . فعرف هولاكو الحيلة ولكنّه كتم الامر وردّ الفتى مكرّماً وقال لركن الدين اني قد طلبتك انت ولم اطلب ابنك . فارسل اليه ركن الدين أخاه شيرانشاه في ثلاثمائة فارس . فقبض هولاكو على الثلاثمائة وأرسلهم الى قزوين وردّ اليه شيرانشاه يقول اني اياك طلبتُ . وليلة عيد الميلاد الخلاصيّ عوّل ركن الدين على القدوم فاستلّ عبيده السكاكين

وقالوا له: اذا ذهبتَ قتلناك . فارسل يخبر هولاكو بالامر فكتب اليه هولاكو: ان يتوقّى (٤٩٦) ويحتال في الذهاب اليه حرصاً على حياته. وأنه سيُهلك جميع الاسمعيليين بحدّ السيف .

امتثل ركن الدين امر هولاكو وانحدر ليلاً من القلعة وسار اليه مع بنيه واهله فرحب به ملك الملوك وارسله الى قزوين مكرّماً . اما الفرسان الثلاثمائة فقد أجهز عليهم المغول خفيةً . واحتلوا كذلك القامة التي تركها ركن الدين وهي قلعة ميموندور وأخربوها وقس عليها قلعة آلاموت وقلعة جردكوه الشاهقة كانها في الجوّ والقلاع الحصين المحدقة بها . فقد احتلّها التتر باسرها وقوضوها واخربوها وفتكوا بكلّ من كان فيها .

وفي تلك الفتوحات المباركة قد اشفق الله تعالى على جميع الملوك العرب والمسيحيين الذين كانوا يخافون الاسمعيليين حاملي السكاكين وسفاكي الدماء. خوفاً شديداً . ولمّا استيقن ركن الدين عطف هولاكو عليه قال له بثقة تامّة : اني انا اعيش هذه الايام من فضلك وكرمك . فارجو ان تسمح لي لاقضيها في هناء ولذة . فأمر هولاكو وكلاء بيت المال ان يمدّوه بذهب وفضة وافرة . واخذ ركن الدين يأكل ويشرب مترفها وكلف بفتاة مغولية فأمر هولاكو ان تُزَفّ اليه . ولما كان يوماً يعاقر الخمرة قال لاحد المطربين فتغنّى بابيات فارسية هذا تعريبها :

اقبلتُ اليك يا ملك الملوك إقبال المريض الى الطبيب .

وجئتُ الى لقائك لاحصل على الحياة .

ما جئت الى أرضك لاتّجر بل لاقطف ثمار العافية من بذارك .

استحسن هولاكو هذه الابيات وازداد عطفه عليه . وبعد هذا استرخصه ركن الدين في الذهاب ليزور (٤٩٧) مونككا خان . فبعث معه سفيرا مغولياً حدثت بينهما خصومة حقد عليه السفير بسببها . وما ان وصل الى معسكر الخان حتى اخذ السفير يفتري عليه فامر الخان بقتله. واصدر الاوامر بقتل جميع الذكور والاناث الاسمعيليين على بكرة ابيهم حيثما كانوا .

وفي تلك السنة خرج بايجو نوين قائد عسكر التتر الى ارضروم فارسل سفيرا الى السلطان عزّ الدين في شهر آب وسأله مكاناً يشتي فيه لان هولاكو توخى

ان يشتي في بلد موجان حيث كان يشتي هو . وقد وصل مع بايجو نوين الملك هيتوم عائداً من عبودية الخان الاكبر وبلغ الى وطنه يوم الجمعة اول ايلول وابتهج المسيحيون كل الابتهاج . غير ان السلطان رفض طلب بايجو نوين لانه عرف ان مولاه قد طرده واستبدله بقائد آخر اكبر منه . ولهذا السبب تأهب لمحاربته . فزحف بايجو ولاقاه السلطان عزّ الدين بجانب فندق السلطان ما بين قونية واقسرا . فانكسر عزّ الدين وانهزم الى بلاده الداخلية بحدود نيقية . وكان قائد جيشه يرتاش بغلار بك وقد قتل في تلك المعركة . ثم ان بايجو نوين أطلق ركن الدين من الحبس وولاه بلاد الروم عام ١٥٦٧ لليونان (١٢٥٦ م) . وعند ذلك وجه عزّ الدين سفيراً الى هولاكو يشتكي على بايجو لكونه سلبه مملكة آبائه وإرثهم . فوجه هولاكو أمراً ملكياً بان يقتسم الاخوان البلاد . ولما دخلت السنة ١٥٦٨ لليونان (١٢٥٧ م) ظهر عزّ الدين واقبل الى قونية . وسار ركن الدين مع بايجو الى البلاد الداخلية في مشتى بيتونية على ساحل البحر . وكان عزّ الدين يخاف (٤٩٨) بايجو ولذلك جعل يجيّش الجيوش وارسل طغرل بلابا الى اطراف ملطية ليحشد له الجنود من الاكراد والمدنيين والتركمان . اما ركن الدين فانطلق الى حصن زياد واستحضر من المشرق زعيمين كرديين : احدهما شرف الدين احمد بن بلاس وولاه ملطية وثانيهما شرف الدين محمد بن الشيخ عدي وولاه حصن زياد . غير ان الملطيين لم يقبلوا ابن بلاس لانهم كانوا مخالفين لركن الدين ولذا جعل يحارب اهل المدينة ويضايقهم مدة الشتاء كلها حتى اشتد الجوع وصار قفيز الحنطة بمائة وعشرين سلطانياً . وما عتم ان ثار عليه الملطيون واجهزوا على ثلاثمائة من رجاله . فانهزم الى بلد قلودية واحرق دير ماديق ودير مار اسيا يوم احد الشعانين اول نيسان واتلف الضواحي وعاث كذلك في بلد جوباس . ثم انتقل الى آمد وهناك لقيه صاحب ميافرقين وفتك به .

اما ابن الشيخ عدي فانه بعد ما ضايق اهالي حصن زياد انتقل مع نسائه الى اطراف قلح يريد ان يساعد السلطان عزّ الدين فادركه جيش انكورك نوين وأجهز عليه . ولما سمع السلطان بما صار اليه الاكراد الذين اقبلوا ليساعدوه وجه قائداً الى ملطية اسمه علي بهادور وكان قصير القامة مهملاً لكنه بطل منجذ بالحرب . فلما وصل رحب به الملطيون فأحسن اليهم وعاملهم خير معاملة .

وانفتحت الطرق وجعل الاهالي يمتارون الحنطة من كلّ مكان ، وكانت الجبال يومئذٍ والتلال (٤٩٩) والاودية المجاورة لملطية ممتلئة بالتركمان الاعجزية يغزون في كلّ مكان . وقد نهبوا من قريةٍ بضواحي حصن منصور سبعة آلاف من البقر والحمير وخمسة واربعين الفًا من الخراف والماعز ، واستحوذوا على دير ماديق وعلى دير مار اسيا ودير مار ديمط واستلبوا منها اشياء كثيرة . ثم زحف علي بهادور وطردهم من هذه الانحاء . وقبض على زعيمهم شوقي بك واعتقله في قلعة المنشار . وظلّ اهالي ملطية مطمأنين زمانًا حتى برز بايجو مع جنوده من بلاد بيثونية الداخلية في ايّام نيسان وامتدّوا في اطراف غلاطيـة وقبدوقية وجعلوا يحاربون القلاع كيما يخضع اصحابها لركن الدين . وتولوا على ابلستين وفتكوا بجميع اهاليها البالغين سبعة آلاف . وسبوا الفتيان والفتيات. وقدموا الى ملطية يوم السبت نصف ايلول . وهرب بهادور الى كاختة. امّا بايجو فاستحلف الملطيين ليكونوا مع ركن الدين وأخذ منهم كميةً من الدنانير وولّى عليهم فخرَ الدين اياس احدَ مماليك ركن الدين وتوجّه الى حصن زياد . وقـد ورده الامر من هولاكو بان ينحدر سريعًا الى بغداد .

(يتبع)

كتاب الحمامة لابن العبري

تصدير

من متروكات القلم للبحاثة المرحوم الاباتي يوسف حبيقه الراهب اللبناني

ترجمة « كتاب الحمامة » للعلامة المفريان غريغوريوس بن العبري الملقب بابي الفرج، من السريانية الى اللغة العربية . وكنا قد وقفنا على نسخة قديمة من ترجمة هذا الكتاب، في مكتبة المخطوطات بالحرف الكرشوني في دير الشرفه، تحت رقم ٩/١٨ . وهي منضمّة الى غيرها في مجموعة صلوات ومقالات، جاء في آخر هذه المجموعة ما نصّه : « قد ملك هذا الكتاب القس مخايل بن نعمة الله جروه (البطريرك فيما بعد)، عام ٢٠٦٥ يونانيـة توافق ١٧٥٤ مسيحيّة» . وفي آخر النسخة المذكورة هذه العبارة بحرفيتها . «هذا ما قد تيسّر للعبد الخاطي في نقل هذا الكتاب (الحامة) المبارك . ويجب ان تعلم، يا اخي تاج الدين، طريقة المفريان السيد في اللغة السريانية . ان هذا هو كتاب عظيم يستدعي شرحاً عظيماً . ويجب ان نقف عليه مع مُتَبّحرٍ خبير بكتب المصنّف . في هـذا الكتاب رموز ومعاني مختصرة من الانجيل المقدس ومن فردوس الرهبان » .

ويحسن بنا ان نأتي على ترجمة مقتضبة لمؤلف « كتاب الحامة » هذا[1] . انه من اشهر علماء عصره . قد ألف في جميع فروع العلوم : الكتابية كتفسير الكتاب المقدس، واللاهوتية والفلسفية والتاريخية، والطبية وفي الاداب والاخلاق والرياضيات والطبيعيات وعلم الهيئة والشعر ومن تآليفه الروحية « ܝܘܢܐ ܕܟܬܒܐ » كتاب الحامة وتبدو لك الغاية من وضعه في مقدمته .

أبصر النور في السنة ١٢٢٦ في مالطية حاضرة ارمينية الصغرى، على ضفة الفرات . وهي تعدّ من اعظم قواعد تلك البلاد على رغم ما حل بها من نوائب الزمـان . وكانت حافلة بالنصارى يأتونها لما يجدون فيها من اسباب المعاش . قد اشتهر فيها قبل ابن العبري، ديونيسيوس برصليبي † سنة ١١٧١ ومخايل الملقب بالكبير المتوفى ١٠٩٩ .

اما لقبه « بابن العبري » فلا يدل على كون اصله يهودياً كما ادعاهُ الكاتب رَيْث وعنه اخذ العلامة بطرس البستاني في معجمه دائرة المعارف . لانه بعد التنقيب عن هذه القضية،

---

١) المشرق ١ (١٨٩٨) : ص ٢٨٩ ؛ ٣٦٥ ؛ ٤١٣ ؛ ٤٤٩ ؛ ٥٠٥ ؛ ٥٥٥ ؛ ٦٠٥

وجد في نسخة خطية من اعمال ابن العبري في باريس انه كان ابن اخي البطريرك ميخائيل الكبير المار ذكره؛ فلو كان هذا البطريرك حديث العهد في النصرانية ، لما كان انتخب اهل ملته بطريركًا عملًا بقوانين الكنيسة الشرقية. وقد دعي ابن العبري بالمعمودية يوحنا كما هو ظاهر من التاريخ السرياني المحفور على ضريحه في دير مار متى. واتخذ في الكهنوت اسم غريغوريوس. ولقب « بابي الفرج » تيمنًا بهذا الاسم لا غير. وقد ترهب وهو حديث السن .

كان والده اهرون من وجهاء قومه ، يحسن الدروس الطبية ويتعاطى العلوم الفلسفية . فاخذ يلقن ابنه يوحنا مبادئ المعارف البشرية ، وهو بعد حديث السن. وكان الولد ذكيًا ذا قريحة وقادة. فما لبث ان احكم هذه الدروس الاولية حتى دفعه ابوه الى ابرع اساتذة بلده. فاقبل الشاب على درس اللغات الثلاث: السريانية واليونانية والعربية. وما عتم ان اتقنها جيدًا وتضلع من آدابها ، وجعل يكتب فيها بسهولة غريبة ، كما تدل عليه تآليفه النفيسة العديدة. وقد ترجم الى العربية كثيرًا من الكتب اليونانية للفلاسفة الاقدمين كارسطو وغيره . ثم انكب على درس الفلسفة واللاهوت وامتاز فيهما على اهل عصره من الشرقيين كما تنطق به مآثره العلمية في هذين العلمين الساميين . وزاد عليهما درس الطب أخذًا عن ابيه النطاسي البارع وعن غيره من العلماء .

ولما دهم ملاطية هولاغو ملك المغول ، سنة ١٢٤٣ جاء به ابوه أهرون الى انطاكية وكانت بعدُ بيد الافرنج يتولاها ملوكهم منذ السنة ١٠٩٨ « فكان الشاب يوحنا يتردد على علماء البلد ، يرتشف منهم الآداب والمعارف التي كانت تزيده زهدًا في الدنيا . فخرج الى جبل بجوار انطاكية واعتزل في مغارة متفرغًا لاعمال التقوى والعبادة والدرس . ولما انتشر صيته وعلم به البطريرك اغناطيوس ، أحب ان يزوره في منسكه وينشطه على اتمام قصده . وظل ملازمًا طريقة النسك سنة فقط . ثم جاء الى طرابلس لبنان قاصدًا يعقوب احد مشاهير النساطرة ، استاذ العلوم الادبية والرياضية والطبية ، فغرف من هذا الينبوع ما كان فاته من تلك العلوم . ورقاهُ البطريرك اغناطيوس بابا درجة الاسقفية . وفي السنة ١٢٦٤ نصّبه البطريرك اغناطيوس الثالث مفريانًا على المشرق . والمفريان لفظة سريانية من فعل «فْرَا» وأثمر واسم الفاعل مَفْرِيَانًا اي المولّد والمثمر . كان البطاركة اليعاقبة يقلدون هذا اللقب نائبهم في بلاد العراق وبابل وما بين النهرين ليقوم بامور ملتهم ويدافع عن حقوقهم عند ملوك العجم . واولُ وضع هذه الرتبة كان في القرن السادس بعهد يوستينيانوس الملك ولم تزل شائعة عند اليعاقبة الى يومنا . وللمفريان رئاسةٌ على الاساقفة وعلى رؤساء الاساقفة وله السلطان كالسيد البطريرك وربما دعي باسم الجاثليق اي الاسقف العام[1] ✝ (Primat) .

تسلّم ابن العبري كرسيّه في تكريت حيث نهض باعباء مقامه السامي نيّفًا وعشرين

---

١) المشرق ١ (١٨٩٨) : ص ٣٦٨

سنة . وفي زياراته الموصل لاقى كل حفاوة واستقبال باهر من الشعب. ثم ركب دجلة قاصدًا الى بغداد وقد رقى الى درجة الاسقفية اثني عشر اسقفًا من الاكفاء وقام بمهام ابرشيته بما عرف به من غيرة وحمية .

وكان ابن العبري قوي البنية كل من رآه قال عنه انه يعمّر طويلًا الا ان ما خصّ به من المشاريع الجليلة والتآليف العديدة وما تحمّله من المشاق في حياته كان قد انهك قواه. وقد زاده نصبًا وغمًّا ما قاساه من ذوي ملته من مخاصمات ومنازعات . وكان وهو على فراش الموت يردد هذه الآية : « كل بشر عشب وكل مجده كزهر الصحراء » (اشعيا ف ٤٠ : ٦) ويحرض تلاميذه على التحاب والالفة مكررًا قول الرب : هذا اوصيكم ان يحب بعضكم بعضًا (يوحنا ١٣ : ٣٤) . وكان جميع من حوله يذرفون الدموع ويذرون التراب على رؤوسهم ويمزقون ثيابهم حسرة واسىً . فانتقل الى رحمة ربه في ليل الثلاثاء الواقع في ٣٠ تموز من السنة ١٢٨٦ عن ستين عامًا ودفن في دير مار متى حيث لا يزال قبره مكرمًا وكان فقده ضربة قاضية على العلوم والاداب بين اليعاقبة واصبحت طائفتهم اشبه بشجرة ذوت اغصانها ونضب ماء حياتها فأمست بانحطاط وتقهقر .

(الاب بطرس ساره اللبناني)

اليك الان كلمة مترجم كتاب الحمامة

بعد حمده تعالى يقول مترجم هذا الكتاب ان ما حملني على تعريب هذا المؤلف الجديد هو ما رأيته من رفيع معانيه وانسه من بديع مبانيه ولا بدع في ذلك فان شهرة مؤلفه في عالم التصنيف تكفي شهادة بهذه الحقيقة . فعسى ان يروق عملي هذا محبي اللغة السريانية والله حسبي ونعم الوكيل

مقدمة المؤلف

كما اننا ايها الاخ نجد مؤلفات ترشد الى مواساة مرضى الجسد وتغني عن الطبيب ، كذلك في طب النفوس يجب ان نوضح طريقة ارشاد لمرضى الروح الذين لا مرشد لهم او يكادون . سيما في عصرنا هذا الذي خلا به السريان من علامة خبير بنفسه هذا الامر وعرف ما اضيق الباب واحرج الطريق المؤدي الى الملكوت .

ذلك ما حدا بنا الى وضع هذا التعليم في كتابنا هذا الذي غزرت معانيه وإن يسُرت مبانيه . وقد قسمناه الى اربعة ابواب : الباب الاول في العمل

الجسدي الذي يجب فعله في ... . الثاني : في العمل الروحي الذي تجب ممارسته في القلالي . الثالث : في معنى راحة الحمامة بما يعزي الانسان الروحي ويرقى به الى المقام الملكي ويلج به البحابة الالهية . الرابع : في ترقي المؤلف بالعلوم وفي ايضاح بعض قضايا .

وهذه الانواع الاربعة تمثل اربعة ادوار حياة نوح البار . الاول خدمته البارة التي ارضى بها الله تعالى . الثاني ولوجه الفلك ونجاته بها من الطوفان . الثالث خروجه منها اذ بشرته الحمامة بتناقص المياه عن وجه الارض . الرابع الأوحية التي كانت اليه والعهد الذي عُقد معه ونصبه الكرمة وسكره بعصير ابنتها .

وقد كانت حمامة نوح البار عجماء مائتة اما حمامتنا فهي ناطقة حيّة ، تهب الناطقين نطقًا والاحياء حياةً . تطير طيرانًا ولا تتزحزح قيد شعرة عن وكنها الذي يسمو بيمة الابكار . تجوب الاقطار والامصار وهي في مقرّها المختار . لا صورة لها وتحوي جميع الصور . المشرق مقرّهـا والمغرب ملآن منها . النور قوتها ومن يتخذ جناحيها يتوقد فيه نارًا . وهي تستطلع اسرار مرضى الغرام وأحاجي جرحى الهيام وتروي غليله . فصوتها يدوي في جميع الآذان وقليلون الذين يسمعونه من بني الانسان . تدعو الجميع باسمائهم فيجيبها واحد من الف . نوحها اكثر عذوبة من نغم الارغن فيصدق فيها قول الشاعر :

حمامتي حيّة صنيقةْ[1] في صفةٍ لثاها سليقةْ[2]
لا عيبَ في تناقضِ صفاتها لانها روحيّةٌ حقيقةْ

---

١) الصفيق الوقح ، يقال وجه صفيق اي لا حياة فيه .

٢) الطبيعة .

الباب الاول

في العمل الجسدي الذي يجب فعله في المحابس وفيه عشرة فصول

الفصل الاول : في سبب هجر الانسان العالم

يهجر الانسان العالم وينكب عن ملاذه لسببين احدهما حقيقي خاص وهو حركة الهيبة تنبعث في قلب الانسان فتوقظه من سباته للتأمل ليلًا ونهارًا في العذاب المحتوم على الخطأة في العالم الآتي والسرور الدائم الذي وُعد به الصديقون في ملكوت الله وهذا ما أقبل برهطٍ من اماكن عديدة الى معترك النسك ن ثانيهما مجازي استعاري وهو محبة المُجد الفارغ الذي يدفع الانسان الى اقتحام الاعمال النسكيّة احرازًا له للمجد حتى ان الاغنياء يضحّون في سبيل اكتسابه ما جلَّ من غنائمهم . وهذا السبب يقرب من ان يكون عامًا ، فلا ينبغي ان يُنبذ تمامًا وان كان مزدرًى بــه . لانه قد يتّفق ان يسقط البذار احيانًا في الارض عن غير عمدٍ فيعطي غلّاتٍ وفيرةً ؛ على حين ان بذارًا سواه لا يغلّ شيئًا مع ما يبذل في جانبه من العناية .

الفصل الثاني : في التوبة

فور ما يدرك الانسان مضرّة الخطيئة ، يندم على ما صدر منه من الزلل ويُنكب عمّا تمنّى لاجلــه قاصدًا ألّا يزلّ بعد . فالتوبة تقبل أيّانَ مُورِسَت . وحسبك مصداقًا لذلك توبة آل نينوى وسمعان رأس الرسل . ومن الخطايا ما يصدر عن النطق مثل الكبرياء والمجد الفارغ والحسد والثلب . ومنها مايصدر عن الحدّة مثل الغضب والحنق والحقد . ومنها ما يصدر عن الشهوة كالنهم والشراهة والشبق . وخطيئة العالم كبيرةٌ ولو صغيرةً . فيجب على من يتوب ان يسأل الله الغفران بزفراتٍ خاشعة وعيون دامعة معترفًا بخطاياه مثل اولئك الذين اعتمدوا من يوحنا في نهر الاردن واولئك الذين جاءوا الرسل وآمنوا معترفين بخطاياهم عملًا بقول بطرس السليح : اعترفوا بخطاياكم الواحد للآخر . ويوحنا يهتف قائلًا : ان اعترفنا بخطايانا فالمسيح امين وعادل وهو يغفر لنا اياها .

الفصل الثالث : في الزهد

حالما ترسخ قدم التوبة في نفس الانسان ويرى ان المقتنيات العالميّة الزائدة عن الحاجة الضرورية ، يتطلّبها الالم الاثيم ، حينذاك يرذلها زاهداً فيها . وطبقات الزهّاد ثلاث : دنيا . ووسطى . وعليا . فالدنيا تختص بالذين يتركون التنعم خوفاً من العذاب المقبل . والوسطى تختص بالذين يكرهون السرور الزمني حباً بالسرور الابدي . والعليا تختص بمن يطلبون الجوّاد الكريم وحده ، معرضين عما سواه ؛ فهؤلاء يجلّهم العلماء ويمدحونهم . والزهد يكون بالدرهم والقوت والمسكن والامتعة . امّا بالدرهم فيقوم بنبذه تاماً . والزهد بالكسوة يقوم بإتشاح اثواب الصوف او الشعر المتدلة الطول مع شدّ الوسط بالسيور . ويباح ان يزاد على ذلك الرداء والقبعة والحذاء . والزهد بالقوت يكون بان تذخر لعام او شهر او يوم خبز الحنطة او الشعير او الدخن وتأدمه بالسمن او الزيت او الماء المالح . والزهد بالمسكن يتمّ بان يقطن الزاهد قلّية صغيرة او كهفاً حقيراً ونحوه . او ان يبقى لا موضع له معلوماً على مثال ربنا فيقعد ويرقد في أيّة زاوية تهيأت له . امّا الزهد بالآنية والامتعة فيقوم بان تستعمل ما كان خزفاً او خشباً او يقطيناً .

الفصل الرابع : في التواضع

كثيرون يتزهّدون عملاً ، عن غير قصد فنقول : ان علامة الزهد الحقيقية هي التواضع وعلامة التواضع الطاعة . وللتواضع علامات اخرى مثل ان يجلس الكبير مرتاحاً دون الصغير وقت الصلاة ونحوها . وان يحادث المساكين والبائسين ويشاركهم في اتعابهم متى دعوه . ومثل ان يتشح الأطمار بدون حياء . قال مار اسحق : ان التواضع يغفر خطايا كثيرة بمعزل عن الاعمال . وقال أبوني رئيس الدير : ان الكبرياء وحدها بمعزلٍ عن سائر الشرور اسقطت الشيطان من العلاء . والتواضع وحده بمعزل عن جميع الخيور ، يُصعد الى السماء . ومتى مُني المرء بداء الكبرياء ، يشفى بمعرفته انَّ اوله نطفة واخره جيفة . والانسان العاقل يقول : كيف يتكبر من ظهر في دَورَين من قذر الأبوال ؟

﴿ الفصل الخامس : في الصبر ﴾

مثلما يستلزم التواضع الطاعة تستلزم الطاعة الصبر على الشدة . والشدة إما زمنيّة واما ابديّة فالزمنية هي علة الراحة الابدية والراحة الزمنية هي علة الشدة الابدية . والشدائد الواجب احتمالها هي الجهاد لكبح شهوة البطن ولذة الجسد واعمال النسك الاختياريّة والتجارب غير الاراديّة التي تعرض بترك الله تعالى للمتوحد احياناً ، امتحاناً له كمصادقة الاشرار الذين لا إله لهم . والسقوط من حالق واحتقار الروساء والاخوة المبتدئين اعتباطاً بما يوقعهم في امراض صعبة كالكسل والملل وبلبلة العقل واليأس وعمى القلب وحرمان الغوث البشري . والمبتلون بمثل هذه الاوصاب ، يداوون بتذكر كلمة الرب . من يصبر الى المنتهى يخلص (متى ١٠ : ٢٢) . ويغذون بكلام الاباء على فضيلة الصبر . وتقول باختصار : من لا يشتعل حباً لله تعالى يشبه لَبِنَةً وُضعت في اساس على شاطئ نهر فلا تثبت ساعةً واحدةً على انها اذا أُنضجت طبخاً تثبت ثبات الصخر .

﴿ الفصل السادس : في محبة الاخوة ﴾

علامة الصبر الحقيقي هي محبة الاخوة ، محبةً لا غش فيها ، مقرونة ببشاشة المحيا وهشاشة القلب . فالمحب الصادق يحبّ طبعاً اذ يجد محبّه لذةً بمسامرتــه وعلة هذه اللذة الجمال الخارج او الباطن وقربى المتحابّين الخفية . والاكثرون يحبون البسيطي الهيئة والمضبوطي الهوى . والانسان يحب من ينفعه نفعاً ما ؟ او يرشده الى ربح ما روحي ، مثل معلم التواريا الحقيقيــة والمرشد الى العمل الافضل . ويحب ذو العقل والعفاف والقنوع والحسن المعاشرة . ومن المحبين من يحتسب حبيبه مثل قريبه فيعطيه مما يربح . ومنهم من يبذل نفسه للضيف بدل محبه . والمحب يتضايق مما اذا لم يُنل محبه حاجاته وكمالياته . فيعطيه بغيته قبل ان يسأله ويقمع مبغضيه ويغفر ذنوبه ويستر عيوبه ويشهر مزاياه الحسنة ولايثقل عليه ولا يصغي الى اقاصيص جاره في حقه ولا يترصده من شوق او يترقبه من قلق . ومن لا يعتني بالمؤمنين ابناء ملته فهو شرٌ من الغير المؤمنين على ما قال بولس المغبوط .

﴿ الفصل السابع : في عثرات اللسان ﴾

يجب ان نتكلم الآن في عثرات اللسان حذار ان لا يُنكّب عنها من لا يدري مضارّها فنقول :

١ً – الكلام الباطل

وهو ما لا يبرّر اذا نطق به ولا يؤثم اذا أُبقي عليه وعلته غالباً مملة وهو يداوى بالاخلاد الى السكينة وحبس اللسان عن الكلام حتى ان بعض الناس قد التقموا حجراً أملس حذر ان يتكلّموا فيتكلّموا ⁽¹⁾

٢ً – الثرثرة

وهي كثرة الكلام وشقشقة اللسان وسببها اندفاع الطبع الى الثرثرة وحب الاسترسال في الاقاصيص الشيقة . وهذا الداء يعالج بعلاج الداء المتقدم .

٣ً – الكلام المؤثم خفيةً

وهو وصف مجد الاشرار وبطشهم وغناهم لان السذج متى سمعوا ذلك تتبلبل ضمائرهم وينقص ايمانهم وهذا المرض يداوى اصحابه بتذكيرهم القول الكريم : آخرة الاشرار للهلاك في العالمين معاً .

٤ً – الخصام

وهو اتباع الارادة وعدم الطاعة وسببه الكبرياء التي تحمل المرء على تعظيم نفسه وتدفعه الى البغضة والازدراء برفقائه وهذا المرض يداوى بقمع هذين الالمين السحيين .

٥ً – المماحكة

وهي حرب بالكلام تسعر نارها من ظالم ومظلوم فيداوى ذاك بتذكيره أن لا يقترف احداً . وهذا بتذكيره بالقول الكريم : دَعْ ثوبك لمن يسالك صدرتك . (توما ٦ : ٢٧)

٦ً – الشتم

وله علتان الاولى تعشّد المرء حزن المشترم الثانية العادة الشريرة المتولدة من

---

(١) يجرحوا

معاشرة الجهال . وهذا الداء يداوى بتذكر النطق الكريم : من قال لاخيه راقا[1] يدان من الجاعة. ومن قال له يا أحمق يشجب في جهنم النار (متى ٥:٢٢) . فمن قُرِّف بزلّةٍ فلينسبها الى نفسه لا الى مقرّفه وهكذا ينجو من بغضه .

٧ – التجديف

وهو تقريب الشيء عن الله تعالى وذلك يكون بان يريد المرء الشر للآخرين . والعقلاء متى سمعوا القول الكريم : أن باركوا ولاتلعنوا (رومة ١٢:١٤) لا يجسرون ان يجدفوا أو يلعنوا .

٨ – الغناء

وهو ما يصاغ من الاغاني التي تهيج في المرء حركات الزنا. فلا يدعُ اذا رذلت . والمبتلي بهذا الداء الوبيل يحال الى انشاد التراتيل الادبيّة فيشفى .

٩ – الهزل

ويكون بالكلام المضحك الذي يميت القلب ويعيب كرامة الانسان وعلته في عرف العقلاء دالّة تماثل السموم التي تؤذي الزروع . وهذا الداء يداوى بتذكر الاية الكريمة : الويل لكم ايها الضاحكون الآن فانكم ستبكون وتنوحون . (لوقا ٦:٢٥)

١٠ – السخرية

وهي اظهار عيوب الناس المضحكة استخفافاً بهم واحتقاراً لهم . وهذا المرض يداوى بتذكر القول الكريم : لا تحتقروا احداً من هؤلاء الصغار .

١١ – التعيير والاستهزاء

وهما كشف العيوب عن بغض وحقد . وهذا الداء يداوى بترديد القول النبويّ : طوبى للرجل الذي لم يجلس في مجلس المستهزئين . (مزمور ١:١)

١٢ – الكذب

وهو ان يقال عن الغير الموجود كأنه موجود وبالعكس . وهذا الداء يداوى بتذكر القول الكريم : انك تبيد الناطقين بالكذب . واعلم انه متى دعت المنافع النفسية فالكذب لا يؤثّم كما جرى لراحاب التي اخفت الجواسيس

[1] كلمة ارامية معناها : « رأس فارغ »

وقالت : ليس حدي . فيمكن اذن القول انه يستطاع استعمال الكذب انما مع الاحتراس والخوف (يريد بالكذب هنا التقييد العقلي كما يفهم من التمثيل).

١٣ – الثالب والمثبتة

وهما ان يبوح المرء لآخر بنقائص الغير على غرةٍ من المثاوب وسبب ذلك غالباً خوف الثالب من ان يُظنّ به سوءا اذا سكت عن المثاوب . فيثلب المرء قريبه عن عجب وشفقةٍ قائلًا : اني اعجب بسقوط فلان في خطيئة الفجور وهو صاحب العقل الصائب . وأحزن لفلان كيف نشبت رجله في فخ السرقة وهو ذو الفكر الثاقب . وهذا الداء يداوى بأن يعدّد المرء فضائل من يزلّ مردداً قول الشاعر : كفى المرء نبلًا ان تُعدّ معائبه .

١٤ – النميمة

وهي تذكير المرء بما فُعل من الشرّ بحقهِ وسببها شرّ النامّ او صلاح المنموم بهِ فان كان السامع برًّا فلا يصدّق النامّ ولكنّه يزدري به ويوبّخه ولا يباحثه مليًا فيُدبرَ خجِلًا وَجِلًا .

١٥ – الشفاه المتملّقة

ذو الشفتين المتملقتين يمدح كلًّا من المتخاصمين حاضراً ويذمّه غائباً فداؤه هذا يداوى بتذكر قول الكتاب الكريم : ان الله تعالى يقطع الشفاهَ المتملّقة (مز ١١ : ٤) .

١٦ – المديح

ان المادح يسقط في اربعة شرور الكذب اذ يسمّي المرَّ حلوًا والحلوَ مرًّا والرياء حينما يطنب في المدح والضلالة اذ يقول ما لا يعرفه حقًّا الشجب اذ يفرح للاثم . وان الممدوح يقع في مضرّتين العُجب والكبرياء . وكلاهما يداويان بلزوم الصمت .

١٧ – سذاجة الكلام

ذلك كمن يقول : لولا فلان لاكلني الذئب . وقد كان ينبغي ان يقول : لو لم يُتح اللهُ تعالى لي فلاناً معيناً لاكلني الذئب .

١٨ – التنقيب الباطل

ذلك كمن يبحث عمّا لا تفيد معرفته شيئاً . او عمّا لا يضرّ عدم معرفته شيئاً . كأن يبحث المرء عن اسم ابي ملكيصادق . ونقول : ان المبتدىء يتنقّى ببوتقة الحابس من المصائب المقدّم ذكرها ، كما تتنقّى الفضّة من الخبث بكور الامتحان .

الفصل الثامن : في رجوع المبتدئ القهقرى

ان المبتدىء بعد ان يكون وفّى الحابس حقّها على قدر ما تطيق حالته ، يعلم أن قد دنا زمن ملازمته القلّية . فيأخذ القنوط بمجامع قلبه ويشرع في مناجاة نفسه قائلاً : لا قِبَلَ لي على الاحتباس الدائم لان ذلك ممّا يفوق طاقتي ؛ فلا يجدر بي ان اقتحمه ، وربّما لا اطيق ذلك فاغادر الحبسة وأمسي اضحوكةً للابالس ومشهداً للملكة والبشر، فخيرٌ لي ان اعود الى العالم واعمل ضمن معتركه ما يُطلب مني من البرّ . ألعلّ الابرار الاولين ابرهيم واسحق ويعقوب لم يقتنوا أماء وابناء وبنات ومقتنيات شتّى ومع ذلك فقد احسنوا خدمتهم لله تعالى اكثر من المتوحدين. وموسى رئيس الانبياء خاطب الله تعالى وجهاً لوجه. وداود الملك والنبيّ لُقّب قلب الرب . وبطرس رئيس الرسل كان ذا حماة وقد أوتمن على مفاتيح ملكوت السماء . وكثيرون كانوا أصحاب حوانيت فصاروا ابراراً ، مثل فريسقيلا واقلوس . والانبا مقريس أرسل الى امرأتين في المدينة ليتعلم منهما البرارة . وقد خُصّ قوله تعالى : انموا واكثروا واملأوا الارض بحالة الزواج لا بالبتولية على ما قال بولس المغبوط . امّا البتولية فليس عندي فيها امرٌ من الله ، لكني اشير بها مشورةً . بمثل هذه يكثر المبتدئ التأمل فيتغلّب فيه ميلُ الانقلاب الى العالم فينكص عن التدبّر العقلي ، جانحاً الى التدبّر الهيولي ، اذا لم يسعد بطبيب نطاسيّ يفتح له عينيه .

الفصل التاسع : في تسديد خطى المبتدىء

يجب ، ايّ وجوب ، على مرشد المبتدئ الذي يعرّج على الجنبين ان يناجيهُ قائلاً : بنيّ أترغب ان يكون حظّك حظّ امرأة لوط التي عادت نصبَ ملحٍ فورَ ما التفتت الى ورائها . ألم تسمع قول الرب ؟ : ما من احد يضع يده

على الحرث ويلتفت الى ور . فيصلح سكوت انه (سون ٩ : ٦٢) . حقاً يا بني انه ليأخذني العجب منك كيف تساوي نفسك بالآباء الاولين والانبياء الالهيين والرسل القديسين أيستطيع الذباب ان يضاهي الاسد دفاعاً أو العلق يقدر ان يضارع الارز ارتفاعاً ؟ بني لا تطغَ ، بل اعلم ان حالة الزواج افضل من البتولية الكاذبة ، ذات الحياتين التي تبغي خدمة الله تعالى والعالم معاً ، لكنها اي حالة الزواج ليست افضل من البتولية الصادقة التي لا تتقسم بين المسيح لـه المجد وبين الملك الارضي ولا تتقيَّد بعهد الحياتين ، لكنها تقصرُ حبَّها عليه تعالى وهي ذات حياة جميلة وهيام سام ، خفيفة وضيئة لا تمسُّ الهيولى واللحم وما احسن ما قيل : ان المتزوج مكبَّل اليدين ومقيَّد الرجلين والغير المتزوج موثق اليدين فقط امَّا المتوحد حقًّا فيرتقي وهو على الارض الى السماء بجناحيه الروحيين . ونقول : ان العالميَّ لا يكاد يكفي حاجات ذويه من الوجوه الجائزة فسداً لهذا الخلل يندفع الى الخطف والسرقـة . بنيَّ من يمكنه ان يشبع مطامع الامرأة الاشعبيَّة ؟ بل بعلها ذاته يعاف الحياة بسببها . بنيَّ ان اسباب الخطيئة كثيرة كالحسد والحقد والبغض والشهوة ومحبـة التبرُّج وعشق الفضَّة والشره والبخل وفحص احكام الله تعالى غير المدركة ؛ في كون مبغضيه يشبعون ومحبيه يجوعون . وامور اخرى مثل هذه يتنكَّبها المختارون . بمثل هذه الاقوال يبنى المبتدئ ويؤخذ بيده فيعود الى حالته الاولى الصالحة .

الفصل العاشر : في علامات الاستقامة

لسير المبتدئ الحسن علامات وهي المشي بهدوء ورصانة والتكلم بصوت خافت والمخاطبة المذبة والنظر العفيف والطَّرْف الكسير والسرور الباطني واللباس الرث والاقتيات باليسير والحب الكامل ومطالعة المزامير بتفهُّم ومحبة الفقراء ونقاوة الافكار . فكلُّ اخ يتَّصف بهذه الصفات فهو مستقيم ويجاهد بفرح ويتسلى لكي يتوب مبغضهُ ويصغي الى كلام الحكمة ولا يَنْشُدهُ لشيء لم يَرَهُ او أمر لم يُخبر عنه قبلاً . ولا يسأل مَن يلقاه لاي سبب يسير . ولا يقص الاقاصيص المضحكة ولا يحبُّ التبرُّج مثل الامرأة ولا يَرْنُو الى لباسه متمايلاً ذات اليمين وذات اليسار . ولا يشبك اصابعهُ ولا يلعب بشعر لحيته أو يتبسَّم

الاخفية . ومتى جاع لا يملأ الفضاء صياحاً ومتى أوقظ لا يتثاءب ولا يخرج ريقهُ من بين اسنانه ولا يحرك يده عند الكلام . ويجلس في المقام الادنى ولا يسامر الحكّام . من مثل هذه المناقب يعرف المبتدئ المستقيم الذي أمّا ام الحابس إحرازاً لها (للمناقب) .

الباب الثاني

في العمل الروحي الواجب فعله في القلالي وفيه عشرة فصول

الفصل الاول : في قوانين السكن في القلّيّة

يجب ان يكون الجلوس في القلّيّة بافراز وليس دائماً كما يحتبس الكثيرون غير متمندين أمراً ما مع ان الغرض المبتغى من ذلك هو توقّعُ نعمة الله تعالى التي تنير العقل ومشاهـدة الروحيين بطبائعهم والائتلاف معهم وغير ذلك من الامور العظيمة .

امّا قوانين سكنى القلالي فهي : الصمت والاستحرار الحقيقي في الطلب والتأمل والمطالعة والهذيذ الدائم وتلاوة الصلوات المفروضة باوقات معلومة والسهر والنوح والصوم وعمل اليد والسياحة وحفظ القلب من الآلام الشريرة وهي الضجر ، النهم ، الشبق ، الغضب ، الحقد ، الحسد ، الملذات ، المجد الباطل ، الرياء ، الكبرياء ، الفخر ، التوبيخ . فمتى تنقّى القلب من هذه الشرور ، لزم عن ذلك أن يتزيّن بأنواع المحاسن .

هذا والمرضى ، فضلاً عمّا يُحتاط لهم من الاسباب المؤذية ، يجب ان يُرفدوا بالمقوّيات وهي محبّة العلم والايمان والشكر والرجاء ومخافة الله والمسكنة والاتكال ونقاوة الافكار وتذكر الموت . فهذه هي تدابير الانقياء القلوب الذين يعاينون الله وها نحن نوضح كلّاً منها في كلامنا التالي .

الفصل الثاني : في الصمت

لقد أعظم العقلاء الصمت واكبروه دون سائر الفضائل . قال فلديس السعيد : سألت يوماً الانبا سرمطا فقلت له : اني لا أعمل شيئاً مما يعمله الرهبان

[illegible] وانه متى قال [illegible] وجهي : احس في قيتث راس [illegible] تستطيع [illegible]
تحت واذا واثق أنك بذلك تتمجّد مثل اطونيوس .

والصمت كثير الفوائد واعظم هذه الفوائد اللذة الروحيّة التي يكتسبها العقل بحرفة الطبع الالهي والنجاة من الافكار العالميّة التي تموّج الخدمة الروحيّة والافلات من ثلب الاصحاب وملازمة الائمة والمداهنة والابتعاد عن مشاهدة المنكرات والتنكيب عن سمع المستقبحات التي تتمكن من الطبع بسهولة وهيهات ان تعود تفارقه لان المرء يقتبس كثيرًا من الشر اليسير وقليلًا من الفضل الغزير ذلك لمضايقة الناس المتمتين كما قيل: ان حيوان البرّ لا يُضرب بالعصا وأيائلَ الجبال لا تنام امام الجزاز ؛ لان الوحش اذا دنا من النسور ترعوهُ جلده والنسر الذي يسكن القرى يعميه الدخان .

وللمسامرة فوائد جمّة منها التعلُّم ومساعدة الضعفاء والدرس والتخرُّج واحتمال مضرّة اهل الغضب والحُنكة التي يكسبها الاختبار . فهذه الفوائد ، بعد ان يكتسبها المبتدئ في المحابس التي تمحّصه تمحيص البوتقة للذهب ، يجب ان يختار الصمت والاحتباس في القليّة .

يليق بالحبيس ان يتغلّب على حبّ المسامرة ويعتاد ملازمة القليّة وان لا يلقى احدًا ما خلا ايام الآحاد التي يتناول فيها الاسرار . ولا يدع احدًا يطأ ارض قليّته خارجًا عن الضرورة ؛ لان كثيرين ابتدأوا بالاعمال الشاقّة وانتهوا بحياة ملومة لمسامرتهم اهل العالم ومعاطاتهم مع النساء المثريات وتعليمهم اياهن ؛ مدّعين علم الزمعات ومعرفة الخفيات ، حتى أمست قلاليهم محفلًا لاهل المدن والقرى ، فهَوَوا من سماء الحياة المنيرة الى حضيض الاعمال المظلمة .

الفصل الثالث : في العبادة الرباعيّة الانواع

وهي الدعاء . والذكر . والقراءة . والتأمل

الدعاء ـ يقوم (بعد ما يغفر المرء لمن اساء اليه) بان يلتفت الى الشرق رافعًا يديه ويطرق الى الارض خجلًا من ربه ويجأر بالدعاء قائلًا تكرارًا : « ارحمني اللهمّ انا الخاطئ . ربي اشفق عليّ . سيدي هبني ما يلائمني». وهكذا يمنحه الله تعالى ما لم يخطر له طلبه .

ذكر الله تعالى — يقوم بتكرير الآي العشر الواردة في تسبحة الفتيان[1] السعداء. ست من قوله : مبارك انت . واربع من قوله : باركوه . وتكرر هذه الآي ثلاثاً او سباعاً او اربعين بحسبما يسع الزمان والمكان . ومتى أخذت النفس تلذُّ حقاً بقراءة العهد الجديد ، عوضاً عن التخيلات الجسدية ، يتبخر الهذيذ الروحيُّ في العقل ، فيبلغ رويداً رويداً الى الطهارة . وينبغي ان يتلى كلَّ يوم ستة فصول فصل من كل من بشارات الانجيل المقدس واعمال الرسل ورسائل بولس المغبوط ، حيث يبتدئ القارئ القراءة برسم الصليب الذي هو علامة ربنا ويسجد ثلاثاً عند نهاية كل فصل . ثم يضع الكتاب على المقرأ .

ومن لا يعرف القراءة عليه بالتأمل في اعمال الله تعالى . وانواع التأمل ثلاثة الاول ان يتأمل الانسان خطاياه ، لان الانسان ان لم يهدم نفسه اولاً فلا يبنيها . الثاني ان يتأمل المرء بعدالة احكام الله تعالى والعذاب المعدّ للمنافقين ، فتقوى حينذاك مخافة الله في قلبه . الثالث ان يلهج بذكر فيضان مراحم الله والخيرات المعدّة للاخيار ، فيتزر الشكر في نفسه له سبحانه وتعالى فيصبح كانه في عالم الروح يسامر ملائكة النور وينادم نفوس الابرار .

الفصل الرابع : في الصلاة وترتيب الاوقات

اذا كان موسى العظيم لم يستطع ان يدنو من العليقة حتى خلع نعليه من رجليه ونبذ كل ما يخرج عن الحس فكيف يمكن العقل ان يصلي اذا لم يصن من التشتت . نعم انه يصعب جمع العقل اولاً لكنه ، بعد الارتياض الحقيقي وذوقه عذوبة الصلاة ، يتهيأ جمعه (جمع الفكر) بأوفر سهولة ، فيقف منذهلاً بالله تعالى . والصلاة النقية لا تقوم بكثرة الكلام كقوله تعالى : « متى صليتم لا تكونوا مهذارين مثل الوثنيين الذين يظنون انه بكثرة الكلام يستجاب لهم . (متى ٦ : ٧)

اما الصلاة الواجبة فهي ان يقف المرء ووجهه الى الشرق ، متكتف اليدين ، مجموع العقل ويتلو ثلاثاً صلاة : قدوس الله الخ وفي كل مرة يسجد راساً

1) آل بيت حننيا

التصليب في وجهه . ثم يقول ثلاث وهو ساجد : ربي ارحمني . ثم يقول : المجد لك يا ربنا المجد لك يا رجاءنا الابدي . ثم ينهض ويتلو صلاة : ابانا الذي في السماوات مختماً بها الصلاة .

اما الصلوات الواجبة فهي سبع الاولى صلاة الصبح عند مشرق الشمس ويلحق بها اربعة فصول من الانجيل ويصرف الى الساعة الثالثة بالتضرع والتأمل. ثم تلي الصلاة الثانية وهي صلاة الساعة الثالثة وما يبقى من بعد الساعة الثالثة يصرف بعمل اليد ان وجد عمل والّا فبالتأمل . ثم تلي الصلاة الثالثة[1] وهي صلاة نصف النهار وتعقبها القيلولة التي تعين على السهر ليلا وتلاشي حرب شيطان الكسل الذي يستميل المتوحد الى النظر في الشمس ليرى اذا كانت ثابتة او متحركة . ثم يقضي وقته بعمل اليد الى ان يبلغ وقت تلاوة الصلاة الرابعة وهي صلاة الساعة التاسعة ويقرأ الفصول الثلاثة الباقية متحرًا بالطلب حتى المغيب . ثم يصلي الصلاة الخامسة وهي صلاة المساء ويظلّ متأملًا الى الساعة الثانية ليلًا . ثم يصلي الصلاة السادسة وهي صلاة الستار ويرقد حتى نصف الليل حيث ينهض يصلي الصلاة السابعة فاذا غلب عليه النعاس فليختطف قليلًا من النوم وهو جالس حتى نهاية الساعة العاشرة ليلًا ولا يعود يرقد بل يصرف ما بقي من الليل في التأمل بالله تعالى .

الفصل الخامس : في التسبيح والسهر

قبل كل من صلوات النهار الاربع وصلاة المساء ، فليتلُ الراهب تسبحتين وقبل الستار تسبحة واحدة وقبل صلاة الليل اربع تسبحات اما السهر فيطول ويقصر بحسب طاقة الراهب فان كثيرين يسهرون ثلث الليل ساعتين من اوله وساعتين من آخره وينامون ثلثيه الباقيين . وآخرون يسهرون نصف الليل وينامون نصفه الآخر . اما الكاملون ، مثل الانبا ارسانيوس ، فيسهرون الليل كله . ومما يعين على السهر قلة الاكل والعمل والقيلولة ولذلك يلزم ان يحمّل الجسد طاقته من الاعمال ؛ لاننا مأمورون بقتل الآلام لا بقتل الحياة اذن من توهنه الاعمال فليرح جسده وقواه ثم يعود الى العمل .

---

[1] هكذا كان نظام الصلوات قديمًا على ما يظهر .

بعض الرهبان يركعون اربعاً بعد صلاة الستار وبعضهم يسجدون اربعين بعد صلاة الصبح . امّا التسبيح فيجب ان يقترن بالبكاء. وسبب البكاء انما يكون تواضع القلب واشتعال النفس بمحبة الله . ان احد الرهبان رأى حلماً كأنه يسبّح قدام داود بن يسّى ، فقال له داود : اني لمتعجب بتسبيحك وقد تعلمت ذلك انا ، انما لم اتعلم كيف انك تسبح وتبكي معاً . والبكاء لا يمكن ان يصدر الا عن الفهم ولهذا قيل : يجب ان تقلّل شيئاً من التسبيح ولتقف النفس المستنيرة قليلاً عند التأمل .

هذا ويوجد رهبان يتمّون التسابيح كلها في سنة واحدة وغيرهم يكملها في شهر . اما الضعفاء فليس عن زيادة الفهم يقللون من التسبيح ، بل ذلك منهم جرياً مع شيطان الكسل الذي يحاربهم فيكتفون بتلاوة مزمور : سبحوا الرب يا جميع الشعوب وامدحوه يا سائر الامم (مزمور ١١٦ : ١) متعللين بأن الربّ تعالى ينظر الى استعداد القلب ، لا الى كمّيّة التسبيح ، فيجازي فعلة الساعة الحادية عشرة ، جزاء فعلة الساعة الاولى الذين حملوا ثقل النهار وحرّه . وفريق من الرهبان غير الخبيرين يعتبرون من الاعمال تقدمة القربان فقط . ولا يعتدّون بكلام النوافير مثل قوله : كلما اجتمعتم باسمي . وكقوله : لك أحني عبيدك رؤوسهم الى غير ذلك فهذا الفريق ليس باهل للاجتماع .

الفصل السادس : في الصوم

اذا كانت كثرة المآكل تتخم وبأبخرتها تظلم عيني النفس حتى لا تدعهاتنظر الامور الروحيّة ، فالامساك عن بعضها ينير العقل فيضحي اهلاً لتصوّر الروحيات.

للصوم ثلاث درجات : عامّة . وخاصّة . وأخصّ . فالعامة ان لا يأكل المرء او يشرب مدى النهار ، بحسب عوائد الشرقيين . او ان لا يأكل نهارًا من الحيوانات وزوائدها بحسب عوائد الغربيين . فاولئك يقتاتون بالبقول مساء وهؤلاء نهارًا . ولهذا النوع من الصوم قوانين ؛ مثل ان يقصد المرء الصوم من الصباح لان كثيرين لا يأكلون اتفاقاً فلا يعدّون صائمين . ويلزم ان يحذر الصائم ان يسقط في حلقومه ايُّ مأكلٍ او مشربٍ كان ، لئلا يضطرَّ الى قيئه ، اللّهم الا في المرض .

ودرجة الصوم خاصة يتفرد بها الرهبان الذين فضلًا عن صوم البطن يصومون عن الحركات المؤثمة . ولهذا الصوم قواعد مثل حجب البصر عن المناظر السمجة وضبط اللسان عن كلام الاثم وسدّ الاذن عن استماع المسامرة والكلام الدنس.

اما درجة الصوم الاخص فيتفرّد بها الكاملون الذين فضلًا عن صوم البطن والحواس يصومون عن الافكار الدنسة . ولهذا الصوم قانون واحد وهو استئصال شأفة كل هاجس عالميّ من عمق القلب . فهذا النوع من الصوم ولو كان إكماله عسرًا فالارتياض يسهّله والاعتياد يهوّنه كما قيل : انه يتهيأ للطبع ان يتطبّع على ما تهوى ، فيستطيع ان يحمل ما تحمّله . والقوانين الرسلية تأمر : انه اذا صام الاكليركي السبت او الاحد ما خلا سبت البشارة[1] فليحرم. والآباء الذين التأموا في عنجر يقولون : إن بلغ ظنّ الناسك ان يصوم الاحد فليكن محروماً . إذن يجب على الراهب ان يفطر الساعة الثالثة من السبت والاحد ولو على كسرة صغيرة ويتعشّى مساء ، ليس لان الاكل يبرّد بل تتميماً للشريعة .

الفصل السابع : في عمل اليد

ان المقلاء يثمّنون فضل عمل اليد فالانبا انطونيوس حينما ضجر ، تراءى له ملاك يضفر الخوص . ثم وقف عن عمله وصلّى ثم عاد الى العمل ، ثم قام فصلّى وقال : « يا انطونيوس اصنع هكذا فتحيا » . قال الانبا أتير للانبا انبسطيون : « ضيّق جوفك وأتمّ عمل يديك » . وقال آخر : « لا تسل نعمة من احد ، بل فلتكفك يداك مؤونة » . اما الذين يضربون عن الشغل عملًا بقول الرب الآمر : أن نتشبه بطير السماء التي لا تزرع ولا تحصد وأن نماثل مريم التي رغماً عن عدم عملها قد مدحها الرب اكثر من مرتا التي كانت مجتهدةً بكثرة الخدمة ، فنجيبهم ان هذا يليق بالكاملين الذين قد اقتنوا العمل الروحيّ كاملًا ، لا بالراهب الذي لا يكون قد اقتنى هذه الصفات ، جرياً مع آلام الملذات التي يولدها فيه الكسل حتى لا يستطيع ان يطيل المكث في قلّيته .

ان بولس السعيد ولو كان له ان يعيش من الشعب الذي كان يرئسه ، فمع

---

(١) ربما اراد بذلك سبت النور .

ذلك لم يأكل خبزًا من اهل تسالونيكية مجانًا ؛ لكنه كان يكد ليلًا ونهارًا ، لئلا يثقل على احد منهم . وسائر الرسل كانوا يصيدون السمك والاخوة الجيليُّون كانوا يحصدون مع العملة وآخرون يحيكون الجوالق والحصر وهنا ينبغي للراهب ان لا يمدح ما يبيعه ، بل عليه ان يبيّن عيوبه ولا يطلب ثمنه اكثر ممّا ينبغي . ويلزم ان يبيعه من المحتاجين والمعوزين .

اما الاكليريكيون فيباح لهم ان لا يشتغلوا ؛ لان الذين يخدمون المقدس ، فمن المقدس يقتاتون والذين يلازمون المذبح يقاسمون المذبح . امّا الآباء (اي الرعاة مم) فوإن كان لهم ان يكفوا حاجاتهم من رعاياهم فالأجدى لهم ان يشتغلوا ولا يثقلوا على احدٍ . هذا والكاتب[1] يقرّ الآن بخطائه قائلًا : اني اعلم ولا اتعلم اكتب وأمحي ما اكتب اكرز ولا اعمل بما اكرز اعظ وافعل خلاف ما اعظ .

الفصل الثامن : في العزلة

العزلة نوعان جسدية وروحيّة ، فالجسدية هي انتقال الجسد من بيت الوالدين الى مكان معتزل . والروحيّة هي انتقال الفكر من عالم الفساد الى ملكوت السماء ؛ حيث تقطن الملائكة . والعزلة الجسدية مذمومةٌ اذا لم تقترن بالهرب من ضرر النفس ويصحبها اكتساب الفضل الروحي .

وضرر النفس اربعة انواع الاول الاضطهاد لاجل الاعتراف بالايمان . الثاني ثلب الإخوة حينما لا يجد المثلوب سبيلًا الى تبرير ضميره امامهم . الثالث مايصيب الراهب من وفرة المدح حيث يشتهر على ما قال الانبا أوجريس[2] : اذا كانت قلّيتك مطروقةً فاهجرها . الرابع المحاربة الزنائيّة حيث يقطن الراهب .

اما المنفعة الروحية فعلى ثلاثة انواع الاول العلم الضروري . الثاني معاشرة الفضلاء . الثالث التبرُّك من المقامات المقدسة . فهذه هي الوسائط التي تجعل العزلة نقيّةً ومن لا يتذرّع بها ، بل يشرع بالتلهّي والهرب من كرب الاحتباس او الحاجة او لما يناله من الاحتقار حيث يكون فهذا يُذنّب وانما يدفعه الى ذلك الشيطان المضلُّ فيشتت عقله الى محل فمحل ، ويزيّن له اولًا ان لا خطأ

1) اي المؤلف يعترف بخطائه .

2) من الآباء السيّاح .

في ما يفتكر به ؛ الى ان يصرعه في الزنا. او الغضب او الكآبة وقطع الرجاء.

يجب على من يذهب ليزور احد الآباء ان يجتاز طريقه متذكرًا الله ولا يهمل احدى الصلوات . وكلما بلغ قريةً او مدينةً فليسبق اولًا الى زيارة كنيستها ولا يقم ثمَّ اكثر من ثلاثة ايام ومتى وصل قليَّة ذلك الاب ، فلا يقرع بابها بل يجلس خارجًا الى ان يشعر هو به ويدعوه فيدنو منه باتضاع ويسلّم عليه بوداعة ولا يتكلم الى ان يُسأل وليجاوب برزانةٍ على ما يُسأل فقط . واذا دعا الامر فليسل بأدبٍ ولا يمكث عند ذلك الاب اكثر من يوم . واذا سُئل عن حالة مكانه فليقصَّ اخبار اتقيائه واصفيائه ولا يأتِ بتةً على ذكر فراديسه وخمائله او خصب اثماره واشجاره ، لئلا يعاب بحب التلهي وشهوة البطن .

والنقباء الآباء يعدُّون نوع الفضل الثالث[1] مستعارًا فيقولون : ان قوة الله تعالى المكنونة في عظام القديسين تنتشر في كل مكان . فاحد الآباء الشيوخ حينما سأله تلميذه قائلًا : ابتِ ارغب ان ازور اورشليم . اجابه : بني انك لفي ضلال مبين هوذا كلٌّ يقتصب ذاته ليصعد الى اورشليم العليا وأنت تجتهد لتذهب الى اورشليم السفلى . هوذا تأتي ساعة ليس في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب لان الله روح والذين يسجدون له ينبغي ان يسجدوا له بالروح والحق (يوحنا ٤: ٢١و٢٢و٢٣) فامكث بنيَّ اذن في قلايتك واجتهد ان ترى في داخلك ذلك القريب من الجميع. (ها ملكوت الله في داخلكم مم)

الفصل التاسع : في الآلام الشريرة

يجب ان نتكلم الآن في الآلام الشريرة التي تدهم الراهب في قليَّته وينبغي ان يتطهر منها وهذه هي :

١ً ان الابالسة لا يصبرون ان يضطروا المتوحد الى اكمال خدمته المتادة، بينما يكون ثقيلًا على ذاته لا يستطيع ذلك فينهض يرنم مبطئًا نفسه بالاعمال ؛ فيكون مثله اذ ذاك مثل من ينتشل الماء ويصبه في زقٍّ مثقوب. فيلائمه والحالة

١) زيارة الاماكن المقدسة والتبرك منها .

هده ، ان يريح جسده قرناً الاعمال الجسديه بالاعمال الروحية . على ان كثيرين عملوا اعمالاً عظيمة ، لكنهم لم يدركوا طريق الله تعالى ، اذ لم يعملوها بفطنة .

٢ – النهم

هذا الداء يداوى بالجوع الذي به يتنقّى العقل وتُدرك المسرّات الروحيّة وتتضع النفس وتخمد الشهوات ويخفّ ثقل النوم . امّا قلة الاكل فتكون تدريجاً . فمن يأكل مثلاً في يومه قرصاً فليقلّل منه يومياً جزءاً من ستين جزءاً فلا يأتي عليه الشهر الّا وقد انقص نصف اكله ، بدون ان يناله مضرّة . وبعض الرهبان يأكلون يومياً رطلاً من الخبز وبعضهم ثلثي الرطل وبعضهم نصفهُ واكثرهم يأكلون في اليوم مرةً واحدةً . ومنهم من يأكلون مساء ويطوون مساء . ومنهم من يأكلون الاحد ويصومون الى الاحد التالي . امّا الناذرون فيقتصرون في اكلهم عن البيض واللبن والسمن والجبن والسمك فيتعذّبون بعذابين : حرمان شهوة الاكل اللذيذ التي تدفعهم الى فسخ نذرهم والمجد الفارغ الذي يحملهم على اعظام فضائلهم . ومتى غلب احد هذين الالمين على احدهم ، يتهافت الى ان يأكل جهاراً ما لم يكن يأكله خفية . وهذان الداءان يداويان بان لا يفسخ الناذر نذره ولا يكفي ذاته كلّ حاجتهِ .

٣ – في الشبق

ان شيطان الزنا يري الراهب مشاهد دنسة ويسمعه اقوالاً رجسةً مع اجوبتها السمجة ويخيّل اليه ان ذلك يجري فعلاً ، فيجسّ اللحم متسلقاً الى ان يجندله في حمأة الدنس . فهذا الداء يداوى بالجوع المستمرّ والانقطاع عن مسامرة النساء والاحداث والنظر الى وجوههم . قال الانبا آمون : انحدرت الى البريّة وانا حدث فطردني الانبا فنترطيس البسيط قائلاً : اني لا أدع وجوه الاحداث التي تحاكي وجوه النساء ان تسكن حيث النساك . والقديس باسيليوس يقول : اذا قال امرؤ انه لا يتأذّى من مسامرة النساء ، فهذا امّا ليس برجل او لا يشعر انه يضارع السكران الذي يدّعي استقامة العقل . وهو منها مناط الثريّا . ويستثنى من هذا الحكم الكاملون الذين كما انه لا يعرض لهم فكر دنس بتفرّسهم في نيّرات السماء وازهار الارض ، كذلك لا يختلج في البابهم هاجس اللذة لنظرهم الوجوه الحسنة والجمال الصقيل . ومن يستشفي من هذا

الداء في بداية امره يتألم بدون تخيل الشبه المزدوج ومن يتداوى عند انتصاف امره يحس بالحركة الطبيعية من دون ما تخيل . وعند اكمال الشفاء تتلاشى الحركة الطبيعية بتلاشاة افكار الألم الدنس .

٤ – الغضب

متى كان المرء خصم اضعف منه ، تحتدم نار غضبه ويسخن دم قلبه ويحمر وجهه ومتى كان اقوى منه يرسب دمه في اعماق قلبه ويصفر لونه وتنقلب حدته خوفاً . وسبب الغضب عظمة الروح و كبرها والغطرسة والتهم . ويداوى هذا الداء بقوله تعالى : تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب (متى ١١ : ٢٩). وبقوله جل شأنه : لا تغرب الشمس على غضبكم (افسس ٤ : ٢٦) . وبان يكره المرء الجنون الذي يحدث له حال غضبه اذ ترتجف اعضاؤه ويتلجلج لسانه ويزبد فمه واذا لم ينل مأربه من خصمه فيجرحه ويوسعه شتماً ويمزق ثيابه ويرفس الارض برجليه ويكسر القصاع والمائدة بالحجارة ويضرب الدابة وان لبطته لبطها وشحط اذنها وجرها بذنبها واذا عوتب بذلك . اعتذر عن نفسه قائلاً : « انني لا استطيع ان أسمع او أرى ما لا يليق » .

٥ – في الحقد

الحقد يتولد من الحدة . ومتى ربي يلد ثمان بنات : ١ حسد المرء الحاقد عليه ، ٢ بغضه له ، ٣ فرحه بمصائبه ، ٤ ثلبه له ، ٥ تسبيبه الخسارة له ، ٦ معارضته لربحه ، ٧ احتقاره له ، ٨ هزوه به . قال احدهم : اذا ظن الحقود انه ترنب ، اشبه بذلك من يحلم انه ماش . وهذا الداء يداوى باخماد الحدة وتكريم الحاقد على ما قال الانبا اوجريس : ان يعقوب أرضى اخاه عيسو بالهدايا . امّا نحن لحاجتنا فبمائدة بسيطة ننال وطرنا .

٦ – في الحسد

ان الانسان لا يحسد سوى من فاقه باي فضل كان . فكل من يرى خيراً في احد ويريد زواله عنه فهو حسود . والا فان رغب ان يكون مثله فهو غيور صالح ، فيحسد الانسان من يبغضه او من لا يروى ان يكون قرنه ، او من يكون اعلى منه او من يطلب لذاته نعمة نالها سواه . ومن يريد ان

يكون مريد عصره . ومن لا يحبّ العلم والنسك بهو حسود شرير هوى . ومن رأى امرءاً يتعلم او ينسك فتألم وامتعض فهو حسود ايضاً . وهذا الداء يداوى بأن يعلم المرء ان الحسد يغمّ الحاسد ويفرح المحسود بما خُصّ به من الخير .

٧ – في الشهوات

الشهوات تسرّ الانسان وتريحه في هذه الحياة الدنيا غير انها لا تدعهُ يستعدّ لتلك الحياة الابدية . وتقسم الشهوات الى لزوميّة كالقوت والكسوة والامرأة والمسكن . والى طبيعية كالجنس والاهل . والى نظاميّة كالرئاسة والغنى والعبيد والأماء والجنات والارضين . وعلى ما قال الانبا فومون : من ذلك الحكمة المنفردة بدون عمل ومثالها علم المعلّمين الذين يحصرون غايتهم في ابتزاز اموال التلامذة لا يفيدونهم شيئاً . ونقول باختصار : كما انه لا يتهيأ للانسان ان يرى صورتهُ في المياه العكرة ، وكذلك لا يتسنى للعقل ان يرى بذاته ربّهُ ، اذا لم تُجلَ مرآته من صداء كل شهوة . فما أحقّ الانسانَ المسافر في بحر هذه الدنيا ان يُمثّل بمن يفرح أو يحزن في الحلم ثم لا يلبث ان ينتبه . فلا يرى لذلك أثراً .

٨ – في الشراهة

لو علم الانسان معاطب الغنى ، لما كدّ النفس سعياً وراءه . امّا هذه المعاطب فهي : المضارّ والمكائد التي ينصبها له المتسلطون واللصوص وحسد الاقران وما يتبع ذلك من الاعمال المذمومة من مثل النهم والشبق والمجد الفارغ وما يتولّد من ذلك مثل الكذب والظلم والتعطّل من الاعمال الروحية ، خاصةً ، اذ لا يستطيع المرء ان يعبد ربّين . ومتى بحث الانسان عمّا خُلق الذهب لاجله قام العقل الملكيّ يجيب : ذلك لاجل سد الحاجات الضرورية . اما العقل الشيطاني فيقول : ذلك لاجل البذخ والتلذُّذ . وهذا الداء يداوى بالاقتصاد والاكتفاء بما وُهبنا من الرزق وبمقابلة لذة الاغنياء العابرة بعظمة القاهرين نفوسهم وبنظر المرء الى الادنى منه لا الى الاعلى منه .

٩ – في المجد الفارغ

محبة المجد الفارغ هي اشتها. الكرامة بتشهير الفضيلة ، والمراؤون يجتهدون في اكتساب المجد الفارغ باعمال النسك الشاقة الكاذبة . ومن الناس من لا يحفلون بالمجد ، لكنهم يفرحون متى مُدحوا . وفئة يحزنون عند ذلك غير انهم يرغبونه ولا ينبذونه . وبعض يهربون من حيث يُمجدون . والكاملون يستاؤون من تمجيدهم . ورهط يغتمون متى اتهموا ويحقدون على ممتهنيهم . وقوم يحزنون لذلك فقط . ونزر منهم يحسبون الامتهان كالمجد . وآخرون يحبون ممتهنيهم لانه بذلك يكشف لهم عيوبهم فيستشفون منها. وداء محبة المجد الفارغ يداوى بعكف المرء على ما يسوّد وجهه ويخفض من كرامته وبأن يماثل الميت الذي لا يفرح بالمجد ولا يحزن بالهوان . وبأن يخدم ربه سراً ويكون في الظاهر كاحد الناس . والرجل الفاضل يقول لمن يمجده : لو تعاملني كما اعلم نفسي لما مجدتني .

١٠ – في الرياء

وهو ضلالة تقوم بكتم السرائر الممقوتة وتبيين الظواهر المحبوبة ، كما يفعل اولئك الذين يشنجون اعصابهم مظهرين ان ذلك اصابهم بسبب كثرة السجود . ويشدون أحقاءهم بالحبل ويشجون أصواتهم ويسكتون وهم يبيتون الشر في قلوبهم ويأتون بالمرتلين يرتلون لهم ليجتذبوا السذج الى التبرك منهم ، قصد ان يتكهنوا لهم . وما يدفع الى الرياء انما هو الطمع بكسب المجد والدرهم . فهذا الداء يداوى ببغض المجد والفرح بالعار وبقطع الامل من ارباح البشر . قال الانبا دانيال : « نظرت يوماً الى قلية الانبا فومون فرأيته واقفاً في الباب ولما احس بي هرول فجلس على الجوالق » . وبعض الاحيان يبين الافاضل اعمالهم طمعاً أن يتشبه بهم الناظرون كما قال الانبا مقريس للانبا اوجريس : اني لم اشبع خبزاً ولا نوماً مدى عشرين عاماً .

١١ – في الكبرياء

وهي خيلاء نفسية يرى بها الانسان نفسه ارفع من غيره ، وفرعون ترفع

على الله تعالى قائلا : ان بيلوس خاتمني هو وانا صنعته . وقد تعظم على عبيده (اي عبيد الرب) مضطهدوهم . وذوو العقول العميا. يتعظمون على اقرانهم فيحسبون فضائلهم نقصاً . وعلة الكبرياء الفخر والحقد والحسد التي لا تدع الانسان يتضع لصاحبه ولا أن يماثله مقاماً . وعلاماتها محبة التزين والركوب والسلام في الاسواق والتصدر في الولائم . وان لا يسير المرء منفرداً وان لا يذهب عند من هو افضل منه وأن يشمئز من ان يجتمع بمن يجتمعون على المياه والتدفئة . ويكره عمل اليد ولا يحمل امتعته بل يكلف غيره ذلك . اما شفاء هذا الداء فقد ذكرنا طريقته عند كلامنا في الاتضاع .

١٢ً – في الافتخار

وهو مباهاة المرء بما يكون عليه من الصلاح كالمعرفة والعلم والاعمال الصالحة والجمال والغنى والعزة والنسب والبراعة . والكبرياء تفارق الافتخار بكونها تقوم بمقابلة الانسان نفسه بآخر بخلاف الافتخار الذي يكون بدون ذلك . فهو تجاه الكبرياء كالولد تجاه الرجل . وهذا الداء يداوى بأن يعتقد المرء ان جميع ما هو له من الكمال انما هو من الله تعالى وليس من قبل نفسه . اذن من يفتخر فليفتخر بالرب .

ان الانبا فومون لما سمع احد الاخوة يقول : كم لي من السنين لم ادخل البلدة . اجابه لو كنت انا بقرب هذه البلدة لدخلتها ليلاً وطفت بها لئلا افتخر بكوني لم ادخلها .

١٣ً – في التهذيب

تهذيب الناس يختص بالوعاة لا بالرهبان الذين ينبغي لهم أن يقصروا اهتمامهم على نفوسهم . قال الانبا فومون : اني اذا نظرت اخاً يخطئ لا أوبخه فان لامني الرب على ذلك أجبته : انت علمتني أن أخرج الخشبة من عيني اولا ثم اخرج القذى من عين اخي .

﴿ الفصل العاشر : في الاعمال الصالحة ﴾

نأتي هنا على ذكر الاعمال التي سبقنا فعددناها تلك التي تستحق بها النفس الاشتراك في ذلك العيد الروحي حيث يتبلج الصبح ويظهر المولى الحسن . وهذه الاعمال هي :

١ً – العلم

لا عامل اقوى على اقتلاع العوائد الشريرة من النفس ، كالهيام بحب العلم . فيجب على من يتعلم ان يبتدئ بالمزامير . ثم بالعهد العتيق فالعهد الجديد . ثم يتخرج بكتب الفقه التي نصفها هنا باختصار فهي تفقهه ليدرك قوام جسده فيروضه بالدروس الصعبة الى ان يستأصل من نفسه العيوب المشينة ويغرس عوضها العوائد المزينة . وينبغي ان يكون العلم صالحاً ذلك بان لا يستعبد صاحبه للملذات وان لا يعاشر الرؤساء ويتقرب منهم . وان لا يعجل بالجواب متى سُئل وان يعلّم بمثله اكثر منه بقوله . ويوجب تقديم الفروض على النوافل .

٢ً – في الايمان

الايمان في رأي القديس بولس هو الايقان بالامور المرجوة كانها قد تمت بالفعل وظهور ما لا يرى (عبرانيين ١١ : ١) . فهذا التحديد يلائم كلّ ايمان . امّا الايمان الذي نريده هنا فهو تسليم العقل للتعليم الانجيلي ويتمّ ذلك باعتراف اللسان به وبحفظ الوصايا . ومن حيث ان مسيحيي هذا العصر متمسكون بالامانة التي أثبتت في نيقية ، فيجب الاقتصاد على التشبث بها دون سواها ، ورذل سائر الامانات التي تختص بالطبائع والاقانيم . اما الرهبان الحقيقيون فيتكلمون عن الأعمال « الرهبانية » فقط ولا يدرسون مسئلة الايمان لكنهم يلتزمون بالاعتراف أنّ في المسيح ، جل شأنه ، اقنوماً واحداً وطبيعتين .

٣ – في الشكر

وهو الشكر على النعمة الحالية او المتوقعة وما يدفع المرء الى الشكر على النعمة انما هو معرفته قيمتها ونوعها ، فيقابلها بشكر يعادلها . والنعمة إمّا حقيقية وامّا مجازية والحقيقية امّا مقصودة لذاتها مثل السرور الدائم في

الصالح الروحي وإمّا غير مقصودة لذاتها كالمعرفة الراسخة . والعمل الفاضل مما يُطلب لاجل السرور الدائم وكذلك النعمة المجازيّة امّا تقصد لذاتها كالحياة والقوة والشفاء والجمال او تقصد لاجل غيرها كالكرامة والغنى والاهلين والمريحين الذين يلتمسون تسهيلاً لاسباب الحياة . وكما ان معرفة النعمة هي سبب الشكر عليها كذلك عدم معرفتها هو سبب جحودها ذلك مثل الذين لا يعرفون نعمة الهواء فلا يشكرونها مع انهم اذا احتبس الهواء اختنقوا ومتى انتشر عرفوا نعمتهُ فبادروا الى شكرها . امّا الانام الافاضل فيشكرون حتى في الشدائد لانهم يدرون انه لا تحدث شدّة الّا ويكون قد حدث اعظم منها، فيشكرونه تعالى لانه لم يدفعهم الى شدة اعظم . ويضاعفون شكرهم له عزّ وجلّ لانهم بواسطة الشدة الزائلة ينجون من تلك الشدة الدائمة .

٤ً – في الرجاء

الرجاء هو تَوَقان النفس الى ما هو عزيز عليها . وبما ان العزيز الخاص هو ذلك السرور الدائم، فما يبلغ بالمرء اليه انما هو كفاءة الفضل والنسك وصفاء القلب ونقاء النفس . واذا كان الله سبحانه وتعالى هيّأ للجسد البالي نعمةً جلّى لا قياس لها، فكيف يمنع نعمته عن النفس التي تفوق الجسد فضلاً . ان مجرد الافتكار يزيد الرجاء توكيداً والامل توطيداً .

٥ً – في مخافة الله

وهي غمّة القلب بسبب تيقُّن وجود الشدّة العتيدة وعلّتها معرفة المرء بخطاياه وعلاماتها الظاهرة اصفرار الوجه والهزال وعلاماتها الباطنة، بغض الخطيـة . والشدة امّا جسدية وامّا روحية . فالخوف من الاولى يرذله العقلاء، فيقولون : « اننا لم نأخذ قط روح المخافة، فلا يليق بنا ان نخشى ولو لصقت السماء بالارض » . امّا الخوف من الشدة الروحيّة فيمدحه الحكماء ويقولون :« من لا يخاف الله يخشى طَيْفَ نفسهِ » . والخوف متى تمكّن من قلب المرء، يسوقهُ الى الحذر من اعمال كثيرة غير ملومة .

٦ً – في الفقر

ان العقلاء يفضلون الفقر مع الصبر على الغنى مع الرحمة فيقولون : « ان

الراهب يفوق المتصدقين درجةً . أمّا اهل العالم فبعكس ذلــك » . والفقير الذي يصبر على حاجته ، فهو اهل للتطويبات الانجيلية . فمثل هذا ان نال كفافه لم يتسوَّل وان فضل عنه اعطى المحتاجين ولا يستعطي ابدًا من الائمة والمتكبرين. وان شاهد امرءًا احوج منه يدعه يأخذ ما كان يؤمّل هو نفسهُ باخذهِ. وان كان قديرًا على العمل لم يتسوّل . ويجب على من يتصدَّق ان يعطي قبل ان يُسأل وان يخفي صدقته ما استطاع ، فيعطي الاعمى أو يلقي صدقته في سبيل الفقير او يصرُّها برقعةٍ . ويتصدَّق من عمــله المبرور على من لا يقدرون ان يتجولوا فيستقطون . والاستعطــاء اثم ان قصر المستعطي اتكاله على البشر دون الله تعالى . ومثل هذا يسيء غالبًا الى الناس .

٧ً – في الاتكال

وهو القاء المرء تدبيره الى العناية الربانية كالقاء العناية بالولــد الى مدبرهِ حتى يأتي الوقت الذي حدَّه ابوه . ومثل القاء الولد اتكاله على امه كقولهِ : « انت اتكالي من الرحم ورجائي من ثدي امي » . او مثل اتكال البهيمة على صاحبها كقولهِ : « كنت وديعًا لا اعلم وصرت عندك كالبهيمة » والاتكال الاول واهنٌ لان الولد يدري انه متى بلغ اشدَّه ، يصبح بلا احتياج الى مدبرهِ. والاتكال الثاني اقوى من الاول ؛ لان الولــد يعلم انه ولو بلغ اشدَّه ، لا يستغني عن امه . والاتكال الثالث اقوى من كليهما لانه لا يأتي زمن تتّكل فيه البهيمة على نفسها ، لا على صاحبها . والابرار يتكلون اختياريًا على الرب في المصائب التي تُمرضهم والتي لا تمرضهم متيقنين ان الله تعالى هو أجرهم العظيم. هكذا المختارون ، قصروا اتكالهم على الرب منقذهم مثل دانيال ، ايام ألقي في جبّ الاسد ، وفتيان حنانيا آوانَ طرحوا في أتون النار .

٨ً في نقاوة الافكار

كل فكر لا يكون لله ، او لاجل الله ، لا يكون نقيًا ؛ حتى اذا افتكر المرء بنقاوة فكره معتدًا بذلــك ، امسى غير نقيّ الفكر . وشهوة البهرجات انما تصدر عن الافكار الغير النقية . قال الانبا فومون : « كما ان الــذباب لا يقرب من القدر الفائرة كذلك لا تدنو الافكار الخبيثــة من القلب المتأجج

نارًا ، بحب الله ، وقال ايضاً : « كما ان الفاس لا تقصع بدون قاطع ، كذلك الافكار اذا لم تعطها سبيلًا » . وقال ايضاً : « اذا ألقيت الافكار الخبيثة في عمق القلب وهي كالعقرب وسددت عليها ماتت هناك سريعاً» . قال احد الاخوة للانبا ارسانيوس : « كيف وانت حكيم تسأل عن الافكار هذا الاميّ ، كانه الانبا مكاريوس ؟ فاجابه : « اني قد تعلمت آداب اليونان والرومان ولم أتعلم ألف بيت هذا الأميّ .

٩ً – في ذكر الموت

لا احد يتذكر الموت فيستهل الخطأ . وربّ انسان يقول : « اني أدلّي المنزل واضع الموت امام عينيّ قبل ان ارفعه » . وسبب عدم تذكر الموت هو عشق الحياة الزمنية ، لان من يحبّ امرًا يبغض نقيضهُ طبعاً ؛ حتى لا يشاء ان يفكر به البتة . وهذا الداء يشفى بان يحتسب المرء انّ الانسان في هذا العالم كالحلم ، يشبه طيران طائر في الهواء لا يُعرف له سبيل . او يحاكي مخر السفينة في العباب ، فلا يبين لها اثر . او يضارع النّدى سحرًا ينضب ويجفّ قبل الظهيرة . او يشابه الزهر الذي لا يكاد ينشأ او ينشقّ حتى ييبس بمثل هذه الافكار تخمد نار محبة هذه الحياة الزمنية الزائلة ، فلا يفارق الموت الذهن فتستقبح الخطيئة .

الباب الثالث

في نواح الكاملين الروحيّ وفيه عشرة فصول

الفصل الاول : في حركة الكمال الاولى

بعد ان يتنقّى الجسد باعمال النسك المتعبة ويَصفو العقل وتسدُّ طاقات الحواس وكواه ويستنير مركز القلب ، تتراءى له الحمامة احيانًا ، لا دائمًا ، كالبرق الذي يُومض ويتوارى . وتتلمع امامه بجمالها ويحلّي ثمرها حلقهُ فيدهش لمنظرها ويُسبى هياماً بها ، حتى يخيّل اليه انه غير موجود ؛ فتظنُّ النفس انها تذوب في بوتقة محبة هذه الحمامة[1] . ومتى بلغت هذا الحدّ تتقمّص باتضاع بليغ ، حتى يحتسب الراهب نفسه مَدَرًا ورمادًا . فيذرف دموع الفرح والألم مدرارًا بسبب

[1] اشارة الى شيء من الاختطاف (extase) .

الموهبة والخوف ويحرص على التسبيح الافضل والسجود الاكمل مستعذبا ذلك ايّ استعذاب ، متذكرًا امثلة القديسين، مجهدًا النفس اقتداء بهم ، عاكفًا على اراحة المتضايقين وخدمة المرضى . وربما ان مثل هذه الامور تميلهُ عن مسامرة الحامة يعود فيعكف على السكوت والصمت حتى لا يجيب الا على ما كان ضرورياً واجباً من الأسئلة ، بل يكره مخاطبة الناس كَرْهَهُ مخاطبة الاعداء ؟ واذ تراه الحامة الفضّة الصبا ، القديمة الاجيال ، عاكفًا على مثل هذه ، تعود الى زيارتهِ فان لم يستسلم اليها بكليتهِ ، تزجره لاكمةً اياه وبقدر ما يذوب شوقاً اليها تنبسط هي اليه او تنكمش عنه . امَّا العالمُون الذين يقصرون اهتمامهم على العالمات فيضربون مثلًا على ما تقدَّم ويقولون : اذا رأت الحبيبة (في حبيبها) علامة الحب الراسخ ، تهرول اليه على رأسها لاعلى رجليها .

الفصل الثاني : في حركات الكمال الوسطى

بعد ان تَتمّ حركات الكمال الراسخة ، تبدّل الحامة تأثيراتها على العقل بنوع يلائم كل نفس تشغف بها جاعلةً العقل قابلًا للأوحية تفيض فيه اولًا ، معرفة المبروءات ، حتى بقدر ما تجعل الشمس الطبائع المحسوسة مَرئيَّةً للعين ، تصيّر الحامة الطبائع المعقولة منظورةً للنفس ، فينثني العقل عن كل ما في السماء وعلى الارض ، ويذوب بحبّ الحامة مبتغياً ان يلتحق بها وحدها . امَّا هي ، فتى رأت اضطرامَ حبّهِ وانه قد تحفّى بالبوتقة كالذهب ، فلا تعود تتراءى له كالبرق السريع ، بل مثل كوكبٍ مغشّى بالغمام . غير انها تحتجب وقت الصلاة ، مضرمةً النفس سابيةً العقل فينطرح الرجل على الارض كالميت[1] . ثم ينهض متذكرًا منظرها فتنقشع الغمامة رويدا رويدًا ، فتستنير العين ويكون ان الكامل بهذا النهوض يشبه النائم وهو يقظان ويشبه اليقظان وهو نائم[2] .

الفصل الثالث : في حركات الكمال الكاملة

متى ما اعتادت النفس ما تقدَّمنا فوصفنا من الامور ، يصبح العقل ذا دالَّةٍ على الحامة ، فيحدق بها مطمئناً ويسامرها . فلا تعود تتراءى له كالبرق

١) اشارة الى نوع من الانخطاف

٢) اشارة الى هذه الآية : « اني نائمة وقلبي مستيقظ » (نشيد الاناشيد)

الذهب او كأنها في غمامة كثيفة ، بل تحلّ منه حلول الحبّة من القلب . وكما انها حياة الازل ، فتظهر نفسها للعقل انها علّة العلل وتدلي اليه بأسرار عجيبة فيعرف حينذاك ، الكلمة التي كان في البدء وان كلّ شيء كان به (يوحنا ١ : ١) . ويعرف الحكمة الازلية وملائكة الله الذين هم ارواح الخدمة ، الذين يسجدون له مسبحين . ومتى امتلأ العقل من رؤيتهم وجلالهم وسرورهم ، يضحي مثلهم . وحينما تطير الحامة والملائكة وانفس الابرار بخدمته (العقل) ويذهب هو بصحبتهم ، يبلغ حالاً الى سحابة النور الذي لا يدنى منه . ومتى ما توغّل فيها يحتجب ، حيث يقرّ في المقام الموسويّ مزدهياً عجباً بجمال الرب سيد الجميع ولكثرة ما ينال من اللذّة ، لا يعود يقوى ان ينعطف الى مكانه الاول ، الّا اذا حلّه ربّه من الارتباط به . ومتى عاد فيبلّل اعضاء الجسد بنار اللاهوت التي حلت به . ومتى ما اشتهى ولو قليلاً ، ان يصعد ، يختطف الجسد معه ايضاً فلا يكاد ينخلع عنه كما لا يكاد ينخلع الحذاء من الرجلين .

الفصل الرابع : في وحدة العقل

متى اتّحد العقل (بالاله) الصالح ، يرتقي من مجد الى مجد بالرب الروح ، ناسياً ، ليس ما في العالم فقط ، بل نفسه ايضاً ، متشحاً بنور ذلك الخدر الذي هو مثال الله تعالى ، حيث يرتشف من كؤوس ذيالك الخدر المترعة ، متذكراً القول الكريم : انا والآب واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠) انا في ابي وابي فيّ . (يوحنا ١٤ : ١٠)

ان الحامة تحضّ العقل على اقتناء ذلك واشباهه بالآية الجليلة : ان سرّاً لي ولابناء بيتي . والرسول المغبوط قد رمز الى ذلك بقوله : وسمعت كلاماً لا يقدر بشر ان ينطق بمثله . وتلميذه ايريثاوس سلّم تلميذه ديونيسيوس قائلاً : « متى اتحد العقل بالاله الجواد ، نبذ عنه كل شيء ، حتى اسم الغرام والهيام . لان ما يكون هنا محبّاً ومحبوباً ، يضحي هناك محبوباً ومحبّاً فيأتي كلّ كنية تعني التثنية مثل الابوّة والبنوّة والممجّد والمتمجّد ، لانّ العقل عندئذ لا يمجّد ولا يتمجّد » .

ان النقيب الالمعيّ يبرهن على حقيقة ذلك من الجسم قائلاً كما اننا نعي المياه بقدر الاوعية وتنتشر اشعة الشمس بقدر الكوى وتتأجج النار بقدر ما

تضرم به من المواد ويهبّ الهواء بقدر ما يحبس منه في الظروف حتى اذا تلاشت هذه الأصونة والاسباب ،عاد كلٌ من المياه وسائر ما تقدَّم الى اصله الوحيد ، فهكذا اذا انحلت الاجساد ، عادت العقول الى الواحد الاحد . وكما ان الجسد يعود الى الاصل المأخوذ منه كذلك العقل يعود الى الله[١] لانه قَبسة منه تعالى فيكون اذ ذاك ، تقدست اسماؤه ، كلًا في الكل على ما علمنا اساتذتنا ومن هدونا الصراط المستقيم[٢] .

الفصل الخامس : في دواعي المحبّة

دواعي المحبة خمسة : ١ً تنازع البقاء ، ٢ً معرفة الجميل ٣ً ، الجمال الظاهر ، ٤ً الجمال الباطن ، ٥ً التشابه بالشكل ؛ بناء على ذلك يحبُّ الله بالافضل ، وذلك معلوم من ان الانسان اذا احبَّ المحافظة على نفسه احب اضطرارًا الله تعالى حافظَهُ الذي به نحيي ونتحرك .

واذا كان المرء يحبُّ من يحسن اليه على غير أمل الوفاء بجميله ، فاحرى ان يلتزم محبة الله الذي هيأ له ما يفوت العدَّ من الخيرات ، كنور الشمس والقمر والكواكب وإتلاف الهواء وغيث السحب ومياه الانهر والينابيع واثار الارض والحيوانات باصنافها وسائر الاشياء مما لا يحصره حدٌ ولا يحصيه عدٌ .

واذا كان الجمال الظاهر يُحَبُّ فكيف لا يُحَبُّ ذاك المتوشح بلباس يتلألأ كالثلج وشعره كالصوف النقي وهو جالس على العرش المضطرم والعجلات المتوقدة والمركبة ذات الاربعة الوجوه[٣] (دانيال ٧ : ٩) (وحزقيال ١ : ٦) يتراءى للانقياء القلوب ، مَن ، اذا استأهل المرء محبتهُ ، كفر بكل جمال ظاهر هائماً به فقط .

واذا كان يحبُّ الجمال الباطن المتَّصف بمعرفة الاحاجيّ والمتنزه عن آلام الخطيئة والراغب في البرارة بانواعها ، فمن لا يحبُّ مقدّس القديسين ومطهّر الدنسين ، مَنْ علمُ سائر البرايا لا يعدُل علمه .

١) هذا التعليم غير صحيح لان العقل اعني النفس برأها الله من لا شيء وليس من ذاته الالهيّة التي لا تقبل تجزؤًا بتةً . ورأيه هذا يشتمّ منه المذهب الحلولي .

٢) رأيه الخاص .

٣) هذا ما يتصوره الخيال من التشابيه تمثيلًا للعقل القاصر عن ادراك الكنه الالهي السامي سموًا لا غاية بعده .

واذا كان شبيه الشكل يُحَبُّ ، فما أتعس الانسان الذي لا يحبُّ ربّهُ وخالقه على صورته ومثالهِ .

الفصل السادس : في لذة المعرفة

كما ان لكلّ من حواس الانسان كاللمس والذوق والنظر والسمع والشمّ لذة خاصة بالمحسوسات ، كذلك للعقل لذّة خاصة بالمعقولات . ولما لم يكن بين المعقولات اعجب واغرب واكمل من سيد الكائنات ، كانت اللذة التي تأتي عن معرفته تفوق سائر اللذات . وهذه لا يشتاقها الّا من ذاقها ، كما ان الاصمّ لا يشتاق ان يسمع ضرب القيثارة .

ومع ان عدم معرفة الله تعذب فوق ما تعذّب الاوجاع ، فكثيرون لا يتعذّبون بذلك ، شأن العضو الخدِر الذي لا يحسُّ بالحرّ ولا بالقرّ .

ليس من انسان يهيم عقله بحب مولاه فتستطيع ان تتأثر به لذة شيء مما في العالم ولا احد يجد الله تعالى الّا وينبذ العالم بأسرهِ .

اذا مُلح العقل بحبة الربّ فلا يعود يتشوّش اصلاً لان من يخدم السادات ، يخلع عنهُ أعمال العبيد . فهذه حالة لذّة العقل بعد انفصاله تماماً عن المادّة ، على ما قال بولس المصطفى : اننا الآن ننظر بالمرآة بالالغاز امّا عندئذٍ فمواجهة . (١ كور ١٣ : ١٢) وقال القديس غريغوريوس : ان النفس الصالحة المحبة لله اذ تنفصل من الجسد ، تلذُّ لذّةً غريبةً وتسرُّ سروراً عجيباً ، اذ ينجلي لها ما كان قاتماً .

الفصل السابع : في التربية على محبة الله

تربو محبة الله في النفس ، اذ يترقّى الانسان في الايمان والرجاء والمحبة وينشو بالامساك ، لاهجاً في اعمال الباري العجيبة . ويرى بعقله قدرة الله الضابطة الكل ، تجوز بدون مانع اقاصي الارض وما جاوزها . وتحلّق فوق السماء والبحار واللجج وجميع ما فيها ؛ بيْدَ ان العقل لا يتأثر لهذه الامور ولا يستسلم لها ، بل يمقت كلّ لذّة ، مبتغياً الاله الجواد فقط ، تائقاً الى ان ينتقى قلبه من كل شغف بسواه تعالى .

كان وميضاً من اشعة الازلية ، ولو نعيماً وشرارةً من محبة الله ولو خفيفة ، تضحي ضرماً عظيماً ، يضرم النفس ، كذلك محب الله يذوب هيام بمشاهدة وجهه الكريم ، حتى لا الموت ولا الحياة ولا الاشياء الحاضرة ولا المستقبلة ولا خليقة اخرى تقدر ان تفصله عن محبّة ربه ، (رومية ٨ : ٣٥) بل يكمّل ارادته القدوسة . وشفتاه تبتجان اسمه العالي ، فيتعزّى بوجوده في كرخ ، ساكناً ساكتاً مسروراً باعمال النسك ، رائفاً بالاخيار والاشرار . وصلاته ان لا تفتر حرارة حبه ، ساتراً اياه ما استطاع ، غير محب سواه .

ان الامرأة المصرية (امرأة فوطيفار) التي تمشقت يوسف الحسن آمنت بعد موت بعلها ، فاراد يوسف ان يتزوجها فأبت قائلةً : لست أُحبُّ عبداً عرفتُ سيدهُ من قبلهُ فأحببته[1] .

﴿ الفصل الثامن : في معرفة الله ﴾

نعرف الخالق من الخلائق . تلك قاعدة تبعها كثيرون . اما المختارون الذين سبق الله تعالى فاعدهم ليكونوا مدعوين وقديسين ، فيعرفون الخلائق من الخالق ، على ما قال احدهم : « اني عرفت ذاتي والعالم من معرفتي الهي » .

اما المرتل الالهيُّ فيعلن نوع المعرفة الاول بقوله : « ان السماوات تذيع مجد الله (مزمور ١٨ : ٢) . ويفصح عن النوع الثاني بقوله : بنورك نعاين النور . (مزمور ٣٥ : ١٠) .

اما الحكماء الخوارج فيفضلون النوع الثاني من معرفة الله هذه على النوع الاول.

ولما كانت معرفة الله هي هي الدافع الى محبته تعالى وكان الكثيرون لا يعرفونه كما هو ، كانت من ثمة محبتهم له ، تقدست اسماؤه ، لا اساس لها[2] .

ويوجد اناس يعترفون به كما هو ، انما ذلك منهم على سبيل التقليد والاخذ عن السماع مع شيء من الكرب المضطرب .

أما الثابتون في معرفة الله ، فمحبتهم لجلالتـه مؤسسة على صخر متين ، حتى ان الشدائد والاضطهادات والسيف والنار لا تستطيع ان تزعزعها[3] .

١) لم يذكر الكتاب شيئاً من هذا .
٢) ربما قصد عدم الثبات في المحبة ، لمعرفتهم الله معرفة ناقصة .
٣) تلميح الى كلام القديس بولس : (رومية ٨ : ٣٥)

الفصل التاسع : في الاحوال التي تطرأ على الكملاء

في القالب يطرأ على الكملاء من بلوغهم الكمال الى انحلالهم من الجسد اثنتا عشرة حالة : الاولى استغراق العقل في القلب ، حتى يقف الفكر لا يختلج واللسان لا ينبس بكلمة تمجيد وعندها لا يطيق المرء استماع حفيف ورقة ، فيسود السكون حركة النفس والجسد. الثانية التفقه ، وذلك متى عرف العقل رفيع منزلته وأدرك انه قَبَسَة[1] منه تعالى، فيستولي عليه،من ثمة ، السكون ويأخذ منه السكوت مأخذه ، حتى اذا غلب عليه السهو ، تدرَّع للعود الى ذاته بمطالعة الكتب ومزاولة السجود . الثالثة حبُّ الترتيل الذي به يضحي المرء كاملًا ، حتى اذا ما تلا آيَ المزامير بذاكرته ، يكون كانه سامع المرتل الالهي يضرب على قيثارة ، ثم ينقضي مشهده هذا كانه لم يكن . الرابعة ذرف الدموع بداهةً حيث تتأجج المحبة في القلب نارًا فتفيض العيون الدمع مدرارًا . الخامسة تذكُّر الدينونة ، حيث تتولد في النفس المحبة البشرية ، ناظرةً الى الجميع بالسواء لا تفرق بين البار والخاطئ ، ولا بين العبد والحرّ ، ولا بين الختان والقلف ، ولا بين الانثى والذكر ، بل تبغي المراحم للجميع . السادسة استنارة العقل باشعَّة ملائكية ، تتقوم من نار ونور ، فيتلهَّف (العقل) للاندماج في اجواقهم (الملائكة) والانخراط في مصافهم . السابعة استماع التقديسات السارفيمية التي لا يستطاع تمثيلها بالاصوات الطبيعيَّة ، لكن بالاصوات[2] العقلية . الثامنة التشبُّه . وذلك متى استضاء العقل بالنور غير المنعوت ، حتى يستحيل اليه استحالة السحابة الشفافة تجاه الشمس ، حيث تأخذ شكلها كاملًا . التاسعة الاضطرام نارًا وهذا يحدث متى استحرَّ جسدنا كلُّه ، على نحو ما شوهد الانبا ارسانيوس ، اذ كان يصلي في قلليته . العاشرة الاختلاء. وهذا النوع يدعوه الفقهاء غير مكتنب وبه تُمحى الاعداد وهنا لا يلبث الضعف البشري ولا الصلاة ولا التضرُّع ولا ذكر ما هنا او هناك ، لان العقل اذ ذاك يكون

1) نفحة تنير العقل وتضرم القلب .
2) ربما اراد التأمل يكنى به عن صوت العقل.

كعابس. جميع الصلوات ونسي التملي وكجب نسوة لات ويس كسائس .
الحادية عشرة الفرح عن غير سبب معلوم . فيعرف العقل اذ ذاك ، انه فرحان ، لكنه لا يعلم ما سبب ذلـك . الثانية عشرة جزالة الكلام وتبيين الخفايا وايضاح المستقبلات المسطرة في صدر الكتاب المسمّى سفر معرفة الله تعالى .

الفصل العاشر : في سقوط الكاملين

انه ولئن كان بدرجة الكمال يتقدس الجسد ويتطهر القلب ويستنير العقل ، فمع ذلك ، اذا لم يحتفظ المرء لنفسهِ ، ينشب عاجلًا في الشرك الذي يخفيه له الشرير ويسقط من سموّ ارتفاعهِ كما سقط بليار .

اذا استرقتِ المرءَ الافكارُ الشريرة فسرَّ مغتبطاً بما يصير اليه من الاوحية، رغب في ان يبوح بما استحقَّه من المواهب التي لم ترها عين ولم تسمع بها اذن، فيهبُّ ميمّماً المدنَ والقرى ، كانه معلّم ومنقذ للنفوس ، رجاء ان يكون مثالًا يقتدي به كثيرون حتى يخيَّل اليه أن الابالسة يتعوّذون منه مولولين صارخين : ما لنا ولك يا عبد الله أأتيتَ لتعذبنا ؟ فتُمثِّل له الخيـلاء أن الناس يشفون بواسطته . والشعب يزدحم مقتحماً ليدنو منه ليلمس ولو طَرَف ثوبه فيوقف من قصده على بابهِ وهكذا لا يتمّ ان يُيتِّم العالمَ فيكون انه اذا رأى نِدًّا له ، أفصحَ منه كلاماً واعذب مقالًا، حسده وابغضهُ، كما حدث لهرون الاسكندري ذي السيرة الشاقّة الذي كان يصوم من اليوم الى الثلاثة الايام . فتمكَّن منه العُجب بسبب ذلك ايَّ تمكُّنٍ ، حتى عَميَ عقله فأخذ يحتقر الانبا اوجريس قائلًا عنه : « انه يضلِّل من يعلّمهم ، اذ لا يقتضي لهم معلّمون سوى المسيح القائل : لا تدعوا لكم في الارض عظيماً . (متى ٢٣ : ٨) ثم أغراه الشيطان فهبط الى الاسكندرية ، حيث راح مستغرقاً بحمأة الدنس، حتى تهرأت خصيتاه ولم يشفَ الّا وقد عدمها تاماً فعاد الى رشدهِ .

ان المرء يكمل بمثل هذه العواطف والتوافـد التي يجب ان يناجي بها ربّهُ قائلًا : « لا تطرحني من امامك وروحك القدوس لا تنزعهُ مني » .
(مزمور ٥٠ : ١٣)

الباب الرابع

حكاية ترقي المؤلف في العلوم وفي ايضاح بعض قضايا (وهي مئة قضية)

لقد همت بحبة العلوم منذ نعومة اظفاري ، ايّ هيام وتفقهتُ الكتب المقدسة بالنور الطبيعي ودرست الاسرار الغامضة في كتب القديسين على استاذ ماهر . ولما اكملت العشرين من ربيع عمري اضطرني البطريرك الذي كان يومئذٍ ان أقبل رئاسة الكهنوت فدعاني الحال اذ ذاك ان أوضح لبادتي اعتقادات الصرحاء والدخلاء . فبعد ان فكّرت طويلاً بهذا الشأن تحقّقت ان الاختلاف بين المسيحيين ليس على الافعال بل على الكنى والاقوال لانهم قد اجمعوا رأياً واعتقاداً أن المسيح إله تام وانسان تام بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تبلبل الطبائع : فهذا يكنّي المثال الاتحاديّ طبعاً وذاك يسمّيه ذاتاً وذلك يدعوه اقنوماً . فلمّا رأيت المسيحيين على اتفاق تام غير منفصم العرى استأصلت من قلبي عروق البغضة بالكليّة ونبذت تماماً أمر المجادلة في الايمان مع ايّ امرء كان . وحرصت فقط ان احوز حكمة اليونانيين اعني الفصاحة والطبيعيات والالهيات والرياضيات والاشكال (او علم الهندسة) وعلم الفلك وحركات الكواكب . وبما ان الحياة قصيرة والعلوم كثيرة اكتفيت ان يكون عندي من كل فنٍّ خبر ، فكان مثلي بذلك مثل الغريق في البحر يمدّ يده الى هنا وهناك رجاء ان يتعلّق بما يمكّنه من النجاة ولم افز من علومنا وعلوم الاعاجم بما كنت اطمح اليه الّا وقد اوشكت التلف حتى لم اعد استحسن وصف ما نشبت به من الفخاخ لئلا آذيَ سمع الضعفاء . وباختصار القول لولا ان الربّ قوّى ضعف ايماني في الازمنة الشديدة وهداني الى اعمال الفكرة في كتب العلماء مثل الانبا اوغريس[1] وبعض العلماء الغربيين والشرقيين ، متنشلاً اياي من وهدة الهلاك ، لكنت يئست من الحياة النفسيّة ، لا الجسديّة . فأكببت على درس هذه الكتب سبع سنين وقد كرهت نفسي سواها حتى اقتبست منها شيئاً ، لكن ليس لي بل للذين يرغبون شديداً في الاستفادة مني فشغلني ذلك زمناً

١) هو احد العلماء الذين عاشروا السياح والنساك وقد ورد ذكره قبلاً وذكره مراراً كتاب بستان الرهبان لما له من الحكم والاراء الصائبة .

طويلاً ، حتى كنت احياناً استعر في الكفر قائلاً : ما أعظم حصن هؤلاء المتوحدين ، اذ تسمع لطاحونهم جعجعة ولا ترى طحيناً : لان كلامهم لا يشف الا عن افكار عقيمة . وصار عقلي مبارزة لي (كما قال الشاعر : عتي معرفتي . يا ليتني لا اعرف . وناجاني (عقلي) قائلاً : لا تسفه ولا تظن ان كل ما لست تعرفه ، ليس بموجود لان ما تعرفه هو قليل جداً ، بالنسبة الى ما لست تعرفه . فكنت عند هذا اعرّج على الجنبين ، حتى أشرق علي شيء من اشعة النور المحض لامعاً لمعان البرق ، فانجلى شيء من الغشاوة التي كانت تغشي عينيّ ، فأبصرتُ . ولكن بمقدار : ولكي أبصر اكثر ، شرعت اصلي بدون فتور ، راجياً رفع السياج المتوسط فأرى ، لا كمن في الظلام ، بل عياناً ، ذلك المحب غير المنظور .

فاليك ايها الحبيب هذه القضايا القليلة التي مثلها مَثَلُ بعض ما يضيئهُ وميض البرق في الديجور المدلهمّ :

١ : ان النفس التقيّة لا تتمرّق في المعارف حبّاً للمجد الذي يحوزه العلماء في هذا العالم ، بل يتضاعف شوقها الى مشاهدة وجه سيد الجميع ، فتستطيع ان تلج في السحابة الالهيّة[1] .

٢ : لقد ضلّ الذين ظنّوا انهم بلغوا درجة الكمال بتعمقهم في علوم قومهم وعلوم الاعاجم ، ولم يطهّروا نيّتهم ، لانه ماذا ينفع اتقان المرآة وترصيعها باللآلئ الثمينة والحجارة الكريمة اذا لم تكن نظيفة وما احسنها مجلوّة ولو شابها وسخ الصناعة .

٣ : كيف يعدل علمُ من عرف من الكتب كيفية عمل هيكل سليمان علمَ من دخله وشاهده بامّ عينه وعدّ عدداً كناناته وقواريره وكواه المصمتة وشرفاته ودهاليز اساساته وزجه وسوسنهُ واجنحة كروبيه ونقوش عتبه .

٤ : ان علماء كثيرين وآباء عديدين حرصوا على جمع الدرهم وهاموا ايضاً بلذات سواه فقالوا : كما اننا نعدّ العلف للبعير الذي هو مركوب الجسد ،

---

١) هي السحابة التي تستشنها عين الايمان فترى فيها عظمة اللاهوت وبهاء الملكوت . وهو نوع من الصوفية المنتحبة (راجع المشرق ٤٩ (١٩٥٥) : ص ١١ : ٤) «صوفية الظلام في عرف القديس غريغوريوس النيصي» .

كذلك نمد القوت للجسد الذي هو مركوب النفس . ولم يضرّ بهم قولهم هذا كما لا تضرّ اصحاء المزاج المآكل التي تضرّ بالمرضى. لذلك ذابوا سلًا فصدق خبرهم خبرُهم حتى لم يشعروا بمرضهم .

٥ : لقد ضلّ من ظنّ ان تلوّن قوس قزح متأتٍ عن تلوّن اشعة الشمس اذ لا يكون ذلك الّا بتنوّع اقسام السحاب من مثل كثافة وتخلّل وتلبّد وتشقوق .

٦ : لقد ضلّ ايضاً من ظنّ ان الشمس تنير على الاجسام القائمة وتنيرها لكي تتمجّد الشمس وتمدح وتبجّل وتعظّم ، اذ ان المنير لا يكتسب ذلك من المنار بل بالعكس .

٧ : كما ان الجائع لا يشبع من المياه والظمآن لا يروى من الخبز ، كذلك العالِمُ الذي يرغب في ان يحدّق بالسحابة القمريّة قلّما يلذّه استماعُ الكتب.

٨ : معرفة الله بالنسبة الى معرفتنا بقياس قوّته تعالى بالنسبة الى قوتنا .

٩ : ان الله تعالى هو ضابط الكل ، فكيف يتسنى للعقل ان يحوزه والمحوز يحوز شيئاً من الحائز ولا يحوزه كلّهُ .

١٠ : مهما فكّرت في البيّنات والآيات والشهادات لتعرف الله تعالى ، فتكون كمن يطرّق ويصفح حديداً بارداً . ولا يكون فيك الى ذلك الحين ، مثل حبّة الخردل من الايمان .

١١ : مشاهدة الله تكون باغماض الحواس وفتح طاق القلب ورفع الستر عن اللبّ كما قيل : سُدّ الكوى فيضيء المسكن .

١٢ : ان الذين يغرقون في السحابة يدركون عمق حكمة الله وغناها بدون توسّط كثرة الافكار .

١٣ : كما ان العقل في هذه العاجلة ، يدرك ضرورة المبادئ الاولى كقولك : الكل اكبر من الجزء والواحد هو نصف الاثنين ، كذلك متى ولج العقل السحابة الالهية في الآجلة يعرف ضرورة احكام الله الخفيّة وغير المدركة .

١٤ : كما ان الحواس لا تستطيع ان تدرك الصور العارية عن الهيولى . وكما ان العقل لا يقدر ان يخلع نعلي الجسد من رجليه ، كذلك لا يقدر ان يدرك الصور المكنونة في السحابة الّا على شكل مبهم وغير مستقيم .

١٥ : ان الانسان وهو في السحابة ، اذا رأى الجمال اصاب لذة لا تنعت . أمّا اذا اصاب هذه اللذة بدون تلك المشاهدة ، فتكون لذاته كلذة من يسمع بجمال جميل ، لا كلذة من يرى جماله بأمّ عينه .

١٦ : انه حينما تنفتح عينا العقل بقدر قابليّته لذلـك ، تفيض عليه النعمة بأشعّة مجيدة وملائكيّة ، فيجوز الى ابنـاء الملكوت حيث ينتظم باجواقهم الشريفة ، فرحاً معهم نابذاً العالم وكل ما فيه .

١٧ : من لم يتغرّس في داخل قدس الاقداس ذي التمام فهو ، وان اعترف بلسانه وآمن بجنانهِ وقد حبس نفسهُ عن المؤمنين فقد كذب كذباً .

١٨ : ان من يولد أعمى ، فهو وان صدّق بوجود اللون الابيض والاصفر والاسود والاحمر . والاصمّ ، وان صدّق ان سمعه يلتذّ بنغمات الاوتار المتّفقـة والاصوات الموسيقية المتسقة ، فتصديقها ذلك أقرب الى عدم التصديق ، منـه الى التصديق .

١٩ : اذا لم تكن ، ايها الحبيب ، ذا ايمان صادق فلا تعطِ عينيْك وسناً ولا جبينك نوماً حتى تجد محلّا للرب حيث تقبل الايمان وتعتمد بالنار والروح[1] لا بالمياه .

٢٠ : قد صار الايمان الصادق الى الانبياء والرسل ، بفيض النور العلوي بدون تعب والتماس . أمّا النسّاك فقد توصّلوا من الايمـان الظنّي الى الايمان الحقيقي بالالتماس والتعب والتلهف والتلذذ .

٢١ : اجتهد بقراءة ما يخشّع وعمل ما يوجّع لتَسِم بسمة ابناء الملكوت . فان كثيرين عملوا كثيراً ، انما كان ذلك منهم بدون افراز . فلذلـك لم يدركوا طريق الحق ولم يبلغوا ميناء الحياة .

٢٢ : لا يُقتنى الكمال بالاعمال الجسدية فقط بل بجهاد الضمير النقي وزواله . فاقرن إذن عملك الجسديّ بافرازك الروحيّ فتفقه من ذلك ان تخدم بالجسد والضمير .

٢٣ : ان المحبة هي بغيةٌ شديدة في المحب للمحبوب ، يبقي بهـا المحبُّ

1) تلميح الى ما قاله القديس بولس لاهل افسس (اعمال الرسل ١٩ : ٢-٦)

بكليته انعطافَ المحبوب اليه فتكون البغية والانعطاف شقيقين يوجد احدهما حيث يكون الاخر ، فمن يبغِ اذن يجد ومن يسل ينل .

٢٤ : كما ان الحديد الخالص ينجذب بالمغناطيس ، اللهمَّ ان لم يخالطه جوهر آخر كذلك العقل ينجذب بكليتهِ بالذات الالهية السامية ان لم تعترهِ الآلام اللحميَّة .

٢٥ : كما انه يصعب تمحيص الحديد من الجواهر الاخرى التي تخالطـهُ ، مثل الذهب والفضَّة والنحاس والآنك ، كذلك تصعب عصمته من القبض عليه باليد وسائر العوائق الخارجة التي ليست من جوهرهِ . وكذلك تصعب تنقية العقل من العوائد البهيميَّة والحركات الاثميَّة ، التي يتبع طاعونها العقل طبعاً وتعسر عصمته من الارتباك بالزوجة والبنين والمال والامتاع .

٢٦ : عندما يدرك العقل انه يوجد كلمات لا يستطاع النطق بها واعمالٌ لم ترها عين ولم تسمع بها اذن ولم تخطر على قلب بشر (١ كور ٢ : ٩) حينئذٍ يعتلي على ما هو خارج السحابة من الدرَجات ، واضعاً رجله على الدرجة السفلى التي في داخلها .

٢٧ : متى سمع العقل الكلمات التي لا يستطاع النطق بها ولا يمكن الفم ان يوضحها ، ومتى رأى الامور التي لم ترهـا عين ، يقطن حالاً ، في مسكن العليّ ويحلُّ في جبله المقدس .

٢٨ : البيعة تقول : انه « تعالى » واحد في ثلاثة والثلاثة واحد انما ليس هو ثلاثةً من حيث هو واحد ولا هو واحد من حيث هو ثلاثةٌ ، لان ذلك غير ممكن ...

٢٩ : ان للثلاثة بذاتها معنى الواحد الخاص الذي لا يقبل تعدُّد الثلاثات الكثيرة وبهذا المعنى هو واحد .

٣٠ : وبما ان العليّ ذو ذات وكلمة وحياة[1] فهو واحد بالطبع (بالجوهر) وثلاثة بالاقانيم .

٣١ : ان الكلمة وهي مكنونة في ذلك الناطق ، تبدو كأنها مولودةٌ

[1] كنى بالذات عن الآب وبالكلمة عن الابن وبالحياة عن الروح القدس .

من مستودع . اما حياة لهي ظاهرة في الواحد بقدر وحدته وهكذ فالابن مولود وليس بمنشق والروح منشق وليس بمولود .

٣٢ : انه وان كان الباري تعالى يفعل اختيارياً ، مع ذلك لا يستحيل على البرايا ان تستوضحه بتوسط اي جسم كان .

٣٣ : اذا كانت لم تجحد قضية ظهور الباري تعالى في العليقة لموسى ، اذ أسلمه الاحكام والشرائع للاسرائيليين ، فكيف تجحد ظهور الله للعالم بانسان كامل ذي نفس ناطقة عاقلة .

٣٤ : من ليس وجوده من ذاته بل من علّته ، فلا يستطيع ان يكون علةً لوجود آخر ، بل وسيطاً ، لكنَّ الله تعالى وحدهُ هو علّة الجميع وهو تعالى يعمل الكلَّ بالكلِّ .

٣٥ : ان القمر يستنير من الشمس ، فيضيء نورهُ الارض ليلاً فكيف وهو لا يملك النور بذاته يمكنه ان ينير الارض فليس هو اذن علةً بل وسيطاً بين العلة والمعلول .

٣٦ : كما ان المرآة خاليةٌ بذاتها من كل صورة ومثال وبحسب نقاوتها وصقليا تتمثل بها الصور الخارجة عنها ، كذلك العقل عارٍ من الصورة وبحسب نقاوته من الادناس الهيولية تتمثل به الصور الغير الهيولية .

٣٧ : ان نسبة مملكتي السما والارض الى ملك الملوك وسيد السادات وإله الآلهة ، نسبة الرسوم في المرآة الى المرآة والرسوم خارجاً عنها .

٣٨ : كما انه ليس من وجودٍ ثابتٍ لما يكون في المرآة من الصور بل وجود هذه الصور الاصليّ يتبع ما يتمثل منها في المرآة وهو خارج عنها ، كذلك ليس من وجود حقيقي للماكثين الجسيَّة واللاجسيَّة بذاتها ، بل وجودهما يتبع وجود علّتها الاولى .

٣٩ : ان وجود الحقّ الاولَ ليس بزمنيٍّ حتى يقال انه كان ولم يكن معه شيء ، او انه كائن وليس معه شيء . وان قيل ذلك فللعقول الغير المهذّبة يقال .

٤٠ : ان مَن لا يزال يمتصُّ الحليب كالطفل ، لا يتغذينَّ بغذاء البالغين . ومن ينظر كالخفاش ، لا يحدقنَّ بالشمس ، فمن هو هكذا لا يتوسعنَّ بمعنى القضيَّة السابقة ، فلا ينبذه ولا يجذهُ بل يحفظهُ مثلاً بقلبه الى ان يبلغ اشدَّه .

٤١ : متى انفتحت كوى قلبك ، تطير ووجهتك الملكوت ، حيث تشاهد كل هذه الاشياء عياناً ولا تحتاج ايضاً الى وصفها لك بل تكون مؤمناً لا غير مؤمن .

٤٢ : بحسب تغير الابراج القمرية بالنسبة الى الشمس ، تتغير اضواء القمر فيثبت نوره بثبات ابراجه ويزول بزوالها .

٤٣ : كما ان مقام القمر نظراً الى الشمس ليس هو بواحد دائماً ، بل يتغير من وقت الى آخر ، كذلك نور العقل يكبر او يصغر نسبة الى ما يعرض له من التقلبات .

٤٤ : انه ، وان كانت الجواهر تصير ازلية في العالمين ، مع ذلك بقدر ما يكون العقل متعلقاً بالمادة ، تكثر مفاجعه ومتى انعتق منها ندرت تغيراته حتى لا ينقص لمعاناً عن شمس البرارة العظيم .

٤٥ : ان الذات الالهية التي تراءت للسماء والارض وما فيها قبل الجبال ، هي غير التي تُرى الآن وهذه غير التي كانت تُرجى . وبما ان تلك زالت ، تجددت هذه وتلك المستقبلة تتجدد .

٤٦ : بما ان الموجودات الزمنية جميعها مشتركة في الانواع ، فيُظَنّ غلطاً ان لها ذاتاً واحدة ، كمن يرى يوحنا مثلاً ، ثم يرى يعقوب فيظنه يوحنا الذي رآه اولاً وكلاهما مشتركان في الطبيعة البشرية .

٤٧ : ان ذوي الفهم الصبياني ، متى شاهدوا ضوء المصباح نفسه ، يظنون ان للضوء من بداءته الى نهايته ذاتاً واحدة . اما العقل الرجلي (الناضج) فيعرف انه يوجد ويتجدد ذوات بقدر الاجزاء والاقسام من الزيت التي تذهب وتتبدد .

٤٨ : ان العقل يتصور ان زوال الذوات وتجددها صعب جداً . وبعد دروس كثيرة وتخرج متقن ، يستطيع العقل ان يستدل على حقيقة ذلك . اما العلماء فيفقهون ويعلمون ان الباري تعالى يبدأ في كل دقيقة ذاتاً جديدة لكل معدود .

٤٩ : ان من يرون بعين الروح زوال الذوات وتجددها يهتفون صارخين : ان الله تعالى الذي يصنع الكل بالكل هو واحد احد به نحيا ونتحرك . ومنه وبه كل حركة وكمال حياة العقل والنفس وكل طبع .

٥٠ : علم الكاملين هو علم موحى وكل علم موحى هو علم سري.

٥١ : علم الكاملين هو علم نبوي ولا يقتبس قط او يتقن علم واحد نبوي من تدبر الكتب ودرسها .

٥٢ : ان امير الانبيا. قد كان يوماً الكن أثلع ثم اضحى كاروزاً تتدفق من فيه انهار ماء الحياة بحسب ما كانت تقتضي الظروف التي كانت تطرأ عليه.

٥٣ : من لم يذق محبة مولاه لا يستطيع ان يدرك قوة كلمات الحبيب لانها سرية وكلمات روح لا ينطق بها برموز سرية .

٥٤ : من يكتب اسرار الروح والروح لم يستكتبه فهو نحاس يرنّ او صنج يطنّ لان الروح لم يمزج حلاوته بكلماته .

٥٥ : من يتعلم اسرار الروح من الروح ، يجتني سامعو كلامه كل لذة وكلمته تستأصل من افئدتهم جميع الآلام .

٥٦ : من يرغب ان يقرع باب الملكوت يكفيه ليعرف طريقة جزء صغير من كلام العلماء ، يلهج به كثيراً ويفكر به طويلاً . فلا يضيّعن اذن أيامه ويبذّرن اوقاته بدرس الكتب المريضة العلوم المسمية الكلام .

٥٧ : ان وجد مكتسب الجزء الصغير من علوم الكاملين معلماً فبكلمة من فيه يهتدي الى طريقه . والّا فليكحل بصيرته بإثمد الزهد فيرى الطريق القويمة.

٥٨ : حتى مَ تبغي مرشداً يفتح الك في عمق قلبك باباً الى الملكوت . نظّف يا صاح مرآة عقلك من الوسخ فتريك صور المملكتين وتهديك السبيل الموصل الى مملكة السماء ثم تبلغك الى مملكة الله تعالى .

٥٩ : ما زال الظمآن لا يستطيع ان يَرِدَ المياه فلا يقدر المرشد ان يورده اياها أو يحمله اليها لكنّهُ يستطيع ان يعلمه كيف يَرِدُها .

٦٠ كما لا تفيد الريح وإن موافقة السفينة المثقوبة كذلك لا يفيد المرشد ولو ماهراً القلب المشتهي باللذات .

٦١ : كما ان الوعاء لا يعي المياه منقلباً كذلك لا تستقرّ الموهبة السماوية في النفس مطرقة الى الارض .

٦٢ : انه لينفع كثيراً التشبه بالانقياء القلوب الذين طهّروا انسانهم

الباطن من كل دنس وقبلوا كلَّ موهبةٍ كاملة تهطل من لدن ابي الانوار .

٦٣ : انه لسعيد واهل لكل غبطـة من وجد استاذًا يفوق نور شمسه ضوء سراجهِ واختطف بنور سيده ومات عن العالم وعاش لله تعالى .

٦٤ : ان الحياة الحقيقية هي ما يتخصه الكاملون من تدلّي العناية السامية. امّا معلمو الناموس والكتب فليس فيهم من هذه الحياة سوى الاسم والوسم .

٦٥ : لو لم ينهض الربُّ لنصرتي وينجيني من ضلالة العلوم المختلفة والاعمال المتباينة فلت الى تدبُّر مدارج العلماء مدى سبع سنين ، لكانت استولت علي العوائد الشريرة التي انشبت براثنها بكثيرين .

٦٦ : لعلّك تقول : هل من علامة فارقة بين العالم الحقيقي والعالم المرائي المخادع ؟ فاجيب : ان لذلك علاماتٍ كثيرة لكنّها قد تخفى لاول نظرةٍ الّا انها تنجلي مع مرور الزمان .

٦٧ : من لم يذق لم يعرف ومن لم يأكل لم يشبع من نجوى، من اكل شبع ومن لم يشرب لم يروَ من خطاب، من روي ومن لم يخبر الامور بذاته لا يلذه اختبار من قبلها اختبارًا .

٦٨ : ان البعض من العلماء الذين تخرّجوا بالكفاية في الكتب المقدسة وتفاسيرها لم يحرصوا ان يتعلّموا طريق الملكوت من رصفائهم ولم يتبيّنوا، ولو ماهرين ، ان علمهم سماعيٌّ وان علم العلماء ولو بليدين ذو نظريٌّ .

٦٩ : اني بسيدي سيد السادات اقسم لكم ايها العلماء العجيون: انكم ما زلتم لستم كالاطفال خالين من كل عجبٍ وكبرياء فلا تزالون غير عارفين جهة الملكوت فكيف اذن تتجاسرون ان تمشوا في طريقه آملين ان تبلغوه آمنين بل لا تزالون بعيدين عنه بقدر ما تظنون نفوسكم قريبين منه .

٧٠ : من ادراك النفس الناطقة وتحريكها للجسد مركوبها نعرفها معرفة بسيطة لان للحيوانات الغير الناطقة كلا النوعين . اما عدم فسادها بفساد الجسد فيثبت حقيقته علم العلماء الدقيق النظر والعميق البحث من لاهيوليّتها .

٧١ : ان النفس الناطقة تقبل العلوم الهيوليّة بيد انه لا احد هيوليٌّ يقبل العلوم العقليّة لانها لا تتجزأ وكلُّ هيوليّ يتجزأ ولا يمكن ان يحلّ الغير المتجزئ في المتجزئ .

٧٢ : ليس من نفس هيولية ... قابل الاستعداد هيولي هو وبكي يعد يلزم ضرورةً ان يكون فيه شيء كالصورة وشيء كالمادة لقبل مادة الصورة.

٧٣ : ان البرايا تُعرف من بارئها كما يُعرف البنّاء من البنيان وهذه معرفة عامّة بسيطة تتسنى حتى للسذّج . امّا نظر الحكماء الدقيق فلهُ حكم خاصّ يعرف به الواجب الوجود من الموجود هكذا: اي ان الموجود اذا كان واجب الوجود فذلك المقصود واذا كان مستطاع الوجود فيحتاج الى الواجب الوجود فيوجد اذن واجب الوجود .

٧٤ : وللإمام الفهّامة معرفة اخرى اخصّ تقتني بتنقية الافكار واماتة الجسد واغماض الحواس وقطع الرباطات فمتى استنار القلب بمثل هذه المعرفة يتمثّل ملكوت الله في داخله وداخل امثاله من الائمّة فلا يعودون الى طلبه هنا او في اورشليم .

٧٥ : ان العقل الذي يكون قد اتّقد حبا بسيده اذا انتصب تحتهُ خطاً عموديًا يكتسب حالًا شيئاً من ضيائه وبينما يكون مظلماً يستنير بطرفة عين كما يستنير المصباح المطفأ فورَ ما يمسُّ المصباح المشمشع .

٧٦ : فوق وتحت وأمام ووراء هي أسماء تختص بالاشياء ذوات الاجسام لا بغيرها انّما بسبب ندرة الاسماء وفقر الكلام يتصرّف المتكلم بالاستعارات.

٧٧ : من يسير مستصحبا بنور سراجه يستقرّ في ديجور مدلهمّ ويمشي في الظلام لا يعلم اين يذهب . ومن تخفي تحتهُ سراجهُ يسير على ضوء النهار لا يعثر ابدا .

٧٨ : ما اسرع زمان هذا النور واضيق وقته وأقصر نهاره وأخصر ساعاته ومع هذا لا يستأهله الّا نفر قليل ، امّا انا فوسط ظلمتي هذه قد رأيتني كانني والشمس تفجر اشعتها الصبح الصيق حوالي أفقي أو كالبرق الذي يمرُّ سريعاً.

٧٩ : ما زالت شمسي في برج الجدي فهي مثلي وإن بعلو عنه الى الجنوب ولم تبلغ أفقي . فاذا اشرقت عليّ ولو قليلًا بنورها الصادقة فاتشوّق متخشّماً لا كمن لا يعلم بل كمن اعلم ان اسجد له تعالى بالروح والحق .

٨٠ : اخبرني علّامة سعيد قال : « اذ كنت بعدُ مبتدئاً بتأمل النور عند الدنو منه ، ارتخت مفاصلي وجنّ عقلي ورأيتني كاني راكب فحلًا شبقاً يترق

في العدو بكل قوته ولم اعلم هل كان ذلك بالجسد او بغير الجسد لاني كنت كمن يطير في الهواء . ولما سكن جأشي وثاب اليَّ عقلي ، اخذ لساني يتلجلج قائلًا : قد صار ما صار ولستُ أخبر بما صار اسمع يا صاح. واسكت ولا تَرُدْ أن فسِّر وافصح عن ذلك وأوضح » .

٨١ ثم بعد ان تقوّى نوعاً عاد فقال : لقد جاشت بي محبّة مولاي ومرات كثيرة لا تدعني أنَم واجباتي بل اخرُّ على وجهي كميت فيسخن الجسد وتكثر زفراتي ويناجيني فؤادي قائلًا : الى مَ انت في هذا حكم الروح وتلهفه وماذا ينفع تذكُّر الحبيب ، والحب في قفص التمييز ؟ »

٨٢ : ثم زادَ قائلًا :« انني لما بلغت اشدّي صدر امر الملك السامي ذي السلطان الابدي والملك الدهري آذناً لي بالدخول فاخذ العقل ، فورَ هذا ، يكسّر ذلك القفص طائراً الى وكنه القديم حتى وقف امام ملك الملوك وسيد السادات حيث نال لديه حظوة كاملة » .

٨٣ : احرص لئلا تكون شيبتك سبباً لتضليلك ، فتظنّ انك من هذه المباني تفهم المعاني ؟ لا يا اخي ، بل ان كنت راغباً في ان تحيط علماً بغوامض الاسرار ، أبغضْ العالمَين كلاهما ودع الموتى يدفنون موتاهم ، مبتغياً الحيّ الابديّ فقط الذي اذا تعبت الدهر كلّه في التماسه ، تحيَ الى الابد .

٨٤ : ان السفليين يلتمسون هذا العالم والعلويين يرغبون في العالم المقبل ، لا يفصلهم عن محبته ، لا هذه الاشياء الحاضرة ولا المستقبلة ولا خليقة اخرى وبقدر ما يُحتقرون لاجل محبّتهم له ، يزدادون تعطّشاً اليه .

٨٥ : كل نفس نقيّة تشتاق مقرّها القديم عائدة اليه بالطريق الاقوم والاقصر ؛ ذلك رمزٌ الى ان الابرار يمرّون على جسر النار والنار تحاق على خطّ مستقيم .

٨٦ : ان العقل غير المدنس يهتف وهو في الطريق قائلًا :« أبنْ لي طريقك فاسير فيها وأحيني ببالك ومتى بلغت الموعد احفظني مثل حدقة العين واظلّني بكنفك » ثم يسأل الله تعالى صارخاً :« احمني اللّهم من قوات الجسد الاثيمة التي راشتني بسهامها ونجني من الآلام السمجة التي تقلت عليّ وطأتها » .

٨٧ : قد يكون نظر العين صادقاً كما لو نظرت البحر اكبر من الحوض

وقد يحسب كذباً [illegible] صورة الشمس كالترس وكوكب [illegible] وانما ذلك يكون من [illegible] البعيد مثله تنفر القريب .

٨٨ : قد يصيب العقل بحكمه كما لو حكم ان الله تعالى واحد واجب الوجود وبارئ ازلي . وقد يخطئ العقل كما اذا افلتَ من نير الجسد فرأى الله تعالى كما هو .

٨٩ : كما ان الخفاش لا يستطيع ان ينظر الى الشمس ، كذلك الانسان، ولو باصرًا ، فلا يرى الله تعالى كما هو ، بل يستشف التواريا في العليّ بالسمع لا بالنظر . والعالِمُ يرى شيئاً من محاسن جلالهِ تعالى لا كلّها. لانها لا تدرك.

٩٠ : عوِّدْ نفسك ان تصدّق ما تسمعه من الصادقين ولو كنت لا تعلم حقيقتهُ ولا تطلب برهانه المنطقيَّ . هذا ما يليق بالصدق تجاه موهبة البارقليط ، روح الحق الذي هتف نحوك قائلًا : هو يعلّمك ويذكّرك كل شيء. (يوحنا ١٤ : ٢٦)

٩١ : ان قيامة الاجساد تكون بوحدة النفس المثّاة وقيامة النفس بانحلال وحدة الجسد وذلك يكون بعد شدّةٍ وفيرة فتظلم الشمس والقمر اللذان هما العيون وتتساقط الكواكب التي هي بمنزلة الحواس وتتحرك القوى التي تحرّك الجسد وترتجف سائر الاعضاء.[1] فيكون ان النفس الطاهرة التي نهضت من سقطتها تسير الى الخدر السماوي الموعودة به على ضوء علامة ابن الله (التي هي الصليب مم) .

٩٢ : يُعرف تباين نفس الفرس والقنفذ والانسان من اجسادها . والائمة يعرفون المنزلة التي تليق بكل نفس بشرية من حركاتها فيميّزون بين النفس التي مقرّها قدس الاقداس الداخلي وبين النفس التي مقامها بمعزلٍ عن السحابة . ويعرفون ايضاً المتوسّطات وسائر السفليّات المحرومة من النور تاماً فيشفقون مع الابالسة حيث لا يفتقد الرب .

٩٣ : بعد ان تقترن اعمال النفس والجسد وتصير لك سذاجة سمعان الطبيعيَّة او المشاكلة لها ، فاعلم ان ليلك قد ذهب وحزنك قد زال وفجرك انبثق وصباحك تبلّج ويشرق عليك سيدك نور الايمان ويعزّيك بأوحيته .

---

[1] شرح لما جاء في سفر الجامعة ١٢ . ١-٨ .

٩٤ : اني بما قلت و قولي ترمقون لا ارذل شرريا . كيف لا وهوذا علما، صرحاء وحكماء دخلاء قد وقفوا على ما سما من المعارف ، لكني اذ ارى نفرًا منهم يجرأون على ان يزنوا كل شيء بميزانهم ، لا يروقني افتخارهم هذا ولو كان ميزانهم عادلًا وقسطاسهم صادقًا ، اذ لا انى امور العالم المرمع التي لا يتسنى ، ولو تبعيضيًا ، ادراكها جليًا .

٩٥ : متى أرحتَ عقلك من «السعي» في ادراك المطالب العويصة بالبراهين المنطقية وامتلكت سكونًا وهدوءًا واعمالًا متقنة ، فأطل روحك ولا تن في طريقك عسى تشرق شمسك ويضيء مساؤك ، فيريك ذلك جمالك ويحرّرك من عبوديّة الزمان واسترقاق المكان .

٩٦ : متى تجلّت للمحبّ شمس الحبيب في يوم لا يوم له فأبصر العروس السليمانيّة تتباهى متجلية بدون حجاب فتدخله بذاتها السبعة الاعمدة مظلّةً اياه محبوبًا فوق الجميع . وتوثق بينه وبين كواسر الطيور وضواري الوحوش اذ تستنشق هذه منها رائحة باريها الذي تشعر به الطبائع غير الحساسة وتعنو له الابالسة وتخدمه الملائكة .

٩٧ : عندما يبلغ هذا الموعد السعيد لا يعود يشرب من الصخرة او البئر بل من المياه التي يعطيه سيده فلا يظمأ ايضًا ، بل تكون فيه ينابيع مياه تنبع الى الحياة الابدية .

٩٨ : ان المبادئ المتقدّمة تفيد فقط من تخرّج وتعمّق في معرفة الاعمال الالهية والبشرية وتلهف اشتياقًا الى ان يرى جليًا ما هو من قبيل التراريا . ومن فقد هذا الشوق فليضاعف همّتهُ ويكثر تأمّله في هذا الكتاب بتبصّر لئلا يهيّج قلبه بقراءةٍ بهيميّة .

٩٩ : ان اسباب محبّة ما هو جميل متنوّعة وكثيرة جدًا ، فلا قبل لي أن أصفها ولا يسمح الزمان ان اعددها اذ قد أعياني الكلام فمال قلبي الى ما هو أفضل لي . والآن فمن استطاع ان يثبت في حرب الحبّ فليثبت ومن لا يستطيع الى ذلك سبيلًا ، فليأكل بقدر قوته فقط وعلى قدر بساطه فليمدّ رجليه .

١٠٠ : وهذا الزرع ولو ضاهى حبة الخردل صغراً ، فمع ذلك من حيث إنه لم يزرع على قارعة الطريق او على الصخر او بين الشوك ، بل زُرع في ارض جيّدة ، فانه يربو وينمو حتى يصير شجرةً عظيمةً تأتي طيور السماء تعشش في أغصانها . ومع هذا اذا لم يُعطَ الانسان من فوقُ فليعتمد شيئاً مما له خاصةً .

قد تمّ كتاب الحمامة هذا في تدابير المتوحدين العجيبة
بعون المنا سيد الجميع المسجود له وبقوة البارئ
وغوث الروح القدس فله المجد والاكرام
والاعظام الى ابد الابدين
آمين

قصّة في طفوليّة العقل لابن العبري

بقلم

الابوين مبارك ثابت السديراني ' ومبارك ابي مارون المزرعاني الراهبَين اللبنانيين

كنتُ وانا حديث السن الصب مع رفقةٍ لي في الشوارع متمرغاً في الاوحال متكسباً بالاسمال فالتفت بغتة فاذا بزمرةٍ من الاحداث يمضون في طريقٍ الى جانبي وتفرست فيهم فاذا هم كرماء الارومة فضلاء الجرثومة فتحسبهم شموساً واقاراً . تبعث وجوههم انوارًا . استعاروا من الملائكة الجمال . واصبحوا ملوك الكمال . حداثة جلتها النعمة . ولم تشوه بهاءها وصمة . فاستقبلتهم اجمعين بباطنة الشوق والاكرام . وابتدرتهم باذكى عبارات التحية والسلام ثم وقفتُ امامهم اريد استعلامهم . وقلت : يا سادة الى اين تذهبون . واي غرض تطلبون . قالوا إنا الى المدرسة ذاهبون . والى تحصيل العلم قاصدون . امَّا انا فلما لم اكن قد شاهدت امثالهم . فلم افهم على الفور مقالهم : فقلت : يا سادتي اسمحوا بافادتي . ما المدرسة المذكورة . وما منافع العلم المشكورة . فاجابوا : استاذنا قد أمر . ألا نكشفَ الخبر . وحضنا التحضيض الشديد . وحثنا بالوعد والوعيد الا نوقف على اجتهادنا احدًا . او نمدّ لرفع الستر عن احوالنا يدًا فان شئت ان تعلم ذاك يقيناً . ولا تكون كاعمى يطوف الارض حزيناً . فهوذا استاذنا فاهرع اليه . والتمس العلم من شفتيه . واحبس سمعك عليه فهو قمين بان يكشف لك عن الحق النقاب . ويهديك من الضلال الى طريقٍ الصواب . قالوا ذلك وساروا . وباجنحة الاسراع طاروا . ولما وعيتُ جواب . جمهم وانصرف . وغاب عن ناظري بنو الترف . تضرمت في نارُ حبهم . وتحركت بي نسمةُ الهيام بهم . ورشقت نفسي بسهم الملام . لإيجازي معهم الكلام . واني لم اتجر اتجارهم . ولم اقتفِ آثارهم . فانكرت المدينة مقامي . وخرجتُ انشدهم في المرامي . ولبثتُ في طلبهم طويلًا . فلم اجدْ الى لقائهم سبيلًا . ثم نظرتُ في صدر الفلاة . شيخاً عليه مظاهر الهيبة والجلال .

واكلة الرصانة والكمال . تزيد محاسنهُ الباهرة . حلة موشاة فاخرة . وقد ضُربت فوقه مظلةُ السحابة رمزًا الى ما له من المهابة . وجههُ يمثُّ الانوار . كأنه كوكب النهار وهو على سلطان المساء قابض . وكالليث في ذلك القفر اثوابـه كالثلج بيضاء . وبهاؤه ساطع كالبدرِ في السماء . فادهشني جلاله . واذهلني جماله . وهممت بالتقدم اليه وانا وَجِلٌ مذعور . وعرتني في الدنو منه خشية اسرائيل من الطور . فسجدتُ له من بعيد . ورفعتُ ذاتي نحوه بالعسر الشديد . ولما كان رؤوفـاً يمقت المتصلف وينفر من المتعجرف . لقيني ببهجة وهشاشة . ودرجني اليه بحلم وبشاشة . وجبر قلبي من كسره . وحله من عُقالِ اسره . واقامني مستقيماً لئلا أميل . وسكن روعي بينلٍ الجميـل . وشرع يتأوه وهو حزين لجهلي . وعجِّب من نقصي وذلي . ويقول :« آه . ما كل رجلٍ تطيق السلوك هنا . ولا كل طالب يدرك عندنا المنى فان الرجل التي ما ارشدها التدريب . ولا ثقَّفها التهذيب لا تأمن التيه في هذه البيداء . ولا الزلل عن هذه الصفواء . فايُّ ذنبٍ قوي عليك . وحبَّبَ ارضنا اليك . فجئتنا لا تعرف الينا منهجاً . ولا نعرفُ لك مأدبـاً . فلمَّا وثقتُ من حبّهِ وايقنتُ قربي من قلبه . نبذتُ من قلبي الرعب . ولم يعُد النطقُ عليَّ بصعب . ورأيت اني تمثَّلتُ كالثوبِ فابيضيتُ . وعـادَ اليَّ الروعُ فتقوَّيت . وحلّت الدالة عقدة لساني . فجعل يبرز ما في جناني . وقلتُ : ما اكرم زهادك اللائذين بك . واسعد تلاميذك المنضوين اليك . حمدًا لهم لانهم شوّقوني الى نظرك . واعدوني لاستماع خبرك . في منزلي حيّوا اليَّ خيرك العظيم . وهدوني الى مقامك الكريم . اما الآن وقـد حزت شرف الدخول الى جنتك برضاك وشاهدت عيناي في مقرك حلمك وعلاك . فاسألك الا تغلق في وجهي بابك . ولا تلقِ بين حقـارتي وجلالك حجابك . وابذر فيَّ زرعك . كما تبذره في حقلك . وتصرفْ بي بحكم فطنتك وعقلك . واقبلني لا كعبدٍ بل كأجير . وكن لي مقام مدرّبٍ ومدبر تجدني قيد اسانك . وطوع بنانك . واهدني في طريق محلتك . وارشدني في سبيل مدينتك . وبررني كبنيك النبهاء . واحضني كذويك الفضلاء . واغسلني كمختاريك برشاشك الطاهر . واهلني كمحبيك لثوبك الفاخر . كم ملأت جوفي من الخرنوب . ولطخت نفسي باقذار العيوب .

وكم مهدتُ السرير بالقماش[1] الخضير . كطنفسة من حرير . خطئت ولكن لا عن روية . وحقرت ولكن لا عن خبث نية . بل بالحاح طبع ضعيف وحكم ميلٍ عنيف . واذ تقدمت للانتفاع بمثل تلك التقريعات . والتثقيف بمثل هاتيك التوبيخات . عطف الشيخ الصالح عليَّ . ومال بوجهِ المضيء اليَّ . ورشَّ على وجهي من نداء لطفهِ المحبوب . وفرّج ببشهِ عن قلبي الكروب . وقال لي : ليبرح الخوف من صدرك . وعلأ الرجاء قلبك . فانت ولد أديب . ومن القلوب قريب . لطفك ممزوج بالعسل . وغير مقرون بالخطل . فقد استجيب سؤالك . وتفسّر لغزك . سلني العظمة فاني معطيك . والجرأة فإني موليك . وانفض غبار الخرافة . فما يحتمله ذوو الحصافة . ولا تقرب الملل. افض عليك المثل . واعلم هذا واطبعه على صفحات قلبك . واجعله دائماً نصب عينك . وهو انك ان لم تصعد معي للسجود الطويل . بعزم غير عليل . وانت مصعدٌ ذاتك معك . ومحاذر لهوك ان يتبعك . الى مدينة القدس اورشليم . حيث اسرار هورشليم[2] في بيعة الابكار السماوية . وجنّة الابرار الازلية . فلا يتناول حرفاً من علمي علمُك . ولا يدرك معنًى من معانيَّ فهمك . ولو جعلت طعامك المدر . وفراشك الحجر . اما انا فاذعنت بسذاجةٍ لما اراد . واتممته بحرصٍ واجتهاد . وقلت : ها انا لديك . وبين يديك . املكني مالك الفاخوري للطين . والام للبنين . ولتكفني نعمتك . ولا تفضحني عظمتك . ولتغذني رأفتك ولا يقضِ عليَّ عدلك. قلت ذلك وانسلخت عن ابي الجسدي . ولصقت بابي الروحي . وتركت الاشياء . لا التفت الى الوراء . واذ قد نزعتُ العظم من الحروف فررتُ من الدنيا فرار الملهوف . وتحيّت من سلطان المادة فهمي وقلبي واقمت على التحادي بجلمي وربي .

[1] القماش ما على وجه الارض من فتات الاشياء

[2] (هورشليم لفظة سريانية ومعناها الضحيّة الكاملة)

لعبة أدبية منسوبة الى الجاحظ

بقلم شارل بلّا

لقد تفضل صديقي الدكتور محمد حميد الله فاهدى اليّ بعد عودته من الاستانة شريطاً مصغراً من مخطوطة محفوظة في مكتبة فاتح (رقم ٣٨٩٨) منسوبة الى الجاحظ كما يتبين من الصفحة الاولى حيث جاء :

« رسالتا ابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في ذم العلو[م و م]دحها » .

ففي مخطوطة بديعة الخط[١] والضبط ، عدد صفحاتها ٦٤ ، في كل صفحة خمسة اسطر فقط وفي كل سطر نحو اربع كلمات فحسب .

وقد ورد في أولها :

« بسم الله الرحمن الرحيم – قال ابو عبدالله الدينوري : صحبتُ أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد سنتين ؛ فلما استاذنته في الرجوع الى وطني قال : « يعزّ عليّ فراقك ، وقد وجب عليّ حقك ، [. . . . .][٢] اتحفك بكتابٍ ألّفه أبو عثمان عمرو بن بحرالجاحظ لم يُخرجه الى غيري » ؛ وهذا صدر الكتاب : سُئل [. . . . . . .][٣] ، فقال : رياضة الضمير ، ومورّد الضرير ، لا يُدرَك به الغنى ، ولا تُنال به الدنيا ؛ قال قال[. . . . . . .][٤] قال : فالفلسفة الخ » .

يسأله هكذا في الفلسفة والنجوم والطب وغير ذلك من العلوم ويذمّها الآخر بكلام مسجّع يدلّ على انتحال الكلام المعزوّ الى الجاحظ وعدم صحته ؛ ثم جاء في آخر القسم الاول : « فنظر في هذا الكتاب [بعض] مَن يُعادي

---

١) « كتبها العبد الفقير الى رحمة ربه الحسن بن علي بن يوسف بن أبي المعالي الكتبي سنة خمس واربعين وست مئة » .

٢) كلمة ممحوة معناها : ينبغي ان .

٣) عدة كلمات ممحوة ولا ريب انها : « الجاحظ في . . . » ، ولا يظهر موضوع السؤال ، فلعله النحو .

٤) لعل هنا نقصاً او تكرار العبارة : « فالفلسفة » .

- حظ من الكُتّاب[1] ، فقال : « رمى العلوم بلا ألقاب وهو كلام زنديق » ؟ ورجع اليه السائل فحكى له قوله فقال[2] : « أعِدْ عليَّ سؤالك » — فقال : ما تقول في القرآن الخ »

وأما آخر النص فجاء فيه : « فنظر ذلك الطاعن في كلامه هذا[3] ، فقال : « لا يحلّ لي الطعن[4] في رجل يحوي ضميره مثل هذا الكلام وضدّه » ، « ثمّ إنّه بعد ذلك كان يختلف إليه ويدرس عليه ».

يبدو جلياً ان هذا النص لا يمت الى الجاحظ بسبب وأن أديباً من أدباء القرن الرابع افتعل مثل هذا الكلام المتضادّ على قياس ما ورد في عدة كتب منها كتاب « المحاسن والاضداد » المحمول ايضاً على الجاحظ ، ورغماً عن ذلك رأينا من الممتع والمفيد ان ننشره ولكنا آثرنا ان نضعه على جدولين متقابلين[5] ليظهر التضاد العجيب بين « مدح العلوم وذمها » .

شارل بلّا

١) خط : من يعادى الجاحظ من بعض الكتّاب .
٢) اي الجاحظ بزعمه .
٣) اي في مدح العلوم .
٤) خط : لمن يطعن .
٥) خصوصاً وان العلوم لم ترتب ترتيباً واحداً في كلا القسمين .

ذم	مدح
	١ ــ ما تقول في القرآن ؟ ــ قال : حجّةٌ على المُلحِد وتبيان للموحِّد ، قائم بالحلال المنزَّل والحرام المفصَّل ، وفاصلٌ بين الحقّ والباطل وحاكم يرجع اليه العالم والجاهل وإمامٌ تُقام به الفروض والنوافل ، سراجٌ لا يخبو ضياؤه ومصباحٌ لا يخمد ذَكاؤه ، وشهابٌ لا يُطفأ نوره وبحر لا يُدرك غَوْره ومعدن لا تنقطع كنوزُه ، ومعقِل يمنع من الَهلكة والبوار ومرشد يدلُّ على طريقة الجنّة والنار ، وزاجر يصدُّ عن المحارم ومُجير يومَ التحاكُم .
فالمغازي والاخبار ؟ ــ قال : علمٌ مصنوع وكلام موضوع ، يُحتفَل به العوامّ ويُرتبَط به السوقة ؛ معيشة خامل وتجارة سائل .	٢ ــ فالحديث والأثر ؟ ــ قال : فيه أخبار الماضين وأنباء الغابرين وقِصَص الذاكرين وأدب الدنيا ومعالم الدين ومعرفة الفروض والنافلةِ والشريعةِ والسنّة والمصلحة والمفسدة والجنّة والنار ، إلى صاحبه تُشَدُّ الرِّحال وبه يسير ذكرُه في البلدان ويبقى على مرّ الزمان .
	٣ ــ فالفقه ؟ ــ قال : فيه علم الحلال والحرام ومعرفة شرائع الإسلام وبه تُقام الحدود والأحكام ، وهو عِصمة في الدين وزينة في الدنيا ، يخطُب لصاحبه فضلَ الكمال ويخلع عليه ثوبَ الجمال ، ويلبس ثوب العزّ ويبلغ المنزلة القصوى .
فاللغة ؟ ــ قال : علمٌ مخترَع	٤ ــ فالعربيّة ؟ ــ قال : تبسُط من

ذم

وقياس متّبع ، ثقيلٌ على الأسماع قليل الإمتاع ، علمٌ معدوم وصناعة معلَم .

فالغريب ؟ — قال : كلام وحشيّ ومذهب بدويّ ، تمُجّه الاسماع وصاحبه منسوب الى الصُداع ، مفموم ببغضاء الثِقلة وتحامُل العامّة .

فالخُطَب ؟ — قال : شِقْشِقة[1] ولا يقوم عليه بُرهان ، علمٌ مكفوفٌ وبضاعةٌ مضموف .

مدح

العَي[1] لسانه وتُجري من الحصر جنانه ، ويتّسع المرء في كلامه وينبسط في مُحاورته ويسلَم من هجنة اللحن وأوَد اللفظ وتحريف القول ، وبه يخرج عن وقفة المتحيّر وانقباض المتحفّظ وإحجام المتهيِّب ، وهي آلةٌ لجميع العلوم وأداة لإصلاح السقيم .

٥ — فغريب الكلام ؟ — قال : به يكون اللَسَن وفصاحة المنطق وتبيان الغامض وتخليص[2] الملتبَس والتفسّح في الوصف والتبحُّر[3] والتصرُّف في الشرح والاتّساع في النظم والتأليف والزيادة في سعة الكلام وفسحة المَجال ، وأداةٌ من أدوات الكمال وعتيدة من عتائد كِرام العقائد .

٦ — فالبلاغة ؟ قال : تشحذ الطبع وتفسح فضل المعرفة وتبعث على الفصاحة وتزيد في البيان وتبسُط اللسان بحسن العبارة عن العقل وتحُلّ عقال الحصر وتُطلِق وثاق العيّ وتبرّز عن الحُجّة وتكشف قناعَ الشهوة وتهتك الحجاب دون الحجّة وتأتي من وراء البغية ، وبها يقع الشرح والإفصاح ويكون الذمّ والامتداح ، وتبرئ المرء بتقويم

---

١) كذا ولعله قد سقطت عدة كلمات .

١) خط : النى .
٢) خط : تلخيص .
٣) سقط من الاصل بعد هذه الكلمة : في كذا .

ذم	مدح
	أوَد اللفظ عن زراية[1] النقص وهجنة العجز.
فالخطُ ؟ ـ قال: قليل الردّ يسير الرِفد، صناعةُ محرّر[1] وأداةُ مزوِّق.	٧ ـ فالخطّ ؟ ـ قال: لسان اليد ولهجةُ الضمير ولفظ الهمَم ونِعمَ الأداةُ، والناطق عن الخواطر وسفير العقل ووحي الفكر وسلاحُ المعرفة ومحادثة الأخلا. على التأي وأنسُ الإخوان عند الفُرقة ومجاورتهم على اختلاف الدار وبُعد الشُقّة، ومستودع الأسرار ومستنبط الأخبار وحافظ الآثار ورابط الدواوين. وحاذر لمور الدنيا والدين.
فالحساب ؟ ـ قال: مستعجمٌ عسِر[2] الإدراك مُنعقدٌ شديد الاشتباك، يُتعب التفكير ويستكدّ العقولَ بدوام التفكير.	٨ ـ فالحساب ؟ ـ قال: علم طبعيّ لا اختلافَ فيه واضطراريّ لا تأويلَ له، قائم بنفسه ثابتُ الدلائل مكتفٍ بذاته واضحُ البراهين محصّنٌ من خلاف المُعارض وردّ المُناقض[2]، لا يحتمل معناه الوجوه المشتركة ولا ينازع لفظَه الحدودُ المتشابهة، ولا تتعاوره التأويلات المختلفة ولا تتقسّمه المذاهبُ المتباينة ولا تتوزّعه[3] الأقاويل المتضادّة، ولا يتبدّل بالتشاجر والمِراء ولا باختلاف الآن وتنازع الاهواء، حاكم يقضي بقطع التجاذُب[4] والخلاف وقاضٍ يقضي

١) كذا في الاصل ولا يقوم السجع على قدم. ولعل الصواب: «مغرق».
٢) خط: عسر.

١) خط: رواية.
٢) خط: المناقص.
٣) خط: تتورعه.
٤) خط: التجاذب.

م	مدح
	بالعدل والإنصاف وقيم يحفظ[1] الكريم . ويستدر إمساك اللئيم .
فالاخبار والنوادر ؟ ـ قال : كذب مؤلف وكلام مزخرف ، يستفز به الفز ويقتنص به الغمر ، مصائد المساكين والحذاءين .	٩ ـ فالاخبار والتُّحَف ؟ ـ قال : هي ثقاف العقل وجمام[2] النفس ومستراح القلب ورائد الفهم وقائد المروءة[3] ودليل على الجرأة ، وإليها تصغي الأسماع عند المحادثة وبها تجلب القلوب عند المجالسة ويكون الإمتاع والمحادثة ، وهي حدائق الأوداء عند المذاكرة ورياض الأخلاء عند المجاورة وتزيد في الأنس والسرور وتدل على محاسن الأمور ، وتدنيك من مجالس العظماء وتدخلك في صحابة الرؤساء .
فالشعر ؟ ـ قال : سلاح بذيء وآلة دنيء ، فضول الأعاريب مبني على زخرف الأكاذيب .	
فالعروض ؟ ـ قال : علم مولد وأدب مستبرد ، ومذهب مرفوض وكلام مجهول .	١٠ ـ فالعروض ؟ ـ قال : أداة الشعر وعياره ، به يعرف الصحيح من السقيم والمعتل من السليم ، وعليه مدار القريض والشعر وبه يسلم من الأود والكسر .
فالطب ؟ ـ قال : رأي مستعمل وقياس منتحل ، موضوع على التخمين والحدس وتعليل	١١ ـ فالطب ؟ ـ قال : سائس الأبدان والقيم على الإنسان ، وبه يكون حفظ الصحة وتدبير الأمراض ومعرفة

١) خط : يحفظ .
٢) خط : وحمام .
٣) خط : المرؤة .

ذم	مدح
النفس ، لا يوصَل منه الى الحقيقة ولا يُعمل فيه بالوثيقة .	الفصول والأزمان وتغيُّر الأهوية واختلاف البلدان ، وبه يقام الجسمُ على الاعتدال والقصد ، وبه تكون الدلالة على المنافع والمضارّ ، علمٌ يتّفق[1] فيه أصحاب النِّحل ويجتمع عليه أهل المِلَل[2] ، ويعمل به الخاصّ والعامّ ويفتقر إليه الصغير والكبير .
فالنجوم ؟ ـ قال : تحدُّس وترجيم صوابُه عسير وغلطه كثير ، حِرفةٌ محدودٍ وصناعةُ محروم .	١٢ ـ فالنجوم ؟ ـ قال : تحدُّس يُعلم بها عددُ السنين وحساب الشهور ومواقيتُ الأزمنة والفصول ومساقط الأنواء ومطالع النجوم ومعرفة الأهلّة ومقاديرُ الأظلّة وسُموت البلدان واقدام الزوال . . .
	[١٣ ـ فالكلام ؟] ؟ ـ . . . . .[3] وإدراك الدقيق والجليل[4] وآلةٌ لإدراك[5] الغامض والمشتبه وأداةٌ لما بين الشُّبهة والحُجّة والجماعة والفرقة والحظر والإباحة والردّ والمعارضة والإجماع والمناقضة[6] ، وحاجزٌ بين الحسنة والسيّئة ، كلٌّ علم

١) خط : يفق .
٢) خط : الملك .
٣) يبدو انه قد سقط من هنا عدة اسطر اذ ان علم النجوم ليس آلة لادراك الغامض الخ فلعل العلم المذكور في هذه السطور هو الكلام أو المنطق .
٤) خط : الحليل .
٥) خط : الادراك .
٦) خط : والمناقصة .

عليه عيالٌ وهو له آلةٌ ومثال، وبه يُعرف الشكل والضدّ ويستبان به العدل والفضل ويُتغلغل إلى الامور الخفيّة ويُتوصّل إلى المعاني اللطيفة ويُتوغّل إلى معاني الأسماء وحقائق الأشياء ، وبه يُحترس من شُبُهات المقالات وفساد التأويلات ، وبه يُدفع تحريف أهل الأديان ويُتنزّه عن حيرة التقليد.

فالفلسفة ؟ — قال : كلام مترجَمٌ بعيدٌ مداه قليلٌ جدواه ، مخوفٌ على صاحبه من سطوة الملوك وعداوة العوامّ .

١٤ — فالفلسفة ؟ — قال : أداةُ الضمير وآلة الخاطر وسوانح الفكر ونتائج العقل وأدلّة المعرفة للأجناس والعناصر ، وعلمُ الأعراض والجواهر وعِلَل الأشخاص والصور واختلاف الأخلاق والطبائع وافتراق السجايا والغرائز ، ومعرفةُ الأشكال والأضداد وأسباب الكون والفساد ، وبه تُعرف حركات الاشخاص العُلويّة وطبائع الجواهر الأرضيّة ، علم يشحذ الفكر ويلقّح الضمير ويُروّح ما في الصدور ، وتُعبّر به الألسنُ عن العقول ، وهو لمن مضى آثار ولمن بقي استبصار .

فالكيمياء ؟ — قال : تُهَمٌ حاضرة وأغراض متراخية شَرَكُ الغُرور وحبائل الطمع وناموس الخُدَع ، هِمّةُ مغرور وصناعةُ مخذول .

١٥ — فالكيمياء ؟ — قال : لطائفُ الفِطَن ودقائق الفِكَر وغوامضُ الهِمَم وتغلغُلٌ إلى حقائق الجواهر وخصائص العناصر وطبائع الأشياء وما يُنتج لها الجمعُ والتركيبُ ويُحدِث لها النظمُ والتأليف ، وبه يُوصَل إلى حقيقات الإكسير وقلبِ

ذم

فالنسب ؟ – قال : علمٌ ثقلُه عليك ونفعُه لغيرك ، قليلُ الفوائد نفعُه للأباعد ، عليك كلُّه ولغيرك فضلُه .

فالتعبير وعلم الرويا ؟ – قال : ظنونٌ وحسبانٌ لا يَثبُت له دليلٌ [. . . . .][4] الغنى والثروة وحاجزة دون العزّ والرفعة .

فالشجاعة والإقدام ؟ –قال: قائدُ الموت ورائد الحِمام، يعجل المهج قبل آجالها ويختطف النفوس دون ميقاتها .

فالصنائع ؟ – قال : قائمةٌ بالقوت والبُلْغة مانعةٌ من أعرابيّ ، وهَذَرُ بدويّ، وصناعةٌ متقعر ومذهب متشدّق .

فالتجارة ؟ – قال : في الحَضَر مُجاملة وفي الغُربة مُخاطرة ، للنفس مَتعبة وللقلب مَشغلة ، أمانيها طويلة ومحصولاتها قليلة .

مدح

العيان وإبدال الحِسِّ والكيان ، وهو ثمرةُ نهاية المعرفة وفائدةُ أقصى الحكمة .

١٦ – فالنسب ؟ – قال : فيه معرفةُ الأصل والسلف وحفظُ المفاخر والشرف وعلمُ الأعقاب والخَلَف وتحصينُ[1] المواليد والنسب من دعوة المدّعين ومشاركة الملحين.

١٧ – فالتفسير والتعبير ؟ – قال : علمٌ نبويّ وسفيرٌ إلاهيّ وروحٌ خفيّ يُجيل[2] الأرواحَ في أرجاء الغيوب ويُؤدّي الأشياء إلى ضمائر القلوب ويُسيّر الأنفس في البراري والبحار ويناجيها بخفيّ الأسرار ويشاهد ما غاب عن الأبصار، ويُريه الحيَّ والمقبور ويكشف عن عجائب الدهور ، وفيه من الله بُشرى وتحذير وتخويف[3]، يُخبر عن الأشياء الغائبة والحاضرة ويُبيّن عن أمور الدنيا والآخرة .

١٨ – فالشجاعة والفروسية ؟ – قال: زينةٌ في الرخاء وعُدّة في الشدّة وأُهبةٌ في النّجاة وزيادةٌ في القوّة ، وخصلةٌ حسنة وذكرٌ نبيه .

١٩ – فالصنائع والمتاجر ؟ – قال : بها قِوامُ المعيشة ودفعُ الخصاصة ، وهي أمانٌ من الخَلّة وحرزٌ من الحاجة .

---

١) خط : وتمصير .
٢) مشوش في الاصل .
٣) خط : وتخونف .
٤) يظهر ان كلمة مثناها « لا يدرك به » قد سقطت .

رواية مارينوس راهب دير قنّوبين

بقلم الاب مبارك ثابت اللبناني
رئيس دير المخلص في البرامية

مارينا الاهدنيَّة فتاةٌ في السنّ الخامسة عشرة مليحة الصورة رشيقة القدّ ذات وجهٍ ابيض مستدير كالبدر عند اكماله ، بعينين واسعتين كلوزتين لامعتين كمراجين سرقتا من البحر زرقته ومن الفضة بياضها يحرسها حاجبان كسيفين في جبين ناصع عريض كشف عنه شعر رأسٍ بلون الذهب مرسلٍ على الكتفين والظهر كوشاحٍ نسجه من خيوط الحرير والنضار ينتهي عند اسفل الظهر وفي اطرافه جمودة كجواهر مدلاة بحبال شمسية صفًا منظّماً من الجنب الى الجنب.

جلست على مقعدٍ من مخمل فستقيّ اللون امام احدى نوافذ قاعتها فتجلّت لها مشاهد تسرق النظر بجمالها وتخلب اللبّ بروائها . فانطلق فكرها في جوّ فسيح من التأمل الواقع بين البسطة والانقباض والمسرَّة والاغتمام : هذا الربيعُ قد خلع من ملابسه على الدَوح كلّ حلةٍ قشيبة خضراء . ومدّ على الحقول بساط نبته الواسع مطرَّزًا بنقوش الازهار المتنوعة الالوان . تبلَّج جبينُ الفجر وافترّ ثغرُ الصباح واوشكت الغزالة ان تسفر عن محيّاها المشرق البهيّ . وتنقّبت وجوه النجوم وغسلت السماء وجهها بماء الصبح فانعقد الندى لؤلؤًا على العشب والزهر والورق . وهبَّ النسيمُ من رقادهِ كاشفًا عن جسمه الناعم لحافَ الظلام وجال في الفضاء جولته المنعشة فايقظ الطبيعة من سبات سكونها الليلي . ولاثمَ الارز العظيم فترنّحت معاطف اغصانه ، فهو ذا صدى حفيف اوراقها في الوادي المقدس يطرب كل شيء حتى الصخور . تأملت مارينا في ما ترى وتسمع ويقع في حسّها من هذه البدائع ، فارتفعت بعقلها وقلبها الى ما فوق وقالت : سبحانك اللهمَّ يا مبدع هذا الكون الجميل ، تباركتَ من جميع مصنوعات يديك . ان كان لمصنوعاتك مثل هذا الجمال فكيف بجمال جلالك يا عين الجمال ايها الجالس على عرش الازل . ثمَّ انطوت على نفسها وقالت : كل ما اراهُ جميل ،

كل ما اجمهُ لذيذ كل ما انتشقهُ من نسيم هذا البلد طيبٌ منعشٌ مسكيّ . فما لقلبي لا يبرحه الغمّ . لقد أُوتيتُ من المال ما لا ينفد على الانفاق ومن الصحة ما لا اطلب مزيدًا عليه . والعزّ والكرامة يحفّان بي في هذه الدار ، ولي الحظُّ الاوفر من اكرام اقاربي ومواطنيّ . فماذا يعوزني ؟ اوّاه ! ماذا تنفعني كلّ هذه النعمة وانا بلا أمّ ! الأمّ اثمن من كلّ ما تحت السماء . حقًا ان الدنيا أمّ . وانا ابن أُمي ؟ اختطفها الموت اذ صار قلبي يعرف ان يحبّها وعقلي ان يقدّر محبتها وفائدة وجودها . يا ليتّ هذا كلّ البلاء . فاني من قبل ان تخمد جذوة حزني عليها ، مُنيت بفقد والدي المحبوب ، ذلك الوالد الحنون الذي ورث محبة والدتي لي فصارت محبته محبّتين وتحوّلت محبتي اياها اليه فصرت احبُّهُ باعتبارين ، وكان لي به بعض التعزية في حزني المديد . ولو انَّ الله نقلهُ اليه لكان يكون لي في اليأس شكل راحة . لكنّه توارى منذ عامين فلا ادري اين يكون ولا ما صار اليه . ولو ان هذا كلّ عذابي لدلّلتهُ بالصبر والتسليم ، لكنَّ خاطرًا يدور في خلدي ، يسلبُ راحتي ولا طاقة لي بصدّه ولا بقبوله بالوجه القطعي . ما آلمَ ما انا فيه من تردّد وارتياب !

وفيما هي على هذا الحال من التأمل الموجع والذكريات المحزنة ، اذا خادمتها رفقة تدخل اليها بطبق من فضّة عليه طعام الصباح التته على اسكملة من خشب الارز مرصع بالفسيفساء ذات الالوان . ووقفت لديها وقالت : اسعد الله صباح سيدتي العزيزة ، يا حياتي أما تفطرين ؟ ما لكِ واجمة يا روح رفقة . أغمًا تشكين ام ألمًا ؟ — قالت : لا غمًا ولا ألمًا . في الرأس افكارٌ من جهة المستقبل . افكارٌ متناقضة . وانا اميلُ الى فئةٍ واخشى الخطأ في الترجيح . ولأن اخشى البتّ أولى . وليس من يعينني على الخروج من تردّدي في الاختيار . قالت الخادمة : هل ترى سيدتي ان تفتح قلبها لهذه الخادمة الامينة التي استقام ولاؤها لهذا البيت مدى ثلاثين عامًا . قالت: لستِ يا رفقة خادمة في هذا البيت انما انت فيه ربّة . انتِ مربيتي بمثابة امي فلا يحسن ان اكتم عنكِ ما بخاطري من شؤون . اما ولستِ تستطيعين شيئًا في امري فلا ارى فائدةً بايقافكِ عليه قبل الاوان. ارفعي هذا الطعام فقد اخذتُ النفس بان اصوم ثلاثة ايامٍ التماس مشورة الرب بالصوم والصلاة.. امضي لسلك وصلي

لاجلي ولا تأذني لاحدٍ بالدخول اليَّ . فاستولت الدهشة على رفقة وقالت : تصومين ثلاثة ايامٍ ! او لا تعلمين ان هذا الصوم الطويل يهزل بدنــكِ الناعم ويذهب بنضارة وجهكِ المشرق ويبدل بالصفرة حمرة وجنتيكِ . بعيشكِ يا جنّة هذا البيت لا اذبلتِ غصن صبائكِ الرطيب . قــالت : لا تشفقي عليَّ من الصوم فانَّ معهُ زيادة في صحة البدن ونضارته . قد عقدتُ القلبَ عليه فيبات ان أحلَّ ما عقدت . اذن صلّي ليتقبل الله صومي ودعائي ويُلهمني ما يريد . قالت : خيرًا أُلهمت وملتمــكِ نلتِ وانصرفت عنها وهي تقول في نفسها . ما هذا الذي تلتمسهُ من الله ، ما هذا المستقبل الذي تطلبه وهو معلوم وفي حكم الحاصل . العلّها على ريبٍ من محبة فريدٍ ابن عمها ؟

اطرقت ماريّا هنيهةً ثمَّ رفعت عينيها جهة السماء وقالت : اللهمَّ انت ابي وامي واخي واختي شئتَ فاخذتَ مني والدتي وانا حديثة السن فــأسلمتُ اموري اليك . ثمَّ شئتَ ان يخليني والدي فتوارى وانا في اشدّ الحاجة اليه ، سـألتك ان تردَّهُ عليَّ او تهديني اليه فابت حكمتك الّا ان اكون وحيدةً فريدةً سجينةً لا تعزية لي في هذا الصرح الّا في التوكل عليك يا كثير المراحم والتعزيات . والآن انت ترى مرارة نفسي ، وحيرتي بادية لعينيك ، فامدد يــدك وانشلني من لجة هذا الشقاء ، واعلمني ما مشيئتك القدوسة لاعمل بحسبها ، انا عمياء لا ابصر الطريق الذي يوصلني اليك يا غايتي القصوى . من يرشدني اليه سواك . ان اخدمك في صف العذارى ، فخذ بيدي الى حيث تشاء . او في صفّ ربات البيوت المتقيات . فما هذا الشعور بنفسي المخالف لشعور امثالي من الفتيات .

وبينا هي في هذا الشأن من التأمل والصلاة والتردُّد في الاختيار فتح الباب بغتةً واذا ابو يوسف جدّها لابيها يخطو نحوها وفي ثغرهِ ابتسامة الحب الوالدي فوقفت اكرامًا له وبعد ان تبادلا التحية قال : ما هذا الابطاء علينا يا ولدي ، عمّني وجدتُك ان لم تجيئي فنراكِ ونفرح على ما عوّدتنا كل صباح .

— عذرًا يا سيدي الجدّ المحبوب . وطبعت لثمةً حارّةً على يده وقالت : على غير قصد كان ابطائي عليكما اليوم فاصفحا .

— انتِ يا ولدي نور اعيننا ولذة عيشنا وكاشفة غمّنا فلا طاقة لنا بتحجبك . وايّ يوم يطلع علينا صبحهُ دون مطلع وجهك المضيء . فليس من ايامنا ذلــك

اليوم ؟ هل حدثت امور هامة تصعب ان يحملها الخدم اليك لانه لا تصبر على غيابك
وهل تمضينَ اليه أم تجيء هي لتراكِ ؟

ـ يا لرقة حنانها ، بل انا أجيء اليها على الرأس والعين . انهـا تباركني فلا أضل سواء السبيل .

ـ ما شغلكِ عنا يا ولدي اتشكينَ من ألم ؟ لا والحمـد لله . لكني اغرقتُ في الصلاة فلم انتبه حتى دخلتَ اليَّ .

ـ الاغراق في الصلاة سبيلكِ منذ طفولتكِ ، اما سهوكِ عن جديكِ فجديد .

ـ افكارٌ متنافرة تراكت عليَّ فصرتُ الى الحيرة فاخذتُ التمس الهداية من الله .

ـ احسنتِ يا بنيّة . وان شئتِ الافادة من حنكة جدّكِ فمشورتي حاضرة ولعلّها تخرجكِ من حيرتك .

ـ لا اشكُّ في أصالة رأيكَ وحكمة مشورتكَ ، غير انَّ من الاحوال النفسية ما لا يُحسن البتَّ فيها غير الله .

ـ لا يفوت علمكِ ان الله يشاء ان يكلم النـاسَ بالناس فقد أكون انا اداة مشيئته لديكِ .

ـ لا نكير ، سوف التمس مشورتك بعد استشارة الله بالصلاة .

ـ انتِ يا ولدي ذات فطنةٍ وفهم ، فما تسألين الّا الخير ، فليعطكِ الربُّ ما تسألين ، هل رأيتِ فريدًا ابن عمك هذا الصباح ؟

ـ لا . فقد قلت لرفقة ان لا تأذن لاحدٍ بالدخول اليَّ اليوم .

ـ اذن . لهذا صرفتهُ فاتانا شاكيًا قلقة اذ لم يتمكن من زيارتكِ على عادته .

ـ ما كنتُ لارضى له هذا الاضطراب . ألم يزل في دار جدّي حتى الساعة؟

ـ لن يبرحها حتى اعود باخبارك اليه . انَّ قلقـهُ لبادٍ في وجهه المتجهم ونظرته التائهة واستيلاء الجمود على شفتيه .

ـ لتطب نفسهُ ، اني بخير ، لا يأخذني ألمٌ ولا غمٌّ ، لكني بحاجة للخلوّ الى نفسي فلا احبُّ ان احدّث اليوم انسانًا كائنًا من كان .

ـ انّى له الصبرُ على احتجابك طيلة هذا النهار .

ـ اذن ، ما يصنع لو حيل بيني وبينهُ مدى العمر ؟

ـ ألعلكِ تصرفين قلبكِ الى سواه .

ـ لا إلى سواه من الرجال ، بل احبُّ ان انظر في دعوتي تجنُّب الضلال.

ـ ذاك اليكِ . غير ان علامات الدعوة لا تُحصرُ عادةً في نزوع النفس الى حالة دون حالة اخرى ربما كان لهذه فضلٌ على تلك من وجوهٍ لا تظهر لعين الناظر في بادئ الرأي اذ يقع ان يكون ذلك النزوع وقتيا ولا صلة له بمشيئة السماء ، فمن علامات الدعوة ايضاً رغبة الوالدين وانتِ لا تجهلين ما رغبة ابيكِ وجدّيكِ .

ـ ان كان الولد نفسهُ لا يسلم من الغرور في امر دعوته فكيف بوالديه واقاربه في شأنٍ مرجعه الاول اليه .

ـ الفطنة وتقوى الله تعصمانكِ من خطأ الاختيار . امَّا انا العجوز فاية تعزية تبقى لنفسي ان اخترتِ العُزلة في دير. انكِ ان فعلتِ فلتنزلنَّ شيخوختي الى الحفرة مكتنفةً بالحزن واليأس .

ـ لا تجزع يا سيدي الجدّ العزيز فانَّ من غيَّب ابي واسلاكَ عنهُ بي يعرف كيف يعزّيك اذا قضت علينا حكمتهُ بالفراق . فتصعّدت من صدر جدّها أنةٌ حامية وتدحرجت من عينيهِ نقاط الدموع وقال بصوت مترجرج، هيهاتِ يا ولدي هيهات ! لئن بنتِ ليكوننَّ العزاء من نفسي على بُعد السماء من الارض. فبتربةِ ابيكِ المحبوب لاقصصتِ ظهر هذا الشيخ الذي اثقلتهُ السنون . قال هذا وهمَّ بالخروج فاخذت ماريا بذراعهِ الى الباب ولثمت يدهُ وقالت : طارد اليأسَ بالرجاء يا جدّي العزيز ، فانا عكاز شيخوختك ما دمنا في قيد الحياة .

قامت رفقة امام سيدتها وقالت : سيدتي . خالكِ جبُّور في الباب فهل تأذنين ؟ ـ خالي ؟ عهدي به في طرابلس ! قالت رفقة : فما قدومهُ فما تستغربين ؟ ان يجيء يومَ عرس ابنته . ـ أُرجئَ العرس الى غدٍ . اتعرفين ما سبب قدومه ؟ ـ اوقف جدّيكِ على السبب واحبَّ ان يحدّثكِ . ـ ادخليه انهُ شقيق والدتي المرحومة ، يلذّني ان ارى في وجههِ ملامح محيّاها اللطيف .

دخل جبُّور وحيّا ابنة اختهِ وقال : كيف انتِ يا عزيزتي ، يا ملحمة الجمال والادب ؟ قالت : بخيرٍ يا سيدي الخال ولي برآك فرحٌ عظيم . نبأ

سارٌ على لسانك ان شاء الله . قال : ما احمل اليك الا ما يسرّ . تعلمين ان ابنة خالك يُباركُ اكليل عرسها في هذا النهار — نعم . فباليُمن والاقبال والرفاه . — لكننا اضطررنا لارجاء العرس الى اجلٍ قريب — جنيتم من ثمر ذلك الاجل ابتسامة سعدٍ وهناء . — ما صار الارجاء الّا لعرض امرٍ عليك. ها انا لديك . قال : أُحبُّ ان لا يغيب من سمائي قمرٌ حتى يطلع فيها قمر . قالت : لا خلتْ سماؤك من اقمارٍ تشعُّ انوارها ليل نهار . قال : اريدكِ زوجةً للطيف ابن خالك وقد حدَّثتُ جدّيكِ فما كذَّبا رجائي . لكنهما ارسلاني اليكِ . — قالت : الزواجُ سنَّةُ الخالق ، لكنهُ قيدٌ لا يحلُّ منه غير الموت . فاتيانهُ على غير التروّي مجلبة للندم . — قال : ليس لطيف بالغريب عنكِ واخلاقهُ كاسمهِ لا أرقَّ منها ولا أسمى . ومحبّتهُ لكِ اغنى عن كلّ بيانٍ . وثروتكما لا تُضبط بحساب. وموعد الاقتران غدًا ، فاذا تمَّ لي ان افرح بزواج ابني وبنتي معًا فيا لسعادتي ويا لهُ من يومٍ سعيد . قالت : لا انكر لطيفاً لسوء فهو ولا ريب خير نصيب . امَّا ان تأخذ مني رضاً او رفضاً في هذا الوقت القصير فذلك وراء المستطاع . دعني اولًا اتأكد من دعوتي . — قال: ماريّا ابنتي ! ما كنت لاتوقع منكِ مثل هذا الجواب . ان كنتِ تكرهين الاقامة في بيت خالكِ فلطيف يقيم معكِ في بيت ابيكِ . قالت : البيتان واحدٌ في نظري ، غير ان عملَ العمر لا يُبتُّ فيهِ بساعة . — قال : آفةُ الاعمال تسويفها . قالت : في العجلة الندامة — وقالت رفقة : ليس بعاقلٍ من يجازف في امرٍ خطير . فقال جبّور : أأنتِ علينا يا رفقة ? — كلّا يا سيدي . بل رأي سيدتي استصوبتُ . قال : لان تسمع مني وانا خالها أولى. فقالت ماريّا : مشورة القلب قبل كلّ مشورة . قال : الا تحبين لطيفاً ? — ألا أُحبُّ اخي ? قال : او لا ترضينهُ شريكاً في الحياة ? قالت : ليس الجواب بحاضر ، دعني اتبصر شهرًا . قال : شهرًا ! وبعد شهر ايكون الجواب نعم ? — لا أدري . — اذن . اترفضين ? — استمهلُ .

— الرفض والاستمهال اخوان .

— كلاهما خيرٌ من الإخلاف بالوعد .

جبّور : اتردّيني اتعثّر باذيال الخيبة .

ماريّا : ما بجوابي ما يبعث على خيبةٍ او يأس .
جبّور : الا كرامة لخالك ؟ ماريّا : كلّ كرامة واعظام .
جبّور : الجواب النهائي ؟ ماريّا : في نهاية شهر .
جبّور : لا تضربنَّ على حديدٍ باردٍ . وهمَّ بالذهاب .
ماريّا : بيتك يا خالُ بعيد . أفلا تبيت عندنا فتستريح من تعب الطريق .
جبّور : الناس في انتظاري . الى اللقاء !
ماريّا : رافقتك السلامة .

مضى جبّور وهو يتمتم ويدمدم متجهم الوجه يابس الشفتين . وتكلّمت ماريّا على مسمع من رفقة قالت : مضى خالي تتأجج بين ضلوعه نار الاكتئاب . ما اخشنتُ لهُ الحديث فالحو على نفسي بالملام . لو سألني غير الاقتران بابنه لما قلت الّا لَبيك . امّا الزواج فلا أرى من نفسي نزوعاً اليه . رفقة : بحكمة تصرفت . لانهُ ان كان الزواج دعوتك فلأن تصيري الى فريد ابن عمك أولى . سكتت ماريّا هنيهةً . ثمَّ قالت لرفقة : دعيني الساعة وحدي لاستشير الله في دعوتي . وفيما هما في هذا الشأن قُرع الباب . فقالت : انظري يا رفقة من القارع . فنظرت وقالت : فريد — قالت : اصرفيه الى غدٍ ، وكانت من فريد تفزةٌ فاذا هو تجاه ماريّا حيّاها وقال : الى غدٍ يا جنّتي ولي يومان لا اراكِ . ودنا منها فتصافحا وقال : ما هذا التغيّر في وجهك هل بجسمك ما يؤلمك ؟

— كلّا يا أخي بل ارقتُ الليلة فبدا عليَّ ما تراه . ما أرقك يا حبيبةُ فاصاركِ الى هذا الوجوم ؟
— لا اخالني واجمة .
— بمَ تفكرين ؟
— ما كل خاطر يحسن ان يُماط نقابهُ .
— اتطوين عني دفينة صدركِ وانا اخوكِ ؟ .
— لو كان في خاطري ما ينفعك كشفهُ او يضرك كتمهُ لأفضيتُ بهِ اليك .
— الاستغناء برأي نفسك غلط .
— واستشارة المخلوق في مواضع استشارة الخالق غباوة وجسارة .
— لا تطلبي مشورتي بل اطلعيني على ما فيه تستشيرين .

ــ ستعهده

ــ خير البر عاجله .

ــ ما لكَ والالحاف في امرٍ لا يلامسُكَ ؟

ــ اجهلتِ اني احبُّكِ وكل محبٍّ مشفق ؟

ــ ان كنتَ تحبني فلا تضغط عليَّ .

ــ انا متوسلٌ لا ضاغط .

ــ توسلك يؤلمني .

ــ وكتمك يُقلقني .

ــ اتراكَ مستوحشاً من ناحيتي ؟

ــ معاذ الله ان يداخلني ريب منكِ .

ــ اذن . فما يعكِّر صافيك ؟

ــ قدومُ خالكِ في هذا الوقت .

ــ حديث خالي الى اذنٍ صمَّاء .

ــ إذن أأفرغ من خوف المستقبل قلبي ؟

ــ المستقبل ليس لاحد . انما المستقبل لله .

ــ هل ترضينَ لي عذاباً ؟

ــ انتَ احبُّ اليَّ من نفسي .

ــ لا أجهلُ محبتكِ كأختٍ ، فنحن متحابَّان على هذا الوجه منذ الفطام . لكنَّ قلبي اليوم يطلب غير محبتنا في الامس .

ــ ما بغيتُكَ ؟

ــ محبة نبني عليها مستقبلاً سعيداً وتقرن قلبينا معاً بوحدة الحياة .

ــ هذا لا اعدُ به ما لم اعلم مشيئة السماء .

ــ لو لم تشأ السماء ان تكوني سعادتي على الارض لما وُلدنا في بيتٍ واحد وساعة واحدة . أمن سبيل الصدفة وقع لنا هذا فاشتركنا في الرضاع ولبسنا معاً حلّة العماد من يد اسقفٍ بعينه . ونشأنا في سريرين متحاذيين وكنا ندبُّ على الطنافس في قاعة واحدة ونبكي ونضحك ونقفز ونلعب ولا صبرَ لاحدنا على فُرقة صاحبه ولو ساعة من النهار .

فقاطعتهُ ماريا وقالت : رويدكَ فريدُ . كلُّ ما تحبُّ ان تمرّهُ على ذهني فهو ثابت فيه كالنقش في الحجر . وفي نفسي من تأثيرهِ مثلُ ما بنفسكَ وزيادة، فأنا إمّا لكَ وإمّا ليسوع المسيح . قال : كم في كلامكِ من غموض .

– تعلم يا أخيَ ان كثيرين من أولي الثروة والجاه قد طلبوا ما انتَ طالبهُ فردّوا بلا رجاء . امّا انتَ فأعطيتَ تأميلًا لانك الحظ الذي اختاره ان اذن الله .

– شكرًا لكِ يا حبيبة . انّ في كلامك تعليلًا وعزاء . لكنه لا يبرّد غلّةَ ما دام مقرونًا بشرطٍ . لماذا لا تبتّين لي عهدًا فيسكن تأثري وأفلت من ربقة الارتياب ؟

– لاني على ريبٍ من دعوتي فاكرهُ ان اقطع عهدًا ثمّ اخون .

قال فريد : انكِ تمزقين فؤادي ولا تدرين .

– بل انتَ تمزّق قلبي بانكسار نفسك ولا تدري اني مسيّرةٌ لا مخيّرة .

– لولا ايقاني بنقاوة دخلتكِ لتجاذبتني فيكِ الظنون، ماذا اقول يا زنبقتي البهيّة وقد اجتمعت بكِ أجمل خلال الخير واكمل خصال الظرف . لعلّ فيَّ ما لا يحسن في عينيكِ بعمركِ يا حبيبة هل تنكريني لسوء ؟

– بِمَ انكرك يا أخيَ ، اما انك جوهر الظرف ومعدن الادب ، هل في الشبّان اقصر منك يدًا عن المساءات واسرع منك قدمًا الى المكرمات.

– ان كنتُ ذلك في نظركِ فلماذا ضنّتِ عليَّ بصفقةِ يدكِ ؟

– لاني اكرهُ التسرُّع .

– ان بين التسرُّع والاسراع لبونًا .

– أبلعني ريقي .

– نفّسي من كربي .

– دعني اتحدث الى جدّتي ساعةً ثمّ اعود اليك .

– ذلك اليكِ .

ذهبت ماريّا لتحدّث جدّتها وجاء جبُّور في فمهِ كلام يقولهُ لها، فلم يجد غير فريد، فسأله اين العزيزة ماريا – قال : مضت الى جدّتي منذ بضع دقائق – قال : ما هذا الذي اراهُ في وجهك من كسوف ؟ قال: تساقطت نفسي غمًّا والتياعًا – قال جبُّور : سلمتَ . فما دهاك ؟ قال : خوفي على ماريّا ، فقد كثر طلّابها

حتى حبّب اليَّ ان النسيم يخطفها من بين يديَّ ــ قال : تحرّز عن نفسك الهمَّ فانها ان تحير لغيرك . قال فريد : اعن يقين تقول هذا ام لتُذهب برحا. صدري ؟ ــ كلَّ اليقين ــ هل تحدثتَ اليها اليوم ؟ قال نعم . قال : وما قالت ؟ قال : انك حظّها ان كان الزواجُ دعوتها .

فريد : آهٍ . من هذا الشرط كم جعلني اقلّب من الهمّ كفّي !

جبُور : ابنة عمك فتاة صحيحة الدخلة صادقة اللهجة قلبها على لسانها ، وهي تعلم موقعها من قلبك وقد صرّحت امامنا برضاها فلن ترجع به ، انها ربّة وفاء . فكن ناعم البال قويَّ الامل ، فسوف تجدها عندما تحبُّ . غير انه اذ كان الزواج رباط العمر وسرًّا عظيماً وجب ان لا يُقدم عليه الا مسبوقاً بتأملٍ وتبصّر كافيين .

فريد : ان كان اقتراننا على مرامها وكان كلنا راضياً به ومحبّذه ، فماذا يسومُها ان تسقط قطرةً من ندى وعدها على قلبٍ يخنقهُ الجفاف .

جبُور : صبرًا يا بنيَّ اني منطلق لاحدثها وراجٍ انها ستنيلك المُنى فتطيب نفسُك ويستقرُّ الفرح في قلبك .

فقال فريد : شكرًا لك يا سيدي ، اني امكث هنا ريثما تعود بالبشرى السعيدة او ترسل في طلبي اليك .

قال جبُور : امكث مطمئنَّ البال . وما كاد يتوارى عن نظر فريد حتى اقبل سليم ابن خالة فريد فسلَّم عليه وقال : أي ابن الخالة كيف انت ؟

فريد : على ما ترى .

سليم : اراك مشترك الخواطر ــ قال فريد : بين الضلوع نارٌ تلتظي ــ قال سليم : انفدتْ جعبتُك ولمَّا تُصب مرماك ؟

فريد : اسدّدُ السهمَ فيطيش .

سليم : اذن . أمِن اليأس انتَ مكروب النفس ؟

فريد : حبذا اليأسُ انهُ اهون من التقلُّب بين الامل والفشل .

سليم : اما تأخذ مني هذه النصيحة ؟

فريد : بلى . ان استطعتُ ، فما نصيحتك ؟

سليم : اذا لم تستطع امرًا فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ .

فريد : ليس الامرُ في يدي .

سليم : رجلٌ لا يملك امره ليس بالرجل .

فريد : ما اصنعُ بقلبي ــ اصرفهُ الى قلبٍ يماثلــهُ . أمِن قلّة الطالبات رضاكَ تطلب من تترفع عليك . قال : لو كنت تعلم ما الهوى لمذرتني ــ قال سليم :ـلا عذرَ لمن يُسلط هواهُ على عقلهِ وارادتهِ . ألا تعلم انهُ لا شي. اكثر تقلباً من قلب الانسان ، حوّل فؤادك عن هذا المتجه الوعر ، وانا مريـك درّةً غاليةً لا تعدلها الشمس اشراقاً ولا الزنبقة بهاء وضامنٌ لك كونها رهينة كلمتك وقيد رضاك . ــ قال فريد : انَّ مــاريَّا اقرب اليَّ من نفسي وكأنما هي في قبضتي ، وتمام بغيتي مترتب على كلمة ، لكنَّ هذه الكلمة من يستخرجها من شفتي تلك التي هي سعادتي على الارض . أسليمُ . مثلي لا يحيــد عن الوفاء . لئن تحول عنها قلبي لدعوت عليهِ بالحطم والسحق والالتهاب، اليس عارًا على الفتى ان يعطي قلباً بقلب ثمَّ يردُ ويسترد . هب انني رضيتُ لنفسي هذا العارَ أفأرضى العذاب لمن احبها على نفسي . لا عشتُ يا ماريا ، يا عطية الله لي ، لا عشتُ ان فعلتُ . قال سليم : ان هذا لمنتهى كمال المحبة . لكنها خطة وعرة قــلَّ ان يخطُّها لنفسهِ محبٌ . اذن وطِّن النفسَ على معاناة العذاب .

فريد : ان ماريا اكبر من ان تعطيني املًا يقوم على اساس الخدع والمراوغة.

سليم : ان كنتَ تأنس منها المحبة لك فما هذا الذي يقيمك ويُقعدك ؟

فريد : أنها لا تبتُّ لي عهدًا .

سليم : أليس هذا كفوءا لحملك على التريُّب من امرها ؟

فريد : لعلَّ لها عذرًا .

سليم : انا اوفدتُ اليها عجوزًا ذات ارابةٍ وحنكةٍ ودهاء . حدثتها عنك وامعنت في تشويقها، فلما عادت اليَّ قلتُ ما وراءكِ يا عجوز ؟ قالت خزانة مقفلة.

فريد : ذلك دليل على فطنة الفتاة ، وليست الفطنة بمريبة . فلا يبعد ان اظفر بالمرام قبل ان تغرب شمس هذا النهار . قال سليم : لا ساء فألك . اسمع وطأ قادمٍ فها انا أخلي لك الجوّ لعلَّ هذا القادم يبتغي تحديثك على انفرادٍ . وحينئذٍ ذهب سليم من باب واقبلت ماريَّا من باب آخر . رأت فريــدًا مغتبـاً فقالت : فريد ! متى تقشع سماؤك ؟ يشق عليَّ ان اراك مكروباً. قال: يا جنتي

ارسي ريح رصاص فتقشع عني ويبس كربي . قالت : حبس ياني وجدت نعلي أعيد الى نعمك السكون — فأشرقت أسرة فريد وجلس وقال : اوَّل مطلع الفجر بهيّ . وابيه . — قالت : أخيَّ . انتَ تريدني قسيمة لحياتك وشريكةً لك في السرّاء والضرّاء ، بل انت معتقدٌ ان عندي كل سعادتك على الارض . فان يكون اعتقادك مصيباً او مخطئاً ذلك امرٌ لا اتصدى للبحث فيه و . . . فقاطعها فريد وقد ارتجزت اوتاره وقال : ابتدأت بما يُنعش فيَّ الروح واراكِ ستنتهين بما يحطم ما بنفسي من بقية الرجاء . بعيشكِ ماريّا لا أجهزتِ عليَّ . قالت تجلّد يا روح ابنة عمك وارعِ سمعك ما ساقوله لك فانه كلام العقل الى العقل ، فانك ان استرسلتَ الى الغضب او الى القنوط حوّلتَ الدرياق الذي اريد به شفاءك الى سمٍّ زعاف .

قال : بل السمُّ لو تذف من شفتيكِ لحولته المحبة الى ترياق . قالت علمتُ الزواج عقدًا لا يحلّهُ الّا الموت فعقدتُ المشورة مع ضميري والتمست مشورة روح القدس فوجدت ان بيني وبين الزواج حاجزًا لا يُنقض — فصاح فريد وقال : واتعساه . من الذي بسط لكِ هذا الرأي الوخيم . انتِ زنبقة الثاب الناصعة البياض ، انتِ وردة الحدائق المطيبة بعرفها اذيال النسيم . انتِ نسيجُ وحدكِ وفريدة عصركِ وتاجُ جنسكِ ، أأنتِ لا تصيرين لرجلٍ يجلّ مكانتكِ العالية ويقدّر خلالكِ الباهرة ، فبتربة ابيكِ إلا رحمتِ قلبي الكسير ، وان كنتِ لا ترحمين شبابكِ النضير . — قالت : ما انا بربة امري . قال : لمن السلطان عليكِ وانتِ سيدة هذا القصر ومعبودته ? — قالت : لمن في يده حياتي ، لمن لهُ وحدهُ نفسي وجسدي الى الابد . فلما سمع هذا الكلام اتقدت في قلبه نار الغيرة فقال : يا لنار الغيرة تلتهمني اي التهام . مَن هذا الذي لهُ من قلبكِ كلَّ هذا الحب العظيم ? قالت : هو ربي وعريسي والهي وفاديَّ يسوع المسيح . فهان عليه الامر بعض الشيء وقال : ان المسيح مساهمٌ لا مزاحم . فما هو لقيصر لقيصر وما هو لله لله .

قالت : القلب كالنفس لا يتجزأ . قال : لقد تفتتَ كبدي غمًا افلا ترحمين بؤسي ? قالت : ضمنتُ ليسوع من نفسي التزوبة ، فكيف انقض عهدي .

قال : اوَ تستحلين دم اخٍ ما لقيتِ منهُ غير الاخلاص والوفاء ? — قالت :

بروحي انتَ . لكني انزّهُ شهامتك وعلوّ خلقك عن التزوج بفتاةٍ اقدمت على خيانة عريسها يسوع المسيح .

ففار فائرُ فريد وقام منتصباً على قدميهِ وهو لا يــدرى اقام ام قعد . وانسمت فتحةُ عينيه بحملقةٍ هائلة واسقط عن شفتيهِ المرتجفتين هذا الكلام : لقد عيل صبري وأشكل عليَّ امري وضاقت عليَّ المسالك وتمثـل شبحُ اليأس لعينيَّ . ماريّا ! ألا تعاهدين فتشتري حياة ابن عمكِ بكلمةٍ من فيكِ ? قالت : لو سألتني روحي لوهبتها . لكنك تسأل ما لا يُستطاع .

اخذ اليأس يدب في عروق فريد وقال بلهجة الناضب الحزين : يا لضيعة الثقة . يا لخيبة الرجاء . اهذا منتهى تلك المحبة الرقيقة . لقد احببتك يا ظلوم منذ بدت برعمة الحب في غصن حداثتي الرطيب . لا محبة الاخ للاخت احببتك بل محبة النفس للنفس ذاتها . على حبك نشأتُ وفي حبك حييتُ وبحبـك رقيتُ آمالي الى ذروة السعادة والرُفاه ، وكان نظري لا يشبع من تأمل عينيـكِ النقيتين تسيلان لي من لذة الحب ما لا يُستوفى وصفهُ بلسان ، وكنت احسب ان هذا سيبقى وتزيده الايامُ وما خطر في بالي مرةً انني راكبٌ متن الغرور . اماَّ الآن وقد طمست معالم حبكِ وتغيرت مرامي نفسكِ وصرمتِ حبالي .وحطمتِ آمالي وضيَّعتِ عهدي فما رؤفت بذلّي وانكساري ولا باليتِ بتوجعي واحتضاري . فما أصنعُ ? أأنتقم لنفسي ? ممّن ? أمنكِ يا ماريّا وانتِ اعزُّ عليَّ من روحي . النفسُ اكبرُ والشيمة اعلى والمروءة اعظم ، ولو شئتُ ان ابـذل النفس لشيء من اللؤم لقامت محبتي . نعم محبتي لقامت في وجه غضبي تردّني الى الوراء . انّ المحبة لاقوى من الموت . وكان في منطقته مدية استلها من غلافها الفضي وقال : ليتكِ تقبضين هذه المدية وتغرزينها في هذا القلب الذي ما نبض الّا لاجلكِ ولا علق الّا بهواكِ . ليتكِ تخضخضينها في سويدائه كما تخضخض فيه حبكِ الذي خُتم بهذا اليأس المميت . ما اطيبَ الموتَ من يد الحبيب ! لكنكِ حتى بهذه المنّة تبخلين عليَّ . فانا أنا اطعنُ هذا القلب الذي فارقه السلام وامسى مستوقداً تتأجج فيه نار الجحيم . نارٌ يتصاعد لهيبها عرقاً الى الرأس ويلتف قتامها مغمياً على البصيرة والبصر . قال هذا بصوت يخنقه الغيظ اليائس ورفع يده ليضرب صدره ، فوثبت ماريّا وباسرع من رد الطرف ضربت على ذراعـه بيدٍ اخذت

من الخوف ثورة لا تدانيها فساعت مدة في ذلك [illegible] صاحت فيه من صوتها وقالت : فريد ! فريد ! استعد وعيك . ان هذا فعل جبناء رعاديد لا فعل الابطال الصناديد . صدري لا صدرك تضرب او عن عن هذا الجنون ؟ سكّن الجأش يا أخيَّ واذكر ايَّ فتى انت . ومن ايِّ معدنٍ كريمٍ نُحتَّ . اين عقلك الكبيرُ واين حلمك الغزير ابهذا العمل الخسيس تدلُّ على حبك لي .

قال : بعيشكِ ماريا دعيني اطعن هذا القلب الذي تفاقم كربه ونفد صبرهُ . دعيني أُرق محبتهُ دماً يتدفق على قدميك . قالت هب لي هـذه المدية دليلًا جديدًا على محبتك . وخبَّاتِ المدية في عبّها وقالت : استمـدْ رشدك واجلس ازاء اختك التي القيت في نفسها رعباً اشدَّ من الموت . فهمـدت ثورة غضبه وجلس لا ينبس ببنت شفة ، فكلمته ماريا بصوتٍ رخيمٍ ارق وانعم من نسيم الصباح وقالت : أخيَّ : بماذا احلف لك على اني احبك كما تحبني واكثر مما تحبني احبك . الَّا ان محبتي لك لا طائشة ولا عمياء . محبتي تتبصر في عواقب الامور ، وتريد لك مستقبلًا حافلًا بالسعادة والهناء . لذلك لم اقطع لك العهد الذي طلبت اليَّ . وقد غمني جدًا ان تسترسل الى اليأس فالى قصد الانتحار مع ما لك من سلامة العقل وشرف المحتد وصحة الايمان . اليس انَّ في فؤادي مثل ما في فؤادك وقد غلبتُ هوايَ . افترضى لنفسك ان تكون اقلَّ بسالة من فتاة كالنعجة تجفل من صوتٍ مباغتٍ وظلٍ يمرُّ ؟

قال فريد : عذرًا يا حبيبة فقد كنت فاقد الرشد، والآن وقد همدت ثورتي لا اعرف كيف استرُ خجلي المذيب . لقد اشتريتِ حياتي وصيتي وابديتي ووقيتني شرًا جسيماً وعارًا شنيعاً فلكِ عليَّ الشكر ما حييتُ . — قالت : ليكن شكرك لله لا لي . أصغِ الى ما القيه الى سمعك عن لسان اختٍ تحبك وتتمنى لك السلام والسلامة ورغادة العيش وراحة القلب وخلوهُ من كل غمٍ وهمٍ . انتَ تريد الاقتران بي لاعتقادك ان في ذلك كل سعادتك . امَّا انا فلاعتقادي ان الزواج حالة لا يريدها الله ولا ظفرتُ بدعوة اليها من لدنهُ . وقع في يقيني انَّ زواجنا على هذا الحال سوف يكون وبالًا عليَّ وعليك . افلملك تحبُّ ان تتخذ لك زوجةً تشقيك وتنغص عليك لذات الحياة ؟ قـال : لا . — قالت : إذن عدِّ عن هذا المطلب ونبقى كلانا متحابّين كاخوين الى منتهى العمر . ومتى

افرغتَ قلبك من محبتي على الوجه الذي ابتغيتَ وهي محبةٌ لا تجديك واخذت تلتمس تعزيـة السماء لا تلبث ان تتغير افكارك وتنطفئ نارك . وانت تعلم ما مبلغ حظوتك لديّ . وها انا على ذلك اكبّد نفسي اقسى ذبيحة لالبي دعوة الله . فما ضرُّك ان تقرّب لله ذبيحة محبتك تشبهاً بي . او ليس جميلًا بك ان تقربا في الاقل لهذه الخليقة التي تبراها الى اقصى حدود الهوى فتخفف ما يولمها من عذابك في محبةٍ عقيمة .

قال : ان لم يكن ما تريدُ فاردْ ما يكون . لقد تصرّم كلُّ املٍ وسقطت جميع الحِيل . فلم يبقَ إلّا الصبرُ او القبرُ . لعلَّ الله يجبر كسري بالسلوّ او يستعجل وديعتهُ فاستريح .

قالت : امضِ الآن الى منزلك وادخلْ الى نفسك وسلّم الى الله امرك تجد ولا ريب ما انت بحاجةٍ اليه من طمأنينةٍ وسلام . — فتلقى النصيحة بالشكر وقال : الوداع يا شقيقة الروح . الوداع يا طيبَ النفس ولـذّة العيش ، ومضى وهو يمسح الدمع عن عينيه وخدّيه . حينئـذٍ جثت ماريّا على ركبتيها ورفعت ناظريها جهة السماء وقالت ودموع الفرح تتساقط على وجنتيها : شكرًا لك يا ابانا الذي في السماوات . يا من رحمتهُ الى خلقه اوسع من الارض والبحار . شكرًا لك على انك يسّرت لامتك انقاذ هذا الفتى من لجة اليأس والهلاك . انتَ تعلم انهُ لم يكن في محبتنا عيب ولا حيدٌ عن طريق وصاياك ، واني لاجل محبتك رفضتُ محبته الشريفة فامسى فريسةً للعذاب . بَرِّدْ بتعزياتك غلّة فؤاده يا ارحم الراحمين .

ربّنا انك تأمرني بان اترك كلَّ شيءٍ واحمل الصليب واتبعك ، وانا لا اعلم الى اين تحبّ ان امضي ولا اين تريد ان اقيم ، ولا كيف اعيش لانجز امرك بكل طاعة وتدقيق . فسهّل امامي السبل وارسل ليعنيّ شعاعاً من نور روحك القدوس ، فتهتدي أمتك الى مواطن العمل بمشيئتك .

وانها لكذلك واذا رفقة تقف لديها وتقول: في الباب ناسكٌ شيخٌ يستأذن عليكِ ، قالت ماريّا : ما حاجتهُ اليّ ؟ قالت : سألتهُ فاجاب : خيرٌ . قالت ماريّا : لعله رسولٌ من لدن الله يحمل الى نفسي السلام . أدخليه . فادخلت ناسكاً مجهولًا مشتملًا بالثوب الصوفي الخشن ممّا يلبسه الرهبان المتبتلون الى الله

في مقدس وفي يده عكازٌ يتوكأ عليه وعليه ثوب رثّ ووجه خمدٌ وشحوب.
أجال نظره في القاعة من كل صوب فتهلّلت اسرّته وقال بصوت خفي : هذه القاعة لا تزال على عهدي بها ، وهذا رسمي في موضعه لكنْ عليه علامة الحداد حزناً عليّ . وهذه ماريّا فلذة كبدي لم تفقد والحمد لله شيئاً من صحــة البدن وملاحة الصورة وتورُّد الخدين ، انّ في ذلــك لدليلًا على نضارة وصون زهرة العفاف من عوامل التغيّر والذبول . واتّجه نحو ماريّا وقال: حيّـاكِ الله يا ذات المحاسن والحصانة والخلق الكريم . اما هي فاول ما وقع نظرهـا اليه تهلّلت روحها ومال قلبها بالحب اليه فدُهشت من ذلك وقالت في نفسها : من يكون هذا الذي يركض للقائه فؤادي ? ما هذه التعزية اللذيذة التي صُبّت على نفسي اذ وطأت قدماهُ عتبة بيتي ا ثم رحّبت به وهشّت له وسألته : مَن تكون يا سيّدي المحترم وما حاجتُك فتُقضى ان كانت مما يستطاع ، قــال : ألم تعرفيني يا ماريّا تفرّسي في وجهي ألســتُ اباكِ لا تحدثي ضجّاً فاني جئتكِ متنكرا لا احب ان يعلم بقدومي احد سواكِ .

فلمّا عرفتهُ لم تعد تملك نفسها من شدّة الفرح وقالت : تبــاركت السماء ، يا للغبطة ويا للسرور ا

ما اجمل هذه الساعة الحافلة باسبــاب المسرّة والهناء وانتعاش الروح . واقبلت اليه فوقع كلٌ منهما على العنق الآخر يقبّله ويبلّهُ بدموع الفرح،وقالت: آه ، يا ابي ، كم عذّبني فراقك وكم سألت الله ان يردَّك اليَّ .

قال : اجلسي فاحدثكِ هنيهةً فانَّ وقتي قصيرٌ وثمين . فجلس كلاهما وبدأ يتكلم قال : منذ وفاة امّكِ الصالحة الذكر أخذ وجه الدنيا يتبدل لي . فكل ما كنتُ فيه من نعمةٍ وكرامةٍ ومكانة ونفوذ كلمة وبُعد صيتٍ وصداقات نبيلةٍ ثابتة القدم في المودّة والاخلاص والوفا. كلُّ ذلك انقلب الى امورٍ انظر اليها بعين الكراهة والاشمئزاز ، وصرت اسمع في باطني نداء لا ينفك يقول لي: يا هذا قد نلتَ حظّاً من الدنيا تُحسد عليه ثمَّ عرفتَ فراغها وزوالها فقم وابدر لاخذ حظٍّ من الآخرة فتفوز بسعادة لا تزول. خلِّ الدنيا لاهلها واترك كلَّ شي. واتبع يسوع الى الجلجلة غير ملتفتٍ الى الورا. . وبعد تردّدٍ طويل حصل لي اليقين بانه صوت الله يقرع مسمع نفسي دعوةً الى سيرة جديدة أجدى عليَّ .

فلم اجد بدًا من تلبية النداء. فخرجتُ خلسةً من هذه الدار ملتحفًا ثوب الظلماء. حتى لا اجد عائقًا من انسان وقلتُ يا ربّ قدني الى حيث تشاء. وسريتُ وانا لا اعرف الى أين واذا بي قد انتهيتُ الى ساحة دير قنوبين وجلستُ افكر في شأني الى مطلع الصبح ففُتح باب الدير ورآني راهبٌ فقال ما حاجتك يا أخي ؟ قلت : ان يُحسن اليّ فأقبل راهبًا في هذا الدير المبارك، فاخذني الى كبير النسّاك فخلا بي وتحدّث اليّ طويلًا فأوقفته على كل امري ، فلمّا رأى صلابة عزمي مع علمي بما انا مقبلٌ اليه من الحرمان من كلّ طيبات الحياة قبلني اولًا في صفّ غير الناذرين وكان من سلوكي ما اكسبني رضا الجميع. فاجمعوا على اهليتي للنذور الرهبانية فتقيّدتُ بها وصار تأهيلي للكهنوت المقدس فرقيتُ الى شرفه العظيم وصرتُ معروفًا بالاب مارون. وما زلتُ اسعى في طريق النسك بخطواتٍ واسعة وفرح ونشاطٍ اتبع الرب يسوع غير ملتفتٍ الى ما ورائي حتى اخذتِ تجولين في خاطري صبيّةً في شرخ الشباب محلّاةً بجمالٍ رائع يسترق العيون فاشفقتُ عليكِ من مخاطر العالم الغرّار . اذ ليس لكِ من يرعاكِ لا أبٌ ولا أمٌّ ونفسكِ اعزّ اليّ من كل ما تحت السماء ، غلبَ هذا الفكر عليّ فنغّص عيشي وحرمني لذة الصلاة والتأمل السعيد ، فاقبل الى بدني النحول ، ورأى الرئيس تبدّل حالي فسألني فكشفتُ له عمّا بخاطري فرقّ لحالي وقال : ان شئتَ ان ترجع الى بيتك فتنظر في شؤونهِ وتحتاط لامور ابنتك لتوجه بها الى مستقبل امين فذلك اليك ، تتمّ مهمّتك ثمّ تعود الى ديرك خالي البال مما يلقي اليك قلقًا وكربَ نفسٍ فيعاودك السلام وصحة البدن فتتفرغ لعبادة الله وخدمته بقوّةٍ ونشاط ، لا تألُ جهدًا في انجاز ما انتَ منطلقٌ فيه باقصر وقتٍ مستطاع. تركتُ خلوتي المحبوبة واتيتُ لاعمل ما يريح بالي وبالكِ إذ يحصل لي الركون الى مستقبلٍ يؤمن لكِ السعادة في الدنيا والآخرة ، فهلّا توافقين على تدبير يبدو لي كونهُ مبلغًا الى الغرض ؟ قالت : مُرني . تجدني اطوع لكَ من بناتك . قال: ان فريدًا ابن عمكِ هائمٌ بكِ منذ الصغر وقد وعدته بان تصيري له زوجةً وهو يقدّر قيمتك ويتزلك من نفسه في المكان الارفع . فأُحب ان ازفّكِ اليه اليوم لاني رأيتهُ الحظ الافضل الذي تجدين عنده ما ارومهُ لكِ من رخاء العيش وهناء الحال الزوجية لانشاء عائلةٍ مسيحية على حسب قلب الله . —

قالت : لم يبقَ يا أبي المحبوب من موضع للكلام على الروح فانني بعد امعان النظر وطول التأمل نذرتُ بكارتي لعريسي يسوع المسيح فانا مخطوبةٌ له . هيهات ان اخون عهدهُ فاصيرَ لرجل . قال : واذا امكن حلّكِ من هذا النذر بطريقةٍ قانونية فهل تصيرين زوجةً لفريد ? قالت : لا اريد ان يحلّني من نذري غير الموت ، والموت نفسهُ لا يقدر ان يفصلني عن عريسي يسوع المسيح محبوب نفسي الوحيد الى الابد . قال : هذا يسرّني جدًا. لكنني لا ابرح مشفقًا عليكِ من مغويات الدنيا وتقلّب القلب البشري . فما يكشف من خوفي الّا ان تنضمّي الى راهباتٍ ناذراتٍ نظيركِ في احد اديارهنَّ فتكوني اكثر حصانة واقصى عن الخطر . قالت : ابي ! بكل رضًى وسرورٍ اتلقى مشورتك هذه الجامعة بين الحكمة والصلاح والحب الوالدي ، ومثلها كانت مشورة روح القدس فوطنتُ النفس على العمل بها ولم يبقَ الّا ان استشيرهُ في الدير الذي انضوي اليه . فاكشف عنكَ الخوف وأخلِ قلبك من الاهتمام واعلم اني ما ابطأتُ في اخراج قصدي الى الفعل الّا ما كنت اجهله من امرك فلا اعلم ان كنتَ حيًا اين تكون . ها قد وُهبت العلم بكل امرك فلن يطول الوقت حتى انفّذ مشورتك ثمَّ اخبرك فتزيد اطمئنانًا اليَّ . امّا املاكك التي لك في هذه البلدة وغيرها ومحتويات دارك هذه فلستُ بحاجةٍ الى شيء منها . حسبي عريسي يسوع لي به الغناء عن كل شيء . قال : أجمل بهذا التخلي يا بنيّةُ محبّةً ليسوع المسيح فانهُ في محبّتنا أخلى ذاتهُ واشترانا بدمهِ الكريم مسمّرًا في صليب . ففي سبيله وهبت لكِ نصف املاكي من ثابتٍ ومنقول . فان شئتِ صرفتهِ الى الدير الذي ستدخلينه ، وان شئتِ وزّعتِ كلّهُ او بعضهُ على المساكين . امّا النصف الآخر فسيكون النصيبَ لدير تنوبين . كل ذلك سيمضي بالوجه الشرعي بعد رجوعي الى الدير . — قالت : بالشكر تقبّلتُ منحتك السخيّة . غير اني لا ادري كيف ادبّرها فتولَّ انت تدبيرها على ما ارتأيت . وحُطَّ عن كاهلي حملها الثقيل . قال : لكِ ما اردتِ ، وعليكِ ان تعلميني في ايّ ديرٍ تكونين — قالت : اكثر من ذلك ستعلم ويكون لك طيبُ نفسٍ كثير .

قال : على هذا العهد اودّعك يا ولدي ، فكوني وديعتي الثمينة بين اذرع ربنا يسوع وامّه العذراء سلطانة السماوات والملائكة والقديسين . ما علمتُ

اخشى عليكِ سوءا وانتِ في هذا الحصن السماوي المنيع . ووقع على عنقها يقبّلها وتقبّله وضمّها الى صدره بين ذراعيه وبكيا وقال : الى اللقاء يا حبيبة ابيكِ . الى اللقاء في دار السعادة والخلود ، ليس بيننا ثالث يرى ما دار بيننا من حديثٍ فليبقَ سرًّا مكتوماً حتى يتمّ ما توافقنا عليه . وانطلق لسبيله بحجبهُ ستارُ ليلٍ حالك الظلام . وتبعته ماريّا تشيّعه الى باب الدار ، ولما انتهى الى قنوبين أطلع الرئيس على ما وقع له وسأله المعاونة على تنفيذ ما تقرّر في شأن املاكه فتمّ له ما اراد .

امّا ماريّا فخلت الى نفسها وفكرت في ما تصنع واستخارت الله سبحانهُ فهبط عليها الإلهام فاختارت الدير الذي خارهُ لها الله وعقدت القلب على المضيّ اليه .

٥

صباح يومٍ من ايام شهر ايار المبارك المختص بتكريم السيدة العذراء المجيدة والدة الله ، كان في مدخل دير قنوبين شابٌ جميل الصورة حسن البزّة يطلب مواجهة الرئيس لحاجةٍ يعرضها لديه . وللساعة صارت المواجهة ومُدَّ بساط الحديث وما هي الّا ساعة حتى جيء بالشاب الى كنيسة الدير وقد بُدلت ملابسهُ الانيقة بالثوب الرهباني يكون عادةً من صوف خشن قاتم اللون او من خام غُيِّر لونهُ بصباغ النيل . فمنح البركة بالصلاة على عادة الرهبان في قبول طالب الترهب وأُحصي في عدد المبتدئين في السيرة النسكية ، والتفَّ الرهبان من حوله في غرفة الاجتماع يتعرفون اليه ويهنئونه بسيرته الجديدة متمنّين له النجح والثبات. ورأوا في وجهه ملاحةً لا تشبع منها العين وفي نطقه طلاوةً وادباً وفطنةً فمالوا بقلوبهم اليه وجعلوا يتحدثون عنه همساً قائلين : لم نرَ قطّ مثلا لهذا الفتى فهو في ما يبدو لنا من براعة خلق واخلاق فان كان باطنهُ مجمَّلا كظاهره فان هو الّا لؤلؤة غالية وتحفة نفيسة ودرّة لا يعدلها ثمن . ثم انهُ وقف فيهم جامعاً يديه الى صدره وقال : ان عناية الله التي لا تغمض عينها عن مخلوقٍ هي التي ساقتني الى هذه الارض المقدسة لاجمع لنفسي كنزًا من الفضيلة والاستحقاق . فماذا اتمنى زيادةً على ما احسن به اليَّ من العيش بين ملائكة متجسّدين في هذه البرّية المختارة التي لا يبرح روح الرب يرفُّ عليها فوق غمام البخور

المطبق الفضا . حيث بكثرة رحمته يتقبل تسابيح المغرمين بحبه المباركين اسمه القدوس ليلَ نهار . فاجابه الرئيس وقال: انتَ نعمَ الفتى ستكون نعمَ الراهب بعونة الله ، فنتمنى لكَ بقاء هذا الفرح التقي متزايدًا حتى يتكلل بفرح السعادة والمجد في السماء. ومن الآن يُطلق عليك اسم مارينوس الذي اتخذتهُ من حوض العماد ، وعينًا لك اخانا الاب مارون مرشدًا روحيًا ومدبرًا يرشدك الى ما ينبغي عليك عمله او تركه لتسير في معارج الفضيلة الى ذروة الكمال . فلازمه واتخذه لك ملاكاً حارساً وكن منتصحاً بنصحه ومصغياً اليه، ولقاء اهتمامه بشؤونك تتوفر انتَ على خدمته واعانته على حاجات شيخوخته واوهانه مما يعسر عليه تعاطيه بنفسه . والله سبحانه كفيلٌ باثابتك اذ تعمل كلَّ شيء لتمجيده ومرضاته . — فقال الاب مارون : شكرًا لك يا ابانا الرئيس على ما تبديه من العناية بي للتخفيف من اثقال الشيخوخة وان كنتُ لا اتبرم منها بل احسبها منحةً من الله لزيادة اجري . — وقال مارينوس : ما اتيتُ الّا لاخدم واطيع واذلل هذا الجسد بالصوم والصلاة والكد والتعب . فسأسمع لمرشدي الاب مارون كأنه للمسيح واخدمه بفرح ونشاط ، كما اعدُّ نفسي خادماً لكل منكم ولي في ذلك فخر وسرور . فقال الرئيس : يباركك الربُّ ويشدد عزمك ويزيدك رغبة في البرّ وصبرًا على مشقّات الحياة النسكية فتصبح من اقرب النساك زلفةً لديه .

ارفضَّ المجلس وانطلق كلٌّ الى عمله ، وتبع مارينوس مرشده الاب مارون ليتلقى تعليمه ونصائحه ويقوم بخدمته المسندة اليه . واخذ بالمواظبة على مجاراة النساك في قمع الاهواء وضبط الحواس عن مسارح الشهوات والتمرس بالطاعة والصلاة والصمت المتأمل وعمل اليدين حتى احرز السبق على كثيرين حتى الشيوخ . فاكبروا فضيلته واعجبوا بسرعة تقدمه على حداثة عهده في الدير وما هو فيه من سنّ الشباب ، فاجمعوا على حبّه واكرامه ، وكان هو كلًّا للكل ومقدّماً على نفسه الكبير والصغير ، مجمّلًا باللطف والكياسة والفطنة والنزاهة والقناعة مأكلًا ومشرباً وقلة الكلام مع فصاحة المنطق وحلاوة اللسان وعلوّ الشمائل والاخلاق . وقد عاهد عينيه على ان لا تنظرا الى وجه انسان رجلًا كان او امرأة فهو يحدّث الآخرين مطرقاً رأسه ينظر الى الارض، وكانوا يتوقون الى معرفة لون عينيه فلا يمكنهم من ذلك حتى صار اذا استحى

على احدهم علم امرٍ يُقال هذا اخفى من نون عيني مارينوس . وبدا منه الاعراق في صداقة الاب مارون فكان يتبعه كظله حيثما اتجه واين اقام لا يفترقان في ساعات العبادة ولا في ساعات العمل اليدوي ولا وقت فراغ . وللاب مارون اهتمامٌ بارزٌ بارشاده وتدريبه بالعمل الروحي واليدوي وتوجيهه جهة النجاح اتجاراً بالوزنات ، وما صحّ لاحدٍ ان يعرف سرّ ما بينهما من الاتحاد الذي جعل كليهما واحداً موحّد النظر والرأي والغرض . فرجح عند الكثيرين ان علّة ذلك تماثلهما اخلاقاً ورغبةً في التقوى ونزعةً الى الكمال . وقيام الاب مارون على هذا الراهب الشاب بالتربية النسكية وهما لذلك بمثابة الاب وابنه فلا غرو ان تتوثق بينهما عُرى المحبة والوفاق . على ان الغرسة التي يربّيها الاب مارون في بستان الرب قد بلغت بفضل اعتنائه حظّاً وافراً من النماء واصبحت مزدانةً بوفرٍ من الاثمار الشهية والازهار البهية الباعثة اذكى روائح التقوى الى اعالي السماوات . وعلاوة على ذلك تعلّم مارينوس من ابيه بالروح صنع السلال الخوصيّة وصار له في هذه الصناعة مهارة وتفوق على سائر زملائه بدليل اقبال المشترين الى مصنوعاته من سبيل تفضيل الاجود على الجيّد . وبمعرفة هذه الامور من وجه التقدير زال عجب الرهبان من الاتحاد الوثيق الذي بين الاب مارون وتلميذه مارينوس لا غرو انه متى عُرف السبب زال العجب .

٥

في ساعةٍ مبكرةٍ من صباح يوم قرسَ برده وتلبّدت سماؤه قُرع باب الدير ففتح البواب وعجلَ الى الرئيس ينبئه بقدوم عبدالله الطرابلسي فتهلل وجه الرئيس وقال عبدالله ! نعمَ الزائر ، انه عين اعيان الطرابلسيين واكبر محسنٍ الى ديرنا واوفى صديقٍ لنا وخفّ لملاقاته ورحّب به وقال : ما حملك على القدوم في هذا اليوم تخوض عباب ريحه الباردة غير مشفقٍ على صحتك من غوائله — قال : لا بأس فاني متدثر بثيابٍ لا تخرق الريح فيها . فاخذ الرئيس بذراع زائره ودخل به الى غرفته وجلسا يتجاذبان اطراف الحديث . قال عبدالله : قد استغربت يا ابانا الرئيس قدومي اليك في هذا اليوم المُزمهرّ مع ما يثقل كاهلي من وقر السنين . ها انا مرتفقك على السبب — قال الرئيس : ان لك من نشاط الهمّة ما يجعل من شيخوختك شباباً ، عوّدتنا التمتّع بزياراتك

المؤنسة لكن لا في مثل هذا اليوم — قال الزائر : دعت الحال فلم يبق للتأجيل مجال . زارني في الليل الفائت طيف راهب وكأني تفرست فيه فاذا وجه رجل الله الاب مارون ، وسمعته يناديني بصوتٍ خافتٍ ويقول : عبدالله ! عبدالله . اني على سفرٍ جئتك مودّعاً ، فان شاقك ان نلتقي في مدينة السعادة والبقاء فاحمل حملي وتقيّد بقيودي قبل خروجك من دار الشقاء ، واني مؤتمنك على وديعةٍ حيَّة وعزيزة عليَّ فاحتفظ بهــا ، ولفطنتكَ غنًى عن الاسهاب ، فلمّا استيقظت جعلت افكر في هذا الحلم وبدا لي كأنه من الله لامرٍ يريده مني فاتيت اطلب تعبيرًا لحلمي . فقال الرئيس هل تمتّ الى الاب مارون بقرابةٍ ؟ قال : كلانا من أسرة واحدة نكنّ مودّتنا مبنية على الفضيلة لا على النسب . قال الرئيس : كيف تأتّى لك ان تسبر غورهُ مع ندرة تحدثك اليه ؟ — قال : حامل المسك لا تخفى روائحه ، رأيته اكثر من مرَّةٍ في اسواق طرابلس اذ كان يهبط مع آخرين لبيع مصنوعاتهم من الخوص ولم يكن لي معــه شأن فاحدثـــه حتى كان انهُ نزلت بفتاتي الوحيدة علّةٌ صدريَّة تعذَّر شفاؤها على الاطباء . واشرفت منها على الموت فنالني من لاذع الحزن ما ملأ نفسي مرارةً وأغصني بريقي ، ولمّا ضاقت بي الحيل وسدَّت بوجهي ابواب الفرج خرجت الى السوق كفاقد الرشد لا اعي على شيء . فقُدر لي ان التقيت برهبان هذا الدير المبارك فاقبلتُ اليهم وانا لا اعرف احدًا منهم وقلتُ : يا رجال الله اما تغيثون ملهوفاً . فاجابني اكبرهم سنًا وقال : ما بك يا اخي . فاخبرته بامري وبكيت حتى ابكيته ومَن معــه ، وقلتُ لعلَّ الله يجبر كسري بدعائكم ، فقال : اتؤمن بانَّ ليسوع القدرة على شفاء ابنتك ؟ قال : وبانه ولو ماتت يقيمها من بين الاموات كما اقام لعازر بعد ان لعبت به ايدي البلى والفساد ، حينئذٍ أخذ الناسك ماء وباركه وغمس فيه صليباً من خشبٍ ورفع عينيه الى السماء قائلًا ثلاث مرات : استجب لي يا رب . ثمَّ قال لي : انفض هذا الماء على فتاتك فتبرأ بقوة يسوع المسيح ، ففعلتُ فتعافت لساعتها الفتاة ، وتدفقت على قلبي عواطف الفرح والشكر وخرجتُ اشيع الآية واحمدُ الله . ومنــذ ذلك اليوم الميمون اتصلتُ بالاب مارون وعرفتُ ايَّ حظوةٍ له لدى الله وانه من ذوي قرباي وتوثقت بيننا عرى الصداقة والولاء . — فقال الرئيس : الآن عرفتُ لماذا

تحب ديرنا وتؤنسه زيارتك وتتحفه بمغاني حديثك . قال : كيف لا احبكم يا رجل الخير بعد ما رأيت من محبة الله لكم قال الرئيس : ان كان فينا من يصنع خيرًا فلا فضل له لانه انما يصنعه بالقوة المفاضة من علُ . حينئذٍ ارسل في طلب الاب مارون تلبيةً لرغبة عبدالله وسأل هذا الرئيس قائلًا : الا اجد عندك تعبيرًا لحلمي الذي قصّه عليك ؟ قال الرئيس : ما اوتيتُ علم تعبير الاحلام ، ومن الاحلام مــا هي اضغاث لا تشرح بتعبيرٍ صحيح ، واذا كان مدار حلمك على الاب مارون فقصّه عليه لعلّه يُلهم الى تعبيره — فقال عبدالله : يطيب لي الآن ان أُسمعك ما تطيب بـــه نفسك ويفيض السرور على جمهورك الكريم — قال الرئيس : ما انتَ الّا بشيرِ خيرٍ فشنّف بكلامك اذناً مصغيةً اليك . قال :

ان لرهبانكم في المدينة وضواحيها صيتًا يزري بالمسك الفتيت . ذكرهم شهدٌ في الحلوق ونطقهم نغمٌ في الاذان ، في وجوههم الخير ، ومن شفــاههم يتدفق الســلام ، وفي عيونهم تــأتلق الــسذاجة والعفاف وكلّهم رافلٌ في بُرد الكمال ، وماذا اقول في أحدهم مارينوس بعد ان لقّبه الناس بالعجيب . فهو على نضارة شبابه قد احرز النصيب الاكبر من قداسة الــسيرة وخلال الخير ما يحبّب الفضيلة حتى الى اعدائها . ما اجمله حين يدخل المدينة وعلى منكبيــه صفّان من الــسلال يجتاز بها الشارع ولآلئ العرق تتــساقط من جبينه الوضّاح والعفة المقدسة وردتان متفتحتان على خديه البارزين ، فترى الناس حوله افواجا لابتياع ما يحمله من سلال وفواكه وبقول ناثرين اثمانها بلا مــساومة ولا حــساب ، ولكي لا يتّجه اليه حسدٌ او يُجرح له شعور يشترون بضاعة رفاقه ايضًا بالثمن الذي يفرضون ، عيون الكل اليه لينعموا بنظر ما أُفرغ عليه من جمالٍ وأدبٍ ورزانةٍ بشاشة وكمالٍ ضافٍ على شباب مشرق . عيناه الى الارض ولا يرى في اجلال الناس اياه الّا داعياً لزيادة التعمق في الاتضاع ، ودعاؤه لسائليه ما رُدّ مرةً بدون ثمار .

قال الرئيس : جميع الرهبان عنده هذه الخلال الــصالحة ومن اجلهــا اجمعت على حبه كل القلوب . ووقع لي احياناً ان شغلته عن المضي الى المدينة بصحبة الاخوة فكانوا يعودون وفي افواههم الشكاية من كــساد بضاعتهم فيبيعونها بابخس الاثمان ، فالواقع ان مارينوس راهب راجح الحصاة طاهر الذيل صافي

السريرة متين العقيدة قنوعٌ صبورٌ مطيع مولع بالزهـادة والفقر الاختياري مواظبٌ على اراضة الجسد وكبح الاهواء . وفي الجملة هو مثالٌ في البرّ لكل ناظريه .

وفيما هما في هذا الحديث اقبل الاب مارون يسنده مارينوس وراهب آخر من الجانبين فقام عبدالله ولاقاه الى الباب ملقياً عليه تحيّة الرهبان وهي : المجد لله . فاجابته الاب مارون بالتحية المألوفـة وهي : دائماً ، فليباركك الرب . وقال عبدالله وقد غمّه ما رأى من ضعف صديقه : ممّا تشكو يا ابانا المحترم ؟ — لا اشكو الا من طول غربتي في وادي الدموع ، لِمَ الشكوى وانا ارى اسبابها تتقطّع وقد ازفت ساعة الرحيل ، فلم يبق الّا الاكليل المهيّأ لي في يد الديّان العادل الرحيم الكريم . — قال عبدالله : رُزقتَ اطول الاعمار ، فانت منارة هدى وينبوع بركة واحسان. قال الاب مارون: لا تدعُ لي بطول الغربة فانّ لي حنيناً الى الوطن لا موضع معه للسلام. فقال عبدالله مشيراً الى مارينوس وهـذا الراهب اللطيف اراه اتبع لك من ظلك ، لله انتما من صاحبين تماثلا خَلقاً وخُلقاً . فلولا التفاوت في السن لقيل انكما توءمان . والتفت الى مارينوس وقال : ما لشمسك غـابت عن المدينة فامست تتشوق الى مطلعك البهيّ ؟ اجاب مارينوس قائلاً الراهب يا سيدي قيد اوامر الرؤساء . — فقال الرئيس : رأيت منه لباقةً في خدمة الدير واستقامةً في خدمة المرضى من اخوتنا الرهبان فأقمته لهذه الشؤون وهي تقتضي بقاءه في الدير فلم يعد يخرج منـه الّا اذا اضطررت لعيادة مريض في الجوار فيخرج بصحبتي فيتبارك به المزورون وكثيراً ما يؤتى المريض الشفاء بدعائه لان الله يستجيب له لنفع المؤمنين . والآن وقد صار الاب مارون اشدَّ حاجةً اليه من قبل ترتب عليه ان يلازمه متفرغاً لخدمته التي لا يحسنها سواه . أُجلس الاب مارون على كرسي تلقاء عبدالله وقال له : ما تبتغي من صديقك الراحل يا صديقي الكريم ؟

قال : ان اراك متنعماً بقربك على قدر حظّي من فسحة الزمـان ، قال الاب مارون : ليس سدّى ارسلك الله الينا اليوم ، فستشهد انطلاق نفسي من سجنها وتشيع جسدي الى المسكن الاخير . لقد ازفت ساعة زوالي ساعـة تبدل روحي بالمصير الى الوطن المحبوب ، فاوصيـك بنفسك ان تقصر همك على

ابلاغها سعادة اغتاريني . وبابني مارينوس ان تسد فرحي تجاهه الى يوم البقاء الابدي السعيد ، وهذه وصيّتي الى اخواني الرهبان الاعزاء ان اقتصروا من تكريم دفني على اقلّ مما يُصنع لامثالي من الناسكين . ووا كبوا نفسي المسكينة بصلواتكم الى امام المنبر الرهيب . امَّا ابني مارينوس فليغمضْ عيني بيديه الرئيفتين ولا يذرف ولا نقطةً من دمعه حزناً عليَّ ولا يفتح منفذاً لدخول الجزع الى قلبهِ الرقيق ، وقد حفرت في صدره وصايا يترتب على حفظها سعادته في هذا الدير . اغفروا لي يا اخوتي وانا غافرٌ لكم كما غفر لجميع الناس مخلصنا الرب يسوع المسيح . حلّني يا ابانا الرئيس من قيود مساويَّ لانطلق بسلام من قيود هذا الجسد الكثيف — فتردَّد الرئيس في منحهِ الحلَّ السرّي وقال : بعافيةٍ انتَ يا ابانا فلمَ توجع قلوبنا بهذا الحديث . قال : حلّني يا ابي لتخرج نفسي بسلام . قال الرئيس : ما هذا الالحاحُ وانتَ في حالٍ من الصحة لا تبرّره . قال : صوتٌ من السماء صارخٌ في اعماق نفسي ان ابتهج يا مارون فقد اتممت جهادك وهُيّئ لك اكليل الثواب هلمَّ فخذهُ من يد الملك السماوي العادل الكريم . فأفرغ عليَّ حلّةَ العرس لاجلس بلا وجلٍ في وليمة سيدي يسوع المسيح . وجثا قارعاً صدره معلناً ندامتهُ ومحبتهُ الكاملة للرب يسوع فمنحه الرئيس الحلّة السرّية والغفران الكامل وقال الحاضرون : اذكرنا يا ابانا اذا اتيتَ ملكوت الله . فبسط الاب مارون ذراعيهِ ورفع عينيهِ جهة السماء وقال : ايها الرب الحنا الكثير المراحم الذي لا يفرغ جوده ولا تُحصى مواهبه بارك هذا الدير وعبيدك المنقطعين فيه الى عبادتك وجميع المحسنين اليه بايّ وجهٍ ، جازهم يا رب في احسانهم اليَّ انا عبدك الحقير، وليشملهم امانك وحبّك وحلمك الى الابد . ثمَّ حدَّق في ما فوق فاخذه انجذاب وفارقته قوى الحواس وجعل يلفظُ كمن يرى في حلم كلمات متقطعة : ماذا أرى ؟ الشريف عبداللّه على قدَمي المذبح في ثوبٍ رهبانيّ . سقياً لك ايها الصّديق المتّقي الله ها انك قد توشحتَ بالقداسة والبر — مارينوس المحبوب الشبيّ . اوّاه ! اوّاهُ ! ما هذا الذي أراهُ يسعى دائراً من حولهِ كأنّما يريد بهِ شرّاً . افعى هائلة المنظر فغرت شدقيها ، الحذر الحذر يا مارينوس ابني . قد آلمته لدغتها . واحرّ كبداه ! ها هو يتملل من شدَّة الخوف والألم . لماذا لا يُعالج ولا تُراق تعزية على قلبه

الكبير . لِمَ هذا الاجماع على خذله . ما لي اراه مزدرًى منبوذًا ومقصًى عن العيون . تفجرت ينابيع دموعه فحفرت خدودًا محزنةً في وجنتيه. كيف امسي فريدًا وحيدًا لا مؤنس له ولا عشير . لا تقنط يا بُنيَّ ولا ينل منك الفشل ان الروح التي فارقتك لن تبرح ترفرف فوقك وحواليك . تقوَّ ، تجلّد ، تعزَّ ، فان مجدك في النعيم لا يُقاس به هوانك في وادي الدموع . ما اجمل تاجك المرصع يا اورشليم . مَن هذا الجالس على عرش السحاب مكتنفًا بلامعات النجوم . من هذه الملتحفة بالشمس المكللة بالكرامة والمجد والبهاء. من انا يا سيدي فتخرج لاستقبالي بهذا الموكب العظيم من اهل السماء. أسرعي يا نفسي أسرعي أخرجي من هذا الجسد الترابي الحقير ، ارتفعي الى ما فوق افلاك الكواكب النيّرات، ارتفعي حلّقي الى حيث ينتظرك ملك المجد . خذ يا الهي هذه النفس التي ذابت في حبّك وأحرقها التوق اليك . وعند لفظهِ هذه الكلمة الاخيرة لفظ روحه الطاهرة بهدوءٍ وفرحٍ وسلام . فبكى مارينوس وصاح بصوت يخنقه الشهيق : ابي ا ابي لماذا تركتني . لماذا لا تأخذني معك . واحزني لم تنقضِ ايامُ غربتي بعد . ها قد توارى دليلي الامين وانا في منتصف الطريق. ثم دنا من الاب مارون فاغمض اجفانه وهو يبكي ويقول : ايتها العينان النقيّتان اللتان طالما ألقتا عليَّ نظرات رعايةٍ وحنوٍ واشفاق . اغتمضا على وسن الراحة والسلام الى يوم تنفتحان للنور البهيّ الموكل به البقاء . ثمَّ قبّل يده قائلًا : الى ثواب النعيم ايتها اليد الرئيفة التي افاضت عليَّ سوابغ الاحسان .

وكان كلٌّ من شهد هذا الموت الصالح يقول في نفسه : حقًّا ان هذا ليس بموتٍ انما هو انتقال من الموت الى الحياة . وقال عبدالله : ان الحسد على الموت اغرب ضروب الحسد . لكن من لا يحسد على مثل هذا الموت فهو احمق لا لبَّ له . فيا صديقي ونسيبي الراحل الكريم . قد اوصيتني بان املأ الفراغ الذي تركتَ ، فها انا ذا منذُ الساعة منفذٌ بلا ترددٍ ومن وجه الكمال ، تخلّيت لهذا الدير عن كلّ ما ملكت يدي ما عدا حصةً افرزتها معاشًا لابنتي التي تبتلت الى الله منذ عامين . فهلّا اجد لديكم رحمةً لنفسي فانضمّ الى جماعتكم المقدسة واكون فيكم الراهب الاوضع والاخير ؟

فاجابه الرئيس وقال : قلوبنا مفتوحة لك وما انت الّا منحةٌ من فضل

مه لنا ، ستكون فيه . كبير بروعير . لا عليك الا ان تمضي فتدبر شؤون بيتك ثمّ تعود الينا خالياً من كل همّ قبل ان املاكي صارت وقفاً مؤبداً لديركم وتعودي نصيباً للمساكين اخوة المسيح ، ومنذ الآن احمل الصليب واتبعه غير ملتفتٍ الى الوراء . فقام الرئيس وباركه وسأل الله ان يطبع على مقاصده ختم الثبات . وفي هذا الاثناء دقّ جرس الدير دقات حزنٍ متتالية فحُمل الميت الى الكنيسة واوقدت حوله الشموع طيلة الليل ، ولبث مارينوس جاثياً بجانبه كشمعةٍ حيّة يحرقها الحزن مُخمداً بالصبر والتسليم والصلاة غير ان ذلك لم يقوَ على نزع الطبيعة مرهف شعورها بفقد من تحبّه كأبٍ وتمدّه كاكبر محسن وبكان ملاك حارس فكان يغالب العاطفة بافكار من الايمان يبرزها بشكل هذا الكلام : أبي أأصلي من اجل روحك الطاهرة ام اسألك الصلاة من اجلي انا الشقيّ ؟ أأبكي لخروجك من هذا العالم الزائل ام افرح بانتقالك الى العالم الاسمى الذي ليس لسعادته انقضاء ؟ انا بين الطبيعة الضعيفة والايمان القويّ فان بكيتك فلأن فراقك نفذ قلبي الى الجلجلان وان تجلدت فلاعتقادي انك صائر بالموت الى الحياة ومن ارض الغربة الى الوطن السعيد . نمْ مستريحاً واجعل عين روحك الى مَن تركته في ارض غربته تحدق به المخاطر من كلّ صوب ، لا ينل من نفسي الجزع فخلاصُ الرب حاضر وموعد اللقاء قريب ولن يكون من من بعده افتراق .

في اليوم التالي دُفن الاب مارون مأسوفاً على فضائله الجمّة وبكاهُ عبدالله بكاء من فقد احبّ الناس اليه وعاد النسّاك فاجتمعوا يتبادلون عبارات التعزية، حينئذٍ قال الرئيس لعبدالله : ها قد رأيتَ تصير حالك وورثتَ سيرة صديقك الذي أخلى لك كوخه لتملأ فراغه وتنسج على منواله ، ونحن تنفيذاً لوصيته لك بتلميذه مارينوس نرغب اليه ان يتخذك اباً له فيلازم صحبتك ويتوفر على اطاعتك وخدمتك في كلّ ما تدعو الحاجة اليه .

٥

لقي مارينوس في صحبة عبدالله من الملاطفة والحب والايناس ما مهّد عنده جذوة حزنه على مؤدّبه ورفيقه وحبيبه ابيه في المسيح الاب مارون . وتقضت له ايام جميلة اتته بما لذّه من اثار الفوائد والتعزية والرضا والسرور

وكان يقوم بخدمة ابيه الروحي الجديد في شؤونه الروحية والزمنية بطيب نفس وفرح ونشاط ويترقى في مدارج الكمال ترقياً محسوساً أعجب به اخوته الرهبان واولد فيهم حسداً مقدساً اذ كان يحرز بـه التفوّق على كثيرين تقدموه في السيرة النسكية وشاخوا في ممارسة الزهد والتقشف واطلاب الفضائل ولم يبلغوا مبلغه فكانوا لذلك يحيطونه بالمحبة والاكرام ويكبرون فضله وفطنته ويعوّلون في شؤون كثيرة على مشورته ورأيه . وكان يمارس صُنع الخوص على مألوف عادته ويحمل مصنوعاته الى المدينة فتلاقي رواجاً عظيماً لكن الرئيس كان يعفيه احياناً من هذا العمل ليصطحبه في زياراته النادرة ذهاباً في ساعات من النهار لا يفوتهما معها حضور الصلاة الجهورية في الدير .

وكان ذات يوم ان زائرًا قدم الى الدير فسأله البواب عن اسمه وحاجته فقال : انا كنعان رزق من ضواحي طرابلس فادعُ لي رئيس الدير انَّ لي كلاماً اقوله له : قال البواب : استرحْ يا سيدي من تعب الطريق إجلس على هـذا المقعد فاجيئك بكأس شراب وعمَّا قليل تنتهي الصلاة فاخبر الرئيس بقدومك — فقال : لا يسعني الانتظار ولا بي عطش فاشرب . انَّ الامر خطيرٌ واولى بان يُقدَّم على الصلاة . فمضى البواب ليوقف الرئيس على الخبر وجلس كنعان يغالب ما يساوره من غضب واضطراب يقول في نفسه : يجب ان اقمع سورة الغضب لاني ان رفعتُ صوتي اسمتُ كل من في الدير فيتسع الخرق وتشيع الفضيحة . وربما تسلَّح الراهب بالانكار وقال : اثبت زعمك ومدَّعاك ، هات شهودك ، فمن يشهد لي ؟ ان الحادث في طيّ الخفاء ، مَن رأى في الظلمة ليشهد في النور . أأشتري شهودًا ؟ هذا في طاقتي . وشهادتهم على الراهب لا تحسب زورًا وان لم يروه لان الجريمة جريمته ولا موضع للريب . وان لم يكن هو الغريم المجرم فاثمه على ابنتي لا عليَّ لانها هي التي أجرمته مصرِّحةً باسمه وبمكان الجريمة وزمانها . لكن هل يحلّ لي ان ارشوَ احدًا ليشهد بما لم يرَه قط ولا اتصل بعلمه من وجه ؟ هذا ينكره الضمير فان فعلته فقد اجتُ الكذب والجور وصرتُ آثمَ ممن اتيتُ لاشكوهُ بالاثم . اذن سأحمل النفس على الاخذ بجانب اللين فان نبا حدّهُ وقصرت يدهُ رجعتُ الى الشدَّة وارهفتُ حدّي ولكلّ حادثٍ حديث .

اقبل الرئيس على كنعان باشاً به ومبتسماً له ، فرأى في وجهه جهومة واكفهرارًا بادين . فقال له : ما للصديق الكريم معبساً على غير عادته ؟ فبرزت من صدر كنعان أنة المكروب وقال : لقد عركني الدهر عرك الرحى بثفالها فكيف البس له غير هذا الوجه العبوس . قال الرئيس : غمك غمي . ابالمال رُزئتَ ام بعزيز ؟ روحي فداك . قال كنعان : رُزئتُ باغلى من المال وباعز من كل عزيز . قال: زدتني قلقاً واغتماماً . الا بماذا رُزئتَ ؟ قال : بما لا يعدله في نظري شيء : بشرفي، بسلام نفسي، بكرامة بيتي ، بنقاوة عرضي فماذا بقي لي . فتعاظم قلق الرئيس وقال : لقد اخذتَ تصدّع كبدي اشفاقاً عليك . فما هذا الذي دهاك ؟ قال: لا يكن بيننا ثالث. فأغلق عليهما باب الغرفة فتنهّد كنعان الصعداء وقال : الفضيحة في بيتي والعار يشملني كالرداء . وقف دولاب آمالي وضاقت بي فسحات الارض . افلا تنتقمنَّ لي ؟ قال : ممن وفي ايّ جرم ؟ — قال : من راهبك المُستهتر وفي اذلاله ابنتي . فغشّى الكدرُ وجهَ الرئيس . وقال : يا للغرابة . أعلى مثل هذا المنكَر يُقدم ناسك من دير قنوبين . وفي بيتك الحصين تكون من ناسكٍ هذه الفعلة الشنعاء ! من يصدّق هذا ومن سمع بمثله في هذه البلاد ، اين رهبان قنوبين من بيوت الناس فيتّهموا بمثل هذا العار؟ مَن ذلك الراهب أتعرفه يا كنعان ؟ قال : هو مارينوس العاهرُ الخسيس . فاخذت الرئيس قشعريرة وقال : وَي . وَي ! تنزهت الفضيلة وترفّع الكمال ! ومضى كنعان يقول : هو ذلك المرائي المخبئ اخبثَ رذيلة تحت اقدس رداء . هو ذلك المتزيي بزيّ ملاك النور وهو شرٌّ من ارواح الظلام . — فوقع هذا الكلام وقع السهم الناري في كبد الرئيس فتنهد وقال : لئن رأيتُ بأمّ العين ذلك الراهب القديس يفعل ما تشكوهُ به لكذّبتُ عيني وقلتُ انه بريء . مَن هذا الوقوحُ الذي لم يتأثم من رشق البراءة بسهم الافتراء ؟ — قال ابن الاعتداء وهناك اقرار الفتاة نفسها فريسة شهوته ونذالته . قال الرئيس : بنتك تقول هذا ؟ — قال : بنتي نفسها — ربما تكلمت زورًا . قال : لا سخيمة في صدرها منه ولا ثأرَ لها عليه ولا عرفته ولا رأت وجهه الّا يوم اتى معك لزيارتي وفوجئنا بسقوط الثلج بغير هوادة فامسكناكما للمبيت في منزلي الى الصباح . قال الرئيس : لا كانت تلك الليلة ولا كان الحاحك علينا بالمبيت في منزلك .

انَّ مارينوس اعفُّ من ان يلوِّث عرضه واقدس من ان يخون ربه بارتكاب فاحشة. قال : وبنتي ابعد من ان تفتري على راهب بري. بتهمة جريمة فحشا.. قال الرئيس : يقع لبعض النسا. ان يتهمنَ بريئًا لاغراض في انفسهنَّ . — قال : يقع ذلك امًا لاعتيادهنَّ الشرَّ او لمكيدةٍ تُدبَّرُ على ايديهنَّ او طمعًا في اجبار المتهم على التزوج بهنَّ - امًا فتاتي فليست مظنَّة ولا لواحدٍ من هذه البواعث الثلاثة . — قال الرئيس : ومن النسا. من تتهم الرجل تشفّيًا كما وقع ليوسف مع امرأة فوطيفار . قال : اعذرا، وفي عروقها اكرم دمٍ وانقاه تجروُّ على مراودة شاب لم تَرَهُ من قبلُ حتى تسلّم شرفها اليه وليس لها من رجاء الاقتران به ولا قدر ذرّة ؟ قال الرئيس: أراهبٌ يقيم في الدير عشرًا من السنين وعليه من الرقبا. عيون لا تغتمض فلا يرون عنده عيبًا ولا ظلَّ عيب وقد بلغ من الحظوة لدى الله ان كرَّمه بصنع الآيات على يدهِ ، ايقدَّر ان هذا الراهب العجائبي يسقط فجاةً من اسمى ذرى القداسة الى احط دركات الرجاسة متمرّغًا في اخبث حمأة الفحشا. ؟

— كنعان : لوسيفوروس تدهور من اعالي السماوات .

— الرئيس : لا يؤاخذ احدٌ بذنبٍ حتى يُثبَت انه فاعله .

— كنعان : ولا يبرأ مُتهمٌ ما لم تُثبَت براءتهُ .

الرئيس : نُحضِر مارينوس ونستجوبهُ ، فان اخذناهُ باقراره او بما يؤيد اتهامهُ حملناه على اشدّ العقوبات القانونية والّا فهو لدى العدل براءٌ . ونحن في الحالين شركاؤك في الاسف لهذا الحادث المشؤوم . لان بيتك الكبير عندٌ قويٌّ لديرنا من عهدٍ بعيد . قال كنعان : لا اشك في صدق مودّتك ولسانك. عسى هذا الحادث لا يصير علّةً لهدم بناء شُيّد على اساس الصداقة والمبدأ والدين . استدعِ الراهب لنسمع ما يقوله في التحقيق معه . فبعث الرئيس من يدعوه ، وانطلق كنعان يقول : آهٍ يا ابانا ما أمرَّ خسارة الكرامة والصيت في نفس الرجل الكريم . لو انَّ النار التهمت بيتي وايدي الجور ضبطت املاكي وبليتُ بما بُلي به ايوب في دهره ولم يلصق بعرضي الدنس لهان عليَّ البلاء لما بقي لي من حسن السمعة بين الناس . اما وقد رُزئتُ باقدس ما عندي واكرم ما احتفظ به لكرامتي فصار الموت احبَّ اليَّ من الحياة .. فرثى الرئيس لحاله

وعالج ان يهون البلاء عليه وقال : لا يعظم الخطب في نفسك فهذا شأن البشر في كل عصر ومصر . وان في المحن لتمحيصاً للفضيلة وفي الصبر لدليلاً على سمو الهمم وكبر النفوس . وما يُسقط الانسان من كرامته الا ما اراده من عار وسعى اليه . وانتَ بريء من خطيئة غيرك لدى منبر ضميرك ومنبر ديّان البشر وفي حكم ارباب العقول .

وبينا هما في هذا الشأن حضر مارينوس وقال لبيك يا ابانا الرئيس ، فسأله الرئيس : هل تعرف هذا الرجل ؟ قال : لا . لاني عاهدتُ عينيَّ الّا تنظرا في وجه انسانٍ فانا اعرف النــاس من اصواتهم لاني ابصرهم باذني لا بعينيَّ . فحملقَ فيه كنعان وقال : زهْ زهْ ، من رأى قط مثل هذا الدهاء . اما تعرفني يا مارينوس ؟ فلبث مطرقاً على دأبه واجاب : بلى . من صوتك عرفتك انت كنعان رزق صديق هذا الدير المحسن اليه . قال الرئيس : قلت انك لا تعرف الناس الّا من اصواتهم أفأنتَ تبصرُ باذنك ؟ قال : تقدمتُ فقلتُ اني عاهدتُ عينيَّ الّا تنظرا الى وجه انسان . وانا على هذا العهد منذ اتيتُ هذا الدير فهل رآني احدٌ اوجه نظري اليه ؟ قال الرئيس : وضحت حجتك : لا رأيناك مرةً تنظر الى احدٍ منا ولا عرفنا حتى اليوم لون عينيك ، لانك لم تحدّث احداً الا كنت مطرقاً تنظر الى الارض ، وها انتَ الآن مطرقٌ على عادتــك . فهزّ كنعان رأسه وقال : هوذا جلدُ حمل على جسم سرحال .

وقال الرئيس : هل تذكر ليلة مبيتنا في منزل الشيخ كنعان ؟ قال : نعم . قال : رأيتُ كنعان وخادمة ونفراً من اهل جيرته — قال كنعــان : أرأيت كيف يتحشى الاتيان بذكرِ مَن يهوله ان يذكره ؟ وعــاد الرئيس يستجوب مارينوس قال : ألم يكن ثمَّ احد غير هؤلاء الذين ذكرت ؟ قال : بلى . ابنة كنعان ، قال : لماذا لم تذكرها في مَن ذكرت ؟ قال : توهمتُ انك لا عنها تسأل لانها ربّة البيتُ فذكرها من قبيــل العبث . — قال : ماذا وقع لك في تلك الليلة ؟ قال : ما يقع لي في كل ليلة ، قال الرئيس قل ما وقع لك مما لم يقع لك في غير تلك الليلة — لا شيء . الم نكن كلانا معاً في ضيافة صديقك ؟ فما عسى ان يكون الشيء الذي حصل من كرمه غير مــا حصل لك وكنت ترى وتسمع ما اراه انا واسمعه .

قال الرئيس : لا عن هذه الشؤون اسألك . اما وقع لك شيء يشقّ عليك ان تكشفه ؟ — باطني مكشوف لرئيسي كظاهري . — اما حدث لك ما يكدّر صفوَ ضميرك ؟ — لا عصمة لانسان تحت السماء لكنني لا اعلم اني اتيتُ امرًا على خلاف إرشاد الضمير . — يا ابني ان الجسد ضعيف والانسان هدفٌ للتجارب ما دام في انفهِ نسمة حياة . وعلى قياس ما يرتقي في سلّم الفضائل يتنطّس ابليس لاسقاطه واصطيادهِ ، فان كنتَ قد عثرتَ فلا يعقك الخجل عن الاعتراف بعثرتك . لا تنسَ انك تلقاء ابٍ يحبّك ويرثي لضعفك ويرحمك — ففطن مارينوس الى ان الباعث على هذا الحديث الإظنان به ، فقال في نفسهِ هوذا فرصة سانحة للتشبّه بيسوع في احتماله العارَ والهوان والسبَّ والشتم واللطم والهزء والتعيير حتى الموت مصلوباً بين لصين ، ومع كونه بريئاً وقادرا على حطم حسّاده وصالبيه وتبرئة نفسه امام قضاته الظالمين سلّم نفسه الى ايدي قاتليه كخروفٍ تحزُّ عنقه سكين الجزّار وهو لا يفتح فاهُ . اجل ! اني لم اعرف بعد حقيقة التهمة المراد الصاقها بي لكني ادركتُ انها تهمة بفعل قبيح ، وكونها زورًا وافتراء يزيدني سرورًا بها ليكون صبري عظيماً وأجري أعظم عند الحاكم العادل العالم بطويات الصدور . وعقد العزمَ على التسليم الى مشيئة الله والرضا بايّ حكمٍ ظالمٍ يُبرز في حقهِ . وعند ذلك فتح فاهُ واجاب قائلًا : ان كنتُ استحي بخطيئةٍ امام الناس فلأن استحي بها امامَ نفسي وامام الله أولى . لكنني لا املك الّا القول مع النبي : بالاثمِ صُوّرتُ في بطن امي . قال الرئيس : هذا كلامٌ لا يفيد اعترافًا بخطيئةٍ معيّنة . ألم توائبك ولا تجربة في بيت صديقنا كنعان ؟ قال : لا إخالك تسومني الشكاية على نفسي زورًا باثمٍ لا اعرف اسمه ولا جنسه ولا مادته — قال : حسبكَ مراوغة فانك لن تبرّئ نفسك بمثل هذا الكلام . — قال : لا مراوغة في نطقي ولا انا محاولٌ تبرئة نفسي من ذنبٍ . العلي متهمٌ بمنكر ؟ قال : باقبح المنكرات . قال : تمجدتَ يا الله . بايّ مُنكرٍ يا ابانا الرئيس . قال الرئيس : تكلم يا كنعان . فوجّه كنعان الى مارينوس نظرة حاقدٍ مزدرٍ وقال : ماذا فعلتَ بابنتي يا فاجر يا خالع الحياء ؟ فرفع مارينوس عينيهِ جهة السماء وبارك الله الذي اهله لاحتمال هذا الشتم المهين . ثمّ قال لكنعان : ماذا فعلتُ ؟ قال : ماذا فعلتُ ! دخلتَ

بيتي فاكرمتُ مثواك وأحللتُ ما عليك من ظاهر التوحد ومخافة الله . حسبتك ملاكاً يجلب الينا البركة والسلام ائتمنتك على الثمن واعزّ ما لديّ فكذّبتَ ظني وغدرتَ بي . افترستَ عفاف ابنتي العذراء. وقذفت بي الى اعمق هُوى التحسّر والشقاء . مزّقت عرضي تمزيقاً لا يُرقّع وألبست اسرتي عاراً لا يُمحى وانتَ على ذلك تحاول ان تحيك ستراً لفضيحتك الشنعاء . — فاعتصم مارينوس بالدعة ورباطة الجأش وقال : أتجربني تشاء ام هذا كلام ترسله في سبيل المزاح؟ — فاستشاط كنعان غضباً وقال : ويحكَ يا خبيث ما شأني معك فاجرّبك ، ومتى اسمتك مزاحاً ، وهل يُمازحُ في مثل هذه الشؤون ؟

قال : هل اثبتّ الجريمة عليّ وبماذا ؟ فدلف كنعان الى الباب ونادى : منصور . منصور . جئ بالولد . فلمّا اتى به . التفتَ كنعان الى مارينوس وقال مشيراً الى الطفل : هاك اثبات جريمتك . هذا الطفل ابن خطيئتك الخسيسة ايسعكَ الانكارُ بعد هذا الوضوح ، من اين هذا الطفل ولم يدخل بيتي رجل سواك . وباسمك تصرّحُ ابنتي فريسة اغرائك اللئيم ، فلبث مارينوس معتصماً بالصبر لا يبدو عليه شيء من الاضطراب وقال : ان اذن الله بان يلحق بعبده هذا العار فانا اقبله بملء الرضا والسرور .

قال الرئيس لكنعان : قد كنتُ لمتك لخروجك عن حدود اللياقة الذي رميته عن قوس الغضب امّا وقد رأيت هذا الطفل فاعذرك واكاد انا نفسي اصير الى ضيق صدرٍ يخرجني عن الوقار ، فلو كانت الفضيحة مستورة لكان الامر اهون علينا وعليك. غير ان جسامة الفعل لا اراها تعزّز اتهام مارينوس بل تضعف البيّنة عليه . لان ماضيه نقي لا يتفق وهذه الفعلة الفحشاء . عرفناهُ يتأثّم من غشيان اصغر الصغائر فكيف نقدّر سقوطهُ فجأة في اكبر الكبائر . ان التهمة لا تزال محفوفة بالغموض . فإمّا ان يؤخذ من اقرار فمه واما ان يدعم اقرار الفتاة ببيّنةٍ لا تُدفع والّا فانه بريء اقلّه تجاه القضا . قال كنعان : قد يفعل الرجل منكراً على عيون الناس فاذا قيل له اجاب بالانكار فكيف اذا غشيَ المنكر في طيّ الخفاء . الا اين نجد شهوداً لفاحشة وقعت في خلوة وتحت ستار الظلام . فما دامت الفتاة مصرّةً على اقرارها لا تنفك الجريمة عالقة بالغريم المتّهم . قال : لماذا نصدّق الفتاة المتّهمة ولا نصدّق الراهب المظنون .

قال : لان عارها واضح وعاره خفيّ. فكذبها لا يبرّئها وكذبه قد يبرّئه. قال : قلتُ انَّ في القضية غموضاً فلا املك قبول التهمة في حقّ راهب يُثنى على تقواهُ وقداسة سيرته بكل لسان . فان شئتَ ان اجمع مشيريَّ وشيوخ الرهبان للنظر في دعواك فعلتُ — قال : افعل . فاستدعى الرئيس ستة من النساك الشيوخ وقال لهم : مُنينا يا اخوتي بتجربةٍ صعبةٍ تقصم الضلوع وتستنزل الدموع . هذا صديقنا كنعان الساعة يشكو اخانا مارينوس بفعلة سوء انتجت هذا الطفل الذي ترونه على ذراعَي منصور .

فصاحوا كلهم بصوتٍ واحد : العياذ بالله ، العياذ بالله ، ان قداسة مارينوس في معصمٍ من التهم ، ليس في نساك هذا الوادي من يغالي في تذليل الجسد وكبح شهواته كهذا الناسك الشاب الذي يحمل الآن عليه اهل الظلمة باسئة الافتراء . وقال آخر : لا تُقبل شكوى على راهب ما لم تؤيدها شهود وبينات. قال الرئيس : امَّا الشاكي فالشيخ كنعان وامَّا البيّنة فهذا الطفل وزعم امه الاثيمة وليس على اثم السفاح من شهود . وقال اخر : من طبع المرأة الكذب والافتراء في مثل هذا الحادث الخسيس ، ووجَّه الى مارينوس هذا السؤال : ايوسعك ان تدفع التهمة وتثبت براءتك ؟ ففكر مارينوس في نفسه وقال في قلبه : ان قلتُ الحقَّ اثبتُّ نقاوة كفي وخسرت اجر صبري على الجور ، وان انكرته كذبتُ فالصمت افضل الخطط الثلاث. سكت هنيهةً ثمَّ قال : ان شاء الله ان يدفعها عني فليس على قدرته عسير . فقال احد المشيرين : جميلٌ بالراهب ان يتوكل على الله ويسلّم اموره اليه كل حين ، لكنَّ موقفك الآن موقف مظنون امام قضاةٍ فان استطعت ان تبرّئَ نفسك فافعل والا قبّحت سمعتك وسقطت من رتبتك ولم نسلم نحن من عارك وان كنا ابرياء . قال مارينوس : اذا كنت بريئاً في عين الله فما ضرني ان اكون آثمَ الخلق في عيون الناس . قال كنعان : ما سمعنا من فمه جواباً الّا وكان مفرغاً في قالب الابهام ، اما كفى بارتباكه وخنوعه الباديين حجةً عليه ؟ أجابه الرئيس وقال : من الراسخين في تقوى الله الثابتين في محبته من اذا ناله ظلمٌ لا يحب ان يدفعه وان قادرًا على دفعه لان صبره على الاضطهاد يزيد في اجره المنتظر من عدل الله . فاذا سئل في مثل هذا الموقف يجيب بكلام لا يلامسه الكذب ولا

يسطع من خلاله الحق . قال كنعان : الفعل مفعولٌ والمرأة تمين الفاعل باسمه وهذا يلف اقراره بالغموض وانا ما يجديني هذا الاستقصاء بعد ان تمزق عرضي وامسيت معرَّة بين الناس . ولو شئتُ انتقاماً لرفعت شكواي الى القضاء المدني واستصدرت الحكمَ الذي أشاء . لكنَّ العفو عند القدرة اجمل خلقٍ في الرجل ، فها انا احيلكم عبء هذا الطفل الذي لم يسع إمّه ان تعطف عليه اماً ابنتي فتؤدَّب وتتوب ، غفرت لراهبكم مجرماً او بريئاً فتدبَّروا امره على ما ترون. والتفت الى خادمه منصور وقال : ألقِ هذا الطفل عن ذراعك واتبعني ففعل وانطلقا .

حينئذٍ خاطب الرئيس مشيريه قائلاً لهم : كلكم آسفون لنزول هذه الكارثة بصديقنا كنعان ، ومع انها قد حطمته حطماً كصاعقة انقضت عليه ابت مروءته الّا ان يرعى عهدنا فلم يشأ ان يشهّر راهباً برفع شكواه الى القضاء المدني رعياً لحرمة الديانة وصوناً لسمعة الرهبان . فقال احدهم : اجل لقد تصدعت اكبادنا اسفاً ، ولكن ما فائدة الاسف . قال الرئيس : ما نصنع وقد نفذ المقدور . ما رأيكم في مارينوس أيستوجب تأديباً وفي هذا الطفل من نقيم عليه ? قال مشير: ينبغي ان يُقطع العضو الفاسد حرصاً على الجسم من تسرب الفساد اليه. فان لم يعاقب المجرم اعتزّت الرذيلة وذلّت الفضيلة واستفحلت الشهوات . — وقال آخر : لا نعاقب اخانا اخذاً بقول بنتٍ خاطئة . وقال آخر : فليُسأل مارينوس مرةً اخيرةً فنرى ما يترتب على جوابه من تبرئةٍ او قصاص. فتكلم الرئيس الى مارينوس قال : إنَّ ماضيك يشفع بحاضرك فان كنت مذنباً فاعترف بذنبك والله غافر للتائبين ، وان كنت بريئاً فاعلن ببراءتك لتدبّر امرك على نور الحق ولا تحمل وزرك بإيجاب قصاص عليك. قال مارينوس : خطاياي اكثر عدداً من شعر رأسي. قال : اذن انت معترفٌ بخطيئتك. — قال : الله ادرى بمكنونات الصدور واعلم بسالك الانسان. — قال : اوَ تقبل مايوجب عليك من كفارة قاسية ? قال: بكل ارتياح، فانه لا يحسن بنا ان نقبل عطايا الله ونتذمر من بلاياه يوم الافتقاد . وبعد ان تفاوضوا طويلاً في شأنه قال مشير : لقد بدا اعترافه بذنبه فلا يحسن بنا ان نخليه ساكناً في ديرنا وقد صار كحجر عثارٍ وصخرة شك . فتصدى له مشيرٌ آخر وقال : ان الله يريد رحمةً لا ذبيحة،

الحضور للرحمة ... يدعون ثم عوض الامر الى راي الرئيس . فقال : ان الرحمة لا تنافي العدل وقال لمارينوس : يا ابني لم تستطع او لم تشأ ان تبرّئ نفسك فانا أحماً بمشورة هذا المجمع وجرياً على تقاليد آبائنا القديسين اقضي عليك بقدّ ثوبك الرهباني وقطعك عن شركة الرهبان. ودنا ليقدّ ثوبه فجثا على ركبتيه ضارعاً باكياً واخذ يقول : بحيثك يا ابي ، بمحبة يسوع المسيح لا تنزعنّ عني هذا الثوب المقدس الذي اشتريته بثمنٍ غالٍ ، خذوني حياً الى القبر مكفّناً بهذا الثوب الذي بعت كل شيء واشتريته لالبسه بفخرٍ في الدير والقبر. اشفعوا فيّ يا آبائي واخوتي واجبروا قلبي الكسير ، يا دموعي اغسلي هذه الارض التي ربّما نجّستها بخطاياي ، فرقّ له جميعهم وطلبوا الى الرئيس ان يبدل قصاصه بقصاصٍ اخفّ . فقال لمارينوس : لا ننزع عنك الثوب بل تُخرَج من الدير معزولاً عن الاخوة في مغارة وتربّي هذا الطفل مقيماً معك الى ان يبلغ السنّ السادسة وبعد ذلك يُنظر في امره ويُؤذن لك بسكنى الدير ان اردتَ ، فبل تقبل هذا القصاص. فسرّي عن صدر مارينوس بعض غمه . واجاب : طوعاً يا أبي وسأزيد عليه بنعمة الله وأيده القاوي . — قال : فاحمل ابن خطيئتك واخرج الى كيف تختاره ونحن نحمل اليك القوت ونسأل الله ان يتقبل توبتك ، فأخذ مارينوس الطفل على ذراعه وقال : شكرًا لك يا الله على كثرة رحمتك اليّ ، صفحاً ايها الآباء ، وداعاً ايها الدير المبارك المحبوب . هيهات ان اعود حياً اليك ، وانطلق لسبيله مطرقاً متلفعاً بثوب الذلّة والهوان ، مكتئب الوجه متهلّل الفؤاد .

ساق مارينوس ملاكُ الرب الى كهفٍ على مسافة ميلين من الدير في بقعة صخرية تتجافى عنها الاقدام لوعورة مسالكها . مكث في هذا المسكن الجديد ستة اعوامٍ لا يرى وجه انسان غير الطفل الذي أُجبر على تربيته . ولا يخرج من كهفه الّا ليجمع قوته من نبات الارض وحطباً للاصطلاء بناره في صبّارة الشتاء . وكان في بادئ الامر يُحمل اليه القوت من الدير اسبوعاً بعد اسبوع فرأى ان التغذي بعشب البرّية ابلغ في قهر الجسد فسأل ان يقطع عنه طعام الدير لكرهه ان يأكل من تعب غيره مع قدرته على تحصيل قوته بكدّ يديه فأُجيب ملتمسه ، وكان يذوق في خلوته لذّة روحية يعجز عن وصفها اللسان ،

ولم يكن لصلاته انقطاع ومتى اغرق في التأمل يحصل له انجذاب وغيب عن الحواس فيذوق وهو على الارض ما يذوقه من اللذات العلى اهل السما. لا انيس له ولا جليس في مغارته الخالية من كل اثاث وماعون الّا ذلك الطفل الملاك، فكان لا يترك الصلاة الّا مضطرًا للاعتنـا. بشؤونه، وكان انه وهو يلاعبه عشية يوم رأى النعاس يكحل اجفانه بالذبول فاخذه الى فراشه وجلس الى جانبه [illegible] متمطّطا في كلامه بصوت رخيم يلقي في السمع خدرًا من رقة القلب واحد : نَمْ ايها الملاك الصغير . نَمْ على هذا الفراش الذي هيّأته لك يدي من نبات الار[illegible] الجميع، انتَ كعصفور تخلّى عنه ابواه فسخّرت له العناية الربانية حاضنًا تقوم عليه [illegible] نَمْ . استرح وانمَ وتمتّع بما لذّ من الاحلام . فلتلاعبك الارواح الصالحة متراثية لك في مثل سنك الرطبة وجسمك الصغير . لا تلتمس قوتك بالبكا. ولا يكن شرابك من مدمعك، فان الذي يقوت صغار الغربان المهملة قد نظر في حاجتك الى القوت فأخرج لك لبنًا من تدييي بمعجزة فريدة كما اخرج الما. من صخرة صمّا. لشعبه اسرائيل . ثم تأمل في عيني الطفل وقال : قد استغرق في النوم فلنمن في الصلاة . وجثا على ركبتيه ورفع الى الله هذا الدعا. :

اللهمَّ يا باسط الارض ورافع القبـة الزرقاء، اني اشكر لعنايتك التي غمرت جميع ايام حياتي بالحسنات، حلّت من وثاق الدنيا يديَّ . وسهّلت طريق البرّ لقدميَّ وارشدتني الى مواطن محبتك وخدمتك وحبّبت اليَّ التزهّد والعفاف. واختطفتني من ايدي الغنى والجاه البـاطل العالميْ . وساقتني الى خلوة التأمل والصلاة . ثم حسن في عينيك يا كريم فاعلنت قدرتك بضعفي وحقارتي فنلت بها كرامة ومكانة في القلوب . صنعتَ على يدي آيات شفاه واريتني خاليَ الصدور . ولكي لا اذهب مع الخيلا. وتزلّ بي القدم على مزالق الافتخار امرتَ فوافتني الرزايا واحاط بي لهيب الامتحان لكنك لم تبلني بما يفوق الطاقة بل رحمتني فجعلت لي من كل تجربة مخرجًا امينًا، ولما نُفيت الى هذا الكهف وجدَ عليَّ ضغط الوحشة اسقطت ندى تعزياتك على نفسي الجافة فانتعش عندي الرجا. وتحوّلت الوحشة الى انس. والمرارة الى حلاوة، وكان يمضّني ان يموت هذا الطفل من سوء الكسوة والغذا. فاعطيتَ صدري لبنًا لقوته وسخّرت بسائر

محبته وحوش الغاب وطير السماء . وها قد ادرك الربيع السادس وهو على امتلاء عافية واطراد نمو في الجسد والروح ، وقد عرّفته اسمك القدوس وغرست في في نفسه اللينة مبادئ ديانتك الطاهرة ودرّبت اوائل خطواته في سبيل وصاياك وارجو انه بنعمتك سيكبر على محبتك وينتهي الى نعيمك الابدي. اعطيتني كل هذه النعم السنية هبةً من لدن كرمك بدون سؤالٍ ولا استيهال . افتأذن لي ان اسألك اليوم واحدة تشتهيها نفسي . اني في ظمإ الى مشاهدة عرش مجدك يا سعادة القديسين ، فقصّر ايام غربتي فقد اجتزت الشوط واشتدَّ حنيني الى الوطن ، فاستجب لي يا رب ولينفذ دعائي الى مسمع رحمتك يا رحيم .

وبينا هو يناجي الله وعقله مرتفع الى السماء اذا قادم وقف في مدخل المغارة وقال: سلامٌ ايها الناسك الجليل . فاجفل مارينوس والتفت جهة الصوت واجاب: سلامٌ يا اخي . ولم ينظر في وجهه وسأله مَن تكون وما بغيتك؟ قال : انا حرمون بن ملكون من قرية في البقاع الشرقي ، سئمت الزراعة مهنة ابي وشققت عصا الطاعة وخلستُ من ماله ما وصلت اليه يدي وهمتُ على وجهي في بلاد الله تتقاذفني الاماكن لا استقرُّ في مكان ، ولي قصة مؤلمة اتيتُ لاقصها عليك . قال مارينوس : لا شأن لي في قصص الناس وقد آليتُ ألا احدّث انسانًا الّا لضرورة ماسّة . قال حرمون : لا أُثقلك بحديث طويل وما باعثي على تحديثك الّا نخس ضمير ينغّص عيشي ويُقصي عن نفسي السكينة والسلام . قال مارينوس : أنفس كربك ان استطعتَ . فتكلم ، قال : اسأت اليك لان لي يدًا في ما نالك من هوانٍ وضنك . قال : وكيف كان ذلك؟ — قال : خطيئتي عظيمة الى الله واليك ، انا فاعل الفاحشة التي وُجّهت زورًا اليك . نفد ما كان معي من مال ابي فمضيتُ اطلب عملًا فاستأجرني كنعان الذي تعرفه لاعمل في بستانٍ له في طرابلس واسكنني في بيت قائم في البستان ، واعجبه ما رأى من امانتي ونشاطي ومهارتي في تربية الشجر فرتّب لي اجرةً ذات بال واكرمني بالمنح فاصبحت موضع ثقته وبمنزلة واحدٍ من بيته . وكان اذ يجيء الى البستان ترويحًا للقلب تصحبه ابنته اسماء وهي صبيّة ذات وجهٍ بشوش وثغرٍ باسم وجمال رائع ، فيأنسان بي ويجلساني ويسمعان حديثي بارتياح . وصارت اسماء تجيء وحدها احيانًا فنتحدّث كاخوين . فاستحكمت بيننا

المودّة وتحوّلت الى رغبة في اتحادٍ حلٍ بعقدٍ لا يحلّه غير الموت. لكننا استوعرنا المسالك لما بيننا من تفاوتٍ في المحتد والثراء. واستصعبت ان تفتح قلبها على ابيها وكذلك انا بالاحرى. وقامَ في وهمنا ان الطريق الغير المشروع فبلغتنا الى الغرض المشروع، وكانت ساعة شؤمٍ تتالت بعدها الغموم وتراكمت الهموم وبلغ مني الخوف مبلغه من قايين وقدمتُ القرار على الانتحار. فشقّ عليها فراقي وقالت: لا تخف ضراً فاني واجدةٌ لك مخرجاً يباعد عنك كل خطر. سأتهم الراهب مارينوس الذي بات ليلةً عندنا وتسلم انتَ من كل ظن. فاظهرتُ لها الرضا، وما لبثتُ ان انطلقتُ خفيةً الى حيث لا تراني عينٌ ابصرتني من قبلُ.

تجوّلتُ مدى اربع سنين والخوفُ يتبعني اخاف حتى من حفيف الشجر وهبّ النسيم، ثمّ خطر لي ان اجتاز بالمدينة لاتنسّم الاخبار واعلمَ ايَّ اثرٍ كان ثمَّ لفظاعة ما فعلت، فتلطفت في الاستقصاء. فعلمتُ ان كنعان قد باع كل ما يملكه وانفق الثمن في وجوه البرّ واعطى بنته نصيباً وارسلها الى دير تمارس فيه التوبة وتوارى هو عن الانظار فلا يُعرف اين يكون. وكانت ابنته قد اتهمتك لتحوّل الذنب عني اليك. فاسألك بمحبة المخلص يسوع ان تغفر لي انا الجاني عليك، وقد عقدتُ القلب على التنسّك في هذا الوادي المقدس تكفيراً عن اثمي الشنيع، واحبُّ ان يكون جثوي تحت قدميك مبتدأ حياتي الجديدة فتكون مغفرتك فاتحة سعادتي كما كانت خطيئتي فاتحة شقائك.

فاجابه مارينوس وقال: لا سيئة لك عندي ولا في قلب المسيحي موضع للحقد. امضِ في عزمك الصالح واطلب الحلَّ من اثمك في منبر التوبة باعترافٍ وندامةٍ صادقين، وانا اسأل اللهَ ان يغفر لك ويثبّتك في محبته الى المنتهى.

قال حرمون: امين. وسوف اخفف عنك من عبء هذا الصبي الذي اخجل اليوم ان اراه. باركني فاذهب باطمئنان قلبٍ وسلام. فباركه باسم الرب محب التائبين واستحلفه الّا يعلم احداً بمكان عزلته ولا بما دار بينهما من حديث. فقال حرمون: لك ما أردت وانطلق لسبيله.

استيقظ الولد من رقاده وقال: أمي انا جائعٌ هل عندكِ ما آكله؟ قال مارينوس. هلمّ اولاً أقبّلكَ فدنا منه وتلاثما وكان الرب يسخّر غراباً يحمل

بينما في يوم ربيعي ، دخل مارينوس من سباب فوجد الراعيين في موضع مألوف وكان قد جمع رزمة من عشب تعوّد أكله نيئا وجلسا يأكلان ثم صليا صلاة الشكر بعد الاكل ، وانهما لكذلك اذ سمعا صوت قادم يقول : الشكر لك يا الله لانك هديتني الى ضالتي المنشودة بجهدٍ عظيم . فساء مارينوس ان يكشف الستر عن عزلته المحبوبة وقال بصوتٍ خفيض : خُرقت خلوتنا فينبغي ان ننتقل الى غيرِ هذا الكهف . وناداه صاحبُ الصوت ملقياً عليه تحيَّة الرهبان « المجد لله » . التفت مارينوس اليه فرأى عليه ملابس النسَّاك فاجابه : « المجدُ لله دائمًا » وقال في نفسه : كأني اعرف هذا الصوت . ما اشبهه بصوت كنعان . وجعل نظرهُ الى الارض وقال للرجل : مَن انتَ وكيف اهتديتَ الى هذا المكان ؟ — قال : ألم تعرفني يا مارينوس أإلى اليوم لا تنظرُ في وجهِ احد . انا كنعان الذي نالك منه الظلم على براءتك ونقاوة يديك . ويحًا لابنتي الماكرة فقد اركبتني في حقك مراكب التهوُّر والضلالة والانهيار . ففكَّر مارينوس متسائلًا أتراه قد اهتدى ايضاً الى مفتاح سرّي . ثم قال لكنعان بل غفر الله لابنتك فما كانت الّا اداةً في يد العناية الالهية التي تسوق كلَّ شيء الى نفع عبيدها المختارين .

فما هذه الملابس التي اراها عليك ؟ قال : ملابس امرىء خبر الدنيا فازدراها واعرض عنها وهام في القفار يلتمس رضا المولى الكريم . لباسه الوبر ووساده الحجر وفراشه التراب وغطاؤه لحاف الهواء .

قال مارينوس : ما جعلك تكبد نفسك صرامة هذا العيش الذي تدر الزمام عليه ؟ قال : خطيئة ابنتي التي وقع شرُّها ظلمًا عليك . — افأنت على على يقينٍ من براءتي ؟ قال : كلَّ اليقين — قال : من اين لك هذا اليقين ؟ قال : من فم ابنتي باقرار صريح . قال : ما هو اقرارها ؟ قال:ان مارينوس راهبٌ على حسب قلب الله،ان هو الّا ملاك في جسم بشري،ومبلغه من التصوّن انه لا ينظر البتة في وجه انسان . ولا يفتح اذنه لصوت اغراء . وقالت ان شريكها في الاثم تعاف التلفظ باسمه لما بينها وبينه من التفاوت تربيةً ومولدًا وكرامةً — قال مارينوس : ما حملها على هذا الاقرار الذي وددتُ لو انه ما حصل ؟ قال كنعان : مهازُ الضمير نغّص عليها العيش وذكّرها بالواجب والثواب

والعقاب . رأت في بادئ الامر ان اتهامك اقرب الى التصديق من اتهام شريكها الدني، وساءها منك ترفعٌ كان حقه ان يسرها لو فطنت فكان انها اتهمتك تشفيًا منك وسترًا لصاحب الجريمة الخسيس، فلما جاءت الى الدير ورسخت قدمها في التوبة وسلَّط الله عليها بلاءً قاصمًا رجعت الى نفسها واستفحشت إقدامها على اتهام البري. فاستدعتني واعترفت لي بحقيقة الواقع فاتضحت براءتك ووجب عليَّ الاعلان بها لدى رهبان ديرك، لتردَّ عليك كرامتك ويعظم فضلك وتبرز من غلاف الظنون المشقة [illegible]ك ونزاهتك ويذهب صبرك مذهب المثل تتحدث به الاجيال . وها انا اسألك الصفح عن تسرعي في الشكاية منك وتسببي لك ما قاسيته من ذلٍّ وعار وهوان . قال مارينوس: انا الذي اخترتُ لنفسي هذا الحظ ، ولي به فرحٌ عظيمٌ ونعيم . هل أطلعتَ على حقيقة الحادث احدًا من الرهبان ؟ قال : اردتُ ان أحدث الرئيس فابى ان يسمع لي وقال : ليس مارينوس فينا فلا نحب ان يؤتى على ذكره بخير او شر . فطابت نفس مارينوس وقال : نِعمَ الجواب ! فما حال بنتك اليوم ؟ قال : هي راهبة احتلّت مخافة الرب قلبها فاصبحت تتحلى بذكر فضائلها الافواه . قال مارينوس : فليؤتها الرب الثبات الى المنتهى ويجعلها بثواب التائبات في السماء . وانت يا كنعان لا يغمك شأن التهمة التي رموني بها عن قوس الافتراء . فانها قد عززت صبري وعظَّمت أجري ، ولعلها في حكمة الله ضمانة لخلاصي وخلاص بنتك وخلاصك انت ايضاً بما صرتَ اليه من تغير النظر في بهرج الحياة . فاعكفْ على خدمة الله بالطريقة التي تحرَّيت وكنْ من جهتي خالي البال مرتاح الضمير. فاني غافرٌ لك ولابنتك من كل القلب بل اعدُّ نفسي مديونًا لكما واسأل الله ان يجزيكما خيرًا لقاء احسانكما اليَّ . قال كنعان : سبحان الله الذي غرس في نفسك البارَّة كل هذه الاخلاق الكريمة والفضائل الباهرة . أما تأذن لي بان آخذ هذا الولد اليَّ فأُزيل عن عاتقك اعباء تربيته ؟ فوثب الولد الى مارينوس وطوَّقه بذراعيه وقال لكنعان : لا . لا . انا لا اذهب معك . فقال مارينوس : لو شاء الله ان يقيم غيري على هذا الطفل البريء لما قيَّض وصوله اليَّ . انه لفخري لدى الله كما انه لخزيي في عيون الناس . قال كنعان : لنا مقيمٌ في مطارة على مسيرة ساعة من هنا. فان حسُنَ في عينيك ان نتلاقى احيانًا

وما عندها تحب . واجاب ماربنوس وقال : تحيي على وشك معيب . الى الملتقى في الوطن السعيد . قال كنعان : وقيت الملل ولا عجل اليك الاجل . حسبنا ان نكون واحدًا في محبة المسيح . وودَّعه راجعًا الى مكان نسكه .
حينئذٍ خاطب الولدُ ماريتوس قال : أمي : هذا انسانٌ مثلنا ، اهوَ من الناس الذين قلتِ لي ان الله براهم ليعبروه ? قال : نعم يا ابني . والناس كثيرون كنجوم السما. . قال : اين يوجدون . ــ على سطح المعمور . – لماذا لا اراهم أجمعين ? لانك في بقعةٍ من الارض صغيرة جدًا ، ولا ساكن فيها سوانا . ــ لماذا لا يجيء الى مغاورهم فنراهم ? –لانَّ الله يريد ان نمكث في مغارتنا ولا نخالط غيرنا . ــ وهم لماذا لا يأتون الينا ? ــ لانهم لا يعرفون الطريق . ــ انا ادلّهم على الطريق . ــ وانتَ مَن يدلّك على طريقهم ? ــ انتِ . ــ انا احبُّ ان امكث هنا مع الله ومعكِ . – انا كذلك احبُّ ان امكث مع الله ومعكِ . ــ قالت : اخرج الآن واجمع رزمة من الزهر من كل صنف ولون نقدّمها لامّنا العذراء . قال : ساجمع اجمل الازهار لونًا واطيبها ريحًا لاني احب كثيرًا امنا العذراء . وما هي الا هنيهة حتى عاد يركض مذعورًا وقال : أمي ! أمّي . اناسٌ مثلنا – قال ماربنوس : لا تخفْ . وارسل نظرهُ من الباب فابصر الآتين فارتدَّ على اثرهِ رقبع في اقصى مغارتهِ وهو يقول : ما شأن هؤلاء معنا ?

وقف امام المغارة ثلاثة رجال تقدَّم احدهم الى الباب وسرَّح نظره في الداخل فرأى ماربنوس والولد فلم يتميزهما لضآلة النور فظنَّهما خيالين فارتعب وقال : ابشرٌ هنا ام جنٌ ? وناداهُ احد الرجلين الآخرَين : ان انظر يا قاسم لعلَّ الغزال قد لجأ الى هذا الكهف . فاجاب قاسمُ وقال : لا اثر هنا للغزال انما هنا ما ينفرُ الغزلان . هلمَّ انظر بعينك يا اميرُ ، فتقدم الامير حمدان فلم يرَ الّا ماربنوس والغلام ، فصاح في ماربنوس وقال : مَن انتَ يا رجل ? قال : انا ناسكٌ منقطعٌ لعبادة الله في هذا القفر . قال الامير حمدان : بل انتَ كافرٌ تعبد الشيطان عدوَّ الله . ــ قال : بل انا مؤمنٌ على دين المسيح . قال الامير : والله والنبي حبيب الله لئن عدتَ فقلتَ انك مؤمنٌ لاضربنَّ عنقك بهذا الحسام.

قال : عنقي لله فان أذن لك ان تضربه فافعل فان حياتي له وفي يده لا لي .
قال : ما جرّأك على الاقامة في ارضي ألم يبلغك ان هذه الارض ملكٌ للامير
حمدان ، لقد نجّستَ ارضي ونفّرتَ غزلاني من امامي وحرمتني افراح قنصي ،
فوالله لئن ضاع الغزال الذي رميته لانشبنّ نبالي في صدرك وصدر هذا الغلام ،
فاستولى الخوف على الولد واختبأ وراء مارينوس وهو يشهق في البكاء . وخاطب
مارينوس الاميرَ حمدان يستميل عطفه قال : رفقاً يا سيدي الامير . كيف يكون
اني انفّر طرائدك من امام وجهك وانا لا اتخطى باب هذه المغارة خطوةً الى
الامام . ان كنتَ لا ترحمني فارحم هذا الولد الذي ما فعل خطيئةً تستوجب
الموت برشق النبال — قال حمدان : أأرحمك وانتَ تزدريني ، ما بالك مطرقاً
أتراني أحقرَ من ان تنظر اليّ . قال مارينوس : معاذ الله ان ازدري بمخلوق على
صورة الله ، فان اطرقتُ فلأني لا استحق ان انظر اليك . فهزّ حمدان رأسه
وقال : عذرٌ جميل لو صدق . وكان الامير قد أرسل حمدا احد رفيقيه في طلب
الغزال الجريح بين الادغال فاقبل بالخيبة والفشل وقال : يا سيدي فُقد الغزال ،
فتأفف الاميرُ وقال : هذا يوم بؤس ونحس . ذهبت اتعابنا ادراج الرياح ،
غزالٌ واحدٌ عرض لنا رمينا جرحنا فلم نُصمِ . حملَ ونجا . أفنعودُ الى دارنا
خائبين . كل هذا الشؤم من هذا الناسك المشئوم . وصبّ سخطه على مارينوس
سبّاً وشتماً : ويلكَ يا بليدُ يا خبيثُ يا مراءِ ما كفاك ان تكفر بالله مشركاً
به حتى تتهرب من العمل المفروض على كل ذي بشر وتتربع في دست البطالة
نائماً على زند الونى طول ايام عمرك في مسارح الوحوش ، كأنك لا تدري اني
جعلتُ هذه البريّة حرَماً لتنمية الطرائد فاقتحمت حرمي ونجّسته وعبثتَ
بسلطاني وعزّتي واقتداري . فلانتقمنّ من وقاحتك واضربنّ عنقك واستلّ
سيفه مغضباً ليضرب . فجثا رفيقاه قاسم وحمد لدى قدميه يشفعان اليه في
مارينوس قائلين : باللهِ ورسولهِ المعظّم وتربة ابيك الا وهبتهُ لنا . فهمد فائرهُ
وقال لهما : غلبتما سخطي بالحلف العظيم ، وهبتهُ لكما على شرط ان يبرح هذه
الارض ولا يعود اليها . فان جئتُ في العام المقبل والفيتهُ هنا فدمه حلالٌ اروي
به تربة هذا الحرَم . فقال مارينوس : يا سيدي ليست حياتي بكريمة عليّ لاني
تائقٌ الى حياة افضل لا تنقضي ، ولي ملءُ الثقة بالله انه يتوفاني عمّا قليل فيكون

انك تعود فلا تحدني . فقال : عفوتُ عنك على الشرط الذي ألزمتُك ، لئن ارجع بعفوي فتدبّر . ثم انه مضى مع من معه في طلب ما يصيدون .

٥

جلس مارينوس والغلام يتحدثان فقال مارينوس : بُنيَّ لماذا خفتَ هؤلاء الناس وقد علّمتُك انه لا ينبغي ان نخافَ الّا الخطيئة لانها تقصينا عن الله ، فاذا حفظنا وصاياهُ ولم نخطأ اليه نكون معه وهو يكون معنا نحبّه ويحبّنا ويحيطنا باسوار حمايتهِ فلا يصل الينا اذًى ولا يواجهنا خطر .

وفيما هما في هذا الحديث اذا الرجال الثلاثة عائدون اليهما وللامير حمدان أنينُ تألمٍ يُسمع من بعيد ، ودنا قاسم من مارينوس وقال : يا رجل الله زلّت بامير قدمه فزاغ عظم وركهِ عن موضعه فأُغمي عليهِ من شدّة الالم فلمّا عاد وعيه قال : بعدلٍ جوزيتُ لاني خاشنتُ ذلك الناسك واوسعته شتماً وتهديداً وهو يلاينني صابراً على خشونتي ، احملوني اليه لاسأله الصفح فلعلّ الله يشفيني بدعائه ولا يعاقبني باشدّ من هذا البلاء ، فاتيناك نطلب صفحك عنه ونلتمس دعاءك له بالشفاء . فانَّ الله يَسمع لك لانك من اوليائه الصالحين . فهلّا تقبل شفاعتنا فيه وقد اتاك نادماً على ما فعل ؟ وكلّمه الامير حمدان خاشعاً وقال : ان رفعتَ ألمي وهبتك هذه الحقول كلّها ملكاً لك لا منازع لك فيه وحملتُ اليك من المال والتحف ما يجعل مغارتك قصرًا تتوفر لـك فيه كلُّ اسباب الراحة والرفاه . ـــ قال مارينوس : بقوّة الله لا بقوّة حقارتي تنال الملتمس . امّا حقولك ومالك وتحفك فلا شأن لي فيها لان كنوز الارض باسرها احقر في نظري من حفنةٍ من تراب .

قال حمد : اشفِ اميرنا يا رجل الله واغنم شكرنا والاجر من ربّك محب المحسنين . قال مارينوس : ليأتهِ الشفاء من لدن الرب المتحنّن القدير . وبسط ذراعيه ورفع عينيه الى السماء ولفظ هذا الدعاء : ايها الآب السماوي الذي لا لا قياس لجودهِ ومراحمه لا تُحدُّ مجّد ابنك يسوع المسيح ليعلم الكل انه ابنك الحبيب الذي ارسلته لخلاص الجميع . وقال لحمدان : فلتَعُدْ جنبك صحيحة وليضمحلَّ الملك بقوة الرب يسوع المسيح . إمشِ على قدميك . فنهض لساعته ووثب ومشي مستقيماً وصاح وقد شمله الفرح واخذه العجب : ما هذه القوة التي

يمنحها الله لمحبيه. حقاً انك رجلٌ قديس. بكلمةٍ رددتَ عظمي الزائغ الى موضعه واقصيتَ عني ألمي المميت فباذا اجزيك في هـذا الاحسان العظيم ، قال : لا بقوّتي شفيتَ بل بقوّة يسوع المسيح فـاياه تشكر على احسانه اليك . قال حمدان : لك الشكر يا يسوع المسيح . وجثا لدى الناسك وقال : باركني يا رجل الله وانا واعدك بان احمي حقوق المسيحيين بكل ما لي من سلطة ونفوذ، فباركه مارينوس قال : بركة الربّ تشملك ورفيقيـك وذويكم وتفيض عليكم خيرات الارض ومـا ينفعكم من خيور السماء . فودّعوهُ وانصرفوا تاركين اكياسهم والسلاح وفي نفوسهم الاعظام لقدرة يسوع المسيح والاذعان بصحة الدين الذي اشاعه في المعمور بقوّة الكلمة والآيات .

=

فوجئ مارينوس بموجة برد في بدنه ودوران في رأسه واسترخاء في ركبتيه وانكماش في قلبه . فتلقّى ذلك بالفرح والشكر لله وجلس في فراشه يتمنى على الله ان يجعل يومه هذا الاخير من ايام غربته والاوّل من ابديّة وطنه السعيد والمحبوب الذي طالما ارسل حنينه اليه على اجنحة صلواته الحـارة المحلّقة في اجواء المحبة والرجاء صعوداً الى امام العرش الجالس عليه الحمل محمولاً على اكف القديسين الابكار يُسبح له كل من في السماء بهتاف الفرح : قدوس. قدوس. قدوس .

جسّ مارينوس نبضه وعدَّ من واحدٍ الى ثلاثين فوجده بطيئاً متقطعاً فطابت نفسه وقال : لقد دنت ساعة الفرج ساعة الانطلاق من حبس هـذا الجسد الكثيف . ما اسعدها ساعة ! ايها الموت المشتهى أسرع واكسر هذه الاغلال التي تمسكني في منفاي ، إحسر اللثام عن وجهك المحبوب ، فانت اجمـل في نظري من الفجر البارز من غلاف الظلام ، عجباً. ها انَّ الروح تنسلُ من الجسد وهو بنجوة من الألم . فاين غُصصك واين غمراتك يا موت ؟ أَلمْ يا ربّ هذا الجسد فاني لا استحق ان أُنقل الى لذّات نعيمك بلا وجع . وقـال للغلام : هات يا بُنيّ هذه المحبرة فاكتب كلمةً قبل الوفاة . فاتاه بها وبقصبة مروّسة، وقال : أمي . هل تموتين ؟ كيف تموتين . علّميني كيف اموتُ لنموتَ كلانا معاً . قال : ادنُ مني فاقبّلك ، فدنا فقبّلـه وضمّه الى صدره وكلّمه بصوتٍ

يرنحه خنو والاسى : انت لا تموتُ اليوم وسوف يعلمك كيف تموت يسوع المسيح . ومتى كبرتَ تصير خادماً لمذابحه تلبس حلةً جميلةً وتقرب لابينا الذي في السموات ذبيحة ابنه يسوع . فكلما قربتَ تلك الذبيحة المقدسة التمس من الرب راحةً وسلاماً لروح امك التي ربّتك وغرست في نفسك محبته ودربتك في رعاية وصاياه . حينئذٍ قبض مارينوس القصبة وكتب على رقٍّ وطوى الرق والقاه الى جانبه واحسَّ بدنوّ الاحتضار . دبّ البردُ في قدميه واخذ يتغلغل في بدنه . قال : هوذا الروحُ تنسلُ على مهلٍ ، ووضع يده على قلبه فقال: والقلب قد ناهز التلف ، وجسّ نبضه . فرأى انه على شفير التواري فقال : هوذا الدقيقة المشتهاة . وتناول صليباً من خشب الارز كان معلقاً بعنقه فقبله مرات والقاه على صدره وضمَّ جنبيه واسند ظهرهُ ورأسه الى وسادته الحجرية وجعل يناجي المسيح الذي شغف بحبه وحده طول ايام الحياة . قال : يا سيدي يسوع المسيح يا حبيب نفسي المنتقى من بين الوف . ما اجمل هذا الاكليل الذي في يدك يا مخلص العالم وديّان الانام. ألامتك الوضيعة هذا الاكليل، باذا استحقيته يا الهي السخيّ ؟ ما ابهى هذه العذراء المتحفة بالجلالة والضياء ! ما ابدع هذا الموكب المحيط بالملك الازلي . طوبى لكِ يا نفسي فقد فزتِ بازيدَ مما ترجيتِ واشتهيتِ . فاخرجي من عالم الظلمة الى عالم النور بسلام. يا يسوع ومريم ويوسف المعظمين الى ايديكم الحنونة ألقي نفسي المسكينة بكل سكون . وفتح فاهُ ثلاثاً واسلم الروح .

ورأى الولد ان امه قد سكتت فنادى : أمي ! أمي لماذا سكتِّ ؟ وهزّها من كتفها فوجدها هادئة فظنّها نائمة وجسّ يدها فاذا هي باردة فغطاها خوفاً عليها من اذى البرد وقال ادفأي يا أمي ، ونامي بهدوء وراحةٍ وهناء .

التفّ على المغارة غمام من بخور حمل الهواء عرفه الذكي عابقاً بالوادي كأنّ كل ما هنالك تحوّل الى طيب . واعطت الاجراس طنيناً مفرحاً مصحوباً بطربات الانغام . فدُهش الرهبان مما جرى وجعلوا يتساءلون ما هذا العجب ! أجراسٌ تطنُّ ولا قارع ولا موعد ولا ميقات ! ما هذه الانغام المطربة يحملها الينا الهواء مضمخةً اذيالهُ بالطيب ! ومضوا جهة مهبّ النسيم فانتهوا الى مغارة مارينوس ، فلمّا رآهم الولد هرب من وجوههم الى اقصى المغارة .

دنا راهب من مارينوس وحدق في وجهه فرأى نضارة الحياة واشراق البها. فلم يشك في انه حيٌّ وظنه مغرقاً في سبات نوم هنيٍّ. فناداه باسمه ثلاثاً فلم يجب فجثه وهزهزه فاذا جثة هامدة فقال انه ميْتٌ، وهذا هو سرُّ ما رأينا وسمعنا من عجبٍ خرجنا لنعرف سببه، لقد وهبنا الله قديساً عظيماً. فالحجر الذي رذله البنّاؤون صار عمدة في الزاوية. يا لقوة التوبة لدى الله محب التائبين! ووقع نظر احدهم على الرقّ المطويّ فالتقطه ودفعه الى الرئيس قائلاً: هاك يا ابانا هذا الرقّ لتنظر ما ينطوي عليه فبسطه الرئيس واعاده الى الراهب ليقرأ ما كتب فيه على مسمع من الكل فقرأ ما يأتي:

انا احقر عبيد الله مارينوس راهب دير قنوبين أُقصيتُ عن ديري بتهمةٍ فحشاء رشقتني بها أسماء بنت كنعان رزق فلم أشأ ان ادفع التهمة بالحجة الدامغة مع تدرتي على دفعها بكلمةٍ تسقط عن شفتيّ دون حاجةٍ الى شهودٍ وبيّنات فانني بنت عذراء لا غلام كما صوّرت في وهم الجميع الى اليوم.

فبهت السامعون وتبادلوا العجب قائلين: مارينوس بنتٌ عذراء! ما هذا الحادث الغريب! ومضى الراهب يقرأ بقية المكتوب واذان كلهم مرهفةٌ للاصغاء: قرأ ما يلي: انخرطت في سلك الرهبان الرجال بإلهام من الله لشأنٍ من شؤون حكمته جلّ وعلا، وتمّمتُ طائفة من الدهر بصحبة والدي المعروف بالاب مارون الاهدني، ومنذ صرتُ الى منفاي في هذا الكهف عكفتُ على عبادة الله بكل ما اوتيتُ من نعمته. وربّيتُ الولد الذي اتهمتُ باني ابوه فغرست في قلبه محبة الله ومخافته وخلال البرّ والصلاح، وها انا اتركه إرثاً لاخوتي الرهبان ليتمّوا تثقيف عقله وتهذيب قلبه ويمكّنوه من دعوته المقدسة التي وجّهتُ ميله اليها، واسألهم ان لا يأخذهم الاسف لما حلّ بي من ضروب الشقاء، لانّ ما عانيته من شدائد النفي وما نالني من الخزي والعار والهوان، به حصلت لي الزلفة لدى سيدي يسوع المسيح الذي اخترته عريساً لنفسي، وها هو قد تكرّم باخراجي منقّاةً من كور الامتحان لينقلني الى سعادة الملكوت، لذلك أنسى ما ورائي واغفر لكل من ظنّ انه قد اساء اليّ كائناً من كان. وان كانت لي سيئة تجاه احد فليمحها لي بيد المغفرة محبةً لله كما غفر الرب يسوع لجميع المقتدين بدمه الكريم.

فالى اللقاء يا اخوتي الاعزاء في مملكة السعادة وابقوا .

فبدا الاسف في وجوههم وتساقطت من عيونهم الدموع واخذتهم الحسرة فصمتوا واجمين .

ثم تكلم الرئيس قال :

الويلُ لنا يا اخوتي لقد رذلنا قديسة كبيرة وقضينا على بريئة قضاء ظالماً شديداً ، وغمسنا حياتها بالمرائر والاوجاع تسرعاً في القضاء وجوراً . فلنجثُ حول جسدها المكرَّم ونغسل قدميها بدموع الندامة آسفين .

سلوا ممي نفسها الطاهرة ان تغفر لنا خطيئتنا الجائرة وتشفع فينا لدى منبر الديّان الرهيب .

احملوا هذا الجسد النقيّ الى معبد الدير بكل اجلالٍ واحترام لنكفّنه بالرحمة والدموع وندفنه مكرّماً بجانب ابيه المأسوف على فضائله الجمّة الاب مارون . فيكون جسداهما ينبوعي بركة كما ان نفسيها لسانا شفاعةٍ في السماء .

فجثا جميعهم يصلّون ويلتمسون المغفرة من الله ، وفيهم ناسكٌ يُدعى جرمانوس جثا بجانب الجثمان وغطّى وجهه بكفّيه ورفع صوته بالبكاء واخذ يودّع الراحلة بهذا الكلام :

واعزيزتي مارينا وامهجة فريد ابن عمك المصدّع الفؤاد . واحرَّ قلباه ! لقد كنتِ السبب لزهدي في الدنيا وتقيدي بخدمة الله راهباً في هذا الدير .

ويحي ! فكنتُ محصوب العينين ، إذن ! عشتُ معكِ عدة سنين وحادثتكِ وجالستكِ وآكلتكِ وصلينا معاً وتعاطينا اشغالنا الديرية متعاونين وحملتُ اليكِ الخبز مدى اربعة اعوام اضعه على الصخرة المحاذية لكهفكِ المبارك ولا اراكِ ولا اكلمك ولا اعزّيكِ ولا اعرفكِ لان السلطة حرّمت ذلك عليّ . أي مارينوس اخي الذي احببته راهباً فوق ما احببته اختاً في دار والدينا المرحومين .

اذهبي بسلامٍ وسيجمع اللهُ بين روحينا بمحبةٍ طاهرة خالدة واتحادٍ نقيٍ لا يرنّق صافيه خوفُ الانفصال .

وبينما هم في هذا الشأن دخل اليهم كنعان رزق بغتةً وقال :

- يموتُ الصدّيق مُهاناً ويُدفن مكرّماً .

أبى الله ان تُدفن هذه البارّة قبل ان يُعلن برُّها على الملا .

لقد كنتُ احسبها رجلاً كما كنتم تتوهمون ، فصدّقتُ تهمة ابنتي فضللتُ ، فلمّا تكشّف لي الحقّ ندمتُ واستغفرت .

والآن إراحةً لضميري واستناداً الى اقرار ابنتي الاخير البعيد عن الكذب والمفرغ في قالب الصراحة والوضوح . اوضح حقيقة الواقع لكم وللتاريخ .

احبّت ابنتي مارينوس لجمال صورته وحملتها الوقاحة على مراودته فحمل عليها بقسوة الصدّ والتوبيخ فحنقت منه وحملت حقداً عليه ثمّ وقع لها الخنا مع شابّ متشرّد فلما انكشف سترها ، اتهمت مارينوس تشفّياً ، فاخذنا بقولها فكان ما كان .

فيا ايتها القديسة المكرّمة أبت فضيلتك ان تأذن لي بهذا الايضاح لبرئتك وانتِ في قيد الحياة فاغفري لي ولابنتي التائبة واستدي لنا نعمة الخلاص الابدي .

وحضر سمعان كاهن القرية التي يسكنها كنعان وصاح :

الصفحَ الصفحَ يا قديسة الله ، فانّ الرب منتقمٌ للكلّ من قريتنا بخطيئة واحدٍ من اهلها .

اشعل سخط الرب ناراً حول القرية تلتهم الاخضر واليابس .

- والريح تسوق اللهب جهة البيوت والخطر فاغرٌ فاه متحفزٌ للوثوب وانا كاهن القرية اتيتُ استعطفُ قلبكِ للغفران .

وايّها النسّاك الاتقياء ارشقوا شفاعتكم نحو السماء .

فدفع اليه الرئيس رداء القديسة وقال :

لوّح بهذا الرداء جهة القرية يكفّ الغضب وتطفأ النار وتسلم البيوت وقشة من محتوياتها لا تحترق .

فخرج الكاهن بالرداء وصنع بحسب الكلام الذي قاله له الرئيس وما عتم ان رجع فقال :

هنا قوة الله .

ما كنت انشر هذا الرداء المبارك حتى تراجعت النار عن القرية وطفأت وانمحت آثارها كنور شمعة تطفأه بنفخة فمك .

ما اعظم شفاعة القديسين وما اعجب ما يجري الله على ايديهم من معجزات .

حينئذٍ تعالت من افواه الجمهور اصوات التهليل والهتاف :

تمجّد الله في قديسيه فلتحيَ القديسة مارينا في تاريخ النسّاك مدى الاجيال وفي مقرّ السعادة والخلود في مملكة السيد المسيح الذي ليس لملكه انقضاء .

المشرق

السنة الخمسون — آذار – نيسان ١٩٥٦

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

وفي خريف السنة ١٥٦٩ لليونان (١٢٥٨ م) وصل بايجو نوين الى الموصل ولم يعث بضواحيها كثيرًا لان الملك الصالح بن بدر الدين صاحبها كان يومئذٍ قد عاد من خدمة هولاكو وزُفت اليه تركان ابنة جلال الدين خوارزمشاه واقامت لديه بزيّ النساء المغوليّات . امّا المواصلة فقد انهزموا واختفوا جميعًا ريثما انكشف عنهم بايجو . ثم ان علي بهادر بعدما عبر بايجو دجلة انقلب الى ملطية فاغلق اهلها الابواب ولم يمكّنوه من الدخول لانهم سبقوا فحالفوا ركن الدين . (٥٠٠) فحشد جيشًا من الأجاجرة ونشّم يحاصر المدينة وأمسى اهاليها في خوف وفي جوع شديدٍ حتى صار قفيز الملح باربعمائة قرش سلطانيّ والحنطة بسبعين . واشتدّ الجوع والضيق على الاهالي حتى انهم وثبوا في احدى الليالي

وفتحوا ابواب المدينة وادخلوا اليها بهادر واصحابه فأصعد الى منابر الجوامع جماعة ينادون بالامان للعرب والنصارى معاً . وطمأنهم قائلاً : انه يبغي محاكمة الزعماء لا الاهالي . وعند الصباح قبض على مملوك ركن الدين وحبسه واركب شهاب الدين العارض على جحش حقير وطوّفه في ملطية ساخراً ثم قتله . وشدّ في رقبة المعين ايكدباشي حبلاً وربطه في عنق كلب ومشاه في الاسواق . ثم قتله . وقتل كذلك قالويان القسيس اليوناني واخويه باسيل ومنوئيل وابنه كيريوزي وكانوا من كتبة الديوان وقتل معهم ثلاثة ابناء شهاب ابيو الامراء الاكراد . وبعد هذا كفّ عن القتال واستتبّ الامن الّا ان الجوع تفاقم جداً في ملطية وبلدها لان اللصوص التركمان عاثوا فيها واتلفوها . وافضى الامر بالكثيرين الى ان يبيعوا بنيهم وبناتهم في سبيل قوتهم . واخذ بعضهم ينقعون الاحذية العتيقة ويسلقونها ويأكلونها . ورأوا امرأةً تشوي ابنها ولما حاكموها أقسمت انها لم تقتله لكنها شوته بعد موته . وشاهدوا كذلك جماعة من النساء قدامهن جثة ممدودة وهنّ يشرحن لحمها ويشوينه ويأكلن .

ولما عرف بهادر انه لن يتمكن من مقاومة (٥٠١) التتر ترك المدينة وهرب يريد السلطان عزّ الدين . وهرب معه حسام جوبان وبرصوما بن اندراوس الذي قُتل فيما بعد في الطريق . وفي اثناء هذا الجوع ثار بعض شبان نصارى من جوباس واقبلوا الى قريـة عبرا وجعلوا يغزون ويقتلون اخوتهم النصارى ويدخلون البيوت ويأكلون .

وفي تلك الغضون مرض تودورس بن قالويان ملك نيقية في مدينة نيفي ولمّا شعر بدنوّ الاجل استدعى اليه البطريرك ارسانيوس واستودعه تدبير ابنه قالويان وتربيته . لانه كان صغيراً بعد . وكان في خدمته بطريق يقال له ميخائيل باليولوغس وكان يخاف ان يتغلّب على المملكة ويستحوذ عليها قسراً . وقد صحّ ذلك . فأمر الملك غاريوس البطريق ان يذهب الى تسالونيقي ويأتيه بميخائيل موثقاً . فذهب اليه وقال له : اني عارف انك ستكون انت الملك فكن حكيماً وأسلم نفسك اليّ وهلمّ معي الى الملك . فاذا شاهد خضوعك له أطلقك وعظّمك . فامتثل ميخائيل المشورة وسار الى الملك موثقاً ولم يبدِ تشكياً . فصدّقه الملك ورقّ له واطلقه واقامه شريكاً للبطريرك في تربية الفتى

قالويان . وبعد مدة وجيزة توفي ملك وكان له بنت تدعى كيرايوسيا وقد صهر على ابنتها يقال له موزالون . وهو الذي شيّع الملك الى دير مغنيسيا ولحده في ضريح آبائه . واقام اياماً في ذلك الدير يفاوض حماته اخت الملك المتوفى كي يتولى هو عرش المملكة ويهلك الزعماء الذين يخالفونه . فشعر ميخائيل (٥٠٢) وبقية الزعماء بالدسيسة وأمر جماعةً من جند الفرنج ان يقصدوا الدير ويفتكوا بموزالون حيثما هو . فساروا وشاهدوه يصلي في الكنيسة فذبحوه إرباً إرباً . ثم نادى الزعماء بصوتٍ عالٍ قائلين : فليحيَ ملك اليونان ميخائيل باليولغس ! فليحيَ اوطوقراطور رومانيا ميخائيل باليولغس ! ومن هناك ساروا جميعاً الى نيقية واعتقلوا الطفل قالويان وارسلوه فسجنوه في احدى القلاع ، ونفوا البطريرك ارسانيوس الذي عنفهم على فعلتهم وسجنوه في احدى جزائر بحر البنطس .

ومــا مرّ القليل على جلوس ميخائيل حتى اعتزم ان يزحف الى قسطنطينية وقــد بلغه ان ليس عند الملك بغدوين الفرنجي الا القليل من الجنود . فارسل واستقدم اليه نيقيفورس مطران افسس وولّاه البطريركية في غاليبولي بدلًا من ارسانيوس المنفيّ . وارتحل من هناك الى قسطنطينية ولم يتمكن من اخذها لان اهاليها اتفقوا مع الجنود ووقفوا على الاسوار وحاربوه بشدة وبسالة. فتركها وعاد راجعاً خائباً. وبعد مدة وجيزة ثارت فتنة بين تجار الفرنج البنادقة والجنويين في عكة واتفق الفيزنيّون مع البنادقة . ولمّا سمع البنادقــة ساروا من كل الاطراف الى مساعدة رفاقهم وفرغت منهم قسطنطينية كذلك . واحتــال ميخائيل حيلةً اخرى بان اشار الى متولي بعض قلاع الروم ان يتظاهر بالعصيان ويبعث الى بغدوين ليبدّه بالعسكر كي يسلّمه تلك القلعة . فامتثل الامر وخدع بغدوين واطغاه . فارسل اليــه (٥٠٣) فرقةً كانت لديه . وعند ذلك تهيأ ميخائيل وبادر الى المدينة وحاصرها . وفاوض بعض الاهالي ففتحوا له ليلًا باباً عتيقاً لم يُفتح منذ عهد قسطنطين الظافر . فدخل اليونان والتحم القتال وتمكن بغدوين من النجاة مع اهل بيته وركب سفينة صغيرة وانهزم الى بلاد الفرنج هكذا عادت قسطنطينية الى اليونان بعدما ظلّت في حوزة الفرنج ثلاثاً وخمسين سنة .

اما نيقيفورس البطريرك الدخيل فلم يعش كثيرًا لان المنية عاجلته واقام

ميخائيل بدلاً منه روماس مطران ادرنة بطريركاً الا انه ما عتم ان عزله بسبب اعماله الشائنة الملومة . وارسل فاستدعى من المنفى البطريرك ارسانيوس ووعده بان يطلق قالويان ابن الملك من السجن ويوليه مملكة ابيه سوى قسطنطينية التي احتلها هو بالسيف . فرضي البطريرك ودعا له وعاد الى كرسيه . غير ان ميخائيل بعدما صالح البطريرك زاد شراً فوق شر وبدلاً من ان يُطلق سبيل قالويان ويوليه عرش المملكة ارسل ففقأ عينيه كلتيهما ، فسخط البطريرك واستعفى وعاد الى سجنه . فاستدعى الملك يوسف رئيس الدير ونصبه بطريركاً وما زال في منصبه حتى يومنا .

فتح بابل (بغداد)

وفي ايام الشتاء اذ كانت ملطية متقلبة في اسوأ الحال انحدر هولاكو ملك الملوك الى بغداد واقبل كذلك بايجو من بلاد الروم . فخرج عساكر بغداد ليبارزوا التتر وعلى رأسهم امير كرديّ يقال له ابن كورار ومملوك الخليفة واسمه الدويتدار الصغير . ومكث (٥٠٤) الفريقان ثلاثة وعشرين يوماً دون ان يحارب احدهما الآخر . ويوم الاربعا ثامن محرّم عام ٦٥٦ وهو العام ١٥٦٩ لليونان زحف اولاً بايجو نوين وجنوده نحو المكان المدعوّ قبر احمد غربي بغداد وتقدّم البغداديون كذلك والتحم القتال بين الفريقين. فانكسر فريق بايجو وانتصر البغداديون . وكان الامير سليمان شاه وجنوده متولّين سور بغداد ، وعند المساء قال الشيخ ابن كورار للفتى الدويتدار : لقد منحنا الله الآن الغلبة فيجب ان نقصد بيوتنا لنستريح ثم نخرج ثانية للقتال . لكن الدويتدار تجبّر وتكبر ورفض المشورة ومكثوا جميعاً خارجاً . وكان البغداديون مقيمين في ارض منخفضة فذهب التتر وثغروا ثغرة تفجّرت منها مياه دجلة واغرقت البغداديين في نصف الليل . وجعلوا ينهزمون من وسط المياه وقد تبلّلت قسيّهم وسهامهم واغماد سيوفهم . ولما اصبح الصباح انصبّ عليهم التتر اصحاب هولاكو واستغرقت المعركة حتى الساعة التاسعة من يوم الخميس . فانكسر البغداديون وارتخت عزائمهم وقتل ابن كورار وانهزم الدويتدار الى المدينة .

وعند ذلك اقبل بايجو في جنوده وحلّوا غربي بغداد وحلّ هولاكو في

شرقيها يوم الاثنين ١٣ محرم وحاصروا مدينة حصاراً شديداً تجاه دار الخليفة .
ولما أيس الخليفة المعتصم التاعس الحظ استدعى ابن العلقمي وزيره ونجم الدين
عبد الغني بن دريوس ومارمكيخا الجاثليق وأمرهم ان يأخذوا ذهباً كثيراً
وبضائع ملكية وخيولاً عربية وان يُطلقوا سفراء التتر من السجن ويوشحوهم
ويسنوا لهم الهدايا الوافرة ويذهبوا معهم الى ملك الملوك ويطلبوا الأمان له
(٥٠٥) ولأبنائه وأهله ويعتذروا له بان مـا جرى انما جرى على يد مشيرين
اشرار . وأنهم ان ظلوا في قيد الحياة أمسوا عبيداً خاضعين يؤدون له الجزية .
ولما سار هؤلاء وأكملوا سفارتهم تبطهم هولاكو ولم يأذن لهم ان يعودوا الى
الخليفة وشدّد القتال . وثغر التتر ثغرة كبرى في البرج العجمي ودخلوا المدينة
يوم الجمعة ٢٥ محرم فقاومهم البغداديون وهزموهم ثانية . ثم تقوّى التتر في اليوم
التالي اعني يوم السبت واحتلوا الأسوار كلها . فانهزم البغداديون واختفوا في
البيوت والسراديب . وخرج في اليوم عينه ابنا الخليفة كلاهما وقصدا هولاكو
وتبعهما الخليفة عينه بعد ساعة . فأمر بان يُعتقل واقام حفظة يحرسونه في احدى
الخيام مدة سبعة ايام . وتوجّه هولاكو نفسه الى دار الخليفة واطلع على الخزائن
والمطامير والذخائر القديمة والحديثة واستولى عليها برمّتها . واستلّ المغول سيوفهم
واجهزوا على ربوات من البغداديين يساعدهم خصوصاً الكرج في تلك الملحمة
الهائلة .

اما الجاثليق فجمع النصارى كلهم في كنيسة السوق الثالث وصانهم هناك
ولم يلحق أذى باحد منهم . ونقل اغنياء العرب اموالهم وامتعتهم الى دار
الجاثليق يؤملون النجاة ولكنهم قُتلوا عن بكرة ابيهم . ولما اطمأنّ ملك
الملوك استدعى اليه الخليفة المنكود الحظ وحاكمه وقضى عليه بالموت وأمر
فجعلوه في غرارة وخاطوها ورفسوه بارجلهم حتى مات . على ان بعض العرب
خوّفوا هولاكو بقولهم : إن أريق دم الخليفة على الارض فلن ينزل عليها مطر
بل ان جمرات النار تشتعل منه . وانقطعت خلافة بني العبّاس وتضعضعت سائر
ممالك العرب (٥٠٦) وتوطّدت مملكة المغول وتعززت في جميع البلاد الخارجية
والداخلية .

ثم ان التتر انقلبوا من بغداد وزحفوا الى قلعة اربيل وعوّل الصاحب ابن

صلايا ان يسأبها لكنّ الاكراد العصاة تهدّدوه فتركهم وانهزم وانضمّ الى التتر . وبعد هذا اقبل بدر الدين لؤلؤ واشترى القلعة وكل ما فيها من التتر بمبلغ سبعين الف دينار . ثم ارتحل التتر وتولّى بدر الدين القلعة واقام فيها الحفظة. وما عتم ان حصّل الامير الكرديّ شرف الدين جلالي امرًا من ملك الملوك وانتزع القلعة منه وطرد الحفظة . وسار مع التتر ليقاتل الاكراد في جولمرك . عندئذ وجّه بدر الدين بعض الاكراد ففتكوا به وهو راقد في خيمته . وتولّى اربيل رجل نصرانيّ اسمه المختصّ وهو اخو الصفيّ سليان الطبيب الكبير . وخلفه بعد موته ابنه تاج الدين عيسى وكان رجلًا مؤمنًا كريمًا .

وحدث يومئذٍ جوع شديد ووباء تتال في اطراف بغداد وآثور وما بين النهرين وسورية وبلاد الروم حتى بيع في دمشق فروج لاجل مريض باثني عشر ناصريًا .

الحقبة الحادية عشرة المنتقلة من ملوك العرب الى الملوك الهونيّين

هولاكو ملك الملوك واخو مونككا خان الكبير .

بعدما قُتل الخليفة المستعصم ولّى ملك الملوك على بغداد رجلًا يقال له عليّ بهادور . وفي اثناء الحرب ارسل نصارى تكريت الى الجاثليق يطلبون شحنة لحراستهم فلبّى طلبهم . ولما زحف التتر وقتلوا (٥٠٧) زعماء العرب ونهبوا اموالهم احتشد النصارى قاطبة في الكنيسة الخضراء المؤسسة على اسم احودامه وقد احتلّها العرب فلاذوا بها . ومكثوا دون اذى من بدء الصوم حتى احد الشعانين ١٧ آذار ١٥٦٩ (١٢٥٨ م) لليونان . واتفق ان ابن دوري العربيّ اللئيم افترى على النصارى وقال للشحنة : ان العرب قد اخفوا عندهم اموالا طائلة ولم يؤدّوا لك منها شيئًا . فاستفسر الشحنة كبار النصارى فاقرّوا بالحقيقة واحضروا اليه كلّ الاموال . وارسل الشحنة فاخبر هولاكو فاصدر الحكم بقتل جميع التكريتيّين طبقًا لناموس المغول . ووجّه زعيمًا كبيرًا في جيش من التتر فجعلوا يأخذون عشرين فعشرين كأنهم يمضون بهم ليقوّضوا القلعة ويفتكون بهم . وظلّوا كذلك حتى افنوهم قاطبة ولم يفلت الّا الشيخ والعجوز . امّا البنون والبنات فقد استاقوهم جميعًا واجلوهم . وعاد العرب فانتزعوا

الكنيسة الكبرى من النصارى . ولم يبقَ في تكريت سوى قسيسين كمونيَين فقط يقيمان الصلاة في سائر الكنائس مع فئة من النصارى . اما ابن دوري صاحب الوشاية فقد فتك به بهرام النصرانيّ الذي تولى شحنة تكريت .

امّا بدر الدين صاحب الموصل فلمّا اطّلع على احتلال هولاكو لبغداد وجّه اليه ابنه الملك الصالح في الف فارس نجدةً له. فلم يقابله هولاكو مقابلة حسنة بل قال له : انكم انتظرتم ريثما تقفون على من يكون المنتصر فتتبعونه. فلو انتصر الخليفة لتبعتموه دوننا . ولمّا عاد الصالح الى الموصل واخبر والده تخوّف ونهض من ساعته واخذ كمية وافرة جدًّا من الاموال وانطلق بذاته فزار هولاكو وراضاه وعاد مطمئنًا بعد ما لحقه من الخوف ما لحقه . واستأمن بدر الدين الى هولاكو حتى (٥٠٨) انه صمد الى تخته الملكيّ ووضع في اذنه حلقةً فيها درّة غالية الثمن .

وعلى اثر احتلال بغداد افتكر الاشرف بن الملك الغازي بن العادل الكبير صاحب ميافرقين ان يناهض التتر . وعلّق قسيسًا سريانيًا من بلد بدليس كان قد اتاه من الخان الكبير بالفرمان وطرد كذلك الحكّام التتر من عنده . ثم توجّه الى دمشق وسأل الملك الناصر ان ينجده ليقاتل التتر ويثنيهم عن الزحف الى سورية ويُبعدهم ان امكن من بغداد كذلك . فاستخفّ الملك الناصر برأيه وانقلب عائدًا الى ميافرقين بلدته . وعند ذاك ادركته عساكر المغول واحاطت به عجول ياسان وعلى رأسهم اشموط ابن مالك الملوك . وابتنوا سورًا واقاموا ابراجًا وجعلوا يحاربون من الخارج حربًا شديدة ويقابلهم من بالداخل بشدّة اقوى . وظلّت كذلك مدّة سنتين لا يقوى التتر على اخذها . غير انهم بعدما دوّخوا بغداد وحاصروا ميافرقين تتابع الوفود من لدن هولاكو الى الملك الناصر يقولون له ليذهب الى خدمته. لكنّ زعماءه لم يرضوا بذلك. فوجّه ابنه الملك العزيز في تحف وهدايا وافرة في خريف السنة ١٥٧٠ لليونان (١٢٦٩ م) واقام هناك الشتاء كله وعاد في الربيع الى حلب بعد عيد القيامة وقال لابيه : ان ملك الملوك أمرني وقال لي : اننا لم نطلبك انت بل طلبنا اباك . فاذا كان مسالمًا لنا فليأتِ والّا فنحن نسير اليه . فاستمرّ الملك الناصر يمرج على الجنبين لا يتيسر لـه البقاء خوفًا من التتر ولا الذهاب خوفًا من

زعمائه وعبيده . فبقي متحيّراً خائناً مذعوراً .

(٥٠٩) وفي تلك الاثناء سيّر هولاكو في طلب السلطان عزّ الدين واخيه ركن الدين ليذهبا الى خدمته فاطاعاه ومشيا اليه وأحسن قبولهما . وتقدّم اليهما بان يتولّى عز الدين من قيسارية الى تخوم ارمينية الكبرى وركن الدين من اقسرا حتى ساحل البحر بحدود اليونان . ثم انحدر الاخوان مسرورين مع هولاكو حتى بلغوا ما بين النهرين من هناك عادا الى بلادهما واقام ركن الدين في سبسطية وعزّ الدين في قونية .

وفي هذه المرة زار عز الدين دير مار برصوما ووعد البطريرك ديونيسيوس (١٢٥٢—١٢٦١) وعوداً طيبة . وفي هذه السنة مات بدر الدين صاحب الموصل في ٢٠ تموز وخلفه ابنه الكبير الملك الصالح اسمعيل وتولّى علاء الدين ولده الوسطاني سنجار وولده الصغير سيف الدين جزيرة قردو .

وفي خريف السنة ٦٥٨ للعرب وهي السنة ١٥٧١ لليونان (١٢٦٠ م) انحدر هولاكو في اربعمائة الف فارس الى بلاد ما بين النهرين ونزل اولاً على حرّان وتسلّمها بالامان ولم يؤذِ اهلها وهكذا تسلّم الرها كذلك . اما اهل سروج فلم يرسلوا ويطلبوا الامان فقتلوا عن اقصاهم . وامر هولاكو فنصب جسراً على الفرات في ملطية وفي قلعة الروم وفي البيرة وفي قرقيسيا . وعبرت العساكر بأسرها الى سورية وعبر كذلك هولاكو مع طوقوز خاتون الملكة المؤمنة المحبة للمسيح .

وحدث قتلٌ كثير في منبج وتفرّقت العساكر على قلعة البيرة وعلى قلعة نجم وقلعة جعبر والرقة وبالس وقتل (٥١٠) جميع من كان فيها . وأقبل اولاً نفر قليل من العسكر الى قرب حلب وخرج اليهم الملك المعظّم الشيخ ابن صلاح الدين والتقاهم فانكسر وانهزم الى المدينة وسار بعض التتر الى المعرّة واخربوها . وبلغوا الى حماة وتسلّموها بامان وكذلك حمص . اما الملك الناصر فاخذ نساءه وابناءه وعبيده وغادر دمشق الى بريّة الكرك والشوبك . وزحف التتر الى دمشق وتسلّموها بامان ولم يلحقوا اذى باحد . اما هولاكو فقد نزل على حلب بنفسه وأمر فابتنوا عليها سوراً يحدق بدائرتها كلّها . وحاربها حرباً عنيفة . وبعد ايام معدودة استحوذ على الاسوار التي بجانب باب العراق ودخل المدينة يوم

احد مدخل صوم نينوى ٢٣ كانون ثاني من تلك السنة . وقتل فيها اكثر ممن قتلوا في بغداد .

اما كنيستنا فقد سبق الملكيّون فقوّضوا سقفها وكنتُ يومئذٍ انا الحقير مطرانها فلشدّة الخوف خرجت وسرتُ الى خدمة هولاكو وحُبستُ في قلعة نجم . واصبح شعبنا الحلبي دون راعٍ فانطلق اغلبهم الى كنيسة اليونان فهجم عليهم التتر وفتكوا بهم وسبوا بقيّتهم . واخيراً نهض القسيس تورس الارمنيّ ابن اخي الجاثليق مار قسطنطين واتفق معه الراهب كيورك فقصدا التتر وأعتقا البقيّة الباقية ومضيا بها الى كنيستنا .

وبعدما احتلّ التتر المدينة صوبوا الحرب نحو قلعتها وأخذوها بالامان . ثم توجه هولاكو الى حارم وسأل اهاليها ان يسلّموا وهو يحلف لهم بانه لن يؤذي احداً منهم . فلم يطمئنوا الى قوله لمخافة عقلهم مدّعين انه لا دين له ومقرّرين ان يحلف لهم فخر الدين الوالي فيهبطوا ويسلّموا (٥١١) فتقدّم هولاكو اليه فسار اليهم وحلف لهم . حينئذٍ فتحوا ابواب القلعة وانحدروا . وأمر ملك الملوك فقُتلوا باسرهم رجالاً ونساء وابناء وبناتٍ ورضاناً ولم يفلت منهم ألا رجل حدّادٌ ارمنيّ . وقتلوا كذلك فخر الدين المذكور لان وليّ الدين بن صفي الدين زعيم حلب ادّعى بانه هو الذي قتل اباه واخوته لانهم لم يسلّموا المدينة . وبعد ما فرغ هولاكو من ذلك كله اقام في فلسطين زعيماً يقال له كتبوغا ومعه عشرة آلاف فارس . وعاد في الطريق التي قدم بها ووصل الى تلّ باشر وبلغه ان التتر احتلوا ميافرقين وقبضوا على الملك الاشرف صاحبها واحضروه اليه وهناك فتك به . وولّى عليها رجلاً اميراً من امراء الاشرف يقال له عبدالله . وحدث فيها جوع فظيع لم يُسمع له مثيل حتى انه لم يبقَ من اهاليها جميعاً سوى مائة نسمة لا غير وقد احتلّها التتر بعد عناء جسيم .

وحكى لي احد اعيان ميافرقين الذي افلتَ منها افلات الحراك من اتون النار قال : اشتهيت يوماً ان آكل طعاماً من حنطةٍ ولحم بقر مع أهلي فدفعت خمسمائة غرش ناصريّ حتى تمكنت من طبخ قدرٍ واحد كافٍ لجميعنا .

ولما عبر هولاكو الفرات ارسل الى صاحب ماردين لينزل اليه فأبى . فارسل اليه ابنه الملك المظفّر وكان معه هو وبدر الدين صاحب الموصل في حصار حلب

وقال له : اذهب فانصح لوالدك كي ينزل ولا يتمرّد فيهلك . ولما وصل الى ابيه وخاطبه لم يلبِّ طلبهُ بل قيَّده وحبسه عنده . وعند ذلك احاط المغول بماردين وابتدأوا بالقتال (٥١٢) ولولا ان وقع فيها الوباء بسماح الله سبحانه لما تيسَّر لهم ان يأخذوها . فقد مات اغلب اهاليها ومات صاحبها كذلك وعاد ابنه الملك المظفّر الى هولاكو وسأمه القامة فاكرمه وأحسن اليه واحبّه جدًّا واستخلفه موضع ابيه .

اما كتبوغا فلم يزل يبحث عن مكان الملك الناصر في البريّة حتى وجّه اليه الجيش فادركوه وقبضوا عليه واتوا به اليه فسيّره الى ملك الملوك مخفورًا. ولما مثل بين يديه فرح به واكرمه ووعده بان يعيده الى ملكه .

وفي تلك الايام سار من قلعة الروم الى خدمة هولاكو الربّان شمعون القسيس المتوفّى . فرحّب به اجلّ ترحيب واحبه جميع ابناء الملوك والملكات. واقتنى دورًا ملكية وحدائق وجنائن وحصونًا في مراغة وارزاقًا في بغداد واثور وقبدوقية وفي مراغة بلغ مجموعها في كل سنة خمسة آلاف دينار . وقد تعزّز به شعبنا القليل وحُفظت كنائسنا وتأيدت في كل مكان على يده .

اما قوتوز التركي الذي تولى مصر فلما بلغه ان هولاكو ابتعد عنه وان الملك الناصر قد قُبض عليه وأُرسل اليه ولم يبقَ في فلسطين الا كتبوغا بعشرة آلاف فارس حشد جيوش مصر وزحف الى مرج باشان تجاه جبل تابور وقاتل التتر وانتصر عليهم . وقتل كتبوغا واستأسر اولاده وكان ذلك في ٢٧ رمضان من السنة ٦٥٨ للعرب (١٢٥٩ م) . فغضب هولاكو لما بلغه الخبر ونوى ان يستأصل شأفة الدولة العربية وتقدم بقتل الملك الناصر وقتل اخيه الملك الظاهر وجميع مَن معهما . وتمّ ذلك يوم الاربعاء (٥١٣) في ٢٠ شوال عام ١٥٧١ لليونان(١٢٦٠ م) في الساعة التاسعة في مخاضة نوشهر والقمر في برج عطارد . ولم يُفلت الا محيي الدين الفلكيّ المنجّم وقد حكى لي يقول : اني لما كنت يوماً لدى الملك الناصر في خيمته استدعاني اليه وسألني عن مولده ووصل اذ ذاك امير من المغول نحو الظهر ومعه نحو خمسين مغوليًا وخرج الملك الناصر الى لقائه فقال له الامير : اننا قد أدبنا اليوم مأدبة لدى ملك الملوك وهو يقول لك ان تحضر انت واخوك واولادك وزعماؤك . فنهض الملك الناصر واخذ معه جماعته

وحشمه وهم نحو عشرين نفراً وركبوا وساروا . وبعد قليـل وصل عشرون فارساً الى خيامنا وقالوا : فليحضر الفرسان والكتبة ولا يبقى غير الخـدّام ضاربي الخيام والطبّاخين والرعاة . ولما ركبنا مضوا بنا ما بين اودية عميقـة وانزلونا حيث كان عظماء المغول وغيرهم ممن كانوا واقفين امامهم . ولمـا دنونا وجعلوا يحادثوننا وثب المغول حالاً من ورائنا واحتاط كل واحد منهم بواحدٍ منّا . فاشرتُ انا الى الزعمـاء باني فلكيّ عارف بحركات الكواكب فاستدعوني وأجلسوني وراءهم واستاقوا البقيّة بعيداً وذبحوهم . وقتلوا كذلك الملك الناصر واخاه والزعماء ولم يقتلوا ابناءه وما برحوا الى هذا اليوم مأسورين. ثم ذهبوا فاحضروا الصغار الباقين في الخيام وأجهزوا عليهم كذلك .

جلوس قوبلاي خان على كرسي مملكة المغول

تمرّد في هذا الزمان ملك من ملوك الصين اعني الخطا او المنزّين وعصى على المغول . وكان لديه عساكر كثيرة يحكم (٥١٤) فيما قيـل على اربعمائة مدينة . فاضطرّ مونككاخان ان يحشد جيوشاً ضخمة ويستمدّ لملتقى ذلـك الملك الصينيّ بذاته . واستصحب اخاه قوبلاي الصغير ودخـل بلاد الصين الجوانيّة وترك مكانه اخاه اريغبوكا الاصغر . واتّفق انه في اول الملتقى اصابه سهم ومات . فاخذ اخوه قوبلاي جميع العساكر التتر وخرج من بلاد الصين الداخلية واقام خارجاً في مدينة كبرى تدعى خـان باليق واتفق عظماؤه بان يكون هو الخان . اما اخوه اريغبوكا الصغير فقـال انه هو الأولى بالمملكة مدّعياً بان مونككاخان لما سافر الى الحرب سلم اليه المملكة في حياته . وحصلت منازعة ومقاومة شديدة بين الاخوين استغرقت سبع عشرة سنة الى ان عجز الاخ الصغير وقبض عليه وانتهى امره . وافضت المملكة الى قوبلاي خان الملك العادل الحكيم المحبّ النصارى وكان يكرم الكتّاب والعلمـاء والاطباء من جميع الامم .

اما قوتوز فبعد ما قتل كتبوغا استولى على دمشق وعلى حلب وعلى سورية باجمعها واقام في كلّ مدينة حاكماً وكتبة وعاد الى مصر ليحشد الجنود ويعود الى محاربة التتر قاطبة . ولما وصل قريباً من غزة نهض عليـه بيبرز المعروف

بالبندقدار الصغير مملوك البندقدار الكبير وقتله . وزحف الى مصر وتسلمهـا ولقّبوه الملك الظاهر ركن الدين . وانهزم اليه يومئذٍ صاحب سنجـار اعني علاء الدين بن بدر الدين صاحب الموصل فولّاه حلب . وقـد شدّد البندقدار على جميع النصارى الذين في سواحل البحر وما برح يضيّق عليهم حتى يومنا . فاحتلّ (٥١٥) جميع قلاعهم ولم يترك لهم الّا عكّـة وطرابلس وصور فقط.

وفي السنة التالية وهي السنة ١٥٧٢ لليونان (١٢٦١ م) عاد التتر الى سورية وعلى رأسهم كوكالكي نوين ووصل الى حمص وسبى وقتل . وكان قد انهزم جميع اهل قرى سورية الى حلب فامر كوكالكي ان يخرجوا جميعاً الى ظاهر البلد وينعزل اهل كل مدينة وقرية ويعودوا الى بلادهم . ولما امتثلوا الامر أجهز عليهم قاطبةً ولم يترك منهم الا ابنـاء حلب فقط . وقال لبقيّتهم : لو كنتم تحبوننا لما انهزمتم من امامنا . وبعد هذا عاد كوكالكي من سورية وعبر الفرات فاقبل المصريون تكراراً واحتلوا بلاد سورية كلها .

وفي صيف هذه السنة سيّر علاء الدين بن بدر الدين صاحب سنجار رسالة من مصر الى الملك الصالح اخيه صاحب الموصل يعرّفـه قوّة المصريين ويشير عليه ان يترك هنيهةً الموصل ويتوجّه الى مصر حتى اذا ما انتصر البندقدار على التتر يملّكه لا الموصل فقط بل بلاد المشرق كلها . ولمـا كان ذات يوم ابن يونس صاحب بدر الدين لدى الملك الصالح مدّ يده تحت الطنفسة وغافله وخطف الرسالة المذكورة وخرج من عنده وسار الى بعشيقا قريته . وبعد ساعة فتش الصالح عن الرسالة فلم يعثر عليها فعرف ان ابن يونس قد اخذها . فارسل حالًا عبدين من عبيده في طلبه . ولما وصلا اليه عرف ان قد قضي عليـه وانه اذا وقع في قبضة الصالح فـيهلكه . بناء عليه جاد على العبدين بالجائزة واشغلها بالشرب وقال لها : كُلا واشربا وتمتّعا في هذا المساء وعند الصباح نذهب معاً الى الموصل . ولما سكر العبدان نهض ابن يونس ليلًا واخذ أهله وركب وسار الى برطلي وقـال للزعيم عبدالله (٦١٦) بن كوشو بلّغ اهلك واهربوا جميعاً لان الصالح مستعدّ ان يقتل النصارى وينهزم الى مصر . فقام كلّ من أمكنه الهرب وانهزموا الى اربيل في ايّام المنصرة . ولما نهض العبدان وقت الصباح ولم يشاهدا ابن يونس تبادر الى ظنهما انه سبقهما الى الموصل فعـادا واخبرا

الصالح . فتخوّف جداً وقال يدبر ان ابن يونس سيقصد التتر ويأتي بعسكر يقبض عليه . فنهض واخذ ابنه علا الملك وعبيده وانهزم الى سورية في اول تلك السنة . ووقع الخلف بين عبيده في الطريق فتركوه وعادوا الى الموصل وتولى رئاستهم علم الدين سنجر . ولما وصلوا الى المدينة اغلق الواصلة نجاحهم الابواب بالاتفاق مع ياسان شحنة التتر وتركان خاتون الخوارزمية التي لم تذهب مع الصالح . وظلّ العبيد اياماً قليلة يحاربون المدينة . وكان فيها يومئذٍ رجل اسمه محيي الدين بن زبلاق اتفق معه جماعة من أحياء الموصل وفتحوا لهم الباب فدخل علم سنجر واصحابه وانهزم ياسان ورفاقه وتحصنت تركان خاتون في القلعة . ولما دخل هؤلاء الموصل اضطهدوا النصارى اضطهاداً شديداً وانتهبوا بيوتهم وأجهزوا على كل من لم يُسلم . وقد جحد كثير من القسوس والشمامسة والرؤساء والشعب ايمانهم سوى القليلين من آل سوَيد كيت وكوكي ونفيس الصائغ . وعلى اثر هزيمة الملك الصالح انحدر الاكراد الى ضواحي الموصل وفتكوا بكثيرين من المسيحيين واحتلّوا دير الراهبات في بيت خوربدا (قرقوش) واجهزوا فيها على جماعة غفيرة وكانوا قد قدموا اليها من الاطراف واختفوا بها . وسار اولئك الملاعين الى دير مار متى واحتشد هناك ألوف من الفرسان والمشاة ونشبوا يقاتلون الرهبان مدة اربعة اشهر وحاولوا ان يتسلّقوا السور فتشجّع (٥١٧) الرهبان واحرقوا سلالمهم بالنفط . وبعد هذا فصلَ الاكراد قسماً من الجبل العالي ودحرجوا على الدير حجرة ضخمة انفلقت فلقتين وثغرت احداهما السور واغتززت فيه اغتزاز الفصّ في الخاتم واستمرّت راسخة. اما الفلقة الثانية فثغرت السور وجازت . وحاول الاكراد الدخول فاحتشد الرهبان واهل القرية المنهزمون وجعلوا يقاتلون بالحجار والسهام ولم يَدَعوهم يدخلون الدير . ثم ابتنوا الثغرة بحجار وجصّ حالاً . وفي تلك المعامع فُقئت عين أبي نصر رئيس الدير وأصيب فريق بالسهام ثم استجمعوا القوى. ولما ضجر الرهبان من القتال طلبوا الامان وارتضوا بان يؤدّوا كل امتعة الكنيسة وآنيتها وان يجمعوا من الاهالي ذهباً وفضة ومصاغاً . اما الاكراد فلما بلغهم ان التتر قادمون حالاً وافقوا الرهبان واخذوا كمية وافرة بلغت قيمتها الف دينار ذهباً وانكشفوا .

وكان اهالي قرية بيت سحرايا يومئذٍ محاصرين في دير الخنافس فارتحلوا عنه وعبروا نهر الزاب يريدون اربيل فلقيهم الامير فوتكو بك واحتج بانهم قادمون من قِبل الاعداء فأجهز عليهم قاطبةً رجالاً ونساء معاً .

اما عَلم سنجر فعندما دخل الموصل بلغه ان التتر قادمون من ناحية الجزيرة فزحف اليهم فشدّوا عليه وقتلوه . ثم اقبل جاسوس التتر وأخبر ان الملك الصالح قادم الى الموصل فتأخروا ولم يدخلوها ريثما يسبقهم اليها الصالح المذكور . اما سيف الدين صاحب الجزيرة فلما بلغه ان اخاه الصالح انهزم الى سورية تأهب هو كذلك للهزيمة فسمع نورين شحنة (٥١٨) الموصل واقبل ليقبض عليه . فاحتشد اهالي الجزيرة وحاولوا ان يفتكوا به فانهزم من وجههم ونجا . وحشد سيف الدين النصارى وطالبهم بالفي دينار ذهباً يوم عيد الصعود. وظلوا محبوسين مأيوسين . ثم وزع ذهباً وافرًا على الجنود واجتمع اليه نحو سبعين الف من الاكراد ومضوا به الى سورية وخلّت الجزيرة دون صاحب . عند ذلك نهض جنديان احدهما عزاز باس وثانيهما محمد راس الحَرَس وتوليا الرئاسة واطلقا النصارى من الحبس بعدما اخذا منهم سبعمائة دينار . ولم يفتكا الا برجلين كانا يختلفان الى معسكر التتر .

وفي تلك الغضون حشد عزّ الدين ايباغ صاحب العمادية وهو مملوك بدرالدين زهاء ثلاثة آلاف فارس وسار الى الجزيرة ليمتلكها . فزحف اليه نورين المذكور في ثلاثمائة فارس عند نهر الديس الذي ينحدر من جبال كردستان فانتصر عليه وهزمه . وكان عبدالله صاحب ميافرقين قد اقبل مرّة ليحتلها فامتنعت عليه .

وفي آخر صيف هذه السنة تأهب عزّ الدين سلطان قونية للقدوم الى خدمة ملك الملوك اذ كان السفراء يلحون عليه في ذلك . ولما ضرب خيامه خارج قونية مستعداً للرحيل وافاه جاسوس يقول له : ان اليناق نوين وصل الى اقسرا ومعه اخوك ركن الدين وفروانا وهما مستعدان ان يوثقاك بالسلاسل ويذهبان بك الى ملك الملوك . فهلع وترك خيامه واخذ بيته واهله وانهزم الى قسطنطينية يريد ميخائيل ملك اليونان. ثم ان اليناق نوين مضى بالسلطان ركن الدين (٥١٩) الى قونية واجلسه على العرش الملكي وتولى تدبيره فروانا .

وفي هذه السنة بعث صاحب مصر شاباً اسود من سلالة الخليفة ووجّهه مع فرقة من الجند الى بغداد ليتولاه ويجلس في تخت آبائه . وأعاد الملك الصالح صاحب الموصل الى ولايته . وذاع الخبر بان التتر قد هلكوا قطبة بضربة سماوية حلّت بهم وان الطيور فقأت عيونهم . تلك حكاية لا يصدّقها الاطفال انفسهم . ولما شارف الخليفة الاسود بغداد برز علي بهادر في جيشه واجهز عليه . اما الملك الصالح فما كاد يدخل الموصل مساء الثلاثاء سابع كانون الاول حتى وصل المغول بغتةً وعلى رأسهم سنداغو المغوليّ المسيحيّ الفتى المجيد . واحدقوا بالمدينة صباح الثلاثاء والقمر في برج الأسد . وابتنوا سوراً خارجياً وجعلوا يقاتلون قتالاً عنيفاً . واستغرق القتال حتى الصيف وحدث في المدينة غلاء قاسٍ وارتخت عزائم المقاتلين وخارت قواهم . وجعل سنداغو يبعث اليهم بكلمات طيبة ويعد الملك الصالح وعوداً جيدة . فخرج الصالح في دفوفٍ وطبولٍ والطربون والمشعوذون يغنون ويرقصون امامه . وما ان وصل حتى احدق به جنود المغول ودخلوا المدينة ونهبوها وقتلوا اهاليها وسقوا علاء المُلك ابن الصالح خمرًا وأسكروه واوثقوا فخذيه بوتر القوس وثقاً شديدًا حتى تفجّر بطنه وقطعوا حقويه قطعتين وعلّقوهما على عتبتي باب المدينة . وفلقوا هامة المحيي بن زبلاق ومضوا بالملك الصالح الى الاردو وقتلوه هناك. وتولى الموصل ابن يونس المذكور. ولما انتهى امر (٥٢٠) الموصل توجّه سنداغو الى الجزيرة وابتنى حولها سورًا وجعل يحاربها الشتاء كله حتى الصيف .

واشتهر يومئذٍ حننيشوع مطران الجزيرة النسطوريّ وكان متنبئاً عن ابرشيته. وعد ملك الملوك بانه يطبع له ما شاء من الذهب هذا لخبرته بصناعة الكيميا ثم حصّل منه امرًا باطلاق الأمان لاهل الجزيرة واقبل اليها فناهضه ابن عزازباس وحاول ان يقتله فعارضه الزعماء. ووعدهم المطران بانه يقصد ملك الملوك ويأتي باوامر منه في تأييدهم . وانطلق وفاز بفرمان يقرّر ان جمال الدين جولبغ عبد سيف الدين صاحب الجزيرة يتولى امرها وان عزازباس ومحمدًا رئيس الحرس يكونان وصيّين وان المطران حننيشوع يكون مشيرًا ومدبرًا ومثل أبٍ وعاد الى الجزيرة فطاب قلب اهاليها وفتحوا الابواب. ثم دخل سنداغو وأمر التتر فقوّضوا الاسوار في ساعة واحدة ثم ارتحلوا واقاموا في وادي الشمام بارض اربيل .

وفي السنة ١٥٧٤ لليونان (١٢٦٣ م) ارسل سيف الدين صاحب الجزيرة أحد عبيده من مصر الى جمال الدين جولبغ بده الذي كان متوليًا بها وسأله ان يبعث اليه بذهبٍ اخفاه في المحلّ الفلانيّ . فاستخرج الذهب ودفعه الى العبد فاخذه ومضى الى العمادية لحادث عز الدين ابيك بما اوصاه مولاه. فأخذه عزّ الدين ومضى به الى سمداغو وهذا ارسل فاستدعى جمال الدين وعاتبه وقال له : اننا نحن قد وليناك وانت قبلت جواسيس مصر دون ان تخبرنا . فانكر عليه ذلك . فاخرج العبدَ القادم من مصر وحكم على جولبغ بالقتل . وبعد قليل توجّه الى الجزيرة وقتل ذينك الوصيّين وولّى عليها المطران .

وفي السنة ١٥٧٥ لليونان (١٢٦٤ م) نهض الزكيّ الاربليّ احد جنود بدر الدين صاحب الموصل وادّعى لدى ملك الملوك بان ابن يونس الذي تولّى الموصل قد سرق اموالًا وافرة من زخائر بدر الدين واخفاها (٥٢١) وهو يحاول ان يأخذها وينهزم الى مصر ولما شعر باني اطّلعت على سرّه سقاني ممّا يحاول قتلي . ولو لم يعالجني المرفّق النصيبينيّ الطبيب النصراني لهلكتُ. فسخط ملك الملوك وأمر ان يصفوا ابن يونس ولمّا سطحوه سقطت رسالةٌ من عبّه ففتحوها وقرأوها فاذا فيها آية من قرآنهم مؤدّاها : فليكن لسانهم معتقلًا في فمهم والقيود في اقدامهم والاطواق في اعناقهم ونحن نفرح ونُسرّ . فسأل ملك الملوك ما معنى تلك العبارات فقال له خصوم ابن يونس : انها كلمات سحرية موجّهة اليكم . فأمر بقتل ابن يونس المذكور وولّى مكانه الزكيّ الاربليّ وأُطلق عليه اسم « الواشي » لانه وشى بابن يونس المذكور .

وفي السنة ١٥٧٦ لليونان (١٢٦٥ م) في اسبوع مدخل الصوم انتقل من هذه الدنيا هولاكو ملك الملوك . ولقد كان متصفاً بحكمته وشهامة نفسه واعماله العجيبة الممتازة . وتوفيت كذلك دقوز خاتون الملكة المؤمنة في اثناء الصيف . وقد شمل المسيحيّين في كلّ العالم حزنٌ شديد على وفاة هذين النبراسين العظيمين المعزّزين للدين المسيحيّ !

بعد هولاكو اباقا ملك الملوك

على اثر وفاة هولاكو ايلخان اتّفق ابناء الملوك والاقطاب المغول معاً على

ان يخلفه اباقا ابنه في عرشه لان الله سبحانه قد زيّنه بالعقل والحكمة والارادة الصالحة والرحمة . ولما استقرت له المملكة أصبح مشرفاً في كل حروبه ومنصوراً على جميع أعدائه . وأحبّه جميع الشعوب الخاضعين لدولته .

وفي السنة ١٥٧٦ المذكورة (١٢٦٥ م) أقبل افثيميوس (٥٢٢) بطريرك اليونان الانطاكي مستصحباً ابنة ميخائيل باليولوغس ليزفها الى اباقا ملك الملوك . وكان هولاكو ابوه قد وجه السفراء منذ زمان في طلبها ولما وصلوا الى قيسارية وردهم نعي ملك الملوك فلم يروا ان يرجعوا .

وفي هذه السنة انهزم السلطان عز الدين من قسطنطينية وارسل يخبر آل بركات المجاورين فوافوا ومضوا به خفية وما برح مقيماً هناك حتى اليوم .

وفي صيف السنة المذكورة بلغ الامر الى علاء الدين صاحب الديوان بان يتولى بغداد مستقلاً . وما عتم ان ورده خبر مبهم مفاده ان اخاه شمس الدين صاحب الديوان قد قُبض عليه في الاردو . وعند ذاك قبض قرابوغا شحنة بغداد على علاء الدين في ٢٠ آب واعتقله في داره وارسل فاخبر اخاه . ثم ورد الامر بان يسافر مكرّماً مع اسحق الشاب الارمني كاتب قرابوغا ومع رجل معدي يقول انه سار ليهزم علاء الدين . ولما وصلوا الى الاردو قرّر المعدي البدوي ان اسحق عمه ان يكذب فصدر الامر بقتلهما كليهما . ومن ثم اخذت شؤون النصارى في التبلبل .

وفي السنة ١٥٧٧ لليونان (١٢٦٦ م) سيّر البندقدار صاحب مصر الى هيتوم ملك قيليقية ان يدخل في طاعته ويؤدي له الجزية ويفتح طريق سورية ويمكن الناس من مشترى القمح من بلده . فلم يتيسر للملك هيتوم ان يأتي طلبه لخوفه من التتر . فاستعد البندقدار للقدوم الى قيليقية . اما ملك الارمن فسارع الى بلد الروم يستنجد بنفجي زعيم التتر فقال له نفجي : لا يمكنني ان اجيء دون امر ملك الملوك . وفيما كان ينتظر الجواب هجم المصريون على قيليقية وكان هيتوم غائباً . فبادر اليهم اخوه قنطسطيل وولداه (٥٢٣) وزعماؤه والتقوا عند حجر سروند فانكسر الارمن واعتُقل لاون ابن هيتوم الكبير يوم الثلاثا ٢٤ آب من هذه السنة وقتل البارون تورس ابنه الصغير وانهزم سائر زعمائه . ودخل المصريون وعاثوا في قيليقية كلها وقتلوا وسبوا . واحرقوا سيس وقوّضوا

[illegible] [illegible] . ولم يعتقوا [illegible] كنيسة
والسيدة وكنيسة مار برصوما لان بنايتها خالي من الخشب . وقــد احتلوا
امصيصة واياس وآطنة وأجلوا جمًا غفيرًا من البنين والبنــات . ولم يصلوا الى
طرسوس . واحرقوا دير اناقسهاط وأبقوا على دير كويخات لانهم شاهدوا فيه
راهبًا يتكلم في اللغة العربية وقد توسل اليهم فاغمضوا عنه وعن ديره . واقام
المصريون في قيليقية عشرين يومًا ينهبون ويحرقون .

وبعد خروجهم وصل الملك هيتوم وقد استصحب عــسكرًا من التتر ومن
الروم . غير ان هولاء بدلًا من ان يساعدوه اشتغلوا بنهب ما تركه المصريون.
وبعد ذلك كله شرع هيتوم يفتكر في نجاة ابنــه ووعد المصريين باموالٍ
وحصونٍ ثمنًا له . فاجابه البندقدار انّ لي صديقًا عنــد التتر اسمه سنقر الاشقر
فخلّصه وسيّره اليّ وخذ ابنك .

وفي هذه الســنة حاول ركن الدين صاحب بلد الروم ان يهلــك بروانة
الذي وطّده في التخت الملكيّ وساعده كل المســاعــدة في تعزيز اعماله . فلمّا
اطّلع بروانة على ذلك أخبر زعماء المغول وكان ركن الدين عندهم فاشاروا
الى احدهم فقصد خيمته وهو متكئ هناك وألقى وترًا في رقبته (٥٢٤)وخنقه
ومضوا به فدفنوه . واقام التتر بدلًا منه غياث الدين وعمره يومئذٍ اربع سنين.

وفي هذه الســنة استصدر ناصر الدين بابا امرًا من ملــك الملوك وبطش
بزاكي الاربليّ وتولى الموصل .

وفي السنة ١٥٧٨ لليونان (١٢٦٧ م) وصل الملك هيتوم الى الموصل وارتحل
الى خدمة الملك اباقا وبكى امامه ابنه المأسور في مصر وطلب سنقر الاشقر
ليخلّص به ولده . فأشفق عليه وقال له : ان سنقر ليس حاضرًا الآن فارجع
انت الى بلدك وانا ابعث فأحضره وارسله اليك . فتركه هيتوم وعاد .

وفي تلك الغضون اشتهى بروانة المتولّي تدبير مملكة بلد الروم ان يصاهر
الملك هيتوم ويطلب ابنته . ففاوض الراهب فرسيغ الارمني مندوب الملك لدى
التتر . وهذا الجاهل اشار عليه بانه متى مرّ هيتوم ببلدك فاذهب الى زيارته
واعرض عليه طلبك فلن يردّك خائبًا . ولما عاد الملك من الاردو ووصل الى
فندق القراطي وبات فيه ليلته قصده بروانة في زعماء دولته وقــدّم له هدايا

ثمينة جدًا وطلب ابنته . فخاف الملك وظنّ انه ان رفض طلبه يترصّده في الطريق ويؤذيه فوعده بذلك وعاد الى بلده • وظلّ بروانة يراجعه حتى قال له الملك : لا يمكن ان نصنع العرس ما دام اخو البنت مأسورًا . فاصطبر بروانة حتى عاد الاخ الى بيته وزال المانع . غير ان الابنة توفيت وهلك برسيغ الراهب كذلك .

وفي صيف السنة ١٥٧٨ لليونان (١٢٦٧ م) أُلقي القبض على عَلَم الرئاسة الكاتب القبطي في الاصل ومات في الحبس يوم الثلاثا ٢٦ ايلول . وفي السنة ١٥٧٩ لليونان (١٢٦٨ م) وصل سنقر الاشقر من سمرقند وأُرسل الى الملك هيتوم فوجهه الى مصر .

وفي هذه السنة (٥٢٥) في ايام الصوم الاربعيني قبض مار دنحا جاثليق النساطرة على رجل تكريتيّ سبق فنادى بالاسلام وحاول ان يغرّقه في دجلة . فثار ثائر أهالي بغداد وراجعوا علاء الدين صاحب الديوان فوجّه الى الجاثليق بعض الزعماء يطلب ذلك التكريتيّ فابى الجاثليق ان يسلّمه . فهاج الاهالي وأضرموا النيران في عتبات ابواب القلّاية وتسلّقوا الجدران يحاولون الفتك بالجاثليق . فسمع صاحب الديوان وارسل فاستحضره الى داره خفيةً من جهة النهر وأنجاه . ثم أرسل الجاثليق الى الاردو يشتكي فأقبل السفراء ونقلوه الى هناك ورفع الشكوى على الاهالي فلم يكترث له احد فترك الاردو وانطلق الى اربيل وابتنى كنيسة في قلعتها واستقرّ بها .

فتح انطاكية

وفي حزيران السنة المذكورة وجّه البندقدار صاحب مصر جيوشه الى انطاكية واحتلّوها بالسيف اذ لم يكن فيها حامية ولم يفتكر مَن فيها ان يسلّموها صلحاً . فدخلها المصريّون واجهزوا على رجالها قاطبةً وقوّضوا كنائسها الشهيرة وأجلوا النساء والبنين والبنات وتركوها خالية خاوية حتى يومنا .

وفي صيف هذه السنة أُلقي القبض على مار حننيشوع اسقف الجزيرة وصدر الامر بقتله . فسطحوه وجعلوا فوقه حجرًا ضخماً وفلقوا هامته وعلّقوها على باب المدينة . تلك كانت خاتمته الفظيعة بسبب تدخّله في الشؤون الدنيوية

ومحاولته ان يتوى امدينة فضلاً عن انهماكه في الملاذ .

وفي تلك الاثناء وجه المصري الى هيتوم ابنه لاون مكرماً ووصل الى قيليقية في تموز السنة المذكورة فابتهج قلب ابيه وفرح المسيحيون جميعاً بقدومه . ثم توجه الملك هيتوم الى بغداد ليشكر لملك الملوك نجاة ابنه واستقال من السلطنة بسبب شيخوخته وطلب (٥٢٦) ان يكون ابنهُ متولياً المملكة. فقال له الملك : متى حضر الينا وليناه المملكة .

وفي السنة ١٥٨٠ لليونان (١٢٦٩ م) حدثت زلزلة هائلة في قيليقية في الساعة الاولى من ليلة الاربعاء. واخربت قلعة سروند وقلعة عماوس وقلعة الحجر الأصفر ودير بالوط الملك وهو اكبر اديار الارمن . وهلك في تلك الزلزلة زهاء ثمانية آلاف نسمة .

وفي تموز توجه الملك لاون ابن الملك هيتوم الى خدمة ملك الملوك فرحب به ترحيباً جميلاً وفوض اليه سياسة مملكة ابيه .

وفي السنة ١٥٨١ لليونان (١٢٧٠ م) شخص صاحب مصر الى فلسطين وحاصر حصن الاكراد واخذه عنوةً . ولم يقتل احداً بل اطلق الحرية لمن يريد الاقامة به او الذهاب الى طرابلس .

وفي خريف السنة ١٥٨٢ لليونان (١٢٧١ م) توفي هيتوم الملك المؤمن بدملة خرجت في صدره . واجتمع الاساقفة والزعماء في طرسوس وتوجوا ابنه لاون ملكاً يوم عيد الدنح (الظهور) .

وفي مدخل الصوم وثب الاسماعيليون على علاء الدين صاحب الديوان في بغداد وهو راكب وضربوه بالسكاكين ولم يقتلوه فقبض عليهم وقُطّعت اعضاؤهم واذاع العرب بان المعتدين كانوا نصارى وقد ارسلهم الجاثليق . بناء عليه أُلقي القبض على الاساقفة والرهبان والأعيان وحُبسوا في بغداد وقبض تتولو بك كذلك على الجاثليق وعلى اساقفته في اربيل وعذبوهم الصوم كلّه حتى صدر بعون الله تعالى الامر من الاردو باعتاقهم جميعاً . وبعد هذا سار الجاثليق الى مدينة اشنو باذربيجان واقام بها .

وفي السنة ١٥٨٣ لليونان (١٢٧٢ م) حاول زعماء اليونان في قيليقية ان يغدروا بالملك لاون . وما ان شعر بالدسيسة حتى قبض على البارون كبيرهم

فسمع رفاقه وانهزموا الى احدى القلاع وارسلوا الى بلاد الروم (٥٢٧) يطلبون نجدة ليتسلموا القلعة . اما الملك فبادر الى القلعة وحاصرها ووثب الارمن الذين فيها الى الزعماء اليونان وسلموهم الى الملك فقضى عليهم جميعاً وأهلك مثلهم بهرام في قلعة عين زربة . على ان اليونان لما انهزموا الى تلك القلعة استدعى الملك بطريرك انطاكية اليوناني[1] وسيّره اليهم واقسم لهم إن انحدروا فلن يؤذيهم . عير ان البطريرك لما ذهب اليهم قال لهم : امكثوا مكانكم والا فانكم تهلكون جميعاً . ثم انقلب وقال للملك : انهم لم يطيعوني ولم ينزلوا . فشعر الملك بما جرى وبعد ما بطش بهم قبض على البطريرك كي يوجهه الى قسطنطينية فيقضي الملك بينهما . ولما سلّمه الى الجنود ليمضوا به الى العاصمة ووصلوا الى مدينة اياس نصبوا له خيمةً على ساحل البحر وتركوه وقصدوا المدينة ليبتاعوا لهم طعاماً واستغرقوا في شرب الخمرة الى الليل فارسل البطريرك الى بعض الملّاحين اليونان الذين كانوا قريبين واستدعاهم اليه وجعل يبكي امامهم وصرّح لهم بان الجنود الارمن انما يريدون اهلاكه متى ركب البحر ولن يوصلوه الى قسطنطينية . فاشفقوا عليه واركبوه سفينتهم الصغيرة ومضوا به الى بلاد الروم التي كانت في حوزة الاتراك .

وفي هذا الزمان زفّ لاون ملك الارمن ابنته الى ابن بروانة بدلاً من اختهِ التي رفض ابوه ان يزفّها اليه . وعقد الفريقان صلحاً ما بينهما وهمياً .

وفي السنة ١٥٨٤ لليونان (١٢٧٣ م) حدثت زلزلة مريعة في مدن اذربيجان ولا سيّما في تبريز ليلة الاربعاء ١٨ كانون الثاني . وقوّضت الدور والمساجد وقمم الابراج . وقد صان الله تعالى كنيستنا وظلّت الصلوات تقام فيها بحضور اليونان والارمن والنساطرة والسريان . امّا سائر (٥٢٨) الاهالي العرب فقد غادر ربوات منهم المدينة ونصبوا الخيام في الجنائن واقاموا هناك نحو شهرين ثم عادوا الى بيوتهم . ومات في تلك الزلزلة زهاء مائتين وخمسين نسمة من العرب .

وفي صيف تلك السنة اقبل كُتّاء سوريّة من عينتاب ومن البيرة الى بلد

[1] اقثيموس الاول (١٢٥٨ ؟ - ١٢٧٣) .

قلودية من [illegible] حتى [illegible] موعاية البلد ثم نقلوا وأجلوا الاهالي قطبة [illegible] وصبياناً وعادوا ولم يبيتوا خيفة ان يدركهم جيش المغول .

وتأهبنا في تلك الايام للذهاب الى دير مار برصوما ولم نشعر بتلك النائلة حتى اشرفنا على البلد فرأيناه مثل كرم اكتسحه البَرَد واقنا في دير سرجيس حتى وافى نحو خمسين راهباً مسلّحين وسرنا معهم الى الدير المذكور .

وفي السنة ١٥٨٥ لليونان (١٢٧٤ م) انحدر ملك الملوك في جيوش كثيفة الى بغداد وحدث فيها غلاء وقلّت الغلات وظهر الجراد كذلك .

وفي ايام الصوم الاربعينيّ من تلك السنة كلف راهب نسطوريّ من دير مار ميخائيل الذي بجانب الموصل بامرأة عربية . ولمّا فُضِح امره جاهر بالاسلام فاغتمّ المسيحيّون غمّاً شديداً . واستفظع رهبان ذلك الدير وعمّ الراهب المذكور ما جرى ولم يطيقوا احتمال ذلك العار والاحتقار فارسلوا الى طرفاشي قائد الجيش المغوليّ وطلبوا حضوره فاقبل الى الموصل وقبض على ذلك الراهب الذي أسلم يريد البطش به . فثمر الاهالي المسلمون وتحمّسوا واحتشدوا عند باب البلاط حاملين العصيّ والمصابيح وتهدّدوا القائد المغوليّ مصرّحين له بانه ان لم يطلق ذلك الراهب فتكوا به وبمن معه . فخاف القائد وأطلقه . فاخذوه واركبوه وطافوا به في المدينة وشمل جميع النصارى الحزن اكثر من الاوّل .

وفي تلك الايام شاء نصارى اربيل (٥٢٩) ان يحتفلوا باحد الشعانين وعرفوا ان العرب مُتحفّزون لإزعاجهم فارسلوا يستدعون الى مساعدتهم بعض التتر النصارى المجاورين . فاقبلوا ووضعوا الصلبان في رؤوس الرماح . وخرج مطران الناطرة وجميع الشعب يتقدمهم اولئك التتر راكبين . لمّا قربوا من القلعة احتشد جماهير العرب وتناولوا الحجار وجعلوا يرجمون التتر والنصارى معاً . فتشتّت شملهم وانهزم كلّ النصارى وظلّوا اياماً لا يجسرون ان يخرجوا ظاهراً . وقد امتعض المسيحيّون في كلّ البلاد بسبب ذلك ايّ امتعاض .

وفي هذه السنة توفّي خواجا نصير الفيلسوف الفارسيّ الذي امتاز بالفضل في كلّ العلوم الحكمية ولا سيّما في العلوم الرياضيّة وآلات الرصد والدوائر النحاسيّة الكبرى ففاق فيها ما اقامه بطلميوس في الاسكندرية . واختبر سير الكواكب وأتقنه . واجتمع كثير من الحكماء من مختلف البلاد واقبلوا الى

مراغة باذربيجان . وكانت جميع اوقاف المساجد والمدارس في بغداد وآثور تحت حكمه يوزّع منها الاجور على المعلّمين والطلّاب الذين لديه . ففي هذه الغضون لما قصد بغداد ليشرف على تلك الاوقاف ادركه الأجل . واذاع بعضهم انه مات مسموماً . وقد صنف كتباً جمةً في المنطق والطبيعيات والالهيّات واوقليدس ومجسطي بدقّة تامة . وله كذلك كتاب اخلاق في الفارسيّة جمع فيه نصوص افلاطون وارسطو في الفلسفة العمليّة . وكان متشبّثاً بآراء الفلاسفة الاقدمين يعارض معارضة قويّة في تصانيفه كلّ مَن يخالفهم .

وفي السنة ١٥٨٦ لليونان (١٢٧٥ م) توجه بعض الاشرار ليلاً في كانون الاول وقرعوا باب يهوديّ صائغ في الموصل . فقال لهم ماذا تريدون ؟ قالوا : اننا شبّان وقد قصدناك لتعطينا نفقةً . فاستخبرهم (٥٣٠) قائلاً : كم تريدون ؟ قالوا : عشرين درهماً . فدفع لهم ما طلبوا من ثقب الباب . لكنّهم رفضوا وقالوا له : افتح لنا الباب . وظلّوا نحو ساعةٍ يتخاصمون ثم تسلّق بعضهم السطح وانحدروا الى البيت وفتحوا الباب ودخل اصحابهم كذلك . وجعلوا يضربون اليهوديّ حتى دفع لهم كلّ ما كان لديه . ولمّا حاولوا الفتك به ألقت امرأته بنفسها عليه وتوسّلت اليهم ان يشفقوا على شبابه ويقتلوها عوضاً عنه . غير ان اولئك الجناة القساة القلب قالوا لها : اننا سنقتلكِ ونقتله كذلك . وبعد ما ذبحوا زوجها طعنوها بالسكاكين وتركوها على آخر رمق وانصرفوا في المال الذي اخذوه . ولمّا اصبح الصباح اقبل بعض الناس وشاهدوا اليهوديّ مذبوحاً وامرأته تنازع فاخبرتهم بما جرى وانطفت انفاسها في الساعة التاسعة .

وتوجه في تلك الغضون نحو ثلاثين رجلاً من فقراء العرب من اطراف سورية الى قيليقية يريدون زيارة قبر الخليفة المأمون المدفون في طرسوس وتبادر الى الظنّ ان البندقدار صاحب مصر هو معهم وقد تنكر يريد جسّ سائر الدول . فقبض عليهم صاحب قيليقية وزجهم في قلعة كبيرة ولمّا انتشر الخبر في مصر جعل الوفود يتقاطرون في طلب المحبوسين وغلب على الظنّ ان ما قرّره الارمن حقيقيّ وأبى لاون الملك اطلاقهم . عند ذلك احتشد خمسمائة فارس من الجيش المصري وزحفوا الى قيليقية ايام الصوم الكبير عام ١٥٨٦ لليونان (١٢٧٥ م) فقاومهم الارمن وهزموهم . فاحتشد تكراراً نحو ثمانية آلاف وباغتوا البلد

شخص احد ووصلوا الى اياس في سحر الاثنين من اسبوع العجائب ٢٦ آذار (٥٣١) وفتكوا بمن وجدوا فيها وكان اغلب اهاليها منهزمين ومحتشدين في مكان قريب خوفاً من المصريين . غير ان اللصوص الفرنج وثبوا اليهم ونهبوا كل ما لهم وانتزعوا ثيابهم كذلك ولكنهم لم يقتلوهم .

امّا المصريّون فساروا من اياس الى المصّيصة يوم الثلاثا وفتكوا باهاليها فتكاً ذريعاً واحرقوها بأسرها . وانتقلوا الى جشرا وتفرّقوا في ضواحيها وسار بعضهم الى طرسوس وتصدوا برجها يوم السبت عيد العرب واذّنوا فيه ثم تبسّطوا حتى قوزيقس يقتلون ويغزون ويحرقون . وتوجّه بعضهم الى سيس ولم يجدوا فيها خلقاً اذ كان الاهالي جميعاً متحصّنين في القلعة فاحرقوا بعضها . وقد قتلوا خمسة وعشرين راهباً في دير البقاط في جملتهم الربان سليمان الشيخ الجليل وكاتب اسرار البطريرك اغناطيوس المتوفى واحرقوا الدير المذكور ودير كوتيات وسائر اديار الارمن واليونان ومحقوا دير بطريركنا الواقع في لحف سيس . اما البطريرك فانهزم الى قلعة بهجا وانزوى هناك حتى زال الغضب . وظلّ المصريون هناك حتى آخر الاسبوع التالي لعيد القيامة ثم انصرفوا في غنائم وافرة . وأربى عدد القتلى على الستين الفاً . اما النساء والصبيان الذين استاقوهم عبيداً فلا يُحصى عددهم . وكان في ذلك البلد زهاء عشرة آلاف من التركمان تعدّوا على المسيحيين فلمّا رجع المصريون أجهز الملك عليهم قاطبةً واستعبد بعضهم ونهب كل مالهم .

وفي تلك السنة مات البرنس بوهيمند امير طرابلس وخلفه ابنه الفتى ووجّه الزعماء فاحضروا (٥٣٢) سير هنري والد صاحب تبرس الشيخ الرزين وفوّضوا اليه تدبير الفتى وسياسة المملكة .

(يتبع)

المرأة الغلامية في الاسلام

بقلم حبيب زيات (✝)

من مخلّفات فقيد العلم والادب ، حبيب زيّات ، اوراق ووثائق عديدة ، قُدّر له ان يُبوّب قسماً منها وها نحن ننشر اليوم هذا الدرس الطريف عن « المرأة الغلامية في الاسلام» الذي سيروق قرّاء المشرق الكرام بما فيه من نكتة وظرف وبما نجد في المؤلف من حبّ العودة الى الاصول ومن الولع في التنقيب ما امكنه عن امور قلّ ان اهتمّ بها مؤرّخو العصور الغابرة مع انها تُعطي صورة حيّة عن الجوّ الاخلاقي والادبي في تلك الايام . اذ لا يستطيع مؤرخ ما اذا طارت به النفس الى تأريخ فترة من العصور الماضية الّا ان يتوقف عند بعض المظاهر اليومية التي كان لها اليد الطولى في توجيه سياسة او في توطيد علاقات. وسننشر في عدد مقبل من هذه المجلّة درساً آخر شيّقاً عن « حمل اللحى في الاسلام » .

وما تُرك لنا ان نقدّمه للقرّاء الكرام وثائق مبعثرة جمعتها يد ذلك العالم الكفوء وحفظتها الى ان نُقلت الينا وهي عبارة عن رسائل اصلية تُبودلت بين احبار الكثلكة الملكية والمجامع الرومانية . فان نشرناها بكاملها — ونحن صانعون — ادّينا لتاريخ الكنيسة الملكية العزيزة خدمة جلّى في ما يتعلق بالعدد الكبير من ابرشياتها السورية واللبنانية. وقد فضّلنا نشر هذه الوثائق دون تأويل ولا تعليق نايبين توقيتها الزمني فقط اذ هي كافية لتطلع القارئ على الامور التي كانت حجر عثرة او محور تبادل او نقطة انفراج ، تاركين للمؤرّخ ان يستفيد منها ويقابل بين الواحدة والاخرى كي يستخلص منها ما له ان يستخلصه .. وبالله الكريم التوفيق وهو حسبنا .

الاب ا. عبده خليفه اليسوعي

المقدمة

في كتاب الفهرست لابن النديم الوراق اسماء عدة مصنفات في اخبار النساء واوصافهن واهم ما ذكر منها «كتاب من تشبه بالرجال من النساء» لابي الحسن المدائني (ص ١٥١ من طبعة القاهرة) وهو اليوم اعوز كتاب لنا لاستطلاع اخبار المرأة الفلامية في الاسلام وتعرف المحل والمقدار الذي بلغته في الحضارة والتظرف في الحياة الاجتماعية بيد اننا لا ندري هل المّ فيه مؤلفه بنعوت النساء المترجلات في اخلاقهن وازيائهن وسائر احوالهن ام اقتصر فقط على سرد اسماء من اشتهر منهن بتقليد الذكور وروى بعض غرائبهن وما كن ينفردن به من المحاسن والمساوئ ولم نعثر على كتاب آخر في معناه وغاية ما وقفنا عليه من اسماء الكتب الموضوعة في اخبار النساء عامة ما يأتي :

كتاب القيان والجواري للجاحظ[١] .

كتاب النساء لابن قتيبة[٢] .

كتاب اخبار المتظرفات لابي الطيب الوشا[٣] .

كتاب اخبار النساء وكتاب من وصف امرأة فاحسن[٤] .

كتاب تحف الوسائد في اخبار الولائد لابي الفرج الاصبهاني[٥] .

كتاب الوثائق للمرزباني فيه وصف احوال النساء ونعوته وضروبه وطرقه واخبار المغنين والمغنيات الاحرار والاماء والعبيد[٦] .

كتاب اخبار النساء للميداني[٧] .

كتاب اخبار النساء للهيثم بن عدي[٨] .

كتاب النساء للجاحظ[٩] .

---

١) الوافي بالوفيات للصفدي خزانة اكسفرد Seld. Arch. a 28 f° 11-12

٢) الفهرست ١١٥

٣) « ١٢٦

٤) « ١٢٩

٥) نهاية الارب للنويري ٥ : ٩٨

٦) الفهرست ١٩٣

٧) معجم الادباء لياقوت ٢ : ١٢٣

٨) معجم الادباء ١٩ : ٣١٠

٩) « « ١٦ : ١٠٨

كتاب اخبار النساء لهرون بن علي المنجم[١] .

كتاب النساء لحفص بن عمرو المنقري[٢] .

كتاب النساء لاحمد بن عبدالله الرقي وكتاب الزينة وكتاب الزي له[٣] .

كتاب اخبار النساء لابن حاجب النعمان[٤] .

كتاب النساء وما جاء فيهن من الغدر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن[٥] .

كتاب قيان الحجاز وكتاب القيان لاسحق بن ابرهيم الموصلي[٦] .

كتاب اخبار المتظرفات لابي الفضل احمد بن ابي طاهر او لابنه ابي الحسن[٧] .

كتاب اخبار النساء لابن الشاه الظاهري[٨] .

كتاب المتظرفات والمتظرفين لعبيد الله احمد بن ابي طاهر[٩] .

كتاب النساء لابرهيم بن القاسم القيرواني[١٠] .

كتاب المستظرف من اخبار الجواري لجلال الدين السيوطي من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ٣٠ صفحة (رقم ٥٨٦٤ مجموع عام) .

وفي تضاعيف الكتب والمجاميع الادبية فصول شتى واوصاف للنساء كالباب السابع والعشرين في النعوت والصفات وهي اربعون نوعاً : الحادي عشر في النساء ولباسهن وزينتهن من التذكرة الحمدونية وقد كان هذا الجزء منها محفوظاً في خزانة نور الدين بك في القاهرة .

وقد عبث الدهر بمعظم هذه المؤلفات الممتعة واضاعها اثرا بعد عين وحرمنا بفقدها اهم ما يستند اليه في تعريف المرأة والقينة والوصيفة الغلاميات ولعل انفس ما كان منها كتاب الزينة وكتاب الزي للرقي ثم كتاب اخبار المتظرفات لابي الطيب الوشا لما قد يكون اودعه فيه الوشا من اوصاف النساء والولائد والاماء في الحلي والزي والملبس والتعطر والمعاشرة والمغازلة كالتي اشار اليها وسرد جانباً منها في كتابه الموشى المطبوع لاول مرة في ليدن ولم يبق لنا اليوم بعد ضياع هذه النسائيات الا تقلية كل سفر مطبوع او مخطوط وتلقط كل وصف او اشارة في النثر والنظم تشف عما وراءها من نعوت الغلامية في

١) معجم الادباء ١٩ : ٢٦٢
٢) « ١٠٠
٣) معجم الادباء ٤ : ١٣٣
٤) الفهرست ١٩٣
٥) « ٢٠٦
٦) الفهرست ٣٠٣
٧) « ٣١٠
٨) « ٣١٨
٩) « ٣١٠
١٠) معجم الادباء ١ : ٢١٦

حضارتين عباسية وفاطمية وما [illegible] وتوفر عليه في [illegible] مخزون العربية في الشرق والغرب حتى اجتمع لنا من هذه المطالعات والتنقيبات المضنية نوادر وروايات ولُمع وحكايات تمثل جانباً من خصائص الغلامية وفوارقها وما امتازت به في المشرق من شكل وزي وتظرّف وتشطّر وعبث ومجون وتزين وافتنان ودلّ وحظوة ما يتشوّق الى معرفتـه كل متطلع الى غرائب الحياة والمجتمع العربي في الدهر السالف راغب في النظر الى اعجب وجه وقـد في الاسلام فتن بها الخلفاء والخلائق وبزّ بها الشرق كل ما اشتهر بـه الغرب من إغراب وإبداع وجرأة على خرق العادات والخروج عن المألوف لاستدعاء الانظار واجتذاب القلوب .

المرأة المترجلة في الجاهلية واوائل الخلافة الاموية

في صحيح البخاري ان الرسول لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[1] اي في زيهم وهيئتهم وعن ابي هريرة انه لعن الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل[2] وقيل لعائشة: ان المرأة تلبس النعل فقالت: لعن رسول الله الرجلة من النساء.[3] لان النعل كانت لا تستر كل القدم وبعض الساق خلافاً للخف . وهذه الاحاديث تـدل دلالة بيّنة على ان داء الترجل في النساء كان شائعاً في البادية وظل معروفاً في الاسلام .

وروي عن نافع انه قال : كان ابن عمر وعبد الله بن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب اذ اقبلت امرأة تسوق غنماً متنكّبة قوساً فقال عبدالله بن عمرو أرجل انت ام امرأة فقالت امرأة فالتفت الى ابن عمر وقـال : ان الله تعالى لعن عن لسان نبيه (صلعم) المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء.[4] .

واشار الذهبي الى الالبسة التي تتشبه بها المرأة بالرجل فقـال : اذا لبست

---

١) صحيح البخاري ٧ : ٥٢

٢ و٣) سنن ابي داود ٢ : ١١٨

٤) كتاب الكبائر للذهبي ١٣٠

المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والاكام الضيقة فقد شابهت الرجال في لبسهم فتاحقهم لعنة الله ورسوله ولزوجها[1] وهذا بعض ما كانت المرأة تقلد به الرجل وهنالك البسة وازياء اخرى كانت تختلف باختلاف الازمنة والعادات .

ومن اشهر المترجلات في الصدر الاول عزة الميلاء احدى المغنيات المحسنات في عهد حسان بن ثابت قيل كانت تلبس الملاء وتتشبه بالرجال فسميت بذلك[2] وتلحق بها ام سعيد الاسلمية وبنت ليحي بن الحكم بن ابي العاصي «كان المخنث الدلال ملازماً لها وكانتا من اجن الناس تخرجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليها حتى تبدو خلاخيلها فقال معاوية لمروان بن الحكم : اكفني بنت اخيك فقال : افعل فاستزارها وامر ببئر فحفرت في طريقها وغطيت بحصير فلما مشت عليه سقطت في البئر فكانت قبرها وطلب الدلال فهرب الى مكة[3] وليت الراوي ذكر لنا ايضاً ما فعل الدهر ام الرجال بام سعيد وكيف كانت منيتها .

وفي ايام الحجاج تزوج الضحاك الشاعر باربع نسوة وكان قد سمع الحجاج يرغب في ذلك ووصفهن بابيات قال في الزوجة الثالثة منهن :

وثالثة ما ان توارى بثوبها مذكرة مشهورة بالتبرج[4]

وهو ما يشير الى رقة ثوبها وشفوفه عن بشرتها .

وقد غابت عنا اكثر اخبار النساء واحاديثهن في الخلافة الاموية وقد غلبت عليها جلالة الحوادث وشدة التنازع بين الطالبيين والامويين وضاع معها معظم دواوين الشعراء المتقدمين فلا ندري من شؤون المرأة فيها واوصاف الجواري والوصائف والاماء ما يبنى عليه حكم او يصح فيه تمثيل على ان البادية لم تخلُ قط قبل الهجرة وبعدها من فتيات مذكّرات يتشبهن بالرجال في اللباس والتعمم والتلثم وطلب القنص والغزو وركوب الخيل ومعاقرة الشراب كالفتيان ومن الامثلة في ايام عمر بن ابي ربيعة ما حكاه عمر عن صديق له من عذرة يقال له الجعد بن مهجع وصف له فيه يوم الدوحة قال :

---

١) كتاب الكبائر ١٣٩

٢) الاغاني طبعة بولاق ١٦ : ٨٣

٣) الاغاني ٤ : ٦٤

٤) ذيل الامالي والنوادر للقالي طبعة بولاق ٦٨

... في رجل ذو مال كثير من نعم لا يحصره ويرويه الثماد وقطر الغيث ارض كلب فانتجعت اخوالي منهم فاوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني جمة[1] الماء وكنت فيهم في خير اخوال ثم اني عزمت على موافقة ابلي بماء لهم يقال له الحزان فركبت فرسي وسمطت[2] خلفي شرابًا كان اهداه لي بعضهم ثم مضيت حتى اذا كنت بين الحي ومرعى النعم رفعت لي دوحة عظيمة فنزلت عن فرسي وشددته بغصن من اغصانها وجلست في ظلها فبينا انا كذلك اذ سطع غبار من ناحية الحي ورفعت لي شخوص ثلاثة ثم تبينت فاذا فارس يطرد مسحلًا[3] واتانًا فتأملته فاذا عليه درع اصفر وعمامة خز سوداء واذا فروع شعره تضرب خصريه فقلت غلام حديث عهد بعرس اعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته فما جاز عليّ قليلًا حتى طعن المسحل وثنى طعنة للاتان فصرعها واقبل نحوي وهو يقول :

نطعنهم سلكى ومخلوجة ... كرّك لامين على نابل[4]

فقلت انك قد تعبت واتعبت فلو نزلت فثنى رجله فنزل فشد فرسه بغصن من اغصان الشجرة والقى رمحه واقبل حتى جلس فجعل يحدثني حديثًا ذكرت به قول ابي ذؤيب :

وان حديثًا منك لو تبذلينه ... جنى النحل في ألبان عوذ مطافل[5]

فقمت الى فرسي فاصلحت من امره ثم رجعت وقد حسر العمامة عن رأسه فاذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش فقلت : سبحانك اللهم ما اعظم قدرتك واحسن صنعتك فقال : مم ؟ قلت : مما راعني من جمالك وبهرني من نورك قال : ما الذي يروعك من حبيس التراب وأكيل الدواب ثم لا يدري أينعم بعد ذلك ام ييأس قلت : لا يصنع الله بك الا خيرًا . ثم تحدثنا ساعة فاقبل

---

١) جمة الماء معظمه .
٢) سمط علّق .
٣) المسحل الحمار الوحشي .
٤) السلكى الطعنة المستقيمة والمخلوجة الطعنة الموجّة واللأم سهم عليه ريش لؤام يلائم بعضه بعضا والنابل صاحب النبل .
٥) عوذ جمع عائذ وهي الحديثة النتاج الى خمسة عشر يومًا ثم هي بعد ذلك مُطفل .

عليَّ وقال : ما هذا الذي سمطت في سرجك ؟ قلت : شراب اهداه اليَّ بعض اهلك فهل لك فيه من أرب قال : انت وذاك فاتيته به فشرب وجعل ينكت احياناً بالسوط على ثناياه فجعل والله يتبين لي ظل السوط فيهن فقلت : مهلًا فاني خائف ان تكسرهن فقال : ولِمَ قلت انهن رقاق وهن عذاب ثم رفع عقيرته يتغنى :

اذا قبّل الانسان آخر يشتهي ثناياه لم يأثم وكان لـه اجرا
فان زاد زاد الله في حسناته مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

ثم قام الى فرسه فاصلح من امره ثم رجع فبرقت لي بارقة تحت الدرع فاذا ثدي كأنه حق عاج. فقلت : نشدتك الله امرأة ؟ قالت : اي والله الا اني اكره العَهَر[1] واحب الغزل . ثم جلست فجعلت تشرب معي لا افقد من انسها شيئاً حتى نظرت الى عينيها كأنهما عينا مهاة مذعورة فوالله ما راعني الا ميلها على الدوحة سكرى فزيّن لي والله الغدر وحسن في عيني ثم ان الله عصمني منه فجلست حَجرةً منها فما لبثت الا يسيرًا حتى انتبهت فزعة فلاثت عمامتها برأسها وجالت في متن فرسها وقالت : جزاك الله عن الصحبة خيرًا قلت : اما تزويديني منك زادًا ؟ فناولتني يدها فقبّلتها فشممت والله منها ريح المسك المفتوت فذكرت قول الشاعر :

كأنها اذ تقضّى النوم وانتبهت سحابة ما لها عين ولا اثر

قلت : واين الموعد . قالت : ان لي اخوة شُرُساً وابًا غيورًا ووالله لأن اسرّك احب اليَّ من ان اضرّك ثم انصرفت فجعلت اتبعها بصري حتى غابت فهي والله يا ابن ابي ربيعة احلّتني هذا المحل وابلغتني فقلت له : يا ابا الصبر ان الغدر بك مع ما تذكر لمليح فبكى واشتد بكاؤه فقلت : لا تبكِ فما قلت لك ما قلت الا مازحاً ولو لم ابلغ في حاجتك بِمالي لسعيت في ذلك حتى اقدر عليه فقال لي خيرًا .

فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ودعوت غلامي فشد على بعير له وحملت عليه قبة حمراء من ادم كانت لابي ربيعة المخزومي وحملت معي

[1] في الاصل المطبوع : اكره البشر وهو تصحيف يخالف ما يقتضيه الكلام والصحة . العَهَر اي الفجور .

الف دينار ومطرف خز وانطلقنا حتى اتيت بلاد كلب فشدنا عن ابي الجارية فوجدناه في نادي قومه واذا هو سيد الحي واذا الناس حوله فوقفت على القوم فسلمت فرد الشيخ السلام ثم قال : من الرجل ؟ قلت عمر بن ابي ربيعة بن المغيرة فقال : المعروف غير المنكر فما الذي جاء بك ؟ قلت خاطباً . قال : الكفء والرغبة . قلت : اني لم آتِ ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا جهالة لشرفك ولكني اتيت في حاجة ابن اختكم العذري وها هو ذاك فقال : والله انه لكفء الحسب رفيع البيت غير ان بناتي لم يقعن الا في هذا الحي من قريش[1] فوجمت لذلك وعرف التغير في وجهي فقال : اما اني صانع بك ما لم اصنعه بغيرك قلت : وما ذاك فمثلي من شكر قال : اخيّرها فهي وما اختارت قلت : ما انصفني اذ تختار لغيري وتولّي الخيار غيرك . فاشار اليَّ العذري أنْ دَعه يخيّرها فارسل اليها ان من الامر كذا وكذا فارسلت اليه : ما كنتُ لاستبد برأي دون القرشي فالخيار في قوله حكمُهُ . فقال لي : انها قد ولّتك امرها فاقضِ ما انت قاض فحمدت الله عز وجل واثنيت عليه وقلت : اشهدوا اني قد زوجتها من الجعد بن مهجع واصدقتها هذه الالف ديناراً وجعلت تكرمتها العبد والبعير والقبة وكسوت الشيخ المطرف وسألته ان يبني عليها في ليلته فارسل الى امها فقالت : أتخرج ابنتي كما تخرج الامة فقال : هجّري[2] في جهازها فما برحتُ حتى ضربتُ القبة في وسط الحريم ثم أُهديَت له ليلًا وبت انا عند الشيخ فلما اصبحت اتيت القبة فصحت بصاحبي فخرج اليَّ وقد اثّر السرور به فقلت : كيف كنت بعدي وكيف هي بعدك فقال لي : ابدت لي والله كثيرًا مما كانت اخفته عني يوم لقيتها فسألتها عن ذلك فانشأت تقول :

كتمت الهوى لما رأيتك جازعًا	وقلت فتى بعض الصديق يريد
وأن يطّرحني او يقول فُتَيّهة	يضرُّ بها برح الهوى فتعود
فورّيت عما بي وفي داخل الحشا	من الوجد برح فاعلمنَّ شديد

فقلت : أقِمْ على اهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت وانا اقول :

---

١) معلوم ان الخليفة معاوية تزوج ميسون الكلبية وهي ام ولده يزيد .

٢) هجّري اي اسرعي وبادري .

كميت احي العذري ما كان بائذ ولي لاعداء اسوانب حمائل
اما استحست مي المكارم والعلى اذا اطيحت اني لمالي بذال[1]

وهذا المثال وحده جامع لكل ما كانت المرأة في البادية تطمع فيه لمحاكاة الرجل في لباسه وهيئته وعمته وركوبه واعتقاله الرمح وتنكبه القوس للقنص ومطاردة الوحش ومعاقرته الشراب حتى السكر ولكنها كانت للعفة الغالبة عليها تقف عند حدود الدين والانس ومع محبتها للغزل كانت تكره العهر اي الفجور كما قالت الفتاة الكلبية

لقب الغلامية

يراد بالغلامية المرأة المتشبهة بالغلام في زيه وشكله وهيئته وهو ما وصفها به ابو نواس بقوله :

وجارية لها شكل الغواني فتـاة السن في زي الغلام[2]

واتم منه مطابقة قوله فيها ايضاً :

مذكّرة مؤنثة مهـاة اذا برزت تشبّهها غلاما[3]

وله فيها اوصاف اخرى سيأتي ذكرها قريباً فاق بها سائر الشعراء وممن جرى على سننه في نعتها المعلى الطائي فقال من ابيات :

موردة الخدين مضومة الحشا معقربة الصدغين فاترة الطرف
تقمّص اثواب الرجال تمرّدا وتأنف من لبس القلادة والشنف[4]

ولا ريب ان هذا اللقب نشأ في اوائل الخلافة العباسية وقد خلا الشعر الاموي منـه لان القوم وقتئذٍ كانوا احدث عهداً بالبداوة واقرب الى الفطرة تنزهت اشعارهم عن كل ما يألف السجية من آفات الحضارة فلم يقم منهم من تصبي غير الغواني والمها او تغزل بالغلمان ولا يبعد ان بعض التشبيه بالذكور

1) الاغاني ١٠ : ٥١ – ٥٣ وجمهرة الاسلام ذات النثر والنظام لابي الغنائم مسلم بن رسلان الشيرازي خزانة ليدن Arabe 287 Warn f° 27
2) ديوانه طبعة القاهرة ٣٣٣
3) ديوانه خزانة باريس ٥٨٣٠ ص ١٨٦
4) كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز ١٦٨

في الوصائف الامويات كان قد بدأ ينتشر في بعض المنازل والمدن كطمّ الشعر اي قصّه كشعر الغلمان لانه كان معروفاً في الجواري الروميات في القسطنطينية ومنْ اشتهى الى اهل الشام واصل هذا الترجل كان ايضاً يشاهد في نساء فارس ويقال للمرأة المترجلة عندهم زنردة وهي التي دعاها شاعر الاغاني زمرّدة فقال :

بُليت بزمرّدة كالعصا الصّ واخبث من كندش

وقيل في تفسيرها الزمردة امة في زنردة وهي المرأة التي تشبه الرجال خَلقاً وخُلقاً[1].

الرقيق والوصائف والنساء الغلاميات في الخلافة العباسية

كان الترجل في الخلافة العباسية لا يكاد يجاهر به ويتخلق باخلاقه سوى الاماء والوصائف والجواري الاعجميات دون الحرائر من الاشراف لانهن كن يترفعن عن هذا التقليد والابتذال ولذلك لما وُصفت للمتوكل على الله ريطة بنت العباس بن علي « فحُملت اليه فتزوجها سألها ان تطم شعرها وتتشبه بالمماليك فأبت عليه فاعلمها انها ان لم تفعل فارقها فاختارت الفرقة فطلقها »[2] وكان المتوكل احد الخلفاء المغرمين بالنظر الى الغلاميات وسماع التغزل بهنّ في الشعر كما سيجيء .

وقد ذكر بعض الرواة والاخباريين تغلب حب التسري اي التزوج بالاماء على اهل الصدر الاول بعد فتوح البلدان ونقل المبرّد نكتة عدّد فيها ثلاثة من اولاد الخلفاء الاولين ابي بكر وعمر وعلي بن ابي طالب كان كل منهم ابن أمة اي ام ولد كما كان يقال لها وسرى هذا الشغف بالجلائب الى جمهور الخلفاء العباسيين فلم يتم منهم من امة عربية هاشمية الا اثنان فقط ونشأ سائرهم هجيناً اي وليداً من ام غير عربية خلافاً لبني أمية فان الهجنة كانت تقعد بمن كانت امه سبية او جليبة عن تبوأ عرش الخلافة كسلمة بن عبد الملك

---

١) الاغاني ١١ : ٣٧١

٢) المحاسن والاضداد المنسوب للجاحظ طبعة ليدن ٢٣٦

وغيره من ابناء الخلفاء. وكان كثيرون يتأوّون من ضياع الخلافة كانت علته التزوج بالاجنبيات ولذلك قال ابو العلاء المعري :

ألم ترَ للخلافة كيف ضاعت اذا كانت ابناء السراري

ولما كان الناس دائماً على دين الملوك عم حب الاغتراب المتزوجين في الاسلام حتى ندر جداً من لم تخالط دمه العربي نطفة اعجمية في ما خلا اعراب البادية في الغالب ومن هنا تعلم ما في ازدهاء المباهين بالعروبة من الافراط والدعوى والمغالطة في الا... الصحيح .

وحكى الاصمعي ... اهل المدينة « كانوا يكرهون اتخاذ امهات الاولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب) والقاسم بن محمد (بن ابي بكر) وسالم بن عبدالله (بن ...) ... ففاقوا اهل المدينة فقهاً وورعاً فرغب الناس في السراري »[1] .

ولم يتصف ابناء السراري الهجناء بالفقه والورع فقط بل اشتهروا ايضاً بالشجاعة والاقدام حتى قالوا « ما ضرب رؤوس الابطال كابن اعجمية »[2] وعلل عمر بن الخطاب حبَّ التسري بقوله « ليس قوم اكيس من اولاد السراري لانهم يجمعون عز العرب ودهاء العجم »[3] .

ولعل هنالك سبباً آخر كان الغالب في ايثار الاعجميات على العربيات وهو قول رجل من ابناء المهاجرين : « ان ابناء هذه الاعاجم كأنهم نقبوا الجنة وخرجوا منها واولادنا كأنهم مساجير التنانير » (يعني بالمسجرة الخشبة التي يقلّب بها الوقود في التنور ويغشاها السخام ولا يخفى صدق هذا الوصف).

ولهذه الاسباب كلها فشا حب الجلائب الاجنبيات بين طبقات الخاصة والعامة وغلب الدم الاعجمي على الدم العربي في المواليد والانساب وكان تأثيره في الاشراف والخلفاء اشد منه في سائر الناس لقدرة الملوك ورجال الدولة على نقد اثمان الجواري مهما بلغت فضلاً عما كانوا يتحظّون بهن من السبايا والحسان

---

١) عيون الاخبار لابن قتيبة ٤ : ٨ طالع مقالتنا « امهات اشراف المسلمين في الخزانة الشرقية ٢ : ٩٥-١٠٢

٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ٤ : ٢

٣) الكامل للمبرد (مطبعة التقدم) ١ : ٢٥٤-٢٥٥

اللواتي كان العمال والقواد يتقربون بهن اليهم ومن الغريب ميل كثير من الطالبيين والهاشميين الى الحبشيات والبربريات على ما اتصفن به من القمة والسواد وقلة الصباحة ولا ريب ان مثل هذه القابلية العجيبة التي كانت تعاقب بين الشهد والحنظل صارت الى ابن المعتز من آبائه واجداده وهي التي أمات عليــه قوله الذي ملأه ظرفاً وحناناً :

قلبي وثاب الى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيـأباه
جيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

شكل الغلامية وزيها

اول اوصاف الغلامية تشبها بالغلام الامرد الذي نسبت اليه قال ابن الرومي :

رب فتـاة حرة المقلد تختال في زي غلام امرد[1]

وقد اجاد ابو نواس في وصفها وبلغ الغاية في تعريفها واشار الى نشأتها فقال :

وشاطرة تتيه بحسن وجه كضوء البرق في جنح الظلام
رأت فري الغلام اتم حسناً واوهى للفسوق وللأثام
فما برحت تصرّفُ فيه حتى حكته في الفعال وفي الكلام
وراحت تستطيل على الجواري بفضل في الشطارة والعُرام
تعاف الدف تكريماً وفتكاً وتلعب للمجانة بالحمام
ويدعوها الى الطنبور حذق اذا دارت معتقة المدام
وتغدو للدوالج كل يوم وترمي بالبنادق والسهام
ترجّل شعرها وتطيل صدغا وترخي كمها فعل الغلام[2]

وهذه الاوصاف مرآة الغلامية في الاسلام وهي نسخة شكلها واخلاقها كما كانت في زمن ابي نواس والشاطرة في اللغة كل امرأة أعيت أهلها خبثاً وفتكاً وعرفت بالتهتك والجرأة والمجانة ولها زي خاص تمشي به مختالة مسبلة كما فعل

١) مختارات من ديوانه طبعة الكيلاني ٢٣٨

٢) ديوانه باريس ١٨٣٠ ص ٣٣١

الغلام وربما حاكته ايضاً بتقلد السلاح والتظاهر بالتطوب والارهاب كما وصفه ايضاً ابو نواس بقوله :

وكيف اخشاك يا من	يصد عمداً ويجر
غير مسبل كم	عمداً لي غنجر[1]

وهذه الاخلاق داخلة في وصف من قال : الناس اربعة : مليح يتبغض لملاحته..[2] وهذا .. كان يقال له التكريه وهو بهذا المعنى غير وارد في اللغة ولا بأس ان نورد .. .. الشواهد التي جمعناها قال الحسن بن هانئ :

شاطرة ان شئت مكرمه	اخذ تكريهها بسلطان[3]

وله ايضاً :

فقلنا له والكأس ترهى بكفه	وقد وقد الابريق فيها وقرقرا
بربك خمراً او نبيذاً سقيتني	فقال من التكريه ماء مزعفرا[4]

وله ايضاً :

وخذ من كف جارية وصيف	رخيم الدل مشوع الكلام
لها شكل الاناث وبين بينا	ترى فيها تكاريه الغلام

وللحسين بن الضحاك :

وشاطري اللسان مختلق التكريه شاب المجون بالنسك[5]

ولمصعب الكاتب :

وشاطر ذي احتيال في تكرهه	كالغصن بألف فساقاً وشطاراً[6]

ولابن عبد ربه صاحب العقد :

يا ايها الخنيث الجنو	ن بنخوة وتكره[7]

ولابن الرومي :

ورقاصة بالطبل والصنج كاعب	لها غنج مخناث وتكريه فاتك[8]

1) ديوانه باريس ٣١٩-٣٢٠
2) نشوار المحاضرة ٨ : ١٢١
3) ديوانه طبعة مصر ٣٩٥
4) ديوانه طبعة مصر ٢٨٥
5) الاغاني ٦ : ١٧٥
6) ديارات الشابشتي برلين ٨٥
7) يتيمة الدهر طبعة مصر ٢ : ٨٦
8) ديوانه باريس ٥٨٣٠ ص ٣٢٧

واحسن ما جاء في وصف التكريه قول ابي نواس :

احب الغلام اذا كرّها … واصرنه شيئاً امرها
وقد مرّ يخطر في ثوبه … وحل الجيوب وما زرّها
وقد حذّر الناس سكينة … فكلهم يتقي شرها[1]

واغا عد ابو نواس الضرب بالدف من التكريه والشطارة لانه كان في الغالب من خصائص القيان والمغنيات كما كان الضرب بالطنبور من خصائص المغنين فكانت الغلامية تعاف الدف ترفعاً عن شبه النسوان وتؤثر الطنبور اقتداء بالرجال والغلمان .

وقد امتاز العصر العباسي بكثرة اقبال الناس فيه على الالعاب كالمحارشة بين الكلاب والمناطحة بالكباش والمناقرة بالديوك واللعب بالحمام والرمي بالبنادق والسهام والضرب بالكرة والصولجان وركض الخيل فكانت الغلامية تغشى كل هذه الالعاب وتشارك الذكور بالمراهنة عليها وتجيدايضاً لعب النرد والشطرنج وهو ما اغفل ابو نواس ذكره في ما سبق من ابياته ولكنه المح اليه في ابيات فضّل فيها الغلام على الغلامية وقال في وصفه مشيراً اليها :

غنٍ عن لعب شطرنج ونرد … وعن لعب الديوك مع الحمام
بلعب الصولجان ولعب بازٍ … وركض الخيل في طلب النعام[2]

وفي قوله : ترجّل شعرها اي تسرّحه إلماع الى انها كانت لا تعقصه ذوائب بل ترسله كشعر الغلام الامرد مطموماً مرجّلاً وتطيل صدغها تقليده وسنبسط الكلام في فصلٍ آتٍ على طم الشعر والجواري المطمومات وقد سبق الايماء اليهن غير مرة .

ولدينا في وصف زي الغلامية وتفصيل لباسها قصيدة اخرى لابي نواس رواها ابن منظور في جملة اخباره وقدّم عليها حديثاً لابن الداية جاء فيه شرح لهذا الزي كافٍ لتصوير الغلامية من قرنها الى قدمها كما كانت تبدو به للناس وتخطر به في القصور والاسواق والمجتمعات قال يوسف بن الداية النخاس وهو شاهد عياني :

« كانت الشعراء تجتمع في كل يوم بباب اسماء بنت المهدي وكان لهم مجلس

---

١) ديوانه باريس ٥٨٣٠ ص ٣٢٧ ٢) ديوانه باريس ٣٣٣

يجتمع عليهم فيه اهل الادب وكان يحضر ذلك المجلس ابو نواس فنظر يوما الى وصيفة قد خرجت من قصر اسماء علامية شاطرة عجزاء مطمومة ناهد وعليها اقبية ومنطقة وفي رجليها نعلان فاشتد عجبه بها ومازحها فلم يزل ذلك دهراً ... فقال لي يوماً : امض بنا الى باب اسماء لننظر الى من يحضر اليوم من الشعراء ونتعرف خبراً . ان كان حدث فمضينا فبينا نحن على باب اسماء اذا بالجارية قد خرجت وعليها قباء وشي منسوج بالذهب وسراويل وشي اخضر منسوج بالذهب وعلى رأسها عجبة منسوجة بالذهب ابريسمة وفي رجليها نعل مغشاة بديباج وعليها منطقة ذهب مفرقة على زرياب حرير عريض وقد غابت في خصرها من انهضامه فما يكاد يبين وفي يدها قضيب خيزران تعبث به فدهشتُ وكل من حضر اليها وبهتنا الى براعة جمالها وحلاوتها وحسن زيها ... فاقبلت تخرج وتغيب وتتهادى وتتثنى في مشيها حتى وقفت حيالنا . ونظرت اليه نظراً دلني على ان في قلبها منه شيئاً فانشأ يقول وهي تسمعه وكان اسمها مشوق :

لقد صبّحت بالخير عين تصبّحت	بوجهك يا معشوق في كل شارق
مقرطقة لم يُعنها سحب ذيلها	ولا نازعتها الريح فضل البنائق
تشارك في الصنع النساء وسلمت	لمن ضروب الحلي غير المناطق
ومطمومة لم تتصل بذؤابة	ولم تعتقد بالتاج فوق المفارق
كأن خطّ الصدغ فوق خدودها	نفيسة انفاس باصبع لائق
ندّته عاء المسك حتى جرى لها	الى مستقر بين اذن وعاتق
غلام والا فالغلام شبيهها	وريحان دنيا لذة للمعانق
تجمع فيها الشكل والزي كله	فليس يؤدي وصفها قول ناطق
فطانة زنديق ولحظة قينة	بجن الذي يهوى ومنية عاشق
وتقطيب سجنيّ ونكريه شاطر	ونظرة جنيّ ولحظ منافق
لقد كسيت عين عليك ثلاثة	لصاحبها باقة للخلائق[1]

ولا نعلم شعراً او نثراً أجيد فيها وصف للغلامية بين شكلٍ وزي هذه الاجادة ولا نخال انه اتفق لاحد من الشعراء تمثلها بين خَلق وخُلق كما مثلها ابو نواس ولولاه لحرمنا كثير من اخبارها وملحها ومن الشقاء ان لا يكون انتهى الينا من آثار السلف مثل هذه الاوصاف النادرة التي اجتمعت فيها دقة

(١) اخبار ابي نواس لابن منظور ١٦٧—١٦٨

التفصيل الى وفاء التمثيل وفاتنا بضياعها او باهمالها فوائد وطرائف شتى لاتُقدَّر لمعرفة حقيقة حياة المرأة بين عادات ومصطلحات وازياء وانباء وغرائب وعجائب
وقبل ان نبدأ باستقراء هذه الابيات لنستوضح منها ما غبي علينا من تفصيل زي الغلامية وحليتها نرى من اهم الشؤون ان نستدعي النظار الى مـا ورد له ايضاً في خاتمتها من تعداد نعوتها وحُلاها ليكون تتمة لما تقدم من تعريفها وهو قوله الذي بلغ فيه الغاية من الشرح والجرح :

تجمع فيها الشكل والزي كله فليس يوتّي وصفها قول ناطق
فطانة زنديق ولحظة قينـة بعين الذي يهوى ومنية عاشق
ونقطيب سجنيّ وتكريه شاطر ونظرة جنيّ ولحظ منـافق

ومثل هذا الوصف بالفطنة والفتنة هو دون ريب اصل اصطلاح العامة في اطلاق لفظ الشاطر او الشاطرة على كل من تميز بالحذق والنباهة .

واول ما يجدر التنبيه عليه من زي الغلامية لبسها القُرْطَق وهو قباء فارسي ذو طاق واحد قصير لا يتجاوز مقدم الساق اشتهر في الخلافة العباسية كانت اكثر ما تلبسه السقاة لخفته ورشاقته في التنقل والخدمة وقد اكثر الشعراء من ذكره في مجالس الشراب ولذلك قـال السري الرفاء في احدى رواهب دير يوسف بالموصل :

ومهفهف لو كنت املك امره بدّلت مُسحق مسوحه بقراطق[1]

اي جعلتها ساقية ومثله قول ابن المعتز

ومقرطق يسعى الى الندمـاء بعتيقـة في درة بيضاء[2]

وقد اومأ ابو نواس الى قصر القرطق وخفته بقوله : لم يُثْنِها سحب ذيلها اي انها بلبسها القرطق كالغلام قد تخلصت من طول ثوب الغانيات وثقل جرّه فبان شطاطها واستقام قدها لقلة ما يزوده ويُحنيه من ذيول ثياب النساء . وتعذّر منازعة الريحَ فضول بنائقها وفي كتب اللغة ان البنائق جمع بنيقة وهي جيب الثوب اي الطوق المحيط بالعنق وهو لا محالة غير المفهوم هنا من هذه اللفظـة لامتناع تمكن الريح من الطوق المزرور وفي ديوان الحسن بن هانئ عدة الفاظ

---

١) ديوانه في مجموع ٣٠٩٨ في خزانة باريس ١٦٧
٢) شفاء الغليل للخفاجي ١٧٧

مولدة عربية لا تغني المعاجم شيئاً في تأويلها كانت معروفة في عصره وهي خافية علينا لقلة احتفال شراح ديوانه بتفسيرها والبنيقة احدى هذه الالفاظ ويظهر ان المراد بها هنا مطلق الثوب الطويل وقد وردت بهذا المعنى في بيت اخر للحسن بن هانئ قال فيه :

متخرس دين النصارى دينه ذو قرطق لم يتصل بنائق[1]

وجاءت ايضاً بمعنى الثوب في تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية (رقم ١٨٦٧ من خزانة باريس ص ١٧) .

وقد مرّ بنا من قول ابن الداية ان وصيفة اسماء خرجت وعليها اقبية (بلفظ الجمع) والقباء هو المعروف اليوم بالقفطان وذلك لان بعض النساء والرجال كانوا يظاهرون بين عدة اثواب لاختلاف الوانها ووشيها حباً بالمباهاة بها وجر اذيالها المشهّرة .

كاذيال خوذ اقبلت في غلائل مصبّغة والبعض اقصر من بعض

ومن اغرب ما روي من سخف الرجال بمضاعفة الاقبية ما حكاه الحاتمي عن المتنبي حين دخل عليه قال : فاذا به لابس سبعة اقبية كل قباء منها لون[2] وهو يكاد الّا يصدّق من مثله فلا غرو بعد ذلك اذا كانت الغلاميات يلبسن احياناً عدة قراطق او اقبية زهواً واختيالاً .

ومن لوازم القباء والقرطق لكل من لبسها دائماً المنطقة تُشدّ على الحقوين وتغيب في الخصر لتظهر بها دقته وانهضامه واكثر ما يتخذها المتظرفات من الذهب والفضة ومن الحرير والابريسم ووصف ابن الداية منطقة وصيفة اسماء بانها من ذهب « مفرقة على زرياب حرير عريض » وهذا الوصف بمثل هذا اللفظ غامض لا يتبين له معنى صحيح لان الزرياب يطلق على الذهب او ماء الذهب فلا يُرى كيف يكون الذهب مفرقاً على ماء الذهب ولا شك ان هنالك تحريفاً شذ على الناسخ والطابع ولعل الاصل « مفرقة على زربافته اي محلاة على نوع من الديباج والكلمة فارسية مركبة من زر وهو الذهب وبافته او بفته وهو نسيج من القطن .

---

١) ديوانه باريس ٣١٤٨ ص ١٢٥

٢) وفيات الاعيان طبعة باريس ٧١٩

وقد صرح ابو نواس ان الوصيفة مع مشاركتها للنساء في التصنع والتجمل تركت لهن ضروب الحلي واقتصرت على المنطقة وحدها وبرزت عاطلة مجردة لتكون ابعد عن شبه النسوان واقرب الى الغلمان ولكي يكون تقليدها للغلام اتم واكمل طمت شعرها اي قصت ذوائبها واطرحت تاجها وهو ضرب من ضروب التزين بالشعر فوق المفرق ووضعت موضعه «محبسة» منسوجة بالذهب اي شبه قلنسوة او عمامة حبست بها شعرها وهذه اللفظة بهذا المعنى غير واردة كذلك في كتب اللغة ونقل عن جارية اخرى انها تقلدت السيف ايضاً مع القلنسوة لتبلغ الغاية من الترجل وهي جارية حمدان قال علي بن الجهم : خرجت علينا وقد تقلدت سيفاً محلى وعلى رأسها قلنسوة ومكتوب عليها :

تأمّل حسن جارية يحار بوصفها البصر
مذكّرة مؤنثة فهي انثى وهي ذكر[1]

واشهر من تقلد السيف واعتم بالشاشية من الفتيات البانوقة بنت الخليفة العباسي المهدي روى الطبري حديثاً لبعضهم قال : رأيت المهدي يسير وعبدالله بن مالك على شُرطه يسير امامه في يده الحربة وابنته البانوقة تسير بين يديه وبين صاحب الشرطة في هيئة الفتيان وعليها قباء اسود ومنطقة وشاشية متقلدة السيف واني لأرى ثدييها قد رفعا القباء لنهودهما قال وكانت البانوقة سمراء حسنة القد حلوة فلما ماتت وذلك ببغداد اظهر عليها المهدي جزعاً لم يسمع بمثله[2].

ولا بدع اذا تعددت الغلاميات في عهد العباسيين وفشا زيهن بين الجواري والوصائف ولهن مثل هذه القدوة العلية والاسوة الماثلة والناس كما قيل على دين الملوك .

وما يجب ان لا يُذهل عنه من وصف ابن الداية قوله ان الوصيفة خرجت «وفي رجليها نعل مغشاة بديباج» وقد يشذ عن علم الكثيرين ان النعل كانت من احذية الرجال وتقدم في الحديث انه قيل لعائشة ان المرأة تلبس النعل فقالت : لعن رسول (صلعم) الرجلة من النساء. لان النعل لا تغطي كل القدم ولا الساق

١) العقد الفريد ٣ : ٣٦٦
٢) تاريخ الرسل والملوك طبعة اوروبة ١ : ٥٤٤

ودا تستر المرأة انكشفت رجلها وهو مكروه بالنساء. وانا كانت تتخذ من الخفاف لطول ساقها وسترها ما بين الكعب والركبة فاذا عدلت الغلامية عن الخف واحتذت النعل تكون اتم شبهاً بالغلام وقد أومأ ابو نواس في بعض اشعاره الى مثل هذا التقليد فقال :

مذكّرة الحذاء اذا استهلّت لاس لا ينازعها الكلام[1]

وللمتظرفات افانين في زي النعال ، بلغن فيها الغاية من الترف والبطر ومن اشهر من اغرب جداً في اتخاذها واسرف كل الاسراف في اختيار نفائس الثياب والطيوب لتجهيزها السيدة ام الخليفة المقتدر حكى بعض من كان يعاملها قال : كنت اشتري لها ثياباً ربيعية يسمونها ثياب النعال وذلك انها كانت صفاقاً تقطع على مقدار النعال المحذوّة وتطلى بالمسك والعنبر المذاب وتجسد ويجعل بين كل طبقتين من الثياب من ذلك الطيب ما له قوام ونحن نعمل بطاقات كثيرة كذا ونلف بعضها على بعض ثم نصمغ حواليها بشيء من العنبر وتلزّق حتى تصير كانها قطعة واحدة وتجعل الطبقة الاولة بيضاء مصقولة وتخرز حواليها بالابريسم ونجعل لها شُركاً من ابريسم كلها كالشرك المضفورة من الجلود وتلبس قال وكانت نعال السيدة من هذا المتاع لا تلبس النعل الا عشرة ايام او حواليها حتى تخلق وتتفتت وتذهب جملة دنانير في ثمنها وترمى فتأخذها الخزّان او غيرهم فيستخرجون من ذلك العنبر والمسك فيأخذونه »[2].

ويتبين من وصف هذا الزي المذكّر الذي نُحّي منه كل ما تُشتم منه رائحة الانوثة ان الغلامية كانت لا تتميز اصلاً من قرنها الى قدمها بشيء عن الغلام ولذلك قال الطيبي :

لولا نبات الشعر في خده لم ندر اي الاغيدين الغلام

ولم يفتها ايضاً تقليده في حركاته وشمائله فكانت اذا مشت او خطرت حاكته في ارخاء الكم بدلاً من امساكه وهو من خصائص الفتيان والشطّار حتى في الاندلس وقد شهد به الوزير ابن شُهيد فقال :

---

١) ديوانه باريس ١٨٣٠ ص ١٨٧.

٢) نشوار المحاضرة للتنوخي ١: ١٤٣-١٤٤

هبَّ من مرقده منكسرًا مسبلَ الكم مرخيَّ الردا[1]

وقد تقدم من قول ابي نواس : « وترخي كمها فعل الغلام »

وقول مروان الصغير :

غني كما يلني الغلا م وكمّها مرخىً ككمّه

وللابن الساعاتي من شعراء القرن السادس للهجرة :

وكأن غصن البان في اوراقه هيفاء خاطرة بكم مسبَل[2]

وبعد كل هذه المآخذ والسرقات التي اقتصت فيها الغلامية العباسية مثال الغلام وتحلت بحليته واتّسمت بسيماه لم يبق عليها الا ان تتسمى كذلك باسمه وهو ما فعلته ايضاً كما رأيناه من اتخاذ وصيفة اسماء بنت المهدي اسم معشوق بدلًا لها من معشوقة كما مرّ بنا من مخاطبة ابي نواس لها :

لقد صُبّحت بالخير عين تصبحت بوجهك «يا معشوق» في كل شارق

وبذلك تم لها الشَّبه وصحّ الاقتداء. واقترن فيها جسم الغلام واسمهُ بحيث:

تجمع فيها الشكل والزي كله فليس يوفي وصفها قول ناطق

ولكن بقي هنالك فارق واحد بين الجنسين وهو ما تمّ على البانوقة بنت المهدي من تهود ثدييها ورفعهما للقباء. فهل خطر قط لاحدى الشاطرات الفاتنات ان تكون جَدًا. لا ثدي لها كما خطر لبعض الغلاميات الاميركيات اليوم ؟

الجواري المطمومات

قد تقدم من قول ابي نواس في الجارية المقصوصة الشعر :

ومطمومة لم تتصل بذؤابة ولم تعتقد بالتاج فوق المفارق

وله ايضاً :

وناهدة الثديين من خدم القصر مزرفنة الاصداغ مطمومة الشعر

غلامية في زيّها برمكية مناطقها قد غبن في لطف الخصر[3]

وللوزير ابي عامر احمد بن شُهيد الاندلسي من ابيات :

---

١) نفح الطيب ٢ : ٢٢٣

٢) ديوانه طبعة بيروت ٢ : ١١٠

٣) ديوانه باريس ٢٣٥

وربيب قام فينا ساقيا ‏ كأزرت أرضم بين الربرب
صبية دون الصبايا قُصّصت ‏ فانثت غيداء في شكل الصبي
فتح الورد على صفحتها ‏ وحماء صدغها بالعقرب
فثنت نحوي وقد ملكتها ‏ مشية العصفور نحو الثعلب[١]

ولابي نواس كذلك :

وذات وجه كأن البدر حلّ به ‏ جدي لك الورد والتفاح خداها
مطمومة الشعر في قمص مزرّرة ‏ في زيّ «امرد» سباه كسباها
فلو يراها غلام ثم يلمحها ‏ عض الانامل لولا اللحظ ادماها[٢]

وهذه الشواهد كلها تدل صريحاً على ان الغلاميات لم يقصصن شعورهن الا تشبهاً بالشطّار خصوصاً لان بعض الفتيان كانوا يرسلون ذوائبهم كالفتيات ولا سبيل اليوم لبتّ الحكم في اصل هذه العادة هل نشأت في العراق ام دخلت الشام قبلًا مع الوصائف الروميات على كثرتهن يومئذ لقول عبد الملك بن مروان : من اراد الخدمة فعليه بالروميات[٣] ومما يرجح ذلك قول ابن المعتز : قال بعض خلفاء بني امية لرجل من جلسائه : ما يطيب في يومنا هذا ؟ فقال : قهوة صفراء في زجاجة بيضاء تناولنيها مقدودة هيفاء مطمومة لفاء[٤] .

ويشبه ان تكون عادة طم الشعور بين فتيات الروم شائعة معروفة في القسطنطينية قبل الهجرة وهو ما رواه ابن عبد ربه ان عمر بن الخطاب لما بعث رسولًا الى هرقل « ذهب الرسول الى باب جبلة (بن الايهم) قال : فلم ازل اتلطف في الاذن حتى اذن لي فدخلت عليه ... فلما رفع الطعام . . . فاذا خدم معهن كراسي مرصعة بالجوهر ... واذا عشر جوارٍ قد اقبلن مطمومات الشعر متكسرات في الحلي عليهن ثياب الديباج »[٥] فيترجح من ثم ان الجواري المطمومات وردن الى الشام من ديار الروم ثم سرى هذا الزي من الشام وعم العراق والشرق حتى شغف به الخلفاء كالمتوكل على الله قال ابن حيان ان بعض

١) الذخيرة لابن بسام طبعة مصر ١ : ١٧٨
٢) ديوانه طبعة مصر ٣٤٠
٣) تحفة العروس لابي محمد عبدالله التيجاني ٣٤
٤) فصول التماثيل ٥٥
٥) العقد الفريد طبعة مصر ١٩٤٦ (٢ : ٥٧-٥٩)

تجار اليهود جاء بن بشتر بعد الحادثة (سقوط المدينة بيد النصارى) ملتمساً فدية بنات بعض الوجوه من نجا من اهلها حصان في سهم قوس من الرابطة فيها كان يعرفه قال : فهديت الى منزله واستاذنت عليه فوجدته جالساً مكان رب الدار مستوياً على فراشه رافلاً في نفيس ثيابه والمجلس والسرير كما خلفها ربها يوم محنته لم يغير شيئاً من رياشها وزينتها ووصائفه مطرومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته (نفح الطيب ٢ : ٥٧٥) .

فنون الغلاميات في تزيين الرأس والوجه

تقدم من شهادة الاغاني ان المترجلات البدويات كن يتعممن كالرجال ومر بنا من رواية الطبري ان البانوقة ابنة الخليفة المهدي كانت تتقلد السيف وعليها الشاشية ولبس غيرها « الجبة والقلنسوة » ولما اتخذت زبيدة الجواري الغلاميات لابنها الامين قال العبدي الخراساني « عمت رؤوسهن » ويظهر ان النساء عامة درجن على اعتياد العمائم كالرجال واشتهرن بها في دولة المماليك حتى كانت الولاة تضطر احياناً الى المناداة بالنهي عن هذه العمم قال المقريزي وفي المحرم سنة ٦٦٢ (١٢٦٣ م) نودي بالقاهرة ومصر ان امرأة لا تتعمم ولا تتزيا بزي الرجال ومن فعل ذلك بعد ثلاثة ايام سُلبت ما عليها من الكسوة[1] وفي سنة ٦٩٠ (١٢٩١ م) في شهر رمضان امر الامير علم الدين الشجاعي ان لا تخرج امرأة وعليها عمامة بل مقنعة كالعادة القديمة[2] ولكن لا نعلم كيف كانت تكوّر هذه العمائم على رؤوس النساء ولا من اي الاثواب او المنسوجات كانت تصطنع غالباً في في ما خلا الشرب واللانس ولا شك ان اكثر الجواري والغلاميات كنّ يتجملن بالوشي من الحرير والابريسم ولا شك ان المتنبي عاب بعضهن وعناهنّ بقوله :

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصنّ به الجمالا

وفي ايام المماليك في الدولة الجركسية قلد النساء الرجال في اتخاذ الطواقي ايضاً قال المقريزي : يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع واعلاها

١) السلوك باريس ١٧٢٦ ص ١٥٤

٢) ذيل مرآة الزمان لليونيني . لندرة add. 23331 f 72 b

مدوّر مقبّب ... ويشبه الرجال في لبس ذلك النساء. لعذين احدهما انه نشأ في اهل الدولة محبة الذكران فقصد نساؤهم التشبه بالذكران ليستملن قلوب رجالهن فاقتدى بأمثلهن في ذلك عامة نساء البلد[١].

وقد بحثنا كثيراً فلم نوفق للعثور على شاهد واحد يستدل منه على رواج العصائب بين الغلاميات وكان منها نوع يقال لها العصائب المكللة ابتدع في ايام المهدي قال ابو الفرج في الاغاني : كانت عائشة بنت المهدي شقيقة ابرهيم جميلة الصورة الا انه كان في جبهتها اتساع مفرط فمن اجلها اخترعت العصائب المكللة[٢].

ولما كانت الغلاميات مطمومات كما سبق من وصفهن وكان غاية ما يطمحن اليه محاكاة الفتيان لم يبقَ لهن بعد اطراح الذوائب من صنوف الامتشاط والتزيين بالشعر الا تصفيف الطرة وهو زيّ الشطار كما وصف به ابو نواس لما توجه الى مصر قالوا خرج « في زي الشطار وتقطيعهم بطرّة قد صففها وكمّين واسعين وذيل مجرور ونعل مطبق»[٣] وهو الزي الذي اختارته زبيدة للغلاميات اللواتي اهدتهن لابنها محمد الامين « وجعلت لهنّ الطرر والاصداغ » .

وفي الشعر اشارات واوصاف كثيرة للصدغ وتشبيه بالنون والواو والصولجان والعقرب والزرفين اي الحلقة على غير تفاوت بين الغلام والغلامة ولابي نواس في احدى وصائف القصر :

وناهدة الثديين من خدم القصر ... مزرفنة الاصداغ مطمومة الشعر[٤]

وله فيهنّ ايضاً .

اصداغهن معقربا ... ت والشوارب من عبير[٥]

والديك جن :

اقبلن والاصداغ في ... وجناتهن معقربات[٦]

---

١) الخطط ٢: ١٦٩

٢) تحفة العروس للسيوطي رقم ١٥٩٣ مكتبة دار الاوقاف بحلب .

٣) اخبار ابي نواس لابن منظور ٢٣٥ ونهاية الارب للنويري ٢: ٢٠٨

٤) ديوانه باريس ٥٨٣٠ص٢٢٥

٥) كتاب بغداد لابن طيفور ٣٠٢

٦) نهاية الارب للنويري ٢: ٧٨

والناشئ الاصغر :

لك صدغ كانما موره نون كاتب
بلدغ الناس اذ تعقرب لذع العقارب

ولابن المعتز في الاصداغ الملويّة كالصوالج :

امن سبج في عارضيه صوالج معطّفة تفاحَ خدّيه تضرب

وللثعالبي :

وصولجان المسك في خده متخذ حبة قلبي كُرَه[1]

وربما أطيل الصدغ بالطيب المُذاب وصف به نواس غلاماً شاطراً فقال :

قل لذي الصدغ المطوَّل وذي الشعر المرجَّل
ولذي التكريه في المشية والنذر المحلل[2]

ونعت به ايضاً فيما سبق علامة شاطرة فقال :

ترجّل شعرها وتطيل صدغاً وترخي كمها فعل الغلام

وتقدم له ان وصيفة اسماء كانت تطيل صدغها وتصله فوق خدّيها بماء المسك وهو قوله :

كأن مخطّ الصدغ فوق خدودها بقية انقاس باصبع لاثق
تَدَنّهُ بماء المسك حتى جرى لها الى مستقرّ بين اذن وعاتق

واهم ما كانت تزين به وجهها من المحسنات في اعتقادها :

١ تنميص الحاجبين اي حف ما خرج عن القوس من الشعر وخطها بالمداد والإثمد.
٢ صبغ الشفتين بالحمرة .
٣ خط الشارب بالمسك واخلاط من الطيب .
٤ الكتابة والتصوير على الخدين .

وسنشير في ما يأتي الى كل منها

---

١) نهاية الارب ٢ : ٧٣-٧٤
٢) ديوانه باريس ١٨٣٠ ص ٦٥

خط الشارب بالمسك واخلاط من الطيب

كان لا بد للغلاميات لبلوغ الغاية والنباية في التشبه بالغلمان من محاكاة الشارب بخط في موضعه ممتدّ على الشفة كأنه الشعر فكنّ يؤدّين هذا الخط اما بالمسك كما في قول الاسعد بن بليطة المذكور آنفاً « وشاربك المخضرّ بالمسك قد خطّا واما بالغالية وهو قوله ايضاً من القصيدة نفسها :

غلامية جاءت وقد جعل الدجى	خاتم فيها فصّ غالية خطّا
فقلت احاجيـ . حا في جفونها	وما في الشفاه اللعس من حسنها المطى
فحمرة الـ	متى شربت الحاظ عينيك اسفطا
ارى نكهة المسواك	وشاربك المخضر بالمسك قـد خطا
عسى قزح قبلته فاغاب	على الشفة اللمياء قد جاء مختطا

ونظيره قول ابي نواس في وصف غلاميات في زمانه :

صور البيك مؤنثات	الدل في زى الذكور
أرهفن إرهاف الاعنّة والخمائل والسيور	
اصداغهنّ معقربا	ت والشوارب من عبير[2]

وفي حكاية ابي القاسم البغدادي : شارب كخضرة الريحان :

شارب من زبرجد وثنايا من اقاح وريقة من عقار (ص ٥٢)

ومن الغلاميات اللواتي اشتهرن بخط الشارب الزرقاء جارية ابن رامين . قال بعض المدنيين : اتيت منزل ابن رامين فوجدت عنده جارية رفع ثديُها قيصها لها شارب اخضر ممتدّ على شفتها امتداد الطراز كانما خُطّت طرتها وحاجباها بقلم لا يلحقها في ضرب من ضروب حسنها وصف واصف فسألت عن اسمها فقيل هذه الزرقاء.[3]

الكتابة والنقش على الخدين

كانت المرأة الغلامية لا تخشى الاسراف والغلو في التزين والتزوق تقربا من القلوب واستدعاء للانظار فلم تكن تجترئ بالتفنن في عقد الشعر وارسال

1) نفح الطيب طبعة ليدن ٢ : ٤٥٤
2) السادس من كتاب بغداد لابن طيفور ٣٠٣
3) الاغاني ١٣ : ١٣٢-١٣٤

دائرة على الجبين وعقربة الصدغين لما كانت تتخذ الخُدين الحبيب بالطومار او الجدار وتمهد بالمواشط ان تكتب عليه ما تشاء من اسماء المحبين و تنقش عليه بعض صور الهوامّ القابلة للزخرفة والتفنن في الرسم المعروفة بنفث السموم القتالة كالحية والعقرب روى المسعودي ان المتوكل الخليفة العباسي قال لعلي بن الجهم الشاعر المشهور : « ويلك يا علي دخلت فرأيت قينة قد كتبت في خدها بالمسك « جعفرًا » فما رأيت احسن منه فقل فيه شيئاً فقلت يا سيدي : او انا ومحبوبة (وصيفة أهديت للمتوكل من الطائف كانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس) قال . بل انت ومحبوبة . قال فدعوت بدواة وقرطاس فسبقتني الى القول ثم اخذت العود فترنمت ثم خفقت عليه حتى صاغت له لحناً وتضاحكت ملياً ثم قالت : يا امير المؤمنين تأذن لي ؟ فاذن لها فغنت :

وكاتبة في الخد بالمسك جعفرا ... بنفسي مخطّ المسك من حيث أثرا
لئن اودعت خطاً من المسك خدها ... لقد اودعت قلبي من الوجد اسطرا
فيا من لمملوك يظل مليكه ... مطيعاً له في ما امرّ واجهرا
ويا من لعيني من رأى مثل جعفر ... سقى الله صوب المستهلات جعفرا[1]

ولابي طاهر اسمعيل بن علي المهدوي ببغداد في جارية صُوّر على خدها بغالية صورة حيّة :

بدت لنا من جانب السجف غادة ... لها الشمس وجه والكواكب خال
فقلت وقد لاح الهلال بوجهها ... متى طلعت شمس الضحى وهلال

الهلال الاول من اسماء الحية والهلال الثاني هلال الافق[2] .

ولابن الساعاتي عدة ابيات ذكر فيها تصوير الحيةّ والعقرب في صفحات الخدود منها .

أرأيت درياقاً كذوب رضابها ... بعث الصدى وهو الزلال السلسل
وكحية او عقرب في خدها ... ابداً تسيء فعالها ونقبل[3]

ومنها :

---

١) مروج الذهب بهامش الكامل ٩ : ١٥٣

٢) ذيل تاريخ بغداد للدبيثي باريس ٢١٣٣ ص ١٠٥

٣) ديوانه ١ : ٦٥

وخريدة بيضاء بيلة شعرها — من هجرها وجبينها من وصلها
نقشت مواشطها على وجناتها — صورًا تبدي الغرام لاجلها
او ما عجبت لحية في جنة — دوني تفوز بمائها وبظلها
فحذارها اني استعدت فتنها — مكرت بآدم اختها في مثلها[1]

ومنها ايضاً :

يا غرة القمرين في شرفيها — من اي شيء فيك لم اتعجب
كتبت بخديك المواشط فتنة — عمت عموم هواك من لم يكتب
ولقد سمت وما سمعت بكاتب — شيئاً على صفحات ماء مذهب
جاء الكليم بآية من حية — ولذاك جئت بحية وبعقرب[2]

ومن هذه الشواهد يستدل على ان المواشط في الشرق كنّ على جانب من معرفة الكتابة والرسم والنقش حاذقات ضروب التحسين والترويق والتطييب يفعلن مـا تفعله في الغرب معاهد الاصلاح والتزيين المعروفة باسم : Institut de beauté

تنميص الحاجبين اي نتف ما خرج عن القوس من الشعر وخطها بالمداد والاثمد

من الغريب الذي يقضي منه العجب ان نساء البدو كنّ ينمّصن حواجبهن بحف ما تجاوز القوس من الشعر لتزجيجها كما يدلّ على ذلك ورود هذه اللفظة في اللغة واستشهدوا على ذلك بقول الراجز :

يا ليتها قد لبست وصواصا — ونمّصت حاجبها تنماصا[3]

وفي الحديث . لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيّرات خلق الله تعالى[4] وكانت العلاميات يصلحن قوس الحاجبين بالخطّ حوله بالمداد والاثمد قال دعبل الخزاعي يهجو جاريته غربال :

تخطّط حاجبيها بالمداد — وتربط في عجزها مرفقة[4]

---

١) ديوانه ٦٥
٢) ديوانه ٦٦
٣) لسان العرب
٤) صحيح البخاري ٧ : ٥٨

صبغ الشفتين بالحمرة

كان العرب يستحسنون السمرة في الشفاه وهي اللمى واللعس والحوّة قال ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حوّة لعس　　　وفي اللثات وفي انيابها شنب

(فخر السودان على البيضان الجاحظ ليدن ٧٣)

واجاد ابن المعتز بتشبيه ضياء الصبح بابتسام الشفة اللمياء فقال :

لما تفرّى افق الضياء　　　مثل ابتسام الشفة اللمياء[1]

وانما حسن اللمى لانفراجه عن بياض الثغور وهو ما المع اليه ابن الساعاتي بقوله :

واللمى لم نكن لنحمده الالسن حما لولا بياض الثغور[2]

وربما علا اللمى حمرة ذهبية من الدم او الصبغ كما في تشبيه كشاجم بقوله في الزهر :

كأن الشفاه اللعس منها خواتم　　　من التبر مختوم بهن على الدر[1]

وكانوا يجيزون مثل هذه الحمرة الظاهرة في عداد ما يجمل عندهم منها في المرأة فقالوا : من جملة ما يستحسن من المرأة حمرة اربعة : لسانها وخدها وشفتها وتشرب بياضها بحمرة . وفي رواية اخرى : اللسان والشفتان والوجنتان والبنان[3] .

برد الاكباد في الاعداد للثعالبي رقم ٣١٧ ادب دار الكتب المصرية .

ولذلك كانت المتظرفات يخططن فوق شفاههن بخط احمر كما تفعل النساء اليوم وهو ما اشار اليه الوزير ابو عمر واحمد بن شُهَيد الاندلسي بقوله في وصف جارية : كانما ثغرها من جوهر وشفتها خيط حرير احمر[4] ومن الابيات الواردة في وصف الشفة اللمياء الحمراء قول كشاجم :

عذبت في الرشف منه شفة　　　مصّها الطيب من قبل الامن

---

١) نهاية الارب للنويري ٢ : ٥٨

٢) ديوانه ٢ : ١١٢

٣) العنوان في مكايد النسوان لابن التنبوني الامرحري Or. 4640 fo 89

٤) يتيمة الثعالبي طبعة مصر ٢ : ٤٣

وعلتها حمرة في حمر تستمير اللون من ورد الخجل
هي فيها حاث اشار دم من فؤادي علّ فيه وجل[1]

ولابن سكرة الهاشمي في وصف قبلة من شفة حمراء :

كأني اذ لثمت فاك بها لثمت تفاحة من الذهب
(نهاية الارب ٢ : ٥٩)

كتب بعض المجـ ـنين صاحب لمحمويه جارية وقال في بعض اوصافها : تكون حمراء الشفتين مفلجه الثنايا (مطالع البدور ص ٢٦٦) .

اجمع اهل المعرفة ان الذي يـ ... من المرأة من الحمرة اربعة اشياء . منها : حمرة الشفتين (مطالع البدور ٢٦٨) .

وفي اجتماع الحمرة والسمرة حُسن صح معه لابن بابطة الاندلسي تشبيه الشفة بتقبيل قوس قزح في قوله مخاطباً احدى الغلاميات :

محيّرة العينين من غير سكرة متى شربت الحاظ عينيك اسفنطا
ارى نكهة المسواك في حمرة اللمى وشاربك المخضرّ بالمسك قد خُطا
عسى قزح قبّلته فاخاله على الشفة اللمياء قد جاء مختطا[2]

وكثيراً ما كانت الحمرة تكسو الشفة اللمساء فلا يبين منها الا لون الدم ولذلك جاء في خبر الذلفا . وصفتها . وفم كأنه جرح يقطر دما[3] وهو ما نُقل ايضاً في نعت ابنة عوف بن علم الشيباني . شفتان حمراوان كالورد يحلبان ريقاً كالشهد[3] ونظيره قول الازدي في حكاية ابي القاسم البغدادي : ثغر كالاقحوان وشفتان كالمرجان او الارجوان .

ومن احسن ما روي في مدح الشفاه الحمر ما انشده ابو الفرج الاصبهاني في كتاب النساء :

فما انسَ لا انسَ منها اشارة بسبابة اليمنى على خاتم الفم
واعلنتُ الشكوى اليها فاومأت حذار لحمو الواشين ان لا تكلم
فلم ارَ شكلاً واقعاً فوق شكله كمثابة يرمى بها فوق عندم

١) نهاية الارب للنويري ٢ : ٥٨
٢) مطمح الانفس لابن خاقان طبعة القسطنطينية ٨٣-٨٤
٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣ : ٢١٥ و٢٢٥

وكان رجال نفسهم لا يحجمون احياناً من استعانة بشيء خضاب يصبغ القاني لتبريق شفاههم وتطريتها اما للتزيين والتظرف بعل بعض الفتيان والمخنثين واما لتمويه لونها وستر شحوبها بعد الصيام والبكاء. كبعض الزهاد والعلماء. فيما قيل مثل منصور بن المعمر نقل عنه الذهبي انه « صام اربعين سنة وقام ليلها وكان يبكي الليل كله فاذا اصبح كحّل عينيه وبرّق شفتيه ودهن رأسه » وهو ما يبعث على العجب والاستغراب ولا ريب ان تبريقه كان بنفس الصبغ الذي كان يتجمل به المتبرجات والمخنثون ومن ثم يجب ان يصلح في هذا المعنى قول الاغاني عن الغريض المغني انه « كان يصنع نفسه ويترفها » كما في طبعة بولاق (٢ : ١٢٨) او « يصنع نفسه ويبرقها » كما في طبعة الدار (٢ : ٣٦٠) بدلًا من « يصبغ شفته ويبرقها » وهو الصواب الذي لا شك فيه .

ه

لا سبيل اليوم لمعرفة مقدار من كان بين هؤلاء السبايا والجواري الاماء من المتظرفات المتشبهات بالغلمان في الشكل والزي قبل ان يطلق عليهن لقب « الغلاميات » في الدولة العباسية وهل كان بعضهن على هذه الصفة في مواطنهن ام اكتسبنها في الحضارة الاسلامية ويظهر ان الروميات بينهنّ كنّ قد اعتدن الطمّ اي قص الشعر والترجل في بلادهن كما سيجيء. وقد خلت ايدينا اليوم من اخبار النساء الامويات ولم يُقيَّض لهنّ من يشيد بمحاسنهن ويجيد وصفهن والتشبيب بهن كالحسن بن هانئ لانصراف شعراء بني امية في الغالب الى فنون الشعر المبتذلة كالفخر والمديح والهجاء والغزل والرثاء والاقلال جدًّا من نعت الحانات والدساكر ووصف المجالس والمجتمعات التي كانت تتجلى وتتبارى فيها المترجلات والشاطرات وعلى كل حال فما لا يُرتاب فيه ان الغلامية في الاسلام لم تبلغ الغاية والنهاية في التفنن والاغراب الا في ايام العباسيين لاقبال الخلفاء والناس على ايثارهن والاعجاب بهن كالمهدي والرشيد والامين والمأمون والمتوكل والقاهر كما سنشرحه قريبًا واما في الشام فكانوا كما قال الجاحظ اشهى النساء عندهم الروميات وبنات الروميات[1] لكثرة ما يرد منهن من سباء الحروب

١) كتاب فخر السودان على البيضان طبعة ليدن ٧٩

ورقيق النخاسين وتخلق القوم في الغالب باخلاق الروم البيزنطيين مع ما ورثوه عنهم من احوال المعيشة وفنون الحضارة .

وقد خلت كما قلنا اشعار الخلافة الاموية من كل نعت للمرأة الغلامية ولا بدع لان القوم وقتئذ كانوا احدث عهد بالبداوة واقرب الى الفطرة للتنزه عن كل ما يخالف السجية من آفات الاجتماع والاختلاط فلا تجد في اشعار الجاهليين والمخضرمين من تصبّى غير الغواني والمها حتى اذا اقبلت دولة المسوّدة والقت مقاليدها الى الاعاجم من علوج خراسان تغلب معها السواد على الالوان والابدان وسقطت الحشمة من النفوس والرؤوس وكان اول من اضرم هذه النار واستدرج القوم الى هذه المخزية فيما حكاه الجاحظ في كتاب المعلمين ابو مسلم صاحب هذه الدولة « حين سنّ لتلك العساكر الّا يصحبها النساء خلافاً لجند بني امية الذين كانوا لا يفارقون الظعائن في حل وترحال ولما لم يكن بد لتلك الجيوش من يتولى خدمتهم ارتبط لهم ابو مسلم الغلمان لخفة مؤونتهم وطالت صحبتهم لهم فطالت فتنتهم بهم »[1] وبقيت هذه الشهوة كامنة في القلوب كل خلافة المنصور وبعض ايام المهدي والهادي حتى كان الرشيد فازدادت في وزارة البرامكة انتشاراً ولكن حالت هيبة الخلافة ووقارها دون المكاشفة بها في بغداد فكان القوم اذا ارادوا الاجتماع على معاقرة الشراب ومقارضة التغزل بالغلمان يتسترون في البصرة هرباً من الشرطة والسجن الى ان جاء احمد بن اسحق الخاركي استاذ ابي نواس فجاهر ولم يتكتم وتبعه تلميذه شيخ هذا المذهب فوضع القناع وصاح ملء الاسماع .

ألا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمرُ ولا تسقني سرًّا اذا امكن الجهر

وبعد ان غبر حيناً وهو ينشد :

حب الغواني من الرشاد ولو يكاد يدني المحب من أجله
فتنّ بالحسن يوسفا وكذا داود حتى بغى على رجله
وزينب يتمت محمدنا فبان زيد وصار من بدله[2]

---

١) ديوان ابي نواس ٣٨٠٣ خزانة باريس ١٨٦
٢) ديوان ابي نواس ٣٠٤٨ خزانة باريس ٦٢

ما حدث في نفوس وبقيت وعني ناطني كما قال محمد الوراق :

وعاذلة تلوم على اصطباري ... علانا وانصحا مثل الهداة
وقالت قد خبرت ولم توفق ... لطيب عيش وصال الغانيات
أتختار الذكور على الجواري ... وحيتانا على طي الفلاة
دعيني لا تلوميني فاني ... على ما تكرهين الى الممات
كذا اوصى كتاب الله فينا ... بتفضيل البنين على البنات[1]

وقد اقرّ الحسن بن هانئ ان الخاركي كان المجلي في هذه الحلبة وهو ما رواه عبدالله بن المعتز في كتابه الذي ألفه في الاختيار من شعر الشعراء. وحكى عن ابن الداية انه سمع ابا نواس يقول : ما مجنت ولا خلعت العذار حتى عاشرت احمد بن اسحق الخاركي وكان غير الناس قبله بالبصرة دهرهم الاطول يتكاتمون بالمجون في نعت الخمر وذكر المذاكر واظهار الفسق حتى جاء الخاركي فجاهر بالقول في ذلك ولم يحتشم منهم فامتثلنا نحن ذلك ومن جاء بعدنا ممن يذهب مذهبنا عيال علينا[2]

وكان الامين قد عرف ابا نواس ونادمه فلما صارت الخلافة اليه ادناه وطلب الخصيان وابتاعهم وغالى بهم وصيّرهم لطعامه وشرابه وامره ونهيه وفرض لهم فرضاً وسماهم الجرادية وفرضاً للحبشان وسماهم الغرابية ورفض النساء الحرائر والاماء. وفي ذلك يقول بعضهم من جملة ابيات خاطب بها الرشيد المدفون في طوس واشار الى الامين والخصيان قائلا :

لم من عمره شطر وشطر ... يعاقر فيه شرب الخندريس
وما للغانيات لديه حظ ... سوى التقطيب والوجه العبوس

وجرى الناس على دين الامين في ايثار الغلمان والخصيان وعمت الرغبة والتنافس في اقتنائهم وايثارهم على الجواري وصارت الخلافة الى المأمون فعاد البها البهاء والى القائم بها الوقار وبقيت الحال على ذلك او قريباً منه الى ان قعد المتوكل فسلك مسالك الامين وزاد عليه واشخص ابا العنبس الصيمري وقال له : انت مني بمنزلة ابي نواس من عمي وطالب الشعراء ان يشببوا

---

١) ديوانه ٤٨٣٠ باريس ٢٩٤

٢) ديوان ابي نواس ٢٨٣٠ خزانة باريس ٢٩٤

بالغلمان وقد كان البحتري في اول مـا وصل اليه شبّب بالاناث في قصيدته التي اولها :

مَنِ النفس من اسماء لو تستطيعها   بها وجدها من غادة وولوعها

فاعرض عنه وقال هذا الشاعر يتهوّع مما قال : عُها عُها فقصده البحتري بمثل قوله :

مني وصل ومنـك هجر   وفيَّ ذلّ وفيـك كبر

فحظي عنده وصار من ندمائه ودخل اليه مروان الصغير فوقف بين يديه فقال : هات ودعني من ذكر اسماء وسلمى فانشده :

فَدِّ الخيب ولا تسبّه   اضحى ومـك غير همّه

فاستوى قاعدًا وقال : زد على هذا فقال :

بيضاء خالط وجهها   ورد فكيف لنا بشمّه
تمشي كما يمشي النسلا   م وكنّها رخى ككمّه
ولأنت اشبـه بالغزا   لِ سوالفا منه بأمّه
ذمّ الخلافـة جعفر   ما زمّها احـد كزمّه
يا حية الله التي   دان الطغاة لخوف سمّه
ما لابن بنت مدخـل   بين ابي وبـين عمّه

فقال : لو كان تشبيبك مذكرًا لاصحبتك مثل ما اصحب جدي الرشيـد جدك مروان ثم وصله بخمسين الفًا[1] .

ومما تقدم يتحصل ان اول من اعان على تفشي هذا الداء الخبيث في الدولة العباسية وحمل الشعراء على احلاله محله من الغزل والنسيب وجعل للغـلام هذه المنزلة الفاضحة في القلوب التي اغرت بمنافسته ومحاكاته في زيه وشكله وحركاته وخصائصه هم رجال بني العباس.وبعض خلفائهم والناس كما قيل على دين الملوك ولذلك لما عاينت زبيدة ام الامين ولع ابنها بالخدم والخصيـان واعراضه عن الحرائر والاماء ارادت مداواته بنفس الـداء فاختارت له الجواري الحسان وابرزتهن له في زي الغلمان وهـذا نص ما رواه المسعودي في اصل اتخاذ الغلاميات قال :

(١) ديوان ابي نواس ٢٨٣٠ خزانة باريس ٢٠٠-٢٠١

« ذكر محمد بن علي العبدي الخراساني الاخباري وكان القاهر به آنساً قال : خلا بي القاهر فقال : تصدقني و هذه ؟ واشار الى الحربة فرأيت والله الموت عياناً بيني وبينه فقلت : اصدق يا امير المؤمنين . . قال : اخبرني ام جعفر زدني منها . . . قلت : لما افضى الامر الى ولدها يا امير المؤمنين قدّم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم ككوثر وغيره من خدمه فلما رأت ام جعفر شغفه بالخدم واشتغاله بهم اتخذت الجواري المقدودات الحسان الوجوه وعممت رؤوسهن وجعلت لهن الطرر والاصداغ والاقفية والبستهن الاقبية والقراطق والمناطق فبانت قدودهن وبرزت اردافهن وبعثت بهن اليه وابرزهن للناس من الخاصة والعامة فاتخذ الناس من الخاصة والعامة الجواري المطمومات والبسوهن الاقبية والمناطق وسموهن الغلاميات فلما سمع القاهر ذلك الوصف ذهب به الطرب والسرور والفرح ونادى باعلى صوته : يا غلام قدح على وصف الغلاميات فبادر اليه جوار كثيرة قدهن واحد توهمتهن غلمانا بالقراطق والاقبية والطرر والاقفية ومناطق الذهب والفضة فاخذ الكأس بيده فاقبلت اتأمل صفاء جوهر الكأس ونورية الشراب وشعاعه وحسن اولئك الجواري والحربة بين يديه فاسرع في شربه وقال : : هيه . . . »[1]

ومن اشهر من عرف من غلاميات الامين عريب المغنية الشاعرة الماجنة حظية الخلفاء . وهي في بعض الروايات بنت جعفر بن يحيى البرمكي سرقت وهي صغيرة لما انتهب البرامكة[2] وزعموا ان المأمون قبل في بعض الايام رجلها[3] قيل انه لم يكن بين النساء العب منها بالشطرنج والنرد حدث المعتمد قال : حدثني عريب انها كانت في شبابها يُقدَّم اليها برذون فتطفر عليه دون ركاب[4] وقد وضع عبدالله بن المعتز ديواناً في اخبارها[5] وحكت هي عن نفسها قالت : كنت لمحمد الامين وصيفة في عداد الوصائف البس قباء ومنطقة واقوم على راسه وسني اذ ذاك سبع عشرة سنة[6] وكان لبس القباء والمنطقة يومئذ زي الغلام

---

١) مروج الذهب طبعة باريس ٨ : ٢٨٩-٣٠٠
٢) الاغاني طبعة بولاق ١٨ : ١٧٧
٣) النويري نهاية الارب ٥ : ٩٨
٤) الاغاني طبعة بولاق ١٨ : ١٧٥ و ١٨٧
٥) النويري نهاية الارب ٥ : ١٠٨
٦) الديارات للشابشتي نسخة برلين ق ٢٠

وحكى جحظة في هذا المعنى قـال : دخلت الى عريب مع شروين المغني ذي العُلَيس بن حمدون وانا يومئذ غلام علي قباء ومنطقـة فانكرتني وسألت عني فاخبرها شروين وقال : هذا فتى من اهلك هذا جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد وهو يغني بالطنبور[1] .

وما لبث الناس ان شغفوا بمثل هؤلاء الوصائف المقرطقات المنطقـات المتشبهات بالغلمان رشاقة وخفة[2] واختاروهن لمجالس الشراب وادخلهن الملوك والامراء في جملة الصلات والهبات الطائلة . حدث حماد بن اسحق الموصلي قال : « كان ابي ذات يوم عند اسحق بن ابرهيم بن مصعب فلما جلسوا للشراب جعل الغلمان يسقون من حضر وجاء غلام قبيح الوجه الى ابي بقدح نبيذ فلم يأخذه ورآه أسحق فقال له : لِمَ لا تشرب ؟ فكتب اليه ابي :

أصبح نديمك اقداحاً تسلسلها	من الشمول وأتبعها باقداح
من كف ريم مليح الدل ريقته	بعد الهجوع كمسك او كتفاح
لا اشرب الراح الا من يد رشإ	تقبيل راحته اشهى من الراح

فضحك وقال : صدقت والله ثم دعا بوصيفة كأنها صورة تامة الحسن لطيفة الخصر في زي غلام عليها اقبية ومنطقة فقال لها . تولّي سقي ابي محمد فما زالت تسقيه حتى سكر ثم امر بتوجيهها وكل ما لها في داره اليه فحملت معه[3] .

ومن اخبار ابي نواس مع الخصيب امير مصر انه اقدم بعض التجـار من الروم بغلمان فعرضوا على الخصيب . . . واتى بعض التجار ايضاً ومعـه جوار روميات بديعات الحسن غريبات الجمال فعُرِضْن عليه فاذا فيهن وصيفة غلاميـة عجيبة احسن من فيهن فدعا ابا نواس فقال : أرأيت في الغلاميات التي وصفتهن مثل هذه قط ؟ قال : لا قال : هي لك[4] .

وقد نبهنا سابقاً على ان الغـلاميات كنّ غالباً من الوصائف والإماء

١) الاغاني ١٨ : ١٧٨

٢) قطب السرور في اوصاف الخمور للرقيق النديم خزانـة بريتش موزيوم Or. 3628 f° 132

٣) الاغاني ٥ : ٨١

٤) اخبار ابي نواس لابن منظور ٢٩١

الاحميات دون غيرهن من الاشراف اللاتي كن يترفعن عن مثل هذا الابتذال والتقليد » ووصفت المتوكل ريطة بنت العباس بن علي فخطبت اليه فتزوجها ثم سألها ان تطمّ شعرها وتتشبه بالمماليك فأبت عليه فاعلمها انها ان لم تفعل فارقها فاختارت الفرقة فطلقها[١]

ولا يعرف بالضبط متى نشأ الزي الغلماني في الحضارة العربية وهل حدث في اواخر الدولة الاموية ام انه دخل العراق مع العباسيين واشياعهم من الفرس والخراسانيين ولم نجد اقل الماع اليه في عهد السفاح والمنصور ولعله كان مكتوماً غير متداول جهراً لمكان المنصور الذي كان يتشدد في اللباس والاقتصاد وقد عاقب مرة احد كتابه لانه شاهد سراويله من الكتان[٢] ونشأ ابنه المهدي على غير ما كان ابوه عليه من الغيرة والحزم واليقظة وسمع قول ابي العتاهية :

ألا ان جارية للاما م قد أسكن الحسن سربالها
مشت بين حور قصار الخطا تجاوب في المشي أكفالها
وقد اتعب الله نفسي بها واتعب في اللوم عذالها[٣]

فلم ينكر عليه هذه الفتنة وكاد يهبها له ولم يرَ اقل بأس في ابراز ابنته البانوقة[٤] لعيون الملإ « في هيئة الفتيان عليها قباء اسود ومنطقة وشاشية متقلدة السيف » تسير بينه وبين صاحب الشرطة[٥] فلا بدع اذا تكاثرت الغلاميات في زمانه وتعددت جواري قصر الخلافة حتى بلغن في ايام الرشيد زهاء اربعة آلاف جارية « وكان الرشيد قد أهديت اليه جارية في غاية الجمال والكمال فخلا معها يوماً واخرج كل قينة في داره واصطبح فكان جميع من حضره من جواريه المغنيات والخدمة في الشراب زهاء الفي جارية في احسن زي من كل نوع من انواع الثياب والجوهر واتصل الخبر بام جعفر فغلظ عليها ذلك فارسلت الى

---

١) المحاسن والاضداد المنسوب للجاحظ ليدن ص٢٣٦
٢) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ص١٥٣
٣) الاغاني ٣ : ١٤٢
٤) ورد في الكامل لابن الاثير « الباقوتة » وهو تصحيف وروي في كتاب الفهرست « البانوجة » بالجيم المصرية (ص ٤٢٦) .
٥) تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة القاهرة ٥ : ٤٠٥

عُلَيّة تشكو اليها فارسلت اليها عُلية : لا يهولنّك هذا فوالله لاردّنه اليك قد عزمت ان اصنع شعرًا واصدغ فيه لحنًا واطارحه على جواريّ فلا تبقى عندك جارية الا بعثت بها اليّ وألبستهنّ الوان الثياب ليأخذن الصوت مع جواريّ ففعلت ام جعفر ما امرتها به علية فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد الا وعلية قد خرجت عليه من حجرتها وام جعفر من حجرتها معها زهاء الفي جارية من جواريها وسائر جواري القصر عليهن غرائب اللباس وكلهن في لحن واحد هزج صنعة علية :

منفصل عني وما قلبي عنه منفصل
يا قاطعي اليوم لمن نويت بعدي ان تصل

فطرب الرشيد وقام على رجله حتى استقبل ام جعفر وعلية وهو على غاية السرور وقال : لم أرَ كاليوم قط يا مسرور لو تبقينّ في بيت المال درهمًا الا نثرته فكان مبلغ ما نثره اليوم ستة آلاف الف درهم وما سُمع بمثل ذلك اليوم قط »[1].

ولا ريب ان عدد الغلاميات اربعة آلاف بين جواري القصر كان طائلًا لولع الرعاة والرعية في مثل هذه الازياء الظريفة التي كانت غالبة على اكثر الوصائف والخدم وكان الرشيد لا يرى بأسًا في بذل غلامياته لاولاده حدث ابو بكر بن الانباري باسناده الى منصور البرمكي قال : كان لهرون الرشيد جارية غلامية يعني وصيفة على قد الغلام وكان المأمون يميل اليها وهو اذ ذاك امرد فوقفت يومًا تصبّ على يد الرشيد من ابريق معها والمأمون جالس خلف الرشيد فاشار اليها كأنه يقبلها فانكرت ذلك بعينها وابطأت في الصبّ على مقدار نظرها الى المأمون واشارتها اليه فقال الرشيد : ما هذا ؟ ضعي الابريق من يدك ففعلت . فقال : والله لئن لم تصدقيني لاقتلنّك فقالت : يا سيدي اشار اليّ عبدالله كأنه يقبلني فانكرت ذلك . فالتفت الى المأمون ونظر اليه كأنه ميت لما داخله من الجزع والخوف فرحمه وضمّه اليه وقال : يا عبدالله أتحبها ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين قال : هي لك . . . »[2]

---

١) الاغاني ٩ : ٨٨

٢) امالي القالي طبعة ١٣٢٤ ج ١ : ٢٢٩ — ٢٣٠ وتاريخ بغداد ١٠ : ١٨٥

وشبّ المأمون . . . على حب الغلاميات . . . صارت الخلافة اليه كان يلبس من يختاره من جواريه لباس الغلمان ولا يكتم التشوق اليهن » قال عيسى بن ابان : كنت عند المأمون فاستأذنته في الخروج الى البصرة الى عيالي فقال : انا اشوق منك الى عيالي واكن وجّه اليهم فيحملوا . ثم قال للخادم على رأسه : مُرهم بالوصول. واقبل غلام لا نبات بوجهه مغلف بالغالية فسلّم فقال : مرحباً فاجلسه على فخذه اليمنى واقبل آخر واقعده على فخذه اليسرى فجعلت انظر اليها والى حسنها. . فقال : يا عيسى انهما جاريتان اشتهيتهما في ذي الغلمان. . . »[1]

وقد مرّ بنا آنفاً ولع الامين والمتوكل والقاهر بالغلاميات واهل المتوكل كان بعد الامين اشد الخلفا. غراماً بهذا الزي المذكّر ولم يكن عنده احظى من قبيحة ام المعتزّ وله فيها اشعار منها :

انسانة كالشمس فتانة	احبها ليست من الانس
مليحة الشكل غلامية	احسن في الحسن من الشمس[2]

وكان اكثر من يؤثر منهن المطمومات اي المقصوصات الشعر وقد تقدم انه سأل امرأته ريطة ان تقص شعرها ولما أبت طلقها ولم يخرج قط حتى امكنته الفرصة من انتزاع من اعجبته منهن ولو قهرًا قالوا: « كانت نخلة جارية الحسين بن الخال قبل ان يتولى المتوكل الخلافة تقعد بين يديه وتغنيه فولدت للحسين ابناً فلما ولي المتوكل الخلافة طرقه ليلًا فقال له الحسين : زرتنا جعلت فداك ؟ قال : اشتهيت ان اسمع غناء نخلة فاخرجها اليه مطمومة الشعر فقال : يا خال أليس قد ولدت منك ابناً ؟ قال : بلى قال : انا احب ان تعتقها قال : فانها حرة قال : فاشهد اني قد تزوّجتها قومي يا نخلة . فاشتدّ ذلك على الحسين فعوّضه عنها خمسة عشر الف دينار وحوّل نخلة اليه . . . »[3]

ومن هذه الشواهد كلها يتبين ان العراق كان موطن الغلاميات ومطلع اقمارهن ومباءة ملكهن والسوق الاعظم الذي تنفق فيه كل شاطرة وشاردة

---

١) غيث الورى الذي انسجم في شرح لامية العجم باريس ٣١١٩ ص ٢٩٤

٢) مرآة الزمان خزانة بريتش موزيوم Or. 4618 f° 152 a

٣) المحاسن والاضداد ليدن ٢٣٦

منهنّ خلافاً لمصر فانه يلوح انهن لم يبلغن قط فيها الشهرة التي بلغنها في بغداد وهو لا يخلو من الغرابة نظراً لما عرفت به مصر من التبسط في فنون المعيشة والاخذ بنصيب وافرٍ من كل جديد في الحياة والاقبال على كل طريف وعجيب في العادات والازياء والولع بكل طارئ من الملاهي والبدع ولا سيما في دولة الفاطميين وقد قلبنا كل ما نالته يدنا من الادبيات المصرية وكتب الاخبار والتاريخ ودواوين الشعراء فلم نهتدِ الا الى بيتين للامير تميم بن المعزّ من ارجوزة له في وصف ساقية قال فيها :

طاهرة الذيل والخفتان   في هيئة المرد من الغلمان
شاطرة ساحرة اللسان   ترفعت عن شبه النسوان[1]

يريد بالخُفتان ما يعرف اليوم بالقفطان وهو القباء الذي كان يلبسه الذكور والسقاة ولا ريب انه فاتنا كثير من امثال هذا الوصف في ما ضاع او قذفت به يد الغير والخطوب في مهب كل ريح من الفتن والنكبات وقد روينا قبلًا انه في ايام الخصيب امير مصر ورد بعض التجار بجوار روميات بديعات الحسن وان الامير اختار ابرعهنّ جمالًا ووهبها لابي نواس وهو ما يدل على ان القاهرة كانت ايضاً معرض الغلاميات والحلبة التي كانت تتسابق فيها غانيات الصقالبة والروم ولعل ذلك يصح ان يقال ايضاً في الشام لان دمشق كانت سوقاً من اهم اسواق النخاسة ومع ذلك فقد خفي علينا معظم اخبار الغلاميات فيها فلا ندري شيئاً مما كان يجلب اليها او يروج فيها لقلة احتفال المؤرخين والكتاب بشؤون التجارة وضروب المعيشة والحضارة وقد تتبعنا ايضاً اشعار الشاميين في ما جمع منها كاليتيمة والخريدة واشباهها فلم نظفر منها بطائل ووقف بنا التوفيق امام ابيات ثلاثة لم تكن تخطر ببال تضمن الاولان اشارة الى الغلاميات في اثناء وصف دير البنات المشرف على ارض طرابلس وهما للطيبي الشاعر :

وبيننا خود كشمس الضحى   راغيد قد فاق بدر التمام
لولا نبات الشعر في خده   لم ندرِ اي الاغيدين الغلام

(١) ديوانه ليدن Arab. 2038 f° 314

وعرف منه بيت ثالث لمطران سمعان الغزي من قصيدة ذكر فيها دير سابا ومزارات القدس فقال :

دخلت بغير جارية اليه ولا امرأة على شكل الغلام

يريد انه دخل الدير بعد زهده في النساء والجواري الغلاميات وهو ما يدل على شيوع زي الغلاميات حتى بين النصارى .

ومن الثابت المحقق ان لقب «الغلامية» هو من الالفاظ العباسية ولم يكن معروفاً في ايام الامويين وهو ما صرّح به محمد بن علي الخراساني الاخباري حيث قال للخليفة القاهر بالله « اتخذ الناس من الخاصة والعامة الجواري المطمومات والبسوهنّ الاقبية والمناطق وسموهنّ الغلاميات » . . .

كتاب

الدر المرصوف في تاريخ الشوف

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانيّة الشويريّة

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره

الاب اغناطيوس سركيس

من الرهبانية الشويرية

موت ظاهر العمر وابرهيم الصباغ (١٧٧٥)

وكان احمد بك الجزار قد شكى الى الدولة العلية أخلاق الشيخ ظاهر العمر وعشيرته . لانه كان بعد خروجه من عنده سافر الى القسطنطينية وصادف سبيلًا للقبول . وسعى في الشيخ ظاهر انه ظالم غدار لا ترتاح الرعايا في ولايته . وكان قد تقدم مثل ذلك من محمد بك ابي الذهب . فتحققت السعاية وانعمت الدولة على احمد بك الجزار بولاية صيدا . واعطته فرمانًا بعد ذلك . وكان قد بلغها خبر وفاة ابي الذهب . فجهزت حسين باشا قبطان[1] باثني عشر مركبًا حربية . وعن يده فرمان الى الشيخ ظاهر العمر باستدعائه الى الطاعة وطلب الاموال السلطانية المكسورة عنده منذ ولايته . فحضر حسين باشا بمراكبه الى يافا . وارسل الفرمان الى الشيخ ظاهر وتعهد له ان اطاع يجعله واليًا على ايالة صيدا وعكا .

فعقد الشيخ ظاهر ديوانًا وجمع اليه اكابر دولته . واخذوا يتحدثون في ذلك . فمنهم من قال نترك البلد ونتحصن في الجبال . ومنهم من قال نثبت مكاننا ونقاتل . فان ظفرنا فهي الحاجة . والا فالفرار لا يفوت . وقال الشيخ

١) حسن باشا وزير البحر الابيض وهو المسمى في اللغة التركية بالقبوذان (تاريخ الامير حيدر) . وقوله حسين غلطة نسخ ولا شك لان هناك شخصًا آخر اسمه حسين باشا سيأتي ذكره .

ظاهر : انا رجل قد شخت في خدمة الدولة . فاريد ان اقضي بقية ايامي في الراحة . ولا طاقة لي على القتال والتقلب في مهاته . وكان في ديوانه احمد آغا الدنكزلي . فقال : اصبت يا مولاي . ان غضب الدولة بلاء عظيم ورضاها غنيمة . والمال الذي تدفعه هو من نعم الدولة واليها يعود بالحق . وانت تستخلف من رضاها اضعاف ما ترد عليها من مالها . وكان عند الشيخ ظاهر رجل من من نصارى عكا يقال له ابرهيم الصباغ وكان متسلماً امور الشيخ ظاهر باسرها. حتى اولاده ونساءه . وكان الشيخ ظاهر لا يقضي امرًا جلّ او قلّ ، الا برأي هذا الرجل . فقال ابرهيم : يا مولاي . ليس عندنا مال يفي ما علينا للدولة . . والدولة لا ترضى منا ، ولو دفعنا ما فوق حقها . فقال احمد آغا الدنكزلي : يا ابرهيم . اعطني مئة الف غرش ، وانا امضي بها الى حسين باشا قبطان، وارضيه بها ، وآتيك بالعفو والامان والولاية على كل ما كان في ايدينا . فقال ابرهيم : ليس عندنا الا سيوف ورماح . فليفعل حسن باشا ما شاء . والله المستعان وخرج ابرهيم من الديوان . وانفضّ المجلس على هذه الحال .

فحنق احمد آغا الدنكزلي من ذلك ، وكان رئيس المغاربة ، وهم ضباط الابراج والاسوار . فاجتمع بهم وحدثهم بما كان . وامرهم ان يسدوا افواه المدافع ، فلا يطلقوا منها شيئاً ، ولا يدعوا احدًا يطلقها عند الحاجة . وارسل الشيخ ظاهر اولاده الى خارج المدينة ، ليجمعوا ذخائر للحصار ورجالاً للقتال .

واما حسن باشا قبطان . فلما ابطأ عليه الجواب . علم ان الشيخ ظاهر اراد المصاولة . فاقبل نحو عكا بالمراكب ورماها بالكلل والقنابل . فثار الشيخ . وامر المغاربة باطلاق المدافع عليه . فقالوا نحن لا نحارب عساكر السلطان . وحاصروا في الابراج . فلم يمكنوا احدًا من الدخول اليها . وكان احمد آغا الدنكزلي قد ارسل الى حسن باشا يعلمه بما كان . فاشتد عزمه . واستأمن في الهجوم على البلد . واخذت ابنية عكا تتهدم . وحجارتها تطير . فضاق صدر الشيخ ظاهر . ولم يجد له سبيلاً غير الهزيمة . فهرب طالباً الجبال . وبينما هو خارج من احد ابواب المدينة ، رماه احد المغاربة برصاص . فقتل مكانه . وهرب ابرهيم الصباغ الى الخارج فنجا ونزل عند رجل من مشايخ المتاولة ، يقال له الشيخ علي درويش . ودخل حسن باشا الى المدينة . ولم يتعرض

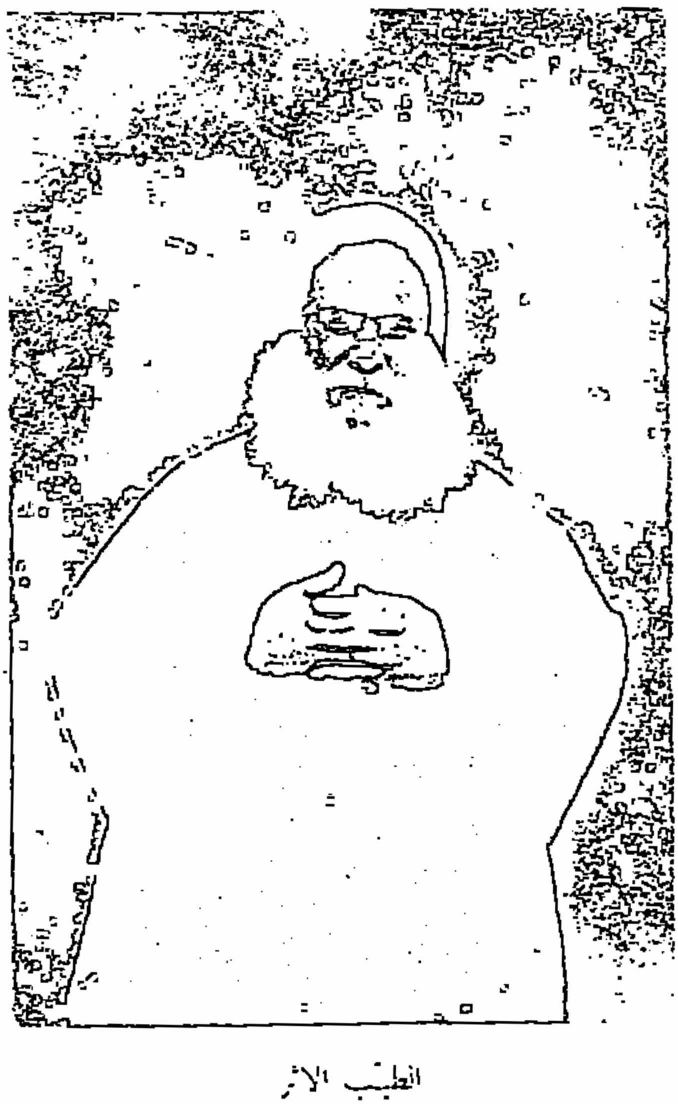

الطيب الأثر

الأب مبارك تلحمي الراهب اللبناني (١٨٥٢–١٩٢٢)

وسلمه حسن باشا قبطان مدينة عكا . وتوجه بالمراكب الى بيروت . وكان الامير يوسف وبنو عمه قد رحلوا منها الى الجبل . فارسل الى الامير يوسف يطلب منه الاموال السلطانية المكسورة عنده عن ست سنوات . من حين ما تولى الشيخ ظاهر العمر على صيدا . فاجاب الامير يوسف انه في هذه السنين صرف اموالاً كثيرة على العساكر في قتال الشيخ ظاهر والمتاولة . وانه دفع الى عثمان باشا واولاده بقية الاموال المكسورة . وزوّر وصولات في ذلك وارسلها اليه مع كتابات لطيفة وهدايا فاخرة . وسأله ان يكف احمد باشا الجزار عن التعدي عليه . فصار ذلك مقبولاً عند حسن باشا . وارسل الى الامير يوسف كتاب الرضى والامان وطلب منه ان يرسل اليه مئة الف قرش فقط ، لكي يرسل اليه وصل الخلاص ، ويقرره على ولايته . فجهز له الامير يوسف المطلوب وارسله اليه . فتسلمه وارسل اليه التقرير على حكم بلاد الشوف والبقاع وبيروت وجبيل . وان لا يكون لاحمد باشا الجزار سلطة عليه الا في ايراد الاموال السلطانية لا غير . ثم توجه حسن باشا راجعاً الى عكا . وفي وصوله امر بقتل احمد آغا الدنكزلي متهماً اياه بعدم المحافظة[1] . وكان ذلك وفاء عن سعيه المذكور في نوبة الشيخ ظاهر العمر . وكان احمد باشا الجزار قد ابتدأ يعين العساكر عنده . فحضر اليه نحو ستمئة خيال قبيس ، فاستخدمهم . واقاموا عنده . وكان بعد رجوع حسن باشا قبطان من بيروت ، ارسل ضبط مداخيلها . وارسل الى الامير يوسف يطلب منه المال السلطاني عن تلك السنة . وارسل خيل القبيس الى بيروت . ولما بلغ الامير يوسف مسير عسكر الجزار من

---

١) ثم رفع حسن باشا رأسه قليلاً والتفت الى الدنكزلي وقال له : من اي بلاد من المغرب انت ؟ – قال له من تامرت . – فقال له : وما كانت صنعتك هناك ؟ قال له : كنت حطاباً بغنمي . – قال له حسن باشا : وكم سنة صار لك في خدمة ظاهر ؟ اجابه : ما يزيد عن اربعين سنة . – قال له الباشا كم كان دخلك منه ؟ – اجاب الدنكزلي : كان دخلي في اول سني خدمتي عنده قليلاً . ولكن لم يكن يقل عن شتي كيس لي ولاتباعي . . . فقال له حسن باشا : تأكل خبز انسان اربعين سنة ودخلك منه هذا المقدار وتغضب سيفك بدمه ! ينتقم الله مني اذا كنت لا انتقم منك لظاهر . – ثم امر من كان في حضرته من ملازميه فاخذوا الدنكزلي فخنقوه ورموه في البحر . فكان هذا ايسر جزاء خيانته لمولاه . (تاريخ ظاهر العمر) .

عكا ارسل المشايخ النكدية تمتي نمر يسكون ضريق السعديات . فاكنوا بين الصخور فوق ذلك الطريق حتى وصل العسكر . فثاروا عليه . وانتشب بينهم القتال . وكانوا يظنون ان الخيل لا تقدر ان تصل اليهم امر المكان. فهجمت القبيس الى بين تلك الصخور. واستظهرت عليهم . فقتلت منهم جماعة . وقتل الشيخ ابو فاعور نكد . وقبضوا على ولده الشيخ محمود وعلى الشيخ واكد ابن الشيخ كليب . وتركوا اخاه الشيخ بشير مجروحاً بين حي وميت. واغتنموا خيلهم وسلاحهم . ورجعوا الى صيدا بالاسيرين المذكورين . فسجنها المتسلم في القلعة. وكان ذلك في شهر آب. وهذه اول موقعة حصلت بين الجزار واهل البلاد.

ولما بلغ الامير يوسف ذلك استطار فؤاده وارسل الى حسن باشا ان الجزار ابتدأ بالمطاولة على بلاده . وانه ارسل عسكراً فغار على اطراف البلاد وقتل ونهب واستأسر . وان ذلك انتقاماً منه عن ايراد المال الى حسن باشا. وكان حسن باشا يكره الجزار . لانه تولى ايالة صيدا عن غير يده . فاستدعى اليه الجزار . وزجره . فاعتذر اليه . وارسل حسن باشا الى الامير يوسف يعده انه متى رجع الى الباب العالي ينزل الجزار عن ايالة صيدا . وبعد ذلك سافر الى القسطنطينية . واخذ تلك الاموال التي ضبطها من عكا . وتمرد الجزار واعتز بعد مسيره . وعزم على مضاجرة الامير يوسف وتبديد بلاده .

وفي سنة ١١٩١ (١٧٧٧) ارسل الامير يوسف الى احمد باشا الجزار يسأله اطلاق المشايخ النكديين المسجونين في قلعة صيدا . فسمح باطلاقهم تحت ايراد مبلغ مئة الف غرش . وارسل في تحصيل المال مصطفى آغا ابن قرايملًا ومعه اربعمئة خيال قبيس . فاحتسب الامير يوسف وارباب دولتهم من حضورهم . ولحوا ان مرادهم قتل الامير يوسف وامتلاك الدير . لانهم رأوا نقباً قد احدثوه في المكان الذي ينزلون فيه ، آخذاً نحو دار الامير يوسف . فاحتجب الامير يوسف عنهم وامر رجاله ان يلازموا سلاحهم . واشار الشيخ عبد السلام العماد ان يوزع الامير يوسف ذلك المطلوب على اهل البلاد . ويرسل جماعة مصطفى آغا في تحصيله ويرسل الى اهل البلاد سراً ان كل من عنده واحد منهم يقتله. فيكفي الامير يوسف شرهم على احسن سبيل . ويكون ذلك بمشاركة اهل البلاد جميعاً فلا يتخلى احد منهم عن معاضدة الامير يوسف .

فرأى الامير يوسف والاكثرون ذلــك صواباً . ولم يرضَ بذلك الشيخ كليب نكد خوفاً على المسجونين منهم في صيدا . فتكلم الامير يوسف مع مصطفى آغا ان يصرف العسكر الذي معه . ويبقى بانفار منــه على تحصيل المال . وكان مصطفى آغا قد رأى انه لا يقدر على قتل الامير يوسف . فاجابه الى ذلك . وكان الامير يوسف قد وزع ذلك المال على مناصب البلاد. وارسل في ذلك حوالات ومباشرين . فانكر امراء المتن ذلك وطردوا الحوالات من عندهم . فعظم ذلك على الامير يوسف . وعزم على قصاصهم . وارسل مصطفى آغا الى حرش بيروت لاجل قصاص الامراء المذكورين في املاكهم التي لهم في تلك الاطراف . وكان مصطفى آغا قد اصرف جماعته في صيدا. فاستحضرهم الى هناك . وصار العسكر يصعــد الى اطراف المتن ينهب ويحرق ويعود الى الحرش . فاحرقوا قرية المكلس والدكوانة والجديدة . واتصلوا الى انطلياس . فنهبوا ما وجدوه في الدير والقرية . واستــاقوا مواشي كثيرة . وصادفوا ناساً من الرعايا . فقبضوا عليهم . واحضروهم الى مصطفى آغا . فارسلهم الى صيدا. وبينما هم في الطريق اعترضهم المشايخ النكدية . ففكوا الاسرى واطلقوهم . وهرب الذين كانوا معهم من رجال الدولة . وكان الامير يوسف قد اتفق مع امراء المتن خوفاً من غلبة الجزار على البلاد عند انقسامها . وبلغ مصطفى قراملا ذلك . وعلم بمعارضة المشايخ النكدية لاتباعــه وفكهم المرابيط . فركب بعسكره . وكبس قرية الشويفات فلم يقدر عليها . فقتل من عسكره جماعة. وعلم انه لا يقدر على البلاد من هذه الجهة . فرجع الى صيــدا . وعرض على احمد باشا الجزار ان الامير يوسف قد اتفق مع اهل البلاد على العصاوة. فاضاف اليه عسكراً ، وتوجه به الى اراضي البقاع . فاخذ يضبط غلال اهل البلاد التي هناك . ويتطاول على الناس . فهربوا من وجهه . وجمع الامير يوسف عسكراً وارسله لقتاله . فحدث بينهم مواقع كثيرة والنصرة لعسكر الامير يوسف . وكان الجزار لا يفتر عن امداد عساكره بالرجال والذخائر. وحدث بين العسكرين موقعة عظيمة في مكسة . فاحاطت الدولة بعساكر البلاد . وظفروا به. وقتلوا منه خلقاً كثيراً . وقتل في ذلك اليوم الشيخ سيد احمــد العماد والشيخ ظاهر عبد الملك . ولو لم تأتهم النجدة من البلاد لما بقي منهم احد .

ثم توجه مصطفى آغا وكبس مدينة بعلبك فشتت هلها. وقبض على الامير محمد الحرفوش. والبعض من اعيان البلد ومشايخها. وحبسهم. واخذ منهم مالاً جزيلاً. ثم كبس قرية سعدنايل. ونهب مواشيها. وقتل من قاومه من اهلها.

احراق زحلة

وفي تاسع عشر تموز كبس زحلة. واضطربت الناس. وهاجت. وهرب اكثرهم الى الدير الذي بها وما فوقه من الجبل. وحاصر بعضهم في الدير[1]. ووقع القتال بينهم وبين الدولة. فقتلوا منها اناساً قلائل. وكسروها فرجعت نحو البلد. ونهبت شيئاً وانهزمت. وحضر بعد ذلك بعض من الامراء والمشايخ من الجبل برجال. فجدد عسكر الدولة ركبة ثانية على زحلة. وكان ذلك في سابع شهر آب. ولما وصلوا الى البلد هرب عسكر البلاد من غير قتال. وقيل ذلك كان لخيانة فيه. فطمع عسكر الدولة. وهجم بسيوفه فادرك البعض من اهل البلد ومن عسكر الجبل. فانتشب بينهم القتال. وبينما هم يقتتلون وصل الامير مصطفى الحرفوش ومعه رجال قلائل. فصادم الدولة وقاتلها. وصار بذلك فرصة للناس ان تنهزم. فانهزموا. وثبت الامير مصطفى. فكانت الدولة راجعة الى القرية فاحرقتها بالنار. واحرقت الدير وكل ما فيه. وسميت هذه السنة سنة ابن قرملا الى يومنا هذا. واعتز هذا الرجل وتمرد. وحدثته نفسه ان يقتل الجزار ويتولى مكانه. واتفق على ذلك مع عبدالله آغا وغيره من قواد العساكر. وبلغ ذلك الجزار فاحتسب. وارسل قطع خرج ابن قراملا. فرجع الى حيث منشأه ومقامه. وهناك حدثت فتنة بينه وبين بني عمه فقتلوه وارتاحت الناس من شره.

ابن قراملا

وكان هذا الرجل ظالماً غداراً. سفاكاً للدماء. بطلاً في الحرب لا يطاق.

---

١) هو دير مار الياس التي للرهبانية الباسيلية الشويرية. بنته نحو سنة ١٧١٠ على الكتف الشمالية الغربية من البلدة. وكانت زحلة اذ ذاك قرية صغيرة وعلى اثر نشأته لجأ الى جواره كثير من السكان. فكانوا يعملون في ارزاقه. وكان كثير منهم من رأس بعلبك في الحي الذي فطره حي الراسية الى اليوم. واخذت زحلة تنمو وتتسع منذ ذاك. وكان الدير مدى تاريخه ملجأ وحمى السكان. وتحمل كثيراً من الكوارث والاضرار من مثل هذه المذكورة في التف.

وكان مغرماً بالصيد ولعب الخيل . وكان فارساً عظيماً . وقيل انه كان ينزل الى الميدان في دير القمر ويرمي الجريدة من نصف الميدان نحو الشرق فتمرّ من فوق السراي. ونحو الغرب فتمر من فوق المأذنة. وكان طويل القامة رقيق الجسم، اصفر اللون بلحية سوداء صغيرة . وكان له من العمر خمسة وعشرون سنة لا غير .

اغتيال الشيخ علي الظاهر

وفي هذه السنة توفي الامير حيدر الحرفوش في مدينة بعلبك . وتولى مكانه اخوه الامير مصطفى . وكان الامير حيدر شجاعاً حكيماً كريماً حسن السيرة .

وفي هذا العهد كان احمد باشا الجزار لم يزل يتقصد قتل الشيخ علي ابن الشيخ ظاهر العمر . وبذل جهده في ذلك . وارسل اليه العساكر مراراً ولم يقدر عليه . غير انه ظفر بولديه الحسن والحسين فقتلهما . وضاق صدر الشيخ من عداوة الجزار . فالتجأ الى جبل الشوف . ونزل في قرية نيحا . فلم يقبله الامير يوسف خوفاً من الجزار . فرجع واقام في نابلس . وكان من خيالة القبيس التي استنجد بها الجزار في عكا رجل يقال له علي آغا القيصرلي . انفرد عنهم لعداوة كانت بينه وبين عبدالله آغا . واقام عند محمد باشا العظم في دمشق . وكان محمد باشا قد اتهم من طرف الدولة بموالاة الشيخ ظاهر العمر . فاراد ان يبرّئ نفسه . وطلب من علي آغا ان يحتال له على قتل الشيخ علي الظاهر . فكتب علي آغا الى الشيخ علي انه قد غضب من محمد باشا العظم وكره الاقامة عنده . وانه يريد ان يتحول اليه ، ويكون معاً له على مقاومة الجزار . فاجابه الى ذلك . وحضر علي آغا بجماعته . وكان قد اطلع اكابرهم على سره . وما عاهدهم على اشارة تلوح منه فينهضون لحاجته . ولما دخلوا على الشيخ علي رحب بهم واكرمهم . وهو قد امن اليهم لعلمه انهم من انصاره . ولما سنحت الفرصة اشار علي آغا الى اصحابه . فوثبوا على الشيخ علي وقتلوه واخذوا رأسه الى دمشق . فارسله محمد باشا الى القسطنطينية . وباد ذكر بني ابي زيدان بعد الشيخ علي الظاهر .

ولم يكن اقوى من الشيخ علي في زمانه ولا اكرم ولا افصح ولا اغنى نفس منه . وقيل انه كان لا يرضى ان يزوج بناته لئلا يدخلنَ تحت طاعة

الرجال. وقد رأينا واحدة منهن بعده تدور على اهل النعم سائلة عطيتهم وهي لا تفرق عن ادنى الفقراء . لكن نفسها لا تسمح بسؤال ادنياء الناس كغيرها.

واما اخوة الشيخ علي فكانت الدولة قد انعمت عليهم بعد وصولهم الى القسطنطينية . واقامت الشيخ عثمان وزيرًا على مدينة جدة : والشيخ احمد وزيرا على مدينة في بر الروم . والشيخ صالح كان يشترك معها في تلك النعمة. وكلهم لم يسألوا عن حال من تخلف بعد ابيهم . وكانت اخواتهم على هذه الحالة الذميمة .

وبعد قتل الشيخ علي تغلب احمد باشا الجزار على بلادهم . ورتب عليها مطالب . واجرى فيها عوائد لم تكن قبل ذلك . وذلت تلك العشائر . واندرست عنها تلك الكرامة . فسبحان من بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

ه

وفي هذه السنة ارسل وزير طرابلس نائبه عثمان بك شديد . فكبس الامير حيدر ابن الامير ملحم الشهابي في اهدن الجوز من معاملة جبيل . وكان معه عسكر من طرابلس الشام . فحاصروه في القرية يومين : وبلغ ذلك المشايخ بني رعد في الضنية فاقبلوا برجالهم لاسعاف الامير حيدر . واجتمع ايضاً رجال من القرى المجاورة فكسروا عسكر طرابلس وقام ذلك العسكر الى اميون . وصار يتقوى من معاملة طرابلس وتلك القرى. ووصل الخبر الى الامير يوسف فجمع عسكرًا من بلاد الشوف وارسله الى اخيه الامير حيدر . واقبلوا جميعاً الى قرية اميون وكبسوا عسكر طرابلس . فظفروا به . وقتلوا اكثرهم .

وفي هذه السنة في شهر حزيران حدث مطر غزير وبرق ورعد ورياح عاصفة كما يكون في معظم الشتاء . ودام المطر يومين متلاحقاً حتى فاضت الانهر ودارت الطواحين . وفي هذه السنة حضر جراد إلى هذه البلاد . وكان كثيرًا جدًا . فعم السواحل والجبال . واضرّ بالناس مضرّة عظيمة .

الراهبة هندية

وفي هذه السنة تلاشت اخوية دير بكركي في كسروان . وكان باسم الراهبات ورئيستهم التي يقال لها الام هندية . وكانت امرأة حلبية قد حضرت

الى هناك . فدخلت في الرهبنة وتظاهرت بالقـداسة . وصارت تجترح العجائب والمعجزات . وشاع لها ذكر عظيم . واعتقد بها كثير من الناس . ودامت على ذلك سنوات . حتى كشف الله سترها . فاذا بها ساحرة كذوب خادعة . فبادت تلك الاخوية . واخرجت هندية من الدير فاقامت في الزرق عنـد بني خضراء لانه كان لها منزلة عندهم ، وهم الى الآن يعتقدونها ، وكذا بني الجامـاتي من المكان المذكور .

ومكثت هناك الى ان ماتت . ومن اراد ان يقف على تفصيل ذلـك بالكفاية فعليه بكتابنا الآخر المختص بتواريخ الرهبنات .

الامير يوسف واخوته

وفي سنة ١١٩٢ (١٧٧٨) وقع الاختـلاف بين الامير يوسف والمشايخ النكدية لانه قصر في استخلاص المسجونين منهم في صيدا . ودبروا على خلعه من الولاية واقامة اخويه الامير سيد احمد والامير افندي مكانه . واتفقوا معها ومع المشايخ بني جنبلاط . واخذوا في مقاومته . وانهاض مناصب البلاد ضده . فاشتدت الحركة . وتكاثرت احزابهم وبلغ الامير يوسف ذلك . وعلم انه لا يقدر على مقاومتهم . فترك دير القمر وتوجه الى غزير في كسروان . واتفق انه بعد مدة يسيرة توفي الشيخ علي جنبلاط . وحضر الامير يوسف الى مناحته . وبوجوده في تلك المناحة اظهر انه يريد ان يكون الحكم لاخويه . وتنزل عنه بارادته . وسلمها اياه . وارسل البعض من مشايخ البلاد الى احمد باشا الجزار في طلب الخلعة لها . فاجاب الجزار الى ذلك . وحضروا بالخلعة للامير سيـد احمد والامير فندي . فحضرا باهلها الى الدير . وتسلما زمام الحكم . ووزعا الاموال السلطانية . واطاعتها الناس الا ان حكمها لم يطل . لان الامير يوسف اخذ يفند بعض الامراء والمشايخ . ويستميلهم اليـه . فعرضوا الى الجزار في شأنه . وعلم بذلك الامير سيد احمد والامير افنـدي . فكتبا الى الجزار . وطلبا اسعافه على مقاومة اخيها . فارسل لها عسكرًا الى حرش بيروت . وحضر بنفسه الى مدينة بيروت . فحضر الامير سيد احمد الى مواجهته . فطيب قلبه . وارسل معه عسكرًا من رجال الدولة . وتوجه به الى جبيل لكي يرفع منها

اخاه الامير حيدر الذي كان متسلمها من اخيـه الامير يوسف . وتوجه الامير افندي الى كسروان ليطرد اخاه الامير يوسف من غزير. فانتقل الامير يوسف من غزير الى بسكنتا . ووصل الامير سيد احمد الى جبيل وحاصرها . وضيّق على اخيه الامير حيدر . ودام الحصار مقدار شهر . وفي تلك المدة ارسل الامير يوسف الى الجزار . ودفع له مئة الف قرش على الولاية . فقبل منه ونكث عهده مع اخويه حسب عوائده . وقام من بيروت الى صيدا . ونهض الامير يوسف من بسكنتا الى بعقلين منتظرًا وصول الخلعة اليه . ولما بلغ ذلك الامير افندي اصرف العسكر الذي معه . وحضر الى المتن . والامير سيد احمد بعد ان كاد يفتح جبيل نهض حالًا وهرب من بين عسكر الدولة . وحضر الى المتن ايضاً . ورجع العسكر نحو بيروت . والذين كانوا في جبيل متضايقين من الحصار خرجوا وضبطوا كل ما وجدوه لعسكر الدولة . وكان قد قتل من عسكر الامير سيد احمد مقدار متي نفر من الدولة واهل البلاد . لانه في محاصرته لجبيل اتى لاخيه الامير حيدر عسكر من طرابلس مسعفاً له . فحدث بينه وبين عسكر الامير سيد احمد موقعة . وقتل رجال من الفريقين وانكسر عسكر طرابلس . وتمرد بعد ذلك الامير سيد احمد . وامل بالظفر . فلم ينجح له امل . وقد اقام هذا الامير جملة حركات ولم ينجح سعيه ولا في واحدة منها . ولما حضر الامير يوسف الى بعقلين جمعت المشايخ النكدية رجالهـا وقاومتهم ومنعتهم عن الدخول الى دير القمر . فاقام في بعقلين الى ان حضر اليه الشيخ حسين جنبلاط والشيخ عبد السلام عماد وبقية المناصب . وحضرت اليه الخلعة مع اسعد بك ابن طوقان . فرأى المشايخ النكدية انهم مغلوبون. فارتحلوا من الدير . واقاموا في بعض قرى المناصف . وحضر الامير يوسف الى الدير بحولة عظيمة . وارسل اسعد بك ابن طوقان يتحول على المشايخ النكدية بالمئة الف غرش التي تعهد بها لاحمد باشا الجزار . فنزحوا من المناصف . ونزلوا على الشيخ ناصيف القصار في بلاد المتاولة وهرب الشيخ محمد القاضي الى حوران . واما الامير سيد احمد والامير افندي فتوسط امرهما المشايخ بنو جنبلاط . وترامو على الامير يوسف واستعطفوا خاطره عليهما . ورجعـا الى دير القمر . فانزلها في دور المشايخ النكدية . وصرفها في بعض ارزاقه التي كان قد ضبطها .

...والمشايخ الجنبلاطيّة

وفي ١١٩٣ (١٧٧٩) بعد ذلك عدة من الايام ارسل الشيخ كليب نكد فترامى على سعد الخوري الذي كان متسلماً تدبير امور الامير يوسف . ان يستعطف خاطره عليه وعلى بني عمه . وكان بينهما محبة قديمة . فاصلح سعد الخوري امره . فقطنوا في المناصب . وصار ذلك ضد ارادة المشايخ الجنبلاطية . فاخذوا في مضاجرة الامير يوسف . وكان الامير يوسف قد وزع مطلوباً على البلاد . فقاموا ضده . وهيجوا مشايخ العقل وبعض المناصب وجمهور العامة . وانهضوهم . فاجتمعوا في عين السمقانية . واتفق رأيهم ان يقوموا عليه ويخلعوه من الحكم . وتوجهوا بجمهور عظيم الى دير القمر . فالتقاهم بعض المشايخ الى الطريق . وتكلموا معهم بما يسكن هيجانهم . وضمنوا لهم رفع هذا الطلب عن البلاد فرجعوا من الطريق .

وفي سنة ١١٩٤ (١٧٨٠) لما رأى المشايخ الجنبلاطية ان الحركة الاولى لم تتم على مرادهم فاخذوا في اقامة حركة اخرى . وعملوا على قتل الامير يوسف ونائبه سعد الخوري . وكان قد صفا خاطر الامير يوسف على المشايخ النكدية . وصاروا اصدقاء له . فتكلمت المشايخ الجنبلاطية سرًّا مع الامير سيد احمد والامير افندي انهم يقتلون الامير يوسف. وبعد ذلك يقتلون المشايخ النكدية وتطيب لهم الايام . وتكلموا مع الشيخ كليب نكد في شأن قتل الامير يوسف . فاظهر رضاه . ولكنه في الباطن لم يكن يرضى بذلك لعدم الثقة بالامير سيد احمد والامير افندي . لانهم كانوا في الحركة السابقة اكبر المسعفين لها . ولما نزحوا من البلاد تسلما املاكها . وفحصا عن ودائعها . وكانا اكبر الاعداء له . واخيرا تقرر الرأي انهم يفتقدون بصر الامير يوسف ويقتلون سعد الخوري . ولاجل التمكن من عهد الامير سيد احمد والامير افندي طلبوا منهما ان يحلفا لهما في البيعة التي يقال لها كنيسة التلة في دير القمر على ان لا يغدرا بهم واتفقوا على ذلك . وفي تاسع عشر كانون الاول ليلة الجمعة اجتمعوا في دار الامير افندي وعند نصف الليل توجهوا نحو الكنيسة ليحلفوا . وكان الشيخ كليب نكد سبق فاخبر الامير يوسف بذلك الاتفاق . ولما توجهوا تلك

[illegible] في الكنيسة [illegible] وكان الامير يوسف مستخدماً
قوماً من المغاربة فارسلهم ليقدروا على اخويه ويحضروهما اليه . فحضروا
واكمنوا في طريق الكنيسة حتى مر بهم [illegible] . فوثبوا على الامير افنـدي
واستاقوه لدى اخيه الامير يوسف فقام اليه وقتله في الحال . واما الامير
سيد احمد فهرب ولم يقدروا على مسكه . ومضى ملتجئاً الى المشايخ بني
جنبلاط وعند الصباح شاع الخبر في كل البلاد . واستهجنت ذلك الناس
لعدم سبق العادة به . فأرسل الامير يوسف اعلاماً الى جميع مناصب البلاد
يخبرهم بحقيقة الحال الا الامير بشير ابن الامير قاسم لانه كان من غرض المشايخ
بني جنبلاط . وكان مقيماً عندهم . ولما وصل الامير سيد احمد الى المختارة. واعلم
المشايخ الجنبلاطية بما كان . جمعوا رجالهم وكتبوا الى المشايخ بني عماد وغيرهم
وعزموا على المسير الى دير القمر ليطردوا الامير يوسف من هناك . وكان اكثر
الناس لما سمعوا بقتل الامير يوسف لاخيه انكروا ذلك واستقبحوه . وكان الامير
سيد احمد انفذ الكتابات الى جميع اهل البلاد يشنع هذا الفعل ويعتذر بان
مراده كان الاتفاق والالفة مع المشايخ فقط ، لا مضرة اخيه . ولما رأى الامير
يوسف ان البلاد قد قامت ضده خشي ونزل الى عكا . وعرض الى احمد باشا
الجزار الامر الذي توقع . ولما بلغ الامير سيد احمد نزول اخيه الى عكا جمع
رجال الجنبلاطية والعمادية وحضر بهم الى دير القمر . وكتب الى افراد المتن
وبقية المناصب فحضروا جميعاً الى الدير . وعقدوا معه ديواناً واجروا عهوداً
واقساماً بانهم لا يقبلون ولاية الامير يوسف . وعرضوا الى الجزار بذلك .
وطلبوا منه الخلعة للامير سيد احمد . فلم يحفل الجزار بذلك ، لان اكثرهم
كان قد كاتب الامير يوسف سراً بان الكتابة ضده كانت حياء من الامير
سيد احمد . وذلك لعدم ثقتهم بالامير سيد احمد . لانه كان خائناً غداراً متقلباً
لا يبقي على صاحب . والامير يوسف عرض تلك الكتابات على الجزار .
فتمكن عنده . وانعم عليه . وجهز معه عسكراً عظيماً . وحضر الجزار
بنفسه الى مدينة صيدا . وتوجه الامير يوسف بذلك العسكر الى قرية علمان في
اطراف البلاد . وشاع خبره في البلاد فحضر اليه المشايخ بنو تلحوق وبنو
عبد الملك واكثر اليزبكية . وكان حضورهم بوسيلة الشيخ عبد السلام العماد .

الا انه بقي في دير القمر متظاهرًا انه من غرض الامير سيد احمد . وجمع الامير سيد احمد عسكرًا من البلاد واقام عليهم قائدا ابن اخيه الامير قعدان. وتوجه الامير قعدان بالعسكر الى علمان . وكان ذلك في سادس شهر كانون الثاني . فالتقاه عسكر الامير يوسف . وانتشب بينهم القتال . وما لبثوا قليلًا حتى انكسر عسكر الامير سيد احمد وقتل منه جماعة . وقبضوا على جماعة . واحضروهم لدى الامير يوسف . فعفا عنهم . وامر باطلاقهم وقتل في ذلك اليوم الشيخ حمود العبد . وكان سيد قومه . وارسل الامير يوسف لبني عمه الذين في دير القمر ان يرتحلوا حذرًا عليهم . ورأى الامير سيد احمد ان حزب اخيه كثير والوزير معه . فرحل مع المشايخ بني جنبلاط نحو وادي التيم . وارسلوا دفعوا الى محمد باشا العظم والي دمشق الشام دراهم لا اعلم مقدارها . وطلبوا منه ان يسعفهم بارسال عسكر فأجابهم الى ذلك كما سيأتي .

وفي سنة ١١٩٥ (١٧٨٠) بعد توجه الامير سيد احمد والمشايخ الجنبلاطية الى وادي التيم حضر الامير يوسف الى الشوف . وتقدمت اليه مناصب البلاد. فنزل في المختارة . وامر بضبط كل ما بقي من اسباب المشايخ بني جنبلاط . وضبط املاكهم . وهدم منازلهم . وبلص كل من ينتسب اليهم . وطلب مصروف عسكر من امراء المتن . لانهم مالوا الى بني جنبلاط . وقبلوا ودايعهم وحريمهم . وارسل جانبًا من العسكر الى ساحل بيروت مع ابن عمه الامير حسن ابن الامير قاسم لقصاص الامراء المذكورين في املاكهم التي هناك . فتراموا على الشيخ عبد السلام العماد والشيخ كليب نكد . وتواسطا امرهم تحت ايراد خمسة وعشرين الف غرش وحضروا الى مواجهة الامير يوسف . وصفا خاطره عليهم . ورفع عنهم القصاص . واما الامير سيد احمد والمشايخ بني جنبلاط . فارسل لهم محمد باشا العظم خمسة خيال الى البقاع . وبلغ الامير يوسف ذلك . فارسل اليهم عسكرًا من البلاد ورجال الدولة ولما علم الامير سيد احمد بخروج عسكر اخيه ورأى عسكر دمشق لا يكفي لهذه المهمة . رأى انه لا يقدر على مقاومة اخيه . فراسله وطلب رضاه . فاجابه الى ذلك . وامره ان يرفع نفسه من بين بني جنبلاط . وسمح له ان يحضر الى المتن . فحضر واقام عند الامير اسماعيل قايدبيه في صليما . ورجعت المشايخ الجنبلاطية الى وادي

الشوف . وعسكر محمد باشا الى دمشق . وكان الامير بشير ابن الامير قاسم مع مشايخ بني جنبلاط . ومضى معهم الى وادي التيم . وهناك توسط امرهم الامير اسماعيل خال الامير يوسف و حد رضاه عنهم تحت ايراد مئة وثلاثين الف غرش . فدفعوها وعادوا الى اماكنهم . وارتفع الضبط عن املاكهم . وسمح للامير بشير ان يقيم في بتدين بالقرب من دير القمر . وللامير سيد احمد ان يقيم في الشويفات . وصرف الامير يوسف عسكر الدولة . واستقر في دير القمر وطاعته البلاد .

وفي هذه السنة في شهر ايار حدث مطر عظيم . ففاضت الانهر . وتجاوزت حدودها . وعظم جريان نهر الكلب في كسروان . فساق اخشاباً واشجاراً عظيمة . ولما وصلت الى الجسر صدمته فانهدم . وكان جسراً عظيماً من بناء القياصرة . وصارت الناس بعد ذلك تعبر النهر في القوارب .

وفي هذه السنة الجد للامير يوسف ولد وسماه الامير حسين .

وفيها حدثت زلزلة في الليلة الحادية عشرة من شهر كانون الثاني بعد المغرب بساعتين . وكان في القمر خمسة عشر يوماً . وكانت رياح في تلك الليلة .

وفيها وزع الامير يوسف مالاً مفروضاً على شجر التوت . كل ما يكفي منه اوقية من بزر القز غرشين ونصف . وسمى هذا المطلوب بزرية . وتدمرت الناس كثيراً من هذا الطلب .

وفيها وزع الامير يوسف ايضاً مالاً على الرجال كل بالغ منهم غرشاً واحداً وسمى هذا المطلوب شاشية . وارسل لجمع هذا المطلوب الامير مراد ابن الامير منصور الشهابي . فنهضت اهالي البلاد . وكاتب بعضهم بعضاً . وعملوا جمعية في ظهر الحسين . واتفقوا على انهم لا يدفعون هذا المطلوب . وكان الامير مراد في الشويفات . فتوجه منهم اناس ليطردوه . وقبل وصولهم علم بذلك فانصرف . وكانت هذه الحركة من عبد السلام العماد . فبلصه الامير يوسف بعشرة آلاف غرش . وحول عليه الامير بشير ابن الامير قاسم وابطل الطلب عن البلاد .

وفي هذه السنة كان احمد باشا الجزار قد جار على المتاولة الذين كانوا لم يزالوا مقيمين في بلاد بشارة . فضاقت صدورهم من شدة الظلم والاهانة .

فاجتمعوا في مشايخهم. واتفقوا على عصاوة الجزار . وتصلبوا للمقاومة . فارسل اليهم عسكرًا من السكمان والمغاربة . وجمعوا رجالهم . وصادموا عسكر الجزار . وانتشبت بينهم الحرب الى اواخر النهار . فانتصر عسكر الجزار . وقتل منهم مقتلة عظيمة . وقتل في ذلك النهار الشيخ ناصيف النصار . وكان عمود المتاولة وافرس اهل عصره . وقتل مقدار ثلث عسكر الجزار . وانهزمت المتاولة بعد ذلك . ونهب عسكر الجزار بلادهم وسبا نساءهم واطفالهم . وكانت تباع المرأة بقرشين والولد بقرش واحد . ومن ذلك الوقت رحل الذين سلموا منهم الى بلاد بعلبك . واحتموا عند الامراء بني الحرفوش .

وفي هذه السنة بآخر شهر نيسان حدث ثلج وبرد عظيم بقدر الجوز واتلف اشجارًا كثيرة » .

الشيخ غندور الخوري

وفي سنة ١١٩٨ (١٧٨٧) اتجد للامير يوسف ولد وسماه الامير سعد الدين. وكان قد تعاطى تدبير امور الامير يوسف الشيخ غندور ابن الشيخ سعد الخوري . واعلم ان جميع الحركات والاعمال التي كانت تقع من الامير يوسف كانت جميعها بتدبير الشيخ سعد الخوري وليس منها للامير يوسف سوى الاسم فقط . لان الامير يوسف لم يكن حاذقًا في تدبير الاعمال . وكان الشيخ سعد حكيماً بصيرًا في الامور . وكان ولده الشيخ غندور شبيهاً به في حكمته ولكنه لا يشبهه في وداعته وقناعته . لانه كان متعظماً كثير الطمع . وكان قد دخل في باب الامير يوسف وتسلم جميع اموره لان اباه كان قد طعن في ايامه واحب الراحة .

الامير اسماعيل

وكان حكم مرجعيون في يد الامير اسماعيل حاكم حاصبيا . وكان على مرجعيون ستة آلاف غرش يدفعها كل عام الى الوزير ويأخذ مداخيل مرجعيون وحاصيلها اضعاف الاضعاف عن ذلك . فيكون معاشًا له وللامراء بني عمه في وادي التيم . لان معاش الامراء هناك من يد الحاكم منهم .

وارسل الشيخ غندور الخوري دفع الى الوزير خمسة وعشرين الف غرش على مرجعيون وتسلمها وتصرف بها . ورفع الامير يوسف يد خاله الامير اسماعيل عنها[1] . فضاق معاش الامير اسماعيل وعائلته . واضطر ان يحضر الى دير القمر مترامياً على الامير يوسف . وتوسل اليه ان يتركها له وهو يدفع الخمسة وعشرين الف غرش كل سنة ويقدم له خمسة آلاف غرش ايضا . فابى الشيخ غندور . ولم يقبل رجاءه . والح الامير اسماعيل على الامير يوسف حتى قيل انه قبّل قدميه ولم يسمح له بذلك . . . خائباً وقد لعب به الحنق . فعمد على مقاومة الامير يوسف . وبعد رجوعه الى حاصبيا . . . ل الى عكا . ودفع لاحمد باشا الجزار ثلاثمئة الف غرش على حكم جبل الشوف . واتفق معه على ذلك الشيخ قاسم جنبلاط . فقبل الجزار تحت ان يكون معه واحد من امراء الجبل . فارسل الامير اسماعيل استدعى الامير سيد احمد اخا الامير يوسف وفي الحال حضر الى عكا في البحر . ودخل على الجزار . فقبله واكرمه والبسهما خلعة الولاية . ولكي يكون له وجه الى خلع الامير يوسف اراد ان يجعل له سبباً . فارسل يطلب منه سلاح البلاد . مع علمه الاكيد ان الامير يوسف لا يقدر على ذلك . فاعتذر الامير يوسف ان ذلك لا يمكن . ولكنه يدفع اليه مئة وخمسين الف غرش يشتري بها سلاحاً . بحيث انه لا ينحرف خاطره عنه فلم يقبل الجزار بذلك . واصرّ على طلب السلاح . واعلم الامير يوسف مناصب البلاد بطلب الجزار . فانكروه . وعمدوا على عصاوته ومقاومته واستعدوا برأي واحد لقتاله . فاتت الاعلام الى الامير يوسف بقدوم العساكر عليه . فالقى النفير في البلاد . فاجتمعت اليه الرجال من كل جانب . وكان عسكر الجزار قد حضر مع الامير اسماعيل والامير سيد احمد . فالتقوا في اراضي جباع . وانتشب بينهم القتال . وجاهد عسكر الامير يوسف جهاداً عظيماً في تلك

---

[1] فحدث في ذلك (الزمان) ان رجلاً يهودياً يقال له آصلان كان يتردد الى حاصبيا وقراها لاجل التجارة . وكان ذا ثروة وافرة . فقتله بعض غلمان الامير اسماعيل طمعاً في ماله . وقيل انه قتله باشارة من الامير المذكور . . . فاوصلوا خبره الى الجزار . . . فكتب الجزار الى الامير اسماعيل بان يرسل له قاتله وماله فتقاعد عن ذلك . . . فاصدر امراً الى الامير يوسف بان يستولي على مرجعيون . وكان الامير يوسف كثير الخوف من الجزار . ويحب الاكتساب من اهل الجوار . (تاريخ الامير حيدر) .

الموقعة فكانت النصرة له . وقتل من عساكر الجزار نحو مئة قتيل . وبهزم من سلم منه . ودخلوا الى القرية وحاصروا بها . وبلغ الجزار ذلك . فغضب على الامير يوسف واهل الجبل . وامر بمنع اهل الجبل عن الدخول الى بيروت وصيدا . وحجب عنهم القوت الذي كانوا يمترونه من المدن . وارسل عسكرًا لمحافظة بيروت . وامر باخذ سلاح النصارى الذين فيها . ودخل كل من خارج المدينة من اهلها الى داخل السور خوفًا من سطوة اهل الجبل . وكان قد نزل بعض انفار من الدروز الى ما حول المدينة . وصادفوا سبعة انفار من المسلمين فقتلوهم . ووقع الرعب في قلوب اهالي بيروت . وامتدت اهالي الجبل . فاستاقت مواشي كثيرة من نواحي المدينة . وكان مخزن قمح في الخضر لاهالي بيروت . فضبطوه . واعتز الامير يوسف بسطوة رجاله . واكرم وانعم . وصارت البلاد عصبة واحدة في يده . وفي غضون ذلك حضر احمد باشا الجزار الى بيروت ومعه نحو اربعة آلاف نفر . فخشيت الناس من حضوره . ورحلت اهالي ساحل البحر من مواطنها . واخذ الامير اسماعيل والامير سيد احمد في مراسلة مناصب البلاد واستمالتهم اليها . فمال اكثرهم . وكان الشيخ محمد القاضي قبل ذلك نازحًا الى حوران . فلما علم بقيام الامير اسماعيل والامير سيد احمد حضر الى عكا . وكان عمدة في البلاد . فاخذ يكاتب ويفند ويرغب الناس فاختلفت الاحزاب وظهرت الاغراض . ومال الامر على الامير يوسف . فاحتاج الى الرحيل ونزح من دير القمر الى بكفتا . واقام هناك ينتظر ما يكون . واقبل الامير اسماعيل والامير سيد احمد الى الدير . وحضر اليها الشيخ عبد السلام العماد والشيخ كليب نكد والمشايخ الجنبلاطية واكثر مناصب البلاد . ولم يتبع الامير يوسف سوى اثنين من بني عمه والبعض من بني تلحوق . ولما رأى الامير يوسف فراغ يده من البلاد . وان الذين كان يتخذهم خاصة له قد خانوا عليه ، قام من بكفتا وتوجه نحو بلاد جبيل . وكان ذلك في آخر شهر حزيران . وسعى الامير اسماعيل والامير سيد احمد في طلبه . فتوجه الامير اسماعيل نحو كسروان . والامير سيد احمد نحو جبيل ومعه عسكر من قبل الجزار . وكان الامير حيدر اخو الامير يوسف في جبيل فنزح منها . وكتب الجزار الى متسلم طرابلس ان يسلم حكم بلاد جبيل الى الامير سيد احمد . فلم يجبه . وبقي

الامير اسماعيل في بسكنتا والامير سيد احمد في جبيل . وكان الامير يوسف لما وصل الامير سيد احمد الى جبيل ، تقدم من هناك حتى وصل الى اقصى بلاد عكار . فاستقبله عثمان بك الشديد ومحمد بك الاسعد . وقدما له الذخائر والاكرام . ثم انتقل الى بلاد صافيتا . فاستقبله الشيخ سفر المحفوظ بكل اكرام . وانزله احسن منزل .

واجتمع الامير اسماعيل والامير سيد احمد في غزير وارسلا المباشرين في جباية الاموال السلطانية من بلاد جبيل بغير اذن والي طرابلس . وفرضا على كسروان مئتين وخمسين الف غرش . وجمعوا من البلاد اموالا كثيرة وضجت الناس من كثرة المظالم . وترادت الشكايات عليهما الى احمد باشا الجزار . وكتب محمد بك الاسعد الى الامير يوسف ان اخصامه قد رجعوا عن طلبهم . فقام الامير يوسف ورجع الى جبيل . وكان ابنه الامير حسين مقيماً في صليما . فطلبه اليه . وارسله الى بيروت يترامى على الوزير في استعطاف خاطره . وارسل معه هدية يبلغ ثمنها خمسة وعشرين الف غرش . وكان صبياً فعلمته اصحابه كيف يتقدم الى الجزار . وماذا يقول . فقبله الجزار وانعم عليه بالرضى وامره ان يستدعي اباه لينعم عليه ويعيده الى ولايته . وكان يضمر ان يقبض عليه اذا حضر . وكان الامير يوسف قد حضر الى انطلياس . وتعهد للجزار بايراد الف الف غرش تحت الاعادة الى الحكم . ولكنه خشي من مواجهة الجزار . فابى عن الحضور اليه . واعتذر فلم يقبل الجزار عذره . وعلم انه خائف من لقائه . فضمن له المنسلم وعقائل السكروج ويونس نقولا وفارس الدهان وشجعوه على الحضور . فحضر وواجه الجزار . وكان ذلك في اليوم الثاني عشر من شهر تشرين الاول . وفي ذلك اليوم عينه قبض عليه الجزار وعلى نائبه سعد الخوري . وسافر بهما في البحر الى عكا . وكان ذلك هماً عظيماً على الناس لما يعلمون من ظلم الامير اسماعيل والامير سيد احمد مع اشتغال قلبهما بالامير يوسف قبلاً : فكيف اذا خلت لهما البلاد ؟

وبعد توجه الامير يوسف مع الوزير الى عكا ، نهض الامير اسماعيل والامير سيد احمد الى دير القمر . وانتشرت الحوالات في جميع البلاد على الامراء والمشايخ والرهبان والرعايا . واخذت الناس تتقاطر اليهما تهنئة بالحكم الجديد . وهم يدعون لهما باللسان وعليهما بالقلب .

بر م الامير يوسف دفنه وصار مع الجزار الى عكا . واقام بها نحو شهر . فانعم عليه الجزار . والبسه على حكم الجبل ومرجعيون وحاصبيا وجهز معه عسكرا وارسله الى البلاد . فخرج يضرب الارض ليلًا ونهارًا حتى وصل الى دير القمر . وكان وصوله في الليلة الثانية والعشرين من تشرين الاول . وعند دخوله قبض على الامير اسماعيل ووضعه في السجن . وضبط كل ما كان جمعه من الاموال . وهرب الامير سيد احمد فلم يظفر به . وكان عندهما الشيخ محمد القاضي . فهرب ايضًا الى دار الشيخ كليب نكد . فارسل وقبض عليه . وابقاه في السجن مدة . وعذبه عذابًا اليماً . ثم قطع لسانه .

وفي سنة ١١٩٩ (١٧٨٤) كان احمد باشا الجزار قد جمع كثيرًا من الاموال. فارضى خاطر الدولة . وطلب ولاية دمشق الشام . فانعمت عليه بها. فتولاها . ووضع بها متسلمًا من قبله . واقام ايضاً في بعلبك متسلمًا يقال له سليم آغا . ونزحت الامراء بنو الحرفوش من تلك الديار . وعدل سليم آغا في حكمه . وعمرت البلاد في ايامه . لان بني الحرفوش كانوا اظلم الناس واشدهم جورًا .

وفي تلك الايام كان فارس الدهان نازحاً عن بيروت منذ عشر سنوات . فرجع اليها . وارسل دفع الى الجزار خدمة قيمتها اربعة آلاف غرش . وطلب تسليم ديوان بيروت . وكان الديوان منذ سنتين في يد يونس نقولا الجبيلي الذي كان يقال له ابو عسكر . فرفع الجزار يد يونس عن الديوان. وسلمه الى فارس .

وفي هذه السنة حدث طاعون في بيروت فامات كثيرًا من الناس. وهرب اكثر النصارى الى الجبل . وكان منشأ هذا الطاعون من مصر . وكان قد فعل في مصر ما لم يفعله غيره من الاوبئة السابقة . وقيل انه مات بمصر من الناس في هذا الطاعون ما يفوق عن ثلاثين كرة وبقيت اسواق مصر على حالها من الزحام[1] .

---

[1]) قال روفائيل كرامة : « وقد صار طاعون قوي زائد الوصف في مصر مات فيه ثلاثون كرة تحت الضبط وامتد الى غير جهات » .

واكد الامير حيدر ان الضحايا « كانوا خمسة آلاف كل يوم » .

على ان المنير عاد فاصلح في تاريخه المطول (نسخة بكركي) فقال : ثلاثون الفًا بدل ثلاثون كرة .

موت الشيخ سعد الغندور

وفي سنة ١٢٠٠ (١٧٨٥) . قد ذكرنا ان الامير يوسف انعم عليه الجزار بالولاية . وكان قد ابقى عنده الشيخ سعد الخوري رهناً على المال الذي تعهد الامير يوسف به . ولما توجه الجزار الى دمشق لاجل تمشية الحج ، اخذه معه . وابقاه هناك تحت الترسيم . فاستحوز عليه مرض الاستسقاء . ولما رأى نفسه قد وقع في الخطر طلب الانصراف . وارسل الى ابنه الشيخ غندور ان يضمن المال عنه للجزار عن يد قنصل عكا وقنصل صيدا . وكتب اليهما بذلك . فقبلا ان يضمناه تحت رهن يكون عندهما . فارسل اليهما الشيخ غندور ما يقوم بذلك من اسلحة وحلي وغير ذلك . واطلق الجزار الشيخ سعد بضمان القناصل . ولاقاه كثير من اهل البلاد الى الطريق . وصار لقدومه فرح عظيم في البلاد لانه كان يسعى دائماً في خير الجمهور . وكان محبّاً للجميع . وبعد وصوله بايام توفي وكان ذلك في خامس عشر شهر آذار في مدينة جبيل . وكان قبل وفاته تسلم مكانه عند الامير يوسف ولده الشيخ غندور ، كما مر . وزاد على ذلك من اخذ قنصلية بيروت من الدولة الفرنساوية وصار له مقام عظيم في جميع هذه الاطراف .

وفي هذه السنة قبض احمد باشا الجزار على ابي عسكر يونس نقولا في بيروت . واخذ منه خمسين الف غرش من غير ذنب ولا سبب .

وفي سنة ١٢٠١ (١٧٨٦) قبض الجزار على فارس الدهان ايضاً . وكان قد سلمه ديوان بيروت كما مر . وطلب منه مئة وخمسين الف غرش . وقبض معه على اخيه منصور وابن اخيه ميخائيل . وبعد الشفاعات الكثيرة ترك له خمسين الف غرش واخذ منه مئة الف . وقبض ايضاً على يوسف بارد واخذ منه سبعة آلاف وخمسمئة غرش . وذلك لانه كان ملتصقاً بفارس الدهان .

وقبض على ميخائيل السكروج في عكا . وكان متسلماً ديوانه . وطلب منه مالاً جزيل المقدار . وذلك لانه كان قد وقع في يده كتاب باسم ميخائيل المذكور يدل على وديعة له عند احد اصدقائه وشركة في تجارة . فطلب منه ان يقرضه شيئاً من المال . فاعتذر وحلف برأس الجزار انه لا يملك مالاً فاراه

ذلك الكتاب وامر خمسه

وفي هذه السنة انجد للامير يوسف ولد وسماه الامير سليم .

وفيها كان الامير يوسف لم يزل يترقب الفرصة على اخيه الامير سيد احمد الذي هرب حينما قبض الامير يوسف على الامير اسماعيل . وكان الامير سيد احمد قد اخذ في الوسائل والوسائط . حتى عفا عنه اخوه ورجع الى البلاد واقام في الجرد . ولكنه لم يزل على حذر من الغدر . حتى طالت الايام ورأى ان اخاه قد غفل عنه . فخرج الى الرمثانية يصطاد بها . وهناك ارسل الامير يوسف قبض عليه وقلع عينيه .

واما الامير اسماعيل فمكث في سجن الامير يوسف اشهراً وتوفي به . فكتم الامير يوسف وفاته خوفاً من الجزار الى ان طال المطال وتنامى الامر .

وفي هذه السنة حدث في تشرين الثاني مطر عظيم . فهدم ابنية كثيرة . واخذ غراساً ومواشي لا تحصى واثني عشر نفراً من الناس .

وفيها حضر الى صيدا قنصل من قبل الدولة المسكوبية وقنصل من قبل الدولة النساوية وكان مرادهما الاقامة في دمشق الشام . ونمى خبرهما الى دمشق . فأرسلت اعيان البلد تقول لهما : ان دمشق هي باب الكعبة . لا يقبلون فيها قناصل . فرجع كل واحد منهما الى حيث اتى .

الطيب الاثر الاب مبارك المتيني اللبناني

للاب بطرس ساره اللبناني

تحت هذا العنوان وضعت في مجلة « المشرق » الغراء (٣٠=١٩٣٢ ص٨٥٢–٨٦٢) مقالاً في ترجمة السعيد الذكر الاب مبارك سلامه احد ابناء رهبانيتنا اللبنانية ومن رجالها الافذاذ . اقتصرت بذلك على اهم ادوار حياته المليئة باجلّ الفضائل والاعمال الخطيرة دون ان اتوسع بابرز ناحية من نواحي تلك الحياة ، هي الناحية التربوية العامة .

لذلك ولمناسبة التذكار السنوي الخامس والسبعين الذي احتفل به في الخامس والعشرين من شهر شباط الماضي ، هذه السنة ١٩٥٦ ، المعهد اللاهوتي الشرقي في جامعة القديس يوسف في بيروت ، لمرور ٧٥ سنة على اللقب والامتياز الذي انعم به البابا لاون الثالث عشر على هذا المعهد ، اذ منحه امتياز جامعة حبرية (Université Pontificale) ، فخوّله الحقّ بان يعطي شهادة الدكتوره (الملفنة) في الفلسفة واللاهوت . وبما ان الاب مبارك سلامه اللبناني المترجم هو بكر الذين حصلوا على هذه الشهادة في المعهد المذكور ، وذلك بدعوة خاصة من اساتذته الافاضل الذين رأوا فيه كل الكفاءة لمثل هـذه الشهادة اذ جاز الامتحان الكتابي والشفوي عنها بكل نجاح . لذلك رأيت ان ابين بمقالي هذا انه كان ذلك التاجر الحكيم النشيط الذي ما اتخذ الوزنة حتى اندفع بكل قواه الى المتاجرة بها فربح وزنات عدة . فاقدم بغيرة لا تعرف الملل ولا تقف بوجهها صعوبة، على الاعمال المجيدة في جنب النشء الرهباني ينشئه تنشئة صحيحة مرتكزة على العلم والفضيلة . واول ما وجه اليه العناية والاهتمام ، هو توحيد الابتداء وتنظيم المدرسة واتقان الدروس ؛ لان ذلك حجر الزاوية في ثقافة الشبيبة الرهبانية التي عليها امل المستقبل . فننظر نظرة اولى في الابتداء ما هو وكيف كان في الرهبانية .

الابتداء

هو المرحلة او الخطوة الاولى للدخول في الرهبانية . قد فرضته القوانين واقرّه الشرع الكنسي تمحيصاً للدعوة المقدسة . وهو طريقة اختبار او بوتقة

التجربة فيها يُصب المبتدئ ويُمحص كما يمحص الذهب فيخرج ذهباً نقياً وسراجاً وهاجاً في بيت الرب صالحاً لان يسير في طريق الكمال الانجيلي وراء السيد المسيح الى جبل الجلجلة ، جبل التضحية ، مقدماً ذاته بكليتها ، ارادته وجسده وكل شيء له على مذبح المحبة الالهية ، بحفظه المشورات الانجيلية : الطاعة والعفة والفقر الاختياري ، يتمرس بها منصباً في الاعمال الروحية ، مباشراً الخدم والاشغال اليدوية . ومدة الابتداء لا تكون اقل من سنة كاملة تامة وهي السنة القانونية تخصص لدرس الحياة الرهبانية والقيام بالواجبات الروحية فقط . وفي المنظمات الرهبانية تمتد هذه المرحلة بحسب الرسوم ، الى سنتين ، وفي الحالة « التوحدية » الى ثلاث سنوات .

ومنذ تأسيس الرهبانية في لبنان في اواخر الجيل السابع عشر (١٦٩٥) ، كانت تفتح الرهبنة اديارها لطلاب الترهب ، بحيث كان الابتداء في كل دير منها وكانت القوانين القديمة التي اثبتها ببراءة رسولية (١٧٣٢) البابا اكليمنضوس الثاني عشر ، تسمح لكل رئيس دير بقبول المبتدئين وتسمي الرئيس باللغة اللاتينية (Abbas) اي « انبا » او « أباتي » ومن هنا توهم بعضهم ، على ما يظهر ، ان رهبانيتنا « رهبانية توحدية » (monastique) لان القوانين توجب اقامة الخورس اي الصلوات الفرضية باوقاتها والتأمل اليومي وممارسة الاشغال اليدوية داخل الدير وخارجه ، وتفرض المحافظة على الحصن كما يجري في اديار الرهبان « التوحديين » . لقد تمشى المؤسسون على هذه الطريقة مؤثرين حياة التنسك والعزلة على سواها اقتداء بكوكب البرية واب الرهبان القديس انطونيوس الكبير الذي جعلوا الرهبانية تحت حمايته وانتسبوا اليه تيمناً باسمه اذ عرفوا برهبان القديس انطونيوس . غير انهم جعلوا للرهبانية رئيساً عاماً ومجلس مدبرين يؤازرون الرئيس العام في ادارة الرهبانية ، وللرئيس العام السلطة على جميع الرهبان والاديار المتعلقة بعضها ببعض تتعاون جميعها وتشترك في سبيل المصلحة العامة ، وتتعلق جميع رؤساء الاديار بسلطة موحدة هي سلطة الرئيس العام ؛ بحيث لا يكون رئيس الدير مستقلاً كما هي الحالة في رهبانية «توحدية» . ولذلك كانت الرهبانية تُعتبر « منظمة رهبانية » اكثر منها « توحدية » .

وعلى هذه الخطة تمشت الرهبانية منذ نشأتها حتى الآن اي منذ جيلين

ونصف الجيل بنيف . (١٦٩٥–١٩٥٦) . وكانت وما زالت بعد تثبيت قانونها (١٧٣٢) كما مرّ ، مشمولة بنظر الكرسي الرسولي ورعايته ونظر الاحبار الاعظمين الامي ؛ يعدونها بالمساعدات الروحية والمادية وينعمون عليها بالغفارين الكثيرة والامتيازات كغيرها من الرهبانيات الكبرى في الكنيسة المقدسة . ويوجهون اليها الزيارات الرسولية عند الاقتضاء دليلاً على رعايتهم وعنايتهم الابوية السامية .

وفي هذه السنة (١٩٥٦) بعد ان امر المجمع المقدس الشرقي باجراء استفتاء عام في جميع الرهبانيات الشرقية لاختيار احدى الحالتين اي « التوحدية » او « المنظمة الرهبانية » ووقف على عرائض الالتماس المتضمنة نتيجة ما اختاره الرهبان ، اعلن المجمع المقدس نفسهُ : ان رهبنتنا اللبنانية هي « منظمة رهبانية» لا « توحدية » كما أجمع عليه رهبانها . واظهر اعلانه هذا برسوم كريم مؤرخ ١٦ كانون الاول الماضي ١٩٥٥ تحت رقم ٥٦٦/٥٣ . ووجههُ الى حضرة الرئيس العام الاباتي موسى عازار ؛ اليك ترجمته بنصه الحرفي :

ايها الاب الجزيل الاحترام .

اتشرف بان اعلن حضرتكم ان المجمع المقدس الشرقي ، بعد الفحص والتروي وبعد ان اعلن سابقاً ما يجب اعلانه في مثل هذه الظروف ، بواسطة « الزيارة الرسولية واختيار الحالة الرهبانيه » ، قرر قبول التماس ابناء رهبانيتكم الذين ارادوا ان ينتسبوا الى رهبانية (لا توحدية) ، بند اول من الارادة الرسولية (Postquam Apostolicis) التي اصدرها قداسة الحبر الاعظم المالك سعيداً .

فبناء على ذلك وبقوة هذه الاسطر ، يعلن المجمع المقدس ان رهبانيتكم هي « رهبانية لا توحدية » كما تقدم القول ، مع جميع الالتزامات والامتيازات المنوطة بهذه الحالة القانونية ؛ سواء اكان ذلك بالنظر الى المجموع ام الى الافراد . ويكون هذا القرار ساري المفعول ابتداء من السابع عشر من كانون الثاني[1] السنة ١٩٥٦ .

وعلى هذا اكرر لابوتكم عواطف احترامي .

الداعي المخلص لابوتكم

ا. كوسا ماون ✝ الكردينال تيسران

---

١) الواقع فيه عيد القديس انطونيوس الكبير وفيه تجدد النذور الرهبانية كل سنة .

قبل [illegible] يمكن [illegible] في دير [illegible]
في كل دير من اديار الرهبنة ، دعت تسهيلا لتدرب الرهبان ، ولا ، عدد الرهبان
اذ كانت الحاجة اليهم ماسة في داخل الاديار وفي الخارج . وكان قد اغلق
باب الابتداء في الرهبنة مدة سنوات لظروف قاهرة . فلما تسلم الرئاسة العامة
المغفور له الاب مرتينوس سابا النسطاوي في السنة (١٨٧٥ — ١٨٩٠) امر المجمع
الشرقي المقدس بتوحيد الابتداء وتعيين دير له . فتعين دير مار جرجس الناعمه
قرب الدامور . وعين الاب مبارك المترجم (١٨٨٤) معلما للمبتدئين ، وكان ذلك
غاية ما تمناه ، اذ تمكن من ان يبدأ بعمله التربوي الذي جعله هدفا له طيلة حياته
الرهبانية . واضطر في بادئ الامر ، الى قبول المبتدئين في دير سيدة طاميش
مدة الى ان اصبح دير مار جرجس الناعمه المذكور ، مجهزا ومعدا لقبولهم . فاتى
بهم اليه وكان يرعاهم بعين يقظى وغيرة لا تعرف الملل ، يشربهم روحه الطيبة
ويرشدهم بالقول والمثل . واستمر على هذه الخطة نحو ثلاث سنين ، تخرج فيها
على يده عدد غير قليل من الرهبان الناذرين الذين كانوا يثقون به كل الثقة ،
لما كان يغمرهم به من عناية ابوية ويبذله من المفاداة في سبيل رقيهم روحيا
وادبيا . ولما رأى ان فئة منهم معدة لتلقي العلوم ، سأل الرئيس العام الاب
مرتينوس سابا ، ان يسمح له بان يكون استاذا وراعيا لهم ؛ فلم يوافق على
ذلك لبعض صعوبات . فاخذ الاب مبارك على عاتقه تسهيل تلك الصعوبات وصعد
بالاخوة الناذرين الى دير مار موسى الحبشي قرب بعبدات ، حيث تولى بذاته
تدريسهم اللغات العربية والافرنسية وبعض مبادئ اللاتينية . ومع مهمة التدريس
هذه الشاقة والاهتمام بالرهبان الدارسين الموكول امرهم اليه ، كان يتعاطى اعمال
الرسالة لدى الاقتضاء ، في القرى المجاورة .

المدرسة الرهبانية في تطورها

قبل الخوض في البحث عما اتاه رحمه الله ، من الاعمال والجهود الجبارة في
سبيل النهضة العلمية في الرهبنة لدن تسلمه رئاستها العامة ، يحسن بنا ان نرى ما كانت
عليه المدرسة الرهبانية في ذلك العهد . ولا يتناول كلامنا هنا المدارس الابتدائية
التي اعتادت الرهبنة منذ نشأتها ، ان تقيمها قرب كل دير انشأته او تسلمته[1] ،

١) الاب لويس بليبل : تاريخ الرهبانية ، مجلد اول بحث ١٣ ص ٣٢٤ .

لاجل تعليم الاحداث مبادئ اللغتين العربية والسريانية والتعليم المسيحي وبعض القواعد الحسابية ، مما كان كافياً لحاجة الانسان وقيام معاشه في تلك الايام. وبهذه الطريقة كانت تعمر القرية اللبنانية بالايدي العاملة على حرث الارض وزراعتها ومزاولة بعض المهن والصناعات بحيث كان لبنان راتعاً بالطمأنينة والامن ؛ يعيش شعبه بروح الاخاء وحسن الجوار ، عاكفاً على العمل ، بعيداً عن السياسات الحرقاء ، قانعاً بعيش بسيط هنيء ، فصح فيه المثل القائل : « فلاح مكفي امير مخفي » كما قيل : « هنيئاً لمن له مرقد عنزة في لبنان » . وفي تلك المدارس على بساطتها وتلقيبها « بمدرسة تحت السنديانه » ، قد نشأ رجال افذاذ قاموا باجلّ الخدم في جنب الدين والدنيا. وقد اتينا على ذلك بمقال في «المشرق» الاغر (٣٠ : ٣٢٠) تحت هذا العنوان : « الرهبانية والعلم » .

على ان الرهبنة ، رغم الصعوبات الكثيرة ، لم تكن لتحجم عن ان تجاري التيار العصري من الناحية العلمية . فانها ، مع محافظتها على مدارسها الابتدائية ، قد حولت اهم اديارها كدير مشموشة وميفوق وبيت شباب وعشاش ، الى معاهد تضاهي المعاهد الكبرى في البلاد وتضم الناشئة على اختلاف الطبقات والطوائف ، وتشربها روح الاخوة والوطنية الحقة وتغذيها مواد العلم الصحيح المرتكز على مبادئ الدين والاداب السليمة ، ليكون منها رجال اشداء امناء في حق ربهم ووطنهم .

لقد مرّ بنا الكلام على ان الابتداء لم يكن محصوراً في دير واحد ، كذلك المدرسة الرهبانية لم تكن موحدة في اول عهدها ، بل كان كل دير من الاديار الجامعة يضم عدداً من الاخوة الدارسين يتلقون السريانية والعربية ومبادئ الحساب البسيطة كالجمع والطرح والضرب والقسمة ثم اللاهوت الادبي وبعض قضايا في اللاهوت النظري . وكان ذلك يبدو كافياً في تلك العصور لان ثقافة البلاد لم تكن تتجاوز هذا الحد من المعارف . وكان الرهبان يؤلفون الفئة الراقية بين مواطنيهم ، ويقومون بمهمة التدريس والتثقيف شأن الرهبان الغربيين في القرون الوسطى ، وفي القرون التي سبقت الثورة الفرنسية ١٧٨٩ .

على انه لما احتك الشرق بالغرب فكانت البعثات العلمية اليه ، وقدم المرسلون الغربيون الينا واخذ لبنان بالثقافة الغربية ولا سيما الفرنسية ، اضطرت

رهبانية الى رفع مستوى [illegible]

ارسال فئة من ابنائها الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير في عهد [illegible]

سابا العاقوري العامة ١٨٤٥ — ١٨٤٦ والاب افرام حمجع (١٨٦٢ — ١٨٧٤)

ومرتينوس سابا المسطاوي (١٨٧٥—١٨٩٠) . ومن ذاك الحين انقسمت المدرسة الرهبانية قسمين :

اولاً : المدرسة في اديار الرهبانية

تقرر دير مار قبريانوس كفيفان اول مدرسة رهبانيـة نظامية على طراز تلك الايام سنة ١٨٠٨ برئاسة الاب سمعان الخازن العامة (١٨٠٥—١٨٠٨) وكان الدارسون ، مع ممارستهم جميع فروضهم الدينية وصلواتهم الطقسية ومباشرتهم الاشغال اليدوية في داخل الدير وخارجه ، يتقنون اللغتين العربية والسريانية وعلم اللاهوت الادبي وبعض القضايا الهامة من اللاهوت النظري . ومن اساتذة هذه المدرسة الاباء نعمةالله كساب الحرديني[1] بعد ان تخرج فيها تلميذاً المعروف بقديس كفيفان ، ونعمةالله القدوم الكفري ، وخايل غوش التنوري . .

وقد تخرج في هذه المدرسة من سنة ١٨٠٨—١٨٧٤ نحو من مئتين وستين كاهناً منهم الآباء : نعمةالله كساب الحرديني الشهير والاب شربل مخلوف بقاعكفرا المعروف بقديس عنايا الذي تتلمذ للكفري وشهد دفن الحرديني اذ كان دارساً . واغناطيوس بليبل الذي رئس الرهبانية مدة ٢١ سنة (من سنة ١٨١١—١٨٣٢) وانطونيوس الفغالي الذي امتاز باللغة العربية وألف فيها ارجوزة ما زالت خطاً . وكراساً مطبوعاً لاوزان الشعر ومعجماً باللغة الدارجة. ثم كتاب الزيارة لراحة الانفس المطهرية — وقد جدد طبعه هذه السنة (١٩٥٦) حضرة الاب المحترم بطرس ساره — ومنهم الاب بطرس البجدرفلي الاول الذي جلب مكتبة الآباء القديسين (باترولوجي) باجزائها الكاملة (Patrologie Migne) وهي لا تزال باقية في الدير ، ويواصاف الحاجي ، وانطونيوس حنا المشمشاني وسواهم ممن تقلبوا باهم الوظائف الرهبانية .

ثم انتقلت المدرسة من دير كفيفان سنة ١٨٧٤ — ١٨٩١ برئاسة الاب

---

(١) المشرق ٥ (١٩٠٢) ص ٦٠٥ : زهرة لبنان في ترجمة راهب كفيفان .

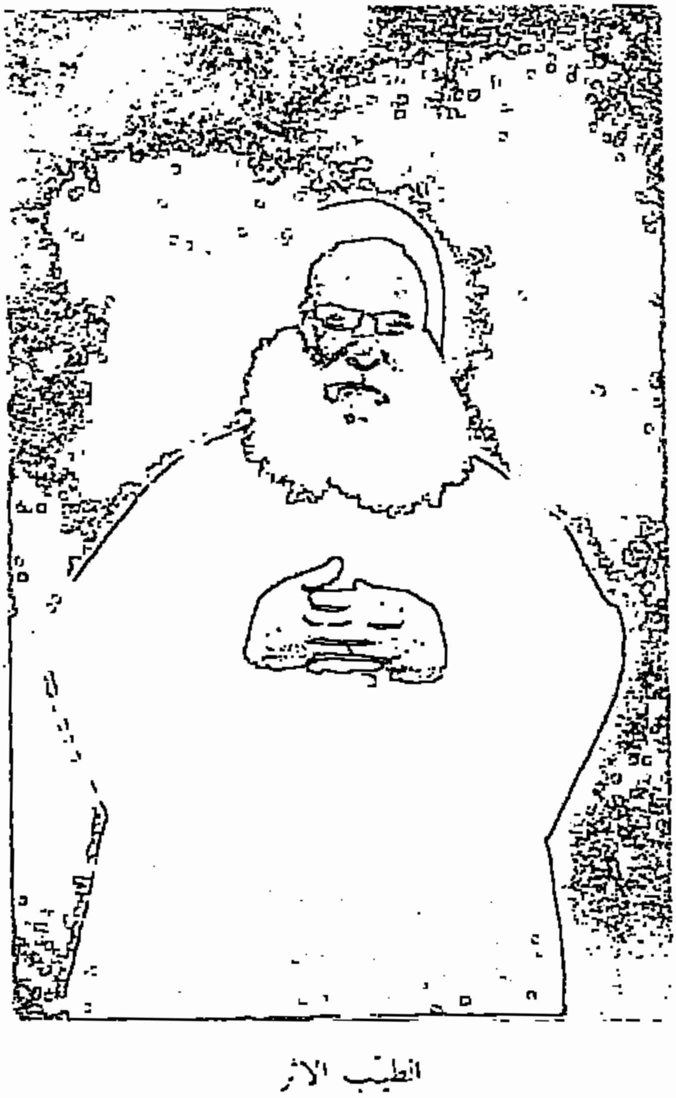

الطيّب الأثر

الاب مارنا شبي الراهب اللبناني (١٨٥٢-١٩٢٢)

وسامه حسن باشا فقصد مدينة عكا [illegible] الى بيروت [illegible] الامير يوسف وبنو عمه قد رحلوا منها الى [illegible] ثم ارسل الى الامير يوسف يطلب منه الاموال السلطانية المكسورة عنده عن ست سنوات . من حين ما تولى الشيخ ظاهر العمر على صيدا . فاجاب الامير يوسف انه في هذه السنين صرف اموالاً كثيرة على العساكر في قتال الشيخ ظاهر والمتاولة . وانه دفع الى عثمان باشا واولاده بقية الاموال المكسورة. وزور وصولات في ذلك وارسلها اليه مع كتابات لطيفة وهدايا فاخرة . وسأله ان يكف احمد باشا الجزار عن التعدي عليه . فصار ذلك مقبولاً عند حسن باشا . وارسل الى الامير يوسف كتاب الرضى والامان وطلب منه ان يرسل اليه مئة الف قرش فقط ، لكي يرسل اليه وصل الخلاص ، ويقرره على ولايته . فجهز له الامير يوسف المطلوب وارسله اليه . فتسلمه وارسل اليه التقرير على حكم بلاد الشوف والبقاع وبيروت وجبيل . وان لا يكون لاحمد باشا الجزار سلطة عليه الا في ايراد الاموال السلطانية لا غير . ثم توجه حسن باشا راجعاً الى عكا . وفي وصوله امر بقتل احمد آغا الدنكزلي متهماً اياه بعدم المحافظة[1] . وكان ذلك وفاء عن سعيه المذكور في نوبة الشيخ ظاهر العمر . وكان احمد باشا الجزار قد ابتدأ يعين العساكر عنده . فحضر اليه نحو ستمئة خيال قبيس ، فاستخدمهم . واقاموا عنده . وكان بعد رجوع حسن باشا قبطان من بيروت ، ارسل ضبط مداخيلها . وارسل الى الامير يوسف يطلب منه المال السلطاني عن تلك السنة . وارسل خيال القبيسي الى بيروت . ولما بلغ الامير يوسف مسير عسكر الجزار من

---

١) ثم رفع حسن باشا رأسه قليلاً والتفت الى الدنكزلي وقال له : من اي بلاد من المغرب انت ؟ – قال له من تاهرت . – فقال له : وما كانت صنعتك هناك ؟ قال له : كنت حطاباً نفأبي . – قال له حسن باشا : وكم سنة صار لك في خدمة ظاهر ؟ اجابه : ما يزيد عن اربعين سنة . – قال له الباشا كم كان دخلك منه ؟ – اجاب الدنكزلي : كان دخلي في اول سني خدمتي عنده قليلاً . ولكن لم يكن يقل عن مئتي كيس لي ولاتباعي . . . فقال له حسن باشا : تأكل خبز انسان اربعين سنة ودخلك منه هذا المقدار وتخضب يديك بدمه ! ينتقم الله مني اذا كنت لا انتقم منك لظاهر . – ثم امر من كان في حضرته من ملازميه فاخذوا الدنكزلي فخنقوه ورموه في البحر . فكان هذا ايسر جزاء خيانته لمولاه . (تاريخ ظاهر العمر) .

مرتينوس سابا الفوسطاوي العامة ، الى بعض الاديار كالقطارة وميفوق وقرطبـا وما موسى الدوار والناعمه . ثم عادت الى كفيفان سنة ١٨٩١-١٨٩٩ برئاسة الابوين مبارك سلامة المتيني ومرتينوس الدرعوني العامـة ، وكان اول رئيس للمدرسة في هذه الحقبة الاب اسطفان صقر التاعلى من خريجي جامعة القديس يوسف وكان يدرّس فيها اللغتين العربية والفرنسية . ثم خلفـه الاب متى نابد كفرزبنا ثم الاب الياس المشـشاني ، ثم الاب ليارس داغر التنوري كلاهما من خريجي الجامعة المذكورة . ثم الاب نعمةالله الكفري ـ وكانت مواد التدريس العربية والفرنسية والسريانية وبعض مبادئ اللاتينية نذكر من تلاميذها الآباء مبارك ثابت الديراني وابراهيم حرفوش البكاسيني يوسف حبيقه البسكنتاوي وبطرس ساره البتروني وجبرائيل مجلي السرعلي .

وفي السنة ١٨٩٩ تحول دير كفيفان الى دير الابتداء ، بامر المثلث الرحمات السيد البطريرك الياس الحويك الذي كان زائرًا على الرهبانية ، فانتقلت المدرسة الى دير سيدة النصر ـ نسبيه غوسطا وتولى ادارتهـا الاب اسطنان صقر ، ثم بعد مدة ، الاب مبارك سلامه المترجم .

وفي اوائل الحرب الكونية الاولى في خريف السنة ١٩١٤ ، انتقلت المدرسة الى دير سيدة المعونات - جبيل . وانضم اليها الاخوة الدارسون التابعون صفوف جامعة القديس يوسف في بيروت والمقيمون في ديرهم مار انطونيوس القريب من الجامعة ، وترك هذا الدير منزلًا لحضرة الآباء اليسوعيين الذين اخرجتهم الدولة العثمانية قهرًا من جامعتهم واحتلتها الدولة كل مدة الحرب (١٩١٤-١٩١٨) . وفي اثناء الحرب (١٩١٧-١٩١٩) ، انتقلت المدرسة الى دير مار سركيس وباخوس-قرطبا . وكان مديرها واستاذهـا الاب نعمةالله ابي ناضر البسكنتاوي احد خريجي جامعة القديس يوسف ومن اساتذتها .

ولما وضعت الحرب اوزارها ١٩١٩ عادت المدرسة الى دير سيدة المعونات واستمرت فيه حتى السنة ١٩٤٤ ومنها ، لبعض ظروف كانت تتنقل بين هذا الدير (سيدة المعونات) وديري سيدة نسبيه وسيدة ميفوق (١٩٤٧-١٩٤٩) . وفي هذه الحقبة (١٩١٤-١٩٤٩) اي مدة ٣٥ سنة قد تخرج فيها من الآباء من لا يقل عددهم عن المئتين والعشرين كاهنًا ، يقوم اكثرهم بالادارة الداخليـة في

الاديار وبخدمة الرعايا في الاديار ومراكز رهبانية او في الخارج ، ومنهم من يتعاطى اعمال الرسالة .

وكانت الرهبانية تفكر في توحيد مدرستها هذه والتمست من المجمع المقدس للكنيسة الشرقية ، الاجازة بذلك فنازل الى قبول الطلب . وتمكنت الرهبانية ، برئاسة حضرة الاباتي يوحنا المنداري العامة ، (١٩٤٤ – ١٩٥٠) ، من الاقدام على وضع الحجر الاساسي وانشاء معهد الروح القدس في محلة الكسليك - صربا - جونيه . وذلك على هندسة عصرية فخمة مستوفاة الشروط الصحية ، وضع تصميمها المهندس الشهير انطوان ثابت . وقد كانت هذا المعهد نفقات باهظة قامت بها الرهبانية بجميع اديارها ومراكزها . ولا بدّ لها من بذل المبالغ الطائلة لاتمام مشروعها هذا وفقاً للتصميم الهندسي الموضوع له ، اذ يلزمه تشييد الكنيسة وبناء الطابق العلوي الاخير ، وتمهيد ساحاته وتنظيم دوره الى غير ذلك من لوازم الهندسة .

وفي ابتداء السنة المدرسية ١٩٥٠ بطلع رئاسة الاباتي موسى عازار العامة فتح المعهد المذكور ابوابه . وهو يضم الآن بجناحين منفصلين فئة الرهبان الدارسين الذين لا ينقص عددهم عن الثانين دارساً . ثم فئة الاولاد طلبة الترهب البالغ عددهم مئة طالب . يتلقن جميعهم مواد الدروس الابتدائية والثانوية حتى البكالوريا . ويدأبون في درس العلوم الفلسفية واللاهوتية بفروعها . وعلى هذا استقرت اذ ذاك المدرسة الرهبانية موحدةً في هذا المعهد الى ما شاء الله . وفي شهر ايار من السنة ١٩٥٥ الماضية ، قدم ستة من تلامذته الذين انهوا دروسهم الفلسفية واللاهوتيـة وحصلوا في فحوصهم على الشهادة وهم الآباء : بولس مسعد وشربل القسيس وبطرس شلفون وفرنسيس الخازن وكيل القزي . وقد أسندت اليهم الرهبانية ادارة بعض مدارسها المخصصة للنشء اللبناني .

ثانياً : المدرسة الرهبانية في الخارج

بعد ان انهينا كلامنا عن المدرسة في داخل الاديار ، نأتي على ذكرها في الخارج لما له علاقة بموضوعنا هذا . في السنة ١٧٢٤ وهب المجمع المقدس رهبنتنا اللبنانية دير مار بطرس ومرشلينوس في رومية ، الذي انشأه البابا اكليمنضوس

حادي عشر (١٧١١) وسلمه الى الاب جبرائيل حوا احد مؤسسي الرهبنة . ولما صار هذا الاخير اسقفاً على جزيرة قبرص ، اعطى المجمع المقدس هذا الدير للرهبنة وامر ان يكون فيه اثني عشر راهباً يتلقنون العلوم السامية ويكونون تحت طاعة المجمع نفسه في ما يعهد اليهم من الاعمال باجازة رؤسائهم. فامتثلت الرهبانية الامر واخذت ترسل من الرهبان من فيهم الكفاءة والمؤهلات للمجاوبة على رغائب المجمع المقدس . وقد وضع البابا اكليمنضوس الثاني عشر قانوناً لتلك المدرسة في الدير المذكور ، يضمن راحة التلاميذ ونجاحهم في دروسهم توصلاً للغاية المشار اليها[1] . وكانت هذه المدرسة هي الاولى الموحدة في الرهبنة ، تخرج فيها عدد وافر من الآباء الذين خدموا الكنيسة والرهبنة والطائفة بمعارفهم .

ولما فتح الآباء اليسوعيون مدرستهم الاكليريكية في غزير وكان الرئيس العام على الرهبانية الاب سابا الماقوري من الراغبين في العلم ، ارسل الى المدرسة المذكورة عدداً من الرهبان ، وانضم اليهم بعد حين الاب مبارك سلامه المترجم[2] وبذلك كان الاب سابا الرئيس العام واضعاً حجر الزاوية في اساس النهضة العلمية في الرهبانية . وعندما نقلت المدرسة من غزير الى كلية القديس يوسف في بيروت بعهد رئاسة الاب مرتينوس سابا القسطاوي العامة كما مرّ انضم الى الاخوة الدارسين فيها عدد آخر ، منهم الآباء اسطفان صقر وبطرس عبود واخوه بولس عبود المحامي الكنسي المعروف . واغناطيوس لبوس ، ثم انطونيوس حرفوش وجبرائيل عضيمي وميخائيل الحلو ابو شاهين ويوسف غصوب ولياوس داغر وعبدالله عواد .

وكان الاب مبارك المترجم قد انهى دروسه واحرز شهادة الدكتوره في تلك المدرسة ، كما سبق القول واقيم استاذاً على الرهبان الدارسين في دير مار موسى الحبشي ، وقد رأى بعد الاختبار الطويل ان الرهبانية تسير سيراً بطيئاً في سلّم الثقافة : لان الذين يدرسون في الجامعة اليسوعية ، هم اقلّة ضئيلة وكثير منهم لا يتمكنون من اتمام دروسهم ، اما لعدم الكفاءة ، او لداعٍ صحي . وكان عدد الذين ينهون دروسهم ، يكاد يتجاوز عدد الاصابع ، اضف الى

١) لويس بليبل تاريخ الرهبانية مجلد ١ ص ٥٧ و٥٨ و ٢٥٣

٢) عهد رئاسة الاب افرام جعجع البشراوي العامة (١٨٦٢–١٨٧٤)

ذلك انهم كانوا داخليين لا يتسهل لهم القيام بواجباتهم الرهبانية كما ينبغي ، فضلاً عن النفقات الكثيرة التي كانت تبذل في سبيلهم .

وبينما هو يفكر في الطرق والوسائل لسدّ هذه الثغرة ، وقلبه يتلهف غيرة على الناشئة الرهبانية وتربيتها التربية الصحيحة بالعلم الكامل والفضيلة الراسخة ، اذا بالعناية الالهية التي جاءت به الى الرهبنة ووفقته في دروسه ، تواصل الاخذ بيده وتسير به الى الهدف السامي الذي يرمي اليه ، فاتحة امامه مجال العمل واسعاً . ففي الخامس عشر من شهر نيسان من السنة ١٨٩١ ، اصدر المجمع المقدس الشرقي امراً بتعيينه رئيساً عاماً على الرهبانية ؛ وهو لم يكن ليفكر في هذه المباغتة وكانت الوظيفة في نظره خدمة للمصلحة العامة ، موقناً ان تلك هي ارادة الله فاستسلم لها بكل ما أوتيه من قوة ورغبة في العمل ، مستنداً اليها في الاطلاع بما يلقى على عاتقه من مسؤوليات خطيرة . واخذ يفكر في انشاء مدرسة في مدينة بيروت ، تكون تابعة لكلية القديس يوسف اليسوعية ، يقيم فيها الرهبان الدارسون ويتابعون الصفوف في الكلية نفسها . وكان يشجعه على وضع فكرته هذه بالفعل المرحوم الاب جبرائيل اده اليسوعي الذي كان وقتئذٍ رئيساً لكلية القديس يوسف . فاشترى داراً مجاورة للكلية المذكورة ، هي دار السيد الياس مارش الماروني ، بمبلغ الف ليرة فرنساوية ذهباً ، لاجل سكن الرهبان الدارسين واتفق وحضرة الآباء اليسوعيين على قبول عدد غير محدود من الرهبان لمتابعة دروسهم على ما ذكرناه ، بحيث يتسنى لهم اقامة نظامهم الرهباني وبعض صلواتهم الفرضية في مدرستهم حيث يقيمون . اما اعاشتهم ففرض الرئيس العام نفقاتها على خزينة الرئاسة العامة وعلى مساعدات من صناديق الاديار . ومنذ ذلك الحين اصبح هذا الترتيب سنة تسير عليها الرهبانية حتى ايامنا لاجل القيام بمعاش النشء الرهباني .

وفي خريف السنة ١٨٩٢ فتحت المدرسة الجديدة ابوابها لقبول عدد من الاخوة الدارسين ، منهم الاب انطونيوس عارج (المدبر فيما بعد) والاب اجناديوس سركيس الذي رئس الرهبانية معيناً من الكرسي الرسولي (١٩١٠—١٩١٣) . والاب مبارك ابو سليمان (المدبر) وغيرهم . وانضم اليهم الاخوة الذين كانوا سابقاً داخليين في الجامعة اليسوعية . واقام الرئيس العام رئيساً عليهم الاب

نظير اغناطيوس ... حمل شهادة ... فلسفة و لاهوت من معهد اللاهوت نفسه . وبعد مدة وكل الرئاسة الى الاب اقليموس سلامه ، ثم الى الاب جبرائيل حليفه راشيا . وكان الرئيس العام نفسه يشرف على هؤلاء الرؤساء عن قرب. واخيرًا (١٨٩٣) اقام رئيساً شرعيًّا على المدرسة الاب اغناطيوس داغر التنوري الذي صار فيما بعد رئيساً عاماً (١٩١٣ — ١٩٢٩) على الرهبانيــة واشتهر بتقواه وغيرته وتجرده عن حطام الدنيا[1] .

وشرعت المدرسة تسير على محورهــا القانوني بتوالي الرؤساء عليها ومنهم كاتب هذه الاسطر (١٩١٩—١٩٢٠) الذي له الحظ بان يكون احد المتخرجين فيها . وقد استمرّت على خطتها هذه نصف جيــل ونيف (١٨٩٢ـ١٩٥٠) . اخرجت ، ما عدا الذين لم يتمكنوا من متابعة دروسهم حتى النهــاية ، وهم كثيرون ، جيلًا من الآباء الذين اتموا دروسهم وكانوا من المجتهدين الناجحين . ومنهم من فازوا بشهادة الدكتوره نخصّ منهم بالذكر المرحومَين الابوين مرتينوس طربيه ومرتينوس حجيلي الذين امتازا بدروسهما الفلسفيــة واللاهوتية وكانا موضوع اعجاب اساتذتهما . خدم الاول منهما الرهبانية وكيلًا عامًا ورئيساً عامًا (١٩١٤—١٩٣٨) السنين الطوال ، كان فيها مثال الغيرة والنشاط والتضحية ، وكان الثاني استاذًا للنشء الرهباني . يغدق عليه العلم من ينبوعه الغزير الصافي ، وعلى معارفه ومواهبه الكثيرة كانت تعلّق اكبر الآمال ، لو لم تفاجئــه المنية في مقتبل العمر ، مديرًا عامًا في الرهبانية التي فقدت بهذين الابوين الفذّين رجلين من اعظم رجالها . على ان جميعهم قد تقلّبوا بوظائف الرهبانية وخدموها والطائفة والبلاد اصدق خدمة .

ولسنا نبالغ اذا قلنا ان الفضل في النهضة العلمية في الرهبانية ، يرجع الى رجل العلم والفضيلة الاب مبارك سلامه . وبالكلمة الطيبة التي نجعلها ذيلًا لهذا المقال ، وهي لحضرة الاباتي باسيل غانم الرئيس العام سابقًا (١٩٣٨—١٩٤٤) خرّيج

---

١) وقد الف كتاب « خزانة الواعظين » وغيره من التأملات الروحية المفيدة . ولم يكن يلقى الا قارئًا او مصليًا . وهو الآن معتزل منذ سنين في صومعة بدير مار يوسف جربتا حيث ضريح امة الله الراهبة رفقا .

المعهد اللاهوتي الرسولي في الجامعة اليسوعية في بيروت ، قد القاها بمناسبة ذكرى الخمس والسبعين سنة لهذا المعهد ، ما يغني عن الزيادة .

اما ما اتاه الاب مبارك مدة رياسته العامة (١٨٩١—١٨٩٥) ، سنقتصر فيه على النواحي الثلاث التي حصر فيها جهوده بهذه الحقبة القصيرة ، اي الناحية الروحية والادبية والمادية . واول ما وجه اليه اهتمامه ، توحيد الابتدا والمدرسة وهما اساس النهضة التي كان يرمي اليهـا . فخصص دير مار موسى الحبشي للمبتدئين ودير مار قبريانوس كفيفان للرهبان الدارسين وجعله فرعاً او مدرسة اعدادية لمدرسة مار انطونيوس التابعة لجامعة القديس يوسف في بيروت . فمن كان من الدارسين مستعداً واهلاً لتحصيل العلوم العالية ، ارسله الى هـذه المدرسة . وأسند ادارة المدرسة في دير كفيفان الى الاب اسطفان صفر البتاعلي المار ذكره . وكان هو بنفسه اي الرئيس العام يتعهد المدرستين المذكورتين ويوفر للاخوة الدارسين فيها جميع الوسائل لرقيهم العلمي والروحي . وكان حريصاً كل الحرص على حفظ القوانين والنذور الرهبانية ولا سيا نـذر الفقر . ويشدد في حفظ العيشة المشتركة بين الجماهير في الاديار والتدقيق في الواجبات الروحيـة باتقان التأمل اليومي واقامة صلاة الخورس في الاديار الجامعـة . ويبث روح المحبة والالفة في قلوب الجميع . ولم يكن يكتفي بالتحريض والارشاد ، بل كان هو في الطليعة امام الجماهير بحفظ القوانين وقيام النظام ومكافحة البطالة موجباً على كل فرد رئيساً ومرؤوساً القيام بوظيفته . يعامل الجميع بروح الابوة والمحبـة وكالرئيس الحكيم يعرف ان يجمع بين اللين والشدة بحسب مقتضى الظروف وحالة الاشخاص . وما عتم ان اكتسب ثقة مرؤوسيه بما تحلى به من وداعة وتجرد واخلاص في الخدمة . اذ كان يعتبر الوظيفة خدمة للجمهور عملاً بما قال الرب : « لم يأتِ ابن البشر ليُخدم بل ليَخدُم » (مرقس ١٠ : ٤٥) ورأى من اللازم تجديد وظيفة المعاملة التي كانت اهملت مدة طويلة فاسندها الى من فيهم الكفاءة ليكونوا معاونين له في الادارة العامـة مع المديرين . وكان يشدد في تمكين وظيفة القيم العام وقيم الدير واخذ حسابات الاديار من دخـل وخرج ، ضبطاً لمالية الرهبانية وتحسيناً لاقتصادياتها .

وبعد مضي ثمانية عشر شهراً على تعيينه رئيساً عاماً باسم الكرسي الرسولي،

حب موعد المجمع العام في العاشر من شهر تشرين الثاني ١٨٩٢ ، فانعقد المجمع في دير سيدة النصر – نسبيه برئاسة البطريرك يوحنا الحاج وعلى رغم المقاومات الخارجية ، انتخبه آباء المجمع بالاكثرية الساحقة ، فتجددت له الرئاسة العامة لثقة الجماهير به ، لما كان يبذله من الجهد والمفاداة في مصلحة الرهبانية ونهضتها.

ولم يكن ذلك الا ليزيده قوة واقداماً على العمل والسير بخطته المثلى ، مستنداً على ذراع العناية الالهية ، لا تلوي عزيمته مصاعب او متاعب . وفي السنة ١٨٩٣ ذهب كعضو في الوفد البطريركي الماروني الى اورشليم لاجل الاشتراك في المجمع القرباني المنعقد فيها . ومن هناك استأنف السفر مع الوفد الذي كان يرئسه المطران الياس الحويك (البطريرك) ، الى رومية حيث حظي بشرف المثول امام البابا لاون الثالث عشر كما نال الحظوى لدى المجمع المقدس. وبهذه المناسبة اقترح عليه المطران الياس ان يسأل من المجمع شيئاً فاجاب : « اني لا اريد شيئاً مادياً ، انما التمس من عطف قداسته ورعاية المجمع السماح بارجاع الآباء الذين ، لاسباب سياسية ، أخرجوا من الرهبانية » فحبذ المطران رأيه واكبر طلبه الدال على عزة في النفس وشفقة ومحبة لابناء رهبانيته .

فاستجيب طلبه ولدى عودته الى لبنان ، همَّ حالاً بارجاع الابوين افرام جعجع البشراوي وميخايل غوش التنوري ، الذي عندما كلفوه نزع ثوبه الرهباني ، أبى ومانع بكل قواه واستمر لابساً اسكيمه قائماً بجميع واجباته الرهبانية ، معتزلاً في بيته مدة سنوات . اما الاب افرام جعجع الذي كان رئيساً عاماً[1] من السنة ١٨٦٢ الى ١٨٧٥ ، مدة اثني عشرة سنة ، كانوا قد انتزعوا ثوبه واسكيمه بالقوة ، لكنهم لم يقووا على انتزاع روحه الرهباني وما كان عليه من تقوى راسخة . فاستمر معتصماً بالصبر سنوات ، متعبداً لسيدتنا مريم العذراء ، يسألها ألَّا تميته خارج الرهبانية ولو بقي من حياته بضعة ايام . فاستجابت البتول سؤله. وعندما اتاه الرئيس العام الاب مبارك ، ببشرى حصوله على النعمة التي طلبها ، قامت بشراي مدينة المقدمين تهنئه وتشكر الرئيس العام صنيعه وتحفظ له عرفان الجميل . وقد استقبله البشراويون بابهى مظاهر البهجة . « بالعراضة »

---

[1] كان محباً للعلم وهو الذي ارسل عدداً من الرهبان الى مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير ومن جملتهم الاب مبارك سلامه المترجم

والاهازيج اللبنانية، على رغم رفضه ذلك . وأبوا الا ان يصحبوه هو والاب افرام ابن بلدتهم الأبرّ، الى دير قزحيا حيث اقام الاب افرام بفعل الشكر لله تعالى ولابيه القديس انطونيوس . على نعمة رجوعه الى حضن امه الرهبانية. وبحسب طلبه من والدة الله، خازنة النعم . لم يلبث سوى بضعة ايام . اذ توفاه الله بميتة صالحة بين اخوته الرهبان، متزودًا الاسرار المقدسة، مستودعاً روحه بين يدي امه العذراء. التي تعبد لها كل حياته .

ومع الاهتمام الدائم بالامور الروحية كان الرئيس العام يوجه عناية خاصة بالشؤون المادية : من تحسين الاملاك واجراء اصلاحات هامة في الاديار كدير طاميش مقرّ الرئاسة العامة آنذاك وتجديد دير سيدة ميفوق على هندسة عصرية كما هو الآن . وانشاء دير مار يوحنا مارون قرب قرية قنيبع وشراء املاك له وتأسيس دير مار مارون القنيطرة قرب بيت شباب لسكنى الراهبات اللبنانيات القانونيات وغير ذلك من الانشاءات الضرورية .

وعلى رغم انشغاله بالمهام الرهبانية الكثيرة، لم يكن ينفك عن عمل الرسالة بالقاء الرياضات والمواعظ لدى سنوح الفرصة ويحرض الرهبان على القيام بهذا الواجب المقدس ويوجه بهم الى المدن والقرى حيثما يلزم. وظل مثابرًا على خطته هذه المثلى في الداخل والخارج، الى ان حان وقت انعقاد المجمع العام ١٨٩٥ ولولا ظروف قاهرة لتجددت له الرئاسة العامّة واستمرّ قائمًا بالنهضة الرهبانية على احسن وجه الى ما شاء الله !

بعد تنزله عن الرئاسة عهد اليه المطران يوسف الدبس بادارة مدرسة الحكمة ردحاً من الزمان . ثم أقيم استاذًا للاهوت للرهبان الانطونيين الدارسين في دير مار اشعيا بعهد الرئيس العام الاباتي عمانوئيل البعبداتي . وقد انتدبه المثلث الرحمة البطريرك الياس الحويك الى زيارة راهباته بنات الملة المقدسة المارونيات وان يكون مرشدًا لهنّ غير عادي .

وفي السنة ١٩١٠ تعين من المجمع المقدس بواسطة الزيارة الرسولية رئيساً للمدرسة الرهبانية في دير سيدة النصر - نسبيه - غوسطا . وبعدها رئيساً على الاخوة الدارسين في جامعة القديس يوسف في بيروت والمقيمين في مدرسة مار انطونيوس التي انشأها وجعلها تابعة للجامعة المذكورة كما مرّ . وبعد ذلك

اسندت اليه رئاسة العامة في دير مق . وفي ... التي تقلب بيا
كان مثالا امام الجميع ، لم يكن ليتلكأ عن واجب او خدمة ، على رغم
الشيخوخة والمرض . يسير كالحمل بتواضعه ووداعته مع اخوته الرهبان ولا سيما
الاخوة الدارسين الذين كان يطيب له الاجتماع بهم والاهتمام بشؤونهم وهم
يحفظون له مع عرفان الجميل ، كل محبة واحترام . يلتفون حول شخصه الوقور
اربما وجدوه ، كالابناء الاعزاء حول ابيهم الشيخ الجليل الذي كان يجمع الى
وداعة الحمل ، شجاعة الاسد في الدفاع عن الحق وعن القيام بالواجب واصلاح
الخلل لدى الاقتضاء . وما كان ليهاب احدًا في دفع ما يضرّ بمصلحة الرهبانية
او يمس بسمعتها .

وما زال متعاطياً اعمال الرسالة ، تحت عبء الشيخوخة وداء السكّري ، الى
ان دعاه في صيف السنة ١٩٢١ ، المرحوم الخوراسقف الياس الزيناتي لتسوية
خلاف بين اهالي بجرصاف وبعد بذل الجهد والنصح والارشاد توصل الى
مصالحتهم والتفاهم مع الكاهن خادم رعيتهم . وكان ذلك بمناسبة عيد قطع
رأس القديس يوحنا المعمدان في ٢٩ آب من السنة نفسها ، وبعد ان احتفل
بالذبيحة الالهية والقى عظة في المحبة وسمع اعترافات الكثيرين ، انهكه التعب
وثقل عليه المرض ، فخرّ صريعاً في حومة الجهاد ، شهيد غيرته الرسولية . وبات
يعارك سكرات النزع بضعة ايام . واذ كنت واقفاً قرب سريره اقرأ له بعض
عبارات من كتاب الاقتداء بالمسيح ، اشار بيده ، وهو بين الوعي والغيبوبة ،
وقال : « اقرأ لي عن آلام المسيح » فاخذت باشارته واجبته على رغبته . وكان
متعزياً مستسلماً لارادة الله شاركاً آلامه مع آلام الفادي الالهي . وكان لاشارته
تلك سببا ، اذ تبين بعد وفاته انه قد دوّن في يومياته هذه الملاحظة اخذًا
عن القديس توما : « ان احسن وانجع وسيلة في ساعة الموت ، التأمل بآلام
المسيح » . وبينما هو غائص في بحر هذا التأمل ، مشرق الوجه ثبت الجنان
لفظ النفس الاخير ، متزودًا جميع الاسرار المقدسة . في الثامن من شهر ايلول
١٩٢١ يوم عيد ميلاد العذراء التي كان متعبدًا لها ، لذلك شاءت ان يكون
يوم ميلادها يومَ مولده في السماء للسعادة الابدية بقرب هذه الام الحنون .

ونقل جثمانه الى دير مار موسى الحبشي حيث كان مقيماً . وأقيم له مأتم

حافل رئس الصلاة فيه المطران بولس عواد مطران الابرشية والمطران اغناطيوس مبارك مطران بيروت وعدد وافر من رؤساء الاديار المجاورة ومنهم الاباء اليسوعيون من بكفيا والكبوشيون من بعبدات وكان جمهور غفير من المشايخ والوجهاء والشعب . وقد رثاه الرئيس العام الاب اغناطيوس داغر ، تلميذه وموضع ثقته ، مبيناً عظم الخسارة بفقده . وقبل ان يورَّى في الضريح ودّعه صديقه المغفور له الاستاذ نعوم لبكي بكلمة بليغة مؤثرة دلت على ما كان له من محبة ومكانة في القلوب .

ومن آثار قلمه ترجمة كتب عديدة فرنساوية فريدة في بابها . منها ما ظهر مطبوعاً ككتاب « دستور الرؤساء للاب ڤالوي اليسوعي . » ودستور الحياة الروحية » . ومنها مخطوط « مختصر اللاهوت الاعتقادي » ثلاثة اجزاء وكتاب « الفضائل الرهبانيـة » ، ملخص عن كتاب الكمال المسيحي للاب الفونس رودريكوس اليسوعي وكان شارعاً بنشرها يوم فاجأته المنية .

واليك الكلمة التي اشرنا اليها بعرض كلامنا ، نجعلها مسك الختام لما لها من علاقة بهذا المقال . قد دعي الى القائها حضرة الاباتي باسيل غانم رئيس الرهبانية العام سابقاً والنائب الاستفي حالياً في زحله . وهو من خريجي المعهد اللاهوتي الرسولي في جامعة القديس يوسف في بيروت . وذلك بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين للمعهد المذكور التي اقيمت في ٢٥ شباط ١٩٥٦

قال تحت هذا العنوان : « كلمة الرهبانية اللبنانية » :

« ارى من واجبي ، وانا ابن الرهبانية اللبنانية ورئيسها العام لسنوات خلونَ واحد خريجي المعهد ، العارف باحداث الرهبانية والملمّ بتاريخها والمطّلع على مراحل نهضتها العلمية والاصلاحية ان اكونَ في مقدمة المقرّين بجميل المعهد اللاهوتي الرسولي ، التابع لجامعة القديس يوسف الذي نعيّد اليوم عيده الماسي .

كان للرهبانية من يوم أنشئت اكليريكية القديس فرنسيس كسفاريوس في جامعة الآباء اليسوعيين ، ثلاثة مقاعد فقط يشغلها ثلاثة من ابناء الرهبانية تضيفهم الجامعة وتطعمهم وتعلمهم وتربيهم وتثقفهم ؛ وكان بينهم ، في ذلك الزمن ، أخٌ نابه اسمه الاخ مبارك سلامه المتيني تفوق بدروسه فكان اول من حمل شهادة المعهد اللاهوتي العليا بعد ان جعل المعهد اللاهوتي معهدًا رسوليًّا المثلث الرحمة ، الحبر الاعظم ، البابا لاوون الثالث عشر .

[illegible]

شمس عيرة وراح يجهد بدور مواهبه في مدرسة رهبانية ويقوّم ما تأوّد من شؤونها ويقرب عقول الناشئة الرهبانية مبادئ العلم الصحيح ، رسم الصبي ، وبعث الرهبان الشبان على حب المطالعة والتعمق في الدرس والتفتح على حركة العلم والثقافة وبدرّهم على اختيار ثمينها ويعلمهم الردّ على غثّها . فكان كأنه النار تخلص ما هو ذهب وتحرق ما هو هشيم . وطارت له شهرة واسعة بالفضيلة والعلم وحسن الادارة فعيّنه الكرسي الرسولي رئيساً عاماً على الرهبانية فاتسع حقل رسالته وعكف يدرس شؤون الرهبانية : يشجّع ويقوّم ويصلح ويهذّب ويثقّف ، ولما رأى الحاجة ماسة الى رجال علم في اللغات والآداب والفلسفة واللاهوت والى رجال فضيلة ابتاع بيتاً يجاور كلية الآباء اليسوعيين واتفق ورؤساء الكلية ان يبدلوا له الثلاثة المقاعد الداخلية باثني عشرة مقعداً خارجياً . فرحّب الآباء اليسوعيون بفكرة تلميذهم وأنالوه ما ابتغى ، فجهّز البيت واختار اثني عشر راهباً ناشئاً ممّن شام فيهم ذكاء واستعداداً لاستيعاب العلوم العالية وأرسلهم الى بيروت ليتابعوا الدروس في كلية القديس يوسف فقامت القيامة على جرأته من الداخل والخارج وندّد بمشروعه كبار الطائفة وعدّوا صنيعه خروجاً على تقاليد الرهبانية . فلم يأبه الرئيس المقدام للمماحكات ولم يعبأ بالاشراك تنصب له ولم يجبن امام الصعاب وما زال يجاهد حتى أتحف الرهبانية بكوكبة من الفرسان ، فرسان الفضيلة والعلم، فرسان التضحية والقلم فكان للرهبانية علماء اعلام منهم : المرحوم الاب اغناطيوس ليّوس والاب انطونيوس حرفوش والاب مبارك ابي سليمان والاب اسطفان مناعل والاب غبريال ابي شاهين المالو والاب مرتينوس طربيه والاب اجناديوس سركيس والاب يوحنا المنـذري والاب بطرس ساره والاب طوبيا عون من الآباء القدماء الذين اذا ما ذكرت الفضائل الرهبانية والكهنوتية وتُحدث عن العلم الخادم ، العلم المتواضع ، العلم النافع ، العلم المضحّي أشير اليهم بالبنان فمنهم من علّم ومنهم من ألّف ومنهم من وعظ ومنهم من ربّى وثقف ومنهم من القت اليه الرهبانية بزمام الحكم والادارة فيها فحلّقوا في كل ما عملوا ونفخوا في الرهبانية روحاً جديدة روحاً لا عهد لها به

فالى المثلث الرحمة الاب مبارك سلامه المتيني ، تلميذ هذا المعهد الرسولي واول من حمل شهادته العليا يعود الفضل الاول في النهضة العلمية الرهبانية السائرة قدماً في طريق الكمال

لقد كان مثلاً حيّاً للرهبانية بالفضائل الانجيلية والاكباب على العمل والتأليف والوعظ والارشاد والدقة في حفظ القوانين والامانة الصارمة للرسوم . ولقد حذا حذوه ابناؤه الذين علّمهم وثقّفهم فألفوا الكتب الروحية والفلسفية واللاهوتية والادبية ايضاً وعلّموا وربّوا وثقفوا وعطروا أجواء لبنان بأريج فضائلهم العطرة ورفعوا شأن اهم الرهبانية وأعلوا قيمة الفضيلة بحياتهم المثلى وامانتهم لواجبات دعوتهم الرهبانية والكهنوتية .

فالرهابنة اللبنانية مدينة اذن بنهضتها الى آباء هذا المعهد الرسولي الذين عرفوا ان يبذروا في نفوس تلاميذهم الرهبان هذه البذور الخيّرة ويتعهدوها بامثلتهم الحية وارشاداتهم الحكيمة فنبت الزرع وصار عشباً ثم سنبلاً ثم قمحاً ابريزاً خزنته الرهبانية في اهرائها وراحت تطحنه وتطعمه خبزاً طيباً للعقول وللنفوس في الزمن الموآتي .

لذلك جئت اليوم أسبّح واتغنى بما لهذا المعهد علينا من ايادٍ بيضاء وأقرّ بما له قبـل الرهبانية اللبنانية من خدمات واترحّم على اولئـك الآباء اليسوعيين الذين ربّوا آباءنا وثقفوهم واشكر لهم صنيعهم الينا . اذ لولا هذا المعهد ولولاهم لكنا ، على ما اعتقد ، في مؤخرة الركب - في هذا العصر ، عصر العلم والنور ، او لكان من الصعب جـداً على رؤساء الرهبانية ان يعطوا الكنيسة ولبنان ما أعطوا من عقول مفكرة واقلام جريئـة ومؤلفات قيمة وغيرة فادية ومحبة بناءة وفضيلة حقة .

فتفضلوا ، ايها الاب الجليل الفاضل ، عميد المعهد السلاهوتي واقبلوا ، بواسطتي ، شكر الرهبانية على ما أسدت اليها جمعيتكم المباركة من خدمات وانقلوا لحضرة الآباء رؤسائكم امتنان تلاميذكم الرهبان اللبنانيين ، الاموات منهم والاحياء . فكلنا يعرفـان جميلكم ونعظم تضحياتكم والاشادة بافضالكم علينا سواء .

لا زال معهدكم اللاهوتي الرسولي ، كما كان دوماً ، منارة ترسل اشعتها واضواءهـا الى جميع نواحي لبنان والى جميع اصقاع الشرق يغني على انوارها المتـكون في دياجير هـذا العصر المادي فيأمنون الاخطار ويتقون الاصطدام بحجارة العثار .

لا زال معهدكم مصنعاً يصوغ الرجال فيخرجون منه كهنة يحملون بين ايديهم الانجيـل وفي قلوبهم الله يبشـرون بذاك ويحلون هذا في مقامه الاصيل ، المقام الاول فيرجعون الناس الى الله والى مسيحه او يعيدون الله ومسيحه الى النـاس : يصلون ويكافحون ويحاربون تحت علم الكنيسـة ، المقدسة ، الرومانية ، علم الصليب والقداسة ليساهموا في توسيع ملـك المسيح ، مع البابا ووفقاً لتوجيهات البابا ايّاً كان الاسم الذي يحمل . كان الله سـيماً نجياً !!

ردّ على مرداد

بقلم ف . ق .

أتحفنا الاب يوحنا الخوري بكتابه «الرد على ميخائيل نعيمه في مرداد». فنشكر له تحفته . يكفينا اولاً للثناء على كتابه اقدامه على الردّ انتصاراً للحقّ والنور ويكفينا لتقدير عمله هذا اعظم تقدير والاعجاب بجرأته فانه قد تعرّض لمن لا يزال عدد كبير من ادباء عصرنا واقفين امامها بذهول ووجل اعني صاحب « النبي » وتلميذه المفضَّل صاحب « مرداد » فاننا ما سمعنا منهم في محاضراتهم او كتاباتهم الا من يمدح . وقد رأينا ايضاً صحفاً من خيار صحفنا لا تزال تزيّن اعمدتها بمنتقيات من هذا او ذاك حتى في مواضيع دينيّة . وكم اخذتنا الحيرة لرؤيتنا اسم جبران يتصدر اول صفحات كتابه لرواية حياة يسوع ونحن نعرف آراء صاحب « النبي » في ابن العذراء .

فأهلاً بكتاب « الردّ » اهلاً بالقلم الحرّ الجريء يُحامي عن الحق والدين يُشهر بمرداد ومبادئه الهدامة ووشاياته الكاذبة . اما كفانا رثاء وتخاذلاً امام فلسفة ينبذها العقل والدين معاً تأتينا متبهرجة متلبسة بثياب الفصاحة الكلامية يتجرّع سمومها السُذّج لحلاوة مذاقها .

اكتفى صاحب « الردّ » في دحض اقاويل مرداد ببيان ما تضمّنته من افتراء واضاليل لكنه لم يتعرَّض للاساس الذي عليه بنى مرداد مبادئه الفاسدة لذلك رأينا الفرصة سانحة لبحث الفلسفة التي عليها ترتكز هذه المبادئ ولم يتجرأ صاحب مرداد ومعلّمه قبله ان يوضحها في واحد من مؤلفاتهما العديدة فانهما يلجآن دائماً فيها الى عبارات موهمة ورموز غامضة . فترى جبران يتهجّم متجبّراً و«عواصف» تعابيره تقرقع وتتعصف بينما نسمع التلميذ يوقع بنعومة على اوتار قيثارته بحذر وهدوء .

فما هي يا ترى هذه الفلسفة وما رأي العقل المستقيم والدين فيها .

المذهب الفلسفي الذي يعتمد عليه مرداد في تأليه الانسان وتوحيد ذاته

بذات الله وتوحيد الكيان بأسره دون تفريق بين خالق وخليقة وتأليه كل عمل يعمله الانسان دون تمييز بين صالح وطالح : وكليا اعمال لله . ورفض كل افراز « انا » من « انت » ولي والك . هذا المذهب الفلسفي هو عريق في تاريخ الفلسفة واشهر الفلاسفة الذين تمسكوا به وعرضوه بجلاء وحاولوا تدعيمه بالحجج هما اثنان : بلوتان في الجيل الثالث للمسيح وسبينوزا في الجيل السابع عشر واسم هذه البدعة الفلسفية (Panthéisme) اي توحيد الكيان كله في وحدة الله . بموجب تعاليم هذا المذهب انه للكائنات الفردية كلها كيان واحد وذات واحدة هي كيان الله وذاته فتكون اذن هي احوالاً عارضة لهذا الكيان الواحد الضروري هي احوال تابع مختلفة هي جزء من كيان الله الذاتي منه انبثق واليه يؤول وهذا الكيان واحد فيما نسميه المادة والروح الحي والجامد . هذا ما يقوله مرداد للاصحاب السذج الذين جمهم حواليه ويبهرهم بتعاليمه « يكفي الله الوحدة التي انتم نواة منها[1] . ثم الانسان . . . يوحد فيها (في حياته) ذاته ويعود الى عدن عارفاً الوحدته ووحدته مع الله[2] » ثم : « يا ذاتنا التي لا ذات الآها »[3] . وايضاً « قولوا الله انا »[4] . وهذا تعليم استاذ نعيمه نفسه « ان ذاتكم الإلهية بحر عظيم . . . انكم تسيرون معاً في موكب واحد الى ذاتكم الإلهية[5] » .

ثم ان وجود الانسان ضروري من ضرورة وجود الله فهو اذن ازلي : « عندما وُلد الانسان في الازل »[6] . كذلك كل عمل يصدر من الانسان هو عمل الله فلا معنى اذن للصالح والطالح كل هذه الاعمال ضرورية لا حُرة وكلها آلهية فلا معنى اذن للعدل والظلم والطهارة والدعارة . . . لا يخفي صاحب « النبي » هذا المبدأ بل يقرّه جليًا اذ ينكر ان يكون معنى لما نسميه الخطيئة (ص٢٣٦) ويقره بنوع أجلى مرارًا صاحب « النبي » مثلاً في كتابه « الاجنحة المتكسرة » (ص٩٨–٩٩) اذ يكلمنا عن اجتماعات رجل مع امرأة متزوجة بعيداً عن الانظار فيقول « . . . لم نخف قط عين الرقيب ولا شعرنا بوخز الضمير لان النفس اذا تطهرت . . . تترفع عمّا يدعوه الناس عيباً وعاراً وتتحرر من عبودية الشرائع

١) ص ٢٠٩ ٣) ص ٢٣٨ ٥) النبي : ص ٤٧

٢) ص ٢٣٢ ٤) ص ٢٥٥ ٦) مرداد : ص ١١٤

والنواميس . . اما الذين سيعيبون سمي كرمه محاولين تلويث اسمها لانها كانت تترك منزل زوجها لتختلي برجل آخر فهم من السقهـ . . . »

وما يكون معنى الشرائع والنواميس والتقاليد حيث لا خير ولا شرّ بل اعمال الله : ضرورية بضرورة وجود الله .

كذلك لا معنى للسرقة والناس كلهم « انا » فكل ما لهم هو لي . . . فالسارق يأخذ ما هو له .

وما يكون معنى الدين والانسان هو الله فهل يسجد الله لذاته والى من يرفع صلاته وهو هو الله فلا حاجة له غير كل شيء وكل شيء هو هو . . . هذا ما علمه مرداد « لنوح » قبل ان يكشفه لساكني الفلك . . .

على هذه الفلسفة اذن يريد صاحب مرداد ومعلمه ان نبني المجتمع البشري وعلى مبادئه ان نبني حياتنا بكل اعمالها وان نحكم على اعمال الله فينا وفي الغير : على هذه المبادئ يُبنى السلام ويتوطّد النظام في العالم ويحيا فيها الانسان حياة شريفة لا تفرق بين خير وشرّ ولي والك وانا وانت .

هكذا علم مرداد « نوحاً منذ الازل » وهكذا تعلم مردادنا من معلمه يوم تعارفا في الزمان وهما واحد منذ ازل الكيان .

تعريف عن الكتب

دين

عقيدة المسلم

بقلم محمد الغزالي

دار الكتاب المصري بمصر – الطبعة الثالثة ١٩٥٤ ، قطع وسط ، ٢٠٨ ص

انه كتاب يود ان يظل بعيداً عن كل مناقشة توهن الذهن بمجموعة آراء فلسفية خالية من التنسيق وهو كتاب يرغب في عرض التعاليم الدينية بمجموعها ليحمل المسلم على الاستمساك بدينه استمساكاً عميقاً كل العمق ويثنيه عن جميع التعاليم العصرية الضالة . والخلاصة ان المؤلف يستعرض استعراضاً سريعاً نقاط المعتقد الاسلامي الرئيسية ويحاول باستناده الى القرآن تصويب مجموعة تعليمه برمتها ، ولكنه قد اورد ما اورده بحسب الاسلوب الاتباعي بدون ان يفيدنا امراً جديداً . وزد على هذا انه لم يكن يبتغي الجديد كما اعلن ذلك في مقدمته فقد اراد الاستزادة من الخبرة واثراء تعاليمه بخبرة رجل رأى الشيء الكثير وصنع الشيء الكثير مع ابناء دينه .

وعندما يقتحم المؤلف المضمار الفلسفي ليثبت تصويبه احدى وجهات النظر وغيرها فانه يقيم الدليل على افقه الضيق وعدم تعمّقه وقصر نظر فلسفته ضيقاً وقصراً نجملان كتابه في عداد المؤلفات الثقافية التي لا تحتوي الا على فكرة يسيرة بدائية .

اما النقطة المهمة التي نرغب ان نلفت اليها النظر بدقة وقوة فهي ما نقع عليه في الصفحة الـ ٤٣ وما يليها حيث يبدو لنا مدللاً على سوء نيته تدليلاً صريحاً لان الكلام على دين لا يدين هو به يقتضي من المتكلم عليه ولو على الاقل الاستمساك باهداب الاحترام ولا سيما اذا ما اعوزته الكفاءة والعلم الكافيين ليتحدث عنه .

فلقد تحدث الكاتب عن المسيحية وكأنه يتحدث عن امر تافه ، فنحن

لسنا من الذين يعمدون الى تبكيت مؤلف على ذلك اذ اننا نطلب منه البراهين الكافية على صحة ما قال كما اننا لن نعمد الى الصراخ لعلمنا ان الحقيقة هي برهان على نفسها وان المسيحية لا تحتاج الى دفاع عنها لانه من الكافي ان تدرس باخلاص ورزانة وموضوعية مبادئها لنسلّم ولو على الاقل بصحة وجودها . اما الكلام عليها كما فعل صاحب هذا الكتاب الذي دعاها بالخرافات فما ذلك لا تقليل للرجل في نظر العلم ، فهو لم يستند الّا الى القرآن فقط ليؤيد وجهة نظره بصدد الوهية المسيح ، فلماذا علّق كل هذه الثقة على كتابه وضرب بيقينه الكتب التي تحدث عنها القرآن باجلال عرض الحائط ، والامر الباعث على الاستغراب في هذا القسم من كتاب مؤلفنا هو امتناعه ـ انه عاجز كل العجز عن ذلك ـ عن الكلام على المعجزات التي ذكرها الانجيل وصنعها يسوع المسيح . كما انه قد اورد النصوص التي تبرز ابرازًا عظيمًا للشكل الانساني للاله الذي صار انسانًا ولا يكترث ايما اكتراث لتصويب الناحية التي هي فوق الانسان في المسيح . وانه لامر بسيط او بالاحرى انه لمنتهى البساطة عمله كاساوب فهو الخطأ بعينه وغير صحيح ـ وما عدا ذلك كيف يفسّر الكاتب قداسة هذا الرجل يسوع المسيح ؟ ولكن كيف نريد من رجل عاجز عن الولوج الى نفسية المسيح الدينية ان يتكلم عن مستترات الدين في الاعماق والتي تؤلف نفس ذلك الذي قلب تاريخ العالم وغيّر اتجاهه .

وبمقدورنا ان نعدّد وجهات النظر التي كان يحسن بالكاتب ان يدرسها قبل اقدامه على قذف شتائمه في وجه المسيحية ، فعليه ان يتألم من النظر في كتب الذين اهتدوا الى المسيحية بعد ان كانوا من الدّ خصومها النبل الذي نجده فيها والحقيقة الوحيدة التي تسطع منها وتفرض نفسها على كل انسان حسن النية . وفي هذه الآونة الاخيرة كانت التهجمات في لبنان على شخص يسوع المسيح كثيرة ولكنها صدرت عن اناس لم يتفق لهم قط ان تحلوا بالشجاعة العلمية ليدرسوا باخلاص . فقد عاهدنا النفس على ان نعدّ لهم قريبًا هذه الدراسات ، فهل يتحلون بالشجاعة ليقرأوها ويبحثوا فيها عن الحقيقة ؟ وهذا ما نتمناه لهم .

ا . ع . خ .

روح الدين الاسلامي

بقلم عفيف عبد الفتاح طباره

منشورات جماعة عباد الرحمن – بيروت ١٩٥٥ ، قطع كبير ، ٤٤٠ صفحة

يشق عليّ ان اقدم ايضاحاً عن هذا الكتاب الذي ينتقل فيه المؤلف باستمرار من المضار الديني الى المضار العلمي وهو يريد – مهما كلفه الامر – ان يثبت بالاكتشافات العلمية كل ما جاء به القرآن والدين الاسلامي من اقوال ويشق عليّ ان اعرف كيف ينبغي لي ابداء الرأي في هذا المصنف ، فقد جاء في المثل السائر ان الافراط في البراهين هو انتفاء اقامة برهان على شيء .

وثمة مبدأ اروم اولًا مناقشة المؤلف الذي يدلل طبعاً على نية حسنة ممتازة فيه ألا وهو : متى كان الدين في حاجة الى التقدم العلمي لاثبات صحته وقيمته ؟ وهل بالاستطاعة اتخاذ الاقل لاثبات الاكثر ، ان الدين هو مضمار الملاقات الشخصية الخاصة بالله تعالى . اما العلم فمجموعة النواميس التي تضبط الكون ، واذا شئنا ان نجد اثباتاً في ضروب التقدم العلمية بكل شأن دقيق من شؤون الدين أفلا نخشى ان يصبح العلم قاصراً يوماً ولا ينطبق ابداً على ما نبحث عنه ، ان العلم يتقدم من حيث طبيعته والدين يتقدم ايضاً ، بيد ان العلم يتقدم تقدماً افقياً على حين ان الدين يتقدم تقدماً عمودياً وهنا الفارق الكبير . راجع من الصفحة ٣٠ الى الصفحة ٤٠ .

ولهذا السبب كان الكتاب المشار اليه « مرافعة شخصية » مما استوجب من المؤلف ان يدلل على المزيد من بعد النظر وصابة البصيرة ليميز بين المضامير ويظل في الموضوعية بعيداً عن العواطف والتأويلات الجريئة التي وصلت احياناً الى درجة المهزلة : لقد قال المؤلف : يقول القرآن قد صُنع الانسان من طين ، وفي الواقع لو حللنا التراب لوجدناه مركباً من ستة عشر عنصراً ولو حللنا جزءاً من اللحم الانساني لوجدنا العناصر الستة عشر . . . وليس هذا هو المثل الوحيد .

واني اودّ التشديد على مبدأ آخر قبل الوصول الى بعض النقاط الدقيقة الا

وهو انه قد كان على المؤلف قبل الشروع في الكلام على المسيحية ان يدرس هذا الدين على خير من يتلونه لانني اذا ما اردت انا نفسي التحدث عن الاسلام فلن اذهب للبحث عن تأويلاتي لدى الزنادقة وانما عند خير مفسريه المعترف لهم بذلك، اما رينان فليس من المسيحيين المعترف لهم بمسيحيتهم بل هو مارق، وما محاولة التفتيش عن التفسير الحقيقي لديه الّا التدليل اما على سوء نيّة واما على جهل، أوَ لم يبقَ هناك من هم معترف بمسيحيتهم غير رينان ؟

ولقد عمد المؤلف الى ذكر جميع الفرق التي انكرتها الكنيسة الصحيحة فجعل لاقوالها قيمة لا يقرّها رجل عاقل، راجع بصدد كلامه على صلب السيد المسيح الفرق التي يذكرها صفحة ١٢٣ وما يليها.

وزد على هذا ان المؤلف قد ظلّ خارجاً عن جوهر المسيحية في كلامه عليها فلم يكن بمقدوره ان يفعل غير ما فعل. فلذلك جاءت هذه التفاسير خاطئة او مغرضة : فقوله مثلاً عن مغفرة الخطايا (ص ١٦٧–١٦٨)، هو مغالطة من عيار كبير : ان المغفرة تكون اعظم عندما يتأهب الانسان الذي يستطيع الانتقام لنفسه لينتقم ومن ثم يعود عمّا صمّم عليه.

اما تأويله للتوحيد المسيحي فهو غير صحيح قطعاً (راجع ص ١٤٢–١٤٣) ومن الواجب ان نبيّن للمؤلف في هذا المقام عقيدة التثليث. لاننا درس في الموضوعية عليه : ثلاثة اقانيم في اله واحد، فلماذا يريد الكاتب ان يتمسك كل الاستمساك بابقاء الدين ضمن حدود العقل وان يكون مجرّداً عن كل سرّ يفوقه ولا يتنافى معه، مع ان الاسرار كثيرة في الطبيعة. ولماذا تأبى على الله ان يحيط ذاته بالسرّ : ما من احد رأى الله الّا الذي نزل من السماء، وزد على ذلك ان تقليل العزّة الالهية تقليلاً لتجعل العقل الانساني يحدّها هو تصغير لها، فهل يبقى اذاً الها ؟

واني لاذكر امراً آخر – على المؤلف ان يفهمه – وهو انه اذا ما دار الحديث عن انجيل السيد المسيح فلا يعني ذلك الا الاناجيل التي ليست الّا رواية واحدة رآها شهود مختلفون، لانه ليس ليسوع المسيح الّا انجيل واحد، وبرجوعنا الى اللفظة اليونانية نرى ان معناها البشارة. فما معنى كلمة اناجيل

في الجمع ؟ (راجع ص ٩٩).
وثمة امور عديدة لا بد من قولها والامعان في قولها وانا يكفيني الآن ذكر بعض النقاط التي استمددتها على سبيل الاتفاق من مطالعتي هـذا الكتاب.
(ص ٨٥) كيف توصل الى التأكيد ان القرآن يعد برؤية الله في الجنة أفلم ينصرف الى احد التيارين اللذين يتحدث عنهما ويقتسمان تفسير الاسلام على هذه النقطة. ألم ينحز انحيازاً زائداً الى التفسير الرمزي، اما في المسيحية فليس هذا التأويل رمزياً بل تحديد العبارات نفسها المستخدمة في انجيل يسوع المسيح بحسب القديس يوحنا، فهل مسموح لمؤلفنا ان يتخذ هذا التفسير الرمزي للاسلام لينسبه الى محمد او الى الوحي ؟
(ص ٩٤) : لقد اكد المؤلف بدون ان يساوره اي تردد ان الملائكة « ليس لهم قوة الاختيار » فهل يستطيع ان يفسر لنا كيف تمكنوا من السقوط والوقوع بعيدين في الجحيم عن وجه الله ؟
(ص ١١٧) : اين استطاع المؤلف ان يجد في المسيحية ان النسك يتطلب الانعتاق من الجسد، وان النفس تكون في سجن ويقوم جميع عملها الروحي على الانعتاق منه ؟ ان الجسد لا بدّ من خلاصه مع النفس وهو الـذي يحمل الخلاص الانسان بنعمة الله ليصبح كالنفس هيكل الروح القدس بواسطة سرّ المعمودية.
(ص ١١٩) : انه ليخجلنا ان نشهد الكاتب يعيد بعض التأكيدات الرائجة بدون تمحيص وتدقيق : ان الرهبان ورجال الدين لا يشتغلون شيئاً فهم قابعون في ديورهم تاركين الانسانية تتخبط لوحدها ، فهل درس مؤلفنا تاريخه العام ؟ أفلم يرَ ان الرهبان ورجال الدين هم الذين انشأوا اوروبة وانهم هم الـذين اشتغلوا عندنا وانشأوا هذه البلاد التي يسكنونها ، وزد على ذلك ــ وانما من الواجب التحلي بنفس تشربت المبادئ الدينية لفهم هذا الامر ــ ان الذين لا يخرجون من ديورهم هم انفسهم لهم من الجدارة ما لا يقل عن غيرهم وذلـك بصلواتهم وتضحياتهم واعمالهم ليصبحوا افضل مما هم ويخلصوا نفوسهم ويفيدوا المجتمع مستفيدين من نعم الله.
(ص ١٢٤) : ان ما قاله عن تعاليم القرآن الادبية هو عينه ما يأمر به

الانجيل امرًا اشد واقوى . اما المؤلف فقد انكر في الصفحة السابقة على كل شيء من الاديان ان يكون قال ما قاله القرآن ، فلذلك من الواجب ان نوعز اليه بان ينعم النظر في مطالعته للانجيل انعاماً اشد انتباهاً .

(ص ١٤٢) : اين استطاع الكاتب ان يجد هذا التأكيد الباعث على السخرية والهزء ، الا وهو ان المؤمن يعبد كهنته واحباره ، لا شك ان هناك نية سيئة مبيّنة في تأكيده لمثل هذا الامر ، فان الكهنة والاحبار قد وجدوا في كنيسة يسوع المسيح للخدمة والتعليم وابلاغ حياة النعمة بواسطة الاسرار الى هؤلاء الاعضاء الذين هم المؤمنون .

(ص ٢٩٣) : بصدد الطلاق ، يريد الكاتب مهما كلفه الامر ان يجعل من الهجر الموجود في المسيحية ، وتبرره اسباب قانونية دقيقة ، طلاقاً ، ان المخالطة لسبل تزويجها اما اذا كان الزوجان لا يستطيعان ان يتزوجا ثانية فما ذلك بالطلاق . اما اذا عاش كل منهما بحسب هواه وكان فاسقاً ، فذلك امر لا ينكر ، وانما من الواجب التمييز بين الامور .

(ص ٢٨٦) : لقد اوضح التاريخ وعلماء الاجتماع كليفي برول (Lévy Bruhl) لقد اوضحوا ان تعداد الزوجات هو ضرر ، اما اذا قال المؤلف ان ذلك سعادة وفلاح من الوجهة الطبية ، فما قوله الا تجاوز لحدود العلم . اما ان اكد ان القرآن قد سلم بذلك فان القرآن لم يحدد الامر تحديداً باتاً قاطعاً لان تحليل مفهوم الحب فلسفياً يفضي الى تأييد قيمة الزواج الموحد اذ ليس بالاستطاعة ان تحب بدرجة متساوية اشخاصاً عدة . فاذا لم تكن المرأة الثالثة او الرابعة محبوبة فانها تصبحان كأنهما عبدتان .

وثمة نقاط عدة اخرى تستحق البحث والمناقشة غير اننا قد اسهبنا في الكلام فلذلك يسرنا ان نكون قد استطعنا افادة المؤلف بعض الفائدة لنحثه على استمداد معلوماته من المصادر الصحيحة لانه من السهل على المرء ان يستمد معلوماته من هنا ومن هناك فيعتقدها حقيقية مع انه قد زلت به القدم وابعدته عن الحقيقة اشواطاً واشواطاً .

ع . خ .

فلسفة ودين

The Communist war on religion, par GARY-MAC EOIN...The Devin — Adair Compagny. N.W. 1952, 264 pp. 20×14 cm.

ان هذا الكتاب الذي تآزر في وضعه عدد كبير من المؤرخين هو تاريخ الكفاح المستمر الذي تدأب فيه الشيوعية للقضاء على الدين في جميع البلدان التي استولت على مقاليد الحكم فيها .

ويوضح الفصل المخصص بروسية عدم مهادنة الشيوعية في قراراتها لاحتمال وجود مناهض لها او محايد لتسمي حرية الاعتقاد الحرية « الباطنية » .

فمنذ سنة ١٩١٨ قد حرمت التعليم الديني في المدارس وحتى في الخاصة منها ومن ثم كان تحريم نشر الكتب والصحف بدون اذن منها فعممت المدارس والمسارح ودور السينما والصحف التعليم الالحادي والمادي فاستحال على من يظهرون معتقداتهم الدينية ايجاد عمل لهم .

ولقد جاءت سنة ١٩٣٩ تدلل على مرحلة جديدة اذ عرض الشيوعيون على روسيا . الكنيسة الارثوذكسية ان يتفقوا معهم وذلك في سبيل توحيد الشعب في الحرب الوشيكة النشوب ضد الغرب : لقد عرضوا عليهم حرية اتيان الشعائر الدينية مقابل تأييدهم للنظام القائم ، فانتخبوا سرجيوس بطريركاً فاقام الصلوات وجمع الصدقات للجيش الاحمر واعطوه مقراً له قصر السفارة الالمانية ، ومنحوا خلفه الكسي وسام الراية الحمراء . فاعلن شجبه للفاتيكان وواشنطون ولندن ، وحظيت الكنيسة الارثوذكسية في الظاهر باستقلالها وكهنتها بيد انهم اصبحوا في الواقع موظفين من موظفي العبد .

ولاسباب سياسية تحل هذا الاتفاق الكنيسة الارمنية . اما الكاثوليك والبروتستانت واليهود فلم تعرف اضطهاداتهم لهم مهادنة ، ففي سنة ١٩٥١ لم يبقَ يتمتع بحريته من الكهنة الكاثوليك الا كاهنان لانهما كانا في الواقع اجنبيين ومحصورين في الحي الديبلوماسي .

اما الفرق الدينية الاسلامية فكانت باستمرار موضوع الحملات الشعواء عليها سنة ١٩٥٠ اذ كانت الشريعة الاسلامية في طريق تصفيتها في المتحف الديني الذي افتتح سنة ١٩٥١ في طشقند .

وفي تشيكوسلوفاكية قد اختلف الوضع عن غيره اذ ظن الكاثوليك وهم الكثيرو العدد ومن اصحاب الصحف ذات النفوذ الواسع والمستشفيات العديدة والمدارس المختلفة ان في مقدورهم التعاون مع الشيوعيين على اساس حسن النية وذلك سنة ١٩٤٥ عندما تسلموا الحكم فاصطدمت مجهوداتهم في سبيل التوافق معهم بخطة السيطرة الشاملة التي ارتسمها الشيوعيون ولم ينحازوا عنها قيد انملة فحلّت منظمات الشباب الكاثوليكية وتحتم تعليم الماركسية في المدارس التي انتقلت جميعها فوراً الى يد الدولة وبدأ التهجم على الفاتيكان الخ .

وفي اثناء انتخابات سنة ١٩٤٨ لما قدمت الحكومة لائحة وحيدة باسماء المرشحين وجميعهم من الشيوعيين ارادت ان تفوز بتأييد الاكليريكيين لتلك اللائحة فرفض الاساقفة النزول عند رغباتهم وامروا كهنتهم بالوقوف على الحياد فثار ثائر الشيوعيين وحملوا حملات نكراء على الفاتيكان وقرروا ان يقطع علاقات الاساقفة به ووجهوا التهم الاخلاقية للاكليروس الكاثوليكي واقفلوا المدارس الاكليريكية وعمدوا الى تصفية الجمعيات الدينية وارسال رجالها الى معسكرات الاعتقال فكابد الاكليريكيون المجاعة بسبب مصادرة الشيوعيين لاملاك الكنيسة وبحرمانهم الصدقات ومحافظة الدولة على دفع مرتبات الاكليريكيين المتأكدين من « ولائهم سياسياً فقط » .

واوجدت الحكومة في الوقت نفسه « عملاً كاثوليكياً » مصطنعاً لحسابها ووضعت تحت تصرفها جريدة كاثوليكية قديمة .

ولقد انتبذ الكرسي الرسولي المقدس « ذلك العمل الكاثوليكي » الذي اصطنعه الشيوعيون ، فابلغ الاساقفة والكهنة على رغم مجهودات الحكومة وتهديدها حكم الكرسي الرسولي للشعب فاتهمتهم الحكومة بانهم خائنون وبانهم عملاء اميركا واحتجزت اختام رئيس الاساقفة بيران (Beran) واستخدمتها في اصدار تعليمات اسقفية كاذبة ووضعت رئيس الاساقفة تحت مراقبة رجال الشرطة وفرضت على الكهنة ان يقسموا للعهد يمين الولاء . فطلب الاساقفة ان تكون اليمين مع تحفظ ضد كل ما يناقض نواميس الله تعالى والكنيسة فرفضت الحكومة طلبهم وشرعت منذ ذاك الحين بسجن الكهنة الذين ابوا توقيع امضاءاتهم بدون هوادة .

بي ... كان عدد ... التي لا ... هنة عندها سجين في ... ،،
حكومة فكانت تذهب في مدارسها الاكليريكية وعلى نفقتها اكليروسا موهوما. وجد الفصل المخصص بهنغارية على ذكر قصة شبيهة بهذه القصة : كالقاء الحجز على المدارس وايجاد حزب كاثوليكي كاذب تغذيه الحكومة على نفقتها.

والامر الجديد بلفت الانتباه على الخصوص هو كيفية تنظيم الطرق المستخدمة في دعوى الكردينال مندزنتي (Mindszenty) وغيره من الذين وجهوا اليهم التهم.

واننا لنرى في الفصول التالية المخصصة باوكرانية ورومانيـــة وبلغارية ويوغوسلافية والبانية والدول البلطيقية وبولونية والمانية نفس التوسع اللئيم الخالي من الشفقة في اساليب التضييق والتشنيع والتدخل .

والفصل الاخير الذي يُعنى بالصين وكوريه فانه يذكر بعض الذكر مواعيد سوء الوضع فيها سوءًا كبيرًا من موعد صدور الكتاب سنـــة ١٩٥١ ويشير صراحة الى المكان الذي تمركزت فيه الاضطهـــادات : كمكافحة « شبكة الاستعمار الغربي ». اما ذلك فيساعد على فهم مجهودات الحكومة الصينية لتوسيع حركة « ضروب الاستقلال الذاتي الثلاثة » ــ استقلال الكنيسة الصينية الذاتي لادارة نفسها وتلافي مواردها وجمع شملها ــ الحركة التي تؤدي عمليًا الى الانشقاق وفي مثل هذا المقام نجد ايضًا الافتراءات والتهم بحق المرسلين ونجـــد اغلاق المدارس والحملات الصحفية وحلّ المنظمات الدينية .

هذا هو الكتاب المعتدل في ارائه ولكنه حافـــل بالوقائع . والذي لا يستغني عن مطالعته من يودّ الادلاء بحكم على نيّات العهـــد الشيوعي بصدد الاديان ولا يقوى على عدم قراءته من يرغب ان يعرف عمليًا ماهيـــة السيطرة الشيوعية على بلد من البلدان .   ا . ك

الاسلام والمناهج الاشتراكية

بقلم محمد الغزالي

الطبعة الثالثة ١٩٥٦ – مطبعة دار الكتاب – ١٨٣ صفحة ، قطع وسط

لا يثبتنا هذا الكتاب الآخر الذي يصدره المؤلف الّا على الرأي الذي ابديناه بصدد كتابه على تعليم الاسلام . وان الكاتب لرجل عملي يروّعه كل ما هو

حياة باطنية وروحية ، فقد اعطى بعض ايضاحات معروفة حول نقاط تعليم اجتماعي : « كالتأمين الاجتماعي والطبقات الكادحة وغيرهما . » ولكنه لم يتمكن من الوصول الى القبض على ناصية موضوعه ليفصل بين ما هو مبدأ الفكر الانساني الحقيقي الابدي ــ الذي يعتقد ان البحث فيه اضاعة للوقت ــ وبين التأملات المحسوسة الناجمة عن التجربة اليومية في الفرع الفلاني او الفرع الآخر للعمل ، ولست اودّ ايراد مثل على ذلك غير تعريفه للدين : « لكن الدين هو النظرة السليمة والعقل الرشيد والانظمة العمرانية التي تتجه اليها الفطرة ويستريح اليها العقل ما دامت تمشي في حراسة الضمير اليقظ للدخول بالله . . . الدين هو الضمير الانساني » .

ولا بدّ من كتاب كامل لمناقشة هذا التأكيد البسيط الخاطئ ، فمتى كان الدين خليطاً مع العقل المستقيم والفطرة السليمة . واذا ما اكد المؤلف قيمة القرآن الموحاة فعليه ان يؤكد بحسبنا ان الدين هو العلاقة الشخصية بالله من خلال كلمته الموحاة لكنه قد كلف نفسه عناء القول لنا ان التصوف هو خداع (ص ١٧٦) : دعونا من فلسفة التصوف الغبي ومن فلسفة المادية الصغيرة .

ونودّ ان نطلب من المؤلف الذي يدرس في هذا الكتاب فلسفة الفقر والغنى ان يعمق قليلاً دراسته للفلسفة وان ينضج موضوعاته قبل اقدامه على ان ينشر في الجمهور توكيدات مبتذلة كل الابتذال ليجعلها كأنها مبادئ تربوية لعقلية ابناء عصره ، وان نصيحتنا له هي الانصراف عن الاهتمام لافكار يخطئ فيها غالباً لكي لا يعنى الا بتدوين الاحداث . ا . ع . خ .

الاسلام في القرن العشرين : حاضره ومستقبله

بقلم عباس محمود العقاد

الطبعة الاولى ١٩٥٦ – مطبعة دار التأليف ١٨٤ صفحة – قطع صغير

ما كان اشدنا رغبة في ان نرى لدى اديب مشهور كالعقاد نفساً يتجلى فيها مزيد من الصفاء في عرضه لموضوعه الذي ودّ فيه ان يتفوّق الاسلام على بقية اشكال الاديان القائمة مهما كلفه الامر : فقد حمل على عدد كبير من الاديان الموجودة وراعى جانب المسيحية ، افيعرف المسيحية معرفة وافية لدى ان الذي ينتقده وان الذي يتمنى ان يراه في الاديان انه يجده عزيزاً فيها ،

ولكن النقاد لا يود ان يجعل من كتابه كتاب تعليم بل تاريخاً : الا وهو تاريخ الاسلام بشتى فرقه في القرنين التاسع عشر والعشرين ، اما ما تقوم عليه من احصاءات عنده فيمكن القارئ ذا الالمام بالتاريخ ان يفاد منها لانها تعطيه فكرة عن انتشار الاسلام في العالم .

ومن الواجب الاحتراز عند قراءة فصوله الثلاثة الاولى التي اتخذ فيها المؤلف دور المحامي المدافع ، ومن الواجب ان تتخذ اثباتات المؤلف نقطة فنقطة لننقده على ما جاء به بصدد الزواج وتعداد الزوجات الخ . فالمسيحية كانت منذ وجودها تقول بالزواج الموحّد وهذا ما يبدو ان الكاتب قد جهله ايستند الى وستر مارك الذي يستمد منه نتيجة يودّ ان يجعلها شاملة للمسيحية وذلك هو الخطأ بعينه.. فما احرانا بمعرفة ما نريد ان ننتقده معرفة صحيحة. ا.ع.خ.

مؤتمر الشهداء

بقلم عصبة من الكتاب الاحرار ، مهّد له يوسف ابراهيم يزبك

منشورات جريدة اليوم – بيروت ١٩٥٥ – ١٧٩ صفحة متوسطة

انه عصر برمته وعهد باسره يعود الى الحياة في هذه الصفحات التي يقوم بها الحزن والالم الى جانب عزة النفس والاختيال تيهاً ، فجميع اولئك الشهداء الذين نردد اقوالهم واسماءهم وكانت دماؤهم بذاراً لمجدنا وعزتنا هم ماثلون امام اعيننا اكثر من اي انسان كان وهم يرشدون الابناء وابناء الابناء الى طريق المفاخر الواجب عليهم انتهاجها : كحب الوطن والشجاعة ليدافعوا عنه ببذل الدماء .

واننا لنشكر الاستاذ يوسف ابراهيم يزبك على الرغبة التي اوجدها منذ بضع سنين في افئدة اللبنانيين في تاريخ بلادهم رغبة غدونا معها بدرجة لا نستطيع ان ندير الظهر الى تاريخنا . ا.ع.خ.

The evolution of public responsability in the middle East. — Publisched by the Middle East Institute. Washington, D.C. 1955 — 118 pp.

انشئ معهد الشرق الاوسط في واشنطون سنة ١٩٤٦ وغايته التعرّف بالشرق الادنى الحديث فهو يقيم المحاضرات عن اوضاع الشرق الادنى الحديث

ومشكلاته وذلك فضلًا عن الصحف الدورية المهمة التي يصدرها « كجريدة الشرق الاوسط » والتقرير عن الشرق الاوسط .

ولقد جمعت سلسلة هذه المحاضرات في كتاب عنوانه تطور المسؤولية العامة في الشرق الأوسط (*The evolution of public responsability in the Middle East*)

وانه لمن الصعب ترجمة كلمة (public responsability) لانها تتناول اوضاعاً شتى فهي تشير الى الاهمية التي يعلقها الاهلون على الشؤون السياسية وتتناول امر تنبههم للحس الوطني واستشعارهم لحقوقهم وواجباتهم كالشعور بالمصلحة العامة لدى الحاكين ، ولا ريب في ان الامر هنا يتناول بلدان الشرق الادنى التي وصلت جميعها الى الحكم الذاتي او هي في طريق الوصول اليه كما يتناول ظاهرة جديرة كل الجدارة باعارتها الانتباه لانها تتحكم بمستقبل هذه البلدان .

والمحاضرة الاولى التي القاها ت . كويلر يونغ (T. Cuyler Yong) كان موضوعها : الشرق الادنى كما يراه الاميركيون ، وقد جال فيها جولة سياسية مالية في جو الشرق الاوسط ، فبحث اولًا تقدم الشعور بالمسؤولية في هذه البلدان حيال العالم الحرّ ومن ثم المجهودات المبذولة في تركية وايران والعراق لايجاد الحلول الحيّة لقضايا الاحتكاك بالغرب كقضية « قناة السويس مثلًا » ولتذليل العقبات التي تصادفها اميركة لكي تتبنّى سياسة مقرّرة في الشرق الاوسط وتؤمن مسؤولياتها فيه كحكَم او كمساعد ، ومن ثم بحث بعد ذلك ما قطعته تركية ومصر وايران والعراق من اشواط في التقدم باستشعارها مسؤوليات الحكومات حيال شعوبها وحيال المصلحة العامة .

واستعرض السيد انور علي بعدئذٍ وجهة نظر بلدان الشرق الاوسط في الوضع الحاضر مبيّناً اهمية هذه المناطق الستراتيجية وكيف اتفق قيام شعور العداء فيها للسيطرة الاجنبية واوضح تيقظها الوطني وتجددها الاجتماعي بقوله : ان سبب عدم الاستقرار في هذه المناطق سيظل العاملان فيه استمرار ضغط التنظيم الاقطاعي او القبلي واستياء الجماهير المتفشية فيها الامية ، ومن ثم تصدى المحاضر الى استعراض موارد الشرق الادنى ـ كالزراعة والبترول واليد العاملة والى المجهودات المبذولة في تركية ومصر والعراق بسبيل انعاش الانماء الاقتصادي وادخال الاصلاح على ملكية العقارات ـ مشيراً الى الحاجة الى رأس مال والى

التقرر الدولي ودلل على النقاط التي برنامج انعاش زراعي واقتصادي يقوم بها الاعتدال ان يرمى اليها .

ودرس السيد بادو (Badeau) امر الاستقرار بين حكومات الشرق الادنى . وقال ان السبب الاول في عدم استقرارها كان اصطدام الرغائب فيها بالاستقلال التام بالاحتلال العسكري لهذه المناطق ذات الاهمية الستراتيجية احتلالاً اقتضته الحرب العالمية الثانية ، اما السبب الثاني فتأتى عن نقصان تنظيم جماهيرها تنظيماً سياسياً لتظل شديدة الجهل للقضايا السياسية وللروح العامة ولتبقى سهلة اثارتها ، واوضح ما يقوم من صعوبات لرفع مستوى التعليم ولاقرار الاصلاحات الاجتماعية الضرورية فيها .

وعالج السيد جورج لنكزونسكي (M. Georges Lenczonski) هذه القضية نفسها وانما بشكل اخر : اي عما اتفق من امر تصنيع موارد البلاد الطبيعية وغزوها مشيراً الى تغيير تكوينها الاجتماعي والى الشؤون الاجتماعية الناجمة عن ذلك والى ما لها من خطورة . ومن ثم الى الامور السياسية الخارجية التي اوجدتها ضرورة تأمين المساعدات المالية والصناعية ومن ثم بحث السيد محمد كبير لودين (Mohammad Kabir Ludin) بحثاً خاصاً حالة الافغانستان وبحث دون برتز (Don Peretz) وضع اسرائيل والسيد كاظم كولك (Kasim Kulek) وضع تركية .

ومحاضرة السيد ستيفن دورسي (Stephen Dorsey) بصدد استياء الفلاحين والطبقات العاملة استياء اجتماعياً وما يثيرونه من شؤون هي محاضرة شيقة . اما السيد الفرد كارلتون (Alfort Carleton) فتحدث عن العمل الثقافي المتبادل وعن المسؤولية العامة .

وليست محاضرتا السيد ج. ف. الن (G. V. Allen) والكولونيل تاكسيس (Taxis) الاخيرتان الاولى حول دور الولايات المتحدة والثانية حول السلامة الاقليمية والعالمية باقل اهمية .

وحري ان يطلع على هذه البيانات المتتالية التي جاء بها رجال اختصاصيون عن فهم عميق ونظر بعيد جميع من يريدون فهم مشكلات الشرق الادنى الحالية ويرغبون في استنباط المستقبل منها . ا . ك .

تاريخ وادب

الصابئون في حاضرهم وماضيهم

بقلم عبد الرازق الحسني

مطبعة العرفان – صيدا ١٩٥٥ ، ١٢٩ صفحة ، قطع كبير

لا مندوحة لنا عن شكر المؤلف على الدراسة التي اتحفنا بها عن الصابئة فيغتبط جدّ الاغتباط اللاهوتي والمؤرخ الديني اذا ما عثرا على دراسة غنية بالمستندات ومبتكرة احياناً لتزودنا بمعلومات جديدة لان المراجع على الصابئة صعب الفوز بها .

وعلى الرغم من ندرة هذه المستندات فقد اغترف المؤلف من مراجع جمة وعرف ان يبوّب موضوعه ليقدمه لنا دراسة بسيطة واضحة في خطوطها الرئيسية .

ويشتمل هذا الكتاب على فصول ستة : الصابئة في الامس واليوم ومعتقدات الصابئة وكتبها المقدسة وعلماؤها ونبيها واستعرض المؤلف في الصفحات التي تلت هذه الاقسام بعض شعائر الصابئة كالصوم والصلاة و«المعمودية» والزواج والاعياد والموت ومراسم دفن الموتى .

ولو حاول المصنف الاتيان ببعض المقارنات بين الاديان التي استحدث منها الصابئة معتقداتها لربما كان ابلغ تشويقاً لقرائه كما فعل من وقت الى آخر بدون تعليق مخطئ .

ولا يسعنا الا ان نشكره على دراسته ، تحدونا الرغبة الى ابراز مثل هذه المصنفات التاريخية باخلاص بعيد عن التحيز وبصورة موضوعية علمية لشتى المعتقدات .

ذكريات

بقلم لطفي بك الحفار

مجلدان ، نشرها وجيه بيضون ١٩٥٤ ، دمشق ، ٢٩٥–٣٩٩ صفحة قطع كبير

هي خمسون سنة يقضيها في حياة عملية في مختلف المضامير القومية والوطنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وها هي ذي بين ايدينا مجموعة الخطب

والمقالات التي نقلها السيد الطفي حقار ونشرها في مختلف الصحف وهي تعطينا فكرة حقيقية عما بذله رجل الدولة من نشاط عظيم في سبيل مصلحة بلاده بدون ان ينشد مكافأة سوى ارتياح وجدانه الى الجهد الذي قام به بكل ارادته وبنفس سخية لخدمة الصالح العام .

وان وجه لطفي الحفار لمن احب الوجوه فهو الذي كان زعيماً بما لهذه الكلمة من معنى فقد اوتي بعد النظر وهو تكلم ويأمر . وكان محبوباً ومتبوعاً وحقق حاجات بلاده وحرص على حلها على خير ما يمكن ودرب الكثيرين من اولي النيات الطيبة الخائفة الرجلة وحملهم على ان يتأثروا خطاه المنتجة في سبيل الدولة .

أدو الزعيم، فقد كان لطفي الحفار زعيماً ومفكرًا جعل دأبه التفكير قبل الكلام ، فان الحوادث التي مرّ بها قد تطلبت منه تفكيراً ناضجاً وعملاً شاقاً يشكر عليه، وما هي دي خطبه في شتى الموضوعات تعكس فكر من وقعه بنفسه واقتنع بما يقوله وفكر المقتنع بدوره كهادٍ ومدرّب عليه ان ينير معالم طريق حافل بالمكائد امام رفاقه في الجهاد فكان لا بدّ له قبل كل امر من ان يفكر .

ونحن نشكر الناشر الذي لم يخفِ اعجابه واخلاصه بشخص لطفي الحفار الذي يستحق ذلك كل الاستحقاق .

في قصور الخلفاء العباسيين

بقلم الدكتور احمد شلبي

القاهرة ١٩٥٤ ، ٢٤٤ صفحة – قطع كبير

ليست المصنفات التي تبحث العهود العباسية بنادرة كما توضح ذلك كل الايضاح اسماء الكتب التي استشهد بها المؤلف بيد انه اذا وجدنا دراسات تاريخية لعهد ازدهار الثقافة والحياة الاجتماعية في العصور العباسية فاننا لا نعثر على دراسة نفسية تبين بعض اوضاع الخلفاء. ورجال حاشيتهم او اوضاع الادب وان الولوج في نفسية عصر من العصور ومحاولة التحقيق عن العوامل التي افضت الى ازدهار الناحية الفلانية او الناحية الفلانية الاخرى فانها يوضحان سبب قيام وضع من تلك الاوضاع وانها الرغبة في حمل النفس على تكلفها الجهد ولكنها يؤديان الى ادراك الاحداث التاريخية ادراكاً اتمّ .

ولقد درس مؤلف هذا الكتاب الذي لم يتفرد بطابعه تفردًا كبيرًا في فصوله الاربعة البينة العامة التي اتسع فيها تاريخ العهد العباسي ودرس المؤامرات التي حيكت في قصور الخلفاء. وما مثله فيهما من دور الربيع بن يونس وابنه واخيرا جاء بدراسة نفسية لذلك العهد فكان هذا الفصل الدراسة الوحيدة الاشد تفردًا بطابعها والدراسة العميقة التي ادت بالمؤلف الى توكيد نفوذ الربيع وابنه نفوذًا خارقًا للعادة ليحطم الامبراطورية ويسبب اهلاك عدد كبير من معاصريه الذي كان يوجس من نفوذهم شرًا .

ولئن كان هذا المصنف غير متفرد تفردًا كبيرًا بجدة موضوعاته فانه لا يخلو من ذكر البواعث الاساسية التي جرأ الكاتب على العودة الى مصادرها الاولية مستوحيًا منها .

وجدير ان يُحتذى بهذه الدراسة من وجهات نظر عدة ، فاننا شبعنا من دراسات تاريخ تلك العصور الاسلامية دراسات تذكر لنا الحوادث ليس الا فمن الواجب ان يجدد بعض التجديد الذين يودون الكتابة في هذا التاريخ وان ينصرفوا الى الناحية النفسية ، فان التقدم العلمي في ايامنا سيخولنا الانصراف الى دراسة الماضي دراسة معمقة وجذابة . ا. ع. خ.

شرح لزوم ما لا يلزم لابي العلاء المعري

بقلم الدكتور طه حسين وابراهيم الانباري

الجزء الاول – مطبعة دار المعارف – ٣٩٠ صفحة ، قطع كبير

انه لعمل جبّار التعليق على كتاب ابي العلاء المعري الكبير هذا ، انه لعمل طويل وشاق لانه عندما يخيل الينا اننا عثرنا على المعنى الحقيقي لاحد اللزوميات نصادف عقبات لغوية كبيرة جدًا بيد ان الدكتور طه حسين قد ألمع في نهاية المقدمة التي مهّد بها لهذه الطبعة الى ان التفسير المسهب لشعر ابي العلاء المعري والمسهب احيانًا بدون جدوى انه ليس من وضعه بل هو من تفسير ابراهيم الانباري غير انه يتحمل معه كل تبعة ، اجل انه لأتى جميل ان تساهم طائفة من الزملاء في احد الاعمال وان يغمر واحدهم اسم زميله بما له من شهرة كبيرة لكنّ ذلك لا يحول دون النقدة ليلقوا نظرة جدية على مجموعة الكتاب نظرة متواصلة .

واذا ما قلبنا صفحات هذا الشرح الطويل لهذه الطبعة نرى ان الرغبة تحدونا الى تدوين جميع ملحوظات الشارح التي يقتضي لها تدورها شرح او تصحيح مما يفضي بنا على هذه الشاكلة ربما الى كتابة مجلد برأسه لكن هدفنا لا يتوخى هذا الامر وان كان في الكتاب بعض الامور الشيقة ولذلك سنأتي ببعض الملحوظات فقط .

راجع في الصفحة ٣٥ « كلمة القلوص » : فهل كانت الضرورة تقتضي كل هذا الشرح المعقد الصعب لامر سهل جد السهولة .

وانظر في الصفحة ٥٠ كلمة إضم : فيفرها : ما بين فلة واليامة ان المؤلف ليس لديه شعور بالمسافة وان كلمة بين هي غامضة كل الغموض لانه لاجتياز المسافة بين فلة واليامة لا بد من ايام عدة .

وراجع في الصفحة ٧٠ حيث رأى الشارح كلمة النُّوَب هي جمع نادر لنائبة مع كونها هي الجمع العادي لنوبة . وارجع الى الصفحة ٩٠ فلماذا خصَّ الشارح كلمة السُّوَام بالجمال وهي تنطبق على جميع ضروب الحيوان .

وهناك اغلاط عدة تبتغي الاشارة اليها وجملة ايضاحات لا بد منها ، فراجع ايضاً الصفحة ٢٢٦ ترَ الشعر التالي :

وتختلف الانسُ في شأنها ... وأجدَ بن باع ممّن شرى

فان الهاء في شأنها تعود الى الانس لا للحياة كما يقول الشارح ومعناه أن الناس شؤونهم .

. ويسنا ان نشير الى عدة فقرات اخرى كان على الشارح ان يكون اشد انتباهاً فيها لشروحه اللغوية ، واننا لنأمل ان يتحفنا الكاتب الثاني وطريقة فضلى في التحليل والشرح . ا. ع. خ.

تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي

بقلم ادوار جرانفيل براون

نقله الى العربية الدكتور ابراهيم امين الشواربي ، ١٩٥٤ ، مطبعة جامعة كمبردج

٧٥٠ صفحة ، قطع كبير

لا نستطيع في البدء الا تهنئة المترجم على جرأته وصيابة فكرته لترجمة

هذه الموسوعة من الادب الفارسي التي لا تحتاج قيمتها الى التعريف بها لان السنوات الطويلة التي استغرقها المؤلف في وضع هذا السفر الكبير والدقة التي تنم عنها جميع صفحاتها والادباء الزاخرة معارفهم الذين درس حياتهم واعطى فكرة عن مؤلفاتهم والمقارنات التي اقامها بين بعض ميزات اولئك الادباء المختلفة كل ذلك قد جعل قيمة جديرة بالتقدير لهذه الدراسة .

واذ استغرق المؤلف براون سنين طويلة في دراسة اللغة الفارسية التي عكف على اقتباسها منذ حداثته فذلك ما يفيد انه عرف ان يلج في اعماق الادباء وان يحيا معهم وان يستنبط من وراء مآثرهم ولا سيما من وراء قصائدهم الروح التي اوحتها اليهم ، وعلى الجملة اننا لا نستشف من الفصول القسمة التي ينقسم اليها الكتاب المعارف الواسعة جد الاتساع فقط بل نزعته الى استجلاء اسرار الادباء الذين كانوا موضوع دراسته .

ولئن جئنا اتفاقاً على ذكر « تقديره لرباعيات الخيام » في فصله الرابع « ودراسته للعطار » في فصله التاسع وعلى غير ذلك من البحوث فاننا لنرى من خلالها نفس المؤلف براون ذاتها .

وتشير الاحكام التي حكم بها المؤلف على كل من هؤلاء الادباء الى معرفته العميقة بهم ، وربما وددنا لو كان استزاد من تقديراته لهم لنتمكن من مواصلة الدراسات والبحوث بدون ان نخشى زلة القدم ، اما اذا رغبنا الى المؤلف الذي اتخذ على عاتقه الخوض في هذا البحث الواسع في الادب الفارسي ان يذكر لنا المخطوطات المهمة التي لم تطبع فلكون طبعها يؤدي الى اسداء خدمات جلى لتقدم العلم .

ونحن لا نضمر للمؤلف المآخذ عليه وقد كان بمقدوره انجاز كتابه من هذه الناحية وانما نرغب اليه اذا ما اراد اعادة طبعه ان يكمله في هذا الاتجاه وان لم يستطع فليتفضل وهو الاختصاصي بالادب الايراني ان يضاعف معلوماتنا بصدد المخطوطات التي لم تطبع بعد ولا سيما مخطوطات كبار المؤلفين .

ا. ع. خ.

خراجات الفكين والوجه والعنق ذات المنشأ السني

بقلم الدكتور جورج ا. لقيس

دار المكشوف ، بيروت — ١٩٥٤ ، ١٥٢ صفحة ، قطع صغير

ليست اطروحة الطبيب جورج لقيس لاحراز الدكتوره والتي تبحث في خراجات الفكين والفم والعنق (خراجات الفكين) كتاباً مفيداً من الوجهة الطبية العامة فقط بل هي مفيدة من الناحية اللغوية ايضاً .

ويطيب لي ان الفت النظر الى هذا الامر ولا سيما وقد عدت النزعة القائمة اليوم ميالة الى البحث عن المخطوطات القديمة التي تعنى بالشؤون الطبية لا ليعودوا الى التفتيش عما كان القدماء يستخدمونه من ادوية لمعالجة الامراض المختلفة بل لايجاد العبارات التي كانوا يستعملونها في الشأن الفلاني او الشأن الآخر.

ولا سبيل للريب في ان الدكتور لقيس الذي ذيل اطروحته بثبت لاهم العبارات مع ترجمتها قد ادى خدمة جلى للغة الطب الفنية .

ونحن لا يسعنا الا شكر دار المكشوف على اتحافنا بمثل هذه الدراسات التي تستوجب التقدير ، كما اننا كنا نودّ لو ان المؤلف الحق بكتابه فهرس مواده .

ا. ع. خ

الدوحة العمشيتية

بقلم اديب بك لحود

تاريخ افراد عيال عمشيت الثلاث عيد وكلاب كرم — بيروت ١٩٥٥ ، ٤١٤ صفحة ، قطع كبير

ما تاريخ امة من الامم الا تاريخ العيال التي تكونها على مر القرون والاجيال ، فقد اتفق لبعضهم ان وضع تاريخ عيال بعض المناطق فكان توفيقهم في ذلك متبايناً ، فمنذ ثلاث سنين نشر المأسوف عليه الاب بشعلاني نهجاً لدراسة العيال المرتبط اسمها باسم لبنان ارتباطاً وثيقاً لكن المنية عاجلته ، اما الآن فها هوذا اديب بك لحود يسد هذه الثلمة ويدرس تاريخ منطقة عمشيت بعيالها الثلاث : آل عيد وآل الكلاب وآل كرم دراسة مستوفاة ملقياً نظرة عامة على هذه المنطقة من الوجهتين الجغرافية والتاريخية فرافقه التوفيق بان اوضح

فكرة عامة عن صناعة الخزف وتاريخها في عدد قليل من صفحات .

وسنعود الى هذه الدراسة والى ما شاكلها من دراسات لنجد آثار الماضي ومخلفاته .

ا. ع. خ

Guglielmo de Vries S. J. — *Oriente cristiano ieri e oggi* — *Edizione della Civiltà Cattolica* — *s. d.* 400 pp.

انه الكتاب الذي لخص فيه المؤلف تاريخ الطوائف فرغب فيه مؤلفه ان يعطي في صفحات خاطفة مجموعة من المعلومات التاريخيــة واللاهوتية حول الطوائف الشرقية المتعددة واننا سنقع في هذه الصفحــات على اقوال لا بد من العودة جدياً الى اصلاح خطاها لانهــا احكام متسرعة كما اننا لا نقوى على كتمان اسفنا حول بعض اراء اخرى سريعة تحدث فيها المؤلف مرتين على الموارنة استند في اولها الى جرمانوس القسطنطيني والى شابو (عدو الموارنة الالد) ويؤكد ان الموارنة قد ابتعدوا عن الكنيسة الكاثوليكية ليعود من ثم عن رأيه فيقول : ربما كانت « هرطقتهم » مادية فقط. اما في الفقرة الثانية فقد ايد المؤلف قوله بان « هرطقة » الموارنة هي حادث تاريخي ثابت .

فكيف اتفق للمؤلف ان لا يشير الى المستندات الرومانية مستنــدات الكنيسة التي تحفظ ذكر انشقاق الموارنة وارتدادهم وهي المستنــدات التي لا يمكن ان تطمس ، فهل صعب عليه كل الصعوبة ان يعود الى هذه المستندات ، ولئن اكد الكاتب ان الموارنة قد ابتعدوا « مع بطريركهم واساقفتهم عن رومة وانهم قد عادوا اليها أفليس لهذا الامر اهمية كافية لكي تحتفظ الكنيسة الرومانية القابضة على زمام الحقيقة بذكره . ومن هو غليوم الصوري وما هي اهميته ليستند اليه المؤلف ويقول ان انشقاق الموارنة هو امر واقعي ، لقد دون المؤلف واقعاً طبعاً فما هو اذاً هذا الواقع ؟ وما هي قيمــة رجوع المؤلف عن رأيه اذا كنا نعلم ان رومة تسجل الحوادث الدينية بكل اهتمام وعناية . اما اذا تساءل في الفقرة الثالثة عندما يتحدث عن لبنان ليقول ان عدد سكانه لا يبلغ المليون وان سورية لا يناهز عدد سكانها الثلاثــة ملايين فلست ادري الى اية احصاءات قد استند لان لبنان يربو عدد سكانه عن المليون وسورية على الثلاثة ملايين .

وانا رغبت في الوقوف عند هذه النقاط لا لاقلل من قيمة هـذا المصنف المفيد من نواح اخرى بل لالفت الانتباه الى السرعة التي وضعه بها صاحبه.

ولقد وقفنا على بعض الامور غير الصحيحة بين جملة احكامه الاكيدة المدعمة بالحجج ومنها ما هو له اهميته .

ولا شك في ان هذا الكتاب هو عرض لنظرة عامة كان من الواجب التعمق فيها بالمراجع التي جاء على ذكرها في آخر كل فصل من فصوله ا.ع.خ

S. D. Goitein : *Jews and Arabs, their contacts through the ages*. *Schocken Books, N. Y.* — 1955, XIII — 257 pp.

هو مصنف يتابع بحث علاقات اليهود بالعرب على مر التاريخ في شتى المضامير الثقافية والاجتماعية والفكرية .

ولا ريب في ان وضع هذا الكتاب قد اقتضى صاحبه الكثير من الجلد والبحث . اما ما ساورني من خوف عندما شرعت بمطالعته فقد تجلى امامي في محله ، لان المؤلف على رغم كونه من المستشرقين اللامعين ومن اساتذة الجامعة العبرية في القدس لم يكن بمقدوره مع انه من العلماء ان يتخلى عن فكرته الحزبية كما يتضح ذلك صراحة من فصله الاول : « اسطورة العرق السامي الدينية » . اما الفصول الاخرى التي تعرّف ما تمثله « التقاليد اليهودية في الاسلام ووضع اليهود الحالي المشروع» فاذا كانت اشد موضوعية فانها لم تدع مجالاً من وقت الى آخر الّا لاظهار حدّة التحيّز ، وفي رأيي ان الفصول التي عالجت الشعر والتصوّف والادب الشعبي والفن هي اهم فصول الكتاب .

ومن الواضح انه من الصعب الاقلاع عن التحيز اذا ما كتب المرء تحت تأثير الحوادث ، هذا هو كتاب السيد غواتين (Goitein) الذي نثني عليه لما جعل لمستنداته من قوة ، وما ذلك الّا عن عقيدة بيد اننا كنا نودّ ان يكون اشد هدوءا .

ا. ع. خ

المشرق

السنة الخمسون
ايار – حزيران ١٩٥٦

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملطي (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

وفي هذا الزمان تحرّش الاخوان ابنـا الشيخ عدي الذي يعتبره اكراد الموصل بمثابة نبيّ . وكان احدهما قد اقترن بابنة مغوليّة فتخوّف اخوه ونقل ذويه وهم زهاء اربعمائة نسمة وانهزم الى سوريّة في غنمه وبقره وخيله . وملك الرعب جميع المسيحيّين وخافوا ان ينبهم بروره ويقتلهم . لكنه مرّ بهم ولم يؤذهم . وبعد سفره اقبل بعض اللصوص وحاصروا قريـة طكشور ببلد نينوى . وقاومهم القرويون وقتلوا منهم عشرةً وقتل من اهل القريـة خمسة رجال وخطف اللصوص سبع فتيات وثلاث فتيان .

ويوم الخميس ٣ تشرين الاول ١٥٨٧ لليونان (١٢٧٦ م) حدثت زلزلة عنيفة في مدينة اركسيطيا وهي ارغيش . فهبطت اسوارهـا القويّة وجميع ابنيتها

وهلك اغلب سكانها . وحدثت زلزلة كذلك في خلاط وقعها في الساعة التاسعة وأخربت بعضها ولم تكن قوية كزلزلة ارغيش .

وفي تلك الايام خرجت قافلة كبيرة من التجار النصارى من قيليقية الى بلد الروم فوثب اليها ثلاثمائة فارس من التركمان واجهزوا على ثمانين منهم من مشاهير التجار النصارى قرب مدينة هرقلية ونهبوا جميع بضائعهم . وكان مع احدهم وهو من اسرة عيسى بن الحصيري مائة وعشرون الف دينار صوري ولم يفلت من القافلة سوى اربعة جمال عربية .

وفي شتاء هذه السنة احتشد زهاء سبع ربوات من الجيش التتري وساروا الى قلعة البيرة ليحاصروها فامتنعت عليهم بسبب هبوط الثلج المتراكم والبرد الشديد (٥٣٣) وظل الكثيرون منهم دون خيل فعادوا راجلين دون جدوى . وكان على راسهم القائد اباتي نوين الكبير فلما وصل الى آثور ادركه مرض عضال .

وعلى اثر عودة التتر هؤلاء استجمع التركمان قواهم واحتشدوا وتبعهم نحو الف خيال من المصريين وزحفوا الى ناحية مرعش يريدون الوصول الى قيليقية المذبة . فشعر الملك لاون وحشد جنوده الارمن وولى قيادتهم عمه البارون سيمباط القنطسطبل وغيره من الزعماء . فزحفوا نحو مرعش ليحاربوا التركمان يوم الجمعة من الاسبوع الثالث من الصوم الاربعيني فقتل سيمباط المذكور في اليوم عينه وقتل معه صاحب كريغاج وثلاثة عشر من المشاهير وثلاثمائة فارس . وسقط من الاتراك كذلك جمهور غفير وانقلبوا راجعين وتعذر عليهم دخول البلد .

وقبل هذه الحوادث اعني في الاسبوع الاول من الصوم يوم الاربعاء ١٩ شباط ١٥٨٧ لليونان (١٢٧٦ م) هبت عاصفة شديدة في الموصل واربيل واطرافها وانتشر رمل احمر كثير حتى حجب الجو ولم يشاهد الرجل صاحبه منذ الساعة الثالثة حتى التاسعة . فبلغ الناس هلعاً شديداً وظنوا ان الطوفان الهوائي او الزلزال الارضي سيفنيهم كما أفنى اهالي ارغيش . فخرجوا الى البرية وباتوا فيها . ولما خمدت الريح عادوا الى بيوتهم ، وقد هبت كذلك زوبع عاصفة يوم احد الموتى السابق لاحد مدخل الصوم ولكنها لم تكن شديدة .

وفي تلك الغضون انتوى بيشار قائد حصن زياد اللئيم الخبيث سفاك الدماء ان ينهزم الى مصر وهو شيخ بالغ المائة من سنيه . وكانه حاقداً على سركيس

اسقف الارمن في ارزنجان لانه كان ذا حظوة لدى الملوك المغوليين . فافتكر هذا اللئيم ان يفتك به قبل ان يذهب الى مصر . فسار مع بعض اصحابه (٥٣٤) الى تلك المدينة وبلغه ان الاسقف يحتفل في احد ديورته بعيد الثمانين فترصده في الطريق . ولمّا عزل ذلك الاسقف ليعود الى المدينة يوم الاثنين من اسبوع الآلام وكان ابنه الجليل كذلك معه قال له : يا ابني اذهب انت الى المدينة لاني اريد الذهاب لاتنزه في القرية الفلانية وادشن فيها الكنيسة الجديدة . فاذهب اذن ولا تتأخر ولمّا افترقا اقبل ثلاثة فرسان اتراك ولاقوا الاسقف فانحدروا وقبلوا يده وقالوا له : ان قد وصل سفير يطلبك ويطلب ابنك ليقرأ الفرمان الذي معه . فقال لهم الاسقف : ان ابني قد سار الى القرية الفلانية اما انا فحينذا قادم . وما ساروا الّا القليل حتى ادركهم مائتا فارس تركي وانصبّوا على الاسقف وعلى ثلاثين من القسان والرهبان والشمامسة وغيرهم ممن معه وفلقوا هامته ومضوا بها وانقلبوا الى القرية واحاطوا بالكنيسة التي كان فيها ابنه ودخلوها ولم يجدوه وكان قد اختفى في كومة قش هناك . ولمّا عزلوا على الرجوع قال احد اولئك الظالمة الجناة يجب ان نحرق هذا القش اولاً ثم نرحل فاضرم فيه النار وخرج ذلك المقدور فقال له الاتراك : اين هو ابوك ؟ فقال : قد دخل المدينة . فالقوا امامه هامة والده وما كاد يبصرها حتى جعل يولول ويبكي وهو منحنٍ فوقها فاجهزوا عليه كذلك وقطعوه قطعاً قطعاً . وبعد هذا سار بيبار الخبيث في بنيه وعسكره الى مصر .

اما بروانة مدبر مملكة بلد الروم فخاف ان يظن المغول بانه محالف للمصريين فاخذ ابنة السلطان ركن الدين ومضى بها الى خدمة ملك الملوك وقال له : بلغني ان المصري مستعد ليأتي ويخطفها ولهذا (٥٣٥) بادرت فاحضرتها . فشكره التتر على ذلك . ثم قال لهم : ان ابن الخطير احد امرائنا يريد ان ياخذ الفتى غياث الدين صاحب بلد الروم وينهزم الى مصر . فأعطوني جنداً لاذهب سريعاً واقبض عليه . فسار معه توتغرتاي اخو ملك الملوك وشاهدوا ابن الخطير والفتى في بقعة اياستين منهزمين الى سورية . ففتك الامير بابن الخطير وسلم الفتى الى بروانة فأجلسه على عرش ابيه . وهكذا حظي بروانة لدى التتر فاحبّوه حبّاً جمّاً بسبب ما ابدى لهم من الوداد والولاء .

وفي هذا الزمان وافى اعلم الدين يعقوب التاجر النصراني الكبير من زيارة قوبلاي خان الكبير . وأصله من برقوطة قريسة باربيل . ولما كان مسافراً ادركته المنون بارض خراسان . وكان بصحبته السفير اشموط وكان رجلا عظيماً مكرماً لدى الايغوريين سائراً سيرة الرهبان . فهذا مضى ببنائه الى خدمة اباقا ملك الملوك فاستقبله استقبالا حسنا ثم نصب معمودا المذكور والياً على الموصل واربيل وتولى تدبيره اشموط .

وفي السنة ١٥٨٧ لليونان (١٢٧٦ م) انهزم ابن الشيخ عدي الثاني من بلد الموصل الى مصر ومعه امرأته التترية .

وفي السنة ١٥٨٨ لليونان (١٢٧٧ م) نوى البندقدار صاحب مصر الشخوص بذاته الى بلد الروم . وقد اشار اليه في ذلك بيشار الشيخ والامراء الذين انهزموا اليه . وما ان شعر لاون ملك قيليقية حتى بعث فاخبر زعماء التتر ليكونوا على بصيرة من الامر . لما بروانة قلب بغضه لملك الارمن او لعدم استقامته مع التتر صرح لهم بان لاون غير صادق في كلامه . اما ملك الارمن فلم يصطبر بل سار الى قلعة الدباب المجاورة (٥٣٦) للتتر . وجعل يرسل الوفود يومياً اليهم ويقول لهم : انهضوا من غفلتكم وتحذروا فان المصري قادم في جيش ضخم . كان بروانة كعادته يكذب الملك ويزيف قوله مدعياً بانه يروم التحبب اليهم لا غير . وهذا ما حملهم على الاغماض عن قوله . وكان بروانة يولم لهم كل يوم وليمة ويسكرهم حتى يوم الجمعة ١٦ نيسان ١٥٨٨ لليونان (١٢٧٧ م) فانصب المصريون عليهم وشاهدوهم سكرى مضطربين لا يكاد يقدر الواحد منهم ان يركب حصانه . وبما ان شريعتهم لا تبيح لهم ان ينهزموا دون ان يلاقوا العدو فقد ناوشوا المصريين وانكسروا وقتل في تلك المعركة زعيمان تتريان احدهما طوغو وثانيهما توزان بهادر البطل . وكان مع التتر ثلاثة آلاف من الكرج فوقفوا يحاربون وقتل منهم الفان وتخلف الف واحد . وقتل من المصريين خلق كثير . ومن المغول خمسة آلاف . اما بروانة فلما رأى انكسار التتر هرب مع السلطان الى قلعة دوقية . وسار البندقدار صاحب مصر وخيم بجانب قيسارية في موضع يقال له كيقوباد وبقي هناك خمسة عشر يوماً . ودخل قيسارية يوماً وجلس على عرش السلطان ولم يؤذ احداً وانما كان

جنوده يشترون ما يلزمهم مشترى حتى العلف لدوابهم . وكان يقول لهم : ما جئت لاخرب البلد لكن لافك صاحبه من عبودية التتر . واما اباقا ملك الملوك فحينما وصلت اليه الاخبار جمع العساكر وقصد التوجه بنفسه الى بلد الروم . ولما عرف البندقدار انه لا يمكنه مقاومته ارتحل عن بلد الروم واخذ معه العجوز ام بروانة (٦٣٧) وابنه الكبير صهر ملك الارمن . وعند خروجه اجهز على نصارى مدينة رومان اذ قيل له ان التتر يستعينون باهاليها عند قدومهم الى سورية .

ولما وصل ملك الملوك الى بلد الروم لم يشاهد احداً من المصريين وانما شاهد التركمان منهزمين الى سورية فاغار عليهم وفتك بهم وسبى اهلهم . وساق الطمع بعض التتر فقتلوا وسبوا ونهبوا الكثيرين من المسيحيين مع ان الخان سبق فامرهم ان لا يتعدوا عليهم . وكان اولئك النصارى قد اخفوا لديهم كثيرين من التتر المنهزمين من وجه المصريين وقدموا لهم الطعام، على ان الخان رفع كتاباً الى احد الرهبان وامره ان يطوف المعسكر ويبحث عن الاسرى النصارى ويعتقهم . وظلوا على ذلك حتى جال ملك الملوك جبال قبدوقية وعاد الى اقشا دربند ثانيةً .

ولما قدم بروانة الى ملك الملوك ظل يتحفى به ويكرمه ثم اخذه معه كأنه يريد ان يشاوره في مسئلة بلد الروم وكم يلزم ذلك من الجند وكم من الفرق ينبغي ان تبقى هناك لمقاومة المصريين اذا زحفوا ثانيةً . ولما وصل الخان الى جبل الاطاغ بارمينية أولم وليمة لبروانة وسقاه كثيراً من لبن الخيل لانه ما كان يشرب خمراً ولما خرج ليريق مائه اشار اباقا الى حاملي الاسلحة فقطعوه تطعاً قطعاً يوم الاثنين ٢ آب من السنة المذكورة وهي السنة ٦٧٥ للعرب (١٢٧٦ م) وهكذا قتل مثلما قتل هو السلطان ركن الدين . وصح فيه القول : ان القاتل يقتل ولا يحسب دمه . قيل ان التتر لما جردوا عليه السيوف لم يجزع ولم يراع بل جعل يشتمهم ويقول : أهذا جزائي منكم وجزاء كل (٥٣٨) من يحبكم ؟

اما البندقدار فقبل وصوله الى دمشق ادركه قضاء الله العلي قرب حماة وعاجلته المنون واضمحلت افكاره الغامضة المتعودة الثورة والخصام. فقد تتطرس

كل التغطرس حتى كاد يقول مع فرعون القديم : ان لي نهر النيل وانا خلقته ! قيل انه في محاربته التتر اصابه سهم في وركه وظلّ النصل اياماً كثيرة ولما اذن للجرّاح ان يُخرجه فارق الحياة . وخلفه ابنه في مصر واقام صاحب حماة مدبّراً لسورية باجمها . وتأكد لنا بعد ذلك ان خازنه خلط سمًّا قتالاً في حليب الخيل وسقاه . وعندما أحسّ الوجع أمر فسقوا الخازن كذلك وماتا كلاهما معاً.

وقد حدث في تلك الحرب ما يستحقّ الذكر وهو ان التتر لما انكسروا وسقط قتلاهم على الارض أمر البندقدار اخا ابن الخطير الصغير وكان منهزماً معه ان يطوف على القتلى ويبحث عمن فيهم من المشاهير لكي يتباهى به لدى المصريين . وما ان مرّ ذلك الرجل بين القتلى وجعل يقلّب وجوههم ليعرفهم حتى شاهد بينهم تترياً ساقطاً وفيه رمق ينتظر الليل لينهزم . فلمّا رأى التتريّ ابن الخطير يقلّي القتلى غلب على ظنه انه يروم الاجهاز على من لم يمت فاخذ قوسه واخرج سهماً من جعبته وصوبه نحوه بكلّ دقة فأصاب جبينه وانغمس النصل في مخه . وظنّ الذين كانوا معه ان سهماً هبط من السماء عليه فحملوه ومشوا به الى البندقدار فمات لساعته .

ويوم الخميس ١٧ حزيران (٥٣٩) من تلك السنة كمنَ الاكراد الملاعين في جبل الفاف وقبضوا على عشرة رهبان من دير مار متى ونكلوا بهم . وفتكوا باحدهم المدعوّ ماصوتا وباعوا التسعة باربعة آلاف درهم .

وفي السنة ٥٨٩ لليونان (١٢٧٨ م) ارسل الملك لاون فاستدعى ابنته كنّة بروانة اليه لان زوجها نُقل الى مصر كما ذكرنا .

وفي هذه السنة حدث شتاء قاس وبرد شديد في اذربيجان وفي ارمينية الكبرى حتى حدود سقوتيه وهلك خيل اصحاب الخيام وبقرهم وقطيعهم . وقلّ الزاد حتى بيع مائة منٍّ من الحنطة اعني حملاً صغيراً من حمل الحمار باربعين ديناراً ركنياً في موجان .

وفي هذا الشتاء تثبّت الفافا الفارسي الذي عزل المسعود بن قوطي من ولاية الموصل فاستدعى شهود زور شهدوا على اشموط وعلى مسعود ودفع رشوة الى القضاة فحكموا له وقضوا على اولئك النصارى وعزلوهم وملكوا الفافا .

وفي صيف هذه السنة احتشد التركمان والبدو والاكراد الذين في سورية

وزحفوا الى قيليقية ووصلوا الى تل حمدون وعاثوا في تلك الاطراف وغنموا غنائم وافرة وانقلبوا عائدين .

وفي السنة ١٥٩٠ لليونان (١٢٧٩ م) سمعت الملكة قوتاي خاتون الكبيرة ان يحتفل المسيحيون بعيد الدنح (الظهور) ويخرجوا الى النهر ويتبركوا بالماء . وكانت تلك العادة قد أُلغيت بسبب فتنة اثارها العرب . فاقبلت الملكة الى مراغة على رغم البرد القارس وأمرت المسيحيين ان يخرجوا كعادتهم في صلبان معلّقة برؤوس الارماح . ولما خرجوا اتقدتهم النعمة الالهية فاخمدت شدّة البرد واخضرّ العشب (٥٤٠) وانقلب الشتاء ربيعاً مما ابهج المغول جدّاً برعي مواشيهم والنصارى بانتصار ايمانهم .

وفي هذا الشتاء زحف الى بلد شيراز زهاء خمسة آلاف من التتر الخوارج كانوا منهزمين ومختفين في اطراف الهند وقد اتلفوا ذلك البلد وفتكوا بالكثيرين من اهاليه ولكنهم لم يقدروا ان يدخلوا المدينة بل بطشوا بمن خرج لمبارزتهم ولم يفلت منهم الا القليلون . ثم ان قطّاع الطرق في شيراز تصدّوا لاصحاب الاموال وسلبوهم بضائعهم . ولمّا بلغ ذلك ملك الملوك زحف اليهم وادركهم واهلك اغلبهم بحدّ السيف .

وكان في بغداد جنديّ شرّير وقح ناهضٌ بخدمة الحاكم اعتاد ان يفتري على الكثيرين ويفتضّ نساءهم . وكان يستهزئ باقطاب الحكومة على سبيل المزاح وفيما كان الحاكم ذات يوم خارجاً يتصيّد قبض احد الاقطاب على ذلك الجنديّ العاتي ونصب له مشنقة على عجلة وسمّر يديه ورجليه فطافوا به هكذا في شوارع بغداد وثقبوا لسانه بمسلّتين ثم قام احد الشبان وراء العجلة وجعل يكشّ الذباب عن وجهه ويشتمه قائلاً : هذا عقاب من يستهزئ بالاعيان والوجهاء . ثم مضوا به الى نهر دجلة وحزّوا هامته وعلّقوها فوق الجسر واحرقوا جثته بالنار . وقد اتّعظ الكثيرون من الاشرار بهلاكه . وكانوا قد طافوا به ليلاً في الشوارع والمشعوذون ماشين امامه يضربون بالدفوف ويرقصون ساخرين به .

ويوم الجمعة ١٩ ايار من هذه السنة انقضّ الجيش المصريّ على قلعة الروم في تسعة آلاف راكب واربعة آلاف راجل وعلى رأسهم الامير باساري وعلى

رأس الجيش السوريّ حسام الدين العينتابيّ وحلوا عند نهر (٥٤١) فرزمان وأرسلوا سفيرين احدهما عربيّ وثانيهما ارمنيّ وقالا للجاثليق : ان السلطان يأمرك ان تسلّم القلعة بالامان وتذهب برهبانك الى اورشليم وتستقر فيها فيعطيك هناك قرى كافية لحاجتك . والا فاذا أبيت ذلك واحببت الذهاب الى قيليقية فهو مستعدّ ان يبعثكم مكرّمين مع بغال وخيل . واذا تمنّعت ورفضت ذلك فدماء المسيحيين اجمع يطلبها الله سبحانه منك .

اما الجاثليق فقال لهما : اني اكافح حتى الموت ولن اخون الله تعالى والملك. وعند ذاك طاف المصريّون ليلتهم كلها في الحدائق وقطعوا الاشجار وهيأوا السلالم وصوّبوا القتال صباح السبت نحو المدينة وهزموا الارمن المحاربين في السور الجديد الذي ابتنوه . ثم وضعوا السلالم ودخلوا المدينة المذكورة وانتهبوها واحرقوا جميع دورها ولم يجدوا فيها احدًا لان اهاليها قاطبةً كانوا هاربين . وظلوا خمسة ايام ينهبون ويعيثون ويحرقون ثم ارتحلوا عن المدينة واكلوا غلّاتها واكتسحوا كرومها واشجارها وحطموا حجار أرحيتها واقتلعوا قدور حمّاماتها ونقلوها الى حلب .

ولمّا كان المصريون في قلعة الروم ارسل ابن قرمان التركاني من بلد الروم الى صاحب مصر ليوجّه اليه العساكر كي يمهّدوا له السبل للدخول الى سورية اذ كان متخوّفًا من جنود التتر ومن ملك الارمن . فارسل صاحب مصر الى الملك لاون كي يفتح الطريق للامير بياري فيذهب ويحضر ابن قرمان. فوافق الملك بشرط ان لا يمرّوا الا في الاطراف من بلده فاجتزوا طلبة ومرّوا بالجبال واخذوا ابن قرمان من قيسارية وانقلبوا راجعين . وعند عودتهم انتوى الامير بياري ان ينتقض على مولاه فاستحلف العساكر (٥٤٢) ودخل بلد قيليقية واقام خمسة عشر يومًا يسبي وينهب . وقضى عشرة ايام في عين زربة وألحق اضرارًا جسيمة بالاهالي المنهزمين . ولو أطال الاقامة هناك لاحتلّ المدينة . غير ان الله تعالى كفّه عن ذلك . فتوجّه الى دير الباقساط واحرقه باجمه واحرق كذلك دير الربّان قوما ولم يصل الى دير كويخان . وما ان وصل الى سورية حتى انجلت الدسيسة لصاحب مصر ابن البندقدار فبرز حالًا من دمشق وانطلق الى مصر وجعل يحشد الجنود . فتخوّف بياري ومن معه وتفرّقوا شذر مذر

وانهزم وحده الى اورشليم ولاذ برواق سليمن وحلق شعر راسه وادّى لتوبة على ذنبه .

اما ابن البندقدار فلمّا رأى ما وقع من الخلاف بين عساكره توجّه الى قلعة الكرك واستقال من المملكة . فاجتمع الاقطاب وحالفوا اخاه الصغير وبايعوه بعرش مصر ولكنه لم يفلح . لان الامير ألفي انتقض عليه وعزله وملك مكانه .

وفي هذا الصيف انهزم ابن السلطان عزّ الدين صاحب بلد الروم من برقة وتوجّه نحو اباقا فرحّب به ترحيباً حبياً واراد ان يملّكه نصف بلد الروم لكن الاقطاب لم يوافقوه محتجّين بانه ان تمّ ذلك يزداد الخصام بينه وبين ابن عمه . فقرّروا ان يؤدّوا له نصف دخل البلاد دون ان يكون له امرٌ ما . فارتضى بذلك على كرهٍ منه .

وفي السنة ١٥٩١ لليونان(١٢٨٠م) توجه اشموط الامير الايفوريّ ومسعود بن قوطي يريدان اباقا ملك الملوك وعرضا عليه ان القضاة المرسلين مع فافا الفارسي قد ارتشوا (٥٥٣) . فامر ابن اخيه وصهره ان يتوليا القضيّة ويطّلعا على الحقيقة . وظلّا شهرًا كاملًا حتى حكما على الفافا وعلى القضاة الاولين الذين اقرّوا بما اخذوه منه رشوةً . فصدر الامر وفلق رأس الفافا يوم الخميس ٨ آب من السنة المذكورة ونُقل الى الموصل . وتولى مدينتي الموصل واربل حكام مسيحيون كالسابق واشتهروا شهرة واسعة .

وصدر الامر كذلك بقتل جلال الدين توران الفارسي الذي من بلد كوتن لانه دافع عن فافا ولم يردعه عن وقاحته .

وانهزم يومئذٍ الى سورية الامير بدرو الكردي في اهله . وتتبّعه التتر حرّاس الطرق ولم يدركوه . امّا سنقور اشقر وكان في دمشق فلم يرَ ان يتولى ألفي على مصر فحشد الجنود ونازله فانكسر سنقور وانهزم الى رحبوت يريد الامير عيسى البدويّ واتفقا معاً فوجّها سفيرًا الى اباقا ملك الملوك ليرسل الجيوش لمحاربة ألفي . فزحفوا الى سورية وخافهم مسعود ولم يطمئنّ اليهم وانهزم الى قلعة صهيون ولاذ بها . .ووصل التتر الى حلب واجهزوا على كلّ من صادفوه واحرقوا الابنية وانقلبوا . واختفى الكثيرون في المغاور فنجوا من

القتل . وكان قدوم التتر هذا الى سورية في شتاء السنة ١٥٩٢لليونان (١٢٨١ م) يقودهم قونغرتي اخو اباقا الاصغر .

وعلى اثر عودة التتر من حلب احتشد سبعة الاف فارس من المصريين وتوجهوا الى قلعة مرقب (٥٤٤) بساحل البحر . وما ان شعر الاخوة الدواوية اصحاب القلعة بقدومهم حتى برز مائتا فارس وخمسمائة راجل ليلاً وكمنوا في الخاضة القريبة وانحدروا من خيامهم وجعلوا ينصبون خيامهم فوثب اليهم المصريون وفتكوا باغلبهم ولم يفلت الا القليلون منهم .

وفي صيف هذه السنة ثار العجم اصحاب جلال الدين توران ووافقا على مسعود بن قوطي مدعين انه انتهب من خزانة جلال الدين ذهباً وافراً وحجارة كريمة . فقبضوا عليه ونكلوا به تنكيلاً شديداً حتى كتب لهم بخمسين ربوة من الدنانير . اما سُعيدات ابن عمه فقد حكموا عليه بالقتل : ومات تحت الضرب ابن سمنية العربيّ الموصلي المساعد لمسعود . وقُتل كذلك ابو بكر الامير الكرديّ الذي ظلّ اعواماً في جبال آثور يقاوم الحكومة . وكان قد ذهب به مسعود وصالحه مع الاردو . وقتل معه ثمانية من اصحابه . وقبض عليهم ابن الشيخ عدي الكبير الذي انهزم الى سورية فلما رجع وذهب الى الاردو ودافع عن سبب هزيمته قُضي عليه بالقتل كذلك . ثم سار الجنود المغول بمسعود الى الموصل ليؤدّي الذهب فمكث معهم اياماً ثم فرّ ليلاً واختفى .

وفي خريف السنة ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢ م) زحف التتر كذلك الى سورية وعددهم خمس ربوات وعلى رأسهم مونكاتيمور شقيق ملك الملوك المحبوب . وحشد كذلك لاون ملك قيليقية جيوشاً وسار الى نجدته . واحتشد جنود مصر وسورية وعلى رأسهم ألفي ستقور اشقر وقد اتفقا واصطلحا . واصطدم التتر والمصريون ما بين حماة وحمص يوم الخميس ٣١ تشرين الاول من السنة المذكورة وتقوّى جانب (٥٤٥) التتر على جانب المصريين . ولما كادوا ينتصرون نصرة تامة خرج عليهم كمين العرب التغلبيين من ميسرتهم . فتوهم التتر ان عساكر الاعداء قد احاطت بهم من قدامهم ومن خلفهم فانقلب اصحاب القلب مع اهل الميسرة لينهزموا . اما اصحاب الميمنة وهم من التتر الاوراتيين ومعهم خمسة آلاف من الكرج وملك الارمن وجنوده . ولم يشعروا بالكمين واتما

كسروا المصريين الذين في مقدمتهم وساقوا خلفهم حتى ... حمص وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وما عتم ان وصل اليهم الخبر بهزيمة اصحابهم فرجعوا هم كذلك وفي رجعتهم صادفوا جماعة من عسكر المصريين الذين عدوا بعد هزيمة التتر. وتخوف الجانبان احدهما من صاحبه والتحم القتال ما بينهما حتى اقصى كل منهما الى ناحيته . وهكذا اقبل جانب التتر في غنيمة كثيرة من النقود المصرية والبغال والآنية. اما جانب الميسرة والقلب فقد القوا عنهم ادواتهم وسار اعليهم راجلين وقد نهكهم الجوع والعطش . ورجع جانب الميمنة والقلب من المصريين الى دمشق في غنيمة وافرة اختلسوها من التتر . ولم ينجُ من ميسرتهم الا القليل في حالة يُرثى لها . ولولا قدوم اباقا الى سواحل الفرات وعودته الى بغداد لقضى التتر على المصريين القضاء المبرم .

وفي شتاء تلك السنة حدث غلاء شديد ازعج اهالي اثور وبغداد وكان سببه عودة الجنود التتر من سورية . وحدث كذلك برد قارس وانحدر في الموصل ثلج كثير خارق العادة .

وبعد ما حصل ما حصل بين المغول والمصريين احتشد لصوص المغتين والتركمان والاكراد وزحفوا الى قيليقية ووصلوا الى (٥٤٦) اياس واحرقوها وغزوها . ولم يشاهدوا فيها احداً من اهاليها اذ كانوا قد انهزموا جميعاً الى البحر ولاذوا بالقلعة الجديدة التي ابتنوها هناك . وبعد ما انتهب اللصوص ما انتهبوا عادوا ثانيةً وثالثةً ورابعةً ودخلوا البلد في اسبوع نينوى من السنة ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢م) ووصلوا الى تلّ حمدون واحتووا على غنيمة وافرة . ولما رجعوا أغلق الارمن دونهم الثغور واجهزوا عليهم قاطبة ونهبوا أسلحتهم وسلخوا جلود رؤوسهم وحملوا محتيات وافرة من السيوف والحراب والسلاح وجلود الرؤوس في شعرها وبعثوا بها جميعاً الى ملك الملوك .

وبعد ايام قليلة حشد حيدر حاكم قلعة البيرة الفي فارس واحتل حصن زياد . وانهزم جمهور من النصارى واحتموا بمسجد العرب الكبير فنجوا من النائلة . واعتصم بعضهم في مكان يقال له العمود فتعذّر على اللصوص مناوشتهم لان ذلك المكان يشبه مخاضةً لا سبيل الى العبور فيها . غير ان اولئك الملاعين سرقوا زهاء اربعة آلاف من النساء والفتيان ومرّوا بالفرات تجاه ملطية وغزوا

ضواحيها . وشاهدوا في عرقة جماهير من المسيحيين فاستاقوهم اسرى وانطلقوا الى سورية .

اما مونكاتمور فبعد عودته من سورية توجه الى بغداد وزار اباقا مبدياً اسفه الشديد على انكساره وعوّل على العودة الى سورية تكراراً . ولما وصل الى جزيرة قردو زاره الصفيّ قرقوبي واشتكى على حاكم المدينة مما افضى بمونكاتمور ان يعامل الاهالي معاملة فظّة . فحقدوا عليه واتفقوا سراً مع احد سُقاة الحكّام فسقاه سمّاً هناك أثّر في جسمه فانتقل من الجزيرة الى نصيبين . ولمّا استيقن ولاة (٥٤٧) الجزيرة بان خيط حياته قد قطع قبضوا على الصفيّ قرقوبي وعلى ابنه وحاجبه وطافوا بهم عراةً في اسواق المدينة وقتلوهم شرّ قتلة .

امّا اباقا ملك الملوك فارتحل من بغداد الى همذان وذهب يوم احد القيامة ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢ م) الى الكنيسة وابتهج في العيد مع المسيحيين . وفي الغد أولم له شخص فارسي اسمه بهنام وليمة عظيمة في داره . وليلة الثلاثاء تغيّر مزاجه وصار يرى خيالات في الهواء . وصباح الاربعاء اول نيسان و٢٠ في ذي القعدة انتقل من هذا العالم . ويوم الاحد ٢٦ نيسان و ١٦ محرّم انتقل كذلك أخوه مونكاتمور الى بلد الجزيرة . على ان الاقطاب بعد وفاة آباقا ارسلوا اليه سفيراً يخبره بوفاة اخيه ويقول له ان يعدل عن الذهاب الى سورية . فكان ما كان من امر وفاته ووفاة لخيه ملك الملوك دون ان يشعر الواحد بوفاة الآخر .

وبعد ايام وجيزة زحف ستة آلاف فارس من سورية وعبروا الفرات ووصلوا الى جزيرة قردو . وخرج هرمين صاحبها ليناوشهم فقبضوا عليه وذهبوا به الى مصر معتقلاً . وهلع اهالي بلد الموصل وانهزموا جميعاً الى دير مار متى وتألموا في ضيق شديد وانتابهم الوباء فمات ثلاثون راهباً من الجملة .

وفي تلك الغضون نهض مجد الُملك الكاتب الفارسي الجسور ورافع علاء الدين صاحب ديوان بغداد مدّعياً بانه سرق من مال الدولة كميّة وافرة فالقي القبض عليه وخسر كلّ امواله حتى اضطر ان يبيع اولاده الصغار من التجار . ولما كان في تلك الحال الضيقة توفي اباقا وخلفه احمد فاصدر الامر بقتل مجد الملك الجسور . وبعد قليل مات علاء الدين كذلك .

بعد اباقا تكودار اخوه الذي سمّي احمد

لما انتقل اباقا ملك الملوك من هذا العالم اجتمع ابناء الملوك قاطبةً والامراء واتفقوا على ان احمد بن هولاكو الذي ولدته قوتي خاتون الملكة الكبيرة يتولى مملكة المغول في المغرب لانه جدير بها وهو اكبر اخوته . ولما جلس على عرش المملكة يوم الاحد ٢١ حزيران ١٥٩٣ لليونان (١٢٨٢ م) أبدى عطفاً جزيلًا وكرماً وافرًا . وفتح خزائن أبيه وأخيه ووزّع من الذهب والفضة مبالغ طائلة على الاخوة والامراء والعساكر . واظهر الاحسان والشفقة لجميع الاهالي ولا سيما لرؤساء الاديان المسيحية . وكتب الفرامين باعفاء الكنائس والاديار والقسوس والرهبان من الضرائب والخراج في كلّ قطر وناحية . ووجه الشيخ اتابك صاحب بلد الروم وقطب الدين شيرازجي حاكم سبسطية وشمس الدين بن تيتي وزير صاحب ماردين الى صاحب مصر يقول : طبقاً لامره تعالى ووفقاً لشريعة ابينا جنكزخان قد توليت مملكة المغول . وقد دعاني الله جلّ وعزّ الى الصلح والسلام فاروم ان يعيش كلٌ في بلده عيشةً هادئة هنيئة وان تُلغى الحروب والمعارك في كل الارض . فاذا وافقتم على ذلك وجب ان تخلصوا الامان والخضوع واذا تماديتم في العدوان فالله تعالى يطالبكم بدماء المظلومين .

وقد وافق صاحب مصر على الموادعة وابطال الحروب بشرط ان تكون الموصل لابن بدر الدين وان يؤدي للمغول مثلما يؤدي غيرهم وقس على ذلك بغداد وسنجار .

ولما عاد اولئك السفراء واخبروا بما قيل لهم وجه ملك الملوك الشيخ عبد الرحمان الى المصريين ليؤيد (٥٤٩) الصلح وما برح مقيماً هناك . وقد فتحت الطرق واخذ التجار يسافرون من بغداد والموصل والعجم الى سورية ومن سورية ومصر الى بلاد التتر دون ادنى اذىً .

على ان عبد الرحمان لمّا تهيأ للسفر الى سورية اخذ معه كمّية وافرة من خزائن الدولة المغولية كالحجار الكريمة والدرر العجيبة والذهب والفضة والآنية والاقمشة المنسوجة بالذهب . وغادر الطاق الى تبريز واقام بها نحو شهر وجمع اليه الصناع والصاغة والخياطين وغيرهم واعدّ كلّ ما يجدر بالملوك ومن هناك

سافر الى الموصل وارسل فاستحضر من بغداد كذلك ربوة من الذهب وتوجه الى ماردين وهناك لقيه سفير السلطان الفي صاحب مصر وقال له : ان السلطان يقرئك السلام ويقول : قد مضى عليّ زمن مديد وانا مقيم في دمشق انتظر قدومك لاشاهدك واتمم رغبتك واعود الى مصر لان هذه الارض لا تتحمل الجيوش الوافرة التي معي . فارجو ان لا تتأخر .

فارسل اليه عبد الرحمن يقول : اني مستعد للقدوم فارغب ان توصي عبيدك كي يوصلوني الى بلدك مكرّماً وان لا يسافروا لئلّا كما جرى للسفراء الذين اقبلوا اليك قبلي . فارسل اليه السلطان يقول : انك كبير لدينا ومقامك عندنا غير مقام اولئك . فطب نفساً وهلمّ الينا مطمئناً كما تشاء . فوثق الشيخ عبد الرحمان بكلام السلطان وبعث في طلب الجيش التتري الذي يحرس طرق آمد فركبوا معه ثم ان الملك المظفر صاحب ماردين وجه معه كذلك شمس الدين ابن تيتي بمثابة سفير وكان هذا رجلاً عظيماً مشهوراً وسيّر معه كذلك العساكر لينهضوا بخدمة الشيخ حتى الفرات ويعودوا . فارتحل الشيخ من ماردين في شوال ٦٨٢ للعرب (١٢٨٣ م) وبوصوله الى حرّان لاقاه امير من قبل صاحب مصر وتوقف (٥٥٠) الشيخ ينتظر الامير لينزل عن حصانه ويأتي راجلاً ليسلم عليه ويقبّل يده كالعادة لكن الامير ظلّ راكباً وحيّاه بالسلام ثم قال للشيخ : لا حاجة ان يأتي معك هؤلاء التتر فمُرهم ان يعودوا . فأذن لهم الشيخ في ذلك . وبعد هذا مضى امير بالشيخ ومن معه وسار في طريق البيرة وهو يقول : اننا قد اعددنا لك مكاناً للنزول في موضع آخر . ولمّا وصلوا الى ساحل الفرات قال له الامير : اننا قد مددنا الخيام في الناحية المقابلة . فقال له الشيخ : اننا نازلون حيثما تنزلون .

اما الماردينيون الذين قدموا في خدمة الشيخ فعوّلوا على الرجوع طبقاً لامر مولاهم . لكنّ الامير أبى ذلك وقال لهم : ان سلطاننا أمر ان تصلوا الى حلب . فعبروا الفرات على كره منهم وحلّوا هناك جميعاً وأعدّ الامير أطعمة وافرة للشيخ وحاشيته جميعاً . وبعد ما تعشّوا واستراحوا وناموا نحو ساعة او اكثر ركب الامير ومن معه وارسل يقول للشيخ ان يركب كذلك فأبى وقال : لستُ اركب الّا بعد بزوغ الشمس . فقال له الامير : ان السلطان

أمرني ان اسفرك ليلاً شئت ام أبيت . فسخط الشيخ وقال له : لستُ اسافر في الليل ولو قتلتني . فقال الامير : لن اقتلك لكني اعتقلك واسفرك . عرف الشيخ انهم يحاولون النيل من كرامته فنهض وركب وساروا الليل كله ونزلوا وقت الفجر المميت خارجاً عن الطريق بعيداً عن السكن . ولما وصلوا ليلاً الى حلب انزلوا الشيخ في احدى المدارس ووردهم الامر من ألفي ان يدفعوا الكل من الماردينيين الذين قدموا في خدمة الشيخ مائتي درهم ويعيدوهم الى بلدهم . وان يحتفظوا بالشيخ واصحابه وبالامير المغولي الذي معه وبشمس الدين سفير صاحب ماردين ويأتوا بهم (٥٥١) الى دمشق ليلاً وبعد ما امرهم بذلك غادر دمشق الى مصر ولم ينتظر الشيخ .

ولما وصل الشيخ الى دمشق مضوا به الى القلعة وسجنوه في غرفة واحدة وسجنوا سفير ماردين في غرفة ثانية . وجعلوا الكل اثنين من حشمه غرفة واحدة . اما الفتى ابن الامير المغولي وابن مجد الملك فجعلوهما في خدمة كبير الامراء واخذوا يركبون مع الامير ويحملون سلاحه . ونهوا على الاطلاق السؤال عن الشيخ عبد الرحمان وقد انطوى خبره حتى يومنا هذا اذ مر على ذلك سنة كاملة .

وبعد سفر الشيخ عبد الرحمان الى سورية قيل للملك احمد ان لاخيه قونغراتي صلةً مع ارغون بن اباقا وانه مستعد ان يهجم ليلاً وانت راقد في خيمتك ويفتك بك . فخاف احمد وسارع فاوثق قونغراتي وقتله . ولما بلغ الخبر ارغون بقتل عمه حزن جداً وتغيّر قلبه على احمد . فشعر احمد بتغيير قلب ارغون عليه وسيّر اليناخ القائد في جيش كثيف للقبض عليه . فسار الى خراسان وانهزم ارغون من قدامه . فأهمل اليناخ أمره واغمض عن القتال واشتغل بالاكل والشرب والسكر . وفي بعض الليالي هجم ارغون على عسكر اليناخ وقتل منهم خلقاً كثيراً وانهزم اليناخ مع نفر قليل .

ولما أخبر احمد بذلك الحادث السيء سيّر الى جميع البلاد وحشد عساكر المغول والاكراد والعجم والكرج وسار الى خراسان يريد ارغون . فلما رأى ارغون انه عاجز عن المقاومة قصد احد الحصون ومعه ثلاثمائة من خيار الفرسان وجعل ينتقل من مكان الى مكان اذ لم يرَ ان يقيم (٥٥٢) في مكان واحد

وهو يمرّ ... كل محصر مأخوذ وخاف ان يذهب الى طاعة احمد .
فبينما هو كذلك اذا بالامير بوغا الذي كان محبوباً عند والده اباقا تقدّم الى احمد وقال له : ان وعدتني بان لا تؤذي ارغون فانا امضي اليه واحضره اليك . فعاهده احمد كعادة المغول وقال : ان جاء اليّ ارغون فلن اوذيه اصلاً . فسارع بوغا الى الحصن وخاطب ارغون وجاء به الى احمد ففرح به جدّاً وعمل له المآدب والافراح ثلاثة ايام . وفي اليوم الثالث تغيّر قلبه عليه واقام ايناخ وجماعته ليحرسوه وقال لهم : اني متوجه الى زيارة امي قوتي خاتون في اذربيجان فاحتاطوا انتم بارغون لئلا يهرب وهلموا به اليّ حيث اكون . وفي تلك الليلة كشف سرّه لبعض الاكابر وقال لهم : ان لم اهلك ارغون وسائر اولاد الملوك فلن تنتظم لي السلطنة . وعند الصباح ارتحل واوصى ان يصحبوا اليه ارغون قليلاً قليلاً .

اما الامير بوغا فلما تحقق له الامر وعرف نية احمد وانه مزمع ان يهلك ابناء الملوك قاطبةً دفعته الحماسة فطاف عليهم واخبرهم بالامر فنهضوا ليلاً وقصدوا مكان ارغون واخرجوه وألبسوه الدرع ودفعوا له السلاح واركبوه حصاناً . وساروا جميعاً الى الموضع الذي كان فيه ايناخ راقداً وقتلوه في خيمته وقتلوا معه جميع الاكابر اصحابه ونادى المنادون في معسكر المغول : ان ابناء الملوك قتلوا ايناخ واصحابه فيجب ان يقيم كل واحد في مكانه ولا يتحرك ولا يخف . وعند الصباح ارسلوا فاستدعوا المغول القراوونس الخالئين (٥٥٣) لاحمد وتتبعوه جميعاً حتى ادركوه عند امه فقبضوا عليه واوثقوه واحتفظوا به ونهبوا اردو امه ونسائه . ولما وصل ارغون وسائر اولاد الملوك اتفقوا ان يملّكوه عليهم خلفاً لابيه آباقا وقرّروا ان يعزلوا احمد لانه لا يصلح للسياسة .

ولما كان المغول منهمكين في القتال مع بعضهم اغتنم الفي صاحب مصر تلك الفرصة فسيّر القائد حيدر في ثلاثة آلاف فارس الى بلد شيكتان ليقبضوا على ابن اشكان القائد الارمنيّ المشوار ويجعلوه في قفص وينهبوا به اليه حيّاً ، ذلك لانه كان يؤذي عرب سورية . فعبروا الفرات وحلّوا عند قلعة تيتا وهي للارمن . وقد أصيب حيدر بسهم في المعركة الاولى فانزعج اصحابه وتركوا القلعة وفرّوا الى سورية . هكذا انتقم العدل الالهي من حيدر الذي بالغ في

نهب المسيحيين وأخرب ضواحي ملطية وحصن زياد . وتمّ ذلك في صيف السنة ١٥٩٥ لليونان (١٢٨٤ م) .

بعد تكودار الذي سُمّي احمد ارغون بن اباقا

تبوأ ارغون عرش مملكة التتر يوم الاربعاء غرة جمادى الاولى ٦٨٣ للهجرة اعني ٢٦ تموز ١٥٩٥ لليونان (١٢٨٤ م) وانتهت مملكة احمد واتفق اغلب امراء المغول على قتله . غير ان ارغون لم يرَ ان يشاركهم في ذلك وقال ان ام قونغراتي واولادها اعرف به فالذي يتوخون ان يفعلوه به فليفعلوه . وظل احمد اياماً مخفوراً حتى قتله اولاد قونغراتي وانتقموا منه . وتمّ ذلك يوم الاربعاء ثاني جمادى الآخرة و١٦ آب من هذه السنة . ولما استقام الأمر لارغون رتب لكلٍ من اولاد الملوك بلداً من بلاده (٥٥٤) كبغداد ومازندران وآثور وخراسان وبلد الروم . وخافه الناس جميعاً ولا سيما اهالي سورية . قيل انه لمّا بلغ سورية الخبر ارتفعت اجرة الجمل من حلب الى حماة الى اربعمائة درهم اذ كانوا باجمعهم ينهزمون الى مصر . ثم ان الملك ارغون اقام مسعود بن قوطي ملكاً على الموصل ونواحيها فابتهج النصارى قاطبةً . غير انهم تأسفوا على الامير اشموط الراهب الايغوريّ . ذلك لانّ اولاد جلال الدين توران فتكوا به يوم قدوم ارغون الى زيارة احمد كأنهم يريدون ان يأخذوا بثار ابيهم .

مقتل شمس الدين صاحب الديوان

كان شمس الدين صاحب الديوان سبباً لحدوث النزاع بين ارغون واحمد . اذ قيل لارغون انه هو الذي سقى اباك السمّ وقتله . بناء عليه جعل يرسل الوفود الى احمد ويطالبه به فلم يسلمه اليه . فغلب في ظن ارغون ان احمد اختار موت والده اباقا ليخلفه في مكانه . فلما فشل احمد وتعزّز ارغون انهزم شمس الدين الى جبال ماري واحتمى بالاكراد اللوريين وكان كبيرهم يوسف شاه وهذا لمّا عرف ان ارغون توطّد في عرش المملكة وافى الى خدمته واحتظى لديه ولا سيما لانه وعده باحضار صاحب الديوان الى عبوديته . وبعد هذا انطلق وأتى به الى ارغون وقدّم له هدايا وافرة بلغت نحو مائة ربوة من الدنانير ذهباً ثم عرضوا

عليه ان لا يهرق دمه . فطلب مهلةً ليبيع املاكه ويؤدي مبلغاً اوفر . واشار عليه الزعماء ان يستقرض تلك الكمية ويقدمها ويعود فيتولى املاكه . حينئذٍ جعل يستقرض من أنسبائه واهله وعبيده وأصدقائه حتى جمع اربعين ربوة وقال : لست اقدر ان احصل على اكثر من هذا (٥٥٥) وما ترون ان تفعلوه فافعلوه . فبرز الامر من ارغون بقتلهِ وعلقوه بيديهِ ورجليه وألقوه ثلاث مرّات على الحضيض ورفسوه باحذيتهم حتى كلّوا . ثم فلقوا هامته يوم الثلاثاء خامس شعبان ٦٨٣ للهجرة اعني ١٧ تشرين الاول ١٥٩٦ لليونان (١٢٨٥ م) . تلك كانت عاقبة ذلك الرجل المهيب الداهية الذي كانت دولة المغول معلّقةً بخنصره . وكان ذا عقل وخبرةٍ كاملاً متقناً لكثيرٍ من الحِكَم والعلوم .

اما اخوه علاء الدين الذي تولى بغداد وتوفي قبل سنتين تقريباً في موجان ونقل الى تبريز ودُفن فيها فقد كان كذلك متضلعاً من العلوم خبيراً بالشعر وصنّف تاريخاً عجيباً في الفارسية ذكر فيه اخبار الدول السلجوقية . والخوارزمية والاسمعيلية والمغولية . وقد نقلنا عنه ما اثبتناه عنها في كتابنا هذا .

وفي السنة المذكورة مات كذلك السلطان غياث الدين بن ركن الدين صاحب بلد الروم . وكان قد قصد القدوم الى الاردو ليشكو اليه السلطان مسعود ابن عمهِ . وببلوغه الى ارزنجان سقاه الزعماء سمًّا وقضوا عليه لانه كان مشوّش العقل ومتقلباً في عيش بذخ .

(يتبع)

صفحات من الأدب الفارسي

«ناصر خسرو»

«شاعر ورحالة وفيلسوف»

بقلم عارف تامر – سلمية (سوريا)

تمهيد :

كانت الحياة السياسية في القرن الرابع الهجري مضطربة اشد الأضطراب في ايران والعراق ومصر والشام . ومنعدمة من اي اثر لآثار الهدوء والأستقرار والأطمئنان . فالخلافة الأسلامية كما يبدو كانت موضع اخــذ ورد تتنازعها دولتان كبيرتان هما « العباسية » في بغداد و«الفاطمية» في القاهرة، ومن الثابت ان كلًا من الدولتين كانت تحشد القوى وتضع الأمكانيات في سبيل ازاحة الثانية وابعادها عن مركز الخلافة ، هــذا فضلًا عن دويلات صغيرة متفرقة الأهداف والغايات كانت تتنازع الحكم والنفوذ والجاه ، ومهما يكن من شيء فأن مركز الخليفة العباسي في بغداد كان في هذه الفترة حرجاً وخاصة بعد ان صار هذا الخليفة يلتجيء إلى ملوك صغار لتحميه وترد الأذى عنه (كأحمد البويهي) الشيعي وغيره ، اما الدولة« الصفارية » فقد كانت تحاول الأعتداء عليه بينما تبادر الدولة « السامانية » الى حمايته ، وتأتي الدولة الفاطمية لتبعث بدعاتها الى « السامانيين » و « القزوينين » و« البويهيين » وغايتها تمهيد السبيل للقضاء نهائيًا على الخلافة العباسية ، وقد نجحت هذه الدعوة الى حد ما اذ انضم الى دعاتها امير الري (احمد بن علي) و (حسين بن علي المروزي) من «الأمراء» وقد رغب هذا الأخير في ان تعم الدعوة الفاطمية بلاد ما وراء النهر، فنصح الى الداعي الفاطمي « النخشبي » ان يسافر اليها وان يعمل على استمالة « نصر بن احمد الساماني » فنجح (النخشبي) في بغيته واصبح نصر من الأسماعيلية وقد دفع للامام الفاطمي « القائم بأمر الله » اموالاً ضخمة تعويضاً له عن قتل

(حسن بن علي المروزي في بخارى) ، وتتطور الأمور بعد مخاض طويل وتتقلب في حوادث خطيرة أشد هولاً وعنفاً ويمكن تلخيصها بما يلي :

تقسم خطير في الدولة العباسية بين (القائم بالله) العباسي الخليفة السادس والعشرين والقائد العام لجيوش العباسية (ابي الحارث ارسلان البساسيري) الملقب (بالمظفر) الذي يقال انه ينتسب الى (امراء بني بويه) الشيعيين ، واضطرار الخليفة العباسي للاستنجاد بالقائد السلجوقي التركي الأصل (طغرل بك) ، وفي هذه الأثناء يفد (داعي دعاة) الدولة الفاطمية – (المؤيد في الدين) (هبة الله الشيرازي) او (لورنس الفاطميين) كما اسميه الى العراق للاتصال بالبساسيري وتشجيعه على ثورته وليضع تحت تصرفه جميع الأمكانيات المادية والمعنوية التي تكفل له التغلب والأنتصار على العباسيين وحمله على مواصلة القتال ثم اغراء القبائل العربية المجاورة على شق عصا الطاعة والثورة على نظام الحكم العباسي تحت تأثير الأموال الكثيرة والهدايا والخلع التي كان يغدقها « المؤيد » على الزعماء والشيوخ والأمراء بلا عد او حساب ، وفي هذه الفترة يستولي « ثمال بن صالح بن مرداس » تاج الأمراء على حلب ويباشر حرباً شعواء مع (منيع بن شبيب النميري) صاحب (حران) بشأن (الرقة) ، امّا (البيزنطيون) و (السلجوقيون) فيوقعون معاهدة صداقة وتحالف تقضي بغزو املاك الدولة الفاطمية في الشام وأعالي الجزيرة ، بينما ينضمُّ الى جيش (البساسيري) بتوجيه (المؤيد في الدين) كل من (الامير نور الدين بن دبيس بن مزيد الاسدي) وصاحب (الحلة العراقية و (قريش بن بدران العقيلي) . مضافاً الى كل ما ذكرناه نشوب معركة (سنجار) الكبرى ودخول جيوش (البساسيري) (بغداد) (والموصل) (والكوفة) (وواسط) واعلان الخطبة بأسم (الامام الفاطمي الخليفة المستنصر بالله) وقد ظلّت الخطبة قائمة ببغداد مدة تزيد على العشرة شهور ، ثم ضرب السكة بأسمه وانشاد الآذان الفاطمي (حيَّ على خير العمل)) ولقد اقصي ايضاً الخليفة العباسي (القائم) عن بغداد بعد ان وقع صك التنازل وانتزعت عمامته وشرفة من قصره وبردة النبي وأرسلت جميعها الى القاهرة اشعاراً بالظفر ، وفي هذه الاثناء يستخلص القائد الفاطمي (ابو علم بن ملهم الخويلدي) حلب من (ثمال بن صالح بن مرداس)) وبعد كل هذه الانتصارات يدب

الانقسام اخيرا في جيوش (البساسيري) فينقسم الى شيع وأحزاب . وتذر الطائفية والمنصرية بقوتها معلنة الفتنة العمياء مما مهد (لطغرل بك) الانتصار على (البساسيري) واجبازه على الهرب .

بينما كل هذا يجري في بغداد كان الاضطراب قد اخذ ينذر القاهرة مهددا بأوخم العواقب، فتختل شئون الوزارة، ويتتالى الوزراء واحدا بعد واحد، فمنهم من يمكث فيها شهورا، ومنهم من كانت مدة وزارته اياما، ومنهم من يمكث يوما واحدا ، الى ان استدعى الامام الفاطمي (المستنصر بالله) (بدر الجمالي) وكان حاكما عسكريا في «عكا» وفوض اليه جميع الامور، وفي الوقت نفسه كانت امصار الفاطميين بأفريقية تمتنع عن تأدية ما عليها من ضرائب وتعلن استقلالها لتعود الى طاعة العباسيين ، وتتحرك قبائل (بني هلال وسليم) العربية النجدية الاصل من مصر العليا نحو الغرب لتعيث فسادا في (طرابلس) مدة طويلة ، ويغشى (النورمانديون) (صقلية) وكانت من املاك الفاطميين ، وفي الشام كانت الحالة في شبه فوضى والولاة والوزراء لا يكاد احدهم يستقر فيها حتى يخرج معزولا او مذعورا، والامور تزداد سوءا واهل البلد احزاب يثورون بالولاة والقواد ، ثم تتأجج نار الفتنة ويثور اهل دمشق بأمير الجيوش (بدر الجمالي) والي الشام ، وفي هذه الفترة نفسها ايضا يتم استيلاء (معلى بن حيدرة الكتامي) على دمشق فيضطر للهرب بعد ايام من دخوله بسبب الفتنة التي وقعت بينه وبين عساكر المدينة ، وتنقطع خطبة الفاطميين نهائيا من الشام ، كما ان القدس تفتح من قبل (اتسز بن ارق الخوارزمي) وهو احد امراء السلجوقيين ثم يظهر فشله عند محاولته فتح الشام، ويبدأ الصليبيون زحفهم باتجاه القدس ويتم فتحهم (لمعرة النعمان) و (انطاكية) ، وتتم هزيمة جيوش الفاطميين بقيادة (الافضل بن بدر الجمالي) بجوار بيت المقدس عائدة الى «عسقلان» ثم الى مصر .

في هذا الجو المضطرب ، وفي وسط هذا البحر الزاخر بالقلق الفكري نشأ الشاعر الكبير والرحالة العبقري والفيلسوف العظيم «ناصر خسرو» ، ومن هذه الاحداث الخطيرة يستمد خطوط مناهجه في الحياة ، ويقوم برحلته الكبرى المشهورة التي تحدثت بها الركبان، ويستقر في القاهرة لمدة ثلاث سنوات بالقرب من مركز « الامامة الفاطمية » حيث يلتقي بأمنيته الغالية التي طالما منى نفسه

ما استطعت نصه، وينابيع من معينها، والارتواء من ينبوعها، واعني بها (الدعوة الاسماعيلية) التي كان يعمل لنشر فلسفتها، والتبشير بفكرتها، وبمناسبة ذكر الرحلات نقول ان اقدم ما عرف من الرحلات في تاريخنا الشرقي : رحلة (ابن فضلان) رسول (الخليفة المقتدر بالله) العباسي الى بلاد (البلغار) القديمة، وهذه الرحلة تمت في القرن الثالث للهجرة وقد نقلها ياقوت وجاء على ذكرها في معجم البلدان، ومن الرحلات المعروفة ايضاً رحلة (ابن جبير) في القرن السادس الهجري، ورحلة (ابي الحسن الهروي الموصلي) في القرن السادس نفسه، ورحلة (البلوي المغربي)، ورحلة (ابن بطوطة المغربي) في القرن الثامن، امّا رحلة (ناصر خسرو) فتقع بين سنة ٤٣٧ هـ وسنة ٤٤٤ هـ، فهي قبل رحلة (ابن جبير) بمئة عام، وقد بدأت في (مرو) وفي (خراسان) ثم (بآذربيجان) و (أرمينية) و (الشام) و (فلسطين) و (مصر) و (الحجاز) و (نجد) و (جنوبي العراق) .

حياته

هو الحكيم (ابو المعين ناصر بن خسرو بن الحارث القبادياني[1] المروزي[2] البلخي البدخشاني). نشأ في اسرة متوسطة الحال لا هي بالغنية ولا هي بالفقيرة، وتثقف ثقافة واسعة ثم التحق بخدمة السلطانين الغزنويين (محمود) ثم ابنه (مسعود)، وبعد ان افلح السلاجقة بالقضاء على الدويلات الشرقية والامارات الصغيرة، وأصبح الامر لهم التحق ناصر بخدمة (جغري بك السلجوقي) حاكم خراسان وتولّى امر خزانته في (مرو) وكان يدأب على قراءة اراء (الفارابي) (وابن سينا) واشتغل بتحصيل العلوم والبحث في الاديان والعقائد والاطلاع على شعراء الفرس والعرب وأخذ من كل فن طرف حتى بلغ درجة كبيرة في الفضل والعلم والحكمة . كانت ولادته سنة ٣٩٤ هـ في (قباديان) وقد توفي صبيحة يوم الجمعة في الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة ٤٨١ هـ ببلدة (فاريكان) من مواضع (بدخشان) وهذه البلدة نزح اليها فراراً من مناهضة

١ و ٢) قباديان ومرو بلدتان في فارس الاولى واقعة بالقرب من (بلخ) والثانية مدينة وولاية بالقرب من ترمز على (نهر جيحون) .

امراء السلاجقة وعلماءها وفقهاءها الذين ناهضوه ووشوا به ودسوا عليه ، وقد عاش سني حياته (بالتقية) حتى وفاته وقد رثاه اخوه (ابو سعيد) فقال :

طويت بلاد الله علمت حكمة | وصيرت بين الناس قرماً ممجدا
وقد فقت بيلاغوس بأسره حالبه | والزمت افلاطون لفظاً مسددا
تغلبت بالتقوى وما يشترى بها | ورقيت سراج السلاطين بالندى
وجاهدت خمساً وعشرين ليلة | وسافرت بالأبطاح كالطير تغتدى
ملأت الدنا بالمدح والذم شاهداً | وصادفت مأمول البرية مرصدا
فأسكنت غور الغار غير مغاثر | سوى رحمة الله الكريم وقد بدا
فعاقبة الدنيا خسار وذلة | وفرقة احباب اذا ما تأبدا
سقاك اله الناس سقياً مرويا | والبسك الغفران يا ناصر الهدى(١)

آثاره ومؤلفاته

« الديوان » كان يبلغ ثلاثين الف بيت ولكنه الآن اثني عشر الف بيت – تحقيق تقي زاده – طهران سنة ١٩٢٩ . طبع على الحجر في تبريز سنة ١٢٨٠ ه .

« سفرنامه » او كتاب رحلاته وقد ترجمه المستشرق (شيفر) باريس (١٨٨١ م) طبع هذا الكتاب ايضاً سنة ١٣٠٤ه.وقد ترجمه الى العربية الدكتور يحيى الخشاب سنة١٩٤٥

«وجه الدين» ترجمة وتحقيق كاڤياني ، برلين ١٩٢٤ .

«زاد المسافرين » « ١٩٢٣ » ترجمه للعربية الدكتور يحيى الخشاب وطبع سنة١٣٦٤ه.

« خوان الخوان » « الدكتور يحيى الخشاب القاهرة ١٩٤٠ .

« روشنائي – نامه » او « الضياء » نشره (اتيه) وترجمه وعلق عليه في مجلة المستشرقين الالمان سنة ٢٨٧٩ م وحققه المستشرق « ايڤانوف » ونشرته – الجمعية الثقافية الاسماعيلية – بومباي ١٩٤٩ .

« كشايش ورهايش » تحقيق السيد نفيسي بومباي – ليدن – ١٩٥٠ – من منشورات الجمعية الثقافية الاسماعيلية بومباي .

« جامع الحكمتين» ترجمة وتحقيق هنري كوربان ومحمد معين من منشورات المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية طهران ١٩٥٣ .

« سعادة نامه » او كتاب السعادة وقد نشره (فانيان) في جزء ٣٦ من مجلة المستشرقين الالمان ص ٦٤٣ الى ٦٧٤ .

« ام الكتاب » نشر ايڤانوف ١٩٣٦ وعلق عليه بمجلة الدروس الاسلامية باريس ١٩٣٢

« بستان العقول » ، المفتاح والمصباح ، دليل المتحيرين ، الدلائل ، لسان العالم ، اختيار الأمام واختيار الايمان ، كنز الحقائق ، تفسير القرآن ، ارشاد السالكين ، اصول

١) جامع الحكمتين – المقدمة ص ١٩ .

لآلي ، صحيفة المشرقين ، روضة المحبين ، مطلب المطالب ، مصابيح ، مؤنس ،
نورنامه ، وله غير هذا كثير من البحوث والمقالات وهو نفسه يقول :

« لا تنظر الى ضعف حسي فقد قلت الكثير من الكلام
ولي من الآثار ما يربو عما في الفلك من النجوم »

وقال :

(لم يبقَ نوع من العلوم كان جديرا الا استفدت منه قليلا وكثيرا)

منتخبات من اشعاره

« رأيت في الفلاة رجلا ، مزّقت جسده الذئاب
فنهش النسر لحمه ، وطعم منه الغراب . . . !!
وتبرز النسر ، فتبرز في قنن الجبال والقفار
وتبرّز الغراب . فتبرّز في قاع الينابيع والآبار . . . !!
فهل يستطيع ان يحيَ مثل هذا الرجل في يوم الحشر والنشور . . . ؟ »

●

« خرج ناصر خسرو ليتنزّه في يوم من الايام
مثقل الرأس ولكن بغير الكأس والمدام . . . !!
فمرّ بمزبلة الى جوارها جملة من القبور
فنادته المزبلة وقالت له : لا تنظر اليَّ في فتور . . . !!
وتأمل حال الدنيا . . . وما اعدت من نعم لضحاياها المساكين
فقد اشتمل جوفي على نعمها . واشتملت القبور على الآكلين الجاهلين . . . !!

●

يا رياح الصبا . . . تحمّلي مني الى خراسان السلام
الى اهل الفضل والعقل منها . . . لا الى العوام والطغام . . . !!
كما حملت اخباري الصحيحة اليهم . . .
احملي اليَّ ثانية اخبارهم ، وحدثيني عنهم . . . !!
وقولي لهم : ان الدنيا قد حنت عودي المستقيم
وحطمتني بمكرها المعروف وغدرها المقيم . . . !!
فحذار ان تدع عهودها توقعك في الغرور والآثام
فانها لا ترعى لاحدٍ عهدًا . . . ولا تعرف الوفاء والدوام . . . !!

●

فكري شجرة مورقة طيبة الثمرات
اوراقها المنة ، وثمارها العلم والطيبات . . . !!
واذا شئت ان تعرف حالي على الحقيقة وفي جلاء
فانظر اليّ بعين البصيرة ، كما يفعل العقلاء . . . !!
ولا تنظر الى جسدي الضعيف الواهن . . . وانظر الى اقوالي ذات الرواء
فلي آثار كثيرة . . . يزيد عددها على نجوم السماء . . . !!
وشكرًا لله . . . انه هداني الى طريق العلم والدين
وفتح لي . . على مصاريعه . . . ابواب الرحمة واليقين . . !!
وجعلني اشهر من الشمس في اوج السماء
لأني عرفت بحبي (لآل الرسول) والأئمة الأصفياء . .

•

وانت ايها الجسد الجاهل . . . ليس لك عمل الا النوم والطعام
ولكن العقل لديّ خير من الاكل الطيب وطول المنام . . . !!
وفي رأي العقلاء ان لا عمل للحمير . . . الا النوم والغذاء
ومن العار ان يكون حالي كالحمار ، مع ما لي من عقل وذكاء . . . !!
وانت يا جسدي . . . سوف لا اقيم معك في هذه الدنيا الفانية .
لان الله يدعوني الى داره الثانية . . . !!
حيث يعتبرون المجد بالاعمال والفضائل ، لا بالنوم والاكل
فليكفك النوم والاكل . . وليكفني الفضل والعقل . . . !!
وقد ذهب قبلي ما لا يعد من الناس والأنام
ومها طال بقائي . . فأعتبرني ممن اودت به الايام . . . !!
وسأطير بجناح الطاعة ذات يوم . . . فأخرج من هذه القبة العالية
وكأنني الطائر يضرب بجناحيه في اطباق الهواء الخالية . . . !!
وجميع الناس يحذرون ضربات القضاء والقدر
ومع ذلك فهما دليلا طريقي في هذا السفر . . . !!
و(القضاء) اسمه (العقل) و (القدر) اسمه (الكلام)
وقد اصبح عقلي ونفسي افصح من يحدثني الآن بأمري
فلم الحذر والخوف من نفسي ، وما يجيش به صدري . . . !!
ويا من قنعت من القضاء والقدر بالاسم والكلام
اذا ظننت نفسك دابة . . . فلا تظنني ايضًا من الانام . . . !!

الخلاصة

عسى ان يكون ما قدمناه في هذه الصفحات كافياً لتعريف هذا الشاعر « الاسماعيلي » الكبير صاحب الآراء الفلسفية العظيمة ، والنظريات العلمية المفيدة الذي لعب دوراً هاماً في مجال الفكر الاسلامي وكتب احسن البحوث والكتب في الفلسفة والحكمة والعلوم .

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)
رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

وذكر حامد حججاً كانت في يده، فقال ابن الفرات . انا فتشت صناديقك، فلم اجد فيها ما ذكرت وانا المقدم باحضارها وتفتيشها فقال حامد افتشتها بعد ان فتشها الوزير وقبضها نازوك وفتح اقفالها، فخجل ابن الفرات وتعجب الناس من استيفاء حامد الحجة .

فاخرج ابن الفرات عملًا وجده في صناديق غريب غلام حامد، وهذا الغلام كان يتولى بيع غلات حامد، وحمل ذلك سهوًا لان حامدًا كان يجمع حساباته ويغرقها في دجلة، فرأى[1] انه قد بيع غلات تلك السنة سوى التقضيم بخمسماية الف دينار ونيف واربعين الف دينار، فبان الفضل، وظهر التضاعف، مع كون الاسعار رخيصة في تلك السنة، وعالية فيما بعدها .

وقال حامد لابن الفرات . انني اكرم الوزير عن استماع ابنه جواب ما يشتمني، فحلف ابن الفرات براس الخليفة، ان لم يمسك ابنه استعفى[2] الخليفة[3] في هذه القصة .

فامسك المحسن حينئذ، واعيد حامد الى محبسه (٢٥/٣٢) وطولب بالمال، فاقام على انه لا مال عنده، وانه قد باع ضياعه، وباع داره من نازوك بمدينة السلم، باثني عشر الف دينار، وباع خدمه وباع اخصهم به من نازوك بثلاثين الف دينار. — فالتفت الخادم الى نازوك وقال له لا تستضع بي، فلا تبتاعني، فلم يقبل منه، فابتاعه، فلما كان في تلك الليلة شرب الخادم زرنيخا فمات من ليلته .

وخلا ابن الفرات بحامد، وقال ان اخبرت باموالك، صنتك عن مكاره

١) في الاصل فرءا

٢) في الاصل استعفا

٣) بعدها بياض في الاصل، وفي تجارب الامم ١١/٥ قال : ليستبين الخليفة من مناظرته

ابي ، ورليت فارس ، وحنث له على ذلك ، فاقر بدفاينه في بلاليع واسط ، وقدرها خمساية الف دينار ، وثلاثماية الف عند قوم من المدول ، واقر بقماش له عند ابن شابدة وابن المتاب واسحاق بن ايوب وعلي بن فرج بثلاثماية الف دينار .

فعرّف المقتدر ذالك ، وقال له ابن الفرات قد اقر بذلك عفوا من غير مكروه .

وما زال ابن الفرات مكرما لحامد يلبسه لين الثيابْ ، ويطعمه هني الطعام ، الى ان توصل المحسن على يدي مفلح الى المقتدر ، ان يتقدم الى ابيه ، باستخلافه ، فاستخلفه على كره من الاب لذلك ، وخلع المقتدر عليه ، وصار الى داره ، فمضى[1] اليه الكتاب والعمال للتهنية ، فسقطوا من درجة ساج صعدوا عليها من زبازبهم ، فلحقتهم ، فلحقتهم العلل لذالك .

وضمن حامد الخمساية الف دينار ، واحضره ، فطالبه فقال لم يبق غير ضياعي ، وانا اوكل في بيعها ، فامر بصفعه ، فصفع خمسين صفعة ، واحدره الى واسط مع خادم وعشرة فرسان ، وذلك في عاشر شهر رمضان سنة احدى عشر وثلاثماية (٩٢٣) .

وشاع (٥ب/٢٨) ببغداد ان حامدا اشتهى[2] بيضا ، فطرح له الخادم فيه سما ، فاكله ، فلحقه[3] ذرب ، ودخل واسطا ، وهو مثخن ، فقام اكثر من ماية مجلس .

فاراد البزوفري[4] الاستظهار لنفسه ، فاحضر القاضي وشهوده وكتب ان حامدا ، وصل الى واسط فتسلمه البزوفري وهو عليل من ذرب وان تلف من ذلك ، فانما مات حتف انفه .

فلما دخل الشهود وقد قرر مع[5] حامد الاشهاد على نفسه قال لهم ان ابن الفرات الكافر الفاجر المجاهر بالرفض وبُغض بني العباس رحمة الله عليهم ، عاهدني وحلف بالطلاق وايمان البيعة ، على ان اقررت باموالي لم يسلمني الى ابنه[6] ،

١) في الاصل فمضا
٢) في الاصل اشتها
٣) في الاصل فلحعه
٤) في الكامل ٦/١٧٤ وتجارب الامم ١٣/٥ هو محمد بن علي البزوفري
٥) في الاصل مكررة
٦) يعني المحسن بن الفرات

وصانني على المكروه وولاني ، فلما اقررت سلمني الى ابنه فعذبني ودفعني الى خادمه فسقاني بيضا مشويا ، ولا صنع للبزوفري في دمي الى وقتنا هذا ، ولكنه[1] ، لعنه الله كفر احساني ونسي اصطناعي، فاغرى[2] ابن الفرات بي وسعى[3] على دمي ، ثم اخذ قطعة من اموالي ، وجعل يحشوها في المساور البزنون[4]، ويبتاع الواحدة منها بخمسة دراهم، وفيها امتعة تساوي ثلاثة آلاف دينار. فاشهدوا على ما شرحته .

وتبين البزوفري انه قد اخطا .

وكتب ابن بطحا ، صاحب الخبر بواسط الى ابن الفرات بالحال، فشق عليه.

وتوفي حامد[5] في دار البزوفري ليلة الخميس لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان سنة احدى عشرة وثلاثماية، (٩٢٣) وغسل وكفن، وصلى عليه القاضي والشهود بواسط.

واخذ منه ابن الفرات الف الف وثلاثماية الف دينار .

وقبض (٥١/٢٨) المحسن على ابي احمد محمد بن مبتاب الواسطي ، صاحب حامد، فصادره على ماية الف دينار .

وحكى التنوخي ، عن بعض الكتاب قال حضرت مايدة حامد بن العباس وعليها عشرون نفسا ، وكنت اسمع انه ينفق على مايدته مايتي دينار، فاستقللت ما رأيت . ثم خرجت فرأيت في الدار نيفا وثلاثين مايدة منصوبة ، على كل واحدة ثلاثون نفسا ، وكل مايدة مثل المايدة التي كنت عليها ، حتى البوارد والحلوى[6] ، وكان لا يستدعي احدا الى طعامه ، بل يقدم الى كل قوم في اماكنهم ، وكانت الموايد في الدهاليز ، وكان يقدم لكل من يحضر جديا[7] ، فيكون الجداء بعدد الناس ، ويرفع ما بقي ، فتقسمه الغلمان .

وقال حامد انا فعلت هذا لانني حضرت قبل علو امري على مايدة بعض اصدقائي ، وقدم عليها جدي ، فعولت على اكل كليته ، فسبقني رجل فاكلها ، فاعتقدت في الحال ، ان وسع الله علي ، ان اجعل جداء بعدد الحاضرين .

١) في الاصل ولاكنه
٢) في الاصل فاغرا
٣) في الاصل وسعا
٤) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٠٤/٥ البزيون
٥) ترجم له في المنتظم ١٨٠/٦
٦) في الاصل والحلوا
٧) في الاصل جدي

وركب حامد ، وهو عامل واسط الى بستان له فرای[1] في طريقه دارا محترقة وشيخا [يبكي][2] وحوله نسا وصبيان على مثل حاله ، فسأل عنه ، فقيل هذا رجل تاجر ، احترقت داره ، فافتقر ، وافلت بنفسه وعياله على هذه الصورة ، فوجم ساعة ، ثم قال فلان الوكيل ، فجاء ، فقال اريد ان اندبك لامر ان عملته كما اريد ، فعلت بك وصنعت ، وذكر جميلا ، وان تجاوزت فيه رسمي فعلت بك وصنعت ، وذكر قبيحا ، فقال مر بامرك قال ترى[3] هذا الشيخ ، قد المني قلبي له ، وقد تنغصت علي نزهتي بسببه ، وما تسمح (٥٣/٢٩) نفسي بالتوجه الى بستاني الا بعد ان تضمن لي اني اذا عدت العشية من النزهة وجدت الشيخ في داره ، وهي كما كانت مبنية مجصصة ، نظيفة[4] ، وفيها الفرس[5] والصفر والمتاع من صنوفه وصنوف الالات ، مثل ما كان فيها ، وعلى جميع عياله من كسوة الشتاء والصيف ، مثل ما كان لهم .

قال الشيخ فتقدم الى الخادم ان يطلق ما اريده ، والى صاحب المعونة ان يقف معي ، ويحضر كل ما اريده من الصناع ، فتقدم حامد بذلك ، وكان الزمان صيفا ، فاحضر اصناف الروزجاريه والبناءين[6] ، فكانوا ينقضون بيتا ويطرحون فيه من يبنيه . وقيل لصاحب الدار اكتب جميع ما ذهب منك ، فكتب حتى المكنسة والمقدحة ، واحضر جميع ذلك .

وصليت العصر ، وقد سقفت الدار كلها ، وجصصت وغلقت الابواب ، ولم يبق الا البياض والطوابيق ؟ فانفذ الى حامد رسالة التوقف في البستان ، وان لا يركب منه الى ان يصلي العشا الاخيرة ، وقد بيضت الدار وكنست وفرشت ، ولبس الشيخ وعياله الثياب، ودفعت اليهم الصناديق والخزانة مملوءة بالامتعة .

واجتاز حامد والناس مجتمعون له كانه نهار في يوم عيد ، فضجوا بالدعا له ، فتقدم الى الجهبذ بخمسة الاف[7] درهم ، يدفعها اليه ، يزيدها في بضاعته ، وسار حامد الى داره .

---

١) في الاصل فرا.
٢) في الاصل بعدها ياضر والزيادة عن المنتظم ١٨٢/٦
٣) في الاصل ترا
٤) في الاصل نضيفة
٥) كذا في الاصل ولعله يريد الفرش
٦) في الاصل والبناءين
٧) في الاصل الاف

وفي هذه السنة، توفي ابو اسحاق ابرهيم ابن السري الزجاج[1]، صاحب المعاني[2]، وكان يخرط الزجاج، فاتى المبرد، وكان يعلم لكل واحد باجره على قدر معيشته، وقال له اني اكسب (٥٣/٢٩) في كل يوم درهماً ودانقين، واني اعطيك درهما، ان تعلمت او لم اتعلم، حتى يفرق الموت بيننا، وآخذ منك، قال قد رضيت.

قال وانفذ اليه بنو مارمة[3] من الصراة يطلبون مودبا لاولادهم، فانفذني اليهم، وكنت اوجه اليه في كل شهر ثلاثين درهما.

وطلب عبيد الله بن سليمان منه مودبا لابنه القسم، فقال لا اعرف الا مودب بني مارمة، فكتب اليه عبيد الله فاستنزلهم [عني][4] وادّبتُ القسم، فكنت اقول له ان ابلغك الله مبلغ ابيك تعطيني عشرين الف دينار، فيقول لي نعم.

فما مضت الا سنون حتى ولي الوزارة، وانا على ملازمته، فقال لي باليوم الثالث ما اراك ذكرتني بالنذر، فقلت لا احتاج مع رعاية الوزير الي، اذكار خادم واجب الحق، فقال انه المعتضد، ولولا ما تعاظمني ان ادفع ذلك في مكان واحد، ولكني[5] اخاف ان يصير لي[6] حديثا، فخذه مفترقا، فقلت افعل، فقال اجلس وخذ رقاع اصحاب الحوايج الكبار، ولا تمتنع من مسألتي في شيء، فكنت اقول، ضمن لي في هذه القصة كذا، فكان يقول غبنت، فاسترد[7] القوم، فحصل عندي، عشرون الف دينار، فقال حصل عندك مال النذر، قلت لا، فلما حصل ضعفه، اخبرته، فوقع لي الى خازنه بثلاثة آلاف دينار، فأخذتها وامتنعت ان اعرض عليه شيء[8].

١) له ترجمة في نزهة الالبا ٣٠٨ وتاريخ بغداد ٧٩/٦ – ٩٣ وبغية الوعاه ١٧٩ ووفيات الاعيان ١١/١ والفهرست ٩٠ ومعجم الادباء ١/ ١٣٠ والمنتظم ١٧٦/٦ واللباب ٤٩٧/١ والبداية والنهاية ١٤٨/١١ وانباه الرواه ١٥٩/١ وطبقات النحويين ١٢١

٢) في الكامل ١٧٦/٦ والفهرست ٩١ وكشف الظنون ١٧٣٠/٢ كتاب معاني القران

٣) في تاريخ بغداد ٩٠/٦ مارمة، وفي المنتظم ١٧٦/٦ مادمة وفي معجم الادباء ١٣١/١ وبغية الوعاة ١٧٩ مارقة

٤) زيادة عن المنتظم ١٧٦/٦ يقتضيها السياق

٥) في الاصل ولاكني

٦) في المنتظم ١٧٧/٦ ان يصير له معك حديثا

٧) في المنتظم ١٧٧/٦ فاسترد

٨) في الاصل شيئا

فلما كان من غد جيته ، فاومى[1] الي ، هات ما معك ؟ فقلت ما اخذت رقعة لان النذر قد وقع الوفاء به ، ولم ادر كيف اقع من الوزير ، فقال سبحان الله ، اتراني كنت أقطع عنك شي.[2] قد صار لك به عادة وصار لك به عند الناس منزلة وغدو ورواح الى بابي[3] فتظن الناس (ﷺ) ان انقطاعة لتغير رتبتك، اعرض علي[4] رمعك وخذ بلا حساب ، فكنت اعرض عليه الى ان مات.

وحدث والدي[5] رحمه الله ، قال اخبرنا القاضي ابو الطيب ، قال حدثني محمد بن طلحه الردادي[6] ، قال حدثني القاضي محمد بن احمد بن المخرم[7] انه جرى بين الزجاج وبين المعروف بسينة[8] ، وكان من اهل العلم ، شر ، فاتصل ، ونسجه ابليس واحكمه ، حتى خرج ابراهيم الى حد السفه فقال مسينه .

ابى[9] الزجاجُ الا شتمَ عِرضي	لينفعَه فآغه[10] وضره
واقسمَ صادقاً ما كان حرٌ	ليطلق لفظه في شتم حُرّه
ولو اني كررتُ لفرّ مِنّي	ولكن[11] للمنون عليه[12] كرّة
فاصبح قد وقاه الله شرّي	ليوم لا وقاه الله شرّه

فلما اتصل هذا بالزجاج ، قصده راجلا ، حتى اعتذر وسأله الصفح .

وورد الخبر بدخول ابي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي[13] البصرة ، سحر يوم

---

١) في الاصل فاوما

٢) في الاصل شيئا

٣) في المنتظم ١٧٨/٦ بابك

٤) في الاصل على

٥) قال في المنتظم ١٧٩/٦ اخبرنا القزاز ، اخبرنا احمد بن علي ، اخبرنا ابو الطيب الطبري ، فلعله والد المؤلف

٦) في الكامل ١٧٥/٦ اليزدادي

٧) في المنتظم ١٧٩/٦ المخرمي

٨) في بغية الوعاة ١٧٩ سيند (بالدال المهملة) وكذلك في معجم الادباء ١٣٦/١ وفي الحاشية رقم ٣ منه علق انه ذكر في روضات الجنات

٩) في الاصل ابا

١٠) في الاصل شاغه

١١) في الاصل ولاكن

١٢) في المنتظم ١٧٩/٦ عليّ

١٣) تسبه في الكامل ١٧٥/٦ فقال : ابو طاهر سليمان بن ابي سعيد الهجري

الاثنين لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلاث مائة (٩٢٣)، في الف وسبعماية رجل، وانه وصل اليها بسلاليم[1] نصبها على سورهـا وقتل الحراس، وطرح بين كل مصراعين حمل رمل وحصى[2].

وقتل سبك المفلحي امير البصرة، واحرق المربد، وبعض الجامع، ومسجد قبر طلحة رضي الله عنه، ولم يعرض للقرى. وحاربه اهل البصرة عشرة ايام بالكلا وهربوا منه ... ح فيهم السيف، وغرق[3] منهم الكثير، واقام[4] بها سبعة عشر يوما، يحمل على ... امر الهم، وسار الى (...) بلده.

وادعى[5] ابن الفرات، على بن عيسى، انه كاتب القرامطة، على المصير الى البصرة، واحضر وتوظر، فلم يصح عليه امره.

وقال الهاني سمعت علي بن عيسى، يعنف ابا عبد الله حين حلفت ان استغلال[6] ضيعتك بواسط عشرة الاف دينار، وقد وجد بها في حساب الهاني، انه يرتفع فيها ثلاثين الف دينار، فقال البريدي تلبيت بسيدنا حين حلف لابن الفرات، ان استغلال ضيعته الصافية عشرون الف دينار، واستغلالها خمسون الفا.

وعلم انه مع ديانته، لو لم يعلم ان البقية مباحة عند من يخافه لما حلف، فكانه القم عليا حجرا.

وامتنع المقتدر من تسليم علي بن عيسى الى ابن الفرات، واراد حفظ نفسه، فادى ثمن دار كانت له بالجانب الغربي في سويقة ابي الورود، سبعة آلاف دينار، وقال للمحسن ما يمكنني اداء مصادرتي في اعتقالي، فالبسه جبة صوف وصفعه، فقام عند ذلك نازوك وقال لا احضر مكروه من قبلت يده السنين الكثيرة.

فلما علم ابن الفرات بفعل ابنه، لم يشك ان الخليفة ينكر ذلك، فبادر وكتب الى الخليفة فسأله في علي بن عيسى، وقال هو من مشايخ الكتاب، وعرفه خدمته، فخرج خط المقتدر، بان الصواب ما فعله المحسن، وانه قد شفعه فيه، وحل قيوده.

---

١) في الكامل ١٧٥/٦ ومعه السلاليم الشعر، وفي البداية والنهاية ١٤٧/١١ نصب السلالم الشعر في سورها

٢) في الاصل وحصا

٣) في الاصل وعرق

٤) يريد ابو طاهر

٥) في الاصل وادعا

٦) في الاصل استعلال

واشارت رندان[١] القهرمانة ، على ابن الفرات ، بتسليمه الى شفيع ، والا تسلمه الخليفة ، فاستدعى[٢] وسلمه اليه .

فخرج وقد اقيمت صلاة المغرب ، فقدم علي فصلى الناس في المسجد الذي على دجلة .

(٥٦/٢١) ومضى مع شفيع فجلس في صدر طياره[٣] ، وجلس شفيع بين يديه ، واسعف ابن الفرات وابنه عليا في مصادرته ، وحمل اليه ابو الهيجاء بن حمدان عشرة آلاف[٤] دينار ، فردها ، فحلف ابو الهيجا انهما لا رجعت الى ملكه ، ففرقت في الطالبين[٥] والفقراء . وبذل له شفيع اموالا فابى[٦] من قبولها ، وقال لا اجمع عليك مونتي ومعونتي .

ولما صعد درجة شفيع ، مد شفيع يده فاتكأ[٧] عليها ، ولما قبض على ابن الفرات ، جعل يرجف ، فقال له لم لم تعطني يدك كما اعطيتها عليا ، فقال لان عليا اتقى[٨] لله منك .

ولما ادى علي مصادرته ، اذن المقتدر لابن الفرات في ابعاده الى مكة ، فاستأجر له جمالا واعطاه نفقة ، وانفذ معه ابن الكوثاني صاحبه ، فاراد قتل علي ، فبلغ ذلك اهل مكة فهموا بقتل ابن الكوثاني ، فمنع علي منه ، وحفظه .

وصادر ابن الفرات جميع اسباب علي ، منهم ابن مقلة والشافعي ، ولما لم يجد على النعمان بن عبدالله الذي تاب من التصرف سبيلا في المصادرة ، وامتنع من الولاية ، احدره الى واسط ، وقبض البزوفري عليه من جامعها لما رأى[٩] من اكرام اهل البلد له ، واخذ منه سبعة آلاف[٤] دينار ، ونفى[١٠] ابن الحواري الى الايلة ، وخنق بالمنارة بعد ان عذب ، ثم نبشه اهله وحمل الى بغداد .

---

١) في الاصل ريدان ، براء مهملة

٢) في الاصل فاستدعا

٣) راجع في وصف الطيار ، حبيب زيات معجم المراكب والسفن في الاسلام ، المشرق ٤٣/٣٢١

٤) في الاصل ١٠ الاف

٥) في تجارب الامم ٥/١١٢ الطالبيين

٦) في الاصل فابا

٧) في الاصل فاتكي

٨) في الاصل اتقا

٩) في الاصل را

١٠) في الاصل ونفا

وصادر المحسن ابا الحسن علي بن مامون الاسكافي على ماية الف دينار[١] .
وصادر المادرائيين حين قدموا من مصر على الف الف وسبعماية الف دينار .
ونفى[٢] ابن مقلة الى البصرة .
وقدم مونس المظفر من الغزو وقد فتح (٥٧/٢١) عليه ، فاخبر ابن الفرات ما تم على العمال منهم ، فسعى[٣] به الى المقتدر ، فقال له ما شيء احب الي من مقامك ببغداد ، لاني اجمع بين الانس بقربك والتبرك برايك ، والصواب ان تقيم بالرقة ، فتتوسط الاعمال ، وتستحث على المال .
فعلم [مونس[٤]] ان ذلك من عمل ابن الفرات ، فاجاب اليه ، وسال في المادرائيين ، فاطلقا ، ونفذ في ذي القعدة .
وشرع ابن الفرات في السعاية بنصر القشوري وشفيع المقتدري ، فالتجا نصر الى السيدة ، فقالت للمقتدر ان ابن الفرات ، ابعد عنك مونسا ، وهو سيفك وقد حل له ابعاد حاجبك[٥] .
واتفق انه وجد على سطح دار السر في يوم الثلاثا لخمس خلون من محرم سنة اثني عشرة وثلاثماية (٩٢٤) ، رجلا اعجميا ، واقفا ، عليه ثياب ديبقي وتحتها قميص صوف ، ومعه محبرة واقلام وورق وحبل ، قيل انه دخل مع الصناع وبقي اياما ، وعطش فخرج لطلب الما ، فظفر به ، وسيل عن حاله ، فقال لا اخاطب غير صاحب الدار ، فقال له ابن الفرات . اخبرني عن حالك ، فقال لا اخاطب غير الخليفة ، فضرب وهو يقول نداتم[٦] حتى قتل بالعقوبة[٧] .
وخاطب ابن الفرات [نصر الحاجب[٨]] بحضرة المقتدر ، وقال كيف ترضى بهذا لامير المومنين ، وما يجوز ان ترضى به لنفسك ، وما سمعنا ان هذا تم على

---

١) زاد في تحفة الامراء ٦٦ وادى بعضها وتلف تحت المكروه
٢) في الاصل ونفا
٣) في الاصل فسعا
٤) زيادة عن تجارب الامم ١١٦/٥ يقتضيها السياق
٥) وتجد تتمة هذا التحريض في تحفة الامراء ص ٤٧
٦) في الكامل ١٧٦/٦ ثم جعل يقول بالفارسية نداتم ، معناه لا ادري فاس به فاحرق
٧) هذا الخبر ورد في الكامل ١٧٦/٦ تجارب الامم ١١٨/٥ في جملة اخبار سنة ٣١٢
٨) زيادة عن تجارب الامم ١١٨/٥ يقتضيها السياق

خليفة قط ، وهذا الرجل صاحب احمد بن صعلوك[1] الذي قتله ابن ابي الساج ، واما ان يكون قد دسته ليفتك بامير المومنين ، لتخوفك[2] على نفسك منه ، وعداوتك لابن ابي الساج ، وصداقتك لاحمد بن علي ، فقال له نصر ليت شعري ، ادبر على امير المومنين لانه اخذ اموالي ، ونكبني وهتك (٥٨/٣٢) حرمي وحبسني عشر سنين .

ولم يزل امر نصر يضعف والسيدة مدافعة عنه .

وكان يوسف بن [ابي[3]] الساج ، حين قلد اعمال الراي ، قتل بها احمد بن علي ، اخا صعلوك ، وانفذ براسه الى مدينة السلم .

ولليلتين خلتا من شعبان قرى الكتب على المنابر بمدينة السلم بفتح مونس المظفر في بلد الروم ، وامر فيه المقتدر برفع المواريث الحشرية ، كما فعل ذلك المعتضد بالله رحمه الله[4] .

سنة اثنتي عشرة وثلاثماية

ورد الخبر بان ابا طاهر بن ابي سعيد الجنابي ورد الهبير لتلقي حاج سنة احدى عشرة وثلاثماية (٩٢٣) في رجوعهم ، فاوقع بقافلة بغدادية ، واقام بقية القوافل بفيد ، فلما فنيت لزوادهم[5] ، ارتحلوا ، فاشار ابو الهيجا بن حمدان ، واليه [طريق[6]] الكوفة وطريق مكة ، ان يعدل بهم الى وادي القرى ، فامتنعوا وساروا فسار معهم مخاطراً[7] حتى بلغ الهبير ، ولقيهم ابو طاهر ، فقتل منهم خلقاً ، واسر ابا الهيجا واحمد بن بدر عم السيدة ام المقتدر وجماعة من خدم السلطان وحرمه .

وسار ابو طاهر الى هجر وسنه اذ ذاك سبع عشرة سنة ، ومات من

---

١) في تجارب الامم ١١٨/٥ احمد بن علي اخي صعلوك
٢) في الاصل لتخوفك
٣) سقطت في الاصل والسياق يقتضيها فزيدت
٤) في صلة عريب ٨٠ — ٨١ صورة هذا الكتاب
٥) كذا في الاصل وواضح في الكامل ١٧٧/٦ فلما فنيت ازوادهم
٦) زيادة عن تجارب الامم ١٢٠/٥ يقتضيها السياق
٧) في الاصل مخاطر

استاسره بالحفا والعطش ، فنال اهل بغداد منالا عظيماً، وخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه في الجانبين ، فانضاف اليهن من حرم الذين نكبهم ابن الفرات ، فانبسط لسان نصر عليه واشار على المقتدر بمكاتبة مونس .

ورجمت العامة طيار ابن الفرات ، وامتنعوا (٥٩/٢٩٣) من الصلوات في الجماعات .

وانفذ المقتدر[1] بياقوت وابنيه محمد والمظافر الى الكوفة ، ورجعوا حين علموا انصراف القرمطي الى بلده .

وجمع المقتدر بالله ابن الفرات ونصر وامرهما بالتظافر .

وقدم مونس الى بغداد ، فركب اليه ابن الفرات ، ولم تجر له عادة بذلك ، فخرج مونس الى باب داره ، وساله ان ينصرف ، فلم يفعل ، وصعد اليه من طياره حتى هناه بتقدمه ، وخرج معه مونس حتى نزل الطيار .

وانفذ المقتدر بنازوك وبليق فهجما[2] على ابن الفرات ، وهو في دار حرمه فاخرجاه حاسراً فاعطاه نازوك رداء قصب[3] فقال له مونس الان تخاطبني بالاستاذ وبالامس نفيتني الى الرقة والمطر يصب على راسي ثم تذكر لامير المومنين سعي في فساد مملكته .

ورجمت[4] العامة طيار مونس لكون ابن الفرات فيه وسُلم الى نصر وقبض على ولده واسبابه .

فكانت مدة ابن الفرات في هذه الوزارة الثالثة عشرة اشهر وثمانية عشر يوماً . واجتمع وجوه القواد فقالوا ان حبس ابن الفرات في دار الخلافة خرجنا باسرنا فسلم الى شفيع واعتقل عنده .

واشار مونس بتولية ابي القسم عبدالله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني فانفذ ابن الفرات الى المقتدر بتاية ونيف وستين الف دينار وقال لشفيع فعلت ذلك حتى لا يوهم الخاقاني المقتدر انه استخرجها .

١) في تجارب الامم ١٢٢/٥ واشار ابن الفرات بانفاذ ياقوت ... فقدم المقتدر

٢) في الاصل فهجم ، وفي البداية والنهاية ١٥٠/١١ ثم جاءه في ذلك اليوم اميران من جهة الخليفة

٣) في الكامل ١٧٨/٦ فالقى عليه يلبق طيلسانا

٤) في الاصل ورجمه

قال الحمل[١] كاتب شفيع ولم ار قلباً اقوى من قلب ابن الفرات سالني من قلد الخليفة وزارته فقلت الخاقاني فقال الخليفة نكب ولم انكب انا وسالني عمن استخلف في الدواوين فقلت في ديوان (١٦/ب) السواد ابن حفص فقال القدر رمى حجره وصيت له جماعة فقال لقد ايد الله هذا الوزير بالكفاءة .

واقر ابن الفرات بماية وخمسين الف دينار اخرى وطولب بالمكاره فلم يستجب بمال وكان لا يستجيب بمكروه وانفذ الى الخاقاني ايها الوزير لست غرًا جاهلًا فتحتال علي وانا قادر على مال اذا كتب الخليفة الي امانًا على نفسي لافديها بالمال ويشهد عليه القضاة فيه فقال الخاقاني لو قدرت على ذلك فعلت ، ولكن[٢] ان تكلمت عاداني خواص الدولة .

ورد الخليفة امره الى هارون بن غريب فاخذ يداريه وقال له انت اعرف بالامور وان الوزرا لا يلاجون الخلفا فلم يزل به حتى اخذ خطه بالفي الف دينار يعجل منها الربع وان يطلق له بيع ضياعه ، واوذن له في احضار دواة ، ليكتب الى من يرى[٣] او ان ينفذ الى شفيع اللولوي ، ويطلق الكلوذاني ليتصرف في امواله .

وكانت حماة[٤] المحسن لخروجه في زي النسا الى مقابر قريش فامست ليلة عن المصير الى الكرخ فصارت الى منزل امراة اخبرتها ان معها بنتا لم تتزوج وسالت ان ان تفرد لها بيتاً ففعلت وخلع المحسن ثيابه فجاءت جارية سودا بسراج، فوضعته في الصفة، فرات المحسن فاخبرت مولاتها فابصرت وكانت مولاتها زوجة محمد بن نصر وكيل علي ابن عيسى مات حين طالبه المحسن من الفزع فمضت امراة الى دار السلطان وشرحت الصورة لنصر فاركب نازوك وقبض عليه (١٦/ب) وضربت الدبادب[٥] لاجل الظفر به عند انتصاف الليل[٦] فظن الناس ان القرمطي قد كسر[٧] بغداد.

---

١) في تجارب الامم ٥/١٢٧ و١٢٨ الجمل ، بالجيم المعجمة

٢) في الاصل ولاكن

٣) في الاصل يرا

٤) في الاصل حمات ، راجع الكامل ٩/١٨٧ بشأن هذا الخبر.

٥) اي الطبل لصوته ج دبادب اقرب الموارد ٣١٦

٦) في الاصل اليل .

٧) كذا في الاصل ولعلها كبس كما هو في تجارب الامم ٥/١٣٢

وحمل الى دار مستخرج يعرف بابن بعدسر في المخرم بدار الوزارة فاجرى عليه المكاره واخذ خطه بثلاثة الاف الف دينار ثم ابتلع رقعته واقام على الامتناع من كتب شيء ، فضرب بالدبابيس على راسه وعذب .

واحضر ابن الفرات مجلس الخاقاني فناظره اشد مناظرة فلج ابن الفرات فيها فقال له الخاقاني انك استغللت ضياعك التي استغلها علي بن عيسى اربع ماية الف دينار وقال كان ذلك بعمارتي البلاد واعتادى ما جلب الربع ونوظر فيمن قتله ابنه وقيل له انت قتلتهم فقال هذا غير حكم الله قال الله تعالى[1] ولا تزر وازرة وزر اخرى[2] والنبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل معه ابنه لا يجني عليك ولا تجني عليه ومع هذا فان ابني لم يباشر قتلاً ولا سفك دماً واجاب مونس حين قال اخرجتني من بغداد فقال انما اخرجك مولاك حين كتب الي يشكو[3] ما يلاقيه من تبسط وفتحك البلدان بالمؤن الثليظة واعلاقك اياها بسوء التدبير . وسال احضار سفط فيه المهمات فاحضر وطلب الرقعة فوجدت فاخذها مونس ، وحملها الى المقتدر بالله واقراه الرقعة فزاد غيظه وامر بضربه فضرب خمس درر فقط وسلم وابنه الى نازوك فضربا حتى تودت لحومهما .

وحمل الخاقاني القواد على خلع الطاعة ان حملا الى دار الخليفة .

ولما توقف الخاقاني في قتلها وقال لست ادخل في سفك (٦٣/ب) الدما ولا اسهل على الخلفا قتل خواصهم .

وحمل الى ابن الفرات ما يفطر عليه فقال رايت اخي ابا العباس في المنام يقول افطارك عندنا وما اخبرني بشي الا وصح وانا مقتول .

فاخرج القواد توقيع المقتدر الى نازوك بضرب اعناقهما فقال هذا امر عظيم لا اعمل فيه بتوقيع ، فشافهه المقتدر بذلك .

وجاء نازوك فامر السودان فضربوا عنق المحسن واتى براسه الى ابيه فجزع وقال يا ابا منصور راجع امير المومنين فان عندي اموالاً[4] جمة فقال له جل الامر عن هذا وامر به فضرب عنقه وحمل راسه وراس ابنه الى المقتدر بالله فامر بتغريقهما .

---

١) في الاصل تلى .

٢) سورة فاطر الاية ١٧ .

٣) في الاصل يشكوا .

٤) في الاصل اموالٌ .

وكان سن ابي الحسن بن الفرات يوم قتل احدى وسبعين سنة وشهورًا وسن ابنه ثلاثا وثلاثين سنة .

وقال الشوحي[1] كان من عادة ابن الفرات ان يقول لكل من يخاطبه بارك الله فيك ولم يكن يفارق هذه اللفظة . وكان علي بن عيسى يقول في كلامه وال والك فكان الناس يقولون لو لم يكن بين الرجلين الا ما بين الكلامين من الخشونة واللطف لكان من اعظم[2] فرق .

ويقال ان علي بن عيسى خاطب الراضي يوماً بوال .

وكان ابن الفرات اذا ولي غلا معداذ الشمع والكاغظ[3] ، لكثرة استعماله لها فيعرف الناس ولايته لغلايها .

قال الصولي ابو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات من قرية يقال لها بابك[4] قريبة من صريفين وكان ابوه محمد بن موسى[5] ، تولى اعمالًا جليلة ، واكبر اولاده ابو العباس احمد وابو (٦٣/ب) عبدالله وابو عيسى من خيار المسلمين والزهاد جاور بمكة وواصل بها الصوم والصلاة ومات في وزارة اخيه .

وقد ذكرنا اسر القرمطي لالفي رجل ومايتين وعشرين وخمسماية امراة فاطلق منهم ابا الهيجا واحمد بن بدر عم السيدة وانفذ رسلًا يسال ان يفرج له عن البصرة والاهواز فلم تقع اجابة .

وكان سليمان[6] بن الحسن بن مخلد وابو[7] علي بن مقلة وابو الحسن محمد

---

١) كذا في الاصل ولعلها التنوخي .

٢) في الاصل اعضم .

٣) كذا في الاصل ولعله يريد الكاغد ، وقد شرح هذه اللفظة السيد حسن حسني عبد الوهاب احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في كتاب التبصر بالتجارة صفحة ٢٨ حاشية (رقم ١) ، وفي ثمار القلوب ٥٣١ للثعالبي نبذة عن كواغد سمرقند . وفي نهاية الارب للنويري ٣٦٧/١ وللاستاذ حبيب زيات بحث في دراهم الكاغد المشرق ٤٩٧/٣٥

٤) يقول ياقوت في معجم البلدان ٣٨٦/٣ بابل قرية من صريفين ، ولم يذكر بابك ولعله الصواب .

٥) كانت في الاصل ابن عيسى ، ثم ضرب على عيسى وكتب بعدها موسى .

٦) في الاصل سلمى .

٧) في الاصل ابوا .

بن محمد بن ابي البغل متقلين بشيراز فاطلقهم ابو[1] عبدالله الكرخي حين وقف على مثل ابن الفرات فكتب ابن ابي البغل على جانب تقويه .

وفي هذا اليوم ولد احمد بن يحيى[2] وله احدى وثمانون سنة واتفق ان سليمان هرب في زي الفيوجي[3] ، فاشتد الامر على الخاقاني وارجف له بالوزارة ودخل بغداد مستترا وصار ابن مقلة الى الاهواز واجري له في كل شهر مايتا دينار واذن له في المصير الى بغداد وسال موسى في علي ابن عيسى فكوتب صاحب اليمن بانفاذه الى مكة وحمل اليه كسوة ومالا نحو خمسين الف دينار ولما وصلها قلده الخاقاني الاشراف على الشام ومصر .

وتولى ابو العباس بن الخصيبي[4] استخراج سبعماية الف دينار من زوجة المحسن.

وشغب الجند على الخاقاني فلم يكن عنده ما يدفعه اليهم وبقي شهورا لا يركب الى الموكب .

وكان مونس بواسط واشار عند قدومه بعلي بن عيسى واشارت السيدة والخالة بابي العباس بن الخصيبي[4] ، وهو احمد بن عبدالله فولاه المقتدر (٦٦/٣٥) وقبض على الخاقاني وكانت وزارته سنة وستة اشهر .

وزارة ابي العباس الخصيبي[5]

استحضره المقتدر يوم الخميس لاحدى عشر ليلة خلت من شهر رمضان فقلده وخلع عليه وكان قبل كاتب القهرمانة واستكتب مكانه ابا يوسف عبد الرحمان بن محمد وكان تايبا من العمل فسماه الناسُ المرتد .

واستدرك اموالا كان الخصيبي اضاعها فتنكرت القهرمانة الخصيبي وضاعت الامور بوزارته حين كان مواصلا للشرب ليلا ونهارا ويبيت مخمورا.

فصادره الخاقاني على مايتي الف وخمسين الف دينار .

---

١) في الاصل ابوا .

٢) في الاصل يحيا .

٣) راجع في تغييره الجواليقي في المعرّب ٢٤٣ ، والجوهري في الصحاح ١/١٦١ والشرتوني في اقرب الموارد ٢/٩٥٤

٤) في الاصل الحصي .

٥) ذكر الكامل ٦/٦٨١ خبر هذه الوزارة في اخبار سنة ٣١٣

وصادر جعفر بن القسم الكرخي على ماية وخمسين الف دينار .

وتوجه جعفر ابن ورقا الشيباني بالحاج في الف من بني عمه وكان في القوافل الذين يتدرقون الحاج ستة الاف[1] رجل فلقيهم الجناي[2] فهزمهم بالعقبة وولوا الى الكوفة ، فخرج قواد السلطان فهزمهم واقام الجناي[2] بالكوفة[3] ستة ايام وحمل منها اربعة الاف[1] ثوب وشي وثلاثماية دواية زيت وانصرف الى بلده .

واضطرب الناس ببغداد وعبر اهل الغربي منها الى الجانب الشرقي .

واتى موسى الكوفة ، فاستخلف عليها ياقوتا

وسار مونس الى واسط .

وقريت الكتب بفتح ابن ابي الساج طبرستان .

ووردت خريطة الموسم لاثني عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة بان النحر كان بمكة يوم الثلاثا ونحر الناس ببغداد يوم الاثنين . وحج علي بن عيسى وما ورد بمكة من مصر[4] . (٦٥/٣٥)

سنة ثلاثث عشرة وثلاثماية

فيها فتح ابراهيم المسمعي ناحية القفص[5] واسر منهم خمسة الاف[1] رجل وحملهم الى فارس .

وكثرت الارطاب ببغداد حتى عملوا منها التمور وجهزوا بذلك الى البصرة ، فنسبوا الى البغي .

واتى القرمطي النجف فخرج مونس اليه فانصرف من بين يديه .

وفيها مات الخاقاني .

وفيها دخل الروم ملطية.

وفي هذه السنة توفي ابو الحسن علي بن محمد بن بشار الزاهد وقبره ظاهر بالعقبة عند النجمي يتبرك به وكان القادر بالله رضي الله عنه يزوره دايما وقال

---

١) في الاصل ،الاف .

٢) كذا في الاصل ولعله يريد الجنابي .

٣) في الكامل ١٨٠/٦ الى باب الكوفة .

٤) بياض بعدها في الاصل .

٥) في الاصل النقص والتصويب عن معجم البلدان ١٥٥/٤

في بعض الايام اني لاعرف رجلا ما تكلم منذ ثلاثين سنة بكلمة يعتذر منها، فعلم الحاضرون انه اراد نفسه .

وجاءته امراة، فقالت ان ابني قد غاب، وقد طالت غيبته فقال لها عليك بالصبر فظنت انه يامرها باكل الصبر وكانت عندها برنية مملوة صبرا فمضت واكلت نصفها في مدة، على مرارة من العيش وشدة من الحال ثم رجعت اليه فشكت اليه غيبته فقال لها عليك بالصبر فقالت قد وفى من البرنية قال لها واكلتيه قالت نعم قال اذهبي فابنك قد ورد فرجعت الى منزلها فوجدت ابنها هناك .

وسمع ابن بشار من تاج المقتدر بالله غناء فلما اصبح قال هذا الامام ولا يمكننا الانكار على الامام، ولكن[1] ننتقل، فبلغ ذلك المقتدر بالله فانفذ اليه ايها الشيخ لا تزعج فتزعجنا ونحن اولى بالانتقال منك، فكان هذا من عمل خادم وقد ادبناه وصرفناه عن دارنا ولن ترى بعدها ولا تسمع ما تكره.

سنة اربع عشرة وثلاثمائة

فيها، مات الخاقاني[2] .

ودخل الروم ملطية فاخربوا سورها واقاموا ستة عشر يوما فدخل اهلها مستغيثين وبلغ اهل مكة مصير القرمطي نحوهم فنقلوا حرمهم واموالهم .

واستدعى ابن ابي الساج الى واسط وقلد اعمال المشرق وكناه الخليفة بابي القسم يتكنى بذلك على جميع القواد الا على الوزير ومونس المظفر وحمل اليه المقتدر خلعا سلطانية وخيلا بمراكب ذهب وطيبا وسلاحا .

ودعى[3] الى الري واضطرب امر الخصيبي[4] لاحدى عشر ليلة خلت من ذي القعدة .

واشار مونس بعلي بن عيسى فاستدعى[5] المقتدر ابا القسم عبدالله[6] بن محمد

---

١) في الاصل ولاكن .

٢) وردت وفاة الخاقاني هذا في الكامل ١٨٥/٦ وتجارب الامم ١٤٧/٥ في جملة اخبار السنة السابقة وزاد الكامل قوله وهرب ابنه عبدالوهاب، ولم يحضر غسل ابيه ولا الصلاة عليه .

٣) في الاصل ودعا . ٥) في الاصل فاستدعا

٤) بعدها بياض في الاصل. ٦) في تجارب الامم ١٤٩/٥ وتحفة الامراء ٣٠٩ عبيدالله

الكلواذي واستخلفه لعلي[١] واستحضر سلامة الطولوني فتقدم اليه بالنفوذ في البرية الى دمشق ليحضر عليا . وظهر في ذلك اليوم ابن مقلة وجماعة من الكتاب ، وسلموا على الكلوذاني وتمكنت هيبة علي بن عيسى في الصدور .

ووصلت حمول من البلدان مشى[٢] بها الكلوذاني الامور .

واطلقت في شهر رمضان ام موسى الهاشمية من حبسها والزمت منزلها .

ولم يحج احد من العراق .

سنة خمس عشرة وثلاثماية

وزارة علي بن عيسى الثانية ($\frac{٦٧}{٣٦}$)

في صفر وصل علي بن عيسى الى بغداد وانفذ اليه المقتدر في ليلته فرشا وثيابا بعشرين[٣] الف دينار وخلع عليه وسار من الغد بين يديه كافة القواد الى دار[٤] بباب البستان[٥] فاعتقد العفو عن من اساء اليه .

واشتغل بالعمل ليلا ونهارا ، فاستقامت الامور .

وكان الى عبدالله البريدى الضياع الخاصة ضمانا[٦] .

واقطاع الوزارة[٧] الى ابي يوسف اخيه الخراج براهرمز[٨] .

واحضر علي بن عيسى الحصيي وناظره مناظرة جميلة[٩] واخذ خطه باربعين الف دينار . ومات ابراهيم المسمي بالتوبندجان[١٠] ، فقلد علي بن عيسى مكانه ياقوتا وقلد ابا طاهر محمد بن عبد الصمد كرمان .

---

١) في البداية والنهاية ١١/١٥٤ قال نيابة عن علي بن عيسى

٢) في الاصل مشا

٣) في البداية والنهاية وعشرين

٤) في تجارب الامم ٥/١٥١ داره

٥) عرف به الاستاذ ميخائيل عواد في الكتاب الذي نشره باسم اقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء للصابي ، صفحة ٧٢

٦) في الاصل صانا والتصويب عن تجارب الامم ٥/١٥٢

٧) في تجارب الامم ٥/١٥٢ الوزراء .

٨) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٥/١٥٣ برامهرمز

٩) المناظرة هذه نطالعها بالتفصيل في الكامل ٦/١٨٤ ، وفي الكامل ان المقتدر امر جا فاجريت ١٠) في الاصل بالتوبجان والتصويب عن الكامل ٦/١٩٠ وتجارب الامم ٥/١٥٧

وقلد اعمال الاهواز ابا الحسن احمد بن محمد بن ماسداد[1] فقال ابو عبدالله البريدي تقلد هولاء هذه الاعمال وتقصر باخي ابي يوسف علي بن مهرمز وبي على ضياع الوزرا وكان قد كتب له بذلك منشورا خذ يا بني هـذا الكتاب فان لطلبي[2] صوتاً تسمعه بعد ايام .

وانفذ ابو عبدالله البريدي اخاه ابا الحسين الى الحضرة لما بلغه اضطراب امر علي بن عيسى وقال له اضمن اعمال الاهواز اذا ولي الوزارة من يرتفق فان عليا عفيف .

فلما ولي ابن مقلة الوزارة اعطاه عشرين الف دينار حتى ولاه الاهواز ، ثم صرفه بابي محمد الحسين بن احمد المادراني[3] ، فبان من تخلفه[4] ما صار به حديثاً .

واخذ عليه البريدى الطرقات فكان كل كتاب يكتبه يوخذ فما قرى له كتاب منذ دخل الاهواز الى ان (٣١٨) خرج عنها . فصرفه ابو علي بابي عبدالله البريدى واعترف باحترازه بطلل[5] المادراني .

وكان اقطاع الوزرا ماية وسبعين الف دينار بعد نفقاتهم فلم ياخذ ذلك علي بن عيسى وقال ضيعتي تكفيني .

ودخل الروم شميشاط ، وضربت ملكيهم في الجامع النواقيس .

ووقعت وحشة بين المقتدر بالله ومونس سببها انـه حكي له ان المقتدر تقدم الى خواص خدمه بحفر زبية تغطى بالقصب فاذا اجتاز مونس وقع فيها فهلك فامتنع من المشي الى دار السلطان وركب اليه القواد فيهم عبدالله بن حمدان واخوته وقال له [عبدالله][6] ابن حمدان نقاتل بين يديك ايها الاستاذ حتى تنبت لحيتك فكاتبه المقتدر بالله على يدي نسيم الشرابي على بطلان ذلك فجاء وقبل الارض وحلف له المقتدر على صفاء نيته وامره بالخروج الى الروم فخرج

١) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٥٧/٥ ما نبداذ

٢) في تجارب الامم ١٥٨/٥ لطبلي

٣) في تجارب الامم ١٥٨/٥ وتحفة الامراء المادرائي

٤) في تجارب الامم ١٥٨/٥ تجلفه

٥) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٥٩/٥ بطلل ذلك الشيخ

٦) زيادة عن تجارب الامم ١٦٠/٥ يقتضيها السياق

وشيعه الامير ابو العباس[١] وعلي بن عيسى ونصر الحاجب وهارون بن غريب .

وفي هذه السنة كان ظهور الديلم لما خرج ابن ابي الساج عن الري غلب عليها ليلى بن النعمان ثم ما كان بن كاكي ، ودخل [هذا الرجل][٢] في طاعة صاحب خراسان .

وغلب بعده اسفار بن شيرويه وكان مرداويج[٣] احد قواده فلما ظلم اسفار اهل قزوين خرج رجالهم ونساوهم مستغيثين الى المصلى داعين الله عليه فخرج عليه مرداويج ، فهزمه فالجاه مرداويج حين راى[٤] اثار حوافر الفرس فدخل عليه فاحتز راسه ، وعاد الى قزوين ووعدهم الجميل واظهر الخوف من دعايهم .

ثم [ان مرداويج][٥] تغلب على الري (٣١٩/٣٢٣) واصبهان واساء السيرة باصبهان حاجبه وعظمت هيبته ، وجلس على سرير ذهب وكان ينقص[٦] الاتراك ، وكان يقول[٧] انا سليمان وهولاء الشياطين وكان اذا سار انفرد عنه عسكره خوفا منه فاشتق[٨] العسكر شيخ على دابة وقال زاد امر هذا الكافر ، واليوم تكفونه[٩] ، وياخذه الله اليه قبل تصرم النهار فدهشوا واتبعوه فلم يجدوه .

وعاد مرداويج الى داره فنزع ثيابه ودخل الحمام واطال فهجم عليه الاتراك فقاتلهم بكرنيب فضة فحزوا راسه بعد ان شقوا بطنه وظنوا انهم تلوه فلما دخلوا عليه ثانياً راوه قد رد حشو بطنه ، وامسكها بيده وكسر جامه الحمام وهم الخروج .

وقبض ابن ابي الساج على كاتبه ابي عبدالله بن خلف البرقاني[١٠] لما عرف

١) يعني الراضي بالله كما ورد في الكامل ١٨٦/٦
٢) زيادة عن تجارب الامم يقتضيها السياق
٣) في تجارب الامم ١٦١/٥ مرداويج بن زيار
٤) في الاصل راه
٥) زيادة عن تجارب الامم ١٦٢/٥
٦) في تجارب الامم ١٦٣/٥ يبغض من الاتراك
٧) القول لمرداويج فليعلم
٨) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٦٢/٥ ايضاً
٩) في تجارب الامم ١٦٣/٥ تكفونه
١٠) في تجارب الامم ١٦٦/٥ ابو عبدالله محمد بن خلف النيرماني

سمايته به وسلمه الى كاتبه حسن بن هارون[1] وقيده واخذ خطه بست ماية الف دينار.

وكاتب المقتدر ابن ابي الساج لحرب القرمطي لما عرف خروجه من هجر لثلاث بقين من شهر رمضان واطلق له من بيت مال الخاصة فيما ينصرف الى علوفه بين واسط والكوفة فحمل ذلك اليه سلامة الطولوني وامر علي بن عيسى عمال الكوفة باعداد الميرة لابن ابي الساج .

وسار ابن ابي الساج من واسط طالبا الكوفة لليلة بقيت من شهر رمضان .

واطلق ابو طاهر القرمطي اسارى الحاج ووصل الكوفة فاخذ ما اعد ليوسف وهو ماية كر دقيقا ، والف كر شعيرا .

ووافى[2] يوسف الكوفة بعد وصول ابي طاهر اليها بيوم وكان قد[3] (٧٠/٣٨) تقارب عسكر ابن ابي الساج وعسكر ابي طاهر في يوم ضباب واحس[4] به ابو طاهر وكف عنه فالتقوا يوم السبت لتسع خلون من شوال على باب الكوفة فاحتقر ابن ابي الساج عسكر ابي طاهر ، وازرى[5] عليهم وتقدم يكتب كتاب الفتح قبل اللقا تهاوناً بامره .

والتفت ابو طاهر الى رفيق له وقد سمع صوت البوقات والدبادب وكانت عظيمة جدا فقال ما هذا الزجل[6] ، فقال له صاحبه ، فشل فقال اجل .

وعبى ابن ابي الساج رجاله ، وكان القتال من ضحى[7] النهار الى غروب الشمس فثبت يوسف ثباتاً حسناً وجُرح من اصحاب ابي طاهر بالنشاب خلق وكان ابو طاهر في عمارية مع مايتي فارس من اصحابه فنزل حينئذ وركب فرسا وحمل بنفسه وحمل يوسف بنفسه واشتبكت الحرب فاسر يوسف ابن ابي الساج بعد ان ضرب على جنبه ضربة وقد اجتهد به اصحابه في الانصراف فابى وقتل من اصحابه خلق وانهزم الباقون .

---

١) في تجارب الامم ١٦٦/٥ ابو علي الحسن بن هرون

٢) في الاصل ورافا

٣) تكررت في الاصل وكان قد

٤) في الاصل واحسن

٥) في الاصل وازرا

٦) الزَّجَل الجلبة ، وموكب زجل ذو ضجيج اقرب الموارد ٤٥٧/١

٧) في الاصل ضحا

وحمل يوسف الى عسكر ابي طاهر فضرب له خيمة وفرشت ووكل به واستدعى[1] بطبيب يعرف بابن السبعي[2] ليعالجه فقال قد جمد الدم على وجهه واريد ماء حارا قال فلم اجد عندهم ما اسخن فيه الما ، فغسله بالما البارد وعالجه . قال الطبيب وسألني يوسف عن اسمي واهلي فاخبرته فوجدته بهم عارفاً ايام تقلده الكوفة فعجبت من فهمه وقلة اكتراثه بما هو فيه .

ولما وصل الخبر بغداد دخل الناس كآبة[3] عظيمة وعولوا على الانحدار الى واسط .

ثم ورد (٧١/٣٨) الخبر بان ابا طاهر رحل يوم الثلاثا لاثنتي عشر ليلة خلت من شوال قاصداً عين التمر فاستاجر علي بن عيسى خمسماية سميرية وجعل فيها الف رجل وانفذ بالطيارات والشذآت[4] وحولها الى الفرات واقعد فيها الحجرية لمنع القرمطي من عبور الفرات وتقدم الى القواد بالمسير الى الانبار لحفظها .

فلما كان يوم الجمعة راى[5] اهل الانبار خيل ابي طاهر مقبلة في الجانب فقطعوا الجسر وعبر ابو طاهر في ماية رجل ، ونشبت الحرب بينه وبين اصحاب السلطان وعقد الجسر وحالف[6] سواد الذين في السفن الى الجسر فاحرقوه فبقي ابو طاهر في الجانب الشرقي وعسكره وسواده في الغربي وحالت السفن بينهما .

وورد الخبر الى بغداد بقتل ابي طاهر القواد فخرج نصر الحاجب ومعه الحجرية والرجالة ومن ببغداد من القواد وبين يديه علم[7] الخلافة ومعه ابو الهيجا [عبدالله][8] بن حمدان واخوته .

---

١) في الاصل واستدعا

٢) في تجارب الامم ١٧٥/٥ السبيعي

٣) في الاصل كآبة

٤) في الاصل والشذاءات راجع في الشذآت هذه الزيادات حبيب معجم المراكب والسفن في الاسلام ، المشرق ٦٣/ ٣٢١

٥) في الاصل راءا

٦) في الاصل اصحاب سواد ، ولكن ضرب على اصحاب ، وفي تجارب الامم ١٧٦/٥ وعبر وخلف سواده في الجانب الغربي

٧) وصفه في تجارب الامم ١٧٦/٥ بقوله علم الخلافة وهو شبيه باللواء اسود وعليه كتابة بياض (محمد رسول الله) . اه

٨) زيادة عن الكامل ١٨٧/٦ يقتضيها السياق

فاجتمع مع نصر ما يزيد على الاربعين الف رجل فنزل على قنطرة النهر المعروف بزبارا بناحية عقرقوف على فرسخين ولحق به موسى واشار ابو الهيجا على نصر الحاجب وعلى مونس بقطع نهر[1] زبارا ، والح عليه في ذلك فلما راه[2] متثاقلا عن قبول رايه قال له ايها الاستاذ اقطعها واقطع لحيتي معها فقطعها حينئذ .

وسار ابو طاهر ومن معه من اصحابه في الجانب الشرقي من الفرات قاصدين نهر زبارا فلما صار على فرسخ واحد من عسكر السلطان اخر يوم الاثنين لعشر خلون من ذي القعدة ($\frac{٧٢}{٣٠٩}$) بات موضعه .

وباكر المسير الى القنطرة ، فوجدها مقطوعة ، وتقدم احد رجاله [وكان][3] اسود يقال له صبح فما زال النشاب ياخذه حتى صار كالقنفذ وهو مقدم فراى القنطرة مقطوعة فرجع .

ولما علم[4] اصحاب ابي طاهر ان النهر لا نخيض[5] ، عادوا القهقرى[6] من غير ان يولوا اظهرهم وعادوا الى الانبار ولم يجسر احد على اتباعهم .

وكان الراي فيما اشار به ابو الهيجا من قطع القنطرة ولولاها لعبر القرمطي غير مستهول لجمع اصحاب السلطان .

وطمع مونس المظفر في سواده وتخليص ابن ابي الساج من اتياده فانفذ بليق[7] حاجبه وجماعة من القواد ، وستة آلاف[8] من غلمان يوسف فبلغ ذلك ابا طاهر فانفرد من اصحابه ماشيا وعبر في زورق صياد دفع اليه الف دينار فاجتمع مع قومه فلم يثبت له بليق[7] ، وبصر [ابو طاهر[9]] بابن ابي الساج

---

١) في تجارب الامم ١٧٧/٥ بقطع قنطرة نهر زُبارا

٢)* في الاصل رءاه

٣) زيادة يستقيم بها الكلام

٤) في الاصل ولما علم رجع ولكن ضرب على رجع

٥) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٧٧/٥ يخيض ، وفي الكامل ١٨٧/٦ لان النهر لم يكن فيه مخاضة

٦) في الاصل القهقرا

٧) في تجارب الامم ١٧٨/٥ يلبق وكذلك في الكامل ١٧٨/٦

٨) في الاصل ءالاف

٩) زيادة عن الكامل ١٨٨/٦ يقتضيها السياق

وقد خرج من الخيمة لما ناداه علمانه فقال له القرمطي طمعت في تخليدهم لك وامر به فضربت عنقه واعناق من كان معه من الاسرى[١] .

واحتال ابو طاهر في عبور اصحابه من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي وكان مع ابي طاهر سبعماية فارس ، وثمان ماية راجل .

وتقدم علي بن عيسى الى نازوك بالطوف ببغداد ليلًا ونهارًا لكثرة العيارين واباح دم من ظهر منهم ونقل الناس امتعتهم الى منازلهم خوفًا منهم واكترى وجوه الناس السفن .

وقصد القرمطي هيتا وبها هارون بن غريب وسعيد بن حمدان فقاتلا من علا سورها بالمنجنيقات بعد ان قتلوا من اصحابه عدة (٢٣/٣٩) فسكنت نفوس من ببغداد .

وتصدق المقتدر[٢] بماية الف درهم .

وبادر علي بن عيسى الى المقتدر بالله وقال له انما جمع الخلفاء الاموال ليقمعوا بها الاعداء ولم تلحق المسلمين مضرة كهذه من هذا الكافر الذي اوقع بالحاج سنة اثني عشرة وثلاثماية (٩٢٤) ولم يبق في بيت مال الخاصة شيء فاتق الله يا امير المومنين وخاطب السيدة حتى تطلق ما عندها من مال دخرته لشديدة فهذه امها[٣] وان لم يكن هناك شيء فالحق خراسان .

فدخل الى السيدة فاعطته خمس ماية الف دينار وكان في بيت مال الخاصة مثلها .

واخبر علي ابن عيسى بحال رجل شيرازي يكاتب القرمطي واتباعه فاحضره فاقر انه من اصحابه لم يتبعه الا لحق رآه[٤] معه وقال له لسنا كالرافضة الحمقا الذين يدعون اماما منتظرا وامامنا فلان بن فلان بن اسماعيل بن جعفر فامر به فحبس بعد الضرب فامتنع في حبسه من الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة ايام .

---

١) في الاصل الاسرا

٢) في تجارب الامم ٥/١٨٠ وتصدق المقتدر والسيدة

٣) كذا في الاصل ولعله يريد اوانها

٤) في الاصل رءاه

وكتب القرمطي الى مونس كتاباً في اخره[١] .

قولوا لمونسكم بالراح كن انساً واستتبع الراح سرنايا[٢] ومزمارا
وقد غللت عن شوق تقاذف بي بيتاً من الشعر للماضين قد سارا
تزودكم لا مواخذكم بجفونكم ان الكريم اذا لم يستزر زارا
ولا تكون كانتم في تخلفكم من عالج الشوق لم يستبعد الدار

وله اشعار كثيرة ، تركناها لشياعتها .

(٧٦/ب) سنة ست عشرة وثلاثمائة

دخل مونس المظفر بغداد ، وبعده[٣] نصر .

وندب مونس للخروج الى الرقة لما وصل الخبر باستيلاء القرمطي على الرحبة حرباً وقتله اهلها .

ورهبت الاعراب ابا طاهر حتى كانوا يتطايرون عند سماع ذكره وجعل على كل بيت[٤] منهم دينارا[٥] بعد ان نهبهم .

وعاود القرمطي هيتا فلم يقدر عليها فاتى الكوفة وجاء الى قصر ابن هبيرة[٦] ، فاخرج اليه نصر فحُمّ نصر حمى شديدة حادة فسار مع ذلك الى شورا[٧] وبينه وبين القرمطي نهرها .

فاستخلف على الجيش احمد بن كيغلغ وانفذ معه الجيش .

وانصرف القرمطي من غير لقا .

واشتدت علة نصر[٨] ، وجف لسانه من شدة الحمى[٩] فاعيد الى بغداد فمات

١) في الاصل ،اخره

٢) عقد ابن سيده في المخصص ١١/١٣ وما بعدها ، فصلا في اسماء الصنج والعود والمزامير . ولم اقف فيه على سرنايا

٣) في تجارب الامم ١٨٢/٥ ودخل بعد نصر

٤) في البداية والنهاية ١٥٧/١١ وفي الكامل ١٩١/٦ ايضا راس

٥) في الكامل ١٩١/٦ وقرر عليهم اتاوة على كل رأس ديناران يحملونه الى هجر وكذلك في البداية والنهاية ١٥٧/١١ ديناران

٦) كذا في الاصل ولعلها هبيرة ، كما هو واضح من السياق

٧) قال البكري في معجم ما استعجم ٩٨/١-٩٩ وحذا أبلى من غربيها قنة يقال لها الشورة ، فهل الى هذا يقصد ؟

٨) ترجم له في المنتظم ٢٢٠/٦

٩) في الاصل الحما

في الطريق في عمارية[١] فانفذ المقتدر على الجيش هارون بن غريب فدخل بهم بغداد.

واقام علي بن عيسى حين راى[٢] تنكر الامور على الاستعفا من الوزارة والمقتدر يجبله ويستوقفه حتى اعفاه[٣].

واستوزر المقتدر ابا علي بن مقلة ضرورة وذلك بمشورة نصر فلما كان في النصف من شهر ربيع الاول انفذ المقتدر هارون بن غريب ومعه ابو جعفر بن شيرزاد للقبض على علي بن عيسى فاستحيي[٤] هارون من لقايه بذلك فانفذ ابا جعفر فوجده مستعداً قد لبس خفا وعمامة وطيلسانا واستصحب مصحفا ومقراضاً وسال هارون صيانة حرمه ، ففعل وحمله مع اخيه ابي علي[٥] ($\frac{٧٥}{٢٠}$) الى دار السلطان فاعتقله في دار زيدان[٦] القهرمانة[٧] وكانت وزارته هذه سنة واربعة اشهر ويومين .

وزارة ابي علي بن مقلة

وقد كان محمد بن خلف الزماني[٨] بذل في الوزارة ثلاثماية الف دينار فلم تقبل منه لما عرف منه الجهل بالكتابة والتهور في الافعال .

واحضر ابن مقلة يوم الخميس سادس عشر ربيع الاول وقلد الوزارة ووصل الى الخليفة وخلع عليه وحمل اليه طعاما على العادة التي جرت للوزرا اذا خلع عليهم .

ودس نصر الحاجب على علي بن عيسى من[٩] ادعى مكاتبته القرمطي على يده وذلك لعداوة بينه وبينه والمايلة على لمونس .

وعزم الخليفة على ضرب علي بن عيسى بالسياط على باب العامة فوقفت السيدة على بطلان الامر فازالت من نفس المقتدر تصديق ذلك وثنته عن رايه في معاقبته .

---

١) العمارية مودج يجلس فيه اقرب الموارد ٨٢٩/٢
٢) في الاصل رءا
٣) اسهب ابن الاثير في الكامل ١٩٢/٦ في صورة هذا العذر
٤) في الاصل استحيا
٥) في تجارب الامم ١٨٥/٥ ابو علي عبد الرحمن
٦) في الاصل ريدان ، والتصويب عن الاصول
٧) زاد في تجارب الامم ١٨٥/٥ واعتقل عبد الرحمن عند نصر
٨) كذا في الاصل وفي الاصول النيرماني ، وترجم له في اللباب لابن الاثير ٢٥١/٣
٩) في تجارب الامم ١٨٦/٥ ويعرف بالجوهري

واتفق لابن مقلة ما مشى بـه الامور انفاده البريدي اه وكان بينهما مودة سفاتجا بثلاثماية الف دينار ، وغير ذلك من وجوه اخر .

وتغاير سواس نازوك[1] وسواس هارون بن غريب[2] على غلام امرد فوقع الحرب بينهم فاخذ نازوك سواس هارون وحبسهم فصار اصحاب هـارون الى مجلس الشرطة وضربوا خليفة[3] نازوك واخذوا اصحابه فلم ينكر ذلك المقتدر . فجمع نازوك رجاله وزحف الى دار هارون فقتل من اصحابه قوما ووقعت الحرب فجاء ابن مقلة ومفلح الاسود فاديا رسالة(٧٦/٤١) اليهما عن المقتدر حتى كفا .

واقام مونس في داره مستوحشا فاظهر ان ذلك لمرض في ساقه وصار اليه هارون لابسا دراعة فاصطلحا .

واقـام هارون ببستان النجمي ، قاصدا للبعد من الفتن فكتب اصحاب مونس اليه وهو بالرقة بان الامر قـد تم لهارون في امرة الامرا ، فاسرع الى بغداد ولم ينحدر الى المقتدر .

وصعد[4] اليه الامير ابو العباس[5] والوزير ابو علي[6] فسلما عليه .

وقدم عليه ابو الهيجا من الجبل وقلد احمد بن نصر الحجبة واخذ منه ستين الف دينار وذلك في شهر رمضان وصرف في ذي الحجة .

وقبض ابن مقلة على ابي محمد عبدالله كاتب نصر والزمه خمسين الف دينار

سنة سبع عشرة وثلاثماية

في يوم السبت ثالث[7] المحرم خرج مونس الى باب الشماسية وخرج الجيش معه وعبر اليه نازوك في اصحابه وخرج اليه ابو الهيجا وساير القواد ثم انتقلوا الى المصلى .

١) في الاصل بازوك
٢) في البداية والنهاية ١٥٨/١١ وهو ابن خال المقتدر
٣) في تجارب الامم ١٨٧/٥ وهو ابو الجود
٤) في الاصل وصاعد وكذلك في تجارب الامم ١٨٨/٥
٥) في الكامل ١٩٥/٦ ابو العباس بن المقتدر
٦) في الكامل ١٩٥/٦ والوزير ابن مقلة
٧) في تجارب الامم ١٨٩/٥ لثلاث

وشحن المقتدر داره بهارون بن غريب واحمد بن كيغلغ والحجرية والرجالة المصافية فلما كان آخر[1] النهار حتى مضوا الى مونس .

وارسل مونس للمقتدر[2] بان الجيش عاتب لما يصير الى الخدم والحرم ودخولهم في الراي وهم مطالبون باخراجهم عن الدار فاجابه المقتدر برقعة طويلة فيها « امتعني الله بك ولا اخلاني منك ولا اراني سوءا فيك ، تاملت الحال التي خرج اولياونا وصنايعنا وشيعتنا اليها وتمسكوا بها (٢٢/٤١) واقاموا عليها فوجدتهم لم يريدوا الا صيانة نفسي وولدي واعزاز امري وملكي بارك الله عليهم واحسن اليهم واعانني على صالح ما انويه لهم .

واما انت يا ابا الحسن المظفر لاخلونا منك فشيخي وكبيري ومن لا ازول ولا احول عن الميل اليه والتوفر عليه والتحقق به اعترض ما بيننا هذا الحادث او لم يعترض وانتقض هذا الامر الذي لحقنا او لم ينتقض وارجو ان لا تشك في ذلك ان[3] [صدقت نفسك] وحاسبتها ، وازلت الظنون السيئة عنها ادام الله حراستها .

وما والذي ذكره اصحابنا من امر الحرم والخدم قول اذا تبينوه حق تبينه وتصفحوه حق تصفحه علموا انه قول جاف والبغي فيه علي غير مستتر ولا خاف ولا يثاري موافقتهم واتباعي مصلحتهم[4] اجبتهم الى المتيسر[5] في امر هذه الطبقة واتقدم بقبض اقطاعاتهم وحضر[6] تسويغاتهم ، واخرج من تجوز[7] اخراجه من داري ولا اطلق للباقين الدخول في تدبيري ورايي واوعز بمكاتبة العمال في استيفاء حق بيت المال من ضياعهم الصحيحة الملك دون ما يقال انه [قد[8]] لابسه الريب والشك وانظر لنفسي في امر الخاصة والعامة وابلغ في انصافها والاحسان اليها الغاية .

١) في الاصل ،اخر
٢) في الاصل والصواب ما ذكر
٣) بعدها بياض في الاصل والزيادة عن تجارب الامم ١٩٠/٥
٤) في تجارب الامم ١٩٠/٥ مرتهم ما
٥) في الاصل الميسر والتصويب عن تجارب الامم ١٩٠/٥
٦) في تجارب الامم ١٩٠/٥ حظر
٧) في الاصل تحوز
٨) زيادة عن تجارب الامم ١٩٠/٥ يقتضيها السياق

واما انتم فمعظم نعمكم مني وما كنت لاعود عليكم في شي سمحت به ورايته في وقتــه واراه الان زهيدا في جنب استحقاقكم وانا بتشييده اولى وبتوفيره احرى . ونازوك ، فلست ادرى لاي شي عتب ولا لاي حـال استوحش (٢٧ب/٣) واضطرب فما غيرتُ له حالا ولا حزتُ له مالا .

وعبدالله بن حمدان فالذي احفظه صرفه عن الدينور وتبيى[1] اعادته اليها ان كان راغبا فيها وما عندي له ولنازوك والعصاة[2] كلها الا التجاوز والاتقا .

وبعد هذا وقبله فلي في اعناقكم بيعة قد وكدتموها على انفسكم دفعة بعـد اخرى[3] ومن بايعني فانمـا بايـع الله سبحانه ، ومن نكث فانمـا نكث عهد الله ولي عندكم ايضا نعم واياد وعندكم صنايع وعوارف آمل[4] ان تعترفوا بها وتلتزموها وتشكروها فان راجعتم هذا الجميل وتلقيتم هذا الخطب الجليل وفرقتم جموعكم ومزقتموها وعدتم الى منازلكم واستوطنتموها كنتم بمنزلة من لم يبرح من موضعه ولم يات بما يعود بتشمث[5] محله وموقعه وان ابيتم[6] الا مكاشفة ومخالفة فقد وليتكم ما توليتم واغمدت سيفي عنكم وجات في نصرتي ومعونتي الى الله سبحانه ولم اسلم الحق الذي جعله الله تعالى[7] لي واقتديت بعثمان بن عفان رضي الله عنه حين لم يخرج من داره ولم يسلم حقه لما خذله عامة ثقافته وانصاره ، والله تعالى[7] بصير بالعباد والظالمين بالمرصاد[8] .

ولما وقف مونس ونازوك وابو الهيجا على الرقعة طالبوه باخراج هـارون فاخرجه من يومه الى الثغور الشامية والجزرية .

وعاد مونس والجيش الى بغداد في يوم عاشورا وزحفوا الى دار السلطـان فهرب المظفر بن ياقوت والخدم والحجاب وابن مقلة .

---

١) في الاصل تميا

٢) في الاصل والعيمات

٣) في الاصل اخرا

٤) في الاصل امل ، والتصويب عن تجارب الامم ١٩١/٥

٥) في الاصل تشمث والتصويب عن تجارب الامم ١٩١/٥

٦) في الاصل انتم والتصويب عن تجارب الامم ١٩٢/٥

٧) في الاصل تعلى

٨) هذه الرسالة ساقطة في الكامل ٢٠٠/٦ الا بعض اشارات ، وفي المنتظم ذكر منها نتفة .

فاخرج المقتدر والدته وخالته وحرمه ليلا الى دار مونس (٧٩/٤٣) فدخل حينئذ من قطربل الى بغداد مستترا .

واصعد نازوك بغلامه مونس الى دار ابن طاهر ففتح له كافور الموكل بها وسلم اليه محمد بن المعتضد بالله واحرق في طريقه دار هارون .

وبويع محمد بالخلافة بايعه مونس والقواد ولقب القاهر بالله .

واخرج مونس علي بن عيسى من دار السلطان فاطلقه الى منزله .

وقلد ابا علي بن مقلة وزارة القاهر .

وقلد نازوك الحجبة والشرطة .

واضاف الى اعمال ابي الهيجا اعمالا كثيرة ومضى[١] بني بن نفيس بعد ان وقع النهب في دار السلطان الى تربة السيدة بالرصافة فوجد لها هناك ستماية الف دينار .

واشهد المقتدر على نفسه بالخلع القضاة[٢] واخذ القاضي ابو عمر[٣] الكتاب فلم يطلع عليه احدا فكان هذا من اقوى ذرايعه عند المقتدر لما عاد الى الخلافة .

وسكن النهب عند ولاية القاهر وجلس ابن مقلة بين يديه وكتب بخلافته الى الافاق .

وتقدم الى نازوك بقلع خيم الرجالة والمنع للحجرية من دخول الدار فاضطربوا .

فلما كان يوم الاثنين سابع عشر المحرم بكر الناس الى دار الخلافة لانه يوم الموكب[٤] وحضر الخلق والعسكر[٥] باسره وطالبوا بالرزق والبيعة .

ولم ينحدر مونس [المظفر][٦] يوميذ .

وهجمت الرجالة تريد الصحن التسعيني وكان نازوك نهى اصحابه عن معارضتهم اشفاقا من الفتنة فقاربوا القاهر بالسلاح وكان جالسا في الرواق بين يديه ابن[٧]

---

١) في الاصل ومضا

٢) في الاصل والقضات

٣) في المنتظم ٦/٢٢٢ وتجارب الامم ٥/١٩٤ ابو عمر محمد بن يوسف

٤) في تجارب الامم ٥/١٩٥ والكامل ٦/٢٠١ الموكب

٥) في الاصل والعسر

٦) زيادة عن الكامل ٦/٢٠١ يقتضيها السياق

٧) في الاصل ابو

مقلة ونازوك وابو الهيجا فانفذ بنازوك ليدهم وهو مخمور قد شرب ليلته فقصدوه بالسلاح فهرب منهم فطمعوا فيه وانتهى[1] بـه الهرب الى باب كان قد سده (١٠٣/ب) خوفا من الدخول منه فكانت منيته عنده فقتلوه وصاحوا مقتدر يا منصور .

فهرب كل من في الدار وصلبوا نازوك وعجيبا الخادم على خشب الستارة وبادر الخدم الى ابواب الدار فغلقوها لانهم خدم المقتدر وصنايعه .

وبادر ابو الهيجا الخروج فصاح القاهر به تسلمني يا ابا الهيجا فاخذته الحمية فقال لا والله لا اسلمك وعاد ابو الهيجا ويده في يد القاهر الى دار السلام وقصد الروشن فوجد الرجالة منتظمين[2] ، فنزل ابو الهيجا معه وقال له وتربة حمدان لافارقتك يا مولاي او اقتل دونك .

ومضى[3] ابو الهيجا الى الفردوس ونزع سواده ومنطقتـه واعطى[4] ذلك غلامه واخذ جبة صوف مصرية عليه وركب دابـة غلامه ، ومضى[3] الى باب النوبي ، فوجد الجيش وراءه وهو مغلق فعاد الى القاهر وقال هـذا امر من السماء قد حمل راس نازوك الى هناك .

ودخلا من حيث خرجا واتيا دار الاترجة وتاخر عنها فايق وجه القصعة واشار عـلى الخدم بقتل ابي الهيجا وذكرهم عداوته الى المقتدر فاتوه بقسي ودبابيس فجرد سيفه ونزع جبته وحمل عليهم فاجفلوا منه وروموه ضرورة ورماه احد الحجرية بنشابة وهو ينادي يال تغلب اقتل[5] بين الحيطان اين الكميت بن[6] الدهما ، فرماه[7] خمار جوته[8] بـهين احدهما نظم[9] فخذيه والاخر مال بترقوته فانتزع السهام ومضى[3] الى بيت فسقط فيه قبل ان يصل اليه .

فبادره اسود فضرب يده فقطعها واخذ سيفه وغشيه[10] (١٠٤/أ) اسود اخر فحز راسه .

وامتنع المقتدر وهو بدار ابن طاهر من المضي الى دار السلطان وخاف ان تكون حيلة عليه فحملوه على رقابهم الى الطيار .

١) في الاصل وانتها
٢) في الاصل متضين
٣) في الاصل ومضا
٤) في الاصل واعطا
٥) في تجارب الامم ١٩٨/٥ أأقتل
٦) في تجارب الامم ١٩٨/٥ ابن
٧) في الاصل مكررة
٨) في تجارب الامم ١٥٨/٥ خمار جويه بثلاث سهام
٩) في الاصل نضم
١٠) في الاصل وغشيه

فلما حصل في دار الخلافة[١] سال عن ابي الهيجا ، فقيل له هو في دار الاترجة فكتب له امانا بخطه وقال لبعض الخدم ويلك بادر به لا تتم عليه امره .

فلما حصل الخادم في الطريق تلقاه خادم آخر[٢] براسه فعاد الى المقتدر فعزاه عنه فظهرت كآبته[٣] وقال ويلك من قتله فغمزه مفلح الاسود فقال لا ادري فكرر انا لله وانا اليه راجعون وظهر من حزنه عليه امر عظيم .

وكان ابو الهيجا في الشجاعة بمنزلة كبيرة حكت عنه احدى[٤] حظاياه انه كان يواقعها في سفر فجاء السبع الى باب مضربه فجرد سيفه وحمل عليه واتاها براسه وعاد الى الحال التي كان عليها لم تفتر شهوته ولم تكل آلته[٥] .

واتى المقتدر بالقاهر واستدناه وقبل جبينه والقاهر يقول نفسي نفسي يا امير المومنين فقال له لا ذنب لك لانك اكرهت وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا جرى[٦] عليك سوء مني ابدا فاطمان .

وشهر ببغداد راس نازوك وابي الهيجا ونودي عليها هذا جزاء من كفر نعمة مولاه .

وعاد ابن مقلة الى الوزارة ، وكتب باعادة الخلافة الى المقتدر .

وحكي ان بدر بن الهيثم القاضي ركب للتهنية برجوع[٧] الخلافة الى المقتدر بالله ، وقال لابن مقلة بين ركبتي هذه وركبة ركبتها ماية سنة لانني ركبت للتعزية بوفاة[٨] المامون سنة سبع عشرة (٢١٧) ومايتين (٨٣٢) مع ابي وقد ركبت اليوم للتهنية بعود المقتدر سنة سبع عشر وثلاثماية (٩٢٩) . وتوفي بدر بعد ايام وسنة ماية واثنتا[٩] عشرة سنة .

وجددت البيعة على الناس فاطلق للفرسان زيادة ثلاثة دنانير في الشهر وللرجال زيادة دينار . ونفدت الاموال في عطياتهم حتى بيعت الآلات والكسوة .

واشهد المقتدر بالله على نفسه بتوكيل علي بن العباس النوبختي في بيع

---

١) في الكامل ٢٠٢/٦ قال : الصحن التسعيني اطمأن وقعد
٢) في الاصل ءاخر
٣) في الاصل كآبته
٤) في الاصل احد
٥) في الاصل ءالته
٦) في الاصل جرا
٧) في الاصل لتهنية رجوع
٨) في الاصل بوفات
٩) في الاصل اثنا

الضياع . وحضر علي بن عيسى فقام اليه ابن مقلة وشاهد البيع فانتهى[1] الى بيع ضياع جبريل والد بختيشوع[2] وقد بيعت بثمن نزر فقال لا اله الا الله حدثني شيخنا ابو القسم عيسى بن داود يعني اباه ان المتوكل رحمه الله لما غضب على بختيشوع انفذ لاحصا ما في داره فوجد في خزانة كسوته رقعة فيها ثمن ضياعه مبلغ ذلك بضعة عشرة آلاف[3] الف درهم .

وخلع المقتدر على ابن مقلة وكناه .

وقلد ابا عمر قضاء القضاة[4] ، وكتب عهده .

واوقع في هذه السنة القرمطي بالحجيج في المسجد الحرام وقتل امير مكة[5] وقلع الحجر الاسود وسلب البيت واصعد رجلا من اصحابه ليقلع الميزاب ، فتردى[6] فهلك وطرح القتلى بزمزم والقى من بقي في المسجد واخذ الاموال وحمل الحجر الى بلده[7] .

قال المقتدر قال لي عقيل بن عصام العقيلي بقرية ابروذه من الدجيل حدثني ابي انه راى[8] ابا طاهر وبين يديه خمسون يضربون الرقاب فقتل من الحجيج نحو عشرة آلاف[3] (٨٣/٤٤) وهو يقول :

ولو كان هذا البيت بيتا لربنا لصب علينا النار من فوقنا صبا
وانا تركنا بين زمزم والصفا جنايز لا تبغي سوى كسبها ربا

لعنه الله واتباعه لعنا وبيلا .

واتى اهل مكة على من عندهم من الحاج فقتلوهم وسلبوهم

وقلد ابنا رايق شرطة بغداد مكان نازوك . وورد ياقوت من فارس فخلع المقتدر عليه وعلى ابنه المظفر وولى مكانه نجح[9] الطولوني بفارس وكرمان .

---

١) في الاصل فانتها
٢) في الاصل بختشوع ، وترجم له القفطي في اخبار العلماء ٩٣ وفي عيون الانباء ١/١٢٧
٣) في الاصل ١٠ الاف
٤) في الاصل القضات
٥) في تجارب الامم ١/٢٠١ امير مكة هو ابن محارب
٦) في الاصل فتردا
٧) اسهب ابن كثير في البداية والنهاية ١١/١٦٠ بتأريخ هذا الحدث
٨) في الاصل رءا
٩) في الاصل نحح

وعزل ياقوت وجعل الاشراف بها لابن ابي مسلم[١] .
وانحدر بعد ذلك مونس الى المقتدر وخلع عليه ونادمه وساله في ام موسى الهاشمية وفي ام دستنبويه فاجيب ووصلت سبعة آلاف[٢] دينار
ورتب علي بن عيسى في المظالم وجعلت الدواوين اليه .
وفيها فتح هارون بن غريب شهرزور وطالبهم بخراج عشرين سنة عصوا فيها وصالحوه على سبعة وثلاثين الف دينار و مايتي الف درهم .
وفيها رتب الحجرية على ابن مقلة وضربوه بالدبابيس فافلت منهم .
وفيها ملك اصحاب ما كان الديلمي قاسان .

سنة ثماني عشرة وثلاثماية[٣]

زاد امر الرجال[٤] وكثر تسحبهم وادلالهم بانهم كانوا السبب في عود المقتدر الى داره .
وطالب الفرسان بالمال فاحتج عليهم السلطان بانه يصرف الى الرجال[٤] في كل شهر ماية وثلاثين الف (؟) دينار .
وركبت الفرسان مع محمد بن ياقوت فطردوهم واوقع بالسودان بباب عمار وحرق دورهم فهربت الرجال الى واسط ورئيسهم[٥] نصر الساجي فغلبوا عليها فانحدر مونس فاوقع بهم فلم ترتفع لهم راية بعد ذلك .
وكان بين محمد بن ياقوت ومونس تباعد ، فلمايلة مونس ابن[٦] مقلة عاداه بالانضمام اليه . وقبض على الوزير سليمان بن الحسن حين عرفت اضافته وكثرت المطالبات له فكانت مدة وزارته سنة وشهرين[٧] .

---

١) بعدها في الاصل لفظة صورتها عمر
٢) في الاصل = الاف
٣) يخلط المولف في اخبار هذه السنة اخبار ما بعدها من السنين حتى يصل الى سنة ٣٢١ لذا صارت اخبار هذه السنة بابا طويلا ، وقد اشرنا الى بعض هذه الاخبار في محلها
٤) في الكامل ٢٠٨/٦ الرجالة
٥) في الاصل ودسيهم
٦) في الاصل بن
٧) هذا الخبر وما يليه ذكر في اخبار سنة ٣١٩ في البداية والنهاية ١٦٦/١١ وفي تجارب الامم ٢١٢/٥

وزارة ابي القسم عبدالله بن محمد الكلوذاني[1]

كانت في يوم الاثنين سابع رجب واقرضه ابن قرابة مايتي الف دينار بربح درهم في كل دينار .

وملك مرداويج[2] الجبل باسره الى حلوان وانهزم هارون بن غريب الى دير العاقول .

واستامن يشكرى الديلمي الى هارون وهو من اصحاب اسفار وانهزم بانهزامه .

وصادر لشكرا[3] اهل نهاوند في اسبوع على ثلاثة آلاف[4] الف درهم ، وانبث[5] الاخبار .

وصادر اهل الكرج وملك اصبهان وكان بها احمد بن كيغلغ فخرج هارباً في ثلاثين نفسا .

فكان لاحمد من الاتفاق العجيب ان لشكرى تبعه الى قرية فعاون اهلها احمد وتقارب احمد ولشكرى فضربه احمد ضربة قدت مغفره وخوذته ونزلت في راسه فقتلته وانهزم اصحابه وسن احمد يومئذ سبعون (٨ه/٦٥) سنة .

وركب الكلوذاني في طياره فرجمه قوم من الجند طلبوا ارزاقهم فجعل ذلك سببا لاغلاق بابه وولي بعده الحسين بن القسم الكرخي .

وزارة الكرخي

كان ببغداد رجل يعرف بالدانيالي يظهر كتبا عتقا وينسبها الى دانيال النبي عليه السلام ويودع تلك الكتب اسماء قوم[6] وحلاهم فاستوى جاهه وقامت سوقه بين اهل الدولة وعند القاضي ابي عمر وابنه[7]

---

١) في الكامل ٢١٣/٦ وردت اخبار هذه الوزارة في جملة اخبار ٣١٩

٢) في الكامل ٢١٤/٦ مرداويج براء مهملة .

٣) في الكامل ٢١٤/٦ لشكرى

٤) في الاصل ٠الاف

٥) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٢١٤/٥ واثبت جندا

٦) في الكامل ٢١٤/٦ اقوام

٧) في تجارب الامم ٢١٥/٥ وابنه ابي الحسين

وذكر المفلح[1] الاسود انه من ولد جعفر ابن ابي طالب فنفق بذلك عليه واخذ منه مالا كثيرا واشار عليه ابن زنجا باثبات صفة الحسين بن القسم وذكر الجدري الذي في وجهه والعلامات[2] التي في شفته العليا فكتب ذاك وانه ان وزر للثامن[3] عشر من ولد العباس استقامت اموره فعمل دفترا وذكر ذلك في تضاعيفه وعتقه في التبن وجعله تحت خفه ومشى عليه حتى اصفر وعتق

قال ابن زنجي فلولا معرفتي من عمله له لم اشك في انه قديم وحمله الى مفلح فعرضه على المقتدر فقال له اتعرف[4] هذه الصفة لمن قال لا اعرفها الا للحسين بن القسم قال فاستدعه وشاوره .

قال ابن زنجي ثم ان الدانيالي طالبني بالمكافاة[5] ، فقلت حتى يتم الامر .

فلما ولي الحسين الوزارة ولاه الحسبة واجرى له مايتي دينار في الشهر .

وسمى له بليق[6] في الوزارة وتقلدها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان ، فتشاغل[7] (٣١٩) عن الجلوس بالتهنية لجمع الاموال التي يحتاج اليها في نفقة العيد . وصار اليه علي بن عيسى وهناه .

وكانت دمه[8] تعنى بامر الحسين فكانت توصل رقاعه وكانت حظية[9] عند المقتدر فكان يخدمها ويخدم ابنها الامير ابا احمد اسحاق في كل يوم بماية دينار .

واختص به بنو[10] البريدي وابو[10] بكر بن قرابة واقرضه اموالا بربح درهم في الدينار .

واختص به جعفر بن ورقا فقلد ابا عبدالله محمد بن خلف النيرماني[11] اعمال

---

١) في تجارب الامم ٢١٥/٥ وغلب على مفلح وعرفه انه . . .

٢) في تجارب الامم ٢١٥/٥ والعلامة

٣) في تجارب الامم ٢١٥/٥ للثاني عشر

٤) في الاصل تعرف

٥) في الاصل بالمكافات

٦) في الكامل ٢١٦/٦ بليق وفي التنبيه والاشراف ٣٣٢ كذلك

٧) تكررت في الاصل في صدر الصفحة التالية

٨) كذا في الاصل دمه بدون اعجام وهو يريد دمنه

٩) في الاصل حضية

١٠) في الاصل بنوا وابوا

١١) ترجم له في اللباب لابن الاثير ٢٥١/٣

الحرب والخراج والضياع بحلوان وغيرها من ماء الكوفة ولبس القبا والسيف والمنطقة وتسمى بالامارة .

وسال في اخراج علي بن عيسى الى مصر فدافع عنه مونس وقال انه شيخ ترجع[1] الى رايه حتى احدره الى الصافية .

وابتدا مونس في الاستيحاش .

وبلغ الحسين ان مونسا عـلي كبسه ليلا فكان ينتقل في كل ليلة الى مكان خوفا منه .

وراسل مونس المقتدر في صرف الحسين عن الوزارة فاجابه .

وسعى الحسين بمونس وقال المقتدر انه قد عزم عـلى ان يخرج الامير ابا العباس الى الشام ويقرر له الخلافة .

وكتب الحسين الى هارون بن غريب وهو بدير العـاقول يامره بالمبادرة[2] فاستوحش مونس واظهر الغضب وسار في اصحابه الى الموصل ..

وجا بُشرى[3] خادم شفيع برسالة الى المقتدر فشتمه الحسين وشتم صاحبه وضربه بالمقارع واخذ خطه بثلاثماية الف دينار .

ووقع الحسين بقبض املاك مونس وضياع اصحابه وافرد له ديوانا سماه ديوان المخالفين ($\frac{٥٧}{٤٦}$) وزاد محل الحسين من المقتدر فكان ينفذ له الطعام من بين يديه ولقبه عميد الدولة وامر بذكر لقبه على الدنانير .

وقلد ابا يوسف محمد بن يعقوب البريدي[4] البصرة والقيام بنفقتها[5] فتقدم الى الكتاب باخراج خراج البصرة فاخرجوه من صلاة الفجر الى عتمة يومه فاحضر البريدي ووافقه على ذلك واخذ خطه بالقيام بمال الاوليا بالبصرة وان ترتب لحفظ السور زيادة على من عليه الف رجل وان يحمل بعد النفقات سبعين الف دينار . وحمل الخط الى الوزير متبجحاً به فلم يقع من الوزير بموقع وظن انه وبخه بذلك .

١) في الاصل برجع

٢) في تجارب الامم ٥/٢٢٢بالمبادرة الى الحضرة

٣) في البداية والنهاية ١١/١٦٨يسرى

٤) في الكامل ٦/٢١٩ وتجارب الامم ٥/٢٢٣ ابو يوسف يعقوب بن محمد البريدي

٥) في الاصل بنفتها

وعرف المقتدر فوقع موقعه عنده وغلظ على الحسين ، فخافه[1] الفضل بن جعفر فاستتر منه عند ابن قرابة فقلد الحسين الديوان ابا القاسم الكلوذاني .

وجد ابو الفتح في طلب الوزارة .

وصودر ابن مقلة عند بعد مونس عن مايتي الف دينار .

واراد الحسين مصادرة علي بن عيسى وهو بالصافية مقيم فنع منه هارون بن غريب وكان بدير العاقول .

ووصل هارون الى دار السلطان فلقي المقتدر وساله في ابن مقلة فحط عنه خمسين الف دينار فانصرف الى داره .

فقصده الوزير وابنا رايق ومحمد بن ياقوت ومفلح وشفيع .

واخذ ابن مقلة في استماحة الناس ففضل له عن الذي صودر عليه عشرون الف دينار فابتاع بها ضياعا وقفها على الطالبين وكان ابتاعها باسم عبدالله بن علي المقرى[2] .

وقبض المقتدر على ابي احمد بن المكتفي ومحمد بن المعتضد (٨٨/٤٧) فاعتمدت السيدة مراعاة[3] محمد واهدت اليه الجواري[4] وراعته في نفقته واعتقلا بدار السلطان واشتدت الاضاقة بالحسين فباع ضياعاً بخمساية الف دينار واستلف من مال سنة عشرين وثلاثماية (٩٣٢) قبل افتتاحها فاخبر هارون[5] حالة المقتدر فكتب للخصيبي اماناً فظهر فخوطب بالوزارة فذكر ان الحسين استلف من مال سنة عشرين قطعة[6] وافرة ، وانه لا يغر السلطان من نفسه فولاه ديوان الازمة واجرى له ولكتابه الف دينار وسبعاية دينار في كل شهر . واقر الحسين على الوزارة وخلع عليه ليزول الارجاف عنه .

واجتمع الحسين والخصيبي فاخذ الحسين يماتره[7] والخصيبي تمسك فلما بلغ

---

١) في الاصل مخافة
٢) في تجارب الامم ٢٣٥/٥ النقري
٣) في الاصل مراعات
٤) في الاصل الجوار
٥) في تجارب الامم ٢٢٦/٥ هارون بن غريب
٦) في الاصل قصة والتصويب عن تجارب الامم ٢٢٦/٥
٧) يعني تجنب ، قال في اقرب الموارد تمتر تجنب الناس

ذلك المقتدر الحل امر الحسين عنده فقبض عليه فكانت وزارته سبعة اشهر .

وزارة ابي الفتح الفضل بن جعفر

خلع عليه لليلتين بقيتا من شهر ربيع الاخر .

وصادر الحسين في نوب اخذ منه في احدها اربعين الف دينار ثم ابعده الى البصرة واقام له في كل شهر خمسة آلاف[١] درهم .

وانفذ مرداويج[٢] رسولا يسال ان يقاطع عن الاعمال فاجيب وتكفل هارون بن غريب بامره وكتب له العهد وانفذ اليه اللوا والخلع ، ومشى الوزير ابو الفتح الامور بماية الف دينار الزمت للبريدي . ونفى[٣] ابن مقلة الى شيراز .

ومات ابو عمر القاضي ، فاغرى[٤] ابو بكر بن قرابة بورثته وقال للمقتدر ها هنا من (٨٩/٤٧) يعطي ماية الف دينار لقضا القضاة[٥] .

فانفذ المقتدر بكاتب الى ابي الحسين معه وعرفه الحال فاتوه وهو في العزا فامسكوه فقال ابن قرابة ما لهذا حضرنا قم معنا حتى تخلو فنهض واستوفى عليه ابن قرابة الخطاب ، فقال ابن[٦] الحسين انّ تمسنا من امير المومنين واساله ان يمهلنا يومه .

فلما كان بالعشي ، وكان شهر رمضان ، مضى[٧] الى دار ابن قرابة فدخل والمايدة بين يديه وعنده البريديون فاكل قاصدا لاستكفا شره وقال قد جيتك مستسلماً اليك وتدبرني بما ترى[٨] .

وقرب منه البريديون[٩] ، وقالوا متوجعين له عندنا ثلاثة الاف[١٠] دينار نعينك بها . واستصوبوا قصده لابن قرابة فقال له ابن قرابة امض مصاحبا ، وتعطف

١) في الاصل ٥ الاف
٢) في الاصل مرداوج
٣) في الاصل ونفا
٤) في الاصل فاغرا .
٥) في الاصل القضات
٦) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٢٢٩/٥ ابو وهو الصواب
٧) في الاصل مضا
٨) في الاصل ترا
٩) في الاصل البريدون
١٠) في الاصل ٣ الاف

عليه [المقتدر بالله وعاونه[1]] البريديون واخوانه فقلده قضاء القضاة[2] .

ووصف المقتدر لابن قرابة ما هو فيه من الاضافة فقال له لم لا يعاونك ابن خالك هارون بن غريب وعنده ازاح[3] مملوءة دنانير فقال هارون لو كنت املك شيئا لما بخلت به عن امير المومنين لان سلامتي معقودة بسلامته ولكن[4] مع ابن قرابة من المال ما لا يحتاج اليه وانا استخرج لك منه خمسماية الف دينار فقال اذهب فتسلمه فقبض عليه وجرى[5] عليه من المكروه ما اشفى به عن التلف حتى قتل المقتدر بالله فخلص .

وحكى ابن سنان ان ابن قرابة كان صديقا لابيه فدخل عليه بعد ما صودر فقال له خلطت حتى صودرت وقد حصل لي الان ما يرتفع منه عشرون الف دينار في السنة (ﻫ) خالصة لي ولي من الاملاك ما ليس لاحد مثله ومن الالات والفرش والمخروط والصيني والجوهر ما ليس لاحد وكذلك من الرقيق والخدم والغلمان والكراع ومعي ثلاثماية الف دينار صامت لا احتاج اليها وبيني وبين ابن مقلة مودة وهو مقدم من فارس وزيرا فهل ترى[6] لي ترك التخليط ولزوم رب النعمة واصلاحها .

فقال له سنان[7] ما رايت اعجب من امرك انا يسال عن الامر الخفي واما عن الواضح الجلي فكلا وبعد اعقبك فايدة واثمرك صلاحا فلازمه والا فكف عنه وايضاً فان الانسان يكد ليحصل له بعض ما حصل لك وقد اتاك هذا وادعاً ، فاشكر الله وتمتع بنعمتك التي انعم الله سبحانه بها عليك فقال صدقت ونصحت ولكن لي نفس مشومة لا تصبر ، وساعاود ما كنت فيه .

---

١) بعدها بياض في الاصل ، والزيادة عن تجارب الامم ٢٣٠/٥

٢) في الاصل القضات

٣) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٢٣٠/٥ آزاج والآزاج جمع أزَج وهو البيت يبنى طولا اقرب الموارد ١٠/١

٤) في الاصل ولاكن

٥) في الاصل وجرا

٦) في الاصل ترا

٧) لقد اسهب في تجارب الامم ٢٣١/٥-٢٣٢ فليراجع

فلما خرج ابن سنان من عنده قال لا يموت ابن قرابة الا فقيرا او مقتولا .

ولما ورد مونس وكان هارون بن غريب قد وكل به غلمان وقيده وامرهم باخراجه الى واسط فقتل المقتدر بالله رحمه الله في ذلك اليوم فهرب الموكلون به وبقي معه خادمان وكان ابن قرابة اشتراهما لهارون فتعطفا عليه وصارا به الى الفرضه[1] وادخلاه مسجدا بها واحضروا حدادا فكسر قيوده ومشى الى منزله بسويقة[2] غالب ووهبا له خمساية دينار .

ثم اداه التخليط الى ان قبض عليه القاهر فازال نعمته وقبض املاكه وهدمت داره واراد قتله فزال امر القاهر فعاد الى تخليطه .

ومضى[3] الى البريدي[4] (٩١/٤٨) لما خالفوا السلطان .

ومضى[3] الى معز الدولة من نهر ديالي وصودر حتى لم يبق له بقية واضطر الى ان خدم ناصر الدولة في كل شهر بماية دينار وكان ينفق امثالها ومات بالموصل .

وفي ذي الحجة من هذه السنة عقد المقتدر لابي العلا سعيد بن حمدان على الموصل وديار ربيعة .

وفي هذه السنة توفي ابو القسم البلخي المتكلم[5] صاحب المقالات والتفسير ببلخ .

وفي سنة عشرين وثلاثماية (٩٣٢) كاتب الحسين بن القسم ، داود وسعيد ابني[6] حمدان والحسن[7] بن عبدالله بن حمدان بمحاربة مونس فامتنع داود من لقاء مونس لانه لم يزل محسنا اليه فما زال به اهله حتى لقيه وقال هذه تمثل ما فعله الحسين بن حمدان وابو الهيجا فكان يقول والله اني اخاف ان يجي سهم نجار فيقع في حلقي فيقتلني فكان حاله كذلك قتل وحده بسهم .

وكان بنو حمدان في ثلاثين الفا ومونس في ثمانماية رجل فانهزموا وتعجب

١) البكري ، معجم ما استعجم ١٢١١/٤ فرضة نعم ، في شق الفرات البري
٢) في الاصل لسويقه
٣) في الاصل رمضا
٤) في تجارب الامم ٢٣٢/٥ البريديين
٥) ترجم له في البداية والنهاية ١٦٤/١١
٦) في الاصل بني
٧) في الكامل ٢٢٠/٦ والى ابن اخيهما ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان

مونس من محاربة داود له وكان يقول يا قوم في حجري ختن ولي عليه من الحقوق ما ليس لابيه .

وملك مونس اموال بني حمدان واستولى على الموصل وكثر خروج الناس اليه. ولما اقام بها تسمة اشهر حمله من خرج اليه على الانحدار الى الحضرة وبلغ الجند بها انحداره فشغبوا وطالبوا بارزاقهم فاطلق لهم المقتدر ذلك واخرج مضرب الدم الى باب الشماسية .

وتراجعت طلايع المقتدر وبها سعيد بن حمدان ومحمد بن ياقوت ومونس الورقاني[1] .

واجتهد المقتدر بهارون (٩٢/٤٩) ان يخرج للحرب .

وجاء محمد بن ياقوت والوزير الفضل بن جعفر الى المقتدر ومعها ابن رايق ومفلح وقالوا ان الرجال لا تقاتل الا بالمال . وسالوه في مايتي الف دينار من جهته وجهة والدته فقال ليس الى ذلك وجه وتقدم باصلاح [الشذاات والطيارات لينحدر][2] هو وحرمه الى واسط فقال له محمد بن ياقوت اتق الله يا امير المومنين ولا تسلم بغداد بغير حرب وان رجال مونس ان راوك احجموا عن القتال فقال له انت والله رسول ابليس .

وركب المقتدر ومعه هارون بن غريب ومحمد بن ياقوت وساير القواد وعليه البردة وبيده القضيب وبين يديه ابنه الامير ابو علي والانصار حافون به معهم المصاحف منشورة والقرا يقراون[3] القران وكثر الدعا له واصعد الى الشماسية ووقف على موضع عال .

واشتبكت الحرب ومونس بالراشدية لم يحضرها وثبت هارون ومحمد[4] وصار ابو العلا سعيد بن حمدان برسالتها الى المقتدر يسالانه الحضور ليشاهده اصحاب مونس فيستامنون فلم يجبه .

---

١) في تجارب الامم ٢٣٤/٥ الورقاني

٢) في الاصل بعدها بياض والزيادة عن تجارب الامم ٢٣٥/٥

٣) في الاصل يقرءون

٤) في تجارب الامم ٢٣٥/٥ محمد بن ياقوت وهارون بن غريب

وتتابعت رسلها حتى كان اخرهم[1] محمد بن احمد القراريطي ، كاتب هارون[2] وهو لا يجيبهم ووقف على ظهر دابته ووراءه الوزير ابو الفتح ومفلح وخواص غلمانه فلما الحوا عليه وقالوا ان الغلمان يوثرون روية امير المومنين .

فمضى[3] حينئذ كارها المضي ومعه مفلح وتخلف عنه الوزير فلما قارب دجلة انهزم اصحابه قبل وصولهم واستوسر احمد بن كيغلغ وجماعة القواد وآخر[4] من ثبت محمد بن ياقوت .

ولقي المقتدر علي (٩٣/٤٩) ابن بليق[5] فترجل له وقبل الارض بين يديه ، ووافى البربر من اصحاب مونس فاحاطوا بالمقتدر وضربه رجل منهم ضربة فسقط منها وقال ويحكم اني الخليفة فقالوا فلك نطلب واضجعوه وذبحه احدهم بالسيف وطرح احد اصحابه نفسه عليه فذبح ايضاً . ورفع[6] راسه على خشبة وسلب ثيابه حتى مر به اكار فستره بحشيش وحفر له ودفنه وعفى[7] اثره[8] .

ونزل علي بن بليق[5] وابوه في المضارب وانفذ الى دار السلطان من يحفظها .

وانحدر مونس الى الشماسية فبات بها .

ومضى[9] عبد الواحد بن المقتدر ومفلح وهارون ومحمد[10] وابناء رائق على ظهر خيولهم الى المداين .

وكان ما فعله مونس من ضرب وجه المقتدر بالسيف سببا لجراة الاعداء على الخلفا .

---

١) في الاصل ءاخرهم
٢) في تجارب الامم ٢٣٦/٥ محمد بن ياقوت
٣) في الاصل فمضا
٤) في الاصل وءاخر
٥) في تجارب الامم ٢٣٧/٥ نزل بليق وعلي ابنه
٦) في تجارب الامم ٢٣٧/٥ ورفع
٧) في الاصل وعفا
٨) في البداية والنهاية ١٦٨/١١ وما بعدها صورة اخرى لمقتل المقتدر بالله ، انما خلاصتها كما هو مذكور اعلاه ، وترجم للمقتدر في المنتظم ٢٤٣/٦ في جملة اخبار ٣٢٠ وفي تجارب الامم ٢٣٧/٥
٩) في الاصل ومضا
١٠) في الكامل ٢٣١/٦ وهرون بن غريب ومحمد بن ياقوت

وكانت مدة وزارة ابي الفتح لامير المومنين المقتدر بالله رحمه الله خمسة اشهر وعشرين يوما .

ولما حمل راس المقتدر الى مونس بكى[١] ، وقال والله لنقتلن كلنا والصواب ان نرتب مكانه ابنه ابا العباس فاسخو نفس جدته السيدة باخراج المال .

فثنى[٢] رايهم ابو يعقوب اسحاق بن يعقوب[٣] النوبختي[٤] وقال الصواب ان تولوا القاهر محمد بن المعتضد بالله مقدرا استقامة امره معه فكان الامر على خلاف ما حسب .

خلافة القاهر بالله ابو منصور بن المعتضد[٥]

كانت سنة وستة اشهر وخمسة ايام .

امه تسمى قبول .

وسبب (٣٢٠) خلافته انه حمل الى مونس محمد بن المكتفي بالله فخاطبه في تولي الخلافة فامتنع وقال عمي احق بالامر فخاطب عمه القاهر فاجاب وحلف لمونس والقواد وبايعوه وبايعه القضاة[٦] وذلك سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال .

واشار مونس ان يستوزر له علي بن عيسى فقال بليق[٧] وابنه على الحال الحاضرة لا يقتضي ذلك لانها تحتاج الى سمح الكف واسع الاخلاق وابن مقلة[٨] .

فرضي مونس بذلك واستخلفوا له الكلوذاني وكتبوا الى ياقوت بحمله[٩] عاجلا .

---

١) في الاصل بكا

٢) في الاصل فثنا

٣) في تجارب الامم ٥/٢٤٢ بن اسماعيل

٤) نسبة في الكامل ٦/٢٢٢ ابو يعقوب اسحق بن اسماعيل النوبختي

٥) ذكرها في المنتظم ٦/٢٤٤ في جملة اخبار ٣٢٠

٦) في الاصل القضات

٧) في الكامل ٦/٢٢٢ وصلة عريب بليق

٨) بعدها بياض في الاصل وفي تجارب الامم ٥/٢٤٢ فاشار بابي علي بن مقلة وبان يستخلف له الى ان يقدم من فارس ابو القاسم الكلوذاني

٩) في الاصل بدون اعجام

وانحدر القاهر الى دار الخلافة و ستدعى[1] مونس بعلي بن عيسى من الصافية فاوصله الى القاهر فخاطبه بكل جميل .

وكانت والدة المقتدر في علة عظيمة من فساد مزاج واستسقا ولما وقفت على حال ابنها فامتنعت من الاكل حتى كادت تتلف فرفق بها حتى اغتذت بيسير من خبز[2] وملح[3] فاحضرها القاهر وقررها بالمال باللين تارة وبالخشونة اخرى فقالت لو كان عندي مال ما اسلمت ولدي للقتل وتجرعت بفراقه الثكل ومالي غير صناديق فيها صياغات وثياب وطيب[4] .

فعلقها في حبل البرادة[5] بفرد رجلها ، وتناولها بالضرب بيده في المواضع الغامضة من بدنها ولم يذكر احسانها اليه وقت اعتقال المقتدر اياه . وضربها اكثر من ماية مقرعة .

ولما اوقع المكروه بها لم يجد زيادة على ما اعترفت به طوعا واخذ ما وجد لها فاذا هي[6] صناديق فيها ما قيمته ماية الف وثلاثون الف دينار وقماقيل كافور قيمتها (٩٥/٥٠) ثلاثماية الف درهم .

فرفع ذلك الى الكلوذاني وبليق وامرهما بحمله الى مونس ليصرف في مال البيعة .

وصودر جميع اسباب المقتدر .

وصار الفضل بن جعفر على عشرين الف دينار فقال مونس انا اوديها عنه .

وحل القاهر ما وقفته السيدة على الحرمين والثغور واشترى ذلك اصحاب مونس بخمساية الف دينار .

---

١) في الاصل واستدعا

٢) في الاصل خبر

٣) في تجارب الامم ٢٤٣/٥ والمسح

٤) قال في البداية والنهاية ١٧١/١١ فذكرت له ما يكون للنساء من الحلي والمصاغ والثياب ولم تقر بشي من الاموال والجواهر

٥) قال في اقرب الموارد البرّادة اناء يبرد الماء

٦) في الاصل ها

وزارة ابن مقلة

وقدم ابن مقلة[1] من شيراز يوم النحر واختار لنفسه لقاء القاهر ليلا بطالع الجدي وقال فيه احد السعدين وخلع عليه من الغد خلع الوزارة .

وصار الى دار مونس المظفر فسلم عليه وانصرف الى داره .

وحضر الناس للتهنية واتاه علي بن عيسى فلم يقم له فاستقبح الناس فعله وصار اليه ابن قرابة[2] وعاود تخليطه .

وظهرت دمنه والدة الامير اسحاق بامان كتبه القاهر لها وبذلت عن ولدها عشرين الف دينار ووجد اولاد المقتدر في دار علي بن بليق[3] .

وظهر شفيع المقتدري بامان وقور عليه خمسون الف دينـار وكان مملوكا لمونس فحلف ان لا بد من بيعه فنودي عليه فبلغ ثمنه سبعين دينـارا فابتاعه الكلوذاني باسم القاهر وشهد الشهود في المهد .

---

١) في تجارب الامم ٢٤٥/٥ ابو علي بن مقلة

٢) في تجارب الامم ٢٤٦/٥ ابو بكر بن قرابه

٣) في الكامل ٢٢٣/٦ بليق ، وقال في البداية والنهاية ١٧١/١١ ثم استدعى القاهر بجماعة من اولاد المقتدر منهم ابو العباس وهارون والعباس وعلي والفضل وابراهيم فامر بمصادرتهم وحبسهم وسلمهم الى حاجبه علي بن بليق .

ابن الله الوحيد

بقلم الاب جوزف بونسرقن اليسوعي

كل اعمال يسوع وكل اقواله مرتبطة بمعرفته لذاته الفردية وبالنتيجة لشخصيته الخفية الواحدة ؛ وهذه المعرفة الذاتية لم تكن على ضلال . فكيف يمكننا الولوج الى خفايا ذلك الوجدان واين هو السبيل ؟ على ان هناك بعضاً من احاديث يسوع تمكس مباشرة تلك المعرفة لشخصه الفردي . وماكانت تلك الاحاديث وتلك الاعمال في ابتداء رسالته الا إعداداً وتهذيباً لرسله لكي يصبحوا فيما بعد قديرين على فهم كلمات الوحي الذي انزله ، قديرين ايضاً على حفظها والتعمق في مكنوناتها . ولهذا فان افضل طريقة ننتهجها هي ان نتتبع هذا التدرّج البطيء الصاعد الذي سيدخلنا الى اعماق سر الله .

ابن الانسان (1)

لقد جاء يسوع لكي يحقق آمال اسرائيل ، وذروة هذه الآمال هي مملكة المسيح المرجوّة . لقد جاء « ليكمّل » اعني ليحقق هذه الفكرة بالنوع الاسمى اي حسب ارادة الله ؛ وهكذا سيكون وسيط الحياة الالهية ، الامر الذي يستحيل الّا على ابن الله . فكيف يمكنه ان يحمل الناس على قبول هذا الوحي المزدوج الذي سيخيب الآمال ويُلقي الضعضعة والشك في النفوس ؟ ولهذا اراد يسوع ألّا يكشف القناع عن هذا السر قبل إعداد طويل لقبوله . اما الآن فانه يدل على نفسه بتعبير خفي : ابن الانسان . وهذا التعبير ان هو الا اطار فارغ يدعو التلاميذ خفية الى استجلاء معانيه شيئاً فشيئاً .

ولنلاحظ ان يسوع هو وحده يدعو ذاته بهذا الاسم ، وذلك قبل قيامته ، ولذلك فان مسيحيي العصور الاولى اعرضوا عن هذا الاسم لان ما من حاجة بعد اليه . ولنلاحظ ثانياً ان هذا اللقب الذي يورده يوحنا وباقي الانجيليين ،

يتلفظ به يسوع في احاديث يذكرها سواء الانجيليون الثلاثة الاولون الا القليل منها ، فيثبتون بذلك انهم يأخذون عن تقاليد قديمة موروثة هي ايضاً مودعة في نصوص ترقى الى فجر النصرانية . وعلينا ان نلاحظ ثالثاً ان يسوع يستعمل هذا التعبير الغريب الذي استنبطه هو ذاته على الارجح ، لكي يبين مدى معناه الوحيد : يقال في العبرانية « ابن آدم » وفي الارامية : « بر - إنش » كرادف للفظة انسان (آدم ، إنش) ويُعبر عن الكلمة ذاتها باليونانية بلفظتين (إيوس أنثربو) ولكن في الاناجيل نجد دائماً (او إيوس تون انثربو) وقد وضعت علامة التعريف قبل اللفظتين ، وهذه غرابة لغوية ، كما يقول (Dupont) . ألا يجب ان نفترض بان العبارة الارامية الاصلية التي حفظها التقليد كانت ايضاً شبيهة من حيث الغرابة بالتي نجدها في الترجمة السريانية للاناجيل ؟

ان هذا الواقع يجعلنا نفرض ان استعمال يسوع لهذه اللفظة لن يشرح بسوابقها من الالفاظ . واننا نحجم عن تتبع آثار الانسان الاصلي او آدم الاول في كلماته الاولى ، فليس لنا في هذا مخرج نرضى عنه ، فلنبق اذاً في حقل التوراة وفي العالم اليهودي . ان لفظة « ابن الانسان » في « العهد القديم » مرادفة للفظة « انسان » (مز ٨ ، ٥) وهي تورد غالباً وخصوصاً في حزقيال ، وبها اراد الله ان يعرّف النبيّ ضعفه وصغره . ونجدها بعدئذ في احدى رؤى دانيال (٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٧) . فبعد إبادة الحيوانات ، التي تمثل الممالك الاربع الظالمة ، يرى النبي الملهم شبه « ابن انسان » آتياً على السحب نحو الله الذي يعطيه سلطاناً ابدياً وملكاً لا ينقرض . وهذا الشخص يمثل « قديسي العليّ الذين يملكون الى الابد » . وهناك تقليد آخر يجعله رمزاً للمسيح ، وهذا التقليد الذي يظهر في كتاب امثال اخنوخ يرقى الى ما قبل المسيح ، وفي هذه الامثال نلقى المسيح مرات عديدة في ملامح « ابن انسان » ، وهو شخص فوق الطبيعة يندمج « بالقديم الايام » وينعم بامتيازات تكاد تكون الهية .[٥] وهذا الكائن العجيب يظهر ايضاً في كتاب عزرا الرابع : انه ، كما يقولون لنا ، المسيح الموجود من قبل ، الذي حفظه العلي لتلك الايام[٦] . ويمكننا الاعتقاد بان هذه اللفظة كانت مستعملة في بعض الاوساط اليهودية للدلالة على مسيح فائق . ولكن اليهود لم يكونوا جميعهم

يقرأون الكتب المظنون في صحتها ، وهذا ما يشرح لنا السبب الذي لاجله سألت الجموع يسوع يوماً : « من هو ابن البشر هذا ؟ (يوحنا ١٢ : ٣٤) .

اما يسوع ذاته فكيف كان يفهم هذا اللقب وماذا يعني به ؟ أتراه كان يعود به مباشرةً الى سفر دانيال ؟ يظهر ذلك من جوابه لرئيس الكهنة[٧] (مرقس ١٤ : ٦٢) فان لنا في هذا الجواب مظهراً من الافكار والاعتقادات التي كانت توحيها هذه اللفظة : اي نصر ابن الله النهائي ورجوعه بالمجد وحكمه في الدينونة[٨] . وبالجملة كل مزاياه وصفاته الفائقة . وفي الجواب ذاته مظهر آخر مضادّ للفكرة الاولى اوحته اللفظة ذاتها ؛ اعني عندما قال يسوع : على ابن الانسان ان يتألم قبل دخول مجده[٩] . فهل من علاقة بين هذين المظهرين المتناقضين؟ نستطيع ان نجد هذه العلاقة ، وان لم يكن من اشارةٍ واضحة اليها ، في آيات اشعيا (٥٢ : ١٣ — ٥٣ : ١٢) حيث يتكلم النبي عن خادم يهوه الذي استحق بآلامه التكفيرية ان يحظى بمجدٍ الهي . وهكذا نرى ان تلك اللفظة الخفية : ابن الانسان تجمع بين ناحيتي رسالة المسيح الحقيقية وتعلنها ؛ وهذا ما تراجع امامه التفكير اليهودي . ولكن هل نستطيع ان نزيد ، مع كثير من القدماء ومع بعض المحدثين ، ان تلك اللفظة تحتوي على معنى « داخلي » يدلّ على ان يسوع اتخذ بشريتنا وحمل معاصي كل اخوانه البشريين[١٠] ؟ انها لمغامرة ان نؤكد هذا الزعم تأكيداً راهناً . ولكن لا بد من القول ، مع التحفظ ان لفظة « ابن الانسان » تنادي لفظة « ابن الله » . وانه لمن العبث ان نجادل في نظريتين قد بطلتا . يسوع حين لقب نفسه بابن الانسان كان يريد فقط ان يشير الى نفسه كانسان[١١] — وهو لم يتخذ ابداً هذا اللقب لذاته ، لانه لم يُصدّق ابداً انه المسيح ولم يُعلن كمسيح . فهم جماعة النصارى الذين اوجدوا هذه التسمية[١٢] .

« ابن الانسان » : ان الحاح يسوع في اتخاذ هذا اللقب الكثير المعاني والخصائص كان لا بدّ من ان يدفع العقول الفطنة الى التفكير والتساؤل : من هو اذاً ؟ أمعلّم فائق يتكلم بسلطة وقوة ويثبّت صحة مذهبه بالعجائب ؟ أهو معلم اذاً مرسل من الله كما يعترف نتنائيل (يوحنا ٣ : ٢) هذا قليل عليه . أتراه نبي ونبي عظيم ؟ كثيرون هم الذين يعطونه هذا اللقب[١٣] ، ويسوع

لا يرفض هذا[١٤] ولكن هل هـذا يكفي ؟ فاذا كان المعمدان البشير السابق هو فوق الانبياء فكم بالحري يكون الذي يبشر بمجيئه (متى ١١ : ٩) فالنبي عدا ذلك يطلب من الناس ان يقبلوا بشارته ، ويسوع يطلب منهم ان يخضعوا لشخصه خضوعاً كاملاً . على ان كثيرين من يهود تلـك الايام كانوا يعتقدون انه المسيح المنتظر . وسنرى فيما بعد ان صفة المسيح التي تطلبها يسوع لنفسه لن يستطيع ان يقوم بها انسان ما لم يكن فوق الناس قاطبة .

كيف الوسيلة الى افهام ذلك ؟ ان يسوع لم يكن ليصرح بهذا شفهياً الا نادراً . على انه سيظهر الوهيته بالاعمال وبالمزايا التي يقول انه اقتبلهـا من الله وبالافعال التي يعد بتحقيقها في المستقبل . وفوق ذلك لقد كان يتجنب ان يفرض على تلاميذه تعبيراً يرددونـه دون ان يكونوا فهموه حق الفهم . هو يريد ان تتصاعد كلمة الايمان من اعماقهم الداخلية ومن اختبارهم الروحي الشخصي . وهذا ما يشرح لنا هذا التأني الحكيم في ارشاداته لهم .

بعض ايحاءات عن الوهته

انها اعمال واقوال لا يمكن اسنادها الى انسان ولو كان نبياً او مسيحاً .

نحن نعلم بأية سلطة سامية كان يسوع ينشر العجائب الاكثر روعة . ثم اعطى رسله هـذه السلطة مجيباً بهذا على سؤال المعمدان القائل : « أأنت هو الآتي؟ » (لوقا ٧ : ٢١-٢٢) ولكن لنتحرز ، رغم كلام متى (٨ : ١٧) ، من ان نرى في هذا ميزةً من ميزات المسيح فقط ، لانه ما من نظرية يهودية تقول ان المسيح سيكون من صناع العجائب .

لقد قال يسوع انه اعظم من الهيكل ومن يونان ، ومن سليمان (متى ١٢ : ٦ ، ٤١ : ٢٠ . – لوقا ١١ : ٣١-٣٢) فاي انسان يجرؤ على مثل هذا التحدي؟

وابلغ من هذا كله متطلبات يسوع المطلقة : انه يوجب على كل الذين يريدون ان يكونوا تلاميذ حقيقيين له ان يتركوا كل شيء ، ويوجب على كل الباقين اقبالاً لذاته ولانجيلـه[١٥] . فالمعلم يريد ، حسب قول الابوين (Rousselot, Huby) ليس فقط ان يعيش كل انسان مثله بل ان يعيش له[١٦] . فاي نبي استطاع ان يدعي مثل هذا الادعاء ؟

انه يطلب لذاته ولتعليمه عين الايمان الذي نكنه لله ولكلمته[١٧] . ولهذا فهو يلعن المدن التي لم تقبله وينذرها بالدمار[١٨] . وان رسالته التي هي إقرار ملكوت الله هي بالوقت ذاته تتمم العهد العتيق[١٩] . لذلك فالشهادة الوحيدة التي تستطيع ان تثبت صحة رسالته هي شهادة الله[٢٠] . ولان قوة الروح القدس تظهر في اعماله ، فانه تجديف على الروح القدس لا يُغتفر لكل من قال ان هذه الاعمال مصدرها الشيطان[٢١] .

ممارسة الميزات الالهية

من يعمل اعمال قداسة يدل على انه رجل الله فحسب . وها هي الآن مواقف تفرض عند صاحبها الشعور والثقة بانه اله .

وهناك مبدأ موروث في اللاهوت اليهودي يقول بانه ان يستطيع نبي ان يبدل او يبطل الشريعة الموسوية . غير ان يسوع في « عظة الجبل » (متى ٥ : ٢١—٤٤) يفرّق بينه وبين الشريعة بقوله ست مرات متتابعة « اما انا فاقول لكم » وسيطلها عملياً فيما بعد بتصريح قاطع (مرقس ٧ : ١٤—١٩) لقد قال ان ابن الانسان هو ربّ السبت وهكذا اوضع نفسه في مرتبة الخالق ، فهو خالق ايضاً[٢٢] .

لقد غفر الخطايا وبرهن بمعجزة ان غفرانه لم يكن تجديفاً : الله وحده له مثل هذا السلطان[٢٣] .

لقد قال ان له السلطان على المملكة التي هي لله . انه يتصرف بهما ، وسيطهرها لتصبح نقية ، ويعطيها لتلاميذه ، ويفتح ابوابها للذين يشاءهم[٢٤] .

وفي بعض تعابيره يسند القول الى الله او الى ذاته دون تمييز وتفريق[٢٥] . ويعد بنعم هي محض الهية[٢٦] . ويقدّم ذاته وسيطاً اوحد بين الله والبشر الذين يعطيهم خيرات الهية متنوعة[٢٧] . ويختصر كل مواهبه عندما يقول عن ذاته انه النور والحياة . والنور والحياة خاصتان الهيتان يسبغها على من يريد . وهو ايضاً قد أوتي من الاب سلطاناً ليحكم ويُحيي من يشاء : فمنه الحياة الابدية وسيقيم من الموت ، في اليوم الاخير ، كل الذين آمنوا به وتبعوه .

وبالجملة كل ادعاآته بالالوهية تختصر بكلمة « انا » التي لها في اقوال يسوع

مكاناً مهماً . انه يقول : « انا نور العالم ، وخبز الحياة والماء الحي . . . » ويقول ايضاً : « ويعرفون اني انا هو » وهذا ما يذكرنا بمشهد العوسجة الملتهبة حيث عرّف الله بذاته لموسى قائلاً : « انا هو الذي هو » وايضاً : « انا هو الكائن . »[٣٩] لم يفه احد من القديسين قط بمثل هذا الكلام . ومتى عرفنا عمق تواضع المسيح ، نعرف ايضاً ان كلاماً كهذا لا يفسره الا ثقة المسيح الراسخة وحقيقة اشتراكه بالخصائص الالهية .

هذه اللفظة الاخيرة تنير امامنا الطريق لنفهم سرّ يسوع وحقيقة نفسيته . وهذه الاستنارة الاولى تزداد وضوحاً واشراقاً من تصريحات المعلم الباقية التي علم على ضوئها تلاميذه وازال النقاب عن فكرته العميقة .

نقول : « تصريحات » مع ان يسوع لم يُدلِ الّا بالقليل من التصريحات الواضحة تماماً . فقد نكون على وشك ان نتهمه بانه كثير الحذر ، ما يكشف عن حقيقة امره الا ويعود حالاً الى الاحتجاب . ويمكن تفسير هذه الخطة المزدوجة التي انتهجها : ان تأكيدات واضحة سابقة لاوانها لو أتت لكان لها نتيجتان مشؤومتان : اولاً اثارة معارضة لا هوادة فيها من قبل خصومه ، وثانياً تشكك تلاميذه وجرّهم الى نظريات خاطئة . اما هو فكان يريد ان يستدرجهم الى اكتشاف سر الايمان الثاوي في اعماق نفوسهم .

ابن الله الوحيد

لقد عرف اليهود ما كان يسوع يعتقده عن نفسه وما كان يدعي إفهامه لسامعيه . وعندما صرح لهم جواباً على الشكوى التي ذموه بها لانه نقض السبت وقال : « ان ابي يعمل دائماً وانا ايضاً اعمل » ، ارادوا ان يقتلوه « لانه ادعى » بان الله ابوه مساوياً نفسه بالله » (يوحنا ٥ : ١٧—١٨) ويسوع لم يقل انه والآب واحد فحسب ، فهذا زعم جنوني يخجل منه العقل ، بل اعلن سر الثالوث الاساسي : اي انه اقنوم مميّز عن الآب من حيث الناسوت ومتحد به من حيث الطبيعة مشاركاً اياه في الكيان والعمل : فهو ابن الله الوحيد . ولننتبه الى اداة التعريف « ال » التي يؤكد بها تفرّده بهذه الميزة .

وبالفعل ، ان الله ، في العهد القديم ، كان يدعو شعب اسرائيل « ابنه ،

بكره الذي احبه » . ثم اصبح كل اسرائيلي مؤمن يأخذ هـذا اللقب ليفرق بين ذاته وبين الكافرين (الحكمة ٢ : ١٦—١٨ ، ٥ : ٥) وهذا في معنى ادبي فقط[٢٠] . ولكن هذا المعنى هو رسم ونموذج للتطبيق الفريد على يسوع ذاته . وهذا واضح بيّن في كلامه العادي . لقـد لاحظ القديس اغوسطينوس بنوع خاص كما لاحظ غيره ان يسوع عندما كان يتكلم الى الله او يتكلم عن الله كان يقول « الآب » او « ابي »[٢١] . بينما نسمعـه يقول « ابيكم السماوي » كلما اراد ان يمث الثقـة البنوية بالله ، ولا يجمل نفسـه مع من يكلمهم[٢٢] . وما ذاك الا لانه الابن بنوع اسمى[٢٣] . وهـذا التفرّد بتلك المنزلة يظهر بجلاء في قوله : « اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها احد : لا ملائكة السماء ولا الابن الا الآب . » فرتبة الابن هنا فوق مرتبة الملائكة ، فهي على حدة قريباً من الله .

وفي بعض الاحيان النادرة يريد يسوع ان يتخذ لقب ابن الله كاملًا او يجب ان يلقبوه هكذا . ولقد أقرّ مرةً بانه سمى نفسـه « ابن الله » . واقراره هـذا لم يكن للتضليل بل ليبيّن كم يحق له ان يتخذ هذا اللقب الذي اعطـاه الله للذين ائتمنهم على كلمته وتعليمه اذ قال : « انكم آلهة » (يوحنا ١٠ : ٢٧—٣٦) ومرتين اخريين صرّح يسوع بوضوح انه ابن الله ، ومن المعقول ان يكون صرّح بذلك مرارًا ؟ اذ ان رئيس الكهنة استحلفه ليقول لـه هل هو حقيقةً ابن الله المبارك (مرقس ١٤ : ٦١) واليهود الحوا على بيلاطس ليحكم عليه بالموت لانه قال انه ابن الله (يوحنا ١٩ : ٧). والصالبون استهزأوا به قائلين : « لقـد القى اتكاله على الله فلينقذه الآن ان كان راضياً عنه لانه قال انا ابن الله» (متى ٢٧ : ٤٣) ففي كل هـذا ليس فقط اشارة الى نصوص وردت في الكتاب المقدس (مز ٢٢ : ٩ الحكمة ٢ : ١٣ ، ١٨—٢٠) بل الى ادعاآت المصلوب الماضية.

ان يسوع يهتم بان يفهم تلاميذه الاثنا عشر تام الفهم حقيقة ذاته . وتراه يهنئ بطرس على الاعتراف الشهير الذي اعلن به قدام الجميع ان معلمه هو المسيح وهو بالوقت ذاته ابن الله الحي . لقد هنأه اذًا على نعمة الوحي التي أوتيها من الله حقًا لانه ما من لحم ولا دم اظهر له ذلك (متى ١٦ : ١٥—١٦) ولقد شهد بطرس مرة ثانية قائلا : « انت قدوس الله » (يوحنا ٦ : ٦٩) وأظهر كالمرة الاولى

اعتقاده بعمله[٢٤] اما المعلم فقد ثبت هذا الاعتقاد عندما اخبر تلاميذه عن الصوت الذي سمعه من ابيه . وهو يستمد من يوحنا : « انت ابني الحبيب الذي به سررت » (مرقس ١ : ١١) ، وعندما دعا الرسل الثلاثة المختارين ليسمعوا على الجبل يوم التجلي الصوت السماوي القائل : هــذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا (مرقس ٩ : ٧) [٢٥] . واخيراً قبل موته بقليل ، ليبدد كل غموض ، عندما استحلفه رئيس الكهنة ليقول له هل هو ابن الله المبارك ، اجابه يسوع :« انت قلت وسترون ابن الانسان جالساً على يمين القــدرة في الملاء وآتياً على سحب السماء (مرقس ١٤ : ٦٢) فالكلمات الاخيرة من هذه العبــارة تشير الى ابن البشر في نبوءة دانيال . اما الاولى فالى الرب على لسان داود (مز ١١٠ : ١) وقد فسّر يسوع هذا لايام سبقت (مرقس ١٢ : ٣٥–٣٧) معلناً انــه اكثر من انسان ، انه ابن السيد الاكبر ، ابن الله . ويسوع ، في ما عدا هذا ، كثيراً ما لمح الى الوهيته امام الجموع ليساعدهم على فهم حقيقته الخفية : فمن هو هذا الابن الوحيد الوارث الكرم الذي يقتله الكرامون (مرقس ١٢ : ٦–٨) وهذا الحجر الذي رذله البناؤون واصبح رأساً للزاوية ؟ (مرقس ١٢ : ١٠) وهــذا ابن داود وربّه معاً ؟ (مرقس ١٢ : ٣٥–٣٧) .

ماذا كان يعني يسوع في لفظة « ابن الله » وكيف كان سامعوه يفهمونها؟ نحن نعلم ان هذا اللقب اعطي في العهد القديم لاسرائيل ثم للملـك وهكذا لسليمان (صموئيل الثاني ٧ : ١٤) وليس له هنا معنى فائق يدل على الالوهة رغم ان الرسالة الى العبرانيين (١ : ٥) تطبق النص القديم على ابن الله الوحيد : وهذا التطبيق هو مثلٌ للتفسير النموذجي. ومن المحتمل ان لا تؤخذ لفظــة ابن الله المختصة بالمسيح (مز ٢ : ٧؛ ١٠٩ : ١؛ ١١٠ : ٣) :«انت ابني وانا اليوم ولدتك» بالمعنى الحرفي وكذلك ايضاً كل الالقاب التي يطلقها اشعيا على عمانوئيل(اشعيا ٩ : ١٤؛ ٧ : ١٤؛ ٨ : ٨) ولكن هذه الالقاب كانت اعداداً وتمهيداً ووحياً للحقيقة الكبرى المزمعة ان تتم .. واننا نجد في كثير من كتب العهد القديم المنحولة ان المسيح هو شخص فائق[٢٦] . وبالعكس فاننا نرى احبار اليهود يأبون التسليم ، عــلى الاقل بعد ظهور المسيحية ، بان يكون المسيح غير « انسان من الناس » حسب تعبير (Tryphon) ولكي يبددوا الاعتراضات التي تضايقهم تفسيراً اعتباطياً.

وهكذا نفهم لماذا ألحّ رؤساء اليهود في طلب الحكم بالموت على يسوع لانه كان يقول انه « ابن الله » . وما ذاك الا لانهم ادركوا معنى هذه اللفظة وادركوا المعنى الذي كان يسوع يقصده بها . فهل هي ، خصوصاً في بعض النصوص، سوى اسم للمسيح[٣٨] ؟ على كل حالٍ اننا نظن ان شعور اليهود الدقيق عما يتعلق بهذه النقطة وشعور يسوع ببنوته الالهية لا بد لهما من ان يجعلا كلامنا هنا على غاية من الحذر والتأني .

على ان المؤرخين القدريين يحاولون ان يُظهروا يقظة ونموّ شعور يسوع ببنوته الالهية ، فيقولون انه نتيجة شعور المعلم برسالته كمسيح ، هذا الشعور الذي استيقظ في نفسه تدريجياً ثم استحال الى شعور بالبنوة . هذه هي فكرة (Holtzmann) القائل : « ان الشعور الاول هو ادراك رسالة والثاني هو ادراك شخصي للذات . » ولا بد لنا من ان نناقض هذه الفكرة ونجزم بان يسوع استطاع ان يؤدي رسالته كمسيح لانه اولًا ابن الله . فان اول كلام المسيح الوارد في الاناجيل (لوقا ٢ : ٤٩) يلفت الانتباه ويبيّن عن شعوره اولًا بالبنوة : « لماذا تطلبانني . ألم تعلما انه ينبغي لي ان اكون فيما هو لابي ؟ » وانها كلمات صبي في الثانية عشرة من سنه ، سن السذاجة وعدم الرشاد ؛ كلمات صبي عادةً مطيع ، اراد بلء خاطره ان ينفصل عن والديه قليلًا ليبرهن عن حقوقه على الهيكل ويفرق بين ابيه المربّي وبين ابيه الحقيقي الذي هو الله . ولهذا فان المؤرخين الذين هم على شيء من الايمان يقرّون بوجود سرّ الهي وراء هذا الاقتناع العميق الحاضر في نفس يسوع منذ ابتداء حياته[٤٠] .

والان ما هي المعاني التي اراد يسوع ان يضعها في لفظة «ابن الله» ؟ وماذا يحتوي هذا الشعور العميق ببنوته الالهية ؟ هذا ما سنفصله في كلامنا الاتي .

ولكننا نستطيع منذ الآن ان نرى عنصرين اساسيين : الابن هو اقنوم مستقل عن الاب ، ولكنه متحد مع الآب اتحاداً كاملًا ومساوٍ له في الجوهر والكمالات .

يسوع وابوه

هنالك صيغة لفظية مدهشة وهي انّ يسوع اذ يتكلم عن علاقاته بابيه يستعمل تارةً صيغة الحاضر وطوراً صيغة الماضي . لماذا ؟ سنرى ان صِيَغ الحاضر

تدلّ على العلاقات الجوهرية الثابتة المستمرة التي تقوم بين يسوع وابيه ، بينما الصيغ الماضية — وهي ماضية في التاريخ الزماني — تدل على الولادة والتجسد في الزمان .

الانبثاق الازلي والتجسد

ان الآب ، يوم الاعتماد ويوم التجلي ، أظهر ان يسوع هو « ابنه الحبيب » (وحيده) ؛ فهو اذاك لا يتكلم عن تلك الولادة الازلية التي يعظمها صاحب المزامير (مز ٢ : ٧ γεγέννηκα : الكامل في الازلية) والتي يذكرها القديس بولس كاملةً في رسالته الى العبرانيين (١ : ٥ ؛ ٥ : ٥) وهكذا تبرز الولادة الازلية واضحةً جلية . ونرى القديس يوحنا ايضاً في رسالته الاولى[41] يقول ان يسوع « هو ذلك المولود من الله » ، ذلك الذي يعطي اخوانه البشريين ان يكونوا هم ايضاً « مولودين من الله » . ولكن يسوع ذاته يظهر انه يعود الى هذه الولادة الازلية عندما يتكلم « عن الاسم الذي اعطاه اياه الآب » (يوحنا ١٧ : ١١—١٢) وعندما يذكّر اباه « بالمحبة التي احبه اياها » تلك المحبة التي تغمر كل اخوانه البشريين لانها تهبهم الاسم الالهي الذي هو الطبيعة الالهية (يوحنا ١٧ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦) وهنا ايضاً يسوع يتكلم عن المحبة التي هي في الزمان ، تلك المحبة التي هي مصدر الاسم والمجد الالهيين اللذين يملكهما ملكاً مطلقاً ، لان تلك المحبة هي سبب اقنومه وسبب رسالته في العالم .

وبالجملة يمكننا القول ان يسوع لا يذكر ابداً الولادة الازلية التي تدور حول شخصه . وبالعكس فانه غالباً ما يتكلم عن تجسده ، السر الذي تهم المؤمنين معرفته اكثر من غيره لانه مصدر كل النعم التي يقبلونها في التدبير المسيحي .

ان كلمة يوحنا « وصار جسداً » (يوحنا ١ : ١٤ ؛ ٢ : ٤) لا تجري على لسان يسوع ، ولكن يسوع يشير الى الفكرة ذاتها على طريقتين مقترنتين غالباً فتظهر الواحدة الاخرى بوضوح : لقد خرج من عند الله والله هو الذي ارسله[42] فالتعبير الاول يجب ان يفسَّر حسب معناه الاوسع اي ان يسوع ليس فقط خرج من عند الله ، بل وانبثق عنه ايضاً ، اي عن المصدر ، عن الاب الذي هو الله[43] . والتعبير الثاني « مرسل من الله » يجب ان يفسر على نحو خاص ، اي

ان يسوع ليس فقط يمثل الآب بل يظهر متحداً به[٤٤]. وان هذا المعنى المزدوج الذي يحدد رسالة الابن هو ايضاً موضوع الايمان المسيحي[٤٥]. وعلى كل حال «خرج» من عند الاب، او «أرسل من عند الاب» تفرضان حالة سابقة كان فيها الابن عند الله[٤٦].

لقد اعتدنا في تصوراتنا اللاهوتية ان نتخيل يسوع مستقراً في حضن الثالوث الاقدس الكلي السعادة. وهذا التصور، على ما نعتقد، يجهله العهد القديم. وكذلك ايضاً في مفهومنا العادي لقد اعتدنا ان نميز بين طبيعتي يسوع الالهية والبشرية، وقد يقودنا التجريد المبالغ فيه الى الانتباه الى الطبيعة البشرية اكثر من الطبيعة الالهية كأنها منفصلتان او ممكنتا الانفصال، ناسين في ذلك تحديد المجمع الخلقيدوني الذي يفرض علينا «الاعتراف بذات المسيح الواحد، الذي هو ابن واله ووحيد، ذو طبيعتين متميزتين دون تبديل، غير منقسمتين ولا منفصلتين»[٤٧]. فالمجمع الخلقيدوني في هذا التحديد يتحرى الأمانة لروح العهد الجديد وحرفه. فهو ينظر الى المسيح الحاني في عهد البشارة فيراه الهاً وانساناً معاً. اما المسيح من جهته فيسند اعماله الى الآب كلما تكلم عنها، فهو اخذ كل شيء من الآب وما برح الاب يعمل فيه. وهذا الكلام يفضي بنا الى النظر في

وحدة الاب والابن في الكيان والاعمال

ان يسوع لا ينفك يؤكد «انه (حيٌّ) مع الآب»[٤٨] وانه «والآب واحد» (ἕν وليس εἷς): وحدة في الطبيعة وليس في الاقنوم[٤٩]، وانه «في الآب كما أن الآب فيه»[٥٠] من حيث الاتحاد التام المتبادل الذي لا يمكن ان يتمّ الا بين الآب والابن المتساويين في الجوهر. يسوع لا يتعب من التأكيد ان كل ما يملك الاب هو له، وان كل ما يملكه هو للاب[٥١]. وهذه التأكيدات لا تصحّ الّا في الذي يأخذ كل حين والى الابد «الاسم الالهي والمجد الالهي والطبيعة الالهية» من ابيه الله[٥٢].

ان هذه الوحدة والتبادل في الكيان والجوهر تظهر ايضاً في الاعمال. وهذا ما يعبّر عنه يسوع بطريقتين: فالاولى سهلة المأخذ اكثر من الثانية اراد بها يسوع ان يبين السبب الذي لاجله يجب ان نؤمن بانه في الآب وان الآب فيه

حين جزم مؤكداً : « ان الكلام الذي قلته لكم لا اقوله من عنـد ذاتي ولكن الاب الذي هو معي يعمل اعماله »[٥٣] . فنحن الان في قلب السر، وانا نرى، حسب قول القديس يوحنا الدمشقي الذي يراجعه القديس توما مراراً كثيرة، كيف ان طبيعة المسيح البشرية هي آلة مطواع بين يدي الالوهة (Instrumentum conjunctum)[٥٤] . اما اذا تكلم يسوع عن اتنومه الشخصي فتراه يضع اعماله الذاتية على مساواة مع اعمال الاب . أما نسمعه يقول مبرراً نفسـه اذ شفي انساناً يوم السبت : « ان ابي يعمل دائمـاً وانا ايضاً اعمل » ؟ في صيغة الحاضر . ولنلاحظ هنا قوله : « وانا ايضاً » الذي يدلّ على المساواة ويدل ايضاً على الوحدة في الجوهر . ويستطرد قائلًا : « ان الابن لا يستطيع ان يعمل شيئاً من تلقاء نفسه ما لم يرَ الاب عامله . فالذي يعمله الاب هو عينه يعمله الابن مثله ايضاً . والاب يحب الابن ويريه كل ما يعمله... فكما ان الاب يقيم الموتى ويحييهم هكذا الابن ايضاً يحيي من يشاء ... فكما ان الاب له الحياة في ذاته، هكذا اعطى الابن ايضاً ان تكون له الحيـاة في ذاته . » (يوحنا ٥: ١٩—٢٣، ٢٦) فهذه العبارات اللاّى بالمعاني يجب ان نفهمها فهماً واقعياً من فم الاله الانسان، يسوع المسيح . فهو يدلّ اولًا على حقيقة كيانه الاساسي : انه يأخذ ولا يريد ان يكون غير هـذا ؛ ولكنه يأخذ من الله الذي، في حبه له، يشركه في كل مزاياه الالهية . ويسوع يقول ايضاً عن الاب انه « يُريه » ولكن يجب ان نجرد هـذه الكلمة من معناها البشري المادي . فاذا كان الاب « يُريه » فليس كما يصنع رب العمل اذا ما اراد ان يعلّم تلميذه كيف يجب ان يعمل . وكلمة يسوع هنا لهـا معنى آخر اي ان الاب بانطباعه الكلي في الابن بواسطة المحبة وإفاضة الطبيعة الالهية، يشركه بالمزايا الالهية الخاصة[٥٥] اي بزية المحيي والديّان . ولذلك اصبح من الواجب على البشر ان يكرّموا الابن كما يكرّمون الاب[٥٦] .

هذه العلاقة الوحيدة التي تضمّ الآب الى الابن يجد لها يسوع تعبيراً فيـه شيء من التخفي وكثير من الايضاح عندما تحركت فيه الرعشة العاطفية تحت تأثير الروح فناه بتلك الصلاة : « كل شيء دُفع اليّ من ابي ولا يعرف احدالابن الّا الاب ولا يعرف احد الاب الا الابن والّا الذي يريد الابن ان يبين له »[٥٧] .

فلنبدأ تفسيراتنا بالعبارة الاولى : « لا يعرف احد الابن الا الاب » . ان هذا يفرض ان طبيعة الابن تفوق مرتبة المخلوق وانه « يلزمنا النظر الالهي الثاقب » لنعرف حقيقة تلك الطبيعة عند الابن . واننا ندرك بالوقت ذاته ان معرفة الاب للابن تفوق العمل العقلي : كل معرفة انسانية تطلب شيئاً من الاندماج بالشيء المعروف . وهذا الاندماج اكثر ضرورة في الالهيات ايضاً حيث المعرفة هي تداخل وامتزاج وامتلاك وودّ متبادل (يوحنا ١٠ : ٤) ومن جهة ثانية ايضاً هو الابن وحده يستطيع ان يعرف الاب لانه اله مثل الاب ولانه مساوٍ له في الجوهر . وعدا ذلك فالابن له ميزة خاصة تأتيه من سر تجسده وهي ايضاً السبب الذي لاجله اخذ جسداً : وهذا السبب هو ان « يبيّن الاب الى من يريد ان يبين له » هذه الكلمات الاخيرة تظهر صنيع الابن الشخصي : فهو يطابق ارادته مع ارادة الاب فيما يتعلق بالنِعَم التي اقيم عليها وسيطاً واميناً ، ولكنه هو ايضاً مصدر الخيرات التي يملكها ملكاً مطلقاً ويتصرف بها كما يريد .

فاذا كان للابن مثل هذه القدرة والسلطان ، فلأن « كل شيء دُفع اليه من ابيه » . كل شيء ليس فقط الحكم والسلطة على الارض بل كل ما يشرك به الله في حبه له اي ماهيّته وطبيعته الالهية .

دراسة نفسية ابن الله المتجسد

انه اله انسان واننا نرى ابن الانسان هذا يقوم بمآتيه كاله ولا نكتشف فيه اية ثنائية كانت تحطم وحدة شخصه التامة هذه الثنائية التي ابدها نسطور فشجبه مجمع افسس – وعلى العكس من ذلك اننا لا نلمس فيه الّا « انا » واحدة عاملة دائماً كاداة طيّعة لأبيه : اي العبارة عن العقيدة الايمانية التي تجمع بين طبيعتي المسيح في شخص واحد الا هو شخص الكلمة فعلينا ان لا نعرّض النفس الى خطر النسطورية وان بعيداً وذلك بتساؤلنا الى اية طبيعة ترد مثل هذه العملية[٨] او اذا كانت مآتيه هي حقّاً الهية وانسانية[٩] .

ونلخص في هذه الوحدة التامة موقفين متماكسين حيال الاب إلّم يكونا متناقضين اذ قال عن نفسه انه مساوٍ له . وقد جعل ذاته حقيراً جداً امامه

بابتهاله اليه واطاعة اوامره : وفي مثل هذا المقام نلمس اتضاع الابن المتجسد[٦٠] اتضاعاً لا تفسره طبيعته الانسانية لانها مخلوقة فهي بحكم الضرورة احط من اللامتناهي وانما على العكس من ذلك طبيعته كابنٍ مكوّنٍ في شخصه الالهي لانه اخذه من الاب وهو بمحبّة بنويّة يخضعها دائماً له .

وبكلمة اقوى من جميع الاعتبارات لقد حدّد يسوع شعوره بالعلاقة التي تربطه بابيه اذ قال بخطابه في وداع تلاميذه « فلو كنتم تحبوني لكنتم تفرحون باني ماضٍ الى الآب لان الآب هو اعظم مني » (يوحنا ١٤—٢٨) وكيف ذلك؟ وهل الابن اصغر من ابيه ؟ ان ثمّت مفسرين ولا سيما اللاتينيون فهموا بهذه الكلمات « ان الاب هو ارفع مقاماً من الابن بسبب طبيعة الابن الانسانية التي جعلته في مصاف المخلوقات . . . » ويتابع دوران Durand قائلاً : ان معظم الارثوذكسيين او على الاقل اليونان منهم يتفقون على القول ان ابن الله اعلن هنا جهاراً عن امتثاله حيال ابيه لا بسبب طبيعته الانسانية وانما بسبب اصله .

ولقد جمع القديس كيرلوس الاسكندري بين التفسيرين وقال : انه الكلمة المتجسد الناطق في وحدة شخصه عبر المنقسمة[٦١] على حدّ سواء .

وتوضح هذه النزعة الاساسية كلمات اخرى للمسيح فنحن لا نحيل شهادته « الابن لا يستطيع شيئاً من عنده » وندرك ايضاً الكلمة التي قالها للفتى الغنيّ الذي دعاه « صالحاً » فاجابه لماذا تدعوني صالحاً انه لا صالح الّا الله وحده (مرقس ١٠ :١٨) وليس قوله هذا الا تأكيداً ان الله وحده هو مبدأ كل صلاح وتعظيماً لنفسه بنسبته اليه جميع الصفات التي استمدها منه .

واعترف بهذه العلاقة نفسها من الناحية العقلية « ان تعليمي ليس هو لي بل للذي ارسلني » (يوحنا٣:١٦—١٧) واكتفى ايضاً بان يشهد بما سمعه على مقربة من الآب (يوحنـا ٣ : ١١ ؛ ٥ : ٣٠ ؛ ٨، ٢٦، ٢٨، ٤٠، ٤٧ ؛ ١٤، ٢٤ ؛ ١٥، ١٥ ؛ ١٧) وبتفوّقه المتفرد بمعرفته الله وهو وحده الذي يظهر الآب .

وفي هذا النحو نستطيع تفسير المثل الذي ضربه واستخدم غالباً لانكار الوهية المسيح :« اما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها احدٌ ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب » (مرقس ١٣ : ٣٢ ؛ متى ٢٤ :٣٦) وينبغي لنا ان نربط هذه الكلمات بسلسلة من تصريحات السيد التي ينمحي فيها الابن

مبدأه ، وفي هذه الرسالة يعمل الآب والابن معاً فالآب يرسل باسم الابن والابن مرسلٌ من عند الآب. ويبدو الآب على كل حالٍ كبداءٍ اعلى يستمد منه الابن السلطة لكي يُرسل ، اما الروح فتنتظم بصورة خاصة مع الابن فيذكرنا بما علّمه هذا الاخير ويأخذ مما هو له لكي يبشر به .

-- وكما خرج الابن من الذي ولده منذ الازل ، من ابيه لينجز رسالته ، كذلك انبثق الروح من الآب الذي هو اذًا مبدأ كونه[٦٨] .

ملكوت الله _ عقيدة اليهود في انتظار المسيح المنقذ

تقوم رسالة ابن الانسان على تشييد ملكوت الله : ولقد اعلن منذ اولى بشاراته ان (الملكوت هو هنا[٦٩]) وعرّف رسالته انها (انجيل الملكوت)[٧٠] فما هو ملكوت الله هذا ؟ ان ضروب الجدل الحديثة كان من شأنها ان اثارت غموضاً كبيرًا حول هذه العبارة ومفهومها اللذين نتردد في تعريفها ، وكان يرى بوخسل (Büchsel) ان العبارة بسيطــة فلكوت الله يجب ان يكون ملكوتاً يملك فيه الله . وقبل مباشرة درس فكرة يسوع حول هذه النقطة نأتي ببعض الادلة على تاريخ العبارة السابق ومفهومها[٧١] .

مفاهيم التوراة واليهود

يخيّل الينا انه من المناسب ابداء ملحوظة تمهيدية اذ يجب علينا ان نميز بين العبارتين « ملكوت الله » ومفهوم « عقيدة اليهود في انتظار مجيء المسيح المنقذ» كما يجري غالباً ، فالعبارة الاولى اقرب الى الفهم من الثانية .

ولو بحثنا كتب العهد القديم لاعجبنا بادئ بدء بان لا نصادف فيها هــذه العبارة الا نادرًا[٧٢] وذلك لان الفكرة المضبوطة التي تعني تحتل في العبــارة اليهودية مقاماً ثانوياً بشكلها النوعي .

ومع ذلك فثمت فكرة تملأ جوّ التوراة . وهي ان الله ملك ولكنه ليس ملك اسرائيل وحده وانما جميع الارض «وكل امة ومملكة[٧٣] » فالله يملك بسبب قدرته وانتصاراته على اعدائه[٧٤] : وهل يملك لكون البشر يعترفون بسلطانه ويقبلونه ؟

تحولت الى اثنين هما الآب والابن اتحدا بالمحبة الوثقى وعاملان معاً على حين اننا قلما نرى الروح القدس وغالباً يبدو كانه رسول من الآب والابن . ولكن اذا ما وقفنا النظر ندرك ان تعليم الانجيل لا يختلف ابدًا عن تعليم العهد الجديد بكامله ومجموعة العقيدة المسيحية الّا من حيث بعض الوضوح[٦٤] فهو في جوهره واحد اينما كان . فالاناجيل عامة على شاكلة الكتب المقدسة تظهر لنا الروح القدس اكثر مما تبين لنا عمله الذي نراه في مأتى المسيح ونكشف فيه خاصتين: الاولى انه عمل يمارسه كائن الهي له من جهته جميع خصائص الاقنوم الحقيقية وهو بارقليط الابن (يوحنا ١٤ :١٥) وعمله واضح الفردية كل الوضوح»[٦٥] .

ومما يبين بجلاء ما بعده جلاء ان الروح القدس هو اقنوم من المستحيل ان لا يكون في مصاف الآب والابن صورة العماد : لان القائم من الموت قد امر بان يجري العماد باسم الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨ : ١٩) .

ولا شك في حقيقة هذه الصورة[٦٦] فان معنى «باسم» مفاده ان المعمَّد يضع نفسه تحت امرة واحد (وهذا الشخص هو هنا غير يسوع) ويشترك معه (اعمال ٢ :٣٨ ؛ ٨ :١٦ ؛ ١٠ :٤٨ ؛ ١٩ :٥) اي تحت امرة الله وحده الموجود في ثلاثة اقانيم : وصفوة القول ان الروح الذي ذكر على نحو واحد كالآب والابن هو ايضاً شخصي والهي كالاول والثاني .

ومما يحملنا على الدهشة ما حوته صورة العماد من المعاني الكثيرة لم يتمهد لها في الاناجيل الثلاثة اما متنها الانجيل الرابع فيخوّلنا ان ندرك هذه المعاني بوضوح اعظم ونسلم بها على حدّ ما كتبه الاب ليبرتون (Lebreton) ان توسيع علم التثليث السابق يفرض في تعليم يسوع مجالًا رحباً وضبطاً لا توضحها النصوص الاخرى[٦٧] .

ونرى ايضاً عند القديس يوحنا ما يلقي ضوءا على اصل الروح ، وفي خطاب ما بعد العشاء السري (١٤ :١٥ ؛ ١٥ :٢٥ ، ١٦ :٢٦ ؛ ١٥ :٨) نقع على هذه الاقوال التي يتمّ واحدها الآخر وتتضح على التبادل : الآب يرسل الروح وباسم الابن ، الابن يرسل ايضاً الروح من عند الآب ومنه يأخذ الروح رسالته ، ان روح الحقّ ينبثق من الآب .

وينبغي لمن يرسلون ان يكون لهم بعض التأثير في الذي يرسلونه ويكونوا

من الاستنباط وهي في الوقت نفسه غير محدودة : اما تلاميذه فيحددون مفهومها لانفسهم كلما رأوا اتساع النظام الجديد ولا سيما على قدر ما يتبنونه ويحيون بموجبه .

ولا يعزب عنا ان يسوع قد علّم تعليماً جديداً وشخصياً بحتاً بواسطة هذه العبارة الدارجة وقد اعتبره الكثيرون تعليماً ثورياً[٨٤] . فاية كلمة استعمل؟ لقد كان اليهود يقولون ملكوت شمايم فاشمايم (السماء) يعني الله اذ كانوا بدافع المغالاة في الاحترام يمسكون عن ذكر المسميات القدسية . اما لفظة ملكوت فانها لا تدل على الارض (المملكة) التي يملك عليها سلطان واعا على ولايته وسيادته وسيطرته اما لفظة (ملك) او (مملكة) في الافرنسية وبمعناها الواسع فاستخدامها خطأ هنا لانه يشير الى حقيقة قد نظر اليها من حيث الظروف فقط اما يسوع فلم يؤخذ بالمزاعم اليهودية فاستطاع ان يقول مملكة الله وربما لمجاراة البيئة قد قال (ملكوت السماء) من دون ان يعني بذلك المقر الالهي[٨٥] ولقد قال ايضاً « الملكوت » عن النظام الجديد الذي اوجده .

ولم يضع يسوع قط تعريفاً « لملكوت الله هذا » مما حدا بمعاصرينا الكرام الى تأويله بشتى المفاهيم المختلفة التي نستطيع ايجازها بنموذجين احدهما على نقيض الآخر تماماً . وبحسب مفهوم النموذج الاول ان المسيح رمى الى ملكوت روحي تقدمي تطوري وبحسب الثاني ان المسيح كان ينتظر ان يتمّ هذا الملكوت عفوياً من تلقائه وذلك عن طريق الاضطرابات في المنتهى، اضطرابات تقلب العالم برمته بطناً لظهر لنرى بموجب هذين المنهجين ان عامل « الزمان » يمثل فيها دوراً معيناً يؤدي بنا الى تحديد فكرة يسوع معوّلين على استخدام اللغة التي تكلم بها .

ولقد تكلم على الملكوت في معظم الاوقات بالحاضر كأنه حقيقة قائمة ، وفي الماضي الذي يفرض حالة بدأت او في المستقبل. انه لماض يشمل الحاضر : ولقد جعل يوحنا المعمدان ملكوت الله[٨٦] نهاية عهد الناموس والانبياء . واذا كان ملكوت السماوات قد حان فهو قد بدأ (متى ١٢ : ٢٨ ، لوقا ١١ : ٢٠) ولذلك أكّد يسوع « انه هنا » حاضر[٨٧] ولقد فاز بالملكوت بعضهم[٨٨] ومنهم

من هم كبار ومن هم صغـار[٨٩] . ان العشارين والزناة يسبقون اليه فريسيين (متى ٢١ : ٣١ وما يليها) . ليس لنا ان ننتظره « فهو في داخلكم»[٩٠] .

ومنذ الآن نستطيع ان نتقبله (مرقس ١٠ : ١٥ ؛ لوقا ١٨ : ١٧) . وفضلاً عن ذلك كله فان المسيحي يطلب في صلاته اليومية « ليأتِ ملكوتك » (متى ٦ : ١٠ ؛ لوقا ١١ : ٢) وما برح الكثيرون يرقبون ظهور الملكوت في الزمن الآتي (لوقا ١٩ : ١١) اما يسوع فيصوره بعهد المكافأة والغبطة المسيحيين[٩١] . ولقد تحقق وما برح ايضاً علينا ان نحققه : واننا سنبحث كيف يكون ذلك .

ولنذكر من اقواله المسلم بصحتها فنرى ان الملكوت يبدأ مع يسوع وندرك فوراً انه قد اوقف كل جهوده على رفع شأنه حتى بات في مقدورنا ان نؤكد مع اوريجانوس ان رسالة المسيح وحتى شخصيته كادتا تتوحدان به فهو الملكوت نفسه (autobasiléia) كما انه الحكمة بعينها والعدل بذاته والحقيقة نفسها[٩٢] .

فماذا صنع لانجاز مهمته ؟ لقد اجابنا بالصلاة التي علمنا اياها « ليأتِ ملكوتك وتكن مشيئتك » وبتحقيق الخطط الالهية واننا لنرى الابن قد ظل حريصاً كل الحرص حتى الساعة الاخيرة من حياته على طاعة مقررات ابيه كما اعلنت عنها النبوءات .

والمظهر الآخر من استعداده هذا الاساسي هو تمجيد الآب بانجازه العمل الذي عهد به الى الابن (يوحنا ١٧ : ٥) وهذه الاقوال موجودة في التقليد يوحنا وهي تنطبق على موقف يسوع العادي الذي يتم صراحة الخطة المرسومة في العهد القديم .

وتشييد الملكوت الله قد اصطدم بمقاومة الشيطان ومعارضته الصريحتين وهو قد شغل مقاماً في اقوال يسوع . اما تفسير هذه الاقوال وفقاً لما كان يقوم من مفاهيم في عقل الجمهور الذي رأى في ابليس تشخيصاً للشر فامر يستحيل التسليم به كما قال سويت (Swete) « ان نكران وجود الشرير الشخصي يظهر لي انه يدخل عنصر شك خطير في تعليم المسيح والرسل[٩٣] .

ولقد ظهرت عداوة هذا الخصم منذ البدء اذ حاول بتجربته الاولى ان يحوّل ابن الله عن الخطة المسيحية الروحية ، وقد اعترف الذين اعتراهم روح الشرير بانه قد نشب بين القوتين صراع حاسم[٩٤] فالشرير جاء ينتزع الكلمة التي زرعها ابن الانسان ليلقي الزؤان في حقله[٩٥] .

وهو الذي حرّض على آلام يسوع[١٦] فلذا كان على الذي جاء يشيّد الملكوت ان يكافح الشيطان وكان من رسالتــه ان يمتق الذين اعتراهم الروح الشرير وما كانت انتصاراته المثمرة على الارواح النجسة الا شهادة على ان ملكوت الله قد حان (متى ١٢ :٢٨) وجم عن تبشير تلاميذه ان تدهور الشيطان كالبرق الساقط من السماء (لوقا ١٠ :١٨) ولا سبيل لمهاجمة امير هذا العالم سلطــان الظلام من ان نعلنها حرباً شعواء على العــالم وعلى الذين تحوّلوا عن الله وليس هدف هذا الكفاح تحطيم الخصم ولكن ارتداده لان العالم هو من مخلوقات الله التي يريد خلاصها[١٧]

لقد كانت غاية كل المجهود الذي بذله يسوع تشييد ملكوت الله واعلاء تمجيده فالمعجزات العديدة التي صنعها لانقاذ الاجسام من الاوجاع التي كأنهــا نتيجة عبوديتنا لابليس ودليل عليها ينبغي لها ان تبدو لنــا بحسب قول الاب دغراندمازون (de Grandmaison) كأنها مملكة الله بالافعال[١٨] .

وانما لكلمة ابن الانســان خاصة هي التي ساعدت على تشييد ملكوت الله فهو قد بشر بانجيل الملكوت (متى ٢٤ : ١٤) وزد على ذلك فانه قد شبّه في المثل الذي ضربه الملكوت تعبير الكلمة المزروعــة والتي دعيت « كلمة الملكوت » (متى ١٣ :١٩) — ويسمنا القول بهذا التعريف انه بصيغة المضاف اليه . ونقع على هذه الفكرة نفسها في مثل الزؤان الذي يصوّر تقلبات الكلمة التي زرعها ابن الانســان (متى ١٣ : ٣٧) . وفي هذا المعنى نفسه تكلم يسوع على اسرار ملكوت الله اي عن الحقائق العميقة التي يفهمها فينبغي لنا ان نفهم ملكوت الله كتعليم جديد سري ، فالعالم المسيحي هو من تثقف هــذا التعليم (متى ١٣ : ٥٢) والمبشر المسيحي هو من احتذى مثل يسوع ونشر بشارة هذه الرسالة الحسنة — الانجيل لانه قد فقه الملكوت كتعليم (جهرت به مدرسة معيّنة) وهو الذي هنأ يسوع عليه احد الكتبة لأنه استصوبه وقال له « لست بعيــداً من ملكوت الله » (مرقس ١٢ : ٣٤) وتعليم يسوع الواسع يحوي توجيهات ادبية وادلة السر الالهي اما الخطبة على الجبل التي اطلق عليها غالباً اسم ميثاق الملكوت الاكبر فلا تشتمل على جميع تعليم الملكوت وانما هو مبعثر في كل الانجيل واستخدام عبارة ملكوت هنا ففي معناها العقلي والادبي اما

مفادها الاجتماعي فهو ان الذين يعتنقون هذا التعليم يؤلفون جماعة اي مملكة ابن الانسان التي يجب ان تقتلع منها العناصر الردية (متى ١٣ : ٤١) وما هذه الجماعة الا تكملة لاسرائيل واليهود وهم اعضاؤها الاصليون الذي سيطرحون منها (متى ١٢ : ١٢ ؛ ٢١ : ٤٣) .

ولما جعل يسوع سمعانَ الصخرةَ الاساسية لكنيسته وسلّمه مفاتيح ملكوت السماء (متى ١٦ :١٩) فقد اوضح لنا من بعض المناحي ان هذه الكنيسة ومفاتيح الملكوت هي واحد . ولقد قيل في تلاميذ يسوع انهم « المنتظرو الملكوت » (مرقص ١٥ : ٤٣ ؛ لوقا ٢٣ : ٥١) وذلك طبعاً وفقاً لتعليمه وفي جماعته . ولا يخفى عنا ما هو ملكوت الله هذا الذي يقفله الفريسيّون في وجه غيرهم ولا يريدون ان يدخلوه (متى ٢٣ : ١٣) . انه الملكوت نفسه الذي يغتصبه الغاصبون (متى ١١ : ١٢) والبشر جميعهم ولا سيما اليهود مدعوّون للانضمام الى هذه الجماعة دعوة لا تبرح تتجددّ حتى الساعة الحادية عشرة (متى ٢٠ : ١ — ١٦) فالاجر مضمون للتأخرين كالاولين .

ومن هذه الادلة نستنتج انه بمقدورنا اعتبار الملكوت كملكية مشتركة وخاصة في آنٍ واحد للافراد فعلى كل منهم ان يبذل مجهودًا ليدخلها وينعم فيها بالحياة التي يحلم بها . نعم اننا مدعوّون قبل كل شيء الى السعي لكي نفوز بملكوت الله (متى ٦ : ٣٣ لوقا ١٢ ؛ ٣١) فهو الكنز واللؤلؤة الثمينة اللذين ينبغي لنا ان نفوز بهما مهما كلفّ الثمن (متى١٣ :٤٤—٤٦) ففي سبيل احراز ملكوت الله نقبل افدح التضحيات جسامة (متى ١٩ : ١٢ لوقا ١٨ ؛ ٢٩). وحادى القول: ان المؤمن اكيد من معونة الله له في مجهوده لانه احد افراد القطيع الصغير « ولقد حَسُن لديه ان يعطيكم الملكوت وسره » (لوقا ١٢ : ٣٢ ؛ متى ١٣ : ١١) فالله لم يحقق مقصده بسرّ محبته لمخلوقاته من دون ان يمنحهم جميع النعم الضرورية لهم. ويسعنا ان نطلق مع ريتشل « Ristchl » واللاهوتيين الالمان اسم «هبة» Gabe على الملكوت او ان نسميه«مهمة» Aufgabe اذ على الانسان ان يعمل تبعاً للاوامر التي بلّغه اياها رب الملكوت اي ان جميع الذين ارسلوا لحراثة الكرمة يتقاضون الاجرة نفسها لان كل واحد قد بذل جهده (متى ٢٠ : ١٠) .

ان الابن الطائع حقاً ليس من يقول « نعم » لابيه بل هو من يتمم وصيته (متى ٢١ : ٢٨ — ٣٢) وما العمل الانساني الشاق الا تعاون مع العمل الالهي المتفوّق دائماً : لا يُقبل على الابن الا الذين يجتذبهم الاب (يوحنا ٦ : ٣٧ ؛ ٣٩ : ٤٤ ؛ ٦٥ : ١٧ ؛ ٦) : ما من احد يستطيع ممارسة بعض الفضائل الا الذين اعطي لهم ذلك[99] ، وان الله يوزع مقدار نعمه على قدر ما يُعطى لهم «فمن له يزاد ومن ليس له يؤخذ منه ما هو له»[100] فالعبد الصالح بعد ان يستنفد قواه في عمله عليه ان يقول : « انا عبد بطّال انما فعلتُ ما كان يجب عليّ فعله » (لوقا ١٧ : ١٠) ومماشاة العمل الانساني الشاق للعمل الالهي توفر اطراد نمو الملكوت اطراداً مستمراً في الجماعة الارضية التي يتجسّم فيها وفي كل عضو من اعضائها . ومثل الحصاد الذي ينمو من تلقائه نمواً مطرداً (αὐτομάτη) بعد ان القى الانسان البذار يبين بوضوح كيفية هذا النمو فالارض « نبت فيها الحشيش اولاً » ومن ثم السنابل وبعد ذلك وفر القمح في سنابلها (مرقس ٤ : ٢٦—٢٩) .

وتدخل في ذهننا امثال حبة الخردل (مرقس ٤ : ٣٠—٣٢ ؛ متى ١٣ : ٣١—٣٢ ؛ لوقا ١٣ : ١٨—١٩) والخمير (متى ١٣ : ٣٣ لوقا ١٣ : ٣٣ لوقا ١٣ : ٢٠—٢١) فكرة عن هذا النمو التي هي من ناحية الاجتماعية اكثر مما هي من ناحية الملكوت .

وكما يتفاوت الناس في المجتمع بعضهم عن بعض كذلك في الملكوت فهناك من لا يستحقونه : الزؤان والاسماك الرديئة التي يطرحها المعلم لكي لا يبقى فيه غير الابرار ليتمتعوا بملكوت الآب (متى ١٣ : ٢٤—٣٠ ؛ ٣٦—٤٣ ؛ ٤٧—٥٠ .

وتطلعنا هذه الكلمات على حالة الملكوت الاخيرة الذي لا يحين حينه تماماً ويتم الا في الملكوت المسيحي اي ملكوت الخمر الجديد والمائدة المعدة للمختارين (لوقا ١٤ : ١٥—٢٤ ؛ ٢٢ : ١٦—١٨ ، ٢٨—٣٠) مرقس ١٤ : ٢٥) وملكوت المكافأة الابدية او السماء او جهنم (مرقس ٩ : ٤٧ ، لوقا ١٣ : ٢٥—٣٠) شكل ملكوت الانقضاء . وفي سبيل استيفاء هذه الاقوال بشأن ملكوت الله لنشر بايجاز الى بعض الخيرات التي تأتينا بها والتي ستكون فيما بعد موضع

تأملنا بها مليّاً وسنرى ان غاية الملكوت هي ان تجعل اخواناً كثيرين للمسيح وان تمدّ النبوّة الالهية للبشر ويمنا التسليم باننا حصلنا على ان نتحالف مع الله تحالفاً جديداً ابدياً بواسطته تحالفاً يشتمل على كل الخيرات الروحية وقد عرفنا ان النعم الالهية قد وصلت الينا بواسطة يسوع وفيه لانه الوسيط الوحيد بين الله والبشر.

ولا يعجزنا تعريف هذه المملكة واستنباط خصائصها الجوهرية : فهي نظام الخلاص الذي بدأ بيسوع ليتمم نظام العهد القديم.

ولهذا النظام اشكال عدة فهو تطلع يبلغه المؤمنون وحدهم وهو مجتمع على شاكلة هيكل عضوي لا ينفك نامياً وفق نواميس الحياة ويقوم على هذه الارض متجسماً نوعاً في الكنيسة وهي حالة المجاهدة النافعة ولن تبلغ كمالها الا في مملكة الله وهي الحالة النهائية الراهنة حيث يطرح منها من لا يستحقها وحيث تفوز بالخيرات الالهية بدون مانع او تحفظ فهي نموذج الخيرات الفائقة الطبيعة ومجموعها التي وهبت لنا مذ كنا على الارض ولن تبلغ ذروة كمالها الا في السماء.

ولئن تشابهت هاتان المملكتان واختلفتا في آنٍ واحد فان احداهما لا تنقض ابداً الاخرى مما تسفر نتيجته عن اندفاع حيوي مستمر لا يقاوم الا هو اندفاع الحياة نفسها. ولقد رأينا هذا الاندفاع في عمله المادي الابداعي فنكيف به في اندفاعه في عالم الحياة الالهية طالما لا تنقطع النعمة عن السير صعداً نحو المجد.

فهل باستطاعتنا ان نستعرض تعاريف ملكوت الله؟ انه النعمة والمجد[١٠١] انه ملحمة الخلاص برمتها[١٠٢] انه الاله الذي اتخذ بخليقته الانسان برباط المحبة المتبادل الازلي[١٠٣] وبكلمة واحدة نستطيع القول بشكل اوفى واقوى » انه المجتمع المؤلف من اناس فازوا بالبنوّة الالهية بواسطة يسوع المسيح التي حوفظ عليها وتمّت في هذه الارض بالكفاح وذلك بفضل وساطة مخلصنا وازدهرت ظافرت في العالم الاخر بشبهها التام بسيدنا يسوع المسيح[١٠٤].

عقيدة اليهود في مجيء المسيح المخلص

كان معقد رجاء الشعب الاسرائيلي فيما قُدّر على حياته من متناقضات وتعرّضت اليه من خطر على بزوغ عهد ذهبيّ في المستقبل وغدهم بحلوله رجال دينهم وكان الامر المهم في ذلك ان يعاد بناء الشعب المختار وانتصاره منذ ينبثق فجره وهو العهد الذي يفضي الى العدل والايمان المطهر وذلك بواسطة تنداقتهم لله .

وكانوا يعتقدون ان مملكة اسرائيل ستشيد في فلسطين التي كانت تتجلى لهم على غير شكلها او في مكان اخر مثالي لا يداني تمامه تمام حتى كادت تلتبس في مخيلاتهم بالسماء وان جميع الامم مدعوة مبدئياً لتشاطر هذا الشعب المقدس حياته الآمن حيث الواقع فان اعتقادهم ان المسيح سيفتدي كل البشر على السواء قد افسح معه مجالاً لاعتقاد اخر مآله ان الفداء سيكون للشعب اليهودي وحده اما الشعوب الاخرى فلن يكون لها نصيب فيه ما لم يهتدوا قلباً وقالباً .

والامر الرئيسي في مختلف تلك المناظرات التي دارت حول مجيء المسيح المخلص في عقيدتهم هو اعادة تشييد ملك اسرائيل القومي اما المسيح نفسه فيحتل فيها مقاماً يكاد لا يؤبه له .

وبما ان عقيدة اليهود في مجيء المسيح المخلص هي العنصر الرئيسي في الوحي القديم فقد كان على يسوع ان يحقق بنفسه هذه النبوة الرئيسية : ولكن كيف؟ وحيال هذا الامر ترانا امام قضايا اربع لا تستطيع التسليم بها : الاولى ان يسوع لم يعرض نفسه كمسيح اما الأدلة التي تشتمل عليها الاناجيل حول هذه النقطة ولا سيما انجيل مرقس فهي من ابتداع الكنيسة[١٠٥] ثانياً بحسب قول البروتستانت الاحرار ان يسوع لم يمنح هذا المعتقد الا مقاماً ضئيلاً ومن الدرجة الثانية . ثالثاً ان يسوع لكي يجاري نفسية المحيط قد وضع نفسه ضمن دائرة[١٠٦] عقيدة اليهود في مجيء المسيح المخلص ولكن بدون ان يتخللها تماماً[١٠٧] رابعاً ان يسوع الذي تملكت شاعره عقيدة اليهود بمجيء المسيح المنقذ الرمزية قد جعل نفسه المسيح المقبل[١٠٨] .

وفي سبيل نقض هذه النظريات لنثبت ما كانه شعور يسوع واية افكار اراد ان يضرمها في عقول تلاميذه . انه لما كان آتياً ليتمم النبؤات فقد اراد ان يحقق عقيدة اليهود بمجيء المسيح المنقذ . ولكن اية عقيدة هذه ؟ .

لقد كان معظم اليهود يتصورونها من الناحية المادية وان المسيح لن يخلص سواهم[١٠١] اما يسوع فارجعها الى اثارهـا الحقيقي الا هو ملكوت الله والعهد الجديد الذي لا يستطيع تحقيقه الا ابن الله . وكيف السبيل لحل السامعين على قبول وجهات نظر لم يكونوا أعدوا لها الا اعداداً قليلاً وهي مخيبة للامال الى هذه الدرجة . ؟ فبهذه المناسبة اتى يسوع بادلة من شأنها تنوير عقول ذوي الارادة الحسنة ولا سيما قد احيا رسالته كمسيح الهي بجذافيرها فيعرف المؤمنون شيئاً فشيئاً بواسطة اعماله من هو وما هو المسيح الحقيقي .

ولقد حاول مؤرخون تمييز منشإ شعور يسوع بعقيدة اليهود بمجيء المسيح المخلص وكيفية نموها فذهبت محاولاتهم عبثاً[١٠٢] . وليست المعمودية هي التي اوقظت فيه شعوره بالمهمة التي عليه ان يتمها : ان صوت الاب يعني مقالة اخرى الا هي مقالة ابن الله احد اقانيم الثالوث الاقدس التي تخوله انجاز عمل المسيح . وقد اظهرته التجربة شاعراً كل الشعور بالخطة التي عليه ان يتبعها وهي تناقض المناقضـة كلها معتقد اليهود بمجيء المسيح المخلص الزمني ذلك المعتقد الذي اوعز به المجرب .

واتم يسوع رسالته كمسيح فبشر بانجيل الملكوت واعلن في خطبته على الجبل ميثاق مملكة السماوات المفتوحة للصغار . وتدخله بشؤون الهيكل منذ ظهر للمرة الاولى في اورشليم يؤكد في آن واحد حقوقه كابن وحقوقه كمسيح (يوحنا ١٨ : ٢١ لوقا ٢ : ٤٩) ولئن اكثر صنع المعجزات فلكي يحث الجمهور على ان يرى فيه اكثر من نبي وعلى رغم تحريم السلطات الاصفيا . اليه فقد تساءل الكثيرون عما اذا لم يكن المسيح[١١١] ولقد سمناه يكشف القناع شيئاً فشيئاً عن رسالته كمخلص وفادٍ ومسيح روحي فقط .

وما خلا ذلك لقد تلفظ يسوع باقوال واتى اعمالاً تنمّ عن امور كثيرة . نعم انه لم يقل عن نفسه هو المسيح[١١٢] كما لاحظ ذلك اوريجانوس ولم يجب صراحة على هذه النقطة لما طرح عليه مستنطقوه سؤالاً بشأنها (يوحنا ١٠ : ٢٤

٢٥) وذلك لانهم لم يكونوا بدرجة من النضج ليفهموا هذا الوحي ولانهم كانوا يتصورون المسيح كبطل قومي موزع للمنّ (يوحنا ٦ : ١٤ ، ١٥) . ومع ذلك فقد اظهر نفسه في احدى عظاته الاولى (لوقا ٤ : ٤١) كالذي بشر به اشعيا (٦١ : ١ وما يلي) ومن ثم بدلاً من ان يجيب فيا بعد على سؤال المعمدان بالايجاب « أأنت هو الآتي » فقد تمم اعمال المسيح (متى ١١ : ٤ ؛ ٥ لوقا ٧ : ٢٢) اما تصريحاته بشأن المعمدان السابق (متى ١١ : ١٠ لوقا ٧ : ٢٧) الذي رمز اليه ايليا[١١٣] فتركتنا نسمع بوضوح ان ازمنة المسيح قد تمت به ، وليس دخول يسوع الى اورشليم قبيل اجتياز رسالته الا تأكيداً بالفعل لمواعيده التي لم يتجاهلها الجمهور اذ اخذ يهتف « لملك ابينا داود » . ولكن ما له مغزاه هو اختيار يسوع شكلاً لارتقائه العرش من اشد الاشكال اتضاعاً[١١٤] اذ كشف اليوم ذاته للوثنيين الذين ارادوا ان يروه عن رسالته الفداء بمثل « حبة الحنطة التي تقع في الارض لتموت فتأتي بالثمرة » (يوحنا ١٢ : ٢٣–٣٢) اي انه الملك المسيح وليس المنتصر والسلطان العام وانما هو المخلص فقط الذي حمل خطايانا واشتراكنا بآلامه .

ولما ارتأى ان الساعة قد حانت ادلى بتصريحات ظاهرة كان الامر المهم ان يثبت تلاميذه في معرفة مقام معلمهم فاعدهم طويلاً بصبر وبعمل تعهد اخلاقي لكي يكتشفوا بانفسهم الحقيقة فطرح عليهم في اثناء انسحابه بهم بعيداً عن الجمهور هذا السؤال الحاسم : من هو ابن الانسان بحسب شعوركم لا بحسب اقوال الناس ؟

زلسنا نجهل ما فاه به بطرس من جوابه باسم الاثني عشر بعد ان اعترف قبل ذلك ببضعة اشهر بايمان جماعة الرسل بالاله القدوس ، وبعد ان اصبح عنده كلام الحياة (يوحنا ٦ : ٦٨ ؛ ٦٩) الابدية ، كان تصريحه في قيصرية فيلبس اشد وضوحاً : « انت المسيح ابن الله الحي » .

وحقيقة هذا الكلام المشروعة وخصائصه التاريخية اللتان لا توجدان الا في انجيل متى (١٦ : ٦) قد انكرهما النقدة العقليون[١١٥] . ويبدو ان مواقف مغلوطة عديدة قد اتخذت حول هذه النقطة كما اتخذت حول غيرها : فثمت كثيرون يعتبرون ان نص متى الطويل مفهوم اكثر من نصي مرقس ولوقا[١١٦]

اما نحن الذين نسلّم بنص الانجيل الاول برمته فقد ادهشتنا موافقته الباعثة على الاعجاب . فبطرس لم يعترف بيسوع انه المسيح فقط بل اعترف بالوهيته لان عبارة « ابن الله » هنا قد اتخذت اقوى معانيها . فكيف توصل الرسول الى هذا الاقتناع ؟ من المحتمل ان يكون يوحنا المعمدان قد علّمه اولاً او انه كان منتبهاً الى الدروس التي كانت اقوال يسوع واعماله تعطيها - او انه قد تأثر بمجهودات سلفه الاخيرة التعليمية . ولماذ لم يكتشف بخبرته الشخصية عقيدة ديننا الاساسية ؟

ان يسوع لم يتمم آمال اسرائيل فقط وانما هو وحده يستطيع ذلك لانه صاحب كل السلطات بصفة كونه ابن الله . فاقواله التالية تتمم تماماً في محله هذا التصريح : ان رسالة المسيح يجب ان تواصل تتميمها الكنيسة التي تضع بطرس رئيساً عليها ولا يمكن تحقيق هذه الرسالة الا بفضل آلام المؤسس وقيامته الذي كان اول من خضع لناموس التضحية الشامل « اضاعة النفس في سبيل ايجادها » .

وعند انتهاء مهمته كان تأكيده للحقيقة واضحاً امام السلطات اليهودية وعلى مسمع الامة حتى دفع حياته ثمناً له وقد اجاب يسوع بصراحة على سؤال كبير الكهنة : (هل انت المسيح ابن الله المبارك ؟) انا هو ego sum وانك سترى ابن الانسان جالساً عن يمين قدرة الله وآتياً في السحاب من السماء[١٤٧] .

فلنزن جميع كلماته فان قوله « انا هو » لاكثر من اعتراف وهذه العبارة البسيطة تتخذ في فم يسوع قيمة سامية وهو لم يكتف بما صرّح به وانما زاد باعترافه تفاقم موقفه وقد جعل نفسه السيد الذي تكلم عنه المزمور (١١٠ ، ١) جالساً عن يمين الله الذي دلت عليه لفظة (قدرة) العريقة في يهوديتها . وقبل ذلك ببضعة ايام (مرقس ٣٥ : ٢٧) اوضح تماماً معنى النبوّة الالهية التي تعني المسيح ابن داود وكانه قال بذلك مرتين عن نفسه انه مساوٍ للآب وموحّد معه بالجوهر . وتصارى القول ان هذا الايضاح الاخير يجعله واحداً وابنَ الانسان الذي تكلم عليه دانيال (٧ : ١٣ ؛ ١٤ : ٢٧) وهو الذي يأخذ سلطانه الابدي من الله : ان ابن الانسان هو ايضاً الملك الالهي .

ولا تدع هذه التصريحات اي مجال للالتباس فان يسوع قد سلك وقدّم

نفسه كمسيح ممارساً رسالته في الملك الذي هو مملكته واعلن في الوقت نفسه ان مملكته الحقيقية ممدودة للازمنة المقبلة زمان الانقضاء بعد عودته بالمجد ، والزمان الذي سنشرب فيه الخمر الجديد حيث يتم فيه الفصح الحقيقي (لوقا ٢٢ : ١٦ـ ١٨ ، ٢٨ـ ٥٠ ، مرقس ١٤ : ٢٥) .

ولقد ردّد المثل التي نعرفه : ان الملك قد بدأ ولن يبلغ تمامه الا في العالم الاخر كما ان يسوع لن يكون « رباً ومسيحاً » تاماً الا بعد قيامته وبها وذلك بحسب تأكيد بطرس (اعمال ٢ : ٣٦) .

وقد احتفظ بالعبارات التقليدية (لوقا ١٤ : ١٥) لتعريف الازمنة المسيحية التي علينا ان نفهم مضاها من الوجهة الروحية . واذا كان شبّه الطوباويين بملائكة السماء الذين لا يتزوجون (مرقس ١٢ : ٢٥) فكيف يفسر حرفياً الولائم السماوية ؟

وينجم عن هذا ان المسيحي عليه ان يؤمن بمجيء المسيح مرتين ايماناً تنقبض له نفس اليهود[١] فانه قد ظهر لحل شانك وسيعود بمجد للدينونة . ومهما يكن من امر فان الازمنة المسيحية قد انفتحت ابوابها .

ولقد كان المسيحيون موقنين منذ العنصرة انهم يحيون الازمنة المسيحية . فبطرس عندما اراد ان يعرّف هذا العهد الموسوم بحلول الروح القدس استخدم عبارة « انقضاء الدهور » « الايام الاخيرة » (اعمال ٢ : ١٧) وهذا الاقتناع الذي هو خبرة ايضاً يوجب علينا ان ندرك بصورة جديدة ضروب الرجاء المسيحية : مع الاحتفاظ بحرفية النبوءات على شرط ان نفهم ايضاً ان الخطط المسيحية ستتم تدريجاً .

وما اشد الصعوبة التي تلاقيها بعض العقول للاقلاع عن الاستمساك بفهوم رؤيا يوحنا بشأن ملكوت الله التي تجعل ظهوره فجأة مصحوباً بكارثة ثورية والتخلي عن الايمان بعودة المسيح قريباً .

شمول ملكوت الله

لقد سمعنا في تبشير يسوع بملكوت الله لغة ذات جرس يهودي ولكننا لم نر في اي موضع كان اشارة الى أن الملكوت مقصور على اليهود وحدهم وهذه

خاصة الاسرائيليين[١١٩] . ان ملكوت الله الذي اعلنه يسوع كما اعلن مجيئه كخلص لا تشوبها وجهة نظر قومية او عرقية او مادية : فبذار الكلمة قد نشره ابن الانسان في العالم برمّته (متى ١٣ : ٣٨) وقد ضحّى براحته في سبيل جميع البشر (متى ١١ : ٢٨) باعلانه انه متى ارتفع سيجذب اليه الجميع (متى ١٢ : ٣٢) وبعدئه « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٧) قطع الرباط الوثيق الذي كان يوحّد بين الامّة والدين في اسرائيل وحرّم على كنيسته التطلع الى الاهداف السياسية، وفضلًا عن ذلك فقد اجتهد لازالة اية قومية كانت . وقد كان باستطاعة اليهود ان يطالبوا بالملكوت بحجة بعض حقوق بكوريتهم لانهم من ابنائه من حيث ولادتهم : اما يسوع فاعلن مرات عدة ان الوثنيين سيحتلون مراكز اليهود[١٢٠] وتنبأ بخراب الهيكل والمدينة المقدسة . وذلك مما يفرض زوال مملكتهم[١٢١] .

وحارب المعمدان كبرياء اولئك الذين يعتقدون انهم واثقون بالخلاص بصفة كونهم من ابناء ابراهيم (لوقا ٣ : ٨ ، متى ٣ : ٩) وكذلك المسيح فقد ابى على مخالفيه ان يكونوا على حق في قولهم عن انفسهم انهم ابناء ابراهيم (يوحنا ٨ : ٣٩، ٤٠، ٤٤) .

وقصارى القول لقد كانت القومية الدينية تشتد اشتدادًا مفرطًا حتى بانت من العلامات الوثنية الفارقة لان اليهود كانوا يعلقون اهمية عظمى على التقيد بشرائع موسى بدقة حتى غدت من اسباب اعتقادهم ان المسيح سيجيء لاجلهم فقط فكان ذلك من الدواعي التي اهابت بيسوع لمهاجمة ممارستهم تلك الشعائر التي كونت الشكلية اليهودية : كقوانين الطعام وقواعد التطهير وتزييد المشور والحفاظ على يوم السبت وقال لهم : ان الدين بالروح والحق (يوحنا ٤ : ٢٣ — ٢٤) .

ولاحظ بحق ل. توندللي « L. Tondelli » ان التناقض بين سر الافخارستيا وعشاء الفصح وبين الصلاتين « ابانا » وشبيهتها « قاديش » قد جعل هذه الرحابة الدينية تحتل مقامًا مرموقًا[١٢٢] .

ومع ذلك فقد اتخذ يسوع بعض المواقف التي ناقض فيها نزعات الشمول كاعلانه تفوّق اليهود (يوحنا ٤ : ٢٢) على شاكلة القديس بولس الذي عُدّ احيانًا

من اعداء اليهود لانه كان من اشد القائلين بان رسالة المسيح تشمل جميع البشر باستداحه ميزات اسرائيل . ويسوع نفسه لم يشأ في حياته ان يوجّه كلامه الى غير اسرائيل حتى ردّ بقسوة الكنعانية لهذا السبب (متى ١٠ : ٦ ؛ ١٥ : ٤) . ولئن كان هذا صحيحاً فانه في خطابه بشأن مهمة تلاميذه الحاسمة فقد ارسلهم الى جميع الامم (متى ٢٨ : ٢٩ ؛ ٢٤ : ١٤ ؛ ١٠ : ١٧ـ٢٣ ؛ ٢٦ ، ٢٧) واعدهم لهذه الرسالة الشاملة وبيّن لهم كيف يقبلون الغرباء (يوحنا ٤ : ٩ وما يلي كلوقا ١٧ : ١٦ـ١٨ ؛ ٧ : ٢ـ٩) اما رسالتهم العالمية فلم يستطيعوا مباشرتها الا بعد موت معلمهم وقيامته الفدائيين وعقب حلول الروح في العنصرة وهو وحده يزيل الغشاوة عن بصائرهم وعن احتكاماتهم الخاطئة ويجعلهم يقاومون غريزتهم اليهودية .

ملكوت الله والانعتاق من الخطيئة

« توبوا فان ملكوت السماء هنا » . هكذا اوجز القديس متى (٤ : ١٧) عظات يسوع الاولى . ان عهد الملكوت يتطلب قبل كل شيء تطهير الباطن تطهيراً كاملاً فلذلك كان للخطيئة ان تحتل مقاماً هاماً في تعليم يسوع ؛ لان رسالته لم يكن غرضها الرئيسي غرضاً سلبياً ولكن عليها ان لا تغضي النظر ابداً عن العدو القائم بالمرصاد في اي موضع كان ولا ان تكلّ عن كشف اثره ومطاردته .

في الخطيئة عامة

كيف فهم المعلم الخطيئة[١٢٣] ؟ انه لم يأتِ بالنظريات حول هذه النقطة ولا حول غيرها فهو يتكلم عادة على الخطايا بصيغة الجمع وعلى خطايا معيّنة[١٢٤] وهو يقف منها بجاحة من حيث وجهة النظر العملية ولم يعمد الخطيب «الواعظ» الشعبي الى التعاريف وانما رأى فيها بالاستناد الى المقولات التقليدية انها انتهاك « ارادي » للارادة الالهية التي اعربت عنها الوصايا ، ولنقف عند النعت «ارادي» ز ان الدين اليهودي كان يصف الخطايا بانها انتهاك الشريعة المادية المحض انتهاكاً متأتياً عن طريق السهو[١٢٥] . واوضح يسوع بشكل غير جليّ ان سبب

الخطيئة الانساني هو القلب وحده اي – وفقاً لتاريخ التوراة – قوة الانسان العقلية ومركز افكاره ورغائبه ومصدر احتكاماته[١٢٦] . وفي هذا النحو نفسه اعلن كخطايا الافعال الباطنية التي تكون اخطاء مقصودة في الاصل (متى ٥ : ٢٢، ٢٨) .

ان ابن الله الذي يتغلل الى ما وراء الظواهر يرى في الشيطان مبدأ الخطيئة الاول : في الذي لم يثبت على الحق وهو كذوب وقتال الناس (يوحنا ٨ : ٤٤) . ان الخطأة هم ابناء الشرير (متى ١٣ : ٣٨ يوحنا ٨ : ٤١، ٤٤) فقد تركوا انفسهم يسقطون في شباك المجرّب الدائم (مرقس ١٣ : ٨، ٣٣) الذي تلمس عمله الاحتيالي في بعض الخطايا (متى ٥ : ٣٧ ؛ ١٣ : ٣٩ مرقس ٤ : ١٥ يوحنا ٨ : ٤١ ، ٤٤) . ان مكافحة عدو الملكة هي في جوهرها عمل طويل للتطهير من الخطيئة .

وانه لمشروع انعتاق لا يستطيع القيام به الا الابن وحده وهو الذي يثبت في البيت الابوي وكما اعلن يسوع لليهود في خطاب من انجيل القديس يوحنا (٨ : ٣٢ – ٤٤) .

ويلازم عبودية الخطيئة دائماً التخلي حقيقي عن الباري كما اوضح مثل الابن الشاطر الذي سافر بعيداً عن ابيه واستلم الى شهوات شبقه الجائشة فانتهت به الى ان تجعله احط من الخنازير التي كان يحسدها على طعامها (لوقا ١٥ : ١١–٣٢) وصور هذا المثل حالة الخطيئة كموت وهلاك وكلاهما ينقض الحياة[١٢٧] الموهبة الوحيدة الحقيقية التي لا تقوى اية هبة اخرى على تعويضها او ان تستردها (مرقس ٨ : ٣٦، ٣٧) متى ١٦ : ٢٦ لوقا ٩ : ٢٥) . والذي يعرب عن تخلينا عن الله هو عدم معرفته (يوحنا ٥ : ٣٧؛ ٨ : ٥٥؛ ١٦ : ٥) ومحبته (يوحنا ٥ : ٤٢) .

ونفهم بالخطيئة انها دين علينا لله كما في اللغة العبرية (متى ٦ : ١٢ ؛ ١٨ : ٢١–٢٥) وانها وصمة ولطخة (متى ٢٥ : ٢٥ – ٢٨) . ولقد كان اليهود يطبّقون مبدأهم القائل بان المكافأة لا بدّ منها تطبيقاً اعتباطياً ولذلك كانوا يرون في كل مرض طبيعيّ قصاصاً على الخطيئة : اما المسيح فقد دحض دحضاً جازماً هذا المعتقد الذي كان تلاميذه يعتنقونه (يوحنا ٥ : ٢ – ٣ ،

لوقا١٣ : ٢؛ ٤) ودعاهم ملحًا الى ان يتوبوا لئلا يهلكوا مثلهم (لوقا١٣ : ٣؛ ٥)
كما دعا المقعد (المخلع) الذي شفاه « ان يرتدع عن الخطيئة لئلا يصيبك ما
هو اعظم » (يوحنا ٥ : ١٤) .

وقد غفر للمقعد آخر خطاياه قبل ان يشفيه (مرقس ٢ : ٥) : لانه كان
يرى صلات عدة من الشبه تربط المرض الطبيعي بالمرض الروحي . واذا كان
يرى بنظره الالهي الثاقب ان الخطيئة شاملة في نفس كل من البشر تحول
الطبيعة الانسانية علّمنا ان نطلب من الله ان يسامحنا . وانه لاحسان نفتقر
اليه افتقارًا ماسًا كافتقارنا الى خبزنا اليومي كما لاحظ ذلك القديسان
قبريانوس واوغسطينوس[٢٨] فقد قدم للجميع وسيلة الانعتاق من الخطيئة التي
كلنا عبيد لها (يوحنا ٨ : ٣٢-٣٤) واوضح للبشر زلاتهم (يوحنا ٧ : ٧؛ ٨ :
٤٠ : ٣٤؛ ١٨ : ١٩) وانّب هذا الوديع الحلو الجيل الحاضر بقوله له « الجيل
الشرير الفاسق وابن الافاعي » (متى ١٢ : ٣٤؛ ٣٩ : ١٦ : ٤؛ ٢٣ : ٣٧
لوقا ١١ : ٢٩) وارسل تلاميذه الى ما بين الذئاب (متى ١٠ : ١٦) فيا له
من قلب يفهم الامور في حقيقتها قال : « ومن كان منكم بدون خطيئة فليرمها
بالحجر » (يوحنا ٨ : ٧) .

مخلص الخطأة ومحبهم

بما ان يسوع ادرك شمول الخطيئة وخطورتها واستشعرهما ادراكًا واستشعارًا
مختلفًا كل الاختلاف عن سواه فهو الوحيد الذي يستطيع ان يكون مخلصنا .
ولم يأخذ لقب المخلص من الاناجيل ولا من الملائكة (لوقا ٢ : ١١ متى ١ : ٢١)
ولا من السامريين (يوحنا ٤ : ٤٢) واذا اكد هو نفسه انه اتى جالبًا الخلاص
لجميع الذين كانوا ضالين :[٢٩] فحقق بذلك رجاء النفس اليهودية ورغبتها العميقين
تلك النفس التي كانت تطمح الى الخلاص وتفهم به غالبًا خلاصًا خارجيًا على
ان الخلاص الذي جاء به يسوع هو بمعناه السلبي اولاً – الانقاذ من الخطيئة –
وفي الواقع انه لخلاص ايجابي لكونه التدرج صعدًا في طريق الفضائل التي تعدّ
وتكوّن الحياة الحقيقية والاشتراك بالحياة الالهية المضمونة منذ الآن في العالم
الثاني بجميع كمالها الذي لا يزول[٣٠] . ولقد كان موقف يسوع حيال

الخطيئة موقفاً خاصاً به دون غيره فلذلك من المستحيل ان نسلم بذلك الموقف اذا كان يسوع انساناً : فقد بدا انه فوق الخطيئة تاماً وفي الوقت نفسه انخرط شخصياً بالانسانية المثقلة بالخطيئة .

وبما انه فوق الخطيئة : فقد تحدّى اعداءه تحدياً لا يقدم عليه اي انسان كان « من منكم يثبت عليّ خطيئة ؟ » (يوحنا ٨ :٤٦) وفي الواقع لم يتخذ قط شكل تائب[١٣١] ولما قال لنا « ان لم تغفروا » فقد فصل وضعه عن وضعنا ولما امر بالصلاة « اغفر لنا ذنوبنا » فان امره كان الى الغير (متى ١٨ : ٢١ ؛ ٣٥ ؛ ٦ ؛ ١٤ ؛ ١٥ مرقس ١١ :٢٥) .

وقد اراد في الوقت نفسه ان ينخرط في هذا الكفاح ضد الخطيئة ولكن ليس كأنه مخلص يشرف من علُ على المعركة بل كالجندي الضابط الذي يتحمل بذاته اثقل اعبائها ومخاطرها ومشاقها . فبدأ حياته العامة بان ذهب الى يوحنا وطلب اليه ان يعمده لمغفرة الخطايا . وما هي الخطايا التي طلب ان تغفر له ؟

ونحن نشعر كل الشعور بمدى انطباق مجادلته مع يوحنا المعمدان على الحقيقة[١٣٢] (متى ٥ :١٤ ، ١٥) وذلك عندما احتج المعمدان قائلاً انه هو الذي ينبغي له ان يعمّد فاجابه يسوع « دع الان فهكذا ينبغي لنا ان نتمّ كل برّ » فانا قد جئت اولاً لخلاص اخواني الخطأة ومن المناسب ان اتخذ مكاناً بينهم وانفصل عن الفريسيين المتكبرين الذين يعتقدون انفسهم بدون خطيئة . فعليك اذاً ان تتمم رسالتك كسابق . واننا ندرك السبب الذي من اجله لقب المعمدان يسوع « بحمل الله الذي يرفع خطايا العالم » (يوحنا ١ :٢٩،٣٦) هذا اللقب الذي يشتمل على معانٍ عديدة : ان المعمدان كان قد تأمل بخادم « يهوه » الذي بشر به اشعيا فصل (٥٣) الذي ادرك قيمة فداء حمل الفصح وحملان التضحيات الدائمة فاشار الى الذي ستكون تضحيته الكاملة مبدأ الخلاص الابدي[١٣٣] . ومما له مغزاه ايضاً ان يسوع اراد ان يمكث بعض الوقت حول المعمدان وبين الذين قبلوا معمودية المغفرة ، وقد حاول ان يقضي طول المدة الباقية من رسالته بصحبة الخطأة . وزد على ذلك فانه رغب في سبيل التدليل على مدى تضامنه مع الخطأة ان يتجشم المحنة التي يجرز بها كل مخاوق

الا هي التجربة ولئن رددتها جميع التقاليد الانجيلية فلكي تشير الى اهميتها الرئيسية في مهمة المخلص[١٢٩] .

واننا لا نجهلها لانه اراد ان يجربنا بها وهو لم يتجشمها الا في سبيلنا وعطفاً على ضعفنا كما جاء في الرسالة الى العبرانيين (٢ : ١٨ ؛ ٤ : ١٥) . والتجربة لم تهدف الى شهوات المسيح الثلاث لانه كان معصوماً عن الشهوة ولكنها عرضت بشكل مثل بالفعل اختياره الصلب الذي كان مفروضاً على المسيح البادىء مهمته بحسب المفهوم النبوي والالهي او بحسب المفهوم الذي كان يصطنعه اليهود لانفسهم : اي بحسب وجهة النظر الالهية او الانسانية التي شددت ساعد عدو ملكوت الله وهنا قام المجرب بتدخله لا كشيء غامض قد اتخذ شكلا شخصياً وانما كفرد حقيقي . أو لم يكن لوحياته التي تبدو كانها لا تهدف الا الى القيام بدور على الشمرد كما في نزاع يسوع على الجسماني ؟ وبما اننا نسلّم بان في المسيح معرفة اختبارية حقيقية فاننا نفكر كما جاء في عبارة الرسالة الى العبرانيين (٥ ، ٨) انه قد توصل بالالام الى معرفة الطاعة : فلذلك كانت التجربة حقيقية كاملة « ما عدا الخطيئة » ولقد استخدم المجرب جميع ضروب الاغراء التي لا تقاوم : ويهرج في نظره ــ متوسلاً بخصوص المقدسة ــ الفوز المضمون لرسالة الهية : اي ان ابن الله يستخدم سلطانه فيظهر نفسه المسيح المنتظر موزعاً على الشعب المنّ كموسى ولا يظهر راكباً اتاناً بل نازلاً من الغيوم وصاحب مملكة شاملة . واجاب يسوع على هذه الوساوس معلناً المبادىء التي تسيّر كلّ ابن لله : وقال ان الاوامر الالهية اسمى من كل الخيرات المادية . ومن الكفر ان نفرض على الله ارادة خارجيّة فان السمي وراء السلطة حباً بالسلطة نفسها لا يكون من دون التواطىء مع الشيطان ومن دون تجاهل الواجب الاسمى الذي يقوم على عبادة الله وحده وخدمته .

ولم يفتّ هذا الاخفاق في عضد الخصم الذي ابتعد لبعض الوقت ليعود الى متابعة عمله بواسطة الفريسيين وغيرهم من معلمي الدين اليهودي فتدخل خاصة في اثناء الآلام التي هي من صنعه (لوقا ٢٢ : ٥٣) ولا سيما عند الاحتضار على الجسماني الذي كان التجربة الكبرى فساق خضوع المسيح بدون تحفظ لوصية ابيه الى تقدمة التضحية الكاملة الحاسمة وانجاز هزيمة الشيطان .

وعقب ان علّمته محنةٌ استطاع المخلّص ان يتمّم وظيفته كطبيب للخطأة . فاظهر لهم هذه الرحمة وهي الشرط الاول لكل اخلاص « اني أتحنّن على الجماهير المطاردة مثل الخراف بدون راعٍ » (متى ٩:٣٦) وبرهن على ذلك بان اظهر نفسه « كصديق للعشارين والخطأة (متى ٩:١١) كما يؤخذ من الملامة التي وجهت اليه : ومآلها ان الخطأة هم انفس مثقلة بالخطايا العديدة (لوقا ٧:٤٧) وهم هؤلاء البسطاء الذين يحتقرهم علماء الشريعة ويلعنونهم لانهم لا يعرفون الناموس (يوحنا ٧:٤٩) ان يسوع كان يرى بؤسهم وكان يعرف ايضاً نيتهم الحسنة فصرح للفريسيين قائلاً : « ان العشارين والزناة يسبقونكم الى ملكوت الله » (متى ٢١:٣١) . ولقد جزم جزماً قاطعا بان هذه هي رغبة الله « يكون في السماء فرح بخاطئ واحد يتوب اكثر مما يكون بتسعة وتسعين باراً لا يحتاجون الى التوبة (لوقا ١٥:٧) . أولاً تتضمن هذه الكلمات الاخيرة بعض التهكم ؟ اننا لا نجهل الامثال التي تستغرق فصلاً في الجيل القديس لوقا [١٢٥] (ذلك الشكر على مراحم الله) : الراعي الصالح الذي ركض وراء النعجة الضائعة والمرأة السعيدة لانها وجدت الدرهم المفقود والابن الشاطر . ان هذه الروايات المؤثرة كل التأثير تطلعنا على تسامح الاب فعودة النعمة من حسنه وهو يكتفي بندامة غير كاملة : اي بالعودة الى الذي يمدّ لها الخبز بغزارة . فعلى هذه الاستعدادات ولو مها كانت منحطة يجيب باغداق النعم وبالخاتم الذهبي وبالوليمة الفاخرة ان هذا الشيء يشكك الابن البكر ويحمله على المعاندة لانه لم يغادر المنزل وانا افنى نفسه في خدمته ولنرَ في هذه الصورة وجه الفريسيين الذين كانوا يعتقدون انفسهم بدون خطيئة فيُنبذون من الخلاص واننا نسمع وفرائصنا ترتعد الكلمات التبكيتية المخيفة التالية : « الاصحاء لا يحتاجون الى طبيب ، وانا لم آتِ لأدعوَ الابرار ولكن الخطأة » (مرقس ٢:١٧ = متى ٩ ١٣ لوقا ٥:٣٢) . الابرار وهم الذين يعتقدون انفسهم ابراراً على حين انه ما من احد الا وهو خاطئ .

ومما مرّ بنا نفهم ان الشرط الاول لشفائنا هو الشرط الذي رأيناه لاسرائيل وقد اوضحته بعض الزبور ايضاحا باعثاً على الدهشة (٥١ :٣-٥ :٧ ؛ ١١ ؛ ٢٥ ١١ ؛ ١:٣٢ ؛ ٢:٥) : اي ان نعترف باننا من عبيد الخطيئة (يوحنا ٨:٣٢

– ٣٤) فنستشعر ذلك (لوقا ٥ : ٨ ؛ ١٨ : ١٣ ؛ ١٤) ونحس بحاجتنا الى الطبيب .

وهناك موقف اخر يستحيل معه كل شفاء الا هو الموقف الذي دعاه يسوع بالتجديف على الروح القدس (مرقس ٣ : ٢٩ ؛ ٣٠) [١٣٦] اي هنا الموقف المتحير الذي اساسه الكبرياء يحول دون كل اخلاص حيال الله وحيال الانسان ذاته ليجعل غشاوة على البصيرة فلا يستطيع فهم اوضح الموحيات كبعض الامثال وكتفسير الايضاحات الالهية تفسيراً معكوسا .

ان الخاطىء الذي يعرف نفسه كخاطىء ويلجأ الى ابن الله للانعتاق من عبوديته عليه ان يتوب لان التوبة تحتل مقاما مرموقا في التوراة وفي ديانة اليهود التي لا يحتاج يسوع الى تعرفها [١٣٧] . ولقد الحّ يسوع منذ بدأ بالتبشير على المطالبة بها كما رأينا . والظاهر انه يأمر بتوبة مزدوجة : التوبة التي تخرجنا من الخطيئة والتي هي الاعتراف بالزلة والتعويض عن الاضرار التي سببناها (لوقا ١٥ : ٧ ؛ ١٠ ؛ ١٩ : ٨) والاخرى التي ندعوها « التوبة الثانية » وهي الاستمرار في اصلاح النفس (لوقا ١٣ : ٣ ؛ ٥ متى ١٨ : ٣) واذا ما اقترنت بالايمان فهي الاستمساك بالانجيل (مرقس ١ : ١٥ يوحنا ٢ : ٢٤ ؛ ٨ : ٢١ ؛ ٢٤ : ٩ ؛ ٤١ : ١٢ ؛ ٣٧ ؛ ٤٠) .

والنفس التائبة تأمياً حتا يسعها الفوز بمعرفة خطاياها وهي احدى حسنات العهد المسيحي [١٣٨] واحد عناصر العهد الجديد الجوهرية [١٣٩] وجزء من الرسالة التي فرضها على التلاميذ القائم من بين الاموات (بشروا باسمه كل الامم بالتوبة لمغفرة الخطايا) (لوقا ٢٤ : ٤٧ يوحنا ٢٠ : ٢٣) .

وسبق ليسوع ان ذكر مغفرة الخطايا عندما استخدم سلطانه الالهي لشفاء المخلع الذي استحق بايمانه ان يبرأ من مرضه (مرقس ٢ : ١ = لوقا ١٧ : ٢٦ متى ٩ : ١—٨) ومن ثم غفر للزانية الخاطئة . واذا تدبرنا قوله لهذه المرأة « قد غفرت لها الخطايا الكثيرة لانها احبت كثيراً » اتضح لنا ان الندامة الحقيقية اساسها المحبة وبها تتوطد [١٤٠] .

ويشير ما تقدم الى اهمية مغفرة الخطايا التي أعطيناها بالمسيح « حمل الله الذي يرفع خطايا العالم ويعمد بالماء والروح القدس » (يوحنا ١ : ٩ ، ٣٣ : ٥٣)

وفي كلتا الحالتين ليست المغفرة اغتسالاً يمحو اللطخات وانما هي قبل كل شيء حلول نعمة الله المؤلّهة .

وقد وكل المسيح الى كنيسته تحديد ناحية هذين السرين الايجابية الاول الذي يجعلنا نندمج بالمسيح والثاني الذي يثبتنا باتحادنا معه. اما المقام الذي اعدّه المحبة فيهما فيلقي في اسماعنا ان التوبة المسيحية تدخلنا في قلب مملكة الله لنتمتع بكل امتيازاتنا بصفتنا ابناء الله.[41]

---

(1) Fiebig, *Der Menschensohn, Jesusselbstbezeichnung*, Tübingen, 1901; Tillmann, *Der Menschensohn*, Freiburg i.B., 1907; Roslaniec, *Sensus genuinus et plenus locutionis «Filius hominis»*, Romae, 1920; Dupont, *Le fils de l'homme*, Paris, 1924; G. P. Wetter, *«Der Sohn Gottes», eine Untersuchung über den Charakter und die Tendenz des Johannes-Evangeliums*, Göttingen, 1916; P. Parker, *The meaning of «Son of man»*, JBL, 1941, p. 151-157 (pas de signification messianique); Campbell, *The origin of the term son of man*, JTS, 1947, p. 155-169; Riesenfeld, *Jésus transfiguré*, Append. I, p. 307-313 (bibliographie); J. Bowmann, *The Background of the term, S. of M.*, Exp. T. aug. 1948, p. 283-288.

(2) Le terme est 30 fois dans *Mt.*, 14 en *Mc.*, 25 en *Lc.*; 11 en *Jn.* Exceptions: un seul synoptique ayant l'expression: *Lc.*, 6,22; *Mt.*, 16,28; 21,13; en partie *Mc.*, 8,31.

(3) *Le Fils de l'homme*, p. 36, sqq.; *Jn.*, 5,27 modifie l'expression.

(4) Dalman, *Die Worte Jesu*, p. 191-197 (étude philologique); Baldensperger, RHPR, 1925, p. 267, explique cette forme singulière par l'influence du sémitique.

(5) Erik Sjoberg, *Der Menschensohn im aethiopischen Henochbuch*, Lund, 1946 (affirme l'authenticité du terme dans le livre éthiopien); quelle forme y avait-il? Barret, Exp. t. 1947, p. 147, sqq.

(6) Le livre a été rédigé après la ruine de Jérusalem: il contient des documents et des traditions antérieurs: cf. L. Gry, *Les dires prophétiques d'Esdras*, Paris, 1938, p. 362-377, préface p. C, sqq.; Lagrange, *Messianisme*, p. 102-109; notre *Judaïsme palestinien*, I, p. 373.

(7) Barret (Exp. T. 1947, p. 148) avance que Jésus, aucunement apocalyptique, ne s'est pas inspiré de Daniel.

(8) *Mc.*, 14, 62; 8, 38; 13, 26 et paral.; *Mt.*, 13, 41, 42; 25, 31; *Lc.*, 18, 8; *Mt.*, 24, 27, 37, 39, 44; *Lc.*, 17, 22, 24, 26, 30; 12, 40; 21, 36; on peut rapprocher: *Mc.*, 2, 28, 10 et paral.; *Lc.*, 19, 10 et 9, 56; *Jn.*, 1, 51; 6, 62.

(9) *Mc.*, 8, 31; 9, 31; 10, 33; 14, 21 et paral.; 9, 9; 10, 45; 14, 41, et paral.; *Jn.*, 3, 14; 12, 23; 13, 31; 8, 28; 6, 27, 53. On peut rapprocher: *Mt.*, 8, 20 et 12, 32 paral., 11, 19; *Lc.* 6, 22; 7, 34; 12, 10... Voir: Lebreton, *Origines du dogme de la Trinité*, I, p. 296; Sanday, *Life of Christ*, p. 123...

(10) Sanday, rapprochant *Ps.*, 8, que s'appliquait Jésus (*Mt.*, 21, 16; 25, 31-46): *Life of Christ*, p. 95 sqq.; *Christologies*..., p. 123, sqq.; Schlatter, *N. T.*

Theologie, I, p. 464; cf. conception assez apparentée de MANSON, *Teaching of J.* et *Jesus the Messiah*, p. 118.

(11) Arn. MEYER, *Jesu Muttersprache* p. 93 101; DUPONT *op. cit.*; Nat. SCHMIDT *The prophet of Nazareth* London 1905: jugements de DALMAN, *Die Worte J.* p. 204 sq. et BALDENSPERGER RHPR, 1925 p. 271 sqq.

(12) LIETZMANN, *Der Menschensohn*; FIEBIG, *der Menschensohn*; GUIGNEBERT, *Vie de Jésus*, p. 350 sqq., réfuté par GOGUEL, RHPR, 1933, p. 436; voir du même, *Vie de Jésus*, p. 558, sq.; SANDAY, *Life of Christ*, p. 123; DALMAN, *die Worte J.*, p. 197, 203, sqq.

(13) *Mc.*, 6, 15; 8, 28; *Mt.*, 21, 11; *Lc.*, 7, 16, 39; 9, 8, 19; 24, 19; *Jn.*, 4, 19; 6, 14; 7, 40, 52; 9, 17. Aujourd'hui encore nombre de Juifs accordent à Jésus cette qualité, mais pour lui refuser une dignité plus haute: voir notre ouvrage: *Les Juifs et Jésus*, attitudes nouvelles, Paris, 1937, p. 129-138, 145, 212.

(14) *Lc.*, 13, 33; 4, 24.

(15) *Mc.*, 1, 17; 8, 34, 38; 2, 14; 13, 13; *Lc.*, 9, 57-62; 6, 22, 23; 12, 51, sqq.; 14, 26-33; 17, 33; 21, 12, 17; *Mt.*, 8, 19-22, 34, 38; 10, 34-39; *Jn.*, 15, 20.

(16) *Christus*, p. 1019.

(17) *Mc.*, 4, 40; 13, 31; *Mt.*, 7, 24-27; 11, 28, 29; 14, 29, sqq.; 23, 8, 10; 24, 35; *Jn.*, 14, 1.

(18) *Mt.*, 10, 14, 15; 11, 10-24; 10, 40-42; *Lc.*, 10-15; 19, 42-44; 9, 48; *Mc.*, 9, 37, 41.

(19) *Mt.*, 13, 16, 17; *Lc.*, 10, 23, 24: ce que rois et prophètes auraient voulu voir et entendre.

(20) *Jn.*, 5, 31, 32, 34, 36.

(21) *Lc.*, 12, 10; nuances subtiles dans *Mt.*, 12, 31, 32 et *Mc.*, 3, 28-30.

(22) *Mc.*, 2, 28 (paral.) et *Jn.*, 5, 17; HOSKYNS, *Jesus der Messias* (*Mysterium Christi*, p. 96-101) relève l'importance de ces discussions sur le sabbat, Jésus revendiquant là la puissance créatrice.

(23) *Mc.*, 2, 10 (paral.); *Lc.*, 7, 48, 49; 19, 9, 10; *Jn.*, 8, 36.

(24) *Mt.*, 16, 19, 28; 13, 41; *Lc.*, 17, 20, 24-27; 22, 29, 30; 23, 43.

(25) Il fait du précurseur de Dieu (*Mal.*, 3, 1) son propre précurseur (*Mt.*, 11, 10; *Lc.*, 7, 27; il s'applique le *Ps.* 8 (*Mt.*, 21, 16); il s'identifie avec le S. Esprit et avec la Sagesse de Dieu (*Lc.*, 21, 15 = *Mc.*, 13, 11 = *Mt.*, 10, 20; 23, 34 = *Lc.*, 11, 49); voir aussi *Mt.*, 9, 37, 38 (maître de la moisson, comme le Père).

(26) *Mt.*, 18, 20 (omniprésence divine); 11, 27 et 20, 20.

(27) Nous verrons tout cela dans le chapitre sur l'Église.

(28) *Jn.*, 5, 21-28; 6, 39, 40, 44, 47; LEBRETON, *Jésus*, DTC., VIII, c. 1213, 1219, 1224, remarque que cette activité le fait apparaître Fils de Dieu.

(29) Nous comptons 130 «ego» dans S. Jean; noter surtout *Mc.*, 13, 6; *Jn.*, 4, 26; 8, 23, 24, 28, 58; 13, 19; 18, 5. Ed. SCHWEIZER, étudie ces propositions: *Ego eimi... Die religionsgeschichtliche Herkunft und theologische Bedeutung der Johanneischen Bildreden...*, Göttingen, 1939; MANSON, *Ego eimi...* JTS, 1947, p. 137-145; WIKENHAUSER, *Das Evangelium des Johannes*, Regensburg, 1948, p. 112: par ces formules «Jésus déclare à l'humanité: ces divinités (qui représentent vos besoins

vitaux) après lesquelles vous avez couru jusqu'à maintenant, ne sont que des faux-dieux: moi seul puis satisfaire vos aspirations les plus profondes, parce que moi, seul, puis procurer la vie éternelle, véritable».

(30) Lagrange, *La Paternité de Dieu dans l'A.T.*RB., 1908, p. 481-499; A. L. Williams, *My Father in jewish thought*, JTS., 1929, p. 42-47.

(31) *Abba*, en araméen, signifie à la fois: le Père, mon Père (papa): Dalman, *die Worte Jesu*, p. 157.

(32) *Tract. in Joh.*, 21, 3, PL., 35, c. 1565. *Mt.*, 26, 29, 53; 20, 23; 12, 50; 10, 32, 33; 15, 13; 16, 17; 18, 10, 14, 19, 35... plus fréquent en *Jn.*

(33) *Mc.*, 13, 32; *Mt.*, 24, 36; 28, 19; 16, 27; *Lc.*, 9, 26; *Mt.*, 11, 27; évidemment l'expression «le Fils» est incomparablement plus fréquente en *Jn.* (18 fois).

(34) Les Juifs appelaient Dieu: le Saint, béni soit-il! Les démons disent Jésus, tantôt le saint de Dieu, tantôt le Fils de Dieu: *Mc.*, 1, 24; 2, 11.

(35) «Bien-aimé» signifie: fils unique: Turner, JTS, XXVII, p. 113-129; Lebreton, *Origines du dogme de la Trinité*, I, p. 170 (note). Sur la Transfiguration voir *ibid.*, p. 318, 320; Riesenfeld, *Jésus transfiguré*, Upsal, 1947 (intronisation messianique); Dabrowski, *La transfiguration de Jésus*, Rome, 1939; Blinzler, *Berichte über die Verklärung Jesu*, Münster, 1937; G. H. Boobyer, *St Mark and the Transfiguration Story*, 1942.

(36) Voir notre *Judaïsme palestinien*, I, p. 360, sqq.

(37) *Ibid.*, p. 365-368.

(38) Sur les lèvres des démons: *Mt.*, 4, 3, 6; 8, 29,; *Mc.*, 3, 11; *Lc.*, 4, 3, 9; des disciples: *Mt.*, 14, 33; *Jn.*, 1, 50 (pour 34 pas d'hésitation possible); du centurion: *Mt.*, 27, 54 = *Mc.*, 15, 39.

(39) *N. T. Théologie*, I, p. 121, 341, sq.; Swete, *The teaching of Jesus*; ce n'est pas la conscience filiale qui est engendrée par la conscience messianique; c'est le contraire qui est vrai; Wikenhauser, *Johannes*, p. 92, sq.: la mission messianique a pour support la filiation divine.

(40) Wendt, *Die Lehre Jesu*, p. 94 (sur Lc., 2, 49).

(41) Nous adoptons la leçon la plus probable ὁ γεννηθεὶς ἐκ τοῦ θεοῦ τηρεῖ αὐτόν et nous entendons ce participe aoriste de Jésus; En lui surtout la génération divine ne cesse de se réaliser, mais le temps historique a pour raison d'être probable: l'allusion à la génération éternelle du Fils de Dieu, qui, d'une part, lui est unique, et qui, d'autre part, est le principe de notre filiation divine. Voir notre *commentaire* de l'épitre, p. 273.

(42) Les deux idées: *Jn.*, 8, 42; 17, 8; venir d'auprès de Dieu: *Jn.*, 16, 27, 28; venir simplement: *Jn.*, 10, 10; 12, 46, 47; *Lc.*, 5, 32; 19, 10,; 9, 56; 12, 49-51; *Mc.*, L, 38; *Jn.*, 5, 43; 8, 14; 9, 39; être envoyé: *Jn.*, 7, 33; 10, 36; 16, 5; 8, 16, 29; *Lc.*, 4, 43, 17-21 (le vocabulaire des Synoptiques s'éclaire par celui de S. Jean).

(43) Durand, *Evg. selon S. Jean*, p. 263, citant S. Augustin, *Tract. in Joh.* 22, 17, PL., 35, c. 1573; S. Cyrille d'Alexandrie, *in Joh.*, PG., 74, c. 465; Lebreton, *Trinité*, I, p. 521.

(44) Mandant et mandataire inséparables: *Jn.*, 8, 16, 29; 16, 32; «Il vient avec celui de qui il vient» écrit S. Augustin, *In. Joh.*, 42, 8, PL., 35, c. 1702. Cette

mission manifeste qu'il est sorti du Père et atteste leur consubstantialité: Cyril. Alex., *in Joh.*, PG.; 74, c. 29, 277, 324; Augustin: *in Joh.*, 31, 4, PL., 35, c. 1638.

(45) *Jn.*, 5, 36, 24; 6, 29; 11, 42; 12, 44; 17, 8, 21, 25.

(46) Kittel (KW, IV, p. 123, sq.): Jésus, conscient de sa filiation divine a également conscience de sa préexistence auprès de Dieu: affirmé nettement en S. Jean, supposé dans les Synoptiques, professé dans tout le N.T.

(47) Cavallera, *Thesaurus*, § 690; Denzinger, *Enchiridion*, § 148.

(48) *Jn.*, 6, 46 et 3, 13, si l'on admet (admet avec Hoskyns, Lagrange, Loisy, suivant quelques témoins excellents) la leçon longue: «qui est au ciel» (qui manque en B et S, l'omettant peut-être parce que se trouvant ds 1, 18).

(49) Durand, *Evg. S. Jean*, p. 301: texte célèbre dans la controverse arienne.

(50) *Jn.*, 10, 30, 38; 14, 10, 20; 17, 21, 22, 23; cf. 9, 16, 29; 16, 32.

(51) *Jn.*, 16, 14; 17, 10. Cyrille Alex., PG., 74, c. 452, souligne qu'il dit «être» et non «avoir», ce qui marque mieux la consubstantialité. A rapprocher *Mt.*, 11, 27, que nous commenterons à l'instant.

(52) *Jn.*, 17, 11, 12, 22, 23, 24, 26: rappelons que Cyril. Alex., PG., 74, c. 516, 525, 536, entend «amour, nom et gloire» de la nature divine, communiquée au Fils par son Père.

(53) Nous avons deux leçons: la mieux attestée, peut-être aussi la plus difficile: αὐτοῦ, qu'adoptent Nestlé, von Soden, Tischendorf, Tregelles, Westcott-Hort; la moins attestée: αὐτός, que donne Merk. Cette dernière leçon affirme que le Père agit, lui-même, dans son Fils; la première indique, en outre, que les opérations du Fils sont celles du Père: c'est l'idée plus profonde de l'*instrumentum conjunctum*.

(54) *Somme théol.*, III, q. 2, a. 6; q. 13; a. 2, 3; q. 19; a. 1; q. 43; a. 2...

(55) Augustin, *in Joh.*, PL., 35, c. 1542, 1560, 1566, 1744. Cyrille Alex., *in Joh.*, PG., 73, c. 361; 74, c. 337, 22, 216, 336, 340.

(56) *Jn.*, 5, 23; 15, 23; ici encore l'égalité suppose la consubstantialité.

(57) Nous traduisons *Lc.*, 10, 22, peu différent de *Mt.*, 11, 27. On voit toute l'importance de ce texte. On comprend aussi qu'on se soit acharné, soit à en contester l'authenticité, soit à en diminuer la portée. Contre: D. Voelter, *Eine vorkanonische Conjectur im N.T.* (Niew theologisch Tidschrift, 1919, p. 35, sqq. et critique de Goguel, RHPR, 1926, p. 136; Arvedson, *Das Mysterium Christi, eine Studie zu Mt.*, 11, 25-30, Uppsala, 1937; Harnack, réfuté par Chapman, JTS, 1909, p. 552-566; pour l'authenticité: Lebreton, *Origines de la Trinité*, I, p. 591-602; Feine, *N.T. Theologie*, p. 51, sqq.; Schumacher, *Die Selbstoffenbarung Jesu bei Mt.*, 11, 27 (*Lc.*, 10, 22), Freiburg i.B., 1912. Dans son *Evangile suivant Luc*, Paris, 1924, p. 300, sq., Loisy fait valoir le sens profond du texte «que Wellhausen, Harnack, Bultmann ont essayé vainement de ramener aux proportions d'une sentence morale, en éliminant ce qui regarde la connaissance du Fils par le Père». Commentaires: Grandmaison, *J.C.*, II, p. 29, sq.; Lebreton, *Trinité*, I, p. 307, sq.; Valensin-Huby, *Evg. selon S. Luc*, p. 198, sq.; les commentaires des Pères, en particulier S. J. Chrysostome, PG., 57, c. 430 et 58, c. 534: il montre combien ces propositions font ressortir la consubstantialité du

Père et du Fils, «l'égalité dans la dignité et dans la nature» ainsi que la souveraineté du Fils, mais reconnaissant là un autre plus grand que lui (au sens de *Jn.*, 14, 28).

(58) Sanday déclare cela inintelligible (RSR, 1911, p. 195); voir aussi Du Bose, *The Gospel according to St Paul*, p. 37; Galtier, *L'unité du Christ*, Paris, 1938, p. 63.

(59) P. Galtier, *De Incarnatione*, Paris, 1926, p. 123-127; A. d'Alès, *de Verbo incarnato*, Paris, 1930, p. 174, 182. Cf. Bossuet (lettre 98 à sœur Cornuau): Jésus-Christ, en tant qu'homme, a été en tout et partout guidé par le Verbe, animé par le Verbe... ».

(60) Lebreton, *Trinité*, I, p. 312, sq., 527, sq.: page profonde sur cette humilité «dépendance naturelle, accompagnée d'une infinie complaisance... Le Fils prenant son bonheur à recevoir et dépendre... ».

(61) *Evangile selon S. Jean*, p. 406, sq.

(62) Nous suivons et reproduisons: Lebreton, *Trinité*, I, p. 309-313, 559-590; Huby, *Evg. selon S. Marc*, p. 349. Voir aussi Bossuet, (*Méditations sur l'évangile*, dernière semaine, 76ème jour: le Fils de Dieu prend sur lui le mystère de notre ignorance.

(63) *In Joh.*, PG., 74, c. 493, 12.

(64) On connaît les déclarations de S. Grégoire de Nazianze: si le Nouveau Testament a révélé le Fils, il n seulement fait entendre la divinité de l'Esprit (*Oratio theologica*, V, 26, PG., 36, c. 161, cité et commenté par Lebreton, *Trinité*, I, p. 100, sq.); B. Swete, *The holy Spirit in the N.T.*, London, 1909, p. 291, 359, note: le N.T. révèle peu le Saint Esprit. «comme une personne au sein d'une essence tri-personnelle, bien qu'il y conduise»; on le montre surtout à l'œuvre.

(65) Lebreton, *ibid.*, p. 534, sqq., utilise surtout le discours après la Cène et il montre qu'il présente autre chose qu'une «personnification métaphorique» (contre Beyschlag, J. Réville, Goguel, Loisy et, en une certaine mesure, Holtzmann).

(66) Lebreton, *Trinité*, I, p. 599-610, établit, contre Conybeare et autres cette authenticité. Nous ne pensons pas, et le montrerons plus loin, que le baptême ait jamais été administré au nom de Jésus (ou: du Seigneur); cette dernière expression désigne le baptême chrétien qui unit au Christ (cf. *Didaché*, 7,1 — formule trinitaire; 9,5 — les baptisés au nom du Seigneur).

(67) *Ibid.*, p. 340, sq.

(68) Le Fils sorti du Père, «ex Deo processi et veni» ἐξῆλθον καὶ ἥκω (*Jn.*, 8, 42; 16, 27 — exivi, 31; 17, 8); certainement les derniers mots indiquent seulement la sortie d'auprès du Père, la mission, l'incarnation. Pour le S. Esprit, *qui a Patre procedit*, ἐκπορεύεται (*Jn.*, 15, 26); le verbe signifie seulement «sortir»: faut-il l'entendre aussi de l'origine même, ou déduire l'origine de la mission? La plupart des commentateurs catholiques y voient affirmée directement l'origine, la procession du Fils se faisant par génération, celle de l'Esprit n'ayant pas de désignation propre. On sait que le traité systématique de la Trinité est tout entier déduit de la notion de «procession». Pour l'exégèse voir: Lagran-

GE, *in loco*; KNABENBAUER, *in loco*. Pour la théologie, PETAU, *de Trinitate*, II, 14, 62; de REGNON, *Etudes sur la Trinité*, IV, p. 101-105, respect des Pères pour les termes scripturaires: ἐξέρχεσθαι pour le Fils, ἐκπορεύεται pour l'Esprit.

(69) *Mc.*, 1, 15; *Mt.*, 3, 2; 4, 17; 10, 7; *Lc.*, 10, 9, 11. Notre «est là» traduit ἤγγικεν que plusieurs entendent également d'une disposition providentielle rendue présente: JOUON, RSR., 1927, p. 238; LAGRANGE, *St Mc.*, p. 16, sq.; PREISKER, KW, II, p. 330.

(70) *Mt.*, 24, 14 (l'évangéliste définit de même la prédication de Jésus: 4, 23; 9, 35).

(71) Bibliographie considérable: Ed. KOENIG, *Geschichte des Reiches Gottes bis auf J.C.*, Leipzig, 1908; J. WEISS, *Die Predigt Jesus vom Reiche Gottes*, Gottingen, 1900; E. DEWICK, *Primitive christian Eschatology*, Cambridge, 1912; F. GLOEGE, *Reich, Gottes und Kirche im N.T.*, Gutersloh, 1929; von RAD, KW, I, p. 566-570; J. BOEHMER, *Der religionsgeschichtliche Rahmen des Reiches Gottes*, Leipzig, 1909; Folke HOLMSTROEM, *Das eschatologische Denken der Gegenwart*, Gutersloh, 1836; CERFAUX, *La doctrine du Royaume de Dieu*, Collationes Tornacenses, 1934, p. 321-329.

(72) Dans *Sag.*, 10, 10, au sens de Providence: L. de GRANDMAISON, *J.C.*, I, p. 269, sq., *Tobie*, 13, 1; *Ps.*, 145, 11, 12; *Dan.*, (grec), 3, 100.

(73) *2 Chron.*, 13, 8; *Néh.*, 9, 35; *Sag.*, 6, 4; *2 Chron.*, 20 6; *Ps.*, 47, 3, 7, 8.

(74) *Ps.*, 47, 9; 93, 1; 96.10; 99.1. Nous trouvons une certaine acceptation de ce règne: *Ps.*, 44, 5; 6, 8, 25; 74, 12; 84, 4; 149, 2... Peu nettement est affirmée l'idée que Dieu est roi dans la mesure où l'on se soumet à sa volonté.

(75) *Ps.*, 145, 13; 29, 10; *Dan.*, 3, 100; 2, 44; 7, 14, 18, 27; *Tob.*, 13, 1; *Sag.*, 3, 8.

(76) *Is.*, 24, 23; 12, 7; *Mic.*, 4, 7, *Ez.*, 20, 33 (je règnerai par force sur vous); *Zac.*, 14, 9; *Dan.*, 2, 44, 47; 7, 14 18, 27. Voir LAGRANGE, *Le Règne de Dieu dans l'A.T.*, RB., 1908, p. 36-61.

(77) Règne par le Messie: *Ps. Salom.*, 17, 1, 46; *Sibyl.*, (hellénistique) III, 48, sqq., 55, sq., 767, sqq. (interpolation chretienne), 808; V, 346-352, 414, sq., 426, sq.. Règne en Messianisme sans Messie: *Testament de Dan*, 5, 13; *Benj.*, 10, 7; *Jubil.*, 1, 28; 23, 31; *Assomp. Mos.*, 10, 1. Voir: LAGRANGE, *Le Messianisme chez les Juifs*, Paris, 1909, p. 81; notre *Judaïsme palestinien*, I, p. 444, sqq.

(78) Voir: *ibid.*, II, p. 33, sqq.; LAGRANGE, *ibid.*, p. 116-121; DALMAN, *Die Worte Jesu*, p. 76, sq.; SCHECHTER, *Some aspects of rabbinical theology*, London, 1909, p. 65-79; STRACK-BILLERBECK, *Kommentar...*, I, p. 172, sq. *Berakot*, *Michna*, 2, 5, *Tal. Babli*, 16 *a*, 61 *b*, 14 *b*; *Talm. palest.*, 4 *b*; *Sifré* sur *Nom.*, 10, 10.

(79) Rabbins du premier siècle: *Tosephta Baba qamma*, 7, 5 et *Sota*, 14, 4; *Abot de R. Nathan*, 20, 2; *Sifra Lév.*, 25, 37; 20, 26... *Talm. pal. Qiddušim*, I, 2, 59df.

(80) *Siphré* sur *Deut.*, 32; 10; *Jubilés*, 12, 19.

(81) *Eccli.*, 50, 15; *Eccli. rabba*, sur 3, 11; Yoma mišna, 3, 8; 4, 1; 6, 2; Ros ha-šana, tosephta, 1, 12; *Talm. babli*, 32 *ab*. *Siphré Nom.* 10, 10. *Berakot T. babli*, 12 *a*; *pal.* IX, 1, 12 d.

(82) *Demandes II et 18* des *Semoné esré*; *Qeddiš du culte*; *Mekhilta* sur Ex. 17, 14 et 15, 17: notre *Judaïsme palestinien*, II, p. 147.

(83) L. de Grandmaison, *J.C.*, I, p. 269, 377, sq.; Balmain Bruce, *The Kingdom of God of Christ's teaching according to the synoptical Gospels*, Edinburgh, 1897, p. 41; Garvie, Exp. T., XLII, p. 194; *Beginnings of Christianity*, London, 1920, p. 270-278; Kuhn et Kl. Schmidt, KW., I, p. 570-573; J. Boehmer, *Der Religionsgeschichtliche Rahmen des Reiches Gottes*...

(84) KW., I, p. 593; Ed. Koenig, *op. cit.*, p. 317, sq.; Dewick, *Christian Eschatology*, p. 226 (différent des apocalypses juives); Bruce, *The Kingdom of God*, chap. I.

(85) Règne du ciel uniquement en Mt.; on emploie souvent le pluriel (coelorum, des cieux) à cause de la forme plurielle du terme hébreu. Peut-être, référence aux cieux dans *Mt.*, 5, 12; 7, 21; 16, 19; 18, 18. — L'expression (sous l'une ou l'autre forme) se trouve en *Mt.*, 51 fois, en *Lc.*, 39; en *Mc.*, 14, en *Jn.*, 2. Elle devient parfois «le Règne»: *Mt.*, 4, 23; 9, 35; 24, 14; 6, 33; 8, 12; 13, 38, 19; 25, 34; *Lc.*, 12, 32; 22, 29, ou bien «le Règne du Fils de l'homme»: *Mt.*, 13, 41; 16, 28; 20, 21; *Lc.*, 22, 30; (*Jn.*, 18, 36).

(86) *Mt.*, 11, 12, 13, interprété en *Lc.*, 16, 16.

(87) Nous avons traduit ainsi le parfait ἤγγικεν: *Mc.*, 1, 15; *Mt.*, 3, 2, 4, 17; 10, 7; *Lc.*, 10, 9, 11; nous entendons pareillement le ἐγγύς de *Lc.*, 21, 31.

(88) On peut l'entendre aussi au sens de récompense future, mais possédée en droit dès maintenant: *Mt.*, 5, 3; 19, 14; *Mc.*, 10, 14; *Lc.*, 6, 20; 18, 16; *Jn.*, 3, 3, 5. désigne l'Église, dont on jouit (voir).

(89) *Mt.*, 11, 11 (actuellement); 5, 19; 18, 1, 3; *Lc.*, 7, 28.

(90) *Lc.*, 17, 21; on sait comment le protestantisme libéral fonde sur ce texte sa conception d'un Royaume intérieur; on peut l'entendre aussi du Règne de Dieu arrivant subitement sans qu'on puisse percevoir des signes de son apparition; la phrase au présent et le sens habituel de ἐντός orientent plutôt vers le sens que nous proposons: KW, *in verbo*; Gloege, *op. cit.*, p. 130, sqq.; Stauffer, *Theol. N.T.*, p. 103; Buechsel, *N.T. Theol.*, p. 41.

(91) Opposé à la géhenne: *Mc.*, 9, 47; Royaume eschatologique du Père: *Mt.*, 13, 43; 26, 29; *Mc.*, 14, 25; *Lc.*, 22, 16; Récompense définitive: *Mt.*, 25, 34. Règne messianique: *Mt.*, 8, 11; *Lc.*, 13, 28, 29; 14, 15; 22, 29, 30. Nous n'utilisons pas ici les phrases sur l'entrée au Royaume, qu'on peut entendre au futur (récompense eschatologique) et au présent: *Mt.*, 5, 20; 7, 21; 18, 3; 19, 23, 24; *Mc.*, 10, 23, 24, 25; *Lc.*, 18, 24, 25; *Jn.*, 3, 5, 3 indique qu'on entre dès maintenant dans le Royaume de l'Église, par le baptême.

(92) *Tom.*, 14,7 *sur Mt.*, 18,23, PG., 13, c. 1197.

(93) *The Parables of the Kingdom*, London, 1929, p. 187.

(94) Sur les possédés: G. J. Waffelaert, *Possession*, DAA, IV, c. 53-81; L. Roure, *Possession*, DTC., XII, c. 2635-2647; J. de Tonquedec, *Les maladies nerveuses ou mentales et les manifestations diaboliques*, Paris, 1938. *Mc.*, 1, 24...

(95) *Mc.*, 4, 15; *Lc.*, 8, 12; *Mt.*, 13, 39. Avons-nous affaire là à des allégories, qui ne rentreraient pas dans le genre parabolique, suivant la thèse de Jülicher, Loisy, partagée par J. Jeremias, *Die Gleichisse Jesu*, p. 10, sqq. mais avec quelques réserves sur cette position unilatérale, *-einseitig*? Ces auteurs auraient

dû se rendre compte que ces prétendues explications allégoriques sont faites dans la forme des exégèses distributives, si caractéristiques du rabbinisme, et que là aussi abondent les équivalences symboliques, pas toujours fondées sur l'affinité des objets à comparer: notre *Exégèse rabbinique*, Paris, 1938, p. 43, 60, 72, 176... 215-251. Nous n'hésitons pas à nous servir des paraboles sur le Règne de Dieu.

(96) *Lc.*, 22, 53; *Jn.*, 13, 2, 27; 14, 30; cf. *I Cor.*, 2, 8.

(97) La notion du monde, mauvais, est fréquente en *Jn.*, elle se trouve aussi en *Mt.*, 18, 7; *Lc.*, 12, 30. Dieu veut sauver le monde: *Jn.*, 3, 16, 17, 19; 6, 33, 51; 8, 12, 26; 12, 47... Les Synoptiques disent équivalemment que Jésus est venu sauver les pécheurs: *Mc.*, 2, 17 ; *Mt.*, 9, 13; *Lc.*, 7, 34; 15, 1, 2, 7.

(98) *Jésus Christ*, II, p. 366.

(99) *Mt.*, 13, 11 = *Lc.*, 8, 10; en *Mc.*, 4, 11, nous lisons le singulier qui prend une signification plus profonde et compréhensive.

(100) L'Évangile du Règne; ici aussi génitif epéxégétique: *Mt.*, 4, 23; 9, 35; 24, 14; *Mc.*, 1, 14 (15 il faut y croire). Le verbe évangéliser fait partie du vocabulaire de Luc, disciple de Paul: 16, 16; 4, 43; 8, 1; 9, 2, 11, 60 (9, 62).

(101) *Mt.*, 19, 11. Ce verbe «donner», caractéristique du vocabulaire de Jésus, indique par sa fréquence la place que tiennent les bienfaits divins dans la vie du chrétien, dans le développement du Règne: *Mt.* 6, 11; 7, 7, 11; 10, 19; 13, 11, 12; 16, 4; 19, 11; 20, 14, 23; 21, 43; 25, 29; 28, 18; *Mc.*, 4, 11, 25; 8, 12 10, 40; 13, 11; *Lc.*, 6, 38; 8, 10, 18; 10, 19; 11, 3, 9, 13, 29; 12, 32, 48; 19, 16; 21, 15; *Jn.*, 3, 16, 27, 34, 35; 4, 10, 14; 5, 22, 26, 27, 36; 6, 27, 31, 32, 33, 37, 39, 51, 65; 10, 28, 29, 12, 49, 14, 16, 27; 15, 16; 16, 23; 17, 2, 4, 6, 7, 8, 9, 11, 12, 14, 22, 24; 19, 11. – Noter l'accord entre le vocabulaire de *Jn.* et celui des Synoptiques.

(102) *Mc.*, 4, 24, 25; *Mt.*, 13, 12; *Lc.*, 8, 18. Dictons semblables: *Mt.*, 25, 29; *Lc.*, 19, 26. Le passif indique une action divine.

(103) Bonnetain, *Grâce*, DBS, III, c. 951, 959, sqq.

(104) Y. de la Brière, DAA, I, c. 1243.

(105) L. de Grandmaison, *Jesus Christ*, I, p. 360.

(106) Nous proposons cette définition, trop scolaire, dans nos *Enseignements de J. C.*, p. 359.

(107) Thèse du secret messianique, soutenue par Wrede dans *Das Messiasgeheimnis in den Evangelien*, Gottingen, 1901; il fut suivi en partie par Bultmann (cf. Grandmaison, *Jésus Christ*, I, p. 311, sq. et *Théologie du N.T.*, p. 26-33 (la vie de Jésus n'eut rien de messianique), J. Hering, *Le Royaume de Dieu*, p. 142, les éditeurs de *Beginnings of Christianity*, I, p. 285. De bonne heure on a parlé de la faillite du système de Wrede: Sanday, Exp. T., XV, p. 389, JTS, 1904, p. 321-329 et *Life of J.*, p. 78; J. H. Holtzmann, *N.T. Theologie*, I, p. 280; et *Das messianische Bewusstsein J.*, Tübingen, 1907; Bousset, *Jesus*, p. 82; Goguel, *Vie de Jésus*, p. 349.

(108) Protestants libéraux: Loisy écrivait dans *l'Evangile et l'Eglise*, p. 148, sq.: «Le Christ de M. Harnack, le fils révélateur de la bonté divine, a l'air de prendre la qualité de Messie comme une sorte de costume ou de déguisement dont

il a besoin pour traiter avec les Juifs». Cf. BRAUN, *Où en est le problème de Jésus*, p. 48; sq.

(109) MONNIER, *La mission historique de Jésus*, p. 34, sq.

(110) C'est une partie des thèses de l'eschatologisme conséquent (J. Weiss, A. Schweitzer, Loisy, Guignebert, en partie Goguel, Wernle (Jesus) ...) qui fait de Jésus un illuminé, s'illusionnant sur le prochain avènement du Royaume et sur la proximité de sa parousie. Cf. F. M. BRAUN, *Aspects nouveaux du problème de l'Eglise*, p. 113-142; GRANDMAISON, *J.C.*, II, p. 292-312, 454, sqq. Nous reviendrons sur cette question de l'eschatologie.

(111) Jésus professe un messianisme tout biblique, mais dans une synthèse personnelle: J. B. FREY, *Le conflit entre le Messianisme de Jésus et le Messianisme des Juifs de son temps*, Biblica, 1933, p. 133-149, 269-293; H. J. ALLEN, *Our Lord's conception of his Messiahship in relation to O.T. Prophecy*, Exp. T. XL, p. 562, sq.; DALMAN, *Die Worte Jesu*, p. 250-259; LIETZMANN, *Geschichte der alten Kirche*, I, p.42.

(112) J. H. HOLTZMANN, *Das messianische Bewusstsein Jesu*, Tübingen, 1907, HARNACK, *Sprüche und Reden J.*, Leipzig, 1907; vues justes (cette conscience s'explique par un influx divin, elle dérive de la conscience filiale): BOUSSET, *Jesus*, p. 85, sq., WENDT, *Die Lehre J.*, p. 415. Cf. LAGRANGE, *Evg. Mc.*, p. 11; STEVENS, *N.T. Theology*, p. 205; MANSON, *Jesus Messiah*, p. 109.

(113) *Jn.*, 7, 26, 27, 31, 41, 42; 10, 24; 12, 24; 9, 22.

(114) In *Mt.*, PG., 13, c. 1646, sq.; pourtant exception en faveur de la Samaritaine; *Jn.*, 4, 25, 26.

(115) *Mc.*, 9, 13; *Mt.*, 1, 12, 13; 11, 14, 10; *Lc.*, 7, 27. Cf. A. de GUGLIELMO, *Dissertatio exegetica de reditu Eliae*, Jérusalem, 1938.

(116) Tous les récits, particulièrement celui de *Mt.*, 21, 1-9, 14-16 montrent que Jésus a voulu ce triomphe. On sait que les Juifs voyaient dans l'accomplissement de *Zach.*, 9,9 le signe d'un avènement messianique d'un degré inférieur: notre *Judaïsme palestinien*, I, p. 406.

(117) Inutile de nommer ces négateurs: rappelons les noms des plus récents: GUIGNEBERT, *Jésus*, p. 236, 342, sqq.; BULTMANN, ZNTW, 1930, p. 165-174; STREETER, *the four Gospels*, p. 58, 258, 303, dénonce des altérations d'un document, peut-être original; KILKPATRICK, *The origin of the Gospel according to St Mt.*, Oxford, 1946, voit là la modification de propos tenus après la Résurrection, provenant d'une tradition, p. 39, 40, 83.

(118) BRAUN, *Aspects nouveaux du problème de l'Eglise*, p. 81-98, citant critiques récents; L. de GRANDMAISON, *J.C.*, II, p. 63, sqq.: LEBRETON, *Trinité*, p. 216 et *Vie de Jésus*, I, p. 428, sq.; PIEPER, *Jésus und die Kirche*, Paderborn, 1932 (bibliographie); encyclopédie *Tu es Petrus*, Paris, 1934, p. 4-14 (VAGANAY). Parmi les non-catholiques, SANDAY estime que *Mt.* avait devant lui une tradition plus explicite que celle de Mc., art. *Son of God*, Dict. Hastings, cité par Lebreton, *J.C.*, I, p. 427; GOGUEL, *Vie de Jésus*, p. 361-368 admet quelque historicité; J. JEREMIAS, *Golgotha*, Leipzig, 1926, p. 68-77; K. L. SCHMIDT, Ekklésia, KW, III, p.522, sq.; MAC ALLEN, *St Matthew* (Intern. crit. commt.) 1912, p. 180 admet que l'évangile rapporte là une tradition.

(119) Guignebert, *Jésus*, p. 564, sqq., rejette l'historicité de la scène, doublet parasite du procès devant Pilate; Lietzmann, *Der Prozess Jesu*, Berlin, 1931, nie l'historicité de *Mc.*, 14, 61, réfuté par Burkitt, JTS; XXX, p. 64-66: Goguel, *Vie de Jésus*, p. 486-496, admet l'authenticité de tout le récit.

(120) Dans la théologie juive nous retrouvons cette même conception spirituelle des félicités futures, mais aussi des données très matérielles: notre *Judaïsme palestinien*, I, p. 520, 438, 441.

(121) Dans son dialogue avec Tryphon Justin s'efforce de démontrer ce double avènement à son interlocuteur, qui se dérobe: *Judaïsme palestinien*, I, p. 382.

(122) Plusieurs, Harnack particulièrement et les eschatologues, ont nié que Jésus ait pu concevoir un Règne universaliste: voir à l'encontre: M. Meinertz, *Jesus und die Heidenmission*, Münster, 1925; F. Spitta, *Jesus und die Heidenmission*, Giessen, 1909; J. B. Mayr, Exposition, nov. 1909, p. 385-399; M. Goguel, *Jésus et les origines de l'Universalisme chrétien*, RHPR, 1932, p. 193-211; Bengt Sundkler, *Jésus et les païens*, RHPR, 1936, p. 462-499.

(123) *Mt.*, 8, 11, 12, = *Lc.*, 13, 28, 29; *Mt.*, 21, 43; *Lc.*, 20, 18; allusions évidentes dans diverses paraboles: *Mc.*, 12, 1-12; *Lc.*, 19, 27; *Mt.*, 21, 31, 32; 22, 8 = *Lc.*, 14, 24; et autres sentences: *Mt.*, 15, 13, 14; 12, 41, 42.

(124) *Lc.*, 19, 41-44; *Mc.*, 13, 2; *Mt.*, 23, 37-39; *Lc.*, 13, 34 35; 11 49-51.

(125) *Gesù Cristo, Studi su le fonti, il pensiero e l'opera*, Torino, 1936, p. 263, sqq.

(126) Article *Hamartia* de KW, I, p. 267-336; Koeberle, *Sunde und Gnade im religiösen Leben des Volkes Israel bis auf Christentum*, Munchen, 1905; Buechler, *Studies in Sin and Atonement in the biblical literature of the first century*, Oxford, 1928; Swete, *The forgiveness of Sin*, London, 1917.

(127) Vocabulaire: ἁμαρτία (but manqué), παράπτωμα transgression, ὀφειλήματα dettes: plus rarement ἀσέβεια, ἀνομία impiété, violation de la loi. Idée de puissance de pechè: *Mc.*, 2, 5, 10; *Lc.*, 11, 4; 24, 47; *Jn.*, 8, 21, 24, 26, 34...

(128) Notre *Judaïsme palestinien*, II, p. 82, sq., 27, sq., 93; cf. *Lev.*, chap. 4 et 5.

(129) Lire tout le passage qui explique cette sentence: *Mc.*, 7, 14-23 = *Mt.*, 15, 10-20. Le cœur, faculté spirituelle: *Mt.*, 5, 8, 28; 6, 21; 9, 4; 11, 29; 12, 34, 35; 13, 15, 19; 15, 8; 18, 35; 22, 37; 24, 48; *Mc.*, 2, 6, 8; *Jn.*, 14, 1, 27; 16, 6, 22; *Lc.*, 8, 15...

(130) Mort: *Jn.*, 5, 24; 8, 51; 11, 25, sq. Perdition: *Mt.*, 5, 29, 30; 7, 13; 10, 28, 39; 16, 25; 18, 14; *Lc.*, 9, 24; 17, 23; 13, 3, 5; 19, 10; *Jn.*, 3, 15, 16, 17; 6, 39; 10, 28; 12, 25; 17, 12. Noter l'accord entre le vocabulaire johannique et celui des Synoptiques.

(131) *Liber de oratione dominica*, 22, PL., 4, c. 534, repris dans *contra duas epistolas Pelagianorum*, IV, 10, PL., 44, c. 630. Cf. *Mc.*, 11, 25, sq.; *Mt.*, 18, 21-25 = *Lc.*, 11, 4.

(132) *Lc.*, 19, 9, 10; 8, 12; *Mt.*, 10, 6; 15, 24; *Jn.*, 3, 17; 5, 24; 10, 9; 12, 47.

(133) Le mot salut (sauver) correspondait souvent dans le vocabulaire de Jésus au verbe «vivifier». *Mc.*, 10, 17, 23, 25, 26, 27 caractérise bien ce salut à la

fois eschatologique et actuel; cf. *Mc.*, 8, 35; 13, 13; *Lc.*, 13, 23, sqq.; 9, 24; 17, 35; *Mt.*, 7, 13, sq.; 10, 22; 16, 25; 24, 13.

(134) L. de GRANDMAISON, *J.C.*, I, p. 367, sq., citant Sabatier.

(135) Naturellement cette scène, qui ne figure que dans le premier évangile, est déclarée par divers critiques non-historique: comme elle convient au Baptiste, prophète éclairé par Dieu.

(136) Cf. KW, I, p. 343, JTS, 1947, p. 155, sqq.; E. MAY, *Ecce Agnus Dei, aphilolegical and exegetical approcch to John*, 1, 29, 36, Washington, 1947.

(137) *Mc.*, 4, 42; *Mt.*, 4, 1-11; *Lc.*, 4, 1-12. H. J. C. KNIGHT, *The Temptation of our Lord*, London, 1906 (la volonté du Christ devant celles de Dieu et de Satan;) P. KETTER, *Die Versuchung Jesu nach dem Berichte der Synoptiker*, Münster, 1918; MACKINTOSH, Exp. T. XVI, p. 157, sqq., 211, sqq., 267 (vues à la fois justes et tendancieuses sur l'aurore de la conscience messianique).

(138) Voir aussi *Mt.*, 13, 31, 32 et *Lc.*, 12, 1, équivalents. LEMONNYER, *Le blasphème contre le S. Esprit*, DBS, I, p. 98-989 et les explications de S. Thomas, *Som.*, IIa, IIae, q. 14, a. 3. Cf. *Act.*, 7, 51.

(139) AMANN, *Pénitence-Repentir*, DTC., XII, c. 722-727; P. GALTIER, *de Paenitentia*, Paris, 1931, et *le péché et la pénitence*, Paris, 1929. p. 59-63; Hans POHLMANN, *Die Metanoia als Zentralbegriff der christlichen Frömmigkeit*, Leipzig, 1938; E. K. DIETRICH, *Die Umkehr im A. T. und Judentum*, Stuttgart, 1936; notre *Judaïsme palestinien*, II, p. 98-104. Vocabulaire: dans l'A. T. *šubh* et dérivée; dans le N. T. μετάνοια et les verbes μετανοεῖν, ἐπιστρέφεσθαι, μεταμέλεσθαι il semble qu'il vaut mieux dire en français: «conversion et repentir», «pénitence» éveille d'autres idées. Voir surtout: *Osée*, 2, 2, 14-24; *Ezéchiel*, ch 18 et 3331-20; *Ps.*, 6; 32; 51; 102; 133; 143; *Eccli.*, 17, 13-21; 21, 1; 23, 1-6. *Sag.*, 10, 2; 11, 23; 12, 10. 19.

(140) *Mic.*, 7, 18, 19; *Is.*, 1, 18; 33, 24; 44, 22; 43, 25, *Jér* 33, 8; *Zac.*, 3, 9; 13, 1, *Dan.*, 9, 24.

(141) *Jér.*, 31, 34 avec le commentaire d'*Hébr.*, 8, 6-13 et 10, 17, 18.

تعريف عن الكتب

« رعاية الأولياء في الاسلام بالمغرب »
بقلم اميل دِرمَنجم

٣٥١ ص – ١٦ لوحاً – القياس ٢٣ × ١٥

Émile Dermenghem. — *Le Culte des Saints dans l'Islam Maghrébin.* Gallimard, Paris. 1954.

مؤلف هذا الكتاب من أدق المستشرقين حساً وأوغلهم في التعرف الى التصوف تجنب كلفه بعيون الأدب العربي ، فله في هذين المطلبين رسائل وكتب نفيسة قد نوهنا بها في مبحث سابق بالفرنسية (انظر B. F. *A propos du livre de Dermenghem : les plus beaux textes arabes*, in *le monde de l' Islam*, N. S. III, 3-4, 1954, p. 219-224 .

وكتاب اليوم مادته موضوع يتجاذبه هفات الروح وخفقات الحس ، وما هو مكتوب على أسلوب هين كما يكتب أرباب الصحافة وأهل الوصلات . التدبر فيه بعيد والتقصي مستوفى ، ومن وراء هذا وذاك فحص قام به المؤلف نفسه أو تراه يرجع الى مصادر قوية مما يجعل الكتاب عمدة في قصته « العارفين بالله » و « الصديقين » مع اقبال المؤمنين عليهم ورعايتهم لذكراهم العالية الساطعة . وليس الكتاب محصوراً في ميدان التاريخ والسير ، بل هو وصف لعادات وأخلاق وعرضٌ لعقائد وعبادات لا تزال قائمة في العهد الذي نحن فيه. ومن هنا خلابة الكتاب ومثار النشاط في صدر القارئ . وقصر المؤلف حديثه على المغرب لأنه أدرى به من غيره ، يقيم به من زمن متعرفاً له متنسماً ريحه منقباً عن جوفه . غير أن الحديث ربما امتد الى أقطار اسلامية أخرى على جهة الفحص عن أصول المظاهر أو على جهة التمثيل والتقريب .

في القسم الأول من الكتاب : تمييز وليّ العامّة من وليّ الخاصّة ، مع ترتيب الأولياء بالاضافة الى الطاقة الروحانية أو القدرة العرفانية . ثم كيف يبلغ « الصالح » مقام الولاية من طريق الزهد وبفضل الفيض الرباني بحيث يصبح الى الله « مجذوباً » . ثم صلاح الولي وموضع خارقه المباركة . وهنا سرد لأماكن غلبت عليها صفة القدسية . ــ وفي القسم الثاني : ذكر الأولياء

التابعين بحسب المصادر العلمية والأدبية والشعبية من مسطّرة ومرويّة ، ومن هؤلاء الأولياء : سيدي أبو مدين شيخ تلمسان المولود في اشبيلية سنة ٥٢٠ هـ . ثم ذكر أولياء من الطبقة الثانية . — والقسم الثالث : مزارات الأولياء ومقدار شأنها الاجتماعي ، ثم مواقعها وجهاتها وخصائصها العمرانية . وفي هذا الباب خرج الآن كتاب جليل هو : « كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات » للهروي (من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق ، سنة ١٩٥٣) . ويختم هذا القسم مذاهبُ الزيارة وأفعال الزائرين ، منها نحر البقر والأخرفة والجمال والديكة والدجاج . — وفي القسم الرابع : الأعياد والموالد واجتماع الخلق فيها عند ضريح الولي بالمدينة أو بالجبل أو بالسهل . ثم الملاهي من مرح وغناء ورقص في المواسم . — وفي القسم الخامس : الطرق الصوفية ومناحيها في الوجد والتواجد ، ولا سيما طرق السودان من أتباع سيدي بلال .

وهكذا يدخلك هذا الكتاب في عالم علوي تلمع فيه آيات الايمان الولهان ، وقد علقت بها ظلمات أتتها من جانب « الشطح » أو من جانب الجهل الذي أصاب أهل هذا الشرق منذ القرن الرابع عشر . على أن في رعاية الأولياء مَعْبَرًا لما يلي المادة المباشرة ومنارًا لأفق ترتع فيه الأرواح اذا هي صفت وصدقت . ومما يورث الأسف ان المؤلف لم يضع سردًا للاسماء والاماكن يهتدي به الباحث المراجع.

بشر فارس

P. Athanase Hage, b. s. : *Les empêchements de mariage en droit canonique oriental.* — Étude historico-canonique. — Lettre - Préface de S.E. Mgr I. Ziadé, Archevêque maronite de Beyrouth. — Beyrouth 1954. — XXXIX — 332 pp.

نقدم الى قراء المشرق كتاباً جديدًا لحضرة العلامة في الشؤون الشرقية الاب اثناسيوس حاج. هو بحث تاريخي قانوني يدور حول موانع الزواج في الحق القانوني الشرقي. انه لكتاب فريد في نوعه عند الشرقيين. بعد ان ظهرت شرعة الزواج في ٢ ايار سنة ١٩٤٩ اصبح من الضروري درس المقدمات التاريخية لهذا القانون الجديد والبحث عن التطورات التي مرت بها انظمة الزواج عند الشرقيين قبل ان تنتهي الى هذه الصورة التي اقرها قداسة الحبر الاعظم في ٢ايار سنة ١٩٤٩.

ان هذا القانون ليس ارادة اعتباطية لا مسوغ له ولا مبرر لا بل هو بحط

رحال تطور رافق حياة الكنيسة الشرقية منذ العصور الاولى الى يومنا هذا .
ان الاوضاع القانونية مثل سائر اوضاع المجتمع لها تاريخ لانها اوضاع حية وآقد كتب التطور الكل حي لا بل اصبح التطور ميزة من ميزات الحياة . قد يخيل لمن ينظر الى القانون المدني او الكنسي من الخارج انه نظام متجمد لا يتغير على كر العصور. انه القاعدة الراسخة للسلوك البشري وهو الدستور الذي يرتكز عليه نظام الدول والجماعات . واول شيء يفترض فيه هو الثبوت وعدم التغير . ان هذه النظرية في القانون هي سطحية ومن ثم مخطئة لان الشريعة ان لم ترافق تطور المجتمع الذي وضعت لاجله تبقى حرفاً ميتاً ويحل محلها انظمة جديدة ترتكز على العادات والتقاليد الاجتماعية . اذا وجب على المشترع الحكيم اذا احب ان تكون شريعته نافذة ومعمولاً بها في الرعية ان يدخل عليها من وقت الى آخر تعديلات تتفق مع تطور الحياة والمجتمع والعصر .

وكان سر الزواج اكثر اوضاع المجتمع اهمية وادقها لانه هو نقطة الارتكاز للعيلة ، الخلية التي يتألف منها المجتمع بأسره . ولذلك منذ العصور الاولى قامت الكنيسة تهتم بهذه الخلية وتوجد لها انظمة تتفق مع تعاليم السيد المسيح ومقتضياتها فرأيناها منذ البدء تمنع الطلاق وتحدد شروط العقد وصورته القانونية .

وموانع الزواج هي الشروط التي تفرضها الشريعة الكنسية او الطبيعية على المتعاقدين ليكون عقد الزواج صحيحاً . وهذه الموانع باكثريتها في الكنيستين الغربية والشرقية مرت بتطورات عديدة .

ولقد حصر مؤلف هذا الكتاب موضوعه في الموانع عند الكنائس الشرقية لكنه في نهاية كل فصل قارن النظام الشرقي بالنظام الغربي مما جعل لهذا الكتاب قيمة فريدة في نظر هواة القانون والقضاة الذين يتوجب عليهم ان يطبقوه يومياً . . . وذلك لان الطريقة الوحيدة للتعمق في درس الشريعة مدنية كانت ام كنسية هي الرجوع الى اصولها وتتبع التطورات التي مرت بها على مر العصور حسب ظروف المكان والزمان . ولهذا السبب ان مطالعة كتاب موانع الزواج عند الشرقيين هي ضرورية ليس فقط لمن يريد ان يتفهم نظام الزواج السابق لتاريخ شرعة الزواج عند الشرقيين بل لمن يريد ايضاً ان يدرك المفهوم الحقيقي لقوانين شرعة الزواج نفسها . لان هذه الشرعة ليست حدثاً جديداً في نظام الزواج عند

الشرقيين لا علاقة لها مع القانون القديم لا بل هي تكملة له .

ومن الواضح ان هذا الدرس سوف يسهل على المحاكم الكنسية وبالاخص على الدواوين الكنسية الملكية مهمتها في تطبيق القانون لان بعض الموانع عندهم كانت غير مستقرة ومبهمة ، يلزمها درس علمي قانوني ، فاتى هذا الكتاب يوضحها ويشرحها شرحاً علميا .

لا يمكننا بعد هذا العرض الوجيز لكتاب موانع الزواج عند الشرقيين الا ان نثني على همة المؤلف آملين بانه سوف يتابع ابحاثه القانونية ويتحف الكنيسة الشرقية بدروس اخرى شاملة تكون حجر الاساس في درس القانون الكنسي الشرقي .

الخوري الياس الحائك

H. Gossot : *Éléments d'histoire de la civilisation des techniques et des métiers présentée par les textes.* 208 pp. in-8° carré. Bourges, Éditions Tardy, 1953.

هل قدّر التوفيق لمئة نص من نصوص الكتّاب ان تجعلنا نشرف من علُ على ما وضعته نصب العين من رسوم مرئية لحياة العمل عبر عشرات الآلاف من السنين وعلى ما اورثتنا اياه الحضارة من نشب اي على المعلومات والثقافة والفهم والوجدان والعزم والكنف ... التي استطاعت ان تكوّنهـا لنا شيئا فشيئا ..؟ فهمُ الصنّاع المصريّون والفانون اليونانيون. . .وهو زجاج الاب سان اوبن ... وهي الابرة المغناطيسية والمطبعة وجاك كور وكولبر وكريستوف كولومب او مونتكالم ... وهو اختراع الدراجة الخشبية المنسية وهي جدّة الدراجة الهوائية التي تدعوها (الملكة الصغيرة) وهم عمال المناجم والمعادن وهو برازا الفارس الاشوس الذي طاف افريقية على جواده ... وقصارى القول تاريخ « دنيز الصغيرة » والانسة رناردو مديرة المدرسة ... فيما له من اتضاع بيد انها المبادىء الانسانية الحقيقية ويا لها من عظمة مستفزة للنفس .

وانه لكتاب من المحال في الحقيقة تلخيصه وثبتُ مواده ليس بالمقدور اجازه لكثرة اتساعه ، والخلاصة حسبنا ان نقول فيه انه مؤلف لا يستغني عن مطالعة مختارات نصوصه لا المربّي ولا التلميذ ولا المتدرّب ولا عن التبحر فيها .

ولا يسعنا إلّا ان نشكر السيد كوسو من صميم الفؤاد .

هنري شارل اليسوعي

POURPRE DE MARTYRS. — par *Rémy*- Librairie Arthème FAYARD, Paris, 1953 — 381 pages, 6ᵉ édition, 800 francs.

ما برح الكثيرون يجهلون أو لا يعرفون حق المعرفة الاضطهادات الذريعة التي اشتدت منذ خمس سنوات وطأتها في الصين ضد الكنيسة الكاثوليكية المنظمة التي تما فتئت تناهض وحدها الشيوعية ، فهناك عشرات الاساقفة ومئات المرسلين وآلاف الكهنة الصينيين والراهبات الصينيات يكابدون ذلة « المحاكمات الشعبية » المزعومة ويتحملون آلام النفي والسجن والتشريد والتعذيب والموت .

ولقد خطر لبعض المرسلين المنفيين ان يطلبوا الى ريمي (الكاتب المعروف بمؤلفاته بشأن المقاومة الفرنسية (من ١٩٤٠–١٩٤٥) ان يوضح لهم معنى هذه المعركة الجبارة وكيفية تقلباتها ، انه لكتاب شديد الوقع « ولا سيما هو بلغة بسيطة جد البساطة » يحدو بمطالعيه الى التوسل بالصلات الحارة « للكنيسة الصامتة » ويقنع ايا كان ببطولة الكاثوليك الصينيين التي لا تقل عن بطولة القرون الاولى ، اما الكتاب فغزيرة ادلته جد الغزارة ودقيقة كل الدقة اذ يعج بالاسماء والارقام ، ففي صفحته ١٠٨–١٠٩ نقع على لائحة باسماء الاساقفة المنفيين من الصين وفي الصفحة ١١٠ على مبلغ قسوة المعاملة التي تعانيها الابرشية الصينية : من قتلى ومسجونين ومعتقلين وممن وضعوهم « تحت المراقبة » ومن مشردين .

والكتاب يطلعنا بخاصة على مبلغ الجهود التي يبذلها الصينيون لانشاء كنيسة منفصلة تحت اسم حركة « الاستقلال الثلاثي » ويبين لنا كيف كان تعذيب الاسقف ريبري « Riberi » وسجنه وطرده ، وكيف وجهت التهم الى راهبات المياتم ونسبوا اليهن تقتيل الأطفال الصينيين .

ونقع في الصفحة ٣٢٦ على سلسلة من الصور نشرتها الحكومة الصينية وجمعها بالعنوان المألوف : الفاتيكان خادم الاستعمار الرأسمالي الاميركي .

اجل « ان دم الشهداء هو بذار المسيحيين » لانه لم تظل هناك قرية واحدة في الصين لم تسمع بالدين الكاثوليكي الذي ثبت وحده في صد الهجمات الشيوعية مما افضى الى تحقيق امنية احد الكهنة القدامى : « سيحين يوم يتوق فيه جميع الصينيين الى اقتبال سر العماد » .

اوجين غونتيه اليسوعي

F. Koechlin — *Capitalisme et socialisme. Vers un socialisme non collectiviste* - Librairie de Médicis - Paris, 1953, 272 pages.

الكم مصنفا صغيرا يتحدى الى بيان افكار شديدة الجرأة ويشتمل على نقد صريح ـ وفي اعتقادي صحيح ـ لجميع المذاهب الاقتصادية: من المذهب الاقتصادي الحر الى مذاهب التأميم الى المركزية بحسب الطريقة الروسية ، والى الاقتصاد الموجه ، ويدور بخلدي اننا نستطيع ان نجاري المؤلف ونسلم معه بان المذهب الرأسمالي لا ينيل المأجورين النصيب الذي يعود بحق اليهم ، على حين انه من الواجب ان يزداد اشتراكهم في ادارة الاعمال ، اما مذاهب التأميم فلن تأتي بالعلاج الناجع ولكنها تجعل الدولة تقوم مقام رب العمل بدون ان يؤدي ذلك الى مصلحة العمال ، اما المركزية الاشتراكية واما مذهب التوجيه الاقتصادي فخطارهما الجسيم يقوم في الغاء الحريات الجوهرية .

فما هي اذن العلاجات التي يقترحها ؟ اولاً اصلاح المصنع (الصفحة ١٣٨ وما يليها) ، : ينبغي للعمال الذين انقضى عليهم اكثر من سنة في مصنع غير صناعي ان يتكتلوا في جمعية اسمها « جمعية المصنع » وان يتناولوا كل سنة نصيبهم من الارباح التي يحققها هذا المصنع الذي تسوسه جمعيتهم وتستخدمه كما يعن لها ، اما في الشركات المغفلة فيجب ان يتألف مجلس ادارتها من مدراء يمثلون رأس المال تجري انتخابهم على شاكلة الماضي ومن مدراء يمثلون العمال ينتخبهم المجلس العام « جمعية المصنع » على ان يكون عدد الفريقين متساويا .

واستشهد السيد كوخلين « Koechlin » في الصفحة ١٤٤ وفي التعليق عليها تبديداً للمخاوف حول هذا الموضوع بتجربة (التعاون معا في الادارة) التي اجريت منذ بعض الوقت في المانية .

ومن ثم اشار الكاتب الى ان التقدم الآلي والتقدم في الانتاج يفضيان دائما الى الاكثار في المصنوعات مع اقلال اليد العاملة لتأخذ ابدا بالتناقص ، وبعبارة اخرى انعدام التناسق انعداما باعثا على القلق بين الخطوط البيانية التي تمثل الانتاج والخطوط البيانية التي تمثل اليد العاملة اللازمة له مما يؤدي الى خطر البطالة المخيف الآخذ بالازدياد على رغم شتى التدابير المتخذة : كاقلال وقت العمل ، وتطويل مدة الدراسة ، ويقول الكاتب في (الصفحة ١٨٣ وما يليها)

ان الحلّ يقوم على توفير الحدّ الادنى الحيوي مجانا واكتساب كل ما تبقى ، واشار في التعليق الى : « انهم في روسية قد بدا لهم ان رأوا هذه المعضلة فشرعوا يتجهون في هذه الطريق لانهم يرتأون امكان توزيع الخبز مجانا » فمن يا ترى يدفع ثمن هذه التوزيعات؟انه الانتاج نفسه وازدياد الانتاج (ص١٨٧) .

والاستشهادات الملمع اليها الماعا على الاقل جزئيا بصدد اقتراحات ايجاد قانون لاصلاح المدانع وذلك في ذيل الكتاب وقد وضعتها مختلف الفئات السياسية قد انتقدها جميعها ما عدا اقتراح السيدة كلاير صونيه « Mme Claire Saunier » عضو مجلس الشيوخ في U· D· S· R الذي تقدمت به في اليوم ١٦ من شهر تشرين الثاني ١٩٤٨ .

فهل بالامكان اجراء هذه الاصلاحات التي ارتأها ؟ الظاهر انها ممكنة لان ذرائع السيد كوخلين ذرائع مقنعة وثمة سوابق في هذا الباب ، ولكن بالطبع ان ذلك لن يتم الا تدريجيا ، ومع ان الكاتب لم يشرح تماما البراءات البابارية لا في الجزء الانتقادي في كتابه ولا في جزئه الانشائي فليس هناك ما يبدو مناقضا لتعليم الكنيسة الكاثوليكية التي تقترح — كما تعرف — كعلاج للادواء الناجمة ايجاد نظام اقتصادي وسط بين المذهب الاقتصادي الحر والمركسية . اوجين غوتيه اليسوعي

Catherine II. *Mémoires écrites par elle-même.* Introduction de Pierre Audiat ; texte établi et présenté par Dominique Maroger. 304 pp. - in-8°, Paris, Hachette, 1953.

انصرف بادىء بدء الى ما خطته يراعة كاترين الثانية : الى هذا الاعتراف التي كتبته لابنائها فهو مأساة وقصة اي انه حياة ولون ودراسة نفسية ومهارة فنية في التصوير الوصفي ليقع في النفس موقع الحقيقة الباعث على الدهشة ، فهذا ما اوضحه بحق السيد اوديا اذ قال «ان معنى التورية والترفع عن الكذب » عندما المع الى الفقرة التي حللت فيها صوفيا اوغسطا فريدريك الظروف التي جعلتها تتزلق في غوايات الحب تحليلا تاما عن صدق طويّة ودقّة ، والى جانب كل ذلك معنى مرهف وفنّ اخراج واقعي خلاب .

ولقد كتب السيد اوديا كل ذلك بلغة افرنسية شديدة الرشاقة فكانت قصة مأساة ميراث آل رومانوف الذي ظل ثابتاً على رغم الاعقاب انفسهم .

والخاتمة التي جاءت تحمل توقيع بيير اوديا ودومينيك ماروجه معاً قد حللت العقدة المحزنة واحتفظت للشخصية التي علقت انظارنا عليها شكلها الشديد الانسانية وطابعها الصرف بشكلها الرومي على رغم انتماء الجدود الى تطلع لوثر.

ولئن رجعت بعد مطالعة الكتاب الى مقدمته لرأيتها تبعث بايجاز شيّق لجميع اطوار الحياة. وتلفت النظر الى كل ادوار كاترينا العظيمة في فيلم شبابها ، واتمم النظر فيما كتبته السيدة ماروجه بصدد التطور الاخير من هذا الفيلم وعنوانه « الزوبعة » : لقد وورطت نفسها في لعبة مخيفة ادنى نتائجها اعتزال العرش او المنفى ان لم يكن الموت ولقد انخرطت كاترينا في هذه اللعبة والافضلية الوحيدة التي بيدها هي كتمان سرّ الاسرة في صدرها ولكنها قد اكملت لعبتها بمهارة وجرأة باعثتين على الاعجاب فاحسّ اعداؤها انفسهم انها ابنة بطرس الاكبر الحقيقية وذلك ما عدا وشائج اللدم .

وانّنا لندرك من الآن الهوامش الرائعة او المحزنة المفرحة او المؤثرة التي ذيلت بها هذه المذكرات. ان كاترينا مدينة بمثلثها الى ذكائها ومناقبها اكثر مما هي مدينة بها الى حظها .

هنري شارل اليسوعي

المشرق

السنة الخمسون — تموز–تشرين الاول ١٩٥٦

تاريخ الدول السرياني

تأليف أبي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارمله السرياني

وفي هذا الشتاء اجتمعت الكواكب السبعة السيّارة في برج الجدي. وشمل الناس الرعب بسبب ذلك[1]. ذلك لانه زحل وعطارد لا يجتمعان في برج الدلو الّا في الصيف.

امّا صاحب مصر فلمّا بلغه ان الملك ارغون تعزّز في مملكته وانتهى أمر احمد ومَن معه بعث فأخرج الشيخ عبد الرحمن من سجن القلعة وجعله في احد (٥٥٦ب) مساجد دمشق وما زال يقوم بجميع نفقاته. ولا يخفى ان هذا عبد الرحمان يتحدّر من عبدٍ من عبيد الخليفة المعتصم وهو روميّ المحتد. ولمّا

١) انّ ما يحدث في الدنيا ليس متأتياً عن سير الكواكب او اجتماعها بل يجري بمشيئته تعالى لان عصفوراً واحداً لا يسقط على الارض دون مشيئته (متى ١٠ : ٢٩).

فتح التتر بغداد افلت من القتل وسار الى الموصل وتعاطى التجارة في أحد اسواقها وكان قد اتقن تلك الصناعة واحتيا . ثم انطلق الى قلعة العادية وقال لعزّ الدين صاحبها انه قادر ان يعمل اعمالًا عجيبة التقنها بوحي روحانيّ . فتى به الى آباقا وحارثه وقال له : مُر بذهابي الى خزانتكم في قلعة تلا كي أبدي لكم صناعتي . فمضوا به اليها وجعل يقيس أرضها هنا وهناك ثم انتصب في مكانٍ ما وأمر ان يحفروه وهو واقف بعيدًا . فحفروا وعثروا على خاتم له فصّ عجيب غالي الثمن فاخذوه الى الملك . ولمّا تحققت كلمته في هذا جعلوا يصدّقونه في كلّ ما يقوله . من ذلك انه قادر ان يطرد الشياطين ويطلع على اسرارها . واحتظى لدى اولاد الملوك حتى انهم ولوه سياسة الدولة كلها ولا سيما في اثناء مملكة احمد القطيرة . قيل ان المغول لمّا نهبوا خزانة الخليفة استاقوه هو كذلك الى قلعة تلا وجعل يدخلها حاملًا بعض الاغراض وفي جنبها الخاتم المذكور وهو الذي طمره في تلك الارض .

وفي كانون الثاني من هذه السنة وجه ارغون ملك الملوك مناشير الى كل البلاد يقول : «ان احمد خالف شرائع آبائنا وسار في طريقة الاسلام التي جهلوها فقد اتفق ابناء الملوك قاطبةً وعزلوه ووجّهوه الى الخان ابينا ليحاكمه وأجلسوني على عرش المملكة التي تمتدّ من جيحون حتى بلاد الفرنج . فطيبوا نفسًا . ولينصرف كلّ الى عمله وليحذر الولاة والحكّام في كل مكان من ان (٥٥٧) يتعدّوا على احد . والّا فلا بدّ من فلق رؤوسهم .

وبلغنا في هذه الايام ان صاحب مصر أرسل الشيخ عبد الرحمان واصحابه من دمشق الى قلعة صفد واعتقلهم هناك ولا يُرجى خلاصهم .

وفي هذه السنة ١٥٩٦ لليونان (١٢٨٥ م) باضت في برطلي دجاجةٌ بيضةً تحاكي بكبرها بيضة الوزّ . وفي اسبوع الآلام الخلاصيّة باضت دجاجة اخرى هناك بيضة صغيرة عنقها رقيق معوجّ طويل مثل القطينة وشاهدناها بعيننا .

وصباح الاحد ٢٩ تموز انقضّ جيش سورية في ستمائة فارس من اكراد واتراك وبدو على بلد اربيل ونهبوا وقتلوا رجالًا كثيرين من عمكاباد وسرهنجان وغيرهما من القرى . وخرج بهاء الدين الامير الكرديّ من اربيل ليناوشهم فانكسر وانقلب عائدًا الى المدينة . وقد استاق اولئك الخبثاء النساء والبنات

واشياء كثيرة وذهبوا .

وفي السنة ١٥٩٧ لليونان (١٢٨٦ م)[1] احتشد زهاء اربعة آلاف فارس من لصوص الاكراد والتركمان والعرب وانضمّ اليهم فيا قبل ثلاثمائة فارس من مماليك مصر واقبلوا في ١٧ حزيران الى بلد الموصل واكتسحوا القرى في طريقهم وانقضوا على المدينة صباح الإثنين ٢٢ ربيع الاول ٦٨٥ للعرب (١٢٨٦ م) فركب الملك مسعود وسائر الفرسان الذين (٥٥٨) في المدينة وخرجوا ليناوشوهم . ولكنّهم لمّا شاهدوا كثرتهم وعجزوا عن مقاومتهم عبروا دجلة وتوجهوا الى دير مار متي واقاموا هناك بضعة ايام . امّا اللصوص الخبثاء فقد دخلوا المدينة واستقبلهم العرب اهلها باطمئنة فائضة ومياه باردة . وفرحوا بهم فرحاً عظيماً ظانّين انهم سيناوشون النصارى دونهم ويغزونهم ويقتلونهم . امّا نصارى حيّ بيعة التكريتيّين فقد ذهبوا بنسائهم واولادهم واموالهم الى دار نقيب العلويّين ابن عمّ النبي معتقدين ان اللصوص لن يتعرّضوا لها احتراماً للنقيب وتعذّر على سائر المسيحيين الهرب الى تلك الدار فانزووا في بيوتهم خائفين مذعورين يبكون وينوحون ويندبون سوء حظهم . لكنّ الامر جرى عكس ما توهموا فان اللصوص جعلوا يسألون عن المسيحيّين فقال لهم اسلام المدينة بفم واحد انهم في دار النقيب . فاستجمعوا قواهم وساروا اليها واقاموا السلالم وتسلّقوا واحتلّوا الدار وانتهبوا وسبوا كل من فيها . واصيب رجل نصراني بسهم قضى على حياته . وجعل اللصوص ينكّلون بالنصارى والمسلمين معاً ويفضحون النساء والبنين معاً والبنات وهم داخل المسجد دون حياء . وبعد هذا توجهوا الى حيّ اليهود ونهبوا بيوتهم وسبوهم جميعاً .

امّا النصارى الذين ظلّوا في بيوتهم متروين فلم يؤذهم احد بل لم يشاهدوا اللصوص باعينهم . غير ان بعض التجّار النصارى والمسلمين القادمين الى المدينة والنازلين في فنادقها الخارجية نجوا من اللصوص . ولكنهم (٥٥٩) بسبب خوفهم خسروا كمية وافرة . وذلك انهم ذهبوا بأحمالهم الى المدينة ووضعوها في سوق البزّازين حيث كانت تحفظ ارزاق الاهالي . وكان كل من اولئك

١) في ٣٠ تموز من هذه السنة توفي ابو الفرج ابن العبريّ مؤلف هذا التاريخ . وقد أكمل كتابه هذا أخوه برصوما الصفيّ .

التجار يسابق صاحبه في وضع بضائعه هناك . وماثلهم في ذلك اهل المدينة فنقلوا الى ذلك السوق ذهبهم وفضتهم وامتعتهم وثيابهم . وبعد هذا كله زحف اللصوص وحطموا ابواب السوق ودخلوا واحتووا كل ما وجدوه . وكان جمهور من الشبان واقفين على باب السوق فجعلوا يخطفون ما تيسر من الغنائم وينهزمون . وكان بعضهم يتركون خيلهم على الباب ويدخلون لينهبوا فكان الشبان يركبون تلك الاحصنة ويفرون بها . وظل اللصوص من الصباح حتى المساء يطوفون الاسواق والشوارع ويسرقون من الاحصنة والبغال والحمير والبقر عددًا وافرًا . واعتقلوا نحو خمسمائة من العبيد والجواري اغلبهم مسلمون ويهود. وبعضهم نصارى كانوا في دار النقيب .

على ان صائغًا مسيحيًا مشهورًا حاول ان ينقذ ابنه الفتى من ايديهم فثار عليه اولئك اللصوص الاردياء وضربوه بالسيف واقام ثلاثة ايام ومات .

ولم يهلك من اولئك الملاعين سوى عشرة فقط كانوا يطوفون في الاسواق التي لا منفذ لها فوثب اليهم الاهالي وقتلوهم رجمًا بالحجار . على ان الاهالي المسلمين لو عرفوا ان اللصوص ابناء دينهم سيعاملونهم مثل تلك المعاملة الفظيعة لفتكوا باغلبهم في الازقة الضيقة ولكنهم أمسوا يعضون اصابعهم دون جدوى.

ثم ان اللصوص ذهبوا بالغنائم الى خارج المدينة وظلوا الليل كله هناك وغلب على ظن الاهالي انهم سيعودون في الغد (٥٦٠) الى النهب ثانية . غير انهم نقلوا ما نقلوا وانقلبوا لئلا عائدين ولم يبق منهم احدٌ قطعًا .

وفي ٢٨ نيسان ١٥٩٩ لليونان (١٢٨٨ م) ثارت فتنة بين الاكراد والمغول المجاورين فحقد المغول عليهم ولاذ الاكراد بالفرار وظل منهم ستة اختفوا في طريق الموصل . واتفق ان اثني عشر شابًا من قرية خوريدة (قرقوش) مروا من هناك فثار عليهم اولئك الاوغاد وذبحوهم ذبح الخراف دون رحمة في ضحى النهار والشمس في قبة السماء . وبعد ساعة اقبل بعض المواصلة وشاهدوا اولئك الشبان المظلومين مضرجين بدمائهم وكان احدهم على آخر رمق فحملوه الى القرية وهو الذي اخبرهم بما جرى وذكر لهم اسماء القتلة الكفار . وما عتم ان قضى نحبه وهو كذلك بعد ثلاثة ايام .

امَّا ارغون بن اباقا فبعدما استقرت له المملكة أحسن الى بوغا الذي أنقذه

من احمد كما ذكرنا سابقاً . وقد عظم امره وارتفعت منزلته جداً حتى ان ابناء الملوك والملكات والمراتب والقوّاد كانوا يختلفون اليه ويقفون على باب داره يطلبون ارزاقهم ومعايشهم. واصبح الملوك والامراء في كل بلاد التتر يأتمرون بأمره ويحملون رايته الحمراء . وهذا بوغا اقام اخاه آروق إماماً مطلقاً في بلاد بغداد واذربيجان وما بين الهندين وكان يهابه جميع العسكر المغولي وسائر الملوك والسلاطين والكتّاب في الاقطار كلها . وقد تولى هذان الاخوان سياسة الدولة المغولية ستّ سنوات واحرزا شرفاً وسيماً (٥٦١) يفوق الوصف .

غير انهما أغمضا عن مراجعة ارغون ملك الملوك وجعلا يحشدان الاموال والخيل والذهب والفضة والامتعة.واضطر الملك ان يقيم لخدمته امراء يركبون معه اينما ذهب ويواكلونه ويشاربونه ويطلعونه على ما يحدث في المعسكر وفي البلاد القاصية والقريبة.وذكروا له من الجملة ان بوغا لا يزال يتفاخر ويتباهى ويستنقصهم ويتدين في الامور مستبداً كيفما شاء . وهكذا جعلوا يناقضونه ويعارضونه لدى ملك الملوك في كل ما يأمر به او ينهي عنه .

ثم ان ثلاثة من اعيان بغداد قصدوا المعسكر الملكي وطفقوا يتظلمون من آروق ويصرحون بأنه لا يزال يتعدى ويظلم ويجمع لنفسه ما يجمع من الاموال . عند ذلك أمر الملك ان يُحتفظ باولئك الثلاثة مكرّمين ريثما يصل آروق الى المعسكر . اما بوغا فبعث وقبض على ثلاثتهم وقلع هامهم دون فحص او سؤال ودون اذن القضاة . فاستفظعت الدولة هذا العمل وأتيح لخصوم الاخوين ان يسترسلوا في مناهضتهما حتى أصبح كلامهم مقبولاً ومصدقاً لدى الجميع .

اما ابناء الملوك فقد شق عليهم قتل اولئك الاعيان الثلاثة وسخطوا جداً. الّا ان بوغا استمالهم اليه بالرشوة وانصرف . وما مر القليل حتى نهض سعد الدولة اليهودي وهو حكيم حاكم بغداد وقصد الامراء في المعسكر وقال لهم : اذا صرفتم آروق عن الرجوع الى بغداد فاني اتعهد بكل ما يلزم العسكر حولاً فحولاً . وللحال صدر الامر بعزله (٥٦٢) وتولية اليهودي مكانه . واصبح عرش آل العباس وحكمهم في قبضة ذلك اليهودي.هكذا ذلّت الامة العربية بسبب سوء تصرفها وعتوّها المتواتر .

وتتابعت الشكاوى على آروق منذ إذ وسار من الجملة عبد المومين الفقيه الفارسي الى المعسكر وقرر ان آروق وامراءه وحكامه وكتابه قد اخربوا جميع المدن والبلاد التي بولايته . فاذا قوّاه امراء التتر وساعدوه فهو يحصّل لهم مائة ربوة من الدنانير الذهبية . فاستصوبوا حديثه ووافقوه في مأربــه الخبيث واستمهلوه حيناً .

اما بوغا فلمّا شعر بان الشكاوى عليه وعلى اخيه قد احرزت القبول والرضى خامره الشك وعاد ادراجه وتمارض ولزم بيته. وكان اذا زاره الامراء في مرضه هذا يتأوّه ويتأسف امامهم على ما اصطنعه عند ارغون اذ انقذه من احمد ولم يكافه مكافاةً حسنةً . ثم جعل يفتكر في الايقاع به . وكشف سره هذا لبعض الاقطاب الذين وافقوه علماً منهم بانه رجل محنك وقد توصّل بدهائه الى تعزيز ارغون وخذل احمد وفشله . اما ارغون وقد عرف ذلك معرفة تامة فجعل يتوقى بوغا ويحسب له الف حساب . غير ان الامراء الملازمين له اطّلعوا على فكرة بوغا السيئة وعرف بوغا ان مكره قد افتضح . فحصل في خوف شديد وحار في امره واستعجل فامتطى حصانه وانهزم يريــد معسكر الخاتون الجي الكبيرة كي يستغيث بها . ولمّا سمع ارغون وامراؤه ركبوا هم كذلك وتتبعوه حتى ادركوه وقبضوا عليه واستنسروه فأقرّ بالدسيسة الا انه قرّر بانه لم ينو ايقاع الاذى بذلك الملوك بل (٥٦٣) بالامراء الذين ما برحوا يعادونه ويتهمونه ويستحقرونه . غير انهم لم يسمعوا له بل انقضوا عليه وقطعوه ارباً ارباً وتمّ ذلك يوم الجمعة ١٤ كانون الثاني ١٦٠٠ لليونان (١٢٨٩ م) ونهبوا بيوته وامواله ونقوده واجهزوا على اولاده وعلى كتّبة اسراره .

وقُتل في اليوم ذاته القسيس شمعون الطبيب وابو الكرم الفقيه النصرانيّ الاربيليّ وغيرهما من المغول الذين لم نعرفهم . وبعد هذا غادر بيشيش البطل الشجاع المعسكر الملكي وانطلق في ايام يسيرة من موغــان الى آمد وحشد جيوش المغول وانقلب الى الموصل يريد آروق . وكان هذا يتمشى في الضواحي يأكل ويشرب في ايام عيد المغول المعروف بعيد البياض وهو يجهل ما حدث لاخيه بوغا واهله . وما ان شاهد الجنود محيطين به حتى حار في امره وركب حصانه واخذ امرأته واولاده ولاذ بقلعة الكشاف الصغيرة الى ان أصبح الصباح .

وعند ذلك ارسل بيتميش يقول له : لا يجمل بك ان تعصى . فاجابه آروق اني لم اقصد هذه القلعة قصد العاصي المتمرّد ولكني لم اعرف ماذا حلّ ولايّ سبب احتشد هولاء العسكر هنا فأخبروني لاكون على بصيرة . فدنا بيتميش من باب القلعة وقال له : ان بوغا اخاك قد خان الملك وصدر الامر بقتله واقبلنا لنقبض عليك ونذهب بك الى خدمته ولسنا ندري هل يقتلك ام لا فهو يعرف . عند ذلك فتح آروق باب القلعة وانحدر هو واهله وقال : أمر الملك على الراس والعين. فاوثقوه بالقيود وارسلوه محفوظاً الى المعسكر وصدر الامر بقتله هناك . وتمّ القبض عليه يوم الاثنين من صوم نينوى سلخ كانون الثاني (٥٦٤) من تلك السنة . وجرى قتله بعد اسبوع .

اما الفقيه الفارسي الذي افترى على آروق وقرّر ان يُحصّل مائة ربوة من الدنانير يجمعها من الملوك والكتّاب والحكّام كما سبق القول فقد تولى الامير بيتميش أمر محاسبتهم وانزال العقوبة دون شفقة بمن يستحقها منهم .

اما مسعود بن قوطي واخوته وانسباؤه فلم يكونوا يراجعون في المعسكر الملكي الا بوغا وحده لا يكترثون لسائر الامراء ولا يتنزلون ليحيّوهم بالسلام. معتقدين ان اوامر بوغا تعلو على اوامر جميع الامراء . ولذا تشبثوا بطاعته دون غيره . وهذا ما حمل الجميع على ان يبغضوهم ويلوموهم . وطالما نصح لهم اولئك الامراء كي يزدروا الطاعة والخضوع والانقياد للامراء الملازمين للملك ولا يتشبثوا بطاعة الواحد ويخالفوا البقية . اذ يتفق ان ذلك الامير الواحد الذين يثقون به تعرض له محنة ولا يسعه من ثم ان يساعدهم .

بيد ان مسعود بن قوطي غير الناضج بعقله وغير الرزين باعماله جعل يقول متفاخراً : اني لست ابغي ان اعيش دون بوغا فاذا مات بوغا فضلتُ الموت على الحياة بعده . وقد صح ذلك لانه يوم القبض على آروق اقاموا حراساً يحرسون مسعوداً ريثما وصل عبد المومين الفقيه الفارسي . واذ ذاك ثار الاضطهاد والغضب على النصارى المظلومين وجعلوا ينكلون دون شفقة بهم ولا سيما بتاج الدين بن المختص (٥٦٥) صاحب اربيل . فقد اوثقوا رجليه ورفعوه نحو ذراع عن الارض ونشموا يصفعونه حتى خارت قواه ثم انزلوه وجعلوا يصفعون صدره وظهره حتى أمسى على آخر رمق . ثم احضروا ناراً في طستٍ ووضعوه على

صدره . وانزلوا به اعذبة فادحة حتى استنفذوا منه نحو خمسين الف دينار. وقد ألقى بذاته غير مرة في دجلة لعله يفارق الحياة وينجو من الاعذبة والضربات . اما مسعود المذكور فلم يصفروه بسبب مرضه ولخوفهم ان يقضي ويضيع ماله معه . فجعلوا يعدونه مواعيد فارغة مصرحين بانه اذا دفع لهم عشر ربوات من الذهب أبقوه مكرماً معززاً . فغلب على ظنه انهم لن يؤذوه كرمانًا له. ولهذا ظلّ يتباخل ويحادثهم بكلمات فظة. فجعلوا يضربونه تارة وطوراً يهددونه حتى استحصلوا منه ما طلبوا ثم مضوا به الى اربيل وقتلوه يوم الاثنين من اسبوع الآلام رابع نيسان من تلك السنة . واعتقلوا ابنه . وانهزم الى قرية بيت سحرايا اخوه شهاب الدين ولم يدركوه . وبسببه قتل دبيس احد اهالي تلك القرية وقد سألوه عنه فانكر وقال اني لم اشاهده . فقبضوا على فتى اقرّ بذلك وأطلعهم على مكانه . فساقوا دوبيس المنكود الحظ الى الموصل واجهزوا عليه ورجمه الاهالي بالحجار .

وبعد ما قتل دبيس ضج المواصلة على صبيّ نصرانيّ وادّعوا انه فاجر يرتكب الفحشاء مع النساء المسلمات فبطشوا به وجرّوه في شوارع المدينة وكوّموا عليه الحطب واحرقوه واخذوا راسه (٥٦٦) وطافوا به على ابواب الكنائس وهم يسخرون بالمسيحيين. على ان ما احتمله المواصلة في هذين الشهرين من العذاب والاضطهاد لا يتيسر للسان ان يعبر عنه ولا للقلم ان يصفه . ألا ايها الرب العادل استيقظ وانظر دماء عبيدك تهراق دون رحمة وارث لحال كنيستك ورعيتك التي ينبشها المضطهدون !

على انه يوم قتل يوغا وزحف بيتميش الى بلاد الغرب وتوجه المغولي ليأخذوا آزوق اضطرب اهالي سورية وشملهم الخوف والهلع ظانين ان المغول مزمعون الزحف اليهم . فاستجمعوا قواهم وحشدوا جيوشاً ضخمة واستعدّوا للمبارزة . ولما استيقنوا ان المغول منهمكون في شؤون دولتهم لا يفتكرون في غيرهم عوّلوا على الزحف الى طرابلس بساحل البحر المتوسط وحاصروها حصاراً شديداً. فارسل الاهالي يستنجدون بانسبائهم الفرنج في جزيرة قبرس فاقبل منهم في السفن عددٌ قليل. وما ان وصلوا حتى تشجع الطرابلسيون ووقفوا على الاسوار وحاربوا الخوارج حرباً عنيفة استغرقت زهاء ثلاثة اشهر. غير ان الخوارج تقوّوا

وخرقوا السور بالمنجنيقات فانهزم اغلب المسيحيين إلى السفن وعادوا الى قبرس .

وبعد هذا دخل العرب المدينة واستلوا السيوف واشتبكوا ببقية الاهالي وحدثت معركة هائلة باد فيها الكثيرون من الطرفين . ثم سخط العرب كل السخط وقوّضوا المدينة المنكودة الحظ ولم يدعوا برجاً او كنيسة الا اخربوها واحتووا على اموال طائلة تفوق حد الكثرة واعتقلوا من البنين والبنات جمهوراً غفيراً وبطشوا بكهنة وشمامسة ورهبان وراهبات لا يحصى عددهم وتركوا المدينة خاوية وانقلبوا . وتمّ ذلك في نصف نيسان (٥٦٧) من السنة ١٦٠٠ لليونان (١٢٨٩ م) .

وفي هذه السنة عينها احتشد زهاء الفي فارس من لصوص سورية وزحفوا الى نواحي سنجار وباعربايا لا يغزون ولا يسلبون حتى شارفوا قرية فيشابور على ساحل دجلة وباتوا هناك . ثم استيقظوا ليلاً وعبروا النهر وتوجهوا نحو واسطو قرية الناطرة الكبرى وانقضوا عليها فجر الاحد ١٤ آب . وغلب على ظن الاهالي ان اللصوص قليلون فخرجوا ليناوشوهم . غير انهم لما شاهدوا كثرتهم عادوا الى القرية ولاذ بعضهم بالكنيسة فنجوا وتشتت البعض الآخر في البساتين والكروم . اما اللصوص الخبثاء فقد احتلوا القرية وانتشروا في القرى السبع المجاورة وعاثوا فيها باجمعها واجهزوا على اكثر من خمسمائة نسمة واعتقلوا زهاء الف من النساء والبنين والبنات واستحوذوا على الشيء الكثير من الاموال والغنم والبقر وانقلبوا عائدين في ذات الطريق التي قدموا منها وساروا هادئين مسرورين حتى بلغوا نهر الخابور وعليه جسر ضيق فمكثوا مدة بسبب كثرة الغنائم والاسرى الخاثري القوى . وبلغ امير المغول في الموصل خبرهم فبادر في عساكره اليهم وشاهدوا اغلبهم قد عبروا الجسر في الغنائم. فاجهزوا على البقية الباقية واستردوا نحو ثلاثمائة من النساء والبنين والبنات وعادوا فردوهم الى اصحابهم وذويهم .

وفي هذا الصيف عينه زحف نحو الفي راكبٍ من سورية الى بلاد ملطية والحصن فسمع القائد كربندا وحشد جيوشه وسار الى مناوشتهم فانكسر وهلك من اصحابه جمهور غفير واعتقل بعض اصدقائه وانسبائه (٥٦٨) وابناء اخوته . وأفلت هو واربعون من رجاله وتوجهوا الى الدار الجديدة التي ابتناها في بلد الحصن الذي يقال له بالارمنية حسنونا . واذ كانوا جالسين مغمومين

مهمومين يفتكرون في انقاذ الاسرى خطر ببالهم ان تلك الحركة انما حدثت بسبب النصارى فيجب ان يؤخذ منهم مقدار من المال يفتدون به أسراهم . وجعلوا يفرضون على كل مدينة وبلدة كمية من الذهب قدر امكانها . غير ان العدل الالهي لم يحتمل ما اعتزموه فأهبط عليهم فورًا تلك الدار الجديدة واهلكهم قاطبةً . ولم ينجُ الا حارس الباب لا غير اذ سقط الجسر على جنبه ودفعه خارجاً فظل حياً يرزق .

وفي افتتاح السنة ١٦٠١ لليونان (١٢٩٠ م) وجه آلا الميش صاحب ميافرقين عدو النصارى فقتل غيلةً صاحب موش الرجل المسيحي الارمني ونكّل برهبان دير مار توما . فنهض احد اولئك الرهبان مستبسلاً وقصد المعسكر التتري وشكا آلا الميش المذكور. واتصل بملك الملوك نفسه وحادثه بدالّة تامّة واصغى الى حديثه . وفيما كان راكباً مجتازًا يوماً بجسر نهر كورر قبض الراهب على لجام فرسه وأقسم انه لن يتركه ما لم يأمر باهلاك آلا الميش . فأمر الملك ان يُقتَل للحال .

وفي تلك الايام قبض فرج الله الفقيه والكاتب القبطي الجليل في الموصل ففضح خيانة عبد المومن الفقيه الفارسي المذكور آنفاً مصرحاً بانه قد قتل مسعود بن قوطي ظلماً ونكّل بالنصارى كثيرًا وحشد لنفسه اموالاً وافرة . فأمر ملك الملوك ان يبحثوا عن ذلك ولما ثبتت خيانته أصدر الامر بقتله وانتقم منه العدل الالهي سريعاً. واطّلع ملك الملوك مذ ذاك (٣٦٩) على مكر العرب وقحتهم وعلى تصرفهم بالخداع والرياء في معاملاتهم . وسمى سعد الدولة اليهودي والي بغداد رئيساً للكتّاب اعني صاحب الديوان في كل اصقاع المملكة . ونهى نهياً مطلقاً عن اقامة كاتب مسلم . فتتاخم لذلك بغض العرب وشرهم . وما ان تولى ذلك اليهودي حساب الدولة حتى وجه اخاه الى بغداد ليقوم بمهامه ووجه اخاه الثاني مع تاج الدين بن المختص بمثابة قائد عام في الموصل وماردين وديار بكر جمعا . فخاف منهم مبادر بك الامير الكردي المتولي في اربيل وظن انهم سيسيئون اليه وتوجه حالاً الى المعسكر معتقداً انه اذا احتظى لدى ملك الملوك يزول عنه كل خطر . غير انه لما سار اليه وجه اولئك الامراء الشكاوي عليه ونوى الملك ان يفتك به ولكنه علله ساعةً وبعث سفيرًا تحت السر يسعى

للقبض اولاً على اولاده واهله وعشيرته كي يستأصلهم كافة ثم يقضي عليه بالموت كذلك .

بيد ان امرأة اطلعت على السر وقصدت مباذر بك الكردي لئلا واخبرته بذلك فنهض للحال دون مانع وركب هو وخادمه وفرّا من المعسكر كالعصفور من الفخ واستعجلا في السفر حتى سبقا ذلك السفير ووصل مباذر الى بيته ورحّل اهله وامواله ولاذ بجبالٍ عاصيةٍ لا تقهر. ولما وصل السفير اخذه الذهول والعجب مما جرى . اما ملك الملوك فقد احتدم سخطاً (٥٧٠) لا لفرار الكردي من بين يديه بل خصوصاً ليطّلع على الذي نقل اليه الخبر من المعسكر . فارسل الجنود ليحاصروا جبال الاكراد ويغلقوا الطرق دونهم . وكان الثلج قد تراكم فيها فلم يتمكنوا من الاعداء. وانقلبوا عائدين الى السهل حيث كان يقيم الاكراد الفلاحون المساكين المؤدون الضرائب . فسبوا وقتلوا ونهبوا واحرقوا بيوتهم وذخائرهم . وألحقوا الاضرار خصوصاً بالنصارى المساكين الجبليين المعروفين باسم قياخية اعني قاطني الكهوف . فقد قتلوا الرجال منهم دون شفقة واستأسروا النساء والبنين والبنات وانتهبوا من ذخيرتهم ما امكنهم حمله واحرقوا ما تبقى. ذلك ما حل العرب على بغض النصارى كافة مدعين بانه لولا هولاء الجليون لما اساء المغول الى الاكراد قطعاً . وغير خافٍ ان اغلب المغول في زماننا قد دانوا بالاسلام واصبحوا يدافعون عنهم اللهمَّ الا اذا اضطرّهم الزعماء ان يقاتلوهم ويبطشوا بهم .

ولما اقبل الصيف وارتحل المغول من بلاد الموصل واربيل انحدر الاكراد من قمم الجبال واحتشدوا الوفاً وربوات واقبلوا الى السهل فانهزم الاهالي ولاذوا بالمدن والقلاع. وقصد جميع اهالي اربيل القلعة فحاصرهم الاكراد ولكن العناية الالهية اطفأت نيران سخطهم وخيّبت آمالهم فكانوا كلما هجموا ليناوشوهم خسروا سبعة او ثمانية من رجالهم . وظلوا كذلك مدة ١٧ يوماً .

واتفق اذ ذاك ان مائتي رجل من الفرنج (٥٧١) ركبوا نهر دجلة وبلغوا الموصل تلبيةً لطلب ارغون ملك الملوك قاصدين الذهاب الى بغداد ليهيئوا المراكب وينحدروا الى البصرة ومنها الى بحر النيل ليقاتلوا المصريين. وسار زهاء سبعمائة منهم في البر واقاموا في بغداد كل الشتاء. ربما اكتمل غرضهم . وقد جرى

لهم هناك حادث يستحق الاعتبار سنورده فيا بعد .

والآن فلنعد الى خبر الاكراد المذكورين سابقاً . فهولاء لما سمعوا ان الفرنج بلغوا الموصل غلب على ظنهم انهم اتما وافوا لمناوشتهم فتركوا القلعة وتفرقوا شذر مذر . ولما نجا الاهالي الذين في القلعة من شرهم قصدوا التوجه الى قرية بيت صيادة ليأتوا باهلها اليهم فينقذوهم من الاكراد . غير انهم لو تركوهم في قريتهم لما اصابهم أذى. هكذا انحدر مائتا رجل من اولئك الجبليين الباخية من القلعة كما قلنا وقصدوا بيت صيادة لا يتوخون من ذلك كله الا الاستفادة منهم .ولما وصلوا اليهم نزلوا عن احصنتهم وقدموها لاولئك الفلاحين وساروا هم امامهم مشياً على الاقدام.وتفرقوا وتشتتوا وأصبحوا بلا قائد يتودهم حتى شارفوا المدينة . وعند ذلك انقضّ عليهم الاكراد الذين كانوا يكمنون لهم وينتظرونهم فقتلوا فريقاً منهم واستأسروا اغلبهم وانتهبوا كل ما صادفوه.

اما لصوص سورية فلما بلغهم ان الاكراد يحاصرون قلعة اربيل غلب على ظنهم انهم بعد ما يحتلونها سينهبون ويقتلون ويستأسرون ويزحفون الى سورية. فاحتشد زهاء الفي رجل واقبلوا ليساعدوهم ولكنهم لم يصادفوهم ولم يتجرأوا ان يهاجموا القلعة لخوفهم من ان يبطش بهم اهلها وهم اشداء اقوياء في الحروب. غير ان مائتي رجل منهم حاولوا ان يجربوا ذفترقوا من اصحابهم ودنوا من (٥٧٢) باب القلعة. فانحدر اليهم اصحابها وناوشوهم وانتزعوا منهم بعض افراسهم وعادوا الى قلعتهم . عندئذ انقلب اولئك اللصوص فارغين خائبين ولم يستفيدوا شيئاً من قدومهم ولا من الاكراد المجاورين.وتم ذلك يوم الثلاثاء ٢٧ حزيران.

وفي تموز تلك السنة سار الى حصن زياد راهب ارمني تقي من الرهبان الذين يطوفون البلاد ويعظون المؤمنين ويحرضونهم على التوبة والفضيلة والاقرار بخطاياهم . واقام هناك شهراً وسُر المسيحيون بمواعظه كل السرور وجعل الفتيان يلازمونه ويجتمعون اليه ليلاً يأكلون ويشربون ويتحدثون باخبار القديسين وجهاد الشهداء . وما ان سمع العرب ذلك حتى حقدوا عليهم وسار فريق منهم ليلة الجمعة واخذوا كلباً ميتاً علقوه على باب المسجد الكبير . ولما اصبحوا وذهبوا ليصلوا وشاهدوا الكلب الميت سخطوا كل السخط وادّعوا قاطبةً بان ذلك الراهب الارمني والذين يجتمعون عنده هم الذين فعلوا هذا الفعل المنكر. فامتشقوا

السيوف وقصدوا الراهب المظلوم وبعض اهالي المدينة الذين عثروا عليهم وذهبوا بهم الى دير الباعوث وخاضوا قلالي الرهبان ونهبوا كل ما فيها واجهزوا على الراهب المسكين وعلى اثنين او ثلاثة من الاهالي وانقلبوا الى المدينة. وقصدوا بعض بيوت المؤمنين المسيحيين ونهبوا كل ما فيها وصفعوا الكثيرين من الكرام الاجلاء صفعات مزلة . وامست المدينة شهراً كاملاً كَسَدَ فيها الاخذ والعطاء والبيع والشراء .

وفي تلك الغضون قوي أمر فرج الله الفقيه القبطي الذي فضح خيانة الفقيه الفارسي كما ذكرنا وطفق يتباهى ويتفاخر لكونه نجح في تلك القضية (٥٧٣) وقصد معسكر التتر ولفّق الدعوى على تاج الدين بن المختص وذكر انه قد حشد اربعين ربوة من الذهب لنفسه . وما ان سمع اليهودي صاحب الديوان حتى تجبّر وتكبّر وقال: ان ثبتت الدعوى على تاج الدين فلا بد من ان تثبت كذلك على اخيه الذي فاقه في الاستبداد وفي الاخذ والعطاء. ومن ثم جعل يلّق فرج الله القبطي ويقول : ان هذه الدعوى لا تضر تاج الدين فحسب بل تضر اخاه اكثر منه . غير ان فرج الله التاعس الشقي لما عرف انه يتعذر عليه مناهضة اليهودي ومقاومته وأنه اذا عدل عن الدعوى حكم عليه امراء المعسكر وقتلوه استند الى مشورة بعضهم فكتب بخط يده مصرّحاً بان ما قاله انما قاله في حالة السكر وان ذينك الشخصين اعني تاج الدين وصاحبه لم يتعديا على احد ودفع الورقة الى صاحب الديوان . وهذا بدوره التقفها ومضى بها الى ملك الملوك وقال له : ما رأيك في رجل حدثك أمس حديثاً انكره اليوم بخط يده ؟ فقال الملك : انه يستوجب الموت بلا ريب . وهكذا قُتل فرج الله حالاً .

ثم ان اليهودي صاحب الديوان ذكر لملك الملوك ان لفرج الله في الموصل رجلين اخبث منه . فامر الملك كذلك ان يُقتَلا وارسل الى الموصل بدلاً منهما المؤيد بن المؤيد الكاتب وامين الدين بن المحتسب الاربيلي .

وبعد ايام وجه التتر من المعسكر الى سعود الامير متى الشجاع عمود المسيحيين بالموصل كي يجبي من اهاليها الجزيه كمألوف عادة المغول . غير ان السعوديين (٥٧٤) خصوم المسيحيين استفظعوا تسليط رجل مسيحي عليهم فاستلوا السيوف والخناجر واغاروا عليه في الدار التي كان مقيماً بها وبطشوا به يوم

الاثنين ٣١ تموز من تلك السنة . فسارع اولاد متى المنكرود الحظ الى المعسكر وعرضوا على ملك الملوك ما جرى فأصدر الامر بقتل القاتلين واستصفاء عشر ربوات ذهباً من المسرديين . وما ان وصل الوفود الى المدينة حتى جهزوا على سبعة او ثمانية من وجهائها . ونفذوا ما امر به ملك الملوك .

وفي افتتاح السنة ١٦٠٣ لليونان (١٢٩٢ م) رُفعت الدعوى على رجل كردي يقال له سجال الدين الازخي من بلد جزيرة فردو والحق امره لدى البطل بيتيش فقتل ببلد الموصل هو وواحد ابنائه .

وفي تلك الايام توجه بعض الاسمعيليين بزي التجار الى الموصل يحاولون الوثوب الى امرائها وزعمائها والبطش بهم كي لا يتولى فيها بعد نصرانيّ او يهوديّ في بلد من البلدان واذا تولوا فلا بد من قتلهم سرًّا بالحيلة . ولما بلغوا الموصل ونزلوا في احد الفنادق كعادة التجار جعلوا يتخاصمون معاً ويتماحكون . فارتاب في امرهم بعض من سمعهم وسارعوا فأخبروا الامراء فبادروا اليهم وقبضوا عليهم وجعلوا يضربونهم فما كان من شيخهم الا ان قال لهم : لا حاجة الى الضرب فنحن ثلاثة رجال اتا جئنا لنقتلكم وقد ذهب ثلاثة آخرون منّا الى بغداد ليقتلوا اليهودي الذي هناك وثلاثة توجهوا الى المعسكر ليفتكوا بصاحب الديوان. وللحال أجهزوا على الثلاثة شنقاً وارسلوا الى بغداد من قبض على الثلاثة الآخرين وبطش بهم . اما الذين ساروا الى المعسكر فقد ادركوا غايتهم دون عناء وتعب . فيا لغرابة الطبع البشريّ فانه اذا ضلّ في أمر من الامور واكرم الدني، ورفعه فلا بد من انه بعد زمن وجيز (٥٧٥) يفتضح امره فيندم على غلطه ولات ساعة ندم !

على انه مذ ظهر العرب حتى اليوم لم يترقّ يهوديٌّ واحدٌ في بلادهم فكلهم اما دباغون او صبّاغون او سكّافون . واذا كان بينهم طبيبٌ او كاتب فانما يقيم في اماكن لا يرضى الاقامة فيها غيره . على ان المغول لما استولوا على بلاد العرب لم يخصّوا بالاكرام من يستحق الاكرام بل لم يولوا المدن التي احتلّوها من تسلسل من الاسر الملكية . اذ لا فرق عندهم بين العبد والحرّ والمؤمن والكافر والمسيحيّ واليهوديّ فهم يسوسونهم بصولجان واحد . واذا اختلف اليهم احدٌ وقدّم لهم شيئاً من المال التقفوه منه وعزّزوه ولبوا طلبه مهما كان .

سواء أكان متضلعاً خبيراً ام جاهلاً غبياً . انما يطلبون خدمة متواصلة وخضوعاً وانقياداً تماً وكفى .

فهذا اليهوديّ المذكور قد ارتقى في عهد ارغون ملك الملوك اعظم الرتب وأصبحت الشؤون السياسية بيده وحده . فتغاضى عن مراجعة اقطاب العسكر ونهاهم عن الاخذ والعطاء وجعل يستحقر الامراء الاوّلين والنوّاب جميعاً . لا يتجرأ احد منهم ان يقصد باب البلاط في شأن من الشؤون المفيدة او الضارّة اللهمّ الا اذا كان يهودياً . ولهذا السبب تقاطر اليه جماهير اليهود من مختلف الاقطار وجعلوا ينادون ويهتفون بحياته وهم يقولون : انه لقد رفع شأننا واقام لنا قرن خلاص ورجاء ومجد. وبينا هم على ذلك من التفاخر والتباهي اذ (٥٧٦) شعر الملك ارغون بداء الفالج وتقلب في مرضه هذا زهاء شهر . وكان ذلك اليهودي يفرغ كل الجهد في معالجته . اما الامراء واقطاب العسكر الذين كان يستحقرهم فقد قطعوا الرجاء من بقاء ملك الملوك في قيد الحياة معتقدين ان ذلك اليهودي هو الذي عجّل موته بسبب سوء تصرفه وراحوا يزأرون كالاسود حتى قضى الملك نحبه يوم الاربعاء سلخ كانون الثاني ١٢٩١ لليونان (١٢٨٠ م) .

وما عتم ان سخط الله تعالى على اليهود في كل الامصار فقد بطش التتر اولاً بسعد الدولة صاحب الديوان اليهودي المذكور . ثم وجهوا وفوداً الى بلاد المغول كلها فقبضوا على اخوته وانسبائه وأوثقوهم بالقيود ونهبوا اشياءهم واخذوا ابناءهم وبناتهم وخدامهم وجواريهم وكل اموالهم . وبعد ان قتل منهم من قُتل عادوا الى حالتهم السابقة. فالذي كان في الامس يحل ويربط ويرفل بالحلل الملكية أمسى اليوم مترديّاً مسحاً خلقاً ويداه موسّختين اعني امسى صباغاً لا كاتباً ومستطياً لا آمراً ومسلطاً . ويقصر اللسان عن ذكر كل ما حدث لهم من الاسواء. ففي بغداد على اثر قتل اليهودي المذكور ثار العرب عليهم وتسلحوا وقصدوا محلتهم الملاصقة لمحلة المسلمين وحاولوا الدخول اليها للنهب والسلب . فناهضهم اليهود مناهضة قوية وقتل من الفريقين من قُتل وانتهت المعركة .

وذكروا ان اليهودي المذكور لما عظم شأنه وعلا كعبه ارسل فابتنى له بلاطاً في تبريز واخفى فيه خوابي كثيرة مملوءة ذهباً وفضةً اطّلع عليها التتر عندما اخذوا ينكلون باهله وأنسبائه . وقد استغرق حكمه (٥٧٧) زهاء

سنتين لا غير ثم قُتل واضمحل ذكره وأمسى اليهود بسببه منبوذين مرذولين في الدنيا كلها .

بعد ارغون بن اباقا اخوه كيخاتو الذي دُعي ارتاجين تورجي

لما جلس ارغون على عرش الدولة التترية سار اخوه كيخاتو في ربوة من الجنود ليحافظ على البلاد المجاورة لبلد الروم وظلّ مقيماً هناك مدّة حياة اخيه فاستطاب البلاد ولم يرَ ان يغادرها حتى توفي ارغون واجتمع اولاد الملوك قاطبة وقدّروا ان يخلفه في العرش الملكي على كرهٍ منه لانه كان في ولايته راتعاً في بحابح الطمأنينة والسلام يأكل ويشرب ويتقلب في الملذات الدنيا . ولا سيما لانه شاهد الملكين اللذين سبقاه توفيا في شرخ الشباب ولم يشبعا من هذه الحياة . ذلك ما حمله على التخلي عن عرش المملكة والاكتفاء بالبلاد التي كان يتولاها . وبعد هذا عاهد التتر وعلى اولاد الملوك والاقطاب بانه في السنة القابلة يعود فيستوي على التخت ، ثم تركهم وعاد الى بلاد الروم فشاهد التركمان الاوغيين المنتسبين الى قرامان يتعدون على المغول سبياً ونهباً فحشد جنوده وزحف الى قمة طنكرلو الشهيرة واحتلها بالسيف وأجهز على خلق كثير وبطش بسائر الاوعيين المنهزمين الى القرى بطشاً تاماً .

على انه لما كان اخوه ارغون (٥٧٨) في قيد الحياة كان وفود الفرنج يتقاطرون اليه قادمين من قبل البابا الروماني والملوك الفرنج ليتفقوا معاً ويزحفوا الى محاربة المصريين الذين حنوا ورفسوا وجعلوا يضطهدون النصارى . وقد وجه ارغون كذلك الى الحبر الروماني بمثابة سفير الربان صوما الراهب الايغوري الذي قدم مع الجاثليق مار يهب الآها من بلاد التتر[1] الى زيارته . ولما وصل الربان الى رومية قرّر مع البابا ان يزحف التتر والفرنج معاً لمناوشة العرب . غير ان ذلك الاتفاق لم يتم .

امّا كيخاتو فلما سار من بلد الروم الى جبال ارمينية الكبرى اجتمع ابناء الملوك ثنيةً واقطاب المغول وأجلسوه على سرير المملكة في ٢٩ حزيران

١) نشر الاب بولس بيجان اللعازري تلك الرحلة عام ١٨٨٨ ونشرناها نحن كذلك في كتابنا « الحروب الصليبية في الاثار السريانية » صفحة ٢٣٣ = ٢٠٢

١٦٠٣ لليونان (١٢٩٢ م) . ولما سمع المصريون نبأ وفاة الملك ارغون حشدوا ربوات من الجنود واقبلوا الى عكّة مدينة الفرنج الكبرى الشهيرة على ساحل البحر المتوسط وحاصروها حصارًا شديدًا مدة شهرين . ولم يشأ الفرنج بسبب عنفهم وكبريائهم ان يغلقوا تجاههم ابواب المدينة ليل نهار لكنهم جعلوا يخرجون اليهم بيسالة راكبين ويحصدونهم حصاد المنجل للقمح . وبلغ عدد القتلى العرب فيما قيل عشرين الف نسمة . وظل الفرنج يحرسون المدينة حتى اصيب الكونت قائدهم بسهم أودى بحياته وعند ذلك ارتخت عزائمهم وتقوّى المصريون فاقاموا زهاء ثلاثمائة منجنيق على السور الذي في البرّ وجعلوا تحت كل برج زهاء الفٍ من الكمناء ينقبون الارض وقوضوا برجاً او برجين .

واخذ الاخوة الدواوية وسائر الزعماء يدخلون الدور الحصينة ويحاربون العدوّ . ولما احتل العرب (٤٧٩) تلك المدينة التاعسة طفقوا يلاطفون من في الدور لينصرفوا دون اذى وينحدروا الى البحر ويذهبوا هم ونساؤهم وبنوهم وبناتهم ويتركوا جميع اثاثهم واموالهم . غير انهم ما كادوا يفتحون الابواب ويدخلون حتى ابصروا فتياناً وفتياتٍ كالاقمار فتصدوا لهم . عند ذلك ثار ثائر الفرنج واستلوا سيوفهم ووثبوا الى العرب فالتحمت المعارك بين الفريقين وقتل من الجانبين جماهير غفيرة تفوق حد الكثرة . وهكذا قوّضوا تلك المدينة الجميلة الحصينة ولم يدعوا للفرنج في ساحل البحر موضعاً يسندون اليه رأسهم . وتمّ ذلك في نيسان السنة ١٦٠٣ لليونان (١٢٩٢م) .

وبعد هذا احتشد المصريون كذلك وزحفوا في جيوش ضخمة الى قلعة الروم التي على شاطئ الفرات واحتلوها في مدّة عشرين يوماً وقتلوا وسبوا ونهبوا واستأسروا جماهير وافرة من البنين والبنات . ثم قبضوا على الجاثليق الارمني وعلى جميع رهبانه وذهبوا به الى اورشليم مكرّماً يوم السبت ٢٨ حزيران من السنة المذكورة وما زال مقيماً هناك . وروى بعضهم انهم صلبوه وارتقوا الذين معه واستاقوهم الى مصر . غير اننا لم نثبت الامر بعد . والصحيح ان الجاثليق قضى نحبه في سجن دمشق . ولما اطلع الارمن على ذلك اصطفوا رجلًا موافقاً ورقوه الى الرتبة الجاثليقية وجعلوا سيس مركزًا له .

اما كيخاتو فلما استتب له الملك انصرف الى اللهو والنهم والخلاعة لا

يعنيه امر المملكة وجعل يستدعي ابناء الاعيان وبناتهم ويسافحهم دون حياء وخجل. وافضى الامر بفريق من العفيفات الشريفات النبيلات الى الهرب منه. وجعل فريق منهن (٥٨٠) ينقلن بنيهنّ وبناتهنّ الى اماكن بعيدة تملصاً من شره ونهمه. وظلّ ينغمس في تلك القبائح زهاء اربع سنوات حتى سقط من عيون ارباب الدولة وأبغضوه بغضاً شديداً.

وفي تموز السنة ١٦٠٥ لليونان (١٢٩٤م) حضر عنده الامير بيدو احد ابناء عمه وكان له ابن جميل الطلعة. وجلسا يوماً يشربان ويأكلان ويمزحان واتفق ان كيخاتو شتم بيدو فبادله بيدو بالشتم وسمّاه ابن زانية. فاحتدم كيخاتو سخطاً وصاح الذين حوله وأمرهم ان يجرّوه خارج المعسكر ويضربوه ضرباً مميتاً. ذلك امرٌ لم يخطر البتة ببال بيدو ولم ينتظر ان يعامله كيخاتو مثل تلك المعاملة مهما اذنب. وبعدما ساقوه وصفعوه واحتقروه جداً مضوا به الى خيمة حقيرة وانتووا ان يبطشوا به.

نام بيدو هنيهة في الخيمة ووجه كيخاتو بعض الزعماء ليعاتبوه على ما جرى. فجعل يضحك ويمزح وهو يقول: لا يخطر ببالي ما صار ولست أدري ما تقولون؟ واين هو كيخاتو؟ واتوني بخمرٍ لنشرب. وما الذي حدث يا ترى؟ وكيف وصلتُ الى هذه الخيمة؟ بمثل هذه العبارات ادهش اولئك الزعماء وحيّرهم واقتنع اغلبهم بحقيقة قوله.

وقد انخدع كيخاتو نفسه واغتمّ حالاً وندم على ما اصاب بيدو من الصفع. وجعل يفرغ محلّ الجهد (٥٨١) ليهدئ روعه ويتلافى ظلامته. وبعد هنيهة وجه زعماء آخرين يسألونه: هل يتذكر ما تكلم بهِ حين سكره؟ اما بيدو فانكر ذلك مطلقاً وقرر بانه لم يشعر بضربةٍ ما. واستحلف اولئك الزعماء ليصرحوا له هل ما يقولونه صحيح ام يمزحون معه؟ ولما سردوا حقيقة ما جرى بينهما جعل يتجاهل ويجاهر بقوله لهم: ان محبة كيخاتو لي لا مثيل لها ولولا ذلك لكان حقه ان يفسخني ويقطعني ارباً ارباً. ولما بلغ كيخاتو كلام بيدو هذا اطمأن باله واضمحل قلقه وسار بذاته الى خيمته وعانقه وقبّله وجاء بهِ الى خيمته واحضر ثياباً ملكية وشّحه بها. وتظاهر بيدو بانه مذنب ومسيء ومستوجب للموت. وجعل يتأوّه ويبكي وهو يقول: لست ادري اني اذنبت

واذا كان حدث ما حدث جهلًا مني فارجو ان تلقي لحمي لكلابك ولا تشفق علي.

ازداد كي... حبًا وعطفًا وبالغ في السخاء على بيدو حتى انه في تلك الايام الثلاثة أنفق عليه زهاء اربعين ربوة من ذهب وفضة وحلل مذهبة فاخرة ومناطق مرصعة بالياقوت والحجار الكريمة هذا سوى الخيل والبغال والافراس. على ان آل كيخاتو جعلوا يلومونه ويقولون له : كان الاجدر بك ان تتحاشى احتقار بيدو وان لا تدفعه الى اناس يسحبونه من شعره ويصفعونه ويجرحونه. واذ قد صار ما صار فالهدايا لا تفيده والتملق لا يدنمه. بل يجب ان تحذر كل الحذر منه. وكان فريق آخر يقول له : ان الخليق بك ان تقضي عليه قضاء مبرمًا والا فسيبدو منه ما لا تحمد عاقبته. وقال له بعضهم كذلك : اياك ان تنيط به خدمة من الخدم (٥٨٢) والاحرى ان يبقى طول حياته مأسورًا كي لا يمد يده او يؤذي احدًا البتة.

غير ان كيخاتو لفساد اخلاقه وخبث نياته وانهماكه في قضاء أوطاره تجرأ ان يقول لبيدو اني احب ان يكون ابنك في خدمتي مقيمًا لدي كرفيق وصاحب. فما كان من بيدو الا ان هشّ وبشّ لطلبه وأمر ان يرسل حالًا من يأتي به. فقال له كيخاتو : كلا بل اذهب انت عاجلًا الى آلك قبل ان يعرفوا ما جرى بيننا من المشادّة وعند وصولك اليهم وجه اليّ ابنك. فقال له بيدو على الرأس والعين. ثم غادر المعسكر مغادرة العصفور للفخ وجعل ينظر وراءه وهو مستعجل يقطع في يوم واحد مرحلة اربعة ايام حتى وصل الى بيته مطمئنًا وأرسل ابنه الى كيخاتو وانتقل هو الى جبال همذان كأنه ذاهب الى القنص. ووجه من هناك رسولًا الى قازان بن ارغون يتظلم ويشكو ويقص عليه كلّ ما اصابه.

امّا كيخاتو فلم يشعر بذلك كله بل ظلّ كعادته منهمكًا في قضاء وطره ينفق الاموال الطائلة دون حساب. واتفق لسوء الحظّ ان حضر اليه يومئذ صدر الدين الفارسي رئيس الكتاب اعني صاحب الديوان وذكر له ان خزائن الدولة قد فرغت وانه جعل يستقرض ويصرف ولم يبقَ لديه خروف واحد يهيئه لطعام الملك. عند ذلك تولى امر النفقة رشيد الدولة اليهودي ونهض بمهمته نهوضًا مشكورًا حتى انه اشترى بماله ربوات من الغنم والبقر وأعدّ الطهاة

والطباخين (٥٨٣) على أن يؤدي له صاحب الديوان ما ينفقه. غير ان الخزانة كانت فارغة خالية فاضطر ان يكتب الى البلاد صكوكاً في طلب النفقات ولم يحصل على شيء . اما اليهودي فقد انفق كل ماله وعجز عن مواصلة عمله واضطر ان يلوذ بالفرار . هكذا ظلت الاحوال ضيقة وتعذر على صاحب الديوان ان ينهض بما يحتاج اليه ملك الملوك من المبالغ الطائلة .

عند ذلك افتكر كيخاتو ان يستنبط عملةً جديدة اذ لم يستطع ان يحصل على ذهب وفضة فأصدر امرًا ملكيًا نهى فيه استعمال الذهب والفضة على الاطلاق وانشأ رقعاً من القراطيس ذات علامة حمراء. ودوّن فيها لفظة دينار او دينارين او ثلاثة او اربعة او خمسة حتى العشرة واطلق عليها اسم « شاو » . ونادى المنادون في المدن أن كلّ من يبيع ويشتري ويأخذ ويعطي بسوى الشاو يقتل قتلًا . وكل من بيده فضة لا يذهب بها الى الدار التي يطبع فيها الشاو ويأخذ بدلًا منها شاوًا يقتل قتلًا. هكذا تقلب الناس في ضيق شديد وصعوبة شاقة مدة شهرين كاملين حتى أمست تبريز عاصمة المغول كأنها قفراء اذ انهزم اهاليها وتفرّقوا واختفوا وغدت أغلب اسواقها مغلقة . وحصل فيها غلاء وجوع وضيق شديد جداً . ذلك لان الاهالي لم يروا ان يستعملوا تلك الرقاع الحقيرة وخافوا ان يتعاملوا بالفضة . واحتشد الاهالي عند صاحب الديوان يصخبون ويضجون ويسبونه ويشتمونه اقبح الشتائم ويسمعونه عبارات الاستهزاء والاستحقار (٥٨٤) لا يريدون ان يذعنوا لقوله او يخضعوا لامره حتى اخذه النحول وحار في أمره وخجل ان يعود في كلمته ولم يستطع الى تكميل مرامه سبيلًا .

وراح الشعراء ينظمون ابيات المدح والهجاء في حقه ولم يبقَ مطرب او مغن الا انشأ الاهازيج ونظم الاغاني والزجليات في ذمه والتهكم به . ولما رأى ان الخاص والعام جميعًا يناهضونه أصدر امرًا ملكيًا اطلق فيه الحرية في التعاطي بالشاو او الفضة على حد سوى . واعلن ملك الملوك بقوله : اننا لم نأمر باستعمال الشاو الا ترويجًا لمصالح الاهالي ليعيشوا عيشة هادئة مطمئنة . وقضى كذلك بالغاء الجزية والضريبة. وذكر ان الحاجة الى الاموال اضطرته ان يأمر بطبع الالوف والربوات من القراطيس الى ان قال : والان فلسنا نضطر الاهالي في ذلك بل نطلق لهم الحرية في التعامل كما يشاؤون. عند ذلك

شمل السرور جميع البلاد والمدن وفتحت الطرق والاسواق بعد ما ظلت شهرين كاملين مطلقة لا بيع فيها ولا شرا. ولا أخذ ولا عطاء .

ولما دخلت السنة ١٦٠٦ لليونان (١٢٩٥ م) عاد بيدو ليشتي بيامد دقوقة كعادته وانتوى الخروج على كيخاتو ومناوأته وتآمر سراً مع القواد المغول المجاورين له وحشد الجنود واقبل بذاته الى بلد الموصل وقبض على القائد الذي فيها وبطش به . وارسل فبطش كذلك بالقائد في بغداد . فتخوف سائر الزعماء المغول جرأته وانضموا اليه مسرورين مبتهجين وسيّروا الوفود الى قازان معربين عن موافقتهم له وذكروا: ان كيخاتو قد خالف طريقة المغول واستخف بأبيهم جنكزخان وأتلف خزائن الدولة اذ انفقها في الخلاعة واسرفها في البذخ والشهوات الدنيوية لا يهمه امر الدولة ونجاحها . بناء عليه اجمع الاقطاب والزعماء والابناء والبنات والنساء والعرائس على خلعه . (٥٨٥) ثم صرحوا لقازان بانهم متفقون على مبايعته بالخلافة المغولية .

اما قازان فارسل يقول لبيدو: انك عظيم في اسرائيل واننا باجمعنا موافقون لك وسائرون حسب سياستك . فاصنع كل ما يلزم ويوافق ويفيد بشرط ان تظل دعائم الدولة راسخة غير متزعزعة . واستطرد يقول : ان الذي يتولى تخت المملكة يلزمه ان يحجم عن البذخ والرفاهية في المطعم والمشرب ويكف عن الاسراف وعن السخاء في غير وجوهه . ويفرغ كل جهده في المحافظة على الدولة ويفتكر دائماً في مناهضة الاعداء ومقاومة من يقاومه اذ ان المملكة لا تعزز بربوات الجنود والجيوش بل بحكمة الملك وخبرته .

ولما عرف الاقطاب وابناء الملوك والقواد والضباط ان قازان وبيدو قد اتفقا اتفاقاً حبياً وجلا يتفاوضان على يد السفراء في من يخلف كيخاتو في العرش الملكي قرّروا طبقاً لشريعتهم ان يتولى قازان ولا سيما لان بيدو يناضل في سبيل ذلك بكل قواه . بناء عليه اغمضوا عن كيخاتو وهو لا يدري ولا يعرف ما يصير اذ كان كالوف عادته منصرفاً الى قضاء اوطاره وتكميل شهواته . غير انه لما اطلع الخاص والعام على المؤامرة وبلغوه اياها أفاق من غفلته ووجه سفيراً الى نواحي ديار بكر اعني الى الاقطار الشمالية ليحشدوا الجنود ويتوجهوا فيقبضوا على بيدو. لكن السفير عند بلوغه الى تلك الاطراف

رأى ان الجيوش قاطبة متفقون مع بيدو وانهم متأهبون ايزحفوا ويناوشوا كيخاتو . فانقلب اليه فوراً فاخبره بما ينوونه . وتبادر الى ظنّ كيخاتو ان بيدو مزمع ان يتوجه الى مقر قازان فحشد العساكر واغلق الطرق والثغور المؤدية الى خراسان . وجهز طاشر القائد الكبير في ربوة من الجند وارسله (٥٨٦) ليصدّ بيدو عن العبور في جبال شهرزور. ثم وجه كذلك حماه آغ بوقا في ربوة ثانية وعوّل ان يزحف هو ايضاً في ربوة ثالثة ويتوجه الى مبارزة بيدو .

ولما شارف كيخاتو مدينة تبريز وحل في مكان يقال له اوجان وصل اليه طاشر وآغ بوقا في ربوتيهما ونزل الجميع في لحف جبل شهرزور من الناحية الشرقية . وكان بيدو ورجاله في الناحية الغربية فوجه سراً الى طاشر يقول : اني متحرق غيرة على تعزيز الدولة المغولية ولست أتوخى الا القضاء على كيخاتو بسبب أعماله الشائنة ولا سيا لاني علمت انه لم يترك لكم نساء او ابناء او بنات الا انغمس معهم في الدنس . فالخليق بنا ان نتحد كلنا قاطبة ونعزله ونقيم قازان خلفاً له في العرش الملكي ونخضع له باجمعنا .

أعجب طاشر بخطاب بيدو ووافقه في رأيه وارسل من ساعته يخبر رفيقه آغ بوقا ويصرح له بانه مخالف لبيدو وموافق له وانه مزمع ان ينضم اليه . ثم طلب منه ان يطلعه على هدفه . غير ان آغ بوقا لكونه حما كيخاتو لم يعجبه رأي طاشر بل تكدر خاطره ونوى ان يعود الى كيخاتو في الجنود الذين معه. ولما اصبح الصباح ركب طاشر كأنه يريد التوجه الى بيدو وغلب على ظنّ اغ بوقا انه مزمع ان يناوشه وينهزم فسارع في بعض جنوده يريد كيخاتو وحار في امره واستدعى اليه باريم القائد الذي معه وقال له : ارى ان عساكري قد انتقضوا عليّ فكن شجاعاً بطلاً واحمل عليه ولا تتأخر. ثم أحضر ثياباً والبسه.

(٥٨٧) اما باريم فركب حصانه كمن يريد المعسكر حيث كان اهله ونساؤه وترك الخيام والمضارب وما كاد يبتعد نحو مرمى سهم. حتى كبس خيام كيخاتو وهزمه وجعل ينتبه . وكان كيخاتو قد ارسل فطلب روكل قائد العسكر الكرجي فاقبل اليه في ربوة من جنوده وشاهد هناك الجنود مزدحمين ينهبون ويخطفون وقد وقعت بينهم الفتن والخصومات والمنازعات. وما مرّ القليل حتى وصل كيخاتو في اربعة او خمسة نفر فوثب اليه باريم واحدق به روكل

كذلك واجهز عليه معاً في ٥ اذار ١٦٠٦ لليونان (١٢٩٥ م) دون ان يشعر بيدو بما جرى .

على ان بيدو لم يكن ينوي الفتك بكيخاتو بل كان يروم ان يقبض عليه ويعتقله في احدى القلاع وقد وجه بعض الجرد ليأتوه به ولكنهم شاهدوه قد مات فعادوا واخبروه بما صار .

وبعد هذا اجمع الاقطاب والبنون والبنات والاصهار والمرازبة على التسليم والخضوع لبيدو . وهذا بدوره ارسل سفيراً الى قازان يستقدمه عاجلاً. وكان قازان مقيماً في بلد بعيد والشتاء شاملاً الاقطار والبراري خالية من العشب فتعذر عليه تلبية طلبه حالاً . اما اصحاب بيدو فلما استبطأوا قدوم قازان جعلوا يقولون له: ان المملكة جديرة بك لا بقازان الفتى الصغير السن الذي لا يتيسر له النهوض بسياستها . فاذا اعرضت عنها وسلمته تدبير المملكة امست احوال الدولة مشوشة مضعضعة . فاغترّ بيدو بكلام المملقين وجعل يتباهى ويتفاخر وعدل عن (٥٨٨) انتظار قازان . ووجه من نقل من تبريز العرش الملكي الفخم الذي تبوّأه آباقا وارغون وغيرهما واقامه قرب اوجان واستوى عليه معتقداً ان المملكة قد استقرت له . وبعد ما اقام هناك اياماً معدودة مستسلماً للاكل والشرب ارتحل الى نواحي سياهكوه وحالفه من كان هناك من الابناء والبنات والاخوة والانسباء والقوّاد والزعماء قاطبة واخذ يسوس الجميع سياسة هادئة مطمئنة . وخصص لكل من الاخوة وابناء الاعمام ناحية يستغلون مواردها ويتنعمون بها . وقرر بانه اذا فضلت فضلة يبعثون بها اليه . واذا عازهم شيء يطلبونه منه. هكذا ودعوه جميعاً مبتهجين يزدون الشكر لله تعالى على استتباب الامن والاتفاق ما بين الجنود والزعماء قاطبة .

اما قازان فلما شارف سياهكوه وعرف ان بيدو قد استحل المملكة واستوى على العرش خلافاً للشرع احتدم غيظاً ولحقه ما لحقه من الكمد متأسفاً على ما كابده هو وجنوده من المشقة والعناء في طريقهم الطويلة الصعبة . وجعل يقول : أليس بيدو هو الذي استدعاني ? فلماذا لم يصبر ? وعلامَ جلس على العرش دون موافقتي ?

اما بيدو فكان واثقاً بانه يهدئ روع قازان ويسايره ببذل العطايا الفائضة

وبالكلمات الحلوة والعواطف الرقيقة ويجعل تحت سلطته خراسان كلها وشيراز والبحرين وكرمان ويتخلى له عن جميع معسكر ارغون ابيه وعن جميع الخيل والبقر والقطيع والاموال والارزاق ينقلها معه الى خراسان متى شاء .

وقد وصل قازان الى قونطوراولان وبقي (٥٨٩) بينه وبين بيدو مرحلة يوم واحد فشاور نوروز بن ارغون قائد جيشه وكان هذا محنكاً بالحروب بطلاً في الملامع واتفقا كلاهما ان ينقضّا بغتةً على بيدو دون ان يشعر بذلك . غير انهما لم يتوفقا في ما اعتزما . ذلك لانهما لما ركبا ليلاً وسارا بقوةٍ شديدة تفجرت ميازيب السماء وهطلت الامطار وارعدت الرعود وهبت الرياح والعواصف فضلّا الطريق وتاها وسارا يتسكعان في الدياجير حتى اصبح الصباح فاذا هما قريبان من معسكر بيدو لا يتجاسران الدنو منه بسبب ما لحقهما من الرطوبة والشتاء والضعف فضلاً عن تشتت جيشهما وتبدّده وهكذا اقاما حائرين مدهوشين .

اما بيدو واصحابه فقد استحوذ عليهم الرعب والهلع وركبوا هم كذلك وخرجوا ليبارزوا قازان . فلما رأى قازان ان لا سبيل الى القتال انحدر من حصانه وسارع الى بيدو وقبّل احدهما الآخر يُخجلان ان يقضي احدهما لصاحبه بما نويا وبما حدث . فبيدو بسبب تسرعه وعدم انتظاره قازان وقازان بسبب قدومه الى بيدو ليلاً ليوقع به . وفي الحقيقة انه لولا الامطار والبروق والرعود لَقُضي على بيدو وعلى اصحابه قاطبةً لا محالة .

ومن ثم فلما اتفقا وتصالحا وجعلا يتعاتبان ويتعاذلان أبدى قازان لبيدو خضوعاً جميلاً وذكاء مفرطاً وحكمةً جديرةً بالملوك مصرّحاً بانه تسالم وتصالح معه وأخفى على كل ما قيل له . واقسم احدهما للآخر بالآ (٥٩٠) يتنازعا ويتحاكما فيما بعد وان يسيرا معاً بالهدوء والسلام والحب والاتفاق والوئام .

ثم ان بيدو عرض على قازان ان يتوجها الى المعسكر ليلاً ليأكلا ويشربا ويتمتعا مسرورين بما جرى بينهما من الصلح والموادعة . لكن قازان احتج بما اصابه من العناء والتعب في الليلة السابقة وقال : الاولى ان يعود كل منا الى مكانه ليأخذ نصيباً من الراحة ثم نعود فنجتمع صباح الغد . فاقتنع بيدو لبساطة قلبه واطلق له الحرية في ما رغب . ولما فارق بيدو امتطى ظهر حصانه

وظل يطارد منذ عشية ذلك النهار والليل كله وهو ينظر غير مرة الى ورائه متعجباً بافلاته من يد بيدو .

وراح بيدو يهيء في المعسكر الوان الاطعمة والهدايا الوافرة دون ان يهدأ او يكل او يرقد وهو يفتكر في تهدئة خاطر قازان وارجاع المياه الى مجراها . ولما اصبح الصباح بعث بعض الزعماء ليتلوا عليه ويستفسروا عن صحته . فساروا فرسخاً وفرسخين وثلاثة واربعة ولم يشاهدوا في تلك الطريق سوى بعض احصنة مهجورة او ميتة . فانقلبوا عائدين واخبروا بيدو بما كان. فتأكد له ان قازان لا يزال على كيده وحقده وانه انما عاد لكي يشتد بالاكثر وينقلب الى مناوشته . فخاف كل الخوف وارسل في استحضار الاقطاب والجنود جميعاً كيما يعارضوا قازان ويناهضوه عند عودته .

اما قازان فقد شاور البطل نيروز واتفقا على ان يرسلا الى بيدو سفيراً يرطّب خاطره ويلهيه عن حشد عساكره ومناوشة خصمه . معتقدين انه اذا حاول حشد الجنود تيسّر له ان يجمع منهم الوفاً وربوات ويصبح قازان غير قادر على مبارزته (٥٩١) . ثم اتفقا على ان يصرح السفير لبيدو بان جنود قازان قد خارت قواهم وان دوابهم ضعفت بسبب قلة الغذاء. ولا سيما لان تلك السهول خالية من الحشيش والمرعى ولا يتيسر لهم الحصول على العلف لدوابهم وعلى القوت لطعامهم. وبعد هذه المحادثة رضي نيروز ان يقوم هو بتلك السفارة. ويقنع بيدو كيفما كان كي يلزم السكينة مطمئناً ولا يتحرك .

وصل نيروز ورحب به بيدو كل الترحيب وكشف له مضمرات قلبه حتى افضى الامر بنيروز ان يقول لبيدو : ان كنت في ريب او شك من قازان فانا مستعد ان اعود فأتيك برأسه في طبق. قال هذا وهو يتذرع بكل الذرائع ليتملص ويعود بالسلامة . اما بيدو فقد سُر بتصريح نيروز وقال له : اذا تيسر لك ذلك فاني مستعد ان استودعك جميع ذخائر مملكتي ثم اسنى اليه هدايا قيمة ودفع له ربوات من الذهب وكتب الى صاحب قزوين ليدفع له ربوة اخرى وصرفه .

ولما وصل نيروز وأخبر قازان بما صار اخذهما العجب والتحير معاً ولا سيما لحصول نيروز في قبضة بيدو وتصرف بيدو معه بكل سذاجة دون ان يبطش

به . ومن ثم جعلا كلاهما يستعدان للحرب ويحشدان العساكر من كل ناحية . وتولى نيروز عينه قيادة الجيش. وارسل قازان مع نفر قليل الى جبال مازندران ليلتهي بالقنص. ووجه شرزمةً الى جهةٍ اخرى وظل هو وخواصّه في جهة ثانية.

اما بيدو فظل يتقلى ويتشكى وهو يقول : اين هو قازان ونيروز ? وبماذا يشتغلان ? وهل من نيتهما ان يحاربا ام لا ? وجعل يرسل الوفود تترى ليطلع على حقيقة امرهما . ولما وصلوا (٥٩٢) وقابلوا نيروز وطلبوا ان يواجهوا قازان نفسه ويحادثوه شخصياً جعل نيروز يقول لهم : ما الفائدة من مقابلتكم فتًى غبياً لا يعرف شيئاً ? ها هوذا يطوف الجبال والوهاد لا يهمه الا القنص . فاذا كان لا بد لكم من مشاهدته فهنذا أبعث معكم من يدلكم على مكانه . وبالفعل سار اولئك الوفود في فريق من الرجال مضوا بهم في طريق قفراء وطوّحوهم من قريةٍ الى قرية ومن مدينة الى مدينة حتى اوصلوهم بعد ايام كثيرة الى مكان قازان . وما قابلهم قازان حتى طفق يشكو ويتذمر من بيدو وهو يقول : اين العهود التي عاهدني بها ? واين العسكر ونساء ابي ووصائفه وقد وعدني بان يوجههم اليَّ ? فاذا كان ينقض العهود كان حقه ان يعلمني لاترك كل شيء ، واعود الى خراسان .

عاد الوفود الى بيدو وجعلوا يحلفون ويؤكدون له ان قازان لا ينوي المحاربة وانه لم يحشد الجنود على الاطلاق وهو ينتظر ان تنجز له وعدك ليعود الى مكانه . فاقتنع بيدو وارتضى ان يوجه الى قازان كل ما وعده به . غير ان الاعيان لم يوافقوه مؤكدين له ان في الامر دسيسة وخداعاً وخيانة. وان قازان انما يحاول الاستيلاء على معسكر ابيه لكي يزحف ويأتي لمناوشتك. ولا بد من ان يتبعه وينضم اليه ربوات من الامم والشعوب في الوف من الخيل والاعتدة.

وبعد قليل وجه قازان الى بيدو يقول : استعجل في ارسال العساكر لان الاعداء الشرقيين الذين في سواحل جيحون متحفزون للزحف الى ناحية خراسان وقد ظهر كثير من الخوارج وانضموا اليهم . غير ان الاعيان والزعماء الذين لدى بيدو قرروا بان تلك الاخبار مموّهة كاذبة لا حقيقة لها .

اما قازان فلما أخفق (٥٩٣) في ما نوى ارسل يقول لبيدو : لا حاجة الى العساكر . ذلك لكي ينفي عنه كل ظنّ سيء . اما بيدو فقد تمهل مدة

يخيل له الظل جسماً ويحسب تلك الحيل لا صحة لها وراح ينهمك في المطاعم والمشارب . ولكنه لم ينصرف الى الحلابة نظير كيخاتو سالفه بل كان يسير سيرة مرتبة منتظمة حميدة يجامل الفضلاء والحكماء والاطباء والنساك من اية امة كانوا ويجزل لهم المواهب ويوشحهم بحلل ملكية . وبما ان دمسينة ابنة ملك اليونان قرينة اباقا كانت مقيمة لديه منذ بضع سنوات فلذلك كان يميل الى العطف على المسيحيين وينقل معه في معسكره كنيسة وناقوساً . غير انه لم يستحسن المجاهرة بالدين المسيحي لان المغول في عهدنا كباراً وصغاراً قد انضموا الى الدين الاسلامي واختتنوا وجعلوا يزاولون الغسل والصلوات الخاصة به مما حمله على المجاهرة بالاسلام نظيرهم تحبباً الى اقطاب دولته . ومع ذلك كله لم يتمكن من الاستغناء عن النصارى اذ لم يكن يثق بغيرهم في شؤون الدولة وحساباتها. وهذا ما حمله على ان يعرج على الجنبين اذ كان يقول للنصارى انه نصراني والصليب معلق في عنقه ويقول للمسلمين انه مسلم ولكنه لا يستطيع ان يمارس غسولهم وصلواتهم. وكان اذا حضر لديه ائمة المسلمين وقاموا للصلاة وجه ابنه ليصلي معهم (٥٩٤) تأميناً لافكاره وتهدئة لسخطهم . وقد عرف المسلمون حق المعرفة انه يميل الى المسيحيين اكثر من ميله اليهم . وظل زهاء خمسة اشهر يسوس مملكته على هذا النسق .

اما هيثوم ملك قيليقية العادل الصديق[1] فلما بلغه نبأ انتصار بيدو واستوائه على عرش الدولة المغولية ومحبته للنصارى وميله الى عقيدتهم اكثر من سائر العقائد عوّل على زيارته شخصياً توطيداً للعلاقات بينهما . فغادر وطنه واستغرق سفره زهاء شهرين . وعند وصوله الى سياهكوه اتفق وصول الامير نوروز كذلك في عساكره لكي يقبض على بيدو . وانصرف بيدو الى استدراك امره فوجه سفيراً الى هيثوم الارمني يقول له : ارجع الى مراغة وانتظر هناك ريثما اطمأن واعود الى المعسكر فاكتب اليك في الشخوص اليّ . فسار هيثوم الى مراغة واقام فيها زهاء عشرة ايام وسمع ان بيدو قد فرّ من وجه نيروز البطل الكبير ووصل قازان ملك الملوك وتوجه الى تل الاسود بجانب ديهورقان

[1] هو هيثوم او حاتم الثاني ملك الارمن وقد انضم الى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وتوشح في اواخر حياته بزنار رهبنة مار فرنسيس وتوفي راهباً .

وعند ذلك تهيأ هيتوم وانطلق الى زيارته وقدم له هدايا وافرة فقال له قازان: انك ما جئت لتزورنا بل لتزور بيدو . فقال له هيتوم : ينبغي لي ان اودي الخضوع لسلالة جنكزخان بأسرها واوافي للنهوض بخدمة من يستوي على عرشها. عند ذلك رحب به ملك الملوك ترحيباً جميلاً ووشحه بحلل ملكية وأمر ان يسجل له الفرمان (٣٩٣) وتنفذ مسائله كلها .

وكان قبل هذا التاريخ قد صدر الامر بتقويض الكنائس فالتمس الملك هيتوم من ملك الملوك ان يأمر بابقائها لكونها دور الله عز وجل وبيوت الصلاة. فاصدر ملك الملوك فرماناً قرر فيه ان تبقى الكنائس على ما هي وان تحول بيوت الاصنام الى مساجد ومدارس اسلامية . هكذا بواسطة هذا الملك الارمني حفظت كنائس جمة ولم تتقوض. وغادر هيتوم المعسكر الملكي مجبور الفؤاد مبتهجاً كل الابتهاج وكان ذلك يوم الاحد ٩ تشرين الاول ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦م) .

اما نوروز فقد انقض في جيشه على بيدو في مكان يدعى تونقور اولان ولم يتيسر لبيدو ان يبارزه او يقاتله ساعة واحدة لكنه انقلب سريعاً وانهزم من وجهه يوم السبت ٢٤ ايلول ١٦٠٦ لليونان (١٢٩٥م) وظل نوروز يتتبعه حتى يوم الخميس سادس تشرين الاول ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦م) فادركه وبطش به.

وبعد هذا صدرت الاوامر بان تقوض الكنائس وبيوت الاصنام ومعابد اليهود وان يقتل احبار الوثن ويحتقر الاساقفة ويؤدوا الجزية والضريبة. واضطر النصارى ان لا يظهروا الا بمنطقة على حقويهم وان يتخذ اليهود علامة على رؤوسهم.

وثار الاهالي يومئذ في تبريز وقوضوا جميع كنائسها وشمل الحزن جميع النصارى في كل الدنيا . ولا يتيسر لنا ان نحصي جميع ما كابدوه من الاهانة والاحتقار والذل ولا سيما في بغداد فقد بلغنا ان الرجال المسيحيين لا يتجرأون ان يظهروا في السوق وان نساءهم يخرجن ويدخلن ويقمن بالبيع والشراء لانهن لا يتميزن عن النساء المسلمات في زيهن (٥٩٦) واذا اتفق للمسلمين ان يعرفوهن انصبوا عليهن بالضرب واللطم والسب والشتم. فاصبح النصارى في تلك النواحي محتقلين في اتعس الحال واشقى الحياة يسخر بهم اعداء العدالة والانسانية ويقولون لهم : اين هو الاهكم ? واين من يساعدكم وينقذكم ويخلصكم ?

على ان هذا الاضطهاد قد شمل النصارى واليهود معاً . امّا احبار الوثن عبدة الاصنام فكان ملوك المغول يخصونهم بكثير من الاجلال والاكرام . حتى انهم كانوا يجودون عليهم بنصف واردات الدولة ينفقونها في سكب الاصنام الذهبية والفضية . فلمّا شملهم اضطهاد التتر جاهر اعلبهم بالاسلام .

وبعد هذا اصدر ملك الملوك اوامر قاطعة وبعث وفوداً مخولين الى كل مدينة وبلد في هدم الكنائس ونهب الاديار. فكان اولئك الوفود اذا شاهدوا مسيحياً ينهض بخدمتهم ويدفع لهم مبلغاً من المال اغمضوا عنه وتركوه وشأنه. اذ كانوا يفضلون حشد المال على تقويض الكنائس .

وقد توجه المأمورون التتر الى اربيل واقاموا عشرين يوماً ينتظرون اعيان النصارى كي يأتوا الى زيارتهم ويتعهدوا لهم بمبلغ من المال حرصاً على كنائسهم. غير ان المطران ذاته لم يهمّه هذا الامر الخطير . وبالجملة فان كلّا من الاهالي كان منصرفاً الى تدبير بيته فقط. ذلك ما حمل المأمورين على ان يفسحوا المجال للمسلمين فوثبوا باجمعهم الى كنائس المدينة الثلاث الفخمة فاخربوها وقوضوها من اساساتها . وجرى ذلك (٥٩٧) يوم الاربعاء ٢٨ تشرين الثاني من تلك السنة .

ولما بلغ النصارى المواصلة ما جرى هناك من الاهوال والفوائل خافوا خوفاً عظيماً . وما ان وصل المأمورن الى نواحيهم حتى خرج اليهم فريق ممن امتازوا بتفانيهم وحرصهم على الكنائس المقدسة وقرروا ان يدفعوا لهم مبلغاً من المال وافراً . واضطروا بسبب فقر حالهم ان ينتزعوا اواني الكنائس وامتعتها فلم يتركوا صليباً ولا صورة ولا مبخرة ولا انجيلاً مرصعاً بالذهب او الفضة الا اخذوه. ولم يكتفوا بذلك كله بل فرضوا مبلغاً على المؤمنين في المدن والقرى وجمعوا زهاء خمسة عشر الف دينار ادوها للتتر في سبيل انقاذ الكنائس وتسديد الضرائب.

وحدث في تلك الغضون خلاف بين ملك الملوك وبين بعض المغول الاورتيين الذين يقضون فصل الشتاء حوالي دير مار متى بناحية الموصل فوجه اليهم وفوداً يتوعدونهم ويتهدّدونهم لانهم في عهد الملك بيدو كانوا قد تعدّوا على التركمان وانتزعوا غنمهم وبقرهم وقطعانهم وخيلهم وبغالهم وجمالهم . فصدر الامر من لدن قازان ملك الملوك بان يردوا الى التركمان كل ما سلبوه منهم والا فاذا ترددوا ولم يطيعوا وجب ان يقتلوا جميعاً .

على ان اولئك المغول الاورتيين كانوا قد اتلفوا أغلب ما سلبوه من التركمان مما حمل الوفود التتر والتركمان معاً على الاساءة اليهم ومضايقتهم كل المضايقة . فما كان من اولئك الاورتيين الا ان حملوا (٥٩٨) حملةً واحدة على الوفود وعلى التركمان معاً وبطشوا بهم . ثم جمعوا اهاليهم وكل ما امكنهم جمله وانهزموا الى سورية وكان عددهم ربوةً كاملة بينهم رجال حرب وقتال . وتمّ ذلك يوم الثلاثاء ١٩ كانون الاول ١٦٠٧ لليونان (١٢٩٦ م) .

وفي هذه السنة لم يزحف لصوص سورية الطغاة الى هذه الناحية الشرقية . لان الله جلت احكامه سمع صوت دماء المظلومين وصراخ المساكين فانتقم من اعداء الانسانية وسلط عليهم الغلاء والطاعون ولا سيما في مصر . فقد قيل ان الاسكندرية فرغت من السكان بالكلية . غير ان هذا الخبر لم يثبت عندنا بعد فلم نرَ التبسط في ذكره ومما لا شك فيه ان الغلاء والوباء قد فتكا بالمصريين فتكاً ذريعاً .

وفجر الاثنين ٢٠ حزيران ١٦٠٨ لليونان (١٢٩٧م) زحف علاء الدين ابن جاجا الى مدينة آمد في جيوش كثيفة من العرب قادمين من سورية . وسبوا اهاليها سبياً اليماً واستأسروا منهم اثني عشر الفا واجزوا على جمهور غفير من المسيحيين . ونكلوا بالسيد غريغوريوس مطران المدينة تنكيلاً فظيعاً وبطشوا به . واقتحموا فدخلوا كنيسة والدة الله الكبرى وانتهبوها واحرقوها بالنار فتشرهت ابنيتها وتضعضعت سقوفها واعمدتها الجليلة المعجبة وامست بسبب اللهيب والحريق الفظيع كومة من الحجار . وظلت النيران مشتعلة فيها نحو شهر .

وانما جرى ما جرى لان اهالي آمد انتقضوا على الملك الصالح صاحب ماردين فارسل يستقدم ابن جاجا المذكور فزحف اليها في اثني عشر الف (٥٩٩) فارس وفتح لهم الابواب اميرها علم الدين وادخلهم دون ان يشعر احد من الاهالي وانهزم الى ماردين . فاحتلوا المدينة واخربوها . وكانوا يدخلون بيتاً فبيتاً ويشاهدون الرجل وامرأته واولادهما راقدين فينهبونهم ويقتلون الرجل ويستأسرون المرأة والاولاد ويسترقونهم .

الحمد لله تعالى في البدء والنهاية

كتاب
الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف (تابع)

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره
الاب اغناطيوس سركيس
من الرهبانية الفرمية

الامير جهجاه الحرفوش

وفي سنة ١٢٠٢ (١٧٨٧) حضر والياً على دمشق الآظن ابرهيم باشا . وبعد وصوله تقدمت اليه الشكايات على الامير جهجاه الحرفوش حاكم بلاد بعلبك انه عاصي الدولة ولا يدع احد يتولى بلاد بعلبك سواه وانه حارب الدولة مرارًا وقتل كثيرًا من رجالها . فغضب الآظن ابرهيم على الامير جهجاه وارسل الى الامير كنج ابن الامير محمد الحرفوش ان يكون والياً على تلك البلاد وامره ان يطرد عمه الامير جهجاه من هناك وامدّه بعسكر من اصحابه . ولما بلغ الامير جهجاه ذلك امر اهل مدينة بعلبك وقراها ان يرحلوا . وتهدد بالقتل كل من يخالف امره . وكسر حجارة الرحى التي هناك. فرحلت جميع الناس . ونهض بعشيرته الى قرية من معاملة بعلبك يقال لها ضبره . وحضر عسكر دمشق الى بعلبك فسار به الامير كنج الى ضبره وحاصر الامير جهجاه بها وضايقه وقطع عنه السبيل وتضايق الامير جهجاه وكاد يغلب . وكان قد ارسل الى الامير يوسف الشهابي مستغيثاً به. واستنجد الامير شديد مراد ايضاً . وبينا هو في ذلك الضيق اقبل عليه عسكر الامير يوسف فقوي عزمه وخرج الى قتال الامير كنج فقتل من عسكر الدولة نحو خمسين نفرًا . وانهزموا .

ثورة المماليك

وفي سنة ١٢٠٣ (١٧٨٨) تباين لاحمد باشا الجزار خيانة بين سراريه مع البعض من مماليكه . فعزم على قتلهم وترقب الفرصة حتى صادف البعض من

المماليك في الدار فهجم عليهم . ولما ايقنوا بالهلاك وثبوا عليه فجرحوه وقامت الضجة في داره . فسمع باقي المماليك ونهضوا لاسعاف اصحابهم . وتعصبت لهم قواد العساكر لان الجميع كانوا قد ضجروا من ظلم الجزار وكرهوا دولته . وخرجوا جهورًا الى خارج البلد وخرج معهم سليم باشا . ولم يبق عند الجزار الا نفر قليل . وشاع الخبر ان مماليك الجزار قتلوه فسرت الناس بذلك واستبشرت وتعصبت الارط ضد الوزير واما لوا اليهم سليمان باشا واتفقوا على انهم يأخذون اولا مدينة صور فيجعلونها حصناً ومتزلاً ثم يرجعون الى عكا . فراسلوا اهل صور على ذلك فلم يجيبوهم خوفاً من غائلة الجزار . فنهض سليم باشا بالعسكر وحاصر صور وضايقها ففتحها بالسيف وكان يوماً هائلًا على اهلها من كثرة القتل والسبي والنهب واعملوا السيف في عسكر الجزار الذي كان بها فلم يسلم احد منه . وكان الجزار قد ارسل عسكرًا من المغاربة لاسعاف اهل صور وكان باقياً خارج البلد فرجع اليه سليم باشا . ولما رأت المغاربة ذلك هربت الى عكا وتبعها سليم باشا بمن معه ونزلوا خارج عكا وارادوا ان يفعلوا بها كما فعلوا في صور فخاف الجزار من ذلك ولم يجد له سبيلًا الا الفرار فعزم ان ينزل في البحر ويترك لهم المدينة . وكان يومئذ الشيخ محمد القاضي في عكا فاشار على الجزار ان يتجهز للسفر ويعد له سفينة في الميناء حتى يتوسط الليل فيخرج من عنده من الرجال بالمدافع ويكبس المماليك وهم نيام فان ظفر بهم فهي الحاجة والا فالسفينة حاضرة . فاعجب الجزار هذا الرأي وتأهب للسفر وارسل الرجال الذين عنده فكبسوهم ليلًا وكان القوم نياماً فما انتبهوا الا والرجال قد احاطت بهم والمتهم بالمدافع فانذعروا ولم يقدروا على الثبات فانهزموا وقتل منهم جماعة وتركوا اثقالهم وخيلهم وسلاحهم فطاب قلب الجزار وكان قد قبض على جملة مماليك فقتلهم وقتل جميع السراري التي عنده واستخدم القره محمد وعبد الرحمن الطويل وجماعتهما مكان الرجال الذين كانوا عنده وتشتت المماليك واحزابهم في كل مكان .

وفي هذه السنة تقدم الامير علي ابن الامير اسماعيل حاصبيا الذي مات في سجن الامير يوسف فاستغاث بابرهيم باشا والي دمشق وقدم له هدايا واموالا وسأله الاسعاف على الامير يوسف في رجوع ولاية حاصبيا اليه ليطرد الامير

اسعد الذي كان اقامه الامير يوسف حاكمًا . وقبل وصول العسكر بلغ الامير يوسف ذلك فجهز عسكرًا من البلاد وارسله الى وادي التيم. فلما سمع عسكر دمشق بقدوم عسكر الجبل خشي وعاد راجعًا الى مكانه ولما رأى الآظن ابرهيم قوة الامير يوسف وشدّة بأس قومه اراد مصادقته فكتب اليه كتابًا لطيفًا يتضمن المعاتبة له على محاماته عن الامير جهجاه الحرفوش وقتاله لعسكر الدولة . فالطف له الامير يوسف في الجواب واعتذر . واخيرًا صار الاتفاق برضى ابرهيم باشا ان يبقى الامير جهجاه حاكمًا في بلاد بعلبك وان يبقى حاكم حاصبيا في تصريف الامير يوسف . وكان الواسطة في ذلك الشيخ عباس التل حاكم الزبداني ودفع الامير جهجاه الى ابراهيم باشا خمسة عشر الف غرش وحضرت له خلعة الولاية وارسل الوزير قبض على الامير كنج وطلب منه سبعة الاف وخمسة غرش بدعواه انه صرفها على العسكر الذي جهزه معه . ولم يكن عند الامير كنج مال . فوضعه في السجن . وكان وقت طلوع الحج . فخرج ابرهيم باشا مع الحجاج . وبلغ الامير جهجاه ذلك فارسل ورشى متسلم المدينة على قتله وطلب له حكم بلاد بعلبك الذي لا يليق لسواه .

وفي اواخر هذه السنة لما حضر الآظن ابراهيم باشا من الحج نهضت ضده اغوات الارط واكابر البلد وحاربوه وقتلوا من عسكره مقدار ثلاثمئة نفر وطردوه من دمشق الشام . فمضى واقام في مدينة حمص وعرض الى الباب العالي بما كان فاتاه الجواب بما يرضيه وحضر له تقرير ولاية دمشق .

وفي هذه السنة توفي الامير اسماعيل ابو اللمع . وكان اكبر امراء المتن ورأس سمية بني قايدبيه . وكان صاحب سطوة ونباهة. وتخلف له ثلاثة اولاد وهم الامير حسن والامير عساف والامير حيدر .

وفيها توفي الشيخ كليب نكد في دير القمر وكان رأس سمية المناصف واكبر اصدقاء الامير يوسف .

وبها صارت ثلجة عظيمة اتصلت الى حدود سواحل البحر .

وبها في اليوم الرابع والعشرين من شهر نوار انكسفت الشمس عند الظهر وذلك في هلال رمضان .

حكم الامير بشير الثاني ١٢٠٤ – ١٢٥٦ (١٧٨٩ – ١٨٤٠)

الحقبة الاولى[١]

وفي سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩) لما حضر التقرير للآظن ابرهيم على ولاية دمشق الشام حضر ايضاً امر لاحمد باشا الجزار والامير يوسف في اسعافه على الدخول اليها والانتقام من العصاة الذين بها. وكان ابراهيم باشا قد انفذ الاوامر وتوجه الى دمشق فلم يقبلوه ايضاً فمكث في الخارج حتى وصل الاسعاف من الجزار والامير يوسف. فنهض وحاصر المدينة مقدار عشرين يوماً وفتحها. واما الامير علي ابن الامير اسماعيل فلما فرغت يده من الآظن ابرهيم في توليته حاصبيا التجى الى احمد باشا الجزار فقبله وطيب قلبه وكتب الى الامير يوسف ان يعطيه حاصبيا ومرجعون . فأبى وغره الطمع وانقاد الى رأي الشيخ غندور الخوري ونسي ما اصابه من جرى ذلك. فغضب عليه الجزار وعزم على خلعه من الولاية. ثم جهز عسكراً وارسله مع الامير علي الى حاصبيا فنزح الامير اسعد الذي كان والياً عليها من قبل الامير يوسف وعزم الامير يوسف على مقاومة الجزار فجمع عسكراً من البلاد واستنجد الامير جهجاه الحرفوش. فاجابه وجمع رجال بلاد بعلبك. ومشى عسكر الامير يوسف والامير جهجاه على حاصبيا. والتقت العساكر في وادي ابي عباد وكان ذلك في العشرين من تموز . وانتشبت الحرب بين العسكرين فاقتتلوا قتالاً شديداً وهجم الامير جهجاه على عسكر الدولة فاذاقهم الوبال . وجاهدت رجال البلاد فكسرت عسكر الدولة ورجع الى عكا منهزماً وقد قتل منه نحو مئتي نفر . فاشتد غضب الجزار وجهز عسكراً آخر وارسله الى البقاع واخذ يضبط الغلال التي هناك يريد بذلك مضايقة اهل البلاد لكي يطلبوا الراحة لانفسهم بتركهم الامير يوسف . وارسل فقند المشايخ بني جنبلاط . وهم اخذوا يفتدون اهل البلاد . فطاب الاكثرون . وهجت الناس بتنزيل الامير يوسف ولاموه لمخالفته امر الجزار طمعاً في مرجعيون التي وقعت كل تلك البلابل بسببها على غير احتياج اليها . ولما رأى الامير يوسف ان اكثر المناصب خانت عليه وان الجزار قد صار خصماً له علم انه لا يقدر على الثبات فعزم على ترك الولاية من نفسه وجهز نساءه واولاده الى

١) تمتاز هذه الحقبة بقلة الاستقرار وبكثرة ارهاق الشعب بالضرائب .

المتن . وراسلت المناصب بعضها . واتفق الجمهور على تولية الامير بشير ابن الامير قاسم وعرضوا بذلك الى احمد باشا الجزار فاجاب واستدعى الامير بشير اليه . فواجه الامير يوسف واتفق معه وعاهده الامير يوسف ان يخلي له دير القمر وينزل في اواخر البلاد . وتعهد له الامير بشير انه لا يضره ولا يسعى فيه بما يؤذيه. وحضر الامير بشير الى عكا برضى الامير يوسف واعطاه نفقة السفر. ولما دخل على الجزار رحب به والبسه خلعة الولاية وجهز معه عسكرًا نحو الف نفر اوصلوه الى دير القمر. فحضرت اليه المشايخ الجنبلاطية والعمادية والنكدية واكثر مناصب البلاد . وكان الامير يوسف يومئذ قد حضر الى المتن . وكان الشيخ محمد القاضي في عكا . وقد ذكرنا ان الامير يوسف كان قد حبس الشيخ محمد في نوبة الامير اسماعيل وعذبه عذاباً شديدًا حتى ان المغاربة الذين كانوا يتولون عذابه كانوا يقطعون لحمه ويطعمونه منه . وكان بعد ان قطع الامير يوسف لسانه صار يتكلم ولكن كلاماً ضعيفاً . ولما وجد سبيلًا عليه عند الجزار قال له : يا مولاي ان الامير يوسف ما دام في البلاد لا يكون فيها راحة ابدًا . فان رأيت ان تأمر الامير بشير في طرده فتنقطع آماله وتنكسر عزائم احزابه. وكان الجزار معجباً برأي الشيخ محمد من وقت نوبة المماليك فقبل كلامه وارسل معه كتاباً الى الامير بشير ان يقوم لطرد الامير يوسف فارسل الامير بشير الى الامير يوسف يعلمه بذلك. واشار عليه ان يتوجه نحو جرد كسروان . فقام الى هناك وانتهى الى وطا الجوز . ونهض الامير بشير من دير القمر وسعى في اثره امتثالًا لامر الوزير حتى وصل الى المتن فاعلم الامير يوسف ان يقوم الى بلاد جبيل . فقام الى قرية لحفد ومن هناك الى العاقورة . وما زال الامير بشير ساعياً في اثاره . ولمح الامير يوسف انه قد اعتمد ذلك باطناً ونقض العهد الذي كان بينهما . فعزم على مقاومته ونبه على رجال جبة بشري ورجال المشايخ الحمادية وارسلهم الى وادي الميحان حيث يعلم ان الامير بشير يسلك اليه . وهو مكان عسر لا تسلك فيه الخيل الا على طريق ضيق حرش. فاكمنوا هناك حتى وصل عسكر الجزار والامير بشير معه. ولم له علم بهذه المكيدة . فخرجت عليهم الرجال والهبتهم بالرصاص فانذعرت المغاربة والارناؤط وانكسروا من وجه القوم . وقتل منهم مقتلة عظيمة .

وتفرست رجال الامير يوسف . وكاد ان ينكسر كل عساكر الامير بشير . فانتخى الامير بشير حينئذ وجرد سيفه وحمل قدام العسكر ودعاه الى القتال. فتبعته الرجال وصدموا عسكر الامير يوسف فكسروه وهرب الامير يوسف الى الجبة . ومن هناك الى طاريا . ثم الى بلاد بعلبك . ثم الى الزبدانه . ثم الى منين في نواحي دمشق . ثم الى بلاد حوران . ورجع اكثر اصحابه . وقتل في تلك النوبة الشيخ ابو دعيبس جنبلاط .

موقعة بعلبك

وفي هذه السنة انجد للامير بشير ولد وسماه الامير قاسم باسم جده .

وفي هذه السنة حدث فتنة بين الامير جهجاه الحرفوش حاكم بعلبك وبين رجل من الاكراد يقال له الحاج اسماعيل. فمضى الرجل الى دمشق الشام واشتكى على الامير جهجاه الى الوزير مدعياً انه اختلس منه دراهم جزيلة المقدار. وطلب منه ان يوجه معه رجالا اليه وكان الوزير يرغب ذلك لان ولاية الامير جهجاه كانت على طريق القلية كما مر . فجهز له عسكرًا من رجال الدولة . وكان الامير جهجاه في احدى قرى بعلبك . فما شعر الا والحاج اسماعيل كبس تلك القرية . فخرج الامير جهجاه منهزماً . ودخل الحاج اسماعيل بالعسكر فنهب القرية وكان الامير جهجاه مستوطناً باهله هناك فنهب كل ماله وسبى نساءه ومضى بهن الى دمشق فاكرمه الوزير وانعم عليه والبسه خلعة حكم بلاد بعلبك. وارسله اليها بعسكر عظيم . وكان الامير جهجاه قد رجع الى مدينة بعلبك . وامر ان ترحل سكانها واهالي قراها فرحلوا وحضر هو الى زحله برجال قلائل واستعد لقتال الحاج اسماعيل. وطلب من اهل زحلة انه اذا اقبل الحاج اسماعيل وخرج اليه يخرجون ايضاً معه لا ليقاتلوا لكن يكونون كالمتفرجين ليريه جمهورًا كبيرًا . وفي اثناء ذلك وصل الحاج اسماعيل الى بعلبك فلم يجد فيها احدًا . وبلغه ان الامير جهجاه في زحلة . فقصده الى هناك . وخرج الامير جهجاه الى لقائه وشاع الخبر في المكان . فخرج اكثر اهل زحلة . ونزل الامير جهجاه باصحابه . وصادم عسكر الدولة بجرأة عظيمة ولما رأى عسكر الدولة ذلك الاقدام ورأى التلال قدامه قد امتلأت بالرجال غلب عليه الخوف فانهزم وسعى

الامير جهجاه في اثرهم. فانثنوا عليه وقاتلوه فظفر بهم وساق وراءهم حتى قتل منهم ما ينوف عن مئتي قتيل . ورجع ظافرًا منصورًا . وعاد الحاج اسماعيل الى دمشق مخذولًا . فاشتد غضب الوزير وعزم ان يجهز عسكرًا عظيماً على زحلة ويخربها وينكب الامير جهجاه . فقيل له ان اهل زحلة ليس هم عصاة ولا حاربوا الدولة فحربهم حرام . والامير جهجاه متى رأى عسكرًا لا طاقة له على لقائه يهرب نحو الجبل ولا تقدر ان تملكه ولا يمكن ان يدع بلاد بعلبك تعمر ولا يتولى غيره عليها . وحضر الشيخ عباس التل الى مجلس الوزير. فتوسط امر الامير جهجاه واطلق له نساءه تحت ايراد عشرين الف غرش واخرج له خلعة حكم بلاد بعلبك وارسل اخاه الامير سلطان الى دمشق رهناً على ايراد المال .

وفي هذه السنة تقدمت الشكوى من الامير بشير ونائبه فارس ناصيف على الشيخ محمد القاضي الى احمد باشا الجزار بانه رجل خبيث لا يفتر عن السعي بين اهل البلاد ومناصبها وهو يدعو الناس الى الامير يوسف خلافاً لامر الوزير. وانه ما دام في الحياة لا تكون راحة في البلاد ولا مصلحة للاموال السلطانية. وكان الشيخ محمد يومئذ في عكا لانه كان يتردد كثيرًا على الجزار وهو ينتظر الانعام منه جزاء على منفعته في نوبة المماليك. ولما تقدمت هذه الشكوى عليه امر بقتله فاذا هو الجزاء . وكان الشيخ محمد من اعقل الناس واسدهم رأياً واعظمهم دهاء وانفذهم حيلة .

وفي هذا العهد التجأ الامير قاسم الحرفوش الى الامير بشير الشهابي وطلب اسعافه على ابن عمه الامير جهجاه لينزعه من الولاية ويتولى مكانه . فاجابه الى ذلك وجمع له عسكرًا من الشوف وارسله معه الى زحلة وكتب الى اهلها ان ينهضوا معه وكتب ايضاً الى اهل المتن وامرائها . وكثر جمهور الامير قاسم وتوجه الى قتال ابن عمه الامير جهجاه. وكان الامير جهجاه مقيماً في قرية تنين. فلما علم بقدوم الامير قاسم خرج الى لقائه . وانتشب القتال بينهم في ارض ابلح . ولم تكن الا ساعة من الزمان حتى انكسر عسكر الامير قاسم وولى منهزماً في تلك القفار . فساق الامير جهجاه في اثرهم حتى ابعدهم عن تلك الديار ، ولم يأذن لاصحابه في القتل منهم فكانوا يسلبون خيلهم وسلاحهم

وبتركونهم . وقبضوا في تلك الموقعة على الامير شديد ابي اللمع واحضروه لدى الامير جهجاه . فامر له برد سلاحه وجواده واطلقه عزيزاً كريماً . ولم يقتل في ذلك اليوم الا رجال قلايل . ولم تكن رجال الامير جهجــاه مقدار ربع العسكر الذي اتى به . ولما رجع العسكر الى البلاد منهزماً جرد الامير بشير عسكراً آخر واقام عليه اخاه الامير حسن وارسل معه بعض امراء ومشايخ من البلاد فقصدوا الامير جهجاه الى بعلبك ولما بلغ الامير جهجاه قدومهم اليه ترك المدينة خالية من السكان وتقدم الى تلك القرى . فوصل العسكر الى هناك ولم يجد ما يقتات به . فما اقاموا الا قليلاً وانثنوا راجعين . وعاد الامير جهجاه الى بعلبك فاقام بها . وكان من حين كبسه الحاج اسماعيل الكردي ما زال واضعاً ارصاده على مشارف الطرق التي يظن فيها اقبال العدو فاذا لاح لهم قوم انذروه بهم . فان كانوا ممن يستطيع الثبات لهم ثبت والا اخلى المدينة ورحل . وكان في خلال ذلك لا يستقر في مكان خوفاً من غدر الغادرين .

واما الامير قاسم فلما رأى ان الامير بشير لا يكفي لقضاء حاجته التجأ الى احمد باشا الجزار فجهز له عسكراً من الدولة والمغاربة وارسلهم معه ومعهم بعض مشايخ بلاد الشوف وامرهم ان يطردوا الامير جهجاه من جميع تلك الاطراف ويتبعوه اينما سار الى ان يأمنوا رجوعه . فساروا حتى رجعوا الى قرب بعلبك . وعلم الامير جهجاه بقدومهم فنهض الى راس بعلبك واقام هناك . فدخل العسكر الى بعلبك فلم يجد فيها احداً وبلغهم انه في راس بعلبك فقصدوه الى هناك . ولما علم الامير جهجاه بقدومهم نهض واقبل على مدينة بعلبك من طريق آخر فما وصلوا الى راس بعلبك حتى كان قد وصل الى بعلبك فنهب ما وجد في تلك الاطراف . وتوجه الى جهة المشرق ووصل الخبر الى الامير قاسم فرجع الى بعلبك واقام بها .

وفي سنة ١٢٠٥ / ١٧٩٠ كان الامير يوسف قد ارسل الى احمد باشا الجزار يطلب صفو خاطره عليه وكان لم يزل مقيمـاً في بلاد حوران . فاتاه الجواب بالاجابة ودعاه ان يحضر اليه . فحضر الامير يوسف الى عكا ودخل على الوزير وفي عنقه منديل الخضوع . فقبله الجزار واكرمه واعطاه الامان واقام الامير يوسف في عكا مقدار ستة اشهر . وكان الامير بشير بعد خروج الامير يوسف

من البلاد قد تمكن من الولاية وطابت له الايام. فاخذ يوزع اموالاً على البلاد ويطلب مطاليب لم تسبق بها العادة وفرق الحوالات في السبع مقاطعات وضجت الناس بالشكوى من ظلمه الشديد وعجزت عن القيام بمطاليبه . وفي اثناء ذلك امر الجزار الامير يوسف ان يحضر نائبه الشيخ غندور الخوري الى عكا ليبقى رهناً عنده ويلبس الامير يوسف على حكم الجبل ويبقى يورد المال عن يد الشيخ غندور . وكان قد حصل الاتفاق بينهما على ستمئة الف غرش . وكتب الجزار الى الشيخ غندور كتاب الامان وارسله اليه الامير يوسف ودعاه الى الحضور وكان يومئذ في ضواحي الضنية . فاقبل مسرعاً الى عكا ودخل على الجزار فرحب به واكرمه وانعم على الامير يوسف بخلعة الولاية . وكان ذلك في اول شهر كانون الثاني وارسل الشيخ غندور الكتب الى مناصب البلاد يعلمهم بذلك. وشاع الخبر واستبشرت الناس بزوال حكم الامير بشير عنهم. وقامت الافراح والتهاني في جميع البلاد وهربت حوالية الامير بشير من كل مكان. ونزح الامير بشير من دير القمر الى الشوف . ونزل في قرية نيحا لانه لم يبق له صديق في البلاد الا الشيخ قاسم جنبلاط لا غير . وذلك لكثرة ظلمه وجوره . لانه لم يترك احداً سالماً من نكبة حتى انه بلص الامراء بني عمه ولم يحفظ حرمتهم ولم يدع مكاناً خالياً من الحوالات حتى اديرة الرهبان. وكان طلبه شديداً فاحشاً. وكان يرسل الحوالات ويردفها حالاً باخرى. ويطلب من الانسان اكثر ما يملك كثيراً. ولم يكن يقبل شفاعة ولا عذر ولا واسطة ولا يرثي لاحد ولا يشفق على احد . واشتد العسر في ايامه حتى كان لا يباع شيء ولا يشترى لان من كان عنده فضول مال لا يجسر ان يشتري بها خوفاً من الشهرة بوجود المال . فرخصت الارزاق والاراضي والامتعة حتى صار ثمن قنطار الزيت بخمسين غرشاً وما دون وحمل الورق بخمسة غروش واقل. وكذلك باقي المبيعات وكان يتولى امر البلص فارس ناصيف وجدعون آغا الترك . ولم يكن عندهما اثر من رحمة الله وخوفه . وكان عندهما رجل من مزرعة العرب المجاورة لبيروت يقال له مخائيل ابو خليل . فكان يسعى بالناس ويفرض عليهم كما يخطر على باله وهو لا يعرف المفروض عليه اكثر الاحيان ولا يعرف ما عنده . فربما كان ما يفرضه عليه بقدر ما يملكه اضعافاً. ومتى جرى القلم بشيء

لزم استيفاؤه على حكمه فلا يترك منه شيء مطلقاً . فجمعوا من البلاد اموالاً لا يعلمها الا الله . وضاقت صدور الناس ونفد ما في ايديهم . ولما شاع خبر الامير يوسف املوا بالفرج من تلك الشدائد. وحضر الى دير القمر بعض افراد البلاد ومشايخها . وتوجه كثيرون الى ملاقاة الامير يوسف. وبينما الناس كذلك وهم ينتظرون قدوم الامير يوسف الى البلاد . ركب الامير بشير ونزل الى عكا وتعهد للجزار بالمال الذي تعهد بـه الامير يوسف فقبل منه وانعم عليه بتقرير الولاية . وامر بالترسيم على الامير يوسف وبعض اتباعه . فرجع الامير بشير مسرعاً الى دير القمر . وفي رجوعه ادرك الذين كانوا توجهوا لملاقاة الامير يوسف . فامر اصحابه ان يسلبوا كل سلاحهم وبعض ثيابهم . واطلق بعضاً منهم واساق بعضاً الى السجن واقام في دير القمر . وعادت الحوالات اشد مما كانت قبلاً .

ابو عسكر يونس وفارس الدهان

وفي هذه السنة حدث بين ابي عسكر يونس نقولا وبين فارس الدهان خصومة. فاراد ابو عسكر ان ينتقم من فارس فوشى به عند احمد باشا الجزار. فقبض عليه وطلب منه خمسين الف غرش . واسترد ذلك المال تحت ضمانة ديوان بيروت . وعاد فارس فوشى على ابي عسكر . فقبض عليه واخذ منه خمسين الف غرش ايضاً واطلقه . فرجع الى بيروت ومرض وتوفي . وكان رجلاً عاقلاً وديعاً محمود السيرة والسريرة . وكان له منذ حكم الامير ملحم الشهابي متسلماً ديوان بيروت ولم ينازعه احد عليه وكان محباً للجميع محبوباً من الجميع معتبراً عند الجمهور حتى انه كان ينهض كل يوم من داره الى الديوان فحيثما مر في الاسواق قامت اليه الناس من الاسلام والنصارى تحييه فلا يملك ان يرد التحية بكل الفاظها . فيقتصر على البعض . وكان له اخ قاصر العقل والهمة . حدث يوماً ما مشاجرة بينه وبين رجل من المسلمين يقال له سيد احمد الزوين. وكان سليط اللسان فشتمه فمضى الى اخيه وشكا اليه ذلك واقسم انـه لا يجاوره ما لم ينتصف له من خصمه . فقال : نعم . على ذلك . وساجله اذل من قيسي بحمص . فانصرف عنه ودعا ابو عسكر ببعض الحمالين . فاعطاه

قفة من الارز يحملها الى سيد احمد الزرين . وكان سيد احمد قد قدم بعد ذلك خوفاً من ابي عسكر ولامه الناس على جسارته وبينما هو كذلك اقبل الحال بهدية ابي عسكر. فكاد ان يذوب خجلاً واخبر قومه بذلك . ولما كان المساء اجتمعوا ومشوا الى دار ابي عسكر حتى دخلوا عليه فاكرمهم . واقبل الرجل على ابي عسكر واراد ان يقبل يده فامتنع عنه . واخذ يعتذر اليه . وكان تلك الليلة ذلك الرجل وقومه مثل الغلمان يخدمون في مجلسه. ثم لم يزالوا كذلك الى النهاية . واما اخوه فغضب من ذلك لانه كان يرجو ان ينتقم منه فاذا هو قد احسن اليه . فقال له : يا جاهل ! واي انتقام اعظم من استخدامنا رجلاً سلماً غنّ عليه بقبولنا له ؟

وبعد وفاة ابي عسكر استمر فارس الدهان متسلماً ديوان بيروت . وكان على ثروته شحيحاً حتى قيل انه كان يرسل ولده فضل الله الى بساتين له حول نهر بيروت فاذا اراد ان يرسل اليه غذاء ذلك النهار ارسله مع خادمه وكتب اليه رقعة يذكر له فيها عدد الخبز وما يتبعه من ادم كالجبن والبيض ونحوها . وكان لا يبالي بمعروف ومنكر. فمضى الى عكا ولمح ان الجزار يريد ان يطلب مالاً من نصارى بيروت . فضمن ذلك المال بمئتين وخمسين الف غرش طمعاً في تحصيل اكثر فيربح الفاضل . واصحبه الجزار بامر في القبض على النصارى . وفي نصف شهر آذار حضر الى بيروت وارسل الجزار اليها متسلماً صارماً قاسياً. فاعطاه فارس كتاب الوزير في القبض على النصارى. فقبض على اكابرهم والقاهم في السجن واقام عليهم العذاب وكانت الاعوان تعذبهم عذاباً شديداً لا يطاق. فاذا دفع احدهم مالاً خففوا عنه العذاب. وفي غضون ذلك توجه نصور التويني الى عكا وقدم للوزير دفتراً باسماء النصارى مفروضاً فيه على كل واحد منهم مبلغاً من المال بزعمه انهم يقدرون على ذلك ولا يتضايقون به . فكان مجموع هذا الدفتر ثمانمئة الف غرش . فارسل الجزار هذا الدفتر الى فارس الدهان لكي يأخذ بحسبه . فاجابه انه يفرغ جهده في ذلك بحيث انه يأمر بقتل نصور التويني . فامر بقتله . ومضى الى لعنة الله . واشتفى به غليل القوم وعتبوا مثله لفارس لان سعيهما كان واحدا . والله على كل شيء قدير .

وزاد الطلب بعد ذلك على الناس واشتد عليهم العذاب . فصاروا يبيعون

املاكهم وثيابهم وامتحنهم بانجس الاثمان واقاموا في السجن ثلاثة عشر شهرًا. وكان اطلاقهم عن يد يوسف ابن قره علي الحلبي ترجمان البنادقة لانه كان له دالة على الجزار فشفع بهم عنده وقبل شفاعته واطلقهم . وكان جملة ما دفعوه من المال اربعمئة الف غرش . لكنهـا بمنزلة ستمئة الف واكثر لانهم باعوا املاكهم بانجس ثمن واحتاجوا الى رشوات كثيرة . وتكاليف شتى . واما فارس الدهان فالهم الله الجزار وارسل قبض عليه والقاه في السجن قبل خروج المسجونين وطلب منه مئة الف غرش واقام عليه العذاب الشديد . ومكث في الحبس مدة حتى مـات تحت العذاب . وكان ذلك عيدًا للنصارى في بيروت يتباشرون به . وقد خف عنهم بذلك ما لحقهم من الهموم والاحزان شماتـة وسرورًا .

وفي هذه السنة توفي الشيخ عبد السلام العماد وكان رأس سمية بني يزبك . وكان رجلًا حكيمًا فصيحًا سديد الرأي حسن التدبير. وكان قد تجاوز في العمر السبعين سنة .

وفي سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠) كان الامير قاسم الحرفوش قد رجع الى بعلبك واقام بها كما مر . وبينما هو كذلك اقبل عليه الامير جهجاه فخرج اليه وثارت بينهما . فظفر به الامير جهجاه وقتله وقتل بعض اصحابه وهرب من سلم منه. ودخل الامير جهجاه المدينة وعاد الى ولايته. وكان احمد باشا الجزار في الحاج.

اما ما كان من الامير بشير فانه بعد رجوعه الى دير القمر تشدد كثيرًا في البلص والظلم وطلب الاموال من جميع البلاد عمومًا وخصوصًا . وكان يرسل الحوالات في طلب جانب من المال لا يتبين مقداره فيهتمون في تقدمة ما يقدرون عليه من المال ويلتمسون منه ان يعرفهم مقدار المطلوب فيفرض عليهم بعد ذلك مالاً يستطيعون عليه ولو باعوا كل ما يملكون ثم لا يتزل عن طلبـه ولا يترك شيئًا منـه الا نادرًا . فضجت الناس وضاقت صدورهم ولم يبد لهم سبيل الى الخلاص وكادت البلاد تخرب واهلها ينزحون .

وفي سنة ١٢٠٦ (١٧٩١) بينما النـاس في ذلك الضيق توفي الامير محمد قايدبيه في رأس المتن . فاجتمعت في مناحته افراد المتن واعيان الطوائف. وكان ذلك في شهر نوار. وفي ذلك الاجتماع تحدثوا في امرهم وعزموا على طرد الامير

بشير واختاروا مكانه الامير حيدر ملحم والامير قعدان . وتعاهدوا وتحالفوا على ذلك. وكتبوا الى امراء البلاد ومشايخها واعيانها وطوائفها بجميع المقاطعات. ونهضوا برأي واحد . وطردوا الحوالات واهانوهم ثم تظاهروا بالعصاوة . ولما رأى الامير بشير قيام الناس ضده وعلم ان منشأ هذه الحركة من المتن استدعى بعض امراء ومشايخ كانوا يميلون اليه وجمع رجاله ورجالهم وتوجـه بهم الى عين داره عازماً على قصاص اهل المتن وارسل ابن عمه الامير حيدر احمد بجانب من العسكر الى كفرسلوان وامره ان يبتدئ في احراق منازل بني حاطوم . ولما وصلوا الى هناك قامت اهالي كفرساوان عليهم وامتد الصوت في المتن . فحضرت الرجال . وانتشبت بينهم الحرب فكانت النصرة لاهل المتن . وقتل انفار من رجال الامير بشير وساب اكثر خيلهم وسلاحهم وارتدوا خاسرين . ولما علم الامير بشير بذلك نهض لدير القمر خوفاً من اهل المتن ان يجتمعوا اليه ومسابقة للامير حيدر والامير قعدان على امتلاك الدير. وعند وصوله عرض الى احمد باشا الجزار ان البلاد قد عصت عليه وحاربته وطردت اصحابه من بينها وان كل ذلك بسبب الامير يوسف وناثبه غندور الخوري لان كتاباتهما متصلة الى البلاد . فغضب الجزار وامر بقتل الشيخ غندور . فقتلوه شنقاً . وقيل انه مات قبل وصوله الى المشنقة فعلقوه ميتاً وشنقوا معه ابرهيم عزام واحد اولاده. وكان ابن الشيخ غندور محبوساً في عكا . فمكث في السجن حتى توفي به عن قليل . وانتهت حياة الشيخ غندور وسعادته على هذا المنوال . وترك مرجميون التي كان لايقنع بكل ما في يده حتى يسلبها من امراء وادي التيم ويقطع ارزاقهم كما تقدم الشرح. وبقي الامير يوسف في عكا ينتظر ما يقضى له وعليه.

وكان وقت طلوع الحج فخرج الجزار الى دمشق الشام .

موقعة زحلة

وكان بعد رجوع الامير بشير الى دير القمر حدثت فتنة بين اهل الدير وعسكر الجزار المقيم عند الامير بشير. فتأيدت رجال الدير وقتلوا من العسكر مقدار ثلاثين نفرًا وطردوه من الدير وقاموا ضد الامير بشير . فخشي من ذلك ورأى ان اكثر البلاد صار ضده ولم يبق من حزبه الا بعض المشايخ بني

جنبلاط . فجمع عشيرته وتوجه الى صيدا ومعه الشيخ قاسم جنبلاط . ومن هناك ارسل الى دمشق يعلم الجزار بما كان . فامر بقتل الامير يوسف من غير مراجعة . فقتل شنقاً كما قتل الشيخ غندور . وكتب الجزار الى متسلم عكا ومتسلم صيدا ومتسلم بيروت ان يكونوا موازرين للامير بشير في الرجال والذخائر . وقبل خروجه الى طريق الحج امر متسلم دمشق ان يجهز عسكراً لمحاربة جبل الشوف . فجمع عسكراً من الدولة والهوارة والمغاربة والارناؤط واقام عليهم قره محمد وكان رجلاً شديداً من وجاق الدالاتيه . فاتوا وضربوا وطاقهم في بر الياس وهربت اهالي الجبل من جميع قرى البقاع . ثم ركب العسكر على زحلة ولم يكن فيها سوى اهلها . فغاروا على حريمهم واموالهم وصادموا العسكر بعزم شديد فكانوا هم الغالبين وارتد عسكر الدولة خاسئاً . وارسل القره محمد اعلم متسلم دمشق بما كان . فانفذ اليهم رجالاً يستعينون بها في القتال وكان قد بلغ اهل الجبل ما حدث في زحلة . فانتخت اكابرها وجمعت عسكراً وتوجهت به الى زحلة لاسعاف اهلها . ونزل عسكر البلاد في زحلة فوقعت منه ثقلة على اهل المكان . وكان في العسكر اقوام غلاظ . فانكر اهل زحلة عشرتهم ولم يكن لهم سبيل الى رفعهم فاخذوا يرحلون نحو الجبل واخلوا لهم المكان. فاقبل عسكر الدولة على زحلة واحرقها بالنار وكان ذلك في السادس والعشرين من شهر تموز. مع ان اهل زحلة كانوا كفوًا لعسكر الدولة لو لم يحضر اليهم عسكر الجبل . فكان ذلك عليهم ضرراً جسيماً . وبعد قليل من الايام ركبت الدولة على ارض تعنايل وكان بها اناس من الجبل يجمعون غلالهم اختلاساً . فادركتهم الخيل ولم يعد يمكنهم الهرب . فدخلوا الى مكسة وهي قرية خربة وتحصنوا بها واحاطت بهم الدولة وانتشب بينهم القتال . وكانوا مقدار ستين رجلاً لا غير . وكان معهم راهب من بني الخازن وبعض رجال اشداء. فشجعوا بعضهم وناضلوا عن انفسهم وصادموا الدولة وثبتوا كذلك الى ان امتد الصوت الى الجبل واقبلت الرجال الى اسعافهم فارتد عسكر الدولة عنهم مخذولا . وقتل منهم اثني عشر رجلاً ومن الدولة مقدار اربعين . واقام عسكر الدولة بعد ذلك في بر الياس مقدار خمسين يوماً. وامتد الصوت في جميع البلاد فتقاطرت الرجال من كل جانب واقبلوا على

عسكر الدولة وحملوا عليه حملة صادقة. فولت الدولة منهزمة الى دمشق وتركت كثيرًا من الاسلاب والغلال التي جمعتها من اراضي البقاع . فاغتنمها عسكر البلاد واحرق بر الياس ورجع كل احد الى مكانه .

واما الامير بشير فكان لم يزل مقيماً في صيدا واسعفه متسلم عكا ومتسلم صيدا بعسكر عظيم من رجال الدولة فاقبل به على حرش بيروت واخذ يتطاول على املاك اهل الجبل وبساتينهم التي هناك وارسل جانباً من العسكر الى انطلياس فاحرق بعض البيوت وامتد الصوت نحو قاطع المتن وازواق كسروان. فاقبلت الرجال ولم تجد احدًا لانهم كانوا هربوا ولم يجسروا ان يلحقوهم فرجعوا الى مكانهم . ثم طلع جانب من العسكر الى الشياح واحرق بعض بيوت . فادركتهم بعض رجال الغرب وحدث بينهم قتال . فقتل من الفريقين انفار . وانهزمت الدولة الى الحرش. ثم طلع جانب من العسكر الى المكلس واحرقوها جميعها وبينما انطرح الصوت على بيت مري وبرمانا كفت الدولة راجعة الى مكانها . وتفرست الدولة واستهانت باهل البلاد . لانهم كانوا لا يجسرون ان يتطوروا معهم الى السهل خوفاً من سباق الخيل. فامر الامير بشير ان يركب العسكر جميعه ويطلع نحو الغرب. واذا ملكوا قرية يحاصرون بها ولا يهربون. فركبوا حتى وصلوا الى حدث بيروت . ولم يجدوا احدًا في جميع تلك الديار لان اكثر اهل السواحل هربوا واخلوا منازلهم . فاحرقوا الحدث . وتقدمت المغاربة والارناوط حتى وصلوا الى بعبدا . فوجدوا فيها بعض رجال . فثار القتال بينهم. فاستظهرت الدولة عليهم وطلبوا الهرب ولم يجدوا سبيلًا اليه فدخلوا الى دار الامير حيدر ملحم. ولم يكن بها احد . فاحاطت بهم الدولة واتصل بينهم ضرب الرصاص والى ان وصل باقي عسكر الدولة هناك كان قد امتد الصوت في الغرب واقبلت الرجال فانتشب بينهم القتال واشتد العراك وجاهد كل فريق منها على قدر ما استطاع . وكانت النساء تدخل بين القوم حاملة لرجالها الماء وهي ترمي الدولة بالحجارة . وكان عسكر الدولة يقلّ لما يفقد منه من القتلى وعسكر البلاد يكثر لما يقبل اليه من الانصار . وطلبت رجال الدولة الفرار فلم يجدوا سبيلًا لاحاطة الرجال بهم . وقتل منهم في ذلك اليوم مقدار اربعمئة نفر واغتنم عسكر البلاد خيلهم وسلاحهم ولم يقتل منه سوى

رجلين فقط . والمجروح اناس قلايل . ولم يكن في ذلك اليوم من الدروز الا نفر قليل وحسبت تلك الموقعة للنصارى . وكان عندهم يومئذ عيد مريم الواقع في خامس عشر من شهر آب .

وفي ذلك النهار رجع الامير بشير وخشي ان تنزل اليه رجال البلاد فنزل في البحر وسافر الى صيدا . وتبدد العسكر الذي كان معه . والشيخ قاسم جنبلاط تركه ايضاً ورجع الى مكانه .

وفي اثناء ذلك حضر احمد باشا الجزار من الحج ومضى اليه الامير بشير واخبره بكل ما توقع واجتمعت المناصب من جميع البلاد في دير القمر وجددوا العهود بينهم على ان يكونوا قلباً واحداً ويداً واحدة في مصلحة البلاد. وكتبوا الى الجزار انهم قوم يطيعون الله والسلطان ويطلبون صفو خاطره . وانهم لا يقبلون الامير بشير حاكماً عليهم لاجل ظلمه وانهم لا يدفعون الا المال السلطاني المرتب من قديم الزمان . وسألوه ان يرسل خلعة الولاية للامير حيدر والامير قعدان. فضرب الجزار صفحاً عن سؤالهم ولم يرد لهم جواباً. وطيب قلب الامير بشير وجهز له عسكراً عظيماً وارسله الى وادي التيم وارسل الى متسلم عكا ومتسلم صيدا ان يجمعا عسكراً ويرسلاه الى جسر صيدا. ففعلا وارسل الجزار عسكراً آخر الى بعلبك. وكان قصده ان يضايق البلاد من كل الجهات ليأخذها قهراً. ولما بلغ الامير جهجاه الحرفوش قدوم العسكر الى بعلبك اخلى المدينة ودخلها العسكر ونزل بها مطمئناً . وسار الامير جهجاه برجاله خفية وكبس بعض القرى من معاملة دمشق الشام . فنهب مواشي كثيرة وتوجه الى حيث لا يقدر الجزار ان يظفر به . والعسكر الذي حضر الى وادي التيم اتاه عسكر من جبل الشوف ووقع القتال بين العسكرين فانكسر عسكر الجزار وهربت الخيالة منه ودخلت المشاة الى سراي حاصبيا فحاصرت بها . فاقاموا عليهم خمسمئة رجل يحفظونهم من الفرار ورجع باقي العسكر الى البلاد. وكانت السراي خالية من الزاد. فتضايقت المغاربة والارنأوط من الجوع وطلبوا من المحافظين عليهم ان يدعوهم ليذهبوا بانفسهم فقط ويتركون لهم سلاحهم وامتعتهم. فلم يقبلوا . ولكنهم ندموا اخيراً لان الخيل التي هربت ما غابت الا اربعة ايام. وفي اليوم الخامس اقبلت ومعها عسكر جزار مع الامير بشير

ورجاله واغاروا على القرية. فامتد الصوت واجتمعت الرجال وثارت الحرب بينهم بالقرب من الخان . والرجال الذين كانوا يحافظون السراي انصرف اكثرهم الى قتال العسكر الذي حضر فصار سبيل للمحاصرين وخرجوا وانضافوا الى عسكرهم وكافحوا اشد الكفاح فانتصروا على عسكر الدروز وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وكسروهم وما زالو في آثارهم يقتلون منهم من ادركوه الى ان توسطوا الجبل . فرجعوا واحرقوا حاصبيا . وتركوها خراباً وعادوا راجعين الى عكا . وكان الجزار قد حضر الى عكا واستدعى كل العساكر ما عدا الذين في بعلبك واقام عليهم قواداً واتحفهم بالعطايا وفرض لهم الاقامات الجزيلة وارسلهم الى اطراف البلاد وكانوا مقدار ثمانية آلاف فحضروا واقاموا في عانوت وداريا وشحيم من قرى اقليم الخرنوب واخذوا يقطعون الاشجار ويحرقون المنازل وينهبون الاموال ويحرشون الناس للقتال. وكان قد وقف اناس من اهل البلاد على حدود البلاد بمقابلة عسكر الجزار لكي يمنعوه عن التقدم ولم يزل في الاقليم . واما العسكر الذي كان في بلاد بعلبك فلم يزل هناك وكان قائده واضعاً ارصاداً على طريق المدينة من جهة القبلة احتساباً من كبسة الامير جهجاه الحرفوش . وكان الامير جهجاه بعد ان كبس بعض القرى في معاملة دمشق ونهبها حضر الى زحلة وعزم ان يكبس عسكر الدولة الذي في بعلبك ولم يكن معه من المقاتلين سوى مئة نفر لا غير. فطلب ان يصاحبه من اراد من اهل زحلة تحت اجرته فاجتمع اليه مقدار مئة رجل ايضاً فاخذهم ومضى بهم الى نحو بعلبك . وكان قد علم بارصاد الدولة فاخذ بطريق آخر من جهة الشمال وامر اصحابه ان يدخلوا معه دخول اللصوص في سكون وخفة ولا يرفع احد صوته ولا يعجل في مشيه الى ان يكونوا توسطوا المدينة وتفرقوا بهم كما رتبهم. وان يتعاهدوا باسم عبدالله فمن سألوه من انت فقال عبدالله فيتركوه والا فيفتكوا به. وصبر حتى جن الليل بظلامه ودخل المدينة برجاله . وكان معه اخوه الامير سلطان . وكان ذلك بعد نصف الليل تفرقت رجاله كما امرهم ثم صاح بقومه الباقين معه واطلقوا الرصاص وقامت اصوات البارود وبعث اصحابه ففعلت كذلك من حيث هي وانقلبت المدينة بضجيجها وصار الامير جهجاه يدعو باسماء لا مسمى لها عنده من الامراء والمشايخ وطوائف المقاطعات ليوهم الدولة انهم في

صحبته وكانت اصحابه تدعو كذلك وتضج حتى ارتجت المدينة في ذلك الليل ووقع الرعب في قلوب عساكر الدولة لانهم كانوا نياماً ... فانتبهوا على صوت البارود وضجيج الناس وصهيل الخيل فظنوا ان رجال عربستان انقلبت اليهم فنهض كل واحد منهم من مضجعه وطلبوا الفرار وكانت رجال الامير جهجاه تسأل كل من لقيته عن نفسه فان لم يقل انا عبدالله اعملت فيه السلاح. فقتلوا جماً غفيراً من عسكر الدولة ولم يسلم منهم الا من نجاه الله وكان اكثرهم نهض من مضجعه وهو لا ينتبه على نفسه من شدة الرعب فيخرج منهزماً ويترك سلاحه حيث كان . ولما خلت المدينة من رجال الدولة . دخل الامير جهجاه ورجاله الى منازل العسكر فوجدوا كثيراً من الاسلحة والخيول والاسلاب والاموال فاغتنموها غنيمة باردة ورجعوا الى زحلة . واقام الامير جهجاه هناك . وكان ذلك في آخر شهر كانون الاول .

وفي هذه السنة حدث مطر عظيم في اراضي دمشق في آخر شهر ايلول . فطاف نهر برده وهدم جانباً عظيماً من المدينة وهدم خان الدالاتية واخذ كثيراً من الناس ولم يحدث مثله في تلك الارض قبل ذلك من قديم الزمان . لان ارض دمشق قليلة المطر لا يقع فيها غالباً الا رشاشاً .

« الجزار لا يقدر على البلاد »

وفي سنة ١٢٠٦ (١٧٩١) كان الذين هربوا من كبسة بعلبك توجهوا الى دمشق واخبروا بما جرى عليهم من الامير جهجاه . وكان في دمشق رجل يقال له الملا اسماعيل وكان من رؤساء الدالاتية . فانتخى وتكفل انه يركب على الامير جهجاه ويقتله ويخرب بعلبك . وكان الملا اسماعيل جباراً عنيداً . فركب بالف ومئتي فارس من رجال الدولة وتوجه الى زحلة. ولم يكن يومئذ من رجال زحلة سوى مئتي رجل فما دون ومن رجال الامير جهجاه مقدار مئة رجل. وكان اهل زحلة قد احتسبوا من غدر الدولة فحفروا خليجاً محيطاً بالبلد والسور . ولما اقبل عليها عسكر الدولة انقسم فرقتين لكي لا يقدر احد منهم على الهرب . وكان الامير جهجاه قد امر ان لا يخرج احد خارج الخليج . وهجمت الدولة على البلد من جهة القبلة ومن جهة الشمال . وثار بينهم القتال وكان بعض رجاله

زحلة مكمنين في الخليج الى الجهة القبلية . فكانوا اذا دنت منهم الخيل اطلقوا عليها الرصاص . فقتلوا منهـا وهي لا تراهم . وكان الامير سلطان الحرفوش في الكروم امام البلد ومعه خمسة عشر فارساً . فجال مع الدولة وقاتلها وكان حينما تقدر عليه الدولة يهرب من وجهها فاذا ارتدت عنه ينثني عليها الى آخر الكروم ويرجع . وقتل انفاراً من الدولة واشغل جانباً منها به حتى كادت تستظهر عليه . فتحوّل الى هناك بعض رجال البلد واكمنوا تحت شماب الكروم فكانوا اذا كرت الدولة على الامير سلطان يطلقون عليها الرصاص فيقتلون منها وأرصاد الخليج تتناول من لاح لها . فانكسرت الدولة وقتل منها خلق كثير وارتدت على اعقابها خاسئة نحو دمشق الشام . وكان القتال ذلك اليوم قد دام بينهم خمس ساعات على استقصائها . وكنت الفقير يومئذ هناك اسمع وارى . ولم يقتل من اهل زحلة سوى رجل يقال له ابن المبارك وعرجت الدولة في طريقها على مكان يقال له السلطان ابرهيم . فاقامت اياماً هناك . وفي اثناء ذلك اتت سرية منهم نحو بعلبك في الليل فاصبحت في نواحي ابلح الفرزل وهناك صادفوا بعضاً من المواشي فاخذوها واثني عشر رجلاً فقتلوهم وعادوا راجعين .

واما العساكر التي كانت في اقليم الخروب فكانت كل يومين او ثلاثة تقصد بعض القرى المجاورة لها فتنهب وتقتل ويشد الصوت فتقبل الرجال عليها فتهرب الى منازلها . وبعد ذلك سار منها شرذمة نحو مزرعة الشوف وكبسوها فهربت سكانها وادركوا انفاراً منها فقتلوهم ونساء فسبوها ونهبوا ما وجدوا هناك وعادوا . ثم كبسوا غريفة وكان فيها عسكر من اهل البلاد فقاتلوهم وانكسرت الدولة وقتل منها جماعة فانهزمت . وكان ذلك في شهر شباط . ثم عادوا اليها ثانية فالتقاهم عسكر البلاد واقتتلوا طويلاً وجاهدت الدولة ذلك النهار وافرغت كنانة الجهد فاستظهرت على اهل البلاد وقتلت منهم خلقاً كثيراً . ونهبوا غريفة واحرقوها وتشتت رجال البلاد . وكان قد طال المطال على اهل البلاد في الحرب والنزاع وضجروا من كثرة الاجتماع والافتراق وتعطلت اعمالهم ومصالحهم لانهم بينما كانوا يرجعون من السفرة الاولى يجد عليهم الصوت الى الثانية. ورأوا ان ذلك مما يطول عليهم ولا يظفرون بطائل منه لان عساكر

الجزار لا تزال تتجدد وتغزوا مكاناً بعد آخر . وكان الجزار قد قطع عنهم سبيل القوت من البر والبحر . فغلت الاسعار وقل الوجود واشتغلت الناس في ذلك . فصاروا بعد ان كانوا يذهبون الى الحرب من انفسهم لا يذهبون ولو بالاكراه والاغتصاب . والذاهب منهم لا يلبث قليلاً حتى يعود . فلما رأت مناصب البلاد ذلك عولت على كبسة الدولة نوبة واحدة اما لهم واما عليهم. فاخذوا يجمعون الرجال ويبذلون الاموال ويرغبون ويتوعدون حتى اجتمع اليهم جمهور كبير فرتبوا الفرسان والرجالة والقواد وساروا ليلاً يطلبون قرية شحيم حتى قاربوها فانقسموا ثلاث فرق واحاطوا بها وهجموا هجمة واحدة وعلا صياحهم وضجيجهم وقامت اصوات البارود من كل جانب . وكانت الدولة غافلة في منامها فانذعرت واعجلتها رجال البلاد عن التحفظ . فتركت خيلها وسلاحها وهربت تطلب النجاة . واستطال عسكر البلاد عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة واغتنم كثيراً من الخيل والسلاح والامتعة واحرق جانباً من شحيم وانثنى راجعاً . وكثيرون منه حضروا الى الحرب مشاة فرجعوا خيالة ولما اقبلوا على دير القمر راكبين خيل الدولة ولابسين قلابقهم وثيابهم توهموا ان عسكر البلاد انكسر وان المقبلين عليهم هم رجال الدولة . فخافوا واستعدوا. حتى سبق اليهم الناس وبشروا بالانتصار فقامت الافراح ودارت البشائر في جميع البلاد وكان ذلك في اول شهر آذار .

ولما بلغ الجزار ذلك استشاط غضباً وكتب الى قره محمد وبقية اغوات العسكر يشددهم على الرجوع والثبات واضاف اليهم رجالاً كثيرة وامدهم بذخائر واموال وخيول واسلحة . فنهضوا يطلبون دير القمر . وكان ذلك في ثاني عشر شهر ادار. ولما وصلوا الى قرية عنبال كان فيها قوم من رجال البلاد . فثاروا في وجههم وانتشب القتال بينهم . وكانت رجال البلاد قلائل . فظفرت بهم رجال الدولة وقتلت منهم انفاراً وهرب من سلم منهم الى دير القمر . وامتد الصوت في المناصب والشوف فركب الامير حيدر والامير قعدان وبقية المناصب ورجالهم وتقاطرت الرجال من القرى المجاورة . وكان الشيخ قاسم جنبلاط في كبسة شحيم مع عسكر البلاد . فلما وصل الى هناك خان واعتزل عن العسكر وانحاز الى الامير بشير في عانوت ولما ركبت الدولة هذه المرة على

الدير كان الشيخ بشير ابن الشيخ قاسم جنبلاط في نبع الحام ومعه جماعة من رجال الشوف . فترك اباه ومضى برجاله الى نصرة البلاد . والتقى الجميع في عنبال ورجع الذين انهزموا من الموقعة . واحاطوا بعسكر الدولة وقامت الحرب بينهم على قدم وساق وعلا ضجيجهم في ذلك الوادي وغطاه دخان البارود وكانت رجال البلاد لا تزال متتابعة عليهم ولما رأت الدولة ذلك الهول طلبت الفرار فلم تتمكن منه حتى قتل منها جانب عظيم . فتبددت في تلك القفار وقتل من اهل البلاد رجال قلايل وعادوا بالظفر والغناء .

وعلم بذلك احمد باشا الجزار فوقع من قلبه موقعاً عظيماً وارسل يدعو الملا اسماعيل من السلطان ابرهيم ووعده بكل جميل فحضر الى عانوت ومعه الف واربعمئة فارس واجتمع بالقره محمد وبقية الاغوات واجمع رأيهم على ان يرجعوا الى الجبل ويجعلوها وقعة الانتصار وركب العسكر باسره يطلبون دير القمر . ولما وصلوا الى السمقانية اقبل عليهم عسكر البلاد ولم يكن كفؤًا لهم فكسروه وقتلوا كثيرًا منه . وتداعت الرجال من كل جانب وبادرت الى نجدة قومها وكان اول من وصل الى هناك الشيخ جهجاه العماد ومعه رجال قليلة وكان شجاعاً في الحرب فصدم عسكر الدولة وقاتله قتالاً شديداً وثبت معه من بقي من رجال البلاد الى ان تكاثرت الرجال واطبق كل فريق على صاحبه وكان المكان سهلاً تجول فيه الخيل فكادت ان تكون الدائرة على اهل البلاد لان اكثرهم رجالة لا طاقة لهم على معاركة الخيل الا انهم كانوا قد تعودوا قتال الدولة وهان امرها عليهم فتجلدوا وكان فيهم رجال اشداء فخاضوا بين العسكرين والقوا بانفسهم على الدولة وتشددت اصحابهم وكافحوا اشد الكفاح فكانوا هم الغالبين وانهزمت الدولة من بين ايديهم . فساروا في آثارها واعملوا في اقفيتها السلاح . وقتل في ذلك اليوم خلق كثير من الفريقين. وكانت هذه آخر الوقائع بين الدولة واهل البلاد . وبعد انصراف الدولة تشاورت مناصب البلاد واتفقت على كبس الدولة في عانوت كما فعلوا في شحيم واستمدوا للركوب . وبينما هم كذلك امطرتهم السماء مطرًا غزيرًا طويلًا فامتنعوا به عن المسير . وفي اثناء ذلك تحدثت رجال الدولة في امرهم ورأوا انهم لا يقدرون على اخذ البلاد لشدة رجاله وكثرتهم وانه قد قتل منهم كثير

ولم يظفروا بطائل فاخذوا الامير بشير والشيخ قاسم جنبلاط ونزلوا الى عكا واعتذروا الى الوزير بان طرق الجبل عسرة ورجاله كثيرون فلا يمكن ان يؤخذ بالغلبة . وقيل انه قتل في تلك الوقائع مقدار ثلاثة آلاف من الدولة وخمسمئة من اهل البلاد .

ولما رأى الجزار انه لا يقدر على البلاد اراد ان يتلافى الامر بالتي هي احسن . فارسل يطلب الشيخ عبدالله القاضي ليكون واسطة بينه وبين الامير حيدر والامير قعدان ويرسل اليهما خلعة الولاية عن يده ويأمر بفتح صيدا وبيروت قبل خروجه الى الحج . فاحتسب الشيخ عبدالله من مواجهة الجزار لما يعلمه من فعله بالشيخ محمد كما مر . فارسل الامير حيدر والامير قعدان عوض الشيخ عبدالله ثلاثة انفار من عقال البلاد وعقلائها . فواجهوا احمد باشا الجزار وطلب منهم مبلغاً عظيماً من المال بدعواه انه صرف على العساكر اموالًا كثيرة . فقالوا ان نفقة العساكر لا بد منها في الحرب والسلام لانها مقيمة ببابه . واهل البلاد افتقروا من ظلم الامير بشير الذي لم يترك لهم عقالا . واذا طلب منهم مالًا لا طاقة لهم به فانهم ينهضون على الوالي كما نهضوا على من ولاه . واخيرًا صار الاتفاق على مئة الف غرش واخرج الخلعة للامير حيدر والامير قعدان . ودارت البشائر في البلاد وقامت الافراح في جميع الجهات وامر الجزار بالترسيم على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ قاسم جنبلاط وابقاهم في عكا الى ان يعود من الحج . وامر برفع اليسق عن صيدا وبيروت واطلق السبيل . وكان مع الامير بشير جدعون آغا الترك . فهرب والتجأ الى الامير حيدر والامير قعدان فقبلاه ، ثم قبضا عليه وطلبا منه حساباً وحصّلا منه اموالًا كثيرة عن محاسبات للامير بشير واطلقاه ومضى على ذلك مدة طويلة فبلغهما انه يكاتب الامير بشير إخبارًا وانذارًا ويدعو اليه الناس من مناصب البلاد ويتخذ بينهم وسائل . فقبضا عليه وشنقاه . وقد ذكرنا ان رسل البلاد كانوا قد تعهدوا للجزار بمئة الف غرش من الامير حيدر والامير قعدان. ولم يكن في ايديهما مال . فطلب المال السلطاني من البلاد وزادا عليه نصف مال ورتبا على كل من يعطي الجزية درهمين فما دون حتى الرهبان وجمعا تلك الاموال ودفعاها الى خزينة الجزار وارتضت الناس بذلك

وعدته سهلًا بالنسبة لظلم الامير بشير ومطاليبه السابق ذكرها .

حريق في دمشق

وفي سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢) حدث حريق في دمشق الشام وكان عظيماً جداً. واتفق انه كان في الليل فاحترق به كثير من القواسير والخانات والمخازن والدور واتلف كثيرًا من الاثاث والامتعة والبضائع . وارتجت المدينة بقسرها وكان الصياح في جميع اقطارها وبادرت الناس لتطفئة الحريق بالماء والتراب . واقبل متسلم البلد واتباعه فقالت الناس تلك غيرة منه على عباد الله . فاذا به قد اخذ يضبط ما سلم من الحريق زاعماً انه يحق له . وكان ذلك في فصل الشتاء .

وفي هذه السنة تسلم الامير جهجاه الحرفوش حكم بلاد بعلبك من يد احمد باشا الجزار تحت ايراد خمسة آلاف غرش لا غير .

وبها في اليوم الثاني والعشرين من شهر تموز حدث مطر عظيم حتى جرت السواقي . وتفاءلت الناس من هذا الامر النادر الوقوع .

وفي الخامس والعشرين من شهر آب كسفت الشمس بعد الظهر بساعتين ونصف واستمر الكسوف اكثر من ساعة .

غلاء ومجاعة

وفي هذه السنة اشتد الغلاء الذي كان ابتدأ من العام الماضي وعظم جداً. فارتفعت الاسعار كثيرًا حتى صار كيس الحنطة يباع بثلاثين غرشاً وما زال الامر يشتد حتى نفد القوت فكان رطل الدقيق يباع بشجرة من الزيتون . وقد مات كثيرون من الجوع وغيرهم كانوا يقتاتون من عشب البرية كالبهائم وتمضي عليهم ايام لا يأكلون خبزًا ولا طعاماً . فحالت الوانهم وهيأتهم وفسدت امزجة البعض منهم فمرضوا وماتوا . وحكي ان رجلًا من الشويفات كان يقال له طنوس الدقق غلب عليه الجوع حتى اشرف على الهلاك وكان له بنية خماسية فحدثته نفسه ان يأكلها . فقال لامرأته : اننا لا ننال طعاماً ، فلعلنا نقتات بالماء . فاخذت الجرة تملأها من العين ودعا بابنته فاخذ بيديها وحاول ان يذبحها

فامتنعت منه وكانت قد سقطت قوته من شدة الجوع فلم يقدر ان يضبطها ولم يتمالك ان يذبحها . فالجرحت في عنقها . وبينما هما كذلك اقبلت المرأة فرأتها على هذه الحال فضربته بالجرة فانصرع واخذت البنت وشدت جرحها وهربت بها الى بيوت الجيران . فخجل الرجل بعد ذلك وندم ولم يسعه الجلوس في بيته. فهام على وجهه الى ان دخل بيت رجل من جيرانه يقال له غز العبيدي. فجلس ساعة حتى بدت له فرصة. وكان في البيت اناء من اللحم المقدد فاختلسه وخرج به حتى اصاب مكاناً مستتراً تحت جدار فجلس يأكل حتى شبع فمات. وافتقدته زوجته تلك الليلة فلم يرجع واخبرها رجل انه رآه ميتاً تحت الجدار ولديه اناء من اللحم قد بقيت فضلة منه . فبكت وقالت خاف ان يموت جوعاً فمات شبعاً . . وكان الذي ضاعف الغلاء ان الجزار امر باليسق على الغلات في صيدا وبيروت لان الامير بشير كان دفع له مبلغاً جزيلاً من المال على حكم البلاد فارسل الجزار يطلب ذلك المال من الامير حيدر والامير قعدان او يسلم الحكم الى الامير بشير . فاعتذرا عن دفعه واراد مضايقة البلاد فامر باليسق ومنع نفوذ الغلات الى البلاد من جميع الجهات براً وبحراً. فتضايقت الناس اشد الضيق وباعوا كل عزيز بثمن بخس ليتعاشوا به .

وبينما هم في ذلك الضيق الشديد حدث الوباء وكان عظيماً لم يحدث مثله في هذه البلاد . وامتد في كل جانب من القدس الشريف الى حلب الشهباء. واهلك اناساً لا يحصى عددها الا الله ولا سيما في بلاد بعلبك والبقاع وبلاد حمص . وابيات كثيرة غلقت ابوابها ولم يبق احد من اهلها ولم يكن يخلو مكان منه حيث توجد الناس .

جرجس باز واولاد الامير يوسف

وفي هذه السنة كان جرجس باز من ديرالقمر ابن اخت الشيخ سعد الخوري عند اولاد الامير يوسف وكان من خواصهم المقربين وكانوا يومئذ في سن الصبوة . فتسلم جميع امورهم وضمن لهم حكم بلاد جبيل من الامير حيدر والامير قعدان ودفع لهما ستين الف غرش واخرج لهم خلعة الولاية من والي طرابلس على عادتها . فقاموا الى مدينة جبيل واقاموا بها وصارت بلاد جبيل

وكل ما يليها في يد جرجس باز وتصريفه وشرع من هناك في مكاتبة الامراء والمشايخ يستميلهم الى مواليه وفتح يده بالعطايا والهبات وكان من كرم النفس ومكارم الاخلاق على جانب عظيم . فمالت اليه الناس ورغبت في صحبته وقد ظهر ان حكم الامير حيدر والامير قعدان كان في يد اهل البلاد والجزار ارتضى به اخيراً عن عجز منه . فلم يكن لهما موازر في البلاد كغيرهما من الولاة . ولما تظاهر جرجس باز بالدعوة الى اولاد الامير يوسف مالت الناس اليهم واستهانت بهما حتى لم يكن لهما استطاعة على تحصيل الاموال السلطانية . فانصرف عزمهما عن الولاية وارتضيا بولاية اولاد الامير يوسف كما ارتضى اهل البلاد . وتقدم الاعراض الى احمد باشا الجزار بذلك ودفع له جرجس باز مبلغاً عظيماً من المال . فاجاب وارسل خلعة الولاية للامراء اولاد الامير يوسف وحضروا الى دير القمر واقاموا هناك وكان ذلك في شهر آذار . وتنحى الامير حيدر والامير قعدان عن الحكم واضحت الولاية في يد اولاد الامير يوسف بالاسم وفي يد جرجس باز بالعمل لانهم كانوا صبياناً كما مر وكان جرجس باز متصرفاً في جميع امورهم ومهماتهم لا يسأل عما يفعل . وكان بعض المشايخ بني جنبلاط يميلون الى اولاد الامير يوسف وبعضهم الى الامير بشير وكان حزب الامير بشير اقوى من اولئك واطول يداً . ولكنهم خافوا من اولاد الامير يوسف ان يقووا اولاد عمهم عليهم ويقيموهم ضداً لهم فقاموا عليهم بغتة وناروهم . وحدث لذلك شغب واضطراب عظيم ونهضت اولاد الامير يوسف على القاتلين . فاضطروا ان تركوا مواطنهم وتوجهوا نحو وادي التيم فاجروا عليهم القصاص في بساتينهم ومنازلهم . وكان هذا الصنيع بتدبير الشيخ قاسم جنبلاط الذي كان يومئذ لم يزل في تكا مع الامير بشير . وتعاطى جرجس باز ومواليه امور الولاية . وطابت لهم الايام ولم يكن من يناوئهم في جميع البلاد .

موقعة البادية

وفي سنة ١٢٠٨ (١٧٩٣) حدث خصام بين الامير جهجاه الحرفوش واولاد عمه في بلاد بعلبك واقتتلوا فظفر بهم الامير جهجاه وقبض على اثنين منهم فقتل الواحد واعمى الاخر .

وفي هذه السنة لما كان اكثر مناصب هذه البلاد لا يثبتون على عهد ولا يستقرون على رأي نهض البعض منهم ضد اولاد الامير يوسف ورجوع الامير بشير مكانهم واتفق رأي الاكثرين على ذلك وكتبوا الى احمد باشا الجزار وطلبوا الامير بشير . وكان الجزار يومئذ قد رجع من الحج فاجاب سؤالهم وانعم على الامير بشير بخلعة الولاية واصحبه بعسكر عظيم من رجال الدولة وحضر معه الشيخ بشير جنبلاط الذي كان من اكبر اضداد اولاد الامير يوسف . ولما وصل خبر قدوم الامير بشير الى البلاد توجهت اكثر المناصب لملاقاته . وقام جرجس باز باولاد الامير يوسف الى جبيل واكثر اهل الدير تركوا مواطنهم وارتحلوا والمشايخ النكدية اخلوا منازلهم وتشتتوا في البلاد ودخل الامير بشير واخوه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط واخوه الشيخ حسن مع عسكر الدولة الى البلاد ونزل في عاليه من قرى الغرب الاعلى وارتحت منه البلاد . فاقام هناك ثمانية ايام ونزل الى حرش بيروت واقام هناك مقدار اربعين يوماً . وكانت الناس تتوارد اليه وتقدم له التهانئ والهدايا وكان العسكر الذي معه حيثما سر او نزل يتطاول على كل ما يجده من اموال البلاد ومواشيها وفي اثناء ذلك ارسل الحوالات بطلب اموال وذخائر من الغرب والمتن وكسروان . فنهض بعض طوائف ضده وطردوا الحوالات بغير اذن امرائهم . وكان الامير منصور مراد يميل الى الامير بشير فلما رأى عزم الطوائف استمال اليه بعض المناصب وارباب الكلام وعزم ان يدخل الامير بشير مع العسكر الى المتن وراسل الامير بشير بذلك فركب العسكر وتوجه نحو المتن حتى وصل الى العبادية في اول قرى المتن فالتقاه اهلها ومن يجاورهم في تلك القرى وارادوا ان يمنعوه عن الدخول الى المتن . فقاتلهم واستظهر عليهم وقتل منهم انفاراً . فولوا هاربين . وهجم العسكر على العبادية فنهبها وسبى نساءها . وكان فيها ودائع كثيرة لاهل الشوف والغرب من دراهم وحرير وحلى وامتعة ومختلفات شتى لانه لم يخطر في بالهم ان العسكر يتصل الى هناك . ونهض الامير بشير من هناك الى رأس المتن حتى وصل اليها ونزل بها وكان في مروره ينهب العسكر كل ما يصادفه . وكان دخول العسكر الى المتن بغتة فلم يكن للناس فرصة ان يودعوا اموالهم . فكان الذي نهبه العسكر من المتن اكثر

من الذي سلبه الامير بشير منها في حكمه اضعافاً . واقام الامير بشير في رأس المتن بالعسكر . وكان ينوف عن خمسة آلاف . وكان معه اثني عشر مدفعاً وكان يأمر باطلاقها كل ليلة وقت العشا. فترتج منها البلاد . واخذ بعد ذلك يوزع الحوالات بطلب الاموال والذخائر وارسل المباشرين الى جميع دور المناصب واديرة الرهبان يفتشون على ودائع اولاد الامير يوسف والمشايخ النكدية . وحيثما وجدوا شيئاً من ذلك يضبطونه . وشاع الخبر ان الامير بشير يريد ان يتحول الى بلاد جبيل ولكن لم تعلم الناس من اية جهة يكون مروره . فكنت ترى اهل الساحل ينقلون امتعتهم الى الجبل خوفاً من مروره عليهم فيفعل العسكر كما فعل في مروره من البادية الى رأس المتن واهل الجبل ينقلون حوائجهم الى الساحل واهل الضيع الى المزارع واهل المزارع الى الضيع ولا احد يعلم كيف يتم الامر . وما زالوا كذلك مدة اقامته في الرأس وقلع العسكر اكثر اشجار الرأس وما يجاورها واشعله حطباً فضلاً عن الامتعة والمواشي .

وفي ذلك الوقت عقد بعض اهل المتن رأياً وعولوا على طرد الامير بشير من البلاد وتعاهدوا مع بعضهم وكتبوا الى الامير حسين ابن الامير يوسف في جبيل واستدعوه اليهم فركب الامير حسين بعسكر من نواحي بلاد جبيل وجمع في مروره رجال كسروان وقاطع المتن . واقبل نحو المتن حتى وصل الى بمبدات فارسل علماً الى الامرا. والطوائف الذين استدعوه . واستدعاهم الى المبادرة نحوه لكي يهجموا معاً على عسكر الدولة . وكان قد اختلف عزمهم بعد ارسالهم اليه فلم يحضر احد منهم . فرجع الامير حسين الى حيث اتى وتفرقت الرجال التي جمعها وازداد خوف الناس من الامير بشير .

وفي اثنا. ذلك توفي الشيخ قاسم جنبلاط في عكا فارسل احمد باشا الجزار بطلب ابنه الشيخ بشير ان يحضر اليه . فلم يجسر على النزول الى عكا فاعتذر اليه . وارسل الجزار الى الامير بشير وقائد العسكر الذي معه ان ينزلا من راس المتن ويقيما في حرش بيروت . فنزلا واقاما هناك . وبعد قليل من الايام ارسل الى قائد العسكر ومتسلم بيروت ان يقبضا على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط وفارس ناصيف الذي كان متسلماً باب الامير بشير

ويرسلوهم الى عكا . وكانوا يومئذ في المدينة . فقبضنا عليهم وارسلناهم الى عكا في البحر . وكان ذلك في اليوم الثاني من شهر آذار .

وفي صباح ذلك اليوم حدث في الحرش خصومة بين المغاربة والدالاتية . وكانت الارناؤط من غرض الدالاتية فانتصروا على المغاربة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى كادوا يفنوهم عن آخرهم. وعلى هذا المنوال تبددت العساكر وشاع الخبر في البلاد وهربت حوالات الامير بشير واستبشرت الناس بالفرج. وكانت اقامته في البلاد تلك النوبة مقدار اربعة اشهر . وفي وصوله الى عكا امر الجزار بالبيت عليه وعلى اخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط وفارس ناصيف. وبقي حكم البلاد سائباً من غير حاكم مدة وجيزة الى ان عرض جرجس باز الى الجزار وطلب منه الخلعة لموالية اولاد الامير يوسف . فاجاب الجزار وانعم بالخلعة عليهم . وقاموا من جبيل الى دير القمر وتقدمت لهم التهاني من جميع البلاد ووزعوا المال السلطاني مضاعفاً . وكان مزازوًا لهم الشيخ بشير نكد والشيخ عبدالله القاضي وارسل جرجس باز الى الجزار مئة الف غرش وارسل اخاه عبد الاحد يقيم في عكا بمنزلة رهن على دفع بقية المال الذي تعهد به . وكان قبل ان يقبض الوزير على الامير بشير واصحابه ارسل الامير بشير قبض على رجل مذنب من اهل ذرعون احدى قرى المتن وسلمه الى متسلم بيروت فامر بقتله. وبعد اخذ الامير بشير الى عكا اراد اهل القتيل ان يأخذوا بثأره فنزل منهم اناس الى نواحي المدينة . فصادفوا رجلاً مسلماً فقتلوه وهربوا . وشاع الخبر في المدينة فخرجت الناس في طلبهم فلم يدركوهم فرجعوا الى المدينة وهم في حدة الغضب فقتلوا كل من كان فيها من اهل الجبل وكانوا مقدار مئة نفر اكثرهم نصارى . وكان القاتلون دروزاً .

وفي ١٢٠٩ (١٧٩٤) ارسل احمد باشا الجزار عسكرًا من رجال الدولة الى بعلبك يريد القبض على الامير جهجاه الحرفوش. وكان الامير جهجاه لا يزال على حذر من طوارق الايام كما مر . فعلم بذلك قبل وصول العسكر. وهرب فلم يدركوه . وكان قبل خروجه من بعلبك نادى في اهلها بالرحيل فرحل اكثرهم. وادرك العسكر فارس مسلم فقتلوه وكان من خواص الامير جهجاه.

عبد الله باشا العظم

وفي سنة ١٢١٠ (١٧٩٥) عند رجوع احمد باشا الجزار من الحج اتته العزلة عن دمشق الشام وتولاها عبدالله باشا العظم وارسل خلعة ولاية بلاد بعلبك الى الامير جهجاه الحرفوش فتولى على احسن سبيل . وبعد وصول الجزار الى عكا انعم على الامير بشير واخيه الامير حسن والشيخ بشير جنبلاط واخرجهم من الحبس بعد ان كان لهم مقدار سنة في الاعتقال . وولى الامير بشير على حكم الجبل والبسه خلعة الولاية وارسل معه عسكرًا الى دير القمر. وكان جرجس باز في الدير مع مواليه اولاد الامير يوسف فنزحوا الى جبيل ومضت معهم المشايخ النكدية وبعض مناصب البلاد . وارتجت البلاد من دخول الامير بشير واضطربت خوفاً ورحل بعض اهلها وتوجه الامير بشير بالعسكر في طلب اولاد الامير يوسف واصحابهم فاحتموا في طرابلس وطلب الامير بشير من متسلم طرابلس ان لا يقبلهم عنده فلم يجبه الى ذلك ورجع العسكر واقام في جبيل مع الامير حسن . وكان في رجوعه قد مر على بعض قرى وادية فنبها . ورجع الامير بشير الى دير القمر وارسل ضبط املاك الامراء اولاد الامير يوسف وامر بقصاص كل من كان معهم وهدم منازل مشايخ النكدية في الدير اساً على اس . وكان ارباب الكلام في دولته الشيخ بشير جنبلاط والشيخ جهجاه العماد والشيخ احمد القاضي والشيخ نجم العقيلي . فاتفقوا على قتل بني عبد الصمد من عين ماطور . وتلافوهم حتى استأمنوا. فغدروا بهم وقتلوا منهم سبعة انفار وقبضوا على جماعة منهم . وكان الوزير قد ابقى عنده على سبيل الرهينة زوجة الامير بشير وولديه الامير قاسم والامير خليل وابن اخيه الامير ابرهيم وزوجة الشيخ بشير جنبلاط . وارسل الامير بشير يطلب دراهم من اهل البلاد يرضي الوزير ويطلق اولاده ومن معهم هناك وجمع مالًا جزيلًا وارسل الى الجزار دفعة من المطلوب . فاطلق له زوجته واحد ولديه وابقى الآخرين تحت البقية . وما زال الامير بشير موزعاً الحوالات في البلاد يطلب المال لانه كان قد تعهد للجزار بان يدفع له كل شهر خمسة وعشرين الف غرش وكان يطلب منه نفقة عسكر ومنافع لاصحابه وكان الطلب كثيرًا متصلًا. وكان

المطلوب من اهل كسروان وهي اصغر المقاطعات خمسين الف غرش . وبعد الشفاعات والوسائل ترك لهم خمسة الاف واخذ البقية . وكان اكثر الطلب والظلم على النصارى لانه كان يراعي الدروز بعض المراعاة احتساباً منهم اي من قيامهم عليه .

وفي ذلك الوقت اتفق ان الامير منصور مراد حضر من المتين الى دير القمر لمواجهة الامير بشير . ولما اراد الانصراف منعه الامير بشير وقيل انه رسم عليه بامر الجزار وبلغ الخبر الى المتن فاحتسب اهلها من ذلك ثم ان الامير منصور صنع حيلة وهرب ليلاً مع نائبه ناصيف الحويس ماشين وتركا جواديهما في الدير وصار فرح عظيم في جميع المتن وامر الامير منصور اهل المتين واهل بسكنتا ان يقيموا نساءهم واولادهم وانتقالهم الى مكان آخر ولا يبقى منهم الا رجال الحرب . ففعلوا وارسل الامير بشير حوالية على الامير منصور يطلب جانب من المال . ورأى الامير منصور ان بني عمه لا ينهضون معه فقبل الحوالية واكرمهم وتوسط امره بعض المناصب واصلحوا بينه وبين الامير بشير. وصفا خاطره عليه.

الجزار وقلعة سانور

واما اولاد الامير يوسف فكانوا لم يزالوا في طرابلس . وكان الوزير في الجردة . فلما حضر طلبوا منه الاسعاف وجمعوا العساكر بامداده وعزموا على غزو الامير حسن والعسكر الذي معه في جبيل . وبلغ الخبر الى الامير بشير فارسل نجدة الى اخيه. وكذلك الجزار ارسل نجدة في البحر ونهضوا جميعاً من جبيل وخرجوا الى ملاقاة عسكر طرابلس فانهزم من غير قتال ورجع اولاد الامير يوسف نحو بلاد عكار . ورجع اكثر اصحابهم الى البلاد وطلبوا رضى الامير بشير . فعفا عنهم وطاب له الحكم في تلك الايام .

وفي هذه السنة لما زالت ولاية دمشق عن احمد باشا الجزار رفع الحرب عن الشيخ يوسف الجرار صاحب قلعة سانور التي بالقرب من جبل نابلس . وهي قلعة عظيمة حصينة على جبل لا تسلك اليه الخيل الا على طريق واحد عسر . وكان الجزار قد حاصرها مقدار سبع سنوات ولم يقدر عليها. وكان كل سنة يجدد الركبة عليها مرتين وثلاثة ولم يظفر منها بطائل . وعزم في بعض تلك

السنين على بناء قلعة بازائها . فاحضر اهل الصناعة وشرعوا في البناء. فخرجت رجال الشيخ يوسف الجرار ليلاً وهجموا على العسكر والعاملين معه في ذلك البناء . فقتلوا منهم مقتلة عظيمة . وهرب من سلم منهم فتبعوه الى ابعد مكان وقتلوا من ادركوه ورجعوا فهدموا ما كان قد قام من البناء ، وعادوا الى القلعة. وفي نوبة اخرى امر الجرار ان يفتحوا خليجاً في الارض تحت القلعة فيهدموها بالبارود . فاحتفروا سرباً تحت الارض ولم يقدر الشيخ يوسف ان يمنعهم حتى قربوا من ارض القلعة . فاخرج اناساً يجلسون فوقهم ويضربون بالمطارق والحجارة على الارض في النهار والليل . ولما سمعوا اولئك من تحتهم توهموا انهم صاروا تحت القلعة وان ذلك وقع حوافر الخيل واعمال الخدم فلم يتقدموا . ووضعوا هناك صناديق شتى من البارود ورتبوها حسب صناعتهم والقوا عليها النار فاشتعل البارود وزعزع تلك الارض وحمل صخوراً عظيمة وقطعاً من ذلك الجبل . فوقعت على العسكر فقتلت منه خلقاً كثيراً وطلب الباقون الفرار . فخرجت اليهم اصحاب الجرار وقتلوا من ادركوه منهم واغتنموا كل ما كان معهم من ذخائر واموال وآلات فتقووا بها وعادوا الى القلعة . فغضب الجزار على الحفارين وقتلهم جميعاً . وجدد الركبة على القلعة . وما زال ينفق الاموال ويهلك العساكر ولا يظفر بمراده حتى زالت عنه ولاية دمشق وتولاها عبدالله باشا فقدم له الشيخ يوسف الجرار التقادم الفاخرة ودفع له الاموال السلطانية المعتادة . فارسل اليه خلعة الولاية على جبل نابلس . ولم يعد سبيل للجزار عليه .

وفي هذه السنة اتفقت امرأة من زحلة مع رجل على ان يقتل زوجها ويتزوج بها . فاتى الرجل ليلاً . وقام هو والمرأة على زوجها فقتلاه وحملاه على دابة ومضى به الى بعض الغوابة فالقاه هناك ورجع . ليقال انه قتل في الغابة فلا يتهم بقتله . وكان اهل القتيل ينكرون على قاتله انه يتردد على بيته ولا يحسنون الظن فيه . فلما فقدوا نسيبهم سعوا في طلبه فلم يجدوه وسألوا المرأة فقالت لا ادري الى اين مضى ورأوها غير مبالية بامره فقبضوا عليها وعذبوها فاقرت بما كان . فارسل الامير مراد ابن الامير شديد ابي اللمع فقتل الرجل والمرأة .

موقعة جبيل

وفي سنة ١٢١١ (١٧٩٦) جدد جرجس باز واولاد الامير يوسف ركبة ثانية على جبيل واستنجد والي طرابلس ايضاً واستغاث بمحمد بك الاسعد صاحب عكار وجمعوا عسكراً من معاملة طرابلس وعكار ينوف عن خمسة آلاف محارب واقبلوا نحو مدينة جبيل . فخرج الى لقائهم الامير حسن ومن معه من عسكر الجزار وكانوا قلائل . فثارت بينهم الحرب . ولما اشتد القتال خان محمد بك الاسعد وتقهقر باصحابه الى الوراء فانكسر العسكر جميعه وقتل منه اكثر من ستين نفراً ورجعوا الى نواحي طرابلس. ورأى جرجس باز ان لا سبيل له الى اخذ البلاد الا باهل البلاد فوقعت المراسلة بينه وبين امراء المتن وصار الاتفاق على حضور الامراء الى ارض البقاع . فحضروا . وارسلوا يستغيثون بعبدالله باشا والي دمشق. فارسل اليهم الملا اسماعيل بعسكر من وجاق الدالاتية . وحضرت الامراء الى زحلة . واخذ عسكر الدولة ينهب قرى المشايخ بني جنبلاط . وكان الامير بشير ارسل يخبر الجزار بذلك والقى النفير في البلاد فجمع عسكراً واتاه عسكر من عند الجزار . وساروا جميعاً الى قتال الملا اسماعيل . فكسروه وقتلوا جماعة من رجاله . فرجع الى دمشق الشام وتبعه الامراء باصحابهم الى هناك. وفي اثناء ذلك توسطت امراء المتن والشيخ عبدالله القاضي والمشايخ النكدية واصلحوا بينهم وبين الامير بشير . فاستأمنوا وحضروا الى دير القمر وواجهوا الامير وخلع عليهم وطيب قلوبهم واقاموا في منازلهم الى حين . فغدر بهم وقتلهم . وقيل انه وقع على كتابات منهم ضده . وكان الذين قتلوا في السراي الشيخ بشير واخوته الشيخ واكد والشيخ سيد احمد والشيخ قاسم والشيخ مراد . والذين قبضوا عليهم وقتلوهم فيما بعد اولاد الشيخ بشير الشيخ علي والشيخ جهجاه والشيخ سعد الدين والشيخ كليب وابن الشيخ واكد. وكان قتلهم عن يد المشايخ بني جنبلاط وبني العماد . ولما قضوا عليهم ارسلوا حالاً الى كل البلاد يطلبون من بقي منهم عازمين ان يمحوا ذكرهم عن وجه الارض . فلم يظفروا بهم وبقي منهم ستة عشر ذكراً رجالاً وصبياناً . وكان اكبرهم الشيخ سلمان . فهربوا الى اراضي دمشق وانضموا الى اولاد

الامير يوسف واحتموا هناك . واقاموا مدة من الزمان فضاق ما في ايديهم ورأوا ان الفرج بعيد فراسلوا احمد باشا الجزار وطلبوا منه الامان . فاجابهم بالرضى والقبول ودعاهم اليه . فحضروا جميعهم فاكرمهم وطيب قلوبهم وقرض لهم نفقات كافية واقاموا عنده مستأمنين . وبعد حين من الدهر حضر منهم اناس الى صيدا ينتظرون ما يكون من تصاريف الايام . وكان الامير بشير قد ضبط املاكهم واملاك اولاد الامير يوسف ووزع بعضها على المشايخ الجنبلاطية والعمادية والبعض من بني عمه وكان قد تعهد للجزار بثمانية آلاف غرش مقسطة على ست عشرة سنة . فرأى ان محاصيل البلاد لا تفي بذلك فجمع من البلاد المال السلطاني طاقاً ونصف طاق وفي آخر السنة فرض شاشية على كل رجل ثلاثة غروش من الدروز والنصارى خلا المقال والرهبان . فاوردت الناس لكن اهل القرى صاروا يحسبون انفسهم اقل عدداً مما هم . فاقام الطلب على كل مكان بحسب كثرة اهله وقلتهم من غير اعتبار العدد على شرط التأجيل الى ست عشرة سنة . ودام ذلك الى ان فات الاجل فجعله مالاً سلطانياً يستورد كل عام . ثم زاد عليه طاقاً فطاقاً حتى صار ستة اضعاف . وهو الى يومنا هذا كذلك . والعوذ بالله من الزيادة ايضاً .

وفي هذه السنة بعد غياب الشمس بساعتين ظهر في السماء شهاب من نار عظيم جداً مخالفاً لهيئة الشهب المعتادة . فاضاء منه الوجود مقدار مدة صلاة الفاتحة . وكان منظراً هائلاً متجها من ناحية القبلة الى ناحية الشمال . وتفاءلت[1] الناس منه . وكان ثمن كيل الحنطة في ايام البيادر من ستة غروش الى سبعة ثم تناقص فرجع الى الخمسة .

وفي هذه السنة اتى جراد من جهة القبلة وكان كثيراً جداً . فمر بسواحل البحر وباض هناك ثم تولد . وكان عاماً من بلاد صفد الى طرابلس . ولما صار يزحف توجه نحو المشرق وامتد في كل البلاد وانتهى الى الجرد وبلاد البقاع وبعلبك . واتلف غراساً واشجاراً لا تقدير لها . وعطل اعمال الناس لاشتغالهم بتحويله عن ارضهم . ولما نبتت اجنحته وصار يطير اتاه الله بطائر السمرمر فنفاه وافناه . وكان ذلك في آخر شهر حزيران . وكان قبل ذلك لم يترك

1) تفاءلت الناس . يقصد « تشاءمت » وخافت .

في جميع الاراضي التي مر بها نباتاً اخضر قط ، الا غصناً دقيقاً من الدفلة على جانب نهر الصفا كان يجتمع عليه فيلوي الى الماء .

الافرنسيون في مصر

وفي سنة ١٢١٢ (١٧٩٧) اقبلت العساكر الفرنساوية نحو الديار المصرية فقتحوا مدينة الاسكندرية ومصر القاهرة . واقبلوا نحو غزة ويافا وبلغوا عكا فحاصروها ومسك احمد باشا الجزار طريق البحر فكان يضبط كل ما يجده من السفن وامر باخراج النصارى من الاساكل البحرية واستعد لحرب الافرنج استعداداً بليغاً وذاقت نصارى المدن تلك السنة البلاء الشديد .

وفي هذه السنة توفي الامير سيد احمد اخو الامير يوسف الشهاب في حدث بيروت . وكان الجزار قد غضب على الامير بشير واراد ان يخلعه من الولاية وينصب مكانه اولاد الامير يوسف . فاوسلوا يبشرون عمهم بذلك . ولما وصل المبشر الى دار الامير سيد احمد اراد ان يخرج لمواجهته ، وكان قد افقد بصره اخوه الامير يوسف كما مر . وكان في غرفته دون الباب مسطبة على ذراع فسقط منها فاغمي عليه ساعة . ورفعوه الى مضجعه فمات بذلك . وفي غد ذلك اليوم توفي ابنه الامير يوسف في الغرب الاعلى وكان مريضاً . وكان ذلك في شهر تشرين الثاني .

دراسات تاريخية ادبية

« الغزل في شعر مزيد الحِلّي الأسدي »

بقلم عارف تامر

ـ بالامس وعلى صفحات مجلتي « الاديب والحكمة » اللبنانيتين تحدثت عن شاعر عربي كبير طمست الايام على اثاره الادبية ، وفارس من الفرسان صال وجال في حلبة الشعر والادب ، وامير من الامراء المريقين تربع على عرش القريض في عصر من عصور التاريخ ساده الاظلام والانحطاط . هذا الشاعر هو « الامير مزيد الحِلّي الاسدي » الذي قدمته يومئذ كشاعر مبرز سار في الطليعة وحاز قصب السبق ووصل الى الذروة ولم ازد على ذلك لان المصادر الشعرية لم تكن متوفرة لي انذاك لاستكمال الحديث وايفاء الموضوع حقه وايراد الحوادث الثابتة والشواهد الدامغة والتوسع في البحث وطرق كافة الابواب والنواحي ذات الصلة المباشرة بحياة هذا الشاعر المبدع وعهده الادبي المشرق وفنه الشعري الاخاذ. وها اني اعود الآن بعد ان تعمقت بدراسته وعرفت كل شيء عنه لاتحدث عن موضوع هام يلعب دوراً رئيسياً في حياته الادبية ، ويلقي ضوءاً مشعاً على نقطة حساسة مجهولة اكتنفها الاهمال والنسيان وهي : « الغزل في شعره » واني قبل ان ابدأ بالتحدث عن هذه الناحية الادبية الهامة لا بد لي من تقديم عرض تاريخي موجز عن الوضع السياسي في تلك الفترة المضطربة المظلمة المغمورة التي عاش فيها «مزيد» وما كانت عليه بلادنا قبلها وبعدها معتبراً هذا العرض مقدمة للدخول في الموضوع الذي انا بصدده .

غير خاف على كل مهتم بالتاريخ الشرقي ومتتبع للدراسات الاسلامية ان منتصف القرن الرابع للهجرة المحمدية وما يليه كان عهداً عنيفاً بحوادثه وتقلباته ومفاجآته ، مضطرباً اشد الاضطراب ويكاد يكون منعدماً من اي اثر لاثار الهدوء والاستقرار والاطمئنان ، فالرئاسة العليا كانت موضع اخذ ورد تتنازعها دولتان كبيرتان يقوم على راس كل منها زعيم سياسي كبير

اتخذ لنفسه صفة دينية تلزمه بخلافة المسلمين واقامة الخطبة الدينية في المساجد والمعابد باسمه والزامه بكافات الامتيازات والصفات التي يتطلبها هذا المركز الخطير فالدولة الاولى كانت « العباسية » ومركز عاصمتها بغداد ، والثانية « الفاطمية » وعاصمتها القاهرة ، اما الحوادث التاريخية الهامة التي وقعت في كلتا الدولتين خلال تلك الفترة فتتلخص بما يلي :

انقسام خطير في الدولة العباسية بين القائم بالله العباسي الخليفة السادس والعشرين والقائد العام للجيوش العباسية « ابو الحارث ارسلان البساسيري » الملقب « بالمظفر» الذي يقال انه ينتسب الى امراء بني بويه الشيعيين واضطرار الخليفة العباسي للاستنجاد بالقائد السلجوقي التركي الاصل « طغرل بك » وفي هذه الاثناء يفد داعي دعاة الدولة الفاطمية « المؤيد في الدين » هبة الله الشيرازي او « لورنس الفاطميين » كما اسميه الى العراق للاتصال بالبساسيري وتشجيعه على ثورته وليضع تحت تصرفه جميع الامكانيات المادية والمعنوية التي تكفل له التغلب والانتصار على العباسيين وحمله على مواصلة القتال ثم اغراء القبائل العربية المجاورة على شق عصا الطاعة والثورة على نظام الحكم العباسي تحت تأثير الاموال الكثيرة والهدايا والخلع التي كان يغدقها المؤيد على الزعماء والشيوخ والامراء بلا عد او حساب،وفي هذه الفترة يستولي « ثمال بن صالح بن مرداس » تاج الامراء » على حلب ويباشر حرباً شعواء مع (منيع بن شبيب النميري) صاحب حران بشأن الرقة ،اما البيزنطيون والسلجوقيون فيوقعون معاهدة صداقة وتحالف تقضي بغزو املاك الدولة الفاطمية في الشام واعالي الجزيرة بينما ينضم الى جيش البساسيري بتوجيه المؤيد في الدين كل من الامير نور الدين بن دبيس بن مزيد امير بني مزيد الاسديين وصاحب (الحلة) العراقية وهو جد شاعرنا الكبير وقريش بن بدران العقيلي ، مضافاً الى كل ما ذكرناه نشوب معركة سنجار الكبرى ودخول جيوش البساسيري بغداد والموصل والكوفة وواسط واعلان الخطبة باسم الامام الفاطمي المستنصر بالله وقد ظلت الخطبة قائمة ببغداد مدة تزيد على العشرة شهور ثم ضرب السكة باسمه وانشاد الاذان الفاطمي « حيَّ على خير العمل » ولقد اقصي ايضاً الخليفة العباسي القائم عن بغداد بعد ان وقع صك التنازل وانتزعت عمامته وشرفة من قصره وبردة النبي وارسلوا جميعهم الى القاهرة اشعاراً بالظفر ، وفي

هذه الاثناء يستخلص القائد الفاطمي « ابي علم بن ملهم الخويلدي » حلب من ثمال بن صالح بن مرداس ، واخيراً وبعد كل هذه الانتصارات يدب الانقسام في جيوش البساسيري الى شيع واحزاب وتذر الطائفية والعنصرية بقرنها معلنة الفتنة العمياء مما مهد « لطغرل بك » الانتصار على البساسيري واجباره على الهرب ، اما المؤيد في الدين فقد عاد الى القاهرة فاشلاً .

بينما كل هذا يجري في بغداد كان الاضطراب قد اخذ ينذر القاهرة مهدداً باوخم العواقب فتختل شؤون الوزارة ويتتالى الوزراء واحداً بعد واحد .فمنهم من يمكث فيها شهوراً ومنهم من كانت مدة وزارته اياماً ومنهم من يمكث يوماً واحداً الى ان استدعى الامام الفاطمي المستنصر بالله « بدر الجمالي » وكان حاكماً عسكرياً في عكا، وفوض اليه جميع الامور ، وفي الوقت نفسه كانت امصار الفاطميين بافريقية تمتنع عن تأدية ما عليها من ضرائب وتعلن استقلالها لتعود الى طاعة العباسيين وتتحرك قبائل بني هلال وسليم العربية النجدية الاصل من مصر العليا نحو الغرب لتعيث فساداً في طرابلس وتونس مدة طويلة ويغشى النورمانديين صقلية وكانت من املاك الفاطميين،وفي الشام كانت الحالة في شبه فوضى والولاة والوزراء لا يكاد احدهم يستقر فيها حتى يخرج معزولاً او مدحوراً والامور تزداد سوءاً واهل البلد احزاب يثورون بالولاة والقواد ثم تتأجج نار الفتنة ويثور اهل دمشق بامير الجيوش بدر الجمالي حاكم الشام فيضطر للخروج من قصر الامارة والنار تشتعل فيه وكان هذا العمل بداية تشير الى زوال حكم الفاطميين عن الشام ، وفي هذه الفترة نفسها ايضاً يتم استيلاء « معلى بن حيدرة الكتامي » على دمشق ويضطر للهرب بعد ايام من دخوله بسبب الفتنة التي وقعت بينه وبين عساكر المدينة وتقطع ايضاً خطبة الفاطميين نهائياً من الشام ، كما ان القدس تفتح من قبل « اتسز بن اوق الخوارزمي » وهو احد امراء السلجوقيين ثم يظهر فشله عند محاولته فتح الشام ويبدأ الصليبيون زحفهم باتجاه القدس ويتم فتحهم لمعرة النعمان وانطاكية وتتم هزيمة الجيوش الفاطمية بقيادة « الافضل بن بدر الجمالي » بجوار بيت المقدس عائدة الى عسقلان ثم الى مصر ، واهم من كل ما ذكرناه وفاة الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله واندلاع الفتنة الكبرى بعده بين ولديه نزار والمستعلي بسبب الخلافة ثم محاصرة نزار والقائد افتكين في

مدينة الاسكندرية بعد هربهما اليها من قبل الافضل بن بدر الجمالي امير الجيوش وخال المستعلي لجهة والدته وانقسام الاسماعيلية الى فريقين فريق النزارية وعاصمة ملكه «الموت[1]» في فارس وعليها « الحسن بن الصباح » ويؤلف اقطار العراق وسوريا والعجم، وفريق المستعلية وعليها « الافضل بن بدر الجمالي » ويؤلف مصر واليمن والهند، وتتمخض السنين فيستلم زعامة النزارية الاسماعيلية بعد نزار ولده « الحسن » ثم « محمد » وفي هذه الفترة الغامضة جداً يفد الى سوريا « راشد الدين سنان» شيخ الجبل ليتسلم شؤون رئاسة الدعوة الاسماعيلية في بلاد «قلاع الدعوة» وجبال السماق، ويترك امارة (حلة بغداد) قاصداً بلدة « مصياف » السورية امير من امراء قبيلة بني اسد العربية التي كانت تعتنق مبادىء الشيعة الامامية ليقيم فيها بقرب سنان وليساهم ببناء الفدائية التي لعبت الدور الهام في الحروب الصليبية هو الأمير مزيد الحلي الاسدي القائل بقصيدته الطويلة اثناء الرحلة .

ولما وصلنا ارض شيزر صدّنا	مسيل من العاصي شديد التهجم
فقمنا بعون الله نقطع موجه	كما قطت في الترب كف المتجم
وسرنا الى مصياف سعياً كما سعى	الى البيت قوم من قريش وجرهم
وقد نثر الرحمن اطهار سندس	على كل ورد بالرياض معمم

اما الحوادث التاريخية الهامة التي حدثت بعد مجيء مزيد الى سوريا واستقراره بقلاع الدعوة الاسماعيلية فاليك اهمها :

زوال ملك العاضد الفاطمي نهائياً عن القاهرة على يد صلاح الدين الايوبي، ثم موت نور الدين الزنكي الشهيد واستلام ابنه الصغير الملك الصالح شؤون الملك واقامته في حلب وفي هذا الوقت يبدأ تسرب الصليبيين الى المواقع الهامة في طبريا والكرك وعكا. وحيفا. ونابلس وعسقلان ثم اعلان الخطبة في المدن السورية باسم « المستضيء العباسي » بامر من صلاح الدين وارجاع وثيقة التخلي والعمامة والبردة للعباسيين وظهور « الاسماعيلية » في فارس كدولة كبيرة مرعوبة الجانب وفي سوريا كامارة عظيمة يقوم على رأسها «سنان راشد الدين» ومحاصرة (مصياف) عاصمة الاسماعيلية من قبل صلاح الدين ثم تنازله الى عقد معاهدة صلح

١) المصادر الاسماعيلية السورية الاخيرة تثبت ان كلمة « الموت » اشتقت من « مات – يموت » وليست « ألموت » كما جاء بمصادر اخرى .

مع الاسماعيلية وزحفه الى الارض المقدسة ماراً ببصرى الشام بعد ان وافاه جيش مصر ثم مهاجمة عكا. من قبل ولده « الافضل » ونشوب معركة حطين والقدس وانتصار صلاح الدين فيها واحتلاله لصيدا. وبيروت وجبيل وجميع المواقع الواقعة على الطريق حتى القدس وبعد هذا واخيراً زحف صلاح الدين على الشاطئ السوري ميماً شطر انطاكية . في هذه الفترة من الاحداث الجسام عاش شاعرنا الملهم الرقيق « الامير مزيد الحلي الاسدي »[1] وفي هذا العصر المضطرب المتقلب نظم اكثر قصائده والحقيقة التي لا مجال للريب فيها ان تلك الفترة وما بعدها كانت من اشد الفترات حلكة واعنفها اظلاماً واعظمها اثراً من الناحيتين الفكرية والتاريخية ويكفي ان تعلم انها فترة الحروب الصليبية وعهد صلاح الدين ونور الدين الشهيد وسنان راشد الدين او فترة الصراع ما بين الشرق والغرب فاذا عرفنا ذلك ادركنا لاول مرة اية اهمية تاريخية لها بنظر العلماء والمؤرخين وعرفنا ايضاً بان التعرض لبحثها من الامور المعقدة الشائكة التي قلما يجتازها الباحث بسهولة لان هناك في تاريخ الفلسفة الاسلامية ناحيتين قلّما أمن الباحث في مسالكها من الخطأ وهما الاسماعيلية وعهد الحروب الصليبية ، ومهما يكن من امر فقد عرفت الدعوة الاسماعيلية الهادئة شعراء كثيرين لعبوا ادواراً هامة في الحياة العلمية والادبية والعقلية وصالوا وجالوا في مختلف ميادين الشعر والادب حتى اصبح لهم القدح المعلى وحتى تمكنوا من انتزاع قصب السبق في كافة الادوار والفترات ، ولقد دبّجوا القصائد الطوال وصنّفوا الكتب العديدة التي جاءت جميعها زاخرة بانفس الاشعار واطيب الاقوال، واذا كانت الدعوة الاسماعيلية الهادئة قد عرفت او بلغة اصح قد اطلعت شعراء مبرزين كالخيام والمعري وابن هاني الاندلسي والامير تميم بن الامام المعز لدين الله الفاطمي والمؤيد في الدين الشيرازي وعمارة اليمني وجلال الدين الرومي ، والخرساني والبصري والطيبي والاسكندراني وابي حصينة المعري والتميلي وناصر خسرو وغيرهم ممن تأثروا بالاسماعيلية كالمتنبي والشيرازي والفارض وابن حيوس ، فانه ليكون موضع الاعجاب والفخر ان يضاف الى سجل كل من ذكرناهم من الشعراء الاسماعيليين الخالدين شاعر مغمور او امير شعراء مجهول

١) راجع كتابنا سنان وصلاح الدين ، ١٩٥٦

لم ينشر من شعره كما ذكرنا الا ابيات معدودة على صفحات مجلتي الحكمة والاديب هذا الشاعر هو الامير مزيد الحلي الاسدي شاعر الدعوة الاسماعيلية الهادية في منتصف القرن الخامس الهجري الذي نقدمه الان مطلين اسفنا العميق واستغرابنا لاغفال اسمه وعدم التعرض الى ذكره في كتب التاريخ والادب الذي وضعه بروكلمن وستروتمان ، وريتر او حاجي خليفــة في كتاب كشف الظنون او ايفانوف او فيضي او ماسينيون او محمد كامل حسين ، او برنارد لويس او غويارد او جيب او كوربان وغيرهم ممن بحثوا في الادب الاسماعيلي وتاريخه وجالوا في هذا المضمار .

هو الامير مزيد بن صفوان بن الحسن بن منصور (بهاء الدولة) بن دبيس (نور الدولة) بن علي بن مزيد الاسدي (ابي الحسن) بن الامير مزيد الحلي الاسدي الكبير صاحب الحلة العراقية التي ذكرها ياقوت الحموي في كتابــه معجم البلدان وقال عنها : انها مدينة في ارض بابل ووصفها المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي دعاة الامام الفاطمي المستنصر بالله بانها مدينة على بعد ستين فرسخاً من بغداد وتسمى ايضاً « الجامعين » و(الفيحاء) و(زورة بابل) وقد عرفت هذه المدينة وخاصة بالعهد العباسي بانها عاصمة امارة بني اسد العربية او امراء بني مزيد وكانت تدعى ايضاً « حلة بني مزيد » نسبة لهذه الاسرة العربية العريقة التي استوطنتها وحكمتها مدة تزيد على المائتي عام اي منذ سنة ٣٠٣ هـ الى ٥٤٥ هـ، اما اسرة بني مزيد هذه فقد عرفت بتشيعها للفاطميين منذ عهد بعيد بالرغم من وجودها في قطر يخضع للخلفاء العباسيين وقد جاء بالمصادر التاريخية الموثوقة ان هذا التشييع ازداد وضوحاً وقوة في عهد القائم العباسي المعاصر للامام المستنصر بالله سنة ٤٣٨ هـ حينما اوفد الخليفة الفاطمي الآنف الذكر داعي دعاته المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي للبلاد العربيــة ليحمل القبائل العربية فيها على شق عصا الطاعة على الخليفــة العباسي وتأييد القائد البويهي المتشيع (ارسلان البساسيري ابي البركات) وجاء ايضاً في ابن الاثير انه عندما احرق ضريح الامام موسى الكاظم وحفيده محمد بن علي الجواد وقبور بني بويه وقبر موسى بن جعفر ومحمد بن علي انتهى الخبر الى نور الدولة دبيس بن مزيد فعظم عليه واشتد حزنه وبلغ منه كل مبلغ لانه وادل بيته وسائر

عمالهم كلهم من الشيعة ، وجاء ايضاً بكتاب المؤيد في الدين الشيرازي الى دبيس بن مزيد عندما كان يستنفر القبائل العربية لحرب العباسين ما يلي :

والله لقد غمني في سيدنا ان تكون هذه الافعال عن مثله تصدر وهذه الاخبار عنه تؤثر وتنشر وقال : ايستحق منك يا شيخ العرب ان تجازيه هذا الجزاء ولو انه من بني يزيد بن معاوية الذين تبرأ منهم فضلاً عن بني علي عليه السلام الذين تتولاهم . وجاء بالعهد الذي كتبه المؤيد في الدين داعي الدعاة هبة الله الشيرازي للامير دبيس بن مزيد مـا يلي : ولما استقر بحضرة امير المؤمنين عليه السلام ما حباك الله به من كرم الاعراف وكونك بالولاء لاهل البيت عليهم السلام لمة في العراق ، وجاء بالعهد المذكور ان الامام المستنصر بالله قد لقب الامير دبيس بن مزيد بالامير سلطان ملوك العرب سيف الخلافة « صفي امير المؤمنين » ، وجاء ايضاً بابن الاثير : ان موقعة سنجار كان على راسها البساسيري ونور الدولة دبيس بن مزيد وعلى راس الفريق الثاني قريش بن بدران صاحب الموصل وقتلش ابن عم (طغرل بك) وسهم الدولة ابو الفتح بن ؟رو وقد انهزم قريش بن قتلش وجاء ايضاً بان نور الدولة الامير دبيس بن مزيد وقد عاش (٨٠ عاماً) كان فيها اميراً نيفاً وستين وكان ابن مزيد هـذا من اكابر امراء العرب ومن حماة الشيعة وجاء بابن الاثير ايضاً وايضاً بان ابنـاء الامير دبيس بن مزيد وهمـا منصور وبدران وحماد قد اسروا قرب الكوفة بالمعركة التي نشبت بين خمارتكين الطغرائي والبساسيري وجاء بالمصدر نفسه ان دبيس بن مزيد قد زوج ابنه الامير منصور « بهاء الدولة » من ابنة ابي البركات البساسيري نفسه .

ولد الامير مزيد في حلة بغداد سنة ٥٣٨ هـ وعاش وتوفي في بلدة مصياف السورية سنة ٥٨٤هـ ولا يزال ضريحه قائماً فيها للان بجانب ضريح سنان راشدالدين في جبل مشهد ، اما سيرة حياته فسنكتب عنها فصلاً طويلاً جامعاً في ديوانه الذي نعده الان للطبع ومويا يكن من شيء فقد اصبح واجباً وضرورياً علينا بعد تقديم هذا العرض التاريخي الوجيز الانتقال الى موضوعنا وتقديم مزيد الحلي كشاعر غزلي فنقول :

ان اهم خصوصيات الشعراء المجيدين الملهمين التي تجعل شعرهم مؤثراً في

القلوب ومقبولاً لدى الافهام قوة بيانهم وجودة كلامهم ورقة انغامهم . فكلما كان بيانهم ناصعاً وكلامهم واضحاً وقوافيهم سلسة ناعمة كان تأثيره اعظم ، فهم في هذه الاحوال يستميلون اليهم السامعين ويهزون كيانهم ويحركون عواطفهم ويملكون مشاعرهم فيديرونها حيث يشاؤون والفوز الذي يحصل لمثل هؤلاء الشعراء عظيم لا يكاد يوصف ومزيد كما سترون من جملة هؤلاء. فمن القاء نظرة على شعره وسماع قوافيه يتبين ان ما وصفناه ينطبق عليه فهناك قوته البيانية وقبضه على عنان الكلام والسهولة شعره وخلوصه من التعقيد والتكليف وهذا ما يجعل الذهن يتقبله بسرعة وبدون ادنى كلفة او ازعاج ويجبر قيثارة النفس ان تستجيب له ملء الاعماق .

الا كم الوم النفس عند ادكاركم	وحتام اخفي ما الاقي واكتم
وفي كبدي للبين ناب ومخلب	وحولي نسور للحوادث حوم
وكم ليلة قضيت فيها مآربي	اعانق ربات الخدور والثم
وكنت انادبه وقد غلب الكرى	الا فاسقني خمرًا من الدن قدم
ودرها لنا لا عيش الا بشربها	اذا لاح ضوء الصبح او هبت انسم
مشعشة جلت على كل عاشق	لبيب وان كانت على المرء تحرم
ترادت فلا تدري مصابيح راهب	تلوح او انقضت من الافق انجم
ويرفعها الساقي فلست بعارف	ايلزمها بالكف ام ليس يلزم
هي الشمس في الدوران والدن برجها	ومشرقها كاس ومغربها فم
اذا برزت خرت لها الناس سجدًا	ويعرق من بعد السجود لها دم

ففي هذه الابيات نلاحظ الفن في السبك والاجادة في التأليف والبراعة في التركيب والتوازن بين المصراع الاول والثاني، اجل ... نلاحظ شعرًا مطبوعاً سالمًا من التكليف بريئاً من الاستعارات البعيدة والتشبيهات غير المألوفة ونشاهد وصفاً لمجالس الانس والطرب والخمرة قلما سبقه اليه شاعر ففيه التشبيه الأخاذ والرقة المتناهية والابتكار الجديد والتفكير البعيد المدى .

ومهفهف متوشح بردًا	لا ينجز الميعاد ان وعدا
لو لم امدّ يدي الى يده	لخشيت منه ان يمد يدا
ارسلت ثم قعدت ارقبه	واقول سوف يعود حين بدا
حتى اذا حمي الهجير بنا	نصف النهار وطال بي امدا
سليت قلبي ثم قلت له	ان لم يكون اليوم كان غدا
لو انّ من في الارض يعزلني	ما رام قلبي سلوةً ابدا

وهنا نشاهد الفصاحة والجزالة والاستوا. والارتباط وعدم التفاوت والسمو بالالفاظ والتشبيه والمتانة تتجلى باجلى مظاهرها مع رقة متناهية تنساب انسياب الجداول في الاودية الوارفة ذات النخيل والورود والرياحين .

اما والهوى لو عندها بعض ما عندي ... لما هجرت لكننا وجدها وجدي
لها جسد بالوهم يدنو وقلبها ... على لينه اقسى من الحجر الصلد
وحق الهوى لو استطيع اذا مشت ... لابسط ذلّاً تحت اقدامها خدي

وهنا تظهر ايضاً البلاغة في الاسلوب والصناعة في البيان والصنعة اللفظية والبديع والثقافة العامة مع الجزالة الرقيقة المنسكبة بدون شعور .

وشادنٍ افديه لو يفتدي ... عليَّ في حكم الهوى يعتدي
مدحته قال فمن ذا الذي ... تمدحه ؟ قلت له سيدي
فهو الذي اغرق اهل الهوى ... في حبه في لجج مزبد
ارق من مشمومه جسمه ... وقلبه اقسى من الجلمد
والحج .قد تاه اناس به ... وانهم في اثر المقتدى
لو عاينوا الابيض من ثغره ... ما يمموا للحجر الاسود
فالورد من وجنتيه اجتني ... وثغره كالاقحوان الندي
ووجهه كالشمس شمس الضحى ... وقده كالغصن الاميد
وعينه تشبه عين المها ... كانها تكحلت بالاغمد
حلفت بالاب والابن معاً ... ثلاثة كنا على موعد
اني لاشتاقك يا سيدي ... كالماء يشتاق اليه الصدي
باس يدي قلت له بس في ... ان في اولى جا من يدي
قال من الجائر في حكمه ... قلت الذي جار على مزيد ؟
قال فهل تعشق غيري احب ؟ ... او يورد الظمآن من موردي ؟
قلت له لا والنبي الذي ... به الى رب العلى نهتدي

وهنا لا يسعنا الّا الوقوف خاشعين امام فصاحة في الالفاظ واشراق في الديباجة ، وجزالة في القوافي من غير اغراب ولا ادخال وامام مفردات ليس فيها وحشي او مستكره عمل شاعرنا الملهم على التفتيش عنها والتنقيب عليها ودرعها ، فهي والحقيقة من وضع شاعر ماهر بصنعته حكيم رصين بتفكيره . وهل يمكن ان يكون اجمل من هذا التناول ؟

قال فهل تشتق، غيري اجب او يورد الظمآن من مرردي ؟
قلت لـه لا والنبي الذي به الى رب العلى تهتدي ؟

الا تشعر معي وانت تقرأ هذه الابيات المليئة بالتذكر والحنين الى ماض عزيز من العمر ورفاق في موطنه الحبيب شاطروه صفاء العيش ومرحه وفراق الاهل والاحباب والمرابع ومسارح الصبا ومعاهد الانس انك امام شاعر ينبجس الشعر بين يديه ويفيض صافياً رقراقاً والشاعر الشاعر بالحقيقة من استطاع ان يكشف عن نواحي مستورة في نفسه ويصوغها في قالب رقيق وفي صورة جميلة تهز اعماق الكيان ويحوّلها الى صوت حسن ونغم بري، يسري في النفس ويجري في العروق فيصفو له الدم ويرتاح له القلب وتنمو له النفس وتهتز الجوارح امام الايقاع الموسيقي والجمال التعبيري .

يا سعد ان جزت بوادي الاراك فانشد قلباً ضاع مني هناك
او زرت غزلان النقا سائلا هل لاسير الحب منهم فكاك
وان ترَ ركبا بوادي الحمى فانشدهم عني ومن لي بذاك
نعم سروا واستصحبوا ناظري والان عيني تشتهي ان تراك
مـا فيَّ عضو لا ولا مفصل الا وقد ركّب فيه هواك
عذبتني بالهجر بعد الجفـا يا سيدي مـاذا جزائي بذاك ؟
فاحكم بما شئت وما ترتضي فالقلب لا يرضيه الا رضاك

وهنا ننتقل مع مزيد في خواطره لنقف امام شاعر قريب الى القلب تعجب بقوافيه وانت تسمعها وقد امتلأ قلبه بالمحن والآلام وتقلبات الدهر وتظاير عاطفته وقد صبغت شعوره بالآلام، وذهب به خياله في التصوير الفاتن الباسم الوضّاح ، فيخرج الصور الرقيقة الجذّابة وتشعر بتلهف وحنين اليه وهو يصف موطنه الاول « الحلة » رغم انه كان في بلد امين يعيش فيـه مستقرا هادئاً عزيز الجانب موفور الكرامة يخشاه الناس ويرهبون جانبه .

اسالَ دموعي هجرها وهو عمن وانحف جسمي خصرها وهو ناحف
وامرض قلبي جفنها وهو ممرضي وادلف طرفي طرفها وهو دالف
تودّعني والبين يلعب بيننا ولا قلب الا وهو للبين راجف
وحالت صروف الدهر بيني وبينها الا انَّ من يغترّ بالدهر تالف
وكنت قبيل البين ارشف ريقها فها انا بعـد البين للدمع راشف

وكنت اليفًا للسرور بقربها فها انا للاحزان والهم آلف
فيا دهر هل بعد التفرق رجعة فيهتف بي للوصل يا دهر هاتف
وتسعدني (بالسعدتين) احبتي وتجمعني (بالجامعين) معارف

اجل وهنا عليك ان تقف معي ايها القارئ العزيز وتطلب ترديد هذا البيت :

وكنت قبيل البين ارشف ريقها فها انا بعد البين للدمع راشف

الا ترى معي ان فيه ابتكارًا جديدًا وصورًا فتّانة جذّابة جميلة ؟.. الا تشعر معي برقة الاسلوب وبوجود البديع اللفظي يخلعه هـذا الشاعر المرهف الحس على كل بيت من ابياته ... الا تشعر معي ان قوافيه تدخل في اعماقك وانت تقرأها ؟.. الا تشعر معي بانها تهز كيانك وتحملك وتقربك الى عالم من الجمال والاحلام ؟

سقى الجنينة ذات المنزل الرحب بناصر المزن من هطالة السحب
دار لعلوة قدما كنت اعهدها والعيش غضا وشملي غير منترب
ايام كنت بها الهو وبي طربًا مع الغواني فيا ناهيك من طرب
هيفاء لقاء ميأس بيد بها تهتز كالغصن في دلّ وفي عجب
علقتها والصبي غض برونقه كاللؤلؤ النظم في سلك من الذهب
مشمّرة الذيل في عز وفي دعة ما بين اهل وملك وافر النسب

وهنا الا تلاحظ معي بل الا ترى الرقة والسلاسة والعذوبة تنساب انسياب المياه في الجدول الرقراق ؟.. تعال معي وردّد قوله :(دار لعلوة قدماً كنت اعهدها والعيش غضاً وشملي غير مقترب) وقوله : ايام (كنت بها الهو وبي طرباً : مع الغواني فيا ناهيك من طرب) ... الا تحكم معي بانها تذخر بعاطفة وثابة تدخل الى الاعماق لتسكر القلب وتطرب الروح ؟

صاح كل الفراق حتم علينا ليت شعري متى يكون اللقاء ؟
ما لليلي كانه الصبح في اليقظة والصبح، ليلة ليلاء
اشرب الشوق والهموم بكأس مترع والنجوم لي ندماء
وبنات الهديل تبدي غناء فيزيد الغرام ذاك الغناء
ليس موتي بعد الفراق عجيبا عجب كيف لي عليه بقاء
من بشط الفرات هل يسمد الدهر على البين او يبين القضاء
ويعود الشمل الشتيت كما كان وتنأى الهموم والبرحاء

ليت لي نظرة اليكم عن القرب وهيهات ان ترى النعفاء
والى شامخ النخيل فيطفي نار قلبي (بالسيبانة) ماء
حين لا خوف في زراه وفيه كل بيض الظبى تقي الظباء
والهوى طائع وقد هبت عليه من الشباب هواء
لا يبق (العقيق) داري وليت تسني في نواصل اباء

قف معي وتأمل قوله للديار التي اقفرت من السكان وكانت بالامس مواطن للخلان والندماء ومرابع للاهل والاحباب :

من بشط الفرات هل يسعد الدهر على البين او يبين القضاء ؟
ويعود الشمل الشتيت كما كان وتنأى الهموم والبرحاء ؟

قف معي نستعيد ونعجب ونطرب... شعور يصوّر لنا الحياة ... وشاعر يعزف على اوتار البيان بريشة الحاذق الماهر ... واناشيد تزف زاخرة بالرقة والجزالة والعذوبة والسلاسة الصافية ... والوان من البلاغة رقّانة ناعمة يرسلها شاعر عاش في كنف العبقرية المبدعة وتفيأ في ظلال المربية البكر ، ويصوغها بقالب شعري جذاب فاذا بها تتحول الى نغم حنون يملأ الكون عطرًا وبهاء وسنى.

دمنٌ بين كاسر والرآب خاليات من زينب والرباب
جئتها والدموع تنهلّ من الاماق بين المطول والتكاب
واقفًا بالديار وهي خلاء وقفة الموسوي بالسرداب
اترجّى رجع الجواب وأنّى لرسوم الديار رجع الجواب
وبما بي من لوعة واكتئاب اتشكّى وليس تعلم ما بي
ربّ ليل بادرته فبدالي بدره من هوادج وقباب
وضيار لمحت فيه فلاحت شمسه تحت برقع ونقاب
وغزال اوما الي فبانت لي نقا الماج حمرة العناب
فتجشمت ذلك الليل حتى كنت من بدره المنير كقاب
وطويت النهار ثم ترشفت من الشمس باردًا من رضاب
وذبحت الغزال ذبحًا بسكين شبابي في روض عصر التصابي
يا لقومي من (آل ثية) ما لي لا ارى لي غيثاً في قباب
انتم خير من اقيم عليه عمدًا مشرفًا على أطناب
ان سطا الخطب كنتم ماء مزن او دعا الحرب كنتم اسد غاب
رمت صبرًا عنكم فاعوزني الصبر فهل لي اليكم من اياب

وزجرت القلب القريع عن الشوق ... فيثني بلوعة واكتئاب
لا ومن انشأ البرية خلقاً ... ذا انتقال من نطفة لتراب
ما تباعدت عنكم لملال ... ليس لي رغبة الى الاغتراب
غير ان الحسام لا يستطيع القطع ... الا مفارقاً للقراب

وهنا تأبى الحقيقة الا ان نقف واياها وجهاً الى وجه فنحن مهما ازددنا قراءة لهذه الابيات فلا نزداد الا تعلقاً بها وشوقاً الى اعادة قراءتها واذا عمدنا الى ذلك فلا يدخل الى نفوسنا الضجر والملل ولا نسأم لاننا نشعر انه كلما حاول السأم ان يقترب منّا طلع علينا شاعرنا المرهف الحس بصورة جديدة جذّابة ابعدت هذا السأم عن نفوسنا .

سروا ورواق الدجى مبهم ... خيال لحسناء مستكتم
يذكرني بليالي الوصال ... فهام بـه المدنف المغرم
ولست بناس لايامها ... ولا لاوردها اسأم
فتاة اذا برزت ينجلي ... بأنوارها الزمن المظلم
تثني ذوائب من شعرها ... ثمان الى اربع تقدم
وتدل سبع ستور لها ... على رغم فرعها المحرم
واصلت من طرفها صارماً ... كما يصلت الصارم المخذم
وتقتل في الحب من رامها ... وقتـل المحبة لا يؤلم
احسناء كم ليلة قد بعثت ... رسولا زيد بـه اللوّم
فحييت على غفلة الكاشحين ... اليك واعينهم نوم
ولو عاينوك لهزوا الرماح ... وسلوا الصفاح ولكن عموا
برزت اليهم فلم يعلموا ... وقلت كلاماً فلم يفهموا
وقالوا بانك اعجوبة ... واعجوبة انت بل عنهم
دعوت قلباك مني الضمير ... وقبل ارضيك مني الفم
واقسمت فيك بفراط الغرام ... وقلبي بتقصيره يفهم
فطوبى لمن بجواك اهتدى ... ومن بوصالك لا يحرم

مقاطع جديرة بالوقوف والتأمل ، وصور حية شفافة مليئة بعناصر الجمال غنية بالعواطف والذوق الهادي والبعد عن الحشو الممل والتكرار المسف ... مقاطع اذا وقف الانسان امامها ليستعرضها حملته الى عالم الجمال والخيال لتريه الصور الفتّانة والمشاهد الرّاقة التي يتراءى فيها امتزاج الالحان في المناظر البديعة وفي القلب الحزين والجدول الباكي ودموع الفجر وأفق الامل .

يا خليليَّ خيِّـابي وشأني — انا اولى بنار وجـدي صليًا
انَّ لي بالعراق دمًا مطينًا — وفوادًا صبـًا وصبرًا عصيا
انا في مجرم وصلت سهادي — فصلاني او اهجراني مليًّـا
انا في عازلي وحي وقلبي — حـائر ايهم اشد عتيـًّا
انا شيخ الغرام من جندي بي — امده في الورى صراطًا سويًّا
انا ميت الهوى ويوم اراهم — ذلك اليوم يوم ابعث حيـا

اننا ايضاً امام قصائد خالدة جديدة في التصوير وقواف رائعة عطرة ندية بليلة عابقة بالعبير يطلع علينا بها شاعرنا الملهم فيودع فيها روحه العالية وما يلتهب بين جوانحه من رقة صادقة رقيقة وعذوبة خالصة يصوغها وينفثها سلسلًا باردًا ونغماً عاطرًا فيه الاماني والاحلام .

ولها من الليل البهيم ذوائب — جثل يزين رسلهـا التجعيد
ومرجّج في واضح فكأنه — نون جاشر رقمة ممـدود
ولها من الصبح المنير وضوئه — وجه بلا كلف ولا تخديد
ولها محاجر مقلة من نرجس — ولها من الورد الطري خدود
ومن الما ثغر يزّينه الحيـا — قـد كمّلته مراسل وعقود
ولها من البرد الصفين ترائب — ولها من العاج النقي نهود
ولها من الغصن المكرم مرفق — رسب ومن طبع العفاف زنود
ومعاصم معصومة عن ذي اختا — والنامل مثل الاسارع غيـد
ومن السنى حصن وعضو ناحل — يعلو عليه ردفها المقـدود
ولها من الفخذ الرخيص مدملج — ساق وكعب ارغم مزرود
ويزينها قـدم لطيف ماله — اثر يفوق على الثرى موجود
اتعود ايامي بزورة بابـل — هيهات ايام مضت اتعود ؟
(والحلة) الفيحاء فيها طينتي — دار بها امضى الندى والجود
ايام اسحب في رياض وصالها — برد الشباب النضر وهو جديد
ويد الحوادث لم تزل مغلولة — عنا وطيب العيش فهو رغيد
اصفى لها ودي فيهلك بيننا — كمدًا عدو شامت وحسـود
فطن الزمان بنا فاصبح شملنا — متشتتًا والوصل فهو بعيـد
من لي بذلك والفرات ودجلة — ومهامة دون المزار وبيـد
وخطوب ذي الدنيا الدنية انما — دنيا يشيب لهولها المولود

ان هذه الابيات تصور لنا مزيد شاعراً ملهماً مترتب العاطفة صادق القلب رقيق حواشي العبارة وصافاً يسيل الكلام من قلبه كما يسيل الزلال الصافي من منبعه الفياض فيجذبك ويحركك ويبزك الى دنيا فسيحة من الجنان والعواطف يهب عليها النسيم العليل وتهبط عليهـا قطرات الندى كالدموع التوالي لتشجي القلوب وتطرب النفوس .

طيف لحسناء من بعد الكرى طرقا	ليلاً فهاج بي الاحزان والقلقا
عجبت وهو الى جنبي يسائلني	ما كان احسن هذا الشب لو صدقا
هل لي برجعة عيش كنت اعهده	(للجامعين) وبرق البين ما برقا
ايام اخطر في روض الصبا مرحاً	ولمتي جثلة ترهو لمن رمقا
وان شرخ شباب المرء عدته	يلقى بها الوجنات الحمر والحدقا
ورب كاعبة النهدين عاكفة	كالروض فيه فتيق المسك قد عبقا
شمس اذا غربت في ليل طرّتها	عن العيون اعارت خدها شفقا
من فوق غصن كساه الله خالقها	من الحيا والعناق الحور والحدقا
من بالعراق اقرّت ان لي كبداً	اضحى بنار الاسى والشوق محترقا
ومقلة قد غدت من بعد فرقتها	انسانها في بحار الدمع قد غرقا
وليس موتي عجيباً بعد نأيهم	بل كيف اعطيت من بعد الفراق بقا؟
ما هبت الريح الا بت مكتئباً	ولا سرى البرق الا زادني قلقا
ولا تغنت حمامات اللوا سحراً	الا ترقرق دمع العين واندفقا
صبراً عسى الصبر يأتي بعده فرج	وان تضيق فيه السبل او رتقا

ما عساي ان اقول بعد الذي قلته في هذا الشاعر الملهم المرهف الحس الذي يملأ الاسماع رقة وعذوبة ويحمل النفس الى عالم من الجمال والبهاء. بل ما عساي ان اقول وهذه نغمة عطرية ونغمة سماوية يطلع علينا بها فيجبرنا ان نقف امامها خاشعين وكيف لا ؟ وصور الذكرى والحنين والشعور والشوق والحب والاخلاص ووصف ما يخطر في الجوانح يتماثلون امام انظارنا ويرفّون باجنحة الجمال في عالم الامل والأحلام .

ذكر الاحبة بالعراق اهاج لي	شوقاً وقد يزداد شوق الذاكر
ومرابع « بالجامعين » عهدتها	ترهو بغيلان لها وجآذر
من كل فاتنة اللحاظ اذا رنت	يا للرجال من اللحاظ الفاتر

بيضاء كاملة المحاسن كاعب تختال بين خلاخل واساور
اخذت من الضدين ما عرفا به من فاحم جثل وابيض زاهر
فمن الصباح لها ابيضاض ثواغر ومن الظلام لها اسوداد غدائر
لا غرو ان فرت الجلود فانها ترمي القلوب بنبل طرف فاتر
ومن العجائب ان غزلان الفلا ترمي فتقتل كل ليث خادر
ما زلت مفتتناً لاسراب المها اومي فيأنس كل سرب نافر
واروح والبال الرحيب مضاجعي حتى تفاقم صرف دهر جائر
يا ساكني ذات النخيل عليكم بالصبر فالمحمود عقبى الصابر
لا تبعثوا طيف الخيال يزورني فاذوب شوقاً بالخيال الزائر

انها صور حيَّة وباقة من الورود ودنيا من الالحان والالوان وتموّجات رقيقة عذبة شفَّافة تستمد من نفس رقيقة وموسيقى هامسة تدخل الى شعاب القلب وتهمس في حنايا الروح وفكرة جديدة بالنسبة لعصره وديباجة فيها الاسلوب الرقيق والصياغة الشعرية الفنية التي تنخر بتسلل الفكرة واضطراد التصوير والمعاني العميقة وعمق التفكير وطلاوة الاسلوب ومجرى الخاطر وروح وثابة سارية سريان النسيم في حقول الورود والرياحين .

ألنور لحظك ام غرار يماني وقوام قدك ام قضيب البان ؟
وجفون عين اسبلت يوم النوى ام نرجس متكامل بجان ؟
والحاجبان على الجبين تقوسا ام في صحيفة كاتب نونان ؟
وشنيب ثغر في فم ام لؤلؤ نظموه في سلك من المرجان ؟
يا ليته اسكنته في مهجتي وبأي مقدرة ملكت عناني ؟
بشقائق في وجنتيك تفتقت حجب القلوب شقائق النعمان
او كلما عاينت طيفك في الكرى وشكوت طول الصد والهجران
اوترت قوسي حاجبيك كانني غرض لاسهم طرفك الفتان
يا بنت مختلس النفوس ترفقي فهواك ابعدني عن الاوطان
لولاك ما اتصل السهاد بمقلتي ولما جفى طيف الكرى اجفاني
ولما رأيت من العجيب مصارعاً للاسد بين مراتع الغزلان
يا من اذا برزت ببهجة وجهها خجلاً لبهجة وجهها القمران
واذا تثنَّت فالغصون مدلة بمايس فاقت على الاغصان

بهذا القدر نختتم بحثنا عن مزيد ، واننا نرى انه من الواجب علينا القول ان شاعرنا كان راجح العقل ، ثاقب الذهن ، سمح البديهة ، حافل القريحة ، بديع الخيال متين القوافي قادراً على استلام ناصية العبقرية . جمع الاسلوب المتين القوي المجنح الذي يخترق الغيوم صاعداً فوق النجوم بجناحي القوة والاشراق والجزالة والبيـان والتصوير الصحيح الصادق المنبعث من نفس زخرت بالالم والحب والعاطفة فلم يحجب الاباء شكاتها اذا شكت او تنهنه الكبرياء احزانهـا واشجانها ودموعها اذا بكت .

قد اتهم من البعض بالغلو ، ولكن الحقيقة تأبى الا الظهور ، فمزيـد كان شاعراً في حياته وعاطفته قبل ان يكون شاعراً في ابياته واوزانه ورناته وانغامه ، واني بعد ان قرأت ديوانه ورافقت كل بيت من ابياته خرجت وانا اقول باني لم اشهد نفساً كنفسه تذخر بالحنان وتتدفق بالعاطفة والرقة تفهم جمال الدنيا وترنو مفتونة والهة تتحدث عن الجمال والشراب والحنان والمرابع الآهلة بالخلان والندمان بوداعة متناهية ورقة وايمان وبراءة وعذوبة تشع بالحنان وتفيض بالقوة حتى تصير رجاء واملا . اما الذكرى فتتصاعد مقرونة بالاسى فيأنس اليها القلب وتنعم بها الروح لانهـا صادرة عن نفس صافية مرهفة معطرة منبعثة من صميم مفعم بالنشوة والسحر والعطر وهل اجمل من شعر يذخر بجمال الاسلوب وسعة الخيال وغناء الفكرة والاشارة والصور والرقة بالنغم والقافية وجرس موسيقى يتجلى فيه البيان الصافي والوجدان الطاهر والعذوبة والمحبة والرحمة واني لست مخطئاً كما اني لا اشعر بالغلو والمبالغة والاطناب اذا ما قلت ان مزيد هو بحق امير شعراء ذلك العصر بلا منازع ورحم الشاعر القائل .

وخير الشعر ما اوحاه طبع	فكان لـه بافئدة دبيب
معانيه قـد انفثت بلفظ	يكاد لفرط رقته يذوب

هذا هو مزيد الشاعر المغمور والعبقري المنسي وكم في ادبنـا العربي شعراء امثاله مغمورة آثارهم في زوايا النسيان .

دراسات تاريخية ادبية

«أثر العقيدة في شعر مزيد الحلّي الأسدي»

بقلم عارف تامر

تكلمت في بحث سابق عن الغزل في شعر مزيد الحلي وقلت ان هذا الشاعر العبقري ينتمي الى بني اسد القبيلة العربية العريقة التي كانت تقطن «الحلة» العراقية ثم اتيت على الاسباب التي جعلته يترك وطنه (الحلة) ويأتي الى «مصياف» السورية في ذلك العصر المضطرب وها اني اعود الان الى التحدث عن ناحية هامة ذات ارتباط ادبي وثيق في حياته وهي « أثر العقيدة في شعره » فاقول :

افترق المسلمون كما افترق غيرهم من ارباب الاديان الكبرى فرقاً بلغت ثلاثاً وسبعين تحقيقاً لمضمون الحديث النبوي الشريف عن هذا الافتراق الذي كان مثله في الشريعتين الاسرائيلية والمسيحية ففي الاولى الى احدى وسبعين وفي الثانية الى اثنين وسبعين فزادهما الاسلام فرقة وسواء اصحّ ورود هذا الحديث ام غير ذلك فان مضمونه قد تحقق لان العلامة الفيلسوف « نصير الدين الطوسي » قد ذكر ايضاً ان الشيعة قد افترقت الى ثلاث وسبعين فرقة ، فالزيدية خمسة عشر والكيسانية اثني عشر والامامية ثلاثين والغلاة سبعة والباطنية ثمان ، اما منشأ هذا التفرق فيكاد يكون سببه « الامامة » فهي القطب الذي نجم عن هذا التفرق بين السنة والشيعة ثم بين فرق الشيعة أنفسهم ، أما بين السنة والشيعة ففي منصب الخلافة بعد الرسول ثم بين عموم الفرق الشيعة في سوق الامامة وفي اشخاص الائمة «فالكيسانية» اخرجوها من ولد فاطمة الزهراء وكذلك صنع الزيدية فانهم لم يعترفوا بامامة احد بعد الامام «الرضا» اما الاسماعيلية فقد وافقوا الامامية في ستة منهم وافترقوا عليهم في السابع وهو عند الامامية (موسى بن جعفر) الى تمام اثني عشر وعند الاسماعيلية (اسماعيل بن جعفر) ثم تنقسم الاسماعيلية الى فرق شتى بعد ذلك اولها القرامطة ثم الدروز ثم النزارية والمستعلية ثم المؤمنية والقاسمية ، والسليمانية والداؤدية ، ومهما يكن من شيء فقد تطورت الدراسات الاسماعيلية

في العصر الحاضر تطوراً ملحوظاً حتى شملت مختلف النواحي الفكرية سواء منها العقائدية او السياسية فظهرت الى عالم الوجود مصادر تاريخية هامّة ومخطوطات علمية قيمة كانت في طي الخفاء والكتمان بعيدة عن متناول ايدي العلماء .والباحثين فاصبحت الاسماعيلية بعد هذا التطور في الدراسات وهذا الاهتمام بالمخطوطات معروفة لدى العلماء بانها رسالة فلسفية مستقلة ودعوة سياسية امية ذات اثر ظاهر في مجرى الحياة العامة وفكرة عقائدية باطنية تخفي وراءها مرامي بعيدة لا يزال الفكر يسعى لجلاء غوامضها واكتشاف كنهها وليس ادل على ذلك من ان هذه الرسالة الفلسفية كانت تغزو بانتظام ودقة الاقطار الشرقية والغربية على السواء تسيرها قوى سرية فعّالة مدركة للواقع السياسي والاجتماعي فيسارع الى اعتناقها والانضواء تحت لواءها جميع الطبقات المثقفة من علماء وادباء وحكماء بصرف النظر عن الاقليم والجنس والعرق وهذه من الاسباب التي جعلتها تسمو وترتفع على ايدي دعاة عباقرة مفكرين فتصل بفضل نضالهم الى مصاف الدعوات الاممية الكبرى التي اثرت في العقول واخرجتها من حيز الجمود الضيق الى الانطلاق الرهيب .

نشأت الاسماعيلية نشأتها الاولى سنة ١٢٨ ه في العراق وفارس كدعوة سرية من قبل الامام اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب ويذهب بعض علماء الاسماعيلية انفسهم الى القول بان دعوتهم تسمت بالاسماعيلية بعهد « اسماعيل بن ابراهيم الخليل » وبالرغم من وجود ما يثبت هذا الزعم عقائدياً فاننا لا نجد بين ايدينا مصادر تاريخية تؤيده تأييداً قاطعاً وهذا ما يجعلنا مع اكثر الباحثين والمهتمين نولي اهتمامنا عند بحث الاسماعيلية مقتصرين على عهد اسماعيل بن جعفر الصادق وما بعده فنقول :

ـ انطلقت الاسماعيلية انطلاقتها الاولى كحركة سياسية منذ سنة ١٥٨ ه حتى سنة ١٦٠ ه او سنة ٧٧٣ م . ثم تطورت الى دعوة دينية واجتماعية عامة لتخذت طريقها لتحرك العقول من جمودها وتخرجها من عزلتها وانكماشها وتضفي عليها الانطلاق والسير نحو عقيدة واقعية بنظمها وقوانينها وقد اجتمع نفر في ذلك العصر من عباقرة الدعاة المثقفين ثقافة عصرية صحيحة حول الامام اسماعيل بن جعفر يدعون له في الاوساط والجهات ويضعون الدعائم المتينة لدعوته الكبرى ،

وبعد ان وصلت هذه الدعوة الى ما وصلت اليه من التقدم والانتشار والازدهار في عهده وبعد موته ساقوا الامامة بولده محمد الذي كان يقيم في فارس واطراف العراق ثم بولده عبدالله الذي انتقل الى «سلمية – سوريا» واقام فيها متستراً عن عيون بني العباس يحيط به رجال دعوته البارزين كعبد الله بن ميمون القداح، وعبد الله بن حمدان، وعبد الله بن مبارك، وعبد الله بن سعيد بن الحسين وغيرهم وفي هذه الفترة ظهر كتاب «رسائل اخوان[1] الصفاء» وانتشر في كل مكان كدعوة فلسفية مبطنة عامة كانت ترمي الى تقويض اركان الدولة العباسية القائمة على تعاليم ظاهرية جامدة سطحية لا اثر فيها للفلسفة والحكمة وبناء دولة من الفاطميين على انقاضها تدعو الى الخير والفضيلة والمثل العليا ثم ظهرت الفرقة القرمطية التي انبثقت من الاسماعيلية لتسير وراء مبادئ اشتراكية متطرفة كانت تدعو الى احداث ثورات شعبية وحركات عمالية وزراعية وصناعية ضد الملاكين والاقطاعيين وضد نظام الحكم العباسي القائم وقتئذ وكانت هذه المبادئ من وضع الامام عبد الله وولده احمد والحسين وهم الائمة الثلاثة المستورون الذين عاشوا في سلمية ومهدوا لتأسيس الدعائم التي نهضت عليها الدولة الفاطمية فيما بعد وكان رئيس دعاتهم «ميمون بن قداح» وولده عبدالله صاحب العقلية السياسية الجبارة التي ساهمت ببناء هذا البناء واثرت بالعقول والافكار وعملت على نقلها من جمود ضيق الى فضاء رحيب جديد بتعاليمه وافكاره وعميق بفلسفته وتعاليمه، ثم ان هذه الدعوة انتشرت في المغرب سنة ٢٩٦ ﻫ على يد ابي عبدالله الشيعي وفي اليمن سنة ٢٧٠ ﻫ على يد ابن حوشب منصور اليمن وابي الفضل الجدني ونصر بن احمد الساماني امير خرسان وبلاد ما بين النهرين ومرداويج الديلمي امير طبرستان ويوسف بن ابي البابغ امير اذربيجان وكان كل شيء يسير بانتظام ودقة لصالح هذه الدعوة حتى ظهور الامام الحادي عشر «محمد المهدي بالله» بن الحسن بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، فنقل عاصمة ملكه من سلمية الى «سجلماسة» في المغرب، واسس دولته الفاطمية المغربية، وجعل عاصمتها المهدية، وبعد ان استمر حكمه ورسخت اقدام دولته ظهر ولده القائم ثم المنصور

[1] راجع مقدمة كتابنا «ثلاث رسائل اسماعيلية».

ثم المعز الذي فتح القطر المصري سنة ٣٥٨ ه بقيادة جوهر الصقلي وبعد ان تم فتح القطر المصري تعاقب على الخلافة الفاطمية بعد المعز لدين الله ولده العزيز ثم الحاكم بامر الله وفي عهد هذا الاخير ظهرت الدعوة الدرزية المعروفة وانشقت عن الاسماعيلية الام لتسير منفردة ومستقلة في منهجها الديني الجديد الذي يأمرها بالوقوف عند الامام الحاكم بامر الله ، وبعد الامام الحاكم بامر الله جاء ولده الظاهر ثم المستنصر بالله وفي العهد الاخير من حياة هذا الامام طرأ على الدولة الفاطمية الانحطاط وبدأ نجمها يميل نحو الافول ، فبعد ان انتقل الى الدار الاخرة وقع الاختلاف على الخلافة بين ولديه نزار والمستعلي ولما كان المستعلي تربطه بقائد الجيوش بدر الجمالي اواصر القرابة لجهة والدته تمكن من الانتصار على نزار وانتزاع الخلافة منه وهكذا انقسمت الاسماعيلية الى فرقتين مستعلية ونزارية فأما النزارية فقد ودعت ربوع وادي النيل وانتقلت الى (ألموت) وكان انصارها يقيمون في فارس والعراق وسوريا انئذ واما المستعلية فقد كان مؤيدوها يقيمون بمصر والهند واليمن وقد انتقل حكمها بعد المستعلي الى الآمر باحكام الله وبعد وفاة هذا الثاني وقع الاختلاف على الامامة بين فريقين منها فريق ايد ابو الطيب القاسم المستور نجل الآمر باحكام الله وفريق سار وراء الامير عبد المجيد الملقب بالحافظ وبعده جاء الظافر ثم الفائز ثم العاضد وفي عهد هذا الاخير نهض صلاح الدين وانتزع الملك الفاطمي وبذلك انتهى كل اثر للدولة الفاطمية في ربوع وادي النيل ، اما النزارية فقد تسلسل منها سبعة ائمة اقاموا جميعهم في الموت بفارس وكان آخرهم «محمود ركن الدين[1]» الذي استشهد اثناء اجتياح هولاكو القلاع الاسماعيلية وبعد استشهاده استلم شئون الامامة الاسماعيلية النزارية ولده شمس[2] الدين وبعد موت هذا الاخير انقسمت النزارية الى فرقتين فرقة سارت وراء ولده « مؤمن شاه » ولا تزال لهذه الفرقة اتباع في سوريا، والصين ، وروسيا ، وافغانستان وفرقة سارت وراء ولده الثاني « قاسم شاه » وهم اتباع سمو الامير آغاخان اليوم .

اجل نشأت الحركة الاسماعيلية ونظّمت على شكل دعوة كل قوم بعقيدتهم

---

١) راجع كتابنا « خمس رسائل اسماعيلية » .

A forgotten branch of ismaili — Ivanov. (٢

الى ما يصبون اليه وجعلت هذه الدعوة على مراتب تتدرج بالنسبة لمستوى الناس واستعدادهم العقلي وثقافتهم مهما اختلفت اديانهم وعناصرهم فشجعوا التكتلات بين طوائف الصناع والعمال واهل الحرف والمزارعين والنقابات ومن هذا يفهم ان الحركة كانت بظاهرها لا قومية بل امية وانما كانت اجتماعية واقتصادية وسياسية في غاياتها تعمل وراء ستار ديني فلسفي الغاية منه تأمين العدل والاصلاح الاجتماعي على اساس المساواة وتحسين حالة الفلاحين وتعليمهم برامج اشتراكية ثوروية وقد كان المجتمع في ذلك الحين ينتقل من طور زراعي الى طور تجاري واقتصادي فأدى ذلك الى تباين الثروات وتكدس رؤوس الاموال عند فئة محدودة وقد كان شعورها بالخطر من الطبقات الفقيرة مما ولد اتحاداً بين مصالح الاغنياء والفقراء على اساس اقتصادي وقد اكتسبت هذه التطورات حيوية واتحاداً جديداً بايجاد حركة اقتصادية واجتماعية سياسية ثقافية لاعنصرية ترمي الى توحيد المتذمرين من كل العناصر والاديان وتعاونهم في جو من الاخاء لتقويض المجتمع القائم واحداث ثورة وانقلاب بالمجتمع وانشاء آخر على انقاضه لا استقلال فيه ولا تحكم لدين او لعنصر او لفئة وقد اعتمدوا في فكرتهم على عنصرين التشيع وعلى الجماعة السرية التي كانت الاذهان تتقبل تعاليمها فتستطيع ان تلعب بالعواطف وتؤثر بعقول الناس وتحولها لجهتها وتضم في صفوفها جميع المتذمرين من كل نوع وقد استفادوا ايضاً من تجاريب الحياة الماضية فلم يهتموا بتكوين جماعة من صنف واحد بل من عدد كبير من الاصناف الذين اعتقدوا ان الغاية من ذلك اسعادهم وتخليصهم مما يؤلمهم مضافاً الى كل ذلك انهم اسسوا تشريعاً لضرائب مختلفة متدرجة انتهت الى وضع اسس لمالية جماعية ثم توزيعها على الجميع في عدل تام وبهذا اصبح لهم جماعة ليس بينها فقير او معوز وقد اقيم في كل قرية منتخباً من ثقاتها مع مجلس منتخب برضاء الجميع يتولى جمع المال ثم انفاقه على الفقراء ومؤاساة المرضى والمحتاجين والضعفاء. وتحسين اوضاع القرية العمرانية والعلمية واصلاح الحالة الزراعية وتوزيع الاقوات والملابس واصلاح الوضع الاجتماعي وتغذية التجارة والصناعة .

هذه نواح كان لا بد من ايرادها ونحن نبحث عن اثر العقيدة في شعر مزيد الحلي والحقيقة انها تعريف لموضوعنا وامور هامة كان لا بد من التعرض لها

واذا كنا قد جئنا على جزء منها بالوجيز من القول فما ذلك الا لأن مثل هذه البحوث قد لا تفي بها صفحات محدودة كهذه هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الناحية العقائدية التي نحن بصددها ستفسح لشاعرنا مزيد مجال الحرية ليتكلم عنها اما نحن فنمهد لها بتصوير عهده وكيفية اتصاله بسنان راشد الدين وتاريخ تلك الفترة الغامضة فنقول :

الجبال الشجراء المجللة بالصنوبر[١] والسنديان والآس الممتدة من شمالي طرابلس الشام حتى مدينة ابن هانئ تنذخر بالوداعة والجمال فاشجارها المتعانقة الخضراء تداعبها النسمات المنعشة حاملة معها نفحات زهور نيسان العطرة والبلابل المغردة الآمنة في الاودية والسفوح تغني الحانها الشجية فترقص لها الاغصان طرباً وتتثنى لها الافنان فرحاً والسواقي الشادية المنحدرة من القمم تنساب ببطئ في طريقها الملتوي الطويل وصوتها العذب يحمل الى النفوس العطشى والصدور المقلقة نغماً عذباً صافياً فيه الأمل والرجاء .

الجبال الشماء المطلة على سهول نهر العاصي الفسيحة الجاثمة فوق الشاطئ السوري الوديع تبدو للعيان هازئة بعوادي الايام واحداث الزمان فكل ما فيها يبسم لنيسان ، شهر الحب والجمال من طيورها المغردة واشجارها الوارفة الظلال الى قممها الرابخة وسفوحها الخضراء وورودها العطرة البيض ... نيسان ... أليس هو باعث الروح والحياة فيها ؟ أليس هو مجدد شبابها ومعيد نضارتها أليس هو شهر الحب وشهر الطبيعة الحالمة الضاحكة ؟ ، والشاطئ السوري الجميل الهادي يتراءى للناظر بأمواجه الزرق ورماله الصفراء الباهتة وكأنه في ذهوله يحلم بماضيه ... ذلك الماضي المشع بعظمة الامة الكبيرة التي كان افرادها رسلاً لمدينة زاهية ومثالاً لحضارة زاهرة نشرت في كل مكان وحملت الى اقطار الشرق والغرب فكانت خير ما انتجه العقل البشري المبدع الخلاق .

الجبال الشماء المضطربة بالامس تستقبل اليوم عهداً جديداً قائماً على المحبة والسلام فكل ما فيها قد تغير من قبائلها الى حكوماتها الى حكامها فلا غرو بعد ذلك اذا ما غردت بلابلها وتثنت اغصانها وشدت جداولها وشمخت برأسها الى العلاء فلقد اصبحت موطناً لامة عريقة في المجد جاءت لتأخذ مكانها على

١) راجع كتابنا سنان وصلاح الدين ، ١٩٥٦

قممها وعاهدت الله ان تضع منهاجاً لها يختلف عن مناهج الاولين الغابرين وتبذل اعز ما تملك في سبيل الرفعة والمجد والخلود وتهيئ فلذات اكبادها ليكونوا سياجاً يقف في وجه كل من يطمح ببصره اليها ، ولهذا تراها وادعة فلا جيوش تتحرك في مرتفعاتها ولا صلصلة سلاح تسمع في اوديتهــا ولا خيول تصهل في قراها فكل ما فيها يبعث على الاطمئنان ويبشر بمستقبل زاهر يتراءى بافقه الخصب والعيش الرغيد ، هنا راع يقود مواشيه الى الشعاب ويجلس على صخرة عالية يحدق الى الافق البعيد وترسل قيثارته الحان الامل المشع والحب الباسم فيردد صداها الوادي القريب ، انه يبدو حريصاً على قطيعه لا يغفل عنه ولا يحوله النغم الساحر عن واجب الرعاية ، انه حذر من الوحوش وما اكثرها في الجبال ، الوحوش المفترسة التي خرجت من اوكارها واقامت على المرتفعات تراقب عن كثب فريسة تجعلها طعاماً لصغارها وهو يرى النسور ايضاً تحلق في الاعالي تتحدى النجوم وتهزأ بالسحب والدروب خالية من الناس والقرى ...

اما القرى فقد استسلم اهلهــا للراحة بعد التعب يحلمون الاحلام الجميلة التي تتمثل فيها حياة الريف الطاهرة في بساطتها والوانها المشرقة وكيف لا ينامون مطمئنين وقد اصبح العيش في جبالهم طيباً ووفرت لهم فيه اسباب الراحة... الزراعــة تبشر بالخير العميم والتجارة راج سوقها وارتفعت اسهمها وستكتحل عيونهم غداً برؤية فجر ضاحك يمد رواق الحرية والنور في كل ارض وسيحمل لواءه ملك ضخم يرفعه العمل الجليل الى الذروة ويخلده المجد الذي لا يزول . وسيكشف لهم هذا الفجر عن عهد جديد يقربهم الى زعيم مخلص ندي الكف سمح كثير العدل يطل عليهم من عالم مفعم بالطمأنينة والحب ويتجلى في هالة من البطولة والعبقرية والسمو رجل قد نذر نفسه للنضال في سبيل امته وبلاده وعمل على توحيدهم في دولة قوية منيعة الجانب تصمد في وجه الغزاة وترد خطر الاستعمار الدخيل وها ان انوار العهد الجديد بدأت تظهر مشعة وهاجة فلا حروب تعكر صفو العيش وليس هنالك قوي يأكل الضعيف ، او غني يهضم حق المعوز الفقير لا استئثار ولا اقطاعيــة ولا طبقية او عائلية بل عدالة شاملة وسلام ورخاء واتحاد وحكومة قوية في النظام والامن يقبض عليها بيديه الحديديتين رجل عظيم قدم البلاد منذ عهد قريب واقام في احدى القلاع ينظم الامور

ويسوس الناس سياسة العادل الذي يرد الطغيان ويدفع الاذى ويحطم القيود التي تحجبها القصور الشاهقة وتغطيها التيجان الكاذبة ، رجل اعطيَ السلطة الزمنية والزعامة الدينية تسندهما فرق من الجيش اطلق عليها اسم الفدائية التي فرضت هيبتها على الدول والممالك في الشرق والغرب وارتجفت لذكرها افئدة الحكام في مصر وبغداد.

هذا هو الزعيم الكبير «سنان راشد الدين» النزاري الفاطمي الذي اتخذ مصياف مركزاً له في منتصف القرن الخامس الهجري وهذا هو مزيد الحلي البلبل الصداح الذي ترك حلة بغداد وجاء ليقيم بجانب من احب وليملأ الدنيا شدواً وغناء وهو القائل :

ولما وصلنا ارض « شيذر » صدنا	مسيل من العاصي شديد التهجم
فقمنا بعون الله نقطع موجه	كما قطت في الترب كف المنجم
وسرنا الى «مصياف» سيا كما سعى	الى البيت قوم من قريش وجرهم
وقد نشر الرحمن الطار سندس	على كل ورد بالرياض معمم
الى ان حططت الان رحلي مسلماً	اليك وها انت المحكم فاحكم

اجل جاء مزيد قاصداً مصياف حاجاً اليها ففيها امنيته الغالية وضالته المنشودة ، فيها الدعوة الاسماعيلية التي رضع لبانها صغيراً وشبَّ على حبها والاعتقاد بها كبيراً ، جاء غير آسف على امارة يتركها واملاك فيها الدور والقصور والمجد والجاه ، ومرابع فيها نفحات من صباه وحبه وطفولته ، جاء وصوت ملح في الاعماق يدعوه وهاتف علوي يناديه انه صوت العقيدة صوت الدين ، صوت الدعوة الهادية التي تدعوه للاستظلال بظلها والانتهال من ينبوعها وترك كل شيء ما سواها ، ترك الدنيا ومتاعها الزائل وعزها الفاني وجاء مسرعاً الى بلدة هي بنظره المدينة الفاضلة او بلدة اهل الخير ، هذه البلدة فيها اهل بيت رسول الله محمد الذين فرض الله محبتهم على كل مسلم لانهم العروة الوثقى والركن والصفا وبئر زمزم وشجرة طوبى وسدرة النهى وجنة المأوى بل هم التين والزيتون والشمس والضحى وحبل الله وكل ما جاء بالقرآن الكريم من فضائل ومكرمات .

ذريني وغيّي ويك غيري علّلا	لوصلك بالامال غير محرم
فانك دنيا لمع برقك خلّب	جهام متى يرفع بناءك يهدم
وعندي لمن يهواك خير نصيحة	له في معاني شرحها خير مغنم
يوالي ولاة الامر آل محمد	فحبهم فرض على كل مسلم
هم العروة الوثقى هم الركن والصفا	هم الحج والمسعى هم بئر زمزم

هم شجرة الطوبى هم سدرة النهى	هم جنة المأوى هم نار مغرم
هم التين والزيتون والشمس والضحى	وطه وما قد جاء في فضل آدم
هم مرج البحرين يخرج فيهما	قلائد در في الانام منظم
هم حجة الرحمن بين عباده	هم الحبل حبل الله لم يتصرم
ولما رأيت الناس في خوض غيّهم	يقولون ان ينجو بغير معلم
تيقنت ان لا بد ما دامت الدنى	لكل زمان من امام مترجم

هذه اعتقادات شاعرنا مزيد بآل بيت الرسول الكريم وبالائمة الاطهار الذين تسلسلوا من هذا البيت الكريم العريق اذن فليس عليه من حرج اذا ما ناداه هذا الاعتقاد ودفعه هذا الحب الراسخ للهجرة الى «مصياف» وفيها الدعوة النزارية قائمة وفيها «سنان راشد الدين» وهو من اهل البيت . . اجل ليس عليه من بأس ما دام يعتقد ان زيارته لهذه البلدة تعادل زيارته للمدينة المنورة بل وتفوقها . . . لانها مركز الامامة ، والاسماعيلية لديها عقيدة ثابتة اصيلة بالامامة لا تتغير ولا تتبدل حسب منطوق الآية القرآنية الكريمة «وجعلها كلمة باقية في عقبه» ، ولنسمع اليه يقول :

يا ليت قومي بعد شط النوى	• عيا حباني ذو العلى يعلمون
بحب اتراب كمثل الدمى	يرشقن قلبي بسهام العيون
يسطعن شبه الشمس يحجبنها	بل انتم عن نوره تحجبون
نور مضيء لم يزل ساطعاً	لكنهم عن ضوءه تعمهون
اسماء ذاك النور مسطورة	في كتب الله التي تقرأون
تأملوا الذكر وآياته	فانتم قوم به تجهلون.
هل وجه رب العرش باق اذا	ادرك هذا الخلق ريب المنون
ما الاذن ما العين وما نفسه	والجنب والنور الذي تنظرون ؟
ما الوارثون الارض ما ارثهم	بل ما اولي العلم وما الشاهدون ؟
ما المنفقون السر ما معلن	ما الصوم ما الصائم ما المؤثرون ؟
ما الكلم الطيب ما ضده	ما الطيبات الخلق ما الطيبون ؟
ما مرج البحرين ما برزخ	بينهما لو كنتم تعلمون ؟
ما حجة الله على خلقه	ما الامر بالمعروف ما الآمرون ؟
ما النور ما المشكاة ما ذلك	الكوكب ما المصباح لو تسألون ؟
نور على نور ليشقى به	قوم ويحظى بالهدى آخرون
فاصغوا الى الداعي فهل انتم	صمٌ عن الداعي فلا تسمعون
قلتم يد الرحمن مغلولة	كاليهود اذ قالوا ولا يشعرون

هـل انزل الذكر بلا احمد	ام انتم عن احمد مكتفون ؟
ام لم يخلّف فيكم وارث	جدبكم ام انتم الوارثون ؟
ام قولكم انشأ بافكارنا	وعقلنا رب العلى مدركون
الظن لا يغني فلا تتبعوا	في دينكم اهوائكم والظنون
واصغوا الى داعي الهدى وارجعوا	عن مسلك الغي الذي تركبون
قد حصحص الحق لمن رامه	واقترب الوقت الذي توعدون

وهذه نفحات فلسفية عقائدية وصور للاعتقادات الاسماعيلية يصوغها مزيد بقالبه الجذاب وبديباجته المشرقة وهذه الاعتقادات تقوم على اسس فلسفية عقلية واقعية ونظريات روحية عميقة تقول بمزج الشريعة بالفلسفة واستخراج عقيدة من الاثنين تقوم على التمسك بتعاليم دينية تستمد اصولها واحكامها من القرآن الكريم وبين الامام لان الاول باعتقادهم هو الامام الصامت والثاني هو الامام الحي الناطق الذي يجب ان يكون في كل عصر وزمان اما ظاهراً واما مستوراً ودعوته قائمة وذلك لحفظ الشريعة وتدبير مصالح الامة والقيام بالوعظ والارشاد والافتاء ، فالله سبحانه وتعالى لما خلق خلقه واوجب عليهم عبادته ارسل اليهم الرسل والانبياء وجعل محمد خاتمهم وقد جمع الله فيه كل النبوات السابقة ليهديهم ويرشدهم الى سبيله السوي حتى يعم الامن في ارضه وينتشر العدل في بلاده وبعد ذهاب هذا النبي لزم ان يكون بعده من يقوم بوظيفته لهداية الخلق ونشر الامن وتنفيذ الشريعة وتفسير ما اغمض من الآيات والاحكام والقوانين وقد وجب ان يكون اكمل المخلوقات جسداً وروحاً وجامعاً لجميع الفضائل والخيرات وسالماً من كل نقصان لانه امين الله وهادي الخلق ووارث الارض وملهم من الله ومؤيد ومؤتمن على الخلق وان معرفته واجبة على كل الناس لان النفس لا تنجو من العذاب ولا تصل الى الكمال ولا ترقى من عالم الكون والفساد الى فسحات المكان الاعلى الّا بمعرفته وولايته فهو النور الذي هو بمقام النفس في عالم الابداع ثم بمقام العقل الاول بعد زوال الناطق من عالم الدين .

لو خلا الارض من امام لمادت	جم الارض واعترضها السماء
جده المصطفى ابوه علي	مرتضى الحق امه الزهراء
وله المشعران قصداً ان حج	وابي والركن والبطحاء
وله دعوة يقوم بها الحق	وتجلى بنورها الظلماء

نبأ اعظم به وعد الله	وجاءت بفضله الانبياء
فاسألوه فهو الغني بما	يعلم فيكم وانتم الفقراء
وارجوا قبل ان يقول الخزالامر	مريباً وتقدم ، الاعداء
يوم لا ينفع العزيز يد العز	ولا ينقذ الذليل النجاء

وهذه نفحة من نفحات العقيدة الاسماعيلية يقدمها لنا مزيد بديباجته الجذابة ليقول لنا ان الكون لا يمكن ان يكون خالياً من امام يتولى مقام محمد واذا خلت الارض منه مادت بن فيها وزلزلت لأنه عمادها وقطبها واساسها والنبأ الاعظم الذي جاء على ذكره القرآن وبشرت به الانبياء .

وما القرب من دار المحبين صالحاً	اذا كنت عن دين المحقين مبعد
ولا شرف للمرء ان فاته التقى	ولا آل الا آل احمد سؤدد
هم سبب الابداع والله مبدع	هم شهداء الحق والله يشهد
هم الوارثون الارض والارث دائم	هم المالكون الامر والامر سرمد
فلولاهم لم يخلق الله آدماً	ولم تك املاك السموات تسجد
ولم ينج نوح اذ طغى الماء فلكه	ولا نار ابراهيم تطفي وتبرد
ولم يقد موسى عند آيات ربه	ولا ازره يوماً هارون يشدد
ولم يوت داود الزبور ولم يرِ	سليمان حلم جمرة الجهل تخمد
ولم يحي امواتاً ولم يبرى ابرصاً	ولم يرق في السبع السموات احمد
اناس لهم في كل يوم وليلة	نذير الى سبل النجاة ومرشد
ائمة حق واحد بعد واحد	اذا سيد منهم خلا قام سيد
ارى الناس في شك ورقدة مطلع	تبيح لعين بعدما الصبح يرقد
يخوضون في الآراء هذا منزه	لخالقه جهلاً وهذا مجسد
وهذا مثنيه وهذا مثلث	وهذا على ما يدعيه موحد
وهذا يقول الاستقصات ربه	وهذا يقول الكوكب المتفرد
كمن اقاموا في الظلام ضلالة	ومصباح حق بينهم يتوقد
فلم يبصروا اذ ظاهر العين ابيض	ولم يعقلوا اذ باطن القلب اسود
ولو طلبوا الهادي لحكم اختلافهم	لما كان امر حقه الذم يحمد
هو النور نور الله حقاً وفضله	ورحمته والعين والجنب واليد

الا ترى معي هنا ان العقيدة الاسماعيلية الصحيحة التي تقضي بتنزيه الباري عز وجل من جميع النعوت والصفات وتجريده من كل شكل وجسمانية وتوحيده

توحيداً يكبر عن ان تحصره النفوس او تدركه العقول فتراه لا يطلق عليه شيئاً من النعوت والصفات لانها باعتقاده كلها موجبة للانداد والاضداد واطلاقهـا عليه يوجب الكثرة في ذاته فالله تعالى قادر على معنى ان القدرة قائمة بذاته وجميع الصفات والنعوت واقعـة على المبدع الاول او الموجود الاول او العقل الفعال الذي هو ممثول الناطق في عالم الدين ومن بعده المنبعث الاول او الموجود الثاني او النفس الكلية الذي هو ممثول الامام وهذا هو الذي يعنيه مزيد ويصفه بانه صاحب الارض ووارثها ومالك زمامها وسبب الابداع فلولاه لما خلق الله آدم ولا نوح ولا موسى ولا عيسى ولم تكن هنالك سمـاء ترتفع او ارض تنخفض ، وينتقل شاعرنا ليدافع عن عقيدته ضد الآخرين وبعضهم ينزهون الله جهلاً بدون بيان وبعضهم يجسدونه وبعضهم يعتقد بالمين والاخر بثلاث ثم يرد على من يتخذ القوى الطبيعية الهة له او الكواكب المنفردة كالشمس والقمر وهؤلاء جميعهم بنظر مزيد يخوضون بارائهم كعميان لا يدركون الابيض من الاسود وانهم لو رجعوا الى الصواب وسمعوا الارشاد والحكمة من الدليل لدلهم على الطريق الى معرفة الله وهداهم الى السبيل السوي والمعرفـة الحقيقية والاستظلال بظل الباري عز وجل وهذا الدليل هو نور الله وعين الله ويد الله فكما ان الأيدي تجر النفع الى الاجسام وتدفع عنها الضرر فالامام على اليد من الجسم يدفع الاذى عن الدين ويصونه ويحفظه بوضع التوحيد ونفي التعطيل والتشبيه .

وابى الله ان اضلّ وان	اغفل بين الغواة في جلبـاب
فهداني الى رحيق شراب	بعد ركضي الى لامع السراب
فتمسكت بالادلة للطالب	والوارثين علم الكتـاب
داخلاً باب حطة حيث لا يمكن قصد	البيوت من غير بـاب
عارفاً بالصلاة والصوم والقبلة	حقـاً والمـاء والمحراب
والولا والبرى والحب والبغض	جيئاً والسلب والايجـاب

ان ما اتى به شاعرنا مزيد ليس غريباً او جديداً على الاعتقادات الاسماعيلية التي تتمثل بالحديث الشريف القائل : انا مدينة العلم وعلي بابهـا ومن اراد الدخول فليأت من الباب وهذا الباب يشكل باعتقاداتهم باب الجنان او باب

«حطة» التي ورد ذكره بالقرآن الكريم .... اجل ان مزيد يشبه دخوله الى مصياف بالدخول الى باب «حطة» او «المدينة الفاضلة» التي ذكرها «الفارابي» او مدينة «اهل الخير» التي وصفها «اخوان الصفاء» .

هلمّوا فهذا الذي باسمه توسّل لما عصى آدم
وهذا الذي جبرائيل له وميكائيل لم يزل يخدم
وهذا الذي لم تحز فضله قريش ولم تحوه جرهم
وهذا الذي كان في غربها فاضحت تمد له الديلم
له الركن والبيت والمشعرين الاذن والصفا وله زمزم
ولولاه ما خلقت في الورى سماء ولا طلعت انجم
هو الاول الاخر المرتجى هو الغائب الحاضر المنعم
هو النور والنور لا ينطفي هو الحبل والحبل لا يصرم

ليس هنالك اي اطناب او مغالاة فان ما يقوله مزيد لا يختلف عمّا قاله ابن هانئ الاندلسي او غيره من شعراء الاسماعيلية في الامام الذي هو بمقام النفس في عالم الابداع ولولا هذه النفس التي تسري في كل العالم وتمده بالقوة والحياة لما كانت سماء ولا ارض ولا شمس ولا قمر فهو سببها والوسيط بتصويرها وتصميم خلقها وايجادها .

وتشكي عيال آل محمد ما عشت لا عيائل الشيطان
فهم الحياة لكل قلب ميت وهم الممات اذ التقى الجمعان
وهم الطريق لمن تبصّر بالهدى والبارد السلسال للظمآن
وهم الادلة للذين يحبهم والواصلين بهم الى الرحمن
قوم هم حجج الاله على الورى كيما يدك الكفر بالايمان
منهم محمد النبي وصنوه خير البرية قاسم النيران
سبب النجاة لمن اراد نجاته والبضعة الزهراء والحسنان
وصاحب الوقت الشفيع تقربي وتمسكي ان زلت الندمان
فيه تقرب آدم لما عصى وبه نجا نوح من الطوفان
فهو الضياء وكل شيء زائل وهو البقاء وكل شيء فان
وهو القريب وكل قرب مبعد وهو البعيد وكل بعد دان
وهو الموحد والموحد في الورى سبب الوجود وماله من ثان
شمس انارت فاستضاء بنورها بين البرية من له عينان

عجباً لمن تركوا الهدى وتبعوا سبل الضلال وفيهم الثقلان
خلف النبوة والكتاب بكفه هذا جدا ليس يفترقان
روح وجثمان وليس بقائم من غير روح صورة الجثمان

ان مزيد يقدّم لنا نظرية ليست جديدة بالنسبة الينا من الاعتقادات الاسماعيلية تقول بان في العالم الروحي العلوي حدود روحانية مقابلة لما في العالم السفلي وفي العالم السفلي والعلوي حدود مقابلة لما في الجسم فهذه الحدود قسّمتها الحكماء كما يلي: فقالت وسمّت الحدود العلوية بالسابق والتالي والجد والفتح والخيال والحدود السفلية: الناطق الوصي الامام الحجة الداعي والحدود الجسمانية هي سمع بصر لمس شم ذوق اما حدود عالم الدين التي يذكرهم شاعرنا بقوله:

منهم محمد النبي وصنوه خير البرية قاسم النيران
سبب النجاة لمن اراد نجاته والبضعة الزهراء والحسنان

فهم اهل البيت: محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة الذين هم الاركان او الدعائم التي قام عليها عالم الدين ومزيد يقر بمعرفتهم حق المعرفة ويؤكد انه على اتصال بولائهم وبطاعتهم وطاعة الائمة من ذريتهم.

وكن واثقاً بامام الزمان تجيبك الغصون باثمارها
وكاشف مكنونها بالورى جهاراً وعالم اسرارها
فهل ساطح ارضها غيره ومجري المياه بانهارها؟
ومرسي الجبال ومجرى البحار وفلك تسير بتيارها؟
وساني السماء بابراجها ومزجي السحاب بامطارها؟
فقل للنصارى ورهبانها وقل لليهود واحبارها؟
وللصابئين على مائها وقل للمجوس على نارها؟
وقل لامة فرقت بعدها باقلالها وباكثارها؟
اتخلوا البرية من مرشد باعذارها وبانذارها؟
يبين لكم ما اختلفتم به ويحصي الذنوب لغفرانها؟
ويحكم في الارض بين العباد باقبالها وبادبارها؟

يقول مزيد هنا ان وجود الامام ضروري وواجب على الله لانه سبحانه وتعالى لما خلق خلقه واوجب عليهم عبادته ارسل اليهم رسله لهدايتهم الى الصراط المستقيم ولارشادهم الى السبيل السوي حتى يعم الامن في ارضه وينتشر

العدل في كونه وقد جعل خاتم الانبياء جميعهم محمد رسول المسلمين واوجب بعد موته ان يكون من يقوم مقامه لهداية البشر ونشر الامن فهو الامام كاشف المكنونات ساطح الارض ومجري المياه ومرسي الجبال ومجري البحار فكما ان الله جعل الجبـال اوتاداً للارض لكيلا تزلزل كما قال « والقى في الارض رواسي ان تميد بكم » هكذا جعل الائمة اوتاداً للدين يمنعونه ان يتزلزل وبنيان الارض ان يتهدم .

وكيف افزع من ريب الزمان ولي	كف بحبل بني الزهراء قد علقا
وصاحب الوقت ذخري عند آخرتي	اذا النفوس رأت في موتها رهقا
فهو السبيل سبيل الله متصماً	للقصد والعروة الوثقى لمن وثقا
وعلة لوجود الخلق من عـدم	لولا تفضله بالخلق مـا خلقا
فلو اشار الى الافلاك منتدباً	لفارقت جزعاً من بأسه الافقا
ورام ان يملك الدنيا ، وساكنها	بسيفـه مدّت الدنيا له عنقا
به دعا آدم لما عصى وبـه	نوح بنا الفلك لما عاين الغرقا
وقد توسّل موسى باسمه ودعا	اذ خرّ موسى لرؤيا ربه صعقا
وقام احمد بالاحزاب منتقماً	من الطغاة وفي السبع الطباق رقا
عجبت من امة زاغت بصائرها	عنه وما عرفوا القول الذي سبقا
ضلّوا وهل يهتدي من ضلّ في طرق	لا يقتدي بدليل يعرف الطرقا
قوم كأنهم خشب مسنـدة	لا يفقهون اذا ما باطل زهقا
غرقى ولا يحملون الفلك منقذهم	عطشى ولا يردون المنهل الندقا
دانوا بما تحكم الاراء وافترقوا	عن الدليل فاضحى دينهم غرقا

وهنا نرى شاعرنا مزيد يرد على جميع الفرق الذين حادوا عن طريق الامامة ولم يعرفوا جوهرها فيقول لهم بان الدنيا بجميع مخلوقاتها خلقت للامـام فهو علتها وسببها وكما ان الجسم خلق للنفس فكذلك الدنيا خلقت للامام وهذا هو المراد بقول الحكماء « العالم انسان كبير والانسان عـالم صغير » ، ثم نراه ينعي عليهم اعتقاداتهم وتشبيههم للخشب المسندة الذين سيطر عليهم البـاطل واصبحوا غرقى والفلك على مقربة منهم وعطشى والمنهل العذب قريب منهم وكل ذلك لانهم تركوا طريق الامامة وابتعدوا عن الدليل ودانوا بما تحكم الآراء ..

يا اماما اجرى العلوم بحارا	واقام الحدود فينـا جبالا

يا اماما يسقي العدو عاقا	ثم يسقي الولي عذبا زلالا
يا اماما عم البرية عدلا	واباح القضاء عدلا ومالا
يا اماما يحكي المزن سموا	وعلوا ورفعة وجلالا
وفخارا ثم علما وحلما	جل اسما وكنية وفعالا
انا لولاك ما تجنبت في الدهر	حراما ولا وصلت حلالا
وهجرت الطاغوت والجبت والانصاب	والازلام والدجالا
واجبت الداعي الى جنة الخلد	فوقيت النيران والاغلالا
ثم اني اتيت حجة وقتي	وتمسكت بالعهود الثقالا
وتبعت الامام آمر ديني	فأزال الامام عني الضلالا
ثم اقررت بالاساس وبالناطق	اقرار مؤمن يتوالى
وتحققت الجد والفتح والتالي	والسابق النهي والخيالا
وعبدت الذي اليه دعوني	جل ربي عن مثله وتعالى
قادر قاهر سميع بصير	غمر الخلق نعمة ونوالا

ان شاعرنا مزيد الحلي يثبت بما جاء به الان انه من الدعاة العلماء الاجلاء الذين وضعوا لبان المعرفة صافية ودرسوا الاصول والاحكام للعقيدة الاسماعيلية ووصلوا الى معرفة اسرارها حتى ترتيب الحدود ومراكزها واسماءها ، ونراه بادئ ذي بدء يبحث النقطة الاساسية بهذه العقيدة وهي الامام الذي يشكل بنظرهم الموجود الثاني او المنبعث الاول او اللوح الذي صار حجابا وبابا لتصوير كافة صور المخلوقات التي ابدعها الله ، وان المعجزات والدلائل التي يظهرها والفضائل التي يعلن عنها جميعها من تأييد العقل الاول الذي هو الموجود الاول او القلم الذي يخط صور الاشياء والمخلوقات ، اذن فكل التأييدات للامام تأتي عن طريق الناطق او النبي فهو وحده حده الاول ومطه ومرقيه ومستخلفه في الامة والنبي مثل الذكر والامام مثل الانثى والنبي مثل السماء والامام مثل الارض وعند انتقال النبي لزم ان يستلم الامام رتبته في عالم الدين فيصير بمقامه لا فرق بينهما ولذلك كان النبي يقول لعلي : انا وانت يا علي كهاتين ويجمع بين اصبعيه المسبحتين من يديه اليمنى واليسرى وقال لا اقول كهاتين وجمع بين المسبحة والوسطى ، ونرى مزيد ينتقل ليذكر الحدود الجسمانية والروحانية وهذه الناحية من اهم المواضيع عند الاسماعيلية التي تقول بان الله ابدع القلم واطلقوا

عليه السابق وجعلوا له الصفات التي وصف الفلاسفة بها العقل الكلي وقد اضافوا الى هذه الصفات اسماء الله الحسنى بعد ان نزهوا الله تعالى عنها وجردوه منها وقد جعلوا العقل الكلي والنفس هما الكلمة التي قامت بها جميع المخلوقات وجعلوا ايضاً ثلاث حدود تلي هذين الحدين هم الجد والفتح والخيال الذين هم ممثولين ميكائيل واسرافيل وجبرائيل وان مزيد هنا يمدح الامام ويقول عنه بانه مثل للعقل الثاني وانه نور خلق قبل ان يخلق العالم وانه يتكون من جسم كثيف شانه في ذلك شأن سائر البشر ومن روح لطيف يناسب ممثوله في العالم العلوي والروحي لانه ممثول المنبعث الاول والموجود الثاني حسب معتقداتهم .

ففي كل يوم اقتني منه حكمة	فهل يعدّ من الورد من جاور البحرا
سوى انه عذب لمن رام علمه	وملح اجاج للذي يبتغي الشرا
فان نلت منه ظاهراً نلت ماءه	وان رمت منه باطناً نلته درا
اذا نحن القينا السؤال اجابنا	ومن هز غلامشر اً اكل الشرا
واذ نحن امسكنا حياء افادنا	ففزنا به علماً وفاز بنا اجرا
امام اليه فوض الله دينه	وملكه الدنيا ورد له الامرا
امام اعز الله تأييد نصره	فقد نصر الايمان وامتحق الكفرا
امام ملوك الارض اضحت عبيده	فمن خانه منهم تملكه قهرا
ابوه علي الطهر والجد احمد	نبي الهدى والام فاطمة الزهرا
وهذا هو الفخر الذي ليس مثله	اذ نحن عددنا المناقب والفخرا
اليك معادي يا امامي وعدتي	وماخاب عبد كنت انت له ذخرا

لا يزيد شاعرنا مزيد الحلي اية فكرة جديدة او صورة مبتكرة بل نراه يعود لتكرار ما قاله من الابيات السابقة عن امامه وكيف ان اتصاله به يزيده علماً ومعرفة فهو البحر العميق للعلوم وهو الشخص الكامل الذي فوض عليه الله امر الدين ثم جعله قائداً للدنيا واماماً لها يتصرف بشئونها كيفما اراد لانه منجي النفوس ومخلصها من عالم الكون والفساد وهذا الامام حاز الفخر من كل اطرافه فأبوه محمد وعلي وامه فاطمة الزهراء فكيف لا يكون كما وصفناه وقد تسلسل من هذا البيت الكريم ووقعت عليه نصوص الامامة الهادية اذن بعد هذا لم يبق اي مجال لمدح مادح او وصف واصف .

وامدح هديت بني النبي فاطم	لهم المكارم في غد والجود

السابقون المدركون بسبقهم والسادة الغر الكرام الصيد
والصائمون المؤثرون بقوتهم والقائمون فركم وسجود
والناطقون الصادقون بنطقهم والعاملون بشرع وحدود
نظر المهيمن في الخلائق نظرة قدما وقد عبدت سواه عبيد
فاختار احمد واصطفاه وخصه باخيه حيدر فهو عنه يزود
فبنى النبي الدين وهو مهدم ومحا الوصي الشرك وهو مشيد
وتلا النبي فأنت منذر من عما ولكل قوم هادي ورشيد
اذ قال يوم قد برخم خطبة قد زانها التقديس والتمجيد
فاتاه جبرائيل من رب السما بلّغ فما دون البلاغ مزيد
من كنت مولاه فهذا حيدر مولاه يامرني به المعبود
انا للعلوم وللنبوة فيكم دار وهذا الباب والاقليد
وهو السفينة من يطه فقد نجا ومن اطّرحه ففي الضلال يرود
ارضيتم قالوا نعم وقلوبهم فيها لبغض بني النبي حقود

يقول شاعرنا مزيد ان نفسه تأبى ان تمدح انساناً غير اهل بيت النبي الكريم والائمة الذين ينحدرون من هذا البيت فهم اصحاب المكرمات وهم السابقون بالخلق اي ان مركزهم في عالم الدين كمركز السابق وهم اول الحدود واول الموجبات والناطقون بالكتب المنزلة والقائمون على تنفيذ اوامر الانبياء. والعاملون لترتيب الشرع وتركيز الحدود الدينية الروحية ، ثم ينتقل الى القول ان محمداً هو الذي قام ببناء الدين وان علياً هو العامل الاساسي لمحو الشرك من الدين ثم نرى مزيداً ينتقل ليذكر بقصة تاريخية مشهورة هي وصية النبي محمد في «غديرهم» عند حجّة الوداع واعلانه النص على علي وقوله لهم: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره وأدر الحقّ معه كيف دار» ، انا مدينة العلم وعلي بابها ، علي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك .

فقالت النفس جدي بالمسير الى خير البرية من عجم ومن عرب
ولذ به طالباً واقصد خيرته تنجو به من عظيم الهم والكرب
وجئت اقصد من اولاه ما عرفت سبل الهداية في كل الورى يجب
داعي الدعاة وماجا الناهجين الى سبل الرشاد بلا شك ولا كذب
الى الامام الذي اولاه ما عرفت سبل الهدى واقتدا ماجاء في الكتب

قال الامام حديث صح وارده	عن الثقات اولي الانوار والحجب
لو تخلو الارض يوماً من مثبتها	لمادت الارض بالافلاك والقطب
وقال من مات منكم ثم ليس له	علم به مات موت الجهل في الحقب
لولا الدليل لما كان الطريق به	علماً ولا كان ذا نطق وذا ادب
ولم يكن يخلق الرحمن خالقه	من سائر الخلق في بعد وفي قرب

بهذا القدر انهي بحثي عن مزيد وشعره العقائدي الفلسفي تاركاً لجمهور القراء الكريم الحكم على هذا الشاعر العبقري المغمور، واتخذها مناسبة لتوجيه كلمة موجزة لادبائنا وشبابنا المثقف لاننا نظرهم وداعياً اياهم للبحث والدراسة والتنقيب عن الكنوز المدفونة من ادبنا العربي والتي يتوقف اظهارها على جهودهم الطيبة ونهضتهم المباركة .

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)

رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

سنة احدى وعشرين وثلاثماية[١]

قبض ابن مقلة على جماعة من العمال منهم النوبختي اسحاق بن اسماعيل وعلي الكلوذاني وعتب عليه انه لم يراع اهله وقت غيبته ($\frac{٩٦}{٥١}$) واخذ خطه ايتي الف دينار وسلمه الى ابي بكر بن قرابة .

وقبض على بني البريدي وضمن اعمالهم[٢] محمد بن خلف النيرماني[٣] بزيادة ثلاثماية الف دينار وضمن له ابن قرابة ان يصادرهم على ستماية الف دينار[٤] .

ولم يزل ابو عبدالله البريدي بداري محمد بن خلف ويعرفه انه يعمل بين يديه فرقه من بين اخوته[٥] .

وتوصل ابو عبدالله حتى ضمنه ابن قرابة واطلق .

ومضى[٦] البريدي الى ابن مقلة وقال عرفت من ابن خلف انه يطلب الوزارة فانفذ خدمه وحجابه للقبض عليه فهزمهم محمد بن خلف وحصلهم في بيت واقفل عليهم بابه وتسور السطوح وهرب فلم يظهر الا بعد عزل ابن مقلة .

ومضى[٦] البريدي الى الاهواز بتوسط ابن قرابه حاله .

وكان ابن مقلة يعادي ابا الخطاب [ا] بن ابي العباس بن الفرات فلم يجد للقبض عليه طريقا[٧] لانه ترك التصرف منذ عشرين سنة ولزم منزله وقنع بدخول ضيعته .

١) طالت اخبار هذه السنة لانه جمع بينها وبين اخبار سنة ٣٢٢
٢) في تجارب الامم ٥/٢٤٦ وضمن اعمالهم من محمد بن خلف النيرماني
٣) في الاصل البرماني والتصويب عن تجارب الامم ٥/٢٤٦
٤) هذه الجملة وضمن له ابن قرابة ... مكررة في الاصل .
٥) في تجارب الامم ٥/٢٤٧ الجماعة
٦) في الاصل ومضا
٧) في تجارب الامم ٥/٢٥٠ طريقاً ديوانياً

وكان ابن مقلة استعفه ايام نكبته فاعتذر بالاضافة ولم يستعفه فطهر[؟] ابو الخطاب اولاده ودعا اولاد ابن مقلة فعادوا الى ابيهم واخبروه بزينته فتركه حتى قصده للسلام فقبض عليه وطالبه بثلاثماية الف دينار فقال بم يحتج علي الوزير وقد تركت التصرف من عشرين سنة وفي حال تصرفي كنت الزم الصحة ولي على الوزير حقوق مثله لا ينساها ولولا تهجينه لي لقد كنت اظهر خطوطاً له عندي ($\frac{٩٧}{٥١}$) قبل هذه الحال وما اريد من رعايتها الا السلامة وان كان يعتقد انني ورثت من ابي مالا، فاننا كنا جماعة اولاد ولو كان شي لتقاسمناه .

فقال ابن مقلة للخصيي غاقبه فمرقب فلم يذعن فقال اضربوا عنقه فقال للسياف وجهني الى القبلة واخذ يتشهد .

فقال مونس وقد بلغه الخبر اي طريق لك على رجل لم يعمل منذ[١] سنة تسع وتسعين ومايتين (٩١١) وتوسط امره على عشرة الاف[٢] دينار وصرفه الى منزله .

وتوسط ابن شيرزاد حال هارون بن غريب على مصادرة بثلاثماية الف دينار وعنى[٣] به مونس المظفر فقبلت مصادرته وقلد اعمال ماه الكوفة وماسبذان .

وكان هارون براسط ففارقه عبد الواحد ابن المقتدر ومحمد بن ياقوت وابنا رايق وسرور ومفلح وقصدوا السوس واخربوا البلاد في طريقهم واقاموا بسوق الاهواز فنفذ لحربهم بليق[٤] .

. وانحدر بدر الخرشني في الما[ء].

وكوتب احمد بن نصر القشوري وهو يتقلد البصرة للسير معه .

فلما تحصلت الجيوش براسط تغير اصحاب ابن ياقوت[٥] عليه وصاحب البريدي بليق وضمن تستر عسكره وعمل بالاهواز كل عظيم من المصادرات واخذ الامتعة واتى بعده البريدي فعمل كعمله .

وقال ابو عبدالله البريدي لما رأيت الخلال امر بليق[٦] هممت بالتغلب وصار

١) في الاصل منذ
٢) في الاصل ٠الاف
٣) في الاصل وعنا
٤) في الكامل ٢٢٤/٦ وتجارب الامم٥/٢٥٤ يلبق
٥) في تجارب الامم ٢٢٥/٥ محمد بن ياقوت

بين محمد بن ياقوت وبليق نهر فحلف بليق لمحمد بان لا يناله من جهته سوء اذا عبر اليه ، فعبر اليه محمد في غلام واحد وانفرد وحلف كل واحد منهما لصاحبه فاصطلحا (٩٨/٥٢) على ان يسيرا الى الحضرة ويكون بينهما منزل .

واشار البريدي على ابن الطبري ، كاتب بليق[1] بان يخاطب استاذه في القبض على محمد فلما خاطبه ، قال ما كنت لاخفر[2] امانتي .

وحلف بليق يتستر[3] البريدي فعمل بها كل قبيح .

ورحل ابن ياقوت وتبعه بليق الى مدينة السلم فلما دخل بليق خلع القاهر عليه وطوقه وسوره واطلق املاك ابن رايق ومحمد بن ياقوت ومفلح وسرور .

وبيعت دار الوزارة بالمخرم وكانت قديماً لسليمان بن وهب وذرعها اكثر من ثلاث مائة الف ذراع وقطعت وصرف ثمنها في مال البيعة للقاهر بالله .

وورد الخبر من مصر بموت تكين الخاصة .

واشار ابن مقلة بانفاذ علي بن عيسى فجاءه ليلا واستشفع الى كرمه به وعرفه كبر سنه فاعفاه عن الشخوص[4] لما تذلل له وهم بتقبيل يده فمنعه من ذلك .

وورد كتاب محمد بن تكين يخطب مكان ابيه فاجيب اليه فشغب الجند عليه بمصر وهزموه .

وانحرف ابن مقلة عن محمد بن ياقوت ومكن[5] في مع القاهر عليهم وان رسوله في ذلك عيسى الطبيب .

فوجه مونس بعلي بن بليق الى دار الخلافة وهجم غلمانه على عيسى الطبيب فاخذوه من بين يدي القاهر ونفاه مونس من وقته الى الموصل .

واستتر محمد بن ياقوت ووكل مونس بدار القاهر وامر بتفتيش كل من يدخل اليها حتى فتش لبناً مع احد الجواري[6] وخاف ان تكون (٩٩/٥٢) فيه رقعة.

---

١) في تجارب الامم ٢٥٦/٥ بليق

٢) في الاصل لا حفر والتصويب عن تجارب الامم ٢٥٦/٥

٣) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٢٥٧/٥ وخلف بليق تستر فعمل بها البريدي اعظم مما عمل القراريطي بكثير . . .

٤) في الاصل السخوص

٥) بعدها بياض في الاصل وفي تجارب الامم ٢٥٩/٥ فمكن في قلب مونس المظفر وبليق وعلي ابنه انه في تدبير عليهم مع القاهر

٦) في الاصل الجوار

واخذ المحبوسين فيها[١] وسلم والدة المقتدر الى والدة علي ابن بليق فاقامت عندها مرهفة عشرة ايام وماتت بعد ذلك وحملت الى التربة بالرصافة فدفنت بها .

وباع ابن مقلة الضياع والاملاك السلطانية لتمام مال البيعة بالفي الف واربعماية الف دينار .

وتقدم بالقبض على البر بهاري ورئيس[٢] الحنابلة[٣] فهرب .

وقبض على جماعة من كبار اصحابه ونفاهم الى البصرة .

قال بعض اهل العلم خرجنا في يوم مطير مع جنازة ابن هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد[٤] الوهاب الجبائي[٥] ، الى باب البستان فاذا نحن بجنازة معها جماعة[٦] ، هذه جنازة ابي بكر بن دريد[٧] ، فبكينا على الكلام والادب وذلك في سنة احدى وعشرين وثلاثماية (٩٣٣) .

فاما ابو هاشم فبينه وبين[٨] اثنا عشر سنة وله الكتب المشهورة في الكلام وفي الرد على ابن الراوندي والملحدة .

قال الخطيب سأله بعض اصحابه عن مسئلة فاجابه ، فقال يا ابا هاشم الصاحي بوضع رجلي السكران اعرف من السكران بوضع رجلي نفسه يعني ان العالم بما يحسنه الجاهل من الجاهل بقدر ما يحسن[٩] .

---

١) في الكامل ٦/٢٢٥ ونقل يلبق من كان بدار القاهر محبوساً الى داره كوالدة المقتدر وغيرها . . .

٢) في الاصل ونيس والتصويب عن تجارب الامم ٥/٢٦٠ والكامل ٦/٢٣٣

٣) في تجارب الامم ٥/٢٦٠ الحنبلية

٤) ترجم له في وفيات الاعيان ١/٤٨٠ ومعجم الادباء والبداية والنهاية ١١/١٧٦ والمنتظم ٦/٢٨١

٥) في الاصل الجباي وفي الكامل ٦/٢٣٤ والبداية والنهاية ١١/١٧٦ سلسلة نسبه

٦) بعدها بياض في الاصل وفي المنتظم ٦/٢٦٢ فقلت جنازة من هذه ، فقالوا جنازة ابي بكر بن دريد

٧) ترجم له في ترجمة الالبا للانباري ٣٢٣ وفي وفيات الاعيان ١/٤٩٧ والفهرست ٩١ والبداية والنهاية ١١/١٧٦-١٧٧ والمنتظم ٦/٢٦١ وتاريخ اداب اللغة لزيدان ٢/١٨٨

٨) كذا في الاصل نقص

٩) تاريخ بغداد ١١/٥٥ الترجمة ذات الرقم ٥٧٣٥

واما ابو بكر بن دريد فهو صاحب كتاب الجمهرة[1] وهو اشعر العلما[2] ومن شعره المقصورة[3] نقلت من خط التميمي له :

أعاذُ من اجلك لا من ضنى[4] وسابر العُوّاد اشراكي
ولست اشكوك الى عايد اخاف ان اشكو الى شاكي[5]

وله :

(١٠٠/٥٣) وحمراء قبل المزج صفراء بعده اتت بين ثوبي نرجش[6] وشقايق
حكت وجنة المشوق صرفًا فسلطوا عليها مزاجًا فاكتست لون عاشق[7]

ومن شعره :

كل يوم بروعني بالتجني من اراه مكان روحي مني
شبه للهلال والظبي[8] والغصن بوجه ومقلة وتثني
جمع الله شهوة الخلق فيه فهو في الحسن غاية المتمني
امن العدل ان ارق ويجفو[م] في واشتاقه ويصبر عني[9]

وفي هذه السنة تم تدبير القاهر على مونس وانعكس ما دبره مع ابن مقلة من القبض على القاهر وذلك انه لما عومل بما ذكرناه وضيق عليه التضيق الذي شرحناه راسل الساجية وضربهم على مونس وبليق وضمن لهم الصلات الكثيرة.

---

١) طبعت الجمهرة هذه طبعة اولى مصححة ومنقحة بحيدر اباد الدكن سنة ١٣٤٦ بثلاثة اجزاء وابعها فهارس عامة اطلب كشف الظنون عمود [٦٠٥] وبروكلمن ١١٢/١ وملحق ١٣٧/١

٢) جمع له ديوانًا السيد محمد بدر الدين العلوي، استاذ اللغة العربية في الجامعة الاسلامية على كره وطبعه في مصر بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٦ صفحاته ١٤٣

٣) زيدان : تاريخ اداب اللغة العربية ١٨٨/٢ كتب عنها لمة وكشف الظنون عمود [١٨٠٧] وبروكلمن ١١١/١-١٢ و١٤/٣و٢٥ وملحق ١٧٢/١

٤) في الاصل ضنا

٥) لم اجد هذين البيتين في الديوان المذكور آنفًا

٦) كذا في الاصل ولعله يريد نرجس

٧) في الديوان ٨٦ حكت وجنة المشوق قبل مزاجها وفي حماسة لبن الشجري ٢٥٩ فلا مزجناها حكت لون عاشق

٨) في الاصل الضبي

٩) لم اجد هذه الابيات في الديوان المذكور آنفا

وكانت اختيار قهرمانة القاهر تخرج من الدار وتتوصل الى ان تخفي ليلا الى ابي جعفر محمد بن القسم بن عبيدالله وتشاوره في امور القاهر .

وعزم ابن مقلة وبليق وابو الحسن بن هارون على خلع القاهر وتولية ابي احمد بن المكتفي بالله . فاشار عليهم مونس بالتمهل وامرهم بالتلبث الى ان ينبسط القاهر ثم يقبضون عليه فاتفق لبليق ان خادمه صدمه في الميدان صدمة اعتل فيها .

وبادر ابن مقلة بمكاتبة القاهر يعلمه ان القرمطي[١] قد وافى[٢] الكوفة وقد قررت انا ومونس مع علي بن بليق الخروج اليه وامرناه بلقاء امير المؤمنين في ليلتنا (١٠١/٥٣) هذه . وكان قصدهم انه اذا وصل اليه قبض عليه واتبع الرقعة باخرى متمضن الحال فاستراب القاهر وخاف ان تكون حيلة . وتم الخبر اليه من جهة طريف السبكري[٣] .

فلما كان بعد العصر حضر ابن بليق منتبذا[٤] ومعه عدد يسير من غلمانه وكان القاهر قد ارسل الساجية يحضروا بالسلاح وشتموا عليا وحملوا على القبض عليه فحامى غلمانه عنه وطرح نفسه من الروشن الى الطيار وعبر [من ليلته الى الجانب الغربي][٥] واستتر من ليلته .

واستتر ابن مقلة وابن قرابة .

وانحدر بليق ليعتذر لابنه فقبض عليه القاهر وراسل مونسا واعلمه الحال وساله في الحضور فاعتذر بثقل الحركة فعاوده في السوال في الحضور فاستقبح له طريف السبكري التاخر فلما حصل في دار السلطان قبض عليه فكانت وزارة ابن مقلة للقاهر تسعة اشهر وثلاثة ايام .

وزارة ابي جعفر محمد بن القسم بن عبيد الله

ووجه القاهر الى ابي جعفر محمد بن القسم بن عبيد الله فاستحضره في

---

١) في الاصل القرمضي
٢) في الاصل وافا
٣) في البداية والنهاية ١٧٢/١١ البشكري ولعله الصواب
٤) في الكامل ٢٢/٦ وفي راسه نبيذ
٥) زيادة عن الكامل ٢٢/٦ يقتضيها السياق

مستهل شعبان وقلده وزارته وخلع عليه يوم الاثنين ثالث شعبان خلع الوزارة .

ووجه القاهر من يومه من استقدم عيسى المتطبب من الموصل .

وانفذ الى دار ابن مقلة بباب البستان فطرح فيها النار .

وظهر محمد بن ياقوت وصار الى دار السلطان وخدم في الحجبة ثم علم كراهية طريف والساجية والحجرية له فاحتال في الهرب واستتر وانحدر الى ابيه بفارس وجلس بزي الصوفية[1] (١٠٢/٥٦) في الما وركب البحر ووافى مهروبان وجاء ليلا الى ارجان فنزل على ابي العباس بن دينار وانفذ اليه ابوه مالا وكسوة وتلاحق به اصحابه وقلده[2] القاهر كور الاهواز ثم اصبهان .

واستحجب القاهر سلامة الطولوني وقلد ابا العباس خاقان[3] الشرطة بجانبي[4] بغداد واخذ القاهر ابا احمد بن المكتفي من دار عبد الله بن الفتح فسد عليه باب بيت وعرف باستتار علي بن بليق في دار فانفذ من كبسها فاستتر في تنور فاطبق عليه غطاوه فتاخر بعض الرجال عن اصحابه حين لم يجدوه واتى الى التنور ففتحه وظن ان فيه خبزا يابسا فلما رآه[5] صاح فعاد[6] اصحابه فاخذوه وضرب بين يدى القاهر وادى عشرة آلاف[7] دينار وحبسه .

وقبض الوزير ابو جعفر على اخيه الحسين بعد ان امنه ونفاه الى الرقة وقال انه يعتقد مذهب ابن ابي العزاقر .

ثم ان رجال مونس وبليق شغبوا وقصدوا دار الوزير ابي جعفر فاحرقوا روشنه .

وتقدم القاهر بذبح علي بن بليق وانفذه الى ابيه فلما رآه بكى[8] ثم ذبح بليق وانفذ راسيهما[9] الى مونس فلما رآهما[10] لعن قاتلها فذبح كما تذبح الشاة[11]

---

١) في تجارب الامم ٢٦٥/٥ بزي اصحاب المحابر

٢) في تجارب الامم ٢٦٥/٥ وكاتبه القاهر بما يسكنه منه واعلمه انه عجل على نفسه واستوحش وقلده . . .

٣) في تجارب الامم ٢٦٦/٥ ابا العباس احمد بن خاقان

٤) في الاصل بجاني

٥) في الاصل رءاه

٦) في الاصل فعادوا

٧) في الاصل وادا وءالاف

٨) في الاصل رءاه بكا

٩) في الاصل راسها

١٠) في الاصل رءاها

١١) في الاصل الشات

واخرج الرءوس في ثلاث[١] طسوت حتى شاهدها الناس واعيدت الى خزانة الرؤس [كما جرت العادة][٢] .

وكان وزن راس مونس بعد تفريغ دماغه ستة ارطال .

وسهل القاهر امر ابن مقلة حين اخذ من الاستتار فاطلقه .

وقبض الوزير[٣] على ابي جعفر بن شيرزاد[٤] واخذ خطه بعشرين الف دينار .

وكبس على بني البريدي فلم يوجدوا .

(١٠٣/٥٤)واحضر القاهر علي بن عيسى وقلده وسطا وسقي الفرات وقبض القاهر على الوزير محمد بن القسم[٥] فكانت وزارته ثلاثة اشهر واثنا عشر يوماً .

واخذ من داره ابو يوسف البريدي .

واستدعى[٦] القاهر عبد الوهاب بن عبيد الله الخاقاني واسحاق بن علي القناني[٧] على ان يولي احدهما الوزارة وجلس القواد بين ايديهما فخرجت رسالة بالقبض عليهما وادخالهما المطبق[٨]

ثم وجه[٩] الى سليمان بن الحسن واستحضره للوزارة فحضر وتلقاه القواد وقبلوا يده ووجه بمن قبض عليه وحبسه .

ثم وجه الى الفضل بن جعفر واستدعاه ليستوزره فاستتر .

ثم استدعى[٦] الخصيبي وخلع عليه وكتب للبريديين امانا بعد ان صادر ابا يوسف على اثني عشر الف الف درهم .

ولما اتاه عبدالله عاتبه وقال له شمت[١٠] ام اخي وهي امي[١١] . وحقوقي

١) في الاصل ثلاث
٢) زيادة عن الكامل ٦/٢٣٩ يقتضيها السياق
٣) في تجارب الامم ٥/٢٧٠ الوزير هو ابو جعفر
٤) في تجارب الامم ٥/٢٧٠ ابو جعفر محمد بن شيرزاد
٥) نسبه في الكامل ٦/٢٣٩ فقال : ابو جعفر محمد بن القاسم ابن عبيد
٦) في الاصل واستدعا
٧) عرفه ابن الأثير في اللباب ٢/٠٥ فقال : ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن علي القناني
٨) في تجارب الامم ٥/٢٧٢ الحبوس الناسفة
٩) اي القاهر كما هو في تجارب الامم ٥/٢٧٢
١٠) في الاصل شمت
١١) في تجارب الامم ٥/٢٧٣ لما ذكرت ام ابي يوسف وهي امي

عليك توجب صيانتها عن الذكر القبيح فقال له دع ما مضى[١] فانني لم املك نفسي وقد وصفتك لامير المؤمنين ولا بد من الفي الف درهم فقال ابو عبدالله لقد اعتبتني[٢] ايها الوزير واحسنت التلاقي فقال مجياتي عليك اكتب خطك بهذا المبلغ فكتب به خطه وانصرف .

وانحدر البريدي الى واسط وعقدهـا القاهر عليه بثلاثة عشر الف درهم واتاها ربها علي بن عيسى وقد عمرها وقال عيسى المتطبب للبريدي ان القاهر يريد القبض عليك فاستتر ولم يظهر حتى خلع القاهر .

وزارة الخصيبي

(١٥٦/٥٥) وكان ابن مقلة يراسل الساجية والحجرية في استتاره ويضريهم[٣] على القاهر .

وكان الحسن بن هارون يلقاهم ليلا بزي السوال وفي يده زبيل[٤] حتى تمت له الحيلة .

وبذل لمنجم[٥] كان يخدم سيما مايتي دينار حتى قال له من طريق النجوم انه يخاف[٦] عليه من القاهر .

وبلغ الخبر باستيلاء اصحاب ابن رايق على الاهواز .

وبلغ الخصيبي ما عول عليه الحجرية والساجية من قصد دار السلطان فانفذ عيسى المتطبب[٧] الى القاهر ليخبره بالحال ، فوجده نايما مخمورا واجتهد في انباهه فلم ينتبه لشدة سكره .

فقام سيما بهم وركبوا معه الى دار السلطان ورتب على كل باب من ابوابها

١) في الاصل مضا . وفي تجارب الامم ٥/٢٧٣–٢٧٤ دع ما مضى الخليفة

٢) في تجارب الامم ٥/٢٧٤ اغثيتني

٣) في الاصل ويضرصم والتصويب عن تجارب الامم ٥/٢٨٦

٤) في الاصل ربيل ، وقال في اقرب الموارد الزّبّيل القفة وقيل الجراب وقيل الوعاء جمع زبابيل

٥) في الكامل ٦/٢٣٦ الباذل هو ابن مقلة ، وعرّفه الصولي في الاوراق صفحة١ ، اخبار الراضي والمتقي وهو سيما المناخلي

٦) في الاصل مخاف

٧) في الاصل المتصبب ، ولعيسى هذا ترجمة في كتاب القفطي اخبار الطاهر ص ١٦٥

جماعة من الحجرية والساجية وامرهم بالهجوم في وقت عينه وهجم من باب العامة فوقف به ودخل اصحابه .

فخرج الخصيي في زي امراة واستتر .

وانحدر سلامة الى مشرعة الساج واستتر .

ولما علم القاهر بالحال انتبه من سكره وافاق وهرب الى سطح حمام في دور الحرم ووقع في ايديهم خادم صغير فضربوه بالدبابيس[١] حتى دلهم على موضعه فاخذوه وعلى راسه منديل ديبقي وبيده سيف مجرد واجتهدوا به في النزول اليهم وقالوا نحن عبيدك وما نريد غير التوثق لانفسنا وهو ممتنع حتى فوق اليه احدهم سهما فنزل .

وقبضوا عليه ضحوة يوم الاربعا لست خلون من جمادى الاخرة سنة اثنين وعشرين وثلاثماية (٩٣٣) .

واتوا الى محبس طريف السبكري فكسروا قيده وحبسوا القاهر مكانه ووكلوا به

($\frac{١٠٥}{٥٥}$) وظفروا بزيرك خادمه وعيسى المتطبب واختيار[٢] القهرمانة .

واستدلوا على الموضع الذي فيه ابو العباس محمد بن المقتدر فدلهم على مكانه خادم[٣] فوجدوه ووالدته معتقلين ففتحوا عنهما .

ووقع النهب ببغداد .

خلافة الراضي[٤] بالله ابي العباس[٥] محمد بن المقتدر
رحمها الله

وامه ظلوم .

وكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام .

---

١) في تجارب الامم ٢٨٩/٥ بالطبرزينات والدبابيس ضرب من العصي قصير له راس كالكرة مفردها دبوس

٢) في الاصل احتيار

٣) في تجارب الامم ٢٩٠/٥ خليفة زيرك الخادم

٤) افاض في البداية والنهاية ١٧٨/١١ في ذكر اخبار خلافة الراضي وانما في جملة اخبار سنة ٣٢٢ هـ وكذلك في تجارب الامم ٢٨٩/٥ والمنتظم ٢٦٥/٦ والصولي في الاوراق في اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، تشر دت ٥) كلمة ابي العباس في الاصل كتبت على سطر اعلى

اجلسه الساجية والحجرية على السرير وبايع له القواد[1] وبدر الخرشني ولقب بالراضي بالله .

واستحضر علي بن عيسى واخاه عبد الرحمان وشاورهما فعرفه ابو الحسن ان سبيله ان يعقد لواء نفسه[2] على رسم الخلفا ففعل ذلك واستحفظ باللواء في الخزانة وتسلم خاتم الخلافة وهو خاتم فضة وفصه حديد صيني عليه مكتوب ثلاثة اسطر محمد رسول الله .

وانفذ الى القاهر بمن طالبه تسليم خاتمه اليه وكان فصه ياقوتا احمر وعليه منقوش بالله محمد الامام القاهر بالله امير المومنين يثق . فامر ان يسلم الى نقاش حاذق فحكاه[3] .

ومضى[4] القاضي ابو الحسين[5] والقاضي ابو محمد الحسن ابن عبد الله بن ابي الشوارب فامتنع ان يخلع نفسه فقال علي بن عيسى اخلعوه فان افعاله[6] مشهورة واعماله معروفة .

وسمل في تلك الليلة .

واخذ البيعة للراضي($\frac{١٠٦}{٥٦}$)علي بن عيسى واخوه وسال الراضي علي بن عيسى ان يتقلد الوزارة فاستعفاه وقال اني لا افي بالامر واشار بابن مقلة وكان مستترا وكتب له امانا فظهر .

وزارة ابن مقلة

ومضى[7] الناس اليه وهو في دار ابن عبدوس الجهشياري[8] فهنوه وخلع عليه خلع الوزارة .

وظهر من الاستتار مفلح الاسود خادم المقتدر وسرور وملفل[9] والحسين بن هارون وابو بكر بن قرابة .

١) في تجارب الامم ٢٩٠/٥ هو علي بن عيسى
٢) في تجارب الامم ٢٩٠/٥ لنفسه
٣) زاد في تجارب الامم ٢٩٠/٥ ونقش له خاتم آخر عليه الراضي بالله
٤) في الاصل ومضا
٥) في تجارب الامم ٢٩٠/٥ ابو الحسين عمر بن محمد
٦) في الاصل امياله
٧) في الاصل ومضا
٨) في الاصل الجهشيارى
٩) كذا في الاصل ولعله يريد فلفل

وصاروا الى ابي علي وهنوه وقال ابن مقلة لما اتاه الناس كنت مستترا في دار ابي الفضل بن ماري النصراني فسعى بي القاهر قبل زوال امره بشهرين وعرف موضعي واني لجالس وقد مضى نصف الليل[1] اتحدث مع ابن ماري اخبرتنا زوجته ان الشارع قد امتلا بالمشاعل والشمع والفرسان فطار عقلي وادخلني ابن ماري بيت تبن وكبست الدار وفتشوها ودخلوا بيت التبن وفتشوه بايديهم فلم اشك انني ماخوذ وعهدت وعاهدت الله تعالى على انه ان نجاني من يد القاهر بالله ان اترع عن ذنوب كثيرة وانني ان تقلدت الوزارة آمنت[2] المستترين واطلقت ضياع المنكوبين ووقفت وقوفا على الطالبين فما استتممت نذري[3] ، حتى خرج القوم وانتقلت الى مكان آخر[4] .

وما ترع من الخلع حتى وفى بالنذر .

وكتب ابن ثوابة في خلع القاهر كتابا قري على المنابر .

واطلق ابن مقلة المحبسين .

وقلد الراضي بالله الشرطة ببغداد بدر الخرشني .

وكان زيرك القاهرى قد اجمل عشرة ($\frac{١٠٧}{٥٦}$) الراضي وقت اعتقاله فكافاه[5] بان قلده امر حرمه واكرمه وسلم ابن مقلة عيسى المتطبب الى بني البريدي فاخذوا منه ثلاثين الف دينار ارتفق بها منهم وردوه على ابن مقلة وقالوا انه قد امتنع من اداء شيء .

ولم يعترف القاهر بشي سوى خمسين الف دينار ، ففرقها الراضي في الجند .

وقلد ابن مقلة ابا الفتح الفضل بن جعفر[6] خلافته على ساير الاعمال .

وقلد ابا عبدالله البريدي خوزستان[7] وقلد اخوته البصرة والسوس وجنديسابور وكور دجلة وبادرايا والانبار وبهرسير وقطربل ومسكن .

---

١) في الاصل الليل
٢) في الاصل وامنت
٣) تكررت هذه الجملة في الاصل
٤) في الاصل واخر
٥) في الاصل فكفاه
٦) نسبه في الكامل ٢٣٨/٦ فقال ابا الفضل جعفر بن الفرات
٧) في الاصل حوزستان

وكتب الى علي بن خلف بن طياب باقراره على فارس وكرمان .

وقلد الحسن بن هارون ما قلده علي بن عيسى من اعمال واسط بماية الف كر شعير وعشرة الاف[1] كر ارز والربعماية كر سمسم والف الف واربعماية الف درهم.

وقلد القراريطي كتابة ابن ياقوت الزمام وديوان الفرات فسفر حينئذ لصاحبه محمد بن ياقوت في الحجبة .

وحمل الى سبأ خمسة عشر الف دينار حتى عرف الراضي بالله انهم لا يريدون غير محمد بن ياقوت وانفق هذا الوجه بحجبه على القواد ماية الف وعشرين الف دينار.

شاط[2] ابن مقلة لانه استدعى ابن رايق وهو بالباسيان لذلك ولم يمكنه تعيده فلما صار ابن رايق بالمداين امره الراضي بالانحدار الى واسط واضافها الى اعماله بالبصرة وغيرها .

وكان ابن ياقوت برامهرمز[3] عازماً على التوجه الى اصبهان فكوتب بالاصعاد فالتقى ابن ياقوت [في][4] طياره وابن رايق في حديديه[5] فسلم كل ($\frac{١٠٨}{٥٧}$) واحد منهما على صاحبه ايماء من غير قيام .

وتلقى ابن ياقوت الحجرة والساجية ودخل على الراضي فخلع عليه وقلده الحجبة وصار اليه الناس الى داره بالزاهر ولم يقم لاحد الا لابن مقلة ولعلي بن عيسى .

واستولى ابن ياقوت على الامر .

وحصل ابن مقلة مع كاتبه القراريطي[6] متعطلا .

واخذ خطوط البريديين بماية الف دينار .

وكان هارون بن غريب بالدينور فعرف الحال بينهما وهي على عشرة فراسخ من بغداد جازما على ان يتقلد الجيش فكره الناس ذلك .

---

١) في الاصل الاف

٢) في الاصل فباط

٣) في الاصل براجرمز

٤) زيادة يقتضيها السياق

٥) اقرأ وصف الحديدي في كتاب معجم المراكب والسفن في الاسلام لحبيب زيات المشرق ٣٢١/٤٣

٦) في الاصل القريرطي

واستحضر ابن ياقوت ابن شيرزاد واوصله الى الراضي بالله حتى حمله رسالة اليه يامره بالرجوع الى الدينور .

فضى[1] ومعه القراريطي فالتقى به بجسر النهروان فلم يقبل قال ومن جعل ابن ياقوت احق بالرياسة[2] مني وقد كان يجلس بين يدي وانا نسيب امير المؤمنين وقال للقراريطي لولا انك رسول لقتلتك . فانصرفا[3] الى بغداد .

واستخرج هارون اموال طريق خراسان فعسف الرعية وظلمهم .

وسار ابن ياقوت في الحين الى[4] . . .فنزلها وانفذ ابن شيرزاد[5] برسالة جميلة وعرض عليه تسبيب الاموال على النهروانات فلم يقبل .

ومضى[1] كثير من الجند الى هارون مستامنين واشتد القتال وابن ياقوت يقرا في مصحف ويسبح وهو في عدد قليل حتى انهزم اصحابه ونهب سواده .

وبلغ هارون ان محمدا قد عبر قنطرة نهر بين[6] فبادر وحده ليأسره فقطر به فرسه فسقط عنه في ساقية فلحقه غلام[7] ابيه يمن القربي فضربه ضربة عظيمة $(\frac{١٠٩}{٥٧})$ وبادر غلام اسود فذبحه ورفع رأسه فتفرق اصحابه ونهب الحجرية والساجية سوادهم .

وامر ابن ياقوت بتكفينه[8] ودفن بهرس[9] من غير ان يصلي عليه ودخل بغداد وبين يديه راسه ورءوس اصحابه فامر الراضي بنصبها على باب العامة .

ثم ان والده الراضي سالت ان تحمل جثته ويدفن راسه في تربته بقصر عيسى فاجابها الى ذلك .

---

١) في الاصل فضا

٢) في تجارب الامم ٥/٣٠٨ بالحجبة والرئاسة

٣) كذا في الاصل ولعله يريد فانصرف ، كما هو في تجارب الامم ٥/٣٠٨

٤) بعدها بياض في الاصل ، وفي تجارب الامم ٥/٣٠٨ شخص محمد بن ياقوت من بغداد في سائر الجيوش بالحضرة ، ونزل في المضارب

٥) نسبه في تجارب الامم ٥/٣٠٨ هو ابو جعفر محمد بن شيرزاد

٦) نهر بين ، كورة من كور الاهواز ، معجم ما استعجم ١/٢٩٧

٧) في الكامل ٦/٢٤٠ غلام له اسمه يمن وفي تجارب الامم ٥/٣٠٩ يمن غلامه

٨) في الكامل ٦/٢٤٠ وامر بغسله وتكفينه وفي تجارب الامم ٥/٣٠٩ وامر بتكفينه ودفنه

٩) كذا في الاصل

واخذ ابن مقلة لابنه ابي الفتح اسانا من الراضي وقطع امره على ثلاثين الف دينار .

وفي رجب هذه السنة مات ابو جعفر السجري الحاجب وبلغ من السن مائة واربعين سنة قال ابن سنان وراسه صحيح الحواس والبصر منتصب الظهر ملزز[1] الاعضاء بغير معاون وقال له علي بن عيسى انا قطعت مالك لكذبك في سنك فقال ايها الوزير استدع الجرايد من شر من راى فانك تجد اسمي فيها واسم[2] من... قبلي وبعدي فوجد الامر كما قال . وقال ابن ابي داود السجستاني اعرفه واهله وهم معمرون وحكي انه يذكر دخول هرثمة وهو في المكتب .

واراد الراضي تولية محمد بن الحسن بن ابي الشوارب القضاء بمدينة المنصور كما كان يتولى ذلك ابوه فشفع محمد بن ياقوت في امر ابي الحسن حتى لم يقبر[3] عليه وكتب عهده حتى زال الارجاف عنه .

وضمن ابو يوسف البريدي اعمال واسط والصلح والمبارك واستخلف عليها الحسين بن علي النوبختي وكان يتقلدها لهارون ابن غريب وكان عفيفا خبيرا بالاعمال .

وكان ابن مقلة قد احدر الخصيبي (١١٠/٥٨) وسليمان بن الحسن الى البصرة وامر البريدي بنفيها في البحر فخف بها ليلة فكادا يغرقان وايسا من الحياة فقال الخصيبي اللهم اني استغفرك من كل ذنب وخطية واتوب اليك من معاودة معاصيك الا من مكروه ابي علي بن مقلة ان قدرت عليه جازيته عن ليلتي هذه وما حل بي منه فيها وتناهيت في الاساءة اليه فقال سليمان وفي هذا الموضع وانت معاين للهلاك تقول هذا فقال ما كنت لاخادع ربي .

ولما وصلا الى عمان عدل بالخصيبي الى سرنديب فعرف سليمان ابن الحسن بن وجيه خبره فامر برده الى عمان .

ولما عزل الراضي ابن مقلة وولى عبد الرحمان بن عيسى ضمن الخصيبي ابن مقلة فلما رآه[4] تلفت نفسه فاسمعه الخصيبي نهاية ما كره وسلمه الى الدستواني

١) في الاصل ملزر
٢) بعدها بياض في الاصل
٣) في الاصل يقر
٤) في الاصل رءاه

وكان لابن مقلة اليد السابقة لانه سلمه الى ابن البريدي حتى ان الوى[1] نعمته فعمل الدستواني بابن مقلة صنوف المكاره .

وجاء ابو بكر بن قرابة فضمن عنه ماية الف دينار والفي دينار ودفعت الضرورة الى ان وزن ابن قرابة المال من عنده .

وفي هذه السنة ظهرت حال ابن ابي العزاقر[2] وكان يدعي ان اللاهوت قد حل فيه وكان قد استتر عند بختيشوع[3] بن يحيي المتطبب وتتبع حتى قتل وقتل جماعة صدقوه .

سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية

في صفر مات ابو عبدالله ابراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة ($\frac{111}{58}$) ابن حبيب بن المهلب بن ابي صفرة الازدي النحوي المعروف بنفطويه[4] ومولده سنة خمسين ومايتين (٨٦٤) وصلى عليه ابو محمد البربهاري ومن شعره :

استغفر الله مما يعلم الله ان الشقي لمن لم يرحم الله
هبه تجاوزني[5] عن كل مظلمة واحسرتا[6] من حياتي[7] حين القاه

وله :

اهوى الملاح واهوى ان اجالسهم وليس لي في حرام منهم وطر
وهكذا الحب لا اتيان معصية لا خير في لذة من بعدها سقر

---

١) في الاصل الوا

٢) كذا في الاصل وفي الكامل ٢٤١/٦ ابن ابي القراقر ، وفي اللباب لابن الاثير ٢٧/٢ ترجمة مختصر

٣) في الاصل بختشوع

٤) نسبه في الكامل ٢٥٠/٦ ، وترجم له في الحاشية رقم ٣ ، وتقرأ له ترجمة في بغية الوعاة ١٨٧ والمنتظم ٢٧٧/٦ وابن كثير في البداية والنهاية ١٧٣/١١ وانباه الرواة للقفطي ١٧٦/١ وفي طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١٧٢

٥) في المنتظم ٢٧٧/٦ تجاوز لي

٦) في المنتظم ٢٧٧/٦ واسوأتا

٧) في الاصل حياءي

واجتاز[1] علي بن بقلي[2] فكال[3] كيف الطريق الى درب الراسين فالتفت الى جار له فقال فعل الله بغلامي وصنع قال وكيف قال : جعل السلق تحت البقل في اسفل البنيكه[4] حتى اصفر هذا الماض بظر[5] امه فتركه ابن عرفة وانصرف ولم يجبه بشي .

وفي هذا الشهر صرف عبد الرحمان ابن عيسى عن الدواوين واحضر ابن مقلة ابن شنبوذ وقال له بلغني انك تقرا حروفا في القرآن[6] بخلاف ما في المصحف وكان ذلك بحضرة ابن مجاهد واهل القرآن[6] فاعترف بقراءة ما عزي اليه من الحروف منها اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا الى ذكر الله[7] .

واغلظ للوزير وللجماعة في الكلام ونصر ما عزي اليه فامر به ابن مقلة فضرب فدعا عليه بتشتيت الشمل وقطع اليد ودعا على ابن مجاهد بثكل الولد وعلى الضارب له بالنار فشوهد قطع يد ابن مقلة وثكل ابن مجاهد ولده .

ثم انه استتيب ($\frac{١١٣}{٥٩}$) عن قراءة الحروف فتاب منها .

ودعا الائمة في الجوامع لابن ياقوت فانكر ذلك الراضي وصرفهم .

وقرر ابن مقلة مع الراضي القبض على محمد بن ياقوت لما غلب على الامور وانفرد بجباية الاموال وتضمين الاعمال .

فلما دخل ابن ياقوت دار الخلافة عدل به الى حجرة فقبض عليه وعلى كاتبه القراريطي ونهبت دار القراريطي وحده .

وتقلد الحجبة ذكي مولى الراضي .

واخذ خط القراريطي بخمساية الف دينار .

---

١) في الاصل واحتاز

٢) كذا في الاصل وفي المنتظم ٦/٢٧٧ فتقدم الى رجل يبيع البقل وفي اخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي ص ٧٦ القصة بتمامها

٣) كذا في الاصل وفي المنتظم ٦/٢٧٧ فقال

٤) كذا في الاصل البنيكة

٥) في الاصل بطر

٦) في الاصل القران

٧) القران ، الجمعة الاية ٩ وروايتها كاملة : يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون

وكان ياقوت بواسط فلما علم القبض على ابنيه انحدر الى السوس فكاتبه ابن مقلة بالمصير الى فارس لفتحها وكان علي بن بويه قد تغلب عليها .

وهذه حال الامير ابي الحسين علي بن بويه[١] الملقب بعد عماد الدولة لقبه بهذا اللقب المستكفي بالله عند وصول اخيه الامير ابن الحسين اليه[٢]

هو احد قواد مزداويج[٣] بن زيار الديلمي فانفذه ليستحث[٤] له مالاً في الكرج فاتاها فاخذ منها خمسماية الف درهم وصار الى همدان ففتحها عنوة وقتل كثيرا من اهلها ثم صار الى اصبهان فتركها عليه المظفر بن ياقوت سالما ولم يلبث بها علي بن بويه حتى اخرجه منها اصحاب مزداويج[٣] فصار الى ارجان وكاتب ياقوت وخاطبه بالامارة وساله ان يتبله وكان قد استخرج من ارجان (١١٣/٥٩) مايتي الف دينار ووجد كنوزا كثيرة واشتدت شوكته وصار في الف وخرج اليه ياقوت في بضع عشرة الاف[٥] من الغلمان الحجرية وغيرهم فساله علي بن بويه ان يفرج له عن الطريق لينصرف الى باب السلطان فمنعه[٦] وطمع فيه لقلة عدده وما معه من المال ولقيه على باب اصطخر[٧] ونصر ياقوت في يومين عليه وواقعه في اليوم الثالث وهو يوم الخميس لاثني عشرة ليلة بقيت من جمادى الاخيرة سنة اثنين وعشرين وثلاثماية(٩٣٣) وحمل ابو الحسين احمد بن بويه معز الدولة في ثلاثين رجلا على ياقوت حملة صادقة فهزم ياقوت الى شيراز ولم يصدق بهزيمته بل ظنها مكيدة حتى عرف ذلك في آخر[٨] النهار .

فمضى وراءه[٩] واقام على فرسخ من شيراز ودخل معز الدولة شيراز في ثمانين من الديلم فقتل من السودان الفا ونادى في اصحاب ياقوت فخرجوا واتى ياقوت الاهواز .

١) في المنتظم ٢٦٨/٦ ابي الحسن ، وله ترجمة ايضاً في البداية والنهاية ١٧٣:١١

٢) هذا المقطع بخط اكبر

٣) في البداية والنهاية ١٧٣:١١/ والمنتظم ٢٦٨/٦ مرداويج براء مهملة

٤) في الاصل للسحث ، ولعل الصواب ما ذكرنا

٥) في الاصل الالف

٦) في الاصل فمنه

٧) في الاصل اصطبخر

٨) في الاصل اخر

٩) في الاصل فضا وراه

ولما ملك عماد الدولة شيراز طالبه اصحابه بالمال وكان مملقا فخاف من فساد امره فاستلقى على ظهره في مجلس من دار ياقوت وخلا فيه مفكرا ، فرأى[١] حية قد خرجت من سقف منه الى سقف فخاف ان تسقط عليه اذا نام فامر الفراشين بالصعود فوجدوا غرفة بين سقفين فامرهم بفتحها فوجدوا بها صناديق فيها خمساية الف دينار فقويت نفسه واستدعى[٢] خياطا[٣] اطروشا ليخيط له ثيابا وكان الخياط موصوفا بالحذق وكان يخدم ياقوت [١]

فلما خاطبه في تقطيع الثياب (١١٦/٦٠) حلف في الجواب انه لا وديعة عنده سوى اثني عشر صندوقا لا يدري ما فيها فعجب فرجه عن حملها وعجب من الحال[٤]

وكاتب الراضي بالله يساله ان يقاطعه على فارس بثمانية الاف[٥] الف درهم فاجيب.

وانفذ اليه ابن مقلة ابا الحسين بن ابرهيم المالكي الكاتب ومعه خلع ولواء وامره ابن مقلة ان لا يسلم ذلك اليه الا عند تعجيل المال فلما قاربه تلقاه على فرسخ واخذ منه الخلع فلبسها ودخل شيراز واللواء بين يديه ولم يدفع الى المالكي شيئا ومات بشيراز فحمل تابوته الى بغداد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية (٩٣٤)

ووافى علي بن خلف بن طيار بغداد فقبض عليه بن مقلة وصادره على ثلاثماية الف دينار وانفذ اليه بابي الحسن احمد بن محمد بن ميمون صاحب بيت المال وقال له يقول الوزير الك عندي ماية الف دينار فحطها من الجملة واكتب الخط بالباقي فقال علي بن خلف من اي جهة هذا الدين فعاد ابن ميمون فقال له يقول لك الوزير تذكر وانا بشيراز وقد سالتك على ابي طالب بدر بن علي النوبندجاني[٦] من خراجه خمساية الف درهم فامتنعت وعاددتك وقلت ان حططتها عوضتك عنها ماية الف دينار ففعلت ولزمني ضماني لك وصار دينا الك علي وهذا وقت القضا .

١) في الاصل فرا٠

٢) في الاصل واستدعا

٣) في الاصل حياطا ، بحاء مهملة والتصويب عن تجارب الامم

٤) اطلب النصين في تجارب الامم ٥/٢٩٨-٢٩٩ وقال في البداية والنهاية ١١/١٧٧ فامر باحضارها ، فاذا فيها اموال عظيمة تقارب ثمانمائة الف دينار

٥) في الاصل ٠الاف ٦) في الاصل النوبندجاني

وقد السلطان ياقوت [١] الاهواز وصار كاتبه ابو عبدالله البريدي .

وانفذ اخاه ابا الحسين للنيابة عن ياقوت واخيه بالحضرة .

وكان مع عماد الدولة ابو سعيد (١١٥/٩٠) النصراني الرازي يكتب له .

وضمن شيراز منهُ ابو الفضل العباس بن فسانجس .

وانتهى[١] الى مرداويج خبر علي فقامت قيامتهُ وانفذ اصبهلار عسكره شيرز بن ليلى في الفين واربعماية من الديلم والجيل الى الاهواز فقطع ياقوت قنطرة نهر اربق واقاموا بازاء ياموت اربعين يوما لا يمكنهم العبور ثم عبروا على اطواف بنهر المسرقان فهرب البريدي واهل الاهواز الى البصرة .

واتى ياقوت واسطا فاخرج له محمد بن رايق عن غربيها فنزل فيه .

واقام علي بن بويه عماد الدولة الخطبة لمرداويج وانفذ اليه الرهون على طاعته فسكنه بذلك .

فبينا هم كذلك اتاهم الخبر بان مرداويج في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية (٩٣٤) قتلوه في[٢] الحمام باصبهان وحمل تابوته[٣] الى الري ومشى[٤] الديلم والجيل[٥] حوله حفاة[٦] اربعة فراسخ ووفى[٧] رجاله لاخيه وشمكير فولاهم من غير عطا .

فلما عرف شيرز[٨] بن ليلى خلو اصبهان سام اليها واتى الري فبايع[٩] وشمكير واستوزر ابن وهبان القصباني وكان يبيع القصب بالبصرة وصار في جملة ابن الخال فتنقلت بـه الحال الى ان تقلد همدان واستامن الى مرداويج عن هزيمة هارون فعفا عنه ونفق عليه وجعل اليه كور الاهواز وقال له قد جعلت اليك الفي دينار في كل شهر فان اديت الامانة استوزرتك ونصبت الرايات بـين

---

١) في الاصل وانتها

٢) قصة قتله مطولة في الكامل ٦/٢٤٤–٢٤٥ وفي تجارب الامم ٥/٣١٠

٣) قال في البداية والنهاية ١١/١٨٢ وذهبت طائفة من الاتراك معه الى اخيه

٤) في الاصل ومشا

٥) كذا في الاصل ولعلها الجيل

٦) في الاصل حفانا

٧) في الاصل ووفا

٨) في الاصل شير بن ليل

٩) في الاصل فايع

يديك ونشرهت لمدتك العظيمة وكركرتك الكبيرة والحلاوات بخورستان كثيرة فلاشقن بطنك بهذه الدشنى المريضة ($\frac{116}{61}$) فقال له ستعلم ايها الامير نصحي وامانتي .

وكانت هذه الفتن[1] نعمة على البريدي[2] لانه حصل من الاموال ما لم يحاسب عليه .

وحصل ابو عبدالله وابو يوسف اربعة الاف[3] دينار خرجا بها على السلطان.

وابعد ابن مقلة خلقا من الجند عند ضيق الاموال واحالهم على البريدي فصاروا اليه فقبلهم واضافهم الى غلامه اقبال فاجتمع معه ثلاثة الاف[3] رجل

وخرج توقيع الراضي بالله في جمادى[4] الاولى بتلقيب ابي الحسن علي ابن[5] الوزير ابي علي بن مقلة بالوزير وسنه اذ ذاك ثمانية عشر سنةوان يكون الناظر في الامور صغيرها وكبيرها وخلع عليه خلع الوزارة وطرح له مصلى في مجلس ابيه .

وركب بدر الخرشني صاحب الشرطة فنادى[6] ببغداد ان لا يجتمع من اصحاب ابي محمد البربهاري نفسان .

واستتر البربهاري .

وخرج من الراضي توقيع[7] طويل في معناهم وكانت حال البربهاري قد زادت ببغداد حتى انه اجتاز بالجانب الغربي فعطس فشمته اصحابه فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة في الوقت وهو في روشنه فسال عن الحال فاخبر بها فاستهولها .

واصحابه يذكرون عنه صلاحا كثيرا واضداده يذكرون خلاف ذلك حتى حكوا عنه انه حمل في درج مقفول له منطر[8] بعرة وجاء الى بزاز في الكرخ فقال هذه بعرة جمل ام المؤمنين عايشة رضي الله عنها واريد ان ارهنها عندك على الف دينار فاعتذر الرجل فتركه فلما كان من الغد اجتاز عليه فصعد وقبل لحيته وقال($\frac{117}{61}$) رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يقبلها فتركه اصحابه امرد وحكاياتهم في امثال هذا عنه كثيرة .

---

١) في تجارب الامم ٣٢١/٥ الفتنة

٢) في تجارب الامم ٣٢١/٥ ابي عبدالله وابي يوسف البريديين

٣) في الاصل ٠الاف

٤) في الاصل جماد

٥) في الاصل بن

٦) في الاصل فنادا

٧) نقرأ نسخته في تجارب الامم٣٢٢/٥

٨) كذا في الاصل

سعيد[1] بن حمدان في ضمان الموصل وديار ربيعة سرا ومضى اليها في خمسين غلاماً فقبض عليه حين وصل اليها ابن اخيه ابو محمد الحسن بن عبد الله وقتله فانكر ذلك الراضي فامر ابن مقلة بالخروج اليه فاظهر ابن مقلة ان علي بن عيسى هو الذي كاتبه حتى عصى[2] وصادر عليا على خمسين الف دينار واخرجه الى الصافية .

واستخلف ابن مقلة ابنه بالحضرة وصار الى الموصل فتركها ابو محمد ورحل الى بلد الزورا[3] ، فاستخرج ابن مقلة مال البلد[4] واستسلف من التجار على غلاته فحصل معه اربعماية الف دينار .

فبذل سهل ابن هاشم كاتب ابي محمد [بن][5] حمدان للوزير ابي الحسين ابن[6] الوزير ابي علي عشرة الاف[7] دينار حتى كاتب اباه ان الامور بالحضرة مضطربة فانزعج واستخلف على الموصل علي بن خلف بن طياب[8] وانصرف الى بغداد وخرج اليه الامير ابو الفضل متلقيا ولقي الراضي بالله وخدمه فخلع عليه وعلى ابنه .

وقبض على جعفر بن المكتفي حين بلغهم انه دعا الى نفسه ونهب منزله واخذ له مال جزيل وكانت داره قريبا من الزاهر .

وممن استجاب له ياني المرفقي وكان نزل بقصر عيسى فابعد الى قنسرين والعواصم وجعل اليه اعمالها .

---

١) قبله بياض في الاصل وفي الكامل ٦ ٢٤٨ وفيها قتل ناصر الدولة ابو محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان عمه ابا العلاء بن حمدان وسبب ذلك ان ابا العلاء سعيد بن حمدان ضمن الموصل . . . وفي تجارب الامم ٣٢٣/٥ ، وفيها قتل الحسن بن عبدالله بن حمدان عمه ابا العلاء سعيد بن حمدان الخ . . .

٢) في الاصل عصا

٣) في الكامل ٢٤٩/٦ وتجارب الامم ٣٢٦/٥ الزوزان

٤) اي الموصل

٥) زيادة عن تجارب الامم ٣٢٦/٥ يقتضيها السياق

٦) في الاصل بن

٧) في الاصل الالاف

٨) في تجارب الامم ٣٢٦/٥ ابن خناب

وفي شهر رمضان توالى وقوع الحريق بالكرخ منها في صف التوزيين[١] (١١٨/٦٢) اصيب به خلق من التجار فعرضهم[٢] الراضي مالا وكان المقار لقوم من الهاشميين فاعطاهم عشرة الاف[٣] دينار .

واحترق ثمانية واربعون صفا من اسواقها طرح النار قوم من الحنبلية حين قبض بدر الخرشني على رجل من اصحاب البربهاري يعرف بالدلا .

واحترق خلق من الرجال والنساء .

ووقع حريق ثالث احترق فيه الحدادون والصيارف والعطارون .

وقبض الوزير ابو الحسين بن مقلة على ابي الحسين البريدي فتوسط بينهما ابو عبدالله محمد بن عبدوس فصادره على خمسين الف دينار يسلمها بالاهواز ومضى[٤] معه الكوفي لياخذها فلم يسلم اليه شيئا وكان الكوفي يحمل عشرته ويقول اقمت معه غير متصرف ولا داخل تحت تبعه سنة وحصل لي منه خمسة[٥] وثلاثون الف دينار وتقلدت هناك امر ابن رايق وكفيت امر ابن مقلة .

وكاتب ابن مقلة البريدي كتابا يقول فيه ويل للكوفي انفذته ليصلحك لي فافسدك علي والله لاقطعن يديه ورجليه .

واتى ابو محمد بن حمدان الى الموصل وبها اصحاب السلطان وعلى حربها ماكرد الكردي فهزموه ثم هزمهم وكتب يسال الصفح ويقوم بمال الضمان فاجيب الى ذلك ولم يستوف التجار الغلات التي ناعمهم[٦] اياها ابن مقلة فتظلموا فاحالهم على عمال السواد ببعض اموالهم وباعهم بالباقي ضياعا سلطانية فلم تحصل من سفرته حينئذ فايدة وهرب من دار الوزير ابي علي القراريطي .

وقبض على ابي يوسف عبد الرحمان بن محمد بن دارة (١١٩/٦٢) بسوق العطش وصودر على خمسين الف دينار .

---

١) في البداية والنهاية ١٨٢/١١ في طريق المواز‌ين ؛ وفي المنتظم ٣٧٦/٦ قال وفيها اي هذه السنة ؛ وقع حريق عظيم في الكرخ في طرف التزازين فذهبت فيه اموال كثيرة للتجار فاطلق لهم الراضي ثلاثة الاف دينار

٢) في الاصل فعرظهم

٣) في الاصل ١٠الاف

٤) في الاصل ومضا

٥) في الاصل حمسة

٦) كذا في الاصل

ومات محمد[1] بن ياقوت في الحبس واخرج الى القضاة[2] فشاهدوه وسلم الى اهله وباع الوزير ضياعه واملاكه .

وغلا السعر ببغداد حتى بلغ الكر من الحنطة مائةوعشرين دينارا والشعير تسعين دينارا .

ومات ابو عبدالله محمد بن خلف النيرماني بالاعمال التي استولى عليها مرداويج وكان قد انفذ اليها .

واقبل غلمان مرداويج[3] متقدمهم بجكم الى جسر النهروان فامروا بدخول الحضرة وعسكروا بالمصلى واضطرب الحجرية لذلك فكاتبهم ابن رايق وهو يتقلد اعمال المعاون بواسط والبصرة فانحدروا اليه فاسنى لهم الرزق وجعل متقدمهم بجكم الرايقي واتته الاعراب والقرامطة فقبلهم واستفحل امره .

سنة اربع وعشرين وثلاثمائة

في شهر ربيع الاول مات الامير هارون بن المقتدر بالله واغتم عليه الراضي[4] غما شديدا واتهم بختيشوع[5] بانه افسد تدبيره فنفاه الى الانبار ثم سالت فيه السيدة فاعاده .

واطلق المظفر بن ياقوت من الحبس .

وقلد ابن مقلة محمد بن طغج الاخشيد اعمال مصر مع ما[6] اليه من الشام .

وعزل عن مصر احمد بن كيغلغ .

وقطع ابن رايق مال واسط والبصرة واحتج باجتماع الجيش عنده .

ولما خرج المظفر بن ياقوت من الحبس عول على التشفي من ابن مقلة وكان قد حلف له على صفا النية .

واعتضد ابن مقلة ببدر الخرشني .

---

١) نسبه في الكامل ٢٤٩/٦ ابو بكر محمد

٢) في الاصل النضات

٣) في البداية والنهاية ١٨١/١١ وتجارب الامم ٣٢٠/٥ مرداويج براء مهملة

٤) في المنتظم ٢٨٨/٦ اخوه الراضي

٥) في الاصل بختيشوع

٦) في الاصل مما

واوحش المظفر للساجية والحجرية (١٢٠/٦٣) فصارت كلمتهم واحدة واحدقوا بدار السلطان وضربوا الخيم .

وكان المظفر يظهر للوزير انـه مجتهد في الصلح فحلف لهم وحلفوا له ولبدر الخرشني .

ودبر ابن مقلة انحدار الراضي الى واسط مظهرا انه يقصد الاهواز حتى يقبض[١] على ابن رايق فاخذ معه القاضي ابا الحسين ليسمع [الرسالة][٢] من الخليفة وساله [ان][٣] يتقدم بها الى ابن رايق .

فلما حصل في دهليز الصحن التسعيني شغب عليه المظفر بن ياقوت مع الحجرية وقبضوا عليه وعرفوا الراضي انه المفسد الاحوال وسالوه ان يستوزر غيره وذكروا علي بن عيسى فامتنع فاستشاره الراضي فاشار باخيه عبد الرحمن فانفـذ الراضي بالمظفر بن ياقوت الى عبد الرحمن فاحضره .

وزارة عبد الرحمن بن عيسى للراضي بالله

خلع عليه لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى وسار الجيش معه الى داره واحرقوا دار ابن مقلة واستتر اولاده .

وحكى ان ابن مقلة لما شرع في بناء داره بالزاهر جمع له المنجمون حتى اختاروا وقتا لبنايه ووضع اساسه بين المغرب وعشاء الاخرة فكتب اليه بعضهم :

قل لابن مقلة مهلا لا تكن عجلا	واصبر فانك في اضغـاث احلام
تبني بانقاض دور الناس مجتهدًا	دارا ستنقض ايضا بعـد ايام
ما زلت تختار سعد المشترين[٤] لها	فلم توقَّ بـه من نحس جرام
ان القران وبطليـوس ما اجتمعا	في حال نقض ولا في حال ابرام

وجرى[٥] على ابن مقلة من المكاره ما يطول شرحه وضرب بالمقارع (١٢١/٦٣) واخذ خطه بالف الف دينار وكان بهضيق النفس لان الدستواني دهقه على صدره .

قال ثابت بن سنان دخلت اليه لاجل مرض اصابه فرايتـه مطروحا على حصير خلق على باريه وهو عريان بسراويل ومن راسه الى اطراف اصابعه كلون الباذنجان فقلت انه محتـاج الى الفصد فقال الخصيي يحتاج ان يلحقه كد في

١) في الاصل تقبض
٢) زيادة عن تجارب الامم ٣٣/٦
٣) زيادة ليستقيم بها سياق القول
٤) في المنتظم ٣١٠/٦ المشترى
٥) في الاصل وجرا .

المطالبة فقلت ان لم يفصد تلف وان فصد ولحقه مكروه تلف فكاتبه الخصيبي ان كنت تظن ان الفصد يوفهك فبيس ما تظن ثم قال افصدوه ورفهوه اليوم ففصد وهو يتوقع المكروه .

فاتفق للخصيبي ما احوجه للاستتار فكفي ابن مقلة امره .

وحضر[1] ابن قرابة وتوسط امره وضمنه حمله الى داره واطلقه بعد ايام وانفذه الى ابيه .

وكرهت الحجرية مقام بدر الخرشني بالحضرة فصرفه الراضي عن الشرطة وقلده[2] باصبهان وفارس فاستعفى[3] عبد الرحمان بن عيسى من الوزارة حين عجز عن تمشية الامور فقبض عليه الراضي في رجب وقبض على اخيه علي بن عيسى وصادر عليا على ماية الف دينار ادى منها تسعين الفا وصادر عبد الرحمان على سبعين الفا ادى منها ثلاثين .

ولليلة بقيت من شعبان توفي ابو بكر محمد بن موسى بن مجاهد[4] ودفن عند داره بسوق العطش وكان مولده سنة خمس واربعين ومايتين (٨٥٩) .

قال ابو الفضل الزهري انتبه ابي في الليلة التي مات فيها ابو بكر بن مجاهد المقري فقال يا بني ترى[5] من مات الليلة[6] فاني رايت في منامي كان قايم يقول قد مات ($\frac{١٢٢}{٦٨}$) الليلة مقوم وحي الله منذ خمسين سنة فلما اصبحنا واذا بابن مجاهد قد مات .

ونقلت من خط رئيس[7] الرؤسا ابي الحسن بن حاجب النعمان كان ابن مجاهد اذا ختم احد عنده القرآن[8] عمل دعوة فختم احد اولاد التجارين فعمل دعوة فحضر ابو بكر واصحابه وحضر الصوفية والقوالون فلما قارب ثلث الليل

---

١) في الاصل وحضر ، وفي تجارب الامم ٣٢٧/٥ وحضر ابو بكير بن قرابة

٢) بعدها بياض في الاصل وفي تجارب الامم ٣٢٨/٥ وولى اعمال المعاون

٣) في الاصل فاستعفا

٤) ترجم له في البداية والنهاية ترجمة قصيرة ١٨٥/١١ او في المنتظم ٢٨٢/٦

٥) في الاصل ترا

٦) في الاصل اليلة

٧) في الاصل رءيس

٨) في الاصل القرءان

استدعى[1] ابو بكر بن مجاهد ازاره[2] فطرحه على كتفه وقال امضي في حاجة واعود فلا يتبعني احد قال فعجبنا من خروجه في ذلك الوقت وظننا انه انكر سره ادب ومكثنا منكرين فلما كان بعد ساعتين وافى[3] وعاد الانبساط فسألناه عن نهضته فقال اصدقكم نظرت فاذا انا في طيبة ولذة وذكرت ان بيني وبين فلان الضرير ثقة[4] وشر فتفكرت انني في هذه اللذة وان ذاك واقف بين يدي الله عز وجل يتهجد ولم احب ان اكون بهذه الصفة وهو على تلك الحال من ثقل القلب فخفت من الله تعالى[5] فقصدته ودخلت داره فقبلت راسه واصلحت بيني وبينه فامنت استحكامه وعدت الى ما نحن عليه وانا طيب القلب .

وفي شهر رمضان ورد الخبر بقتل ياقوت بعسكر مكرم ودفن بها وذلك ان جنده شغبوا عليه ومن جملتهم ثلاثة الاف[6] اسود وانصرف عنه طاهر الجيلي في ثمان رجال الى الكرج وكبسه علي بن يلقويه[7] فقتل رجاله ونجا طاهر بنفسه واستاسر كاتبه ابا جعفر الصيمري وكان سبب اقباله واتصاله بجز الدولة .

فكاتب ياقوت البريدي وهو بالاهواز يعرفه (١٢٣/٦٦) الصورة فقال البريدي انا كاتبك ومدبر امرك والصواب ان تنفذ بالرجال حتى اقرر معهم الحال فتقدم اليهم بالمصير فاستمولهم البريدي فانقطعوا اليه فسار ياقوت اليه في ثلاثماية رجل لئلا يستوحش ويلقاه البريدي في السواد الاعظم وترجل له وقبل الارض ووقف على راسه على حائطه وقال الجند اذا وافى[7] ياقوت ليقبض علينا .

وقد وافق البريدي على ذلك فقال له البريدي اخرج ايها الامير والا قتلنا جميعاً فخرج الى تستر وسبب له البريدي على عاملها خمسين الف دينار .

فقال لياقوت مونس مولاه ايها الامير ان البريدي يجز مفاصلنا ويسخر مناوانت مغتر [به][8] وقد افسد رجالك وقوادك وقد

---

١) في الاصل استدعا
٢) في الاصل ازاره
٣) في الاصل وافا
٤) في الاصل ثقة
٥) في الاصل تعلى
٦) في الاصل ، الاف
٧) كذا في الاصل
٨) زيادة عن الكامل ٥/٢٠٢ وتجارب الامم ٥/٣٤٢

اتصلت كتب الحجرية اليك وليس لهم شيخ سواك فلو دخلت بغداد فاول من يطيعك محمد بن رايق بالضرورة ولانك نظير ابيه والا فاخرج الى الاهواز فاطرد البريدي عنها فانت في خمس ماية كهو[1] في عشرة الاف[2] ومعك خمسة الاف[2] وانت انت وقد قال عدوك علي بن بويه لو كان في عسكرك ماية مثلك ما قاومناك فقال افكر في هذا .

فخرج مونس مغضبا في ثلاثة الاف[2] ووافى عسكر مكرم وقال انا لا اعصي مولاي فانه اشتراني ورباني واصطنعني ولكني[3] افتح الاهواز واسلمها اليه.

فلما استقر مونس بعسكر مكرم ثلاث ساعات حتى وافى كتاب ياقوت اليه يحذره كفر نعمه.

وكان الكتاب مع شيخ مقدم يقال له دَرَك وكانت السن قد اخذت منه وحضر[4] معه خادم ($\frac{١٣٦}{٦٥}$) مفضل يقال له ابو النمر فقال لمونس مولاك قبض على ابنيه وهما درتان فلم يستحل ان يعصي مولاه ولم يحارب لاجلها ولا طالب بها واستفتى[5] الفقها. فافتوه انه لا يحل له ان يحارب الامام افانت تعصي مولاك اما تخاف ان تخذل في هذه الحرب فتخسر الدنيا والاخرة..

فاقام مونس لما اخذه العذل والتانيب[6] حتى وافى[7] ياقوت واجتمع معه ووافى عسكر البريدي فخيموا في صحراخان[8] طوق ومتقدمهم ابو جعفر الجمال غلام البريدي .

فقال ياقوت لمونس ان السلطان لنا بالنية التي عرفتها ولا موضع لنا ناويه غير هذا البلد والحرب سجال وان حاربنا هذا الرجل وانهزمنا كنا بين القتلى فيقال قد كفر نعمة مولاه فالمن او بين الاسارى وان ينفذنا الى الحضرة فتشهر

---

١) في تجارب الامم ٣٤٣/٥ وهو
٢) في الاصل ٠الاف
٣) في الاصل ولاكني
٤) في الاصل وحصر
٥) في الاصل واستفتا
٦) في الاصل والتانيث
٧) في الاصل وافا
٨) في الاصل صخراخان والتصويب عن تجارب الامم ٣٤٤/٥

بها والوجه المداراة[1] وان نعود الى تستر والجبل فان صح لنا بها امر والا لحقنا خراسان وشاع كلامه فضعف نفوس اصحابه .

وطالت الايام[2] واستامن من عسكره الى البريدي خلق حتى بقي ياقوت في الف رجل وكان مونس يبكر اليه ويقول يا مولاي مضى[3] اصحابنا فيقول واي خير في من لا يصلح لنا .

فلما علم البريدي من نفسه القوة راسل ياقوتا بالقاضي ابي القسم التنوخي واعلمه انه على العهد وانه كاتبه وان الامارة لا تصلح له وساله ان يعود الى تستر وان يزوج ابنته من ابي العباس احمد بن ياقوت .

فقبل ياقوت الرسالة وانعقد الصهر ورحل الى تستر ووافاه ابنه المظفر بها واخبره (١٢٥/٦٥) ان الراضي قد من عليه بنفسه واشار عليه بالاصعاد اليه والمقام بدير العاقول وان راى[4] الحجرية مبادرين اليه وان كرهه السلطان تولى الموصل وديار ربيعة وان منع من ذلك قصد الشام .

فخالف[5] ابنه ابنه[6] فاستاذن ابنه ان يكون بعسكر مكرم فاذن له واستامن البريدي وجاء ياقوت الى العسكر فنزل عند نهر جارود فظهرت الطلايع من عسكر ابي جعفر الجمال وبيت ياقوت في الف رجل فاعي[7] من بازايه وهم اضعاف عدته وكادوا ينهزمون فظهر كمين البريدي في ثلاثة الاف[8] رجل فابلس ياقوت وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

فرمى بنفسه من دابته وبقي بسراويل وقميص شيزي واوى الى باب رباط يعرف برباط الحسين بن زياد[9] ولو دخله لجاز ان يسلم وجلس وغطى[10] وجهه وجعل يسال ويوهم انه رجل من ارباب النعم متصدق[11] .

١) في الاصل المدارات

٢) في تجارب الامم ٥/٣٤٤ وطالت الايام في منازلة عسكر البريدي

٣) في الاصل مضا

٤) في الاصل راي

٥) في تجارب الامم ٥/٣٤٥ فخالف

٦) مكررة في الاصل

٧) في الاصل فاعيا

٨) في الاصل ١٠الاف

٩) في تجارب الامم ٥/٣٤٧ دبار

١٠) في الاصل وغطا

١١) في تجارب الامم ٥/٣٤٧ افتقر

فركض اليه من قوم [البربر اصحاب][1] من البريدي فكشفوا وجهه وحزوا راسه حين عرفوه وحملوه الى الجمال[2] فاطلق طايرا الى البريدي بالخبر فامر ان يجمع بين راسه وجثته ويدفن بالموضع الذي قتل فيه ويعرف بين الساقيتين ولم يجد له غير اثني عشر الف دينار ووجد في صناديقه كتب الحجرية اليه من بغداد ليراشوه .

وانفذ البريدي ابنه المظفر الى الحضرة وكان[3] نفس ابي عبدالله البريدي البريدي ضعيفة فقواها اخوه ابو يوسف حتى شهر نفسه بالعصيان .

وكانت نفقة مايدته في كل يوم الف درهم وكان غلمانه خمسة وكسوته متوسطة ولم (١٢٦/٦٦) يتسر الا بثلاث جواري ولم تكن له زوجة غير والدة ابنه ابي القسم وكانت صلاته للجند خاصة ولم يعط شاعرا ولا طارقا شيئا .

وصادر ابو جعفر الكرخي ابن مقلة بعد مصادرة عبد الرحمان بن عيسى على ماية الف دينار ادى منها ابن قرابة عنه خمسة واربعين الف دينار ولم يعد اليه العوض[4] .

وورد الوزير ابو جعفر الكرخي الى ابي علي بن مقلة الاشراف على اعمال الضياع والخراج لـتي الفرات واجرى عليه في كل شهر الف دينار .

وقبض على ابي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري وصادره على مايتي الف دينار ادى منها ماية الف .

وكان الكرخي غير ناهض بالوزارة وكان فيه ابطا في الكتابة والقراءة فلما نقصت هيبته واحتف المطالبة له بالاموال وقد تغلب الخوارج[5] على الاعمال فاستتر بعد ثلاثة ايام من تقلده الوزارة وكان استتاره يوم الاثنين لثمان خلون من شوال فاستحضر الراضي ابا القسم سليمان بن الحجر[6] عاشر شوال وخاطبه

---

١) زيادة عن الكامل ٦/٢٥٤ يقتضيها السياق وفي تجارب الامم ٥/٣٤٧ البربر بدل البريدي

٢) في الكامل ٦/٢٥٤ الحال ، بحاء مهملة

٣) كذا في الاصل ولعل الصواب وكانت

٤) في الاصل العرض ، والصواب ما ذكرناه لمقتضى السياق

٥) في الاصل الخواج والصواب ما ذكر

٦) كذا في الاصل وفي الكامل ٦/٢٥٤ وتجارب الامم ٥/٣٥٠ الحسن

في الوزارة وخلع عليه فكان في التجبر مثل ابي جعفر فدفعت الراضي الضرورة الى ان راسل ابا بكر بن رايق في القدوم وتقلد الامارة ورياسة الجيش وان يخطب له على المنابر بكنى وانفذ اليه بالخلع واللوا مع الخدم .

وانحدر اليه اصحاب الدواوين وجميع قواد الساجية فلما حصلوا بواسط قبض على الحسن بن هارون وعلى الساجية وحبسهم في المطامير ونهب رحلهم .

وخرج من بغداد منهم حين بلغهم الخبر الى الشام .

($\frac{١٢٧}{٦٦}$) واصعد ابن رايق الى بغداد في العشرين من ذي الحجة معه بجكم[١] والاتراك والديلم والقرامطة وضرب له الراضي مضروبا في الحلبة ووصل الى بغداد لخمس بقين من ذي الحجة ووصل الى الراضي ومعه بجكم[١] وروسا اصحابه وصارت مرتبته فوق الوزير وخلع عليه وصار في الخلع الى مضربه بالحلبة وحمل اليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه .

وكانت الحجرية قد ضربوا الخيم متوكلين بالدار[٢] وامرهم بالانصراف فبطل امر الوزارة .

ولم يكن الى الوزير غير حضور الموكب بالسواد والسيف والمنطقة .

وفي هذه السنة ملك ابو علي بن الياس وهو من الصغد كرمان وصفت له وزالت المنازعات .

سنة خمس وعشرين وثلاثماية

انحدر ابن رايق[٣] مع الراضي لمراسلة البريدي في عشر من المحرم .

وكانت عدة الحجاب في دار السلطان اربعماية وثمانين حاجباً فاقتصر ابن رايق على ستين واسقط الباقين واسقط من الحجرية خلقا فحاربوه فهزمهم واسر بعضهم وامر صاحب شرطته لولو بقبض اموالهم واحراق دورهم وتقدم بقتل[٤] من حبسهم من الساجية .

١) في الاصل بحكم بحاء مهملة والتصويب عن الاصول

٢) في المنتظم ٦/٢٨١ اي دار الخلافة

٣) نسبه في تجارب الامم ٥/٣٥٧ ابو بكر محمد بن رايق

٤) في الاصل كتبت بحبس ، ثم ضرب عليها وكتب بقتل

وكان مدبر امر رايق ابا عبدالله النوبختي فاعتل بعد مصاحبته بثلاثة اشهر فاستكتب مكانه ابا عبدالله الكوفي .

وقلق البريدي لما نزل الراضي وابن رايق باذبين[١] . وراسل بان يحمل في كل سنة ثلاثماية الف وستين الف دينار وان يسلم الجيش الى جعفر بن ورقا حتى (١٢٨/٦٧) يحملهم الى فارس .

وكان اخوه ابو الحسين وامه ببغداد فانحدرا الى واسط فخلع عليها واحدرا اليه .

ومضى[٢] مع جعفر بن ورقا فلما لبس البريدي الخلع التي صحبت جعفر وسار بين يديه العسكر وكان لبسه للخلع بجامع الاهواز فلما رأى[٣] طاعة الجند له ادهش ذلك جعفرا وولاهم البريدي عليه حتى طالبوه بالمال فاستجار جعفر بالبريدي حتى اعاده الى الحضرة .

واصعد الراضي وابن رايق الى بغداد .

وكان المتولي للبصرة محمد بن يزداد .

واستوحش ابو[٤] الحسن بن عبد السلم واشار عليه بالتغلب على البصرة فبنى[٥] ابو عبدالله ماية قطعة من آلة[٦] الماء واتاه اهل البصرة في جمع عظيم للتهنية بالولاية فقربهم واكرمهم وقال قد اطلع ابن عبد السلم على نيتي[٧] الجميلة فيكم واني قد اعددت آلة[٦] الما انفذ منها الجيوش لاحصن بلدكم من القرامطة وانما خنت[٨] البصرة من السلطان لظلم ابن رايق لكم .

وكان ابن رايق قد امتنع من اجابة ابي يوسف البريدي الى ضمان البصرة وبذل فيها اربعة الاف[٩] الف درهم . وما زال به الكوفي وابن مقاتل حتى

١) عرفها ياقوت في معجم البلدان ٣١٨/١ طبعة داري صادر وبيروت
٢) في الاصل ومضا
٣) في الاصل رءا
٤) في تجارب الامم ٣٦٤/٥ ابو الحسين بن عبد السلام
٥) في الاصل فبنا
٦) في الاصل ءالة
٧) في الاصل بنتي
٨) في تجارب الامم ٣٦٤/٥ وانما امتنعت لكم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزداد خليفته لكم
٩) في الاصل ءالاف

ضمنه اياها وقد ازلت عنكم يا اهل البصرة الشرطة والمآصير[١] والشرك[٢] ، وتحملت ذلك من مالي .

وكتب توقيعاً بخطه برفعها عنهم وسيبلغ ابن رايق فطي بكم فيعاديني وما ابالي ولو عاداني اخواني في صلاحكم واني لارجو المغفرة بازالة الرسوم الجايرة عنكم وان عزم ابن رايق على رد ذلك فاين السواعد القوية والاكف التي حاربت علي بن ابي طالب (١٣٩/٦٧) عليه السلام وما فكرت في مكاشفته فتى رام ابن رايق رد ذلك فاضربوا وجهه بالسيف وانا من ورايكم .

يا اهل البصرة لقد فشلتم ابن يومكم مع ابن الاشعث[٣] ابن يومكم مع ابراهيم بن محمد[٤] ابي عبدالله بن حسن بن حسن متى اخذكم ضيم فصبرتم ثم هذا عسكري سائر معكم فلتكن آمالكم[٥] ممتدة وقلوبكم قوية .

ووقع للنفقة على الجامع بالفي دينار ووقع لهم بتخفيف معاملاتهم بالف الف درهم وانصرفوا وقد صاروا سيوفهم[٦] .

وسير [البريدي][٧] اقبالا غلامه في الفي رجل وتقدم اليهم ان يقيموا بحصن مهدي الى ان ياتيهم اقبال واتصل الخبر بابن يزداد فقامت قيامته .

ولما وصل الراضي وابن رايق الى بغداد قلد ابن رايق بجكم[٨] الشرطة وانزله في دار محمد بن خلف النيرماني على دجله وقلد القاضي ابا الحسين عمر بن محمد[٩] قضاء القضاة[١٠] .

١) في الاصل الماصير وفي اقرب الموارد المآصر ، الحاجز يمد على طريق النهر يؤخر به السفن والسابلة اي يحبس ليؤخذ منهم العشور . راجع كذلك ابن رسته في الاعلاق النفيسة صفحة ١٨٥

٢) في تجارب الامم ٣٦٤/٥ والشوك

٣) في تجارب الامم ٣٦٥/٥ عبد الرحمن بن الاشعث

٤) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٣٦٥/٥ ومحمد وابراهيم ابني عبدالله بن حسن ابن حسن

٥) في الاصل امالكم

٦) في تجارب الامم ٣٦٥/٥ وانصرفوا عنه وقد صاروا سيوفه

٧) زيادة عن الكامل ٢٥٩/٦ يقتضيها السياق للتوضيح

٨) في تجارب الامم ٣٦٥/٥ قلد محمد بن رائق ابا الحسين بجكم الشرطة

٩) في تجارب الامم ٣٦٥/٥ الحسين عمر بن محمد ١٠) في الاصل القضات

واثبت ابن رايق من الحجرية الفي رجل وامرهم بالمسير الى الجبل فلما صاروا بالهزوان[١] اجمع رايهم على المضي الى الاهواز فغلبهم البريدي واضعف ارزاقهم واظهر للسلطان وابن رايق انه لم تكن له قدرة بدفعهم .

وغلبت على الدنيا الطوايف وصارت واسط والبصرة والاهواز في يد البريدي وفارس في يد علي بن بويه[٢] وكرمان في يد ابي علي بن[٣] الياس والري واصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابي علي[٤] بن بويه ووشكمير والموصل[٥] وديار ربيعة وديار بكر في يد بني حمدان ومصر والشام في يد محمد بن طغج والمغرب وافريقية في يد ابي تميم[٦] والاندلس في يد الاموي[٧] وخراسان في يد نصر بن[٨] احمد (١٣٠/٩٨) وطبرستان وجرجان في يد الديلم واليمامة[٩] والبحرين في يد ابي طاهر[١٠] الجنابي[١١] .

ولم يبق في يد الرضي وابن رايق غير السواد[١٢] .

وكان بدر الخرشني بديار مصر فضاق مالها عن رجاله فانحدر عنها وحصل بهيت فقصد الديار سيف الدولة فغاب عليها .

وقبض ابو عبدالله احمد بن علي الكوفي على ابي محمد بن يحيى بن شيرزاد وصادره علىماية وعشرين الف دينار .

---

١) كذا في الاصل ولعله يريد النهروان

٢) في البداية والنهاية ١٨٤/١١ عماد الدولة بن بويه

٣) في البداية والنهاية ١٨٤/١١ ابو علي محمد بن الياس بن اليسع

٤) في المنتظم ٢٨٨/٦ ابو علي الحسن بن بويه

٥) زاد في البداية والنهاية ١٨٤/١١ والجزيرة

٦) قال في البداية والنهاية ١٨٤/١١ في يد القائم بامر الله ابن المهدي الفاطمي وتلقب بامير المؤمنين

٧) قال في البداية والنهاية ١٨٤/١١ في يد عبدالرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموي

٨) زاد في البداية والنهاية ١٨٤/١١ وخراسان وما وراء النهر وكذلك المنتظم ٢٨٨/٦

٩) في البداية والنهاية ١٨٤/١١ زاد وهجر وفي المنتظم ١٨٨/٦ وديار ربيعة

١٠) نسبه في المنتظم ٢٨٨/٦ فقال : ابو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي القرمطي

١١) ورد هذا الخبر في البداية والنهاية ١٨٤/١١ في جملة اخبار ٣٢٤

١٢) في المنتظم ٢٨٨/٦ ولم يبق في يد الخليفة غير مدينة السلام وبعض السواد ، وفي تجارب الامم ٣٦٧/٥ غير السواد والعراق

ووافى ابو طاهر القرمطي الى الكوفة فخرج ابن رايق من بغداد لثلاث خلون من جمادى الاولى ونزل بستان ابن ابي الشوارب بالياسرية[١] وارسل ابا طاهر وقرر معه ان يحمل اليه في كل سنة اذا دخل في الطاعة طعاما ومالا قدره ماية وعشرون الف دينار وسار ابو طاهر الى بلده وسار ابن رايق الى واسط وقد جاهر البريدي بالخلاف .

وعزل الراضي سليمان بن الحسن عن وزارته وكانت مدتها عشرة اشهر وثلاثة ايام .

واشار ابن رايق على الراضي باستيزار ابي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات وكان بالشام فاستقدمه واستقبه .

وزارة ابي الفضل[٢] بن الفرات للراضي بالله

كانت عند قدومه من الشام لست خلون من شوال فقيل لابن مقلة الله فقال :

فقلت لها لاعداك الصواب وان كان قولك الا سديدا
امثلي تطاوعه نفسه على ان يرى[٣] خاضعاً مستريدا

($\frac{١٣١}{٦٨}$) وبلغ ابن رايق ما خاطب به البريدي اهل البصرة فاتاهم الكوفي وقال له[٤] اكتب اليه انني انكرت قبولك للحجرية فاما رددتهم واما طردتهم واما من انفذت به من اصحابك الى البصرة فانا فعلت ذلك لحفظها من القرامطة وقد كفينا امرهم ونفذوا الى بلادهم .

وكان قصد ابن رايق المغالطة وان لا يكاشفه بالعداوة .

فكان جواب البريدي ان اصحابه يتمسكون الحجرية لقربى بينهم وانه[٥] وان ابعدهم اوحش للجميع لكنه[٦] يقطع ارزاقهم حتى يتصرفوا .

وكانت اصحاب البريدي الذين[٧] انفذهم مع اقبال غلامه قد وقعت بينهم

---

١) في المنتظم ٣٦٧/٥ بقنطرة الياسرية
٢) في المنتظم ٢٨٩/٦ ابا الفتح ابن الفضل
٣) في الاصل يرا
٤) في الكامل ٢٥٩/٦ وكتب الى ابي عبدالله البريدي
٥) كذا في الاصل اخم وواضح انه قد ضرب على اخم وعوض عنها بـ [انه]
٦) في الاصل لاكنه ٧) في الاصل الذي

وبين اصحاب محمد بن يزداد وتكين[1] الصفدي شحنة[2] البصرة حرب بنهر الامير انهزم فيها اصحاب ابن رايق وانهزموا ثانية بسكرابان على فراسخ من الابلة ودخل اقبال البصرة وخرج عنها محمد بن يزداد سالكا طريق البر الى الكوفة واصعد منها تكين[3] ونيال الصفدي في الماء الى واسط.

وانفذ ابن رايق وقد عظم عنده الامر ابا عمرو والعاقولي برسالة البريدي[4] تتضمن وعدا ووعيدا فكان جوابه انه لا يمكنه رد اصحابه عن البصرة لان اهلها قد تمسكوا بهم.

ولكن البصريون قد استوحشوا من محمد بن يزداد لما عاملهم به من سوء السيرة فكانوا يظنون عند[5] البريدي خيرا فراوا منه ما تمنوا يوما من ايام ابن رايق فاستدعى[6] ابن رايق بدرا الخرشني من هيت فخلع عليه خلعا سلطانية.

وعول ابن رايق على طرد الكوفي وقال ظننت اني امالف[7] به البريدي فحسبي $(\frac{١٣٢}{٦٩})$ من ذنوبه شومه علي.

وعول على اعادة الحسين بن علي النوبختي وقال اوجه شفعايه عندي بركته على دولتي فقال ابن مقاتل لا ذنب للكوفي في هذا ولا فايدة في استعادة الحسين بن علي وهو سقيم طريح وانت ذاكر قولي لك احفظ البصرة فقلت ان تكين[3] ونيال ليحفظانها.

فاحضر الكوفي واستخلفه على موالاته ومعاداة[8] البريدي.

وخلع ابن رايق على بجكم[9] وسيره وانفذ بعده بدر الخرشني الى الاهواز وانفذ معها ابن ابي عدنان الرابي مشيرا ودليلا وامر احمد بن نصر القشوري بالمقام بالجامدة وامر بجكم ان يسير الى البصرة فيصير البريدي بينه وبين بدر.

---

١) في الاصل نكين والتصويب عن تجارب الامم ٣٦٩/٥

٢) الشحنة من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان اقرب الموارد ٥٧٥/١

٣) في الاصل تكين والتصويب عن تجارب الامم ٣٦٩/٥

٤) في تجارب الامم ٣٦٩/٥ فانفذ رسولا الى البريدي برسالة

٥) في الاصل عبد

٦) في الاصل فاستدعا

٧) كذا في الاصل

٨) في الاصل ومادات ٩) في الاصل . بحكم ' وما كتبناه عن الاصول

وبادر بجكم ولم ينتظر بدرا وسار في ثلاثمائة غلام اتراكا فلقيه[1] ابو جعفر الجمال[2] في عشرة آلاف[3] رجل باتم آلة[4] واكل سلاح فانهزموا[5] من بين يدي بجكم .

واراد ان ينفرد بالفتح دون بدر فلما التى ابو جعفر البريدي قام فلكمه وقال ظننت انك تحارب ياقوتا وقد ادبر بلقاء الاتراك بسودان باب عمار والمولدين وضم اليه ثلاثة آلاف[3] تستر[6] فقال ابو جعفر قد تمكنت هيبة الاتراك في قلوب اصحابنا وستمام حالهم .

فطرح بجكم نفسه في الماء بتستر فانهزم اصحاب البريدي بغير قتال فخرج ابو عبدالله ومعه اخوه في طيار وحملوا معهم ثلاثمائة الف دينار كانت في خزائنهم فغرقوا بالنهروان[7] فاخرجهم الغواصون واخرج لبجكم بعض[8] المال فقال ابو عبدالله ($\frac{١٣٣}{٦٩}$) والله ما نجونا بصالح اعمالنا من الغرق ولكن[9] لصاعقة يريدها الله تعالى[10] بهذه الدنيا وقال له اخوه ابو يوسف ويحك ما تدع التطايب في كل حال ودخل بجكم[11] الاهواز وكتب ابن رايق بالفتح.

ولما وصل ابو عبدالله الى الابلة ومعه اخواه انفذ اقبالا غلامه الى مطارا واقام هو واخواه[12] في طياراتهم واعدوا ثلاثة مراكب للهرب خوفا من ان نقم[13] على اقبال من عسكر الجامدة بطايا[14] ما تم على ابي جعفر بالسوس .

١) في الاصل ملقيه

٢) في الكامل ٦/٢٦٠ الجال ، بجاء مهملة

٣) في الاصل ، الاف

٤) في الاصل ، الة

٥) في الكامل ٦/٢٦٠ اي جماعة البريدي

٦) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٥/٣٧١ في ثلاثة الاف رجل الى تستر

٧) في الاصل بالهندوان والتصويب عن تجارب الامم ٥/٣٧١

٨) في الكامل ٦/٢٦٠ باقي

٩) في الاصل ولاكن

١٠) في الاصل تعلى

١١) في الاصل بحكم ، وما كتبناه عن الاصول

١٢) في الاصل اخوه والتصويب عن تجارب الامم ٥/٣٧٢

١٣) كذا في الاصل ، وفي تجارب الامم ٥/٣٧٢ واعد ثلاثة مراكب للهرب منها الى عمان ان اتفق على اقبال بمطارا من الهزيمة مثل ما تم على ابي جعفر بالسوس

١٤) راجع الحاشية السابقة ومعجم ما استعجم مادة مطار

فاخرج البريدي ابا الحسين بن عبد السلم لماضدة اقبـال فانهزم اصحاب ابن رايق ومتقدمهم احمد بن نصر القشوري واسر برغوت غلام ابن رايق فاطلقه البريدي وكتب معه كتابا يستعطف فيه ابن رايق .

ودخل البريديون[1] البصرة فـاطمأنوا ولم يمكن بجكم[2] ان يسير[3] الى البصرة لخلوها[4] من آلة[5] الماء .

وعاد بدر الخرشني الى واسط فانفذه ابن رايق في الطيارات الى البصرة للحرب.

وانفذ ابا العباس احمد بن خاقان الى المدار[6] فلقيه اصحاب البريدي فاسروه وحملوه اليه فاطلقه واستحلفه ان لا يعود الى حربه .

فلما اتصلت الهزيمة بابن رايق سار من واسط الى البصرة على الظهر للنصف من شوال وكتب الى بجكم[2] ان يلحق به بعسكر ابي جعفر وانفذ بدر الى ابن عمر[7] وانفذ البريدي غلامه اقبال بواسط فحصل بـدر في الكلة وحصل اقبال بالرصافة . ولما ملك بدر الكلا[8] هرب البريدي الى جزيرة اوال وخرج الجند والعامة لدفع بدر .

ووافى ابن رايق ٣٢٦/٩٣٧ وبجكم[9] الى عسكر ابي جعفر ضحوة النهار من يوم ورود بدر الكلا وعبر ابن رايق وبجكم[2] دجلة البصرة وتبعهما احمد بن نصر فراوا من العامة ما بهرهم حتى رجعوا طيار احمد فغرقوه :

وهرب ابو عبدالله من جزيرة اوال الى فارس واستجـار بعماد الدولة[10] فانفذ معه اخوه معز الدولة[11] .

---

١) في تجارب الامم ٣٧٢/٥ البريديون الثلاثة
٢) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
٣) في الاصل سير
٤) في تجارب الامم ٣٧٢/٥ ان يسير من الاهواز لخلو الاهواز من آلة الماء
٥) في الاصل ءالة
٦) في تجارب الامم ٣٧٢/٥ المذار ، اطلب التعريف به في معجم ما استعجم ص ١٢٠٣
٧) في تجارب الامم ٣٧٢/٥ الى نهر عمر
٨) الكلاء ، مرفأ السفن بالبصرة معجم ما استعجم ص ١١٣٣
٩) في تجارب الامم ٣٧٧/٥ ووافى بجكم الى ابن رايق
١٠) في تجارب الامم ٣٧٣/٥ على ابن بويه
١١) في تجارب الامم ٣٧٣/٥ ابا الحسين احمد بن بويه

ووردت الاخبار بذلك فتقدم ابن رايق الى بجكم[1] بالانصراف الى الاهواز ليحميها فقال لست احارب الديلم الا بعد ان تحصل لي امارة الاهواز فضمنه اياها بثابة وثلاثين الف دينار محمولة واقطعه اقطاعا بخمسين الف دينار ونفذ.

ومن عجيب الاتفاق ان طاهر[ا][2] الجيلي[3] قصد ابن رايق الى واسط مستامنا فلم يجده فانحدر اليه الى عسكر ابي جعفر فتلقاه كتاب جاريته وابنه انهما حصلا في يد ابي عبدالله البريدي بفارس فاكرمها .

فعند ذلك سار طاهر في مايتي رجل وتبعه عسكر البريدي في الماء. فانهزم بدر الى واسط وانهزم ابن رايق الى الاهواز فاشير على بجكم[1] بالقبض عليه فلم يفعل واقام عنده مكرما حتى وافاه فاتك غلامه من واسط فرجع معه اليها وخلف بجكم[1] بالاهواز وخلف ابو عبدالله البريدي عند عماد الدولة ابنه[4] ابا الحسين[5] محمدا وابا جعفر الفياض رهينة وسار مع ابي الحسين معز الدولة الى الاهواز . فلما نزلوا ارجان خرج بجكم[1] لحربهم فعاد بعد ثلاثة ايام منهزما وسبب انهزامه ان المطر اتصل ($\frac{١٣٥}{٧٠}$) اياما كثيرة فمنع الاتراك ان يرموا بالنشاب فعاد بجكم[1] وقطع قنطرة نهر اربق[6] ورتب عليها جماعة فكانت المنازلة بين معز الدولة وبينهم ثلاثة عشر يوما[7] . وعبر معز الدولة في خمسة نفر في سميرية فهزم من كان هناك من اصحاب بجكم[1] . فعند ذلك قبض بجكم[1] على وجوه اهل الاهواز فيهم ابن ابي علان ويحيى بن سعيد السوسي وسار بعسكره الى واسط وكاتب ابن رايق وهو بها ان كان عنده مائة[8] الف دينار يفرقها في عسكره[9] فالوجه ان يقيم والا فالصواب ان يصعد الى بغداد .

---

١) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
٢) في الاصل طاهر
٣) في تجارب الامم ٣٧٤/٥ الجيلي
٤) في تجارب الامم ٣٧٧/٥ ابنيه
٥) في الكامل ٢٦٣/٦ وتجارب الامم ٣٧٨/٥ ابا الحسن
٦) في تجارب الامم ٣٧٨/٥ اربق
٧) في تجارب الامم ٣٧٨/٥ ووقعت المنازلة بينه وبين محمد بن ينال الترجمان ثلاثة عشر يوماً
٨) في الكامل ٢٦٣/٦ تجارب الامم ٣٧٨/٥ ، اثنتا
٩) زاد في تجارب الامم ٣٧٨/٥ فاضم فقراء فالوجه . . .

فعند ذلك اصعد وطالب بحكم[١] حين دخل واسطا من اعتقله من اهل الاهواز بخمسين الف دينار فقال ابو[٢] زكريا يحيي بن سعيد السوسي اردت ان اخبر ما في نفسه من طلب العراق فراسلته على لسان الموكل بي ايها الامير انت طالب للملك معول على خدمة الخلافة تطالب[٣] قوما منكرين[٤] في بلاد غربة ولقد حمي في امسنا طست وجعل على بطن سهل بن قطين اليهودي[٥] افما تعلم انه اذا سمع هذا عنك اوحش الاباعد منك وما تذكر[٦] انكارك على ابن رايق الجاشه[٧] اهل البصرة.واهل بغداد وقد حملت نفسك على مثل ما كان يعمل مرداويج باهل الجبل وبغداد هي دار الخلافة[٨] لا تحتمل هذه الاخلاق.

فلما سمع بهذا الكلام رق وامر بحل قيودنا واستقل يحيي بن سعيد السوسي واطلقه فشفع في الباقين. وكان طاهر الجيّي[٩] قد$(\frac{١٣٦}{٧١})$ فارق الامير عماد الدولة بارجان فكتب الى اخيه معز الدولة ان يطالب ابا عبدالله البريدي فكتب البريدي الى اخيه ابي يوسف بالقبض عليه وانفاده الى فارس ففعل ذلك .

ووصل معز الدولة الاهواز ونزل البريدي دار ابي[١٠] علي المسرقان ووافاه اهل الاهواز داعين مهنين وكان [البريدي][١١] بحمى الربع فدخل عليه يوحنا الطبيب وكان حاذقا فقال له ماتشير علي قال ان تخلط وعني[١٢] بذلك في المأكولات لترمي بالاخلاط فقال اعظم مما خلطت يا ابا زكريا لا يكون قد ارهجت ما بين فارس والحضرة فان افدك هذا والا ملت الى الجانب الاخر وارهجتها الى خراسان . وسبب معز الدولة على البريدي بعد ان اقام معه خمسة وثلاثين يوما بخمسة آلاف[١٣]

١) في الاصل بحكم
٢) في تجارب الامم ٣٧٨/٥ وابو زكريا السوسي
٣) في الاصل تطالب
٤) في تجارب الامم ٣٧٩/٥ منكوبين
٥) عرفه في تجارب الامم ٣٧٩/٥ وهو سهل بن نظير الجهبذ
٦) في الاصل يذكر والتصويب عن تجارب الامم ٣٧٩/٥
٧) في الاصل الجاشه
٨) في تجارب الامم ٣٧٩/٥ باهل الجبل وهذه بغداد ودار الخلافة
٩) كذا في الاصل ١٠) في الاصل ابا
١١) زيادة عن الكامل ٢٦٣/٦ يقتضيها السياق
١٢) في الاصل وعنا ١٣) في الاصل ١٠الاف

الف درهم باحضار عسكره لينفذهم الى الامير ركن الدولة باصبهان فاحضر اربعة آلاف[١] رجل وقال[لمعز الدولة][٢] ان اقاموا بالاهواز ربما جرى[٣] بينهم وبين الديلم فتنة والوجه ان انفذهم مع صاحبي ابي جعفر الجمال للسوس فامره بذلك ثم طالبه ان يحضر رجال الماء الى حصن مهدي ليشاهدهم فينفذهم الى واسط. فاستوحش البريدي وقال هكذا عملت بياقوت فلو لم اتعلم الا من قصتي لكفاني .

وكان الديلم يهنونه[٤] ويزعجونه من منامه وهو محموم وكان الامير ابو الحسين بن بويه يكرمونه[٥] وابو علي العارض الكاتب يجلس بين يديه ويخاطبه بسيدنا.

فاما بقية ($\frac{١٣٧}{٧١}$) القواد من الديلم فكان عندهم بمنزلة دنية .

وهرب البريدي [من ابن بويه][٦] في الماء الى الباسيان وتبعه جيشه وكاتبه البريدي انه يضمن منه الاهواز في كل سنة بثمانية عشر الف الف درهم فاجابه الامير ابو الحسين الى هذا . وراسله البريدي بالقاضي ابي القسم التنوخي وابي علي العارض ان نفسه لا تطيب بقرب داره منه .

واستقر الامر ان يحمل الى معز الدولة ثلاثين الف دينار لنفقة الطريق فاجاب الى ذلك معز الدولة فانفذ البريدي منها ستة عشر الفا مع التنوخي فاحتبسه معز الدولة على الباقي ثم اطلقه وقال دلان للامير ابي الحسين وهو كاتب جيش معز الدولة وكان الصيمري من اتباعه[٧] ، [فقال له][٢] ان البريدي قد سلك معك طريقته مع ياقوت وغرضه ابعادك الى السوس .

واستحكمت الوحشة بين معز الدولة والبريدي وانفذ بجكما[٨] قايدا من قواده في الفي رجل من الاكراد والاعراب فغلبوا على السوس وجند يسابور.

---

١) في الاصل ٠الاف

٢) زيادة عن الكامل ٢٦٣/٦ يقتضيها السياق

٣) في الاصل جرا

٤) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٣٨١/٥ يجبونه

٥) في تجارب الامم ٣٨١/٥ وكانت الكرامة متوفرة عليه من الامير ابي الحسين

٦) زيادة من الكامل ٢٦٣/٦ يقتضيها السياق

٧) في الكامل ٢٦٤/٦ اي من اتباع معز الدولة ، وفي تجارب الامم ٣٨٢/٥ وكان تابعاً لدلان

٨) في الاصل بجكما

واقام البريدي ببنات ادر[١] غالبا على اسافل الاهواز وبقي معز الدولة لا يملك غير عسكر مكرم وقد احتاط به الاعداء من كل جانب واضطرب عسكره وفارقوه حتى اتبهم وتوضاهم وكاتب عماد الدولة بالصورة فانفذ اليه الساريان[٢] وكان شجاعا في ثلاثماية ديلمي وخمساية الف درهم .

- وكان ابو علي العارض معتقلا بين يدي البريدي واتهم معز الدولة انه واطاه على ما فعله وكان يبغض العارض لانه (١٣٨/٧٢) شاهده وزير ماكان الديلمي وكان بجكم[٣] مملوكه فطلبه منه ماكان صاحبه فاهداه اليه .

فمند وصول الرجال والمال انفذ معز الدولة الصيمري الى السوس عاملا عليها وانفذ ثلاثماية رجل الى بنات ادر[١] فهرب البريدي الى البصرة فحصلت الاهواز بيد الامير ابي الحسين وحصل البريدي بالبصرة واستقر بجكم[٣] بواسط واقام ابن رايق ببغداد وهو الذي وضع المآصير ببغداد وما كانت سمت بالضرايب من قبله.

وحكى بجكم[٣] ان ابن مقاتل قال لابن رايق اخطات حين قلدت بجكم[٣] الاهواز لانه اذا حصل بها نازعك[٤] في امرك وقد عرفت منازعة البريدي لك وهم اصحاب دراريع قال بلغني ذلك فاخذت معي عشرة الاف[٥] دينار وجيته ليلا وقد نام الناس فقلت في مهم لم يعلم به احد ولولا ان الترجمان محمد بن نيال يخبر عني ما استصحبته وقد توقف الامير عن تقليدي للاهواز واسالك[٦] ان تاخذ هذه العشرة آلاف[٧] دينار وتمضي عزمه فيما نواه .

فلما راى الدنانير مال اليها وكان ذلك سبب ولايتي .

سنة ست وعشرين وثلاثماية

لما ورد ابن رايق بغداد اطمعه الوزير ابو الفضل في اموال مصر والشام. وزوج ابنه ابا القسم بابنة ابن رايق وزوج ابن رايق ابنه بابنة طنج .

وخرج الوزير ابو الفضل الى الشام واستخلف بالحضرة ابا بكر البقري فلما بلغ هيت ضعف امره وقوى امر ابي عبدالله الكوفي وقلد ابن رايق اعمال

١) في تجارب الامم ٣٨٢/٥ بنا باذر
٢) في تجارب الامم٣٨٢/٥ قائداً من قواده كان ساريان جماله
٣) في الاصل بحكم ' بحاء مهملة ٥) في الاصل ، الاف
٤) في الاصل نازعك ٦) في الاصل واسلك ٧) في الاصل الف

الاهواز فدعاه بجكم[1] الى كتابته فاجابه (١٣٩/٧٣). وسفر ابو جعفر بن شيرزاد[2] في الصلح بين ابن[3] رايق والبريدي[4] واخذ خط الراضي بالرضا عنهم وقطعت لهم الخلع على ان يقيموا الخطبة بالبصرة لابن رايق وان يفتحوا الاهواز وان يحطوا ثلاثين الف دينار واطلقت ضياعهم بالحضرة. وبلغ ذلك بجكم[1] فجزع لهذا الصلح .

واشار عليه يحيى بن سعيد السوسي بحرب البريدي فانفذ اليه البريدي ابا جعفر الجمال[5] فالتقيا بشابرزان[6] فانهزم الجمال وانفذ يعاتب البريدي ويقول له جنيت على نفسك باستجلاب الديلم اولا وبمظافرة ابن رايق ثانيا وانا اعاهدك ان اوليك واسطا اذا ملكت الحضرة فسجد البريدي لما بلغته رسالته شكرالله تعالى[7] ووصل رسوله بثلاثة الاف[8] دينار وحلف بمحضر من القاضي ابي القسم التنوخي والقاضي ابي الحسن بن عبد الواحد بالوفاء لبجكم[1] .

وكان ابن مقلة يسال ابن مقاتل والكوفي في رد ضياعه فيمطلونه فكتب الى بجكم[1] والى اخي مرداويج يطمعها في الحضرة وكاتب الراضي بالله يشير بالقبض على ابن رايق وتولية بجكم[1] وكاتب الى بجكم[1] ان الراضي قد استجاب لذلك.

وظن ابن مقلة انه قد توثق من الراضي وبذل له استخراج ثلاثة الاف[8] الف دينار ان قلده الوزارة فواقعه[9] على ان ينحدر اليه سرا الى ان يتم التدبير على ابن رايق فركب من داره في سوق العطش في طيلسان وسار الى الارج[10] باب البستان فانحدر في سميرية ليلة الاثنين لليلة بقيت من شهر رمضان وتعمد تلك الليلة ان يكون (١٤٠/٧٣) القمر تحت الشعاع وذلك يختار للامور المستورة. فلما وصل الى دار السلطان لم يوصله الراضي واعتقله في حجرة[11] وبعث بابي

١) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
٢) نسبه في تجارب الامم ٣٨٤/٥ ابو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد
٣) في الاصل ابي
٤) في تجارب الامم ٣٨٤/٥ وبني البريدي
٥) في الاصل الحال ، بحاء مهملة والتصويب عن تجارب الامم
٦) في تجارب الامم ٣٨٤/٥ بناحية الدرمكان
٧) في الاصل تعلى
٨) في الاصل ، الاف
٩) كذا في الاصل ولعله يريد فوافقه
١٠) كذا في الاصل الادح ، وفي تجارب الامم ٣٨٧/٥ الاذج
١١) في الاصل حجره

الحسن سعيد بن سنجلا الى ابن رايق واخبره بما جرى[١] واظهر للناس حاله رابع عشر شوال واستفتى الفقهاء في حاله وعرفهم ما كاتب به بجكم[٢] فيقال ان القاضي ابا الحسين عمر بن محمد افتى[٣] بقطع يده لانه سعى في الارض فسادا فامر الراضي باخراجه الى دهليز التسميني وحضر فاتك حاجب ابن رايق والقواد فقطعت يده اليمنى ورد الى محبسه من دار السلطان وامر الراضي بمداواته فكان ينوح على يده ويقول يد قد خدمت بها الخلفاء ثلاث دفعات وكتب بها القرآن[٤] دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص ثم قال ان المحنة قد تشبثت[٥] وهي تؤديني الى التلف وتمثل :

اذا ما مات بعضك فابك بعضا فان[٦] الشيء من بعض قريب[٧]

وقطع لسانه لما قرب بجكم[٢] الحضرة ومات فدفن في دار السلطان ثم طلبه اهله فنبش وسلم اليهم[٨] ثم نبشه زوجته الدينارية فدفنته بدارها بغلة صافي فنبش بعد موته ثلاث دفعات فهذا[٩] عجب[١٠].

وابن انه[١١] انه مات وزر لثلاث خلفا وابن القرات وزر خليفة واحد ثلاث دفعات وابن مقلة وزر ثلاث دفعات لثلاث خلفا ودفن بعد موته ثلاث دفنات.

---

١) في الاصل جرا
٢) في الاصل بحكم بحاء مهملة
٣) في الاصل افتا
٤) في الاصل القرءان
٥) في تجارب الامم ٣٨٨/٥ تشبثت
٦) في تجارب الامم ٣٨٨/٥ فبعض
٧) البيت للخريمي ، ويتلوه :

يمنيني الطبيب شفاء عيني وما غير الاله لها طبيب

وللخريمي هذا ترجمة في الشعر والشعراء لابن قتيبة صفحة ٣٥٤ ، ومعاهد التنصيص للعباسي ٨٧/١ ، والورقة لابن الجراح صفحة ١٠٢ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز صفحة ١٣٨
٨) زاد في المنتظم ٣١١/٦ فدفنه ابنه ابو الحسين في داره
٩) في الاصل فهاذا
١٠) ترجم له في المنتظم ٣٠٩/٦ في جملة اخبار سنة ٣٢٨
١١) كذا في الاصل

كتاب طبّ خطّي

لصالح افندي

تعريف عنه –
بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس الطوش جبيل

في دار حضرة الشيخ لويس نجيب الدحداح ، في بلاط (بلاد جبيل) ، كتاب طبّ خطي ، منقول بخطّ عربي ، بحبر اسود ، وعناوينه بحبر احمر ، غفل من العنوان ، يشتمل على اربعة كتب وابواب ، باربع مقالات ، وكل مقالة تُقسم الى فصول . أثبت فهرسه في اوله . مجلد بجلد اسود لعب فيه النخر . عدد صفحاته ٤٥٩ صفحة ، طوله ٢١ سنتمترًا ونصف السنتمتر . عرضه ١٦ سنتمترًا . عرض هامشه ٥ سنتمترات ونصف السنتمتر . تحتوي الصفحة منه ٢٦ سطرًا . طول السطر ٨ سنتمترات ونصف السنتمتر . منسوخ على ورق عادي . خطه قريب من الخط الكندي . قد التبست كلمات على الناسخ فنقلها مغلوطة ومحرّفة ولا تخلو منها صفحة . عُلق على هامشه بعض الحواشي . سُطر بعض وصفات طبية بخط مختلف ، على ورقات بيضاء في اوله وهي ليست من صلبه ، وبينها قاعدة لمعرفة توليد القمر .

وهذا الكتاب هو من تأليف الحكيم صالح افندي الذي اختطفته المنية قبل ترتيبه وانجازه ، فأوعز ولده يحيي افندي الحائز على مقام عالٍ في الصدارة العثمانية ، الى احمد ابي الاسعاد ان ينهض بهذه المهمة ، فامتثل امر سيده كما يتضح ذلك من مقدمته .

وكان الفراغ من نسخ هذا المخطوط « عن يد العبد الفقير سام باسيل ختام سنة ١٨٢٨ » على ما هو مسطر بقلمه في ذيل آخر صفحة منه التي هي ٤٩٥ . وهذا الناسخ هو من قرية معراب ، القريبة من بلدة غوسطا (بلاد كسروان) ،

كما يستفاد من العبارة السريانية التي دوّنها على ظاهر الصفحة الاخيرة من هذا المخطوط[1] .

والى القراء مقدمة هذا الكتاب وفهرسه ، وبعض فصول او نبذات منه مقياساً على نهجه في سائره .

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي زيّن عقولنا في جواهر الحكم البديعة ، ومرّج عيون بصائرنا في رياض علم الطبيعة ، وارشدنا الى معرفة علم الصحة وازالة المرض بعدما لم نكن نعلم ، وخلق لنا من النبات والحيوان والمعدن ما يحفظ الصحة ويُزيل السقم . والصلاة والسلام على اكبر رسله الحاوي فضائل من تقدمه من الرسل الكرام الماضية ، الملين بكلامه الموجز الشامل المواد الفاسدة من القلوب القاسية . وعلى آله وصحبه الراقين في النجاة مدارج معراجه ، السالكين في شفا الموجود ارشاد قانونه ومنهاجه.

وبعده ، فلما كان علم الطب بحرًا لا يوصف له قرارًا (قرار) ، وتيهاً واسعاً لا يشقّ له غبارًا (غبار) . وقد دوّن في اصوله وفروعه الاساطين من حكما اليونان واطبا الآتين (نظنها : اللاتين) ما لا يعدّ ولا يُحصى من الاسفار . ثم ان الحلق من فحول اطبا (أطباء) الاسلام فصّلوا تلك الفصول (تفصيلًا) لايقا

---

[1] رأينا نسخة خطيّة بالحرف العربي ، من هذا المخطوط الطبي لصالح افندي عند الحكيم حبيب ضرغام في البوار (بلاد جبيل) تقع في ٥٠٤ صفحة كبيرة ، بخط حنّا بن طنوس الخوري رعيدي من كفور كسروان ، انجز نقلها في ٢٧ آذار سنة ١٨٥٤ ، وقد نسخنا عنها بعض وصفات اذ كنا نأتي رياضةً روحيّة في البوار . وعثرنا ايضاً عند بطرس امين في العاملتين – جرنية – على كتاب طب خطي كبير الحجم يسمى : « الكتاب الرابع في الطب الجديد الكيماني » لمؤلفه ورتبه احمد ابو الاسعاف ، مكتوب بالعربي بخط حنا بن طنوس الخوري رعيدي المذكور ، وانتهى من نسخه في ٣٠ آذار سنة ١٨٦٦ ، وفي هذا المخطوط وصفات طبيّة عديدة مثبتة في مخطوط البوار .

بالاعتنا والاعتبار . واضافوا الى ذلك اشيا كثيرة أدّاهم الى استخراجها سلامة القريحة وصحة الافكار . ثم لم يزالوا يُثنوا عن ذلك درجٌ (درجاً) بعد درج ، الى ان قيل : الكل منهم لج فحج ، واستمر هذا القانون في كل عصر وقرن، وفي كل فخذٍ وبطن . الى ان مرضت الهمم ، وسامت امزجت (امزجة) عزمات (عزائم) الامم . مع ان السلف هوّنوا الامر على الخلف . وارامو (وراموا)بالتدوينات صون ما كسبوه عن التلف(السلف)، الا ان اطبأ العصر اضاعوا ما ورثوه عن السلف الخلف ، كورثة المال وقنعوا بظنّ الوزام. اياهم اهل الكمال ختى افسد باب الاجتهاد في امر حديثٍ والتميز بين الجريد والرشيد . الى ان وصلت النوبة الى واحد العصر والاوان ، وفريد الدهر والزمان ، عين الاعيان ، ومجرّد علم الابدان ، استاذ اهل الصناعة ، والرئيس في الدولة العثانية على الجاعة ، اللوذعي الاوحدي المولى صالح افندي . فنهض عن سرير سريرته عزم صحيح المزاج ، قويّ القوى ، مليح الشيم صبيح الرؤى . يقتحم الادعار (الاوعار) ويزدحم الانجار (الانجاد) والاغوار . يُطلع الثنايا ويستطلع الخبايا التي في الزوايا . الى ان انغمس في عباب كتب تلك الاساطين من حكما اليونان واطبأ الآتين (اللاتين). وخاض في لجج بحارهم حتى وصل مؤدّى ارائهم،واستخرج دررًا فاخرة ثمنًا (ثمينة) ، وتراكيب وعلاجات كانت في اصدافها كينة. وغير ذلك من الفوائد الفريده ، وامراض الحديثة الجديده . حتى انه لم يُبق ولم يدع ، سوى الخرز والودع . بل لم يترك شيئاً ثمّة ولم يدر رجا المبتدر الخبر. و كان في قصده ونيّته ، وضميره وامنيته ، ان يرتب هذا الكتاب ترتيباً مطابقاً لمرامه ، لايقاً بمقامه . الى ان اختطفته يدُ المنيّة ، قبل ان يظهر الى الفعل ما كان في النيّة . افاض الله تعالى عليه سجال غفرانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه .

ثم ان نجله السعيد حضرة مولى الموالي ، وقرّة عين الموالي ، جرثومة الفضايل والمحامد ، ارومة قطب الافاضل والاماجد ، افلاطون الاوان ، وارسطاليس الزمان . ذو الاخلاق الاريضية ، والاحكام الشرعية . والشجاعة المنترية . فاكبر بشأنه واعظم بمكانه . هو الذي يدرك فيا يدرك وشن في عصره فما يشرك . الفاضل الذكي الالمعي المولى يحيى افندي . لا زالت اوقاته صافية من الكدر ، ولا برحة (برحت) مساعيه محمودة الاتر (الاثر) زاكية

التمر (الثمر) . طالما كان يجول في خاطره ، ويلوح لناظره ، تكميل هذا الاثر الجليل وترتيبه ، واحكامه وتهذيبه . الا انه كان يعوق (يعوقه) عن تلك ، مناصب القضا (القضاء) العليّة ، لا سيما الصدارة الروميـة في الدولة العثمانية ، والاشتغال بأحكامه عن الاشتغال بهذا الترتيب والتهذيب وإحكامه. ولما لم يمكن المولى الباذخ فخاره ، الشامخ على النجم مناره ، استخلاص صحته من يد الزمان خاليةً عن العايق ليترتب في هذا الكتاب على اسلوب انيق ، فأصدر امرًا لهذا الفقير ، بان يرتّب الكتاب عـلى مقالة (مقالات) وفصول وابواب . فما وسعني في الحال الساعة ، الا الاجابة لامره بالسمع والطاعـة . وشرعت في المقصود ، متوكلًا على الملك المعبود ، بترتيب الكتاب على طرز (طراز) يرتضيه اولو الالباب ، مقسّمًا الى اربعة كتب .

الكتاب الاول : في الامراض ويشتمل على اربع مقالات

الكتاب الثاني : في قوانين تركيب الادوية ، وبيان الحاجة الى التركيب وكيفية المواد التي هي اصول التركيب . ويشتمل على ثلاثة ابواب ، كل منها يشتمل على فصول ايضًا .

الكتاب الثالث :في الاقرابذينات الجامع في المركّبات. ويشتمل على بابين، وكل منها يشتمل على فصول ايضاً .

الكتاب الرابع : في الطبّ الجديد الكيماوي الذي اخترعه براكلسوس (براكلسوس) . ويشتمل على مقدمة ومقالات وفصول مسميًا اياها :«غاية الاتقان في تدبير بدن الانسان» مقيدًا ما اشتملت عليـه تلك المقالات . والفصول بحروف الجمل ، ليكون سهلًا لمطالعه هيّنًا لمراجعه . وأسأل الله ان ينفع به العباد . وان يجعله ذخرًا في يوم المعاد . لمؤلفـه ومرتبه احمد ابو الاسعاد . وهو حسبي في ساير الاحوال ، وبيده ازمّة الآمال .

فلنبدأ بذكر اجزاء الرأس وامراضه لكونه اشرف الاعضاء الظاهرة المنفعة لازمة الحس والحركة .

فهرس الكتاب

المقالة الاولى

في امراض الدماغ وتشتمل على مئة فصل وواحد

---

١) لفظة يونانية ، معناها الجنون السبعي .

٢) لفظة يونانية معناها النسيان ، وهو ورم بلغمي داخل قحف الرأس وهو السرسام البلغمي .

٥١ في القروح في الطبقة القرنية ٥٢ في الجراحات الواقعة في العين ٥٣ في الطرفه ٥٤ في وجع العين ٥٥ في الموسرج[١] ٥٦ في سبل العين ٥٧ في نزول الماء في العين ٥٨ في الجرب في العين ٥٩ في الدمعة ٦٠ في السلاق في العين ٦١ في جحوظ العين ٦٢ في ضعف البصر وبطلانه والعشا. ٦٣ في امراض حاسة السمع ٦٤ في المرض الفلغموني في الاذن ٦٥ في قروح الاذن وسيلان المادة منها ٦٦ في الدود في الاذن وسقوط الحيوان فيها ٦٧ في الدويّ والطنين في الاذن ٦٨ في الطرش والصمم في الاذن ٦٩ في وجع الاذن .

٧٠ في امراض الانف ٧١ في سرطان الانف ٧٢ في بواسير الانف ٧٣ في سدة الانف ٧٤ في آفات الشمّ وبطلانه ٧٥ في الرعاف .

٧٦ في امراض اللسان وشقاقه (وتشققه) وخشونته ٧٧ في اورام اللسان ٧٨ في جراحة اللسان ٧٩ في الضفدع في اللسان ٨٠ في بطلان الحس والذوق ونقصانه وتغيره ٨١ في بطلان حركة اللسان وتغيره .

٨٢ في امراض الشفتين ٨٣ في شقاق (تشقق) الشفتين ٨٤ في قروح الشفتين ٨٥ في امراض الاسنان ٨٦ في تحرّك الاسنان وتقلقلها ونقصان لحم اللثة ٨٧ في وجع الاسنان ٨٨ في ضرس الاسنان ٨٩ في تغير لون الاسنان وسيلان الدم ٩٠ في امراض اللثة ٩١ في نقصان لحم اللثة ٩٢ في اورام اللثة والقروح والسرطان ٩٣ في امراض الفم ٩٤ في القلاع في الفم ٩٥ في البخار والرائحة الكريهة في الفم .

٩٦ في امراض الحلق ٩٧ في سقوط اللهات ٩٨ في اورام اللهات وقروحها ٩٩ في اورام اللوزتين وقروحها ١٠٠ في العلق والشوك والعظم ١٠١ في الخناق.

المقالة الثانية

في امراض الصدر والرئة وقصبتها ، وتشتمل على مئة وثلاث واربعين مقالة

١ في سوء مزاج قصبة الرئة ٢ في بحّة الصوت وخشونة قصبة الرئة ٣ في ضيق قصبة الرئة ٤ في قروح قصبة الرئة ٥ في امراض الرئة ٦ في ذات الرئة ٧ في ضيق مجاري الرئة ٨ في قروح الرئة والصدر والسل ٩ في ذات الجنب

١) هو خروج جزء العينيّة (في العين) لانخراق القرنية لقروح او تفرّق اتصال .

الساريقا ٨٢ في امراض الطحال ٨٣ في سوء مزاج الطحال ٨٤ في سدد الطحال ٨٥ في عظم الطحال ونفخه ٨٦ في الورم الحار في الطحال ٨٧ في صلابة الطحال وتسمى سقيروس ٨٨ في امراض الكبد ٨٩ في سوء مزاج الكبد ٩٠ في سوء المزاج الحار في الكبد ٩١ في سوء المزاج البارد في الكبد ٩٢ في سوء المزاج الرطب في الكبد ٩٣ في سوء المزاج اليابس في الكبد ٩٤ في سدد الكبد ومجاريه ٩٥ في النفخة في الكبد ٩٦ في الورم الحار في الكبد ٩٧ في الاورام الصلبة وسقيروس في الكبد ٩٨ في قروح الكبد ٩٩ في ضعف الكبد ١٠٠ في سوء القنية ١٠١ في الاستسقاء ١٠٢ في الاستسقاء الطبلي ١٠٣ في الاستسقاء اللحمي ١٠٤ في اليرقان ١٠٥ في امراض الكلى وفي سوء مزاج الكلى الحار اليابس ١٠٦ في سوء المزاج البارد في الكلى ١٠٧ في سدد الكلى وضيق مجاريها ١٠٨ في انتفاخ مجاري الكلى ١٠٩ في حصاة الكلى ١١٠ في ورم الكلى الحار ١١١ في ورم الكلى الصلب ١١٢ في هزال الكلى ١١٣ في قروح الكلى ١١٤ في الديابيطوس ١١٥ في وجع الكلى .

١١٦ في امراض المثانة ١١٧ في حصاة المثانة ١١٨ في اورام المثانة ١١٩ في جرب المثانة ١٢٠ في قروح المثانة ١٢١ في نواسير المثانة ١٢٢ في ضيق مجرى القضيب ١٢٣ في احتباس البول ١٢٤ في تقطير البول ١٢٥ في حرقة (حريق) البول ١٢٦ في سلس البول في الفراش .

١٢٧ في امراض اعضاء التناسل ١٢٨ في عظم الخصيتين واورامها ١٢٩ في انتفاخ الخصيتين ١٣٠ في الورم البارد وصلابته في الخصيتين ١٣١ في قروح الخصيتين ١٣٢ في تقشير جلد الخصيتين ١٣٣ في فتق الصفاق ١٣٤ في امراض القضيب واسترخائه ١٣٥ في انتفاخ القضيب ١٣٦ في اورام القضيب الحارة ١٣٧ في قروح القضيب ونواسيره ١٣٨ في شقاق (تشقق) القضيب ١٣٩ في المني وضعف الباه ١٤٠ في ضعف الانتشار ١٤١ في فرياسيموس ١٤٢ في سيلان المني ١٤٣ في كثرة الاحتلام.

المقالة الثالثة

في امراض النساء وتشتمل على ثمانية وثمانين فصلاً

الفصل الاول في امراض الرحم وفي سوء المزاج الحار في الرحم ٢ في سوء

المزاج البـــارد في الرحم ٣ في سوء المزاج الرطب في الرحم ٤ في سوء المزاج اليابس في الرحم ٥ في سوء المزاج المادي في الرحم وسوء المزاج البارد الرطب المادي ٦ في سوء المزاج الحار اليابس مع الصفراء في الرحم ٧ في ضيق مجاري الرحم وسددها ٨ في الاشياء المتولدة في الرحم الغير طبيعيّـــة ٩ في نفخ الرحم ورياحه ١٠ في استسقاء الرحم ١١ في اورام الرحم الحارّة ١٢ في صلابة الرحم ١٣ في قروح الرحم ١٤ في جرب الرحم ١٥ في ثآليل الرحم والمسامير النمليـــة ١٦ في بواسير الرحم ١٧ في شقاق (تشقّق) الرحم ١٨ في نواصير الرحم ١٩ في سرطان الرحم ٢٠ في ضعف الرحم عن فعله الذي هو جذبُ الغذاء او اكال المني وتصوّره وهربه عن المؤذي كما يهرب الحيوان عن ذلك ٢١ في الحكّة في الرحم ٢٢ في وجع الرحم ٢٣ في احتبـــاس دم الحيض ٢٤ في افراط سيلان الطمث ٢٥ في الامراض المختصّة بالنساء منهـــا مرض جديد يُقال له الحمّى البيضاء وتغيّر لون الطمث ٢٦ في اختناق الرحم ٢٧ في المانيا (μανία) الرحميّ.

٢٨ في العقر وامتناع الحمل ٢٩ في الرجا ويُقال له باليونانيّة رمدلي ٣٠ في علامات الحبل ٣١ في تدبير الحوامل ٣٢ في تـدبير الاعراض العارضة للحوامل في الشهر الاول ٣٣ في تدبير الاعراض التي تعرض لهنّ في وسط الشهور ٣٤ في تدبير الحوامل في الشهور الاخيرة ٣٥ في الاسقـاط وحفظ الجنين ٣٦ في عسر الولادة ٣٧ في اخراج المشيـة ٣٨ في تدبير دم النفاس ٣٩ في تدبير افراط دم النفاس ٤٠ في تدبير النفاس ٤١ في الحمّيات العارضة للنسـاء.

٤٢ في امراض الثديين ٤٣ في الورم في الثديين من كثرة اللبن (الحليب) ٤٤ في اورام الثدي الحارّة ٤٥ في الورم الرخو في الثديين ٤٦ في السقيرُوس في الثدي ٤٧ في الخنازير والسلع في الثديين ٤٨ في سرطان الثدي ٤٩ في قروح الثدي ونواصيره ٥٠ في سدد الثدي ٥١ في شقاق (تشقّق) حلمة الثدي ٥٢ في قلّة اللبن (الحليب) وضعف القوّة ٥٣ في كثرة درور اللبن ٥٤ في تدبير المرضع.

٥٥ في تدبير الاطفال ٥٦ في امراض الاطفال ٥٧ في حمية الاطفال والحصبة والجدري ٥٨ في البثور اللبنيّة ويُقال لها البثور الشهرية ٥٩ في السعف في رؤوس الاطفال ٦٠ في القمل ٦١ في المـاء تحت القحف ٦٢ في الريح تحت القحف وعلاجه ٦٣ في الورم الحارّ في الرأس ٦٤ في الصياح والنوم والكابوس ٦٥ في

السهر العارض للاطفال ٦٦ في الصرع واورام الصبيان ٦٧ في تشنّج الاطفال .
٦٨ في وجع الأذن وسيلان رطوبات الأذنين وقروحها واورامها ٦٩ في القلاع وبثور الفم واورام الحلق في الاطفال ٧٠ في نبات الاسنان ٧١ في ضفدع اللسان ٧٢ في النزلة والسعال وضيق النفس في الاطفال ٧٣ في الفواق في الاطفال ٧٤ في القيء العارض للاطفال ٧٥ في مغص الاطفال ٧٦ في نفخ المراق ٧٧ في الاسهال العارض للاطفال ٧٨ في اعتقال طبع الاطفال ٧٩ في الديدان ٨٠ في فتق الاطفال ٨١ في قروح سرّة الاطفال ٨٢ في ورم السرّة ٨٣ في خروج المقعدة ٨٤ في حصاة المثانة ٨٥ في البول في الفراش ٨٦ في سحج افخاذ الاطفال ٨٧ في الامراض الطرفيّة واوجاع المفاصل وعرق النسا والنقرس ٨٨ في عرق النسا .

المقالة الرابعة

في الامراض التي لا تختص بعضو دون آخر وتشتمل على بابين وفصول عديدة

الباب الاول

في الحمّيات

الفصل ١ في حمّى يوم ٢ في الحمّيات العفنيّة ٣ في علاج حمّى العفونة ٤ في تدبير الغذاء ٥ في تدبير المشروب ٦ في تدبير هواها (اي الحمّيات) ٧ في حمّى سونوخس العفنيّة ٨ في الحمّى الصفراويّة اللازمة والمحرقة ٩ في حمّى الثلثة ١٠ في حمّى ايبيالوس ١١ في الحمّى الشاثيّة الخاطئة ١٢ في الحمّى السوداوية اللازمة ١٣ في الحمّيات الدايرة ١٤ في علاج الكلي للحمّيات الدائرة ١٥ في حمّى الغب ١٦ في الحمّى الدائرة البلغميّة ويُقال لها الحمّى النائبة ١٧ في الحمّى السوداويّة ١٨ في الحمّيات المركّبة ١٩ في حمّى الدقّ ٢٠ في الوباء والحمّيات الوبائية والحمّيات الرديئة ٢١ في تدبير التحفّظ من الوباء ٢٢ في علاج الطاعون والوباء ٢٣ في الحمّيات الوبائية والحمّيات الخبيثة ٢٤ في علامات الحمّى الرديئة ٢٥ في علاج الحمّى الرديئة ٢٦ في الجدري والحصبه ٢٧ في تدبير حفظ الاعضاء من الجدري ٢٨ في الحمّى المرقيّة ٢٩ في تدبير الحمّيات واولاً الصداع ٣٠ في علاج السهر التابع للحمّيات ٣١ في علاج السبات التابع للحمّيات ٣٢ علاج الهذيان

واختلاف العقل التابع للحميات ٣٣ علاج التشنج والصرع التابعين للحميات ٣٤علاج الرعاف التابع للحميات ٣٥ علاج السعال التابع للحميات٣٦ علاج يبوسة اللسان وسواده وتشققه ٣٧ علاج العطش الشديد التابع للحميات ٣٨ علاج الفواق التابع للحميات ٣٩ علاج القيء والغثيان التابعين للحميات ٤٠ علاج الاسهال التابع للحميات .

الباب الثاني

في الاورام

الفصل ١ في الورم الفلغموني ٢ في الخراجات ٣ في الغدد ٤ في الدماميل ٥ في وتيا يجتلا (وهو ورم مستدير) ٦ في الجمرة والنار الفارسية ٧ في الداحس ٨ في الحمرة والنملة والجاورشية ٩ في اوديما وهو الورم الرخو البلغمي ١٠ في سقيرُوس ١١ في السرطان ١٢ في الورم المائي ١٣ في النفاطات والنفاخات ١٤في الحصف ١٥ في نبات السلّ ١٦ في الشري ١٧ في الجرب ١٨ في قانون استعمال ماء الجبن في الجرب ١٩ في البرص والبهق ٢٠ في القوبا ٢١ في البادشنام (وهو حمرة في الوجه) ٢٢ في الدبيلات ٢٣ في السلاحف ٢٤ في الخنازير ٢٥ في التآليل والمسامير ٢٦ في الورم الرئوي ٢٧ في داء الفيل ٢٨ في الامراض الرديئة السيئة (السامة) الجلدية ومنها الجذام (الجذام) ٢٩ في الحب الافرنجي ٣٠ في اسكربوط ٣١ في بليكا (مرض من امراض الشعر) ٣٢ في القروح ٣٣ في القروح مع سوء المزاج ٣٤ في القروح مع انصباب مادة من عضو من الاعضاء.
٣٥ في القروح المتعفنة الوسخة ٣٦ في القروح مع الورم ٣٧ في اللحم الزائد في القروح ٣٨ في صلابة القروح ٣٩ في الكهوف والمخابئ ٤٠ في النواسير ٤١ في دود القروح ٤٢ في فساد العظام في القروح وهي ريح الشوكه ٤٣ في القروح الحردانية والرديئة والعسرة الاندمال ٤٤ في الوجع الشديد في القروح ٤٥ في حرق النار والماء والدهن وغيره ٤٦ في تنقرنيا وسقاقلوس والآكله ٤٧ في الجراحة ٤٨ في النزف من العروق والشريانات في الجراحة ٤٩ في وخز العصب وجراحاته.
٥٠ في الجراحة العارضة من نهش بعض الحيوانات كالكلب والفرس والانسان وغير ذلك ٥١ في الجراحه الكائنة من رصاص التوفنك وضرب

الطوب ٥٢ في الكسر والخلع والوثى ٥٣ في الخلع .

٥٤ في امراض الزينة ٥٥ في تغيير لون الوجه واحتراقه من الشمس ٥٦ في الكلف في الوجه ٥٧ في النمش ٥٨ في الادوية المحسّنة للّون والمحمّرة ٥٩ في آثار القروح والجدري ٦٠ في الرائحة الكريهة في البدن .

٦١ في احوال نقصان الشعر وبطلانه ٦٢ في تناثر الشعر وسقوطه ٦٣ في داء الثعلب وداء الحيّة ٦٤ في تشقيق الشعر وتقصيفه ٦٥ في الشيب وبياض الشعر ٦٦ في الحزازة والنخالة ٦٧ في برص الاظفار ٦٨ في تغيير لون الاظفار من غير آفة ٦٩ في تشقّق الاظفار ٧٠ في تشقّق الاطراف من البرد ٧١ في السموم ونهش الحيوانات السامّة ٧٢ في اعراض من أثّر فيه السمّ ٧٣ في التحرّز من السمّ ٧٤ في كلام كلّي في كيفية تأثير البادزهرات ٧٥ في علاج من سُقي سمّا ٧٦ في من سُقي الزاج ٧٧ في من سُقي الماء الحارّ كماء الفاروق وغيره ٧٨ في من سُقي الافتيمون والاعمى ٧٩ في من سُقي المغناطيس ٨٠ في من سُقي الماس ٨١ في من سُقي اللازورد ٨٢ في من سُقي الزرنيخ وسمّ الفار ٨٣ في من سُقي النحاس المحرق والزنجار ٨٤ في من سُقي الحديد والبولاد وخبث الحديد ٨٥ في من سُقي الاسرب وابرادته ٨٦ في من سُقي الاسفيداج ٨٧ في من سُقي السيلقون ٨٨ في من سُقي المرداسنج ٨٩ في من سُقي الزيبق الحي والمصعد المسمّى بالسليماني ، والمكلّس بماء الفاروق المسمّى برنجي تتوا ٩٠ في من سُقي الزعفر ٩١ في السموم النباتية وفي من سُقي القطر ٩٢ في من سُقي البيش ٩٣ في من سُقي شيريوش ٩٤ في من سُقي السوكران ٩٥ في من سُقي البنج ٩٦ في من سُقي اللفاح ٩٧ في من سُقي الكزبرة الرطبة ٩٨ في من سُقي الفرفيون ٩٩ في من سُقي جوز ماثل ١٠٠ في من سُقي الدفلى ١٠١ في من سُقي الخربق .

١٠٢ في السموم الحيوانية ١٠٣ في نهش الحيّات ١٠٤ في لدغة العقارب ١٠٥ في نهشة سامّ ابرص والوذع ١٠٦ في نهش ام اربعه واربعين ، ويُقال لها دودة الاذن ١٠٧ في نهش الرتيلات والعنكبوت ١٠٨ في من سُقي الذراريح او طلي بها من الخارج ١٠٩ في لذع النحل والزنبور ١١٠ في من نهشة السمكة ١١١ في عضّة الكلب المكلب .

الرأس

اعلم ان الدماغ اول اجزاء الرأس ، ويحيط به حجابان ، الاول ملاصق للقحف من داخل كالبطانة له . وهو أغلظ وأصلب من الحجاب الثاني ، فلذلك سُمي الأمّ الصلبة . والثاني محيط بنفس الدماغ ملاصق له وهو ارقُ وأليَنُ من الحجاب الاول، فلذلك سُمي الأمّ الليّنة . ويعرض له اجناس الامراض الثلاثة كما يعرض لسائر الاعضاء، لكن اكثر ما يعرض امراض سوء المزاج لتشابه اجزائه، ويندر عروض امراض تفرّق الاتصال ولكونهِ محفوظاً بجسمٍ صلب وهو القحف .

ولمّا كان الصداع ، وهو ألمٌ في اعضاء الرأس من امراضٍ كثيرة الوقوع ، لكونه امّا من سوء مزاجه نفسهِ فقط ، او من مشاركة الاعضاء لهُ ، او منها بدنائه . ولما كان اكثر وقوعه من امراض سوء المزاج فنقول :

سوء المزاج، امّا مفرد او مركّب . وكلّ واحد منها امّا مع مادّة، او بغير مادّة . والذي يكون عن غير مادّة قليل نادر الوقوع . فان اكثره يكون مع مادّة مناسبة له، وذلك امّا ان يكون في نفسه، او بمشاركة بعض الاعضاء . فلنتكلّم اولًا على سوء المزاج مطلقاً ثمّ ننتقل الى ذلك فيما سيأتي .

قال جالينوس : علامات سوء المزاج اكثرها مشابهة بعضها ، فيُحتاج الى معرفة السبب السابق والى النظر الى الفضلات الخارجة من الانف ، والى معرفة موضع الوجع ، ومعرفة مرتبة الوجع في الشدّة والضعف .

ويجب ان تعلم ان الرأس لما كان أعلى اجزاء البدن ، كان قابلًا لما يرتفع اليه من الابخرة من الاعضاء التي تحتهُ . ويجب ان تعلم ذلك المرتفع من اي عضو هو ليتأتّى لك المعالجة . فاذا كان الرأس قابلًا لما يرتفعُ اليه من البخار ، فيجب التوقّي من المبخرات المصعدة للمواد اليه والاشياء الكثيرة الوقوف في المعدة البطيئة النزول عنها ، كالشراب والحليب والتمر والبصل والثوم والزيتون والزعفران والشاهبلوط والجوز . وكذلك التوقّي من الحركات العنيفة وعن النوم في القيلوله ونصف النهار .

واعلم ان سوء المزاج هو تغيّر يعرض من برودة او حرارة ، ولهذا يُحتاج في العلاج الى تعديل المزاج ، وانما يُحتاج الى الاستفراغ اذا كان البدن ممتلئاً . ويُخشى من قبول الدماغ للاخلاط الضعيفة المزاج .

في امراض الدماغ (من المقالة الاولى صفحة ٢٣)

في سوء المزاج الحارّ الساذج

اكثر ما يكون سوء المزاج الساذج، عن كثرة الوقوف في الشمس، او مقابلة النار، او طول المكث في الحمّام. او عن الغيظ والغضب والصياح والسهر، وتناول ما له حدّة، وشمّ الروائح الحارّة وطول الفكر (التفكير) وعن كلّما يحرّك الارواح ويُسخّن الدم.

وعلامتهُ: حرارة اللمس، وضربان الصدغين وحمرة الوجه والعينين، والهرب من الضوء والسهر والنوم المضطرب وسرعة الغضب وكثرة الكلام والهذيان والتضرُّر بالاشياء الحارّة والانتفاع بالاشياء الباردة. وتقدُّم بعض الاسباب المذكورة سابقاً.

العلاج: يجب تبريد الرأس بحسب درجة الحرارة ويبوستها. ولما كانت الحرارة جاذبة ويُخشى ان تجذب شيئاً من الاعضاء السافلة الى الرأس، وجب تليين الطبع لمنع المادة. ولما كانت الحرارة مذيبة لرطوبات الرأس فيحصل بسبب ذلك استرخاء في اعضائه، وجب ان لا تخلو الادوية المبرّدة من قوةٍ قابضة. ويجب ان تكون تلك القوّة القابضة ليست بشديدة القبض لئلا تسدّ المسامّ وتمنع البخار عن التحلّل فيمتلئ الدماغ بخارًا ويزيد الصداع. وكذلك يفعل في سوء المزاج المادّي بعد الاستفراغ امين ما قلناه. وينبغي ان لا يُبالغ في التبريد في هذا العضو، لانهُ مبدأ الحسّ والحركة والروح النفسانيّ، فان كثيرًا ما ضرّ وأدّى الى اختلال العقل وبلادة الحواس. ويُجب ان تُحذر المخدّرات ما امكن، الا ان يكون وجع شديد وسهر مفرط. وليكن في الابتداء والتزّيد، وأمّا في الانحطاط فلا يجوز ابدًا.

ويجب ان تعلم ان قحف الرأس صلب لا تنفذ فيه قوى الادوية بسهولة، فيحتاج الى ادوية منفذة كالخلّ. ويجب ان توضع الادوية الوضعيّة على الصدغين، فانّ عظامها دقيقة متخلخلة بالنسبة الى باقي عظام الرأس.

ويجب ان يُتوقّى وضع الادوية الباردة على مؤخّر الدماغ. فان ذلك مضرٌ بالعصب ولا فائدة فيها. ويجب ان يُخلط مع المبرّدات بعض الادهان المعتدلة

الحرارة المسكّنة للوجع ، كدهن البابونج ودهن السبت[١] ودهن ثمر الاقطى[٢] .
ويجب ان لا يُقتصر على وضع المبرّدات على الراس نفسه فقط ، بل ينبغي ان يشمّ العليل الادوية الباردة ويستنشقها وان يطلي بها تحت القدمين ، فان بين القدمين والرأس مشاركة عظيمة .

والادوية المستعملة في سوء مزاج الرأس الحارّ من داخل هي : الخسّ والبقلة الحمقاء ولسان الحمل والورد والبنفسج والنيلوفر والخشخاش الابيض والبزور الباردة والشعير والهندباء والحُماض وحماض الاترج والخلّ . ويُصنع من ذلك أشربة وأغذية وأمياه ومستحلبات وجلاب .

والادوية المستعملة من خارج هي : الحيّ عالم[٣] ، وورق الكرم ، وورق الخلاف[٤] والآس والنيلوفر والطحلب وبزر قطونا والخشخاش وعنب الثعلب ولسان الحمل والخلّ ودهن الورد ودهن الآس ودهن القرع . تصنع من هذه الادوية كمادات وأطلية ونطولات .

صفة شراب مركب لذلك

يُؤخذ شراب بنفسج ١½ ق ، سكنجبين سكّري سادج ، وشراب الورد ، من كلّ واحد ½ ق ، ماء الشعير ١٠ ق . يُسقى ثلاث دفعات

قال ماطيوس الطبيب: انهُ ينبغي ان يكون ما يُشرب في الحميات والصداع الحارّ كثير المقدار لان القليل يسخن بسرعة ويتحلل بالحرارة قبل وصول اثره المطلوب منهُ . وقال : لا يجب ان يكون اقلّ من ١٠ ق .

صفة مستحلب لذلك

يُؤخذ من البزور الباردة ق ½ ، بزر الخشخاش ٣ د ، ماء الشعير ط ½ ، ماء الخسّ ٣ ق ، ماء النيلوفر ٣ ق ، ماء الورد ١ ق ، شراب البنفسج ١½ ق . يُعمل

---

١) دهن السبت يُظن انها رثيث كلمة اسفيدا asa fœtida وهو من المبرّدات المسكّنات .

٢) دهن الاقطى اي دهن البيلسان والبيلسان [illegible] باليونانية .

٣) الحي عالم اصلها حي العالم سـ حدحه بالسريانية ومعناها الخالدة وهي تعريب semperviven.

٤) الخلاف زيزفون السياجات الشبيه ورقه بورق بعض الصفصاف وقد سموه الفرنسية Chalef .

مستحلياً ويُسقى من المعاجين المناسبة : معجون دياسنتا ، ومعجون اللولو البارد ، وجوارش الصندلين (الاحمر والابيض) ، ومعجون بهذه الصفة :

يُؤخذ كلباشكر ، وخميرة البنفسج . من كل واحد ق ١ ، خميرة النيلوفر ق ½ ، سفوف اللولو البارد د ١ . يُعمل معجوناً بشراب البنفسج . او بهذه الصفة :

يُؤخذ كلبا شكر ، وخميرة لسان الثور ، من كل واحدٍ ق ٢ ، ومن البزور الباردة المقشَّرة ، من كل واحدٍ در ١ ، سفوف اللولو البارد در ½ . يُعمل معجوناً بشراب البنفسج ويُسقى جوارش الخشخاش الابيض وجوارش سفوف اللولو البارد.

وقال ماطيُوس : يجب في كلّ محلّ يحتاج فيه الى التبريد ، ان يكون السكّر المستعمل مع الادوية ليس بشديد البياض والتصفية ، لان السكَّر غير النقي مُبخّر يُوصل قوى الادوية الى الرأس بسرعةٍ ، وكذلك الى جميع الأعضاء التي هي أعلى من المعدة .

وأمّا ما يُستعمل من خارج من الادوية الوضعيَّة فهي كثيرة الانواع فمنها : ضمادات وأطلية ونطولات وأدهان ونشوقات وسعوطات وعطوسات . واذا احتجت الى التبريد القويّ صنعت الادوية المبرّدة باردة بالفعل . وان اردت التبريد المعتدل صنعت الادوية المبرّدة مفتّرة . وينبغي ان تصبّ النطولات على الرأس من مكانٍ مرتفع وقد أُحيط اليافوخ بحلقةٍ من كتّانٍ او خرقةٍ .

صفة نطول لذلك

يُؤخذ ورد ونيلوفر ، من كلّ واحدٍ نصف قبضة . وورق الأقطى قبضة لطيفة ، وورق الخلاف وورق الخسّ وشعير ، من كلّ واحدٍ قبضة . يُطبخ الجميع بماء حتى يذهب الثلث ، ويُصفّى ويُمزج بأوقية ونصف من الخلّ ويُنطّل به .

صفة نطول آخر

يُؤخذ ماء الورد ق ٦ ، خلّ الورد ق ٢ ، دهن الورد ق ٢ ، بياض بيضتين . يُخلط الجميع وتُبلّ به الخرق وتُوضع على الرأس .

صفة طلاء

يُؤخذ لعاب بزر قطونا[١] ق ١ ، دهن الورد وخلّ من كلّ واحدٍ ق ½ ١ . يُمزج الجميع ويُوضع على الرأس بخرقةٍ من كتّانٍ .

(١) اي الكتان من فهم بالسريانية وهو ايضاً من الملطفات .

وجالينوس يستعمل لذلك الخلّ بدهن الورد لا غير . وفي الابتداء يُستعمل دهن الورد المصنوع بزيت الانفاق وفي الانتهاء والانحطاط دهن الورد المصنوع بالزيت المعتصر من الزيتون النضيج . ويُؤخذ الكلّ ثلاثة اجزاء من دهن الورد جزء واحدٌ من الخلّ . هكذا ذكره في قاطاجانوس ، لكنّ هذا التركيب ليس بمطّرد الاستعمال لكلّ مزاج ، فان الدماغ الرطب يحتاج الى زيادة مقدار الدهن وتقليل الخلّ . والدماغ اليابس يحتاج الى زيادة الخلّ .

وأمّا الادهان المستعملة في الصداع الحارّ ، فهي دهن البنفسج ودهن الورد ودهن النيلوفر ودهن الآس ودهن الخشخاش ودهن حبّ القرع ودهن السفرجل .

والمراهم المستعملة في ذلك ، هي مرهم الصندلين ومرهم الورد ومرهم الكافور ، او مرهم بهذه الصفة :

يُؤخذ دهن ورد ودهن بنفسج من كلّ واحدٍ ½ ق ، دهن خشخاش ق ½ ، عصارة الحيّ عالم ، وعصارة عنب الثعلب من كلّ واحدٍ ق ١ . يُغلى حتى تذهب العصارات ، ثمّ يُضاف اليه صندل احمر وصندل ابيض من كلّ واحدٍ در ½ ، لعاب بزر قطونا ق ½ ، كافور بماء الورد ستّ حبّات ، شمع بقدر الكفاية .

صفة مرهم آخر لذلك

يُؤخذ دهن الورد ق ١ ، لعاب بزر قطونا ولعاب حبّ السفرجل من كل واحدٍ ق ½ ، شمع بقدر الكفاية .

صفة ضماد لعليّ بن العبّاس مجرّب

يُؤخذ ورد وبنفسج ونيلوفر وبزر خبّازي ودقيق الشعير ، من كلّ واحد ثلاثة دراهم . صندل ابيض واحمر وبزر خشخاش وقشره وبزر خسّ ، من كلّ واحد در ٢ واكليل الملك در ١ . يُسحق الجميع ناعماً ويُعمل ضماداً بدهن الورد والخلّ وماء الخسّ .

صفة ضماد آخر

يُؤخذ دهن ورد ودهن بنفسج ودهن خشخاش من كلّ واحد ق ½ . كافور سدس درهم . دقيق الشعير بقدر الكفاية . وبعض الناس يُضمّد الرأس بثفل ماء الورد والباقي في القرعة بعد التقطير .

صفة قيروطي لذلك

يُؤخذ ورد يابس وقشر الخشخاش وبزر خسّ من كل واحد ٍ درهم . دهن بنفسج وشمع بقدر الكفاية . ويجب ان يُبعد الرأس عن الدهن ، واذا قارن الصداع أنزلةٌ . بل يجب ان تُوضع الادوية الخالية عن الدهن والضمادات من الادوية المذكورة .

صفة ضماد للصداع الحار

يُؤخذ بنفسج وورد ونيلوفر وورق الخلاف ، من كلّ واحد نصف قبضة . بزر خشخاش وبزر خسّ وصندل من كلّ واحدٍ درهم ، ويُوضع الجميع في خرقة متخلخلة بعد السحق ويُكمّد بها الرأس . ويُغسل الرأس ببعض المياه المناسبة ثمّ يُذرّ عليه .

ومن المشمومات النافعة للصداع الحارّ الورد والبنفسج والنيلوفر والصندل . اجزاء سواء . يُسحق الجميع ويُشدّ في خرقة متخلخلة وتُغمس في ماء الورد والخلّ ويُثابر على شمّها . او تُجمع بعد السحق بالكثيره (الكُثيراء) المحلولة بماء الورد وتُصنع منها شمامة .

او يُؤخذ صندل وورد ونيلوفر من كلّ واحدٍ درهم . كافور سدس درهم . يُوضع الجميع بعد السحق في اناء ضيّق الفم ويُغمر بماء الورد الحارّ ويتلقّى بخاره بالانف ، ويجب الكافور ان كان هناك سهر . ويُسعّط بالاشياء الباردة بالقوّة والفعل كماء النيلوفر وماء الخسّ ومستحلب البزور الباردة . ويُغرغر بهذه الاشياء ايضاً . وبعض الاطباء يستعملون الغرغرة بالخروع بالدوع (كذا) او بطبيخ الحمّاض وورق الكرم . وتُغسل الاطراف بطبيخ ورق البنفسج والخلاف والنيلوفر والخبّازي والورد وقشر الخشخاش عند الانحطاط ، الى ما ذُكر من بعض الادوية المحلّلة كالبابونج واكليل الملك او دهن البابونج . واذا استُعملت الادوية الحارّة للصداع فلتكن باردةً بالفعل وجالينوس يستعمل هذا الدواء عند الانحطاط وهذه صفته :

يُؤخذ لعاب بزر خطمي وبابونج من كلّ واحد اوقية ، دهن ورد درهم ، يُخلط الجميع ويُطلى به الرأس . ويجب ان يُعدّل هواءهم (اي المرضى) وتُبرّد مساكنهم

بان تُرشّ بالخلّ وماء الورد وتُحفّ بالرياحين الباردة كالورد والنيلوفر والخلاف والخسّ والبنفسج المرشوش عليها الماء ، ويُجلس بقرب المياه والبرك ويُمنع دخول الناس على العليل . وليكن المسكن ليس منهى (كذا) ويُغـذّى بالاغذية الباردة كالخسّ والهندبا والقرع والبقلة الحمقا وماء الشعير .

وان كان هناك ضعف فيُغذّى بماء الفرّوج بحمّاض الاترج او الريباس او ماء الليمون . ومن الأشربة لذلك : ماء الجلاب وشراب البنفسج ومستحلب البزور الباردة .

وان كان هناك سهر يُضمّ اليه بزر الخشخاش . والشيخ الرئيس ابن سينا يأمر باسقاء العليل الخلّ بالماء البارد . وهو نافعٌ اذا كان العليل دمويّاً سليم الاحشاء . وليجتنب كثرة الكلام والصياح والحركات والانفعالات النفسانيّة . واذا كانت الطبيعة محتبسة يُحقن بحقنٍ ليّنة . وليتناول بعد الطعام ما يمنع البخار عن الصعود الى الراس .

﴿ الفصل العاشر : في الربو وضيق النفس ﴾

(من المقالة الثانية صفحة ١٢٦)

الربو علّة في آلات النفس يتواتر فيها النّفس ويعسر مع مشقّةٍ وتعب، كحال المتعب المكدود والمخنوق . وهذه العلّة ان عرضت للمشايخ (للشيوخ) لا تبرأ، واذ عرضت للشباب كانت عسرة البرء .

وسببهُ : إمّا خلط غليظ لاحج في قصبة الرئة ، ويكون الضيق في اول التنفّس مع نخنحة وتجيّر ، والاحساس بمادّة واقفة هناك ، او في خلل (خلال) الرئة ومزجها . وامّا في العروق الشريانيّة التي في الرئة . وهذا القسم الآخر رديء يعرض من الخفقان الشديد ، ثم الخناق القلبي لاختناق الحرارة الغريزيّة ، والروح الحيواني يفقدُ الترويح . وقد يعرض الربو لانصباب خلط مائي بورقي في الشرايين التي في الرئة واكثره يكون بنوايب (من النوبة) ، ويزيد وينقص بزيادة القمر ونقصانه .

وقد يكون من كثرة الابخرة السوداوية التي تصعد الى الرئة وتحتقن فيها فتضيق مجاري النَّفس بالمزاحمة ، ويتبعهُ خفقان وضعف قلب ، ويكون من بخار وارياح.

وعلامتهُ : خفّة الصدر ، واكثر ما ينتقل في الشباب الى ذات الرئة ، وفي المشايخ (الشيوخ) الى الاستسقاء خصوصاً اذا احتبس النَفَس .

العلاج : استفراغ المادة الغليظة بالحقن اللينة ، وان وجب الفصد فُصد ويوضع على الصدر بعض المحلّلات كدهن البابونج ودهن السوسن ودهن السداب (الفيجم) .

وهذا التركيب جيّد وهو : اصل الخطمي (الختميّة) والايرسا ، (شرش الزنبق واصل السوسن الاسمنجوني) من كل واحد درهم ونصف ، دقيق الحلبة ودقيق بزر كتّان من كل واحد ½ ، دهن لوز ودهن بابونج ودهن ايرسا من كل واحدٍ ق ½ ، نصف اوقية اشق محلول بالخلّ ½ ، شحم الدجاج وشمع بقدر الكفاية .

وامّا الادوية التي تُستعمل من داخل وقت النوبة وتنفع خاصةً ، فهي هذه : الايرسا[1] والراسن والجنطيانا ولوف الحيّة والاسقيل (بصل الفار) والزراوند المدحرج[2] والجاوري وصاعد الكبريت والاشق والمسك والزعفران .

صفة مركّب لذلك

ماء الدارصيني أوقيتين ، سكنجبين عنصلي أوقية . يُخلط ويُسقى .

صفة آخر

اشق ، سدس درهم ؛ صاعد الكبريت وزعفران من كلّ واحدٍ خمس حبّات ، مسك حبّة ؛ يُعطى بالسكنجبين . والاشق بماء الزوفا . نافع .

صفة معجون صمغ البطم لرقادوس
نافع للربو

يُؤخذ من صمغ البطم اربعة دراهم ونصف ، اصطرك (هو صنف من الميعة ومن صمغ الزيتون) اربعة دراهم ، سنبل هنــدي درهم . يُعمل معجوناً بالعسل ، او بشراب الكوبرة .

---

١) من Iris وهو قوس قزح لكثرة الوانه في الزهرة الواحدة ويسمى زنبق المقابر وهو مبذول في الجبابين .

٢) Aristolochia serpentaria من اليونانية ἀριστολόχος ومعناها النفساء لانه من المهيجات .

صفة معجون آخر اصمغ البطم

قال رقادوس : لم أرَ انفع من لألاة النَفَس ولألاة الغــدا . يُؤخذ صمغ البطم المغسول بماء السماء ، رطل تين ، لحم نصف رطل ، فانيدا اربع اواقي ، دهن لوز حلو ق ١ . يوضع الجميع في هاون من الحجر ويُرض ويُخلط حتى يصير كالمرهم . الشربة ستّة دراهم .

وهذا السفوف جيّد وهو : كبريت مصعد درهم ونصف ، مسك سدس درهم ، جاوري خمس حبّات ، اشق ثلاث حبّات ، زعفران حبتان ، لولو ثلاثة دراهم . يُعطى بمرقة الفرّوج او بالسكنجبين والترياق والمتريوطس . نافع وقت النوبة .

وأمّا العلاج في وقت الراحة : فانضاج المواد بطبيخ الزوفا وطبيخ الفراسيون (عشبة) وعرق السوس وغير مما مرَّ في باب ضيق القصبــة . وأفضلُ المسهلات وأسلها لهذه العلّة الفاريقون والمجرقان وحبُّ الفاريقون وقرص البنفسج .

او يُؤخذ من الايرسا درهم ٢ ، غياقو (هو دهن الابلوس وحطب القديسين) وراسن وخربق اسود[1] من كل واحد درهم ونصف ، زنجبيل وخولنجان من كل واحد درهم ونصف ، سنامكي ق ٢ . يُغلى ويُصفّى ويُنقع فيه من الفاريقون نصف أوقية ، ومن الراوند درهم ، ومن الداوصيني (هو صنف من خشب القرفة) نصف درهم . يُطبخ ويُصفّى ويُقوّم شراباً بالسكّر . الشربة اربع اواقي.

وهذا الدواء لسنارتوس مجرّب : يُؤخذ من البسفايج (هو على شكل الخنشار صغير الحجم) ومن الفاريقون وعرق السوس من كل واحد نصف أوقية ، سنامكي ستّة دراهم ، زنجبيل وخولنجان ومجوقان من كل واحد درهم . انيسون ورازيانج (الشومار) من كلّ واحد ثلاثة دراهم . سطلى وبرشاوشان (كزبرة البير) من كل واحد قبضــة . يغلى ويُصفّى ويُقوّم شراباً بالسكّر . والشربة خمس اواقي .

معجون للربو

يُؤخذ زبيب احمر منزوع العجم ، ولوز حلو مقشّر وسكّر من كل واحد جزء ، يُدقّ ويُستعمل .

(1 Ellébore noir.

ومن المركّبات للربو بعد التنقية : شراب النمنع وسفوفات ولعوقات ذكرناها في باب ضيق القصبة .

صفة شراب الراسن مجرّب في هذا المرض

يُؤخذ راسن (زنجبيل) وبسفايج من كلّ واحدٍ اوقيتين . زبيب نصف أوقية . سبستان (المقصيص) ١٥عد . وصعتر وفوتنج (نمنع الماء) من كل واحدٍ قبضة . ورقة كبيرة من ورق التبغ . عرق سوس درهمان . اجره (القرّيص) وحبّ القطن من كلّ واحدٍ درهم ونصف . يُغلى بماء العسل ويُصفّى ويُقوّم شراباً بالسكّر ويُستعمل .

صفة سفوف للربو مجرّب

جنطيانا وراسن من كل واحدٍ ستة دراهم . ايرسا وخولنجان (من عند العطّار) من كل واحد ثلاثة دراهم . غاريقون وسنبل من كل واحدٍ درهم ونصف . سكر نبات أوقيتين (الاوقية الطبّية ثمانية دراهم) .

صفة سفوف آخر

زوفا وانيسون من كلّ واحدٍ أوقيــة . ايرسا خمسة دراهم . رازيانج (شومار) ودارصيني من كل واحد درهمان. قاقله سدس درهم. سكّر بوزن الجميع .

صفة معجون للربو مجرّب

ايرسا وراسن من كل واحدٍ نصف اوقية . تمر وزبيب من كلّ واحــدٍ ثلاثة دراهم . قشر النارنج وقشر الأترُج (الكبّاد) من كلّ واحدٍ درهمان . جاوري درهم . زعفران نصف درهم . يُدقّ الجميع ويُعجن بالعسل بقــدر الكفاية .

وطبيخ الفياقو (مر تفسيرها) والسبزنيا والصاصفراس مع الادوية الصدرية نافع للربو المزمن . وصمغ البطم اذا استُعمل مع بعض الاشربة المناسبة،ودهن اللوز كان مناسباً هنا .

والتبخير بالجاوري والاسطرك (مرّ تفسيرها) والمرّ والسندروس[1] وصمغ المرعو نافع .

١) معروف بالسريانية وهو خشب الصندل يتبخرون به في ضيق النفس .

ويجب ان يجتنب صاحب هـذه العلة الامتلاء من الطعام والشراب ونوم النهار والحركات القوية والجماع .

والغذاء يكون من الحجل والطيهوج والـدراريج والزبيب واللوز الحلو . ويشرب بدل الماء طبيخ القياقو .

الفصل السبعون : في البواسير

(صفحة ١٨١)

البواسير زيادة تنبت على افواه العروق التي في المقعدة . ويعرض بسبب ذلك انواع من الاعراض ، فتارة يكون ورم ، وتارة وجع من غير ورم ظاهر . وتارة تكون عمياء لا ينزف منها شيء . وتارة مفتّحة سيّالة يسيل منها دم او رطوبة. ومنها داخل المقعدة ، ومنها خارج المقعدة وظاهر في الحسّ . والتي في الداخـل تكون منشعبة من شُعب الباب التي تأتي المعي المستقيم من الطحـال فلا يصل الغذاء اليه . وأمّا التي في الخارج فشعُبهـا من شُعب العرق الاجوف التي تأتي بالغذاء الى المقعدة وعضلاتها . وما كان من العرق الباب في الداخل ينفتح في اربعة مواضع في الاكثر . ومـا كان من الاجوف ينفتح في موضع واحد وموضعين .

وسببُ جميع ذلك اخلاط رديئة مع دم سوداويّ ، فمنها صغير ، ومنها كبير ، ومنها معتدل المقدار ، ومنها ثالولي ، ومنها عنبيّ ، ومنها تينيّ ، ومنها ما هو داخل المقعدة ، ومنها ما هو خارجها ، ومنها سرطاني رديء ، ومنها سليم . وأمّا الوجع العارض فيها ، انما هو من العضلات العصبية المطفئة بهـا ، وثانياً بادوار في الـسنة اربعة امرار او في الشهر مرّة وغير ذلك .

العلامات : ان ما هو ظاهر للحسّ فمعلوم . وأمّا في الـداخل فلا يُعرف الا باعراضه ، ويُعرف الخلط الغالب من الدم الخارج وسيلانها (البواسير) باعتدال. امّا من امراض رديئة كالماليخوليا والصرع وذات الجنب وغير ذلك . وافراط سيلانها يُضعف القوى والكبد ويُحدث سوء القنية والاستسقاء .

العلاج : ان كانت البواسير عمياء فتجب الحيلة في فتحها واستفراغ الدم الفاسد منها . ومن الادوية التي تفتحهـا : الحبلوب وحشيشة الزجاج ولسان

الثور[1] (عشبة) وورق التين والسلق وبخور مريم والقنطاريون الصغير . فان كان البدن ممتلئاً والوجع شديداً ، فيُفصد من الباسليق او لا ثمّ من الصافن ، وتُستفرغ الاخلاط الفاسدة بالادوية المتدلة . وبعد ذلك ان بقيَ وجعٌ فيُرسل العَلَق على اطراف المقعدة ليمتصَّ الدم الفاسد من نفس المقر .

ويجب تليين الطبع دائماً بالخيار شنبر والترنجبين (هو نوع من المنّ ، وهو منّ الافرنجي) بالامراق الدسمة . وامّا الأدوية المسكّنة للوجع ، فبعضها يوضع على المقعدة ، وبعضها يُزرق الى الداخل بالحقنة وهي: الحلبلوب وصفار البيض ودهن الورد والزبد الطري. والزعفران وبياض البيض ومرهم الورد ومرهم الحيواريين المسمّى بالافرنجية يوليان ، او مرهم بهذه الصفة :

يُؤخذ زبد طري. ودهن ورد من كل واحد أوقية . اسفيداج مغسول نصف اوقيّة ، وكذلك لعاب بزر قطونا بدهن البنفسج او بدهن الورد . وكذلك التضميد بورق الخبّازي والبابونج والبوصير وبزر الكتّان .

وان كان الوجع شديداً واحتيج الى المخدّرات كدهن بزر الخشخاش ودهن بزر البنج ودهن حبّ القرع وكذلك ورق البطيخ ، فليُطبخ ويُضمَّد به المقعدة . وكذلك دقيق الشعير وصفار البيض ودهن الخشخاش . وينفع من ذلك الجلوس في الابزن المعمول من طبيخ القاقو والبوصير وهيوفاريقون[2] والكراث.

معجون للبواسير مجرَّب

(مسطر تحت عنوان حاشية على هامش صفحة ١٨٢)

يُؤخذ بوصير (هو حشيشة العليا) وكندر[3] من كل واحدٍ عشرة دراهم ، دارصيني ستّة دراهم. يُعجن بعسل او سكر ، ويُستعمل منهُ قدر جوزة على الريق .

صفة مرهم يُسقط البواسير في وقته

(مسطّر على هامش صفحة ١٨٢)

راتينج درهم ٢ ، رهج درهم ١ ، فلفل درهم ١ ، دهن لوز بقدر الكفاية .

١) لسان الثور βούγλωσσος من اليونانية ويسميه العامة بلغصون .

٢) هيوفاريقون من اليونانية ὑπο-ερείκη قصير نحتاً ὑπερείκη ومعناها الخلنج الصغير .

٣) الكندر هو اللبان .

يُعمل مرهماً ويُطلى به . ويُستدرك ألمه ببياض البيض والاسفيداج طلاءً . صح

صفة ضماد لذلك

يُؤخذ من اصل السوسن الابيض ق ١ ، بوصير وبابونج وهيوفاريقون ، من كل واحد نصف قبضة ، تمر عد ٦ . يغلى حتى يتهرأ ويصير كالمرهم . ثمّ يُضاف (اليه) دقيق بزر الكتّان ودقيق الحلبه من كل واحد ق ١ . مرّ وكندر ، من كل واحد درهمان . زعفران درهم ، صفار بيضات عد ٤ ، من غير مملح ق ٣ . يُضمّد به .

صفة مرهم لذلك

مستكي وكندر ومرّ ، من كل واحد درهمان ، مقل ولحية التيس (عشبة ذنبة الفرس) ، من كل واحد درهم . لعاب بزر كتّان وكثيره (كُثيراء) ، من كلّ واحدٍ اربعة دراهم . صفار بيضة ودهن ورد ، بقدرالكفاية .

التضميد بالبصل المطبوخ والكرّاث والبلبوس (هو بصل مأ كول ، مثل بصل النرجس) بدهن الورد جيّد لذلك .

ومن البخورات النافعة للبواسير ، هو فاريقون والكبريت والزوان .

وامأ الادوية التي تُسقى وتنفع بالخاصية وتُزيل البواسير ، فالبوصير سفوفاً بالحليب . وكذلك اقراص متخذة من دقيق الحنطة والبوصير اجزاء سواء معجونة ببياض البيض . وكذلك شرب طبيخ البوصير بالسكر معجوناً ، ومثله عرق السوس معجونا بالسكر المحاول . وقد يُعمل المقل حبّاً بعصارة البوصير فيكون نافعاً . ومن هذا القبيل لوف الحية .

واذا افرط نزف الدم من البواسير ، احتيج الى الحبس اما بالجذب الى الخلاف بالفصد وتعليق المحاجم على الظهر ان كان هناك قوّة .

وان كان في الدم حدّة ورقة احتيج الى تغليظه بشراب بقلة الحمقا (الفرفحين البرّي) وشراب السفرجل والورد اليابس وشراب الحمّاض وشراب الآس (الريحان) والريباس .

وأمأ الحوابس القابضة : كالطين المختوم والطين الارمني والشادنج (هو حجر الدم) والطباشير والكهربا .

وقد يُحتاج الى المخدرات الحابسة كالفلونيا الفارسيّة (روميّة) واللودنوا

والترياق الحديث والاستراحة تقولًا (تمثُّلا) . وان كان في البدن اخلاط رقيقة حارَّة احتيج الى استفراغها اولًا ثم حبس النزف .

والادوية النافعة في ذلـك : الشرخشك والمنّ الافرنجي وشراب الورد والهليلجات والاطريفل الفارسي .

وأمَّا القوابض الحابسة للدم ، فقد عرفتها من الابواب السابقة ، وأقواها دم الاخوين والصبر والجلنار . والبوصير ينفع بالخاصيّة .

صفة مرهم لذلك

يُؤخذ طين ارمني درهم ونصف . بهمن احمر وجوز السرو وورد ، من كل واحدٍ درهم وثلث . جلنار وحبّ الآس (الريحان) ولحية التيس ومرجان من كل واحد درهم . دم الاخوين نصف درهم . كندر درهمـان . دهن ورد وشمع بقـدر الكفاية . وشحم قراقوز (اي الخنزير) ينفع البواصير مطلقاً بالخاصيّة .

صفه للبواسير

(معلّقة على هامش صفحة ١٨٢ تحت عنوان حاشية)

اقماع الباذنجان اذا خُلطت مع مثلها من لبّ اللوز المرّ ، ودقّ وعُجن بدهن البنفسج ، وطُليت بها البواسير ، ابرأها مجرَّب .

دهن يسكّن وجع البواسير

(وصفته معلّقة على هامش صفحة ١٨٢)

دهن نوى المشمش ، عشرة دراهم . ميعه سائلة ، ثلاثة دراهم ، مقـل ، درهمان . يحلّ فيه ويُدهن به فانهُ عجيب .

حجر الشبّ يقطع سيلان الدم منهُ تعليقاً وكذلك الياقوت . اصح

صفة مرهم ييبس البواسير

يُؤخذ كندر وصبر وطين ارمني ، من كلّ واحدٍ نصف درهم . دم الاخوين درهم ٢ . يُدقّ ويُعجن ببياض البيض وقليـل من الكثيره (الكثيرا .) ، ويُضمّد به المقعدة . وان احتيج الى الادوية الكاوية ، فالنحاس المحرق

والقلقند (هو ما كان محمرًا الى الخضرة ، وهو القبرسي) . وهذا علاج الافرنج. وأمّا المتجاوز (الجاتِر) الآن في علاجها في زماننا هذا ، فسطورٌ معلوم عند اكثر الناس . وقد جرّب الحكماء دهن الافاعي والتبخير بالسليخه (شرش الريباس). وكذلك دهن العقارب مجرّب غاية (التجربة) للحارّ ، (للبواسير الحارّة) والافاعي للسوداوي البارد (للبواسير السوداوية الباردة) .

﴿ الفصل الحادي والسبعون : في وجع المقعدة ﴾

(صفحة ١٨٣)

يكون لبواسير او اورام او قروح او جلوس في مكانٍ باردٍ صلب ، او لاستعمال بعض الادوية الحارّة .

وعلاجهُ : غسل المقعدة بالحليب ، ثمّ توضع عليها المسكّنات للوجع .

صفة مرهم مسكّن الوجع

شحم الدجاج وسمن ، من كلّ واحدٍ اوقية . صفار بيضة واحدة . لعاب بزر قطونا درهم ٣ . زعفران سدس درهم . شمع بقدر الكفاية .

صفة شياف لذلك

كندر ومرّ وزعفران وافيون ، من كل واحد ثلث درهم . يُدقّ ويُعجن بلعاب بزر قطونا وصفار البيض ، وان احتيج الى اقوى من ذلك نفعت الغلونيا (روميّة) واللودنوا وما اشبه ذلك.

﴿ الفصل الثاني والسبعون : في حكّة المقعدة[1] ﴾

تكون لانصباب اخلاط بورقيّة او ديدان او قروح . وقد تكون مقدّمة البواسير .

العلاج : تنقية الاخلاط ، ثمّ غسل المقعدة بطبيخ ورق الخبّازي وورق البنفسج وورق الخلاف والبوصير غاية (في النفع) وماء لسان الحمل (هو

١) حاشية في الاصل مسطّرة على الهامش وهي : ان العلامة الكاتبة لحكّة المقعدة الجاذبة عن الدود ، هي ان تبتدئ الحكّة آخر النهار . نُقل من كتاب الكافي .

السليقة وآذان الجدي، (اي عشبة دوينة الجدي) جيد. وكذلك عصارة الاقطى وان كانت الحكة من الدود، نُخرج بتحميل (تحميلة) قطنة مغموسة بصمغ البطم. واذا كانت من القروح، فعلاجها علاج القروح. وهذا المرهم جيد لحكّة المقعدة مجرّب وهو: تؤخذ كثيره (كثيراء) وكبريت ومرداسنك، من كل واحد درهم، يعمل مرهماً بالخلّ ودهن الورد بقدر الكفاية.

الفصل الثالث والسبعون: في اورام المقعدة

سببُها وعلاجها كما مرَّ في الاورام من الفصد وتسكين الوجع. وتُضمَّد بورق عنب الثعلب او بقلة الحمقا او لباب الخبز مع دهن اللوز الحلو. وعند الانحطاط بطبيخ الخبازي والخطمي واكليل الملك (قرينات الغزال والبلّوط. ومنهم من قال قرينات الحية) وبزر كتّان. وان احتيج الى المنضجات، فدقيق اصل الخطمي مع دقيق الحنطة. وأمّا اذا انفتحت عولجت بعلاج القروح.

الفصل الرابع والسبعون: في اورام المقعدة

تكون ليبوسة او لقبض شديد او لبلغم مالح او صفراء حارة. فان كان عن حدّة الاخلاط فعلامتهُ: وجع وحكّة مع حرقة وسيلان رطوبة صديديّة. العلاج: ان كان عن اخلاط، فتنقيتها. وان كان عن يبوسة، فتعديل المزاج.

صفة مرهم للشقاق (تشقّق المقعدة)

يُؤخذ مخّ ساق البقر وشحم الدجاج واللوز والزبد الطري ودهن الورد ودهن الخلّ ودهن الخشخاش، من كل واحدٍ ثلاثة دراهم. كثيره (كثيراء) درهم واحد. مرداسنك نصف درهم، شمع بقدر الكفاية.

وان كان عن قبض، تُستعمل الحقن الليّنة. او كسقي الراوند ودياقاتيليقون (هو زهر الزنبق) او شراب الورد والترنجبين (المنّ الفرنجي). وان كان عن رطوبةٍ مالحة فيُكمد بالقوابض كهذا المطبوخ:

يُؤخذ ورق لسان الحمل وعلّيق وورد، من كلّ واحدٍ قبضة. شعير غير مقشّر نصف قبضة. شبّ درهم. يُطبخ ويُكمد بالاسفنج، ثمّ يُوضع عليه هذا المرهم وهو:

اسفيداج مغسول ومردسنك وصبر ومستكي وكندر وانزروت (كحل كرماني وفارسي) وطين ارمني ، اجزاء سواء . يُعمل مرهماً بدهن الورد والشمع بقدر الكفاية .

صفة مرهم آخر ينفع انواع الشقاق (التشقّق)

اسفيداج ، وأسرب محرق ، ومردسنك ، وشبّ ، وكندر ، من كل واحد درهم . شحم الدجاج وشحم الاوز وشحم الخنزير ودهن لوز حلو ودهن خشخاش من كل واحد اوقية ونصف . يُعمل مرهماً بشمع ودهن الورد بقدر الكفاية .

دواء للشقاق (للتشقّق) وقروح المقعدة من مجرّبات داود الانطاكي
(حاشية من النزهة)

وهو ان يُحرق رأس الكلب بجملته ، ثمّ يُسحق مع مثله صبر ويُذرّ . فانهُ عجيب . وقال : ان شقاق المقعدة قد بلغ في البلاد الباردة ان يقتل . ولم يُرَ له أصحّ من شحم الخنزير ، فانهُ مجرّب . وصنعتهُ : ان يُذاب وتُبلّ بهِ الفتائل وتُدخَل في المخرج حارّةً . ويُحتفظ من البرد ، ويُكرر الى ان تبرأ . وكذا شحم الدجاج ودهن البنفسج والشمع والافيون والمرّ ، يُعمل مرهماً . وكذا اذا حُلّ فيه دهن الرصاص . والله اعلم .

﴿ الفصل الخامس والسبعون : في قروح المعدة ﴾

تكون لبواسير او لانفجار اورام او لانصباب خلطٍ حارّ مقرّح .

العلاج : استعمال ما يُجفّف ويُلحِم بعد الغسل بطبيخ لسان الحَمَل ، او بماء العسل . والمجفّفات المستعملة في قروح المقعدة ، الصبر والكندر والزراوند والقرطاس المحرق والتوتيا .

صفة مركّب لقروح المقعدة

اسفيداج ومردسنك ، من كلّ واحدٍ نصف أوقيّة . كندر وشبّ ، من كلّ واحدٍ ثلاثة دراهم . صبر درهم . زعفران ثلثين الدرهم . شمع ودهن آس (ريحان) بقدر الكفاية .

الفصل السادس والسبعون : في الناصور في المقعدة

صفحة (١٨٥)

يكون لانفجار اورام او قروح لم تُعالج كما ينبغي . وهو أن يكون في طَرَف المقعدة او في الفضلات القريبة ثقب يسيل منهُ ماء صديديّ . وقد يكون ثقباً واحداً . وقد يكون اثقاباً (ثُقوباً) متعددة في الامعاء المستقيم ، وقد ينفجر الى المثانة .

العلاج : علاج هذا المرض عسرٌ ، لكن الواجب اولًا تنقية البَدَن من الاخلاط الفاسدة وتوسيع فم الثقب . وان كان ضيقاً تُوضع الجنطيانا او ١٠ في جوف عود الاقط ، ويُغسل بالزراقات كزرق طبيخ الثافت[1] والزيتون وقليل من الشبّ . ثمّ يُغسل بالشراب ، ويوضع في الثقب المرّ والشبّ .

وهذا الشياف لمحمّد بن زكريا الرازي مجرَّب في ذلك وهو : صبر وكندر وانزروت (او عنزروت . هو الكحل الفارسي والكرماني ، اجوده الهشّ الرزين المائل الى البياض) ودم الاخوين واقلد (جوهر الاسرب ، والاسرب الرصاص المحرق) وجلنار وشبّ ، من كل واحدٍ جزء . زنجار خمسة اجزاء . وان لم يُفد ذلك فعلاج اليد هو خطرٌ .

الفصل السابع والسبعون : في خروج المقعدة

يكون لارتخاء العضلات التي في المقعدة ، او لانقطاع عصب ، او لزحير شديد .

العلاج : التكميد بطبيخ الجأزي والخطمي والبابونج وبزر الكتان والحلبه والزبد الطري . فاذا رجعت الى مكانها توضع القابضات كطبيخ قشور الرمان ولسان الحمل وحب الآس والسماق والكندر . ثم يدهن بدهن الآس وبدهن الورد ويذرّ عليه الكندر والمستكي ودم الاخوين والورد والجلنار والعفص والسماق والآس .

وما كان عن زحير يعالج بالحقن اللينة . وما كان لتفرّق اتصال ، الاستعمال فيه الملحمات . وان كان لارتخاء العضلات كما في الفالج ، يبخّر بالكندر والمستكي

١) الثافت يظن انه من اليونانية εὐπατόριον اي المريح اي المرّق وهو eupatoire بالفرنسية .

واللادن والقاقونيا والمقل والجوزبوا والقرنفل والبسابسة (قشر جوزبوا . وهو الجوز الطيب) ويكمّد بطبيخ القراقوز (الختزير) والسالويا (القوّيسة) والاسطخودوس (الشمنيز) وورق البلوط، ثم بدهن السنبل او الغار او بدهن القسط.

ومما جُرّب في خروج مقعدة شيخ مرتخية معدته تسيل منها رطوبات فاسدة، بان يكمّد بهذا الطبيخ وصفته :

يؤخذ ورق البوصير وزهره واكليل الملك وبابونج وخطمي، من كل واحد قبضة . بزر كتّان وحلبه من كل واحد أوقية . انيسون درهم . يطبخ بالحليب ويكمّد به ثم يذّر عليه هذا الذرور وهو : ورد وقشر رمّان وجوز سرو ومصتكي وكندر وزعفران الحديد واسرب محرق، اجزاء سواء.

الفصل المئة والثلاثة : في اليرقان

(صفحة ٢١١)

وهو تغير لون جميع البدن، الى لون غير طبيعي . وهو امّا اصفر او اخضر او اسود[1] . والسبب القريب هو انتشار ذلك الخلط في جميع البدن . وانواعه كثيرة كاسبابه . وقد قسمه جالينوس في المقالة الخامسة من «الميامر» الى اربعة اقسام فقال : القسم الاول يكون لسوء مزاج الكبد . الثاني للسع بعض الحيوانات السمّية، او تناول بعض السموم. الثالث يكون من الحميات على وجه البحران. الرابع لسدد تكون من غلظ الخلط او كثرته . وقد يكون لسوء مزاج الطحال وهو الاسود .

ونقول : ان اليرقان السددي الاصفر قد يكون لانسداد مجرى المرارة الى الامعاء . وقد يكون لانسداد المجرى الذي بين المرارة والكبد لخلط غليظ وحصاة . وعلامته : انسداد المجرى الذي بين المرارة والامعاء، لقبض وبياض البراز

وعلامة ما يكون لانسداد المجرى الذي بين المرارة والكبد، ثقل في الجانب الايمن مع حمى لينة وشدة صبغ البول حتى يميل الى السواد وبياض

---

[1]) عُلّقت هذه الافادة على الهامش تحت عنوان حاشية وهي : ذُكر في السمرقندي انه يوجد يرقان يسبّب ثالولة تخرج (تنبت) في عرق المرارة . وهذا اصعب انواع اليرقان، ومن اراد ان يتحقق ذلك فليراجع هناك . صح .

البراز . اخيراً وما كان لحصاة عدم انتفاخ (ربما كان انتفاع) بالعلاج الموافق والادمان

العلاج : تفتيح السدد وتنقية المادة . ويبدأ بالحقن اللينة ، ثم بالمفتحات ، ثم بالمسهلات [1] .

واما المفتحات لسدد المرارة فهي : الاصول المفتحة ، والهندباء والهلالى وزده وجور ، وهو العروق الصفر ، والاسارون (حشيشة في بلاد الصين) والشنجار والكشوت والافسنتين والغافت والفراسيون (عشبة)والقنطاريون الصغير
ومن المركبات : شراب بزنتين وشراب الاصول وشراب الغافت وشراب سكوريا راوندي . ومما ينفع بالخاصيّة الخرزة البقريّة والخراطين المجفّفة . واطباء الكيميا يستعملون لهذه العلّة قريموطرطاروا وروح الملح

واما المسهلات : فالترنجبين والراوند والسقمونيا وديافاتيليقون (هو زهر الزنبق) ومعجون الورد ومعجون بزر قطونا وايارج فيقرا وحبّ الراوند ، او مسهل بهذه الصفة :

يؤخذ راوند درهم وثلث ، دارصيني (هو صنف من خشب القرفة)ثلث درهم . ينقع بطبيخ الكشوت ويصفّى ويُحلّ فيه أوقية من الترنجبين (هو نوع من المن الافرنجي)، ومن معجون الورد المسهل درهم ٢ ، ومن معجون بزر قطونا درهم وشراب بزنتين نصف أوقية . وبعد التنقية يسقى هذه الادوية :

يؤخذ زهر هلالى درهم ونصف، زعفران سدس درهم . يعمل سفوفاً ويستعمل .

صفة شراب ملين مفتح

يُؤخذ فراسيون (عشبة) وكشوت وبرشاوشان (كزبرة البير) من كل واحد قبضة ، حمّص اسود وزبيب احمر من كلٍ اوقيتان ، بطراساليون (وهو الكرفس) وجيلك (هو الفولاذ المدبّر) من كلّ واحد نصف أوقية ، اسارون درهم ٢ . يُغلى ويصفى ، ثمّ تُلقى فيه أوقيتان سنامكي ، ونصف أوقية غاريقون، وثلاثة دراهم راوند ، وانيسون درهم ، وحبّ الرتم ورازيانج (هو البسباسي اي

[1] حاشية على الهامش هي : ان بلَعَ صاحب اليرقان ثلاث سكات مدبرة عاشات (حيّة) على الريق ، أبرأه باذن الله . نُقل من (كتاب) « الشفاء » .

الشومار) من كلّ واحدٍ درهم ٢ . ثم يُغلى ويُصفّى ويُقوَم بالسكّر .

وامّا اليرقان الاسود ، فان في كيفية عروضه ثلاثة مذاهب ، اولاً : اقوال الفاضل جالينوس ، وهو ان الطحال اذا عرض له سدّ في نفس عروقه ، او في العروق التي بينه وبين الكبد وبقيت السوداء في الكبد مع الدم لعدم نفوذها الى الطحال للسدد وسرت مع الدم في جميع الأعضاء ، حصل اليرقان .

ثانياً : قول بلارتوس الافرنجي ، وهو ان اليرقان الاسود انما يحصل لانصباب المرار (من المرارة) الى الماساريقا اذ تبقى مدةً فيتغيّر لونها فيه الى السواد ، ثمّ تنتشر في البَدَن فيعرض اليرقان الاسود . وهذا القول ضعيف .

ثالثاً : قول جمهور من المتأخرين من أطبّاء الفرنج ، وهو ان الخلط الاسود اذا كثر في الطحال للاسباب المتولدة عنها السوداء وحصل سدّ في العروق التي تنصرف منها السوداء الى الاعضاء التي تتغذي بها كالامعاء والمعدة والأغشية والعظام ولم تجد منفذاً ، انصبّت الى شعب الماساريقا الى الكبد ، ومن الكبد الى جميع الاعضاء وحصل بهذه اليرقان الاسود .

العلامات : سواد البَدَن وثقلٌ في الجانب الأيسر .

العلاج : هو تدبير سوء المزاج في الطحال وتفتيح سدده ، وشراب الفولاذ مجرّب فيه :

يُؤخذ من الفولاذ المدبّر أوقيتان ، زبيب كشمش أوقية ونصف . ينقع بماء الكشوث وماء الشاهترج (هو اللفاح) . ثم يُغلى ويُصفّى ويُلقى فيه اصل الحمّاض وبسفايج (هو بشكل الخنشار صغير الحجم) وقشر اصل الكبر من كل واحد نصف أوقية . سقولوقندريون (اي حشيشة الذهب) وكشوث من كل واحد نصف قبضة . بزر رتم وبزر هلالي من كل واحد درهم . ثم يُغلى ايضاً ويُلقى فيه آخر الغليان أوقية من السنامكي ، ويُصفّى ويُقوّم شراباً بالسكّر . وبعد التفتيح والتنقية يجب ان يعرق العليل ليخرج ما بقي من نواحي الجلد بالعرق ، بان يُسقى طبيخ البابونج والشقردون وأصل الرازيانج والحمّص الاسود ، ويُغسل البدن بطبيخ الخبازى والسداب (الفيجم) والسلق وحشيشة الزجاج والبابونج .

وأما اليرقان الكائن (الحاصل) عن سوء مزاج الكبد فعلاماته : حرارة الاطراف وحمّى لينة وشدّة صفرة لون البراز والبول .

العلاج : الفصد وتنقية المادة بما مرّ في باب سوء مزاج الكبد . وأما العارض في الحمّيات،فعلاجه علاج تلك الحمّيات . وما كان من السموم فيُعطى الاشياء البازهريّة . وجالينوس يعطي الترياق والمثروديطوس . والمستعمل الآن حماض الأترج (الكبّاد) والتفاح الحامض وماء الهندباء بشراب الحماض . والزهراوي وصاحب « الكامل » يعطيان بهذه العلة لعاب بزر قطونا وقرص الكافور . وابن زهر ، يسقي بهذه العلة البادزهر الجيد بماء القرع وهو افضل، لان البادزهر ينفع السمّية (الاشياء السامّة) وماء القرع يعدّل المزاج.وكذلك الزمرّد بماء البطيخ الهندي .

الفصل الخامس والثلاثون : في البول في الفراش

(من المقالة الثالثة صفحة ٢٨٧)

وسببه استرخاء العضلات ، او ضعف المثانة ، او الرطوبة وبرودة .

العلاج : يُدبّر بما يُسخّن ويُجفّف ، ويوضع في طعام اصحابه وشرابهم المرزنجوش (المردكوش) وماء الزوفى[1] ، ويكمد بماء البورق وورق البلّوط ويُدهن بدهن القسط ودهن الايرسا (شرش الزنبق) .

صفة سفوف لذلك

تؤخذ مثانة الضأن المجفّفة وخصية الارنب المجفّفة وقوانص الدجاج المجفّفة، من كلّ درهم ونصف . بلّوط ثلاثة دراهم وربع . فوتنج (نعنع) وبسباسة (قشر جوز بوا ، وهي جوزة الطيب) ، من كلّ درهم . الشربة ثلث درهم بماء طبيخ البلّوط .

---

(١) الزوفى : نبات يقوم على ساق دقيق مربّع وله ورق كورق الصعتر الدقيق يُتداوى به غالباً لتقطيع البلغم . والزوفى ايضاً دبق يتعلق باصواف الغنم من مرورها على اعشاب في بلاد ارمينية ، يقع الطلّ عليها فتتندّى به وهو بالمعنى الاول يقال له اليابس والثاني يقال له الرطب ويُتداوى به غالباً لتحليل الاورام .

﴿ الفصل السادس والثانون : في سحج افخاذ الاطفال ﴾

يكون ذلك لحدّة البول . وعلاجه :غسل الموضع بطبيخ الخطمي والورد والنخالة وحشيشة الزجاج . ثم توضع عليه المجففات كورق الآس والورد. ويؤخذ كندر وشبّ وورد اجزاء متساوية ، يُدق ويُذرّ عليه . ويوضع مرهم التوتيا او مرهم المرداسنج (هو المرسنك الذهبي) .

﴿ الفصل السابع والثانون : في امراض الطرفية واوجاع المفاصل وعرق النسا والنقرس ﴾

يكون لاخلاط دمويّة او صفراوية او بلغمية تدرّ على السوداء . قال ستراتوس: ان وجع المفاصل يكون لتفرّق الاتصال، لانصباب مواد الى المفاصل فتفرّق الاتصال بكميتها او بكيفيتها . وقال:الخلطُ يتولد منه وجع المفاصل وهو درديّ الدم[1] . وهذا الدرديّ يشتمل على ارضيّة وملحيّة واجزاء دخانية كبريتية. فان كانت الارضية غالبة تولّد التحجّر في المفاصل. وان كانت الملحية غالبة تولّد الوجع الشديد . وكذلك ، فاذا كانت الاجزاء الدخانية الكبريتية غالبة ، اشتدّ الوجع مع الحرارة . ومحلّ تلك المادة للدم مختلطة به لا تنفصل عنه . فعلى هذا لا يكون وجع المفاصل بدون دم بلغمي او دم صرف او صفراوي او سوداوي. اقول: وهذه الارضية التي لا تخلو عن ملحيّة او دخانيّة تكون في غير الدم من الاخلاط الاربعة كما لا يخفى على من له معرفة في العلم الطبيعي ، لكنها في الدم متحيرة ظاهرة ، بخلافها اذا كانت في باقي الاخلاط فانها قد تظهر اذا فعلت فيها الحرارة وبخّرت رطوبتها .

وتولّد وجع المفاصل يكون من اغذية واشربة تتولّد منها تلك الدرديّة خصوصاً الشراب[2] ، فانها فيه كثيرة. واكثر عروضها لمن به سوء مزاج الكبد او سوء مزاج الطحال او امراض الكلى ، فانها لا تخرج مع البول او البراز وغير ذلك ، فتبقى في الدم وتزيد وتنصبّ مع الدم الى المفاصل . والمحرّكة

١) دُرديّ الزيت وغيره : ما يبقى راسباً في اسفله من الكدر .
٢) الشَراب : كلّ ما يُشرب من المائعات ، اي الذي لا يتأتى فيه المضغ حلالاً كان او حراماً ج اشربة ، وبعضه الفقهاء بما حُرّم منها بالاجماع او على خلاف .

لنوبة هذا المرض ، الحركة المفرطة او الجماع على الامتلاء (من الطعام) ودخول الحمّام بعد الطعام ، والغضب المفرط ، وزيادة الاختلاط كمّية وكيفيّة ، وقبول العصب المادة لضعفه او لكونه اسفل او لكونه ابعد عن منبع الحرارة الغريزية كالاطراف. وقد يكون عن بعض الامراض الرديئة كالجذام او الحبّ الفرنجي وسكربوط وبليكا ، وقد يكون موزناً . واكثر عروضه (داء المفاصل) للملوك والمترفهين واكابر الناس لتنوّع اغذيتهم وقلة حركتهم وميلهم الى الجماع. وقد يعرض وجع المفاصل للنساء ، اللهمّ إلا ان يحتبس طمثهنّ . وكذلك يقلّ عروضه للصبيان .

قال ابقراط : لا يعرض وجع المفاصل للصبيان الى ان يجامعوا . وقال ابقراط ايضاً : لا يعرض وجع المفاصل للخصيان . وأمّا نحن (مؤلف هذا الكتاب) فقد رأينا عروضه للغلمان والخصيان .

وعلامته : قالوا يُعرف سببه من لون العضو وحرارته وبروداته من وجمه وقلة وجعه . لكن قد تكون المادة في غور المفاصل لا يظهر من لونه ولمسه، بل الاعتماد في الدلالة على المزاج والنبض والقارورة .

وعلاجهُ : أما حال النوبة فتحليل الحاصل ومنع الواصل. ويُبدأ في علاج وجع المفاصل بالفصد بعد تليين الطبع ولو كان غير الدم لانه الاصل في وجع المفاصل لتجفيف المادة ومنع الانصباب . فانّ بالفصد تخرج جميع الاخلاط ، وقد يُترك الفصد اذا كان البلغم شديد الغلبة ، والحرارة الغريزية ضعيفة. واذا كان الوجع في جميع البدن يُبدأ بفصد الباسليق الايمن. وان كان في جانب من البدن فيُفصد بالخلاف لعكس المادة ومنع الانصباب ، مثلًا اذا كان الوجع في اليد اليمنى يُفصد من الباسليق الايسر وبالعكس . وان كان في الرجل اليمنى فمن الباسليق الايمن . وان كان من الرجل اليسرى فمن الايسر . وينبغي ان يُستفرغ الدم قليلًا قليلًا حفظاً للقوّة وقد يُعطى (المريض) قبل الفصد وبين الفصدين بعض المنضجات ، وان منع مانع عن الفصد فالحجامة او تعليق العلق على الخلاف للجذب ومنع الانصباب .

وأما الاسهال ، فاتفق الجمهور على اعطاء المسهلات اللينة ابتداء ، ثم المنضجات ثم المسهلات القوية وهو طريف جديد وارد على قانون . وقد يخرج

على هذا القانون اذا كانت المادة كثيرة الكمية رقيقة القوام متقلة مهاجة ، فيعطى في الابتدا، مسهلاً قوياً من غير انتظار النضج كما افاده الاستاذ ابقراط.

وأما المنضجات المعدّلة للمزاج ، اذا كانت العلة عن حرارة . فكالهندباء البستاني والبري والسكوريا والحماض والكلبشكر (هو الورد الاخضر المفروك بالسكر مع الحامض) . ويعطى العليل من هذا الكلبشكر ثلاث اواقي ، سفوف جوارش الصندل درهم ، مرجان سدس درهم .

وان كانت العلة عن بلغم ،فالجوردة بالزوفى وشراب الاصول وشراب البزرتين.

واما المسهلات المستعملة الآن فتتنوع بحسب تنوّع الدردية وموضوعها فانه باستفراغ المحلّ يخرج الحال كما لا يخفى . وتلك المسهلات هي : المجوفات والسنا والقرطم والترنجبين ودياتاتيلترن (هو زهر الزنبق) والاطريفل الفارسي وسكر روزانم . وأقوى من ذلك المسهلات السورنجانية ومن جملتها معجون السورنجان (الحرضة) ويسمّى قريافسطنوم ، فانه كثير الاستعمال في بلاد الفرنج لهذه العلة . وقد ألّفه الطبيب الفرنجي المسمى سايوروس لرجل مبتلى بهذه العلة من مدة خمس وعشرين سنة ،فلما شرب هذا الدوا، المبارك ذهبت علته وزالت ولم تعد اليه مرة اخرى فيما بعد . وصفته هي :

يؤخذ سورنجان ابيض محكوك وسقمونيا من كل واحد درهم٢ ، قسط وكمون وزنجبيل من كل واحد درهم . زعفران نصف درهم . يُدق ويُعجن بالعسل المطبوخ بالشراب . الشربة من درهمين الى ثلاثة دراهم .

وهذا الحبّ ايضاً مجرّب وهو : كمافيطوس[1] نصف اوقية . كمادريوس واسطوخودس (الشمتيز) من كل واحد ثلاثة دراهم . سورنجان وصبر من كل نصف اوقية. بزر هيوفاريقون درهم. يُدقّ الجميع ناعماً ويُحبّب بصمغ البطم.

صفة سفوف لذلك

يُؤخذ سورنجان وتربد من كل ستة دراهم .الشربة من درهم الى درهم ونصف. يرق اللحم . وهذا الحب هو للرازي ، ذكره المنصوري . مجرّب غاية (التجربة) وهذه صفته :

---

١) كمافيطوس بالفرنسية Ivemuscate ومعناها الصنوبر الارضي χαμαι-πιτυς اليونانية لان χαμαι في علم النبات تقابل humilis في اللاتينية .

يُوخذ صبر وسورنجان من كل نصف درهم. ورد تولوس، سقمونيا نصف، ارتولوس وهو شربة واحدة. والقيء عظيم النفع في وجع المفاصل وخصوصاً اذا كان الوجع في الاسافل، والافضل تقديمه على المسهل. ثم بعد التنقية التامة تستعمل المعرّقات لاستفراغ ما بقي، وهي قرن الأيل المحرق والانتيمون المرّق. واذا كانت الاخلاط كثيرة والعلة مزمنة فيعرّق بالصاصفراس والسبرنيا والجيوجيني[1] ويُعدَّل المزاج بالهندباء والشعير والصندل وغير ذلك.

صفة مطبوخ معرّق لذلك

يُوخذ سبرينا (حشيشة المغربيّة) اوقية، صاصفراس نصف اوقية، اصل القرنفل البستاني اوقية، صندل اصفر درهم٢. يُطبخ بثلاثة ارطال من الماء بعد نقعه يوماً وليلة حتى يذهب الثلث، ويُصفَّى ويُسقى على القانون.

والادوية الوضعيّة لوجع المفاصل: انه يجب الاعتناء في الابتداء بتسكين الوجع، ثم وضع الرادعات المعتدلة التي لا تخلو عن قليل من التحليل، والمسكّنات للوجع، وصنع الحليب بصفار البيض ولباب الخبز وقليل من الزعفران. وكذلك ورق الخبّازي وورق الخطمي وورق الكرنب ولعاب حبّ السفرجل وبزر قطونا وعسل بماء عنب الثعلب.

وان كانت المادة باردة فيوضع عليه (اي الوجع) دهن البابونج وربّ ثمر الاقحوان بالبابونج، ودهن الورد واصل الخطمي وورقه المطبوخ بالشراب مخلوطاً بالنخالة فيعمل ضماداً. واذا كان في الورم حمرة، فلا يُوضع عليه شيء من الادهان. قال سناترس: لم أرَ في تسكين وجع المفاصل كالجبن الرطب اذا جُعل منه ضماداً وأُبدل كل وقت.

صفة ضماد مسكّن لوجع المفاصل

يُوخذ من لباب الخبز نصف رطل ويُغلى بالحليب ويضاف اليه من لعاب بزر الخطمي اوقيتان، بابونج واكليل الملك من كل اوقية، دقيق بزر كتّان ودقيق الحلبة من كل واحد درهم٢، زعفران درهم، دهن الورد ودهن البابونج من كل اوقية.

---

[1] الجيوجيني من اليونانية اي مولدة المطر γενο-γενεα اي benoite بالفرنسية.

صفة ضماد آخر لذلك

يُؤخذ حليب اونية ونصف ، لباب الخبز خمسة دراهم ،دقيق الشعير اوقية ، سورنجان[1](عشبة القنطا)ويقال لها عشبة القلب اذا كانت تشبه القلب)٦دراهم ، زعفران درهم ، دهن بابونج بقدر الكفاية .

ضماد آخر مسكّن للوجع ايضاً

يُؤخذ من لباب الخبز اوقيتان ، من زهر البوصير (حشيشة العليا) ، يُغلى بالحليب ويضاف اليه عسل خيار شنبر ويُضمّد به .

صفة ضماد آخر مسكّن

يُؤخذ دقيق الشعير ودقيق بزر الكتّان ودقيق الحلبة ودقيق الباقلة وبابونج ، من كل نصف اوقية . اصل الخطمي اوقية . دهن الورد ودهن البابونج من كل اوقية . صفار بيض عدد٣ . ميختج (هو الدبس) اوقية

حاشية : ان حجر المغناطيس ينفع لوجع المفاصل مسكاً باليد ، وكذلك حجر الارمني .

وأما المقطّر من زهر البوصير فهو عجيب في تسكين وجع المفاصل . وأما الادوية الوضعية المسكّنة للوجع بالتخدير ، فورق اليابنج[2]والسوكران(هو القرقيون) واللفاح والافيون وورق التبغ الرطب ، ويُسقى الثلونيا[3]والترياق والمتريدوطوس.

صفة مركّب مخدّر لتسكين الوجع

دقيق الشعير أوقية ، لباب الخبز ثلاث اواقي . يُغلى ويُضاف اليه . دهن الورد أوقية ، صفار ثلاث بيضات . وثلث درهم أفيون ، ويضمّد به .

صفة مركّب آخر لذلك

يُؤخذ لباب الخبز المطبوخ في الحليب ويُضاف اليه درهم من الزعفران . كندر نصف درهم . خراطين مجفّفة درهم ٢ . صفار اربع بيضات . بزر بنج ابيض وبزر خشخاش من كلّ ثلاثة دراهم . يُدقّ ويُخلط ويُعمل ضماداً .

١) تروبخان نوع من القنطا مبذول في لبنان وهو melissa officinalis .
٢) اليابنج : يظن انه البنج اي hannebane بالفرنسية . لانه من المسكّنات .
٣) الثلونيا : هل يكون الغصة المدعوة gallon de Hongrie ?

وكذلك الضماد بورق البنج ودقيق الشعير ودهن الورد. وكذلك ورق عنب الثعلب وورق البنج وورق الخشخاش بدهن الورد ولعاب بزر قطونا.

وأما الادوية الرادعات، فينبغي ان لا توضع صرفةً، بل تُخلط بالقليل من المحللات وهي: الخسُّ وحيّ العالم وبقلة الحمقاء (الفرفحين البرّي) ولسان الحمل (هو السليقة وآذان الجدي) والورد وغير ذلك من أيها كان يجب ان يُمزج بقليل من الخلّ.

صفة مركّب لذلك

يُؤخذ من لعاب بزر قطونا المستخرج بماء الورد أوقيتان، ومن لعاب الخطمي (الخاتمية) اوقية، صفار بيضة، ومن دقيق الشعير بقدر الكفاية.

صفة مركّب آخر لذلك

تُؤخذ عصارة اليابنج، وعصارة الحيّ عالم، وعصارة الخسّ، ودهن الورد، من كلٍّ ق٢ (اوقيتان)، دقيق الشعير وصفار بيضة واحدة.

صفة مركّب آخر لذلك

يُوخذ من الورد قبضة، ومن دقيق الحلبه ودقيق الباقلي[1] ودقيق الشعير من كلٍّ أوقية، ومن الصندل الاحمر درهم ونصف، وقليل من البابونج. يُغلى ويُضاف اليه صفار بيضتين، وخلّ ودهن الورد بقدر الكفاية.

ومن هذا القبيل البوصير المطبوخ بالشراب والضفدع المطبوخ بالزيت. ثمَّ بعد ذلك تُستعمل الادوية الوضعية المحللة، فمنها بخورات وضمادات وكادات، ومنها مراهم ونطولات وأدهان.

صفة بخور محلّل

يُؤخذ عود وكهربا وكندر وصمغ البرعر وبزر اليابنج واصطراك (هو صنف من الميعة ومن صمغ الزيتون) وتكامكا (صمغ الصنوبر). اجزاء سواء. يُبخَّر بها العضو ويُكمّد بالماء المقطّر من البوصير، ويطلى بالترياق الحديث بماء الشبّ. ويُكمَّد أيضاً بالماء المطفئ فيه الحديد والنحاس.

---

(1) الباقلي: الفول Faba vulgaris.

صفة محلل لاورام المفاصل

يؤخذ صابون ١ ½ ق (اوقية ونصف) ، صاعد الشراب وماء زهر الاقطى المقطّر من كلّ ق٢ (اوقيتان) .

صفة محلل آخر

يُؤخذ سرطانات نهريّة عدد ٨ ، حبّ الغار قبضة ، مرّ وكندر من كلّ أوقية ، شراب رطل . تُنقع الادوية بالشراب وتُقطّر بالقرعة والانبيق ويُطلى بها على العضو بالحرق .

صفة محلل آخر

يُؤخذ مستكي وكندر ومرّ وأشق ومقل من كلٍّ اوقيتان . زجاج رطل عسل رطلان . طرطير اوقية ونصف . صاعد الشراب اربعة ارطال . يُخلط الجميع ويُقطّر بالقرعة والانبيق ويُستعمل كالاول .

وينفع لذلك الملح بالخلّ والدهن ، وكذلك الكبريت . ويُكمّد بطبيخ الافسنتين والخزامى والصعتر والبرنجاسف ويُعرف بعك الجنّ . (حشيشة تشبهُ الافسنتين ونظنها الميثران) والترنيكا (حشيشة القسطران) واكليل الملك واكليل الجبل والساليا[1] (الساليا هي القويسة) والكمافيطوس (صنوبر الارض) والاسطوخودوس (الكمون الهندي او هو بزره له سفا اي حسك ، اوراقه كالصعتر ، حبّه حجري جبلي . واجوده الطيّب الرائحة ويُسمّى مكنسة).

ومن المركّبات ضماد الزعفران[2] وضماد تكامكا (صمغ الصنوبر) ودهن الثعلب نافع .

صفة ضماد لذلك

يُؤخذ جندبيدستر (هو خصى كلب البحر) ، وكندر (بخور) من كلٍّ درهم ونصف ، مخّ ساق الأيّل ، وشحم الاوز من كلٍّ ثلاثة دراهم ، دهن مستكي ودهن النعنع من كلّ اوقيتان ونصف ، مقل وقنّة محلولات من كلٍّ نصف اوقية ، دقيق الحلبة ، ودقيق بزر كتّان من كلّ ثلاثة دراهم . شمع بقدر الكفاية .

١) الساليا والاصح السلفيا اي جنبة العافية Salvia .

٢) الزعفران : بالسريانية الكركرم ، وبالفارسية كريامس . ويُسمى الجساد والجاري والزعيل . يشبه بصل بلبوس . زهره كالباذنجان فيه شعر الى البياض ، وهو زعفران شعري .

صفة ضماد آخر

يُؤخذ راتينج (هو علك اي صمغ الصنوبر : القلفونة) أوقية ، زفت اوقيتان ، شمع اوقية ونصف ، شحم ديك هرم اوقية ونصف ، كبريت وسورنجان من كلٍّ ثلاث اواقي .

وأمَّا المحللات للمواد المتحجّرة فيجب ان توضع بعد التنقية واستفراغ البدن .

صفة ضماد ينفع لتحجُّر المفاصل

يُؤخذ داخلُن اوقية ، اشق (قناوشق) وقنَّة وسكبينج ومقل من كلٍّ درهم . دهن الايرسا (الايرسا ، شرش الزنبق) . ودهن زنبق من كلٍّ اوقيتان . ايرسا درهم ونصف .

ضماد آخر لذلك

يُؤخذ اصل الفاشرا ، واصل قثا الحمار ، وايرسا من كلٍّ اوقيتان . اصل الزنبق المشوي عدد ٤ . بزر الجيره (الانجيره ، هي القرّيص) وبزر خردل ، وبزر حرف (الحرف ، هو الرشاد) من كلٍّ اوقية ، شحم الاوز ودهن اللوز الحلو ، من كلٍّ بقدر الكفاية .

صفة مرهم لذلك

تؤخذ عصارة التبغ (الدخان) ثلاث اواقي ، شمع اوقيتان ، راتينج اوقية ونصف ، صمغ البطم اوقية ، دهن بابونج بقدر الكفاية .

والضماد المعمول من شحم الخنزير المملوح بالجبن العتيق ، عجيبٌ في ذلك . وكذلك مرقة فخذ الخنزير المملوح بالجبن العتيق .

﴿ الفصل الثامن والثمانون : في عِرق النَّسا[1] ﴾

(صفحة ٢٩٢)

يُبدأ بعلاجه بتنقية البدَن بالفصد والاسهال بالادوية القويّة ، لكون المادَّة

١) النَّسا : عرق من الورك الى الكعب مثنَّاه نَسَوانِ ونَسَيانِ ج أنساء . وعن الاصمعي : النَّسا عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثمَّ يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فاذا سمنت الدابّة انفلق فخذاها بلحمتين عظيمتين وجرى النَّسا بينهما واستبان . واذا هزلت الدابّة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان وخفي النسا (الصحاح) .

غائرة غائصة كحبّ المنتن وحبّ الشيطرج وحبّ السورنجان الكبير . ثمّ توضع عليه المحللات الجاذبة للمادّة من العمق الى الخارج كورق الاقطي وخاما اقطي[1] وورق الغار والبتونيكا (حشيشة القسطران) والكمافيطوس واكليل الجبل والخردل والجوف وميوزج والدراريح والزفت والكبريت والاشق وصمغ البطم والقنة والمقل والجاوشير (نبات فارسي . ويقال نقلاً عن ابن سينا ، انه حليب ابن آوى) والفرفيون، والضماد المتخذ من الشيطرج الرطب بالشحم عجيب الفعل كما شهد بذلك الفاضل جالينوس .

صفة ضماد لذلك

يُؤخذ شيطرج رطب ويُغلى بالشراب حتى يصير كالمرهم ، ويزاد عليه دقيق الترمس ودقيق الكرسنّة ودقيق الباقلى ، من كلٍ أوقيــة . سداب (فيجم) يابس درهمان . بابونج وقسط، من كلٍ درهم ونصف. صمغ البطم نصف اوقية. دهن الخراطين بقدر الكفاية.

صفة دواء آخر لذلك

يُؤخذ شمع وصمغ البطم ، من كلٍ ثلاث اواقي . يُحلّ عــلى نارٍ هادئة ويُضاف اليه بزر الجيره وسورنجان ، من كل درهمان. زراوند مدحرج وبابونج وايرسا ، من كلٍ درهمان ونصف . مرّ درهمان . زعفران درهم وثلث .

صفة مرهم لذلك

يُؤخذ شمع ودبق وصمغ عربي وايرسا ومرّ وقنه[2]، اجزاء سواء . يعمـــل مرهماً بدهن الخراطين . وان لم يُفـــد شيء من ذلك ، فتُستعمل الحجامة والكيّ بالنار .

وأما الادوية الفارزهرية لاوجاع المفاصل، فقد ألّف جالينوس لذلك تراكيب مخصوصة منها دواء هذه صفته :

يُؤخذ هيوفاريقون اوقية . قنطـــاريون وكمافيطوس من كلٍ اوقيتان . جنطيانا خمس اواقي . زراوند مدحرج اوقية. غاريقون ثلاث اواقي. بطراسليون

١) خاما اقطى هو البيلسان الصغير yéble المسمّى دمدوم في بشري χαμαι ἀκτέα .
٢) قنة معروف بـ galbanum .

(الكرفس الصخري ، وهو البقدونس) اوقية . عسل طه . الشربة درهم كل يوم .

صفة معجون ألفه ابيروس الطبيب اليوناني

يُؤخذ كمادريوس (بلّوط الارض) اربع اواقي . قنطاريون اوقيتان. زراوند مدحرج سبع اواقي. جنطيانا ست اواقي. هيوفاريقون خمس اواقي .بطراساليون[1] ثلاث اواقي . زراوند رومي خمس اواقي . غاريقون ست اواقي . عسل بقدر الكفاية .

صفة معجون آخر ألفه اسكندر اليوناني الطبيب لارقيلوس الفيلسوف

يُؤخذ سنبل وسادج (الشادنج ، وهو حجر الدم) ، من كلٍ درهمان . جنطيانا وزراوند طويل ، ومرّ ، وحَب الغار ، وراوند رومي ، اجزاء سواء . يدقّ ويُعجن بالعسل ويُستعمل في الشتاء لحارّ المزاج ، وفي الصيف لبارد المزاج . وللمتقدمين تراكيب كثيرة في هذه العلة اقتصرنا منها على هذه التراكيب . وسنذكر ما ألفه المتأخرون لذلك من الادوية المستعملة المشهورة المجرَّبة لذلك .

صفة سفوف لارطوس الطبيب المسمى سفوف الشتري

يُؤخذ زراوند رومي (مدحرج وطويل) من كلٍ اوقية ، بطراساليون وبزر بقدونس من كلٍ نصف اوقية ، كمادريوس وقنطاريون الصغير وهيوفاريقون ، من كلٍ عشرة دراهم . يُعمل سفوفاً ، ويُشرب منه في كل يوم درهم ، على سنة كاملة . .

صفة سفوف آخر مستعمل

يُؤخذ كمادريوس وكمافيطوس وقنطاريون صغير ومرزنجوش (مردكوش) وساليا (القوَيسة) وبتونيكا (حشيشة القسطران) وجنطيانا وزراوند مدحرج ، من كل اوقية . غاريقون رطل . ويُستعمل كالاول .

سفوف آخر

يُؤخذ قرن الأيل المحرق ، وعظم البقر المحرق، وحبّ الأترج (الكبّاد)

[1] طراساليون البقدونس الافرنجي اي persil واما البقدونس العادي فهو cerfeuil

ونوى التمر ، من كل جزء . مرجان محرق ونشارة العاج المحرقة ، من كل نصف جزء . ويضاف اليه من الدارصيني (هو صنف من خشب القرفة) والسكّر ما يطيب به طعمه .

صفة سفوف ألّفه يوحنا الانكليزي

يُؤخذ كمافيطوس اوقية ، عظم الانسان المحرق درهمان ، عِرَق سوس ثلاثة دراهم . واعلم ان العليل اذا لم يستعمل السفوف ، فتُعمل تلك السفوفات معاجين بشراب الكمافيطوس ، او حبوباً بصمغ البطم ، لان اكثر من بهم وجع المفاصل تكون لهم علة في الكلى .

صفة معجون ممدوح جدًّا ألّفه انطون الطبيب الفرنساوي

يُؤخذ مرّ درهمان ، غاريقون درهمان، بطراساليون اربعة دراهم، هيوفاريقون خمسة دراهم ، جنطيانا ستّة دراهم، زراوند مدحرج سبعة دراهم ، قنطاريون صغير ثانية دراهم ، كمادريوس تسعة دراهم ، عظم الانسان المحرق عشرة دراهم . يُعجن بالسكنجبين العنصلي . الشربة درهم الى سنة كاملة .

صفة معجون آخر ممدوح

يُؤخذ كمافيطوس ثلاث اواقي ، كمادريوس وبتونيكا ، من كل اوقية ونصف . زراوند مدحرج وهيوفاريقون من كل نصف اوقية. انجيليقا[1] (حشيشة الملائكة ، اي ذنَب الخيل) درهمان . عظم الانسان المحرق ومرجان ونشارة العاج من كل درهمان . قرنفل ودارصيني ، من كل واحد درهمان . يُدقّ ويُعجن بشراب البتونيكا (حشيشة القسطران) .

صفة ماء مقطّر لفراطن الطبيب

يؤخذ اكليل الجبل ، وقنطاريون صغير، وبابونج، وكمادريوس[2]، وهيوفاريقون وكمافيطوس ، واسارون (حشيشة من بلاد الصين) من كل اوقية، قشر اصل خاما اقطى قبضة، ايرسا اوقية، بسفايج (على شكل الخنشار صغير الحجم) اوقية ونصف ، ترياق صغير نصف اوقية، دارصيني وجوزبوا وخولنجان (عند

١) انجليقا : عشبة الملائكة الماعاً الى ما يتوهمه الناس عن عجيب مفاعيلها .
٢) كمادريوس اي البلوط الصغير او المُقيص من χαμαιδρυς .

العطّار) وبباسة (قشر جوزبوا وهو جوز الطيب)وزنجبيل، من كل درهم ونصف سورنجان وصبر من كل درهم، غاريقون نصف اوقية، حنظل ثلاثة دراهم، هليلجات من كل واحد درهمان، سنا اوقية، انيسون ورازيانج (البباسة اي الشومار) ودوقوا، من كل درهم . يُنقع بغمره في صاعد الشراب يومين ثم يقطّر بالقرعة والانبيق. الشربة منه، من اوقية الى ثلاث اواقٍ . ويجب على العليل ان يجتنب الاغذية الغليظة والامتلاء (من الطعام) والجماع والاشربة ان امكن، ويتغذى بلحم الطيور الخفيفة

قال ابن سينا : يجب اجتناب اللحوم في وجع المفاصل ولو كان عن برود

المقالة الرابعة

الفصل التاسع والعشرون : في الحبّ الافرنجي[1]

(من الباب الثاني صفحة ٣٨٤)

وهو مرض خفي سارٍ يفسد الدم وآلات الغذاء، وتضعف فيه القوى، ويتولد عنه امراض كثيرة . واول ظهوره هذا المرض كان في اسبانيا من بلاد الافرنج سنة ٩٠٤ للهجرة . وسبب ظهوره، هو ان ملك اسبانيا جهّز عسكراً في البحر الى بلاد الدنيا الجديدة (اميركا)، فذهبت العساكر الى تلك الناحية وتملكوا بعض السواحل واختلطوا بأهل تلك الديار وتصرفوا في نسائهم، فسرى اليهم هذا المرض بطريق العدوى ! كثرة هذا المرض في تلك الناحية . وهو يسري بالمباشرة والمخالطة ولبس لباس المبتلى بهذه العلة . واعظم ما يوجب سريانه واسراعه هو الجماع، ولهذا يقال له : « مرض الجماع »

قالوا : وقد يعرض هذا المرض في الاقطار ويعمّ خلقاً كثيراً كالوباء.

١) قد آثرنا نشر هذا الفصل في الحبّ الفرنجي لاهميته وخطورته ، لانه من الادواء المستعصية البرء احياناً . وقد يخجل بعض المصابين به ان يعرضوا انفسهم في ابتداء حدوثه على مهرة الاطباء في مداواته ، فيستفحل اذ ذاك امره ويستطير شرّه وبعي هذا الداء غير قابل للشفاء، وهناك الطامة الكبرى . ونرى الحكيم مؤلف هذا الكتاب المطّي يشرح كيفية هذا المرض وبدء ظهوره ، ويكشف عن الاعراض المردية الصادرة عنه ، ويذكر العلاجات التي يتّقي بها المريض ويلاته ، ولا يخلو تبسّط الطبيب في الكلام عنه من تبصرة وذكرى للاطباء وللمرضى .

والطاعون بحسب انظار بعض الكواكب . وقد يكون على سبيل التوارث .
واعلم ان ليس لهذا المرض علامة خاصة لكثرة ما يتبعه من الاعراض التي يشاركه غيره (من الامراض) فيها .

وقالوا : انه في اول ابتدائه تظهر حمّى خفيفة، وتقل جميع البدَن، وكثرة النوم . وقد يعرض صداع ووجع مكسِّر في جميع البدَن . واكثر ظهور هذه الاوجاع يكون ليلًا ، ويتغيَّر لون العليل الى الكمودة والبياض، ويعرض سواد في العين كما يعرض للحبالى، وقد يعرض خوف وسوء خلق وأعراض كأعراض الماليخوليّا . ثم تظهر في المذاكير والرأس والانف بثور وقروح رديئة . ثم يعمّ اكثر البدَن . وقد يسيل المني من القروح مع حرقة ونتن رائحة .

واعلم ايضاً انه ليس بصورة وشكل معيّن، بل تخرج تارة بثور صلبة كالعدس، وتارة كالدرهم ، وتكون مع حكّة وبغير حكة ، ويكون وَسط البثرة في الاكثر غائرًا وحولها ناتئاً . وتكون يابسة كالمسامير ، وقد تخرج منها رطوبة لزجة ، وقد تخرج كبارًا كالدمامل ، وقد تشابه الحمرة والفلغموني. وقد تخرج بثور في النبرج وتتقرَّح بسرعة وتبتدئ في الاتساع والتأكل ويكون حواليها الى الكمودة والسواد ، وتارة يسقط الشعر في ابتدائه وتارة في آخره . وقد يعرض من ذلك شقوق (تشقّق) في الكفّين. وقد يعرض ضربان المفاصل وتعقّدها.

وقال جمهور اطباء الفرنج : ان لهذا المرض مراتب اربع . اولًا : سقوط الشعر من غير آفة في البدَن .

ثانياً : ظهور البثور في بعض المواضع من البدَن ، وخصوصاً في المذاكير والرأس .

ثالثاً : كثرة البثور في الرأس وانفجارها بالقصد وبدء المدّة .

رابعاً: انه يُعمّ جميع البدَن والمفاصل بقروح عسرة الاندمال تفسد العظام.

وأردأ انواعه ما يبتدئ كالصرع والماليخوليّا والحمّى وسدد الكبد ، وما كان صاحبه كثير النوازل والسعال والسدد وبحّة الصوت والخشم وبطلان الشم والصمم وسيلان المني مع حرقة ووجع المفاصل الشديد . وقد يؤدي هذا المرض الى الاستسقاء وسوء مزاج الكبد وضعف الهضم . وقد يؤدي الى حمّى الدقّ لكثرة الحرارة الغريبة وضعف الغريزية . وقد يؤدي الى السلّ لشدة لذع

المواد المنحدرة من الرأس الى الصدر والرئة. وقد يؤدي الى اسهال مريع مفرط لكثرة الاخلاط الرديئة . والاكثر (من الناس) يهلكون بهذه الامراض .

واذا كثر وعمَّ في قطر من الاقطار ، فينبغي ان يُحفظ البدن منه كما يُحفظ في زمن الوباء بنحو استعمال الترياق الكبير والمتريدوطوس والحبّ العام المسمى بالالهي ، ومعجون الجواهر المسمى دياسنتا ، وغير ذلك مما ينفع في الوباء وفساد الهواء .

وسببه (هذا المرض) كيفية سمّية رديئة ، اول ما تتعلّق بالكبد فتفسد مزاجه وتفسد الاخلاط ويسري الفساد بالتدريج الى جميع اعضاء البدن .

العلاج

ان العلاج الكلي لهذا المرض هو تنقية البدن بالفصد والاستفراغ بما يُخرج الاخلاط الفاسدة. وبعد التنقية التامة يُعطى العليل ما هو مخصوص بهذا المرض كالسبرنيا (حشيشة المغربية) والغياقو (هو دهن الاباوس وحطب القديسين) والجوبجيني (حطاب القديسين) والصاصفراس[1] . وفي بعض البلدان يُعطى الزئبق خضاباً او دهناً حتى يظهر اثر الدواء ، إما في الفم من سيلان اللعاب وورم اللثة ، وإما باسهال مريع وهو الاقلّ .

صفة مطبوخ الغياقو يسقى حارًّا بعد التنقية التامة للتعريق

يُؤخذ غياقو ثمان اواقي ، يُنقع يومين في نحو اربعين رطلًا من الماء الحارّ ، ثم يُطبخ حتى يذهب الثلث ويُصفى ويُسقى منه في كل يوم ٦٠ درهماً . وليجلس العليل مستوياً في مكان حارّ حتى يعرق عرقاً كاملًا. وان كان العليل حارّ المزاج ، يُضاف الى هذا المطبوخ الهندباء والصندل والنيلوفر وما اشبه ذلك من الادوية المعتدلة . وان غلب البلغم يضاف اليه زبيب وعرق سوس . وان كان هناك شدّة في بعض الاحشاء ، يُضاف اليه المنضّجات المعتدلة كسقولوقندريون (حشيشة الذهب) والنانخة والبرشاوشان (كزبرة البير) . وان انضمَّ اليه بعض الامراض ، يضاف اليه ما يختص بذلك المرض من الادوية بحسب رأي الطبيب . واهل الكيميا يقطّرون منه (الدواء) بالقرعة والانبيق فيصبح لطيفاً

[1] صاصفراس نوع من الغار الاميركي .

ـهل التناول ، وما بقي من الثفل يُطبخ بالماء ويُصفى ويُسقى عوض الماء .

صفة معجون لذلك

يُؤخذ رطل من الفياقو المسحوق ناعماً ، ويُعمل معجوناً بشراب الشاهترج (هو اللفاح ، وهو رز الدجاج ويُسمى كسبرة الحمار). الشربة منه نصف اوقية الى اوقية . وقد يُعمل حباً .

صفة معجون لذلك

يُؤخذ غياقو وسبرنيا من كل اوقية سفوف دياالروورون اوقيتان كلبشكر نصف رطل ، يُعمل معجوناً بشراب الهندبا .

صفة مطبوخ

يُؤخذ من السبرنيا[1] اوقيتان ونصف يطبخ باربعة ارطال من الماء بعد نقعه يومين حتى يذهب الثلث . ويُسقى كما يُسقى مطبوخ الغياقو .

صفة مطبوخ غياقو اقوى من الاول

يُؤخذ من الغياقو ثلاث اواقي ، ويُطبخ في اثني عشر رطلاً من الماء حتى يذهب الثلث ويُصفى ويُسقى منه كما تقدَّم .

صفة مطبوخ الجويجيني

يُؤخذ من الجويجيني اوقيتان ونصف ، ويُطبخ باربعة ارطال من الماء بعد نقعه يومين حتى يذهب الثلث ويُصفى ويُسقى . وقد يُطبخ اوقيتان ونصف من الجويجيني في اثني عشر رطلاً من الماء ، فيكون ارقّ . وقد يُطبخ اوقية من الجويجيني في اثني عشر رطلاً من الماء حتى يبقى سدس الماء وخمسه ، وهو المشهور من الاقرابذينات الفرنجية. وعلى هذا المنوال يُصنع مطبوخ الصاصفراس.

صفة مطبوخ اقوى مركَّب

يُؤخذ سبرنيا (حشيشة المغربية) اوقية ونصف يُطبخ بستة ارطال من الماء بعد النقع كما تقدَّم .

---

[1] السبرنيا اظنها السبرنيا نوع من الرتم وهو من المعرقات من اليونانية σπαρτος .

صفة مطبوخ معرّق

يُؤخذ نصف رطــل من الغياقو ، ومن قشر الغياقو او السبرنيا من كلٍ ثلاث اواقي ، جوبجيني اوقية ونصف . يُنقع الجميع يومين في اثني عشر رطلًا من الماء ، ويُطبخ حتى يذهب النصف، ويُصفّى ويُسقى للتعريق. والثفل الباقي يُطبخ باثني عشر رطلًا من الماء ايضاً حتى يذهب الربع ويُصفّى ويُسقى.

صفة مطبوخ آخر

يُؤخذ غياقو ثمان اواقي ، قشر الغياقو اربع اواقي ، سبرنيا وصاصفراس من كلٍ اوقيتان . يُنقع في اثني عشر رطلًا من الماء حتى يذهب الثلث ويُصفّى ويُسقى . والثفل الباقي يُطبخ مرة ثانية ويُشرب عوض الماء .

وان بعض الاطباء ، ومنهم قرنيلوس وبلماجايوس، لم يعتمدوا على المطابيخ المذكورة وحدها ، بل استعملوا معها القادزهرات من الحبوب والمعــاجين والسفوفات والمياه القادزهرات كدواء الشقرديون .

صفة دواء الشقرديون

يُؤخذ شقرديون نصف اوقية ، جمده وفوتنج (نعنع المــاء) وفراسيون (عشبة) وصعتر ، وثام ، وهيوفــاريقون ، وقنطاريون صغير ، واسطوخودس ، وكمافيطوس ، وكمادريوس ، من كلٍ ست اواقي . انيسون ، وبطراساليون (الكرفس الصخري وهو البقدونس) ودوقوا ، ورازيانج (الشومار)وسياليوس، وسداب (فيجم) وريحان ، وترودي ، وخردل ابيض ، وحبّ الغار ، وحبّ العرعر ، وفاوانيا (عود الصليب) من كلٍ نصف اوقية . زراوند وجنطيانا ، ومشكطرا مشيع (هو الزوباع) ، واسارون (ناردين برّي نباته يشبه مكانس القصب) ، وفوّ ، من كلٍ نصف اوقية . جوزبوا وقرنفل وزعفران من كلٍ درهم وثلث. دارصيني (هو صنف من خشب القرفة)وجندبيدستر(هو خصى كلب البحر) ، واصطراك من كلٍ ثلاث اواقي. عــل منزوع الرغوة بقدر الكفاية. وهو من تركيب قرنيلوس .

صفة ماء مقطّر قادزهري

يُؤخــذ سالوميا ونعنع ومرزنجوش (مردكوش) وسداب وزوفى وصعتر

وبترونيكا من كل قبضة يُنقع الجميع في ماء اكوليلاردونياديتي ، ثم يُقطّر بالقرعة والانبيق ، او يُوضع في بطن الفرى ١٥ يوماً ، ثم يُصفى. الشربة منه ثلاث اواقي بشراب الليمون او بشراب البنفسج .

صفة سفوف للپالپوس

نشارة العاج وقرن الأيل ولولو ، من كل نصف درهم. عود وصندل وعظم قلب الأيل ، من كل ثلث درهم . رازيانج وكزبره ، من كل درهم . نعنع يابس ولسان الحمل ورعي الحمام وطراغيون ، من كل ثلث درهم . طورمنتيلا وبترونيكا وزرنباد (هو نبات عطري مشهور) . وزهر الرتم اليابس (زهر الرتم،هو زهر اللزّان)من كل نصف درهم. سكّر الورد بقدر الادوية ثلاث مرّات . الشربة منه ملعقتان قبل شرب المطبوخ . وقد يُعمل معجوناً لمن اراد ذلك.

صفة ماء الترياق لرونتليتوس

يُؤخذ ترياق جيّد ٢/١ ورق الحمّاض ثلاث قبضات ، بابونج وغام وجلنار وكردوتباديتي ، من كل اوقيتان . يُخلط بالشراب الابيض ويُقطّر بالقرعة والانبيق. الشربة اوقية تُؤخذ بماء لسان الثور صباحاً .وقد عدّوا من الفادزهرات الجوزبجيني والصاصفراس والسبرنيا،وكذلك خشب البقس وخشب العرعر وخشب السرو وخشب الابهل والعود . وقد اخرجوا القياقو عن هذه الجملة .

وأما الطلاء بالزيبق فقد يُستعمل من داخل شرباً،ومن خارج طلاء وبخوراً.

صفة طلاء للحبّ الافرنجي يُطلى به بعد التنقية التامّة وتعديل المزاج

يُؤخذ زيبق اوقيتان ، كندر ومصتكي من كل واحد اوقية . شحم الخنزير ودهن بابونج ودهن حب الغار من كل واحدٍ اوقيتان ، اصطراك نصف اوقية . يُعمل مرهماً ويُطلى به ، ويُجتنب الهواء البارد وشرب الماء البارد . ويُفعل ذلك مرّات حتى يظهر الاثر .

صفة مرهم آخر

يُؤخذ زيبق ثلاث اواقي ، زيت اربع اواقي ، كندر ومصتكي من كل واحد اوقية ، دياليتا اوقية ونصف ، دهن حب الغار اوقية ونصف. سكبينج اوقية . شمع بقدر الكفاية . يُطلى به تحت الابطين وتحت طي الركبتين

وتحت القدمين وفقرات الظهر . ويجلس العليل في مكان حائد عن الهواء حتى يظهر اثر الدواء ، ويتدارك ما يظهر من اعراض اثره بما يناسب ، كالغرغرة عند سيلان اللعاب والمضمضة بالقابضات والمحلّلات ، ويُمسك الذهب في الفم ليحفظ اللثة من الفساد ويجذب الزيبق اليه ، والحقن النافعة للاسهال والسحج .

صفة بخور لذلك

زنجفر[1] ثلاث اواق ، كندر ومستكي من كل نصف اوقية . يُعمل اقراصاً ويُبخَّر به والحقنة النافعة للسحج والاسهال عند شدَّته ، يجب ان يُغسل بها البدَن بعد ظهور الاثر من الدواء ، بالماء المطبوخ فيه السالويا (القويسة) والكمافيطوس والاسطوخودس والصعتر . وينبغي ان يكون هذا العلاج في الفصلين المعتدلين وفي المزاج القوي. وليتدارك ما يعرض منه حذرَ الزيبق بالمطابيخ والفادزهرات التي تقدَّم ذكرها .

صفة مرهم للتعقُّد العارض في المفاصل والاعضاء من الحَبِّ الافرنجي

يُؤخذ اشق وجاوشير (الجاوشير ، نبات فارسي. ويقال نقلاً عن ابن سينا انه حليب ابن آوى) من كل اوقيتان ، تُحلّ بصاعد الشراب، وشحم الدجاج وشحم الوز ، من كل اوقية ونصف . مخ ساق البقر اوقية، لادن واصطراك (هو صنف من الميعة ومنه صمغ الزيتون) من كل درهمان . سورنجان (عشبة الفنطا[2] ويُقال لها عشبة القلب اذا كانت تُشبه القلب) وايرسا (شرش الزنبق) من كل درهمان . زنبق ستة دراهم، زنجفر درهم ، دهن زنبق وصمغ البطم وشحم بقدر الكفاية .

صفة ماء يُطفىء به البثور التي في البدَن والانف والفم من الحَبّ الافرنجي

يُؤخذ سليماني وشبّ (هو الشبّ المصري الابيض المدوَّر يُجلب من طرابلس)

---

١) منه معدني ، يوجد في معادن الذهب والنحاس ، وهو عزيز الوجود، حتى قال بعضهم انه الكبريت الاحمر المثَّل به في العزّة، ومنه مصنوع وهو المتعارف المتداول الآن، ويُجلب من نواحي السند وارمينية وجزائر البندقية، وكأن صحته في هذه البلدان المذكورة اقوى، واجوده الرزين الاحمر الرمّاني الذي لم تُشمّ منه رائحة الكبريت .

٢) الفنطا المعروفة هي رثيث كلمة calamintha اللاتينية .

من كلٍ اوقية ، يسحقان على رخامة (بلاطة من رخام) ثم يُحلَّلان في ثلاث اواقي من ماء الليمون. ورطل ونصف من ماء لسان الحَمَل (هو السليقة وآذان الجدي) ، وتسع اواقي من ماء الورد . يُطبخ الجميع في تنينة حتى يذهب الحمس ، ويُرفع الى وقت الحاجة .

صفة ماء آخر

يُؤخذ سليماني وشبّ ، من كلٍ درهم٢ ، ماء لسان الحَمَل وماء الورد ، من كلٍ رطل . يُغلى الجميع في تنينة حتى يذهب النصف، ويُستعمل بعد خمسة عشر يوماً من عمله . قال داود الانطاكي : واذا جفّ يُطلى برماد البندق والاسفيداج (هو زنجار الرصاص) والصبر وماء الليمون محلولاً فيه الزنجار .

صفة حب الزيبق النافع للعنب الافرنجي مع وجع المفاصل وتعقدها اذا ازمن وهو مجرّب في ذلك

يُؤخذ راوند وغاريقون ، من كلٍ درهمان ، صبر ثمانية دراهم ، زيبق مقتول بماء الورد ثلاثة دراهم،مرّ ومستكي من كلٍ درهم ، دارصيني وعنبر من كلٍ ثلاثة دراهم . يُسحق ويُخلط ويُعجن بصمغ البطم ويُحبَّب حبوباً وزن حبّات عدد ٨ منبا ، ويُسقى منهُ في الاول ثلث درهم، وفي المرة الثانية نصف درهم .

واذا صُنع للملوك ومن ضاهاهم من ارباب الترفُّه والتنعُّم ، يُضاف اليه درهماً من برادة الذهب ومن ورق الذهب. وهذه الحبوب انما وُضع فيها الراوند والغاريقون لتنقية الاخلاط والبقية الباقية التي في البدَن ، وبعضاً من السقمونيا (هي المحموده وتمد حبالها على الارض ، ويقال لها اسبوس) وشحم الحنظل ، وهو ليس بجيّد لما فيه من الجذب الشديد والتجفيف البالغ . وانت تعلم ان حبوب الزيبق انما تُستعمل بعد تنقية البدَن بالفصد والاسهال . وبعد التنقية لا يُحتاج الى مثل هذه الادوية القوية الاسهال اذا رأيتَ البدن قد تنقّى من المواد ولم يبقَ من حاجة الى المسهل .

صفة حبوب على هذه الصفة

يُؤخذ من اللادن والهيوفسطيدوس من كلٍ درهم ، صبر اوقية ، عنبر ومسك من كلٍ ثلث درهم ، زيبق مغسول بالشراب درهم٢ . يُخلط الجميع

ويُعجن بشراب الورد المسهّل. الشربة ثلث درهم في كل صباح. ويُعلم ظهور اثره (الحبّ الفرنجي) بظهور بثور في الفم ونتن الرائحة او بعض الاسهال .

صفة أُخرى للحبّ الفرنجي ونفوذ المفاصل يُستعمل بعد التنقية الكلية

يُؤخذ زيبق مقتول ١/٢ء الليمون مقتول ١/٢ء السالوبا درهم٦ ، صبر درهم٥ ، راوند در٣ ، سقمونيا در ٢ ، غاريقون در١ ، دارصيني وصندل اصفر ، واصطراك ، وسبرينا ، وبسباسه ، وصاصفراس ، ومسك ، من كلٍ نصف درهم . يُحبّب بشراب الفياقو وقليل من دهن عالك البطم. الشربة من ثلث درهم الى نصف درهم بحسب القوّة والمزاج .

مطبوخ ينفع الحبّ الافرنجي المزمن ووجع المفاصل ونفوذها

يُؤخذ غياقو رطل ، راسن (الزنجبيل الشامي) ، وجاوري وصندل ابيض واصفر واحمر وسنا من كلٍ اوقيتان . سورنجان اوقية ، شحم الحنظل ثلاثة دراهم . يُنقع بالماء الحارّ ويُطبخ بحسب العادة ويُسقى منه بقدر القوّة . وقد يُعمل شراباً بالعسل ، وقد يُطيّب بقطر الدارصيني .

صفة مطبوخ آخر يزيل الحبّ الافرنجي بسرعة ويُخرج الفضلات الرديئة ويجفّف القروح

يُؤخذ غياقو رطل ، قشر الفياقو ثلاث اواقي ، سنامكي وغاريقون اوقية ، صبر ثلاث اواقي . يُطبخ الجميع بستة ارطال من ماء الافسنتين ، وستة ارطال من ماء لسان الثور ، على نار لينة حتى يذهب الربع ويُصفّى. الشربة منه ست اواقي ، وهو علاج قويّ النضج .

صفة دواء للشقاق (التشقّق) العارض في الكفّين والرجلين من الحبّ الافرنجي

يُؤخذ من السليماني ثلاثة دراهم ، شبّ درهم . يُسحق ويُخلط ببياض البيض ويُطلى به الشقوق فانه يُزيلها بسرعة .

صفة بخور مرتّق يجفّف للقروح العتيقة المزمنة الرديئة

يُؤخذ زنجفر اوقية ، اصطراك وجوزبوا من كلٍ ثلاثة دراهم ، جاوى نصف اوقية . يُسحق الجميع ناعماً ويُعجن بصمغ البطم ويُقرّص وزن درهم٢ ،

ويبخّر به فانه يجلب العرق ويجفف . وان اردته لتجفيف القروح الرطبة ، فأضف اليه الكندر والمرّ والجاوشير فيكون ابلغ من ذلك .

وان كانت القروح في الرئة والانف ، فيوضع في هذه الاقراص شيء من الزرنيخ ، وهو قويّ . ووضع المرقشيثا في البخور هو غاية في النفع في تجفيف القروح الباطنة .

صفة سفوف السبرينا

يؤ سبرينا ثلاث اواقي ، سنامكي اوقيتان ، يسحق ويستعمل . الشربة درهم وثلث . . . امن .

صفة سفوف مجرّب

يؤخذ سبرينا ثلاث ار . . ، سنامكي اوقيتان ، افتيمون اوقية ونصف ، دارصيني وزنجبيل وانيسون ، من ك ، درهمان ، سكّر اوقية ، سقمونيا درهمان . يدقّ الجميع ناعماً . الشربة منه من هم الى درهمين بشراب ابيض مفتّر .

﴿ فصل[1] في الاوزان والمكاييل المستعملة في الكتب الطبية وغيرها ﴾

الاهمّ إلا ما اختلف وزنه في قديم الزمان وحديثه . والدرهم التامّ في قديم الزمان ٨ دوانق ، والذي استقرّ عليه الامر (اليوم) ان وزن الدرهم ٦ دوانق و١٢ قيراطاً و٢٤ طسوجاً و٤٨ حبة . والدانق منه ، قيراطان و٤ طسوج و٨ حبات . والقيراط منه طسوجان و٤ حبات . والطسوج منه حبتان . والمراد بالحبة سدس ثمن درهم ، وهو جزء من الثمانية واربعين جزءا من درهم ، لا الحبة التي هي حبة خرنوب . فان ١٦ حبة منها وزن درهم ، بل الحبة التي هي ٤ ارزات ، والارزات حبتان من الخردل البرّي . ووزن الدرهم الناقص ٤ دوانق وكسر ، وهو مشهور في كثير من البلاد .

وأما المثقال فذهب بعضهم الى انه لم يختلف في سالف الزمان ولا حدثه ، وهو من الذهب مثل الدرهم ومثل ثلاثة اسباعه . والدرهم مثل نصف المثقال وخمسه ، لان الذهب اوزن من الفضة ، وكأنهم جرّبوا قدرًا من الفضة ومثله من الذهب فوزنوهما فكان وزن الذهب زائداً على وزن الفضة بمثل ثلاثة اسباعها .

(1) صفحة ٤٥٨ من المخطوط ، وهو الاخير .

وأما اجزاء المثقال فهي ٦ دوانق و٢٠ قيراطاً و٢٤ طسوجاً و٦٠ حبة و٢١٠ حبّة . والدانق ، منه ٣ قراريط و٤ طسوج و١٠ حبّات و٤٠ ارزة . والقيراط منه ، ٣ حبّات و١٢ حبة ارزة . والطسوج منه حبّتان ونصف و١٠ ارزات . هذا هو المشهور . وفي بعض الكنانش (كذا) ما يدلّ على ان المثقال اليوناني غير الذي يُستعمل الآن وهو اقلّ من هذا .

المثقال قيراطان ، وان الدرهم اليوناني غير الذي يُستعمل الآن وهو اقلّ من هذا . الدرهم بمثل سدسه وربعه وينبغي ان يُحقّق حتى تتميّن اوزان المعاجين الكبيرة وسائر النسخ القديمة .

والاوقية بوزن ١٠ دراهم و٥ اسباع الدرهم ويوزن ٧ مثاقيل ونصف . والاوقية المصرية ١٢ درهماً . واستعمال الاوقية في هذا الكتاب بهذا المعنى .

والاستار بوزن الفضة ٦ دراهم و٣ اسباع الدرهم . ويوزن الذهب ٤ مثاقيل ونصف ، والمتفق عليه هو ان الاستار ٤ مثاقيل .

الدرخمي مثقال باليوناني ، وقيل درهم . البندقة درهم وقيل مثقال . الجوزة النبطية مثقال . النواة دانقان . وحبّة خرنوب شعيرة . الترمسي قيراطان . الحمّصة ربع درهم .

المن بوزن الفضة ٢٥٧ درهماً وسبع درهم . ويوزن الذهب ١٨٠ مثقالاً . وبحساب الرطل رطلان . وبالاواقي ٢٤ اوقية . وبالاستار ٤٠ استاراً .

والرطل ١٢ اوقية . وبالاساتير ٢٠ استاراً . وبالمثاقيل ٧٠ مثقالاً . وبالدرهم ١٨٠ و٢٦ درهماً و٤ اسباع درهم . والمن الرومي ٢٠ اوقية . والمن الانطاكي والمصري ١٦ اوقية . فهذه هي الاوزان .

وأما المكاييل ، فالناطل اوقيتان . والدروق قسطان . والقسط ٤ ارطال ، وقسط العسل رطل ونصف . والقفير ٨ مكاييل وهي ٢٥ مناً . والكيلجه رطل ونصف . والقرطولي ٩ اواقي . والسكرجه الكبيرة وتُسمّى الصّدفه ايضاً ٩ اواقي . والسكرجه المطلقه ٦ اساتير و٤ استار . والصغيرة ٣ اواقي . والجرّة المطلقة ٢٤ قسطاً . والجرّة الصغيرة ٤ اقساط . ملعقة العسل ٤ مثاقيل . وملعقة الادوية مثقال .

تمّ تمّ

جاء في ذيل صفحة ٤٥٩ وهي الاخيرة من هذا المخطوط ما يلي بحرفه الواحد :

« كملت كتابتهُ والحمد لله الذي لا ينتهي ابدًا ، وانتهازه عن يـد العبد الفقير سام باسيل (من قرية معراب في جبل لبنـان بلاد كسروان) ختام سنة ١٨٢٨ صح صح صح » .

فوائد

رأينا هذه الفوائد مسطَّرة بخط عربي مختلف عن خط هذا المخطوط الطبي، على الورقة الثانية البيضاء في ابتداء هذا الكتاب ، ولما كانت لا تخلو من فائدة، احببنا ان ننقلها بحرفها الواحد .

الفائدة الاولى: في تفسيخ الصخور بدون واسطة البارود

ان احد المخترعين الافرنسيين أُعطي له امتيازًا في انكلترا ، لانـه وجد طريقةً لتفسيخ الصخور بتوليد الحرارة بغير اطلاق صوت . والمادة التي استعملها لذلك هي مركَّبة من مقدار ١٠٠ كبريت (ربما كان مئة درهم) و١٠٠ ملح بارود و٥٠ نشارة خشب و٥٠ زبل خيل و١٠ ملح العادي. فيُحَلّ الملح العادي وملح البارود بالماء السخن ، ويُضاف الى ذلك اربعة كوارت انكليزي من الدبس ويُحرِّك الجميع جيدًا ليصيروا جبلة واحـدة وييبس على نار لطيفة ، ويكون حينئذ موافقًا للاستعمال . وتُصبّ هذه المادّة المركّبة في الثقب الذي يُنقر اعتياديًا في الصخر لاطلاق البارود ، ويُعطى له الصوفان فيتولّد من هذه العمليّة حرارة عظمى تفسخ الصخر دون ان يتطاير منه شيء . صح .

الفائدة الثانية

مجرقان : هو شرش الناشرة ، اي كرمة البيضاء اي شرش العريشه.

الفائدة الثالثة: صفة مرهم ينفع لجميع الحبوب العتيقة والحديثة

شمع وصابون وشبّه زرقه . يُؤخذ من كل شكل قدر ما يُراد سوية . زفت ثلثين الجميع ، يتذوبوا في غمرهم زيت ويتمرهنوا ، وقوب ما يبردوا يوضع معهم شبّه بيضه مسحوقه قدر جزء من الاجزاء المشروحه .

الفائدة الرابعة : فايدة الى حمّى الربع المثلثة ، رأينا طبيب افرنجي يعالج بها

يُعطى مقيئ ، وثاني يوم مسهل ، وثالث يوم مسهل ، ورابع يوم الدور ، يُعطى لقطع الدور ثلاثة ارباع الدرهم مكرّر ملح كينا موضوعين في قنينة ويوضع فوقهم اربعة دراهم سكر وستّ نقط روح لودنوا، ونصف القنينة عرق ونصفها ما. ، ويشرب منها رابع يوم كما ذكرنا بعد المسهلات وخامس يوم وسادس يوم اكتمال اخذه قبل الدور الثاني بساعة ونصف ، والاخذة تكون في كل اربع ساعات ملعقة فضه ليل ونهار في الثلاث ايام المذكوره . وبعض اشخاص يُزاد لهم يوم السادس اربع اوراق من الدوا. اي ملح الكينا ، كل ورقة ثقل حبّتين قمح ويؤخذوا بدور الثاني وبعده .

الفائدة الخامسة : نسخة حَبّ المثلث وصفته

يُؤخذ صبر ومحموده وابّ حنظل من كل ارقية ونصف . اسحقهم مثل الغبار خصوصاً اللبّ المرقوم. ثمّ اخلطهم جميعاً بقليل من شراب الاسطوخودس[1] واعملهم . ثمّ احفضهم (احفظهم) عندك ولما تريد تستعمل منهم خذ ثقل عشر حبّات قمح طريقين (مرّتين) بالجمعه، قبل طلوع الضوّ ترَ فعلاً عجيباً . يجوز اخذه في شهر نيسان وايار وايلول وتشرين . واذا نام (المريض) بعد اخذه فهو احسن، وبعد اخذه يجوز ان يُعطي سلطانيّة مرق لحم او حمّص احمر .

تنبيه : قد اهملنا اثبات فائدة في شرح اكسير انطون ؟ وكيفية استعماله المسطّرة بين هذه الافادات ، لان الناسخ ذكر فوائد هذا الاكسير باسهاب ، ولم يذكر مواد تركيبه. ولم نعلم مَن هو انطون المختص به عمل هذا الاكسير العجيب حتى نُسب اليه واشتهر به .

---

[1] الاسطوخودس : هو الكُدُون الهندي او هو بزره . له سّقا اي حسك . اوراقه كالصعتر . حبّه حجريّ جبليّ ، واجوده الطيّب الرائحة ، ويُسمّى مكنسة . ومنهم من قال ان الاسطوخودس هو حشيشة النبري .

القديس اغناطيوس ده لويولا (١٤٩١ ـ ١٥٥٦)

ورهبانيته اليسوعية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

في كل انحاء العالم تحتفل الرهبانية اليسوعية هذه السنة احتفالاً عظيماً بمرور اربعمئة سنة على وفاة مؤسسها القديس اغناطيوس ده لويولا ، الذي قد زار مسقط رأسه في شهري آب وتشرين الاول من العام الماضي نحو مئة وخمسين الف زائر.

وايمُ الحق كان من اعظم اولياء الله تعالى بسمو فضائله وبالخير الكبير الذي صنعه الى ملايين البشر، بذاته وبواسطة ربوات اتباعه اليسوعيين، المنتشرين منذ اربعة قرون في اصقاع العالم ، من مشارقه الى مغاربه. العظماء نوعان: منهم من يشبه المذنّب ، الذي يشق عنان السماء بسهم ساطع من ضيائه ، ثم يغيب عن الانظار والقلوب . ومنهم من ضارع الشمس التي لا تزال ، منذ برأها الإله القدير ، تضيء وتُنعش مليارات الناس وسائر الكائنات الحية. ولا مراء في كون مؤسس رهبانيتنا رجلاً عظيماً من هذا النوع الثاني .

كان سليل عائلة شريفة ، وقد وُلد سنة ١٤٩١ في قصر لويولا (Loyola) ، وهي بلدة صغيرة ، واقعة في شمال اسبانية ، في قسم تلك البلاد الذي يسكنه البسكيون ، وهم قوم محراب باسل ، ابلى بلاء حسناً في مقاتلة غُزاته ، وهو يتكلم حتى الآن بلغة مجهولة الاصل ، لا شبه بينها وبين سائر لغات اوربة ؛ وقد ورث اغناطيوس عزمه الفولاذي وعلو نفسه من اجداده النبلاء . سنة ١٥٢١ ، وهو ضابط في جيش نائب ملك نافارة ، دافع في احرج المواقف دفاع الابطال عن قلعة مدينة بمپلونة (Pamplona) التي حاصرها الجنود الفرنسيون ، فأصيب بجرح ثقيل، ونُقل الى قصر اسرته ، حيث تحتم عليه ان يلازم الفراش اشهراً عديدة . في تلك الآونة اشتدت عليه وطأة البطالة والضجر، فطلب من اهله روايات غرامية يسلو بها مضيته الفادحة، واذ لم يجدوا شيئاً منها، اتوه بحياة السيد المسيح وبسير القديسين .

اول وهلة نفر اشد النفور من تلك المطالعة ، لانه كان خاطئاً قد تمرغ الى ذلك الوقت في حمأة المعاصي . بيد ان روحه السامية وعقله الثاقب ما لبثا ان اكتشفا في فضائل مئات القديسين المثل الاعلى للبطولة العُليا التي تكبح على الدوام جماح الذ الشهوات السافلة ، ولا سيما الكبرياء والعهارة ، بل تسحقها سحقاً، فتتحرر من نيرها المُذل وتتمكن من الارتقاء الى ذرى الحب الكامل لله تعالى وللانسان المخلوق على صورته .

قصد اغناطيوس بهمته القعساء ان يحذو حذو القديسين ، فهجر العالم ومجده الزائل وملذاته الباطلة ، واختلى نحو سنة في مغارة ، ببلدة منريسة (Manresa) ، عاكفاً على الصلاة والتأمل والتكفير عن خطاياه بانواع التقشف الهائل . على ذلك الوجه جرى شوطاً رائعاً في طريق الفضيلة الوعر . لكن مؤونته من العلم كانت زهيدة، فرضي بمجالسة التلاميذ الصغار في مدرسة ابتدائية لدرس اللغة اللاتينية، ثم اكبّ على درس الفلسفة واللاهوت في وطنه ، وبعدئذ في كلية باريس من سنة ١٥٢٨ الى ١٥٣٥ . في ذلك المعهد الشهير اختار ستةً من الطلاب المبرّزين مثله في الفضيلة والعلم ، ليؤازروه طول حياتهم على تمجيد الله وتقديس النفوس، ثم انضوى اليهم عشرات من اندادهم ، فنشأت الرهبانية اليسوعية سنة ١٥٤٠ .

القديس اغناطيوس قد ابتكر نوعا جديدًا من الحياة الرهبانية . لم يعيّن لرهبانه ثوباً مختصاً بهم ، واعفى الكهنة من التلاوة الجمهورية للصلوات التي تفرضها الكنيسة عليهم ، لانها تحول دون القيام السريع بانواع الخدم للقريب . اعفاهم ايضاً من الاقامة الدائمة في الدير ، ومن التقشف الشديد ، المانع انضواء آلاف من ذوي الصحة المتوسطة الى رهبانيته . فضلًا عن ذلك لم يحصر سعي اتباعه في نطاق ضيّق من الاعمال ، بل وسّع ميدانه الى الدرجة القصوى ، في كل ما يؤول الى تمجيد الله تعالى وخير البشر . كانت رهبانيتنا حين نشأتها مؤلفة من سبعة اعضاء ، ذوي ثقافة عالية، دينية وعلمية . نفوذ اولئك النوابغ وسمو قداستهم ، ومن جهة اخرى مرونة قوانينهم قد ادّت الى سرعة انتشار رهبانيتهم ، فصار ابناؤها نحو الف ، في كل انحاء العالم، من اليابان الى اميركة الجنوبية حين وفاة مؤسسها سنة ١٥٥٦ ، بعد انقضاء ستة عشر عاماً فقط منذ انشائها . في اواخر السنة الماضية كانوا ٣٢٨٩٩ ، وهو اكبر عدد في رهبانيات

الرجال[1] . لا يجاري الولايات المتحدة قُطر من اقطار العالم في كثرة اليسوعيين، فقد كان منهم فيها ٧٧٥١ العام الماضي .

قلتُ ان مؤسسنا قد وضع قوانين رهبانية مبتكرة ، تضمن لجميع ابنائه ادراك اوج الكمال في خدمة الله والبشر ، ومن اوضح البراهين على عبقريته انه لم يحدث ، بعد اختبار اربعمئة سنة ، ادنى تغير جوهري في تلك القوانين التي عليها طابع حكمة الهية محضة—وقد اقتبس زبدتها عشرات من الرهبانيات الحديثة — وأن كل اليسوعيين الدائبين على التقيد بها قد بلغوا ذروة الكمال . حان لي ان اقدم للقراء حفنة من كثيب مآثرهم في اكبر ميادين سعيهم، معتذراً عن كون الموضوع يضطرني الى تعظيمهم ، وراجياً ان ينسبوا جميع تلك المحامد الى الله — عز وجل — لانه مصدرها الوحيد .

الغاية الاولى التي رمى اليها مؤسسنا الغيور، هي ان يكون ابناؤه قديسين، وقد تم ذلك بدرجات متباينة في كثير منهم، واصبحت رهبانيته حديقة غناء، مزدانة بأجمل زهور القداسة الرائعة التنوع. سنة ١٩٥٤ كانت قد انجبت رهبانيتنا، عنه تعالى ، من ابطال الفضيلة الذين حققت مآثرهم السامية والمعجزات التي صنعوها بعد موتهم ادق التحقيق ، سبعة وعشرين قديساً و١٣٩ طوباوياً . ما عدا اولياء الله اولئك الذين يسوغ ان نسميهم رسميين، قد امتاز عندنا بالقداسة آلاف مؤلفة غيرهم ، وقد نُشر ملخص سِيَر نحو عشرة آلاف منهم في عدة مجلدات ضخمة .

اما عدد شهدائنا الذين سفكوا طوعاً دماءهم النقية ، في سبيل السيد المسيح ، فهم نحو الف .

من الواضح ان في مقدمة الاشغال المفروضة على رهباننا تقديس النفوس . وقد دل الاحصاء — وهو ناقص جداً لاستحالة اجرائه في ثمانية بلاد شيوعية — ان في سنة ١٩٥٤ قد القى اليسوعيون التعليم المسيحي ٦١٨٠٠٠ مرة ، فضلاً عن ٥٦٤٠٠٠ موعظة ونحو ١٩٥٠٠ رياضة ، وكل رياضة سلسلة عظات تدوم من ثلاثة ايام الى شهر، وفقاً للظروف ، وقد حضر تلك الرياضات ٩٦٩٠٠٠ شخص

١) من اولئك اليسوعيين ١٦٥٢١ كاهناً و١٠٧٦١ شخصاً مستعداً للكهنوت و٥٦٣٧ اخاً قائماً بالاشغال اليدوية .

ونيف . رهباننا لا يكتفون بالقاء المواعظ في الكنائس والاديار والمدارس ، بل حيثما تسنى لهم القاؤها ، حتى في السجون . الاسبانيون منهم قد اعتادوا ان يعظوا ستة ايام متوالية في المعامل والمناجم ، وقد سمع مواعظهم ، سنة ١٩٥٠ ، ٢٧٠٠٠ عامل ونيف ، في ٥٦ معملًا .

لنا ايضاً في انحاء العالم ، عدد كبير من معاهد مختصة بالرياضات الاختلائية ، يقضي فيها من ثلاثة ايام الى شهر ، في الصمت الكامل جماهير متتابعة من الكاثوليك ، لسمع المواعظ والتأمل في مواضيعها . كان لنا سنة ١٩٣٧ مئة واربعة من تلك المعاهد ، وقد ارتاض فيها عامئذ ٦٨٠٠٠٠ شخص ونيف .

اليسوعيون اينما كانوا ، دائبون على توزيع الاسرار المقدسة . سنة ١٩٥٤ عمدوا ٢٠٢،٤٣٧ شخصاً ، واعدّوا لاول تناول ١٢٢،٣٨٤ ، وكان عدد المناولات في كنائسهم ٥٩،٨٩٣،٠٠٠ .

في السنة ذاتها كان من اجمل آثار خدمهم للنفوس اهتداء ٣٦،٥٠٦ اشخاص بالغين .

اراد مؤسسنا ان تكون الفضيلة والعلم في رهبانيته توأمين متلازمين ؛ ولا بدع بذلك ، فان العلم يزيد سطوع الفضيلة وتوق الناس الى الاقتداء بها ، وهو ايضاً في مقدمة العوامل للترقي الادبي والمادي . لذلك قد فرض القديس اغناطيوس على جميع ابنائه المستعدين للكهنوت تسعة اعوام دراسة عالية ، منها اثنان للغات والآداب ، وثلاثة للفلسفة واربعة للاهوت . علاوةً على تلك الثقافة العامة ، يسهّل على ذوي المواهب الخاصة منهم التعمق والنبوغ في جميع فروع العلوم والآداب والفنون الجميلة ، ويُثير همتهم على التأليف المبتكر فيها . قد نزل اليسوعيون عند رغبته منذ نشأتهم الى ايامنا ، فكانوا ينشرون ، سنة ١٩٤٠ ، ٦٨٥ مجلة دينية او علمية او ادبية .

فضلًا عن ذلك قد وضع رهباننا آلاف الكتب في كل انواع العلوم الدينية وغيرها ، وفي ضروب الآداب نثرًا وشعرًا ، بل في الفنون الجميلة . الاب شرل زومرفوكل (Sommervogel) اليسوعي قد نشر ، بين سنتي ١٨٩١ و ١٩٠٠ ، تسعة مجلدات كبيرة الحجم ، حاوية اسماء احد عشر الف كاتب يسوعي ، وذكر مصنفات كل منهم . منذ سنة ١٩٠٠ قد ظهرت عدة كتب لتكملة جدول الاب المشار اليه .

اما كبار العلماء والادباء والفنانين ، فانهم يحصون عندنا بالمئات ، فاكتفي بذكر عدد قليل منهم .

من نوابغ علم الرياضيات الاب البلجيكي غريغوريوس للقديس منصور (١٦٦٧†) ، وله اكتشافات خطيرة في ذلك العلم ، وهو من مؤسسي الهندسة التحليلية (Géométrie analytique) .

الفلكيون العظماء كثيرون ؛ هاكم شيئاً يسيراً من مآثرهم .

الاب كريستوف شينر (Scheiner) († ١٦٥٠) قد اكتشف راثبت وظيفة شبكية العين الضرورية للبصر . هو من مؤسسي علم فيزياء الشمس ومكتشف كلفها ، اي ما يغشاها من البُقَع السوداء ، واول مفسّر لسببها ، هو مخترع الهليوسكوب (Hélioscope) ، يعني المنظار ذا زجاج مسودّ او ملوّن لرصد الشمس . قد اخترع ايضاً البنتكراف (Pantographe) ، وهو آلة تنقل كل الرسوم على وجه ميكانيكي.

الاب حنا رتشولي (Riccioli) († ١٦٧١) الايطالي كان اول المتنبّين عن اسباب البُقَع القمرية .

الاب تسوكي (Zucchi) هو مخترع المرقب ذي مرآة .

الاب فرنسيس گريلدي (Grimaldi) († ١٦٦٣) الايطالي قد اشتهر بابحاثه عن القمر وباكتشافه انحراف (diffraction) النور .

الاب شرل بَرَوون (Braun) لم يُجاره مُجارٍ في تحديد وزن الكرة الارضية على ادق اسلوب .

الاب تسوپي (Zupi) قد اكتشف ادوار السيارة عُطارد .

الاب نقولا سارابا (Sarrabat) (†١٧٣٧) الفرنسي مكتشف اول مذنّب مرقبي ، يعني اول مذنب لا يُرى بالعين المجردة بل بالمرقب وقد اخترع عدة آلات ميكانيكية .

الاب كريستيان ماير (Mayer) († ١٧٨٣) ، مكتشف النجوم المزدوجة . النجمتان المزدوجتان هما اللتان تدوران حول مركز ثقلها المشترك .

الاب كريستوف (Clavius) († ١٦١٢) الالماني قد ساعد البابا غريغوريوس الثالث عشر على اصطلاح حساب السنين .

الاب انجلو سيكي (Angelo Secchi) († ١٨٧٨) الايطالي مشهور بمؤلفاته على

تركيب الشمس ، وكان اعظم الاختصاصيين المعاصرين في تحليل طيفها ، وقد اخترع المتيوروگراف (météorographe) ، وهو الجهاز المسجّل تغيّر الاحوال الجوية.

الاب غليوم ستَيْن (Stein) († ١٩٥١) الهولندي ، كان مدير مرصد الفاتيكان الفلكي ، وقد اشتغل ثلاثين عاماً ، بمساعدة فريق من اشهر الفلكيين ، لتأليف جدول النجوم في احد عشر مجلدًا. ذلك الجدول يحتوي الصور الشمسية وتعيين الاقيسة والحركات لاكثر من ٥٥٥،٠٠٠ نجمة ، وقد عده العلماء كتاباً اساسياً في علم النجوم .

حول سنة ١٩٥٠ اكتشف فلكيان يسوعيان يشتغلان في مرصد الفاتيكان مذنَباً ، فسُمّي باسميهما مذنب لكلير وميلر (Leclaire-Miller) ، واكتشف الاخ تيمرس (Timmers) اليسوعي من ذلك المرصد مذنباً آخر ، فوُسم باسمه .

من اعظم خدمنا للعلم ان لنا عددًا كبيرًا من مراصد الاحوال الفلكية والجوية ، في انحاء العالم . من اشهرها اثنان في مانيلية وفي مدينة زيكاوه (Zikawe) الصينية ، وهما يحددان وقت هبوب الاعاصير التي فيها خطر شديد على الملاحة في المحيطين الهادى، والهندي ، ويعينان ايضاً وجهتها ودرجة شدتها . قد عرّف مرصد زيكاوه حدوث الف إعصار ونيّف ، فخلّص مئات آلاف البشر من شرورها . يجدُر في هذا المقام ذكر مرصدنا في كساره بلبنان .

الاب شرل پراسون (Poisson) ، مدير مرصد تاناناريف في جزيرة مدغسكر ، قد نال حول سنة ١٩٣١ من محفل العلوم المختصة بالمستعمرات ، في باريس ، مكافأة على كتابه في شأن المعرفة السابقة للاعاصير الحادثة في النصف الجنوبي من الكرة الارضية .

الاب راميرس (Ramirez) اكتشف طريقة لمعرفة مركز العواصف البحرية ، فوقى الملاحة من اخطار هائلة ، وقد جنى اسطول الولايات المتحدة اجلّ الفوائد من ذلك الاكتشاف في الحرب العالمية الثانية .

الاب يعقوب ماسلوان قد انتُخب حول سنة ١٩٢٨ مديرًا لجمعية مراصد الزلازل ، التي كان لها عامئذٍ في الولايات المتحدة مئة واثنان وثلاثون من تلك المراصد .

الاب اونوره فبري (Fabri) († ١٦٨٨) الفرنسي قد اكتشف دوران الدم في الجسم.

الاب يوسف إكهل (Eckhel) (+ ١٧٩٢) النمسي هو مؤسس علم المسكوكات القديمة على اساس علمي .

الاب تيار ده شردان (Teilhard de Chardin) (+ ١٩٥٥) من اعظم العلماء في الجيولوجية وعلم اصل الانسان . كان من اعضاء محفل العلوم الباريسي ، وقد فاز بجائزة من اكبر جوائزه مكافأةً لاكتشافاته الخطيرة إبان الحفريات التي قام بها في الشرق الاقصى .

الاب ... س يوهنس (Johanns) (+ ١٩٥٥) البلجيكي قد اشتهر بتعمقه في درس الفلسفة ... الّف ستة كتب عليها . في شرخ شبابه ، حين فحص اساتذة جامعة كمبردج (Cambridge) ... صنّف له في الفلسفة ، أعجبوا بعبقريته اشد الاعجاب ، فصرحوا بان نابغة مثله لا يظهر ... واحدة في كل عصر .

امّا مآثر اليسوعيين في ميدان اللغات ، فقد نوّه بها اللغويون مرارًا . رهباننا قد مهّدوا الطريق لدرس اللغة السنسكريتية ، وهي من اقدم لغات الهند ، ولهم قصب السبق في معرفة اللغة الصينية ، وقد ألفوا اول القواميس وكتب القواعد لعدد كبير من ألسن القبائل المتوحشة .

هاكم الآن اسماء نوابغ آخرين من رهباننا في علوم غير المذكورة .

الاب سبستيانس رنزفال (Ronzevalle) (+ ١٩٣٧) قد منحته الحكومة اللبنانية وسام الاستحقاق ذا السعف ، اقرارًا بخدمه الجليلة لعلم الآثار الشرقية .

الاب هنري لامنس (Lammens) (+ ١٩٣٧) البلجيكي قد ذاعت شهرته في الخافقين بمؤلفاته الرائعة على نشأة الدين الاسلامي وتاريخه .

الاب إريش ڤسمان (Erich Wasmann) (+ ١٩٣١) الالماني كان من اشهر نوابغ العالم في علمي النمل وغرائز الحيوانات .

الاب توت (Toth) المجري قد فاز حول سنة ١٩٢٩ بوسام من حكومة بلاده ، تعظيماً لكتابه على معادن المجر ، وقد حظي بإعجاب العلماء الاختصاصيين .

الاب يعقوب مركت (Marquette) (+ ١٦٧٥) الفرنسي قد اكتشف في الولايات المتحدة ، نهر ميسيسيبي (Mississipi) الذي طوله ٤٦٢٠ كيلومترًا .

الاب بائث (Paez) كان اول الباحثين عن منبع النيل .

الاب مرتيني (Martini) (+ ١٦٦١) ورفقاؤه قد رسموا ادق مخطط في جيلهم

لبلاد الصين ، وقد صرح الاختصاصيون بانه من اجلّ المآثر في علم الجغرافية.

الاب فرنسيس لانا (Lana) (✝ ١٦٨٧) الايطالي قد اخترع اول منطاد .

اليسوعيون قد اكتشفوا فائدة الكينا لعلاج الحمى ، ومن ثمّ قد سُميت ، في اول عهد استعمالها ، مسحوق اليسوعيين . وقد وسّعوا نطاق علم النبات باكتشافهم عددًا كبيرًا من النباتات .

الاب اثناسيوس كِرشر (Kircher) (✝ ١٦٨٠) قداخترع المرآة المُحرقة والفانوس السحري والأرغن الرياضي .

الاب دشڤرنس (Dechevrens) معاصرنا الفرنسي اخترع آلة ترسم بتغيير موضع اجزائها ، آلافًا من ابدع الرسوم ، التي يعيا امهر الرسّامين عن تصور اكثرها.

امّا ادباؤنا المشاهير فانهم يفوقون علماءنا بعددهم ، وقد اضافوا الى كنوز الآداب اللاتينية واليونانية وعشرات من اشهر اللغات الحية جواهر نثرهم وفرائد شعرهم . لا يسعني ان احدثكم عنهم مليًا، فاجتزئ بذكر بعض الراحلين الذين خلدوا اعمالهم الجيدة في تاريخ لغة الضاد وآدابها ، واكثرهم من معاصرينا .

الاب لويس شيخو (✝ ١٩٢٧) اسّس مجلة المشرق سنة ١٨٩٨ ، وحرر معظم مقالاتها ، واصدر منها مدة ربع قرن خمسة وعشرين مجلدًا ، يحتوي كلّ منها نحو الف صفحة كبيرة . له فضلًا عن ذلك ، عشرات المؤلفات النفيسة ، ومن اشهرها « مجاني الادب في حدائق العرب » في ستة اجزاء ، طُبع بعضها ثلاثين طبعة ، وقد اضاف اليها ثلاثة كتب حاوية الشرح اللازم لقطعها ومعلومات كثيرة على مؤلفيها . من اجلّ مصنفاته ايضًا «علم الادب في الانشاء والعروض والخطابة » ، « فقه اللغة » ، « النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية» ، « شعراء النصرانية قبل الاسلام وبعده» ، « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » .

هو الذي انشأ القسم الشرقي من مكتبة كليتنا في بيروت ، وقد زار اكبر مكاتب اوربة ، وعانى مشاق اسفار بعيدة حتى الهند ، ليقتني او ينسخ انفس الكتب والمخطوطات. قد منحته حكومة لبنان وسامًا قالت في وثيقة اهدائه : « قد خدم الاب شيخو لبنان خصوصًا وبلاد المشرق عمومًا، بما نشره من التآليف عن تاريخها وآثارها وعلومها، حتى بلغت مطبوعاته مئة وعشرين مجلدًا ،فاستحق شكر لبنان » .

الاب لويس معلوف (✝ ١٩٤٦) ادار جريدتنا البيروتية البشير ثلاثين سنة. قد ذاعت شهرته في العالم العربي وبين المستشرقين بتأليفه «المنجد»، وهو القاموس العربي المصور، المحتوي على صغر حجمه، زبدة مواد اشهر المعاجم. صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٠٨، ثم اضاف اليه المؤلف نحو ٣٥٠ صفحة في الطبعة الخامسة، وقد بلغ عدد النسخ المطبوعة منه حتى الآن مئة وخمسة وعشرين الفاً.

الاب انطون صالحاني (✝ ١٩٤١) قد نشر بمساعدة المستشرق الشهير اغسطس هفنر (Hafner)، كتاب تهذيب بين دفتيه مخطوطات نفيسة لاربعة من ائمة اللغويين العرب، ولم يكن احد قد عُني قبله بطبعها. قد خدم المدارس اجلّ خدمة بطبعه «روايات الاغاني» في جزئين، اقتبس موادها من كتاب الاغاني الذائع الصيت، لابي الفرج الاصبهاني، وقد ظهرت طبعتها الثالثة سنة ١٩٣٦. اما اشهر كتبه فهو ديوان الاخطل، شاعر بني أمية المسيحي، وقد نشره سنة ١٨٩١.

الاب خليل إده (✝ ١٩٤٢) كان اخا اميل ده رئيس الجمهورية اللبنانية. قد الّف عدة روايات تمثيلية، ومن اشهرها السموأل. له ايضاً كتاب «القواعد الجلية في علم العربية» في ثلاثة اجزاء، وهو يمتاز بشدة الوضوح وحسن التنسيق.

الاب دونا فرنيه (Donat Vernier) (✝ ١٩١٧) الفرنسي قد الّف بالفرنسية كتابين ضخمين، يحتويان نحو الفي صفحة، على قواعد العربية، فضمّن ذلك المؤلّف، الذي هو نسيج وحده بين امثاله، ادق ما ذكره، حتى من شوارد لغتنا الكثيرة، اشهر النحاة القدماء واخلافهم، ورتّب مئات مواد الصرف والنحو والعروض ترتيباً رائعاً، فلم يترك زيادة لمستزيد. وقد صنّف ايضاً عدة كتب عربية بلغة ائمة ادبائنا الاقدمين، مما يعجز عنه اعلى كتابنا المعاصرين كعباً.

الاب حنا بلو Belot (✝ ١٩٠٤) الفرنسي قد بذل قصاراه عشرات الاعوام، لتأليف اجود القواميس للغتين الفرنسية والعربية معاً. قاموسه العربي الفرنسي الكبير قد طُبع ست عشرة طبعة؛ اما الصغير فخمس عشرة طبعة، بلغ مجموع نُسخها مئة الف. قاموسه الفرنسي العربي الكبير قد صدرت طبعته الثالثة سنة ١٩٥٣؛ اما الصغير فقد أُعيد طبعه ثلاثاً وعشرين مرة. وقد انتشرت كل هذه المعاجم بين ابناء الضاد وآلاف المستشرقين في جميع انحاء العالم.

فضلاً عن كبار علمائنا وادبائنا الذين يُحصون بالآلاف ، قد نبغ كثير منا في الفنون الجميلة ، ومن جملتهم بين المعاصرين الاخ بسكو (Besqueut) النحات الفرنسي الشهير ، ومواطنه الاب يوسف كيرمان (Guillermin) صاحب المؤلفات الموسيقية الفاتنة .

اراد ابونا القديس اغناطيوس ان نحشد كنوز القداسة والعلم لكي نُغني بها الناس . والحال ان خير واسطة لارساخ الفضيلة في النفوس ، بحيث تقوى على مقاومة وساوس الشيطان وعواصف الشهوات ، هي تهذيب الانسان منذ طفولته ، على اساس الدين الوطيد . من ثَمّ وجب على اليسوعيين ، بُعيد نشأتهم ، فتح مدارس عديدة في انحاء العالم . طريقتنا في تهذيب التلاميذ ليست مدعومة على المراقبة الشديدة وانواع القصاص العنيف ، بل على تعريف الواجبات ، وحث الارادة على تتميمها اكراماً لله تعالى ، مع التدريج في اطلاق حرية معتدلة للطُلاب ، بنسبة نمو قواهم الروحية والجسدية . امّا اسلوب تعليمنا ، فهو يرمي الى تثقيف كل قوى النفس ، اعني العقل والارادة والشعور والمخيلة والذاكرة ، في آن واحد ، وفقاً لسن التلاميذ ومقدرتهم . فلا بد ان يكون اساسه تدريس اللغات ولا سيما الآداب التي تتعاون على صوغ جواهرها جميعُ قوى النفس . بخلاف ذلك ، توسّع العلوم ، كالرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها ، نطاق العقل ، وليس لها تأثير يُذكر في الارادة والشعور والمخيلة ، فمن الصواب ان نعدّ تدريسها تتمة ضرورية للتثقيف الكامل ، لا اساساً له .

قد اتضح ، بعد اختبار اربعمئة سنة ، ان طريقة تهذيبنا التلاميذ وتعليمهم هي المثلى ، وقد شهد على ذلك آلاف الشهود الثقات غير الكاثوليك .

قال الاستاذ كورنر (Körner) البروتستاني في كتابه على تاريخ فن التثقيف ، ان طريقتنا العلمية قد نشأت مع مدارسنا الاولى .

حين زار حُسين كامل ، سلطان مصر ، مدرستنا الثانوية في القاهرة سنة ١٩١٦ ، قال لرئيسها : « هذه زيارتي الاولى لمدرستكم ، لكني اعرفها بواسطة الرجال الذين انجبتهم ، وانا مُعجب بطريقة تعليمها الحاوية التهذيب الخُلقي والتثقيف العقلي .

خلفه الملك فؤاد الاول ، قصد ترقية التهذيب في مدارس الحكومة التي

انشأها ، فقرأ نظام مدرستنا السابق ذكرها ، وقال الشخص من بطانته تخرج فيها : « أوضح لي كيف استطاع الاساتذة اليسوعيون ان يدركوا، في التهذيب والتعليم ، ذلك المثل الاعلى الذي عجزتُ ، مع بذل كل جهدي ، عن ادراكه في مدارسنا » .

هاكم الآن بعض التفاصيل العامة والخاصة على مدارسنا :

سنة ١٩٤٠ كان ٣٥٠٠ يسوعي مشغولين، في غير بلاد الرسالات ، بتدريس نحو ١١٠،٠٠٠ تلميذ ، في خمس عشرة كلية و٤٢١ مدرسة ثانوية . في اوائل سنة ١٩٤٨ كان عدد تلاميذنا ، في كل اصقاع العالم ، نحوَ ثمانمئة واربعين الفاً.

مدرستنا الثانوية في بغداد، التي انشأها سنة ١٩٣٢ فريق من يسوعيي الولايات المتحدة ، ليس فيها صفوف للتعليم الابتدائي . مع ذلك قد ضمت هذه السنة سبعمئة تلميذ ونيفاً ، ونحو ٣٥ في المئة منهم اولاد اعيان مسلمين. قد بلغ ذلك المعهد من النجاح الكامل في التهذيب والتعليم مبلغاً جعل حكومة العراق تهدي لرهبانه ، في طرف العاصمة ، ارضاً مساحتها خمسمئة الف متر مربع ، بشرط ان يؤسسوا عليها جامعة تؤازر جامعة الدولة في نشر العلوم العالية. من جهة اخرى جادت عليهم حكومة الولايات المتحدة بمئة وعشرة آلاف دولار ، لتحقيق ذلك المشروع الخطير .

الجمعية الكاثوليكية للمدارس المصرية، التي انشأها سنة ١٩٤٠ الاب هنري عيروط المصري، تُدير في جميع انحاء مصر مئة وخمساً وعشرين مدرسة ابتدائية مجانية ، وقد انفقت الجمعية على هذه المعاهد ١٨،٠٠٠ ليرة مصرية ونيفاً سنة ١٩٥٤ ، لا تكتفي بتعليم نحو احد عشر الف ولد فقير وتهذيبهم ، بل توزع عليهم الثياب اللازمة ، وتعنى بصحتهم وبعلاج امراضهم .

تكملةً لعملنا التهذيبي والتعليمي في المدارس الابتدائية والثانوية ، قد انشأنا في اصقاع المعمور جامعات عديدة ، ليخرج منها رجال الغد مزوّدين وافرة من الفضيلة الراسخة والعلم الواسع، تمكّنهم من القيام بأجلّ الخدم للدين والوطن. دونكم جدول بعض تلك المعاهد التي اسسناها :

حول سنة ١٩٥٠ كان لجامعتنا في لوڤان (Louvain) من مُدن بلجيكية ٧،٥٠٠ طالب بلجيكي والف اجنبي و٦٠٠ طالبة .

لنا في الولايات المتحدة ست جامعات تضم ٤٤٬٠٠٠ تلميذًا ونيفاً . عــدد اساتذتها يفوق اربعة آلاف ، ومنهم نحو ٥٤٠ يسوعياً .

في مكسيكو عاصمة المكسيك انشأنا جامعة سنة ١٩٥٣ .

في البرازيل لنا جامعتان في ريو ده جانيرو ورسيفه (Recife) .

في بوكوتة عاصمة كولمبية لنا جامعة تضم الفي طالب ونيفاً،ولهم ثلاثمئة معلم.

في الهند كان لنا سنة ١٩٥٠ ، ثلاث وعشرون من المدارس العليا ، وفيها عامئذ ٢٩٬٥٠٠ تلميذ .

كان لنا في الصين ، قبل نشأة الحكومة الشيوعية ، جامعتان احداهما في شانغهاي والاخرى في تيان تسين (Tien Tsin)،وفي كل منها زهاء ١٬٢٠٠ تلميذ.

لجامعتنا في توكيو نحو ١٬٦٠٠ طالب ، منهم زهـاء ٥٠٠ كاثوليكي ، واكثر البقية وثنيون .

لجامعتنا في بيروت الفروع التالية : اللاهوت ، الفلسفة ، الحقوق ، العلوم السياسية ، الهندسة ، الطب العام ، طب الاسنان ، فن التوليد، فن التمريض، العلوم الشرقية. تضم ١٥٨٠ طالباً و١٦٩ استاذاً.

لم تكتف بتدريس اللغات والآداب والعلوم ، بل انشأنا في انحـاء العالم مدارس اخرى عديدة ، غايتها الخاصة تأمين كسب المعاش بالشغل اليدوي. من اهمها مدارس الصناعات الصغرى ، التي عددها في اسبانية ثلاثون ، وهي تضم نحو ٦٬٥٠٠ تلميذ ، وكذلك مدرسة الطيران التي فتحها سنة ١٩٢٧ الاب بركس Parks في الولايات المتحدة ، وقد تلقت في اربعة الاعوام السابقة سنة ١٩٤٩ اربعة وعشرين الف طيار .

من جهة اخرى قد اسسنا عدة رهبانيات نسائية لتهذيب البنات،فاشربناها روحنا ودرّبناهـا على اساليبنا . نخص بالذكر منها رهبانية قلبي يسوع ومريم الاقدسين،التي وضع اساسها في لبنان الابوان إستاف (Esteve) الفرنسي وريكادونا (Riccadonna) الايطالي سنة ١٨٥٣ . هي اول رهبانية معلمات في بلاد الارز ، واكبر الرهبانيات النسائية في الشرق العربي ، فان عدد اعضائها يناهز خمسمئة في ايامنا . كانت غاية تأسيسها تهذيب البنات الفقيرات مجاناً، فانتشرت بسرعة غريبة في انحاء لبنان وسورية،حيث فتحت في قرن واحد اربعاً وستين مدرسة ،

كانت تضم سنة ١٩٥٢ نحو ١٠،٧٠٠ من التلاميذ الصغار والتلميذات ، ومنهم زها. ٦،٣٥٠ مجانيون . فضلاً عن التعليم تقوم اولئك الراهبات بخدمة عدة مستشفيات وغيرها من المشروعات الاجتماعية والخيرية .

اكثر المهاجرين يغادرون اوطانهم واقاربهم طمعاً بالاصفر الرنّان، فلا تُخمد همتهم مشاق الاسفار الطويلة براً وبحراً ، واخطارها العديدة، ولا مرارة الغربة، ولا درس لغات جديدة ، والتخلق بأخلاق شعوب اجنبية ، ولو متوحشة . بيد ان المرسلين الكاثوليك يقبلون طوعاً كل تلك التضحيات ، ليوزعوا بسخاء حاتمي كنوز فضـ ... ـلهم واموالهم على افقر الاقوام بالخيرات الدينية والعقلية والمادية. فلا بدع بكون مؤسـ... "الغ اقصى درجات الكمال في حب البشر ، قد بعث عدداً كبيراً من ابنائه ، بصفة مرسلين ، الى ابعد اقطار العالم ، مع فرط طول الاسفار وشدة اخطارها في القرن السادس عشر . قُبيل موته كانت رهبانيتنا مؤلفة من ثمانية اقاليم فقط ، ومع ذلك كان ثلاثة منها في البرازيل والهند واليابان . ماازال عدد اليسوعيين يزيد في اربعة العصور الاخيرة، فتكاثر المرسلون منهم بنسبة هذه الزيادة .

سنة ١٩٥٤ كان لنا ٥،٥٦٣ مرسل، وهو اكبر عدد في الرهبانيات الرجالية. اولئك الرهبان يخدمون ٥٦ رسالة ، منها تسع وعشرون في آسية ، سبع عشرة في اميركة ، تسع في افريقية ، وواحدة في اوقيانية .

في رأس سنة ١٩٢٧ كان لنا ، في بلاد الرسالات ٣،٧٢٩ مدرسة ابتدائية، فيها ١٨٠،٠٠٠ تلميذ ونيّف ، و٨١ مدرسة صناعية ، فيها ٣،٧٠٠ تلميذ ونيّف، و٣٣٥ مدرسة ثانوية تضم ٥٣،٠٠٠ طالباً ونيفاً ، وعشر كليات تثقف ٤،١٠٠ طالباً ونيفاً . كل ذلك برضٌ من عِد ، فقد نُشرت مئات الكتب على حياة المرسلين اليسوعيين واعمالهم، على كل حال يليق هنا ذكر شيء يسير من مآثرهم.

في رسالة باراكواي (Paraguay) في اميركة الجنوبية ، قد بلغ مرسلونا في القرن السابع عشر من النجاح الفائق في تمدين اهاليها المتوحشين ، وتنظيم جميع شؤونهم ، ما قضى منه العجب اقطاب السياسيين ونوابغ العلوم الاجتماعية .

سنة ١٩٥٤ أُقيم الاحتفال بالمئوية الرابعة لتأسيس مدينة سان باولو في البرازيل. فنصبت الحكومة في افسح ميادين هذه البلدة تمثالاً جباراً للاب يوسف ده

انكيات (de Anchieta) (✝ ١٥٩٧) ناشر التمدن في تلك البلاد. على احد جوانب قاعدة التمثال نحتٌ يمثله مصالحاً للقبائل المتعادية .

سنة ١٩٠٥ اقيمت في مدينة امباتو (Ambato) ، في جمهورية إكوادور، حفلات باهرة ، تصدرها رئيس الجمهورية ، تذكاراً لمرور مئتي عام على تأسيس الاب موجيري (Maugeri) الايطالي، في تلك البلدة، المطبعة الاولى من مطابع ذلك القُطر .

بعد ما بقيت قبائل اوريكون (Oregon) المتوحشة ، الساكنة في الولايات المتحدة ، خمسة عشر عاماً تحت رعاية المرسلين اليسوعيين ، زارهـا موظفو الحكومة سنة ١٨٥١، فعظّموا في تقاريرهم الرسمية تقدمها غير المنتظر في الفضيلة والاجتهاد ، وترقيها المدهش في الزراعة .

الاب يوسف كاتلدو (Cataldo) كان في مقدمة الساعين لتصالح الهنود المتوحشين مع البيض ، في غرب الولايات المتحدة ، وهو من مؤسسي مدينة سپوكين (Spokane) وقد انشأ فيها جامعة .

في اثناء الحرب الناشبة بين الصين واليابان سنة ١٩٣٧ رأى الآب ده بزنج (de Bésange) الجيشين المتحاربين يهدمان المدُن ، والجنود اليابانيين يقتلون الشيوخ والنساء والاطفال ، فحصل بعد جهود جبّارة، على وعد الجيشين بعدم الحاق ادنى ضرر بمنطقة واقعة في جنوب مدينة شان هاي، فتكون مأوى اميناً لغير المحاربين من اهل الصين . وقد بلغ عدد اللاجئين اليها ثلاثمئة الف، ومن العجب العجاب ان اليسوعي المذكور قد استطاع ، بمؤازرة المحسنين ، ايواء اولئك التعساء وتغذيتهم .

الاب قسطنطين ليفنس (✝ ١٨٩٣) البلجيكي كان في الهند مواظباً على المدافعة الجريئة عن حقوق الفقراء ، حتى في المحاكم .

في عدة اقطار من افريقية واميركة كانت لمرسلينا حصة خطيرة في محاربة النخاسة .

من احدث رسالاتنا رسالة ديامنتينو (Diamantino) في البرازيل، التي يسكنها بضعة آلاف من الهنود المتوحشين. قد انشأناها سنة ١٩٣٠ ، وفتحنا فيها اربع مدارس ابتدائية ، حديقة اطفال، ثلاث مدارس لتعليم الاشغال البيتية ، مدرسة زراعة ، مستشفى ، ثلاثة مستوصفات وملجأين للفقراء المسنّين . منذ تأسيس

تلك الرسالة ، قد خطا اهاليها خطوة كبيرة في سبيل التمدن ، وكثرت غلات اراضيهم البالغة مساحتها نحو ثلاثة الف كيلو متر مربع .

لا يُعنى اليسوعيون في بلادهم وفي الرسالات بتقديس النفوس وتثقيف العقول فقط ، بل يتذرعون ايضاً بكل الوسائط ، لتحسين احوال المجتمع المادية ، على الاخص في خدمة العُمال والمرضى وذوي العاهات ؛ فلا مندوحة عن ايراد بعض الامثلة الجديدة على مساعيهم في هذا الميدان ، علاوةً على ما سبق ذكره .

مؤسسة العمل الشعبي — واسمها الفرنسي (Action Populaire) — قد انشأها في فرنسة الاب هنري لروا (Leroy) سنة ١٩٠٣ ، وهي من اعظم مؤسسات العالم الباذلة اقصى الجهد لتحسين احوال الناس الاجتماعية والاقتصادية ، ولا سيما احوال الشعب العامل . لا تزال تجمع الوثائق والمطبوعات المختصة بغايتها ، وتنظّم المحاضرات والمؤتمرات ، وتنشر الكتب والمجلات ، لاصابة هدفها السامي .

الاب فليكس ڤولپت (Volpette) († ١٩٢٢)الفرنسي قضى شطراً كبيراً من حياته الرهبانية في تحسين احوال العمال المادية والادبية ، على الاخص بتسبيله لهم اقتناء بيوت صغيرة ، كلٌّ منها محاط بحديقة ، في ضواحي المُدن . بعد موته جمع الآلاف منهم المال اللازم لنصب تمثال يخلّد اجلالهم وشكرهم له .

مطبعتنا في بيروت قد سبقت سائر مطابع لبنان في دفع اجر عالٍ لعُمالها ، وفي زيادته على حسب طول خدمتهم لها وتكاثر اولادهم ، وهي تقدم لهم في امراضهم علاج الاطباء بثمن زهيد .

قد عُني رهباننا بالمرضى ، على اختلاف اديانهم ، عناية خاصة ، فبلغت اقصى حدود التضحية حين انتشار الاوبئة . حسبنا برهاناً على ذلك ان ١١٩٠ منهم قد ماتوا ضحايا خدمتهم للمرضى من سنة ١٥٥٦ الى ١٦٥٧ ، وان عدداً كبيراً منهم قد نالوا من عدة حكومات اعلى الاوسمة ، مكافأة على بطولتهم في خدمة آلاف الجرحى ، إبان الحربين العالميتين الاخيرتين .

حول سنة ١٩٣٣ انتشر وباء الكوليرة انتشاراً هائلاً في الصين ، فمات الابوان الارلنديان سول (Saul) وماك كالو (Mac Calough) بذلك المرض وهما يخدمان المصابين به .

يقوم اليسوعيون بخدمة آلاف من البرص في جزيرة كليون (Culion) ، من

الجزائر الفيلبية، وقد حمتها حكومة الولايات المتحدة بسكانهم. سنة ١٩٣٣ سافر من نيويورك الى تلك الجزيرة ثلاثة عشر يسوعياً، لوقف بقية حياتهم على خدمة اولئك الاشقياء، البالغ عددهم نحو ستة آلاف سنة ١٩٤٢.

الاب حنا بزيم (Beyzym) (+ ١٩١٢) البولوني قد انشأ مستشفى للبُرص في مدعسكر وخدمهم فيه، فاصابته العدوى ومات ضحية بطولته.

كان لنا في بلاد الرسالات، في رأس سنة ١٩٢٧، ٢٧ مستشفى، عولج فيها ١٥،٠٠٠ مريض ونيّف، و٣١٢ مستوصف وزع فيها اكثر من ١،١١٢،٠٠٠ دواء، و١١٧ ميتم فيها ١١،٠٦٠ يتيم.

سنة ١٩٣٩ زادت تلك الاعداد زيادة كبيرة، فصارت المستشفيات والمآوي سبعين، فضلاً عن ١٥ مستشفى للبرص، واصبحت المستوصفات ٣٤٩، والمياتم ١٥٥.

قد بلغتُ الآن منتهى مقالاتي، التي حاولت اذهال القراء عن طولها، بحملها على شبه فيلم سينمائي، متنوع الالوان والمشاهد، يصور لهم على جناح السرعة مراحل ترقي نفس اغناطيوس ده لويولا، من تصر مهواة الرذيلة الى اوج القداسة، ونجاحه العجيب، الدائم طول حياته واربعمئة سنة بعد مماته، في تجنيد آلاف مؤلفة من صفوة رجال كل أقطار العالم، تحت راية رهبانيته، ليدركوا في القداسة والعلم شأوا بعيداً، ويبذلوا ذواتهم الى النسمة الاخيرة، بشجاعة الابطال وثباتهم، لخدمة الله تعالى والبشر اولاده واخوتهم، في أوطانهم وفي بلاد الرسالات، بالوعظ والتهذيب والتعليم، وبغيرها من انواع الوسائط المؤدية الى تحسين حال المجتمع الروحية والعقلية والمادية.

اغناطيوس الخاطئ قد تاب الى الله توبةً نصوحاً، فحوّله مولاه الغفور الى قديس عظيم ووالد ربوات من الرهبان القديسين، وجعلهم بين يديه القديرتين، اللتين اوجدتا الكون من العدم، ادوات افاض بها على ملايين البشر وابلاً من نعمه، نرجو دوام إغداقه الى آخر الاجيال. ولا بدع بذلك، فان الكيماوي الفرنسي هنري مواسان (Moissan) (+ ١٩٠٧) قد استطاع ان يحول قطعة فحم دقيقة سوداء الى الماسة ساطعة؟ وشتّان ما بين قدرة الخالق وعجز خليقته!

○

فصول من كتاب « المرشد »

ليحيى بن جرير التكريتي

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

توطئة

في بطون المخطوطات القديمة قوت لا ينفد ، ثمن طالعها بإمعان ولم تفز منه العجلة قد يقع على درر فاخرة حجبها لقرّاء اليوم فيجدونها كأنها بنت البارحة كأنما خطتها يد عالم عصري ! اذ فيها من اللون والكمال ما يقرّ بشأنها وقيمتها . فهناك مخطوط فريد « كتاب المصباح المرشد الى الفلاح » ألّفه يحيى بن جرير التكريتي السرياني اليعقوبي († ١٠٧٩) ضمّنه اربعة وخمسين فصلًا يتعرّض فيها لعقائد الايمان المسيحي ويعرضها على النمط المونوفيزيتي . وقد اوقفتنا فيه مقالة في « القربان » هي من اجود ما كُتب في هذا الصدد.
(Cf. Cheikho : *Catalogue raisonné*,... n. 568).

ترجم المستشرق جورج گراف المخطوط بكامله في المجلة اللاهوتية لجامعة انسبروك النمسوية (ZKT 1926), ونشر درساً طافحاً لثلاث سنوات خلت في مجلة Oriens Christianus (Band 37-1953, pp. 89-100) عن القربان في مؤلفات التكريتي . وقد رأينا ان ننشر هذا النص طلباً لفائدة القراء .

الباب الحادي والخمسون

يتضمّن في اسم القربان وحاله واقسامه

قال ان هو اسم سرياني دخيل في اللغة العربية ومعناه الهدية وسمّي قرباناً لانه مشتق من الدنو والقرب فكانهم سمّوا ما بين يدي الله هدية من خالص ماله قرباناً ايضاً وقد يسمى القربان ايضاً ذبيحة وصيدة وضحية على المذاهب الاولى في ذباحة بني اسرائيل الحيوانات للشياطين ولغير الله والضحايا ما قربت وذبحت لله في زمان بني اسرائيل . وفي السنة العتيقة كان يسمّى ما قرّب من الحيوان ذبيحة ومن النبات قرباناً ويسمّى صيدة لاصعادها على المذبح . وسمّي المذبح مذبحاً لكون الحيوانات كانت تذبح عليه وهذه الاسماء نقلت الى قرابين النصارى ولئن كانت قرابينهم من خبز وشراب استعارةً ومجازاً . واخي ابو سعد الفضل ابن جرير رضي الله تعالى عنه اورد لقربان المسيح حداً دالًا على

معناه . فقال ان القربان هو جسد المسيح ودمه اعتق به الجنس الادمي من رق الخطية التي اخطاها آدم وهو دوا الحيوة الابدية وبتهذيبه النفوس واتحادها بخالقها تعالى ولهذا سمّاه السريانيون قرباناً لانه يقرب لله تعالى ويبعد من الشيطان. وجميع النصارى يسمون القربان سرًا لان السيد لما قرّب نفسه كشف للتلاميذ سر شريعته به . ومنهم من سمّاه اشتراكاً كون انهم باخذه يشتركون بعضهم ببعض ويشاركون السيد لكونهم اعضاء والسيد هو الرأس لتلك الاجزا كقول الرسول وقال ايضاً الذي قرّب نفسه عوض جنسنا على الصليب *

ويعقوب السليح يقول في قداسه . ان هذه ذبيحة طاهرة بغير دم *

وسيدنا قال انا الخبز السماوي الذي نزلت من السما . ويسمّى ايضاً جسد المسيح ودمه الميرق العهد الجديد. وقد تقدم ذكر ذلك واما القربان منه جسماني ومنه نفساني روحاني . فالجسماني ينقسم على نوعين نباتي وحيواني . فالنباتي ينقسم على ثلاثة انواع الخبز والشراب والزيت . والحيواني ينقسم على نوعين حيوان الماشي كالغنم والبقر والجدا وحيوان الطائر كفراخ الحمام وفراخ الشفنين. والعصافير . فاما الملح فهو داخل في الاجسام المعدنية وهذه قرابين كانت تعمل على مذهب السنة العتيقة *

فلما نسخت في السنة الحديثة فصار القربان متخذاً من الخبز والشراب . والخبز منه فطيراً ومنه خميراً . فالخمير منه ما يضاف اليه الزيت ومنه ما لا يضاف اليه ذلك . وهذه تسمّى قرابين نفسانية روحانية . والقربان ينقسم ايضاً على نوعين قربان طاهر مقبول وقربان نجس مرذول . فالطاهر المقبول منه ناسخ ومنه منسوخ . فالمنسوخ هو القرابين التي ذكرت في التوراة والناسخ هو القربان المسيحي المذكور في الانجيل . فاما القرابين النجسة المرذولة هي التي اهلّت لغير الله وهي قرابين الاصنام الذي كانوا يقدمونها الكفرة . وفي قرابين الطاهرة المقبولة يدخل البخور والمصابيح . والادعية . والصلوات . والتوبة والدموع . والسجود . وعمارة الهياكل اي بيوت الله . والصدقة على المساكين والتعنا . وبالجملة فان العبادة بالقرابين تنقسم الى تلث انواع الاعمال والاملاك والذوات . فاما قرابين الاعمال ذكرها داودُ النبي حيث قال . قرّب لله الشكر واوفي للعلي نذورك اي خلّص نيتك فاصلح طريقك مع الله واعبده حقّ عبادته ولتكن

طريقتك واعمالك جيدة مرضية امام الربّ ولا تعتقد ان ذباحتك الحيوانات واهراق دماها يمحو عنك الذنوب او يكسبك اعمال صالحة . واما قرابين الاملاك فهي الذكاة والصدقة والبخورات الطيّبة والقرابين المسيحية من الخبز والشراب والهاب المصابيح وهذه جميعها اذا كانت مع اعمال صالحة تقبل واذا والّا فلا تقبل . فاما قربان الذاتي فهو الذي عمله المسيح حيث قرّب نفسه عن خطايا الجنس الادمي وابتاعنا من الهلاك وانقذنا من يد الشيطان ومحي عنا الضمان الاولي وثلم السياج الذي كان مانعاً لنا من عودنا الى مستقر عزنا الاولي . فاما نحن فنقرّب نفوسنا له بامتناعنا من اللذات وغميت شهواتنا لتنير عقولنا بقبول سنّته الذي له المجد من الآن والى كل اوان والى دهر الداهرين آمين .

* الباب الثاني والخمسون *

يتضمّن في ذكر اوّل من قرّب القربان

قال باجماع النصاري واليهود ان آدم الاب الاول كان نبياً وكاهناً وملكاً وهو اول من قرّب القربان وان كان ذلك ليس بمذكور في التوراة . وهو الذي علّم ولديه ان يقرّبا القرابين . امّا نبوته فدليلها اخباره بالطوفان ومجيء المسيح واماً كهنوته فلقوله جبلتني ووضعت عليّ يدك واما ملكه فانه دبر العالم في مدة حيوته وهابيل قرّب لله قرباناً من سمان غنمه وقايين قرّب لله قرباناً من كناسة بيادره . فقبل الله قربان هابيل كون انه كان عن نيّة صادقة ولذلك قيل في التوراة ان الله سرّ بقربان هابيل اي انه قبله ولم يقبل قربان قايين كون انه كان من غير نيّة صادقة ولا طويّة صالحة لانه لما رأى اخاه قد قرّب قرباناً تشبّه به وشبّه ان يكون آدم ورآياه فقربا او امرهما بان يقرّبا فقرّبا . وعلامة قبول القربان في ذلك الزمان نزول النار واكلها اياه . فلمّا لم يقبل قربان قايين فحسد اخاه وقتله . ونوح لما خلص من الغرق قرّب قرباناً لله من جميع الحيوانات الطاهرة التي كانت معه من الماشي والطاير وبنى مذبحاً وذبح واصعد عليه الصعايد *

وقال في التوراة ان الله استنشق روايح القتارات المرتفعة من تلك الذبائح واستلذ بها اى قبلها لانها كانت عن نية صادقة جميلة وهو عالي عن هذه الصفات تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً وانما هذا كان قياساً تعبيراً لفهمنا . واولاد نوح

تعلموا ذلك على مـا يقولوا المفسرين لا زالوا يقرّبون القرابين الى ان انتهى الامر لبروز ملتيصاداق وهو ملك البرّ وهذا كان كمرًا وريساً وملكاً . هذا الذي التقاه ابراهيم بالعشور وقبلها منه وبارك عليه وسلّم اليه الكهنوت وبنـا البيت المقدس وبنا فيـه مذبحاً وقرّب لله الخبز والخمر لا من ذبايح الحيوانات وذلك كان رمزًا على ما نفعله نحن. فان هذا ملتيصاداق كان مثالاً للسيد المسيح كقول بولس الرسول بان ملتيصاداق لم يعرف له اب ونسبته لم تذكر في نسبة الاباء والامم. وهو الـذي قال فيه داود النبي لما تنبّى على المسيح بانك انت الاكمر الاعظم على مثال ملتيصاداق الى الابـد . فاما ابراهيم قرّب الحيوانات وامره الله ان يقرّب ولده المرموق ليمتحنه ويسبر نيته . فلما رآه مطيعاً كفّ يده عن ذباحة اسحق وخلق له كبشاً جعله قرباناً عنه وهو مثال تقريب سيّدنا نفسـه وظهر موسى وقرّب القرابين من الحيوان الماشي والطاير ورشّ الدم وقتر الشحوم وجميع هذه الاخبار مدوّنة في كتاب الله المقدس وذلـك كان بحسب كدارة عقول بني اسرائيل وانما احرقت قرابينهم بالنـار النازلة من السماء واذ اعدمت السماية تحرق بالارضية ليعلمهم ان يعلموا ان هذه الذبايح ستنقض وتبيد وتحترق وتذهب . وبني اسرائيـل كانوا في حال تاديب موسى لهم يعدلون عن اوامره التي هي اوامر الله ويذبحون الذبايح للاصنام والشياطين حتى ان بعض ملوكهم وغير الملوك كانوا يقربون اولادهم للاصنام ودم الذين قال فيهم داود النبي انهم ذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين واهرقوا دماهم الطاهر الزكي فان قيل ان نفتاح قرّب ابنته والله قبل قربانه كان الجواب ان الله قال انني رأيته قد فعل ذلك عن نية صادقة وطوية صالحة واخبر ان القربان لي لا الأصنام فقبلته وقيل انه لم يُمدح ولم يُذم. لم يُمدح كون انه قرّب ابنته ولم يُذم كونه وفا نذره . ولو انه خرج في الباب اولّا بعض الحيوانات النجسة لقد كان قربه غير انه لم يقرّب ابنتـه لغير الله ولم تزل القرابين في بني اسرائيل لله وللاصنام حتى هلكوا وبادوا وقد قلنا ان احراق قرابينهم رمزًا على بطلانها وان جميع ما جرى لهم انما كان رمزًا على ما اظهره المسيح لانه هو الاشارة الخفية الى الامر المرموز وانما تستعمل الرموز عند عدم فهم المعاني الغامضة لكدر العقول واذا صفت تنبهت بفهم تلك الرموز . من ذلك ان الشاة الذي قرّبه موسى النبي مع بني اسرائيل بمصر قبل

خروجهم منها فكان رمزاً على المسيح وكان الشاة سليماً من العيوب ولم يكسر فيه عظماً كذلك المسيح هو نقي من كل عيب ودنس ولما قرّب نفسه وصُلب لم يُكسر فيه عظماً . واسحق والكبش ايضاً رمزاً على المسيح كما تقدمنا فقلنا وكما ان الاحراق يبطل طبيعة المحرق كذلك الكامل يبطل طبيعة الناقص. فبنوا اسرائيل احرقوا الذبايح وابطلوها كذلك سنة سيّدنا سنته كملت سنتهم وابطلتها وكانوا اذا ما اذنبوا يقربوا الحيوانات التي لا ذنب لها ويصيّروها فدية وكفارة عنهم. وهكذا اجري الامر في المسيح * مثلما ان بني اسرائيل كانوا يذبحون من لا ذنب له ويسلّمونه الموت ليسلم المذنب منهم من الموت هكذا المسيح بحيث انه ما كان مستحقاً للموت قبل علي ذاته الموت ليكون فداء عن من حتم عليه الموت وهو آدم وبنيه فهو تعالى باختياره جعل ذاته فدية اعظم من تلك قدراً واسما جلالة. وكما كانوا يختاروا الاسرايليين حمل لا عيب فيه للقربان كذلك المسيح كان لا عيب فيه ولما كانت تلك تذبح بغير ذنب كذلك المسيح قرّب ذاته بغير ذنب تطرق عليه وكما ان مضحيها كان يتقرّب بها الي الله كذلك الذي يقرب جسد المسيح ودمه يتقرب به الي الله تعالي وقد رمزوا الانبيا علي بطلان تلك القرابين من ذلك قول اشعيا النبي اسمعوا قول الله يا جميع سكان عاموره هكذا يقول الرب قد سامت نفسي كثرة ذبايحكم ومالت صمايد الذكور وشحوم المعاليف ودم البقر والحملان والجدا. لست براض بها فاذا قصدتموني لتشاهدون وجهي لا تعودوا تقربوا لي قرباناً فارغاً فارغ القتارات فاني قد رفضت ذلك وقد بغضت نفسي اوائل شهوركم واعيادكم صارت عندي غير مقبولة واذا ما بسطتم ايديكم الي احيد نظري عنكم وان اكثرتم الدعاء لا اقبله ولا استمعه لان ايديكم مملوة دماً وقال من ذبح لي ثوراً كمن ذبح لي رجلاً ومن ذبح لي حملاً كمن قتل كلباً ومن قرّب سميداً كمن قرّب خنزيراً ومن قرب لي لباناً كمن عظّم الاصنام *

وقال داود النبي لست اكل لحم العجاجيل ولا اشرب دم التيوس بل اذبحوا لله ذبايح المجد وقال ايضاً ذبيحة الله هي الروح المتواضعة فالله جل شانه نسخ تلك الذبايح عنهم لا نسخاً ساذجاً لكن نسخاً بسخط وعقوبة ومع بلايا عظيمة تنزل عليهم ولله المجد الي ابد الابدين امين .

﴿ الباب الثالث والخمسون ﴾
يتضمن في ذكر قرابين البيعة

قال ان النصارى قد اختلفوا في اتخاذ القربان من الدقيق والخمر والزيت والماء والملح مع اتفاقهم على اتخاذه من الحنطة والخمر وهذه صفة اختلافهم. اما الافرنج والارمن فانهم يقربون الفطير ويحتجون بان السيد المسيح قرّب فطيرًا واما ساير فرق النصاري يقرّبون خبزًا اعني خبزًا مختمرًا ويحتجون بانه اكمل والملكية لا يلقون فيه ملحاً واليعاقبة مع النسطورية يلقون فيه زيتاً وملحاً ويجعلونه مختمرًا وهذه حجج كل فريق منهم . اما من قال ان المسيح قرّب الفطير وذلك ليؤنس اليهود فيما يفعلونه وهذه حجة واهية لان السيد اخذ خبزًا وبارك وهشم واعطا تلاميذه واسم الخبز ولئن كان يطلق ايضاً على الفطير الّا انه اذا قصد به الفطير لا يسمّى خبزًا مطلقاً بل يقال عنه خبزًا فطيرًا او من المحال ان يكون قصده التكميل فيكمل كل ناقص ويترك الخبز الفطير بحاله لا ينسخه بما هو اكمل منه وهو الخبز المختمر فامّا الاحتجاج بانه لم يوجد في بيت المقدس في ذلك الوقت الخمير فهذه حجة واهية لان المملكة كانت للروم ومذهبهم مذهب الصابة واكلهم الخبز المختمر لا الفطير فالتلاميذ اعدّوا له خبز الفطير اولًا ثم المختمر . ثانياً والاصل في اختلاف فرق النصارى في الفروع ان الداعي لكل امة منهم والمتلمذ لها سلم اليها من الفروع بحسب ما اوجبه الحال الحاضر. فالمغاربة يلقون الزيت على الميت كما تسلّموا من ديونوسيوس والمشارقة اعني النساطرة لا يفعلون ذلك لان برصوما ومن قبله بابويه لم يسلمهم ذلك بزعمهم والارمن سلم اليهم غريغوريوس الكبير بان يتمسكوا عن اكل اللحم والادهان جميعا في الصوم وان يفطروا وياكلوا فيه بالنهار خبزًا فقط بزعمهم والاقچار يزعمون انه اذن لهم اكل اللبن والبيض في الصوم . والروم يزعمون ان حنان امرهم باكل السمك في الصوم واليعاقبة مع النساطرة يكرهون ذلك والارمن يزعمون انه سلم اليهم صاحبهم ان يقربوا الفطير واظنّ انهم صدّقوا لانهم كانوا اكثرهم يهودًا فترك عليهم اكثر سنن التوراة وذلك ظاهر من قول السليح براص ومن قول رفقته السليحيين ان من تشبه باليهود وفي شيء من الاشيا فهو

مبعد. ومن قال بالمختمر ان المسيح قال هذا هو جسدي كلوه وجسد المسيح هو على غاية الكمال وعلى كل حال ان المختمر هو اكمل من الفطير .

وقال انا هو الخبز النازل من السما ولم يقل انا هو الخبز الفطير .

واما القا الزيت في الخبز الذي يتخذ منه القربان كون ان الزيت هو مفضّل وممدوح في السنة العتيقة والحديثة من ذلك ان هـذا مثال خبز الزيت الاثني عشر رغيفاً التي كانت تجعل اربعة صفوف ثلثة ثلاثة مربّعة علي مثال الصليب . هذه كانت تعجن بزيت عصير .

و في التوراة ان القربان تجعله بالزيت الفايق والخمر المروق والبخور باللبان النقى - كانت الكهنة والانبيا تمسح به والنصارى تعمّد بـه والبشاره بالسلامة من غرق ' فان صورت بورق الزيتون وهو في القربان مثال النفس والجسد ❊

وسيّدنا المسيح به اظهر المد في الرجل النازل من اورشليم ايريحا حيث انه طرح علي جراحاته الخمر والزيت .

وفي التوراة يقول ان الخبز يُلتّ بـ ـب من لا يطرح الزيت فيزعم ان هذا الانجيل لم ينطق به . واما طرح الملح في القربان فهو مثبت من الانجيل كقوله تعالي ان كل ذبيحة بالملح تصلح ولان به تزال تفاهة الاغذية ولهذا قال للتلاميذ انتم ملح الارض ❊

واليشع النبي حين اشتكوا عليه الناس ملوحة ماهم امرهم ان يلقوا فيـه الملح فحين طرحوا فيه الملح عذب ومن لم يُطرَح فيه الملح يزعم علي ان القربان مبني علي التثليث فعملوه من ماء ودقيق وخمير ومن عمله من دقيق وماء وزيت وملح جعل ذلك علي مثال الاستقصات الاربع الذي منها تركب البدن ولله الحمد امين .

❊ الباب الرابع والخمسون ❊

يتضمن في اتخاذ القربان

قال ان القربان يجب ان تحمل مواده من احل الاملاك واسلمها من انواع الحرام وتكون من اطيب وجوه مكاسب الانسان واحلّها والدقيق يكون جيداً

متخذًا من حنطة سليمة من العيوب عارية من مخالطة غيرها من الحبوب والزيت يجب ان يكون صافياً نقياً عارياً من العكر والملح يجب ان يكون في غاية عذوبة الامر ولا وسخ والما يجب ان يكون نقياً من كل عيب وان يكون الخمر صافياً لذيذ الطعم والرائحة بري من العكر والاوساخ لا يعتبه شيئاً من الحموضة والخبز يكون نظيفاً طاهرًا والنساطرة تزعم ان عندهم خبز محتفظ به من عهد الحاواريين وفيهم من يعتقد ان عندهم من فتات الخبز الذي قسمه السيد في العلية وقال هذا جسدي وحسبهم بهذه الدعوي واعتقادهم صحتها ولو ان هذا صحيحاً لكان الروم اولي بحفظ الخبز فاما من فتات الجسد السيدي فلست احتاج الي ان اقيم الحجج علي بطلان هذه الدعوة لشهرة محالها . فاذا ابتدا الكاهن والشماس في عجنه فيجب ان يزمرون بزامير داوود النبي وتكون ملابسهم نظيفة وقيل اذا عجنوه وهم صايمين اولي. فاذا اختمر بالتام يخبز في تنور مفرد لخبزه غير متبدل والوقيد يكون من حطب ذو ثمرة عذبة وفيما بعد ذلك يختار من البرشان اجوده واسلمه من الاحتراق والاعوجاج ويتسلمه الكاهن ويرفعه علي المذبح ويقدسه فان بعض العلماء يقول ان البرشانة قبل صعودها علي المذبح هي بمنزلة السيدة مريم واما اذا صُعدت علي المذبح صارت مسيحاً . فاما شرايط الكاهن فقد تقدم ذكرها في باب الكهنوت .

وديونيسيوس يقول ان الدكة الذي في صدر المذبح هي بمنزلة شجرة الحياة التي كانت في الفردوس لان المذبح عنده على مثال الفردوس . والهيكل علي مثال هذا العالم وقد ذكرت ذلك وغيره فنقول ان الدكة بمنزلة الموضع الذي صُلب فيه المخلص وقيل ان اول من ابتنا مذبحًا عالياً عن الارض كان نوح واول من دهن المذبح بالزيت يعقوب بن اسحق وسمى المذبح في ذلك الموضع بيت ايل اي بيت الله واول من بنا المذابح علي هذا الشكل المتداول بيننا الان يعقوب السليح اخو المسيح ومن النصارى من لا يجيز تقديس القربان خارج عن المذبح ومنهم من اجاز ذلك ويصعد الصعيدة علي الانجيل وهذا يفعل في الاسفار الضرورية لاجل العساكر التي في الحروب ولا يجوز ان يقرّب قرباناً بغير الانجيل والصليب وصورة المسيح وقد كان في العرب نصاري كبني تلغب وقوم من اليمن وغيرهم ومعهم اسقفاً يطوف معهم في الحُلل في سفرهم وينقل

المذبح اعني الدقة المقدسة من موضع الى موضع الي سنة ثلثمائة للعرب وصل الي تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها وكان منهم رجلا ديناً حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الاسقفية وكان يقدس لهم باللفظ العربي وكان يقدس لهم علي الانجيل وكثير من الرمام الي الآن يسافرون ومعهم مذابح مقدسة يقدسون عليها وفيهم من الترك وهم التراكب يسافرون في خركاهات والمذبح معهم . ويجوز ان يحمل القربان الي الذين هم في الحبوس والمرضي والزمنا فاما ما يتلوه الكاهن وهو القداس فانه عند الروم واليعاقبة والنوبة والحبشة علي نسخة واحدة ليس فيه شي من التغيير اصلا غير ان كل منهم يذكر علي المذبح ائمته . فاما قداس النساطرة فلا يوافق لغيرهم من اهل الفرق وفصول القداس عند الروم واليعاقبة خمسة ❊

الاول منها صلوات وادعية وابتهال الي الله تعالى ان يودنا ويؤهلنا ان نقرب له قرباناً مقبولا وينير عقولنا ويهذب نفوسنا لنستحق ان نتناوله علي الشروط التي ذكرها الرسل . وثانيها وثالثها ان يتضمنان ادعية واستغفارا وتضرع الي الله تعالى بان يقبل قرباننا ويغفر ذلاتنا ويذكر الاموات والاحيا الحاضرين والتايبين ويغفر لهم ❊ رابعها يتضمن الشكر لله تعالي والثناء عليه حيث اهّلنا اليه اي لهذا السر الشريف والامر العالي الجسيم وجعلنا مستحقين له ❊ خامساً ذكر اتحادنا بجسد المسيح والشكر لله الذي اهلنا لهذه الموهبة وبالجملة فان قداس اليعاقبة وباقي الفرق ما عدا النساطرة يتضمن ذكر حال المسيح والامه وكشف السر السليحين وذكر صلبه وقيامته وصعوده الي السما. وفي جلال ذلك ذكر الشكر والثناء والتضرع في ان يقبل قرباننا ويوهلنا لان ناخذه باستحقاق ويقولون ان هذا هو الذي تسلموه من الآبا حتى انتهت الرواية ليعقوب الذي قدّس اولا لا زيادة عليه سوى ذكر الائمة الذين دبّروا البيعة من ذلك العهد الي وقت من الاوقات التي تقرب فيها القرابين. فاما النساطرة فان قداسهم يتضمن سيرة المسيح من البشارة الى حين صعوده الى السما. وعمل على ذلك الترتيب جماعة من الابا. قداسات مثل توما السليح ومثل ديونوسيوس واقليموس واغناطيوس وقوريلوس واثناسيوس واسطاثيوس وباسيليوس ويوحنا فم الذهب وغريغوريوس وقد ذكرت فيما تقدم ان النساطرة يعتقدون ان المذبح يتحل قدسه

من اشيا عدّوها ليس عند اليعاقبة والروم صحّتها لان هولا. يقولون ان ما قدسه الله لا ينحلّ ولا يتنجّس والنساطرة يقولون ان الكاهن اذا غلط ينحلّ المذبح واذا دخل المذبح من ليس هو علي مذهبهم ينحلّ المذبح ايضاً واذا دخله المفطر واذا حمل الانسان معه شياء من آلات القدس ودخل اليه وغير ذالك مما عددوه والعجب من ان الانجيل والصليب بهما يتمّ تقديس المذبح فهذه قد يقراها ويدنو منها الصايم والمفطر والقريب والنسيب فلا ينحلّ قدسها فكيف ينحلّ قدس المذبح وهو بها يتقدس فاما ما يجب ان يفعله المتقرب اما قبل ان يحضر الرازين يصلح نيته ويطهّر نفسه وينظّف جسمه ويتوب وينوي قبل حضوره نية حسنة جيّدة ويسمع القداس من اوله الي اخره وهو واقف لا يشغل سره بغير ذلك ويبتهل الي الله تعالي بالادعية والخشوع والاصلح ان يكون قبل ذلك قد حمل من احلّ املاكه الدقيق الصيد والخمر الصافي والزيت الفايق والبخور ومن المستقر عند جميع النصاري انّه لا يجوز اخذ القربان إلّا ان يكون الانسان صايماً. اما اولاً فلان الخطية الاولي انما كانت من جهة الاكل والشره فيجب ان تكون كفارتها بالصوم وترك الاكل. وثانياً فان هذا السر انما هو مكسب الحيوة الابدية وهذه الحيوة هي حيوة الدار الاخرة وفي تلك الدار لا يكون اكلًا وشرباً ويجب ان قبل تقدّمنا الي هذا السر العجيب الشريف ان نكون صايمين. وامّا شرب الماء بالليل فانه ان كان قبل نصف الليل جاز القربان وان كان بعد نصف الليل لم يجز تناوله لان في نصف الليل تكون قيامة الناس باجمع كما كانت قيامة المسيح في ذلك الوقت فاذا كانت الاطبا يأمرون ان تناول الادوية الجسمانية بعد الحمية وان لم يفعل المتعالج ذلك استقر فكم بالحري نحن ان نكون قبل تناول دوا الحيوة الابدية هذّبنا انفسنا وابداننا وهيّيناها لتناول هذا الدوا الشافي علي تقاه من النفس والجسم معاً وليس ينبغي للتقرب ان ينظر الكاهن كانه انساناً ساذجاً بل يجب عليه ان ينظره كانه شكل المسيح او خليفته النايب عنه ❊

قال ماري ديونوسيوس ان الكاهن في مقامه هو مثال المسيح كون انه يقول كقول السيد المسيح ان هذا هو جسدي وهذا هو دمي ❊ واخرون قالوا ان الكاهن هو الوسيط ما بين المسيح والشعب كما ان المسيح هو الوسيط ما

بين الاب والامة * واخرون قالوا ان الكاهن في تقديسه القربان هو مثال المسيح واما جملة الملدين المتوشحين اللاهوت قالوا ان القربان يتقدس باخذه لا بعطيه يريدوا بذلك ان نيته الذي ياخذه هي التي تحقق امره . مثال ذلك انا اخذت شمع مطبوع فهل غرضك ان تعرف طابع هذا الشمع ياقوت هو ام زجاج هو ام خزف هو لعمري ليس هذا غرضك بل نفس الغرض هو صورة طبع الشمس لا نفس الطابع للشمع فيا هذا انت خذ القربان من الكاهن بنية صادقة ولا تبحث عما لا يعنيك البحث عنه. اما سمعت قول امام الامم الالهي حيث قال في هذا الصدد ان ما ياكل من خبز الرب ويشرب من كاسه وليس هو باهل له فهو انما ياخذ دينونة لنفسه . يريد بذلك ان من ياخذه وهو قليل الامانة به وليس هو طاهر كما يجب فيدان لقوله ايضاً هو مذنب وغير مستحق لجسد سيدنا ودمه. فلذلك يجب على من يتناوله ان يصلح نفسه اولاً ويكون صحيح الايمان ثانياً ومن ثم فلياكل من هذا الخبز ويشرب من هذا الكاس واذ كان الغرض في اخذه الفوز فاذا اخذه بغير امانة صادقة فياخذه كخبز سادج والكاس العاري من القدس فلا يكفيه هذا فقط بل ويصيبه اثماً وعقاباً بحيث تهاونه لهذا السر الشريف البديع ولهذا كره بعض الفرق كالارمن ان ياخذه الانسان دائماً وهم في ذلك ضد راي النساطرة لان الارمن كل منهم لا ياخذه الّا في الاوقات المتباعدة اكراماً له واستظهاراً من ان يتم عليه غلط او اثم يوجب عليه من هذا الجري سخطاً وعقوبة واظن ان من يتطاول بهذا الراي فلا يفعل فعل جيد ولا تقر بصحته اليعاقبة ولا الروم بل يقولون اذا كان الانسان فاحص ذمته ومنقي ضمير ومعترف بخطاياه وتايب توبة خالية من الشوايب الردية واصمم نيته على وفا قانونه والا يرجع بعد ذلك للخطية ومؤمن ايمان صادق ويقين ثابت فهذا متى ما شا. فليتناول القربان المقدس فيفعل فعلاً حسناً ولا يعتقد انه اذا اذنب ذنباً وقرّب قرباناً انه يمحو ذنبه بقربانه فهذا هو الغلط العظيم وقد يقال اما العلة في ان السيد اعطا جسده مفرداً ثم اتبعه بدمه. فالجواب ان السايل ذهل عن حقيقة السر في هذا من قبيل انه سبق الي وهمه ان الجسم يكون حياً طاهراً والدم آلته فاذا انفصل اللحم عن الدم لم يكن كل واحد منها حياً ولم يعلم ان السيد انما قصد بذلك لان يتحد اهل بشارته به اتحاداً

جوهريا لا ايكن اتصال شخص بشخص ليتم منها شخصاً واحـداً وكل منها لازماً لطبيعته صار الاصلح في الاتصال ان تتصل بسايط احدهما بالآخر وذلك ان الجُمَل لا يمكن اتصالها بالجمل وهي على ما هي عليه من التركيب فلذلك صار اتصال البسايط بالجملة اوفق من اتصال الجملة بالجملة فلهذا اعطي سيدنا الجسد مفرداً ثم الدم مفرداً علي ان الجملة اذا اتصلت بالجملة صار الاتصال مخصوصاً بالجملة. فاما البسايط فانها اذا اتصلت ساغ .ان يتعدّى اتصال الشخص الواحد الي غيره من الاشخاص ومن المعلوم انه لم يكن القصد الاتصال بشخص واحد بل باشخاص الناس كلهم وهـذا لا يتم الا بتوسط البسايط علي ان الارمن يخلطون الجسد بالكاس ويدفعونه للمتناول وقد كان الحواريين كلما اجتمعوا اخذ المتقدم منهم الخبز الذي يحضر عندهم بارك عليه وصلًا وذكر قول المخلّص وقسّم وكذلك كانوا يفعلون بالكاس : ولمّا اتمت الامانة المسيحية وانتشرت البشارة الجديدة في المعمورة استقر القربان علي هذا الوجه الذي هو شايع الآن في الامة المسيحية. وينبغي ان تعلم ان المحققين يعتقدون ان الكاهن بالصلوة والابتهال الذي يتلوه علي القربان يكسبه قوة روحانية بها يصير ذلك الخبز وذلك الخمر المزوج قرباناً مقبولًا وهو جسد سيدنا ودمه . وتلك القوة المكتسبة تصير بمنزلة النفس لذلك القربان اعني صورة مقدمة لذاته من حيث هو جسد المسيح ودمه بالحقيقة ولما قسّم عليهم قال لهم هذا هو جسدي وهـذا هو دمي ولم يقل هذا مثال جسدي وهذا مثال دمي وحقيقة الحال انه صار جسده بالاتحاد وبالاتحاد دمه ❊ وبما هذا تامل قول السيد وقول التلاميذ وقول المفسرين حق التامّل ليصح الك ❊ ان جسده لا مثال له ولا شبيه له لكنه هو هو ❊ ولما كان الخالق تعالي خلق آدم جوداً منه لا اضطراراً ثم انعم عليه وجعله مسلطاً ومختاراً لا مقهوراً ولمّا مالك اختياره خالف الامر الالهي فاوجب عليه العدل الالهي ابعاده من مقرّ عزّه ❊ ثم بالتفضل الـذي هو اعلي رتبة من العدل احبّ ان يردّه الي مستقرّ عزّه اذ ليس من شانه ان يكفّ عن من انعم عليه ولا يمنع من خـير يصل اليه فلما كانت المخالفة الموجبة للابعاد منوطة بالاكل الجسماني صار الخلاص من عقوبتها بالاكل الروحاني ولان المخالفة كانت

من انسان جسماني ارضي صار التعطّف والانعام بالتفضّل والغفران لتلك الخطية بانسانٍ روحاني اي سماني *

كقول الرسول ان الانسان الاول ترابي من الارض والانسان الثاني ربّ من السماء فالجسد الذي اعطاه السيد للتلاميذ وان كان جسمانيًا فانه صار بالبركة والمنحة روحانيًا فصارا شيئاً واحدًا متحدًا وهو القايل ان جسدي ماكلًا حقاً ودمي مشرباً حق ولم يقل شبه جسدي ولا شبه دمي .

وقال من اكل جسدي وشرب دمي فهو يحيا ولم يقل من اكل شبه جسدي وشرب شبه دمي فالقربان بالاتحاد هو جسد المسيح ولهذا قال انا هو الخبز النازل من السما ومن اكله يحيي حيوة دايمة

وقال يوحنا هذا هو حمل الله .

وايضاً بولص الرسول يقول من اكل جسد المسيح وشرب دمه وهو لا يستحقه فهو مدان ولم يقل شبيهاً بذلك .

وقال كلنا معشر الجماعة البيعة اعضاء لجسد المسيح والمسيح هو الرأس فنحن اذا وهو جسد واحد بالاتحاد الذي هو اتحاد بالنعمة التي وهبت لنا من المعمودية ومن الاشتراك في جسده ودمه وهذه معاني روحانية واسرار الهية لا يجب ان توخذ اخذًا جسمانياً فمن اراد فهمها اما ان يتقلدها بالامانة واما ان يعلي نفسه من الجسمانيات ويرفعها الي درجة الروحانيات ويبعد عن سنة موسي ويدنوا من الامر المسيحي اليس الرسول بولس لما نهي عن الزني قال اتجعلون اعضا المسيح اعضا الزانية يعني ان الاعضاء التي اتحدت بالجسد الشريف بوساطة اخذه تصير ممازجة لاعضا الزانية فمن فهم حقيقة الاتحاد علم ان الروحانيات تتحد وتصير شيئاً واحدًا من غير تفاسد ولا استحالة ومن لا يفهم ذلك وقع في بحر الشكوك وهذا هو احد الاسباب المانعة للناطرة من القول باتحاد الجوهرين والقنومين لانه لما اخذه اخذًا جسمانياً فزع من التفاسد ولو اخذه اخذًا روحانياً لكان سلم من الشك والارتياب. وانا اقول انه فهم هذا وعرفه حق المعرفة كما عرفه من قبله تيودوروس ولكن طلب الرياسة منع من الاذعان به فتولد من ذلك ما مالت العقول الكدرة اليه وهذه فهي مع الجسمانيات. فاما تبييت القربان ان فرق النصارى جميعهم يروا ان يبيت القربان ما عدا فرقة نسطور وانما فعلوا

ذلك اما للمخالفة واما خوفا من فسادٍ يطري عليه حتى انه متى فضل للكاهن منه فضلةٌ اما ان يحرسها بنفسه لا يفارقها الي ان يحضر من يتناولها واما ان يستوعب اكلها وشربها معاً واذا كان ينظرهـا وهي ثابتة علي المذبح سقط الاحتجاج ان الخوف من بيتها فسادها. ومن رأي بمبيت القربان احتجّ بان جسد السيد بات في القبر او لان الناس قد يحتاجون الي ان يتناول منه في حال المرض وغيره وفي الاسفار والعوارض التي تطري علي الناس وان يسافر به الي الجيوش والي المواضع التي يعدم فيها التقديس وقد احتج من لا يري ان يبيّت القربان من حيث ان خروف الفصح في السنة العتيقة مامور بان لا يبيّت منه شيء. وان المنّ والسلوي والنار النازلين من السما. لم يبيتا ما بات منها في غير ليلة السبت نتن . فاما القربان في الصوم فانه اعظم الاسباب في تبيته كان لاجل الصوم لان الاجماع كان ان لا يقرب القربان الّا في يوم الاحد بزعمهم ان الصوم هو كآبة وحزناً ولا يجوز التقديس فيه . وقالوا ان يوم الاحد هو يوم فرح بقيامة السيد المسيح ففيه ينبغي ان يكون التقديس فكان اكثر الناس لا يحضرون في ايام الاسبوع في البيعة لانهم قد علموا انهم لا يتقربون فاجمع الآباء ان يبيت القربان لياخذوه المؤمنون في ايام الاسبوع جميعها فامـا اخذ البركة وهي البرشان الماخوذ من المذبح بعد التقرب وهو البرشان مبارك غير مقدس فقيل انه شبيه بالأكل الذى اكله سيدنا مع التلاميذ بعد قيامته . وقوم قالوا انه شبيه بجسد سيدتنا الكلية الطوبي مريم العذراء لان منه يكون القربان الذي هو جسد السيد المسيح . وقوم قالوا انه غذا الاجسام الروحانية كما ان القربان هو غذا العقول المنيرة الالهية فاما من اخذ القربان بملعقة فهذا علي المثال الذي راه اشعيا النبي من تناوله القربان بالكلبتين النارية واما من اخذه بيده فهذا علي مثال ما اخذوه السليحين من يد المسيح بايديهم واما من اخذه بفمه فلاجل اكرامه وجلالة قدره .

ولان اشعيا النبي رأى ان الجمر الذي هو رمز علي هذا القربان كان يوضع في افواه اوليك الذين كانوا ياخذوه فاما القربان في يوم السبت ممنع منه في قانون اقليميس القايل مبعد من صام في سنة واحدة سبتين وهذا اذا قدس الروم او اليعاقبة يوم السبت لا يفعلون ذلك في اخر النهار لكنهم يفعلونه نهارًا. فاما

ما يفعل بعد القربان فانه يوخذ من البركة التي هي البرشان اولًا المقسوم من المذبح الذي قد بورك ولم يقدس الذي قلنا انه بمنزلة جسد السيدة مريم العذرا. ثم يشرب بعده جرعة من الما. لان بالما. ينحل اثاره من الفم ثم يتناول الغدا وقد منع جماعة من الابا. الصوم بعد تناول القربان ومنعوا من السكر بعده ومنعوا من القي بعده ومنعوا من الجماع بعده ومنعوا من دخول الحمام ومنعوا من قص الاضافير بعده . ومنعوا من الغوص في المياه بعده وجماعة من العلما. لم يتقرّبوا في يوم جمعة الالام واجمعوا ان لا يقرب في يوم واحد علي مذبح واحد مرتين بل يجوز ان يقرب الكاهن الواحد في يوم واحد مرة واحدة بعد ان لا يفعل. فهذا ما امكنني ايراده وانا اسأل الله تعالى ان ينفع به قاريه فان وافق اصابة فهي من غيري وان صادف خطاء وزللًا فهو من عجزي وتقصيري عن فهم هذا الامر العظيم شانه الشريف محله امين .

تعريف عن الكتب

دين

شرح طقوس الاسرار

بقلم الخوري ميخائيل ضومط

منشورات الرابطة الكهنوتية ، بيروت ١٩٥٤ ، ٩٤ صفحة قطع صغير

يشتمل هذا الكتاب في حجمه على ثروة ثرة من التعليم والحقائق وانه ليفرحنا ان نقرأ مثل هذه الكتب التاريخية التي رأينا المؤلف يحشد في عدد قليل من الصفحات مجموعة كاملة من التعاليم بصدد اسرار خلاصنا.

ولقد اراد المؤلف ان يمزج في مصنفه المظهر اللاهوتي الصرف مع المظهر الرعائي بيد ان كتابه هو بالواقع مجموعة محاضرات القاها ومقالات نشرها في سبيل مصلحة كهنة الرعايا.

ونحن في افتقار الى مؤلفات على شاكلة هذا الكتاب يبدي فيها واضعها الشيء الكثير من التفكير والبحث والشيء الكثير من التعلم والاختبار.

وربما كانت فائدتنا اعم لو وقعنا في هذه الصفحات على المزيد من تاريخ الاسرار غير ان غاية المؤلف قد تكون هي التي املت عليه النهج الذي نهجه. ا. ع. خ

سبحة وردية لتكريم القديس يوسف

بقلم الاب يوسف ابي نادر الانطوني

مطبعة الرهبانية اللبنانية ، بيروت ، ١٦ صفحة قطع وسط

لقد اسدى الاب يوسف ابي نادر بجمعه في هذا الكراس الصغير جملة صلوات تقوية لتكريم شفيع الكنيسة خدمة جلى للمتعبدين للقديس يوسف.

وفي هذه الصلاة المخصصة للقديس يوسف حذا المؤلف حذو السلام الملائكي فاطلق على شفيع الكنيسة اسم المبارك بين الرجال ولم يقل عنه انه ممتلئ نعمة.

ولا شيء في هذه الصلاة يدعو الى الاستنكار فاب يسوع المسيح بالتربية هو مبارك بين الرجال وان لم يكن بريئاً من الخطيئة الاصلية لان الله اختاره ابا لابنه ولان الكنيسة الجامعة اصطفته شفيعاً لها .

واننا لنرى النفس في افتقار الى كتب تقوية فليقدم ارباب الاقلام على الكتابة والترجمة وليكتب المفكرون لان لغتنا فقيرة بهذا الضرب من المصنفات والتآليف . ا.ع.خ

M. de Fenoyl et E. de Mongolfier s.j. — *Coutumes religieuses coptes* — Institut Copte, le Caire, 1953, 51 pp.

الخاصتان اللتان تميزان هذا الكتيب هما خبرة المؤلفين في بيئة صعبة يسعنا القول عنها انها ما برحت صعبة المنال اولاً وثانياً حلفها الرسولي على هذه البيئة ، فبما قد درسا في فصول ثلاثة الطقوس الدينية ذاتها والعبادات وما يقوم وراء الطقسيات واخيراً العادات ، فقد لفتنا النظر الى الامور الجوهرية وحددا قيمتها واوضحا ما طرأ عليها من شؤون او ما يشوه ثروة الامور الجوهرية الزهيدة المبينة واصرا على العودة الى الاصل .

ان الكنيسة القبطية الارثوذكسية المفتقرة الى التطور شرط ان تبقى على صلة بمصادرها وهي بحاجة الى افكار دينية تفكر بهذا التطور من دون ان تمس الجوهر بتغيير قد يكون مضراً بها ، فقد جاء المؤلفان في هذا المقام من جهتها بنقاط انطلاق وبفكرة ولكن من الواجب متابعتها . ا.ع.خ

E. L. Mascall — *Corpus Christi, Essays on the Church and the Eucharist.* In 12, xii-188 pp. — Longmans, Green and Co., London, New York, Toronto, 1953.

ينتمي المؤلف الى هذه الفئة من كنيسة انكلترة التي تتخذ لنفسها لقب الكاثوليكية بدون ان تكون متحدة بكنيسة رومه، وهي تناقض البروتستنتية القائمة كما تناقض مصلحي القرن السادس عشر ، وقد درس هذا المؤلف بايمان حار وبفكر راسخ اليقين بالامور الفائقة للطبيعة كالاسرار المقدسة مختلف اشكال سر الافخارستيا ولاسيما ميزة ذبيحة القداس الالهي .

ولقد كان له من وضعه ما ارغمه احياناً على ان يتخذ من (Prayer Book) او من الذرائع الانكليكانية الاخرى تفسيراً هو بالطبع قليل الاستخدام في

كنيسة انكلترة ليستخدمه في بث كاثوليكيته ومع هذا فقد جعل وضعه مستقلًا استقلالًا كافيًا وحذرًا بعض الحذر حيال عمل مجمع ترنت ومقررات الكنيسة الرومانية الرسمية ، اما هذا الكتاب الذي اتحفنا به ففيه عدد كبير من الصفحات ومفيد جدّ الفائدة حتى للروماني الكاثوليكي وهو يلقي في الذهن اموراً كثيرة ويسدي خدمة جلى لعلم اللاهوت العالي المعنى بدراسة ذبيحة القداس الالهي القائم فيها اروع تقدم للفكرة المسيحية في عصرنا الحاضر ، ويقترح المؤلف بتعبير موفق حقًا ويعني لا شبهة فيه البتة على ما يبدو ، وتبعاً للاب دلاتيل (de la Taille) ودون فونيه (Dom Vonier) والكاهن مازور (Masure) الذين اعتمدهم علماً للاهوت منعتقاً الانعتاق كله من قيود الماضي الثقيلة لدراسة الذبيحة الالهية فكان اعتقاده المنكود انه من الواجب ان نجد في كل قداس ضرباً من تقدمة جديدة على الجلجلة وتقدمة على الصليب .

ومن حيث وجهة النظر العقائدية لا بدّ من الاعتصام بالتحفظات لانه بعد ان يغمر القديس توما بالاجلال في دراسته له اكثر مما يجله عالم لاهوتي روماني يظهر اسفه : كيف استطاع هذا العلّامة ان يعلّم شكال الذبيحة في السر العظيم محاولًا بحسب مفهومه الخاص به التوفيق بينه وبين عقيدة تحوّل الخبز والخمر الى جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه .

ويبدو ان هذه النظرة الواسعة في باب التقدمة الالهية قد جعلها شاملة لتتعدى نطاقها وتتناول القضية الشائكة المتقدة لرجل انكلو - كاثوليكي الا وهي وحدة الكنيسة التي حاول في فصله الاول ايجاد جواب عليها اراده جواباً متصفاً بطابع الاسرار ، وهو في رأيه قضية اسقفية خلافة المجمع الرسولي لا البابوية كما في الكنيسة الرومانية التي لا تستطيع وفق وجهة نظره ان تكون متصفة بطابع الاسرار . افليس في ذلك ايجاد للتناقض بين مقام الاسقفية واولية احد الاساقفة بين اخوانه في الاسقفية اقل ما يقال فيه انه تناقض اعتباطي ؟ ان الكنيسة لمتصفة بطابع الاسرار بسبب الميزة لصاحبها فاذا بممارسته السلطات التي لا تستطيع الّا ان تكون من اختصاص شخص له مطلق سر الكهنوت ، فهل كانت السلطة البابوية بحاجة الى اكثر من هذا لتكون باسم المسيح مبدأ التماسك والوحدة الممتاز بين المسيحيين ؟

وهل تنتزع من الاساقفة الكاثوليك المنتشرين في العالم اجمع شرف كونهم خلفاء الرسل وهم قد اتحدوا هذا الاتحاد بالباباوات وشرح كونهم شهوداً وعوامل فعالة في وحدة الكنيسة ام تريد هذا الامر تعزيزاً ؟

وانها للحسرة التي تعرب عنها وقد مضّنا الم اعظم من تألمنا لهذه الاقوال الا وهي ان نصادف وان نشعر بالعقبة والحاجز اللذين يفرقان المسيحيين وهم مع ذلك يتوقون الى الوحدة المرئية والتي يستشعرونها وقصارانا اننا لن نقوى الا على الاعجاب بهذا الكتاب فهو حسن بجملته. بولس موترد اليسوعي

Un maitre de la vie spirituelle. Dom Columba Marmion, Abbé de Maredsous (1858-1923) par Dom Raymond Thibaut. Éditions de Maredsous 1953. Édition entièrement revue. 472 pages.

لقد غدا تعليم دون مارميون (Dom Marmion) الروحي يحتل مكانة مرموقة جداً في ادب القرن العشرين الديني لكي لا ندهش من تخصيص دون ريمون تيبو (D. R. Thibaut) معلمه بكتاب كبير الحجم وحافل جداً بالمستندات والاستشهادات يقع باربع مئة واثنتين وسبعين صفحة، وقد علّق عليه الكثير من الهوامش وذيله بثبتٍ تحليلي للافكار الرئيسية التي وسمها في ثلاثة اجزاء. غدت في عدد المصنفات « الكلاسيكية » : « المسيح المثل الاعلى للراهب، المسيح في اسراره، المسيح حياة النفس » وجميعها من الكتب التي قدر قيمتها جدّ التقدير بندكتوس الخامس عشر في ساعة صدورها، ولقد اهتم بطبع كتب دون مارميون ويوضع سيرة حياته هذا الكاهن نفسه (راجع ص ٣٥٣ : ملحوظة بصدد صحة كتابات دون مارميون).

ويؤخذ من المقدمة ان كثيراً من الاستشهادات قد حذفت من هذه الطبعة التي اعيد النظر فيها برمتها تفادياً عن تكرارها، ويبدو لي ان الكاتب كان يسعه ان يختصر ايضاً بعض الفصول كالفصل الثاني وعنوانه « المرشد الروحي » اما المقتطفات من رسائل الادارة فقد كررت بعض التكرير كما في الصفحة ٢٢٦ وما يليها مثلاً مما يقال معه ان الكتاب قد اعدّ لمن لا يهمهم اطالة الوقت وتسوقهم الاستزادة من التعمق في الحياة الباطنية ومن تعليم دون مارميون اكثر من حوادث حياته نفسها وهي حياة على ذلك طويلة (٦٥ سنة) وحافلة بجليل الاعمال .

وفي سبيل بعث الرغبة في قلوب غير واحد لمطالعة هذا الكتاب القيم الذي نال جائزة المجمع العلمي الفرنسي هاكم بعض المعلومات التي تبيّن الاعمال الكثيرة التي قام بها خادم الرب ، لقد ولد دون كولوميا مارميون سنة ١٨٥٨ في احضان اسرة ايرلاندية وانتمى بعد ان قضى خمس سنوات كاهناً علمانياً الى الابتداء في احد ديورة بلجيكة سنة ١٨٨٦ وكانت مدرسة الابتداء صارمة النظام وشاقة تحت رعاية مرشد شديد التقشف وكان يشعر انه يعيش في ارض غريباً عنها ، وبعد ان نذر نذره الرهباني عرفت عدة مقامات دينيّة في بلجيكة وايرلانده مواهبه الرسولية الفذّة فعهد اليه على التوالي برئاسة دير مون سيزار (Mont César) بالقرب من لوفان وكان يعلّم اللاهوت النظري من (١٨٨٩ — ١٩٠٩) ومن ثم برئاسة دير ماردسو (Maredsous) حتى ادركته الوفاة (١٩٠٩—١٩٢٣) فكان صديق الكاردينال مرسيه الحميم ومستشاره الذي يصغي اليه كل الاصغاء ، ومرشد دوم بي دهمبتين (Dom Pie de Hemptine) الذي مات برائحة القداسة ، ومن جملة اعماله الرسولية الكبرى هدايته الشهيرة لرهبان كالداي (Caldey) الانكليكانيين (الصفحة ١٦٥—١٦٧) فعلى قدر ما كانه دون مارميون كاتباً مبرزاً فقد كان رجل اعمال مبرورة ومدبراً ممتازاً ورئيساً عطوفاً على مرؤوسيه عطف الاب على ابنائه .

ا. غونتيه

Orientalia Christiana Analecta 137 — Philautie — De la tendresse pour soi à la charité selon St Maxime le Confesseur, par le R.P. Irénée Hausherr, S.J., 1952, 179 pages. Rome—Piazza Santa Maria Maggiore, 7.

الأَثَرَة كلمة مفادها بحسب تعريفها حبّ الذات وبحسب اقوال عدد كبير من الذين سبقوا القديس مكسيم المعترف سواء أكانوا من الفلاسفة القدامى « افلاطون وارسطو وفيلون الخ » ام من آباء الكنيسة اليونانية « اكليمنضوس الاسكندري واوريجانوس وباسيليوس وغريغوريوس النازيانزي الخ » مفادها الطمع الوضيع او حبّ الخيرات المادية ، وثمة النصّ الواحد المستمد من الكتاب المقدس بهذا الصدد يدعونا لنرى فيها اصل كلّ شر ادبي (2 Tim 3/2) : في الايام الاخيرة ستأتي ازمنة صعبة ، لان البشر سيغدون محبّين لذواتهم ... « كيف اصطنع القديس مكسيم المعترف منطلقاً من هذه البدهيات التشاؤمية

نظرية « الاثرة » الدقيقة ذات الطابع المتفردة به ، ان هذا ما يطلعنا عليه الاستاذ الممتاز في المعهد الشرقي بروما ، فهو يبين لنا ان ثمة الى جانب الحب الذاتي المعتاد سبب ما ندعوه اليوم بالميول الثلاثة حسب قول القديس مكسيم : حبّ ذات مشروع هو التحرر الداخلي ، والمحبة الصحيحة او بعبارة ثانية هنالك أثرة هي فضيلة ، واثرة هي رذيلة .

ومن الناحية العملية يبين المؤلف جميع تعليم القديس مكسيم الروحي بشكل صحيح كل الصحة وبلغة لا تعوزها روح المرح .

اوجين غونتيه اليسوعي

Theologia Orientalis, par Nicolas Ladomerszky. Rome 1953, Université pontificale de Propaganda Fide, 437 pages.

انه لكتاب يسدي اجلّ الخدمات لطلاب المدارس الاكليريكية والكليات الكاثوليكية ، ومن المعلوم ان « تدريس اللاهوت الشرقي » هو اجباري في هذه المعاهد والمدارس وان حلّ المحل الثاني ولقد جعلت قوانين المجمع المقدس للمدارس الاكليريكية فيما يتعلق بتطبيل المرسوم البابوي (Deus scientiarum Dominus) الصادر سنة ١٩٣١ « اللاهوت الشرقي » من جملة المواد الثانوية الضرورية والاجباري تعليما لجميع الطلاب الشرقيين او ... القريبين ، ولا ريب في ان ثمة « كتابين » في هذا الباب للمؤلفين الاختصاصيين هما المرحوم الاب مارتان جوجي (Martin Jugie, A. A.) والاب ت. سباسيل اليسوعي (Th. Spacil, S. J.). بيد انهما مصنفان كبيران جدًا لكي يقوى على استخدامها طالب متوسط لا يستطيع الا ان يخصص بضع ساعات لهذه المادة ، اما الكتاب الذي نشير اليه فقد رمّ هذه الثلمة ، بما يشتمل عليه من خصائص كتاب تدريسي متقن : لان متونه قصيرة نسبيًا على رغم كبر حجمه ، اما لغته اللاتينية فسهلة ، وفي نهاية كل فصل من فصوله مختصر له مع المراجع الجوهرية ، وثبت باسماء المؤلفين وفهرست مفصل لموادّه .

ومما يبعث على الاسف ان تشير احصاءاته في الصفحة ٦٦ الى ارقام ضئيلة كل التضاؤل فيما يتعلق بالاقباط والموارنة والملكيين على حين ان الشرقيين اخذت هجرتهم بالازدياد الى اجزاء العالم وطفقت شعوبهم تزداد ازديادًا سريعًا

في لبنان وسورية ومصر فلِلذين السبين مــا برحت المصنفات التي تعنى بامور الشرقيين لا تطابق الحقيقة تماماً . اوجين فونتيه اليسوعي

Guy de Bretagne, O.M.I. *Pastorale Catéchétique.* Desclée de Brouwer 1952, 394 pp.

روت مجلة « اونيون » منذ بضع سنين الحادث التالي : كان احد الكهنة يستغرب كيف يستطيع انسان تلقّى تربية دينية واقام طويلاً عليها في احدى المؤسسات الاكليريكية هجر الكنيسة الكاثوليكية وكان يقول لهــذا المارق :« لقد تلقيت دروس التعليم المسيحي ولُقّنت دينك زمناً طويلاً !» — « اجابه المارق بالله لا تحــدثني عن التعليم المسيحي . انكم كنتم جميعكم تعلمونه تعليما سيّئاً جداً ! » ان كتاب الاب دبريتاين (de Bretagne) يرمي الى تلافي هذا النقص وتفهيم صغار الاكليريكيين ان الضرورة توجب اعــداد مدرّسي التعليم المسيحي اعداداً فنياً «ان هذه الكفاءة التدريسية ليست قضية هبة شخصية فقط بل هي قضية صدق» ، ولقد بيّن حضرة الاب مستشهداً باقوال البابا الحديثة عظم اهمية هــذه المهنة الكهنوتية ، فالمجامع والباباوات يقولون ان اول واجب من واجبات الكهنة هو التعليم المسيحي .

وهذا الكتاب جدير يلفت النظر اليه لسببين رئيسين : لانه واقف كل الوقوف على الجهود المبذولة في العالم لتدريس التعليم المسيحي ففي فرنسة مثلاً يتولى السيد كولومب (Colomb P.S.S.) امر اعطاء التوجيهات في صدده . والابوان (Boyer) ورتيف (Rétif) وفي بلجيكه الابوان دلكوف (Delcuve) ورانويز (Ranwez) اليسوعيان . وزد على ذلــك فان جميع الافكار المفسّرة هي صحيحة لا ريب في ذاــك : كتأهيب مقتبلي سر العماد تأهيباً سوياً عن طريق التعليم القياسي الاستدلالي مثلاً وطريق الاهتمام باعداد الكتب المدرسية وايجاد المعاهد التعليمية لاعداد مدرّسي التعليم المسيحي الخ .

وقد يؤخذ على كتاب الاب اغراقــه في التفصيلات وافراطه في التقسيم والتبويب ، ومما لا ريب فيه ان المؤلف قد رمى قبل كل امر الى الوضوح بيد ان هذا الاغراق في التبويب والتقسيم قد يجدي الذين يودّون القاء نظرة عجلى على الكتاب لانهم يعثرون فوراً على ما يريدون ولكنه قد يتعب الذين يرغبون

في قراءة صفحات عدة بعضها على اثر بعض ، واننا فضلاً عن هذا لا يسعنا الا ان نبدي اسفنا على عدم وجود الوقائع فيه وعدم وجود امثلة على اجوبة الاولاد التي توضح التعليم الذي تعرض له . اوجين غوتيه اليسوعي

P. L. Menon et R. Lecotté : *Au village de France*, de la Chandeleur à la Saint Jean. — Ed. La joie de connaitre. Edit. Bourrelier, Paris 1954, 123 pp. — P. L. Menon et R. Lecotté : *Au village de France*, Des moissons à la Noël. — Collec. La joie de connaitre. Edit. Bourrelier, Paris 1954, 112 pp.

ان هذه الكتب الرامية الى تعميم مجموعة الادب المحلي (folklore) هي العمل الاول الفريد في بابه ، الذي يوضح كل ما يمكن ايضاحه من اصل العادات وتطورها على مجرى ايام السنة واطوار الحياة سواء أكان ذلك من حيث الاعياد او العمل في الداخل والخارج من اقليم الى اقليم .

وما اكثر الموضوعات التي جمعها المصنفان المعنيان عناية جدية بالوان الادب المحلي وقلّ من يعرفها ، ولا سبيل للريب في ان الذين تشوقهم معرفة الحياة منذ اصلها سيجدون اللذة كل اللذة في اكتشافهم لها . اما مطالعة هذا الكتاب فداعاة الى ايلاد الكثير من الملهات لانه نقطة انطلاق ممتازة للباحثين .

اما الكلشيات فرائعة وبمقدورنا ان نتابع فيها النفس التي كانت اساساً لهذه المعلومات الثرّة . ا.ع.خ

اليك

ملخص التعليم المسيحي مقتطفاً من الكتب المقدسة

بيروت ١٩٥٥ ، ١٩٠ صفحة قطع صغير

لقد رغب المؤلف بان يدرس التعليم المسيحي في هذا الكتاب على ضوء الوحي بدون ان يحيد عنه وان يعرضه بشكل جاف ، فوفّق في حشد مجموعة من اقوال الكنيسة ومستنداتها التي تجعل قيمة لكتابه في هذا المقام ، فقد كان بمقدوره طبعاً ان يخرج كتابه اوثق صلة بالكتاب المقدس ملماً الى حوادث الكتاب المقدس ووقائعه التي تزيد وتفسر بعض ما يثبته الايمان المسيحي.

واننا لنتمنى لهذا التعليم المسيحي رواجاً واسعاً . ا.ع.خ

ادب

طبقات النحويين واللغويين لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

١٩٥٤ قطع كبير – ٤٠٨ صفحات ، مطبعة السعادة بمصر

من الواجب ان يفضي اخراج كتاب الى ارهاف ذوق الباحثين ويشحذ رغبتهم الى مطالعته او ان يكون المصنَّف جديرًا بان يطبع او ان يكون المخرج قد عرف ان يزينه بهوامش قيمة ثرّة .

ولقد كان هذا الضرب من المصنفات المعنى بدراسة حياة اهل النحو واللغة رائجاً في عصره وبخاصة في العصور التالية وهو في نظرنا ذات اهمية كبرى ، لان كثيرًا من مشاهير الرجال بات ذكرهم نسياً منسياً وكثيرًا غيرهم من الذين لم يبرزوا في شيء، قد ارخت بصدق واخلاص بعض الموسوعات سيرة حياتهم.

وقد درس المؤلف اولًا اهل النحو من البصريين ومن ثم انتقل للتصدّي الى اهل النحو الكوفيين فالمصريين فالافريقيين فالاندلسيين متتبعاً بدقة مواعيد ميلادهم ووفاتهم وذكر اشهر مصنفاتهم ليصدر من وقت الى اخر حكمه على كل من المصنفين الذين كانوا موضوع دراسته .

وعني الناشر عناية لا بأس بها في اخراج هذا المصنف فاوضح في توطئة موجزة اهمية كتابه وما كان له من التاثير في العهود التي تلت وضعه وذيّله بفهارس عديدة تسهل تقليب صفحاته .

ويشوقني ان اضيف الى ما قلته امرًا لا بدّ من ان يؤخذ بعين الاعتبار بصدد معظم المطبوعات المصرية: الا وهو اخراج الكتب اخراجاً لا يبرح مفتقرًا الى الاتقان مع ان للاخراج اهمية كبرى في نظر الكثيرين فيا يبعثه من رغبة لتقديرها .

ا. ع. خ

ليل الشتاء وقصص اخرى

بقلم يوسف حبشي الاشقر

منشورات المكشوف ، بيروت ١٩٥٥ ، قطع صغير ١٤٣ صفحة

لماذا ينبغي لصاحب القصة والاقصوصة اليوم المناداة بالجبرية ? ولماذا ينبغي

له ان يزيد ويثبت تأييده لعدم ايمانه لاسرار الاوجاع والآلام؟ انــه للسمت المتبع في العمل وانها لشارة الزمان الذي نحيا فيه، فلقد روى المؤلف في اقصوصته الاولى احدى الحوادث التي كان من ضحاياها ولقد نوّه بحبه لباريز ولكنه لما رأى نفسه على سريره في المستشفى اعلن عدم ايمانه واستقلاله عن كل تفكير وكل تعليم دينيين، فلو شئنا ان نطلب من الكاتب الاتيان بالادلة التي تبرر موقفه فهل كانفي مقدوره ان يفعل؟ وبقية الاقاصيص التالية التي جاء بهـا الكاتب تنمّ عن الفكرة نفسها، فهو ولا شك قد كان في افتقار بعد ان قام بهذه التجارب الى توسيع مواهبه والى اتحافنا باقاصيص اوسع تفصيلاً واشد وحدة واوفر غنى.

ا. ع. خ

على ضفاف السراب

بقلم ابراهيم مجاهد الجزائري

مقطوعات منثورة، مطبعة الضاد حلب ١٩٥٥، قطع كبير ١٤٩ صفحة

لا شك في ان المؤلف اراد ان يكاشف غيره بحالة نفسية فحاول بالشكل الخارجي الذي اسبغه على مقطوعاته المنثورة في هذا الكتاب لفت انتباه قارئه رسمي ان يخلق بموضوعه في نفس هذا القاري الشعور الذي يحسّ به هو ذاته، فهل قُدّر له التوفيق؟ ان القسم الاعظم من هذه المقطوعات التي نشرها وعالج فيهـا احياناً موضوعات بالغة الاسفاف لتذكر تارة حرب سنة ١٩١٤ ولتبتغي طوراً ان تكون صرخة ضد انتداب فرنسة في الشرق لا تدال على نفس طويل ولا على مخيلة قوية.

وكنـا نودّ ان لا يعمد المؤلف الى هذا التصنع في الاعراب عن شعوره الذي كنا نرومه احفل قليلاً بالافكار عما هو عليه، واذا ما جئت على ذكر بعض هذه المقطوعات: كحلم البادية، والمنارة، وملال الفرات، والناعورة فلكي القي في الذهن شيئاً عنها.

ا. ع. خ

Peter Thomsen: *Die Palästina Literatur.* — Lieferunge1,2—1954.— Akademie-Verlag-Berlin, pp. 1—288; 289-376.

لا بدّ من جرأة كبرى للاقدام على وضع مراجع احد الموضوعات ولا سيما

متى كان هذا الموضوع يتناول بلاداً برمتها في ثقافتها وتاريخها وجغرافيتها ودينها وعلاقاتها بما يجاورها من البلدان ... فقد احسن المؤلفان (Fritz Maas) وليوناردست (Leonhard Rest) صنعاً. انهما لم يتركا طيّ النسيان مصنف تومسن (Thomsen) ... ولم يذكر المؤلف الرئيسي الكتب فقط ولكنه ذكر المقالات والبيانات التي صدرت بمناسبة الحوادث المشار اليها .

وهذا الكتاب هو من خير وسائل التأليف ومفيد لجميع الذين تهمهم هذه المنطقة من اية ناحية كانت ، واذا كان لا بد من سدّ ما في كتاب تومسن (Thomsen) من نقص فانه يظل مرجعاً للمصنفات مهماً . ا. ع. خ

Sakhawiana : *A Twelfth-Century Reading List*, publiés par A. J. Arberry. — N^os 1 et 2 de la collection Chester Beatty Monographs. — London, Emery Walker Ldt, 1951. — Grand format, 53 pp. et 27 pp.

تسدي شجرات الاصول التي تضمها المؤلفات المهمة والفهارس التي تشتمل عليها مصنفات الادب العربي الباحثين خدمات جلّى .

وانه ليشوقنا ان نلمّ بالتأثير الذي كان يحسّه في احد المؤلفات التي كان يشعر به الاديب وهو يضع كتابه ، فالسخاوي كما يتضح جليًا من بيان السيد اربري (Arberry) الذي اتحفنا بهذا الاثر ومن شجرات الاصول التي جعلها في اخر مصنفه هو اصل اسرة السخاوي الكبيرة ، فلقد كشف لنا على كل ما اوضح الاسناد عن بعض اسماء الميال التي كانت بدون انقطاع ابا عن جد من اصحاب القول الفصل سواء أكان ذلك من حيث تفسير القرآن ام من حيث تفسير السنة .

فلقد اسدى السيد اربري بفكرته الدقيقة وبنشره هذه الفهارس التي ربما كانت غنية بها الجامعات الانكليزية خدمة جلى . ا. ع. خ

رباعيات الرياشي : في ظلال الفردوس

بقلم قبلان الرياشي

كانون الثاني ١٩٥٦ منشورات مجلة الورود مطبعة صفير وعون ١٢٧ صفحة قطع وسط

في هذه الرباعيات نغمة شعرية قوية ، لنطلق في مطالعة ابياتها المتعددة القوافي المتنوّعة الاوزان جد التنويع ادراكاً لما فيها من تصور وتوخياً لرؤية

الكيفية التي اعرب بها الشاعر عن فكره ، وتميّز هذا الكتاب المحاكاة القائمة بين الفكر والفن الشعري في ابياته ، وقصارانا ان الشاعر الذي فاض قلمه او بالاحرى فؤاده بمثل هذه الابيات وبمثل هذا الاثر من السمة قد تركنا نعاني سحر شخصية شديدة التقلب فنحن ننتقل معه من التفكير الفلسفي الى الوصف البسيط الصافي لننصرف الى اعوص المسائل التي يصادفها العقل الانساني : الى مسألة اصل الانسان ، الى مسألة الحياة الثانية والى قضية الشر وكثير غيرها من المسائل ... ولكن هلّا نقول ان الشاعر قد جارى طوعاً او كراهية سنة الشعر مضحياً في سبيلها فجرى مجرى المتشائم والمتشكك ، ان شكوكية ابي العلاء لمدعاة دائماً الى الغواية وانما ثمة عدد كبير من الاثباتات تدحضها من حيث اصلها فلسفة الاختبار الانساني العميقة جملة وتفصيلاً ، ومن الواضح ان مَن ماتوا لم يرجع منهم احد ولن يرجع ابداً ليطلعنا على ما في الحياة الثانية ، والشكوكي الحقيقي لا يصدق اقوال مَن يعود من بين الاموات ، بيد ان في الانسان ما يكفيه من العقل والادراك الصحيح والاستقامة ليجعله يثبت حقائق الحياة الكبرى وحقائق ما بعد الحياة لكي لا ينتظر عودة انسان مائت الى الحياة ، فقد جاء من خاطبني باسم الله ، فاذا لم تستطع الفلسفة الصرف اثبات اقواله لان معظمها خارج عن نطاقها ، علينا ان نقبلها بكل احترام على الاقل ولو على سبيل الفرض ، واذا ما سار المرء في هذا السبيل سبيل الشك فينبغي ان تكون لديه الجرأة ليجعل شكه شاملاً جزئيات والكليات ، بيد ان الحياة اليومية والعقل السليم والاختبار الانساني والعقل نفسه ينافي ذلك صراحة .

ولئن قلنا أنها سنة الشعر ، فمن الشكوكية الى امتداح الحياة اليسيرة السهلة ، الى ابيقور ليس الا خطوة ، وان هذا الاخير ليطل مشيحاً بوجهه في افق الشكوكية ابداً . ومع هذا لا يسعنا الا ان نقر بقيمة هذه الرباعيات الشعرية ا . ع . خ

اوراق اديب

بقلم علي الزين

دار الفكر بيروت ١٩٥٥ ، ٣٣٦ صفحة قطع وسط

يتبع هذا الكتاب نهجاً علمياً في دراسة مشكلة الادب في طور معين من

اطوار حياته وفي منطقة معينة ، وانه تفصيل تريخي رائع يعطينا فكرة كافية عن هذا الادب البعيد جداً البعد عنا : انـه الادب في جبل عامل ، الادب الذي يندفع اهل هذا الجزء من لبنان ويندفع مفكرو هـذه الناحية الى اظهار ماضيهم وتاريخهم ، ونحن لا يسعنا الا ان نغتبط بهذه البادرة ، وليس الكتاب الذي بين ايدينـا الا مجهود في هذا المعنى وقد انطبعت الافكار المثبتة فيه وقد جمعها المؤلف الى كتابه بطابع الحكمة ومعرفة النقد الادبي والفني عن خبرة . ا. ع. خ

Charles Pellat: *Le milieu basrien et la formation de Ǧāḥiẓ*, 1 vol. in-8, xxxvi-311 pp., Paris, Adrien Maisonneuve, 1953.

ها هوذا بحسب اقوال المؤلف نفسها «تمهيد لدراسة الجاحظ» وانـه لمن الغريب ان يظل الجاحظ حتى الآن بعيداً عن دراسة منظمة وعلمية ، فلقد رغب السيد بيلا الشروع بهذه الدراسة وسينشر تأليف هذا الكاتب المخطوطة وسيضع له نقداً لن يستنبط فيه احكامه على الجاحظ فحسب بل على العهد الذي عاش فيه هذا الرجل . وسيدرس السيد بيلا البيئة البصرية لان «الجاحظ كان من نتاجها البحت» (ص ١٤) .

واستناداً الى هذا السبب يقسم كتابه الغزير المادة كل الغزارة الى فصول ستة مركزة على : البصرة في القرنين الاول والثاني ، وعلى الجاحظ في البصرة ، وعلى البصرة بيئة السنة الدينية ، وعليها بيئة ادبية ، وبيئة سياسية دينية ، وبيئة اجتماعية .

وليقتضينا الامر ان ندرس كل فصل ونحلله . اما مـا يتميز به مؤلف السيد بيلا فحرصه على الوضوح والدقة والتفصيل ، وانني اودّ ايضاً لفت النظر الى وفرة الاستشهاد وغزارة المسائل المنبجسة لدى كل خطوة كما في كلامه مثلاً على البصرة عندما يتصدى الى ايجاد المعضلات وايجاد عناصر الحل لها ويوجه تفكير قرائه .

وفي الفصل الاول بحث دقيق بصدد اهمية مدينة البصرة القائمة في مكان ناحل وقد جهد جهده فقال فيه ان حرب الجمل هي التي شطرت سكان هذه

المدينة الى ثلاث فئات تضمر احداها العداء للاخرى حتى استثمروا بعد ذلك اهمية مدينتهم .

والفصل الثاني يطلعنا على كيفية تلقي الجاحظ دروسه وهو الفقير القانع بكفاف من العيش وعلى الطريقة التي كانوا يسيرون عليها في التعليم .

وان لم يكن الجاحظ ممن يهتمون للعناية بعلم الكلام ولا للدفاع عن صحة السنة فان اتقياء البصرة قد كان لهم تأثير عظيم عليه وذلك ما يوضحه لنا فصله الثالث .

ولقد درس في الفصل الرابع وهو الاشد تدقيقاً والاغزر مادة البيئة الادبية التي نشأ فيها الجاحظ وكان لها فعلها العظيم في تكوين شخصيته . فما اثر في ثقافة الجاحظ الادبية وما الذي كان مبدأ النثر الفني فيجيب المؤلف على هذه الاسئلة بقوله : انه من الواجب المقارنة اولاً بين مآثر ابن المقفع وعبد الحميد والجاحظ وابن قتيبة .

اما موقف الجاحظ السياسي فقد درسه المؤلف في الفصل الخامس وقد كان موقفاً ثابتاً وغير متقلب لانه رغب دائماً في الدفاع عن العباسيين سادة نعمته وفي مهاجمة الامويين وقد راعى احياناً العلويين .

اما في الفصل السادس فقد عمد المؤلف الى مآثر الجاحظ نفسها ليستنبط منها ميزاته الرئيسية ولا سيما ميزة كتاب البخلاء .

ولكن اوضحت البيئة معظم مآثر الجاحظ على هذه الشاكلة فان كتب المؤلف لتشتمل على معلومات قيمة فنرى كيف كانت السياسة نزاعة الى بسط وصايتها على الادب في ذلك العهد وكيف كانت تريد ان توجهه ، حتى اذا ما لفت بيلا النظر الى هذه الناحية كان على حق في ذلك .

ولقد اضاف المؤلف الى اخر كتابه ثلاثة ذيول : تاريخ البصرة ، وحكامها وادراتها وتنظيمها عدلياً وقضاة البصرة ، اما هذه الذيول فتطلعنا على سعة ثقافة المؤلف وتحفزنا على مطالعة كتاب وان كان صغير الحجم فهو جزيل الاهمية ، اذ ليس للتاريخ والادب من سر الا وسبر غوره ولمن المستحب ان نرى بين المستشرقين الفرنسيين ما يحملنا على الآمال الجسام في سبيل التقدم العلمي والعمل العلمي .

ا . عبدو خليفه اليسوعي

Louis Costaz S. J., *Grammaire syriaque*. 21 16 c., 252 pp. Beyrouth, en dépôt à la Librairie Orientale, 1955.

Anthologie syriaque, publiée sous la direction du R. P. Michel Doumeth, professeur à l'Université Libanaise. Première sélection, établie par les Pères L. Costaz S. J., professeur au Séminaire Saint-Maron de Ghazir, Liban, et Paul Mouterde S. J., professeur à l'Université Saint-Joseph de Beyrouth. Publications de l'Université Libanaise, Section des Sciences philologiques I. 25/17 c. 93 pp. Beyrouth, 1955.

لقد رأى حضرة الاب لويس كوستاز نفسه مسوقاً بحكم وظيفته كمدرّس للغة السريانية في معهد القديس مارون الاكليريكي الى ان يضع كتاباً في صرف اللغة السريانية ونحوها يكون نموذجاً في ايدي طلابه واشدّ انطباقاً على الشرق الذي يتكلم اللغة العربية من المؤلفات الاوروبية كمصنفات نولدكه وبروكلمان او اونكناد لكي لا نذكر الا المصنفات المعوّل على تدريسها اكثر من غيرها .

وبدا للمؤلف انه من الاوفق الانصراف عن الطريقة العامة المتبعة في عرض هذه الدروس اليوم وفي بسط بعض القواعد النحوية والصرفية بحسب المادة الشرقية في المصنفات الموضوعة بين ايدي الطلاب ككتاب الاب كيفرنيي ، ولقد توخّى ان يسدّ في كتابه هذا حاجة الطلاب الاوروبيين الى جانب حاجة الاكليريكيين المقبلين في الكنيسة المارونية وعلى الخصوص حاجة المدرسين الفرنسيين الجدد المقيمين في لبنان فنجم عن عمله هذا المصنف الجديد في القواعد السريانية الذي لاقى ترحيباً كبيراً في عدة بلدان اوروبية ، في باريس ولوفان وروما وحتى في المانية ، واذا كان كتابه قد تفرّد بطابع خاص وهو وضعه في اللغة الفرنسية فلكون هذه اللغة هي اللغة الوحيدة الاوروبية التي يفهمها طلاب هذا الاستاذ ، وعما امتاز به هذا الكتاب البساطة في عرضه والوفرة في مستنداته التي استمدّها من مصادر متعددة بفضل جهد جهيد وعمل طويل شاق ، حتى يصبح بدون ريب وسيلة من خير وسائل الدراسة في الشرق والغرب .

وتعليم اللغة السريانية كان يعوزه ما خلا القواعد المختارات الادبية : الثلة التي لم يحنوا سدّها لا في الشرق ولا في الغرب الّا بحواش وذيول تضاف الى

كتاب الصرف والنحو . اما الموازنة فكانوا يستعيضون عنها بطالعة الكتب الطقسية ، لتتم هذه الثلة منذ افتتح في الجامعة اللبنانية فرع لتدريس اللغة السريانية وهو مستقلٌ عن الامور الطائفية .

ونحن مدينون بهذه المختارات الجديدة التي تفتتح السلسلة اللغوية لمنشورات الجامعة اللبنانية الفنية لمجهودات الاب كوستاز وحدها المشكورة ، وانه ليؤخذ من العنوان ان هـذا الكتاب سيتلوه جزءان آخران ومعجم — (ونحن نخشى ان تقضي هذه الخطة المتسمة بعض الاتساع الى طويل الانتظار) —

ولقد بدا للاب المؤلف ان مختاراته ستشق لنفسها بنفسها الطريق بسبب سهولتها النسبية ومع ذلك فقد الحق بها شروحاً ادبية وجيزة وبعض الحواشي فجاءت اول تمهيد لفهم ادب الكتاب السريان ولغتهم ، واننا ليحدونا الامل ان نرى اقبالاً شديداً على هذا المصنف وعلى كتاب القواعد في كل مكان تدرس فيه لغة القديس افرام .

م. ب

C. Gasbarri, d. O: *La Terra di Dio.* — Edizioni Paoline, 1953, 158 pp.

انها لنزهة اثرية ممتعة ذات مستندات نصحب فيها المؤلف الذي يتحفنا بعد ان زار فلسطين مرات عدة بنتائج بحوثه وتأملاته ويبعث فينا شاعرية روحه التي تردد رجعها امام جمال الطبيعة ونفسه الدينية التي تهتز حيال عديد الذكريات المثلثة القدسية وتوقظ فينا ذكرى مرور الرب على الارض فلقد جاء على ذكر الكتاب المقدس والعلماء. وزُين مؤلفه بلوحات كثيرة تكوّن مجموعة رائعة مفيدة ترتفع بالنفس. ولم يفت المؤلف ان يتخذ موقفه في تحديد بعض الامكنة التاريخية، ولن يباحثه في هذا الامر الا العلماء اولي الكفايات في هذا الموضوع .

اما نحن فقد احببنا ذوق المؤلف الدقيق جدّ الدقة في اختياره لوحاته وفي اخراجه مصنفه الحافل بفيض القلب اذ يبعث فينا الشوق لزيارة الاراضي المقدسة ويكون دليلنا ويحيي لدينا نفس المشاعر العميقة التي تحملنا على التأمل العميق الباطني .

ا. ع. خ

تاريخ وفقه

Pierre Vendryes : *De la probabilité en histoire.* L'exemple de l'expédition d'Egypte. 368 pp. in 8° avec 14 cartes. Albin Michel, Paris 1952.

في سبيل تحليل دور الرجل في التاريخ واحلاله في مقامه لا مندوحة عن اتخاذ حادث خطير ، فبونابرت قد جسّم كل ذلك في فضائله ومعراته لان حملته على مصر التي كانت اشد مغامرة اقتحمها قد بينت التقلبات الزمانية على الخطط الانسانية واوضحت تخيّل الانسان وارادته في استخدام الامكانات المحدودة في العهد السابق للصناعة .

وما اقتصر المؤلف على الحالة المصرية ولكنه دعم برهانه بوضعها ضمن نطاق الاستشهادات على الاعمال العسكرية في اوروبة كمارك ايطاليا وسويسرا وضمن نطاق تاريخ القنصلية والامبراطورية وفي نطاق وجهة نظر فكرة فروسية الوضع الاوروبي عند نهاية القرن الثامن عشر .

واننا لنرى الى جانب اتخاذ الخطة الذاتية لتخلص الاسطول الفرنسي من الانكليز بعض النظرات العامة .

ووسع المؤلف هذه النظرات فاصبحت مادّة فصوله الاربعة الاخيرة: مفاهيم التاريخ النظرية، امكانات القرن العشرين، تنظيم التاريخ، وانقسام السلطة التي ادخل فيها بكل دقة الاعتبارات العلمية والاجتماعية والتاريخية والمتافيزيقية اما استنتاجاته بصدد دور الماركسية وحرية البشر فتظهر ان امكانات عصرنا الصناعي ليست بامكانات قاطعة نهائية وان القوة الفنية التي تسيطر على المواقف التاريخية لا تستطيع ان تقوى على النفوس .

وفي الواقع ان الكتاب ليستدعي التفكير .

هنري شارل اليسوعي

Ralph L. Beals & Harry Hoijer: *An introduction to anthropology.* Illustrations du Dr. Virginia More Roediger. in-8° de XXII-658 pp. avec 130 figures, cartes ou tableaux dans le texte, 2 cartes h.-t. et un index. Macmillan, New-York, 2e éd. 1953.

لقد رغب المؤلفون الذين ينتمون كاساتذة الى جامعة كاليفورنيا لوس انجلوس

ان يشتمل مؤلفهم عـلى ما هو ضروري لمن يريد ان يتوسع في دراسة علم الشعوب وان يعطوا لمحة اجمالية عن موضوعهم لمن لهم المام به ولذلك جاء القسم الخاص بمزايا الانسان بصفـة كونه جهازاً بيولوجياً مبيناً لغايته الاولى والثاني وهو خاص بدراسة مفهوم الحضارة مبيناً لغايته الثانية لان الثقافة هي الحجر الاساسي الذي يستند اليه تطور الانسان .

ومن البديهي ان معالجة قضية الجنس وتاريخه وتقسيماته الحديثة كان لا بد منها .

وخصص المؤلفون مقاماً رئيسياً لدراسة علم الانسان باذلين الجهـد لتلقين الطالب معنى تأصيل جذور الثقافة التاريخي .

ان اتقان الكتاب لبالغ حدّ الاناقة وجلي كل الجلاء. وهو في الوقت نفسه خير نموذج لما ينبغي ان تكونه مقاصد الدارس لموضوع تعريف الانسان. وقد اوجزوه ليوضح تحديد شكل الاداة او المنهج .

ويلي كل فصل من فصول هـذا الكتاب مطالعات اكمالية مقتبسة عن المؤلفات الاميركية وحدها وعند الضرورة عن الانكليزية على حين انه قـد يكون من المفيد الاقتباس ايضاً من خير الكتب الاوروبية في هـذا الباب وهي لا شك موجودة في المكتبات الجامعيـة الاميركية سواء اكانت من الكتب الافرنسية ام من المؤلفات الالمانية والايطاليـة . ومهما يكن من امر فالكتاب من خير المؤلفات للعمل والدراسة .

هنري شارل اليسوعي

Le Monde en Couleurs.

1. *L'Afrique du Nord, Algérie, Tunisie, Maroc Français et Espagnol, Sahara, Lybie.* 464 pp. in-8°, illustré de cartes et de plans de villes en couleurs, de plus de 400 reproductions de photographies ou d'aquarelles en offset et un index.
2. *La Grèce.* 446 pp., 300 illustrations photos et cartes en couleurs avec un index. Editions ODE, Paris, 1952.

ان منشورات اوده « العالم بالالوان » هي منشورات معروفة وادلة مشهورة بتشويقها ، وضعتها اقلام رشيقة حشد اصحابها في فصولها معلوماتهم[1] : من تاريخ واقتصاد ومعجم وفكاهة ... اما فائدتها فقائمة على كونها تهيئ السفر وتبعثه حيًّا وعلى السلوى بين مرحلتين .

وخالجت الناشرين فكرة رائعة اضافتهم الى موضوعاتهم بحثاً صغيراً على

الحضارة الاسلامية بقلم الاديب المعروف فيليب مارسه (Philippe Marcais) وصفحات ثلاث قيمة لفرانسوا بونجان (François Bonjean) على ? (Inchoiina) وهي مقدمة مقتضبة جوهرية على النفس الاسلامية .

وليس رسم « العالم بالالوان » الا تيمّن سعيد ولا سيما للبلاد اليونانيــة بلاد النور والصخور والسرو والآثار العظيمة والبحر الازرق .

وتذكّر بعض فصول في المقدمة اشكال البلاد اليونانية المدرسية : كالتاريخ والمسرح والادب والميثولوجيا والفنون .

وبعد القاء نظرة اجمالية على البلاد اليونانية اليوم وعلى اثينا فقد رسمت كل منطقة طبيعية باشكالها الاشد حيوية تحببها سلفًا الى القلوب .

ويجمع اخراج رسوم هذا الكتاب الانيقــة المؤلفات الفنية التامة والتماثيل والآنية ومناظر الشوارع ويشاهدها المنقسمة الى صور بماء الصبغ مدهشة والى صور شمسية .

ولا مندوحة لنا عن ان تستميحهم عذرًا اذا ما قلنا ان هذه الصور الاخيرة يعوزها اللمعان لتحاكي الضوء الاغريقي . ومها يكن من امر فان هذا الكتيب هو فتنة للعين على شاكلة البلاد التي جاء على وصفها . هنري شارل

Raymond Cartier : *Mon tour du Monde*, 248 pp. in 8°, Editions Julliard, Paris, 1953.

ان الطواف حول العالم الذي بعثه حيًا مراسل مجلة « ماتش » الـذي يبلغ قراءها اسبوعيًا من نيويورك موجز الموقف العالمي هو طواف عام ١٩٥٢ .

ولقد قصر طوافه حول تخوم مناطق النفوذ السوفياتي اي من المانيــة الى كوريا مارًا بتركية والهند واليونان ليهمل بسبب ضيق الوقت يوغوسلافية تيتو والبلدان العربية وفارس .

وبعض ارصافه المفعمة حيوية لتبعث في الذهن امورًا جمة قد مكنت المؤلف من ان يوضح لنا بايجاز معضلات عصرنا الرئيسـية وبخاصة معضلات آسيا المفتوحة ابوابها على مصراعيها امام الخطر الشيوعي .

ولا يبعث على شيء من التفاؤل في لوحته هذه سوى الزاوية التركية بتقدم تنظيمها العسكري بواسطة المساعـدة الاميركية . اما الهند القائمة على جوف

المجاعة فشكلتها باعثة على الاسى ومحزنة. اما بيانه بصدد الهند الصينية حتى بعد فوات الاوان فتفائل جدّ التفاؤل . . . على حين ان اليابان المجردة من السلاح والجائعة فاوضاعها داعية الى الشجى .

ولقد تصدّى في الفصل الاخير من كتابه وعنوانه آسيا والغرب الى وصف مجموعة اوضاع الجنوب والشرق الاسيوي .

ويلقي ريمون كارتيه المسؤولية على عاتق الاميركيين لعدم تروّيهم واوهامهم ولعدم خبرتهم وتخبطهم في قلب المعضلات التي تتجاوز طاقتهم . ومما قاله في هذا الصدد لو ان السياسة الاميركانية كانت واقعية وغير وهمية لما كانت لتخلق الموقف الذي خرجت منه جزر اللؤلؤ بل كانت حاولت منع اليابان عن القاء نفسها في المغامرة اليائسة التي زجّت بنفسها فيها المانية التي رفضت طوال ستين الاذعان لماشاتها ، فانه كان بمقدورها ان تتفادى عن زعازع هدامة نجمت عن انتصارات اليابان وعن اذلال الغرب امام آسيا اذلالاً لا سبيل لاصلاحه ولتجنبت انتشار الشيوعية في الفراغ الذي اوجده تراجعهم ومن ثم اضطرارهم الى تحطيم دولة عظمى ضرورية للتوازن العالمي . هنري شارل

R. C. Anderson: *Naval Wars in the Levant* in-8°, x-620 pp. avec 10 planches h.-t., 19 plans de bataille et une carte de la Mer Egée. Princeton University Press, avril 1952. Prix: $ 7,50

الدكتور هندرسون هو من الاختصاصيين بالشؤون البحرية وقد وضع ونشر عدة كتب في التاريخ البحري وبكل ما يتعلق بالسفن والشؤون البحرية .

ومما يستوجب منا شكره هو تخصّصه بدراسة حروب البحر المتوسط الشرقي منذ معركة ليبانت حتى ظهور السفن البخارية وذلك بعد تاريخ معارك البلطيك البحرية ومن فضائل تاريخه الكثير انه اتحفنا بتاريخ كامل لبحرية البندقية كما عرّفنا ايضاً الى البحرية الروسية في حرب كريت التي اسدل في معظم الاحيان الستار عليها ومن بين فصوله التي استدعت منا الانتباه اكثر من غيرها يجدر بنا ان نشير الى موقعة ليبانت والى الموقعة التي نشبت في مطلع العهد النابوليوني.

وتخوّلنا الرسوم البسيطة الواضحة ان نفهم بكل سهولة كيفية اشتباك البوارج في كل موقعة .

ولا ريب في ان المؤرخين والبحارة سيقفون في هذا الكتاب الرائع المتصف على اللذة والفائدة .

هنري شارل

René Schaefer : *Drame et chances de l'Afrique du Nord.* Préface de Jacques Chevallier, in-4°, 224 pp. avec 2 cartes. Les Éditions Internationales, Paris, 1953.

انه لمؤلف انساني قبل اي امر آخر كان لانـه لا يلجأ الى الاعتبارات الجنسية (من ثقافية واقتصادية واجتماعية) الا ليأتي بقاعدة رصينة للمجاورة التي ينبغي اقامتها بين الرأي العام الفرنسي الذي لا يعرف غالباً معرفة صحيحة او الغير عالم علماً صحيحاً وبين الفئة المنخوبة في الشمالي الافريقي المهووسة احياناً شديد الهوس والآخذة بالآراء النظرية .

ان المأساة متأتية عن التوتر القائم بين مجتمعين وهو توتر ناجم عن مركب انحطاط لدى الوطني وعن مركب الاقلية لدى الاوربي الذي طغا عليه جمهور نام و الاشجار وهو كثير المشكلات ، وان انعدام التوازن بين الحاجات المطردة الازدياد والموارد هو مأساة وانها لمأساة التطور المزعج الذي يتطلب تجهيزاً مادياً واجتماعياً في حين ان مرحلة احياء الزراعي للارض كاد لا ينتهي بعد .

وان الخطوط للجنس والمنحصر في ازدياد الشعب هذا الازدياد الذي يعد من اعظم الثروات الانسانية وانما تتعلق بالشأن الاجتماعي والثقافي والروحي لطبيعة الدين الاسلامي والحضارة الناجة عنه الروحية والانسانية الشديدة البروز .

وختم المؤلف بدراسته للحاول : كاتيان الاعمال الكبيرة وايلاء السلطات وتثقيف الرجال تثقيفاً يجعلهم من ذوي الاختصاص .

وهذا الكتاب مفيد لشرقنا الادنى الذي تثار فيه قضايا التطور الاجتماعي بشدة وان اختلفت درجتها : كالبورجوازية الاقطاعية وشبه طبقة الكادحين الزراعية والاقلية المسيحية في دار الاسلام.

هنري شارل

Maurice Ricord : *Croisières en Méditerranée.* 126 pp. en 4° sous couverture « aquarelle » de A. Costa avec 149 héliogravures et une carte h.-t.

ينقسم هذا الكتاب الى قسمين : الاول البحر المتوسط الغربي مع اسبانيا

وكورسيكا وايطالية الجنوبية وافريقية الشمالية والشاني البحر المتوسط الشرقي مع اليونان وتركيا وسورية ولبنان وفلسطين ومصر .

ولقد اقتصر متن الكتاب المقتضب المنكمش بعض الانكماش على مـا يستطيع ان يراه المسافر من موانئ ومعلومات تاريخية هو اشد ما يكون في حاجة الى معرفتها .

وهذا المتن توخى ان يكون عملياً ووجيزاً قبل اي امر آخر كان ، اما فضل الكتاب فقائم على تخيرة رسوم لوحاته ومعارضتها بالسواد والبياض وعلى ترتيب التصاميم المختلفـة التي اظهرها كل الظهور تصوير برون (Braun) الشمسي تصويراً افضى في كل موضع الى ان يكون مأثرة حقيقية .

ملحوظة : اني استميح لنفسي العذر بان انبـه الى خطإ صغير ورد في (الصفحة ٩١) عن كتاب هنري بوردو « جميـلة تحت الارز » التي وقعت حوادثها في قلب لبنان الماروني تحت ارز الرب لا « في جبل الدروز » .

هنري شارل

L. Caml et J. Petit : *Tefedest. Méharée au Sahara central.* — Arthaud. Grenoble. Paris 1953. — Préface de Raymond Coelu, 260 pp.

انها لملحمة رائعة ملحمة اولئك الرفـاق الاربعة في كورة الرجال الزرق كورة هوغار (Hoggar) ذلك الاوقيانوس الـذي تسفي دائماً ريح الصحراء حجارته الصلدة المائتة حيث ينساب ظل القوافـل انسياباً وئيداً وبدون نأمة تحت سماء منبسطة الاديم وحيث يفقد الزمن نفسه كل معنى له .

ان كل امر لا بدَّ من تسجيله على ممر الايام : كالقبطـة لاكتشاف كورة اناس ذوي عادات غريبة ومن عصر هو غير عصرنا وكشقة تلـك الرحلات الطويلة عبر صحراء يخيم فيها الصمت وكالابتهاج لرؤية النفس في جو من الصداقة التي توجدها الطريق وتبقي عليها . ومن جراء كل عبارة نلحظ سمات هـذا الشعب الشديد الغرابة واولئك الرجال المحتجبين دائماً في قلب صحراء قـد تستروا فيها فظل اصلهم سراً شديد الغموض ... بيـد ان تاريخهم الانساني العجيب قد ابقى على الصخور آثاراً ما برحت رسومها مجهولة وهي تنمّ عن نفس ما انفكت ايضاً مجهولة .

ومن ادعى الدواعي الاطلاع على هذا الكتاب الذي يبين مينايل مؤلفيه الانسانية الكبيرة .

ا . ع . خ

رصيد التاريخ

بقلم رينه غروسه

نقله الى العربية محمد خليل باشا – المنشورات العربية – جزءان ٢٧٣–٣١٢ ص قطع وسط

اهدتنا مؤخرًا دار منشورات الدراسات العربية ترجمة « رصيد التاريخ » لمؤلفه رينه غروسه ، ونحن لا نودّ العودة الى بحث عن اصل فكرة هذه المجموعة بعد ما قلناه في رواية تريستان وايزلت (Tristan et Yseult) وانما نرغب في لفت الانتباه الى الاخراج والترجمة .

ولقد كان اخراج هذه الترجمة على شاكلة كل اجزاء المجموعة متقناً الاتقان كله ، اتقاناً يبهج النظر ويلذ الذوق الذي يروقها الوقوع على مصنفات جذابة الظواهر من حيث الورق والحرف والهوامش البيضاء . والمهارة في الاخراج كما في هذا الكتاب لتدلّ على ارهاق الذوق الفني ارهاقاً كبيرًا جدًّا .

اما الترجمة وهي بقلم محمد باشا الذي حرص على ان يبقى للنص الاصلي قوته وطابعه فترجمة خاطفة طورًا وهادئة جزلة تارة مما يدلّ على استيعاب الكاتب استيعاباً واسعاً للاصل ، وليس ذلك بالامر اليسير . واذا كنا قلنا ان كل ترجمة لن تقوى على ان تكون امينة كل الامانة للاصل فهذا ما لا نستطيع ان نقوله هنا . اما ما خولنا ان نقول هذا القول فهو ان الترجمة قد اعاد النظر فيها كاتب او كاتبان فناقشا عباراتها وتخيرا مفرداتها ، ومع ذلك لا يسعنا الّا تهنئة هذه المجموعة على بلوغها هذه الدرجة النسبية من الكمال .

المشرق

السنة الخمسون | تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٥٦

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم من ١٦٠٦ الى يومنا

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

تنبيه : يتكوّن من هذه الوثائق مجلد رابع وهو تكملة لما جاء قبله في المجلدات الثلاثة الاولى التي ظهرت في المشرق وطُبعت على حدة .

١° الحوادث والاخبار اخذاً عن يومية نعوم البخاش ١٨٣٥—١٨٦٥ (سنة ١٩٤٠).

٢° اولياء حلب في منظومة الشيخ وفاء (سنة ١٩٤١) .

٣° دفتر اخوية عزبان الارمن (سنة ١٩٥٠) ، المطبعة الكاثوليكية .

وقد عنونا المجلد الرابع باسم « الموارنة وما اليهم » لان اكثر الوثائق فيه مأخوذة عن خزانة مطرانية حلب المارونيــة او عن كتبة موارنة او عن آثار

متصلة بهم وهم على قلة عددهم في حلب مثلوا فيها زماناً العنصر الكاثوليكي اذ كانوا الرابطة بين الطوائف الشرقية والغربية[1] .

وهناك صفحات قد تتكون منها مقالات قائمة بذاتها لما لها من الوحدة في الموضوع والاصل والفصل كوصف الطاعون وعظة الدويهي والرسالة[2] «فيما يمنع منه اهل الصليب» . ومنشورات المطارين وغير ذلك مما يتفاوت لزوم علاقاته مع تاريخ الموارنة لكنه يمس حياة البلاد الاجتماعية في صميمها فمن الحيف ان يهمل شأنه ويخشى عليه من الضياع اذا نشر في مقالة منفردة شأن الكراريس المبعثرة في زوايا دور الكتب فيضنون عليها بالذكر في فهارس المكتبة لضآلة حجمها وقصر موادها . اما اذا دخلت في مجموعة قيمة فتحفظ وتكون مرجعاً سهل المطالعة في حلقات السنين لا سيما اذا اشير اليها في الفهارس .

وعربنا في الوثائق ما رأيناه مفيداً لما كتبه الرواد الغربيون عن حلب في كتب اصبحت عزيزة الوجود بعيدة المنال عن العامة وهي في المكتبة الشرقية.

ولما كان الاسقف رئيس الطائفة وراعيها فباسمه وضعنا تقسيم الازمنة بين جلوسه ووفاته وربما فرغ الكرسي الاسقفي لمدة ما فاضفنا سني الفراغ الى مدة الاسقف الذي سبقها او تلاها . واكتفينا برسم التواريخ كما بين ١٧٣٢و١٧٦١.
واخذنا عن كامل الغزي وراغب الطباخ الاخبار التي لها رابطة مؤثرة في حياة المسيحيين. واشرنا في كل خبر من الاخبار الى مصدره وما لا يشار الى مصدره هو من قلمنا .

وضربنا لائحة المصادر في آخر الكتاب .

من ١٦٠٦ الى قدوم المطران الياس الاهدني

١٦٣٨ - ١٦٥٩

[١٦٠٦] في هذه السنة كان تغيير حساب الصوم الكبير وعيد الموارنة في طرابلس وجبري وجبيل والبترون عيد الرسل مع اللاتين قبل الطوائف الشرقية .

١) راجع بطرس دوفاليل : اليد المارونية فيارتداد الكنائس الشرقية . تعريب الاب انطاليوس طنوس الشوري . المطبعة المارونية حلب ، ١٩٣٦ ص ٢٥٩

٢) هذه الرسالة وضعناها في ذيل الكتاب.

بشرة :ي٫ ثم تدرج هذا الحساب في الشام وحلب وسائر المدن والبر ما خلا جزيرة قبرس واشرف على نشر استعماله في حلب المطران يوحنا بن حوشب الماروني تلميذ رومة . (دويهي)

[١٦٠٧] عصبص [كذا] النصراني ولد كيورك اوقف جب ماء لكنيسة النصارى في محلة الجديدة . (غزي ٦٥/٢)

[١٦١٢] ملاتيوس كرمه مطران حلب على الملكيين طبع في رومة الكتاب المقدس ثم الافخولوجيون والسواعية . (كارالوفسكي١٠٤)

[١٦١٤] وضع قنصل البندقية بياناً عن حركة التجارة في حلب. فكان الحرير والصوف يُتاجر به مع البندقية والجوخ والتبغ مع فرنسة والعنبر والزنبق والزنجفر والحديد والنحاس الاصفر واسلاك النحاس يتاجر بهما مع هولانده والقصدير مع انكلتره . (سوفاجه ٢٠٢)

[١٦١٦] وسع الارمن كنيسة الاربعين شهيداً بفضل بدروس وسانوس الاخوين اللذان اوقفا ايضاً على الكنيسة كتباً منمقة مزينة بالاحجار الثمينة : كتاب الاناجيل وكتاب الالحان . (سورميان ١٨)

وكان الخواجه سانوس الارمني الوجيه مدير مصلحة الكمارك .
(سورميان ٤٥)

[١٦٢٠] توفي خشدور رئيس اساقفة الارمن ودفن في كنيسة الاربعين شهيداً بالقرب من كنيسة مار الياس الموارنة . (سورميان ٣٥)

[١٦٢٥] في هذه السنة زار حلب بيترو دلا فاله Della Valle وخص كنائسها بوصف لم يأت به غيره من الرواد . جاء من بوابة الياسمين ووجد للارمن كنيستين الواحدة باسم العذراء القديمة والثانية باسم الاربعين شهيداً . وللروم كنيسة القديس نقلاوس وللموارنة كنيسة مار الياس والكنائس الاربع فتحتها على فناء واحد يخرج منه الى الطريق .

وهناك كنيسة كبيرة للسريان تحت اسم السيدة وعندها مقام البطريرك .
(رباط وثائق ١ ، ٣٨٤
ريتر ١٧ ، ص١٧٤٣)

وفي هذه السنة دخل حلب الاباء الكبوشيون وكان رئيسهم الاب باسيفيك فاشتغلوا بالوعظ والارشاد والتأليف وعربوا الكتاب المقدس وجمعوا كتباً

مخطوطة . ثم ارسلوها فيما بعد الى بيروت ففقدت في الحرب الكونية الاولى ١٩١٤ — ١٩١٦ . (غراف ١٩١-١٩٥)

وبقايا دير الكبوشيين في حلب موجودة الى يومنا في خان الميسر في غرف يحفظها السادة پوخه فيها الصور وبعض الاواني للخدمة الدينية .

وفي هذه السنة دخل الآباء اليسوعيون حلب . واتخذوا مقامهم في خان البنادقة وفتحوا فيه معبداً للاخويات. وصورة الاخوية لا تزال محفوظة الى يومنا في بهو الخان الكبير في علية وقد تحوّلت الى دوائر تجارية كانت بيد السادة رفيع اخوان لما زرناها حوالي ١٩٤٠ . اما الآباء اليسوعيون فلم يخرجوا من هذا الدير الا بعد الغاء رهبانيتهم سنة ١٧٧٣ اذ يحل محلهم فيه الآباء اللعازاريون .

[١٦٢٦] في هذه السنة نسخ الشماس استفازادور الارمني كتاب «الفوائد» باسم الاسقف خوكاز رئيس اساقفة حلب . (سوربيان ٣٢)

[١٦٢٧] مر بحلب الاب فرنس كاريسيموس مندوباً رسولياً الى الكلدان النساطرة . (غراف ٤ ، ١٧١)

[١٦٢٩] ارسل البطريرك يوحنا بن مخلوف المطران اسحاق الشدراوي زائراً الى حلب ووسيطاً بين المرسلين الغربيين والموارنة. (كارالوفسكي١٠٨)

وفيها ١٦ نيسان قدم الى حلب الاب فيليب الكرملي ونزل في خان الافرنج وتزود بالحاجيات للقيام برحلته الى بغداد فايران فالهند وسيعود عن طريق الاناضول . ويكتب اخبار رحلته وفيها التعليمات القيمة على الحركة التجارية الشهيرة في ذلك العهد بين الشرق والغرب عن طريق حلب وكان الحمام الداجل ينبئ تجار حلب بقدوم قافلته وبما كانت تحمله من البضائع .

وكان الكمرك اذ ذاك في ايدي اليهود وهم يتقاضون عنه الاموال الوافرة لحساب الحاكم . ومن اخبار الاب فيليب ان اليهود سجنوه ليبتزوا منه المال لظنهم انه آت من الهند وافرجوا عنه بواسطة احد التجار الذي سد جشعهم من المال وكان يحمل معه من الالماس ما كانت قيمته عشرة آلاف ريال .

(رحلة الاب فيليب الى الشرق ص ٥٧٠)

[١٦٣٠] وجه المطران ملاتيوس كرمه رسالة رعائية الى المؤمنين في حلب بمناسبة وقوع الطاعون . (غراف ٣ ، ٩٢)

وفيها انتقل من حلب الى ديار بكر يوحنا الرهاوي الارمني . كان رجلاً ديّناً عالماً بعدة لغات. اشرف على تأليف الكتب الليتورجية. (سوريان ٢١)

روى شتاليه دارڤيو وهو في حلب ان السلطان مراد امر بنقل المدافع منها الى بغداد لحصارها . (مذكرات ٦ : ٤٤٣)

[١٦٣١] فتح الاب كيرو (Queyrot) اليسوعي مدرسة في الجديدة بجوار كنيسة الروم واغلقت بعد ١٥ شهراً . (رباط ١ ، ٣٨١)

[١٦٣٢] ٦ ايلول ارسل ايضاً الاب مانجيليه اليسوعي الى الاب ڤيتللسكي تحريراً شكا فيه ضيقة كنيسة اليسوعيين وتكلم عن تأسيس اخويتين. (رباط ٢ ، ص٤٧٦)

وفي هذه السنة نسخ الشماس استڤازادور الارمني كتاب الاناجيل عن طلب بدروس چلبي وعلى نفقته . (سوريان ٣٢)

وفيها ١٠٤٢ ﻫ وقع الطاعون في حلب وكان يخرج في اليوم الواحد الف جنازة وازيد . وبلغت اجرة الحمل ديناراً. وخرج في يوم واحد ١٨٠٠ جنازة. هذا ما رواه راغب الطباخ في اعلام النبلاء (٣ ، ٢٤٤) .

وكثر ما وقع على مدى الاعوام وباء الطاعون في حلب . وربما شمل الديار الشامية . .

في كتاب مخطوط «مجموع» من كتب المكتبة الظاهرية في دمشق ورقة ٢٦٠ الى ٢٦١ (فهرس يوسف العش) مطبعة دمشق ١٣٦٦ ﻫ — ١٩٤٧ م عام ٢٤٠ ، ص١٠١) صورة مكتوب ارسله (من غير تاريخ) الشيخ علي الدباغ الحلبي نزيل دمشق لبعض اصدقائه في حلب . وصف فيه ما شاهده في سفره من حلب الى دمشق عن فتك الطاعون في البلاد . والوصف فيه تكلف بالغ باساليب البديع القديمة على نسق مقامات الحريري . رأينا خيراً في اثباته على علاته في هذا المقال ولا ادري انه نشر بالطبع ومنه تعرف النكبة التي حلت بالبلاد .

« ذكر الاخ ان اخبره عن حالي . الحالي جيّدة بينات الايام والليالي . وما

لقيت في حلّي وترحالي . فجملة الحال اني خرجت من حلب[1] .بعد ان طُمنت. بقصد الطلب لا الهرب[2] . فرأيت الطاعون قد طمى على اهل طومان[3] وامال من دوحة شبابهم عذبات الاغصان . وطرح من اهل آنس مـا لم تبلمه قتلى البسوس وداحس . وعرّا المرة من حصه . ابقت في القلوب غصه . ولم تحم حماه من حل حماها . ورخت النواعير فولهت عزايم اهلها وقواها . وذرفت من العاصي دموعاً تحيل الترب في الارض امواها .

«واما حمص ففيها الملحمة الكبرى . وقد ضمت من ابناء حلب شطرًا[4] . فطانقت منهم كل غصن رطيب . وتخلّى ذلك لاهلها فأخذوا باوفر نصيب . وفرق ما بين الولد والوالد وتيقنوا ان ليس حي على المنون بخالد وان كان فيهم خالد[5] . الا ان عيش فقيدهم في هذا الفصل في ظـلال التفل والنوك . خير من عيش العقلاء والافاضل ولو كانوا ملوك . وحتى لاهل حسية[6] حقبات اعادت تلك الطغاة رفات . وقرّ بقاره[7] . وجعل فيها قراره .والجأ اهل النبك . لانشاد قفا نبك . مع ان بردهما[8] كاف . في ازهاق النفوس والاتلاف .فاجتمع هناك الداءان . واختلفا وربما اصطلحا على انسان . وبالـغ كل منهما في فعله وآذى . وسئل عن موتاهم فقيل شيء من هذا وشيء من هـذا . وقطف من حديقة القطيفة[9] رياحين ووروداً . وحشى بنار الحزن قلوب اهلها فقلوها طالبين منزلًا جديدا . وجاس خلال تلك الديار حزنها وسهلها . ودخل المدينة[10] على

١) قد يكون صاحب الرسالة قد سافر من حلب الى دمشق ومنها يكتب ما يكتبه الى « الاخ » المراسل .

٢) اي اني سافرت لبعض اشغالي .

٣) خان طومان قرية كانت من محطات السفر بين حلب والجنوب .

٤) قد يكون بعض سكان حلب مجروهـا الى حمص هربًا من الطاعون ولم ينفعهم الهرب .

٥) وان كان خالد بن الوليد فلا بد له من الموت ؟

٦) الحسية اي دفن الميت .

٧) قارة قرية في مديرية النبك محافظة دمشق .

٨) البرد فيها قارس جدًا .

٩) قرية في مديرية جيرود محافظة دمشق .

١٠) مدينة دمشق الشام ؟

حين غفلة من اهلها . فتشاءم على اهل الشام . وتشامخ وتعاظم على اولئك الاقوام . واخذ سوداوات القلوب وحباتها . وفصل تلك البلاد من هالاتها . واما ميس تلك الغصون واوردهم بعد ان صدروا عن مياه الجهال موارد المنون. وزال غشي بصايرنا فرأيت كل اخمص فوق هام[1] وتحققت ان كل قضيب ينبت في الف قوام . وخلت منازل الشام من مطالع تلك الاقمار . ففر من تلك الظلمة كل غريب ولبلده سار . مصاحباً باذى الصباح . بدلًا من تلك الوجوه الصباح . قد سد سمعه عن دخول اللوم . ما سمعه من الصراخ والصياح. ودرى بعد ذبول تلك الاغصان ان غناء الحمام بكاء ونواح . فكم من مليح توسد الارض بعد ان كانت تفرش له الخدود والجباه. ويستوقف النظر حسنه فيقال اذا بدا ربي وربك الله . رجع الى الارض التي هي بمنزلة امه وابيه . كيف وقد حملته فوق ظهرها واضحت في بطنها تحويه. وكم عارف بابواب العلم كبير. قد تضمنه الباب الصغير . سلّه البين منا . وكان لفظاً فصار معنى . وكم خدن بمجالس الذكر وجليس . اختار الجلوس خارج الفراديس . وكم عاشق فارق احبابا . فتمنى ان يكون ترابا . وكم هارب اعتصم بالشام وجباهها فلم ينل مناه . وجاءته منيته تتلو «لا عاصم اليوم من امر الله»[2] . عم [الطاعون] وواسا القطر الشامي فانسى الجارف وعمواس[3] . واستعجل على المرضى به فلا طبيب لهم ولا آس . نعم قد استجاد ابناء حلب فاخذ منهم بالقدح المعلى . واختار كل شهم يسمو على الفرقدين محلا . وبلغني انه دخل [بلاد] الروم ونال ابنائها ما يروم . وحنّ لمصر حنين الغريب الى الوطن . فالحق ارواح مؤمنيها بخيرها العلوي والسكن . فهو في اقطار الارض طائف . لا يبيت كل حيّ منه الا خايف . واذا كان حصوله بدعاء الرؤف الرحيم. فلا يسعنا الا التصديق بالحديث والرضى والتسليم . فاقنع ايها الاخ بهذه العلالة[4] . وسوف نهدي اليك

---

١) الخمص اي القدم اي ان قدم الميت كانت تمس رأس الميت الاخر .

٢) القرآن سورة هود الآية ٤٣ مكيه.

٣) عمواس او عماوس: بلدة في سهل اليهودية (فلسطين) حدث فيها الطاعون الجارف مات فيه نحو ٢٥ الفاً سنة ٦٣٨ م .

٤) ما يتعلل به .

في حوادث عامة رسالة . فهو ابو العجائب والعبر . وفي كل يوم منه تبدو حادثة وخبر » .

[١٦٣٣] حدثت فتنة الانكشارية واضطرب حبل الامن . واغلقت كنائس الافرنج الكبوشيين واليسوعيين وختمت ابوابها بختم الباشا . وسجن اب واخ من اليسوعيين ولم يفرج عنهم الا بدفعهم المال . (رباط ٢، ١٨٣)

وكان بدير الاباء اليسوعيين الاخ بيشان قد حضر من ٢٨ ك٢ واخذ بالاهتمام بامور الدير. وفي هذه السنة اوقف الاسقف ملاتيوس كرمه على كنيسة السيدة في حلب كتاب تفسير انجيل يوحنا البشير ليوحنا فم الذهب . تعريب عبد الله ابن الفضل الانطاكي المتوفى ١٠٥٢ . (سباط ٧٧٨)

[١٦٣٤] (٤ شباط)قبض قرصان الترك على سفينتين محملتين بالبضائع الى تجار حلب الافرنج فتضرروا بذلك كثيرًا . اما التجار الحلبيون فيتقاضون ٢٤ او ٣٠ بالمئة اجرةً على شحن البضائع . (رباط ٢ ، ٤٩٠)

وفيها صدر الامر من ملك فرنسة الى قنصله في حلب بايقاف حركة التجارة حالما الاتراك يتعسفون في معاملاتهم دون اعتبار شروط المعاهدات الاجنبية . (رباط ٢ ، ٤٩٠)

٨ آب توفي بحلب الاخ فلوريدوس بيشان (Bechêne) اليسوعي في عنفوان شبابه وكان قد احتمل مشقات واتعاباً كثيرة في سفره بالبحر وفي اشغاله في الدير وكان مثالًا لاجل الفضائل بوداعته وتواضعه ومثابرته على العمل . (رباط ٢ ، ٤٩٦)

وفيها (٢٤ ايلول) ارسل الاب مانيغلية (Maniglier) اليسوعي من حلب الى الاب فيتلسكي في رومة كتاباً وصف فيه حالة الطائفة المارونية واحتياجها الى اسقف محلّي لانها كانت تعود في ذلك العهد بامورها الى البطريرك مباشرةً فيرسل اليها حيناً بعد حين الزوار من قبله وكانت المسافات والاسفار والمشقات تحول دون حضورهم في الزمن الموافق وكانوا يقتصرون الاقامة في خدمة الرعية فلا يتسنى لهم ان يقفوا على احوالها بالتفصيل وربما رسموا كهنة من اهل العامة شباناً ليس فيهم الاستعداد الكافي لهذه الدرجة المقدسة. (رباط٢، ٤٩٤)

[١٦٣٥] وردت الاوامر السلطانية بابطال التدخين بالتتن والتنباك وتودي على من يشربها بالقتل . (غزي ٣ ، ٢٨٠)

وفيها توفي البطريرك ملاتيوس كرمه متروبوليت حلب على الملكيين . (غراف ٣ ، ٧٩)

وفيها (٢٧ ت١) جلس يوسف بن الزعيم اسقفاً على كرسي حلب للملكيين وسمي ملاتيوس . (غراف ٣ ، ٩٤)

وفيها (٢٠ ك١) كان يعلم الاب كيرو اليسوعي احداث الملكيين والموارنة مبادئ القراءة وله عشر سنوات في هذا العمل المبرور .

وفيها يعقوب بن يونس وقف ذرية على الفقراء مسقفات من الدرجة ٧ . (غزي ٢ ، ٥٣٦)

[١٦٣٧] اخذ الروم الملكيون يشدون رابطة علاقاتهم مع الكرسي الرسولي . وارسل احد الحلبيين منهم يطلب من رومة تفسيحاً في الزواج . (كارالوفسكي ١٠٤)

وفيها ولد في حلب رزق‌الله امين خان وهو الذي سيخلف المطران اندراوس اخيجان على كرسي السريان بحلب وسيكتب ردوداً على البطريرك غريغوريوس اليعقوبي . (غراف ٤ ، ٤٧)

وفيها الشماس استاازادور الارمني نسخ كتاب ملك الدفاتر عن طلب الكاهن دير اوهانس افنديوغلو بحلب . (سوريان ٣٢)

[١٦٣٨ م / ١٠٤٨ هـ] قدم السلطان مراد خان الى مدينة حلب بعساكر متوافرة ما انقطع لها وتر بمدة اثني عشر يوماً قاصداً الى بغداد لمحاربة العجم . وعندما قدم السلطان الى حلب كانت كنيسة الموارنة في باباس خربت والتي بحلب احترق سقفها مع الدرابزين . فاخذوا خاطره واسر في عمارها . فموارنة حلب جددوا كنيسة ماري الياس والارمن عمروا كنيسة باباس لتكون للطائفتين شركة . (راغب الطباخ ٣ ، ٢٥٣)

وفي هذه السنة كان في حلب تافرنيه الرحالة الافرنسي . خبّر عنها في كتابه المجلد الاول وافادنا خاصةً في وصف دخول السلطان مراد البلدة وكان في طريقه الى بغداد حيث كان الجيش العثماني ينتظره لمهاجمة الفرس . لما اقترب من المدينة في

مسافة نصف مرحلة خرج الى لقائه الدراويش والقى رئيسهم خطاباً ثم تقدم اثنان من الدراويش فضربا السلام واخذا يدوران ويرقصان وهما يسيران امام السلطان الى القلعة وهو على صهوة جواده وصارا يرغوان ويزبدان فتعجب الناس لرؤيتهما . وقدم الباشا من القاهرة مع الفين من الانكشارية وكانت صفوفهم منظمة وثيابهم جميلة ثمينة : السراويل الحمر، الجوخ الانكليزي، القفطان التركي، القميص بلون سبع ملوك ، الزرار مذهبة وعراها مطرزة بالحرير، الزنار والسيف مصفحان بالفضة وكان الباشا لابساً ثياباً بسيطة كأنه اراد الكسوف لئلا يحول نظر الناس الى نفسه عن السلطان . وكان حصانه يسير وراءه مطهماً مرصعاً بالمجوهرات . (تاثرنيه ١ ، ١٩٣)

وفيها حضر الى حلب المطران الياس الاهدني ولا نعرف هل كانت مدة اقامته فيها طويلة ولكن على ايامه ازدهرت الاخويات وبدت مظاهر الحياة المسيحية بنشاط ذكره محفوظ بوثائق قيمة منها التحرير الذي ارسله متقدم الاخوية ميخائيل بن دانيال وكاتبها ايوب بن جبرائيل يطلبان فيه الى الرئيس العام اليسوعي ان يشرك اخوية الحبل بلا دنس المارونية بالاخوية الرئيسية الرومانية ويصفان فيه حالة بلدهم الدينية واليك نصه مع اصله المصور اخذاً من خزانة مخطوطات دير اليسوعيين في رومة وهو بلغته الركيكة وبمعانيه الروحية كأنه صدى لعظات الاباء المرسلين الافرنج « ولسانهم الثقيل » وغيرتهم المتقدة .

الى حضرت جناب الرئيس المكرم المبجل
الرئيس العام على جماعة اليسوعية الاب موسيوس ويتلسقوس
حفظه الله تعالى .

الاتفاق في اجتماع بعض الناس على ان يلجوا الى وكالة العذرى الطوبانية بحرص حاصّ ويستغيثوا اليها استغاثة جيبة في حمايتها المقدسة ليس بامر مسموع في هذه الارض فقط بل ما كان في العادة لاحد عندنا ان يسلّم عليها بالسلام الملائكي والان بنعمة الله تقدس اسمه وباجتهاد آباء جماعتكم المكرمة ما يقول فقط ورديتها خلق كثير اكراماً لها مثلما جرى على مجرى الروماني بل يرغب قوم من هذا البلاد رغبة عظيمة ان تنكتب اساءهم في دفتر عباد العذرى الذين يبدوها عبادةً خاصّة : لو كانت حسناتها بقدر ما تقدر عليه النطقية الانسانية على ان يتكر فيها فلينا بالاشتياق الى غني عبوديتها : والحال ان حسناتها اعظم ان تدرك عظمتها . فواجب علينا ان نضطرم بشوق شديد الى خدمتها ومحبتها : انما هذا من

المتفوق التي يجتمع على مدتها كل واحد من الصالحين وهو راس محاسنها كقولك كل من كان للعذرى عبدًا لن يدركه الهلاك ابدًا ولو كان هذا وحده فيفعل ان نستحي على تأخرنا في طلب الى فضل ابوتكم المبجلة : باقتران جماعتنا التي وصفناها من العذرى التي حبلت بلا عيب مع الجماعة الاولى الرومانية ولكن احسن الخير مع التأخر من عدمه الى الابد . واما لكيلا تنكر لنا قداستكم المكرمة هذه النعمة : فلتذكر اننا ساكنين في اقطار تلك الارض التي لا تجحد فقط اسرار خلاصنا بالكلية من اكثر الناس بل انتهى الامر الى ذلك الجهل عند طايفة معروفة بالاكراد ان يترموا في خدمة الشيطان اكثر عبادةً من خدمتهم لله سبحانه لانهم لم يخافوا من الله في الشدايد مثلما يخافوا من الشيطان . قد تمسكوا في تلك اللجة ذلك فريق الشقي بسبب بُطلانهم كلام الله الذي من زمان تمود فقدانه عندنا الى الغاية نحق ان من جاء الينا من الرهبان المغاربة ليكسّروا لنا الخبز السماوي منوهم مدة اوليك الذين كان هذا الامر الزم عليهم ومن حق خدمتهم تكسيره .

امّا نحن بعد الظهر الذي في ايام الحدود وقت الذي تلعب اهل العامة : قد لزمنا في الاجتماع بالجماعة لنسمع الوعظ في اقوال الله وتواتر في تصرفات غيرها من العقلية وبدينا بنشاط واجتهاد في هذا منذ اليوم الثاني وعشرين من نيسان. في هذه السنة ١٦٦٠ بعد ميلاد سيدنا يسوع المسيح . ومن ذاك الزمان ظهر لنا ان بلغتنا زيادة المنفعة والغرية الرومانية بقدر ما تحسن ان ننطق به : ولذلك نتضرّع تضرعاً كلياً الى ابويتكم العزيزة بان تنعم علينا بخير ذلك الاقتران ونحن متوكلون على اتمام شنيتنا المقبولة قدام الله اننا نكن على حال تريده قداستكم المكرّمة نكون عليه في قبول وتمسّك النعمة التي نحن عجزنا عن ردها : الباقي والسلام : سُطر في مدينة حلب الشهباء في اليوم ٢٩ من شهر تموز من شهور السنة ١٦٦٠ بعد ميلاد سيدنا يسوع المسيح .

لقداستكم المبجلة المكرّمة العباد المتواضعون الحقيرون

ميخائيل بن دانيال مقدّم

ايوب بن جبرائيل الكاتب

وممّا شجع اليسوعيين على النشاط في خدمة الاخوية انهم كانوا في السنة ١٦٣٩ يحتفلون بذكرى اليوبيل المئوي لتأسيس رهبانيتهم ولم تكن اعمالهم الرسولية في سماع الاعترافات والوعظ والتعليم المسيحي لتحول دون انصرافهم الى تأليف الكتب التي كانوا بامس الحاجة اليها فيؤلفون وينسخون بيدهم بعضها وغيرها يسعون في طبعها في اوروبة ما امكنهم السبيل الى ذلك.. فيعرب الاب اليو كتاب العبادة للقديس يوسف وكتاباً ضخماً عن «محمد والقرءان» وكتاب الكمال المسيحي للكردينال ريشلو لاستعمال الاخوية وغير ذلك من الكتب التي ضرب الاب شيخو لائحتها في كتابه عن المخطوطات المسيحية .

(راجع زباط ١ ، ٤٣١)

[١٦٤٥] كانت كنيسة مار الياس الموارنة الملجأ المعتمد عليه لابناء الكثلكة كهنة ورعايا للقيام بواجباتهم الدينية فيتزاحمون عليه وربما توترت العلاقات بينهم كبين سائر البشر اذا ما ضاق بهم ميدان العمل فيبالغ امرهم الى البطريرك يوسف بن حليب العاقوري فيتدخل في شؤونهم الى حدود قد تتجاوز الاصابة مما يؤدي بجمع انتشار الايمان الى ان يكتب للبطريرك في ٥ كانون الاول ١٦٤٥ :

« انه لا بد من انذاره انه لم يكن بوسعه ولا من واجبه ان يرشق بالحرم الموارنة الذين ينالون الاسرار عن يد المرسلين فلا بدّ له من ان يرفع ذلك الحرم المضر بحقوق الكرسي الرسولي . على ان الرعايا الموارنة ملزومون بتأدية العشر لرئيس طائفتهم وبحفظ الصيامات المفروضة عليهم . وقد يكون مناسباً جداً ان يتناوب المرسلون بالوعظ في الكنيسة المارونية » (وثيقة محفوظة عند السيد طوني مركوبولي في حلب) .

وارسل البطريرك الماروني الى المطران الياس الاهدني التعليمات اللازمة وفقاً لما جاءه من تقرير مجمع انتشار الايمان ومنه ايضاً وثيقة مؤرخة في ١٦٤٩ جاء فيها بان يكون نظام الوعظ في كنيسة مار الياس الموارنة في حلب بالتناوب اسبوعاً فاسبوعاً كما يلي اولاً دور اليسوعيين ثانياً دور الكبوشيين ثالثاً دور الفرنسيسكان رابعاً دور الكرمليين . (وثيقة طوني مركوبولي)

وكان في حلب رجل الخير العظيم القنصل فرنسوا بيكه سنداً للطوايف المسيحية وبينه وبين ابي نوفل الخازن قنصل فرنسة بالنيابة في بيروت المخابرات وشأنها تخفيف المظالم التي كانت تنكب الرعايا في حكم الباشاوات الاتراك وتسهيل مهمة المرسلين في مساعيهم .

وفي ١٦٤٩ كتب البطريرك الماروني يوحنا الصفراوي تحريراً الى القنصل بيكه في الشؤون المذكورة ويظهر منها ان المطران الياس الحدناني كان اذ ذاك غائباً عن ابرشية حلب وقد ترك شؤونها الى البطريرك وهذا يعهد بامرها الى الخوري يوحنا البشراني كما ترى في الوثيقة التالية عن أصلها الكرشوني :

(مركوبولي)

يوحنا
قطر فطه
انطيوكيا م [كذا]

حفظه الله تماً امين

الى حضرة القنصل المكرم فرنسيس بيكوت

سلام ربنا وسيدنا يسوع المسيح وبركته ونعمته تكون مع حضرة المشار اليه اسبغ الله جزيل انعامه عليه امين . وبعده اولاً نزيد الاشواق الى رؤياكم في كل خير وعافيه والثاني في ابرك الاوقات ورد الينا مكتوبكم صحبة مكتوب عزيزنا الشيخ ابو نوفل مع البادري بروتا وقرايناه وفهمنا مضمونه وحمدنا الله تعالى الذي انتم بخير وعافية. وتحققنا ان لحضرتكم نظر كلّي على طايفة الموارنة جعلكم الله دايمين ويقدركم على عمل الخير وجميع ما اشرتم فيه هو بين الصواب والاصلاح لطايفتنا . ونعرفكم بان وكّلنا الخوري يوحنا البشراني ابن قاره (؟) على التدرس والرعية الذي في محروسة حلب في جميع امور الكنيسة ويكون مقام الحرمة ومسموع الكلمة فلا احدٌ يطلع له من خلاف في جميع امور البيعة المقدسة .وكذلك ماشرين من خصوص الكرز قوي مليح لكن الذي يريده الخوري يوحنا المذكور من الرهبان الافرنج يكرز بعد قراية الانجيل المقدّس وبغير امره لا احد يجاسر يعمل شيء في امور البيعة . ومرادنا من حضرتكم ان يكون حسن نظركم على الخوري المذكور وعلى الطايفة ومهما فعلتوا معهم من الخير والتدبير الحسن يبقا لكم بذلك الاجر والثواب عند العزيز الوهاب ومها اعرض لكم بهذا الجانب من المصالح تُقضى انشا الله تعالى والذي ارسلتوه وصل لا زلتم متفضلين الله يكثر خيركم ويزيد بركته عليكم . وبعد تجديد البركة والسلام عليكم وعلى كل من يلوذ بجنابكم والسلام .

كتب في دير مار شليطا من بلاد كسروان
في رابع يوم من شهر شباط من شهور
سنة (؟) مسيحية

على ايام المطران يوسف الحصروني
١٦٥٩–١٦٦٣

وجلس على كرسي حلب الماروني المطران يوسف الحصروني (١٦٥٩–١٦٦٣) وكانت قد هدأت الخواطر بعد الملاحظات التي صدرت عن رومة لتمهيد سبيل العمل المرسلين وكان الحلبيون يقدرون وعظهم ويشكرون لهم تضحياتهم واتعابهم في خدمة الانفس ولكن العاطفة الاهلية كانت تشوقهم الى الحصول على واعظ حلبي من ابناء بلدتهم .

[illegible]

وفي ذلك العهد كان احد الآباء اليسوعيين اسمه يوسف الميتوريني قد ولد في حلب في ١١ نيسان ١٦٣٤ او (١٦٢٩) وتعلمَ في مدرسة رومه ودخل الرهبانية اليسوعية في ٥ ايار ١٦٤٨ وكان صديقاً لرئيس الآباء اليسوعيين في حلب الاب بسون صاحب كتاب « سورية المقدسة » وقد نقله الاب عيتوريني الى الايطالية (١٦٦٠–١٦٦٢) فمن الطبيعي ان يتصل الموارنة الحلبيون بالاب يوسف بسون ويطلبوا الاب يوسف الميتوريني الحلبي واعظاً ومرشداً في مسقط رأسه .

واليك صورة الكتاب الذي ارسلوه (اخذًا عن مخطوط صورناه على الاصل في مكتبة دير اليسوعيين رومة) الى الاب اوليفا الرئيس العام من ١٦٦٤ الى ١٦٨١.

الى حضرة الاب المكرم والحبر المعظم بولص اليوا ريس اليسوعيين حفظه الله واطال بقاه وكيلين واكابر طايفة الموارنة فلا نرجع حضرة سيدنا بترك الموارنة الخبر الجليل المجد بعض الاسباب لبعض الاباء المرسلين الى مدينة حلب لذلك منهم من الاعمال الرسولية في كنيسته نحن تأملنا اليسوعيين وجدناهم سالمين من اسباب الشكوا ومن قديم الزمان عملوا خيرات كثيرة مع جماعتنا وما تركوها ابدًا بل بالغيرة القايقة زادوا بجد الله تعالى كما ازدادت غيرتهم على جميع الطوائف ولهذا نطلب من كرمكم الزايد ان تبثوا ابونا انورينوس (عيتوريتوس ؟) الى عندنا حتى يكرز في الكنيسة ويدرس التلاميذ ويعمل جميع الطاهر ويلينا بين الشدايد ويثبتنا بالصبر على المصايب ويعلّم قومنا مما يحتاجون ويرد على اناء بلد ما اخذ منه توسلنا الى ابونا يوسف ريس اليسوعيين بمدينة حلب ان يفسر لكراماتكم جميع اسباب طلبتنا لكن نطلب هكذا حتى لا يكون لنا مراد الا مرادكم ورضاكم ان وافق تدبير خدمتكم ارادتنا ارادتكم وطايفتنا الكلية مكره [مكرسه] لليسوعيه تريد الشركة في صلواتكم ونحن خاصة عبيد فضلكم العميم جعله الله على الدوام ولكم العمر وطول البقاء والسلام .

وكلاة طايفة الموارنة في محروسة حلب

مدينة حلب	الفقير يوحنا[1]	الفقير الحاج
ثلاثة وعشرون	ابن شاع	يعقوب بن بركات
شهر نيسان	[محل الختم]	[محل الختم]

١) يوحنا . يفيدنا ان نعرف بان المستشرق غالان في تحصيله مخطوطة كتاب « الف ليلة وليلة » استعان برجل ماروني من حلب اسمه حنا وقيل انه كان راهباً مارونياً فلا يبعد عن المعقول ان يكون نسيباً ليوحنا وكيل الطائفة . راجع الانسكلوپيدية الايطالية في مادة *Hanna* اما اسم شاع واسم بركات فشائع في شمالي لبنان الى يومنا . وترى من ثم الرابطة بين موارنة حلب وبين موارنة الشمال السوري .

ولم يُرسل الاب عينتوريني الى حلب وظلّ في رومة وايطالية منصرفاً الى الوعظ وسوف يموت في الحلة في ٢١ كانون الاول سنة ١٦٨٦ .

ولكن العناية الالهية عوضت الحلبيين عنه بالرجل العظيم الذي سيجلس يوما على الكرسي البطريركي الماروني اسطفان الدويهي .

كان قد ختم دروسه في رومة سنة ١٦٥٥. وسيم كاهناً في ٢٥ آذار ١٦٥٦ وانصرف في لبنان الى التعليم والارشاد فارسله البطريرك الماروني واعظاً الى حلب وهي باشد الحاجة الى علمه وفضيلته فيقيم فيها بين ١٦٦٣—١٦٦٥ ويلقي كلام الله الحي في كنيسة مار الياس ويمتد صوته منها الى ارجاء الفسحة المفتوحة عليها كنائس الروم والارمن كما هي في يومنا .

اسطفانوس الدويهي الواعظ في حلب

لقد اسعدنا الحظ بالحصول على كتاب اعارنا اياه سنة ١٩٣٩ وهو في قيد الحياة المثلث الرحمات المطران عبدالله الخوري حوى بين دفتيه سلسلة مواعظ عربية بالخط الكرشوني عنوانه « مواعظ الدويهي » . ليس عليه توقيع المؤلف ولكنّ المقابلة بين خط الكتاب وخط مسودة تاريخ الازمنة المكتوبة بيد الدويهي والمحفوظة في مكتبة بكركي ، وقد نشرنا عنها ما نشرناه في المشرق سنة ١٩٥٠ ، تدعو الى الاعتقاد بان المواعظ المذكورة هي حقيقة للعلامة الدويهي ولا لغيره ويثبت قولنا ما سنرويه من العظة عن مار مارون . اما المواعظ التي في الكتاب المخطوط فهذه عناوينها اخذناها بحرفها :

مواعظ الدويهي

واننا اخترنا من هذا الاثر الجليل النادر العظة التي القاها الواعظ في حلب. على ما يظهر من بعض التلميحات فيها كما سترى، وموضوعها « عن مار مارون انه برج» فضلناها على سواها مما جاء في المجموعة في الكلام عن اسرار حياة السيد المسيح والعذراء القديسة وغير ذلك من المواضيع التي يعالجها الوعاظ عادة لان الدويهي الذي سيرتقي السدة البطريركية المارونيــة اظهر في الكلام على مار مارون حبه الفائق لابي طائفته ولانه جاء فيه بضروب الامثال المأخوذة من تاريخ الكنيسة فاحسن روايتها على اختصاره اخبارها شأنه في مــا رواه من امثال ذلك في تاريخ الازمنة فتميزت فيها صفاته الثقافية وقد نروي العظة على علاتها الاصلية من دون تغيير في حرفها فتظهر لغتها العربية كما استعملها الواعظ في القرن السابع عشر في زمان لم تكن قد « تنضرت العربية » وكان اتقانها نادرًا بين الادباء حتى المسلمين منهم لان النهضة الحديثة الناشئــة من انتشار المطابع وافتتاح المدارس الحديثة لم تكن قد اثرت بعد في تطور اللغة ولا يخفى ان الدويهي كان من لبنــان الشمالي حيث كانوا ينطقون بالسريانية ومع ذلك فان سعة اطلاعه ومراجعاته كتب الاقدمين مكنته من العربية فيستعملها من دون تكلف وجهد لكنه يمزج فيها التعابير المأخوذة من اللغة العامية ولا يضبط في كلامه قواعد الصرف والنحو . اما اسلوبه الخطابي فشايق . يتوسع في ضرب الامثال ويتبسط في تصوير معانيها تصويرًا يقربها من عقول السامعين ويسرهم . فتح الواعظ كلامه عن دعوة مار مارون الى القداسة ليكون ابًا للطائفة المارونية ويرد الضالين وتكلم اولًا عن حياة مار مارون واختياره منذ صباه طريق الكمال الانجيلي واعتصامه بالحيــاة النسكية متقشفًا مجتهدًا بلبس

« الجلود » وبالصيام و« المطانيات » والسهر مجتذباً الناس بامثاله واعاجيبه الى العبادة والزهد بباطيل العالم شافياً الاجساد من عاهاتها والنفوس من ذنوبها . وذهب من ثم مفسراً الآية التي ابتدأ بها مقاله : فالجبابرة واسلحتهم المعلقة بالبرج انما هم الرهبان والقديسون الذين تتلمذوا لمار مارون .

وخصّ بالذكر القديسين الذين شرّفوا هذه كورة حلب والقديسات « الحلبيات » طومايتة و..انة وكوره مما يدل على ان جمهور السامعين قد يكون من الحلبيين فيسرّون لذكرى صالحين الذين عاشوا في بلادهم .

عن مار مارون انه : برج[1]

« عنقك كبرج داوود المبني في المجزعات المعلق عليه الف ترس وكانة اسنة المقتدرين » . (نشيد الانشاد ٤:٤)

كلّ بنيان بغير اساس مزعزع وكل قداسة بغير اتضاع متزعزعة .

حبّة الحنطة اذا لم تمت يقول الرب انها تثبت وحدها وان ماتت اتت بأثمار كثيرة ، ونفس الانسان اذ هي من ذاتها شامخة ومتعظمة اذ لم تُميت هواها في الاتضاع والطاعة والصوم والصلاة والصيانة تثبت وحدها كالحبة العريانة ، وان ماتت فصارت كالعود المغروس على مجاري مياه النعمة فتعطي ثمرها في حينه .

مار بولص فاحصاً لماذا الله بعض ناس تركهم في الكفر والهلاك وآخرين اختارهم للبشارى والخلاص يصرخ قائلاً :« ان الذين عرفهم موضعاً لدعوته اياهم من قبل وسم » والذين سبق فوسم ، اياهم دعا ، والذين دعا اياهم برّر ، والذين برّر اياهم مجّد »[2] معنى قوله ان الذين الله رآهم في سبق علمه انهم كانوا موضعاً لدعوته ويقبلون بشارته ويتدرجون في الفضائل اياهم فسبق وسم من قبل تكوين العالم ، والذين من قبل تكوين العالم سبق وسم اياهم دعا من بطون امهاتهم ، والذين دعا من بطون امهاتهم بنعمته اياهم برر برحمته في حياتهم والذين برر في حياتهم اياهم مجد في الملكوت . (اشيا ٤٩)

١) نسخناها بالاحرف العربية اخذاً عن الاصل الكرشوني .
٢) روم ٨ ، ٣٠

هذا بنفسه نادى به اشعيا النبي قائلًا اسمعن لي ايتها الجزائر وانصتوا ايتها الامم : من بعيد الرب دعاني ومن الاحشاء ومن بطن امي ذكر اسمي وجعل فمي مثل السيف الحاذ وتحت سترة يده اخبأني ، جعلني مثل سهم مختار وفي جعبته سترني وقال لي : عبدي انت يا اسرائيل وبك اتمجد . ناظرًا الله في سبق علمه ان الاب الطاهر والكوكب المنير الزاهر مار مارون سيكون موضعاً لدعوته ، انه يرد الشعوب الى الطاعة وهو يقيم حياة النساك في بلاد الشام ، وانه يصون البيعة في رهبانه ، فسبق وسمه قبل ان ياتي الى العالم ، من بعيد دعاه من الاحشاء . وبطن امه ذكر اسمه ، وكما الذين دعاهم اياهم برّر ، كذلك جعل فمه كالسيف الحاذ وتحت سترة يده اخفاه ، جعله مثل سهام مختار وفي جعبته ستره وقال له : عبديَ انت يا مارون وبك اتمجد ، وفي الحق يا اخوتي انكان من الاثمار تعرف الشجرة ، ان من تأمل جيّدًا عظم القداسة التي حواها هذا البار ، وكثرة الخيرات التي من اجلها استفادت بها البيعة المقدسة والانعام الجزيلة التي منه وبوساطته نالت وتنال كل يوم طائفتنا المارونية ، يثبت حقيقياً ان ما هو فقط فم ناطق وعامود بيعتنا المقدسة ، كما كل يوم تسميه الكنيسة ، «فوما مليلا وعمود دعيتو ديلك قديشتو» . بل نعم انه بنا برجاً قوياً في وجه العدو ، ولذلك صحّ فيه جيدًا قول الرب الى البيعة عروسته : ان عنقه كبرج داوود المبني [في المجزعات] المعلق عليه الف ترس وكافة اسنة المقتدرين . فأبين لمحبتكم ان البار مارون كان حقًا كالبرج .

وان عليه معلق الف ترس لاجل كثرة (القديسين الذين خرجوا من تعاليمه واشاراته) . وان في هذا البرج المشيد ، كافة اسنة الجبابرة المقتدرين ، اي من جميع جنوس واصناف القديسين الذين تشرفوا في بيعة الله ضد الكفار والاراطقة . اعطونا نسطه[1] ! واطلبوا من هذا القديس الطوبان ومن ستنا والدة الخلاص ليطلق الله لساني قائلين السلام لك .

ة

القدّيس مار مارون كان منشؤه من هذا بلاد الشام ، كالذي اختاره الله ، من والدين مسرّرين عابدين المسيح ، تربّى في كافة التقوى ومخافة الله وبعدما

---

١) اسمعوا .

حوى العلوم المفضلة والاعمال الناجحة، وصل الى ملتقى الدروب التي هنّ الشبوبية وبها بيان خلاص او هلاك اكثر الناس . فان من ناحية الواحدة ينظر داريق الخلاص ديقاً⁽¹⁾، وما يؤدي الى الهلاك وسيعاً عريضاً ، وفيه ثلاثة شباب يدعونه ان يكون لهم رفيقاً : احد هؤلاء هو الجسد ، الثاني العالم ، والثالث هو الشيطان ، الذين هم الثلاثة اعداء الذين يودونا الى الهلاك .

الشب الاول الذي هو الجسد ، فالذي كان اقرب اليه كان يقول له : اعطيني يدك يا صديقي وكن لي رفيقاً ، لان في هذا الطريق مواكيل متخرة وكروم عامرة وثياب ثمينة وشهوات ولذات لم تمط الا الذي يرافقني ، وانكان تريد تمتي في ذلك الطريق الديق اقول لك الصحيح : ان ما فيه الا جرع وعطش وعرى وزمهرير وهدم الشبوبية .

كان يتقدم اليه الشب الثاني ، وفي يده باقة زهر ويقول له : ان كان تشتهي القضا ، والرضا ان يكون لـك اولاد ، ان ترث بسا[تين وقرى] ، ان تقيم زرعاً لبيت ابيك ، ان تاخذ اموال وترتفع بدرجات رفيع[ة] كن رفيقاً لنا ، لأن اقول لك الصحيح : ان الطريق الآخر ما فيه الا حزن وعناء ما فيه الا قلة وديقة ، ما فيه الا كدّ وتعب ، وكما ترى انه ديقاً كذلك لم يكن ان يدخله الا من كان كالطفل .

ثم تقدم اليه الشب الثالث الذي هو الشيطان وقال له : ان هذه المملكة كانها قد عطيت لي ، فان تبتغي عطيتك مهما اشتهيت من عز وكرامات ، من ولاد ورئاسات ، وان ما ردت ترافقنا ، والا انا اقيم عليـك كل العالم ، افتح طريق ابواب جهنم ، اشعل فيك نيران الشهوات ، اقلق نومك في الاحلام والخيالات ، وركب كل العناصر ضدك ، تحرقك الشمس في اشعاعها ، تدنقك الغيوم في امطارها ، تعلقك الارض في وحوشها ، ولا ترحمك الاهوية في سمومها .

ومن الجهة الاخرى نظر البار مارون درب ديق ، وما فيه الا طفل صغير ، التي هي نعمة الله ، فهذا ولو كان حافي عريان ، نظر ان كله كان انوار ، ولو ان باب دربه كان ديقاً ، نظر ان فيما بعد كان وسيعاً ، ملان فرحاً وسرور .

1) يغلب على سكان لبنان الشمالي المزج في لفظ د وض ومنه الغلط في الاملاء .

فلما تأمل هؤلاء الاربعة ، قلع عنه ثياب العالم ، تفل في وجه الشيطان ، وتزنّر على جسده في (بالمسح) وسلّم عينه وقلبه في يد ذلك الطفل ، قائلاً مع الحكيم : ان اسم الرب هو لي برج حصين ، واليه يسير البار والقوي ، وكما تنظرون في لحظة عين هذا البطل السجيع انتصر من الجسد من العالم ومن الشيطان وخرج الى البرية لم يطلب شيئاً الا نعمة الله وارادته .

مَن هذه المتشرفة كمثل الصخر ، جميلة كالقمر ، منتخبة كالشمس ، مجزعة كالصفوف المعدة !

يقرأ في كتاب الخليقة ان ابن آدم قائين لمّا تأمل ان البراري لم تتمسكن من الوحوش وهوال الدهر ، اتخذ للوقت ان يبني له مدينه لحمي نفسه واولاده من مصائب الزمان ، وكذلك يفطون جميع الناس ، واماً القديس مار مارون ، ولو انه كان يقدر يعمر له بيتاً ، ام يتاوى في مغارة ، أم يلتجي الى شقيف ، تشهد لنا سيرته انه ما راد يسكن الا تحت جو السما ، ليعلمنا ان الذي كان كل اتكاله في الله ، ما يصلح له يغطي وجه السما عنه ، متشابهاً في الرب الذي قال : ان للثعالب جحوراً ولطير السما اوكاراً فامّا ابن الانسان ، فليس له موضع يسند راسه ، كذلك البار مارون ، كالذي كان حصن مانع ، ما احتاج الى حماية غيره ، وكانت الطهارة وكافة الفضائل هكذا راسين في قلبه ، حتى ان لزمه الشعب والاخوة الذين ارتأوا اليه ، انه يصير كاهناً ، ومن هنا ارتاد في التعاب والكدّ في كرم الرب حتى كنت تقول حقاً : انه كبرج داوودالمبني في المرامي المعلّق فيه الف ترس وكافة اسلحة المقتدرين .

كان هذا البلاد بعده ملان من الكفّار عباد الاصنام ومن الشمسين عباد الشمس ، ومن تباع مرقيان[1] الهرطيقي ، الذي جعل الوجه في الله ، وزعم انهم ثلاث رئاسات : واحد بارّ ، واحد صالح ، والآخر شرير ، وان العتيقة غريبة عن الجديدة وان الذي وهب الجديدة وما وهب العتيقة ، فأخذ البار مارون انه يتحارب مع هولاي ، لا بالسيف والقيص ، لكن في ترس الايمان وسيف الكلمة ، كما هو مكتوب عن يهوذا قائد اسرائيل ، ان لما نظر ان

١) مرقيانوس او مرقيون Marcion ولد في سينوب (بلاد بنطس) فيلسوف نشر في مصر والشام وفارس تعاليم آل امرها الى مذهب ماني نوني حوالى سنة ١٥٠ م .

نيقانور[١] كان يطرد شعب الله، كان هو يسلح كل واحد واحد من شعب الله، ليس في السيف والرمح ، بل نعم ، في حسن الكلام والنصاحه ، ولما اخذ الخبر ، ان على راس جبل عالي باسم اوليمبيوس[٢] كان هيكل للاصنام، وكانت الناس مواظبة في زيارته وخدمة الشيطان ، اخذ طريقه الى الجبل فاقام جسده برجاً حصين ضد الهيكل ، واتخذ انه يوعظهم ويحاربهم في كلمة الحق ، حتى انه بطل الذبائح ، هدم الاصنام ، رد الضالين الى معرفة الحق ، ومن ينكر ان ما صح فيه قول الحكيم : «انه كبرج داوود المبني على...» ؟

فلكن لئلا الشيطان يرجع مرةً اخرى الى ذلك ، قدسه القديس بيتاً لله ، والذي ما كان يعيش الا تحت جو السما ، ليقهر الشيطان ، جعل سكنته من ذلك الان في ذلك الهيكل قائلًا : من بيت داوود رفعتني على الصخرة ، هديتني وصرت لي رجاء وبرجاً قوياً في وجه العدو ، فاسكن في مسكنك الى الابد .

لكن ليقهر في الزائد العدو ، انظروا حيل قديسين الله ، جمع من السلوخ وجلود البهائم ، وجعلها له خيمةً في وجه العدو ، حتى انه كما بسرابيل الجلود طُرد آدم من الفردوس ، هو بسرابيل الجلود يرجع الى السما ، وكما يعقوب في الجلود ، نال البركة من ابيه واخذ بكورية العيش ، كذلك البار مارون في الجلود نال جزيل البركات من الله ، وبهم دخل الى الكراسي التي فرغت من الشياطين في السماء .

وفي برج هذه الجلود ، يا اخوتي ، مَن يستطيع يوصف صيامه ؟ دائماً المطانيات المكررات ، السهر طول الليالي ، الوقوف على قدميه في الصلاة ، ليلًا ونهار ، حتى ان شهد تاردوريتوس[٣] اسقف قورس ، الذي كان من جيله وفي بلاده، ان شاعت اخبار القد في اذان كل احد ، وامتد مجده في جميع الاقطار،

---

١) او نيكانور قائد جيوش انطوخوس ايفانس . قتل في موقعة يهوذا المكابي سنة ١٦١ ق.م.

٢) هو ألمبس جبل الالهة في اساطير اليونان ومقام نبيهم .

٣) وثيودوريتوس Théodoret ٣٩٣ – ٤٥٨ ? اسقف قورش . من كتبة الكنيسة السريانية قاوم النساطرة في المجمع الخلقيدوني . له ميامر وتاريخ الكنيسة.

حتى ان من كل بلاد ومكان كانت تأتيه الناس ، البعض ليتأملوا القداسة الراسية في روحه ، البعض ليتغايروا ويتماثلوا في فضائله ، والبعض حتى ينالوا الشفا والصحة من امراضهم، فيذكر ثاودوريتوس الاسقف، ان في رسم الصليب لا غير ، كان يبري من جميع الاوجاع والعاهات كل ذو جنس وشكل ، كانوا ياتوا العميان ويرجعوا ناظرين ، ياتوا المكرسحين ، ويرجعوا ماشيين ، ياتوا الذين في الرجفة ويرجعوا مصحين ، ياتوا الذين في الحمه والسخونه ، الذين في البرص والتجديف ، والذين كانوا متعذبين من الشيطان ، وكل هؤلاء واشباههم يردهم متعافين ممجدين الله .

لكن نقرأ في قصته ان ما عطاه الله قوة الشفا فقط ، بل انه كان يعرف في الغائب ويذكّر كل واحد في خطاياه الذين من اجلهم كان ينساديه الله ، ولذلك لم كان يبري ذوي العاهات اذ لم يندموا اولاً على خطاياهم ، اذ لم يرجعوا الى الله من كل قلبهم ، وفي هذا النوع كان يبري اولاً الروح ثم الجسد ومن ينكر انه ما كان برجاً قوياً كبرج داوود المبني ؟

فيسأل احد ، يا ابونا ، ما هي هذه الالف ترس وكافة اسلحة الجبابرة المقتدرين الذين في برج داوود متعلقين ؟ فاجاوبهم : انهم الرهبان الطاهرين والقديسين المختارين ، الذين خرجوا من تعليم البار مارون . مذكور في كتاب الايام ان لما يوسافات[1] تقلد حكم يهوذا ارسل كهنة وقواد العساكر ليجولوا كل المدن ويعلموهم ناموس الرب ، كذلك البار مارون ، بعد ما اقام مدارس كثيرة للفضائل ، ونصب بساتين كثيرة في الحياة الملائكية ، امرهم يطوفوا في في كل هذه البلدان عن ادناس[2] القائد ، مذكور ، ان كان تحت يده ثلاث كرات رجل اشقياء ، وماذا يخطر لكم في البار يعقوب[3]، تلميذ البار مارون ، فان هذا بعد ما تتلمذ من معلمه اخذ السكنى في البراري ولا راد يتاوى تحت ستاره بل تحت جو السما كمامه ، ولا كان يأكل الا عدس مبلول فقط ، ولا كان يجلس فقط ، بل قائماً دائماً على قدميه ، تحت كيفيات الاهوية المختلفة ،

١) يوسافات . ١ الايام ١١ ، ٤٣

٢) ادونيا ٢ الايام ١٧ ،٨

٣) يعقوب ذكره ثيودوريتوس .

مثقلًا جسده بحديد ثقيل في الغاية ، وقام بنت فلاح بعد ما كانت ماتت ، ولما الاسقف ثاودوريتوس تدايق من تباع مرقيان الهرطيقي حتى ان الشيطان كان [كذا] يجهر يضطهده ، نجا بصلوات هذا البار .

عن يوحنا[1] مذكور ، ان كان قائد كرتين وثمانماية الف جندي ، وماذا يخطر لكم ان كانت فضائل تالاسيوس تلميذ مار مارون ، الذي يصير تذكاره في ٢٢ من هذا الشهر ، فهذا اقام له ديرًا في قرية هيليا ، وهناك في بساطة الاخلاق وتدله المقول مذكور عنه انه فز جميع اقرانه .

عن اماسياس[2] القائد مذكور ، ان كان حكم على كرتين ابطال ، لكن اشجع منه كان ليمناوو[3] الذي تغاير من البار مارون ، عتر له صيره في جاجاله ، وثبت فيا تحت الكشف ٣٨ سنة ، حتى ان الله صنع على يده عجائب كثيرة .

عن الباذا[4] القائد ، مذكور ، ان تحت يده كانت كرتين اقويا ، لكن اشجع منه كان زابينا القديس ، تلميذ مار مارون ، الذي اتخذ السكنه ايضاً فوق قمة تحت الجو ، على قدميه ثابتة دائم ، فلمّا كلّ من الشيخوخة والكبر ولم يمكنه التوقف كان يشدّ على ساقيه ، وتزايد على اهل عصره في اتعاب النسك حتى ان البار مارون طلب ان لا يدفنوه الا عليه .

ماذا يخطر لكم في بشليجزونيوس الذي تغاير من البار زابينا ومن معلمه اتخذ السكنى على راس قمة من القمم ، في هذه الكورة ، فليعذب جسده كان يحمل دائم على منكبيه اصل شجرة ثقيلة ، ما يستطيع يحركها الانسان في يديه التنتين ، وكان دائم حاملها ، وهو واقف في الصلاة ، حتى ان صنع الله على يده عجائب كثيرة ؟ ماذا يخطر لكم عن فازاراتوس الانطاكي ، الذي هو ايضاً انتقل الى هذه الكورى ليتعلم من مارون وتلاميذه النسك ، فعطاه الله الصبر ، ان ثبت مدة سنين منكس الراس في مكان علوه خمسة اشبار ، ثم خرج من

١) ١ ، مكابين ١٣، ٥٤

٢) ٢ ايام ١٧، ١٦

٣) عيده ٢٢ شباط .

٤) ٢ ايام ١٧، ١٧

هناك وعمل له سرابيل من جلود الذي كان يغطيه من راسه الى قدميه ، ولم ترك فيه الا تقبين لفمه وانفه ليستنشق الهوا ، وكان في هذا ليلًا ونهار صيف وشتا. قائم في الفضا باسطاً يده لله .

ماذا يخطر لكم في انبا يوحنا الذي تقاير من المذكورين ، بعد ما سكن مدة في قرب جبل برجاره ، انتقل الى مكان آخر حيث ثبت تحت الجو مكشوفاً مقدار ٢٥ [سنة] ، لا كان ياكل سوى الخبز بلمح ، ولا يلبس الا مسوح الشعر ، وبعد هولاء ، اثقال حديد كان يثقل على جسده من غير انه ياخذ تسلية ، ولان واحد من اصدقاه نصب بقرب من فراشه نصبة لوز ، وكبرت ؛ امر ان تقطع ليلا يستريح في ظلها .

ولكن كان يفرغ الليل والنهار ، ولم افرغ انا عن فضائل انبا مارون وتلاميذه ، خذوا تاودوريتوس وسنكسار الروم ، واقرأوا اقصاص القديس ابراهيم[1] واوسابيوس ، واسكليبس ، وطاليلاوس ، وماراس ، وسليمان ، وسمعان ، وغيرهم وغيرهم الذين تقايروا من مارون وتلاميذه ، وشرّفوا هذه

١) اليك ما قرأنه عنه وعن اوسابيوس وطاليلاوس. اما باقي الاسماء فلم انحقق هويتها :

ابراهيم – او ابراميوس ويلقب شينا حَمَلَا ومعناه السلام . روى عنه السنكسار الماروني في ١٥ ايلول انه كان من بلد انطاكية وكان رئيساً على اللصوص ثم تاب وترهب وهدى الى الايمان عدداً وافراً من الوثنيين . (شيخو : المشرق ١٢ صفحة : ٤٥٤)

اوسابيوس حوشب يكرم هذا القديس في بقاع كفرا وبعض جهات الجبة ووادي قاديشا قال الاب يترس ان حوشب تصحيف « حدبشابا » يعني عبد الاحد وهو كاسم دومينيك عند اللاتين . وحدبشابا «سر حعدا» احد السياح الذين يكرمهم السريان في طور عبدين وله ذكر في كلندار ربان صليبا وعيده في ٨ آذار – ويرى السمعاني في كتابه « سلسلة البطاركة الانطاكيين » انه البطريرك السابع المسمى اوسابيوس ويدعى ايضاً حوشب وقد تسمّى كثيرون باسم اوسابيوس ومن المرجح ان المذكور في عظة الدويهي انما هو اسقف سيساط الذي عيده في ٢٢ حزيران وصورته في كنائس الموارنة جبة الانف . ومات شهيداً سنة ٣٧٩ (شيخو : المشرق ١٢ : صفحة ٣٠٥–٣٠٦)

طاليلوس ولعله تلالاوس او ثلالاوس وقد عرف رجلان هذا الاسم فالاول شهيد استشهد سنة ٢٨٤ في بلاد قيليقية وكان اصله من لبنان جاء ذكره في كلندار ربان صليبا في ١٠ ايار اما الثاني فذكره واقع في الكلندار الماروني في ٢٧ شباط عاش بالقرب من مدينة جبلة شيد له كوخاً وعاش فيه متنسكاً مدة ثلاثين سنة في القرن الخامس للمسيح .

(شيخو : المشرق ١٢ : صفحة ٣٥)

كورة حلب[1] وجيرتها ، في فضائلهم وديورتهم .

حتى ان يوحنا فم الذهب الانطاكي ، الذي في شعاع علومه وضيا قداسته انار الشرق والغرب ، ولو ان ما هو مذكور ان كان تلميذاً لمار مـارون ، هو محقق ان لما انفوه من كرسي انطاكية ، رسل مكتوب الى انبـا مارون طالباً منه الدعاء والمعونة .

فاذا يخطر لكم ان كانوا هؤلاء القديسين الا تراس معلقة في هذا البرج المكرّم ، مثل برج داود المبنيّ في المجاعز المعلق في الف ترس وكافة اسنة المقتدرين ا

وما هذه اسنة الجبابرة المقتدرين الا الديورات والصير التي اقامها مار مارون وتلاميذه ، في مدينة قورس ، في قرية جرجاره (؟) في قرية هليمة (؟) في جبل اوليمبوس وفي قمم الجبال وهناك كانوا كالابرجة يحاربون الجسد والعالم والشيطان ويجدوا الى خدمة الله .

كان مرادي تقرأوا سيرة القديسة طومانينة تلميذة مار مارون ام البـارة مارينا ام القديسة كوره الحلبيات[2] وتنظرون مـا هو مؤرخ ان لست فقط الرجال بل ايضاً النسا كانوا تركوا العالم والبعض منهم يستحبسوا وحدهن واخرات يسكنوا في الديورة والاجبـال ، والآخرات جعلوا بساتينهم ديوره ، حتى ان في بعض مواضع وصل عددهن الى مايتين وخمساية ، ومن اين كل هذه العبادة الا بوساطة معلمهم الجليل مار مارون ؟ اذن حقاً ان في هذا البرج الحصين «الف سكرين تلين عاو كل شلطا جبرا» كان معلق فيه الف ترس ، وكافة اسنة المقتدرين ، وكان يقدر يقول مع عروسة المسيح : «انا حورا وندى مجدلا» ؟ هذه العروس التي تبان امام الناس انها صغيرة ولا ثديين لها هذه هي البرج المبني في المعجزات ، وثدياها كالابراج انا هذا «وثدى مجدلا» فان رهبانه قاموا البيعـة بالابراج المشيدة » .

١) الكلام دليل على ان الواعظ يذكر الساهين الحلبيين بقديسيهم فينال الاستحسان . وروى تاودوريتس في تاريخ الرهبانيات فصل ٣٠ قال اقتدت بحياة مارون الالهي العجيبة دومنينة التي نصبت في بستان ابويها كوخاً صغيراً وفيه كانت تقضي نهارها بالبكاء . . . ويعيد لها في ١ آذار . ثم القديستان كورا وماريانا اللتان يعيد لها في ٢٨ شباط . (راجع مروج الاخيار ص ١١٢ تعريب فروماج – المطبعة الكاثوليكية – بيروت) .

٢) الدليل بيّن على ان الواعظ كان يخاطب الحلبيين في حلب .

وهنا ينتهي النص الذي رويناه ولعل لامظة بقية القاها الدويهي ارتجالاً ولم يكتبا شأن الكثيرين من الوعاظ الذين يستوحون من سياق الكلام ختام وعظهم مع مراعاة الظروف المناسبة للزمان ولحاجة السامعين .

على ايام المطران جبرائيل البلوزاني
١٦٦٣ - ١٧٠٤

[١٦٥٩] في هذه السنة توفي الخوري الياس بن حنا الاهدني خال البطريرك اسطفانوس الدويهي وكان قد خدم مدةً الرعية المارونية في حلب .
(غراف ٣٢٥٠٣)

[١٦٦٠] في هذه السنة الشماس استفازادور الارمني نسخ كتاب الطقوس عن طلب مركاز عربكير وكتاباً آخر للطقوس عن طلب آكوب الارفلي وكان قد سبق ونسخ سنة ١٦٥١ كتاب الانجيل عن طلب الاب دير فرنسيس وكتاب الفرض عن طلب الاب آكوب في حلب . (سورميان ٢٢،٣٢)

وفيها داود الملكي المتولي جمع الخراج تعمم سهواً بعمامة خضراء يمتاز بها المسلمون . فاضطروه الى التشهد . فابى . فكبلوه . وزاره الاب برونو الكبوشي في السجن فاعترف داود وتزود بجسد الرب . وفي ٢٩ تموز ١٦٦٠ قطع رأسه في ساحة السرايا . فابتاع المسيحيون جثته بالذهب وسار في جنازته بطاركة الروم والسريان والارمن وخمسة مطارين وسائر الاكليروس واحتُفِل عند دفنه بقداس الشهداء . (رباط ١، ٤٥٧)

[١٦٦١] في هذه السنة كان تيودوروس وهبه الحلبي الملكي الكاثوليكي تلميذاً في رومة (كارالوفسكي ١٠٩) وفيها نسخ الشماس استفازادور كتاب السواعي للخواجا مصر شاه الحلبي . (سورميان ٣٣)

[١٦٦٥] الشماس استفازادور الارمني نسخ كتاب القداس عن طلب الاب سليمان الحلبي . (سورميان ٣٣)

مكاريوس الثالث الزعيم البطريرك الملكي اقر بالايمان الكاثوليكي وكان سابقاً مطران حلب .

[١٦٦٦] نسخ البطريرك اندراوس اخيجان السرياني كتاب الليتورجيات الثلاث عشرة وفيها ليتورجية المفريان ماروتا التكريتي واغناطيوس النوراني .

وفي هذه السنة انشأ اسطفان الدويهي المدرسة المارونية في حلب .
(غزي ٢، ٤٨١)

[١٦٦٨] في هذه السنة مرّ بحلب الخوري الياس الموصلي الكلداني قاصداً الى اميركة وله في دار الاسقفية السريانية وصف رحلته نشرها في المشرق ١٩٠٥ الاب انطون رباط اليسوعي .

وفيها نسخ البطريرك اغناطيوس اندراوس اخيجان جملة نوافير بالسرياني والكلداني . (الشرقة)

[١٦٧٠] نشأت جمعية راهبات في حلب تحت ادارة الآباء الكبوشيين . كان عددهن نسباً اربعاً ارمنيات وكنّ يمارسن قوانين القديسة كلارا . وكان عدد وافر من البنات الصبايا يطلبن الدخول في هذه الجمعية وبعضهن كنّ مخطوبات .
(رباط ١، ١٠٥١)

وحوالي هذه السنة الى ١٦٨١ يذكر دفتر وقائع الكرمليين في حلب اسماء الذين اعتنقوا الكثلكة . اكثرهم من اليعاقبة واخصهم حنة واصلان قاجيا (آجيا ؟) وامرأة قاجيا داود « السيدة القديسة » وشكرالله قاجيا وشماس ابراهيم قاجيا الخ . (رباط ٢، ٨٧)

كانت هناك شمالي كنيسة مار الياس دار ملك « بيت البابوش » فابتاعتها الطائفة واسقطت الحائط بينها وبين الكنيسة فوسعتها واتخذت من ثم الغرف لسكنى المطران والكهنة وللسكرستيا . وان آثار ذلك بيّن الى يومنا .

على ان هذه الكنيسة الحقيرة سوف تستبدلها الطائفة بالكاتدرائية الضخمة التي ستشيدها « ما وراء العمارة » ولكن لم تزل الغرف حولها تصلح للسكنى وهي الآن تأوي اولاد المدرسة .

ونسخنا من خزانة الآثار في دار المطران الماروني حجة شراء « بيت

البابوش » موقعة باسما. المتبرعين في شرائها مع ذكر المبلغ الـذي تبرعوا به او الهدية التي قدموها للكنيسة واليك نص الحجة :

فلما كان تاريخ سنة الف وستماية وواحد وسبعين رباني فاشترا حوش بيت بابوش[كذا] الذي خلف كنيسة القديس مار الياس وكان المتلي في ذلك اولادنا المباركين الشدياق نوح ولد يوسف من قرية بشري الذي كان متوكل على الكنيسة في تلك السنة والخج يعقوب ولد بركات من قرية بشري فتقدموا هولاء المذكورين واشتروا هذه الحوش المذكوره من مالهم لنفسهم وكتبوا الحجج باساميهم بمقدار الف وخمساية قرش وراح خلفه وتسديد وترميم ثلاثماية قرش يكون جملة الدراهم الف وثمانماية قرش اسدية فلما حضرت انا ازور جماعتنا واجمع للبطركية بجاري العاده وكان ذلك على زمان سيدنا وتاج روسنا البطريرك مار اسطفانوس الانطاكي فاجمعت هذه الدراهم ولمينا من الطايفة من رجال ونسا واولاد وبنات وكل احد اتشوتف على قدر قوته وما طابت نفسه واجمعنا الدراهم جميعها واوردناها الى الاسامي المذكورين اعلاه واخذوا دراهمهم بالكمال والتمام وصار الحوش وقف مؤبدًا الى كنيسة القديس مار الياس لاجل هذا الشي الترمنا وكتبنا كل من اتشوتف في حق هذه الحوش وحطينا اساميهم في هذا الكتاب . نامر اولادنا القايمين في عصرنا هذا وايضاً الذين يأتون بعدهم والى اخوتنا المطارين الذي يجوا بعدنا الى هذا الجانب وحطينا هذا القانون والامر ان في ثاني يوم عيد جميع القديسين الذي هو يومين من تشرين الاخر انهم في ذلك اليوم تصير الصلوات والحسنايات والقداديس على ارواحهم ويصير لهم هذا تذكار للابد وبعض الخرج ووقا القداديس في ذلك النهار من مال الكنيسة من يد الوكيل الذي يكون متوكل في ذلك العصر . كل من غيّر هذا القانون او قصد ان خالف يبقى يعطي جواب قدام الله تعالى في يوم الدين المرهوب لانه صار هذا في رضا وحضور جميع طايفتنا وفي تلك السنة ونحن حاضرين صار تلبيس الكنيسة وانفتح الشباك القديم الغربي الذي يرمي على الحوش المذكور اعلاه وكرسنا الكنيسة ثاني مرة وكل من نظر في هولاى الاحرف يترحم على الاسامي المذكورين الذي تبروا بمالهم وانفسهم نطلب من الله تعالى ومن ستنا العذرى الطاهرة ومن القديس صاحب الموضع ومن جميع القديسين انهم يبقوا ويشفعوا في كل من اتشوتف واعتنا ووقف قدام الحاكم في هذه المعونه يعوضهم الله عرض الواحد ثلاثون وستون ماية وفي الاخره ملكوت السماوات وعواقبهم دايما يكونوا في نعمة الله تعالى امين .

ويتلو الحجة توقيع « المشترقين » وعددهم من الذكور ٢٣٩ ومن الاناث ٢٢٥ . كل اسم تحته رقم دليل على ما تبرع به من القرش (الذهب ؟) وفي فاتحة الاسماء المطران جبرائيل (١٠) ثم الخوارنة يوسف (٥) حنا (١٠) جبرائيل (٨) القس شحاده (٥) .

ومن بعدهم الشدياق نوح (٥) والشمامسة الخ. وذكرت اسماء النساء. وما تبرعن

به من غرش او من قطعة ذات قيمة من امثال ذلك حرمة ابراهيم (خلخال) حرمة انطون (فضية) حرمة الياس (دكة فضة) حرمة حنا (حلقة ذهب) حرمة حنا (اطلس بزرار فضة) حرمة (؟) (بقجة) بنت شد او شدياق فرحات (دراهم كب حرير ؟) حرمة الياس (بدلتين زرار) حرمة حنا بركات (خاتم ذهب) حرمة عطاالله (خلخال) حرمة شد جباره (كفه قنديل عتيق) حرمة جبرا (خلخال) حرمة يعقوب (خاتم ذهب) حرمة شدياق عبدالله (حلق ذهب) بنت جبرا (زنار مختم) بنت البلوقيتي (زنار مختم) حرمة الافرنج (زرار) حرمة يوسف (خاتم ذهب) حرمة شماس جرجس (حلق ذهب) حرمة نعمة (شاهيتين) ام حنا (وقية قز) حرمة فتح الله (شاهيتين) ميلانة (خاتم ذهب) بنت حنا (بدلة زرار) حرمة بطرس (بدلة ونصف زرار) على روح ياسمين (لباس) الخ ... محرمة . زرار .

وفي هذه السنة نسخ اغناطيوس اخيجان كتاب جناز الموتى في مدينة حلب (شرفة) ونسخ الشماس استفازادور قوانين الرسل. (سورميان ٣٣)

[١٦٧٢] ولد في حلب عبدالله قرألي احد مؤسسي الرهبانية اللبنانية واسقف بيروت الماروني . (المنجد)

[١٦٧٣] في هذه السنة كتب الشماس استفازادور الارمني كتاب الطقوس للاب اوهانس . (سورميان ٣٣)

[١٦٧٤] ارسل الارخيدياقون ميشيل بجاء الملكي خضوعه الى رومة وكان من المجاهدين في سبيل الايمان الكاثوليكي. (كارالوفسكي ١٠٤)

وفيها قدم الى حلب المركيز دي نوانتل[1] سفير ملك فرنسة لويس الرابع عشر ليشد عرى الوثاقات التجارية بين فرنسة والسلطنة العثمانية . خرج للقائه جماعة الجالية الافرنجية من انكليز وهولانديين وافرنسيين ودخل البلد محفوفاً بمظاهر الفخامة بين الخدم والحشم والضرب بالصنوج والنفخ بالبوق .

واستقبله بطريرك السريان في الكنيسة فسمع القداس واعجب بما رآه من

[1] Vandal. *Les voyages du Marquis de Nointel*, p. 155.

تقوى الحاضرين وخشوعهم عند الكلام الجوهري الدال على ايمانهم باستحالة الخبز والخمر الى جسد ودم المسيح .

كان بين الانكليز رجال من اشرافهم ابناء اللوردات وكانوا يعيشون بالترف ويلبسون الثياب الجميلة ويركبون الجياد المطهمة . ويذكر الحلبيون الى يومنا ما كانوا يرونه في اواخر القرن الماضي في ضاحية جبل النهر والزبدة من «اشجار صنوبر حلب» هناك كان يعيش القنصل البريطاني واسرته في« بستان الانكليز» وقد تحول اليوم الى دور للسكنى .

واغتبط ملك فرنسة لما بلغه عن رحلة دي نوانتيل الى حلب وعن سعيه في سبيل تجديد الامتيازات الاجنبية لحماية الدين الكاثوليكي ولمساعدة التجارة . واخذ بعين الاعتبار ما قاله دي نوانتيل عن ايمان الحلبيين باستحالة الخبز والخمر الى جسد ودم المسيح فكان لذلك الخبر وقعه الخطير ايام كانت حركة الاصلاح البروتستنطي في فرنسة تدعو الى نبذ العقيدة في الاستحالة .

[١٦٧٥] في هذه السنة سافرت قافلة الى ديار بكر تحمل اليها الصابون وكان عدد دواب القافلة ١٠٠ أو ١٢٠. (سوفاجه ١٦٥)

[١٦٧٨] في هذه السنة توفي اندراوس اخيجان البطريرك السرياني . (غراف ٤: ١١٤)

وهو الذي وقف كتاب الحسايات للكنيسة. (شرفة ١٢٤)

وفيها نسخ الراهب رزق الله قسيس السرياني كتاب البيتكار او التراتيل . (شرفة ١٠٠)

وفيها استقدم الاب ميشيل نواليسوعي للطائفة المارونية ذخائر القديسين من رومه ومعها اوراق حجتها وفيها جلس البطريرك بطرس السرياني وسيم اسقفاً على السريان في حلب المطران رزق‌الله . (رباط ٢، ٧٠)

حرّر المرسلون كتاباً الى سفير فرنسة في الاستانة وطلبوا الرخصة لتوسيع كنيسة مار الياس الموارنة .

[١٦٧٩] اخذ الآباء الفرنسيسكان بتدوين وقائع ديرهم في كتاب

سوف يختمونه ١٨٨٤ وهو في دير حلب. وفيها ولد في عينتاب ابراهيم اردزيفيان اول بطاريرك للارمن الكاثوليك . (غراف ٣، ٦٠٠)

[١٦٨٠] التجارة بين البصرة وحلب بواسطة الانكليز والافرنسيين تؤدي المعاش لاكثر من ثلث سكان حلب . (سوفاجه ٢٠٤)

وفي هذه السنة ولد في حلب الشماس عبدالله زاخر وهو من انسباء الخوري نقلاوس الصائغ . (غراف ٣، ١١٠)

حوالي هذه السنة القيت في كنيسة الروم في حلب مواعظ حفظت في مكتبة مخطوطات الاب بولس سباط عددها ٣٦ ومواضيعها الحقائق العظمى والاسرار والوصايا . (غراف ٣، ١٧٠ ، سباط ٦٦٥)

[١٦٨١] حدث الاضراب العام في البلد بسبب زيادة الضرائب . الف الشماس استقازادور الارمني كتاب الصلوات . (سورميان ٣٣)

[١٦٨٣] لوران دارفيو قنصل فرنسة في حلب وسفيرها لدى الباب العالي وصف حلب بفصل مطول فذكر فيه ما لم يذكره غيره عنها فاطنب في مدح بساتينها على ضفتي نهر القويق واثارها المتنوعة وفاكهتها وخاصة البطيخ الاحمر « الجَبَس » الذي يسد الحاجة وقت الحر الشديد لحمه احمر يانع لذيذ يذاب في الفم بشراب يروي العطشان ولا يضر البتة . وكذلك الخيار فطعمه كالتفاح ياكله الناس بقشرته والمقتي وانواعه من قرع وكوسا يصلح « للشوربة » ويُحشى باللحم المفروم وكل هذا وافر في الاسواق متداني الاسعار . وقال عن اهل حلب انهم الاكثر وداعة والاقل اذى والاسهل معاملة ما بين سكان السلطنة العثمانية .

النساء . يلبسن السراويل الطوال كالرجال وفوقها القميص من القماش الموصلي ويحتذين بارجلهن بجزمات من الجلد الاصفر ويلتحفن بملحفة من اللحاف الابيض من الرأس للقدم. ويحجبن وجوههن بالبرقع الاسود الشفاف فيرين ولا يُرى وجههن.

---

(1) *Mémoires du Chevalier d'Arvieux*. Tome sixième. Paris 1735, p. 411 sqq.

وهواء البلد نقي لكنه صحراوي يكشف على امراض الذين يأتون البلد وفيهم الاستعداد للعاهات فعليهم ان يتوقوا من الاسراف بالاكل والشرب لئلا تتفاقم علتهم ويموتوا بها .

والباشا حاكم البلدة يمتاز بسنجق بثلاثة اذنبة يحمل امامه . وهو عبارة عن رمح في رأسه كلة من النحاس المذهب يعلق عندها ثلاثة اذناب من اذنبة الخيل البيض . وتحت الباشا المتسلم وليس له راتب معاش معين لكنه يتقاضاه من الناس على هواه . وتحت المتسلم القاضي . وبعده المفتي ثم نقيب الاشراف ويتميزون بعمائمهم الخضر ثم آغا الانكشارية ثم آغا الصباحية ثم الدفتر دار ثم وكيل المكوس او الكمرك .

وهناك الشابندر وهو زعيم التجـار والقاضي بينهم ثم الصوباشي او زعيم الشحنة .

وهناك امام الحي ينتخبه اعيان منطقته فيلتزم بجمع المال للسلطان ويعين ما على كل بيت من بيوت الحي ان يدفعه من المال وتحت يده شيخان الواحد يلم المال والثاني معهود اليه بالحراسة في الليل . وهؤلاء الثلاثـة لا يتقاضون معاشاً لكنهم يعفون من دفع ضريبة السكنى .

السكان على الاجمال فيما عدى الاشراف يشتغلون اما بالتجارة واما بالمهن وهي اثنان وسبعون صنفاً وعلى كل صنف منها شيخ فاذا وقعت ضريبة مـا على صنف من الاصناف توجب على شيخ ذلك الصنف ان يتقاضاها من عماله وله منها مكاسبه يساعده على تحصيلها الصوباشي والقاضي .

على المدينة ان تقدم للسرايا القسم الاكبر مما تحتاج اليه من لحم وخبز وسمن وحطب وفحم وشعير وطحين وتبن وغير ذلك ويتقاضى الباشا الباقي من الضيع .

[١٦٨٤] نسخ بشارة بن سفرشاه السرياني في حلب كتاب البيتكاز ١٦ حزيران . (شرفة ٩٨)

كتب فولنه ٢،٤٩٢ ان اكثرية السكان في ضواحي حلب هجزوهـا الى المدن . وكان عدد القرى في الباشاوية ٣٢٠٠ فانحط الى ٤٠٠ وعلى ١٢٠٠ قرية ٣٠٠ خربت وهجرت . (دارڤيو – سرفاجه ١٩٤)

ولد جبرائيل حوشب وسوف يخلف جرمانوس فرحات على كرسي حلب الاسقفي في ١٧٣٣ ويقيم في دير طاميش لبنان . (غراف ٣، ٤٦٢)

وارتفعت الاسعار في الاسواق ارتفاعاً فاحشاً فحدثت الفتنة وقتل المتسلم ابراهيم باشا ونقيب الاشراف محمد الحجازي . (غزي ٣، ٢٩١)

[١٦٨٥] ولي حلب عبدالله باشا . احترق سوق بانقوسا . (غزي٣، ٢٩١)

الاب فرنسيس دي . . تتان الكبوشي اقام في حلب واعظاً ومعلماً . الف كتاب « اتقان الطريق الهادي _ الملكوت السماوي » رداً على القرآن .
(غراف ٤، ٢٠٠)

ارسل البطريرك اسطفانوس الدويهي الى حلب الخوري بطرس التولوي واعظاً وخادماً للنفوس وسوف يموت سنة١٧٤٥وعمره٩٠سنة. (غراف٣، ٣٩٤)

[١٦٨٦] صدر الامر من الباب العالي باطلاق الحرية للاباء الفرنسيسكان في استعمال المخزن في خان الافرنج كنيسة يقيمون فيها العبادات . (رباط٣، ٤٧)

وفي هذه السنة كتب الكاهن مرقص للخوري زنده كتاب البرهان للقديس اثناسيوس الاسكندري . (رباط ٤٩)

وكانوا في هذه السنة يكثرون من صناعة الاقمشة القطنية وكانوا يصبغون القرمز العجمي والكلزلي والحوي ويصدرونه الى كتالونية والى سواحل اسبانية وعهدها قريب في الحكم العربي . (سوفاجه ٢٠٣)

قضية توسيع كنيسة مار الياس الموارنة

سنة ١٦٨٦ في ١٧ شباط كتب الاب براوز (Boisot) اليسوعي (رباط ٢ : ص ٩٤) الى سفير فرنسة في استنبول ان الموارنة هم اكثر مسيحيي الشرق احتراماً لنا وتعلقاً بالكنيسة الرومانية . وكلهم كاثوليك ويقبلون التعليم الديني بنشاط ليخرجوا من الجهل الذي طرحهم فيه طغيان الاتراك . ولهم في حلب اسقف غيور على خير الشعب وهو يلتمس توسطكم لدى الباب العالي ليستطيع ان يوسع كنيسته وذلك بازالة الحائط الفارق بينها وبين الدار التي تخص الموارنة فتدخلها النساء للصلاة دون ان يلتجئن الى المرور كما في اليوم بالباحة

الخارجية بين رجال سائر الطوائف وسوف يحدثكم الاب (Deschampes) ديشان عن هذه القضية .

والتقى الاب ديشان في استنبول بالسفير الافرنسي واعرب عن رغبته الحارة في ان يحمل الى موارنة حلب الاجازة الشاهانية ليستطيعوا ان يوسعوا كنيستهم لانها تضيق بعدد هذا الشعب الذي يأتي من لبنان للاقامة في حلب .

فاجابه السفير انه من المستحيل تحقيق هذا الطلب لان الشريعة التركية تقضي ليس بعدم عمار كنائس جديدة فقط ولكن بتوسيع القديمة ايضاً .

— ولكن باي حجة شرعية يُمنع توسيع الكنائس ؟

بين المخطوطات التي وجدناها في حلب اوراق في كراسة ملوثة بالرطوبة عسرة القراءة في اسفل مقدمتها جاء عنوانها :

« تحفة الاريب فيا يمنع منه اهل الصليب الفها محمد بن يوسف الحلبي المتقي في جزيرة ساقز عن طلب محمد باشا وقد يكون محمد كوبروله او غيره ممن تولوا الحكم في جزر الارخبيل في القرن السابع عشر وهذه المخطوطة عليها تاريخ ١١٣٥ ه المناسب لسنة ١٧٢٢ وهو تاريخ النسخة وبخط غير خطها فيكون الاصل قد وضع في القرن ١٧ . ومها يكن من هوية مؤلفها ولم نرَ له ذكر في انباء النبلاء لراغب الطباخ فهي اثر خطير جمع فيه صاحبه اقوال علماء الشرع الاسلامي في الموضوع . اطلبها في ذيل المقال —

وان تلك الفتوى وامثالها كانت تصدر منذ الفتح الاسلامي وقد يتقيد بها الحكام او يتساهلون بحسب الظروف .

ولم ينفك موارنة حلب يسعون لدى اولياء الامر في سبيل توسيع كنيستهم .

فاعاد الاب ديشان طلبه الى السفير الافرنسي في استنبول وكتب المذكرة التالية :

« ان عدد الموارنة كان منذ خمسين سنة زهيدًا جدًّا في حلب وكانوا يكتفون لعبادتهم بزرقة واقعة في جوار كنيسة الارمن لا تسع اكثر من اربعين او خمسين شخصاً ولكن زاد عدد ابناء هذه الطائفة كثيرًا بقدوم من جاؤوا من جبل لبنان مع عيالهم ليقيموا في حلب حيث يشتغلون بنشاط في سائر المهن وبالحرير وقد يبلغ عددهم الى الاربعة آلاف . . . فلا بدَّ لهم من توسيع كنيستهم » .

وفي سنة ١٦٧٧ طلب الحبر الاعظم بالحاح الى ملك فرنسة بالتدخل لدى

الباب العالي لمساعدة الموارنة فقدم السفير الافرنسي الطلب للصدر الاعظم وكان جوابه : « اولماز اي-كلا » .

واضاف صاحب التحرير هذه العبارة :

« ان المانية كان سببها تراجمة الباب العالي وهم من الاروام المنفصلين عن الكثلكة فكانوا يعرقلون مساعي الكاثوليك في البلاد العثمانية ليتحرروا من سطوة بطريرك الفنار اليوناني عليهم . ولكن بالرغم من هذه العراقيل ما ان قضت ايام الا ويكتب الاب بوازو اليسوعي في ١٠ آذار » .

« كنت اظن انه من المحال الحصول على الرخصة في توسيع كنيسة الموارنة في حلب ولكن صرت آمل بالنجاح وساعمل في سبيله » .

وفي الامر الواقع لقد نال الآباء الفرنسيسكان الرخصة في اعادة كنيستهم في خان الشيباني في السنة ذاتها ١٦٨٦ فاستفاد الموارنة من هذه الظروف ووسعوا كنيستهم . (رباط ٢، ٩٧)

[١٦٨٧] ١٠ نيسان ارسل اثناسيوس من حلب كتاباً الى السفير الافرنسي في استنبول اعلن فيه انه تثقف منذ نعومة اظفاره بالايمان الكاثوليكي على الاباء اليسوعيين . (رباط ٢، ١٠٦)

[١٦٨٨] اخذ الشماس استاذدور الارمني بكتابة كتاب الطقوس ولم يكمله لانه تقدم بالسن . (سورميان ٣٤)

[١٦٨٩] فيها ولد بحلب يعقوب يوسفيان الذي سيقام اسقفاً فيها على الارمن ١٧٥٠ ويرسل كهنة للتبشير في بلاد الارمن. (غراف ٤، ٨٨)

[١٦٩٠] وقع الطاعون في حلب وبلغت الاصابات يومياً السبعمائة . (غزي ٢٩٢)

مكرديج الكسيح الارمني الحلبي الف بالعربية كتاب « ظل الكمال في تثقيف الاعمال » . (غراف ٤، ٨٤)

الخوري يوحنا بن زندا الحلبي الف كتاب « الناموس الشريف والمصحف العالي المنيف في الحق القانوني » . (غراف ٣، ٢٨١)

[١٦٩٢] الاب اغناطيوس كليسون اليسوعي مات في حلب بالطاعون . ألف كتاب « المباسر في الوعظ » . (غراف ٤، ٢١٧)

[١٦٩٣] في هذه السنة كان في حلب جبرائيل فرحات الشاعر وهو في ٢٣ من عمره ووقع فيها الطاعون فوصفه بقصيدته المزية العصماء ومن شعره فيها :

لا حبذا ضيف الم بارضي	بسمت لـه الآجال لما جاء
هبت بفلك جسومنا ريح الفنا	سحرًا وكان هبوبها نكباء
وطمت بحارُ الحين من عمقاتها	فسرت وكان مقرها الأحياء
يا رب أشدد فيك ازري واكفني	ضدًا أثار على مناوي الـداء

(من ديوانه ص ٢٢)

[١٦٩٥] وفي هذه السنة انقسمت الطائفة المارونية الى الاهدنيين والبشرانيين حول شخصية المطران وبعضهم كان من حزب جبرائيل البلوزاني وبعضهم من حزب المطران جرجس الذي جاء من لبنان وادعى بالمطرانية لنفسه ولكنه ما عتم ان عاد الى لبنان وانحسم الخصام . (رباط ٢، ٢٢)

[١٦٩٦] سنة غلاء الطاقة . كان الناس في ايام المجاعة يتزاحمون على الخبز عند الافران فلا تفتح ابوابها بل كانت توزع الخبز من الطاقة . على ايام عثمان باشا الوالي . (غزي ٣، ٢٩)

وحيّ فرن الشباك في بيروت ينوه بالحدث ذاته اذ كان المسافرون عند خروجهم من بيروت الى الجبل يتزودون الخبز عند الفرن من الشباك . وفي هذه السنة يعقوب اروتين الارمني الاصل دخل دير مار مورا الموارنة ونذر نذوره الاحتفالية مع عبدالله قرألي . (غراف ٣، ٤٢)

[١٦٩٧] خطايا الملكيين في حلب :

نشر الشماس جرجس بن سفرشاه في حلب عن احد الكهنة صفحات ذكر فيها خطايا الحلبيين « الحرامات » منها السكر وشرب العرق . واكل الافيون والكلس والتشبه بجيرانهم الغير المسيحيين فيما انفردوا به من الخصائص والعادات والاهواء . ككتابة الحروز والطلسمات وتلاوة الادعية لاستخراج الجن والضرب

بالطنبور والفيق واكل لحم الخنزير المقتول خنيق ولبس الازرق والاسود على الميت وقص اللحية وشرب الدخان وغير ذلك مما كتب فيه احدهم استهزاء :

« الذي يفطر ويتغدا ويتعشا حرام . الذي يشرب ماء اذا عطش حرام . واذا نعس الانسان ونام حرام . اذا نام بلا بابوجه حرام . واذا سأله جواب ورده حرام ».
(زيات : المشرق ٣٦ : ٣٢—٤٠)

[١٦٩٨] ابطل قاضي حلب محمد بن الغني عادة مشايخ قرى جبل سمعان بان يقدموا للقاضي هدية من الدجاج . (غزي ٣ ، ٢٩٣)

اثناسيوس ٤ دباس اقتسم البطريركية مع كيرلس ٥ الساقزي في دمشق والدباس في حلب. وكان في غضونها الاسقف غريغوريوس مطراناً على حلب . خاضعاً للكرسي الرسولي . (كارالوشكي ١٠٤)

اخذ الانكليكان يوزعون كتبهم الدينية على الناس. (رباط ١٩٠١،٥)

[١٧٠٠] بطرس يوحنا مصر شاه السرياني الحلبي دخل مدرسة البروباغندا في رومة . نقل الى العربية شرح رؤيا يوحنا لمتزخيوس المتوفى ١٦٥٥ .
(غراف ٤ ، ٥٨)

[١٧٠١] الاب يوسف دي روبي (de Rouilly) رئيس رسالة الكبوشيين في حلب ترأس ايضاً فيا مأوى الغرباء . (غراف ٤ ، ٢٠٢)

هو الذي سيسعف البطريرك اثناسيوس دباس في موته ٥ آب الساعة ٢ من صباح ١٧٢٤ . وينال منه امام الشهود الحاضرين نبذه التعاليم المخالفة للايمان الكاثوليكي . (لرفينك اثناسيوس ٣ في القاموس التاريخي الجغرافي ٤ ، ١٣٠٢)

[١٧٠٢] مات صبراً في سجن آدنه البطريرك بطرس اخيجان السرياني والمطران رزق‌الله امين خان . (غراف ٣ ، ٥٧)

وفيها قدم الى حلب القس جبرائيل فرحات الراهب اللبناني . وفيها كتب البنكار الكرشوني في كنيسة موارنة حلب . وفيها مات يوسف معرب « الشرح المختصر في السبع الرذائل » .

[١٧٠٤] رُفع الى الكرسي البطريركي الاسقف جبرائيل البلوزاني سابقاً

مطران حلب . فسام ابن اخيه ميخائيل البلوزاني اسقفاً على تلك المدينة وسام الاسقف ميخائيل الشماس عبد المسيح لبيان الحلبي كاهناً وعهد اليه بالخدمة الدينية في لبنان ثم في حلب . وكان للخوري عبدالمسيح الباع الطولى في التأليف الكتب الدينية ونسخها وكان قد تعلم على بطرس التولوي .

(كارالوشكي ١٠٩ ، غراف ٣ ، ٣٩٠)

على ايام المطران ميخائيل البلوزاني
١٧٠٤ - ١٧٢٤

[١٧٠٥] سافر من حلب الخوري ميخائيل الدويهي ليدفن اخاه الخوري يوسف الدويهي المتوفى في عندقت عكار . (شرفة ٣٢)

[١٧٠٦] حوالي هذه السنة نسخ في حلب برغوريوس عبدالازلي مطران دمشق السرياني كتاب الرسامات الكهنوتية . (شرفة ١٣٩)

وفيها كوركيز ولد عبد الكريم اوقف مستغلات لكنيسة السريان بحلب وكذلك الياس ولد حنا وفرج ولد عبدالله . (غزي ٢ ، ٦٠٦)

وفيها طبع الانجيل في المطبعة الارثوذكسية في حلب بسعي البطريرك اثناسيوس٣ دباس وكان باكورة المطبوعات العربية في الشهباء . (غزي٢، ٤٧٢)

[١٧٠٧] اثناسيوس دباس طبع للمرة الاولى في حلب تعريب تعليم الرسل Praxapostolos وعظات يوحنا فم الذهب . (غراف ١ ، ١٧٢)

[١٧٠٨] صور صورة الدينونة العظيمة الموجودة في كنيسة الارمن بحلب قس نعمة ابن الخوري يوسف المصور وابنه حنانيا .

واليك نص الاسطر المحررة في اسفل الصورة :

« وكان المجتهد بعمل هذه الدينونة المكرمة المقدسي كركور شماع ابن المقدسي كرابيد بالتمام الكهنة المسيحيين الى كنيسة الاربعين شاهد العظمى في مدينة حلب المحروسة . فنسأل كل من نظرها يترحم على والديه ويطلب له المغفره من الله تعالى وذلك بتاريخ ١٧٠٨

صورها بيده الفانية الحقير القسيس نعمةالله بن خوري يوسف المصور وابنه حنانيا فنسأل كلمن نظرها يدعى لها بالغفران وذلك بتاريخ سنة ٧٢١٦ لآدم عليه السلام».

(والمحور كان ينطق بالضاد ومن المرجح انه كان من الجالية الارمنية الحلبية التي تكونت منها الطائفة الارمنية الكاثوليكية) .

[١٧١٠] الراهبان جراسيموس وسليمان من حلب دخلا دير مار يوحنا الصابغ في قرية الشوير .

[١٧١١ / ١١٣٤] اجر البطريرك اثناسيوس دباس نعمة بن الخوري توما جميع الدار الكائنة وقفاً في محلة الصليبة المشتملة على ايوان صغير بجانبه قبة وعلى بيت يعلوه مربع يصعد اليه بدرج من الحجر وعلى مطبخ يعلوه طبقةصغيرة عقداً كاملاً ثلاث سنوات متواليات باجره قدرها عن المدة ماية وخمسة واربعون غرشاً عباره عن كل سنة من العقد ثمانية واربعون غرشاً وثلث القرش وقد هدرت له من المبلغ المرقوم خمسة واربعون غرشاً بمقابلة ما يلحق الدار المذكوره في المدة المرقومة من العوارض السلطانية والتكاليف المرضية والحكر العايد لجهة وقف مدرسة الحلوية والماية غرش التي هي تمام الاجار المرقوم . . .
(مقتطفات صفحة ٩٤)

[١٧١٢] قدم الى حلب الخوري جبرائيل فرحات الماروني الواعظ والشاعر . (غراف ٣ : ٤٠٧)

— الكاثوليكوس بطرس بطريرك سيس سام ابراهيم اردريفان اسقفاً مديراً لابرشية حلب على الارمن . (غراف ٤ ، ٨٦)

وفي هذه السنة ارسل افتيموس صيفي رسالة تشجيعاً للملكيين الكاثوليك وكان عددهم ١٥٠٠٠ بين دمشق وحلب . وكان من السعاة النشيطين في تكوين الطائفة الملكية الكاثوليكية المستقلة عن البطريرك اليوناني . .
(غراف ٣ ، ١٨٣)

[١٧١٣] المدعو اطناسيوس اوقف مسقفات لفقراء النصارى .
(راجع فيا بعد ١٧١٩ ه اذار وغزي ٢ ، ٦٠٧)

ودخل في وقف كنيسة السريان في حلب كتاب فصول من العهد القديم بالخط الكرشوني كانت تستعمل في ايام صوم نينوى والصوم الكبير وفي الاحاد والاعياد . (شرفه ٦)

[١٧١٤] ١٢ ايلول مات الاب برنارد غوده (Gaudet) اليسوعي فقام بجنازته في المقبرة الاب خوري اللاتين .

وفيها السيد بولس لوقا قام برحلة ثالثة الى البلاد السورية بامر ملك فرنسة لويس الرابع عشر وزار حلب وكتب عنها طرفاً منها وصف الحفلة التي جرت عند زيارة قنصل فرنسة الاولى الى الباشا . امر الباشا القنصل بالا يأتي معه بفوتويل (كرسي) كما كانت عادته (ولعل السبب ان الباشا كان يتربع جالساً على الدوشك وسرواله الواسع يريحه في الجلسة . اما القنصل وبنطلونه ضيق فكان يضطر الى ان يأتي بكرسيه معه للجلوس؟؟ ما لم تقدم له منضدة كما سترى).

فجاء القنصل بالابهة كما يلي : تألف موكب سار امامه بلوك باشي ومن بعده قواس فرنسة وبيده عكازة طولها خمسة اقدام وعلى رأسها صورة الزنبقة من فضة ومن بعده اربعة انكشارية بلباسهم الرسمي وطربوشهم له شرابة تترامى اطرافها على الكتفين ومزين فوق الجبهة بنوع من بكرة من الفضة المذهبة ومن بعدهم الشطار الاربعة ببدلاتهم وكسمها واحد . ومن بعدهم التراجمة الاربعة ومن بعدهم القنصل وكان زيه زي الاتراك وعلى اكتافه وشاح يرفع ذيله من الوراء احد الخدام . وكان على يمين القنصل ويساره مندوبا الدولة الافرنسية وكان يمشي وراءه الافرنسيون وسائر من كانوا يتمتعون بحماية فرنسة. ولما بلغ الباشا خبر قدوم القنصل ارسل احد عظام قواده فرحب بالضيف وادخله واجلسه على منضدة وقدموا له صحن حلوى فاكل منه ما تحويه ملعقة ثم قدموا له القهوة والشراب وصبوا ماء الورد على يديه وعلى ثيابه وكذلك الطيب وانتهت الزيارة وقام القنصل وخرج ولم يتحرك الباشا من موضعه لكنه اهدى الى القنصل منديلاً مطرزاً وامر خمسة جاويشية بتشييعه فزاد بهم رجال الموكب في عودته الى دار القنصلية .

واحتفل في كنيسة الاباء الفرنسيسكان وفي سائر الكنائس بالجناز من اجل راحة نفس لويس الرابع عشر الذي نعي اليهم في تلك السنة . وابنه الاب هرنودي اليسوعي بخطاب بليغ .

ومن اخبار الباشا ان امرأة رفعت اليه دعواها على احد الاشراف .

فاستدعاه الباشا للمحاكمة فـأبى الحضور فاستحضره الباشا بالقوة وامر بالفلق فضربه عليه بالعصا مئتي ضربة . (لوقا ص ٢٨٢)

[١٧١٦] عيسى جرجس عازاريه نسخ كتاب « منهاج الكهنوت لخدام اللاهوت » تعريب البطريرك اثناسيوس دباس . (سباط)

— ولد في حلب يواكيم بليط الارمني. تعلم في رومة. ترأس جمعية الكريم. له مؤلفات نسكية . (غراف ٣ ، ٤٣٢)

— جبرائيل فرحات خلف عبدالله قرألي في رئاسة الرهبانية المارونية .
(غراف ٣ ، ٤٠٧)

— الحركة التجارية واسعة النطاق . حلب تستهلك الجوخ بكثرة وترسل منه الى اورفا وديار بكر والموصل وادنا وارضروم وبغداد ودمشق . وايضاً الى العجم والهند والى مكة . وتصدر العفص وصوف الغنم ومنه يصنعون في اوروبة الاقمشة التي لا تبتلّ بالمطر والاقمشة القطنية .

ويصبغون في حلب القماش الهندي ويصدرون الصابون الى ما بين النهرين والعجم والى البادية . (سوفاجيه ٢٠٣)

[١٧١٧] ولد في حلب بولس حكيم مطران الموارنة صاحب المواعظ والقصائد والزجليات . (غراف ٣،٥٠٠)

وفي هذه السنة ظهر مطبوعاً باللغة الافرنسية في باريس كتاب رحلة السيد دي لاروك ، بامر الملك لويس الرابع عشر الى امير العرب في صحراء بادية الشام وصف رحلته مستمتعاً بمذكرات شيفاليه دارفيو. ومما رواه قصة تقشعر لها الابدان لا تكاد تصدق لولا ان من امثالها يقع في زماننا في كل عام تقريباً وما ان يفتقد احدنا السجون في لبنان او سورية الا ويجد فيها اباً قتل ابنته او اخاً قتل اخته بحجة انها حطت من شرف البيت بسيرتها الردية قال دي لاروك ما خلاصته :

« ابو ديمة الحلبي تقدم الى القاضي ثم الى الباشا واستأذن بذبح ابنته التي اهانت شرف اسمه بنوع تصرفها وسقوطها في الخطيئة . عبثاً حاول القاضي والباشا ان يثنياه بواجب

المفح وغض النظر . دعا جماعته الى وليمة حافلة . وبينما كانوا يأكلون خرج وقطع رأس ابنته وعطاه بمنديل ولما انتهت الوليمة جاء به الى المدعوين وكشف عنه ، وقال لقد فعل ما فعل لتكون عاقبة الابنة الزانية عبرةً لمن اعتبر . » (دي لاروك ص ٢٨٧-٢٩٤)[1]

فيها وقفت شمونه بنت سليمان مسقفات لكنيسة السريان. (غزي ٢ : ٥٣٠)

[١٧١٩] الاب بطرس هرنودي اليسوعي مات بالطاعون في حلب ٢٦ حزيران . ألف كتاب « تفسير المزامير » .

وفي ٥ آذار كتب اثناسيوس البطريرك الانطاكي ما يلي :

« انا اوقفنا جميع الخمس دور من ملكنا على ايتام فقراء طائفتنا الروم بحلب ليصرف الريع في خراجهم اول سنة وثاني سنة من استحقاق اداجم الجزية السلطانية والدور المذكورات اولهم الدار الجديدة التي بجانب القلاية المعروفة بالقلاية الجديدة المكتوبة باسم المقدسي باسيل ابن عيد داود وثانيهم الدار التي بيد الخوري ميخائيل البجمي (كذا ولعله المبجي) المكتوبة باسمنا والثلاث دور الآخر الذين بيد القس برلام وضمة خوري توما واولاد الشماس يوسف الارمني المكتوبات باسم الخواجه فضول عبده ارقش . . . بعد اظهار اثبات الوقفية الدور الخمسه وباقي ريعهم يؤخذ منه في كل سنة سبعين قرشاً يدفع منها عشرين قرشاً الى شقيقتي اوستين المتوطنة في مدينة صيدا والخمسين الى اختي فوتين الكائنة في مدينة حلب مدة حياتها لا الى اولادها والبقية تصرف في خزينة الايتام ومتى مات الاختان المذكورتان يرجع ريع الوقف جميعه الى الايتام » .

وقد اكد التزام مصروف جزية الايتام المذكورين من الريع المرقوم بغير ذكر اخواته بحجر بلاطة صخرية وضعها في القلاية . (متعلقات صفحة ٩٣)

[١٧٢٠] ٢٥ تموز حرر البطريرك اثناسيوس دباس كما يلي صورة تميز خصوصيات كنيسة حلب من خصوصيات مطرانها :

«خصصنا الكنيسة بما هو اولى بالانتساب اليها وذلك جميع ما يدخل من النورية على مدار السنة وجميع ما يرد من تفريق الشمع الجارية العادة به نهار عيد القديس جاورجيوس وما ماثله في تفريق الشمع الصغار في اوقاته المعلومه وجميع مدخول صندوق الفقراء وثلثين ما يحصل من القداديس والنياحات ودخول الميت الكنيسة والاربعين قداساً ونصف ما يأتي من الاعياد وعلى مدار السنة فهذه المذكورات تكون جميعها مختصه بالكنيسة يتسلمها وكلاؤها وليكونوا اثني عشر رجلاً من اعيان الطائفة المؤتمنين يصرفون منها على الكنيسة جميع

(1 Voyage fait par ordre du Roi Louis XIV vers 1672, par de la Roque.

ضرورياتها ولوازمها كمثل ثمن الشمع يوقد على مدار السنة وبتامين الكهنة والفقراء والديوره والقندلفت وما ترتب من خدم المتناسبين وملاقاة القضاة وحكر الكنائس. وعوارض ومصارف الاوقاف وترميم لبقاء عينهم واما ما يتفضل من المدخول المرقوم بعد اخراج المصارف المرقومة بتحفظ تحت يد الوكلاء المرقومين ليصرف بمعرفة رئيس الكهنة فيما يلزم الكنيسة المقدسة من الضروريات كالتكليس والترميم والتعمير وتجديد اواني وكتب واوقاف وما ضاهاها . . .

وخصصنا لرئيس الكهنة ما هو اقرب لتصرفه وذلك جميع ما يدخل من الاكاليل وصلوات المطبة ونصف مدخول الاعياد على مدار السنة وثلث ما يتحصل من القداديس والنياحات ودخول الميت الى الكنيسة والاربعين قداساً واما ما يحصل له من قداديسه ومن الاحسان الوارد اليه من القرى في دفنهم فذاك مخصوص به ليس لاحد فيه علاقة ولا تعرض اصلاً فهذا المدخول المرقوم يختص جميعه بالمطران المقيم حالاً بمدينة حلب لقيام اود معيشته من غير ان يطالب بمصارف اصلاً وهو كاف بمعيشته على وجه التدبير .

واما النورية فهي محتومة لحضرة البطريرك المتولي على الكرسي الرسولي الانطاكي كائناً من كان » .

وفي هذه السنة وقع المطران مكسيموس حكيم القرار البطريركي وامضاه بخطه واضاف اليه هذه العبارة :

« ان الذي يفضل من مدخول الاوقاف والكنيسة مما هو مخصوص بها دون المختص بالمطران تدفعه الوكلاء بمعرفة الرئيس الكائن وتنفذ الى وفاء الدين الذي يكون على الكرسي ما دام عليه دين واذا لم يكن عليه دين فليحفظ تحت يد الوكلاء . » (مقتطفات ص ٦٤)

[١٧٢١] انشأ الشماس عبد الله زاخر الحلبي كتاب « البرهان الصريح في حقيقة سري دين المسيح » التثليث والتجسد . (شرقة ٣٥٨)

— سام البطريرك اثناسيوس دباس جراسيموس اسقفاً ملكياً على حلب ٢٦ كانون الاول . (كاراولشكي ١٠٤)

— توفي الخوري يوسف بن جرجس الباني . (غراف ٣، ٣٨٢)

[١٧٢٣] استخدم التجار الحمام الزاجل لنقل الاخبار بين حلب والاسكندرونة . (غزي ٣، ٩٨)

— الباشا حاكم حلب يتقاضى ثمن رطل قطن على كل قنطار قطن ينزل في السوق . (سوفاجه ١٩٣)

وقفت شمونه مسقفات لكنيسة السريان ووقف فتح الله (؟) مسقفات لفقراء كنيسة الروم. (غزي ٢٠١٢ ٥٤٠)

ووقفت فروزين بنت حنا مسقفات لفقراء كنيسة الروم.

[١٧٢٤] توفي البطريرك اثناسيوس دباس في حلب وفيها كان الكهنة كلهم تقريباً كاثوليك وكذلك الالوف من الطائفيين الملكيين. ونفي من حلب المطران جراسيموس بسعي سلفستروس القبرصي. (كارالوفسكي ١٠٤)

— وفاة ميخائيل البلوزاني المطران الماروني على حلب وابن اخي البطريرك جبرائيل البلوزاني مطران حلب سابقاً. (كارالوفسكي ١٠٩)

وفيها ١٥ تموز نعمة بن الخوري توما الحلبي الكاثوليكي[1] حرر مكتوباً باسم البطريرك اثناسيوس (جوهر) الى جراسيموس يستدعيه من بعلبك الى كرسي مطرانية حلب (صفحة ٢٣). (المقال صلة)

---

(١) راجع منتطفات من كتاب عجالة راكب الطريق لمن رضي بتقليد التلفيق لنعمة ابن الخوري توما الحلبي الكاثوليكي (مخطوط م ش).

تفسير الصلاة الربية

للمفريان غريغوريوس شمعون الطوراني

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تعددت تفاسير الصلاة الربية على ممر الاجيال . ولكل منها ميزة خاصة . فمنها ما جمع بين التأويل اللاهوتي والروحي ومنها ما لم يتجاوز سرد الآيات مردداً بعض اقوال القدامى ومستنداً اليها . فنرى اوريجانوس وكيرلس الاورشليمي وغريغوريوس النيسي ويوحنا فم الذهب ومكسيموس المعترف يتبارون في تأدية واجبهم الرعائي بتغذية العقول بكلام الله، كلّ على طريقته الشخصية المعروفة ، فهناك امثال اوريجانوس والنيسي من لجأوا الى الرموز ومعانيها الروحية ومنهم من حلّل الآية التحليل الصافي الادبي كيوحنا فم الذهب ومنهم من وضع الآيات ازاء الآيات وفسّر الكتاب بالكتاب نفسه .

وفي العصور الاخيرة من قد تمثّل جهود هؤلاء الآخرين فجمع بين التفسير الروحاني وما يساعد على فهم كنه الكلام الرباني من اقاويل الآباء والكتاب الكنسيين . فاخترنا للنشر تفسير المفريان اليعقوبي غريغوريوس شمعون الطوراني لما وجدنا فيه من الدرر الثمينة والآفاق الروحية الواسعة . وقد ينطوي تفسيره من وقت الى آخر على آراء تقتضي النقد والتحذير ، ونحن فاعلون . وكان رائدنا الوحيد ان لا نحرم قراء المشرق الكرام من وثيقة هذه اهميتها . (وهذا المخطوط من مخطوطات المكتبة الشرقية) .

اختلف المؤرخون في مولد المؤلف . فمنهم من جعل موته في سنة ١٤٦٥ كشابو[1] . ومنهم من تطوّرت آراؤهم في هذا الصدد . فبعد ان قبل شيخو في كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ٥٤) رأي شابو ، راح يعاكسه في (الصفحة ١٢٧) من الكتاب نفسه اذ جعل الطوراني يموت في الجيل الثامن عشر ١٧٩٣ ، او في اوائل القرن التاسع عشر . ولكن المستشرق كراف اتخذ لنفسه منزلة بين المنزلتين واكّد ان غريغوريوس شمعون عاش بين السنة ١٦٧٠ والسنة ١٧٦٠ [2] .

---

[1] J. B. Chabot : in *Journal Asiatique*, t. VIII (1896) p. 274.

[2] G. Graf : *Geschichte der christichen arabischen Literatur*, Città del Vaticano, 1951, t. IV, pp. 23-27. — Cf. اسحق ارملة : « جثالقة المشرق ومفارنة السريان » (عدد ٩٦) ، والمشرق ٢١ (١٩٢٣) ص ٦٦٣ .

بسم الاب والابن والروح القدس

نبتدي بتأييد الله تعالى ونكتب تفسير الصلوة الربانية الذي علّمها سيدنا يسوع المسيح لتلاميذه الأطهار . تأليف الاب المكرم ماري باسيليوس المفريان شمعون الكاثوليك اللهمّ انفعنا ببركات صلاته :-

فلنرتلنّ مع المرتل داود النبي قايلين . جيد هو الشكر والترتيل لاسمك يا متعالي . عظيم هو ربنا وعظيمة هي عظمته . وليس لعظمة قوة الصلوة التي علّمها سيدنا يسوع المسيح لابناء سر الايمان منتهى . الكي يصلونها بايمان نقي . المخزون فيها جميع الاسرار العظيمة . اذا صلوها المؤمنون وهم بغير عيب وبايمان ثابت يرتقون الى السماء بها كالسلم . لانها اعني الصلوة تتمثل بالشجرة العالية . المتصل رأسها الى عنان السماء والمؤمنون المصلّون بها ببساطة . يجتنوا منها اثمار الحيوة ويقتاتون روحانياً . يا لهذه الصلوة المجيدة المثبتة الميلاد الثاني . المختص بذخيرة البنين . يا لشرف هذه الصلوة التي تجعل اخوة كثيرين لسيدنا يسوع المسيح . يا لعظمة هذه الصلوة الذي اذا صليناها بايمان ثابت تقي من شوايب الدنس والعيب بسذاجة صالحة . تجعلنا شركا لميراث الاب السماوي . ونتمتع بملكوته ابدياً . ونمدح بذلك المجد والبهاء السرمدي العديم ان يكون منتهياً الى ابد الاباد .

فنقول ان كثير من المعلمين الروحانيين قالوا في وصف هذه الصلوة الشريفة اقوالا كثيرة . وانشأوا فيها كتباً كثيرة تكاد لا تحصى لكثرتها . وشرحوا في هذه الصلوة الجليلة شرحاً زايداً . واجتنوا بها اثماراً حلوة شهية لذيذة . واقتاتوا واقاتوا منها المؤمنون قوتاً روحياً . فترأى لي انا الضعيف الخاطي ان التقط منها عناقيداً . كمثل من يخزر ورى القطافين . لاقيتَ ايضاً اخوتي بالمسيح . وما فضل من ثم اقتات به انا ايضاً . فلنتأمل الان في هذه الشجرة . في انه كيف غرس في قلبنا . ونبحث من اين تكوّنت شلوشه من حيث بعدما ترأوا . فعلى ما اظن انهم ترأوا لنا من صلوة سيدنا يسوع المسيح . حيث كان يصلي بعيداً من تلاميذه . فمن ثم سأله واحد من تلاميذه وقال له يا سيدنا علمنا كما علّم يوحنا تلاميذه . فلنعلم ما الذي كانت صلوة يوحنا . فعلى ما لاح لي

ان يوحنا كن فم العالم المزمعون ان يؤمنوا بالذي هو انذر بـه . كان يصليها بتضرع قايلاً . يا ربنا اله ابانا القوي. اهلنا لتكون لك بنيناً. ولابنك الوحيد اخوة فكن لنا اباً بوساطة استماع صوتك . ايها الابن الوحيد المسجود احمل خطايانا لتكون لك اخوة . ولابيك بنيناً بوساطة لمس جسمك . ويا ايها الروح القدس اسكن فينا . لكي بوساطة رؤيا اقنومك نشترك بك . ايها الثالوث القدوس المتساوي الجوهر ترحم علينا . فهذه الصلوة كان يصليها يوحنا . حيث كان ينادم الله تعالى في البرية . اعلم ان الثالوث القدوس افتقد يوحنا منذ ابتدايه. لانه الاب ارسل الملاك ليبشر بالحبل به . ومن حيث انه كان في البطن بعد ما امتلى من الروح القدس وحين شعر بالثالوث القدوس سأل الابن بسلامه. لان هذه الصور في القديسين بهذا المقدار كان [×] في الثالوث القدوس . حتى انه سمع باذنيه . ورأي بعينيه . ولمس بيديه . لانـه اولاً سمع صوت الآب . وثانياً رأى الروح عياناً . وثالثاً لمس الابن . فاولاً حس . وبعـد ذلك اشترك وباشتراكه اشركنا . ونحن حينما نرسم على وجهنا باسم الثالوث الاقدس نصير له شركاء . وبوساطة هذا الاشتراك نصير بنيناً للآب واخوة للابن ومسكناً للروح القدس . فلذلك سيدنا يسوع المسيح علمنا ان ندعي ابيه الاله في صلاتنا ابونا .

فالآن نقول ان الصلوة التي علمناها الابن سيدنا يسوع المسيح تنقسم ثلاثة اقسام . فالقسم الاول هو التضرع لاجل الخطايا : والقسم الثاني هو الطلبة لنيل المنح . والقسم الثالث هو المنادمة اللذيذة بالدالة العظيمة . وهـذا القسم افضل القسمين الاولين . ومن يريد ان ينادم الله عزّ شأنه . فأولاً يتمسك بشروط المنادمة التسع لانه ان لم توجد هذه الشروط التسع في المنادم لا يستحق هذه المنادمة . لكون هذه الشروط هم من الضرب اللازم للنادم . وضروريين هم لمن ينـادم الله عزّ شأنه بهذا المقدار . حتى اذا عدم من هؤلاء التسع شرط واحد فقط . فلا تتم المنادمة . فمن اللازم الضروري حفظها واقتنايها والعمل بها . حتى اذا نادم المنادم الباري تعالى بهذه الشروط التسع يقبل منه تعالى المنح.

وان سأل من ينادم ومن هو .

فنقول المعرفة والامانة والمحبة والوجا والتجرد والصوم والتواضع والاستماع

والاحتمال . فاعلم ان من لم يعرف الله حقّ المعرفة لا يستطيع ان يؤمن بــه وان لم يؤمن به حقّ الامانة فلا يقدر ان يحبــه حق المحبة . ومن لا يحبه فلا يترجاه . ومن لم يكن فيه رجاء لم يقدر يتجرد . ومن لم يتجرد فلا يصُم . ومن لم يصم فلا يتضع . ومن لم يتضع فلم يسمع . ومن لا يسمع لم يحتمل . ومن لا يحتمل فمن المعلوم لم يقدر ان يصلي . لان الصلاة هي كمال العشرة وختماً للتسع الشروط . لا يجب له بل ولا يستحق ان ينادم الحقّ جلّ وعلا . ولهذا قليل من الناس من يستعمل هذه المنادمة . والذين يداومون هذه الصلوة يجب لهم حفظ هذه الشروط لان خلوًا منها لا تتم هذه الصلوة وان قلت من يقدر يحفظ هؤلاء الشروط بالفعل على ما ذكرت. فاجيبك نعم افتعالهم ممكناً. لاننا نرى البعض من الناس اذا رام يأخذ له من الملك الارضي وظيفةً ما او رياسة او سلطة تراه يقدم كل جهده ليجعل له وسايطاً ليتوسلوا في ان يقدموه امام ذلك الملك ليستشفعوا له امام الملك تلك المرتبة . وقبل ان يشرعوا في دخوله يجب ان يستأذنوا الحجاب الداخلين في بلاط الملك كل منهم بمفرده. ليلا اذا دخل يتعارضه احداً منهم . وان لم يفعل هكذا لا يستطيع الدخول امام الملك. وان قال انني دخلت الى عند الملك بغير وسايط ويقص عن الملك وعن كيفية ترتيب نظامه وانواعه . ترى من يصدقه لا لعمري . وشاهده انه صفر اليدين مما رامه من الملك . وان تجاسر ودخل عند الملك . فلم تجرأ على المنادمة معه . لكون الملك خلوًا من وسايط لا يتجري احدًا ليس على منادمته فقط . بل ولا يستطيع ان يمشي خطوة في بلاط الملك فضلاً عن منادمته . فان كان من يروم الدخول الى عند ملك ارضي هكذا يريد له وسايط وتكلف زايد ليمنحه منحة ما زايلة . فما ظنك بمن يروم ملك الملوك ورب الارباب . كم يجب له ان يعتني في ان يقتني هذه الشروط . وذلك بغير وسايط ولا مال . بل انه يتخذ هؤلاء الشروط وسايطاً . وبوساطة هذه الشروط يقتني تسع فضايل . وبهم ينال ملكوت السماء حيث انه قدم امامه هذه الفضايل التسع . كأنه ارسل امامه تسع هدايا . لتصير منادمة بدالةٍ عظيمة كدالة الابن الى ابيه . اعلم ان هذه الشروط التسع تتلد من بعضها . واستعمالها يعود سهلاً . فالمعرفة تلد الأمانة والامانة تلد المحبة والمحبة تلد الرجا . والرجا يلد التجرد . والتجرد

يلد الصوم والصوم يلد التواضع. والتواضع يلد الاستماع. والاستماع يلد الاحتمال. ومن الاحتمال يلد الصلوة اي المنادمة مع الله عزّ وجل . واظن ان هؤلاء الشروط هم العشرة الاف الذي بقوتهم وبوساطة اتكالنا نستطيع ان نلاقي اعدائنا الجايين الينا في عشرين الف . وان رمت ان تعلم منفعة هذه التسع شروط من الضرر الذي يحصل بعدمها. اعلم ان المعرفة هي قبال التيه والضلال. والامانة هي تجاه الشك والكفر . والمحبة هي ازاء الحقد والبغضة . والرجا امام الضير وقطع الرجا . والتجرد هو مقابل الهمة ومحبة الفضة . والصوم هو قصار الزنى ومحبة البطن . والتواضع ملاقي الكبرياء والافتخار . والاستماع مقابل العصيان واثبات الارادة . والاحتمال هو ضد الكوارث والمضايق . والصلوة هي قهر للشيطان وكل قواته . فهؤلاء هم اسلحة الله الذي قال عنه الرسول لنكون متسلحين بالمعرفة وحاملين ترس الامانة وملتهبين بالمحبة. وساعين بالرجاء. ومتكبدين التجرد . ومتدرعين بالصوم . وساجدين بالاستماع . ولابسين الاحتمال ومتجلين بالاتضاع .وحين نُضرب من اعدائنا فبالحال نسل سيف الصلوة ذو [×] ونلحه امامهم . ونلقاهم به غير مبالين . ونحن متكلين على اعانة ابينا السماوي . ومن ثم ترى اعدائنا منهدمين . ونحن بالغلبة قايمين متكللين .

وهؤلاء التسعة شروط هم التسعة فضايل الذي كان اقتناهم اخ من المتوحدين . وجاهد جهادًا عظيمًا ليقتني الصلوة التي هي المنادمة مع الله تعالى . وبانتقاله من مكان الى مكان بدد اوليك الفضايل التسع الذي اقتناهم بكدر وكدح عظيم . اعلم ان سيدنا له المجد دخل في هؤلاء التسع الشروط . واتمهم بالصلوة الذي كان يصليها . وهو تعالى علمنا لنصليها . لان في سابق معرفته انه يخلصنا . لانه صدق ان قوته القادرة على كل شيء تقدر على عدونا . وصعب عليه من اجلنا لانه احبنا . وصار له رجاء ليكن به لنا الرجا . فحينئذٍ تجرد وصام واتضع امام عبيده واستمع لابيه حتى الموت موت الصليب كقول الرسول . واحتمل جميع الآلامات . وكان يصلي متواترًا ولهذه التسع شروط مكابدًا . وهؤلاء جميعهم فعلهم لاجلك وفرط حبه لك يا دودة حقيرة. وانت لا تشاء ان ترضيه بهؤلاء الهدايا التسع لتنادمه تعالى . فهو رضي واقبل بعقله

هؤلاء الشروط. وما وجد له من يعزيه بتعزية ما ولا من تلاميذه. لان الواحد منهم باعه . والاخر نكره . والآخرين تركوه وهربوا . واما ابوه السماوي لم يرث له . بل انه بحالةٍ ضيقة اختفى عنه . حتى انه اضطر ان يصرخ مستغيثاً اليه قايلًا . الهي الهي لماذا تركتني . فيا هذا اعتبر كيف انه احتمل كل هذه الآلامات لاجلك لينقذك ويخلصك من الخطية واسر الشيطان . حيث انه كان قادرًا بصيرورته ملاكاً لاستنقاذك . لكنه من حبه لك اتحد بطبيعتك ليشرفك ويعليك ويورثك السعادة الابدية في ملكوته السماوي . اذ اقتفيت اثاره . وانت لم ترضي اقل ما يكون ان تصلي له الصلوة التي علمك اياها باشخاص تلاميذه بالشروط الواجبة لها . الذي اذا صليت كواجبها تصير ابناً لابيه بالذخيرة الابنية الذي اختصك بها . فاعلمني يا هذا اذا رمت الدخول لحكم ما . وقال لك احد المتقدمين اليه ان لم تفعل ما كذا وكذا لن تقدر ان تدخل . اتراك كنت تخالفه وتفعل ضد ما امركه لا لمري . بل كنت تفعل جهدك في انك تزيد عما قاله لك . ليصير لك عنده دالة اوفر وذلك لتنال منه منحة دنيوية زايلة . فكم بالحري سيدك وخالقك الذي عانا شدايد. وكابد اتعاب . واحتمل الآمات هذه عظم مقدارها لاجلك وعلمك ان تقتفي اثاره . اي انه صلى لا لحاجة منه . بل لتحذو حذوه ولمحبته لك يا انسان بعد كل هذه الاقوال مات مصلوباً عوضك. وانت تتهاون به الى هذا الحد . يا لهذا الجهل الفظيع كونك قدمت . بل انك اخترت رضى الناس على رضاه لاجل منحة ما زايلة . والذي يخولك السعادة الداية اهملت رضاه . اما سمعت النبي القايل ملعون من اختار رضى الناس على رضاه . فلا جرم انه يحيق بنا عذاب اليم . كون اننا اهملنا حب خالقنا . الذي اوجدنا من العدم . وتركنا غاية سعادة حياتنا الابدية . فهلمّ بنا الآن لنبصر سيدنا يسوع المسيح كيف علمنا نصلي في كل حين من غير ملل قايلًا اذا صليتم قولوا .

ابونا . اعلم ان لفظة ابونا تتجه الى ثلاثة اقسام .

القسم الاول عامي والثاني نسبي والثالث خاصي . وهو الاجل . فالقسم العامي الذي هو ابونا بما انه هو ابو الكل عموماً . والقسم النسبي ابونا بما انه هو اب الذين يعرفونه ولكن من حيث اختياره لم يفعلوا . واما القسم الخاصي ابونا

فهو اب الذين يعرفونه ويحفظون وصاياه . ويفعلون اختياره واوامره ويتممون رضاه . والذين هم هكذا فهم المخلصون بدم ابنه . والذين هم هكذا فهم مميّزين ليصيروا اخوة لابنه . وشركايه في ميراث الآب. فيجب علينا ان نجتهد ونعمل ما يرضي به ابينا ونضع اوامره كما هو واجب . ومن ثم نلقي عليه جميع همنا لانه تعالى قادر على تفريج كربنا وهمنا . وكونه عالم بما يلزمنا ومـا هو مفيد لخلاصنا . غير اننا نكون موثقين برجاينا به في اي امر كان لا على غيره . لا في هذا العالم الزايل ولا في سلاطينه الدابدين كما اوصانا الروح القدس بفم داود النبي القايل . لا تتكلوا على الروسا. ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص . بل ولا يكون رجانا في الاموال والغنا . ولا في الاهل والاقارب . حتى ولا بالآباء الجسدانيين بل نكون كالايتام من الاب الذين متى ما تضايقوا من اي امر كان يدعو الى ابيهم . وكذلك نحن ايضاً نكون كأننا خالين من معين ما . وليس لنا من يرثي الينا . كما قال النبي ابي وامي قد تركاني . فاما الرب قبلني اي ابي وامي الجسدانيين تركوني وانت يا رب قبلتني الكوني توكلت عليك من الرحم . ومن بطن امي انت الهي . فاراد بالرحم هنـا المعمودية المقدسة . وقوله من بطن امي انت الهي اعني اننا حين نخرج من المعمودية المقدسة التي هي امنا الروحانية ننطرح عليك لانك انت رجاءنا وقوتنا .

اعلم ان يوحنا المعمدان قال للذين كانوا يأتون اليه ليعتمدوا منه يا اولاد الافاعي [×] هنا شبه الذين يعتمدا منه باولاد الافاعي تشبيهاً حسناً. وهـذا التشبيه يُدعى تشبيه الخاص بالعام. لان الافاعي الاناثى يقبلون الزرع من الفم . وحين يولدون من بطون امهاتهم فياكلون بطون امهاتهم ويخرجون حيّين . فهـذا القول من السابق هو زجرا الى الكتبة والفريسيين عـا انه كان عالمًا بخبثهم ومكرهم . لانهم كانوا ضد الصابغ واخيرًا قُتل منهم . ولهذا قال لهم يا اولاد الافاعي . فبهذا القول اراد يا بنوا قتلة الانبياء. فمن المعلوم ان قتلة الانبياء هم الافاعي لشرهم ومكرهم . والافاعي لا تلد الا افاعي . ولهذا دعاهم يا اولاد الافاعي . وحرف يا هنـا فهي للتعجب فكأنه يتعجب منهم اذ رآهم مقبلين للمعمودية بكثرة . والدليـل في تعجبه قوله التالي : من دلكم على الهرب من الغضب الآتي ، فاعني بالغضب الآتي الى عـدهم وكبرياهم مزمع

ليس ان يأتي عليهم طيطوس قيصر ويبديهم (يبيدهم) فقط. بل ومن الغضب الذي يأتيهم في يوم النشور. كما قال المسيح ايضاً على لسان ماري لوقا. ان الائمة سوف يرتعدون من غضب المسيح ووجهه الغضبان فيقولون للجبال اسقطوا علينا والأكام غطونا عن وجه الجالس على الكرسي. ومن غضب الخروف لان يوم غضبهما العظيم قد اوفى وافى. فمن يقدر على الوقوف فهذا كله كان زجرًا وتوبيخاً الى عام اليهود. واما تشبيهه باولاد الافاعي فكان رمزًا خاصًا للتايبين منهم. الذين من ثم آمنوا بالمسيح. ورمزًا لنا بوجه الخاص. وقوله لهم اى للتايبين منهم يا اولاد الافاعي من دلكم على الهرب كانه يتعجب من رجوعهم قايلًا لهم. من وعظكم بالغضب الآتي عليكم حتى انكم اقبلتم لتتعمدوا. فاعملوا الآن ثمرة تليق بالتوبة. فيوحنا المعمدان كان منذرًا بملكوت السماء. وموعدًا بها للتايبين من اليهود ولنا ايضاً. وكذلك كان منذرًا بغضب الله وجهنم ومتوعدًا للغير التايبين. واما قوله يا اولاد الافاعي فهذا كرمز لنا لكوننا نحن نزلنا الى فم المعمودية كمن زرعنا فيها. حين [خرجنا] منها كأننا كالأفاعي نأكل بطن امنا ونخرج حين. اي نقبل من بطن المعمودية امنا الحيوة. ونميت بطنها اي نخلي منا وتبقى فارغة اي مايتة. ونحن نحي لكون اننا اخذنا منها القوة والحيوة. ولهذا نحن حيينا وامنا ماتت. فمن اجل هذا نحن صرنا يتاما. فاذا لاف هنا باليتيم اذا اندعط من كرب وهم يلقي همومه كلها على ابيه السماوي من حيث امنا المعمودية قبلتنا من فمه الشريف بوساطة صوته الصارخ من العلى قايلًا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. فان كنا صرنا اخوة المسيح حقيقة بوساطة المعمودية التي اعتمد هو تعالى بها واتلدنا نحن معاً منها. فالصوت الذي صرخه الآب لا جزم كان لجميعنا معاً. اعلم ان هذا الصوت كان بالحري لاجلنا نحن. احرى مما كان للمسيح الهنا. لان المسيح لم يكن محتاجاً ان يعرف الآب. ولا حاجة للآب ان يعرف الابن لكون الآب والابن من الازل عالمين بهذا العالم. غير ان هذا الصوت كان للمسيح خاصة ليشتهر فيما بين الخليقة انه ابن الله بالجوهر. وهذا الصوت كان لنا نحن ايضاً لنشتهر ونعرف ان كل معتمد منا قد صار ابناً لله بالنعمة واخوة المسيح وبنو ميراثه. وكان لنا هذا الصوت بالضرورة اللازمة لنا. لكي من بعد خروجنا من امنا المعمودية المقدسة ونسمع لهذا الصوت الشريف تعرف

ونتيقن بالحقيقة اننا بنوه بوساطة نعمة التي حلّت علينا بالمعمودية . ونتحقق اننا نحن من ذرعه . ليس من ذرع غريب الذي هو الشيطان . ذلك الذي منذ البدء كان القى ذرعه في امنا حوى وزنا معها . فاماً الآن نحن ليس عبيد له . ولا هو ابونا ونبين الزني كايناً من البدء . بل الآن صرنا احراراً وبوساطة صراخه لكل منا انت هو ابني الحبيب صرنا بنيناً لله العلي واخوة المسيح ووارثين معه في كل شيء الذي للآب السماوي . واما نحن فعلى الفور ندعوا الاب ابانا . وان نحن صنعنا ارادته واكملنا اختياره . فهو ابونا الحقيقي ونحن بنوه الحقيقيين . نحن الذين ليس من دم ولا من هو اللحم ولا من مشيته رجل بل من الله روحانيا ولدنا .

فلذلك وجب علينا ان نصنع ما أمرنا به ابونا . ونحفظ وصاياه بالفعل ونكمل اختياره . لكي اذا ما ضغطنا باي نوع كان . فبالحال ندعيه لخلاصنا فيستجيب لنا ويعيننا ويساعدنا . فلا يليق بنا ان نكون غير طايعين له . وبقلة استماعنا وحفظنا وصاياه نعصاه ليلا يمسّنا القول للكتبة والفريسيين ولو انهم اعتمدوا من يوحنا . لكنهم لا زالوا مصرّين على مكرهم وخيانتهم وعصاوتهم . يا اولاد الافاعي من دلكم على الهرب من الغضب الآتي . اوليك الذين استحقوا من الله غضباً ورجزاً . ويحفظ لنا غضب الحكم قايلاً لنا تنحوا عني يا ملاعين العصاة الى النار المؤبدة لاني ليس اعرفكم . فيجحدنا ولا يعرفنا . وعوض الوراثة التي تكون لنا مع ابنه نار جهنم يورثنا . وذلك لكوننا ما حفظنا وصاياه . ولا فعلنا اختيارة كابنه الحبيب . فمن هذا الجري نفسه لا يعطينا الوراثة معه . لكوننا نخالفه ونطيع في كل شيء للشيطان . وهو تعالى ايضا عتيد ان يجازينا مع الشيطان الذي عصاه ويورثنا جهنم صحبته .

اعتبر يا اخي محبة سيدنا يسوع المسيح ورغبته فينا . ذلك الذي من بعد ما صنع اموراً فايقة تزيد على مقدار المحبة التي الزمته ان يتجسد ويتألم ويموت ليقينا من العبودية واخيراً صنع ذاته في سرّ الاوخارستيا اي جسده ودمه الاقدسين حتى بتناولنا هذا السرّ مع حفظنا اوامره وتتميمنا اختياره نتقدس ونصير بنو ميراثه وشلك معه . لكونه هو غايتنا القصيا ونحن نتوانا عن تكميل اختياره . من حيث اننا نعرف بانه تعالى رضي وصار لنا وسيطاً ووهبنا ذاته الشريفة ولم يشفق على عظمته التي هي اجلّ من كل ما في السماء والارض

وذلك لاجل محبته لنا . ونحن نتوانا في افتعالنا اوامره . لما هو واجب علينا ان نصنع مشيته ونكمل اوامره ونحفظ نواميسه لنستحق الدالة العظما عنده . ويمنحنا نعمته لتحفظنا وتشجعنا وتكون لنا سترًا وعزاء وافرًا لكي اذا رآنا عدوّ الخير ارتقينا الى درجة البنين يؤذينا ويغيظنا . فنكون نحن مستعدين نقوم امامه رافعين عقولنا الى السماء باسطين ايدينا بتلك الدالــة العظيمة التي لنا عنده صارخين بقلب منسحق قايلين له يا ابونا . فحين يسمع ذلك المغتصب اللعين صراخنا يا ابونا يتنهد من قلبٍ حزين متمرمرًا باشنع المرارة . صارا اسنانه علينا بحدةٍ هذا عظم مقدارها حتى انه يعجزنا لنفشل ونتراخى عن تكميل ما امرنا الله به . فالمخزي حين يرى تراخينا وتكاسلنا فياخذ منا الرخاوة والكسل ويحاربنا بهم ليلّا ندعو ابونا لاسفافنا . فاذا ما تشجعنا بمعونة ذلك الذي صار وسيطًا لنا وهتفنا صارخين لابيه يا ابونا فيفتكر ذلك الاثيم في ذاته قايلًا . ترى لاي اب يصرخون بنا ان المنكرد حظه دأب الائمة الاشقيا ؟ فيتخيل اننا صارخين له . فتردف قولنا الذي في السماء . فحين يسمع اللعين قولنا هذا يولي عنا خائفًا برجفةٍ عظيمة . ذلك الذي سقط مع قواته من رمز البــاري تعالى مثل البرق .

وان قلت متى كان ذلك .

اجبتك حين رفع عقبه على الخالق تعالى . وافتكر ليدفعه من كرسته . وذلك كان سبب تشكيكه ولهذا السبب عينه تنازل الابن جلّ شأنه وتشبه بنا بالناسوت الذي اخذه منا ما عدا الخطية لينتقم منــه . فاولًا تجرّب منه فاغلبه . وثانيًا انه فعل جميع النواقص اذ هو بريًا من النقص . وذلك ليرينــا ويعلمنا باي فعل غلبه . لنضع نحن ايضًا ونغلبــه وننتصر عليه . وشجعنا ايضًا بقوله لنا قولوا ابونا . فحين ينظر الاب انه ابنه يشبهنا ونحن على المدا صارخين له ابونا الذي في السماء كالاب الذي يصرخ ابنه له . هكذا نحن نصرخ لــه يا ابانا حيث اننا جميعنا متحدين مع ابنه بناسوتٍ واحدٍ . اعلم ان ناسوت ابنه سيدنا يسوع المسيح صار لنا . وبه نصعد الى الاب الذي كان بعيدًا منا . فهذا هو السلم الذي رآه يعقوب ابو الاسباط في بيت ايل . فــلا يجب ان نترايا للآب شبيهين ابنه بالناسوت فقط . بل اننا نسمع وصاياه ونحفظها ونكمل

ارادته ونفعل اختياره في كل شيء . فاذا ما فعلنا ذلك نكون شبيهين ابنه . وان لم نكن مشابهين ابنه بالفعل؟ فالآب لا يقبلنا ان نكون له بنيناً. ليتَ شعري ما الذي ينفعنا ويفيدنا اذا شابهنا ابنه بالناسوت فقط وليس بالفعل ايضاً . فهنا جميع الناس يشبهون ابنه بالناسوت. فما قولك هل الناس جميعها هم بنيناً لله. اسمعه ماذا يقول للمرأة التي قالت له من بين الجموع بارتفاع صوتها . الطوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين ارضعاك. فاجابها قايلًا مهلًا . الطوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها. كما اجاب للقايلين له ها امك واخوتك خارجاً يطلبونك . من هي امي ومن هم اخوتي. فكل من يسمع كلام الله ويفعل مسرّته. هو اخي واختي وامي . كما قال ايضاً في كرزه طوبى لصانع السلام فانهم بنو الله يدعون ـ فانظر كيف انه تمجد يعلّمنا معلّمنا الحقيقي ان نصنع دائمًا مع ابيه الصالح السلام . ونفعل اختياره ونحفظ وصاياه واوامره لننال منه تلك الطوبى والغبطة السموية . ونصير لابنه من حيث اقتفاينا اثره اخوةً . فحينئذٍ يرانا الاب اننا نشبه ابنه في كل شيء . يشركنا معه في ميراثه السماوي . وفي كل شيء نسأل الآب باسم ابنه بغير شك وتقسم نناله بقوله العزيز بوساطة. تصديقنا واعتقادنا بنية طاهرة ننال مـا نريد من الابن باسم الآب . ونتبرّر من طايلة قلة استجابتنا كلامه وحفظنا وصاياه . لاننا اذا فعلنا ذلك يصير لنا عنده دالةً هذا عظم مقدارها . حتى انه يمنحنا كل مـا نطلبه منه بايمان صادق خالٍ من شوايب الشك والتقسم كقوله تعالى مهما تطلبون آمنوا انكم تنالونه فيكون لكم. وقوله ايضاً اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم لان كل من يدعوا يُجاب ومن يسل يأخذ . فاذا ماكانت نياتنا ثابتة من افعالنا وحسن اتكالنا فحينئذٍ نستحق المنادمة مع الآب السماوي كالابن الطايع ابيه ومدمناً على استماع كلامه ومكمل اختياره ومتمم رضاه بالفعل . فلّما يرى الآب صورة عقل ابنه صافية كالمرآة بوساطة وصاياه فيحبه ابوه محبة هذا عظم مقدارها حتى انه يسلمه كل ما له . فاصفاوة عقل ابنه ينظر ان ما احداً يشبهه سوى ابنه . والابن ايضاً يرى ان ماله شبيه سوى ابيه . فمن ثم جميع ما للآب يناله الابن . فعلى هذا النحو ابونا السماوي . فان رآنا طايعين له ومكملين ارادته حتى الموت . ورأى

عقلنا قد صفي بوساطة حفظنا وصاياه واتممنا اختياره بالفعل فيصرخ الابن علانية قايلًا يا ابتاه . كما انت فيَّ وانا فيك ليكونوا هم ايضاً فينا واحدًا كما نحن واحد . فمن ثم يقوم العقل بدرجته الاولى بالكمال شبه خالقه . ونحظى بالسعادة الابدية ونحوز ذخيرة البنين الذي للآب السماوي ونبلغ الكرامة السامية التي هي غايتنا القصيا . فحينئذٍ نقدس اسم ابونا بقولنا :

ليتقدس اسمك . فحين نقدس اسمه الكريم يلتذ اعلى من تقاديس الساروفيم . وليتمجد بتقديسنا اجد مما يتمجد من ساير تماجيد وتسابيح جميع الملائكة النورانيين من حيث ان الملئكة ما اعتنا في خلقتهم كما اعتنا في خلقتنا لانه تعالى شاء فخلقوا . كقول المرتل بكلمة الرب صُنعت السموات وبروح فمه كل قواتها . اما نحن فليس كذلك . بل في خلقتنا قال تعالوا نخلق انساناً على صورتنا ومثالنا . فبقوله هذا ارانا انه فعلًا فعل . لانه كان مزمع ان يفعل فعلًا عظيماً لتكمل الصورة بالكمال لتكون مثله . لقوله بفم النبي يداك جبلتاني وصنعتاني . واما قوله تعالوا فهو لمساواة ارادة الثالوث الاقدس في ابتدا الفعل الكيا بكمال الفعل يتمجد منا الثالوث الاقدس بالسوية . لان ذلك التقديس والتمجيد الذي حصل له في نهاية فعله فالآن يجب لنا ان نقدس ونمجد ابونا السماوي لاجل كمال فعله الذي صنعه . فمن هنا علمنا ان اسمه لا يتقدس منه مجاناً بغير عنا. كتقاديس الملئكة. بل هذا التقديس هو مبتاع بدم ابنه الوحيد. ذلك الذي اسلمه الى الموت بالصليب لاجل خلاصنا. فمن ثمَّ يجب علينا الَّا نهزي من تقديس الآب بابنه والابن بابيه وروح قدسه . فيتقدس اسمك من جميع المخلوقات . من حيث انهم علموا اننا كنا غير موافقين وخطاة اثيمين . فالآن لما يروا اننا صرنا للاب بنيناً ولا نحن اهلًا لمراحمه فيتعجبون من انعام الله الغزيرة ويقدسون ويمجدون اسمه العظيم المجيد . يتقدس اسمك بقداسة جميع اعضاينا وحواسنا لانه تعالى قال كونوا قديسين كابيكم السماوي فانه قدوس فاذا ما ادينا التقديس لابينا السماوي فتتقدس اعضاينا وحواسنا واذا حفظنا وصاياه بالفعل فبالحقيقة يسكن فينا الثالوث المقدس . لقوله الشريف كل من حفظ وصاياي انا والآب اليه نأتي وعنده نصنع لنا منزلًا . وفي كل شيء يقدس نقول باسم الاب . ليتقدس اسم الآب بذلك الشيء. الذي يتقدس لاننا بافعالنا

الحسنة الصالحة تقدس اسمه . فاذا ما ترآينا للناس بهذه السجايا فيقدسون ويسبحون ابونا الذي في السماء من حيث اننا كنا ضعفاء ساذجين والشيطان عدونا بقوة كبريائه يروم كسرنا وهلاكنا . ولكنه حينما يرى قوة اسم ابينا العظيم محيطة بنا كالصور الحصين يفر هارباً ولا يعود له استطاعة ان يدنو الينا ، لكون اننا متسلحين امامه بقوة اسم ابينا العلي وبهذا الاتكال نصرخ قايلين :

لتأت ملكوتك . اعلم ان لفظة الملكوت المذكورة في الانجيل المقدس تتجه الى اربعة اقسام :

القسم الاول : تعني عن المعرفة الالهية .

والقسم الثاني : تعني عن مجيء مولانا المسيح بالناسوت المضاهي لنا لمّا كان في حال البرّ الاصلي وبشارته المحيية .

والقسم الثالث : تعني به عن قيامة سيدنا يسوع المسيح .

والقسم الرابع : تعني عن الملكوت التي يرثوها الصديقين مكافاة لاتعابهم في يوم القيامة . امّا قوله هنا تأتي ملكوتك اعني تأتي معرفتك يا الهنا الينا لتعيننا وتساعدنا ، فسيدنا يسوع المسيح علمنا هذه اللفظة الشريفة لنطلبها من ابينا السموي . اي ان نطلب منه المعرفة الالهية . لكي بوساطتها نعرف ما الذي يرضيه ويختاره. فنكمله بحفظنا وصاياه واوامره. فقوله تأتي ملكوتك اي معرفة الالهية هي التي قال عنها : اليسر هو دخول الجمل في خرم الابرة من غني يدخل ملكوت الله . فاراد بقوله انه لم يستطع احد يدخل الملكوت اي يقتني المعرفة الالهية ما لم يحذف عنه الاقتناء العالمي ويرذله . فاذا ما تجرّد من الهموم العالمية ونبذ عنه الامور الدنيوية فيسهل عليه اقتناء المعرفة الالهية . كما قال ايضاً عنها ملكوت السما بالغصب تؤخذ ، والغاصبين يختطفونها اعني ان الانسان طال ما هو مهتم في الاقتناء العالمي يعسر عليه اقتنا المعرفة الروحانية . وقوله والغاصبون يختطفونها اي المتجردون من القنية العالمية يستطيعوا يخطفوا المعرفة لانها بدون التجرد لا تقتنا . كما قال عنها ايضاً ملكوت السما هي داخلكم . اعني اقتنا المعرفة الروحانية للمجرد من الهموم الدنيوية سهل جداً . لكونها داخلنا اي تحت ارادتنا لقوله ايضاً لا يستطيع احد يضع يده على

سكة الفدان وينظر الى ورايه . اعني من رام ان يقتني المعرفة الالهية لا يجب له ان يتعلق بالاهتمام العالمي . وانظر بماذا يشبه المعرفة الالهية بقوله تعالى تشبه ملكوت السما كنزاً مخبو في حقل . فوجده انسان فاخباه . ومن فرحه بسه مضى باع كل شيء له واشترى ذلك الحقل . اي ان من يروم يقتني هذه المعرفة الالهية فانه يراها مخفية في طي الهموم العالمية . فاذا اراد يقتنيها يجب ان يتنصل من الامور الدنيوية بالكلية . ومن ثمّ يقتنيها لتشبيه التالي بقوله تشبه ملكوت السماوات حبة خردلٍ اخذها انسان وزرعها في حقله الى اخره . اي ان الانسان اذا اقتنا المعرفة الالهية فتنمى فيه جميع الفضايل الروحانية . وبوساطة هذه الفضايل يُعان على محاربة اعدايه . كما قال عنها ايضاً تشبه ملكوت السماوات انساناً تاجراً يطلب الجواهر الحسنة فوجد جوهرة واحدة كثيرة الثمن فمضى وباع كل شيء له واشتراها . اي ان الذي يطلب المعرفة الروحانية فحين يشعر بها يجرد ذاته من جميع الامور العالمية كلّها ويقتنيها لقوله ايضاً ان ملكوت السماوات لمثل هؤلاء الصغار . فاراد بهذا ان المعرفة الروحانية لا يقتنيها ألّا من كان ليس له اهتمام بالعالميات . ولا يهتم في ان يقتني شيئاً كالاطفال الصغار لقوله تعالى ايضاً . اطلبوا اولّا ملكوت الله وبرّه وهذا كله يزدد لكم . فانظار يا اخي كيف ان سيدنا يسوع المسيح يعلمنا ان نتجرّد من امور العالم بالكلية ونقتني فقط المعرفة الالهية وليس الا بقوله اطلبوا ملكوت الله اي المعرفة الالهية التي اذا ما اقتنيناها نصنع بها امامه البرّ . اي اننا نؤمن به ايماناً صادقاً ونفعل افعالًا صالحة بحفظنا وصاياه واوامره . ولا نبالي بالاحتياج لقوله وهذا كله يزدد لكم . اي انه اذا رأى اننا مؤمنون به ايماناً حيّاً خالياً من شوايب النقص والريب ومتكلف عليه باقامتنا اختياره وفاعلين بناموسه . فيعود هو ايضاً يكمل احتياجنا بزيادةٍ لقوله تعالى ان اباكم عالم بما تحتاجون قبل ان تسألوه فانظر يا هذا كيف انه تمجّد اسمه يجردنا من كل فكر عالمي حتى انه يفصلنا من كل همة دنيوية . ولا يروم منّا الا ان نعرفه تعالى حق المعرفة . ونعرف ما يرضيه لنفعله وليس ألّا .

اسمعه ايضاً كيف يثبت هذا بقوله . لكم اعطِ ان تعرفوا سراير ملكوت الله . واما الباقون فبالامثال يكون لهم كل شيء . ارأيت كيف ان المتجرّد

من الامور العالمية والهموم الدنيوية كالتلاميذ له ان يعرف المعرفة الروحانية . وقوله الباقون فبامثال يكون لهم كل شيء . فاعني بالباقين عن الذين هم ملتهين بالعالميات لهم ان يستفهموا عن كل بالامثال . لكونهم ليس هم مجردين من التعلقات الدنيوية ليقتنوا المعرفة الالهية . فلهذا قال ايضاً كل كاتب يتلمذ لملكوت السما يشبه رجلاً ربّ بيت يخرج من كنوزه جدداً وعتقاً . فاعني بذلك ان من يقتني المعرفة الروحانية يستطيع ان يصنع الصالحات .

واما القسم الثاني المدعو ملكوت اي اتيان سيدنا يسوع المسيح وبشارته المحيية . لقوله تعالى قد دنت منكم ملكوت الله . اي ان سيدنا اتى الى العالم متأنساً . وكرز في العالم ليؤمنوا به ويخلصوا من خطاياهم ويرثوا النعيم . وايضاً يقول قد قربت منكم ملكوت السما . اعني ان سيدنا تجسّد قرب الآن يُصلب ويخلص الاسرى من الجحيم . وقوله يكون بهذه البشارة للملكوت في العالم اجمع . فاعني بهذا عن بشارة مجيه المحيية . لقوله ايضاً ان الصغير اعظم من يوحنا في ملكوت السما . اي انه تعالى جلّ وعلا اعظم من يوحنا لانه ابن الله . وقوله ايضاً كل من يسمع كلامي هذا ولا يعمل به الى آخره . اعني بذلك ان من يسمع تعليم المسيح الهنا وما يعمل به فهو لا ينجح في كلّ امر يصنعه . وايضاً قال تشبه ملكوت السما لرجل قد زرع زرعاً جيداً في حقله الى آخره . اعني ان الذي يؤمن بسيدنا يسوع المسيح اتى لخلاص العالم ومن ثمّ عدو الخير غشه واضلّه فيحرق كالتبن بنار لا تطفى . ويقول ايضاً تشبه ملكوت السماوات خميرة اخذتها امرأة وخبأتها في ثلثة اكيال دقيق . فاراد بالخمير المعرفة الروحانية الموهوبة من الروح القدس . واراد بالمرأة الحكمة الذي هي سيدنا يسوع المسيح . وبالثلاثة اكيال دقيق اراد بهم النفس والروح والجسد . فاذا ما اقتنى الانسان هذه الخميرة التي هي المعرفة الروحانية فيحويها ضمن هذه الثلاثة النفس والروح والجسد . وقوله ايضاً تشبه ملكوت السماوات لشبكة القيت في البحر الى آخره . فاراد بقوله شبكة الى بشارة المحيية . والبحر هو هذا العالم. لان التلاميذ لمّا انذروا في العالم البشارة المحيية . فامنت بها من اليهود والبربر والمجوس والاحرار والعبيد . وقوله لما امتلأت الشبكة اصعدوها الى الشاطئ . فجمعوا الخيار في الأوعية والشرور طرحوه خارجاً . اي الذين آمنوا واقتنوا

بايمانهم الفضايل الروحانية فهم لوراثــة النعيم . وبالعكس اي الذين لم يؤمنوا فيلقون خـــارجاً اى خارج النعيم وخارج النعيم ليس هو الا الجحيم . وقوله ايضاً تشبه ملكوت السما لرجل خرج عند الصباح ليستأجر من الناس آمن على يد المسيح والبعض امن على ايدي الشهدا والقديسين من اصطنـــاعهم العجايب والجرايح . والبعض من بوساطـــة كلام البشري خلواً من شك وريب . ايماناً مستقيماً من غير احتياج الى عجايب وآيات واصطنـــاع جرايح . بل ولا لمعجزة باهرة فيشاهدونها ليؤمنوا وما ذاك الا لكون انهم لم يكونوا في عهد المسيح . ولا في عصر التلاميذ بل ولا في زمان الشهدا والقديسين كي يجابوا الى الايمان. وهذه الطايفة هم الذين منحوا الطوبى من الرب بقوله : الطوبى للذين لم يروني ويؤمنون بي . وقوله تعالى ايضاً ملكوت السماوات تنزع منكم وتعطى لامم آخرين يصنعون ثمارها . فالمسيح هنا صرّح لهم عا سيأتي عليهم بعد استشهاده من انتزاع كهنوتهم ورياستهم . وذلك يصير الى الامم الغريبة الـــذين يؤمنوا به . وباعمالهم الصالحة يثمرون . وقال ايضاً تشبه ملكوت السماوات الملـــك صنع عرساً لابنه . وأرسل عبيده يدعوا المدعوين للعرس الى اخره . فاراد بالملك هو الله الآب الضابط الكل . وقوله لابنه اي سيدنا يسوع المسيح . والعرس هو التدبير المخلّصي الذي صنعه يسوع المسيح من السياسة والآلام مع الصلب والعروس هي البيعة المقدسة . والمدعيين هم جماعـــة اليهود العاتين . والعبيد هم الانبيا من موسى حتى يوحنا الصابغ وهـــذه كلها قد كانت وتمت بالكمال بابنه الحبيب الذي اتى لخلاصنا . واماً الـــذين لم يشاؤا ان يأتوا للعرس هم اليهود والعتاة . والعبيد الذي ارسلهم اليهم اخيراً هم التلاميذ القـــديسون . فتكاسلوا اخيراً وابوا ان يأتوا فكل منهم اعتلّ بعلة شهوانية . والبقية قبضوا على العبيد واستخفوا بهم وقتلوهم . فغضب الملك وارسل عبيده الى المسالـــك والطرقات وامرهم بان يدعوا كل من يجدوه الى العرس . اي بان يدعوا عباد الاوثان وغيرهم من الامم . واماً اولئـــك القتلة ارسل فقتلهم واحرق مدينتهم بالنار . فلماً دخل الملك لينظر المتكئين فرأى العرس قد امتلا من الاخيـــار والاشرار . فرأى انســاناً ليس عليه ثياب العرس. فقال له يا صاح كيف دخلت الى هنا اذ ليس عليك ثياب العرس . فـــسكت . فأمر ان يربطوا يديه ورجليه

ويلقوه في الظلمة البرانية . حيث البكا وصرير الاسنان . فاراد بهذه الجملة ان كل من يؤمن بسيدنا يسوع المسيح ولا يعمل صالحاً يُربط باطرافه ويُزج في الظلمة البرانية حيث البكا. وصرير الاسنان . لقوله ايضاً موبخاً به لكتبة اليهود وفريسيهم . ويلًا لكم لانكم تغلقون ملكوت السما امام الناس فلا انتم دخلتم والداخلون اليها منعتم اي ان شعب اليهود الذي لم يؤمنوا بمجيء سيدنا يسوع المسيح ليدخلوا الى عرسه اي ملكوته ولا سيما الكتبة منهم والفريسيين . اوليك الذين لحسدهم وشهواتهم النجسة وحبهم الرياسة اعتلوا بعلل خبيثة وهم يريدوا ان يؤمنوا به . وليس هذا فقط بل انهم لخبثهم ومحبتهم لانفسهم منعوا ذواتهم من الدخول الى الملكوت وبتعليمهم المسموم ان ابيهم الغشوش اي بقية الشعب اليهودي صدّوا من ان يؤمنوا به .

والقسم الثالث الذي دعاه ملكوتاً فمن قيامة سيدنا من بين الاموات لقوله تعالى ان ها هنا قوم من القيام لا يذوقون الموت حتى يرون ابن البشر آتياً في ملكوته . فاعني بقوله هذا ان التلاميذ كان اقصا مرادهم ان يطلعوا عن كيفية المجد الذي به يأتي الرب الاتيان الثاني. فاراهم مجد اسمه ذلك قبل آلامه وصلبه وموته . ليتحقق عندهم بها. مجده وقوله ايضاً انني* من الآن لا اشرب من عصير هذه الكرمة حتى اشربها معكم جديداً في ملكوت ابي . فاراد بذلك تحقيق تأنسه حيث حيث انه بعد ما قام من بين الاموات اكل مع تلاميذه ليلا يظنوا انه كان خيالًا . ليس المسيح الاله المتأنس . وايضاً كان ذلك لظن التلاميذ ان ملكوت الله والقيامة العمومية تكون في حين ظنهم اي ظن التلاميذ ان ملكوت الله والقيامة العمومية تكون في حين ظنهم اي ظن التلاميذ ان ملكوت الله في تلك الساعة تظهر وتقوم القيامة. واما قوله العزيز ويملك على بيت يعقوب ولا يكون لملكه انقضاء. فاراد بهذا ان بعد قيامته يملك على بيت يعقوب . فعني بتملكه على بيت يعقوب انه بعد قيامته يملك على الذين يؤمنون به وبقيامته المقدسة لقوله واما يوسف. من الرامة وكان هذا حسن الراي مهاباً وكان يترجى ملكوت الله الى آخره . فهذا الانسان كان من جملة الذين آمنوا بسيدنا يسوع المسيح وكان يترجى ان بقيامته يخلص شعب اسرائيل . وذلك كان منه خفية من الشعب اليهودي الخبيث لكونهم كانوا

قد خرجوا على انفسهم . ان كل من قال هذا هو يسوع المنتظر ان يغرزوه من من بينهم . وقوله ايضاً اوصانا لابن داود مبارك الآتي باسم الرب اوصانا في العلا . فلفظة اوصانا هي بلغة الرومي . وقرأت باللغة العبرانية هوشعنا ومعناها التسبحة . وتقديره الخلاص لابن داود الخلاص في العلا . اعني ان الذي بقيامته من القبر من القبر يخلصنا .

واما القسم الرابع الذي يُدعى ملكوت هذه هي التي تكون في آخر الزمان اي يوم القيامة تلك التي يرثها الصديقون مكافأة لاتعابهم . لقوله تعالى ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت الله . فاراد بهذا ان كثيرون من الغير المؤمنين عرفوا الرب وآمنوا به وتنبأوا باسمه . ولكنهم حادوا اخيراً مثل بلعم وفرعون ونجتنصر وحنان مع قيافا وامثالهم . الذي سيقول لهم الرب مع الأراتقة الخالين من استقامة الايمان الكاثوليكي ما اعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الاثم . وقوله ايضاً ان الابرار يضئون في ملكوت ابيهم مثل الشمس . ومن المعلوم ان المؤمنون الحقيقيون الصالحو الاعمال والحافظو ناموس الله الصانعو ارضاه فانهم بالحقيقة يشرقون كالشمس في ملكوت السما . وقوله ايضاً لام ابني زبدي حين اتت مع ابنيها الى سيدنا يسوع المسيح وقالت له قل ان يجلسا ابناي هذان واحد من عن يمينك والآخر من عن شمالك في ملكوتك. اعلم ان طلبة ام ابني زبدي لم تكن منتظرة ولا مرتبة. وتتضمن الكبرياء لان في هذين التلميذين تحركت شهوة الترأس . فلذلك استصحبا معهما امهما لتسأل الرب في ذلك . فاما سيدنا تمجد اراد ان يقتلع منهما هذه الشهوة الردية التي هي الكبريا بقوله لهما لم تدريان ما تطلبان . اتقدران تشربا الكاس التي انا مزمع ان اشربها . والصبغة التي اصطبغها تصبغانها . فقالا له نستطيع . فقال لهما اما كاسي فتشربان وبصبغتي تصطبغان . اما جلوسكما من عن يميني ويساري فليس ذلك لي . بل للذين اعد لهم من ابي . فليس ذلك منه عدم استطاعة لانه يؤهلها ذلك . فلا يتوهم هذا احد. لانه تعالى له جميع ما للآب. وما للآب جميعه له وانما اراد بقوله هذا ان ليس ذلك لي بل ما اعده الآب . فاذا كان الاب والابن واحد هو . فصار معلوماً انه عز اسمه لم يقل هذا ان فعل الاب ليس له ايضاً . ولكنه اراد به ان يتشبها به في كل شيء.. لكونه

تواضع ولبس صورة العبد وصار في الشبه كالانسان ومات موتاً بالصليب من اجلنا . فاراد تمجد اسمه ان جملة اتباعه يكونوا مثله . ويسقطون عنهم كل فكر متكبر وكل مجد باطل . وفي كل شيء مقتفين آثاره وبالنخبة مثله . وكأنه يقول لهم تمثلوا بي كما اني اله وابني اله . اتيتُ بتواضع لابذل نفسي خلاصاً لكثيرين . وقوله كان لإنسان ابنان . فجاء الى الاول وقال له اذهب اليوم يا ابني واعمل في الكرم . فقال ما اريد . وبعد ذلك قدم ومضى . وجاء الى الثاني وقال له مثل ذلك . فاجاب وقال انا امضي يا رب ولم يمضِ . فمن منهما فعل ارادة الآب . فقالوا له الاول . فقال لهم يسوع حقاً اقول لكم ان العشارين والزناة يسبقونكم الى الملكوت لانه جاءكم يوحنا بطريق العدل فلم تؤمنوا به . والعشارون والزناة آمنوا . اما انتم رأيتم ذلك . ولم تندموا اخيراً لتؤمنوا بهذا ان الولدان—الشعبين— شعب اليهود وشعب الامم . فاما شعب اليهود الذين قالوا اننا نعمل كل شيء ولم يعملوا . وشعب الامم الذين كانوا لا يعرفون الله . وكانوا يعبدون الخليقة دون الخالق تعالى . وبعد ذلك ندموا وعادوا راجعين الى ابيهم الذي خلقهم وصنعوا ارادته . وقوله ايضاً تشبه ملكوت السماوات عشر عذارا الى آخره . فاراد سيد الكل بتشبيه الملكوت بالعذارا العشر . فالخمس الحكيمات مثال الايمان والرجا والمحبة والصبر والصلح . واما الجاهلات الخمس فهم مثال الطهارة والصوم والنسك والحلم والخشوع . فهؤلاء وان كانوا حاويين مثل هذه الفضايل الا انهم كانوا عديمي الرحمة فلهذا جهلوا . واما اخذهن مصابيحهن ولم يأخذن زيتاً في اوعيتهن فاراد بالاوعية الافكار الصالحة والمصابيح هم فضايل روح القدس التي تضي بالاعمال الصالحة التي هي الرحمة . لان الفضايل لا تضي بالاعمال الصالحة التي هي الرحمة . لان الفضايل لا تكمل اذ لم يكن معها رحمة فلهذا قال كونوا رحومين كابيكم السماوي فانه رحوم هو . وقوله ايضاً هلم يا مباركي ابي ارثوا الملك المعدّ لكم من قبل انشا العالم الى اخره اي ان المؤمنون بالايمان الحقيقي من غير شك وارتياب الفاعلون اختياره والحافظون وصاياه فيورثهم الملكوت في يوم القيامة ليتنعموا بها . وقوله ايضاً خير لك ان تدخل الملكوت بعين واحدة من ان يكن عينان وتدخل نار جهنم . اي ان العين هي اشرف الحواس الخمسة . واليد اليمنى هي اشرف آلات الجسم اعني

اذا كان فيكم انسانا محبوباً كالعين او اليد وتكون مشيآته قوية في امضا الشهوات الدنسة . فهو مطغيكم ويهلك بكم في طريق الشر . فليكن مرذولًا وسيدنا له المجد يعلمنا هنا بمثل العين اليمنى واليد اليمنى لكونهما اشرف اعضاء الانسان واضر ما يكون له هذين العضوين . ويعلمنا بهما انه لواجب علينا ان نلقي عنا كل شيء يأول بنا الى الخطية ولو كان ثميناً وضرورياً ومحبوباً لدينا . وتقديمه تعالى بمثل العين هنا على اليد لكونه اشار اليها قايلًا . كل من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه . ومن المعلوم ان النظر يتم بالعين وقد يراد بها ايضاً الى كل صاحب او خادم ولان كان نفعهم لنا ضرورياً . ويراد بها ايضاً الانسبا والاقارب. فبمثل هؤلاء يجب قلعهم وقطع معاشرتهم اذا كانوا يجتذبونا الى الخطية ولان كان نفعهم الينا واصلًا . وقد يُراد ايضاً ان العين اليمنى هي العقل وباليد اليمنى يُراد بها الارادة . والعين الشمال هي حس الجسد وباليد الشمال هي ميله . والحال انه يجب ان يرتد العقل والارادة عن كل ما يلهي ويضر . ان يكف الميل والجسد عن الشهوات اللحمية . وقد يُراد بالعين اليمنى واليد اليمنى هنا على ظاهرهما وهو الاصح . الا انهما اجابهم سيدنا بمنزلة مثل . وتفسيرهما تمثيلي لاتصال المثل عنا بها. ويشير المسيح به الى شهوة النظر السابق ذكرها لانه تعالى هنا يتلافي اعتراضا مقدرًا كأنه يقول : قد يقول لي قايل اذا كانت العين تجنح بي الى نظر شهواني فالآن ماذا اصنع بها . والحال ان الله اعطانيها لانظر بها . وهذا المثل مأخوذ عن الجراح ايضاً . فكأنه يقول كما ان الجرّاح يهتمّ في قطع الاعضاء الشريفة والضرورية جدًا كالعين اليمنى واليد اليمنى . اذ تعلق بها خلاص الجسد كله . كذلك انا انبهكم يا ايها المومنون لي بانه يجب عليكم بان تقبلوا اية مصيبة كانت ولا ان تقبلوا الخطية والنفاق . لاسيما المميت اي انكم تطرحون عنكم كلما كان عثرة لكم ويجتذبكم الى الخطية . واذا لم يمكنكم الهرب منها بغير طريق فاقطعوا يدكم واقلعوا عينكم لانه خير لكم ان تدخلوا الملكوت بعين واحدة من ان تدخلوا جهنم بعينين . ولكن لمّا امكن التجنب من الخطية بطريق آخر فما جاز قطع الاعضاء. فمن ثمّ حين اخصى اوريجانوس نفسه لحفظ الطهارة فحرمته الكنيسة وهكذا وجب على كل احد قطع شهواته واماتتها. ولو كانت مفروسة

في العين والجسد بل في النفس كلها ولذلك لا يمكن استيصالهـا الا باجتهاد جهد والم لا يوصف . ومن قطعها عنه يتقرب جدًا لتعذيبه وتألمه اذا قلعت عنه او درسه . ولا يعرف الامر الا من قد جربه وامتحن به . ولهذا السبب دعي هذا القلع اماتة . من كونه يولد وجعاً كوجع الموت . [×] هذه الاقوال مثل قوله من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها . وقوله قد سر ابيكم ان يعطيكم الملكوت الى اخره . وقوله ايضاً ان ملكوتي ليست من هذا العالم الى آخره . وكما قال حين اخذ الملك ورجع . وهلمّ جرًا مثل هذه الالفاظ .

اعلم يا هذا ها هذه الاربعة الاقسام المدعوة ملكوت . فان اخذتها كلها بمعنى واحد . يفوتك الغرض الذي تقصده لاختلاف المعاني فيها . انتهى .

والان نرجع الى قصدنا ومطلوبنا. اذا قد قررنا لفظة الملكوت التي علمناها سيدنا ان نطلبها . وهي لتأتي ملكوتك اي المعرفة التي هي في القسم الاول. اي لتأتي معرفتك الالهية الينا . فاذا مـا طلبناها بروح الايمان النقي فحقاً عنحناها . كما وهبها لسليمان الحكيم حين استاحها من الله حيث هو في هيكله المقدس قايلاً ربي والهي اعطني معرفة لاتدبر بها وادبر شعبك اسرائيل. فاستجاب الله صلاته . وملاه من روح الحكمة والفهم . شيء ما حصل عليه ولا يحصل لملك آخر لا من قبله ولا من بعده . فاعتبر يا هذا شرف هذه المعرفة . بما ان الاشياء كلها والامور جميعها تابعـة بها . واناس كثير من الكاملين لقبوها بالملكوت وسطّروها في مصنفاتهم كاوغريس [Evagre] وغيره من الفاضلين . وليكن عندك محققاً انك ان لم تعرف اختياره ورضاه فلم تستطع ان تفعله . فسيدنا يسوع المسيح لمّا بقلة معرفتنا اختياره ورضاه . سبق فعلمنا ان نطلب من ابينا المعرفة الالهية. لنعرف اختياره فنكمله . وبوساطة هذه المعرفة ترتخي عنا جميع المعارف التي تقاومها . ونحن نتدبّر بها تدبيرًا حسناً . واذا عرفنا ما يريد نفعل اختياره ورضاه ونطلب بها جميع مكايد الثلاب . وبها اي بهذه المعرفة يظهر لنا مكر المشوش وينفضح امامنـا ويشتهر خبثه الردي وحيل عدونا ومهازيه تولّي عنا . فارّة منا ومطرودة امامنا كما ينطرد الظلام من امـام النور . وجميع افعاله المشوشة تتلاشى وتضمحل كما يضمحلّ الشمع من قدام النار . فيا لشرف هذه المعرفة الروحانية ما اعلى سلطانها من حيث اننا بها

تسلطنا على جميع اعدائنا الغير المنظورين الذين يأذونا وبها نتسلط على كل شيء. الموافق لنا والغير موافقنا . يا لهذا السلاح القوي التي اعطاناه ابونا لنتسلح بها امام اعدانا كما هو لايق بابناء الملك السماوي . وان اهملنا نحن هـذا السلاح فيتعيّر ابونا بتركنا سلاحه . الذي هو سلحنا به . فاذا ما شعروا اعدانا بنا باننا خالين من آلة قتالهِ المنيع التي هي المعرفة الروحانية والفضايل الكاملة يتسلطوا علينا ويقهرونا . واذا ما قهرونا البسونا سلاحهم. الذي هو الحيل والمكر وخبث الغاشين . فنتدبّر بهم الى حين الممات واخيرًا يبطلون ويضمحلون كما يضمحل نسيج العنكبوت . ومن ادنى ريح يهب فيتلاشا مضمحلًا كما قيل ان الحيل [××] المكره لا يثبتون امام الرب . عاد بالضرورة الواجبة . ومن يابى اللياقة اللازمة الا تتاهل ونتوانا في طلب هذه المعرفة . من حيث لها كذا منافع وبوساطتها نملك هكذا سلطان فلا نملّ من استماحنا اياها. لكي ابينا السماوي يمنحناها ولا يجب لنا ان نطلب منه شيء آخر ما عداها . وان طلبنا منه شيء فلا يسرّ بنا ابونا . لكون طلبنا القليل وتركنا الكثير . فهو عدم نظام لاننا اذا طلبنا هذه المعرفة الروحانية . ننال الخيرات الزمنية التي هي الواسطة العظيمة لنيلنا الخلاص الابدي . لان بوساطة هذه المعرفة نصنع ما يرضي ابونا السماوي. واذا صنعنا رضاه وفعلنا اختياره فهو ايضاً يغفر خطايانا ويعفو عن ذللنا ويصفح عن نقايصنا. ولا يذكر لنا هفواتنا ويهبنا الخلاص الابدي. وان طلبنا ما عداها فتكون طلبتنا الغير النافع لنا وربما يكون مضرًا لنا . والنافع لنا تركناه ذلك الذي يختص لخلاص نفسنا . ولان النفس تحتاج الى نعمة الله اكثر من احتياج الجسد الى القوت . لان اعداء النفس يكادوا الا يحصوا لكثرتهم . فلهذا تحتاج الى المعرفة الالهية . لتتنوّر بها . وبوساطتهـا تُعان من الاب السماوي لتقاوم اعدائها . لكون الاعداء يفاجونها ظاهرًا وباطنًا . فحينئذ هي محتاجة لمعونة ابيها.

اناشدكم الله يا ايها الشعب المسيحي ان لا تخالفوا تعليم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . وتخونوا ذواتكم لكون معلمنا الالهي يعلم بضعفنا وقصر همتنا وقلة استطاعتنا عن محاربتنا اعدائنا . لكونهم اعدا قساة مرّين ليس فيهم شفقة علينا . لكوننا نروم ان نرث مرتبتهم ونملك مكانهم ذلك الذي هو عالي عن

العقول البشرية . وناهيك يا اخي القربى الى العظمة الالهيـة . فكيف يا اخي يسوغ بعقلك ان تملك مكاناً ليس لك . بل انه كان لاناس اقوى منك قدرة وسلطة . بغير اعانة اناس ذوي قوة واقتدار . بالأقل تضاهي قوة مالكيته بل وازيد من اقتدارهم والى كم من الاتعاب والمعاناة تكابد وتصرف عنايتك بجملتها على من يحميك باعانته لتملك ذلك المكان . ويعد هذا العنا الشديد ايضاً امتلاكك اياه ليس هو معلوماً بل تحت الريب والشك . فاذا كان هذا لازماً بالتصرف العالمي الزايل هكذا ممتنع ان يكون. فما ظنك بذلك المكان الشريف البهيج الذي يعلو فرحه ومجده علواً غير متناهي بهذا المقدار. حتى انه رب المجد والعظمة العالية لمحبته فيك يا ايها الانسان تنازل عن علوّ شأنه . ورضي لذاته الشريفة ان يحجب اقنومه الالهي بصورتك كقول الرسول وكابد اتعاب واحتمل شدايداً وعانا اموراً شاقة وصابر آلاماً مبرحة وجاهد جهاداً غير مطاق . حتى انه يجاهده هذا الذي تقصر عن مكابدته جميع الأبطال الباسلين في المعارك. وجملة تغني عن التفصيل مات مصلوباً مفرقاً بدمه الكريم. ولا حاجة لان اصف لك لان هذا شيء معلوماً عندك . ان دم السيد بل دم الاله نفسه ليس هو كدم العبد . بل تبعد موازاته بعداً غير متناهي. حتى انه احماك وانقذك وخلصك وورثك ذاك المقام السعيد . وتلك المرتبة العالية الشريفة ولعلمه تعالى بضعفك وقصر قوتك عن مثل هذه المجاهرة . ومن محبته فيك منحك تعليماً شريفاً خفيفاً لطيفاً هيناً سهلاً . لان دائماً تتهجا به وتتلوه من كل قلبك على المدا . وتطلب من ابيك السماوي ان يمنحك ملكوته اي معرفته الالهية لتتدرب فيها ويعينك في جهادك ويخلصك من قتاله . لان يا اخي قتالنا ليس هو مع ذوي لحم ودم بل هو مع الروسا. وسلاطين الظلمة كقول الرسول : فاذا كان حربنا مع هكذا اعدا مرّين انما نطلب من ابينا السماوي ان يعيننا حتى النفس الاخير على قتالنا معهم . لان طلبتنا من ابينا هذا ليس انه يعيننا في حربنا فقط . بل انه بهذه الطلبة يزيد في نمونا الروحي اذا طلبناها لمجد اسمه الاعظم. ولمطابقة ارادته الالهية . وطلبنا هذا منه يكون بتذلل وخشوع ابني لكي بهذا نستعطفه لان يحنوا علينا . كابن موثوق لابيه يستغيثه ان يمنحه ابوه ما يرضاه فليتعلمه. فيبتدي ابوه في ان يدربه شيئاً فشيئاً بالذي يختاره ان يفعل ابنه.

فمن ثمَّ يتعلم الابن رويداً رويداً لان يصنع مـا يختاره ابيه بالكمال . فحين يراه اباه ان ابنه فاعل كارادته في كل شيء ودون اختيــاره لا يفعل شيء فحينئذ يأتمنه على جميع ماله . ونحن ايضاً نكون كذلك . ان لا نفعل شيء يضاد ارادة ابينـا السماوي . لكي اذا رآنا فاعلين مشيته واختياره ورضاه مداومين طلبنا هذا اليه باتضاع وخشوع . في انه هو يدربنا ويدبرنا ويعلمنـا ويروينا معرفة جميع ما يضرنا ويؤذينا لنبتعد عنــه . ويثقفنا كاختياره بالذي يصلح لنا وينفعنا لنكمل رضاه في كل شيء. فيلتزم انه يمنحنا الخلاص بواسطة معرفته الذي يمنحناها . وبعدما علمنا ان نطلب ملكوته اي معرفتــه ان تأتي لعوننا علمنا بقوله لتكن مشيئتك كما في السماء .

فانظر يا اخي كيف يعلمنا معلمنا الالهي سيدنا يسوع المسيح كيف انــه يريد منا ان نكمل مشية الآب اي اختياره الذي اختاره في السما على الارض فلا عاد يجب لنا ان نفعل شيء ما ضد ما شاء به ابونا في السما ورضي ان نفعله نحن على الارض . بل دائماً يكون فعلنـا ارادة ابونا في السماء . ففي الارض نتممه ومن لم يفعله لن تشابه نفسي يقول الرب فوجب علينا اذاً الا يكون لنا ارادة دون ارادة ابينا السماوي جلّ وعلا . اعلم يا هذا انه بمقدار ما تكون ارادته فينا كاملة بمقدار ذلك تنتشر معرفته فينا . اي بمقدار ما نكون فاعلين اختيــاره الذي شاء به في السماء وعلى الارض مكملية . بمقدار ذلك تنتشر ملكوته فينا . اي معرفته الالهية لمساعدتنا وبذلك يخضع الكثيرون له بارادتهم من كونه لا يوجد [×] لله تعـالى الاعظم ولا ملكوت اي معرفة اوسع من ان كل شيء يخضع لاختياره اي مشيته . وانما في الكل تكمل .

ومشيئة الله على نوعين احدهما مشية الرضا وتدعي المطلقة وبها يريد الله على الاطلاق ان يتم كلما يريده .

(له صلة)

حجج فلسفية تدعم نظرية النشوء

بقلم الاب فيلكس سوانيون اليسوعي

ما طال الامر على نظرية النشوء والارتقاء التي طُرحت علمياً في القرن التاسع عشر حتى انقلب الى مشادة فقد ارتكب مناصرو هذه النظرية الجديدة ضروب التطرف التي احدثت ردات فعل لا تقل في عنفها عن شطط تطرفهم ، فانهم قد حوّلوا الاحتمالات الى يقين بواسطة ادماج بعض اضافات بالموضوع وهي لا تمتّ اليه بصلة وبواسطة تعليلات واهنة لا ترتكز الا على تصورات ضعيفة الاستناد المنطقي زاعمين انهم اوجدوا تفسيراً لاصل المخلوقات شاملاً حاسماً ، ولم يكن شططهم من الوجهة الماورائية الا اشدّ خطراً لزعمهم اطراح كل غائية من تفسيرهم ، فظن بعض انصار نظرية داروين وحتى داروين نفسه انهم قد عثروا في مذهب النشوء والارتقاء على برهان يؤكد ان ليس ثمة لا خلق ولا خالق .

واذ شعر المعارضون بوهن براهينهم واذ ارتضوا بدون بحث بمعارضة نظرية النشوء والارتقاء للخلق وكان من بينهم علماء حقيقيون ككوڤيه (Cuvier) وكلود برنار (Claude Bernard) وباستور (Pasteur) ردّوا اقوالهم بجملتها .

اما اليوم فالعلماء المؤمنون وغير المؤمنين فهم اشدّ حكمة واللاهوتيون اقلّ تصلباً . وعلى كل فاننا نرى انه لو رددنا النظرية العلمية والعقيدة الايمانية الى حدودها الحقيقية لما وجدنا بينهما تناقضاً .

ان الفلسفة نفسها لعلى اتصال مستمر بالعلم التجريبي ، فهي تفتش وراء التفسير الظاهري عن نواميس المادة والحياة والفكر وليس بمقدور التقدم الجديد في العلم ان يزعزع ما هو وطيد في مذاهبها وانما على العكس من ذلك فانه اذا ما حمل اليها عناصر موضوع جديدة يمكنها من الاتيان بتركيب افضل .

أبهذا هو الوضع في نظرية النشوء والارتقاء ؟ فلنتدبر الامر في محور نظريتها التي لم تبق موضوع بحث الآن : لقد كان للحياة تطور على الارض ، فالاشكال المتتابعة التي اوضحتها دراسات المستحاثات لم تتعاقب فحسب ولكنها قد تناسلت ، فكان التقدم في مجموعها من الاشكال ذات المظهر الفسائلي واحياناً

ذات انظر الشائك تقدماً تدريجيا وعلى الخصوص في الاعضاء الوسطى : قال الكونت ده نويه (Lecomte de Noüy) في كتابه :« الانسان ومصيره » ص ١٨٠ «لقد جرت الامور منذ ولادة الخلية الاصلية كما لو كان الانسان هو المقصود.»

وهل يناقض مذهب النشوء والارتقاء مبادئ علم ما وراء الطبيعة للقديس توما ؟ في سبيل البتّ في هذا الامر لا بد لنا من دون ان نتعجّل مقارنة نظرية مذهب النشوء والارتقاء بهذه المبادئ .

وهذه الدراسة قد تصدّت لها المجلة المدعوة « المجلة اللاهوتية الجديدة » سنة ١٩٣٢ ص٥٧٧ وما يليها ، وانه ليتضح للقارئ على ما اعتقد ان ما سأجيء به ليس ترداداً لما قيل في تلك المجلة .

ولندع جانباً بادئ ذي بدء ذريعة راوية لا طائل تحتها، فلا سبيل للانكار ان القديس توما هو من القائلين بخلق الموجودات كاملة وذلك بالنظر الى تعليمه الصريح ، فقد قال في موجزه اللاهوتي « انه من المحتمل جد الاحتمال ان يكون البذر قد صُنع كاملًا وان تكون النباتات (منذ خلقها) في حالة اكتمالها في اثناء اتخاذها جرمها وكذلك بقيّة الحيوانات والانسان (1re partie de la Somme, question 70, article 2, 3me réponse)

واكد نفس التأكيد في موضع آخر « v.g. 1re, question 90, art. 4 ; 1re de la seconde, q.5,a.7, 2me réponse. »

وهو مع ذلك يسلم بظهور انواع جديدة على مجرى الاجيال من جراء تأثير الاجرام السماوية (Ia,q.73,a. 1,ad 3 um) ولقد جاء في قول له سابق (2 dist. 12.q.1.a.2) ما حملنا على رؤيته متردداً اولاً بين القديس اوغسطينوس وغيره من اباء الكنيسة حول تفسير سفر التكوين .

وفضلًا عن هذا فان القديس توما لم يحارب اساساً مذهب النشوء والارتقاء الذي كان بسيط العناصر عند الاقدمين ، ففي عهده كانت محاربته قد انقطعت ولم تكن قضيته موضوع بحث .

لقد بقي علينا ان نعرف : هل اضطرّته مبادئه فلسفته الى تبنّي المذهب القائل ان الموجودات كان خلقها كاملًا ؟ ام على العكس من ذلك هل كانت مبادئه وليدة الاختبار الدقيق جدّ الدقّة لكي لا تقوى حقيقة علمية جديدة مفروض

بالبرهان نبرتها الا على تأكيد هذه المبادئ، وايجاد ما يثبتها فيها اثباتاً صحيحاً.

اما مبادئ ما وراء الطبيعة التي يبدو تأثيرها في مذهب النشوء والارتقاء فهي التالية : التقدم الشامل ، الغائية والمقدرة الفعلية الموجّهة في وجهة معيّنة الشاملتان ، السببية الشاملة ، وفي المعنى المخالف على ما يبدو ، عدم تغيّر الشكل.

١ – التقدم الشامل

التقدم هو سنة الكون ، ولا شك في ان الاكثر لا يخرج من الاقل وان غير التام لا يفسّره الّا التام في سياق السببيّة الفاعلة والغائية ، واذا لم نأخذ بعين الاعتبار الّا المبادئ الباطنية فالطبيعة تسير من غير التام الى التام لان الاسباب لا تحدث من المرة الاولى مفعولها (١) ، هذا هو ناموس التحولات الخاصة.

والطبيعة في مجموعها تبدو متبعة سيرًا مماثلًا لهذا السير اما الخلق فقد كان بالتدرج لا لكون الصانع الالهي كان بحاجة الى ان يعمل على مراحل بالتدرج ولكنه اراد ان يحقّق نظامًا ما وجمالًا ما (٢) .

ومن الواجب ان يكون تصوّر جميع الطبيعة وليس الحياة وحدها على شاكلة التصعيد ، فالمادة الاولى هي بالقدرة لكل شيء وانما في سياق تقدمي(٣) ، فان العمل الانساني يسير وفق الناموس التقدمي كالعلم النظري والعملي مثلًا .
(Cf. IaIIae,q.9,7,a.1 ; et De Veritate, XIV.10)

ولقد كان الوحي الفائق للطبيعة بصورة تقدمية من الوجهة الانسانية .
(Cf. Ia,q.57,a.5 ad 3um ; et IIa IIae,q.1,a.7)

ومذهب النشوء والارتقاء هو خير تطبيق لهذا المبدإ للتقدم الشامل ويسير التناسل مثل كل حلقة من حلقاته نحو كماله ، وفوق تطور كل تناسل خصوصي يتكدس تطور المجموع ، والحياة بمجموعها هي ارتقاء نحو مثل اعلى لم يتأتَّ بلوغه قط وانما هو الهدف الذي يُرمى اليه دائمًا.

وليس شيء من هذا كله في المذهب القائل بان الموجودات قد خلقت تامة وانما من الواجب القول ان كل فرد يتطور نحو مثاله النوعي ما عدا الفرد الاول الذي كان افتتاح سلسلته به ، فهذا الفرد كان لا بد له من ان يكون المثال الاول وان لا يتقيّد بناموس التقدم التطوري الفردي .

٢ - الغائية والقدرة الفعلية الموجهة في وجهة معيّنة الشاملتان

ليس الكائن مندفعاً من الخارج فقط في سيره نحو كماله مثل متحرك جامد ، فان الله قد جعل فيه مبدأ حركته ولو على الاقلّ جزئياً ، فالقدرة التي ندعوها قدرة منفعلة ليست امكانية بسيطة وقابلية لا ابالية فهي قدرة فعلية وتوق . ان الفعل هو غاية فالمادة تنزع الى الشكل نزوعاً غامضاً على شاكلة الانثى والذكر(٤) فكل شيء يتوق الى الارتفاع نحو الله .

ان توقان المخلوقات وإنْ ماديّة وانّ ارتفاعها هذين نحو مبدإها فلما يعرفه بعض السكولاستيكيين المعاصرين .

اذاً ما هو مذهب النشوء والارتقاء الغائيّ ؟ لان المراد هو ما يأتي : « ان نظرية التطوّر لا تصبح معقولة الّا عندما تضمّ تفسيراً غائياً الى تفسيرها الآلي الرائج»(٥)، الا وهو توقان المادّة المظلم الى الروح عبر جميع المراحل الوسيطة وهو مجهود الحياة المستمرّ للوصول بمساعدة السبب الاول لاحداث الانسان الغاية في الكمال الذي بمقدوره اتمام هذا الصعود الى ما وراء المحسوس .

وفي المذهب القائل ان الموجودات قد خلقت كاملة فلا ينكرون هذا الاشتياق كل الانكار ولكنه يظلّ بدون طائل في كل كائن خاص ولا يحصل على مفعوله الّا خارجاً عن ذاته وبدونها بواسطة تكرار امور يسدّ بعضها مسدّ بعض ، وليس فيه سير نحو المثل الاعلى وانما هو الفكر الانساني الذي يمدّ حركة النظر المستمرة على المشاهد المتعاقبة غير المتحركة على شاكلة رؤية العين لمناظر السينما وذلك وفقاً لما رسمه الباري.

٣ – السببية الشاملة

يحقق الله مقاصده على الارض بالتعاون مع مخلوقاته لا عن عجز منه بل عن جودة ، ولا يقلل هذا شيئا من نطاق عمله فهو يصنع ما يأمر الاسباب الثانوية بصنعه بوصفه العامل الرئيسي، وان ما ننسبه الى المخلوقات ليس مقصيّاً عن الخالق وعلى العكس فان ما نقصي المخلوقات عنه فالله مقصيّ عنه (٦) وان كل جوهر هو مركز اشعاع على شاكلة الله الذي يأخذ بدوره ويعطي كل ما هو كائن وحتى ما وراء الكائن لانه يساعد الغير على الصعود الى ارفع ، فالكون وحيد بالسببية

والقائية الشاملتين اكثر بكثير مما هو وحيد بالمادة المشتركة وتسلل درجات الاشكال (٧) . وعبثاً اكدوا مبدأ الوحدة العامة فانه من الصعب رؤية تحقيق هذا المبدأ في المذهب القائل ان الموجودات قد خلقت كاملة سوية، وليست هذه الوحدة على كل حال وحدة عضوية ضمنية فهي مفروضة من الخارج على شاكلة الوحدة التي يفرضها الفنان الانساني على مواده وهي في احدى النواحي ابعث على العجب، أفهي لذلك اجمل من قبل واهل لله ؟

وعندما نقول ان الفرد الاول من احد الانواع قد خلقه الله بدون مساعدة الاسباب الثانوية فتلك عدة معجزات نفرضها على الايمان، لاننا نفرض عليه بذلك عدة ظاهرات لا سابقات طبيعية لها . اما في الانواع الدنيا فالفرد الاول هو بذرة، اما الحيوانات اللبونة الاولى فلا بد للنوع من ان يبدأ فيها بولد بالغ لان صغيرها لا يستطيع ان يعول نفسه بنفسه وبالاحرى لا بدّ له من ان يبتدئ بفردين اثنين، وبما ان الحياة حركة مستمرة فينبغي لهذين الفردين الاولين ان يكونا مخلوقين في وسط الحركة الكاملة وبانسجام كل اجزائها مع ايقاع الدم في دورانه، دم العروق في احد البطنين والدم المشبع بالاوكسجين في البطين الثاني وبانسجام كل اجزائهما مع التيارات العصبية في جميع نقاط مراحلها ومع الاغذية في كل دورات تمثلها وعدمه ومع غائض فضلاتها في طريقه الى الخارج الخ ولا بدّ له ايضاً من غرائز لا الغريزة الفطرية الغير واضحة فحسب بل الغرائز التي نمت نمواً يماشي سنّ رشده مما يفرض عادة الخبرة والذاكرة . . .

وبالطبع ليست هذه الامور مستحيلة غير ان الاحتمال المتافيزيقي ليس برهاناً، فلو قيل ان الباري قد خلق مدينة في صحراء خالية من السكان خلقها من الالف الى يائها وجهزها بتنافيها وجعل لها مطابخها وآنية طعامها ونارها المشتعلة والنضج وجبة الطعام من البيض نصف نضج . . . فانا لا استطيع القول ان هذا مستحيل من الوجهة المتافيزيقية ولكن . . .

أو لم يميّز اللاهوتيون في الله قدرتين ؟ (Absoluta et ordinata).

ان معلومات ارسطو والقديس توما في علم الحياة لم تكن تتعدى الخبرة الدارجة في ايامها، فانهما لم يكونا يعرفان عن تركيب مجموعة الاعضاء الحيوانية الا الامور الظاهرة فبدا لهما ان خلق بالغ مباشراً لهو امر سهل .

٤ – عدم تغيّر الشكل

التبديل بحد ذاته يفرض لنفسه قاعدة فجئية ثابتة ، فان الاعداد لا تتبدل اما زيادة وحدة فينتج عددًا اخر يحل محلّ الاول ، فكذلك هي الحال مع الاشكال ، فالشكل الاعلى العارض يحتوي تمام الشكل الاسبق له احتواء كليًا بيد انه من نوع آخر (٨) .

وباستطاعتنا الوقوف عند هذه النقطة وان نسلم بان انتقال الحياة من ذرّية الى ذرّية اما انه يتم في نفس النوع او انه اذا كان ثمة تقدم فان هذا التقدم ينقل النسل الى نوع آخر ، ان القديس توما يعرف الاسباب التي لا تورث مثلًا لها ولكنه يعلم ان الفرد نفسه بمقدوره ان يتخذ اشكالًا مختلفة على التعاقب كالجنين الانساني مثلًا فهو في شكل نباتي اولًا ومن ثم حيواني ومن ثم انساني (Cf. C. G. III, c. 22) .

وثمة امور اكثر من هذه ايضاً : ان الشكل النوعي ذاته قد يشترك فيه افراد مختلفون من النوع نفسه اشتراكاً متفاوتاً ، واخيرًا يستطيع الفرد في غضون وجوده ان يساهم مساهمة متفاوتة في شكله اعني بالازدياد فيه ازديادًا مطردًا ، وذلك واضح في الاشكال العارضة كالبياض والحرارة ، ويبدو انه من الواجب التسليم بهذا الامر للشكل الجوهري (٩).

وفي سبيل ادخال التطور النشوئي ضمن نطاق المبدإ الفلسفي القائل ان للاجسام مبدأين متميزين يتمّ احدهما ثانيها اي المادة والشكل امامنا ان نختار بين حلول عدة : هي امّا وجود عدة اشكال نوعية متباينة تتعاقب في تحدّرها من نوع واحد وامّا وجود شكل وحيد ينطبق على تحدر نسل واحد محدود الوضع الزمني (هذا ما نسميه اصل الانواع) وينظم شيئاً فشيئاً مادته سائرًا بها نحو مثالها التام بما يحققه من سلسلة اعمال متعاقبة ، وان كل فرد يساهم بهذا الشكل المثالي مساهمة تتراوح زيادة ونقصاناً تجعل من هذه السلسلة كائناً حقيقيًا وفردًا فوق الفرد .

وليس هذا المفهوم من المفاهيم المألوفة لدينا فنحن لا نعرف سوى نوعين من الكائنات : (l'ens per se et l'ens per accidens) بيد ان تمييزنا هذا لا

يوضح لنا غنى الطبيعة ، واننا نقع على مبدإ لدى القديس توما يخولنا تحديد هذا الغنى عن كثب ، ان الكائن والوحدة يسيران جنباً لجنب وبنفس التساوق في الدرجات ، فهناك سلسلة وحدات مرتبة بحسب تدرجها الطبيعي (١٠) ، فان للعمل الاصطناعي والفني وحدة واقعية كالخلية والعائلة والامة والنوع فاذاً هي موجودات او كائنات ومن الناحية الاخرى ان العضو والخلية وادق جزء صغرا والذرة لها وحدة حقيقية وهي كائنات ، اما النوع فليس واقعاً موجوداً فحسب ولكنه الواقع الحيوي المنظم كما يقول القديس توما (١١) .

ونظرية النشوء والارتقاء هي مفهوم روحي واجتماعي بجوهرها للعالم الحي ، أوَ ليس سُمّ مذهب ديكارت الاناني ونسيان تعاليم القديس توما الحقيقية وسيرها القوي الاجتماعي يجعل من هذه النظرية فزّاعة لبعض المسيحيين ؟

وكان القديس توما اذا صادف امرًا بدا له انه يناقض مذهبه الفلسفي لا ينكره واذا ظهرت له صحته سعى الى تفسيره وعند الحاجة الى تلطيف مذهبه : اهنالك توالد عفويّ في الطبيعة ، ولتفسره الاجرام السماوية لتسلم المبادئ ، وانه لم يكن يتردد عن وضع « مقاصد » روحية في الحاجز الشفّاف ليفسّر الرؤيا ، ولم يكن يعلم بان اسمى ميزة قدرة الخلق الفاعلة هي في كوكبنا التّر : محور الكون ، لا في النجوم النائية ليس من حيث وجهة نظر الكم ولكن من وجهة نظر النائية والقيمة كما اوضح ذلك خير ايضاح الاب تيارد دوشاردين (Teilhard de Chardin) في مجلة Études ١٩٤٦ ص ١٤٥ وما يلي :

وفسّر الاب بريسبوا (Brisbois) في المجلة اللاهوتية الجديدة لسنة ١٩٣٢ وفي الصفحة ٥٩٢ على صورة اخرى انتقال نوع « متافيزيقي » الى نوع اخر بالاستناد الى قدرة « الامتثال » التي ينقلها الله بشكل غير اعتيادي من القدرة الى الفعل ، لكن تفسيره هذا ليس تفسيرًا فلسفيًا لانه يناقض لاحد المبادئ التي وضعها القديس توما القائل : « ان القدرة المنفعلة الطبيعية تقابلها قدرة فاعلية طبيعية » (Supplément de la 3me. q. 75, a.3) فعندما لا تكون القدرة الا امتثالية فالحادث لا يكون من السياق الطبيعي والمثل على ذلك : « ان للعالم القائم قدرة امتثالية الى ارتقاءه المقبل (بعد يوم الدين) بيد ان هذا الميل ليس من سياق طبيعي (Ibid. q.91,a.1,3me et 4me réponses) وقال في محل

آخر » ان تكوين الموجودات الطبيعية لا ينبغي قدرها بحسب القدرة الالهية ولكن بحسب ما تقتضيه طبيعة هذه الموجودات (I^re q. 75,a,5,1^re, réponse) .

وثمة اعتراضات على نظرية النشوء والارتقاء لا تمتّ الى الفكرة الفلسفية وانما الى العاطفية يكفي لردّها القليل من حسن الذوق الذي يخالطه شيء من معنى الجمال. الانسان متحدر عن حيوان: يا له من هول .

وليس التحدر كما يؤخذ من كلمة انحدار بل هو ارتقاء. ان الانسان حيوان بكل ما في الكلمة من قوة وان كان من نوع لوحده ، اما العقل فيجعله في مصاف نوع لا يعدله مصاف ولا تحول دونه ودون تقيّده بالنواميس الحيوانية كما يتقيد بناموس الثقل وليست حيوانيته حائلًا دون روحانيته الخاصة به وانما هي عمادها ، اما نظرية النشوء والارتقاء فلن تبلغ الكامل الاتمّ الّا متى انتهت بالانسان . افليس اقرب الى الصحة ان تأتي شجرة الحياة العظيمة بعد هذا الارتقاء نحو الحيوانية الكاملة، زهرتها وثمرتها؟ وان يتوقف مجهود الطبيعة امام طرفة الطرائف؟ وان يدع الباري جانباً بعد ان اعدّ الانسان جميع هذه الاعداد وان يرفض في الدقيقة الاخيرة التعاون مع مخلوقاته الدنيا ؟... اهناك مقصد خاص؟ وهل القصد اقل اختصاصاً والحب اقلّ ظهوراً اذا كان اعداد فعلي طوال مليار من السنين قد سبق النوع الانساني ؟ ليس لخير ما فينا من اجداد واسلاف في الطبيعة المحسوسة: انه نفخة الاله ، واي طائل تراه في ان يكون جسم آدم قد خرج مباشرة من التراب ؟ فانا افضّل ان اتعلّق بارض امي بوساطة طبيعة حية اهناك ، وفي كلتا الحالتين ان عمل الله هو مباشر (Cf. S. Thomas, IIIa, q.6, a1, ad 1um) واوقع في النفس في الثانية وان مجدها لم ينتقص بشيء. (١٢) .

ولما صنع الله ادنى انواع الحيوان في قربها من النبات كان يفكر فينا ، وعندما جعل الشطئان البارزة حافلة بالزحافات وعندما اتقن صنع الحيوانات اللبونة وعندما تقف قامة ارقى الحيوانات . في سلّم الحيوانية كان يعدّ جهاز الروح وهو يفكر فينا ايضاً .

وفي يوم من ابهى الايام ... وعلى انتظار الذي سيرى الانسان الاله على ارضنا الصغيرة (minima ex principibus) استقبلت مجموعة اعضاء نامية

من صانع الحيوان الالهي اخر عمل صاغه باصابعه استقبلت الضيف المنتظر الا وهي النفس الخالدة على مثال الله .

لقد كانت شعلة جديدة تشعّ في عينين من اللحم وكانت عِلّة الطبيعة قد شفيت وكان حب الكائنات الغامض للخالق يجد صوتاً وقلباً فاستطاع آدم ان يدوّي لنفسه ولجميع العالم الذي كان ملكه البكر انشودة العبادة :

باركي الربّ ايتها الحيتان وجميع ما يتحرّك في المياه .
باركي الربّ يا جميع طيور السماء .
باركي الرب يا جميع الوحوش والبهائم .

(دانيال ٣/٧٩–٨١)

المراجع والنصوص

١ – ما من شيء ينتقل من حال النقصان الى حال الكمال الّا بفعل صانع كامل، وفعل هذا الكامل لا يأخذه الناقص كاملاً من البداية، وانما يأخذه في الاول ناقصاً ومن ثم كاملاً (De la Vérité, XIV, 10) . ان الطبيعة تسير من الناقص الى التام (1re Partie de la Somme, question 101, article 2.) ما من شيء يصل الى كماله منذ البدء وانما على مراحل متعاقبة (1re de la seconde partie, question 106, article. 3.) في سياق السبب المادّي يتقدم النقصان، وبحسب وجهة النظر هذه تسير الطبيعة من الناقص الى التام (2de de la seconde partie,question 1, art. 1, réponse 3me.)

٢ – لو وقفنا في الانتباه يتضح ان اختلاف الامور يشتمل على بعض الترتيب في الدرجات (3me livre Contre les Gentils. Ch. 97, paragraphe 2.) ان الطبيعة تنتقل من طرف الى طرف عن سبيل التوسطات . فلذلك يقوم بين الحيوانات البرية والحيوانات المائية نماذج متوسطة تتصل بهما كليهما (1re, question 71, article unique, 4me réponse) ان الخلق كان متعاقباً لا عن عجز بل عن قصد من الحكمة الالهية التي ارادت ان تتبع نظاماً ما وان تسير من الناقص الى التام (1re, qu. 74. a. 2, 4me réponse)

٣ – المادة الاولى هي في القدرة لشكل العنصر وهذه المادة المحتوية في

المنصر هي في القــدرة لشكل المختلط . وفي المختلط هي بالقدرة للشكل النباتي ، والنفس النباتية بالقدرة للحسية والحسية للعقليــة والى هذا الشكل الاخير تميل كل المادة (3me L. Contre les Gentils ch. 22) .

Cf. In Metaph. L. VIII (IX) c. 8, I°, 14 — Et Cf. supra III C.G. — ٤ c. 22. الشكل هو قــدرة موجّهة ; cf. IV C.G. c. 19 ; I°, q. 80, a. 1 ; II° IIae, q. 23, a. 2.

Cf. Cahiers de philosophie de la nature - transformisme, 1927. — ٥ ولقد كتب المقدّمة خمسة مؤلفين: كوينو ، دلبيز ، كانيين ، تومبسون ، ڤيالتون.

٦ — في نظام تساوق الدرجات العام تتصل المخلوقات العليا بالجودة الالهية فلا تصير صالحة بذاتها فحسب بل لتصل هذه الجودة لغيرها ايضاً (De la Verité, V, 8, La Providence se sert d'intermédiaires) وتبلغ كرامة العامل ذاتها الى مخلوقاتها (1re, q. 22, a. 3) ان ما ننزعه من كمال المخلوقات فاننا ننزعه من كمال القدرة الالهيــة (3me Contre les Gentils, ch. 69) وان خير كائن يصبح الخير العام لجماعة اذا انتقل بعمل هذه الكائنات نفسها من بعضهم الى بعض (ibid) . وانها لنتيجة عمل الجودة الالهية ان تحفظ الامور وتديرها لا بالعمل مباشرة بذاتها وانما بجعلها المخلوقات تعمل (ibid. ch. 135) (٧)

٧ — كلّ شيء كوّن لغيره — : In Metaph. L. XI (XII) c. 10, I°, 9
Cf. I°, q. 15, a. 2 ; q. 47, a. 3 ; q. 48, a. 1, ad 5um ; Comp. Theol. I° pars, c. 149 ; I. C.G. c. 70.

٨ — ما من شكل جوهري قابل لاكثر من هذا او اقل ، غير ان ثمة كمالاً اعظم ينتقل الى نوع جديد كما ينقل جمع وحدة الى عدد عدداً جــديداً مختلفاً ... اذا تلقى مركب شكلاً اكملَ فالشكل الاول قد انفسخ امــا الشكل الجديد فله كل كمــال الشكل الاسبق مع المزيد عليه وعلى هذه الشاكلة يصل المركب الى شكله الجوهري الاخير عن طريق التوالد وضروب الانحلال المتعاقبة . وهذه هي حال الانسان وحال المجموعة المضوبة المتأتية عن انحلال الاجسام بعد الموت (1ere, q. 118, a. 2, 2me réponse).

٩ — متى كان اتخاذ شكل جوهري بصورة ناقصة وليس بجميع كماله ،

فالصفة الناجمة عنه عند من اتخذه ليست مستمرة استمرارًا مطلقًا (1re, q. 67. a, 3,1re réponse)

١٠ — ان الوحدة هي مقياس الكائن وعلى العكس (Quodlibetum VI, I) والكائن والوحدة هما خاصتا الجوهر المتعادلتان (1re, q. 76, a. 7)

١١ — الطبيعة امام نظرهـا النوع ، لا الفرد ولا الجنس لان الشكل (النوعي) هو غاية عملها بالمـادة (الفردية او الجنسية) هي لاجل الشكل (1re, q. 85. a. 3, 4me réponse) ان ما هو جوهري في قصد الطبيعة على ما يبدو هو ما كان مستمرًا ودائمًا . اما ما هو موقوت فقط فلا يبدو انه هدف الطبيعة الرئيسي فهو كواسطة بسيطة . ولما كان في العالم المنحلّ النوع وحده هو الذي يبقى دائمًا فلذلك كان خير النوع الغاية الرئيسية التي ترمي اليها الطبيعة (1re, q. 98, a. 1.) ان الانواع هي المراد لاجل ذاتها اما الافراد فـلا يراد بهم الا كوسائل لتمديد بقاء النوع (De la Verité, V. 3.) .

١٢ — ان اتمام عمل يحمل عاملين اخرين على صنعه بدلًا من فعله بالنفس ليس هو علامة ضعف ولكن علامة قدرة عليا (3me, q. 42, a. 1, 2me réponse).

اللحى في الاسلام

بقلم حبيب زيات (†)

المقدمة

من املح ما يمر بالناظر في ماضي الحضارة العربية واوصاف احوالها اخبار هذه الشعرات النابتة فوق صفحات الخد وما روي من العناية بهـا او قيل من هزل وجد وقد ثلّ اليوم عرشها وتقلص ظلّها بعد ان مضى عليها دهر طويـل وهي سائدة على الوجوه مفترشة كل الصدور حتى صح لاحد الشعراء وقد عاين كثرتها حوله وكثافتها ان يقول :

الا ليت اللحى كانت حشيشاً فتعلفها خيول المسلمينـا

وقد سبق الرسول واوصى خيرًا بهذه السبلات المتدلية من الحنك والعارضين وامر بصيانتها بقوله احفوا الشوارب واعفوا اللحى . واقتدت به زوجته عائشة ام المؤمنين وكانت تعدها زينة للرجل وتقسم بها وتقول : لا والذي زين الابطال باللحى . وعندها ان هذا الحلف هو حلف الملائكة .

وخالف ابن الرومي فدعا هذه الذؤابة الامامية « مخلاة كمخلاة الحمير » واقتدى به الشعراء العباسيون فوسموها سبًا وشتمًا وتفننوا في اهجيتها والهزوء بها بكل مستملح طريف وسيمر بنا من اقوالهم ما لا مزيد عليه من الاحسان.

وفي ضد ذلك فقد كان لها من الجلالة والمهابة في العيون ما بعث البعض على القول « وددنا انا اشترينا للاحنف لحية بعشرين الفا — لا شك من الدنانير — ونقل مثل ذلك عن الانصار في قيس بن سعد وكان اجرد فكانوا يقولون « لوددنا انا اشترينا له لحية بانصاف اموالنا » .

ومن اجل هذه القيمة الغالية كانت مستحبة للكتاب والشعراء لما كانت تكسب صاحبها من الوقار . واشهر من افتخر بها منهم ابان بن عبد الحميد اللاحقي كتب الفضل بن يحيى البرمكي رقعة ابيات وصف فيها كثافة لحيته وانفه الطويل قبل براعة ادبه فقال :

لحية كثة وانف طويل واتقاد كشعلة المصباح

وكنا نرى اولًا ان الاهتمام بجميع هذه الاحاديث والملح اضاعة للوقت في اللهو وعمل على الفشل والخسار ثم اسعدنا الحظ بالطواف على اشهر الخزائن العربية في الشرق والغرب وتفرغنا في اثنائه للمطالعة والتنقيب فربنا من غرائب اخبار اللحى ونفعها ومن شوارد عاداتها وتكاليفها في الخلافة العباسية ما لا يسع مؤرخ الحضارة السكوت عنه ولا يجمل بالمتأدب جهله فاقبلنا على تقييد كل هذه الفكاهات اللحيانية في جملة ما اخذنا على نفسنا جمعه والتنبيه عليه من اوصاف الحضارة السالفة حتى غصت دفاترنا بهذه بما وجدناه واخذنا بنقل ما يصلح ان يستمع ويتمتع به من مزايا اللحى في الاسلام الى سقوط دولة المماليك من اطالة لها وقص واسبال وعقص وتكبيس وتغليف وخضاب وتبخير وتسريح ومسح ودهن وجذب ونتف وحلق وتعيير وتشهير بحلق بعضها الواحد واعفاء الآخر في جملة الاقتصاصات والاحكام. وروينا اهم ما قاله فيها الشعراء الذين لحوا حينا بها وتبارت قرائحهم في تشبيها وتحقيرها الى ما شاكل ذلك من لوازمها وخصالها حتى عد بعضهم مثليتها فضيلة لها لوقايتها صاحبها من السب والشتم الذي كان يحل به دونها لانحصار الهزء والسخرية بها وصيانتها عرضة من المزيد. وعززنا كل هذه الاقوال والروايات بذكر الاصول المستمدة منها ليكون القارئ على يقين من صدقها وامانتها ونرجو ان تقع هذه الاخبار اطيب موقع لدى كل اديب راغب في الوقوف على اسرار الحضارة العربية في الاسلام ونكون بعد ذلك قد خرجنا من عهدة ما قطعنا على انفسنا تعريفه ووصفه من اخبار اللحى .

١ – اللحية في اللغة

يقال لمقدم اللحية سبلة ورجل مسبّل طويل اللحية وسمعتهم يقولون: حيًا الله سبلتك وحيًا الله هذه السبلة المباركة[1] . العثنون اللحية او ما فضل منها بعد العارضين او ما نبت على الذقن وتحته سفلا . .

الذقن مجتمع اللحيين من اسفلها والعامة تستعمله للحية . وللبوصيري :

قومي اطلبي حقك منه بلا	تخلف منك ولا فترة
وان تأبى فخذي ذقنه	وانتفيها شعرة شعرة[2]

١) اساس البلاغة ١: ٤٢٠–٤٢١ ٢) فوات الوفيات ١: ٢٥٩

ولابن نباتة المصري :

رأيت في حلق غزالا تحار في حسنه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى قلت هنا تحلق الذقون[1]

وللحسن بن علي الشيخ بدر الدين المحدّث الكاتب :

وقد عنفوني في هواه بقولهم ستطلع منه الذقن واصبر على الحزن
فقلت لهم كفوا فاني واقسم وحقكم بالوجد فيه الى الذقن[2]

وللسراج الورّاق :

اتيت ارجّيه في حاجة فلم تنبعث نفسه الجامدة
وقتّل في نفسه والنفو س تعاف المقتلة الباردة[3]

ولجمال الدين بن نباتة :

تبسّم الشيب بذقن الفتى يوجب مسح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصبا ذلة ان يضحك الشيب على ذقنه[4]

اهل بغداد يكنون عن اللحية بالمحاسن فيقولون لمن بلحيته قذاة : يسدك على محاسنك[5] .

وهناك اوصاف اللحية في اللغة :

ثطّ الرجل يثيط كان ثطاً ورجل اثط كوسج وقليل شعر اللحية والحاجبين

رجل مخروط قليل اللحية والمخروطة من اللحى التي خف عارضها وسبط عثنونها وقيل هي الطويلة .

زبق لحيته يزبُقها زبقاً نتفها .

رجل زلهب خفيف اللحية وكذلك الحَبق .

رقش لحيته سرحها حتى صارت كانها رقش .

السُّناط كوسج لا لحية له اصلًا او الخفيف العارض ولم يبلغ حال الكوسج او لحيته في الذقن وما بالعارضين شي .

رجل اصبح اللحية للذي يعلو شعر لحيته بياض مشرب بحمرة[6] .

---

١) ديوانه طبعة مصر ٥٢٢
٢) فوات الوفيات ١ : ١٦٥
٣) خزانة الادب لابن حجة ٢٤٦
٤) خزانة الادب ٣٠١
٥) النهاية في التعريض والكناية للثعالبي ٤٥
٦) معجم البلدان ٣ : ٣٦٥

ضرط الرجل يضرَط ضرطاً خفت لحيته ورق حاجبه .

لحية عَثْوَلَّة كبيرة كثَّة انشد ابو العباس المبرّد :

كل امرئ ذي لحية عثولية يقوم عليها عن ان له فضلا

وما الفضل في طول السبال وعرضها اذا الله لم يجعل لصاحبها عقلا[1]

من المجاز : لحية فارض : كبيرة ضخمة . يقول قلّت السعادة في اللحية الفارض الثقيلة على العوارض[2] .

كثت اللحية اجتمع شعرها وكثر نبته من غير طول وكثف وجعد .

لحية كثحمة اي كثة ورجل كثحم اللحية اي كثها .

الكوسج الذي لا شعر على عارضيه . فارسي معرب .

النكريش لفظة اعجمية والاصل فيها نيك ريش معناه لحية جيدة وهو على ما تقرر من اصطلاح العجم انهم يقدمون ويؤخرون في الفاظهم البركة فنيك جيد وريش لحية[3] .

قال قوم عشقة امرد الخد وقد قيل انه نكريش

قلت فرخ الطاووس احسن ما كان اذا ما علا عليه الريش

وكان في جوار الحسين بن الضحاك طبيب يداوي الجراحات يقال له نصير وكان مخنثاً فاذا كانت وليمة دخل مع المخنثين واذا لم تكن عالج الجراحات فقال فيه الحسين بن الضحاك .

نصير ليس المرد من شأنه نصير طبٌّ بالنكاريش[4]

الملوف الضخم اللحية والملّوفة اللحية الضخمة .

التفّ وجه الغلام وغلام ملتفّ الوجه اذا اتصلت لحيته .

غلّل لحيته اسال الماء بينها . كل ذي لحية علج .

لحية لِثّة اي اختلط شمطها ببياضها .

١) شرح المقامات للشريشي ١:٣٥

٢) اساس البلاغة ٢:١٩٥

٣) فوات الوفيات ٢:٣٩١

٤) الاغاني ٦:٢٠٦

٢ – اللحية في الحديث

عن ابن عمر عن النبي صلعم قـال خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب وكان ابن عمر اذا حج او اعتمّ قبض على لحيته فما فضل اخذه[1].

قال عليه السلام : « احفوا الشوارب واعفوا اللحى ولا تتشبهوا باليهود[2] ».

قال رويفع بن ثابت كنت في مجلس فيـه رسول الله صلعم وكنت من احدثهم سنًا فنظر الى رسول الله صلعم فقـال رويفع لعله سيطول بك العمر فاخبر الناس انه من استنجى برجيع دابة او بعظم او علق وترًا يريد تميمة او عقد لحية في الصلاة فقد برئت منه ذمة محمد[3].

في حديث النخعي انه كان يبطن لحيته ويأخذ من جوانبها . قال شمر معنى يبطن لحيته اي ياخذ الشعر من تحت الحنك والذقن (اللسـان ١٦ : ٢٠٠) .

٣ – طول اللحى وعرضها

قال النبي (صلعم) من سعادة المرء خفة لحيته وكانت عائشة (رضها) تقسم وتقول لا والذي زين الرجال باللحى وتقول انه قسم الملئكة...وقال (صلعم) اعتبروا عقل الرجـال في ثلاث : طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته ...

الحسن بن مثنى : اذا رأيت رجلًا له لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان في عقله شيء ... أنشد المأمون يقول :

ما احد طالت له لحية فزادت اللحية في حليته
الا ومـا ينقص من عقله أكثر ما زاد في لحيتـه[4]

قال الزمخشري : سمعت العرب ينادون الطويل اللحية يا ابا الطويلة[5]

قال الجاحظ ما رأيت رجلًا عظيم اللحية الا وجدته كوسج العقل[6] .

انشد ابو الحسين هلال بن ابرهيم (الصابي) قال انشدني ابي لنفسه :

لحيـة منصور اذا سُرّحت تضيق عنا سعـة البيت

١) صحيح البخاري ٧ : ٥٣
٢) نوادر الاشراق ٩٥
٣) فتوح مصر لابن عبد الحكم ٢٧٩ – ٢٨٠
٤) شرح المقامات للشريشي ١ : ٣٤-٣٥
٥) المستطرف للابشيهي ٢ : ٤٤
٦) جمع الجواهر في الملح والنوادر ١٥٢ للحصري

كأنها وهو لفى تحتها بارية هدّت على ميت
سبحان من يعطي اللحى من يشا ويجعل الكوسج في الزيت[١]

سندي بن شاهك ابو نصر مولى المنصور امير دمشق خلافة عن اميرها موسى بن عيسى الهاشمي ... يروى انه ضرب رجلاً طويل اللحية فجعل يقول : العفو يا ابن عم رسول الله . فقال: ويلك اهاشمي[١] ؟ فقال يا سيدي تريد لحية وعقلاً ؟[٢].

ولابي البشر النصراني الكاتب يهجو ابا الفضل الشيرازي الكاتب :

ما كلّ من طوّل عثنونه ينال فضلاً يا ابا الفضل
طولت عثنونك تبغي العلى اي عُلّا في ذنب البغل
ولست احصي كم رأيت امرءًا الحى ولكن كوسج العقل[٣]

قال الاحنف بن قيس : اذا رأيتم الرجل طويل القامة عظيم اللحية فاحكموا عليه بالحمق وقال معاوية لرجل كفى ان نشهد عليك بالحمق ما نراه من طول لحيتك . وقال آخر وتلطف ما شاء : من طالت لحيته تكوسج عقله . وقال اصحاب الفراسة من طالت قامته وطالت لحيته وجبت تعزيته في عقله . وقالوا اذا كان الرجل طويلاً طويل اللحية وأضيف الى ذلك ان يكون صغير الرأس فأحكم عليه بالحمق . وقال زياد : ما زادت لحية الرجل على قبضته الا كان ذلك نقصاناً من عقله . وقال الشاعر :

اذا عرضت للفتى لحية وطالت وسارت الى سرته
فقد ضاق عقل الفتى عندنا بمقدار ما زاد من لحيته[٤]

لابرهيم بن صالح الوراق في هجاء ابن زكريا المتكلم الاصبهاني :
لعمرك ما طالت تلك اللحى كم حياة ولكن بالعقول الكواسج[٥]

١) المنتخب من كنايات الادباء واشارات البلغاء للقاضي ابي العباس الجرجاني القاهرة ١٩٠٨ ص ١٣٤ ... من كنايات العامة فلان في الزيت وربما قيل الحشيش في الزيت لمن وقع في شدة وهم ص ١٣٤
٢) تحفة ذوي الالباب للصفدي ٥٨٢٧ باريس ٦١
٣) نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٨ مجلة المجمع العربي ١٣ : ١٧١
٤) ثمرات الاوراق لابن حجة ١١٢ ٥) ارشاد الاريب ١ : ٦٥

(في ايام الخليفة هشام الاموي بالاندلس) من كان من ذوي الاسماء القريبة من الناس ذا لحية عثولية وصاحب سبال وهامة فقد تمت له السعادة ولا سيما ان كانت لحيته حمراء قانية فانها اجدى عليه من دار البطيخ غلة ثم لا يسأل عما وراء رواته من اصل ولا فضيلة ولو كان مرذذا في بني اللخناء ترديدا وعاريا من جميع الخصال (الذخيرة لابن بسام القسم الرابع المجلد الاول ص ٦٣) .

قال رجل لبعض مجانين الكوفة : ما هذه اللحية — وكانت كبيرة — فقال : والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا .

لابي جعفر محمد بن اسحق الجاني يقول في هجاء لحيته الطويلة :

يا لحية قد علقت من عارضي — لا استطيع لقبحها تشبيها
طالت فلم تفلح ولم تك لحية — لتطول الا والحماقة فيها
اني لاظهر للبرية حبها — واللّه يعلم انني اقليها[1]

كان ابو الربيع اللجاني عظيم اللحية جدًا فدخل على محمد بن الاغلب وهو يومئذ الامير فكلمه ووعظه فقال له محمد بن الاغلب ما طالت الا حمقت فقال له ابو الربيع لا تفعل ايها الامير فان الله عزّ وجلّ يقول والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدًا . وكان محمد بن الاغلب وجهه كالخدي ليس فيه الا شعرات يسيرة[2] .

من تمام آلة القاضي ان يكون لحيانيًا[3] .

للقاضي ابي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن حشيشة المقدسي ويقال له الهاشمي :

طول اللحى زين القضاة وفخرهم — وتميز عن غاغة سفهاء
لو كان في قصر جا فخر لها — لم يروَ فيها سنّة الاعفاء[4]

نظر علي بن حجر الى لحية ابي الدرداء المروزي وهو طويل اللحية فانشأ يقول :

ليس بطول اللحى — يستوجبون القضا
ان كان هذا كذا — فالتيس عدل رضا[5]

---

١) الثاني من كتاب تتمة اليتيمة الثعالبي طهران ١٣٥٣ ص ٣٠
٢) كتاب طبقات علماء افريقية لمحمد بن تميم التميمي ١٢٤—١٢٥
٣) محاضرات الراغب ١ : ٢١٩
٤) تتمة اليتيمة للثعالبي طبعة طهران ١ : ٢٤ ٥) تاريخ بغداد للخطيب ١٠ : ٤٥٥

كان الفضل بن تمام (الخزاعي قاضي مصر سنة ١٩٨ ﻫ) كبير اللحية جداً فكان يجعل في لحيته عوذة خوفاً من عين لهيعة (بن عيسى الحضرمي سلفه على القضاء) كان يفعل ذلك يوم الجمعة اذا خطب[1].

وصف الثعالبي مجلس المهلبي وندمائه من القضاة وما منهم الا ابيض اللحية طويلها فقال: اذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذّ السماع واخذ الطرب منهم مأخذه وهبوا ثواب الوقار للعقار . . . ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من الف مثقال الى ما دونها مملوءة شرابا قطربليا او عكبريا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب اكثره ويرش بها بعضهم على بعض ويرقصون[2].

من رسالة لعمارة اليمني في وصف القضاء في ايامه:

قد صار القضاء في وقتنا — لما قضى الله من مقتنا
مبذولاً لمن بذل فرضاً — معروضاً على من لا يصون عرضا
شعارهم طول السبال والقامة — وعرض اللحية والعمامة[3]

ابن المدائني قال تحول ابو عبد الله الكرخي الى الخُرَيبة (موضع بالبصرة) فادعى الفقه وظن ان ذلك يجوز لمكان لحيته وسمته فالقى على باب داره البواري (خضرا) وجلس[4].

اهل الهند تطول لحاهم حتى ربما رأيت لاحدهم لحية ثلثة اذرع واذا مات احدهم حلق رأسه ولحيته[5].

قندهار بلد بالهند. . . كثيرة الخلق وهم قوم يمتازون بلحاهم لانهم يتركونها حتى تصل الى الركب ودونها وزيهم كزيّ الاتراك.

حسران جزيرة ارض واسعة بها جبل عال في سفحه ناس شعر فصارت لحاهم تبلغ ركبهم[6].

١) كتاب القضاة للكندي ٤٢٠ -
٢) يتيمة الدهر دمشق ٢ : ١٠٦-١٠٧
٣) الكتب المصرية ٤٣٨-٤٣٩
٤) عيون الاخبار ٢ : ٥٤
٥) كتاب البلدان لابن الفقيه ١٤
٦) جنى الازهار من الروض المعطار لشهاب الدين المقريزي، رقم ٤٥٨ (جغرافية) دار الكتب المصرية ١٥ و١٧

كل بلد شديد البرد فاهله اسمن واضخم واحسن واكبر لحى مثل فرغانة وخوارزم وارمينية[١] .

نحن (اهل خراسان) اصحاب اللحى ارباب النهى[٢] .

كانت صفة عمرو بن العاص . . . قصيراً عظيم الهامة . . . عظيم اللحية[٣] .

كان ابو جعفر (الطبري) كبير اللحية حسن القيام على نفسه[٤] .

علي بن المبارك اللحياني صاحب كتاب النوادر قيل سمي اللحياني لعظم لحيته[٥] .

كمال الدين ابو الشمس افلاطون بن عبد الله الهندي الحكيم . . . كان طويل الذقن وله اخلاق حسنة فكان يضفر لحيته ويلبس القباء النسيج وقلنسوة ويتكلم بشيء لا يفهمه[٦] .

سنة ٥٤٧ ﻫ (١١٦٩ م) توفي محمد بن منصور ابو بكر القصري . . . كانت له شيبة طويلة تعبر سرته[٧] .

لما اختلف الملك الصالح اسمعيل بن شيركوه صاحب حمص والامير عماد الدين ابرهيم بن المجير في مجلس السلطان الملك الناصر في قتال (التتار) قال له الملك الصالح انت كما قيل طويل ولحيتك طويلة فقال له عماد الدين الا اني ما ربيت في حمص . اشار الصالح الى ان الطويل القامة واللحية غالباً يكون قليل العقل . واشار عماد الدين رحمه الله الى ان من ربي بحمص يكون اجدر بقلة العقل . وهذا انما هو على ما تقوله العوامّ لا على الحقيقة[٨] .

سنة ٦٤٧ وصل الى بغداد في هذه السنة شخص صغير الخلقة جداً يقال له

---

١) احسن التقاسيم ٣٦

٢) رسالة للجاحظ الى الفتح بن خاقان في مناقب الترك ليدن ١١

٣) فتوح مصر لابن عبد الحكم ٥٨

٤) ارشاد الاريب ٦ : ٤٦

٥) ارشاد الاريب ٥ : ٢٩٩

٦) تلخيص مجمع الاداب للفوطي كتاب الكاف ١٥٢

٧) المنتظم ١٠ : ١٥٠

٨) كتاب الذيل على مرآة الزمان لقطب الدين موسى اليونيني أكسفرد Poc. 132 — f 47 b

ابو منصور الاصفهاني وطوله ثلاثة اشبار وثلاثة اصابع ومن كمه الى ركبته قبضة ولحيته طويلة وعمره خمس واربعون سنة[1] .

محمد بن يوسف بن صلاح شمس الدين الدمشقي ثم المصري الشهير بالحلاوي († ٨٤٠ هـ — ١٤٢٦ م) كان ذا لحية طويلة جداً يضرب بطولها المثل وكان الشيخ شمس الدين الدجوي كثير ما يتعرض للحية من ذلك قوله :

ظن الحلاوي جهلًا ان لحيته تنبيه في مجلس الافتاء والنظر
واشرضا طولا قد اعتزلت بالعرض باحثة في مذهب القدر[2]

لاحد الشعراء :

لقد كانت مجالسنا مناحا فضيقها بلحية رباح
مقلبة الاسافل والاعالي لها في كل زاوية جناح

ولآخر :

يا ايها الناس خذوا حذركم قد برزت لحية جلول
فطولها الفرسخ في فرسخ وعرضها ميل الى ميل
لو ضُمَّ ما يقطر من دهنها أُسرج منه الف قنديل[3]

ولابن قلاقس يصف رجلًا بكبر اللحية وهي ليست في ديوانه المطبوع :

تركت صدرته السو داء منها تحت قبّ
وهي فوق الصدر قد سدّته من شرق لغرب

والقب الانف الفخم المعظم .

للشيخ شرف الدين عيسى العالية في بدر الدين البشتكي :

البشتكي البدر له لحية كلحية الراهب مشورة

(خزانة الادب ٣٣٧)

حكى الحسن في هلال الصابئ في كتاب الهفوات ان ابا نصر بن مسعود الكاتب لقي يوماً ابن البواب الكاتب فسلم عليه وقبل يده فقال له ابن

١) الحوادث الجامعة للفوطي بغداد ١٨٦ ، ٢٤٢
٢) المنهل الصافي نسخة الجامعة العبرية ٧ : ٣٢١
٣) شرح المقامات للشريشي ١ : ٣٦

البواب: الله الله يا سيدي ما انا وهذا ؟ قال لو قبلت الارض بين يديك لكان قليلاً . قال ولمَ ذلك يا سيدي وما الذي اوجبه واقتضاه ؟ قال انك تفردت باشياء ما في بغداد كلها من يشاركك فيها منها حسن الخط فانه لم ارَ عمري كاتباً من طرف عمامته الى طرف لحيته ذراعان ونصف غيرك فضحك ابن البواب وجزاه خيراً وقال اسألك ان تكتم عني هذه الفضيلة وكانت لحية ابن البواب طويلة[1] .

احمد بن سيار القاضي الصيمري قلد قضاء الجانب الشرقي من بغداد ثم قلد قضاء الحرم بدار الخلافة . . . كان له هيئة ومنظر عظيم وجثة مهولة ولحية طويلة فتقدم اليه امرأتان ادعت احداهما على الاخرى فقال القاضي ابو بكر ما تقولين في دعواها ؟ فقالت انزع ايّد الله القاضي . فقال القاضي مِمَّ ذا ؟ فقالت لحيته طولها ذراع ودنّية طولها ذراع فاخذتني هيبتها فرفع القاضي دنّيته عن رأسه وحطها على الارض وغطى لحيته بكمه وقال لها : قد نقصتك ذراعين اجيبي عن دعواها . توفي سنة ثمان وستين وثلثمائة[2] .

كان مع المهدي رجل من اهل الموصل يقال له سليمان بن مختار وكانت لحيته طويلة عظيمة . فذهب يوماً ليركب فوقعت لحيته تحت قدمه في الركاب فذهب عامتها . فقال آدم بن عبد العزيز قوله :

قد استوجب في الحكم سليمان بن مختار
بما طوّل من لحيته جزّاً بمنشار
او السيف او الحلق او التحريق بالنار
فقد صار بها اشهر من راية بيطار

ثم انشدها عمر بن بزيع المهدي فضحك وسارت الابيات فقال اسيد بن اسيد وكان وافر اللحية ينبغي لامير المؤمنين ان يكف هذا الماجن عن الناس فبلغت آدم بن العزيز فقال :

لحية تمت وطالت لاسيد بن اسيد
كذراع من عباء قطعت حبل الوريد

---

١) عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي . لندرة or. 3005, f 44 b

٢) الوافي بالوفيات . اكسفرد Seld. Ar. 21

يعجب الناظر منها من قريب وبعيد[1]

خان وردان شرقي ببغداد منسوب الى وردان بن سنان احد قوّاد المنصور كان عظيم اللحية جداً . قال وكتب عياش المتوف الى المنصور في حوائج وقال في آخرها : ويهب لي امير المؤمنين لحية وردان اتدفأ بها في هـذا الشتاء. فوقع المنصور بقضاء حوائجه وتحت لحية وردان كتب لا كرامة ولا عزازة[2] .

لا احسن لحى من الديلم[3] . اما ما طال من اللحية فقد اختلفوا في ما طال منها فقيل يقبض الرجل على لحيته ويأخذ ما تحت القبضة ولا بأس به فقد نقله ابن عمرو جماعة من التابعين واستحسنه ابن سيرين والشعبي وكرهه الحسن وقتادة وقالوا تركها الينا لقوله صلعم اعفوا اللحى (معالم القربى لابن الاخوة ١٩٨)

٤ – غرائب اللحى

كان يوسف بن عمر امير العراق في زمن هشام بن عبد الملك من اعظم الناس لحية واصغرهم قامة كانت لحيته تجوز سرته[5] .

كان عباد بن زياد كبير اللحية كأنها جوالق فسار ابن مفرغ مع عباد يوماً فدخلت الريح فيها فنفشتها فضحك ابن مفرغ وقال لرجل من لخم كان الى جانبه :

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمينا[6]

ضياء الدين عبد الله بن سعد القرمي الشافعي المتوفي سنة ٧٨٠ كانت لحيته طويلة جداً تصل الى رجليه واذا قام يجعلها في كيس واذا ركب انفرقت فرقتين فكل من رآه يقول سبحان الخالق[7] .

محمد بن عمرو بن حزم والي المدينة كان عظيم اللحية له جارية موكلة بلحيته اذا ائتزر لا يأتزر عليها وكان اذا جلس للناس جمعها ثم ادخلها تحت فخذه[8] .

١) الاغاني ١٤ : ٦٢-٦٣
٢) معجم ياقوت ٢ : ٢٩٤
٣) احسن التقاسيم ٣٤
٤) مجلد من المغرب في حلى المغرب ١٠٣ م (تاريخ) دار الكتب المصرية ٢٨٣
٥) وفيات الاعيان ٢ : ٤٧٩ والبداية والنهاية ١٠ : ١٤
٦) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٣
٧) حسن المحاضرة للسيوطي ١ : ٢٦٢ شذرات الذهب ٦ : ٢٦٦
٨) الاغاني ١٧ : ٨٨

اخبرنا رجل في هذه القرية (حمارة) انه رأى ببلاد حمص رجلًا طويل اللحية جدًا وقد صار بها غريب الصورة حتى ان لحيته اذا كان واقفاً تصل الى اصابع قدميه وصدقه على ذلك بعض اهل القرية وذكر انه كان سابقاً ورد عليه[1].

كتبغا نوين . . . كانت لحيته شعرات يسيرة في حنكه وهي مضفورة ديرتة لطولها وربما جعل طرفها في حلقة في اذنه وربما ارسلها على صدره فتبلغ سرته[2].

كان العوفي اذا كتب كتاباً اخذ لحيته تحت ابطه واذا كلمه انسان من الجانب الآخر التفت اليه فخلصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الكتاب فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرًا فقال فيه بعضهم او في غيره :

لحيـة قاضي القضاة لو جهدت	مجهودهـا لم تكن كمنفقته
اذا اراد الكرى توسدها	فقد كفته مكان رفقتـه[3]

سار يوسف بن عمر امير العراق من الكوفة سرًا الى الشام فنزل البلقاء. فلما بلغ خبره يزيد بن الوليد وجه اليه خمسين فارساً . فاخذوه واقبلوا به الى يزيد فوثب عليه بعض الحرس فاخذ بلحيته ونتف بعضها وكان من اعظم الناس لحية واصغرهم قامة فلما ادخل على يزيد قبض على لحيته بنفسه وهي الى سرته فجعل يقول يا امير المؤمنين نتف والله لحيتي فما ابقى فيها شعرة[4] .

الحسن بن الحسن ابو عبد الله العوفي كان طويل اللحية جـدًا . . . كانت لحيته تبلغ الى ركبته . . . حدث ابو العيناء حدث ابن ابي داود قال : قامت امراة الى العوفي (قاضي الرشيد) فقالت عظمت لحيتك فافسدت عقلك ومـا رأيت ما يحكم بين الاحياء. قبلك قال فتريدين ماذا ؟ قالت وتدعك لحيتك تفهم عني فقال بلحيته هكذا ثم قال تكلمي يرحمك الله . . . حكى زكريا بن يحيى الساجي بالبصرة قال : اشترى رجـل من اصحاب القاضي العوفي جارية نفاضته ولم تطعه فشكى ذلك الى العوفي فقال انفذها اليّ حتى اكلمها فانفذها

---

١) حلة الذهب الابريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز لعبد الغني النابلسي لوندرة Or 3622

٢) الذيل على مرآة الزمان لليونيني اكسفرد Poc. 132 f 15 والبداية والنهاية ١٣ : ٢٢٧

٣) ديوان المعاني لابي الهلال العسكري add. 23443 f 62

٤) الكامل ٥ : ١١٠

اليه فقال لها يا عروب يا لعوب يا ذات الجلابيب ما هذا التمنع المجانب للخيرات والاختيار للاخلاق فقالت له ايد الله القاضي ليس لي فيه حاجة فمره يبيمني فقال لها يا منية كل حكيم ومجاث على اللطائف عليم ام علمت ان فرط الاعتياحات من الموموقات على طالبي المودات والباذلين لكرائم المصونات مؤديات الى عدم المفهومات فقالت له الجارية: ليس في الدنيا اصلح لهذه الشونات المنتشرات على صدور اهل الركاكات من المواسي الحالقات وضحكت وضحك اهل المجلس ... انشد ابو عبدالله التيمي لبعضهم :

لحية الحوفي ابدت ما اختفى من حسن شعري
جعل السبر من الصين اليها نصف شهر
هي لو كانت شراعاً لذوي متحر بحري
هي في الطول وفي العر ض تعدت كل قدر

(تاريخ بغداد للخطيب ٨: ٣١-٣٢)

٥ – تسريح اللحى

كان صلى الله عليه وآله يسرح لحيته اربعين مرة ومن فوقها ويقول انه يزيد في الذهن ويقطع البلغم ولربما سرح لحيته في اليوم مرتين[١].

قال الصادق عم: مشط الرأس يذهب بالوباء. ومشط اللحية يذهب بالاضراس[٢].

من روضة الواعظين كان رسول الله صلعم يسرح تحت لحيته اربعين مرة ومن فوقها سبع مرات ويقول انه يزيد في الذهن ويقطع البلغم[٣].

في رواية عن النبي صلعم انه قال من امرّ المشط على رأسه ولحيته وصدره سبع مرات لم يقاربه داء ابداً[٤].

قال حسن عن ابن عباس قال النبي صلعم تسريح الرأس واللحية يسل الداء سلّا وقال صلعم تسريح اللحى عقيب كل وضوء ينفي الفقر وروي عن امير المؤمنين عم انه قال اذا سرحت لحيتك فاضرب بالمشط من تحت الى فوق اربعين مرة واقرأ انا انزلنا في ليلة القدر ومن فوق الى تحت سبع مرات

---

١) نوادر الاشراق في مكارم الاخلاق رقم ١٦٩٣
٢) نوادر الاشراق ٩٨
٣) نوادر الاشراق ٩٨-٩٩
٤) نوادر الاشراق ص ٩٩ و ١٠١

واقرأ والعاديات ضبحاً ثم قل : اللهم سرّح عني الهموم والغموم ووحشة الصدر ووسوسة الشيطان[1] .

حكي ابن شيخ نضيراباذ (من قرى قزوين) دخل على فخر المعالي ابن نظام الملك فوجده يسرح لحيته بمشط فقال ايها المولى لمَ تسرح اللحيـة فقال لانه يزيل الغم فقال : من كان له غم يسرّح لحيته يزول غمه قـال نعم فاتفق ان جاء ذات مرة عسـكر واكلوا زرع القرية ونهبوها فجـاء شيخ القرية الى فخر المعالي وقال احضر المشط قال: لمَ قال : حتى اقول انا وتسرّح انت فاني جئت بغم كثير[2] .

قال ابن عنين لما عاد الى دمشق من اليمن وطالبه اصدقاؤه بدعوة ·

تجوع لي الشيخ الزكي وجـاءني	مع الشمس قبل الشمس يتلوها النجم
وقـد سرّحا ذقنيهما وتـربلا	من الوشي ما ازدانت حواشيه والرقم

(ديوانه ١٢٨-١٢٩)

من كنايات اهل الشام سرح ذقنه للشيء اذا تهيأ له وطمع فيه .

٦ — مسح اللحى

(ندماء اسد بن جهور العامل) كانت عادتهم اذا شيلت المائدة ان يمسحوا ايديهم في لحاهم ليعلم انهم ما شبعوا شيئاً (وكان معروفاً بالبخـل على الطعام جداً)[3] .

قرأنا على ابي بكر الانباري :

مسحوا لحاهم ثم قالوا سالموا	يا ليتني في القوم اذ مسحوا اللحى

يقول انهم اجتمعوا للصلح عند الطمانينة لما اخذوا الدية ورضوا بها فمسحوا لحاهم ثم قال بعضهم لبعض : سالموا : وذلك ان الرجل لا يمسح لحيته الا عند الرضى فقال : يا ليتني انت فيهم حتى لا ارضى بما يصنعون[4] .

---

١) نوادر الاشراق ١٠٢
٢) اثار البلاد للقزويني طبعة اروبة ٣١٤
٣) نشوار المحاضرة ١ : ٢٠٠
٤) الامالي لابي علي القالي طبعة الدار ١٨٣

ربما تشاغل الصبي بفتل اصبعه ومس لحيته وغير ذلك من بدنه وربما تنحنح وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء في شعره :

ملىء ببهر والتفــات وسلة   ومسحة عثنون وفتل الاصابع[1]

لابن عيني من قصيدة :

وقـد مرتها ذقنيها وتسربلا   من الوشي ما ازدانت حواشيه والرقم[2]

سأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية فقال خللها باصابعك فقـال اخاف ان لا تبلها قال الشعبي فان خفت فانقعها من اول الليل[3] .

٧ – خضاب اللحى وتغليفها بالغالية وتبخيرها

ذكر ابو العباس المبرد في كتاب الكامل ان يزيد بن مزيد نظر الى رجل ذي لحية عظيمة وقد تلففت على صدره واذا هو خاضب فقال له انك من لحيتك في مؤونة فقال أجل ولذلك اقول :

لعمرك لو يعطى الامير على اللحى	لاصبحت قد ايسرت منذ زمان
اذاً لـغنتني لحيتي من عصابـة	لهم عنـده الف ولي مائتان
لها درهم للـدهن في كل ليلة	وآخر للحنَّاء يبتـدران
ولولا نوال من يزيد بن فريـد	لصوّت في حافاتها الجلمان

فامر له بعشرة آلاف درهم[4] .

جرى بين ابي العباس(السفاح)وبين ام سلمة بنت يعقوب بن مسلمة المخزومية زوجته يوماً كلام فاخرته فيه باهلها فقال لها ابو العباس انا احضرك الساعة على غير أهبة مولى من مواليّ ليس في اهلك مثله ثم امر باحضار عمارة بن حمزة على الحال التي يكون عليها فاتاه الرسول في الحضور فاجتهد في تغيير زيه فلم يدعه فجاء به الى ابي العباس وام سلمة خلف الستر واذا عمارة في ثياب ممسّكة قد لطّ لحيته بالغالية حتى قامت واستتر شعره فقال يا امير المؤمنين ما كنت احب

1) الكامل للمبرد طبعة ليبيك ٢٠
2) ديوانه ١٢٩ .
3) الحادي عشر من تذكرة ابن حمدون ١٥١٤ (ادب) دار الكتب المصرية٣: ١٤٥
4) شرح المقامات للشريشي ١: ٣٥

ان تراني على مثل هذه الحال فرمى اليه بدهن كان بين يديه فيه غالية فقال يا امير المؤمنين اترى لها من لحيتي موضعاً ؟ [١]

لما قتل محمد بن رائق وتفرغ قلب الاخشيد احب ان يسلك طريقة احمد بن طولون وابنه ابي الجيش فتقدم باشياء منها ... الا يكون في عسكره شيخ وان يصبغ الشيوخ لحاهم . فقيل له يحتاج الصباغ الى مؤونة فزاد كل واحد في رزقه من خمسة دنانير وما زاد [٢] .

ليزيد بن الحكم من قصيدة :

وما منك الشباب ولست منه اذا سألتك لحيتك الخضابا [٣]

صوت ابو الشبل قال : كنا عند قاسم بن جعفر بن سليمان ذات يوم ومعنا محمد بن بشير ونحن على شراب فامر ان يبخر ويطيب فاقبلت وصيفة له حسنة الوجه فجعلت تبخرنا وتغلفنا بغالية كانت معه فلما غلفت ابن بشير وبخرته التفت اليّ وكان الى جنبي فانشدني :

يا باسطاً كفه نحوي يطيبني كفاك اطيب يا حبي من الطيب
كفاك تجزي مكان الطيب طيبها فلا تردي عليها عند تطييبي [٤]

(للمقال صلة)

١) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ٩٣–٩
٢) المغرب ٣
٣) الاغاني ١١ : ١٠٢
٤) الاغاني ١٣ : ١٣٨

تعريف عن الكتب

تاريخ

JACQUES CAILLÉ : *La Mission du Capitaine Burel au Maroc en 1808.* Notes et Documents N° XIII de l'Institut des Hautes-Études Marocaines. 138 pp. in 4° avec un index des noms, une bibliographie et 10 planches hors-textes. Paris, 1953.

يشتمل هذا الكتاب على مقدمة بصدد علاقات فرنسة ومراكش الديبلوماسية من معاهدة سنة ١٧٦٧ حتى حرب اسبانية وبصدد هذه الحرب حتى قبيل مهمة الكابيتان بورل (Burel) ومن ثم على طبعة لمستنداته اي على تقرير مهمته الديبلوماسي وعلى مذكراته العسكرية بشأن الامبراطورية المراكشية واخيرًا على مفكرة ملحوظاته الشخصية .

واننا لنقع في هذه المقدمة على هبات السيد كايه (Caillé) كمؤرخ وعلى مهارته الفنية في بحث احد العهود حيًا برسمه لوحة اجمالية له تزينها الآن التفصيلات الواضحة .

وتحفل مستندات الكابيتان بورل بجليل الفوائد ، وهي واضحة دقيقة قد نقّحها احيانًا صاحب باع طويل واضاف اليها ذيولًا شديدة الفوائد العلمية حول شتى الموضوعات مستفيضًا في بسط المعلومات المستحبة واجلّها خطرًا في جميع الحقول : اللغوية والجغرافية وادب الالوان المحلية والتاريخية ...

ولا بدّ لنا من تهنئة المؤلف ومعهد الدروس العليا المراكشية وشكرهما على هذا الكتاب . هنري شارل اليسوعي

ALEXANDRA DAVID-NEEL: *Le vieux Tibet face à la Chine nouvelle.* (avec 23 gravures hors texte et une carte en dépliant), Paris, Librairie Plon, 1953, 241 pages.

... انه لكتاب صغير تشوّق مطالعته وضعته اديبة افرنسية تناولت فيه بلدًا اشتهر بانه لا يستطيع ولوجه احد ، وقد قضت الشطر الاعظم من حياتها في التيبت والبلدان المجاورة لها : كالهند والصين ونيبال ، واحرزت هذه الكاتبة

بفضل ما قامت به من رحلات سيرًا على الاقدام في تلك البلاد وبفضل ما اطلعت عليه من كتب في لغة التيبت مقدرة استثنائية ، اما كتابها فلا يعيد اقوال المؤلف نفسه ولكنه يبحث بالاحرى عما سيصير اليه « وجه العالم » بعد احتلال الصين الشيوعية له او بعد احتلالها له للمرة الثانية . وان الفكرة العامة هي ان التيبت لن تتحول تحولًا عميقًا عما كانت عليه على رغم الجهود الموقت لجعلها عصرية : كشق الطرقات وحتى انشاء مطار لاسا وايجاد قانون جديد للاراضي الخ ، وفي هذا الصدد لنذكر بعض اسطر جاءت في الصفحة ٣٥ وهي تلقي في الذهن كثيرًا من الخواطر : الطائرات في لاسا المدينة الحرام التي كادت تكون اسطورية ! يا له من انقلاب ! ان لاسا لا تبرح على رغم هذا التغيير الظاهري «اشد حرامًا» من اي زمن مضى . . . وانه بعد ان تخمد جذوة الفضول التي احدثتها عودة الصينيين الى التيبت سيتزل حتمًا الستار على هذه الرواية التي تمثل على مسرح « وجه العالم » الفسيح وبين زخارفه ، وسيعود الصمت الى عزلته الفتانة التي لا تلفت الدول المعاصرة الكبرى الا عرضًا اليها ، فهناك ليس من مأساة وانما رواية هزلية نتمنى لها ان تظل ولدًا طيبًا يساير مزاج شعب التيبت.

اوجين غونتيه اليسوعي

Halford L. Hoskins : *The Middle East. Problem Area in World Politics*. vii-312 pp. in 8° avec 6 cartes et un index. Macmillan, New York, 1954. Prix 4 $

لقد تصدى المؤلف الى بيان تاريخي ووضع راهن لقضية نقاط الشرق الادنى الاكثر حساسية : فتصدى الى ذكر تركية ومسألة المضايق وقضية السويس والمسألة السودانية والى اسرائيل وتقسيم فلسطين والى المبادئ الوطنية والجامعة العربية وعلاقات ايران الخارجية وسياسة البترول وستراتيجيته ، والى ميزانية حسابات النقطة الرابعة والدفاع عن الشرق الادنى وكيفية تعزيز مركزه . . .

ومما جعل لهذا البيان صورة مصغرة جدّ التصغير وبسيطة بساطة كلية كثرة القضايا التي تصدى الى ذكرها وعظم اهميتها وذلك في صفحات محدودة بالنسبة اليها لتبرز ميزتها كل البروز بسبب تعويله على المصادر التي كادت تكون تقريبًا

انكلوساكسونية برمتها او بالاحرى اميركية اي بردّ مراجعها الى اختبارات ودراسات حديثة جدّ الحداثة كانت الغاية منها تلبية شواغل بال بسيطة جهدّ البساطة لكي لا يكون النظر الى جميع هـذه الامور الا كأنها امور ثانوية مسلمٌ بها كامور البترول والدفاع ضد الروس .

وان قوة سياسة تركية وحدها وهي الرابضة بين جبال منيعة تفسح المجال امام تنظيم عسكري ملائم . اما جميع ما تبقى من الدفاع عن الشرق الادنى فمقصور على قواعد للطيران ، ولا يخدع الاميركيون بسرعة عطب منابع البترول ولا يضعف مواصلات البحر المتوسط مع اسية الجنوبية وشرقي القارة الافريقية التي يشدّ خناقها ممرّ قناة السويس بكل سهولة ، فلماذا تغير قضية الشرق الادنى من الناحية العسكرية والاقتصادية على حين انها قبل كل شي. قضية ثقافية وتربوية وسياسية واجتماعية .

والخلاصة انّ المؤلف لا يتحدث من نكد الطالع لا عمّا يستطيع ان يكونه الخير الايراني في الاسلام الحديث ، ولا عن البلبلة المريرة التي اوجدتها اسرائيل في داخل قلب العالم العربي ، ولا عن المخاوف التي احدثتها بين الاقليات المسيحية هنا وهناك التدابير الادارية المتحيزة لفئة دون اخرى تحيزاً شديداً ، وانها لاوضاع جدير البحث فيها في نظر الاميركيين وانما ينبغي ان يناقشها على الاقل رجال من الخارج يدعون انهم يمارسون نفوذهم .

ومن سوء الحظ فكرة النقطة الرابعة النبيلة لم تطبق تطبيقاً وفيًا لانها لم تحترم الا قليلاً السيادة المحلية والتقاليد الموضعية ليأبى السوريون واللبنانيون ضمناً ان « يتمثلهم » الاقتصاد ، اما اذا لم يعرف الحاكمون ان يتخلصوا من هذا الابتلاع فانهم يزيدون في اتساع الهاوية المحفورة بينهم وبين الجمهور بواسطة ديموقراطية زائفة مبطنة باقطاعية بورجوازية .

ان سياسة توحيد مواثيق الدفاع العسكري وان اثرا. الطبقات القائدة اما عن طريق العائدات البترولية واما عن طريق مشروعات النقطة الرابعة ليسهّل على السوفيات عملهم .

هذه هي مشكلة الشرق الادنى التي على « الخبراء » ان يعرضوها على مواطنيهم النائين .

هنري شارل اليسوعي

Sylvii Romani : *Elementa Juris Ecclesiae Publici Fundamentalis.* Rome, « Mater Cleri ». 1953. 311 pages, 4e édition.

هو مؤلف في الحقوق الكنسية العامة يستحق التقريظ بسبب وضوحه وصحّة تعليمه (كما في كلامه على علاقات الكنيسة بالدولة) .

ويدور في اعتقادي اننا نستطيع ان نأخذ عليه كونه ابتدائيًا عامًا حتى لمدارس الاكليريكيين في اول سنيها لدراسة اللاهوت « كما في تعداده تعدادًا مقتضبًا الاقتضاب كله لاعضاء حكومة الكنيسة ، صفحة ١٤٦—١٤٨ حيث تصدّى عارضًا عرضًا خاطفًا لسلطان الكرسي المقدس على غير الكاثوليك صفحة ٢٥٠—٢٥٢ .

وعلى الاجمال فقد استخدم الكاتب لغة لاتينية واضحة كلية لا تخلو احيانًا من بلاغة (كما في حديثه ضد المضطهدين ص ٢٨٢ المنتهي بختام ? ، واننا لنجد في نهاية كل فصل اختصارات بديعة بشكل قضايا سكولاستيكية » على شاكلة ما ورد في الفقرتين رقم ٢١٠—٢٤١ ، مثلًا ، اذ يلحظ المطالع فورًا ان الكتاب هو نتيجة تدريس سنوات عدة ، ولقد ساغ لي بخاصة الفصل الذي عولجت فيه المعاهدات البابوية « كونكوردا » (ص ٢٧٦—٢٨٩) .

ا . غونتيه اليسوعي

فلسفة

A. Misserand : *A la recherche de l'homme.* Librairie Istra, Paris, 1954. xx-406 pp.

انه في استطاعتنا القول ان هذا المؤلف هو امتداد لكتاب « الانسان ذلك المجهول» الذي كان له دويّ عرفناه في وقته ، ولقد ربطت المؤلف صداقة بكاريل (Carrel) الذي كان من معاونيه طوال سنين عدة .

وفضلًا عن هذا ان تعدد مشاغل الكاتب الفنية والتجارية والزراعية والعلمية واحترافه لمهنة الاستاذ جعلته يحتك بكل الطبقات من اكبر صاحب رأس مال الى احقر عامل ومن امي نكرة نكراء الى عالم كبير مشهور .

والمؤلف قد مكنته عدة مهمات علمية انيطت به ان يكون على اتصال طويل بالاجانب — مما يؤخذ منه انه يستند الى خبرة واسعة متنوعة .

ويشتمل الكتاب على اربعة اقسام : الاول في الولادة والوراثة والثاني في التغذية والمحيط الكيماوي والثالث في الاقليم والمحيط الطبيعي والرابع في الثقافة والمحيط النفساني .

وفي جميع هذه الفصول درس المؤلف الانسان على التتابع ، وتوسع بنوع خاص في القسم الثالث لان من رأيه ان الاوضاع والمؤثرات الاقليمية على رغم ما لها من اهمية ما برحت معرفتها ضئيلة وهي جديرة بان يعرفها اكثر الناس اما القسم الرابع فاعظم اهمية .

وفي فصول عدة بحث الموضوع : التكوين الاخلاقي والتعليم والثقافة العقلية والثقافة المهنية والعلم والثقافة الخ ... وعلق المؤلف في كل موضع ملحوظات دقيقة تنم عن فكر متبصر وثاقب ...

ومما هو مفيد للقارئ خبرة المؤلف الشخصية ولا سيما اذا كان قارئه من الذين يعنون بامر التثقيف .

ويجدر بنا ان نشير خاصة الى (الصفحة ٢٧٥): كيف نفهم الولد المسؤولية بعهدنا اليه بحيوانات صغيرة ليربيها (كالارانب والكلاب والطيور) ... فيتعلق بها بطبيعته وعند ذلك تلقنه الخبرة اننا لا نستطيع ان نخدع الطبيعة .

وقدم المؤلف في خلاصته بصور متنوعة الالوان رائعة ملخص كل كتابه .

ي . ك .

رسالة الرئاسة والرئيس

بقلم الزعيم اندري مونتانيون

منشورات المكشوف ، تعريب لويس الحاج ، ١٩٥٥ ، ١٧٦ صفحة قطع وسط

ها هي ذي منشورات دار المكشوف ذات الانتاج الثر المختار تتحفنا بترجمة رشيقة حسنة التبويب لكتاب الزعيم اندره مونتانيون الذي موضوعه الرئيس ، اما هذا الرئيس المقصود فهو بخاصة الرئيس العسكري الذي حاول بحث مناقبه ودرس شتى مؤهلاته .

وما اكثر ما عالج الكتاب موضوع الرئيس الجذاب ، فقد اورد المؤلف

في ذيل كل صفحة مؤلفات طويلة ولكن لن ينتهي بنا الامر الى استقصاء الغايات التي تسيّر المؤلفين الى تحليل نقطة ما من شخصية ثرية .

ومن المؤكد ان مونتانيون عرف ان يحلل الامور المهمة لميزات الرئيس العسكري في الحقول الثقافية والاخلاقية والحرفية ، لكننا كنا نرغب في ان نرى عنده استزادة من النظرة الاجمالية ومن المبادئ الموجهة لانه من الجميل ان نرى بامّ العين تفصيل الصفات التي تجعل من الزعيم العسكري المحبوب قائدًا للناس . ا. ع. خ.

اجتماعيات

خطاب السيد عبد الخالق حسونه الامين العام لجامعة الدول العربية ؛ القاهرة ١٩٥٥ ، قطع كبير ، ١٠ صفحات .

هو خطاب كاتم اسرار الجامعة العربية العام الذي ادلى فيه ببيان عن اعمال هذه المؤسسة طوال سني وجودها العشرة ، والامر الاكيد ان هناك اعمالًا جمة قامت بها الجامعة العربية في المضمار الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والدولي ، بيد انه ألم يكن من واجبها ان تتجه الى المزيد من التفاهم في داخلها نفسه بين الدول المشتركة فيها . ا. ع. خ.

الصحة المدرسية

بقلم جوزفين نجيب شوشاني

دراسات صحية تربوية اجتماعية ١٩٥٥ ، قطع وسط – مطبعة عون وحداد ، ١٩٠ صفحة

لقد اوجزت المؤلفة في مصنف قليل الحجم زبدة اختبار طويل بحيث لا يقع القارئ الشديد الاستعجال الا على اساليب تنتجها شتى البلدان فقد المت الى ما تنتهجه هذه البلدان من نهج لتربية الطلاب والى ضروب الاعتناء باخلاقهم وصحتهم والى ما ينبغي استخدامه من الناحية الطبية لمعالجة هؤلاء الطلاب وصون صحتهم .

ولا يفوت القارئ اللبيب رؤية المؤلفة تدبّ الحياة ، بكلّ ما اوتيت من كأب بواجبها كمواطنة وبكل ما تضمره من حب لتثقيف الناشئة وتربيتها في تذكيرها بجميع هذه المناهج الجافة .

ولئن قلنا كلنها او بالاحرى ما اضمرته من حب فلأن ذلك قد كان العامل الرئيسي الذي جعل قيمة ووزناً لهذه البادرة المخلصة ، ولان المؤلفة جديرة بكل اطرار لاخراجها هذا المصنف الاول من بابه ، وانه ليشوقنا ان نشهد اهتماماً مضاعفاً لصحة اولادنا وتثقيفهم بما نبذله في سبيلهم من افئدتنا ونفوسنا .

ا. ع. خ.

H. Souhgen : *L'éducation civique des Femmes. Quelques suggestions pratiques,* 103 pp. in 8°. Problèmes d'éducation n° VIII. UNESCO, Paris, 1953.

نولج هذا الموضوع على صورة واحدة في كراسين لمجموعة واحدة باللغتين الانكليزية والاسبانية اما الترجمة الفرنسية التي نحن بصددها الآن فبدأت بطرح السؤال التالي: هل التعليم المدني هو فضيلة نسائية ام لا؟ فاذا كنا قد شككنا في ذلك فلأن الظروف كانت لا تلائم كل الملاءمة لتمارس النساء هذه الفضيلة ، اما الآن فمن المناسب ان تتلقى النسوة هذه التربية على شاكلة بقية العلوم لتقوم بانجاز دورها في صيانة البلاد وبتربية ابنائها كأم عطوف وكحارسة للقوى الادبية.

وفي الواقع ان هذه التربية لتتبع نفس القواعد والطرق التي تتبعها بقية فروع التربية : من تنمية العادات المكتسبة بل الحرية وذلك بفضل تعليم صحيح واحتكام عقلي سديد وبفضل عمل منظم لمصلحة البلاد في المضامير التي تهم المرأة اكثر من غيرها كالعمل المبلي والصحي والاخلاقي ...

وهذه التربية التي تبدأ في المدرسة من الواجب متابعتها في الجامعة والمهنة لكي تتعدى الملة والامة وتغرس في المرأة المعنى العالمي .

وثمة فصل باسماء الكتب بحسب فصول هذا البحث يمكّن من اتمام هذه الدراسة .

هنري شارل اليسوعي

Jean Laloup et Jean Nélis : *Hommes et machines.* Initiation à l'humanisme technique. 19×13 cm, 317 pp. Tournai, Paris, Casterman, 1953.

عالج الكاتبان في مؤلفهما الصادر سنة ١٩٥٢ وكلاهما عالم اجتماع: المجتمع البشري واشرابه المبادئ الادبية الانسانية ، ولقد بدا لهما وهما يضعان كتابهما ، انه لا ينبغي للمبادئ الادبية الانسانية ان تماشي اوضاع العصر الحاضر الاجتماعية

فقط بل عليها ان تماشي تقدم الاليات الفني الحديث الجبار ، لان الالة وتقدمها الفني وطريقه تزيد الانتاج باقل ما يمكن من الجهود تزيدا آخذا ابدا بالسير الى الامام اذ قد غدا «جوهريا» لنا ليس بالاستطاعة الاستغناء عنه ولكنه تقدم مفيد وجائر في آن واحد او بالاحرى باعثاً على قض المضاجع ، ومما ضاعف اهمية هذا الامر ردات فعل الجيل الطالع الحماسية وهو لا يصبر كمن تقدمه الى ماض « خال من الحركات » . مما اكثر العقبات التي قامت تعترض سبيل صحة الانسان وقواه الطبيعية وبخاصة نفسيته لتحمله الآلة وما يساندها من التيارات الفكرية الحديثة على تنامي خالقه وتناسي الحياة الثانية، حتى غدت رغبة الانسان في الاستزادة من استخدام المادة التي يذللها عقله رغبة تحمله على التضحية في سبيلها بالقيم التي تجعل منه انساناً حقاً .

وبدت مضار التقدم المادي جسيمة جد الجسامة في نظر غير واحد حتى نقموا عليه وحاولوا التخلص من مضاره اما اذا كانت الماركسية ترتاح الى هذا التقدم الفني فما ذلك الا بحكم مثلها الاعلى الا وهو المادية التاريخية . اما الوجودية ففي سمفونيتها ايقاع لا يحث على التشجيع الا قليلا ، فحيال ما يرتسمه التقدم الالي من مخاوف لازالة معالم المسيحية من النفوس كان لا بد لرزسا الاديان وللاوساط الدينية من ان تنظر الى هذا التقدم نظرة التشائم بعد ان تحققت لديها هذه الامور بسهولة .

ولقد اودع الكاتبان مؤلفهما ما يستشف من ورائه املاً تلازم التقدم الالي نفسه ونيست هذه الامال الا التلقائية الآلية التي بالاستطاعة تحويلها الى نعم مبين لينتقل بواسطها المصنع قريباً على ما يبدو من مزاولته لاعماله اللاانسانية ويقلع عنها وهو الذي يفرضها الآن على القسم الاعظم من عماله بسبب تسلسلها تسلسلا رتيباً اخذا بعضه برقاب بعض .

ولقد اتضح لها ان الضرر الناجم من الوجهة الانسانية والدينية عن تقدم الالة تقدماً فنياً هو اقل من ضرر الاساليب الملتوية التي انتهجها لنفسه عالمنا الحالي : مشيرين الى انعتاق للمسيحية من المحرمات التي وضعتها الاديان المستندة الى التعليم القائل ان النفس الروحية هي المبدأ الاول للحياة النباتية والاساسية والفكر والمتحررة من عقيدة القضاء والقدر القائمة في اديان عدة فمهدت بذلك

عملياً الجوّ والبيئة اللذين تحقق فيهما هــذا التقدم الفني في الآلات ، ولو اعملنا الروّية في بعض صفحات التوراة لرأيناها تردّ ضمناً ولو على الاقل هذا التقدم الى نطاق الانسان وتعلن عدم جدواه لتيره من المخلوقات بيد انها لم تجعل منه لا غاية ولا مثلاً اعلى لاي فكر كان يعتقد بالله وبالحياة الاخرى ، فالامور المخلوقة التي حولها بعمله الانسان كتلك التي صادفها ابنا. آدم الاولون يجب ان تبقى خاضعة له وان تساعده على ان يحيا كانسان وكانسان خلقه الله وقــد ضمّ الى مجهوده وصلاته الكون الذي اخضعه لنفسه •

The Teaching of The Social Sciences in The United States, 150 pp. in 8°. Publications Unesco, 1954.

بحث الاختصاصيون الاميركيون واضعو هــذا الكراس عن الاشارة الى ضروب التعليم في الجامعات الاميركية ليلقوا نظرة في هذا الباب على المعضلات التي يصادفونها في الولايات المتحدة في حقل التعليم •

واننا لنقع فيه على البيانات بشأن العلوم السياسية والعلاقات الدولية وعلم الاجتماع وعلم الانسان وعلم النفس الاجتماعي والحقوق التي يدرسونها في البلاد القائمة وراء الاطلانطي •

وكانت ادارة مجموع النشرة برعاية الاستاذ اهرمان (H.W. Ehrman) ، استاذ العلوم السياسية في جامعة كولورادو •

هنري شارل اليسوعي

EVELINE LOT-FALCK : *Les rites de chasse chez les peuples Sibériens.* 235 pp. in 8° avec 2 cartes, 10 illustrations et 16 planches h.-t. Collection l'espèce humaine, Gallimard, Paris, 1953.

ليس الصيد لدى سكان سيبيريه مجرد مصاولة بين الانسان والحيوان وانما وراء هذا الحيوان تقوم قوة خارقة للطبيعة لا يستطيع التكنيك البلوغ اليها بل ينبغي التوسّل بالمراسم في سبيل ذلك او محاولة اكتساب رضاهــا بواسطة جملة قواعد مستمدّة من السحر او من الدين او من الحقوق .

ولقد وصف المؤلف شعائر الصيد السيبيرية وردّها الى مقامها الاصلي بالنسبة الى الشعائر القريبة للقنص. وفي كتابه فصل شديد الفائدة بصدد شكل البلاد وفصل اخر بشأن المعتقدات الرائجة فيها مع خرائط ورسوم تعرّفنا الى سكان هذا الجزء الشاسع من آسية الشمالية العديدين .

وصفوة الكلام لقد اوضح المؤلف ان التضخم في الحقوق تضخماً يتعدى حدودها الطبيعية يفضي الى تقلص العادات تقلصاً يؤدي الى ممارستها ممارسة اوتوماتيكية لتعذر في يومنا الحاضر عن انقطاع التوازن بين العالم القديم الخرافي والتكنيك الحديث الذي كان من تأثيره الابتعاد عن اللجوء الى الوسائل الخارقة للطبيعة لعدم جدواها .

ويتمم هذا الكتاب ريزيد ما جاء فيه ١٢٦ مذكرة من مذكرات الكتب التي كانت من مراجعه . هنري شارل اليسوعي

اسلاميات

رسالة اسماعيلية واحدة ، القصيدة الصورية

بقلم محمد بن علي بن حسن الصوري

تحقيق عارف تامر وتقديمه ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٥ قطع كبير ، ٧١ صفحة

ان ناشر هذه القصيدة الصورية هو من الرجال المعروفين ببحوثهم في المذهب الاسماعيلي ، وهو يتقدم لنا هنا مجموعة من التعليم بصدد الباري تعالى والتوحيد والنفس والمادة الخ وبصدد الانبياء المختلفين ويختم كلامه بمجموعة جميلة حول محمد ، ولم يستطع المؤلف ان يستمد الهامه الا من القرآن ليعيد جميع ما يقوله القرآن له بصدد هذه الموضوعات المتفرقة ، فقد جاء بجميع ما اورده من اقوال سجعاً محاكياً في ذلك لغة النظم الشعري ، ومن حسن الحظ ان ادخل الناشر هذه القصيدة في دراسة عامة للاسماعيلية وللعهد الفاطمي وللقصيدة نفسها التي يحللها ويلفت الانتباه الى ان عدداً كبيراً من الكلمات لا يستطيع ان يفهمه احد الا من كان على اطلاع بالمذهب الفاطمي . ا. ع. خ.

'Abd al-Karim al-Jili : *De l'homme universel-Extraits du livre al-Insân al-Kâmil* — Traduit de l'arabe et commentés par Titus Burckhardt.- Lyon, P. Derain, 1953, 93 pp., Collect. « Soufisme».

لقد اقدم جان هربرت « Jean Herbert » الذي اصدر حوالي سنة ١٩٤١ ١٩٤٢ مجموعة « لوتوس » على اصدار هذه المجموعة الاخرى « الصوفية » وذلك

ما يوضح اهتمامه الشديد للتعاليم الباطنية ولميزة « الكائن الروحية » (المستقل وجودها واعمالها عن المادة) في غير المسيحية ، فمن بين جميع المؤلفين الذين درسهم نراه اشد جنوحاً الى الباطنية لاعتقاده اننا واجدون فيها سبب وحدة الاديان الاخير ومبدأ « ميزة الكائن الروحية الاساسي في الانسان » الصريح الفريد ، اما انا فلا اودّ مناقشة هذا المبدأ : وانما اقول فقط ان التشابه لا يعني وحدة امرين متميزين احدهما عن الآخر .

وارفق الشارح ترجمته بتمهيد طويل استسلم فيه الى حسّه المرهف للتفسير ولا سيما الى تفسير المزيج الديني من التعاليم المختلفة الاصل والصعب التوفيق بينها ، كما توضح ذلك كل الايضاح بعض الشروح مثلاً : ص٢ (كوضع اكارت (Eckart) ومكسيم المعترف في مستوى واحد . — ص ٥ ملحوظة ٣ وص ٩ : ان لوسكي (Lossky) هو موضوع انتقاد كبير ولا يمكن اتخاذه مصدراً يُرجع اليه و ص ١٥ ، ان الكلام على وحدة الاديان السامية هو تأييد لوضع محال الدفاع عنه) .

وتحمل مقدمة بوركارت (Burckhardt) المطولة والدقيقة على فرض روح ثاقبة وبعض افكار مبنية على مبدإ غير مبيّن لدى المؤلف ، فقد كنا نرغب في رؤية بياناً اشد موضوعية لفكرة الجيلي في كتابه الانسان الكامل ، ومهما يكن من امر فلا نستطيع الا ان نهنيء المؤلف على ترجمته الدقيقة من حيث الوجهة الفنية لكننا لا بد لنا من ابداء بعض التحفظ في مثل هذا المقام : فان بعض الكلمات العربية لم يُؤدّ مدلولها تادية صحيحة كترجمة التمثل في النحن (conceptuel) بكلمة معقول فانا اعتقد ان ترجمته لها لم تأتِ موفقة فقد كان الاحرى به ان يترجمها بكلمة المفهوم الخ .

وعلى الجملة فان الترجمة لا بأس بها اما المؤلف فقد احسن صنعاً بوضعه ثبتاً للعبارات الفنية التي ترجمها في عرض عمله . ا. ع. خ.

W. Montgomery Watt : *Muhammad at Mecca*, 1 vol. in 8°, xvi+192 pp., Oxford, 1953.

انها كثيرة الكتب التي تُعنى بدراسة حياة محمد ، لتعوّل جميعها تعويلاً متفاوتاً على العوامل الدينية والروحية في تكوينه . بيد ان المؤلف قد كان حريصاً على

النظر الى هذا الامر من ناحية ثانية خُيّل اليـه انها اكمل لدراسته اذ شاء ان يعطي العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية اهميتها .

واذا كان لمكة تأثيرهـا الكبير حقاً « لكونها مركزاً مالياً علاوة على كونها مركزاً للتجارة » كما يقول الاب لامنس ، فمن الواجب عدم الاسراف في المقالات بتأثيرها اسرافاً مفرطاً ليجعل منها قطباً تدور حوله السياسة الدولية .

ومع هذا فالاستاذ وات عندما يدرس نطاق اعمال محمد لا اعماله نفسها يأتي بجديد بصدد الفئات السياسية وبصدد وضعها الاجتماعي مشدّداً في الكلام على الامور التي تصدّرت حماسة الاسلام في اوائله وعلى اتساعها لدى كل فئة فنشهد على هذه الشاكلة تفتق الاسلام الصحيح في شبه الجزيرة العربية .

ولقد تشدّد المؤلف في قوله ان محمداً لم يكن له خصم ولا اعداء في بدء رسالته عليه ان يناهضهم مستنداً في ذلك الى بعض سور القرآن الابعد قدماً ليقول ان محمداً لم يكن تبشيره الهاً واحداً بالضبط فقولـه بالتوحيد اولا كان غامضاً ليحفظ مقاماً لوجود الهة اخرى . فيا له من تناقض في الاثباتات .

وفضلاً عن هـذا فقد رأى وات في تمكّن اهل مكة من حمل محمد على التساهل بشأن العبادات القريبة خارجاً عن مكة اشراكاً بالاله الواحد كان بالمقدور التسامح بايجاد تسوية له .

ولكن لماذا لم يأذن محمد بهذه التسوية مع عبادة الكعبة بشكلها القديم؟ وزد على ذلك فقد رأى وات في هجرة عدد من المسلمين الى الحبشة ارادة من محمد في الامر لانه ودّ الانفصال عن بعض الثائرين والخوارج : فيا لغرابة هذا الفرض .

ويشتمل هذا الكتاب على مسائل عدة ترغّب ترغيباً شديداً في قراءته وانما من الواجب الانتباه والاحتراس على فكرة النقد اذا ما طالعناه ، فوات يستند احياناً الى الاساطير بدون ان يغربل غربلة كافية الروايات المتوارثـة ليثبت في احدى صفحاته امراً (كما في قضيّة قصيّ) ومن ثم ينفيه في الصفحة التاليـة ، وزد على ذلك انه ينزع بدون سبب كاف الى التسليم بمصادر الرواية بدون ان يقلّب فيها الرأي التقليب الذي يستدعيه النهج التاريخي فهو ينتقد الاب لامنس وينعت طريقته بالطريقة « الوقحة » المهينة ولكننا لم ندرِ السبب في ذلك ،

فقد كنا نودّ ان لا تشوّه اثباتات كهذه الاثباتات بعيدة البعد كله عن الموضوعية عملًا قد كان شديد الجدوى ومبعثاً لالهام الاختصاصين، وانه بالاستطاعة انتقاد لامنس وغيره وانما تستدعي اللباقة والانسانية التمسك بقواعدهما، ففي تآليف الاب لامنس نقاط لا يبرح القلم يسلّم بها تسليماً باتًّا بدون جدال او مجادلة .

وفضلًا عن هذا فاننا لنشعر بحرص الاستاذ على الدفاع عن المصادر المعتمد عليها مع ان كتابه يرمي الى القيام بعمل مؤرخ لا الى تبرير مراجعه ومستنداته تبريرًا شديد الاسراف في التقريظ، كما انه ليس ضرورياً ان يوحي قول من الاقوال بحياة عظيمة وتكون قد اثبتت صحته وأمعن في دراسته، اما الباعث على الدهشة فهو ان يسير مستشرق كوات في طريق الحلول التي لا تسلّم بها الطريقة الموضوعية العلمية . ا. عبده خليفه اليسوعي

Joseph Chelhod, Docteur ès-lettres : *Le Sacrifice chez les Arabes.* 218 pp. in 8° avec un index des ouvrages cités et un index alphabétique. Bibliothèque de Sociologie Contemporaine, Presses Universitaires de France, Paris 1955. Prix 700 frs.

قبل ان اوضح المؤلف دوام مفهوم القرابين في الاسلام واهميته بدأ باستعراض النظريات الأجتماعية الرئيسية بصدد جوهر القرابين، واذ كان الامر متعلقاً بشأن هذه الذبائح فهو امر اجتماعي، ولانه فعل جماعة ديني فان وجهة النظر الاجتماعية في هذا الباب قلّما تختلف عن وجهة نظر العالم اللاهوتي، وانما لا بد لنا من ابداء الاسف على كون السيد شلهد (M. Chelhod) قد قصر معلوماته على بعض مؤرخي الاديان في قسمه الاول مع ان هناك علماء الإجتماع ما عدا دوركهايم ولوازي وهوبرت واستاذنا الكبير المأسوف عليه السيد مارسل موس قد عالجوا كنه القرابين . ولقد كان من الواجب ان يشير الى اللاهوتيين الكاثوليك ولو على الاقل اسم الاب ديلا تايل (de la Taille) الذي ما برح كتابه العلمي ذا قيمة تحتل المقام الاول وحتى منّ وجهة النظر العقلية .

ولقد كان الاسلام في بدئه ردّة فعل على الوثنية الجاهلية وفي ردة فعل ضد الكثير من الشعائر الدينية ومن ثم ضد فكرة القرابين التي كانت روح هذه الشعائر .

وبالاستناد الى القرآن والحديث — والحديث لا يزال عرضة للاخذ والرد —

والحج فكَّر السيد شلهد في تأييد القول ان محمدًا هو الذي ابقى على القرابين العربية بوصفها تكريماً لله: اقلالاً للتزيد من الشعائر الدينية ومن التقيد بحرفيتها وذلك اعلاء لشأن الروح. وحتى لشأن التصوف الذي تنتصر فيه فكرة الجماعة دائماً وقبل كل امرٍ آخر — مهما كانت تبدو فيه فكرة الفردية — تظل فكرة القرابين اكثر من عمل ورع بسيط.

وان كان تطور مفهوم القرابين والشعائر الدينيـة في الاسلام الذي اوضح على هذه الشاكلة لا يزال مفتقراً كما يؤخذ من عنوان الكتاب الثاني الى البحث عن طبيعة هذه الشعائر وعن كيفية ممارستها في غربي الجزيرة العربية، واذ كانت مراجعه هي مراجع ما بعد الاسلام عمد المؤلف الى النظر في معجمية الكلمات ولاسيما الى التاريخ المقارن عساه ان يجد فيها البرهان على بقاء فكرة القرابين حية في الاسلام وفي الوثنيَّة التي كانت قبله في عهد «التسامي» عن نشر المعارف والعلوم ذلك العهد الذي نزع فيه مؤلفو ما بعد الاسلام الى تقليل اهميته.

والخلاصة ان كل حادث مهمّ وكل مرحلة من مراحل الحياة وبالاولى ان الخطيئة والتجاوز على الشريعـة او امر الاله هو صدمة للحرام فمن الواجب التعويض عن فقدان هذا التوازن والتهديد الناتج عن ذلك (بالقصاص المتراوح من الضعف الى المرض فالى الموت ...) ان جميع القوم المنضم الى اسرة واحدة يتبادلون المساعدة بواسطة اقامة الشعائر الدينية استرداداً لقوتهم مع الفرد وتجديداً لشبابهم في الايمان وتقاليده الموروثة وايجاداً لوحدتهم وحيويتهم فيه.

وانها لنتائج شديدة الفائدة ولا نودّ الا رؤيتها صحيحـة، بيد اننا نرغب في السماح لنا بابداء شيء من التحوّط بصدد المحاولات والطريقة اللتين اوصلتا المؤلف الى هذه النتائج.

واذا كان القرآن مرجعاً لا ريب فيه فان تفسيره لمدعاة الى الاخذ والردّ فلذلك نعلم كم هو مناسب التذرع بالحرص بصدد الحديث: فهو قلما يستطيع ان يكون شيئاً آخر من الوجهة التاريخية سوى الاعراب عن فكرة الـذين توسلوا باستخدامه.

اما هؤلاء المؤلفون العرب الذين اعتمدهم المصنف كسند «للتاريخ المقارن» فقيمتهم متفاوتة وغير متساوية مما يستوجب منه ايضاحها في درس مؤلفات كل

واحد منهم ولاسيما اذا ما شئنا التزوّد بمعلوماتهم عن خصائص الشعوب لان القليلين من بينهم عنوا بوصف العادات والتقاليد وصفاً موضوعياً ، فاذا كان المؤلف قاسياً بحق علماء خصائص الشعوب والرحالة العصريين الذين يتّصفون بحب الدرس العلمي فقد كان اولى به ان يتطلب نفس هذه الشروط من علماء خصائص الشعوب الاقدمين الذين لم تكن معارفهم في هذا الباب الا عن طريق المصادفة ، فهل بامكان في مثل هذه الظروف ان يعيد شكل تكوين الشعائر والعادات والفكرة الدينية لاحتفال كالاحتفال بالختان بواسطة مصادر مختلفة (راجع حواشي ص ١٢١) .

وذريعة المؤلف اللغوية التي يحفل لها كل الاحتفال تقتضي في استعمالها حكمة وفطنة طالما يعوز اللغة العربية مصنفات في القواعد والمعاجم التاريخية . اما نظرة القائلين بثنائية اللغة العربية هذه النظرية التي يودّ السيد شلهد التعويل عليها فانها لا تبرح غير وافية بالمرام . أليس من الممكن لكلمة عريقة في القدم — كساوم مثلاً — ان تنتقل انتقالاً اعتباطياً عن طريق تبديل حروفها او عن طريق تقديم الساكنة والخفيفة منها او تأخيرها من اصل الى اصل آخر الّا عندما يكون تطورها التاريخي يوضح ذلك صراحة . اما كلمة (hadyom) القرانية على وزن فَعَل وليس فيها غموض او اختلاط تمكن في اصولها وقد جعل بيلو والشرتوني وزن فاعِلات (hadyyatom) وبمعنى « الحيوان المسوق » « لهدية » او « لتضحية» فليس هذا المعنى الا من باب الاضافة الى المعنى الاصلي او المعنى اللاحق بالمعنى الاساسي.

ومن هنا يتضح لنا مبلغ وهن الاستناد الذي نرتكز عليه لذلك ينبغي لنا ان لا نترك ذريعة من ذرائع الاطلاع تفوتنا او ان ندع جانباً مقارنة من المقارنات تخولاننا ان لم يكن اثبات بعض الاراء التي جيء بها على سبيل الفرض فعلى الاقلّ تشذيبها .

وبصدد التاريخ المقارن لقد كان خيرًا للمؤلف ان يدرس المبادئ التي هيأتها مسيحية العرب الرحل حوالي الهجرة (راجع المجلد ٥٢ من مكتبة معهد الدروس العليا المنشور سنة ١٩٣٨ والذي يجدّد بعض التجديد عمل المرحوم الاب شيخو) وتاريخ اعتناق هذه القبائل نفسها للاسلام في غضون القرن الاول للهجرة (راجع مجلة « في ديار الاسلام» سنة ١٩٤٦) فهذه المبادئ يسعها ان توجه المعارف

التي تزودها بشأن عقلية سكان عربي الجزيرة العربية وردات فطهم الدينية ، كما انه من المفيد ايضاً لفهم عقلية العربي فهماً افضل ان نعمد الى بحوث علماء خصائص الشعوب كما يفعل عامة علماء الاجتماع وان نستمد منهم جميع الامور الممكن التسليم بها حول وضع القبائل الرحل الديني القائم الآن لان معظم من يحدون الابل هم من اهل السنة المنقطعين عن الاتصال بالدين في المدينة (راجع وليم مارسي : الاسلام والحياة في المدينة : بيان ندوة الخطوط القديمة والاداب ١٩٢٨) فان ممارستهم لشعائرهم الدينية التي رُدّت الى ابسط اشكال تعبيرهم عنها وقد خولطت بالمعتقدات الخرافية الباطلة فبذلك نستطيع على سبيل الافتراض التوجيهي ولو على الاقل الاستدلال من فكرة القبائل الدينية الحالية على دين القبائل قبل الاسلام اي الدين الذي ينطبق على اوضاع حياة كل واحدة منها في الصحراء .

وتوفر دراسة الشعائر الدينية التحليلية كدراسة شعائر الختان مثلاً وذلك على سبيل الفرض والتخمين دائماً كل هذه المبادئ ، واني لاذكر في هذا الباب فقط حفلة اختتان لدى قبيلة الرولة . فقد دُعيتُ مرة الى مضرب من مضاربتها في الصحراء التدمرية لحضور هذه الحفلة وذلك سنة ١٩٣٨ فسألتهم عن فكرة القبيلة الدينية في عملها هذا ، فقال شيخنا والد الطفل المختتن كما زعم محيطه انها التقيد بالتقاليد التي لا قيمة دينية لها ومع ذلك فان تقضي البحث الى جانب الاحتفال ذي اللون المحلي وعملية الطهور الجراحية يضع نصب اعيننا ان القضية ليست قائمة على ذبح حيوان للوليمة وانما على ابقاء شعائر من المرجح انها دينية الا وهي ضرب من الطواف يقوم به الوالد وهو حامل بين ذراعيه طفله ويدور حول الخيمة متمتماً صلاة يخالطها الابتهال على شاكلة الذكر باسم الله .

أوَ ليس من الصعب جدّ الصعوبة الاستنباط من عمل كهذا العمل المشوش الشديد التشويش ومن الآن ندرك الحكمة التي يعتصم بها المستشرقون ، فلذلك لا ينبغي لنا ان نؤاخذهم مؤاخذة صارمة على اهمالهم حتى الساعة دراسة مراسيم دينية عربية عديدة على هذا النحو وليس لدينا بشأنها بعد امور مسلم بها تسليماً موضوعياً كل الموضوعية ، وانه لا يغرب عنا انه لا بد من هذه التحوطات التي لا تقلل شيئاً من قيمة مجهودات السيد شلهد المشكورة كما اننا نهنئه مع

السيد غريول (Griaule) على جرأته في اقدامه على معالجة موضوع اساسي الى هذه الدرجة وعلى جمعه المستندات وتفسيره لها. وهي لا تزال تفتقر الى الاثبات افتقارًا لا تستطيع دراسة معجمية الكلمات العربية ولا دراسة التاريخ ولا دراسة خصائص الشعوب العربية دراسة مقارنة ان تسدّ هذه الثلمة لتظلّ من باب الفرض ، ومع هذا فان كتاب السيد شلهد لشديد الفائدة .

هنري شارل اليسوعي

فن

M. Aubert, P. Parrot, P. Verlet, P. Devambez, J. Vandier : *Au Louvre la nuit*. 64 pp. de texte et 98 photographies en héliogravures de Laure Albin-Guillot, avec 3 planches des salles éclairées la nuit, sous jacquette en couleurs. Arthaud, Grenoble, Paris 1952.

تخوّلنا الانارة التي كانت موضع الدرس ان تشير الى دقائق التفاصيل وتقدير كل نقش ، فصور السيدة ل . البان غويله (Mme Albin Guillet) تمين تمينًا رائعًا نتيجة هذا المجهود بغرضها وجهة نظر للضوء وللظلّ وتحفزنا الى الذهاب لنعجب برؤيتها في مكانها . اما الزائر فسيهدي خطاه وصف مقتضب للصور وفهرست الكتب الرئيسية التي وضعها اختصاصيون ماهرون من الشرق ومصر منذ العهد الاغريقي الروماني ومنذ العصور الوسطى ، لان هناك ثلاث لوحات تاريخية تجمل المقارنة في متناولنا . وهذا الدليل المطبوع طبعًا متقنًا يفتن النظر كما يفتن الالباب .

هنري شارل اليسوعي

Jacques Caillé : *La Mosquée de Hassan à Rabat*. 172 pp. in 4° avec 43 figures dans le texte et 48 planches photographiques h.-t. et un portefeuille de 19 plans et dessins de Jean Hainaut. Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines, tome LVII, Paris, 1954.

لاول مرة زرت رباط سنة ١٩٤٥ وقعت فيّ نفسي وقعًا شديدًا فخامة برج حسن وغابة الاعمدة الكثيفة وهي بقايا مسجد اروع فتنة في نظري من غيرها من الذكريات .

ويرمي كتاب السيد كايه (Caillé) الذي قام بالتنقيب في سنتي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ مع السيد جان هانو (Jean Hainaut) الى تعريف تاريخ المئذنة التي

.. برحت غير مكتملة والى تعريف تصيبا وهندسة بنائها وزخرفها ومساحتها البالغة هكتارين ونصف الهكتار والاعمدة الاربع مئة وهي اعمدة اعظم مسجد اسلامي في الغرب تدليلاً على المجهود الفني الذي وصل اليه الموحدون .

ولقد جاءت الخطة الموضوعة لهذا الكتاب مستوفاة كل الاستيفاء بتلك الدقة وذلك الاطلاع الواسع والروعة التي تعودناها من السيد كايه (Caille) اما رسوم السيد هانو (Hainaut) وتصاميمه وارجاعه ذلك البناء الى ما كان عليه فمتاز جدّ الامتياز في كل نقطة من نقاطها لتساعد حق المساعدة في ردّ تاريخ هذا البناء الخارق للعادة وهندسته حيين الى اذهاننا . هنري شارل اليسوعي

La Syrie. Album in 4° d'héliogravures en noir, agrémenté de 8 planches en couleurs d'une carte des monuments. Photographie de G. Bourdelon, introduction de Louise Weiss. Coll. « Couleurs du monde », del Duca, Paris, s.d.

المقدمة من صفحة واحدة والرسوم في اثنتين وعشرين صفحة يضاف اليها ثمانية رسوم اخرى متفرّقة . ان ذلك لقليل نسبة لما تتمتع به سورية من ثروة قديمة وحديثة اقتصادية وانسانية .

وهذه اللمحة الخاطفة التي تنتقل بنا من دمشق الى تدمر ومن درعا ومعرة حلب الى القديس سمعان ومن حماة الى حصن المرقب تنقصها الرصافة وابنية الصحراء الاثرية ومناظر الغوطة والبساتين والفرات ومنابع عين عروس ذات السدود وراس العين ، اما البحر والباسط واللاذقية وجبله وارواد ووادي العاصي فلا وجود لها . اما فندق الاوريان بالاس فلا يعطي فكرة عن جمال مدينة دمشق .

ولا مجال الا ان نشيد بروعة الرسوم لان هذه المجموعة ستتمّ اتماماً ممتازاً المجموعات المنشورة سابقاً . هنري شارل اليسوعي

P. J. Khoury, o.l.m. — *La Conception artistique de Vincent d'Indy.* Imprimerie des moines libanais, Beyrouth.-1954 — 80 pp.

عندما يكتب مؤلّفنا الشاب في الموسيقى فانه لا يكتب عن جدارة وعلم فحسب يضاهي فيها من حنّكه الدهر وزاد في خبرته ولكنه يتحسّس الواقع الذي يبدو للفنّان من خلال نغمات يرى فيها عالماً يعيش فيه ، عالم الجمال الثابت

وراء الظواهر المتقلّبة فيستلهمه ويستوحيه ويأتي على البشرية فيضفر عليها مما شعر به ورآه غزارة المعاني وعمق الافكار، ويجتهد في ان يحمل القارئ بواسطة كلمات اشبها من خبرةٍ ومن ارهاف حسٍّ على السير وراءه طوعاً علّه يختبر ذلك العالم ويأنس بشرته . ولكنّ من يتطلّع الى هذا الكتيّب ليرى ضآلة تلك الكلمات بالنسبة الى ما تثيره في نفسه من عواطف وما تخلقه من عوالم — واي فنان [illegible] يصعب عليه التعبير عمّا يختلج به قلبه وتتمخّض به افكاره — ولكن المهارة ان يتوصل الى هدفه بخلق جوّ يستطلع منه القارئ شيئاً من الكثير الذي عاشت فيه نفس [illegible] . ومن يتوصل الى ذلك سوى من زهد بنفسه ليذوب في صوفيّة الموسيقى ور[illegible] وفيها صفا. وفيها حكمة وفيها انس وفيها امل . وقد سمى افلاطون الفيلسوف [illegible] الناس الى الموسيقى وكان الكتاب المقدس يمزّ الموسيقي ويطلب الى المريد حب الموسيقى . ولذا نرى من خلال هذه الوريقات ثروة طائلة، ثروة روح المؤلف الذي عبّر عن خبرة شخصية من خلال خبرة الموسيقى داندي فقسم كتابه الى قسمين درس في الاول منها الفنّ مجد ذاته والنغم ومصدرَ الفنّ الروحاني ودور الفن في الحياة النفسية وانتقل الى دور الفن في تثقيف العقل والى دور الفنّان الرسولي والى حرية الفنّان بينما يستسلم الى فنه والتعبير عن مكنونات قلبه والى علاقة الفن بالصلاة بعد ان تمنى ان يحمينا الله من اولئك الذين يعدّون انفسهم فنّانين وهم بعيدون كل البعد عن الفن ومفهومه الصادق .

اما في القسم الثاني فيحدثنا المؤلّف عن دور الفن الاجتماعي وعن فضائل الفنّان الاخلاقية وعن دور الفن في خلق جوّ ملائم لحل النظر الى علُ .

ولقد توصّل المؤلف في كل ذلك الى ابداء الآراء الصائبة. ونحن ما سيتبع هذا الكتيّب منتظرون . ولا غروَ اذا نال المؤلّف من الحكومات الاوروبية ما يرمي الى تشجيعه في التأليف وما تلك الاوسمة التي نالها وما قاله عنه مقدّم الكتيّب الا التعبير القليل عمّا تتفتّح عنه يوماً روح المؤلّف الثريّة .

واذا اخذنا شيئاً على هذا الكتيّب ولمحنا الى الاغلاط المطبعية العديدة التي تشوّه العدد الكبير من صفحاته فلا نريد بذلك الّا ان تظهر مؤلّفات الاب يوسف الخوري في قالب يليق بها .

ا. عبده خليفه اليسوعي

فهارس المشرق

للسنة الخمسين

١٩٥٦

فهرس اول

لمواد اعداد السنة الخمسين من مجلة المشرق ١٩٥٦

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الخمسين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ – الكتب الشرقية

٢ — مطبوعات اوروبية

فهرس رابع

لجمع مواد السنة الخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Cinquantième année
1956

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1956

TABLE DES SOMMAIRES

L

Lᵉ ANNÉE, 1956

◇

JANVIER - FÉVRIER

MARS - AVRIL

MAI - JUIN

JUILLET - OCTOBRE

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

المشرق

السنة الواحدة والخمسون — كانون الثاني – شباط ١٩٥٧

الرسائل الصغرى للشيخ ابن عبّاد الرندي

نشرها

الاب بولس ع. نويّا اليسوعي

من مخلّفات الشيخ ابن عبّاد الرندي (١٣٣٣–١٣٩٠) مجموعتا رسائل سمى الواحدة منها الرسائل الكبرى والاخرى الرسائل الصغرى . وقد ضمّن الاولى ثماني وثلاثين رسالة طُبعت طبعة حجرية في فاس سنة ١٣٢٠ هـ. وقد اتّفقنا والناشر الكريم ان نخصّ مجلة المشرق وقراءها بالمجموعة الثانية لما فيها من فوائد لاهوتيّة وصوفيّة وهي لم تنشر بعد. واننا على يقين ان هذه الرسائل التي لا يستطيع اهمالها مؤرّخ الصوفية ستؤدي للباحث المدقّق الخدمات الجلّى وتنبهه الى ما وراء المفردات الصوفية من المعاني الجمّة الثريّة .

كان الناشر قد خصّ المشرق بالرسالة التاسعة من المجموعة التي نحن بصددها (طالع المشرق ٤٩ (١٩٥٥) اذار – نيسان ، ص ١٢٩–١٤٨) ولذا فاننا لا نعيد طبعها هنا .

ا . ع . خ .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى[1] الله على سيدنا ومولانا[2] محمد وعلى[3] آله وصحبه وسلم.

[الرسالة الأولى]

كتاب فيه جواب سؤال اورده بعض الناس على مسئلة في كتاب قوت القلوب في باب الخوف منه. وفيه زيادة مفيدة يحتاج اليها المريد في مخالطة بعض الناس[4].

اسلم عليكم كثيرًا واسأل ربي عز وجل لي ولكم من تمام التوفيق والهداية الى سواء الطريق وما[5] يتكفل بنجاح الآمال[6] وصلاح الاعمال[7].

اما بعد فقد وصلني منكم كتاب وانتم تطلبون فيه بيان المسئلة الواقعة في كتاب ابي طالب البيان الشافي. والكلام فيها على حسب ما طلبتموه عظيم الخطر كثير الضرر لتضمنه كشف اسرار مصونة ونشر علوم مكنونة. ثم هو متعذر علي جدًا لاستدعائه كشف بواطن الصفات ومعاني اسامي الذات ولا يدرك تحقيقها الا بانوار اليقين ولا يهتدى لطريقها الا ببضاعة الصديقين ومن الذي يقدر منا على سلوك مسلكهم او الانتظام في سلكهم وقد حجبتنا الشهوات واسترقتنا العادات ووقفنا مع الرسوم والطلول ومنعنا عن الوصول بتضييع الاصول واغتالتنا الاعداء والاهواء بفنون التزيين والاغواء فعميت[8] البصائر واظلمت السرائر. فان رمنا تحقيق ما طلبتموه من البيان على طريق الكشف والعيان تعدينا طورنا وتجاهلنا قدرنا ووقعنا في سخف الدعاوي التي تشين العاقل وتبين جهل الجاهل ولم تحظوا من ذلك[9] بطائل. وان احلناكم في ذلك على اهل الظاهر وجدناهم لا يشفون غليلًا ولا يهتدون سبيلًا لوقوفهم مع عقولهم وجمودهم على آرائهم. ثم كان في ذلك من سوء الادب والنكوص على العقب ما يقضي بالحرمان ويفضي الى نقصان الايمان. فلم يبق لنا في هذه المسئلة نصيب[10] الا التسليم لاهله واستعمال حسن الظن في علمه والتماس الفتح من الفتاح العليم والهداية الى صراطهم المستقيم مع اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه. وهو طريق مخصوص بالسلامة من الآفات مخلص لامثالنا من ارتكاب[11] الجهالات

١) ق : صلى || ٢) ق ر : — ومولانا || ٣) س : — وعلى || ٤) ف : + فهذه الرسائل الصغرى || ٥) إ : وما || ٦) إ : الأعمال || ٧) ر : الأحوال || ٨) إ : وعميت || ٩) إ : — من ذلك || ١٠) إ : — نصيب || ١١) س : ركوب؛ خ : ارتكاب ||

متضمن حسن الأدب مع الاولياء. والسادات مؤد الى مرتبة شريفة من مراتب الولايات . وقد قال الجنيد : التصديق بطلنا هذا ولاية .

لاكن لتمين اجابتكم عليّ اذكر مما فهمته من هذه المسئلة نبذة لايقة بالحال رافعة للاشكال مانعة من اعتقاد المحال ولا اتعرض الى ما[1] وراء ذلك. فان اصبت الحقيقة فمن قبل المدد الالهي وان اخطأتها فمن اجل العجز البشري وربنا عز وجل المحمود في الحالين .

فنقول : هذه المسئلة عظيمة الموقع في علم التوحيد جليلة الخطر عند الموقنين من اهل التفريد جارية على اصول اهل الحق حاوية لمعاني الصدق صادرة عن ذي يقين وايمان وشهود وعيان لم يدع في بيانها سبيلًا الا سلكه ولا حجابًا الا هتكه وقد تبعه الغزالي على مذهبه وافرغها في قالبه فذكرا المكر ووصفاه بعظم القدر وقد نسبه الحق تعالى الى نفسه في مواضع من كتابه كما نسب الابتلاء والفتون والكيد اليه ومعاني هذا الكلم من معاني صفتي المشيئة والعلم ولها[2] من التقديس والتنزيه والتعالي عن التمثيل والتشبيه ما لها .

ولنقدم ها هنا مقدمة وهي ان الباري تعالى خلق الانسان وجعله مشتملًا على صفات الكمال والنقصان[3] وكلها ناقصة بالاضافة اليه سبحانه[4] ثم هيأه لمعرفته ومعرفة صفاته[5] واسمايه بما ركب فيه من العقل الذي به يدرك العلوم النظرية وارشده الى النظر في الآيات والاعتبار بالمصنوعات فلما نظر فيها ظهر له من العجايب والغرايب ما اضطره الى الاعتراف بصانع مبدع وخالق مخترع متصف بحياة وعلم وقدرة وارادة حسبما شاهد نفسه اذا فعل فعلًا محكمًا متقنًا . ثم نظر ايضًا الى نفسه فرأى فيها صفات كمالية من سمع وبصر وكلام فاضطره[6] شهود الالوهية[7] الى ان وصف خالقه ومبدعه بها . ثم لما رأى تفاوتًا عظيمًا بين الحادث والقديم والمخلوق والخالق اضطره ذلك الى اعتقاد التنزيه ونفي التشبيه فادرك حينئذ من تنزيه باريه تعالى وصفاته ما يليق بادراكه فحصل من ذلك على مرتبة عليا وغاية قصوى فيما يعتقد ويرى فهذه كيفية النظر والاعتبار والاستدلال على المؤثر بالاثر[8]

---

١) إ خ ف ر : لما ‖ ٢) ر س : ولها ‖ ٣) ف ق ر س : كمال ونقصان ‖ ٤) ف ق ر س : — سبحانه ‖ ٥) ر : صفته ‖ ٦) إ : اضطره ‖ ٧) ف ق ر س : الأولوية ‖ ٨) ف ر س : الآثار ‖

وهو منهج سابل لكل عامي عاقل كاف في الوصول الى اصل المعرفة الموجبة لحصول النجاة ونيل الدرجات الا انه معرض لقبول التشكيك في الاعتقاد خال عن انشراح الصدر وثلج الفؤاد .

ثم اختص الحق تعالى بعض عباده بان ألاح لهم من نوره ما لم يحتاجوا معه الى تأمل دليل وسلكوا به من معرفته اوضح سبيل فشاهدوا من عجائب الصفات ومعاني اسامي[1] الذات ما لم يشاهده[2] الاولون وادركوا من جمال الحضرة الربوبية والانوار القدسية ما عجز عن ادراكه المستدلون وقالوا لهم : كيف تستدلون عليه بما هو مفتقر في وجوده اليه متى غاب حتى يحتاج الى دليل عليه ومتى فقد حتى تكون الاثار هي التي توصل اليه ايكون لغيره من الظهور ما ليس له حتى يكون هو المظهر له كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف ام كيف يعرفنا بشيء من سبق وجوده كل شيء ام كيف يتوسل اليه بمتوسل بعيد وهو اقرب من حبل الوريد « او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد »[3] . ومع ذلك فلم يحصلوا من معرفته الا على الاسماء ولم يصلوا بما قالوا من توحيده وتنزيهه الى غاية الحمد والثناء فشاهدوا وجود ما سواه عدما وثبوت غيره نفيا وشهوده زورا وادراكه غرورا وذكره نسيانا وزيادته نقصانا ورأوا بيقين العيان وواضح البرهان صدق قول من قال : كان الله ولا شيء معه وهو الان على ما عليه كان .

فلما وصلوا الى هذا المقام حصلوا في قبضة الملك العلام فحررهم من رق الآثار وافناهم عن الاغيار وطهر منهم الاسرار وتجلى لهم الحق سبحانه بمحاسن الصفات والاسماء واطلعهم من علمه على ما شاء فقاموا على قدم العبودية بين يدي مولاهم ووقفوا موقف المراقبة لمن يعلم سرهم ونجواهم وصفوا في مصاف الخدمة مع الصافين المسبحين وفازوا بافضل منازل العابدين[4] وانشدوا بلسان حالهم ومقالهم :

كَانَتْ لِقَلْبِي أَهْوَاءٌ مُفَرَّقَةٌ : (الابيات) . فهنيئاً لهم ماذا خصوا به من منازل الاحباب وماذا سبق لهم في ام الكتاب من حسن المآب .

---

١) ر : – اسامي ‖ ٢) ر : يشاهد ‖ ٣) قرآن : ٥٣:٤١ ‖ ٤) ف د س : العارفين ‖

فبان بهذا تباين الطريقتين وفرقان مـا بين المذهبين اذ عمدة الاول نظر العقل الى وجـه الدليل ولا يدرك الا بنوع من القياس والتمثيل وهو معلول عند ذوي التحصيل : ومعتمد الثاني نور اليقين ولا يتراءى به الا الحق المبين وهو اعز ما نزل في قلوب خواص المومنين من السماء وبـه تدرك حقيقة[1] الصفات والاسماء .

فاذا فهمت هذه المقدمة فاعلم ان اعتراض من اعترض عـلى الشيخ ابي طالب من الوجه الذي ذكرتموه عنه ساقط على مذهب الخاصة لان هذه المسألة مبنية عليه وراجعة اليه وهو على غير قياس العقول وعـلى غير ترتيب المعقول . نعم وهو ايضاً ساقط على مذهب اكثر[2] العامة لان[3] كلامه في هذه المسألة غير خارج عن طور العقل .

اما قوله : «ولا نهاية لمكر الله لان مشيئته واحكامه لا غاية لها» فانه باب من تنزيه علم الحق تعالى وكلامه ومشيئته واحكامه عن الادراك والاحاطة ولاجل ذلك ما خاف النبي[4] وجبريل عليهما السلام من مكر ربهما عز وجل مع ظهور التأمين فهو خوف لازم لا يتصور الانفكاك عنه لانه من مقتضيات الايمان والعلم بحقائق الصفات ومعاني اسامي الذات . فمن كان حظه منها اوفر كان خوفه اكثر وقد قال بعض العارفين[5] : من عرف الله تعالى لم يسكن اليه لانه[6] ضرب من الامن ولا يأمن مكر[7] الله[8] الا القوم الخاسرون وقـال غيره[9] : خف ربك خوفاً تامن بـه من كل شيء. واحذر قلبك ان يامن من الله تعـالى في شيء . فلا معنى للخوف من شيء ولا الامن من الله تعالى في شيء.[9ب]

فلا جرم لم يكن ليزيل خوفهما ظاهر قوله : «قد امنتكما» لان ظاهر القول لا يقضي على باطن الوصف الموجب للخوف اذ قد يكون الاطلاقة عـلى

---

١) ف س ر : حقايق || ٢) ف ق ر س : – اكثر || ٣) ف ق ر س + اكثر || ٤) س : + صلعم || ٥) ف ق ر س : العلماء || ٦) س : لان في السكون اليه ضربا من الأمن : ط : الأصل كذا وما فيه «لانه ضرب» من سبق القلم || ٧) ف مكره || ٨) ف : – الله || ٩) ط : هو سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه || ٩ ب) إ : – فلا معنى . . . شيء ||

وصف مخصوص قد انفرد الحق تعالى بعلمه حسبما ذكره الشيخ ابو طالب. وهذا باب من تنزيه الكلام لا يسع انكاره اذ لا تمتنع[1] في العقل ان يرد عن الحق تعالى كلام لا تحيط به الافهام. وتكون فايدة ذلك في مسئلتنا اختبارهما وابتلاؤهما لينظر حالها في مراعاة حقوق الصفات في تقلب الحالات على ما جرت به سنته مع خواصه[2] كقصة ابراهيم عليه السلام. وكل ذلك غير مستحيل في العقل فكيف يتوهم فيه الخلف. ثم فيه من اظهار الافتقار الى ربها[3] عز وجل ما لا خفاء به وهو مقام رفيع اقام الحق فيه نبيّه عليه السلام في اغلب احواله وهو اتم من اظهار الغنى به لان الفقر اليق بالعبودية من الغنى لانه من اوصاف الربوبية على حسب ما ذكره ائمة الصوفية. فلا يبعد على هذا ان يعلم الجبيان عليهما السلام بما كشف[4] لها في تلك الحالة من صفة الاستغناء ومشاهدة الجلال والكبرياء ان مراد الحق تعالى منهما في ذلك الوقت اظهار الافتقار واستشعار الذلة والانكسار فلذلك ظهر عليهما من الحال والمقال ما ظهر.

وقوله: «ولان الحق تعالى لا يدخل تحت الاحكام ولا يلزمه ما حكم[5] به على الانام» باب اخر من تنزيه الذات عن لوازم المحدثات لان له الفاعلية المطلقة والفوقية التامة فلا يدخل تحت حكم لانه الحاكم فكيف يكون محكوماً لحكم[6] او داخلاً تحت رسم ولا يختبر صدقه بقول ولا فعل لانه المصدق لكل ذي صدق والمحقق لكل ذي حق فكلامه كله صدق وحق حقيقة ولفظا لا لفظا فقط وان خفي علينا معناه وغاب عنا فحواه وهذا واجب في حقه تعالى. وبهذا يدفع[7] الاعتراض على قول الشيخ ابي طالب ولا يجوز ان يوصف بضد الصدق انه لم يمنع الا وصفه باللفظ بمجرده.

وقوله: «ان بدل الكلام هو تبديل منه» الى آخره كلام صحيح بديع في معنى التوحيد خارج عن طور العقل فلا يلزمه عليه تجويز نسخ الاخبار كما توهمه بعضهم.

واما الحديث المذكور فلا علم لي بصحته ولا من خرجه من اهل الحديث وانما اورده على مذهبه من ان الحديث المشهور اذا لم ينافه كتاب ولا سنة

١) ف ق ر س: يمتنع ‖ ٢) ق: خاصته ‖ ٣) س: ربه ‖ ٤) ف ر س: كوشف ‖ ٥) س: بحكم؛ خ: حكم ‖ ٦) س: بحكم ‖ ٧) ر س: يندفع ‖

تقوم به الحجة ويجب القول به والعمل وان كان في سنده مقال وكذلك المقطوع والمرسل . وقد ذكر في ذلك عن احمد بن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهما غير شيء في كتاب العلم .

على انه لا حاجة بنا الى تعرف[1] ذلك لوضوح المعنى فيه وانتفاء الاشكال عنه حسبما قررناه والعجب ممن ينكر هذا الحديث لعدم فهمه له واعتقاده[2] ثبوت الاستحالة فيه ومعناه كالمقطوع به فان تامين الحق تعالى لها لا استرابة فيه ويكفي في ذلك سمو رتبتها وعلو درجتها وارتفاع منزلتها الى غير غاية ونهاية .

وخوفها من مكره معلوم ايضاً بقضية العقل فلم يبق الا صورة الكلام من السؤال والجواب والامر في ذلك قريب . فكل ما يجاب به عن هذا الالزام فهو جوابنا عن[3] الحديث وقد ادخل الغزالي في هذه المسئلة بعد ذكر هذا الحديث والكلام عليه حديث دعاء النبي عليه السلام[4] ربه يوم بدر وقوله « ان تهلك هذه العصابة لا تعبد » مع تقدم الوعد له من ربه عز وجل بنصره وظهوره ومعنى هذا الحديث في الصحيح والكلام عليه كالكلام على الاول الا ان معنى الافتقار فيه اظهر .

واما قصة موسى عليه السلام وخوفه بعد التأمين فهي من جنس ما تقدم من تنزيه علم الحق تعالى وكلامه ومشيئته واحكامه واظهار الافتقار الى ربه وعلو مقامه وهو معنى قول الشيخ ابي طالب : « فلم يامن موسى » الى قوله « لمعرفة موسى بخفي مكره وباطن وصفه » .

وقوله : « ولعله انه لم يعطه الحكم » معناه انفراد الحق تعالى باسم الحكم[5] اذ الحكم نوع قهر وهو القاهر فلو لزمه حكم او احتج به عليه كان محكوماً فيكون مقهوراً ويتعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً .

ولا يلزم في الخطاب الثاني ما لزم في الاول على حسب ما توهمتموه لاحتمال اشتمال الثاني على سر من اسرار الحق تعالى اوجب طمأنينة موسى عليه السلام

---

١) س خ : استلام ‖ ٢) ر : واعتقاد ‖ ٣) ف : + هذا ‖ ٤) ر س : صلعم ‖ ٥) س : – معناه ... الحكم ‖

وسكونه وانتفاء خوفه وامنه اكراماً له ولطفاً به وانفاذاً لما شاء من احكامه .

وقد نبه عليه الشيخ ابو طالب بقوله : « فاطمأن الى القايل ولم يسكن الى الاظهار الاول » الا ترى كيف اورده الحق تعالى على ابلغ وجوه الايراد في قصد معنى التأمين من كونه جملة خبرية مصدرة بحرف التأكيد مع تأكيد الاسم ودخول الالف واللام على الخبر على صيغة افعل[1] بعد وقوع السبب والقيام بحق الخطاب الاول . فهذا فرقان ما بينهما من حيث[2] الظاهر .

واما قصة عيسى عليه السلام ففيها من تنزيه العلم والكلام وحسن الادب في ذلك المقام ما تكل عن وصفه الالسنة والاقلام وتقرير ذلك موكول الى اربابه[3] نفع الله بهم .

فلنقتصر على هذا القدر من الكلام في هذه المسئلة ولنستغفر الله عز وجل مما وقع منه فانه لا يفهم حقيقة ذلك — الا من حظي بذوق من مقام الخاصة الذي ذكرناه قبل هذا وانا منه في غاية الافلاس .

وما ذكرتموه عن الخطيب ابي بكر من اخباره بمخالفة[4] ابي طالب لمذاهب الناس في الصفات بعد ثنايه عليه فشيء مجمل[5] لا بيان فيه لكيفية المخالفة . فان اراد به مخالفة تؤدي الى بدعة على ما فهمه المعترض كخلاف من خالف في ثبوت الصفات او قدمها او عموم[6] تعلقها او[7] تنزيهها فحاشاه من ذلك ولا شيء من كلام ابي طالب يدل عليه وكيف يصح ذلك مع[8] ثنايه عليه اذ يكون اذ ذاك تقبيح حاله وذمه اولى به من مدحه والثناء عليه . وان اراد به مخالفة لا تؤدي الى بدعة كالمخالفة المالوفة بين[9] اهل الظاهر والباطن فذلك جايز ولا حجة فيه للمعترض .

فالمراد منكم ان تقفوا على هذا الموضع من كتاب[10] الخطيب وتنقلوه بلفظه مستوفى وتبعثوا به الي لانظر فيه .

وقد سرنا اخذكم في هذه العلوم وبحثكم فيها على حال غربة وعدم قابلية

---

١) س خ : مصوغاً بصيغة افعل ‖ ٢) ق : حديث ‖ ٣) ق : اوصافه ‖ ٤) ف ق ر س : + مذهب ‖ ٥) إ : مجهول ‖ ٦) س : عدم ؛ خ : عموم ‖ ٧) ر : و ‖ ٨) ر : بعد ‖ ٩) إ : من ‖ ١٠) إ : كلام ‖

بالنسبة الى الزمان والمكان والاخوان فاثبتوا على ذلك وداوموا عليه تحمدوا عاقبته .

واوصيكم بوصية[1] لا يعرف قدرها الا من عقل وجرب ولا يستهين بها الا من غفل فحجب . وهي ان تأخذوا في هـذا العلم مع من هو متصف باحدى ثلاث صفات : كبر او بدعة او تقليد . اما الكبر فانه وبال يمنع من فهم الآيات والعبر . واما البدعة فهي ضلال يوقع في البليات الكبر . واما التقليد فانه عقال يعقل عن درك الظفر وبلوغ الوطر . ومن[2] اتصف بواحدة منها فقد ادركه سوء القضاء وبلي بجهد البلاء فكيف بمن اجتمعت فيه . ثم لا يومن[3] من سريانها فيكم وانسداد[4] الفهم في هذا العلم بسببها عليكم فيقع الفساد من وجه الصلاح وتنغلق عليكم ابواب الرشاد والفلاح . وما[5] يزخرفه احد هؤلاء من كلام[6] او ينتحله من حال او مقام فحاصله سفسطة وزور وتلبيس وغرور وفتنة للقايل والقابل وسبب الى استمالة كل غمر جاهل وكل ذلك باطل في باطل وهذا من ادل دليل على افضلية هذا العلم اذ لا يفتح بابه الا لعبد تقي نقي ولا يرفع حجابه الا لقلب منيب زكي بخلاف غيره من العلوم . ولا تجعلوا لاحد من اهل علم الظاهر حجة على احد من اهل هذا العلم فان فيه عكس الحقيقة وسوء الادب وفساد الطريقة والافضاء الى العطب لكونهم شاهدوا ما غاب عن غيرهم وتحققوا بحقائق عجز عنها سواهم فهم كما قال القايل :

لَيْلِيَ مِنْ وَجْهِكَ شَمْسُ الضُّحَى وَإِنَّمَا السُّدْفَةُ فِي الجَوِّ
وَالنَّاسُ فِي الظُّلْمَةِ مِنْ لَيْلِهِمِ وَنَحْنُ مِنْ وَجْهِكَ فِي الضَّوِّ

وقال الشبلي : ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة . واذا وقعت لكم مسئلة لا تقبلها عقولكم فقابلوها بالتسليم وترك الاعتراض فما قريب ينكشف لكم من امرها ما تطمئن به قلوبكم وتنشرح له صدوركم . وعليكم بحسن النية وصدق الارادة في هذا العلم فانه علم شريف به يهتدي العبد الى معرفة ربه عز وجل ومشاهدة آلايه وبه يتوصل الى نيل سعادة لقايه مع خاصته

١) س : وصيته ‖ ٢) ر : فمن ‖ ٣) س خ : لا آمن ‖ ٤) إ ق ف ر : انسداد ‖ ٥) إ ف ق ر : ما ‖ ٦) س : — من كلام ‖

واحبابه وقد قال الجنيد[١] : لو علمت ان لله تعالى علما تحت اديم السما. اشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع اصحابنا واخواننا لسعيت اليه ولقصدته . وملاك ذلك كله صدق اللجا والافتقار ودوام التضرع والانكسار في حضرة الملك الجبار . فبذلك تنشرح الصدور وتتفتح مغاليق الامور فلا حول ولا قوة الا بالله[٢] .

فمن قبل هذه الوصية بقبولها وعمل بمضمونها ومحصولها فقد سعد في الدارين وفاز بقوة العين والا فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار فلا يعدل العاقل بالسلامة شيئاً فنسأل[٣] ربنا عز وجل ان ينور بصايرنا ويطهر سرايرنا ويلحقنا بحزبه المفلحين ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين بمنه وكرمه .

وصلى الله اولًا وآخرًا على سيدنا محمد[٤] وآله وسلم[٥] تسليما[٦] .

[الرسالة الثانية]

كتاب تضمن مداواة علل وذنوب[٧] وعيوب اتصف بها رجل من ارباب القلوب

اما بعد فقد وصلني كتابكم وتعرفت منه ما اخبرتم به من احوالكم واعلم يا اخي ان ذلك كله ليس بغريب ولا مستنكر في ذلكم الموضع في مثل هذا الوقت فان الطالب لاصلاح قلبه فيهما لا يكاد يجد مسلكاً يسلكه الى ذلك الا وقد ترصد له عدوه المسلط عليه ليقطعه عليه وقد اعد لذلك جنوداً من شياطينه الانسية فضلًا عن الجنية ونصب شباكاً واشراكاً من فتن الدنيا وغرورها وامانيها وسترها بلطائف الحيل والترويرات عن ابصار الناظرين اليها فاذا تعثر المريد ببعضها على غير علم ولا بصيرة انتهز اللعين الفرصة وارسل عليه جنوده وبث شياطينه فزخرفوا له انواعاً من الغرور والتمويهات فيعمى بها بصر قلبه ويصده ذلك عن سبيل ربه فيبقيه[٨] حايرًا ولا يهتدي سبيلًا ولا يجد

١) ق : + رحمة الله تعالى || ٢) ف ر : به || ٣) س : فلنسأل || ٤) ف ق : + وعلى || ٥) ف : — وسلم تسليما || ٦) ف ر س : — تسليما || ٧) إ : ذنوب || ٨) ر س : فيبقى ||

دليلًا . فكيف يستقيم صلاح القلب مع هـذا الا بتأييد من الرب عز وجل وعناية سابقة منه .

وقد كنت كتبت لكم قبل هذا كتابا تكلمت فيه على المسايل التي كنتم رسمتموها اذ كنتم ها هنا وذكرت فيها فصولًا نافعة للمريد في سلوكه وآدابا يقوم بها في جميع حالاته بذلت فيها جهدي . وذكرت فيها لباب ما عندي وما لم يشك احد له عقل في صحته ولا يرتاب في كونه شفاء لكل عليل من علته وبعثت به اليكم فلما وصل هذا الكتاب منكم واخبرتم فيه بما اخبرتم ساء الظن في وصوله اليكم اذ لم يقع لي بذلك منكم كتاب ولا اخبرني به مخبر وبتقدير وصوله هل وقع منكم موقع القبول وبتقدير وقوعه كذلك هل بقيتم على[1] ذلك ولم تتغيروا عنه بقول قايل او عذل عاذل[2] . فان كان بعض ذلك فها انا اذكر لكم في جواب كتابكم نبذا مقنعة بتوفيق ربنا عز وجل تأدية لحق سؤالكم ورجاء المنفعة لكم ومنكم .

فنقول : جملة ما ذكرتموه يرجع الى ثلاثـة معان : المعنى الاول انكم متصفون بذنوب وعيوب . والثاني عجزكم عن ازالة ما وقع وعن الاحتراز مما[3] لم يقع . والثالث : تحيركم بسبب ذلك وتشوش خاطركم من قبله . وكأنّ هاذين المعنيين راجعان[4] الى المعنى الاول لان العجز عن الازالة وعن الاحتراز عيب والتحير بسبب ذلك لفقد علم اليقين لا محالة عيب فرجع حاصل الامر الى انكم متصفون بعيوب .

ثم ان هذه العيوب التي اخبرتم بها تصريحا او تلويحا ينبغي لكم ان تنظروا فيها بعين البصيرة ولا تأخذوا الامر جزافا فانكم تسرفون في ذلك ويزول الامر بكم الى جهالات وسوء ادب وتتوهمون ما ليس بعيب عيبا وترون ما هو عين الدواء داء . ومعرفة العبد باحكام احواله من الخيرية والشرية وشرية الخيرين وخيرية الشرين من اعظم المعارف وادقها وهي التي كسدت اسواقها في هذه الازمنة وانما الموجود الان عند من يوسم عند الناس بمعرفتها والوصول الى حقايقها امور وهمية وعلوم رسمية ليست من الحقيقة في شيء . فلا تريد المريد الا

---

١) إ : — على ‖ ٢) إ : عدل عادل ‖ ٣) ق : مما ‖ ٤) ق : راجعين ‖

تحييرا ولا الناظر فيها الا تشويشا وتكديرا وما ذلك الا لعدم اهل التحقيق الدالين على محجة الطريق فعلى فقد مثل[١] هؤلاء ينبغي ان يبكي ويتأسف وعلى خلو الزمان عنهم ينبغي ان ينشد ما قاله بعض السلف :

يا حَسْرَتَا[٢] مِنْ فِرَاقِ قَوْمٍ هُمُ المَصَابِيحُ والحُصُونُ
والمُزْنُ والمُدْنُ وَالرَّوَاسِي وَالخَفْضُ[٣] وَالأَمْنُ وَالسُّكُونُ
لَمْ تَتَغَيَّرْ لَنَا اللَّيَالِي حَتَّى تَوَفَّتْهُمُ[٤] المَنُونُ
فَكُلُّ جَمْرٍ لنا قُلُوبٌ وَكُلُّ مَاءٍ لَنَا عُيُونُ

وللنظر الى العيوب التي ذكرتموها اعتباران : احدهما من حيث اختراعها وخلقها صفة لكم والثاني من حيث نسبتها اليكم شرعاً . وهذان الاعتباران هما المعنى بقول بعضهم : ارادها منه ولم يردها له . فبالاعتبار الاول لا حمد فيها ولا ذم بحسب من قامت به . والباري سبحانه[٥] وتعالى هو المحمود عليها بكل حال ويجب عليكم الرضى بقضايه والتسليم لحكمته ومشيته فتستجلون بذلك راحة انفسكم وتتفرغون[٦] للنظر فيما يجب عليكم .

وبالاعتبار الثاني هي مذمومة ويجب عليكم التوبة منها والحزن والندم عليها فان وفيتم بذلك حزتم اجرًا جزيلًا فيما تكابدونه من ذلك وفزتم برضى مولاكم عنكم اذ[٧] فعلتم ما امركم به . فلا معنى للكرب فيما يعتريكم في ذلك من النصب والتعب اذا حصل لكم ما حصل . وان لم توفوا بذلك بل غلب عليكم طبعكم واستولت عليكم شهوتكم فالبدار البدار الى الالتجا الى ربكم بصدق الافتقار ولزوم بابه بالخضوع والانكسار والوقوف بين يديه موقف الاضطرار . وما اقرب هذه الحالة منكم حسبما ذكرتموه في تمثيلكم بغريق الموج واكيل[٨] الدابة والاسير المعذب والمشرف على الهلاك . فاذا قمتم بذلك فابشروا فقد حزتم رتبة يا لها من رتبة لا يعرف قدرها الا الاحاد من الاولياء . وصاحب هذه الحالة جدير بان يسعف بطلبته ويجاب الى مقصوده

---

١) ف ق ز س : امثال ‖ ٢) ف ر س : حسرتي ‖ ٣) ر : والحفظ ‖ ٤) ر : توفتهم ‖ ٥) ف ق ر س : – سبحانه و ‖ ٦) ف ق ر س : + بذلك ‖ ٧) س : اذا ‖ ٨) إ : واكليل ‖

وبغيته لصدق الوعد باجابة[1] المضطر وربنا عز وجل لا يخلف الميعاد . حتى ان بعض العلماء من هذه الطايفة ذهب الى انه لا ينبغي لصاحب هذه الحالة ان يسأل من احد ان يدعو له وقال : الاجابة انما هي مضمونة في دعائه لا في دعاء غيره . وقد حكي ان امرأة جاءت الى الجنيد فقالت ادع لي فان ابناً لي ضاع فقال لها اذهبي واصبري فمضت ثم عادت وقالت مثل ذلك وفعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول اصبري. فقالت عيل صبري ولم يبق[2] لي طاقة فادع لي . فقال الجنيد ان كنتِ[3] كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك فمضت ثم عادت تشكر الله[4] . فقيل للجنيد بم عرفت ذلك فقال لقوله تعالى «أمن يجيب المضطر اذا دعاه»[5] . وعلامة المضطر اياسه من نفسه وتبرؤه من حوله وقوته وان لا يرى عند فجأة الامر الملم به كاشفا ولا دافعا الا الله[6] مولاه . كما قال بعض العارفين : معبودك اول خاطر يخطر لك عند المهمات . وقال بعض العارفين في معنى قول الله تعالى «امن يجيب المضطر اذا دعاه» فقال: المضطر الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع اليه يديه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئاً فيقول هب لي مولاي بلا شيء . فهذا هو المضطر مع ما تنالون في هذه الحالة من مزية القرب وخاصية الحب . فلا معنى لحيرتكم وانتم متمكنون من هذا .

وان لم تظهر لكم اجابة ولا اعتقدتم توبة ولا انابة مع بقائكم على الحال المذكورة من لزوم الباب وقطع الاسباب فانتم في ذلك بين خلتين : اما ان تجزعوا وتضطربوا او تصبروا وتحتسبوا . اما الجزع والاضطراب فلا وجه له ها هنا لانكم حصلتم في الامان ووصلتم الى حقيقة الايمان فلا يخشى عليكم ان تعموا في مثل هذا التنافي الحالين فلم يبق الا الصبر والاحتساب وفي هذه الحال[7] يكون ترك الاجابة اجابة وقد قال ابن عطاء الله[8] : « اذا فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء » وقال ايضاً : « متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره . فهو في كل ذلك متعرف اليك

١) ف ق س : + دعوة || ٢) ف ق ر س: تبق || ٣) ف ر س: كان || ٤) ف ر س : له || ٥) قرآن : ٢٧ : ٦٣ || ٦) ف ق ر س : – الله || ٧) س : الحالة || ٨) ف ق ر س : – الله ||

ومقبل بوجود لطفه عليك » . ثم لكم في هذه الحالة مشاهدات ومنازلات تستريحون[١] اليها وتجدون المزيد بها وتكون ان شاء الله سببا في حصول غرضكم والبرء من مرضكم اذ تشاهدون ربكم تعالى وجل بصفة الكبرياء والاستعلاء وما هو عليه من كمال الاستيلاء والاستغناء. وتشاهدون انفسكم ايضاً محلّا لنفوذ قدره وقضائه وظهور آثار صفاته واسمائه فان دمتم على تكرار[٢] هذا بقلوبكم وصار لكم ذلك شغلًا شاغلًا عن كثير من اموركم تجدد عليكم ان شاء الله تعالى[٣] منازلات[٤] احوال سنية ومقامات علية كالمحبة والرضى والمعرفة والخوف. ثم لا شك في ان هذه صفات كمالية ومواهب ربانية يستدل بها من اظهرت عليه واقيم فيها على انه مراد مقرب مكرم محبب وتكون هذه المشاهدة تقتضي منازلة احوال ومقامات اخر كمقام الصبر والشكر والرجاء والحياء والتوبة وقد يكون هذا كله في لحظة فتنجبرون من حيث انكسرتم وتقبلون الى من[٥] منه فررتم . وفي الصحيح من حديث ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » . وقال ابراهيم بن ادهم : طفت ذات ليلة بالبيت وكانت ليلة مظلمة ذات مطر ورعد فخلا الطواف فلما انتهيت الى الباب قلت اللهم اعصمني حتى لا اعصيك ابدًا . قال: فسمعت قايلًا يقول من جوف البيت يا ابراهيم انت تسألني العصمة وكل عبادي يسألني[٦] العصمة فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل والى من[٧] اغفر .

فان لم تصدقوا في التجايكم وافتقاركم وبقيتم في عماكم واغتراركم الا انكم كارهون لاحوالكم التي انتم عليها شديد حرصكم على ان تجدوا سبيلًا الى الانتقال عنها ماقتون لانفسكم متأسفون على تفريطكم وتضييعكم فلكم ها هنا معاملات قلبية وبدنية فلتسلكوا طريق ربكم عليها ولا يمنعكم من ذلك ما انتم عليه من المرض . وقد[٨] قال بعض الكبار[٩] : سيروا الى الله عرجا ومكاسير .

---

١) ف س: تستروحون ؛ س خ: تستريحون ؛ ر: تسترحون ‖ ٢) ف ق ر س : تذكار ‖ ٣) س : + بسبب ذلك ‖ ٤) ف ق ر : منازلة ‖ ٥) ا : ما ‖ ٦) ف س: يسألوني ؛ ق: يطلبون ‖ ٧) ف ق و س: ولمن ‖ ٨) س: فقد ‖ ٩) س: الاكابر ‖

واقرب طريق لكم[1] اليه ان تحافظوا على مقام الشكر وتوفوه حقه والتمسوا الزيادة من قبله وذلك بان تستحضروا في قلوبكم عظمة ربكم وكبرياءه وما هو عليه من صفات الكمال والتعالي وتستشعروا خسة انفسكم ومهانتها وحقارة قدرها وما هي عليه من سمات الدناءة والنقص وتنظروا الى ما انعم به عليكم من نعمة كاينة ما كانت فاذا وفيتم النظر في ذلك حقه عرفتم حينئذ قدر نعمته عليكم فقمتم بشكرها . ومعرفتكم بقدر النعمة هو شكرها وهو مفتاح كل خير وسبب المزيد في كل[2] فلاح وبر . قال ربنا عز وجل : « لئن شكرتم لازيدنكم »[3] . وقال تعالى : « فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون »[4] . فلا شيء انفع للعبد عند مولاه من ذلك لانه الصراط المستقيم الذي قعد الشيطان به ليصرف عنه سالكيه ويصدهم عنه كما قال تعالى اخبارا عنه : لاقعدن لهم صراطك المستقيم الى قوله : ولا تجد اكثرهم شاكرين[4ب] . وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر الا تزدروا نعمة الله عليكم » . ولا شك انكم تعلمون من نعم ربكم عليكم في دينكم ودنياكم ما لا تقدرون على احصائه . ومن جملتها بل من اعظمها كراهتكم لما انتم عليه من الاحوال المذكورة وذلك من نتائج الايمان لقوله صلى الله عليه وسلم : « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » . وكم من شخص مبتلى باكثر من ذلك ثم لا يجد في قلبه كراهية بل استلذاذا لذلك وفرحا به .

وقد كنتم في ابتداء امركم فيما اظن كذلك[5] على هذه الحالة السيئة فرحمكم ربكم وانعم عليكم بان ابدلها لكم بما تحمدون عاقبته وتجدون منفعته ان شاء الله تعالى من غير حول منكم ولا قوة . فلتفرحوا بفضل ربكم عليكم فيستفرقكم[6] ذلك ويشغلكم[7] عن كثير مما انتم عليه وتستوجبون بذلك رضوان ربكم عليكم[8] . وقد اوحى الله عز وجل الى بعض انبيائه : ادرك[9] لطف الفطنة وخفي اللطف فاني احب ذلك فقال : يا

---

١) ف ق ر س: اليكم ‖ ٢) ق : + حال ‖ ٣) قرآن : ١٤: ٧ ‖ ٤) قرآن : ٧: ٦٧ ‖ ٤ ب) قرآن: ٧: ١٦–١٧ ‖ ٥) ف ق ر س: – كذلك ‖ ٦) ا: فيسترككم؛ س : فليسترقكم ‖ ٧) س: فليشغلكم ‖ ٨) ف ق ر س: عنكم ‖ ٩) ف ق س: + لي ‖

رب وما لطف الفطنة وما خفي اللطف قال : لطف الفطنة هو ان وقعت عليك دابة فاعلم اني أنا[١] اوقعتها عليك فسلني[٢] رفعها عنك . واما خفي اللطف فهو ان وردت عليك فولة مسوسة فاعلم اني ذكرتك بها فاشكرني عليها .
فلتتخذوا تلك الحالة المحمودة التي انعم بها ربكم عليكم عبرة وتشتغلوا بتربيتها[٣] بالشكر عليها لربكم والاستزادة منها وتمتدوا ما انتم عليه من الجزع والهلع والانقباض والضيق نعما سابغة وحكما بالغة وتحتسبوا ثوابها عند ربكم عز وجل . وقد حكي عن بعض المشايخ انه رأى شابا بعد الموسم دخل مكة منقطعا منكسرا محزونا كما يكون المنقطعون فقال له ذلك الشيخ : انا حججت كذا وكذا مرة فهب لي هذه الحسرة التي انت فيها وأهب لك تلك الحجات كلها . ولتحققوا من ذلك انه صرف عنكم بسببها آفات مهلكة وصفات موبقة مثل الكبر والعجب وانواع من الغرور وكذلك كل ما يعرض عليكم[٤] مما يزعج نفوسكم ويؤلم قلوبكم من امثال هذا.

ورؤيتكم انكم اشرفتم على الهلاك هو عين سلامتكم وغنيمتكم عند العارفين المحققين اذ لو لم تروا ذلك كان مرضاً يجب عليكم علاجه . وقد قال رجل لحذيفة رضي الله عنه : اني اخاف ان اكون منافقا فقال : لو كنت منافقا ما خفت النفاق . واهم ما على المريد مراعاة هذه الخصلة وحرصه على على ان تكون[٥] فيه فبذلك يزكو عمله وينجح سعيه ويكون ذلك دليلا على صحة مقصده وصدق ارادته . فكم من شخص متعبد مجهد عامل بظواهر الطاعات مجتنبا لظواهر السيئات وهو مع ذلك معجب مغتر متكبر فهو بجده[٦] وكده سالك سبيل طرده وبعده . وكم من شخص ترك الدنيا ورفضها ورد نفسه الى قدر يسير منها وفاسق من الفساق المنتهكين[٧] اعلى منزلة منه عند ربه لان من اشهد البعد في القرب فهو ملطوف به في وجود الخوف فيرقى بذلك درجات عليا ، ومن اشهد القرب في البعد فهو ممكور به في وجود الامن فيتردى بذلك الى دركات سفلى . وقد قال ابن عطاء : «ربما فتح لك[٨] باب الطاعة وما فتح

١) أ : — انا ‖ ٢) ر س : فتسألني ؛ خ : فسألني ‖ ٣) ر : بترتيبها ‖ ٤) ف ق ر س : لكم ‖ ٥) إ : يكون ‖ ٦) ر : بجده ‖ ٧) ف ق ر س : المتهتكين ‖ ٨) ف ق : عليك ‖

لك باب القبول وقضى عليك بالذنب فكان سبب الوصول » . وهو المعنى بقول بعضهم : رب ذنب ادخل صاحبه الجنة فان[1] انضاف الى ذلك تغطكم بخفايا[2] عيوبكم وما سترته النفس من هواها عليكم فذلك اعظم نعمة ومثل هذا مما يغتنمه الاكياس على ألسنة اعدائهم فكيف في مثل هذه الحالة.

وقولكم : ان في ذلك تكثيرا للحجة عليّ . فالحجة لربكم عليكم في كل حال سواء عرفتم ذلك او لم تعرفوه وحبذا قيام الحجة للمولى على عبده فان رزقتم انابة واقلاعا عن بعض ذلك فنعمة جزيلة سواء كان في ذلك تعويض بما فيه حظ لكم او لم يكن لان المعوض المنتقل اليه لا يكون ابدا الا اخف وادنى من المنتقل عنه في هذا الحال .

فلتغتنموا ما بينهما من التفاوت ولعل ذلك يكون تدريجا للاقلاع التام . فاذا عرفتم سر هذا لم تكترثوا بشدة ولم تبالوا بكربة بل عددتموها نعما كما ذكرناه .

فان قلت : عدم الاكتراث بها وعدها نعما مما يخفف وقعها على القلب فيؤدي ذلك الى نقض ما اصلتم من ان كل ما نقص النفس وازعج القلب فهو افضل فقد ادى الى ترك الافضل بما ذكرتموه . ويؤدي ايضا الى استحقار المعاصي والذنوب لفتور الخوف والحزن .

فالجواب عن الاول ان هذا التخفيف ها هنا محمود وهو ارجح مما ذكرته لما في وجوده من النفع ولما في عدمه من الضرر المتوقع . اما المنفعة في وجوده فلانه عامل في استخراج خفايا اللطف ودقائق النعم واستشعاره سابغ[3] الفضل والكرم فيرق بذلك الى مقامات اهل اليقين وكل من ادى الى مثل هذا فلا يوازيه في الفضيلة شيء البتة . واما الضرر في عدمه فهو ان صاحبه اذا دام على ما هو به وشغل به قلبه وعقله استضر[4] بذلك من احد وجهين : احدهما اداؤه له الى اليأس والقنوط وهما من اكبر الكبائر والثاني[5] اداؤه له الى استيلاء الوسوسة عليه وقد يختل عقله بسببها . وحفظ العقل[6] وصونه عن عروض الوسوسة واجب لانه[7] عمدته في طريقه التي هو سالكها وما كان ولي قط

١) ق : فاذا || ٢) ر س: لخفايا || ٣) ف: سابق || ٤) ر: استحضر || ٥) إ: — اداؤه . . . والثاني || ٦) ر : بالعقل || ٧) ر : لأن ||

ناقص العقل • وبمعنى ما ذكرناه يضمحل الخيال الثاني وهو انه يودي الى استحقار المعاصي والذنوب فان هذه الحالة تسرع به الى الاقلاع والتوبة ابلغ مما يسرع به الخوف والحزن عما ذكرناه مجردين[1] لانه يصحبه فيها مشاهدات تؤديه الى مقامات تقلعه عن هواه في اسرع وقت وذلك كثل الحياء من ربه عز وجل لان الحياء صفة في العبد تتولد بين معرفته بقدر مولاه وعلو شأنه وعظيم سلطانه ومعرفته بخسة نفسه ومهانتها ونقصها وتقصيرها في طاعة مولاها . ولا شك ان استعظام المعصية من اجل حيايه من ربه اعلى واكبر من استعظامها من قبل خوفه منه لانه في حال خوفه ناظر الى نفسه وفوات حظها بالوقوع في المعصية وفي حال حيايه ناظر الى ربه باجلال وتعظيم محترزًا من ان يراه مرتكبا ما يكرهه منه . وقد قيل : كثير من يترك المعصية حذرا من عقوبته وقليل من يتركها[2] حياء من اطلاعه ورؤيته . وهذا هو وصف المراد وما ذكروه صفة المريد وبينهما عند العارفين بون بعيد .

وما ذكرناه ايضاً ادخل في وصف العبودية لانه في مقام مشاهدة الربوبية متأدباً بين يدي ربه عز وجل قاصرا نظره عليه والمتصف بالعبودية مكفي مقضي الحوائج بدليل قوله تعالى . « اليس الله بكاف عبده »[3] . فمن الله كافية فهو لا محالة شافيه ومعافيه . على ان ما توهمه السائل من فتور الخوف لا يصح لان الخوف في هذا الموطن انما نشأ من معرفة العبد بنفسه وخدعها وشرورها ومن عرف نفسه حق المعرفة رأى انها اعدى العدو له لان دواعيها كلها مصروفة الى اقتحام ما يسخط مولاه عليه ويوجب له غضبه وعقابه وقد تخدعه فتوقعه في الشر من حيث الخير ولا يشعر بذلك وقد تعده بالنصرة فتخلفه وتخذله احوج ما يكون اليها وتحرص على هلاكه وخسارته[4] فاي[5] عدو اعدى له منها وقد اخبرنا بذلك ربنا عز وجل بابلغ وجوه الاخبار واشدها تأكيدًا فقال تعالى : « ان النفس لامارة بالسوء »[6] . فصفاتها المرذولة لا يتصور ان ينفك عنها بشر الا برحمة من الله تعالى وعنايته[7] . كما قال تعالى في الاستثناء : « الا

---

١) ف ق رس: مجردين عما ذكرناه ‖ ٢) ز : يرتكبها ‖ ٣) قرآن : ٣٩:٣٧ ‖
٤) فدس: وخسارته ‖ ٥) إ: واي ‖ ٦) قرآن: ١٢: ٥٣ ‖ ٧) فدس: وعناية ‖

ما رحم ربي»[1] . فكيف يتوهم فتور الخوف مع هذا كله فلا وجه اذا لما ذكره السائل بل ربما زاد وتضاعف بسبب تزيد المعرفة الحقيقية بالنفس لان ذلك من اعظم نعم الله تعالى على[2] عبده وكثير من الناس قد فقد هذا ففقد ثمرته التي ذكرناها فتكون النعمة سبباً في وجود النعمة من غير نسبة شيء من ذلك الى عمل العبد . وينضاف اليه ما ذكرناه فتتضاعف الخيرات وتزيد وقد قال العارفون : ان مقامات اليقين لا يزيل بعضها بعضاً بل يزيدها تاكيدا ورسوخا.

وهاتان الصفتان الجليلتان اعني الحياء والخوف اذا تحققتا في العبد حصل منها ميراث شريف وهو ان يقذف الحق سبحانه[3] في قلبه نورا ويكون من ادنى فوايده ان يتفطن العبد به[4] لدقائق عيوبه وخفايا آفاته. ويكون له معينا وناصرا على الطاعة لمولاه عز وجل كما قال ابن عطاء : «النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فاذا اراد الله[5] ان ينصر عبده امده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار» . وذلك بان يتراءى له كأنه رقيب حاضر موكل به اعني النور المذكور فمهما[6] هم بفعل من الافعال فان كان طاعة سارع اليها بنشاط وبصيرة وحسن احتساب وان كان معصية لم يجد من نفسه اقتحاما عليها لانها مقهورة ماسورة فيتركها طيبة نفسه بذلك وان وقع فيها بعادة جارية او شهوة غالبة[7] لم يجد لنالها لذة ولا خفة بل يستثقلها ويكرهها ويتنغص بها . ومن فوائده ايضاً معرفته بقدر نفسه فتنتفي عنه اخلاق المتكبرين والمتجبرين فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين عباده فيتصف بالتواضع والذلة والخضوع والخشوع والانقياد للحق والشفقة وكف الاذى واحتماله والنصيحة للمسلمين ومحبة الخير لهم وادخال المسرات عليهم وحسن الادب بين يدي مولاه عز وجل بان يستعظم من ربه كل نعمة ينيله اياها ويستقل من نفسه كل عمل يعمله له فلا يعجب به ولا يُدِل[8] من حيث نظره الى نفسه ولا يرى لنفسه وسيلة الا فضل الله واحسانه ولا شفيعا الا كرمه وامتنانه ويكون سؤال المغفرة له[9] والعفو عنه اعلى طلبه كما قيل : العارف لا تسمو همته الا الى طلب المغفرة . وقال تعالى

١) قرآن : ١٢ : ٥٣ || ٢) ر : — عليه || ٣) ف ق ر س : تعالى || ٤) ا : — به || ٥) س : + تعالى || ٦) ف س: فمهما || ٧) ف : خفية || ٨) ا ر : يذل || ٩) ا ر ق : — له ||

اخبارا عمن رضي عنهم :« وكأين من نبي قُتِل[1] معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله[2] يحب الصابرين[3] . ثم قال[4] : « وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا »[5] . ويحكى عن ابن المبارك انه خرج يوما على اصحابه فقال: تجاسرت البارحة على الله تعالى فسألته الجنة . الى غير ذلك من محاسن احوالهم وسني خصالهم نفعنا ربنا بمحبتهم .

فاذا كنتم متمسكين من هذه الخيرات كما ذكرته لكم فلِمَ تهملونها[6] وتمهلون في حرمان انفسكم منها وتقطعون زمانكم النفيس في مضادة قضاء ربكم وكراهية مراده منكم حتى يؤل الامر الى ما ذكرتم وقد قال ابن عطاء :« ما ترك من الجهل شيئاً من اراد ان يحدث في الوقت غير ما اظهره الله فيه » .

وليكن لكم[7] مع ذلك ورد من الذكر يتضمن التبري من الحول والقوة وكيفية من الاستغفار تمحوا عنكم اثار الكدورات[8] التي تحللت في[9] بواطنكم واكثار مما نادى به نبي الله يونس عليه السلام ربه في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين[10] لقوله تعالى « فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المومنين »[11] . قال بعض العلماء : كل من قال من المومنين اذا اصابه هم او استقبله مهم مثل ما قال ذو النون نجاه الله[12] كما نجى ذا النون لقوله :« وكذلك ننجي المومنين » . هذا كله نظر فيما كان من احوالكم ذنبا[13] ومعصية .

واما العيوب التي اشرتم اليها من عدم سكون النفس عند الابتلاء وجزعها من توقع الشدايد والمولمات واضطرابها وعدم صبرها فذلك من العيوب المطبوع عليها الآدمي والمركوزة في جبلته وليس ذلك بمذموم مطلقا بل ربما كان محمودا

١) [كذا] ‖ ٢) ق : – يحب الصابرين ‖ ٣) قرآن : ٣ : ١٤٠ ‖ ٤) ف ق : تعالى ‖ ٥) قرآن : ٣ : ١٤١ ‖ ٦) إ : تهملوها ‖ ٧) إ : منكم ‖ ٨) ف ق : الكوارث ؛ ف ط : قبل الواو مبتورة في نسخة الشيخ ‖ ٩) ف ق س : – في ‖ ١٠) قرآن : ٢١ : ٨٧ ‖ ١١) قرآن : ٢١ : ٨٨ ‖ ١٢) ف ق س : – الله ‖ ١٣) ف ق : ذنب ‖

في بعض الاحوال لان العبد يشاهد في ذلك ضعفه وعجزه وذله وفقره وفاقته . وقد قال ابن عطاء : « خير اوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد الى وجود ذلتك». وقال ايضاً :«ورود الفاقات اعياد المريدين» وربما وجدوا من المزيد في الفاقات ما لا يجدونه في الصوم والصلاة . وقد يبتلي الحق تعالى بذلك بعض الخواص . يحكى عن ابي عثمان الحيري انه كان عند ابي حفص استاذه فمد يده الى زبيبة فاخذ ابو حفص على حلقه واسترده[1] منه فلما سكن ابو حفص قال له ابو عثمان يا استاذ انا اعلم انه ليس للدنيا عندك خطر فكيف ضايقتني[2] في زبيبة فقال ابو حفص : من ذا يثق بقلب لا يملكه صاحبه . وقال بعضهم : كنت مع الخواص في سفر فنزلنا تحت شجرة فجاء اسد فربض بقربنا ففزعت فزعا شديدا وعلوت الشجرة فقعدت على غصن الى الصباح من خوف الاسد ونام الخواص ولم يحفل به فلما كان الليلة الثانية نزلنا في مسجد فنام الخواص فوقع على وجهه بقة فضج فقلت : ان في هذا لعجبا . لم تحتشم البارحة من الاسد وجزعت الليلة من البقة . فقال ان البارحة كنت ماخوذا عني والليلة انا مردود علي فلهذا جزعت. وقال سهل بن عبدالله رضي الله عنه : ان الله تعالى يلقي على الخصوص الفاقة ويحوجهم الى الخلق بالطمع فيهم ويلقي في قلوب الخلق المنع لهم يحرمهم ما في ايديهم ليردهم اليه فاذا رجعوا اليه آيسين متقادين رزقهم من حيث لا يحتسبون. ويحكى ان رجلا راى بعض العارفين ممن كان يشير الى التوحيد وقطع الاسباب والاستغناء بالله تعالى عن غيره على باب نصراني يسأله شيئاً وقد بلغت به الفاقة والحاجة كل مبلغ فقال له في ذلك فانشأ يقول :

إِذَا كُنَّا بِهِ تُهْنَا دَلَالًا ... عَلَى كُلِّ الْمَوَالِي وَالعَبِيدِ
وَلَكِنَّا إِذَا عُدْنَا إِلَيْنَا ... يُمَطِّلُ ذِلُّنَا ذِلَّ الْيَهُودِ

واما المذموم من ذلك استتباع النفس للقلب وغلبتها عليه بطبعها لاجل ضعف اليقين فيرجع حاصله الى ما تقدم في قسم الذنوب .

فلتشتغلوا بالمعاملات المتقدمة وليكن لكم عند نزول شيء من ذلك

---

١) س : واستردها ؛ ف ط : قبل « واسترده » في نسخة الشيخ بالتذكير ||
٢) س ط : عن « خانقتي » ||

والمامه بكم وغلبته عليكم تحقق بصفات العبودية وابتهال وتضرع الى ربكم عز وجل بالدعاء والنداء. فلتنادوه[١] من بساط الفقر : يا غني من للفقير غيرك . ومن بساط الضعف : يا قوي من للضعيف غيرك . ومن بساط العجز : يا قادر من للعاجز غيرك . ومن بساط الذل : يا عزيز من للذليل غيرك . فقد قال بعض العارفين : من لازم ذلك كانت الاجابة طوع يده[٢] . وقال ابن عطاء : « تحقق باوصافك يمدك باوصافه[٣] . تحقق بضعفك يمدك بقوته » .

وعليكم بتقوية اليقين واستعينوا على ذلك بان تواضبوا على النظر في علوم الصوفية وتجعلوا ذلك آكد اشغالكم ولا تقدموا على ذلك الا فرضا واجبا ولا تلتفتوا الى من يصدكم عنها او يقدح لكم فيها حالا او مقالا او[٤] تصريحا او تلويحا . فقبيح بالعاقل اللبيب ان يدخل في امر ولا ينصره فضلا عن ان يصرفه عنه صارف كما[٥] ذكرناه .

وقد كنت ذكرت لكم في الكتاب المتقدم ذكره ما يقرأ من كتب القوم وان المقدم[٦] عليها من كل وجه هو كتاب الشيخ ابي طالب . فليكن حرصكم على تحصيل هذا الكتاب والنظر فيه كمثل[٧] حرصكم على تحصيل ما يزيل عللكم ويبرئ مرضكم فهو هو لو عقلتم فهو قوت القلوب والموصل الى كل غرض مطلوب وخذوا فيما يعز لكم من اموركم وتضيق بسببه[٨] صدوركم مع شخص موقن صحيح الحال ولا اعلم من اخذ بحظ وافر من هذين الوصفين في هذا الزمان الا سيدي سليمان[٩] بارك الله له فخذوا عنه ما ينفعكم في مواجيد قلوبكم ويحفظ به عليكم حالكم مع ربكم .

وليكن لكم كيفية من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقد رأيت بعض العارفين اشار الى ان لها تأثيرا في تقوية اليقين . فلتكثروا من ذلك .

١) ف ق س : فتنادوه || ٢) [انظر شرح الحكم ج ٢ ص ١٤] || ٣) ف ق ر س : + تحقق بذلك يمدك بعزه . تحقق بعجزك يمدك بقدرته || ٤) ف ر س : او || ٥) ف ر س : مما || ٦) ف ق س : المتقدم || ٧) ر : كمثال || ٨) ق : به || ٩) إ ط : هو اليازغي رحمه الله ؛ ف ط : « هو اليازغي رحمه الله » . كذا بخط سيدي يحيى السراج في طرة الأصل الذي عليه خط المؤلف . وسيدي سليمان هذا هو الذي كان ومة العيون وهو غير سيدي سليمان بن عمر رضي الله عنهم اجمعين ||

فهذا ما رأيناه لايقا بكم في ازالة عللكم وبرء مرضكم ان عملتم به[١] وإن[٢] لم تعملوا[٣] به ولم تتداركم جذبة من جذبات الرحمن توقفكم على الغرض المطلوب من غير سبب ظاهر وعمرتم الف سنة في تحصيل مـا رغبتم مجتهدين في الوصول الى ما طلبتم لا اظن انكم تصلون الى ذلك ابدًا بل لم تزيدوا بذلك الا بعدًا. فاذا استوفيتم جميع هذه المعاملات واستراحت قلوبكم من المشوشات فقد تعرضتم بذلك لمهاب الرحمات .

ثم عليكم ان تستديموا هذه المعاملات في باقي عمركم . . وجميع ما ذكرناه في هذه النبذة نبهناكم فيه على منهج قريب في السلوك يفضي الى الغرض المقصود بتوفيق ربنا عز وجل . امـا كونه قريباً فلانه سبيل روحاني لا عمل للجوارح فيه الا بحسب التبع ولا مشقة فيه على النفس[٤] فتضيق منه . فكان قريباً من هذا الوجه . واما افضاؤه الى المقصود قطعا فلانه محض تعلق بالله عز وجـل ونظر اليه وعكوف بالهمّ عليه على سبيل الدوام وفي هذا من قرة العين ما لا يقدر قدره وهذا هو ابتداء الوصول الذي يشير اليه الصوفية . فاذا استمر عليه تحقق به . وقد قال سهل بن عبد الله : العبد لا بد له من مولاه على كل حال واحسن حاله ان يرجع اليه في كل شيء . اذا عصى يقول : يا رب استر عليّ . فاذا افرغ من المعصية قال[٥] : يا رب تب عليّ . فاذا تاب قال : يا رب ارزقني العصمة . فاذا عمل قال : يا رب تقبل مني . وقال بعض العارفين في معنى قوله صلى الله عليه وسلم « يسّروا ولا تعسّروا » قال : معناه دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره فانّ من دلك على الدنيا فقد غرك[٦] ومن دلك على الاعمال فقـد اتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك .

ولا يصح[٧] سلوك هذا الطريق الا لمن كان له قلب حي بالايمان وعلامة ذلك ان يكون يقظانا متنبها متأثرا[٨] بالطوارق والعوارض الواردة عليه من جهة الدين قبضا وبسطا . اما من مات قلبه حتى لا يتأثر بشيء من ذلك ويكون غريقاً في شهواته قرير العين بسيء حالاته فحرام عليه ان ينظر في هذا كله لانه

١) إ : علمتم ‖ ٢) ف ر س : فـان ‖ ٣) إ : تعلموا ‖ ٤) ر : النفوس ‖ ٥) ف : يقول ‖ ٦) ر س : غشك ؛ س خ : غرّك ‖ ٧) ف ق : يصلح ‖ ٨) ف : — متأثرا ‖

لا يزيده معرفة ذلك كله[1] الا شرا ولا النظر فيه الاضلالا وخسرا[2] فليجتنبه اجتنابه للسم القاتل بل يشتغل بما ورد في الكتاب والسنة واقاويل العلماء من التحذير عن ارتكاب المعاصي ويستحضر في عقله ما ورد في ذلك من الاحكام والعقوبات في الدارين فلا دواء له الا ذلك .

ولولا ما رايتكم بخلاف هذا الوصف المذموم ما وسعني ان اكتب من ذلك حرفا . فاعتمدوا على ذلك واعملوا به فهو سبب مبلغ ان شاء الله[3] ربنا[4] عز وجل : « والله غالب على امره ؛ ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده »[5] . واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه .

[الرسالة الثالثة]

كتاب يتضمن بيان التقليد والبدعة وما اشتملا عليه من القبائح[6] والمفاسد

أُعلم عليكم واعرفكم بوصول كتابكم الينا تعلمون فيه بوصول جوابنا اليكم وانه وقع منكم موقعا اقتضاه حسن ظنكم وسلامة اعتقادكم وطلبتم منا فيه بيان التقليد والبدعة اللذين اشرت اليهما في الجواب المذكور وان اكتب اليكم نبذا في ذلك .

فاعلم ان هذين المعنيين قد ورد الشرع بذمهما وعيب المتصف بهما .

اما التقليد فهو نوع من انواع البدع التي يأتي ذكرها وهي[7] عبارة عن اتباع الغير من غير دليل ولا حجة كمن يقلد شخصا لعظم محله عنده او[8] امة من الناس لكثرتهم او قدم[9] زمانهم . وقد عاب الحق تعالى ذلك على طوايف من الكفرة في آي كثيرة من القرآن فقال تعالى : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »[10] — اشاروا بذلك الى عظيمي القريتين الوليد بن المغيرة بمكة ومسعود بن عمر بالطايف واستبعدوا نبوة العظيم القدر حقا واتخذوه

١) ف ر س : — كله ‖ ٢) ق : وخسرانا ‖ ٣) ق ر : — الله ‖ ٤) س : — ربنا ‖ ٥) قرآن : ١٢ : ٢١ ؛ ٣ : ١٥٤ ‖ ٦) س : المقابح ‖ ٧) ف ق س : وهو ‖ ٨) ف : و ‖ ٩) س : لقدم ‖ ١٠) قرآن : ٤٣ : ٣٠ ‖

هزوا لكونه يتيم ابي طالب كما قال تعالى : « واذا رآك الـذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا »[1] . ولما اقترح كفار قريش على نبينا عليه السلام الايات حين دعاهم الى دين الحق طلبوا منه ان يحيي لهم قصي بن كلاب عظيما من عظمائهم فيسألونه عما جاء به النبي عليه السلام ويقلدونه ويرجعون اليـه . ولما حضرت ابا طالب الوفاة وعنده نفر من قريش فيهم ابو جهل جاءه النبي عليه[2] السلام فدعاه الى التوحيد فقال له اوليك النفر: يا ابا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فعاد له النبي صلى الله عليه وسلم بالنصيحة وعاذوا[3] له بمقالتهم فكان آخر ما تكلم به ان قال هو على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الآية : « انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء »[4] (الآية) وهذا كله تقليد بمجرد التعظيم . وقال تعالى مخبرا عنهم : « انا وجدنا آباءنا على امة »[5] . لانهم كانوا يعظمون اباءهم وربما حلفوا بهم . وقال تعالى مخبرا عن قوم صالح عليه السلام: « ابشرا منا واحدا نتبعه »[6] . فانكروا اتباعهم لواحد . ودليل ذلك انه لو بعث اليهم عدد منهم لاحتمل اتباعهم لهم . وهذا تقليد بمجرد الكثرة وقـال تعالى مخبرا عن فرعون وقوم نوح عليه[7] السلام : « ما سمعنـا بهذا في آبائنا الاولين »[8] . فتقتضي ذلك انه لو بلغهم عن اسلافهم ومتقدمي آبائهم ايمان بنبوة نبيهم لقلدوهم في ذلك واتبعوهم عليه . وهذا تقليد بمجرد قدم الزمان. ولم يعذر الحق تعالى سفلة الكفار في تقليدهم لرؤسائهم واضلال رؤسائهم لهم بل جمعهم معهم في الضلال وجعلهم مشتركين في العـذاب والنكال . وقد شبههم الحق تعالى لفرط جهالتهم وشدة غباوتهم بالحمر والانعام وحكم بافلاسهم عن ثمرات العقول والافهام .

واعلم ان هذه الصفة الذميمة قد استطار في هذا الزمان شررهـا وعم ضررها فترى المتفقه الغبي اذا قرع سمعـه شيء من علوم التحقيق او علم من اعلام اهل التصديق يلوي خده ويقطب وجهه ويقول لفرط غباوتـه « لو كان هذا حقا لنص عليه فلان ولتداولته القرون والازمان . وترى المتصرف الجاهل

---

١) قرآن : ٢١ : ٣٧ ‖ ٢) ف ق : + الصلاة ‖ ٣) ف خ : وعاودوا ‖
٤) قرآن : ٢٨:٥٦ ؛ ف ق ر س : – ولكن الله يهدي من يشاء ‖ ٥) قرآن : ٤٣ : ٢٢ ‖ ٦) قرآن : ٥٤:٢٤ ‖ ٧) س : عليهما ‖ ٨) قرآن ٢٨:٣٦ ‖

اذا ذكر عنده مسئلة من مسايل الاحكام ومعالم الحلال والحرام يتنكر لجليسه وينفر بتزويره وتلبيسه ويقول لشدة جهالته : هـذه ظواهر ورسوم ومخاطبات للعموم وقد كان سيدي فلان لا يقرأ ولا يكتب ولا ينتسب الى مذهب . وترى الفاجر الفاجر من ذوي الكباير والاصرار يقتدي بهفوات القدماء وزلات العلماء. ويعتقد ذلك دينا متينا وحقا مبينا . وقد ينتهي الجهل باقوام الى ان لا يروا لاحد فضلا على من قلدوه من ايمتهم ويستحقرون بذل مهجهم[1] في محاماتهم ونصرتهم . وامثال هولاء كثير ولا حاجة الى تكثير الامثلة . والمقصود ان تعلم ان مجالسة امثال[2] هولاء تبلد القلوب وتبعد[3] عن الغرض المطلوب ولذلك وقع تحذيرنا اياكم فيه فيما تقدم .

واعلم ان كل مسئلة مطلوب[4] فيها اصابة ما في نفس الامر وله مندوحة عن التقليد فيها بان ينظر الى[5] وجه الدليل المنصوب عليها اما على[6] جهة الوجوب كمسايل الاعتقادات او على غير جهة الوجوب كغيرها من المسايل . فالتقليد في ذلك مذموم سواء اتفقت اصابته ام[7] لم تتفق . فلا يدخل في هذا تقليد العامة للمجتهدين في المسائل الفقهية الفرعية لان المطلوب فيها اصابة ما غلب على ظن المجتهد ولا سبيل للعامي الى هذا الا بالتقليد . ولا يدخل فيه ايضا تقليد من يحتاج الى فن من فنون العلم لاربابه وان كان المطلوب فيه اصابة ما في نفس الامر اذ لا مندوحة له عن التقليد فيه كعلم التفسير والحديث والتاريخ والنحو واللغة والطب الى غير ذلك . فالتقليد[8] في نفسه مذموم لا ينبغي الاعتماد عليه الا عند الضرورة . الا ترى ان الابله البالغ في البله يسعه من التقليد في اعتقاداته ما لا يسع غيره اذا وفق للصواب . والله عز وجل اعلم .

واما البدعة فقد ورد في ذمها ايات كثيرة واخبار . قال الله عز وجل : «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء»[9] . قال اهل التفسير : هم اهل الاهواء والبدع . وقال تعالى : «وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم»[10] اي عالمين بضلالتهم فيما احدثوا من التفرق والاختلاف طلبا

---

١) ق : مهجتهم ‖ ٢) إ : — امثال ‖ ٣) ف ق س : وتباعد ‖ ٤) ر : المطلوب ‖ ٥) ف ر س : في ‖ ٦) إ : من ‖ ٧) ر : او ‖ ٨) س : وحاصل الأمران التقليد ‖ ٩) قرآن : ٦ : ١٦٠ ‖ ١٠) قرآن : ٤٢ : ١٣ ‖

للبغي . وقال تعالى : « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا[١] — يعني حسنه وزينته . الى غير ذلك من الآيات[٢] . وحيث ما ما ورد في القرآن ذم اتباع الهوى واعتقاد الباطل والنهي عنها فالاشارة فيه الى ما ذكرناه . وقال النبي[٣] صلى الله عليه وسلم : من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو ردّ . وقال عليه الصلاة والسلام : لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به . وقال عليه السلام : شر الامور محدثاتها . وكل بدعة ضلالة. وقال النبي[٤] عليه السلام: ان بَني اسرائيل افترقت[٥] على اثنتين[٦] وسبعين ملة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار الا ملة واحدة — قالوا : وما[٧] هي يا رسول الله — قال : ما انا عليه واصحابي . وفي رواية : ثنتان وسبعون[٨] في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وانه سيخرج في امتي اقوام تجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله . وقال رجل لابن عباس اوصني فقال له : اتبع ولا تبتدع . وقال ابن مسعود : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم . وقال ايضاً : من كان مستنا فليستن بمن قد مات اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطرايقهم فهم كانوا على الهدى المستقيم . وقال شريح : ان السنة قد سبقت قياسكم فاتبع ولا تبتدع فانك لن تضل ما اخذت بالاثر . وقال الشعبي : انما الرأي بمنزلة الميتة ان احتجت اليها اكلتها . وسأل رجل مالكا عن مسئلة فقال له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال الرجل ارأيت فقال مالك فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم . وقال سفيان الثوري : البدعة احب الى ابليس من المعصية . المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها . والاخبار والاثار في هذا المعنى كثيرة . والبدعة عبارة عما احدث على خلاف الحق المتلقى[٩] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم او عمل

١) قرآن : ٦ : ١١٢ || ٢) إ : الآيات || ٣) ر : عليه الصلاة والسلام || ٤) س : صلعم || ٥) ف ق س : تفرقت || ٦) إ : اثنين || ٧) ف ق د س : من || ٨) إ : وسبعين || ٩) ق : المتقى ||

او حال بنوع شبهة او استحسان وجل ذلك دينا قويما وصراطا مستقيما وتعديد اصنافها يطول ولكنا نذكر هنا نبذة يستغني بها عن[1] تطويل[2] الكلام فيما لا فائدة فيه فنقول :

ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الى جميع الانام وهاديا لهم الى دار السلام وكانوا اذ ذاك في جاهلية جهلاء وضلالة ظلماء مشتتة[3] آراؤهم[4] مفترقة[5] اهواؤهم لم تامرهم احلامهم الفاخرة الا باهمال النظر في مسالك العبر ولم تهدهم ألبابهم الوافرة الا الى عبادة حجر وشمس وقمر . فمنّ الله تعالى عليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم وازكاهم وانفسهم. حلّاه باكمل الصفات واحسن الاخلاق ووفاه من مواهبه ومنحه نفايس الاعلاق . فلا جرم كان في ذاته وصفاته آية باهرة وحجة قاهرة فخمدت نيران الضلالات[6] بطلوع انواره وامّحت رسوم الجهالات[7] بظهور اثاره وزال الاختلاف وحصل الايتلاف وتواخى المومنون في الدين وتصافوا في طاعة رب العالمين وباعوا انفسهم لمالكها ومستحقها وقنعوا من الدنيا ببلغها وعلقها واستبشروا ببايعة الجليل وقالوا : ربحنا[8] البيع لا نقيل ولا نستقيل . واعتدوا صحبة[9] رسوله صلى الله عليه وسلم انفس الذخاير واقوى الاعتاد وفدوه من محبتهم له بمهج النفوس وقطع الاكباد وآثروه بالسبد واللبد وهجروا في مرضاته الاهل والولد وبايعوه على الموت الاحمر وحازوا بمدحة :«ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله»[10]. كل شرف باذخ ومفخر — الى غير ذلك من محاسن افعالهم واحوالهم .

وجميع ما ذكرناه شهدت به نصوص الكتاب ونقله الينا الثقات من اولي الالباب . وحاصل ذلك انهم اتفقوا على اقامة العبودية لربهم وكانوا يدا واحدة في اعلاء كلمة الله تعالى بنصرهم وذبهم اذ لم يجمعهم الله تعالى على شريعة واحدة الا ليألف بعضهم بعضاً به وفيه، فيكونوا كشخص واحد كما قال تعالى : «انما المومنون اخوة»[11] . وقال : «والمومنات والمومنون بعضهم

---

١) إ : عن ‖ ٢) إ : طول ‖ ٣) ف ر س : متشتتة ‖ ٤) ر : اباوهم ‖ ٥) ف ق س : متفرقة ‖ ٦) ف : الضلالة ‖ ٧) س : الجهالات ‖ ٨) ف ق ر س : ربح ‖ ٩) ر : بصحبة ‖ ١٠) قرآن : ٤٨ : ١٠ ‖ ١١) قرآن : ٤٩ : ١٠ ‖

اوليا. بعض »[١] . ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بلزوم الجماعة ونهى عن خلع اليد عن الطاعة فقال في الحديث الصحيح : من رأى من اميره شيئاً يكرهه فليصبر فانه ليس احد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية. وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل في آخره : وانا آمركم بخمس أمرني ربي بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله وانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا ان يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم . واراد بقوله خلع ربقة الاسلام من عنقه اي فارق عقد الاسلام بترك السنة واتباع البدعة . وقال الشعبي : خرج ناس من اهل الكوفة الى الجبانة يتعبدون واتخذوا مسجدا وبنوا بنيانا فاتاهم ابن مسعود فقالوا : مرحبا بك يا ابا عبد الرحمن لقد سررتنا ان تزورنا قال[٢] : ما اتيتكم زايرا ولست بالذي اترك حتى يهدم[٣] مسجد الجبان انكم لاهدى من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ارايتم لو ان الناس صنعوا كما صنعتم من كان يجاهد العدو ومن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ومن كان يقيم الحدود ارجعوا وتعلموا[٤] ممن هو اعلم منكم وعلموا من انتم اعلم منه . قال واسترجع فما برح حتى قلع ابنيتهم وردهم .

فلما قبض الله تعالى نبيه[٥] عليه السلام الى رضوانه وبوّأه مبوّأ انعامه واحسانه خلفه في امته الخلفاء الراشدون الموفقون المسددون فجروا في ذلك على سنته وناضلوا عن دينه وسنته واستضاءوا بانواره الباهرة وآياته الزاهرة فبقي الحال على نحو ما كان عليه مدة بقايهم الى ان استأثر الله تعالى بهم . فلما ان[٦] انقضت دولة الاحسان والعدل وذهب القرن الموصوف بالخير والفضل خبت[٧] انوار اليقين بعد ظهورها وانتشارها وانتعشت صفات النفوس الامارة لاستعلايها واستكبارها وحدثت الاهواء والبدع وانصدع من شمل الدين ما انصدع ووقع الاختلاف والفرقة وتباينت مذاهب كل طايفة وفرقة واشتغلوا بالتبديع والتجهيل ودانوا بالتكفير والتضليل وحادوا عن سواء السبيل فتقاطعوا وتدابروا وتباغضوا وتنافروا وتحاسدوا وتناكروا حتى آلت بهم[٨] هذه الفضائح

١) قرآن : ٩ : ٧٢ ‖ ٢) ق : فقال ‖ ٣) إ : يهدم ‖ ٤) ف ق ر س : فتعلموا ‖ ٥) س : صلعم ‖ ٦) س : — ان ‖ ٧) إ : خفت ‖ ٨) إ ف : بينهم ‖

الى هتك الحرمات واراقة الدماء. وقادتهم هذه القبائح الى ابداء العورات بالقاء جلابيب الحياء. فباعوا دينهم بعوض[١] يسير وتعرضوا لمساخط من اليه المصير[٢]. ثم انتهى الامر الينا على هذا القياس ونفذ القدر علينا[٣] بتجرع هذا الكاس. «فانا لله وانا اليه راجعون»[٤]. وقد روي عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال: انا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت[٥] اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي امنة لامتي فاذا ذهبتْ اتى امتي ما يوعدون او كما قال صلى الله عليه وسلم[٦]. وهذه ازمنة الفتن التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام وامر فيها بالانفراد والاعتزال عن الانام.

ونحن ذاكرون ها هنا شيئا من احاديث الفتن ذات البلايا والمحن تبركا بالاحاديث النبوية وتذكرة بالمعجزة الباهرة في وقوع ما انذر به من الامور الغيبية. فقد قال رسول الله[٧] صلى الله عليه وسلم: كيف بكم وبزمان يغربل فيه الناس غربلة ثم تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم واماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا — وشبك بين اصابعه — قالوا كيف بنا يا رسول الله، قال: تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون وتقبلون على امر خاصتكم وتذرون امر عامتكم — وقال صلى الله عليه وسلم في حديث عبدالله بن مسعود: كيف انتم اذا لبستكم فتنة فتتخذ سنة يوافيها الصغير ويهرم فيها الكبير واذا ترك منها شيء. قالوا تركت سنة — قالوا: ومتى ذلك يا رسول الله قال[٨]: اذا كثر قراؤكم وقل علماؤكم وكثر امراؤكم[٩] وقل امناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الله. قال عبدالله بن مسعود: فاصبحنا فيها. وقال صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى «عليكم انفسكم»[١٠]: ايتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى اذا رايتم شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك ودع العوام فان من ورايكم ايام الصبر الصبر فيها مثل قبض على الجمر للعامل فيها[١١] اجر خمسين رجلا يعملون

١) ف س: يعرض ‖ ٢) ر: — فباعوا ... المصير ‖ ٣) س خ. الينا ‖ ٤) قرآن: ٢:١٥١ ‖ ٥) إ: اتى امتى ما يوعدون ‖ ٦) [كذا] ‖ ٧) إ: — رسول الله ‖ ٨) ق: قالوا ‖ ٩) اموالكم ‖ ١٠) قرآن: ٥:١٠٤ ‖ ١١) س خ: ايام الصبر فيها ‖

مثل عمله – قيل : يا رسول الله اجر خمسين منهم قال : اجر خمسين منكم – وقال صلى الله عليه وسلم : بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا ويمسي مومنا[1] ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا . قال الحسن : معنى هذا يصبح محرما لدم اخيه وماله وعرضه فيمسي مستحلا لذلك . وقال صلى الله عليه وسلم[2] : انكم في زمان من ترك فيه[3] عشر ما امر به هلك ثم يأتي زمان من عمل فيه بعشر ما امر به نجا وان من ورايكم ايام الصبر الصبر فيه كالقبض على الجمر وان العبادة في الهرج كهجرة الي . وقال ابن عدي : دخلنا على انس بن مالك فشكونا اليه ما نلقي من الحجاج فقال ما من عام الا الذي بعده اشر منه حتى تلقوا ربكم . سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي حديث حذيفة : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت احدهما وانا انتظر الاخر . حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ونزل القرآن فقرؤا من القرآن وعملوا من السنة ثم حدثنا عن رفعها قال ترفع الامانة فينام الرجل ثم يستيقظ وقد رفعت الامانة من قلبه ويبقى اثرها كالكوكب[4] او كالمجل كجمر دحرجته على رجلك فهو يرى ان فيه شيئاً وليس فيه شيء وترفع الامانة حتى يقال ان في بني فلان امينا[5] وان كان في بني فلان رجلا امينا.. ولقد رأيتني حينا وما ابالي ايكم ابايع لين كان مسلما ليردنه علي اسلامه ولين كان معاهدا ليردنه علي ساعيه . فامّا اليوم فاني لم اكن لابايع منكم الا فلانا وفلانا . وفي بعض روايات هذا الحديث : ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل اثر[6] الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى اثرها مثل اثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد احد يودي الامانة ويقال للرجل ما اعقله وما اظرفه وما اجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من الايمان[7] . وفي حديث ايضاً : كان الناس

---

١) إ : كافرا ‖ ٢) إ : – وسلم ‖ ٣) إ ف ر س : – فيه ‖ ٤) إ خ : كالوكد ف : كالوكت ؛ ط : في المنتسخ منه « كالكوكب » ولا اخاله إلا سهوًا فان التي في الحديث كما في الاصل هنا ؛ س خ : كالوكت ‖ ٥) إ : أمين ‖ ٦) إ : – اثر ‖ ٧) س : ايمان ‖

يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان يدركني . فقلت يا رسول الله : انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم — قلت هل بعد ذلك[1] الشر من خير قال نعم وفيه دخن — قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم[2] وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على ابواب جهنم من اجابهم اليها قذفوه فيها — قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت فما[3] تامرني ان ادركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فان لم تكن لهم جماعة ولا امام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك . وعن اسامة بن زيد : اشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على اطم من آطام المدينة فقال هل ترون ما ارى قالوا لا قال فاني ارى الفتن تقع في[4] خلال بيوتكم كوقع القطر . وقال صلى الله عليه وسلم : انها ستكون فتن الاثم تكون فتن[5] النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي . من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ او معاذ فليعذ به . وقال صلى الله عليه وسلم : يوشك ان يكون خير مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن — فانظر هذا مع ما قدمناه عن ابن مسعود مع اولئك النفر المعتزلين يظهر لك التفاوت بين الازمنة . وقد قال ابن مسعود في زمانه : ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر . والموت اليوم تحفة لكل مسلم . واحاديث الفتن اكثر من هذا .

وقد روى في بعض الاخبار : يأتي على الناس زمان يختلون دينهم فلا يعرفونه يصبح الرجل على دين ويمسي على دين يظل من امره على غير يقين تسلب عقول اكثر اهل ذلك الزمان فاول ما يرفع منهم الخشوع ثم الامانة ثم الورع . وقيل لابن المبارك : ايظهر بعد المايتين عدل فقال تذاكرنا ذلك عند حماد بن سلمة فغضب وقال : ان استطعت ان تموت بعد المايتين فمت فانه يحدث

١) س : هذا ‖ ٢) ق : منكم ‖ ٣) ر : فما ‖ ٤) ر س : — في ‖ ٥) س : انها ستكون فتن النائم ؛ خ : فتن الاثم تكون فتن النائم ‖

في ذلك الزمان امراء فجرة ووزراء ظلمة وامناء خونة وقراء فسقة حديثهم في ما بينهم التلاوم يسمون عند الله الانتان .

فاذا كان هذا في زمانهم فما ظنك بزماننا هذا . فحق على العاقل اللبيب في هذا الزمان الغريب ان ينصح لنفسه ويفر عن ابناء جنسه ويرتاد فيه قرين صدق وخدين حق سالك[1] مسلك السلف الصالح تارك[2] لما خالف المنهج الواضح فيقتص اثره ويتبع سيره فان الله تعالى لم يخل زمانا من الازمنة عن قايم بالدين حجة على الملحدين ينعش الله تعالى بهم حقوقه ويهدى بهم طريقه . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من امتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي امر الله وقال علي رضي الله عنه في حديث كميل بن زياد الطويل حين تكلم في العلم والعلماء فقال في آخره : اللهم لا تخلو[3] الارض من قايم لك فيها بحجتك اما ظاهرا مشهورا واما خافيا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته . وكم واين اوليك هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها[4] في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الايمان فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه هاه هاه شوقا الى رؤيتهم واستغفر الله لي ولك يا كميل — انتهى كلامه — وقد يقلوت في العدد حتى ينتهوا[5] الى واحد في القلة لكنه بمنزلة الجماعة والكثرة . فقد روي عن ابن المبارك انه سيل عن الجماعة المامور بلزومها فقال : ابو بكر وعمر فقيل مات ابو بكر وعمر فقال فلان وفلان فقيل قد[6] مات فلان وفلان فقال : ابو حمزة السكري جماعة . وقال سفيان الثوري في تفسير الجماعة : لو ان فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة وهذه اشارة الى ما قلناه آنفا .

وقد بعدنا عن المقصد[7] فلنرجع اليه . فجميع ما ذكرناه في هذه النبذة اشارة

---

١) س : سالكا ‖ ٢) إ س : تاركا ‖ ٣) ف : تخلو . كذا ؛ ط : قيل كذا في النسخة التي عليها خط المؤلف غير معتنى به . والصواب « لا تخل » ؛ س : لا تخل الأرض ؛ خ : ارضك ؛ ق : تخلي ‖ ٤) إ ق : ويزرعوها ‖ ٥) ق : ينتهون ‖ ٦) ف ق ر : فقد ‖ ٧) المقصد ‖

الى نوع واحد من انواع البدعة وهو ما يؤدي الى اختلاف وتنازع وتهاجر وتقاطع من اي وجه ادى الى ذلك ويقع ذلك بين مبطلين بسبب شدة التعصب من الجانبين وبين مبطل ومحق فينقسم الامر فيكون سببه من جهة المبطل هوى مرديا وشيطانا مغويا ومن جهة المحق قياما بواجب الدين ونصيحة للسلمين . ويستحيل وقوعه بين محقين لفقدان السبب الموجب لذلك كالاختلاف الواقع بين اهل الحق من علماء الظاهر في المسايل الفقهية والاحكام الشرعية فان اختلافهم في ذلك رحمة اراد الله[1] ان لا يجعل علينا حرجا في الدين رحمة منه . وقد كان هذا الاختلاف واقعا بين الصحابة الجلة الموصوفين[2] بالرافة والرحمة المبرئين[3] من المقاطعة والبغضة وكلهم طالب للحق سالك سبيل الصدق . وقد قال عون بن عبدالله : ما احب ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا فانه لو اجتمعوا على شيء فتركه رجل ترك السنة ولو اختلفوا واخذ رجل بقول واحد اخذ بالسنة . والسر في ذلك ما تقدم من ان المقصود في ذلك انما هو اتباع غلبة الظن لا اصابة ما في نفس الامر . وكالاختلاف[4] الواقع بين علماء الباطن في واردات القلوب ومقامات المحب[5] والمحبوب فانه كلا اختلاف في الحقيقة لانبنايه على اختلاف احوالهم وتباين اذواقهم وكل واحد منهم معبر عن وجده واقف على حده . ومعرفة الحق من المبطل غامض جدا فمن اراد ذلك فليكثر التحفظ للسنن والاثار والتنقير عن السير والاثار[6] ليتفقه في ذلك بقلب[7] سالم من التقليد سايل من ربه التوفيق والتاييد .

وهذا النوع من البدعة واقع في العقايد والعلوم الظاهرة والباطنة والاعمال التي تضاد السنة بالكلية وهي التي سبق منا التحذير لكم من المتصف بها وان كان جميع انواع البدعة[8] حقيقة بذلك فقد قال بعض العلماء : موالاة اهل البدع بالمودة تذهب بانوار القلوب وتحسين افعالهم يورث المقت من الله والبعد منه . وقال سهل بن عبدالله : من داهن مبتدعا سلب حلاوة السنة[9] ومن ضحك الى مبتدع نزع نور الايمان من قلبه . وقال بعض العلماء : لا يفلح تايب من

١) ر س: +تعالى ‖ ٢) إ: الموصوفون ‖ ٣) إ: المبرئون ‖ ٤) ق: والاختلاف ‖ ٥) إ: − المحب و ‖ ٦) ر: − والآثار ‖ ٧) ر: بقلم ‖ ٨) ف ر: البدع ‖ ٩) ف ر: السنن ‖

بدعة وان وجد معنى من الحق لم يجد معنى من الحقيقة .

ووراء هذه بدعات[1] كثيرة في العلوم والاعمال داخلة في رسم البدعة المذكور اولا منها ما يرجع الى وسوسة واسراف وغلو وتنطع وكلها مذمومة ليست من السنة في شيء . فاذا فهمت ما ذكرناه علمت منه انه لم يحض باتباع السنة الا هذه الطايفة المختارة من الصوفية قبل دخول الاحداث عليهم في هذه الاعصار فان من بداية امورهم التي ضل بعدم مراعاتها الزايغون مجاهدة انفسهم عن اتباع الهوى والمبالغة في ترك الدنيا. ومن نهاياتها انفراد قلوبهم بربهم واستهلاكهم في شهودهم وقربهم[2] وقد اندرج[3] في ذلك جميع وظايف الدين . ومقامات اهل المعرفة واليقين واحوالهم السنية ومقاماتهم العلية مواريث محافظتهم على الاداب الشرعية فلا ارتياب عند منصف في انهم فازوا من اتباع السنة بالحظ الاعلى وضربوا في ذلك بالقدح المعلى وانهم المعنيون بقوله صلى الله عليه وسلم : ان لله عز وجل ضناين من عباده يغذيهم في رحمة ويحييهم في عافية اذا توفاهم[4] الى جنته اوليك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم هم[5] منها في عافية. وقد قال سيد هذه الطايفة وامامهم ابو القاسم الجنيد : الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على من اقتفى اثر الرسول صلى الله عليه وسلم . وقال ايضا : من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة . وقال ايضا : علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال سهل بن عبدالله : بنيت اصولنا على ستة اشياء : كتاب الله وسنة رسوله واكل الحلال وكف الاذى واجتناب الاثام والتوبة واداء الحقوق . وقال ابو[6] عثمان الحيري : من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة . قال الله تعالى . «وان تطيعوه تهتدوا»[7] . وقال ابن عطاء : «من الزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة» . ولا مقام اشرف من متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في اوامره وافعاله واخلاقه . وقال ابو حمزة البغدادي : من علم طريق الحق سهل عليه سلوكه ولا دليل على الطريق الى الله الا متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في افعاله واحواله

١) ف ق ر س : بدع || ٢) إ : — في ترك . . . وقربهم || ٣) ق : انفرد || ٤) س : توفيهم || ٥) ر : — هم || ٦) إ : ابن || ٧) قرآن : ٢٤ : ٥٣ ||

واقواله. وقال ابو بكر الطمستاني : من صحب الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه الى الله تعالى فهو الصادق والمصيب. وقال ابو القاسم النصراباذي : اصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك البدع والاهواء. وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية اعذار الخلق والمداومة على الاوراد وترك اتباع الرخص والتأويلات. وقال ابو يزيد البسطامي لجليس له : قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية — وكان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد. قال فمضينا فلما خرج من بيته دخل المسجد ورمى ببزاته[1] تجاه القبلة فانصرف ابو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على ادب من آداب النبي عليه السلام[2] فكيف يكون مامونا على ما يدعيه. وقال ابو يزيد ايضا : لقد هممت ان اسأل ربي عز وجل ان يكفيني مؤنة الاكل ومؤنة النساء ثم قلت كيف يجوز لي ان اسأل الله هذا ولم يسأله رسول الله صلعم. ولم اسأله. ثم ان الله سبحانه كفاني مؤنة النساء[3] حتى لا ابالي استقبلتني امرأة او حائط. وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي فقال له : ما الذي رأيت منه. فقال قال عليّ درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبي شغل اعظم منه ثم قال وضيني للصلاة ففعلت فنسيت تخليل اللحية[4] وقد امسك على لسانه فقبض على يدي وادخلها في لحيته ثم مات[5] فبكى جعفر وقال ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره ادب من آداب الشريعة.

والحكايات[6] عنهم في هذا المعنى مما يكثر[7] وفيما ذكرناه كفاية نفعنا الله ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم ولا خالف بنا عن سبيلهم[8]. ويلتحق بهم من سلك مسالكهم او احب طريقتهم من علماء الظاهر ولم يكن له عليهم اعتراض بلسان ولا خاطر[9] والله تعالى اعلم.

فهذا ما حضرني من الكلام في معنى التقليد والبدعة ولم ر احدا من العلماء ذكر فيها حدا ولا ضابطا. وانما فهمنا هذا من مقتضيات اشاراتهم[10]

١) ق ر : بيصاقة ‖ ٢) ف ق س : صلعم ‖ ٣) إ : — ثم قلت ... النساء ‖ ٤) ف ق ر س : لحيته ‖ ٥) إ : — ثم مات ‖ ٦) ق : والحكاية ‖ ٧) ق : تكثر ‖ ٨) ف ق ر س : — نفعنا ... سبيلهم ‖ ٩) س : + فخذوا هذا دستورا تعتمدوا عليه في مواضع الالتباس والأشكال وتفرقوا له بين الصحيح الحال والمحال ‖ ١٠) ف : اشارتهم ؛ ط : لعله « اشاراتهم » بلفظ الجمع ‖

ومفهومات اطلاقاتهم ولعل[1] ما ذكرناه يكون صحيحا والله تعالى الموفق للصواب بمنه وكرمه[2] .

ورأينا ان نختم هذه النبذة بكلام رايناه لامام الاية الحسن بن ابي الحسن البصري رضي الله عنه نبه فيه على سنن دارسة خالية وسير ينبغي ان يتنافس فيها ذو الهمم العالية . فرأينا ان نجمع به شمل ما ذكرناه ونتمم بـه الغرض الذي قصدناه . قال رحمه الله بعد ان ذكر قوله عز وجل[3] : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة[4] » :

« ان الله تعالى[5] اختار محمدا صلى الله عليه وسلم على علم وانزل عليه كتابه وجعله رسوله الى خلقه ثم وضعه من الدنيا مرضعا لينظر اليه اهل الدنيا فاتاه منها قوتا ثم قال : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » فرغب عن ذلك اقوام نعم والله فابعدهم الله . النجا النجا . الوحا الوحا . على مَ تعرّجون . على مَ تفرحون . قطعوا عنكم حبال الدنيا وغلقوا عنكم ابوابها . كأنكم ركب وقوف اذا دعي احدكم اجاب . كان اشتراطها على عهـد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحتم في غيها فوالله ما نعلمه[6] بقي الا المداينة . ان الله عز وجل لما بعثه ، قال هذا نبي . هذا خياري . خذوا في سنته وسبيله . ولم يكن صلى الله عليه وسلم تغلق دونه الابواب ولم يقم دونه الحجبة ولا يغدى عليه بالجفان ولا يراح بها عليه ولكنـه كان بارزا . من اراد ان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه . يجلس بالارض ويضع طعامه على الارض[7] ويلبس الغليظ . ويركب الحمار . ويردف بعده . ويلعق يده . ويقول من رغب عن سنتي فليس مني . فكثر الراغبون عن سنته التاركون لها . علوج . فساق . اكلة الربا[8] وغلول . قد سفههم ربي ومقتهم . زعموا ان لا بأس عليهم فيما اكلوا وشربوا وزخرفوا . يتأولون قول الله سبحانه : « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق »[9] . وانما هي لاولياء الشيطان قد جعلها ملاعب لبطنة وفرجـه .

---

١) س خ : ولعل عند غيري ما هو ابلغ من هذا واكثر تحريرا والله . . . ||
٢) ف ق ر س : — بمنه وكرمه || ٣) ف ق ر س : تعالى || ٤) قرآن ٣٣ : ٢١ ||
٥) ف ق : عز وجل || ٦) س : نعلم || ٧) ا : — ويضع . . . الارض || ٨) ف ق : ربا || ٩) قرآن : ٧ : ٣٠ ||

ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا موافقين لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[١] . قالوا كذلك فعلهم وما فعلوا كذلك قولهم . اذا جنهم الليل فقيام على اقدامهم يفترشون وجوههم . تجرى دموعهم على خدودهم . يرغبون في فكاك رقابهم . واذا عرض لهم شيء من الدنيا او اشرف عليهم منها شيء اخذوا منها بلغتهم ووضعوا الفضل في معادهم فادوا فيه الشكر لربهم واشتروا منه الفضل لانفسهم . واذا زويت عنهم استبشروا وقالوا هذا نظر من الله عز وجل واختيار[٢] منه لنا . ان عملوا الحسنة سرتهم ودعوا الله[٣] ان يتقبلها . وان عملوا سيئة ساءتهم واستغفروا الله منها . فما زالوا كذلك وعلى ذلك ولا والله ما سلموا من الذنوب ولا وصلوا الى الجنة الا بالمغفرة .

٥

فاصبح اقوام يتمنون الاماني ويركضون فيها . ولقد ادركت اقواما يعملون الحسنات خايفين الا تقبل منهم . ثم ادركت بعدهم اقواما يعملون السيئات آمنين غير خايفين ان يوخذوا بها . ولقد كان طوايف من هذه الامة يعيش احدهم الخمسين سنة ونحوها ما له ثوب يطويه ولا يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا يامر اهله بصنعة طعام يشتهيه . اذا دخل بيته دخل ناحلا ذابلا . لما جاءتهم هذه الدعوة صدقوا بها وافضى يقينها الى قلوبهم. فخشعت لذلك افئدتهم وابدانهم وابصارهم كأنهم قد رأوا ما يوعدون . ولا والله ما كانوا باهل جدل ولا باطل ولا تحلي[٤] . جاءهم من الله امر فصدقوا به فنعتهم الله تعالى في كتابه احسن نعت فقال :« وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا — والهون في كلام العرب اللين والسكينة والوقار وقال :« واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً[٥]» . حلماء اتقياء صبراء . ان بغي عليهم لم يبغوا وان جهل عليهم حلموا وصبروا حتى يكون الله هو الذي ياخذ لهم . ويصاحبون بذلك عباد الله . نهارهم ثم ليلهم خير ليل . يبيتون لربهم سجدا وقياما ينتصبون له على اقدامهم ويفترشون له وجوههم . تجرى دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم لامر ما سهروا له

١) ف ر س : — ملم || ٢) إ : واختبار || ٣) ف ق ر س :+عز وجل || ٤) إ : بخلا || ٥) قرآن : ٢٥ : ٦٤ ||

ليلهم ولاس ما خشعوا نهارهم . « يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما »[1] . قال : وكل شيء يزول فليس بغرام وانما الغرام اللازم مـا دامت السموات والارض صدق القوم والله الذي لا اله الا هو فعملوا ولم يتمنوا الاماني . فاياكم رحمكم الله وهذه الاماني فان الله لم يعط عبدا بها خيرا قط في دنياه ولا اخراه . ان المؤمنين صبر ذلك اتقياء بررة . وقال : والله ما عقل عبد عن ربه فتكبر ولا تعظم ولا اختال . ولا طلب عبد هـذا الخبر حتى جهد فيه واجتهد وناصح وصدق الله في السر والعلانية واستقام على ذلك حتى يتزل به الموت . اذ سمع ربه اثنى على قوم « قالوا ربنا الله ثم استقـاموا »[2] . استقاموا والله على معرفته وسارعوا في طاعته «تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون »[3] . وتركوا الدنيا لاهلها لم يجزعوا من ذلك ولم ينافسوا اهلها في عزها . حلماء علماء حكماء مصابيح الهـدى يخرجون من كل فتنة غبراء مظلمة . يجهلهم اهل الارض ويعرفهم اهل السماء».

فهذا ما اردنا ذكره من كلماته النفيسة البديعة وانفاسه الرفيعة التي بلغت الغاية في الحسن واعجزت عبارتها البلغاء اللسن وقضى متأملها منهـا العجب . وحصل منها على منتهى السؤل والأرب . وكم له رضي الله عنه من مقامـات حميدة في نصر الدين وقهر الملحدين وطرقات سديدة في ارشاد الضالين وتعليم الجاهلين . فجزاه الله على[4] ذلك خيرا ، واعظم له اجرا ونفعنا لاقتفاء آثاره[5] والاستضاءة بانواره .

[الرسالة الرابعة]

فصل في آداب الآخذين في علم الظاهر وما احدثوا فيه من بدع ومناكر

اعلم ان هذا الفن كثرت فيه البدع في هـذا الزمان وعم بسببها الضرر والعدوان . وسبب ذلك فساد نية[6] طلبته وحملته وجهلهم بفايدته وآفته . فمن فساد نيتهم وقعوا في مهاوي الغرور . ومن جهلهم باسره اعوزتهم من قلوبهم[7]

١) قرآن ٢٥ : ٦٥ ‖ ٢) قرآن : ٤١ : ٣٠ ‖ ٣) قرآن : ٤١ : ٣٠ ‖ ٤) ق : عن ، ف خ : + كل ‖ ٥) ر س : أثر ؛ س خ : آثاره ‖ ٦) س : — نية ‖ ٧) ر : — من قلوبهم ‖

وجدان النور فصاروا بذلك مثلة عند ذوي البصاير محقوقون[١] بالخزي يوم تبلى السراير. وحسبك دليلا على صحة[٢] ما قلناه ووضوح ما قررناه مشاهدة افعالهم ومعرفة احوالهم. فليس الخبر كالعيان ولا كيان ذلك بيان.

وجملة الامر ان منهم من اخذ فيه مع خبث طويته وقبح سريرته مغترا بما ظهر من حالته فلا جرم حصل بذلك على جميع مقاصده الذميمة وقويت بذلك صفات نفسه اللئيمة فما زاده ذلك الا شرا وما كانت عاقبة امره الا خسرا وهو يظن ان له عند ربه قدرا.

ومنهم من اخذ فيه بحسن النية بزعمه[٣] محتسبا ثواب ربه في تعلمه وعلمه يرى انه قام بواجب الوقت وانه سلم من دواعي المقت فاغتنم ذلك منه عدوه اللعين واستحوذ عليه بانواع التزوير والتزيين. فذكره ما ورد من فضايل[٤] اهل[٥] العلم ودرجات اهل[٦] الفقه والفهم. ولم يعلم المسكين انه قد انخدع بسرابه ووقع على مراده في رفض ما هو اوجب عليه واولى به.

ومنهم من اقدم عليه بنية سليمة جادا في هربه من هذه الخلال الذميمة واضعا الامور في مواضعها قامعا لدواعي[٧] نفسه ونوازعها. الا انه لم يجد من يعينه على حاله من اضرابه وامثاله فاضطره اعواز المناسب الى مخالطة الاجانب فلم يلبث ان سرت حمتها في باطنه بلطيف الاستغراق[٨] وتراءت على ظاهره سمات النفاق فجاء الفساد من حيث رجا الصلاح واستبهم عليه سبيل النجاح والفلاح. «الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل ما هم»[٩]. وقد جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال: اكثر منافقي امتي قراؤها. وقال الحسن بن ابي الحسن[١٠]: اكان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث ان يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره ولسانه ويده وصلاته وهديه وزهده وان كان الرجل ليصيب الباب من ابواب العلم فيعمل به فيكون خيرا له من الدنيا بما فيها لو كانت له فيضعها في الاخرة. قال: ولا يقبل الله من صاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا عتقا ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا

١) ف ط: قيل الجاري محقوقين وهو ظاهر ‖ ٢) ق: حجة ‖ ٣) ف ق س: في زعمه ‖ ٤) ق: انواع ‖ ٥) إ: اهل ‖ ٦) إ: اهل ‖ ٧) ر: لداعي ‖ ٨) ر: الاستراق ‖ ٩) قرآن: ٣٨: ٢٣ ‖ ١٠) ق: + البصري

وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق بالباطل . فاذا كان ذلك لم ينفع فيه الا دعاء كدعاء الغريق . فعليكم بالعلم فان العلم لا يسلم اهله. اشار بذلك رحمه الله الى ما ظهر في زمانه من طلب العلم على غير بصيرة . وقال سفيان الثورى : اياكم وفتنة العالم الفاجر . واياكم وخشوع النفاق . وقال مالك: دخلت على عبد الرحمن بن هرمز وهو نخل وليس[1] عنده احد فذكر شرايع الاسلام وما يخاف من ضيعته وان دموعه لتنسكب . قال مالك : وكان ابن هرمز رجلا كنت احب ان اقتدى به وكان قليل الكلام قليل الفتيا شديد التحفظ وكان بصيرا بالكلام شديدا على اهل الاهواء. وكان من[2] اعلم الناس بما اختلف فيه من الامور . فقال مالك :-ودخلت على ربيعة فوجدته يبكي. فقلت له[3] اصلحك الله ما لك تبكي فقال يا مالك تكلم في هذا العلم او قال في هذا الدين من ليس بمأمون ومن لا[4] ترضى حالته. قال مالك: فكيف لو ادرك ربيعة ما نحن فيه. وقال بعضهم :رايت سفيان الثوري حزينا فسالته عن ذلك فقال:ما صرنا الا متجرا لابناء الدنيا. فقلت وكيف ذلك قال:يلزمنا احدهم حتى اذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا او حاجبا او قهرمانا او جابيا فيقول : حدثني الثوري.

فان قلت : كيف يكون المتعلم والمعلم سالكين سبيل السنة متبعين لما عليه هذه الامة . فاعلم ان اخذهما فيه اعني تعلم المتعلم وتعليم المعلم ان كان فرض عين عليهما فالسنة في طلب المتعلم اعتماد الاعلم الاتقى للتعلم[5] منه ان وجده . والسنة في تعليم المعلم الرفق بالمتعلم وبسط خلقه له وتفهيمه بابلغ ما يقدر عليه . وان كان غير فرض عين فسنته فيهما مع ما تقدم اخلاص النية وان لا يرتكبا معه محظورا ولا مكروها ولا يخلا بادب من اداب الشرع الظاهر[6]. فان واقعا شيئا من ذلك واحتساباه قربة فهما مبتدعان ومذهبهما ذلك بدعة لان ذلك لم يكن من شان السلف . وان كانا معترفين بخطاهما وادين ان ينجوا من ذلك كفافا لا لهما ولا عليهما فليسا مبتدعين بل هما اما عاصيان او تاركان للافضل . مثاله مما[7] يجري في العادة :اما المتعلم فان[8] يتعلم ممن يحب الرياسة والاستتباع فيكثر سواده او يشاهد عليه او في مجلسه منكرا ولا يغيره مثل

١) ف : ليس || ٢) ق : من || ٣) ق ر : له || ٤) ق : ولا من || ٥) إ : للتعلم، ق : المتعلم || ٦) ق : الظاهرة || ٧) إ : ما || ٨) إ : فان (فيتعلم)

الغيبة والوقيعة والمراء. والمجادلة ورفع الصوت ان كان في مسجد او في حال اسماع[1] حديث من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم او الرد على كلام احد من اهل العلم على وجه التعصب واساءة الادب بنسبته الى الفساد وعدم الصحة وخرق الاجماع وما يجرى هذا المجرى. او يسيء ادبه على المعلم فيعنته في السؤال ويعارضه في المقال او يتكبر على احد من اقرانه وجلسايه او يسيء مجاورتهم في المجلس بقول او فعل او يسيء ظنه بهم الى غير ذلك.

٥

واما المعلم فان يعلم من يظهر له من مخايله فساد نية او خبث طوية ظهورا بينا. فان اكثر ما يقع من الفساد في هذا الزمان انما هو من عدم مراعاة هذا الامر. وان يجلس على[2] موضع مرتفع على اصحابه من غير غرض صحيح وان يسامحهم في سوء ادب ان صدر من احدهم عليه او على بعضهم بل يغلظ القول تارة ويامر بالخروج من المجلس اخرى على حسب ما يراه في مقتضى الدين وان يخص الاغنياء وابناء الدنيا بادناء مجالسهم منه دون الفقراء والمساكين من غير وصف ديني يقتضي ذلك وان يدخر عنهم نصيحة ان وجد لها محلا وان يخلي مجلسه عن[3] ذكر الله تعالى وتلاوة آية من كتابه وحديث من حديث نبيه صلى الله عليه وسلم وخبر من اخبار الصالحين وصلاة على النبي صلعم[4] وسؤال مغفرة ورحمة واستعاذة اذا وجد لجميع ذلك مفصلا. بل يعتمد ذلك ويقصده ويعتده من اعظم فوايد المجلس. وذلك اهل دليل على يقظة قلبه وطهارة نفسه. بل ان كان له حظ من علم اليقين وحال صالح من احوال العارفين الموفقين فليذكر لهم من نفيس علومه مما تحتمله عقولهم وليريهم من شريف[5] احواله ما تصح به احوالهم وينبههم على كيفية ارتباط الشريعة بالحقيقة ويسلك بهم[6] الى تفهيمهم اسرار ما يتعلمونه اوضح طريقة[7] ويصرفهم بقوله وهمه عن ملاحظة كل محدث وزايل ويحققهم بمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: اصدق بيت قاله الشعراء:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ

---

١) ر س: استماع س خ: اسماع || ٢) إ: + غير || ٣) س: من || ٤) إ: وخبر ... صلعم || ٥) ر: شرف || ٦) إ: ويسلكهم || ٧) إ: وصح طريقه ||

فهذه كانت سير سلفنا الصالحين ووصايا علمائنا الناصحين فمن حذا على مثالهم ونسج على منوالهم فقد حاز قصب السبق في عصره وفاز بقدم الصدق عند ربه في عاقبة امره ومن نكب عن اتباع سنتهم والحاز الى غير فيئتهم فقد باع آخرته بدنياه وتعرض لسخط مولاه ودخل في مقتضى قوله تعالى: « قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الذين حل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ».[1]

والعياذ بالله من ذلك.

[الرسالة الخامسة]

كتاب تضمن تطييب قلب صاحب أصابه كرب من اعتراض معترض على كلام صاحبه[2]

الحمد لله وحده. اسلم عليكم كثيرا. وبعد فوجبه اليكم اني اخبرت عن الكرب الذي كان اصابكم من اجل الكلام الواقع من قبل زيد او عمر[3] بسبب ما تضمنه الكتاب الذي كنت كتبته اليكم قبل. وانه بلغ ذلك منكم مبلغا عظيما.

فاعلموا اني لم اقدم على مثل ذلك النمط وبيان الصواب فيه من الغلط الا وقد علمت اني تعرضت لتطويل الالسنة بالكلام واستهدفت لوقوع المطاعن والملام. وليس ذلك بضار لي شيئا اذا خلصت فيه النية وحصلت به الامنية. ومن قدر انه يسلم من عيب الناس وطعنهم فهو مجنون. ولست اخاف من راد لما فيه لاختصاص ضرر ذلك به وانا اخاف من قابل له باحاطته عن وجهه وعدم احاطته بكنهه. وعهدي اني حررت الكلام فيه تحريرا لا مزيد عليه وتحاميت الافصاح بما لا تهتدي العقول اليه. ولقد صدق الشافعي حيث قال في وصيته لبعض اصحابه: لا اقول لك الا حقا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل. فانظر الى ما يخلصك فالزمه. وقال بعض الحكماء: داء الانسان[4] بالناس اعظم من دائه بالسباع العادية والافاعي الضارية لان التحفظ من ذلك

---

١) قرآن : ١٨ : ١٠٣–١٠٤ ‖ ٢) س خ : وله ايضا رضي الله عنه كتاب فيه تسلية قلب صاحب اهتم من اجل اعتراض من اعترض على صاحبه ‖ ٣) ر : عمرو ‖ ٤) س : الانس ‖

ممكن ولا يمكن التحفظ من الناس اصلا . ثم ان الله تعالى منّ علينا بسكينة انمشت القلوب والارواح وطمأنينة تجلى بها ضوء الصباح فلم تبال معها بتن برق ورعد ولم نحفل من اجلها بمن قام وقعد بل اتخذنا ذلك سببا للاعتبار وسبيلا للادكار[1] فلربنا الحمد كثيرا كما هو اهله . وقد قال بعض العارفين : من نظر الى الخلق بعينه طالت خصومته معهم ومن نظر اليهم بعين الحق عذرهم .

ثم لنا في الانتظام في سلك من اعترض عليه من اهل الحق ونسب الى الضلال والتزلق وهم خاصة الاولياء من اهل المحن والابتلاء نعمة جزيلة لا يقدر قدرها ولا يوفي شكرها . بيد انهم لم ينتقصهم ذلك ذرة من احوالهم المكينة ولم ينقلب الطاعن عليهم الا بالعين السخينة ، وكيف لي بذلك واني لي وهل يطمع في نيل هذه المرتبة العلية أمثالي . « عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ بِأَنْ أَحمِلَ الهَوَى وأَخْلُصَ مِنهُ لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا » — ثم لنا في آفات النفوس التي نكست الرؤوس، ما يشغلنا عن الالتفات الى ما وقع والمبالاة به ضر او نفع .

فهذه اوجه بينة قصدنا ذكرها تطبيقا[2] لقلوبكم وحرصا على اراحة خواطركم . وآثرنا ذلك على الاضراب عما تضمنه هذا الكتاب من تعريض بذكر الغير او تلويح بما يقتضي الكتمان والستر . فلا يهولنكم شيء من ذلك ولا تكترثن به .

ثم اني اجدد[3] لكم الوصية التي كنت اوصيتكم بها وموكد عليكم في تعهدها والقيام بموجبها . وربنا عز وجل المسئول في التوفيق لما يرتضيه ويزلف[4] لديه والجمع لهمومنا بصدق العبودية بين يديه انه مالك[5] كريم جواد رحيم .

[الرسالة السادسة]

كتاب تضمن الكلام على مسايل مفترقة مكتوبة تراجمها في طرره لكون الكلام فيها مرتبطا بعضه ببعض[6] واولها مسئلة المشي الى الحج وحكمه بالنسبة الى الاشخاص والاحوال

الحمد لله وحده[7] . المشي الى الحج في هذه الازمنة مما يعظم حرص الناس

---

١) ر س: للاذكار || ٢) ق: تطيبا || ٣) ف ق ر س: بجدد || ٤) ر: ويزلفه || ٥) س: ملك || ٦) إ: لكون ... ببعض || ٧) إ ف ق ر س: ط: حكم المشي الى الحج ||

عليه وثقيل نفوسهم اليه . ويؤثرون المشقة والقلة والغربة اللازمة له على الراحة والجدة والاقامة . وقد يترك بعضهم دينه وما هو اهم عليه منه[1] بسبب ذلك . فاذا قضوا صورة ذلك الفعل الذي قصدوه لم تكن لهم حينئذ همة ولا ارادة الا الرجوع الى اوطانهم والاجتماع باهاليهم واخوانهم . فاذا نالوا من ذلك بغيتهم واستطالوا مدة اقامتهم وادركهم الملل والكلال اشتاقوا الى معاودة الحال الاولى وحرصوا عليها اشد من حرصهم اول مرة . وهذا كله مركوز في في طباعهم مجبولون عليه .

فيجب على العاقل البصير اذا سنح في خاطره شيء من ذلك ان يعرض عن مقتضى طبعه ويعرض ذلك على[2] بصيرته ويستفتي فيه قلبه ويعمل على حسب ما يظهر له في مقتضى الدين او يسترشد من فيه اهلية ذلك ولا يتبع هواه من غير بصيرة او مشورة فيكون عمله باطلا ولم ينل بتعبه ونصبه طايلا. ومعرفة احكام ذلك بالنظر الفقهي لا يخفى فلننظر[3] في ذلك على وجه اعم منه فنقول :

المشي الى الحج على ثلاثة اوجه : مشي محمود مطلقا — ومشي[4] مذموم مطلقا — ومحمود من وجه مذموم من وجه .

فالمشي المحمود مطلقا مشي عالم موقن سالم من حظ النفس وغلبة الطبع لان باعثه على ذلك مقتضى الدين ونور اليقين ولهذه حالة شريفة ومنزلة عالية منيفة لا يعرفها الا من اقيم فيها .

فقد حكي عن بعض العلماء انه قال : بينا انا اطوف بالبيت اذ لقيني رجل كبير السن فسألني عن بلدي فاخبرته فقال لي : كم بينه وبين هذا الموضع . فقلت له نحوا من شهرين فقال لي : يمكنكم ان تحجوا هذا البيت كل سنة . فقلت له : وانت كم بين ارضك وبين هذا الموضع . فقال لي : سيرة خمس سنين . خرجت من بلدي وانا شاب قال : فتعجبت من ذلك فأنشأ يقول:

زُرْ مَنْ هَوَيْتَ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ ٱلدَّارُ أَوْ[5] حَالَ مِنْ دُونِهِ حُجُبٌ وَأَسْتَارُ
لَا يَمْنَعَنَّكَ بُعْدٌ مِنْ زِيَارَتِهِ إِنَّ ٱلْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ[6] زَوَّارُ

١) ر : — منه || ٢) ق : + مقتضى || ٣) ر س : فلينظر || ٤) ق ر : مشي || ٥) ف ق ر : و || ٦) إ خ : يحب

وحكي[1] ان الشيخ ابا الحسن اللخمي كان ذلك يوم جالسا مع اصحابه فتذاكروا حكم الحج في زمانكم وهل وجوبه باق او ساقط وكثر في ذلك كلامهم ومن وراء الناس فقير يستمع اليهم فلما فرغوا من ذلك ادخل ذلك الفقير رأسه في الحلقة وقال مخاطباً للشيخ :

يا سيدي :

إِنْ كَانَ سَفْكُ دَمِي أَقْصَى مُرَادِكُم
فَمَا غَلَتْ نَظْرَةٌ مِنْكُمْ بِسَفْكِ دَمِي

والمشي المذموم مطلقا مشي من اتصف باضداد تلك الصفات وكان غرضه من ذلك مجرد الرياء والسمعة لان باعثه على ذلك هو غلبة الهوى فقط . ووجود هاذين القسمين نادر ووجه حكمهما ظاهر .

واما المشي المحمود من وجه المذموم من وجه فهو مشي انسان متدين او مترسم بالعلم باق مع حظوظه وشهواته ، جاهل بمكايد العدو وخدع النفس لاشتراك البواعث الحاملة له على المشي وعدم استقلال احدهما . وهذا القسم يحتاج الى بيان وجه ترجيح البواعث فيه بالنظر الى الاشخاص والاحوال .

فلا يخلو هذا الشخص اما ان يكون صرورة او لا . فان كان صرورة فان قلنا ان وجوبه على الفور وتوفرت الشروط وانتفت الموانع فمشيه محمود ومامور به ولا يعارضه شيء البتة الا ما قيل من مراعاة حق الاباء والابناء والغرماء على تفصيل الفقهاء في ذلك . وان قلنا انه على التراخي الى حين خوف الفوات او انتفى شرط او وجد مانع فان كان من عامة الناس اعني من اهل مقام الاسلام وليس فيه قابلية لغير المعاملة بالظاهر وكان في حال اقامته بصدد طاعات وخيرات يعملها سواء كانت قاصرة عليه او متعدية الى غيره لتمكنه من اوراد ونوافل ولقيامه بمنافع متعدية الى غيره[2] من تعليم علم او تعلمه او ادخال رفق على مسلم فان توقع في سفره تضييع فرض او ارتكاب نهي هو سالم منه في موضعه فمشيه مذموم من قبل قوة ميل نفسه وهو في غاية الذم من مثله ولفوات تلك المقاصد الدينية التي هو عليها . وان علم من نفسه المحافظة

١) ر : ويحكى || ٢) س خ : منهم || ٣) إ : — لتمكنه ... الى غيره ||

على الفرايض واجتناب النواهي في طريقه بظن غالب فيحتمل ان يترجح ذم مشيه لقوة ميله وفوات مقاصده الدينية المذكورة واذ ليس على يقين من سلامته. ويحتمل ان يترجح حمد مشيه لانه يسعى في اداء فرضه على وجه المبادرة والخروج عن شبهة الخلاف لا سيا ان كان له قوة في بدن او سعة في مال او سعة في مال او[1] وجد طريقا سابلة . وعليه حينئذ المحافظة على فرايضه واجتناب ما يتعرض له من المعاصي في طريقه . فان لم يكن في حال اقامته بصدد ما ذكر فالامر فيه ابين .

وان كان من الخاصة او ممن فيه قابلية لسلوك مسالكهم كاخذه في مجاهدة نفس وتصفية قلب ومراعاة خاطر وتصحيح هم واستغراق في فكر او ذكر الى غير ذلك من احوالهم الرفيعة ومقاماتهم الشريفة فان كان له منها اصول راسخة بحيث توجب طهارة باطنه من كباير معاصي القلوب الواجب ازالتها عليه كالكبر والعجب والحسد والحقد والريا والنفاق والمداهنة في الدين وسوء الظن بالمسلمين وقوة محبة الدنيا وبعض انواع الغرور فمشيه راجع على الوجه الذي ذكرناه آنفا وعليه حينئذ الاجتهاد في تحصيل فروعها ما امكنه . وان لم يكن له منها اصل[2] البتة او كانت بحيث لا توجب[3] ما ذكرناه من التزكية والتطهير فان كان ضعيفا في بدنه او ذات يده فمشيه مذموم من قبل تفويته لاصول تلك الاحوال المذكورة فضلا عن فروعها اذ هي اولى من تقديم الحج ومن قبل قوة ميل نفسه وان كان له مزيد قوة بدنية او سعة مالية تحمل عنه الكلال والتعب وتبلغه من مراده الى غاية الارب . فان كانت محبته للمشي قوية بحيث لو قدرنا سقوط فرض الحج عنه وتحصيله ثوابه في حال قعوده بطريق قطعي كانت قوة محبة مشيه باقية فقعوده ارجح لوجود قوة الميل وتوقع فوات تلك الفوايد التي هو بصددها في حال الاقامة لانه على غير يقين من تحصيلها في المشي لا سيا مع عدم السبيل الآمنة . وان كانت محبته ضعيفة لا باعث عليها الا اداء الفرض بحيث لو قدرنا سقوطه عنه بطريق قطعي عدم الميل والمحبة بالكلية فمشيه اذ ذاك محمود لضعف محبته وقوة رجايه بلوغ امله بصحة بدنه او

١) س : و || ٢) س: شيء || ٣) ف ق ر : يوجب . كذا ||

سعة ماله لا سيما ان صحبه في طريقه اخوان صالحون ورفقاء موافقون ووجد طريقا سابلة . هذا كله ان كان صرورة .

فان لم يكن صرورة فان كان من العامة فان كان[1] بصدد ما ذكرناه[2] من الخيرات والطاعات فذم مشيه راجح من قبل ميل نفسه ومن قبل تعرضه لفوات تلك المقاصد المحققة وكونه على غير يقين من تمام ما رامه وسلامته من الخطر الذي يتصدى له . وان لم يكن في حال اقامته بصدد ما ذكرناه فيحتمل ان يترجح ذم مشيه من جهة قوة ميل نفسه وتعرضه بسفره لتضييع فريضة او وقوع في معصية — ويحتمل ان يترجح حمده لارادته ايقاع عبادة من جنس عباداته مع ان ميل مثله[3] لا يعتبر ولان[4] وجدان سلامته من الآفات المذكورة ممكن في حقه . اما اذا غاب على ظنه عدم السلامة منها ترجح الذم على كل حال اذ لا يعدل بالسلامة شيء .

وان كان من الخاصة فمشيه مذموم لفوات ما هو بصدده من سني الاحوال وما يتبع ذلك من افعال واقوال لان ذلك يستدعي فراغ قلب واجتماع همة وصفاء محل وذلك معدوم في مثل هذه الاسفار الطويلة قطعا او ظنا . وانما رجحنا ما ذكرناه على التنفل بالحج لكون ذلك ملاكا[5] لامره وتصحيحا لاعمال بره من قبل انه سالك سبيل التوحيد والاخلاص الراقين له في مقامات اهل الاختصاص . ومثل هذه الاعمال القلبية لا يوازيها شيء من نوافل العبادات ولا ينجبر فواتها بشيء من الطاعات ، ويترجح ذم مشيه ايضاً لكونه غير مخلص فيه . وعلامة عدم اخلاصه وجود ميله اليه مع بقاء حظوظ نفسه واغراضه . فمحبتها اذ ذاك فيل حظوظها بواسطة ما يفعله من الطاعات في مشية كلقاء العلماء والصلحاء واستفادة العلوم منهم والتأسه بركة دعايهم وخدمته لرفقايه واصدقايه واحتسابه ثواب نصبه وعنايه ورؤيته[6] الامصار والقفار بعين التفكر والاعتبار الى غير ذلك من مناسك حجه ووظايف عمجه وتجه . وغرضها من ذلك ما اخفته من نيل شهوة التفرج[7] برؤية البلاد والتحدث بلقاء العلماء والعباد والتخلص من كروب الوطن المعتادة واستراحته من تعب الافادة والاستفادة

١) ف : وكان ‖ ٢) س : ذكرنا ‖ ٣) ف : نفسه ‖ ٤) إد : وان ‖
٥) إ : مالكا ‖ ٦) ر ف خ : ورؤية ‖ ٧) إ : والتفرج ‖

الى غير ذلك من اغراضها وخفايا حظوظها . وعلامة اغتراره في ذلك انه قـد يتمكن من كثير من تلكم[1] الطاعات او مما هو اعظم منها في موضعه ثم لا يلقى لها بالا ولا يجد عليها اقبالا . وهذه هي حال السايل الـذي سأل بشر الحافي عند مشيه للحج . فقد روى ابو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر[2] بن الحارث وقال : قد عزمت على الحج فامرني بشيء. فقال له بشر : كم اعددت للنفقة قال : الفي درهم . قال بشر : فاي شيء تبتغي بحجك نزهة او اشتياق[3] الى البيت او ابتغاء مرضاة الله قال : ابتغـاء مرضاة الله . قال : فان اصبت رضى الله تعالى وانت في منزلك وتنفق الفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تفعل ذلك قال: نعم . قال: اذهب فاعطها عشرة انفس: مديان يقضي[4] دينه وفقير يرم[5] شعثه ومعيل يحيي عياله ومربي يتيم يفرحه . وان قوي قلبـك ان تعطها الواحد فافعل فان ادخالـك السرور على قلب امرء مسلم وتغيث لهفان وتكشف ضر محتاج وتعين رجلا ضعيف اليقين افضل من ماية حجة بعد حجة الاسلام . ثم فاخرجها كما امرناك وإلا قل لنا ما في قلبك . فقال : يا ابا نصر سفري اقوى في قلبي . فتبسم بشر واقبل عليه فقال له : المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس ان تقضي به وطرا تسرع اليـه بظاهر اعمال الصالحات وقد آل الله تعالى[6] على نفسه الا يقبل الا عمل المتقين . قال فبكى الرجل .

فان كان هذا الشخص مستقيما على هذه الاحوال التي ذكرناها[7] في حال اقامته مستوفيا لاحكامها واراد تجربة نفسه في الوفاء بها في حال الغربة وفقد المألوفات التي اعتادها في وطنه وعزم على مجاهدة نفسه في ذلك فان مشيـه في ذلك محمود ولا يختص ذلك بسفر الحج بل له ان ينشي سفرا لاجل هـذا الغرض ولم يزل ذلك من عادات السالكين واهل التجريد وانما حكمنا على ميل النفس الى المشي بالذم في اغلب الاحوال طردا لقاعدة ان ميل النفس الى العبادات الشاقة على البدن مذموم .

---

١) س خ : تلك ‖ ٢) ر : ــ بشر ... بشر ‖ ٣) ف ر : اشتياقا ؛ ف خ : اشتياق ‖ ٤) ف ق ر : تقضي ‖ ٥) ر : ترم ‖ ٦) ف ق ر : تعالى ‖ ٧) ف ق ر : وصفناها ‖

وقد[1] يتعجب من هذا من يسمه[2] فيقول : كيف تميل النفس الى ما فيه المشقة وهي منافية لحظها – ولم يدر انها انما تطلب حظوظاً[3] لا تتوصل اليها الا بترك حظها من الراحة كمن استولى عليه حب الجاه والمال وقضاء الاوطار منها والامال فتراه يرتكب الاخطار ويجوب القفار ويخوض البحار ويتعرض لانواع المضار قد حمله تأميل حصول اغراضه على استحلاء هذه الشدايد وقد لا ينال ما امله من تلك الفوايد . ولا فرق بين المسئلتين الا ان هذه اغراض معروفة لعامة الناس وسبلها واضحة لا اشكال فيها ولا التباس . وما ذكرناه يختص به اهل الدين ومن ارتفعت احواله[4] عن احوال عامة المسلمين . بل من جهل النفس وشدة غباوتها انها تفعل الافعال الشاقة لغرض تافه كالذي يعرض نفسه لمعارك الحرب ومباشرة الطعن والضرب ليثني عليه بالشجاعة والجلادة بعد موته . وهذا جهل عظيم واي منفعة للنفس في ذلك بعد الموت.

وقد تفعل ذلك من غير تصور غرض ولا تحصيل عوض[5] كما قال[6] علي بن حزم في كتاب السياسة . واحمق من هولاء قوم شاهدناهم لا يدرون في ما يبذلون انفسهم فتارة يقاتلون زيدا عن عمر وتارة يقاتلون عمرا عن زيد لعل ذلك يكون في يوم واحد فيتعرضون للمهالك بلا معنى فيقتلون الى النار ويفرون[7] الى النار . وقد انذر بهؤلاء رسول الله صلى عليه وسلم في قوله : يأتي على الناس زمان لا يدرى القاتل فيمَ قتل ولا المقتول فيمَ قُتل . ومثال مسئلتنا ما يعتري بعض الناس من ميل نفوسهم الى التعمق في العبادات والايغال في فنون المجاهدات والقاء النفس في المهلكات وفرضها بذلك استعجال احوال اتصف بها الاكابر والرؤية لكمالها بنظرها القاصر استبدالا منها هذه الاغراض بما تركته من اغراضها الدنياوية واستظهارا لصدق قصدها في زعمه بتعاطي الوظايف الدينية . فلم تلبث الا يسيرا حتى سيمت الاعمال والاوراد وطالت عليها الآماد فنكصت على عقبها ورجعت القهقرى الى اقبح من مرادها واربها . ولو كانت صادقة في قصدها لاتت الامر من باب مخالفتها بالكلية ولعلمت ان

١) إ ف ق د س : ط : جواب السؤال الثاني في كيفية ميل النفس الى ما فيه المشقة || ٢) إ : – من يسمه || ٣) إ س : حظوظها || ٤) ف ق س خ : حاله || ٥) إ : غرض || ٦) س خ : حكى || ٧) ف ق : او يفرون ||

ذلك لا يتأتى لها الا باتباع الملة الحنيفية . فلعمري لمن اخذ نفسه باتباعها في هذا الزمان والجري على اسلوبها العجيب الشأن ليكابدن من الشدة[1] ما لم يخطر له قط ببال وليتجرعن من الغصص ما يعجز عن تجرعه آحاد الرجال . وبحسب ذلك يكون اجره موفورا وسعيه مشكورا . وذلك لصحة قاعدة ان كل ما يثقل على النفس خير محض .

وبيانه[2] ان الحق تعالى اوجب على عباده اقامة عبوديته واخبرنا انه انما خلقهم لاجلها فقال تعالى : «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون»[3] وهذه الصفة من أجلّ ما وصف[4] به انبياءه ورسله من الصفات العظام وسماهم به من الاسامي الكرام . وخصوصاً نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام[5] . فلقد حاز من[6] ذلك غاية الامكان وتبوأ من درجاتها اعلى مكان وبرز بها على العالمين في يوم الدين — وكان [7] تحت لوايه كافة النبيين[8] والمرسلين . ومن اوجز ما قيل فيها وابلغه قول بعضهم : العبودية مشاهدة الربوبية . وهذه عبارة جامعة لمعاني العبودية على مذهب هذه الطايفة وهي اشارة الى مقام الاحسان المذكور في حديث جبريل عليه السلام . وقيل : العبودية ان تكون عبده بكل حال كما انه ربك بكل حال ، وقيل : العبودية في اربع[9] خصال : الوفاء بالعهود والحفظ للحدود والرضى بالموجود والصبر عن المفقود . وقيل غير هذا — وحاصل اشاراتهم ان العبودية صفة قايمة بالعبد تحمله على امتثال الاوامر واجتناب النواهي والرضى بالاقدار . ولها اول في مقام الاسلام وآخر في مقام الاحسان . ولا صارف للعبد عن اقامتها[10] في مقاماتها الا النفس الامارة ولا سبيل الى استلامها لاحكام الربوبية الا بمجاهدتها على طريقة هذه الطايفة المختارة . قال الله عز وجل[11] : «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا»[12] . وقال تعالى : «ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى»[13] . وفي الخبر : اعدى عدوك[14]

---

١) ف ق ر س : الشدايد ‖ ٢) إ ف ق ر س : ط : جواب السؤال الثالث في وجه خيرية المشاق على النفس ‖ ٣) قرآن : ٥١ : ٥٦ ‖ ٤) ق : + الله ‖ ٥) ر : صلعم ‖ ٦) ر : في ‖ ٧) إ : كان ‖ ٨) إ : المسلمين ‖ ٩) إ : اربعة ‖ ١٠) ف : اقامتها ، كذا ‖ ١١) ر : — عز وجل ‖ ١٢) قرآن ٢٩ : ٦٩ ‖ ١٣) ٧٩ : ٤٠–٤١ ١٤) ق : عدو لك ‖

نفسك الى بين جنبيك . واوحى الله تعالى الى داوود عليه السلام : عاد نفسك فليس لي في المملكة منازع غيرها . وقال الجنيد . ارقت ليلة فقمت الى وردى فلم اجد ما كنت اجد[١] من الحلاوة فاردت ان انام فلم اقدر عليه فقعدت فلم اطق القعود ففتحت الباب وخرجت فاذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي رفع رأسه وقال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد . فقال بلى[٢] سألت محرك القلوب ان يحرك لي قلبك . فقلت قد[٣] فعل فما حاجتك . فقال : متى يصير داء النفس دواءها . فقلت اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها . فاقبل على نفسي وقال اسمعي قد جاوبتك[٤] بهذا الجواب سبع مرات فابيت الا ان تسمعيه من الجنيد فقد سمعت. وانصرف عني ولم اعرفه . فتأمل هذه الحكاية ترى فيها العجب . والحكايات عنهم في هذا المعنى اكثر من ان تحصى . وفوايد هذه المجاهدات والرياضات حاصلة في البلايا التي يبتلي الحق تعالى بها بعض عباده لمنافاتها لاراداتهم[٥] وتنغيصها لشهواتهم[٦] فيستفيدون باحتمال ذلك والصبر عليه مذلة وافتقارا وتواضعا وانكسارا وهي من اخلاق العبيد المطلوبة منهم . واهل البلايا هم الامثل فالامثل بالانبيا وقيل في معنى قوله تعالى « فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل »[٧] انهم اهل الشدايد والبلاء مثل ايوب عليه السلام . قرضوا بالمقاريض ونشروا بالمناشير وكانوا سبعين نبيًا — فلهذه المعاني كان كل بلاء نعمة كما ان كل ما يثقل على النفس خير .

فان قلت[٨] : ينبغي[٩] على هذا ان يكون وجود كل ما يخف على النفس من الاعمال او يصيبها من النعم والرخاء شرا وبلاء وان يستحسن سؤال الثقل والبلاء وتمنيها لكونها خيرا ونعمة او يجوز ذلك — قلت :

اما السؤال الاول فلا يلزم لاننا نجد انواعا من اعمال البر الخفيفة على النفوس محمودة وضروبا من النعم المستلذة لها خيرا محضا لا شر فيها كالخفة التي

١) إ : — اجد || ٢) إ : بل || ٣) ر : فقد || ٤) ف ق ر س : اجبتك || ٥) س خ : الارادات || ٦) س خ : الشهوات || ٧) قرآن : ٤٦ : ٣٤ || ٨) إ ف ق ر س : ط : جواب سؤال رابع في بيان امور خفيفة محمودة || ٩) ق ر : فينبغي ||

يجدها بعض الناس في العمل عند فراغه من الاشغال الدنياوية وزوال بعض العلايق القلبية وعند شكر كل[1] نعمة طال ما كان يؤملها من نفع او دفع فانعم عليه بها . وعند اغاثة لهفان واطعام جوعان[2] واكساء عريان وسقي عطشان وتفريج يتيم وقضاء دين غريم وما اشبه هذا من انواع الاعمال الخفيفة المحمودة . وكذلك خفة النعم المسداة الى العبد[3] والفرح بها من حيث كونها وسيلة الى طاعة الله وعبادته كنعمة المطعم والمشرب والملبس والمسكن والمركب والمنكح . بل تقول : الفرح بالنعم من حيث كونها ملائمة لطبعه لا من حيث توصله بها الى اغراضه المذمومة محمود[4] على ما ياتي بيانه .

واما[5] السؤال الثاني وهو استحسان سؤال[6] البلاء وتمنيه او جوازهما فانه[7] يصح ذلك لو لم يرد فيه نهي فلما ورد فيه النهي وجب الا يجوز . فقد روى في الصحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تتمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم[8] فاصبروا — وفيه من حديث عبدالله بن ابي اوفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم[8] فاصبروا[9] واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف — وفي الصحيح ايضاً من حديث انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت حتى صار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعوا بشيء او تسأله اياه قال : نعم كنت اقول : اللهم ما كنت معاقبي[10] به في الاخرة فعجله لي في الدنيا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم إتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قال فدعا الله له فشفاه . وفي بعض روايات هذا الحديث : لا طاقة لنا بعذاب الله . ولم يزل من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء باسباغ النعم والمعافاة من النقم[11] . فقد روي في الصحيح ان اكثر دعوة كان يدعو

---

١) ف ق ر س : — كل ‖ ٢) ر : جيعان ‖ ٣) س: المستلذة للعبد ‖ ٤) ر : محمودة ‖ ٥) إ ف ق ر س: ط : جواب سؤال خامس في وجه المنع من سؤال المشاق وتمنيها ‖ ٦) س : — سؤال ‖ ٧) إ : فانما ‖ ٨) س : لقيتموه : خ : لقيتموهم ‖ ٩) ق: — وفيه . . . فاصبروا ‖ ١٠) سخ: تناقبني ‖ ١١) س: — والمعافاة من النقم ‖

بها رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار — وفيه ايضا من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من سوء القضاء. ومن درك الشقاء. ومن شماتة الاعداء. ومن جهد البلاء. الى غير ذلك من ادعيته واستعاذاته صلى الله عليه وسلم — وقد قال صلى الله عليه وسلم في بعض المواطن التي تاله المشركون فيها بالاذى: ولكن عافيتك هي اوسع لي .

والحكمة في ذلك ان البلايا غير مرادة لذاتها بل لما فيها من الفوايد التي ذكرناها ومن تضعيف الثواب الموعود به الصابرون عليها . وجميع ذلك قد يعطيه الحق تعالى واضعافه لمن شاء من غير نزول بلاء او تحمل[1] عناء كما ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لله اضن بعبده من احدكم بكريمة ما له حتى يقبضه[2] على فراشه . وفي الخبر ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عبادا يضن بهم عن الامراض والاسقام في الدنيا . يحييهم في عافية ويميتهم في عافية ويدخلهم الجنة في عافية . فالواجب على العبد ان يسأل مولاه الفضل المطلق لا من حيث البلاء والمشقة . وايضاً من الآداب اللازمة للعبد ان لا يسأل مولاه ولا يتمنى عليه شيئا من المشاق لانه يحتاج في ذلك الى فضل قوة وعزيمة صبر وقد خلق ضعيفا لا يقدر على مقاومة ذرة او بعوضة لو سلطت عليه الا بتأييد من الله وعون فيقع من سؤال ذلك وتمنيه في عظيم من الدعوى فيخاف اذ ذاك ان يرد الى نفسه ويوكل اليها فيهلك حسبا وقع لبعض الناس — وقد كان الشافعي رحمه الله اعتل علة شديدة فكان يقول : اللهم ان كان في هذا رضاك فزدني منه . فكتب اليه المعافري من سواد مصر : يا ابا عبدالله لست وايانا من اهل البلايا[3] فنسأل الرضى . الاولى بنا ان نسأل الرفق والعافية . فرجع الشافعي عن قوله وقال : استغفر الله واتوب اليه . فكان بعد ذلك يقول : اللهم اجعل خيرتي فيما احبّ .

وما ورد عنهم من مثل قوله :

أُرِيدُكَ لا[4] أُرِيدُكَ لِلثَّوَابِ وَلٰكِنِّي أُرِيدُكَ لِلْعِقَابِ

١) ر : وتحمل ‖ ٢) ر : يُقبضه ‖ ٣) ف ق ر : البلاء ‖ ٤) ؛ : + اني ‖

وَكُلُّ مَآرِبِي قَدْ نِلْتُ مِنهَا سِوَى مَلْذُوذِ وُجْدِي بِالعَذَابِ

وقول سمنون :

وَلَيسَ لِي فِي سِوَاكَ حَظٌّ فَكَيْفَ مَاشِئتَ فَاخْتَبِرْنِي

وقول معاذ بن جبل عند الموت : اخنقني خنقك فوعزتك انك لتعلم ان قلبي يحبك – فذلك كله من غلبات الحال واستيلاء سلطان الوجد عليهم . ومثل هذا قد يغلب على المحبين في مقام المحبة كما يغلب عليهم البسط والاذلال فينطقون باشياء منكرة في الظاهر . وقد ينتهي بعضها الى ما يشبه الكفر . وهم في جميع ذلك معذورون وفي مقاماتهم العالية محفوظون . وقد قال الشبلي : المحب اذا سكت هلك والعارف ان[1] لم يسكت هلك. وحكي ان سمنون لما انشد البيت المتقدم قال بعض اصحابه لبعض : سمعت البارحة وكنت بالرستاق[2] صوت استاذنا سمنون بن حمزة يدعو الله تعالى ويتضرع اليه ويسأله الشفاء . وقال آخر : وانا ايضاً كنت اسمع[3] هذا البارحة وكنت بالموضع الفلاني . فقال ثالث ورابع مثل هذا . فاخبر سمنون وكان قد امتحن بعلة الاسر وكان يصبر ولا يجزع . فلما سمعهم يقولون هذا ولم يكن هو قد دعا ولا نطق بشيء من ذلك علم ان المقصود منه اظهار الجزع تأدبا بالعبودية وسترا لحاله فاخذ يطوف على المكاتب ويقول ادعوا لعمكم الكذاب . وسمنون هذا من المحبين وله في مقام المحبة اعاجيب . فالواجب على العبد سؤال العافية وتمنيها والرضى بها وذلك باب من ابواب الادب . فاذا ابتلي فالواجب حينئذ الصبر والاستسلام والرضى بجريان الاحكام والعلم بانه سلك به سبيل المصطفين من الانام .

فتبين بما ذكرناه ان العبودية التي اشرنا اليها لا تتم الا بانواع من المجاهدات والمكابدات وترجع جميعها الى معاملات بدنية وقلبية . فان وجد المريد شيخا مرشدا يهديه الى مسالكها ويحميه عن مهالكها ذا طريقة سنية وهمة علية فليتعلق باذياله ولينسج على منواله وليقتد به في اقواله وافعاله وليتحقق انه حصل[4] على الكبريت الاحمر ونال من السعادة الابدية الحظ الاوفر .

---

١) ر : اذا ‖ ٢) [كذا وهي « بالرسداق »] ؟ : بالرستان ‖ ٣) ف ق : اسمع ؟ إ خ س : سمعت ‖ ٤) ر : وقع ‖

وان[1] اعوزه وجدانه وتعذر امكانه فليعمد كتب ايمة القوم ككتب المحاسبي والسلمي والقشيري وكتاب ابي طالب المكي وكتاب ابي حامد الغزالي وعوارف المعارف للسهروردي . فهذه امهات كتبهم التي تداولها الناس واقتبست منها علومهم ومعارفهم اى اقتباس . وكذلك ما تفرق من كلام ايمتهم في الكتب والدواوين وشهر نقله بين علماء المسلمين . وذلك بعد تصحيح اعتقاده على المذهب السني واعتياده في تقليده في فروع دينه على امام مرضي . وليقدم الاستخارة على سنتها وصدق النية والعزيمة على العمل بما يفتح عليه منها ثم تحقيق ذلك في الافعال والاقوال والاستعانة بربه في جميع الاحوال .

٥

فاذا اتصف بهذه الصفات واقبل على النظر في هــذه المصنفات رجونا له بلوغ المطلوب وادراك المرغوب .

ولم نرَ في هذه الكتب المذكورة والمصنفات المشهورة ما هو اشفى للغليل وابرأ للعليل واهدى للسبيل من كتابي الامامين ابي طالب المكي وابي حامد الغزالي . فقد اودعا فيها من غرايب العلوم وعجايب الفهوم ما تثلج به الصدور وتتيسر به الامور . وخصوصاً الغزالي فانه فصل وبوب واوضح وقرب ونقح وهذب وجمع في اوراق يسيرة مما تفرق في كتب كثيرة . وضرب الامثال وازاح الاشكال واظهر غوامض الاسرار ونبه على طرق الاعتبار والاستبصار — الا ان فيه اشياء اعتاصت على[2] الافهام وخرجت عن مذاهب اهــل علم الكلام ولكن لا حاجة بالمريد الى معرفتها ولا ينبني شيء من احكام طريقته عليها . واكثر ذلك في ربع المنجيات ككتاب التوبة وكتاب الشكر وكتاب التوحيد وكتاب المحبة وقد يوجد منها شيء يسير في غير هــذا الربع . فيجب على الناظر في كتابه اذا وقف على بعض هذه المواضع ان يتجاوزها الى غيرها وان يسلم له ما خفي عليه من امرها . وكذلك يسلم له بعض الاحاديث التي ينقلها ولا يردها ولا يقبلها فبذلك يجمع بين تحصيل فوايد الكتاب وتحسين الادب مع العلماء من اولي الالباب .

٥

١) إ ف ق ر س : ط : جواب سؤال سادس فيا يقرأ من كتب التصوف وكيفية الاخذ في ذلك ‖ ٢) ر : عن ‖

واما كتاب ابي طالب فعليه وقف[1] الاختيار واليه انتهى التقديم والايثار اذ لم يقع بايدينا مثل منزعه ولا رأينا من حام حول مشرعه[2] . فانه فتح فيه مغلق علم التصوف الذي اعجز حله وفك خواتم اسرار لا يفكها الا مثله وجمع فيه بين المعاني الصحيحة والالفاظ الحسنة وساقه مساقاً تصغى اليه الاسماع وتستحليه الالسنة. وذكر فروع علومهم واصولها ورسم مسايلها وفصولها . فكان لذلك كالمدوّنة في علم الفقه يقوم مقام غيره ولا يقوم غيره مقامه — الا ان فيه بعض علوم غامضة لا تدرك ببضاعة العقول ولا توافق ظاهر العلم المنقول . واحاديث له فيها مذهب معروف وطريق مالوف فعلى الناظر في ذلك ان يتصف بما ذكرناه من التسليم ويعتقد جريانها على المنهج القويم ويرجو ان يفتحها عليه الفتاح العليم — وما عدا هذين الكتابين من التصانيف التي ذكرناها مشتمل على فوايد زايدة لا يستغني المريد عنها ولا يجد في غيره عوضا منها. فعليه ان يطلبها من اماكنها ويستخرجها من مكامنها ويستعين على ذلك بمشاركة من يتمذهب بمذهبه ويساهمه في مطلبه[3] ومأربه .

وليجتنب[4] المريد مخالطة طايفتين من الناس والتشاغل باشغالهم والعمل باعمالهم . احداهما المستغرقون في علم الظاهر كالفقه وما اشبهه من العلوم الظاهرة لعدم وجدان السلامة في ذلك غالباً ووقوعه في انواع[5] المعاصي الظاهرة والباطنة. وان سلم من ذلك نادرا فلا يسلم من تشتت قلبه وغفلته بسبب اهتمامه في تفهم نوادر الاحكام وما ليس له به[6] حاجة من مسايل التداعي والخصام . فيقطع عمره في التعب والفضول ويستغرق اوقاته بما ليس له طايل ولا محصول. فتنحل بذلك عقدة عزمه وتزول بركة علمه وعمله . اذ من احسن حال[7] الآخذين فيه في هذه الازمنة — ولا حال لهم — حال رجل دخل فيه بنية تعليمه من يحتاج اليه وفتواه في نازلة يعول فيها عليه محتجا على ذلك[8] بحجج داحضة كقوله انا آخذ في فرض الكفاية. وما انني به عني الجهالة والغواية وقد استمر عليه —

١) ر س : وقع ؛ س خ : وقف || ٢) إ : شرعة || ٣) ق : مذهبه || ٤) إ ف ق ر س : ط : جواب سابع في اجتناب المريد الاخذ في التصوف مع من يستضر به في حاله || ٥) ر س : + من || ٦) ر س : ليس بـه اليه || ٧) س خ : احوال || ٨) ر س خ : في ذلك ||

عمل الناس قديماً وحديثاً واوسعوه اجتهادا وطلبا حثيثا كما فعله مالك وغيره من العلماء. وانا في ذلك سالك سبلهم وعامل عملهم وهل انا في ذلك الا بمنزلة من سعى في انقاذ فريق وهداية[1] ضال الى سواء الطريق الى غير ذلك[2] وهذه حجج صلحايهم التي بها يتمسكون ومحاج نصحايهم التي عليها يسلكون ويسلكون . وهي من تلقين الشيطان وإلقايه ليتمكّن بذلك من فتنه وإغوايه — ومن اعظم ما قاده اليه بكلماته المزخرفة وادلته المحرفة ان انساه نفسه ومولاه والقى زمامه بيد هواه فاصمه بذلك واعماه وفقد الخوف والخشية واستحوذت عليه الغفلة والقسوة فاثمر له ذلك انواعاً من الخبايث وصار في عداد[3] السفلة والاخابث . وعلى قدر استغراقه فيه تتضاعف عليه هذه الآفات ويتعذر عليه الخلاص منها والافلات . وكل ما ازداد على العلم الذي هو فيه حرصا ازداد[4] عماية ونقصا فكان مثله[5] كمن بنى قصرا وهدم مصرا . وآية ذلك تحسينه ظنه بنفسه وعجبه بعقله وحدسه وتكبّره على ابناء جنسه وعدم قبوله للنصائح والمواعظ وتلقي ذلك ممن يلقيه اليه بأذن غير واعية وقلب غير حافظ ومعاداة اقرانه ونظرايه في العلم ووقوعه من غيبتهم بغيبتهم وبهتهم بحضرتهم في كباير الاثم . ومن مارس احوالهم وشاهد اعمالهم علم يقينا صحة ما ذكرناه عنهم . فاين هذا من سيرة السلف الصالح ومواخاة بعضهم بعضاً[6] وتانس بعضهم ببعض[7] وانبساط بعضهم الى بعض .

فان تفطن هذا المسكين لغفلته واعترافه ورأى قبح افعاله وآثاره ورام التوبة والاقلاع والانعطاف بالاوصاف نوفع وجد تلك البلايا في طباعه راسخة وظلماتها لانوار بصيرته ناسخة . فان كان ممن سبقت له العناية وهدي الى طريق الرعاية رأى في مجاهدة هواه اهوالا لا تطاق ولقي في مكابدة قلع صفاته الذميمة احوالا يضيق عنها النطاق . وان كان ممن نفذ عليه الحكم واضله الله على علم قوي عماه وبقي على هواه فخسر دينه ودنياه . والعياذ بالله من ذلك .

فيجب على من انقدحت في قلبه تلك الشبهات التي قبلها من اعدى العداة

١) س : او هدايته ‖ ٢) إ : — الى غير ذلك ‖ ٣) ر : عدد ‖ ٤) س : زاد ‖ ٥) ف ق ر س : كمثل من ‖ ٦) ر س : لبعض ‖ ٧) ق : لبعض ‖

ان ينظر احواله مع احوال من ذكره[1] من الايمة بعين الانصاف السالم من الزيغ والانحراف فسيظهر له افتراقها وبونها ويقول حينئذ شتان ما بينهما . وذلك انهم بنوا امورهم على قاعدة التقوى والبر واخلاص السر والجهر فاوجب لهم ذلك نفوذا في بصايرهم وصفاء في سرايرهم . وادركوا[2] بها الحقايق الباطنة والظاهرة وعلوم الدنيا وعلوم[3] الآخرة وساعدهم على ذلك الزمان والاخوان ووجدوا الرفقاء والاعوان فاستقام لهم بذلك من امرهم ما لم يستقم لمن بعدهم. وهذا كله معلوم من احوالهم بالقطع لتواتر الاخبار منهم بذلك .

والطائفة الاخرى الشاطحون المترخصون الذين لا يتقيدون بحكم ولا ينضبطون لرسم. فليجتنبهم المريد كما يجتنب المتفقهة[4] بل اشد[5] وذلك لان ضررهم اعظم من قبل ان احوالهم موافقة لهوى النفس لانهم جمعوا بين دعوى المقامات العلية والراحات من الاعمال البدنية . وذلك خلاف لمذهب[6] اهل التحقيق وعدول عن محجة الطريق — قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله : شيوخ هذه الطايفة مجمعون[7] على تعظيم الشريعة متصفون بسلوك طريق الرياضة مقيمون على متابعة السنة غير مخلين بشيء من آداب الديانة متفقون على ان من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يبن امره على اساس الورع والتقوى كان مفتريا على الله سبحانه فيما يدعيه مفتونا . هلك في نفسه واهلك من اغتر به ممن ركن الى اباطيله . وقال الجنيد : ما اخذنا التصوف من القيل والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المالوفات والمستحسنات. وقال ايضا : ان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها . ورئي في يده سبحة فقيل له انت مع شرفك تاخذ بيدك سبحة فقال : طريق وصلت به الى ربي لا افارقه . وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي اربع ماية ركعة ثم يعود الى بيته. وقال رويم: ما هذا الامر الا بذل الروح فان امكنك الدخول فيه مع هذا والا فلا تشتغل بترهات الصوفية . وقال ايضاً : قعودك مع كل طبقة من الناس اسلم من قعودك مع

---

١) إ : ذكرناه ‖ ٢) إ : ادركوا ‖ ٣) س : — وعلوم ؛ خ : وعلوم ‖ ٤) ر : المتفقه ‖ ٥) إ : — وذلك ‖ ٦) ر س : لمذاهب ‖ ٧) ق : مجموعون ‖

الصوفية . فان كان الخلق قعدوا على[1] الرسوم وقعدت هذه الطايفة على الحقايق.
وطالب الخلق انفسهم بظواهر الشرع وطالب هؤلاء انفسهم بحقائق الورع
ومداومة الصدق . فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نور
الايمان من قلبه . وقال يوسف بن الحسين الرازي : اذا رأيت المريد يشتغل
بالرخص فاعلم انه لا يجيء منه شيء — وكتب الى الجنيد : لا اذاقك الله
طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا ابدا . وقال ابن خفيف :
الارادة استدامة الكد وترك الراحة وليس شيء اضر على المريد من مسامحة
النفس في قبول الرخص والتاويلات . وقال الحصري : الناس يقولون الحصري
لا يقول بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة لعوقبت .
فان[2] انضاف الى ذلك هتك[3] استار الشريعة والتشاغل بالغيبة والوقيعة
فامرهم اشد والفرار منهم اكد. وقال ابو يزيد البسطامي : لو نظرتم الى رجل
اعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف
تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود واداب[4] الشريعة. وقال ابو الحسين[5]
النوري : من رايته يدعي مع الله حالة تخرجه من حد العلم الشرعي فلا تقربن
منه . وسيل ابو علي الروذباري عمن يسمع الملاهي ويقول هي لي حلال لاني
قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الاحوال فقال: نعم قد وصل ولكن
الى سقر . وقيل للنصراباذي[6] : ان بعض الناس يجالس النسوان ويقول انا
معصوم في رؤيتهن فقال: ما دامت الاشباح باقية فان الامر والنهي باق والتحليل
والتحريم مخاطب به ومن يجترى على الشبهات الا من هو معرض بالمحرمات[7] .
وقال ابو بكر الزقاق : تهت في تيه بني اسرائيل مقدار خمسة عشر يوما فلما
وقعت على الطريق استقبلني انسان جندي فسقاني شربة[8] ماء فعادت قسوتها
على قلبي ثلاثين سنة — وقال ابو حفص الحداد : من لم يزن افعاله واحواله في
كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده[9] في ديوان الرجال .
وسيل اسماعيل بن نجيد عن التصوف فقال : الصبر تحت الامر والنهي . وقال

١) إ : مع || ٢) س خ : وان || ٣) س : ختك ؛ خ : هتك || ٥) ف ق د
س : وأداء ؛ س خ : وآداب || ٥) ف : الحسن . كذا || ٦) إ : وقال النصر
اباذي || ٧) إ : بالحرمات || ٨) ف ق د س : + من || ٩) ف : تعد ||

ابو العباس الدينوري: نقضوا اركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها باسام[1] احدثوها سموا الطمع زيادة وسوء الادب اخلاصا والخروج عن الحق شطحا والتلذذ بالمذموم طيبة واتباع الهوى ابتلاء والرجوع الى الدنيا وصولا وسوء الخلق صولة والبخل جلادة والسوال عملا وبذاءة[2] اللسان سلامة . وما هذا كان طريق القوم . والاخبار والحكايات عنهم في هذا المعنى اكثر من ان تحصى .

فان[3] احب هذا المريد ان ينظر في شيء من علم التفسير والحديث فحسن لان القرآن والحديث مشتملان على حقايق الدين ومقامات اهل اليقين وفيهما مجال عبرهم ومسرح فكرهم ومطمح نظرهم وشفاء ادوايهم ومنع اعدايهم وقمع اهوايهم . وهذا هو الفرق بينهما وبين الفقه وان كان فرعا عنهما ومأخوذا منهما . وقد ذكرنا ما يلزمه من الافات قبل - وليأخذ من الفقه ما يحتاج اليه في عباداته ومعاملاته ويدع ما سوى ذلك .

واكد[4] ما على المريد ان يكون له حال من الادب الظاهر والباطن فيما يتقلب فيه من الاحوال ويتصرف به[5] من الاعمال من غناه وفقره وعافيته وضره[6] وطاعته وعصيانه وذكره ونسيانه — ونعني بالذكر شهود القلب وحضوره وبالنسيان[7] غيبته واستتاره فذلك مما يجب مراعاته في السلوك والوصول لانه من اقوى العمد والاصول وفي ذلك من خلوص التوحيد ومحاسن اوصاف العبيد ما يندفع بها عن باطنه انواع من الكروب والآمال ويتخلص بها من تبعات[8] الذنوب ومتاعب الاعمال . اما الغنى والعافية والطاعة والذكر — وفي معناها[9] رفعة القدر والجاه — فادبها[10] الباطن معرفته بجلال ربه وعظمته وكبريائه وقدرته ويكفي في ذلك معرفة قوله تعالى : «وما قدروا الله حق قدره»[11] — ومعرفته بخسة نفسه وضعتها ومهانتها وآفتها[12] ويكفي في ذلك معرفة قوله تعالى[13] : «هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا

١) ف ق ر : باسامي || ٢) ر س : وبذاذة || ٣) إ ف ق ر س ؛ ط : جواب سؤال ثامن في ذكر عدم منافاة النظر في علم القرآن والحديث للتصوف || ٤) إ ف ق ر س : ط : جواب سؤال تاسع في ذكر احوال شريفة ينبغي ان يكون عليها المريد || ٥) ف ق ر س: فيه || ٦) س خ: وضروة || ٧) س: والنسيان ؛ خ: وبالنسيان || ٨) س خ : تباعات || ٩) إ : معناها || ١٠) إ : فادبها || ١١) قرآن: ٦: ٩١ || ١٢) ر س : وآفاتها || ١٣) ف ق ر س : سبحانه ||

مذكورًا »[1] — فاذا احكم هاتين المعرفتين علم على القطع حينئذ انه لا وجه لاستحقاقه شيئا من ذلك وان قل لولا فضل الله وكرمه وانه لو صب عليه انواع البلايا وامتحنه باشد الرزايا واوقعه في سبب يضل به في دينه ويهلك به في[2] دنياه لكان اهلا له ومستحقا وقد فعل ذلك بامم لا تحصى — فينبغي ان يستغرقه الفرح بربه والشكر له ويشتغل بذلك عن التطلع الى ما هو اعلى والكون على حال يتوهمه اولى — وادبها[3] الظاهر اما الغنى والعافية وما في معناهما فالاستعانة بها على طاعة الله عز وجل وان لا يستعين بها[4] على معصيته[5] . واما الطاعة فاخلاصها وتحسينها واتهام النفس في الوفاء بحقوقها ورجاء قبولها — واما الذكر فان لا يجره البسط الى سوء الادب ولا يمنعه القبض من العمل بما يجب او يستحب ويراعي في ذلك آداب الحضرة ولا يخل منها بمثقال ذرة .

واما الفقر والضر — وفي معناهما الضعة والخمول — فادبها[6] الباطن معرفته بان الحق تعالى سلك به سبيل احبابه من انبيابه واوليابه ورآه اهلًا لتقريبه واصطفابه وعلمه بان في الامكان ما هو اعظم مما به[7] ابتلاه في دينه ودنياه — فينبغي ان يستغرقه الفرح بمولاه لايثاره اياه بما به[8] ابلاه واولاه والشكر له على اصابته منه بهذا القدر اليسير لطفا منه به ونظرا له ويشغله ذلك من مكابدة البلوى والاستراحة الى البث والشكوى . فقد حكي انه كان لبعض الاولياء صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له صاحبه اشكر الله فضرب الرجل فكتب اليه فقال اشكر الله[9] فجيء بمجوسي مبطون وقيد فجعلت حلقة من قيده على رجل هذا وحلقة على رجل المجوسي فكان يقوم المجوسي بالليل مرات وهذا يحتاج ان يقوم معه ويقف على رأسه حتى يفرغ فكتب الى صاحبه — فقال : اشكر الله — فقال الى متى تقول واي بلاء فوق هذا . فقال له صاحبه : لو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع . وقال رجل لسهل بن عبد الله : ان اللص دخل داري واخذ متاعي فقال له : اشكر الله ولو دخل اللص قلبك — وهو

---

١) قرآن : ٧٦ : ١ ‖ ٢) إ : — في ‖ ٣) إ : وادبها ‖ ٤) ف : بها ؛ ف خ ق : بها ‖ ٥) إ ق : معصية ‖ ٦) ر : فادبها ‖ ٧) ق : — به ‖ ٨) ف ق ر س : — به ‖ ٩) إ : — فضرب ... الله ‖

الشيطان – وافسد التوحيد مـاذا كنت تصنع . ومر بعض المشايخ في شارع فصب على رأسه طست رماد فسجد لله تعالى[1] شكرا . فقيل له في ذلك فقال : كنت انتظر ان يصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة – وادبها الظاهر حسن الصبر وسؤال كشف الضر واستعمال ظاهر السنة في التسبب والطب والفرار من المؤذي والمهلك . وان ترقى في المعرفة حتى ترك الدعاء[2] والسؤال في بعض حالاته فحسن. فقد قيل ألسنة المبتدئين منطلقة بالدعاء. وألسنة المتحققين خرست عن ذلك . وسئل الواسطي ان يدعوا فقال : اخشى ان دعوت ان يقال لي ان سألتنا[3] ما لك عندنا فقد اتهمتنا وان سألتنا ما ليس لك عندنا فقد اسات الثناء[4] علينا وان رضيت اجرينا لك من الامور ما قضينا لك في الدهور. وروى عن عبدالله بن منازل انه قال : ما دعوت منذ خمسين سنة ولا اريد ان يدعو لي احد – يعني بذلك الدعاء[5] المقصود به قضاء حاجته في خاصته لا مطلقا. اذ الدعاء على قصد اظهار[6] العبودية وموافقة الامر والدعـاء للغير على وجه مندوب اليه في الشرع مطلوب من الخاصة والعامة لا يضاد شيئاً من مقاماتهم العالية بل يجدون المزيد بذلك فيها. الا ان يكون مستغرقا في حال من الاحوال فلا كلام في مثل هذا. وان غلب عليه اليقين حتى ترك التسبب والتطبب فحسن ايضا قد[7] فعله جماعة من الائمة . وقد قيل : دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم في اي موضع هو فاطلبوه . قالوا : نسأل[8] الله ذلك فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا فندخل البيت فنتوكل على الله[9] فقال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة . وقال ابو حمزة : اني لاستحيي من الله ان ادخل البادية وانا شبعان وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون سعيي على الشبع زادا اتزوده . وقيل لحبيب العجمي : تركت التجارة فقال وجدت الكفيل ثقة. وقيل لابي بكر الصديق[10] في مرضه : لو دعونا لك طبيبا فقال : الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد . وقيل لابي الدرداء : الا تدعو لـك طبيبا فقال : الطبيب امرضني – وقيل لسهل : متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل

١) س : – تعالى ‖ ٢) ر : – الدعاء ‖ ٣) ق : سألت ‖ ٤) س : الادب ؛ خ : الثناء ‖ ٥) إ : – الدعاء ‖ ٦) س خ : اشار ‖ ٧) س : وقد ‖ ٨) ف ر : فنسأل ‖ ٩) ف ق ر س : – على الله ‖ ١٠) ق : + رضي الله عنه ‖

عليه الضر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه.

واما العصيان والنسيان فاديها الباطن علمه بانها بقضاء من الله وقدر معرفته بوجه[1] اللطف في تخلية العد والعصيان وتسليطه عليه دواعي الغفلة والنسيان. وذلك انه اراد ان تعرف صفاته العلية وتشهد نعوته القدسية كالعزة والعدل في سلب العصمة منها والاخذ بها والمنة والفضل في العفو عنها وقبول التوبة منها ثم في ذلك من وجود الرهب ونفي العجب حسبًا ورد في الخبر: لو لم تذنبوا لذهب الله بكم[2]. وفي الخبر ايضا: لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو[3] اشد من ذلك العجب العجب. وقال ابراهيم بن ادهم: طفت ذات ليلة بالبيت الحرام وكانت ليلة ممطرة شديدة الظلمة وقد خلا الطواف[4] وطابت نفسي فوقفت عند الملتزم وقلت اللهم اعصمني حتى لا اعصيك[5] فهتف بي هاتف فقال: يا ابا ابراهيم انت تسألني اعصمك[6] وكل عبادي يسألوني العصمة واذا[7] عصمتهم[8] فعلى من اتفضل ولمن اغفر.

فيجد بهذه الاحوال من المزيد ما لا[9] يجده بالطاعة والذكر وهو المعني بقول من قال: رب ذنب ادخل صاحبه الجنة. فيستغرقه حينئذ شهود اللطف في العنف ويشغله ذلك عن تكدير الوقت بالحزن على فوات الحظ الابدي والنعيم السرمدي. وقد قال بعض العارفين: العاقل عن الله تعالى من غرق شدايد الزمان في الالطاف الجارية من الله عليه[10] وغرق اساءة نفسه في احسان الله اليه: « فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون[11]». وهذه الآداب الباطنية[12] والمعارف الروحانية لا تصح ويجد المزيد منها[13] الا من كان له قلب حي بالايمان واليقين. وعلامة ذلك الا يقع منه خلل بالاداب الظاهرة والمعاملات البدنية التي سنذكرها ولا يقع منه فتور فيها بسبب ذلك بل يشتد حرصه عليها ويعظم فرحه بما حصل له منها. فمثل هذا الشخص يصح في حقه ذلك ويجد المزيد بتذكار تلك الالطايف

---

١) ق: + من ‖ ٢) ا: لكم ‖ ٣) ا: — ما هو ‖ ٤) ف خ ر س: الطاف ‖ ٥) س: + ابدا ‖ ٦) س خ: العصمة ‖ ٧) ق: فاذا ‖ ٨) س: عُصمتم؟ خ: عصمتهم ‖ ٩) ق: — لا ‖ ١٠) ف ق ر س: — الجارية من الله عليه ‖ ١١) قرآن: ٧ : ٦٧ ‖ ١٢) ر: الباطنة ‖ ١٣) س خ: عليها ‖

والمعارف – واما غيره فيجب عليه الا يخطرها بخاطره ولا يتصرف فيها بفكره. فانها[1] تضره ضررا عظيما. وليقتصر على الآداب الظاهرة وهي المبادرة الى التوبة وحل عقد الاصرار وتذكار الخوف والندم والبكاء. والفزع الى الرغبة والدعاء. وحسن التيقظ في لزوم الذكر واحضار السر.

ومن الآداب الظاهرة في جميع هذه الاحوال اللازمة للمريد افراد كل حالة بذكر مخصوص يناسبها ومناجاة تليق بها لكونه يمث[2] الحضور والمراقبة ويجعل ذلك هجيراه ومتاده. فاذا لازم العبد هذه الوظايف وتحقق بهذه المعاني والمعارف فقد قام بواجب مقام الشكر واستحق بذلك الزيادة الموعود بها في محكم الذكر – ولا زيادة اعلى من التحقيق في هذه الاحوال والترقي فيها – وحصل على اغتنام وقته النفيس وزوال حظه الخسيس ووصل الى مقصوده على طريق مختصر وقام بحق معبوده في كل ورد وصدر. فهنيا لهذا العبد ما اختص به من خصوص المزايا وخلع عليه من خلع العطايا.

وينبغي[3] للمريد ان يستعمل حسن الادب مع كل من اتصف بعلم او دين فلا يرد عليهم قولا ولا يعيب عليهم فعلا الا باذن من الشرع عن علم محقق منه ولا يظن باحد منهم ظن السوء الا اذا حصل على يقين من امره. واذا رأى كلاما لبعض اهل عصره او غيرهم او تعرف فعلا من افعالهم فليعرضه على مقتضى الكتاب والسنة على مذهب اهل الظاهر او على مذهب اهل الباطن[4] فان وافقه فحسن ولا طلب له تأويلا صحيحا. فان وجده فحسن والا فليسلمه له. الا ان يقطع عليه بمخالفة فليرده حينئذ ولا يبالي به[5] وذلك هو الواجب في حقه. هذا كله ان احتاج الى ذلك وكان مما يعنيه. وان كان مما لا يعنيه فلا يأخذ في ذلك باثبات ولا نفي ولا تصحيح ولا ابطال وليتأدب بما ادبه به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال: من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

وليراع حسن الادب مع خاصة الناس وعامتهم وفي جميع اموره حسبا

١) ر: فانه ‖ ٢) ق ر س: ينعت ‖ ٣) إ ف ق ر س: ط: جواب سؤال عاش في ذكر آداب النظر في كلام العلماء ‖ ٤) س: – او على مذهب اهل الباطن؛ س خ: او على ... الباطن ‖ ٥) ر س: يباليه ‖

شرحناه . فاذا احكم جميع ما ذكرناه وراعى الادب الذي وصفناه استفاد باذن الله قوة باطنية تحمله على اعتناق الاعمال والترقي في المقامات والاحوال واطلع بها على اسرار العلم الظاهر واشرق في قلبه نور اليقين الباهر وعرف مداخل الغرور في الاعمال والعلوم . وفرق بين الحقايق والرسوم . ولا تكون له حينئذ همة الا فيا يرضي ربه ولا نية الا فيا يرجو نفعه ويوجب[1] قربه وذاق حلاوة الايمان واليقين وخفت عليه اعمال المتقين . ومنه الخفة الكاينة في هذا المقام محمودة ملحقة بما استثنيناه من انواع الخفة المحمودة قبل هذا وهي من الترويحات التي يروح الحق تعالى بها بعض عباده كرامة لهم ولطفا بهم . وليست بلازمة في مقام العبودية بل ربما ضوعف على بعضهم الثقل وسلط عليهم القبض وهم قايمون بين يدية بوصف الاقبال راضون بما اقامهم فيه من تحمل الاثقال . ويكون حالهم اتم من حال الاخيرين لانهم يستفيدون بذلك مزيد ادب ومراقبة ويسلمون من انواع من[2] الاخطار التي يتعرض لها سواهم . فقد قال الواسطي رحمه الله : احذروا لذة العطاء فانها غطاء[3] لاهل الصفاء . وقال ايضاً : اياكم وحلاوة الطاعات فان تحتها[4] سموما[5] قاتلات . وذلك من اجل ان للنفس هنا[6] انتعاشا وركونا الى ما ظهر عليها ووقوفا معه فيوجب ذلك غفلة ما يحرم بسببها مزيدا كثيرا[7] لا يقدر قدره ولا يعرف خطره واليه — والله اعلم — اشار الجنيد بقوله : لو اقبل صادق على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة كان ما فاته اعظم مما ناله . ومعنى وقوفه معه رضاه به واشتغاله بذلك عن ربه . كما قال بعض المشايخ[8] في الرضى والتسليم: اخاف ان يشغلني حلاوتها عن الله عز وجل — وقال الاستاذ ابو القاسم[9] : رؤية القرب حجاب عن القرب فمن شاهد لنفسه محلا او نفسا فهو ممكور به . ولهذا قالوا : اوحشك الله من قربه اي من شهودك لقربه . فان الاستيناس بقربه من سمات الغرة به اذ الحق تعالى وراء كل انس وان[10] مواضع الحقيقة توجب الدهش والمحو[11] . وفي قريب من هذا قالوا :

---

١) س : ويرجو ؛ خ : ويوجب ‖ ٢) ر : — من ‖ ٣) إ : عطاء ‖ ٤) س خ : تحقتها ‖ ٥) ف : سموم ‖ ٦) ف ر : ها هنا ‖ ٧) ف ر س : مزيد كثير ‖ ٨) ف ط : هو سيدي عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ الشاذلي رضي الله عنهم اجمعين ‖ ٩) ف ر س : + القشيري ‖ ١٠) ف : فان ‖ ١١) س : والمحق ؛ خ : والمحو ‖

مِحْنَتِي فِيكَ أَنَّنِي لَا أُبَالِي بِمِحْنَتِي
قُرْبُكُمْ مِثْلُ بُعْدِكُمْ فَمَتَى وَقْتُ رَاحَتِي

وكان الاستاذ ابو علي الدقاق كثيرا ما ينشد :

وِدَادُكُمْ هَجْرٌ وَحُبُّكُمْ قِلًى وَقُرْبُكُمْ بُعْدٌ وَسِلْمُكُمْ حَرْبُ

ورأى ابو الحسين النوري بعض اصحاب ابي حمزة فقال : انت من اصحاب ابي حمزة الذي يشير الى القرب ، اذا لقيته فقل لـه ان ابا الحسين النوري[1] يقرؤك السلام ويقول لك : قرب القرب فيما نحن فيه بعد البعد — وتحقيق ما ذكرناه يستدعي طولا وكشفا عن اسرار لا حاجة بنا الى كشفها .

واذا انتهى المريد الى هذا الحد امتلأ قلبه بانوار باهرة ومعان قاهرة فظهر له من جلال ربه وعظمته ومن عجايب عوالم قدرته وحكمته ما يعجز عن وصفه.

ومن[2] ها هنا ينجز الكلام على مسئلة الشيخ ابي طالب المذكورة في كتاب الخوف في ذكر المكر ولا اتجاسر هنا على زيادة الكلام فيها على ما ذكرناه في الكتاب الاول . فلتقنعوا بذلك ولتعتبروا هذه النبذة التي ذكرناها وترفوها حقها من النظر فان الكلام فيها منظوم مرتب مرتبط بعضه ببعض سقناها[3] مساق سلوك المريد الى منازل التوحيد وانهينا الامر فيها الى الغاية التي تسكن فيه العبارة وذكرنا فيها من المعاني الكلية والاداب الجلية[4] ما يفتقر بسطه الى مجلدات . وفي ضمن ذلك كله استيفاء الجواب عن جميع اسيلتكم[5] الا ما اعتذرنا[6] عنه منها وذلك هو مقصودنا بالذات في ايراد هذه الكلمات .

فسأل ربنا جل وعلا ان يوفقنا واياكم[7] للعمل بما علمنا وان لا يجعله حجة علينا . والمراد منكم الدعاء لي بمثل هذا وكذلك كل من نظر فيه من اصحابنا . ومع هذا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو حسبنا ونعم الوكيل . وصلى الله على سيدنا[8] محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

---

١) ر : — النوري ‖ ٢) إ ف ق ر س : ط : جواب سؤال حادي عشر بالاحالة على كتاب آخر ‖ ٣) س : سقناه ؛ خ : سقناهـا ‖ ٤) إ : الجلية ‖ ٥) س خ : اسيلتهم ‖ ٦) س خ : اعتـدونا . كذا ‖ ٧) إ : — واياكم ‖ ٨) ف خ ر : + ومولانا ‖

[الرسالة السابعة]

كتاب تضمن ذكر مراتب الناس في الصبر والرضى عند نزول البلايا بهم[1]

الحمد لله وحده . وقد بلغني كتابكم وانتم تذكرون فيه مسئلة الصبر على البلاء وانكم اختلفتم فيها . وليس في ذلك اشكال ولا ما يوجب الاختلاف. فان الصبر على البلايا[2] مقام من مقامات اليقين وهو تابع له في القوة والضعف والزيادة والنقصان . والصبر عبارة عن حبس النفس عن تعاطي افعال واقوال اختيارية مضادة للشريعة والحقيقة موافقة للجبلة والطبيعة . ولا يتأتى ذلك على الوجه المطلوب الا لمن قوي يقينه وضعفت صفات نفسه . واما من كان في نهاية ضعف اليقين وقوة صفات النفس فلا يقدر على ذلك ولا يدوم عليه بل يسترسل على مقتضى طبعه بلا رادع ولا مانع حتى ربما قارب الكفر – والعياذ بالله – وهو نسبة الله تعالى الى الجور .

وتتفاوت مراتب الناس بين هاذين المنتين تفاوتا لا ينحصر كما يتفاوتون في اليقين . فان قوي يقينه جدا لم يجد لما اصابه من البلاء ألما بل ربما استحلاه واستطابه . وهذا من اعلى مقامات المحبة والرضى. كما روي عن سري السقطي وقيل له : هل يجد المحب طعم الالم[3] فقال لا – قيل[4] وان ضرب بالسيف قال وان ضرب بالسيف سبعين ضربة[5] على ضربة . ودون ذلك ان يستحليه بقلبه ويجد المه بجسده كما قيل : الرضى سرور القلب بمر القضاء . وقال ابو يعقوب النهرجوري : اذا استكمل العبد حقايق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء شدة . ودون ذلك ان يستوى عنده وجود ذلك وعدمه . فان اعتراه ضعف في يقينه انحط عن هذه المراتب فيضيق صدره لعدم الانشراح المستفاد من نور اليقين فيوديه ذلك الى الشكوى والجزع . ولقد عدوا من ضيق الصدر قول العبد عند البلاء : لا حول ولا قوة الا بالله . وهذا من سيئات المقربين التي هي من حسنات اصحاب اليمين . وعدوا ايضاً أنين المريض من الشكوى وجعلوه

---

١) س خ : وله ايضاً رضي الله عنه كتاب تضمن اختلاف احوال الناس في الصبر والرضى عند نزول البلاء || ٢) ف و س : البلاء || ٣) ر س خ : البلاء || ٤) ر : فقيل || ٥) إ : – ضربة ||

مما يكتب على العبد . وقد كان طاووس يكره الانين في المرض . ويروى في بعض الاخبار ان زكريا عليه السلام لما وضع على رأسه المنشار انّ انة . فاوحى الله تعالى اليه ان صعدت الي منك[1] انة اخرى لاقلبن السموات والارض بعضها على بعض .

فان حبس الانسان نفسه عن هذه الامور وعن الاخبار ببليته على سبيل الاستراحة الى الشكوى كان صابرا صبرا جميلا . حسبما ذكره الله تعالى في كتابه مخبرا عن نبيه يعقوب عليه السلام في قوله[2] : « فصبر جميل[3] قيل هو الذي لا شكوى فيه ولا اظهار . فان واقع هذه الاشياء وكف نفسه عما وراء ذلك من كثرة التشكي واظهار التسخط ومجاوزة حد العلم واظهار التبرم والذم كان له مقام في الصبر ولكن ليس بمقام الخصوص . فان صدرت منه هذه الاشياء كلها كان خارجا عن حدود الصبر بالكلية داخلا في ضده وهو الجزع . فان شاهد قبح فعله وراض نفسه على التكلف عنه وكان عنده في ذلك تكلف كان متصبرا وهو التعمل للصبر كالتزهد وهو التكلف للزهد . وليس بعد ذلك مقام يذكر ولا حال يغبط[4] .

وحاصل هذا ان وجدان الالم لا يناقض الصبر اذ لا اختيار للعبد فيه والعمل الاختياري الذي اقتضاه وجدان الالم مخالفا للشريعة والحقيقة يناقضه الا انه يقل ويكثر ويزيد وينقص على حسب مراتب اليقين . وهو في اصله على ثلاثة اوجه مذكورة في القرآن : علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين . ولكل من هذه الوجوه مراتب لا تنحصر . قال بعض العارفين : لا يستحق العبد اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين الله من العرش الى الثرى حتى[5] يكون مراده الله لا غيره ويؤثر الله على كل شيء سواه . وليس لزيادات اليقين نهاية كلما تفهموا وتفقهوا في الدين ازدادوا يقينا على يقين .

رزقنا الله منه الحظ الاوفر بمنه وكرمه .

---

١) أ : — منك ‖ ٢) س : — في قوله ؛ س خ : في قوله تعالى ‖ ٣) قرآن : ١٢ : ١٨ ‖ ٤) س : يضبط : س خ : يغبط ‖ ٥) س : وحتى ‖

[الرسالة الثامنة]

كتاب[1] تضمن ذكر ما يلتزمه التايب من اعمال واحوال توجب له الثبات في مقامه وفيه زيادات مفيدة[2]

الحمد لله وحده . اما بعد فقد وصلتنا[3] كتبكم وعلمنا ما فيها لم تر فيها ما يقتضي جوابا يكون صوابا الا ما كان من شأن العبد التواب وسلوكه مسلك من اخلص لله واناب . فقد سرنا ذلك كثيرا واحتسبنا له بذلك من ربنا اجرا كبيرا . وذلكم رحمني الله ربي وربكم فتح الهي ونفح رباني لا يقدر قدره الا من عرفه . وهو من نتايج التعرض المامور به في الحديث المشهور والذي عليه المعول[4] من جميع الامور لافتقار جميع المقامات الايمانية اليه ابتداء وانتهاء ودواما وبقاء . فلا غنى للمريد عنه في ترقيه فيها ولا بد منه في تنقله عنها . فلا جرم وجب على العبد مراعاة كونه وبقايه وزيادته وغايه واعمال جده في حفظ جوهره المصون وتحصينه[5] بامنع الحصون[6] وتوفية حق نزوله والمامه وبذل الجهد في بره واكرامه . وذلك بشكره اللايق بالمقام المنزول به والحال الحادث بسببه . وعلم ذلك والعمل به من فروض الاعيان لكونه من حق الايمان . وهو[7] من الواجبات التي تستغرق الاعمار عند ذوي العقول والابصار . فاذا عرفتم ذلك فاعلموا ان ما[8] اشرنا اليه ينقسم على قسمين جلي وتفصيلي .

اما الجلي فقد اشتمل على بيانه واثارة برهانه كتاب ربنا المنزل واحاديث نبيه المرسل واقاويل السلف الصالحين وما اورده في تأويل ذلك ومعناه ايمة الدين . فعلى مستفيد العلم من ذلك وسالك تلك المسالك ان يصغي بسمع قلبه الى ما يرد عليه منها ويلغي المراء والجدال فيها ويتلقى بالقبول ما يتلوى على العقول حتى تنكشف له حقايقها في ثاني حال ويتضح له اذ ذاك كل اشكال.

واما التفصيلي وهو علم مقامات العبد واحواله في سكونه وانتقاله وخلطته واعتزاله وزمانه ومجاله[9] وغناه واقلاله وتفرقه واشتغاله[10] وجميع افعاله واقواله

---

١) س : وله ايضاً رضي الله عنه كتاب. . . || ٢) إ : مفيدات || ٣) إ : وصلنا ||
٤) إ : المسول || ٥) إ : وتعصيله || ٦) إ : المحصون || ٧) ر : — وهو ||
٨) إ : انما || ٩) ر س : ومحاله || ١٠) ر : واشتاله ||

لا[1] يستقل العبد بذلك على التحقيق الا بصحبة صديق صديق قد غاص في تلك البحار وميز بين الجواهر والاحجار وايده مولاه بما به تولاه فترك له ما يهوى واقر بالحقيقة وهجر الدعوى فيعلمه بما يظهر له من خفياته وينبهه على عيوبه وآفاته ويخبره بما يليق به في حالاته . فان ظفر هذا العبد بهذا الفرد فليشدد[2] عليه يد الضنين وليسلك سبيله المستبين . والا فليقلد دليل الاحتياط والحزم ويتحر[3] مذهب اهل التقوى والعزم فذلك اجدر بنهج[4] المطالب ونيل المآرب .

وقد رأينا ان نذكر هنا من حقوق مقام التوبة ما يحسن في هذا الموطن اذ استيفاء حقوق كل مقام بالذكر والبيان في هذه البراءة لا يمكن وفك خاتمه عن مستودعات سرايره في هذا الزمان لا يحسن لعدم الفايدة في ذلك البتة .

فاعلموا ان مقام التوبة هو اول المقامات واساسها وعليه[5] تنبني انواعها واجناسها وهي تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة . فيدخل في عموم هذا حركات الظاهر والباطن في العقود والاقوال والافعال . فعلى العبد اولا ان يعتقد بتوبته اداء حق مولاه ليرضى عنه[6] ويتولاه وينيله في جواره ما يتمناه . ثم ينظر الى حركات باطنه فينفي عنها اعتقاد المذاهب الباطلة والميل الى زخارف العاجلة والى حركات ظاهرة فيمسك بها سنن[7] الاتباع ويصرفها عن مقتضى[8] العادات والطباع . فيثمر له ذلك انواع الخيرات ومحاسن الاداب المرضيات من المسارعة الى البر والتقوى وايثار الاخرة على الدنيا والتأني والتثبت قبل الاقدام وحسن المراقبة للرقيب العلام واغتنام الاوقات ومراعاة الانفاس وذم الجوارح وضبط الحواس والقيام على النفس في كل همة ردية وتصحيح قصده بصدق النية وحسن الطوية والمبادرة الى رد المظالم والتباعات واصلاح ما ضيع من الفرايض الواجبات وترك الاشر والبطر والتباعد عن مظان[9] الخطر وخفض الجناح ولين الجانب وسلامة الصدر من الآفات والمصايب والموالات والمعادات في الدين والشفقة والنصيحة لكافة المسلمين الى غير ذلك من وظايف الدين وسنن المرسلين . وينتفي عنه اضدادها من وجوه الطغيان وكباير الاثم والعدوان اعاذنا الله من ذلك .

---

١) ف ر س : فلا || ٢) س خ ؛ فليشد || ٣) [كذا عوض « يتحرى »] ؛ س خ : فليتحر || ٤) ر : بنجح || ٥) ف ر س : وعليها ؛ ف خ : وعليه || ٦) س : عليه || ٧) س خ : سبل || ٨) س خ : مقتضيات || ٩) ر : مضان ||

ثم اعلموا ان التايب ابدا في ابتدايه منكمش في حاله ذو لوعة وغصة قد استولى عليه سكر ما هو فيه وغلب عليه وارد يستوفيه لا يرى غير حالته الراهنة حالا ولا يقدر لنفسه عنها انتقالا قد سكنت نفسه وضعفت دواعيها وقوى انسه بحاله[1] التي هو فيها. فلا يزال كذلك حتى تجلب عليه خيل الابتلاء ورجله[2] التي لا بد له منها وتنزل بساحته جنود الخواطر التي كان خليا عنها. فعليه حينئذ الوفاء بعقده والمحافظة على عهده. فيلازم حاله الاولى ويشمر عن ساعده في قتال جنود الهوى. وهذا محل تفاوت الناس ومواقف اقدام الابطال والاكياس وهو الجهاد الاكبر الذي يهون جهاد الكفار عنده ويستحقر. فان غلب فاز بملك النفس والتمتع في رياض القدس وان غُلب سلب الانس وحصل من مرامه على العكس. فعليه حينئذ تجديد التوبة مرة اخرى وطلب الاقالة والرجوع الى ما هو اولى به واحرى. وهكذا يفعل ما دام في الدنيا. وليجعل عمدته في حركاته الظاهرة والباطنة التبرء من الحول والقوة بالكلية وان لا يبقى ما يمنع من ان يلقي بيده سلما الى مولاه بقية. فذلك هو ملاك[3] هذا الامر والعروة الوثقى. فمن تمسك بها فقد اعتصم بالمعتصم الاوفى.

فعلى هذا المهيع درج السلف الصالحون في ساير القرون وبهذا المنزع شارع القاصدون الى فعل ما به يومرون وكل ما ذكرناه وما لم نذكره من حقوق الايمان ومزيد الايقان كان دابهم وديدانهم[4] وخلقهم ودينهم. وكان ذلك لهم بمنزلة الغذاء لمريد البقاء لا مشقة عليهم فيه الا التذاذهم[5] به ولا مطمع لعدو في صرفهم عنه الا اعتصامهم به لانهم كانوا على بينات[6] من ربهم ويقين صادق من دينهم.

ثم هم متفاوتون فيما اقيموا فيه ومتباينون فيما قسم لهم منه: فمنهم من دام على هذا الاسلوب من اعمال الجوارح والقلوب وجعلوه وسيلتهم في اقترابهم[7] من علام الغيوب مع احكامهم على الظاهر وحصولهم منه على ثلج الخاطر واقتصروا من ذلك على ما يخصهم في انفسهم وان استفتاهم احد فيه احالوه على غيرهم ورأوا في ذلك عصمة امرهم. وقد روى في ذلك عنهم غير شيء.

١) ر: بحاله || ٢) إ: ورحله || ٣) ر: مالك || ٤) ف ر س: وديدنهم || ٥) إ: التدادهم || ٦) ر س: بينة || ٧) إ: اقتدايهم ||

ومنهم من غلب عليه[١] الاشفاق على الخلق لما رأوا البدع[٢] قد حدثت فيهم وحب الدنيا قد ظهر عليهم . فرأوا واجبا التعرض لهم لانقاذهم من الجهالات التي تعتريهم في دينهم ومن الظلامات الواقعة بينهم في دنياهم . فتفاوت هؤلاء ايضا تفاوتا كثيرا :

٥

فنهم من غلبت عليه المخافة من ابتدع ما لم يكن في الزمن[٣] الاول ورأوا هذا من البلاء النازل بهم فسلكوا مسلك الاحتياط واقتصروا معهم في الدين على ظاهر المنقول ولم يخوضوا في قضيات العقول . فان ماروهم او جادلوهم في ذلك رفضوهم رفضا وابغضوهم في الدين بغضا ورأوا في مكالمتهم والاخذ في معاناتهم تضييعا لاوقاتهم وشغلا بما لا يعنيهم . واما في الدنيا فاختلفوا فاكثرهم لم يقدم على ولاية لا[٤] طايعا ولا كارها لغلبة الخوف عليه وتوقع الخطر فيه . وبعضهم اقدم مطلقا لقوته في الدين وبصره بمصالح المسلمين لكن الحذر لم يفارقه طرفة عين لان الخلاص في ذلك ليس بيّن .

٥

ومنهم من استوعب في ذلك زمانه واستغرق في ذلك اوقاته واناه وتفننوا[٥] فيما شاءوه من ذلك حين رأوا سيول الفتن قد اقبلت ونيران الباطل قد اشتعلت فشمروا عن سواعدهم وانتصبوا وتعبوا في دفع ذلك ونصبوا . ووضعوا للناس القوانين التي عليها يعتقدون وبينوا لهم طرقات الهدى لعلهم يهتدون وقعدوا لاعداء دينهم بكل مرصد وسدوا ثغورهم اوثق سد[٦] . ثم اختلفوا في الولايات على نحو ما ذكرناه . بيد انهم وجدوا على ما راموه من ذلك اعوانا لم يالوهم طاعة واذعانا فتم لهم بذلك مرادهم وانجحت اراؤهم وقصودهم[٧] . غير انهم ادركتهم محن وبلايا لم يجدوا عنها محيصا واستقبلتهم فتن ورزايا محصتهم تمحيصا . وكل واحد ممن ذكرناه في نظره مصيب وله من حظه[٨] من ربه اوفر نصيب .

---

١) س : عليهم ‖ ٢) س : البدعة ‖ ٣) ر س : الزمان ‖ ٤) ر س : — لا ‖ ٥) إ : وتفننوا ‖ ٦) إ : شد ‖ ٧) ر : وقصدوهم ‖ ٨) س : — من حظه ‖

وهذه الطوايف في كل زمان يقل عـــددهم ويضعف مددهم حتى افضت الامور الينا وقد اندرست اعلام الدين وعفت آثاره وصدم حماته وانتصاره وغرق الناس في بحر الدنيا وماتت القلوب وذهب الحياء وانحرفت عقول الخواص عن صوب السداد وتاه العوام في متاهات الجهل والفساد وذهب العارفون وعــدم الموقنون . اظلمت الارض بذهاب انوارها وافول شموسها واقمارهــا وصار الولاة عداة والعلماء غواة والاخوان خونة والقراء فسقة ظلمة وخفي الحق عنــد ظهور الباطل وادعى معرفته وعلمه كل غبي مدع[1] ومفتون جاهل . وذكر اصنافهم يطول ولا[2] تحتمله اكثر العقول . فاعتبروا يا اولي الابصار وانظروا هل يستقر لاحد في هذا الوقت قرار او يعلق بقلبه شيء من الانوار او يصفو مشربه عن شرب الاقذار والاكدار . ام كيف يسع احدا فيه تفرغ الى ما ليس بواجب وانى تصح له فيه نية مع شمول هذه المصايب .

فالمتعين[3] على المريد في هذا الزمان الفريـــد ان يقطع عمره بالحزن الطويل والبكاء والعويل ويستنصح كل لبيب عاقل ويكون له في نفسه شغل شاغل ويأخذ نفسه بالاشد فالاشد ويفر من الناس فراره من الاسد ويــدع الرخص والتاويلات ولا يقدم بمقدمه وعمله الا على الامور البينات . فان لازم هذا العمل حتى جاءه الاجل حظي بالامان وفاز بتضعيف الاجر الموعود به العاملون في آخر الزمان . وان صده اللعين عن هذا الصراط المبين لم يفتح له سننك ولم يبـال الله تعالى في اي واد من اودية الدنيا هلك .

وواجب على كل مريد ناصح لنفسه سالم في عقله وحسه ان يزن جميع ما ذكرناه بميزان الانصاف وينظر فيه بعقل سليم عن الميل والانحراف فيعترف به اتم اعتراف فيسلك جادة طريقه ويدين بتصديقه وتحقيقه بهداية ربه وتوفيقه — وقد ذكر الشيخ المحقق ابو القاسم عبد الرحمن بن محمـــد بن عبد الله البكرى الصقلي في كتاب[4] الانوار كلاما نبه فيه على طبقات العباد وما ظهر في الارض من الفساد رأيت ان احكيه على وجه ليحصل الناظر فيه على كنهه فقال :

« كان اخص الناس بفهم[5] علم الكتاب وشرح معرفة السنة وعمل الرسول

١) ر : مــدعي ‖ ٢) ر : لا ‖ ٣) ا : فالمتبر ؛ ر : فالواجب ‖ ٤) س : كتابه ‖ ٥) ر : بفهم ‖

عليه السلام اهل القرن الاول لانهم افضل الناس عقلا واوسعهم علما . ثم جاء القرن الثاني فكانوا اعقل الناس واعلمهم بعد الصحابة بمعاني[١] آي الكتاب والعمل بالاقتداء وفهم ما شرحه الصحابة من البيان – غير ان الايثار الذي خص به الصحابة رق في التابعين وكذلك الزهد في الحلال . وحدث فيهم نبز اهل البدع يضلون الجهال سرا ويستميلون العوام خفيا . ثم جاء القرن الثالث فذهب اكثر اهل العلم وهم المتمسكون بالتصديق العاملون بالحدود لتقد ما عليه الصحابة والتابعون وقل[٢] فيهم الخوف والرجاء والصبر والشكر وكثر فيهم الخوض والجدل والخصومة والمراء وظهر الاختلاف وقامت الدعاة في طرق الضلال وصارت الحقيقة خصوصا والجهالة عموما . ثم جاء القرن الرابع فاضطرب الامر في الحق واستوحشت طرق الهداية للسالكين لها وكثر النفاق . وخرج الناس من الدين افواجا واستبدلوا الحق بالباطل والاخرة بالدنيا وكثر الدهان وغلب المنكر وقهر اولياء الله وعلت اصوات اهل الخيانات واستخفى المومن وذهب التواصل وعدمت النصيحة وقلت الالفة وفسدت النيات في ذات الله وتصالحوا على الحب والفجور وسفك الدماء بغير حق . وذهب الحياء في اخذ الحرام وصارت الهيبة في اهل الفجور ولم يبق على ظهر الارض متحقق بالتفرد ولا متحل بالحقيقة الا والبلاء يطلبه والفتنة تلحقه . غير ان في الناس بقايا من اهل التصديق بالقدرة متحققين بالايمان[٣] بالقدر . فاذا حل دخول القرن الخامس اشتد البلاء باهل الاسلام خاصة فيما بينهم فكان الكل على[٤] الكل في القريب والبعيد والمولي[٥] والمولى عليهم . بعضهم لبعض فتنة وبعضهم على بعض نقمة بفساد دينهم ودنياهم وعيشهم[٦] . فلا راحة لمن بقي من اهل الحقيقة غير انهم يحجبون عن العامة ويستترون عن المدعين. فاذا دخل القرن السادس ذهب اهل التصديق وبقي اهل الانكار وسلب الناس عقل البصيرة وبقي[٧] عقل الحجة عليهم وذهب الاسلام فلم يبق الا اسمه وذهب العمل بالقرآن فلم يبقَ الا رسمه . ثم العجب العجب اهل القرن السابع وهم اشرار الناس على شكلهم تاتي الازفة تتبعها الرادفة » .

١) ر : لمعاني || ٢) ر : قـل || ٣) إ : الايمان || ٤) ف س: عن ؛ س خ : على || ٥) ر : والمولى || ٦) ر : وعيشتهم || ٧) ف ق ر س : ويبقى ||

انتهى كلامه وقد احسن فيه ما شاء. ولم يات بمثله احد من العلماء. وفيما ذكرناه منه كفاية وغنى.

ولنقتصر على هذا القدر من الكلام في هذا المقام فقد ذهب بنا كل مذهب وتشعب علينا كل مشعب والكلام فيه محتمل لاكثر من هذا اذ ما من فصل الا وهو مقتضي لأدلة حذفناها ولا قول الا وهو محتاج الى صلة قطعناها طلبا للاختصار وعدولا عن الاكثار. وانما فعلناه لكم لكونكم طلبتم في كتابكم منا المبالغة في الموعظة والنصيحة والتوصية بالوصايا الصحيحة فرأينا من حقوقكم التي لا تقدر على توفيتها ان تبلغ في تلكم المطالب الى غايتها ونذكرها في معرض الكلام على النازلة الواقعة لتضع فيها البيان مواضعه ونسوقها سياقة يعترف بصحتها كل لبيب ونعم فايدتها كل مريد منيب — مع اني معترف بالتقصير في العمل بما وصفته متصف بنقيض ما رسمته وشرحته لا ادلي في ذلك بحجة ولا اسلك الا على غير محجة:

أَدُلُّ عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَمَا أَهْتَدِي بِالدَّلِيلِ[1]
وَاصِفُ الدَّوَاءَ لِدَاءٍ[2] أَنَا بِهِ عَلِيلٌ

وحاجتي عند من رأى هذا الكتاب من الاولياء والاحباب ان يجتهد لي في الدعاء بتيسير التوبة وتكفير الحوبة. وان يبلغني من الطاعة املي وان يختم بالخير عملي. فليس ذلك بعزيز ولا بعيد على المبدي والمعيد الفعال لما يريد. وليكن هذا آخره. والحمد لربنا عز وجل والصلاة على نبيه المرسل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[الرسالة العاشرة]

كتاب[3] تضمن الجواب عن مسئلة رجل معلم للاولاد وذكر امور مفيدة يعتمدها في تعليمهم وكيف تندفع الوسوسة عنه في ذلك

الحمد لله[4] اسلم عليكم كثيرا واعرفكم بانه وصلتني منكم براءة

---

١) ر س: به الدليل || ٢) إ: الذي || ٣) س: وله ايضا رضي الله عنه كتاب تضمن امورا مفيدة يعتمدها معلم الاولاد في تعليمه وكيف تندفع عنه الوسوسة في ذلك || ٤) ف ر س: + وحده ||

وانتم تطلبون فيها نصيحة تتضمن الدلالة على وجه الخلاص مما انتم بسبيله مما اعتراكم من الحيرة والوسوسة وعدم الرقة وغلبتها عليكم. فاعلم ان هذه الاحوال امراض قلبية حدثت عن اسباب موجبة لها . فلا بد من معرفة اسبابها وطريق علاجها .

اما الحيرة التي ذكرتم انها تعتريكم بسبب الاولاد وضيق اخلاقكم في ذلك فسببه غفلتكم عما انتم عليه من النعم الظاهرة والباطنة وخفاؤها عليكم . وعلاجه حسن التيقظ والتذكار لها ويكفيكم في ذلك معرفة امور ثلاثة وتقريرها في كل حين على انفسكم حتى لا يعزب تذكرها عنكم :

الامر الاول معرفة النعمة العظيمة عليك في اقامة الحق تعالى اياك في التعليم وجعله فيك اهلية لهذا المنصب العظيم من غير استحقاق منك ولا وسيلة سابقة لك وهي درجة الانبياء[1] والعلماء . وتستعين على تحصيل هذه المعرفة بمطالعة ما ورد في فضل التعليم من الاخبار والاثار والبحث عنها في مواطنها فهي كثيرة جدا . فتستفيد بهذه المعرفة مزيد[2] تواضع لربك وحياء منه[3] يحملك على اتباع مرضاته في جميع احوالك .

الامر الثاني معرفة النعمة الجزيلة في توفيقك للتعرض لما فيه قهر نفسك ومخالفة حظك بسبب التعليم : وذلك من قبل استغراق اوقاتك فيه وعدم تفرغك لما فيه وجود هواك ومخالفة مولاك ومكابدة اخلاق الصبيان ومداراتهم واحتمالهم والقيام بمؤنة نصحهم وتعليمهم الى غير ذلك من وظايف المعلمين اللازمة لهم . وفي ذلك كله فوايد جليلة[4] لا غنى لكل سالك لطريق الاخرة عن تعاطي مثلها لتتهذب نفسه وترتاض خلقه . وقد ساقها ربك اليك على وجه سديد وطريق حميد . فتستفيد بهذه المعرفة حالا تحملك على حسن الصبر والقيام بواجب الشكر .

الامر الثالث معرفة النعمة السابقة فيما تهيأ لك بسببه من مرافق الدنيا واستغنائك بذلك عن الدخول في المداخل المذمومة والتعرض لانواع الفتن والمحن التي يتصدى لها طلاب الدنيا في انواع اكتساباتهم وتسبباتهم

١) ف د س : + عليهم السلام || ٢) إ : فريد || ٣) إ : منك || ٤) س : جزيلة ؛ خ : جليلة ||

لا سيا الطلبة . فتستفيد بهذه المعرفة حالا تحملكم على الرضى بالمقدور والقناعة بالميسور .

فاذا احكمت معرفة هذه الانواع الثلاثة من النعم وواظبت[١] على تذكارها وتكرارها اعقبك ذلك باذن ربنا عز وجل فرجا واستبشارا[٢] لنعم ربك واندفع عنك بسبب ذلك[٣] ضيق الصدر وسوء الخلق . وقرت[٤] عينيك بحالك وقدرت بعد ذلك على اقامة حق ربك مع من تعلمه بالرافة[٥] والرحمة والشفقة والنصيحة والرفق وحسن السياسة والمدارات الى غير ذلك من الاحوال النافعة للعلم والمتعلم . وربنا عز وجل ولي الهداية لك ولهم من قبل ومن بعد .

واكد ما ينبغي للعلم ان تكون همته كلها مصروفة الى الرغبة الى الرب تعالى في هدايتهم وتوفيقهم وان يعتقد انه انفع له ولهم من كل ما يتعاطاه في حال تعليمهم من فعل او قول . فاعلم هذا[٦] كله واعمل به تجد بركته ان شاء ربنا عز وجل .

واما الوسوسة التي تعتريك في جميع احوالك فسببها الجهل والغفلة ودواؤها بالعلم والذكر . ونعني بالعلم والذكر العلم بالحق تعالى والذكر له . واستعن على تحصيلها[٧] بمجالسة الصالحين ومخالطة المتقين وموالاة الذكر بالقلب واللسان لرب العالمين فلا دواء لها غير هذا .

واما عدم الرقة التي تعتريكم في الصلاة والتلاوة فذلك نوع قسوة وسببها احد امرين او كلاهما : اما ارتكاب ذنب او ميل الى عاجل حظ . وعلى حسب هذين المعنيين في الكثرة والقلة والضعف والقوة تكون القسوة وعدم الرقة . ودواؤها التوبة الصادقة والزهد التام ومحاسبة النفس ومراقبة الخواطر وسد مداخل الشيطان الى القلب .

وليكن لك مع هذا ورد من الاستغفار بالاسحار وفي ساير الاوقات المرجو فيها فضل الملك الغفار . فذلك مصقلة للقلوب وممحاة للذنوب ومرضاة لعلام الغيوب .

---

١) إ : وراضيت ‖ ٢) إ ق : خرج واستبشار ‖ ٣) س : بذلك ؛ خ : بسبب ذلك ‖ ٤) إ ق ر : وقر ‖ ٥) ف ق ر س : — بالرافة ‖ ٦) س : ذلك ‖ ٧) ف ر س : تحصيلها ؛ ق خ : تحصيلها ؛ ق خ : تحصيلها ‖

وليكن لك ايضاً كيفية من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] وورد منها فذلك من افضل ما يتوسل[2] به المتوسلون الى مطالبهم.

وربنا عز وجل ولي التوفيق والهداية وهو حسبنا ونعم الحسيب[3] . فهذا[4] ما اردنا ذكره على حسب ما طلبتموه[5] والسلام عليكم والسلام عليكم والرحمة والبركة .

[الرسالة الحادية عشرة]

كتاب[6] تضمن الجواب فيما ياخذه المعلم من الاجرة على[7] تعليم الاولاد وكيف تندفع الوسوسة عنه في ذلك

الحمد لله وحده . اسلم عليكم واعرفكم بانه وصلنا كتابكم وانتم تذكرون فيه حالكم مع الاولاد وكراهتكم لها إما لما[7] ذكرتم من انكم خفتم على انفسكم من القنوط لرؤيتكم عدم الخلاص في ذلك وإما لما خفتم من اقتحام الشبهات والعمل على الخلاف فيما تأخذونه من الاجرة من بعضهم وطلبتم فيه منا التعريف بما يظهر لنا في ذلك فاقول :

اما الحال الاولى[8] فانتم بها اعلم لان الشاهد يرى ما لا يرى الغايب . فانظروا في ذلك بعين البصيرة وتاملوا حالكم فان تحققتم وقوع اسباب ذلك ولم تقدروا على القيام بالواجب فيه فاعملوا على حسب ذلك واتركوا التعليم راسا حتى يرزقكم ربكم قوة تقدرون بها على ان تخلصوا اعمالكم من الآفات القادحة فيها . وان قدرتم على مجاهدة انفسكم في ذلك فحسن ولكم الاجر الجزيل فيه . وان كان ذلك وسوسة منكم لا تستند الى تحقيق فارفضوها جهدكم قبل ان تستولي عليكم فان متابعة الوساوس[9] والوقوف مع الخيالات مفسدة للدين والعقل والمعيشة . وهذا امر مجرب وعلى الجملة فحالكم في هذا الامر لا يخفى عليكم .

---

١) ف س : على النبي عليه الصلاة والسلام || ٢) [كذا . ولعله «يتوسل»] || ٣) ق : الوكيل || ٤) إ : – فهذا || ٥) ر : ذكرتموه || ٦) س : وله ايضاً رضي الله عنه كتاب تضمن ما يأخذه المعلم من الاجرة على تعليم الاولاد وكيفية اندفاع الوسوسة || ٧) إ : ما || ٨) ق: الاول || ٩) ف ر: الوسواس ؛ ف خ : الوساوس ||

واما الحال الثانية وهي خوفكم من اقتحام الشبهات والعمل على الخلاف وانتهاء الامر بكم الى ان حدثتم انفسكم بمفارقة اهلكم[١] بسبب ذلك فلا اشك في ان ذلك وسوسة ولعل عدوكم اراد ان يوقعكم بها فيما هو اعظم ضررا من ذلك . لان ما حدثتم به انفسكم لم يثبت عن احد ممن سلف[٢] وخلف من اهل العلم والدين انه فعله او امر به تحصيلا لذلك الغرض الذي رمتموه . فعدم ثبوت ذلك عنهم دليل على انه لا خير فيه بل الثابت عنهم انهم نصحوا لربهم عز وجل في انفسهم وفي غيرهم وقاموا بحقه فيها في حال ضروراتهم[٣] واختيارهم ووفوا واجب الشرع وسلكوا سبيل الورع . فان اردتم الاقتداء بهم وسلوك مسالكهم فخذوا ما تهيأ لكم من الحلال المتفق عليه في المذهب واجعلوه في مهماتكم المعتبرة شرعا . فان وفى بذلك ورزقتم قناعة واقتصارا عليه وعلمتم قدر النعمة عليكم به فذلك غاية الكمال في حقكم . والا فلا جناح عليكم في[٤] ان تأخذوا كفايتكم مما اختلفوا فيه سالكين في ذلك سبيل التحري والاحتياط مجانبين للتوسع والرفاهية آخذين له على وجه المسكنة والحاجة . فاذا فعلتم ذلك خرجتم عن شبهة الخلاف ولم تأخذوا بواحد من الاقوال[٥] الثلاثة .

فان جمحت بكم نفوسكم الى مقتضى العادات ودعتكم الى التوسع في الشهوات والتنعم في اكتساب الشبهات والاخذ بالرخص في عموم الحالات لا على الوجه الذي ذكرناه فانتم ملزومون ومذمومون لا على عدم فراقكم الاهل[٦] ولا[٧] على العمل على اختلاف العلماء لكن على ترك مجاهدتكم لانفسكم واسترسالكم على مقتضيات طباعكم . ومن ههنا تعلم انه لا يؤتى على الانسان الا من قبل نفسه . فمن رزقه ربه توفيقا يقدر به على مجاهدتها والفرار من دواعيها ومرن على ذلك وتمكن فيه كانت افعاله واحواله جارية على السداد محفوظة من الفساد . وهذا هو الاصل الذي تجب مراعاته . فليكن العمل بذلك اهم عليكم من الوسوسة في الاخذ بالخلاف الى ان وجدتم من الاسباب المتفق

١) س : اهليكم || ٢) إ : احدهم سلف || ٣) ق : ضرورتهم || ٤) ف : – في || ٥) إ : الاموال || ٦) ف ق ر س : للاهل || ٧) ق : – ولا ||

عليها ما يفي بقوتكم اما على انفراده او باضافته الى مثله مما ينض[1] لكم في التعليم على مقتضى المذهب فلا عذر لكم اذ ذاك في الاخذ بالخلاف على مذهب الورعين . وقد يحكم ذلك على غير مذهبهم[2]. وهذا ما ظهر لي في مسألتكم وربنا عز وجل هو[3] ولي التوفيق لنا ولكم الى ما يحبه ويرضاه لا رب غيره ولا معبود سواه والسلام عليكم.

[الرسالة الثانية عشرة]

كتاب[4] تضمن شيئاً من الكلام على رواية الحديث وترويته[5] وما شرط ذلك[6]. وفيه زيادات اخر[7] مفيدة

الحمد لله وحده . اسلم عليكم واعرفكم بانه وصلنا كتابكم وتعرفنا منه ما تضمنه من السؤال عن رواية القرآن والحديث عمن اتصف بصفات ذكرتموها فيه وترويتها[8] على ذلك الوجه هل يجوز ذلك[9] ام لا .

فاعلم يا اخي ان هاتين المسئلتين من المسايل الفقهية وكذلك ما ذكرتموه في البراءة التي كنتم رفعتموها لي من السؤال عما يحتاج اليه معلم الصبيان وكيف يكون حاله معهم على اختلاف احوالهم في النباهة والبلادة وما ذكرتموه ايضا عن ابن العريف في اخذ الاجرة على تعليمهم مع كونه لم يقصدها — كل ذلك مسايل فقهية لم ابتل بها فيما تقدم حتى يقع مني من البحث ومطالعة الكتب وسؤال العلماء ما يحصل لي من علم ذلك والتعرف من احكامه ما يحتاج اليه . ولا ايضا عندي الآن من اتساع الخاطر وقوته ما يحملني على استيناف[10] النظر في ذلك وابلاغه الى غايته . وفي بلدكم من تأخذون في ذلك معه وعنده علمه . وبعض تلك المسايل انتم غير مضطرين[11] اليها.

فرأيت مع هذا كله الاخذ في ذلك من التكلف المنهي عنه ومن الاشتغال بما لا يعني بالنسبة الى الحال والوقت فاقبلوا العذر في ذلك . على ان الذي اراه

---

١) ا : ينص || ٢) ا : مذهبكم || ٣) ف ق ر س : — هو || ٤) س : وله ايضا رضي الله عنه ونفع به كتاب . . . || ٥) س : — وترويته ؛ خ : وترويته || ٦) س : + في || ٧) س : — اخر || ٨) ف : وترويتها . ط : لعله «وترويتهما» بضمير التثنية || ٩) ر : — ذلك || ١٠) س : استيفاء || ١١) ا : مضطرون ||

واعتقده في مسئلة الرواية ان الراوي والمروي عنه اذا لم يطلبا بعملها ذلك حظا عاجلا وكان المروى عنه ضابطا لما يرويه ويروّيه متصفا بالعدالة التي ذكرها اهل الحديث فان عملها في ذلك مبرور وسعيها مشكور لكونها قاما بفرض من فروض الكفاية . اذ الاسناد من الدين حسبما ذكره العلماء . وان اختل احد تلك الاوصاف كان عملها باطلا لفقد[1] الاخلاص في ذلك وعدم سلوك سبيل الصواب فيه . وهو شأن اكثر قراء هذا الزمان الا من عصم الله[2] .

واما باقي المسايل التي ذكرتموها من غير المسايل الفقهية فانها تنقسم الى قسمين : احدهما سؤال عن اشياء ما هي كقولكم : وان تحد لي هذه الامور المهلكة كالكبر والرياء والعجب والغضب والحقد والحسد وغير ذلك — والثاني سؤالكم عما تصلح به احوالكم في دينكم كقولكم : اريد منكم ان توصوني[3] بما يكون فيه صلاح ديني . وكقولكم : وان تنبهني على[4] امور مهمات في الدين مما يتعلق بظاهر العبد وباطنه وان تنبهني على افضل الاعمال الصالحة[5] بعد الواجبات .

اما الاول فقد اغنانا عن الجواب فيه[6] من تقدمنا من العلماء . وخصوصا المحاسبي فطالعوه وتأملوه تجدوا الشفاء فيه .

واما الثاني فلا يستقيم الجواب فيه الا بالامور الجملية والامور الجملية معلومة لكم فلا يفي ذكرها بغرضكم — واما الامور التفصيلية فانها مبنية على معرفتي باحوالكم كلها في ظاهركم وباطنكم . ولا سبيل لي[7] الى تعرف ذلك الا من جهتكم اما باعلام منكم او بمخالطة طويلة مني لكم ولم يقع شيء من ذلك فكيف يستقيم الجواب المقنع النافع مع هذا بل يكون الاخذ في ذلك رميا في عماية . بل الذي ينصح لنفسه ويسأل عما يضطر اليه ينبغي له ان يذكر حاله فيما بينه وبين ربه اما من اعتقاد او معاملة ويسأل عن وجه صلاحية ذلك للتقرب الى الرب تبارك وتعالى ويبين ذلك بيانا شافيا حتى يكون المسؤول على جلية من امره فيقع الجواب في ذلك كله نافعا للسائل والمسؤول كما فعلتموه في تلك البراءة التي كنتم كتبتموها لي[8] اول مرة وكما

١) ف : لفقدان || ٢) ف ق ر س : — الله || ٣) ر : تصوني || ٤) ر س : عن || ٥) ر س : الصالحات || ٦) ف ق ر : عنه || ٧) إ : — لي || ٨) ف : في ||

كان يعمل اخونا محمد بن ادية رحمة ربنا عليه ورضوانه فيما كان يكتب به اليّ.

واما سوالكم من اي كتاب تقرءونه في التصوف فالذي اقول لكم ان ذلك الكتاب الذي عندكم لابن عطا. وهو « كتاب التنوير » محتو على جميع ما تضمنته[1] كتب التصوف المطولة والمختصرة مع ما اشتمل عليه من زيادة البيان واختصار الالفاظ. والمسلك الذي سلكه فيه[2] مسلك توحيدي لا يسع احدا انكاره ولا يدع للمتحقق[3] به صفة حميدة الا اكسبه اياها ولا صفة ذميمة الا ازالها عنه وطهره منها. وانتم اذا اشتغلتم بتفهمه والعمل بما فيه بآن لكم ما قلناه عيانا. وسيجتمع لكم مع ما سألتم منه من الامور الدينية امور اخر نافعة مفيدة. فان اضفتم الى ذلك ان تحصلوا ما له من الكلمات الحكمية المشهورة عنه الموجودة بايدى الناس واشتغلتم بتحفظها وتفهمها اغناكم ذلك عن كثير مما سودت به الاوراق وشاع ذكره[4] في جميع الافاق:

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

فهذا كله ما اردنا ان نذكره لكم. وربنا عز وجل ولي التوفيق لنا ولكم الى ما يحبه ويرضاه. والسلام عليكم وعلى جميع اصحابنا والرحمة والبركة.

[الرسالة الثالثة عشرة]

كتب[5] ايضا التنبيه على كلام سيدي[6] ابي الحسن الشاذلي[7] في صفة قاري[8] الحزب الكبير[9] [10]. والله موفق

الحمد لله. وبعد فقد كان[11] بلغني كتاب منكم وانتم تذكرون فيه انكم عازمون على قراءة الحزب الكبير.

فامضوا ذلك العزم واعلموا ان ذلك من توفيق الله لكم ولا يصدنكم

١) ف: تضمنه ‖ ٢) ر: — فيه ‖ ٣) إ: المتحقق ‖ ٤) ر: — ذكره ‖ ٥) س: وله ايضا رضي الله عنه كتاب ‖ ٦) س: سيدي ‖ ٧) س: + رضي الله عنه ‖ ٨) ف خ: قراءة ‖ ٩) ر: — له ‖ ١٠) ف ق ر س: — والله الموفق ‖ ١١) ف س: — كان؛ س خ: كان ‖

عن ذلك ما توهمتموه من معنى ما روي عن الشيخ رضي الله عنه من قوله : من قرأ هذا الحزب فله ما لنا وعليه ما علينا — فانه توهم باطل . كيف وانما قصد بذلك التحريض عليه وصرف الهمة اليه والاخذ فيه بالحزم[١] والعزم . ويدل على ذلك باقي الكلام من قوله : ودخل في شفاعة جدى رسول الله[٢] صلى الله عليه وسلم . وانما معناه كأنه يقول: من قرأه بنية صالحة ورجاء صادق وكان محبا في طريقتنا التي اشتمل عليها هذا الحزب حريصا على الاتصاف بصفات[٣] الاولياء المشار فيه اليها فقد حصل على غاية الرجاء في بلوغ امله من الوصول الى رتبة الولاية الخاصة بنا ودخل في حزبنا وشملته رعايتنا وكان له ما لنا من التقريب[٤] والاكرام وعليه ما علينا من الانقياد والاستسلام . واذا كان ما من الله تعالى له السبقية بالرتبة[٥] والاولية[٦] بالوجود بخلاف ما من العبد كان السابق علة في وجود اللاحق. والمعلول تابع لعلته في مقتضى اللطف والعنف. فان سبق للعبد قدم الصدق المقتضي وجود اللطف المعني بقوله : له ما لنا — كانت اعماله جارية على سنن الحق المعبر عنه بقوله : وعليه ما علينا — وكل ذلك بتسهيل وتيسير لا[٧] تعمل فيه من العبد ولا تكلف . وهذا هو غاية العطاء ومنتهى الجزاء. والا فعلى العكس . فحاصل هذا ان قوله « له ما لنا » عبارة عن نهاية الكرامة والبر ومن جملة ذلك الهادية والتسديد والاعانة والتأييد وكلها علل موجبة لوجود[٨] ما ترتب علينا من معنى قوله :« وعليه ما علينا » اي من القيام باحكام العبيد والكون مع الله تعالى على ما يريد بانشراح صدر وتيسير امر . وليس في هذا يا اخي ما يتعبكم ويصدكم عما رمتموه بل فيه ما يغريكم به ويحضكم عليه ان شاء الله تعالى .

وهذا القدر من الكلام المختصر كاف في تفهيم[٩] ما ذكره الشيخ رضي الله عنه من الكلام المروى عنه . وما ذكرتموه عن بعض اصحابكم من قوله : ما لنا من الحرمة وعليه ما علينا من الرحمة — فعبارته في ذلك مليحة رشيقة قريبة من معنى ما ذكرناه. الا انها خالية عن[١٠] التحقيق الذي بيناه. وبالله التوفيق.

---

١) ر : الحزم ‖ ٢) ف ق ر : — رسول الله ‖ ٣) س : بصفة . خ : بصفات ‖ ٤) إ : التقرب ‖ ٥) ف ق ر س : بالمرتبة ‖ ٧) ر : والاولوية ‖ ٧) ر : ولا ‖ ٨) إ : لوجوب ‖ ٩) ر س : تفهم ‖ ١٠) س : من ‖

[الرسالة الرابعة عشرة]

جواب[1] سؤال رجل تشوش من جهة السبب ومنعه ذلك من الوصول الى غاية[2] الادب

الحمد لله[3]. اما بعد فقد كان[4] وصلني كتابكم وذكرتم فيه تشوش[5] حالكم من جهة السبب وانكم لم توافقوا على تركه وانكم[6] منتظرون لما يبرز من الغيب — وقد علمت جميع ذلك وتحققته .

والذي آمركم به ان تجعلوا الآخرة نصب اعينكم وتنبذوا الدنيا وراء ظهوركم[7] . ثم تشتغلوا بالعمل بما يوافق هذه[8] الحال . فان يسر لكم سبب يسلم فيه دينكم فخذوا منه ما تقيمون[9] به اودكم والا فلا يهولنكم تعذره عليكم . وايقنوا وتحققوا ان من ترك لربه شيئا فسيعوضه منه خيرا مع سلامة الدين وغنيمة الطاعة لرب العالمين . واعتبروا في ذلك بقصة صاحب الزرع والطحين والحمار .

فقد حكي[10] ان بعض الصالحين سيل ما سبب توبتك فقال : اني كنت رجلا دهقانا[11] . فاجتمع علي اشغال ليلة من الليالي كنت احتاج ان اسقي زرعا كان لي وكنت حملت حنطة الى الطاحونة فوثب حماري وضل . فقلت : ان اشتغلت بطلب الحمار فات سقي الزرع وان اشتغلت بسقي[12] الزرع ضاع الطحين[13] والحمار . وكان ذلك ليلة الجمعة وبين قريتي وبين الجامع مسافة بعيدة فقلت اترك هذه الامور كلها وامضي الى موضع الجمعة لادرك غدا صلاة الجمعة . فمضيت وصليت الجمعة[14] . فلما انصرفت اجتزت[15] بالزرع فاذا هو قد سقي فقلت من سقى هذا الزرع فقيل لي[16] ان جارك اراد ان يسقي زرعه فغلبته عيناه وانفتق السد[17] فدخل الماء زرعك . فلما وافيت باب الدار فاذا

١) س: وله ايضا رضي الله عنه جواب ‖ ٢) إ : — غاية ‖ ٣) ف ر س : + وحده ‖ ٤) س : — كان ‖ ٥) ق : تشويش ‖ ٦) إ : وانتم ‖ ٧) ق : ظهركم ‖ ٨) ق : هذا ‖ ٩) ف : تقيموا ‖ ١٠) س : عن بعض الصالحين انه سيل . ط : كذا . في الاصل : « ان بعض الصالحين سيل » ‖ ١١) إ : دهاقا ‖ ١٢) ف ق ر س : بالسقي (— الزرع) ‖ ١٣) إ : العجين ‖ ١٤) ف ق ر س : — الجمعة ‖ ١٥) إ : وجزت ‖ ١٦) ق ر س : لي ‖ ١٧) ف ق ر : السكر ؛ س خ : البكر ‖

بالحمار على المعلف فقلت من رد الحمار فقيل صال عليه الذيب فالتجا الى البيت. فلما دخلت الى[1] الدار اذا انا بالدقيق موضوع هنالك فقلت كيف سبب ذلك فقالوا ان الطحان طحن هذا بالغلط . فلما علم انه لك رده الى المنزل . فقلت ما اصدق ما قيــل : من كان لله كان الله له ومن اصلح لله امرا اصلح الله اموره . فتركت الدنيا وتبت .

واعلم ان ما اصابك في هذه الدار من صنوف المحن وانواع الهم والحزن طرقات الى جزيل الفوايد ووسايل الى رفيع المقاصد لا يعرف قدرها الا اهل الهمم العالية والقلوب الطاهرة الزكيـــة[2] . فليكن فرحكم بنزول المكاره اشد من فرحكم بحصول المحاب . فقد حكي عن عطاء السلمي انه بقي سبعة ايام لم يذق شيئا من الطعام ولم يقدر على شي. فسر قلبه بذلك غاية السرور وقال : يا رب ان لم تطعمني ثلاثة ايام اخر لاصلين لـــك الف ركعة . وقيل ان فتحا الموصلي رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فاخذ يحمد ربه ويتضرع اليه ويقول : الهي لاي[3] شي. وباي وسيلة واستحقاق عاملتني بما تعامل به اولياءك.

ففي هذه الحكايات عبرة للمتعبدين وبلاغ للعابدين . وفقنا ربنا[4] لذلك .

[الرسالة الخامسة عشرة]

وصية يحتاج اليها كل مريد طالب للمزيد من الغني الحميد

الحمد لله وحده . من اراد الاستقامة على سبيل الحق في دينــه والتحصن من عدوه والتخلص من وساوس النفوس وضيقها وتقلبها والحصول على شرح الصدر فليصحح مقام الادب مع الله[5] ظاهرا وباطنا في جميع احواله . فذلك هو الشكر الموجب للمزيد . وينبني ذلك على اصلين : معرفته بعظمة ربه وكبريايه واتصافه بالصفات العلية والنعوت القدسية وعلمه بخسة نفسه وضعتها وعيوبهـــا

١) ف ق ر س : — الى ‖ ٢) ق ر س: الزاكية ‖ ٣) س خ: باي ‖ ٤) ق : + عز وجل ‖ ٥) ف ق ر س : + تعالى ‖

وآفاتها . فاذا احاط علما بهذين الاصلين نظر الى نفسه والى مـا اجرى الحق تعالى عليه من الافعال والاقوال وما صرفه فيه من الاحوال فيرى حينئذ من لطف الحق تعالى به ورحمته وعنايتـه وفضله ما لا مطمع لاحد في ادراكه وفهمه . فيوجب ذلك له محبة وحياء يحملانه على الشكر للحق تعـالى بشهود النعم منه وحسن الادب معه . فاذا رأى نفسه على طاعة فرح بمنة ربه عليـه بها من غير استحقاق ولا وسيلة . وكم من شخص لم يعطها ! وليستعمل حينئذ حسن الادب في تحسينها ونفي الافات عنها واخلاصه فيها لربه عز وجل .

فيكون حينئذ بهذه الرؤية والادب افضل ممن استغرق اوقاته في الطاعات وانواع العبادات مع فقدان ذلك . وكذلك ان رأى نفسه بحال نعمة من صحة بدن او نيل رزق – وان قل – فليفرح بذلك وليشكر ربه عليه لعله انه لا يستاهل ذلك ولا يليق به . وليستعمل حينئذ حسن الادب في الإستعانة بها[1] على طاعة ربه عز وجل ولا يستعملها[2] في معصيته . وكم من شخص مبتلى بمرض او فقر يتمنى ذلك ولا يجده !

وكذلك ان ابتلي بفقر او اصيب بمرض او مصيبة من مصايب الدنيـا فليفرح بذلك لانه[3] سلك به[4] مسلك الاولياء والصالحين . وليفرح بمنة ربه عز وجل في ان لم تكن اكثر من ذلك كما ابتلي[5] طوايف[6] من النـاس . وليستعمل حينئذ حسن الادب في الصبر والرضى ونفي الجزع والشكوى والدعاء الى الله تعالى في سعة الرزق وكشف الضر وسؤال العافية في الدين والدنيـا والآخرة . وان امكنه التسبب لاكتساب ما يغنيه والتطبب لبريه من دايه[7] فليفعل ذلك فهو من حسن الادب . وليشكر الله تعالى على تمكينه من ذلك واذنه له فيه .

وكذلك ان ابتلي بذنب او غفلة او سوء ادب فلا يغفل عن اللطف وخفي المنة بذلك . فقد يكون ذلك سببا لخوفه ونفي عجبه والتجايه الى ربه كمـا ورد في الخبر في قوله له : لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اشد من ذلك :

---

١) إ : – بها ‖ ٢) إ : يستعلها ‖ ٣) ر : فانه ‖ ٤) إ : بها ‖ ٥) ف ق ر س : + به ‖ ٦) ف : طائفة ‖ ٧) إ : ذلك ‖ ٨) إ : – في قوله ‖

العجب العجب . وكم من شخص مرتكب لكباير[1] مستحل لها فرح بها . وليستعمل حينئذ حسن الادب في المبادرة الى التوبة وتـذكر الخوف وكثرة الاستغفار والدعاء والبكاء . وكذلك ان كان على مذهب امام من ايمة الدين مجمع[2] على امامته وهو يجد في الحال من يأخذه[3] عنه ممن تفقه فيه من اهل الدين وقد اخذه عن شيوخه وشيوخه عن شيوخهم الى ان ينتهي الى ذلك الامام. فليفرح بذلك وليشكر الله عليه . وكم من شخص قد[4] قلد مبتدعا او ابتدع هو من تلقاء نفسه فهلك بذلك . وليستعمل حسن الادب معه في توقيره واتباعه في كل ورد وصدر الا ان رأى في مذهب[5] غيره من الايمة المجمع على امامتهم ما يقتضي[6] احتياطا ان قوى عليه او يقتضي[7] رخصة ان احتاج اليها ولم يكن في مذهب امامه انكار على من فعل ذلك فليفعله ولا يسقطه ذلك عن درجة الادب.

وكذلك ان ظفر بشيخ من شيوخ الصوفية سالك سبيل السنة فليفرح بذلك وليشكر الله عليه . وكم من شخص لعبت به ايدي الضالين المبتدعين فهلك بذلك . وليستعمل حينئذ حسن الادب في الانقياد له في اوامره وترك مخالفته . وان لم يكتمه شيئا من اسراره وان لم ينتقل عنه الى غيره.

وكذلك ان كان له صاحب او اخ يسلم معه دينه ويجد معه مرافق في دنياه — ويدخل في هذا الزوج والزوجة — فليفرح بذلك وليشكر الله عليه . وكم من شخص مبتلي بصاحب يخسر محمد دينه ودنياه ولا يجد انفكاكا عنه . وليستعمل حينئذ[8] حسن الادب في القيام بحق[9] صحبته والوفاء بعقد[10] اخوته.

وكذلك ان اقيم في سبب يجد منه كفايته فليفرح بذلك وليشكر الله . وكم من شخص مبتلي بالالتجاء الى الناس وعاجز[11] عن السبب غير راض ولا صابر . وليستعمل حينئذ حسن الادب في نصح المسلمين بذلك وترك الغش واجتناب جميع مناهي الشرع التي يتعرض لها بسبب ذلك . وان كان في عمل من اعمال البر كتعليم القرآن وغيره[12] فليحتسب مع ذلك ثوابه وليترفق في

---

١) ر : للكباير || ٢) ق : مجتمع || ٣) ر : ياخذ || ٤) ف : — قد || ٥) ف ر س : مذاهب || ٦) ق : تقتضي || ٧) إ : — يقتضي || ٨) ر : — حينئذ || ٩) س : بحسن ؛ خ : بحق || ١٠) س : بحق ؛ خ : بعقد || ١١) ق : او عاجزا ؛ ر : او عاجز || ١٢) ف ق ر س : او غيره ||

تعليمه ما امكنه ولا يجفو على متعلم ولا يظلمه . وليراقب ربه في ذلك .

وكذلك ان سمع بمثل هذه النصيحة او رآها مكتوبة فليشكر ربه على ذلك وليفرح بها . وكم من شخص مصحوب بالغفلة والسهو او متنصح ولا يجد ناصحا . وليستعمل حينئذ حسن الادب في امتثالها والوقوف على حدودها وبذلها لاهلها . وملاك ذلك صدق الافتقار الى الله تعالى والضراعة اليه في ان يوفقه لذلك ويعينه عليه . فمن اعطي ذلك فليفرح به[1] وليشكر الله تعالى عليه. وكم من شخص مبتلى برؤية نفسه واعتماده على عقله وحيلته[2] ! وليستعمل حينئذ حسن الادب في اتهام نفسه في تصحيح الافتقار الذي ذكرناه .

وهذا الذي ذكرناه من اوله الى آخره داخل في معنى ما ورد في الخبر الصحيح[3] من قوله عليه السلام : انظروا الى ما هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر الا تزدروا نعمة الله عليكم . وبالله التوفيق لا رب غيره ولا معبود سواه .

[الرسالة السادسة عشرة]

جواب[4] مسئلة سلوك طريق الصوفية هل يصح ذلك بالكتب الموضوعة فيه او لا بد من الشيخ – وفيه ذكر الطريق الموصل الى الله[5] .

باسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيدنا محمد وآله[6] . من محمد بن عباد لطف الله له الى اخي ابراهيم الشاطبي وصل الله تعالى حفظه واجزل من خير الدارين حظهُ. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته[7]. اما بعد[8] فقد بلغني كتابكم وتعرفت منه ما طلبتم . وقد تصفحت كل واحد من الكتابين اللذين بعثتم بهما الى سيدي ابي العباس القباب[9] وعلمت مضمنها . ولا يمكنني[10] ان اتكلم على جميع فصولها بتصحيح او ابطال لان الكلام فيها قد طال وتشعب وذهب

١) ف ق ر س: بذلك || ٢) ر س: وحسه؛ س خ: وحيلته || ٣) س: في الخبر الصحيح ||
٤) س خ : وله ايضا رضي الله عنه جواب سؤال وهو : طريق الصوفية هل يصح بالكتب ام لا . وفيه ذكر الطريق الموصلة اليه || ٥) ق ر س: الموصل اليه || ٦) إ خ: – باسم . . . وآله || ٧) [كذا في إ خ س] ؛ إ ف ق ر : – باسم الله . . . وبركاته ||
٨) إ ف ق ر : الحمد لله وحده . اما بعد || ٩) ف ق ر س : – الى . . . القباب ||
١٠) س خ : ولا يسعني ||

كل مذهب وانا في غاية العجز عن ذلك. ولا يمكنني ايضاً ان لا اتكلم بشي. في هذا الامر وان كان ذلك هو الاوجب عليّ لما لزمني من حق سؤالكم. فرأيت ان اقتصر على ان اذكر لكم ما عندي في امر الشيخ وما ظهر لي من بداية السلوك على حسب[1] الايجاز والاختصار ليكون ذلك اقرب الى حصول الفايدة الناجزة لمن وفقه الله تعالى لها . فان استحسنتم منا هذا الغرض فيها ونعمت والا فليسعنا منكم التماس المعاذير واعتماد الصفح الجميل عما يقع منا من التقصير . والله تعالى ولي التوفيق لنا ولكم الى ما يحبه ويرضاه . ....

الذي اراه ان الشيخ في سلوك طريق التصوف على الجملة امر لازم لا يسع احدا[2] انكاره . وكأنّ هذا من الامور الضرورية في مجرى العادة. لكن الشيخ المرجوع اليه في السلوك ينقسم الى قسمين : شيخ تعليم وتربية وشيخ تعليم بلا تربية .

فشيخ التربية ليس بضروري لكل سالك وانما يحتاج اليه منهم من فيه بلادة ذهن واستعصاء نفس. واما من كان وافر العقل منقاد النفس فليس بلازم في حقه وتقيده به من باب الاولى . واما شيخ التعليم فهو لازم لكل سالك.

اما[3] كون شيخ التربية لازما لمن ذكرناه من السالكين فظاهر لان حجب انفسهم كثيفة جدا ولا يستقل برفعها[4] واماطتها الا الشيخ المربي. وفيهم يتحقق اكثر ما ذكر مشترطوا الشيخ من اصحاب المناظرة والزموه لخصومهم وهم بمنزلة من به علل مزمنة وادواء معضلة من مرض الابدان فانهم لا محالة يحتاجون الى طبيب ماهر يعالج عللهم بالادوية القاهرة. واما عدم لزوم الشيخ المربي لمن كان وافر العقل منقاد النفس فلأن وفور عقله وانقياد نفسه يغنيانه عنه . فيستقيم له من العمل بما يلقيه اليه شيخ التعليم ما لا يستقيم لغيره . وهو واصل باذن الله تعالى ولا يخاف عليه ضرر يقع له في طريق السلوك اذا قصده من وجهه واتاه من بابه على ما سنذكره ان شاء الله تعالى . الاّ انه قد[5] لا يكمل كما يكمل من تقيد بالشيخ المربي لان النفس ابدا كثيفة الحجاب عظيمة الاشراك فلا بد من بقاء شيء من الرعونات فيها . ولا يزول ذلك عنها بالكلية الا بالانقياد

١) س : سبيل ؛ خ : حسب || ٢) ر : احد || ٣) س خ: فاما || ٤) س : بدفعها ؛ خ : برفعها || ٥) ر س : — قد ؛ س خ : قد ||

للغير والدخول تحت الحكم والقهر . ولهذا قلنا انه من باب الاولى. فان تقيد به لزمه من الاحكام التي تلزم[1] مع الشيخ المربي ما لزم الاخر .

واعتماد شيخ التربية هو طريق الائمة المتاخرين من الصوفية واعتماد شيخ التعليم هو طريق الاوايل منهم . ويظهر هذا من كتب كثير من مصنفيهم كالحارث المحاسبي وابي طالب المكي وغيرهما من قبل انهم لم ينصوا على شيخ التربية في كتبهم على الوجه الذي ذكره ائمة المتاخرين مع انهم ذكروا اصول علوم القوم وفروعها وسوابقها ولواحقها لا سيما الشيخ ابو طالب. فعدم ذكرهم له دليل على عدم شرطيته ولزومه في طريق السلوك .

وهذه هي الطريق السابلة التي انتهجها اكثر السالكين وهي اشبه بحال السلف الاقدمين اذ لم ينقل عنهم انهم اتخذوا شيوخ التربية وتقيدوا بهم والتزموا معهم ما يلتزمه التلامذة مع الشيوخ المربيين . وانما كان حالهم اقتباس العلوم واستصلاح الاحوال بطريق الصحبة والمواخاة بعضهم ببعض[2] . ويحصل لهم[3] بسبب التلاقي والتزاور مزيد عظيم يجدون اثره في بواطنهم وظواهرهم ولذلك جالوا في البلاد وقصدوا الى لقاء الاولياء والعلماء والعباد .

واما كتب اهل التصوف فهي راجعة الى شيخ التعليم لان الاستفادة منها لا تصح الا باعتقاد الناظر فيها ان مؤلفها[4] من اهل العلم والمعرفة وممن يصح الاقتداء به . ولا يحصل له هذا الاعتقاد الا من قبل شيخ معتمد عليه عنده او من طريق يثق به . فان كان ما يستفيده منها بينا موافقا لظاهر الشرع موافقة بينة اكتفى بذلك والا فلا بد له من مراجعة شيخ يبينه له . فالشيخ اذا لا بد منه كما تقدم . والظاهر ان شيخ التربية في هذه الازمنة متعذر ووجوده اعز من الكبريت الاحمر بل وكذلك ايضا شيخ التعليم لان كثيرا ممن يشار اليه ويعتمد عليه من المنتسبين الى هذا الطريق لم يتصور معنى التصوف ولم يعثر له على حقيقة فضلا عما[5] وراء ذلك . ولا ادري اى المصيبتين اعظم : فقد الشيخ المتحقق[6] او عدم التلميذ الصادق . فانا لله وانا اليه راجعون.

---

١) ق س : تلزم ؛ ر : تلتزم ؛ س خ : تلتزم ‖ ٢) ر س : لبعض ‖ ٣) ر : – لهم ‖ ٤) ر س : مؤلفيها ‖ ٥) إ : عمن ‖ ٦) ر: المحقق ‖

فان قيل[1] : كيف[2] يصنع مع هذا من اراد سلوك طريق التصوف : هل يشتغل بطلب الشيخ او لا يشتغل بطلبه ويبقى منتظرا له وفي كل واحد من القسمين هل يشغل نفسه بعمل من اعمال اهل السلوك او لا .

فاقول : الاشتغال بطلب الشيخ لا وجه له سواء كان معه عمل او لم يكن لان الشيخ من منح الله تعالى وهداياه[3] للعبد المريد اذا صدقت همته في السلوك وبذل فيه جهده واستنفد جميع ما عنده قل او جل . ولاجل هذا يقيضه الله تعالى له على افضل حال سالما من البدع والضلال فيأمن بذلك المريد مما يقع فيه كل من اعتمد الشيخ بالطلب والتفتيش من الافات السابقة واللاحقة .

واما انتظار الشيخ من غير اشتغال بعمل فلا وجه له ايضا لان ذلك بطالة وتضييع وسوء ادب في المعاملة. فلم يبق الا القسم الرابع وهو الاشتغال بالعمل مع انتظار الشيخ . وسبيله الى ذلك ان يصحح قصده براعاة[4] صدقه مع الله تعالى . فمن اراد ان يكون الله معه فليلزم الصدق فان الله مع الصادقين . وذلك بان يكلف نفسه ويحملها على العمل بمقتضى حال التصوف من البراءة من الدعوى والعكوف بالقلب[5] على باب المولى وحسن الظن وصدق الرجا والوقوف بين يدي الله تعالى على قدم الهيبة والحياء . فبالتزامه لهذه الاشياء وحمل نفسه عليها يستنجز من الله تعالى الموعود ويصل الى المرغوب والمقصود .

وليعلم المسترشد ان حال التصوف اثرة من الله تعالى وتخصيص لبعض عباده وعناية بهم لا يفتح بابها ولا يرفع حجابها الا لمن صدق في افتقاره اليه[6] وتحقق في اعتماده عليه[7] . ولهذا كانوا متفردين بحالهم عن اشكالهم لا مطمع لغيرهم في الاحاطة بكنه امرهم كما قال المشايخ : "الصوفية اهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم". وذلك ان الله تعالى لما اراد ان يكون له اهلون من خلقه—ومعنى ذلك ان يكونوا به وله تحققا ووجودا – قذف في قلوبهم الايمان وكتبه فيها وايدهم بروح منه . وكل ذلك من غير تقدم وسيلة ولا سببية منهم . فلما من عليهم بذلك واشهدهم تلك المنة فتح لهم حينئذ باب اللجا والافتقار اليه ورأوا انفسهم بعين العجز وقلة الحيلة وغاية الضعف والفاقة . فلما فتح لهم هذا الباب

١) ف خ : فان قلت ‖ ٢) ف رس : فكيف ‖ ٣) إ : وهدايته ‖ ٤) إ : لمراعاة ‖ ٥) إ : – بالقلب ‖ ٦) إ : – اليه ‖ ٧) إ : – عليه ‖

تلقاهم منه بانواع التحف والكرامات والالطاف والمنن تحقيقا لوعده في كفاية عباده المفتقرين اليه واللايذين بجنابه[١]. فازدادت اذ ذاك انوار ايمانهم وتضاعفت والحق تعلى يصرفهم في احوالهم واعمالهم على حسب ما يليح لهم من الانوار وما يجلي لقلوبهم من الاسرار. فلم يزل هذا دابهم وملازمة باب الله تعالى ديدنهم الى ان وصلوا الى مقام الاحسان وهناك تراءى لهم محض التوحيد وتحققوا بخالص التفريد[٢] فانمحت[٣] اذ ذاك رسوم بشريتهم وبطلت احكام انيتهم وعند وجود العيان فنيت[٤] الاعيان: «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً»[٥]. وهذه هي الغاية التي هي مطمح نظر السالكين وبذلك يتحقق لهم اخلاص عبوديتهم لربهم ويتخلصون من رؤية اخلاصهم. ولا مطلب لهم سوى هذا. ويستوي في هذا مجذوبهم وسالكهم الا ان المجذوبين اوصلهم الى هذا المقام في اقرب زمان من غير معاناة ولا تعب والسالكون على عكس هذا. وجميعهم لم يخلهم الله تعالى من وجود كلاءته ورعايته في اطوارهم كلها من بداية ونهاية. فكانوا لذلك منفعلين لا فاعلين كما قيل: الصوفية اطفال في حجر الحق[٦].

فانتم ترون هذه الحال كيف اختصت بتولي الحق سبحانه أن اختصه بها من غير ان يكله الى طلب او سعي يعتمده بنفسه. فالسالك لهذا الطريق ينبغي له ان يسلكه على هذا النحو. وليتخذ مثلا حاله في ما فهمه من حقية طريق التصوف وشرف قدر من اتصف به عبرة يتوصل بها الى منازلته والتحقيق به. ولا شك انه يتحقق ضرورة فهمه لذلك وتعلقه له[٧]. ولولا ذلك لم يطلبه ولم يحرص على التوصل اليه اذ لا يتصور طلب شيء لا يتعقل. وفهمه له وتعلقه له

---

١) ف ق: بجانبه || ٢) ق ر: التجريد || ٣) ر س: فامحت || ٤) س: فنت؛ خ: فنيت || ٥) قرآن: ١٧: ٨٣ || ٦) ف ط: وجدت هنا في الاصل المنتسخ منه ما نصه: «وجد للمؤلف رضي الله عنه سؤال وجواب في هذا المحل: «فان قيل هذا جبر محض والجبر باطل فاقول: التعبير بالجبر ها هنا ظلم في حق هذا المقام لان مفهوم الجبر لا يتصور الا في عالم الحجاب والفرق حيث يتصور وجود الجابر والمجبور عليه وما به يقع الجبر. والتعددات كلها اوهام وخيالات عند ارباب الكشف والشهود. والجبر في هذا العالم باطل قطعا لان لسان الشرع اثبت الاختيار والكسب للعبد وعليه يقع الثواب والعقاب. واما في حضرة الجمع وشهود الاحدية فلا يتصور وجود الجبر». انتهى. || ٧) س: وتعلقه به؛ خ: وتعقله له ||

ليس من تلقاء نفسه بل هو مجعول فيه بواسطة عقله المهيا لذلك. فاذا نظر الى هذا علم ان لله تعالى عليه في هذا التصور والتعقل نعما ثلاثا[1] : وجدان العقل وتهيؤه لادراك هذا الشيء. النفيس ونفس التصور والادراك. وجميع ذلك حاصل له من غير حول منه ولا قوة ولا ثبوت اهلية. وكم من شخص لم يرزق واحدة من هذه الثلاث[2] فضلا عن مجموعها . فاذا احاط علما بما ذكرناه كان لله تعالى عليه نعمة رابعة وهي اكبر هذه النعم واجلها : معرفته بان لا مدخل[3] له في شيء منها . فهذه اربع من النعم . فاذا كانت على ذكر من العبد وتيقظ لها وقصد الى نيل ما تصوره وحصوله له فاول ما يتبادر الى ذهنه رؤية عجزه وفقره وعدم قوته وحيلته وان المليّ بذلك والقادر عليه مولاه عز وجل وانه لا يسعه في التوسل[4] الى ذلك والظفر بما هنالك الا التادب بين يديه وفراره من نفسه اليه واعتماده في ما هو بصدده عليه وعند ذلك يكفيه كل مؤنة ويهون عليه كل صعب وييسر عليه كل عسير ويكون له[5] في هذا الشهود والنظر مجال للعبد[6] بحيث يحمله على ان لا يتحرك لطلب[7] ولا سبب يتخيل منه . فان دام على التيقظ في هذا فقد وصل الى مقام ينتظم له كل مقام وحصل على مرام يستحقر في جنبه كل مرام. وان لم يحصل له هذا التبادر بل انزعج في الحال الى طلب سبب يصل به غافلا عن المنعم عليه بالنعم المذكورة ابتداء من غير استحقاق وغير ذاكر له كانت مصيبته بذلك اعظم من مصيبته بعدم نيل مطلبه وبوجود تعبه في الطلب وبضيق[8] صدره في التعب[9] . فيكون حينئذ رجوعه الى تصحيح ذلك اولى به. وهذه هي الانابة[10] التي هي مقدمة الهداية . وانما حرموا الوصول لتضييعهم الاصول. وهذه كلها اعمال قلبية ينبغي ان يقدمها المريد[11] بين يدي سلوكه ويجعلها عمدته في امره كله. ثم بعد هذا عليه ان يفر عن مواضع الفتن والشرور ويعتزل مجالس العامة والجمهور ويقطع عن نفسه العلائق الظاهرة التي تدعوه الى ارتكاب الاثام والفجور .

وآكد ذلك كل سبب يقتضي وجود رياسة او تقدم كولاية حكم او

---

١) إ : ثلاثة ‖ ٢) إ : الثلاثة ‖ ٣) إ : مثل ‖ ٤) س : التوصل ‖ ٥) إ : — له ‖ ٦) إ : للعبد ‖ ٧) ر : بطلب ‖ ٨) ر س : ويضيق ‖ ٩) ر س : بالتعب ‖ ١٠) س : وهذا في الانابة ؛ خ : وهذه هي الانابة ‖ ١١) إ : الانسان ‖

تدريس علم او غير ذلك . فـان ذلك كله مضاد للسلوك وهو من القواطع العظيمة . وليجتنب النظر في العلوم والرسوم التي اكب الناس عليها بعد تحصيل ما يحتاج اليه منها في خاصته فان ذلك اعظم حجاب له عن مقصوده . ولذلك لا تكاد تجد احدا له عناية بالعلوم الظاهرة وتمرن فيها وشدة ممارسة لها حظي بشيء من حقائق علوم القوم الا من سلك بـه طريق الجذب . بل يعز فيهم الايمـان بطريقتهم حتى توهم كثير منهم المباينة بين الظاهر والباطن ومخالفة الشريعة للحقيقة[1] وحملهم هذا التوهم على ان انكروا على الصوفية امورا خارجة عن اساليب علومهم ومقتضيات رسومهم وامتحن كثير من المشايخ على ايديهم ونسبوهم الى الكفر والزندقة وانواع الضلال والبدعة .

فمن مهمات السالك ان يفر من هولاء فراره من الاسد ولا يشتغل من علومهم الا بما يخصه في نفسه في عباداته[2] ومعاملاته وليدع[3] ما سوى ذلك.

ثم بعد هذا يعمد الى عمل واحد مثلا من اعمال اهل السلوك مما يتعين عليه القيام به وكان قد حصل له علمه من قبل ولو لم يكن الا توبة عن معصية او تورعا عن شبهة او جمع هم[4] من تفرقة او غير ذلك من اعمال ظاهرة او اعمال باطنة . ويبادر الى ايقاعه مخافة فوته ولا يرتقب لذلك وقتا ثانيا. ومعلوم انه لا يعوزه من ذلك الكثير فضلا عن العمل الواحد . ثم يشتغل فيما فضل من اوقاته عن ذلك بالبحث عن اخـلاق السلف واحوالهم مع الله تعالى في اقامة عبوديته واخلاص مساعيهم له[5] .

وليواظب[6] على مطالعة كتب التصوف[7] ليطلع بذلك على مقاصدهم وحقايق علومهم وليحصل له تمرن بذلك وانس به ويزول عنه النفور الذي يصيب اكثر الناس عند مطالعة بعض كلامهم لا سيما لمن الف العلوم الظاهرة العقلية والنقلية كما ذكرناه . وذلك بعد ان يقدم الاستخارة على سنتها ويلجا الى الله تعالى في ان يفتح عليه باب الفهم فيها ويستعين على ذلك بمشاركة من[8] له عقل تام ومحبة صادقة في طريق القوم . فليشتغل المريد بمـا ذكرناه ولا يصدنه عن ذلك عدم

---

١) ق : والمنية ‖ ٢) إ : عبادته ‖ ٣) رس : ويدع ‖ ٤) س خ : همة ‖ ٥) ر : — له ‖ ٦) إ : وليواضب ‖ ٧) ف ق ر س : الصوفية ‖ ٨) س : ذلك : بن؟ خ : بمشاركة من ‖

وجدانه للشيخ الذي يراجعه في جزئيات سلوكه. وليتحقق ان ما يحصل له من نتايج هـذه البداية مزيد عظيم لا ينبغي ان يستحقره بل يغتبطه[1] ويشد يد الضنين عليه. وذلك من شكر هذه النعمة المقتضي لوجود المزيد منها.

فاذا قام العبد بهذا كله على ما ينبغي له مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومصححا تقواه له وعاملا بما امره به فقد حصل على اعظم الرجاء في ان يعلمه الله تعالى ما جهله مما يحتاج اليه في سلوكه تحقيقا لوعده في قوله عز وجل[2]: « واتقوا الله ويعلمكم الله »[3] وفي قوله عز وجل: « يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا »[4] وفي قوله تعالى: « والذين جاهدوا فينـا لنهدينهم سبلنا »[5]. وفي قوله عز اسمه: « ومن يتق الله يجعل له مخرجا »[6]. وعند ذلك تترادف عليه انواع المزيد ويستمر في سلوكه على منهج[7] سديد ويبعث الله تعالى اليه من الهداة المرشدين من تسكن اليه نفسه ويطمين به قلبه. وقد يقيض الله تعالى له في اثناء ذلك شيخا ربانيا يرقيه بهمته في اسرع وقت وقد يغنيه عنه[8] ولا يحوجه الى اخذ. وليس على المريد الا تصحيح نيته مع الله تعالى وتحسين ظنه به. فاذا هو قد وصل. بل لا مدخل له في هذا على التحقيق.

وبالجملة كل من قصد الى سلوك الطريق وجعل معتمد امره ما ذكرناه من الاعمال القلبية والبدنية فعلا وتركا فهو من المهتدين اليه لا محالة ان كان من اهل له ومن وفق لهذه الامور فهو من المؤهلين له[9]. فان الامر المتفق عليه عند العارفين ان لا وصول الى الله الا بالله[10] ولا حجاب للعبد عن الله الا نفسه. والنفس لا تجاهد بالنفس وانما تجاهد النفس بالله. فاذا جوهدت النفس بالله لم يتصور في طريق السلوك قاطع ولا مانع لوجود حفظ الله وكلاءته وتاييده للمريد السالك بما شاء وكيف شاء. ابى الله ان يرزق عبده المومن الا من حيث لا يعلم. ولا تزال حجب نفسه الظلمانية والنورانية ترتفع وتزول شيئا فشيئا حتى ياتيه اليقين.

---

١) ف ق ر س: يغتبط به ‖ ٢) ف ق ر س: عن من قايل ‖ ٣) قرآن: ٢: ٢٨٢ ‖ ٤) قرآن: ٨: ٢٩ ‖ ٥) قرآن: ٢٩: ٦٩ ‖ ٦) قرآن: ٦٥: ٢ ‖ ٧) س خ: منهاج ‖ ٨) إ: – بهمته... عنه ‖ ٩) ر: – له ‖ ١٠) س: الا به ‖

فهذا هو مبدا طريق السالك الى منازلة حال التصوف ولا نهاية له الا التحقق[1] بما تخلق[2] به من المعاني التوحيدية : « وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »[3]. بل ليس له غاية ينتهي اليها اذ له في كل حال سلوك ووصول وعليه في كل حين تحل ثم له بعده تحل وتجل على حسب ما يتزله من المنازل ويحل فيه من المواطن . وليس في طريق الله تعالى مفازة ولا متاهة كما توهمه اصحاب المناظرة بل يكون له في كل منزل يتزله دار وقرار ويتأتى له في كل حل[4] وترحال اعوان وانصار . وانما تكون المفازات والمتاهات في اقامة العبد على مالوفاته ومعتاداته حين يجد طعم نفسه ويعتمد على عقله وحدسه ويتبين له مصداق هذا عند انكشاف الغطاء. ونعوذ بالله من سوء القضاء .

فاذا تحقق المريد هذه الجملة التي ذكرناها لم يتهيب سلوك هذا الطريق ولم يستوعره واستقام له السير فيه بقرة عين وانشراح صدر ولم يتعب نفسه ولا عقله بالنظر في ما ذكره[5] اصحاب المناظرة من امر غير واحد. فان ذلك مما يشوشه ويدهشه ويوجب له التقاعد والتكاسل عن الاخذ في هذا الطريق وينسد عنه باب السلوك بالكلية . ولو دفع الانسان الى تصحيح اكثر تلك المعاني وكون العبد مامورا براعاتها والقيام بمقتضى حقايقها بالادلة الشرعية على طريقة علماء الظاهر ربما لم يحصل له وفاء بذلك . كيف والامر بحمد الله[6] اقرب من هذا كله : لان الله تعالى بعث الينا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بحنيفية السمحة ولم يجعل علينا في الدين من حرج واي حرج اعظم من معاناة السلوك على حال ما الناس عليه من التفرق والاختلاف وعدم الهداة المرشدين وغاية ما طلب من العبد امر واحد وهو اخلاص العبودية لله عز وجل لا مانع للعبد من اقامتها في مقاماتها الا هواه المتبع[7] ودوى كل احد ظاهر له اذ هو حقيقة نشأته ومجبول خلقته وكيف يخفى على الانسان حاله اذا كان منصفا من نفسه ناصحا لربه عاملا في صلاح قلبه .

---

١) ق : التحقيق || ٢) س خ : تعلق || ٣) قرآن : ٦٢ : ٤ || ٤) إ : حال ||
٥) إ : ذكر || ٦) ر : + تعالى || ٧) س خ : المتبر ||

فاذا اعتمد المريد مخالفة نفسه في كل ما تدعوه اليه مما لا يخاف ضرره في عقله وجسمه والتزم عدم التمسك بكل ما يظهر له فيما يرجع الى عقده[١] وفهمه[٢] اي افة تصيبه . بل له في ذلك اعظم الفوايد . وغاية ما يعرض[٣] له[٤] من الافات التي يتوهمها المريد في مخالفة نفسه ان تدعوه الى نوع من الطاعات ولم يظهر له وجود حظها فيه فيخالفها مع ذلك فتفوته تلك الطاعة . وكذلك في التزامه عدم التمسك بما يدركه عقله اذا ظهرت له حقيقة من الحقايق بزعمه فيتعامى عنها ويضرب عنها صفحا ولا ضرر عليه في جميع ذلك بل هو سالك انهج[٥] المسالك والعبد ابدا شأنه العجز والقصور ولو بلغ في العلم والعمل كل مبلغ ويكون للمريد في اعتماده هذه المخالفة التي ذكرناها شغل شاغل يمنعه من سلوك بنيات الطريق والانحراف عن جادة التحقيق والتعرض للاخطار والاستهداف لانواع المضار . فلقد ضل ضلالا بعيدا من سخت نفسه بالوصال دون الصيام او سمحت بالصيام على الدوام دون تركه في بعض الايام . ومن رضي باخراج جميع ما له دون امساك بعضه ومن طاب نفسا بالانحياز الى قنن الجبال والتقطع في المفازات دون اعتزاله في بيته مع وجود السلامة فيه . وهل هذا كله وما اشبهه الا من الشهوة الخفية التي تصعب معالجتها وتقتضي وجود الافات الدينية والدنياوية موافقتها . ولو وقف على حدود الشرع وسلك سبيل التقوى والورع لكان خيرا له ولا شهوة له في ذلك البتة ولذلك يشتد على النفس مراعات الاوساط وتشره الى احد الطرفين من تفريط او افراط . وبالتزام العبد للصدق[٦] في احواله كلها يحفظه الله تعالى ويزيده ويحميه من المهالك ويسدده ويقيض له من المشايخ المحققين من تقرّ به عينه . فعلى العبد البداية ومن الله تعالى التمام والنهاية . ولله الامر من قبل ومن بعد .

فهذا ما ظهر لي في المسئلة التي اثرت الكلام فيها . واني لأعلم اني في ذلك متكلف وسيء الأدب وآخذ في ما لا يعنيني[٧] ولكني استغفر الله تعالى واسأله التجاوز والعفو فهو اهل ذلك ووليه وهو حسبي في ذلك ونعم الوكيل.

---

١) س خ : عقد ‖ ٢) س خ : وجسمه . كذا ‖ ٣) ف س : يفرض؛ س خ : يعرض ‖ ٤) ف ق س : — له ‖ ٥) س خ : انجح ‖ ٦) س خ : الصدق ‖ ٧) ر : يعنيه ‖

ونسأله جل وعلا ان يرينا الحق ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويميتنا على اجتنابه . وصلى الله على سيدنا[١] محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً[٢].

١) ق ر س : + ومولانا || ٢) إ : [يقرأ هنا بخط مختلف ، ولعله خط الناسخ :] ان الذي وجهت وجهي له هو الذي خلفت في اهلي : لا يخفى عليه حالهم سعة وفضله اوسع من فضلي ؛ ف : + كثير اثير الى يوم الدين؛ ق : + انتهى والحمد لله . . . ونعم الوكيل . انتهت الرسايل الصغرى ، تتلوها الرسايل الكبرى ان شاء الله؛ ر : + انتهى كتاب الرسايل الصغرى للامام الاوحد الشيخ العارف بالله سيدي محمد . . . بن عباد . . . على يد . . . عبد الرحمان بن ابي القاسم بن ابي علي بن احمد الجبايري ثم المصلي نسبا المالكي مذهبا . . . وكان الفراغ من نسخه ضحوة يوم الجمعة التاسع عشر من شهر شوال الذي من عام اثنين والف سنة [١٥٩٣ م] والحمد لله . . . ؛ س : انتهت الرسايل الصغرى بحمد الله . . . وكان الفراغ منها ضحوة السبت سابع ربيع الثاني عام خمسة وستين ومايتين والف [١٨٤٨م] على يد . . . محمد بن الطالب بن محمد ابن سودة . . .]]

تفسير الصلاة الربية (تابع)

للمفريان غريغوريوس شمعون الطوراني

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

وتكمل هذه المشيَّة دائمًا ولا تستطيع قوَّة ما تقاومها او تبطلها كقول المرتل. كلّما شاء الرب صنع في السماء وفي الأرض في البحر وفي جميع اللجج . وقال في اشعيا ان مشورتي تثبت وكل ارادتي تتم . وقال مردخاي ليس من يقاوم ارادتك. فيجب اذاً علينا ان نطابق هذه الارادة اما بفرح او بصبر فيما يحزننا.

والثانية هي مشية الاشارة . وتدعى مشية الاشتها ايضاً . وبها يخبرنا تعالى بانهُ يريد منا تتمة وصاياه وشرايعه التي وضعها لنا . وهذا هو المقصود هنا من الآية الشريفة . لانه يعلمنا ويحثنا ان نفعل مشيئته . الفعالة الفايضة . التي تخضع لها البشر بسرعة وكمال ورفق في كل شيء . فعالًا واحتمالًا : كما تطيعها الملئكة في السماء . وقد لاحظ المسيح ان قول المرتل : باركوا الرب يا جميع الملئكة الذين بقوة شديدة يصنعون أوامره ليسمعوا صوت كلامه . باركوا يا جميع قواته وخدامه العاملين ارادته فينبغي اذًا لنا ان نتشبه بسرعة الملئكة وانصبابهم الكامل في عمل ارادة الله واختياره . لنكرمهُ ونحترمهُ نظيرهم . فمن ثم نفيد انفسنا افادةً كلية حسب قول الرسول الجليل . هذه هي ارادة الله . اي طهارتكم . وقال سيد الكل كل من صنع مشية ابي الذي في السماوات هو اخي واختي وامي . اعلم ان ارادة الله هي التي علّمها المسيح وعمل بها . وهي التواضع في السلوك . والثبات في الايمان . والاحتشام في الكلام . والعدل في العمل . والرحمة في الأفعال . والادب في الخصال . وان لا يعرف الانسان الظلم . واذا ظلم يصبر . ويحفظ الصلح والسلام ما بين الاخوة . ويحب الله من كل قلبه ويكرمه نظرًا لأبوته ولانه الههُ . ولا يفضل على المسيح شيئاً. كما انهُ لم يفضل علينا شيئاً . بل فليتصل بمحبته ورضاه من غير افتراق. ويتمسك

بصليبه بشجاعةٍ ودالة . ويعترف باسمه واقواله بمجاهرة اذا كان من يصده . ويصبر على الموت الذي به يتكلل . فهذا هو عمل وصية الله وتتميم ارادة الاب. فمن كان هذا الحال حاله فلا ريب انه يرث مع المسيح . فاذا كان سيدنا عزَّ اسمهُ ذلك العالي عن الالامات بطبعه . والكارابيون والسارافيون من سلطة نوره محتجبون . فتواضع الى حد هذا الاتضاع حتى انه تأنس وصار انساناً. واحتمل آلامات مبرحة مع الجلد واللطم . والهزء والبصاق . وحتى انه مات صلباً لاجلك يا انسان . وانت ايها الانسان لن ترضى ان تفعل اختيار ابيه . وتكمل رضا من قد احتمل لاجلك هذه المشقات وعانا مثل هذه الشدايد والامتحانات . اما واجب عليك بل واللايق بك ان تجهد نفسك في ان تفعل ارادة الاب . ذلك الذي من محبته فيك ما اشفق على ابنه الوحيد . بل اسلمه للموت لاجلك . لينقذك من اعدايك او كيف يحسن بك ان تهمل وصية من قد سمع واستهان باقنومه الالهي . لان يكابد هذه الآلامات والمصايب القادحة. ولازدياد محبته لابيه رضي ان يصلب على الصليب ليتمم ارادة ابيه واختياره وفداك بدم اقنومه الالهي وخلصك . ومن ثم علمك بمثله الصالح وقال لك في تعليمه الالهي . ان تطلب اختيار الاب . وانت تكمله في الارض . وذلك لتعلم ان الابن ليس له اختيار ما عدا اختيار ابيه . ولهذا قال له اجلس من عن يميني حين اضع اعداك تحت موطي قدميك . اي تحت سلطان ناسوتك الضعيفه. وهكذا نحن اذا ما اتممنا اختيار ابونا . واهملنا ارادتنا وحفظنا وصاياه وفعلنا رضاه . ومن ثم يرانا ابانا ان شكلنا شبيهاً بشكل ابنه الحبيب . فكل الضعفات يضعهم تحت ارجلنا وتدوس الاسد والتنين والحيات والعقارب ولا يضرنا شيء البتة . ويتعبدون لنا الشياطين . وتصير من قوة الخطية والموت والجحيم معتوقين لا متالمين ونكون بنينا لابينا السموي. وشركا ابنه الحبيب في ميراثه السماوي . ولا يعود الفساد له علينا سبيل . وما ذاك الا لاستباعنا وصاياه وتتميمنا رضاه . وافتعالنا اختياره كما ينبغي حسبما ارونا سيدنا يسوع المسيح كيف كان هو امام ابيه . فهكذا نكون نحن امامه . والافعال التي علمناها نفعل . حتى انه يمنحنا الشيء الذي لاجله خلقنا . ولهذا نحن كنا محتاجين لذلك الذي كان محجوب في حضن ابيه . ليأتي ويتشبه بنا ويعلمنا كل شيء الذي

برضاه الاب ويرضى اختياره الصالح. حيث انه كان عارف برضى ابيه واختياره. وعالم بضعفنا. صلى وعلمنا مثله . وبقوله يا ابتاه ليس اختياري بل اختيارك يكون. فكأنه يقول لنا دائمًا تكونوا قايلين لابي السماوي يا ابانا يكون اختيارك كما في السما . كذلك على الأرض . تأمل يا اخي في تدبير سيدنا يسوع المسيح . كيف ان جميعه كان لتعليمنا نحن الترابيين . لانه جل شأنه كل قصده في تردده كان . لكي نتردد مثله . لقوله تعالى ان من يحبني يحفظ وصاياي . فان كنا نحب يسوع فلنحفظ وصاياه ونكمل اختياره . ليس بالقول . بل بالفعل. لان قوله يحفظ وصاياي . اي ان نتممها بالفعل . لاحظ هنا يا هذا الى كم يحرضنا سيدنا بألّا يكون لنا ارادة في الارض . بل تكون ارادته التي هي في السما . وبناموسه يكون اختيارنا ونهدس به ليلًا ونهارًا . والّا يكون لنا اختيارًا في الارض . بل نكون طالبين اختياره في الارض يكون كما هو في السماء . كما قيل اطلبوا لِما هو فوق . ولِما هو فوق افكروا والا هو فيما اسفل . قالوا لم يأتي سيدنا ويعلمنا لِما كنا نطلب فيما هو فوق ونفكر به . اي اختيار الاب . كما قال داود النبي ارني طرقك وفي سبلك المستقيمة علمني . ودبرني . فاراد بقوله هذا ارني سبلك المستقيمة . اي ارني اختيارك ودبرني به . لانه لا اختيار لي دون اختيارك . كأنه يقول علمني لأصنع اختيارك . فمن قول النبي هذا ظهر ان كل تدبير سيدنا كان بيانًا وتعليمًا لنا . لاننا اذا تممنا اختيار ابونا. فهو تعالى يتمم اختيارنا ايضًا . كقول النبي ايضًا قريبٌ هو الرب للذين يدعونه بالقسط. ويصنع ارادة خايفيه . وحقًا يا اخي ان الاب يصنع ارادة خايفيه . لكون خايفيه ليس لهم اختيار ما عدا اختيار الاب. فاذا الاب يصنع اختياره في قديسيه. فمن هنا صار معلومًا ان اختيار خايفيه هو اختياره ليس الا . فان كان اختيار الاب واختيار قديسيه وخايفيه واحد. فلا علاج بل وبالافضل ان يكون الابن يتمم مسرة الاب . والاب أيضًا يصنع ويكمل مشية الابن . بما ان اختيارهما واحد . لقوله تعالى الاب يحب الابن ويريه جميع ما يعمل . وكما قال ايضًا ان الاب يقيم الموتى ويحييهم . كذلك الابن يحيي من يشاء . لان الاب لا يدين احدًا . بل أعطى الحكم والدين كله للابن . وقال ايضًا والذين هم في القبور يسمعون صوته فيحيون . فاذًا ليس بعجيب ان الابن الذي هو طبع

الاب ان يفعل هذه العجايب والقوات . لكونه تعالى اعني الابن أكمل اختيار الاب جميعه . فالعجب الاعظم بل والاغرب ان الترابيين اذا صنعوا ارادة الاب وفعلوا رضاه وحفظوا نواميسه ووصاياه . يفعلون ازيد من هذه العجايب والقوات. لانهم يجلسون على الكراسي وكالابن يتسلطون ويدينون اثني عشر سبط اسرائيل. ومن المفهوم والمعلوم ان الابن جلَّ وعلا ليس محتاجٌ هذا السلطان لانه مختصٌ به . لكن من افراط حبه لنا تنازل من أعلا سماه ليعلينا ويعظّمنا واذا ما أكملنا اختيار الاب كتعليمه لنا يهبنا هذا السلطان العظيم . ومن غير تتميمنا رضاه واختيار ابيه لم نرق الى هذه المرتبة العالية العظم محلّها . فهلمَّ الآن يا اخي واسمع ماذا يقول ذلك الذي ليس هو محتاج قايلًا . اني لم اقدر اعمل شيئاً من تلقاء نفسي . بل اختيار من ارسلني فكم هو بالاولى بنا نحن المحتاجون لكل شيء ان نرمي ارادتنا مع اختيارتنا ولا نصنع شيئاً من تلقاء نفسنا . فكم هو عاد بالضرورة ان كل شيء نصنع فبارادة الاب السماوي نصنعه ونكمله بالفعل . فذاك الذي هو مساوٍ لابيه في الجوهر والفعل والارادة . يعد ذاته كالبعيد من الاب . وما ذاك الا ليقربنا نحن البعيدين اليه . ويريد ان يشركنا معه . فتأمل في قصد سيدنا يسوع المسيح كيف انه يروم ان يقربنا نحن الضعفاء والبعيدين منه من أجل خطايانا . ويريد ايضاً ان نكون شركاء معه . فما ظنّكَ في ذلك الذي هو مخفي في حضن أبيه قبل أن يتجسّد وبعد ان تجسّد . هل يكون له ارادة اخرى مخصوصة به دون ارادة أبيه وروح قدسه . تعالى الله عن ذلك . فهلمَّ الان لنبحث عن ذلك الذي هو خالياً عن عقول المالويين القايل أنا ما أتيت لاعمل مشيتي . بل مشية الذي أرسلني ترى من يسمه قايلًا هكذا ويتجاسر على أن يقول ان الابن الازلي له ارادتين وفعلين وطبيعتين[1] . فحقاً القايل هكذا هو ضدٌ لابن الله . فاذا ما رأيت ارادة في الكتاب المقدس أو أفعال فلا ينجح ظنك ان لكل من الثالث أقانيم ارادة . مثل قوله تعالى ليس ارادتي بل ارادتك. تتوهم ان الابن له ارادة غير ارادة الله أبيه معاذ الله من هذا . بل انا قال هذا ليزيح ارادته وينفيها بالكلية. بل وليجحد وجودها فيه أيضاً. فهات اخبرني يا من تقول في المسيح طبيعتين وارادتين . فاي طبيعة من الطبيعتين

[1] نرجئ التعليق على هذه الاقوال وما يليها الى ختام هذه النشرة .

نزلت من السما . لأنه تعالى قال ما نزلت من السماء لأصنع مشيتي . بل مشية ذلك الذي ارسلني . فقد تتحقق من قوله بان لاهوته له ارادة ما عدا ارادة ناسوته ودون ادارة ابيه على ما تزعم بعض المضادين . وها اننا نسمع ما قيل في الكتاب المقدس الى تيموديوس . ان الروح حيث ما يشا يهب وعلى ما قال لوقا البشير في اعمال الرسل لروح القدس ارادة . والرسول يقول لجميع هؤلاء روحاً واحداً . وهو الذي يقسم لكل احدٍ ما يشاء . فكما قد تحقق لاقنوم روح القدس ارادة أُخرى . فعلى هذه الأقاويل المذكورة ونظايرها . تبيَّن لنا ان للثالوث المقدس ثلاث ارادات . والناسوت كحسب قوله صار له ارادة اخرى . فحصل اربع ارادات . افنعتقد في الثالوث اربع ارادات . فما قولك من حيث انهم مدونين في كتب الله المقدسة . حاشا معاذ الله من هذا الكفر الشنيع فتبهت اذاً وجوه الهراتقة . وتخزى اوليك الضالين المضلين المتقدون بهذا الاعتقاد الطمث . وياولون اتيان الله الى ما يطابق ارائهم الفاسدة .

ولمعترض ان يقول. كيف تجسَّد الله وتشبه بنا وتكلم معنا كلما نحن نتكلم مع بعضنا .

فنجيب قايلين . انه تعالى ما تشبه بنا بالناسوت فقط . لكن ذلك العالي عن التشبيهات كلها. هو نفسه صورة الآب اتحد بجنسنا اتحاداً طبيعياً اقنومياً . لا اصطحابياً ولا اضافياً كما يقرون بعض الاراتقة النسطورية وبعض الاراتقة الرابعية . القايلين في اعتقادهم ان مولانا المسيح هو صورتين . الواحدة هي موضوعة للاهانة والشتايم. والاخرى تبهر بالمعجزات . وكل واحدة من الصورتين تفعل ما يختص بها بالاشتراك مع الاخرة . وبقولهم لهذا نبذوا اتحاد اللاهوت بالناسوت بهذا المقدار . حتى عاد اصطحابياً او اشتراكياً او اضافياً . الذي من شانهِ هذه الأوصاف ان تجعل المسيح الواحد من كل الوجوه اثنين لا واحداً. وهذا الاعتقاد ليس هو اعتقاد الكنيسة الواحدة المقدسة ولا واحد من ابائها القديسين الكاملين الفاضلين الناطقين بالهام الروح الكلي قدسه . القايلون ذلك الأقنوم الالهي من تحننه وترأفه تنازل من الأحضان الأبوية الطاهرة . واتحد بجنسنا حيث هو لما كان [x] الاصلي . من الكلية الغبطة والمثلثة الطوبى مريم

العذرا. اتحاداً اقنومياً طبيعياً . لا تثنية فيـه ولا فرقة . بل هو اتحاداً عجيباً بهذا المقدار . حتى صار الاله والانسان اقنوماً واحداً. وذلك كان يتردد معنا ويعلمنا بالذي كان لازم لنا . وبقدر مـا كنا نستطيع ان نفهم كان يفهمنا ويدربنا في كل شيء . واما قولك اما تجسد . نعم تجسد . ولكن بتجسده هذا لم يزد في الثالوث الأقدس ولا عليه شيئاً آخر . لا طبـع ولا ارادة ولا فعل ولا اختيار . بل هو الكلمة نفسه جلَّ وعلا . الابن ظهر في العالم وله اي للعالم برضاه عزَّ شأنه متجسداً . وهو نفسه الاله المتجسد بطبع واحـد ومشيئة واحدة وفعل واحد .

ولمعترض ان يقول . نعم الكلمة تجسد فهذا حقاً . ولكن بما انه تجسد صار له طبعاً واحد آخر وارادة اخرى وفعل آخر ما عدا للذي للثلاثة اقانيم الالهية .

فنجيبه قايلين . ان كان ذلك كذلك وهـذا هو اعتقادك . فهو مخالف لاعتقاد الكنيسة المقدسة ولاعتقاد اساطاوينها اللابسين اللاهوت . بنوعين.

اولاً . يظهر من هذا الاعتقاد انه قد حصل في الثالوث المقدس انفصالاً . ولكل من الاقانيم الثلاث ارادة . وفعل . وهذا الاعتقاد هو من عين ذاته كفر . اذ لا تعتقد فيه النصارى جملة كافية .

ثانياً من هذا الاعتقاد . يظهر ان الابن الوحيـد الواحد ابنين لا واحداً وهذا ايضاً كفر . والكنيسة المقدسة قد حرمت مبدعه اما سمعت يا اخي قط ان الابن الوحيد هو يد الآب وذراعه وقوته وحكمته كما تنبأت عنه الانبياء. فبالحقيقة تجيب نعم هو هكذا . فنقول لك ان كان سيدنا يسوع المسيح هو حكمة وقوة وذراع ويد الآب كما وصفته الانبيا في كتبهم المقدسة . فمن المعلوم ان جميع ما اراده وفعله مولانا المسيح . . هو ارادة وفعـل ابيه وروح قدسه . وهذا لنا في هذا دليل واضح بين اظهر من الشمس . وان قلت ما هو فنجيبك قايلين يا اخي . هل تستطيع يدك انت ان تفعل فعلاً ما خلواً من ارادة عقلك فعلى الفور تجيبني قايلاً. لا غير ممكن لليد ان تفعل فعلاً ما عدا ارادة العقل الذي يريـد ذلك الفعل فيدلها اي يدل اليد ان تفعله . فان كان ذلك هكذا هو كذلك والمسيح سيدنا الذي هو ذراع ويد الآب جميع ما

فعل فعله بارادة ابيه العقل الاول . فاذا كان يد الاب الذي هو سيدنا يسوع المسيح فعل ما اراده العقل الأول الذي هو ابيه الخاصي . فمن اين يا أخي عاد توجب له انت برائك المفسود فعل آخر او ارادة خاص به . او حركة ما . كيف يسوغ لك هذه الجاسرة النسطورية المحرومة من الكنيسة المتقدمة البقية من هذه الشوايب الناقصة . حين تسمعه يقول لك مصرحاً انا اتيت لا لافعل مشيتي . بل مشية من ارسلني . ها هوذا علانية يجحد بل وينفي ارادته بالكلية . وانت مع من ساوقك تقول له لا لا . انت لناسوتك مشية وفعل واحد . ما عدا للذي للاهوتك . فيا لله مـا اغبى هذا العقل . الملك تجيبني قائلاً . اما فعل سيدنا يسوع المسيح الضعيفات . والشي الدني الضعيف من الممتنع ان يفعله اللاهوت.. لأن اللاهوت له ان يفعل أفعالاً عالية . كتطهير البرص وتصحيح المخلع وتفتيح الاعين واقامـة الموتى من لحودها ونظايرها المضاهية لها . ومولانا المسيح بلاهوته فعل هذه الامور العالية . وبناسوته فعل اولئك الضعيفات . كالأكل والشرب والاعيا والنوم وما ضاها ذلك انتهى . وانا ايضاً اقول لك انك بهذا الاعتقاد جعلت المسيح الواحد مسيحين . المسيح الواحد يفعل الامور العالية . والمسيح الثاني يفعل الامور الربيَّة . اما ظهر من اعتقادك هذا بابنين . وقد كذبت شهادة الآب السماوي بالـذي شهد بها عن المسيح الواقف في النهر الأردني بحلول الروح القدس عليه . صارخاً من السماء بحضر اناس جمّة . قايلاً هذا هو ابني الحبيب الذي سررت به . ترى هذا الصوت لمن كان يقول انت هو ابني الحبيب لأي واحد من الاثنين على مـا تقول ان اللاهوت فعل العاليات والناسوت فعل الدنيات اما ظهر افتراك علانية . وهذا الصوت كاف حتى ان الآب جلّ اسمه به اظهر للعالم كلها . ان المسيح هو هو الابن الطبيعي للآب ليس الّا . وذلك اليوم يسمّى يوم الظهور الآلهي . اي ظهور الثلاث الاقانيم الالهية . فالآب ظهر بوساطة صوته من السماء بمسامع الشعب كله . والابن الحبيب الكاين في النهر الذي اشار اليه الآب بقوله هذا . والروح القدس ظهر شبه جسد حمـامة وجاياً وحالّاً على الابن. فمن اي طريق عاد تقدر ان تميّز هـذا الابن الوحيد لاثنين . فنقول يا من الله ينوّر عقلك . ان المسيح له المجد هو فعل العاليات . وهو نفسه فعل الضعيفات .

فان كنت مصراً بعد على جهلك وغباوتك وتقول ان للمسيح فعلين . فينتج المسيح هو اثنين. فيا هذا اما تعلم ان كل فعل. لا بد له من فاعل يفعله . فاذا قلت ان المسيح ذو فعلين فينتج ان المسيح فاعلين. وكل واحد يفعل ما يخصه. ومن البين ان مولانا تجسد . وهو فاعل واحد . فمن اين يتجه لفاعل واحد ان يفعل فعلين متغايرين. فاماً ان يكون لكل فعل فاعل . ما دام الاقرار بفاعل واحد . ففعله ايضاً هو واحد . لأن الكنيسة المقدسة اي الشعب المؤمن بالايمان الصحيح . الخالي من كل شك ونقص. الجامعة التي تجمع بايمانها جماعة المؤمنين بهذا الايمان المقدس . البرية من الاختلاس . الرسولية الذي ايمانها مأخوذاً عن ساداتنا وأيمتنا الحقيقيين الرسل الاثني عشر السليحين . المقدسة التي قدسها الابن سيدنا يسوع المسيح حين قال لابيه . يا ابتاه قدسهم بحقك ليكونوا مقدسين . ومن حيث انها واحدة. فلا لوحدتها بايمانها بالابن الواحد الوحيد ذرة ولا نظير . المنتشر ايمانها به في الاقطار الشاسعة والاصقاع الواسعة . حيث انها تؤمن وتقرّ معترفة ان كلمة الله اي اقنوم النطق تنازل وحلّ في بطن البتول اشرف خلق الله مريم العذراء . وتنازله هذا لم يكن بافراغ حيز . واشغال حيزاً آخر . بل هو كان في البطن البتولي . وهو وهو كان في الحضن الابوي. ومنها وبفعل الروح القدس ظهر متجسداً . متحد اللاهوت بالناسوت الذي اخذه من جنسنا . اتحاداً في جميع الانحاء . هذا الاتحاد لا فرقة فيه ولا تثنية . من غير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة . اي اللاهوت لم يستحل ناسوتاً . ولا الناسوت استحل لاهوتاً . ولا اختلط اللاهوت بالناسوت وحصل التبلبل . وكيف ذلك يكون باللطيف والكثيف . لعمري ان من الممتنع هذا ان يكون . وفعل الضعيفات بلاهوته . وهو ايضاً فعل العاليات بناسوته بفعل واحد لفاعل واحد. فان كان يا اخي على ما تزعم ان العاليات فعلها اللاهوت. فاية فائدة كان لنا في تجسده ويصير انساناً . اعلم ان ارادة الآب ان ابنه الحبيب يصير انساناً . والابن رضي ما اراد به الآب فصار انساناً . والروح القدس كشف واخبر بما اراد به الآب واعلن بما رضي به الابن . لثلاثة انواع كان قصد الثالوث الأقدس .

اولاً كان ذلك ليخلص جنسنا من عبودية الشيطان . ومن الموت المحكوم

عليه من الابتدا . ومن الخطية الذي بها استحقينا الطرد من الفردوس .

ثانياً ليقهر الشيطان عدوّه وعدوّنا . حيث انه تعدّى على جنسنا واغواه المخالفة. وليخلص جنسنا من يده لا قهرًا بل بالعدل . ولكون ان تكبّر واراد ان يكون هو الاله . وطلب مجد الاله لذاته .

ثالثاً ليشرف طبعنا ويعليه علوًا هذا حد مقداره . حتى انه جعله وهو اقنوماً واحدًا وصيّرنا بنيناً للآب . واخوة له بالذخيرة الابنيّة . قالوا ان العاليات للاهوت خاصة . هو كذلك . لكان التجسد مستثنياً عن فعله . وليكان هو تعالى قادرًا على خلاص سبيته وقهر عدوه الثلاب بغير واسطة التجسد . ولكن لوفود محبته للبشر. اراد ان يشرف الانسان الذي صنعه ويعليه علوًا هذا حدّ مقداره. الى ان يصيّره به اقنوماً واحدًا . وليفيده فضيلة الاتضاع باتضاعه . ولتقتدي ابن البشر اثاره الشريفة العالية . فسيدنا له المجد الاقنوم الالهي . اذًا ما اراد الآب به . وهو نفسه رضي به فقبل . وتجسد من جنسنا . واتحد بطبعنا الكامل من كل وجه . اتحادًا طبيعياً اقنومياً . حتى انه صار ذلك العالي ان يفعل ما يفعله الدني . والدني عينه ان يفعل ما يفعله العالي . وهذا هو فعل الاتحاد العجيب الذي رآه بالروح ذلك المعظم في الانبيا. اشعيا . فلرؤياه هذا ما ـ ـه ان يكنيه بشي. . غير انه يدعيه عجباً . فهذه الدعوة كانت احق بالنبي ان يدعيه بها . لكون ان رأى الملئكة الروحانيين العاليين دعوة عجباً. فاقتدى بهم وسمّاه عجباً . ونحن بهذا الفعل العجيب الذي هو فعل الاتحاد خلصنا من اسر الشيطان والخطية والموت . فالشكر لك يا يسوع مخلصنا . ونشرا فضلك واحسانك على انعام محبتك لنا . حيث انك بها اضطريت لان تتحد بجنسنا وتشرفه . وتعليه لمقدار هذا حدّه من الشرف . حتى انك تشركه في مجدك السامي . فحقاً يا اخي ان هذا القصد هو قصد الله الاخص. ومن اجله تنازل كلمة الله هذا التنازل العجيب الذي عجبه يعلو [×] على كل عجب . وما ذاك الا ليرينا بنموذجه فضيلة الاتضاع كم هي عجيبة . ولنكون نحن مثله كاملين في كل شي. . كما يقول لنا في تعليمه الشريف القايل كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل هو . افتتعجب يا هذا من القول ان المسيح الهنا فعل ما فعله من الدنيات الضعيفات بلاهوته كان . وانه هو نفسه فعل ما

فعله من العاليات الجليلات بناسوته كان . وان قلت كيف يكون هذا ومن الممتنع ان يكون العالي يفعل الدني والدني يفعل العلي . فنقول لك هذا حقاً. ولكن فعل الاتحاد العجيب هو الذي امكن ان يكون هذا . وقول الملئكة الروحانيين واشعيا النبي انه عجباً . فلهذا الاتحاد كان يرمز انه عجباً. ولكننا نحن تعلمنا من الكتاب المقدس ان الباري تعالى في بعض اماكن تردَّد بالضعيفات الدنيات كالانسان . وان قلت كيف ذلك ومتى كان هذا . فنجيبك حيث انه قال لآدم بعد تعديد الوصية آدم آدم اين انت . فما قولك يا اخي هل الله يخفي عنه ما فعل آدم . وقاين في قتل اخيه هبيل حتى انه قال له اين هبيل اخيك . حاشَ بل انه كان عارفاً بما فعلوا . ولكنه كان لسببين .

السبب الاول

كان سؤال الله تعالى لهم . لكي يمنحهم فسحة للتوبة . فحقاً لو انهم يقروا بجرمهم اننا اخطأنا يا سيدنا اغفر لنا . لغفر لهم ما تعدوه .

السبب الثاني

كان سؤاله تعالى لهم . مرمزاً انه سيتحد بالجنس البشري ويتردَّد مع البشر ويصير مثلهم غير عارف من حيث انه عارف بالشيء قبل كونه . ولهذا المعنى نفسه كان اللاهوت في تأنسه يفعل الافعال الضعيفة. وبما انه تعالى اتحد بناسوتنا وقصده تمجد ان يشرف الانسان . فصار هذا الانسان الذي اتحد به اللاهوت يفعل الافعال العالية . فنقول لك ايضاً ان كان في المسيح فعلين متغايرين . الواحد في اللاهوت والثاني فعل الناسوت . وكل من هذين يفعل ما يخصه . فنروم منك سؤال نستفهم به . ان اللاهوت حين اقام العازر من القبر هل ناسوته كان منه بعيداً فمن المعلوم تجيبني حاشا بل انه متحد به . فنقول لك لما كان سيدنا تمجد في مؤخر السفينة نايماً . فهل كان اللاهوت نايماً في السفينة ايضاً . فتقول لي ومن هذا ايضاً حاشا . فان كان اللاهوت المتحد بالناسوت النايم في السفينة لو انه كان يفعل فعله الخاص به وحده . اما كان قادراً ان يفعل فعله كما ان ناسوته فاعل ما هو مختص به . من انه يهدي هيجان البحر . والحال انه لم يفعل ذلك. بل ان تلاميذه لما رأوا انهم كادوا يغرقوا فاتوا وايقظوه قايلين له يا عظيمنا . اما يعنيك امرنا اننا نغرق . فحينئذٍ

قام وانتهر البحر فهدي فرأيت يا اخي كيف ان مولانا سيدنا يسوع المسيح اظهر بفعله هذا انه فاعل واحد ذو فعل واحد ليس فيه كما تزعم فعلين . فنتج من هذا بوجود فعل الاتحاد . ان فعل الناسوت اصدر هذه الاعجوبة العالية . فنستفهم منك ايضاً ان تعلمني هل ان اللاهوت كان يقيم الموتى من لحودها . وفاعل آخر كان يجوع ويعطش ويتعب وينام . فان قلت حاشا ان يكون ذلك لانه هو واحد. ولكن بما ان فيه طبعين فلزمنا ان نقول لكل طبع فعل واحد . كما ان السيف المحمي في النار له فعلين . فلا علاج ان النار تحرق والصورة تقطع . فعلى هذا المثال اقرارنا في المسيح الهنا . ولهذا نقول ان العجايب والآيات كان يفعلها بلاهوته. وهكذا الناسوت كان يفعل الضعيفات الدنيات . فنقول لك ان السيف المحمي بالنار . فانه في ساعة يحرق فبالحال يقطع . وذلك بفعل واحد . ها هنا ليس عاد فعلين للسيف . بل فعل واحد لانه بفعل واحد يحرق ويقطع. فهذا الفعل لا يطلق على السيف ما عدا اتحاده بالنار . بل بوساطة اتحاد النار به طلق عليه بالاسم بالقطع والحرق . فمن هنا صار معلوماً ان بوساطة اتحاد اللاهوت بالناسوت. يفعل الناسوت العاليات بوساطة اللاهوت المتحد به . واللاهوت يفعل الدنيات بناسوته بفعل واحد لفاعل واحد. وان قلت ان السيف اذا حرق فهو فعل طبع النار . واذا قطع فهو فعل طبع الصورة . فاقول لك اذًا ارني السيف هل زاد له طبع آخر. ولئن كان متحدا بالنار دون طبعه . لكونه اعني السيف اقنوماً واحداً . فكما ان اقنومه واحد فطبعه ايضاً هو واحد . لان الطبع لا قوام له الّا باقنوم . وحيث ليس اقنوم. فما للطبع وجود قط . وهكذا نقول في المسيح بما انه هو اقنوماً واحداً . فطبعه ايضاً هو واحد. وفعله واحد. واختياره هو واحد. اما قولك في المسيح طبيعتين ينبغي ان تقول عنه اقنومين أما تعلم ان من يقول في المسيح طبعين هو واقع في الوحدة النسطورية الجاحد اتحاد اللاهوت بالناسوت بقوله ليس اتحاداً بل اصطحاباً . لان فعل الاتحاد عجيب وعالي عن العقول لكنه يصير اللاهوت والناسوت اقنوماً واحداً وطبعاً واحداً من كل الوجوه. واما على ما تزعم ان بعد الاتحاد طبيعتين . فما للاتحاد فعل . بل ولا وجود . ولكونك تقر بالطبيعتين . فالاتحاد نفيته بالكلية . واوجدت الاثنينيّة . واثبت ما ذهب

اليه ذلك المحروم نسطور . وان قلت حاشاي ان اقر باقرار ذلك اللاعين . فاقول لك ان ما دام اقرارك في المسيح طبعين وارادتين وفعلين . فاقرارك لا لا محال كاقراره . وقولك ان المسيح هو اقنوم واحد فهو عبثاً لا حقيقة له . مثل قولك الغير الصحيح ان في المسيح طبيعتين متحدتين . وتتلي قولك ان الطبيعتين باقيتين على حالها . فمن اين عاد فعل الاتحاد له عندك وجود . بل انك نفيته كلياً وصيرته اصطحاباً اشتراكياً : فصح من هنا ايمان الكنيسة التي احرمت موجد هذا الشقاق . هو ان المسيح واحد بالطبع والاقنوم الواحد وانه مع ابيه وروح قدسه بارادة واحدة وفعل واحد . فيا صاحب العقل والتمييز . قل ما يكون اعتبر متأملاً في تثقيفه لنا وتحريصه لنا في وصيته . في انه كم يحثنا نحن الترابيين لأن ننفي عنا ارادتنا ونطلب ارادة الرب ابينا التي هي في السماء . هكذا فلتكن على الأرض . بقوله تكون مشيتك . اي ان كما مشيتك في السماء تدبر المشكة العديمي الاجسام . هكذا فلتكن ايضاً تدبّرنا على الارض . فان كان لارادة الترابي الحقير يريد ان يتحدها مع ارادة ابيه . فلتكون ارادته لا ارادتنا . فكيف الابن الحبيب الذي هو مع ابيه وروح قدسه جوهر واحد وطبع واحد . يكون له ارادة اخرى وفعل آخر . وهذا من اشنع الكفر واشده . وفي هذا القدر كفاية لمن كان حكيماً لا متعنتاً . فلنترك البحث في هذا الآن . لان شرحه يطول ويفوتنا المطلوب. لاني لا اهدا ولا اكف عن ان انصحك واحثك لان تكون دائماً تكون طالباً في صلاتك ان يكمل اختيار ابونا السماوي فيك . فمن بعد ما نكمل اختيار ابينا السماوي . يجب علينا ان نلقي همنا كله عليه. كقول النبي المرتل في مزاميره . القِ على الرب همك وهو يعولك. واياه نترجى . وعليه نتكل. لا على انفسنا اما على علمنا ولا على خدمتنا او على برنا . فنحن ماذا نكون نحن وما هو عملنا . كقول الحكيم . ما هو الانسان وما هو عمله . وما خيره وما هو شرّه . بل الاجدر بنا ان نكون كاناس لا قدرة لهم على فعل شيء ما البتة . عالمون بان لهم آب صالح . متحنن رأوف هو قادر ان يقيتهم بغير تعب ولا عنا . لانه تعالى هو نسمة وحياة الكل . ونحن الضعفا مع قلة اقتدارنا . اذا فعلنا اختياره فقط . وطرحنا همنا عليه . فهو يدبرنا

كاختياره . لانه تمجّد قادر على كل شيء . وقادر ان يقيتنا بارادته القوية . فلنتأملن يا هذا في تحنن الابن الازلي كيف انه يعلمنا لنسأل من ابيه قوتنا فقط لا شيئاً آخر غيره . كي لا نشغل فكرنا ونهتم في تحصيل قوت اجسادنا . او غيره من الامور الدنيوية الزايلة . ونهمل اختيـاره . لانه عز اسمه قال لا تهتموا لانفسكم بما تأكلون . ولا بما تشربون . ولا لأجسادكم بما تلبسون الى اخره . وفكأنه يقول لنا ان نهمل ونرجي اهتمام حياتنا . ولا نهتم في شيء آخر . ما عدا اكمال اختيار ابونا السماوي فقط وابونا السماوي حين يرانا اننا مزمنين على تتميمنا ارادته . بثبات ايمان وعزم صادق . ونيـة غير مارقة . فلا علاج في انه يمنحنا قوتنـا اليومي وستراً لاجسادنا وقياماً لحياتنا ونحن لا علم لنا بذلك . لانه هو تعالى الجود المحتن . ولتحننه ولوفور رأفته لا ينسى نوعاً واحداً من الانواع السـاذجة الاصغر من جميع المخلوقات . فيدبره ويقيته ويهتم بحياته . فكم هو من باب أولى ان يهتم بحياة اولاده الحافظين وصاياه ونواميسه . والفاعلين رضاه ومكملين اختياره . لانه جلَّ شأنه يقول اي ابٍ منكم يسأله ابنه خبزاً . فيعطيه حجراً . او يسأله سمكة هـل يعطيه حية. فان كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تمنحوا عطايا صالحة لابنايكم. فكم بالحري ابوكم السماوي يعطي الخيرات لمن يسأله . فاذا كان الباري تعالى مهتم بنا هكذا. فما بالنا نتقاعد ونتوانا من اننا نطلب منه قوتنا اليومي ونريد نفعل ما لا يرضيه . فاذاً من الواجب علينا ان نهمل ما لا يرضى به . ونطلب منه القوت الذي يقيم جوهرنا فقـط لا شيء آخر . ولا نكون كأناس [×] عليهم قدرة ابيهم وقوتـه . فيتخلص من ذلك بالمعنى الادبي . ان القداسة والرافة والفرح . اي الكمال المسيحي موقوف على نكران الارادة الذاتية . وعلى مطابقة الارادة الالهية في السراء والضراء . لان الله يبغض الارادة الذاتية ويعاقبها . واقول انا بجرأة حميدة اذا بطلت هذه الارادة الذاتية تبطل جهنم . فمن ثم كانت الرهبان والنساك المتقدمون راغبوا الكمال . مواظبين على ممارسة هذه المطابقة في انفسهم . حتى انهم لم يشاوا الّا ما يشاه الله . وكانوا يعلمون لأن لا طريق يربح الانسان الا بمطابقـة الارادة الالهية . وبها يربح الكمال والسلامة . لانها تجمع النفس وتقرنها مع الكلمة الازلية . وهذا مضمون تعليم

سيدنا لنا الاخص قوله. لتكن ارادتك كما في السما كذلك على الارض. كأنه يقول كما ان الملائكة يعملون ارادة الله في السما بسرعة وكمال كذلك يجب على البشر ان يعملوا ارادة الله على الارض . اي كما ان الملائكة والقديسين يخدمون الله في السما. بثبات الى المنتهى لمجده الاكبر بمحبة محضة . كذلك يجب ان تخدمه البشر على الارض ايضاً . وقد يتجه قوله هذا بالمعنى الروحي ايضاً . الى ان السما رمز على المسيح . الذي انحدر من السما الى الارض ليخطب له الارض ايضاً اي الكنيسة الارضية . ويقرنها معه بتجسده الالهي . فكأنه يقول كما ان الابن المسيح صنع ارادتك في الاشيا. كلها . كذلك ارسم يا رب ان تصنع الكنيسة ايضاً مثله لانها عروسته . فلهذا وجب عليها ان تطابق المسيح عروسها في كل شي. . لان الله ابونا هو كل خير النفس وكل عزوبتها وتعزيتها وهو مركزها الفريد . فمن ثم لا يمكن ان توجد راحة وسلامة الا فيه وحده . وذلك لا يتم الا بالمطابقة لمشيته الصالحة . فالملخص من ذلك انه لا توجد سلامة وكمال الا في مطابقة الارادة الالهية . حين يسلم الانسان ذاته وكل اموره بيد الله ابوه في كل وقت تسليماً كاملاً . وفي كل مكان وزمان نلقي ضعف طبعنا امامه. كاناس لابسين الجسد صارخين اليه وقايلين. لتكن ارادتك كما في السما كذلك على الارض.

اعطنا خبزنا كفافنا يومنا . فتأمل يا هذا كيف سيدنا الرأوف يعلمنا في هذه الطلبة . ان نطرح ثقل هم حياتنا العظيم حمله . ونطابق ارادة ابينا . لكيما نرتاح سالمين حتى نستطيع ان نحفظ وصاياه ونفعل ارادته . وهو تعالى عالم بثقل حمل همنا . فاذا ما كنا مشتغلين في هم حياتنا . فلا نقدر ان نطابق اختياره . لانه لم يقدر ان يتكبد حمل حملين . اي انه يهتم في تحصيل هم حياته . ويمارس لان يتمم ارادة الله . لكن اذا ما طرح عنه حمل هم حياته ولوازمها . فيعود مرتاحاً لممارسة تتميم اختيار الله . فتأمل يا اخي كيف يعلمنا التجرد عن اهتمام حياتنا بقوله لنا . لا تهتموا بالغد لان الغد يهتم بكم . اي بشانه . ويكفي كل يوم شره . وانظر كيف يعلمنا لنمارس تتميم ارادته بقوله لنا تأملوا بسوس الحقل كيف ينموا . لا يتعب ولا يغزل الى اخره . واسمعه ايضاً كيف يزيدنا رغبة واتكالاً ويحمي رجانا بقوله نحونا . انظروا

طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الاهراء . وابوكم السماوي يقوتها . فكأنه يقول اني قد امرتكم لتطلبوا ان تكمل مشية ابي منكم. كما انها تكمل من الملئكة . الّا اني لا اساوي ما بينكم وبينهم . لانكم انتم تحتاجون الى خبز يقيتكم بما انكم مايتون وسريعوا الفشل. اما الملئكة فلا يحتاجون الى ذلك لكونهم عديمي الموت والتألم . اما انتم فيجب عليكم بما انكم بنيناً اصحاب ميراث ابيكم . الا يكون لكم همة في شيء ابداً ما عدا ان تتموا ارادته فقط . كالفعلة الذين يتممون ارادة مستأجرهم . كيف انهم لا يحسبون الزمان ولا يعدون الاوقات ولا يبالون بان متى يميل النهار وتغيب الشمس . بل كل همتهم وعناهم في تكميل عمل مستأجرهم . كأنهم ما يعتنوا الا لذواتهم . فمن المعلوم مما يراكم اباكم انكم مواظبين على امره لكم بتتميم ارادته ورضاه . فلا يليق بكم الّا ان تطلبوا منه قوت يومكم فقط . لا غيره فقط . فان كان ابيكم ينمو السوس في الحقل من ذاته. ويكسيه بهجة ونضارة هذا حد مقدارها . حتى ولا سليمان في كل مجده لبس كواحدة منها. فكم انتم يا ابناه احري منه ان يمنحكم جميع ما تحتاجونه من غير تعب ولا عنا . حيث انكم مهتمين في اصطناع ارادته فقط . فكيف انه ما يهي لكم ما يقيتكم . ويمنحكم ما تسترون به اجسادكم . ويهبكم ما تستدفون به . فان كان ابيكم منح قديماً لبني اسرائيل طعاماً في التيه . ولباساً لا تبلى في مدة اربعين سنة . لم يدعهم ناقصين شيئاً البتة . حيث انهم كانوا يتذمرون عليه . فكم بالحري انتم المكدونين تحت نيره بتتميم اختياره ومسرته . ومواظبين على خدمته ليلاً ونهارًا . ويقول لكم اطلبوا فتجدوا . فاذا كان هذا الاتكال اتكالكم . وهذا الرجا هو رجاكم . حقاً انه يعطيكم ما انتم محتاجونه من غير نقص . بل كمكيال فايض يلقي في احضانكم . زعم اعطنا خبزنا اليومي . كجنود عازمين على قتال وحرب اعداهم . الذين لا يطلبون بذخاً وتنعماً او زينة ذهبية وحجارة كريمة . ولا حقولاً ورياسات عالمية ولا ثياباً فاخرة حريرية . لان هذه الاشياء كلها تبعد النفس من الله . فيتخلص من ذلك كما ان الجنود الماضين الى محاربة اعدايهم بغير سلاح ولا آلة فلاح . بل انهم متكلين على قوة ابيهم وملكهم . غير انهم لا يطلبون سوى قوت يوم

حربهم فقط . كي لا يهتمون بشيء آخر ما عدا همة محاربتهم فقط . فاذا كان قوت يومهم مهيا . فهم يحاربون باجتهاد عظيم بكل فن وحليـة ويتصفوا بكل مهارتهم . ويفنوا كل قواهم ومعارفهم في الحرب . لكنهم اذا شعروا بقلة قوتهم . فيتنحوا عن الحرب والقتال ويركنوا الى الفرار . فمن ثم تتغيّر قوة ابيهم لاعماله ايامهم . فسيدنا له المجد تشبّه بنا وغلب الاعدا . وعلمنا جميع فنون الحرب ومهارة الغلبة. وأمرنا ان لا نهتم في شيء آخر. حتى ولا بالفكر ايضاً. غير اهتمامنا بالذي يرضي ابيه ليس الّا . لعلمه بان حربنا وقتالنا ليس هو مع لحم ودم . بل مع رئيسا وسلاطين الظلام . ومع الكاينين في الهوى الشاربين دما الأنفس . فينبغي اننا لهذا السيّد الخطير والحكيم الماهر . العارف بما يرضي ويحسن لأبيه . والعالم بمكر ذلك المضاد وحيلة الذي يقدر على هلاكنا نتبع . وبمثله الصالح نقتدي. لنقوم امامه باجتهاد عظيم. ونتساعد عليه بتربية اتكالنا على ابينا الذي لنا وطال كشمر شمشون. ولا نتراخى مثله. لئلا اذا ما تراخينا يتسلطوا اعدانا علينا ويربطونا ويحلقوا اتكالنا كما حلقوا شعره. ويقلعوا عيوننا الناظرات اي معرفتنا وتمييزنا. ومن ثم يكدنوننا في خدمة الرحي اي الهدس والافكار كالاسنان الطحانات. ومتى ننظر اخوتنا يتدبرون حسناً فنهتم بالحسد لهم ولو كان بشيء قليل.

فنتملقهم بضد القضية ونوافقهم الى تدبيرنا والمساواة كما قيل . فلتمت نفسي مع الفلسطانيين . فيا اخي انظر شجاعة شمشون الجبار في طول شعره . وتأمل اخيرا كيف انه بتاريخه حصل هالكاً. فهكذا نحن اذا ما دام اتكالنا نامياً على ابينا كطول شعره بلا انقطاع. فنقهر كل شيء. وبشجاعتنا ينادي في اقطار الارض . وبكل ما في تحت السماء . واذا ما تراخينا وانقطع اتكالنا. فيصيبنا كما اصاب شمشون بل واعظم مما اصابه . فمن اللازم لنا ان نهتم دائماً بخدمتنا الى ابينا السماوي فقط لا في شيء آخر نُساق . بل اننا نُساق من روح القدس. لعدونا الشيطان حرباً عظيماً نصنع. وبكلمات سيدنا له كالرمح نطعن. بقولنا له ليس بالخبز وحده يحيي الانسان . فبازدياد اتكالنا وعظم رجانا الغير المنقطع في ابونا السماوي . لتكبر محاربنا نلاشي . ولافتخاره نهدم . وبتواضعنا المملوّ على رأسه ندوس . ومن ثم نلتفت الى طبعنا ونتأمل في ضعفه . ونحدق بازدياد زلقه وميله الى الخطية . وننظر الى اقنومنا المتمرغ في ميـاه الخطايا .

فنحتقر من ضميرنا . فنشجع ذواتنا برجاينا الثابت واتكالنا. نخر على وجوهنا امام ابونا السماوي ونطلب منه بتذلل .

اغفر لنا خطايانا . فقد ثبت هنا قوله تعالى اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم . وهنا تأكد لنا لو ما هو تعالى يغفر لنا لما كان يعلمنا بقوله الشريف كلما تطلبونه في الصلوة امنوا انكم تنالونه . فدائماً يكون لنا هذا الرجا العظيم والاتكال الجسيم . على من دائماً يدعونا بغير هدو . كأنه يقول لنا هلموا اليّ لتأخذوا جميع ما تسألونه . كالطبيب الماهر الذي ينظر الجرح اولًا . ومن ثم يعالجه بدواء يعلمه . ونحن ايضاً يجب علينا هكذا ان نروي جراحنا للمعلم الذي وضمه لنا باعترافنا الحقيقي امامه . ونلقي اتكالنا بقوة رجاينا على ابينا السماني . ونقدم له اختيارنا من كل قلبنا بانه مطابقاً لاختياره . فهو تمجّد يعالجنا بالذي يصلح لنا . ويكمل لنا طلبتنا كما يشا ويختار . وبهذا الاستمداد دائماً نتردد . ولأن كنا لم نستطع عملًا ما حتى ولا ان نقوم على اقدامنا من حمل خطايانا تلك التي رضضت اعظامنا . غير اننا مقدمين اختياره فقط . فهو لا ريب يحمل ترضضنا واوجاعنا يبريها . ويحملنا على منكبيه صاعداً بنا الى ابيه . ليفرح بنا مع ملئكته القديسين . كما قيل . لانه عز شأنه يريد منا اننا نقرع بابه دائماً بفعلنا رضاه . لنأخذ منه ما نطلبه . فلو ما هو تمجّد يرغب الينا . ويميل لترددنا . ومن فيض انعام مراحمه يمنحنا . لما كان يعلمنا ان نطلب الى ابيه في قولنا له . اغفر لنا خطايانا . فذلك الغنى اذاً محتاج الينا . لكي نحن الفقراء نحتاج اليه . ويريد تقدس اسمه ان نكمل احتياجه باحتياجنا . لأن من شان طبعه تعالى هو الجوّاد المحتض . وجوده لا انتهاء له . وهو جل وعلا يروم ان يتصدق . لكن للذين يفعلوا اختياره ورضاه يعطي فقط . ولا يروم لمنحه ثمن بل يهبها مجاناً . فما بالنا لا نسأل منه بقلب سليم ليمنحنا المسامحة لذنوبنا والغفران لخطايانا . فيا لعظم تفاقم بحر مراحمك الغير متناهية يا الهنا الصالح المحب البشر . حيث انك تتحنن علينا وتهبنا ليس كقدر احتياجنا فقط . بل وتمنحنا اوفر مما نطلب فتأمل يا اخي في ذلك اللص اليميني . وانظر ما الذي قدمه من التعب والنصب . غير انه صنع اختيار الآب بايمانه الثابت . وبرجايه الوطيد فقط طلب . فانظر الى اي نعيم وصل . حيث انه باتكاله الغير

المتزعزع قد سبق جميع الآباء الصديقين الى عــدن الفردوسي . وكذلك المرأة الخاطية ماذا الذي قدمته من الشقا والاوصاب غير انها بحسن امانتها فقط نالت بأوفر ما رامت لانها تعظمت ازيد من يوحنا المعمدان. لكونها كانت بما انها خاطية صغيرة . ولكنها بما انها فعلت اختيار الآب بحسن امانتها صارت اعظم من يوحنا . لقوله تعالى الصغير اعظم من يوحنا في ملكوت السماوات . فيوحنا يهرب لقوله اني ليس بأهل ان احل سيور حذاه . فاما هــذه عانقت قدماه . واما نحن الخطاه ليس لنا هذه النعمة فقط . بل اذا فعلنا اختيار ابيه ورضاه. لنا اشرف واعظم منها بهذا المقدار . حتى اننا نتناول جسده الاقدس ونشرب دمه الذكي الثمين. وهم دائماً موضوعين امامنا ومهيابن لنا متى نروم ان نتناولهم. ولان كنا خطاه حقيرين. غير اننا نستمد لنتناولهم بطهارة ونقاوة قلب فاعلين اختيار ابونا . فنتقدس ونتطهر بهم. لانه تعالى اتى لاجلنا نحن الخطاه المحتاجين اليه . ليس لاجل الصديقين الغير المحتاجين أتى. لان الاتعاب العظيمة والمصايب الجسمية والتدابير الشريفة والآلامات جميعها التي كابدها سيدنا يسوع المسيح كلها كانت عوضنا نحن المذنبون اليه. وذلك كله كان لشدة حبه لنا ليصالحنا مع ابيه . فالابرار لهم اتعاب زايدة . والصديقين لهم مشقات عظيمــة . واما نحن ليس لنا شيء البتة . وهو تعالى لا يروم منا شيء نعطيه نظير غضبه علينا سوى ان نعترف امامه بتذلل قايلين . اغفر لنا خطايانا . لاننا اخطأنا في السما وقدامك ولسنا باهل ان نُدعى لك بنيناً من جرى ذنوبنا وخطايانا . بل كأحد اجرايك اجعلنا . فاذا ما اعترفنا بهذا فقط . نحصل على ما نحن طالبينه وأوفر منه . لان يا اخي جميع ما علينا الى الآب السماوي . فــالابن تجند وفاه عنا بسفك جملة دمه الثمين وصار لنا كفيلاً وضامناً. فمن هذا القبيل يجب ان نسلك في اثار الابن العظيم شأنه . لكون انه اتى الينا وارانا ودعانا . وسلك امامنا وعلمنا نخاطب ابيه هكذا . ونسأله دائماً بهذه الالفاظ المرضيــة . ليرضي ابيه علينا بها. والابن تجند علمنا كالذي هو خبير بأمر الصلح الذي به يصطلح ابيه. كأنه يقول لنا ان دينكم وذنوبكم انا افه عنكم باهراق دمي لاجلكم . هلموا معي بعزم اتكالكم لادخل بكم عند ابي حامل وسقكم مع وفــا دينكم الذي ضمنت وفايه. وحيث جلوسي من عن يمينه اتضرع له من اجلكم.

لانني لا ادخل اليه خالياً من شيء . بـل بقربان اقنومي المقبول لديه من غير عيب . الذي اقربه اليه بالاسر وشتم ولطم وتقل وجلد على ظهري . ومسامير بيدي ورجلي . وطعن جنبي بحربة . وخل ومرارة بفيّ . وموتي مصلوباً . فادخل بكم الى ابي وانا حامل هذه الآلامات الذي صابرتها من اجلكم . فلو تكون خطاياكم كالقرمز ابيّضها كالثلج . لكن بشرط ان تكونوا تفعلوا اختيار ابي ورضاه يتم فيكم . كاناس يرومون الدخول الى عنـد ملك ما . كيف انهم يرسلوا امامهم هدايا مجيـدة لايقة ومواهباً سنية ثمينة . عالمون ان الآب الملك السماوي لا يرضى عليهم بهذه التقدمة فقط . بل ويحصل لهم بها اي بهذه التقدمة طمأنينة عظيمة ودالة جسيمة عنده هذا عظم مقدارها . حتى انه تعالى يشركهم معه في كل ما له لاجل كونه الامات ابنـه الوحيد . فيجب علينا ان نتكل اتكال هذا حد قداره . ونسأل منه متمرمغين بوجوهنا امامه قايلين له . اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا كما نحن . غفرنا لمن اسا الينا . . فتأمل يا اخي عظم الخطية ما اجسمه . لسبب الاهانة الجسيمة الصادرة من الخطا بحق الله . واذا كانت هذه الاهانة عديمة النهاية . لم يقدر أحد من الناس . ولا من الملئكة ان يفي عنها وعن دينها من باب الحق والعـدل . سوى سيدنا يسوع المسيح ابن الله المتأنس . فهذه الخطية اذاً دين جسيم الصادر من الاثم التي تجلب العقاب في جهنم . لان كل انسان يخطي فيصير مديوناً بـه . فمن ثم نفس الخاطي كانت للشيطان وللموت والجهنم . فيتلخص من ذلك ان الانسان لا يخلو من الخطا . وان اعترض احدًا وقال . ان البار بتلاوته اغفر لنا خطايانا لا يطلب الغفران لنفسه . بل لغيره . اي لقريبه الذي اخطا . او انه اذا طلبه لنفسه . فلا يطلب ذلك من باب الصدق والحق . بل من باب التواضع والاحتشام .

فنجيبه . . لا نسلم ذلك . لاننا لا نقول اغفر للغير خطاياه . بل نقول اغفر لنا خطايانا . وحاشا ان نكذب امام الرب . وان كذبنا امامه . فيكون حينئذٍ كذبنا نفاقاً ورئيا . لا تواضعاً واحتشاماً . فبطل اذاً اعتراض من يعترض . لان الرب أمرنا بان نصلي كل يوم عن خطايانا . لنعلم اننا نسقط بها كل يوم . ولا نفتخر اننا ابرار فنهلك . وقوله كما غفرنا نحن لمن اخطا الينا . نتعلم بهذه الآية الشريفة . اننا لا نلتزم نترك مالنا على غيرنا من دين المال

ورد العرض والكرامة . بل ما لنا من دين الاهانة الصادرة بحقنا . ولا نبغضه بسببها . ولا ننتقم منه انتقاماً خصوصياً ولا مشاعاً . الا متى دعي اليه الخير العام والراي الصايب . كما ان ليس ذلك بمنزلة القاعدة والقياس المساوي في الغفران . اي ان الله يغفر لنا مقدار ما نحن نغفر لقريبنا . والحال ان ديننا لله اعظم من ديننا على الغير . ونطلب ان يغفر لنا اكثر مما نحن نغفر لغيرنا. فاذاً قوله كما هو سبب ليستعطف الله ليغفر لنا . فمن ثم قر الوفا . اغفر لنا خطايانا لاننا نحن نغفر لمن اخطا الينا . لكون هذا هو الشرط المطلوب منا . فاذا اصح يصح حينئذٍ المشروط بسهولة . واذا فُقد الشرط فلا يغفر . كما يتلو لوقا قايلاً . ان غفرتم للناس خطاياهم. فيغفر لكم ايضاً ابوكم السماوي خطاياكم. وان لم تغفروا للناس فلا يغفر لكم . فاذاً هذا هو شرط الله مع الخاطي ان تغفر اغفر . وان لم تغفر فلا اغفر : فاعتبر يا اخي عظم مراحم الباري تعالى ابونا السماوي . كما قدم ابنه الآلامات عظيمة . واي موت مرّ مات . وذبيحة مكرمة جليلة المقدار لاجلنا صار . ومع هذا لم يطلب منا عوض مقاساة ابنه شيئاً ما ابداً . غير اننا نغفر لغرمائنا ما لنا عليهم من الاهانة فقط . فسيدنا يسوع المسيح وضع لنا شرطاً . كانه يقول لنا ان غفرتم لقريبكم ما لكم عليه . فتكونوا قد وفيتم ثمن دمي الشريف . وبهذا الشرط انا اغفر خطاياكم. فما بالنا ما دام لنا زمان وامكاننا سبيلاً لا نغفر لغرمائنا ليغفر لنا خطايانا . فان كنا لهذا الشيء السادج والسهل فعله . لم نفعله . فماذا عسانا نتجازى من ابينا السماوي حين يرى دم ابنه الوحيد مهروقاً وهو يتضرع بتخشع عن الذي هرق لاجلهم . طالباً منهم ذاك الشيء الحقير . لا ذهباً طلب منهم ولا فضة . ولا مشقة وعنا ولا شدة تعب . ولا خدمة مكربة ولا صوم وصلوة . ولا سهر وركوع ولا دموع وعرق . ولا جروباً وقتالاً . بل بكلمة حقيرة صادرة من قلب صافي. وهي غفراننا اهانة قريبنا لنا . فيرانا اننا لن نتنازل من اننا نعطيه ذلك الشيء الحقير . فمن عظم غباوتنا وقسوة قلوبنا . يمتلي علينا غيظاً وغضباً. ويحاكمنا لموجب شرطه ليس انه لا يغفر لنا خطايانا فقط . بل وانه ينتقم لدم ابنه الكريم بالعدل . من حيث ان ابنه الوحيد حمل جميع خطايا العالم . وبهم صعد على خشبة الصليب متوسلاً غفران خطاياهم . ونحن نجهل هذه المبادرة

متمسكين. وهي اننا لم نغفر نواقص غرمايتا. فكل منا لم يغفر نواقص قريبه مزمع ان يسمع ذلك الحكم الجازم عليه . ايها العبد الشقي الشرير . فما كان ينبغي الك ان تسمح لقريبك كما سمحت لك وغفرت لك كل ذنوبك. ويسلمه الى المقربين ليطرحوه في السجن ليأدي كل ما عليه . اى يطلب منا ان نوفي دم ابنه الوحيد ذاك الغير الموفي . فيسلمنا الى المقربين . اي للضمير والندامة الذين ينهشونا بـلا رحمة غير هادين . ويلقونا في سجن الجحيم لنوفي الغير الموفي . فيتلخص هذا ان خطية من يطلب الغفران . وهو لا يغفر . تسقطه من رتبة الشهادة. كما جرى لسبريتوس الشقي الذى كان قس . الذي اذا اوس بان يجثوا على الارض ليجتز رأسه بالسيف وكان قد دنى من الاكليل . كفر بايمان الله المستقيم لانه لم يغفر لنيكوفورس الشماس ذنبه اذ طلب منه المسامحة . فعوض عنه به ونال اكليل شهادته . فاذاً من لم يغفر لقريبه ويصفح عن ذنبه. يكذب امام الله . ويدين نفسه بصلاته . ويظهر انه غير اهل للغفران . فكانه يحكم على نفسه ان الله لا يترك له دينه . وهذا الكذب هو خطا جسيم لانه على الله . ولهذا من قصد في ضميره انه لا يغفر لقريبه اذ يتلوا الصلوة الربانية . فيجب عليه ان يترك هذه الطلبة . لكونه يضلّ ويسلك خلافاً لرسم المسيح. اعلم يا اخي ان نحن لم نغفر لاخوتنا المؤمنين لنا من كل قلوبنا. فنولم سيدنا بخلاف ما المه امة اليهود . لكوننا ما حسبنا ذلك التدبير الذيّ صنعه لاجل خلاصنا بشيء . وهو مجد يرى دمه مسفوكاً كأنه باطل وعجاناً سفك . حيث اننا لم نصنع ما أمرنا به بفمه العزيز . كأننا لم نكرم دمه الذكي الثمين امام ابيه بقلة غفراننا نقايص غرمايتا فيعد لنا من هذا الجري نفسه عذاب اليم . لكون انه بعد ما تبل عليه هذه الآلام والمصاعب ابتدا يجول على ابوابنا كانسان سفيان. حيث هو طايف باسواقنا يقول كسرة حقيرة لقوام حياته لقوله تمجّد كنت جوعاناً فما اطعمتموني . وظمآناً كنت فما استقيتموني . فاذاً بعدل واجب نحن مستحقين تلك اللفظة المرّة المفعمة موتاً . امضوا عني يا ملاعين الى النار لاني ليس اعرفكم. فلا تخال يا اخي ان هؤلاء صاروا بالكلام فقط . بل انهم صاروا بالفعل ايضاً . اعلم يا اخي ان عدم غفراننا لقريبنا هو ايضاً مضاهياً لعدم الرحمة والشفقة . واصل جرثومتهم قلت

حينا . لان من قلّة المحبة يصدر عدم الغفران وعدم الصدقة . ومن المعلوم ان من عدم محبتنا لقريبنا . لم تغفر له نواقصه . ولم نمنحه احتياجه . فان كنا لم نشفق على بعضنا . فولا هو يشفق علينا ليغفر لنا . لكونه عزّ شأنه سال نقطة ماء ليروي بها عطشه الذي كابده على الصليب . وان نحن لم نعطها له . فيحصل له مرارة ازيد من المرارة التي اسقوه اليهود . اما سمعت ما اجيب الغني حين طلب في الجحيم الملتهب نارًا من ابراهيم ابيه . ان يرسل له اصبع العازر المنداة بالماء ليندي بها لسانه . ان بيننا وبينكم هوة عظيمة . وما ذاك الا لشدة قسوته . وقلة شفقته . ذلك الذي كان يهرب من برصه فاشتهاه ان يبرّد لسانه باصبعه . فالغني تجربة يجرّب . انه هل يعطى له مكاناً ام لا . لكي اذا ما اعطي فيطلب اعظم . فحين رأى ان الصغيرة الحقيرة لن يعطّ . فتحقق قطع رجاه عنده . فسيدنا تمجد هكذا يجربنا اولاً بالصغيرات يطلبها منا . فان رأى ان الحقيرات ما نعطيها . اي لغرمائنا لم نغفر. للمحتاج لم نواس . وللظمآن لم نروي . لبعضنا لم نحب فلا يعود يطلب منا شيئاً اعظم. فحينئذٍ تتحقق عنده اننا لسنا حافظين وصاياه . ولا نحن فاعلين اختياره . ولا نحن موافقين له فيما يريد . فمن ثم يرسلنا الى الظلمة البرانية حيث البكا وصرير الاسنان. حيث اننا سالكين في الظلمة وقلبنا تماوًا حنقاً على اخوتنا. اعلم ان الحنق هو ظلمة وضباب داخل القلب يوجدون . وحيث يوجد ظلام في موضع. فهناك جواسيس الاعداء مكمنة ليفكرون الشر في حيلهم على مشجبيهم وباغضيهم. لان قلب الذي يسكنه الشيطان لا يسكنه الله . لانه قيل لم يرافق معه كرسي الاثم . كما كتب ان النور لا يشترك مع الظلمة . فقلب الذي خلقه الله ليسكنه هل يسكنه آخر. لان ذاك الآخر الذي يسكنه لا يسكن كرهاً . بل نحن باختيارنا نسكنه في قلبنا . فاذا ما اردنا اخراجه يخرج اسرع من البرق الخاطف. لكونه لم يسكن فينا الا بواسطة الحقد المظلم الكاين فينا . من حيث هو بطبعه ابن الظلام . ودائمًا في الظلام يجول في اي موضع يوجد ضباباً وظلام. فذاك الموضع لا يخلو منه قط . فلذلك اتى سيدنا واعتقنا من الظلام وصيرنا بنو النور. وجعلنا مسكناً مضياً صافياً خالياً من كدر الحقد الذي يظلم مرآة العقل والمعرفة . اسمع ماذا يقول سيدنا. اذا قدمت قربانك على المذبح . وذكرت هناك ان اخاك

واجد حقدًا عليك فدع قربانك على المذبح . وامضي اولًا صالح اخاك . ومن ثم ائتِ وقدم قربانك فاراد بهذه الآية الشريفة. ان صلوة الانسان وكل شيء يقربه الى الله ايضاً فيدعى قرباناً.لم يقبل ما لم ذلك المقرب يصفي قلبه وينظفه من الدغل والحقد والظلم الكامنين فيه . واسمعه ماذا يقول في هذا المعنى متى خرجتم من تلك المدينة او القرية الذين لم يقبلوكم اهلها . انفضوا الغبار الذي لصق بارجلكم من عندهم . ليكون شهادة لهم الحق اقول لكم . ان لسدوم وعاموره تكون راحة في يوم الدين. اكثر منهم . لان سيدنا يسوع المسيح نفسه هكذا صنع وعلمنا نستنير كسيرته . فمثلما انه خرج من مدينة العالم ليس ما قبلوه فقط . بل وعلى خشبة الصليب رفعوه . وهو تمجـد اراد ان يسلم نفسه للموت . ليكون قرباناً وذبيحة محرقة لابيه المجيد . فمن ثم نتذكر اصحاب تلك المدينة كم الآمات الموه بها . ووضع لنا نموذجاً لكي تقتفي آثاره ونصنع كما صنع لانه عزّ اسمه من على الصليب طلب الى ابيه قايلًا . يا ابتاه اغفر لهم لانهم مـا يعرفون ماذا يفعلون . فاعتبر يا اخي في سيدنا كيف انه لم يضع للغفران احدًا قط . لا في الموت ولا في آخر نسمة . كالذي يريد ان يلاقي ابيه بشوق هـذا حده حتى انه لم يعبس وجهه من اشتداد كرب آلام الطريق التي كابدها حتى الدم . وفي هذا النموذج كان متأملًا ماري استفانوس حيث انه كان يصلي على راجميه . وهكذا كانوا جميع الابرار بهـذا النموذج يتأملون . وينفضوا عن ارجل قلوبهم غبار الحقد . ويسلموا حكمهم الى الله تعـالى حاكم الكل . فبهم كانوا يغفرون جهالات من يسوهم ويوذوهم . فان كان حقًا وحقًا ما قاله الرسول اننا هياكل الله نحن . وروح الله ساكن فينـا . فيجب بالحق والعدل لمسكن الله ان يكون طـاهرًا مقدسـاً صافياً من كدر الدغل والحقد . ليصير محلًا لايقاً ان يسكن فيه ذلك الطاهر المقدس بالكل.فلهذا السبب علمنا سيدنا لنطلب من ابيه قايلين له . اغفر لنا خطايانا . كما غفرنا نحن لمن اخطا واسا الينا . لئلا نتجاسر ونقوم امامه وقلبنا غير طاهر . بل مملوًا حنقاً وحقدًا على اخوتنا.بل نكون غافرين لمرمانينا بقلب طاهر خالٍ من كل دغل وغباوة. وان لم نكن هكذا فبأيّما دالة نطلب من ابينا الغفران . وان تجاسرنا وطلبنا منه ان يغفر لنا خطايانا كما غفرنا نحن من حيث اننا ما غفرنا لقريبنا اهانة لنا .

ونحن بعد واجدين عليه غباوة ردية . ترى من يسمع طلبتنا . واذا نحن بشر لم تغفر اسايا بعضنا . فمن ذا يغفر خطايانا كقول الروح القدس الناطق بفم الحكيم . او ما الذي نسمع من ذلك الحاكم العادل . غير انه يقول لنا ككلامك يكون لك . لانه تمجد لم يشاء ان يرد طلبة احد ان خيرا . وان شرا . مها طلب الانسان ينال . واذا نحن غفرنا للذين لنا عليهم . فنثق متيقنين غفران خطايانا وان لم نغفر لهم من كل قلوبنا . فلا جرم اننا لم نقبل من لدنه تعالى غفران البتة فسيدنا جل وعلا وضع لنا حدًا اي شرطًا . فان لم نصنع بحسب هذا الشرط . فمن المعلوم اننا نعدم الحظوة بذلك المجد الابدي . الذي لكوننا غفرنا جرايم قريبنا . لغفرة خطايانا وتمتعنا بالحظوة الالهية . اعلم يا اخي ان نحن صلينا وقلبنا مصرًا على غباوته فلم نستفد . وان لم نصلي فنحصل على اثم اشد فانظر معلمنا الحقيقي كيف انه اقامنا فيما بين هرتين عظيمتين. وخطرهما خطر شديد . فان سعينا الى قدام نسقط في هرتة عظيمة. وان تقهقرنا الى ورى فنسقط في هرتة اعظم. كانسان لا يقدر يلتفت يمينًا ولا شمالًا . فانظروا الان الى هذا الرباط المتين الذي ربطنا به سيدنا تمجد . فما عاد لنا امكان ان نحيد منه . والانحلال عنا غير ممكن ان لم نسامح لقريبنا ما لنا عليه من كل قلبنا . لننحل من هذا الرباط الذي وثقنا به خالقنا . فالمجد لعظمتك يا إلهنا . والشكر لمحبتك الإلهية التي بوساطة هذا الرباط اذا ما نحن بارادتنا حللناه عنًا . غفرت لنا خطايانا وبه خلصتنا من العقاب الابدي . فلا عاد يمكنًا ان نقول له اغفر لنا كما غفرنا لفظًا. لكوننا من هذا الجري نفسه نُختر من ذمتنا. وضميرنا يدينا من حيث كذبنا ليس على انسان مثلنا . بل على الله نفسه . وبهذا نظهر امام الآب كاذبين . لكون اننا نقول بشيء لم نكن فعلناه . ايحق بك يا هذا ان تتبع تعليم عدو نفسك الشيطان الساكن داخل الحقد المكمون داخل قلبك . وباطاعتك له تفرحه . وتغضب عليك خالقك بمخالفتك له . اما تعلم يا هذا ان لهذا السبب نفسه تنازل ابن الله وصار انسانًا . وقبل هذه الاهانات كلها لكي يغفرانه لصالبيه فقط يقهر عدوّه وعدونا الشيطان . وعلمنا ايضًا بقوله لنا ان رمتم الخلاص اغفروا لمن يسي اليكم . واذا فعلتم كذا تخلصون من خطاياكم الذي بها ربطكم الشيطان . اعلم يا اخي ان سيدنا ربطنا برباط خفيف وحلو .

بقوله لنا عن شيء ساذج وسهل في غاية السهولة . وهي ان نقتفي اثاره ونقول كما قال هو تمجد . الله يغفر لك يا اخي ما اذنبت في حقي. فانظر يا اخي ما احلى هذه اللفظة العذبة اللذيذة . وان لم نغفر لقريبنا من كل قلبنا . فنكون حصلنا مربوطين برباط الشيطان عدونا . ذلك الرباط الشديد القوي المتين. الذي لم ينحلّ منا ابداً . ومزمعين بهذا الرباط ان نعاقب مع الشيطان الذي ربطنا بهذا الرباط الغير منحل طالما الله الهاً . فتباً لقساوتك وتعساً لغزلة قلبك الغليظة. كونك تخالف من بذل نفسه عنك . وتطيع عدو نفسك القاصد هلاكها . ماذا هذا جهلاً عظيم وغباوة زايدة وفظاظة شديدة . اعلم يا هذا انك لو فعلت البر كله اي انك ان صمت وصليت وتصدقت ببذل ماعندك جميعه للفقراء والمساكين. حتى ولو بذات جسدك لحريق النار . وبهذا علَيت على الكواكب .ولم يكن فيك تواضع ومحبة لان بهم تغفر لقريبك . فجميع ما حصّلت عليه من البر كله حتى ان اقت الميت وانت لم تغفر لقريبك . فجميع ما فعلته يكون باطلاً . وليس انك لن تستحق محو اثامك فقط . بل انك ستُطرد من الحظوة الالهية . وتحظَ بعقاب من اطعته. لتعاقب معه ابدياً . حين يقول لك في ذلك اليوم مع القايلين يا رب يا رب افتح لنا . لاننا باسمك [x] . وباسمك اخرجنا شياطيناً كثيرة. افتح لنا لاننا باسمك صنعنا قواتاً : اني ليس اعرفكم . تنحوا عني يا فاعلين الزور . اسمع يا هذا كيف ان سيدنا تمجد اسمه سمّا جميع الذين تعبوا وانهكوا ذواتهم في عمل البر . وبالجد الجيد تموه بالكمال زوراً . من حيث انهم كانوا مسفرين من التواضع والمحبة . وهذا لم يغفر لابناء جنسهم . فان كان لاولئك الذين انضطروا طول ايام حياتهم في عمل البر والصلاح دعا فاعلين الزور : فمتى ماذا يسمينا نحن الذين لجميع الخطايا فعلنا . وارتكبنا امامه جميع المعاصي : .وكل هذا صح لنا عنه وغفر لنا مأثمنا اذا ما كنا قد غفرنا لقريبنا فاذا ما رضينا ان نغفر لقريبنا . وابينا من ان نتشبه بخالقنا . بل اننا خالفناه واطعنا عدوه وعدو انفسنا الذي خلصنا منه . فالى كم عذاب سيحيق بنا . فبواجب العدل والحق نستحق منه تعالى الطرد والعذاب الاليم . فاذا كنا ما نترك زلّات بعضنا . فولا هو ايضاً يترك لنا خطايانا. واذا تركنا هفوات قريبنا . فزمع هو تعالى يترك لنا كبايرنا الذي فعلناها . كما هو تمجد قال اتركوا يترك لكم. وان لم تصدّق بقوله هذا.

فاسمعه كيف يعدد غفراناً غفراناً لقريبنا. كأنه لم يرضى بقولنا الى قريبنا المسي لنا مرة واحدة الله يغفر لك. بل انه اذا رمتم رضائي عليكم. اغفروا لقريبكم المضر بكم . سبعة ليس في سبعة التي يحصل منها تسعة واربعين مرة فقط . بل اغفروا له اربعماية وتسعين مرة . الحاصلة من ضرب سبعة في سبعين. فحين يرانا اباانا اننا ما غفرنا ولا مرة واحدة . انما بالحق والعدل يسمينا شاهدين الزور . واما واجب لنا العذاب الدايم . لاننا حين نشاهد اوليك الـذين كانوا كاملين بالفضايل العديـدة وافعالهم الحسنة المرضية . حتى انهم بها وصلوا لافتعال العجايب واخراج الشياطين . وكانت الجرايح والآيات العظام تجري على ايديهم بكمية لا تحصى. ما استحقوا لأن يفتح لهم باب رحمته. من جرى عدم شفقتهم ومحبتهم وتواضعهم وعدم غفرانهم لقريبهم . ونرى ذواتنا اننـا صانعين جميع الخطايا والمآثم قولاً وفكراً وفعلاً . فماذا عسانا نستحق. انما سمعت قوله لنا رحمة اريد لا ذبيحة . اوما فهمت قوله ايضاً على الرحومين تحل الرحمة . اما علمك قائلاً في تعليمه كونوا رحومين كابيكم السماوي فانه رحوم هو ولماذا لا تنتبه لقوله ايضاً ويشرق شمسه على الاخيار والاشرار ويهطـل غيثه على الصالحين والطالحين واصغ لقوله ايضاً في من احل الّا في المتواضعين ولما لي اعدد قوله ها هو تعالى يقتصر معنا وليتم قوله ويختمه بقوله ان لم تغفروا ذلّات اخوتكم من كل قلوبكم ولا ابوكم السماوي يغفر لكم خطاياكم كأنه يقول لنا ان هذا شرطاً بيني وبينكم وهو الحاوي جميع اقوالي التي تخص معنى المحبة والتواضع والغفران وتقديمه المحبة هنا لعلمه ان المتواضع لا يكون الا محباً والمحب المتواضع لا يكون الا غافراً فالمحبة هنا جعلها اسّاً وجرثومـة الكل الفضايل لان من عادة من يحب ان يتواضع لمحبه في كل شي. مرضي واذا كان ذلـك فمن المعلوم من محبته وتواضعه يعفو ويغفر لمحبه ما يجني في حقه فمن حيث تعليمه تعالى لنا بهذا فنحن نبذناه عنا وما غفرنا لقريبنا فمن المعلوم لم نكن نحبه ومن لم يكون محباً فليس بمتواضع ومن لم يكن متواضعاً لم يغفر ويعفوا انما نضحَ مخالفين معلمنا فماذا يكون لديه جواباً من حيث هو تمجـد علمنا هذا التعلم الشريف الذي اذا ما حفظناه يغفر خطايانا لكوننا فعلنا كما علّمنا . لانه ما طلب منا شي. كريم ثمين جليل القدر صعب افتعاله بل لعلمه الشريف بضعفنا وعدم قوانا لافعال

اشيا باهظة تفوق قوانا طلب منا هذا النذر اليسير الذي يصدر منا باسهل مـا يكون لتقوله بكلام وجيز من كل قلبنا بحسن رضانا وملو اختيارنا نغفر لقريبنا كل ما لنا عليه . فاذا ما فعلنا هذا هو ايضاً يغفر لنا خطايانا . يا اخي اذا كان ابن ما اجرم على ابيه بجرم ما . فلتحنن ابيه عليه خلصه من ذلك الجرم الذي كان مستحقاً لاجله الطرد من عنده . غير انه امره قايلًا ان رمت ان اعفو عنه جرمك لي واقبلك ابناً لي كما كنت قبلًا . فهو انك تطيعني في جميع ما انا أمرك به . فان كان ذلك الابن يأتي عن طاعته لابيه فما يأمره به . فهل عاد ذلك الابن يدعى ابناً طايعاً لابيه . لعمري انه يستحق الطرد من ابـيه فضلًا عن انه يستحق العقاب . لكونه اضحى ابناً عاصياً مارقاً مخالفاً . وهكذا نحن ان لم نصنع ما امرنا به المنا الصالح بكمال الطاعة . لانّا من نار جهنم . لكون اننا خالين مسفرين من كل فضيلة . لا برّاً لنا . لا صلاحية اقتنينا . لا صوماً كما يجب صمنا . لا صلوة واجبة صلّينا . لا رحمة صنعنا . لا رأفة لنا . ليس لنا شي. نرضي به ابونا السماوي قط . فاذا كنا خالين من هـذه الفضائل المذكورة مسفرين من كل عمل فاقل ما يكون نقتني هذه المزية الساذجة التي هي غفراننا من كل قلوبنا وسماحنا له من كل القلب مع التوبة الصادقة . فمن كل بد نحصل غير مداتين على جرائمنا . فاذًا هذه ما اقتنيناها فمن المعلوم نصير وارثين جهنم لا محالة . لكون امر خلاصنا بهذه المزية الشريفة والتوبة متعلقاً . فاذًا يا اخي اذا ما كنا على القليل مؤتمنين . فمن ذا الذي يؤتمنا على الكثير . فان كنا من النذر اليسير هربنا . فبالكثير كيف نثبت . وليس هذا فينا قط . بل واقصى مرادنا في ان نجازي غرمائنا بالعدل .

(يتبع)

المشرق

السنة الواحدة والخمسون

آذار – نيسان ١٩٥٧

حقيقة

اخوان الصفاء وخلان الوفاء

بقلم عارف تامر

جماعة « اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » لغز مبهم في التاريخ الاسلامي صعب حلّه، وسرٌ من اسرار العقائد الباطنية الفلسفية تعسّر فهمه، وكنز مقفل لم يتسنَّ للعلماء والباحثين الاهتداء الى نفائسه وجواهره، وموضوع معقّد تضاربت الاقوال فيه، وتشعبت الابحاث حوله، فاصبح مثاراً للجدل والتخمين، وسبباً للتخبط بين الضلالة والهدى، والرشاد والهوى، والاستنتاج العقلي الذي قلّما ادّى الى نتيجة تنير السبيل امامه، او تكشف الستار الكثيف عن الحقيقة المستترة خلفه. اقول ذلك استدراكاً وتعقيباً على ما قد سبق لي ان كتبته بالامس على صفحات مجلة « العرفان »[1] التي تصدر في مدينة صيدا – لبنان تحت عنوان « حول اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » وفي مجلة (Ismailia News)[2] التي تصدر باللغة الانكليزية

١) العدد ٥ المجلد ٣٤ نيسان ١٩٤٨

٢) Ismailia - news - vol. 1, 1st June n° 9 - 1954.

في مقاطعة « اوغندا » بأفريقية الشرقية تحت عنوان « من هم اخوان الصفاء وخلان الوفاء ؟ » وقد عرضت بالبحثين الاول والثاني الى هؤلاء الفلاسفة — « المستترين » الذين رغبوا بإخفاء اسمائهم عن الناس زهداً في الشهرة وحرصاً على حياتهم المهددة من الامراء الحاكمين في ذلك العصر المضطرب ، ومبالغة في كتمان غاية رغبوا في ان لا يصل الطالب الى معرفتها بسهولة ، وقد بيّنت فيها بادلة قاطعة وبراهين دامغة مستقاة من كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » نفسه ، ومن « الرسالة الجامعة » وغيرها انتساب هؤلاء الحكماء المبرزين الى « الاسماعيلية » وصلتهم الوثيقة بها ، وقدمهم بالانتساب اليها ، وعراقة اصلهم بمعرفة اصولها وتعاليمها ، واعتبارهم من المؤسسين لهذه الرسالة الفلسفية العظيمة ، ومن المركزين لدعائمها القوية التي نهض عليها فيما بعد بناء فلسفي شامخ متين لا يزال حتى اليوم موضع دراسة واهتمام مفكري وعلماء العالم ، وهذه الفلسفة هي بالحقيقة « الفلسفة الاسماعيلية » التي بذر بذورها اخوان الصفاء ثم نمت بعدئذ وترعرعت وبرزت اخيراً في مصر بعد جهاد طويل ومخاض عسير لتصبح نواة لتعاليم ودستوراً لدولة اسلامية عظيمة انتشرت رسالتها في كل مكان ، وسارت حضارتها بكل الجهات تتخطى العقبات لتصل الى الهدف وتتسلم زمام الاولية والاسبقية على جميع رفيقاتها الدول الاسلامية الاخرى ولتسطّر اعظم انتصار في مجال العلم والمدنية والحضارة ، واذا ادرك القارئ الكريم ان الدولة الفاطمية هي المعنية بالقول تأكد من صواب ما جئنا به ، ومن حقيقة ما نحن بصدده ، ثم اذا كانت مقالاتنا الآنفة الذكر قد جاءت بالامس خالية الى حد ما من البيان الواضح والتوسع بالبحث والتفسير للرموز الكثيرة التي زخرت فيها الرسائل ، ومن بعض النصوص التاريخية الاسماعيلية التي تعتبر في معرض البحث عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء ضرورية وواجبة ، فلأن هذه المصادر الموثوقة الخالية من الشوائب والاضاليل كانت بالامس مفقودة من بين ايدينا ، وبعيدة عن متناولنا ، اما الآن فنعود الى معالجة الموضوع نفسه على ضوء مصادر اسماعيلية جديدة كما قلنا ، ولسنا نهدف سوى الدلالة على الحقيقة الناصعة وكشف الستار عن موضوع شامل يشكل اهمية كبرى في الدراسات الفلسفية — الاسلامية بل واعظمها غموضاً واعمها ستراً الا وهي حقيقة اخوان الصفاء ؟ وعقيدتهم ؟

واهدافهم ؟ واني لعلى يقين بان خدمتنا هذه وسعانا في هـذا السبيل سيضع حدًا لكل التخمينات والاستنتاجات العقلية التي لم توصل الى هدف او تأتِ بطائل ، ومهما يكن من امر فباستطاعتنا القول مؤكدين بان جميع ما كتب عن موضوع اخوان الصفا. وخلان الوفا. قد جاء ناقصاً وبعيداً عن الواقع فهو لم يشفِ غليلًا او يروِ غليلًا او يقود الى الحقيقة المحتجبة في طيات العصور ، وليعذرني السادة : طه حسين ، وزكي باشا ، وفروخ ، وجبور ، والدسوقي، وصليبا، والهمذاني ، والعوا وماسينيون ، ليعذرني هؤلاء اذا قلت لهم مع احترامي لآدبهم وعلمهم واجتهادهم بان جميع ما دونوه عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء لم يأتِ بالفائدة المتوخاة . ولم يزد الموضوع الا بعدًا وتعقيدًا ، ومما لا شك فيه ان الاسباب قد تبدو عديدة ولكن اهمها عدم اطلاع هؤلاء الاطلاع الكافي على الكتب الفلسفية الاسماعيلية التي ظهرت مؤخرًا لحيز الوجود ومن الجائز انهم تعمدوا نسيانها واغفلوا درسها ومقابلتها للرسائل ، والنفاذ الى صميم واقع الفلسفة الاسماعيلية مضافًا الى كل ذلك عدم استرشادهم بآراء من هم من اهل دعوة اخوان الصفا. انفسهم والتعاون معهم في هذا الحقل لكي يعرفوا هذه الفلسفة تعريفًا علميًا منطقيًا ، ويدلوا عليها دلالة تزيل الشك والارتياب ، وكأني باخوان الصفا. وخلان الوفا. انفسهم كانوا على علم بما سوف يتقول عنهم بعد الف عام المتقولون ، وبما سوف يصوغه من اقوال وشكوك وتخمينات عنهم الباحثون فقالوا :[1]

« وقد قلنا لك في رسالة كيفية الدعوة ان لنا كتبًا لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا ولا يعلمها الناس الّا من قبلنا ولا يتعلم قراءتها الّا من علمناه ولا يعرف صور حروفها الا من عرّفناه » .

كل هذه اسباب تجعلنا نؤكد جازمين بأن « اخوان الصفا. وخلان الوفا.» هم اول من وضع أسس الفلسفة الاسماعيليه وركّز دعائمها ، وهذا ما سنتكلم عنه الآن بايضاح مبينين علاقة اخوان الصفا. بالاسماعيلية وانتسابهم بصورة عامة اليها ، لان العلماء المتقدمين والمتأخرين كما قلنا وخاصةً الذين جئنا على ذكرهم لم يأتوا برأي قاطع ولم يذكروا من الّف الرسائل ؟ واين ؟ ومتى ؟ وقد دارت

١) الرسالة الجامعة ج ٢ ص ٣٧١

جميع بحوثهم في فلك حديث «ابي حيان التوحيدي» المشهور الذي لا يشفي عليلًا ولا يفي بالمطلوب ولا يصح ان يكون مصدرًا يوصل الى الاهداف التي يقصدها العلماء. مضافًا الى كل ذلك ان كل واحد منهم ذهب مذهبًا يختلف عن الآخرين وظهروا بأبحاثهم بأفكار غريبة متباينة متضادة هي اقرب للخيال من الواقع مع ان الواجب العلمي يقضي بالإستقصاء. وببحث الأمور على ضوء العلم والتجرد للواقع وإيراد الحقائق خالية من الشوائب وهذا ما دفعنا كما قلنا لخوض هذا الموضوع على ضوء الواقع العلمي والقانون الفلسفي الذي اخذنا على عاتقنا التقيد بمواده ونصوصه ونشر البحوث المتتابعة وكتابة الفصول الطويلة عنه خدمة للعلم وللدراسات الإسلامية التي يجب ان يعم نشرها واظهارها بين جمهور العلماء والباحثين والمستشرقين ولكي تصبح ذات فائدة تاريخية موثوقة تجلو الأفكار وتصقل العقول لا سيما بعد ان حاول الكثير منهم الخوض في بحرها الزاخر بشتى العلوم والمعارف فلم يفوزوا بطائل او بما يوصلهم الى الهدف الأسمى والغاية المثلى فضاعوا في مجاهل العلم الشاسعة وتاهوا في صحراء من الأخطاء ليس لها نهاية . ولننتقل الآن الى ذكر المصادر التاريخية ومناقشتها[1].

«بعد ان اشتد الضغط على الأمام السابع «محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب» خرج من المدينة الى الكوفة مصحوبًا باخيه (علي) وقد ظل فيها مدة من الزمن متسترًا عن العيون بعيدًا عن الأرصاد حتى ولد له فيها ولدًا سماه «عبدالله» ومن الكوفة سار الى الري واستقر عند احد دعاته السريين المسمى «اسحق بن عباس» وكان يشغل منصب حاكم الري العام من قبل العباسيين وبعد مدة من الزمن قال له اسحق : يا مولاي. . قد علمت اليوم انهم بثوا العيون في كل مكان واني اصبحت اخشى عليك منهم ، فأن رأيت ان تخرج الى الجبل وتعتصم بقلعة «نهاوند» عند خادمك الداعي «منصور بن حوشد» فأن ذلك انسب وعلى كل حال الأمر لك يا مولاي ، فعمل باشارته وبعد ذهابه قبض العباسيون على اسحق وعذبوه عذابًا شديدًا ويروى انه مات تحت السياط بدون ان يدل على مكان الأمام

١) «فصول واخبار» مخطوط اسماعيلي تأليف الداعي السوري «نور الدين احمد» المولود سنة ٨١٧ هـ والمتوفي سنة ٧٦٩ هـ

ولمّا لم يعرف الرشيد عن امره شيئاً ارسل القائد [محمد الخرساني] ومعه جيش كبير من الكرد والأتراك للتفتيش ثم القبض عليه فلما وصل الى « نهاونـد » دخل مسجدها فرأى الأمام « محمد بن اسماعيل » مسنداً ظهره الى المحراب وبين يديه رجلان يعلمها اصول الدين ، فلم يتمالـك القائد نفسه حينما رأى عظمته وجلال هيبته من ان ينحني امامه ويقبّل يديه ، ثم اشار اليه بضرورة سفره من « نهاوند » لأن الرشيد يريد ان يقبض عليه اذا ما ظلّ فيها ، فخرج منها تحت جنح الظلام متستّراً الى بلدة (سابور) ومنها الى « فرغانة » وبعد ذلـك الى « عسكر مكرّم » وهناك وعلى مشهد من دعاته نصّ على امامة ولده «عبدالله» ولقّبه « باحمد الوفي » وبعد زمن قليل توفي الى رحمة الله ، فاستلم الامامة سنة ١٦٩ هـ من بعده ولده « عبد الله » وازداد في التستر والخفاء . وخرج سراً من « عسكر مكرّم » الى « زامهر » ومنها الى « الديلم » وهنالـك تزوّج بامرأة من الأسرة العلويّة يسمّى والدها « الأمير علي الهمذاني » فرزق منها ولـداً سمّاه « احمد بن عبدالله » ولقبه « محمد التقي » ثم ان دعوتـه انتشرت انتشاراً واسعاً واستجاب له خلق كثير العـدد في بلاد العرب وفارس ولكن الضغط اشتدّ عليه من قبل « المأمون العباسي » فأضطرّ الى مغـادرة « الديلم » سرّاً قاصداً مدينة « معرة النعمان » السورية قرب حلب فأقام فيها مدة ثم انه غادرها بعد ذلك الى مدينة « سلميّة » قرب حمص بعد ان ترك اخوه « حسين » يقوم بالنيابة عنه وأخذ العهد على المستجيبين لدعوته لأن اخاه كان حائزاً على رتبة « الحجّة » وفي « سلمية » نصّ على امامة ولده « احمد بن عبد الله » على مشهد من رجال دعوته ، وانتقل بعد ذلك الى بلدة « مصياف » ومات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها بمكان سُمّي « المشهد » وكان ذلك سنة ٢١٢ هـ ، وبعد وفاته استلم شؤون الأمامة ولده المسمّى « احمد بن عبدالله » وهو الملقب « بمحمد التقي » وهذا الأمام كان كثير التنقل في البلدان يحب التبشير بالدعوة بنفسه ، فوضع الوكلاء والدعاة بمركز دعوته في « سلمية » وسار متنقلاً في بلدان الشام ، واخيراً انتقل الى «الري» والى «همذان» ثم الى « اذربيجان » ومنها جاء الى «استانبول» حيث توفي فيها سنة ٢٢٩ هـ ، وبعد ذلك استلم شؤون الدعوة الأمامية ولـده وكان يقيم في « سلميّة » وهو المسمّى « الحسين بن احمد بن عبـدالله » الملقب

« بعبدالله الرضي » وقد توفي في « سلمية - سورية » سنة ٢٦٧ هـ ودفن في المسجد الكبير الذي كان يصلي فيه . . .

(وهنا نترك ما جاء بكتاب « فصول واخبار » لننتقل الى مصدر آخر يؤيده ويتمم ما جاء فيه على ان نعود ثانيةً اليه)[1] .

اعلم علّمك الله الرشد انه اول ما فقد الأمام عليه السلام وبقي الدعاة متحيرين ، اجتمع وجوههم بمدينة « عسكر مكرّم » وهم سبعة نفر منهم (أبو غفير) و(أبو مسلمة) و(أبو الحسن بن الترمزي) و(زياد بن الخشمي) و(أحمد بن الموصلي) و(أبو محمد الكوفي) وهو والد (أبو مهزول) الذي قتل موالي موالينا اهل البيت صلوات الله عليهم .

ولمّا اجتمع هؤلاء النفر المذكورون قالوا : قد فقدنا امامنا ولا صلوة لنا ولا صوم الّا بامام ولا نعرف من نعطي زكاتنا ، واجتمعوا مع الأولياء والمحبين فجمعوا نفقات وقالوا لهؤلاء الدعاة المذكورين في صدر الكتاب : امضوا فافترقوا على عمل خرسان والعراق وجزيرة حرّان واليمن واطلبوه فخرجوا فتفرّقوا مع كل واحد صنعته وحليته وخرجوا في هيئة الطوّافين على دوابهم واخرجوا فيها الفلفل والريحان والمنازل والمرايا واللبان وما يصلح للنساء من اصناف السقط وجعلوا بينهم موعداً يجتمعون فيه في كل اقليم على اقسام لكل واحد منهم قسم يختي اليه ، فاذا فرغوا من الاقليم اتوا الى الميعاد فيسأل بعضهم بعضاً هل اصبتم شيئاً فاذا لم يجدوا في ذاك الموضع شيئاً انتقلوا الى اقليم آخر فيتواعدوا الى موضع آخر يجتمعون فيه .

وكان اذا اجتمع النساء والصبيان يسألونهم هل وقع عندكم رجل من صنعته كذا وكذا ؟ وكان هذا حالهم في كل موضع دخلوه ، فداروا حلب وأقليم الجزيرة وغيرها فلم يجدوا شيئاً ودخلوا اقليم « حمص » فنزلوا « بمرة النعمان » وجعلوا الميعاد بينهم في الجامع وكان الأمام عليه السلام قد وقع في « معرة النعمان » في « جبل السماق » في دير يقال له « دير عصفورين » عند « كفرقوم » .

وجاء بنهاية قصة استتار الأمام ما يلي :

---

[1]) مذكرات في حركة المهدي الفاطمي او استتار الامام . تحقيق المستشرق الكبير (ايفانوف) من منشورات المعهد العلمي الافرنسي – القاهرة .

« وأتى هؤلاء الى « محمد بن عبدالله بن صالح » فقالوا له ان هنا رجلاً مصرياً من التجار يسألك فيا يسألك به هؤلاء التجار فأمرهم ان يطلبوا موضعاً يصلح لـه وفرح به وانزله في مجرى المدينة في ناحية سوقها فاشترى له دار « ابي فرحه » ونزل عليه السلام « بسلمية » كسائر التجار فلما نزل بها زاد دوراً كثيرة وهدم وبنى وتأهل وآتى اليه طوائفه ودعاته وأحدث قصراً شاهقاً وهو « عبدالله الاكبر » وبث دعاته الى جميع البلدان سراً وعزل وولى على انه رجل تاجر وولد له بها «احمد» و«ابراهيم» وتوفي وكانت الامامة بعده « لاحمد » دون « ابراهيم » . [انتهى بحث كتاب مذكرات في حركة المهدي الفاطمي او استتار الامام] .

ونعود لاكمال ما جاء بكتاب [فصول واخبار] .

وهذا المسجد من اعاجيب الدنيا وفيه عواميد وحجارة منقوشة منذ عهود قديمة تحيّر الأفكار ، امّا الأمام [عبدالله بن محمد] فقد ظهرت في عهده احكام الشريعة والحقيقة والدين وكان قمر دولة بني العبّاس كل يوم على مزيـد ، وقد ارسلوا الى « سلميّة » جيوشاً جرّارة للقبض على الأمام والتنكيل باحفاد محمد وعلي لكنهم لم يتمكنوا من ذلك ، امّا الأمام « عبدالله بن محمد » فقد كان سريع التنقل من « المعرة » الى « حماه » الى « حمص » الى « الشام » الى « مصياف » وغيرها من البلدان الشامية التي كان له فيها دعاة ينادون باسمه ويدعون له ، ولمّا علم بما آلت اليه الشريعة في عهد العباسيين من الانحطاط والضعف شرع بتأليف كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » وهو كتاب وضعه تأييد الشريعة والحقيقة معاً وقد امر حدوده الأربعة « الحرم »[1] وكان مقرهم في « سلميّة » وهم اقرب الحدود اليه ان يكتبوا ما يتصه عليهم ويصل منه اليهم وأخذ كل واحد بكتابة ما يشير به عليه من العلوم او يرسله اليه اذا كان غائباً في مكان بعيد حتى جاء عدد رسائل الكتاب مطابقاً لعدد ركعات صلوات الفريضة والسنة والنوافل . فالصلوات الخمس احدى وخمسون ركعة كما جاء في الناموس تضاف اليهم ركعتان جلوس في صلاة العشاء . ومقامها مقام ركعة واحدة يصليها المصلي وهو جالس على ركبتيـه فيصير المجموع اثنتين

١) « الحُرُم » بالتعريف الاسماعيلي هم الدعاة الاربعة الذين يرافقون الامام ، وهم اساتذه والمطلعون على كل اسرار الدعوة ويسمون ايضاً « الابدال » ومن بينهم واحد يسمى « الباب » هو افضلهم ، وان عددهم جاء مطابقاً لعدد شهور الحرم ويمثولهم فصول السنة والجهات الاربع .

وخمسون ركعة . واماّ حقيقة هذه الصلاة فتنطبق على التعاليم الاسماعيلية الفقهية للصلاة كما جاءت مفصلة في كتاب « دعائم الاسلام » للقاضي الفقيه « النعمان بن حيّون المغربي » الذي اورد فيه ما يلي[1] :

« جاء ان عدد ركعات الصلوات الخمس سبعة عشر ركعة فريضة وسبعة عشر ركعة سنة مثلها » .

وجاء ايضاً[2] :

« وعن ابي جعفر محمد بن علي انه قال : لا ينبغي لرجل ان يدخل في صلاة حتى ينويها ومن صلّى فكانت نية الصلاة ولم يدخل غيرها قبلت منه اذا كانت ظاهرة او باطنة » .

هذا تأييد لما ذهب اليه اخوان الصفاء اذ انهم اعتبروا عدد الركعات للصلوات الخمس احدى وخمسون وأضافوا اليها ايضاً « النية » التي لا يجوز ان يتقدم الانسان على عمل شرعي بدونها ، والنيـة المتشبهة للصلاة هي تمثول « الرسالة الجامعة » التي هي زبدة رسائل اخوان الصفاء والمتممة لهم .

وجاء ايضاً[3] :

« وعن جعفر بن محمد (صلعم) انه قال في قول الله عز وجل والشفع والوتر قال : الشفع الركعتان والوتر الواحدة التي تبيّنت فيها وقال : يسلم من الركعتين ويأمر ان شاء وينهى ويتكلم بحاجته ويتصرف فيها ثم يوتر بعد ذلك بركعة واحدة يقنت بعد الركوع فيها ويجلس ويتشهد ويسلّم ثم يصلّي ركعتين جالساً ولا يصلّي بعدها صلاة حتى يطلع الفجر فيصلّي ركعتين الفجر » .

وجاء ايضاً[4] :

« وعن جعفر بن محمد (صلعم) انه قال : ما احب ان اقصّر عن تمام احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة قيل وكيف ذلك ؟ قال : ستة ركعات قبل صلاة الظهر وهي صلاة الزوال وصلاة الاوّابين حين تزول الشمس قبل الفريضة واربع بعد الفريضة واربع قبل صلاة العصر ثم صلاة الفريضة ولا صلاة بعد ذلك الى غروب الشمس ويبدأ في المغرب بالفريضة ويصلّي بعدها صلاة السنة ستة ركعات واربع ركعات قبل العشاء الآخرة وصلاة الليل اربع ركعات بعد صلاة العشاء الآخرة وثلاث ركعات للوتر وركعتان من جلوس بعدها تعدان بركعة واحدة . لانّا روينا عن رسول الله (صلعم) انهُ قال : صلاة الجالس لغير علة على النصف من صلاة القائم وركعتا الفجر قبل صلاة الفجر فذلك اربع وثلاثون ركعة مثل الفريضة والفريضة سبع عشرة ركعة فصار الجميع احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة » .

١) دعائم الاسلام ج ١ ص ١٦
٢) دعائم الاسلام ج ١ ص ١٨٩
٣) دعائم الاسلام ج ١ ص ٢٤٦
٤) دعائم الاسلام ج ١ ص ٢٥٠

ان ما جاء بكتاب « دعائم الأسلام » من نصوص فقهية يكاد يكون مطابقاً لما قصده « اخوان الصفاء » ودعائم الاسلام هو دستور الاسماعيلية الفقهي وقانون مذهبها وأحكام عقائدها وقد تبيّن من الحكمة التي اوردها ان الصلاة دائرة ناموسية دينيّة ظاهرة والرسائل دائرة علمية ناموسية حقيقية ، وفي الدائرة الناموسية الدينية صورة لما في الدائرة العلمية . كما ان في الدائرة العلمية معرفة ما في الدائرة الدينية الناموسية وكل هذا مطابق لنظرية المثل والممثول الاسماعيلية التي كتبنا عنها وعرفناها اكثر من مرة ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الأمام « عبدالله بن محمد »[1] عندما جعل عدد [رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء] اثنين وخمسين رسالة وضمها الحكمة وطبقها على عدد حروف اسمه بحساب « الجمّل » وهذا النوع من الحساب اول من استعمله وطبّق مواده في العهود الماضية هم « الاسماعيليون » واليك المثل :

ع ب د ا ل ل ه ب ن م ح م د = عبدالله بن محمد

٧ ٢ ٤ ١ ٣ ٣ ٥ ٢ ٥ ٤ ٨ ٤ ٤ = ٥٢

هذا هو المصدر التاريخي الاول اوردناه كما جاء في الكتب الاسماعيلية التي نعتبرها من اوثق واصدق المصادر . وهذا مصدر ثانٍ[2] .

« فلمّا انتقل « محمد بن اسماعيل » الى دار البقاء تسلّمها ولده المستور [احمد الوفي] وهو اول من ستر نفسه عن الاضداد من اهل عصره المخالفين لان زمانه كان زمان فترة ومحنة وكان المتغلبون من ولد بني العباس يطلبون من يشار اليهم منهم حسداً وبغضاً لاوليا. الله تعالى فأوجب ذلك الاستتار المعروف للائمة وكنيت الدعاة باسمائهم تقيةً عليهم ممّا هم فيه ويليق بهم وتاهت فيهم اولو الضلال حتى قالوا ان الامام من ولد محمد بن اسماعيل هو « عبد الله بن ميمون » المعروف بقدّاح الحكمة وزيد الهداية وزعم البعض انه « عبد الله بن

---

١) يسمي الداعي الاسماعيلي الأجل « ادريس عماد الدين » في كتابه «عيون الاخبار» هذا الأمام « احمد بن عبد الله » ولعله يقصد من ذلك اسم والده .

٢) هذه الرسالة من تأليف الداعي الاسماعيلي السوري الأجل « ابو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة » وهي الموسومة « برسالة الاصول والاحكام » وقد ضمّت الى كتاب « خمس رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .

وقال الداعي الاسماعيلي الاجل « شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة » المتوفي سنة ٨٣٤ ه ما يلي[١] :

« حتى همّ المتسمّى بالمامون ان يرد الامة الى دين القول بالنجوم وقال ما جاء محمد (صلعم) الّا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى اظهر ولي الله وابن رسول الله (رسائل اخوان الصفاء) وفيها ما تحيّر فيه جميع العالم من العلوم في كل فن والاستشهاد على شريعة الرسول وهو صلى الله عليه وسلّم ، ان ذلك في كهف التقية مستتر ودعاته الباقون مفرقون لتلك الرسائل في كل شهر وقطر . . . فرجع اللعين عمّا همّ به من ذلك » .

وقال الداعي المطلق «ادريس عماد الدين» في كتاب « زهر المعاني » ما يلي :

« فقام الامام « احمد بن عبدالله »[٢] صلوات الله عليه بأمر الله ووحيه وهو الثاني من الخلفاء وحجته « عبدالله بن ميمون » واحمد بن عبد الله ممثول النطقة في دورهم مقابل لنوح ثاني النطقاء ولجده الحسين بن علي ثاني الائمة ، فنشر العلوم ظاهرًا وباطنًا وصنّف الرسائل وجعلها على العلوم الاربعة ثم جعلها ثلاثة وخمسين رسالة شاهدة له ودالّة عليه لان اسمه بحساب الجمل ثلاثة وخمسون »[٣] .

وقال السيد « غلام احمد القادياني » ما يلي[٤] :

« ولما خشيّ « السيد احمد بن عبدالله » ان يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلاسفة « ألّف رسائل اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الالهية والفلسفية والشرعية » .

وجاء في كتاب « قلائد الجواهر » المصنّف باللغة الفارسية في الصفحة السابعة والعشرين ما يلي :

« ان العلّامة الفهّامة « احمد بن عبد الله » هو مصنّف اثنين وخمسين رسالة موسومة باخوان الصفاء وخلّان الوفاء » .

---

١) الرسالة الموقظة .

٢) الملاحظ هنا ان الامام احمد هو نجل « عبدالله بن محمد » الذي جاءت مصادرنا الاولى تذكر انه هو واضع الرسائل بينما نرى الداعي ادريس هنا يؤكد ان ولده « احمد » هو واضع الرسائل ، واما الواقع فهو ان «عبدالله بن محمد» قد وضع الرسائل ولكن الاجل لم يمهله فمات والرسائل لم تتم فجاء ولده «احمد» بعد وفاته واتمها مع الدعاة المذكورين انفسهم .

٣) نستغرب ان يذكر ادريس عماد الدين ان عدد رسائل اخوان الصفاء ثلاثة وخمسون ولعلّ ادريس ادخل في عدادهم رسالة « جامعة الجامعة » التي نقوم باعدادها للطبع .

٤) رسالة « الحل المصفّى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفاء» .

وقال القاضي النعمان بن حيّون المغربي التميمي[1] ما يلي :

« وسألت عن معنى قول الصادق صلوات الله عليه : قام امرنا بسبعة ثلاثة منّا واربعة من غيرنا . . . فالثلاثة هو وولده وولد ولده والاربعة الذين هم من غيرنا هم : « الأحدث » و«المختلس» و«اخا المختلس» و«القدّاح» . وهم المتمون عليهم السلام وهؤلاء السبعة هم الذين مهدوا للدولة الفاطمية وركزوا دعائمها وعملوا لاجل بناءها وهم بالتحقيق الائمة الثلاث المستورون : « عبدالله » و«احمد » – و«الحسين » . والخُرَّم الاربعة مؤلفو الرسائل وهم : « عبد الله بن حمدان» و«عبدالله بن سعيد » و« عبدالله بن ميمون » و« عبدالله بن المبارك » .

وقال القفطي ما يلي[2] :

« ولمّا كتم مصنّفوها اي « الرسائل » اسمائهم اختلف الناس في الذي وضعها فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين فقوم قالوا : هي من كلام بعض الائمة من نسل « علي بن ابي طالب » واختلفوا في اسم الامام الواضع اختلافاً لا يثبت له حقيقة » .

وقال ماكدونالد ما يلي[3] :

« يظهر ان ابا العلاء المعري قد اتصل في وقت ما بجماعة مثل اخوان الصفاء ان لم يكونوا انفسهم»[4] .

وانّا اذا كنّا قد انتهينا الى هذا الموضع وأتينا على ذكر المصادر مؤيدة بالادلّة الدامغة والبراهين المعقولة عن اخوان الصفا . ممّا قاله العلماء والباحثون والمصادر المختلفة فأننا نعود الآن لنورد بعض الادلة التي تثبت انتصاب اخوان الصفاء للاسماعيلية وهذه المصادر من كتاب الرسائل نفسه ومن الرسالة«الجامعة».

وجاء ايضاً بالرسائل ما يلي :

«اعلم ايها الاخ البار الرحيم ان لنا اخواناً واصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد فمنهم طائفة من اولاد الملوك والامراء والوزراء الخ . . . وقد ندبنا لكل طائفة منها احداً من اخواننا ممن ارتضيناه في بصيرته ومعارفه لينوب عنّا في خدمتهم بالقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم الخ . . . »

ألا يرى معي القارئ الكريم ان ما جاء به اخوان الصفاء وخلّان الوفاء

---

١) الرسالة المُذهبة ص٧٢ . هذه الرسالة قد ضمّت الى كتاب (خمس رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر .

٢) تاريخ الحكماء .

٣) Prof. Macdonald - London - 1903, Muslim - Theologie (199.)

٤) سوف نكتب دراسة مفصلة عن علاقة ابي العلاء المعري بالاسماعيلية .

برسائلهم لا يختلف تماماً عمّا ذكره الامام الفاطمي (المعز لدين الله) بكتابه المشهور المرسل الى « حسن الاعصم » قائد جيوش القرامطة :

«فما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ويدلون علينا ويأخذون بذمتنا ويذكرون رجعتنا ويبشرون علمنا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا»[1] .

وجاء ايضاً[2] .

« وهذه الولاية المخصوصة لاهل بيت الرسالة عليهم السلام لا يحتاجون فيها الى مدبري غيرهم والى علماء سواهم ولا يطلع الناس على اسرارهم ولا يعرفون منهم في موتاهم ولها علوم يتميزون بها وينفصلون عن العالم بمعرفتها واعمال يعملونها لا يشركون فيها غيرهم » .

وهذه ايضاً اشارة الى العلوم الباطنية التي كثيراً ما حظّر الائمة من اهل البيت على اتباعهم اذاعتها ونشرها الّا على اهلها ، وفي الكتب الاسماعيلية التي نشرت والتي لم تنشر الآن نرى نصوصاً زاخرة بهذه الالفاظ والتعابير هذا من جهة ومن جهة اخرى فان هذا المقطع يعطينا الدليل على ان واضعي رسائل اخوان الصفاء وخلّان الوفاء هم من أئمة الاسماعيلية الذين كانوا يعيشون في دور الستر الاول الذي يبتدئ من عهد « محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق » حتى بدء الدولة الفاطمية في المغرب .

وجاء ايضاً[3] :

« قيل يا رسول الله من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال : نعم . . . من قالها بحقها دخل الجنة قيل له وما اخلاصها ؟ قال معرفة حدودها وأداء حقوقها فقيل يا رسول الله ما معرفة حدودها ؟ واداء حقوقها ؟ فقال : « انا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد ما في المدينة فليأت الباب » .

لا اراني بحاجة الى توضيح معنى هذا المقطع الذي لا شك انه يذخر بتعابير الباطنية والتعاليم الاسماعيلية وفلسفتها واعتقاداتها الخاصة بالنبوة والولاية ومهما يكن من شيء فلا بد لي من سؤال اساتذتنا الكرام وخاصة الذين بحثوا رسائل الاخوان عن معنى هذا المقطع ؟ وهل يتلاءم مع ما جاء بكتب الاسماعيلية التي عبّرت عن عقائدها وفلسفتها ؟

١) اتعاظ الحنفا ، المقريزي ص ١٣٩
٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٤٠٣
٣) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٤٨٦

وجاء ايضاً[1] :

« اعلم يا اخي بأنا قد عملنا احدى وخمسين رسالة في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والانموذج لكيا اذا نظر فيها اخواننا وسمع قراءتها اهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها وعرفوا حقيقة ما هو مقرون بها من تفضيل اهل بيت النبي (صلعم) لانهم خزانة علم الله وورثوا علم النبوات تبين لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة » .

وهذا دليل قاطع يؤكد بان رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ذات رموز عسيرة الفهم وان امر تفسيرها ومعرفة اسرارها وتعاليم فلسفتها موقوف على الخاصة من شيعة مؤلفيها وضمير انا يعود الى مؤلفي الرسائل انفسهم وهم ائمة الاسماعيلية المستورون او اخوان الصفاء وخلان الوفاء .

وجاء ايضاً[2] :

« اعيادنا ايها الاخ هي اشخاص ناطقة وانفس فعّالة تفعل بأذن باريها ما يوحيه اليها وبإلهامها من الافعال والاعمال ، فاليوم الاول من ايامنا والعيد الفاضل من اعيادنا هو يوم خروج اول القائمين منا ويكون اليوم الموافق لنزول الشمس برج الحمل لمجيء الربيع والخصب والنعمة ونزول الرحمة والظهور والانتشار وهو يوم فرح وسرور لنا ولجميع اخواننا واليوم الثاني هو يوم قيام الثاني الموافق يوم قيامه يوم نزول الشمس اول السرطان في تناهي طول الليل وقصر النهار وكان تصرّم دولة اهل الجور وانقضاءها وهو فرح وسرور وانتشار ، واليوم الثالث هو يوم قيام ثالثنا الموافق لنزول الشمس اول الميزان واستواء الليل والنهار ودخول الخريف وهي مقاومة الباطل الحق وكون الامر على خلاف ما كان عليه ، ثم اليوم الرابع يوم الحزن والكآبة يوم رجوعنا الى كهفنا وكهف التقية والاستتار فيكون الامر على مثل ما نحن عليه في وقتنا الى وقت البروز والخروج والرجوع بعد الذهاب كرجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء الى برج الحمل » .

التعاليم الاسماعيلية كما هو جلي وواضح لكل من درسها ووصل الى معرفتها جاءت جميعا زاخرة بنصوص تشير الى ان كل امام سابع يجمع قوى الائمة الستة التي قبله، لانه يكون قائمًا بالفعل بينما الائمة الستة التي قبله فيكونوا قائمين بالقوة ، ويكون ايضاً هو نهاية الدور ويسمّى (اساس) اي اساس للائمة الستة الذين يأتون بعده لانه يعتبر واضع الاسس للقضايا والاحكام وراسم للمناهج

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٢٢٢ .

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٢٠٨

التي يجب ان يسير عليها هؤلاء الستة بعده اما الامام الذي يأتي بعده وهو صاحب رتبة « الثامن » فيسمى ايضاً «قائم» لانه يكون الاول في الدور الجديد ، وهنا يمكننا ان نقرر على ضوء هذه الفلسفة ان الامام « محمد بن اسماعيل » هو صاحب رتبة « السابع » وهو الاساس وخاتم الدور ، ويأتي بعده الدور الثاني الذي ينتهي بالامام الفاطمي السابع « المعز لدين الله » وهو ايضاً اساس ومتم الدور ، اما ما جاء بهذا الفصل عن الاعياد وترتيباتها فهذه دلالة على ان العيد الاول بعد الدور الثاني هو ممثول الامام الفاطمي وهو (العزيز) نجل الامام (المعز لدين الله) وهو الذي انتصر على القرامطة وردّ غزوهم للاراضي المصرية . والعيد الثاني ممثول الامام (الحاكم بامر الله) الذي هدم دولة اهل الجور وهو العيد الثالث . وأمّا الرابع فهو يوم الحزن والكآبة اي يوم ذهاب الدولة الفاطمية بوفاة الامام الفاطمي [المستنصر بالله] ووقوع الفتنة وذهاب الفرح والسرور وعودة الأئمة الى كهف الستر والتقية .

وجاء ايضاً[1] .

« اعلم يا اخي ان كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سماواته خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته وهم خلفاء الله في افلاكه كما انّ ملوك الارض هم خلفاء الله في ارضه » .

وهذه ايضاً تعاليم اسماعيلية يعرفها كل من درس علم التأويل ووقف على دقائقه وآراء الاسماعيلية فيه ، فالكواكب المشرقة هم الدعاة الذين يشرقون بالعلوم على الاتباع وعلى الكافة ، والسماء هي الشريعة او عالم الدين او « الدعوة » التي ترسل مياه الامطار لاحياء الاموات ، والامطار هي العلوم الالهية ، والملائكة الذين يقيمون هذه الدعوة فهم حدود عالم الدين .

وجاء ايضاً[2] :

« واعلم ان دولة اهل الخير يبدأ اولها من قوم علماء حكماء اخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد ويعقدون بينهم عهداً وميثاقاً الّا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضاً ويكونون كرجل واحد في جميع امورهم وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون » .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٩٨

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ١٣١

لا اظن ان احداً ممن سبق له الاطلاع على تاريخ « الفدائية » الاسماعيلية وانظمتها الاجتماعية وقوانينها الحربية واعمالها في فارس وسوريا واليمن يحجم عن الاتفاق معي بالرأي بأن المدرسة التي وزعت هذه التعاليم وبذرت هذه البذور هي مدرسة اخوان الصفاء وخلان الوفاء .

وجاء ايضاً[1] :

« وقد نرى انه قد تناهت دولة اهل الشر وظهرت قوتهم وكثرت افعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد الزيادة الا الانحطاط والنقصان ولا بد من كائن قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا » .

وهذا بيان كافٍ ودليل وافرٍ فيه الدلالة على ان رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء قد وضعت في وقت كان فيه حكم دولة اهل الشر قائماً والمقصود بدولة اهل الشر « العباسية » التي كانت في ابان عزها ومجدها يومئذٍ أمّا قولهم : « فلا بد من كائن قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا » فهذا تبشير في عهد الستر بظهور امام من الفاطميين وقد دلّت القرائن وأكدت الاحوال ان الامام الذي كانوا يعدون الناس بظهوره هو « محمد المهدي بالله » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب .

وجاء ايضاً[2] :

« واعلم يا اخي بأنّ لكل نفس من المؤمنين ابوين في عالم الارواح كما ان لاجسادهم ابوين في عالم الاجساد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه « انا وانت يا علي ابوا هذه الامة . . . » وهذه الابوة روحانية لا جسدية » .

وجاء ايضاً[3] :

« ومن الناس طائفة ينسبون الينا بأجسادهم وهم براء بنفوسهم منا ويسمّون انفسهم العلوية وما هم من العلويين ولكنهم من اسفل السافلين لا يعرفون من امرنا الا نسبة الاجساد فهم ابعد الناس عن اهل ملتنا واعدى الناس لشيعتنا واجهل الخلق بعلومنا واغفل الناس عن حقيقة امرنا وأسرار حكمتنا » .

---

١) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٥٢٣
٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ١٩٨
٣) « « « « «

وجاء ايضاً[1] :

« ومن الناس طائفة قد جعلت التشيع مكسباً لهم مثل النائحة والقصاص لا يعرفون من التشيع الا التبري والشتم واللعنة والبكاء مع النائحة وحب المتديّنين بالتشيع وترك طلب العلم وتعلم القرآن وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل يبكون على فقدان اجسادنا وهم بالبكاء على نفوسهم اولى » .

المتكلم هنا الأئمة من آل بيت الرسول محمد (صلعم) اذ ان الضمير عائد لهم ، وفي هذا الفصل بيان يثبت ان عقيدة اخوان الصفاء لم تكن لتتفق وتعاليم الشيعة العلوية الاثنى عشرية المعروفة التي تقضي تعاليمها بلزوم المشاهد وزيارة القبور والبكاء كالثواكل على الاجساد الفانية ، وفي الاعياد كيوم عاشوراء وذكرى الحسين وغيره ويتجلى واضحاً انّ اخوان الصفاء يقولون برأي الاسماعيلية الباطنيّة التي اتخذت عقيدة تلزمها بالاعتراف بالامام الحاضر الموجود الذي يجب ان تكون الأرواح منتسبة اليه ، أمّا العلوية فينتسبون اليه بالاجساد ، والجسم بالتأويل الاسماعيلي يمثل الظاهر والروح تمثل الباطن ، وامّا الشتم والتبري التي تقول فيها بعض الفرق الشيعية الغلاة فلم يكن من مذهب الاسماعيلية او من تعاليم اخوان الصفاء الذين يقولون :

« نحن لا نعادي علماً من العلوم ولا نتعصب على مذهب من المذاهب لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب جميعها » .

وجاء ايضاً[2] :

« ومن الشيعة من يقول ان الأئمة يسمون الدعاء ولا يدعون حقيقة ما يقرون به وصحة ما يعتقدون ، ومنهم من يقول ان الامام المنتظر مختفٍ من خوف المخالفين كلّا بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون » .

وهذا بيان آخر يوضح اعتقاد الأسماعيلية بالأمامة وبان الأمام لا يستر الّا عن الأعداء وظهوره يكون دائمًا بين شيعته المخلصين يعرفهم ويعرفوه وليس هو كالأمام المنتظر لدى الفرق الشيعية الاخرى التي تزعم انه مختفٍ عن الانظار من الخوف .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ١٩٨

٢) « « « « «

وجاء ايضاً[1] :

« ومما يجمعنا واياك ايها الاخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام واهل بيته الطاهرين وولاية امير المؤمنين علي بن ابي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم اجمعين » .

وفي هذا المقطع دليل واضح يثبت ان اخوان الصفاء هم من الاسماعيلية اذ ان كلمة « وصي » لم تكن لتعرف لدى احد من الفرق الاسلامية قبل الاسماعيلية .

وجاء ايضاً[2] :

« ان من خواص اخواننا الفضلاء اهم العلماء بأمور الديانات الواقفون بأسرار النبوات المتأدبون بالرياضيات الفلسفية فاذا لقيت احداً منهم وآنست منه رشداً فبشره بما يسره وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه وانجلاء الغمة عن العباد بانتقال القران من برج مثلثات النيران الى برج مثلثات النبات والحيوان في الدور العاشر الموافق لبيت السلطان وظهور الاعلام » .

جميع هذه الظواهر الفلكية المذكورة بهذا المقطع دلت وتدل على ان الامام العاشر الذي هو الامام « الحسين بن احمد » او « رضي الدين عبدالله » وهو والد « محمد المهدي » الذي انفلت من كهف الستر وكان في « سلمية - سوريا » واستأنف دور الستر بظهوره في المغرب كخليفة فاطمي ، وارتفاع بيت السلطان وظهور الاعلام الفاطمية وكل هذا الظهور قد اجلى الغمة عن المؤمنين واعاد الطمأنينة الى النفوس .

وجاء ايضاً بالرسائل :

« فصار ذلك سبباً لاختفاء اخوان الصفاء وانقطع دونه خلان الوفاء الى ان يأذن الله بقيام اولهم وثانيهم وثالثهم في الاوقات التي ينبغي لهم القيام بها » .

وفي هذا المقطع ايضاً تظهر اشارة الى عهد الستر وانضواء ثلاثة من الائمة وراء حجابه الكثيف ، مع بيان واف عن انتهاء هذا الدور بظهور اول ائمة دور الستر وهو الامام « محمد المهدي بالله » والثاني وهو « القائم » والثالث وهو « المنصور » وجاء ايضاً بالرسائل :

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٢٤٢
٢) « « « ج ٤ ص ١٩٤

« ويروى عن النبي « صلعم » انه قال : من اخلص العبادة لله اربعين يوماً فتح الله قلبه وشرح صدره واطلق لسانه بالحكمة ولو كان اعجمياً غلفاً . . . »

وجاء بالقرآن الكريم :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » .

وهنا لا بد لنا من ايضاح ناحية هامة تحتل المكان الاول في الاعتقادات الاسماعيلية وهذه الناحية هي تأويل كلمة «اربعين يوماً» التي يدل معناها بالتعريف الاسماعيلي الفلسفي الباطني على الاربعين حداً الذين تتكون منهم الدعوة الأسماعيلية الأمامية في كل عصر وزمان، هذا من جهة ومن جهة ثانية فأن معنى جملة « من اخلص لله العبادة اربعين يوماً فتح الله قلبه وشرح صدره واطلق لسانه بالحكمة ولو كان اعجمياً غلفاً » انه يجب على من يرغب الوصول الى المعرفة التي منها ينبزغ فتح الصدر وشرح القلب واطلاق اللسان بالحكمة والعبادة الفعلية الخالصة لله . . اجل ان على المستجيب الداخل الى فناء الدعوة الفسيح الأنضواء تحت لواء الدعاة الأربعين الذين تتألف منهم الدعوة وان يأخذ عنهم العلوم الامامية الفلسفيّة واحداً بعد الآخر بالترتيب الى تمام الاربعين وعندئذٍ يكون قد وصل الى المعرفة وتفيأ كل العلوم الشرعية والحقيقية والناموسيّة واستظل بظل الهدف المنشود، ومهما يكن من امر فلا بد من الأشارة بأن هذا البيان يؤيد ما ذهب اليه اكثر دعاة الأسماعيلية الذين جاءوا بعد اخوان الصفاء واخذوا عنهم العلوم والقواعد الفلسفيّة ومنهم الداعي الأجل « ابو يعقوب اسحق السجستاني » وقد نرى هذا الداعي الفيلسوف يضع كتاباً في الفلسفة يعتبر فريداً من نوعه ومن اقوم الكتب الباطنية على الاطلاق سمّاه «الينابيع»[1] وقسّمه الى اربعين ينبوعاً كل ينبوع مثلاً على حد من حدود الدعوة الأسماعيلية الأمامية الأربعين .

وجاء ايضاً بالرسائل :

« وقد ذكر الله تعالى نعت هؤلاء القوم في القرآن في آيات كثيرة وأثنى عليهم ومدحهم، ووردت عن النبي عليه السلام اخبار كثيرة في نعتهم وصفتهم وحسن الثناء عليهم » .

١) حقّق هذا الكتاب عارف تامر وضمّه الى كتاب « ثلاث رسائل اسماعيلية » من منشورات المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية — طهران .

ومن ذلك ما روى عنه (صلعم) انه قال :

«لا يزال في هذه الامة اربعون رجلاً من الصالحين على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام».

وجاء ايضاً[1] :

«ويقال ان هؤلاء الاربعين رجلاً اربعة منهم « الابدال »[2] ، وانما سُمّوا الابدال لانهم بدّلوا خلقاً بعد خلق وصفّوا تصفية بعد تصفية وذلك ان هؤلاء الاربعين منتقون من جملة اربعمائة من الزاهدين العارفين المحققين وهؤلاء الاربعمائة منتقون من اربعة الاف من المؤمنين التائبين المخلصين وكلما مضى شخص من الاربعة قام في رتبته شخص من الاربعين واذا مضى شخص من الاربعين قام في رتبته شخص من الاربعمائة واذا مضى شخص من الاربعمائة ارتقى الى منزلته شخص من الاربعة الاف فبلغ مرتبته وقام مقامه ، وكلما مضى شخص من الاربعة الاف ارتقى مكانه بدلاً من واحد من المؤمنين التائبين المخلصين فبلغ درجته وقام مقامه واليهم اشار امير المؤمنين علي عليه السلام بقوله لكميل بن زياد : اولئك الاقلون عدداً الاعظمون عند الله قدراً » .

وجاء ايضاً[3] :

« وذلك ان النبي « صلعم » وعلى آله وسلّم في اول مبعثه ودعوته ابتدأ اولاً — بزوجته خديجة عليها السلام ثم بابن عمه علي عليه السلام ثم بصديقه ابي بكر ثم مالك وابي ذر وصهيب وبلال وسلمان وجبير وبشار وغيرهم حتى التأموا تسعة وثلاثين رجلاً وامرأة ثم دعا رسول الله « صلعم » وآله ان يعز الله عز وجل الاسلام بأحد رجلين اما بأبي جهل او بعمر بن الخطاب فأستجيبت دعوته في عمر وأسلم والتأموا اربعين رجلاً وأظهروا الدعوة » .

كل هذه ادلة وبراهين مؤيدة للاعتقادات الأسماعيليـة التي تنص بأنه لا يمكن لدعوة ما ان تقوم وتظهر للملأ الّا بعد ان يبلغ عدد القائمين عليها الأربعين وفي معنى آخر ان اي نبي من الانبياء لم يتيسّر له القيام بدعوته الّا بعد بلوغه الأربعين من العمر . وقد جاء بالأخبار ايضاً ان الوحي لا يمكن ان يطرق الأنبياء الّا بعد ان يكونوا قد اكملوا الأربعين عاماً ، أمّا الأسماعيلية فتأول هذه الأقوال بقولها ان الوحي لا يطرق النبي وان الدعوة لكل نبي لا يمكن ان تتمّ الّا بعد ان تكمل بأربعين داعياً .

وجاء ايضاً[4] :

١) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ج ١ ص ٢٩٨

٢) الابدال بالتعريف الاسماعيلي هم « الحُرُم » .

٣) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٨٤

٤) « « « ج ٣ ص ١٩٨

« ان الله تعالى هو المبدع وبعده العقل الفعّال وهو جوهر بسيط روحاني ابسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري تعالى علّام بالفعل وبعده النفس الكلية وهي جوهرة بسيطة روحانية علّامة بالقوة فعّالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان فعّالة في الهيولى بالتحريك لها وبعدها الهيولى الأولى وهي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علّامة ولا فعّالة بل قابلة اثار النفس بالزمان منفعلة فيه وبعدها الطبيعة الفاعلة وهي قوة من قوى النفس الكلّية سارية في جميع الأجسام مدبرة لها وتسمى النفوس الجزئية او الملائكة ، وبعدها الجسم المطلق ذو الطول والعرض والعمق وهو الهيولى الثانية وبعدها عالم الأفلاك وبعدها العناصر السفلى كالنار والهواء والماء والأرض وبعدها المعادن والنبات والحيوان » .

وجاء ايضاً[1] :

« فالعقل هو اول موجود اوجده الباري تعالى وأبدعه من غير واسطة ثم اوجد النفس بواسطة العقل ثم اوجد الهيولى وذلك ان العقل جوهر روحاني فاض من الباري عز وجل وهو باقٍ تام كامل والنفس جوهرة روحانية فاضت من العقل وهي باقية تامة غير كاملة والهيولى الأولى جوهر روحاني فاض من النفس وهو باقٍ غير تام ولا كامل » .

هذا هو ترتيب عالم الأبداع لدى اخوان الصفاء كما جاء بالرسائل ويقابل هذا العالم عوالم ثلاث كل واحد منها ممثول للاثنين الآخرين وهم : عالم الأجرام وعالم الأجسام وعالم الدين ، ومهما يكن من شيء فأن جميع دعاة الأسماعيلية الذين دوّنوا الكتب الفلسفية بحثوا هذا الموضوع بحثاً دقيقاً رائعاً وفصّلوه تفصيلاً بديعاً ، واني اؤكد بأنني قرأت بامعان وروية جميع ما تركه المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) ومنصور اليمني ، والقاضي النعمان بن حيون المغربي ، وابو يعقوب السجستاني ، وأحمد حميد الدين الكرماني ، وابو حاتم الرازي ، والنسفي ، وغيره من فلاسفة الأسماعيلية من مؤلفات فلم أجد احداً منهم خالف هذا الترتيب او شذّ عن هذه القواعد ، فاخوان الصفاء قالوا عن الموجود الأول انه العقل الفعّال وأيدهم في ذلك المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) . أمّا الكرماني فقد اطلق عليه اسم العقل الأول وسمّاه السجستاني السابق وقال غيره العقل ، واطلق عليه بعض الدعاة الموجود الاول او الكاف ، امّا النفس الكلية كما سمّاها اخوان الصفاء فقد اطلق عليها الكرماني اسم المنبعث الأول وجاء غيره فقال عنها التالي او اللوح وسماها غيره الموجود الثاني ثم اطلقوا على العقل والنفس (الحدان والأصلان) ، امـا ترتيب عالم

---

[1] رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٨

الأبداع العلوي الاول فقد جعله الكرماني كما يلي :

قال : ان الحد الأول هو الأول في الوجود والسابق في الوجود والتام في الوجود والتام في الوجود والعقل الأول والحد الأول والمبدع الأول، وقال عن الثاني المنبعث الأول او العقل الثاني وقال عن الثالث المنبعث الثاني الأول وهو الهيولى والصورة ثم نرى الكرماني ينتقل ليشرح الموضوع ويفصله فيقول انه يصدر عن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة عالم الطبيعة بأفلاكها وكواكبها وما فيها من الأشياء الكثيرة وعن الملائكة وعالم الطبيعة يصدر الانسان بالنفس والجسم فترجع نفس الانسان الى ما عنه وجدت وهو الملائكة ويرجع جسمه الى ما عنه وجد وهو الهيولى والصورة .

ويقول الكرماني ايضاً ان العقول عشرة وهي مراتب الوجود وان الأبداع والانبعاث الذين يذكرهما ويحلها محل الفيض الـذي يقول فيه افلاطون : فمن الممكن ان نلتمس لها وجه شبه لعله اظهر مـا يكون بين الكرماني وبين اخوان الصفاء ولكن من الظاهر ان القول بالأبداع والأنبعاث وبالمبدع والمنبعث نراه شائعاً في رسائل اخوان الصفاء كما نراه شائعاً في كتاب (راحة العقل) للكرماني ونجد أيضاً ان مذهب الكرماني في وجود العقل الأول على طريق الأنبعاث هو بعينه ما يذهب اليه اخوان الصفاء من ان العقل الفعّال له الأبداع الاول والخلق الاكمل وان النفس الكلية هي الابداع الثاني او المنبعث الاول ولا يختلف اخوان الصفاء عن الكرماني الا في تسمية الحدود كما قلنـا فهم يطلقون على الابداع الاول اسم العقل الفعّال في حين يطلق عليه الكرماني اسم العقل الثاني او المنبعث الأول وليست هي المسألة الوحيدة التي يقع فيها التشابه بين الكرماني وبين اخوان الصفاء وانما هنالـك مسائل اخرى تتصل بمراتب الوجود وترتيب العقول وما يقابلها من ترتيب الأفـلاك والأجرام وحدود عالم الدين وهذه وكثير غيرها من المسائل الفلسفية وما يمتزج بهـا من عقائد الدعوة الأسماعيلية يقع فيه التشابه بين اخوان الصفاء وبين الكرماني، وان هـذا التشابه ليقوى ويأخذ طريقه ويظهر ويتضح الى ان يأخـذ صورة التطابق في الألفاظ والعبارات فضلًا عن لب العقائد وصميم النظريات وذلك بشكل يؤكد لنا معه ان الكرماني لم يكن متأثراً باخوان الصفاء فحسب ولا متفقاً معهم

فيما يذهبون اليه من الآراء والاعتقادات وانما هو يرى رأيهم ويذهب مذهبهم ويسلك سبيلهم ويقلدهم ويصطنع الفاظهم وعباراتهم لأنه يعتبرهم اسياده ومؤسسي دعوته وائمته ولعلنا لو اردنا التطويل لخرجنا عن قاعدة الايجاز وعددنا جميع النقاط والأرقام ولكن يكفي ان نشير الى ما يصطنعه الكرماني في اوائل مشارع كتابه هذا او اواخرها من الفاظ وعبارات هي بالحقيقة من صميم ما يصطنعه اخوان الصفاء في اوائل رسائلهم او اواخرها فهو يقول مثلاً :

« سيكون لحل هذا الرمز عند اصحاب الصنعة . . . ومن يكون اخانا حقاً في الفطنة والذكاء والتأله عبد كبير »[1] .

ويقول :

« والله يجمعنا وجماعة الأخوان المخلصين في دار القدس »[2] .

ويقول :

« وصلى الله على محمد وآله الطاهرين والسلام عليهم اجمعين وعلى جماعة اخواننا التابعين لنا في اعتقادنا »[3] .

وكل هذا ردده اخوان الصفاء :

« اعلم ايها الاخ البار الرحيم »[4] .

« واعلم يا اخي آيدك الله وايانا بروح منه »[5] .

« ووفقك الله وايانا وجميع اخواننا طريق السداد وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد »[6] .

هذا هو ترتيب الحدود العلوية لدى احد كبار الدعوة الأسماعيلية (الكرماني) عرضنا له وغايتنا ان نأتي بالدليل القاطع على اتفاق الكرماني واخوان الصفاء بالنظريات الفلسفية والاعتقادات الدينية وها اننا نورد رأي داع كبير آخر بحث هذا الموضوع واتفق مع اخوان الصفاء واثبت انه من مدرستهم ومن

١) راحة العقل – الكرماني صفحة ٢٤
٢) « « « « ١٢٩
٣) « « « « ٢٢٦
٤) رسائل اخوان الصفاء ج ١ صفحة ٢٣
٥) « « « « « ٣٧
٦) « « « « « ١٠٩

حافظي تعاليمهم وهو « المؤيد في الدين الشيرازي » داعي الدعاة في عهد الامام « المستنصر بالله الفاطمي » اذ يقول في القصيدة الثانية من ديوانه :

« بديع شكرٍ ووسيع حمد لمبدع الكاف الرفيع المجد
أكمله سبحانه اذ ابدعه مبتدعاً واخترع النون معه »

فقال ان الله ابدع الكاف واخترع النون وان من الكاف والنون أقام الله العالم العلوي والعالم السفلي وهذه رموز اسماعيلية لا يدرك اسرارها الّا كل من اطلع على علم الحقيقة . وقال الاسماعيليون ورووا عن النبي (صلعم) انه قال : اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر ثم قال فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً اجل منك بك اثيب وبك اعاقب[١] وهكذا اتفق الفاطميون ودعاتهم مع اخوان الصفا. على القول بان العقل اول الموجودات واخوان الصفا. قالوا : العقل هو اول موجود فاض من وجود الباري[٢] والنفس ترتبت بعد العقل والهيولى بعد النفس والطبيعة بعد الهيولى والجسم بعد الطبيعة وقالوا في موضع آخر : واعلم يا اخي ان العقل انما قبل فيض الباري تعالى وفضائله الذي هو البقاء والتام والكمال دفعة واحدة بلا زمان ولا حركة لقربه من الباري عز وجل وشدة روحانيته فأمّا النفس فأنه لمّا كان وجودها من الباري جلّ ثناؤه بتوسط العقل صارت رتبتها دون العقل[٣] فالكرماني والمؤيد في الدين واخوان الصفا. قالوا بان العقل اول الموجودات وهذا العقل الأول هو الذي اشار اليه الله تعالى (بالقلم) وسمّاه الكرماني (المبدع الأول) او الواجد الذي لا يتقدمه شي. وذلك لأنه الملك المقرب الذي اخبرت عنه السنة الالهية والشريعة النبوية بالقلم[٤] وقال المؤيد في الدين داعي الدعاة : « والقلم اول نور سطع ابداعاً من المبدع سبحانه[٥] وبذلك سبب تهكم المؤيد في الدين على من قال ان القلم من مادة معدنية او نباتية واذا رجعنا الى

١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠
٢) رسائل اخوان الصفاء طبعة الهند ج ٣ ص ٤
٣) « « « ج ٣ ص ٦
٤) راحة العقل ، الكرماني ص ٢٨٢
٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠٩

رأي الفارابي في القلم نراه قريباً من رأي الاسماعيلية اذ كان يرى ان القلم واللوح من الملائكة الروحانية .

وقال ايضاً :

« لا تظن ان القلم آلة جمادية واللوح بسط مسطح والكتابة نقش مرقوم بل القلم ملك روحاني واللوح ملك روحاني[1] اذن فان القلم او العقل الكلي او المبدع الاول هو اول المبدعات في رأي بعض دعاة الفاطميين وهو الذي سمي ايضاً في الدعوة باسم السابق وهو اعلى الحدود مكانة كما ذكرنا من قبل وكما قال اخوان الصفاء :

« والى الخمسة الفاضلة من الملائكة اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : «حدثني جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح عن القلم »[2] .

وها اننا ندخل الداعي الأجل «ابو يعقوب السجستاني» بالمناقشة ونشركه بالبحث فلنستمع اليه يفصل لنا آراءه بالحدود العلوية[3] قال :

«ثم العقل اذ ان الباري تعالى لم يوجد في اول الخلقة غير العقل وحصر في جوهره صور المبدعات كلها ويضاف الى العقل اسم (القلم) لان بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء الى الانتهاء. ويقال للعقل « العرش » اي انه مقر لمن جلس عليه وبجلوسه عليه تعرف جلالته عن من هو منحط دونه ويقال للعقل « الاول » ومعناه ان الأولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل ما هو موجود وما هو مطبوع عليه غيره في اظهار قوته التي من اجلها ايس ذلك الشيء. ويقال للعقل ايضاً السابق ومعناه ان العقل أسبق تقبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحادها به وهي العلم والأمر الذين هما بمعنى واحد قد يجوز ان العقل فعله سبق قوته ولم توجد هذه الفضيلة في أيس سواه لأن جميع الحدود من دونه قواتهم سابقة افعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً ويقال (للعقل) (القضاء) على ان بالعقل تقتضي النفس ادراك المعلومات والظفر بالمطلوبات ويجوز على ان العقل هو قضاء الله عز وجل بين خلقه ويقال للعقل

---

١) رسالة نصوص الحكم للفارابي طبع ليدن ص ١٨٩٠

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٢٢

٣) رسالة « تحفة المستجيبين » ج ٣ ص ١٤٨ هذه الرسالة ضمت الى كتاب (خمس رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر .

ايضاً الهيولى فمعناه ان بالعقل قوام ما ينبجس من الصور المستفادة ويقال للعقل (الشمس) ومعناه ان بالعقل تبصر الحقائق .

ثم ان النفس وهي الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول وانما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للاستفادة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة ويقال للنفس (اللوح) فمعناه ان الذي انفطر من العقل من انوار الحكمة يتسطر في النفس ومن النفس يتصل بجريانها المنبعثة منها على مقدار صفاتها ولطاقتها ويقال للنفس (الملك) ومعنى ذلك ان النفس هي ملك العقل وقيته لان بالنفس ظهرت فضيلة العقل كما ان بالملك تظهر فضيلة الملك ويقال للنفس (الثاني) فمعناه انها الحال الثاني لجميع المخلوقين ومحافظتهم أشياءهم انما تفضيل النفس بين كل شيء ليكون للسلوك وللمنطق عبارة ويقال للنفس التالي فمعناه ان الذي يتلو العقل في باب قبول آثار الكلمة انما هي النفس ويجوز على أن النفس بقوتها تتلو العقل بفعله ويقال للنفس (القدر) فمعناه ان الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل فان التقدير والتحديد محيطان به ويقال للنفس (الصورة) ومعنى ذلك ان النفس تصورت من جوهر العقل الذي به تقف على فوائده ويقال للنفس (القمر) فمعناه ان النفس تستفيد من أنوار العقل وضيائه وانها متى همّت ان تلحق به لتنزل منزلته محق نورها كما ان القمر يستفيد نوره من نور الشمس واذا اجتمع في المنزلة محقت نوره ويقال للعقل والنفس بكلمة واحدة « الأصلان » . »

ما عسانا نقول في اخوان الصفاء بعد هذه المقابلة ؟ او يبقى هنالك مجال الشك باسماعيليتهم ؟ وهل بعد ايراد هذه البينات الاكيدة الدامغة والمقابلات العلمية الثابتة ريب بأنهم ليسوا من الأسماعيلية ؟ الأسماعيلية التي كان اخوان الصفاء دعائم قوتها ومؤسسيها ، ولكل من جاء بعدهم من الدعاة الذين نهلوا من منهلهم وساروا على غرارهم وسموا للوصول الى الهدف الذي يجمعهم بهم والاستظلال بظل فلسفتهم ؟ ونعود الآن لنذكر ناحية ثانية تزيد الموضوع توضيحاً وتأكيداً وهي نظرية التأويل الباطني بالنسبة للفاطميين واخوان الصفاء .

فقد جاء المؤيد في الدين داعي دعاة الامام المستنصر بالله الفاطمي يقول[1] :

---

(١) المجالس المؤيدية ج ١ مجلس ١٦

« اعلم يا اخي ان لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهرًا وباطنًا فظواهر الأمور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وقد سأل الامام جعفر الصادق عن الحاجة الى اتخاذ الباطن في الحجب والعدول بها عن طريق الايضاح والاظهار فأجاب : هي الحاجة الى اتخاذ الحب في اغطية السنابل والثمار في الأغشية ليوم لاستخلاصها ذوو البصائر والأبصار فبيّن الله سبحانه فضل المجتهدين على المقصرين والمجاهدين على القاعدين وقد نظم المؤيد قول جعفر بقوله :

« وربَّ معنى ضمّه كلام	كمثل نور ضمّه ظلام
باقٍ ببقاء الحب في السنابل	في معقل من احرز العاقل»

وقال مشيرًا الى الامام :

يستخلص الأرواح من ظلامها	ويخرج الثمار من أكمامها

وجاء أيضاً[1] :

« ان الباري سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهرًا جليًّا لا يخفى وبعضها باطنًا خفيًّا لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجليّة جواهر الاجسام واعراضها ومن الموجودات الباطنية الخفيّة جواهر النفوس وحالاتها ومن الموجودات الظاهرة الجليّة للحواس ايضًا امور الدنيا ومن الموجودات الباطنية الخفية عن أكثر العقول امور الآخرة ثم جعل ما كان منها ظاهرًا جليًّا دليلًا على الباطن الخفي » .

وجاء أيضاً[2] :

« واعلم يا اخي بأن لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهرًا وباطنًا وظواهر الأمور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وان الناموس هو أحد الأشياء الموجودة في هذا العالم منذ كان الناس وله احكام وحدود ظاهرة بيّنة يعلمها اهل الشريعة وعلماء احكامها من الخاص والعام ولأحكامه وحدوده اسرار وبواطن لا يعرفها الا الخواص منهم والراسخون في العلم » .

من المعلوم لدى كل متعمق ببحث العقائد الاسماعيلية وفلسفتها وتعاليمها ان هذه المجموعة الاسماعيلية الفلسفية تعتنق فكرة الرئيس الروحي أو الامام الذي تعتبر وجوده ضروريًا في كل عصر وزمان لينطق بالقرآن ويقوم بالوعظ والارشاد والفصل بالقضايا والاحكام ، وهذه رسائل اخوان الصفاء جاءت في اكثر من موضع تثبت هذا الاعتقاد .

١) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٧٨
٢) « « « « ٢٥٥

وجاء ايضاً[1] :

« واعلم انه ما من جماعة تجتمع على امر من امور الدين والدنيا وتريد ان يجري امرها على السداد وتكون سيرتها على الرشاد الا ولا بد لها من رئيس برأسها ليجمع شملها ويحفظ نظام امرها ويراعي تصرف احوالها ويروم على الانتشار جماعتها ويمنع من الفساد صلاحها وذلك ان الرئيس ايضاً لا بد له من اصل عليها يبني عليه امره ويحكم به بينهم وعلى ذلك الامر يحفظ نظامهم ونحن قد رضينا بالرئيس على جماعة اخواننا والحكم بيننا العقل الذي جعله الله تعالى رئيساً على الفضلاء من خلقه الذين هم تحت الأمر والنهي » .

ان العقل الفعّال يشكّل بالاعتقادات الاسماعيلية الموجود الاول ويقابله في عالم الدين الناطق ويشكّل الامام مركز النفس الكليّة او المنبعث الاول وان الناطق يظل محافظاً على هذا المركز وقائماً فيه الى حين موته وعندئذٍ ينتقل هذا المنصب الى الوصي صاحب المركز الثاني بوجود الناطق ، وهنا نرى اخوان الصفاء يدعون الى هذا الاعتقاد بهذا الامام أو هذا الرئيس الذي يمثل بوظيفة العقل .

وجاء الداعي الاسماعيلي اليمني « الحسين بن علي بن الوليد » في رسالته (المبدأ والمعاد) يؤيد هذا الإعتقاد بقوله[2] :

« يجب ان يعتقد ان النبي محمد « صلعم » افضل عقول عالم الطبيعة واشرف عالم الطبيعة واشرف حدود عالم الدين وان المعجزات التي كان يظهرها امير المؤمنين هي من تأييد العقل الأول له وانها لم تصل اليه الا بوساطة النبي وسادته له لأنه حده ومطمه ورقيه الى تلك المرتبة ومستخلفه بعده في امته وهو حجته في حياته وكانت رتبة النبي رتبة العقل السابق في وقته ورتبة امير المؤمنين في الدين رتبة الانبعاث الاول في عالمه والنبي مثل الذكر في الدين وأمير المؤمنين معه مثل الأنثى القابلة منه والنبي مثل السماء وأمير المؤمنين معه مثل الأرض ، فلما انتقل النبي « صلعم » صار امير المؤمنين بعده قائماً في عالم الدين مقام العقل الأول وحجته مقام المنبعث الأول. والذي يجب ان يعتقد انه قد صار النبي وأمير المؤمنين في منزلة واحدة لا فضل لأحد منهما على الآخر بل قد تساويا كما قال النبي : « انا وانت يا علي كهاتين » وجمع بين اصبعيه المسبحتين في يديه اليمنى واليسرى وقال لا اقول كهاتين وجمع بين المسبحة والوسطى وقد سبقت احداهما الأخرى فمن اعتقد في احدهما انه افضل من الآخر فقد غلا فيه وقصّر في الثاني فلا تعتقد الّا هذا » .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ١٨١

٢) رسالة المبدأ والمعاد ص ٣٦ ، حقق هذه الرسالة عارف تامر وضمّها الى كتاب (ثلاث رسائل اسماعيلية) من منشورات المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية الاسلامية بطهران

وجاء أيضاً[1] :

« واعلم بأن الناس اشخاص لهذا الانسان المطلق وهو الذي اشرنا اليه انه خليفة الله في ارضه منذ يوم خلق آدم ابو البشر الى يوم القيامة الكبرى وهي النفس الكلية الانسانية الموجودة في كل اشخاص الناس كما ذكر جل ثناؤه بقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » واعلم يا اخي ايدك الله بروح منه بأن هذا الانسان المطلق الذي قلنا هو خليفة الله في ارضه وهو مطبوع على قبول جميع الأخلاق البشرية وجميع العلوم الانسانية والصنائع الحكمية هو موجود في كل وقت وزمان » .

هذه اشارة تؤكد ان هذا الرئيس المطلق الذي هو الامام له مقام في عالم الدين كمقام النفس الكلية التي تقبل صور الموجودات والصنائع الحكمية في عالم الابداع وان هذا الرئيس المطلق يقوم بوظيفة العقل الفعّال بعد زوال الناطق من عالم الكون والفساد ، وعلى رأي اخوان الصفاء ان صاحب هذا المركز موجود في كل عصر وزمان كما هو الحال لدى الاسماعيلية .

وجاء أيضاً[2] :

« فهكذا ينبغي لمن حصلت عنده هذه الرسائل والرسالة لا يضيعها بوضعها في غير اهلها وبذلها لمن يرغب فيها ولا يطلبها بمنعها عن مستحقها وصرفها عن مستوجبها . . . الخ » .

هنا اشارة الى الرسائل التي تؤلف أربعة أجزاء والى الرسالة الجامعة وقد يكون هذا البيان أبلغ وأوضح مقال نوجهه لكل من يقول ان الرسالة الجامعة هي من وضع « المجريطي » .

وجاء أيضاً[3] :

« وهذه الرسالة ايها الأخ الفاضل ادام الله تأييدك يجب لك وعليك ان تصونها كل الصيانة فانها امانة مؤداة اليك وانت المطالب بحفظها وصيانتها الا عن اهلها وانا آخذ عليك فيها عهد الله المأخوذ على اول مبدع ابدعه وجعله اصلاً لخلقه » .

هذه دعوة الى الستر والتقية التي تقول فيها الاسماعيلية ، والى التأكيد بالمحافظة على الرسالة « الجامعة » والمطالبة بعدم تسربها الى الاعداء . في ذلك العهد الشديد ، وان قضية كتم أسرار الكتب الاسماعيلية العقائدية الا عن

١) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٢٣٦ .
٢) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٢٠
٣) الرسالة الجامعة ج ١ ص ١٢

مستحقيها كانت من أهم الواجبات الدينية، والحقيقة اني لم أعثر على رسالة أو كتاب اسماعيلي الّا وفيه التحذير وأخذ العهد والميثاق على قرائه من أبناء الدعوة بعدم التفريط به وأباحة أسراره وأذاعة أخباره .

وجاء أيضاً[1] :

« وقد قلنا لك في رسالة كيفية الدعوة ان لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا ولا يطلعها الناس الّا من قبلنا ولا يتعلم قراءتها الّا من علّمناه ولا يعرف صور حروفها الّا من عرّفناه وهي صور الموجودات بما عليه الآن ظاهرة للحواس مرئية للناس وهي آيات بيّنات هم عنها معرضون فيها حركات الأفلاك الدائرات والكواكب السيارات واركان الأمهات وفنون اشكال النبات وعجائب هياكل الحيوانات ولنا علم لا يشاركنا فيه غيرنا ولا يفهمه سوانا وهو معرفة جواهر النفوس ومراتب انتقالاتها واستيلاء بعضها على بعض وسريان قواها وتأثيرات افعالها في الأجرام العالية السماوية والأجساد السفلية الأرضية والأركان والأمهات والحيوان والنبات وعالم الانسانية والاشخاص البشرية وما يوجد فيهم من الطبقات ومراتبهم في الدرجات من الانبياء والحكماء والملوك والرؤساء وأتباعهم وغيرهم ممن دونهم حتى ينتهي الى آخر طبقات الناس وقد اتخذنا لكل طائفة من طوائف الامم « الذين عنتهم دعوة الانبياء عليهم السلام» قوماً يدعونهم الى رأينا «ويدلون علينا ويعرّفونهم بقدومنا » ويعدونهم بظهور امرنا وخروج « مهدينا » وقيام قيامتنا وطلوع شمسنا وخروجنا من كهفنا فاذا كان كذلك فيجب الآن ان نأخذ في بناء المدينة التي تضم شملنا وتجمع جملتنا وتتخذها دارنا ونجعل فيها قرارنا ومن استجاب الينا وطرا بامرنا علينا وقد وصفنا حالك وعرفناك كيفية بناءها ولكن نكشف لك هنا عن حقيقة ذلك لتعلمه بيّناً ان شاء الله » .

انّ اخوان الصفاء في هذا الفصل يكشفون الستار الى حد ما عن أمر يشكل ناحية هامة باعتقاداتهم الامامية كقولهم : « ان لهم كتباً لا يمكن حلّ رموزها الصعبة أو الوصول الى معرفتها الا بواسطة اخوان الصفاء أنفسهم الذين هم المعلمين والرؤساء لهذه الدعوة ، وأن على كل من يرغب بدراسة شؤون دعوتهم دراسة تامة أن يدرك بأن الاسماعيلية دعوة مرتبة ترتيباً دقيقاً لا يعرفها الّا من استجاب لها وبشّر بها، ثم نراهم أخيراً وبهذا الفصل تماماً ينتهون الى التبشير بامامهم المنتظر كعادتهم مخاطبين اتباعهم « أهل الخير » بامر (مهديهم) الذي هو (محمد المهدي بالله) آخر الائمة المستورين ، وهذا المهدي قد خرج من

---

١) الرسالة الجامعة ج ٢ ص ٣٧١

كهف الستر والتقية في « سلمية - سوريا » التي شهدت استتار ثلاثة أئمة قبل المهدي وهم عبدالله وأحمد والحسين ، وأن المهدي هذا قد ذهب الى المغرب ليؤسس الدولة الفاطمية (والمغرب) بنظر اخوان الصفاء هي (المدينة الفاضلة) او مدينة (أهل الخير) ، وهنا لا بد لنا من القول بان اخوان الصفـاء كما يظهر واضحاً جلياً كانوا يمهدون السبيل لبناء دولتهم الفاطمية بناء متيناً راسخاً وتأسيس دعائمها وسن دستورها على أحسن نظم وأمتن قواعد .

وجاء أيضاً[1] :

« واعلم ان الله لم يقدر للسادس من رسله ان يكون له من عقبه ولد ذكر لصلبه يرث مقامه وينوب في الأمة من بعده منابه ولم يكن له ولد يخلفه من بعده ومات اولاده في حياته فسقطوا عن مرتبته والترقي الى امره بالموت الطبيعي وكانت المنزلة مقدرة لمن قدرها الله تعالى له من اولاده في الدين الظاهر وهو اول المسارعين الى دعوته وكانت له ابنة من بعده فيما جاء من الخبر اربعين يوماً ثم انتقلت الى ما اعده الله تعالى لها من الكرامة والمنزلة ولحقت بابيها عليه السلام ، كذلك السابع قدر له ان يكون له ولد ولكنه لا يبلغ منزلته ولا يرتقي الى درجته وهو ثامن فيكون المولود فيه ساقطاً عن مرتبة البلاغ كذلك ما دامت ايام الشهر حتى يعود في مكان التاسع فيكون الوضع وتمام الخلقة وكون النشأة الثانية فتبين هذا الأمر وقف على حقيقة هذا السر » .

هنا نرى اخوان الصفاء يتكلمون عن الناطق السادس محمد (صلعم) مشيرين الى الخمسة نطقاء الذين سبقوه وهم : ادم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى . ثم يبينون ان هذا الناطق السادس قد رزق جملة اولاد من الجسمانيين ولكنهم ماتوا في حياته ولكنه رزق اخيراً بنتاً هي فاطمة وقد زوجت الى ولد له روحاني كان قد استجاب لدعوته قبل الجميع والمقصود بهذا الولد « علي بن ابي طالب » ثم ان البنت بعد وفاته بأربعين ليلة قد لحقت به وهذا دليل كما قلنا على انها حينما تسلمت وزوجها مركز والدها بعد وفاته شرعت بترتيب الدعوة وعندما اتمت ترتيبها وجعلتها مؤلفة من اربعين حداً تركت هذه الدنيا ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فالمقصود بالسابع الامام « القائم » الذي يأتي بآخر الدور ليتمم البناء الذي قام ببنائه النطقاء الستة الذين جاءوا قبله ، وهذا القائم

---

١) الرسالة الجامعة ج ٤ ص ٣٦٧

لا يرث دعوته ولده الذي هو صاحب الرتبة الثامنة بل يموت هذا الولد وتسقط عنه رتبة البلاغ وتكون القوة الفعالة للتاسع الذي يأتي بعده وهو صاحب النشأة الثانية .

وجاء أيضاً[1] :

« قال الله تعالى : حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة يعني بذلك الناطق السابع صاحب الكشف القائم من هذا الوجه اذا بلغ اشده واكتمل امره وأتى اليه الجميع عندما يظهر بالقوة والفعل معاً ويبلغ الأربعين عاماً يعني يتيسر له اربعين حدًا وهي التي تظهر مع قائم الزمان لذكره السلام ولا بد لكل ناطق دور من اربعين حدًا على التمام كما قال الله تعالى عن موسى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتمّ ميقات ربه اربعين يوماً فهذه هي الجزئيات واما الأربعين سنة فهي عجائب المراتب العالية والدرجات الشاملة وهم رفقاء الإمام الجليل صلوات الله عليهم اجمعين ، ونعود الى الكلام عن المعنى في قوله : « حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال : ربي اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وان اعمل صالحًا ترضاه واصلح في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين » .

فمعنى قوله : اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى . والديّ يعني من الأصلين الأولين المحضين المشرقين المتصلين بالكاف والنون وهي النعمة الابدية السرمدية المتصلة بنفس هذه الصورة الألفية وان اعمل صالحًا ترضاه هو بتسليمي امري لصاحب الرتبة القائم مقامه بعده وقال اني تبت اليك واني من المسلمين يعني بذلك اني اتصلت اليك بالوسائط الروحانية والصورة الحقيقية التي تعود بها النفس الى ربها راضية مرضية واني من المسلمين اي سلمت مقاليد الحكمة المستورة الى اهلها الذين هم قائمين بها وحافظين لأسرارها الكاتبين الذين يعفون الظاهر عن النفوس الباطنة وما تصوّر في ذاتها فهو منقوش بها شاهدتها في جوهريتها لأنهم أصحاب الملأ الأعلى والذوات المنكرة عندهم ذات واحدة مجموعة في وسط اللوح المحفوظ والجميع كان من قلم الله الأعظم والقوة الأزلية ظاهرة عنه متحدة بالجوهر البسيط ومشرقة على اللوح المحفوظ بالعناية الالهية والقدرة الربانية اشراقاً بالقوة فاذا انتقشت باللوح صار تاماً بالفعل .

هذا الفصل جاء بكتاب فلسفي من كتب الدعوة الاسماعيلية وهو لداعٍ

(1) الرسالة الكافية = ص ٩٤ ضمّت هذه الرسالة الى كتاب « خمس رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .

اسماعيلي كبير ويظهر ان جميع ما جاء فيه لا يخرج عما جاء برسائل اخوان الصفاء وجامعتهم وخاصة ما كان متعلقاً بالحدود الاربعين المذكورين ووجودهم ومراكزهم .

وننتقل بعد كل هذا الى بحث التأويل الباطني في رسائل اخوان الصفاء ونسبته الى الاعتقادات الاسماعيلية فنقول :

يبدو جلياً وواضحاً ان علم التأويل يحتل المركز الرئيسي الهام في رسائل اخوان الصفاء وفي الفلسفة الاسماعيلية ويعتبر من الدعائم المتينة التي ترتكز عليها معتقداتها أو على الاصح من العلوم الفلسفية العميقة ذات الاثر الفكري البارز التي كثيراً ما تتطلب الدراسة المتواصلة والاجتهاد المستمر للوصول الى كنه الاشياء والوقوف على الاصول المجردة ، فكلمة تأويل بمعناها اللغوي هي كما جاء بمعاجم اللغة وخاصة « المحيط » الذي يفسرها هكذا :

« أوّل الكلام تأويلاً وتأوّله اي دبّره وقدّره وفسّره » . او هي علم باطن القرآن والاستدلال بالمحسوسات على المعقولات ونظرية موازنة الشرح للمعقول ، وهذا العلم اقتصرت معرفته والتكلم عن اصوله وفروعه على الراسخين بالعلم الذين هم « الائمة » الموصوفون بورثة الانبياء وأصحاب الشجرة الكونية الثابتة الأصلة ، وقد جاء بالحديث عن هؤلاء ما معناه قولهم : ان للقرآن الكريم تأويلاً باطنياً لا يمكن ان يصل الى معرفته او ينهل من نبعه الا من وصل الى معرفة ناحية الاشياء ووقف على علم الحقيقة التي اتى بها النبي محمد « صلعم » وأهل بيته وذلك بدليل الآية القرآنية الكريمة « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم » وقد جاء بالكتب الاسماعيلية ايضاً ان الظاهر هو المثل والباطن هو الممثول ، وقالوا ان الانسان مثل والنفس ممثول والدنيا مثل والآخرة ممثول وان هذه الاعلام التي خلقها الله تعالى وجعلها قوائم الحياة من شمس وقمر ونجوم لها ذوات قائمة تحل منها محل المثل وان قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الامثال . ومها يكن من أمر فان هنالك معان مستترة تحت الالفاظ وأمور محجوبة وراء حجب كثيفة لا يجوز المرور بها مرور الكرام في قوام الدين وخلاصة عقيدة النجاة لأن الباري الكريم سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لا يخفى وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس فن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الاجسام واعراضها ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالاتها واليك ما جاء برسائل اخوان الصفاء في هذا العلم[1] .

واعلم يا اخي ان من حج بقلب ساه ونفس لاهية بلا علم ولا بصيرة ورأى تلك المناسك

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٢ ص ١٢٠

لا يرث دعوته ولده الذي هو صاحب الرتبة الثامنة بل يموت هذا الولد وتسقط عنه رتبة البلاغ وتكون القوة الفعالـة للتاسع الذي يأتي بعده وهو صاحب النشأة الثانية .

وجاء أيضاً[1] :

« قال الله تعالى : حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة يعني بذلك الناطق السابع صاحب الكشف القائم من هذا الوجه اذا بلغ اشده واكتمل امره واتى اليه الجميع عندما يظهر بالقوة والفعل معاً ويبلغ الاربعين عاماً يعني يتيسر له اربعين حـداً وهي التي تظهر مع قائم الزمان لذكره السلام ولا بد لكل ناطق دور من اربعين حداً على التمام كما قال الله تعالى عن موسى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين يوماً فهـذه هي الجزئيات واما الاربعين سنة فهي حجاب المراتب العالية والدرجات الشاملة وهم رفقـاء الإمم الجليل صلوات الله عليهم اجمعين ، ونعود الى الكلام عن المعنى في قوله : « حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال : ربي اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليَّ وعلى والدي وان اعمل صالحاً ترضاه واصلح في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين » .

فمعنى قوله : اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليَّ وعلى والديَّ يعني من الأصلين الأولين المحضين المشرقين المتصلين بالكاف والنون وهي النعمة الابدية السرمدية المتصلة بنفس هذه الصورة الألفية وان اعمل صالحاً ترضاه هو بتسليمي امري لصاحب الرتبة القائم مقامه بعده وقال اني تبت اليك واني من المسلمين يعني بذلك اني اتصلت اليك بالوسائط الروحانية والصورة الحقيقية التي تعود بها النفس الى ربها راضية مرضية واني من المسلمين اي سلمت مقاليـد الحكمة المستورة الى اهلها الذين هم قائمين بها وحافظين لأسرارهـا الكاتبين الذين يخفون الظاهر عن النفوس الباطنة وما تصوّر في ذاتها فهو منقوش بمـا شاهدتها في جوهريتها لأنهم أصحاب الملأ الأعلى والذوات المنكرة عندهم ذات واحدة مجموعة في وسط اللوح المحفوظ والجميع كائن من قلم الله الأعظم والقوة الأزلية ظاهرة عنه متحدة بالجوهر البسيط ومشرقـة على اللوح المحفوظ بالعناية الالهية والقدرة الربانية اشراقاً بالقوة فاذا انتقشت باللوح صار تاماً بالفعل .

هذا الفصل جاء بكتاب فلسفي من كتب الدعوة الاسماعيلية وهو لداع

---

[1] الرسالة الكافية = ص ٩٤ ضمت هذه الرسالة الى كتاب « خمس رسائل اسماعيلية» تحقيق عارف تامر .

اسماعيلي كبير ويظهر ان جميع ما جاء فيه لا يخرج عما جاء برسائل اخوان الصفاء وجامعتهم وخاصة ما كان متعلقاً بالحدود الاربعين المذكورين ووجودهم ومراكزهم .

وننتقل بعد كل هذا الى بحث التأويل الباطني في رسائل اخوان الصفاء ونسبته الى الاعتقادات الاسماعيلية فنقول :

يبدو جلياً وواضحاً ان علم التأويل يحتل المركز الرئيسي الهام في رسائل اخوان الصفاء وفي الفلسفة الاسماعيلية ويعتبر من الدعائم المتينة التي ترتكز عليها معتقداتها أو على الاصح من العلوم الفلسفية العميقة ذات الاثر الفكري البارز التي كثيراً ما تتطلب الدراسة المتواصلة والاجتهاد المستمر للوصول الى كنه الاشياء والوقوف على الاصول المجردة ، فكلمة تأويل بمناها اللغوي هي كما جاء بمعاجم اللغة وخاصة « المحيط » الذي يفسرها هكذا :

« أوّل الكلام تأويلاً وتأوّله اي دبّره وقدّره وفسّره » . او هي علم باطن القرآن والاستدلال بالمحسوسات على المعقولات ونظرية موازنة الشرح للمعقول ، وهذا العلم اقتصرت معرفته والتكلم عن اصوله وفروعه على الراسخين بالعلم الذين هم « الائمة » الموصوفون بورثة الانبياء وأصحاب الشجرة الكونية الثابتة الأصيلة ، وقد جاء بالحديث عن هؤلاء ما معناه قولهم : ان للقرآن الكريم تأويلاً باطنياً لا يمكن ان يصل الى معرفته او ينهل من نبعه الا من توصل الى معرفة ماهية الاشياء ووقف على علم الحقيقة التي اتى بها النبي محمد « صلعم » وأهل بيته وذلك بدليل الآية القرآنية الكريمة « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم » وقد جاء بالكتب الاسماعيلية ايضاً إن الظاهر هو المثل والباطن هو الممثول ، وقالوا ان الانسان مثل والنفس ممثول والدنيا مثل والآخرة ممثول وان هذه الاعلام التي خلقها الله تعالى وجعلها قوائم الحياة من شمس وقمر ونجوم لهاذوات قائمة تحل منها محل المثل وان قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الامثال . ومها يكن من أمر فان هنالك معان مستترة تحت الالفاظ وأمور محجوبة وراء حجب كثيفة لا يجوز المرور بها مرور الكرام في قوام الدين وخلاصة عقيدة النجاة لان الباري الكريم سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لا يخفى وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس فن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الاجسام واعراضها ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالاتها واليك ما جاء برسائل اخوان الصفاء في هذا العلم[1] .

واعلم يا اخي ان من حجّ بقلب ساه ونفس لاهية بلا علم ولا بصيرة ورأى تلك المناسك

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٢٠

وسننها ولم يعقل معانيها ولا درى ما الغرض منها ولا عرف شيئاً من اغراضها المقصورة جها رجع من هناك بقلب غافل ونفس شاكة وفكر متحير لأنه متى رآها ولم يدر معانيها ولا عرف اغراضها تخيل له عند ذلك انها كلعب الصبيان من رمي الحصى والسعي بين الصفا والمروة والأحرام والتلبية والطواف والعمرة وما شاكلها من السنن والفرائض » .

الاعتقادات الاسماعيلية جاءت جميعها تقول ان كل ظاهر له باطن ولا يمكن لظاهر ان يكون بلا باطن وان اخوان الصفاء هنا عندما يأتون على ذكر أركان الحج يقولون ان لها استدلالات باطنية لا يفهمها الّا من رضع لبان الدعوة ونأتي الآن على تفسير جزء منها والقاء نظرة عابرة عليها فمثلاً نراهم يقولون عند لمس الحجر انهما يمثول العهد والميثاق واستلامها كالبيعة التي يقوم بها المؤمن المستجيب لأمام زمانه او رئيس دعوته الروحية ، والآذان في الحج تأويله دعوة الامام أو حجته المستجيبين الى الدخول بدعوته والاستظلال بظلّها ، والامامة مثل على الناطق والحج حجّان حجُ ظاهر وحجّ باطن ، فاما الظاهر فهو المعروف من الخروج الى مكة وتأدية ما وجب معها من مناسك الحج من مفروضها ومسنونها والباطن من الحج على وجهين احدهما الهجرة من الوطن الى وطن الرسول في عصرها مع معرفة صاحبها ، والوجه الثاني في الباطن هو معرفة الأمام في كل عصر وزمان .

والمتعارف عليه ان الطواف بالبيت سبعة اشواط والسعي بين الصفاء والمروة سبع مرات ورمي كل عقبة من عقبات الجمار بسبع حصيات كل هذا بيّن معروف والذي نذكره من ذلك ممّا نحتاج الى معرفته ان الحاج المتمتع بالعمرة الى الحج والقارن لها يقف في سبعة مواضع ، ويحرم من ميقات ويطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويخرج الى مُنى ويقف بعرفات ويفيض الى مزدلفة ويمر على العقاب ليرمي الجمار ، ومنه ايضاً أن الحاج اذا أحرم كان ممنوعاً من سبعة أشياء من الصيد والجماع والجدال ولبس مخيط الثياب وأخذ الشعر وتقليم الاظفار واستعمال الطيب،وأما السنن الاثنى عشر فانه يحرم بعقب صلاة مكتوبة أو نافلة ويتجرد من مخيط الثياب فيلبس احرامين ولا يغطي رأسه ولا وجهه ويهلل بالتلبية والاهلال وفع الصوت ويقول الأربع كلمات التي قالها رسول الله (صلعم) فهي سنة وما زاد على ذلك فهو مباح والأربع كلمات : لبيك اللهم

لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك . فاذا رأى بيوت مكة قطع التلبية وكبّر وهلّل ويدخل من باب بني شيبة ويكون أول فعلة تقبيل الحجر ويكون طوافه عن الجانب الأيمن والبيت عن يساره ويستلم الركن كلما مرّ به واستلامه تقبيله أو وضع اليد عليه أو الأشارة اليه ويفيض عليه من ماء بئر زمزم ويشرب منها ويطوف من وراء الحجر ولا يدخله .

هذه اراء اخوان الصفاء وخلان الوفاء بالتأويل الباطني عرضنا اليها بايجاز وقابلناها مع التأويل الأسماعيلي الذي لا يختلف عن آراء اخوان الصفاء فحسب بل يتفق معهم اتفاقاً قد يبدو تاماً لا غبار عليه .

ولنستمع بعد ذلك الى رأي أخوان الصفاء في الخلافة وما يقولون بحق (علي بن أبي طالب) وهم يرمزون في هذه القصة الى الحوادث التي وقعت بعد وفاة النبي محمد (صلعم) ويذكرون كيف أبعد (عليّ) عن الخلافة ؟ وكيف ولي غيره بدون حق وقد ضمّنوا القصة رموزاً يجب الانتباه اليها وكلها آراء اسماعيلية لا شك فيها ولا ريب .

وهذا ما جاء[1] :

« مثل الغربان والبزاة فيما قيل من امثال الهند ان الغربان كان عليهم ملك منهم وكان بهم رحيماً واليهم محسناً وان ذلك الغراب مات واختلفوا من جهة من يملكونه عليهم من بعده وتحاسدوا وخافوا ان تقع بينهم العداوة فقال بعضهم لبعض تعالوا نجتهد في الرأي ونجمع العلماء وأهل الفضل فينا ونعقد مجلساً للمشاورة في من يصلح لهذا الأمر وفي من ينبغي ان يكون ملكاً علينا فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا لا نرضىَ بأحد من اهل الملك الذي كان فينا مخافة ان يتعقد ويظن انما الملك انما ناله وارثاً من ابيه واقاربه فيرينا سوء العذاب واذا كنا نحن نتولى اقامة من نقيمه كنا نحن اصحاب المنة عليه والاحسان اليه ، قال احدهم واذا كان الأمر على هذا فعليكم بأهل الورع والدين فأن صاحب الورع والدين لا يكاد يهجم على الأمور الدنيوية ولا يرغب في الدنيا .

« فقالوا له : كيف لنا بذلك ؟ فقال لهم : طوفوا واطلبوا من هذه صفته فأنكم ان تظفروا به قدموه وكان بالقرب منهم باز قد كبر وخرف وضعفت قوته عن الصيد وانحلّ جسمه وتناثر ريشه من قلة المعيشة وتعذر القوة فبلغه خبر الغربان وما اجمعوا عليه فبرز من

---

[1] رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٣

وكره الى حيث يحرم عليه واقبل يكثر التهليل والتسبيح ويظهر التخضع والتورع فأقبلت الطيور تطير على رأسه فلا يولع بها ولا يثني اليها فلما رأته الغربان على تلك الحال ظنوا انه يفعل ذلك صلاحاً وديانة فاجتمع بعضهم الى بعض وقالوا ما نرى في جماعة الطيور مثل هذا البازي وما هو عليه من الديانة والزهد فهلمّوا بنا نولّه علينا، فأتوا اليه واخبروه فيما عزموا عليه فانقبض من ذلك وأرام من نفسه الزهادة فيما عزموا عليه فلم يزالوا به حتى قبل منهم فصار خليفةً فيهم وملكاً عليهم فقال في نفسه كنتم تحذرون من البلاء وما اراه الا وقد وقع بكم فلمّا تمكن منهم وقوي عليهم بما كانوا يأتون من الرزق ويعملون له من الآجرة على ذلك قوي جسمه ونبت ريشه وعادت اليه صحته اقبل يخرج كل يوم عدة من الغربان فيخرج عيونها ويأكل ادمغتها ويطرح ما سوى ذلك من أجسادها فأقام فيها مدة فلما دنت وفاته اعتمد على بعض ابناء جنسه فملكه عليهم فكان اشد منه واعظم بليّة وأكبر رزيه فقالت الغربان بعضها لبعض بئس ما صنعنا بأنفسنا وقد اخطأنا فندموا من حيث لم تنفعهم الندامة وكان ذلك بسبب الخلف والمنازعة » .

ولنذكر أيضاً قصةً ثانية وردت في رسائل أخوان الصفا. وفيها رموز تدل على حوادث معينة معروفة وقعت بعد محمد (صلعم) وهذه هي[1] :

« ان ثعالب خرجت في طلبها ما تأكل فرأت عجلاً ميتاً ففرحت به وقلن قد وجدن ما نعيش به دهراً فمرّ بهن ذئب فقلن هذا ذئب قد جاءنا وهو قوي امين . . . وقال لهم ستجدون ما تحبون وتولّى وقسّم في ذلك اليوم بعض ذلك الجمل بينهم بالعدل فلما كان الليل تفكّر في نفسه فقال ان في قسمة هذا الجمل عجزاً وسخافة رأي .

« فلمّا كان مع الغداة اتته جماعة الثعالب وقلن يا ابا جعدة انّا جعلناك اميراً علينا حتى لا يظلم بعضنا بعضاً وعدلت بيننا في اول ولايتك ثم اتيناك امس فوضعت اليه النصف مما دفعت في اليوم الأول واغلظت القول علينا فرفعن الى الأسد وجعلنا له الجمل جعلاً واغتاظ الأسد وامرها ان تسير بين يديه فأتوه فوجدوه باركاً على جثة الجمل فقبض الأسد عليه فقطّعه قطعة قطعة ومزّقه » .

وجاء أيضاً[2] :

« والذين هم بغير هذه الصفة من الأنبياء والأئمة والتابعين لهم بالاحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم خلفاء الله تعالى التابعون لامره وبهم صلاح العالم وربما كانوا ظاهرين بالعيان موجودين بالمكان في دور الكشف وبالضد من ذلك في دور الستر غير انهم في دور الستر لا يكونوا مفقودي الوجه جملة من اعدائهم فأمّا اولياؤهم فيعرفون مواضعهم ومن اراد منهم قصدهم تمكن منه ولو كان غير ذلك كان

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٥

٢) رسائل الصفاء ج ٤ ص ٤٠٦

منه خلو الزمان منه الامام الذي هو حجة الله على خلقه وهو تعالى لا يرفع حجتـه ولا يقطع الحبل المـدود بينه وبين عباده فهم اوتاد الله وهم الخلفاء بالحقيقة في الـدورين جميعاً ، ففي دور الكشف يظهر ملكهم في الأجسام والأرواح وفي دور السـتر يجري امرهم في الأنفس والعقول واصحاب المملكة العقلية والخلافة الجسمانية » .

ان اخوان الصفاء هنا أيضاً يعرّفون اتبـاعهم بدوري الكشف والسـتر ، ونراهم أيضاً يرغبونهم بان فعل الامام في دور السـتر لا يقـل عن فعله في دور الكشف فلا مجال لليأس من دورهم السـتري الذي كانوا موجودين فيه فإن فعله قائم في النفوس والعقول ومن كان فعله قائماً في هاتين القوتين فانه يكون أقوى كثيراً ممن يكون قائماً في عالم الجسد .

وجاء أيضاً[1] :

« وقد ذكرت الحكماء ان العلم موجود قائم بسبعة اشخاص فاضلة كائنة في سبعة اوقات يظهر مع كل واحد منهم من روح القدس ما يكون به الاخبار عن الأشياء كلها وان كل واحد منهم اذا ظهر في زمانه أقام لابلاغ رسالته وبيان موعظته وتعليم آياته وصفات معجزاته اثني عشر رجلاً من اجلة اصحابه واقاربه وأهل بيته ليبلغوا عنه ما ارسل به الى امته ويعينوه على اظهار دعوته ثم ينبث كل واحد منهم رجال عدة لا يحصي عددهم الا الله عزّ وجـل كما ينبث منه فعل روحانيات الكواكب السبعة في الاثني عشر برجاً من الملائكة والجنود مـا يبدو عنهم ومنهم من الأفعال والأعمال والأقوال والتسبيح والتقديس والتهليـل والتكبير والعبادة وما يحدث من القوى السبعة الموجودة في الجسم الانساني وما يخرج من انفاسه من النفث وما يبدو من حواسه واعماله وما يترتب من صنائعه وكلامه والفاظه عـا لا يعلمه الّا الله تعالى وما يتكوّن في الأقاليم السبعة والجزائر الاثني عشر لذلك الشخص الزماني موجود بسبعة ايام واثني عشر شهراً والسنة جامعة لها وما يتفرع منها من الساعات والدقائق والدرجات مما يعرفه اصحاب النجوم ولا يخفى على اهل العلم . وكذلك الرئيس السابع الآتي في آخر الزمان سيد (اخوان الصفاء) هو المحيط بعلوم من تقدمه من الرؤساء الستة صلوات الله عليهم وبظهوره يكون ظهور السعادات كلها » .

ان هذا النص يزخر بالتعاليم الفلسفية الأسماعيلية وبالحقيقـة انه يعبر عن حقائق ثابتة لهذه الفلسفة الباطنية ، فانني لم أطلع على كتاب من كتب الدعوة الاسماعيلية الّا ورأيت هذه التعاليم تتوجّه وتزيّن صفحاته وتحتل المكان البارز فيه ، وهذه التعاليم تقول بأن عالم الدين او الدعوة الاسماعيلية الامامية تقوم على اثني عشر داع كل داع يرأس جزيرة وعدد هـذه الجزر اثني عشر كعدد

---

(١) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٦٣٢

بروج السماء او كعدد اضلاع الانسان أو كعدد الثقوب الموجودة في الجسم أو كالاثني عشر شهرًا الذين تتألف منهم السنة أو كالاثني عشر ساعة التي يتألف منها الليل والنهار وكل هذا مطابقاً لما جاء بالآية الكريمة القائلة :« وضرب موسى بعصاه الارض فتفجر منها اثني عشر عيناً ...) الخ . . . ثم ان العدد السابع واليه تنتسب الاسماعيلية التي عرفت بانها الفرقة (السبعية)ومن جهة اخرى يمكننا التأكيد ان كلمة سابع تطبّق فلسفيًا كما يلي[1] :

قالوا :« ان الله سبحانه وتعالى خلق الكون بستة ايام ثم استوى على العرش باليوم السابع، وان عدد السموات سبع والكواكب النيرات سبع والأقاليم الارضية سبع، والبحار سبع ، كما وان للنفس الكلية سبع نفوس جزئية ثم سبع قوى روحانية كما وان الموجودات التي تتألف منها دعائم الطبيعة عددهم سبع وان ايام الاسبوع سبع وعدد الأنبياء الناطقين بالرسالات ستة وقائمهم سبع وأسسهم ستة واساس القائم يكون المجموع سبع ، وان الادراكات العقلية مقسمة الى سبع وفي جسم الانسان سبع جواهر يقابلها سبع قوى مستورة عليها قوام الجسم وان اركان الدين الاسلامي قامت على سبع ايضاً » .

ولنسمع الى رأي الداعي الاجل «الحسين بن علي بن الوليد» يفصّل مراتب الدعوة فيقول[2] :

« وأقام هذا الشخص الفاضل » اي الامام « بحضرته اثني عشر شخصاً هم حجج الليل وهم افضل السبعة والعشرون منهم اربعة يسمون « الحُرُم» وهم افضل من الثانية ومن الاربعة واحد هو افضلهم وهو « الباب » لذلك المقام الكريم ونصب بين يديه مع داعيه في جزيرته مكاسرًا ومأذونًا مطلقاً وداعياً محصورًا وهذه المراتب محفوظة لا تنقطع مع كل ناطق في دوره ووصي في عصره وامام في زمانه » .

وننتقل بعد ايراد هذا البيان لنتكلم عن أهم رسالة في رسائل اخوان الصفاء . ولا بد من الاشارة والقول بان ما جاء فيها من الرموز والاشارات والتعابير كان على لسان الحيوانات وقد مرّت مرور الكرام على كل الذين عالجوا موضوع رسائل اخوان الصفاء . فلم نرى أحدًا منهم فسّرها لنا أو ذكر الغاية من وضعها ونعني بهذه الرسالة رسالة « الحيوانات » فقد جاء فيها ما يلي[3] :

---

١) راجع مقدمة « اربع رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .

٢) رسالة المبدأ والمعاد ص ٣٢

٣) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٤٤٧

« وكذلك فعلت الأمة الضالة والفئة الطاغية والعصبة الباغية من ائمة الضلال الداعية الى النار متوا اولياء الله وأهل بيت صفوته الـذين اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا ان يسموا في الأرض بالصلاح العـام والنفع التام بما استذلوهم به من الذلة والهوان وألجموهم عن النطق بالحكمة والكلام بما فيه صلاح الأمة بالخوف الذي لحقهم والامتحان الذي شملهم منهم كما تلجم البهائم بلجم الحديد الثقال والأرسان لتقاد حيث مـا قيدت وتمتنع من الكلام بما ارادت فهي تشكو الى ربها الظالم بسرائرها بقلوب نقية وأرواح سليمة ونيّات جميلة عسى ان يرحمها ويفرج عنها ويزيل كربها ويسمع دعاءها وينصفها ويأخذ لها بحقها ممن ظلمها وتعدّى عليها وهو ولي اجابتها وسموتها ونصرتها اذا قام قائمها وانتبه نائمهـا الذي طال نومه صبرًا واحتسـابًا على ما ناله في جنب الله وطاعته حتى يأذن له ربه ويؤيده بملائكته فعند ذلك يقوم فيأخذ بحقه وينجز له وعده ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا ويفك البهائم الأسيرة والأشخاص الذليلة من أسر العبودية وقيـد الملكة ورق الذل ويحمل الذين اهانوهم في مثل ما كانوا فيـه جزاء بما كانوا يعملون ويحق الله الحق بكلماته ويظهر دعوة اخوان الصفاء وخلان الوفاء ويجمع شملهم بظهور النفس الزكيـة والروح الطاهرة المطمئنة فعند ذلك يطهّر الله الارض من انجاس الجاهلية » .

وجاء أيضاً :

« الحيوان ملزوم بخدمة الانسان طوعًا وكرهًا فهو متصرف فيه وحاكم عليـه لتصرف العالم العلوي في العالم السفلي » .

يظهر من هذا الفصل ان اخوان الصفاء يقرون بالفلسفة القـائلة بان العالم العلوي يتحكم في العـالم السفلي ، وأن تمثوله هو تحكم الانسـان بالحيوان وتحكم أهل الظاهر باهل الباطن وتحكم أهل الشر باهل الخير وهذا جميعـه مطابق لما قاله أحد فلاسفة الاسماعيلية :

« منذ بدء الخليقة وبعد وفاة آدم سيد البشر تشاجر ولديه على مملكتـه فكان الاول هابيل ويمثل « الخير » والثاني قابيل ويمثـل « الشر » فتشاجر الخير والشر فكان ان صرع الشر الخير وهكذا ظل مصروعاً وسيظل الى انتهاء الدور وابتـداء دور الكشف وظهور قائم الزمان وقد جاء ورسائل اخوان الصفاء ما يثبت هـذا القول عن الجن فذكر انهم منقسمين الى قسمين محمودين ومذمومين، فالمحمودين هم اصحاب العلوم العقلية والآراء الفلسفية والمذاهب البرهانية وهم الحكماء الالهيون والعلماء الربانيون وهم الـذين آمنوا بالرسل المبعوثين من الانس واستجابوا للنطقاء المؤيدين بالوحي وامـا المذمومون فهم المفسدون للشرائع المعطلون لأحكامها الناكثون عن موجباتها وجاء ايضاً ما يؤيد هـذا القول ويثبت ان الحيوانات هم مثل على اهل الدعوة المأسورين : وهذا هو القول :

« البهائم الأليفة هي الأسيرة في ايدي اصحاب الرأي والقياس والعمل والالتباس التي ليس بأيديها حول ولا طول كالغنم والبقر وما شاكلها » .

مضافاً الى ذلك أن اخوان الصفاء يقولون أن اهل الظاهر هم قوم بعيدون عن العلم والحكمة ويذكرون انهم تمكسوا باتباع اهل بيت الرسول المطهرين وألجموهم عن النطق بالحكمة والعلم ولقد يقولون انه قد طال الوقت على ستر الامام لذلك فأن المؤمنين الذين يطلقون اخوان الصفاء عليهم اسم الحيوانات الاليفة قد رفعوا صوتهم عالياً بالدعاء لله ان يفرج عنهم بظهور الامام الذي يأخذ الحق ويفك البهائم من الاسر ثم يحل أعدائهم مكانهم وعندئذٍ تظهر دعوة اخوان الصفاء ويقوم رئيس مدينة أهل الخير (الامام) وتتطهّر الارض من الجاهلية .

ولقد جاء برسائل اخوان الصفاء ما يثبت ذلك :

« الأنس طائفة منهم اصحاب ظواهر الشرائع الفاغون فيها الرياء وطائفة منهم اصحاب الحقائق العقلية والديانات الشرعية النبوية » .

وجاء أيضاً :

« الجن فرقتين الفرقة المحمودة الطائعة لربها المنقادة لأمر خالقها المسبحة بالليل والنهار، اما المذمومون فهم الشياطين العاصين » .

وجاء أيضاً :

« عند بدء الخليقة توالدت ابناء بني آدم ثم سخروا الأنعام والبقر والغنم ... الخ وظل الأمر الى ان جاء محمد « صلعم » فأجابه طائفة من الجن وحسن اسلامها » .

هذا اعتراف صريح بان الجن هم أهل الدعوة المؤمنين الاخيار الفضلاء. وهذه الآية الكريمة تؤيد ذلك : (وما خلقت الانس والجن الّا ليعبدوني) .

وجاء أيضاً[1] :

« ثم انه وليّ على بني الجان ملك في جزيرة « صاغون» الى ان جاء مركب الى الساحل فخرج من فيه الى الجزيرة افرادها متآلفة بعضها مستأنسة غير متنافرة وهؤلاء القوم استوطنوا تلك الأرض واعجبوا بما فيها ثم انهم اخذوا يتعرضون للبهائم ولتلك الانعام يسخرونها ليركبوها ويحملوا عليها الثقالم فنفرت منهم وهربت وذهبت الى ملك الجن فشكت اليه فارسل ملك الجن اليهم رسولاً ودعاهم الى حضرته فذهب اهل المركب وعددهم سبعين من بلدان شتى ثم اوصلهم الى مجلسه بعد ثلاثة ايام فقال لهم لماذا جئتم الى جزيرتنا

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٢ « رسالة الحيوان » .

بدون دعوة ؟ فقال قائل منهم : سمعنا الكثير من الفضائل والمناقب فجئنا ليسمع كلامنا ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين المنكرين ثم بدأت المحاكمة بينهم » .

جزيرة « صاغون » على حد تعبير واعتقاد اخوان الصفا. هي مدينة « اهل الخير » التي ردد اخوان الصفا. ذكرهـا أكثر من مرة ، والبحر في التأويل الاسماعيلي الباطني هو العلم الامامي الحقيقي والسفينة هي الدعوة الامامية سواء اكانت ظاهرة أو مستورة وركاب السفينة هم أهل هذه الدعوة وقد جاء أن عددهم حينما غادروا بلدتهم وجاءوا الى صاغون سبعون رجلاً وهذا معناه ان هذه السفينة ضمت ممثلين عن الفرق الاسلامية الثلاثة والسبعين فرقة المذكورة بالحديث النبوي الشيق القائل :« ستنقسم أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة اثنتين وسبعين هالكة وواحدة ناجية » وبالحقيقة فأن أهل هذه السفينة عندما تاهوا في البحر وتقاذفتهم الامواج الصاخبة أي عندما ضلوا عن اتباع طريق الهدى والحق وتقاذفتهم امواج الضلال ومتهم الاقدار بجزيرة صاغون وهي مدينة (اهل الخير) او (البلدة الفاضلة) فوجدوا فيها على حد تعبيرهم كل شيء على ما يرام وان اهالي هذه الجزيرة نفروا منهم لانهم مؤمنون وهم ضالون وذهبوا الى ملك الجن وملك الجن هو رئيس مدينتهم وسيد اخوان الصفاء فعرضوا الامر عليه وطلبوا اخراج أصحاب السفينة الضالة الذين أفسدوا عليهم حياتهم وتحكموا فيهم فطلبهم رئيس المدينة وعندما جاءوا اليه لم يسمح لهم بالدخول الّا بعد ثلاثة ايام ومعنى ذلك أنه لم يسمح لهم بالدخول الّا بعد أن انضمت اليهم الفرق الثلاثة من المسلمين تحقيقاً لمضمون الحديث المذكور وعندئذ بدأت المحاكمة بينهم وبين المؤمنين أصحاب مدينة (أهل الخير) اي الفرقة الناجية.

وجاء أيضاً[1] :

« قال صاحب المزيعة ارأيتم ان عجزت هذه البهائم عن مقاومة الانس في الخطاب لقصورها عن الفصاحة والبيان واستظهرت الأنس عليها بذرابة السنتها وجودة عبارتها وفصاحتها ، اترى ان تبقى هذه البهائم اسيرة في ايديهم ليسوموها سوء العذاب دائماً قال لا ولكن تصير هذه البهائم في الأسر والعبودية الى ان ينقضي دور القران ويستأنف نشوء آخر ويأتي الله لها بالفرج والخلاص كما نجّى آل اسرائيل من عذاب فرعون وكما نجّى آل

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٩٨

داود من عذاب بخت نصر وكما نجى آل حمير من عـذاب آل تبع وكما نجى آل ساسان من عذاب اليونان وكما نجى آل عمران من عذاب ازدشير .

« فأن ايام هذه الدنيا دول بين اهلها تدور بأذن الله تعالى وسابق علمه ونفاذ مشيئته بموجبات احكام القرانات والأدوار في كل الف سنة مرة او في كل اثني عشر الف سنة كل او في كل ستة وثلاثين الف سنة مرة ، او في كل ثلاثمائة الف وستين الف سنة مرة او في مرة يوم مقداره خمسين الف سنة مرة فأعلم جميع ذلك » .

هذا المقطع جاء في آخر المحاكمة وفيه ان صاحب الفزعة ملك الجن او رئيس الدعوة أو الحاكم أو الامام عندما رأى أن الانس وهم جماعة (أهل الظاهر) المخالفين للدعوة (الامامية) بذرابة السنتهم وجودة عبارتهم وفصاحتهم قد تمكنوا من التغلب على المؤمنين الطائعين أهل المدينة الفاضلة حكم أن يبقى المؤمنون تحت حكم هؤلاء أي أن لا تقوم لهم دولة ما حتى يبزغ النشوء بظهور قائم الزمان كما جاء بالقرآن الكريم :

« يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين .

« ففي التأويل الأسماعيلي ان السماء هي الشريعة العائدة للناطق ، وتأويل الآية انه عند ظهور « القائم » السابع ستطوى جميع الشرائع وعددهم عدد السموات اي ستة شرائع وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد كما يطوى السجل ويضيف اليهم شريعته السابعة التي تلغي جميع ما قبلها وعندئذٍ يبدأ عهد جديد كما كان في اول بدء الخليقة » .

وبمعنى آخر :

« يوم تمر الجبال كمر السحاب

« فالجبال بالتأويل الأسماعيلي هم الدعاة ومرورهم هنا معناه يوم ظهور القائم السابع فيمرون لتبشير بظهوره كما يمر السحاب » .

وجاء أيضاً[1] :

« فقالت الجماعة حينئذٍ : صواباً ما رأيت ونعم ما أشرت فأرسلوا ستة انفار الى ستة اجناس من الحيوان وسابعها كانوا هم حضوراً من البهائم والانعام منها رسولاً الى الحشرات ورسولاً الى الطيور ورسولاً الى السباع ورسولاً الى الجوارح ورسولاً الى الهوام ورسولاً الى حيوان الماء » .

الرسل هنا على حد تعبير اخوان الصفاء هم النطقاء اصحاب الشرائع الذين

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٢٠٢

جاء كل واحد منهم الى فرقة من البشر يبلغهم القوانين الالهية وهذا بالتأكيد لأن عددهم هنا حدّد بستة .

وجاء أيضاً[1] :

« ثم ان الملك نظر الى جماعة الأنس وهم وقوف نحو اثنين وسبعين رجلاً مختلفي الألوان » .

وهذا دليل قاطع على أن هؤلاء الجماعة هم الفرق الاسلامية التي اختلفت بعد النبي (صلعم) وعددهم اثنين وسبعين والفرقة الناجية من اتباع الملك فصار عددهم ثلاثة وسبعين .

واخيراً هذا ما اتسع له المجال الآن من ايراد المصادر التاريخية والبيانات العلمية والفلسفية التي جاءت جميعها تؤكد علاقة اخوان الصفاء وخلان الوفاء بالاسماعيلية واعتبارهم من المؤسسين لهذه الدعوة الفلسفية ذات الرسالة الكبرى والحضارة العظمى ومها يكن من شيء فإننا لو أردنا زيادة البيانات والاتيان على جميع ما جاء برسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة وجامعة الجامعة حول هذا الموضوع اذن لطال البحث وخرج عن نطاقه المألوف وشكله الهام كبحث موجز وصار كتاباً جامعاً وهذا ما سوف نعمل على تحقيقه في المستقبل القريب باذن الله . . والله من وراء القصد .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٢٤٩

البراهين التقليدية على وجود الله

في الاسلام [1]

بقلم ماجد فخري

ظهرت سنة ١٩٣٦ دراسة هامة للبراهين الاسلامية على وجود الله للعلامة ونسنك Wensinck [2]. ولولا صدور بعض المصنّفات التي لم يتيّض للعلامة الكبير الاطّلاع عليها، منذ ذلك التاريخ، لما تجرّأنا أن نقدم على تحرير هذه الدراسة الجديدة.

ينبغي أن يمهّد الباحث، عندنا، للفحص عن الادلة على وجود الله بمعالجة القضية التالية: هل التدليل على وجود الله ممكن أصلاً؟ ونحن نجد كبار المؤلفين المدرسيين في العصور الوسطى كالقديس توما (١٢٢٥ — ١٢٧٤) يستهلون براهينهم على وجود الله بمعالجة هذه المسألة [3]. ومع أن ونسنك قد طرق بعض وجوه مشكلة المعرفة في كتابه المشهور: (العقيدة الاسلامية، (Muslim Creed) فهو لا يتعرّض لهذه المسألة في الدراسة المشار اليها، إلا بصورة عابرة، وذلك في معرض حديثه عن موقف الغزالي من مشكلة التدليل على وجود الله. ولكن هذه المسألة تستحق، كما يتراءى لنا، فوق ما أولاها المؤلف من العناية في تلك الاشارة المقتضبة.

يثير ابن رشد († ١١٩٨) في مقالتي: فصل المقال والكشف عن مناهج الادلة) هذه القضية ويعالجها معالجة مسهبة. أما في المقالة الاولى فهو يعرض لها من خلال مشكلة أوسع، وهي: هل يتّفق الاسلوب البرهاني العقلي مع اسلوب الشرع النقلي؟ ويجيب على ذلك بالإيجاب. اذ « إن كان فعل الفلسفة

---

١) ظهر هذا المقال بالانكليزية في مجلة « العالم الاسلامي » (*Muslim World*) الاميركية عدد نيسان ١٩٥٧، وقد تصرّفنا بعض الشيء في نقله الى العربية.

٢) Les preuves de l'existence de Dieu dans la Théologie Musulmane, في *Mededeelingen der Konink. Akademie van Wetenschappen*, Deel 81, serie A, n° 2, Amsterdam, 1936.

٣) راجع الخلاصة اللاهوتية، المسألة الاولى *(Ia Pars)*.

ليس شيئاً اكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أعني من جهة ما هي مصنوعات... فالشرع قد دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلّب معرفتها به» – كما يقول مؤلفنا في مطلع تلك المقالة. وهو يؤيد ذلك بطائفة من الآيات القرآنية. وعندما يعرض لمعالجة هذه القضية ثانية في مطلع (الكشف)، نراه يميّز بين ثلاثة «طرق» من شأنها أن تفضي الى اثبات وجود الصانع: أولاً: طريق الحشوية الذين ذهبوا الى أن معرفة وجود الله تثبت بالسمع لا بالعقل: أي أن الإيمان به يكفي، وأن ذلك مما لا شأن للعقل فيه[1]. ثانياً: طريق الأشعرية (وهو طريق المعتزلة ايضاً) الذين اقرّوا بامكان التدليل على وجود الله بالعقل وبنوا دليلهم، كما سنرى، على احدى مقدمتين: مقدمة الحدوث أو مقدمة الجواز[2]. ثالثاً: الصوفية و«طرقهم في النظر ليست طرقاً نظرية... وانما يزعمون أن المعرفة بالله وبغيره من الموجودات شيء يلقى في النفس عند تجريدها من العوارض الشهوانية واقبالها بالفكرة على المطلوب»[3] – كما يقول ابن رشد. إلا أن هذه الطريقة، وان صح وجودها، «فليست عامة للناس بما هم ناس» بل هي وقف على فئة قليلة منهم.

لم يكن ابن رشد أول من تطرّق الى هذه الناحية المنهجية لمشكلة وجود الله من فلاسفة الاسلام ومتكلميه؟ اذ نحن نجد في (كتاب أصول الدين)[4] للبغدادي († ١٠٣٧) معالجة وافية لهذه المشكلة، لعلها أقدم معالجة من نوعها. إلا أنه لا يستبعد أن يكون البغدادي إحدى الحلقات في سلسلة التطور الفكري الذي استحدثه معتزلة القرن التاسع، كما يتبيّن من تطرّقهم الى عدة مسائل تجريدية: كمسألة المعاني والعلم وسواهما[5]. ولكن من الغريب حقّاً أن أبا بكر الباقلاني († ١٠١٣) الذي يعزى اليه الفضل في تهذيب اساليب الكلام يكاد لا

١) راجع الكشف عن مناهج الأدلة، في فلسفة ابن رشد، القاهرة مطبعة الرحمانية. ل. ت. ص ٣١.

٢) ويعزو الدليل الاخير الى ابي المعالي (الجويني) المتوفي ١٠٨٦ – ص ٤٠.

٣) راجع الكشف ص ٤٤.

٤) راجع هذا الكتاب، اسطنبول ١٩٢٨ ص ٤ – ٣٢.

٥) راجع مقالات الاسلاميين للاشعري، اسطنبول ١٩٣٠ ص ٢٧٢ و٣٩١ و٤٧١ الخ.

يلم بهذا الموضوع في مطلع (كتاب التمهيد) إلا الماماً عابراً .

لذلك كان الفصل الاول من كتاب (أصول الدين) ذا شأن خاص ؛ في فهم نظرة المتكلمين المسلمين الى مشكلة المعرفة (أو العلم) . وليس يوسعنا أن نسهب هنا في بسط البغدادي لمشكلة العلم واقسامه وشروطه ، الخ ، بسطاً يذكرنا ببعض المدارس الفلسفية الحديثة . ولكن يجدر بنا أن نلاحظ أن البغدادي يصف المعرفة اليقينية بالمعرفة العقلية ، مورداً على ذلك كشواهد معرفة حدث العالم وقدم صانعه ووحدته وصفاته وعدله وحكمته وجواز التكليف[1] . واذ يتطرق الى المباحث التي يدور عليها العلم ، يفيدنا أن الاشاعرة (اصحابنا) ذهبوا الى أن العقل قادر على اثبات حدث العالم ووحدة صانعه وعلى جواز ما يجوز وامتناع نقيضه ، مردفاً قوله : أن التكاليف الدينية ، مع ذلك ، لا تجب بالعقل بل بالسمع فقط[2] — فلم يكن المرء مستحقاً للثواب أو العقاب على معرفته تلك بالصانع ؟ . وهو قول انكره المعتزلة الذين ذهبوا الى أن الانسان قادر على معرفة الخير والشر قبل ورود السمع ، وأنه يثاب ويعاقب على تلك المعرفة[3] . ورغم هذا الخلاف الفرعي حول صلة المعرفة بالتكليف ، فكلا المعتزلة والاشاعرة اتفقوا — كما رأينا من رواية ابن رشد — على امكان معرفة الله بالعقل .

أما قبل قيام المعتزلة الذين استهلوا هذا التيار الفكري الذي يعرف بعلم الكلام في الاسلام ، فلم تكن البرهنة على وجود الله وسواها من المسائل اللاهوتية العقلية مقدورة طبعاً . فالفقهاء الأول اشباه مالك بن انس (٧٩٥+) واتباعه انما اكتفوا بالمعرفة القائمة على الكتاب والسنة . فلم تكن حالهم في ذلك لتختلف عن حال الصوفية الذين ذهبوا الى أن الله يعرف مباشرة بالكشف . وهكذا فلم يكن للتدليل على وجود الله عند الصوفية اولئك والحشوية هؤلاء ضرورة قط : اذ كان وجود الله يعرف مباشرة ، إن بتصفح الكتاب عند أولاء ، أو بالكشف الصوفي عند اولئك .

٥

---

١) الاصول ص ١٤ .

٢) ينسب الشهرستاني في (نهاية الاقدام) هذا القول الى ابي الحسن الأشعري نفسه (٩٣٥+) — راجع ص ٣٧١ . ٣) راجع الشهرستاني (الملل والنحل) ص ٣١ و (الاصول) أعلاه .

اذا صحّ اعتبار الدليل السببي (argument cosmologique) الذي وضعه ارسطو وبسطه أصحابه خلال العصور اللاحقة الدليلَ الكلاسيكي على وجود الله في الغرب ، فما لا مراء فيه أن دليل الحدوث ، ودليل الجواز ، المتصل به هما الدليلان التقليديان على وجود الله في الاسلام . فالدليل الارسطوي الذي يرتكز على مبدأ السببية لم يكتب له الرواج في العالم الاسلامي ، حتى عند كبار المشائين العرب كابن سينا (+ ١٠٣٧) وابن رشد (+ ١١٩٨). فالأول توفّر على (دليل الجواز) ، توفّرًا كان له أثره في مذاهب المتكلمين اللاحقين كفخر الدين الرازي (+ ١٢٠٩)[1] ، بينا اختار الثاني (دليل العناية) ، الذي نبّه اليه الكتاب ، عنده ، لأنه اقرب الى مدارك الجمهور من الأدلة الأخرى[2].

ولعلّ أهمّ العوامل التي دعت الى التجاوز عن (الدليل السببي) ونبذه هو أن مبدأ السببية الذي يدور عليه هذا الدليل لم يكن من القضايا المسلّمة في أوساط المتكلمين ، لما أثير حوله من الشبهات التي ترقى الى اوائل عهد المسلمين بالكلام. فالغزالي (+ ١١١١) في نقضه المشهور لمبدأ السببية في (التهافت) (المسألة ١٧) ، انما يجمل الحجج التي درج المتكلمون على ايرادها على ذلك المبدأ . وفي كتاب (اصول الدين) المشار اليه اعلاه ابطال للسببية يشبه من نواحي عدة ابطال الغزالي في التهافت[3] . من هنا يتضح لنا غرابة قول ونسنك أن دليل الحدوث (argument a novitate mundi) شبيه بالدليل الارسطوي التوماني المبني على مبدأ الحركة وعلى السبب الفاعل (ex parte motus et ex ratione causae efficientis)[4] — فالدليل الارسطوي يفترض التمييز الميتافيزيكي الأصلي بين القوة والفعل ، الذي أنكره المتكلمون كذلك واستعاضوا عنه بثنائية الجوهر والعرض . أضف الى ذلك أن قيام هذا الدليل مستقلّ عن صحة مقدمة حدوث العالم أو فسادها (كما رأى كلا القديس توما وموسى بن ميمون (+ ١٢٠٤) —

١) يأخذ ابن رشد على ابن سينا تأثره بالمتكلمين في هذا الباب وليس العكس — الكشف ص ٤١ الخ . وواضح أن ذلك لا يناقض قولنا اعلاه .

٢) الكشف ، ص ٤٥ .

٣) الاصول ، ص ١٣٧ .

٤) المثال المذكور — ص ٢٦—٢٧ . والدليلان المذكوران أعلاه هما الدليلان الاولان من أدلة القديس توما الخمسة . .

وهي المقدمة التي بني المتكلمون عليها دليلهم ، كما سنرى . بل على العكس، فالدليل السببي على وجود المتحرك الذي لا يتحرك ، انما ينبثق انبثاقاً منطقياً وطبيعياً عند أرسطو عن مذهبه في أزلية الحركة في عالم أزلي[1] . والدليل التقليدي الذي أخذ به المتكلمون يستند على مقدمة تشدد عليها (كتب الاصول)، تشديداً عظيماً : هي مقدمة الحدوث . وتلك علة اقدام المتكلمين على ابطال القول بقدم العالم بضراوة شديدة. فابن حزم الأندلسي الفقيه والمتكلم الظاهري، المتوفي سنة ١٠٦٤، يتخذه أساساً للتمييز بين الفرق الناجية والفرق الهالكة من المسلمين وسواهم . ويكرّس الغزالي — كما هو معروف — السؤال الأول من كتاب تهافت الفلاسفة للردّ على القائلين بقدم العالم ، وهي أدهى المسائل التي يأخذها على الفلاسفة ، عنده .

أما اثبات المتكلمين لحدوث العالم ، فقد كان يدور على اثبات أن العالم ، الذي عرّفوه بقولهم أنه كل ما عدا الله، مركّب من الجواهر والاعراض، وكلاهما حادث ، لأن الاعراض يستحيل أن تبقى زمانين عندهم ، بل يخلقها الله دوماً ويفنيها كما يشاء . ويعرّف الباقلاني الاعراض بقوله : « انها التي لا يصح بقاؤها . . . وتبطل في ثاني حال وجودها »[2] — ناسجاً في ذلك ولا شك على غرار الأشعري . كذلك الاجزاء التي لا تتجزأ (وهي الجواهر) يخلقها الله دوماً ، فاذا أراد بقاءها خلق فيها عرض البقاء . ولما كان هذا العرض ، شبه سائر الاعراض الأخرى ، يفنى من حينه ، كان عالم الجواهر والأعراض في حال دائمة من الكون والفساد[3] .

ومع أن اثبات حدوث العالم بناء على حدوث اجزائه هو الدليل الذي اختاره عامة المتكلمين ، فهو لم يكن دليلهم الوحيد . ومن المؤسف حقاً أنه ليس بوسعنا الوقوف على أساليب المعتزلة في هذا الباب ، لضآلة ما وصلنا من مؤلفاتهم . إلا أن ثمة أدلة تشير الى أن الأشعري وأصحابه إنما اقتبسوا

---

١) عرضت لهذه المسألة بالتطويل في مقال عنوانه : أزلية العالم عند ابن رشد وابن ميمون والأكويني ، ظهر بالانكليزية في مجلة *le Muséon* البلجيكية ، سنة ١٩٥٣ ، ص ١٣٩ الخ .

٢) التمهيد ، القاهرة ١٩٤٧ ص ٤٢ ٣) راجع المشرق ٤٧ ، ١٩٥٣ ص ١٥١–١٧٢

أساليبهم البرهانيـــة عامة عن المعتزلة . ولعلّ ابن حزم الأندلسي هو أقدم المتكلمين الذين وصلنا تفنيدهم لأزلية العالم وتدليلهم على حدوثه . فهو يورد خمسة أدلة على حدوث العالم في كتاب الفِصَل في الملل والأهواء والنحل [١] ، يشبه بعضها الحجج التي ترد في رسالة للكندي († ٨٧٠؟) موسومة في(وحدانية الله وتناهي جرم الكون). وقد يكون الأشعري قد سبق ابن حزم الى بعض هذه الأدلة ايضاً : فابن عساكر († ٥٧١ هـ.) يروي في تبيين كذب المفتري أن الأشعري صنّف رسالة عنوانها (كتاب الفصول) في الرد على الدهرية والفلاسفة الذين قالوا بقدم العالم [٢] . ولعل هذه الرسالة أقدم رسالة كلامية عرض مؤلفها الى مسألة قدم العالم . ورغم قول الشهرستاني أن الأشعري اختـار أسلوب الابطـال السلبي ، عوضاً عن اسلوب الاثبات الإيجابي ، فيحق لنا أن نفترض أنه أشفع الأسلوب السلبي بالاسلوب الايجابي ، شيمة عدد من المتكلمين اضراب ابن حزم وفخر الدين الرازي وسواهما .

لن نستطرد هنا الى بسط ادلّة ابن حزم الخمسة على حدوث العالم ، بل نكتفي بالاشارة الى أن معظم الأدلّة التي يوردها العلماء اللاحقون ، كالغزالي والرازي ، ترد في كتاب الفِصَل ، وان كانت ما تزال في طور جرثومي بعد . وهذا يؤيد ، عندنا ، قول ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الارسطوطاليسي الشهير أن المتكلمين انما اقتبسوا هذه الأدلّة عن يحيى النحوي († ٥٨٦) ، الشارح واللاهوتي اليعقوبي ومؤلف كتاب قدم العالم (*De aeternitate mundi*) ، وهو عبارة عن ردّ على حجج برقلس على قدم العالم [٣] — أو عن مؤلف سواه من الذين حملوا على قِدم العالم — وذلك للشبه الظاهر بين أدلة المتكلمين على الحدث وابطالهم للقدم .

وبناء على مقدمة الحدث هذه سعى المتكلمون الى اثبات أن العالم ، وهو حادث أو مُحدَث ، لا بد له من محدِث ، بالاستناد الى ما يعرف بمبدأ الترجيح

١) راجع هذا الكتاب ، القاهرة ١٣١٧ هـ . الكتاب الاول ص ٣ الخ .

٢) راجع الكتاب المذكور ، دمشق ١٣٤٧ هـ . ص ١٢٨ .

٣) يشير ابن النديم في الفهرست ، ليبزغ ١٨٧١ ج١ ص ٢٥٤ الى كتاب يحيى النحوي في الرد على برقلس الافلوطيني هذا ، مما يدلّ على أن العرب ألموا بهذا الكتاب مباشرة او من خلال مؤلف آخر .

أو التخصيص . ينص هذا المبدأ بإيجاز على أن العالم قبل وجوده كان ممكناً : أي أن عدمه ووجوده كانا سيّين ؛ فوجب اذ ذاك أن يكون ثمت مرجّح ، يرجّح كفّة الوجود فيه على العدم ، وإلّا لم يوجد العالم ؛ وهذا المرجّح هو الله. ولنأخذ على ذلك مثالاً الباقلاني ، الذي ينتمي إلى الطبقة الثانية من الأشاعرة. فهو يلخّص هذه الحجة في كتاب التمهيد [1] كما يلي : لمّا كان العالم حادثاً وجب أن يكون له مُحدِث ومصوّر ، كما كان للكتابة كاتب وللصورة مصوّر وللبناء بان. وهو يضيف الى هذا الدليل دليلين آخرين لا يختلفان شكلاً عن الدليل الأول ، وإن اختلف الحدّ الوسط فيهما : الاول أن تقدم بعض الاشياء على بعض يفترض مقدّماً قدّمها — ما دام التقدّم لا يلحق بالمتساويين طبعاً وهذا المقدّم هو الله . أما الثاني فيقحم فيه مفهوم الجواز ويضع أن الأشياء في ذواتها قابلة لصور ، وكيفيات مختلفة ، فاختصاصها بصور معيّنة دون أخرى يفترض مخصصاً أو مرجحاً أوجب اختصاصها بهذه الصور ، وهو الله [2] .

من الملاحظ أن هذه الادلة الثلاثة تتفق في استنادها على ما دعوناه بمبدأ الترجيح . إلّا أن الدليل الاول يفترض الى ذلك ، حدوث العالم كما رأينا . أما الثالث فهو لا يختلف ، في جوهره ، عن دليل الجواز (argument a contingentia mundi) الذي بسطه الجويني امام الحرمين († ١٠٨٦) فيما بعد في الرسالة النظامية — كما يروي ابن رشد [3] ، مقتفياً بذلك أثر ابن سينا والفارابي († ٩٥٠) وسواهما ، كما مرّ .

ومن الطريف أن الجويني يبسط في كتابه المشهور (الارشاد) دليل الحدوث الذي كان اكثر رواجاً في أوساط المتكلمين من الأدلّة الأخرى . فهو يضع أنه اذا صحّت مقدمة الحدث ، واذا صحّ أن العالم « مُفتتح الوجود » — ما دام الحادث يتساوى وجوده وعدمه ، — وجب أن يكون للعالم مخصّص يرجح وجوده على عدمه ، وهذا المخصّص هو الله [4] .

---

١) التمهيد ص ٤٥ .

٢) التمهيد ص ٤٥ . وهكذا يكون الباقلاني قد سبق كلا الجويني وابن سينا الى هذا الدليل (دليل الجواز) الذي ينسبه كلا ابن رشد ورنسك الى الجويني .

٣) الكشف ، ص ٤٠ . راجع الرسالة النظامية ، مصر ١٩٤٨ ص ١٢ .

٤) راجع الارشاد . نشر لوسياني ، باريس ١٩٣٨ ، ص ١٦ .

أما دليل البغدادي الوارد في كتاب (أصول الدين)، فهو لا يختلف كبير اختلاف عن دليل الباقلاني أو دليل الجويني. فهي تستند جميعها — كما رأينا — على أن العالم مركّب من الجواهر والأعراض التي لا بقاء لها بذاتها قط. لذلك يحق لنا أن نتساءل عن مدى تأثر هؤلاء الاشاعرة بابي الحسن الاشعري، مؤسس المدرسة الأشعرية الكبرى في الكلام. وقد يسّر لنا نشر كتاب (اللمع) حديثاً الاجابة على هذا السؤال اجابة تمهيدية، ريثما نعثر على مصادر أشعرية أوفى.

للدليل الذي يورده الاشعري في هذا الكتاب طابع قرآني واضح. فليس له شيء من الدقة المنطقية التي تتميز بها الأدلّة الكلامية في الحقبة اللاحقة. وهو يستند على الاشارة الى الاطوار التي يمرّ بها الانسان في نموّه من نطفة الى علقة فجنين. وما دام المرء، عند مؤلفنا، عاجزاً عن تحويل ذاته وجب أن يكون ثمت «محوّل حوّله» من طور الى طور، وبناء عليه فللعالم بجملته محوّل حوّله هو الله[1]. ومع أن صيغة هذا الدليل المقتضبة تتفق مع طبيعة كتاب اللمع، — وهو مؤلف تمهيدي موجز، إلا أنها تثبت أن الكلام الأشعري لم يكن قد بلغ شأواً بعيداً من الدقة والإحكام المنطقيين، في اوائل القرن العاشر بعد. لذلك كان علماء هذه الحقبة يكتفون بالحجج الخطابية المستمدّة من الكتاب والسنّة. ويغلب الظن أن تطبيق الاساليب البرهانية الدقيقة، لم يبتدىء إلا على يد ابي بكر الباقلاني — وهو من اشاعرة الطبقة الثانية، كما مرّ. إلا أن الباقلاني نفسه، كما رأينا، لا يتوفر على تحليل المفاهيم المنطقية التي يبني أدلّته عليها تحليلاً تاماً. وفي تاريخ الكلام اللاحق إحكام أشدّ في استخدام اساليب الحجاج المنطقية وتقصٍّ أعمق لمضمون المفاهيم المنطقية. ويميّز ابن خلدون في المقدمة[2] بين طريقة المحدثين وطريقة القدماء في تطوّر علم الكلام، مسنداً الى الغزالي فضل ادخال طريقة المحدثين. وقد يكون اسناد هذا الفضل الى الغزالي أو الى أحد أسلافه من كبار المتكلمين كالباقلاني والجويني، استاذ

١) راجع كتاب اللمع، نشر الاب ماكارثي اليسوعي، بيروت ١٩٥٢ ص ٦. وهذه الصيغة لدليل الأشعري تتفق مع ما يرويه الشهرستاني عنه في كتاب الملل والنحل ص ٦٦ وكتاب نهاية الاقدام في علم الكلام ص ١٢.

٢) المقدمة طبعة De Slane ص ٦١.

الغزالي، موضع نظر. إلا أنه من الواضح — كما رأينا — أن هذا الطور طور لاحق لزمن ابي الحسن الأشعري، أي يرقى الى اواخر القرن العاشر، على كل حال.

أما دور الغزالي في معالجة المشكلة التي نحن بصددها فمزدوج. فقد أظهر بوضوح أولاً مدى التعارض بين التعليم الاسلامي وبين مذهب أرسطو في أزلية العالم والمادة. وهذّب ثانياً الأدلة التي بسطها المتكلمون من أسلافه ونقّحها. وتشديد ونسنك على الثنائية والازدواج في تفكير الغزالي الصوفي والغزالي المتكلم تشديد أصيل ولا شك. ولكن يهمنا هنا الغزالي المتكلم وحسب، ولا سيما في تدليله على وجود الله، كما يثبته خاصة في كتاب (الاقتصاد في الاعتقاد). فهو يدور، شيمة سائر الأدلة التقليدية، على مبدأ الترجيح. وهاك حجته كما ترد في هذا الكتاب: كل حادث فله سبب، العالم حادث فوجب أن يكون له سبب. أما الحادث فمعناه عند الغزالي ما لم يكن ثم كان. والعالم قبل حدوثه كان ممكناً: أي أن وجوده وعدمه كانا متساويين في مقدار الامكان. ولكي يترجح جانب الوجود على جانب العدم، وجب أن يكون ثمة مرجح، وإلا لبقي هذا العالم الممكن، على حاله الأولى من العدم[1].

قد يستغرب القارئ اقحام الغزالي هنا لمفهوم السببية، بعد أن حمل عليه حملته المشهورة في «تهافت الفلاسفة»، لما ينطوي عليه ذلك من تناقض. إلا أن الغزالي، ما أن يورد حجته تلك في الاقتصاد، حتى يسارع الى القول أنه يعني بلفظة السبب المرجح، وهكذا يزول التناقض. إلا أن هذه اللفظة، كما مر، لم تلاق رواجاً كبيراً عند المتكلمين عامة لصلتها بالفلسفة الارسطوطاليسية. وأول نقض لمبدأ السببية الذي ينطوي عليه مذهب المعتزلة في التولد، عند الاشاعرة يقع عليه الباحث، هو نقض البغدادي († ١٠٣٧) في كتاب أصول الدين، الذي أشرنا اليه أعلاه. أما متكلمو الحقبة اللاحقة كفخرالدين الرازي († ١٢٠٩)، فهم لا يتورعون عن استعمال لفظة سبب أو علة في مناقشاتهم اللاهوتية، بمعنى المرجح المشار اليه لا بمعنى العلة الارسطوطاليسية.

قد يكون من المفيد أن نورد هنا عرض الرازي لأدلة المتكلمين على وجود الله، كما نجدها مثبتة في كتاب الأربعين، وهو من أوفى المباحث التي وصلتنا

1) الاقتصاد، مصر، ل. ت. ص ١٤.

في هذا الباب والتي لم يلمّ ونسك بها ، كما يبدو ، في دراسته المذكورة[1].

يوجز الرازي هذه الأدلة في اربعة :

١ — الأول : اثبات وجود الله بناء على امكان العالم . وهذا الدليل يلزم عنه وجود واجب الوجود ، الذي يجب العالم الممكن به .

٢ — الثاني : اثبات وجود الله بناء على امكان صفات العالم : أي ضرورة مرجح تلزم عنه صور الاجسام التي يتركب منها العالم وخصائصها وأماكنها . وهذا المرجح ليس بجسم عنده .

٣ — اثبات وجود الله ، بناء على حدوث الجواهر والاجسام التي يتألف منها العالم .

٤ — اثبات وجود الله، بناء على حدوث صفات الاشياء (أو كيفياتها). وهذا الدليل يلزم عنه وجود صانع حكيم يدبّر الاشياء بحسب قدرته وارادته .

من البيّن أن هذه الأدلّة الأربعة تتلخص ، كما يلاحظ الرازي نفسه ، في دليلين : هما دليل الحدوث ودليل الامكان. ويدور الأول على مفهوم الزمان: أي على أن العالم له بداية زمانية ، والثاني على مفهوم الجواز أو الامكان : أي على أنه كان يمكن للعالم أن يكون على خلاف حاله الآن . إلا أن الرازي شيمة سائر المتكلمين ، لا يميز بين هذين الدليلين تمييزاً واضحاً—وهو ما يأخذه على المتكلمين ابن سينا في كتاب النجاة[2] . ومن جراء ذلك يعرض لحججه شيء من التشويش : فهو يحدّد المحدَث ، مثلاً ، بقوله أنه جائز الوجود ، أي ما كانت ماهيته قابلة للوجود والعدم على السواء ، وذلك معنى الممكن عنده[3] فتأمل .

---

١) راجع كتاب الاربعين ، حيدرآباد ١٩٣٤ ص ٦٩ الخ . لم يطّلع ونسك على هذا الكتاب في دراسته التي ظهرت سنة ١٩٣٦ ، رغم ذلك . وهو لا يذكر من كتب الرازي سوى كتاب طوالع الانوار ومفاتيح الغيب .

٢) راجع النجاة ، مصر ١٣٣١ هـ . ص ٣٤٧ و ٣٦٢ .

٣) كتاب الأربعين ، ص ٨٦ . وواضح ان لو كان ذلك كذلك لباتت أدلته الاربعة بمثابة دليل واحد . ويجدر بنا أن نشدّد هنا على ضرورة التمييز بين مفهومي الحدوث الذي يتصل بمفهوم الزمان ، ومفهوم الجواز الذي لا يتصل به قط . اذ معنى الجائز ما ليس واجباً— أي ما أمكن أن يكون على خلاف ما هو عليه ، ومثله الممكن . إلا أن الممكن يقال على معانٍ عدة ، فهو اسم النوع ، والجائز اخصّ منه .

بوسعنا أن نتجاوز هذه المسألة وننظر في وجوه الشبه بين هذين الدليلين المختلفين. فسواء انطلقنا من مفهوم الجواز أو مفهوم الحدوث، وجب أن نضع مبدأ خارجاً عن سلسلة المحدثات أو المحسوسات هو واجب الوجود الذي يرجح أو يخصص وجود العالم، من جهة، أو كيفية هذا الوجود من جهة أخرى. وهذا في الواقع هو وجه التباين بين المفهومين اللذين يدور هذان الدليلان عليهما. فدليل الحدوث يفترض أن وجود العالم وعدمه كانا ممكنين، قبل وجود العالم الفعلي، فليس فيه اشارة الى كيفية هذا الوجود، كما هي الحال في دليل الجواز.

ثانياً: يلزم وجود الواجب عن استحالة التسلسل الى ما لا نهاية. لذلك يسهب الرازي في ابطال التسلسل والدور، لصلة هذا الابطال بالدليل المذكور. أما في ابطاله للدور فيبدو أنه يلخص الحجة التقليدية عند المتكلمين، وهي أننا اذا وضعنا أن الممكن هو علة الممكن، وهذا الممكن بدوره علة ذلك الممكن، لزم عن ذلك أن الممكن علة ذاته، فهو سابق لذاته، وهو ممتنع. إلا أنه يضيف اليها حجة أخرى من عنده، وهي أن المعلول يفتقر الى العلة. فلو كانت احدى علتين ممكنتين معلولة للأخرى لافتقرت احداهما للاخرى، فافتقرت العلة الى ما يفتقر الى ذاته. فيلزم أن كلاهما تفتقر الى ذاتها، وهو محال [1].

أما في ابطال التسلسل فيضع كمقدمة أن العلة يجب أن توجد بالفعل لدى وجود المعلول، وإلا أمكن أن يوجد المعلول من تلقاء ذاته، أي دون علة — وهو يناقض المقدمة التي وضعناها أعلاه. وبناء على هذه المقدمة يورد حججاً ثلاثاً على استحالة التسلسل أعرضها بايجاز، لاهمية هذه القضية في الدليل على وجود الصانع:

اولاً: أن تسلسل الاسباب والمسببات الى ما لا نهاية يفترض أن السلسلة بجملتها قد توجد في آن واحد. فوجب أن تكون السلسلة بجملتها واجبة أو ممكنة. ويستحيل أن تكون واجبة، ما دامت تتألف من الممكنات، فوجب أن تكون ممكنة بجملتها، فهي تفتقر الى «مؤثر» أو مخصص واجب، هو واجب الوجود.

١) كتاب الأربعين، ص ٨٠ — ٨٤.

ثانياً : اذا كانت السلسلة بجملتها جائزة أو ممكنة في ذاتها ، كما مرّ ، وكان الممكن في ذاته يحتاج الى مؤثر ، فهذا المؤثر أ . إما أن يكون السلسلة ذاتها ب . أو شيئاً داخلاً فيها ج أو شيئاً خارجاً عنها . أما الوجه الاول فممتنع لانه يعني أن السلسلة علة ذاتها ؛ والوجه الثاني ممتنع ايضاً لانه يعني أن ما يؤثر في السلسلة علة ذاته أو علة ما هو علة له (أي السلسلة) . لذلك لزم أن يكون المؤثر (أو العلة) خارجاً عن سلسلة الممكنات ، فكان واجباً .

ثالثاً : اذا انطلقنا من طرف سلسلة الممكنات المقابل لنا وجدنا أن لهذه السلسلة طرفاً يطول أو يقصر ، بالنسبة الى نقطة الانطلاق التي اعتمدناها . ومعنى ذلك أن السلسلة متناهية من طرف ، وقد فرضناها لا متناهية . فاذا كانت متناهية من طرف ما كانت متناهية من الطرف الآخر ، وكان هذا الطرف ممكناً أو واجباً . فاذا كان ممكناً وجب ان يكون له مؤثر وهكذا دواليك ، واذا كان واجباً فهو المطلوب[1] .

لا اسراف في القول أن العصر الذهبي في تاريخ الكلام ينتهي بوفاة فخر الدين الرازي سنة ١٢٠٩ . ولعل ميزة هذا المتكلم البارع أنه أدخل على المناقشات الكلامية واللاهوتية بعض الأساليب الفلسفية الشكلية التي كان (تهافت) الفلسفة الأرسطوطاليسية في القرن الحادي عشر قد أدّى الى نبذها وتبديع أصحابها . وتكفي مطالعة آثاره مطالعة عابرة لاقناعنا بمدى تأثره بابن سينا . وقد استمرّ هذا التزاوج بين الفلسفة والكلام الذي عمل الرازي على توطيده ، طيلة القرنين اللاحقين . إلا أن الآثار الكلامية التي ترقى الى هذه الحقبة (كشرح مواقف الايجي(†١٣٥٥) للجرجاني ومقاصد التفتزاني(†١٣٨٩) انما تعكس الانحطاط الفكري العام في هذا العصر . فلا غروَ أننا لا نجد في هذه الآثار أي محاولة جديدة لمعالجة مشكلة وجود الله ، تخرج عن نطاق الأدلة المتعارفة بين المتكلمين السابقين . اذ أن عامة هذه الآثار انما ضربت على غرار الآثار الكبرى التي حفل بها العصر الذهبي في تاريخ الكلام — أي في القرنين العاشر والحادى عشر ، فليس فيها جديد قط .

---

١) كتاب الأربعين ص ٨٣ .

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)

رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

(١٦١/٧٣) وصول بجكم[١] الى الحضرة[٢] وتفرده بالامر .

ولما وافى بجكم ديالي[٣] انهزم ابن رايق بعد ان فتح من النهروان بثقا[٤] الى ديالي ليكثر ماوه فعبر اصحابه سباحة وصار ابن رايق الى عكبرا واستتر الكوفي[٥] وابن مقاتل[٦] .

ووصل بجكم الى الراضي ثاني عشر ذي القعدة فخلع عليه والطالع العقرب وسار بالخلع الى مضربه بديالي وانفض جيش ابن رايق عنه فدخل بغداد واستتر وخلع على بجكم دفعتين بعد ذلك ومضى الى دار مونس بسوق الثلاثا وهي التي كان ينزلها ابن رايق فنزلها .

فكانت امارة ابن رايق[٧] سنة وعشرة اشهر وستة عشر يوما ومدة كتابة الكوفي له وتدبيره المملكة تسعة عشر شهرا وثمانية ايام .

قال ابو سعيد السوسي[٨] قال لي بجكم بحضرة اصحابه معي خمسون الف دينارا لا احتاج اليها فلما كان بعد ذلك قال لي[١] تدري[٩] كم كان معي ذلك اليوم قلت لا قال كان معي خمسون الف درهم[١٠] فقلت اتراك لم تثق بي فكنت

١) في الاصل بحكم بحاء مهملة
٢) في الاصل الحصرة
٣) في الكامل ٢٦٦/٦ وتجارب الامم ٣٩٥/٥ نهر ديالى
٤) في الاصل ثقا والتصويب عن تجارب الامم ٣٩٢/٥
٥) نسبه في تجارب الامم ٣٩٥/٥ ابو عبدالله احمد بن علي الكوفي
٦) نسبه في تجارب الامم ٣٩٥/٥ ابو بكر بن مقاتل
٧) في الكامل ٢٦٦/٦ ابو بكر بن رائق
٨) في الكامل ٢٦٦/٦ وتجارب الامم ٣٩٧/٥ ابو زكريا يحيى بن سعيد السوسي
٩) في الاصل تدرى
١٠) في الكامل ٢٦٨/٦ دينار

تطلعني على الحال فقال لو اطلعتك ضعفت نفسك وضعف كلامك وعولت عليك في رسالة فعجبت من دهايه .

ومات ابو عبدالله النوبختي بعلة السل .

وظفر الراضي بابي عبدالله الكوفي فناله فيه ابو الحسن سعيد بن سنجلا حتى صادره على اربعين الف دينار .

واقر الراضي الوزير ابا الفتح على الوزارة وهو بمصر .

وفي شهر رمضان انفذ (١٤٢/٧٤) ملك الروم كتاباً بالرومية يتضمن سوال الراضي الفدا[١] وكانت الترجمة بالعربية مكتوبة بالفضة[٢] وانفذ مع الكتاب[٣] هدية جليلة فاجاب ابن ثوابة عن الكتاب وفي آخره[٤] وقد اسعفكم امير المؤمنين بما احببتم من هديتكم ورد الرسايل بما سنح من بروتكم صيانة لكم عن الاحتشام ورفعا عندكم من الاغتنام .

وخاطبه ملك الروم بالشريف البهي ضابط سلطان المسلمين وخاطبهم الراضي بروسا الروم .

سنة سبع وعشرين وثلاثماية

واخر الحسن بن عبدالله بن حمدان[٥] مال ضمان الموصل فصار الراضي الى تكريت وانفذ بجكم[٦] الى الموصل فلقيه زواريق[٧] فيها هدية ابن حمدان فاخذها بجكم[٦] وعبر فيها جيشه الى الجانب الغربي وسار فالتقى[٨] هو وابن

١) وقال في البداية والنهاية ١١/١٨٨ ، وفودي من المسلمين ستة الاف اسير ما بين ذكر وانثى على نهر البذندون

٢) في البداية والنهاية ١١/١٨٨ قال : فيها ورد كتاب من ملك الروم الى الراضي مكتوب بالرومية والتفسير بالعربية ، فالرومي بالذهب والعربي بالفضة .

٣) نقرأ في المنتظم ٦/٢٩٣ بعض هذا الكتاب

٤) في الاصل واخره

٥) في الكامل ٦/٢٦٩ والذهبي في كتاب دول الاسلام ١/١٤٧ ناصر الدولة بن حمدان

٦) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٧) في تجارب الامم ٥/٤٠٥ زواريق انفذها ناصر الدولة فيها دقيق وشعير وحيوان هدية . . .

٨) في الاصل فالتقا

حمدان بالكحيل[١]، فانهزم[٢] اصحاب بجكم[٣] واستوسر ابو حامد الطالقاني ثم حمل بجكم[٣] بنفسه على ابن حمدان[٤] حملة صادقة فانهزم ابن حمدان رابع المحرم ومضى الى آمد[٥]، واتبعه بجكم[٣] الى نصيبين فسار حينئذ الراضي في الماء الى الموصل وانصرف عنه من تكريت القرامطة الذين تبعوه الى بغداد مغضبين لتاخر ارزاقهم فظهر ابن رايق [من استتاره][٦] وانضموا اليه .

وكتب الراضي حين بلغته الصورة الى بجكم[٣] فاستخلف على اصحابه وجاء اليه الى الموصل فجرى[٧] بين اصحابه وبين اهلها فتنة فركب ووضع فيها السيف ($\frac{١٦٣}{٦٤}$) واحرق مواضعا في البلد .

ورجع الحسن بن عبدالله بن حمدان الى نصيبين وانصرف عنها من خلفه بجكم[٣] بها فاخذ اصحاب بجكم[٣] يتسللون من الموصل الى بغداد وينضمون الى ابن رايق فزاد في قلق بجكم[٣] ولم يعرف ذلك ابن حمدان فاطلق ابا حامد الطالقاني وساله ان يسعى في الصلح وبذل له الف الف درهم فاستاذن بجكم[٣] الراضي في ذلك فاذن له في امضايه فرد الطالقاني وابا الحسين ابن ابي الشوارب وانفذ معهما باللواء والخلع .

وصاهر بجكم[٣] أبا محمد بن حمدان .

وانفذ ابن رايق ابا جعفر بن شيرزاد[٨] الى بجكم[٣] يلتمس الصلح .

والحدر الراضي وبجكم[٣] الى بغداد بعد ان راسلا ابن رايق بقاضي القضاة[٩]

---

١) البكري ، معجم ما استعجم ١١١٦/٤ قال : الكُحَيل بضم اوله وفتح ثانيه على لفظ التصغير وعنه ٣٣٨/١ الكحيل وهو نهر اسفل من الموصل على عشرة فراسخ فيما بينهما وبين الجنوب

١) في الكامل ٢٦٩/٦ فانهزم اصحاب ناصر الدولة

٣) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٤) في تجارب الامم ٤٥/٥ هو ناصر الدولة

٥) في الاصل ومضا الى امد

٦) زيادة عن الكامل ٢٦٩/٦ يقتضيها السياق

٧) في الاصل فجرا .

٨) الكامل ٢٦٩/٦ قال في نسبه ابو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد

٩) في الاصل القضات .

ابي الحسين[١] في تمام الصلح وولوه طريق الفرات وجند يسابور[٢] وديار مضر والعواصم فسار اليها قبل وصولهم .

وبلغ الراضي ان عبد الصمد بن المكتفي راسل ابن رايق ان يتقلد الخلافة فقبض عليه ويقال قتله .

وفي جمادى مات الوزير ابو الفتح الفضل بن جعفر ابن الفرات بالرملة ودفن هناك .

وشرع ان شيرزاد في الصلح بين بجكم[٣] والبريدى [ثم ضمن البريدي][٤] اعمال واسط بستماية[٥] الف دينار .

وزارة البريدي ابي عبدالله للراضي بالله

فلما مات الوزير ابو الفتح شرع ابن شيرزاد للبريدى في الوزارة فانفذ اليه الراضي بقاضي القضاة[٦] ابي الحسين فامتنع من ($\frac{١٤٤}{٧٥}$) تقلدها ثم استجاب لذلك ووليها في رجب وخلفه ابو بكر محمد بن علي النقري[٧] بالحضرة كما كان ابن الفرات[٨].

ولما تقلد البريدي الوزارة قال ابو الفرج الاصفهاني قصيدة اولها[٩] :

يا سماء اسقطي ويا الارض ميدي قد تولى الوزارة ابن البريدي

جل خطب وجل امر عضال وبلاء اشاب راس الوليد

هد ركن الاسلام وانتقض الملك ومحت السنة التي هو مودي

اخلقت بهجة الزمان كما اخلق طول الزمان وشي البرود

يا لقومي خر سندي وعودي وانحلالي وقتي المحدود

حين سار الخميس يوم خميس في البريدي في ثياب سود

---

١) نسبه في الكامل ٦/٢٦٩ ابو الحسين عمر بن محمد

٢) في الكامل ٦/٢٩٦ وتجارب الامم ٥/٤٠٨ وجند قنسرين

٣) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٤) زيادة عن الكامل ٦/٢٧٠ وتجارب الامم ٥/٤٠٩

٥) في الاصل ستماية

٦) في الاصل القضات

٧) في الاصل حسب اسلوب الناسخ النبرى ، وفي تجارب الامم ٥/٤٠٩ النقري

٨) في تجارب الامم ٥/٤٠٩ الفضل بن جعفر

٩) ورد في الفخري لابن الطقطقى صفحة ٢١١ – ٢١٢ الابيات ١ و ٦ و ٨ و ٩

سودت اوجه الورى وعلتهم   اذ علته بذلة وهمود
قد حباه بها الامام اصطفاه[١]   واعتماداً منه بغير عميد
خاع تخلع المعلى ولواء   عقده حل عروة المعقود
كان اولى من لبسه خاع الملك   بغل يسوده وقيود

وهي قصيدة طويلة آخرها[٢] :

في سبيل الاسلام خير سبيل   نحو رسم الاسلام والتوحيد
لا يرن غافل بعدة هذا   بوليد ولا يرع لفقيد
فاستهلي يا عين بالدمع سحا   وقليل ان تذرفي وتجودي

وحكي ان البريدى قال لندمايه من فيكم يحفظ قصيدة الاصفهاني التي هجاني بها فأنكروا مع معرفتها فقال بحقي عليكم ($\frac{١٦٥}{٧٥}$) انشدوني اياها . فقال احدهم اما مع قسمك فنعم . فلما بلغ الى قوله[٣]

وكان احد قواد بجكم[٤] ابراهيم بن احمد أخو نصر بن أحمد صاحب خراسان فقلده بجكم[٤] الشرطة ببغداد .

وعمل ابراهيم لبجكم[٤] دعوة جمع طباخي دار الخلافة لها وانفق فيها زيادة على عشرين الف دينار.

سنة ثمان وعشرين وثلاثماية

في مستهل المحرم ورد خبر بان أبا الحسن علي بن عبدالله بن حمدان اوقع بالدمستق وهزمه .

وفي آخره[٥] تزوج بجكم[٦] سارة بنت الوزير ابي عبدالله البريدى[٦] بحضرة الراضي والصداق ماية[٧] الف درهم .

---

١) النخري ٣١٢ اصطفاه
٢) في الاصل ،اخرها
٣) في الاصل بياض بعدها
٤) في الاصل بحكم ؛ بحاء مهملة
٥) الاصل ،اخره
٦) نسبه في المنتظم ٦/٣٠٠ ابو عبدالله محمد بن احمد بن يعقوب البريدي
٧) في المنتظم ٦/٣٠٠ وتجارب الامم ٥/٤١٠ مائتي

وكان نجيش البريدي قد قتل قايدين من الديلم فاستنجد معز الدولة اخاه ركن الدولة وكان مقيماً باصطخر[١] فاتاه طاويا للمنازل فوصل الى واسط في عشرة ايام والبريدى مقيم بغربيها فانحدر لحربه بجكم[٢] مع الراضي فانصرف عنها ومضى[٣] من فوره الى اصبهان ففتحها .

فعاد عند مضيه الراضي وبجكم[٢] الى بغداد .

وفي رجب قتل طريف السبكري طرسوس[٤] .

وفي شعبان توفي قاضي القضاة[٥] ، ابو الحسين[٦] فتوسط ابو عبدالله بن ابي موسى الهاشمي امر ابنه ابي نصر[٧] على عشرين الف دينار حتى ولي مكانه .

روى الخطيب عن القاضي ابي الطيب قال سمعت ابا الفرج المعافى[٨] بن زكريا الجريري يقول كنت أحضر مجلس ابي الحسين بن ابي عمر يوم النظر ، فحضرت (١٦٦/٧٦) انا واهل العلم فدخل اعرابي له حاجة فجلس فجاء غراب فقعد على نخلة في الدار وصاح وطار فقال الاعرابي[٩] هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام قال فصحنا عليه وزبرناه فقام وانصرف .

واحتبس خروج ابي الحسين فاذا به قد خرج الينا الغلام وقال القاضي يستدعيكم فقمنا فدخلنا فاذا به متغير اللون منكسف البال مغتم[١٠] فقال اعلموا اني احدثكم بشيء قد شغل قلبي وهو اني رأيت البارحة في المنام شخصا وهو يقول :

منازل آل[١١] حماد بن زيد على اهليك والنعم السلام

---

١) في الكامل ٢٧٢/٦ وهو بباب اصطخر

٢) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة .

٣) في الاصل ومضا

٤) في الاصل رطرسوس ؟

٥) في الاصل القضات

٦) نسبه في البداية والنهاية ١٩١/١١ ابو الحسن عمر بن محمد بن يوسف ، وفي الكامل ٢٧٤/٦ قاضي القضاة عمر بن ابي عمر محمد بن يوسف وترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٢٢٩/١١–٢٣٢

٧) نسبه في البداية والنهاية ١٩١/١١ ابو نصر يوسف ابن عمر بن محمد بن يوسف

٨) في الاصل المعافا

٩) في الاصل العرابي

١٠) في الاصل مغتم والتصويب عن تاريخ بغداد ٢٣٢/١١

١١) في الاصل ال

وقد ضاق صدري فدعونا له وانصرفنا .

فلما كان في اليوم السابع من ذلك اليوم دفن رحمه الله .

وانفذ الى علي بن عيسى الوزير بمال في بعض نكباته وكتب اليه :

وتركي مواساتي اخلاي في الذي تنال يدي ظلم له وعقوق
واني لاستحي من الله ان ارى بعين اتساع والصديق مضيق

وتوفي في هذا الشهر ابو بكر ابن الانبارى[١] معلم اولاد الراضي بالله ومن جملة تصانيفه كتاب الزاهر[٢] وكان يحفظ ماية تفسيرا للقرآن[٣] ولم يمل بشاقط[٤] من دفتر وقال اني احفظ ثلاثة عشر صندوقا كتبا .

وفي شهر رمضان مات ابو بشر بن يونس القناني[٥] النصراني وهو الذي فسر كتاب المنطق .

وفيه خرج بجكم[٦] (١٦٧/٧٦) الى الجبل فلما بلغ قرميسين بلغه ان البريدى قد طمع في بغداد وكان طمعه لاجل دفائن في داره فعاد بجكم[٦] حينئذ وقد استامن اليه خلق من الديلم وكان قد امد البريدى قبل ذلك بخمس ماية رجل وانفذ معهم زكريا السوسي .

فلما عرف البريدى رجوعه الى بغداد ابلس[٧] وانفذ الى السوسي فاستحضره فظن[٨] انه يريد القبض عليه فقال له احب ان تصمد الى بجكم[٦] فتزيل الوحشة من صدره وهذه اذني فخذها وبمني فاني لا اعدل[٩] عن رايك وقد رتبت لك طيارا وخمسين غلاما لخدمتك .

قال فقبلت الارض بين يديه وسرت فما عاودت ذهني الا نعم الصالح[١٠] .

---

١) ترجم له في المنتظم ٣١١/١–٣١٥

٢) اطلب التعريف به في كشف الظنون عمود [٩٤٧] وبروكلمن ، ملحق ١٨٢/١

٣) في الاصل القرءان

٤) كذا في الاصل ولعله يريد بساقط . راجع مادة سقط في اقرب الموارد

٥) كتب في الاصل القوناني

٦) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٧) في الاصل ابلس

٨) في الاصل فضن

٩) في الاصل اعذل

١٠) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٤١٣/٥ الا بقم الصلح

وندم البريدي على انفاذه بي وسقط عليه طاير يعرفه تعويل بجكم[1] على قصده وتضمن اغراوه بي فكان ذلك من كفاية الله تعالى[2] لي .

ووصلت دير العاقول وبها احمد بن نصر القشوري .

ولقيت بجكم[1] بالزعفرانية واجتهدت به في صلح البريدى فابى والحدرت معه.

وقبض على ابن شيرزاد لانه اشار عليه بمصاهرة البريدى وازال اسم البريدي عن الوزارة فكانت وزارته سنة واربعة اشهر واربعة عشر يوما ، واوقع اسمها على ابي القسم سليمان بن الحسن .

وزارة ابي القسم سليمان بن الحسن

وخلع عليه .

وانحدر بجكم بعد ان ضبط الطريق ممن ينشر خبره فوقع على حديديه طاير فاخذه واذا به كتاب كاتبه (١٦٨/٧٧) يعرف اخاه انحداره وساير اسراره فاحضر الكاتب واوقفه فلم يجحد فرمي به في الزوبينيات[3] حتى قتل ورمى به [في][4] الماء.

وانحدر فوجد البريدى قد انحدر عنها .

وفي ذي الحجة ورد بان رايقا اوقع بابي[5] نصر بن طغج اخي الاخشيد فانهزم اصحاب ابي نصر بعد ان قتل وكفنه[6] ابن رايق وانفذه في تابوت الى أخيه واستاسر قواده وانفذ مع التابوت ابنه ابا مزاحم[7] بن رايق وكتب معه يعزيه ويعتذر ويقول ما اردت قتله وقد انفذت ابني تتقيده به فتلقى الاخشيد فعله بالجميل وخلع على ابنه ورده الى ابيه واصطلحا على ان يفرج ابن رايق الاخشيد عن الرملة ويكون[8] باقي [الشام][9] لابن رايق ويحمل اليه الاخشيد في كل سنة ماية واربعين الف دينار .

---

١) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة ٢) في الاصل تعلى

٣) في تجارب الامم ١٤/٥ : بالزربينات

٤) زيادة يقتضيها السياق عن تجارب الامم ١٤/٥ :

٥) في الاصل بان رايقاً وقع بان والتصويب عن تجارب الامم ١٤/٥ : وفي الكامل ٢٧٤/٦ ابو نصر ٦) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٤/٥ : وكفنه

٧) نسبه في الكامل ٢٧٤/٦ وتجارب الامم ١٤/٥ : مزاحم بن محمد بن رايق

٨) في الاصل ويكون والتصويب عن تجارب الامم ١٤/٥ :.

٩) زيادة عن تجارب الامم ١٤/٥ : يقتضيها السياق

وكان بدر بن عمار الاسدي الطبرستاني يتقلد حرب طبرية لابن رايق وهو الذي مدحه المتنبي بقصايد عدة[1].

وعاد ابو نصر محمد ابن ينال الترجمان من الجبل منهزما من الديلم فانفذ بجكم[2] من واسط بمن ضربه في منزله بالمقارع وقيده ثم رضي عنه.

وانحدر ابو عبدالله الكوفي الى واسط واستقرت له كتابة بجكم فكانت كتابة ابن شيرزاد تسعة عشر شهرا وثلاثة عشر يوما.

والتقى[3] ركن الدولة بو شمكير وانهزم الفريقان ركن الدولة الى اصفهان [و][4] وشمكير الى الري.

وفيها مات جستان.

وفيها توفي ابو عبدالله القمي الوزير لركن الدولة وتقلد مكانه ابو (١٤٩/٧٢) الفضل بن العميد.

سنة ثمان[5] وعشرين وثلاثماية[6]

فيها صادر بجكم[2] ابن شيرزاد وقال اردت ان اعلم ايساره فقلت ان عندي مائة الف دينار اريد ايداعك اياها فما ارتاع وحملتها اليه وطلبتها بعد مدة فكان يحملها تفاريقا فقلت ما السبب في هذا فقال انني لا آمن[7] غير اختي ولا تقوى على حمل المال دفعة واحدة فقبض على اخته وبلغ بالقبض عليها ما اراده من ماله.

وفي ليلة النصف من شهر ربيع الاول مات الراضي بالله[8] وقد انكشف

---

١) امراء الشعر العربي للمقدسي صفحة ٤٣٠ وعددها ٦ قصائد
٢) في الاصل يحكم بحاء مهملة
٣) في الاصل مكررة
٤) زيادة يقتضيها السياق
٥) في الاصل سبع
٦) طالت اخبار هذه السنة لانه وصل بها اخبار سنة ٣٣٠
٧) في الاصل امن
٨) في البداية والنهاية ١٩٦/١١ حصلت وفاة الراضي سنة ٣٢٩، وترجم له، وفي المنتظم ٣٢٤/٦

القسر جميعه وكان موته بعلة الاستسقا[1] وكان الراضي رحمه الله سمحاً شاعرا سخياً اديباً ومن شعره يرثي اباه المقتدر رحمه الله .

بنفسي ثرى[2] ضاجعت في تربة البلا لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا[3]
فلو ان حياً كان قبرًا لميت لصيرت احشائي لاعظمه قبرا
ولو ان عمري كان طوع مشيتي وساعدني المقدار قاسته الدهرا[4]

وحكى الخطيب في تاريخه قال[5] كتب الراضي الى اخيه المتقي وقد جرى بينهما شيء في الكتب انا معترف لك بالعبودية[6] ، والمولى يعفو وقد قال الشاعر :

يا ذا الذي[7] يغضب من غير شي اعتب فعتباك حبيب الي
انت على انك لي ظالم اعز خلق الله كل[8] على

خلافة المتقي لله[9]

وهو ابو اسحاق ابراهيم بن المقتدر بالله امه رومية وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهرا[10] .

ورد كتاب بجكم[11] لما بلغه موت الراضي بالله رحمة الله عليه على ابي عبدالله الكوفي بامره ان يجمع [كل][12] من كان يتقلد الوزارة بالحضرة واصحاب

١) في تجارب الامم ٥/١٧ : الاستسقاء الزق
٢) في الاصل ثرا
٣) ورد هذا البيت في البداية والنهاية ١١/١٩٧ ثالثاً
٤) هذه الابيات في الكامل ٦/٢٧٦ حصل ترتيبها كما يلي : الاول هو الاخر ، والثاني هو الاول ، والثالث هو الثاني
٥) تاريخ بغداد ٣/١٤٤
٦) في تاريخ بغداد ٣/١٤٤ زاد فرضا ، وانت معترف لي بالاخوة فضلًا والعبد يذنب والمولى يعفو
٧) في الاصل اللذي
٨) في البداية والنهاية ١١/١٩٧ طرا
٩) ذكرها في البداية والنهاية في جملة اخبار سنة ٣٢٩ وترجم له في المنتظم ٦/٣١٦
١٠) في الاصل هذه المقدمة وهذا العنوان كتبا بحرف كبير تمييزاً لها كعنوان
١١) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
١٢) زيادة عن الكامل ٦/٢٧٧ وتجارب الامم ٦/٢ يقتضيها السياق

الدواوين والقضاة[١] والفقها والعلويين والعباسيين ووجوه البلد ويحضرهم الى ابي القسم سليمان بن الحسن وينصبون للخلافة من يحمدوه .

فلما اجتمعوا قال محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي يكون الخطاب سرا فخلا الكوفي في بيت وجعل الرجل والرجلان يدخلان اليه فيقول لها قد وصف لنا ابراهيم بن المقتدر بالله فيظنان ان ذلك عن أمر ورد من بجكم[٢] في معناه فيقولان هو لذلك اهل فاحضر الى دار بجكم[٢] وعقد له الامر ولقب المتقي لله.

وحمل الى بجكم[٢] من دار الخلافة قبل تقلد المتقي فرشا وآلات[٣] اختارها.

وانفذ المتقي لله عند بيعته مع ابي العباس الاصفهاني[٤] خلعا ولواء الى بجكم[٢] وخلع على سلامة الطولوني وقلده حجبته واقر ابا القسم سليمان بن الحسن على الوزارة.

وورد الخبر بدخول ابن علي بن (١٥١/٧٨) محتاج[٥] في جيش خراسان الى الري وقتله ما كان الديلمي صاحب جرجان وحاصر بها حتى تركها ومضى[٦] الى سارية فاستولى ابو علي على جرجان .

وتعاضد ابو علي وركن[٧] الدولة على محاربة وشمكير حين اختضد بما كان والتقى الفريقان واظهر ما كان شجاعة شديدة فاتاه سهم عابر فنفذ في خوذته وطلع من قفاه فسقط ميتا .

وافلت وشمكير بعد ان اسر اكثر اصحابه .

وحمل ابن محتاج من رؤس القتلى ستة الاف[٨] راس الى خراسان فيهم رأس ما كان.

وجلس ابو علي بن محتاج للعزاء[٩] واظهر الحزن عليه .

وقال الحسن بن الفيروزان[١٠] ابن عم ما كان ان وشمكير أسلمه وكان الحسن شجاعا وقصد ابن محتاج فقتله[١١] وقصد وشمكير فكان بينهما حرب على باب سارية[١٢] أياما .

---

١) في الاصل القضات ٢) في الاصل بحكم، بحاء مهملة ٣) في الاصل ووالات

٤) نسبه في تجارب الامم ٢/٦ هو ابو العباس احمد بن عبدالله الاصفهاني

٥) نسبه في الكامل ٢٧٨/٦ هو ابو علي محمد بن المظفر بن محتاج

٦) في الاصل ومضا ٧) في الاصل وركن ٨) في الاصل الف

٩) في الاصل للعزابة والتصويب عن تجارب الامم ٧/٦

١٠) في تجارب الامم ٧/٦ الفيرزان

١١) في تجارب الامم ٧/٦ فقبله وساعده على قصد وشمكير

١٢) اطلب التعريف بها في معجم البلدان ١٧٠/٣ طبعة داري صادر وبيروت

ثم ورد على ابي علي وفاة[١] صاحبه نصر ابن احمد[٢] فصالح وشمكير واخذ ابنه[٣] رهينة والحذر معه الحسن بن الفيروزان[٤] وحقد عليه كيف لم يستخلفه على حرب وشمكير وانتهز غرته[٥] حين قاربا خراسان فوثب عليه فافلت منه وقتل صاحبه وانتهب سواده واستعاد ابن[٦] وشمكير وعاد الى جرجان فملكها فصالحه الحسن وورد عليه ابنه .

ثم ان ركن الدولة قصد الري وحارب وشمكير فهزمه واستامن اليه اكثر رجاله وصار بعد انهزامه الى خراسان وتزوج ركن الدولة بنت الحسن وهي والدة فخر الدولة .

وفي هذه السنة فرغ من بنا. (١٥٢/٧١) مسجد براثا[٧] وجمع فيه .

وفيها ابتدا الغلا. ببغداد وبلغ الكر من الدقيق ثماية وستين دينارا[٨] وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعة من غير غسل ولا صلاة وظهر من قوم فيهم دين وصدقة على الاحيا وتكفين الموتى وظهر من آخرين[٩] فجور ومنكرات وكان علي بن عيسى والبقري[١٠] يكفنان الناس على أبواب دورهما .

وسقطت القبة الخضرا التي هي قبة المنصور المعروفة بقبة الشعرا[١١] .

ونكب الكوفي هارون اليهودي جهبذ بن شيرزاد وبقي عليه من مصادرته ستون الف دينار فاخذت داره وكانت قديما لابراهيم ابن احمد المادراني راكبة دجلة والصراة وفيها بستان ابي الفضل الشيرازي ودار المرتضى وحمل هذا اليهودي الى بجكم[١٢] بواسط فضرب بين يديه بالدبابيس حتى مات .

---

١) في الاصل وفات ٢) زاد في تجارب الامم ٦/٧ صاحب خراسان

٣) في تجارب الامم ٦/٧ يقال له سالار

٤) في تجارب الامم ٦/٧ الفيرزان

٥) في الاصل عرته والتصويب عن تجارب الامم ٦/٧

٦) تجارب الامم ٦/٨ يعني ابنه سالار

٧) عرّف بها ياقوت في معجم البلدان ١/٣٦٢ طبعة داري صادر وبيروت

٨) في المنتظم ٦/٣١٨ وتجارب الامم ٦/٨ وثلاثين ٩) في الاصل اخرين

١٠) في تجارب الامم ٦/٨ حاشية رقم النقري

١١) ذكر سقوط هذه القبة في المنتظم ٦/٣١٨ . والسيوطي في تاريخ الخلفاء ٢٦١ . وفي البداية والنهاية ١١/٣٠٠ . وجميعهم توسعوا في تاريخها واطنبوا

١٢) في الأصل بحكم ، بحاء مهملة

واظهر بجكم[١] العدل براسط وبنى[٢] دار ضيافة وعمل البيمارستان[٣] ببغداد .
وخرجت الشتوة جميعها بغير مطر .
وانبثق[٤] نهر الدفيل[٥] ونهر بوا[٦] فلم يتلاقيا حتى خرجت[٧] بادوريا بضع عشرة سنة .
وانفذ البريدى جيشا الى المدار[٨] فانفذ بجكم[١] بتوزون فهزمهم بعد ان كسروه .
وجلس في رجب المعروف بغلام القاضي بجامع الرصافة وقص على مذاهب اهل العدل واجتمع اليه الناس .
ونصبت القباب بباب الطاق والرصافة لزوار الحاير[٩] على ساكنه السلم .
وتوفي البربهاري[١٠] مستترا ودفن في تربة نصر القشوري .
وانحدر بجكم[١] حين بلغه ($\frac{١٥٣}{٦٩}$) كسر توزون اولا ولم يبلغه كسره لاصحاب البريدى وتم[١١] وقد عرف الفنا عن حضوره فلما بلغ نهر جور شره الى اموال اكراد هناك وقصدهم متهاونا بهم في عدد يسير من غلمانه في قميص فهرب الاكراد من بين يديه واستدار احدهم من ورايه من غير ان يعرفه فطعنه بالرمح في خاصرته فقتله[١٢] وذلك بين الطيب[١٣] والمدار يوم الاربعا لتسع بقين من رجب .
وكان البريديون قد عملوا على الحرب فواقاهم[١٤] من عسكره[١٥] الف وخمساية

---

١) في الاصل بجكم ، بحاء مهملة
٢) في الاصل بنا
٣) في الاصل البيارستان
٤) في الاصل وانبثق ، بالشين
٥) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٦/٢ الرفيل
٦) في تجارب الامم ٩/٦ بوق ، وفي الحاشية رقم ١ قال في الاصل نهر بو
٧) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٩/٦ خربت
٨) قال في الكامل ٦/٢٧٩ ان ابا عبدالله البريدي انفذ جيشا من البصرة الى مذار . والمذار هذه عرفها ياقوت في معجم البلدان ٤٤٥/٤ وفي ٤٦٨/٤ والبكري في معجم ما استعجم ١٢٠٣/٤
٩) معجم البلدان ٢٠٨/٢ ، الحائر ، قبر الحسين بن علي (رض) طبعة داري صادر وبيروت
١٠) ترجم له في البداية والنهاية ٢٠١/١١
١١) كذا في الاصل
١٢) ترجم له في البداية والنهاية ٣٠٠/١١
١٣) عرفها ياقوت ٥٦٦/٣ بليدة بين واسط وخوزستان ، واهلها نبط الى الان ولغتهم نبطية ، وعند البكري في معجم ما استعجم ٩٠٠/٣ مدينة بين واسط والسوس
١٤) في الاصل فوقاهم
١٥) اي من عسكر بجكم

ديلمي فقبلوهم .

وعاد تكينك بالاتراك الى بغداد فنزلوا النجمي واظهروا طاعة المتقي .

وصار احمد[1] بن ميمون قديماً يدبر الامور والكوفي من قبله[2] .

فكانت امارة بجكم[3] سنتين وثمانية اشهر وتسعة ايام وكتابة الكوفي له خمسة اشهر وثمانية عشر يوماً .

وكان بجكم[3] يدفن امواله وحده فتتبع احد غلمانه اثره واستدل على موضع المال ودل المتقي على ذلك فاستخرج مالا عظيما ودفع التراب الى الحفارين فلم يقنعوا فامر بغسله فاخرجوا من التراب ستة وثلاثين الف درهم .

قال ثابت بن سنان قال بجكم[3] قلت الصواب ان ادفن في الصحرا فربما حيل بيني وبين داري وكان الناس يشنعون انني اقتل من يدفن معي وما كنت افعل ذلك بل كنت آخذ[4] المال في الصناديق واترك معها الرجال الذين اثق بهم واحملهم فيها مقفلا عليهم (١٥٦/٨٠) على البغال واقود بنفسي القطار وافتح عن الرجال ولا يدرون اين هم من الارض واذا دفنوا اعدتهم على هذه الصفة .

[و][5] قدم الترجمان من واسط فاقره المتقي لله على الشرطة ببغداد .

واصعد البريديون الى واسط في سبعة آلاف[6] رجل فانفذ اليهم المتقي الى واسط ثمانية وخمسين الف دينار واقرهم بالمقام براسط فلم تقنعهم .

وفرق المتقي في الاتراك اربع ماية الف دينار .

واصعد البريدي [من واسط الى بغداد][7] فلما قرب اضطربت الاتراك البجكمية[8] وسار بعضهم الى الموصل واستامن بعضهم اليه .

واستتر الكوفي وانتقل كثير من ارباب النعم واشار بعض اصحاب علي بن عيسى عليه بالاصعاد الى الموصل فاستاجر سفنا ليصعد فيها رحله بمايتي دينار ثم استدعى[9]

---

١) كذاه في الكامل ٢٧٩/٦ فقال ابو الحسين

٢) في تجارب الامم ١١/٦ وصار احمد بن ميمون كاتب المتقي لله قديماً هو المدبر وصار ابو عبدالله الكوفي من قبله

٣) في الاصل بحكم، بحاء مهملة وترجم له في المنتظم ٣٢٠/٦

٤) في الاصل اخذ

٥) ترتيب يقتضيه السياق

٦) في الاصل الالاف

٧) زيادة عن الكامل ٢٧٩/٦ يقتضيها السياق

٨) في الاصل البحكمية

٩) في الاصل استدعا

صاحبه فقال ايرب مخلوق الى مخلوق اصرف الدنانير في الصدقة .

والحدر البريدي حين قرب فتلقاه واكرمه ومنعه ان يخرج من طياره وانتقل[1] اليهم وشكر بره .

ودخل البريدي بغداد ومعه اخوه ابو الحسين فابنه ابو القسم وابو جعفر بن شيرزاد لليلتين خلتا من شهر رمضان ونزلوا الشفيعي[2] وكان معه من الزبازب والطيارات والحديديات والشذآت[3] ما لا يحصى .

وتلقاه الوزير ابو الحسين ابن ميمون والكتاب والعمال والقضاة[4] وانفذ المتقي يعرفه انه بقربه وحمل اليه الطعام والهدايا عدة ليال .

وكان ابن ميمون $(\frac{155}{80})$ والبريدى يخاطب كل واحد منها صاحبه بالوزارة ثم انفرد بها البريدي خاصة .

فكانت وزارة ابن ميمون شهرا وثلاثة ايام ثم قبض عليه واحدره الى البصرة فمات فيها .

فاستكتب المتقي لله على خاص أمره ابا العباس احمد بن عبدالله الاصبهاني .

ولم يلق البريدي بالمتقي ومضى[5] اليه الامير أبو منصور بن المتقي لله بالنجمي ليسلم عليه فلبس البريدي ثياب سواده وتلقاه في احسن زي ونثر عليه الدنانير .

وراسل المتقي على يد القاضي احمد بن عبدالله بن اسحاق الخرقي وابي العباس الاصبهاني يطالبه بحمل المال فقال للقاضي انصحه[6] وعرفه خبر المعتز بالله ان خليته[7] مع الاوليا ليطلبن نفسه فلا يجدها .

---

١) في تجارب الامم ٦/١٤ وانتقل هو – اي عبدالله الكوفي – اليه

٢) في تجارب الامم ٦/١٥ البستان الشفيعي

٣) في الاصل الشذءات

٤) في الاصل القضات

٥) في الاصل ومضا

٦) في الاصل انصه ، والتصويب من تجارب الامم ٦/١٦

٧) في تجارب الامم ٦/١٦ والله لئن خليتك والاولياء ، لتطلبن نفسك فلا تجدها . . .

فكان الجواب ان حمل اليه خمساية الف دينار فوهب للخرقي منهـا خمسة آلاف[1] دينار بعد مايه وخمسين الف دينـار فوهب للخرقي منها خمسة آلاف[1] دينار .

وكان البريدى يامر عسكره بالتشغيب عـلى الخليفة فرجعت المكيدة عليه حتى شغبوا .

واجتمع الديلم فراسوا على انفسهم كورنكيج[2] بن الفاراضي الديلمي بالقبض عليه وقصدوا البريدي وهو بالنجمي وعاونهم العامة فقطع البريدي الجسر ووقعت الحرب في الما وثبت[3] العامة باسباب البريدي في الجانب الغربي فهرب ابنه واخوه في الما الى واسط ونهبت[4] داره ودور قواده وحمل بعض ما حمل اليه المتقي من المال .

واستتر ابن شيرزاد فنهبت داره ($\frac{١٥٦}{٨١}$) ودور قواده .

وظاير[5] سلامة الطولوني وبدر الخرشني .

وهرب البريدي من بغداد .

امارة كورنكيج[2]

وحصلت الامارة لكورنكيج ثاني شوال ولقي المتقي في ثالثه فقلده امير[6] الامرا وعقد له اللواء وخلع عليه .

ودبر الامر علي بن عيسى وأخوه [عبد الرحمان بن عيسى][7] من غير تسمية بوزارة .

وغرق الامير ابو شجاع كورنكيج تكينك[8] خامس شوال .

١) في الاصل ٥الاف
٢) في الكامل ٢٨٠/٦ كورتكين وفي تجارب الامم ١٧/٦ و ٩٨ كورنكيج
٣) في الكامل ٢٨٠/٦ وتجارب الامم ورثب العامة
٤) في الاصل مكررة
٥) في الاصل وظهر
٦) في الكامل ٢٨٠/٦ وتجارب الامم ١٨/٦ امارة
٧) زيادة عن الكامل ٢٨٠/٦ وتجارب الامم ١٨/٦
٨) في الاصل تكيك والتصويب عن الاصول المعروفة

واجتمعت العامة يوم الجمعة وتظلموا من نزول[1] الديلم في دورهم وكسروا المنبر ومنعوا من اقامة الصلاة وقتل بينهم وبين الديلم جماعة م‍.

فلما كان بعد تسعة ايام من نظر علي بن عيسى استوزر المتقي ابا اسحاق محمد ابن احمد الاسكافي المعروف بالقراريطي .

واخرج الامير كورنكيج اصبهان الديلمي الى واسط ليحارب البريدي .

وظهر ابن سنجلا وقرينه[2] علي بن يعقوب من استتارهما فقبض القراريطي عليهما حين صارا اليه وصادرهما بعد مكروه شديد على ماية وخمسين الف دينار .

وبلغ ابن رايق[3] قتل بجكم[4] فسار من الشام .

ولم يقبل ابو محمد بن حمدان من صار اليه من اصحاب بجكم[4] مثل تزون وصيمون[5] ونفذوا الى ابن رايق فكتب اليه المتقي يستدعيه الى الحضرة فسار من دمشق وعاد اصبهان الى بغداد وُحِمل ابو محمد بن حمدان الى ابن رايق ماية الف دينار .

وقبض كورنكيج[6] على (١٥٧/٨١) القراريطي فكانت مدة وزارته ثلاثة واربعين يوما .

وقلد الوزارة ابا جعفر محمد بن القسم الكرخي وخلع المتقي عليه .

وخطب بنو[7] البريدي بواسط والبصرة لابن رايق .

فلما قرب ابن رايق من بغداد خرج اليه كورنكيج وانتهى[8] الى عكبرا واتصلت الحرب بينهما ثم دخل [ابن[9]] مقاتل ومعه قطعة من الجيش وبعده ابن رايق وعبر من النجمي الى دار السلطان وسال المتقي الركوب معه فركب معه الى الشماسية وانحدرا في الماء ودخل المتقي دار الخلافة وعبر ابن رايق الى النجمي .

---

١) في الاصل نزل

٢) في تجارب الامم ١٩/٦ وسَلِيفُه

٣) في تجارب الامم ١٩/٦ محمد بن رائق

٤) في الاصل بنكم ؛ بحاء مهملة

٥) في تجارب الامم ١٩/٦ والكامل ٢٨٠/٦ صيرون

٦) في الكامل ٢٨٠/٦ كورتكين

٧) في الاصل بنوا

٨) في الاصل واتها

٩) زيادة عن تجارب الامم ٢٠/٦ يقتضيها السياق

ووصل كورنكيج واصحابه الى بغداد متهاربين[١] بابن رايق وجعلوا يقولون اين نزلت القافلة الشامية[٢] .

واتى كورنكيج دار السلطان فدافع عنها لولو وبدر الخرشني .

وعمل ابن رايق على الرجوع الى الشام وانفذ سواده .

واتفق حصول ابن رايق في سميريات بدجلة ليعبر فصادفهم كورنكيج فراشقوا بالزوبينات والنشاب وصاحت العامة فهرب كورنكيج ورماهم العامة بالستر والاجر فانهزم اصحابه واستتر هو .

وظهر الكوفي الى خدمة ابن رايق .وقتل ابن رايق اربعماية ديلمي صبرا اعطاهم الامان ولم يسلم منهم غير رجل واحد[٣] وقع بين القتلى ورمي به معهم الى دجلة وعاش مدة طويلة وقتل جماعة من قوادهم وانهزم بعضهم فباتوا بخان[٤] بجسر النهروان فبيت عليهم فهلكوا .

وخلع المتقي على ابن رايق لاربع[٥] بقين من ذي الحجة وطوقه وسوره وعقد له اللوا وقلده امرة الامرا ($\frac{١٥٨}{٨٢}$) والزم الكرخي[٦] بيته فكانت وزارته ثلاثة وخمسين يوما .

واطلق القراريطي الى منزله .

وزادت الفرات في السادس والعشرين من ايار زيادة غرقت هيت وسقط سورها وغرقت محال ببغداد وهدمت القنطرتين بالصراة وسقطت[٧] الدور التي عليها .

وفي هذه [السنة][٨] قلد القاضي ابو الحسين احمد بن عبيد الله الخرقي القضا بمصر والحرمين وخلع عليه .

---

١) في تجارب الامم ٢١/٦ وهم في غاية التهاون

٢) في الاصل الشامية

٣) اسمه في تجارب الامم ٢٢/٦ خذ اكرد

٤) في الاصل غار وفي تجارب الامم ٢٢/٦ وكان من المنهزمين من الديلم قوم مضوا في الهزيمة الى طريق خراسان ، فلما تجاوزوا جسر النهروان باتوا في بعض الخانات . . . ولعل ما اجم اعلاه المراد به خان

٥) في الاصل لاربعين والتصويب عن تجارب الامم٢٢/٦

٦) في تجارب الامم ٢٢/٦ ابو جعفر الكرخي

٧) في الاصل سقط

٨) زيادة يقتضيها السياق

سنة ثلاثين وثلاثمائة

"انحدر ابن رايق في عاشر المحرم الى واسط حين اخر عنه البريدى ما ضمنه فهرب عند قربه منها البريدي الى البصرة وانفذ اليه مساية وسبعين الف دينار وضمن حمل ستماية الف دينار في السنة .

فاصعد ابن رايق الى بغداد وانفذ صاحب خراسان الى المتقي بالله هدايا من غلمان اتراك وطيب وخيل على يدى ابي العباس بن شقيق[1] وانفذ معه براس ما كان فشهر ببغداد في دجلة .

وشغب توزون والاتراك على ابن رايق وساروا[2] الى البريدي فقوي بهم ولقوه بواسط .

وكوتب البريدى من الحضرة بالوزارة واستخلف له ابن شيرزاد[3] ثم عول على الاصعاد الى الحضرة فركب المتقي وابنه وابن رايق بين ايديهم المصاحف المنشورة واستفروا[4] العامة ، ولعن بنو[5] البريدي على المنابر .

واصعد ابو الحسن[6] البريدي الى بغداد في جيش اخيه فاستامن اليه قرامطة ابن رايق .

وعمل ابن رايق على التحصن بدار السلطان[7] ونصبت العرادات[8] على سورها واستبيحى العامة فكان ذلك سببا للفتن . واحرقوا نهر طابق ($\frac{159}{82}$) وكبسوا المنازل ليلا ونهارا .

---

١) في تجارب الامم ٢٣/٦ العباس بن شقيق

٢) في الاصل ونساروا ، والصواب ما اثبتنا كما يتضح من السياق

٣) في الكامل ٢٨٣/٦ واستخلف ابا عبد الله بن شيرزاد ، واستخلف له ابا جعفر بن شيرزاد

٤) كذا في الاصل ولعله يريد واستنفروا ، وفي تجارب الامم ٢٣/٦ واستنفر العامة (اي المتقي) لقتال البريدي

٥) في الاصل بنوا

٦) في تجارب الامم ٢٣/٦ ابو الحسين

٧) في البداية والنهاية ٢٠١/١١ فتحصن ابن رايق مع الخليفة بدار الخلافة

٨) من الات الحرب اصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة المرمى البعيد مفردها العرادة اقرب الموارد ٧٦١

واشتبكت الحرب بين ابي الحسين البريدى وابن رايق في الما واشتدت الحرب في حادي عشر من جمادى الاخرة وملك الديلم من اصحاب البريدى دار السلطان فخرج وابنه هاربين ومضوا [الى][1] باب الشماسية فلحق بهم ابن رايق واصعدوا الى الموصل فيها .

وقيد كورنكيج[2] وحده الى اخيه فكان آخر[3] العهد به .

وكان القاهر محبوسا ، فتركه[4] الموكلون [به][5] فخرج فري وهو يتصدق بسوق الثلاثا فبلغ ذلك البريدى فانفذ بن اقامه واجرى له في كل يوم خمسة دراهم. ونزل البريدي دار مونس وقلد توزون الشرطة فلما وليها سكنت الفتنة واخذ أبو الحسين حرم توزون وعيالات القواد رهينة وانفذهم الى اخيه .

وغلت الاسعار .

وظلم البريدى الناس وافتتح الخراج في اذار وافتتح الجزية[6] واخذ الاقويا بالضعفا وقرر على الحنطة وساير المكيلات من كل كر سبعين درهما وقبض على خمساية كر وردت للتجار من الكوفة وادعى[7] انها للحسن بن هارون فقلد الناحية .

وهرب خجخج الى المتقي لله .

وتحالف توزون ونوشتكين[8] والاتراك على كبس أبي الحسين البريدى فغدر نوشتكين[9] بتوزون[10] .

---

١) زيادة يقتضيها السياق عن تجارب الامم ٦/٢٥

٢) في البداية والنهاية ١١/٢٠٢ واخرجوا كورنكين من الحبس ، وفي تجارب الامم ٦/٢٥ قال : واما كورنكيج فقيده وحدره الى اخيه ابي عبدالله

٣) في الاصل ،اخر

٤) في البداية والنهاية ١١/٢٠٢ ولم يتعرضوا للقاهر وهو اذ ذاك اعمى مكفوفا .

٥) زيادة يقتضيها السياق

٦) في تجارب الامم ٦/٢٥ الجوالي

٧) في الاصل وادعا

٨) في المنتظم ونوزنكين

٩) في الاصل نوستكين والتصويب عن الاصول

١٠) في الاصل تتوزون

ونمى الخبر الى أبي الحسين فتحرز وأحضر الديلم فاستظهر بهم .

وقصد توزون دار ابي الحسين وغلقت الابواب دونه .

وانكشف لتوزون غدر نوشتكين [به][1] فلمنه وانصرف ضحوة نهار يوم الثلاثا ومضى[2] معه قطعة وافرة من الاتراك الى الموصل

وقاتلت العامة البريدي (١٦٠/٨٣) فقوى ابن حمدان بتوزون وبالاتراك وعمل على الانحدار مع المتقي لله الى بغداد وبلغ ذلك البريدى فكتب الى اخيه يستمده فامده بجماعة من الديلم والقواد .

واخرج ابو الحسين مضربة الى باب الشماسية واظهر انه يحارب ابن حمدان وذلك بعد ان قتل ابن حمدان[3] ابن رايق وكان سبب قتله ان ابن حمدان كان بشرقي الموصل وابن رايق والمتقي بغربيها فما زالت المراسلات بينهم حتى توثق بعضهم من بعض [و][4] حتى انس بهم .

فعبر الامير ابو منصور بن المتقي لله ومعه ابن رايق[5] يوم الاثنين لتسع بقين من رجب الى ابن حمدان فلقيهم أجمل لقاء ونثر على الامير الدنانير

فلما أراد الانصراف ركب الامير أبو منصور وقدم فرس ابن رايق ليركب من داخل المضرب فامسكه ابو محمد بن حمدان وقال تقيم عندي اليوم لنتحدث فان بيننا ما نتجاراه فقال له ابن رايق امضي في خدمة الامير واعود فالح عليه ابن حمدان الحاحا استراب به ابن رايق فجذب كمه من يده حتى تخرق وكانت[6] رجله في الركاب فشب به الفرس فوقع وقام ليركب فصاح ابو محمد لغلمانه ويلكم لا يفوتكم فقتلوه .

وانفذ للمتقي لله ان ابن رايق أراد أن يغتاله فرد عليه المتقي انه الموثوق به .

وعبر الى المتقي فخلع عليه وعقد له لواء ولقبه ناصر الدولة وجعله امير

١) زيادة عن الكامل ٦/٢٨٥ بمقتضيا السياق
٢) في الاصل ومضا
٣) في تجارب الامم ٦/٢٦ ابو محمد بن حمدان
٤) زيدت ليستقيم سياق الكلام
٥) في تجارب الامم ٦/٢٧ ابو بكر بن رائق
٦) في الاصل وكان

الامرا وكناه وذلك مستهل شعبان وخلع على أخيه علي وعلى ابي عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان وكتب الى القراريطي بتقليد (١٦١/٨٣) الوزارة .

ولما قارب المتقي بغداد هرب أبو الحسين البريدى عنها الى واسط .

ودخل المتقي وناصر الدولة وأخوه الشفيعي[1] .

ولقي القراريطي المتقي لله وناصر الدولة .

وتقلد أبو الوفا بتوزون الشرطة .

وخلع المتقي على القراريطي خلع الوزارة لليلتين خلتا من ذي القعدة .

وخلع بعد[ذلك][2] على ناصر الدولة وأخيه وطوقها وسورهما .

واتاهم الخبر ان البريدى على قصد بغداد فعبر حينئذ المتقي وناصر الدولة الى الجانب الغربي وسار أبو الحسن علي بن عبد الله ابن حمدان في الجيش الى الكيل ولقيهم البريدى بها ومعه ابن شيرزاد وابن قرابة في الديلم وجيش عظيم .

فكانت الوقعة مستهل ذي الحجة يوم الاربعا ويوم الخميس ويوم الجمعة .

ومع ابن حمدان توزون وخجخج والاتراك فانهزم علي وأصحابه الى المداين فردهم ناصر الدولة الى الكيل فانهزم حينئذ البريدي واستوسر من أصحابه يانس وجماعة[3] من قواد البريدي .

وعاد الى واسط واستامن الى ابن حمدان محمد بن ينال الترجمان وجماعة من قواد البريدي وعاد منهزما مفلولا .

وانحدر سيف الدولة الى واسط فوجد البريديين قد انحدروا منها فاقام بها .

ودخل ناصر الدولة يوم الجمعة لثاني عشر ليلة بقيت من ذي الحجة بغداد وبين يديه يانس غلام البريدى وأصحابه مشهرين[4] على رؤوسهم البرانس وسار في الجانب الغربي الى دار عمه ابي الوليد سليمان بن حمدان وهي بالقرب من الجسر ولاجل هذا لقب (١٦٢/٨٤) المتقي لله ابا الحسن علي بن حمدان بسيف الدولة وكتب في ذلك ابن ثوابه كتابا .

---

١) في تجارب الامم ٢٨/٦ البستان الشفيعي

٢) زيادة يقتضيها السياق

٣) في تجارب الامم ٢٨/٦ تعريف بهذه الجماعة وافرادها وهم ابو الفتح بن ابي طاهر، ومحمد بن عبدالصمد، ومذكر البريدي، والفرج كاتب جيش البريدي ٤) في الاصل مسهرين

ولاجل هذا يقول المتنبي في قصيدته في سيف الدولة :

انا منك بين مكارم وفضائل[١] ومن ارتياحك في غمام دائم

يقول فيها :

ان الخليفة لم يسمك[٢] سيفه حتى ابتلاك فكنت عين الصارم

فاذا تتوج كنت درة تاجه واذا تختم كنت فص الخاتم

قال ابو الفتح يقال فص وفص والفتح اكثر :

واذا انتضاك على العدى[٣] في معرك هلكوا وضاقت كفه بالقائم

وظهر الكوفي لناصر الدولة وخدمه .

واخذ ابو زكريا السوسي لابن مقاتل امانا[٤] وشرط ان استقر ما بينه وبين ناصر الدولة تمم الظهور والا عاد الى استتاره .

فلما عاد لم يتمش بينهما امر فقال له[٥] عد الى استتارك فقال ابن مقاتل لم اجد عهدا[٦] واذا شئت فعلت .

فضج ناصر الدولة من ذلك وعلم انها حيلة وقعت عليه فصحح امره على مائة وثلاثين الف دينار وعلى ان ينفذ جيشا الى حلب ليفتحها وصح له خمسين الف دينار .

ونظر ناصر الدولة في امر النقد وطالب بتصفية العين والورق وضرب دنانير سماها الابريزيه[٧] وبيع الدينار منها بثلاثة عشر درهما بعد ان كان عشرة وكتب ابن ثوابة عن المكتفي في ذلك كتابا .

وفي هذه السنة توفي ابو الحسن علي بن اسماعيل بن بشر الاشعري المتكلم[٨]

---

١) في الديوان ٢٩٦ بين فضائل ومكارم

٢) في الاصل يمسك ، والتصويب عن الديوان

٣) في الاصل العدا

٤) في تجارب الامم ٣٠/٦ فاخذ له امانا من ناصر الدولة

٥) في تجارب الامم ٣٠/٦ فقال له ناصر الدولة

٦) في تجارب الامم ٣٠/٦ قال : لم احُدّ الى ذلك حدا

٧) في الاصل الابن تريه والتصويب عن الكامل ٢٨٥/٦ وتجارب الامم٣١/٦ والبداية والنهاية ٢٠٣/١١

٨) ترجم له في البداية والنهاية ٢٠٤/١١ نقلا عن الكامل ، وفي ٣٣٢/٦ من المنتظم ترجم له في جملة اخبار ٣٣١ ، ونسبه في الكامل ٢٨٩/٦ قال : ابو الحسن علي بن اسمعيل بن ابي بشر الاشعري ، صاحب المذهب المشهور

وولد سنة ستين ومايتين [٨٣٧] (١٦٣/٨٤) ودفن في مشرعة الروايا في تربة الى جانبها مسجد وبالقرب منها حمام على يسار المار من السوق الى دجلة اخبر بذلك الخطيب[1] عن ابن برهان وعمرها ابو سعيد الصوفي في زماننا.

سنة احدى وثلاثين وثلاثماية

ورد الخبر بان الامير معز الدولة[2] وافى من الاهواز الى عسكر ابي جعفر بازاء نهر معقل[3] وأظهر ان السلطان كاتبه حتى يحارب البريدى فاقام مدة يحاربهم ثم عاد الى الاهواز.

وورد الخبر بورود الروم قريب من نصيبين فسبوا وأحرقوا.

وضرب ناصر الدولة ابا علي هارون بن عبد العزيز الاوار حتى على ضعف جسمه سبعاية مقرعة وصادره على عشرين الف دينار وكان يكتب لابن مقاتل وصادر جماعة من أسبابه وعمل لدار عمه أبي الوليد[4] في دجلة أنفق عليها مالا وزوج ابنته عدوية من الأمير أبي منصور ابن المتقي ووكل في العقد ابا عبدالله بن أبي موسى[5] الهاشمي وكان الخطيب[6] أبو الحسن الخرقي فلحن في خطبته وتم العقد ابن أبي موسى على صداق خمساية الف درهم وتعجيل ماية الف دينار.

وقبض القراريطي على جماعة من الكتاب وصادرهم.

وقبض على أبي القسم بن زنجى فامتنع من الغذا أياما وبقي لا يتكلم فحمله الى منزله خوفا عليه من حادثة في اعتقاله وظنه انه يموت من يومه ووكل به في منزله فدبر أمره واستتر.

وقبض على[7] (١٦٤/٨٥) أبي الفتح بن داهر العامل وكان يوسع على المكلفين الموكلين ويسقيهم الشراب فاطعمهم يوما قطايفا مبنجا فقام وهرب.

---

١) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ١١/٣٤٦-٣٤٧
٢) في تجارب الامم ٦/٣٧ الامير ابو الحسين احمد بن بويه
٣) في تجارب الامم ٦/٣٧ بازاء البصرة
٤) بعدها بياض في الاصل
٥) في تجارب الامم ٦/٣٧ ابي عبدالله محمد بن ابي موسى الهاشمي
٦) في تجارب الامم ٦/٣٧ الخاطب
٧) مكررة في الاصل

وأحدث القراريطي سوما في الظلم فلم يمهله الله تعالى[1] فعبر الى دار ناصر الدولة فقبض عليه وعلى أصحابه فكانت وزارته ثمانية أشهر وستة وعشرين يوما .

وفي جمادى الاولى هرب قطعة من الجيش الى البريدى .

واغاث الله تعالى[1] الضعفا عند تعذر الخبز بجراد اسود[2] فبيع كل خمسين رطلا بدرهم[3] .

وزارة ابي العباس الاصفهاني

ولما قبض ناصر الدولة على القراريطي جعل الوزارة الى ابي العباس احمد بن عبدالله الاصفهاني وخلع عليه المتقي خلع الوزارة ولبس القبا والسيف والمنطقة وابو عبدالله الكوفي المدبر للامور .

وصادر القراريطي على خمساية الف درهم وحمل الى دار ابن ابي موسى الهاشمي .

وكان ناصر الدولة ينظر في احوال الناس كما[4] ينظر أصحاب الشرط وتقام الحدود بين يديه .

وصار عدل صاحب بجكم[5] بعده الى ابن رايق وبعده الى ناصر الدولة فقلده الرحبة واستولى عليها وكثر اتباعه فانفذ ناصر الدولة ببدر الخرشني لحربه .

فصار بدر بالدالية توقف عن المسير الى عدل وكاتب الاخشيد محمد بن طغج وهو بدمشق يستاذنه في المسير اليه فاذن له وانفذ اليه القرب والجمال والروايا فسلك بدر البرية ووصل دمشق فقلده (١٦٥/٨٥) الاخشيد المعاون بها وجعلت الرحبة واعمال الفرات لعدل وعامله أبو علي النوبختي .

١) في الاصل نعل
٢) في المنتظم ٣٣١/٦ من الجراد الاعرابي الاسود
٣) زاد في المنتظم ٣٣١/٦ فكان ذلك معونة للفقراء لشدة غلاء الخبز
٤) في تجارب الامم ٣٨/٦ وفيا
٥) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

وحصل لعدل من المصادرات الفي الف درهم فاتسعت يده وكثر رجاله واقبل الديلم والاتراك يقصدونه من بغداد في المرقعات فخلع عليهم .

وتمت على عدل الحيلة من سهلون كاتب ناصر الدولة لانه اراد المضي الى يانس المونسي بالرقة فمنعه عدل من ذلك فقال له سهلون قد كثر اتباعك ولا يفي بمؤونتكم ما في يديك[1] وانا اكتب عن ناصرالدولة الى يانس بتسليم الرقة اليك فتبعه على ذلك .

وبلغا الخانوقه[2] فقال له سهلون الراي ان اتقدمك اليه فطلب منه رهينة فقال ان رآك[3] وقد اخذت رحلي[4] فطن فتركه فلما حصل بالرقة مع يانس كاتبا بني نمير .

فلما عرف عدل الصورة سار الى نصيبين فلقيه الحسين بن سعيد بن حمدان ، فاستامن اصحاب عدل الى الحسين فاسره وابنه وسلمها وانفذهما الى ناصرالدولة وشهرهما على جملين .

وحصل سيف الدولة بواسط ودافعه اخوه ناصر الدولة بحمل[5] المال .

وكان توزون[6] وجوجوخ[7] يسيئان الادب عليه فضاق ذرعا بتحكمها فانفذ اليه ناصر الدولة ابا عبدالله الكوفي في الفي الف درهم وخمسين الف دينار .

فلما وصل الى واسط قام توزون وجوجوخ الى الكوفي فشتماه واسمعاه مكروها فخباه سيف الدولة في بيت وقال اما تستحيان مني .

فلما كان يوم الاحد آخر[8] شعبان كبس ($\frac{١٦٦}{٨٦}$) الاتراك سيف الدولة واحرقوا سوادره فهرب ولزم نهرا يقال له الجازور فاداه الى قرية تعرف ببرقة، ولزم البرية حتى وصل الى بغداد واتبعوه فرسخا .

١) في الاصل بدتك
٢) في الاصل الخالوقه والتصويب عن معجم ما استعجم ٤٨٥/٢ وتجارب الامم ٤٠/٦
٣) في الاصل رءاك
٤) في تجارب الامم ٣٩/٦ الحاشية ، رحلي
٥) في الاصل نحمل
٦) في البداية والنهاية تورون ، براء مهملة
٧) في تجارب الامم ٣٩/٦ والكامل ٢٩٠/٦ خجخج
٨) في الاصل اخر

وعاد توزون وجوجوح الى معسكرهما .

ووصل الكوفي الى بغداد لليلتين خلتا من شهر رمضان ولقي ناصر الدولة وعرفه الصورة فاصعد الى الشماسية وركب المتقي لله اليه فساله التوقف عن الخروج من بغداد ونهبت داره رابع شهر رمضان .

وافلت يانس غلام البريدى وعاد الى صاحبه .

فاستتر الكوفي وابن مقاتل .

وخرج الديلم الى المصلى وضبط الاتراك الذين بالبلد بغداد ثم عاد الديلم .

ودبر الامور القراريطي .

وانعقدت الرياسة بواسط لتوزون بعد منازعة من جوجوح[1] له ثم تظاهرا[2] ،وكانت مدة وقوع اسم الوزارة على أبي العباس الاصفهاني أحدا وخمسين يوما ومدة إمارة ناصر الدولة أبي محمد الحسن[3] عبدالله بن حمدان ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام .

وتقدم توزون الى جوجوح بالانحدار الى نهر ابان ورد البريدي عن واسط ان قصدها .

ووافى رسول البريدي عيسى بن نصر الى توزون يهنيه بالامارة ويساله ان يضمنه اعمال واسط ويعرفه ان الراي ان يعجل الى الحضرة ويخرج ابن حمدان عنها فاجابه أن عسكري عسكر بجكم[4] الذين جربت واذا استقرت الامور تكلمنا في الضمان ($\frac{١٦٧}{٨٦}$) واتبعه جاسوسا يعرفه ما يجري بينه وبين جوجوح فعاد الجاسوس وعرفه أن جوجوح على الاستيمان الى البريدي فسار اليه توزون[5] في ثاني عشر شهر رمضان في مائة من الأتراك فكبسه في فراشه .

فلما احس به ركب دابة النوبة واخذ لتاً ودفع عن نفسه[6] ثم اخذ بعد ساعة وحمله توزون الى واسط فسمله في دار عبدالله بن يونس .

١) في الكامل ٢٩١/٦ وتجارب الامم ٤٢/٦ خججخ

٢) في الكامل ٢٩١/٦ وتصاهرا ، وفي تجارب الامم ٤٢/٦ ثم صاهر القواد بينها

٣) في الكامل ٢٩١/٦ الحسين

٤) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

٥) في الاصل نازون

٦) في تجارب الامم ٤٢/٦ ودفع عن نفسه سويعة

وزارة ابي الحسين بن مقلة

ولما انصرف ناصر الدولة[1] من بغداد قلد المتقي وزارته ابا الحسين علي بن محمد بن مقلة وخلع عليه في حادي عشر شهر رمضان .

وعاد سيف الدولة الى بغداد[2] فلما بلغ جرجرايا عرف سيف الدولة ذلك فأصعد عن باب حرب لسبع بقين من شهر رمضان ونزل دار يونس .

ولثلاث بقين من شهر رمضان دخل البريدي واسطا فاحرق ونهب واحتوى على الغلات .

امارة توزون

واقام توزون فخلع عليه المتقي وقلده امرة الامراء وعقد له لواء فانصرف بالخلع الى دار مونس واستكتب ابا جعفر الكرخي وقبض على جماعة من التجار وطالبهم بمال .

وقبض على ابي بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي .

واستتر منه ابن أبي موسى الهاشمي لتحققه بناصر الدولة (١٦٨/٨٧) وكان قد اسر عند هزيمة سيف الدولة غلاما حظيا[3] عند سيف الدولة فاطلقه ووهبه لسيف الدولة وبعثه اليه حين حصل ببغداد اذ تحسن[4] هذا الفعل من ناصر الدولة وسيفها حتى قال ناصر الدولة قد قلدت توزون الحضرة واستخلفته هناك فسكنت نفسه حينئذ .

وعلا السعر ببغداد حتى بيع اربعة ارطال بدرهم .

ووجه بالديلم الى قطيعة ام جعفر فكبسوا الدكاكين واخذوا من الدقيق وقر زورقين عظيمين برواتبهم العامة .

١) كذا في الاصل وفي الكامل ٢٩١/٦ لما بلغ وصول توزون بغداد الى سيف الدولة رحل من باب حرب الى بغداد . وفي تجارب الامم ٤٤/٦ ، ولما اتصل بسيف الدولة خبر اصعاد (اي توزون) رحل من باب حرب مع من انضم . . . ومضى على وجهه

٢) لعله يريد ناصر الدولة المتقدم ذكره

٣) في الاصل حضيا ، وفي تجارب الامم ٤٤/٦ سماه ثمل

٤) كذا في الاصل وفي الكامل ٢٩١/٦ وتجارب الامم ٤٥/٦ : فحسن

وانحدر ثالث عشر ذي القعدة وخلف ببغداد الترجمان .

وخطب ابن مقلة كتابة توزون لعمه ابي عبدالله وانفذ اليه هديه منها عشرون ثوبا دبيقيا وعشرون رداء قصبا وطيبا وذلك بعد ان استكتب توزون القراريطي وصرف النوبختي فلم يجب توزون الى ذلك وقال لا يحسن[1] بي صرفه بعد ثلاثة ايام من استخدامي له .

ووافاه بواسط ابن شيرزاد من البصرة فتلقاه توزون في دجلة وسر به وقال يا ابا جعفر كلت امارتي وهذا خاتمي فخذه ودبرني بامرك فانت ابي فقبل ابو جعفر يده .

فانصرف ابن شيرزاد الى دار الصوفي فنزلها وانفذ ابا الحسين طازاذ الى الحضرة لحلمه وانفذ معه ضافيا غلام توزون في خمسين غلاما ليقوي يده وامره بالقبض على القراريطي ويسلمه الى ابن مقلة ومطالبته بالعشرين الف دينار .

وكان سبب تخلص ابن شيرزاد ($\frac{١٦٩}{٨٣}$) من البريدي ان يوسف بن وجيه[2] صاحب عمان وافى البصرة في ذي الحجة في المراكب والشذاءات وغلب على الابلة فهرب ابن شيرزاد وطازاذ وابو عثمان سعيد بن ابراهيم كاتب بدر الخرشني.

وانصرف يوسف وقد قارب ان يملك البصرة حتى اتى البريدي بفلاح يعرف بالزيادي[3] فقال انا احرق مراكبه وكانت بالنيل[4] يشد بعضها الى بعض كالجسر في عرض دجلة فعرض الزيادي الى زورقين فلاهما سعفا[5] واضرمها نارا وارسلها فوقعت على المراكب فاشتعلت وتقطعت واحرق من فيها وانتهب الناس منها مالا عظيما .

وهرب يوسف بن وجيه واستشعر ابن مقلة الخوف من ابن شيرزاد واوقع بين المتقي وتوزون وقال قد عزم على ان ياخذ منك خمسماية الف دينار كما اخذ البريدي وقال هذه بقية تركة بجكم[6] .

---

١) في الاصل لا يحس بي
٢) في الاصل يوسف بن وحي ، والتصويب عن تجارب الامم ٦/٦٤
٣) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٦/٦٤ ملاح يعرف بالزيادي
٤) في الاصل بانيل
٥) في تجارب الامم ٦/٦٤ سعفا
٦) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة

ووافى ابن شيرزاد الحضرة في ثلاثمائة غلام ووصل الى المتقي واشار عليه ابن مقلة والترجمان بالقبض عليه فلم يفعل .

وفي شهر رمضان ورد الخبر بموت نصر بن احمد[1] صاحب خراسان وترتب ابنه نوح في موضعه .

واتصلت الفتن ببغداد فانتقل كثير من تجارها مع الحاج الى مصر والشام.

وورد من ملك الروم كتاب يلتمس فيه منديلا ببيعة الرها وذكر ان عيسى ابن مريم عليه السلام مسح به وجهه وانه حصلت صورة وجهه فيه وانه ان انفذ اليه اطلق الاسارى ($\frac{١٧٠}{٨٨}$) فاستامر ابن مقلة المتقي فامره باحضار الناس فاستحضر علي بن عيسى والفقها والقضاة[2] فقال بعض من حضر هذا المنديل منذ الدهر الطويل في البيعة ولم يلتمسه ملك من الملوك وفي دفعه غضاضة على المسلمين وهم احق بمنديل عيسى عليه السلام فقال علي بن عيسى خلاص المسلمين من الاسر اوجب فامر المتقي بتسليم المنديل وان يخلص به الاسارى وكتب بذلك عنه .

سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة

وافى ابو عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان الى باب حرب في جيش كثير فخرج [اليه][3] المتقي لله وحرمه وولده وابن مقلة وابو نصر محمد ابن ينال الترجمان وخرج معه العمال والوجوه وسلامة الطولوني وابو زكريا السوسي وابو محمد المادرائي والقراريطي وابو عبدالله الموسوي وغيرهم .

واستتر ابن شيرزاد ونهب اقبال غلامه[4] بعض خزاين المتقي .

وظهر ابن شيرزاد من استتاره .

ووصل سيف الدولة الى تكريت لاربع خلون من شهر ربيع الاول فتلقاه

---

١) نسبه في الكامل ٦/٢٩٢ فقال : السيد نصر بن احمد بن اسمعيل وله ترجمة في البداية والنهاية ١١/٢٠٦

٢) في الاصل والقضات

٣) زيادة عن تجارب الامم ٦/٤٨ يقتضيها السياق

٤) في الاصل علامه

الامير ابو منصور وصار معه الى المتقي لله واشار بالاصعاد الى الموصل فامتنع وقال لم توانقوني على هذا .

وانفذ توزون حين بلغه الخبر موسى بن سليمان في الف رجل فنزل بالشماسية.

وعقد توزون واسط على البريدى واصعد فوصل بغداد عاشر ربيع الاول.

فعند ذلك انفذ المتقي حرمه الى الموصل (١٧١/٨٨) وانحدر اليه ناصر الدولة في بني نمير وبني كلاب وبني اسد فتلقاه المتقي وسار توزون اليهم الى قصر الجص[١] ودامت[٢] الحرب فيه بين سيف الدولة وبين توزون ثلاثة ايام فانهزم سيف الدولة حينئذ واصعد معه اخوه ناصر الدولة ونهب اعرابها سوادهما.

وملك توزون تكريت فشغب[٣] عليها اتراكه ولحق بعضهم بناصر الدولة فانحدر حينئذ توزون الى بغداد وانفذ بابن ابي موسى في الصلح بينه وبين ناصر الدولة .

وانحدر سيف الدولة من الموصل ومعه الجيش للقاء توزون وكان توزون قد زوج[٤] ابنته من ابي عبدالله البريدى .

وسار توزون الى حربى[٥] فالتقيا اول شعبان فانهزم سيف الدولة وسار الى الموصل فعند ذلك خرج اخوه ناصر الدولة والمتقي لله وساير من معهم الى نصيبين وخرج توزون وراءهم الى الموصل ومعه ابن شيرزاد فاستخرج منها ماية الف دينار .

وللنامي[٦] يذكر وقعة سيف الدولة بتوزون :

على رماحك نصر الله قد نزلا ... فنال به يوم تلقاك العدى[٧] الاملا
ان نال سعدا على صرفك مطلعه ... فقد دعته العدى[٧] المريخ او زحلا

---

١) في تجارب الامم ٤٨/٦ الى قصر الجص بسر من راى

٢) في الاصل ودمت

٣) في الاصل فشب

٤) في الاصل روج

٥) كذا في الاصل وفي معجم ما استعجم ٤٢٤/٢ حرْبَة وهو اسم موضع بالشام وفي تجارب الامم ٤٩/٦ الى ناحية اخرى ، وعرف ياقوت حربى هذه في معجمه ٢٣٧/٢ طبعة داري صادر وبيروت

٦) في الاصل وللناي ، بدون اعجام

٧) في الاصل العدا

ويفتح الله اسباب السماء الى	نصر يظل به توزون قد خذلا
يا ناصر الدين ان الدين في وزر	وويل الملك ان الملك قد والا
هاني صنايك الحسن ابا حسن	والت لمن قد بغاك الشر والزللا

وسار المتقي لله الى الرقة في حرمه وولده ووصلها اول ($\frac{١٧٣}{٧٩}$) يوم من شهر رمضان وانفذ من هناك بابي سعيد[١] السوسي الى توزون وقال قل له قد اوحشتني الظنون السيئة من البريديين وعرفت انك وهم يد واحدة وقد عفا الله عما سلف فان آثرت[٢] رضائي فصالح ناصر الدولة وارجع الى الحضرة فان الامور تستقيم لك برضائي عنك فقال ابو سعيد[١] يا امير المومنين اني اخافه على نفسي فقال اذا قصدت الصلاح كفيت فقلت له فان لم يتم الصلح اعود الى وطني قال قد اذنت[٣] لك فقبلت يده .

فلما جيت الموصل هم الاتراك بي وارتاب توزون بوصولي فقلت ايها الامير قد كنت اسفر بينك وبين ابن رايق فهل عرفتني الا مستقيما قال صدقت فقلت انا رجل سني وارى طاعة الخليفة وخرجت معه احتسابا لا اطلب الدنيا وقد انفذني رسولا وانتم اولادي ربيتكم وارى الصلح .

فاشار عليه ابن شيرزاد ذلك .

ووردت الاخبار بمجي معز الدولة الى واسط فاحب توزون اتمام الصلح .

وحصل لابن شيرزاد مايتا الف دينار .

وعقد البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين كل سنة بثلاثة الاف[٤] الف وستماية الف درهم ودخل توزون بغداد .

وظهر ببغداد لص يعرف بابن حمدى[٥] فكان يعمل للعملات ووافقه ابن شيرزاد بعد ان خلع عليه على خمسة عشر الف دينار فكان يودي الروزات[٦] بها اولا اولا .

(يتبع)

١) في تجارب الامم ٦/٩٤: ابا زكرياء السوسي
٢) في الاصل: اثرت
٣) في الاصل: اذنت
٤) في الاصل: الاف
٥) فيا بعد هو ابن حمدان
٦) في الكامل ٦/٢٩٩ الروزات وفي تجارب الامم ٦/٥١ وروزات الجهبذ

تفسير الصلاة الربية (تتمة)

للمفريان غريغوريوس شمعون الطوراني

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

فان كنا على هذا النمط نحن فلا ريب في اننا معدومين من البنوة الأبوية. بل ولا اخوة المسيح ايضاً . وبعيدين من الاشتراك الروح القدسي . فتأمل يا انسان في ايا درجة ضنكة نحن قايمون. حتى ان في زماننا هذا العدل مرفوعاً بالكلية . وليس هو متحركاً بنوع من الانواع . لكنه الآن ساكناً وهادياً ومتردياً برداء النعمة . وذلك لئلا يترايا للجهلة المؤسين . ونحن الاغبيا نروم لا نستعمل العدل مع غرمايتا . يا هذا اقل ما يكون تشبه بداود النبي الذي عمل مسرة الرب وصار مثله عديم الحقد والضغينة . ذلك الذي بعد ما مُسح ملكاً من صموئيل النبي . وعدوه شاول كان مرتصداً ان يقتله . وذلك الوديع كان يهرب منه مختفياً في البراري والمغاير . وكم مرَّة يحصل لداود في ان يقتله . مع ان جماعته يقولون له يا داود ها الله اوقع عدوك بيدك فاقتله واستغنم الفرصة. وما ذاك الا لكون الرب لم يسر لشاول لكونه كان يخالف طريق الرب . اما داود فبالحال يقول حاشاي ان اضع يدي على مسيح الرب. فانظر كيف انه عليه السلام يحسم داء العداوة بهذه الالفاظ الوجيزة . وان قلت لي ذاك لان داود افتحسبني مثله . فاقول لك نعم مثلما انت انسان . وهو كذلك ؟ اما كان مساويك بالطبع والارادة والعقل . بل انه كان ملك ذو سلطة واقتدار . من حيث ان في ذلك الزمان كان العدل قايماً وسالاً سيفه ليعطي كل ذي حق حقه بالانتقام. ومع هذا لم يرضي داود ان ينتقم من عدوه بالعدل . وانت حاصل في زمان نعمة المسيح ابن الله تريد ان تنتقم من عدوك بسيف انتقامك وترمي النعمة الى وراك غير مبالٍ بها . لماذا يا اخي تحقد على اخيك . قل لي ما الذي فعل تربيك بك . فان قلت ان اخي صار عدوًا لي يشتمني . الا انه ما ظلمك ولا سلب منك مالك كما فعل شاول بداؤد . وان

قلت ان اختلس كرمي وحقولي واضرني كثيرًا وصيرني فقيرًا مرملًا . اجيبك انه ما بلغ الى أخذ روحك بعد . ولا تقول لي محتجاً في انــه انسان ردي الاخلاق شرير . فلا قدرة لي ان اعمل معه محبة وسلامة لكونه مفسودًا غير متقوّم . فمها قلته من اجله يا هذا فلن يوازي شرَّه شر شاول الذي خلص من داود مرةً واثنتين وعدة دفعات كثيرة . ثم يكمن بعد ذلك لداؤد ويخاتله لكي يفتك به . اما انا فاضرَّع اليك يا اخي الا تصنع هكذا . بل احسم رباط العداوة من غير كسل وتواني . فانت متى شاهدت عدوك او خالج كره في خاطرك . فلا تقل انه صنع معي كذا وكذا وتضرم نار غضبك عليه . بل تناسَ الجميع وقل الشيطان هو المذنب لا ذاك . ثم انك افطن في كلمة جيّدة قالها لك في وقتٍ من الاوقات . فعلى الفور يمكنك ان تنقض سياج العداوة من الوسط من غير اهمال . لان الاهمال يولد الغضب وينميــه . فاذا امضى اليوم وما عقدت فيه رباط المحبة . فيستحوز عليك الحيا بزيادة . وان بقيت الى الغد . بغير صلح . فيحصل لك الحيا اكثر . وان اقت الى اليوم الثالث على العداوة . فتبتعد عن الحيا بالكلية فان اردت ان تعلم ايها الاخ بان الاصطلاح بين كل انسان وعدوه ممكن بابلغ الامكان . لكن متى احب . فاجبني يا اخي انما هو بين الوحوش اشد شراسة ومراساً غير الاسد . ومع ذلك يعيده الناس الى الوداعة . حتى انه يصير اشد وداعة من الخروف . ويمشي فيما بين الناس وديعاً بهذا المقدار حتى ان الناس لا تخاف منه ابــدًا . فيا للعجب من كوننا نصير الوحوش الضارية المدية الأنس ودعــا مستأنسين . ونقول اننا لا نستطيع ان نجعل الانسان الناطق وديعاً. انما نكون بقولنا هذا كاذبين لكن اذا اراد احد ان يصطلح مع عدوه.. فيمضي اليه بمحبة بوجه باش . ويخرّ على قدميه ساجدًا له . ويحتضنه مقبلًا له مدمعاً ومتضرعاً اليه في انه يصطلح معه . فانه يستميله من اظهار هذه المحبة والسلامة. وعلى اي حال كان يرضيه ويصلحه ولو ان كان ذلك العدو وحشاً نفورًا . فيا هذا ان فعلت ذلك فتكون قــد اعتقت ذاتك من خطاياك . وعطفت قلبك نحو المحبة السلامية . ربحت نفسك وقريبك . وان لم تفعل هكذا مع عدوك فليكن عندك مؤكدًا انك لم تخلص ابدًا . لكون الجرح بعد حياً في نفسك . وما قد اكملت عهد الله. فكيف

تتجرا في ان تتضرع اليه طالباً منه السماح . وانت بعد ما صرت ماسحاً لذاتك . لكونك لم تسامح الذين صنعوا بك الشر . فكيف الله يصفح عن خطاياك . اعلم يا هذا انا اذا غفرنا لمن ظلمنا وقذفنا بالشتم والاهانة . فلا تظن الباري مجد يدع هذا التعدي يذهب هدرًا ضايعاً . بل انه اذا انت غفرت من كل قلبك لقريبك. فتكون مبررًا في نوعين . اولا تبرّر في محي خطاياك. ثانياً تتبرّر لكون انك تركت انتقامك لمن قال لي الانتقام وانا المجازي يقول الرب. وبهذا تستفيد فضيلة التواضع . وان لم تصدق بهذا اسمع ما اقوله لك . انه في وقت ما عيّرت مريم اخاها موسى ووبّخته . لكونه اتخذ له امرأة من بنات يعطور الكاهن الذي كان متذانق وثنياً وماذا صنع الله بها . فانه ضربها بالبرص وصيّرها غير طاهرة . وذلك من قبل تعييرها لأخيها . واما الطوبان موسى فضرع الى الله لينقيها من الوسخ الذي الم بها . والباري تعالى فما استجاب طلبته . بل قال له انا اقبل منك توسلك بان لا اعاقبها في الحيوة العليا . و اما هنا فتبقى خارج المحلة معاقبة . فتفطن يا هذا في يوم مداينة الله المرهبة . واعلم ان الجميع في ذاك اليوم يمثل عراة باديين اعناقهم . ولا يستتر عنه تعالى امرًا مختفياً . فكيف يكون حال من لا يغفر خطايا قريبه. فما ينبغي لك يا اخي ان تترك سئات اخيك هنا تضمحل كافة جرايرك المرسمة الظاهرة هناك . وفي يوم الدينونة تستوضح معترفاً . وتعوّض باكثر مما تركت. فان كنا يا اخي لمأمورين بان نحب اعدانا . ترى لو بغضنا من يحبنا فاي مسامحة تكون لنا . لا لعمري . لان الذي لا يودّ اخاه ويتفداه . لو انفق كل ماله على المساكين . حتى لو قُدِّم للاستشهاد فلا يكون قدامكم شيئاً. فمن يحارب من لم يظلمه ترى كم من عقاب مؤبد يستحقه في هذا الجحيم . يا ليتنا لم تكن هذه العداوة بيننا . حتى لم يكن الشيطان يفرح بها . يا ليتكم كنتم تعلمون الفرح والابتهاج الذي يحصل للملئكة النورانيين متى سالم بعضنا بعض وصالحه . لا سيما عندما يجدون الخاطي قد نكص تايباً عن اثمه . فاذا كان اليونانيين الذين لم يكن لهم انتظار شيء ما صالح بعد مماتهم . وهم في اكثر حالاتهم يعتنون في ان يقتنوا عدم الحقد على أحد . وانت ايها المسمّى بالمسيحي الذي ترجو ان ترث ملكوت السما. ارثاً مؤبداً. تتفخم على ان تختلق

لك عداوة مع احد . المسيح ابن الله لاجلك صار ذبيحة على خشبة الصليب كونك كنت عدوًا لله وصنعت ارادة المحال لا ارادته . والآن اذا ما تبت هو يقبلك بفرح في مظاله الابدية . فاذا كانت اللصوص الخونة متى اكلوا بعض اصدقايهم ونادموهم على مائدة واحدة. فتلك المايدة الاتفاقية تصيرهم ان يتنكبوا عن طريقهم الشنة مع احبايهم . وينقلبوا بخلق بسيط وديع اودع من الخروف . بعد ان كانوا اشد حرومة من الوحوش الكواسر ونحن الذين نشارك مايدة هذا عظم مقدارها . ونتناول جميعاً طعاماً من غير مضمحل ولا بال باتحاد واحد . يخاصم بعضنا بعض ونصيّر الشيطان عدونا محارباً قويًا علينا. ونجعل ذواتنا ضيقة قليلة القرى . فماذا يكون اشرّ من هذا واكثر بعدًا عن الشريعة الالهية. باتحادنا الشيطان اخزاه الله مساعدًا لنا ومحارباً ردياً في مضادة بعضنا بعض كل يوم . ونتفق معه على المخاصمة فيما بيننا . ما بالنا نشاهد ابن الله حامل آلاماته واقنومه مصبوغاً بالدما وهو جالس من عن يمين الآب يتضرع لاجلنا ليغفر لنا ذلّاتنا . ونحن الاشقيا نروم الانتقام من بعضنا بعض بالعدل. من حيث ان هذا الزمان هو زمان النعمة ليس زمان العدل . لان مجيء سيدنا زمان القصاص بالعدل قد مضى وزال . واعطانا تمجد بمجيه زمان النعمة . لقوله تعالى لا تقاوموا الشر . بل من ضربك على خدك الأيمن حوّل له الآخر. ومن سخرك ميلًا واحدًا امض معه اثنين . ومن طلب ثوبك فلا تمنع رداك. فكما ان في زمان الشتا لا يكون حصادًا ولا بيادرًا ولا التبن من الحنطة . هكذا وفي زمان النعمة لا يكون مجازاة ولا فعل ما من اعمال العدل. كون زماننا هذا النعمة قايمة منتصبة . وسيف العدل موضوعاً في غمده . فعوض ما نشكر نعمة سيدنا يسوع المسيح حيث انه اخفَ سيف عدله بآلام صلبه . فما بالنا نحن نستله . فالعدل الآن هو مختفي عنا لئلا نراه . فعلامنا نسعى الى ملاقاته. فلي تشجيعات النعمة لم نصبر. فامام العدل نحن الضعفا كيف نستطيع ان نقف . فمن محبة واعتناق النعمة نظفر هاربين . ففي حنقة وغضب العدل كيف نثبت . تلك التي مراحمها اي مراحم النعمة مخزونة بقضيتها كما كتب. فالحقيرات التي تطلبها منا النعمة ان كنا لا ننادي . فكيف نحن نقدر ان نادي الجليلات التي يطلبها العدل منا . فان كان الهينات السهلات التي للنعمة

تصعب علينا . فصعوبات العدل كيف نستهونها . احتضان النعمة نحن لم نتبل. فلآلام الجلد ولعذاب المرّ لنجيب البكا ولصرير الاسنان العدل كيف نحتمل. على الامور الحقيرة الزمنية السهل اقتمالها لم نتقدم . فعلى الامور الثقلية الباهظة الابدية كيف نتقدم . فما بالنا لا تنفر من ذكر استعمال العدل الذي ليس هو زمانه . ونسعى بقدر مقدرتنا متسارعين باجتهاد كليّ طالما زماننا هذا هو زمان النعمة ونغفر لترماينا من كل قلبنا ما لنا عليهم يرضي الرب الاله علينا ويغفر خطايانا . ونطلب من ابينا السماوي ونحن متضرعين اليه بتخشع قايلين .

ولا تدخلنا في التجارب . . فانظر يا اخي الى محبة سيدنا لنا وعظم تحننه علينا . فانه مجد يعلمنا ان نطلب من ابيه تعالى في صلاتنا الّا يدخلنا في التجاريب . لعلمه تعالى بصعوبتها . وقليلون الذين يخرجون منها سالمين. لكونها غير محتملة . فيجب علينا ان نكون دائماً مستعدين طالبين من ابينا هذه الطلبة نفسها . كقوله تعالى صلوا ولا تملوا . من انه لا يدخلكم في التجاريب. اي الّا نكون متكاسلين متوانين في الزمن الذي ليس فيه تجربة . بل نكن متأهبين مستعدين من قبل وفودها الينا . حتى اذا ما داهمتنا نكون مهيأين لقبولها بسهولة لكي نخرج منها سالمين من غير اشعار بها . فعاد الواجب علينا في الزمن الخالي من التجاريب ان نصلي دائماً . ونطلب ونتضرع وبخشوع الّا يدخلنا فيها . كمثل أناس لا قدرة لهم على احتمال ادنى تجربة . خايفين وجلين من وفودها عليهم . لان من عادة الخطاة لا يتاحلون ويتراخون في الاسباب المسبب عنها التجارب . بل انهم يشدون عزمهم بشجاعة ويسهرون مستعدين استعداد كليّ . لكيلا تعرض لهم التجربة بغتة وهم متغافلون . فيحصل لهم الضجر العظيم . وبجهد جهيد يسلمون منها .

اعلم . . ان التجارب تنقسم ثلاثة اقسام .

فالقسم الاوّل تصدر من جهة الناس الظالمة والسادات السابيين الغير الراحمين وهذه تاتينا تأديباً لنا من اجل خطايانا .

والقسم الثاني تصدر لنا من قبل شهواتنا كقول الرسول ان ابتلى احداً فلا يقل ان الله ابلاني بل انما يبتلي الانسان من قبل شهوته. والكتاب المقدس يقول شهوة اشتهوا في البريّة وجرّبوا الله في اشيمون . وحيث كان الطعام في

افواههم صمد غضب الله عليهم . واماً القسم الثالث : تصدر علينا التجربة من قبل الله تعالى فيسمح بها لفحص واختيار البعض من الناس الاتقيا. مثل ايوب الصديق ونظايره من الابرار كالمقول تدخلون في تجاريب كثيرة مختلفة لانكم تعرفون بامتحان الامانة تقتنون احتمالًا لتكونوا كاملين سالمين بغير عيب . وفي هـذه الثلاثة اقسام تجرَّب سيدنا يسوع المسيح نفسه وبكل من هذه التجارب الثلاثة تجرب ثلاثة امرار وذلك لينهج لنا الطريق وليهيه لنا ويعلمنا لكي اذا ورد علينا تجربةٌ منهم كيف نتدبر وننجوا من صعوبة التجاريب . فأول تجربة من التجاريب الاولى فلما رأى ان هيرودوس الظالم قد رام ان يهلكه . فهرب الى ارض مصر لانه تعالى كان عالمًا بصنيع هيرودوس انه مزمع ان يقتل الاطفال. فشاء ان يهرب لكي يعلمنا اذا ما صدر علينا هكذا تجربةٍ . نترك كل شيء بثقلنا وننجو بانفسنا فقط . وان ما قدرنا ننجوا بانفسنا بعد الجهد الكلي . نترك ايضاً ذواتنا لتنجي انفسنا التي هي السيدة الشريفة بقوة امانتنا . كقوله تعالى لا تخافوا ممن يقتل الجسد . لانه لا يقدر ان يقتل النفس . فانا اقول لكم ممن تخافوا . خافوا ممن له سلطان ان يهلك النفس والجسد معاً في جهنم . والمرَّة الثانية من التجربة الاولى . لما رأى تمجّد ان محفل اليهود يروم رجمه . اجتاز بينهم واختفى . واماً المرة الثالثة من التجربة الاولى . لما رأى سبحانه ان الناصريين راموا ليطرحوه من على جبل المبنية عليه مدينتهم . فعبر من بينهم متوارياً . لكونهم قصدوا ان يقتلوه خفيةً . وان كان زمان قتله قد ازف . ولكن سبحانه تعالى . ما شاء ذلك . ان يكون خفيةً . بل انه رام ان قتله يكون ظاهرًا . ويكن على راس خشبة الصليب معلقاً . ليتراءى لجميع المخلوقات . ولان كان بهذا الصنيع اروى ضعفاً . لان الضعف الذي يصدر عنه فايدة . فليس هذا ضعفاً . بل قوة وقدرة وانتصار عظيم . واماً التجربة الثانية المتضمنة ثلاثة تجارب . هي التي انساق الى البرية من قبل الروح القدس . وهناك صام اربعين يوماً واربعين ليلة . فيتحارب مع الشيطان ثلاثة مرات بثلاثة تجاريب الشهوات . فلما دنا اليه المجرِّب ليجربه . فتحارب معه سيدنا وغلبه بالثلاث التجارب . فاماً التجربة الثالثة فهي الترك والاهمال الذي صدر له من ابيه الآب . لان الآب جلَّ وعلا اراد ان يكتب ابنه . فلما قربت التجربة اليه

والامر المجزوم عليه فالابن تجسّد لم يأب منها . بل انه جثى على الارض على وجهه ثلاث مرار وتضرع بتنهد عظيم وبدي يكتئب ويبتئس وصار في خوف عظيم . وكان يصلي بتوجع هذا حد مقداره حتى صار عرقه كغبيط الدم . وسأل ابيه في ان يعبر كأس الموت عنه ان كان ذلك ممكناً . لان لم يكن ذلك ممكناً اختيارك يا ابتاه يكون فسيدنا قال هذا ثلاث مرار . فالحذر الحذر يا هذا من ان تتوهم من مثل هذه الاقوال الدنيَّة التي صدرت من الابن الوحيد العالي . بان للمسيح سيدنا فعلين وارادتين وان تحقق هذا الوهم عندك. لعمري ليس على وجه الارض اغبي منك لاستاعك قوله تعالى على المدي . ليس اختياري يكون بل ارادتك يا ابتاه تكون. اعلم ان لفظة لا تشير للنفي على موجب اصطلاح اهل اللغة العربية . على ان لفظة لا نافية . فاذا كان ذلك كذلك . صار معلوماً ان مولانا تجسّد قد نفي ارادته وفعله بالكلية الذي انت تقول ان لناسوته ارادة وفعل ما عدا ارادة وفعل اللاهوت . فان كان على رأيك لناسوته ارادة وفعل فها هو تعالى نفاهم عنه بالكلية . وما عاد يتدبر الّا بارادة ابيه لان حيث انتفت الارادة انتفى معها الفعل ايضاً . لكون الفاعل واحد هو . وان[من] كيف ذلك والرسول الالهي يقول انه اخذ كل ما لنا ما عدا الخطية. ونحن اي ناسوتنا له ارادة . فيكون المسيح له ارادة ناسوتية . فنقول صحيح ما قاله الرسول . ولا اشكال ان للمسيح ارادة ناسوتية . ولكن حيث وجود الاتحاد الذي صدر في جميع الانحاء من كل الوجوه الذي قد اعدم الثنية في المسيح في جميع الانحاء . صار المسيح واحداً من كل الوجوه بطبيعة واحدة واقنوم واحد وفعل واحد وارادة واحدة . كالحديد المحمي بالنار . هل تقدر تفصل لي الحديد من النار . او تميز النار وفعلها وحده . وتفصل الحديد وفعله وحده . فمن المعلوم هذا غير ممكن. فان كان الحديد المحمي بالنار لن تقدر على انفصالهم وتميز بعضهم من بعض. فكيف تقدر ان تميز طبايع المسيح وتقول له طبيعتين وارادتين وفعلين. فما هذه الغباوة باهرة . أما علمت ان النار المتحدة بالمادة . انفت عن مادتها ما كان لها من طبايع وارادة وافعال . وصار فعل هذه المادة من كل الوجوه والانحا للنار خصوصاً . لان الشيء لا يوصف الّا باشرف ما فيه . وانا اقول لك ان سيدنا يسوع المسيح هو من لاهوت وناسوت . ابن واحد . وذلك بفعل

الاتحاد الذي لا تثنية فيه ولا انفصال الى ابد الابدين ودهر الداهرين . فمن هنا يثبت ان ارادة وفعل الابن الوحيد سيدنا يسوع المسيح هي ارادة وفعل ابيه وروح قدسه . وان تشككت في ذلك ونسبت الافعال الدنية الذي فعلها المسيح لناسوته خاصةً دون لاهوته . فاعلم انك بهذا تفصل ابن الله الطبيعي من ابيه . وتجعل الاتحاد لا اتحاداً . بل مقارنة . فاسمع توبيخه تعالى لكل من يفصله من ابيه . حيث يزجر لفيلبس رسوله حين قال له أرنا الآب وحسبنا. لكون الرسول الرفيع محله سمعه يقول نزلت من السما لا لاعمل ارادتي بل ارادة الذي ارسلني . وايضاً يقول من يعمل ارادة ابي . وايضاً يقول الابن لا يعمل شيئاً من تلقاء نفسه بل ما يرى الآب عامله . وايضاً يقول ابي حتى الآن يعمل وأنا ايضاً اعمل . وايضاً يقول الآب يحب الابن ويريه جميع ما يعمل . ونظاير هذا يقول . فكان الرسول ما كان يفهم ما يقوله المسيح . او كانه يروم ان يحقق قول المسيح . فقال له يا سيدنا ارنا الآب وحسبنا . اي كانه يقول له الى متى تقول لنا عن الآب فارنا الآب ويكفينا . فاجابه السيد بزجر قايلاً له يا فيلبا لك معي هل قدر زمان ولم ترى الآب . أما تعلم ان الآب هو فيَّ وانا في الآب . ومن رآني فقد رأى الآب . وان كنت لم تقنع بهذا فاسمعه ماذا يقول ايضاً . ان الكلام الذي اتكلم به ليس هو من عندي . بل ابي الحال فيَّ هو يفعل هذه الافعال . واسمعه ماذا يقول للشرط الذين اتوا ليمسكوه . فخرج يسوع وقال لهم لمن تطلبون . فاجابوه يسوع الناصري . فقال لهم يسوع انا هو . فلما قال لهم هذا رجعوا الى ورايهم وسقطوا على الارض . فهات اعلمني يا هذا من هو الذي قال للشرط هكذا . فمن المعلوم تقول لي المسيح . فنقول لك ان كان على ما تزعم ان لناسوت المسيح فعل يختص به ما عدا فعل اللاهوت . فلماذا لم يخف من حيث الناسوت يخاف ويفزع . ها هو تعالى يقول عن نفسه ابي الحال هو يفعل هذه الافعال . فمن هنا صار معلوماً ان جميع ما فعله المسيح بارادته الواحدة الذي لابيه وروح قدسه . وابطل قول من يقول ان ان الناسوت له ارادة وفعل ما عدا ارادة اللاهوت . فلعند الآن الى صلوة سيدنا تمجّد الذي صلاها . وطلبته ثلاث مرات ولننظر ما الذي تقول . هل سمع ابيه منه هذه الطلبة ام لا . فتقول كيف يسمع منه او كيف يقول الابن هكذا.

لان الآب جلّ وعلا اختار ان يصير ابنه ذبيحة عوض البشر خليقته . والابن رضي ان يصير قرباناً لابيه الصالح . واما من حيث الافعال الدنية الذي فعلها الابن . فهو يعلا ويجلّ عنها . لكنه فعلها لاجل كمال التدبير الذي صنعه. اراد بذاك اولًا تعليمنا . وثانياً قاصدًا بذلك استهذاء على الشيطان ليخفي ذاته تعالى عن عدوه الحية العتيقة ليغري امة اليهود على صلبه . وجميع هذه الافعال كانت منه لاجل خلاصنا من عبودية الشيطان عدونا . فمن بعد ما اكمل جميع تدبيره . سلم ذاته باختياره الى اليهود . فسكوه لئلا يهرب كعادتــه . فالآب فحصه بتجربة الموت. كمن يروم ان يرى غلبة ابنه . لانه بتجربته الاولى اروى ضعف طبعنا . لكونه لبس ضعفنا واراد ان يدربه شيئاً فشيئاً حتى يتقوّى ليستطيع ان يحمل تجارب الكبار . فاولًا هرب من حيث انه ما كان قبل روح القدس بعد ظاهرًا . ولا ايضاً كان صوت الآب سمع بعد . فبهذا اروانا ان لم نقبــل الروح القدس اولًا . لا نقدر احتمال التجارب . لان سيدنا بعد ما قبــل الروح القدس . انساق منه الى احتمال التجاريب التي كابدها في البرية ونال الغلبة . ومن ثمّ صبر على تجربة الموت الفضيحة . لأن موته كان بالصليب المرّ . كما قيل انه تألم وابتلى ليعين الذين يبتلون . اذ يجرد ويدرج الطبيعة التي لبسها . لنتعلم نحن ايضاً تدريج الاستماع لابيه . كمثل حتى الموت . ولهذا كان سيدنا يعصينا في تعليمه كنا ان نتضرع الّا يدخلنا مثل هذه التجربة . لان هــذه التجربة وامثالها التي لم تأتِ علينا ما هي الا من قبل خطايانا . كون اننا دائمًا نغضبه تعالى بافعالنا الرديّة التي تصدر منا امامه . زعم لا تدخلنــا التجاريب اعني لا تدخلنا للتأديب سرعة . بل امهل علينا بما انك طويل الاناة تتراضيك . فعسى بوساطة هذه الاستغاثة يرضى علينا ويرثي لنا . كالمديون الذي استغــاث من ديانه ليمهل عليه . فترك له كل دينه . لان التجاريب التي تأتي علينا هي على قدر الجرم الذي نجترمه . لا سيما اذا عرف الانسان جرائمه . وانه باستحقاق اتت عليه التجارب . فتصعب عليه جدًا . واذا ما صعبت عليه فيضطرب منها . واذا ما كان مهيا. لوفودها فيظلم عقله ويقسي قلبه . ويمتاض معبساً . ويتحسر متكسرًا . فيقطع رجاءه من الله تعالى . ويعلم انه اذا دعاه لم يستجبه . فمن ثمّ يستحوذ عليه عدو الخير . ويظلم ذهنه ولبه كي لا يأتي ذكر الله في فكره .

فهذا دأب الذين ينسوا الله ولا يهيوا دواتهم في وقت راحتهم فيجيب علينا اننا نكون دائماً فارّين من اللعين اخزاه الله في وقت راحتنا . اي اننا نسأل من الآب ليطيل اناته علينا لنهرب متخلصين سالمين منه . فاذا كان الابن تعالى من حب سلطاته وقدرته فرَّ في التجارب غالباً وفائزاً على قوة العدو المجرّب . وفعله هذا كان لا لاحتاج . بل اراد بعقله هذا تعليماً لنا . حتى اذا ما جاءت علينا التجاريب نهرب منها . اي ان نكون مهيأين لقبولها . بالصلوات والطلبات المتواترة . ونحن ثابتين غير متزعزعين . حتى اذا ما عرضت علينا اخرى . نقبلها بقوة الروح القدس الكاينة فينا . وهكذا بالتدريج نبقى مجردين على بقية التجارب التي تفد علينا . كالفارس الشجيع الخبير بالفروسية . فشجاعته لا تظهر الا بصولاته في المعارك . ويخرج من حومة الميدان سالماً بما انه مختبر الطعن والضرب . فلهذا يتجرد على المعارك . حتى اذا ما تبين له معركة اخرى . باشرها بنفسه لثباته في الجهاد . ولان كان الجهاد بهذا المقدار صعباً . فلحكته في الطعان والضروب يحتمله بسهولة فهكذا الذين هم مواظبين على افعال البر . اذا ما صادفهم تجربة ما يقتبلونها ببشاشة وطلاقة . من حيث استنارت عقولهم وصفاوت نياتهم . وهم عارفين ان هذه التجاريب ما عرضت لهم الا لاختبارهم وفحصهم . فمن هذا لا يصعب عليهم شيء اصلاً . فهكذا كانوا الشهدا والقديسين مع بقية الصديقين الذين كانوا يحتملون التجاريب التي تعرض لهم . بانواع متعددة . ويتلاقونها بجلادة وبسالة . ويقبلونها باشتياق وفرح كما تلاقي الارض الظمأنة اوايل المطر . وذلك لعلمهم بالجزاء الصالح الذين سينالوه . بخلاف ما نحن مقيمين . لاننا اذا كنا مقيمين على افتعال الخطايا فنحقر من نيتنا وضيرنا يوبخنا . فاذا ما اهملنا ضميرنا فزيادة نتوانا . فتأتي علينا التجارب بعكس ما تأتي على اولئك الفطاحل . لكون اولئك كانوا مستعدين لها ومهيأين لقبولها . ونحن من قبل تراضينا نضجر منها ونخال انها اصعب من التأديب البراني . وهي كذلك لكسلنا وتهاونا . فلهذا لا نعد نصلي ولا نتضرع ولا نطلب ازالتها . ومن قبل هذا التراخي والكسل ترى التجربة ممتزجة بالموت . ولكن اذا ما نبهنا قريحتنا والتجينا الى حصن الصلوة وابتعدنا من افتعال الرذايل . وادمنا الطلبة وترائبنا على الخشوع والتضرع . لكي اذا

ما وقع احدنا في تجربة ما وهو كان بهذا الاستعداد مهيئاً . فيمكن له الخروج منها سالماً ناجياً . فلهذا ينبغي لنا ان نصرخ دائماً مع داود النبي قايلين . يارب لا بغضبك توبخني ولا برجزك تؤدبني . فان سهامك قد انغرست فيَّ . ومكنت على يدك . اناشدكم الله يا اخوتي ان تعدلوا عن افعال الخطايا والمآثم المسبب عنها التجاريب . آه يا احبائي لو تعلموا ما الذي هو ضمن التجاريب التي تصدر علينا من جرى اثامنا لابتعدتم عن افعالها كابتعادكم من الحية . لكون كل افعال عدونا الشرير ساكنة في انواع التجاريب . لان الحبل الذي شنق به نفسه الدافع يهوذا هو هذه التجاريب. لكونه ما اهمل الدموع وطلب الغفران بخشوع وتضرع كالصفا . الذي بعد ما كفر بخالقه وجحد سيده نجي . هذا هو الناس الموضوع على اصول الشجر الذي اتكحوا به آدم وحوي من بين اشجار الفردوس . مع ان الباري تعالى تمجد . اطال اناته عليهم بنزاله لهم وتكلمه معهم اعطاهم فسحة ليطلبوا الخلاص والغفران بغير مشقة ولا عنا ما داموا في راحتهم بعد . ولكن بما انهم توانوا وتعاملوا فاهملوا طلب العفو والغفران في وقت الراحة انزجوا في تجربة الخروج من مكان راحتهم الذي هو الفردوس. فانظر في ما كان حصلوا . ولا سيما أمر جسيم وصلوا . حتى ان الآب الازلي تحنن عليهم ورثي الى ذلهم ومسكنتهم وارسل اليهم ابنه الوحيد رتجسد وصار انساناً . وفداهم باهراق جملة دمه على عود الصليب وخلصهم من جملة نسلهم . فلهذا لا تفتر من الصلوة وتواتر الطلبة من ابينا السماوي الّا يدخلنا للتجاريب. كما علمنا مخلصنا لكونه تعالى عالماً بافعال الشيطان جميعها مكمونة في التجاريب. واللعين خزاه الله ايضاً على ابواب الخطية كالاسد الزائر للكسر والافتراس . ظمآناً لان يشرب دمنا . فلهذا اعلمنا سيدنا بعد طلبتنا ان لا تدخلنا التجاريب نطلب من ابينا السماوي لينجينا من الشرير قايلين . لكن نجنا من الشرير . . اعلم ان سيدنا له المجد عالم بجميع فكر الشيطان وحيله . وهو دائماً خزاه الله ملازماً لنا ومرافقنا . كملازمة الظل المرافق جسمنا . وهكذا اللعين لا يهدى ولا يمل ولا يتوانا . من انه يصلي لنا فخاخاً . وينصب لنا اشراكاً . ويبري لنا سهاماً . ويحفر لنا حفرةً ويلقي عثراةً . ويبدر لنا حقداً. ويزرع لنا بغضةً. وينشي لنا عداوةً . وينمي فينا حروباً . ويثير فينا قتالاً . ويهيج فينا شهواتاً.

ويحزن قلوبنا . ويبحس نياتنا . ويظلم ضمائرنا . ويسقينا مرارة . ويسلط علينا رخاوةً . ويطرح علينا كسلًا . ويملم ضلالةً . ويقطع رجاء . ويوصل هلاكاً . ونظاير ما ذكرنا كلها افعال عدو ضميرنا وقواته والارديا . فلعلم سيدنا تمجد بضعفنا وقوّة الشرير المارد : علمنا ان نقول نجنا من الشرير . كانه تعالى يقول لنا يا انكم اناس بشريين ضعفا . وعدو خيركم ذو قوة وسلطة عظيمة هذا مقدار عظمتها . حتى ان امكنه يضل المختارين . لكنكم اذا استعنتم عليه بقوة ابي السماوي بطلبتكم الدائمة ان ينجيكم من الشرير . فمن التجائكم اليه فينقذكم منه . لا محالة فان كان لنا هكذا عدو ردي لا يهدي ليلًا ولا يركن نهارًا . وان كنا نحن ملقاين مطروحين وفيا بين الاشواك جايلين . وفي اي ناحية ملنا تشبكنا اشواك العليق التي لاعدائنا . وتحت سلطان القوات القضائية وطابطي هذا العالم المظلم نحن محبوسين . ويلعبوا فينا الثعالب الصغار كالكورة . ومن جانبٍ الى جانبٍ يدفعونا ليهدمونا ويحزنونا ويهزأوا بنا . فما بالنا لا نضرع الى ابينا ونطلب منه لينجينا من الشرير وقواته . وينقذنا من الفرعون العقلي الذي يروم ان يكدنا تحت استعباد المصريين . واذا توانينا وما طلبنا اسماف ابونا نمت نرت استعباد مصر المحسوسة ابدياً . وننكدن في نير تلك المعروفة . اي نتعذب في جهنم النار بلا نهاية ما دام الله الهًا . آه يا ويلي ثم الويل لي انا الشقي الكسلان . ليت شعري من ذا الذي يخلصنا من غضبة الآب المزمع ان تفعل بنا . ليت كنت في العدم ولا كان لحقني فعله المزمع بالظهور من جري كسلي . فبمن اتضرع . وبمن استغيث وينجي من التجى ليأتي لمساعدتنا وانقاذنا من الشرير الغاش . الا لابينا السماوي فقط . انظروا بني اسرائيل حينا كان نفد عليهم الشدايد والمضايق يصرخون الى الله ويستغيثون به . فيقول الله تمجد ان صراخ اسرائيل صعد امامي . فتذكرت عهدي الذي عاهدته لابراهيم واسحق ويعقوب . فيتبيَّن لنا من قوله هذا انه يريدنا دائمًا ان ندعوه بصراخ ويجيب ليأتي لعوننا . وان لم نصرخ اليه بتواتر . لم يتذكر وعده لنا . فهكذا يجب لنا ان نداوم الصراخ لابينا ليعيننا وينجينا من العدو والمارد . ونكون كالولد اليتيم من امه . اذا ما تضايق من ادنى ضيق . فحالًا يصرخ لابيه ان يخلصه من المضايقين له . اما هم حين يسمعوا صراخ لابيه . فيتركوه

فارّين هاربين من امامه . فهكذا نحن ايضاً ما دام لنا زمان يسمع فيه ابونا صراخنا . فلنصرخن اليه قايلين يا ابانا نجنا من الشرير الذي يروم هلاكنا . فاذا ما ادمنا هذا الصراخ الشديد الى ابينا . فبالحال حين يسمع ندانا . فاللعين يفر من امامنا هارباً من حيث علمه بقوة ابينا وسطوته . ولا يستطيع الثبوت امامه . ونحن لولا مساعدة ابينا تعيننا . فما كان لنا قدرة ان ننجو من اشراك عدونا المحال ولكن ما دام صراخنا متصل منا الى الآب السماوي تشتد قوتنا ونقدر على محاربة عدونا ونغلبه . ولا يعود يستحوذ علينا الضعف . مثلما ان موسى حيث كانت الاعدا تحارب بني اسرائيل . كان يصلي الى الله بصراخ شديد وهو رافعاً يديه نحو السما . كان الشعب يغلب اعداه وحينما كانت ترتخي يدي موسي . فيغلب الشعب من اعدايه وهكذا نحن متى ما تراخينا في الصلوة وتوانينا عن صراخنا الى ابينا فاعدانا يغلبونا ويقوروا علينا ويفعلوا بنا ارادتهم . ويجري بنا ما جرى لشمشون الجبار الذي لما تراخى غلبوه الاعداء . وفعلوا به ما ارادوا . فنسأل الله الّا نكون كذلك . زعم نجنا من الشرير . لكوننا نحن ليس لنا استطاعة على قوة عدونا . فاذًا يجب علينا ان نروي جبانتنا لابينا السماوي . ونصرخ اليه قايلين يا ابينا الصالح والهنا القوي . بك نلتجي وبقوتك نستغني وبعنايتك نتقوى لاننا لا قدرة لنا على شيء البتة. فان لم تكن معنا قوتك فحقاً لم ننج من اعدايتنا . فيا انت رمينا حملنا عليك . واتكالنا القيناه عليك . بل نستشرانفسنا . وباسم ابويتك نلتجي . وباسم قوتك نقتني قوة عظيمة على قوة عدونا . وفي كل وقت وحين نسدعوك يا ابانا السماوي مراحمك يسبقنا . قوتك تصل اليه تبرد عنا جميع افعال الحنق الخبيثة بنا . لتقطع اشراكه . وتكسر افخاخه . ليلبس الخزي والخجل . ونحن باسمك العزيز ننتصر عليه . ونتسلح امامه . وبقوتك نقوم تجاه قوته . فمتى ما استقمنا على هذه الطلبة والصراخ الى ابينا العالي . فيأتي ابينا لمساعدتنا سالًا سيفه وجاياً اليه . كداود حين رمى جلياد مجندلًا على الثرى . فنقوى عليه ونغلبه. وننتصر عليه قايلين هولاء بالمراكب وهولاء بالخيل . ونحن باسم الرب الهنا ندعوا . هم عثروا وسقطوا ونحن قمنا واستقمنا . فخصلنا يا ابانا من فم الاسد لنبشر باسمك اخوتنا . ولو اننا يا سيدنا سلكنا في وادي ظلال الموت . لكننا

من اجل اسمك لا نخاف الشر لانك انت معنا . وبك تفرح قلوبنا . وعلى اسمك القدوس اتكلنا . وبك نناطح اعدائنا . وباسمك القدوس ندوس مبغضينا . لاننا ليس على قسينا متكلين . ولا سلاحنا خلصنا . يا الهنا اعداونا احتوطونا . وكالزنابير اكتفونا . وبقوة دراعك خمدوا كنار الفش . وباسمك هلكناهم . يا ربنا والهنا نسألك الّا يغلبنا الشرير . ولا من بين يديك يأخذنا . وقوتك القادرة على الكل لا تتغيّر منه . وخاصة لا تقوم مقابل خاصتك بل خلصنا من الشرير . وحين يحطاتوا بنا من كل جانب ندعو باسمك . وقوتك العظيمة تعرقلهم ليعثروا في بعضهم البعض . ويسقطون فلا يستطيعون القيام . فحينئذٍ نبصر ضعف طبعنا . ونتأمل في غلبة قوّة اسمك بنا . ونربح لك الشكر قايلين لا لنا يا رب . بل لاسمك اعطى المجد والوقار . ففي هذه الغلبة ندهش وبقوّة عظمة اسمك نتعجّب . وبغير فتور نشكرك قايلين .

لان لك الملك .. لاننا نحن لا كأناس متكلين على قوتهم وبرّهم . بل على قوتك يا ملكنا والهنا الضابطة الكل . لان الملك هو لك اي المعرفة تلك التي علمنا ابنك الحبيب ان نطلبها منك . فهي تأتي لمساعدتنا فهذا هو ايماننا اننا متى ما دعوناك تأتي لاسعافنا . ونعرف انك انت هو الرب الذي اغثتنا وعزيتنا . وانت الذي منحتنا المعرفة تلك التي قبلناها من الروح القدس . والسلطة التي تسلطنا بها على الشرير وقوته منذ اعتمدنا بك . فاذا لك الملك والضبط . اي المعرفة كما قيل مني كانت المعرفة والعجب . ونحن بسلطان هذه المعرفة استغنينا . وبها تفرسنا على مكر وخبث عدونا . وبها تحكمنا ونجينا من المعروف اللعين بالوداعة . كما قيل كونوا حكما كالحيات وودعا كالحمام . فكمثل ما عدونا ياتي الينا بالمكر والخبث . نأتي اليه بالوداعة والحكمة . ونتسلح بسلاح الروح . ونتدرع بالبرارة . ونتقلّد بسيف المعرفة الروحانية . ونخرج اليه وسيفنا مسلولًا بيدنا . الذي هو قوة اسم الآب يلمع مقابله . كما كتب باسم الرب دعوت . دعوننا باسم الرب الهنا . قايلين لك يا الهنا الملك والولاية والغلبة والضبط . وبه نحن في جميع الاعمال الحسنة المرضية لك ثابتين ومتحركين . وباسمك القدوس نطئي على كل القوات المردة . ونطرد من امامنا الشيطان مع جميع جنوده كما قيل بك اسعى على الجيش . ويا الهي اعبر الصور .

قايلين مبارك الرب الذي علّم يدي القتال واصابعي في الحرب . نشكرك يا الهنا على ما انعمت علينا بتعليمك لنا كيف نحارب عدونا . لانه لو ما تعليمك لنا صنعة القتال والمحاربة مع عدو خيرنا . لما كنا قدرنا على الخلاص منه . فهكذا يجب علينا ان نتحارب مع الشيطان بايادينا واصابعنا اي بافكارنا وافعالنا نقاتل اعدائنا بغير هدو وسكون ولا نجعل لعدونا بنا موضعاً يرتاح فينا . فنطرده بصوت صراخنا كالرعد ليصعد الى اعلى العلا . ويلقي ضجة عظيمة لطغمات الملئكة والقوات الروحانية . ويتصل الى ابينا السماري . ويحصل من صراخنا ارتجافاً للملائكة . حيث يعاينون عرش الآب قد تحرك من صدا صراخنا يا ابونا مع ابنه وروح قدسه . فيركب مع المراكب فوراً واهون صراخنا كالبرق اللامع يهبط . فحين يروا الروحانيين هذا القلق والضجيج ينـدهشون . ومن حدية طيرانهم السريع يضطربون . فيحاولون ان يسبقوا الملك حثين بعضهم ليصلوا ويخلصوا الصارخين . وينتقموا من اعدايهم قبل ان يصل الملك . كما قيل الملئكة الرب محيطة بخايفيه وينجيهم مثل انسان يقع بايدي اللصوص القتلة . فيلتجي بالجايزين . فحين يروه مضنوكاً من اعدايه . فكل منهم يتقلد بالات الحرب ويركب فرصه ويحث ارفاقه . ويسعوا ليدركوا اللصوص ويجروا معهم كل من يروا بسرعة خفيفة ليحاربوهم حتى الدم ويخلصوا الواقع بين اللصوص ولو كان ذاك غريباً لم يعرفوه. فهكذا يجري فيما بين الناس اذا وقع احدا فيما بين اللصوص فيأتوا الناس لمعونته ويخلصوه . فكم بالحري ابونا السماوي مع قواته حين يسمع صراخ ابنايه الموموقين منه . اذ رآهم منضغطين من اعدائهم فيلبسون غيرة ويتلوا غضباً على اعداء صنعة يديه . والقوات الملئكة لم يروا ان اصواتنا قد بحت من صراخنا. فيأتوا لاسعافنا . واما القوات لم يسمعونا قايلين احكم لحكمنا يا ربنا وانتقم لظلامتنا . ونجنا من الائمة الغاشين . وحارب عنا محاربينا . خذ سلاحاً مترساً وانهض لمعونتنا بل سيفك واشربه مقابل الذين يضطهدوننا . فلما يرونا مطروحين في هكذا اجهاد عظيم. ونحن في مثل هذا الضر الجسيم يصرخون على اعدائنا باصوات مفزعة . مرعبة مخوفة . فينصدموا ويتهدموا امامنا . نتقوى عليهم ونتشجع . وكيشوع بن نون نلتفت كحواسنا وافكارنا ونقول . ها هوذا الرب الهنا يحارب اعدائنا

لاجل خلاصنا . فتقووا واعتزوا ولا تخافوا . فهناك الافكار والحواس تعان . ومع يشوع اعني العقل وارهم يطرد . لان العقل اذا كان مستيقظاً يطوف كيشوع لينتقم من اعدايه . حينئذٍ اسرائيل اعني العقل . مع حواسه لينظر ملتفتاً . فيرى الالوف متحصين من عن يمينه . والربوات منهدمين من عن شماله . فاذا كان لنا مثل هذا الاب مسعفاً . وقوته لنا مساعدة. فلماذا نخاف. فنتشجع ونقول مع النبي الرب نوري ومخلصي ممن اخاف . الرب عاضد حياتي ممن اجزع. ان تحل على محلة لا يخاف قلبي . وان قام على قتالًا انا به موثقاً . الرب ناصرنا . وعوننا باسم الرب . فهكذا ينبغي لنا الا نهدي من طلب الاعانة من ابينا . والّا تفتر من اداء الشكر لاسم الهنا . ومع المرتل نشكر ونسبّح الرب قايلين جيداً هو الاعتراف للرب والترتيل لاسمك ايها العالي. الذي عبدت الشعوب لنا. ووطيت الامم تحت اقدامنا . فالآن تتعجب من ضعفنا وفي استعباد اعداينا المردة كنا مكدونين فانما قوّة الآن ليتقوى ضعفنا . وكيف اننا باسم ابينا هدمنا اعدانا واسقطناهم امامنا وصاروا لنا متعبدين. فلنعلمن يقيناً انّ هذه القوّة التي احاطتنا حقيقة هي لابينا الساوي . ومع مداومة شكرنا نقول لانك هو الملك . والقوة والمجد الى ابد الابدين امين .

فقوله الملك اعني المعرفة التي تتبعها قوّة . وهذه القوّة قادرة على كل ما تشا . والقوّة يتبعها مجدا كقدر العقل . وهذه المعرفة زمنية زايلة . وابدية دايمة باقية بغير زوال . فالزمنية كمعرفة المخلوقين المصنوعين . والابدية فهي الازلية بغير زوال . كمعرفة الاله الخالق والضابط الكل . فان كان معرفة المخلوقين المصنوعين من الخالق يتبعها قوّة ومجداً كقدر فعليهم . كقولك شمشون الجبار الموصوف بالقوّة . وجلياد الجبار . وعوج بن الجبابرة وامثالهم . المساتين بالقوّة مع باقي الابرار والصديقين الذين تمجّدوا بالبرارة . واقتنوا بذلك اسمًا وجاهاً . كل منهم على قدر تعبه وفعله ليتمجّد ويتمدح . وان كان جاه بعضهم زمني . وبعضهم ابدي . فكم بالحري قوّة ابونا السموي جلّ وعلا توصف بالمجد . خبرنا القديس غريغوريوس عن راهب ما تقي . فمدّ اليه جندياً ما ظالماً يده سالًا سيفه وجاياً ليقتل الراهب . فلمّا رأى الراهب ان قتله ازف . فقال يا ماري يوحنا امسك يده . فبالحال يبست

يد الجندي للوقت فان كان قوّة انسان قديس فاضل هكذا لها قوّة سريعة . وتفعل هكذا الفعل العظيم . ترى قوّة الله تعالى الواهب هكذا مواهباً لخليقته. كم تكون سريعة للانقاذ . وكم تكون بالف ضعف اقوى من قوّة القديسين البارين . ذلك الذي جميع السماويين يخبرون مجده . والرفيع بديع عمل يديه . يوم الى يوم يبدي قولاً . وليل الى ليل يردي ذهناً . حيث ليس قول ولا كلام الذي لا تسمع اصواتهم . لمن اقاصي السماء مخرجه . ومنتهاوه الى اقصا السماء. ليس من يختفي من سخونته . القادر على كل قوة . وكلما يشاء الرب يصنع . وهو الذي يهب القوّة للاقوياء بمعرفته وقوته يتمجدون. وجميع العارفين والشديدين في القوّة به يتمدحون . وهو الذي يحط الاقويا من على كراسيهم . ويرفع للعظمة والكرامة من الزبلة جميع المتواضعين . فاذاً لك يا الهنا الملك والقوّة والتسبحة الى ابد الابدين امين .

الذي لك يجب التسابيح مع التقاديس . ولك ينبغي التماجيد مع التعظيم . ولك يليق الاكرام مع الاحترام . ولك وحدك تستحق السجود والوقار . انت الذي اندهاش عقل معرفتك غير محدودة . وقوتك القادرة على كل قوّة تحرك خليقتك . لتشكرك وتمجدك وتمدحك بغير فتور . وبغير نهاية يبرهنون عن سعادة ملكوتك . ويذيعون جزيل مخافتك . ويكرزون عن بهاء جبراوتك. وجميع المخلوقات لا قدرة لها عن ايصاف قدرتك . وليس هم كفوا لتشكر عظمتك ذلك المتمجد وهو بتجده مُجد . وفي رفيع عزه يُمجد مبجّل . ويُكرم بعظمة مكرم . ويتقدّس بقدسه مقدس . ويتبارك بوقار مكانه مبارك . ذلك الذي صوت صافوره عزة مجده يقر . واصوات قرنه عن شكره يصوت . والقيثار مع الكينار افاعيله تخبّر . والدفوف والطبول عن حكمته تذيع . ونغمة الاوتار عجايب صنايعه تناغي . واصوات الصنوج بشاشة مراحمه تعلن وكل نسمة الى لاهوته تسبح الذي التسابيح لثلاثة اقانيمه ووحدانية طبعه تمجد الآن وكل آوان ولابد الابدين

آمين

تعريف عن الكتب

الكميت بن زيد الأسدي، شاعر الشيعة السياسي في العصر الأموي

تأليف الدكتور احمد صلاح الدين نجا

وهو الكتاب الاول من سلسلة الادب السياسي – قدّم له الاستاذ فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية – جاء بمائتين واربعين صفحة من الحجم المتوسط – طبع ونشر دار العصر، بيروت

هذا كتاب جديد ظهر حديثاً الى عالم الوجود فتبوأ مركزًا لائقاً وسدَّ فراغاً واسعاً في عالمنا الادبي ويكفي ان يكون قد مهَّد السبيل امامنا الى معرفة شاعر كبير مبرز سار في الطليعة وحاز قصب السبق في مجال الجهاد والنضال وفي سبيل مبدأ يعتنقه وعقيدة يدين الى الله بها .

هذا الشاعر هو الكميت بن زيد الاسدي محامي الهاشميين الذي تجنى عليه التاريخ وطمس على آثاره الادبية فلم يذكر منها الا القليل، واذا كان لي ما اقوله في الكتاب ومؤلفه الدكتور نجا فهو تهنئته على جرأته الادبية واقدامه على خوض غمار هذا الموضوع المجهول في عالمنا الادبي والمعدوم من المصادر التي تفي بالحاجة وتروي الظمأ وخاصةً لذلك العصر السياسيّ المضطرب الذي عاش فيه الكميت المجاهد المعارض لنظام الحكم الناقم على الأوضاع الثائر على الحكام .

قرأت الكتاب وامعنت النظر فيه وعدت ثانيةً الى بعض مواضيعه اعيد قراءتها واستعيد جمالها ولقد كنت اقف مليًا امام وصف حياة الكميت وتحليل عصره السياسي ومقابلة خواطره الشعرية مأخوذًا بدقة البحث ووضوح البيان ومتانة الاسلوب .

هذه كلمة موجزة اقولها وانا واثق من صوابها وتجردها ومما يجب ان يذكر ان المؤلف قد حلّق في الاجواء العالية ووفى الموضوع حقه عند بحثه عصر الكميت السياسي ومجتمعه وحياته الادبية والحقيقة ان كتابه جدير بكل تقدير واعجاب .

هناك بعض مآخذ اراها غير جديرة بالذكر على انه لا بد لي من الاشارة الى واحدة منها وهي ان الكميت لم يكن شاعرًا سياسيًا فحسب واني اخالف بالرأي كل من يعتقد ذلك وانما شاعر عقيدة من الطراز الاول وهو بنظري كابن هانئ الاندلسي لدى الفاطميين واننا اذا وقفنا امام الكميت وهو يقول :

« الى النفر البيض الذين بحبهم ‏ ‏ الى الله فيما نالني اتقرَّبُ »

ادركنا ان يعلن بجرأة اعتقاده الديني الصريح ويجاهر بالقول بان « آل بيت رسول المسلمين » هم الواسطة بينه وبين الله فهو يجلُّهم عن كل رتبة سياسية ... بل يرفعهم عن مرتبة الخلفاء ويضعهم بمقام الانبياء الذين يأتون لهداية البشر ومعرفة الله . وباعتقادي ان من يصل الى هذا الحد من الاعتقاد يصبح بمنجاة من كل تأثير سياسي يراد ابعاده عن عقيدته .

ظلت هناك كلمة فؤاد افرام البستاني التي اضفى عليها من علمه الجم وادبه الغزير ما جعلها كلمة جامعة تذخر بكل قوة وعمق فضلًا عن انها دعوة عامة لادبائنا ليعملوا على اخراج كنوزنا الادبية من مخابئها واظهار ما خفي من تاريخنا .

ومهما يكن من امر فلا يسعنا الا تهنئة الدكتور نجا على مؤلفه القيم فهو والحق يقال دراسة قيمة تذخر بالادب الوجداني ومن الكتب التي لا غنى للاديب عن قراءتها واتخاذها من المصادر الادبية القيمة .

بقي علينا ان نقول بان للكميت بن زيد شبيهًا من قبيلة بني اسد العربية العريقة بتشيعها لشاعر مجهول عاش في عصر متأخر عن الكميت هو « الامير مزيد الحلي الاسدي » وهذا ايضًا شاعر عقيدة من الطراز الاول واننا الآن في طريقنا لطبع ديوانه مع اصدار دراسة عنه وسيكون للكميت ذكر في هذه الدراسة ان شاء الله .

عارف تامر

القواعد الفلسفية للمعتزلة ، اول المفكرين في الاسلام

تأليف البر ن . نادر دكتور في الآداب

هذا كتاب وضعه باللغة الافرنسية الدكتور البرت ن . نادر وقامت بطبعه المطبعة الكاثوليكية على ٣٥٠ صفحة بحجم عادي لحساب المعهد الشرقي للآداب في جامعة القديس يوسف الذي اعتبره من منشوراته لعام ١٩٥٦

باعتقادي ان الكتابة عن الفرق الاسلامية التي اعتنقت مذاهب فلسفية خاصة تعتبر مجازفة ربما لا يسلم صاحبها من النقد والاخطاء ، وقلما يتمكن الباحث من اجتيازها بسلام ، والمعتزلة من الفرق الاسلامية التي اعتنقت مذهباً فلسفياً خاصاً كان له اثره الهام في مجال الفكر الاسلامي وقد بدأ كدعوة فكرية وفكرة عقائدية دينية جاهر فيها كل من معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري الذين قالوا بالقدر وانكار اضافة الخير والشر اليه ، وقد نسج على منوالهم بادئ بدء واصل بن عطاء وهذا كان من تلامذة الحسن البصري وفي هذه الفترة ظهرت فرق اسلامية كثيرة كان اهمها « الوعيدية » و « المرجئة » و « الجبرية » و « القدرية » فاعتزل عنهم « واصل » ووضع نظرية فلسفية متقاربة محاولا التقريب والتوفيق بين النظريتين ، وعلى اثرها سمى هو ومن اتبعه (المعتزلة) .

من الجلي الظاهر ان هذه الفرقة انتجت علماء اجلاء ضربوا بسهم وافر في مجال العلم والعقل والفلسفة ، وقد ظهر اثرهم الفكري في عصر المأمون وخاصة بعد ان عكفوا على قراءة كتب اليونان وترجمتها ونقلها ، وظهرت بعد ذلك وفي هذه الفترة مسألة (علم الكلام) وكان داعيهم (ابو الهذيل العلاف) ممن قال بهذا الرأي ودعى اليه والى القول بان الباري تعالى عالم بعلمه وعلمه ذاته وقادر بقدرته وقدرته ذاته . هذا وانهم لقبوا ايضاً (باصحاب العدل والتوحيد والقدرية) وقالوا بان الله قديم لان القدم احسن وصف لذاته ، وقالوا بنفي الصفات القديمة لان الله عالم بذاته قادر بذاته وحي بذاته واتفقوا على نفي

رؤية الله تعالى بالابصار وفي دار القرار ونفي التشبيه عنه وأوجبوا تأويل القرآن وسمّوا هذا توحيداً ، ثم انهم قالوا بالعدل والتخيير وقالوا عدلاً لان العبد قادر خالق لافعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة والرب تعالى منزه من ان يضاف اليه شراً او ظلماً لانه لو خلق الظلم لكان ظالماً كما لو خلق العدل لكان عادلاً . واتفقوا ايضاً على ان المؤمن اذا ترك الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب وسمّوا هذا وعداً ووعيداً .

هذا قليل من كثير من اراء المعتزلة لمحنا اليه تلميحاً وهناك اراء اخرى لا يمكن التطرق الى بحثها لانها تشكل موضوعاً مستقلاً ، ومهما يكن من امر فجميعها وردت بالكتاب بشكل مفصل موزون منسق خالٍ من كل تعقيد . قرأت الكتاب ووقفت عند كل فصل من فصوله افحصه واقابله واستعرضه والحقيقة ان فيه كل ما يفيد الباحث ، واني اذ اطالب اعتبار هذا الكتاب من المصادر القيمة في الاسلام افعل والاعتقاد يحدوني بان فيه دراسة عظيمة وجهد بالغ ومادة قوية يستحق المؤلف عليها كل ثناء وتقدير. كل هذه الاسباب تدفعنا لتقديم تهانينا للدكتور نادر على كتابه القيم آملين من الباحثين احلال هذا الكتاب المنزلة التي يستحقها بين المصادر التي يعتمد عليها في الدراسات الاسلامية والشرقية .

عارف تامر

سنان وصلاح الدين — قصة تاريخية

بقلم عارف تامر

دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٦ — ١٥٥ ص قطع متوسط

يلمح المؤلف الى ان صلاح الدين كان يظن الظنون بسنان شيخ الجبل ويحاول قهر الاسماعيلية والاستيلاء على قلاعهم مصياف والمرقب والقدموس والكهف وصهيون الخ. ولذا فقد اخذ المؤلف على عاتقه ان يبين ان الاسماعيلية امة عظيمة تتطلع باعباء رسالة سامية اخذوا على عاتقهم نشرها في كل بلد وهي تحمل النور والعدالة والمساواة والعلم ولهذا العالم الغارق في ظلمات الهمجية والجهل . ويبرهن على انهم ابرياء مما يتهمهم المسلمون اذ انهم حمى الوطن ضد الاجانب الصليبيين .

وهذه الامة لا تخلو من الشعر والشعراء والغزل والحب .

وقد راح المؤلف يسرد علينا ما جمع بعد ذلك بين سنان وصلاح الدين وهو عهد على حرب الصليبين . فيقوم الفدائيون الاسماعيليون بدور كبير يتمّ به قهر الصليبيين في حطين وفتح بيت المقدس .

قصة يتتبعها القارئ بانتباه ويغرف منها دروساً شائقة متينة . ولكنه يودّ لو نشر المؤلف المستندات والوثائق التي تفيد لتلك الامة الاسماعيلية صفاء الحكم عليها في كتب المؤلفين الشرقيين والغربيين . ا . ع . خ .

ابن الحريري ومقاماته

بقلم الدكتور محمد احمد الصديقي

جامعة اله اباد ١٩٥٣ — ٢٣٢ صفحة قطع كبير

يرى المؤلف ان من مزايا العصر العباسي ان الادباء خرجوا عمّا كانوا عليه من الاسلوب المألوف من قبل وبذلوا جهدهم الى تحسين الالفاظ وتزيينها وتكرار جملة بعد جملة ورأوا ان ذلك التنويع يحرّك العواطف . . . الخ . ومن اواخر العصر العباسي اتقن البلغاء السجع واكثروا الجناس والبديع حتى ترى اقوالهم مزخرفة . . . والحريري قد نشأ في هذا العصر عظم الدولة السلجوقية ايام ملكشاه اعظم ملوكهم . ففاق على الاقران وطبق صيت بلاغته الخافقين فأمه الادباء والعلماء يحضرون مجلسه للاستفادة من علمه وأدبه» . (ص١٨ و٢٧)

ان خروج الادباء عن المنهج القديم نهج ابن المقفع وعبد الحميد ابن الكاتب في آخر العصر العباسي واتقانهم السجع والبديع لم يكن مزية بل كان دليلًا على ضعف اللغة . لكن ذلك لا ينقص من قيمة الحريري حبيب الهند وصديق الصدّيقي الفضل .

لقد الـمّ المؤلف بموضوعه واطّلع على ما قيل عن المقامات وتوسّع بذكر ذلك حتى تطرّق الى ذكر اشياء كان في غنى عنها مثلًا (ص ١٨٠) وقد قسى كثيرًا على البديع وجعل الحريري من القمة التي لا تنال . وان يكن للحريري فضل على بديع الزمان فذلك بتفصيل معانيه وايرادها باسلوب منطقي (المقامة التي تدلنا على الحوار بين رجل وزوجته) فهي مثال نادر للانشاء في الكتابة العربية .

لكن تساءلت في امر الهمزة . فهل حلّ اهل الهند مشكلة كتابتها فيقولون : اقرء ويقرء عليه . ويثني على ذكاءه . ويصحّح ارائه . وبين امرء القيس وبينه الخ . بدلا من اقرأ ويقرأ عليه ويثني على ذكائه ويصحح اراءه وبين امرئ القيس وبينه... اما مصائب فالاصحّ ان تكتب مصايب... واستعمال حروف التعدية كقوله : كان الناس معتادين بشرب الخمر في الدولة العباسية . وكانوا لا يكترثون بالاحكام ... فالاصح حذف الباء من شرب وابدال اللام بالباء من الاحكام الخ ...

وقال : اول من عني بالنحو هو (هم) اهل البصرة (ص ١٢) — ما لا يدرك كلّه لا يترك كله (جلّه) (ص ١٥) — ان ملوك هذه السلاجقة ووزرائها (ووزراءها) (ص ٢٤) .. له اخبار من نتف لحيته ودمامة خلقه (وليس للتعبيرين شبه) (ص ٣٢) — غير انه رغم انتشار حرية الفكر في عصره لارتقاء الفلسفة ظلّ مقيدًا بالقيود الدينية في افعاله وافكاره (ص ٣٨)— صيغة مقامة ومعانيها (ص ٨٠) — كلام جرجي زيدان يراجع بلفظه(ص٩٢)— يروى عن اديب انه اجاب ... (ومن هو ذاك الاديب) (ص ٨٧) — من كتب مقامات (ص ١٠٣) — الخ ...

ولقد دافع عن مجون الحريري وغزله فوق ما يجب . وكان عليه ان يعرض وهو مؤرخ لا ان يجادل . وكان الاصلح ان يتوسع بما اتى به لا ان يرسم خطوطاً عاجلة ويكتفي بها منتفعاً من تقدم العلوم النفسانية وجادا في تطبيق المبادئ على عقلية كاتب نحله في اعلى مقام المؤلفين. ولكننا نحتفر صنع المؤلف اذ جدّ في تأليف كتاب عن الحريري ولو ظلت ميزته مدرسية ، تتخلله اشياء كثيرة وحسنة .

ا. ع. خليفه اليسوعي

طبقات الاطباء والحكماء

تأليف ابي داود سليمان بن حسان الاندلسي (المعروف بابن جلجل) تحقيق فؤاد سيد
مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ — ١٣٨ صفحة قطع كبير

يقول ادوارد ح. براون في مستهل رابع محاضرة من كتابه «الطب العربي» ان «قرطبة انتجت في القرن العاشر اكبر جراحي العرب وهو ابو القاسم الزهراوي

المعروف في القرون الوسطى باسم ألبرقاسيس وألسهرافيوس ، وقد كان معاصراً لطبيب البلاط ابن جلجل الذي – ويا للاسف – لم يبقَ أثر لكتابه في طبقات الاطباء والحكماء » .

ولكن في الواقع لم يكن هذا الكتاب قد فقد بل كان في حوزة عالم مغربيٍّ حتى سنة ١٩٥٠ فاتيح للسيّد فؤاد السيّد الاطلاع على محتوياته ونشره بعد أن حقّق ودقّق فيه ، ونقده ، واتحفه بملاحظات . ومعلومات كثيرة قيّمة . فله الشكر كل الشكر . ولهذا الكتاب اهمية كبرى لاسباب شتى تكلّم عنها الناشر في مقدّمته . فهو كتاب استُقيَتْ بعض معلوماته من اخبار مروية بالسماع والبعض الآخر من ترجمات عربية لاصول لاتينيــة والمعهود ان اكثر الترجمات جاءت من مصادر يونانية .

ويعتبر هذا الكتاب من أهم التراجم للحكماء والاطباء عند العرب الفه ابن جلجل سنة ٣٧٧ ﻫ اي في نفس السنة التي ألّف بها ابن النديم كتابه « الفهرست » . وهو ايضاً من اقدم التراجم وان لم يكن اقدمها على الاطلاق اذ كان اسحق بن حنين قد سبقها الى هذا النوع .

وبالرغم من بعض الاوهام التاريخية اشار اليها الناشر فقد جاء ابن جلجل بمعلومات تاريخية قيمة ، انفرد بها ونقلها عنه مشاهير المؤرخين في القرن الثالث عشر امثال ابن خلكان والقفطي وابن ابي أصيبعة ككلامه مثلاً عن الكندي المعروف « بفيلسوف العرب وفيلسوف الاسلام » والذي ينتهي نسبه الى قحطان . او كلامه عن ماسرجويه الطبيب البصري وحركة النقل والترجمة في صدر الدولة الامويّة . وهناك ايضاً ما اورده عن حالة الطب في الأندلس وكيف لم يكن حتى منتصف القرن التاسع الا اطباء نصارى يعتمدون على ترجمة عربية من اصل لاتيني لكتاب « ابريتم » (Aphorismes) لبقراط . ثم يذكر ظهور بعض الاطباء الاندلسيين المهرة والنهضة العلميّــة التي تبعث انتشار الكتب الطبيّة والعلميّة التي جاءت من المشرق في عهدي عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم .

ولكن هنالك نقطة استفهام . اورد ابن جلجل تراجم كثيرة لاطباء وحكماء اندلسيين انفرد بذكر اكثرها ولم يبقَ لاصحابها اثر كبير بعد موتهم .

فلمَ لم يذكر ابن جلجل اهمّهم – اكبر جرّاحي العرب – وذوي الاثر العظيم على الطب الاوروبي في القرون الوسطى ، ابو القاسم الزهراوي وكان قد عاصره، وكلاهما كانا اطباء البلاط : ابو القاسم لعبد الرحمن الناصر وابن جلجل للمؤيد بالله هشام ؟

جبرائيل مخلوف اليسوعي

La découverte du passé — Progrès récents et techniques nouvelles en préhistoire et en archéologie. — Études réunies par A. Laming. — Ed. Picard, 1952, Paris.

لقد دخلت ازمان ما قبل التاريخ وعلم الآثار القديمة في عهد علمي يحتلان فيه مقاماً اخذت خطورته بالازدياد وذلك بسبب الاشواط التي قطعها «التكنيك» في ميدان الاكتشافات وفي مضهار العلوم الفيزيائية والطبيعية، فقد اسفرت محاولات غير مرتقبة وطرق متنوّعة من اسداء جلى الخدمات الى اعــادة انشاء الماضي فهناك خلا التقاط الرسوم الشمسية من الجوّ التي يعود تاريخ استخدامها الى ابعد من عشرين سنة اساليب تنقيب اعلاء طبقات الارض وهناك تحليــل الاتربة الكيمياني وهناك الآن اكتشاف المناجم التي استخدمت في اثناء الحرب وقد غدت تستخدم في اكتشاف المدن وتحليل النظام كيمائياً ودراسة اتساع دوائر الجسور ومنطقة الخزف حرارياً وفضلاً عن هــذا كله ثمة تصوير القوة اشعاعياً تصويراً بات معمولاً به لتعيين تاريخ الآثار التي يعثر عليها المنقبون كما ان هناك دراسات اخرى وليدة علوم شتى تخوّلنا اعادة انشاء الوسط الذي تدرّج فيــه انسان الازمان الماضية واعادة انشاء طرقه التجارية وفنونه الخ ...

واذا كان ثمة كتب عدة تتعلق بمعرفتنا الحالية لازمان ما قبل التاريخ فليس من بينها ما يدرس ببعض الاسهاب والتفصيل الاساليب العلمية المستخدمة لبلوغ هذه المعرفة ، فهذه الثلمة هي التي سدّها كتاب «اكتشاف الماضي» الذي استشعر واضعوه ذلك فحشدوا له من الاختصاصيين الفرنسيين والاجانب الذين يقدرونهم . وحدهم الوصول في تعمّقهم الى الحد الاقصى في كل منهج واسلوب يتصلان بهذا الامر لانجازه بدقة وعلى قدر ما هو ممكن وتمهيداً للصعوبات والامور التي لم تصبح بعد في حيّز الممكنات ، ولقد طُلب الى كل منهم ان يبــذل مجهوده في الباب الذي عُني بدراسته التقليل على قدر المستطاع من مظهره الفني (التكنيكي) ليكون ما كتبه في متناول جميع دارسي ازمان ما قبــل التاريخ وجميع علماء

الاثار القديمة ، اما الذين يرغبون في الاستزادة من التعمق في احد هذين الفرعين فقد جمعت لهم في نهاية الكتاب اسماء الكتب الموجزة والمعلومات العملية التي تتصل بكل فصل من فصوله . ب. ن

توما الاكويني

بقلم ميخائيل ضومط

المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٦ ، ١٤٦ صفحة قطع كبير

ما من دراسة لدينا في اللغة العربية عن القديس توما فلقد ترجمت مؤلفاته الخلاصة اللاهوتية (La Somme) وردوده على الوثنيين والماهية والوجود (essentia et existentia) وجيء ببيان عن افكاره الرئيسية في مقدمات هذه المؤلفات وانما لم يتصدَّ احد قط الى اتحافنا بدراسة مسألة معيّنة.

والاب ضومط (وقد اصبح مطراناً على ابرشية صور) الـذي عانى التعليم وانصرف الى البحث مدة طويلة وكان فاحصاً في البكالوريا اللبنانية قد اتحفنا بهذه الدراسة المقارنة بين فكر الملفان الملائكي وفكر الفلاسفة المسلمين ولا سيما الفيلسوف ابن الرشد ، فقد استعرض نقاطاً عدة وتقصّاها وتلخص من مقارنتها النتائج التالية : سرمدية العالم واتفاق الغاية مع العقل ومعرفة ما ينطبق بشكل ناقص على قسم واحد من احد الانواع والاجناس ووحدة الروح والارادة الانسانية ، وتتصل حلقات الجدل وتتعاقب البراهين ويظهر الوضوح . اما ابن الرشد فقد غاب عن نظره عدد كبير من المبادئ الفلسفية فتلخص نتائج كان تأثيرها في الاخلاقيات وحتى في تفكير الانسان باعثاً على الاسف .

وفي القسم الثاني عرض المؤلف بشكل موجز وواضح البراهين التي استند اليها القديس توما ليبرهن على وجود الله (الطرق الخمس) وهي روحية النفس والمعرفة وحرّية الانسان والناموس الطبيعي والتطور المستديم .

ويضع المؤلف في متناولنا في قسمه الاخير مختارات من مؤلفات القديس توما ، وفي هذه الصفحات المختلفة صفحة تبين ما كانه القديس توما في شروحه اما انتقاء بقية المختارات فتتقن ، واننا لندرك المؤلف الذي اوضح لنا في هذا المقام فلسفة الاكويني فبلغ كفايته ومقدرته كلاهوتي بعيد النظر في كتابه هذا ،

وانا لتواقون الى ان لا يدعنا بدون ان يتحفنا بدراسات اخرى ممتعة كل هذا الامتاع .

ا. ع. خليفه اليسوعي

خمس رسائل اسماعيلية

تحقيق عارف تامر وتقديمه

دار الانصاف للتأليف والطباعة والنشر ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٣ م، ١٧٩ صفحة

لقد اصبح المؤلف معروفاً من وراء منشوراته عن الاسماعيليين وادبهم ، فمنذ القصيدة الصورية اصدر دراسات كثيرة اخرى اشار اليها في مقدمة هذه الدراسة.

والرسائل الاسماعيلية الخمس هذه ثمرة التعليم ورشيقة الانشاء . فالمؤلفون يندفعون فيها احياناً متحمسين بالافكار الفلسفية التي يتوسعون فيها توسعاً صار الى بعث الرغبة في الاطلاع عليها كرسالة تحفة المستجيبين للسجستاني .

ومما نأسف شديد الاسف رؤيتنا هذه الاسرار وهذه العبارات لا يبرح مفتاح تفسيرها يهرب عنا ويقف حائلاً دوننا ودون فهمها .

واننا لنحس في كل موضع منها بالدر من الفكر والشعور المرهف التصوفي، فلذلك نحن بقارغ الصبر ننتظر ان يتحفنا المؤلف بدراسة مسندة فيها مفتاح هذه الباطنية وانه لفاعل وانه عالتنا ذلك .

ا. ع. خ

محاضرات عن ابراهيم المازني، ١٩٥٤

بقلم الدكتور محمد مندور

٤٧ صفحة – مطبعة دار الهنا بشارع الصحافة – بولاق – مصر – معهد الدراسات العالية بجامعة الدول العربية – محاضرات عن خليل مطران ١٩٥٤–٤٤ صفحة ؛ المطبعة نفسها – محاضرات عن مسرحيات شوقي ١٩٥٥–٧٧ صفحة دار مصر للطباعة

يبدو الكاتب في هذه الدراسات الثلاث عالم نفس دقيقاً ومحللاً للعواطف رشيقاً ونقادة رصيناً ، فهو لم يضح بشيء لا في سبيل الذوق ولا في سبيل الزي الجديد .

وفي دراسته للمازني قد تحرى تطوره النفساني الثوري محاولاً تحليل طبائعه في اوضاعه البيئة التي نشأ فيها ولكنه ظل صائب النظر ليؤكد ان جديد المازني الذي اراد ان يبثه في الشعر مع من سار في ركابهم جنباً لجنب لم يكن

الا من الباب التقليدي ، فالمازني المتكمش على نفسه والذي انتقل من التعليم الى امتهان الادب والصحافة لم يستطع قط التخلي عن ذاتيته فهو قد احيا ابسط دقيقة من دقائق حياته في كتاباته ، وهذا كما قال الكاتب بحق يتجلى في جميع مظاهر حياة المازني الادبية . كان شاعراً وناقداً ،صاحب مقالات لا قصاصاً.

وفي حديث الكاتب عن خليل مطران لم يكن بمقدوره ان يكتم اعجابه بهذا الاديب المنطلق التفكير وذي الروح الانسانية اللذين خولاه التجديد حقاً ولا سيما في الشعر ليستحق عن جدارة لقب شاعر القطرين .

ويسهب المؤلف في دراسة الملاحم ، هذا الضرب من النفس الشعري الذي يتفوق فيه شاعر القطرين ليكون المطران مجدداً في جميع هذه الابواب .

ومن ثم حوّل الكاتب اعجاباً اشد الى شوقي شاعر المأساة والقوة والعظمة وفرة العواطف فاسهب بحق في كلامه على كثرة الاساطير التي تتخلل مسرحيات شوقي وقد اضرّت فعلاً بايفاء مسرحيته حقها من التوسيع المنسجم كما في رواية « مجنون ليلى وعنترة » .

وفضلاً عن ذلك فان شوقي على ما يبدو لم يعرف ان يوقظ في المستمع لروايته معنى العطف كروايته « كليوبترا » ولم يعرف ان يوقظ فيه شعوراً لانها رواية باردة جداً وبدون حياة .

واننا لا نستطيع في دراسات منذور الثلاث الا ان نثني على المؤلف وان نشحذ عزيمته ليتحفنا بدراسات موضوعية بصدد ادباء معاصرين بالدقة نفسها في نقده .

ا . ع . خ

الشبك من فرق الغلاة في العراق

بقلم احمد حامد الصرّاف

اصلهم ، لغتهم ، قراهم ، عقائدهم ، اوابدهم ، عاداتهم — مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٤ ، ٣٠٤ صفحات

ما برحنا ونحن في القرن العشرين لا نجهل فقط التفصيلات عن احد الشعوب ولكننا ما زلنا نجهل حياتهم نفسها وان مثل هذه الشعوب التي انقطعت عن مخالطة الناس والتي عرفت ان تعتصم بالصمت حول دينها وحياتها لم يكن

بمقدورها الا ان تنطفئ او ان تندثر تقريباً ، لانه ليس هناك شعر ولا ظاهرة حياة روحية لتتميز بها .

ولقد تمكن واضع هذا الكتاب — عن طريق الحيلة — من الوصول الى انتزاع بعض التفصيلات عن هذه الفرقة من فرق الغلاة التي على ما يظهر هي بقية قديمة من البقايا التركية وقد احتفظت ببعض التقاليد التي تشير الى مبلغ تأثيرها العظيم فيها ، كالاعتراف مثلاً الذي يعترفونه لزعيمهم الروحي اذا ما ارتكبوا معصية لانه الرئيس الوحيد الذي يستطيع ان يغفرها لهم . ومع ذلك يبدو ان الدين الاسلامي هو بالاساس دينهم لانهم يقولون باقواله الرئيسية ويسلمون بمحمد وان فضّلوا علياً واسبغوا عليه من المميزات ما لا يسبغها الاسلام عليه ، وعلى الرغم من كل ذلك فهم لا يصلّون ولا يصومون ولا يحرمون شرب الخمر ويعترفون بالتثليث .

ولا بدّ من الرجوع الى النوبختي او الى البغدادي او الى الاسفراييني او الى ابن حزم لنرى ما يقولونه عن الفرق . ان ما يقوله هؤلاء ليس الا معلومات غامضة عامة لا تغني الباحث ولا تسدّ من جوعه .

ويحق للمؤلف ان يسهب على الفكرة الصوفية لدى هذه الفرقة وان يصف درجاتها وان يحلّل الاقوال الرئيسية التي تقول بها ولكننا نتساءل عن الاسباب التي دفعته الى مهاجمة المسيحية اذا ما اراد الدفاع عن الاسلام ، وانه قد اكد ان الدين المسيحي هو الذي انشأ ، اذا شئنا القول ، النظرية الحلولية بحسب طريقته الاشد تطرفاً ، غير ان المؤلف يجهل المسيحية التي لم تفعل منذ البدء سوى مقاومة الحلولية مؤكدة سمو الله وحقارة المخلوق ، ولكنه اذا كان الحلاج قد اكد اتحاده بالله فلماذا ينسب هذه الاضاليل الى تأثير المسيحية ؟ واننا لنرغب الى المؤلف الذي يبدو انه من رجال البحث ان لا يظهر متحيزاً كل هذا التحيز الى جهة واحدة وان لا يتقيد كل هذا التقيد ليكرر ما يقال في الاسلام ضد المسيحية .

وعلى الرغم من كل ذلك فنحن نحفظ للكتاب قيمته وانما يبدو لنا ان الكاتب كان باستطاعته الاتيان بمؤلف علمي اشد تعمقاً فيما لو كان اشد موضوعية .

واننا نتمنى ان يزداد عدد هذه المصنفات وبذلك سنفوز بوسيلة عمل جدّي نافع .

ا . ع . خ .

المحاضرة الافتتاحية ١٩٥٣ــ١٩٥٤

بقلم ساطع الحصري

جامعة الدول العربية – معهد الدراسات العربية العالية – مصر ١٩٥٤ – دار مصر للطباعة ، ٢٣ صفحة

توضح هذه الدراسة الافتتاحية غاية هذا المعهد الذي يتولى المؤلف رئاسته وهي : بث فكرة الوحدة في العرب عن طريق شتى الدراسات التي تلقي نوراً جلياً على ماضيهم وثرواتهم فهم اذا مـا فكّروا في مغزى وحدتهم اللغوية والقومية لن تبقى التقسيمات الاقليمية ذات بال — ويؤخذ من قول المؤلف ان الدول الغربية قد حالت دون تقدم الشعوب العربية ، اما الآن فقد حانت الساعة ليتوحّدوا — ولقد كنا نتمنى ان لا يكون محل للسياسة في هذا المعهد وان يظل هدف المحاضرين والاساتذة دائماً الهدف العلمي .

محاضرات عن مي زيادة مع رائدات النهضة النسائية الحديثة

بقلم الدكتور منصور فهمي

المعهد نفسه ١٩٥٥ ، مطبعة دار الهنا ، ٢١٤ صفحة

لقد عكف المؤلف بعطف على هذه الدراسة التي نحس في كل صفحة من صفحاتها قلباً يخفق منسجم الايقاع مع تلك النفس التي امضّها الالم لانها ربما كانت معجبة بذاتها وتود على كل حال تخليد ذكراها ، وان رسائلها للدكتور يعقوب صروف لتعلن ذلك بوضوح وان العزلة التي اخلدت للعيش فيها بعد وفاة جبران لا تدع سبيلاً للتردد في هذا الامر اما رسائلها فأثرة رائعة بسبب مـا تضمنته من احساس مرهف وبساطة وصراحة فهي تذكرنا برسائل السيدة ده سيفينيه .

وذكر الكاتب في هذه المحاضرات المختلفة بتأثير مي الجوهري في الأدب وفي الحركة النسائية والتقدم الاجتماعي الانساني ، وقال ان شعراء ذلك العهد كانوا يعتبرون النفس سعداء اذا عاشوا بصحبتها كما كان غيرهم يغبط النفس على ارتياد حلقتها والاجتماع بصحبه فيها وذلك لانهم لم يروا في مي انهـا المرأة

المثقفة وحسب وانما قد رأوا فيها اكثر من ذلك فقد رأوا فيها المرآة الادبية الدقيقة والمرآة الادبية الجريئة ، وليس هذا الكتاب الا تقريظًا رائعاً لمي .

والقسم الثاني من هذا المؤلف يتناول عائشة التيمورية ومن ثم وردة اليازجي فباحثة البادية ويتلوه فصل في ميّ الادبية ومن ثم يختمه بالنهاية الاليمة.

ولقد كان من الضروري ان يطيل كلامه في تلك النهضة النسائية التي ما برح تأثيرها قائمًا حتى يومنا الحاضر، ولقد كان المؤلف في هذه الفصول بعيد النظر ودقيقاً في وصفه واستشهاده ببعض النصوص وايضاح بعض النقاط. ا.ع.خ

PAUL MUS. — *Le Destin de l'Union Française.* in-8°, de 360 pp. Collect. Esprit « frontière ouverte ». Ed. du Seuil, Paris, 1954.

تلقى السيد بول موز دروسه الثانوية في كلية هانوى وكان عضوًا في معهد الشرق الاقصى الفرنسي كما كان مستشارًا لدى لكرك ودرجنلير وبولار .

واضطلع من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٥٠ بتديرية معهد فرنسة وراء البحار ، فهو والحالة هذه خير من يستطيع ان يحدثنا عن الاتحاد الفرنسي وان يلفتنا لفتاً له قيمته الى افريقية لانه من اصحاب البصيرة النافذة في اقواله ومن اهل الخبرة والاستقامة الكبرى،لان فضيلة المحبة فيه قامت على معرفته وضع نفسه موضع غيره وتبني حالته واعتناق وجهة نظره .

واوضح لنا هذا الكاتب — منطلقاً من حدث — كيف شهد صبيحة اجد ايام القتال شعب الهند الصينية الصغير يستيقظ على مسؤوليات استقلاله ويندفع بخطى هادئة الى حيث كان عليه ان يناهض .

ان ما كان ينبغي لنا ان نراه منذ سنة ١٩٣٠ هو الامر الذي لا يراه في يومنا الحاضر الّا النفر القليل : اي انه كان علينا التحوّل عن الاستهار وايصال ارادة شعوب ما وراء البحار الى التوغل في الصعود وذلك ليس عن طريق القيود القانونية والادارية وانما عن طريق التفاهم الطوعي الاختياري الحر كل الحرية — المتضمن حتى امكان الرفض — اجل ان في ذلك ما يحمل النفس على المخاطرة ولكن الحياة نفسها هي مخاطرة ... ان الواجب يقضي علينا بان نصرف الخطر الى الامام وان ندلل بالبرهان على الحياة ونحن نجدّ في السير... ومهما يكن من امر ان الحرب في الهند الصينية قد اقامت الدليل على ان محاولة

توطيد الاستعمار الراهن توطيداً على شاكلة ما يبشر به المستعمرون المحافظون المتعنتين من طراز جورج هاردي لم يكن سوى حلٍّ لا مخرج منه او بالاحرى انه ذو مخرج فاجع .

ولقد كانت العملية من ناحية الوطن الام خاطئة « فنحن لا نشكو حقاً من الخفة بل على العكس من ازدياد وزن التخلي عن مصالحنا ، لان الناخبين لم يزيلوا عن عواتقهم امر قيادة البلاد الا ليلقوا بها لا على رجال لم يحتفظوا فيهم امام نظرهم بل على احزاب — لهم لوائحهم وبرامجهم المحدودة — وهذه اللوائح والبرامج التي تنظم عن طريقة اللعبة الدستورية البسيطة — ومن ثم تلقى الاحزاب عن عاتقها امر القيادة الى العدد المحدّد من مستوزريها ، وبهذا العمل نفسه تلقي الهيئة التشريعية الحمل عن ظهرها لتحمله الهيئة التنفيذية ، وكذلك الحكومة تلقى هذا العبء بدورها على الرجال الفنيين. اما القانون فيلقيه على الانظمة .. »

اذا كنا نريد المحافظة على وحدة الاتحاد الفرنسي العضوية ينبغي لنا ان تذلل متناقضات الاستعمار وذلك بان نضيف الى هذا الهيكل العضوي لا رباطاً خارجياً ولكن نطاقاً حيوياً اوسع ، هو مدى الارادة والحرية التامة اللتين تكونان موضوعيتين في دستور يجعل السياسة في وضع يمكنها من اعطاء حكمها في الادارة . وفي سبيل التفادي عن تكديس الاجزاء بعضها الى بعض لايجاد وحدة بين جميع الاجزاء المختلفة من الواجب ان يكون الهيكل العضوي الناجم عن الاتحاد اكثر من حاصل جمع هذه الاجزاء ، واننا لنفكر نفس تفكير الكاتب انه اذا ما تجاوزنا عن هذه المتناقضات التي تفسخ الاسلوب الاستعماري فاننا لن نوجد هيكلاً عضوياً يستطيع الحياة الا اذا وجدنا ما يرتضي بان يكون معرضاً لخطر التفكك . تماماً على شاكلة ما هو قائم وراء تجارب العناصر المدنية ، لانه ما من منظمة عضوية وما من حياة لن تكونا مهددة بخطر الموت .

ان هذا الاتصال العضدي وان هذه الحياة سنراها وسنشعر بها من الداخل ، واننا سنتفحصها من الداخل وذلك بان نعيشها .

وان هذا الدليل وان هذه التجربة قد وفرها لنا في غضون الحرب الاخيرة العالمية وفاء الاجزاء المختلفة من امبراطوريتنا ساعة لم تكن لدينا الوسائل للحفاظ على تماسكها بالقوة ، فلقد كانت شروط نجاح الاتحاد الفرنسي موجودة

وانها لا تزال دائماً موجودة ... ولكن في غير مفاهيم دستور سنة ١٩٤٦ الادارية ، واننا لنتمنى ان نقوى وباب الحظ مفتوح امامنا على ان نستفيد من فرصته ونأتي بالتجديد اذا ما شئنا على الاقل التجديد وذلك اذا كنا نفضل ان نجدّد على ان نهلك .

هنري شارل اليسوعي

Renée Pierre-Gosset. — *Mes hommes dans un bateau.* in-8°, de 354 pp. Éditions René Julliard, Paris, 1955.

اجتذبتني الحياة في هذه القصة فقرأت منها ثلثها وخبرت صحة قول ذلك المهذار الذي اتهم فطيرته برمّتها: «ان قصة هذه النزهة الكبرى لتحمل على التفكير والضحك ، وانه لمن الصعب الابتعاد عن انجاز قراءتها » وبكل جهد لم يتح لي الانقطاع على قراءة هذا العمل من البطولة لافكر في تقديم موجز عنه ولانثني الثناء كله على هذه التجربة البحرية وهذه الروح المرحة التي البستها رينه غوسه قصّته ، واذا لما كان لا بدّ لي من الانتقاد لم يكن بمقدوري الا ان اشير ان وجود ثلاثة اشراك من الحيلة في سطر قد يتعب احياناً القراء المعجلين — ليكون من المستحسن التخفيف عنه في قراءة كتاب موجز .

لقد ناهضت هذا الاغراء فوضعت جانباً الكتاب لانجز مطالعته قبل شروعي بتهديمي ملخصه ، ولما حانت الفرصة كان لدي المزيد من الاشغال ومع ذلك استأنفت قراءتي — أفهو الجدّ الملائم لمثل هذا الضرب من القراءة ؟ فلقد وجدت شوقاً يدفع بي الى الاشراك الثلاثة التي نصبها البحارة ، ولكنني لست رغوباً في قصة تأخذ حوادثها بعضها برقاب بعض .

فهل انت راغب في قطع المباحثة بشأن حمولة المركب مع رؤساء الدوائر الكازا الفرنسيين او التحدث الى « السر » الموظف البريطاني في جبل طارق الذي تشوب لهجته الفرنسية اللكنة في حديثه او الوقوف على تجارب ماريانا الصغيرة الفتانة ...

ولكنه من المستحيل ان اقدم لكم موجزاً لكل ما تقعون عليه من رائع وفكه ومفيد في هذا الكتاب والا كان لا بدّ من نقله برمته ، فاقبلوا فوراً على شرائه ولا تترددوا عن مطالعته ... ولا سيما اذا كنتم تترددون على سواحل الشاطئ الازرق من طنجه الى كان ، ومن الاسف ان لا تكون

مرسيه قد تمكنت في الوصول حتى البحر المتوسط الشرقي .

ه. شارل اليسوعي

كتاب مزاج التسنيم

تأليف ضياء الدين اسماعيل بن هبة الله

تحقيق ستروتمان

مزاج التسنيم من كتب الدعوة الاسماعيلية (فرع المستعلية السليمانية) الذي ظهر اخيراً الى حيز الوجود ليسد الفراغ الكبير في المكتبة الاسماعيلية وليحمل بين دفتيه كل جديد عن هذه الفلسفة الى اوساط العلماء الاختصاصيين والباحثين المهتمين .

مؤلف الكتاب الداعي الاسماعيلي السليماني المطلق «ضياء الدين اسماعيل بن هبة الله المتوفي سنة ١١٦٩ ه بنجران – اليمن . ومحققه المستشرق الالماني الكبير البروفسور ر. ستروتمان (R. Strothman) من جامعة هامبورغ وقد حققه عن مخطوطة وجدت في مكتبة (الامبروزيانا) – ميلانو – ايطاليا تحت رقم (٧٦) ، ونشره بجزءين و ٣٧٦ صفحة المجمع العلمي - غوتنفن .

بحث الكتاب في علم التأويل وتفسير بعض سور من القرآن وقد يظهر الكل متتبع ومتعمق بهذا العلم ان المؤلف كان على جانب عظيم من العلم والمعرفة ومن العلماء الكبار الذين ضربوا بسهم وافر في الفلسفة .

ونلاحظ ونحن نقرأ الكتاب ان المحقق قد بذل جهداً عظيماً وادّى خدمة علمية كبرى وقد جاءت المقدمة على احسن ما يكون من التعريف الكافي والتفهم العميق لآراء الاسماعيلية الفلسفية في التأويل الباطني وتفسير القرآن . والحقيقة فان الكتاب يعطينا دليلاً قاطعاً عن انتشار الدعوة الاسماعيلية في اليمن، وعن تخريجها عدداً كبيراً من اعلام الفلسفة والعلم والادب والتاريخ ممن خلفوا للمكتبة الشرقية احسن الآثار العلمية وأقوم المؤلفات التي تعتبر من اثمن المصادر للمهتمين في الدراسات الاسلامية .

عارف تامر

كتاب الزينة

تأليف الداعي الاسماعيلي الاجل ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي المتوفي سنة ٣٢٢هـ

تحقيق الدكتور حسين همذاني

مطبعة الرسالة – القاهرة

هذا كتاب تبلغ عدد صفحاته الثلاثمائة بالحجم العادي ظهر منه لحد الآن الجزء الاول بمائة واثنتي عشرة صفحة . وضعه في علم المصطلحات الاسلامية واشتقاق الكلمات العربية ابو حاتم احمد بن حمدان الرازي داعي الاسماعيلية في اقليم (الري) وما يتبعه في فارس ، واننا لاول مرة نرى داعياً اسماعيلياً يخرج عن نطاق اختصاصه الفلسفي فيتطرق لبحث موضوع يتعلق في الناحية العلمية الكلامية الفلسفية ، وفي اشتقاق الكلمات العربية والدخيلة التي نطق بها القرآن والتي اصبحت من المصطلحات الاسلامية .

يعتبر كتاب (الزينة) من اقوم المصادر في الدلالة على الالفاظ العربية ، فمؤلفه من دعاة الاسماعيلية الاجلاء ومن اعلام النهضة العلمية الاسلامية في القرن الثالث للهجرة المحمدية ، واذا علمنا انه مناظر الفيلسوف الشهير « محمد بن زكريا الرازي » والمتغلب عليه في مسألة النبوة وامر الدين ، وانه صاحب المدرسة الفلسفية التي تخرج من صفوفها الدعاة الاجلاء : ابو يعقوب اسحاق السجستاني ، واحمد حميد الدين الكرماني ، ومحمد بن احمد النسفي (النخشبي) وغيرهم ممن خطوا في تاريخ الفلسفة احسن السطور وتركوا بعدهم اقوم المؤلفات .

حقق الكتاب ونشره الدكتور حسين همذاني مدرس الادب الفارسي في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة وهو من العلماء الاختصاصيين بالدراسات الاسلامية . وكتب المقدمة الدكتور ابراهيم انيس عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة فجاءت مع كل اسف خالية من كل تعريف عن حياة الرازي ، وعقيدته ، ومؤلفاته ، والمدرسة التي ينتمي اليها ؟ وجاء الدكتور حسين همذاني بعده ليتمم هذا النقص ولكنه جامل وخشيَ ان يقول ان الرازي كان اسماعيلياً ، وانه خدم الدعوة الهادية ، وتجاهل ان يكون الرازي قد اهدى كتابه الزينة الى

الامام الفاطمي (القائم) بن الامام (محمد المهدي بالله) مؤسس الدولة الفاطمة في المغرب، مع اننا في عصر صان الحرية الفكرية، ومهما يكن من شيء ففي الكتاب تظهر اثار الجهد بالتحقيق والتنسيق والغوص وراء الحقيقة، وهذا مما يستحق عليه الدكتور همذاني تهاني المهتمين والمتتبعين للدراسات الفلسفية الاسماعيلية، واخيراً لا بد من القول بأني كنت اتمنى لو ان الدكتور همذاني اختار لكتابه غير مطبعة الرسالة لان الطباعة والورق لا يتناسبان مع قيمة الكتاب العلمية.

عارف تامر

Harvey; P. Hall et Ann W. Noyes. — *Current Researeh on the Middle East 1955* - X - 196 pp. in 8º — The Middle East Institute, Washington, D.C. 1956.

اتحفنا معهد دراسة الشرق الاوسط في هذا الكتيب بذريعة ممتازة للعمل تسهّل تسهيلاً عظيماً الاتصالات بين الباحثين وتمكن احدهم من الاستفادة من اختبارات سواه وذلك حتى قبل الانتهاء من نشر اعمالهم، واننا لنعثر في هذا الكتيب على فهرس رائع للمؤلفات التي صدرت حديثاً في هذا الصدد.

وتشتمل المراجع على اسم المؤلف وعنوان اعماله واسم المؤسسة التي ينتسب اليها وعلى موجز قصير للمدى الذي يتمني ان يجله لابحاثه في هذا الباب.

والمراجع منسقة بحسب المواد المنقسمة فروعها الى ما يلي: الجغرافية والتاريخ وعلم الاثار والسياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والحقوق والفلسفة والدين والفن واللغة والكتب التي تناولت الموضوع ... وثمة ثبت جغرافي وثبت للباحثين يمكن من ايجاد الامر الذي ترغب فيه.

وتعطينا مطالعة هذه الصفحات فكرة عن عظيم الاهمية التي للشرق الادنى عامة وللعالم العربي الاسلامي خاصة وعن المجهود الذي تحقق حتى الآن لفهم هذا الشرق وتحليله ومتابعة تطوره ومساعدته.

ولا بدّ لنا من ان نشكر المؤلفين ومعهد الشرق الاوسط على هذا العمل ومن ان نتمنى ان تزيد مؤسسات الابحاث في تعريفها لمؤسسة الشرق الاوسط لتغدو بياناتها المقبلة مفهومة على قدر الامكان.

هـ. شارل اليسوعي

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب

بقلم الدكتور اسد رستم

الجزء الاول ، ٣٥٥ صفحة قطع كبير ، بيروت ١٩٥٥ ، دار المكشوف

هو عمل جبار قام به المؤلف بوضعه تاريخ الامبراطورية البيزنطية وعلاقاتها بالاسلام ، نعم ان الموضوع ليس جديداً وانما بالاستطاعة دائماً ايجاد الجديد من المستندات التي تدعونا الى تصحيح بعض نظرات المؤرخين السابقين .

وهذا الجزء الاول الذي نشير اليه هنا يحاول التعرف الى العوامل التي ساعدت في تكوين الامبراطورية البيزنطية : كانحطاط رومة ونشأة دين قوي جديد في شبابه ومتحمس باتباعه ومن ثم التعرف الى الاستزادة من اتجاه الفكر والفن والعقلية الاجتماعية والحكومة اتجاهاً شرقياً بدون ان ينسى ان بروز رجال على المسرح قد اجتذبوا بقيمتهم ودرايتهم نحو الشرق وبيزنطية بخاصة كل انتباه العالم المتمدن وربما كل غيرته — وصفوة القول ان بيزنطية ستغدو مسرحاً لخصومات عدة عقائدية وعسكرية واجتماعية بيد ان الامر الذي زادها ضعفاً على ضعف كانت منافساتها الداخلية .

ولقد عرف المؤلف ان يجمع في كتابه مستندات بخط اصحابها انفسهم ، فقد عمد لما اراد الكلام على وجهة النظر الدينية الى النصوص ذاتها التي استمدت الفكرة المسيحية اصلها منها كما عرف لما اراد معالجة موضوعه من الوجهة الديبلوماسية والاجتماعية المؤلفين الجديرين بالثقة ، وكانت مراجعة كاملة مستوفاة وموثوقة جد الوثوق مما مكنه من رواية الامور كما هي وسردهـا ببساطة كبرى في فصوله بدون نقصان ومن اصدار احكامه الموضوعية في الامر الفلاني او القضية الفلانية كقضية الانشقاق وكقضية حرب الصور العقائدية بيد انه كان من المستحسن ان يعتصم بتحفظ اشد : عند كلامه مثلاً على البابا هونوريوس وعلى امر توحيد الارادة فقد اورد ان البابا قد ايد هذا التعليم (ص٢٤٧) على حين ان اللاهوتيين لم ينتهوا بعد من الكتابة لالقاء نور اعظم واشد تدقيقاً على هذا الامر ، ومما يعوض عن بعض احكامه المتسرعة تسرعاً خاطفاً تقصيه وصدقه في دراسته لجميع الظواهر الفكرية في تلك القرون قرون الازدهار العقلي ، فانه

قد درس بالتفصيل وبدقة كبرى جميع الشؤون سواء منها المتعلق باللاهوتيين او الحقوقيين او المؤرخين او الجغرافيين ام بالشعر، وهناك ثبت عام يعطينا صورة صحيحة عن العهد الذي كان موضوع دراسته، واننا عمـا قريب تقول كلمتنا ايضاً في الجزء الثاني . ا. ع. خليفه اليسوعي

Yves Bottineau. — *L'Espagne* - Gr. in - 8° de 280 pp. — ornées de 183 héliogravures et d'une carte mobile avec un index des noms propres sous une couverture en couleurs d'Yves Brayer — « Beaux Pays » — Arthaud, Grenoble. Paris, 1955.

المشاهد والمؤسسات والعادات التقليدية موفورة وفرة كبرى في اسبانية . . حتى لو اراد احد ان يحدثنا عنها لاضطرّ الى الاقتصار على احدى وجهـات النظر فقط منها وان الكتاب الذي بين ايدينا هنا لتزينه الصور والرسوم التي هي بخـاصة من وضع يان ديوزايد (Yan Dieuzaide) وميشال اودريان (Michel Audrain) واحد طلاب الكازا فيلاسكايز (la Casa Velasquez) الداخلين الذي عرف ان يجمع بين غزارة العلوم وبين مغزاها الانساني الكبير فلم يخرج الكتاب بما حف به من التوشية عن عادة المجموعات ، ولقد جعلنا المؤلف تقوم برحلة كبرى في التاريخ والفن الاسبانيين من منطقة الى منطقـة ومن مدينة الى مدينة ، وفي اعتقادي انه من الواجب علينا اذا ما اردنا مطالعة الكتاب او القيام بالتنقل ان نأتي ذلك مرحلة مرحلة لكي لا يعترينا بعض السهو فيفوتنا استيعاب المغازي الملية الواسعة التي تضنّ بها ، وان جميع هـذه الملامح وكل هذه المعاني الدقيقة لا غنى عنها في هذه الصورة التي لا يستطاع نسيانها . د. شارل اليسوعي

Claude Blanguernon. — *Hoggar* — Gr. in-8° de 108 pp. avec 1 carte, 8 croquis ou schémas et 56 héliogravures h.-t. — un index des noms tamacheq et arabes, un index des noms propres — Arthaud, Grenoble-Paris, 1955.

منذ سنة ١٩٣٧ والسيد كلود بلانكرنون يعيش في الجنوب الجزائري ، ومنذ ثمـاني سنين انشأ مدرسة تامانراسة (Tamanrasset) وانشأ اول مدرسة للرحل تحت المضارب : وهو يتكلم بسهولة التوارج ولا ينقطع من الطواف في المضارب ليتحدث وديّاً الى الجميع ، وانه يقوم باستقبال جميع العلماء الـذين يفدون الى هذه المنطقة الغريبة ليدرسوا عن كثب اشكالها ويوجه اليهم اسئلته.

ولقد قال لنا بكل تواضع انه رغب في وضع دليل مفيد للجوّابة والسياح الذين اخذوا يؤمون بازدياد قلب الصحراء لزيارتها ، والواقع اننا لنعثر في هذا الدليل على بحث حقيقي مستوفر في خصائص شعب هوكار . اما هذه المستندات فهي حاصل مجموع كل ما نعرفه عن هذه المنطقة من ابحاث العلماء الذين درسوها ووضعوا عنها خير البيانات والايضاحات في تقاريرهم السنوية فتمكنوا شيئاً فشيئاً من جمع عناصر حقيقي : كالجغرافية والنبات والحيوان وعدد السكان والاقتصاد والحياة المادية والادبية والقصص والاساطير . . . وجميع هذه الامور تزينها صور ممتازة .

ويتمّ مجموعة هذه المعلومات عدد من الذيول وبصورة خاصة بيان باسماء مواقع المياه على طريق القوافل ، وفي هذا الكتاب بعض اخطاء مطبعية وقعت في مصطلحات اسماء النبات اللاتينية لا يجد رجال الاختصاص صعوبة لاصلاحها .

ه. شارل اليسوعي

M.M. Moreno. — *Il Somalo della Somalia.* — Grammatica e testi del benadir, darod e dighil — Istituto Poligraphico dello Stato — Roma 1955, pp. VIII - 404.

ليست الدراسات بصدد اللغة الصومالية بالنذرة اليسيرة او قل بالاحرى بصدد اللغات الصومالية ، اما هذه الملاحظة التي قلّما لفتت الخاطر فقد نبه اليها الاستاذ مورينو في مقدمته حيث عرض بوضوحه المعتاد لمحة عن وضع اللغات الصومالية في الوقت الحاضر وعن دراسة هذه اللغات فقال في بحثه لهجات هذه البلاد : ليس ثمة في اختلاط هذه اللهجات ثلاث مجموعات كبرى متميّزة جدّ التمييز وانما هناك لهجة عمومية شاملة التي يفهمها السكان المتكلمون بلهجات من اصل واحد وهي لهجة قيد التكوين لهذه المجموعات من اللغات المشتركة .

والمجموعات اللغوية الثلاث الرئيسية هي : الدارود (dāröd) والبنادير (benādir) والديجيل (dighil) ، ولقد عنى الاستاذ مورينو بالمجموعتين الاولين وبدون ان يهمل الثالثة . اما كتابه فيبتدئ بعرض المخارج الصوتية الصومالية المتميزة بدقائق الفوارق ، وهناك فصل على حدة خصه بالمهموس من النبرات ومجهوريتها وكلاهما لها شأن خاص في الصومال .

وكتاب الاستاذ مورينو وان اتخذ شكل كتاب للقواعد فانما هو كتاب اوسع من ذلك جداً،وهو وان اعطى ضروباً من القوالب الصرفية فانه يستنبط منها في الوقت نفسه تعبيراتها ، وينتقد انتقاداً محكماً المصنفات التي سبقت مصنفه ، فلقد وضع في الوقت ذاته كتاباً تربوياً وعلمياً واتبع كل بحث بسلسلة من النصوص المشوّقة غالباً والتي استقاها مباشرة من افواه السكان الاصليين الذين خالطهم واستمدّ معلوماته منهم . اما نصوصه فمترجمة ومعلّق عليها .

ولا يليق بنا ان لا نقدر حق التقدير الاتقان في الطباعة اتقاناً زاد الكتاب رونقاً فضلاً عما له من الفائدة بحدّ ذاته . ا. ل. اليسوعي

Anne Philipe.— *Caravanes d'Asie.*— In 8° de 255 pp. avec 6 cartes et 24 pp. d'héliogravure. — Collection « La Croix du Sud ». — Julliard — Paris, 1955.

رغبت السيدة آن فيليب في ان تعيد اجتياز طريق الحرير فسافرت جواً من نانكين الى اورمشي مسافة ٣٠٠٠ كيلومتر بالطائرة ومن اورمشي الى كاشكار ١٥٠٠٠ كيلومتر في سيارة شحن ويجلس بجانبها بين رزم البضائع زوجها وشاب تيي يصحبها ومن كاشكار الى كشمير على جواد في صحارة القيظ ومع القافلة حتى بشاور فكانت المسافة التي قطعتها ٦٠٠٠ كيلومتر .

والسيدة آن فيليب اجتذبت اليها اشد القلوب حذراً ونفوراً ومهدت ما اعترضها من صعوبات بظرفها وكياستها فقد عقدت اواصر المودّة مع كل الصبية والصبايا المتوحشين المذعورين ومع ذويهم الذين كانوا اولاً شديدي الحذر او كادوا يكونون اعداء .

وما عرفت آن فيليب ان تبدي اعجابها بمشاهد الصحاري والجداول والجبال العظيمة فقط بل اظهرته بتلك النفوس الطيبة والقلوب الجذّابة التي جعلتنا نستشفها . وكما قال كلود روا في مقدمته ان السفر يوضح السجيّة ومحاسنها الخفيّة واعمق فضائلها ، فهذه المذكرات المتناهية في البساطة تكشف لنا عن غضارة تبعث فينا شوقاً عظيماً لاتخاذها كرفيق رحلة لنجتاز معها اسية من بامير الى قلب البلاد التي حملتنا على ولوجها .

ه . شارل اليسوعي

المشرق

السنة الواحدة والخمسون | ايار – حزيران ١٩٥٧

استشعار معنى «الشؤون الاجتماعية»

في الشرق الادنى

بقلم الاب اندره نوجنيال اليسوعي

لم تشن مجهوداتنا في العام الماضي لترسم صورة التطور الاجتماعي بخطوطه الكبرى في الشرق الادنى .

ويروق لي اليوم قبل شروعي هذه السنة بدراسة بعض المعضلات الاجتماعية دراسة اوفى ان افكر معكم بدراسة خاطفة للعوامل النفسانية العميقة التي تنظم سير الامور الاجتماعية في هذه البلدان .

وفي سبيل بلوغنا هذا الهدف لقد عقدنا النية على ان نلقي ضوءا على اسباب بعض التراخي والمصاعب لنستنبط عناصر املنا في المستقبل .

ولنشرع اولاً باستعراض الشكل الاقتصادي والمهني ،

الملحوظة الاولى :

ما فتئ الشرق الادنى برمّته يتسم من حيث الانتاج اتساماً قوياً باضيأ صناعته اليدوية .

ويدور بخلدي ان هذا الامر هو من النقاط التي لم تولها التحقيقات القائمة التي جاءت بها بعض المنظمات الدولية وغيرها العناية الكافية .

اجل لقد وقفوا في تحقيقاتهم الاقتصادية بخاصة عند حدود بيان تقدم الحياة الصناعية كما يدركونها في الغرب واعتصموا بالصمت حول الدور المهم الذي يمثله عمل الصانع اليدوي في انتاج الشرق الادنى .

واذا كان التنظيم التعاوني القديم قد اندرست معالمه تقريباً في كل الارجاء فلا يفيد ذلك ان المصنع اليدوي قد مات، لان تقاليد الصانع اليدوي ما برحت محفوظة في استامبول او جدّة وفي القاهرة او اصفهان .

وناهيك عن ذلك فان الذين ما انفكوا عن تقاليدهم الانكماشية ما فتئوا يولون تفضيلهم للصناعة اليدوية رمز انتشار العمل الانساني وبعثرته .

ومما انضى الى تعزيز هذه الخصائص هو الغاء الجمعيات التعاونية التي كان تأثير مؤسساتها وعملها يخففان جد التخفيف من هذه المساوئ التي نراها لان الانتاج كان بمقياس والمنافسة كانت محكومة واسواق التصدير مؤمنة والصوفية الخاصة تنعش الحياة في الحقل العقائدي وتكوّن بتماسكها ضرباً من التآخي في مضمار مجموعة الامّة .

ولقد رأى العامل نفسه منعزلاً بعد الغاء الملاكات التعاونية على غرار العامل الفرنسي في اثناء الثورة وألفَ وضعه الجديد اذ رأى فيه ارضاء لفرديته المتأصلة بلحمه ودمه وذلك في البلدان التي يقطنها خاصة ابناء العرق السامي .

وبعد ان اجتاحت المنتجات الغربية الاسواق وعلى اثر ما اخرجته المعامل الوطنية الناشئة من مصنوعات كان لا بدّ من تحرّج وضع العامل اليدوي لتبدّل حالته بالسير من سيئ الى اسوأ وليحاول انى كان هنا وهناك الخروج من عزلته لينضمّ الى منظمة نقابية ليست بذات جدوى فمسالة ايًا كانت لانه حمل معه اليها تقاليده الفردية والانكماشية .

وزد على ذلك فان العامل لم يولِ نقابته الا ثقة ضعيفة ليتردد عن بذل

القليل من التضحية بحريته في سبيل الحصول على بعض الفوائد المادية لانها بدت له غير مستقرة ووهمية بسبب عدم اندماج هذه النقابات بعد في مجموعة منظمات مهنية وطيدة الاركان .

وبصرف النظر عن هذه الامور فان العامل اليدوي لا يكافح نفسه في كثير من المناطق المنعزلة مزودة الـزوال عن كتلة مهنية ليكمل طريق اجداده باتقانه لادواته واختصاصه .

اجل لقد اوجدت بعض البلدان كتركية ومصر غرفاً للصناعة اليدوية تمهيداً لجمع شتات المصالح المهنية ومع ذلك لم تفتأ نزعة الملايين الكبرى من الصناع غير مؤاتية لايجاد فكرة جماعية .

واذا لاح لنا انه من الفائدة ان ننتقل في هذه السنة الى بحث الصناعة الشرقية والى دراسة تفتق النقابية في الشرق الادنى ببحوثنا الاجتماعية فلان ذلك له اهميته الرئيسية على ما يخيّل الينا بالنسبة الى هذا الشرق ، اما اذا انتقلنا من النظر في الصناعة اليدوية الى النظر في امر الصناعة الحقيقية فاننا لنراها منطبعة بطابع الفردية الصريح .

ان المشروعات لمتفرقة ومتضاربة على ما لها من اهمية ضئيلة لانه من الصعب استقطاب تحقيق رؤوس الاموال على قدر صعوبة تحشيد القوى الانسانية فلذلك تتخبط غالباً في سبيل ايجاد التساوق في ميزانياتها وتحقيق الأرباح العادية التي يترقبونها له في ارتباكات حية على حين ان الفرق التجارية والصناعية التي تحاول في بعض الاماكن جمع المصالح وتنسيق الانتاج فانها تقوم باداء عملها في ظل النظام الاقتصادي الحرّ بحيث يسعى كل فرد لاستدرار المغانم على حساب غيره .

وانه لمن الصعب كل الصعوبة ان تتحقق مع هذه الاوضاع منظمات مهنية راسخة في الحقل الوطني ليقوى الذين يعنيهم الامر خاصة كارباب العمل والعمال والدولة على التكاتف معاً لوضع قواعد حياة مهنية فعّالة .

ولئن اخذت بعض شرائع العمل تفرض تعاوناً ضرورياً بين عناصر الانتاج فان نتائجها ما فتئت محدودة جداً في كل الحقول وذلك لو اخذنا بعين الاعتبار مجموعة بلدان الشرق الادنى .

ولا سبيل لنا ان نغفل العين عن ان الكثيرين من ارباب العمل والعمال ما برحوا ينظرون بحذر وبنيّة مبيّتة الى تدخّل الدولة في حياتهم المهنية مما لا يسهل معه طبعاً بالنسبة الى هذه العقلية استثمار معنى الشؤون الاجتماعية .

واذا ما التفتنا الى الناحية الزراعية يبدو لنا ان طائفة المزارعين لا تنفك حريصة كل الحرص على الاستمساك باساليب الجدود القديمة -فالفلاح المنتمي الى احدى القبائل او العشائر والذي يكابد المشقات في عقارات غيره لكي لا يقوى على الفوز الا بدخل ضئيل من اتعابه لا يقلع عن تقاليده البالية .

والظاهر ان طائفة الفلاحين بمجموعها لم يبلغ بها الرقي بعد لتدرك مفهوم فائدة الطبقة ومصالح فئتها ؛

ولا يزال الفلاحون الملاكون الجديدون الذين يقطنون منطقة تطورت في تقدمها اكثر من سواها وباتوا يدركون فوائد مصالح الحرائة المشتركة بعيدين عن التماسك بعضهم ببعض تماسكاً عاماً بسبب تضارب مصالح العيال وتنازعها ومنافسات القرى التي تكون عقبات كأداء مستمرة في وجه تكتل الفلاحين واحتشادهم معاً .

ومن جملة البراهين العديدة على ذلك الصعوبة التي تعترضنا لحملهم على انشاء مدّخرات تعاونية للمحاصيل والشراء الخ ...

ويظهر ان معنى التقدم في الريف يقوم على التحرير من قواعد الجماعات القديمة التي تضيق عليهم الانفاس ليتمتعوا بالاستقلال والحرية .

وفي اقدام بعض بلدان الشرق الادنى في الحقبة الاخيرة على توزيع بعض اراضي الدولة على الفلاحين ما يساعد على هذا التقدم لان الذين يتأتى لهم من بين هؤلاء الملاكين الجدد ان يفوزوا بالنجاح سيتشبثون بوضعهم الاجتماعي الجديد – طبعاً لن يقدر النجاح لجميعهم – وسيحرصون الحرص كله على الاستمساك باستقلالهم ويعرضون عن كل تكتل جماعي لانه لم يتح لهم ان يكونوا من ذوي الثقافة الكافية ليفهموا منذ الوهلة الاولى فوائد تعاونهم مع بقية اعضاء المهنة الزراعية .

وقد يفتقر هؤلاء الرجال الى خبرة طويلة ربما اقتضتهم حياتهم برمّتها او سنوات عديدة ليدركوا قيمة فوائد التعاون قبل ان يسلموا بالضرورة القاضية به.

وانّنا لنرى النفس في مثل هذا المقام حيال اندفاع تيّار الفردية الطامي هذه الفرديّة التي ما برحت جذواتها بعيدة جدّ البعد من الانطفاء .

ولئن اضفنا الى كل هذه الامور ما تمثله دنيا التجار الشديدي النشاط بخاصة في السواحل وفي الموانئ الكبيرة من انكماش ومنافسات فردية لكان لزاماً علينا التسليم بان عقلية الشرق الادنى الحديث لا تؤاتي استشعار معنى الشؤون الاجتماعية استشعاراً عميقاً لان الفردية التي اصبحت عامة تقف حائلاً قوياً في وجه مجهودات جميع من يحاولون حفز العمال على فهم مصالحهم المهنية فهماً اوفى .

علم الاخلاق

أيسدي علم الاخلاق معونةً مجدية للتغلب على هذه الفردية ؟

وهل باستطاعتنا ان نأمل ان فعله سيكوّن الشعور الاجتماعي ؟

يخيّل الينا في هذا المقام ان ثمة حائلاً رئيسياً سيفضي تأثيره الى شلّ هذا الشعور وان كان ذلك ليس خاصاً بالشرق الادنى فقط .

وليس هذا الحائل الا النزاع المستتر الخفي بين المصلحة والقواعد الاخلاقية لان هذه الاخيرة الاجتماعيّة المستندة الى عقائد دينيّة مهما كان شأنها تقضي بالمرء الذي يعيش في المجتمع ان يقبل بعض التضحيات الشخصية في سبيل رفاهية غيره لان الذي لا يفكر الّا في نفسه ليغفل سواه لا يليق به ان يعيش في مجتمع على حين ان رب العمل الذي يفكر في عماله يقوم من تلقائه ليدفع ما يصيبه من اكتتابات عمالية لانشاء مساكن رخيصة الاجور ولتشييد مؤسسات طبية الخ ... والعامل الذي فقهَ ان الضرورة تقضي عليه بان يستند الى غيره وان يساعده لا يتلكأ عن دفع ما يتوجب عليه من رسوم نقابيّة ويساهم مساهمة عمليّة في صناديق التوفير ويشتري اسهماً ليكون في عداد مؤسسي مخزن تعاونيّة الاستهلاك الخ...

وليس من سبيل للشك في ان مثل هذه التضحيات تتناول ميزانية كل فرد اما اذا اصبحت اقوى عوامل الاقتصاد في الامم الحرة طليقة لكي لا يبقى منها الا المغريات بالربح فيضرب الفرد صفحاً عن المصلحة العامة فعند ذلك تتخذ طابعاً لا اجتماعياً حقاً .

والنزاع القائم في الشرق الادنى بين المبادئ الخلقية وبين المصلحة فغالباً ما يُفصل فيه في صالح هذه الاخيرة لينجم عن ذلك كابح يكمّ تفتق الروح الاجتماعية الحقيقية .

ولا تستثنى من هذه العقلية الحكومات نفسها لان الجزء الذي تخصصه في ميزانياتها لتنظيم المصالح الاجتماعية وتغذيتها هو على الاعم اقل مما ينبغي له ان يكون عليه ولاسيما في هذا الظرف الانشائي .

وبعض الحكومات لا تجرأ حتى على توسيع مصالحها الاجتماعية لكي لا تسخط طبقتها التي تتولى مقاليد الامور فتتراجع حيال واجبها الاجتماعي وتضرب بعملها مثلاً للخاصة باعثاً على الشجى .

ويسعنا ان نفتبرّ اعتصام الحكومات بالتكتم حول هذا الامر بالصعوبة التي تلاقيها لاقامة الانسجام في ميزانياتها .

وما اكثر المشروعات الصناعية التي تتحجج بهذه الذريعة مدّعية بالعجز عن تقديم مجهود اضافي في سبيل تدارك نفقات مصالح اجتماعية . ومما يجدر بنا ان نأخذه بعين الاعتبار في نفسية الشرق الادنى هذا التحجج بالخوف من الافلاس على حين ان مثل هذه الذريعة ليست غالباً الا ادعاء فارغاً للتهرب من العمل .

ومهما يكن من امر فان التذرع بمثل حجتهم هذه لعلى طرفي نقيض من احدى نزعات نفسية تجار الشرق الادنى المتأصلة فيهم : الا وهي ميلهم الى المغامرة التي اقاموا البرهان عليها وما برحوا يقيمونه على انهم يفهمون حق الفهم كيف ينبغي لهم الاقدام على المغامرة بالشيء الكثير اذا ما شاموا ربحاً لا بأس به ولكن على شرط ان يكون شخصياً مباشراً. اما اذا طُلب منهم ان يجودوا ببعض رؤوس الاموال لتأسيس مصالح اجتماعية او لتنظيم احدى المهن تنظيماً معقولاً فتزول من افئدتهم هذه النزعة وتندرس .

اما احجامهم عن تشجيع الاعمال الاجتماعية فناجم عن كونهم لم يتأكدوا ربحاً او قل على كل انه ربح غير مباشر .

والواقع ان تحسين اوضاع حياة العامل وتنظيم المهنة تنظيماً رائده المنطق لا يدرّ الّا شيئاً فشيئاً الربح على صاحب العمل وهو في الشرق الادنى لا يرغب في انتظار تحققه طويلاً ولا يتريث للفوز بنتيجة تضحياته التي ارتضى بان يقدم

عليها لانه لا يدرك ادراكاً صحيحاً قيمة المغامرة الاجتماعية .

السياسة

اجل اوقف طغيان النزوع الى السياسة في معظم بلدان الشرق الادنى تفتق الشعور الاجتماعي في الحقل النفسي .

وانني لافكر اذا ما قلت هذا القول بالنخبة المثقفة القائمة في طليعة الحركة التقدمية .

ولا غرابة اذا ما انتظرنا مثل ردة الفعل هذه في بلدان تنعم من جديد باستقلالها حيث باشر الاشخاص استخدام نفوذهم واستمهاله في الحياة السياسية لكي لا يهتموا للعمل الاجتماعي الا بالدرجة الثانية بعد ان يكونوا قد وجدوا مراكزهم السياسية .

وفي البلدان ذات الحكومة المستقلة منذ عهد بعيد يحتل ساحة شعور الشباب ضرب من الوطنية يتفاوت في شدة انطلاقه . اما تكتل مختلف الطبقات الاجتماعية حول فكرة وطنية والتفافها حول المصالح المهنية المشتركة فلا يثيران الا حماسة فاترة مع ان الاحزاب السياسية لا تتورع في اثناء الانتخابات عن تقديم البرامج العديدة للتنظيم الاجتماعي فلا يأبه لها الناخبون ولا تستميلهم ولا يكترث لها المال بعد ان اختبروا انه قلما ان تبر بوعود انتخابية مما يؤدي بهم الى تفضيلهم ان يتبعوا في عاداتهم القديمة «عادات العشائر والقبائل والمقاطعات».

نعم لقد تملكهم الاقتناع عن طريق الاختبار بان الاحزاب السياسية ليست في معظم الاحيان الا تكتلات عشائرية ذات هدف واحد مشترك اكثر منها تكتل افراد تجيش في صدورهم « صوفية مشتركة » .

وباستناد عمل السياسة الى وطنية عميقة الجذور لا تفضي الّا الى اقامة حواجز لا تفيد تفتق فكرة اجتماعية واسعة الا قليلًا .

وقد يتذرعون قائلين بان هذا الحائل السياسي قائم في جميع البلدان ولاسيما في البلدان ذات التنظيم الاجتماعي الراسخ .

فلنستشر التاريخ لنرى ان قضية التنظيم الاجتماعي قد فرضت نفسها وبقوة على الوعي العام في البلدان ذات الصناعة الضخمة كأنها قضية رئيسية تتوقف عليها حياة الامة او موتها حتى كان استثمار الشؤون الاجتماعية مسيّرًا للسياسة

وحتى دخلت مذ ذاك اساليب تبادل المعونة والضمان الاجتماعي في عادات تلك البلدان وباتت تسير على صعيد واحد مع تنظيم جباية اموال الدولة .

ولم يبقَ سبيل للجدل في تفوق هذه القضية وسموهـا على السياسة المحض اما في الشرق الادنى فالامر على العكس لان الامر يستوجب البنيان من جديد ولانه يستوجب ان يلج العادات وفي ذلك ما فيه من ازعاج لقوم عديدين .

ولا ننكر ان ثمة عناصر كثيرة نشيطة واعية تنتمي الى صفوف القادة ولكنها تفضل الانحراف الى السياسة لتسكت نوعاً تبكيت ضميرها وتحاول الاقتناع واقناع الكثيرين غيرها بانه تخلص للبلاد عن طريق اشد جدوى لها .

٭

الدين

ليست نفسية الشرق الادنى الدينية مؤاتيـة في الساعة الراهنة لتوسيع المنظمات الاجتماعية لان الدين امر شخصي فاذا ما عمل في الحقـل الاجتماعي انحصر عمله بالطائفية اما في البلدان ذات الدين الواحد او التي تنتمي اكثريتها الى دين واحد فلا يعمل فيها الدين عمله في الحقل الاجتماعي الا عن طريق غير مباشر او عن بعد .

ومن عادة البلدان ذات الطوائف الدينيّة المتعددة ان تنظّم مساعدات الفقراء الاجتماعيّة والعناية بالمرضى والعمال ضمن نطاق الطائفية وحدهـا لتقتصر عمل الحكومة في هذا الباب على الانضمام الى عملها فلا ينال المساعدة الا ابناء الطائفة من اخوانهم بالدين ممـا يفضي الى ان الطائفة تكوّن سدّاً يحول دون النظر الى المشهد الاجتماعي برمته .

وليس المسؤول عامة عن مثل هذه الامور الا الحكومة التي رأت في هذه المؤسسات مساعداً لها فدتها بمعونتها لانها وفرت عليها انشاء مؤسسات حكومية من الفها الى يائها .

ولا تدلّل فكرة الطائفية الا على ان التقدم النفساني لم يبلغ بعد درجة نضجه .

وان كانت فكرة الاحسان هي التي تنعش مؤسسات المساعدات الطائفية مما يقدمه الاغنياء للفقراء . فانها لتقلل الاكتراث لواجبـات المجتمع نحو طبقات

العمال وتضمن اكثر من ذلك امر الاهتمام لحقوقها الدقيقة وتجد الحكومة مصدر راحتها الكافية في عمل هذه المؤسسات .

اجل لقد وقف الامر عند مفهوم الاحسان لكي لا يتمدى الى مفهوم العدل الاجتماعي بعد .

وفي رايي ان نفسية الشرق الادنى قد التقت بهذه النقطة طالما لا يزال امر التسليم بحقوق العامل تامة غير معترف به لكي لا تشعر الحكومة ولا غيرها بانها ملزمة وجدانياً بالاعتراف بها لان العامل يعيش في المجتمع ويشتغل في سبيل المجتمع .

ولقد كان من واجب الدين ان يساعد على هذا الشعور بالالزام بيد انه ظل قابعاً في تقاليده الانكماشيَّة الخاصة به لكي لا يقوى على افهام الحكومات والنخبات المثقفة نتائج التخلي عن التنظيم في الحقل الاجتماعي وما يبعث عليه من اسى .

ومن شأن اعتصام الدين بهذا الاستنكاف ان يترك في نفوس المؤمنين ضرباً من الارتياح الى الحالة الراهنة وان يمحو منها كل اهتمام للتقدم الاجتماعي .

وتظهر الطائفة « بالمعنى الديني » كما صرحت في مقال سابق انها بعملها هذا تناقض المصالح العامة « بالمعنى الوطني » .

واننا لنرى مصداقاً غير مباشر على صحة قولنا في الموقف الذي اتخذته بعض الدول التي ينتمي سكانها او اكثريتهم الى دين واحد ، ففي تركيا مثلاً لم يبقَ اثر للانكماشية التقليدية من الوجهة العملية لان الدولة ادركت ضرورة قيام تنظيم اجتماعي وطيد ، فتوسلت في سبيل انجاز هذه المهمة الواسعة بانتهاج سياسة المراحل مما لم يفض بها الى استكمال جهاز سلامتها الاجتماعية الا لفئة عمال الصناعة وهي لا تزال مجدة في اتقانه وتوسيعه سنة فسنة .

ولم يحفز الدولة التركية على هذا الاهتمام الّا ادراكها لمستوجبات العدل الاجتماعي .

فكيف تأتى لها ان تصل الى هذا الادراك ؟ وتحت تأثير اية صوفية ؟ وباي انحراف في نفسيتها ؟

يخيل اليّ ان الدين لم يكن له كبير عمل في الامر لان جميع التنظيم

الاجتماعي التركي من مستوحيات علمانية محض حدته الى الرغبة في احقاق اوضاع حياة دولة حديثة .

ولقد تحققت الدولة التركية التي ارادت ان تكون على شاكلة الغربيين بايجادها دولة متوازنة توازناً صحيحاً ان التنظيم المهني والسلامة الاجتماعية هما من اركان البنيان الوطني الرئيسية فحرصت على ان لا تحرم بنيانها القوي الجديد هذا الركن الرئيسي — ويسعنا القول انها لم تكن سباقة الى عملها هذا ولكنها استندت الى خبرة غيرها فيه .

واذا لم يكن الدين الملهم المباشر لتلك الاصلاحات فهو على الاقل لم يناهضها كما فعل في غيرها من البلدان ولهذا الامر خطورته .

ولقد تبنت مصر قبل النظام الراهن وهي ذات الاكثرية الدينية حلًّا فريداً في بابه . فهي على اعترافها بان ثمة موجبات عدل اجتماعيــة تضطلع بها الدولة حيال الفاعل قد انشأت الى جانب ذلك مصلحة اسعاف اجتماعية كبرى واعطت الدولة مظهر سيّد عظيم وخصّتها بدوره ليتخذ على عاتقــه اعالة اشد محرومي الحياة بؤساً .

والظاهر ان الحلّ الذي تبنّتــه مصر قد استمدّته مباشرة من المفهوم الاسلامي للمجتمع .

ولئن ساهم الدين في ايجاد هذا المنهج لانشاء قاعدة جديدة لتنظيم الاجتماعي فلن يمنع ذلك من ان يكون هذا التنظيم في هيكله وعمله علمانياً محضاً .

وقصارى الكلام يسعنا القول ان الدين لم يمثل في الشرق الادنى الـدور الذي كان عليه ان يمثله في سبيل ايقاظ القدر الاجتماعي .

٭

.. لقد طغى على المشاعر التي اتخذها الدين قليلًا شعور حذر عميق على حين ان التنظيم الاجتماعي لا يسعه ان يكون راسخاً وطيداً ان لم يكن ثمة شيء من الثقة المتبادلة ؟

ومن نكد الدهر ان ازمة الثقة ليست مستجدّة في الشرق الادنى ولكنها متأصلة بقوة فيه .

ومها تكن اواصر الصداقة متينة في الشرق الادنى فهي لا تستطيع الثبات

حتى بين الذين تشدّهم بعضاً الى بعض وشائج القرابة والـدم فمعظم المواطنين ولاسيما التجار من بينهم يعرفون حق المعرفة ان اعسل الوعود تضمر دائماً وراءها شباكاً وحبائل ليبدوا النظر غالباً حتى في العقود ولتصبح اشد الايمان غموساً هباء منثوراً مما يفضي بنفسية الشرق الادنى لتكون نفسية دفاعية لا نفسية ثقة. وليست هذه الحالة الا احدى ظاهرات او نتـائج — اذا فضلتم القول — النزاع الذي سبق لنا ان تكلمنا عليه والذي يثير الخلاف بين القواعد الاخلاقية والمصلحة .

ويبدو من الصعب على رجال المهنة الواحدة — بالنظر الى هذه الاوضاع — من ارباب اعمال وعمال واختصاصيين ان يقدموا من تلقـائهم وبالاشتراك معاً بانشاء دستور للمهنة او باحداث منظمة اجتماعية اوسع على حين انـه بمقدور الدولة التدخل لضمان العقود المهنية لتشرف بنفسها على تنفيذها فتعيد بذلـك الثقة الى قلوب الخاصة .

بله انها للقاعدة التي تحاول القيـام في معظم دول الشرق الادنى لان الحكومة هي التي اصبحت تسن هذه القوانين وتسهر على تنفيذها .

وفي هذا الصدد لقد ضرب لنا العراق مثلاً مفيداً جد الفائـدة ، اذ تتولى فيه لجنة حكومية مؤلفة من الاختصاصيين وتعمل بالاتصال بدوائر منظمة الامم المتحدة في ادارة اقتصاديات البلاد وتأمين التنسيقات الصناعية الجديدة فيـا وهي بذلك تشتغل في الحقل الاجتماعي وتمهد الطريق لقيام بنيان افضل .

وقد يتفق ان يتناول الخاصة بجذرهم الدولة نفسها فلا يرتاح المواطنون الى ما تقدم عليه من اعمال في الحقل الاجتماعي لانهم لا يثقون باخلاصهـا ويرى بعضهم في شعورها هذا بقية من بقايا دهاء الحكومة العثمانية ومخادعاتها .

واني لا اجرأ على القول بان هذا الحذر ليس من علائم الحكمة في بعض الظروف في السـاعة الراهنة .

ومن الواضح انه من واجب الحكومة قبل ان تقوى على تحقيق اي امر كان في الحقل الاجتماعي اكتسـاب ثقة الخاصة .

وافضل الوسائل التي تخوّلها اكتسـاب هذه الثقة من جديد هي ان يكون اقتصادها سليماً لان المواطن العادي اذا ما رأى الاموال العامة تديرها ايدي

رجال لا غبار على سلوكهم ينتهي به الامر ومن دون ان يتردد ولاسيا اذا كان من العمال الى الاقتناع بالفكرة القائلة ان الدولة بمقدورها ان تتولى ادارة صندوق السلامة الاجتماعية الذي تتكدس فيه احتياطات العمال القليلة .

ومها يكن من امر استثمار هـذا الحذر وان أخذ بالتضاؤول فانه لم يبرح في الساعة الراهنة من عوامل نفسية الشرق الادنى الاجتماعية المهمة التي لا يليق بنا اغفالها .

•

لا نرى لنا مندوحة عن الاشارة ايضاً الى عنصر نفساني آخر وان كان لا يختص بالحقل الاجتماعي وحده وانما تاثيره قويّ عليه : الا وهو الرغبة في الاستقرار.

اجل ان الشرق الادنى يتحرك بصعوبة ولكن في مقدوره اكيداً ان يقوم بردات فعل عنيفة موقوتة ، لانه يتطور في اعماقه تطوراً وئيداً نلمح بطئه على قدر ما ننحدر في السلم الاجتماعية .

ويضع الشرق الادنى امام انظارنا مظهر نخبات مثقفة تتطور في تقدمها على غرار الغرب الحديث اما جماهيره فما برحت تعيش وفق الطراز الذي كان يعيشون بموجبه منذ عشرة قرون .

ولا يندر ان نرى سوق صناع للعمال اليدويين قائمة على بضع مئات الامتار من مصنع حديث يخيل الينا معها اننا قد عدنا الى عهـد الف ليلة وليلة لان فلاح الاناضول الشرقي لم يتقدم اكثر من فلاح معرة النعمان او هـادي الابل في البادية او فلاح القطر المصري ، اما عمل النخبة المثقفة فيعترضه جمود الجماهير الهائل – فالناس على قدر ما يقتربون من الحياة البدائية يشتد تمسكهم بقواعد عشائرهم او قراهم وغيرهما ليروا ان قضية التغيير هي قضية موت او حياة وانهم لا يجدون لهم حياة الا في مجتمعهم القديم وبه وكل تبديل في تقاليـد الجدود هو باعينهم وثبة في المجهول .

ولئن اضفنا الى هذه الصعوبات عمل طبائع الناس وملابساتها وتأثير الاقليم والعادة لاتضحت لنا العقبة الكأداء التي يقيمها جمود الجماهير في طريق التقدم الاجتماعي .

وثمة الكثيرون من قادة الشرق الادنى الذين يسمون لتقدم الفلاحين والعمال

البدويين وانما ضمن انظمتهم التقليدية : كتحسين ملكية الفلاح واساليب حراثته واتقان ادواته وتلقينه تعليماً ابتدائياً واسعاً حتى اذا قُدّر لهم اجتياز هذه المراحل الاولية من تثقيفه استطاعوا ان يأملوا تنظيماً اجتماعياً اشد انسجاماً مع مستلزمات دولة حديثة .

*

بصرف النظر عن هذه العقبات الكأداء العديدة التي اشرنا اليها كحائل يقف في وجه استثمار معنى « الشؤون الاجتماعية » في الشرق الادنى فان معظم حكوماته قد ارتست لها جهازاً تشريعياً تتفاوت اهميته من حيث زيادته او نقصانه وذلك بشأن تنظيم العمل .

اجل لقد ارتسمت هذا الجهاز بشكل ينخدع معه المراقب الاجنبي بمدى درجة التقدم الاجتماعي لو اكتفى بالاستناد الى نصوصه فقط .

فما هي اذاً الدوافع التي حدت بهؤلاء القادة ليأتوا بما اتوا به . وما هي جدوى اعمالهم التشريعية عملياً ؟

انه يلوح لنا ان لا مندوحة عن التمييز بين هؤلاء القادة « وزراء ونواب الخ » لان منهم الفتيان والشيوخ اذ يصعب على هؤلاء الاخيرين الذين تعوزهم الثقافة الاجتماعية بمعنى اللفظة الحصري ان يدركوا الضرورة الملحة والداعية الى تجديد التنظيم الاجتماعي .

ان هؤلاء الشيوخ يقوم في اعتقادهم ان تشريع العمل الاجتماعي ليس غالباً الا ذريعة من ذرائع الدعاية وان رغبوا في حضور مؤتمرات العمل الدولية وجلسات منظمة الامم وهم يتأبطون قانوناً حديثاً للتشريع الاجتماعي .

اما القادة الشباب فهم على اطلاع اكثر من الشيوخ بواجبات الدولة في الشؤون الاجتماعية وحيال حقوق العمال واشد اخلاصاً منهم ورغبة بتحقيق امر ثابت بيد ان كليهما لا يتوصل للوهلة الاولى الى احقاق تشريع ملائم متساوق الانسجام.

وهذا العجز في القادة ناجم عن النقص في عدد الاختصاصيين القادرين على سن قوانين طبقاً لاحتياجات البلاد . اما اذا لجأوا الى الاختصاصيين الاجانب فهؤلاء لا يدركون ادراكاً حقيقياً المعضلات المحلية لينزعوا الى وضع مشروعاتهم وفق النصوص الغربية .

وفي البلدان التي يتبنى مجلس نوابها مشروعات القوانين التي يقدمها رجال الحكومة الفنيّون قد يشوّه تدخل النواب المعارضين للاصلاحات الاجتماعيّة او الذين يجهلون جهلًا كاملًا قيمة التنظيم الاجتماعي هذه المشروعات ويجعلونها طيّ النسيان .

ولا يكفي سن القوانين فقط وانما تفتقر الى التنفيذ وفي هذا السبيل لا بد من ادارة فيها الكفاءة لوضعها موضع العمل بها . ويظهر ان هذا النقصان في الكفاآت ما برح ثلمة في الشرق الادنى لم تُسَدّ بعد .

ولا غرابة اذا كان الشرق الادنى مفتقرًا بعد الى اولي الكفاآت لاننا لو فكرنا في الزمن الذي استغرقه الغرب لسنّ تشريعه الاجتماعي وفي المدة التي اقتضت له لايجاد الاكفاء في الشؤون الاجتماعيّة لادركنا ادراكًا صحيحاً ان بلدان الشرق الادنى ما برحت تعيش بالدوران حول هذا الامر وان حكومته ما زالت غير وافية بالمرام وان موظفيها قد وقفوا في ثقافتهم عند حدودها الاولية ليظلوا عاجزين عن القيام بعمل اجتماعي مجدٍ .

وهذا النقصان في الكفاآت قد حمل بعض النقاد على القول ان قوانين الشرق الاجتماعيّة مدوّنة على الورق وليست في طبائع اهله .

والواقع ان الجهاز الاداري آخذ بالتحسن في الشرق الادنى شيئاً فشيئاً وانما في البلدان التي عملت على اتمام فكرة واحدة عملًا متتابعاً . اما في غيرها فما برح الامر على العكس فالتقدم ما انفك بطيئاً جدّ البطء. وتصرف الموظفين ما فتئ باعثاً على القنوط حتى حق لنا التساؤل عما اذا كانوا سيصلون في عملهم الى نتيجة جديّة في هذا الباب .

اجل ان الامر لذو اهميّة رئيسيّة لان الموظفين الذين تقع على عاتقهم مسؤولية انجاح الاصلاحات هم المكلفون ان يقوموا بتذليل مناهضة الجمود وما فيه من قوى، هذا الجمود الذي يتفق عادة ان تلاقيه الاصلاحات لدى الشعب .

نعم على هؤلاء الموظفين ان يحملوا ارباب العمل والعمال على قبول التضحيات القليلة التي تفرضها المساهمة في مختلف صناديق السلامة الاجتماعيّة وان يحولوا دونهم من التهرب من اداء واجباتهم وان يعودوهم النظام الذي لا بدّ منه لحسن سير المجموع .

ولا شك في ان هؤلاء الموظفين تعترضهم عراقيل جمة تمنعهم عن أداء واجباتهم لانه ليس من النادر ان يرى من بينهم مفتشون قد طردوا من وظائفهم بجفوة او انهم اصبحوا حيال موقف باتوا معه مغلولي الايدي وعجزوا عن انجاز عملهم . ولا غرو ان يلاقي هؤلاء المأمورين مثل هذه العقبات اذ عليهم ان يناهضوا تلك العقد النفسانية التي سبق لنا واشرنا اليها بالتفصيل .

وثمة تفاوت بيّن جداً بين النظرية التي ينصّ عليها القانون وبين العمل الذي هو تطبيق لها .

وقصارى القول ان القانون لا بدّ له بالحقيقة من ان ينقضي عليه سنون عديدة ليصبح موضع العمل بموجبه ، ومع ذلك فاننا لا نقوى الا على ان نغتبط اذا لم تبقَ مهملة بعض نصوص من نصوصه .

٥

لقد خطر لنا ان الضرورة توجب علينا الاشارة الى العقبات التي تعترض تفتق حياة اجتماعية سليمة في الشرق الادنى ونرى الآن ان نوضح السبب الذي لا يزال من اجله ملايين العمال من الفلاحين في بيوت من اللبن باثاث قليل وادوات حراثية بدائيّة فتفشت بينهم الامراض وما برح دخل عملهم زهيداً جداً لا يكفيهم الخ ... على رغم ما تبذله بعض الحكومات من مجهودات.

ولماذا ثمة ملايين من الصناع اليدويين لا يقوون على تأمين اعالة ذويهم الا بكل جهد جهيد ، ولماذا هناك الوف من عمال المصانع لا ينعمون بمستوى حياة لائق الخ ...

لقد اوضحنا ان مردّ كل هذه الامور لا يعود الى العوامل الاقتصادية في الشرق الادنى فقط بل ثمة اسباب نفسيّة واخلاقيّة .

ومن حسن الحظ اننا نرى في قعر اللوحة التي رسمناها والتي ما فتئت سوداء بارقة امل — نعم ان سير التقدم بطيء. ولكننا لا نقوى على انكاره — فعلينا اذاً ان نبيّن ظواهر هذه البارقة .

تقوم الظاهرة الاولى التي تجدر الاشارة اليها على بعض تقهقر الاقطاعيّة . اجل ان تقهقر الاقطاعية في تركيّة لامر مشهود. اما في مصر وسوريه فاخذ يزداد بروزه الى حيّز الوجود وفي غضون السنوات الاخيرة يبدو لي ان تقلص

الاقطاعية بعد ان كانت القاعدة السائدة في مجتمع الشرق الادنى القديم لامر له خطورته. اما رغبة الحكومات في تهديها فبالاستطاعة تعليلها باعتبارات سياسيّة.

وعلى كل فان الحرية لواجدة حقوقها والتفاوت الاجتماعي لصائرٌ الى كسر حدّته وان الحكومات سترى يدها طليقة في احقاق اصلاحات اجتماعية عامة مما كان من المستحيل الاتيان به حيال قيام اقطاعيّة شبه مستقلة. اما الطريقة التي توصلت بها هذه الحكومات فكانت — كما سبق لنا الاشارة — في توزيع بعض اراض اقطاعيّة او حكوميّة على الفلاحين وهي غالباً من الاراضي البور ... مما افضى «بالمرابع» الى ان يكون ملاكاً صغيراً.

والظاهرة الثانية التي لا تقل اهميّة عن الاولى قائمة على اخفات حدّة النظام الاقتصادي الحرّ اخفاتاً تدرجياً ولاسيما في حقل الصناعة، لان الدولة باشرافها الصحيح عليها قد كبتت حرية كبار الصناعيّين بتصرفهم بحسب ما توحي اليهم اهوازهم في اعمالهم التي ارجعتها الى حدود العدل.

ولقد رأينا في القرن الاخير المساوئ التي كاد يفضي اليها النظام الاقتصادي الحر الذي لم يكن يقيّده قيد او شرط في الغرب. فاذا كانت اوضاع العمال الاجتماعية ستؤول بهم الى حالة اسوأ من حالتهم في الماضي من جراء تعميم الصناعة في الشرق الادنى فلا فائدة من تعميمها فيه وذلك بصرف النظر عما قد تخلفه من ازمات سياسيّة ربما تطيح بجميع اعمال التنظيم الاجتماعي الاسبق.

واجدى عمل في باب التنظيم الاجتماعي في الشرق الادنى كان عمل الدولة التركية، بيد ان القادة القائمين في سورية ومصر على ما يبدو لنا انهم سائرون في الطريق نفسها..

ويلوح لنا ايضاً ان تضاؤل تدخل الدين في حياة الدولة هو من العوامل المؤاتية لتفتق ادراك معنى الشؤون الاجتماعيّة تفتقاً اوسع ولتنظيمها تنظيماً وطنياً حقيقياً.

ومجرد استلهام دول الشرق الادنى شرائع العمل الجديدة استلهاماً علمانياً محضاً يحملنا على ان نستشف تملصها شيئاً فشيئاً من مفهوم المساعدات الاجتماعيّة الطائفية لتتبنى مفهوم السلامة الاجتماعيّة بمعناه الغربي، وبعملها هذا نفسه ستضرب صفحاً عن الاشكالية الدينيّة.

ربما يبدو ان سورية ومصر تودّان اقتفاء خطى تركية في هذا الصدد .

والى جانب هذه الدلائل المنبئة بتطور اكيد ثمة اعمال صريحة كل الصراحة في هذا الشأن . ولقد عولت على ان لا اتعدى الى الكلام على مختلف ضروب التشريع ولا على ما فيها من نقصان بعد ان حللتُ خطوطها الرئيسية في العام الماضي ولكنني اتناولها لابيّن ان ما تمّ تحقيقه لا ينطبق كل الانطباق على النصوص التشريعية وان دلّ على الرغبة في التقدم .

والامر الذي لا ريب فيه هو ان احداث دوائر ادارية للعمل في مختلف بلدان الشرق الادنى ليس الا خطوة الى الامام لا سبيل لاغماض العين عنها .

ولئن تمنينا امرًا فاننا لنتمنى ان تكون ثقافة موظفي هذه الدوائر الاختصاصية اوفى اتقانًا لان معظم ذوي الاختصاص في الشرق الادنى قد تلقوا ثقافتهم خارج البلاد على حين ان دوائر وزارات الاعمال هي بافتقار الى ان تزوّد باختصاص كافٍ وذلك اذا لم يكن موظفوها قد تلقوا ثقافة نظرية وافية في بلدان شتى تنطبق على القرارات الموضعية .

ومن المفيد جدّ الفائدة انشاء المدارس واحداث شهادات لهذه الغاية. اما في حقل احقاق الاعمال فيحتل التنظيم التعاوني مقامًا ذا فائدة خاصة لان عالم العمل في الشرق الادنى ما زال بعيدًا البعد كله عن ايجاد التماسك بينه،ذلك التماسك الذي كان له إبّان عهد التعاونيات، ولان عقود العمل الواسعة في احدى المهن التي يقدورها ان تجعل حياة العمل طبيعية « قياسية » لم تدخل بعد في اية بلاد كانت من بلدانه .

ولئن شهدنا منظمات ارتباط لجميع المهن تقوم ذات اليمين وذات اليسار كغرف التجارة والصناعة والصناعة اليدوية والزراعة فان عملها لواسع جد الاتساع ويكتنفه الغموض ولم تخوّل السلطة الكافية لجمع شمل المهن جمعًا وطيدًا . اما نقابات ارباب العمل والعمال في الشرق الادنى فانها باذلة مجهوداتها في سبيل تكتلها تكتلًا اوفى لكنها ما برحت في افتقار الى الاختصاصيين أولي الكفاءات القادرين على الاحتفاظ بتكتلاتهم ضمن الصف المهني .

واذا ما رأينا عملها قد تضاءل تضاؤلًا كبيرًا حتى في الحقل المهني نفسه فلكون السياسة قد تسربت بسرعة الى حياتها فحدت بحكومات الشرق الادنى الى مراقبتها مراقبة دقيقة وعن كثب .

واذا ما رأينا المؤسسة التعاونيَّة تعود الى حيّز الوجود فنحن لا نقوى على القول انها قد اصبحت من لحم العادات ودمها على انها عرفت ضرباً من التقدم في تركيَّة لان الدولة موّلت المؤسسات التعاونيَّة بواسطة مصارفها وجعلتها تحت رعايتها على حين انها ما برحت لا وجود لها عمليًّا في بقيَّة مناطق الشرق الادنى.

وترانا لا نستطيع اغفال الاشارة الى المجهود الحديث الذي تبذله الحكومة الايرانيَّة في هذا السبيل في محاولتها الآن تنظيم مؤسساتها التعاونية واكثارها في مناطقها الاشد انتاجاً .

وتلاقي الحكومة الايرانيَّة صعوبات جمة في محاولاتها هذه لان فلاحيها لم يتأهب بعد لقبول منهج المشاركة من جهة ومن الثانية لان رجال الاختصاص أولي الكفاءآت المتحمسين الذين عليهم ان يقوموا على هذه المنظمات ما برحوا قليلين ، اما الاعمال الفردية في هذا الباب فلن تؤول الى فائدة مجهودات الدول المختلفة الّا فائدة قليلة .

واذا كان ثمة مجهود للتنظيم الاجتماعي فمن الواجب ان يظهر الى الوجود في قضيَّة امر ايجاد مساكن للطبقات الفقيرة .

أجل لقد بدأت بعض هذه الاعمال تبرز الى حيّز الوجود في مختلف نقاط الشرق الادنى وانما على مقياس ضيّق. ففي ضواحي انقره وعلى مقربة من استامبول وفرت المنازل الرخيصة الاجور وغدا لمصانع الدولة في الاناضول مدنها العمالية الصغيرة.

ولئن كان في مقدورنا ان نرى مثل هذه البادرات في بعض بلدان الشرق الادنى فلن نقوى على القول ان القوم اصبحوا يفقهون معنى الواجب الذي يضطلع به المجتمع في هذا الصدد .

ويخيّل الينا ان سبب وجود هذه الثلمة في التقدم مردّه الى ان شعوب الشرق الادنى لم تدرك بعد الواجب الاجتماعي نحو الملة العاملة بوصفها عاملة ولم تسلم به بعد . ولا ننكر ان ثمة بعض ضروب الضمان التي تأخذ بعين الاعتبار النفقات العيلية ولكن صناديق التعويض على العمال لم تنظم بعد من كل صقع من اصقاع الشرق الادنى .

وجدير بلفت النظر امتناع الشرق الادنى عامة عن ان يرى امامه مشكلة الملة العاملة الاساسية ليحلّها ضمن نطاق العدل الاجتماعي . . .

والظاهر ان اسباب هذه الاوضاع قائمة قبل اي امر آخر على جهل العوامل التي هي من اساس واجب المجتمع حيال اب العيلة العاملة لان الاجرة لا مقياس لها آخر غير المقياس الاقتصادي المحض والتعويض على تأجير العامل لخدماته خال من كل روح انسانية على حين ان العامل لا وسيلة لديه غير عمله ليخوّله تأمين القيام باود ذويه .

وزد على ذلك ان الاجرة العيلية في الصناعة هي على طرفي نقيض مع عادات الشرق الادنى المتوارثة جيلاً فجيلاً منذ القدم .

اجل ان الواقع يدلّ على تأخر الاستشمار بهذه الوجبات الاجتماعية مع ان نتائج هذه الثلمة لذات خطورة .اذ ان كثيراً من عيال العمال التي عضها الجوع بنابه ترى نفسها مرغمة على استجداء المعونة من مؤسسات الاسعاف .

وفضلاً عن هذا فان ابناء هذه العيال يضطرون وهم صغار السن الى الانخراط في العمل ليهملوا مدرستهم ويظلوا اميّين. اما الامّ فلا ترى سبيلاً لتأمين حياتها الا في اهمال شؤون منزلها . وفي هذا الباب لا مندوحة لنا من الاشارة اخيراً الى قضية مرض العمال وامر العناية بمعالجتهم لان هذه القضيّة ما برحت بدون حلّ لها في الشرق الادنى بعد ان ظلّ الضمان ضد المرض نادراً كل الندرة وان كان ثمة عدد كبير من المؤسسات الطبيّة المجانيّة .

اجل ان الضمان ضد المرض ما فتئ نادراً كل الندرة على رغم وفرة مؤسسات الاسعاف الطبيّة المجانيّة وفرة تبلغ حدّ الافراط .

ولسنا نقول امراً إذاً اذا ما صرحنا بان الشعور الاجتماعي ما برح ناقصاً كل النقصان في هذا الصدد بعد ان تُرك امر الاهتمام بمرض العمال على عاتق المؤسسات الخاصة على حين ان الواجب كان يقضي بان يضطلع المجتمع برمته بهذا العبء.

وصفوة الكلام ان مضاّت هذا النقصان لا يتحمل اعباءها الا العامل بسبب قلة المصالح الطبيّة ونقصان تجهيزها لتسدّ حاجات الجميع . فلو كان هناك صناديق ضمان قوية التجهيز لوسعها اكثار المراكز الطبيّة في الاقاليم .

وهل من شك في ان هذا النقصان يفضي الى كثرة الوفيات بين الاطفال على رغم التضحيات التي يبذلها الاطباء المحسنون لتظل اوضاع الطبقات الفقيرة الصحية من البواعث على الاسى .

وختاماً لا يسعنا ان نهمل الاشارة الى الدور الذي قامت به بعض منظمات الامم المتحدة وبخاصة مكتب العمل الدولي (B. I. T.) في ايقاظ الشعور الاجتماعي في الشرق الادنى لان المحققين الذين اوفدهم المكتب المشار اليه قد تمكنوا بدراساتهم عن كثب تحديد القضايا التي تستوجب حلًا لها فاقترحوا حلولًا كافية بصددها ولكنهم لم ينفذوها .

ولقد افضى اشتراك كبار موظفي الشرق الادنى في اجتماعات الخبراء الدوليين الى ان يدركوا اهمية الاصلاحات الاجتماعية التي ينبغي لهم تحقيقها في بلدانهم وان يفقهوا الفائدة التي لا غنى لهم من ان يكتسبوها من خبرة الغرب في هذا المضمار .

واننا لنتمنى ان تزداد اواصر التعاون بين قادة الشرق الادنى وبين الاختصاصيين الدوليين اذ بذلك شحذ لعزائمهم يدفعهم للسير قدما وبسرعة في طريق التقدم .

واذا ما شئنا الايجاز فاننا لنقول ان استشعار الشؤون الاجتماعية في الشرق الادنى ما برح ناقصاً جدّ النقصان وانه اذا كان قد سار بخطى واسعة في بعض بلدانه فانه ما فتئ مفقودًا في غيرها .

بله ان الجماهير لم تدرك بعد كل الادراك اهمية التقدم الذي عليها ان تتقدمه وان ثمة بعض الفئات المثقفة التي ما برحت تخشاه خوفاً منها على فقدان مراكزها التي حصلت عليها كما ان هناك ايضاً فئات مثقفة اخرى لم تقتنع بعد اقتناعاً كافياً بضرورة هذا التقدم لتقف حجر عثرة في سبيل التيارات الناهضة له ولتذلل قوة الجمود التي يصادفه . ومهما يكن من امر فان هذا الامر لآخذ بالاتساع بقوة بقيامه حيال الشعور العام في الشرق الادنى .

ومما يبعث على الامل في تقلص المفاهيم الانانية والانكماشية رويدًا رويدًا للمجتمع ليحلّ محلها شعور صحيح بواجبات كل فرد الاجتماعية شعور يزداد وضوحاً واخلاصاً شيئاً فشيئاً هو ما تحقق من اعمال تقدمية وما يستمر من جهود مبذولة آخذ بعضها برقاب بعض . ولئن رأينا النفس يغمها اكثر من تمنّ فلكوننا قد شهدنا الشروع بالعمل فحقّ لنا ان نشيّد عليه تفاؤلنا اذا ما اشرأبت اعناقنا لنتطلع الى المستقبل .

الآثار المطويّة (تابع)

جمعها وعلّق عليها ونشرها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

التذكار المئوي الثاني لتثبيت قانون الرهبانية اللبنانية المارونية

انه في سنة ١٩٣٢ تمّ مرور مئتي سنة على تثبيت الكرسي الرسولي المقدس لقانون رهبانيتنا اللبنانيّة المارونيّة، فأحب رئيس عامها في ذاك الحين المغفور له الأب مرتينوس طربيه، ان يحتفل بهذا التذكار المئوي الثاني احتفالاً رائعاً من جميع وجوهه، فاوعز الى ثلاثة من آباء هذه الرهبانيّة بان يكتب كل منهم مقالاً خاصاً عيّنه له، فكتبنا وقتئذٍ اربع مقالات : الاولى صفحة تاريخيّة في الرهبانية اللبنانية المارونية[1]، الثانية في الرهبانية والنسك في لبنان[2] الثالثة الرهبان واعمال الرسالة[3] الرابعة الزراعة والصناعة بين الرهبان[4]. ووضع حضرة الاب بطرس ساره مقالاً في الرهبانيـة والعلم[5]. وكتب الطيّب الاثر الاب لويس بليبل نبذة تاريخية موجزة في تأسيس هذه الرهبانية ضمنها تاريخ انشاء اديارها واسماء الرهبان الذين رقوا الى درجة الاسقفية ونسّاك مناسكها الى غير ذلك من الفوائد التاريخيّة المهمّة. وظلّت هذه النبذة محتجبة بين اوراقنا. وها اننا ننشرها اليوم كما صدرت من قلم منشئها الاب بليبل غير متعرضين للحذف منها او الزيادة عليها، مستمطرين عليه الرحمات عداد ما له من الآثار القيمة والمبرّات، مقدرين اتعابه وجهوده الجبارة في سبيل وضع تاريخ جامع مانع لرهبانيتنا،

١) المشرق ٣٠ [١٩٣٢] : ٨٠١—٩٢٠
٢) المشرق ٣١ [١٩٣٣] : ١٦٨—٤٤٦
٣) المشرق ٣١ [١٩٣٣] : ٦٥٤
٤) المشرق ٣١ [١٩٣٣] : ٨٦١
٥) المشرق ٣٠ [١٩٣٢] : ٣٢١

وقد نشر منهُ رحمهُ الله ، مجلدين كبيرين ، وبقيت ثلاثة بدون نشر. ولما اصدر المجلد الاول من تاريخه وتدّمه الى قدس الآباتي اغناطيوس داغر التنّوري رئيس الرهبانيّة اللبنانية العام سابقاً ، كتب الاب العام اليه هذا الكتاب النفيس الآتي الذي ننشره اقراراً بما للاب بليبل من الفضل في جمع شتات هذا التاريخ . وهذا نص كتاب الاب العام :

حضرة الاب الجليل لويس بليبل رئيس دير مار عابدا برمانا اللبناني المحترم

. . . وصلنا المجلّد الاول من كتابكم « تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية » فتصفحناه بملء الارتياح والسرور . وقد تبين لنا من خلال سطوره العناء الشديد الذي بذلتموه في البحث والتنقيب في دفائن الاعصر الخوالي فاستخرجتم منها الدرر الغوالي التي جاءت خير حلية لجيد رهبانيتنا العزيزة ولا سيما تراجم مؤسسيها العلماء الافاضل الذين لمعوا بمزاياهم الفريدة واعمالهم الخطيرة في سماء الطائفة كالنجوم الزواهر ، وضحّوا بحياتهم في سبيل مجدها وتعزيزها .

فنحن نثني على جهادكم في جمع شتات هذه الآثار التاريخية الثمينة اطيب ثناء ونشطكم الى مواصلة طبع الاجزاء التالية من كتابكم النفيس سائلين الله تعالى ان يكافئكم على ما عانيتموهُ من النصب في تأليف هذا التاريخ المفيد ، اجزل مكافأة دنيا واخرى .
هذا وفيما نرغب في الاطمئنان على صحتكم نطلب لكم كل توفيق ونجاح اطال الله بقاءكم مشمولين بنعمه تعالى .

خادمكم
(مكان الختم) اغناطيوس التنّوري
اب عام لبناني

عن دير سيدة المعونات – جبيل – في ٢٥ آب سنة ١٩٢٤

والى قرّاء « المشرق » نبذة الاب بليبل في تاريخ الرهبانية مصدّرة بهذا العنوان الذي وضعهُ لها :

نبذة تاريخية في تأسيس الرهبانية اللبنانية المارونية

بمناسبة اليوبيل القرني الثاني لتثبيت قوانينها

من الكرسي الرسولي في سنة ١٧٣٢

انه لما كان في اليوم الحادي والثلاثين من شهر آذار سنة ١٩٣٢ يقع التذكار المئوي الثاني لتثبيت القانون لرهبانيتنا اللبنانية وتأييدها بالايد الرسولي الغير المنفك من قداسة امام الاحبار البابا اكليمنت الثاني عشر السعيد الذكر ببراءة رسولية صدرت بصورة احتفالية للذكر المؤبد وبدؤها « لما كان اهتمامنا » قد رأى آباء الرهبانية ان يقيموا اعيادًا دينية روحية احتفالية لهذا الحادث الخطير شكرًا لله تعالى على ما اولاها من حنوه الفياض وعنايته الصمدانية من النعم والمواهب ورعايتها وتأييدها وصيانتها من شر سهام الاعداء الخبيثة القتالة وليزيد بافرادها تجديد العزم بحفظ قوانينها ورسومها المقدسة كما كان لافرادها في ذاك الحين السعيد . ان حادث نشأة الرهبانية ان لم يكن من اهم الحوادث الواقعة في اواخر الجيل السابع عشر في شرقنا الادنى على عمومه فيكون في لبنان او على الاقل في الطائفة المارونية . وان اهميته لم تقف عند الوجهة الدينية بل تخطتها الى العلم والآداب وما يتفرع منها وتناولت الماديات وما هو من بابها . فمن ثم قد ألف الرؤساء لجنة من ابناء الرهبانية اسموها لجنة اليوبيل وعهدوا اليها الاهتمام من انشاء مقالات سهبة على قدر الامكان بتبيان حوادثها ومآتيها الغرّاء في جانب الانسانية والعلم والطايفة . ومن اقامة حفلات روحية وادبية وما اشبه تمجيدًا لله تعالى وشكرًا له وتحبيًا لها . فقام اعضاء اللجنة المرقومة بما عهد اليهم . آملين ان يكون مما كتبوه ومما قاموا به من الاحتفالات ان ينال رضا الكرام الذين تكرموا وشاركوا الرهبانية بافراحها . وان لجنة اليوبيل تتقدم بالنيابة عن عموم ابناء الرهبانية وبالاصالة عن نفسها فتشكر للجميع وتسأله تعالى ان يثيبهم عمّا تجشموه من الاتعاب والمشقات في هذا السبيل .

عدد ١ تمهيد

ان رهبانيتنا اللبنانية المارونية متسلسلة بحلقات متصلة غير منفصمة حتى الآن من القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبان المصري المنبت والقبطي الجنس مؤسسها الاول المولود في سنة٢٥٢ والمتوفي في سنة٣٥٧ بعمر ١٠٥ سنين. قلت مؤسسها الاول لانه في سنة ١٦٩٥ طرأ على هذه الرهبانية حادث خطير اذ اصلحت قوانينها ورسومها بحيث يمكن القول ان ما تعدّل واصلح من عوايدها المستعملة والشائعة فيها آن تأسيسها كان في سنة ١٦٩٥ . ان الرهبان القدماء لم يكن لهم قانون مثبت خاص بل كانوا يسيرون بموجب عوايد تقليدية منها شفاهية ومنها كتابية يأخذها الخلف عن السلف وهي من اقوال القديس انطونيوس وتلامذته . واما نذورهم فكانت بشكل تسليم اذ لم يكن عندهم نذر بالفاظ صريحة ومشهورة ومشهود بها بل كان طالب الرهبانية لمجرد لبسه الاسكيم الرهباني بدون ابتداء « امتحان » التزم عرفاً بحفظ المشورات الانجيلية والعوايد الرهبانية الثابتة في ديره وعرفه الجميع انه راهب ملتزم بحفظ المشورات المرقومة . وكان لكل دير رئيس خاص مدى الحياة ولكل دير عوايد خاصة ليس اشتراك ثمة بين دير وآخر لا روحياً ولا زمنياً ، وقد كانت اديار الرجال متصلة او ملاصقة اديار النساء . هذه حالة الرهبان في تلك الاحقاب اذ كانت صالحة للصالحين وخطرة لغير الصالحين .

عدد ٢ في تأسيس الرهبانية « او اصلاح قوانينها »

انه بين سنة ١٦٩٣ و ١٦٩٤ خرج من حلب ثلاثة شبان مارونيون وهم : جبرايل ابن توما حوا . وعبد الاحد ابن مخايل قراعلي . ويوسف ابن البتن ووجهتهم جبل لبنان مقرّ الاديار والرهبان بقصد الرهبنة . وبعد ان مثلوا بنادي السيد البطريرك اسطفانوس الدويهي الشهير زاروا الاديار وتفقدوا المحابس ونقدوا سير رهبانها فلم يرقهم سيرهم الرهباني المار شرحهُ ففكروا في اصلاحه . ثم مثلوا بين يدي السيد البطريرك وعرضوا له فكرتهم فاجابهم : « انتم ابناء رغد ورفاه ومعاش الجبال تقشف ومعاش الرهبان يقوم بمزاولة اعمال الفلاحة والزراعة فلا اراها في مقدوركم». فاجابوه بكلام دلّ على ثباتهم والحفوا بالتوسل

فانعم عليهم برضاه وسلمهم خرايب دير القديسة مورا في اهدن والبسهم بيده الاسكيم الرهباني على سبيل التجربة بدون نذر في ١٠ ت ٢ سنة ١٦٩٥ فرمموا الدير المذكور وسكنوه. وفي صيف تلك السنة سام السيد البطريرك جبرايل حوا كاهناً فانتخباه رئيساً عليها وبعد ان قضوا مدة في الصلوة والتنقيب والتفكير قرروا انشاء رهبانية نسكية ذات قوانين ورسوم مكتسبة لها رئيس عام واحد يعاونه اربعة مدبرين ولكل دير رئيس خاص يخضع للرئيس العام وتدوم هذه الوظايف الى ثلاث سنين وبنهايتها يعقد مجمع عام مؤلف من عموم الرهبانية له السلطان على عزل اصحاب الوظايف او تثبيتهم اذ رأى موافقاً . ولهم ذي خاص اي حتموا ان يكون زي اسكيمهم « القلنسوة » تخالف في شكلها اسكيم الرهبان القدماء. وان يكون الثوب من صوف مسدوداً غير مشقوق من الامام . وان تشترك الرهبان والاديار مع بعضها في عيشة مشتركة على نظام اللاسركية . وان يجرب كل طالب الرهبانية مدة سنتين بلباس خاص امتحاناً لعزمه ولمعرفة خصاله . وباثناء ذلك لحق بالمؤسسين الياس من حلب ويعقوب زوين من غزير فكانا بكري الرهبانية فلبسا الاسكيم الرهباني بدون نذر . وبعد سنة مما تقدم شرحه خرج من حلب لاحقاً باصحابه الشاب جبرايل ابن فرحات الذي كان تعاهد وتعاقد معهم قبل خروجهم من حلب على فكرة الاعتزال عن العالم واعتناق اخالة الرهبانية المقدسة . ولبس الاسكيم الرهباني بدون نذر وبعد مدة سيم كاهناً وبالاتفاق مع اصحابه شرعوا في تأليف القانون.

عدد ٣ في تأليف القانون وتثبيته

تألف القانون اولاً من اثنين وعشرين باباً تحته ٨٠ مادة وان تكون غاية الرهبانية الاولى تقديس الذات بالنسك والانفراد والصلوة عن الكنيسة والشعب. والغاية الثانية اعمال الرسالة . ووضعوا فرائض ادارية مؤلفة من ٢٢ باباً ضمنها ١٣٠ مادة اضافوها الى كتاب القانون . وبعد خمس سنين لتأليف القانون والفرايض لاسباب حدثت حُذف سبعة ابواب من ٢٢ باباً من ابواب القانون . فبقي خمسة عشر باباً تحت ٧٢ مادة قانونية اثبتها السيد البطريرك اسطفانوس الدويهي في ١٩ حزيران سنة ١٧٠٠ وتقدم افراد الرهبانية البالغ عددهم ثلاثة عشر شخصاً فنذروا

النذور الاحتفالية : الطاعة والعفة والفقر الاختياري لله تعالى ولابيهم القديس انطونيوس ولرئيسهم العام . فكان اول نذر احتفالي في الرهبانية . وفي المجمع العام المنعقد في سنة ١٧٢٥ تقرر اضافة ثلاثة ابواب تحتها عشر مواد الى كتاب القانون فصارت ابوابه ثمانية عشر باباً يحتوي على ٨٢ مادة قانونية أَلّف لها السيد عبدالله قراعلي تفسيرًا ضمّه الى كتاب واحد اسماه « المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني »[1] بطلب آباء الرهبانية واضيف الى قسم الفرايض الادارية ما كانت فرضته المجامع العامة والخاصة على تتالي الايام في تلك السنة وقدموها جميعها للسيد البطريرك يعقوب عواد فأثبتها. ومنح غفراناً كاملًا لكل من يلبس الاسكيم الرهباني اذ يكون معترفاً ومتناولًا القربان الاقدس .

وفي سنة ١٧٢٧ سافر الاب العام ميخائيل اسكندر الاهدني الى رومية العظمى بناء على قرار اصدرهُ مجمع المدبرين سعياً وراء تثبيت القوانين واقام عنه نائباً عاماً الاب توما اللبودي لسياسة الرهبانية واخذ نفقة سفره وسفر ثلاثة رهبان معه (٢٠٣) غروش ومن اباء المجمع العام المنعقد بدير طاميش رفعت عريضة استرحام الى قداسة امام الاحبار البابا اينوشنسيوس الثالث عشر ليتنازل ويثبت قوانين الرهبانيّة التي يرفعها لسدته الرسوليّة نيابة عنهم رئيسهم العام الاب ميخائيل اسكندر فقبل قداسته التماسهم وامر بترجمتها من اللغة العربيّة الى اللغة اللاتينيّة . وبعد وفاته السعيدة في سنة ١٧٣٠وجلوس خليفته البابا اكليمنت الثاني عشر على السدة الرسوليّة امر بمواصلة ترجمتها وولّى على فحصها الكردينالين نيقولاوس سبينولا محامي الرهبانية وفيشنسيوس بطرا رئيس المجمع المقدس . وفي سنة ١٧٣١ انتهيا من ترجمة القوانين وفحصها ولما لم يجدا فيها ما يناقض الديانة الكاثوليكيّة وحفظ السير الرهباني التمس نيافتهما من قداسته ان يستجيب طلبة آباء المجمع العام ويثبتها لهم . وفي ٣١ آذار سنة ١٧٣٢ تنازل قداسته بحلمه الابوي وأيد هذه القوانين بالأيد الرسولي الغير المنفك واثبتها ببراءة رسوليّة صدرت بصورة احتفاليّة للذكر المؤبد وبدؤها « لما كان اهتمامنا » اثبت فيها هذه الرسوم للرهبان اللبنانيّين « ولكل من يريد الاقتدا بطريقتهم

---

١) لدى الاب شبلي نسختان خطيتان من هذا الكتاب .

والاخذ بمنوالهم » . ثم امر بتحبير ثلاث براءات الاولى للسيّد البطريرك يعقوب عواد طالباً اليه ان يعنى بحمل الرهبان على الاجتهاد برعاية قانونهم ورسومهم التي اثبتها لهم . والثانية للسادة الاساقفة ويندبهم الى الاجتهاد في دفع كلما من شأنه ان يعارض احترام القانون ورعاية رسومه . والثالثة الى الرهبان اذ يأمرهم برعاية قوانينهم ورسومهم التي اثبتها لهم . وبعد ان انجز الاب العام مهمته في تثبيت القوانين ربط رهبانيته برباط الصداقة الحقيقيّة مع رؤساء عام بعض الرهبانيات الغربية كرهبانية الدومنيكان « مار عبد الاحد » والكرملتان اذ فُوض اليه من رئيسي عام الرهبانيتين وخلفائه سلطان اشراك القريب باخوية مسبحة الوردية وثوب سيدة الكرمل وان له ايضاً ولخلفائه ان يمنحوا ابناء رهبانيتهم سلطان قبول من يريد الاشتراك في هاتين الاخويتين .

رجع الى لبنان بعد ان غاب عنه نحو خمس سنين قضاها بالسعي وبتذليل الصعوبات التي تقف غالباً في سبيل تثبيت قوانين رهبانية أُنشئت حديثاً ولاسيما وانه كان صدر قرار من المجمع المقدس : ان لا عاد يثبت قوانين رهبانيات حديثة . وصل الى لبنان وسلّم مجمع المدبرين براءة التثبيت والبراءة الموجهة الى عموم ابناء الرهبانية من قداسته . فرفع اذ ذاك المجمع المرقوم عريضة الشكر والامتنان لمقام قداسته السامي وللسادة الكرادلة الكلي شرفهم وللسيد السمعاني لقبول التماسهم بتثبيت قانونهم ورسومهم . وشاركهم بهذه الشعائر السيد عبدالله قراعلي مؤسس الرهبانية .

عدد ٤ — في الرهبانيات التي اخذت هذه القوانين دستوراً لها

اولاً : الرهبانية الانطونية المشهورة برهبان مجمع مار اشعيا : ذكر الاب العام قراعلي في مذكراته : « انه في سنة ١٧٠٥ اخذ قانوننا الخوري سليمان المشمشي الذي كان رئيساً على دير طاميش . ولرغبته في القانون ترك دير طاميش برضى رئيسه ومنشئه المطران جبرائيل البلوزاوي وسكن في دير مار اشعيا مع من تبعه وسلكوا في القانون مثلنا . وما صعب عليهم كانوا يأخذون مشورتنا فيه وبقيوا عليه كما هو الآن» .

ثانياً : رهبان الارمن الكاثوليك : روى تاريخ الرهبانية « انه في سنة

١٧٠٨ حضر الى دير قزحيا شابان من طائفة الارمن الكاثوليك يدعى احدهما يعقوب والآخر ميناس بقصد ان يتمرنا على الحياة النسكية والعيشة المشتركة ليتسنى لهما ان ينشئا رهبانية لطائفتيها ومكثا في الدير المرقوم عشر سنوات. وفي سنة ١٧١٨ انضم اليها اثنان آخران وهما ميناس وابراهيم من حلب فأسسوا رهبانية لطايفتهم في دير المخلص بجلة الكريم وتبعوا فرايض رهبانيتنا وقوانينها الى اليوم .

ثالثاً : الرهبانيـة الشويرية الحناوية للروم الكاثوليك روى التاريخ المرقوم «انه في سنة ١٧١٠ خرج الخوري جراسيموس والخوري سليمان الحلبيان الكاثوليكيان من دير سيدة البلمند قرب مدينة طرابلس مع سبعة اشخاص لتأسيس رهبانية لطايفتهم الكاثوليكية وبعد ان عرضوا فكرتهم للسيد البطريرك كيرللوس اطاناس ارشدهم ان يسيروا الى جبال كسروان مقر الرهبان ولما وصلوا الى قرية الشوير اختاروا محلًا لسكناهم فأسسوا دير مار يوحنا المعمدان المعروف الآن بدير الطبشة واخذوا قانوننا اللبناني وساروا بموجب رسومه مدة طويلة وكان الاب العام جبرايل فرحات يزورهم مدة بعد مدة ليتعاهدهم بسيرهم القانوني الى ان ألّف لهم العلامة السمعاني الشهير رسومهم القانونية من اقوال القديس باسيليوس » .

رابعاً : روى التاريخ المذكور : « انه في سنة ١٨٠٨ اسس الاب جبرايل رمبو الماردبني رهبانية لطايفة الكلدان الكاثوليك على اسم القديس هرمزدا واتخذ قانوننا اللبناني دستوراً للعمل بموجبه حتى الآن وقد اثبت البابا غريغوريوس السادس عشر هذه الرهبانية . ومؤسسها الفاضل الاب جبرايل توفي قتلًا من عسكر محمد باشا الراوندي في سنة ١٨٣٢ » .

عدد ٥ في تأسيس الاديار

الاول : دير القديسة مورا الشهيدة في اهدن الدير التأسيسي الاول وهبه للمؤسسين السيد البطريرك اسطفان الدويهي في سنة ١٦٩٥ وكان اكثره متهدماً صرف المؤسسون على ترميمه مبلغ ٦٨٣٢ قرش من مال الابوين جبرايل حوا ويوسف البتن واما الاب عبدالله فلم يكن يملك درهماً كما اقرّ نفسه . وبعد خمس سنين من تجديده هجره الرهبان فمدّت فيه يد الخراب .

الثاني: دير مار اليشاع النبي في وادي قاديشا على مقربة من قرية بشري. ووهب للرهبانية بقصد تعميره وتعليم احداث قرية بشري وكان مؤلفاً هذا الدير من كنيسة صغيرة وبيتين حقيرين فجددوا بناءه وانفقوا على تأثيثه مبلغ ٥٣٦٠ قرشاً من تعب الرهبان وكدّ يمينهم ·

الثالث : دير مار يوحنا رشميا وهبه الرهبانيّة مؤسسه الحاج صقر ابي صابر في سنة ١٧٠٦ وكان مؤلفاً من كنيسة وهي باقية للآن وبناء حقير بجانبها فنقضه الرهبان وانشأوا خلافه فبلغت الاكلاف مع ثمن الاملاك ١٣٥٧٦ قرش .

الرابع : دير سيّدة لويزه في سنة١٧٠٧وهب الرهبانية الشيخ سلهب الخاقلاني ما كان اوقفه للبرّ من املاكه في محلّة اللويزه قرب قرية ذوق مصبح في سنة ١٦٨٢ وكان انشأ فيها بيتاً حقيراً انفرد فيه مع بعض ارفاقه ولما وهب وقفه انضمَّ الى الرهبانيَّة ودعي اغناطيوس ونذر فيها ثم انشأ آباء الرهبانيَّة في هذه الاملاك ديراً باكلاف قدرها ١٦٦٦٥ قرش .

الخامس : دير مار انطونيوس قزحيا في سنة١٧٠٨استلم الرؤساء هذا الدير من رئيسه وولي اوقافه المطران يوحنا حبقوق البكفاوي الاصل من قرية كفرصغاب وهذا الدير قديم انما لم يرد في التواريخ سنة تأسيسه او اسم مؤسسه واقدم ما ورد عنه من النصوص التاريخيَّة انه كان موجوداً في حدود سنة الالف للسيح . والمرجح ان تأسيسه كان في اوايل الجيل الثامن لما هاجر الشعب الماروني من سوريا الثانية الى لبنان يرافقه رهبان تلك الاديار المنسوبة الى القديس مارون الناسك مؤسسهم لابسي زي القديس انطونيوس اب الرهبان بقصد التوطن فيه . فانشأوا الاديار والمناسك في وديانه واوغاره الكثيرة كما في وادي قزحيا وتنورين وبلاد جبيل والبترون فهؤلاء الرهبان اقاموا مذابح وكنائس يكرمون فيها ذكر ابيهم القديس انطونيوس . وقد كان من جملتها محبسة قزحيا . كما ورد اسمها مراراً في التاريخ بهذا التمييز والمعروف الآن بدير قزحيا . حيث اشتهرت آيات القديس انطونيوس اكثر انتشاراً . واما ما قاله بعض المؤرخين ان وجود النساك في لبنان يتخطى الى الجيل الرابع فلا ينكر . وأُنفق على ترميمه واصلاحه وبعض انشاءات في عماره ٢٥٨٦٦ قرش .

السادس : دير مار بطرس ومرشلينوس في رومية : وهبه الحبر الاعظم

البابا اكليمنضوس الحادي عشر في سنة ١٧٠٨ للاب جبرايل حوا جزاء لاتعابه في قصادته التي عهدها اليه البابا المرقوم لدعوة الطائفة القبطية الارثوذكسية للاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكيّة . وبما انه كان قد صرح مرارًا ان عنده رهبانًا حال كونه قد خرج من الرهبانية كما مرّ اخذ يطلب بالحاح جزيل من الاب العام ومن الاب فرحات ان يرسلا اليه رهبانًا للسكن في الدير « وهكذا تمتلكه الرهبانية على اهون سبيل كما هي عبارته » فارسلا اليه الاب يوسف البتن احد الآباء المؤسسين وابن اخته الاب يوسف شاهين فوصلا اليه بعد جهاد قاس في البحر مدة اربعة اشهر . ولخلاف حدث بين الاب حوا وبين الرهبان ترك الرهبان الدير ورجعوا الى لبنان في سنة ١٧١٢ الى ان كانت سنة ١٧٢٤ رجع الرهبان الى الدير بامر المجمع المقدس . وفي سنة ١٧٥٣ باع الرؤساء هذا الدير بامر المجمع المقدس وانشأوا خلافه على اسم القديس انطونيوس الكبير اب الرهبان .

السابع : دير مار انطونيوس سير وهبه للرهبانية في سنة ١٧٠٩ مؤسسه الاب مبارك بن مبارك من رويسة النعمان وكان بنيانه حقيرًا وانضم اليها . وبعد مدة اغتصبه البعض من اهالي قرية الرويسة المرقومة فخرج الرهبان منه رغمًا عن احتجاج مؤسسه الى أن كانت سنة ١٧٣٥ ردّ اليها بامر السيد البطريرك يوسف الخازن وانفق على ترميمه وبناء كنيسته مبلغ ١١٥٦٣ قرش . . . .

الثامن : دير مار بطرس وبولس كريم التين : وهبه الى الرهبانية في سنة ١٧١٢ المحسن الكبير المطران يوحنا حبقوق . وكان هذا الدير مؤلفًا من بيتين وكنيسة حقيرة . وبعد مدة وجيزة لخلاف حدث بين المطران والرهبان تركوه الى ان كانت سنة ١٧١٨ رجع الرهبان الى الدير اتمامًا لوصية المطران فسعوا في تجديد بنائه مع كنيسة جديدة باكلاف ٤٥٦٦٣ قرش .

التاسع : دير سيدة طاميش : انه لما ارتقى الاب جبرايل فرحات الى اسقفية مدينة حلب في سنة ١٧٢٥ وجعل اقامته نهائيًا فيها وهبه للرهبانية في سنة ١٧٢٧ مشترطًا عليها ايفاء ديونه وترميم البناء المتداعي فقامت الرهبانيّة بما تعهدت فبلغت الاكلاف ٢١٥٥٢ قرش . ومؤسس هذا الدير المطران جبرايل البلوزاوي مطران حلب الذي جعل اقامته فيه .

العاشر : دير مار الياس شويا : انه في سنة ١٧٢٨ وهب هذا الدير المطران

فيلبوس الجميّل للرهبانيّة على شرط انها تفي ديونه البالغه نحو ستة الاف قرش. وكان هذا الدير مأهولاً من راهبين واربع راهبـات بشكل حبسا . فيكون اجمال ما صرف عليه ٨١٥٦ قرش . ولم يكن هذا الدير سوى كنيسة صغيرة وبناء بسيط انشأه الراهب الياس من بيت الجميّل في بكفيا .

الحادي عشر : دير سيّدة مشموشة : اشتراه الاب العام بمبلغ ٢٥٠٠ قرش من مؤسسه المطران سمعان عواد في سنة ١٧٣٦ وبلغت قيمة مـا أنفق عليه من بناء وشراء املاك من ضمنها مزرعة بتدين اللقش مبلغ ٣٥٧٦٢ قرش وهو اول دير في ايالة صيدا .

الثاني عشر : دير مار الياس للراهبات : انه لما كان من احكام المجمع اللبناني المقدس وجوب فصل اديار الراهبات عن اديار الرهبان طلب السيّد السمعاني بالحاح جزيل من رؤساء الرهبانيّة ان يؤسسوا ديراً للراهبات بموجب تحديد المجمع المرقوم ليكون مثالاً لغيره في مستقبل الايام فاجابوه للرغبة وذلك في سنة ١٧٣٧ فكانت نفقة البناء وشراء أملاك ١٨٨٨٥ قرش وهو اول أديار الراهبات التابعات القانون اللبناني .

الثالث عشر : دير سيدة حوقا : في سنة ١٧٣٨ تسلّم الرؤساء هذا الدير الكائن في الوادي المقدس من حاكم الجبة وباستحسان الاهالي وخاطر مطران الابرشيّة لتعميره . ومؤسس هذا الدير هو ابن الصبحا من قرية كفرصغاب في سنة ١٢٨٣ . ولتأسيس هذا الدير حكاية رائعة ذكرها العلامـة الدويهي في تاريخه . ثم هجره الرهبان واتبعوه لدير قزحيا .

الرابع عشر : دير مار يوسف البرج : أنشاه الشيخ شاهين الحاقلاني في املاكه الكائنة في ارض ذوق الخراب قصد الانفراد لعبادة الخالق ثم في سنة ١٧٤٦ سلمه للرهبانية متضماً اليها سالكاً بموجب قوانينها انمـا لم يلبس اسكيمها تواضعاً وعوضه الرؤساء عن هبته باشراكه بجميع الخيرات الروحيـة والزمنيّة كواحد منهم واجمال ما أنفق على بعض اصلاحات فيه الف قرش .

الخامس عشر : دير سيدة حوب : انشا اباء الرهبانية هذا الدير في محلة حوب في سنة ١٧٤٩ على اسم السيّدة والدة الله مريم . ولما سلم الامير يوسف شهاب خرايب بعض اديار في تلك الجهات وكان من جملتها خرايب دير مار انطونيوس

في حوب . ولقربه من دير هذا السيدة الفى الاباء هذا الدير واحتفظوا بدير مار انطونيوس في سنة ١٧٦٨ .

السادس عشر : دير مار سيسين بسكنتا : وهبه الامراء بيت فارس أبي اللمع في سنة ١٧٥٤ بقصد عماره وزمن تأسيسه مجهول .

السابع عشر دير مار ميخائيل بنابيل : في سنة ١٧٥٦ اتفق آباء الرهبانية مع المطران يواصاف البسكنتاوي على أن يسلم الرهبانيّة دير مار ميخائيل الذي جدد بنيانه من ماله وخصصه بسكن الراهبات ويأخذ عوضه دير بسكنتا لسكن الراهبات . وبعد سنة تخلّى المطران عن الدير المرقوم وسلمه لآباء الرهبانية مع راهباته ليعنوا بتدبيرهنّ بالروح والجسد وهو الدير الثاني للراهبات القانونيات الحافظات القانون اللبناني .

الثامن عشر : دير مار جرجس الناعمة : تسلم آباء الرهبانيّة في سنة ١٧٥٦ قطعة ارض سليخ من الشيخ كنعان نكد الدرزي في مكان يدعى منـدلا فوق قرية الناعمة بقصد تشييد دير بشروط : ان الرهبان يشاركون عنده على املاكه في الناعمة وجل البحر شراكة تعرف بالثلث يكون لهم بعد مدة من السنين نصف ملك من تلك الاراضي التي يكونوا احيوها باعمالهم .

التاسع عشر : دير مار ميخائيل بحرصاف : في سنة ١٧٥٦ سلم الى آباء الرهبانيّة الشيخ عبدالاحد خليل من بحرصاف المدرسة التي كان انشأها في قسم من املاكه بشرط ان يفتحوا مدرسة لعلم الاولاد . وبعد سنتين من وقفه اوقف عليها مع قرينته تقلا ابنة باز الحاقلاني جميع ما يملكان من حطام الدنيا وفي سنة ١٨٨١ رقّى المجمع العام المنعقد في تلك السنة هذه المدرسة الى رتبة الاديار القانونيّة كنص القانون .

العشرون : دير مار موسى الحبشي الدوار : في سنة ١٧٥٧ وهب الامير مراد ابي اللمع هذا الدير برضا رهبانه الباد سكانه. للاعتناء بعماره وتشييده . وزمن تأسيس هذا الدير مجهول لنا المعروف عنه انه كان مقرًا لرهبانه الباد .

الحادي والعشرون : دير مار مارون بيرسنين : في سنة ١٧٥٧ فصل آباء الرهبانيّة املاك مزرعة بيرسنين عن املاك دير مار يوحنا رشميا وانشاؤا فيها ديرًا على اسم القديس مارون اب الطائفة - اتصلت هذه الاملاك بدير رشميا فعقد

الاب لويس بليبل اللبناني

١٨٦٠ – ١٩٢٦

شراكة شلش اجراها رئيس الدير مع الامير منصور شهاب في سنة ١٧٤٠ على املاكه في المزرعة المرقومة وفي غيرها على ان يحييها الرهبان فيكون لهم بعد زمن ملك نصف الاملاك . وبعد مدة اشترى الآباء من الامير حصته الباقية فاصبحت المزرعة بكاملها ملكاً للرهبانيّة وبلغت ا ٓلاف انشاء هذا الدير ١٧٨٥٥٥ قرش .

الثاني والعشرون: دير مار الياس الكحلونيّة : اشترى الاب العام اقليموس المزرعاني في سنة ١٧٦٥ مزرعة الكحلونيّة في جبّة المتن من الاميرين شديد وموسى ابي اللمع بمبلغ ٢٣٠٠ قرش . وأنشأ فيها ديرًا على اسم القديس الياس تعزيزًا لنصارى تلك البقعة .

الثالث والعشرون : دير سيّدة ميفوق : وهب خرايب هذا الدير الامير يوسف شهاب في سنة ١٧٦٦ لآباء الرهبانيّة بقصد تعميره وذلك بسعي الشيخين سعد الخوري وسمعان البيطار .

الرابع والعشرون : دير مار قبريانوس كفيفان . وهب خرايب هذا الدير الامير يوسف شهاب في سنة١٧٦٦الى آباء الرهبانية بسعي الشيخين المقدم ذكرهما بقصد تعميره . وفي السنة ذاتها وهب الرهبانيّة الامير المرقوم كنيسة مار يوحنا مرقس الكائنة في مدينة جبيل وكانت خراباً وكل الكنائس الموجودة في سهل جبيل لتجديدها وكله بسعي الشيخين المرقومين .

الخامس والعشرون: دير سيدة المونات: سلمه للرهبانيّة الشيخ منصور الدحداح في سنة ١٧٧٠ . وهب الامير هذا الدير للشيخ المرقوم بحسب طلبه وفوض اليه ان يهبه لمن يشاء من الرهبانيّات فسلّمه لآباء رهبانيّتنا ببدل اشتراكه بالخيرات الروحيّة وان اذا احدًا من ابناء عائلته يريد الترهب فلا يكون عليه من مانع .

السادس والعشرون : دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب : تسلّمه آباء الرهبانيّة من اصحابه عائلة بيت الاشقر في بيت شباب في سنة ١٧٨٥ تفادياً من الخراب الذي يتهدده من جراء الاختلاف الحاصل بين سكانه وتعهد آباء الرهبانيّة بما طلبوا وبتعليم احداثهم وخدمتهم الروحية مجانًا . ومؤسسو هذا الدير عائلة بيت الاشقر في بيت شباب . وانفق على بنيانه ومشترى املاك مبلغ ١٢٦٤٧٠ قرش .

السابع والعشرون : دير مار عبدا معاد . في سنة ١٧٨٧ رقى آباء المجمع العام المنعقد في السنة المار ذكرها مدرسة مار عبدا الى رتبة الاديار القانونية واصل هذا الدير مدرسة وقف لها بعض املاك درويش شربل من معاد في سنة ١٧٦٦ واجمال ما انفق الآباء لبناء هذا الدير ومشترى املاكه مبلغ ٣١٠٠٠ الف قرش.

الثامن والعشرون : دير مار سركيس وباخوس قرطبا . في سنة ١٨١٥ سلم اهالي قرية قرطبا كنيسة القديسين سركيس وباخوس لآباء الرهبانيّة مع بعض عقارات تجاورها بقصد انشاء مدرسة لتعليم الاحداث ولسد حاجات العموم بالخدمة الروحية والادبية برضى مطران الابرشية واجمال ما صُرف على تشييد هذا الدير من عمار ومشترى املاك بلغ خمسة آلاف ليرة ذهب .

التاسع والعشرون : دير مار مارون عنايا : في سنة ١٨١٤ سلم يوسف يو رميا وارفاقه من قرية اهمج الكنيسة التي كانوا انشأوها على قمة روية اهمج الى آباء الرهبانية لتقبل الآباء هذا التسليم بقصد انشاء دير لتعزيز النصرانيّة في تلك البقعة وسلم الاب العام يوسف المرقوم مبلغاً من المال لشراء الاملاك. وفي سنة ١٨٢٠ باشر الرؤساء في بناء الدير وفي مشترى املاك له فبلغ ما أنفق بهذا السبيل اربعة الاف ليرة ذهبية .

الثلاثون : دير مار جرجس عشاش : في المجمع العام المنعقد في سنة ١٨٤٨ تقرر فصل املاك قرية عشاش الجارية على دير قزحيا لانشاء دير فيها وذلك لاجل تعزيز النصرانيّة في تلك البقعة .

الحادي والثلاثون : دير مار انطونيوس الجديدة : في مجمع عام تقرر فصل الاملاك الكائنة في ارض الجديدة ومار شينا الخاصة بدير قزحيا في سنة ١٨٤٨ لانشاء دير فيها لخدمة ابناء الطائفة في تلك الناحية .

الثاني والثلاثون : دير مار شليطا القطاره : في مجمع عام عقد في سنة ١٨٤٨ تقرر فصل ثلث املاك ديرسيدة ميفوق وتشييد دير فيها على اسم القديس شليطا لسكن الرهبان .

الثالث والثلاثون : دير مار يعقوب الحصن قرب دوما : في سنة ١٨٤٨ فصلت ثلث املاك دير مار انطونيوس حوب لتشييد دير في تلك الجهة تعزيزاً لابناء الطائفة ولخدمتهم الروحيّة .

الرابع والثلاثون : دير مار يوحنا مارون قَبيع : فصل ثلث امـلاك دير الكحلونية في قرية قبيع لتشييد دير اسقافاً لابناء الطايفة بخدمتهم الروحية وتعليم احداثهم وذلك في سنة ١٨٤٨ .

الخامس والثلاثون : دير القديسة تقلا في رعيات : فصلت املاك هذا الدير من دير مشموشة وقدرها ثلث املاكه لتشييد دير في تلـك القرية على اسم القديسة تقلا اولى الشهيدات لمساعدة ابناء الطائفة بخدمتهم الروحيَّة ثم بعد حين نقل هذا الدير الى قرية بجنين لخدمة ابناء الطائفة الساكنين هناك . وذلك في سنة ١٨٤٨ وفي سنة ١٩٣٠ نقل هذا الدير الى قرية البراميـة لشدة الاحتياج اليه في تلك السواحل[1] .

السادس والثلاثون : دير القديس روكس في مراح الميز : انشئ هـذا الدير في املاك فصلت عن املاك الوظيفة العامة الكائنة في نهر الصليب وعجلتون بقصد المساعدة بالخدم الروحية في سنة ١٨٤٥ .

السابع والثلاثون : دير مار جرجس جنين عكار : سلم المطران بولس كسَّاب خرائب دير مار جرجس الكائنة في قرية دير جنين لآباء الرهبانيـة فشيد الآباء في تلك الخرايب ديراً وسكنه عدد من الرهبان يزاولون اعمال الرسالة وكان تسليمه في سنة ١٨٥١ .

الثامن والثلاثون : دير سيدة النصر نسبيه ـ انشأ الرؤساء هذا الدير في قرية غسطا من مال الرهبانية ليكون مدرسة لشبَّان الرهبانيَّة . وذلك في سنة ١٨٨١ .

التاسع والثلاثون : دير سيدة النجاة بصرما : في سنة ١٨٨٦ فصلت املاك بصرما وبشنين عن دير قزحيا وبني فيها دير تعزيزاً لابناء الطائفة في ذلك الصقع .

الاربعون : دير مار مارون بيت شباب : في سنة ١٨٩٤ بامر الرؤساء تخصصت املاك مدرسة الرهبانية الكائنة في قرية الفريكة لتشييد دير للراهبات التابعات قانوننا اللبناني في جهات القاطع ايجاباً لطلب الكثيرين فتأسس دير فيها على اسم القديس مارون في محلة القنيطرة القريبة من بيت شباب . وهو الدير الثالث للراهبات .

---

[1] والصحيح ان دير بجنّين باقٍ على حاله .

الحادي والاربعون: دير مار يوسف الظهر: وهب الخوري يوحنا بصبوص من قرية معاد في سنة ١٨٩٠ ما كان انشأه في تلك الجهة بقصد انشاء دير للراهبات في جهة بلاد البترون وهو الدير الرابع للراهبات .

الثاني والاربعون : دير مار سمعان القرن : في سنة ١٨٦٣ سلم المطران بولس موسى دير مار سمعان القرن الى آباء الرهبانية بقصد ان تفي ديونه وتمنى بتدبير راهباته البالغ عددهن في حين التسليم ستّ راهبات وبلغت ديونه الثمانية عشر الفاً . وهو الدير الخامس من اديار الراهبات.

الثالث والاربعون : دير مار انطونيوس النبطيه : فصلت املاك هذا الدير عن دير مشموشة في سنة ١٨٩٠ بقرار من مجمع مدبرين لانشاء دير في هذه الاملاك لاجل اعمال الرسالة في تلك النواحي .

الرابع والاربعون : دير سيدة القلعة : وهب الآباء اليسوعيون هـذا الدير الذي كانوا شيَّدوه على نفقة بعض المحسنين . لآباء رهبانيتنا في سنة ١٨٩٢ وبعد ان استلمته الرهبانية فتحت فيه مدرسة للتعليم .

عدد ٦ الحوادث الهامة في الرهبانية

في السنة ١٦٩٥ سيم كاهناً الاب جبرايل حوا « بوضع يد السيد البطريرك اسطفانوس الدويهي » احد الآباء المؤسسين وهو اول كاهن في الرهبانيـة وفي السنة التابعة سيم كاهناً الاب عبدالله قراعلي وبعده الاب جبرايل فرحات وعينها الاب العام لتعليم الاحداث في قرية بشري وقرية اهدن . وفي سنة ١٦٩٨ وقع خلاف بين الاب العام وبين جمهور الرهبانية بسبب تقرير غاية الرهبانية . الاب العام اراد ان يجعل غايتها الرسالة والآخرون رغبوا ان تكون غايتها التمسك وهو الاقيد للكتنيسة ووقف كل من الفريقين متشبثاً برأيه . وبسبب هذا الخلاف استولت تجربة الضجر على الاب فرحات فترك الرهبنة واستقر في قرية زغرتا يعلم الاولاد ويعيش من صدقات المؤمنين . ان ترك الاب فرحات الرهبانية كان له وقع سيء عند عموم الرهبـان وسبب تذمرًا على الاب العام لاعتقادهم ان سبب ترك الاب فرحات لها كان نتيجة سوء تصرف الاب العام معه . ان مرور الايام بحوادثها زادت النفور بين الفريقين اخيرًا عقد آباؤها مجمعاً عاماً قرروا فيه ان يكون للرهبانية غايتان : الغاية الاولى : النسك . والثانية : مزاولة اعمال

الرسالة على قدر الامكان. وتقرر فيه ايضاً تنزيل الاب العام عن وظيفته وتعين الاب قرا علي مقامه فرضخ الجميع لمقرراته . ان تصرف آباء الرهبانية كما ورد مع الاب حوا. وان كان قد رضخ له انما اقلقه فاراد الخروج من الرهبانية وعرض واقع الحال على مسامع السيد البطريرك فرأى غبطته بعد امعان الفكرة ان من مصلحة الطرفين ان يفترقا عن بعضهما وكتب صكّاً بينهما وخيّر الرهبان ان يتبعوا من شاؤوا من الطرفين فتبع الاب حوا اثنـان وسكنوا في دير القديسة مورا في اهدن وسنّ قانوناً لجماعته وجعل غايته عمل الرسالات ويوجد منه نسخة . وتبع الاب قراعلي ستة رهبان وسكنوا في دير مار اليشاع. وبعد ان استقر روح السلام في الرهبانية بتدبير السيد البطريرك اخذ الاب العام عبدالله يسعى لدى الرؤساء في تثبيت القانون فنال امنيته وثبّت السيـد البطريرك اسطفانوس الدويهي القانون في سنة ١٧٠٠ ونذروا بموجبه النذور الاحتفـالية . وبعد نحو سنتين لهذه الحوادث ضجر الاب حوا، من السكن في ديره وكان السبب الاخص لذلك حصول سوء تفاهم بينه وبين مطران اهدن . فسافر الى رومية بعد ان وهب جميع ممتلكاته للرهبانية ومنذ ذاك الوقت ترك دير القديسة مورا وخرب . وفي سنة ١٧٠٥ رجع الاب فرحات الى الرهبانية ونذر نذورها وحصل على راحة الضمير وسلامة الباطن التي كان فقدهما عند تركه الرهبانيـة كما اعترف عن نفسـه .

وفي هذه الاثناء اخذ مؤسس الرهبانية الانطونية القانون الرهبـاني وجعله دستوراً لجماعته ولم يزالوا يسيرون عليه حتى الآن . وفي سنـة ١٧٠٦ سمى آباء الرهبانية رهبانيتهم لبنانية لنشأتها في لبنان بعد ان كانت تدعى حلبية . فراق الجميع، وبها تعرف حتى الآن . وفي سنة ١٧٠٨ بينما كان الرهبان يرتلون صلاة الفرض في كنيسة دير رومية تصادف مرور قداسة البابا اكليمنت الحادي عشر فسمع صوت ترتيلهم فدخل الكنيسة ولما رأوه اضطربوا وارادوا قطع الصلاة للاحتفاء به فمنعهم وامرهم ان يواصلوا صلاتهم وتقدم نحو القراءة واخـذ عصا المتكأ « العكازة » من الرئيس وترأس الصلوة حتى النهاية . وبعد ذلـك رفع المتكأ الى مكان حريز وكتب عليه باربع لغات سرياني وعربي ولاتيني وايطالياني « اتكأ على هذا العكاز قداسة سيدنا البابا اكليمنت الحادي عشر في ٨ ت ٢

سنة ١٧٠٨ » طول المتكأ ١٣٠ س. وثخانته مستديرًا ١٠ س. وطول المتكأ ٣٠ س. ولا يزال هذا المتكأ مصاناً حتى الآن. وفي تلك الايام بسبب الامطار الغزيرة والزلازل الحقيقية سقط قطعة كبيرة من الجبل الذي فوق دير قزحيا عليه عند منتصف الليل فهدم اكثره وقتل تحته الاب يوسف البتن احد الآباء المؤسسين له من العمر ٧٧ سنة والاخ روفائيل الحاقلاني وعمره ٣٥ سنة فكان حزن عظيم وكدر جسيم لوفاة هذا الاب البار. وعلى اثر هذه الحوادث المؤلمة شكى السيد افتيموس مطران صيدا للروم الكاثوليك الى الكرسي الرسولي ان الرهبان اللبنانيين قبلوا في سلك رهبانيتهم بعضاً من ابناء طائفته وقبلوا درجة الكهنوت من رؤساء الموارنة وعليه يلتمس ان يحتم امرًا برجوع اولئك الرهبان الى طايفتهم الروم الملكية فورد الجواب: انه يسوغ للملكية ان ينتقلوا الى طقس الموارنة ورهبانيتهم كما يجوز الانتقال من الارطقة الى الايمان المستقيم. وفي سنة ١٧١٦ انشأ الاب العام محبسة على اسم القديس بولا اول السائحين بحسب طلب ورغبة البعض من الرهبان ووضع لها قانوناً اضيق من قانون الدير وهي بكر المحابس في الرهبانية.

وفيها صدر امر الكرسي الرسولي للاب العام بابطال القانون الرهباني لانه بلغه ان الاب العام ورهبانه عاصون على السيد البطريرك وعلى الرؤساء. لانهم اتخذوا قانوناً ليترسّم الرهباني غير قانون رهبان الموارنة القديم بغير اذن الرؤساء. ولذلك يأمر بابطال القانون الجديد موجباً السير بحسب القانون القديم. ولما بلغت هذه الاوامر الاب العام رفع جواباً مسهباً ابان فيه مغالطات هذه الشكوى.

اولاً: ان ليس للموارنة ورهبانهم قانون قديم يسلكون بموجبه.

ثانياً: ان مواد القانون الجديد مجموعة من الكتب النسكية.

ثالثاً: ان السيد البطريرك اسطفان الدويهي والبطريرك يعقوب عواد قد اثبتا هذه القوانين بعد فحص بليغ ومدحوها وان عبارة التصديق متقدمة بطيه.

ولما اطلع الكرسي الرسولي على ما تقدم رجع عن اوامره مثنياً على الاب العام وراضياً عن عمله.

وفي سنة ١٧١٦ في ١٧ ايلول ارتقى الاب العام الى درجة الاسقفية السامية على ابرشية بيروت بوضع يد السيد البطريرك يعقوب عواد بعد ان مانع كثيرًا تواضعاً.

وانتخب الاب فرحات نائباً عاماً لسياسة الرهبان الى حين انعقاد المجمع العام .

عدد ٧ في صدد ما تقدم

وفي ١٨ ايلول سنة ١٧٢٤ ارتسم اسقفاً الاب جبرايل حوا على جزيرة قبرس بوضع يد السيد البطريرك يعقوب عواد . وفي السنة التالية صار ضيق على السيد البطريرك من الغير المؤمنين فهرب من دير قنوبين وجاء الى دير قزحيا واختبأ فيه مقدار شهرين ثم ذهب الى كسروان ولما هدأ الحال رجع الى كرسيه الا انه لم يطُل الحال حتى تجدد الضيق عليه فهرب الى دير مار اليشاع واقام فيه . ومما زاد في طين هذه الحوادث بلّة هو انه في تلك الايام اضطهد بطاركة الروم الارثوذكس طايفة الروم الكاثوليك في حلب فهرب بعض المضطهدين منها ولاذوا باديار الرهبان في لبنان لصلتهم بهم ولما لهم من الآمال فيهم . فوشى بذلك البعض من ابناء طايفة الروم الارثوذكس الى وزير الدولة في مدينة طرابلس ولما تحقق لدى الوزير ان السيد البطريرك مع الحلبيين مختبئين في اديار الرهبان ارسل ليلاً ثلاثماية جندي لالقاء القبض على من ذكر وقسم العساكر الى ثلاث فرق وسيَّر فرقة لدير قزحيا والثانية الى دير مار اليشاع والاخرى الى دير قنوبين بقيادة الوشاة . ففرقة مار اليشاع وصلت اليه سحراً على بغتة ولما شاهدها الرهبان اخفوا السيد البطريرك والآخرين في مغاور خفية وبعد ان بحث الجند في كل مكان وعلى نور المصابيح فلم يجدوا احداً قبضوا على رئيس الدير وعلى راهب آخر واستاقوهما الى طرابلس وقبل ان يصلا اليها افتديا انفسهما بخمساية قرش فتركوهما. وفرقة دير قنوبين لم تجد احداً فيه رجعت الى طرابلس مقتولة . وفرقة دير قزحيا حيث لم تجد احداً من المطلوبين القت القبض على الاب العام والمدبرين واستاقوهم الى طرابلس مكبلين بالحديد والقوهم بالسجن مع القتلة والمجرمين مدة ثم تقاضاهم الوزير الف ومائتين قرش واطلق سبيلهم . وبعد مدة لخلاف حصل بين مشايخ الجبة عرف الوزير ان السيد البطريرك لم يزل فيها فارسل عسكراً للقبض عليه فلم يتوفقوا الى ذلك فنهبوا القرى ونهبوا ماشية دير قزحيا ثم ردت له بعد ان فدوا راس البقر بخمسة قروش وراس الماعز بقرش فبلغت الخسارة خمساية قرش . ولم يسلم من النهب سوى دير مار اليشاع وقرية بشري لتعذر عبور النهر على العساكر لفيضانه . ولخلاف

حصل بين حكام الجبة مجدداً خاف الرهبان من ان يقعوا تحت قبضة الوزير ونهب عساكره فاخلوا دير قزحيا ومار اليشاع واعتصموا باديار كسروان والشوف.

وفي سنة ١٧٢٥ في ٢٩ حزيران قبل وضع يد الاسقفية الاب جبرايل فرحات المدبر الاول من السيد البطريرك يعقوب عواد على ابرشية حلب وجعل اقامته فيها . وفي تلك الايام تأسست في دير قزحيا شركة القداسين باجازة الحبر الاعظم البابا بناديكتوس الثالث عشر . غاية هذه الشركة اسعاف الانفس المطهرية والتماس النعم للاحياء المشتركين. ودير قزحيا هو احد الاماكن الاربعة مراكز هذه الشركة. وقد نمت هذه الشركة كل النمو اذ بلغ عدد المشتركين حتى الآن فوق المليون عداً . وفي اواخر سنة ١٧٢٧ في ٢٠ ايلول سافر من صيدا الاب العام ميخائيل اسكندر الى رومية العظمى سعياً وراء تثبيت القانون ولقضاء وترتيب دير رومية . وبعد مدة عقد السيد البطريرك مجمعاً من بعض الاساقفة وكانت مقرراته منع الرهبان عن تلاوة بعض الخدم الكنائسية باللغة العربية . وعن التجول بالقرى بحجة اعمال الرسالة والاعترافات والرياضات . . . وان يغلقوا ابواب كنائسهم في وجوه الزايرين العالميين . فامتثل الرهبان حالاً للامر البطريركي وانقطعوا عن اعمال الرسالة ورفعوا حبال اجراسهم ورفضوا قبول العالميين في كنائسهم. فهاج الشعب وماج مضطرباً واطلق لسانه بالشكوى من هذه التدابير لانهم كانوا يتقاطرون الى اديرة الرهبانية من مسافة يومين وثلاثة لاجل تنقية ضمايرهم وايفاء واجباتهم الدينية . وكانوا يجلون الرهبان ويحترمون مقامهم ويقبلون الى التوبة على يدهم حتى ان القس بيمين الاهدني ورفيقه قبلوا في شركة الوردية الف ومايتي شخص في قاطع بكفيا عدا بيت شباب في مدة خمسة عشر يوماً فيكون ثمانون شخصاً لكل يوم . فكان لهم من مثل هذه الاعمال اكبر تعزية بهذه المحنة الشديدة وبعد نحو اربعة اشهر رجع السيد البطريرك عن منعه ارضاء للرأي العام .

عدد ٨ في صدد ما تقدم

وفي ٣١ آذار سنة ١٧٣٢ اثبت البابا اكليمنت الثاني عشر السعيد الذكر القانون الرهباني ببراءة رسولية للذكر المؤبد .

وفي اليوم العاشر من شهر تموز لهذه السنة رقد بالرب المطران جرمانوس

فرحات مطران حلب وسليل الرهبانية بعمر ٦١سنة وهي الـ ٣٧ لرهبانيته والـ ٣٥ لكهنوته والسابعة لاسقفيته فعم الاسف عليه في كل البلاد وخصوصاً في الرهبانية لما له عليها من الايادي البيضا. والمساعي الجليلة والاتعاب الجزيلة ومما عرف من تركته العلمية حتى الآن بلغ ماية واربعة مجلدات .

وفي هذه السنة ايضاً وصل الى لبنان من رومية العظمى الاب العام ميخائيل اسكندر حاملاً كتاب القانون مثبتاً من فيض نعم الكرسي الرسولي فاغتبط جمهور الرهبانية وشكروا الله تعالى وحمدوا رجال الكرسي الرسولي على نعمه ومواهبه.

وفي سنة ١٧٣٣ ارتقى الاب طوبيا المدبر الرابع الى درجة الاسقفية على ابرشية قبرس بوضع يد السيد البطريرك يعقوب عواد .

وفي سنة ١٧٣٥ منح الاب الاقدس بطلب آبا. الرهبانية بعض غفارين منها عامة يربحها الجميع ومنها خاصة بالرهبان والراهبات. ومن آبا. المجمع العام المنعقد في هذه السنة تقدم عرض استرحام الى قداسة امام الاحبار والى المجمع المقدس اشتراكاً مع رؤساء الطائفة التاساً لعقد مجمع طايفي لتجديد التهذيب البيعي في الطائفة .

وفي اواخر هذه السنة اثبت الاب الاقدس اخوية القديس انطونيوس المؤسسة في دير قزحيا ومنح افرادها بعض غفرانات كاملة وغير كاملة .

وفي سنة١٧٣٦في اوائل شهر تموز وصل الى لبنان القاصد الرسولي المونسنيور يوسف سمعان السمعاني موفداً من لدن الحبر الاعظم والكرسي الرسولي لعقد مجمع اقليمي لتجديد التهذيب البيعي وقد اتخذ مقراً له دير سيدة لويزة احد اديار الرهبانية اللبنانية وفي كنيسته عقد المجمع اللبناني جلساته القانونية . وفي هذا المجمع جلس عدد من آبا. الرهبانية وقدمت الرهبانية جميع مصارفات القاصد المذكور مع اثمان الهدايا المقدمة لحكام البلاد واعيانه من اول يوم من وصوله الى يوم سفره مع نفقة عقد المجمع فبلغ ذلك نحو سبعة آلاف قرش.واثبت آبا. هذا المجمع القانون الرهباني مع بعض انعامات وحقوق لآبا. الرهبانية . وفي اواخر هذه السنة بعث الاب القاصد الرسولي بموجب سلطانه الرسولي رسالة لآبا. الرهبانية تحتوي على بعض ارشادات وتعليمات ورسوم وايضاحات مأخوذة من قوانيننا فاعتبرت الرهبانية هذه الرسالة وعولت عليها في اعمالها . ولما عزم آبا. الرهبانية ان يقوموا ببعض الاعمال طلبها القاصد الرسولي مثل اعمال الرسالة

فانعهم الروساء القيام بها مما اوجبهم الامر الى رفع استغاثتهم بالكرسي الرسولي واخذوا اعلاماً بها . وفي اوائل سنة ١٧٣٨ سافر القاصد الرسولي قافلاً الى رومية تاركاً لبنان بعد ان مكث فيه ستة اشهر قضاها بالتعليم والعمل .

ومن الحوادث الخطيرة الواقعة بهذه السنة اهداء جلالة لويس الخامس عشر ملك فرنسة صورته الشريفة الى الرهبانية علامة رضا ومسرة جزاء خدماتها لديانتنا الكاثوليكية واحتمالها الاضطهادات والضنك الشديد وسعي آبائها بامتداد النفوذ الافرنسي . وفي ١٠ ت ٢ استلم الاب العام توما اللبودي هذه الصورة من القنصل الافرنسي الموسيو بون في مدينة طرابلس وسار بها الى دير لويزة بموكب فخم للغاية مؤلف من هيئة الجالية الافرنسية في هذه البلاد ومن اوجه واعيان الطائفة المارونية . ولما بلغوا الى دير لويزة وضعوها في ديوان الدير ومكث الاحتفال من يوم خرجوا من طرابلس الى اليوم الاخير منه ثمانية ايام. بعد سفر القاصد الرسولي ضاعف الآباء سعيهم في اعمال الرسالة فأسسوا لها امكنة في مدينة عكا وصيدا وطرابلس وقبرس وبيروت وانشأوا في هذه الاماكن مدارس لتعليم الاحداث ايضاً. فخاصمهم الرؤساء وبعض المرسلين بنجاحهم بهذه الاعمال . ان توسع آباء الرهبانية في هذه الاعمال حرك ضدهم عدو الخير قصده تعطيل هذه الاعمال لانه كان بلغ عدد اديار الرهبانية عشرة أديار وعدد رهبانها ٢١٠ وذلك بعد تأسيسها باربعة واربعين سنة . وفي السنة عينها قرر مجمع المدبرين سفر الاب العام توما اللبودي الى رومية العظمى لزيارة دير رومية ولقضاء اشغاله الرهبانية والمحاماة عنها مما قذفت به من الشكاوى الباطلة وللتماس تثبيت المجمع اللبناني المقدس . وفي اواخر ايلول ابحر الاب المرقوم من مدينة طرابلس الى رومية . وأقام نائباً عاماً عوضه لسياسة الرهبانية الاب ارسانيوس عبد الاحد نائب المدبر يوسف قراعلي الاول الموجود آنئذٍ بدير رومية.

وفي سنة ١٧٤٢ في اليوم السادس من شهر ك ٢ انتقل الى رحمته تعالى السيد عبدالله قراعلي مؤسس الرهبانية بعمر ٧٠ سنة وهي السابعة والاربعون لرهبانيته والسادسة والاربعون لكهنوته والسادسة والعشرون لاسقفيته ودفن في دير لويزة وكثيراً ما منح الله تعالى مكرمي ذكره كرامات شفاء وغيرها . وعمامته « اي طابيته » محفوظة الى اليوم في دير لويزة بكل اكرام فتصدعت

الرهبانية والطائفة لمناه الاليم وذهب مزودًا بالدموع والرحمات وتركته الملية المعروفة به للآن اربعة عشر مؤلفاً .

وفي اليوم السادس لوفاته انتقل الى راحة الصالحين الاب العام ميخائيل اسكندر الاهدني وهو في السنة الثانية والستين من عمره والتاسعة والثلاثين من رهبانيته . ودفن في دير لويزة والمّ بالرهبانية بموته على اثر وفاة المطران قراعلي من الحزن والالم ما لا يقدر . وفي اليوم التاسع والعشرين من الشهر المرقوم عقد المجمع العام وانتخب الاب ارسانيوس عبد الاحد اباً عاماً والخلاف حدث بين السادة الاساقفة بانتخاب بطريرك للطائفة خلفاً للبطريرك المتوفي يوسف الخازن رقى المطارين طوبيا الخازن واغناطيوس شرابيه وجبرايل السرياني الى درجة الاسقفية الاب عبدالله حبقوق رئيس دير طاميش والاب جرمانوس صقر. وفي هذه السنة اثبت البابا بناديكتوس الرابع عشر شرح الفرايض القانونية المشتبه في معانيها من مجمع المدبرين في سنة ١٧٣٨ وسنة ١٧٤٠ بطلب آباء الرهبانية ببراءة رسولية للذكر المؤبد .

عدد ٩ تابع لما تقدم

ان توسع آباء الرهبانية بالاعمال الادارية والمادية وامتداد نطاق الاعمال الرسولية ومداخلاتهم مع الرؤساء والحكام وعظماء البلاد أوقعت الرهبانيّة بتأزق مالي حرج فلملافاته الزم الامر أن يسافر رئيسها العام الاب ارسانيوس عبدالاحد الى اوروبا مستدياً سخاء أكفّ المحسنين مساعدة للرهبانيّة لايفاء دينها البالغ قدرها اربعة عشر الفاً وثمانماية قرش . لان الرؤساء رهنوا جميع املاك ومقتنيات الاديار من منتقل وثابت تحت يد الدائنين تأميناً على مالهم . سافر الاب العام الى اوروبا واقام عنه نائباً لادارة الرهبانيّة الاب موسى هيلانه الشامي المدبر الاول .

ان التوسع المرقوم اعلاه لم يرُق بعين الآباء المفكرين الذين ما انفكوا في كل فرصة عن نصح الرؤساء بان يتجنبوا مثل هذه الاعمال والمداخلات وان دعت الضرورة فلتكن بقدر الاستطاعة مستعملين الفطنة ناظرين الى امكان القيام بها او عدمه لئلا يزداد سوء الحالة فلا يعود يمكن ملافاته. ولسوء الحظ

لم يقف الرؤساء عند نصح الجمهور لهم لانهم رأوا انه بذلك غضاضة في شأن الرهبانية وانحطاط بكرامتها . فوقع عندئذٍ الخلاف بين الرؤساء والمرؤوسين وليس بين الرهبان البلديين الوطنيين وبين الرهبان الحلبيين كما يفهم العامة . وما خلافهم سوى على شؤون ادارية غايتها نجاح الرهبانية ونفعها وفايدة القريب ولا يجب ان ننسى ان عدو الخير اليد الطولى في هذا الحدث لانه منذ البدء وهو واقف لها بالمرصاد يصليها حرباً عواناً علّه يتمكن من خرابها وملاشاتها تعطيلاً للخير الروحي نتيجة وجودها كما قد تهددها مراراً بقم المجانين الممسوسين الآتين الى دير قزحيا للاستشفاء .

بلغت سنة ١٧٤٤ ولم يتوفق جمهور الرهبانية من ازالة هذه الاسباب بنوع سرّي طبقاً لروح القانون فقضى الامر ان يلتجئوا الى الرؤساء الاعلين لصرفه فانكشف الامر . ولما كان قد قرب عقد المجمع العام رفعوا شكواهم للسيد البطريرك سمعان عواد يلتمسون بها استدعاء النائب العام والمدبرين الى ديوانه الموقر للمحاكمة قبل عقده . وان لا غاية لهم من شكواهم سوى الخير للرهبانية ثم رفعوا عريضة للاب النائب العام وللمدبرين يبلغونهم فيها شكواهم .

وبعد ان تحقق السيد البطريرك حسن نوايا الرهبان بما فعلوا قبل دعواهم واصدر منشوراً باسم عموم الرهبانية اعلاناً بذلك وعين لهم اشخاصاً وزماناً ومكاناً لاستماع الدعوى وبالوقت ذاته اخذ يسعى لالقاء السلام والمصافاة بين الجميع وامر باجتماع الرؤساء والمرؤوسين الذين طلبهم بمنشوره لديه في قرية الميدان ولم ينجح بتدبيره وكان الاب النائب العام لم يحضر لديه والمدبرين ايضاً وحيث كان قد حان زمن عقد المجمع العام فامر السيد البطريرك كتابة بعقد المجمع العام في حينه القانوني في دير مشموشة قرب قرية الميدان حيث مقرّه ليمكنه الاشراف عليه بذاته فلم يحضر احد من النائب العام والمدبرين وبعض رؤساء الاديار ولذلك وحباً بالسلامة مدّد السيد البطريرك اجل المجمع العام الى اليوم الرابع من شهر ك ١ وفي الوقت المرقوم عقد المجمع العام وكان عدد آبائه ٥٥ اباً واما النائب العام والمدبرين والبعض من الرؤساء لم يحضروا فاقام السيد البطريرك نواباً عنهم وعقدت جلسات المجمع بحسب العوايد والفرايض وانتخب بالقرعة القانونية السرية الاب يواكيم الحاقلاني اباً عاماً وانتخب

المديرين ثم توزعت الرؤساء . وبعد الانتخابات شرف الى دير المجمع السيد البطريرك مفتقداً اباء المجمع ناقلاً لهم النصائح الابوية للمحافظة على السلام والحب الاخوي بين بعضهم وبامره وبحضرته اقام الاب العام قداساً حبرياً حافلاً والبسه بيده الشارات الحبرية ومنحه جملة انعامات بسلطانه البطريركي السامي ومن الجملة انعم عليه ان يأخذ حسنة قداسه نصف قرش كالاسقف . ولما لم يرُق لدى من كان يدعى نائباً عاماً ومدبراً ورئيساً عمل السيد البطريرك وآباء المجمع العام رفعوا احتجاجهم الى الكرسي الرسولي كما وان السيد البطريرك والاب العام والمديرين رفعوا قضيتهم الى الكرسي المرقوم . وبعد مدة صدر امر الكرسي الرسولي مثبتاً اعمال مجمع مشموشة العام انما أبدل لقب اب عام بلقب نائب عام . وانّب الآخرين على تأخرهم عن تقديم الطاعة لمن انتخب نائباً عاماً واخيراً انتهى الحال وحصلت السلامة . وبعد مرور ثلاث سنين ونصف عقد المجمع العام بحسب الفرايض وانتخب اباً عاماً الاب مارون السدرعوني . وفي سنة ١٧٤٥ ارسل آباء الرهبانية الاب موسى هيلانه الشامي الى مدينة دمياط في القطر المصري لتأسيس الرسالة فيها مفوضاً اليه من رؤساء جميع الطوائف الكاثوليكية بخدمة اولادها فقام بمهمته احسن قيام وبعد ثلاث سنين قضاها بهذه الفلاحة الناجحة توفاه الله ليثيبه على اعماله الحسنة الرسولية في سنة ١٧٤٨ بعمر ٦٢ سنة . وخلفه في مهمته الاب انطون انقرا الحلبي .

وفي هذه السنة ارتقى الاب يواصاف البسكنتاوي الى درجة الاسقفية المقدسة بوضع يد السيد البطريرك سمعان عواد على مدينة صور . وفي مجمع مدبرين عقد في هذه السنة تقرر سفر الاب ارسانيوس شكري الوكيل العام الى اوروبا لجمع الاحسان ورفقه القنصل الافرنسي الموسيو بون بكتابات هامة لجلالة الملك لويس الخامس عشر تساعده بمهمته . سافر الاب شكري ورفيقه الاب بيين الى فرنسا وحظيا بمقابلة جلالة الملك وحازا رضاه العالي ورفعا الى سدته الملوكانية توصيات القنصل وما كان بيدهما ايضاً من العرايض لجلالته فانعم بمساعدة مالية ذات قيمة واضاف الى ذلك بان وضع الرهبانية تحت حمايته الخاصة وامر بتحرير براءة فيها .

ومن الحوادث الهامة بهذه السنة ان حضر المطرانان يوحنا اسطفان وجرمانوس

صقر والاب العام والاربعة مديرين الى دير لويزة وبحضرتهم فتح مدفن السعيد الذكر المطران عبدالله قراعلي . وجمعوا بقاياه الكريمة في سفط من خشب بعد ان وضعوا قسماً منها في سفطين من خشب ووضعوا اختامهم جميعاً على الشمع الاحمر على كلها مع شهادات بحقيقتها وتسلم الاب العام هذه الاسقاط . فوضع القسم الاكبر في مدفن خلف المذبح الكبير في كنيسة دير لويزة وكتب على غطائه «قد وضع ها هنا باعتبار حافل واحتفال شامل هامة وعظام المثلث الرحمات المطران عبدالله قراعلي مؤسس الرهبانية اللبنانية واسقف بيروت الذي توفي بحياة تقية واتعاب جزيلة» . والقسمان الآخران ارسل احدهما الى دير مار الياس الراس للراهبات اللبنانيات والآخر الى دير مار يوحنا حراش للراهبات العابدات التابعات القانون المؤلف لهنّ من المطران المنوه بذكره . وفي سنة ١٧٥٠ وصلت براءة الحماية للاب العام فارسل نسخة عنها الى قنصل الدولة الافرنسية في الاستانة وحلب وطرابلس الشام وصيدا ومصر لتسجل في دفاترها للتقيد بمنطوقها .

وفي هذه السنة ارتقى الى درجة الاسقفية الاب جبرايل صقر بوضع يد السيد البطريرك سمعان عواد وله من العمر ٧٨ سنة . وفي سنة ١٧٥٢ انتقل الى رحمة الله المطران جبرايل حوا ، مطران قبرس في رومية ودفن في الدير وهو احد مؤسسي رهبانيتنا اللبنانية شبعاناً من الايام بعمر ٨٤ سنة وهي السنة الـ٥٩ لمجيئه من حلب ولكهنوته والـ ٢٩ لاسقفيته . ان ما قاساه من الاتعاب وصرف من المال في سبيل تأسيس الرهبانية وتعمير مؤسساتها مما سيبقى ذكره حياً في قلوب ابناء الرهبانية لان لولاه لما قامت الرهبانية كما يقتضي العقل البشري كما صرح بذلك رفيقه السيد قراعلي وان تركها بعد حين .

ومن الحوادث الغريبة ما يأتي : توفي السيد فرحات سنة ١٧٣٢ والسيد قراعلي في سنة ١٧٤٢ والسيد حوا سنة ١٧٥٢ فيكون بين وفاة ووفاة عشر سنين .

عدد ١٠ في صدد ما تقدم

في سنة ١٧٥٣ ظهر الخلاف مجدداً وتعاظم بين الرهبان الحلبيين والبلديين وعصا على محبي السلامة اصلاحه ولما بلغ زمان انعقاد المجمع العام اجتمع

اصحاب الحق القانوني لعقده ولما لم يتفقوا على انتخاب الاب العام والمدبرين انقسم الآباء الى قسمين وكل قسم انتخب رئيساً عاماً ومدبرين ورؤساء اديار ورفعوا امرهم الى الكرسي الرسولي فعالج الكرسي المرقوم الحالة بطرق عديدة ووسائل شتى فلم يحصل لسعيه نتيجة. فحسماً المنازعات ورفعاً للشكوك اصدر امره في سنة ١٧٦٨ بالقسمة الى فئتين فنفذ امره ولقبت الفرقة الاولى بحلبية لبنانية والاخرى ببلدية لبنانية . فكان عدد الفئة البلدية ١٩٠ راهباً منهم ٤٢ كاهناً وما بقي ١٤٨ اخوة بينهم واحد من حلب فقط . وعدد الفئة الحلبية ٦١ راهباً و٣٧ كاهناً و٢٤ راهباً اخوة من حلب ٣٥ ومن المدن٢١ومن لبنان ٥ . وخص الفئة البلدية من الاديار ١١ وثلاثة اناطيش . وخص الحلبية ستة اديار وانطوشين ١.

ومن الحوادث الهامة في سني الخلاف اعتداء الحكومة التركية على دير قبرس وعلى محلات الرسالة بسعي اعداء الدين الكاثوليكي بالهدم والتخريب وزج الرهبان في السجون ولذلك ترك الآباء دير قبرس وركاوا العناية به الآباء الفرنسيسكان .

وفي هذه الحقبة ارتقى الى درجة الاسقفية :الاب ارسانيوس عبدالاحد الحلبي على مدينة الشام بوضع يد السيد البطريرك سمعان عواد . والاب ارسانيوس شكري على حلب . والاب طوبيا طربيه على مدينة طرابلس ودعي اسحق . وعبدالله نستير على مدينة عرقا . والاب مبارك بن عبدالله مبارك على مدينة طرابلس . والاب روفائيل الحاقلاني . وجميع هؤلاء قبلوا وضع اليد من السيد البطريرك طوبيا الخازن من سنة ١٧٦٢الى سنة ١٧٦٥ . وارتقى الاب ارسانيوس دياب الحلبي اسقفاً على مدينة حمص بوضع يد السيد البطريرك يوسف اسطفان وفي سنة ١٧٦٦ وهب الامير يوسف شهاب الحاكم العام خرايب بعض اديار في بلاد جبيل والبترون للرهبانية بسعي الشيخين سعد الخوري وضمان البيطار قصد تعمير البلاد بما يجلبون اليه من الشركاء وارجاع اهاليه اليه الذين هاجروه لما لحقهم من ظلم الحكام وجورهم .

وفي سنة ١٧٧٠ أثبت البابا اكليمنت الرابع عشر قسمة الرهبانية ببراءة رسولية ..

وفي سنة ١٧٧١ اشترى رئيس دير مشموشة من مشايخ بيت برُّو المتاولة من كفرحونة اراضي جبل طورا ومريج النبمة بثمن بذار المدستة قروش وربع. وبالسنة ذاتها عقد رئيس دير ميفوق عقد شراكة شلش مع الشيخ سرحال حيدر حماده على املاكه في مزرعة كفرشلّي على انه بعد زمن لم يعينه يكون بدل أتعابهم في احياء بوار تلك الاراضي ربع ملك .

وفي سنة ١٧٧٤ سافر الاب يوسف صوما ورفيقه الاب بولس عزيز الديراني الى رومية العظمى وبيدهما عرايض استرحام من الاب العام والمدبرين ومن السادة اساقفة الطائفة جميعاً الى قداسة امام الاحبار والى كرادلة المجمع المقدس والى المطران اسطفان حواء. خلاصتها : شهادة حسنة بتصرف ابناء الرهبانية البلدية اللبنانية والرجاء بقبول التماسهم بالسماح لهم ان ينشئوا ديرًا في رومية ليتسهل لرهبانهم تلقي العلوم السامية ليفيدوا الرهبانية والطائفة بعلمهم ووعظهم وارشادهم ولمزيد نجاحهم بأعمال الرسالات التي يمارسونها بكل نشاط ونجاح لخلاص القريب . وبالنتيجة ان سعيهم لم ينجح لظروف ربما لا نجهلها .

وفي سنة ١٧٧٥ منح قداسة امام الاحبار بيوس السادس غفرانًا كاملًا يكتسبه كل من يعترف ويتناول القربان الاقدس في عيد كنيسة القديس يوحنا مرقس في جبيل وفي عيد انتقال السيدة الى السماء . وعيد القديسين بطرس وبولس الرسولين . ورسمه بان يمكن تخصيصه بالانفس المطهرية وذلك بناء على طلب الشيخ سعد الخوري . وانعم ايضاً الحبر الروماني المرقوم ببعض غفرانات :

١ : انعام المذبح الاختصاصي لثلاثة ايام في الاسبوع .

٢ انعام حق منح الغفران الكامل لكل من الرؤساء ولكل كهنة الرهبانية المقلدين خدمة الانفس للنازعين الذين يحضرون وفاتهم .

٣ علق غفرانًا كاملًا على المذابح الكبيرة في كنائس الاديار القائمة بذاك الحين .

وفي ٢١ تموز سنة ١٧٨٠ عقد مجمع اقليمي طايفي في دير سيدة ميفوق احد اديار الرهبانية وعلى نفقتها برياسة الاب بطرس دي موريتا القاصد الرسولي وميخائيل الخازن النائب البطريركي وجلس فيه رؤساء عام ومدبرين الرهبانيات الثلاث . وتعين في وظائف المجمع من آباء الرهبانية الاب نعمة الله النجار

البسكنتاوي كاتباً لوقائع المجمع . والاب لويس نادر مسجل المجمع العام. وفي هذه السنة لخلاف حصل ما بين آباء الرهبانية وما بين البعض من اهالي جبيل العاملين على ملكية وولاية الكنايس الموهوبة من الامير يوسف شهاب الموجودة داخل المدينة وخارجاً عنها والتي رممها الرهبان . وبعد النظر بذلك اصدر النائب البطريركي اعلاماً أثبت فيه ملكية وولاية الرهبانية على هذه الكنائس الموهوبة من الامير الحاكم العام والتي رممتها الرهبانية مانعاً الاهالي عن التعدي عليها والاساقفة عن رسامة كهنة عاملين على مذابحها .

وفي سنة ١٧٨٢ اشترى الاب رئيس دير قزحيا من الشيخ بركات قيس الظاهر نصف ارض مار شينا والمحمدية وطاحون الزماد الكائنة في ارض كفرزينا باربعماية قرش . وفيها استأجر الاب وكيل دير مار الياس الراس من الشيخ غندور الخوري نصف اراضي مزرعة المجيدل ببدل ١١٨ قرش . وفيها أجرى اصلاح مهم في كنيسة دير مار انطونيوس قزحيا وكان المعلم في اصلاحها الاب ميخائيل الخرّاط البكفاوي المعلم الماهر بصناعة البناء . ورفيقه الاب عبدالاحد بكيفا . وفيها أرسل آباء الرهبانية الاب سارافيم شوشان البيروتي الى مدينة رومية لشراء مطبعة . وفي أثناء وجوده هناك طبع بالحرف الكرشوني الشحيمة المشهورة بفرض الاخوة الحاوية الصلوات الليلية والنهارية وغير ذلك من الصلوات . وقد تجدد طبع هذه الشحيمة اولاً في رومية خمس مرات ، وفي مطبعة قزحيا سبع مرات بالحرف السرياني . واربع مرات في مطبعة دير طاميش بالحرف العربي ومن حوادث هذه السنة ايضاً ضمن الاب رئيس دير قزحيا من الامير علي شهاب اراضي قرية بصرما المسماة ارض الشراقي بمبلغ ١٣٠ قرش في كل سنة .

وفي سنة ١٧٨٣ وصل الى دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب بطريرك السريان الكاثوليك ميخائيل الثالث فاراً من وجه بطريرك اليعاقبة لابساً ثوباً اعرابياً يرافقه الشماس زكريا القطربلي وتوما الآمدي ومكث فيه ثلاثة اشهر .

وفي سنة ١٧٨٦ اشترى الاب رئيس دير الناعمة من الشيخ عمان كنعان نكد الارض السليخ المحتوية على أغراس توت وزيتون وكروم وخروب وتين ومختلف وعمار بثمن ثلاثة آلاف واربعماية وثمانين قرشاً .

وفيها رفع الاب العام ومجمع المدبرين عريضة الى البابا بيوس السادس

يلتمسون فيها بعض غفارين وانعامات منها : ان ينعم على الاب العام بان يمنح غفراناً كاملاً في القداس الاحتفالي الذي يتلوه لاول مرة بعد انتخابه اباً عاماً . وفي اربعة اعياد خلاف ما تقدم . ٢ً الاجازة بسيامة اسقف من ابناء الرهبانية الذي يقدمه الاب العام ومجمع المدبرين متكفلين بتقديم معاشه وكل ما يلزم وان في كل مرة ينتقل هذا الاسقف لرحمة الله يرتسم خلافه من أبناء هذه الرهبانية الذي يقدّمه الرؤسا . وذكروا في عريضتهم انهم لا يقصدون بهذا الطلب الهرب من سلطة الاساقفة بل لاجل قضاء التكريسات في الرهبانية بسهولة . وفي السنة التالية ورد الجواب مفاده ان قداسته قد وسع الغفارين المنعم فيها في سنة ١٧٣٤ وفي سنة ١٧٧٩ اذ يمكن تخصيصها بالانفس المطهرية . واما سيامة اسقف خصوصي للرهبانية فلم يستحسنه وانه قد امر رؤساء الكنيسة ان يقضوا واجب الرسامات والتكريسات عند الطلب بسهولة واما الانعام الملتمس والمختص بالاب العام قد تأجل الى سنة ١٨١٦ .

وفي سنة ١٧٨٩ طبعت الشحيمة وخدمة القداس بدير مار موسى الحبشي بالحرف الاسود في المطبعة الجديدة التي اشتراها من رومية الاب سارافيم شوشان بنفقة الرهبانية ثم نقلت الى دير قزحيا بامر الرؤسا.. ولما لم يكن لهذه المطبعة حرف عربي فصنع لها الاب سارافيم المرقوم ابايات وامايات متقلداً حرف مطبعة دير مار يوحنا الطبشه ولم يزل ما صنعه هذا الاب محفوظاً انما لم يستعمل بالطبع ابداً . وفي سنة ١٧٩٠ عقد مجمع اقليمي في دير سيدة بكركي بناء على امر الحبر الاعظم بيوس السادس برياسة القاصد الرسولي المطران جرمانوس آدم مطران حلب للروم الكاثوليك والبطريرك يوسف اسطفان وجلس فيه من آباء الرهبانية الاب العام عمانوئيل الجميل والاربعة مدبرين . ومن جملة احكام هذا المجمع : الفريضة الخامسة في الجلسة التاسعة حرفيتها : « يحذر على الرهبان تحت طائلة الربط توزيع الاسرار على العالمين الآتين الى اديارهم . وأن لا يبنوا ديراً بدون اذن السيد البطريرك ومطران الابرشية » . وقرروا ايضاً ان يكون المقام الاول بعد السادة الاساقفة الى رئيس عام الرهبانية البلدية اللبنانية . لاجل نمو هذه الرهبنة وتوافر عددها[1] . وبعد نهاية المجمع أعطى المطران ميخائيل

[1] للاب شبلي درس خاص بهذا الموضوع سينشره قريباً .

فاضل مطران بيروت والمطران جرجس بنيمين مطران طرابلس . والمطران بطرس مبارك مطران بعلبك اذناً لآباء الرهبانية ان يوزعوا الاسرار على جميع الواردين الى اديار الرهبانية ومحلاتها الكائنة في ابرشياتهم بشرط ان يكونوا مصرَّفين من الرؤساء .

وفي تلك الايام ادعى اهالي مدينة جبيل ملكية كنيسة مار يوحنا مرقس وطلبوا من السيد البطريرك ان ينزع يد الرهبان عنها وتسليمها لهم . فنظر السيد البطريرك بدعواهم ونظر ايضاً في اوراق التملك والتصريف التي بيد الرهبانية وحكم برفض دعوى الاهالي المذكورين واثبت ملكية الرهبان لها .

ان الاب العام والآباء المدبرين المنتخبين في المجمع العام سنة ١٧٩٦ لما لم يحضروا بحكم العادة القديمة بعد انتخابهم لعند قنصل دولة فرنسا اظهاراً لاخلاص الرهبانيّة وتعلقها بالدولة الحاميـة وملوكها العظام . لانه لما حدثت الثورة الافرنسية الكبرى وسقطت الملكية وبلغ آباء الرهبانية هذه الحوادث اهملوا المجيء لعند القنصل قياماً بالواجب المعتاد فتأثر القنصل بورفيليو من هذا الاهمال وارسل كتاب عتاب للاب العام على تركه هذه العادة القديمة .

وفي سنة ١٧٩٧ ارسل السيد البطريرك يوسف التيان الاب بولس بليبل قاصداً من قبله الى رومية العظمى لتقديم خضوعه وطاعته لكرسي زعيم الرسل الجالس خليفة له نيابةً عنه ولالتماس درع التثبيت المقدس وبرجوعه في سنة ١٧٩٨ سامه اسقفاً على ابرشية قبرس وجلاهُ باسم عبدالله .

وفي سنة ١٨٠١ اشترى الاب العام من الشيخ سلمان نكد نصف ما يملكه في جل البحر بعد فرز حصة الرهبان بثمن ٨١٧٨ وجملة الاحمال من توت ومختلف بري وجوي ٣٢٧ سعر الحمل ٢٥ قرش فاستقر جل البحر كله على ملكية الرهبانية . وبالوقت نفسه اشترى الاب رئيس الدير المرقوم من الشيخ سلمان المذكور عودة ابو رضا بثمن ١٥٥٠ قرش . في سنة ١٨٠٤ سلم البعض من عائلة بيت صفير دير الرومية الى آباء الرهبانية لاجل ايفاء ديونه واستفكاك املاكه المباعة وتكميل بنيانه وبعد سنة ونصف من استلامه صدر امر من الكرسي الرسولي بارجاعه لاصحابه لان الوقف لم يتم برأي وتسليم جميع اصحاب الوقف فانصاع آباء الرهبانيّة لاوامر الكرسي الرسولي وسلموا الدير لاصحابه ولما

كانت الآباء قد صرفوا مبلغ ١٣٣٠٥ قروش على استفكاك املاك وايفاء ديون وتشييد بناء ولم يكن في الدير المرقوم دراهم نقد تسدد مطلوبهم اخذوا بالقيمة املاكاً في نهر الصليب وخلافه .

وفي سنة ١٨٠٥ اوقفت السيدة سوسان ارملة الخواجا جرمين الافرنسية ما تملكه نصف قرية عشاش على دير قزحيا بشروط : ان يكون لها الاشتراك بجميع خيرات الرهبانية الروحية كاحد افرادها . وان يتقدم لها ما يلزم لمعاشها وخلافه من كلي وتجزئي . وصدق على هذا الوقف حكام البلاد وقنصل فرنسا والروساء الروحيون . وبعد وفاتها في سنة ١٨١٧ اقام الدعوى احد اقاربها لدى المحاكم الافرنسية على صحة الوقف وبعد مخاصمات طالت الى سنة ١٨٤٢ انتهت الدعوى بوجه المراضاة بين المدعين ورؤساء دير قزحيا باهتمام القنصل الفرنسي الموسير هنري كيز الرجل المحسن الغيور بان دفع رئيس دير قزحيا مبلغاً من المال لاقاربها بمنزلة اسعاف وانتهى الاشكال .

وفي هذه السنة نُقلت المطبعة من دير مار موسى الحبشي الى دير مار انطونيوس قزحيا وهي باقية فيه الى الآن .

وفي سنة ١٨١٠ ادعي بيت ابي صابر من قرية رشميا على وقف دير مار يوحنا وقف اجدادهم انه فاسد وان بيدهم اوراقاً تثبت مدعاهم فانكر الرهبان مدعاهم ورفعوا الشكوى للامير بشير شهاب فحولهم للشريعة لدى السيد البطريرك يوحنا الحلو والمطران يوسف اسطفان ولما لم يحضر المدعون ارسل عليهم الامير حوالية ثم تراضى الاب العام مع المدعين وكتبوا صكاً جديداً اسقطوا فيه مدعاهم مثبتين وقف اجدادهم . اثبت هذا الصك السيد البطريرك وانتهت الدعوى .

وفي هذه السنة انتقل الى رحمة المولى الاب العام عمونئيل الجميل وله من العمر ٦٠ سنة وهي السادسة والثلاثون لرهبانيته خدم رياسة الاديار ثلاث سنين والمدبرية ١٥ سنة والرياسة العامة ١١ سنة وبعد ثلاث سنين لوفاته وجد جسده صحيحاً سالماً من الفساد وبعد نحو ٣٠ سنة من وفاته نقل جثمانه لدير سيدة طاميش ومكان دفنه مجهول .

وفيها شارك الاب رئيس دير بيرسنين شراكة شلش على املاك الامير حيدر شهاب الكائنة في وادي الست الى مدة وفي نهايتها تملك الرهبان نصف هذه الاملاك .

وفي المجمع العام المنعقد في سنة ١٨١٤ حكم آباء هذا المجمع محرماً على الرهبان شرب التتن « التدخين » ومن ثبت عليه استعماله ان كان رئيساً يعزل عن رياسته وان كان مرؤوساً يقاصص بحسب الزلة الثقيلة بالغاية .

وفي سنة ١٨١٥ طبع كتاب الليتورجيا « القداس » بطبعة دير قزحيا واضيف الى هذه الطبعة تقسيم الأناجيل على ايام السنة بحسب ترتيب المطران جرمانوس فرحات بنفقة الرهبانية .

وفي سنة ١٨١٦ منح البابا بيوس السابع الاب العام اغناطيوس بليبل وخلفائه انعاماً بان يمنح اربعة غفرانات كاملة في كل سنة باربعة اعياد : عيد مار انطونيوس الكبير اب الرهبان . وعيد القيامة المجيدة . وعيد انتقال مريم العذراء . وعيد ميلاد الرب بالجسد وذلك في اديار الرهبانية وعلاتها . وفيها توفي الاب سمعان الخازن المدبّر الثالث وبزمان رياسته العامة سمح للرهبان أن يطبخوا طعامهم بالسمن في الايام المسموح بها اكل الزفر . لان كان الطبخ بالزيت دائماً . الا عند المرضى وباذن الرئيس .

وفي سنة ١٨٢٠ طبع كتاب الرسائل بطبعة دير قزحيا على نفقة الرهبانية بحسب الترتيب الذي وضعه المطران فرحات . وفي هذه المطبعة طبع كتاب الاسقف تريزاغو المتضمن بعض مقالات في اللاهوت الادبي وخصوصاً في الاسرار بطبعة دير قزحيا لفايدة الكهنة .

وفي سنة ١٨٣٠ طبعت الشحيمة المختصرة فرض الكهنة الاسبوعي في رومية بنفقة الرهبانية بنظرة الاب اثناسيوس الشموتي .

وفي سنة ١٨٣٥ تجدد طبع كتاب الليتورجيا بطبعة دير قزحيا وبنفقة الرهبانية . وطبع كتاب الفراميات المشهور بكتاب النبوات بحسب تعريب وتقسيم المطران فرحات بالدير المذكور وبنفقة الرهبانية .

وفي سنة ١٨٤٠ احرقت العساكر المصرية على اثر انهزامها من البلاد دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب وقتل آنئذٍ الاخ الياس الشبابي . والاب جرمانوس الشنتيري .

وفي سنة ١٨٤٢ في ثورة الدروز الاولى احترق دير سيدة مشموشة وقتل من الرهبان الاب سابا بكيفا والاخوة : سمعان ونستير من رشميا ورافائيل من

بكاسين . وعوض على رهبانيتنا ٤٤٥٨٦ والحلبية ١٩٨٤ والانطونية ١٠٠٢٥

وفي سنة ١٨٤٥ لخلاف حصل في الرهبانية بين الرؤساء والمرؤوسين سمى الكرسي الرسولي لاول مرة اب عام ومدبرين وعهد الى السيد فرنسيس بيلاروبل القاصد الرسولي اعلان ذلك والمذكورون سموا الرؤساء .

وفي سنة ١٨٤٨ فصلت بعض املاك عن دير قرحيا في ارض الزاوية ومن دير ميفوق وحوب والكحلونية ومشموشة ومن الوظيفة العامة في نهر الصليب وعجلتون وانشئ فيها أديار : عشاش، الجديدة، القطارة، الحدن، قبيع، ريات، ومار روكس مراح المير لتعزيز النصرانية وخدمة ابناء الطائفة الروحية وتعليم الاحداث . ولشكايات رفعت الى المجمع المقدس على الرؤساء سمى اب عام ومدبرين ثاني مرة وامر السيد بيلاروبل القاصد أن يعلن أسماءهم . وذلك في سنة ١٨٥٠

وفي سنة ١٨٥٥ اشترى الرؤساء مطبعة من اوروبا مجهزة بالاحرف العربية والسريانية والافرنجية بكل ما يلزم لها من مصب للاحرف وآلات العرم والتجليد والقطع بمبلغ ٧٥ الف قرش عن يد ابراهيم بك الديراني طبيب العسكر العثماني ووضعت في دير طاميش ومن مطبوعاتها اللاهوت الادبي للعلامة ليكوري لسد حاجات الكهنة وكتاب دحض الارطقات له أيضاً وكتاب الدر المنظوم للسيد البطريرك بولس مسعد والشحية الكاملة لتعليم اللغة السريانية وخدمة القداس وخلاف ذلك .

وفي سنة ١٨٥٦ بسبب ما تقدم من الشكايات في السنين الماضية على الرؤساء من المرؤوسين أرسل الكرسي الرسولي المطران بولس برونوني القاصد الرسولي زايراً على الرهبانية وليترأس المجمع العام المراد عقده . وبعد ان انتخب آباء المجمع العام الاب ارسانيوس النيحاوي رئيساً عاماً . وكان لم يرق هذا الانتخاب للزاير الغى الانتخاب المذكور وسمى الاب لورنسيوس تين الشبابي رئيساً عاماً باسم البابا بيوس التاسع بناء على طلب جمهور من الرهبان اكثرهم من المرؤوسين ورفع الامر للكرسي الرسولي الذي اثبت منتخب الزائر انما في السنة بعدها نقل القاصد الزاير الى الاستانة ليشغل مركز القصادة الرسولية فيها وتعين زايراً رسولياً على الرهبانيات الثلاث المطران يوسف جعجع مطران قبرس وطالت مدة زيارته الى سنة ١٨٧٤

وفي السنة ١٨٥٨ توفي الاب نعمة الله الحرديني المدبر الشهير بالتقوى في دير كفيفان وبعد دفنه بسنة اخرج جسده من المدفن ولم يلامسه فساد حتى الآن - وقد منح الباري تعالى بشفاعته أشفية عديدة وقد تقدمت دعوى تطويبه وتقديسه لدى الكرسي الرسولي فقبل الطلب وتعينت لجنة لاجراء الفحص القانوني ورفعت اعمالها اليه وقد نال لقب مكرم.

وفي سنة ١٨٦٠ وقعت الثورة المشهورة بسنة الستين بين النصارى والاسمية وقتل من النصارى نحو اربعة عشر الفاً واحرقت اكثر قرى النصارى في الشوف والمتن وزحلة وجملة اديار لاهل البلاد وللافرنج ومن جملتها اديار مشموشة والكحلونية ومار موسى وانطوش زحلة ومدارس العبادية ووادي شحرور للرهبانية وقتل من ابنائها تسعة وعشرون راهباً .

وفي سنة ١٨٦٣ عقد المجمع العام تحت رياسة الزاير الرسولي المطران جمجع وهي المرة الثانية التي يعقد فيها المجمع العام تحت رياسة زاير رسولي . وعين هذا المجمع ستة اديار لتجربة الطالبين الترهب تعديلاً للعادة الشائعة تبول الطالبين في عموم الاديار القانونية حسب القانون .

وفي سنة ١٨٦٤ اجرى الاب رئيس دير قزحيا الاب بطرس الحايك البجدرفلي اصلاحاً هاماً في كنيسة الدير لتكون لائقة بالدير فجاءت تحفة فنية لائقة في غاية الجمال والمناسبة باكلاف ١٢٠ الف قرش.

وفي اوائل تموز سنة ١٨٦٥ انتشر وباء الهواء الاصفر في لبنان وسوريا فهرب سكان الساحل والمدن الى الجرود العالية وامتد حتى بلغ الاستانة وفي يافا كانت وطأته شديدة اذ مات من اهلها نحو ثلث السكان الـ ٥ آلاف نسمة وما بقي من اهلها نجوا باعجوبة من سيدتنا مريم العذراء التي ظهرت بالحلم ليلاً الى الاب جراسيموس زعرور رئيس انطوش الرهبانية وخادم ابناء الطائفة في المدينة المرقومة اذ كان التجأ الى شفاعتها في النهار وأمرته ان يخرج بايقونتها الموجودة في الكنيسة بزياح حافل في الكنائس جميعها وفي الاسواق فيرتفع الوباء . وفي الصباح عمل كما امرته السيدة فوقف الوباء وتلاشى تأثيره حالاً والايقونة لا زالت في الكنيسة بالاكرام اللايقة بها . وفي كل مرة يحصل وباء الهواء الاصفر في المدينة يلتجون اليها ويخرجون بايقونتها بزياح حافل الى

الاسواق يشارك فيه جميع السكان فينالون من عطفها التهاسهم بدون ابطاء .
وفي المجمع العام المنعقد في سنة ١٨٦٦ تقرر تعيين دير كفيفان مدرسة للعلوم السامية لشبان الرهبانية . وتقرر توسيع بناء مدرسة المتين لتكون مدرسة تجارية لتعليم العالمين العلوم العصرية سداً لاحتياج اهالي البلاد ورصدوا لعمارها ما اخذته الرهبانية من مال المسلوبات ومحروقات الاديار في سنة ١٨٦٠ . وصار الاهتمام بهذا المجمع بارسال بعض شبان الرهبانية الى مدارس الاجانب ليتعلموا اللغات الاجنبية ليكونوا فيما بعد مدرسين في مدارس الرهبانية فكان الرؤساء ما املوا .

وفي سنة ١٨٧٤ بسبب بعض وشايات رفعت للكرسي الرسولي ضد الرئيس العام والزاير الرسولي المطران جعجع صدر امر الكرسي الرسولي للاب لودفيكوس بياني الراهب الفرنسيسكاني نائب القصادة الرسولية في بيروت ان يجري فحصاً عن هذه الشكاوى ويرفع نتيجة فحصه اليه وفي اواخر ١ من السنة ذاتها عقد المجمع العام وفي بعض جلساته اعلن الاب الوكيل انتهاء زيارة المطران جعجع واعلن باسم الكرسي الرسولي الاب مرتينوس سابا القسطاري رئيساً عاماً وباقي المدبرين . ولما كان ما وضع من التدابير للحصول على هذه النتيجة التي لم ترُق لدى الرأي العام فظهر على اثرها ثورة في الافكار وقلق في الخواطر اقلقت الرهبانية وشوّشت افكار بعض ابنائها وشوهت محاسنها . ورفع نائب القصادة نتيجة عمله الى رومية العظمى فنال التثبيت ثم سافر اليها . وباثناء ذلك فسح الحبر الاعظم لابناء الرهبانية من فريضة منع اكل اللحم واجاز لهم ان يأكلوه ثلاثة ايام في الاسبوع يوم الاحد والاثنين والخميس وجرت العادة ان يجدد هذا التفسيح في كل سنة .

وفي سنة ١٨٧٧ وصل الى بيروت القاصد الرسولي الاب بياني بعد سيامته اسقفاً وتعين زايراً رسولياً على الرهبانيات . ولما بلغ وقت انعقاد المجمع العام اعلن باسم الكرسي الرسولي بتأجيل عقده وسمى الاب مرتينوس القسطاوي رئيساً عاماً مع مدبريه الى ثلاث سنين .

وفي سنة ١٨٧٩ عقد المجمع العام وصدر امر الكرسي الرسولي بتثبيت الاب مرتينوس القسطاوي والمدبرين الى ثلاث سنين اخر بحسب انها الزاير الرسولي .

وفي سنة ١٨٨١ سافر الاب العام برفقة القاصد الرسولي الى رومية العظمى لحضور احتفال تثبيت اربعة قديسين وحضر هذا الاحتفال خمساية اسقف واربعة رؤساء عامين وكلهم يحلل الحبرية واربى زمن الاحتفال على الثمان ساعات . ثم نال الاب العام شرف المثول بحضرة الاب الاقدس في ٨ كا ١ وفي ١٨ك١ قفل راجعاً الى لبنان . وهو اول رئيس عام على الفئة البلدية اللبنانية بعد القسمة سافر الى رومية وحظي بمقابلة العظماء فيها .

وفي سنة ١٨٨١ لسقوط مواسم الحرير بسبب الامراض المضالة التي فشت في هذه الدودة الذهبية وشاع آنئذٍ ان احد علماء فرنسا باستور الشهير اهتدى الى المرض واكتشف طريقة يحصل بها على بزر سليم من الامراض القاتلة وهو البزر المعروف بالكورسكي استحضر الاب العام كمية من هذا البزر ووزعه على الاديار بثمن كل درهم عشرة قروش ونظراً لنجاح هذا البزر واقبال محصولاته أرسل الاب العام معتمداً من قبله الى فرنسا رأساً لاستجلاب كمية كبيرة منه ووزعه على عموم الاديار بثمن كل درهم تسعة قروش . وبعضه اخذ بحصة السدس. ولما كان المجمع المقدس منع قبول طالبي الترهب فبناء على التماس آباء الرهبانية بالحاح سمح بقبول مبتدئين آمراً أن يكونوا بدير واحد : فعين اذ ذاك مجمع المدبرين دير الناعمة لقبولهم . ولما كان رئيس دير الناعمة مهتماً بانشاء جديد في الدير فتعين دير طاميش لقبول الطالبين الى أن ينتهي العمل في دير الناعمة وتعين لهم معلماً الاب مبارك سلامه المتيني وبعد نحو ستة اشهر نقل المبتدئون الى دير الناعمة المرقوم وكان عددهم ٤٥ مبتدئاً .

وفي سنة ١٨٨٤توفي في دير قرطبا الاب دانيال المعلم الحدثي المدبر المشهور بمعارفه الطبية والتقوى والغيرة توفي برائحة القداسة . وجثمانه حتى ألآن سالم من الفساد

وقد منح الله بشفاعته بعض نعم ومواهب التمست منه تعالى بشفاعته وكان قد تقدمت دعواه مع دعوى الاب الحرديني والاخت رفقا الى المجمع المقدس اما بعد حين توقفت دعواه لبعض تقولات قيلت عنه والله أعلم .

وفي المجمع العام المنعقد في سنة١٨٨٩ قدم الاب العام مرتينوس القسطاوي استعفاءه من وظيفته الى آباء المجمع العام عملاً برأي السيد لودفيكوس بياڤي بطريرك اورشليم اللاتيني . وبرأي الكرسي الرسولي ترأس هذا المجمع ليتسنى له انتخاب شخص يريده للرياسة العامة ولما لم يطمأن لنجاحه أعلن توقيف اعمال المجمع وان كل متوظف يبقى في وظيفتـه الى ان يصدر الكرسي الرسولي اوامره بهذا الخصوص . الى ان كان اول نيسان سنة ١٨٩٠ سمى المجمع المقدس الاب يواصاف الحاجي المدبر الاول نائباً عاماً كحكم القانون وبعد سنة من هذه التدابير سمى المجمع المقدس الاب مبارك سلامه المتيني رئيساً عاماً الى ثلاث سنين مع اربعة مدبرين. وكان اذ ذاك السيد البطريرك يوحنا الحاج زايراً رسولياً على الرهبانية.

ومن الحوادث المهمة انشاء مدرسة في بيروت قرب كلية الآباء اليسوعيين يتخرج فيها شبان الرهبان الدارسين لان الاب العام ومجمع المدبرين رأوا بعد البحث ان الاصلح والاطبق لنجاح الدارسين في دروسهم واخذهم أن يتخرجوا في هذه الكلية بناء على ذلك اشترى الاب العام داراً في بيروت قريبة من الكلية تبلغ نحو مائة الف قرش ذهب وجعلت مقراً للاخوة الدارسين وتقرر ان تكون مصارفاتها من مداخيل الوظيفة العامة . وتقرر ايضاً تعيين احد الاديار مدرسة استعدادية لمدرسة بيروت . فهذه المدرسة خدمت الرهبانية بتقديم عدد وافر من المتخرجين فيها قاموا بها بكل نجاح . قدمت عدداً وافراً من الفعلة النشيطين لخدمة اعمال الرسالة في الطائفة بالوعظ والارشاد واعطاء الرياضات الروحية السنوية داخل الاديار وخارجاً عنها حتى يمكن القول انه قلما تخلو بلدة او مدينة في لبنان وخارجاً عنه لم يشاهد او لم يسمع صوت احد ابنائها يدعو الخطأة من فوق المنابر الى المصالحة مع الله والى القاء السلامة والمصالحة بين

المتباغضين وفقنا الله لخدمته تعالى .

وبنهاية الثلاث سنين صدرت الاوامر الرسولية بعقد مجمع عام لانتخاب اب عام واربعة مدبرين انما تكون مدتهم الى سنة ونصف فقط حفظاً لسياق المجامع فعقد المجمع العام تحت رياسة السيد البطريرك مباشرة وانتخب فيه الاب مبارك المتيني ريساً عاماً مع مدبريه وبنهاية مدة السنة ونصف عقد المجمع برياسة السيد البطريرك وانتخب فيه الاب مرتينوس الدرعوني اباً عاماً مع اربعة مدبرين بحسب العادة .

وفي سنة ١٨٩٨ انتقل الى راحة الصالحين الاب شربل مخلوف بقاعكفره الحبيس في محبسة دير مار مارون عنايا في ليلة عيد الميلاد وبعد مدة من وفاته وجد جسده سالماً من الفساد وبحالة عجيبة اذ ينضح منه مادة حمراء لزجة ذات رائحة منتنة اذا التصقت باليد او بالاشياء تثبت الى زمان. الجسد ينضح ورائحة النتانة تفوح منه وهو سالم رطب طري منذ٣٣سنة الامر الذي حير الاطباء واصحاب العلم وضيق عليهم معرفة اسباب هذا العجب وقد منح الباري تعالى بشفاعته طلبات شفاء ونعم ومواهب . وقد قدمت دعواه مع رفيقيه الى المجمع المقدس وصدر الامر بالتحقيق وتقدمت اوراق التحقيق وثبات ونال لقب مكرم رحمنا الله بدعواته .

وفي سنة ١٩٠٨ لاسباب كثيرة صدر امر الكرسي الرسولي بارسال زيارة رسولية قوامها ثلاثة رهبان رئيسها راهب بناديكتاني منحه لقب اباتي يلبس الصليب الحبري والآخر دومنيكاني متطق والثالث فرنسيسكاني ابن عرب ترجم، على الرهبانيات الثلاث المارونيات وهي باقية حتى الآن انما حصل تغيير باعضائها اذ تعين القاصد الرسولي رئيساً لها واعضاء المطران اغوسطين البستاني مطران صيدا الماروني والمطران بطرس الفتالي الماروني والاب كيرللوس كوسا كاتب اسرار القصادة الرسولية كاتباً لها . وفق الله الجميع لما به مجد الله وخير القريب .

علاقة الرهبانية مع الشعب والحكومة الفرنسية

انه بدرس المتخلفات الكتابية التي خلفها لنا الاباء القدماء، وابرازها الى عالم الوجود خدمة جلى للتاريخ كيف لا وهذه المتخلفات تتناول تاريخ حوادث رهبانية بحتة وحوادث طائفية رهبانية وحوادث وطنية فالى عالم الظهور صفحة اولى من هذه المكتوبات وهي تتناول علاقات الرهبانية بالحكومة الفرنسية وما القصد من ابرازها سوى الايضاح عما كان لهذه العلاقات المهمّة من التأثير في مستقبل الايام .

يلذ لكل مطالع ان يقرأ ما دونه مؤسسو الرهبانية ورجالها في مخلفاتهم عن شديد العلاقات ومزيد متانة الصلات وترعاتها مع الحكومة الفرنسية الجليلة منذ مايتي سنة كما تبين للقراء الالباء الاطلاع على ما كان له شأن في تاريخ تلك الايام البعيدة وكل من تصفح هذه المخلفات التي نلمح اليها في هذا المقال تبين ان منشئي الرهبانية كان لهم من العلاقات الودية والمناصرة الادبية من قنصل هذه الدولة ومن جاليتها ايضاً القاطنين يومئذٍ في امصارنا الشرقية وخاصة في مدينة طرابلس الشام لانه بالقرب من هذه المدينة نشأت الرهبانية اي في ديري مار اليشاع قرب بشري والقديسة مورا في اهدن ما قد جعلهم في مأمن من المحن والملمات التي كانت تتهددهم سواء كانت مصادرها وطنية او اجنبية ولا بدع فانا هم حماة الدين الكاثوليكي ، ولم تكن هذه المناصرة ضد محن هؤلاء الاباء الا لتزيد علاقاتهم نموّاً وتمكيناً كما تفعل الريح الزعازع في الاشجار . وبطريق المبادلة كان اباء الرهبانية يعملون بكل جهدهم لبسط نفوذ الحكومة الافرنسية وتحبيبها الى المواطنين اذ لا عجب في هذا لان الرهبانية من الطائفة المارونية والحكومة هي افرنسية. ومن اهم الحوادث التاريخية واعظمها الدالة على حسن هذه العلاقات ومتانة عراها ما حدث في سنة ١٧٣٨ التي اهدى فيها جلالة الملك لويس الـ١٥ ملك فرنسا صورته الشريفة الى الرهبانية وهذه حكايتها : انه في اواخر شهر تشرين الاول لهذه السنة وصل كتابة من

المونسيور بون القنصل الافرنسي في مدينة طرابلس الشام الى الاب العام توما اللبودي فيه ان وزير الدولة الفرنسية ارسل اليه رسالة خلاصتها : ان جلالة الملك لويس الـ١٥ انعم مهدياً صورته الشريفة الى الرهبانية اللبنانية المارونية علامة رضا ومسرة عن اعمال ابائها العائدة لخير ونمو الديانة الكاثوليكية والنفوذ الافرنسي وان الصورة قد وصلت اليه ويسأله ان يحضر الى طرابلس لاستلامها. فالاب العام حال استلامه هذه الرسالة عقد مجمع مدبرين ومجلس مشورة حضره بعض الاباء القدماء في الرهبانية فقرروا ان يتوجه الاب العام الى مدينة طرابلس الشام لاستلام الصورة بصفة رسمية ويحضرها الى دير لويزة حيث تقرر وضعها بهيئة احتفالية . وان يدعو مشايخ البلاد وأوجه واعيان الطائفة للمشاركة بهذا الاحتفال لاستقبال الصورة وان امكن القنصل الافرنسي والتراجمة وبعض الجالية الافرنسية واعيان تلك الجهة مراكبين الجمهور من طرابلس الى دير لويزة . وبناء على هذا القرار سافر الاب العام الى مدينة طرابلس يرافقه بعض آباء الرهبانية واستلم الصورة واحضرها باحتفال عظيم لم يسبق له مثيل . ولما كان الاب العام بعث برسالة الى السيد السمعاني شرح فيها عن كيفية استقبال الصورة وعن الاحتفال الذي صار . وكان قد وقع في المتخلفات الكتابية نسخة عن هذه الرسالة .

(راجع المشرق ١٠ : ١٩٠٧ ص ٨٠٤)

... ان علاقات اباء الرهبانية مع القنصل الافرنسي قد تخطت الى افراد الجالية عموماً وتخطت ايضاً من علاقات ودية الى مناصرة ادبية وعلاقات مالية مهمة لان اموال بعض الجالية عادت كخزانة او شبه بنك زراعي يتناول منه رؤساء الرهبانية الاموال اللازمة الى مشاريعهم حين الاقتضاء الى ان كان يبلغ المال المأخوذ بعض الاحيان الى نحو عشرين الف قرش وهذا المبلغ لا يستهان به في تلك الايام . وبسبب توسع اباء الرهبانية باعمالهم الادارية كشترى اديار كدير مشموشه من مؤسسه المطران سمعان عواد بنحو ٣ آلاف

«وهو البطريرك سمعان» وهو الدير الاول في ايالة صيدا . وانشاء دير مار الياس الراس للراهبات وهو اول اديار الراهبات القانونيات اللبنانيات بطلب والحاح السيد السمعاني يكون مثالاً لاديار الراهبات في مستقبل الحين حسب تحديدات المجمع اللبناني باكلاف قدرها سبعة آلاف قرش . وكمصارفات السيد السمعاني مدة وجوده في لبنان وعقد المجمع اللبناني البالغة سبعة آلاف قرش وبسبب الاعمال الرسولية كانت المدارس والرسالات في مدن عكا وصيدا وبيروت وطرابلس وحلب وقبرص وفي القطر المصري. وبعض اعمال اخر دينية وادبية خصوصية وعمومية رهبانية وطائفية وبسبب مظالم بعض وزراء الدولة العثمانية وحكام البلاد الاهمية وقعت بضيق مالي عظيم بحيث انها عجزت عن كفاف رهبانها ودفع الفوايد المترتبة عليها الامر الذي اوجب اباء الرهبانية ان يهتموا به ولذلك عقد مجمع مدبرين في سنة ١٧٤٨ وقرر ما حرفيته : يجب السعي والاجتهاد الكلي لازاحة الديون وفايدتها عن عاتق الرهبانية . وان تبتاع الاملاك المستقلّة اي المختصة بوظيفة الاب العام وتدفع لاصحاب الديون مقابل اصل الدين واذا لم تكف فعندما يفيض شيء عن مصاريف الرهبان يدفع غلاقة الاصل. ولما كان المبلغ وقدره اربعة عشر الفاً وهو لبعض الجالية الافرنسية فبمداخلة القنصل برن تمّ الاتفاق ١ً ان الدائنين قد عفوا الرهبانية من دفع الفائدة المترتبة عليها .

٢ً : قسطوا الدفع الى سبع سنين تبتدي من سنة ١٧٥٠ .

٣ً ان يكتب الرؤساء صك بيع باتّ يسجل في المحكمة الشرعية الاسلامية في طرابلس بان كلما تملكه الرهبانية من عقار وطواحين وزيتون في الزاوية باسم الدائنين الخواجات : برلس بلان . وقباليوس شتان . وجان باطشكا . وكومبيان . الافرنسيين وذلك لاجل الحماية من الجائر والتعدي والبلص من الحكومة . وان هذه الاتفاقية تسجل في القنصلية الافرنسية . من مطالعة هذه الاتفاقية يستفاد :

١ً : عظمة قيمة هذا الدين .

٢ً : اريحية وكرم اخلاق الدائنين .

٣ً : عصمة املاك الاجانب من التعديات وتبعة المظالم ويستفاد ايضاً: ان لولا العلاقات الحسنة المكينة والحب العظيم المتبادل بين اباء الرهبانية والجالية الافرنسية الكريمة وقناصلها الفخام واعتقادهم بان حقيقة العجز ناتجة عن صرف هذه الاموال في سبيل عمل الخير والمشاريع العايدة على الطائفة والدين وعلى اتساع النفوذ الافرنسي لما كانوا اجروا هذه المساعدة بمثل هذا التساهل . ومما يجب ان لا يسهى عنه ان البيع لم يكن القصد منه سوى حماية الاملاك من مظالم الحكام . ثم صدق مجمع المدبرين في الرهبانية بدوره على هذه الاتفاقيّة ثم بحث المجمع المرقوم في الطرق التي تبلغ اباء الرهبانية القيام بما تعهدوه فقرروا اذ ذاك سفر الاب ارسانيوس شكري الوكيل العام مع الاب بيمين زكريا الى فرنسا اولاً ثم الى عموم بلاد اوروبا وقد اصحبها الموسيو بون القنصل بكتاب توصية ضمنه الثناء العطر على اعمال آباء الرهبانية ملتمساً لها المساعدة ليمكنها ان تفي ديونها التي تراكمت عليها بسبب الاعمال الرسولية كتشييد المدارس وانشاء الاديار ومزاولة اعمال الرسالة وبسبب فايدة الاموال الفاحشة . وفي اول شهر اذار مثل الاب شكري ورفيقه الاب بيمين بين يدي جلالة الملك لونيس الـ١٥ في بلاط فرسايل الشهير وقدم له رسالة القنصل فقابله جلالته مقابلة حسنة واحسن على الرهبانية بكمية دراهم معتبرة وآذن له ان يتجول في كل مملكته لجمع الاحسان. وانعم ايضاً بقبول طلب الاب شكري بوضع الرهبانية تحت كنف حمايته الخصوصيّة وامر الوزير لوريه ان يبلغ قنصل الدولة الافرنسية في الشرق ارادة جلالته بموجب براءة ملكية . . . وفي ٢٥ حزيران سنة ١٧٥٠ وصلت البراءة الى دير لويزه فعقد المدبرون مجمعهم بالحال وقرأوا فيه البراءة الملوكانية وقرروا ارسال نسخة عنها الى القناصل الافرنسيين في الاستانة. وحلب. وطرابلس الشام. وصيدا . وصور . ومصر لتسجل في

سجلاتهم ٢ ان يكون عيد مار لويس التاسع ملك فرنسا الواقع في ٢٥ آب عيداً حافلاً في الرهبانية وان ينقطعوا فيه عن العمل ٣ ان يرتل في صباح العيد في ختام القداس الاحتفالي مزمور يستجيب لك الرب . . . دعاء حاراً لجلالة الملك . وبمطالعة ما كتبه الخواجا روستلهوبر القنصل الافرنسي في بيروت في كتاب التقاليد الافرنسية في لبنان كافة . ان الاب شكري كتب اخبار رحلته في كتاب يملكه الآن ورثة المرحوم الخوراسقف جرجس منش في حلب . وقد تمتع اباء الرهبانية بهذه الحماية فكانت لهم كنوز حصين وترس منيع تتكسر عليه سهام الظلم والاستبداد .

عدد ١١ اسماء الرؤساء العام ومدة توليهم ادارة الرهبانية

الاب جبرايل حوا الحلبي	١٦٩٥ — ١٦٩٩	اربع سنين متواصلة	اول اب عام
〃 عبدالله قراعلي الحلبي	١٦٩٩ — ١٧١٦	سبعة عشرة سنة متواصلة	ثاني
〃 جبرايل فرحات الحلبي	١٧١٦ — ١٧٢٣	سبع سنين 〃	ثالث
〃 مخائيل اسكندر الاهدني	١٧٢٣ — ١٧٣٥	اثني عشرة سنة 〃	رابع
〃 توما اللبوروي حلبي	١٧٣٥ — ١٧٤١	ست سنين 〃	خامس
〃 ارسانيوس عبدالاحد حلبي	١٧٤١ — ١٧٤٤	ثلاث سنين 〃	سادس
〃 يواكيم الحاقلاني الزوقي	١٧٤٤ — ١٧٤٨	ثلاث سنين و٥ اشهر 〃	سابع بلقب ثالث اب عام
〃 مارون الدرعوني	١٧٤٨ — ١٧٥٣	خمس سنين و٧ اشهر 〃	ثامن اب عام
〃 جرجس قشوع الغسطاوي	١٧٥٣ — ١٧٥٧	اربع سنين 〃	تاسع
〃 اقليموس المزرعاني	١٧٥٧ — ١٧٦٦	تسع سنين 〃	العاشر
〃 عمنويل الرشاوي اول رياسة ١٧٦٦ وآخرها ١٧٨٤		تسع سنين متقطعة	الحادي عشر
〃 مرقس الكفاعي 〃	١٧٦٩ 〃 ١٧٩٦	خمسة عشرة سنة متقطعة	الثاني عشر
〃 شربل مدمج	١٧٨٤ — ١٧٨٧	ثلاث سنين	الحادي عشر
〃 عمنويل الجميل 〃	١٧٩٠ 〃 ١٨١٠	اثني عشرة سنة و٩ اشهر متقطعة	الثاني عشر
〃 سمعان الخازن 〃	١٧٩٩ 〃 ١٨٠٨	ست سنين متقطعة	الثالث عشر
〃 اغناطيوس بليبل	١٨١٠ — ١٨٣٢	اثنين وعشرين سنة و٣ اشهر متواصلة	الرابع عشر
〃 مبارك حليحل	١٨٣٢ — ١٨٣٥	ثلاث سنين	الخامس عشر
〃 عمنويل المتيني 〃	١٨٣٥ — ١٨٥٦	تسع سنين متقطعة	السادس عشر

الاب عمنوئيل الشبابي اول رياسة	١٨٣٨ – ١٨٥٠	ست سنين متقطعة	السابع عشر
« سابا العاقوري	١٨٤٤ – ١٨٤٧	ثلاث سنين	الثامن عشر
« لورنسيوس الشبابي	« ١٨٥٠ وآخرها ١٨٦٢	تسع سنين متقطعة	التاسع عشر
« افرام البشراني	١٨٦٣–١٨٧٤	١٢ سنة متواصلة	العشرون
« مرتينوس الفطاوي	١٨٧٤–١٨٩٠	١٥ سنة و٥ اشهر متواصلة	الحادي والعشرون
« يواصاف الحاجي	١٨٩٠–١٨٩١	سنة واحدة	الـ٢٢ بلقب نائب عام
« مبارك المتيني	١٨٩١–١٨٩٥	اربع سنين ونصف	الثالث والعشرون
« مرتينوس الدرعوني	١٨٩٥–١٨٩٩	٣ سنين و٥ اشهر	الرابع والعشرون
« يوسف برعل	١٨٩٩–١٩٠١	سنتين و٧ أشهر	الخامس والعشرون
« انطونيوس المشمشاني	١٩٠١–١٩٠٢	اربعة اشهر لوفاته	السادس والعشرين
« نعمة الله الكفري	١٩٠٢–١٩٠٦	سنتان وثمانية اشهر	السابع والعشرون
« يوسف رزقول	١٩٠٦–١٩٠٩	٥ سنين و٤ اشهر متواصلة	الثامن والعشرون
« اجناديوس الشبانية	١٩٠٩–١٩١٢	٣ سنين و٨ اشهر	التاسع والعشرون
« اغناطيوس التنوري	١٩١٣–١٩٢٩	١٧ سنة متواصلة	الثلاثون
« مرتينوس طربيه التنوري	١٩٢٩		

عدد ١٢ اسماء الآباء الذين ارتقوا الى درجة الاسقفية السامية

الاب عبدالله قراعلي على مدينة بيروت في سنة ١٧١٦ سامه البطريرك يعقوب عواد توفي في سنة ١٧٤٢ ودفن في دير لويزة

الاب جبرايل حوا على جزيرة قبرس سنة ١٧٢٢ سامه البطريرك يعقوب عواد توفي في سنة ١٧٥٣ دفن في رومية

الاب جبرايل فرحات على مدينة حلب سنة ١٧٢٥ سامه البطريرك يعقوب عواد توفي في سنة ١٧٣٢ ودفن في كنيسة حلب

الاب طوبيا الخازن على قبرس سنة ١٧٣٠ سامه البطريرك يعقوب عواد وفي سنة ١٧٥٦ ارتقى الكرسي البطريركي توفي سنة ١٧٦٦ ودفن في عجلتون

الاب عبدالله الصناني على مدينة طرابلس سنة ١٧٣٠ سامه المطارين طوبيا الخازن واغناطيوس شرابيه وجبرايل السرياني في سنة ١٧٤٣ توفي سنة ١٧٥٦

الاب جرمانوس شمر الحلبي على مدينة الشام ١٧٣٠ سامه المطارين طوبيا الخازن واغناطيوس شرابيه وجبرايل السرياني في سنة ١٧٤٣ توفي سنة ١٧٦٨

الاب يواصاف البسكنتاوي على مدينة صور في سنة ١٧٤٨ سامه البطريرك سمعان عواد وتوفي سنة ١٧٦٩ ودفن في دير راهبات بسكنتا

الاب جبرايل صقر على دير حراش في سنة ١٧٥٢ سامه البطريرك سمعان عواد وتوفي سنة ١٧٥٤ ودفن في دير حراش .

الاب ارسانيوس عبد الاحد الحلبي على مدينة الشام في سنة ١٧٥٥ سامه البطريرك سمعان عواد وتوفي سنة ١٧٨٨ ودفن في دير رومية .

الاب ارسانيوس شكري الحلبي على مدينة حلب ١٧٦٢ سامه البطريرك طوبيا الخازن وتوفي سنة ١٧٨٦ ودفن بدير لويزة .

الاب عبدالله نسنير الطرابلسي على مدينة عرقا سنة ١٧٦٣ سامه البطريرك طوبيا الخازن وتوفي سنة ١٧٦٨ ودفن بدير بلونة .

الاب مبارك بن مبارك الزوقي على مدينة طرابلس سنة ١٧٦٣ سامه البطريرك طوبيا الخازن وتوفي سنة ١٧٨٠ ودفن بدير لويزة .

الاب طوبيا طربيه ودُعي سمعان على مدينة طرابلس سنة ١٧٦٧ سامه البطريرك طوبيا الخازن وتوفي سنة ١٧٦٣ ودفن في طرابلس .

الاب رافائيل موسى الحاقلاني على مدينة طرابلس في سنة ١٧٦٥ سامه البطريرك طوبيا الخازن وتوفي سنة ١٧٨٠ ودفن بدير بسكنتا .

الاب ارسانيوس دياب الحلبي على مدينة حمص في سنة ١٧٦٩ سامه البطريرك يوسف اسطفان وتوفي ١٧٩٩ ودفن بسيدة التلة في دير القمر .

الاب لويس بليبل ودعي عبدالله على مدينة قبرس في سنة ١٧٩٨ سامه البطريرك يوسف التيان وتوفي سنة ١٨٤٣ ودفن بكرسيه قرنة شهوان .

الاب طوبيا عون ١ على عكا ثم نقل الى بيروت في سنة ١٨٤٤ سامه البطريرك يوسف حبيش وتوفي سنة ١٨٧١ ودفن بعين سعادة .

الاب امبروسيوس نطين سنة ١٧٧٤ سامه الكرسي الرسولي على ادنه وتوفي ١٨٧٨ .

الاب اسطفان الخازن سنة ١٧٩٦ ونقل الى الشام سنة ١٨٠٧ سامه البطريرك فيلبس الجميل وتوفي سنه ١٨٣٠

الاب اسطفان الثاني سنة ١٨٤٨ وتوفي ١٨٦٨

الاب يوسف ذوبان سنة ١٨٩٦ وتوفي ١٩٢٠ ودفن في القاهرة .

اسماء الحبساء في الرهبانية اللبنانية المارونية

من سنة ١٨٤٣ الى ١٨٩٥ .

محبسة دير قزحيا

الاب زكريا البكاسيني	توفي سنة ١٨٤٣	بعمر ٨٠ سنة

الاب فرنسيس البشرّاوي	توفي سنة ١٨٥٥	
« عبدالله «	« « ١٨٥٨	
« جبرايل راضي الشبابي	« « ١٨٦٤	
« اغوسطين البشرّاوي[٢]	« « ١٨٨٤	بعمر ٧٠ سنة
« عبدالله الحصروني	« « ١٨٩٢	« ٦٣ «
« دانيال البشرّاوي[١]	« « ١٨٩٥	« ٨٠ «

محبسة دير حوب

الاب يواكيم الزوقي	توفي سنة ١٨٤٨	
« ارسانيوس الدنّية	« « ١٨٦١	
« يونان الماقوري	« « ١٨٦٥	
« اثاناسيوس الصفيني	« « ١٨٨١	بعمر ٩٥ سنة

محبسة دير عنّايا

الاب اليشع الحرديني[٣]	توفي ١٨٧٥	بعمر ٧٦ سنة

محبسة دير ميفوق

الاب عبدالله عمرش[٤]	توفي سنة ١٨٩٠	بعمر ٥٨ سنة
« مانيا اده	« « ١٨٩٥	« ٦٠ «

بعد ان ذكر الاب بليبل اسماء الحبساء من سنة ١٨٤٢ الى سنة ١٨٩٥، كتب اسماء سبعة من الحبساء في محبسة دير قزحيا على ورقة مفردة وهم:

الاب ثوافيطوس من صنار (بلاد البترون)	توفي ١٧٨٤	بعمر ٦٧ سنة
« افرام المزرعاني	« ١٨٠١	« ٥٥ «
« مكاريوس المجلتوني	« ١٨٠٨	
« اليشع المابدي	« ١٨١٩	« ٧٠ «

١) هو من عائلة الشدياق، خال رجل الله الاب شربل مخلوف حبيس محبسة دير عنّايا (الاب شبلي)

٢) هو اخو الاب اغوسطين المذكور، وخال الاب شربل الحبيس (الاب شبلي)

٣) هو اخو رجل الله الاب نعمة الله الحرديني من اسرة كسّاب (الاب شبلي)

٤) عمرش قرية من قرى بلاد البترون (الاب شبلي)

الاب مبارك الهاشم العاقوري	« ١٨٢٠	«	٦٥ «
« اسبيريدون الزوقي	« ١٨٢٩		
« الاخ انطونيوس ميروبا	« ١٨٢٩	«	٨٣ «

وعلى هذه الورقة المفردة كتب الاب بليبل اسماء ستة رهبان من اصحاب الصناعة وهم :

الاخ جبرايل القليعاتي	نجّار
الاخ جبرايل المراموني	نجّار
الاب مرتينوس ديك المحدي	حجّار
الاخ انطونيوس الجزيني	حجّار
الاخ مانيا البشرّاوي	عرّام
الاخ عبدالله الامجي	حجّار

تنبيه : ان الحبساء من سنة ١٨٩٥ وصاعداً الذين لم يذكرهم الاب بليبل، فتجد اسماءهم وبعض نبذ عنهم وعن حياة النسّاك في لبنان، في كتاب «كشف الخفاء عن محابس لبنان والحبساء» .

للمرحوم الاب لياوي داغر التنّوري اللبناني

بيروت، مطبعة الاجتهاد، سنة ١٩٣٣، ص ١٦٠

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم ١٧٢٥ – ١٧٨٦ . (تابع)

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

على ايام المطران جرمانوس فرحات

١٧٢٥ – ١٧٣٢

[١٧٢٥] ٢٩ تموز سيم جرمانوس فرحات اسقفاً على موارنة حلب مسقط رأسه ودخلها في ٨ كانون الاول . من اعماله جمع الكتب في خزانة لم تزل الى يومنا مرجعاً للعلماء. والكثير منها محرر عليها اسمه .

وفي تلك السنة كتب السنكسار بالكرشوني للكنيسة المارونية في حلب.
(غراف ٣، ٥٠١)

وفيها وقفت روميه بنت يوسف بك مسقفات ووقفت عزيزة بنت منصور مسقفات لكنيسة الروم وقدسية بنت سليمان وقفت مسقفات لكنيسة السريان .
(غزي ٢، ٥٤٠)

وفيها مات يوسف الشراباتي معرب شرح « مختصر في السبع رذائل » .
(سباط ٦٣٢)

على ايام المطران جرمانوس فرحات الماروني جرت حوادث خطيرة في تاريخ الطائفة الملكية في حلب كان للمطران الماروني دوره فيها وقد يأتي ذكره في الوثائق التالية .

اهمها موقّعة اولاً باسم الكهنة ثانياً باسم الوكلا. ثالثاً باسم الشعب وقد تعتبر كحجة تأسيس الطائفة الملكية الكاثوليكية في حلب وتحلّ محلّها في هذه « الاخبار » لما لها من العلاقة مع الاسقف الماروني .
(راجع مقتطفات ص ١٤٣ وما بعدها)

«صورة ما حرره الاباء الكهنة الموقرين على ذواتهم للاستغاثة على ضبط الكنيسة المقدسة والخلاص من الدخيل (اي من ولاية الاكليروس اليوناني في استنبول) .

باعث تحرير الوثيقة انه :

نقول نحن الفقراء الى الله الذي المحرره اساميهم بذيله من جمهور جماعة كهنة الروم بحلب اننا لما رأينا ما لحاق بنا وبتلاميذنا (التلميذ باصطلاح الحلبيين هو ابن الرعية الموكل بها الخوري – والرعية معناه في حلب العائلات التي تتخذ الخوري الفلاني دون غيره معلم اعتراف ومرشداً لها ، بالاتفاق مع المطران) في هذه الايام من كثرة الاضطهادات بسبب استيلا المطران الدخيل علينا وعليهم والتزامنا بالفرار من وجهه والتواري عنه لئلا ولا يسمح الله نلتزم بمشاركته [بالقدسيات] وتفرسنا مع ذلك بوجوب التزامنا ان نعطي جواباً لله العادل في ذلك الموقف الرهيب عن كل نفس من نفوس المسيحيين الذين ايتمنا على رعايتهم من سيدنا يسوع المسيح رئيس الاحبار العظيم فتعاهدنا برضانا وحسن اختيارنا مع بعضنا وتعاقدنا على تقوى الله وايثار طاعته على الشروط الاتي بيانها وهي :

١ً : ان نكون دايماً ملتجين الى سيدنا يسوع المسيح الذي اوعد كنيسته المقدسة ان ابواب الجحيم لا تقوى عليها ضارعين الى جلاله الاقدس بواسطة القداديس الالهية والصلاة الخصوصية الليلية والنهارية ان يخلصنا واياهم من التجربة ويقصر عنا يد استيلا هذا الدخيل وغيره ويعيد استيلا مطرانية كنيسة مدينتنا الى ما كانت عليه من الافراز على مطرانها الحقيقي .

٢ً : ان نحرك ونشدد عزائم كل تلاميذنا وكل من نصل اليه من المسيحيين على الدخول في اخوية حماية الايمان الكاثوليكي المقدس[1] ونحثهم على ان يبذلوا جهدهم بكل وجه يمكنهم في استيصال جرثومة هذا الدخيل واعادت أفراز مطرنية حلب بوجه ثابت على قدر الامكان كما كانت وان يكون اهتمامهم في ذلك يفوق اهتمامهم في مهامهم الجسدية والدنيوية ويزيدوا على ذلك مواظبتهم على الابتهال الى من قال اطلبوا تجدوا بقدر مكنتهم تحظى واياهم بهذا الارب الذي هو بغية الطلب .

٣ً : حيث ان قضا هذا الفرض[2] لا بد له من مصارف وتكاليف زايدة افتقاعدهم بما

---

١) هذه الاخوية كانت من جملة الاخويات التي نشأت في حلب بسعي المرسلين اللاتين وانتشرت امثالها بين الطوائف ومنها الاخوية المارونية التي جاء ذكرها مراراً في هذه الوثائق .

٢) ان ما كان يفرض على رعايا الدولة من الضرائب والاموال كان يجمع ضمن الطائفة والقوي فيها كان يضمن الضعيف والغني يؤدي المال عن الفقير .

على المتأخرين عنهم في ادائها بكلما يمكننا ومن يعصى عليهم نلتزم بجذبه الى مساعدتهم والاعطا منهم على قدر ما يستوجب بحسب فريضتهم . وان اصر على غيه وعصاوته يلتزم بتأديبه الكنائسي من كل الوجوه حتى بالتجنب عنه وعمن يلوذ به الا ان يرجع ويتفق معهم .

٤ : وما عدا ذلك نجمع لهم من تلاميذنا ومن كل من تصل يدنا اليهم من نساء ورجال الذين لا يستطيعون هم الجمع منهم ما يمكننا جمعه لتحصل لهم مساعدة كلية وذلك بكل جهدنا ليقوموا على اتمام مطلوبهم المذكور وان نبذل جهدنا في ذلك ولو عرفنا وتأكدنا ان ذلك يشق علينا ويضيق مداخلنا من حيث ان الافضل لنا ان نصل الى غاية حدود الفقر الدنيوي ولا الى اثر جزئي من الفقر الديني فهذه الشروط المرقومة فقد رضينا بها باختيارنا من غير ان يكلفنا احدًا اليها ولاثباتها فقد حررنا هذه الوثيقة بامضانا وحقوقنا وبالله الاستعانة وعليه الاتكال .

تحريرًا في كذا . . .

ثم لاتمام ما ارتآه الاباء الموقرين (كذا) فقد ارتضى جمهور جماعة الطايفة المرقومة واقاموا جماعة منهم وكلوهم على تدبيرها وتعاطي مصالحها وفوضوهم بذلك التفويض التام كما تراه مسطورًا [كما يلي] :

وجه تحرير الحروف هو انه :

« قد اقر الجماعة المحررة اساميهم (كذا) بذيله من جمهور جماعة الروم بحلب واعترفوا بالطوع والرضا التامين قايلين في تقريرهم انا قد وكلنا برضانا وحسن اختيارنا ناقلي هذه الوثيقة فلان وفلان وفلان وفوضناهم تفويضًا تامًا في الاهتمام بمصالح الطايفة المرقومة والنظر في احوالها ومصالحها وملافاة ما يدهمها من طوارق الاحكام والاخصام وغير ذلك من الحوادث والمواقع التي تطري عليها من اي وجه كان وباي وجه بان وبارشاد الوكيل الى كيفية التصرف بذلك حسبما يروه صوابًا وملايمًا لخير الجمهور ورفع الاضرار عنه وان توقف شورهم في تدبير واقعة من المواقع واختلف رأيهم في كيفية السلوك بملافاتها وتدبيرها فيكون الرأي للاغلب منهم وعليه يجب الاعتماد وليس للوكيل ان يقطع مادة من المواد بغير مراجعتهم ورضايهم الا اذا ما كانت ضرورية وداعية جدًا وجزئية مطمها الخزالمحسبين قرش وعليهم ان يجتمعوا في كل سنة ولو مقدار نصف ساعة للمذاكرة في تفقد احوال الطايفة المرقومة ومهماتها وتدابيرها وان احتاجوا احدا منا او جماعة لاجل المشاورة في ذلك او لاجل المساعدة والخدمة بعضنا وطلبوه فلا يتأخر الا لعذر ضروري جدًا وان تأخر من غير عذر شرعي فليقوتن من التقدم وذلك من غير ان يعترضهم احد منا او يحضر بينهم من غير طلب وكذلك ان تديروا بامر سري وسادوا به من اختاروه من المطلوبين للمشاورة او

المساعدة فلا يباح سرهم لغيرهم واي من افشاه من الفريقين وثبت عليه ذلك يقوّن من المتقدم وعليهم ايضاً في ان يفتقدوا في كل ثلاثة اشهر اكثر او اقل على قدر الامكان حساب الوكيل والطائفة ومجموعها ومصروفها ليكونوا دائماً على بصيرة ومهما فعلوا في جميع ما ذكرناه وغيره لما يمكن حدوثه على الطائفة المذكورة وفي علاقاته باي وجه كان مما يظهر لهم ويرونه صواباً فهو بحسب قبولنا ونحن به راضون وعليه معتمدون ومهما اصابهم او جرى عليهم بسبب الخدمة المذكورة والوكالة المسطورة من اذية فهي لوجه الله تعالى واما ما يقع عليهم من خسارة لهذا السبب ان كان سرًّا بطريق الوشاية او علناً بطريق المخاصمة فهي علينا وعليهم وعلى الجمهور بحسب الفريضة المعتادة وان احتاجوا الى استدانة دراهم لاجل رفع ضرر عن الجمهور ولدفع غائلة حاكم وطلبوا احدًا منا لنختم معهم فلا يتأبى وان استدانوا بذاتهم من غير ختم احد منا لدفع النوايل المذكوره ووجد صك الدينه المرقومه عليهم او على اثنين بختومهم فقط فهو علينا وعليهم وعلى الجمهور بحسب الفريضة المعتادة وكالة ثابتة مطلقاً مقبوله من كل منهم قبولاً تاماً وبالله الاستعانة وعليه الاتكال » .

تحريرًا في كذا . . .

ثم بعد تحرير وثيقتي الابا المحترمين والاشبه الموقرين المسطورين حرر جمهور المتظاهرين من الطايفة على ذواتهم هذه الوثيقة الثالثة الثابت مضمونها شهادة حضرة المطران كير جرمانوس مطران الموارنة المرقومة بخط يده .

باعث تحرير الحروف هو انه :

« نقول نحن الفقرا المحرر اسامينا بذيله[1] من جمهور جماعة الروم بحلب ونعترف لديه تعالى باننا قد اتفقنا مع بعضنا اتفاقاً خالصاً لوجه الله تعالى وايثار طاعته وتعاهدنا وتعاقدنا بعزم ثابت وراي متفق على ان نكون من الآن فصاعدًا متحدين مع بعضنا اتحادًا كلياً ومتوازرين قلباً ولساناً في كلما يتضمن عمار ايمان كنيستنا الكاثوليكية وبناء طايفتنا وحسن نظامها في العقايد الدينية والرتب والطقوس الكنايسية والاحوال والمهمات الدنيوية ويقتضي ذلك فمن حيث العقايد الدينية نبذل مجهودنا في المحاماة عن حقايق ايماننا القويم المسلمه الينا من الرسل القديسين والاباء الالهيين والمجامع المسكونية التابعة بالحق اليقين بحيث لا تقبل عليه احاديث طارية ولا تعاليم مستجدة ومن حيث الرتب الكنايسيه نجتهد بان لا نسلم ان يستولي على كرسي كنيستنا بطريرك عوض المطران حيث ان العاده القديمة الجارية في الابرشية الانطاكية ان كرسي بلدتنا كرسي مطرنية نظير باقي المطرنيات في باقي الابرشية

١) راجع فيما بعد اسماء الروم الكاثوليك المسدين عند الموارنة بين ١٨١٩ و١٨٢٥ في عهد الاضطهاد .

المذكوره فليس للبطريرك ان يستولي عليه بذاته متوطناً بالسكنى والاستمرار في مدينتنا حلب المذكورة وكذلك لا نسلم للمطران ان يتصرف بمحصول الكنيسة واوقافها هواه واختياره بل على موجب ما رسمه وحده المرحوم كير اثاسيوس [دباس] البطريرك الانطاكي المطوب الذكر في عهدته الفاضلة ما بين خصوصيات الكنيسة وان الذي يخص الكنيسة يحتفظ تحت يد الوكلاء على حفظه المؤتمنين الورعين ولا يصرف الا في ضرورياتها اللازمة وصيانة ابنائها القويم فقط ومن حيث الاحوال والمهمات الدنيوية فنجتهد في رم ما طرأ على طايفتنا من الفلقلات التي اوجب خرب نظامها واثقلت متنها بالديون ونجهد في جمع الديون التي تراكمت عليها وذلك بالوجه المرضي لله تعالى والمتره عن الاغراض وفي وفاها لاربابها وكذلك نجهد حالنا لاجل محبة الله تعالى ومحبة القريب في منع جميع المضار التي تؤذي الطايفة المذكورة ديناً ودنيا وقد اشرطنا على ذواتنا برضانا واختيارنا ان لا يتأخر احد منا عن الآخر في اثبات وتأكيد جميع ما حررناه الى النفس الاخير متخذين سيدنا يسوع المسيح القايل : « متى ما اتوجد اثنان او ثلثة باسمي اكون انا بينهم وكلما تطلبوه من الاب باسمي يعطيكم » ضارعين الى جلاله ان يكون نصيراً لنا على اتمام ذلك بمنه وكرمه ومن تعدى ذلك فليحط عنه جواباً لله العادل في موقفه الرهيب اجارنا تعالى من ذلك وبالله الاستعانة وعليه التكلان ومنه نرغب التوفيق » .

تحريراً في كذا . . .

هذا ما حرره المطران جرمانوس [فرحات الماروني] المذكور بخط يده :

« يعمل بما فيها لانها كلها شرعية ديناً وذمة ودنيا وليذكر في اواخرها الحرم المسطر هناك » .

[١٧٢٦] في ٩ كانون الاول كتب المطران جرمانوس فرحات الماروني الى الشيخ سرحان الخازن في عجلتون لبنان[1] .

« فعلى الحساب ان حضرتكم سميتم في رسالتنا على موارنة حلب فقط . فلما دخلنا حلب رأينا ذاتنا مرتسمين على اربع طوائف النصارى . وناهيك من معالجة وتدبير الوقف لا يحصيها غير باريها متقلبين مع ذلك تحت مناظرة الحكام والمراطقنة المحدقة بنا من كل جانب . . . لا نخلو من الاشتغالات مع المسيحيين وفض اشغالهم اربع قراريط من الموارنة والباقي من باقي الطوائف هذا غير الوعظ والتعليم المتواتر » .

---

١) راجع بولس سعد : الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات . مطبعة المرسلين اللبنانيين جونيه لبنان ١٩٣٩ ص ٣٨

[١٧٢٧] كتب الجاثليق مار ادنا بطريرك النساطرة رسالة الى المطران جرمانوس فرحات الماروني سأله فيها العناية بابناء رعيته وبتوزيع الاسرار عليهم وتكليل عرسانهم ودفن موتاهم . (المجلة البطريركية ١٩٣٠ ص ١٠٨)

جاء في المقتطفات عن طائفة الروم :

وفيها ١٦ حزيران « قدم الى حلب من قبل بطريرك القسطنطينية المطران غريغوريوس ولم يتظاهر بشيء ضد الايمان الكاثوليكي ولم يذكر اسم البطريرك بالقداس فاذن لنا المرسلون الموقرون وحضرة المطران جرمانوس مطران الموارنة بمشاركته وصار علينا الى البطريرك القسطنطيني المذكور مقطوع سنوي ندفعه له أجرة سكوت. فتكلفنا عشرة الاف غرش واستمرينا على هذا الحال نحو سنتين واذ لاح منه بعض تلاميح الانشقاق فاقنعناه بالرشوة وغيرها ان يمكث في القلاية ونحن نتصرف في الكنيسة من غير ذكر اسمه ولا اسم بطرك استنبول فابتقام هكذا ثمانية اشهر ثم حرر في حقنا الى الباشا . فارسل الباشا قبض على ثمانية عشر نفر كهنة وعوام فوضع هولاء في حبس ضيق جداً مثقلين بالقيود والزناجير على بعضهم يعذبونهم ليلاً نهاراً من قبل خدام اولاد روم الذين كانوا عند الباشا. والبعض منهم ماتوا بالعذاب » .

وجاء في القاموس التاريخي الجغرافي (لكاراليوشكي ص ١٠٥)

— دخل حلب غريغوريوس متروبوليت هرقله بسعي السينودوس المقدس الفلسطيني ودعا الكهنة الملكيين والشعب الى الانفصال عن رومه . فبرطلوا الباشا وسفروه .

— نسخ القس نعمة المقدسي الحلبي كتاب البيتكاز وختمه بنبذة من الاشعار في تقريظ الآباء وبخدمة القداس وفهرس الاعياد . (شرفة ١٠٣)

— عجمية وبرباره بنتا عبد الاحد وقفتا مسقفات لكنيسة السريان بحلب. (غزي ٢، ١٠٢: ٥)

— داود ولد مصرشد (كذا) وقف مسقفات لذريته ولكنيسة السريان. وحنه بنت موسى وقفت مسقفات لذريتها ولكنيسة السريان. (غزي ٢، ١٠٢: ٥)

وفي هذه السنة زحف الجراد واتلف المزروعات .

[١٧٢٨] الف الياس فخر رسالة رد فيها على الخوري يوحنا قسطنطين الحلبي بخصوص الانبثاق . (غراف ٣، ١٢٥)

— نسخ ميخائيل بن قسطنطين جربوع كتاب البرهان على فساد ايمان المشاقين
(مباط ٤٤٢)

— ارسلوا من حلب الى باريس الى دار الكتب الملوكية الجلد الاحمر الديار بكري والاصفر الارفلي والقيصري والاسود والبنفسجي من طوقات .
(سوفاجه)

١ نيسان غسبار دي بيليران (Péleran) قنصل فرنسة في حلب ١٧٢٢ — ١٧٣٠ ارسل الى وزارته رسالة قال فيها : . .

« ان مطران الروم وافق الرعية على الحرية بمعتقدها الكاثوليكي على شرط ان تلزم السكينة وتدفع له ما يترتب له عليها من المال ولكن الياس فخر الطرابلسي الملكي ترجمان القنصل الانكليزي حرك الفتنة على المطران وهدده بانه سيكتب الى البطريرك القسطنطيني يشكوه بانه غيّر الطقس اليوناني وتساهل مع الرعية التي صارت افرنجية » .

وكان موقف الياس فخر مؤلماً لانه كان سابقاً من اقرب الكاثوليك صداقة للمرسلين في طرابلس وكانوا قد نالوا له من البابا اكليمنضوس الحادي عشر اوسمة وامتيازات . (رباط ٢٨٧٤٢)

[١٧٢٩] نجان بنت وقفت مسقفات لكنيسة دير مار يعقوب .
(غزي ٢، ٥٤٢)

— انقطعت الغلة من سنتين . مكوك القمح ارتفع سعره من ١٢ الى ٦٠ قرشاً .

— ٢٧ تموز ارسل الكردينال بترا الى المطران جرمانوس فرحات رسالة اوصاه فيها بالعناية بالقس اندراوس دقاق (دقاق ؟) السرياني.
(المجلة البطريركية ١٩٢٠ ، ص ١١٠)

[١٧٣٠] ٢١ اذار كتب الربان جرجس الحلبي السرياني اليعقوبي كتاب البرهان في القوانين المكملة والفرائض المملة تأليف ابي شاكر القبطي .
(القرن ١٣ ، شرفة ١٨٣)

حدثت الفتنة في حلب بسبب ارتفاع الخبز .

وفيها انتهت مدة وظيفة غسبار دي بيليران الذي تولى قنصلية فرنسة منذ ١٧٢٢ . (كارالوفسكي ١١٥)

وخلفه فيها جان جاك دي مونهيلو الى سنة ١٧٣٣

وفيها عزل السلطان احمد واقيم عوضه السلطان محمود ومن حيث العادة الجارية في جلوس السلطان الجديد يطلق جميع المحبوسين على اي جناية كانت فكسروا ابواب الحبوس واطلقوا جميع المحبوسين ومن الجملة الملكيين الذين سجنوا من تهمة سلفسترس والاولاد الاروام وبتجديد الدولة انعم الله على الملكيين الكاثوليك بافراز مطرانية حلب من التزام سلفسترس على الخوري مكسيموس حكيم ٢٣ نيسان وكلف ذلك نحو خمسة واربعين كيس دراهم .
(مقتطفات ص ٣٧)

[١٧٣١] الخوري جبرائيل لباد نقل الى العربية رسائل القديس نيلوس .
(غراف ٢، ٤٧٢)

ولد في حلب ميخائيل جروه وسوف يكون اول بطريرك على السريان الكاثوليك .

اصدرت الطايفة الملكية في حلب وثيقة للمطران جراسيموس طلبوا منه فيها التنزل عن كرسي مطرانية حلب للخوري مكسيموس الراهب القانوني وهي تتكفل بمعاش جراسيموس «بان تكون سكناه واقامته مدة حياته عندنا في حلب بالاكرام الواجب وان يكون ايجار الدار التي يقطنها منا وعلينا من غير رجوع عليه». ومن مار يوحنا الصابغ الشوير ارسل الخوري مكسيموس الراهب القانوني تحريرًا تعهد به باجراء كل ما اصدرته الطائفة .
(مقتطفات ص ٦٥)

ومن ثم حرر مكسيموس الوثيقة التالية الى جراسيموس :

باعث تحريره هو انه

اقول انا الفقير في روساء الكهنة مكسيموس مطران حلب معترفًا بين ايدي الثالوث الكلي قدسه اني بموجب اعتمادي على جلال قدرته الفايقة مُصر على الاقامة ما دمت حيًا فيما سيأتي بيانه وذلك انه بعد ما انعم ناقلها حضرة الاخ الاكرم السيد المطران كير جراسيموس المحترم وتفضل بفراغته عن كرسي مطرنية حلب ورسمني باذن السيد البطريرك كير كيرللس الكلي الطوبى مطرانًا على كرسي مطرنية حلب طلب مني ان اقوم بجميع ضروريات خدمة رعاية النفوس الناطقة المشتراة بدم سيدنا يسوع المسيح رئيس الاحبار المعظم التي سلمني رعايتها حضرة المطران المومى اليه ووعدته بحسن رعايتها واداء الجواب عنها في ذلك الموقف الرهيب

راغباً في ذلك خلاص ذمته مع الرعية المذكورة حيث انه هو المؤتمن القديم عليها من انعام الكنيسة المقدسة ثم انه طلب مني ايضاً تثبيت الرضا الواقع بينه وبين جماعة الاكليروس وباقي المسيحيين من جهة معاشه واقامته في مدينة حلب بموجب العهدة التي بيده منهم فرضيت بذلك واثبته بموجب امضآي بخط يدي وختمي اللذين حررناه حررتهما في العهدة المرقومة اثباتاً لذلك ثم بما ان هذا الاب الجليل والسيد النبيل هو ابي الروحي وشيخي في رهبانيتي وراسمي في مطرنتي فله علي الكرامة والوقار اللايقان بابوته ويقتضى ذلك فقد ارتضيت بطوعي واختياري انه اذا اضافه احد احبابه او تلاميذه الى منزله لاجل الاكرام الذي يستوجبه او لاجل الاعتراف او لاجل زيارة عليل والصلوه عليه او لاجل مشوره او مصالحه فليذهب من غير مراجعتي وكذلك اذا طلبه احد الى صلاة اكليل الزيجة بعد ان يكون ادى ما عليه من حقوق الكنيسة المقدسة والكرسي الرسولي وكذلك يأتي الى الكنيسة كلما اراد بكرةً وعشية ومتى ما اراد ان يقدس في الكنيسة المقدسة وفي اي هيكل اراد فله ذلك من غير مراجعة ولا ممانعه ما عدا هيكل الكبير من غير ضبط عكاز وان يكون دخوله الى الكنيسة باكيون اسثين وعندما يبارك يرتل له ايسبولا اتى دسبوتا ويذكر اسمه في القداس حينما يقدس في جميع الكرازات واما من الكاهن بعد الكلام الجوهري فيكون هكذا اذكر يا رب السيد المطران كير جراسيموس بسلامة وصحة والباقي ويكتب اسمه مطران حلب سابقاً وعلينا ان نعين له في كل سنة كاهن وشماس ليكونوا في خدمته الكنايسية والخارجه عن الكنيسة ومتى ما اراد يشرطن احد خدامه المخصوصين به بشرط سماح حضرة السيد البطريرك فله ذلك ولاثبات المطلوبات المرقومات وتفويضهم لابوته فقد حررنا لجنابه هذا السند المؤرخ في اليوم التاسع من تشرين ثاني لسنة اثنين وثلاثين وسبعماية والف مسيحية سنة ١٧٣٢ .

(مقتطفات ص ٦٧-٦٩)

وفي هذه السنة سام جراسيموس الخوري مكسيموس حكيم اسقفاً على حلب بتفويض البطريرك كيرلس السادس طاناس . (كاراليوفسكي ١٠٥) .

وفيها توفي المطران جرمانوس فرحات الماروني عند غروب الشمس ١٠ تموز ودفن تحت هيكل الوردية في كنيسة مار الياس ورثاه مواطنه الخوري نيقلاوس الصائغ بقصيدة عصماء .

وفيها بشارة الراهب الحلبي جمع وهو في دير الزعفران بالقرب من ماردين تراتيل والحان عربها عن اصولها السريانية .. (غراف ٤)

على ايام المطران جبرائيل حوشب
١٧٦١ - ١٧٣٣

[١٧٣٣] سام البطريرك يعقوب عواد المطران جبرائيل بن يوحنا حوشب الحلبي اسقفاً على موارنة حلب . (برنامج اخوية القديس مارون ليوسف خطار غانم ص ١٨٩ ، بيروت ١٩٠٣)

— وفي ٢٠ تموز ردّ سلفستروس مطرانية الروم الى التزامه وهرب المطران مكسيموس حكيم الى لبنان . فابقى الشعب الكنيسة في يده وارسلوا جددوا في القسطنطينية افراز مطرانية حلب على مكسيموس حكيم بعرض قاضي حلب وواليها وذلك بكلفة ٧٥٠٠ غرش . (منتطفات ص ٣٧)

— وفيها كان عميل قنصلية حلب الافرنسية هونوره ڠوز (Guez) الى سنة ١٧٣٥ . (كارالوفسكي ١١٥)

— وفي ١٤ آب . وجه من الحيدثة ناحية المتن بلبنان المطران مكسيموس حكيم الى الرعية الحلبية رسالة جاء فيها :

« قد بلغني ما اظهرتموه من الشجاعة المقدسة والغيرة المسيحية اللائقة بابناء الكنيسة الحقيقيين الذين يحبون شرب امتهم . اعني حرية الايمان الكاثوليكي المستقيم وهذا من الواجب ان ينفش على خيرات العالم باسرها حتى وعلى هذه الحياة ايضاً . وقد سرني هذا الاضطهاد الجديد الذي يقدم به لله مجداً واكراماً وللكنيسة شرف وجاه وللقديسين سروراً وابتهاجاً وللمؤمنين تمكيناً وثباتاً وللشياطين خزياً وعذاباً وللاعداء توبيخاً وعاراً . . . سلموا عن ابنائي منسيحين من الكهنة والعوام شركاء ايماننا المستقيم . يسلم عليكم اخونا الخوري نيقولاوس (صائغ) الرئيس مع ولدنا الشماس عبد الله (زاخر) .
(المشرق ١٦، ٣٤٨)

[١٧٣٥] . كان في هذه السنة ليون دي لان قنصلا لفرنسة الى ١٧٤٢ .
(كارالوفسكي ١١٥)

وفيها اوقفت تقلا بنت يوسف مسقفات لكنيسة السريان في حلب .
(غزي ٢، ٥٤٢)

— ارسل المطران مكسيموس حكيم رسالة الى الرعية في اخوية ثوب الكرمل اللاحقة بالكاتدرائية . (غراف ٢، ١٨٩)

[١٧٣٦] استكتب بالهِ لنفسه القس ميخائيل جربوع كتاب « الدر المنثور في تفسير الزبور » بيد زخريا بن سليمان من طائفة الروم . (سباط ٩٨١)

[١٧٣٧] ١٤ شباط دخل حلب اوتّر (Otter) الروادة الافرنسي مرافقاً عبد الباقي خان سفير نادر شاه العجم وكتب اخبار رحلته فقال :

« لما وصل السفير الى قرية خان طومان كان قد خرج الى لقائه فيها الباشا حاكم حلب . وفي ١٥ شباط دخل السفير حلب بموكب من الآغاوات فرساناً ومشاة » .

ومضت الايام ودخل حلب سفير السلطان العثماني محمد الرابع واحتفلوا باستقباله احتفالهم باستقبال السفير الإيراني وزادوا على ذلك اطلاق المدافع . فامتعض السفير الايراني وارسل الى نادر شاه تحريراً شكا فيه ما رآه قلة اعتبار لدولته . فتشاءم الناس من نتائج الحادثة . وارسل قناصل فرنسة وانكلترة وهولاندة تراجمتهم للسلام على عبد الباقي خان وقدموا له الهدايا . واقام سفير ايران ستة عشر يوماً في حلب وزار جامع زكريا (الكبير) وتكية الشيخ ابي بكر .

(*Voyage en Turquie et en Perse*... p. 93 sqq.)

وفي هذه السنة بوكوك (Pokocke) الرحالة الانكليزي حطّ في حلب وقال فيها انها من اجمل مدن الشرق ولكن سوقها اخذت بالجمود بالنسبة الى ما كانت فيه بالماضي بسبب الحرب بين بني عثمان والعجم التي اوقفت حركة القافلات بين العجم وازمير عن طريق حلب وجبل طوروس . والفبارك الانكليزية التي كانت قد نشأت فيها في عهد الملكة اليصابات تضاءل شأنها ولا يبقى في حلب الا ستة او سبعة محلات تجارية للانكليز وزاحمتها في التجارة المحلات الافرنسية وكان بوكوك من اوائل الرحالة الذين ذكروا الوباء المزمن في حلب بحدوث الطاعون ووصفوا حبة حلب « حبة السنة » ونسبوا علتها الى ماء القويق .

R. Pokocke, *Beschreibung des Morgenlandes*. Leipzig, p. 221.

— وفيها تم انشاء جمعية راهبات الزيارة الحلبيات تحت ارشاد الخوري نيقلاوس الصائغ . (غراف ٣ : ٢٨٠)

وفيها ١٠ شباط نسخ الخوري جرجس بن نعمة السرياني الحلبي كتاب الليترجيات . وكان آنئذٍ في دير مار فرام الشبانية ، لبنان . (شرفة)

وفيها وضع يوسف سمعان السمعاني القوانين لشامسة كاتدرائية حلب بثلاثة فصول : اولًا : الوظيفة ، ثانياً : الاخلاق ، ثالثاً : الخدمة الكنائسية . وهذه الرسالة مخطوطة محفوظة في مكتبة الفاتيكان بالكرشوني .
(غراف ٣ ، ٤٥٠)

— وفيها الاب فروماج اليسوعي نقل الى العربية كتاب يسوع الحبيب ومريم الحبيبة لمؤلفه نيرمبرج اليسوعي المتوفى سنة ١٦٥٨ . (سباط)

— وفيها ١١ ت ١ انتقل الى رحمة الله المعلم يونان الماروني الغريب . كان قد جاء به الباشا من نواحي عكار وحمص الى حلب على امل ان يجرّ ماء نهر الساجور الى حلب (كما جرّ الامير بشير الشهابي ماء الباروك الى بتدين لبنان) ومرض يونان في بلاد الساجور فحملوه الى حلب ومات فيها بمرض النحج .
(الوثائق المارونية)

[١٧٣٩] شكرالله موسى شمعونه نسخ وترجم الى العربية وقفاً لكنيسة السيدة في حلب كتاب الحسابات او الذرات . (شرفة ١٢٣)

— في ١٥ ايلول المطران جبرائيل حوشب رفع الى رئيس المجمع المقدس تقريرًا عن حالة الطائفة المارونية وذكر خدماتها لسائر الطوائف .
(الوثائق المارونية)

[١٧٤٠] وصل الى حلب حجي خان سفير نادرشاه العجم . جاء بتسعة افيال شربوا من قسطل علي بك . وخرجت الى لقائه نساء الاعاجم اللواتي اسرتهن الدولة العثمانية سابقاً . (غزي ٣ ، ٢٩٨)

وقدم الى حلب وفد الانكليز ولهم فيها قنصل وتجار وطبيب .
(غزي ٣ : ٢٩٨)

— وفي هذه السنة توفي بحلب الاب بطرس فروماج اليسوعي صاحب التآليف الروحية . ولد في فرنسة ١٦٧٨ . (غراف ٤ ، ٢٣١)

— ٢٨ ك ٢ ارسل الكردينال بترا الى المطران خوشب الماروني تحريرًا يعزيه فيه ويشجعه مع الشعب على الثبات في الايمان الكاثوليكي .
(المجلة البطريركية ١٩٣٠ ، ص ١١٤)

المطران عبدالله قرألي
رئيس أساقفة بيروت
١٦٧٢ – ١٧٤٢

[١٧٤٢] ٦ كانون الثاني مات عبدالله قراألي في زوق مصباح لبنان ونُقل الى دير سيدة لويزة . ولد في حلب في ٨ ايلول ١٥٧٢ سيم كاهناً في ١٤ آب ١٦٩٦ اقيم رئيساً عاماً على الرهبانية المارونية وكان من مؤسسيها . وصار رئيس اساقفة بيروت في ١٧ ايلول ١٧١٦ .

(يوسف خطار غانم : برنامج اخوية مار مارون ص ١٢١)

[١٧٤٢] ٣ شباط ابراهيم بن ديمتري بن يعقوب المكنّى بالدلال من ابناء الطائفة الرومية الملكية الكاثوليكية شاب في حال انحصاره تجرب بتجربة صعبة واسلم امام الحاكم . لكنه عاد الى رشده وندم على ما فعل وعاد الى ايمانه المسيحي . فقبضوا عليه وحبسوه وكبّلوه بالسلاسل مدة ثلاثة ايام بلياليها واخيراً قطعوا رأسه بالسيف تحت القلعة في اليوم السابع من شهر شباط الواقع فيه احد الفريسي والمشار الساعة الواحدة والنصف بعض الظهر .

فارسل المطران مكسيموس حكيم الى المجمع المقدس في رومة صورة اعمال « استشهاد » هذا الشاب الباسل .

ورثاه الخوري نقلاوس صائغ بقصيدة عصماء جاء فيها :

« أيُنعى قتيلٌ قد قضى مستشهدا أيُبكى شهيد صار للحق مشهدا
لئن كان فيا لا يبي امس قد هدى ففي اليوم اذ أفضى الى وعيه اهتدى
فما راعه روع الحِمام ولا دعى براءتة ربع الشبيبة والجدى
وقيل لـه اي الطريقين تبتغي عذاباً وقتلاً ام نعيش رغدا
اجـاب المنا بالله لي غاية المنى أراه عن الايمان اشهى وارغد

(ديوان الصائغ ٨٠ والمسرة ١٩٢٥ ، ٢١٨–٢٢٣)

وفيها سوفرونيوس الشهاس الانجيلي الارثوذكسي الف في حلب كتاباً في الانبثاق ردّ عليه الشهاس عبدالله زاخر . (غراف ٣، ١٤٦)

— وفاة الخوري عبدالمسيح لبيان الحلبي الماروني له مؤلفات ومعربات دينية . (غراف ٣، ٢٩٠)

— ظلم القاضي في قضائه فرجموه ونهبوا المحكمة . (غزي ٣، ٢٩٨)

— نعمة واخواه ابناء يعقوب وقفوا مسقفات لكنيسة السريان .
(غزي ٣، ٥٤٤)

— حركة التجارة : يصدرون الى ليون في فرنسة القرمز العجمي ويأتون الى حلب بالنيلة الصادرة من سان دومنك ويوزعونها في البلد وعلى ارفا وديار بكر والموصل وكركوك وبغداد وخربوط وارضروم . وتحمل القافلات الاموال من حلب الى بغداد والموصل وديار بكر والبصرة ومنها المواد القطنيــة الى حماه وكلز والباب وديار بكر والملطية وبره جيك . والغنم تمر قطعانها متواصلة في حلب تحت رعاية الاكراد . (سوفاجه ٢٠٢)

— وفي هذه السنة مات في حلب الخوري بطرس اللاذقي مؤلف كتاب «الصراط المستقيم في الدفاع عن المسيحية» . (غراف ٣، ٣٩٤)

— وفي هذه السنة الف سركيس الارمني كتاب تاريخ الطائفة الارمنية. ذكره الاب بولس سباط في الفهرست عدد ١٤٧٢ (غراف ٤، ٣٤٤)

— وفيها كان قنصلا لفرنسة في حلب جوزف ارازي الى سنة ١٧٤٥ (كارالوفسكي ١١٥)

[١٧٤٣] وقع الطاعون واهلك خلقاً كثيرين. (غزي ٢٩٨)

— اثناسيوس موسى صباغ ولد في حلب. اسقف طور عابدين السرياني في ١٧٨٢ (غراف ٤، ٥٩)

— فرج ولد الياس اوقف مسقفات لفقراء كنيسة الموارنة . (غزي ٢ : ٥٦٠)

— ٤ تموز الشماس لارنديوس سالم قابل على الاصل وصحح كتاب المجمع الخلكيدوني . (شرفة ٢٣٩)

[١٧٤٤] مات الخوري نصرالله السرياني وكان يقدس في خان الفرنج واوقف ماله لبيعة ستنا مريم . (شرفة ٢٨)

— الف احد الاباء الكبوشيين بحلب «رياضة الاستحضار الالهي» . (سباط ٤٤)

والاب لويس الكبوشي نقل الى العربية في حلب كتاب «رياضة النفس في النية الصالحة» . (غراف ٤، ٢٤٢-٢٤٨)

— وفيها ١٠ آذار صدر من جمعية انتشار الايمان قرار يتوجب به على

المطران جرمانوس فرحات

١٦٧٠ - ١٧٣٢

المرسلين ان يدفنوا الموتى في المقبرة العمومية . (وثائق قنصلية فرنسة)

[١٧٤٥] اخرج الحاج احمد باشا الوالي كثيرين من الانكشارية من البلد بسبب ظلمهم وجورهم . (غزي ٣ : ٢٩٩)

وقفت حركة التجارة مع العجم ولا تأتي القافلات الى حلب الا من بغداد والبصرة ومن الجزيرة . (سوفاجيه ٢ : ٢٥٠)

– وفي هذه السنة كان برتلمي اوبرجي وكيل قنصلية فرنسة ثم جاء فرنسوا دي لان قنصلا الى ١٧٤٧ . (كارالوفسكي)

– وفيها الف الاب بطرس الكبوشي المرسل الى حلب « كتاب الفلسفة الرياضية في اللاهوت الادبي» . (غراف ٤ : ٢٠٤)

– وفيها توفي اغناطيوس شكرالله بطريرك السريان اليعاقبة وسابقاً مطران حلب . له كتاب مواعظ للاحدات والاعياد . (غراف ٤ : ٢٨)

وفيها كانت وفاة الخوري بطرس التولوي وعمره ٩٠ سنة . هو الذي استخرج من اللاتينية كتاب « الرد على الخمس قضايا» التي عليها الخلاف بين اللاتين والروم الغير الكاثوليك . وقد امر المطران جبرائيل حوشب القس فرنسيس الباني بان ينقل الكتاب من الخط الكرشوني الى الخط العربي . (ساباط ٣٢٢)

[١٧٤٧] غرة ربيع الاول ١١٦١ هـ :

« اقر المطران جناديوس المتولي يومئذ على اوقاف فقراء كنيسة الروم بمدينة حلب قائلا اني قد اجرت الياس بقوب عساف جميع الدار الجارية الكاينة في محلة الصليبة التي هي حالا بيد المعلم يونس الطبيب الشهير بابن البعتي المشتملة على بيت كبير يعلوه مربع يصعد اليه بدرج من الحجر وعلى بيتين آخرين يعلو احدهما طبقة صغيرة وعلى منارة ومطبخ وجب ماء معين ومنافع ومرافق وحقوق شرعية سنة كاملة تمضي من تاريخه باجرة قدرها عن المدة المرقومة اربعون غرشاً من المعاملة الجديدة السلطانية وقد قبضت مبلغ الايجار جميعه سلفاً وتعجيلا واصرفته بعلم اشباه الطايفة في جزية الفقراء المذكورين وذلك بعد ان تبرع من ماله لجهة الوقف بكلما يلحق الدار من العوارض السلطانية والتكاليف العرفية والحكر العايد لجهة وقف مدرسة الحلاوية تبرعاً تاماً» . (مقتطفات ص ٩٤–٩٥)

– وفيها كان ل. دوثين وكيل قنصلية فرنسة . (كارالوفسكي ١١٥)

— وفيها وقعت الحرب بين العجم والدولة العلية . فاضطرب حبل الامن ووقفت حركة التجارة . (سوفاجه ٢٠٢)

— الشماس لاونديوس سالم الحلبي قابل على الاصل وصحح كتاب المجمع الانسي المسكوني . (شرفة ٣٢٩)

— كاترين بنت جبرائيل اوقفت مسقفات لفقراء الروم بدير الحمرة في طرابلس الشام . (غزي ٢، ٥٤٦)

— ١٨ حزيران نسخ حنا عيسى الصددي في بيعة ستنا مريم بحلب كتاب «رؤوس الانغام» برسم مخائيل جروه . (شرفة ١٠٨)

[١٧٤٨] في هذه السنة كان استيان وكيل قنصلية فرنسة . (كارالوشكي ١١٥)

نقل الياس فخر ترجمان قنصل انكلترة بحلب من التركية الى العربية «العهد نامة التركية» وهي المعاهدة بين السلطان محمد بن ابراهيم وشارلس الثاني المختصة بقناصل الانكليز في السلطنة العثمانية . (سباط ٤٣٠)

وفيها ٢٧ تشرين الاول سافر من بيروت الاب ارسانيوس اروتين بن شكري الراهب الحلبي مع رفيقه الاب بيمين بن زخريا الحلبي الى بلاد المسيحيين «مضوا الى الشحادة لاجل وفاء دين الرهبنة» .

وسوف تدوم الرحلة الى سنة ١٧٥٧ ويكتب الاب ارسانيوس اخبارها مطولة في مجلد ينيف عدد صفحاته على ٣٩٠ وهو في المكتبة الشرقية ولم يطبع الى يومنا ومنه نسخة عند الياس غالي في حلب .

— ١٢ حزيران ارسل موارنة حلب الى بطريركهم سمعان عواد الحصروني تحريراً شكرا فيه ما لحق بهم من المغارم للحكومة بسبب اثنين من الرهبان جاءا من لبنان للارشاد وجمع الحسنات . وذكروا التقليد الجاري في حلب بان ينادى ثلاث مرات باسماء الشمامسة المتقدمين لدرجة الكهنوت ليشهد الشعب بكفاءتهم الى هذه الوظيفة . (المجلة البطريركية ١٩٣١ ص ٣٦٣)

[١٧٤٩] قتل في سبيل ايمانه المسيحي على يد جماعة الامير حيدر حرفوش في بلاد بعلبك الخوري بطرس غير الراهب الباسيلي الحلبي . ذهب بالطعام الى

اخوته الرهبان المشتغلين في اراضي الدير فامسكه الفلاحون وخطروه بالتشهد فابى فقطعوا رأسه . (نخله : اربعة الاف مثل ١ ٢٧٢٠)

وفيها جان باتيست غوبان كان وكيل قنصلية فرنسة في حلب .
(كارالوفسكي ١١٥)

— وفيها بعث المطران سلفستروس اليوناني وكالة ومعها فرمان نفي ثلاثة انفار من الكهنة وثلاثة من العوام الى قلعة ادنه وتسلم رجال الوكالة الكنيسة وادخلوا فيها الكهنة الغير الكاثوليك ووقعت بينهم وبين الكاثوليك مشاغبة آل امرها الى دفع الغرائم الجسيمة الى الباشا «وان العثمانلي لا يشبع من المال ولا يرضى ولو بسفك الدما. عوضاً عنه» . (مقتطفات ٤١)

ـ وفيها . زار ولد فضول اوقف وقفاً ذرياً لكنيسة الروم بحلب .
(غزي ٢: ٩٤٢)

[١٧٩٠] تم في حلب انفصال الروم عن الروم تباع فوسيوس «الفسافسة» .
(كارالوفسكي ١٠٥)

وفيها ٧ ايار حرر وكلاء طائفة الروم الى الحبر الاعظم رسالة في المواقع الطارئة على الطايفة واليك اياها مختصرة عن المقتطفات : (ص ٢٩-٣٢)

«كانت الكنيسة في يدنا من اربع سنوات وكنا سالكين مع المطران مكسيموس (حكيم) في حرية الايمان الكاثوليكي بالهدو والاسكانة الى ان رجع سلفترس المتطرك على انطاكية وادّعى انه مضطهد من الكاثوليكيين وبقوة المال ومساعدة احزابه اخذ الكنيسة من ايدينا ورد المطرانية الى التزامه واثار علينا الاضطهاد كالاحضار الى استنبول والنفي الى قلعة ادنه والحبوس والزنجير والضرب والقتل . وفي غضونها لم نكلّ عن بذل جهودنا في طرد الذيب من صيرة الغنم لئلا نخسر الايمان الكاثوليكي القديم وبنعمة الله وبركات ادعيتكم قدرنا عليه واخذنا الكنيسة منه من نقدار سبعة اشهر بعد ان وزّنا اموالاً كثيرة . الّا ان ذلك المتطرس رجع واخذها من يدنا تكراراً واننا لا نحزن لذلك بقدر حزننا من قبل النفوس التي تسقط بالهلاك بسبب اضاعة الكنيسة من يدنا . ثم ان الذين كان لهم قوة ان يعطوا المال ليساعدونا على مقاومة المتصب صاروا تراجمين لكي يخلصوا من الخساير والجرايم وقد فاتهم ان الترجمة لا تعفي ذمتهم من الواجب عليهم في حماية الايمان الكاثوليكي المقدس . وقد كان مرغوبنا في ان نرسل بعضاً منا لتقبيل اعتابكم وعرض احوالنا لقدسكم ولكن خشينا من الاشاعة والتورط فيما هو اعظم لانه ربما بلغ قدسكم

ان سلفستروس ما قدر بالاكثر على عزل سيدنا مكسيموس (حكيم) وترجيع مطرانية حلب الى التزامه الا بادعاء عليه الى الدولة العلية انه كان في روبية وارتسم من حضرة البابا . ولكن حيث انه بلغنا بان حضرة البادري مرقص سيكوران اليسوعي موجود حالاً بطرفكم فانهاه عنا في تبليغكم اخبارنا وقد تخرج في بلادكم بما انه من ابنائها وعاش في بلادنا واختبر بواطنها وظواهرها باطلاعه على احوالها ووقوفه على سلوك رعاياها وحكامها فيقدر ان يتذكر بابواب كثيرة يوضحها لدى قدسكم يمكن ان تخلص بها من هذا المتعصب وتخلص الكنيسة من يده وتتسلمها بوجه ثابت امين[1] » .

ويتلو هذه الرسالة بيان مفصل يشرح وقائعها ولا يزيد كثيرًا في معانيها فضربنا صفحاً عنه . وجاء فيه ان « جملة ما وزناه من ابتداء سلفسترس الى تاريخه ٧٥٠ ٣٢٢ غرشاً » .

— وفيها اشتعلت نار الفتنة في البلد وسببها غلاء المعيشة ورداءة الخبز وعم الاضراب عن العمل ، ٣٠ او ٤٠ امرأة صعدن على مأذنة الجامع الكبير واخذن بالصياح والولاويل من الساعة ١٠ صباحاً الى الظهر يطلبن الطعام ويقذفن الباشا بالشتائم . فانزلهن الباشا بالقوة من المأذنة وشنق ثلاث منهن وضرب غيرهن بالكرباج . (غزي ٣ : ٢٠٠ وسوفاجه ١٩٤)

— وفيها كان سوفرونيوس مطراناً على الروم تباع فوسيوس الى السنة ١٧٥٧ (كارالوفسكي ١١٤)

— وفيها كان بيار توما قنصلًا لفرنسة الى ١٧٦٩ . (كارالوفسكي ١١٥)

— وفيها ٢٣ آب تسجل اسم بشارة بن حنا الطرابلسي ترجمانا لقنصلية فرنسة في حلب للدعاوي البحرية . تزوج من تريزية بنت الياس توتل التي ستتوفى في ١٦ كانون ٢ ١٨١٧ عن مئة سنة من عمرها . (الوثائق القنصلية الافرنسية)

[١٧٥٢] جاءت السنة بالغلات الجيدة فهدأت الخواطر وأمن الناس على ارواحهم . (سوفاجه ١٩٤)

---

١) وبالاس الواقع بانت الكنيسة بايدي الروم تباع فوسيوس الى اليوم في حلب . ومضى الروم باستقلالهم التام عن « اليونان » فابتنوا كنيستهم الكاندرائية وغيرها . ومن المعلوم ان البلاد التي خرج فيها المسيحيون عن طاعة البابا بحجة انه اجنبي عن بلادهم كالانكليكان استأثروا بالكنائس التي عمرها جدودهم الكاثوليك فصارت للبروتستانت . اما الكاثوليك فاخذوا يشيدون الكنائس الجديدة لانفسهم ويقيمون فيها طقوسهم المقدسة ضمن الوحدة في الايمان والطاعة للكرسي الرسولي .

– وفيها استكتب الشماس يوسف عبدالله باسيل الحلبي الملكي الشهير بالبوابجي كتاب « عقد الاتحاد في شرح وتفسير الخمس مواد » .
(سباط ٤١٩)

– وفيها اوقفت سيدة بنت نصري مسقفات لكنيسة الروم .
(غزي ٥٤٩٠٢)

وفيها توفي برومة المطران جبرائيل حوا رئيس اساقفة قبرس الماروني . ولد في حلب ١٦٦٨ . تعلم فيها على الخوري بطرس التولوي . سيم كاهناً ١٦٩٥ . ترأس الرهبانية اللبنانية ١٦٩٦–١٧٠٠ وعلى ايامه بدأت حركة الانقسام بين الرهبان فمنهم ينزعون الى عيشة الانفراد ومنهم الى الاعمال الرسولية وكان من هؤلاء القس جبرائيل . في ١٧٠٧ سافر الى مصر لمراجعة الاقباط في سبيل الاتحاد مع رومة . في ١٧٢٣ سامه البطريرك يعقوب عواد اسقفاً على قبرس . وفي ١٧٢٤ زار آله في حلب . (رنامج ص ١٢٧)

[١٧٥٣] العهدة التي حررها الكهنة « الروم » على ذواتهم لحفظ نظامهم ونظام الرعية .

باعث تحرير الوثيقة هو انه :

« نقول نحن الفقراء المحرر اساميهم بذيله من جمهور جماعة الروم بحلب كهنة وعوام اننا لما رأينا ما طرى على طايفتنا من تبلبل النظام وانه ان تمادى يأول الى الخراب والانعدام فحركتنا المحبة الابوية والغيرة المسيحية الى ان نستمد العون ممن قال وهو اصدق القائلين متى ما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون وسطهم طالبين من جلاله الاقدس ان يعضدنا بعونه ويرشدنا بتدبيره وامداده الى ما يرضيه من اصلاح نظام الطايفة المرقومة وحسن تدبيرها الروحي والدنيوي وعلى هذه النية والقصد اتفقنا برضانا واختيارنا وتعاقدنا على تقوى الله تعالى وايثار طاعته فيما يأتي بيانه وذلك :

اولاً : ان يكون الاب الخوري يوسف الوكيل المكرم من الان فصاعداً يكون ملازماً الكنيسة المقدسة صباحاً ومساء لحفظ طقوسها وضبط ترانيمها .

ثانياً : ان يمكث كل يوم في القلاية باكراً مقدار ساعتين لتفقد احوال الطايفة وتدبير مهامها الروحية والدنيوية ولكي يستعين على ذلك من غير مال فليكن له من ابائنا الكهنة المحترمين اربعة انفار مساعدين يشاور معهم ويتساعد هو واياهم في تدبير الكنيسة والكهنة والرعية ولوازم ضروريات خلاص انفس المسيحيين وفي محل ضرورة عدم وجوده ينوبوا منابه .

ثالثاً : ان الاب الخوري الوكيل والكهنة المساعدين يتخذون لهم اربعة انفار من العوام يعتمدون عليهم ويتشاوروا معهم وقت الاحتياج فيما فيه نجاح الطايفة واصلاح شأنها وحفظ نظامها من كل الوجوه التي تطابق رضا الله وخير الرعية .

رابعاً : ان يكون هو اي الوكيل والمساعدين وباقي جمهور الكهنة الموقرين متحدين براي واحد متفق في بناء الرعية وعمارها الروحي والدنيوي وملافاة ما يدهمها من الاضرار الدينية والدنيوية بحسب التدبير والامكان .

خامساً : لاجل رفع النجس من بين المسيحيين وانقاذهم عما يؤذي دينهم وذمتهم متى ما ظهر من احد الرعية قباحة تضاد صيانة الايمان المقدس وتوجب تبريد الحرارة وتشين عرض القريب وثبت عليه ذلك بشهود عدول وحكم عدول صريح يأدبه الآباء المذكورين حسبما يرونه لايقاً لجرمه من التأديب الكنائسي الذي يخلص نفسه ويردع غيره وكذالك من يتعدّى الشريعة والنواميس الكنائسية او من يتعدى على غيره بالسفاهة والافترا وليكن ذلك من غير تباطي لئلا يتعد غيره الى ذلك .

سادساً : لاجل رفع القلقلات واجراء العدل فلتكن الاباء المذكورين مساعدين الطايفة على كل من يحتمي عليها من كل ذي قدر وقياس كبيراً كان او صغيراً ويلزمونه بالطاعة ومساوات اخوته المسيحيين على وجه الحق والعدل ومن لم يطع يأدبونه ويقونونه بما يرونه ملايماً لرجوعه عن غيه .

سابعاً : اذا امسك الاب الكاهن الوكيل والكهنة المساعدين عن احد من المسيحيين الضروريات الكنايسية تأديباً لخلاص نفسه وذمته فلا يمنحه اياها احداً غير كاهن ولا يدخل منزله ابداً الّا لضرورة العماد المضطر ومرض الاشراف على الموت .

ثامناً واخيراً ان نحفظ جميعنا كهنة وعوام جميع ما اتفقنا عليه ورضينا به وحررناه في هذه العهدة من الشروط المرقومة ولا نتعداها وان ظهر من احد منا كايناً من كان ما ينافيها وثبت عليه ذلك يقونون بما يستوجبه من القصاص على قدر جرمه وان وقع على الاب الوكيل او على المساعدين من الكهنة والعوام او على باقي المساعدين الكهنة المحترمين بسبب هذا الاعتناء والضبط والتأديب المرقومين اذيه او ضرر من اخصام او غيرهم نبذل الجهد في خلاصهم وانقاذهم منه وان حصل له خسارة فهي على الجمهور بحسب الفريضة المعتادة حيث ان الكهنة لا يلزمهم خسارة اصلًا بموجب اوامر القوانين الكنائسية المقدسة وبالله الاستعانة وعليه التكلان تحريراً في ١٥ شهر حزيران ١٧٥٣ مسيحية » .

(مقتطفات ص ٦٩)

— وفي هذه السنة تناوب الحكم في حلب بمدة ثلاثة اشهر ثلاثة باشاوات .
(سوفاجه ١٩٤)

[١٧٥٤] كتب القس حنا ابن الخوري نعمة الله السرياني الحلبي كتاب الاعتقاد الصحيح في تجسد المسيح تأليف غريغوريوس الحلبي. ابتدأ به في القاهرة وانتهى منه في حلب . (الشرفة)

[١٧٥٥] في ٢٠ حزيران اجتمع عزبان الموارنة في عيد العنصرة وانشأوا اخوية خاصة سببها كثرة عدد الاخوة بين موارنة وروم وسريان مع ضيق المكان واصلاح الحساب الغريغوري الذي اتبعه الموارنة لا الروم والسريان . بموافقة المرشد الاب فوديتندوكويسة اليسوعي الرئيس العام على الرسالة. وسميت اخويتهم باسم سيدة الانتقال . (خزانة المخطوطات في الدار الاسقفية المارونية)

— وفيها الياس غضبان من اعيان حلب رافق اثنين من رهبان الشريرية في زيارة الاراضي المقدسة وكتب اخبار رحلته . (غراف ٣، ١٨٧)

وفي هذه السنة ارسل الشماس عبد العزيز عازر الى دمشق ابن خاله الشماس عبدالله ابن قس حنا شدياق لينسخ كتاب المدعدان لبيعة حلب .
(شرفة ١٤٥)

[١٧٥٦] الخوري لاونديوس سالم المقيم في رومة نقل اعترافات مار اغسطينوس الى العربية ومنها نسخة في مكتبة دير المخلص لبنان . (نمره ١٠٣٤)

وكان في هذه السنة متقدم اخوية الموارنة مخائيل فرنسيس كاترون .

وفيها ١١ ت ١ ارسل ابناء الطائفة المارونية الى البطريرك طوبيا رسالة وصفوا فيها الاضطهاد اللاحق بهم وعدم امكان احد الكهنة او العوام الذهاب اليه « لان اسم لبنان مكروه كثيرًا عند الحكام» .
(المجلة البطريركية سنة ١٩٣٠ ، ص ١١٤)

— انطون جرجس بليط من طايفة الارمن كتب صكًا اعترف بـه انه صفى حساباته مع وكلاء الطائفة ووكلاء طائفة الروم صفوا الديون المرتبة على الطائفة للسادة الاسلام وخدام المحكمة والديون المتعلقة ببيت المحصل من بواقي كسر الاعلاوات وخراج الفقراء. ومال الشهرية وما يتبعها وعلى جميع الديون التي لجماعة الافرنج الفرنساوية والانكليز ومنهم السيد سميث .

وكانت الطوائف المسيحية من ارمن وروم وسريان وموارنة قد اتفقت

على انه مها وقع على نصارى حلب الاربع طوائف او على طائفة منهم بمفردها من الحسائر والجنايات والتجريم يعم ويلحق الجميع ويندفع من كل طائفة بحسب الفريضة الجارية . فوجب حجة جديدة نسخوا ذلك الاتفاق .
(مقتطفات ص ٨٧)

[١٧٥٧] ٧ ايار ارسل الشماس زخريا الرومي الكاثوليكي من اخوية سيدة البشارة في حلب الى الاب ديونيسيوس حجار في رومة تحريرًا قال فيه :

« ان الياس فخر عميل قنصل الانكليز عمل عرض الى الباشا عن لسان طائفة الروم بانهم لا يرضون بالمطران مكسيموس حكيم اسقفًا عليهم بل قصدهم ان يكون صفرونيوس مطرانًا عليهم » .

وبهذه المكيدة عُزل السيد مكسيموس وسُركن الى ادنه واستمر في المنفى مقدار خمسة اشهر ولكن حزب صفرونيوس تخلى عنه . فالتزم الباشا ان يوكل عوضًا عنه الوكيل المقام على الاربع طوايف المسيحيين وهو ماروني اسمه الخواجا حنا عيله واخوه كان حكيم باشي عند السلطان وبفضل هذه الوكالة استمرت الكنيسة في يد الكاثوليكيين وقد قاصص الله ابن فخر عن فعله لانه سمح بان يصدر منه ذنب يضاد الانكليز فسركلوه الى طرابلس .
(المجلة البطريركية ١٩٣٢ ص ١٥ و١٦ ؛ مقتطفات ص ٤٢ وما بعدها.)

وفيها وقعت المجاعة في حلب. الفقراء يموتون في الطرقات من الجوع وعددهم يتراوح بين ١٥ و٢٠ . (سوفاجه ١٩٥)

— عيّن البطريرك القسطنطيني على الروم تباع فوسيوس الاسقف فيليمون مطرانا على حلب وسيبقى الى ١٧٦٦ . (كاراليوفسكي ١٠٥)

— متقدم اخوية الموارنة نصرالله يوسف صيصافه .

[١٧٥٨] ايار منذ شهرين واكثر ٥٠ الى ٦٠ شخصاً ماتوا جوعاً .
(سوفاجه ١٩٥)

وفي هذه السنة شكرالله بن الياس حوا كتب « مجموع الزهر العاطر لانشراح الخاطر » وفيه الكلام على الروحيات وعلى اخبار حلب . (سباط ٢٥٧)

— وفيها سافر المطران مكسيموس (حكيم) الى الجبل وجاءت البراءة

بافراز المطرانية . وما مر برهة من الزمان الا وصار التجديد في الدولة واخرجوا براءة جديدة على المطرانية باسم فيليمون فجاء حلب في ايار ومعه البراءة الناطقة باسمه واستيلائه على المطرانية والكنيسة وصحبته فرمان بنفي ثاني الى المطران مكسيموس وعدة كهنة وعوام . وفي آخر تموز ارسل ختم بيوت الكهنة الى ١٨ آب ولم يزل الكهنة مخبأين وهو متصرف في الكنيسة والقلاية والرعية على هواه ورسم كهنة مشاقين على خاطره . (مقتطفات ٤٥)

[١٧٥٩] نعمة ابن الخوري توما الحلبي الكاثوليكي الف كتاب عجالة راكب الطريق لمن رضي بتقليد « التلفيق » وهي مجموعة رسائل حررها قال في المقدمة عليها :

« ان هذا ما عثرت عليه من بعض المسودات التي حررتها بقلم الانشاء دونتها في هذه الوريقات لاصيرها دستوراً لاولادي يقتدون بها فيا يلتزمون به واليه من نظايرها لان الانشاءات القديمة المتبرة والمحررة من اساطين هذا الفن قد ملها الكثيرون لادعاءهم باطالتها وعقادتها غير ملتفتين الى حسن رونقها . . . ولهذه اثرت ان احذو حذوهم .» ومن هذه العجالة خرج الكتاب « المقتطفات » الذي روينا عنه ما رويناه في هذا المقال . ومنه نسختان في المكتبة الشرقية الواحدة قديمة من عهد شيخو عنوانها « تحارير شرقية مختلفة » والثانية ابتاعتها المكتبة من تركة المرحوم حبيب زيات وبين النسختين اختلافات عرضية . (فهرس المخطوطات رقم ٣٧)

وفيها جبرائيل بن مخائيل عصفور نسخ كتاب اخبار القديسين لمؤلفيه ريبادنيرا (١٦١١ +) وكرروازه (١٧٣٨ +) اليسوعيين . (سبط ٦ : ٤٥)

— وقع الزلزال الشديد وعم البلاد . (غزي ٣-٢-٣٠٢)

— ترهب من ابناء الاخوية المارونية . انطون جرجس شبطيني . والياس فرنسيس كاون وفي هذه السنة توفي ديونيسيوس بشاره بازرجي مطران السريان. (كارالوشكي ١١٤)

[١٧٦٠] اوقف ولد تادرس الطبيب مسقفات لذريته ثم لفقراء الكنيسة. (غزي ٢ : ٣٤٢٥)

— في مدينة حلب ربان توما ابن مقدسي الآمدي كتب « طقسيات شتى » وفيها جريدة اسماء العابدات . (شرقة ٢ : ١)

— انتخبت رومة مكسيموس حكيم بطريركاً على الروم الكاثوليك . هو الذي الف فرض القربان المقدس — خلفه على كرسي حلب اغناطيوس جربوع . حاول ان يقيم عيد مار يوسف في١٩اذار فلم ينجح لكنه الف فرض مار يوسف. (كارالونسكي ١٠٥)

الصك براءة الحبر الاعظم اكليمنضوس١٣في تعيين البطريرك مكسيموس حكيم.

« وبعده اذ قد جعلنا بعقلنا كم تكون خطراً على هذا الكرسي البطريركي الانطاكي ان يخلوا من مدبره وراعيه فجردنا للوقت عرفنا الابوي في سرعه الاعتنا بلوازمه لكي لا ينتقل باطالة الفروغ الى اسجاس اعظم ويحصل في تعصيبات اثقل فلهذا اذ قد تحققنا سمو فضايل خونك عندما اوتمنت على مطرنية حلب واملكتعد من اساقفة هذه الطايفة القدما ونوجد محموداً عندنا بشهادة اولى الشهادة وبعد ان تصفحنا بتدقيق وتشاورنا مع كردينالية انتشار الايمان المخصوصين عن قيام شخص مفيد وقابل ابتاع الاثمار للكنيسة الانطاكية البطريركية المذكوره نحلك اولاً من كل حرم ومنع ورباط ومن كل حكم او تاديب او عقاب كنايسي اذ كنت قد وثقت بشيء منها وذلك فقط لكي يكون انتقالك من كنيسة الى كنيسة وولايتك القيد تحديدها منا كما سياتي ذكره مع هذا السطور الحاضر نايلاً مفعوله الضروري فلهذا كما تقدم نحلك ونوضحك محلولاً ومثل ذلك نحلك من الالتزام الموثوق به نظراً الى الكنيسة الحلبية المذبوره الكاين انت راسها وبعلو سلطاننا الرسولي والمشوره المتقدمه ننقلك الى الكنيسة الانطاكية عينها التي للطايفة الملكية المقدم ذكرها ونقيمك راعياً لها وبطريركاً عليها مسلمين لك تمة الاهتمام والتدبير والتصرف بالكنيسة المتقدمة التي للطايفة المرقومة روحياً زمنياً وليس اننا نمنحك اذناً تاماً حراً للانتقال الى سياسة الكنيسة البطريركية المذكورة فقط بل نامرك ايضاً بقوة الطاعة المقدسة وتحت طايلة الوقوع في غضبنا وعقوبات اخر كحسب مرادنا بان تذهب وتتلك سياسة البطريركية المذكورة حال بلوغ سطورنا هذه ليدك خلوًا من اهمال او تاخير ومثل ذلك بان تمارس وتستعمل وتفرح وتسر وتقتني كل تلك الحقوق جملةً وافراداً والسلطان والقوة والشرف والانعامات والتصرفات والتخصيصات وما اشبها مما يخص الكنيسة البطريركية المرقومه وسيخصها بالزمان الاتي باي نوع كان ومثل ذلك ان تباشر وتستعمل وتفرح وتفوز بكلما قد استعمله وباشره وفرح به وفاز به بقية بطاركة الكنيسة المذكورة سواء كان بحق او بعاده اخرى جاريه راجيين بذلك الذي له ان يمنح نعماً ويخول اجوراً ان يرشد اعمالك ويحسن بواسطتك تدبير كنيسة طايفتك الانطاكية المقدم ذكرها بنجاح مفيد ويعدك بها امتداداً مرضياً بالروحيات والزمنيات واما انت فبعد ان تكون تقدمت بنعمة بركتنا الى ضبط زمامها فاحرص ان تباشر الاهتمام بها وبكل ما ذكر بنوع امين واجتهاد حار وعزم فطن هذا حد مقداره حتى ان الكنيسة الانطاكية المذكورة تسر وتتهلل برلايه ريس حريص ومدبر مفيد فمن ثم تستحق غدا اكليل المجازاه المخلده نعمة السدة الرسولية وبركتها على مر الايام والاوقات ولاجل ذلك نحن نرسم ونامر براسينا الرسوليه لجميع اخوتنا روسا الاساقفة المرقرين

والاساقفة المحترمين ومثل ذلك لاولادنا اهالي الطائفة المذكوره جملة وافراداً والشعب المسيحي من عوام وقانونيين ولو كانوا رهبان اخوية اليسوعيين وكل شعب مدينة انطاكية وابرشيتها ان يحسنوا اكرامك واحترامك ويخضعوا لك كخضوع الاعضا للراس وكخضوع المروسين لايهم ومقلد رعاية نفوسهم حتى ان المحبة المترددة بينك وبينهم تاتي بمحولات عذبة مرضية وبالتالي نستطيع نحن ان نمدح بالرب جميل تصرفهم فليقبل اذاً الاكليروس بكل تواضع اكراماً لنا واحتراماً لهذه السدة الرسولية تنبيهاتك المفيدة ونصايحك الخلاصيه واوامرك الرياسيه بحسن العمل بكل جهدهم وكذلك الشعب جميعه فليحترمك باحترام وبتخذك بكل انس وحب بمنزلة اب لهم وراع لنفوسهم مكملين بتواضع كلما يعظهم ومن ثم حتى انك تفرح بهم وهم يفرحون بك ويكونوا لك اولاداً مطيعين وانت لهم اباً ودوداً واما هولاي المروسين جميعاً فليبذلوا المجهود بعد تقدمة الاكرام الواجب بتقدمة المقدم الجارية لك وتجنب كل خيانة والتمسك بكل واجب مالوف وان عملوا الخلاف فاننا نثبت منذ الآن كل حكم او قصاص تامر به عليهم او على العصاة المتمردين ونجعلهم بمعونة الرب ان يلتزموا بها الى حين تتمة القيام بالوفا التام واما الباليون الشريف المشير الى سلطان وظيفتك الحبرية الماخوذ من جسد مار بطرس فنبقيه ونرسله لحوتك حينما ترسل تطلبه بقاصدك المشيد ارساله ونريد اخيراً ان يتم هذا جميعه ولو مهما وجدت امور تضاده باي نوع كان .

اعطي برومية حدا كنيسة مريم العذرا بختم الصياد في اليوم الاول من شهر آب سنة ١٧٦٠ في السنة الثالثه من حبريتنا . توما امليديوس م ش خط ٢٣١ ص ١٣٤

[١٧٦١] فشى الوباء فكانت الوفيات يومياً ١٩٠ . (غزي ٣ : ٣٠٣)

توفي الاب فرديناند كويسه اليسوعي مؤسس الاخويات (٢٢ آب) . (غراف ٤ : ٣٣)

وكان متقدم اخوية الموارنة الشدياق يوسف نعمة الله حجار . وترهب من الاخوة في هذه السنة جبرائيل شكرالله حجار . ابتدأ في ١٧٦٠ ولبس الاسكيم في هذه السنة . (الوثائق المارونية)

[١٧٦٢] عين اكليمنضوس الثالث عشر ارنولف يوسو العازري نائباً رسولياً واسقفاً للاتين على حلب وكانت اقامته في دير عينطورة .

مرشد الاخوية البادري اسطفان ثم الاب يوحنا اليسوعي . المتقدم يوسف جبرائيل زكره .

وفي هذه السنة توفي المطران جبرائيل حوشب الماروني وكانت اقامته غالباً في لبنان .

على ايام المطران ارسانيوس شكري

[١٧٦٢] حوالي هذه السنة كان اسقفاً على موارنة حلب ارسانيوس بن شكري الحكيم (او الطبيب) الراهب الحلبي اللبناني. هو الذي سافر الى اوروبه سنة ١٧٤٨ مع رفيقه الاب عين بن زكريا الحلبي اللبناني لجمع الحسنات لوقاء دين الرهبنة. ركب البحر من بيروت في ٢٧ ت ١ فزار قبرس واليونان ومالطة وايطالية وفرنسة واسبانية والبرتغال وعاد الى بيروت في ايار ١٧٥٧.

[١٧٦٣] صرف الباشا ٤٠٠ خيال من الخدمة فذهبوا يعيثون في الارض فساداً وغزوا قرية الصفيرة ونهبوها في ظواهر حلب بشرق.
(سرفاجه ١٩٤)

وتولى الحكم محمد باشا العظم. وكثرت الامطار وهبطت الاسعار وعم السرور. (غزي ٣٠٢:٣)

وفيها توفي الشماس نصرالله صفصافه وتناوب رئاسة الاخوية يوسف نعمة حجار (جرمانوس) ويوسف الياس دمشق (فرج الله) وميخائيل بن قس رزق الله عبديني (لويس).

وفيها نظم المطران ميخائيل جروة حسابات عيد الجسد وكتبها تلميذه الشماس جرجي يونان ابن قس شمعون ١٧٦٤.

ونسخ القس حنا مكتبي كتاب الصلوات الفرضية وذكر معها اسماء احد عشر قساً من قسان كنيسة حلب. (الشرفة ١١٧)

[١٧٦٤] الكاهن عبد الله الحلبي ابن القس حنا ابن شدياق كان مترهباً في دير مار موسى الحبشي بجبل الدخان في النبك. نسخ كتاب الصلوات الفرضية السريانية التي انشأها اغناطيوس ميخائيل جروة. (الشرفة ١١٥)

وفيها كتب احد موارنة حلب بلغة عربية عامية وصف رحلة قام بها سنة ١٧٠٧ من طرابلس سورية الى مصر فراكش واسبانية وفرنسة ثم عاد الى حلب سنة ١٧٠٩. (غراف ٤٦٧:٣)

— ولي حلب احمد باشا ميرميران ونقل عظم زاده الى الرقة .
(غزي ٣٠٤،٣)

— تنكر احد القضاة بزي الانكشارية ليتجول الازقة ويجلس في المقاهي فعزل عن وظيفته . (سوفاجه ١٩٨)

— وفيها ترهب من ابناء الاخوية جبرائيل يوسف سقيفه. ابتدأ في ١٧٦٣ ولبس الاسكيم في حزيران من هذه السنة. وكذلك جبرائيل الياس ممشق .
(الوثائق المارونية)

[١٧٦٥] وقعت ازمة القمح فنقص في البلد وكان الانكشارية قد تمرنوا به من سنتين . (سوفاجه ١٩٨)

[١٧٦٦] زار حلب نيبور(Niebuhr) الرحالة المستشرق الدنمركي المولود في المانيا . حدد موقعها الجغرافي ٣٦ درجة و ٣٢،١١ درجة شمالي خط الاستواء ، وضع للمدينة رسماً فيه الاشارة الى اهم البنايات والاثار . تكلم عن تجارها وعن القناصل ومكانتهم في البلد قال ان للانكليز وللافرنسيين وللهولنديين قناصل معتبرين ويكون قنصل البندقيــة اقدم قنصل في حلب لان شارات البندقية منقوشة على احجار القبور . ثم باد اثر تجارتهم في حلب وبادت المعامل الانكليزية . (وكانت قبور « الافرنج » موجودة في حلب الى سنة ١٩٠٠ في جبانة اللاتين . فنقلت عظام الموتى الى محلة « جبل السيدة » وحطمت الحجارة . وعلى ارض الجبانة بنيت كاتدرائية اللاتين الجديدة) .

— وفيها صدر بيوردي من حضرة حمزة باشا ابطل الاحتفال بجنازة الموتى.

— وفيها بامر ميخائيل مطران حلب السرياني نسخ صروخان القرطلي كتاب الصلوات الفرضية للصيف . (الشرقة)

[١٧٦٧] فيليمون مطران حلب الرومي بعد ان اقام في البلد ١٢ سنة توجه الى القسطنطينية حيث سيم بطريركاً . ثم عاد الى حلب ورسم عليها ناوفيطوس مطراناً . (مقتطفات ص ٢٦)

[١٧٦٨] الخوري يوحنا باذنجانه الماروني الحلبي تلميذ رومة الف كتاب « مرآة الحق الوضيّة في شرف الملة المارونية ». (غراف ٣،٦٨٤)

— وفي حلب ظهر بلغة عربية فصحى «شرح نشيد الاناشيد» معرباً عن الافرنسية . (غراف ٤٤٤، ٣٠)

حنا الطبيب ولد تادرس وقف مسقفات لفقرا. كنيسة الروم .
(غزي ٣، ٥٥٥)

[١٧٦٩] استأجر احد الباشاوات بيتاً لسكنى سراريه ٢٥ .
(سوفاجه ٢٥٢)

[١٧٧٠] بيان عدد الجمعيات التي اجتمع فيها الاخوة الموارنة من ابتداء اخويتهم . الجمعية الاولى في بيت القس جرمانوس حجار ٩ شباط في عيد مار مارون — الجمعية الثانية في بيت يوسف مغربية — الجمعية السادسة في دير اليسوعية في بيت مشورة عزبان اخوية الموارنة يوم عيد قلب يسوع .

«تحريراً في ٢١ حزيران الجمعية العشرون في ٢ شباط يوم عيد دخول المسيح الى الهيكل في دير اليسوعية في اوضة البادري وكنا جميعنا» .
(سجل ٩٦ من مخطوطات الموارنة في حلب)

— كتب الشماس جرجس ابن الشماس يونان ابن القسيس شمعون السرياني الحلبي كتاب جناز الرهبان الذي جمعه المطران ميخائيل جروه من عدة كتب .
(الشرفة ١٥٠)

— عاد من رومة الى حلب مسقط رأسه المطران جرمانوس آدم .
(غراف ٣، ٢٢٨)

[١٧٧١] مرشد الاخوية المارونية البادره ميخائيل سيميوز اليسوعي . المتقدم شماس نصرالله صفصافة .

— وفي هذه السنة تأسست اخوية ميلاد العذراء والملائكة الحراس للاحداث .

— وفيها الف اغناطيوس جربوع مطران الروم الكاثوليك في حلب كتاب «البحث الراهن في فحص الكاهن» بمناسبة رسامة بعض الكهنة لابرشية حلب .
(سباط ٤٤٩)

— ولي حلب محمد باشا العظم زاده . وقعت الفتنة بين الاشراف فاخمدها .
(غزي ٣، ٣٠٧)

المطران جبرائيل حوا

رئيس اساقفة قبرس

١٦٠٨ - ١٦٥٢

[١٧٧٢] نقل الاب انطون صباغ الملكي المخلصي الحلبي الى العربية لاهوت تورنلي بالعمودية والتثبيت. وكان نائب الابرشية على ايام المطران جرمانوس آدم.
(غراف ٣، ٢٤٦)

وفيها توفي يواكيم مطران عكا وكان سابقاً قد اقام في حلب. له مؤلفات لاهوتية وليتورجية. (غراف ٣، ٢١٣)

[١٧٧٣] نُسخ في هذه السنة كتاب «المقاصد السنية في اثبات التثليث والوحدانية» فيه انتقاد العقيدة المسيحية بقول الشاعر :

يا مشركين لنا سؤال مشركا	هل من مجيب نستدل بقاعده
فكيف تدعون الاله بوالد[1]	حيث الولادة من فعال المادة

وفيه الجواب ولعله لجرمانوس فرحات :

يا من تعدى بزعمه في شركنا	مهلاً ترى حسن الادلة واجده
ليس النصارى مشركين لانهم	لم يؤمنوا الا بذات واحده

(م ش ٦٨٦ خط)

— وفيها كانت وفاة مصطفى الثالث السادس والعشرين من سلاطين بني عثمان. نُصب سلطاناً سنة ١٧٥٧ - شدد بحفظ الشريعة الاسلامية فمنع النساء المسلمات من الخروج من بيوتهن. وامر بطريرك الروم وبطريرك الارمن وحاخام باشي اليهود بان يوصوا اهل الذمة بتحاشي لباس الثياب الفاخرة.
(هامر ١٦، ١٨)

وفي هذه السنة الغيت الرهبانية اليسوعية بامر الحبر الاعظم اكليمنضوس الثالث عشر فتقلص ظل الاباء اليسوعيين في حلب وتركوا ديرهم فيها للاباء اللعازاريين.

[١٧٧٤] الابوان دنورج وغوسار اليسوعيان سافرا الى فرنسة بعد اعلان الغاء الرهبانية اليسوعية. اما الاب سيبير فسيقيم مدةً في حلب الى ان يسلم ادارة الاخوية للاب يوسف برباريس اللعازري.

---

١) نضيف الى ذلك القول ان الولادة ليست من فعال المادة ولكن هي صدور الحي من الحي بموجب حكم الطبيعة كما قال ارسطو.

[١٧٧٥] موسى الراهب نسخ كتاب المدعدان اي الاحتفالات السنوية في عهد مطران حلب مخائيل جروه الذي اهتمّ بتكتيب الكتاب وشرحه بالعربية لانه نظر ان ابناء طائفته ما عاد لهم خبرة بالسريانية. (الشرفة ١٤٤)

[١٧٧٦] توفي بحلب المطران اغناطيوس جربوع الملكي ولد سنة ١٧١٧، صار رئيساً عاماً على الرهبان الشويريين (١٧٥٦–١٧٦١). ترك مؤلفات روحية. (غراف ٣: ١٤٤)

[١٧٧٧] انتخب مطران على حلب جرمانوس آدم الحلبي مطران عكا والوكيل البطريركي. (غراف ٣: ٢٢٨)

[١٧٧٨] ٢٥ شباط في حلب نسخ القس ميخائيل صاجاتي كتاب «ديوان البدع» لمؤلفه المطران جرمانوس فرحات. (فهرس شيخو ٣٢)

كاترين بنت حنا اوقفت مستقفات على دير مار يعقوب في القدس. (غزي ٢: ٥٥٩)

— ميخائيل منصور اوقف مستقفات لرهبان دير مار يوحنا في جبل لبنان. (غزي ٢: ٨٠٩)

— والف الخوري بولس يواكيم الحلبي كتاباً في «اليهود والمسيحية والاسلام». (غراف ٣: ١٥٠)

— ١٧ آب كان هلّ بيشوتو التاجر اليهودي الليفورني الاصل يتعاطى التجارة في حلب وهو زعيم اسرة بيشوتو التي تمتعت بغنى وعز وافر مدى الاحقاب وكان ملكها بستان الشايندر وقصره عند الناعورة يجتمع فيه اليهود للصلاة. (ريتر ص ١٧٥٦)

وقع الثلج وتكاثف فاتلف الشجرية. (غزي ٣: ٣٠٧)

[١٧٧٩] اوقف يوسف فرنسيس مستقفات على كنيسة الموارنة بحلب. (غزي ٢: ٥٥٩)

— ت ٢ ولد ميخائيل مظلوم وسوف يصير بطريركاً على الملكيين الكاثوليك باسم مكسيموس ١٨٣٣–١٨٥٥. (غراف ٣: ٢٥٨)

[١٧٨٠] ولي حلب يوسف باشا اكبر اولاد محمد باشا عظم زاده. (غزي ٣: ٣٠٨)

— فرج الله ولد سركيس اوقف مسقفات لكنيسة الموارنة .
(غزي ٢٠٨٤٢ : ٩٠)

— وفيها ولد بحلب نصرالله الطرابلسي الشاعر . ودخل ترجماناً لقنصل فرنسا وسوف يدخل موظفاً في ديوان كتّاب محمد علي باشا . (ادباء حلب ٣)

— [١٧٨١] مات البطريرك اغناطيوس جرجس الرابع السرياني وكان سابقاً اسقفاً على حلب تارة كاثوليكياً وتارةً يعقوبياً. (غراف ٤٠٤ : ٢١)

[١٧٨٣] زار حلب الرحالة ڤولني (Volney) الافرنسي فخصها بفصل من كتابه « سفرة الى سورية ومصر » فيه ملاحظات قيمة في هيئة الحكم في المدينة والمرجع فيها الى الباشا والى المحصل . فالباشا يتقاضى ، فوق راتبه ، المال من الضرائب خاصة. على ايامه كان عبدي باشا متعهداً بالادارة فربح لمدة خمسة عشر شهراً اربعة ملايين ريال وكان الريال نقداً ذهبياً تساوي قيمته عشرة فرنكات ذهبية تقريباً وذلك بتقاضي الضرائب من اصحاب المهن جميعاً حتى من الخدام في المقاهي على الغلايين او الاراكيل التي كانوا يقدمونها للزبائن . (ص ٤٤)

وقال عن حلب : قد تكون انظف مدينة في السلطنة العثمانية واجملها بنايات والطفها عشرة واصحها مناخاً . وان الحلبيين هم اكثر اهل السلطنة تمدناً وكانوا يستعملون في ذلك العهد الحمام الزاجل لنقل الاخبار بين بغداد وحلب والاسكندرونة. يأخذون من العش الذي فيه البيض والافراخ احدى الحمامتين المفرختين الذكر او الانثى وينقلونها معهم في اسفارهم الى الموضع الذي كانوا يريدون ان تعود منه فيربطون باسفل رجلها ورقة مكتوب عليها الخبر اللازم اذاعته ويطلقون الطائر فيعود بلمحة البصر الى عشه . (ڤولني ص ٥٥)

— وفي هذه السنة الف المطران اثناسيوس السرياني رسالةً دافع فيها عن التعليم بالطبيعتين الالهية والانسانية في المسيح . (غراف ٤٠٤ : ٢)

[١٧٨٦] ١٢ شباط . « صار طاعون تنقير[1] واختفى الافرنج وكثيرون من اهالي البلد . وارتفعت الاسعار» .

عن دفتر مخطوط فيه حوادث الطاعون بين ١٧٨٦ و ١٨٣٣ ورجعت اليه فيما ذكرت عن الطاعون تحت عنوان : « الطاعون في حلب » .

---

١) اي غير جارف بل يصيب هذا او ذاك من السكان المعدودين على الاصابع .

واليك بيان اسعار بضايع المعاش السالكه بطرفنا بالاسم لان اكثرها نادر الوجود مثل الحنطة والخبز والرز وما يشبهم[1] :

غرش

٣٦ رطل الكعك ولكن وجوده قليل جدًا ونادر ولونه كالغبار
٣٠ رطل خبز النسوان والآخر كذلك
٣٠ رطل الخبز المزجي (؟) وهو عديم الوجود
٢٥ رطل الحنطة او الطحين واباع الشنبل ١٥ (؟) وهذا السعر صدفة ولا يقع في اليد
٣٦ رطل الارز
٢٨ رطل البرغل
٤٨ رطل الشعاريه
٢٤ رطل العدس
٢٤ رطل الحمص
٣٦٠ شنبل الشعير
٢٠ رطل الدرا
٢٤ رطل اللوبيه
١٠ رطل تبن الدواب
٣٦ رطل القنبس
٨٤ رطل اللحم
١٠ اوقية الدهن
١٣ اوقية السمن
٦ اوقية اللبن
٨ اوقية الجبن
١٢ اوقية الزيت
٩ اوقية السيرج
٨ اوقية الصابون
٦ اوقية الطحينة
٦ اوقية حلاوة الطحينة
٣ اوقية الزبيب
٣٦ رطل التين
٣ اوقية الكسبه

١) عسير تعريف قيمة الغرش في ذلك العهد ولكن المقابلة بين الاسعار المضروبة في اللائحة تؤدي افادةً على تقدير قيمتها بالنسبة الى الاسعار في يومنا مع الاعتبار ان الرطل الحلبي وزنه ١٢ اوقية .

غرش

١٢ رطل البصل

٤ رطل الجزر

٥ رطل اللفت والشوندر

٢٠ رطل القرع الشتوي

١٠ رطل الملح

٣ البيضة الواحدة

٤ رطل الحطب

٣٦ رطل الدبس

٤٥ رطل النشا

هذه التسعيره بوقتها كان عند الناس غلاء عظيم اما بعد نهاية الطاعون بكم سنة صارت الناس تتمنى على هذه الاسعار لان البلد من يوم الطاعون انستت بسماح الله تعالى ومن كثرة خطايانا وما آثمنا» . (الطاعون في حلب ص ٤)

« في بيان الاشياء التي تأخذ رائحه في زمان الطاعون ويجب تجنبها واخذها بالماء ومنها بلقاط حديد طويل حتى ينمسك شيء باليد وهي من احد البادريه.

فالذي ياخذ ريحه : الناس الاحيا ، الناس الموتى ، الاثياب جميعا ، الفار ، القطاط ، الكلاب والطيور جميعها ، الخضره جميعهـا بالماء ، اللحيم بالماء. ويلزم الوعي من ريشات ومن اشعر تحرق بالنار ، الجاج ينذف والخادم يرميه بالماء ، الورق بالخل ، المكاتيب بالخل ، الدراهم بالخل .

والذي ما يأخذه رائحه : الحنطة والرز والطحين والعدس ، ما في الحبوب جميعها الفاكهة ما عدا السفرجل ، البيض ، الملح ، العسل ، الدبس ، السكر ، الشراب ، الخل ، النبيذ ، العرق ، ما يقطر ، الزيت ، اللبن ، رب رمان ، حليب ، سمنه ، فلفل ، بهار ، تنبك ، تتن مفروم .

وفي نهاية الطاعون لا يخرج عاجلًا بل يبقى بعد النهاية سبعة ايام وهو متجنب والمتكلم اذا كان مع احد يلزم بان يكون وراء العين والهواء . اذا كان من البراني الى التجني يلزم ان يكون اكثر من وراء العين . والاشياء التي لا تأخذ رائحه يقتضى ان الذي يقضي الحاجة يضعهم ضمن فراغ نحاس

نظيف من غير ان يمسكهم بيده او يمسك الفراغ انما الاحتراس في ان يكونوا نظاف من خيط او شعره او خرقه وسخه او شي. من هذه. اما الحبوب فاخذها بالماء اوفق والطحين من بعد النظر فيه بعدم وجود المذكور يتسلمه الانسان بامان».

(الطاعون في حلب ص ٢)

— وفي هذه السنة انتقل الى رحمة الله تعالى المطران ارسانيوس اروتين ابن شكري الحكيم او الطبيب. ويرى بعضهم ان اسم اروتين المذكور في سجلات الطائفة المارونية وغيره من الاسماء الارمنية يكون دليلًا على ان الاسرة ارمنية الاصل ثم دخلت الطائفة المارونية والله اعلم ?

على ايام المطران ارسانيوس شكري حدثت في الطائفة المارونية اضطرابات دينية سببها العابدة حنة عجمي المعروفة بهندية الحلبية . اسست جمعية قلب يسوع للنساء العابدات في بكركي لبنان واعتصمت بحماية الاساقفة واخصهم البطريرك الماروني يوسف اسطفان وذهبت شتى المذاهب والاضاليل في تعليمها وتهورت وهورت معها الكثيرين ومنهم البطريرك مما ادى بالكرسي الرسولي الى ربط يوسف اسطفان عن التصرف بحقوق الاسقفية (والولاية ٢٥ حزيران ١٧٧٩)الى ان ارسل خضوعه الى الحبر الاعظم فاعيد الى مقامه ووظائفه ١٧٨٤.

وبين يدينا وثائق خطية في هذا الصدد اقتنيناها في حلب تحوي رسائل الكرسي الرسولي الى الطائفة المارونية واساقفتها اجمالًا ومنهم ارسانيوس شكري مطران حلب قد يضيق المقام من نشرها في هذا المقال ولكن يفيدنا ان نأخذ عنها ما جاء بخصوص العشور :

« ان المجمع المقدس لاجل رفع المخاصات من الوسط الموجودة من مدة مستطيلة بين بطريرك الموارنة ومطارين طائفته بسبب ايفاء العشور للبطرك المذكور . . . عرض المشكل الآتي على ابناء المجمع :.

«هل يجب ان يتحدد مبلغ دراهم يعطى كل سنة على الدوام من المطارنة للسيد البطريرك بنوع عشور وتحت اي شرط . فالاباء الكليو النيافة قد استصوبوا ان يجاوبوا : انه يجب تحديد مبلغ سنوي دائم مقدار الفين وخمساية غرش معاملة الشرق كما سيأتي بيان ذلك وان القاصد يعتني في نجاز هذا الامر . ثم ان البطريرك يحق لـه ان يعطي مكاتيب من قبله لجمع العشور لكل مطران من الموجودين مرة واحدة فقط لبيان خضوعهم وكذلك للمطارنة المزمعين في حال دخولهم الى المطرانية لا غير :

والتقسيم كما سيأتي :

غرش	
٣٥٠	مطران حلب
٤٥٠	مطران طرابلس
٣٠٠	مطران جبيل
٣٠٠	مطران بعلبك
٢٥٠	مطران دمشق
٢٥٠	مطران قبرس
٣٠٠	مطران بيروت
٣٠٠	مطران صور وصيدا
٢٥٠٠	الجملة الفان وخمسمائة غرش

اجابوا كما قد رسم الاعتدال الآتي ان المبلغ المعين للمشور يدوم ست سنين لا غير ما لم يرَ المجمع المقدس بخلاف ذلك » .

فترى من اللائحة السابقة ان مدينة حلب على قلة عدد الموارنة فيها تاتي الثانية بعد طرابلس فيما يترجب على الطائفة من المشور للبطريرك مما يدل على حسن حال الموارنة فيها وعناية المطران ارسانيوس حكيم في شؤونهم ومن المعقول انه قد ساعد على احياء المشاريع الخيرية فيها بفضل ما جمعه من الحسنات في رحلته الى اوروبة .

(لها تابع)

الصعود الالهي

نشيد للشاعر رومانس المرنم

نقله عن اليونانية وعلق عليه
الاب نقولاوس قادري ق. ب.

توطئة

وانفتحت السماوات من جديد وانحدرت منها اجواق واسراب من ملائكة النور تمرح بنشوة الافراح وتنساب في غمرة من المجد والهناء. انها أقبلت من عالم الارواح تستقبل ملكها الظافر راجعاً الى حيث كان في طليعة ابناء الارض. انه ابن مريم يتعالى فوق تلال الزيتون تقلّه مركبةٌ من سحائب السماء. وتتصاعد من الارض تنهدات الاصدقاء. وتحيب التلاميذ الذين ما برحوا يصعّدون الابصار والفؤاد الى طلعة يسوع. انه ملتحف بالنور وماش على اجنحة الرياح بين نغمات الملائكة ونفحات الربيع ونسمات الازاهر. انه الربيع الدائم للقلوب. انه الحياة المتجددة في النفوس والارادات والعقول انه السبيل الامين للولوج في بيت الله.

في هذه الفترة من الزمن يُطل الشاعر رومانس ويحدق بابصاره العميقة الى مشاهد الكون فيلتقط منها صوراً ولوحات. وتمرح امام باصرته اشخاص من الارض واشخاص من السماء فيؤلف منها وحدة متناسقة يصهرها في نشيد جديد هو نشيد الصعود الالهي.

وانقضت الاربعون يوماً على قيامة المسيح واذا به يجمع تلاميذه المشتتين من الخوف ويدعوهم الى اورشليم ثم يأخذهم الى بيت عنيا ويمرُّ بهم بين تلال الزيتون وهناك ثبّت قدميه قبالة اورشليم نحو الشرق. وبعد ان كلمهم ارتفع الى السماء عند منتصف النهار وكان يغيب رويداً رويداً عن ابصار التلاميذ فكانوا يرفعون اليه ابصارهم وقلوبهم. وآنذاك بسط يسوع يديه المتألقتين بسطها على اصدقائه وباركهم وبارك تلك الارض التي احبها وفيها استراحت بشريته بين الناس.

وفيما هو يباركهم انفرد عنهم واخذته سحابة عن عيونهم وقد رأت عيونهم الجسدية ما يكفيها واستنارت عيون نفوسهم ففهموا كل تعاليم المخلص وما قاله لهم هذا الصديق الالهي عن ذاته . ومنذئذ رجع التلاميذ الى حياة الايمان الكامن في القلوب « وهو قوام المرجوات » . وعندما يرفع الايمان النفوس الى ذرى عالية فلا تعود تحتاج الى الحضور الجسدي وآنذاك عادوا الى اورشليم بفرح عظيم فكان فرحهم بقياس محبتهم ونسوا ذواتهم حباً ليسوع المجد بسعادة السماء .

هذا ما استقاه رومانس من الكتاب المقدس ليجعل منه موضوعاً لنشيده الذي تزفه متعة من الشعر والعاطفة . وهو حلقة جديدة من حلقات الاناشيد التي آلينا على نفوسنا ان نغذي بها أذهان الحاضر ونوقظ بها كوامن الشعر والخيال فلعل في ذلك يعود الى النفوس العطشى الى المجالات الادبية روح الوحي والالهام الخصيب فيستقون من آداب الكنيسة الشرقية ما يذخر به الماضي من تراث الاجيال والعبقريات المسيحية التي لا تزال مجهولة الى يومنا مجهولة في بيئة هي احق الناس بالتعرف الى هذه القوى الكامنة في اناشيد الشاعر رومانس .

وهذا النشيد بظاهره الخارجي مؤلف من ثمان عشرة مقطوعة . وفيه وحدة العمل منسجمة مع وحدة المكان والزمان . وهو رواية دينية يتغلب عليها الحوار في اكثر مقطوعاته . يدور الحوار بين يسوع والرسل (مقطوعات ١ـ٩) ثم بين يسوع والملائكة (مقطوعة ١٠) وبين الملائكة واجواق السماء العديدة (١٠ــ١٢) . ثم بين الملائكة والرسل (مقطوعة ١٣ــ١٤) . ثم فيما بين الرسل انفسهم (١٥ ــ ١٦) واخيراً ينتهي الحوار بين الرسل وجبل الزيتون فيشيد الرسل بهذا الجبل الذي استحق مجداً عظيماً فاق به على سينا ولبنان وثابور وحرمون (١٧ــ١٨) ويستمطرون السلام من الله السلام يستمطرونه لهم وللعالم كله (١٨) .

ويبدو النشيد بطيئاً في الحركة المسرحية في اولى مقطوعاته بسبب الحزن والحيرة : « وسبب حزننا هو اننا نعيش حائرين . » (مقطوعة ٤) فغياب يسوع عن الارض يولد الحزن الشديد في النفوس والعقول التي صقلها مدة ثلاث سنوات فتجمد الحركة وتنضب الحياة ولكن الشاعر الملهم يعوض عن هذه الحركة بشدة العاطفة المسيطرة في المقطوعات (١ــ٦) ولا يلبث العمل ان يتقوى بشدة

العاطفة المسيطرة في المقطوعة العاشرة التي هي قمة النشيد ونقطة الانطلاق نحو العارض المسرحي والعقدة الاخيرة « فصرخ زعماء الملائكة بجميع الرئاسات : ارفعوا الابواب لان ملك المجد يأتي .. أيتها السحب اعدّي متونك للآتي ! أيها الاثير تهيأ للعابر فيك ! انفتحي ايتها السماوات . » (مقطوعة ١٠) وتجمعت الحركة بأفعال الامر المتعاقبة برشاقة ويبدو النشيد بمظهر الحياة الاعتيادية فتأتي العواطف مشبعة : « فكان للرسل حزن وافر عميق فاستسلموا للبكاء متنهدين من القلب » (مقطوعة ١٠) وهذه العاطفة القوية تنفجر من قلوب صادقة أحبت يسوع محبة مخلصة : « نحن مجروحون وموثوقون بمذوبة رؤياك . لا ! لا تبتعد عن محبيك (١٠) .

تحليل جميل لطيف لعاطفة الرسل ولعاطفة المسيح الحنون : « لا تبكوا يا أحبائي ، فليس وقت الدموع ولا يوم النحيب بل ساعة فرح . » (مقطوعة ١١) ثم يتوجه الى عقولهم النيّرة بالبرهان المنطقي : « من اجلكم ايضاً اصعد الى السماء لاعد لكم مكانا . » (مقطوعة ٨) .

وهذه العاطفة الشديدة تظهر شاملة حتى اجواق السماء : « اسرع ايها السيد، نمرشك معدّ. اصعد ! ارتقِ على اجنحة الرياح ! اسرع الى احضان الاب ! »(١٢)

كل هذه العواطف تحيا بحياة الشعر الفني بالخيال الطليق . فرومانوس بعيد الآفاق يخلق جوًّا من المشاهد العميقة تجسد الصور وتضفي عليها إهابا من الوشي الجميل : « ولما رفع الرب يديه كما يبسط النسر جناحيه ويظلل عشه ويدفئه » (مقطوعة ٢) وتلك الصورة اللطيفة تولد الفرح الداخلي والخارجي : « اضع يدي عليكم وارسلكم مستنيرين وحكماء وعلى رؤوسكم البهاء والترنيم وفي نفوسكم الضياء » (مقطوعة ٣) زد على ذلك الصورة الجميلة الرائعة صورة السحابة تنبسط تحت اقدام يسوع كانها مركبة : « للحال حطت السحابة على ظهور الملائكة وصارت مركبة للاقدام الطاهرة وانشقت السماء مثل الثوب» (مقطوعة ١٢) .

والشعر الغنائي عند رومانس نفحة داخلية تتجسد الى الخارج بالعقل المتزن النيّر بالحقائق الصامدة امام تيارات الاضاليل والاكاذيب .

فرومانس شاعر ديني مثقف ثقافة عالية من الآداب المدرسية ومن علم

اللاهوت المرتكز على الكتاب والتقليد والآباء وهو علاوة على ذلك رجل مؤمن يحيا من ايمانه العميق وما اناشيده الا وليدة تأمل مستطيل في اسرار الديانة والكتاب .

اجل يُعبِّر اشخاصه ذلك الايمان النيِّر وذلك التصوف المرتكز على دعائم الحياة الداخلية وعلى التجرد الكامل : « هلم نصعد مغادرين ما على الارض للارض وتاركين ما على التراب للتراب ... » (مقطوعة ١) وعلى السمو «أخذ الذين احبهم الى جبل شامخ لتكون اقدامهم وافكارهم في الملاء وتسمو على جميع مطامع بني الدنيا . » (مقطوعة ٢) .

ويثبت رومانس روح التجرد هذا بكلام الرسل : « نحن تركنا كل الحياة وهجرناها لنربحك بشوق النفس وعلى الارض صرنا غرباء نزلا . » (م ٥) ويعرف الشاعر ان حياة الكمال لا تتم الا بالمحبة القوية : « وما نحن كلنا نقول نُما نحبك فوق كل شيء فلا تحرمنا منك ، بل البث معنا . » (مقطوعة ٦) .

اذن رومانس شاعر متصوف يتجدد الالهام في نفسه كل مرة يتصل باشخاصه المقدسة ويبقى شعره امتداداً الى العالم المؤمن .

وهذا التصوف الشعري هو بمثابة غنى للجماعة وهو نغمة المحيط الاجتماعي الذي يمثله الشاعر . فليس رومانس بطائر فرد يغرد في غير سربه بل هو شاعر غنائي ينشد عاطفة الكنيسة التي يمثلها في تصوفه . فيبقى برقها يتغنى باسمها ويشدو بايمانها وتبقى هي مشتركة معه بالعاطفة التي يحملها الى المسامع .

ونرى في هذا النشيد شخصية يسوع واحدة «انا واحد منظور وغير منظور» (مقطوعة ٩) انا غير مائت وشبيه بكم واعلى منكم وفي وسطكم (٩) ونرى ان يسوع هو ذلك الاله الموجود في كل مكان « صعدت تجد ايها المسيح الهنا دون ان تبرح مكاناً (مقدمة) وهذا الاثبات يتردد على فم المسيح : « وكل مكان ممتلئ من لاهوتي » (مقطوعة ٩) وهو اله اخنوخ وايليا ورب الملائكة السائد عليهم . (مقطوعة ١٤ و ١٥) .

ونرى يسوع في طبيعته البشرية : « افهموا اني صاعد بالجسد لا باللاهوت » (مقطوعة ٩) ويعبّر الشاعر عن طبيعة يسوع البشرية بكلمة ابن مريم : « فتقدم ابنُ مريم نحو الاعالي بينما كانت تتقدمه الاجواق النارية » (م ١٢) .

ويسمو رومانس في سلم الكائنات فيعير للجمادات ما يعيره للبشر فالطبيعة كلها تشترك بلاقاة المسيح . (مقطوعات ١٠ و١٧ و١٨) .

ويبقى النشيد في اهابه الشعري حوارًا رائعًا يجمع بين البساطة والسمو ويحمل الى الاجيال جمال الايمان ينعش النفس ويغذيها من سلام الله .

ففي غمرة الربيع ونشوة الازاهر ونسمة السحر ونغمة الحسون واناشيد السيرافيم ، يفتح الشاعر رومانس سبيلًا امام قارئيه ليحلقوا معه في جو الخلود حيث يتم الاتصال بين الله والانسان ويتجدد الوعد ويتفتق الامل البسام عن براعم الحب وينهمر السلام في القلوب المنكسرة ويعود للخواطر المترجرجة دفق الحبور والفرح .

الاب نقولاوس قادري ق. ب.

نشيد الصعود[1]

للشاعر رومانس المرنم

مقدمة اولى

لما اكملت التدبير
الذي من اجلنا
ووحدت الارضيات
بالسماويات
صعدت بمجد ،
ايها المسيح الهنا ،
دون ان تبرح مكاناً
بل لبثت غير منفصل
وهاتفاً بمحبيك :
« انا معكم[2]
وليس احد عليكم . »

مقدمة ثانية

لما قدست التلاميذ
في جبل الزيتون
صعدت، يارب، الى السماوات
وامرتهم بالتعليم
وهتفت بهم :
« لا انفصل عنكم ،
انا معكم ،
وليس احد عليكم . »

---

١) Pitra : *Analecta Sacra Spicilegio Solesmensi*. Tome I, p. 148-157. Paris, 1876.

٢) متى ٢٨–٢٠

١) هلم نصعد مغادرين
مًا على الارض للارض، وتاركين
ما على التراب للتراب .
ولنرفع الى العلاء
الابصار والافكار ،
باسطين نحن المائتين
الطرف والحواس
الى الابواب السماوية .
ولنتصور ذواتنا
على جبل الزيتون
مشاهدين فادينا
راكبا على سحابة . [٣]
لان الرب من هناك
صعد الى السماوات
ومن هناك وزع ،
بما انه جواد ،
المواهب على رسله ،
ولاطفهم كأب ، وثبتهم ،
وأرشدهم كأبناء قائلا لهم :
«لا انفصل عنكم ،
انا معكم ، وليس احد عليكم !»

٢) ان الذي نزل الى الارض
هو وحده يعرف
ان يصعد منها من جديد ،
بما انه العليم . اخذ الذين احبهم
وقاد الذين جمعهم
الى جبل شامخ ، [٤]
لتكون اقدامهم
وافكارهم في العلاء .
وتسمو على جميع مطامع
بني الدنيا . وحين صعدوا
الى جبل الزيتون ، كما روى ،
لوقا النجي ، [٤]
احاطوا بالمحسن ،
ولما رفع الرب يديه ،
كما يبسط النسر جناحيه ،
ويظلل عشه ويدفئه ،
قال لاحبائه : «لقد صنتكم
من كل الشرور
فاحبوني كما احببتكم
لا انفصل عنكم
انا معكم ، وليس احد عليكم .»

٣) اعمال ١: ٦ اشعيا ١٩: ١

٤) اعمال ١: ١٢

٣) انا ارفع منكم، يا تلاميذي،
بما اني اله وخالق الكون طرا،
امد يدي
اللتين بسطتها الأئمة
وكبلتها وسمرتها،
احنوا اذن رؤوسكم تحت يدي،
واعرفوا وتفهموا ما اتم.
وكأني اعمدكم،
اضع يدي عليكم واباركم،
وارسلكم مستنيرين وحكماء،
وعلى رؤوسكم
البهاء والترنيم، [٥]
وفي نفوسكم الضياء،
كما هو مكتوب:
«اني اسكب عليكم
من روحي، [٦]
فتصبحون مقبولين لدي،
ومتعلمين ومختارين،
ومؤمنين. وتصبحون خاصتي،
لا انفصل عنكم، انا معكم،
وليس احد عليكم.»

٤) قال المخلص هذا فكان للرسل
حزن وافر عميق.
فاستسلموا للبكاء،
متنهدين من القلب
وقالوا للمعلم، يا حنون،
اذا غبت عنا
انما تنفصل عن المحبين،
وهكذا قلت لنا
بينما كنت عابرا سبيل الحياة،
فكلماتك تلك تمني الغياب.
وسبب حزننا هو اننا انفتش حائرين
لنكون معك،
سوف نشتاق الى طلعة وجهك
بهجة نفوسنا،
نحن مجروحون وموثقون
بعذوبة رؤياك
ليس غيرك الحاً.
لا! لا تبتعد عن محبيك.
البث معنا وقل لنا:
«لا انفصل عنكم، انا معكم،
وليس احد عليكم.»

٥) اشيا ٣٥:٢١
٦) برئيل ٢:٢٨

٥) نحن تركنا كل الحياة
وهجرناها لنربحك
بشق النفس.
على الارض صرنا
غرباء ونزلاء.
وبطرس رئيسنا
لما غدا صديقك
تغرّب عن كل ما ملكت يداه[٧]
واندراوس اخوه عندما وجدك
للحال تسامى عن امور الدنيا،
وعلى منكبيه حمل صليبك.
شئت اذن، ايها السيد،
ان تترك عهداً كهذا،
أتسرع في تركنا
كأنك نسيتنا؟
لا! ايها الملك،
لا يكن هذا
ولا يهزأ بنا مبغضونا
والهاتفون: «اين هو القائل
لا انفصل عنكم، انا معكم،
وليس احد عليكم؟»

٦) أتتركنا، ايها الفادي
ولا تعير انتباها
لمحبة ابني زبدى.
اذكر، يا صديق الانام،
كيف سمعا نداءك الالهي
وآثرا طاعتك،[٨]
ولم يقولا في سرهما
من هذا الآمر.
وقبل الاوان حكما
بأنك ابن الآب.
ومتى نفسه عد مهنة العشار
فقراً شديداً، واحب غناك.
وأما توما التوأم فامتهن الحياة.
وها نحن كلنا نقول معاً:
«نحبك فوق كل شيء،
فلا تحرمنا منك،
بل ابق معنا
يا مالنا كل شيء!
حوّطنا وقل لنا:
«لا انفصل عنكم انا معكم
وليس احد عليكم!»

---

٧) متى ١٩ : ٢٠

٨) متى ٤ : ٢٢

٧) لما سمع المسيح اقوال الرسل
ونظر حزن محبيه ؛
اجابهم آنذاك
كأب يرأف ببنيه
وقال :
لا تبكوا ، يا احبائي !
فليس وقت الدموع
ولا يوم النحيب
بل ساعة فرح . آخذ اجنحتي
واصعد الى ابي[٩]
حيث ارتاح في منزلي .
ومنبسط السماء
جعلته لي مسكنا ،
مسكنا غير محدود ،
ولكنه يحوطني
كما يقول اشعيا :
« اقام الله السماء قبة »
ومسكنا يستقر فيه القائل :
« لا انفصل عنكم ،
انا معكم ،
وليس احد عليكم »

٨) كونوا اذن مشرقين متهللين
واتخذوا طلعة بهية –
ورنموا تسبيحاً جديداً
فكل ما حدث
انما من اجلكم كان .
من اجلكم نزلت ،
ومن أجل الجميع اتيت
حتى ابهجكم واكون لكم .
من اجلكم ايضا اصعد الى السماء
لاعد لكم مكانا ،
والزمت نفسي
بأن اتحد بكم .
في العلاء عند ابي
منازل كثيرة ،[١٠]
بعضها يحوي الآباء ،
والبعض يغصّ بالصديقين ،
والآخر بالانبياء .
واما منزلكم فما عرفه بعد احد .
سأعده اذن لكم وآخذكم الي ؛
لا انفصل عنكم ، انا معكم ،
وليس احد عليكم .

٩) يوحنا ٢٠ : ١٧

١٠) يوحنا ١٤ : ٢

٩) انهضوا الآن مستقيمين،
قفوا ثابتين.
وانظروا هذا الصعود
بعين بيّنة،
وافهموا اني صاعد
بالجسد لا باللاهوت.
فالجسد الذي ترون
يثب نحو العلاء،
لان كل مكان ممتلئ
من لاهوتي.
فمع ارتفاع المنظور،
يرتقي ما لا يظهر مني
لانه متحد بالظاهر. فانا واحد
منظور وغير منظور معا.
انا من تنظرون حقا،وما تغيرت،
كما قال الكتاب، [11]
انا غير مائت،
وشبيه بكم، واعلى منكم،
وفي وسطكم انا،
لا انفصل عنكم، انا معكم،
وليس احد عليكم

١٠) بعد ما قال المسيح هذا
لاحبائه، اشار على الفور
الى رؤساء الملائكة
ان يمدوا لقدميه الطاهرتين
السبيل غير المسلوك.
فصرخ زعماء الملائكة،
وهم مأمورون،
صرخوا بجميع الرئاسات
التي في العلاء:
« ارفعوا الابواب، [12]
وابسطوا المداخل
السماوية والمجيدة،
لان ملك المجد يأتي.
ايتها السحب، اعدّي متونك
للآتي!
ايها الاثير تهيأ للعابر فيك!
انفتحي ايتها السماوات،
لانه سوف يفد اليك
القائل لأخصائه:
« لا انفصل عنكم انا معكم،
وليس احد عليكم! »

---

١١) لوقا ٢٤ : ٣٩

١٢) مزمور ٢٣ : ٩

١١) للحال اطاع الذين في الملاء، ١٢) ما تكاسل من الرسل احد

وفتحوا معا كل الاعالي، بل اهتموا معا بالصائرات

فالعروش والارباب، وأمال الجميع وجوههم الى العلى

مع الرئاسات والقوات، فابصروا الصعود.

اسرعوا للملاقاة للحال حطت السحابة

وبسطوا بسرعة، على ظهور الملائكة

السحابة كمركبة، وصارت مركبة[١٤]

وارسلوها فوق جبل الزيتون[١٣] للاقدام الطاهرة.

ولما انحدرت ظللت حينئذ وانشقت السماء مثل الثوب،

من يقود السحب فتقدم ابن مريم نحو الاعالي،

ويجعلها تُمطر. بينما كانت تتقدمه

ولما وصلت حملت، الاجواق النارية وتهتف: «اسرع

لا بل حُملت هي. ايها السيد، فعرشك معد[١٥]

فالمحمول نفسه حمل الحاملة، اصعد، ارتقِ على اجنحة الرياح،[١٦]

كما حمل مريم قديما. اسرع الى احضان الآب!

وقد سماها الكتاب السحابة فمن الواضح ان عرشك

وقد حفظها اذ سكن فيها هو هو على الدوام

من قال لاحبائه: سكنته ام لم تسكنه،

« لا انفصل عنكم، وان تهتف نحو الساكنين اسفل ا

انا معكم، «لا انفصل عنكم انا معكم

وليس احد عليكم، وليس احد عليكم! »

---

١٣) اعمال ١:٩ ١٤) مزمور ١٠٣:٣ ١٥) عبرانيين ١:٨ ١٦) مزمور ١٧:١١

١٣) عندما نظر المؤمنون ما كان

للحال رنموا مع داود
وقالوا : « حقا صعد الله
بتهليل، الرب بصوت البوق »[١٧]
وبينما كانوا يرنمون مما
وينظرون في العلاء، وافى اليهم
اثنان من الملائكة
كما يخبرنا كتاب الاعمال :[١٨]
« انه بينما كان الخالق صاعدا
وكان القديسون يحدقون به
وقف بهم رجلان
بملابس بيض وهتفا :
نحو من تشخصون ؟
ما تريدون ان تنظروا ؟
هوذا قد استوى
الله على عرشه
وملك علينا
الهاتف بكم :
« لا انفصل عنكم، انا معكم،
وليس احد عليكم. »

١٤) مع ذلك لا تذهلوا

ايها الجليليون فيسوع المسيح
الذي صعد سيأتي هكذا ايضا
كما رأيتموه واصلا في الاعالي
لقد صعد جليًا، ولم يتغير .
فيسوع الان
ليس كاخنوخ في القديم .
فاخنوخ هذا
انتقل من بين الارضيين
وما استوجب السماويات بل انتقل
الى مساكن الصديقين .[١٩]
وعندما صعد ايليا
على مركبة من نار،[٢٠]
صعد ولم يصل الى السماء
كما كتب، بل كانا الى السماء .
واما اله اخنوخ واله ايليا،
فارتفع الى السماوات،
وابان لكم قائلًا :
« لا انفصل عنكم، انا معكم،
وليس احد عليكم . »

---

١٧) مزمور ٦:٤٦ه ١٩) تكوين ٥ : ٢٤ يشوع ابن سيراخ ٤٤ : ١٦
١٨) اعمال ١ : ١٠ ٢٠) سفر الملوك الرابع ٢ : ١١-١٤ ويشوع ابن سيراخ ٤٨ : ١ و١٣

١٥) ولما سمع تلاميذ الفادي
هذه الاقوال
قال بعضهم لبعض :
حقا ان هؤلاء
هم شهود امناء
لصمود المخلص ،
بما انهم سماويون .
فلو لم ينظروه جالساً على العرش
لما جاؤا يبشرونا هنا في الارض.
انه يسود الملائكة،
وبواسطتهم يتمم التدابير
الموافقة للبشر .
فالذي اشرق من مريم
وُلد وابان الملائكة ولادته ،
وقام وابان الملائكة ايضاً قيامته،
صعد الى السماوات
وابان لنا بواسطة ملائكة صالحين[٢١]
صموده الالهي الموقر وقال :
«لا انفصل عنكم، انا معكم،
وليس احد عليكم . »

١٦) لنحذر من الاضاليل ،
ولنتدرع بالاسلحة مما
على الكذبة، ولنجاهد كلنا ،
ولنصارع منفردين
الى ان نسحقهم .
لنقل بحرية الى ابناء الهلاك :
« اين الذي حسبتموه
في القبر ميتاً ؟
اين الذي حرسه الجنود[٢٢]
وحفظته خواتيمكم ؟
اين نقل ؟ اين صعد ؟
من سرقه ؟ من خطفه ؟
من اخذه من القبر ؟
كيف ارسل الينا الان
هذا الثبات وابانه قائلا :
« لا تخافوا منهم ،
لن يتغلبوا عليكم
وكما قلت لكم :
«لا انفصل عنكم، انا معكم،
وليس احد عليكم ؟ »

٢١) مقالة فم الذهب في الصعود عدد ٥ « لذا نجد دائمًا الملائكة . عندما ولد المخلص وعندما قام واليوم عندما صعد الى السماوات . »

٢٢) متى ٢٧ : ٦٥

١٧) هذا ما فكّر فيه تلاميذ الفادي. ١٨) فانت من الان

ولما صعد الرب والاله، تسمو على لبنان
عندئذ نزلوا معا من الجبل ويصفرك تابور وحرمون ،
وهم فرحون مستبشرون. لان المحب البشر لم يصنع فيهما
واذ وصلوا الى اسفل الجبل، ما صنعه فيك.
كما قال الكتاب ، [٢٣] وعندما قال تلاميذ الفادي
انحنوا ساجدين مثل هذه الاقوال
للاله الكائن في العلا. وقفوا عند هذا الحد ،
واذ فاضوا بالمدائح ورفعوا الى العلاء
تركوا الاصوات في الجبل أعينهم وايديهم ،
قصد ان يمدحوا واستمالوا اليهم
جبل الزيتون فقالوا : ملك السماويات والارضيات،
« انك سموت على جبل سينا وهتفوا : «يا برينا من الخطأ وحدك؛
الذي استحق امورا كبيرة اعطنا السلام ،
بما انه قَبِلَ كلمات موسى ، [٢٤] وبواسطتنا اعطه للعالم.
واما انت فكلمات الله نفسه. فالعدو لا يطيق
في سينا كانت الشريعة ، ان يرى الصائرات فينا.
وفيك وجدت النعمة [٢٥] فاطرده عنا ،
التي ابدعت موسى وقالت لنا : انت ايها القائل :
«لا انفصل عنكم، انا معكم، «انا لا انفصل عنكم، انا معكم،
ليس احد عليكم ! » وليس احد عليكم ! »

٢٣) لوقا ٢٤ : ٢٢ ٢٤) سفر الخروج ٣٢ : ١١ و١٥ ٢٥) يوحنا ١ — ١٧

تعريف عن الكتب

Xavier Léon-Dufour S.J. — *Concordance des Evangiles synoptiques.* 20 pages de texte et deux dépliants polychromes. Format allongé 30/11 c. Paris-Tournai-Rome-New York, Desclée et Cie, 1956.

ان اللاهوتيين والمبشرين والا كليريكيين والمؤمنين الراغبين في معرفة شهادة السيد المسيح وقارئي الاناجيل العاديين يرتاحون كل الارتياح الى الكتيب القيم الذي يساعدهم في مطالعاتهم وهو كتاب « ازائية » الاناجيل .

وليس ثمة من يجهل الرواج الذي صادفته في البلدان التي تتكلم اللغة الفرنسية « ازائية » الاب لاكرانج التي ترجمها عن اليونانية حضرة الاب لافوين .

وما هذا المؤلف الذي يضعه بين ايدينا الاب ليون دوفور استاذ اللاهوت في معهد الجيان « بالازائية » الجديدة فهي ليست على رغم الاسم الذي يطلقه عليها مصنفا يشير الى التوافق الموجود بين نصوص التوراة وذلك في معنى الكلمة الدارج .

ان الازائية في مطالعة الاناجيل الاربعة تضع النصين محاذيين الواحد منها قبالة الثاني اما هذا الكتاب فلا يجعلنا نلمس بشكل ملموس في الذهن وناطق لا النسيج المشترك ولا الخصائص المميزة في كل منها ولكن المؤلف فقد اهتم بلفت انتباه القارئ دائما الى المقارنات والفروقات وحتى تفصيلات غيرها مفيدة وذلك في سبيل تفسير دقيق مع الاشارة الى مكانه والاعتبار بالمستمين واستعمال العهد القديم .

وفي سبيل بلوغ هدفه هذا رمز الى النص في كل من الاناجيل الثلاثة الاولى بعصائب ملونة بشتى الالوان وفقاً لجملة الايات او لآية واحدة بالنسبة اما الى لون واحد او الى الوان كثيرة بحسب هـذه الايات (أحمر ازرق واصفر) او انه جعلها مشتركة مع الثلاثة (الاحمر) او مع الاثنين فقط (بنفسجي وبرتقالي واخضر) وثمة علائم وتحشيات من القماش تتم هذه الفهارس الملونة وما هي الا تجديد لطبع التوراة المعروفة باسم (توراة قوس القزح) التي اصدرتها جمعية (Sacred Books of the Old Testament)

والكتاب مطبوع بشكل منشور مما جعل له قطعاً طويلاً لا يصلح معه

للصف الى جانب الكتب العادية على احد رفوف المكتبات ولكنه سهل الاستعمال اذا كان موضوعاً على طاولة قد فتحت عليها جميع الكتب بدون ان تكون مكتظة مما يسهل استخدامه .

ومن اراد استعمال هذا الكتاب ذي الشكل المتفرد به قد يضطر الى بذل بعض الجهد في البدء ليألف طريقته ، وقد تقول انه قد يصعب احياناً الوصول الى تعوّد استعماله وذلك مما قد يقتضي احياناً ببعضهم الى الاهتدا لما يريد فينفر منه ، ولكننا نرجو ان يكون الذين يعتمدون استخدامه كثيري العدد لانه قد يغدو بدون ريب الوسيلة النافعة لهم كما شاء المؤلف ان تكون . ب. م

Michel Hayek — *Le Père Charbel ou la voie du silence.* — Édit. La Colombe. Paris, 1956. — 157 pp.

لم يرد المؤلف ان يكتب قصة حياة وانما هي الروح التي انعشت هذه الحياة التي اراد ان يكشفها وايجادها في قرائه ، انها هذه الروح التي يوضحها لنا عنوان كتابه الفرعي : طريق السكوت .

وان المغامرة التي عاشها الاب شربل هي مغامرة النفس المدعوّة الى الله والتي يؤلمها ان لا تكون على مستوى دعوة من هو المحبّة ، وانه لاختلال توازن انسان منسجم الايقاع ، انسان في التفتيش المستمر لا عن السلام ولكن عن الله الذي هو سلامنا وذلك عبر الانزواء وتناسي النفس وعبر السكوت والانذهال وفي البرية ، وانها لمغامرة نفس ادركت ان الجمال في الباطن وان الله الذي تفتش عنه وتشعر بالانجذاب اليه انجذاباً لا قبل لها بدفعه هو اله خفي جوّاد قد فضل السكوت والصليب وان كان بصورة الله وان تأكد عنده انه اذا ما ارتفع عن الارض اجتذب الجميع اليه .

فيا لها من مغامرة صعبة تتطلّب التجرّد التام كشرط لعهد مثمر وتتطلب الذهول والصمت كشرطين لمن هو محبّ حاضر خارجاً عن الزمان وعن المسافة وكشروط لفاعليّة قويّة وانّما في عالم روحي ملك هما لنا بحكم الضرورة من المسافة والزمن .

ولما كان الاب شربل يغوص في صمته ويغرق فيه كان يشدهه وجه ذلك الذي عاش قبله هذه المغامرة ، وجه من تستطيع ملامحه على وجوهنا الانسانية

اجتذاب النفوس والدفع بها الى الامام في اقتفاء. مثل اعلى متجسد وحي، وان جميع آبا البرية الذين قلبوا وجه العالم هم الذين ارتضوا بتناسي النفس وبتحطيمها وتمزيقها ففي « عالم محطم » انه تحطيمهم – العبارة مفهومة بمعنى خاص – الذي عليه ان يعيد انشاء الانسجام فيه لانه ليس من انسجام الّا الانسجام الباطني اما العالم الذي انقلب الى الظاهرية في المادة والبهرجة وطفا الشك والزيغان على عيون المتصرفين فيه الى اتباع ترواتهم فليس الا قوة الله التي تقوى على تبشيره بالحكمة المطلقة والسلام، فيا لغرابة حظ القديس ويا لغرابة جميع اعماله التي تؤدي به الى الجمود الكامل وحتى الموت، لست انا الذي احيا وانما الله هو الذي يحيا فيّ .

وكذلك كان الاب شربل الراهب الحقير الذي لم يفقد قطّ صفاء النظر لان هذا النظر لم يبتغ ان يرى في المخلوقات الا الله ولانه كان دائمًا منصرفاً نحو الباطن ولم يرد الا المرقد الخشن مرقد الانزواء والغطاء المزدوج الا وهو الزهد بالاردية الانسانية والاعتصام بالفقر ليتوارى عن اعين فضولي عالم في خطر .

ففي قرننا العشرين الذي طفت فيه حمى المادية على الناس وغدوا يعيشون وقد فقدوا معنى الضمير من المستحسن ان يعيش غيرهم في الجانب المقابل ليحكموا على هذه المادية الطاغية في تعاعدها في عالم ينزف دمه حتى النهاية .

والاب شربل منذ اليوم الاول الذي ترك فيه منزله الابوي اوغل بدون ان يلوي على شيء في البرية حيث يتكلم الرب مع القلب . فهل كان عمله هذا فرارًا من النضال ؟ وهل كان تهربًا من مهمة شاقة الا وهي الحياة بين الناس والصمود معهم في تيار يجرف ملايين الناس نحو مصير بدون نهاية مطلقًا؟ ان القرب من الله الذي كان يعيش فيه شربل لم يكن في نظره الا ذلك المكان الذي تلتقي فيه نفسه ككاهن بالعالم الذي يجب خلاصه فقد كان الموقد الذي اتى اليه لتدفئة نفسه التي نالها البرد دائمًا بسبب تلك التفتات في محاولتها الالتصاق بها وقد جاءت من العالم المتضامنين معه تضامنًا وثيقًا والمضطلعين باعباء مسؤولياته مهما كانت الذلة التي تعيش فيها، بيد ان الدافع الباطني كان آنذاك في ارفع درجات اشتداده ليرى من جهة عظم الجلجلة الذي اهمله الناس وعدم جدوى الجهد المبذول للتشبه به في سبيل الناس الحمقى البالية

روحيتهم وفي سبيل عالم سخيف لا يفكر في شيء .

وعندئذٍ اتلد في نفس القديس الم عميق مسالم في حياة رفضها هذا العالم ليطلق عليه اسم طفيلي وهو في الواقع ينير ضعفه ويونسه بنور صحيح ، فالقديس الذي صنت حواسه في عزلته بالبرية التي اوصلته بالله هو اذًا خير العالم وقاضيه ولكن ليخلصه .

وانا لنطالع هذا المصنف الذي وضعه الكاتب عل الجوارح ، اما لغته فنطبعة بطابع شخصي . وأما افكاره فنبجسة من اعمق تجربة دينية رائدها الاخلاص والصدق، أما المؤلف الذي ابتغى ابلاغنا الروح التي انعشت حياة شربل فقد ابلغنا شيئاً من نفسه الا وهو زبدتها الفضلى .   عبده خليفه اليسوعي

Bisur Farès — *L'Art sacré chez un primitif musulman* (extrait du Bulletin de l'Institut d'Égypte, XXXVI, 2, session 1953-4, pp. 619-678 avec résumé arabe et 11 planches). Le Caire, 1955. — *Philosophie et jurisprudence illustrées par les Arabes, La querelle des images en Islam* (Mél. Louis Massignon, pp. 77-109 avec résumé arabe et 8 pl.) Institut Français de Damas, 1957.

منذ سنة ١٩٤٩ والدكتور بشر فارس كان يعمل مشتركاً ومعهد مصر ومن ثم درس في مبحث عهد به الى المعهد نفسه رسمًا صغيرًا من رسوم مدرسة بغداد وهو صورة للنبي محمد يعود تاريخها الى سنة ٦١٤ هـ. ١٢١٧–١٢١٨ .
(cf. Mél. Univ. S. Joseph, XXVII, 1947 - 1948, pp. 423 - 425)

وهذه الصورة الملوّنة بالماء والصمغ هي في مستهل الجزء الحادي عشر من مخطوطة كتاب الاغاني المزخرفة والموزعة بقاياها بين القاهرة واسطنبول ، وثمة اربع متدمات من الطراز نفسه تزين صدر الاجزاء الثاني والرابع والسابع عشر والتاسع عشر من هذه السلسلة ، اما هذه الصور الصغيرة الخمس فتسبق بقرن المخطوطتين المزخرفتين المؤرختين من سنة ١٣٠٧ الى ١٣١٤ ميلادية وهي من بنات (جوّ التصوير الفارسي) الذي كان منظورًا اليه حتى ذلك العهد كاقدم نماذج الزخرف العربي للكتب .

واوجدت خلاصة تلك الدراسات لمقدمة الجزء الحادي عشر من الكتاب انتقادات وبحوثاً مقابلة لها تفحّصها الدكتور بشر فارس في بيانه على الفن المقدس بدقة ولذّة .

اكبر معارض كان في هـذا الباب د . ص . ريس (D. S. Rice) في مقالته التي نشرها بمجلة برلنجتين ماكازين (Burlington Magazine) سنة ١٩٥٣ وهي بعنوان : صور الاغاني والتصوير الديني في الاسلام .
(The Aghani Miniatures and Religious Painting in Islam)

ولئن صدقناه فان مردّ هذه الصور الحسن هو الى مدرسة الموصل (لا الى مدرسة من مدارس بغداد) لان المخطوطة مهداة الى لؤلؤ اتابك الموصل الذي كان في الحكم منذ سنة ٦٠٧ (او بالاحرى ٦١٥) هجرية ، ولان المناظر التي تصدّرها هي جميعها مناظر البلاط ولان الشخصية الرئيسية فيها هي ابداً شخصية لؤلؤ (لا شخصية النبي كما يخيل الينا اننا تعرفنا اليها في مبدإ الجزء الحادي عشر) ولقد ناقش الدكتور بشر فارس الحجج التي اعتمدها الكاتب حرفاً حرفاً لتأييد نظريته فقال : ان اسم بدر الدين بن عبد الله الذي نقرأه في زوايا المقدمة هو اسم شائع الابتذال ليتعرّف في هذا المقام على وجه اليقين الى لؤلؤ الذي كان يقول عن نفسه على شاكلة كثير من الموالي من اصل نصراني انه ابن عبدالله واتخذ على ممرّ الزمان لقب بدرالدين،فما ذلك الذي كتب بخط نسخي سقيم بدرالدين لؤلؤ على ذراع شخصية كبيرة في هذه الصور الّا محرّفٌ .

ما هو طابع هذه الصور الديني او غير الديني ؟ ان « التحليل الضمني » الذي اهمله د . ص . ريس يطلعنا على ذلك . ففي ظهر كل مقدمة يبدأ متن الكتاب وهو يوضح مقصد المصوّر،ففي الكتاب الحادي عشر قصة المشادة العقائدية (اللاهوتية) بين محمد واسقف نجران النصراني وهي مشادة كانت بعد الهجرة بعشر سنين، واننا لنتعرف الى النبي من صفاته : « النخل ذي الاجنحة » والخاتم والسيف ، وليس من سبيل لاستنتاج ما يناقض هذه من الشربوش الذي يضعه على رأسه سيّد المشهد وهو لباس للرأس لم يكن من شارات لؤلؤ وانما من شارات امراء ذلك العهد .

وفضلاً عن هذا فان مصطلحات عدة من تصاوير القرن الثالث عشر هذه ترجعنا الى بغداد لا الى الموصل ، فتأثير الفن الفارسي سيستفحل في بروزه ليأتي بعد ذلك تشدّد القرن الخامس عشر في تحريم التصوير . اما مخطوطات كتاب الاغاني فانها تضع في متناولنا اول رسم زخرفي من تاريخ الاسلام المقدس.

وفي متابعة الدكتور بشر فارس للتقصي في تحرّيه اقدم المخطوطات ذات الرسوم المزخرفة في الاسلام يطلعنا في كتاب (Mélanges) ماسينيون على ثلاث صور قبل القرن الرابع عشر . فهناك لوحتان تمثلان الفلاسفة الخمسة اصحاب رسائل اخوان الصفاء. و« صورة » للفقيه ابن المطهر الحلي في رأس القوانين التي تعرّف الحلال من الحرام في التصوير ، وانها فرصة للبحث عن «صاحب الصورة» وعن ملحق لقضية (حرب الصور في الاسلام) ، ولقد ضمّ المؤلف الى شهادة ابي علي الفارسي من اهل القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) التي زجها في الجدال نصاً من القرطبي اشار فيه الى نحويين بارزين من انصار الصور وهما مكي ونحاس وكلاهما من رجال القرن العاشر .

واتبع النصّ الفرنسي لهذين الكتيبين اللذين جرى في تحليلها على طريق مقارنة النصوص بعضها ببعض بموجز عربي ليرجع اليه جميع الذين يشوقهم ان يعنوا بلغة النقد الفني الجديدة . ر . م

ALBERT CHAMPDOR : *Thèbes aux cent portes.* — In 4° de 180 pp. — avec 167 photographies — 40 vignettes et 4 h.-t. en couleurs d'après les aquarelles de David Roberts. Collection « Les Hauts Lieux de l'Histoire. » — Albert Guillot, 4e éd. Paris, 1955.

انه كتاب مختصر موجز ومع ذلك فانه يفيض حيوية بدراسة مصر القديمة وبجغرافيتها وتاريخها ودينها وفنها وحضارتها . . وقد وضع المؤلف ببساطة معلومات ثرّة في متناولنا ، فثمة صور جميلة جداً تشير الى بيان الحيوية الحافلة بواقعية احد الرسوم المنقوشة او في رسم احدى الصور الواقعية الحماسة او في مجموعة اثرية : فالمعابد والالهة والفراعنة العظام والحياة الثانية بعد الموت والحياة اليومية تبعث وتستفيق منتشة امامنا بشكل شديد التأثير احياناً ، فهناك ضريح راموزا وحقول يالو والخناتون وقد اضاءه هاسيا ورعمسيس الثالث يضحي احد الاسيويين والكاهن الاعظم المولج بدفن الاموات وهو بقميصه القطني ويرتدي جلد فهد وهناك الربة هاتور تطوّق فرعون .

ه . شارل اليسوعي

كتاب اسرار البلاغة

تأليف الشيخ الامام عبد القادر الجرجاني

تحقيق هـ . ريتر ، طبع مطبعة وزارة المعارف – استانبول ص ٤٨٥ المقدمة ٢٦

كتاب اسرار البلاغة من الكتب اللغوية القيمة التي لا غنى للاديب عنها، وضعه العالم اللغوي الكبير الشيخ الامام عبد القادر الجرجاني وحققه وعرفه بمقدمة رائعة باللغة الانكليزية جاءت بستة وعشرين صفحة الدكتور هـ . ريتر استاذ الادب العربي في جامعة فرانكفورت بالمانيا ، فجاء هذا التعريف قطعة ادبية زاخرة بشكل طريف وبالحقيقة فانها تدل دلالة اكيدة على قيمته الادبية واثره الفكري وتظهر المؤلف كعالم لغوي كبير . في الكتاب عناية كبيرة ظهرت بالتحقيق وسهر على الطبع واتقان في الترتيب وتنسيق الفهارس وكلها تعطي الدليل القاطع والبرهان الدافع على براعة المحقق التامة وعراقته باصول التحقيق وقدم باعه باللغة العربية وآدابها ، ومهما يكن من امر فان كتاب اسرار البلاغة من الكتب القيمة التي يستحق عليها المستشرق الاديب الدكتور هـ . ريتر كل تهنئة وتقدير لانها خدمة عامة للادب العربي وعمل فكري خالد ومجهود جبار مفيد

عارف تامر

كتاب حكمة الاشراق

تأليف شهاب الدين يحيى السهروردي

تحقيق هنري كوربان طبع المعهد الفرنسي للدراسات الايرانية – طهران ص ٣٥٠ المقدمة ١٠٢

اشتهر البروفسور المستشرق العلامة هنري كوربان بالدراسات الاسلامية الصوفية هذا الى جانب اختصاصه بالدراسات الفلسفية الاسماعيلية ، وكتاب حكمة الاشراق من الكتب الصوفية العربية النادرة الغنية عن التعريف التي كان اظهارها لحيز الوجود مفاجئة هامة وخدمة عامة للدراسات الاسلامية الشرقية . وضعه الحكيم الصوفي الكبير واستاذ المدرسة الصوفية الشهيرة شهاب الدين يحيى السهروردي الذي حصر جل اتجاهه في الاشراقات الالهية والتأويلات

الصوفية والحكم الباطنية والرموز الاشراقية ذات التأويل العميق والمعنى القويم، واذا كان لي ما اقوله بالكتاب فهذه المقدّمة الكبرى الجامعة باللغة الفرنسية التي جاءت بمائة وصفحتين قد ضمنها المحقق شرح الرموز الصوفية والاصطلاحات الباطنية وفي الحقيقة ففي الكتاب جهد عظيم يبدو واضحاً وتحقيق عميق يبدو لكلّ مهتم، وفي الكتاب ايضاً التعريف الكافي للفلسفة الصوفية يكتبها خبير عرف هذه الفلسفة واطلع على اسرارها ورموزها وما زخرت بـه من المعاني والتأويلات واني ادعو كل متتبع ومهتم وباحث لاقتناءه والتزود من المجانـه وأرى انه لا غنى عنه لكل عالم يهتم بالدراسات الصوفية الاسلامية .

عارف تامر

كتاب جامع الحكمتين

تأليف ناصر خسرو

تحقيق هنري كوربان ومحمد معين، طبع المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية – طهران ص ٣٤٩ المقدمة ١٢٥

العلّامة المستشرق هنري كوربان مدير المعهد الفرنسي للدراسات الايرانية، ومدرس الدراسات العليا في جامعة السوربون من المستشرقين الذين اتقنوا اللغة والادب الفارسي وألموا بكل شاردة وواردة من هذا الادب حتى أصبحوا من الضليعين فيه وخاصة التأريخ الايراني الاسلامي، اما الدراسات الاسماعيلية فهو يعتبر بحق حجة فيها وفي طليعة من بحثوا هذه الفلسفة على ضوء الواقع والتجرد والانصاف وهذا الكتاب الذي اتحف به المكتبة الاسلامية فبالرغم من انه جاء باللغة الفارسية فان في مقدمته الموضوعة باللغة الفرنسية من قبل المستشرق كوربان والاستاذ محمد معين استاذ الاداب في جامعة طهران ترجمة موجزة وتعريفاً كافياً عن كل ما ذخر به الكتاب من فلسفة وعلوم وضعها الحكيم الاسماعيلي الرّحالة ناصر خسرو . فالى هـذا الكتاب ادعو المهتمين . والى بحوث هذا المستشرق الفت الانظار .

عارف تامر

JULIAN HUXLEY. *Splendeur et misère de l'Orient*. Trad. de Josette Hesse. — Gr. in 8° de 320 pp. et 72 d'héliogr. — sous jaquette de P. Faucheux, avec une carte et un index. — Arthaud, Paris — Grenoble 1955.

يتحفنا مدير الاونسكو الاسبق، فيما يلي ، بما دوّنه من مذكرات في اثناء تنقله في الشرق الادنى ، وهي مذكرات أتمها خواطره الشخصية ومطالعاته الوافرة ، وزينتها كليشهات تبعث على العجب، ومردّ معظمها الى المؤلف نفسه. وهذه « الرحلة في التاريخ » قام بها في الشرق الادنى من تونس الى اصبهان ومن استنبول الى القاهرة وذلك اعدادًا لانعقاد جمية الاونسكو العمومية في بيروت في تشرين الثاني من سنة ١٩٤٨ .

فعندما يصف المؤلف الاثار الفخمة ويتحدث عن القضايا الثقافية والاقتصادية والاجتماعية حتى السياسية ، وذلك بروح قصصية مرحة ، فانه يحاول في تفسيره لها استخدام نظرية التطور في التاريخ التي القتهـا في ذهنه مفاهيمه البيولوجية .

وكثيرًا ما كان قاسيًا في تقديره للوقائع والامور وكذلك للاشخاص ونزعاتهم . والظاهر ان تقديره صحيح على الجملة ، لكونه مبنيًا على محادثات مباشرة مع ابرز شخصيات البلاد التي مرّ فيها واكثرهم كفاءة، مما يجعلنا نفيد من مطالعة هذا البيان الذي لم يضعه مراقب ذكي وحسب بل بحّاثة ومفكر رغم نظريته الفلسفية الوضعية .

ونتيجة الملاحظات التي اوحت بها هذه الجولة في مهد اديان التوحيد الكبرى، اعتقد ان من المفيد انجاز فكرة المؤلف والتبسط بها بمساعدة دراسات دينيه حبشي «معهد الإداب الشرقية بيروت ١٩٥٦» حول مـا يجب اعتماده لتكوين فكرة خاصة بحوض البحر الابيض المتوسط في القرن العشرين . فتطور الدين في فلسفة التاريخ العلمانية انمـا هو مجموعة من المشاكل التي تفضي الى تفسخ قتّال . فلكي يؤدي التطور الحثيث بيولوجيًا الى ازدهار في الوقت الحاضر ، يجب تدعيم الوجودية الراهنة بفلسفة الماضي الجوهرية، وانعاش الحاضر باستمرار بالتقليد الديني الذي لا يغاير التاريخ ان كان من التقاليد الراهنة الحقيقية. هـ.ش.

Malek Basbous et R. de Tarade, *Notes sur l'écologie du Cèdre du Liban* (Public. de l'Univ. Libanaise, section des Sciences naturelles I). — 25/18 cm., 24 pp., 4 planches — Beyrouth 1955.

من اوسع المحاولات التي أجريت لاعادة تحريج لبنان ، وادعاها الى الاهتمام ، غرس غابة ارز كبيرة، فوق غابة بشري التاريخية ، كنواة لمشروع بعث احراج لبنان القديمة . فالسيد مالك بصبوص ، خريج مدرسة نانسي لعلم الغابات ، واستاذ علم النبات في الجامعة اللبنانية، رأى ان من واجبه عرض هذا المشروع فساهم شخصياً في وضع تصميمه مساهمة كبيرة . ولكن ، ألم يكن من الملائم ، بهذه المناسبة ، درس الشروط التي يجب ان تشتمل عليها الارض الصالحة لنموّ شجر الارز ؟ هذا ما قام به ، من هذه الناحية ، المزارع الممتاز والعالم المعروف الاباتي دي تاراد بفضل طول أناته وغزارة المعلومات التي استقاها لتتميم ابحاثه . ولقد أدلى ، فيما مضى ، ببيان مهم حول هذا الموضوع امام حفنة من المستمعين والحق يقال . ولا شك أنه لم يزل صاحب الفضل بوضعه قسماً كبيراً من هذه الملاحظات النظرية ، خصوصاً فيما يتعلق بالمقابلة بين انواع الارز الثلاثة : ارز لبنان وارز الاطلس وارز حملايا او ديوكلارا.

ولنسلم باعتراضين جديرين بأن يخطرا على بال عالم في علم النبات لدى مطالعته هذه الصفحات . أفلم نلح في ايجاد مثل هذا النوع من المدارس التي تعنى بالاشجار ذات الجنس الواحد والانواع المختلفة ؟ واذ ترشدنا هذه الملاحظات الى الصواب ويبين لنا تصنيف الشجر ، خصوصاً في غابة اهدن ، ان المنبت الطبيعي لارز لبنان لا يتجاوز ارتفاع ألفي متر عن سطح البحر ، أفلا نتعرض لخيبة امل عندما نعتزم تعميم الارز في مكان اكثر ارتفاعاً من هذا ، كما حدث في محلة فم الميزاب. اما المحاولة فجديرة حقًّا بان يُقام بها كتجربة حتى ولو كان غير ممكن ضمان اعادة تحريج الاقسام الكثيرة الارتفاع من هذه الغابة .

واننا لنستبشر خيراً ، لجمهور كبير ، بهذا العمل ذي الطابع العلمي دون ان يثبط همتنا الأخذ بمبالغة الاساليب الفنية . وانها لنقطة انطلاق ممتازة لنشرات الجامعة اللبنانية العلمية .

ب. م.

المشرق

السنة الواحدة والخمسون

تموز – ت١ ١٩٥٧

رسالة في حدوث الزلازل وعلتها

للراهب اغابيوس الخناوي

نشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

سنة خلت والعلماء يهتمون بدرس اسباب الزلازل ويطلعون عليها الرأي العام . فقد كثرت الزلازل في السنة الماضية واضطرب لها القاصي والداني ونزحت الجماهير الغفيرة تاركة بيوتها خراباً وثروتها جزافاً الى اماكن تجد فيها السلم والطمأنينة . ولهذا رأينا ان ننشر الرسالة التالية وقد اخذناها من خزانة مخطوطات مكتبتنا الشرقية تحت الرقم ٢١٧. وكان قد ذكرها الاب لويس شيخو في ثبته للمخطوطات ص ١٣١ .

كان مفتي دمشق الشام قد طلب الى صديق له مسيحي ان يطلعه على اسباب زلزلة الارض وما كان من هذا الصديق الا ان توجه الى راهب قانوني

من رهبان القديس يوحنا الصابغ في الشوير راغباً اليه في ان ينبئه عن الجواب على السؤال المطروح . وهـا هو الجواب كتب في اوائل القرن التاسع عشر بيد راهب اسمه اغابيوس. وما اكثر ما كان الرهبان ولا يزالون يبالغون في حمل هذه الاسما. والتعرف بها دون ذكر الكنية . وهذا ما لم يسمح لنا بالوصول الى معرفة هذا الراهب المؤلف .

وهذه الرسالة على ما فيها من اقتضاب تدل على ما لمؤلفها من قسط واسع في علوم الارض وطبقاتها ، ننشرها بالحرف الواحد للدرس والتفكهـة معاً . طولها ١٩ سم وعرضها ١٢ سم . كتبت بالخط النسخي وبالحبر الاسود على ... صفحة وفي كل صفحة منها ٢٠ سطراً .

بسم الله الخالق الحي الناطق فعليه توكلت واليه انيب .

الحمد لله الواجب الوجود الرب المعبود علة العلل والطبايع ومنشي الاكوان والصنايع باري السماوات ومكللها ومثبت الارض ومزلزلها . حمدًا وشكرًا على ما انعم .

وبعد فاذ كان لا بد لكل قول الي بيان وشرح وتبيان لقبول العقل النطقي فيحتاج اذًا الامر بنا الي بسط مقدمة يفهم منهـا تلخيص القضايا بحـبا تقتضيه الفطنة البشرية فنقول ان اثبات الشي يكون بنوعين اما اثباتاً انيًّا او لِمِّيًّا فالاثبات الإنّي هو اذا ما اثبتنا الشي من قبل معلولاته كما اذا اثبتنا وجود الشمس من قبل وجود النهـار ووجود الخالق من قِبل وجود مخلوقاته . وأما النوع اللمي هو اذا اثبتنا الشي من قبل علته وسببه كما اذا اثبتنا وجود النهار وضيا العالم من قبل وجود الشمس ووجود الدخان والحرارة من حيث وجود النار لانها علتان لها . فالقياس اللمي هو اقوى برهاناً لانه

يوضح وجود الشي ويورد علة وجوده . امـا القياس الاول فلا دخل له بالطبيعيات لانه يثبت وجود العلة الاولى تبارك وتعالى الذي هو علة العلل ولا علة له .

فإذ قد انورد هذا فلنوضح جواباً مختصراً عن اعتراض مقدر تمكن سواله في شان حدوث الزلازل وعلتها واسبابها وكيفية صدورها .

فنقول ان للزلازل وغيرها علتين علة الهية وعلة طبيعية . فمن حيث انه لمن المستحيل ان تتحرك ورقة ما من اوراق الاشجار الا برسم العناية الالهية فلهذا يسمح الله تعالى بحدوث الزلازل لاسباب عدة تخص تهذيب الاخلاق وتلاحظ الاداب المختصة بالنفس الانسانية التي هي جزء الانسان الاعلى ذو العقل الناطق وهذا الامر يوضحه عما جاء من قوله تعالى في كتاب الزبور مخاطباً جماعة الناس ذوي القلوب القاسية والمتسلطين اصحاب الحكم الجايرين والغير الرحومين قايلاً لهم الى متى تقضون بالظلم وتاخذون بالوجوه . احكموا للمسكين والفقير انقذوا اليتيم والبايس وخلصوهما من يد القاسي ثم انه تعالى يورد سوء فعلهم . لم يعلموا ولم يفهموا انهم في الظلمة يسلكون فلهذا تتزلزل كل اساسات الارض .

ولعمري ان هذا الانتقام الخاص ليس هو الا من عدم الرحمة والشفقة وسلب حقوق الناس بالربا وقطع اجرة الفعلة المساكين . والنتيجة ظلم الناس بعضها بعضاً باي نوع كان . فهذا عينه تحرك الله تعالى للانتقام . على انه بالازمان القديمة كان الله عزّ وجل يقاصر بني آدم بنوع يلايم ما اثمهم لانه في زمان نوح عليه السلام لما احترقت قلوب البشر بالشهوة اللحمية الحيوانية النافثة حال حيوة الانسان الروحية امطر الله تعالى عليهم مياهاً غزيرة ليطفي تلك الحرارة الغريبة المهلكة واهلك جميعهم ما عدا نوحاً وآله .

وفي عهد لوط عليه السلام اذ بردت قلوب اناس تلك المدن الخمس من محبته تعالى وسلكوا بما اثم اللواط امطر عليهم ناراً وكبريتاً واهلك جميعهم ولم يسلم

غير لوط وبنيه . وهكذا كان يقاصر الباري تعالى افراد البشر بنوع اوزارهم فالذي كان ذو كبرياء يهلكه بنوع مهين والذي يكون محبا الفضة بمقام رب معبود يسمح تعالى بضياع امواله او بفقد بنيه واملاكه والذي كان يتدنس بأقبح المحارم كان يميته جل وعلا افظع الميتات والذي كان يقسم باسم الله تعالى باطلًا ويحنث على قريبه ويعطي فضته بالربا والغش فكان ذاك لا ينجح الى الدهر ويبليه باريه ببلاوي متعددة وهذا المعنى مفهوم لدى كل ذي عقل نطقي.

فلما كانت القساوة وعدم الرحمة وظلم الفقرا والمساكين والجور عليهم اما باكل وسلب حقوقهم او بقطع اجرتهم او بسلب اموالهم بالربا والغش فهذا (فهذه) الشؤون وما ماثلها كانت ترجف القلوب وتزعزع اساسات الالباب فلاجل هذا تتزلزل كل اساسات الارض وهذا هو نوع من سخط الله تعالى لانه يقول وهو اعز القايلين في الزبور الشريف : تزلزلت الارض وصارت مرتعدة. اضطربت اساسات الجبال وتزلزلت لان الله سخط عليهم (ومن المفهوم ان لامَ لان هي لام التعليل) فاذًا علة سخط الله تعالى علي البشر بحدوث الزلازل هو من عدم الرحمة والطمع بسلب مال الناس بعضهم من بعض .

فلهذا سبق القول ان العلة الاولى والسبب الاخص بصدور الزلازل هو منه تعالى علة العلل ومع هذا فلا بد من وجود علل طبيعية موثرة من الحركات الفلكية كما يتوضح ذلك بعون الله تعالى . غير انه تباركت اسماؤه قد يطلق العنان للطبايع ان تعبر مفاعيلها ولا يقهرها ويمتقلها عن صدور كمال تاثيرها وذلك لعمار الكون لانه تعالى بتدبيره الغير المفحوص خلق الدنيا وزينها بالفصول الاربعة والعناصر الاربعة وبتدابيره الخفية وبرسم عنايته الازلية ما زال عد الناس بالميلاد والحيوة ويقتصر عليهم بالبلايا والموت بالمرض والصحة بالفقر والغنى وما يشاكل ذلك .

فهذا كله عناية منه ورحمةً وتفضلًا واحسانًا لخلقه فلما كانت عقول الناس غير مستقيمة من حيث اذ ارسل لينادي بمدينة نينوى التي هي الموصل

وان لم ترتجع اهلها عن فعل المحارم يخسف الله تعالى بهم مدينتهم . ولما رجعوا اليه تعالى بالصوم والصلوة والصدقة وتابوا اليه تعالى صفح عنهم وعاملهم بلطفه الخفي .

فهذه هي العلة الاولى لحدوث الزلازل من حيث انتقام عدل الله تعالى للبشر وعدم مسكه فعل الطبيعة لكي يرجعوا اليه من كل قلوبهم لانه تعالى قادر كما يقول ارسطوتاليس مع ائمة الفلاسفة ان يسد بقدرته مسدّ كل فعل طبيعي كما فعلت قدرته في اتون بابل في عصر بختنصر اذ امتنع احراق النار عن الثلثة فتية بنوع غريب وعجيب .

فلنتكلم مُذ الآن عن علة الزلازل الطبيعية المسببة من التأثيرات الفلكية والحركات الكوكبية وتصاعد الابخرة الارضية فنقول انه لقد نظر العلما بعضهم نظرات وهمية بهذا المعنى فقال قوم منهم ان الارض ذو نفس حية تتحرّك بجر اثقالها وهذا القول باطل لان الارض عنصر ترابي ثابت غير متقلقل ولحظ قوم منهم ان الارض تتحرك بحركة الافلاك وهذا ايضاً قول غير ثابت لاننا نعلم ان الارض كرية الشكل ثابتة بقدرته تعالى علي المياه وقد اختلف قوم ناتجين مما تقدم ان الارض تتحرك بحركة المياه وهذا ايضاً قول فاسد لانه لو كان ذلك كذلك لكانت حركة الارض غير بطالة بل لكانت متحركة دائماً مع حركة المياه والبحر الطبيعية والحال انها ثابتة علي ما رتب الله عز وجل باريها .

فيكون اذا الاعتبار بسبب حدوث الزلازل بعلةٍ خارجية صادرة عن العلة الاولي منشي الطبايع ومكونها هذا اولاً وثانياً الراي الاصح المورد من العلما الفلكيين والطبيعيين لعلة الزلزلة الثانية الطبيعية هذا هو . وهو ان اكثر ما تحدث الزلزلة هي في زمان الخريف وتتقدم الي اول فصل الشتا. وذلك من قبل حرارة شمس الصيف الشديدة فتحتقن في قلب الارض تلك الابخرة الموفرة من فصل الشتا لا سيما من الامطار اذا كانت غزيرة ثم تعفن في فصل الربيع الحار

الرطب معدن العفونات ولهذا كانت الامراض الدموية في فصل الربيع اوفر. فاذ ياتي فصل الصيف الحار اليابس تحتقن هذه الابخرة في سطح الارض لانه يكون متلززًا بسبب القيظ الحادث مع ان قلب الارض يكون حينئذ باردًا ولهذا مياه الابار والعيون في فصل الصيف يكون باردًا وفي فصل الشتاء البارد اليابس بالعكس بما انها بالشتا تستقر الابخرة في قلب الارض وتتلزز الارض من قبل يبس الطبع الكائن فتكمن الابخرة داخل قلب الارض فيصير الماء حارًا بالشتاء وبالصيف باردًا كما يبان ذلك بالامتحان من كل واحد من الناس . فاذ يأتي فصل الخريف البارد الرطب الحادث فيه الامراض البلغمية تتخلخل الارض وتتفرق اجزا سطحها وتميل الشمس عن القطب القبلي فتبتدى حالًا الحرارة بان تجتذب تلك الابخرة وتتصاعد بها باجتذاب قوي من الارض فتحدث وتتيز رجة وغلايان في الارض وهذه هي الزلزلة .

ومن هذا الارتجاج تزيد مياه البحار وتخرج بعض عيون جديدة وانهر حديثة وتغور بعضها لانه بنفور هذه الابخرة تتفسخ بعض صخور واراضي فتجد المياه السايلة الطبع منفذًا فتخرج حالًا فتظهر انها جديدة وربما تكون من تلك المياه الغايرة اما اذا كانت مالحة في مكان وظهرت عذبة في المكان النافذة اليه حديثًا فهذا التغير صادر من مرور تلك المياه وباراضي جيدة غير مالحة. وبالعكس ايضًا اي اذا كانت تلك المياه حلوة وظهرت مالحة فيكون تغير طعمها باكتساب اعراض جديدة من اراضي مالحة غيرت نوع عذوبتها فلا عجب اذًا من حدوث امور كهذا بسبب الزلزلة (×) شي طبيعي ممكن حدوثه وصار سابقًا .

امـا ان كان احد يعلم ان الزلزلة تستديم او تقتصر ام تحدث ليلًا او نهارًا فهذا علمه عند الباري تعالى ولكن يفهم بالتقريب والاستقرا على ما لحظ بعض من المدققين مثلًا اذا كان مطر تلك الشتوية غزيرا وحر الصيف التالي لذلك الشتا شديد وحدث انتقالات وتغييرات فلكية فربما تدوم مدة يعلمها

الله وحده . واما اذا حدثت ليلًا او نهارًا فعلى استقرائنا ان حدوث الزلزلة يكون ليلًا بسبب غور حرارة الشمس نهارًا في قلب الارض فبالليل برد سطح الارض قليلًا تبعًا للفصل الكائن فتطلب الابخرة النفور وكذلك حدوثها في اوايل القمر اكثر استمدادًا من حيث مقارنة الشمس بالقمر بما ان نوره مستفاد منها وميلاده اي القمر هو اكتساب نوره من الشمس كل هلة شهر على نوع جديد نظرًا للباحثين .

فبقي لنا ايضاح تكوين هذه الابخرة في الارض وكيفية غلاياتها وحركة صعودها واتصافها المسمى زلزالًا واهتزازًا فعلى ما شرح القوم اصحاب العلم الكامل المكني بصناعة الكيميا فقالوا ان الارض ام للمعادن وقد كوّن الباري تعالى بهذه الارض الزيبق والكبريت المعروف عندهم بالقرين والقرينة وامهم فهي الارض . فالعلة الثانية الطبيعية لخروج هذه المعادن هي عمل الكواكب السيارة وقوة تأثير فعلها . فزحل الكوكب الاعلى يعمل الرصاص والمريخ الحديد والمشتري القصدير والشمس الذهب وعطارد الزيبق والزهرة النحاس والقمر الفضة . ولهذه الكواكب المذكورة تأثيرات تخص المعادن الجوهرية . غير انه لا بد من منافذ ممتدة بالارض لسيلان جوهر الزيبق والكبريت ليخرج منها المعدن الذي غيصه فلم تزل هذه الابخرة موجودة دائمًا في قلب الارض وهي طبيعية لها ومن هنا تختلط مع هذه الابخرة ابخرة ايضًا بارودية تختص باراضي واصقاع كما ان الابخرة الكبريتية ايضًا توجد باصقاع انوف مما توجد في غيرها لا سيما في النواحي القبلية لان الشمس تحتكمها بدورها بالسلة تسعة ايام عن النواحي الشمالية الاكثر برودةً فوجود هذه الابخرة وانطباقها بحرارة شمس الصيف فتطلب الصعود فلا تقوى لاجل التلزز ففي فصل الخريف واوايل الشتا تتلاحك هذه الابخرة مع بعضها وتطلب لها مصعدًا فاذ تكون الارض متاهبة بالتخلخل فتصعد حالًا هذه البخار بمقدار ما يكون البخر الكبريتي كثيرًا والارض اشد صلابة فتكون الرجة قوية وتخرب امكنة

متينة التي لا يستطيع على هدمها ملوك الارض وهذه هي الزلزلة .

وبقدار مهما يكون البخار الكبريتي متكاثر في ذلك الفصل الخريفي بقدر ذلك يحدث صواعق في الشتا الذي يتلوه لان هذه الابخرة الكبريتية بصعودها اما بزلزال الارض او بدونه تصعد وتتكون بالسحاب فياتيها الريح من كل جهة ويزدحمها فتتلاحك الغيوم مع بعضها وتهتز تلك الابخرة الكبريتية من عنف الارياح المتضادة وتحذف بها الي الارض بضوضا عظيم اينما كان الريح متوجهاً فان كان شمالياً تقع في الناحية القبلية وان كان شرقياً تسقط بالمواطن الغربية وبعكس ذلك فتدعي صاعقة ويبصر نورها كالبرق قبل بروز صوتها كما يشاهد في اشعال المدافع وغيرها .

ثم انه تكون الزلازل من يبس الارض وعدم المطار وبالعكس ايضاً فبالاول تكون من رطوبة الفصل وتلزز سطح الارض كما اذا انوضع في مكان بارود وشعل فيها يكون ذلك المكان قوياً فبخار البارود يهدمه وبالتالي يصير الزلزال من تخلخل الاراضي لوفود الامطار بالخريف واويل الشتا فتجد لها الابخرة منفذاً ولكن يكون خروجها لطيفاً غير انه طبيعياً اذا كانت بعض اراضي رملية متخلخلة ذات رخاوة لها بعض مغاير فلو نفذ منها تلك الابخرة عينها فلا يكون ارتجاجها مهيل مفزع ولا يخرب فيها اماكن الا مما يقل جداً .

فقد تحصل اذاً اولاً ان علة العلل الواحد الاحد المهيمن الصمد عنده ومنه يصدر كل شي طبيعي وغير طبيعي نظراً الي فائدة خلايقه وتاديبهم . ثانياً انه يوجد علل طبيعية للكاينات تطلب كمال فعلها. فعلي البشر ان يسلموا عنان تدبير سياستهم لله تعالى وان يهربوا من الخطر ليلا يبادوا فيه ويباشروا افعال التوبة الحقانية مثل الصوم والصلوة والزكاة والحلم والرحمة والطهارة والشفقة وترك الربا والظلم والغشوش والتعظم ثم الرجوع عن كل فعل منكر يغيظ الباري جلت عظمته لانه هو القايل في الزبور وهو اعز القايلين ان لي

الانتقام وانا اجازي كل امرئ نظير اعماله ان خيرًا فخيرًا وان شرًا فشرًا . دفع عن عبيده ما كان اعظم ونحمده علي ما انعم له الحمد والسبح والقوة الى اباد الدهور امين .

قد صنفت باقتراح احد الاراخنة ليرسلها لمفتي دمشق الشام باسرع وقت من اغابيوس باسم قس احد رهبان مار يوحنا القانوني .

ننشر في ما يلي نبذة تصوّر لنا زلزال سنة ١٧٥٩ ، وقد سمح لنا حضرة الاب المحترم الذي نشرها في «الرسالة المخلصية» ، ١٩٥٧ (٢٤) ص ٢٨٦-٢٨٧ ان ننقلها الى قرّائنا الكرام على صفحات مجلة المشرق . وهذه النبذة ليست الّا جزءًا من رسالة وجهها المطران باسيليوس جلقاق ، اسقف صيدا ، الى ابنه الروحي القس اثناسيوس دباس وكيل الرهبنة المخلصية في روما ، وهي محفوظة بين مخطوطات دير المخلّص . قال اسقف صيدا :

نخبركم انه في اليوم ١٩ من شهر تشرين الاول قبل الشمس بساعتين ونصف حدثت زلزلة عظيمة استقامت دقيقتين وهدمت بيوتًا كثيرة وقتل منها خلق كثير في بلادنا وبلاد بشارة وصفد المدينة . واخذت تتبعها زلازل صغيرة حتى تقطعت قلوب الناس من الخوف وهرب الناس من المدن والقرى ونصبوا لهم اكواخًا خارج القرى . وبعدها في اليوم ١٩ تشرين الثاني بعد ثلاث ساعات من غياب الشمس حدثت زلزلة اخرى كبرى استقامت اربع دقايق وتكملت على هدم العمارات . وما كنت تسمع الّا صراخ وولولة وغبار خارج من الارض لاجل تشوفتها وهدمت كنايسًا رجوامعًا وسرايات وبيوت وما بقي الّا ما قل . ومدينة صفد قد مات فيها من اليهود والمسلمين نيف عن الفين وما بقي من اليهود الّا ستة عشر عيله وهربوا الى صيدا وعكا . اما بلاد صفد فلم يتأذى منها احد . واما ابرشيتنا فات من رعيتنا ولدين ورجل بقيتوله والبقية منها موارنة الجملة اربعة عشر نفسًا . وكل الدروز لم يمت منهم مقدار ستة اشخاص . وبعاصيا مات كثيرون ونزلت على قرية بيت جن نارًا هدمت بيوتها واحرقت كثيرين . وفي بلاد المتاولة قرايا كثيرة هدمت ومات خلق كثير وقرية تدعي كفرحتا كلها متاولة وهدمت وقتل بها مقدار خمسة وخمسين متاولة وكان بها عيلة نصارى

سلمت . وغيرها كثيرون ولم يكن اكثر الموت الّا بالمتاولة وصيدا قتل بها مقدار خمسة انفار واقلّ . وبعلبك والراس قتل بهم كثيرون وهدمت قلعتها ووقع عامود الراهب القديم الزمان . والشام قتل بها من النصارى مقدار ثمانين حسب مكتوب الخوري نقولا مكحل ومن المسلمين كثير عدا الهدم المريع للبيوت والجوامع والقياسير واما من كاثوليكيتها ثلثة فقط امرأتين وشاب . ودير القمر قتل بنت وعطلت كل سراياتها . والمختاره عدمت سراية الشيخ وغيرها وانفسخ الجبل الذي فوقها والمعاصر غارتْ عينها فقط . ودير السيدة الجديد انفسخ وعدم والمنيق تشقق ودير المخلص فسخت زاوية الكنيسة الشرقية قليلًا ودار البطرك انفسخ زاويتها الشمالية قليلًا . وجون انفسخت كنيستها قليلًا وبرنه هدم جانب من كنيستها وكذلك زادت فسوخات كنيسة ماري ايلياس بدير القمر وغيرها كثير بلاد كسروان لم يجري بها تفسيخًا . وبارض قانا قد نزلت بردة واحدة مقدار جرة صفوا منها ابريقين ماء ولم تزل الزلازل لكن خفيفة لا نعلم النهاية ما تكون . الرب ينظر والبركة عليكم ثانيًا وثالثًا . ٨ غام كانون اول ١٧٥٩

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)

رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

وكان ابو يوسف البريدى قد استوحش من اخيه فقال قد حصل لاخي ابي (١٧٣/٨٩) عبدالله من واسط ثمانية الاف[1] الف دينار بذر فيها .

فصار في بعض الايام الى دار ابي عبدالله من واسط فتلقاه الغلمان وقتلوه[2] .

وورد الخبر بان نافعا غلام يوسف بن وجيه صاحب عمان قتل مولاه وملك مكانه

ودخل الروم راس[3] عين وسبوا من اهلها ثلاثة الاف[1] انسان .

ووضع ابن شيرزاد على ساير مداين بغداد ضريبته وعم الغلا وصار ما كان يساوى في ايام المقتدر رحمه الله دينارا يساوى درهما

وفي جمادى الاخرة قبض ابو العباس الديلمي خليفة توزون على الشرطة ببغداد على ابن حمدان اللص ووسطه فخفف عن الناس بعض المكاره بقتله .

وفي رجب مات ابو القسم سليمان بن الحسن بن مخلد[4] .

وقد قالوا[5] مريم بنت الحسن بن مخلد ابوها وزير تقلد الوزارة ثلاث دفعات وزوجها القسم بن عبيد الله وزير المعتضد والمكتفي واخوها سليمان بن الحسن بن مخلد تقلد الوزارة للمقتدر والراضي والمتقي وحموها عبيد الله بن سليمان وزير المعتضد[6] وابنها ابو علي الحسن بن القسم بن عبيد الله وزر للمقتدر بالله .

وقد تقدم قول الناس امراة يحل لها ان تضع قناعها بين يدي اثني عشر خليفة كل لها محرم[7] ، وهي عاتكة بنت يزيد بن معاوية ابوها يزيد وجدها معاوية واخوها معاوية بن يزيد وزوجها عبدالملك بن مروان بن الحكم وابنها يزيد

١) في الاصل ١٠ الاف

٢) في المنتظم ٦/٣٣٢ قال وفي هذه السنة ، قتل ابو عبد الله البريدي اخاه ابا يوسف

٣) في البداية والنهاية ١١/٢٠٨ راس العين

٤) ترجم له في المنتظم ٦/٣٣٨ بايجاز

٥) في الاصل فالوا

٦) في الاصل المتصد

٧) في الاصل لمجرم

(١٧٦/٩٠)[1] بن عبدالملك وبنو[2] زوجها الوليد وسليمان وهشام وابن ابنها الوليد بن يزيد وابن ابن زوجها يزيد بن الوليد بن عبد الملك واخوه ابراهيم بن الوليد الذي خلع.

واصعد معز الدولة من واسط على وعد من البريدي في نصرته فلم يفوا.

وانحدر اليه توزون فالتقيا (ــ سى) بقباب[3] حميد ودامت الحرب بينهم بضعة عشر يوما وكان توزون يتاخر كل يوم وكثر القتلى في الجانبين.

وعبر توزون ديالى[4] واستولى على زواريق معز الدولة فضاقت عليه الميرة فصار الى جسر النهروان وعبر اليه توزون في القب عربي[5] وخمساية تركي على غفلة واخذ سواده وقتل من اصحابه خلقا واسر آخرين[6] في جملتهم ابن الاطروش المعروف بالداعي العلوي[7] وابو بكر بن قرابة وكان قد وافى[8] مع الديلم فصودر على عشرين الف دينار وشغل توزون عن اتباعهم ما عاوده من الصرع[9].

ونجا معز الدولة والصيمري ونفر يسير باسوا حال.

ولليلة بقيت من شوال[10] ورد الخبر بموت ابي طاهر سليمان بن الحسن الهجري[11] بالجدري في منزله بهجر في شهر رمضان وصار الامر لاخوته.

وكان ابن سنبر يعادي المعروف بابي حفص الشريك واحضر رجلا اصبهانيا فكشف له دفاين واسرارا كان ابو سعيد كشفها لابن سنبر وحده من غير ان يعلم ابنه ابا طاهر بذلك وقال الاصبهاني[12] امض الى ابي طاهر وعرفه ان

---

١) هذه الصفحة والتي تليها مكررتان في الفلم، فهل هما مكررتان كذلك في الاصل المخطوط؟

٢) في الاصل وبتوا

٣) كذا في الاصل وفي الكامل ٦/٢٩٥ والتقوا سابع عشر ذي القعدة بقباب حميد وفي تجارب الامم ٦/٥٥ وانحدر اليه توزون فحاربا له والتقيا في الموضع المعروف بقباب حميد

٤) في الكامل ٦/٢٩٥ وتجارب الامم ٦/٥٠ نهر ديالي

٥) ذكر منهم في تجارب الامم ٦/٥٠ ابراهيم المطوق وقطينة

٦) في الاصل ءاخر بن

٧) في الكامل ٦/٢٩٦ ابن الداعي العلوي

٨) في الاصل وافا

٩) في الاصل المرع والتصويب عن الكامل ٦/٢٩٦ والبداية والنهاية ١١/٢٠٨

١٠) في الكامل ٦/٢٩٦ في رمضان

١١) ترجم له البداية والنهاية ١١/٢٠٨–٢٠٩.

١٢) في تجارب الامم ٦/٥٥ فقال ابن السنبر لهذا الرجل الاصبهاني

اباه[1] كان يدعو اليك وعرفه الاسرار .

فلما اتاه وخبره باعتقد صدقه (١٧٥/٩٠) وقام بين يديه وسلم الامر اليه فتمكن وقتل ابا حفص وكان اذا قال لابي طاهر ان فلانا قد مرض معناه شك في دينهم فطهره قتله ابو طاهر ولو كان اخوه .

فخاف ابو طاهر على نفسه منه وقال قد وقع لي في امره شبهة وليس بالرجل الذي يعرف الضماير ويحيي الاموات وقال ان امي عليلة وغطاها بازار فلما جاء اليها الاصبهاني قال هذه عليلة لا تبرا فطهروها اي اقتلوها فجلست الام فقال له ابو طاهر واخوته انت كذاب وقتلوه .

وكان له[2] سبعة من الوزرا اكبرهم ابن سنبر[3] .

وكان لابي طاهر اخوان[4] ابو القسم سعيد بن الحسن وابو العباس الفضل بن الحسن وكان امرهم واحدا فكانوا اذا ارادوا حالا خرجوا الى الصحرا واتفقوا على[5] ما يعملون فاذا انصرفوا تمموا ما عولوا عليه وكان لهم اخ[6] متشاغلا باللذات لا يدخل معهم في امورهم .

وفي هذه السنة توفي ابو عبدالله البريدي[7] بحمى حادة مكثت به سبعة ايام وكان بين قتله لاخيه وبين موته ثمانية اشهر .

وانتصب ابو الحسين مكان اخيه فاستطال على اصحابه فضي[8] يانس الى ابي القسم بن مولات[9] واخذ منه ثلاثماية الف دينار ففرقها في الديلم حتى عقدوا

---

١) في تجارب الامم ٦/٥٥ امضى الى ابي طاهر وعرفه انك الرجل الذي كان ابوه وهو يدعو اليه الخ . . .

٢) في البداية والنهاية ١١/٢٠٩ والمنتظم ٦/٣٣٦ ، وكان لاخوة ابي طاهر هذا ثلاثة اخوة ، وكان لهم سبعة من الوزراء .

٣) في المنتظم ٦/٣٣٦ وكان وزراؤهم سبعة كلهم من بني سنبر

٤) في البداية والنهاية ١١/٢٠٩ اخوته الثلاثة وفي الكامل ٦/٢٩٦ ثلاثة اخوة

٥) في الاصل واتفقوا والتصويب عن تجارب الامم ٦/٥٧

٦) دلنا عليه ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٢٠٩ وهو ابو يعقوب

٧) قال في موته ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٢٠٩ فاستراح المسلمون من هذا كما استراحوا من الاخر اي القرمطي

٨) في الاصل فضا

٩) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٦/٦٠ ابي القاسم مولاه وابن مولاه

له الرياسة وكبسوا ابا الحسين بسهاران فخرج من تحت ليلته وتنكر ومضى الى الجفرية ومضى[1] الى الهجرى فقبله واقام عنده شهرا وسار معه اخو[2] ابي طاهر ولم يتمكنوا (١٧٦/٩١) من دخول البلد فسفروا بين ابي الحسين وبين عمه في الصلح وسالوه ان يومنه فاختار الاصعاد الى بغداد وكان من حاله ما ياتي ذكره.

واجتمع لشكرستان[3] الديلمي ويانس على الايقاع بابي القسم فلما خرج يانس من عند القايد اتبعه بزوبين[4] في الليل[5] فسلم منه وصار الى خراب فاواه.

وكان ابو القسم معولا على الهرب حين بلغه ما هما به واستتر لشكرستان حين علم سلامة يانس.

وعولج يانس حتى برى وصادره ابو القسم على ماية الف دينار وتلقاه الى عمان فلما صار في الحديدي قتله غلمان ابي القسم وتمكن ابو القسم من الرياسة.

وخرج في هذه السنة عسكر الروسية الى اذربيجان وفتحوا برذعه وملكوها وسبوا اهلها.

فجمع المرزبان بن محمد[6] عسكره راتبه المطوعة حتى صار في مايتي الف رجل فلم يقاومهم وكان اميرهم يركب حمارا.

وكمن لهم المرزبان كمينا وهرب من بين ايديهم وسال الناس العود فلم يعد احد معه لما تمكن لهم في النفوس من الهيبة فعاد وحده طالبا للشهادة فاستحي[7] خلق من الديلم وعادوا معه فقتل اميرهم وسبعماية منهم والجاهم الى حصن.

ووقع في الروسية الوبا حين اكلوا الفاكهة وكان الواحد منهم اذا مات كفن بماله وسلاحه ودفنت زوجته معه وغلامه ان كان يحبه.

واخرج المسلمون لما مضوا من قبورهم (١٧٧/٩١) اموالا وحملوا على ظهورهم الاموال والجواهر واحرقوا ما عدا ذلك وساقوا النسا والصبيان ومضوا الى سفن لهم.

---

١) في الاصل فضا
٢) في الكامل ٢٩٦/٦ اخوان لابي طاهر القرمطي
٣) في تجارب الامم ٦١/٦ روستاباش
٤) كذا في الاصل وفي الكامل ٢٩٧/٦ فضرب بزوجين في ظهره
٥) في الاصل اليل
٦) عرّفه امدروز في تجارب الامم ٦٢/٦ الحاشية رقم ١ انه محمد بن مسافر
٧) في الاصل فاستحيا

واجتمع خمسة منهم في بستان ببردعة فيهم امرد ومعهم نسوة من سبي المسلمين فاحاط بهم المسلمون واجتمع قوم من الديلم عليهم ولم يصل الى واحد منهم حتى قتلوا من المسلمين اعدادا ولم يتمكن من واحد منهم اسرا وكان الامر اخر[2] من بقي منهم فقتل نفسه .

وظهر للمتقي لله من بني حمدان ضجر[3] بمقامه عندهم فانفذ بالحسن بن هارون وابي عبدالله بن ابي موسى الى توزون في الصلح فتلقى ذلك باحسن لقاء وحلف له ولابن مقلة بمحضر من الناس[4] .

سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية

اتى الاخشيد حلبا فاستولى عليها وانصرف عنها ابوعبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان الى الرقة فلم يوصله المتقي وغلق ابواب البلد دونه ، فمضى[5] الى سيف الدولة وهو بحران .

واتى الاخشيد الى الرقة فخدم المتقي ووقف بين يديه ومشى[6] قدامه حين ركب فامره بالركوب فلم يفعل وحمل اليه اموالا وحمل[7] الى ابن مقلة عشرين الف دينار ولم يدع كاتبا ولا حاجبا الا بره .

واجتهد بالمتقي ان يسير معه الى مصر والشام فلم يفعل واشار عليه بالمقام مكانه فلم يقبل .

وانحدر المتقي الى ($\frac{١٧٨}{٩٢}$) هيث فاقام بها وانفذ بالقاضي الخرقي حتى جدد على توزون الايمان والعهود والمواثيق بعد ان لقب توزون بالمظفر .

---

١) في تجارب الامم ٦/٦٦ والبداية والنهاية ١١/٢٠٨ بردعة وعرفها ياقوت في معجمه ١/٣٧٩ ط . الريحاني وبيروت

٢) في الاصل اخر

٣) في الاصل صجر ، وفي تجارب الامم ٦/٦٧ ضجر به وبمقامه

٤) في الكامل ٦/٢٩٧ وحلف توزون للمتقي والوزير وكتبوا خطوطهم بذلك . وورد هذا الخبر في المنتظم ٦/٢٢٨ في صدر اخبار سنة ٣٣٣ .

٥) في الاصل فضا

٦) في الاصل ومشا

٧) في الاصل مكررة

وخرج توزون الى السندية[1] فلما وصلها المتقي ترجل له وقبل الارض بين يديه ووكل به وبالوزير وارتجت الدنيا بفعله ثم سمله[2] .

وكان المتقي يتألّه[3] ويصلي ويصوم كثيرا ولم يشرب النبيذ قط وكان فيه وفاء وقناعة [و]لم يتحظ[4] غير جاريته التي كان يتحظاها قبل الخلافة .

ولما تمكن استوزر كاتبه ابن ميمون قديما ولم يغدر باحد وكان بر النفس حسن الوجه وهرب وعنده الف الف دينار اخذها من بجكم[5] ولم يحسن التدبير ولم ينهب دار خليفة قبله .

قال ثابت بن سنان وحدثني ابو العباس التميمي الرازي[6] وكان خصيصا بتوزون ان ابراهيم[7] الديلمي سالني المصير الى دعوته وكان ينزل بدار القراريطي فجيتها وهي مفروشة فلما جلست قال اعلم اني خطبت الى قوم وتجملت عندهم بان ادعيت ان لي منزلة من الامير فقالت [لي][8] المراة اذا كنت بهذه المنزلة فاني ادلك على شيء بعم صلاحه الامة وينفعك عند الامير فقلت ما هو قالت فان هذا الخليفة المتقي قد عاداكم وعاديتموه واجتهد في هلاككم ببني حمدان وبني بويه فلم يتم له ما اراد ولا يجوز ان يصفو لكم وها هنا رجل من ولد الخلفا يرجع الى دين ورجلة فهل لكم ان تنصبوه للخلافة (١٢٩/٩٢) ويثر[9] اموالا عظيمة .

واطالت الكلام فبوستني فعلمت ان علي لا يبلغ الى مثل ذلك وكرهت اني اكذب نفسي في ادعاء المنزلة التي ذكرتها فاطمعتها في ذلك بك وقد

---

١) كذا في الاصل ولعله بريد السندية كما هو في تجارب الامم٦:٧١ والكامل٦/٣٠١

٢) راجع البداية والنهاية ١١/٢١٠ وتجارب الامم ٦/٧٢ والكامل٦/٣٠١ ففيها توسيع باسر سمله .

٣) في الاصل تاله والتصويب ما ذكرنا يقتضي السياق

٤) في الاصل يتحظا عن

٥) في الاصل بحكم

٦) زاد في تجارب الامم ٦/٧٢ وكيله

٧) في الاصل ابرهيم نسبه فقال في الكامل ٦/٣٠١ ابراهيم بن الزوبندار الديلمي

٨) زيادة عن تجارب الامم ٦/٧٣ يقتضيها السياق

٩) يثر : يفرق ويبدد ، وفي الاصل يثبر وفي تجارب الامم ٦/٧٣ يثبر

اطلعتك عليه فقلت اريد ان اسمع كلام المراة فجاءتني بامراة تتكلم بالعربية والفارسية من اهل شيراز جزلة شهمة فهمة فخاطبتني نحو ما خاطبتني به فقلت [لها[1]] اريد ان القى الرجل فـاتتني به في خف وازار من دار ابن طاهر[2] وعرفني انه عبدالله بن المكتفي [بالله][1] .

فرايت رجلا حصيفا ورايته يميل الى التشيع ورايته عارفا بامر الدنيا وضمن ستماية الف دينار يستخرجها ويمشي بها الامر ومايتي الف دينار للامير توزون وقال انا رجل فقير واعرف هذه الاموال عند اقوام عندهم ذخاير الخلافة.

فصرت الى توزون ولقيت ابا عمران موسى بن سليمان فاطلعته على الحال فقال اني لا ادخل في هذه الامور فلما ايسني حلفته على الكتمان واستحلفت توزون على الكتمان بالمصحف واخبرته فطلب الرجل ان يبصره فقلت بشرط ان تكتم الحال من ابن شيرزاد[3] .

واتى[4] توزون معي الى دار موسى بن سليمان فلقيه هناك وخاطبه وبايعه.

فلما وصل المتقي لله الى السندية ولقيه توزون قلت له ان كنت عزمت على اتمام ذلك الامر فافعله الان فانه ان دخل بغداد تعذر عليك الامر فوكل به.

وكانت المراة التي سفرت للمستكفي ($\frac{١٨٠}{٩٣}$) المعروفة بعلم[5] الشيرازية حماة ابي احمد الفضل[6] الشيرازى وصارت قهرمانة المستكفي[7] واستولت على الامور.

وكان سمل المتقي وخلعه في صفر.

خلافة المستكفي بالله

ابي القسم عبد الله بن المكتفي بالله بن المعتضد بالله امه روميه اسمها غصن

١) زيادة عن تجارب الامم ٧٤/٦ يقتضيها السياق
٢) في تجارب الامم ٧٤/٦ ابن الربذ
٣) في تجارب الامم ١٧٤/٦ ابا جعفر بن شيرزاد
٤) في الاصل واتا
٥) في تجارب الامم ٧٥/٦ بحسن
٦) نسبه في تجارب الامم ٧٥/٦ ابو احمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي
٧) في تجارب الامم ٧٥/٦ فلما تمت للمستكفي الخلافة غيرت اسمها وجعلته علم

ولي الخلافة وسنه يومئذ احدى واربعون سنة وسبعة ايام وكان في سن المنصور يوم ولي وكانت خلافته سنة واربعة اشهر[1] .

فقلد ابا الفرج محمد ابن علي السرمزراى[2] الوزاره ولم يكن اليه غير اسم الوزارة وابو جعفر بن شيرزاد الناظر في الامور .

وخلع على توزون وطوقه وسوره ووضع على راسه التاج المرصع بجوهر وجلس بين يدي المستكفي بالله على كرسي .

في شهر ربيع الاول تقلد القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بابن ابي موسى الضرير القضا بالجانب الشرقي من بغداد وتقلد ابو الحسن محمد بن الحسن بن ابي الشوارب القضاء في الجانب الغربي منها .

وطلب المستكفي بالله الفضل بن المقتدر طلبا شديدا فاستتر منه فامر بهدم داره التي على دجلة بدار ابن طاهر فهدمت فلم يبق منها غير المسناة وما زال في ايام المستكفي ($\frac{181}{93}$) مستترا فلما هدم داره قال علي بن عيسى اليوم بايع لهُ بولاية العهد .

وقد ذكرنا حال ابي عيسى البريدي وهربه من ابي القسم ابن اخيه فورد الحضرة بعدما امنه ابو القسم واختار الاصعاد اليها فوصلها في شهر ربيع الاول ولقي توزون ونزل دار طازاد[3] التي كانت بقصر فرج على دجلة وسعى في ضمان البصرة اذا سير معه توزون جيشا[4] واوصله توزون الى المستكفي فخلع عليه خلعا سلطانية وسار الجيش معه الى داره .

فبلغ ذلك ابن اخيه فانفذ إليه توزون مالا اقره به على عمله .

وبلغ ابن شيرزاد ان ابا الحسين يخطب كتابة توزون فتوصل الى القبض عليه وضرب بدار صافي مولى توزون ضربا مبرحا وقرض لحم فخذيه بالمقاريض وانتزعت اظفاره .

وكان ابو عبدالله [محمد][5] بن ابي موسى اخذ ايام ناصر الدولة فتوى الفقهاء

---

١) هذا الصدر والتران كتبا بخط كبير

٢) في الكامل ٦ /٣٠٢ الساري وتجارب الامم ٦/٧٨ الساري

٣) في تجارب الامم ٦/٧٨ طاذاذ

٤) في الاصل حبشا

٥) زيادة عن تجارب الامم ٦/٧٩

باحلال دم ابي الحسين فاظهرها في هذا الوقت .

فلما كان في اخر[١] ذي الحجة جلس المستكفي واحضر القضاة[٢] والفقهاء . واحضر البريدي وبسط النطع وجرد السيف وحضر ابو عبدالله بن ابي موسى يقرا ما افتى به واحد واحد من اباحة دمه على رؤوس الاشهاد وابو الحسين يسمع ذلك وراسه مشدود فامر المستكفي[٣] بضرب عنقه من غير ان يحتج لنفسه بحجة .

واخذ راسه وطيف به في بغداد ورد الى دار السلطان وصلبت جثته على باب الخاصة ($\frac{١٨٣}{٩٤}$) على دجلة في الموضع الذي كان حديديه مشدودا جثته[٤] فكان هذا خاتمة امور الثلاثة وعقبى ما ارتكبوه من الظلم واهله ومن البلا كله .

ومضى[٥] سيف الدولة الى حلب بعد انصراف ابي بكر محمد بن محمد بن طغج الاخشيد وبها يانس فتركها ومضى[٥] الى الاخشيد وتسلم سيف الدولة حلبا .

وفي شهر ربيع الاول كان لسيف الدولة وقعة مع الروم رزق الظفر فيها .

واطلق توزون ابا الحسين ابن مقلة بعد ان صادره على ثلاثين الف دينار .

ثم قبض على ابي الفرج السرمزراي[٦] وصادره على ثلاثماية الف درهم فكان وقوع اسم الوزارة عليه اثنين واربعين يوما .

وخرج القاهر الى جامع المنصور ملتفا في قطن يتصدق وراه[٧] ابن ابي موسى[٨] فمنعه بالرفق واعطاه خمساية درهم وقصد القاهر بذلك التشنيع .

وانفذت الى ابي القسم البريدي الخلع وذلك في جمادى الاخيرة .

وعزم المستكفي على الخروج مع توزون حين اخر ناصر الدولة المال فسفر

---

١) في الاصل ٠اخر
٢) في الاصل القضات
٣) في الاصل المستكفا
٤) كذا في الاصل
٥) في الاصل ومضا
٦) في الكامل ٣١٣/٦ السرمراي ، وفي تجارب الامم ٨٠/٦٠ السامري
٧) في الاصل ورءاه
٨) في تجارب الامم ٧٩/٦ و٨١ ابو عبدالله محمد بن ابي موسى الهاشمي

ابو القسم ابن مكرم كاتب ناصر الدولة في الصلح وحمل مالا تقرر .

واخذ ابن شيرزاد خطوط الناس بمال الضمان فتدخل اليه ابو القسم عيسى بن علي بن عيسى فقال له اكتب عن والدك بالف دينار فكتب ومضى[١] الى ابيه فادى خمساية وركب الى ابن شيرزاد فخرج اليه ابو زكريا السوسي وطازاذ معتذرين فقال علي بن عيسى اني اريد ان القاه ولا اخاطبه في البقية فمضى وعادا اليه [و][٢] قالا انه (١٨٣/٩٦) يستحي من لقايك فانصرف علي بن عيسى كيئيا من المذلة[٣] اكثر من كآبته[٤] بالغرم .

وكان هو الذي اصطنع ابن شيرزاد .

وخرج تكين الشيرزادي صاحب توزون الى جزيرة بني غنم وعاد الى جسر سابور وامر اصحابه بالتقدم الى واسط واجلس في بستان يشرب[٥] فاحاط به عسكر البريدي فاسروه وحملوه الى البصرة .

وفي رجب دخل ابو جعفر الصيمري[٦] واسطا .

ودخلها معز الدولة .

ولما علم الحدار توزون اليه مع المستكفي بالله انصرف عنها .

وراسل توزون البريدي فاطلق تكينا وضمنه[٧] واسطا .

واصعد المستكفي وتوزون [الى][٨] بغداد .

وورد كتاب نوح صاحب خراسان بفتحه جرجان وطبرستان وكان بها الحسن بن الفيروزان الديلمي وملك الري .

وانصرف ركن الدولة الى اصبهان ونزل نوح بنيسابور .

وورد الخبر بانهزام سيف الدولة من الاخشيد واتباعهم له الى الرقة وذلك

---

١) في الاصل ومضا
٢) زيادة يقتضيها السياق
٣) في تجارب الامم ٨٢/٦ الحاشية رقم ١ المزلة
٤) في الاصل كتابته
٥) في الاصل شرب والتصويب عن تجارب الامم ٨٢/٦ الحاشية رقم ١
٦) في الاصل السيمري والتصويب عن تجارب الامم ٨٢/٦
٧) في الاصل وظنه
٨) زيادة يقتضيها السياق

بعد ان اخذ منهم حلبا وملك دمشق ، واسر منهم الفي رجل ثم انصرف عنه اصحابه فكانت هزيمته .

سنة اربع وثلاثين وثلاثماية

في المحرم خرج ابن شيرزاد الى هيت فصالحه ابو المرجا[1] عمرو ابن كلثوم مقدمها على ثمان ماية الف وخمسين الف درهم يسقطها على اهل البلد واقام لاخذها .

فورد عليه الخبر بوفاة[2] توزون (١٨٦/٩٥) في ثاني عشر المحرم وانه دفن بتربة يانس الموفقي .

وكانت امارة ابي الوفا توزون سنتين واربعة اشهر وسبعة وعشرين يوما كتب له ابن شيرزاد سنتين وشهرا فعقد العسكر الامارة لابن شيرزاد .

وانحدر عن هيت وخلف بها غلامه اقبالا فقبلوه وحلف له المستكفي[3] بحضرة القضاة[4] والعدول والعسكر وانفذ ابن ابي موسى الى ناصر الدولة فعاد من عنده بخمسماية الف درهم ودقيق فلم يكن لها موقع لغلاء السعر وانتشار الامر .

وقسط ابن شيرزاد على الكتاب والعمال والتجار ارزاق الجند وكان في البلد ساعيان يعرفان بهاروت وماروت يسعيان اليه بمن عنده قوت لعياله فياخذه فصار البلد محاصرا بهذا الفعل وبالضرايب التي قررها وانقطع الجلب .

وكان من جملة ما صادر ابو بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي اخذ منه عشرة الاف[5] دينار

وقبض المستكفي على القاضي ابن[6] ابي الشوارب ونفاه الى سُمرَّ من رأى وقسم اعماله فولى الشرقية ابا طاهر محمد بن احمد بن نصر وولي المدينة ابا السايب عتبة بن عبيد [الله][7] .

---

١) في تجارب الامم ٨٢/٦ المرجّى ابن قيات
٢) في الاصل بوقات
٣) في الاصل المستكنا
٤) في الاصل القضات
٥) في الاصل ١٠الاف
٦) في الاصل بن
٧) زيادة عن تجارب الامم ٨٣/٦ الحاشية رقم ١

وكان الى ابي عبدالله بن ابي موسى الهاشمي القضا بالجانب الشرقي فدخل عليه اللصوص في شهر ربيع الاخر فاخذوا امواله وقتلوه فولى ابو السايب مكانه.

وورد الخبر بوقوع الصلح من سيف الدولة والاخشيد وسلم اليه سيف الدولة حلبا وانطاكية (١٨٥/٩٥) فتزوج ابنة اخيه عبيد الله بن طغج وتوسط ذلك الحسن ابن طاهر العلوي فقال النامي يمدح سيف الدولة :

فتى قسم الايام بين سيوفه ... وبين طريقات المكارم والتلد
فيوم يوما بالعجاج وبالقنا ... وبيض يوما بالفضايل والمجد
سرى ابن طغج في ثلاثين جحفلا ... واحجامه في الزحف عن فارس فرد
وكانت لسيف الدولة العزم عادة ... اذا كر القى البيض حدا على حد
ابا سايلي عن يومه اسمع فانه ... حديث المعالي قصه قصص الجهد
وقالت له الهيجاء في صدر سيفه ... وقد تحدث من صدر غير الثرى ضد
كانك من صفن[١] ودرعك من تقى[٢] ... وطرفك من راي وسيفك من حقد
فاظماتهم والماء معترض لهم ... واسقيتهم ماء على قصب الهند
الم تر فرعونا وموسى تنازعا[٣] ... فنودرت[٤] العقبى لذي الحق لا الحشد
فغرقه في البحر فاجمل فريقها ... لتغريقه كالبحر وامدده بالمد
فلو جئت غدا ناصبا ورفدته ... بجودك فاض البحر من ذلك الشد[٥]

وورد الخبر بموت ابي عبدالله الكوفي بحلب وقد تقدمت اخباره .

وورد الخبر بوصول الامير ابي الحسن معز الدولة الى باجسرى[٦] .

وكان ابن شيرزاد[٧] قد استخلف بواسط ينال كوشا[٨] فدخل في طاعته فاستتر ابن شيرزاد حينئذ فكانت امارته ثلاثة اشهر وخمسة ايام .

واستتر المستكفي حتى خرج الاتراك مصعدين الى الموصل فظهر حينئذ واتاه

١) كذا في الاصل صفن
٢) في الاصل تقا
٣) في الاصل تنازعا
٤) في الاصل فنودرة
٥) ورد البيتان الاولان من هذه القصيدة في نهاية الارب ١٩٥/٣
٦) عرف بها ياقوت في معجم البلدان ٣١٢/١ ط . الريحاني وبيروت
٧) في تجارب الامم ٨٤/٦ ابو جعفر ابن شيرزاد
٨) في الكامل ٢١٤/٦ وتجارب الامم ٨٤/٦ كوشه

ابو محمد المهلبي[1] فخدمه ($\frac{١٨٦}{٩٦}$) عن معز الدولة في حادى عشر جمادى الاولى ونزل بالشماسية وانفذ اليه المستكفي هدايا[2] ووصل اليه بعد ثلاثة ايام فخلع عليه وطوقه وعقد له اللواء وقلده الامارة ووقف بين يدي الخليفة واخذت عليه البيعة وحلف له بايمان البيعة وعلى ان يصون ابا احمد الشيرزادي[3] وحماته علم القهرمانة وللقاضي ابي السايب ولولد ابن ابي موسى[4] ولابي العباس بن خاقان[5] الحاجب .

ثم استخلف المستكفي الامير ابا الحسين ولاخوته ثم ساله في امر ابن شيرزاد فامنه وحلف له ولبس الخلع ولقب معز الدولة وكني ولقب اخوه ابو الحسن علي عماد الدولة ولقب اخوه ابو علي ركن الدولة وضربت القابهم على الدنانير[6] وانصرف الى دار مونس فنزلها .

ومن جملة دار مونس المدرسة النظامية اليوم .

وظهر ابن شيرزاد ولقي معز الدولة .

وقرر المستكفي في كل يوم خمسين الف درهم لنفقته[7] .

وكتب ابو عبدالله الحسين بن علي بن مقلة الى معز الدولة رقعة يخطب فيها كتابته وكان قد ولاها لابن شيرزاد فلم يوثره عليه وقبض على ابي عبدالله.

وعملت علم القهرمانة دعوة عظيمة احضرتها الديلم فقيل لمعز الدولة انها فعلت ذلك لتاخذ[8] البيعة عليهم للمستكفي وعرفوه انها هي السبب في ولايته.

فساء ظنه وانحدر الى دار الخلافة كما جرت عادته وانحدر معه الصيمري وابن شيرزاد ووقفا ($\frac{١٨٧}{٩٦}$) في مراتبهم وكان ابو احمد الشيرازي وولد ابن ابي موسى واقفين ودخل معز الدولة فقبل الارض وجلس على كرسي فاوصل رسول البريدي.

---

١) في الكامل ٦/٣١٤ ابو محمد الحسن بن محمد المهلبي صاحب معز الدولة

٢) زاد في البداية والنهاية ١١/٢١٢ والآترالات

٣) في تجارب الامم ٧/٨٥ الشيرازي كاتبه

٤) في تجارب الامم ٦/٨٥ ولابي عبدالله ابن ام موسى

٥) في تجارب الامم ٦/٨٥ ابو العباس احمد بن خاقان

٦) زيد في البداية والنهاية ١١/٢١٢ وتجارب الامم ٦/٨٥ والدراهم

٧) في الكامل ٦/٣١٤ واقيم للمستكفي بافة كل يوم خمسة الاف درهم

٨) في الاصل لياخذ

وتقدم نفسان[1] الى المستكفي فظن انهما يريدان تقبيل يده فمدها فجذباه وطرحاه الى الارض وحملاه الى دار معز الدولة ماشيا وقبضوا على ابن ابي موسى وعلى علم ونهبت الدار .

قال ابن البهلول كنا اذا كلمنا المستكفي وجدنا كلامه كلام العيارين وكان جلدا بعيد الغور[2] والحيلة وكان يلعب قبل الخلافة بالطيور ويرمي بالبندق ويخرج الى البساتين للفرجة واللعب وكان لا ينفق عليه من الجواري غير السودان ولا يعاشر غير الرجال .

وعزم معز الدولة على ان يبايع ابا الحسن محمد بن يحيي الزيدي العلوي فمنعه الصيمري من ذاك وقال اذا بايعته استقر[3] عليك اهل خراسان وعوام البلدان واطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا امره فيك وبنو[4] العباس قوم منصورون تعتل دولتهم مرة وتصح مرارا وتمرض تارة وتستقل اطوارا لان اصلها ثابت وبنيانها[5] راسخ .

فعدل معز الدولة عن تعويله واحدر ابا القسم الفضل بن المقتدر بالله من دار ابن طاهر الى دار الخلافة .

خلافة المطيع لله ابي القسم الفضل بن المقتدر بالله[6]

كانت تسعة ($\frac{١٨٨}{٩٧}$) وعشرين سنة واربعة اشهر[7] .

بويع له يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة امه تدغى[8] مشعله[9] توفيت في مستهل ذي الحجة سنة خمس واربعين وثلاثماية (٩٥٦) بايعه معز الدولة

---

١) في الكامل ٦/٣١٥ رجلان من نقباء الديلم ، وفي البداية والنهاية ١١/٢١٢ والمنتظم ٦/٣٤٢ وتجارب الامم ٦/٨٦ رجلان من الديلم وفي الاصل نفسان

٢) في تجارب الامم ٦/٨٧ الحاشية رقم ١ الغدر

٣) في الكامل ٦/٣١٥ الحاشية رقم ٢ استنفر

٤) في الاصل وبنوا

٥) في الاصل وبيانها

٦) وصف خلافة المستكفي في البداية والنهاية ١١/٢١٢

٧) كتب هذا الصدر بحروف كبيرة

٨) في الاصل تدعا

٩) في المنتظم ٦/٣٤٣ شغلة

وحدر المستكفي اليه فسلم عليه بالخلافة واشهد على نفسه بالخلع وسمل واعتقل عنده .

وقام ابن شيرزاد بتدبير الامر واستكتب على خاص [امره][1] ابا[2] الحسن طازاد بن عيسى النصراني واستحجب[3] ابا العباس بن خاقان .

وانشا ابو العباس بن ثوابه يذكر بيعته كتابا الى الافاق .

واقام معز الدولة لنفقته في كل يوم الفي درهم .

وركب ومعز الدولة بين يديه والجيش وراءه الى باب الشماسية وعاد في الما الى دار الخلافة وصرف ابن نصر عن القضا بالجانب الغربي واعاد ابن ابي الشوارب .

وصادر ابن شيرزاد ابن ابي موسى وعلم القهرمانة على اربعين الف دينار وقطع لسانها وسلمها الى المطيع لله ولم يُعارض ابا احمد الشيرازي لقديم مودته.

ولما استولى ابن شيرزاد على الامير قال ابو الفرج بن ابي هشام باي شي نفق عليك وما يصلح لكتابة الانشا ولا لجباية الخراج وانما تولى ديوان النفقات وكتب لابن الخال تارة وقد سالك المستكفي عزله بعد ان سالك فيه فلم تجب فقال لما رايت عظم لحيته قلت لين يكون هذا قطانا اولى من ان يكون (١٨٩/٩٧) كاتبا ولكن[4] رايته قد ملك بغداد والمتولي على الخلافة وصار لي نظيرا فاردت ان احطه من منزلة بعد اخرى حتى اجعله كاتبا لاحد قوادي .

وورد ناصر الدولة والاتراك معه الى سر من راى .

ووافى ابو العطاف بن عبدالله بن حمدان[5] اخو ناصر الدولة ونزل باب قطربل وظهر له ابن شيرزاد وجماعة من العجم .

وكان معز الدولة قد اصعد ومعه المطيع الى ناصر الدولة فتركهم ناصرالدولة

---

١) زيادة عن تجارب الامم ٨٧/٦ يقتضيها السياق

٢) في الاصل ابى

٣) في تجارب الامم ٨٧/٦ واستحجب للمطيع لله ابا العباس ...

٤) في الاصل ولاكن

٥) في تجارب الامم ٨٩/٦ ابو العطاف جبير بن عبدالله بن حمدان

والحدر في الجانب الشرقي ونزل مقابل قطربل فنهب الديلم تكريت وسر من راى .

وانحدروا ومعهم المطيع لله الى بغداد ومع ناصرالدولة الاتراك وقد جعلهم على مقدمته مع ابي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان وكان يخطب في اعماله للمستكفي وهو مخلوع .

ونزل معز الدولة في قطيعة ام جعفر وانزل المطيع لله في دير النصارى .

وقد استولى ناصر الدولة على السفن وجعلها بالجانب الشرقي فلحق الناس بالجانب الغربي مجاعة شديدة وكانت الاسعار بالشرقي رخيصة والقرامطة من اصحاب ناصر الدولة يعبرون ويجولون بين الديلم وبين الغلات .

فابتاع وكيل معز الدولة له كر دقيق بعد الجهد بعشرين الف درهم.

وكان ابن شيرزاد قد انبت خلقا من العيارين ليحاربوا مع ناصر الدولة [فظفر][1] بكافور خادم معز الدولة فشهره فظفر معز الدولة بابي الحسين[2] بن شيرزاد فصلبه حيا فاطلق ابو جعفر ($\frac{١٩٠}{٩٨}$) الخادم فحط معز الدولة اخاه .

فابتاع وكيل معز الدولة له كر دقيق بعد الجهد بعشرين الف درهم .

وكان جعفر بن ورقا[3] معز الدولة فقال لقد سمعت ان رجلا يعد بالف رجل فلم اصدق حتى رايت ناصر الدولة[4] وقد عبر بصافي التوزوني لكبس معز الدولة فانفذ اليه بي وبابي جعفر الصيمري وباسفهدوست فرايت اسفهدوست وقد هزمهم.

وبنى[5] معز الدولة في الخندق[6] نيفا وخمسين زبزبا وعبر فيها فانهزم ناصرالدولة وملك الديلم الجانب الشرقي سلخ ذي الحجة سحر يوم السبت وطرحوا النار في الجزء ونهبوا باب الطاق وسوق يحيي وهرب الناس لما اودعوه قلوب الديلم من السب فخرجوا حفاة في الحر وطلبوا عكبرا فماتوا في الطريق .

١) زيادة عن تجارب الامم ٩٢/٦ حاشية رقم ٢

٢) في تجارب الامم ٩١/٦ حاشية رقم ٢ الحسن

٣) كذا في الاصل ولعل لفظة يقول لمعز الدولة ، اذا دخلت السياق قومت معناه فاتضح كما هو في تجارب الامم ٩٢/٦

٤) في تجارب الامم ٩٢/٦ حتى شاهدت اصفهردست

٥) في الاصل ربنا

٦) في تجارب الامم ٩٢/٦ في قطيعة ام جعفر

قال بعضهم رايت امراة تقول انا بنت ابن قرابة[1] ومعي حلي وجواهر تزيد على الف دينار فمن ياخذها ويسقيني شربة ماء فما اجابها احد وماتت وما فتشها احد لشغل كل انسان بنفسه .

وامر معز الدولة برفع السيف والكف من[2] النهب .

ولما وصل ناصر الدولة الى عكبرا ومعه الاتراك وابن شيرزاد انفذ بابي بكر بن قرابة وطلب الصلح فتم ذلك .

وعرف الاتراك الحال فهموا بالوثوب بناصر الدولة فهرب الى الموصل .

وقصد عيّار خيمة ناصر الدولة بباب الشماسية ليلا فطفى[3] الشمعة واراد ان يضع السكين في حلقه وهو نايم فوضعها في المخدة وظن انه قتله ومضى[4] الى معز الدولة فاخبره فقال هذا لا يومن ودفعه الى الصيمرى ($\frac{191}{98}$) وقتله.

واكل الناس في يوم الغلا النوى والميتة وكان يوخذ البزر قطونا ويضرب بالماء ويبسط على طابق حديد ويوقد تحته النار ويوكل فمات الناس باكله وكان الواحد يصيح الجوع ويموت ووجدت امراة[5] قد شوت صبيا حيا فقتلت.

وانحل السعر عند دخول الغلات .

ونظر[6] السيمرى[7] فيما[8] كان ينظر فيه ابن شيرزاد فاستخلف له ابا عبدالله بن مقله فقبض على ابي زكريا السوسي والحسن بن هارون فشتمها فقال السيرى[7] لم يكن غرضك غير التشفي منها .

واطلق معز الدولة ابا زكريا السوسي ولم يلزمه شي.[9] والزم الحسن بن هارون خمسين الف دينار وعزل ابن مقلة وانفرد الصيمرى بالامر واقطع اصحابه ضياع[10]

---

١) في المنتظم/٦ ٣٥٠ انا ابنة فلان، وهذا الخبر اورده ابن الجوزي في جملة اخبار سنة ٣٣٥

٢) في الاصل على

٣) في الاصل فطفا

٤) في الاصل ومضا

٥) في المنتظم ٣٤٤/٦ وتجارب الامم ٩٥/٦ امراة هاشمية

٦) في الاصل ويطر والتصويب عن تجارب الامم ٩٦/٦

٧) كذا في الاصل ولعل الصواب الصيمري كما هو واضح

٨) في الاصل فما

٩) في الاصل شيئا ١٠) في الاصل ضاع

السلطان وضياع[1] ابن شيرزاد وضياع المستترين .

وفي شعبان انبثق البحر بثق الخالص والنهروان .

وفي ذى الحجة مات الاخشيد ابو بكر [محمد][2] بن طغج[3] بدمشق وتقلد مكانه ابنه ابو القسم[4] .

وغلب كافور على الامر وكان ابن طغج جبانا شديد التيقظ في حروبه وكان جيشه يحتوي على اربعماية رجل وكان له ثمنية الاف[5] مملوك يحرسونه بالليل[6] بالنوبة كل نوبة الفا مملوك ويوكل بجانب خيمته الخدم ثم لا يثق بعد ذلك فيمضي الى خيم الفراشين فينام .

قال التنوخي لقب الراضي ابا بكر محمد بن طغج امير مصر بالاخشيد وسبب ذلك انه فرغاني وكل ملك بفرغانة يدعى[7] اخشيد كما تدعو الروم ملكها ($\frac{١٩٣}{٩٩}$) بقيصر والفرس بكسرى وشاها بشاه والمامون بامير المومنين وملك اشروسنة يسمونه الافشين وملك خوارزم خوارزم شاه وملك الترك خاقان وملك جرجان صول[8] وملك اذربيجان[9] اصبهذ[10] وملك طبرستان يدعى[7] سالار[11] .

وابو بكر بن الاخشيد على مذهب الجبايي كان جده يدعى[7] بحضرة المعتضد الاخشيد ولقب علي ابنه بذلك وهو من اولاد الملوك بفرغانة .

---

١) في الاصل وظياع .

٢) زيادة عن الكامل ٦ : ٣١٨ وتجارب الامم ٦ : ١٠٤

٣) ترجم له في المنتظم ٦/٣٤٧

٤) في البداية والنهاية ١١/٢١٣ ابو القاسم ابو جور ، وفي الكامل ٦/٣١٨ وتجارب الامم ٦/١٠٤ ابو القاسم انو جور وفي الكامل الحاشية رقم ٢ نقل ضبطه عن عقد الجمان بفتح الهمزة وضم النون والجيم بعدها ، وقبلها واو ساكنة وفي اخره راء ساكنة . . .

٥) في الاصل،٠الاف

٦) في الاصل بالايل

٧) في الاصل يدعا

٨) في البداية والنهاية ١١/٢١٥ صوك

٩) في الاصل اذرنجان

١٠) في البداية والنهاية ١١/٢١٥ اصبهذ

١١) في البداية والنهاية ١١/٢١٥ ارسلان

سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

توفي هذه السنة علي بن عيسى بن داود بن الجراح[1] وزير المقتدر بالله رحمها الله وهو من دور قنى .

قال ابو سهل بن زياد القطان كنت معه لما نفي الى مكة فدخلناهـا في حر شديد وقد كاد[2] يتلف فطاف وسعى وجاء فالقى نفسه وهو كالميت من الحر والتعب وقلق قلقا شديدا وقال اشتهي على الله شربة ماء مثلوج فقلت سيدنا ايده الله يعلم ان هذا مما لا يوجد بهذا المكان فقال هو كما قلت ولكن[3] نفسي ضاقت عن ستر هذا القول فاسترحت[4] الى المنى .

قال وخرجت من عنده فرجعت الى المسجد الحرام فما استقررت فيه حتى نشات سحابة وكثفت وبرقت ورعدت رعدا شديدا متصلا ثم جاء مطر شديد وبرد كثير فبادرت الى الغلمان وقلت اجمعوا فجمعنا شيئا كثيرا وملانا منه جرارا .

فلما كان وقت المغرب وقد حان افطاره جيته بذلك وقلت انت مقبل (١٩٣/٩٩) والنكبة سترول ومن علامات الاقبال انك طلبت ماء ثلج وهذا ما طلبته .

فاخذ يسقي كل من في المسجد من المجاورين والصوفية السويق بالشكر[5] والثلج ولم يشرب حتى مضى[6] قطعة من الليل[7] وقد شربوا اجمع فقال الحمد لله ليتني كنت تمنيت المغفرة بدلا من الثلج فلعلي كنت اجاب .

ولم ازل به حتى شرب ومدحه بعض الشعرا فقال فيه :

بحسبك اني لا ارى لك عايبا	سوى حاسد والحاسدون كثير
وانك مثل الغيث اما سحابة	فمزن واما ماوه فطهور

قال ابن كامل القاضي سمعت علي بن عيسى يقول كسبت سبعماية الف دينار اخرجت منها في وجوه البر ستماية وثمانين الفا .

---

١) في الكامل ٣٢١/٦ وتجارب الامم ١٠٤/٦ ذكرت هذه الوفاة في جملة اخبار سنة ٣٣٤ ، ولابن الجراح هذا ترجمة في البداية والنهاية ٢١٧/١١ والمنتظم ٣٥١/٦

٢) في المنتظم ٣٥١/٦ كدنا

٣) في الاصل ولاكن

٤) في المنتظم ٣٥٢/٦ فاسترحت

٥) اي بالسكر

٦) في الاصل مضا

٧) في الاصل اليل

وحكى هلال بن المحسن قال قال ابو علي بن مخلوظ لما ورد معز الدولة وابو جعفر الصيمرى معه الى بغداد اراد ابو الحسن علي بن عيسى الركوب اليه وقضا حقه فاتفق انه نزل الى داره ليجلس في سميرية وابو جعفر مجتاز في طياره وانا واخي وابو الحسن طازاد بن عيسى معه فقال لنا من هذا فقلنا الوزير ابو الحسن علي بن عيسى فقال لابي الحسن طازاد قدم بنا اليه فاساله ان ينزل معنا في الطيار فقربنا منه وسلمنا عليه فقال له ابو الحسن طازاد الى اين توجه سيدنا فقال اشار فتياننا بلقاء الامير الوارد وقضاء حقه فسلمت على ذلك فقال له فينتقل سيدنا[1] الى الطيار فانه اولى فامتنع .

ولم يزل يراجعه وكان معه ابنه ابو نصر فخاطبه حتى فعل وسهل (١٩٦/١٠٠) عليه ذلك ونزل فقام له ابو جعفر الصيمرى عن موضعه وقد وصانا ان لا نعرفه اياه .

وكان ابو نصر عرفه واراد ان يشعر اباه فلم يدعه طاعة لابي جعفر .

وسرنا مصعدين ووصلنا الى معسكر معز الدولة بباب الشماسية[2] وقدم الطيار الى المشرعة فقال ابو جعفر لابي الحسن تجلس يا سيدنا بمكانك حتى اصعد الى الامير واعرفه خبرك واوذنه بحضورك فقال له [ا][3]لك اطال الله بقاءك عند الامير اثرة وبه انسة قال نعم وصعد فلما صعد قال ابو نصر لابيه هذا الاستاذ ابو جعفر الصيمرى فارتاع وقال له الا اعلمتني ذلك لاوفي للرجل حقه قال منعني اصحابنا واقبل على طازاد فقال له لا احسن الله جزاءك كذا يعامل الناس فقال والله يا سيدنا ما فعلت ما فعلته الا ولان الاستاذ امرني به ولم تمكني المخالفة له فقال انا لله وانا اليه راجعون ووجم وجوما شديدا ثم قال من هذان اعزهما الله واشار اليّ والى اخي فقال طازاد ابناء محفوظ فاستثبته وقال الذي كان يصحب جعفر بن الفرات قال نعم فقال قد كان جعفر من العمال الظلمة .

ولما صعد الصيمرى الى معز الدولة وجده على شراب فلم يقل له شيئا

---

١) لفظة مكررة في الاصل

٢) في الاصل الشاشية

٣) في الاصل لك والزيادة يقتضيها السياق

وعاد الى علي بن عيسي فنهض له واعظمه وقال له قد جنى[١] علي اصحابنا في كتابي موضع الاستاذ حتى كان من تقصيري في قضاء حقه ما لم اعتمده[٢] وانا اعتذر اليه ادام الله عزه من ذلك فقال فعل الله بك يا سيدنا وصنع واى تقصير جرى (١٩٥/١٠٠) فالتفت الى طازاد فقال الم اوصك بترك اعلامه امري فقال ابو نصر والده[٣] اعلمه وقد حصلت بين العتب ايها الاستاذ منك ومنه وقال له ابو جعفر الامير على حال لا يجوز لقاء مثلك عليها وهو يعتذر من تاخر الاجتماع باعتراض ما اعترض منها واذا تكلف سيدنا العود في غداة غد لقيه ووفاه من الحد ما يجب ان يوفيه اياه والطيار بياكر بابه وانصرف ابو الحسن .

وعاد ابو جعفر الى معز الدولة فقال له وافى علي بن عيسى للقايك وخدمتك فاعتذرت اليه عنك بانك على نبيذ ولم يجز ان يراك عليه فقال من علي بن عيسى فقال وزير المقتدر بالله قال ذلك العظيم قال نعم قال ما وجب ان ترده فاني كنت اقوم الى مجلس اخر[٤] والقاه فيه فقال ما كان يحسن ان يشم منك رايحة شراب وفي غد يباكرك فقال معز الدولة فكيف اعامله وما الذي اقول له فقال له الصيمرى تنزعج له بعض الانزعاج وترفع مجلسه وتمطيه مخدة من مخادك وتقول له ما زلت مشتاقا الى لقايك ومتشوقا للاجتماع معك واريد ان تشير علي في تدبير الامور وعمارة البلاد بما يكون الصواب فيه عندك .

وجاء ابو الحسن علي بن عيسى من غد ودخل على معز الدولة فوفاه من الاجلال والاكرام اكثر مما وافقه عليه ابو جعفر واعطاه مخدة من دسته فقبلها ابو الحسن وقال له ما يقال لمثله فقال له معز الدولة كنا نسمع بك فيعظم عندنا امرك ويكثر في نفوسنا ذكرك (١٩٦/١٠١) وقد شاهدت منك الان ما كنت مؤثرا واليه متطلعا والدنيا خراب والامور على ما تراه من الانتشار فاشر علي بما عندك في اصلاح ذلك .

فقال له ابو الحسن هذه النية منك ايها الامير داعية الى الخير ومسهلة

١) في الاصل جنا
٢) في تجارب الامم ٦: ١٠٥ حاشية رقم ١ احتمله
٣) في تجارب الامم ٦/١٠٥ حاشية رقم ١ ولده وهو الصواب
٤) في الاصل ءاخر

للنجح وطريق العمارة ودرور المادة واستقامة امر الجند والرعية والعدل والـذي اهلك الدنيا واذهب الاموال واخرج الممالك عن يد السلطان خلافه وانما يتاتى الصلاح وتطرد الاغراض بالولاة[1] الموفقين والاعوان المناصحين وحدثنا عمر بن شبة قال حدثنا فلان وذكر الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد الله بوال خيرا قيض له وزير صدق فان غفل اذكره وان رقد ايقضه[2] وقد وفق الله للامير من هذا الاستاذ واشار لابي جعفر من تمت فيـه اسباب الكفاية وبانت فيه شواهد المخالصة ويوشك ان يجرى الخير على يـده ويتأتى المراد بحسن تدبيره .

فتراجع أبو جعفر عن[3] وتوقف عن تفسير هـذا القول لمعز الدولة وفطن معز الدولة ان توقفه لامر كره ذكره فقال لابي سهل العارض انظر مـا يقول ففسر له تفسيرا لم يفهم عنه ولا استوفى القول فيه وتلجلج في ذكر رجال الحديث حتى استفهم معز الدولة اسماءهم وقال هولاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو الحسن لا هولاء رجال نقلوا لنا الحديث عنه .

ثم عاد ابو جعفر الى الترجمة بينهما وقال ابو الحسن ومن اولى ما نظر فيه الامير وقدمه سد هذه البثوق [التي] هي اصل الفساد (١٩٧/١٠١) وخراب السواد فقال وقد نذرت لله عند حضوري[4] في هذه الحضرة الا اقدم شيئا على ذلك ولو نفقت فيه جميع ما املك قال اذن يحسن الله عونك ويذلل لك كل صعب ويسهل كل مراد بين يديك .

فلما انقضى[5] القول بينهما في ذاك قال معز الدولة اذكر حوائجك لاتقدم فيها بما اقضي به حقك قال الحاجة الحاضرة هي الى الله تعالى[6] في ان يطيل بقاءك ويديم علاك ومتى عرضت من بعد حاجة اليك كان المعول فيها عليك قال لا بد من ان تتذكر شيئا قال حراسة منازلي فانهـا تشتمل على عدد كثير من بنين وبنات وعجائز واهل واقارب واتباع واصحاب قال هذا اقل ما افعله .

---

١) في الاصل بالولات
٢) في الاصل ايقضه وهو يريد ايقظه
٣) كذا في الاصل اما نقص واما زيادة
٤) في الاصل بين حضوري وحصولي
٥) في الاصل انقضا
٦) في الاصل نعلى

ونهض ابو الحسن وشيعه ابو جعفر ومشى[1] الغلمان بين يديه .

وتوفي ابو الحسن بعد عبور معز الدولة وهزيمتــه ناصر الدولة بيوم فضى[2] ابو عمران موسى ابن قتاده وكان معه مايتا رجل من الديلم فنزل داره وركب الصيمرى اليها وقد فرغ من تجهيزه ووضع في تابوته فصلى عليه وقال لموسى اخرج من هذه الدار فما يجوز نزولك فيها فقال لا اخرج فقال لا امكنك منها فقال لا اقبل منك قال اذا لم تفعل اكرهتك وتنابذا بالقول تنابذا تولدت منه فتنة واجتمع الى موسى اصحابه والى ابي جعفر آخرون[3] .

وعرف معز الدولة ذاك فبادر لاطفاء النايرة وقال للصيمرى ليس هذا وقت ذاك قال بلى ايها الامير هذا وقته ومتى افتتحنــا امرنا بسقوط هيبتنا استمر ذلك وبعد (١٩٨/١٠٢) تلاقيه وازداد الامر من بعد وهنا والطمع استحكاما.

فاخذ معز الدولة بيد موسى بن قتاده[4] فاخرجه معه وقال له يكون نزولك في الدار التي انزلها ولا يفتتح[5] امرا بما يقبح من انزعاج اولاد هــذا الشيخ المشهور ذكره في الدنيا وعياله عن منازلهم واوطانهم .

وبقيت دور ابي الحسن على ولده ودور [ابن][6] اخيــه ابي علي بن عبد الرحمان عليه في حياته بفضل ابي جعفر ما فعله .

وكان علي بن عيسى لا يخل بالجمع ولما حبس كان يلبس ثيابــه ويتوضا ويقوم ليخرج فيرده الموكلون فيرفع يديه الى السما ويقول اللهم اشهد وكان لا يفارق الدراعة ولا يترك الوقار في خلواته

وحكى ابنه ابو القسم انه كان يرتفع لابيه من ضياعه في كل سنة عند الاعتزال والعطلة بعد ما ينصرف في نفقاته وما كان يصرفه الى بني هــاشم واولاد المهاجرين والانصار فان رسومهم عليه كانت نيفا واربعين الف دينــار فكان الحاصل بعد هذا كله وهو يلزم منزله ثلاثين الف دينار .

١) في الاصل ومشا
٢) في الاصل فضا
٣) في الاصل اخرون
٤) في الاصل ساده والتصويب عن تجارب الامم ١٠٧/٦ الحاشية
٥) في تجارب الامم ١٠٧/٦ تفتتح
٦) زيادة عن تجارب الامم ١٠٧/٦ يقتضيها السياق

وكان حاصل ابن الفرات من ضياعه اذا تعطل الف الف دينار واذا وزر اضعفت .

وفي هذه السنة تمت امارة معز الدولة ابي الحسين فكانت امارته ببغداد احدى وعشرين سنة واحد عشر شهرا ويومين وذلك لما بعد ناصر الدولة والاتراك وابن شيرزاد الى الموصل واستحلف المطيع لله، ومضى[1] الى دار الخلافة وتقلد ابو احمد الشيرازى كتابته .

(١٩٩/١٠) وتسلم الخليفة من معز الدولة اقطاعا بمايتي الف دينار .

وكان ابو الحسين علي بن محمد بن مقلة يواصل معز الدولة في ايام الحصار بالهدايا والاخبار فلما عبر الى الجانب الشرقي حمى[2] داره بها واستخدمه فاخذ في المصادرات للتجار والشهود .

فصادف احد العامة معز الدولة منصرفا منفردا نصف النهار فعرفه ما الناس فيه من الجزف[3] فتقدم بصرف ابن مقلة .

واحترقت دور ابن شيرزاد ودور اسبابه واخيه وصودر علىماية وثمانين الفا درهم[4] .

وقلد معز الدولة المعز[5] الشرطة ابا العباس بن خاقان .

وورد الخبر باستيلاء ركن الدولة ابي علي على الري والجبل .

واجتمع راى الاتراك على الايقاع بناصر الدولة فاستجار بام ملهم[6] حتى امرت ولدها بتسييره فسار ومعه ابن شيرزاد الى مرج جهينة فلما امن سمل ابن شيرزاد .

وامرت الاتراك على نفوسها تكين الشيرزادي وانفرد عنهم ينال كوساه[7] ولولو واستامنا الى معز الدولة .

١) في الاصل ومضا
٢) في الاصل حما
٣) جزف الشيء جزفا باعه واشتراه بغير وزن ولا كيل، وجازفه في البيع عامله بالحدس والتخمين . اقرب الموارد ١/١٢١ وفي تجارب الامم ٦/١٠٨ الحاشية الحرف
٤) في الاصل كتبت دينارم، ولكن ضرب على ينا
٥) كذا في الاصل والصواب حذفها كما هو في تجارب الامم ٦/١٠٨
٦) في تجارب الامم ٦/١٠٨ ملهم، بحذف ام ٧) في تجارب الامم ٦/١٠٦ كورشه

وغلب تكين والاتراك على الموصل ومضى الى سنجار وراى[1] ناصرالدولة فانجده معز الدولة باسفهدوست[2] والصيمرى والتقيا بتكين بالحديثه في جمادى الاخرة واستوسر تكين وانهزم اصحابه وسار الصيمرى مع ناصر الدولة الى الموصل ودخل على الصيمرى خيمته ولم يمد اليه فقال لما دخلتها عليه علمت اني قد اخطات فبادرت بالانصراف .

وندم الصيمرى عند خروج ناصر الدولة على ترك القبض عليه .

وسلم الى الصيمرى (٣٠٠/٩١٣) ابن شيرزاد

وضمن له طازاد وابو سعيد بن وهب النصراني الكاتب وهو الكاتب الذي مدحه ابن نباتة خمسين الف دينار على ان يطلقها[3] فلم يفعل وسلمها[4] الى الصيمرى وكان الصيمرى مراعيا لطازاذ وانفذ معهم تكين الشيرزاذى مسرلا وانفذ ابنه هبة الله ابن ناصر الدولة رهينه .

فلما وصلوا اطلق معز الدولة تكينا واقطعه اقطاعا باربعين الف درهم.

وكتب ابو عبدالله بن ثوابة[5] عن المطيع لله كتابا بالفتح الى عماد الدولة منه : فلم يسفر المجاج الا عن قتيل مرسل او غريق معجل او جريح معطل او اسير مكبل او مستامن محصل او حقيبة ملاهـا الله بلا تعب او غنيمة افا.ها[6] الله بلا نصب .

وكان مع ناصر الدولة قايد يقال له ابراهيم بن احمد واخوه صاحب خراسان فقتل ابن اخيه نوح ابن نصر ابن احمد بعض اقارب ابي علي بن محتاج فكاتبه ابو علي بن محتاج واستعانه على محاربة ابن اخيه .

ففارق ناصر الدولة بتكريت[7] في سبعين غلاما فانفذ اليه ناصر الدولة خلع الخليفة ولواءه مع جوجوخ التركي المسمول ولقبه .

١) في الاصل ورءا
٢) في تجارب الامم ١٠٩/٦ باصفهدوست
٣) في الاصل يطلقها وفي تجارب الامم ١١٠/٦ الحاشية رقم ١ يطلقه
٤) في الاصل وسلمها وفي تجارب الامم ١١٠/٦ الحاشية رقم ١ وسلمه
٥) ترجم له في معجم الادبا ١٤٤/٦ وتاريخ الاسلام للذهبي ٤٤/٦؛
٦) في تجارب الامم ١١٠/٦ حاشية رقم ١ افاء
٧) في الاصل بتركيت

ومضى ابراهيم[١] مع ابن محتاج فهزما نوحا وملك ابراهيم ثم وقعت الوحشة بين ابي علي فمضى[٢] ابراهيم مستامنا الى ابن اخيه ومضى ابو علي الى بلاد الصغد.

وانتبهت[٣] رجال ابن سيرزاذ ان الصيمرى صرفه وطالبه بالاموال .

فاستخلف (ب ٢٠١/١٠ب) الصيمرى بالحضرة طازاذ وانحدر فواقع اصحاب ابي القسم البريدى فاسر خلقا منهم .

وفي هذه السنة صرف ابو الحسن [محمد][٤] بن ابي الشوارب عن القضاء بالجانب الغربي واضيف الى عمل القاضي ابي الحسن محمد بن صالح الهاشمي[٥] .

وفي النصف من شعبان من هذه السنة[٦] خرجت العامة لزيارة قبر الحسين عليه السلام[٦] وعقدت القباب بباب الطاق .

وورد الخبر ان سيف الدولة قبض على التراريطي واستكتب بمدينه ابا عبدالله بن فهد الموصلي[٧] .

وفي هذه السنة انقطعت قنطرة دمما باسرها .

سنة ست وثلاثين وثلاثماية

في صفر[٨] انحدر المطيع لله ومعز الدولة لمحاربة ابن البريدي[٩] وسارا من من واسط في البرية الى البصرة .

وانفذ الصيمرى وموسى قياده[١٠] فدخلا دار البريدي لسهاران .

---

١) في الاصل تكررت هذه الجملة
٢) في الاصل فضا
٣) في الاصل وانتهيت
٤) زيادة عن تجارب الامم ٦/١١٠ حاشية رقم ١
٥) نسبه في المنتظم ٦/٣٩٠ ابو الحسن محمد بن صالح ابن ام شيبان ، وفي تجارب الامم ٦/١١١ الحاشية ويعرف بابن ام شيبان
٦) زادها امدروز في تجارب الامم ٦/١١١ وليس هما في الاصل كما نقل
٧) نسبه في الكامل ٦/٣٢٤ ابو عبدالله محمد بن سليمان بن فهد الموصلي
٨) في الاصل في سفر
٩) عرفه في الكامل ٦/٣٢٥ ابو القاسم عبدالله بن ابي عبدالله البريدي
١٠) في الاصل قاده والتصويب عن تجارب الامم ٦/١١٢

ورحل الخليفة ومعز الدولة فاستامن اليه عسكر البريدى بالدرهمية .
وهرب ابو القسم الى هجر وقبض معز الدولة على امواله وقواده واحرق سفنه .
ولما استولى على البصرة قصد اخاه عماد الدولة بارجان وكان يقف بين يديه واتفق وصوله من عنده ووصول الصيمرى والخليفة الى بغداد في خامس عشر من شوال .
وورد الخبر بان نوحا صاحب خراسان عاد الى بخارا وسمل عمه ابراهيم وصار اليه ابن محتاج في الامان .
ولما ورد المطيع لله من البصرة وكان في صحبته ابو السايب فولاه قضا (٣٠٢ب) القضاة[1] وصرف ابن ام شيبان ولم يرتزق ابوالسائب واستخلف ابا بشر[2] عمر بن اكثم .
وورد الخبر بان ركن الدولة فتح طبرستان وجرجان وهزم وشمكير بن زيار واستاسر من اصحابه ماية وثلاثة عشر قايدا .
وفي ذي القعدة ضمن روزبهان الديلمي السواد والضرايب بعشرة الاف[3] الف درهم واستكتب على ذلك ابن سنجلا .
وضمن الصيمرى اعمال واسط واستكتب عليها ابا الحسن طازاذ .
وفي [ذي][4] الحجة خلع معز الدولة على هبة الله بن ناصر الدولة الذي كان رهينة عنده وانفذه مع ابن قرابة الى ابيه .

سنة سبع وثلاثين وثلاثماية[5] .

ورد الخبر بانهزام سيف الدولة من الروم واستيلايهم على مرعش .
ودخل ابو القسم البريدي بغداد في الامان فاقطعه معز الدولة اقطاعا بنهر الملك بماية وعشرين الف درهم واعاد عليه ضيعته المعروفة بفروخاباذ من بادوريا وانزله في الدار المعروفة بالموزه بشرعة الساج محتاطاً عليه .

١) في الاصل القضات
٢) في الاصل بسر ، والتصويب عن تجارب الامم ٦/١١٤ الحاشية رقم ١
٣) في الاصل ٠ الاف
٤) سقطت في الاصل وزيادتها عن تجارب الامم ٦/١١٤ الحاشية رقم ١
٥) في الاصل وستماية وهو خطأ نسخ

وقبض على ابن اسفهدوست[١] لانه اشار على معز الدولة بمبايعة ابي عبدالله بن الداعي فقال الصيمري انه قصد ان يوليه الامارة اذا صار الامر اليه فكان ذلك سببا لاعتقاله برامهرمز ومات بقلعتها معتقلا .

وانفذ الصيمرى وروزبهان الى هيت فقبضا على ابي المرجا عمرو بن كلثوم واعتقل ببغداد .

واخر ناصر الدولة المال الذي صولح (٢٠٣/١٠٤) عليه من معز الدولة فخرج معز الدولة طالبا له الى نصيبين واتى سيف الدولة اخاه ناصر الدولة معاونا له. وسفر ابن قرابة في الصلح على ان يخطب ناصر الدولة لعماد الدولة ولمعز الدولة ولابنه بختيار وان يحمل ابنه رهينة ويودى ثمانيــة الاف الف درهم في السنة فتم ذلك .

وقال ابو الطيب المتنبي يذكر الجاد سيف الدولة لاخيه في قصيدة مدحه بها :

ان السعادة فيا انت فاعله	وفقت مرتحلا او غير مرتحل
اجر[٢] الجياد على ما انت[٣] مُجريها	وخذ بنفسك في اخلاقك الاول
ينظرن من مقل ادمى احجتها	قرع الفوارس بالعسالة الذبّل
فلا هجمت بها الا على ظفر	ولا وصلت بها الا الى امل

واستولى اصحاب ركن الدولة على اذربيجان[٥] وخلت الري منهم فقصدها ابن قراتكين فانفذ معز الدولة له بسبكتكين ومعه القرامطة واكثر الجيش وامده بروزبهان[٦] معاونة لاخيه ركن الدولة .

وفي ثاني شهر رمضان وهو الخامس من اذار[٧] بلغت زيادة دجلة احدى[٨] وعشرين ذراعا وثلثا فغرقت الضياع والدور .

١) في تجارب الامم٦/١١٤ وقبض معز الدولة على اصفهدوست
٢) الديوان ٢٨١ وتاريخ نظمها سنة ٣٣٧ (٩٤٨) ومطلعها :
اعلى الممالك ما يبنى على الاسل والطعن عند محبيهن كالقبل
٣) في الاصل ان ، والتصويب عن الديوان
٤) في الديوان ما كنت
٥) في الاصل اذربجان
٦) في الاصل برور جان والتصويب عن تجارب الامم ٦/١١٧
٧) في الاصل اذان
٨) في الاصل احدا

سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة

في شهر ربيع الاول مات ابو محمد الحسن بن احمد المادراني الكاتب .

وفيه انحدر الصيمري لمحاربة عمران بن شاهين وهذا عمران (٢٠٦/١٠٥) من اهل الجامدة[1] جنى[2] بها جناية فهرب من العامل واقام بين القصب يصيد السمك ثم تلصص واجتمع معه جماعة من الصيادين واستامن الى البريدي فقلده الجامدة والاهواز[3] فما زال امره يقوى .

ولما انحدر الصيمري لقتاله هرب من بين يديه فاستاسر الصيمرى اهله واولاده ولم يبق غير استيلايه على البطيحه فورد الخبر بموت عماد الدولة بشيراز فكاتب معز الدولة الصيمري بالمبادرة الى هناك فترك حرب عمران وتوجه .

وكان ركن الدولة قد وافى[4] اخاه عماد الدولة وسلما فارس الى ابي شجاع فناخسره ابن ركن الدولة الملقب بعد ذلك عضد الدولة .

وانفذ الصيمرى بابي الفضل العباس فساه نحس فقلده معز الدولة الدواوين.

ووافى[4] سبكتكين والجيش من الري .

وعاد الصيمرى من شيراز وعاود محاربة عمران فمات بالمرموني[5] من اعمال الجامدة .

وكان الصيمرى يحسد المهلبي على تخصيصه وادبه فكان اذا جلس معه على الطعام راى[6] كلامه وفصاحته فيامر الفراشين بعينه فيطرحون المزقة على ثيابه فكان المهلبي منفصا به وكان يستصحب مع غلامه دايما ثيابا يغير بها ما عليه .

وكان في الصيمرى شجاعة وقوة نفس وهو الذى فتح الجانب الشرقي لمعز الدولة لان الديلم لم يقدم على العبور فلما راوا كاتبا قد تقدمهم انفوا .

١) قال امدروز في تجارب الامم ١١٩/٦ الحاشية رقم ١ نقلا عن كتاب العيون هي قرية من اسافل واسط وراجع معجم البلدان لياقوت ٩٥/٢ ط . دار صادر ودار بيروت

٢) في الاصل جنا

٣) في الاصل الاهوار براء مهملة

٤) في الاصل وافا

٥) في تجارب الامم ١٢٢/٦ بالزبيرني ، وفي الكامل ٣٢٤/٦ وتجارب الامم ١٢٢/٦ ذكر موت الصيمري هذا في صدر اخبار سنة ٣٣٩

٦) في الاصل رءا

وقال القاضي ابو حامد المرورودي كنت واقفا بين يدي معز الدولة فقال للصيمري (٢٠٥/١٠٥) اريد خمساية الف درهم لمهم فقال من اين ودخلك لا يفي بخرجك فقال الساعة احبسك في الكنيف حتى يحضر ما طلبته فقال اذا حبستني في الكنيف خريت لك بقرة وضربتها دراهم فضحك منه وامسك .

ولما خرج الصيمرى في هذا الوجه استخلف ابا محمد المهلبي فلما علم نفاقه على معز الدولة اطلق لسانه فيه فكان ابو محمد قد تيقن انه يهلكه[1] على يد الصيمرى فانفذ الى معسكره طيورا واوقف من يكتب عليها اخباره فاتاه البراج بطير قد ابتل بالما بكتاب لم يقف عليه فقال للصابي[2] تلطف في قراءته فقراه بعد جهد فاذا فيه هلاك الصيمرى فدخل الى معز الدولة وعزاه وجلس للعزاء به .

وترشح للوزارة ابو علي الطبري وهو عامل للاهواز .

قال التنوخي من اعظم المصادرات مصادرة معز الدولة لابي علي الحسن بن محمد الطبرى صادره على خمساية الف دينار فلما مات الصيمرى طمع في الوزارة وبذل فيها مالا عظيما قدم منه اول نوبة ثلاثماية الف دينار فلم يبن عليه خروجها فاخذها منه وقلد المهلبي .

سنة تسع وثلاثين وثلاثماية

في هذه السنة رد القرامطة الحجر الاسود الى مكة وكان بجكم[3] قد بذل لهم ان ردوه خمسين الف دينار فلم يجيبوه وكان بين قلعه ورده اثنان وعشرون سنة[4] .

وفي هذه السنة كانت وزارة ابي محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبي لمعز الدولة (٢٠٦/١٠٦) خلع عليه معزالدولة القبا والسيف والمنطقة وسار سبكتكين بين يديه الى دار الخلافة فخلع عليه السواد والسيف والمنطقة .

١) في تجارب الامم ٦/١٢٣ الحاشية رقم ٢ يهلك
٢) في الاصل للصابى
٣) في الاصل بحكم ، بحاء مهملة
٤) قال في البداية والنهاية ١١/٢٢٣ وقد كان القرامطة اخذوه في سنة سبع عشرة وثلاثماية

وكان المهلبي ثقيل البدن ومشى[1] في صحون الخلافة[2] وقد اثقله ما عليه من اللباس فسقط بين يدي المطيع لله عند دخوله من ذلك ومن شدة الحر ووقع على ظهره فاقيم وظن من معه انه يُحضَر[3] بما جرى فتكلم واحسن واطال في[4] الشكر والقول وتمثل بابيات فتعجب الناس من بديهته وركب الى داره ومعه جميع الجيش وحجاب الخلافة وداره هي الدار المعروفة بالمرشد وتولها السلطان[5] ركن الدولة في سنة سبع واربعين واربعماية[6] (١٠٥٥) عند دخوله بغداد ونقضها موفق خادم القايم بامر الله رضوان الله عليه في سنة خمس وخمسين واربعماية (١٠٦٣) وبنى بالتها[7] حجرة للطيور بباب النوبي وعمرها سعد الدولة الكهوراني[8] في سنة تسعين واربعماية (١٠٩٦) ولما قتل وقفتها[9] زوجته نقد[10] ما كان نقض ما بقي في الدور الشاطية بباب الطاق وما امتدت يده من قصر بني المامون رضي الله عنه .

ثم تولها قوام الدولة كربغا في سنة ثلاث وتسعين واربعماية(١٠٩٩) ثم خلت بعد خروجه .

وقال ابو نصر عبد العزيز عمر بن نباتة السعدى يمدح المهلبي بقصايد منها.

دع بين اثوابي وبين وسادي شخصا يصدّ فوارسي وجيادي

وقال فيه من اخرى

($\frac{٢٠٧}{١٠٦}$) ورب اذم[11] في ركّه رايه وفي قوله اى ازجال المهذب

---

١) في الاصل ومشا

٢) في تجارب الامم ١٢٥/٦ الحاشية رقم ١ الخليفة

٣) كذا في الاصل ولعله يحصر بعده بعدها بياض مهملة

٤) في تجارب الامم ١٢٥/٦ الحاشية رقم ١ حذف في

٥) بعدها بياض في الاصل وفي تجارب الامم ١٢٥/٦ زاد بين هلالين (طغرلبك)

٦) في تجارب الامم الحاشية رقم ١ سنة ٤٧٧

٧) كذا في الاصل ولعله يريد قبالتها

٨) في تجارب الامم ١٢٥/٦ الحاشية رقم ١ الكوهراتيني

٩) في الاصل وقتها والتصويب عن تجارب الامم ١٢٥/٦ الحاشية رقم ١

١٠) كذا في الاصل نقد وفي تجارب الامم ١٢٥/٦ الحاشية رقم ١ ونقد ما كان بقي من النقض في الدور الشاطية

١١) كذا في الاصل

تكلم والنعمان شمس سمائه وكل مليك عند نعمان كوكب
ولو ابصرت عيناه شخصك مرة لابصر منه شمسه وهو غيهب

وفيها :

كفى وزراء الملك في الناس مفخرا بانك منهم حين تعزى وتنسب
كما قد كفى[1] الابطال باسا ونجدة بان قيل منهم في الهياج المهلب

وانحدر المهلبي وروزهان[2] لمحاربة عمران فهزمها واستاسر قوادهما ومضى[3] المهلبي الى البصرة

وكاتب سيف الدولة الخليفة يستاذنه في الغزو فاذن له فاوغل في بلاد الروم وسبى[4] وافتتح حصونا وعاد في ثلاثين الفا فاخذ عليه الروم الدرب فلم يفلت الا في عدد يسير[5] وقال المتنبي قصيدة منها[6] :

قل للدمستق ان المسلمين لكم خانوا الامير فجازاهم بما صنعوا

سنة اربعين وثلاثماية

فيها تم الصلح بين عمران ومعز الدولة وقلده البطايح واطلق عياله الماسورين واطلق القواد[7] .

وورد الخبر بماودة ابن قراتكين[8] حرب ركن الدولة بعد انهزامه ودخول ركن الدولة الري بعد ان تقابلا سبعة ايام .

---

١) في الاصل كفا
٢) في الكامل ٦/٣٣٦ وتجارب الامم ٦/١٢٩ روزجهان
٣) في الاصل ومضا
٤) في الاصل وسبا
٥) خبر هذه الغزوة في المنتظم ٦/٣٦٧ وفي الكامل ٦/٣٣٤ الحاشية رقم ١ نقلا عن الذهبي في تاريخ الاسلام وهو طويل
٦) الديوان ٣١٩ ومطلعها :

غيري باكثر هذا الناس ينخدع ان قاتلوا جبنوا او حدثوا شجعوا

٧) في تجارب الامم ٦/١٤٣ واطلق عمران بن شاهين من استأسر من القواد وغيرهم
٨) نسبه في الكامل ٦/٣٣٨ وهو منصور بن قراتكين

وواصل ابن قراتكين الشرب اياما فمات فجاة[١] وكُفي ركن الدولة خطبه بعد ما حل به وبعسكره من البلا بحصاره.

وورد ابن وجية صاحب عمان البصرة فقاتله المهلبي ($\frac{٢٠٨}{١٠٧}$) واخذ منه خمس مراكب وهزمه ووصل المهلبي الى بغداد ومعه الاسارى والمراكب[٢].

وفيها مات ابو القسم الكلوذاني بعد الفقر وقد مضت اخباره.

وفيها مات ابو الحسن عبيد الله بن الحسين الكرخي امام اصحاب ابي حنيفة[٣].

قال الخطيب[٤] كان مع غزارة علمه وكثرة روايته عظيم العبادة كثير الصلاة صبورا على الفقر والحاجة عزوفا عما في ايدي الناس. ولما اصابه الفالج في اخر[٥] عمره حضره اصحابه[٦] فقالوا هذا مرض يحتاج الى نفقة وعلاج وهو مقل ويجب ان لا نبذله الى الناس ونكتب الى سيف[٧] الدولة فنطلب منه ما تنفق عليه ففعلوا واحس ابو الحسن بما هم عليه فسال عن ذلك فاخبر به فبكى[٨] وقال اللهم لا تجعل رزقي الا من حيث عودتني فمات قبل ان يحمل سيف الدولة شيئا ثم ورد كتاب سيف الدولة ومعه عشرة الاف[٩] درهم ووعد ان يعده بأمثالها فتصدق اصحابه بها.

ومات ليلة النصف من شعبان من هذه السنة ومولده بسنة ستين ومايتين (٨٧٣) وصلى عليه القاضي ابو تمام الحسن بن محمد الهاشمي الزينبي[١٠] وكان من

١) الكامل ٣٢٨/٦ اورد عدة اراء في سبب موته
٢) ورد هذا اكبر في تجارب الامم ١٤٤/٦ في جملة اخبار سنة ٣٤١
٣) ترجم له في البداية والنهاية ٢٢٤/١١ وفي المنتظم ٣٦٩/٦
٤) ترجم له الخطيب في تاريخ بغداد ٣٥٣/١٠
٥) في الاصل ٠اخر
٦) ورد ذكرهم في المنتظم ٣٦٩/٦ وهم ابو بكر الدامغاني ، وابو علي الشاشي وابو عبدالله البصري
٧) كتبت في المتن معز ، واصلحت على الهامش سيف وهو الصواب كما هو واضح من السياق
٨) في الاصل فبكا
٩) في الاصل ٠الاف
١٠) نسبه في اللباب ٥١٨/١ ابو تمام الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن . . . الزينبي

اصحابه بُغداء مسجده في درب ابي زيد على نهر الواسطيين[1] وقد بقي من مسجده اليوم قطعة من حايط القبلة يعرف اليوم بقلع ابن صابر .

قال التنوخي كان ابو زهير الجنابي الفقيه ورعا عارفا بمذهب ابي حنيفة فدخل بغداد فبلغه اخبار ابي الحسن الكرخي في ورعه فلقيه فقال يا ابا الحسن بلغني انك تاخذ من السلطان رزقا في الفقها. قال (٣٠٩/٢٠٢) نعم قال ومثلك في علمك ودينك يفعل هذا قال له ابو الحسن او ليس قد اخذ الحسن البصري في زمنه وفلان وفلان فعدد خلقا من الصالحين الفقها ممن اخذ من بني امية فقال ابو زهير ذهاب هذا عليك اطرف[2] بنو امية كانت مصايبهم في اديانهم وجباياتهم الاموال سليمة لم يظلموا في العشر ولا الخراج فكان الفقهاء ياخذون منهم الاموال مع سلامتها وهؤلاء[3] الامراء الذين تاخذ منهم اموالهم فاسدة مع اديانهم وجباياتهم لها بالظلم والغشم فسكت ابو الحسن ولم ياخذ شيئا الى ان مات .

سنة احدى واربعين وثلاثماية

ورد الخبر بدخول الروم سروج واحراقهم مساجدها وسبي اهلها وفيها بنى[4] سيف الدولة مرعشا فقال ابو الطيب المتنبي يمدحه بقصيدة :

فديناك من ربع وان زدتنا كربا[5]

يقول فيها :

هنيئا لهذا[6] الثغر رايك فيهم وايك[7] حزب الله صرت له حزبا
فيوم[8] بخيل تطرد الروم عنهم ويوما بجود[9] تطرد الفقر والجدبا

---

١) في الاصل الواسطيين وفي المنتظم ٦/٣٧٠ الواسطي
٢) كذا في الاصل
٣) في الاصل وهاولاء
٤) في الاصل بنا
٥) الديوان ٣٣٤ وعجزه : فانك كنت الشرق للشمس والغربا
٦) في الديوان لاهل
٧) الديوان وانك
٨) الديوان فيوما بخيل
٩) الديوان بجود

مراياك نترى والدمستق هارب　　واصحابه قتلى وامواله نهبى[1]
اتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا　　وادبر اذ اقبلت يستبعد القربا
وهل رد عنه باللقان وقوفه　　صدور العوالي والمطهمة القبا
ارى كلنا يبغي[2] الحياة لسعيه[3]　　حريصا عليها مستهاما بها صبا
($\frac{210}{108}$) فحب الجبان النفس اورده البقا　　وحب الشجاع الحرب[4] اورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد　　الى ان يرى[5] احسان هذا لذا ذنبا
كفى[6] عجبا ان يعجب الناس انه　　اتى مرعشا تبا لارباها[7] تبا
وما الفرق ما بين الانام وبينه　　اذا حذر المحذور واستصعب الصعبا
لامر اعدته الخلافة للعدى[8]　　وسمته دون العالم الصارم العضبا

سنة اثنين واربعين وثلاثمائة

ورد[9] الخبر في شهر ربيع الاخر بغزاة[10] سيف الدولة وغنيمته واسره[11] لقسطنطين بن الدمستق فقال النامي[12] يمدحه بقصيدة منها :

ومن جمع الفخرين فخر ربيعة　　وفخر ابي الهيجاء كان بلا ند
يمر عليك الحول سيفك في الطلا　　وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضي عليك الدهر فعلك للعلى　　وقولك للتقوى وكفك للرفد
بني الاصفر اصفرت وجوه حماتكم　　وقد ردها في البيض تحمر في الرد
فلم تر يوما مثلك الخيل فارسا　　اجر لخيل في الجهاد على الجهد

---

١) في الاصل نهبا
٢) في الاصل تبغي والتصويب عن الديوان
٣) في الديوان لنفسه
٤) في الاصل النفس والتصويب عن الديوان
٥) في الاصل يرا
٦) في الاصل كفا
٧) في الاصل لاربابه وفي الديوان لاراثهم
٨) في الاصل للعدا
٩) ورد هذا الخبر في البداية والنهاية ٢٢٧/١١ في جملة اخبار سنة ٣٤٣
١٠) في الاصل بغزات
١١) في البداية والنهاية ٢٢٧/١١ وكان في جملة من قتل قسطنطين بن الدمستق
١٢) ترجم له في يتيمة الدهر للثعالبي ١٩٠/١ ووفيات الاعيان ٣٨/١

وقد سار في الروم الدمستق باغيا · له ساعة نكراء في نوب نكد
فتسقي دم الاكباد وهي على ظمى[1] · وتخترم الاعمار وهي على حقد
اذا حسبت في حد سيفك مخطها · توثب او تلقى الظبى[2] مطلق الحد
وكسن قسطنطين تحت صليبه · ومد القنا من فوق ارعن ممتد
كأنك قد قدمت جندا لمزمها · وقد سرت في جند وحزمك في جند
($\frac{٢١١}{١٠٨}$) واسلم قسطنطين للاسر فردس · وولى وقد خدته فوهاء في الخد

وقال ابو الطيب قصيدة :
ليالي بعد الظاعنين[3] شكول[4]

فيها :
وما قيل سيف الدولة اثار عاشق · ولا طلبت عند الظلام ذخول[5]

قال ابن جني اثّار افتعل من الثار ؛ واصله اثتار فابدلت التاء ثاء لتوافقها في الشدة وقرب مخرجها وقال قيس[6] :
ثارت عديا والخطيم فلم اضع · وصية[7] اشياخ جعلت ازاءها[8]

والدخول[9] جمع دخل وهو الثار .

فيها :
على قلب قسطنطين منه تعجب · وان كان في ساقيه منه كبول
لعلك يوما يا دمستق عائد · فهل[9] هارب مما اليه يزول[10]

---

١) في الاصل دمحا
٢) في الاصل الظبيا
٣) في الاصل الطاعنين
٤) الديوان ٣٦٩ : وعجزه طوال دليل العاشقين طويل
٥) في الاصل دخول والتصويب عن الديوان
٦) يريد به قيس بن الخطيم ، وترجمته في الاغاني ٣/١–٢٦ ط دار الكتب المصرية ، وجمهرة انساب العرب ص ٣٢٢ ، وتاريخ اداب اللغة العربية ١/١٢٤–١٢٥
٧) في حماسة ابي تمام شرح التبريزي ١/١٨٢ ولاية
٨) البيت هذا هو الاخير من قصيدة مطلعها :
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر · لها نفذ لولا الشعاع اضاءها
٩) في الديوان فكم · ١٠) في الاصل يزول

نجوت باحدى مهجتيك جريحة وخلفت احدى مهجتيك تسيل
اغركم طول الجيوش وعرضها علي شروب للجيوش اكول

وورد الخبر بموت ابي الفضل العباس بن فسا نجس بالبصرة وسنه سبع وسبعون سنة وحمل تابوته الى الكوفة .

وتقلد الديوان بعده ابنه ابو الفرج محمد .

وورد الخبر بتمام الصلح بين ركن الدولة وبين ابي علي بن محتاج بعد حروب جرت بينهما على باب الري ومنازلة ثلاثة اشهر وانصرف ابن محتاج الى خراسان وركن الدولة الى الري[1] .

وفي شوال مات ابو عبدالله[2] ابن فهد الموصلي .

وفي هذه السنة ماتت بدعة الصغيرة (٣١٢/١٠٩) المعروفة بالحمدونية على اثنين وتسعين سنة .

سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة

في هذه السنة ورد رسول ابي علي بن محتاج الى معز الدولة فاوصله الى الخليفة وذلك بعد موت نوح بن نصر فعقد لابي علي على خراسان وسلم اليه العهد والخلع وضم اليه ابا بكر بن ابي عمرو الشرابي واقام الخطبة للمطيع في هذه السنة ولم تكن قد اقيمت له ببلاد خراسان الى هذه الغاية .

وبلغ الخبر بموت موسى قتاده[3] فانحدر المهلبي لحيازة تركته وكانت عظيمة .

وفي مستهل شعبان ورد الخبر برقعة كانت بين الدمستق وبين سيف الدولة بالحدث وقتل سيف الدولة خلقا من اصحاب الدمستق واسر ابن ابنه[4] وصهره وبطارقته وبنى[5] الحدث بعد ان اخربوها وقال السري مذكرا اخرابهم لها[6] .

---

١) راجع هذا الخبر مطولا في تجارب الامم ١٥٤/٦ .

٢) نسبه في الكامل ٣٤٥/٦ ابو عبدالله محمد بن سليمان بن فهد الموصلي

٣) في الاصل قناده والصواب كما تقدم وهو ابن عمران موسى بن قتاده ، وفي تجارب الامم ١٥٥/٦ الحاشية رقم ١ نقل امدروز هذه الكلمة هكذا قباذه

٤) في الكامل ٣٤٧/٦ وابن ابنه

٥) في الاصل وبنا ٦) في الديوان ١٠٣ ومطلعها :

ناديك من مطر الاحسان ممطور ومرتجيك بغمر الجود مغمور

ان يشتك[1] الحدث الحسناء حادثة   يسعى[2] جا حاين منهم ومغرور
فانما نشوة ولت عذوبتها   وتر ذو التاج عنها وهو مخمور
سينتقض[3] الوتر من اعدابه ملك   عدوه حيث كان الدهر مقهور[4]
فحاذروا[5] وزرا منه وهل وزر   والسيف في يد سيف الله مشهور

وقال ابو الطيب قصيدته :

ذي المعالي فليعلون من تعالى[6]   هكذا هكذا والا فلا لا[7]

قال ابن جني يريد انهم بعثوا سيف الدولة على اتمام $\left(\frac{٢١٣}{١٠٩}\right)$ بنايه واعلايه فكانوا سبب ذلك يقول فيها :

قصدوا هدم سورها فبنوه   واتوا كي يقصروه فطالا
واستجروا مكايد الحرب حتى   تركوها لهم[؟] عليه[8] وبالا
رب امر اتاك لا تحمد الفعال   فيه وتحمد الافعالا

قال ابن جني الفعال المرائي والافعال انهزامهم

وقسي رميت منها[9] فردت   في قلوب الرماة[10] عنك النصالا
اخذوا الطرق يقطعون جا الرسل   فكان انقطاعهم[11] ارسالا
وهم البحر ذو النوارب الا   انه صار عند بحرك آلا[12]

النوارب الامواج

وفي شوال مات ابو جعفر محمد بن القسم الكرخي .

---

١) في الديوان تشتك
٢) في الديوان سعى
٣) في الديوان يستنقص
٤) في الديوان موتور
٥) في الديوان تجاور
٦) في الاصل فليعولن من تعالا والتصويب عن الديوان
٧) الديوان صفحة ٤٣٢
٨) في الديوان عليهم
٩) في الديوان عنها
١٠) في الاصل الرمات
١١) في الديوان انقطاعها
١٢) في الاصل الا

وعرض لمعز الدولة مرض في احليله وهو الانعاظ[1] الدايم .

وورد الخبر بدخول ركن الدولة وابن محتاج جرجان ومضى[2] وشمكير هاربا الى خراسان .

سنة اربع واربعين وثلاثماية

عقد معز الدولة لابنه بختيار الرياسة .

وارجف على معز الدولة عند عمران فاجتاز به ماية الف دينار قد حملت من الاهواز وامثالها للتجار فاخذها فانفذ معز الدولة الكوكبي[3] نقيب الطالبيين برسالته في اطلاق ماله واموال التجار فرد ما يتعلق بمعز الدولة ومضت امتعة التجار .

وفي هذه السنة سد معز الدولة فوهة نهر الرفيل وسد بثق النهروانات وحفر ($\frac{٢١٤}{١١٥}$) للخالص فحوله وشرع في سد بثق الروبانية ببادوريا .

وفي رجب ورد الخبر بموت ابي علي بن محتاج بالري في وباء حدث بالبلد .

وورد رسول ابي الفوارس عبد الملك بن نوح فعقد الخليفة له على خراسان .

وانحدر روزبهان في شهر رمضان لقتال عمران وجاء المهلبي الى زاوطا لمعاونته .

سنة خمس واربعين وثلاثماية

ترك روزبهان[4] محاربة عمران ومضى[5] الى الاهواز عاصيا واستكتب ابا عبدالله الجرجي واستامن اليه رجال المهلبي .

وكان روزبهان من صنايع معز الدولة لانه رقاه الى هذه المنزلة وكان يتبع موسى فياده فاضطرب الديلم على معز الدولة واظهروا ما في نفوسهم .

١) في الاصل الانعاض . والانعاظ من الادواء العارضة في مذاكير الرجال ، اوفي تجارب الامم ٦/١٥٨ والكامل ٦/٣٤٧ يقال له فريافسمس

٢) في الاصل ومضا

٣) في تجارب الامم ٧/١٥٩ ابو الحسين الكوكبي

٤) نسبه في الكامل ٦/٣٤٩ روزبهان بن ونداد خرشيد الديلمي

٥) في الاصل ومضا

وانصرف المهلبي الى الابلة .

وانحدر معز الدولة والمطيع لله .

وهم ناصر الدولة بالانحدار الى بغداد واخذها فوصلها سبكتكين فلم يقدم .

وواقع معز الدولة روزبهان بقنطرة اربق[1] سلخ شهر رمضان وقاتله بالاتراك ولم يثق بالديلم فاسره[2] واصعد به الى بغداد في زبزب .

فكثر دعاء العامة على روزبهان ورجموه بالاجر واشار عليه مسافر باتلافه. وعلم معز الدولة ان الديلم على اخذه وكره قتله لان معز الدولة كان يكره الدما ولم يكن متسرعا الى اراقتها ثم اخرجه ليلا الى الاناتين تحت البلد فغرقه .

وكان اخر روزبهان ($\frac{٣١٥}{١١٠}$) قد عصى[3] بفارس فظفر به هناك .

ودخل الخليفة داره في مستهل ذي القعدة بعد وصول معز الدولة .

ومات في هذا اليوم ابو عبدالله الحسين بن احمد الموسوي .

وفيها مات ابو عمر الزاهد غلام ثعلب وجوز العالم جنازته في الكرخ فوقعت الفتنة لاجلها .

وحكى ابو عمر قال كان سبب انفرادي في هذه الحربة انني اخذت كتاب سيبويه وتوجهت لاقراه على المبرد فسمعت الشبلي يقص في الجامع وانشد في قصصه :

قد نادت الدنيا على اهلها ‌‌‌ لو ان في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر واريته ‌‌‌ وجامع فرقت ما يجمع

ووجدت بخط التميمي قال عاد ابو عمر مريضا فلم يجده فكتب على بابه

واعجب شيء سمعنا به ‌‌‌ مريض يعاد فلا يوجد

---

١) في الكامل ٣٥٢/٦ وتجارب الامم ١٦٣/٦ قنطرة اربق

٢) اي ان معز الدولة اسر روزبهان ، راجع الكامل ٣٢٩/٦

٣) في الاصل عصا

الكامل ٣٥١/٦ نسبه فقال : محمد بن عبد الواحد بن ابي هاشم ابو عمر الزاهد غلام ثعلب . وفي الحاشية رقم ٢ لمة عنه . وله ترجمة في بغية الوعاة ٦٩ والبداية والنهاية ٢٣٠/١١ والمنتظم ٢٨٠/٦

وحكى رئيس[1] الروسا ابو الحسن بن صاحب النعمان قال مضيت مع ابي الى ابي عمر فلما دخلنا عليه قال تاجروا فاخذ كل واحد منـا اجرة وجلس عليها ثم اخذ ابي يعتذر من تاخره عنه فقال يا ابا الحسين كم تعتذر اما علمت ان الصديق لا يحاسب وان العدد لا يحسب ثم قال يا ابا الحسين ان ابن عبيد الله كان يبرني . واراد مني الخروج الى الكوفة لتعليم ولده يرزق سناة لي فلم افعل فغضب وقطع ما كان يعطيني اما علمت يا ابا الحسين ان رزقي ($\frac{٢١٦}{١١١}$) على من اذا غضب لم يقطع قال وطال الحديث وودعه ابي وانصرفنا

سنة ست واربعين وثلاثماية

خرج ابو الحسين بن مقلة الى كربلا للزيارة وبه فالج فمات في طريقه واعيد الى داره ودفن بتربة ابي عبيدالله .

وفيها تزوج بختيار بابنة سبكتكين بحضرة الخليفة .

سنة سبع واربعين وثلاثماية

ورد الخبر ان الروم نهبوا سواد ميافارقين وقتلوا نادرا[2] غلام سيف الدولة وانهم غلبوا على سميساط واحرقوها وان سيف الدولة افلت منهم في عدد يسير واسروا اهله وقرابته .

واخر ناصر الدولة حمل المال عن معز الدولة فسار الى نصيبين وراءه .

وبعد ناصر الدولة الى ميافارقين .

وانفذ معز الدولة ببر مردى وهو حدث في خمساية من الديلم الى سنجاب فهرب منه ابو المرجا جابر وهبة الله ابنا ناصر الدولة ان لا ينفذه فلم يقبل منه فقال .

طفل يرق الماء في وجناته وينض عوده[3]
ويكاد من شبه العذارى منه ان تبدو نهوده
جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده

---

١) في الاصل وحكا رءييس

٢) في الاصل نادر

٣) نسبت هذه الابيات في يتيمة الدهر للثعالبي ٢/٢٠٤ الى المهلبي الوزير قال الغلام وهو

وقال السري المعروف بالرفا يمدح ابا المرجا :

الله اكبر فرق السيف العدا فتفرقت ايدي سبا اخبارها[1]

(٢١٧/١١١) لا تجبر الايام كسر عصابة كسرت وذل لجابر[2] جبارها

رحلت فكان الى السيوف رحيلها وثوت فكان الى السيوف مزارها[3]

علم الاعاجم ان وقع سيوفكم نار تشب وانتم اعصارها

من ذا ينازعكم كريات العلى وهي البروج وانتم اقمارها

الحرب تعلم انكم آسادها[4] والارض تشهد[5] انكم امطارها

في[6] وقعة لك عزها وسناؤها وعلى عدوك عارها[7] وشنارها

عمرت ديارك من قبور ملوكها[8] وخلت من الانس المقيم ديارها

ولابن الحجاج[9] في ذلك :

قل يا سير مردى يوم حجار حين دعاك الى ذي لبدة ضار

سرى اليك وجنح الليل[10] منسدل بجحفل مثل جنح الليل[10] جرار

ومبحتك جيوش الله معلمة من كلا اغلب ماضي العزم منوار

لعز الدولة . وكان المهلبي يستظرفه ويستحسن صورته فمن قوله فيه .

ظبي يرق الماء في وجناته ويرق عوده

ويكاد من شبه العذارى فيه ان تبدو نهوده

ناطوا لمعقد خصره سيفا ومنطقة تؤدده

جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده

١) الديوان صفحة ١١٢ ومطلعها :

مرضت جفونك والحتوف شفارها ودهن السيوف شفارها اشفارها

٢) في الديوان بجابر

٣) في الديوان على الحتوف قرارها

٤) في الاصل اسادها

٥) في الديوان تعلم

٦) في الديوان هي

٧) الديوان نارها

٨) الديوان ملوكهم

٩) اخباره في يتيمة الدهر للثعالبي ٣/٢٥ والمختصر لابي الفدا ٣/١٢٥ وابن خلكان ١/١٥٥ وكتاب غاية الرتبة في طلب الحسبة للشيرازي ص ١٠٤

١٠) في الاصل الليل

يابى له الضيم ان الضيم منقصه[1] انف حمي وجاش غير خوار
لما سما لك في الهيجاء منفردا برهف النقد ماضي الحد بتار
لما سما لك في الهيجاء منفردا برهف النقد ماضي الحد بتار
عضب المهزة لا يبتز رونقه يوم الكريهة الانفس جبار
لقيتم غير انكاس ولا عزل ولا نكول على الهيجاء انمار
لما راى[2] الحز في ايراد مهجته مضى[3] فاوردها من غير احدار
ليث بكر اذا كروا وان جالوا الى الفرار راوه غير فرار
ابى[4] النزول على حكم نزلت به فما انثنى[5] بعد اقبال لادبار
حتى هوى تحت ايدي الخيل يخبطه في سايل من دم الاوداج موار
(٢١٨/١١٢) وثاو بسنجار لا يندو اذا ظمن النادون عنها ولا يسري مع الساري[6]
يا آل[7] احمد ايها هكذا ابدا صونوا الحريم وحوطوا حوزة الدار
واصلوا بنار الردى من دون شحنكم[8] والحر بالنار اولى منه بالعار
لا ترهبوهم فان القوم اكثرهم من حزتموهم ليالما يوم سنجار
في ذلك من يوم اعاد لكم يا شيعة الله فيهم يوم ذي قار
كروا فان صدور الخيل عابسة يحملن كل رحيب الصدر كرار
يحملن اسدا تهفان مواخنها منها المصور ومنها المشبل الضاري[9]

فاما حال ناصر الدولة فانه توجه من ميافارقين الى حلب قاصدا لاخيه سيف الدولة واستامن اكثر جيشه واخوه ابو زهير الى معز الدولة .

واكرم سيف الدولة اخاه ونزع خفه بيده وتوسط الحال بين معز الدولة وبين اخيه على ما تقرر ضمنه وقال السري يذكر ذلك لسيف الدولة[10] :

---

١) في الاصل منقضه
٢) في الاصل رءا
٣) في الاصل مضا
٤) في الاصل ابا
٥) في الاصل انثنا
٦) في الاصل السار
٧) في الاصل ءال
٨) كذا في الاصل ولعل الصواب شحنتكم
٩) في الاصل الضاد
١٠) الديوان صفحة ٢٣٦ ومطلعها :

محلك مثل الناب ليس يرام
وجارك مثل النجم ليس يضام

راى[١] من اخيه الشام أكرم شيمة　　واصدق برق في المحول يشام
ارى المابن[٢] المغرور قام[٣] بارضكم　　كان المنايا الحمر عنه تنام[٤]
فطورا لكم في العيش رحب منازل　　وطورا[٥] لكم بين السيوف رجام[٦]
وانتم على اكباد قوم حرارة　　وبرد على اكبادنا وسلام

ورجع معز الدولة بضمان سيف الدولة الى الموصل وتقرر معه دفع الفي الف وسمائة الف درهم واطلاق الماسورين من اصحابه .

فلما سار بين الموصية واردمة[٧] وذلك (٣١٩/١١٢) في ثالث ذي الحجة وهو الخامس عشر من شباط هبت ريح مغرب باردة فتلف من عسكره ثمان مائة رجل ولحق معز الدولة الشي من البرد مع كثرة ما عليه من الخز والوبر وقلع العسكر سقوف ادرمة[٧] وابوابها فاوقدوها واطلق لهم معز الدولة ثلاثة الاف[٨] درهم عوضا[٩] عما اخذ من الخشب .

سنة ثمان واربعين وثلاثمائة

في هذه السنة وافى[١٠] ابو اسحاق القراريطي من مصر مع الحاج .

في شهر ربيع الاول توفي ابو بكر محمد بن جعفر الادمي القاري[١١] .

قال درة[١٢] الصوفي كنت بايتا بكلواذى على سطح عال فلما هدى الليل[١٣] قلت[١٤] لاصلي فسمعت صوتا ضعيفا يجي من بعد فاصغيت اليه وتاملته شديدا فاذا صوت ابي بكر[١٥] الادمي فقدرته منحدرا في دجلة فلم اجد الصوت يقرب ولا يزيد على ذلك القدر ساعة ثم انقطع فشككت في الامر وصليت وتمت. فبكرت فدخلت بغداد بعد ساعتين من النهار وكنت مجتازا في

١) في الاصل رد١
٢) في الديوان الخائن
٣) في الديوان نام
٤) في الديوان ينام
٥) في الاصل وصورا
٦) في الديوان زحام
٧) في تجارب الامم ١٧٢/٦ آذرمه
٨) في الاصل ١الاف
٩) في الاصل عوظا
١٠) في الاصل وافا
١١) ترجم له في المنتظم ٣٩٢/٦-٣٩٤
١٢) في المنتظم ٣٩٣/٦ ذرة
١٣) في الاصل البل
١٤) في المنتظم ٣٩٣/٦ قمت
١٥) في المنتظم ٣٩٣/٦ لابي

السميرية[1] فاذا بابي بكر الادمي ينزل الى الشط من دار ابي عبد الله الموساي[2]
العلوي التي بقرب قرضة جعفر على دجلة فصمدت اليه وسالته عن خبره فاخبرني
بسلامته فقلت اين بت البارحة فقال في هذه الدار فقلت قرات النوبة الفلانية
قال نعم قبل[3] نصف الليل[4] فعلمت انه الوقت الذي سمعت فيه صوته بكلواذى
فعجبت من ذلك عجبا ($\frac{٢٢٠}{١١٣}$) شديدا بان في له[5] فقال مالك فاخبرته قال
فاحكها للناس عني فانا احكيها دائما .

وقال ابو جعفر عبدالله بن اسماعيل[6] الامام رايت ابا بكر الادمي في
النوم بعد مديدة من وفاته فقلت ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه وقاسيت
شديدا وامورا صعبة قلت له فتلك الليالي والمواقف والقرآن[7] فقال ما كان
شيء اضر علي منها لانها كانت للدنيا قلت له فالى اي شيء انتهى امرك قال
قال لي الله تعالى[8] آليت[9] على نفسي ان لا اعذب ابناء الثمانين[10] .

وكان ابو بكر محبوبا الى الناس قال كسبت بالقرآن[11] ثلاثماية الف دينار .

وحكي قال لما ولد ابني[12] ابو عبدالله قال جيت الى مونس المظفر وحدثته
الحديث فوهب لي دنانير كثيرة فلما كان بعد مدة سالني فقال يا ابا بكر
ايش خبر الصبي المولود فقلت قد احتاج الى القميص ايها الاستاذ وهو عريان
فاستدعى[13] الخازن وقال احضر[14] ما عندك من الخرق فجاء باكثر من عشرين

---

١) في المنتظم ٦/٣٩٤ السارية
٢) في المنتظم ٦/٣٩٤ الموسوي . وهذا ما يريده الناسخ
٣) في المنتظم ٦/٣٩٤ بعد
٤) في الاصل الليل
٥) في المنتظم ٦/٣٩٢ بان نه في
٦) زاد في نسبه في المنتظم ٦/٣٩٤ بن بريه
٧) في الاصل والقرءان
٨) في الاصل تعلى
٩) في الاصل اليت
١٠) في المنتظم ٦/٣٩٤ الثمانين
١١) في الاصل بالقرءان
١٢) في الاصل انى
١٣) في الاصل فاستدعا
١٤) في الاصل احصر

كارة[1] من القصب والديبقي والديباج والعتابي فقال للخازن اعطه من كل شيء الربع فاعطاني ما حمله جماعة من الحمالين وبعت الباقي عن كسوة ابني واهلي بتسعة الاف[2] درهم .

وقبر ابي بكر عند قبر عمر الزاهد في الصفة التي تقابل قبر معروف رحمه الله .

وفي هذه السنة كثر موت النجاة بالطاعون فجلس احد القضاة[3] بسواده في الجامع ليحكم فمات .

واقتض رجل بكرا فمات ($\frac{٣٣١}{١١٣}$) على صدرها .

وكان كافور الاخشيدي قد ولى شبيب بن جرير العقلي عمان والبلقا فعلت منزلته واشتدت شوكته وغزا العرب وتجمعت عليه فعصى[4] على كافور[5] واخذ دمشق وسار اليها في عشرة الاف[6] فخر عن فرسه ميتا ففي ذلك يقول المتنبي يمدح كافورا :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من اعدائك القمران[7]

قال ابن جني هذا مدح ويحتمل ان يكون هجاء بان يجعله مستخلفا ساقطا والساقط لا يعاديه الا مثله وخرج عن ذلك يقول :

ولله سر في علاك وانما كلام العدى[8] ضرب من الهذيان

يقول فيها :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
اتته المنايا في طريق خفية على كل سمع حوله وعيان
ولو سلكت طرق السلاح لردها بطول يمين واتساع جنان

---

١) من الثياب ما يجمع ويشد وفي اللسان والكارة عكم الثياب ، وكارة القصار سميت لانه يكور ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض . وما يحمل على الظهر من الثياب في كارات . اقرب الموارد ١١١٢/٢

٢) في الاصل ٩ الاف

٣) في الاصل القضات

٤) في الاصل فعصا

٥) في الاصل كفور

٦) في الاصل ١٠ الاف

٧) الديوان ٥١٣

٨) في الاصل العدا

نقصده المدار بين صحابه	على ثقة من دره وامان
وهل ينفع الجيش الكثير التفافه	على غير منصور وغير معان

وفي هذه السنة خلع المطيع لله على بختيار وقلده امره الامرا ولقبه عز الدولة.
وعقد لابي علي بن الياس على كرمان وتزوج عز الدولة بنته في رجب .
وفي رجب ماتت ($\frac{٣٣٣}{١١٤}$) سريرة الرايقية اشتراها ابن رايق من ابنة ابن حمدون بثلاثة عشر الف دينار وكانت مولدة سمرا حسنة الغنا .
ولما قتل ابن رايق تزوجها ابو عبدالله الحسين بن حمدان .
وحكى التنوخي ان المهلبي دعاها واظهر من التجمل ما اعياه في مجالسه وسماطه وتبخر بما زاد على الحد فقالت له جاريته تجني انني اراك هود اترانك حتى ونيت بك فقال لها ويحك ان هذه قد نشأت في نعمة تستصغر فيها نعم ملكنا فما اريد ان تزري علينا اذا خرجت .
وفي شعبان مات ابو علي عبد الرحمان ابن عيسى بن داود بن الجراح ، وزير الراضي بالله .
حكى ابو محمد جعفر بن ورقا قال دخلت على ابي جعفر الكرخي بعد تقليده للوزارة صارفا عنها لابي علي عبد الرحمان بن عيسى وقد كان الراضي بالله حلف على ان لا يقنع من عبد الرحمان باقل من ماية الف دينار وراعاه الكرخي لحقوق اخيه وانكشف له ان جميع ما يملكه عشرة الاف[1] دينار فعدل الى ان قسط تقسيطا على الناس بدا فيه بنفسه والتزم ثلاثماية الف درهم.
قال ابو محمد فدخلت على الوزير فسلم الي[2] الدرج وخاطبني في التزام شي. فقلت يدعني الوزير ادبر الامر فقطعت الخطوط وكتبت ضمن لمولانا امير المومنين اطال الله بقاءه جعفر بن ورقا ان يصحح له لمن يامره بتصحيح ذلك عنده عن عبد الرحمن ($\frac{٣٣٣}{١١٤}$) ابن عيسى ماية الف دينار واخذه اي وقت امره بتصحيحها وقلت للوزير انفذها مع رسول عاقل ينظر ما يجري فعاد الخادم الذي انفذه وقال استدعاني الخليفة حين عرض عليه الحاجب الخط فدخلت وهو جالس على كرسي كالمغتاظ[3] وفي يده الرقعة مخرقة فقال من عند مولاك

---

١) في الاصل ٠الاف
٢) في الاصل الى
٣) في الاصل كالمغتاض ٠

فقلت ولم اجسر على كذبه جعفر بن ورقا فقال قل له يا اعرابي اردت ان تري الناس ان نفسك تتسع لا تغرم غمر لا حرمة له وهو خادمي ما ضاقت نفسي عن تركه عليه فتظهر بذلك انك اكرم مني والله لا كان هذا قل لمولاك اطلق عبد الرحمان وترد خط هذا الاعرابي الجلف واني اكفر عن يميني ورمى بالرقعة مخرقة .

قال فقلت للكرخي كيف راى[1] الوزير رأيي والله ما اعتمدت الا ان يقع في نفسه مثل هذا فيفعل ما فعله لعلمي بجودة عقله وكرم نفسه ولو جرى الامر بخلاف ذلك لوزنت جميع ما املكه واستمحت الوزير والناس بعده حتى اقوم بتصحيح المال فاطلق ابو علي الى منزله .

وفي هذه السنة ورد الخبر بان الروم خذلهم الله اسروا محمد ابن ناصر الدولة من نواحي حلب واسروا ابا الهيثم بن القاضي ابي حصين بن عبد الملك[2] بن بدر[3] بن الهيثم وغلمانه من سواد حران فكتب ابو فراس الى ابيه :

(٣٣٦/١١٥) ابا راكبا نحو الجزيرة جسرة عذافرة ان الحديث شجون[3]
تحمل الى القاضي سلامي وقل له الا ان قلبي مذ حزنت حزين
وان فؤادي لافتقاد اسيره امان[4] بايدي الحادثات رهين
لعل زمانا بالمسرة ينثني وعطفة دهر باللقاء تكون
فاشكو ويشكو ما بقلبي وقلبه كلانا على نجوى اخيه امين
اذا غير البعد الهوى فهوى ابي حصين منيع في الفؤاد حصين

(يتبع)

1) في الاصل راي
2) في تجارب الامم ١٧٧/٦ الحاشية رقم ١ بكر
3) في الديوان القسم الثالث صفحة ٣٩٥
4) في الديوان اسير

كتاب

الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف (تابع)

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره
الاب اغناطيوس سركيس قب
من الرهبانية الشويرية

الامير بشير والقبطان سميث ١٢١٣ (١٧٩٧)

ولنرجع الى ما كنا فيه من الحديث فنقول :[1]

انه في سنة الثلث عشرة التي كان فيها قدوم الفرنساوية ، غضب احمد باشا الجزار على الامير بشير وأراد ان يخلعه من الحكم ويولي مكانه اولاد الامير يوسف ، متهماً اياه انه يريد حضور الافرنج الى هذه البلاد . وانه كان يكاتبهم سرًا . الا انه لما بلغه حضور الافرنج الى مصر ترقف عن تشويشه آخر الى وقت آخر . واشتغل باله بحرب الافرنج الى أن أتوا وحاصروا عكا ورجعوا عنها ، كما عرفت[1] ، وكان الوزير الاعظم قد انتهى يومئذ الى مدينة حلب مقبلًا لحرب الافرنج واخراجهم من الديار المصرية . فارسل اليه الامير بشير كتابًا لطيفًا يستعطف خاطره به وهدايا وتقادم فاخرة . ووجه بذلك رجلًا من اهل الشوف يقال له حسن ورد . فسار حتى وصل ، ودخل على الوزير ، فحاز منه القبول . وعرض له عن ظلم احمد باشا الجزار وغدره وتقلباته المنكرة . وسأله الرضى وانعطاف الخاطر على الامير بشير . فاجاب احسن جواب . واظهر

١) بعد اخبار سنة ١٢١١ (١٧٩٦) توقف المؤلف ليلخص حوادث الثورة الفرنسية وحملة نابوليون على مصر وعكا . ثم عاد هنا الى سياق حديثه . ولما كانت النبذة التي خصصها للحملة الفرنسية قليلة الارتباط بتاريخ البلاد فضلنا تركها الآن على ان نعود الى نشرها على حدة في فرصة اخرى .

الرضى والقبول وعاد الرجل الى مولاه عزيزًا كريمًا . ونهض الوزير بعد ذلك الى اراضي حماه . فارسل اليه الامير بشير الذخائر الوافرة والهدايا النفيسة . وتقدم من هناك الى دمشق الشام . فنزل بها . وارسل الى الامير بشير يطلب منه مئة غرارة من الحنطة والشعير . فارسل الامير بشير في الحال مباشرين الى البقاع . وجمع الاغلال المطلوبة وارسلها الى الوزير. فسر الوزير بذلك وارسل الى الامير بشير خلعة الولاية على جبل الشوف ووادي التيم وبعلبك وبلاد المتاولة والبقاع وبلاد جبيل على ان تكون هذه المقاطعات مالكانات له لا تنزع منه ولا يكون للوزراء عليه تسلط . وارسل مع الخلعة مهردارًا من قبله يستورد الاموال السلطانية ويوردها الى الوزير . ولما وصل المهردار استقبله الامير بشير بكل اجلال واكرام وانزله احسن منزل ولبس الخلعة وطابت نفسه من غائلة الجزار .

وفي تلك الايام ، قبضت الاسلام في بيروت على رجل من نصارى الشوف حاملًا خمرًا للافرنج في عكا ، وارسلوه في البحر الى عكا . وبينما كان في السفينة رأى مركبًا من مراكب الانكليز بالقرب منه . فاشار اليه مستغيثًا به . فاخذته الانكليز الى مراكبها وكان في ذلك المركب القبطان سميث سرعسكر الانكليز . فسأله عن شأنه ومكانه : فاخبره عما جاء به . ومن اين جاء . ثم سأله عن حكم الجبل وحاكمه . فاثنى على الامير بشير واطنب في مديحه الى ما لا مزيد عليه . فاحب القبطان سميث ان يكون له معرفة وصداقة مع بشير . فاطلق الرجل واصحبه بكتاب الى الامير يستدعي صداقته ويعرض عليه قضاء ما له من حاجة . ولما وصل الكتاب الى الامير بشير بادر الى الجواب . وارسل معه هدايا فاخرة ووجه به حسن ورد الذي كان ارسله الى الصدر الاعظم . فاستقبله القبطان سميث بكل اكرام . ووعده ان يكون واسطة بينه وبين الوزير الاعظم . وضمن له كف مضرة الجزار عنه . وكان معه في المركب ابن اخته جريحًا . فارسله الى الامير بشير مع حسن ورد ليقيم اياماً هناك حتى يكون برأ جرحه . فسار به الرسول حتى ادخله على الامير. فاكرمه غاية الاكرام . وانزله احسن منزل . واحتفل به احتفالًا عظيماً . وقام كذلك اياماً حتى شفيت جراحه . ثم حضر خاله الى بيروت . فمضى اليه

وحدثه بما صنع الامير بشير معه من الصنيع والكرامة . وكان الامير بشير قد كتب الى القبطان يدعوه الى داره لتتم المعرفة بينهما بالمواجهة . وكان القبطان يرغب لقاء الامير . ولكنه اعتذر عن الوصول وطلب ان يكون اللقاء في الطريق بين بين . فنزل الامير الى عين عنوب في غرب البلاد الاعلى وارسل اليه نحو مئة جواد لركوبه باصحابه . وارسل معها امراء ومشايخ وجنود كثيرة . فحضر القبطان . واصحب معه من رجاله نحو مئتي نفر حتى قرب من عين عنوب . فامر الامير بشنك عظيم استقبالاً له . ولاقاه الى اطراف المكان. ودخل به في موكب حافل . وبالغ في اكرامه . وقدم له هدايا وتحفاً وخيلاً واسلحة . وكان القبطان قد اتاه ايضاً بهدايا نفيسة . وكان من جملتها مئة قفة من الارز . وكان يومئذ عزيز الوجود كثير الثمن حتى تساوي القفة منه مئة وعشرين غرشاً . ووعده ان يسترضي الجزار عنه . ويخرج له خلعة الولاية ويطلق له ابنه وابن اخيه من الترسيم . ويكون له مؤازراً كل الزمان في كل ما يحتاج اليه واقام عنده يومين . ورجع الى بيروت . ورجع الامير الى دير القمر .

وبعد ايام سافر القبطان سميث الى عكا . ودخل على الجزار . وحدثه بما كان له مع الامير بشير . وسأله الرضى عنه واطلاق من له عنده . وكان يرجو الاجابة لما سبق له من الجميل والاسعاف . فلم يجبه . فاغتاظ من رده اياه . وكتب الى الدولة يشكو بانه رجل ظالم غدار سيّء الاخلاق وانه ربما يكون سبباً لنكث العهود بين الدولتين .

حركة المشايخ العمادية

وفي غضون ذلك عصت المشايخ العمادية على الامير بشير ونهضوا لمقاومته وانحاز اليهم المشايخ التلاحقة والملكية وبعض مشايخ وطوائف من البلاد . واجتمعوا في الباروك ودعوا الامير سلمان ابن الامير علي شهاب يريدون ان يقلدوه الولاية . مكان الامير بشير . ولما علم الامير بشير بذلك انفذ الاعلام في البلاد الى جميع الرجال . واستدعى اخاه الامير حسن فحضر بعسكر من كسروان وبلاد جبيل . وعظم جمهور الامير بشير . وركب على بني العماد .

ونفاهم من البلاد . وضبط املاكهم . وضايق عيالهم واتباعهم . وسعى في اثرهم اخوه الامير حسن والشيخ حسن جنبلاط . فلم يدركوهم . وبلغوا في فرارهم الى حاصبيا . وكان حاكمها الامير قاسم الشهاب . فخلعوه واقاموا مكانه الامير عثمان. وكان ذلك ضد خاطر احمد باشا الجزار وتوجه البعض من المشايخ العمادية الى عكا . واشتكوا الى الجزار على الامير بشير وشرحوا له عن ظلمه واسرافه . وانه متكل على حماية الوزير الاعظم . فلا يبالي ان غضب الجزار او رضي عنه .

وكان الوزير الاعظم يومئذ قد توجه نحو الديار المصرية لقتال الافرنج وكان الجزار يتوقع فرصة على الامير بشير . ولما رأى ان الفتنة قد وقعت في البلاد . وان خصوم الامير بشير قد تكاثرت . انعم على اولاد الامير يوسف الذين كانوا مقيمين عنده لمثل ذلك . والبسهم خلعة الولاية . وجهز لهم عسكرًا مقدار عشرة آلاف . وارسل الامير حسن والامير سعد الدين وابقى عنده اخاهما الامير سليم . وخرج معها المشايخ النكدية الذين كان لهم سنة كاملة في حوزة الجزار ، والمشايخ العمادية . وجدّوا في المسير نحو دير القمر .

وكان لما بلغ الامير بشير قدومهم اراد ان يصدهم عن الدخول الى الدير . فمد الصوت في البلاد واستدعى اليه الناس . فلم يجبه احد . وانضم اكثرهم الى اضدادهِ ولم يبقَ له الا نفر قليل من اصحابه واتباعه . فترك البلاد وتوجه الى حمانا احدى قرى المتن . وكان الامير بشير في ولايته تلك النوبة قد عدل وقنع ورحم الناس ، وترك الظلم السابق ، وكانت عريكته الى اجمل ما يكون . ومع ذلك لم تنعطف اليه اهل البلاد ، كما كانت في ايام غيره .

وكان مع الامير بشير في تلك الرحلة الشيخ بشير جنبلاط وقليل من الامراء الشهابيين . ولما وصل الى حمانا ، ارسلت اليه امراء المتن ان يرحل عنهم ، بدعواهم أن أولاد الامير يوسف كتبوا اليهم أن لا يقبلوه عندهم . فقام من هناك وتوجه الى كسروان . ثم الى جبيل . ومن هناك الى سبعل ، ثم الى الهرمل ، ثم الى اراضي دمشق . ودخلت اولاد الامير يوسف الى البلاد . وتسلموا الولاية . وكان ذلك في اول تشرين الثاني .

ولما بلغ القبطان سميث ما كان للامير بشير كتب اليه يفتقد خاطره ،

ويذكر له انه سائر الى غزة حيث الوزير الاعظم ، ويخبره بذلك وانه لا بد من ان يرده الى الولاية بامر الوزير المشار اليهم وانه ابقى له مركباً من مراكبه في بيروت لكي يتورد منه كل ما يحتاج ويستخدمه في ما يريد من المهمات .

الامير بشير في غزة

وكان الوزير الاعظم قبل انصرافه من دمشق اوصى عبدالله باشا العظم بملاحظة الامير بشير والقيام بما له من حاجة . فكتب عبدالله باشا كتاباً الى أهل البلاد يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب الى أشد ما يكون . وأرسل الكتاب اليهم . فلم يحفلوا به . واصروا على ما هم فيه من الخلاف . وأقام الامير بشير في نواحي دمشق . وانقطعت عنه الوسائل والرسائل . وضاقت عليه المذاهب الى حين . فوفد اليه ساع من عند القبطان سميث من طرابلس يستدعيه أن يحضر اليه في البحر الى غزة لمواجهة الوزير الاعظم . وهو قد أرسل له مركباً الى طرابلس ليسافر به الى هناك . فنهض من ساعته وانقلب على بلاد بعلبك ، وقدم له الامير جهجاه الحرفوش الذخائر والاكرام . ومن هناك الى بلاد عكار . فاكرمه علي بك الاسعد كذلك . وابقى ولده الامير خليل هناك . وانطلق الى طرابلس ونزل في البحر من هناك وسافر الى غزة وكان ذلك في اواسط شهر كانون الاول . وكان في البحر حينئذ هياج شديد فلقي منه اهوالاً وأخطاراً عظيمة . الى أن أقبل بعد أيام الى العريش وهناك استقبله صديقه القبطان سميث بالاعزاز والاكرام . وأتى به الى حضرة الوزير . فقابله أحسن مقابلة . وترحب به واكرم مثواه . وأقام عنده كذلك أربعة أيام . ووعده المواعيد الصالحة بعد انقضاء نوبة الفرنساوية . ثم استأذنه بالانصراف . ورجع الى المركب وسافر مع القبطان سميث الى قبرس فاقام مقدار نصف شهر . وتوجه معه أيضاً الى نواحي مصر والاسكندرية . ثم ارتد راجعاً الى طرابلس . وأرسل فاستدعى اخاه الامير حسن . وساروا برجالهم نحو وادي راديد . وأقاموا في قلعة الحصن ينتظرون حوادث الايام .

مظالم اولاد الامير يوسف

واما اولاد الامير يوسف فالامير سعد الدين حضر الى دير القمر ، واقام هناك . والامير حسين توجه بالعسكر الى المتن . وارسل الحوالات في طلب الذخائر ومصاريف العسكر . وكان طلباً فاحشاً . فندمت اهالي المتن على رفع الامير بشير من عندهم . ودارت بينهم الوساوس . ثم تحول الامير حسين الى بسكنتا ومر في كسروان وانتهى الى غزير . وكان عسكر الدولة الذي معه ينهب القرى التي يمر بها نهباً فظيعاً . كأن اهلها اعداء لاولاد الامير يوسف . وقيل ان كسروان من عهد بني سيفا لم تنكب نكبة مثل هذه . وقد حسب بعض الناس ما نهبه العسكر من غزير فقط بالتقريب . فكان يزيد عن الفين وخمسة الف غرش من دراهم وحلي واسباب وامتعة واسلحة ومختلفات شتى . وقس عليها غيرها .

ثم توجه الامير حسين الى جبيل . وتقدم الى طرابلس . وطلب خلعة حكم جبيل من والي طرابلس . فاجابه انه لا يقدر على ذلك الا بامر الوزير الاعظم ، لانه انعم بها على الامير بشير . فانكفأ راجعاً الى جبيل . وملكها قهرًا . ووزع الاموال السلطانية على بلادها . واقام مباشرين على جبايتها ، ونهض الى بيروت . ثم الى دير القمر . وتوجه الامير سعد الدين من الدير الى جبيل ، واقام بها . وصار جبل الشوف وبلاد جبيل في تصريف اولاد الامير يوسف . وكان عمدة الامير حسين جرجس باز . وعمدة الامير سعد الدين اخوه عبد الاحد . وكان الاسم في الولاية للاميرين. واما الامر والنهي وجميع المتعلقات الخارجة والداخلة فكانت لجرجس باز . حتى ان خاتم كل واحد منها كان معه . فيكتب الاوامر من نفسه كما يشاء باسمها . ويمضيها بختمه ، وهما لا يعلمان شيئاً من ذلك .

وكان من رجال دولة اولاد الامير يوسف وشركاء الرأي على اربابه. يوسف اغا الترك . ويوسف الخوري الشلفون وفارس الشدياق . وبعد رجوع الامير حسين الى دير القمر شرع في طلب الاموال من البلاد . فوزع المال السلطاني مضاعفاً . وكان الامير بشير قد جمعه عن تلك السنة عينها مضاعفاً ايضاً . ثم

فرض مطلوباً على كل مكان قدرًا معلوماً بحسب كثرة اهله . وقلتهم . ثم اختص اشخاصاً معلومين من الاغنياء بطاليب معلومة . وفاق بظلمه على ظلم الامير بشير السابق . وضجت الناس من ذلك . ونفد ما في ايديهم من المال . وكان مطلوب الجزار من اولا الامير يوسف كل شهر خمسة وثلاثين الف غرش . فكانوا يجمعون اضعاف الاضعاف ولا يكتفون . فاجتمع البعض من عقال البلاد وعقلائها وتداولوا في ذلك وفرضوا على كل رجل في كل شهر غرشاً واحدًا وبزوا المجموع فرأوه يزيد عن مطلوب الجزار . وعرضوا رأيهم هذا على جرجس باز . وسألوه الاقتصار على ذلك . فتظاهر كأنه قد قبله وارتضى به . واخذ ينص المطلوب على كل مكان بمفرده . وجعل على كل رجل غرشين ونصف . وجمع المطلوب من بعض قرى الشوف والغرب والمتن وكسروان . وفي اثناء ذلك عثر على تشويش في البلاد . ولمح انه سوف تبدو حركة عليه . فطلب عسكرًا من الجزار ووضعه في البقاع واقام له نفقات واسعة . وتمادى في الطلب وزاد . وقويت شوكته بامداد العسكر المذكور . واشتد ضيق الناس . وقل احتمالهم . فعولوا على العصاوة والمقاومة .

وفي هذه السنة حدثت فتنةبين المشايخ بني العماد والامراء بني اللمع .وكان السبب في ذلك وقوع الفتنة بين المشايخ العمادية والامير بشير . فقاموا الى البقاع . وامسكوا الطرق على الامداد الذي يأتي الى الافرنج .وقدموا السعاية الى احمد باشا الجزار بان الامير بشير يريد امتلاك الافرنج في بلاد الاسلام وانه لا يعترف في تقدمة الذخائر لهم ولاسعاف من يندب اليه . وانهم قد خرجوا من البلاد لانهم خالفوه في ذلك . وامسكوا الطرق على كل من يأتي بامداد الى الافرنج .

فتنة المتن

وفي تلك الايام مرت بهم قافلة تحمل خمرًا الى الافرنج . فقبضوا على اربابها وضبطوا خمرهم وبغالهم . وكانت القافلة من اهالي قاطع المتن . ولما بلغ ذلك افراد المتن غضبوا وراسلوا المشايخ باطلاقها . فلم يفعلوا . فارسلوا نهبوا القرى التي لهم في البقاع . واشتدت الفتنة بينهم . واشتعلت نار العداوة حتى كاد ان يتبلبل اهل البلاد بينهم . ويفضي الامر الى حروب وغزوات لان

احزاب الفريقين تحركت وطلبت الانتصار لفريقها . ولما اشتد الامر توسط ذلك بعض الامراء الشهابيين والمشايخ التلاحقة وفصلوا بينهم .

وفي هذه السنة كانت عين الشويفات قليلة الماء . وكان في القرية المذكورة غنم كثيرة يأتون بها الى العين فيغسلونها . وكان كلما اجتمع في حاصل العين شيء من الماء يتزحونه على الغنم ويضيق الشرب على الناس . وكان يحدث لذلك في جهات كثيرة . فاشاع الامير عباس رسلان ان الوزير الاعظم طالب من الامير بشير الفي رأس غنم وان الامير بشير امر بجمع غنم البلاد وارسالها الى الوزير الاعظم . وقال ان رجلًا انذره بذلك . وهو يريد ان يذبح الغنم التي له وامر بذبحها . فلم يبق خروف واحد في الشويفات وذلك اليوم امتد الخبر الى الغرب جميعه فذبحوا غنمهم عن آخرها . وبلغ الخبر في يومين الى اقصى حدود البلاد . ففعلوا كذلك . ولذلك ارتفع سعر اللحم . فكان يباع باكثر من غرشين ونصف بعد ما كان يباع باقل من غرش واحد .

الجراد

وفي سنة ١٢١٤ (١٧٩٩) اقبل جراد من الجهة الشمالية . وكان كثيرًا جدًّا جدًّا . حتى قالت الشيوخ انه لم يكن مثله في زمانهم . وكان من حدود البحر الى اقصى الجرد مارًّا مرورًا متصلًا خمسة ايام متوالية . وفي بعض الاماكن كان يحجب الشمس عن الابصار . الا انه لم يضرّ على قدر كثرته لان طائر السمرمر كان في اثره . وكان كثيرًا ايضًا فافناه .

وقد ذكرنا ان جرجس باز كان قد تسلم زمام الولاية . فظلم وجار . وضاقت به صدور الناس . فاجتمعت وجوه الطوائف من المتن . واتفقوا على العداوة وكاتبوا اهل الشوف والغرب وقاموا على الحوالات الذين في المتن فطردوهم . وكان ذلك بغير اذن امراء المتن . فعزم جرجس باز على نكبة المتن . وعول على احضار العسكر الذي في البقاع الى هناك . وارسل فاستدعى بعض امراء المتن متوهمًا ان هذه الحركة كانت بموافقتهم . فحضروا وقرروا له ان ذلك بغير اذنهم ولا رضاهم . وانهم لم يقدروا على صدهم عن هذه الحركة . ولكي يقنعوه بذلك عهدوا اليه ان يرفعوا انفسهم من المتن . ولما

رجعوا الى المتن قاموا باهلهم الى القاطع واقاموا هناك جميعهم . وبلغ اهل المتن ان العسكر الذي في البقاع سيأتي اليهم فتداعوا وتأهبوا واتاهم الاسعاف من الغرب والشوف . واجتمعوا عسكرًا عظيماً في حمانا وبلغ عسكر الدولة اجتماعهم فخشي . ولم يجسر على غزوهم . فقام من البقاع ورجع الى عكا . وارتبك جرجس باز في ذلك الامر . وانكسرت عزائمه . ثم اجمع الجمهور ان يستدعوا الامير بشير اليهم. وكان مقيماً في قلعة الحصن . فارسلوا اليه يطلبونه الى الحضور فلم يحضر لعدم الوثيقة بهم . واشترط عليهم شروطاً فقبلوها وكتبوا على انفسهم عهودًا ومواثيق واقساماً . ومضى اليه من اكابرهم نحو مئة خيال . ومعهم رجال كثيرة. وقدموا له تلك الصكوك وسألوه القبول وتعهدوا له بكل ما يرضيه . فنهض معهم وسار الى حمانا . فالتقاه الجمهور برهج عظيم. ودخلوا به الى المكان. واضطرت امراء المتن الى الحضور والتسليم فحضروا . ودعي ذلك العام سنة العامة .

عودة الامير بشير

وتوجه الامير بشير الى دير القمر ومعه افراد المتن وجمهور العامة . وكان في الدير مقدار الف نفر من عساكر الارناؤط عند الامير حسن وجرجس باز . فلما علموا بقدومه رحلوا جميعاً الى نواحي بيروت . ومن هناك انطلق جرجس باز الى عكا واخبر احمد باشا الجزار بما كان وطلب منه عسكرًا لغزو البلاد. فجهز له ستة آلاف ونهض بهم الى ارض بيروت . وشرع في قصاص اهل الجبل باملاكهم التي هناك . وكان العسكر يركب كل يوم . ويحرق وينهب من تلك الاطراف . فاتلف شيئاً كثيرًا لاهل الجبل . واضطروا الى الرحيل من سواحل البحر . وانقطعت الطرق . وفي اليوم السابع عشر من شهر تشرين سار العسكر نحو الشويفات . وكان فيها الامير حسن . اخو الامير بشير ، ومعه عسكر من اهل البلاد . فهجم عسكر الدولة على المكان . ونهض اليه الامير حسن بعسكره واهل الشويفات . وصدموه صدمة منكرة. وثارت الحرب بينهم مقدار ثلاث ساعات . فلم يلبث لهم عسكر الدولة . وانهزم من اوجههم بعد ما قتل منه نحو ستين نفرًا . وعطف على قرية بعبدا. وكان الامير

بشير في تلك الجهة برجال قلائل . فادركتهم الخيل . وانتشب بينهم القتال . فاستظهر عسكر الدولة . وقتل من عسكر الامير بشير مقدار سبعين نفرًا . وهرب من سلم منهم في تلك القفار . ونجا الامير بنفسه بعد خطر عظيم . وعادت الدولة فغنمت اسلاب القتلى وخيلهم وسلاحهم . وانصرفوا الى منزلتهم وتقدم الامير بشير الى البادية واجتمع اليه عسكر المتن . وبعد يومين هلع عسكر الدولة نحو المتن حتى قرب من قرية عاريا . وهي اول قرى المتن . فبادر الامير بشير الى ملتقاه . وثار القتال بينهم . فانكسر عسكر البلاد وساقته الدولة في آثاره حتى وصلت الى عاريا فاحرقتها بالنار . ورأت اهالي المتن والغرب الدخان . فاقبلوا من كل جانب . وجاءت رجال المتن على طريق الجزيرة . ورجال الغرب على طريق الكحالة ومعهم الشيخ بشير جنبلاط . وانثنى الامير بشير برجاله لما رأى النجدة قد اقبلت . ورأى عسكر الدولة ان الرجال مقبلة عليه من جميع الجهات . فغلبت عليه المخافة . وكر راجعاً في طريقه . ولم يقتل في ذلك اليوم سوى مقدار عشرين نفرًا من الفريقين . وقتل ايضاً الشيخ جهجاه العماد . وكان من اعقل الناس واشجعهم . وقيل انه كان خائفاً على البلاد ودعي هذا العام سنة شر القفل . لان الموقعة كانت في سهل القفل بالقرب من عاريا . ودام الامر كذلك بين اهل البلاد والدولة مقدار شهر . والدولة في اراضي بيروت . ورجال البلاد محافظة في الشويفات وبيت مري والامير بشير في البادية . والغارات تتردد احياناً بين الفريقين ، ولا يقدر احدهم ان ينتصف من الآخر . ورأى جرجس باز انه لا يستطيع اخذ البلاد بالغلبة ، وان اكثر الذين من حزبه تغيرت قلوبهم ، وان الشيخ جهجاه العماد قتل ، وقد كان ركناً عظيماً له ، وانه لا يمكنه التمادي على نفقات العساكر . فراسل الامير بشير وبعض مناصب البلاد الذين يوثق بهم في امر الصلح والسلامة . وكان المباشر في هذه الرسالة يوسف آغا الترك . فاجابوه الى ذلك . وطلب منهم كتاباً معروضاً على الوزير فكتبوا له وكتب جرجس باز الى احمد باشا الجزار . وتلطف في الحيلة . فانعم بالقبول وارسل طلب العسكر ان يحضر اليه ولا يبقى منه عند الامير حسين سوى ثلاثمئة نفر لا غير . وكان كذلك . وانصرفت العساكر الى عكا . وكان لها جانب كبير من الاقامات

والطلايف عند جرجس باز . فكتب لهم صكوكاً بمالهم عليه وارضاهم بها . وفي اليوم الذي سافرت فيه عساكر الدولة ، قام جرجس باز بالامير حسين واتباعه وتوجهوا نحو الشويفات . وبادرت الامراء والمشايخ الى ملتقاهم. وكان الجمهور لا يعلم ذلك والظن ان المسير للقتال . فلما قربوا من الشويفات ضجت اصوات البارود . فظنت الثلاثمئة نفراً من الدولة الباقين عند الامير حسين ان القتال قد وقع بين القوم . ورأوا جمهوراً عظيماً . فخافوا وانصرفوا يتبعون اصحابهم الى عكا . والتقى جرجس باز بالامير بشير . وحصلت الموافقة والالفة بينهما . وتوجهوا جميعاً الى دير القمر . وارسلوا الى احمد باشا الجزار يطلبون خلعة الولاية للامير بشير بقولهم انه اوفق للولاية ، وان اهل البلاد لا يريدون غيره . فظهر للجزار ان ذلك مكر منهم . فغضب ولم يجبهم. ولكنه لعلمه باتفاق اهل البلاد ذلك الوقت لم يقدر ان يتعرض بشيء . فامسك الى حين الفرصة . وكان عنده ثلاثة امراء من بني الشهاب بمنزلة الرهن . وهم الامير سليم ابن الامير يوسف : والامير قاسم ابن الامير بشير : والامير ابرهيم ابن الامير حسن . فلم يسألوا في خلافهم : ولم يلتفتوا الى غضب الجزار . واتفقوا جميعاً برأي واحد على ان يكون الامير بشير حاكماً في دير القمر واولاد الامير يوسف في بلاد جبيل حكاماً بانفسهم . وتعاهدوا على ذلك ، وتحالفوا . واستدعوا مشايخ البلاد وطوائفها الذين كانوا قبلاً متنافرين . فوافقوا بينهم واصلحوهم وتركوا لبعضهم الاحقاد القديمة والدماء والثارات . واستوت الالفة بين الجميع .

احصاء الامراء والمشايخ

وفي هذا العهد احصينا الامراء والمشايخ والطوائف الموجودين في البلاد . فكانوا على ما سنصف . وكانت الامراء مقدار ثمين اميراً من بني الشهاب وبني ابي اللمع ، وبني رسلان اما بنو الشهاب فهم الامير بشير الحاكم حالاً وقد تولى الحكم مرتين وهذه المرة . واولاده الامير قاسم باسم جده ، والامير خليل . والامير امين . ثم اولاد الامير يوسف المتوفى : وهم الامير حسن والامير سعد الدين والامير سليم . وقد تولوا الحكم مرتين . ثم اولاد الامير

منصور المتوفى . وهم الامير موسى والامير حمود وابن الامير منصور باسم جده والامير حيدر . ثم الامير علي ابن الامير حيدر الاول واولاده الامير درويش والامير سلمان والامير حسن وابنه الامير فاعور واخوه الامير مراد ثم الامير قاسم ابن الامير ملحم المتوفى . ووالده الامير بشير والامير كنج . ثم الامير حيدر ابن الامير ملحم ايضاً وابنه الامير ملحم باسم جده . ثم الامير سلمان ابن الامير سيد احمد المتوفى واخوه الامير فارس ثم الامير حيدر ابن الامير احمد المتوفى وابنه الامير يوسف ثم الامير قعدان ابن الامير احمد المتوفى وابناه الامير حسن والامير فاعور . ثم الامير جهجاه ابن الامير حسين المتوفى . ثم الامير اسعد ابن الامير يونس المتوفى وابناه الامير عباس والامير حسن. فتكون الجملة سبعة وثلاثين اميرًا. وكلهم نسل الامير حيدر واولاده واولاد اولاده .

واما بنو ابي اللمع فهم ثلاث فرق : بنو مراد : وبنو قايد بيه : وبنو فارس . فبنو مراد في المتين: الامير نصر وولداه الامير سلمان والامير موسى. واخوه الامير منصور . واولاده الامير محمد والامير حيدر والامير قاسم. —وفي قرنايل الامير حسين وابنه الامير بشير وابنه الامير علي :— وفي فالوغا الامير مراد ابن الامير شديد المتوفى . وهو وجه قومه . وابنه الامير شديد . فالجملة اثنى عشر اميرًا .— وبنو قايد بيه في برمانا الامير بشير واولاده الامير منصور والامير احمد والامير نجم.— وفي صليما الامير فارس ابن الامير سلمان المتوفى. ثم اولاد اسماعيل المتوفى الامير حسن والامير عساف والامير حيدر . — وعلى موجب فراستي به انه يكون وجه بني قايد بيه ورأسها .— وفي الراس الامير عباس وابنه الامير فارس .— وفي الشبانية الامير سلمان وابنه الامير قاسم وابناه الامير محمد والامير مصطفى . فالجملة اربعة عشر اميرًا .— وبنو فارس في بسكنتا : الامير عبدالله وابناه الامير حيدر والامير كنج . ثم الامير ابو اللمع واولاده : الامير بشير والامير يوسف والامير اسعد والامير سعد الدين والامير حسن . ثم اولاد الامير عثمان المتوفى الامير درويش والامير فاعور والامير علي ثم الامير عباس وولداه الامير قاسم والامير حسن . ثم الامير طرودي . وهو وجه قومه . الجملة ستة عشر اميرًا فتكون جملة بني ابي اللمع اثنين واربعين اميرًا .

واما بنو رسلان في الغرب فهم الامير يونس وابنه الامير حسن . ثم اخوه الامير عباس واولاده الامير منصور والامير حيدر والامير احمد ثم الامير بشير ابن الامير احمد المتوفى ثم الامير يوسف ابن الامير فندي المتوفى .— وهو الذي بنى دار بشامون الغرب بقطعة من الحبل . وذلك انه علقها في شجرة هنـاك ونادى في الغرب ان من لا يقبل العمل في البناء علقه في ذلك الحبل . فاقبلوا يعملون مجاناً الى ان تم البناء، فانزل الحبل ودفعه الى خادم له ليملأ به الماء.— ثم الامير قاسم ابن الامير علي المتوفى .— الجملة تسعة امراء .

فيكون مجموع الامراء في هذه البلاد ثمانية وثمانين اميرًا من الثلاث طوائف.

واما المشايخ الذين عليهم الاعتماد في العزل والتولية ، فهم المشايـخ بنو جنبلاط والمشايخ بنو العماد . واليهم تنتسب بقية المشايخ . فيقال لمن هو من غرض بني جنبلاط جنبلاطي . ولمن هو من غرض بني العماد يزبكي ، نسبة الى جدهم الشيخ يزبك . ومقام بني جنبلاط في الشوف الحيطي وكبيرهم الآن الشيخ بشير ابن الشيخ قاسم . ومقام بني العماد في العرقوب . وكبيرهم الآن الشيخ علي . وبعد هؤلاء ، المشايخ بنو ابي نكد ومقامهم في شوف المناصف ودير القمر . ورجالهم اشد رجال البلاد واجرأهـا . ثم المشايخ بنو تلحوق ومقامهم في الغرب الاعـلى . ثم المشايخ بنو عبد الملك ومقامهم في الجرد . وهؤلاء لهم يد في العزل والتولية بعد اولئك وتبعًا لهم . وبعد هؤلاء المشايخ بنو العيد في عين زحلتا والمشايخ بنو عطا الله وبنو العقيلي في عين دارة . وبنو ابي علوان في الفريديس . وبنو ابي هرموش في السمقانية . وبنو حصن الدين في المختارة . وبنو حمزة في خريبة الشوف . وبنو حمدان في باتر . وبنو امان الدين في عبيه . وبنو زينيه في البادية . وبنو الشنيف في عين وزية . وهؤلاء ليس لهم يد في شيء من ذلك . ولا في ايديهم مقاطعات ورجال مثل اولئك.

ومن النصارى ثلاث طوائف ايضاً . وهم بنو الخـازن وبنو حبيش في كسروان وبنو الخوري صالح في رشميا . وهم اقارب الشيخ سعد الخوري الذي كان عند الامير يوسف . والآن لا يد لهم جميعهم في مقاطعة ولا عمل . واما قبل الآن فقد كانت مقاطعة كسروان في يد بني الخازن يتولون عليها ويحكمون على اهلها مثل بقية اصحاب المقاطعات .

واما الطوائف المشهورة التي هي دون المشايخ المذكورين فهم مقدار خمسين طائفة . وهم في الشوف بنو عبد الصمد ، وبنو ابي شقرا ، وبنو ملاك ، وبنو جوديه ، في قرية عين ماطور . وبنو وركين ، وبنو عقيق ، وبنو خميس ، وبنو القضبان ، وبنو ابي حسن علي . وطائفة من النصارى يقال لها الصليبية في نيحا وبنو حماده وبنو عامر في بعقلين وبنو البعيني وبنو ذبيان في مزرعة الشوف وبنو غرز الدين في بمورته وفي الجرد بنو احمد وبنو الصائغ في شارون. وفي الشحار والغرب بنو المرود في عبيه والشويفات . وفي المتن بنو حاطوم وبنو المغربي في كفرسلوان ، وهم اعداء بعضهم لبعض . وبنو الاعور وبنو هلال في قرنايل وفالوغا. وبنو ابي الحسن في بتخنيه . وبنو صالحه وبنو مكارم في رأس المتن . وهناك ايضاً طائفتان من النصارى . وهما بنو فريحه وبنو ابي سعد . وفي القرية بنو بكداش وبنو طربيه. وفي بعل شميه بنو ابي فراج وبنو الدنف . وفي بيت مري والعبادية بنو رشيد وبنو النجار . وفي برمانا بنو منذر وبنو علوان ، وهم اعداء بعضهم لبعض. وفي صليما بنو سعيد وبنو المصري. وطائفتان من النصارى وهما بنو الناكوزي وبنو المشعلاني . وفي بزبدين بنو مفضاد وبنو سريّ الدين وفي المتين بنو القنطار وبنو حسان وبنو بلّوط وبنو مرداس . وفي ذرعون بنو ضو وبنو زيد . وفي كسروان بنو الحداد وبنو ابي حيدر وبنو الكعدي وبنو التنوري وبنو عبده في بسكنتا نصارى . وبنو المعارف في كفرعقاب وكفرتيه نصارى ايضاً . وهي كثيرة العدد. ربما تبلغ مئة رجل . فجملة هذه الطوائف اثنتان وخمسون طائفة . منها احدى عشرة طائفة نصارى والباقي دروز . وهم اشد بأساً من تلك الطوائف واكثر عدداً ولهم احزاب تنتمي اليهم وتعادي معهم وتحمل الدماء . كما يحملونها. ولا فرق بينهم في ذلك بين درزي ونصراني. ولهم هيبة في البلاد عند الحاكم والمناصب .

غضب الجزار

وفي سنة ١٢١٥ (١٨٠٠) كان الجزار لا يزال غضبان على الامير بشير وجرجس باز لما مر في اعمال العام الماضي . فامر ان لا يخرج شيء من القوت من بيروت ولا من صيدا . يريد ان يضايق اهل الجبل . فتضايقت الناس من

ذلك . لا سيما اهل سواحل البحر . فارتفعت الاسعار . وشكت الناس من الجوع . واتفق في تلك الايام انه ورد خرنوب كثير من قبرس . وكان يباع القنطار بعشرة غروش واقل. فكانت الناس تقتات به الى ان اتى الله بالفرج .

وغضب الطبيعة

وفي هذه السنة حدث ما لم يتفق حدوثه منذ اجيال كثيرة . وذلك انه في خمسة عشر يوماً من شهر ايار في حساب الروم،صار برق ورعد هائل كاعظم ما يكون في ايام الشتاء . ووقع برد كثير وكان شاملاً في كل مكان من هذه الاطراف وكان عظيماً لم ينظر مثله في هـذا العصر حتى ان وزن البردة كان ينوف عن اوقية ونصف في بعض الاماكن . واعتقب ذلك مطر غزير وسيل يفوق الوصف . ففاضت الانهار وطفحت الاودية . فهدمت طواحين كثيرة . واتلفت غراساً واراضي شتى. وكان البرد اكثر ضرراً من السيل لانه اتلف كثيراً من الكروم والغراس فيبست كأنها احرقت بالنار .

طنوس بارد

وقد ذكرنا في اعمال السنة الحادية عشرة عن إتفاق الامراء والمشايخ على بني ابي نكد ، وكيف قتلوا اكابرهم وضبطوا املاكهم . ففي هـذه السنة وقع الصلح بين الجميع وطلبت المشايخ النكدية رجوع المضبوط لهم . فرفعت الامراء والمشايخ الجنبلاطية ايديهم عما كانوا قد اخذوه واما المشايخ العمادية فانكروه. وقالوا صارت هذه الاملاك من جملة املاكنا وفي تصريفنا فلا يمكن ان نردهـا . وتواسط ذلك عندهم بعض الامراء والمشايخ فلم يقبلوا منزال احد . فالتجأ الشيخ سلمان نكد الى الامير قعدان والامير سلمان سيد احمد . وطلب منهما الاسعاف على استخلاص هذه الاملاك من بني عماد . ووعدهما ان يسعى لهما عند الوزير ومناصب البلاد بتفويض الولاية اليهما . وتعهد لهما بذلك . فتعهدا له بحاجته . واخذا يكاتبان ويراسلان الامراء والمشايخ . فمال كثير منهم اليهما واشتهرت الحركة في البلاد وظهرت الاغراض. وبلغ ذلك المشايخ بني العماد فاخذوا يسعون في ابطال ذلك . ويفتدون الناس وارتاب الامير بشير

من ذلك الهياج . وبذل الجهد في تسكين هذه الحركة . فلم يستطع . ونزل الشيخ سلمان نكد الى عكا . وكتب الامير قعدان والامير سلمان الى احمد باشا الجزار . وتعهدا له بمال كثير . وكان الرسول في ذلك رجلًا من بني يارد من بيروت . يقال له طنوس ابن الحاج يارد . فلما دخل على الجزار بذلك الكتاب . نفر وامر بحبسه وطلب منه اربعين الف غرش واقام عليه العذاب. وكان لا يملك اربعين غرشاً لكنه من شدة العذاب تعهد له بايراد المال وسأله ان يطلقه الى بيروت ليسعى في تحصيله . فاطلقه وارسل معه من يحفظه من الهرب . فاقام في بيروت مقدار شهر تحت العذاب ايضاً ولم يقدر على تحصيل شيء . وتقدمت به كتابات الى الجزار من اعيان المسلمين في بيروت بانه رجل فقير لا يملك شيئاً من المال ولا يعطيه احد شيئاً لعجزه عن الوفاء . وكان قد مرض من الحبس والعذاب . واصابته جراح من الضرب . فاخذه الجزار الى عكا . وداوى جراحه الى ان شفي . ثم اعاده الى بيروت . وكتب الى المتسلم ان يأخذ منه خمسة آلاف غرش فقط ويطلقه[1] فسعت اقاربه واصدقاؤه في ذلك . وجمعوا له المطلوب واعتقوه .

اما الشيخ سلمان نكد فلما وصل الى عكا وعلم بما جرى على طنوس يارد بادر الى الرجوع على اعقابه . وسكنت الحركة في البلاد .

موقعة حمانا

وكانت المشايخ العادية في ذلك الوقت لها صداقة مع الامير قاسم حاكم حاصبيا . وكان الامير قاسم له دالة وقبول على الجزار . وكانوا قد استنجدوا بالامير قاسم وهم يريدون ان يولوا الامير عباس ابن الامير اسعد. واما لوا اليهم بعض مناصب البلاد . فكتب الامير قاسم الى الجزار . فملك الجزار خاطر

---

١) في كتاب « تاريخ الرهبنة » يزيد المؤلف ما يلي :

« واذ لم يوجد من يدفع عنه وشى بعض العوانية للمتسلم ان يقبض على رئيس الانطوش قائلين انه ربة (كذا) دينه فقبض على الخوري اسطفان ووضعه في السجن . فالتزم الرئيس العام (للرهبانية الشويرية) ان يدفع الف وخمسة غرش اسعافاً لبيت يارد . قد استقروا باتهم يدفعوها . وهم دبروا باقي المبلغ واطلقوا طنوس المذكور وانطلق الى بيته » .

(راجع تاريخ احمد باشا الجزار ص ٤٨٩) .

الامير قاسم واخرق بالامير قعدان والامير سلمان. وفعل ما فعل برسولها. وثارت حركة بني العماد في البلاد . واشتدت المنازعة . وكان البعض من غرض المشايخ العمادية للامير عباس : والبعض من غرض المشايخ النكدية الامير قعدان والامير سلمان : والبعض من غرض العامة للامير بشير . وعظم الخلاف على ذلك . واشتد النزاع بين هذه المذاهب . فنزل الامير عباس الى عكا بكتاب من الامير قاسم . ومعه البعض من المشايخ العمادية . فقبله الوزير . وانعم عليه . والبسه خلعة الولاية . وجهز له عسكرا وانفذه الى البلاد . ولما علمت اضداده بقدومه . تأهبوا للرحيل فوزعوا امتعتهم واسبابهم ، وتركوا اوطانهم وانهزموا نحو طرابلس . وانتقل الامير بشير الى المتن . ودخل الامير عباس الى البلاد . وبلغه ان الامير قعدان والامير سلمان والمشايخ الجنبلاطية والنكدية قد نزحوا من البلاد . فارسل العسكر باثرهم . وانفذ الى الامير بشير يطمنه ويأذن له بالمكث في مكانه . ونزل الامير عباس الى حرش بيروت . وحضر اليه بعض الامراء بني عمه . وكان بشير برأي المشايخ بني العماد كيفما ارادوا . وارتجت البلاد من قدومه . وتعوذوا بالله من لوائح عزمه . لانه قبل ان يستقر قراره في البلاد ، وتأتي الناس تهنئه حسب العادة ، وقبل ان يرجع عسكره من طراد اضداده ، وزع الحوالات في جميع البلاد بطلب المال السلطاني ، واردفه بطلوب آخر على طريق لم يسبق اليها غيره . لانه كان يطلب على غير القياس ، كمن قصده خراب البلاد والانتقام من الناس . ولكن لم يسمح الله باطالة حكمه . لان مناصب البلاد والرعايا ومشايخ العقل وارباب الكلام ، لما رأوا ذلك ، كاتبوا بعضهم بعضاً وتراسلوا واجمع رأيهم على ان ينبذوا البلاد ضده ويطردوه من بينهم . وارسلوا الاعلام الى رؤساء الطوائف ووجوه الرعايا في جميع البلاد ان يطردوا حوالات الامير عباس ولا يقبلوهم . وارسلوا فاعلموا الامير قعدان والامير سلمان بهذا الاتفاق . وطلبوهما ان يرجعا الى البلاد مع المشايخ الذين معها . فنهضوا جميعاً ورجعوا . وكان الامير عباس لم يزل في حرش بيروت ولم يزل عسكره في نواحي طرابلس . فارسلوا وامسكوا طرق شواطئ البحر على العسكر لكيلا يرجع اليه . فنفذ العسكر من معاملة طرابلس الى اراضي البقاع على طريق الجبل . وسار الامير عباس ايضاً الى

هناك ، واجتمع بعسكره ، وارسل الى الامير قاسم في حاصبيا يعلمه بما كان ويستشيره في امره . واخيرًا اجمع الرأي على الركوب على الجبل واخذه قهرًا واقتدارًا . وامدهم الامير قاسم برجال من وادي التيم. وعولوا على غزو الجبل. وبلغ الامير بشير ذلك ، فنادى باجتماع الرجال الى حمانا . فاجتمع اليه نحو ثلاثة آلاف رجل ومعهم جماعة من الامراء والمشايخ .

وفي يوم الاثنين الواقع في تاسع شهر ايلول، سار عسكر الدولة مع الامير عباس والمشايخ بني العماد ومعهم عسكر وادي التيم يطلبون حمانا . وانتهوا الى خان مراد . وكانوا لما قاموا من معسكرهم اتت الارصاد فاخبرت الامير بشير بقيامهم . فسد الصوت حالًا في البلاد وركب بمن عنده من الامراء والمشايخ والرعايا . وساروا الى لقاء العسكر . وثار بينهم القتال ، واشتد الامر الى اعظم ما يكون . وجاهد عسكر الامير عباس اشد الجهاد ، وكان عسكرًا عظيماً من الدالاتية والهوارة والارناؤط والمغاربة واهل وادي التيم ورجال المشايخ بني العماد . واخذت الناس تتقاطر الى الامير بشير من رجال المتن . ورأت الدولة ان عسكر الامير بشير لا يزال في مزيد لقربه من البلاد. وخافوا من تكاثر الرجال عليهم ايضاً. فجردوا سيوفهم وحملوا على القوم حملة منكرة فكاد ينكسر عسكر البلاد. ولما رأى الامير بشير ذلك ، جرد سيفه وهجم قدام العسكر . وصاح بمن حوله من الرجال ، وتلاه الشيخ بشير جنبلاط برجال الشوف . وكذلك جرجس باز وبقية المناصب . فتشجع العسكر وتصلب . وصدم عسكر الدولة صدمة شديدة . فلم تلبث الدولة ان تأخرت وطلبت الفرار . وهمت رجال البلاد ان تلحقها . فنعهم الامير بشير خوفًا من تورط الرجال في السهل فتنثني عليها الخيل. ورجع الامير عباس بعسكره الى البقاع . واقام هناك . وقتل ذلك اليوم من رجال البلاد ستة وقيل سبعة انفار ، ومن عسكر الامير عباس خمسة وثلاثون نفرًا . واقام عسكر الدولة في البقاع مقدار عشرين يوماً . ورحل الى عكا . وقام الامير عباس مع المشايخ بني العماد الى حاصبيا . واهل البلاد كل حي الى حيه . ورجع الامير بشير كما كان وصفت له الولاية .

* * *

ثم اجتمع بعض الامراء والمشايخ مع الامير بشير وكتبوا الى المشايخ

العادية ان يتركوا ما هم عليه من الخلاف ويرجعوا الى البلاد . وكتبوا الى الامير عباس كذلك . فابوا ولم يقبلوا . ولكن الشيخ ابو قبلان العماد حضر ومعه البعض من عشيرته . فواجهوا الامير بشير واصطلحوا معه وطيب قلوبهم.

وفي تلك الايام حضر الى دير القمر رجل يقال له شريف آغا وضمن للامير بشير ان يأخذ له رضى الجزار ويخرج له خلعة الولاية بحيث يرسل اليه كتاباً لطيفاً يطلب به رضاه . فاكرمه الامير ، واتحفه بهدايا سنية ، وكتب معه كما اشار . فمضى شريف آغا ، ودخل على أحمد باشا الجزار ، ودفع اليه كتاب الامير بشير ، وسأله الرضى عنه . فاجاب . ووعد باخراج الخلعة ولكن تحت شروط . منها ان يسلمه جرجس باز . ويطرد اولاد الامير يوسف من البلاد. فكتب شريف آغا بذلك الى الامير بشير. فقبل بكل ذلك الا تسليم جرجس باز ، لانه كان قد عاهدهم على الوفاء والنصيحة . وبقي الامير بشير حاكماً في الجبل بغير خاطر الوزير. واولاد الامير يوسف على ولاية جبيل الى ما شاء الله.

وفي هذه السنة حدث الوباء وامتد الى اماكن كثيرة . الا انه لكثرة احتراز الناس منه ، لم يفعل كثيراً لان اعيان كل مكان كانوا يضعون حراساً على الطرق السالكة اليهم لا يدعون احداً يدخل ، الا من وثقوا بسلامته من رائحة الوبأ . وكان اكثر وقوعه في الغرب .

« اسعار السوق »

وفي سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان ثمن كيل الحنطة في ايام البيادر اثني عشر غرشاً - وكانت غلال حوران مخصبة جداً . فكانت القوافل تأتي بالحنطة من هناك لرخصه هناك . ولذلك صار ثمن الكيل هنا ستة غروش الى السبعة كل السنة. وكان ثمن قنطار الزيت مئة وعشرين غرشاً . وقنطار الخمر من العشرين الى الثلاثين غرشاً . ورطل الحرير اربعين غرشاً وقفة الارز ثلاثين غرشاً. ورطل البن خمسة غروش . ورطل لحم الغنم خمسين من الفضة . وقس على ذلك بقية الاسعار .

محمد بك ابو مرق

وقد تقدمنا فاخبرنا عن قدوم يوسف باشا وزير الختام نحو هذه البلاد. فهذا

الوزير كان قد اصحب معه اوامر سلطانية بتقدمة الذخائر لــه بكل مكان يمر به . وكان من ذلك امر لاحمد باشا الجزار . فلم يحفل به ، كما مر . وذلك لانه كان قد انعم على الامير بشير. وكان الوزير قد حضر في البر وحضر له في البحر ذخائر كثيرة الى قبرس وبيروت ويافا وغزة . فالجزار ما اكتفى بعدم التقدمة له ، بل صبر حتى توجــه الوزير الى مصر . وارسل الى بيروت واخذ الذخائر والجبخانات التي كانت له هناك وبلغ الوزير ذلك . فغضب على الجزار واضمر في نفســه انه بعد انقضاء نوبة الافرنج ، يجعل طريقه في الرجوع على عكا وينتقم منه . وكان الجزار قد احتسب لذلك. فارسل هدايا وتقادم كثيرة الى ارباب الدولة العلية. واورد شكايات وسعايات على يوسف باشا. فقبلت هداياه وشكاياه . وخرج امر سلطاني الى يوسف باشا ان يسرع في الحضور الى الباب العالي ولا يمر على عكا ولا يتعرض للجزار بشيء . وكان كذلك . الا انه في مروره على يافا انعم على محمد بك ابي مرق بولاية يافــا وغزة والرملة وجبل الخليل ونابلس . واعطاه كل ما كان معه من الجبخانات . واضاف اليه الذخائر والجبخانات التي كانت في قبرس وغزة ويافا وغيرها واطلق عليــه لقب الباشا. وابقى عنده جانباً من العسكر. ووعده انه في وصوله الى القسطنطينية ، يمده بالاسعاف على احمد باشا الجزار . وسافر بعد ذلك الى القسطنطينية. وابطل كل مكايد الجزار واظهر خيانته ونفاقه . وارسل الى محمد باشا ابي مرق اربعة مراكب سلطانية مشحونة بالذخائر والجبخانات ، اسعافاً على الجزار . وكان محمد باشا هذا صديقاً للصدر الاعظم وعدواً للجزار من قبل ذلك . لانه كان والياً على مقاطعة في جبل الخليل . وكان له اخ في تلك البلاد . فقتله الجزار ظاماً في طلوع الجردة ، لما كانت في يده ولاية دمشق الشام وامارة الحج. ولما علم محمد باشا بقتل اخيه ، خاف على نفسه. وهرب الى القسطنطينية . وهناك انتمى الى يوسف باشا وزير الختام . واقام في خدمته . فاحبه واكرمه ، لما رأى من رصانته ووفائه . ولما حضر الى الديار المصرية اصحبه معــه . وكان من اهل مشورته حتى اراد الانصراف . فانعم عليه كما ذكرنا. واقامه في وجه الجزار. فتسلم يافا بأمر الوزير الاعظم . وشق ذلك على احمد باشا الجزار . فارسل اليه عسكراً ثقيلاً . وحاصره في يافا براً وبحراً . وضايقه شديداً فتضايق محمد

باشا من ذلك وضعف عزمه . وبينا هو كذلك اقبلت عليه مراكب الذخائر من القسطنطينية . فتنفس كربه وصبر على الحصار . وما زال الجزار مقيماً على حصاره مدة طويلة . الى ان ضاق به الامر ورأى نفسه تحت الغلبة . فهرب في الليل اختلاساً وترك العسكر في مكانه . ولما اصبحوا ولم يجدوه ، طلبوا الامان وسلموا المدينة .

وكان الوزير الاعظم لما ارسل المراكب الى محمد باشا ابي مرق ارسل معها اوامر سلطانية الى عبدالله باشا والي دمشق والامير بشير الشهاب في المحاماة عن محمد باشا والاسعاف له . وبها يذكر ان الجزار قد صار مغضوب الدولة . وانه يرتكب الاثم من يحامي عنه . وان العمارة الهمايونية خارجة للانتقام منه في البر والبحر ، وكان في الفرمان الذي حضر للامير بشير تطمين له من قبل الدولة العلية ورضى عنه من لدنها . وكان وصوله في شهر تشرين الثاني فسر به الامير بشير . وامر بالزينة والافراح في جميع البلاد . وكان في ذلك الوقت لم يزل يستعطف الجزار عليه ، ويستميح رضاه ، ويلاطفه . والمشايخ العمادية تسعى في تنكيس اعلامه واقامة هواها على ما سبق الكلام .

الامير سلمان

وفي سنة ١٢١٨ (١٨٠٣) ، كانت المشايخ العمادية لم تفتر من المساعي في البلاد ، كما مر . وما زالوا يكاتبون ويراسلون حتى احدثوا انقساماً في البلاد واما لوا اليهم بعض الامراء والمشايخ . واغروا الامير سلمان ابن الامير سيد احمد ان يعرض نفسه للولاية . فانصاع الى كلامهم . وكتبوا صكاً في انتخابه . وعرضوه على من وافقهم من الامراء والمشايخ . فقبلوه وختموه . ثم ارسلوه الى احمد باشا الجزار . فقبله وسر به . لانه كان يترقب مثل هذا في البلاد ، لكي يأخذ قوماً بقوم ، وينال اربه من الفريقين . وارسل يطالب الامير سلمان ان يحضر اليه . فحضر . ورحب بـه واحسن ملتقاه . وكان يومئذ لم يفرغ من مهمة يافا . فوعده انه متى فرغ منها ينعم عليه بخلعة البلاد ويرسل معه عسكراً . فاقام الامير سلمان في عكا ينتظر ما يكون .

وفي تلك الايام نهض ناس من حزب الامير بشير وكتبوا كتاباً الى الجزار .

وكان معناه ان اكثر الناس لا يريدون الامير سلمان لانه لا يليق بالولاية ولا يصلح لها . وان اكثر الذين ختموا صك انتخابه كان ذلك حياء منهم : وانما بنو العماد لهم ارب في ذلك يريدون ان يفسدوا به نظام البلاد. وشيعوا هــذا الكتاب في البلاد وختمه اكثر المناصب . ثم عرضوه على الجزار . فاحتسب من ذلك وتوقف عن تولية الامير سلمان ، لا سيما ان ارباب دولته كانوا ينهونه عن ذلك وكانت مكاتبات الامير بشير لم تزل مترادفة عن يدهم في استعطاف خاطره عليه .

وكان لما بلغ المشايخ العمادية ان الجزار اشهر خاطره عــلى الامير سلمان ووعده بالخلعة ، استأنسوا بذلك وعزموا على مناصبة الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط . فجمعوا اليهم رجالهم وكاشفوا بالعــدواة والعصاوة . وارسلوا الى احزابهم،مثل المشايخ بني تلحوق وبني عبد الملك وغيرهم.ان يتأهبوا للمقاومة . فنبهوا على رجالهم واستعدوا جميعاً . وحينئذٍ اجتمع الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز وبعض المناصب في دير القمر . وارسلوا علماً الى الامير حسن في كسروان والى امراء المتن وباقي من يثقون بــه من ارباب الكلام واخبروهم بما كان من بني العماد. واستدعوهم للمبادرة اليهم . ثم جمعوا عــسكراً من الشوف والغرب وتوجهوا لقصاص المشايخ العمادية . فهربوا من امامهم الى الغرب الاعلى . واستغاثوا ببني تلحوق فسار الامير بشير الى ملتقاهم عن طريق الجرد حتى انتهى الى خان الحسين في اطراف الغرب . وكان لما بلغ بني تلحوق قيام الامير بشير من دير القمر مدوا الصوت في عهدتهم حتى اجتمعت الرجال فــروا بها على طريق بيصور. وكانوا يظنون ان العسكر يأتي من تلك الجهة. وكان معهم الامير حسن ابن الامير علي شهاب لان العادة في البلاد ان الفئــة التي يكون فيها امير من بني الشهاب لا تقدر الفئة الاخرى ان تقاتلهــا ما لم يكن معها امير شهابي ، ولو كان صبياً . ولما علموا بوصول الامــير بشير الى خان الحسين.ارتدوا الى اماكنهم راجعين وانصرفت المشايخ العمادية الى بيروت واقاموا هناك بمن معهم من رجالهم .

واما الامير بشير فنزل في خان الحسين. وارسل الى عيتات يطلب المشايخ التلاحقة عن يد مقدمهم الشيخ اسماعيل لانه كان من حزبه . فحضروا وواجهوا

الامير بشير في خان الحسين واعتذروا اليه وقدموا له الطاعة والخضوع ،ولكن في الظاهر دون الباطن . فصفا خاطره عليهم ، وطيب قلوبهم . وكان قد اجتمع الى هناك كثير من الامراء والمشايخ والعقال والطوائف. فعقدوا ديواناً ضد المشايخ بني العماد وتحدثوا في ما يؤول الى خير البلاد ورفع المفاسد. وكان في ذلك الديوان شيخ العقل الشيخ احمد امان الدين . فتكلم كلاماً كالخطبة على جمهور الدروز يتضمن النصيحة والتهديد في حسن السلوك ورفع الفتن والخصومات وتأليف القلوب.وفي اثناء ذلك منع وتحريم وتهديد وامثال ذلك. فسلم كل من كان في الديوان واطاع . ودعوا للامير بشير بالنصر والتأييد . ونهض الامير بشير بعد ذلك راجعاً الى دير القمر . ورجع اهل المحفل كل الى مكانه .

وفي تلك الايام كان احمد باشا الجزار قد علم بانحراف رضى الدولة عنه ومسير العساكر اليه . فتلافى خاطر ارباب الدولة بلطافة الكتب وكثرة الهدايا والتقادم . فصفحت الدولة عنه . وانعمت عليه بولاية دمشق الشام وما يليها من حدود غزة الى حمص .

وكان في ذلك العهد رجل من اوفياء اهل طرابلس . يقال له مصطفى بربر قد تمرد في المدينة وجمع له حزباً وتسلم القلعة وعصى على المتسلم .فارسل المتسلم يعلم بذلك عبدالله باشا العظم والي دمشق. فجهز عبدالله باشا عسكراً وسار به الى طرابلس وحاصر مصطفى بربر ولم يعلم بزوال الولاية عنه .

الجزار وولاية دمشق

وكان احمد باشا الجزار لما انعمت عليه الدولة بولاية دمشق ، ارسل من قبله ناساً فتسلموها ونادوا فيها باسمه وقبضوا على اغوات كانوا من حزب عبدالله باشا . فقتل الجزار بعضهم وحبس الآخرين وسلب اموالهم . وكان ذلك بعد خروج عبدالله باشا الى حصار طرابلس . ولما بلغه ما فعل الجزار في دمشق . قام حالاً عن طرابلس وسار يطلب دمشق. فلم يدعوه يدخلها. وتشتت عسكره. فلما رأى ذلك ، هام على وجهه حيث لا يدري توجهه. ولما تم ذلك لاحمد باشا الجزار ايقنت الناس انه سيولي الامير سلمان حكم البلاد ، لانه كان لم يزل

غضبان على الامير بشير . وكان الامير بشير لا يفتر عن الرسائل والوسائل في استعطاف خاطره عليه واستماحة رضاه عنه، وكان يومئذٍ في صيدا سليمان باشا . فكتب اليه الامير بشير في ذلك. وعرض سليمان باشا كتابه على الجزار وسأل فيه واثنى عليه بكل جميل . وكان في الحضرة الشيخ طاها التركماني . وكان له قبول ومنزلة عند الجزار . والمعلم حاييم اليهودي الذي كان يومئذ صيرفياً عنده وابو ذريعة اغا رئيس المغاربة وغيرهم ممن كان الامير بشير يفتقدهم بالهدايا والهبات. فتكلموا جميعاً في شأنه . وزينوه في عين الجزار واستمالوه اليه. وتساهل معهم ان يكتبوا اليه ان يرسل معتمداً من قبله الى عكا ويسأل الرضى والقبول . فكتبوا وارسل الامير بشير احد المشايخ بني العيد الى عكا. فتلقاه احمد باشا بالقبول . واجلسه اليه . وجعل يذكر له ذنوب الامير بشير . ويقول له : اين الفرنساوية واين القبطان سميث واين يوسف باشا وعبدالله باشا ؟ فقد بددهم سعد الجزار . وضاعت مساعي مولاك واتكاله عليهم . وكان مرجعه الى هنا . ولكنني قد صفحت عن كل ما كان منه . فليكن طيب القلب والخاطر . وان شاء الله لا يرى من هذا الطرف الا كل ما يسره ويرضيه . وكتب اليه جواباً لطيفاً. وكتب اليه ايضاً سليمان باشا ان يرسل التقادم المتادة ليخرج له خلعة الولاية ، على شرط ان يكون اقليم جزين وقرية برجا في تصريف الوزير: وان جونة كسروان تخرب هدماً ولا يباع منها شيء. وانه يدفع في مدة اربعة اشهر مئة الف غرش ويرتب عليه بعد ذلك في كل شهر خمسة وعشرين الف غرش عن جبل الشوف وعشرة آلاف غرش عن بلاد جبيل. وكان امين هذه الرسالة ، من قبل الامير بشير، الشيخ يوسف الدحداح. فارسل الشيخ يوسف علم هذه الشروط الى الامير بشير . والامير عرضها على ارباب مشورته ، مثل الشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز وغيرهما . فتقرر رأيهم على قبولها . ولبس الامير بشير خلعة الولاية في اوائل شهر تشرين الثاني . ودارت البشائر في جميع البلاد . ثم دارت الحوالات في طلب المال السلطاني مضاعفاً . وصار يجمع الاموال ويدفع الى الجزار. وبعد قليل من الايام اطلق الجزار سبيل الامير ابرهيم ابن الامير حسن ، ثم امرأة جرجس باز وارسلها الى اهلها .

واما المشايخ بنو العماد . فلما بلغهم ارسال التقادم من الامير بشير، نهضوا

حالًا من ارض بيروت وتوجهوا الى عكا ودفعوا للوزير مبلغاً جزيلًا من المال على ان يولي الامير سلمان ابن الامير سيد احمد فابى . ورجعوا من عكا خائبين . ولم يأمنوا ان يدخلوا البلاد . فجعلوا ينتقلون من مكان الى آخر حتى وصلوا الى ارض حوران . وفي تلك البرهة توفي الشيخ ابو قبلان العماد . وكان عمدة العمادية وركن بني يزبك . وتأسفت عليه الاقارب والاجانب . وحينئذٍ انكسرت شوكة بني العماد فعزموا على الرجوع الى البلاد . وكان قد شاع الخبر بوفاة احمد باشا الجزار كما سيأتي . فتوسط امرهم بعض مناصب البلاد . فقاموا يطلبون البلاد بتلك الوسيلة وقبل وصولهم بلغهم ان اسماعيل باشا تولى مكان الجزار فراسلوه في اصلاح شأنهم . واقاموا ينتظرون الجواب. فاجابهم بما يسرّهم ووعدهم بتقويم اودهم في البلاد . فاغتروا بوعده . وعدلوا عن الحضور تحت راية الامير بشير . واقاموا الى ان تقضى حاجتهم . فلم ينجح لهم امن . واضطروا اخيرًا الى المراسلة عن يد بعض الوجوه في البلاد حتى رضي عنهم الامير بشير . ورجعوا الى اوطانهم .

وفي هذه السنة ، لما نبت الزرع في اراضي البقاع ، تولد في الارض فأر وكان كثيرًا جدًا حتى قيل انه لم يوجد مثله في الازمنة السالفة . لانه كان كالجراد الزحاف . اذا مر بارض لا يترك بها خضرة . فاهلك زروعاً لا تقدير لها . وكان في تلك السنة مطر عظيم في الغاية . فالزرع الذي سَلم من الفار اتلفته كثرة الماء وشدة البرد . ولذلك لم تكن الحنطة الا مبلغًا يسيرًا من عوائدها المألوفة . ومع ذلك ما زال ثمن الكيل اثني عشر غرشاً واقل. لكثرة ورود الغلال من بلاد حوران .

وفي هذه السنة حدثت زلزلة عظيمة في الليل فهدمت جملة اماكن . وكان اكثر قوتها في نواحي المتن . وكان ذلك في سادس عشر حزيران الواقع في ثامن شهر ربيع الاول .

موت الجزار

وفي سنة ١٢١٩ (١٨٠٤) توفي احمد باشا الجزار في مدينة عكا . وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من شهر نيسان الواقع في اليوم الخامس والعشرين

من شهر محرم. وكان لما شاع خبر مرضه وانقطاع الرجا من سلامته. بلغ ذلك الدولة العليـة . فانعمت على ابراهيم باشا بولاية دمشق الشام وعكا . وكان يومئذٍ في نواحي حلب واتاه الامر ان يحفـظ ذلك سراً الى ان تنقضي نوبة الجزار فيشهر نفسه ويضبط متخلفات الجزار الى ان يأتي باش قبطـان مع المراكب والخزنـدار . وكان كذلك حتى توفي الجزار وتحقق امره . فارسل ابراهيم باشا الى دمشق اعلامه وتوجه في اثرها . فدخل المدينة ورتب امورها. وفي اثناء ذلك حضر سليمان باشا من الحج لان الجزار كان قد ارسله نائباً عنه. فلما وصل وعلم بوفاة الجزار وحضور الاوامر السلطانية الى ابراهيم باشا فاتفق معه وكتبا الى عكا فاتاهما الجواب ان اسماعيل باشا تولى مكان الجزار ونادوا باسمه. وكان اسماعيل باشا هذا اولا مع الوزير الاعظم في حرب الافرنج في مصر فظهر منه خيانة في حق الوزير . فانهزم وحضر الى عكا . واقام عند الجزار حتى تولى محمد باشا ابو مرق مدينة يافا وارسل الجزار عسكره الى قتاله كما سبق الشرح . وكان اسماعيل باشا احد قواد العساكر فظهرت منه خيانة ايضاً في حق الوزير . فارسل الجزار قبض عليه وحبسه في عكا . واقام في السجن حتى توفي الجزار . وكان الشيخ طاها التركماني قـد تولى امور الجزار من حينما اشتد مرضه . فهذا لما انفصلت روح الجزار ، قبل ان يظهر خبر موته ، بادر الى السجن بموافقة بعض الرؤساء فاخرج اسماعيل باشا وقلـده الوزارة ، ونادى باسمه في المدينة . لكيلا تبقى بلا حاكم فيحدث الاضطراب . وارسل اسماعيل باشا من ساعته المراسيم والاعلام الى المدن والولاة والرعايا يطيب قلوبهم ويعطيهم الامان ويعدهم بكل جميل وارضى القواد والرؤساء بكثرة الاموال والعطايا . فاستمالهم اليه . وقبلوا ولايته . ودخلوا تحت طاعته . وفي اثناء ذلك حضر باش قبطان ومعه جملة مراكب لضبط متخلفات الجزار . فـأبى اسماعيل باشا ان يسلمها اليه . وقال اني قد كتبت الى الدولة العلية ، وانا انتظر الجواب . فان اتتني ولاية صيدا سلمت اليك والا فلا .

وكان ابراهيم باشا ، لما حضر الى دمشق ، اصحب فرماناً من الباب العالي الى الامير بشير ان يكون في طاعة ابراهيم باشا . ويكون موازراً له في جميع اموره بكل ما يمكنه . فارسل اليه ابراهيم باشا الفرمان السلطاني مصحوباً

بكتاب منه . فاجاب احسن جواب . وارسل اليه التقادم والهدايا فانعم عليه بخلعة الولاية واتخذه خاصة له . ولما علم بقيام اسماعيل باشا وعزمه على الخروج، ارسل يعلم الامير بشير انه يريد المسير اليه . وطلب منه ان يرسل اليه معتمداً من قبله فارسل جرجس باز ومعه جماعة من وجوه البلاد نحو مئة فارس . ولما علم ابراهيم باشا بقدومه، ارسل الى ملتقاه-اغوات الاوط وبعض اتباعه واعيان البلد وتبعهم جم غفير من اهالي المدينة وجماعــة الحجاج واستقبلوه بالطبول والزمور . وكان يوماً من اعظم الايام . ولمــا دخل جرجس باز على الوزير استقبله بمزيد الاكرام والاجلال الى ما يفوق الحدود المشــادة حتى تعجبت الناس من ذلك وحسدته اعيان المسلمين واكابرهم . واقام عنده الى ان ركب معه الى صيدا وكان ملازماً له في اكثر الاوقات وشريكاً معه في اكثر المهات. وصرف في تلك السفرة اموالاً جزيلة . وانشأ له وللامير بشير صيتاً عظيماً . وارسل ابراهيم باشا الى باش قبطان يخبره انه سائر الى محاصرة عكا من البر ويطلب اليه ان يقبل بالمراكب عليها ويحاصرها في البحر . فارسل اليه القبطان ينهيه عن ذلك ويقول له ان عكا لا تؤخذ بالقتال . وكان القبطان . لما وصل الى هناك وطلب ان يتسلم تركة الجزار وابى اسماعيل باشا ان يسلمه اياها ، غضب . فاخذ اسماعيل باشا يتلافاه. ووعده ان يدفع له اموالاً كثيرة ان سعى معه في توليته صيدا . وكان يقدم له كل يوم عشرة آلاف غرش لاجل نفقته . فانحرف القبطان ، واتفق مع اسماعيل باشا وقال له: يجب ان نرسل رقعــة الى الدولة ونسأل في قضاء حاجتنا ليكون سؤالنا مقبولاً . وفي ذلك الوقت تسلم القبطان من اسماعيل باشا دراهم كثيرة وحلى واسلحة وامتعــة تساوي خزائن وارسلها إلى الدولة العلية واصحبها بعرض حال يتضمن استعطاف الخاطر على اسماعيل باشا في تقليده الولاية .

وكان قد حضر مع القبطان ضابط من قبل الدولة يقال له راغب افندي. فهذا الرجل ،اذ لمح ما كان من القبطان، وعلم انه قد خان مع اسماعيل باشا، انكر عليه هذه الخيانة ولامه ونهاه، فلم يحفل بكلامه. فارسل راغب افندي الى ابراهيم باشا يخبره بذلك وسافر من وقته الى القسطنطينية حتى وصل وشكا

الى الدولة العلية ما كان من امر باش قبطان وكيف خامر على مصلحة الدولة مع اسماعيل باشا .

وفي تلك الايام طلبت مشايخ المتاولة من الامير بشير ان ينهض لاسعافهم على استرجاع بلادهم . فاجابهم . وارسل لهم عسكراً من البلاد . وجمعوا رجالهم ايضاً . ونزلوا جميعاً الى حدود البلاد . وبلغ ذلك عسكر اسماعيل باشا . فاستقبلهم في الحال . وانتشب بينهم الحرب . ولم يكن الا قليل حتى انكسر عسكر المتاولة وتشتتوا في تلك الجبال والاودية . وكان ذلك في اراضي قلعة يونين . ورجع عسكر الامير خائباً . وقتل منه انفار كثيرة . واشتد عزم اسماعيل باشا ، واعتز بقوة رجاله . وكان ابراهيم باشا قد تأهب للحرب وخرج من دمشق الشام في شهر تموز الى خان ميسرون[1] . ومن هناك الى الظهر الاحمر . ثم الى خان حاصبيا . فاقام هناك ثلاثة ايام بسبب الحر الشديد الذي حدث يومئذ ، وكان عظيماً جداً ، حتى قيل انه مات به جانب كثير من خيل الوزير ومواشيه . ثم انتقل الى مرجعيون . وكان مقدار ستة آلاف رجل من عسكر اسماعيل باشا في قلعة هونين وما يليها . فانهزموا من وجه الوزير الى صور . وكان سليمان باشا مع ابراهيم باشا ، فسبقه نحو صيدا . وكان ابراهيم باشا قبل خروجه من دمشق ، ارسل الى الامير بشير ان يجمع رجاله ويلاقيه الى صيدا. فنادى في اهل الجبل بالمسير ودعا اليه مناصب البلاد. وركب بستة آلاف محارب الى جسر صيدا . وكان عسكر الوزير نحو ستة عشر الفاً . ولما بلغ اهالي صيدا قدوم العساكر اليهم خرجت اعيانها فواجهوا سليمان باشا وخلعوا طاعة اسماعيل باشا. ومن الغد وفد الوزير الى صيدا فخرجوا لملتقاه وقدموا له الطاعة والخضوع . فاعطاهم الامان . ودخل معهم الى المدينة ومعه سليمان باشا والشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز . وطلب الوزير ان يحضر الامير بشير الى مواجهته فاعتذر . وارسل الوزير الى بيروت فاستدعى القاضي والمفتي وبعض اعيان البلد . فحضروا لديه ومعهم ما يليق به من الهدايا والتقادم . وكان قبل ذلك ارسل لهم متسلماً من الشام فطردوه . ولما حضروا

---

[1] ميسرون . وفي الامير حيدر ميسنون . وهو خان بسلوك على طريق دمشق .

بين يديه اعتذروا عن ذلك وتوسط امرهم جرجس باز . فصفح ابراهيم باشا عن ذنبهم وطيب قلوبهم ورتب عليهم اموالاً مطروحة . فتعهدوا بهـا واقام عليهم متسلماً من اهـل بلدهم يقال له عبدالله اغا ابو دية . فرجعوا على طاعته . ورفضوا اوامر اسماعيل باشا .

ثم ان الامير بشير صرف العسكر الذي معه ورجع الى دير القمر وتوجه سليمان باشا من صيدا الى صور . وكان بها جمـاعة من عسكر اسماعيل باشا . فهربوا الى عكا . وكان اسماعيل باشا ما زال على عزمه الى ان حدث انشقاق بين اكابر الوجاقات . فنهضوا على الشيخ طاها التركماني وقتلوه وقتلوا ابنـه وبعض اتباعه . واشتعلت نار الفتنة بين الارط والتركمان والسكبان والارناؤوط . واستبشرت الناس بهلاك الشيخ طاها المذكور لانه كان اظلم من الجزار . وكان لما اشتد مرض الجزار تولى جميع اموره . فكان يأمر وينهي كما يلوح له . وهو الذي كان يخترع العذابات المتفننة للمسجونين الذين كان يأمر بحبسهم ظلماً وافتراء . وكان قد وكل بهم اتباعه فكانوا اشد منه قساوة . ولذلك فرحت الناس بهلاكه وهلاك قومه كما فرحوا بهلاك الجزار . لان الرعايا كانوا قد استبشروا بموت الجزار ، الا اهل بيروت المسلمين لانه كان يميل اليهم . وما عداهم كانوا جميعاً يتهللون بموتـه ويهنئ بعضهم بعضاً في جميع ايالته . ومنهم الفقير الى الله تعالى قد نظمت فيه هذه الابيات[1] :

بشراك يا قلبي الكليم ومهجتي	جلاك من بعناه غاية منيتي
فالموت مكروه ولكن قد حلا	بمات هـذا الظالم الباغي العتي
هو احمد الجزار سفاك الدما	من مات مرتدياً بازرى لعنة
ختم العدالة والنضافة فاكتسى	عدلاً من الباري باعظم نقمة

---

١) لا تعادل فرحة الناس جميعهم بموت الجزار الا بقسوة قلب هـذا الطاغية النادر المثال وما قاسوه من عنته الشديد مدة حكمه الطويل . (راجع مقالاً في وصف بعض مظالمه الجواب على اقتراح الاحباب لمخاتيل مشاقه) . ولذلك تباشروا بهلاكه وتسابق شعراؤهم الى التعبير عن الفرحة الكبرى . وكثيرون ، ومنهم المؤلف ، لم يرتووا بقصيدة واحدة بل اعادوا الكرة مرتين وثلاثاً .

اما شعر المتن هنا فعليه ولا شك مسحة من التنقيح والاغلب انها من قلم الشيخ ناصيف اليازجي — كما هي الحال في النص الحاضر لهذا التاريخ .

كم قد اراق دمًا زكيًا واجتنى ... مالًا هنيئًا من اهالي النعمة
وكم قضى في ظلمه حتى قضى ... فقضي عليه باللظى والظلمة
وبعض شيخ النار صار نصيبه ... وجهنم القصوى له كالجنة
قولوا معي في نظم تاريخي له ... لا فاز من رب الانام برحمة

سنة ١٢١٩

وقلت ايضاً في ذلك :

ظهر الحبور فلاح فينا وانتشر ... وقد اضمحل الغم عنا والكدر .
فلنحمد الموت الرديّ لانه ... باقه للجزار احمد قد جزر
لكم البقا يا اهل بيروت، اندبوا ... فوزيركم ترك الوزارة والوزر
هيهات تبلغكم رسائله ولا ... اعلامه تأتي الى دير القمر .
كان البلاء. ثم الغلاء . ثم الجلاء ... بين الملا في عصره. ثم الضرر.
وبموته زال العنا ثم الضنى ... واتى المنا ثم المنى ثم الظفر .
ارثي الذي لم يرث طول حياته ... لكئيب قلب ذاب حزنًا وانفطر
هو احمد الغدار لا الجزار . والختّار لا المختار في سن الكبر
ساس البلاد وكان سايس خيلها ... نفرًا يمض بها ويرفس من حضر
قد سرت الاقطار يوم هلاكه ... وتهللت فيه الملائك والبشر
ويلاه كم اذن وكم انف وكم ... عين وكم كف وكم عنق بتر .
وعزيز قوم ذل منه وشامخ ... اهوى ودار لم يدع فيها حجر .
وكم خدرة سباها فاتنت ... خبلا، وذي مال بدولته افتقر
وبه الارامل واليتامى اصبحوا ... عددًا كثيرًا في البلاد له قدر
قالت اناس انه مستخدم ... روحًا خبيثًا . قلت قد كذب الخبر
لكنه روح خبيث لابس ... جسمًا لعينًا قد تكوّن من وضر
وقد انتدبت فقلت تاريخًا له ... لما تكردس في جهنم والغدر

سنة ١٢١٩

وكتبت يوم هلاكه تاريخه ... جزع اللعين وصار في اقصى سقر

سنة ١٢١٩

الجزار الطاغية

واعلم وفقك الله ان الامور التي صدرت من هـذا الانسان الجبار اعني احمد باشا الجزار يقصر عن تعريفها الكلام وتعجز عن تسطيرهـا الاقلام لان الطرق التي سلكها والستور التي هتكها والدماء التي سفكها والارواح التي

اهلكها والمكوس التي ابتدعها والمظالم التي اخترعها والعوائد التي قطعها والقبائل التي طيعها والخزائن التي جمعها والحصون التي حصنها والعساكر التي عينها والحروب التي انشأها والحبوس التي ملأها والكؤوس التي سقاها والنفوس التي افناها والفروس التي اتاها والمياه التي اجراها والعماير التي بناها والرسوم التي محاها والحال التي اتصل اليها والتحف التي احتوى عليها اشياء لا يضبطها حساب ولا يجمعها كتاب . بل اقول اننا ما سمعنا في الاخبار المشهورة ولا قرأنا في الكتب المسطورة عن مثل هذا الانسان في سالف الزمان . فبلا شك انه كان رسول غضب الى هذه البلاد وانتقاماً لشرّ العباد وكان مشتملاً على طالع سعيد ورأي سديد . ولذلك كان يقهر كل من عصاه وينال كل ما تمناه . الا انه كان صاحب الخلاق ذميمة وافعال لئيمة . فلم يكن يعبأ بحفظ العهد والميثاق ولا يتعاطى بامر الرحمة والاشفاق . فلم يكن يرثي لتوجع قلب محزون ولا يرق لمظلوم مغبون ولا يبالي بعذاب الناس وسلب اموالهم ولا بسفك دمائهم ويتم عيالهم معتدًا ما يفعله سبباً لاطالة حياته ووسيلة لنجاته ومحتسباً الناس كقطعان غنم بعضها للذبح وبعضها للاستغنام . وكان لا يحكم بالقتل عن تسجيل شرع كعادة الولاة بل بتصويب رأيه ومقتضى هواه . وكان يقول احياناً ان الله الهمه ليقتل ذلك الانسان واوحى اليه ان يسلب مال فلان وان يقطع انف عمر واذن زيد ويلقي بكرًا بحبس وزيدًا بقيد . وكان يحكم على بعضهم بالخنق وعلى الآخرين بالشنق وعلى ناس بالغريق وعلى غيرهم بالحريق وذلك لاجل بعض زلات جزئية واحياناً بغير ذنب بالكلية . وكان دأبه الاهتمام باقامة العمار وهدم الأعمار وتحصين عكا بالابراج والاسوار وجمع الاموال من جميع الاقطار . فاحتوى على خزائن لا يحصيها عدد وعلى تحف لم يحوها احد . وامتدت ولايته من غزة هاشم الى حماه . وبلغ من العمر ما ينوف على الثمانين سنة. ولم يبق في نفسه حاجة الا قضاها سوى حاجة واحدة وهي امتلاك قلعة سانور واخذ صاحبها الشيخ يوسف الجرار مع انه انفق في ذلك اموالًا جزيلة في زمان طويل . — فالعزة لله الواحد القهار .

وقد ذكرنا ان راغب افندي كان قد توجه الى القسطنطينية وقدم الشكاية على باش قبطان . فقبلت شكواه وبرز الامر العالي بان تكون ولاية صيدا

وما يليها على سليمان باشا وان راغب افندي يتولى امور المراكب وتدبيرهـا والقبطان يرجع الى القسطنطينية ويعطي جواباً عن ذلك الكلام.وعند وصول راغب افندي اشهر الاوامر في ولاية سليمان باشا . فنادوا باسمه . ووافق القبطان على الامر . فسافر من وقته وتولى راغب افندي امور المراكب مكانه .

سليمان باشا العادل

وكان ابراهيم باشا قد قام من صيدا نحو بلاد صفد لكي يتأهب لسفر الحج. وتوجه سليمان باشا نحو عكا واستخلاص بعض اماكن كان اسماعيل باشا واضعاً بها جماعة من عسكره. ووقع القتال بين عسكر سليمان باشا وعسكر اسماعيل باشا. وقتل ناس من الفريقين وانضاف عسكر اسماعيل باشا الى عسكر سليمان باشا وبلغ اسماعيل باشا ذلك فنادى بالعساكر الباقية عنده في المدينة وامرهم بالخروج الى قتال سليمان باشا . فخرجوا ليلاً يريدون ان يقتالوه بغتة . وكان مع سليمان باشا رجل يقال له الملا اسماعيل وكان رئيس اغوات الدالاتية . فاتاه نذير يخبره بخروج العساكر من المدينة وان مرادهم ان يكبسوا عسكر سليمان باشا في الليل . فاعلم الوزير بذلك . وامر الوزير ان تقسم العساكر التي عنده ثلاثة اقسام وارسلهم الى مجاهل في طريق عسكر اسماعيل باشا يكمنون بها : فكمنوا حتى مرت بهم العساكر . فثاروا في وجوههم واخبروهم بضرب النار في ذلك الليل فانذعرت عساكر اسماعيل باشا وانهزمت وقتل منها مقدار اربعمئة نفر . ورجعت الى عكا في اشر حال . ومن الغد نهض سليمان باشا واقام الحصار على عكا في البر وراغب افندي في البحر . وفي اواخر شهر آب تقوى عسكر اسماعيل باشا وخرج لقتال سليمان باشا . فانتشبت بينهم الحرب واحاطت بهم عساكر ابراهيم باشا وسليمان باشا وحالت بينهم وبين المدينة . فظفرت بهم وانكسروا فدخل بعضهم الى المدينة وهرب بعضهم الى البرية . فدخلوا قرية كانت خراباً وتحصنوا بها تلك الليلة الى الصباح وكانوا مقدار الف نفر.واحاط عسكر الوزير بهم في ذلك الليل حتى اصبحوا فخرجت ضباطهم من القرية وتراموا على الوزير وطلبوا منه الامان فعفا عنهم واقاموا عنده جنوداً واغتنم الوزير

اسلاب عسكر المدينة والمدافع والجبخانات التي كانوا تركوها عند الهزيمة . فكانت امداداً عظيماً له لكثرتها . واخذ سليمان باشا بمهد ذلك يكاتب الاغوات والضباط الذين في عكا ويستميلهم اليه . وكذلك فعل راغب افندي فانثنى عزمهم بذلك ونهضوا على اسماعيل باشا وقالوا له قم فاخرج الى حرب عدوك قبل ان يتقوى عليك بالرجال ويضيق بك السبيل . وكان ابراهيم باشا قد توجه في تجهيز الحج وسليمان باشا قد توجه نحو الناصرة ومعه الكنج يوسف وتكاثرت عنده الرجال واشتد عزمه على الحرب وخرج اسماعيل باشا بعسكره من عكا نحو شفاعمر وكان في قرية الصفورية من عسكر سليمان باشا نحو الف نفر فكبسهم اسماعيل باشا ووقع بينهم القتال وبلغ الخبر سليمان باشا فارسل العساكر لاسعافهم واشتد القتال بين الفريقين فانكسر اسماعيل باشا . وقتل من عسكره مقدار الف نفر . وفر هارباً نحو شفاعمر. واراد ان يرجع الى عكا . فاتته الخبر ان الاغوات الذين في عكا لا يقبلونه ولا يفتحون له ابواب البلد . فعلم انها كانت حيلة في اخراجه من عكا. ولما رأى خيانة عسكره عليه ضاقت عليه المذاهب. فتنكر ولبس ثياب الدالاتية. وخرج من شفاعمر بزي دالاتي وقصد الديار المصرية. وكان ذلك في شهر شباط الموافق لشهر ذي الحجة ، وفي مروره ببعض القرى عرفه شيخ تلك القرية فقبض عليه واعلم به سليمان باشا . فارسل واحضره اليه وارسله مقيداً الى القسطنطينية . وكان راغب افندي في صيدا . فلما بلغه ما كان حضر الى عكا . وكان سليمان باشا قد حضر واراد ان يدخل الى عكا فلم يقبلوه ايضاً حتى يصرف العسكر الذي معه . وكان مكسوراً عنده للعسكر الذي عنده نحو ستمئة الف غرش . فلم يقدر ان يتخلص منه . فاقام خارج المدينة عدة ايام الى ان خرج لمواجهته المعلم حاييم اليهودي الذي كان متسلماً خزائن الجزار وضابطاً محاصيله فتكفل للعسكر بايراد المال . وارسل منهم ناساً الى المدن والقرى بكتابات منه فتسلموا المال وانصرفوا . ودخل سليمان باشا الى عكا وصنعوا لدخوله زينة عظيمة . وتسلم ولاية احمد باشا الجزار ورتب امورها ومصالحها . وضبط المكاييل والاوزان ونادى بالعدل والامان . وسلك احسن سلوك مع الرعايا . ومهد الطرق والمسالك. وحصلت الراحة في ايامه والرخاء.

واثنت عليه الناس بكل شفة ولسان ومنهم الفقير . فقلت فيه شعراً :

لهوى الاحبة في الفؤاد مخيم نيرانه بين الجوانح تضرم
روحي تعاني من معاني حبهم عللاً . ولي جسم يعل ويسقم
دمعي همى مثل الحيا فوق الدما . فانا بما دون اللمى اترنم
شغلي وشوقي والحديث وعشقي فيهم واليهم ثم عنهم منهم
لا غرو ان تبدي الشكاية ما طوى قلبي . فما في القلب يطلقه الفم
عهدي قديم بالشكاية في الهوى ولعل عهدي بالصبابة اقدم
ومهفهف الاعطاف مهضوم الحشى حق المحبة عنده لا يهضم
وبان كالرمح المثقف قوقه من عينه الزرقاء يسطع لهزم
في خده ورد الجنان ودونه بين التمنع والدلال جهنم
يثني معاطفه النسيم وينثني بين الغصون يقول ما لا يعلم
اصبحت ملسوعاً بعقرب صدغه وبقوس حاجبه رمتني اسهم
وازداد سقمي من سقام جفونه يا حبذا لو ان طبي المبسم
ملك الفؤاد بامره في امره برضاي لا كرهاً فلا اتظلم
ذلي حلالي والعذاب رأيته عذباً به بعقابه انشم
تبقي اوصالي اراه يوصله ربح الصناعة والتجارة توءلم
ضاق احتيالي في احتمالي للهوى يا سادتي والصبر مر علقم
يا من سكنتم في الفؤاد ترفقوا وكلم علينا منة وتكرم
انتم احبتنا الكرام وانما اعدى العدى منكم ارق وارحم
هلا كفى ما قد جرى منكم ومن دمعي وهل يكفي الصدود متيم
لا تسلكوا خرق التعسف واقتفوا آثار مولى مثله من يحلم
اعني سليمان السلامة من له في امة الاسلام عدل يعلم
من قد غدى بحر الندى ري الصدى ضيح المدى قهر العدى اذ يهجم
ذاعت مناقب فضله بين الورى ولها حديث في البلاد يترجم
لا عيب فيه غير فرط سخائه منه المصارف تشتكي والقيم
يخشى ويرجى بأسه وعطاؤه يغني ويثني يستفاث ويتقم
لا بدع ان اضحى حكيماً حاكماً ان اسمه لكليهما مستلزم
كم حجة الحجاج غثت لوائه اذ كان مقداماً لهم يتقدم
بلغوا الى البيت الحرام برفده زمراً يضيق بها الحطيم وزمزم
زاروا وداروا آمنين بامنه وبمنه كل المخاطر عنهم

تخشاه كل قبيلة وعشيرة ويهابه عربها والاعجم
ان جال ما بين الرجال تدانت الآجال بالاوجال وهي قدم
تتبدد الكرات من كراته كسرب يلقى الجراد فيهزم
كم قاوم الاقوام قائم سيفه بفري الحديد وحده لا يثلم
يفقد اعداد العدى وعديدهم كالشاة اذ يسطو عليها ضيغم
سل عن وقائعه دعوق تجبك عن اهوال يوم قيل فيه عرمرم
اجرى القتال بها فاجرى من دم فيها سواقي وردهن محرم
والندب اسماعيل امسى نادبًا يبكي وفي رجليه قيد ادهم
زالت ولايته فذل وخانه سيف ترجى النصر منه وودهم
وبذاك ازدجر العصاة وسلموا طوعًا لمولانا السليم ليسلموا
صيدا ابشري عكا افرحي حيفا اطربي والقاطنون جبن فليترغوا
كن يا سليمان الوزير موازرًا للخاضعين وجارمًا من يجرم
واعظم وسد وارحم وعدو انعم وجد واسلم ودم بسعادة لك تخدم
واقبل مديحي يا كريمًا وارتضي مما نظمت من المديح وانظم
واذا انتهى شعري بمدحك مرة ارخت يبدى مدحكم لا يختم .

سنة ١٢١٩

تصفية حسابات الجزار والامير بشير

وفي سنة ١٢٢٠ (١٨٠٥) كان سليمان باشا قد تولى ايالة صيدا ودخل مدينة عكا ورتب امورها بمؤازرة راغب افندي . فوجد في متخلفات الجزار قوائم وسندات على امراء ومشايخ من البلاد بمال جزيل المقدار وذلك من عهد الامير يوسف والامير سيد احمد والشيخ قاسم جنبلاط وغيرهم . ولاجل ذلك كان قد ابقى عنده الامير سليم ابن الامير يوسف والامير قاسم ابن الامير بشير بمنزلة رهن . وفي هذا الوقت ارسل الامير بشير يطلب من سليمان باشا وراغب افندي خلعة الولاية واطلاق ابنه وابن عمه وارسال حجج مرجعيون واقليم جزين وقرية برجا لان هذه الاماكن كان الجزار قد سلبها منه قهرًا . فحضر الجواب ان اطلاق الاولاد لا يمكن ان يكون الا بعد وفاء السندات المذكورة لانها صارت في تعريف والي صيدا بموجب الحجج الموجودة في خزائن الجزار . وراجع

الامير بشير في ذلك بكتابات لطيفة وبرهن ان السندات والحجج هي ظالمة لكونها بالرغم والغلبة . والتمس اصطناع طريقة لذلك بحسب احتمال الحال . فقبل سؤاله وكتب سليمان باشا وراغب افندي الى الدولة العلية في ذلك . واتى الجواب بالايجاب . واخيرًا انتهى الامر بان الامير بشير يدفع الفين الف غرش نصفها في تلك السنة والباقي يقسط كل سنة مئة الف غرش . واسترجع الحجج والسندات . وترتب المال السلطاني على عوائده البالغة كل سنة مئة الف غرش ايضاً . وارسل الامير بشير دفعة من المال والتقادم المتادة . فحضرت له خلعة الولاية ومعها ابنه وابن الامير يوسف. غير ان سليمان باشا ابقى بيده مرجعيون لأن الجزار كان واضعاً يده عليها من زمان طويل . ولما اضطر الامير بشير الى ايراد المال المنقود الى سليمان باشا لم يكن في يده يومئذٍ ما يكفي المطلوب فاقترض من بني عمه الحرير الذي نتج لهم تلك السنة وبعد مدة وجيزة ردّ لهم اياه ولم يذهب لهم شيء منه . وبعد ذلك وزع الاموال السلطانية مضاعفة . ثم وزع مطلوباً على البلاد كل قرية على مقدار اهلها وتضايقت الناس من ذلك . وجمع هذا المطلوب من الشوف والعرقوب والجرد والغرب . ولما انتهى من هذه المقاطعات ارسل الحوالات الى المتن وكان الطلب من اهلها برفق دون غيرها من بقية المقاطعات . فانكروا عليه ذلك وطردوا حوالاته وقالوا انهم لا يدفعون سوى المال السلطاني فقط. وكان هؤلاء القوم قد تمردوا وطغوا الى غاية ما يكون وتعدوا حقوق الولاة والرعايا . ورأى الامير بشير انه لا يمكنه الانتصاف منهم فاستحضر عسكرًا من رجال الدولة وجمع عسكرًا من الشوف والغرب ونهض نحو المتن . ولما وصل الى اوائل المتن لاقته الامراء وسألته ان لا يدع العسكر الغريب يدخل الى المتن بل عسكر البلاد فقط. فاجابهم وصرف عسكر الدولة بشرط ان يسعفوه على قصاص طوائف المتن الذين بدت منهم العصاوة وان لا يعترضوه في ما يفعل بهم . فعاهدوه على ذلك . وكانوا يرغبون اهانة الطوائف وخفض كبريائهم لكثرة قبائحهم وتمردهم لان الطوائف المذكورين كانوا قد تناهوا في التمرد والطغيان حتى لم يسلم احد من شرهم . وكانوا لا يبالون بأحد ولا يظنون ان احدًا يجسر عليهم حتى الحاكم . وكانوا قد تفرقوا في المقاطعات وانتشرت منهم رجال في البقاع . فكانوا يرتكبون الفواحش

ويظلمون الناس . حتى ان امرأة منهم من بني القنطار كانت تسطو على الرجال في قرى البقاع وتنهب البيوت ولا يجسر احد على ردها . فضرب بها المثل الى الآن . ولما دخل الامير بشير الى المتن وعاهد امراءها على قصاصهم ارسل ابن عمه الامير بشير ابن الامير قاسم ومعه نحو ثلاثمئة نفر من مشايخ البلاد واعيانها الى البقاع وامره ان يقبض على من يجده منهم وينهب ما يقع في يده من اموالهم وغلالهم . فقبض على اربعة انفار من بني القنطار وبني حاطوم وهرب الباقي منهم . والقى الضبط على غلاتهم ومواشيهم .

وكان الامير بشير لما ارسل ابن عمه المذكور الى البقاع ارسل الشيخ حسن جنبلاط الى كفرسلوان . فكبس القرية . وانهزمت رجالها . وارسل في اثره ابن عمه الامير حيدر وامره باجراء القصاص الصارم على القرية . فلما وصل الى القرية رأى بيوتها مملوءة بالاثاث والامتعة والغلات . فامر اصحابه بنقل تلك الغلات والاسباب الى خارج البيوت واضرم النار فيها واخذ يقطع الاشجار التي هناك ولكن مما يخص الطوائف فقط . واما غيرهم من اهل القرية وان لم يقع عليهم القصاص فلم يسلموا من النهب . ثم توجه الامير حيدر والشيخ حسن بن معيها الى المتين وكان ذلك بمطابقة الامير منصور مراد ففعلوا بها كما فعلوا في كفرسلوان . واقام الامير بشير في حمانا وارسل الى الامير بشير ابن الامير قاسم ان يقيم في وجه البقاع ويرسل الغلات التي تخص الطوائف الى حمانا ودير القمر . فارسلها وكانت جانباً عظيماً جداً . وحينئذٍ نهضت مشايخ العقال وذهب منهم ناس الى دار الامير بشير في بتدين . وناس الى دار الشيخ بشير جنبلاط في المختارة وآخرون الى حمانا يترامون على الامير بشير بانفسهم وبالوسائط الاخرى في رفع القصاص عن الطوائف وتكفلوا له بان الجميع يكونون خاضعين له طائعين لامره . فقبل سؤالهم وامر برفع القصاص . وحينئذٍ وزع على جميع قرى المتن نفقة عسكر . ثم وزع مطلوباً آخر باسرة البلاد . فكان ذلك اضعافاً عن المطلوب الاول الذي لم يرتضوا به . وارسل الحوالات الى جميع القرى واردفها بالاستعجالات ثم وزع ايضاً مطلوباً آخر خصصه بالاغنياء المشاهير منهم . وارسل كتباً الى حدود دمشق الشام وطرابلس ان لا احد يقبل عنده درزياً ابن طائفة على اي وجه كان . وبعد ذلك رجع الى دير القمر . وارسل

الى زحلة مباشراً من اعيان البلاد يدبر امورها ولا يدع احداً من الطوائف ينزل بها . واستراحت الناس من ظلم الطوائف وجورهم . وتبددت رجال الطوائف في كل قطر الى مدة من الزمان حتى خمد غضب الامير بشير. فصاروا يتراجعون الى البلاد ولكن بذلة وهوان .

وفي سنة ١٢٢١ (١٨١٦) في رابع شهر آذار حدث ريح شديدة في الغاية فاتلفت اغراساً وابنية كثيرة . وكان مهبها من جهة المشرق واقامت مقدار خمس عشرة ساعة وزعمت المشايخ انه لم يحدث مثلها في زمانهم .

وفي هذه السنة توفي الامير فارس قايدبيه في زوق مكائيل وحملوه الى منزله في قرية صليما ودفنوه هناك . وكان سيد فريق بني قايدبيه . ولم يكن له ولد ذكر .

الشيخ سقر المحفوظ

وفي هذه السنة حدثت فتنة بين اهل القدموس واهل صافيتا . وكان المتقدم في بلاد صافيتا الشيخ سقر المحفوظ وكان شجاعاً باسلًا وكانت عشيرته من اهله مقدار ستين فارساً ومن اهل بلاده مقدار الف وخمسة رجل من اشداء الرجال . وكانت ولاة القدموس تهابه وتخاف من قتاله . فاستنجدوا حكام بلاد عكار[1] فاجابوهم ونهضوا جميعهم عليه . ووقع القتال بينهم فظفر بهم واستظهر عليهم . فاستغاثوا بمصطفى آغا بربر والي طرابلس . فارسل مصطفى آغا يتهدده ويكفه عن قتال اهل القدموس ويأمره بمصالحتهم . فلم يحفل بكلامه . ولم يزل قائماً عليهم . فارسل مصطفى آغا الى جبيل واستدعى عبد الاحد باز . فارسل عبد الاحد الى الشيخ سقر يدعوه الى الصلح وينهيه عن القتال فلم يجبه . ولما رأى مصطفى آغا ذلك كتب الى سليمان باشا والي صيدا وسأله ان يمده بعسكر من رجال دولته . فاجابه الى ذلك . وحضر العسكر الى جبيل . واجتمعت الرجال على الشيخ سقر من عكا وجبيل والبترون

١) وفي الامير حيدر ان سبب هذه الحركة ليس خلاف سقر مع اهل القدموس بل «خروجه عن الاطاعة وعصيانه في اموال الميرية».

وطرابلس والقويطع والكورة والجبة والزاوية والضنية وعكار وبعلبك. وكان قائد هذه العساكر جرجس باز فسار بهم حتى قارب بلاد صافيتا . فقسمهم احزاباً . وامر ان لا يختلط منهم اهل مقاطعة باخرى وان يتقدم للحرب كل سيد عشيرته بقومه . ولما حلت العساكر في تلك الاطراف اخذوا ينهبون بعض القرى . وبلغ الشيخ سقر اقبال تلك العساكر اليه. فارسل الى جرجس باز يقول له ان يعتزل عن الحرب برجال بلاده فقط . ويدع الباقين جميعهم يتقدمون الى حربه ويرى ما سيكون وتعهد له ان اجاب سؤاله بدفع جانب عظيم من المال ويكون ممنوناً له طول زمانه . فاجابه جرجس باز انه لا يمكنه ذلك. ولكن اذا اراد المصالحة فيكون اكبر واسطة لها . فاضطر الشيخ سقر الى القيام من تلك البلاد . وترك ما كان عليه . ثم حضر اخوه وابنه يتراميان على جرجس باز ويعتذران اليه وتعهدا له بايراد مال واقاما عنده رهناً على وصول المال. فصرف العساكر واخذهما معه وانصرف الى طرابلس . فاقام اياماً هناك واتصلت المكاتبات بينه وبين الشيخ سقر المحفوظ ودفع اليه الشيخ سقر شيئاً من المال وترك له الباقي واطلق له اخاه وابنه وعقد معه شروط الصلح بينه وبين اصحاب القدموس . واطمأن كل فريق في مكانه .

وفي هذه السنة اراد الامير بشير ابن الامير حسين مراد صاحب قرنايل ان يجدد بناء الخان المنسوب الى جده الامير مراد في ارض بيروت الذي كان الجزار امر بهدمه لما تولى مدينة بيروت في اول امره وبعد ان شرع الامير بشير في ذلك واقام جانباً من الحيطان نهض ضده الامير سلمان ابن الامير سيد احمد الشهاب ليمنعه عن ذلك بدعواه انه اذا قام هذا الخان يعطل الحوانيت التي له هناك . وارسل ناساً فهدموا ما كان قد جدده من بنائه . فلما علم الامير بشير مراد بذلك ارسل اتباعه فاحرقوا حوانيت الامير سلمان التي هناك . وكان الامير سلمان يومئذ في مدينة جبيل . وبلغه ما فعل الامير بشير فعظم عليه واعتده اهانة له ولجميع بني الشهاب لان العادة لم تسبق بمثل ذلك عليهم . ونهض لمخاصمة الامير بشير . واستعد لاتلاف كل ما يملك . وكتب الى الامير بشير الشهاب يطلعه بذلك وبما عزم عليه . فلم يأذن له بذلك ووعده باجراء القصاص من يده على الامير بشير المذكور . وبعد مدة وجيزة ارسل الامير بشير فقطع له اغراساً

كثيرة واحرق له بيوتاً وحوانيت والزمه ان يدفع للامير سلمان ما تعطل عليه .

فتنة الشويفات

وفي تلك الايام توفي الامير موسى ابن الامير منصور الشهاب في وادي الضباع بالقرب من حدث بيروت . فاجتمعت اولاد عمه واقاموا له مناحة حسب العادة . وكانوا مقدار خمسة عشر اميراً. وبينما هم كذلك اقبلت الامراء بنو رسلان من الشويفات وهم الامير يونس والامير عباس وابنه الامير منصور ومعهم اهالي الشويفات من الدروز والنصارى. ولما وصلوا اراد اهل الشويفات ان يتسلموا النعش حسب العادة . فاعترضهم اهالي الحدث وبعبدا . فتنازعوا على ذلك ثم تشاجروا . ثم تضاربوا . فجرد بعض الامراء الشهابيين سيوفهم ودخلوا بين القوم يكفونهم عن القتال . فلم تحترمهم اهالي الشويفات وامراؤها وقاموا في وجوههم وقاتلوهم على غير هيئة ودام القتال بينهم مقدار ساعتين . فجرح كثيرون من الرعايا وبعض من الامراء الشهابيين من ضرب الحجارة والمصادمة وانكفت اهالي الشويفات بعد ذلك حتى صاروا بعيداً عن المعركة. فاتفق ان الامير حسن ابن الامير علي الشهاب كان قادماً الى المناحة ومعه رجال قلائل. فصادف مروره في ذلك الطريق رجوع الامراء بني رسلان واهل الشويفات من هناك . فوقع القتال بينهم وبينه مرة ثانية . وكان ذلك من امرأة الامير عباس رسلان الذي كان قد علم بما كان منهم . فخاض بينهم في الطريق مستهيناً بهم ولكن لم يتعرض لهم بشيء . ولما رأت ذلك امرت اصحابها ان يتعرضوا له بالقتال . وكان كذلك . فجرحوا انفاراً من اصحابه وجاز في طريقه الى وادي الضباع حتى دفنوا المتوفي . فعقدوا ديواناً وتداولوا في امرهم واستعظموا ذلك جداً جداً . لانه من حين دخول بني الشهاب الى هذه البلاد لم ترتفع عليهم يد ولم يقم في وجههم احد الى ذلك الوقت. وحينئذ اتفقوا وتعاهدوا على ان يكونوا يداً واحدة برأي واحد في الانتقام من بني رسلان واهل الشويفات وكتبوا الى بقية اولاد عمهم الذين لم يحضروا ذلك اليوم واتفقوا جميعهم على ذلك وعرضوا على الامير بشير . وصار الاتفاق مع الجميع على طرد بني رسلان من جميع البلاد واحراق الشويفات وهدمها وقتل

كل من رفع يده بالضرب . ولما علم بنو رسلان بذلك احتسبوا منه وارسلوا فاخبروا الشيخ بشير جنبلاط بذلك واستغاثوا بـه فارسل اليهم ان يتزحوا من البلاد الى ان يسكن غضب الامير بشير والامراء فذهب البعض منهم وترامو على الامير حسن اخي الامير بشير في غزير فلم يقبلهم . فمضوا الى جبيل وتراموا على اولاد الامير يوسف فلم يقبلوهم ايضاً . ومضت امرأة الامير عباس رسلان الى دار الامير بشير وترامت على حريمه فأمر بطردها . فمضت الى دار الشيخ بشير في المختارة . فتظاهر انه لا يقبلها . واخذ الشيخ بشير من ذلك الوقت يسعى في امر الصلح واستعان بجرجس باز واخيرًا تم الامر ان الامير بشير ارسل بعض المشايخ التكدية فاحرقوا دار الامير عباس رسلان في الشويفات وبعض بيوت الرعايا ممن كانوا في الموقعة . وفي اثناء ذلك حضر الشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز الى الغرب واخذا في تلافي خواطر الامراء . وكان الامير بشير قد تنازل معهما الى الموافقة كرهاً. وكان الخصم الاكبر لبني رسلان الامير حسن ابن الامير علي . فهذا ارضوا خاطره بان اعطوه مكاناً في ارض البقاع . وكان في ذلك الوقت وُلد له غلام فحضر الشيخ بشير الى داره ونقط المولود بخمسة غرش واكرم الخدم بثلثة غرش ايضاً . فقبل الامير حسن بذلك مراعاة للوقت . لان الشيخ بشير كان له شوكة عظيمة في البلاد . وكان الامير بشير ايضاً تحت الغلبة معه . وكذلك اعطوا الامير سلمان سيد احمد الزيتون الذي كانوا اخذوه منه قبلًا حين انطفى مع بني العماد وعلى هذا النحو طفق الشيخ بشير وجرجس باز يتلافيان خواطر الامراء . واخذت الحركة في السكون رويدًا رويدًا . ورجعت الامراء بنو رسلان الى البلاد . وواجهوا الامير بشير وطيب قلوبهم . ورجعوا الى اماكنهم . ومضى على ذلك مدة وجيزة. فاتفق الشيخ بشير وجرجس باز وتكلما مع الامير بشير في استرجاع الزيتون من الامير سلمان واسترجعاه قبل ان يثمر تلك السنة .

وكان الامير قاسم عم الامير سلمان مقيماً في الشويفات في دار كان قد اشتراها من بني رسلان . فادعى عليه الامير عباس رسلان بهـا . واسعفه الشيخ بشير جنبلاط . فاخرج له امرًا من الامير بشير في استرجاعها له وارجاع ثمنها كما كان . فأبى الامير قاسم ودافع ومانع . فلم يظفر بطائل وطلب ان

تؤخذ منه بحسب تقويها ذلك الوقت فلم يمكن . واخيرًا دفعوا له ثمنها كما دفعه لهم وخرج منها برغم انفه . وقيل ان جميع هذه الحركات كانت بتدبير الاميرة حبوس زوجة الامير عباس رسلان لانها كانت ذات عقل ثاقب وهمة شديدة . وكان بينها وبين الشيخ بشير صداقة عظيمة . وكان الرأي لها في جميع مهمات بني رسلان . وكانت الناس تدعوها الامير حبوس لما عندها من الكمال الذي فاقت به على كثير من الرجال .

وفي سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) كان قد تظاهر قبل ذلك رجل خارجي من بلاد الحجاز يقال له عبدالله بن سعود الوهاب . وكان ، فيما يقال ، لا يعتقد الا بالله فقط . وكان ينكر جميع الاديان والمذاهب والكتب والانبياء والشرائع والرسوم الدينية ويسير بموجب الناموس الطبيعي لا غير . وكان قد اوتي توفيقًا عظيمًا. فارتفع شأنه وعظم امره وانضم اليه كثير من العربان وصار في موكب عظيم . فلما كانت هذه السنة اعترض الحجاج في طريق مكة . فاوقع بهم ورجعوا من نصف الطريق . وتعطل الحج في تلك السنة[1] .

وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الدولة العثمانية ودولة المسكوب

١) يغالي المؤلف في تكفير ابن سعود والوهابيين . وقد كان الامير حيدر اقرب الى الواقع حين قال (١٢١٧ ص٣٧٠) :

وكانت شريعته ان لا يعبد الا الله وحده . ولا فيه نبي ولا ولي . ولا شفيع غير الله وحده . وكلمن لا يتبعه ويعتقد به يقتله . فخافت منه الناس وتبعته خوفًا منه وازورد كرمه . ولم بقي في بر الحجاز احد الا ووهب ».

اما مبادئ الوهابية ، كما لخصها المستشرق مرغليوث في دائرة المعارف الاسلامية ، فهي :

١ : كل عبادة لغير الله باطلة . وكل من عبد الاولياء والصور يستحق الموت .

٢ : اكثر الناس مشركون لالتجائهم لدى الله الى وساطة الاولياء .

٣ : كل من ادخل في صلاته اسم ولي او نبي او ملاك فهو مشرك . وكل من اتخذ وسيط غير غير الله فهو مشرك .

٤ : كل من قدم نذرًا لكائن غير الله فهو مشرك .

٥ : كل من اعترف بغير ما في القرآن والسنة فهو كافر .

٦ : ومن انكر القدر في اعمال البشر فهو ملحد .

٧ : ومن التجأ الى التأويل في تفسير القرآن فهو كافر .

ويلي ذلك منع الممارسات الخارجية كبناء المآذن وتزيين الجوامع واستعمال المسابح . والتدخين واحفاء اللحى وما شاكل .

والانكليز . وتملكت الانكليز مدينة الاسكندرية واحتسب الناس من عاقبة ذلك الامر .

وكان في تلك الايام لم يزل غضب الامير بشير متحركاً على المشايخ اليزبكية . وكانوا يترقبون الفرصة لاقامة حركة في البلاد. فطلب منهم الامير بشير مبلغاً من المال وارسل لهم حوالات واردفها باستعجالات وكانت الحوالات تنوف عن سبعين نفرًا في دور المشايخ بني تلحوق وبني عبد الملك . ولم يكن في ايديهم ما يدفعون حتى ولا ما يقدمون نفقات للحوالية . فتقدموا بالسؤال الى الامير بشير ان يترفق بهم فمنعه الشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز . ولم يكن الامير بشير يقدر ان يمضي حكماً ولا يقضي امرًا الا برأيهما ورضاهما. ولما ضاقت عليهم المذاهب استعانوا بالامير حسن اخي الامير بشير ونزلوا عليه في داره ان يتوسط امرهم . وكان بين الامير حسن وجرجس باز مضاغنة خفية ولم يكن الامير حسن يستطيع المكاشفة له بالعداوة لان جرجس باز كان قد تناهى في الصولة والدولة وصار معلوم الدولة والوزراء حتى انه لم يظفر ببعض ما ناله احد من امثاله . وكان زمام تدبير اولاد الامير يوسف في يده . وكان الشيخ بشير صديقاً له. فكان له غلبة في البلاد حتى على الامير بشير الحاكم . ولذلك كان الامير حسن يداريه ويظهر له الصداقة رغماً وان كان يضمر له كل عداوة .

وكان الامير حسن في العام الماضي اراد ان يقوم خراج املاك بني الخازن في كسروان بمشورة اخيه الامير بشير وبدون رأي جرجس باز استدعى المقومين ومشاهم على تلك الاراضي . فمشوا على اكثرها . وكان ذلك رغماً على بني الخازن لانه مضر لهم . فقام بعض المشايخ الخوازنة والتجأ الى جرجس باز ودفعوا له خمسين الف غرش تحت رفع هذه النائبة عنهم لان املاكهم من ايام بني معن كان قد صدر عليهم الانعام بالعفو عنها فمال الى سؤالهم ونهض لاغاثتهم . فابطل الخراج . واشياء كثيرة كان يفعلها جرجس باز ضد الامير بشير واخيه الامير حسن . ولذلك كان كل منهما يترقب الفرصة لاشتفاء قلبه

منه[1] . فلما ثقلت الحوالات على بني تلحوق وبني عبد الملك وضايقوا عليهم التجأ الشيخ علي تلحوق وبعض المشايخ الملكية الى الامير حسن . فصار له سبيل على جرجس باز فاخذ يوضح للمشايخ المذكورين ما في نفسه وان الحوالات التي عليهم وجميع الحوادث التي نزلت بهم ليست برضى اخيه الامير بشير . وانما هي من اعمال جرجس باز وتدابيره[2] .

١) كثيرًا ما اشار المؤلف الى استبداد جرجس باز واستقلاله في سياسة البلاد . وكذلك فعل سائر المؤرخين . بل ان الامير حيدر كان لا يستطيع ضبط الله منه وتقشيه عليه . الا ان المنير لم يذكر هنا كيف دبر الامير بشير واخوه الامير حسن الحيلة لقتل جرجس باز واخيه عبد الاحد . كما فعل الامير حيدر ص ١٤٠

٢) تقف المخطوطة من حوادث التاريخ عند هذا الحد . مع اننا نعرف ان المؤلف القس حنانيا المنيّر قد عاش الى ما بعد سنة ١٨٢٣ فما الذي منعه من متابعة الحوادث سواء في هذا التاريخ او في « تاريخ الرهبنة »؟ ذلك مما لا نستطيع البت فيه الآن . ولعل الايام يطلعنا على النسخة الاصلية للكتاب فنعرف ما فاتنا معرفته .

تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

للاب لويس بليبل († ١٩٣٨)

المجلد الثالث

توطئة الناشر

لقد اقدم المرحوم الاب لويس بليبل، بما عرف به من غيرة وحمية، على تأليف تاريخ لرهبانيتنا، بعد ان بحث ونقب وجمع من الاوراق القديمة والوثائق الخطية، ما مكّنه من عمله هذا الشاق، مستنداً الى ما كان وضعه الاب جبرائيل فرحات (المطران جرمانوس) الشهير والاب عبدالله قرألي (مطران بيروت) واضع حجر الزاوية للرهبانية في لبنان. والى مجموعة تلميذه الاب توما اللبودي المحفوظة في خزانة دير رومية والى غيرهم ممن كتبوا بهذا الموضوع، فاصدر بالطبع مجلدين: الاول في السنه ١٩٢٤، محتوياً على نشأة الرهبانية ١٦٩٥ وتطوراتها الى السنة ١٧٤٤ اي مدة نصف قرن وهو ما يسميه العصر الذهبي للرهبانية، لما حازته من رفعة شأن ومكانة بانشاء اديارها وتعزيز قوانينها وقيامها بأجلّ الخدم في جميع الحقول الروحية والادبية والاقتصادية والاجتماعية، على رغم ما كان يعترضها من مصاعب وعقبات. والمجلد الثاني صدر مطبوعاً (١٩٢٥) يبتدئ في السنة ١٧٤٤ وينتهي في ١٧٧٠. وهو يتضمن شرح اسباب الخلاف والسود الى الاتفاق ثم القسمة وتثبيتها من البابا اكليمنضوس الرابع عشر.

(راجع تاريخ الرهبانية مجلد ٢ ص ٣١٤ وما يلي)

وكان المؤلف، رحمه الله، عازماً على نشر خمسة اجزاء من هـذا التاريخ فوافاه الاجل المحتوم قبل انجاز عمله وقيل لنا انه كان قد جهّزه حتى الجزء الرابع، لكننا نأسف ان لا يقع بيدنا، بعد البحث والتفتيش الطويل، غير المجلد الثالث

الذي تركه جاهزًا للطبع . فاقدمنا على نشره في مجلة المشرق بعد الحصول على اجازة قدس الرئيس العام الاباتي اغناطيوس ابي سليمان السامي الاحترام . وبعد التفاوض مع حضرة صديقنا الفاضل مدير المجلة الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي الذي تكرم بما عرف به من حمية واريحية علمية وغيرة على الدين والاداب ، بان أفسح لنا مجالًا واسعاً ، كواسع صدره ، على صفحات مجلته الغراء ، فلحضرته خالص الشكر وعاطر الثناء .

وإحياء لذكر المؤلف واشعارًا بما له من فضل وما كابده من جهد وتعب في جمع تلك الوثائق القيمة ، سنخرج على حدة ، كمية من نسخ المجلد المذكور لتوزع على اديار الرهبانية ومراكزها وتضمّ الى المجلدين السابقين تعميماً للفائدة. وقد آثرنا ابقاء هذا المجلد على الطريقة التي انتهجها المؤلف في المجلدين المذكورين اي سرد الوقائع التاريخية سنة فسنة وبالعبارة نفسها ، الّا اضلاح بعض جمل مشوشة او اغلاط نحوية بسيطة وتركنا الوثائق على نصها الحرفي ، آسفين الا نعثر على الاصل الذي يقول هو انه بيده ! وعسانا نوفق ، بعونه تعالى ، الى وضع تاريخ موجز ، سهل المنال وافر بالمراد ، على طريقة مدرسية ليكون بين ايدي الطلبة وفي متناولهم . . . وقد اضفنا بعض حواش فيما اقتضى الحال .

ولا نرى بدًا من التنبيه الى ما ورد في هذا التاريخ من تسمية الرهبانية «بلدية لبنانية او رهبان جبليين لبنانيين». فان اللفظتين مترادفتان ، كما لا يخفى ، ومن المعلوم ان مؤسس الرهبانية الاب عبدالله قرألي قد اسماهـا « لبنانية » لا غير لانها نشأت في لبنان ولم يرد ان تسمى « حلبية » . وعرفت بالرهبانيـة اللبنانية غير انه ، عند وقوع الخلاف بين الفئة الحلبية الاصل والفئة اللبنانيـة الاصل . واستمرار ذلك الخلاف نحو ربع قرن (١٧٤٤ — ١٧٦٨) . كان الرهبان الحلبيون في اثنائه ، يلقبون اخوتهم اللبناني الاصل « بالبلديين او الجبليين » تميزًا لهم عنهم ، اذ الرهبانية بجموعها « لبنانية » ذلك كان سبب تسميتنا بلديين او جبليين . وهو كما رأيت عارض في اثناء الخلاف فقط . على ان فئتنـا اللبنانية احتفظت بعد القسمة بتسميتها الاصلية « لبنانية » فقط . ومنـذ ذلك الحين حتى اليوم تجد رؤساءنا العامين يوقعون معاملاتهم ومراسلاتهم الرسمية على هذه الصورة : « اب عام لبناني ». ومثلهم المدبرون العامون وجميع الآباء والاخوة

هـذه تواقيعهم الدائمة : « الاب او الاخ فلان اللبناني » ما انفكوا عنها قط كما ان جميع الصكوك والاوراق الرسميـة الموجودة في خزانات الاديار والمراكز تحمل التوقيع نفسه . ولا عبرة لما ورد ويرد حتى الآن على السنـة العامة لانهم تناقلوها منذ وقوع الخلاف الذي كان سببها كما اشرنا . على انه قد جرت مؤخراً مفاوضة رسمية بهذا الشأن بين الرئاسة العامة لرهبانيتنا اللبنانية وبين المجمع المقدس للكنيسة الشرقية فتنازل واعار هذه القضية التفاته الخاص واصبحت المراسلات بينه وبين الرئاسة العامة على الطريقة المنوه بهـا . فقطعت جهيزة قول كل خطيب ... وقد جاء في تعليمات المجمع المقدس نفسه في تطبيق الارادة الرسولية : « Postuquam Apostolicis Litteris » الصادر في ٩ شباط ١٩٥٢ ، في الرهبانيات المنظمة ، ما نصه : « واخيراً لكل من الرهبانيات ثوب خاص تتميز به عن غيرها ولكل منها اسم خاص لا يمكن ان يتحطه غيرها من الرهبانيات او رهبانية جديدة » .

(الارادة الرسولية قانون ١٣ بند ٣)

لذلك اسقطنا من هذا التاريخ لفظة « بلدية او جبلية » حيثما وجدت .

الاب بطرس ساره اللبناني

مقدمة المؤلف

هذا المجلد الثالث من تاريخ رهبانيتنا اللبنانية الذي طالما اضطرمت بي الرغبة في جمعه واشهاره فتوفقت الى تأليفه ونشره كالمجلدين السابقين له اللذين بيّنت فيهما عن حوادث ذلك الزمان بنشر فضايل واحياء مآثر وكشف سراير وتحقيق حوادث طمس عليها الدهر وطرحها في زوايا النسيان . وقد تحرّيت الصدق في المقال والاستقامة في النقل والامانة في التصرّف مستخلصاً ذلك من شوائب التلبيس ومصائب التدليس . ومن جملة ما رقشه القلم على صفحات المجلدين الاولين صور عصر الرهبانية الاول منذ نشأتها اذ كانت كطفل واهي القوى تارة يقف فيرتجف فيسقط وتارة يتحفّز للقيام فينتصب بعد جهد طويل ولم يزل على هذه الحالة حتى يبلغ أشدّه فيتصلّب ويسابق الجياد. كذلك الرهبانية لما كانت طفلة . . . ولما استتبّ امرها بتثبيت قانونها نمت وأزهرت وكثرت فتألّق نبراس فضائل ابنائها . فاثار السالكين في ظلام الغرور فجاءوا اليها زرّافات ووحدانا طالبين الانضمام في سلكها . فكثر اعضاؤها وتوسع نطاق ادارتها ووفرت املاكها وكثرت مداخيلها بتعب وعرق تصبّب من وجوه العاملين من بنيها فضلاً عن نموها في الفضائل الالهية والادبية والطرق الرهبانية والكمال الرهباني. فسارت بابنائها اشواطاً بعيدة في طرق الخير . فمنهم من احرز العلم فذلل صعابه وفتح خزائنه واستجلى غوامضه ومنهم من انفرد للرسالة فليّن قلوباً وردّ نفوساً . ومنهم من تفرّغ للانفراد في الكهوف والمحابس وشقوق الارض فكانوا كملائكة بصور بشر . وبالجملة لم يكن دأب ابنائها الا القيام بواجب حالتهم وبما يؤول الى خير الطائفة والبلاد . وكان عموم الشعب يأنسون من انفسهم ميلاً الى ابناء هذه الرهبانية وتشيّثاً بهم ومحبةً لهم واعتباراً لثوبهم الاسود الخشن الذي بيّضوه بل جعلوه اكثر بياضاً من الثلج الناصع بجليل اعمالهم وجميل خصالهم . وكان الناس يتألّبون في اديارهم زرّافات زرّافات لاقتباس الفضائل ولقضاء واجباتهم الدينية لذلك اسمينا عصر الرهبان هذا بعصر ذهبي . فكان المجلّد الاول وهذا التشبيه مصيب لان الذهب يفوق جميع المعادن قيمة ورونقاً .

كذلك العصر الذي نحن في صدده فانه غرّة في جباه اعصر الرهبانية وواسطة عقدها وهو يبتدي من سنة الف وسبعماية الى سنة الف وسبعماية واربع واربعين حيث تشوّه فيها بعض محاسنها لاسباب ذُكِرت وحصلت غضاضة في عيشة الوحدة . وذرّت الطبيعة البشرية غبار الخلاف . وكان ذلك بحسد من الشيطان خزاه الله . . . فهمّوا بان قسموا الرهبانية اللبنانية الى فئتين دعوهما حلبية لبنانية وبلدية لبنانية وهذا العصر دعوناه بعصر الخلاف الذي استفحل امره من سنة الف وسبعماية وثلاث وخمسين الى سنة الف وسبعماية وثلاث وستين التي فيها حصل الانقسام بين الفئتين بنوع معروف من الرؤساء معرفة غير رسمية الى سنة الف وسبعماية وثمان وستين حيث جرت القسمة بصورة قانونية تحرّر فيها صكوك. وفي سنة الف وسبعماية وسبعين تثبتت هذه القسمة من الكرسي الرسولي ببراءة حبرية . وهذه الشؤون ضمنتها المجلد الثاني . تمت القسمة واستقلّت كل فئة بذاتها (من حلبية لبنانية وبلدية لبنانية) فكلاهما في هذا المجلّد من بعد القسمة وابتداء الرهبانية اللبنانية[1] .

استأنفت الرهبانية البلدية اللبنانية المسير وراء النجاح الروحي والزمني فسارت سيرًا حثيثًا في طرق البرّ والفضائل ونالت قصب السبق وفازت بالقدح المعلّى فنبغ من بين ابنائها مَن تفرّدوا بالقداسة واشتهروا بالنسك وانتشر صيت فضائلهم فعطّر آفاقنا الشرقية واشتغلوا بالعلم وزاولوا مهنة الرسالة فبازوا فيها وكانت الرهبانية ولم تزل بمعونه تعالى في هذا العصر كما كانت في عصرها الذهبي الاول كالعود المغروس على مجاري المياه يعطي ثمرهُ في حينه وورقه لا ينتثر[2] . تثمر ثمرَ البركات . والرهبان كانوا رغمًا عن شظف عيشهم وتقشف سيرتهم يداومون الصوم والانقطاع عن تناول اللحم والاطعمة الانيقة . ولا يأكلون الا بعض الحبوب مطبوخة من محاصيل املاكهم بكدّ ايديهم وعرق اعراق وجوههم يأكلون ما قلّ من الطعام لقيام حياتهم . ومع هذا النسك لم يبرحوا متردّين ببرد السكينة وراحة القلب يجلببهم الوقار وتزينهم البشاشة . ولم تزل

---

١) بلقب لبنانية غنى عن لفظة « بلدية » التي دعا اليها الخلاف ولم يبقَ لها من مبرر هنا بعد القسمة .

٢) (مزمور داود ، عد ٣)

هذه الحال السعيدة حالهم من انعقاد الخناصر مع توحد الراي والتعاضد على صنع الخير والترقي في معارج النجاح والفلاح الادبي والمادي الروحي والزمني من سنة الف وسبعماية وسبعين الى سنة الف وثمانماية وثلاث وثلاثين حيث علق على ذيل الرهبانية شيء من غبار أثارهُ عدوّ الخير فاعاقها عن السير في خطّتها القوية قليلًا كما سنذكر ذلك في المجلد الرابع انشاء الله .

فهذا العصر يحق لنا ان نسمّيه ولا لوم علينا بالعصر الذهبي الثاني (١٧٧٠—١٨٣٣) فيكون للرهبانية عصران ذهبيّان احدهما قبل الخلاف والقسمة والآخر بعدهما وهو ما رأيت ان أتحف به اخوتي الرهبان وابنـاء وطني طالباً منهم العفو عند التقصير والله حسبنا ونعم الوكيل .

لفت نظر المطالع

انه تباعاً لما جريت عليه من ذكر حوادث عقد المجمع العـام لانتخاب الوظايف الكبيرة في فئة اخوتنا ابناء الرهبانية الحلبية اللبنانية في المجلد الثاني بعد قسمة الرهبانية اللبنـانية الى فئتين حلبية لبنانية وبلدية لبنانية وتثبيت هذه القسمة ببراءة رسولية .

(المجلد الثاني ص ٣١٤)

رأيت ان اواصل كتابة حوادث عقد المجمع العـام لانتخاب الوظائف الكبيرة مع الحوادث الهامة الواقعة فيها تعميماً للفائدة . ثم ان يكون ذلك مادة اساسية تصلح لمن يريد ان يكتب شيئاً حقيقيًا عن فئة اخوتنا معتمدًا على ما كتب في روزنامة المجامع العامة المحفوظة في دير سيدة لويزة .

تابع ف ١٣ عدد ٢٦ من المجلد الثاني

المجمع العام للفئة الحلبية اللبنانية في سنة ١٧٧٠ . تليت فيه على الجميع براءة قدس الحبر الروماني اكليمنت الرابع عشر المتضمنة تثبيت القسمة مع جميع الشروط التي صارت ما بيننا وبين اخوتنا بدير حريصا تحت طائل الحرم لكل من يخالف احد هذه الشروط .

المجلد الثاني ص ٣١٧ و٣١٨

وفي الاقتراع السري انتخب رئيساً عاماً الاب توما العاقل . ومديرًا اول

الاب برنردوس راجي الحلبي . والاب نستير باخوس الطرابلسي مدبرًا ثانياً . والاب توما رزق الله الطرابلسي مدبرًا ثالثاً . والاب برنردوس مارون الحلبي مدبرًا رابعاً .

وحكم آباء هذا المجمع العام — ١ً : ان يتقدم عن نفس الراهب المتنيح ١٢ قداساً و ١٢ مسبحة وردية من الاخوة . وحكم ٦ً : ان يتلى في الكنيسة بعد صلوة الستار طلبة قلب يسوع الاقدس عوضاً عن طلبة السيدة . وفي تلاوة طلبة السيدة يقال بعد ذكر الثالوث الاقدس : «يا قلب يسوع المسيح ارحمنا» . وفي ختام الطلبة يقال : «يا حمل الله... حسب العادة» . وحكم ١٨ : ان من يثبت عليه انه اقتنى شيئاً يساوي نصف قرش[1] يسقط في الخطا المميت. وحكم ٢٤ : بمنع شرب التتن واكل اللحم الا لداعي مرض باذن الرئيس .

(عن روزنامة المجامع المحفوظة بدير اللويزة)

في سنة ١٧٧١ وقف اهالي قرية بسكنتا كنيسة القديس يوسف البترل الكائنة في المحلّ المعروف برويسة الحيات على رهبانيتنا اللبنانية بقصد انشاء مدرسة لتعليم الاحداث وارشاد القريب في الامور الروحية ودونوا ذلك في صكّ عقدوه وهذه حرفيته :

وجه تحريره وموجب تسطيره

« انا قد وقفنا نحن بيت الحاج سليمان . وبيت ابو كرم . واهالي بسكنتا جميعهم دير مار يوسف المبني في المكان المسمى رويسة الحيات واختصاص وقفيتهم الى الرهبانية اللبنانية وذلك وقفاً مخلدًا وحبساً مؤبدًا لا تغييرفيه ولا تبديل وصار الطرح المذكور ملكاً الى الرهبنة مثل ساير املاكها . ولا احد له سهم مقارشة في شيء كائن من كان . والدير المذكور يكون مدرسة الى علم الاولاد في يد الرهبان المذكورين ولا نقبل عليهم دخيل ان كان رهبان ام من اساقفة ام خوارنة ام عوام بل ما دام الرهبانية قايمة والضيعة ثابتة يكون هالدير مدرسة في تعريف الرهبان وهو مضمون من سائر الشاقفة والمواقفة من اي وجه كان وعلى ذلك تم الرضا والاتفاق بين الفريقين اي اهل الضيعة والرهبان وقد قبلوا الفريقين هذه الشروط : اي اهل الضيعة يقومون بعمار الكنيسة وحمايتها والرهبان يلتزمون في علم الاولاد وانارة القريب في الامور الروحية . وانهم لا يتعدون على الخوارنة في مطاليبهم المختصة بهم وايضاً الخوارنة ليس لهم مع الرهبان مقارشة في ديرهم المذكور ولا في رتبتهم ونظامهم وليس

[1] كان نصف القرش في تلك الايام يعتبر مادة كبيرة .

لهم سلطان انهم يمنعوا الرهبان من سماع اعتراف كلياً من كان . وقد كتبنا بينهم هذه الوثيقة لاجل البيان والحفظ من النسيان ومنازعة كل انسان حرر وجرى في ١٥ إذار سنة ١٧٧١
(عن اوراق مدرسة بسكنتا)

وفي هذه السنة استأجر الاب نعمة الله الشبابي رئيس دير مشموشة من المشايخ مدلج وحسن وشبلي واخوته ويونس وجهجاه من عائلة بيت بره المشايخ المتاولة من قرية كفرحونة المزرعة المعروفة بجربة نيحا والمعروفة الان بجبل طورا ... المحدودة قبلة وغرباً ارض سليخ وارض النبي صافي الى خلّة رماح الى الخرايب التي فيها عمار الرهبان . ومن الشمال مقلب الماء الى بركة نيحا ومن البركة ونازل مقلب الماء على حواشي المروج على الناحيتين ببدل اثنين وستين قرش تدفع كل سنة خالصة من جميع الاكلاف « اي سخنة ونطارة ورجيدة[1] انما يعطوا للناطور بدل ذلك كيل حنطة . وهذه الاجارة ممدودة غير محدودة ، وهذه حرفية العبارة : « وحررنا لهم هذه الاجارة سنداً بيدهم ما دامهم موجودين ونحن موجودين وختوماتنا وامضاواتنا تشهد علينا واين ما ارادوا يختموها » . واذا صار تغيير عن الشروط واراد صاحب الملك ان يخرجهم منها وجب عليه ان يثمّن لهم العمار والمياره التي يكونوا احدثوها اذ لهم ذلك وتدفع القيمة قيمط واحد . واذا زرعوا دخان فيكون بينهم مناصفة .

وصادق على هذه الاجارة الشيخ علي جنبلاط بهذه الحرفية :

صح « قد جرت هذه الاجارة على يدنا وان صار تغيير عن الشروط تقدم الحق الى صاحبه » .

وقد اثبت صك الاجارة الامير يوسف شهاب الحاكم العام بهذه الحرفية :

« يعمل بموجبها من غير خلاف » .

(عن اوراق دير مشموشة)

وفي اثناء مطالعتي لاوراق دير مشموشه عثرت على نبذة تاريخية تتعلق بكيفية مشترى ربع اراضي جبل طورا فآثرت نقلها بحرونها وهي :

انه عندما وقع الخلاف بين محمد باشا الجزار وبين الشيخ علي الظاهر من

١) اجرة نقل حزم القمح من الحقل الى البيدر

عرب الزيادنة قاطن صفد وتغلّب الجزار على عليّ المذكور حتى كاد يتلاشى مع قبيلته من ظلم الجزار فارسلت تلك القبيلة نساها واولادها الى كفرحونة برسم الحماية لعند المشايخ بيت برّه المتاولة الذين كانوا على جانب عظيم من الثروة ومتملكين ارض كفرحونة وجبل طورا ومزرعة الرهبان ولما بلغ الجزار بان عليّ الظاهر ارسل حريمه الى قرية كفرحونة افتكر بانه ارسل امواله ايضاً وودعها عندهم فأخذ يتظلّم تلك العائلة ويطلب منهم دراهم نقدية ولما لم يكن عندهم ما يطلبه الجزار من الدراهم ارسل الشيخ شبلي برّه اكبرهم وكان له ثلاثة اخوة محمد وحسين وابراهيم وطلب بو مراد صالح حرفوش[1] فتوجه أبو مراد لعند الشيخ شبلي الذي اعلمه خبر الجزار وطلبه المال وان لا مال عنده لذلك يكلّفه بتدبير اناس يشترون منه ارض جبل طورا فاجابه ابو مراد الى طلبه وتوجه لعند الشيخ حسين جنبلاط ورغبه بشترى قسم من اراضي جبل طورا فأبى اولا ولكنه اقنعه بواسطة يوسف العازوري الذي كان خادماً عنده فرضي . ثم توجه لعند رئيس دير مشموشة فوعده بشترى قسم اخر . ثم توجه لعند جد بيت عازار المعوشي فوعده بأخذ قسم منها . ولما اخبر الخوري انطونيوس ابو نصر وابو عساف رزق الله وعداه بان يشتريا القسم الاخر .

وبعد فراغه من هذه التدابير توجه الى كفرحونة واخبر الشيخ شبلي بما توقع منه فالشيخ حرّر خطاباً للمذكورين به يستعلم عن حقيقة ما تبلّغه من ابو مراد فكان جوابهم مصداقاً لما تبلّغه من المذكور انما يشترطون ان ابو مراد هو يخمّن الاراضي وليس غيره فاجابهم الى طلبهم .

فخمّن ابو مراد الارض وعمل كل بذار ثمانية امداد بخمسين قرش فتمّ المبيع واشترى الشيخ حسين جنبلاط ستة قراريط اي الربع . ورهبان دير مشموشه ستة قراريط . وستة قراريط اشتراها جد بيت عازار المعوشي . والخوري انطونيوس وابو عساف رزق الله[2] ستة قراريط الباقية تتمة الاربعة والعشرين قيراطاً فثبتت ملكاً لجميعهم ودفعوا ثمنها للشيخ شبلي المرقوم واولاد عمه وهولاء

---

١) فانني في المجلد الثاني ص ٢٥١ ان اعرف من هو ابو مراد وزميله ابو عساف . فأبو مراد هو صالح حرفوش من بكاسين

٢) وابو عساف هو رزق الله من بكاسين جد عائلة بيت الخوري فيها

دفعوا المال المطلوب منهم الى الجزار انما بقي على ملك الشيخ شبلي المرج المسمى بالابيرج النبه . وجرت القسمة بين المشترين على الارض المرقومة فكان نصيب الشيخ حسين جنبلاط الاراضي الكاينة على ملكيته الآن . وكان نصيب الرهبان المزرعة الملقبة باسمهم «مزرعة الرهبان» . وكان نصيب بيت عازار الموشي الاراضي التي بيدهم الآن وهي تابعة اراضي جزين. وخرج نصيب ابو عساف رزق الله الاراضي الجارية على ملك عائلة بيت الخوري في جبل طورا. وحصة الخوري انطونيوس كانت بعض قطع في جبل طورا وفي المحل المعروف في جل البير .

وتوفي ابو مراد صالح عن ولدين مراد وانطونيوس. ولد مراد سعد واخوته وكان سعد رجلًا مقداماً اما الاب نعمة الله الشبابي الذي كان رئيساً على دير مشموشه بذاك الحين فقد طلب اليه ان يسعى لدى المشايخ اولاد الشيخ شبلي بره المقيمين في قرية كفرحونة بشأن مبيع المرج الذي ذكرناه انه لم يزل على ملكية الشيخ شبلي فسعى سعد المذكور بمخابرتهم وبملاطفتهم بقوله: ان الرهبان ذوي سلامة وبساطة ومتى بعتوهم هذه الارض وشئتم يوماً ما استرجاعها فلا يمانعون بذلك فاجابوه: «ان هؤلاء السود يفزع منهم لانهم ما دخلوا الى مطرح وعادوا خرجوا منه فاجابهم كلّا فهم اقرب في طباعهم الى النساء من الرجال» ولا يزال يلاطفهم الى ان ارتضوا بان يبيعوا المرج للرهبان . وعب المخابرة بين الرئيس الاب نعمة الله والمشايخ المذكورين تم الاتفاق بينهم واشترى الرهبان المرج ولم يزل على ملكيتهم حتى الآن .

ثم بعد عدة من السنين حاول اولاد الشيخ المذكورين استرجاع المرج فأبى الرهبان الرجوع عن البيع فأنفذ المشايخ نفرًا من طائفتهم المتاولة ليحصدوا زرع المرج المذكور فطردهم الرهبان منه بالقوة فعاودوا الكرّة عليهم بان ارسلوا عدة نساء ليحصدنَ المزروعات وكانت حرفة المذكورين ان يضعوا اليد لاول مرة على المرج اذا انغلب معهم الرهبان . فالرهبان طردوا النساء بواسطة كلاب الماعز وكان ذلك على هذه الصورة : « انه كان عند الرهبان خمسة كلاب بلغت أشدّها ولم تكن تلك الكلاب رأت انساناً غير راعيها الذي اطلقها وسار امامها وكادت تفترس النسا المذكورات » وبهذه الواسطة كفَّ اولاد الشيخ شبلي عن السعي

وراء ارجاع المرج فثبت ما كان يتوهمه المذكورون من لابسي ثياب السود » .
وحيث ان البيع والشراء تمّ بواسطة سعد المذكور وكان الرئيس وعده ان يبيعه جوار البنفسج جزاء اتعابه وجوار البنفسج كانت شراكة بين الدير والشيخ حسين جنبلاط ، سعى سعد عند الشيخ حسين ان يبيع حصته من الدير فرضي بذلك واذ ذاك ثمّنوا الارض فبلغ ثمنها كلها « اي حصة الدير والشيخ » ماية وخمسين قرشاً وهي بذار ستين مدّ بالمكيول المجيدي .

ولما كان سعد لا يوجد معه ثمن الارض كلها قال له الرئيس انا اديـنك ثلاثين قرش الى سنة . وانت خابر اقاربك واشتروا كل الارض شراكة فيدفعوا قسماً من الثمن فخابر سعد اقاربه وغب البحث وجد معهم ثلاثين قرش ووجد مع سعد عشرين والريس ديّنهم ثلاثين قرش فيكون المجموع ثمانون قرشاً فبقي مكسور عليهم سبعين قرش استدانوها من رجل من دير القمر يدعى العتر . ودفعوا الدراهم الى الرئيس فدفع الرئيس للشيخ حسين قيمة ما خصّه من ثمن حظّته وهو استولى على الباقي .

(عن اوراق دير مشموشة)

فاتني ان اذكر في حوادث السنة الماضية ١٧٧١ الكتابة التي عثرت عليها في اثناء بحثي في دير لويزة وهذه الكتابة هي للاب عمنوئيل عبد الاحد الحلبي رئيس دير رومية ارسلها لابيه العام الاب بولس السمعاني خلاصتها :

« ان السيد السمعاني وابن اخته المطران اسطفان عواد وابن اخيه الاب يوسف لويس السماني هم الذين عملوا على قسمة الرهبانية اي اقنعوا رجال الكرسي الرسولي بوجوب القسمة لراحة الجميع » .

(عن اوراق لويزه »

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : يوحنا المزرعاني . ويوسف جوني . وماتيا ميروبا . ومرقس ظهر صفرا . وليباوس متيني . ويعقوب يسكتاوي .

وتوفي : الاب يوحنا اروتين الحلبي .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل الاول

عدد ٧٥ ف ١

وفي سنة ١٧٧٢ شارك رهبان دير سيدة ميفوق شراكة شلش بربع الملك على بعض املاك تخص الشيخ سرحال حيدر حماده المتوالي الكائنة بزرعة كفرشلّي على انه بعد مدة من الزمان وهي غير معيّنة في الحجة يقسم الشيخ سرحان المرقوم بينه وبين الرهبان ويعطيهم ربع ملك في الاراضي القائمة بتعبهم وكان ذلك في ايام رياسة الاب افرام بقاعكفرة . (عن اوراق دير ميفوق)

انني الفت نظر من يهمه الاطلاع الحقيقي على كيفية وطرق الاستملاك التي جرى عليها اباؤنا الرهبان في اقتنائهم الاملاك للرهبانية الى عملهم الشاق الصعب فيظهر لديه ان هذه الاملاك لم تصل الى الاديار كما يظنّ البعض عن طريق الاحسان والهبة والوقف المجاني بل بكدّهم واعراق وجوههم واجتهادهم المتواصل. وانني لست منكرًا ان لبعض الكرام عقارات اوقفوها على الرهبانية. « اللهم خلا ما اوقفه الامير يوسف شهاب وبعض اوقاف معتبرة لبعض افراد قلائل » . انما هذه الاوقاف لا تتجاوز الشيء اليسير ومع ذلك لم يكن وقفهم مجانياً بل ببدل معتبر يعادل قيمة الموقوف لانهم كانوا يرمون بهذه الاوقاف الى غايات تعود عليهم بالنفع الروحي او المادي كصيانة وقف من خراب يتهدّده . او لتعمير اراضٍ خربة ودفع أموالها الاميرية كوقف أديار بلاد جبيل والبترون من الامير يوسف شهاب . او بدل اشتراك في القداديس والخيرات الروحية ينالها المحسن بعد وفاته . او بدل قداديس تتقدم عن نفوس اصحاب الهبة مؤبدة أو الى زمان والى غير ذلك .

(طالع بحثاً ثانياً في المجلد الاول من تاريخ الرهبانية ص ٤٠٠)

فيثني على الرهبان والرهبانية وتشرق على وجه عقله شموس حقيقة كيفية حصولها على هذه الاملاك ويحبّذ عملهم ويدافع عنهم امام كل من يريد ان يحط من كرامتهم او يشوش عليهم امرهم. أو يوجّه اليهم تهمة اللصوصيّة الخفية والاختلاس بوضع اليد بدون حق. ويثبت لديه ايضاً ان ما تملكوه من الارزاق كان كما تقدم القول نتيجة كدّ يمينهم واعراق جباهم واجتهادهم واقتصادهم في مواد عيشتهم.

وفي ۱۱ ايلول ۱۷۷۲ وهب الامراء : شديد وحسن وسلمان ونصر واحمد ومنصور ابي اللمع الاب مرقس الكفاعي الرئيس العام قطعة ارض في زحلة لاجل تأسيس انطوش لسكن الرهبان وتشييد كنيسة لخدمة الموارنة شركاء الامراء المذكورين وتحرر صك بهذه الهبة وهذه حرفيته :

وجه تحرير الاحرف :

هو انه اعطينا الرئيس مرقوس ورهبانه اللبنانيين موضع في زحلة ليعمروا كنيسة وانطوش ويكون موضع متسع عليهم ودار للكنيسة ونعطيهم من عند كل واحد منا ارض نصف غرارة يزرعوها لاجل معاشهم وقيامهم في الموضع المذكور ونعطيهم موضع على حدّ النهر لينصبوه بستان ويعملوا فيه زرّيعة ونعطيهم موضع ۱۰ قدادين ينصبوه كرم . واعطيناهم المواضع المذكورة حتى يتيسوها ويعملوها معاشهم ولا نخترم عليها شيء . وكلّ من يكون في تلك النواحي من توابعنا يكونوا تبع الرهبان في امور دينهم ويكونوا بخدمتهم ويصرفوهم بما يخصهم وما احد له معهم معارضة بوجهٍ من الوجوه ويدقوا جرس وناقوس . واذا استقنوا معزة تكون بلا عداد . واذا استقنوا نحل يكون كذلك بلا ميري . وعلى ذلك صار الرضى والاتفاق بيننا وبين المذكورين . واعطيناهم قول ورأي الله الكريم اننا ما نتغير معهم عن ما نحن شارحين وكتبنا لهم ذلك لاجل البيان تحريرًا في ۱۱ ايلول سنة ۱۷۷۲ توافق هجرية ۱۱۸٥   نصر . احمد . سلمان . حسن . شديد

(عن اوراق دير بنابيل)

من مطالعة هذا الصك يعلم المطالع الكريم الغاية التي كان يرمي اليها آباؤنا في مؤسساتهم والى الغاية المقصودة من حكام البلاد وامرائه من هباتهم للرهبانية ووجوب قضائها . فتظهر اذ ذاك الاتعاب الجزيلة والمشقات الصعبة التي كان يعانيها الرهبان في سبيل قيامهم بهذه المؤسسات الدينية على ضعف وسائلهم ووسائطهم في تلك الاحقاب . والى ما كانوا يقومون به من الاعمال الرسولية . ويقف ايضاً على حقيقة النتائج التى كانوا يتعزّون بالحصول عليها وانها لم تكن سوى روحية وهي خير النتائج . ويعلم ايضاً مقدار احتياج أبناء طائفتنا المحبوبة الى مثل هولاء الفعلة الانجيليين النشيطين الافاضل . فيحكم بنتيجة مستقيمة عادلة أن هؤلاء الرهبان ومن خلفهم القائمين مقامهم في أعمالهم ما كانوا قط عيالاً على الطائفة والبشرية كما يتهمهم البعض في هذه الايام بل كانوا ولم يزالوا ولن يزالوا بنعمة الله عضدًا واعضاء عاملة في جسم الطائفة وفي جانب

الدين والانسانية باعمالهم وأتعابهم ومؤسساتهم الرسولية .

وفي أثناء بحثي في أوراق دير سيدة طاميش عثرت على اعلام صادر من السيد البطريرك يوسف اسطفان يتضمّن منع الرهبان (البلديين) اللبنانيين عن عقد مجمعهم العام في هذه السنة وذلك غب التماسهم بركته الرسولية حسب نص القانون . وأسند هذا المنع الى أسباب ذكرها في اعلامه المرقوم وهذا نصّه :

يوسف فطرُوس فَطرِيَرخُو دأنطيُوخيَا وَدخُوله مَدنَخو محيلُو

– الختم –

البركة والنعمة والسلام على حضرة أولادنا العزاز جمعية الرهبان (البلديين) اللبنانيين المكرمين باركهم الله تعالى آمين .

اولاً : مزيدون الاشواق الى نجاحكم بالطاعة المقدسة بكل خير وعافية .

ثانياً : في اليوم الثامن من شهر تشرين الثاني حضر الى عندنا أولادنا العزاز القس زكريا رئيس دير مار مخايل ورفيقه القس يوحنا الحجار الرشماوي المكرمين . وعن يدهم مكتوب من رئيسكم بحضور مدبرينكم ورؤساء الاديرة طالبين منا البركة لاجل عمل المجمع العام . فقبلنا المرسلين المذكورين بكل محبة واعتبار وأفهمناهما الامر الذي ليس خافٍ عن احدكم ان قدس قداسة سيدنا البابا والمجمع المقدس وضعوا حدّاً لجمعيتكم ان تطيعوا فيه بموجب الاوامر الرسولية ومراسيم المجمع المقدس وقوانينكم وقوانين المجامع المقدسة وتقبلوا مجمع حريصا وتحلفوا يميناً أن تحفظوه بكافة شروطه وعهوده . وامروا أن يصير عليكم تنبيه على يد شخصين او ثلاثة من رتبة الكهنوت باسم البابا وسلطانه ويفسح لكم ثلاثة اشهر فان أطعتم في مدتها نقبلكم بمحبة ونحلّكم من التأديبات التي سقطتم بها وان لم تطيعوا يكون آن اوان خراب جمعيتكم بالكلية وصورة مرسوم المجمع المقدس واصلة لاجل اثبات القول ورفع كل شبهة من عقولكم . والتنبيه قد صار بالاحتفال الواجب وانتظرناكم ثلاثة اشهر اي من ٣ نيسان الى ٣ من تموز من هذه السنة ١٧٧٢ وما رأينا أحداً منكم . فلزم كتبنا الى الكرسي الرسولي عن ذلك .

والآن زمان توبتكم وطاعتكم قد فات . وزمان الخراب قد بلغ . وكل

اعتاد وتصرف صار متعلق بحكم الحبر الروماني عن ذلك والكرسي الرسولي.
وما عاد في مكنتنا ان نعطيكم اجازة أن تعملوا مجمع حتى يأتي الجواب من
الكرسي الرسولي وهذا شورتنا عليكم انكم لا تريدون خبص على خبص .
وربنا يلهمكم الى الخير والبركة عليكم والدعاء .

حرر في ٩ ت ٢ سنة ١٧٧٢

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

انني رغماً عمّا بذلت من البحث والتقصي لم أقف على صورة مرسوم المجمع المقدس الوارد ذكره في اعلام السيد البطريرك ولا على تفاصيل لهذه الحوادث الموردة في المنشور المرقوم لكي اوردها للاحاطة باسباب ما حواه هذا الاعلام من العبارات الدالة على جرم عظيم ارتكبه آباء الرهبانية قد يجرّ عليهما ذيل الخراب والدمار الروحي والزمني والادبي . والذي عندي بعد امعان الفكرة في عبارات هذا الاعلام هو : ان الكرسي الرسولي أرسل للسيد البطريرك نسخة عن براءة التثبيت للقسمة الصادرة من الحبر الاعظم البابا اكليمنت الرابع عشر موجباً عليه ان يستدعي لديه رؤساء الرهبانيتين الحلبية و(البلدية) ليبلغهما ذلك وأن يكلفهما الحلف بحضرته اليمين المغلظة على حفظ ومراعاة ما ورد فيها(اي البراءة) من الشروط والاحكام . فالرهبان الحلبيون حضروا لديه وتبلغوا الاوامر وحلفوا اليمين حسب مفاد الاوامر الرسولية واما رؤساء رهبانيتنا فتخلّفوا عن الحضور لاسباب اجهلها اذ لا يمكن افتراضها والذي ارجحه ان أملهم بالرجوع الى ما كانوا عليه من الاتحاد والاتفاق(كذا) لان الكرسي الرسولي بالرغم عن اصدار اوامره بالقسمة وبتثبيت القسمة كان يتوق ويرغب ان تزول تلك الاسباب وأن يرجعوا الى الاتحاد وانه عند اول طلب يقدم له بالرجوع الى الاتفاق فانه يقبله ويزيل كل مانع كما سيجيء . فنبههم السيد البطريرك وحدد لهم زماناً ولما لم يتنبهوا ما أمر رفع امرهم الى الكرسي الرسولي على ما أفاد في اعلامه . ولما آن أوان عقد المجمع العام على ما في القرائض القانونية تقدموا للسيد البطريرك وسألوه البركة بحسب العادة ومفاد القانون فامتنع عن اعطائها محتجاً بالاسباب التي اتى على ذكرها في اعلامه كما مرّ . هذا ما ظهر لي من الاسباب الموجبة صدور هذه الاعلام وربما اكون مخطئاً بافتراضها او باستخلاصها

او مصيباً فيصح الاعتماد عليها الى ان تُظهر الايام حقيقة هذا الامر ويرجع اليه.

وفي اليوم الثاني من صدور هذا الاعلام اي في ١٠ ت ٢ من السنة نفسها ١٧٧٢ عقد الرهبان مجمعهم العام في دير سيدة طاميش بموجب الرسوم القانونية والفرائض الرهبانية وبعد المذاكرة والمباحثة وضعوا رسوماً وفرائض تعود على الرهبانية بالنجاح الادبي والمادي مع مراعاة ظروف الايام. اجتمعوا في اليوم الرابع من انعقاد المجمع في معبد الدير المشار اليه لانتخاب رئيس عام ومدبرين فاسفرت نتيجة الاقتراع الاول عن انتخاب :

الاب عمنوئيل الرشاوي فنودي به رئيساً عاماً .

والاقتراع الثاني : عن انتخاب الاب مرقس الكفاعي فنودي به مدبراً اول.

" الثالث : عن انتخاب الاب شربل مدلج قيترلي فنودي به مدبراً ثانياً .

" الرابع : عن انتخاب الاب اقليموس المزرعاني فنودي به مدبراً ثالثاً .

" الخامس: عن انتخاب الاب بولس الحاقلاني فنودي به مدبراً رابعاً .

وفي اليوم السابع تمّ توزيع رؤساء الاديار وهم :

الاب	:	لرياسة دير مار يوحنا رشميا .
" نعمة الله الشبابي[1]	:	مار انطونيوس قزحيا .
" مبارك البتديني	:	سيدة طاميش
" مرقس الشبابي	:	لرياسة دير مار انطونيوس سير .
"	:	" " سيدة مشموشة .
" برنابا الشبابي	:	" " مار يوسف البرج .
" اجناديوس الشبابي	:	" " مار مارون بير سنين .
" زكريا	:	" " مار ميخائيل بنابيل .
" مبارك الرشاوي	:	" " مار موسى الحبشي .
" افرام بقاعكفره	:	" " سيدة ميفوق .
" نستير مدلج قيترله	:	" " مار جرجس الناعمة .

واما رؤساء اديار حوب. والكحلونية. وكفيفان. وقبرس فلم اهتدِ الى اسمائهم.

(عن روزنامات الاديار)

---

١) وفي لائحة اسماء رؤساء دير قزحيا (لهذه السنة ١٧٧٢) نجد الاب نعمة الله الحدثوني الباني .

وفي اليوم الاخير من انعقاد المجمع العام وانتخاب رؤساء الاديار سافر كل الى ديره .

واما كيف عقد آباء الرهبانية المجمع العام بعد نهي السيد البطريرك عن عقده كما مرَّ في اعلانه الى حين صدور الاوامر الرسولية فلم اتوفق الى وجود السبب الكافي والذي أظنُّه ان في المسئلة أمرين :

الاول : اما انه لما بلغ الاعلام الآنف الذكر الى الرؤساء حضر لتاديبه الرؤساء الكبار واقتبلوا براءة تثبيت القسمة وحلفوا يمين الطاعة والخضوع لما رسم فيها فرفع السيد البطريرك حينئذٍ رسالة الى الكرسي الرسولي أعرب فيها عن خضوع من ذكر واذ ذاك زال الاشكال ولم يبقَ من مانع يمنع فباشروا عقد المجمع العام .

والوجه الثاني : وأما أن الآباء لم يقفوا عند نهي السيد البطريرك عن عقد المجمع العام بل عقدوه بالاستناد :

١ : الى نص القانون الذي يأمر بأخذ بركة السيد البطريرك عند افتتاح المجمع العام لا اجازته .

٢ : او الى حادث جرى في الرهبانية في سنة ١٧٣٩ .

(راجع المجلد الثاني من تاريخ الرهبانية ص ٢٢٤)

وهو انه لبعض حوادث عقد آباء الرهبانية المجمع العام بدون التماس بركة السيد البطريرك بافتتاح المجمع العام . والسيد البطريرك لم يحتج عليهم . وعملهم هذا بلغ الكرسي الرسولي وكان السيد البطريرك والكرسي الرسولي لم يلوما الرهبان على عقد مجمعهم العام على هذه الصورة . والوجه الاول أرجح .

وفي تلك السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : عبد الاحد بتابيل . رافايل جرجس . بولا كفرذبيان . نهرا ساحل علما . انطونيوس ميروبا . فرنسيس نابيه . افرام كفرذبيان . لوقا بتاعل . الجيديوس عندقت . عبد الاحد عراموني . مبارك بزعوني . عبد المسيح حيطوره . فيلبوس الشباني .

وتوفي الاب يوسف المشتوقي .

(عن روزنامات الاديار)

ف ١ عدد ٧٦

وفي سنة ١٧٧٣ عثرت في اثناء البحث على كشف صادر من الكرسي الرسولي عن جدول الرعايا والاديار في طائفتنا المارونية المعمول في رومية لاجل وفاء الفريضة الراجب أداؤها من الاديار والكنائس كل سنة للسيد البطريرك بنوع المساعدة « او المجمول » وهذا الكشف صدر بناء على طلب الاب يوسف صوما « البيروتي » النائب العام للرهبانية وهذه حرفية الطلب :

ايها السيد الكلي النيافة .

ان الاب يوسف صوما النائب العام لرهبانية مار انطونيوس من جمعية جبل لبنان « اي اللبنانيين » يتوسل ملتمساً بكل خضوع من نيافتكم بان تامروا بتسليمه نسخة طبق الاصل عن خزانة المجمع المقدس بقيمة المعالم المفروضة على أديرة رهبانيته للسيد البطريرك والمصدق عليها من نفس هذا المجمع وبالقوانين التي لها علاقة بالرهبان المارونيين الموضوعة في مجمع غوسطا والمصدق عليها من نفس هذا المجمع المقدس حتى برجوعه الى لبنان يظهر هاتين النسختين المطابقتين للاصل لرؤسائه واخوته في الرهبانية الذين ما اعتقدوا بصادقة هذا المجمع المقدس وبان تلك ارادته لا يتأخرون بنوع اكيد على اتباعها ان كان لجهة المعالم المفروضة والقوانين المرسومة في مجمع غوسطا المرقوم . وان رأوا ان نايباً رسولياً من قبل المجمع مكلف بهذه المهمة . فبناء على هذا الطلب صدر الكشف وهذه حرفيته :

الدفع الواجب اداؤه من اديرة رهبان الطائفة المارونية للسيد البطريرك بنوع المساعدة من وجه المحبة « او المجمول » الذي يطلب كل سنة بعد عيد انتقال الطوباوية مريم :

غروش شرقية		غروش شرقية		غروش شرقية	
٢٠	دير مار انطوس قزحيا	٠٥	دير سيدة الحقلة .	٠٣	دير مار الياس بلونه
٠٣	دير سيدة ميفوق	٠٥	دير مار الياس شويا	٠٣	دير مار جرجس علما
٠٦	دير مار يوحانا البقيعة	٠٥	دير مار زخيا سرجبيل	٠٥	دير مار سركيس ريفون
٠٥	دير مار يوحنا حراش	٠٣	دير مار انطونيوس قنانا	٠٥	دير مار انطونيوس عين ورقة
٠٣	دير مار الياس الراس	٠٦	دير مار موسى ببدات	٣٠	دير مار اشعيا وانطلياس
٠٦	دير سيدة بكركي	٠٣	دير مارجرجس الراس	٣٠	دير سيدة لويزه
٠٥	دير سيدة طاميش	٠٣	دير مار عبدا المشمر	٠٥	دير مار جرجس الرومية

غروش شرقية		غروش شرقية		غروش شرقية	
٠٥	دير مار عبدا هرهريا	٠٥	دير مار يوحنا رشميا	٠٣	دير مار جرجس عوكر
٠٥	دير مار اليشاع	٠٤	دير مار انطونيوس النبع	٠٥	دير مار بطرس كريم التين
٠٥	دير مار شليطا مقبس	٠٤	دير مار انطونيوس سير	٠٤	دير مار يوحنا زكريت
٠٥	دير مار الياس غزير	٠٣	دير مار جرجس بحردق	٠٨	دير سيدة الشوف ودير مار انطونيوس
٦٣		٤٣		٧٨	

ان الكشف الحاضر لاديار رهبان الموارنة أخذ عن قائمة « أو جدول » الرعايا وأديار الطائفة المارونية المعمول في رومية لاجل وفاء الفريضة الواجب أداؤها من المذكورين كل سنة للسيد البطريرك السامي الاحترام بنوع المساعدة بوجه المحبة « او المجهول » طبقاً لنية المجمع المقدس الخاص لانتشار الايمان المستقيم الملتئم بسبب مجمع الطائفة المارونية امام قداسته في اليوم السابع والعشرين من شهر آب سنة ١٧٤١ وطبقاً لرقيم قداسة البابا بناديكتوس الرابع عشر بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٧٤٢ واشعاراً بذلك اعطي في رومية من خزانة المجمع المقدس المذكور في هذا يوم ٢٤ آذار سنة ١٧٧٣ .

(عن الاصل المحفوظ لدي !)

دومينيكوس بابا

✠ دورس امين الخزانة

من مطالعة هذا الجدول يتحصل ان القيمة المطلوبة من أديار رهبانيتنا ثمانية وأربعون قرشاً وهي مرتبة على أديار : قزحيا . ميفوق . طاميش . ومار موسى الحبشي . « بمبدات » ورشميا وسير ومشموشة « الشوف ».وبما أن هذا الجدول وضع على اثر تثبيت المجمع اللبناني في سنة ١٧٤٢ كانت الاديار المنشأة بعدها ولا قيد لها في هذه اللائحة معفاة من هذا الاداء .

هذا ما كان في تلك الايام واما الآن فالعادة المعمول بها هي : ان الاب العام يدفع للسيد البطريرك مبلغ اربعماية واربعين قرشاً عملة تركية دارجة قبل الحرب الكونية عن عموم الرهبانية . أما أي متى خالف هذا الترتيب الترتيب القديم فمجهول مني .

وفيها اذن السيد البطريرك الاب العام عمنوئيل الرشماوي ان يتم وكيلاً

الدير مار انطونيوس قزحيا في مدينة حلب لجمع النذور المختصة بهذا الدير وسبب هذا الاستئذان هو انه : قبل القسمة كانت ترد النذور المتقدمة لهذا الدير من اهالي حلب بواسطة اقارب رهبانهم . فلما حصل الدير في نصيب الرهبان اللبنانيين (البلديين) بحسب القسمة انقطعت بنوع ما صلتهم مع اهالي حلب فاضطر الاب العام الحلبيين وكيل للدير المذكور فالتمس الاجازة ليعين كاهناً مارونياً من مدينة حلب لجمع النذور لهذا الدير وارسالها اليه[1] .

وفيها أعلن الامراء شديد وحسن وموسى ونصر وأحمد ومنصور ابي اللمع رضاهم بانشاء كنيسة في زحلة لاجل خدمة نفوس شركائهم الموارنة وان يقرعوا جرس وان لا احد يعترضهم في مقام دينهم لا بطرك ولا مطران واشعاراً برضاهم حرر لهم صكاً[2] ثم ان الامير شديداً اللمعي أصدر أعلاماً الى عموم اهالي زحلة والبقاع يعلمهم به عمّا توقع بينه وبين الرئيس العام من الاتفاق بخصوص خدمتهم الروحية ويحضّهم ان يكونوا بطاعة الرهبان المذكورين[3] .

---

١) وهذه حرفية الاعلام : يوسف فطروس فطرمرخو (يوليف اسطفان ١٧٦٦ – ١٧٩٣) دانطيُرخيا وَدْخُوله مدَخو محيلو . . . ✠ . . . ليعلم كل واقف عليه : باننا إذنّا لولدنا ريس بام رهبان مار انطونيوس الحلبيين اللبنانيين المحترم . ان يقيم كاهناً من كهنة مدينة حلب خدام طايفتنا وكيلاً لدير مار انطونيوس قزحيا لجمع النذورات المختصة بالدير المذكور ويرسلها الى المقام المبارك . واعطينا يده هذا البيان لئلا يعارضه معارض .

تحريراً في ٢٨ ايلول سنة ١٧٧٣ صح

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

٢) وهذه حرفيته : وجه الاحرف : هو انه اعطينا الى حضره اعزازنا القس عمنوئيل الرشاوي الاب العام ورهبانه كنيسة وانطوشاً في حصتنا على بيادر زحلة وجميع نصارى حارتنا الموارنة تبهم ما احد له معهم معارضة واعطيناهم قول يدقوا جرس ويقيموا مقام دينهم ما احد له معهم معارضة لا البطرك ولا المطران واي من عارضهم نحن مفرقه عنهم وكتبنا لهم ذلك لاجل البيان والاحتياج اليه .

حرر سنة ١١٨٦ هجرية التي توافق لسنة ١٧٧٣ مسيحية :

شديد . حسن . موسى . نصر . احمد . منصور

(عن الاصل المحفوظ بدير بنابيل)

٣) وهذه حرفية الاعلام : نعرّف حضرة اعزازنا المشايخ اهالي زحلة وناسنا وجه البقاع عرفهم الله بكل خير . وبعده نعرف محبتكم اعطينا قرار الى عزيزنا القس عمنوئيل

وفي اثناء البحث في اوراق دير سيدة لويزة عثرت على تحرير من امضاء الاب عمنوئيل عبد الاحد الحلبي نائب الاب العام توما العاقل الحلبي امام الكرسي الرسولي مؤرخ في ٥ شباط سنة ١٧٧٣ خلاصته : ان لائحة توزيع « او قسمة » الاديار بين الفئتين اي الفئة (البلدية) اللبنانية وفئتهم الحلبية وضعت في رومية وأرسلت الى القاصد الاب بولس دي بسطيا والى السيد البطريرك يوسف اسطفان ليجريا العمل بموجبها وان رئيس المجمع والمحامي «اي محامي الرهبانية الحلبية وهو الكردينال الكسندروس الباني حفيد البابا اكليمنضوس الثاني عشر» قد تكدر خاطرهما عليه « اي على الاب العام » وعلى مدبريه لانهم تركوا للرهبان اللبنانيين دير مار يوحنا رشميا . ودير مار انطونيوس سير . ودير مار الياس الراس

(راجع المجلد الثاني ص ٣٢٣-٣٢٩)

وعثرت ايضاً في الدير المرقوم على رسالة من الاب اغوسطين زنده الحلبي القاطن يومئذٍ في دير رومية رفعها الى رئيسه العام الاب توما العاقل الحلبي مؤرخة ٢٤ نيسان سنة ١٧٧٣ : بعد ان يخبر الاب العام عما بلغه من الاخبار المكدرة عن فئتهم الحلبية وتضعضع احوالها وتذمرهم وأن الرؤساء لا يرغبون ان يتركوا قسمتهم ويتحدوا مع (الحلبيين) اللبنانيين ، وأن ليس هذا فقط بل اذا أحد الرهبان اراد الانضمام الى البلديين يستعملون معه كل واسطة ولو غير لائقة ليرجع . وأن الفئة الحلبية رغماً عن الحالة التعسة التي بلغوها لا يرضون بالاتحاد مع البلديين الذين يريدون الانضمام ثم يلومهم على هذا التصرف ويبدي رأيه فيه قائلاً ما حرفيته : «فلكي تزول هذه المخاوف من الطرفين والفرصة تمهد الآن ذلك حيث وجود القاصد الرسولي للنظر في أمر السيد البطريرك والمطارين فلو قدمت توسل لرئيس المجمع بان يرتضي ويكتب للقاصد انه اذا طلب الفئتان الصلح منه ليتبصر

«الزشاوي» يقرر الى رهبانه موضع كنيسة حتى جا يخدموكم في امور دينكم المراد تكونوا في طاعتهم ولا تسمح لاحد يخالفهم ، ويحيد عنهم ام يعارضهم ام يقضي عند غيرهم من جميع من بيننا في تلك النواحي جميعها .

حررنا ذلك سنداً بيدهم سنة ١١٨٦ هجرية التي توافق سنة ١٧٧٣ مسيحية

(عن اوراق دير مار مخايل بنابيل)

ويرسل يخبرهم . وخاصة لما اطلع ولدكم على شوق المجمع المقدس لصلح الرهبانية الذي يؤكد محققاً ان في صلح الرهبانية تصطلح الطائفة والاكليروس المتقسم بالفرض وتزول الشكوك. ثم ان الكاهنين اللذين حضرا الى رومية من طرف الاخوة (البلديين) اللبنانيين وهما القس يوسف صوما والقس مخايل عواد . فهؤلاء واجها قدس البابا وقبّلا أقدامه وقال لهما من فم الاقـدس : « الاحسن أنكم تصطلحوا » فهوذا نائب يسوع والمجمع المقـدس يشتهون الصلح ويريدوا أن تتفقوا وأن تطلبوا منهم ذلك لكي يجيبوكم اليه .فلما توسلت الى رئيس المجمع وكذلك القس يوسف صوما لما نصحه قداسـتـه توسل أيضاً لرئيس المجمع بالنوع ذاته وان أيضاً في البلاد الناحيتين يريدوا الصلح فرئيس المجمع تنازل الى قبول التوسل وقال : انهم سيكتبون للقاصـد ان اذا طلب الفريقين الصلح يرسل يخبرهما ... الى ان يقول « وبما أن أسباب الخصام متأتى على الغالب بسبب الوظايف فلملافاة ذلك تتوضع شروط وهي ... »

(طالع الشروط التي قدمها الرهبان الحلبية للسيد البطاريرك طوبيا الخازن في سنة ١٧٥٨ تاريخ الرهبانية المجلد الثاني ص ٢٢٩)

اخيراً قد ظهر حضرة الاب نائبكم « القس عبد الاحد » مضاداً للصلح والسلام وربما يظن انها منه غيرة فية . ولقـد كان رئيس المجمع والبازجي نويا أن يكتبوا للسيد البطريرك والمطارين ليسعوا بالصلح فلذي تأييدكم المتحرك من الروح .. وقال لهما لا تعملا شيئاً حتى يجيكما كتابة من الشرق لذلك توقفا عن الكتابة لسيد البطريرك والمطارين اما للقاصد فيكتبا . وها الجميع بانتظار ذلك » . عن الاصل المحفوظ بدير لويزة)

من مطالعة هذا التحرير يستدل اولاً : أن الكرسي الرسولي كان يرغب كل الرغبة في أن تزول أسباب الخلاف بين الفئتين الحلبية والبلدية ويرجعوا الى الاتفاق فتكون رهبانية واحدة كما كانت سابقاً . وانه لم يرضَ عن قسمتها الا مرغماً حسماً للمشاكل التي تكونت بذلك الحين .

ثانياً : ان الفريقين في لبنان كانا يحبان الرجوع الى الاتفاق .

ثالثاً : ان الكرسي الرسولي كان على استعـداد تام لقبول الالتماس ليأمر

بالانضمام رغماً عن صدور براءة تثبيت القسمة من أمدٍ قريب . وعليه كان قرر ارسال تعليم للسيد البطريرك وللقاصد الرسولي لدُن اول التماس يتقدم ولو بصورة بسيطة للسعي في تمهيد اسباب الاتفاق والانضمام .

رابعاً : ان بعض الرهبان الحلبيين وخاصةً فئة الرؤساء ومنهم الاب عمنوئيل عبد الاحد نائب الرهبانية العام لدى الكرسي الرسولي كانوا يحبون العكس .

ومن ثمَّ أقنع الاب عمنوئيل المذكور الكرسي الرسولي بان ينتظر المفاوضة من الشرق لا أن يباشرها فيكون ذلك أضمن للنجاح فنال الاب عمنوئيل المرقوم ما كان يبتغيه . غير أن الكرسي الرسولي قرر مفاوضة القاصد بهذا الشأن لكن بصورة بسيطة .

وأخيرًا إن هذه الحركة لم يكن منها نتيجة سوى أن بها ظهرت مخبآت الصدور ومكنونات الخواطر . «سامح الله من كان السبب في اخماد نار هذه الحركة ! » .

ثم أقول انني ذيّلت منشور السيد البطريرك يوسف اسطفان الذي ورد ذكره في حوادث السنة الماضية الذي به منع رهباننا اللبنانيين عن عقد المجمع العام وأفصحتُ عمّا خلتُ من الاسباب الداعية له . واما الآنَ فاستنادًا الى ما حوته هذه الرسالة من الافادات بخصوص حركة الخواطر الاتفاق بين الفئتين الحلبية و(البلدية) اللبنانية وكان السيد البطريرك ممن لا يرغبون في هذا الانضمام على ما ظهر .

(راجع مرسومه الصادر في سنة ١٧٦٧ من المجلد الثاني ص ٢٨٠ وبه الكفاية)

قد تبيَّنت الاسباب التي دعته لاصدار ذلك الاعلام متسترًا بشكل المتصر للاوامر الرسولية واما ما كان من نتيجة مخاطبة رومية للقاصد الرسولي بهذا الخصوص فلم اقف عليها انما اقول ان النتيجة كانت خلاف ما كان يتمناه رجال الكرسي الرسولي وغيرهم .

وفي سنة ١٧٧٣ صدر تعليم من الحبر الروماني الاعظم البابا اكليمنت الرابع عشر الى السيد البطريرك يوسف اسطفان يتضمن حثه على أن يعامل الرهبان (البلديين) اللبنانيين بعاطفة المحبة والسلام . وهذه حرفيته :

البابا اكليمنضوس الرابع عشر

الى الاخ المحترم يوسف بطرس بطريرك الموارنة الانطاكي .

ايها الاخ المحترم السلام بالرب والبركة الرسولية .

حيث ان ولدنا الحبيب اسطفان بورجيا كاتب اسرار مجمعنا المهتم بنشر الايمان المقدس قدم لنا عريضتكم . امرنا هذا المجمع بان ينظر في جميع الامور التي رفعتها الينا ويدبرها بما يلائم كما يتضح لك ذلك من كتابة هذا المجمع نفسه اليك . وفي هذه الاثناء نطلب اليك ايها الاخ المحترم ما نحن متأملون كل الأمل ان تقوم به لتتميم خدمتك الرعائية اي انك تعامل الرهبان اللبنانيين بالدعة والايناس حيث صار من وباطن امنت للسلام من ذاك الذي تشدّه المحبة الانجيلية . فاننا نعلم ان الرهبان من جهتهم قد اظهروا علامات خضوع واخلاص معروفة لا ريب فيها طبقاً لما رسمه المجمع اللبناني . لهذا نحن واثقون لاسيما باتكالنا على فضيلتكم بان الوفاق المباشرينه على احسن نوع يثبت وطيداً . وعربوناً لانعطافنا الفريد نحوكم نمنحكم بكل حب لكم ولشعبكم بركتنا الرسولية .

اعطي برومية ١٥ نيسان سنة ١٧٧٣ وهي السنة الرابعة لحبريتنا

(عن نسخة طبق الاصل وهي بيدي)

اسطفان بورجيا كاتب الاسرار

وفي ١٥ ايلول أبرز الاب العام عمنوئيل الرشعاوي والآباء المدبرون بالاصالة عن انفسهم وبالنيابة عن كل رهبان المجمع اللبناني (البلدي) امام السيد البطريرك يوسف اسطفان السامي الاحترام وامام القاصد الرسولي الاب والربانوس من مدينة المرج ورئيس القدس الشريف المحترم اليمين المعظمة بحفظ شروط القسمة كما قررها اجتماع دير حريصا في سنة ١٧٦٨ .

(راجع المجلد الثاني من هذا التاريخ ص ٣١٤)

ايجاباً للاوامر الرسولية وهذه حرفيتها :

هو انه نحن المدونة اسماؤنا بذيله نقوم قدام الله تعالى وحضرة سيدنا البطريرك مار يوسف بطرس الانطاكي المحترم وحضرة الاب والربانوس من مدينة المرج رئيس القدس الشريف والقاصد الرسولي المحترم ونحلف بالاصالة عن انفسنا وبالوكالة عن كل رهبان مجمعنا اللبناني (الجبلي) اننا نحفظ شروط وعهود القسمة التي تمت بيننا وبين اخوتنا الرهبان اللبنانيين الحلبيين المكرمين التي تقررت في دير حريصا المثبتة من قدس قداسة الحبر الروماني الاعظم

الكلي المبطة ببراءة رسولية تحت عقوبة السقوط بالحرم الكبير اذا خالفنا شروطها. حررنا ذلك لاجل البيان علينا وامتثالاً لمرسوم المجمع المقدس .

حرر في ١٥ ايلول سنة ١٧٧٣ — القابلين بما فيه
عمنوئيل الرشاوي
اب عام لبناني

بولس الحاقلاني «الختم» مدبر رابع لبناني — شربل مدلج «الختم» مدبر ثالث لبناني — اقليمس مزرعاني «الختم» مدبر ثاني لبناني — مرقس كفاعي «الختم» مدبر اول لبناني

نشهد انها منقولة عن الاصل كلمة فكلمة :

الحقير ارسانيوس «الختم» مطران دمشق — الحقير يواكيم «الختم» مطران طرابلس — الحقير البطريرك «الختم» يوسف

(عن نسخة طبق الاصل وهي بيدي)

من كتابة الاب اغوسطين زنده الحلبي الوارد ذكرها آنفاً يتضح ايضاً بنوع جلي سبب تمنع آباء رهبانيتنا عن ابراز القسم بقبول القسمة وحفظ شروطها بحسب الاوامر الرسولية لحد هذا التاريخ اي ان آباء الرهبانيــة كانوا يأملون الرجوع الى الاتفاق والاتحاد القديم سنــداً لرغبة قداسة امام الاحبار ورجال الكرسي الرسولي الذين كانوا يظهرونها عند كل فرصة سانحة. وان ابراز هذا القسم واعطاءهم التعهد الآن كان عند انقطاع الامل بالرجوع الى القديم بتبليغ القاصد الرسولي الاب والريانوس .

وفي هذه السنة ١٧٧٣ لبس الاسكيم الرهباني الاخوة: سارافيم كفرسلوان. جبرايل لحفد . اسطفان الرشماوي . اغناطيوس الحازن . بولس الحازن . وتوفي الاب اليشاع الرشماوي . والاخ نقولا القرطباوي . (عن روزنامة الاديار)

وفي هذه السنة في اوائل شهر تشرين الثاني عقد المجمع العام لاخوتنا الفئة الحلبية اللبنانية فانتخب في الاقتراع الاول: الاب توما العاقل الحلبي رئيساً عاماً وفي الاقتراع الثاني انتخب الاب جرمانوس الحصروني مدبراً اول وفي الاقتراع الثالث انتخب الاب برنردوس راجي الحلبي مدبراً ثانياً وفي الاقتراع الثالث انتخب الاب باخوس الطرابلسي مدبراً ثالثاً وفي الاقتراع الاخير انتخب الاب برنردوس مارون الحلبي مدبراً رابعاً . ومجمل أحكامــه التشديد على حفظ الاحكام الصادرة في المجمع العام الماضي .

عدد ٧٧

وفي سنة ١٧٧٤ رفعت عرائض الاسترحام من اب عام رهبانيتنا اللبنانية ومن مدبريها الاربعة ومن السادة اساقفة الطائفة الى الاحبار والى المجمع المقدس والى الكردينال بوسكي وكيل الطائفة والى المطران اسطفان عواد والى المونسنيور اسطفانوس بورجيا كاتب أسرار المجمع المعتني بنشر الايمان المقدس ليتنازل قداسته والمجمع المقدس ويأذن لرهبانيتنا ان تنشئ لها ديرًا في رومية أسوةً باختها الرهبانيـة الحلبية لتحصيل العلوم في المدرسة الاوربانية لافادة الطائفة والرهبانية والامصار الشرقية وهذه حرفية العريضة المرقومة من آباء الرهبانية الى قداسة البابا :

ايها الاب الاقدس :

انا نحن عبيدكم واولادكم الحقيرين الرئيس العام ومدبرين مجمع رهبنة القديس انطونيوس اللبنانيين المثبتة من كرسيكم هذا المقدس جاثين امام سدتكم الرسولية التي هي منبر الرئاسة العامة العلية . نقبل اولًا بكل خضوع وطاعة اقدامكم الطاهرة النقية . ثم نعرض على مسامعكم الابوية الجليلة باننا مرسلون باسم الطاعة المقدسة حضرة اخوتنا الرهبان الاكرمين حاملين هذه العبودية لكي نيابةً عنا وعن كل جمهور رهبنتنا .

اولًا : ليقدموا الطاعة اللازمة والخضوع الواجب لقدسكم .

ثانيًا : ليزوروا نيابةً عنا الاعتاب والضرائح الرسولية في السنة المقدسة القادمة .

ثالثًا : لاجل قضاء بعض اغراض لازمة لنا عند حلم قداستكم سيعرضونها باسمنا ومن جملتها الاخص قيام كنيسة ومنزول لرهبنتنا في مدينتكم هذه العظمى مثل اخوتنا الرهبان الحلبية لكي اذا تم ذلك يبقى نرسل حينًا بعد حين انفارًا كفوءا من رهبانتنا ليتعلموا العلوم النظرية والادبية ثم يرجعوا عندنا ليفيدوا رهبنتنا وطائفتنا علمًا وعملًا لان حقنا المهتين مفتقرين لذلك جدًا بما في هذه الازمنة الصعبة الردية . وحيث ان قدسكم اقامكم الله ابًا للجميع وتريدوا وترغبوا خير وافادة بنيكم وخرافكم في كل مكان نتوسل الى حلمكم الاسنى بانكم تنعموا علينا باجابة مطلوبنا المذكور لاجل زود مجد الله تعالى وانتشار وتأييد الايمان المقدس وافادة النفوس. وبان تشملوا اولادكم المذكورين رهباننا الاكرمين بحسن نظركم السعيد وتنكرموا علينا وعليهم بنفوذ سائر رغوبنا كما ترون مناسبًا بالرب الذي نسأل جوده العميم بان يحفظ لنا قداستكم السعيدة ويطيل علينا رياستكم احقابًا عديدة ثم نلتمس ادعيتكم الابوية وبركتكم الرسولية لنا ولكل رهبانيتنا .

حرر في دير سيدة طاميش في جبل لبنان كرسي رهبانيتنا في اول ايار سنة ١٧٧٤

لقدسكم عبيداً واولاداً كلي الخضوع والوداد

الاب عمنوئيل الرشاوي اب عام

«الختم» رهبان مار انطونيوس (البلديين) اللبنانيين

«الختم» الاب برقس الكفاعي المدبر الاول اللبناني «الختم» الاب شربل مدلج المدبر الثاني اللبناني

الاب اقليموس المزرعاني «الختم» المدبر الثالث اللبناني «الختم» الاب بولس الحاقلاني المدبر الرابع اللبناني

(عن الصورة الاصلية وهي بيدي)

وهذه حرفية عريضة السادة الاساقفة المرفوعة لقداسته :

ايها الاب الاقدس :

اننا جاثون امام سدّتكم الرسولية التي هي ركن الدين والديانات الحقيقية ونتبل بالخشوع الكلي اقدامكم النقية . ثم نعرض بكل خضوع على مسامعكم الابوية بان اولادكم بجمع رهبان القديس انطونيوس الكبير اللبنانيين المارونيين (الملقبين بالبلديين) قاصدين يتخذوا لهم كنيسة ومترولاً في مدينتكم هذه العظمى مثل اخوتهم الرهبان الحلبيين حتى يبقوا يرسلوا حيناً بعد حين البعض من رهبانهم لكي يتعلموا العلوم النظرية والادبية ويرجعوا ليفيدوا طائفتهم ورهبانيتهم . وكون ان ذلك خير عظيم وقدسكم ترغبوا وتريدوا الخير لاولادكم ومراحمكم الناطقة في كل صقع ومكان لاجل ذلك نتوسل من صميم قلوبنا الى حلمكم الابوي السامي لكي تنعموا عليهم وتمنحوهم باتمام مطلوبهم الصالح كما هو الامل براقتكم وغيرتكم الرعايا الشاملة الجميع شرقاً وغرباً . لانهم مستحقين لهذا ولكل خير لاجل حسن تهذيبهم الرهباني وحفظهم القانوني وغيرتهم نحو افادة القريب . واننا لواثقون بانه ، ان منحتم قداستكم مهم هذا الخير يكون علة عظيمة لمنفعتهم ومنفعة كل طايفتنا ، ولقيام زود مجد الله تعالى ولتأييد انتشار الايمان في اصارتنا الشرقية ويكون اجر ذلك لقداستكم والامر امركم .

ثم اننا نزيد شريف علمكم بان كما كتبنا لقداستكم مع حضرة الاب قاليريانوس من براتو الكلي الاحترام امتثالاً لمرسومكم الرسولي السامي المقدس وفقنا بين الرهبان المذكورين وحضرة السيد البطريرك السامي الاحترام وقدموا له ما يجب من الطاعة والخضوع . ولم يزالوا مقيمين على ذلك نحو سيادته .

ثم نلتمس صلواتكم المقدسة وبركتكم الرسولية لنا ولسائر رعايانا وندون ذواتنا من

كل قلوبنا عبيداً لنداستكم وكلي الخضوع والطاعة والحب والاكرام .

حرر في جبل لبنان في ١١ ايار سنة ١٧٧٤

الحقير	الحقير	الحقير	الحقير
عبدالله مطران	اثناسيوس الشيمي	الياس الجبيل	ارميا نجيم
«الختم» عرقا	«الختم» مطران بيروت	«الختم» مطران قبرس	«الختم» مطران الناصره
الحقير	الحقير	الحقير	الحقير
ميخايل فاضل	المطران	المطران ميخايل	جبرايل مبارك مطران
✝ مطران صور	يواصاف	الصايغ	«الختم» بعلبك

(عن نسخة بيدي)

وهذه حرفية الرسالة المتقدمة من السادة الاساقفة الى المونسنيور اسطفانوس بورجيا كاتب اسرار مجمع نشر الايمان المقدس :

ايها السيد الكلي الشرف والاحترام :

المعروض على سيادتكم الكلي شرفها واحترامها باضم واصلون الى هذا البلاط الروماني المقدس حضرة اولادنا حاملين الاحرف الرهبان اللبنانيين الاكرمين مرسولين من مجمع رهبانيتهم اي رهبانية مار انطونيوس الكبير المثبتة من هذا الكرسي الرسولي المقدس لكي يتخذوا لهم في هذه المدينة المعظمة كنيسة ومنزلاً مثل اخوتهم الرهبان الحلبيين حتى يقدروا يتعلموا العلوم النظرية والادبية ويرجعوا للشرق ليفيدوا رهبانيتهم وطايفتهم ولكي يكون مطلوبهم صائب ومقصدهم صالح جداً ومتعلق به خير عظيم مؤيد امتحانهم بهذه التوصية الى سيادتكم .

اولاً : لعظيم ثقتنا بغيرتكم نحو الخير سيا بمودتكم الصادقة نحو طايفتنا .

ثانياً : لان الرهبان المذكورين اهلاً لكل اسعاف ولكل مجابرة لكونهم قدوة صالحة للجميع في رعايانا وذوي غيرة عظيمة نحو افادة القريب روحاً وجسداً وعلماً وعملا ورجانا عظيم باصم يزدادوا بذلك اذا تمّ مطلوبهم المذكور لمجد الله تعالى وانتشار الايمان المقدس ومنفعة الانفس . نرجو اذا من حلم سيادتكم ونتوسل الى سمو رأفتكم ان تشملوهم بنظركم السعيد وبكل الاسعاف والتأييد بهذا الامر وبسائر الاغراض البادية لهم عند هذا الكرسي الرسولي المقدس الذي جعلكم الله كاتم اسراره وضابط مقاليد انعامه ولاجل ذلك مؤكد عندنا بان لا تتصل الينا انعامه وخيراته الا عن يدكم فلا زلتم ان شاء الله دائماً في موكب اعلى الدرجات وواسطة لجميع المراحم والمعونات وبعد السلام العام بالرب والتماس دعاكم المستجاب ندون (نضم) ذواتنا من صميم قلوبنا بكل الوداد والاعتبار .

حرر في جبل لبنان في ١ ايار سنة ١٧٧٤

الداعين لسيادتكم الكلية الشرف والاحترام الكلي الحب والخضوع والالتزام .

الحقير	الحقير	الحقير	الحقير
اثناسيوس	غابريل الخازن	ارميا	جبرايل مبارك
«الحقير» مطران بطلبك	«الحقير» مطران الناصرة	«الحقير» مطران قيسارية	«الحقير» مطران بيروت

الحقير	الحقير	الحقير	الحقير
غابريل فاضل	المطران	المطران غابريل	عبدالله مطران
«الحقير» مطران صور	بواصاف	«الحقير» الصايغ	«الحقير» عرقا

(عن نسخة بيدي)

تحرير السادة الاساقفة المشار اليهم الى المطران اسطفان عواد مطران حماه.

قدس الاخ الاكرم المطران اسطفان عواد الكلي الشرف والاحترام دام بره آمين .

المعروض على خوتكم بعد تقبيل ايديكم المقدسة والتماس أعلام سلامتكم المرغوبة بكل خير وعافية . انهم واصلين الى تقبيل ايديكم الطاهرة اولادنا الرهبان اللبنانيين المكرمين مرسلون من مجمع رهبنتهم الجليلة بالطاعة المقدسة الكي يتخذوا لهم في هذه المدينة العظيمة مثل اخوتهم الرهبان الحلبية كنيسة ومنزلاً لكي حيناً بعد حين وجيلاً فجيل يبقوا يتعلموا العلوم النظرية والادبية ويرجعوا للشرق يفيدوا رهبانيتهم وطائفتهم ومن المذكورين تفهموا كلشي مشافهةً . وحيث ان هذا المقصد صالح ومفيد جداً لهم ولنا وللطائفة جميعاً . نرجوكم كما هو الامل بمحبتكم وبعظم غيرتكم نحونا ونحو هذه الرهبانية المقدسة لكونها ركنا حصيناً لطائفتنا وينبوع دائم تجري منه معلومات وخيرات لا تحصى من غير انقطاع . ولا بد لهم غير اغراض صائبة . نرجوكم تشملوهم بنظركم وتبذلوا معهم كل جدكم ومشدكم لاجل اتمام هذا الامر المتعلق به كل خير واجره يكون مؤبد لخوتكم وزيادة تستحق كل تأييد منا ومنكم غرباً وشرقاً هذه الرهبانية المباركة لان أملنا وأملهم بخوتكم عظيم جداً. ومنهم

ايضاً تفهموا جميع الاخبار الحادثة في طرفنا . فلم نحتاج غيرتكم الواثقة ومحبتكم الصادقة لزيادة تأكيد وفهمكم السديد يغني عن المزيد ودمتم بالعز والتأييد وبعد تقبيل ايديكم والتماس صلواتكم ثانياً وثالثاً والدعاء .

حرر في اول ايار سنة ١٧٧٤ اخوتكم الداعين لسيادتكم الكلي شرفها واحترامها .

تواقيع الاساقفة كما مر قبله .

(عن نسخة محفوظة بيدي)

ويتبع هذه الرسائل أخرى خلافها متقدمة من اباء الرهبانية ومن السادة الاساقفة الوارد ذكرهم الى اصحاب النيافة كادلة المجمع المقدس لنشر الايمان المقدس . والكردينال بوسكي محامي الطائفة ولما كانت هذه الرسائل هي بمبنى ومعنى واحد اكتفيت بما نشرته . وسافر بهذه العرائض الاب يوسف صوما البيروتي والاب بولس المزايز الديراني .

فمن مطالعة هذه العرائض الوارد ذكرها آنفاً تظهر جلياً حقيقة الاعمال الرسولية التي كان يباشرها اباء الرهبانية بالعمل والمثل . والى الامال الذهبية المنبئة عن استعداد هولاء الرهبان الحسن التي كانت ترجوها رؤساء الطائفة من تقدمهم في اكتساب العلم . واما ما ورد ذكره من اصلاح ذات البين بين السيد البطريرك وآباء الرهبانية كما ورد في رسالة السادة الاساقفة المرفوعة للحبر الاعظم الوارد ذكرها آنفاً فكانت بسبب حوادث الراهبة هندية المشهورة المنكودة الحظ والسيئة الطالع . لان آباء رهبانيتنا كانوا على خلاف مع السيد البطريرك في حوادث هذه الراهبة المشؤومة . وكذلك بسبب المجرل الذي كان يطلبه من الرهبانية له ولغيره .

وممّا يثبت ذلك ما جاء في رسالة من رومية للاب عمنوئيل عبد الاحد الوارد ذكره مراراً الى رئيسه العام الاب توما الماقل مؤرخ في اوائل آب لهذه السنة : ان السيد البطريرك يوسف اسطفان متكدر الخاطر على الرهبان (البلديين) اللبنانيين ومسرور من الرهبان الحلبيين وذلك لسبب حوادث الام هندية .

(عن اوراق دير لويزة)

وعثرت على رسالة اخرى لهذا الاب عمانوئيل عبد الاحد يستفاد منها : ان المطران اسطفان عواد ساعٍ بكل جهده ليحوّل دير رومية « اي ينقله» من يد الرهبان الحلبيين الى الرهبان (البلديين) . وانه هو الذي اشار على الرهبان (البلديين) ان يلتمسوا من الكرسي الرسولي الاجازة بانشاء دير في رومية. وانه عند بلوغ ملتمسهم الى المجمع المقدس فهو يجتهد في اقناع المجمع بان الرهبان الحلبيين قلائل واما الرهبان البلديين فبالعكس فيمكن اذ ذاك ان يسلّم الدير للبلديين لان عددهم بلغ الاربعماية راهب وعندهم عدد من المبتدئين وقادرون على القيام بالدروس والصلوات وما اشبه ذلك . ثم يقول ما حرفيته :

« ارجوكم ان ترسلوا لي لائحة بالرهبان البلديين واشغالهم وادبارهم . واردفوها بلائحة اخرى تتضمن عدد رهباننا « الحلبيين » ثم ارجوكم ان ترسلوا للدير رهبانًا .»

من مطالعة خلاصة هذا التحرير وامعان النظر فيه وفيما حوته تلك العرايض من الطالب عرف ان الغاية التي كان يرمي اليها السادة الاساقفة واباء الرهبانية السماح لرهباننا بانشاء دير في رومية اسوة بالاخوة الحلبيين فاذًا ان الاسترحام لانشاء دير في رومية لرهباننا واقعي لا ريب فيه اما الطمع في اخذ الدير من يد الرهبان الحلبيين فانني على الاقل اشك بكونه واقعيًا.

وعثرت على رسالة من محررات هذه السنة للسيد عبدالله الطرابلسي مطران مدينة عرقا مرفوعة الى نيافة الكردينال رئيس المجمع ردًا على رسالة انفذها اليه عن يد الاب فالريانوس القاصد الرسولي ولاهميتها التاريخية اسردها بحروفها بدون تعليق مكتفيًا بما تقدم وهذا نصها :

بعد الترجمة .

اعرض لدى سموكم اني تشرفت بورود مراسيمكم الشريفة عن يد الاب فالريانوس القاصد الرسولي الكلي الاكرام واحترامًا للاوامر الرسولية .

١ً : تنازلت للسيد البطريرك يوسف بطريركنا الكلي الشرف عن حقوقي ولو كانت بالاضافة على نفسي ومصالحة لاجراء السلامة المرموقة من سيادتكم والان بنعمة الله ورضاكم مصطلح مع سيادته بكل الممكن وعرفت سموكم عن ذلك بمكتوب سابق عن يد القاصد الرسولي المذكور .

٢ً : اني اكرامًا لتوصيتكم في اولادكم الرهبان اللبنانيين بما ان دير كرسي الاب العام في ابرشيتي قد باشرت بذاتي صلحهم مع السيد البطريرك يوسف وبعد حضورهم عن يد

القاصد اولاً قد احضرتهم تائباً الى دار البطريركية اعني الاب العام والاربعة المدبرين اللبنانيين وبأسم كل الرهبانية قدموا لسيد البطريرك الطاعة مع جملة هدايا وبحضوري اعطوه الدراهم المعينة على جميع ديورتهم كرسوم بجمعكم المقدس . ورضي عنهم الرضا الكلي واثبت رياستهم خطاً واعطاهم لديورتهم مناشير بركة وغفراناً . وسمح لهم بمناشير الاحسان المتادة . وارتفع كل كدر من بينهم بحضورنا وكفالتنا للفريقين . وانصرفوا بكل محبة . ولم يزالوا يترددوا لعند سيادته بالخدم والمشورة وكل ما يلزم فيه تقدمة الطاعة .

اما الآن بغير حضورنا تقدموا اليه ليسمح لهم في باطنطة للراهبين الواصلين للبلاط الروماني فظهر الحب المتاد وسلك مانع ولم يكتب لهم بزعمه ان الكنيسة الرومانية ام الكل ما يلزم لها شهادة باولادها . والراهب بتقديم شهادة رئيسه انه متوجه بالطاعة لغاية فلهذا سبقت وعرفت سموكم . . .

١ حزيران سنة ١٧٧٦

الكلي الخضوع والاحترام « الختم » المطران عبدالله الطرابلسي اللبناني

(عن اوراق بكركي)

وعثرت ايضاً على بعض محررات بهذه السنة تحتوي على سؤال موجه الى مجمع نشر الايمان المقدس وهو : انه قد انعرض للسيد الكردينال كاستللي المتولي المجمع الكلي النيافة هذا السؤال : هل لبطريرك الموارنة بان يقبل الكهنة والرهبان الخالين الطاعة لاوامر روسائهم والتجوا اليه . وبان يسمح لهم لكي ضد ارادة رؤساهم المذكورين يذهبوا الى غير مكان .

اجاب الاباء الكلير النيافة لا يجوز الا بموجب رسم المجمع اللبناني في القسم الرابع الراس الثاني العدد العاشر والثاني عشر .

حرر في رومية في اسطوانة المجمع المقدس المذكور في ٦ اب سنة ١٧٧٦

اسطفانوس بورجيا الكردينال يوسف ماريا كاستالي المتولي .
كاتب الاسرار مع مجمع نشر الايمان المقدس

صح هذه الترجمة مطابقة لاصلها بالتمام « الختم » الحقير مخايل فاضل مطران صور

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

ان ما رسمه المجمع اللبناني المقدس المتضمن جواب المجمع المقدس على السؤال

المقدم لديه كما اعلاه[1] فهو ينطبق على الرهبان غير القانونيين . لان الرهبان القانونيين مستثنون من عموم هذا الجواب بدليل ما جاء في نصّ المجمع اللبناني المرقوم عقيب رسمه القوانين المدرجة اعلاه حرفياً : ٤ً وما قلناه هنا يحمل على الرهبان غير المنتظمين في تلك الجمعية . اما الرهبان اللبنانيون وسواهم من ابناء الجمعيات فليراعوا قانونهم بالنظر الى الشاردين والمطرودين . وليس للاسقف او للسيد البطريرك السامي الاحترام ان يحكم في دير الا على وجه التوقيت الى ان يفحص السيد البطريرك السامي الاحترام عن دعواهم بحضرة رئيسهم العام ويصلح شؤونهم بالمحبة . « ق ٥ راس ٢ عدد ١٢ »

وفي هذه السنة سافر الى حلب الاب شربل مدلج المدبر الثاني لاقامة وكيل لجمع النذور لدير مار انطونيوس قزحيا استناداً[2] الى اجازة السيد البطريرك للرئيس العام على ما مرَّ في حوادث السنة الماضية . وبعد بلوغه الى المدينة المذكورة واقامته فيها ردحاً من الزمان اقام وكيلاً للرهبانية عموماً

١) وهذه حرفية ما رسمه المجمع اللبناني في العدد ٦ من الراس ٣ العدد ١٠ و ١١ : العدد العاشر . على الراهب ان يستقر في الدير الذي لبس فيه الثوب الرهباني بحيث لا يتأتى له ان يخرج منه منتقلاً الى دير آخر ولا يقبل الا برضا كلا الرئيسين معاً وبأذن اسقف الدير الذي خرج منه او الدير الذي انتقل اليه والَّا فلكلا الاسقفين ان يكرهاه على الرجوع الى الدير الاول . وكذلك من خرج من الدير متجولاً في المدينة او في القرى دون اذن رئيسه فليكرهه الرئيس المكاني على الرجوع الى ديره . اللهمَّ الَّا يكون الرئيس بعثه الى المدينة او القرية في حاجة لا بد منها للدير . وكذلك حكم الرئيس اذا اقام بخارج الدير لغير داعي الضرورة ذلك ما ترسمه القوانين المقدسة . العدد الثاني عشر ٢ً. لو طرح الراهب ثوبه من ذات نفسه بعد انشاء النذور . او برح الدير وهو لابس الثوب لكن بغير اذن الرئيس ودون رضاه . وجب على الرئيس والاسقف معاً ان ينشداه بمزيد المحبة والفطنة ويصرفا كل العناية بانفسهما وبواسطة اخرين في ارجاع الضالَّة المنشودة الى الحظيرة حالاً حتى اذا وجداها عانقاها بعظم المحبة ومظهر الانعطاف الابوي وللاسقف الخيار بين ان يجعل ذلك الراهب في الدير الذي خرج منه او في غيره ليمارس التوبة هناك حتى اذا انتهى بمقتضى القوانين حُلَّ من الحرم وسائر التأديبات . ٣ً ما دام الشاردون والمطرودون من الرهبانية مقيمين على هذه الحالة السيئة سواء كانوا كهنة او اكليريكيين فليعلموا انهم موثوقون بالربط الدائم عن التصرف بدرجاتهم وليس في سلطان الرؤساء المطالبين ان يرفعوا او يخففوا عنهم وثاق هذا الربط ما لم يرجعوا الى ديرهم .

(عن المجمع اللبناني من القسم الـ ٤ الراس الـ ٣ العدد الـ ١٠ والـ ١٢ وجه ٤٦٨ و ٤٧٣)

ولدير قزحيا وليس لطائفتنا فقط بل وفي طائفة الروم الكاثوليك الخواجا جرجس عايدة من الطائفة المذكورة بموجب إعلام منه وهذه حرفيته :

سبب تحريره وموجب تسطيره .

انا الاب شربل مدلج مدبر ثاني في رهبانية مار انطونيوس اللبنانيين (الجبليين) اني بموجب السلطان المعطى لي من رئيسي العام الاب عمنوئيل الرشاوي الكلي الاحترام وبسلطان وظيفتي المثبتة في قانوننا من الكرسي الرسولي الذي شرّف المدبرين بانعامات وسلطان في رهبانيتهم وبموجب وكالتي الشرعية عن رهبانيتي جميعها التي بيدي وخاصةً من وثيس دير مار انطونيوس قزحيا وبالمأمورية التي حضرت لتكميلها في هذه المدينة وهي لاجل اقامة وكيلاً لدير قزحيا ولرهبانيتي المذكورة فبقوّة هذه التأييدات المذكورة اعلاه . انني قد توسلت الى حضرة الخواجا جرجس عايدة المحترم ان يرضى ويكون وكيلاً لرهبانيتي ولدير مار انطونيوس قزحيا في مدينة حلب في اخوتنا طائفة الروم الكاثوليك المباركة وذلك عزّيةً وسنداً لرهبانيتي . ونكون له الشركة من جميع الخيرات التي تصير في هذه الرهبانية من صوم وصلوات ونسك وتقدمة القداديس الالهية وتوسلات لاجل المحسنين . فالخواجا المذكور لاجل حسن ديانته ونقاوة ذمته قد رضي ان يكون وكيلاً فلذلك انني بقوة التأييدات المذكورة اعلاه التي معي وبموجب وظيفتي قد نصّبت واقمت حضرة الخواجا جرجس عايدة المحترم وكيلاً مصرفاً مطلقاً في جميع ما يخص دير قزحيا ورهبانيتي ليستلم النذور والاحسان وحسنة القداديس ومن تحت يده تتفرق كتب مار انطونيوس قزحيا وهو يستلم حسنتها (ويدفعها) بموجب حساب الى دير قزحيا ومن هناك يصل لرئيس العام ما يخصه منه (اي من النذور) . فنسأل الله تعالى ان يجعلها وكالة مباركة عليه وايضا مار انطونيوس يكون حافظه وناصره . ولعياله ولجميع من يلوذ به . وان يكون له حق شرعي بشركة جميع الاسهار والصلوات والقداديس وكافة الافعال الصالحة التي تصير من جمهور رهبان رهبانيتي وراهباتها .

تحريرًا في اول شهر تموز سنة ١٧٧٤

« الختم » الفقير اليه تعالى الاب شربل مدبر ووكيل الاب العام اللبناني

(عن نسخة طبق الاصل محفوظة بيدي)

من مطالعة هذه الاعلام يتبين ان الاب شربل المدبر توجه الى مدينة حلب بموجب الاجازة التي نالها الاب العام من السيد البطريرك يوسف اسطفان لاجل

اقامة وكيل للرهبانية لجمع نذور دير قزحيا . وان الاب المرقوم اقام وكيلين الاول من ابناء طائفتنا المارونية والثاني من طائفة الروم الكاثوليك . ان الاب شربل المدبر لمناسبة وجوده في مدينة حلب لقي مخاصمات ومتاعب من بعض كهنتها وبعض الوجوه ونسبوا اليه تهمات زورية شكوه بها الى السيد البطريرك الذي لاعتقاده بصدق المشتكين وصحة الشكوى اطلق تأديب الربط على الاب المرقوم الذي ترك حلب ورجع الى لبنان .

ولما رأى الاب اسيدوروس رئيس رهبان القدس في حلب ما حلّ بالاب شربل البري . وكان مطلعاً على حقيقة تلك الحوادث والاسباب الداعية الى وقوعها ، بعث انتصاراً الحق وازهاقاً للبطل ، برسالة الى الاب العام دحض بها تلك المثالب وبرّر الاب شربل المدبر البري . وهذه حرفيتها :

ايها الاب الكلي الاحترام .

اني لما تحققت رجوع الاب شربل المكرم الى عند ابوتكم الموقرة فالتزمت من قبل وظيفتي ومن باب الحق والعدل الواجب والاكرام والمحبة لابوتكم وللاب شربل الراهب التقيّ ان اخبر ابوتكم بما اورد لك ايها الاب الاكرم : انه قد كتبوا ضد الاب المرقوم من حلب للسيد البطريرك المحترم . الّا ان جميع ما كُتب بحقه هو زور وبهتان وتهمات ناجية (لعلها ناجمة) من الغرَض والبغضة فلا حاجة لي لكي امدح سيرة وسلوك ونشاط الاب المذكور . كون امره معلوم لدى رهبانيتكم الشريفة تلك التي اقامته واحد من مدبريها . لان الاب مظلوم ومتهوم كذباً وعدواناً في كافة الاشياء التي حرروها ضده . واخيراً لما لم يجد منصفاً ومنصفاً يبرره فالتجأ الى حقارتي (وانا) الفقير استعملت كل واسطة وبذلت جهدي كله حتى يكون مبرراً . ولكن ترى من يستطيع ان يلتمس الشريعة وايضاح الحق اذا كانت الحقوق والمحبة عديمة الوجود ومُداسة ولا توجد فضيلة واحدة من الفضائل اللازمة والضرورية المسيحيين حتى يسلكوا بها حتى لا اقول عيشة بل عيشة بشرية ذات انس وعدل وشفقة . فالفقير تكلمت مرتين مع الخوري يوسف حصرم ففي المرّة الاولى اعطاني قول انه سيبذل جهده لكي يتضح الحق ويظهر فحالما سمعت عنه انه يوارب في سلوكه كتبت له مكتوب فلم يرد لي جوابه بل ارسل اليّ القس فرج الله ويوسف مرور الوكيل ولكن يا ابانا المكرم ، نرجوكم عدم المواخذة والله يغفر لي اذا انا شتمت الساعة التي ابتدوا فيها الطلانيين ان يفارشوا اهل الاكليروس في حلب فلاجل هذا السبب فقط عن قريب طائفة الموارنة تباد بالكلية وتخرب ولم بصير فائدة بالكلية سوى توبيخ الاب المرقوم واجرته خلواً من اعتبار وتمييز لان يوسف مرور يتصنع ذلك معه في غيابي ولكن في

حضوري وعندي في الدير شتم الاب شربل والفقير اخيرًا خلصت منهم وتركتهم . وبعد الغداء رجعت لعند الخوري يوسف ورأيته متغيّر ولكن ما قدر ينكر امامي كلما قاله لي في السابق ولكن فقط بيّن لي انه خايف من شخصين احدهما القس فرج الله والاخر يوسف الوكيل . والفقير جاوبته انه ملتزم من كونه رئيس ان يفحص عن هذه الامور ويظهر الحق لان هكذا تلزمه الشريعة المسيحية والذمة والعدل . وهو جاوبني انه يفحص عن هذه الامور ولكن قال لي ولو انه فحص مع هذا كله يظهر القس شربل مذنبًا لان القس فرج الله جزم بانه يَجمَع الكهنة بحضور القس شربل ويسأله هل انه قال الاشياء المذكورة ويستحلفه ثم بعد ان يستحلفه يحضروا امامه شاهدين ويشهدون عليه بانه تكلم كلما تقلوه عنه وهكذا يثبتوا عليه بانه يحلف كذبًا . فالفقير على ما اظن ان في مدينة حلب عوضًا عن ان الكاثوليك الذين يدعون الورد بين الاشواك يدوسون تحت اقدامهم كل ناموس كتابي والهي وبشري . فالفقير اشرت على الاب شربل بان يترك كلتي كوني شاهدتُ الامور عيانًا ان كل قصدهم ان يرموه في فخاخهم . وتركنا الامور لله وحده كيفما شاء يفعل . تأملنا جيدًا مكتوب السيد البطريرك الكلي الشرف والاحترام الذي به يربط الاب شربل على ما يبان انه ليس مكتوب صادر من السيد البطريرك الكلي الشرف كون سيادته يربط الاب المرقوم ليس تحت شرط بل في الحال خلوًا من اعتذار ومع هذا كله بعد ان عرف الاب انه مربوط توسل الى الخوري لكي يأذن له بالقداس الى ان يجد له مكاري حتى يسافر معه . اني لمتعجب كيف اجد سلطان مطلق في الموارنة بان يستطيعوا ان يحلّوا ما ربطه السيد البطريرك الكلي الشرف . نعم انني افهم ان الخوري يستطيع ان يحلّ خفيًا في سر الاعتراف اذا كان له سلطان بذلك من خطيّة محفوظة الّا انني لا افهم انه يستطيع ان يحلّ من رباط ظاهر بمنشور عام من بطريرك مع هذا كله الخوري يسمح ويأذن له ان يقدس سرًّا . فكان الواجب على الخوري انْ يحرر في ورقة هكذا: هل ان الاب شربل يقدر يقدس ام لا . فان كان يقدر ان يقدّس فهو يقدر ان يقدس ظاهرًا وليس سرًّا . وان كان لا يقدر فلا يستطيع ان يقدس لا سرًّا ولا ظاهرًا . ولكني يقدس سرًّا حسب التدبير العاميين الموجودين في حلب مدبرين طائفة الموارنة اعني انه يقدر يقدس في بيت يوسف مرور بالمنع عن بيت اخر . فقدس عنده يوم الاحد ولانه لم يقدس عنده يوم الاثنين ربطه عن القداس . فالذي له قليل من الفطنة والادراك يتأمل هنا ويحكم . . .

فاذًا ايها الاب الاكرم يكون معلوم لديك بان الاب شربل هو مظلوم ومفترى عليه ومحجوب بغير ذنب ومن ذلك اليوم عينه الذي دخل فيه الى حلب هو صابر ومحتشم ومتحمل كل شيء . ولا قدَّم لاحد سبب حتى يتكلم بحقه بشيء ما اصلًا بل انه راهب تقي عابد مستحق كل اعتبار واكرام ومجاهد حقيقي في رهبانيته الشريفة . واما الذي كتبوه

في حقه فقد كذبوا فيه . وهذا هو سلوك اهل هذه المدينة لان الذين يظلمون غيرهم بالزور والبهتان الباطلة هل اهل للكرامة وللاعتبار . فهذا الذي قدرت ان ابينه بالاختصار لابوتكم الجزيل وقارها ايها الاب المحترم . ثم انني اتوسل اليك ان تذكرني بصلواتك المقبولة

تحريراً في مدينة حلب في ٢٢ ت ١ سنة ١٧٧٤

العبد الحقير اسيدوروس
رئيس رهبان القدس في حلب

(عن الاصل وهو في يدي)

الخلاصة من هذه الرسالة : ان الاب شربل المدبر بريء من كلما اتهم به والداعي للتهم بغض وتحامل عليه من الذين ذكرهم في هذه الرسالة . الا ان هذه التهم لا يمكن تحصيلها من مندرجات هذه الرسالة ولذلك انني اظن ان هذه الحملة هي من نتائج الخلاف الذي كان بين الحلبيين (والبلديين) . ولسبب حوادث الراهبة هندية الحلبية ومعاكسة اباء رهبانيتنا لها كما هو مشهور . لان الأب شربل هو من آباء الرهبانية الفاضلين تقدم حلب لتعيين وكيل في هذه المدينة لجمع النذور والاحسان لدير مار انطونيوس قزحيا وللرهبانية فلو لم يكن من اصحاب العقول الكبيرة والسيرة الحميدة والاداب المسيحية . ومتازاً بالفضائل الرهبانية لما اختاره آباء الرهبانية ممثلاً لهم في هذه المهمة . فمن كان اذاً بمثل هذه الصفات وبمثل هذه المهمة اذا كنا لا نريد ان نقول بنوع مؤكد انه ارفع من ان يرتكب ذنوباً تشينه وتشين رهبانيته وتحبط اعماله . فنقول ذلك على سبيل الظن . فاذاً ان ما اتهم به الاب شربل المدبر هو تجنٍ محض والاسباب الداعية الى ذلك هي ما تقدم ذكره ؟ . . .

وفي هذه السنة ١٧٧٤ انشئ دير مار عبدا في قرية معاد على الوجه الآتي : انه في سنة ١٧٦٦ وقف الى مقام القديس عبدا الشهير (اسقف مدينة بابل) ، الكائن في قرية معاد درويش شربل من القرية المذكورة كامل متروكاته . ورجا الواقف ان يسجل وقفيته هذه الامير يوسف شهاب الحاكم والسيد البطريرك يوسف اسطفان واسقف الابرشية انطون محاسب . فكان له ما امل واراد وهذه حرفية التسجيل من السيد البطريرك ومطران الابرشية :

قد قبلنا وارتضينا عمار هذا الدير المبارك مار عبدا وفي ما وقفه ولدنا درويش نسأله تعالى ان يقبله ويفديه على عماره والقديس يكون شفيعه دنيا واخرة . سنة ١٧٦٦

الحقير المطران الحقير البطريرك

« المحتم » انطون محاسب « المحتم » يوسف الانطاكي

ان وقف درويش شربل لم يكن اولياً على الرهبانية بل كان وقفاً خصوصياً. ثم بعد ذلك سلّم هذا الوقف الى ريس دير مار عبدا هرهريا الكائن في فتوح كسروان بقصد أن يكون ديراً للراهبات والرهبان التابعين لعوائد ورسوم رهبان وراهبات دير مار عبدا المذكور . فرئيس دير مار عبدا ارسل كاهناً للسكن فيه والسعي في اتمام نية الواقف فسكنه مدة ولما لم تكن املاك الوقفية وافرة كافية للانشاءات المرغوب فيها ترك الراهب المحل بامر رئيسه وقفل راجعاً الى ديره مار عبدا هرهريا واذ ذاك سلّم الوقف المرقوم الى رهبانيتنا على يد الاب مرقس الكفاعي احد الاباء المدبرين وكان ذلك في هذه السنة ١٧٧٤ . وبعد الاستلام فتحت فيه الرهبانية مدرسة لتعليم الاحداث شأنها في كل اديارها ومحلاتها واناطيشها وانشاءاتها .

(طالع البحث الـ ١٢ ص ٤٢٥ من المجلد الاول لتاريخ الرهبانية)

وعرف حينذاك هذا الدير بمدرسة معاد كما يشير الى ذلك حك مشترى المدرسة المذكورة تاريخه هذه السنة اذ قبل هذا التاريخ لا يوجد حك ملكية للوقف الا حك درويش الواقف .

وبقي هذا الدير برتبة مدرسة الى سنة ١٧٨٧ التي فيها سُمّي ديراً لتوفر مداخيله بمشترى الاملاك وهذا واضح من أوجه عديدة اخصها انه في سنة ١٧٨٥ تخصص لهذه المدرسة بامر مجمع المدبرين الملتئم من الاب شربل مدلج الرئيس العام ومن مدبريه الاربعة قطعة ارض في وادي جربتا كانت جارية على ملك دير كفيفان . واما املاك الدير فقد اشتراها الاب مرقس الكفاعي من اصحابها الروم الارثوذكس القاطنين يومئذٍ في عرزوز ومجماز . واما الوقفيات لهذا الدير فقليلة لا تتجاوز اصابع اليد وهي ذات قيمة زهيدة . وتاريخ مشترى املاك الدير كانت من سنة استلام الوقف اي من سنة ١٧٧٤ الى سنة ١٨٤٠ وممن عني ايضاً بمشترى املاكه الآباء كاروبيم الزيناتي البحرصافي .

وانطون الرشاوي . واثناسيوس الشموني . وغيرهم قليلون وبلغت الآن هـذه الاملاك اربعة وثلاثين الف قرش . نقلتها عن صكوك المشترى .

وفيها لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : امبروسيوس الشاماتي . واثناسيوس الغنالي . وبرتردوس بكفيا . ولورنسيوس المسقا . ورافائيل قيتولي . وعمنوئيل الجميل[1] وله من العمر ٢٥ سنة . وارسانيوس بكاسيني . ويواصاف بتديني . ويونان مشمشاني . ويوحنا القطار الجزيني . ونعمة الله كفرسلوان .

وتوفي الاخ دميانوس المعاري . وهو الذي بنى المدفن في دير مار انطونيوس قزحيا وكان هو اول من دفن فيه « اي خشنه » .

الفصل الثاني

عدد ٧٨

في سنة ١٧٧٥ اعثرت في دير لويزة على رسالة من مكاتبات هـذه السنة موجهة من الاب عمنوئيل عبد الاحد الوارد ذكره مرارًا مؤرخـة في ١٥ شباط وهي برسم الاب العام توما العاقل وهذه حرفية بعض ما جاء فيها :

« انه في ٢١ كانون الثاني سنة ١٧٧٥ وصل الى رومية القس يوسف صوما ورفيقه القس بولس الديراني ونزلا عند المطران سمعان « عواد » ليلة واحدة وبعد ذلك استكريا (استأجرا) مكان قرب مار بطرس وسكناه والذي عرفته الى الآن ان معهما مكاتيب من الامير يوسف شهاب ومن ابن اخيه ومن سعد الخوري ومن الريس العام الى قداسة البابا وغاية المكاتيب توصية فيها ليسلكوا ديرًا في رومية كانهما يطلبان من قداسته ان يقسم الدير او يعطيهم مكانًا غيره في رومية . وان يعطيهم اوراق لجمع التبرعات . . . »

(عن الاصل المحفوظ بدير لويزة)

ان رسائل الامير يوسف شهاب وابن اخيه « ومن هو ابن اخيه » وسعد الخوري الوارد ذكرهم اعلاه لم اقف لها على صورة . واما ما أورده الاب من ظنونه بقوله : « ان سعد الخوري والريس العام عرفا بمكاتيبها ان للرهبانية ديرًا في رومية فقصدهم بذلك قسمة الدير . » ومن مراجعة ذلك في رسائل الاب العام والسادة المطارين التي تقدمت الى الحبر الاعظم والكرادلة وغيرهم

[1] الذي صار فيا بعد رئيسًا عامًا في اربعة مجامع اي ١٧٩٠ و ١٧٩٦ و ١٨٠٢ و ١٨٠٨ وفيها توفي بنسمة القداسة

كما ورد آنفاً عن ذكر دير رومية يتحقق انهم لم يقصدوا اخذ دير رومية او قسمته بل تذكرةً لاهل الحل والعقد بالمساواة بينهم وبين اخوتهم الرهبان الحلبيين لا قسمة الدير او اخذوا منهم . واتخذوا ذلك ايضاً بمنزلة برهان لردّ احتجاج عدم السماح لهم بانشاء دير اسوة باخوتهم الذين لهم دير في رومية . وأما قوله ان يعطيهم مكاناً غيره فهذه هي غايتهم الحقيقية اي ليأخذوا مكاناً فينشئوا فيه ديراً لسكن رهبانهم وهذا كل قصدهم كما هو واضح[1] .

وفيها منح قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس السادس غفراناً كاملاً لكنيسة القديس يوحنا مرقس الكائنة في مدينة جبيل وذلك في ثلاثة اعياد :

١ً : عيد القديس يوحنا مرقس صاحب المقام . الواقع في ٢٥ نيسان.

٢ً : في عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس الواقع في ٢٩ حزيران .

٣ً : في عيد انتقال سيدتنا مريم العذراء. والدة الله الكلي طهرها الواقع في ١٥ آب . ووسّع هذا الغفران الكامل بحيث يمكن تخصيصه بالانفس المطهرية . صدر هذا الانعام بناء على طلب الشيخ سعد الخوري .

وهذه حرفية الرسالة الموجهة من الكردينال كاستللي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس الى الشيخ سعد وبطيها براءة المنح المرقومة .

ليد حضرة سعد الخوري مبارك في جبل لبنان :

ايها السيد المكرم . انه بعد ما تقدم الى قدس قداسة الحبر الاعظم كلما عرضته حضرتك في مكتوب بغير عنوان فقداسته ليس انه قبل بكل عاطفة فقط الاخبار المشروحة في مكتوبك فيما يخص انتشار الايمان الكاثوليكي المقدس بل انه ارتضى بكل رغبة بان يمنح الغفران المطلوب منك لاجل كنيسة جبيل كما انك ستفهم ذلك من المنشور الخبري الواصل طيه . ثم انه اذا حضروا الى ها هنا الراهبين المذكورين في مكتوبك فيصير لهم القبول بذاك الحنو الذي يليق بهم ويصير لهم الانعطاف الى مرغوبهم بالشيء العادل والممكن . ثم انني اطلب من الله ان يمنحك السعادة الحقيقية .

اعطي من رومية في ٨ نيسان سنة ١٧٧٥

الكردينال كاستالي	اسطفان بورجيا
رئيس المجمع	كاتب الاسرار

(عن الاصل المحفوظ في انطوش جبيل)

١) توفقت الرهبانية مؤخراً ، بمساعدة المجمع المقدس الشرقي الى شراء منزل لها في جوار الفاتيكان حيث يقيم فيه الآن حضرة وكيلها العام لدى الكرسي الرسولي الاب مانوئيل الحاج الذي كان له الفضل والسعي المشكور في انشاء هذا المحل وفي توسيعه .

وهذه صورة براءة منح الغفران :

« اذ انه اتصل اعلام الى سيدنا الكلي القداسة المقام بابا بالتدبير الالهي باسم بيوس السادس انه قد بُني كنيسة جديدة في مدينة جبيل في جبل لبنان وهذه الكنيسة للرهبان الموارنة من جمع الجبليين اللبنانيين يقدمون فيها لله تسبيحاً ويكملوا بها الالهيات فقداسته قد منح بكل حنو بواسطتي انا المحرر اسمي ادناه كاتب سر مجمع نشر الايمان المقدس اجمالاً وافراداً لسائر المسيحيين التائبين المعترفين والمتناولين القربان الاقدس والزايرين بعبادة الكنيسة المذكورة في عيد القديس صاحب المقام وفي عيد نياح سيدتنا مريم العذراء الكلية الطوبى . وفي عيد القديسين الرسولين بطرس وبولس غفراناً كاملاً ثابتاً وفاعلاً في كل الازمنة مفيداً ومونياً عن الانفس الذين بعذابات المطهر حيث ان المسيحيين المذكورين يقدمون لله تعالى ابتهالات في مدة من الزمان لاجل استئصال الاراطقة وانتشار الايمان المقدس .

اعطي في رومية في ٨ نيسان سنة ١٧٧٥

اسطفان بورجيا

كاتم الاسرار

(عن الاصل الموجود في انطوش جبيل)

وفي هذه السنة عقد المجمع العام في دير سيدة طاميش وبعد ان نظر اباؤه في ما يعود على الرهبانية بالنجاح والفلاح وذلك في الجلسات السابقة الاقتراع وفي اليوم الرابع من الاجتماع اجتمعوا واقترعوا فاصابت القرعة الاولى

الاب مرقس الكفاعي فنودي به رئيساً عاماً على عموم رهبانيتنا اللبنانية وهي المرة الثانية[1]

والقرعة الثانية	الاب عمنوئيل الرشماوي	فنودي به مدبراً اول .
والقرعة الثالثة	الاب ارميا الكفروني	فنودي به مدبراً ثانياً .
والقرعة الرابعة	. الاب شربل مدلج	فنودي به مدبراً ثالثاً .
والقرعة الخامسة	الاب نعمة الله النجار	فنودي به مدبراً رابعاً .

وفي اليوم الاخير من عقد المجمع العام توزعت رؤساء الاديار :

فانتخب الاب . . . رئيساً على دير مار يوحنا رشميا .

« « ارميا الكفروني رئيساً على دير مار انطونيوس قزحيا[2]

« « بولس رشميا « « سيدة طاميش

1) رئاسته العامة الاولى كانت (١٧٦٩–١٧٧٢)

2) اسندت اليه رئاسة دير قزحيا وهو مدبر

وانتخب الاب	رافائيل بقاعكفرة	رئيساً على دير	سيدة مشموشة
〃 〃	مبارك الديراني	〃 〃	مار انطونيوس سير
〃 〃	صموئيل اللبودي	〃 〃	مار يوسف البرج
〃 〃		〃 〃	مار مارون بير ستين
〃 〃		〃 〃	مار انطونيوس حوب
〃 〃	سرابيون ذياب	〃 〃	مارمخايل بنابيل
〃 〃	نستير مدلج	〃 〃	مار موسى الحبشي
〃 〃	رافائيل البسكنتاوي	〃 〃	مار الياس المتن «الكحلونية»
〃 〃	مبارك الرشاوي	〃 〃	سيدة ميفوق
〃 〃	فرنسيس الكفاعي	〃 〃	مار قبريانوس كفيفان
〃 〃	زكريا المجلتوني	〃 〃	مار جرجس الناعمة
〃 〃		〃 〃	مار الياس قبرص
〃 〃	بولا	〃 〃	سيدة المعونات جبيل

(عن روزنامات الاديار)

وفي هذه السنة ١٧٧٥ انشأت الرهبانية مدرسة في مكان يدعى الصليب بدلًا من ان تكون بقرب الدير[1] ومحل الصليب يبعد عن الدير نحو نصف ساعة وهو متوسط بين القرى : معاد — عين كفاع — شموت — غلبون — حصارات — غبالين . وكان هذا المحل ملكاً للرهبانية وبيع من نحو ٣٠ سنة والمدرسة نقلت الى جانب الدير .

وفي هذه السنة ايضاً بدأ الرهبان في عمار كنيسة مدرسة بسكنتا على اسم القديس يوسف واتمام بناء المدرسة وكلها وقف للرهبانية في سنة ١٧٧١ وبما ان بناء هذه المدرسة والكنيسة لم يتمّ في وقتٍ واحد بل بالتتابع رأيت ان اكتب هنا ما له علاقة بهذا الخصوص مستطردًا قصدي نقلًا عن سجلات المدرسة المرقومة .

١ : ليعلم المطالع الفاضل كم كان يقاسي آباء الرهبانية من الاتعاب والمشقات في سبيل انشاءاتهم وهذا مما ينبئ عن عظم غيرتهم وجهادهم وتفانيهم

---

١) دير مار عبدا معاد

وسعيهم المتواصل بدون ان يعتريهم ملل ام سأم لتتميم غاياتهم الصالحة العائدة لمجد الله الاعظم وفائدة القريب وتعزيز الطائفة .

٢ً : تفكهةً للطالع بذكر اسعار الحاجيات ومقابلته مع اسعار هذه الايام. وهذه حرفيته :

« في سنة ١٧٧١ جاء القس سابا المقبر اللبناني بطلب من اهالي بسكنتا عن امر رئيسه العام وبدأ في عمار المدرسة على روبية الحيات فالكلف الذي تكلّفه على عمار الفلالي من كيسه ٨٧٦ قرش .

وفي ٤ تموز سنة ١٧٨٠ ابتدينا في شغل الكنيسة كلف المقلع على المعلم انطون كميد الشامي كراه مع كري الفعالي ٢٣٠ قرش .

وفي ١٦ اذار سنة ١٧٨١ كلف المقلع وقد قعد الشدياق عبود قديسه خولياً بشور القس سابا وابو خطار . وعبد الاحد . وابو ناضر وابو عكر واخوه يعقوب وباقي عيال الضيعه . الذي حطيناه كري المعلم وغيره زقاق كلس ٣٠٦ قروش .

وقد ابتدينا في شغل الاتون في عيد الكبير وانقص واغرق قبل العنصرة وكان يخرج من الضيعة بقدمه الشدياق عبود في الدور .

وقد حضر الاخ اندراوس البسكتاوي الحجار وحنا الخراط اخو القس مخايل (البناء) « المعار الشهير » ومعهم عبد الاحد مع جملة فعلة وبدينا في عمار الكنيسة واعط كري معلمين وفعاله من عدا الرهبان ٢٦٥ قرش .

وابتدينا في الشغل في ١٥ نيسان الى اخر تشرين الثاني .

وفي سنة ١٧٨٦ رجع الاب مخايل والاخ بولس البكاسيني والاخ اندراوس البسكتاوي « وكلهم عمارين » (بنائين) والمعلم نقولا الشويري وابتدينا في المقلع بتقطيع الحجار والريش وابتدينا في شهر شباط فخلصنا في ١٠ ايار من تقطيع الحجار وابتدينا في البنيان وبقينا نشتغل الى تشرين الثاني حطينا كري ٥٠٠ قرش وحطت الضيعا ٢٨٠ واحسان من الضيعه ١٠٠ لا غير .

فيكون اجمال الصرف على بناء المدرسة والكنيسة عدا عن شغل الرهبان ٢٦٥٥ من الضيعه ٣٨٠ وما بقي وقدره ٢٢٧٥ قرش دفع من مال الرهبانية غير شغل رهبانها » .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

عمنوئيل الزكريتي . وبرنابا القنالي . وجرجس سلقايا . وبولس البكاسيني . ونستير الشابي . وبواصاف الشابي . واغناطيوس الدبراني .

وتوفي الاخ عبد الاحد صليبا .

(عن روزنامة الاديار)

عدد ٧٩

في سنة ١٧٧٦ وقع في يــدي رسالة من المطرلن. مخايل فاضل مطران بيروت وهي برسم الاب العام مرقس الكفاعي . تتضمن مخــابرة عن بعض مسائل وطلب بعض رهبان كهنة للخدمة في مدرسة بيروت وللخدمة الروحية ايضاً في قرية العبادية احدى قرى ابرشيته . ولما في هذه الرسالة من الايضاحات التي تتعلق بتاريخ الطائفة والرهبانية رأيت موافقاً درجها بحروفها وهي :

البركة والسلام على حضرة ولدنا العزيز بالرب الاب مرقس الرئيس العــام الكلي الاحترام حفظه الله تعالى آمين .

بعد الشوق التام الى مشاهدتكم بكل خير . واصل لكم مكتوب من راهبكم القس اسكندر المدناني بعد اطلاعكم عليه اذا تنازلتم الى مطلوبه ورفقتموه من الفريديس نرجوكم ان تسمحوا له لكي يقضي اهالي العبادية رعيتنا لانه ما عنــدهم الان كاهن يقضيهم اعوازهم الروحية الى حينما يتولفوا لهم على واحد . وربما يتفرج اكثر هناك ويصير زود خير لــه ولهم ومن كمال قانونكم المقدس اسعاف بني طايفتكم سيما بمطلوب مطران الابرشية . كذلك نرجوكم ترسلوا الى مدرسة بيروت حضرة ولدنا القس اقليموس راهبكم المكرم لكونهم لم يزالوا يطلبوه ويرغبوه لاجل حسن اوصافه وذلــك ابتناه خير عظيم . واملنا في عظم محبتكم وغيرتكم بانكم لا تصلوه . ثم اننا نعلم محبتكم من جهــة اولادنا رهبانكم المكرمين الذين في رعيتنا يحضروا عندنا لكي نقدمهم الى الدرجات المقدسة الكهنوتية ونحن حقاً عمالين نقضيهم ذلك بكل فرح رقبول لاجل محبتنا القديمة لرهبنتكم الجليلة متوكلين على شهــادات وفحص رؤساهم بموجب القانون غير اننا اطلعنــا على كثيرين منهم ليس بالضعف بالقراءة فقط بلْ يجهل بعضهم قواعد الدين والاسرار البيعية اللازمة معرفتــها لكل مسيحي كم بالحري للرهبان الذين هذه دعوتهم وزينتهم . فاذا كانت الضرورة تلزمنا احياناً لعدم التدقيق على الكهنة العلمانيين لاجل عدم وجود عوضهم اكفاء منهم . فذلك لا يصح منا في الرهبنة لاجل كثرتهم ولاجل سهولة تفرغهم لتعليم هذه الامور وامتلاكها . فلزم لاجل راحة ذمتنا وذمتكم باننا نوصيكم جميعاً ونحثكم بالرب بانكم تضعون فريضة في المجمع العــام القادم المبــارك بموجب حكم الكرسي الرسولي بانكم تعينوا في كل دير راهباً كفؤاً لكي يعلم الذين يتشرطنوا[1] في الدرجات الصغار التعليم المسيحي ومعانيه . وللــذين يتشرطنون في الدرجات الكبار تعليم اسرار البيعة ومعانيها . والذي يكرزنوا قبلوا الدرجات المقــدسة يلتزموا بانهم يقرأوا دايماً ما يخصها في الكنيسة التي تشرح عنها ولا شك بانها موجودة في

[1] يتقدموا لقبول الدرجات

الرهبانية وسهل وجودها ومقتناها في كل دير . فهذا ما نطلبه من غيرة الجميع لاجل خلاص الذمة وشرف الرهبانية والبركة على حضرتكم وعلى الجميع ٣ و٣ والدعاء .

الحقير عنايل فاضل

« الختم » مطران بيروت

(عن الاصل وهو بيدي)

لا بدَّ لي من كلمة اذيل بها رسالة هذا الحبر الجليل لازالة الوهم الذي ربما يكون قد علق بذهن المطالع النجيب :» وهو ان الروساء في الرهبانية كانوا يخدعون (رؤساء الاساقفة) فيقدمون الى قبول الدرجات الكهنوتية المقدسة مَن ليسوا اهلًا لها . وانهم كانوا يكذبون باعطائهم شهادة الاستحقاق للمرشح اليها بانه اهل لها بالمرقة مع ان الحقيقة توضح الخلاف وعليه اقول: انه يوجد في الرهبانية رتبتان(فئتان)للكهنوت رتبة (فئة) عليا ورتبة وسطى. فرتبة الكهنوت العليا تتألف من الكهنة المتعمقين في العلوم ومن هؤلاء القملة الانجيليون. والرتبة الوسطى تتألف من الكهنة البسيطين الذين يرقون الى درجة الكهنوت المقدسة لاجل فائدة الكنيسة والرهبانية بتقديمهم الذبيحة الالهية الكلية الثمن والاستحقاق اذ يكفيهم من معرفة العلوم تلاوة الفرض الكهنوتي وهذا ما تساعدهم على اتقانه صلوات الخوروس السومية الدائمة ليلًا ونهارًا . وتلاوة القداس الالهي فقط وهؤلاء لا يجولون ولا يرجَون عملًا رعائيًا بالاطلاق وهم الذين عناهم هذا السيد الجليل في رسالته للرئيس العام كما هو ظاهر من خلال سطوره . واما المدرسة المشار اليها في هذه الكتابة فكانت مشيدة في انطوش الرهبانية الكائن في هذه المدينة لتعليم الاحداث العلوم الدارجة البسيطة وقواعد الدين المسيحي الكاثوليكي . وآباء هذه المدرسة يعاونون كهنة الرعية بخدمة النفوس . فمن هنا يزداد ظهورًا وسطوعاً ان الرهبانية كانت ولن تزال بنعمة الله تقدم خدماً جليلة للطائفة خاصة وللدين المسيحي الكاثوليكي عموماً اذ انها الملجأ الوحيد والكنز المخبو. لرؤساء الطائفة الذين في أي مكان وزمان ارادوا أو ألجأتهم الضرورة الى ان يخرجوا من هذا الكنز فعلة نشيطين يسدُّون به الخلل ونقص عدد الكهنة في خدمة النفوس .

(راجع بحث ٩ في الرهبانية والطائفة المجلد الاول من هذا التاريخ ص ٤١٣)

وعثرت بين محررات دير لويزة على ملحق كتابة من محررات هـذه السنة (١٧٧٦) للاب عمنوئيل عبد الاحد رئيس دير رومية أرسله للاب العام توما الماقل خلاصته :

ان الاب يوسف صوما من الرهبان اللبنانيين موجود الآن في رومية وانه قدم عرضحال الى المجمع المقدس على يد الكردينال « بريس» الجي[1] سلطان فرنسة في رومية ليعطيه المجمع المقدس مكاتيب ليجمع احساناً ليشتري مكاناً في رومية وان المجمع المقدس لم يعطه ولم يؤذن له بذلك.

ثم يقول :

انه بلغه من الاب صوما المرقوم ان الاب العام مرقس الكفاعي المنتخب حديثاً للرياسة العامة سيكتب الى القس يوسف صوما والى المطران اسطفان عواد والى المجمع المقدس بمذا الخصوص وان قريباً يرسل رهباناً ودراهم لمشترى مكان في رومية » .

فمن هذه الرسالة ومن خلافها وقد ورد ذكرها في مطاوي كتابنا هـذا يستفاد ان آباء رهبانيتنا بامعان نظرهم في تطورات الايام وما ستولده الحوادث، عرفوا شدة اللزوم لانشاء دير في رومية ام المدائن قصد تهذيب شبيبتها فيما ليتسنى لها القيام بخدمة الانسانية والطائفة والكرسي الرسولي كما يجب ولذلك لم يتركوا وسيلة او بارقة أمل في الحصول على رغبتهم هذه الا استعملوها . انما لسوء الحظ لم يكن هذا السعي موفقاً. وربما كان لخير اراده الله او لشرّ يحدث ونحن جهلناه فالعلم به لله وحده تمجد اسمه .

وعثرت في دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب على حجر رخام طوله ستون سنتيماً وعرضه عشرون سنتيماً وسماكته عشرة سنتيات . وكان قبلاً موضوعاً بمذبح السيدة الحزينة المشيد في الحائط الشمالي في صحن الكنيسة كدرجة من الدرجات العليا المعدة لوضع الشماعدين بحيث ان الكتابة لم تكن ظاهرة فلما تغير شكل هذا المذبح وصنع من الرخام النقي رفع هذا الحجر من مكانه فظهرت الكتابة التي نقشت عليه وهي ما ترى :

« قد درج بالوفاة الى رحمة مولاه اديب زمانه وانيس عصره واوانه من تسنم ذروة الكمال الجليل . وتحلّى بحلية الفضل الاثيل . ذو الحسنات المديدة . والمزايا الحميدة .

---

[1] معناها سفير او معتمد ملك فرنسا

من فاق اقرانه بالعبادة . المتدّة الخير مستندة . بطرس ابن اغا ادّه وانه بمدسلوكه في منهج هذا الزمان الثاني . بحسن الامانة الارثوذكسية المؤسسة على الصخرة البطرسية. توفي بحال مرض لله حسبا اعلن في وصاياه فتغمّده الله برضوانه واسكنه فسيح جنانه وكان ذلك في ٨ آب سنة ١٧٧٥ مسيحية » .

(عن الحجر الاصلي الموجود في الدير المذكور)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : لورنسيوس القريديسي . وانطون الزكريتي . وبطرس تيتولي .

وتوفي الاخ اغوسطين العجلتوني . والاب جبرايل عواد الزوقي . والاب يمين . والاخ سمعان جدّه .

(عن روزنامة الاديار)

وفي هذه السنة عقد المجمع العام لاخوتنا الفئة الحلبية اللبنانية في دير سيدة لويزة وبعد النظر فيما يعود على الرهبانية بالخير والفلاح وبلغ اليوم الرابع من الاجتماع انتخب للرياسة العامة مجدداً الاب توما العاقل الحلبي . وانتخب الاب جرمانوس الحصروني مدبراً اول . وانتخب الاب برنردوس راجي الحلبي مدبراً ثانياً . والاب برنردوس مارون الحلبي مدبراً ثالثاً . واخيراً الاب يوسف ذياب الحلبي مدبراً رابعاً . ومن أحكام هذا المجمع العام ان لا يبيع رؤساء الاديار أو يقايضوا من أرزاق ديورتهم الا بشور الاب العام .

(عن روزنامة المجامع في دير لويزة)

وفي سنة ١٧٧٢ لخلاف حصل بين السيد البطريرك يوسف اسطفان واباء الرهبانية رُفع الامر الى الكرسي الرسولي فصدر مرسوم الجواب كما تراه بحرفيته :

في المجمع المقدس الخاص المعين من قدس قداسة سيدنا البابا الكلي الغبطة لاجل النظر في احوال الموارنة فقط فقد إنعرضت وارتد الجواب على القضايا الآتي ايرادها وذلك في ٢٣ اذار سنة ١٧٧٢ مسيحية :

سادساً : انه بيان من تحيزات البادري فاليريانوس من المرج راهب مار فرنسيس الاصغرين الحافظ المبوث قاصداً رسولياً لاجل ترتيب احوال الموارنة أن الصلح الذي تمّ بين بطريرك تلك الطائفة وبين رهبان مجمع مار انطونيوس

الملقين بالجبليين لا يدوم الا زماناً يسيراً اذا الحفظ بالعمل بمجمع غوسطا « أي قوانين » من جبل لبنان الذي ينهي الرهبان عن الجولان في الرعايا بحجة الشحادة فالآباء الكلي سموهم بموجب الخبر الذي عرضه الرئيس السيد الكردينال كاستللي الكلي السمو بمنزلة مقدم الدعوى بضمون المشكل الآتي ذكره : أي هل يجوز أن يسمح للرهبان بان يشحذوا في الرعايا المذكورة ولا يمنعهم عن ذلك القانون المشروح اعلاه ؟ فرضوا أنه يجب حفظ رسوم قانون المذكورين ورسوم المجمع اللبناني قسم رابع عدده حسب النية والنية هي هذه : ان يحترس الاساقفة ويظهروا السهولة بمنح الاجازة بالشحاذة الرهبان متى لحظوا أنهم محتاجون لهذا الاسعاف - اعطي برومية .

حل المشكل

أجابوا يبقى الامر كما رسم سابقاً الا في حادث الالتجاء للسيد البطريرك في وقت ما فليس للاساقفة أن يمسكوا رضاهم من غير حق عن منح الاجازة بالشحاذة كما في الحادث المشروح .

سابعاً : في الامر السابع المصرح بهذه الالفاظ : انه على المشكل الآتي ايراده هل يجوز للسيد بطريرك الموارنة ان يقبل الكهنة والرهبان الذين يعصون اوامر رؤسائهم ويلتجئون اليه . أو ان يسمح لهم بان يتوجهوا الى غير ديورة ضد ارادة رؤساهم . فالآباء الكلي سموهم اجابوا على التخير السيد الكردينال المقدام الكلي النيافة انه يجوز الا على حدود المجمع اللبناني .

قسم رابع باب ثاني عدد ١٠ وعدد ١٢ اعطي برومية

حل المشكل

اجابوا فليبقى الامر كما رسم سابقاً . وقد انعرض هذا الحكم الذي أصدره المجمع المقدس على قدس قداسة سيدنا البابا بيوس السادس عن يد الاب المكرم المعلم اسطفان بورجيا كاتب الاسرار بمواجهة له باليوم الخامس من نيسان سنة١٧٧٢ وقدس قداسة سيدنا ارتقى(ارتأى) بحلمه أن يتنازل ويثبته بكل وجه وبكل شيء. وأيده بسلطانه الرسولي بكل الانواع وأمر أن يكمل

بالعمل . وقد أعطى وفوض البادري بطرس دي مورتا مباشرتها. اعطي برومية من بلاط المجمع المقدس في اليوم والشهر والسنة الموردة أعلاه..

اسطفان بورجيا الكردينال يوسف ماريا كاستلي
كاتب الاسرار مقدام المجمع

صح ترجمة الاوامر الرسولية الارمة عشر المحررة اعلاه مع حكم المجمع الثاني الخاص على السبعة الاوامر وهي مطابقة لاصلها اللاتيني . تحريرًا في ١٥ ك٢ سنة ١٧٧٨

« الختم » البادري بطرس دي مورتا
القاصد الرسولي

اننا قبلنا الاوامر الاربعة عشر المحررة اعلاه التي اصدرها المجمع المقدس مع حكم المجمع الثاني الخاص على السبعة الاوامر وبياناً لذلك وقعنا ختمنا وخط يدنا . تحريرًا في ١٥ ك٢ سنة ١٧٧٨

الحقير يوسف بطرس
« الختم » البطريرك الانطاكي

اننا نقلنا ما ذكر اعلاه حرفاً فحرفاً :

الحقير غابل فاضل
صح «الختم» مطران بيروت
(عن نسخة بيدي)

انني اقتصرت على تسطير هذين الامرين من أصل الاربعة عشر امرًا الصادرة من الكرسي الرسولي المقدس في هذا التاريخ لعلاقتها بالرهبانية وأما باقي الاوامر فقد اهملتها من حيث لا علاقة لها بها .

وأما نصوص المجمع اللبناني المورد ذكرها في أحكام المجمع كما هو مصرح اعلاه فقد ذكرتها في حوادث سنة ١٧٧٤ فلتراجع في محلها .

واما النص القانوني الرهباني المتعلق بهذا الشأن فهو تحت الاقسام والابواب والاعداد الآتية :

قسم ٢ باب ٤ عدد ١ و٢ و١٠

في الاكليريكيين الدارسين والمعلمين :

وفي قسم ٢ باب ٥ عدد ٣ و٤

في الكهنة :

وفي القسم ذاته باب ٨ عدد ١ و ١٣

في تأسيس الديورة :

وفي القسم عينه باب ٩ عدد ٢ و٣ و ٤

في الخضوع لرؤساء الكهنة :

وفي القسم الثالث باب ٩ عدد ٩ و ١٢

في الرئيس العام :

وفي القسم عينه باب ١٠ عدد ٣

في الواعظين :

وفي القسم الرابع باب ٦ عدد ٢

في الانتخاب عموماً :

وفي القسم الخامس باب ١٦ عدد ١

في عقوبة الطرد من الرهبانية :

ان الاعداد التي تشير الى النصوص القانونية الموردة اعلاه مع تلك النصوص التي ورد شرح معانيها المثبت بها الواردة في حوادث سنة ١٧٦٣ من المجلد الاول من تاريخ الرهبانية ص٢٧٦ هي المقصودة من المجمع المقدس فليراجعها من يهمه الاطلاع عليها في كتاب القانون الرهباني وهذا القدر كفاية فيما يتعلق بهذا الشأن .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : فرنسيس بكفيا . واسطفان البجاني . وميخائيل الشنعيري . وعبدالله كرم الجزيني .

وتوفي الاخ مكسيموس ديك المحدي . والاب نيلوس بكفيا . والاخ يونان عيرني . والاب الجيديوس المكاري .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل الثالث

عدد ٨١

في ت ٢ سنة ١٧٧٨ عقد الرهبان مجمعهم العام في حينه القانوني في دير سيدة طاميش وفي اليوم الثالث عشر منه وهو اليوم الرابع من الاجتماع القانوني انتخبوا في القرعة الاولى :

الاب مرقس الكفاعي رئيساً عاماً وهي المرة الثالثة

وفي القرعة الثانية انتخب الاب عمنوئيل الرشعاوي مدبرًا اول
« الثالثة انتخب الاب شربل مدلج مدبرًا ثانيًا
« الرابعة انتخب الاب ارميا الكفروني مدبرًا ثالثًا
« الخامسة انتخب الاب يوحنا الحجار الرشعاوي مدبرًا رابعًا

وفي اليوم الاخير من الاجتماع انتخبوا الرؤساء :

الاب . . . لرئاسة دير مار يوحنا رشميا
الاب بولس المزرعاني لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا
الاب زكريا العجلتوني لرئاسة دير سيدة طاميش
الاب نعمة الحجار لرئاسة دير سيدة مشموشة
الاب انطونيوس الزرّقي لرئاسة دير مار انطونيوس سير
الاب جراسيموس الدوعوني لرئاسة دير مار يوسف البرج
الاب مبارك الدبراني لرئاسة دير مار مارون بيرسنين
الاب مبارك الرشعاوي لرئاسة دير مار انطونيوس حوب .
الاب بولس القرطباوي لرئاسة دير مار ميخائيل بنابيل .
الاب اغناطيوس الخازن لرئاسة دير مار موسى الحبشي .
الاب جرجس البكاسيني لرئاسة دير مار الياس المتن « الكحلاونية » . .
الاب رافائيل بقاعكفره لرئاسة دير سيدة ميفوق .
الاب مرقس المرقباوي لرئاسة دير سيدة مار قبريانوس كفيفان .
الاب مخايل الحصروني لرئاسة دير سيدة المونات جبيل .
الاب ابرهيم قيتولي لرئاسة دير مار جرجس الناعمة .
دير قبرس مهجور :

(عن روزنامات الاديار)

واطلعت على تحرير صادر من قنصل دولة فرنسا في طرابلس الى الرئيس العام الاب مرقس الكفاعي وهذه حرفيته :

ايها الاب الكلي الاحترام .

انه خاص جدًا حبي لكم وهو موجب عليَّ لاجل فضائلكم . واذا اردت ان اعمل حسبا بحركتي يلزم انني اكون دائمًا في خداماتكم لانني ان فعلت ذلك اقم به امر مليكي الاعظم الذي اوصى بحمايتكم في كل الازمنة . فهذا الالتزام ايها الاب الكلي الاحترام سيكون دائمًا عزيزًا لديَّ وطالما هو متعلق بي سافعل بموجبه بكل رغبة ومودة . وصلتني الى طرابلس هديتكم مع الاخ انطون رامبكم . اني اشكر فضلكم من غير انتهاء الا انني مخجول حقًا ان تتكلفوا بسببي كلفة مها كانت يسيرة فهذا كله لا حاجة له من طرقي .

ولكن كما ابي قبلت مدينكم لاجل بيان حبي لكم الدامنجانين⁽١⁾ المحرر كذلك لاجل بيان حبكم لي ان تقبلوا مني ستة علب حلاوة التي امرت في طرابلس ان يرسلوها اليكم كذلك امرت وكيلي في القنصلاتو لكي يقضي لكم اغراضكم مثل اقنومي واني التمس جميع الحوادث التي اقدر اظهر لكم فيها مفعولات حماية مليكي المعظم لكم . وبكل مودة واعتبار احرر ذاتي لكم ايها الاب الكلي الاحترام خادماً كلي الحب والطاعة .

شارلس قنصل عام بلاد سوريا وفلسطين

« الختم » فرنساوي

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : انطون عين عار . وجراسيموس مجدل معوش . وطوبيا الخازن . وريشا باطشطا ، صيدا لاتيني . وميخايل الحجار . وعبدالله الناعمة . وسمعان قناتي .

وفي هذه السنة لم يتوفَّ أحد .

(عن وروزنامات الاديار)

عدد ٨٣

وفي سنة ١٧٧٩ أنعم الكرسي الرسولي ببعض انعامات وغفارين على آباء الرهبانية ومذابح أديارها بناء على التماس تقدم له وهذه حرفية البراءات .

أنعام المذبح الاختصاصي :

في مواجهة الاب الاقدس الواقعة في اول آب سنة ١٧٧٩ ان قداسة سيدنا البابا بيوس السادس بنعمة الله بناء على اعراضي انا كاتب اسرار مجمع نشر الايمان المقدس قد تنازل واعطى لعموم وافراد الرهبان اللبنانيين من رهبانية مار انطونيوس في جبل لبنان الحاليين والمستقبلين على وجه التأبيد بنعمة خاصة « انعام » المذبح الممتاز الشخصي لثلاثة ايام في كل اسبوع بشرط ان لا يتقاضوا لقاء هذا الانعام شيئاً اخر غير الحسنة المتادة .

اعطي برومية في قصر المجمع المذكور في اليوم والشهر والسنة المتقدم ذكرها

« الختم » اسطفان بورجيا
كاتب الاسرار

أنعام منح الغفران الكامل للمنازعين :

في مقابلة قداسته الواقعة في اول آب سنة ١٧٧٩ ان قدس سيدنا بيوس السادس البابا بنعمة الله بناء على اعراضي انا كاتب مجمع نشر الايمان المقدس المدون اسمي ادناه قد منح

---

١) وعائين

بجلد مختصاً موجداً الى رئيس عام الرهبان اللبنانيين الحافظين قانون مار انطونيوس في جبل لبنان وايضاً الرؤساء العام السابقين والمدبرين ورؤساء الاديار وللرهبان المامدين رعاية النفوس لكي يمنحوا البركة مع الغفران الكامل للمسيحيين المنازعين اذا حضروا عندهم حيث انهم يحفظون الصورة المبينة من بناديكتوس الرابع عشر ذي الذكر المخلد في براءته التي بدؤها « الامّ الرأوفة » .

حرر في اليوم والشهر والسنة الموردة اعلاه

« الختم » اسطفان بورجيا
كاتب الاسرار

أنعام المذابح الكبيرة :

في مواجهة الاب الاقدس التي جرت بواسطتي .

انا المدون اسمي ادناه كاتب اسرار مجمع نشر الايمان المقدس في اول اب سنة ١٧٧٩ انه بعد الالتماس بتوسلات خشوعية التي قدمها الاب المكرم يوسف صوما النائب العام حالاً للرهبان البلديين من قانون القديس انطونيوس في جبل لبنان . ان قدس قداسة سيدنا بيوس بالعناية الالهية البابا السادس رسم بعلم وبنعمة خصوصية بان تكون مخصصة في كل يوم والى الابد المذابح الكبيرة الكائنة في الكنائس الآتي ذكرها المختصة بالرهبانية المذكورة :

كنيسة مار الياس « مطوشي » قبرس .
كنيسة مار الياس الكحلونية .
كنيسة مار موسى « الدوار » .
كنيسة مار سيدين للراهبات « مبسكنتا » .
كنيسة والدة الله مريم في كفيفان[1] .
كنيسة مار مخايل الملاك « بنابيل » .
كنيسة مار الياس للراهبات « الراس » .
كنيسة والدة الله مريم الطوباوية في مشموشة .
كنيسة مار يوسف البرج .
كنيسة الطوباوية مريم البتول في جبيل « دير البنات » .
كنيسة القديس انطونيوس قزحيا .

وذلك لجميع ذبائح القداديس التي ستتقدم فوق المذابح الكبيرة لاجل انفس الاموات المؤمنين من كل كاهن سواء كان عالمياً او قانونياً حيث انه بسبب الاختصاص المذكور لا يؤخذ نصاً هذا الانعام صدقة غير الحسنة المتادة .

حرر برومية في قصر المجمع المقدس في اليوم والشهر والسنة الموردة اعلاه
اسطفان بورجيا
(عن اصل البراءات المحفوظة بيدي) كاتب الاسرار

---

١) اليوم على اسم القديسين الشهيدين قبريانوس ويوستينا .

من مطالعة لائحة أسماء الاديار وضبط عددها المورد في براءة منح الغفران المورد آنفاً ومعارضتها بلائحة أديار الرهبانية ولوائح المجامع العامة يظهر ان الكرسي الرسولي أسقط من عدادها أربعة أديار وهي من أقدمها :

١ : دير مار يوحنا في رشميا وهو أول الاديار وله التقدم في الاجتماعات الرهبانية على رؤساء جميع أديار الرهبانية «أي إن لرئيسه حق التقدم على جميع رؤساء أديار الرهبانية بعد الاب العام القائم بالوظيفة والمدبرين ورؤساء الاديار الخاليين» .

٢ : دير مار انطونيوس سير وهو في الرتبة الخامسة .

٣ : دير مار انطونيوس حوب المعروف قبلاً بدير سيدة حوب على ما في لائحة القسمة وهو بالرتبة الثامنة .

٤ : دير مار جرجس الناعمة وهو متأخر الرتبة ولكنه أقدم من أديار ميفوق وكفيفان وسيدة المعونات . وموسى الحبشي . وبسكنتا وبنابيل ولم أقف على دواعي هذا الاسقاط .

وفي هذه السنة حدث رعود عظيمة وغبار واشتداد في الطقس عقبه أشتية متراكمة وسقوط ثلوج متواصل مدة ثلاثة أيام حتى جرف الثلج أربع مرات فبلغ ارتفاعه على السطوح مقدار خمسة أشبار أي «متر وربع» وببعض مواضع مقدار قامة انسان وفي دير شمرا أربعة أشبار[1] .

(عن اوراق دير مار الياس شويا)

وفيها اشترى الاب العام مرقس الكفاعي لمدرسة مار عبدا معاد نصف مزرعة قرنعون من الشيخ يوحنا الدحداح بثلاثماية وثمانين غرشاً .

(عن اوراق معاد)

وفي سنة ١٧٧٩ ملّك الامير يوسف شهاب رهبان دير مار الياس الراس مزرعة كفر خلُص ودير المغريت مع قبو بجانب كنيسة البترون ببدل دفع المال الميري بنسبة باقي الاديار . وهذه حرفية الصك :

---

١) دير شمرا مزرعة تخص دير مار الياس شويا موقعها قبلي مجرى نهر الكلب المعروف في تلك الجهة بنهر الصليب منطقتها رحبة ترتفع عن سطح البحر نحو اربعماية متر .

وجه تحريره

هو انه صرفنا اعرازنا رهبان مار الياس الراس في مزرعة كفر خلّص والعفريت في بلادالبترون على موجب تحديد بو فارس حنا ابن القينّ جيرة الموضع التصريف التام وبقوا المواضع المذكورة وما يعرف جم من كلي وجزئي فكلهم يتصرفوا جم حيث شاؤوا وارادوا ويعطوا ميري عليهم كحسب عوائد ديورهم في الموضع المذكور وسمحنا لهم في شتوية المنزه وكذلك صرفنام في القبو الذي حدّ كنيسة البترون في مجالاته وما عاد لاحد معهم معارضة واعطيناهم هذا السند لاجل البيان .

تحريرًا في سنة ١٣٩٣ هجرية توافق سنة ١٧٧٩ مسيحية

يوسف شهاب

ثم طلب آباء الرهبانية من المدعو بو فارس حنا ابن القينّ الوارد اسمه في صك الامير أن يجدّد لهم هذه الاملاك بحسب معرفته فبناء على طلبهم أعطاهم صكًا أو علماً بحدود الاراضي المرقومة وهذه حرفيته :

سبب تحريره

هو انه طلب منا حضرة الاب عمنوئيل « الرشاوي وكيل شؤون دير الراس » من جهة حدود المزارع كفرخلّص ودير عفريت : الذي نعرفه منشهد به قدام الله والناس بموجب الحجة الذي منا الذي فوق الطاحون على بك ونبع درب السكة جرّ الى منارة الريحان الى البيدر الذي في الحيثة لميل الغرب حد ساقية المحنة وطالع لحدود عبرين الذي حددناها بين عبرين ودير العفريت وكفر خلص للدرجة التي براس العربة الضيّقة . من الغريب النازل بالراس ونازل الى المصرة التي قبال الدير من ميل الشمال ومن الدرجة وصوب الشمال لمار زخيا وقباله الدرب الى جنينة مار شربل على ما يشهد الى ساقية منارة الشدول ونازل الى مجرا الماء الى الجسر المذكور .

واولادنا يشهدوا على نطقنا   في حضور اخونا بو مراد

كاتبها	محرره ولدنا
ابو فارس حنا	سمعان

وفي هذه السنة في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني عقد المجمع العام لأخوتنا الفئة الحلبية وفي اليوم من الاجتماع . اجتمعوا في كنيسة دير لويزة حيث عقد المجمع واقترعوا لانتخاب أصحاب الوظائف الكبيرة فانتخب في الاقتراع الاب برنردوس راجي الحلبي فنودي به رئيساً عاماً . وفي الاقتراع الثاني انتخب مدبرًا ثانياً الاب جرمانوس الخضروني. وفي الاقتراع الرابع انتخب مدبرًا ثالثاً

الاب يواكيم الحلواني الحلبي . وفي الاقتراع الخامس انتخب الاب برنردوس مارون الحلبي مدبرًا رابعاً . وفي الجلسة الاخيرة توزعت رؤساء الاديار .

(عن روزنامة المجامع في دير لويزة)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : جبرايل القليعاتي . واسبيريدون الزوقي . واقليموس الخازن . وعبدالله الشبابي . ويوسف زوق مصبح . وبرتلماوس ومارون الكفروني . وانطون الشننعيري .

وتوفي الاب جرمانوس الكاروز . والاخوة سابا الرويسة(رويسة النعمان) . وجرمانوس بكفيا . وافرام الحلبي . ويعقوب الشبابي .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ٨٣

وفي سنة ١٧٨٠ انه لما عزم السيد البطريرك يوسف اسطفان على السفر الى رومية العظمى اجابة لاوامر الكرسي الرسولي والحبر الروماني الاعظم اشهر منشورًا باسم رؤساء اديار الطائفة بوجه العموم وهذه حرفيته :

حضرة اولادنا الاعزاز رؤساء ديورة طايفتنا بوجه العموم المكرمين.

بعد اهداء السلام الوافر بالرب ما خفاكم اننا من مدة وجهنا حوائجنا الى بيروت وصرنا مهتمين على النزول اليها لنتوجه الى رومية وواصلة مكاتيب توضح طاعتنا للاوامر الحبرية التي وردت اخيرًا وهذا شيء فهتموه جميكم . القصد نخبركم كما هو الامل بمحبتكم وتصلوا من شأننا حتى الله تعالى يسهل لنا خطرتنا . ونسأل جوده تعالى ان تدوموا موفقين وتنجحوا في كل اعمالكم ونعمة ربنا يسوع المسيح تكون مع جميكم دائمًا آمين .

في ٢٣ شباط سنة ١٧٨٠

« الختم »   الحقير
البطرك يوسف

(عن اوراق بكركي)

وأما ما هي تلك الكتابات التي أشار اليها السيد البطريرك في كتابته وما هو مضمونها فلا يمكنني أن أقول عنها شيئاً صريحاً لعدم وقوعها في اليد إنما الذي أظنه أنها تتضمن الاشاره الى حسن طاعة السيد البطريرك للاوامر الرسولية رفعا لما كان اعتقده الكرسي الرسولي من تردد السيد البطريرك في اطاعة أوامره .

وفي ٢١ تموز من هذه السنة ١٧٨٠ عقد مجمع اقليمي لطائفتنا المارونية مؤلفاً من السادات أساقفة الطائفة برئاسة الاب بطرس دي مورتا القاصد الرسولي وميخائيل الخازن مطران قيسارية والنائب البطريركي في دير سيدة ميفوق أحد أديار رهبانيتنا وعلى نفقتها بحثوا فيه بمسائل الطائفة ووضعوا فيه ثلاثة عشر قانوناً وجلس فيه عدا الاساقفة :

يواكيم يمين مطران طرابلس . وميخائيل فاضل مطران بيروت . وجبرايل مبارك مطران بعلبك . ورافائيل الحاقلاني مطران دمشق . وانطون محاسب مطران جبيل . الاب العام مرقس الكفاعي والاربعة المديرين الآباء عمنوئيل الرشاوي . وارميا الكفروني . وشربل مدلج . ويوحنا الرشاوي . ورئيسا الرهبانيتين الحلبية والانطونية ومديروهما وتميّن بوظائف المجمع الاب نعمة الله النجار البكتناوي كاتب اسرار الرئاسة العامة لرهبانيتنا كاتباً للمجمع . والاب برلس نادر من آباء رهبانيتنا ايضاً مسجل عام .

وكانت النهاية من عقده في ٢٨ منه .

رغماً عن البحث الدقيق في أوراق ديرسيدة ميفوق وسجلاته وبالخصوص في سجلات حسابات الاخذ والعطاء. فلم أقف على ما أُنفق على عقد هذا المجمع .

وفي احدى جلسات هذا المجمع عرض الاب العام لرهبانيتنا على آبائه : ان البعض من اخوتنا الرهبان الحلبية والانطونية يوزعون كتاب مار انطونيوس ويجمعون النذور والحسنات المختصة بمقام دير مار انطونيوس قزحيا فتمّ التبليغ وثبوته أصدر السادة المشار اليهم منشوراً الى عموم أبناء الطائفة أثبته القاصد الرسولي يحرّمون فيه على أيٍّ كان من رهبان اخوتنا الحلبيين والانطونيين أن يوزعوا كتاباً أو يجمعوا احساناً مختصاً بدير قزحيا المرقوم تحت طائلة الحرم . وهذه حرفية التحريم :

فليعلم كل من يقف على مرسومنا هذا من شعبنا ورعيتنا في المدن والبرّ المكرمين باركهم الله الاله بافضل بركاته السماوية آمين .

انه بلغنا ان بعض رهبان حلبية ومن رهبان مار اشعيا يجولون بينكم ويأخذون بالحيل والخداعات النذور والحسنات المختصة بدير مار انطونيوس فهذا الامر احزننا جداً لانه محرم وسرقة واختلاس الاوقاف والحسنات المختصة بالدير المرقوم . قد انعرض هذا على مجمعنا بدير سيدة ميفوق وحكم المجمع المقدس بانه لا يجوز لاحد من الرهبان الحلبيين ولا من رهبان مار اشعيا ان يتعاطى بشيء من هذا الا رهبان مار انطونيوس قزحيا لان تفريق هذه

الكتب يختص باولاد مـار انطونيوس قزحيا الرهبان اللبنانيين الذين هم خادمون الدير المرقوم . وامر ايضاً ان الكتاب يكون مشرفاً بختم دير مار انطونيوس قزحيا حسب العادة القديمة وما احد معه اجازة يخالف مرسومنا . ومن اخذ هذا الكتاب من غيرهم فلا يفيده شيئاً ومثل ذلك الحسنات والنذور المختصة بالدير المذكور ما احد معه اجازة يسلمها الا بيد رهبان الدير الذين معهم بيان واضح من حضرة ولدنا المزبر رئيس عام الرهبانية المذكورة في كل مكان براً ومدناً . وهذا تقرر في المجمع السابق بحضور قاصد الكرسي الرسولي . واي من تجاسر على مخالفة مرسومنا هذا وتعدى على ما ذكرنا فليكن محروماً حالاً . حرر بمجمعنا بدير سيدة ميفوق في ٢٩ تموز سنة ١٧٨٠

« الختم » الحقير ميخايل الخازن
النائب البطريركي الانطاكي

المطران روفائيل الحاقلاني | المطران جبرائيل مبارك «الختم» مطران بعلبك | المطران ميخايل فاضل «الختم» مطران بيروت

المطران يواكيم يمين «الختم» مطران طرابلس | جرى ذلك بحضورنا وانتباه «الختم» | الاب بطرس دي مورينا قاصد الكرسي الرسولي المقدس

(عن نسخة بيدي)

وفي هذه السنة صرَّف السيد النائب البطريركي الانطاكي ميخائيل الخازن الرئيس العام الاب مرقس الكفاعي في جميع الكنائس المعروفة في مدينة جبيل وسهلها وجميع الكنائس الموجودة في أراضي دير سيدة المعونات (البنات) وذلك بموجب الحجج التي بيد الرهبان من الامير يوسف شهاب ومنع تولي الاساقفة عليها برسامة خوارنة عاملين على الكنائس المذكورة وبكلما يتعلق بها وهذه حرفية التصريف .

ميخائيل الخازن برحمة الله وبنعمة الكرسي الرسولي مطران قيسارية والنائب البطريركي

« الختم »

اعلام لمن يقف على وثيقتنا هذه .

اننا صرفنا حضرة ولدنا الاب مرقس الكفاعي رئيس عام رهبان مار انطونيوس اللبنانيين ورهبانيته بالكنائس التي في مدينة وسهل جبيل وهم : مار يعقوب . ومار جرجس . ومار شربل . وسيدة مرتين . وبقية الكنائس الكائنة في البساتين الى حد جسر نهر الدجاج بموجب الحجة التي بيدهم من سعادته وليس لاحد معارضة معهم لا في قيام كهنة على الكنائس المذكورة . وقد امرنا وحكمنا ان الاب العام يتصرف كيفية اديرة الرهبانية القانونية .

ومثل ذلك تتبهم الكنائس اللاحقة بديرهم سيدة المونات داخل ارضهم واعطيناهم هذا الاعلام الى حين الاحتياج اليه ولاجل قطع اسباب المنازعات .

تحريرًا في دير سيدة قنوبين في ٢٧ آب سنة ١٧٨٠

(عن اليبروتي)

أن تصريف السيد النائب البطريركي لآباء الرهبانية في الكنائس الموجودة في مدينة جبيل وسهلها وبساتينها مع الموجودة في أراضي دير سيدة المونات . ومنع تولي الاساقفة عليها بسيامة كهنة عالمين لا يجب أن يفهم منه أن آباء رهبانيتنا لهذا التاريخ لم يكونوا تمموا بالتسليم والاستقلال الاداري والتولي الصادر من الامير يوسف الحاكم العام بموجب الصكوك المعطاة منه للآباء المرقومين.

(راجع حوادث سنة ١٧٦٦ من تاريخ الرهبانية المجلد الثاني ص ٢٧٣)

بل كان هذا التصريف من سيادة النائب البطريركي لازماً طبقاً للرسوم الكنسية ولرفع اعتراضات يمكن حدوثها في مستقبل الايام . وكما قدر هؤلاء الآباء السامو الحكمة قد حدث . ومن مطالعة الحوادث الواقعة في سنة ١٧٩٣ الآتية وصاعدًا غنى عن الاسهاب .

نبذة اثرية تاريخية

عن حالة كنيسة[1] القديس يوحنا مرقس الرسول الكائنة في مدينة جبيل المسلمة الى رهبانيتنا من الامير يوسف شهاب في سنة ١٧٦٦ :

١ً : أن هذه الكنيسة هي من بناء الصليبين كما يشهد الشكل الهندسي المتبع منهم في بناء معابدهم .

٢ً : وأما التقليد الشائع بين أهل هذه المدينة فهو أن هذه الكنيسة هي من بناء الاولين على عهد الرسل وهذا منقوض لكن يمكن التسليم بقسم منه وهو : أن بنيان الكنيسة الحالية قام على آثار كنيسة قديمة بُنيت على عهد الاولين في جيل الرُسل .

٣ً : بناء الكنيسة

ان الحايط الشرقي القائمة فيه المذابح الثلاثة مع سقف الخوروس هو باقٍ من البناء الاصلي .

١) دخلت مؤخرًا في مصلحة الآثار اللبنانية

٤ : في السكرستيا

جديدة من بناء الرهبان وهي مستحدثة أي أمّا أنها لم تكن قبلاً أو على الاقل لم تكن في مكانها الآن .

٥ : قبة الموعوظين

هي من البناء الاصلي .

٦ : الحائط الشمالي

هو بكامله من بناء الاولين . أما الباب الحالي المعدّ للدخول الى الكنيسة فاصله شباك . وهذا ظاهر لمن دقق النظر في الامر لان الباب الاصلي كان في الحايط نفسه تحت قبة الموعوظين كما هو ظاهر . وأما الدرج الاصلي الموصل الى سطح الكنيسة فهو ايضاً في خارج هذا الحائط ويتوصل اليه من سطح قبة الموعوظين .

٧ : الحائط القبلي

بعضه من بناء الرهبان والبعض الآخر وخاصة أسفله وأساسه من بناء الاولين . وأما الدرج المبلغ الى سطح الكنيسة في داخل هذا الحايط فهو من محدثات الرهبان .

٩ : داخل الكنيسة

للكنيسة ثلاثة أسواق تحمل سقفها ست عضايد منهـا مستحدثة من بناء الرهبان وهي التي في الجهة القبلية وهي اثنتان وإزاءها في الجهة الشمالية اثنتان وهما من بناء الاولين . وبالطبع أن سقف السوقين الاوسط والقبلي هما من بناء الرهبان لسقوط عضائد السوق القبلي وأما سقف سوق الشمالي وعضايده فباقية من البناء القديم . أما العضائد الحاملة سقف المذابح الثلاثة وفسحة الخوروس فهي بكاملها من الآثار الاصلية .

١٠ : في الاصل كانت حيطان الكنيسة وسقفها من الداخل بغير تكليس[1] كما هو النسق النوطي . واما الرهبان فكلسوا الكل اي ما بنوه هم وما كان لم يزل باقياً من بناء الاولين .

---

1) قد اعادها مصلحة الآثار كما كانت قبلاً اي كشطت الكلس عنها وظهرت جدرانها على هيئتها الطبيعية بحجرها المنحوت .

١١ : مساحة الكنيسة

من مجرد النظر الى عرض الكنيسة القائمة الآن ومكان بابيّ الدخول الكائن في الحائط الشمالي ووضع النسبة المطلوبة لكمالها وجمالها يرى الناظر ان الرهبان قد اختصروا منها نحو ثلث الباقي منها . ومن أعمل النظر في شكل هذه الكنيسة حكم انه قد كان قائماً امام بابها الماركي ترتكس شأن الهندسة الشرقية . « البيزنطية » الذي هو الشكل الهندسي المبنية عليه هذه الكنيسة . وهذا الترتكس تقوم تتمة نسبتها الهندسية في الطول والعرض . ومما يثبت ما تقدم وجود احد عواميد الترتكس القائم حتى الآن في البستان القريب من الكنيسة . وكانت النهاية من ترميم المتهدم منها في سنة ١٧٧٩ كما يشير الى ذلك ما كتب على بلاطة رخام باحرف سريانية موضوعة فوق باب الدخول في الحائط الشمالي الذي كان في الاصل شباكاً وهذه حرفية الكتابة :

«قد تجدّد وتشيّد هذا الهيكل المبارك في ايام الحبر الاعظم البابا بيوس السادس وبايام قدس السيد البطريرك يوسف اسطفان وجمة ومساعدة الشيخ سعد الخوري . وبعناية ربانية . ورهبانية لبنانية . وطائفة مارونية في سنة ١٧٧٩ مسيحية » .

وعثرت بين اوراق الرهبانية على قرار وكتابة . فالقرار من الامراء : سلمان واسماعيل وفارس ابي اللمع الى الرئيس العام الاب مرقس الكفاعي وللآباء المدبرين باعطاء دير مار يوحنا زكريت وبان ترد له جميع املاكه التي بيعت منه وبتقسيط الديون التي عليه[1] والكتابة هي من الامراء ايضاً الى

١) وهذه حرفية القرار . سبب تحريره . هو انه اعطينا قول وقرار الى عزيزنا القس مرقس رئيس عام الرهبان اللبنانيين ومدبرينه على ديرنا مار يوحنا زكريت باننا نرد له جميع الرزق الذي راح منه على موجب الحجاج التي يد اصحاب الرزق ويعطيهم دراهمهم واصحاب الدين تقسط لهم دراهمهم كل ماية قرش خمسة قروش واعطينا قول وقرار على ذلك : ان لا احداً من بيت الحايك ولا من بيت المكرزل ولا من بيت شباب لهم عليه او عليهم بداية بوجه من الوجوه . انما الذي يباشر معهم على خاطرهم يروحوا لعنده وهيك اعطيناهم قول وحل السند يدهم لاجل الاحتياج اليه .

صح وجرى في ١ ت ٢ سنة ١١٩٣ هجرية فتوافق لسنة ١٨٧٠ مسيحية

فارس اسماعيل سلمان

الشيخ ابو مراد شعيا لها علاقة في هذا التدبير[1] . واما الاسباب الداعية لاعطاء هذا القرار فلم ارها مصرحة ولا في كتابة تتعلق بهذا الشأن . والذي اظنه هو : ان الشيخ ابو مراد شعيا كان متولياً المفاوضة مع من ذكر في كتابة الامراء المرقومين كما يظهر من كتابتهم له ليسلم الدير للرهبان اللبنانيين . فالرهبان لم يرتضوا باستلامه الا بارجاع الارزاق المبيعة منه لاجل قيام معاش الرهبان مع ترك الديون ودفع باقي الادعاءات من العيال الاخر المنوه بذكرها . فالشيخ المرقوم عرض واقع الحال على الامراء اي طلب الرهبان المار شرحه فالامراء لرغبتهم عن هذا التسليم اعطوا القرار المار ذكره . ولما لم تستقر النتيجة على ما كان يرومها الرهبان لم يتسلموا الدير بهذا الآن بل بقي على حاله الى ان كانت سنة ١٨٢٦ التي فيها تسلمته الرهبانية من السعيد الذكر المطران عبد الله بليبل مطران قبرس سليل رهبانيتنا على شروط تم الاتفاق عليها كما سيجيء .

ان من طالع كتاب الاصول المحجوبة المتضمن حوادث المنكودة الحظ والسيئة الطالع الراهبة هندية الحلبية للاب العالم بولس عبود الغوسطاوي يرى ان لا اثر به لمنشور اصدره النائب البطريركي المطران ميخائيل الخازن يرشق فيه بسهام الحرم بعض كهنة ورهبان واحد الاساقفة لمخالفتهم الرسوم الرسولية الصادرة بهذا الخصوص فحفظاً لهذا المنشور الذي اعتبرته كأثر تاريخي طائفي رأيت أن اثبته بحروفه وهو :

ميخائيل الخازن بنعمة الله والكرسي الرسولي مطران قيسارية والنائب البطريركي الانطاكي .

---

١) كتابتهم للشيخ المرقوم :

الى حضرة عزيزنا الشيخ ابو مراد شعيا المكرم . وصلت ورقتكم والوراق داخلها وفهمنا مضمونهم . من جهة الرهبان يتفهموا اننا نشتهيها لان صداقتهم قديمة . والملك خشناه . انما قضية الدين المائة وخمسة قروش عمرها ما صارت غير اننا منعمل مهما قدرنا ما متوخر . واصل ورقة الى اهالي بيت شباب وترسلوها الى عمنا ليختمها ويفتّه عليهم ويرسل علم للرئيس العام يحضر عنده ليفهّمه . ومن ورقة ولدنا واخونا علي اقروها على اصحابها وعرفوه اننا كنا توجهنا في خطرتنا وهي ما لحقتنا والسلام .

(عن البيروتي)

فارس اسماعيل

البركة الالهية والنعمة السماوية تحلّ وتستقرّ على شعبنا ورعيتنا المباركين من كل قدر وقياس باركهم الرب الاله بافضل بركاته السماوية امين .

اولاً مزيد الاشواق الى استماع اخبار سلامتكم وسلوككم بطاعة الله في كل خير وعافية. وبعده ما خفى على محبتكم الحكم الرسولي الاقدس الذي نفذ من السدة الرسولية البطرسية بامر المجمع المقدس وبراءة قدس الحبر الروماني الكلي الطوبى مار بيوس السادس حرسه الله تعالى بتلاشي رهبانية قلب يسوع ودير بكركي والثلاثة الاديرة الاخرى . اعني دير مار جرجس علما . وسيدة البزاز . ومار يوسف غوسطا . فمن جهة بكركي قد تلاشى بالكلية. والثلاثة الاخر تقول البراءة السعيدة الرسولية: «اما انهم يحتضنوا قانون الرهبان الانطونيانيين ام يذهبوا الى بيوتهم وهم محلولين من نذر الطاعة والفقر . ومن له سبب شرعي داعي يقدر يطلب الحل من نذر العفة ممن له سلطان على ذلك .

في المجمع العام البلدي الذي التأم في دير سيدة ميفوق لهذه السنة قد أمر السيد الكلي الشرف والاحترام المطران مخايل فاضل مطران بيروت لكي يذهب الى المحلات الثلاث ويفحص ادارة اولئك البنات المجتمعات هناك. وسيادته اخبرنا بان جميعهنّ طائعات الكرسي الرسولي المقدس .

فعند ذلك لثقتنا بمواعيدهنّ الكاذبة حررنا لهنّ مرسوماً واظهرن لهنّ حكم الكرسي الرسولي الاقدس .

ان التي تريد أن تذهب الى بيتها وتلبس لباس النسا. العالميات . لانه كما امر البابا بناديكتوس الرابع عشر السعيد الذكر في براءته الرسولية. انه لا يطلق عليهنّ اسم راهبات ولا على محلهنّ اسم دير وذلك في تثبيته المجمع اللبناني المقدس . بعد أن نصحناهنّ مرارًا عديدة بمكاتيبنا وبواسطة اناس آخرين فعوض انهنّ يظهرنَ الطاعة فظهرنَ العصيان والازدرا. لرسوم الكنيسة الجامعة. فبعد مشورتنا العلما. واللاهوتيين ومراجعتنا مرات عديدة البراءة الرسولية قد وجدناهنّ مخالفات بعناد لا يطاق . فحبتنا الابوية تحركنا بموجب التزامنا بالخضوع للكرسي الرسولي ونفوذ أوامره العالية واشفاقنا ونظرنا لخلاص نفوسهنّ اننا نؤدبهنّ بالقصاص الكنائسي رجاء توبتهنّ فنحرمهنّ كما اننا قد حرمناهنّ باسم الآب والابن والروح القدس. ومثل ذلك نحرم وقد حرمنا من يحامي عنهنّ أو يؤيدهنّ على العصيان ضد الاوامر الرسولية المقدسة ومن يعينهنّ أو يسعفهنّ على ذلك . وكل كاهن يسمع اعترافاتهنّ أو يناولهنّ القربان المقدس او يقدس

في كنيسة محلهنَّ فليكن ممنوعاً من التصرف بخدمة الاسرار الالهية المقدسة وذلك بقوة البراءة الرسولية . ومع ذلك لم نزل نطلب من أبي الانوار والمراحم أن يعطيهنَّ نعمة الطاعة ليرجعن عن عنادهنَّ ويعرفنَ حمامة المسيح واحدة التي هي الكنيسة الرومانية المقدسة التي رأسها هو الحبر الاعظم نائب سيدنا يسوع المسيح وخليفة مار بطرس السليح الطوباوي .

وقد حكمنا تبعاً للبراءة الرسولية التي قد لاشت رهبانية قلب يسوع التي لم تعمّ النساء فقط بل والرجال أيضاً الذين كانوا لابسين ثوب تلك الرهبانية وقد حصلوا متلاشين على خط مستقيم . وقد وعظناهم وأظهرنا لهم كل محبة وجبران خاطر وقدمنا البعض منهم الى وظيفة الخورنة وحثيناهم لكي يخضعوا للاوامر الرسولية ويغيّروا الثوب الرهباني المتلاشي ويلبسوا ذي الكهنة العالمين وأعطيناهم مهلة عشرة ايام ووعدونا بالطاعة اللازمة؛ وبعد ذلك ظهر كذبهم واستمروا بالثوب المتلاشي وقد نصحناهم مرات عديدة ليأتوا الى الطاعة فما زالوا على ما هم به . فبمشورة الناس اللاهوتيين المذكورين قد استحقوا الحرم والحط عن درجة الكهنوت . فنحرمهم اذاً ونحطهم عن كل تصرف كهنوتي :

برتلماوس شيبان . وجرمانوس نجيم . وجبرايل صفير .

ومثل ذلك نحرم كل من يحتج عنهم ويحاميهم كائن من كان . وفي أي درجة ومقام كان .

(يتبع)

القسطاس المستقيم
والمعرفة العقلية عند الغزالي

بقلم الاب ڤيكتور شلحت اليسوعي

١ : الحياة السياسية والفكرية في عصر الغزالي

لقد وصف المستشرق بروكلمن القسطاس المستقيم وقال : « انه حوار جدلي مع اسماعيلي ، ومن مؤلفات الغزالي المتأخرة »[1] . فلا بد لنا اذن لفهم افكار المؤلف فيها كاملا ، من تحديد نزعة كلا المجادلين الفكرية وتوضيح موقفها . وبما ان للحياة السياسية وللتيارات الفكرية والدينية ، ولا سيما في الدول الاسلامية ، تأثيرا متبادلا لا ينكر ، فيتحتم علينا ان نباشر بحثنا بالقاء نظرة خاطفة على الحالة السياسية في العراق ابان القرني العاشر والحادي عشر ، وعلاقتها بانتشار الدعوة الاسماعيلية وما تولد منها من فرق .

الحياة السياسية :

قبيل تأسيس الدولة الفاطمية الشيعية في مصر (٩٧٣ — ١١٧١) ، كان البويهيون الشيعيون قد فتحوا بغداد (٩٤٥) ، واعتبروا انفسهم حماة الخلافة . فساعد ذلك على انتشار الدعوة الشيعية في هذه البلاد وحلولها محل السنة ولكن عقب وفاة عضد الدولة البويهي (٩٨٣) ، اشتعلت بين اولاده حرب وراثية اضطرت احدهم الى استنجاد السلجوقيين السنيين ، فاستدعاهم واستعان بهم للتغلب على مناوئيه . فلبوا الدعوة مسرعين ، ودخلوا بغداد (١٠٥٥) وعلى رأسهم طغرلبك ، واصبحوا بدورهم عماد الخليفة . فانقلبت الحالة على البويهيين ، وشنت حملة شعواء على الشيعة ، ايد فيها المفكرون والكتاب بأس السلطان . فهاجموا على الصعيد الفكري الفرق الشيعية ، وألفوا التواليف منتقدين آراءها

---

1) *Geschichte der arabischen Litteratur*, Leiden, 1943, II Sup., Ib., p. 540.

وبدعها ، وكانت قد اخذت تتغلغل بين صفوف العامة . وتمت هذه الحركة في ايام الوزير السلجوقي نظام الملك وتحت حمايته ورعايته ، اذ كان وتنذ يشجع نهضة العلوم والفنون والآداب . وكان الغزالي من كبار العلماء والادباء الذين استدعاهم الوزير الى بلاطه في العاصمة حيث عُيّن استاذًا في المدرسة النظامية. فقام بوظيفته خير قيام ، وباحسن جدال جادل الاسماعيليين ، من باطنيين وتعليميين الذين ما لبثوا ان تآمروا على سيده نظام الملك وقتلوه[1] .

الاسماعيلية الباطنية والتعليمية :

وبما ان حوار القسطاس بين الغزالي واحد رفقاء التعليم يدور حول الاسماعيلية ، فيحسن بنا ان نقول كلمة عن نشوئها وتفرعها عن الشيعة ، وعن علاقة الباطنية والتعليمية بها .

اننا نعلم ان وفاة محمد اثارت مشكلة الخلافة. فقال الانصار : « لا نبايع الا علي بن ابي طالب » ، كما نعلم ان هذه المبايعة لم تتحقق الا بعد مقتل عثمان ابن عفان ولزمن قصير فقط ، اذ ان بني امية ، اقرباء عثمان ، وبعض الصحابة قد تخلفوا عن مبايعة علي . فكانت موقعة الجمل وموقعة صفين وما عقبها من تحكيم ادّى ، فضلًا لدها. عمر بن العاص ، الى استيلاء معاوية على الخلافة ، وكان ذلك بعد مقتل علي وتنازل الحسن نفورًا من الحرب . ولكنّ انصار علي ودعاة وراثية الخلافة لم يتنازلوا عن حقوقهم ، بل رأوا من واجبهم رد الحق لصاحبه ومقاومة الامويين ثم العباسيين سرًا وجهرًا ، ريثما يتولى الامر اهله ، لأن رئاسة الاسلام الروحية والزمنية ترجع ، في نظرهم ، الى الامام الذي نصّب وليًا على الاسلام بتعيين الهي . وهذا الامام هو علي ، اذ نصّ النبي على خلافته وجعله هكذا اهلًا لارشاد الامة وتدبير شؤونها . فنشأت على هذا الاساس عقيدة الشيعة ، ثم تطوّرت حتى ادّعى اصحابها انه لا بد لكل زمن من امام ، من ذرية علي وفاطمة ، يكون بالتالي وريث المعرفة التي اوحاها محمد لخليفته الاول . وهذا الامام من طبيعته منزه ومعصوم عن الغلط ، اذ انه

---

[1] راجع : G. Diehl et G. Marçais, *Le Monde Oriental* de 395 à 1081, chapitres 8 et 12, P. U. F. 1936 dans l'Histoire Générale de Glotz.

ورث المعرفة الحقيقية ولا يعلم الا الحق . فيتجلى لنا هكذا كيف ان الشيعة يستندون الى عصمة السلطة التي توخى الغزالي مناقشة مبدأها في تصانيفه .

وقد التجأ الشيعة ، في الدفاع عن هذه النظرية ، الى تأويل القرآن،مدّعين ان لكل ظاهر باطناً ، وان الحقيقة في قيد المعنى الباطني . غير ان التأويل عملية شاقة لا يستطيع خوضها سواد الامة الاعظم ،ولذلك قالوا بانه وقف على الدعاة المجتهدين المكلفين بهداية المؤمنين نيابة عن الامام . فيجب اذن على المؤمنين تقليد الامام المعلم اذ هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الحق والباطل . والاعتقاد بذلك جزء من الايمان ، كالايمان بالله وبرسوله .

اما شيعة بلاد فارس الاسماعيلية ،باطنية كانت ام تعليمية ،فقالوا بان الامامة انتقلت من جعفر الى ابنه اسماعيل ، ثم تداولها بعده أئمة مستورون ، يمثلهم دعاة مكلفون بهداية الجماعة . فقام احدهم الحسن بن الصبّاح ، وغالى في ادّعاء عصمة التعليم ووجوب التصديق به ؛ وكان قد تلقّن مبادىء الباطنية ، ثم اقام مدة في الديار المصرية . ولما اضطر الى مغادرتها ، دخل بلاد فارس خلسة ، وتحصن في قلعة ألموت التي اصبحت مصدر دعوته ومركزها . وكان ذلك في سنة ٤٨٣ / ١٠٩٠ ، اي قبيل ان يشغل الغزالي منصبه في بغداد .

اما الباطنية التي كان الحسن بن الصباح يدعو اليها،فقد سمّيت بالتعليمية لانه نبذ عنها مطلقاً حق النظر والاجتهاد ، واوجب على المؤمنين ، فيما يتعلق باصول الدين وفروعه ، الانقياد للامام المعلم بدون قيد او شرط ، وتقليده تقليداً تاماً ،اذ هو معصوم عن الغلط والحقيقة وقف عليه. ففي تطرّفه في توجيب الطاعة للامام تجاوز الحسن حدود الباطنية حتى أطلق على مدرسته هذا اللقب الجديد. وقد شرح نظريته في مؤلف فارسي الخصه الشهرستاني فيما بعد . ويظهر ان باطنية خراسان اتخذت منذ هذه الفترة لقب التعليمية[1] .

١) راجع : I. GOLDZIHER, *Streitschrift des Gazali gegen die Batinijja Sekte*, Leiden, 1916, pp. 5-12.
Le dogme et la loi de l'Islam, Geuthner, 1920.
Encyclopédie de l'Islam, art. « taqlīd » et « isma'iliya » (de Perse).
راجع ايضاً : احمد امين : « ضحى الاسلام » القاهرة ١٩٥٢ ، الجزء ١ ، الفصل ٣ .
كارل بروكلمان : « تاريخ الشعوب الاسلامية » تعريب نبيه فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت .

الرأي والقياس :

رأينا ان التعليمية لا تقر بحق النظر في امور الدين، او بعبارة اخرى، بحق الاجتهاد الشخصي عن طريق الرأي والقياس. فيلزمنا لادراك فهم ما سيأتي ان نحدّد معنى هذين المفهومين، اذ كثيراً ما يدور حولها حوار « القسطاس ». اننا نعلم انه لم يكن لدى الامة الاسلامية عند وفاة نبيها من المصادر غير القرآن والسنة لتوضيح وحل ما يعترضها من جديد في مسائل الايمان والفقه . ولذلك فقد اضطرت سريعاً الى اللجوء الى مصدر ثالث وهو الاجماع . ولكن القرآن جاء بآيات متشابهات تحتاج الى تفسير وتوفيق، فبعد ان آمن بها المسلمون الاولون وصدّقوها رغم تناقضها ، اتى المتكلمون وحكّموا فيها عقلهم ورأيهم وأوّلوها محاولين ازالة ما يبدو فيها من تناقض[1] .

ثم عند انتشار الاسلام وفتح بلاد فارس الثانية ، اتصل دعاة الدين الجديد ببيآت كثرت فيها المحاجات والجدالات اللاهوتية ، حيث كانت الفلسفة اليونانية معين التفكير والتنقيب. فاضطرّ هؤلاء في الدعوة الى الاسلام والرد على المخالفين، ان يستعينوا هم ايضاً بالفلسفة ومنهجها المنطقي . وكان المعتزلة اول من خاضوا في هذا المضمار ، فذهبوا فيه شوطاً بعيداً ، مشجّعين التفكير الحر في الامور الدينية، حتى انكرتهم السنة واسماهم فيما بعد المستشرقون « عقلانيي » الاسلام.

هذا من ناحية العقيدة والايمان ، اما فيما يتعلق بالفقه وما تثيره الحياة في علاقة المؤمنين مع بعضهم من مشاكل جديدة، لم تذكر في الوثائق المحرّرة، فكان سكان المدينة يرجعون الى اعمال الرسول واحاديثه التي لم يزل ذكرها يتنقّل على الافواه ، وبالمقارنة يستنتجون منها الحلول لهذه المشاكل . اما في بلاد ما بين النهرين البعيدة عن مهد الاسلام، حيث لم يترك اسلام عهد النبوّة عرفاً ولا تقاليد ، فقد الجئ الفقهاء الى اتخاذ القرارات والقضاء حسب رأيهم ونظرهم ، قياساً على ما جاء في القرآن والسنة . فنشأ هكذا القياس ، وهو المصدر الرابع[2] .

ونمت على هذا الاساس صناعة الكلام . فادعى المحافظون وجوب التقيد

---

١) راجع : احمد امين : « ضحى الاسلام » الجزء ٣ , تمهيد في نشأة علم الكلام .

٢) راجع : *Encyclopédie de l'Islam*, art. « qiyas ».

بحرفية النصوص ، كما اعلن المتحررون ان لا بد من تأويلها بالاستناد الى الرأي والقياس . اما الغزالي فذهب مذهباً وسطاً . لقد قبل الرأي والقياس ، ولكنه اخضعها لقواعد معينة ثابتة . فقال في القسطاس : « بأي ميزان تزن حقيقة المعرفة ؟ أبميزان الرأي والقياس ؟ (. . .) ام بميزان التعليم ؟ »[1]. انه لم يذهب مذهب اصحاب الرأي ، ولا مذهب اهل التعليم ، بل وفق بينهما وسلك طريق المعلم الاول ، محمد ، الامام المعصوم ، دون غيره من الائمة ، الذي سجل الحقيقة في القرآن : « ازنها بالقسطاس المستقيم (. . .) وهي الموازين الخمس التي انزلها الله في كتابه »[2] . انها موازين النظر الصحيح والرأي السليم . فعلى من يريد تحكيم رأيه في المعارف لتمييز الحق فيها من الباطل ، ان يخضع نظره لموازين القرآن واحكامه . فنرى هكذا كيف شق الغزالي طريقاً جديدة وفق فيها بين التعليم والرأي جميعاً .

٢ : نظرية معرفة الحقيقة في القسطاس

يحدد الغزالي في هذا الحوار قواعد التفكير الصحيح المفضية الى معرفة الحقيقة ، معبداً هكذا للنظر العقلي طريقاً تؤمن لمن يسلكها الوصول الى تمييز الحق من الباطل ، وبالتالي الوقوف على حقيقة الامور ، زمنية كانت ام ابدية ، محسوسة ام معقولة . الا انه يقر بان عمله اقتصر على ابتداع اسماء لهذه القواعد فقط دون اصولها ، اذ قد سبق الى استخراجها ، وسنبين ادناه ، عند الكلام عن صورة القياس ومقدماته ، انها ترقى الى عهد فلاسفة اليونان الذين وضعوا المنطق.

غير ان ما عرفه الغزالي من ضعف قريحة صاحبه التعليمي وطاعته الى الاوهام ، دفعه الى تغيير كسوتها ، اذ ان وزن المعقول بالاستناد الى المنقول يجعل القول منها اسرع الى القبول[3]. وعلاوة على ذلك لقد توخى تبديل اساميها بغية تجديد طريقة المعرفة هذه . لان المتكلمين كانوا قد اسرفوا في استعمالها في محلها وغير محلها ، غير مخلصين لشروطها[4] حتى انهم افقدوها قوتها الاستنتاجية

1) « القسطاس المستقيم » ، طبعة مصطفى النباني ، القاهرة سنة ١٩٠٠ ، ص ١٤و١٥ .
2) ايضاً ، ص ٢٠
3) « القسطاس » ، طبعة سنة ١٩٠٠ ، ص ١١١
4) « المستصفى » ، طبعة سنة ١٣٢٢ هـ ، ص ٤٨

العلمية . انهم كانوا يلجأون في قياساتهم الى مقدمات ظنية للدلالة على حقائق الايمان والدفاع عنها ، بين ان مثل هـذه المقدمات لا تنتج الا نتائج ظنية ، معرّضة للخلاف والتناقض ، لا تصلح الاستعمال في العلم الضروري اليقيني. فلكي لا يلتبس فهم روح هذه الطريقة الذي يختلف عن روح طريقـة المتكلمين ، ولكي لا يعرّض نظريته لنقمة المحافظين المنكرين للفلسفة ومنهجها المنطقي ، قدّم الغزالي المنطق وشروطه باسلوب طريف والقاب جديدة اعاد بها اليه شبابه وحيويته وفاعليته في اكتساب معرفة الحقيقة .

فلنعرض بدورنا هذه الطريقة كما وردت في القسطاس . واننا لن نكتفي بالكلام عنها كنظرية ، بل سنحاول تفحص كيفية تطبيقها في موضوع جوهري، كالدلالة على وجود الخالق. وسنخص الفصلين المقبلين بدراسة موقف الغزالي من العقل والايمان في المعرفة .

لقد عيّن مؤلف القسطاس موضوعه منذ الصفحة الاولى اذ جعل خصمه يطرح عليه هذا السؤال الاساسي: « بأي ميزان تزن حقيقة المعرفة ؟ »[1] ، اي ، بعبارة اخرى: ما السبيل الى تمييز الحق من الباطل ، وبالتالي استخراج العلم الحقيقي ؟ ولكن قبل التكلم عن السبيل المؤدي الى الحق، يحسن بنا ان نحدد ميزة هذا الحق حتى اذا ما وجدها الباحث متوفرة في معرفته، تيقن ان معرفته حقيقية. اننا نقول مع الغزالي ان العلم الضروري هو الذي نحس فيه « برد اليقين »[2]. ولكن ما معنى ذلك؟ ان القسطاس يقتصر على ذكر هذه العبارة من دون ان يشرحها. انما يمكن استجلاء محتواها بالرجوع الى المعيار والاحياء ومقدمة المستصفى[3] .

احوال التصديق :

ان الغزالي يميّز ثلاثة احوال يصدّق فيها العقل ما يعرض عليـه من الحقائق والاحكام ، وهي : اليقين والاعتقاد والظن . فالحالة الاولى عبارة عن تصديق

١) « القسطاس » ، ص ١٤ .

٢) ايضاً ، ص ٢٥ .

٣) لم يتغيّر موقف الغزالي من المنطق ، حتى ولا بعد مرحلته الصوفية . والدليل على ذلك ان ما جاء في القسطاس (٤٩٧/١١٠٣) وفي مقدمة المستصفى (٥٠٣ / ١١٠٩) ينطبق تماماً على ما ورد في « محك النظر » و « معيار العلم » اللذان وضعا سنه ٤٨٨/١٠٩٥ .

لم يبق معه مجال للشك ، يتيقن فيه العقل انه يعرف الحقيقة ، ويتيقن بأن تيقنه صحيح لا يشوبه ادنى خطأ او ادنى ريب، حتى ولا امكانية الخطأ او الريب. « ان يتيقن ويقطع به ، وينضاف اليه قطع ثان وهو ان يقطع بان قطعهما به صحيح، ويتيقن بان يقينها فيه لا يمكن ان يكون به سهو ولا غلط »[1]. وهذا اليقين يفيده البرهان الحقيقي ، « اذ لا يتصور تغيّره ، ويكون ذلك بحسب مقدمات البرهان ، فانها تكون يقينية ابدية، لا تستحيل ولا تتغيّر ابداً (...)، فالنتيجة الحاصلة منها ايضاً تكون يقينية. والعلم اليقيني هو ان تعرف ان الشيء بصفة كذا ، مقترناً بالتصديق بانه لا يمكن ان لا يكون كذا »[2] . وهذا التصديق اليقيني لا يستطيع احد نقضه او تكذيبه من دون ان يناقض ذاته. فيرتاح حينئذ العقل الى معرفته هذه ولم يعد يحس بدافـع الى الاستزادة من الادلة والبراهين ، هذا الدافع الذي ينم عن نقص في المعرفة وعدم اكتمالها . فمحك المعرفة الاخير هو اذن وضوحها الموضوعي والشعور ازاءها ببرد اليقين وقراره.

وتسمى الحالة الثانية اعتقاداً لان العقل يصدق فيها شيئاً دون ان يدرك امكانية وجود نقيضه ، او وجوده فعلاً ؛ واذا ما ادرك هذا النقيض ، خالجه الشك في تصديقه من غير ان يحمله على تغيير رأيه[3] فيظل العقل متمسكاً به ، بينما يكون في الحالة الثالثة ، حالة الظن ، مستعداً لاعتبار ما يناقض تصديقه ولقبوله . وهكذا يستطيع العقل تصحيح ظنه وتكميله ، « فلا يزال يترقى قليلاً قليلاً الى ان ينقلب الظن علماً »[4]. وينشأ العلم الضروري اذا الّفنا برهاناً من مقدمات يقينية وراعينا شروط صورة التأليف ، فتأتي النتيجة ضرورة يقينية يجوز الثقة بها .

صورة القياس ومقدماته :

وبعد ان ميّزنا صفة المعرفة الحقيقية ، بقي علينا ان نعيّن الطرق المؤدية اليها. وقد عيّنها الغزالي في القسطاس عندما سأله خصمه: « فبماذا تزن معرفتك؟»

١) « المستصفى» ، طبعة سنة ١٣٢٢ هـ ، ص ٤٣ .
٢) « معيار العلم» ، طبعة سنة ١٣٢٩/١٩٢٧ ، ص ١٥٩ .
٣) « المستصفى » ، ص ٤٣ .
٤) « المستصفى» ، ص ٤٤ .

فاجاب : « ازنها بالقسطاس المستقيم (...) وهي الموازين الخمس التي انزلها الله في كتابه ، وعلّم انبياءه الوزن بها »[1]. والميزان عنده هو القياس العلمي ، او البرهان ، المفيد لمعرفة ضرورية علمية ، ولكنه تجنب استعمال لفظة « قياس » لانها فقدت مدلولها العلمي ، اذ كان المتكلمون في المسائل الفقهيـة والنظرية يلجأون الى القياسات . ويستعملون فيها مقدّمات مشهورة ظنية[2]. غير ان مثل هذه القياسات لا تصلح للعلم لانها لا تنتج إلا نتائج ظنيـة معرّضة للخلاف والتناقض . ولذلك اصبحت هذه الطريقة في اكتساب المعرفة الحقيقية موضوع شبهة وحذر . فجاء الغزالي وتوخّى اصلاحها وتجديدها ليرد لها فاعليتها العلمية ، فاعاد تحديد شروط استعمالها المنسية او المهملة وابتدع لها اسماء جديدة استخرجها من القرآن ليجعلها اسرع الى القبول .

والميزان كالقياس يتكوّن من عنصرين : الصيغة او الصورة ، والمادة او المقدّمات . اما الصورة فتختلف باختلاف شكل تأليف الميزان ، وهي عـلى خمسة اشكال. فالثلاثة الاولى تسمّى موازين التعادل ، وهي تناسب لاشكال قياس ارسطو الاقتراني الثلاثة[3] ؛ والاخيران يسميان ميزاني التلازم والتعاند، وهما يناسبان للقياسين الشرطي المتصل والشرطي المنفصل اللذان انشاهما الرواقيون[4] فقد شرحها الغزالي في القسطاس شرحاً وافياً ، ووضع قواعد تركيبها ، داعماً اقواله بامثال متنوعة قريبة الفهم، لا نرى حاجة الى الخوض فيها على هذه الصفحات.

واما مادة الموازين فهي المقدّمات او الأُصل . فانها تنتج نتائج ظنية اذا كانت هي ظنّية مشهورة ،ونتائج علمية يقينية لا يستطاع الشك فيها اذا كانت ضرورية .والمادة الصحيحة التي تستعمل في النظر وتفيد المعرفة اليقينية ، « كل اصل معلوم قطعا اما بالحس واما بالتجربة واما بالتواتر الكامل او باول العقل

---

١) « القسطاس »: ص ٢٠ .

٢) « المستصفى » : ص ٤٨ .

٣) راجع: ARISTOTE : *Premiers Analytiques*, édition Tricot : I,4,25b, 32 ; I,5, 26b,94 ; I,6 28a,10.

٤) راجع : علي سامي النشّار : « مناهج البحث عند مفكّري الاسلام » ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٤٦-٤٨ ؛ وايضاً : *Premiers Analytiques*, édition Tricot, p. 154, note 3.

او بالاستنتاج من هذه الجملة »[1] . لقد اقتصر الغزالي في القسطاس على هذه العموميات ، ولكنه توسع فيها في الاحياء والمستصفى والمنقذ[2] . ونحن بعد مراجعة هذه النصوص نستنتج ان اول العقل وحدها ضرورية على الاطلاق ، وبالتالي صالحة الاستعمال في البرهان . اما الاصول المعلومة بالحس او بالتجربة او بالتواتر ، فليست دائماً ضرورية اذ يتطرقها الغلط احياناً ، وللعقل في الحكم بصلاحها وفي قبولها دور مهم .

دور العقل ونشاطه في اكتساب الأصل :

ولكن معطيات الحس والتجربة والتواتر يمكنها ان تتحول وتصبح معارف ضرورية ومقدمات صالحة الاستعمال في البراهين . ويتحقق ذلك عادة نضلاً لنشاط عقل الانسان وتفكيره لاستخراج الاصل الضرورية وتأليفها تأليفاً تتوفر فيه شروط البرهان . وهكذا من قصد طلب الحقيقة عن طريق النظر عليه ان يدرس شروطه ويراعيها ، وعليه ايضاً التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد اخرى ليقوّم ما انحرف في معطيات الحس والتواتر ، ويستخلص منها القوانين العامة ، وينتهي هكذا الى المعرفة الضرورية . وللاسفار ، بما فيها من تعرف وبحث وتنقيب اهمية كبيرة في نجاح هذه العملية ، لان المعرفة على الخبير سقطت[3] .

واذا كان الامر كذلك ، اي اذا كان عقل الانسان جديراً باكتساب معارف جديدة يتيقن منها تيقنه للاوليات ، فما هي اذن طبيعته، وما الذي يمكنه من الحكم بان معرفته المكتسبة هي ضرورية ؟

لقد وصف لنا الغزالي العقل في « الاحياء » وصفا دقيقاً مسهباً ، فقال : « العقل منبع العلم ومطلعه واساسه (. . .) وهو الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم ، « واستعد » به لقبول العلوم النظرية (. . .) ، ولم ينصف من انكر ذلك ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية »[4] . وهذه الصفة التي

١) « القسطاس » : ص ٧٧ .

٢) « الاحياء » : ك ١ ، ب ٦ ص ٧٢ ؛ « المستصفى » : ص ٤٤–٤٦ ، « المنقذ » : طبعة القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٥٥ .

٣) « القسطاس » : ص ٦٦ .

٤) « الاحياء » : ك ١ ، ب ٧ ، ص ٨٣ .

يتصف بها الانسان تسمّى تارة « القلب » وطورًا « الروح » وطورًا « النفس » « والعقل » . اسماء مختلفة بالنسبة الى موضوعها ، ولكنها تعبّر عن قوّة واحدة صادرة عن منبع واحد ونشاط واحد ، ألا وهي قوة المعرفة والعلم[1] .

واذا اردنا تعيين مدى فاعلية هذه القوة ، يتحتّم علينا اولًا تحديد نطاق ما تدركه من المعارف . لقد بيّن لنا ذلك الغزالي في « مشكاة الانوار » موضحًا حقيقة العقل وامكانياته ، فلنقتصر نحن على ايراد الخطوط الرئيسية من هذه الصفحات المشهورة[2] . ان العقل يدرك ذاته بكونه عارفًا ، ويدرك معرفته لذاته ، وينفذ ببصره الى اسرار الاشياء ويفهم حقائقها ، ويستخرج منها اسبابها واحكامها ، اي مصدرها وسبب حدوثها ومكانتها في الموجودات ونسبتها اليها . ونشاطه هذا يمتد الى كافة الموجودات ، من محسوسات ومعقولات . انه يدركها ويتصرف في جميعها ويطلق عليه احكامًا يقينية صادقة . ثم انه يدرك بنوع خاص المعقولات وهي غير متناهية ، اذ يدرك الاعداد مهما كثرت وتضاعفت . وعلاوة على ذلك ، فالعقل منزّه عمّا يطرؤ على الحس من غلط . واذا كان المفكرون قد اختلفوا في نظرياتهم وتناقضوا فلا يرجع ذلك الّا الى الحس والمخيلة والى احكامها المستمدة من عالم الحس والاعتقاد والتي تختلف باختلاف الخلق ما لم يحكم فيها العقل . فاذا كانت هذه هي مدروكات العقل ، وجب اذن ان يكون العقل نفسه مستعدًا لقبولها والاستحصال عليها ؛ وبما انها غير متناهية ، فاستعداده لقبولها غير متناه ، اي انه يملك بالقوة مقدرة غير متناهية لمعرفة ما يدركه بالفعل[3] .

واذا كان الامر كذلك ، فما العقل اذن ؟ يقول الغزالي في « اللدنية » : « والنفس الناطقة جوهر حيّ يعمل ويفهم » ، ثم يزيد : « لقد صح في العلوم الحكمية بالبراهين القاطعة والدلائل الواضحة ان الروح الناطق ليس بجسم ولا عرض ، بل هو جوهر ثابت دائم غير فاسد »[4] . ولكنه لم يهتم بايراد هذه

١) « الاحياء » ، ك ٢١ ، ص ٣ .
٢) « مشكاة الانوار » ، في « الجواهر الغوالي » ، القاهرة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م ، ص ١١٣–١١٦ .
٣) « المشكاة » ، ص ١١٧ ؛ « المعيار » ، ص ٢٥ ، ٢١٣ .
٤) « اللدنية » ، في « الجواهر الغوالي » ، ص ٢٥ .

البراهين ، واكتفى بارجاعنا الى الكتب اللائقة بهذا الفن . اما « اللدنية » فمن فنٍّ آخر ، ولذلك اورد لنا دليلًا يناسب المعرفة اللدنية ، وقال : « ان الروح ليس بجسم ولا عرض ، لانه من امر الله تعالى »[1] .

ويمكننا ان نستجلي مما جاء اعلاه على الاضمان ، ان العقل « وجدان » يجد فيه الانسان كونه عارفاً كما يدرك مادة معرفته وحقيقتها وصحتها. ويمكنه ايضاً التيقن من حقيقة معرفته بالمقارنة بين ما يعرفه صريحاً وما يعرفه ضمناً ، اذ انه يملك بالقوة ما يكتسبه بالفعل ؛ فاذا كانا مطابقين ، ارتاح الى معرفته وسكن ، وحسّ فيها « برد اليقين »وبرد اليقين هو محك المعرفة الموضوعية[2] . وترتكز هذه العملية الذهنية على الحكم الذي يبديه العقل في ما يعرض عليه من الحقائق ، فيصدّق بها ويسلم بها او يكذبها وينفيها . والعقل أهل ليطلق مثل هذا الحكم في الوجود ، اذ انه يتبع كافة الكائنات التي يدركها تحت مبدأ الهويّة ، وسننه هي سنن الكائن ذاتها .

ان لم تكن هذه العناصر ظاهرة كل الظهور في تصانيف الغزالي ، غير انها حاضرة فيها. وليس لنا ان نؤاخذه على عدم توضيحها توضيحاً فلسفياً وافياً ، لانه ، كما سنبينه ، كان يستهدف الى دعم حقائق الايمان بحجج نظرية وادلة عقلية ، ولا التطرق الى الحقائق الفلسفية تطرقاً علمياً بحثاً يبني فيه نظرية كاملة في علم ما وراء الطبيعة وعلم النفس والمعرفة . اي ان اتجاهه الفلسفي العقلي نشأ في نطاق علم الكلام . وقبل ان نتعرض الى هذا الموضوع ، لا بد من القاء نظرة سريعة على كيفية تطبيق الغزالي طريقته في معرفة الحقيقة .

البرهان عن وجود الخالق :

رأينا ان محك المعرفة الاخير هو « برد اليقين » ، وان الانسان يستطيع التوصل اليه عن طريق الموازين باستعمال مقدّمات ضرورية وباحكام شروط تأليفها . ولكن ما هي المعارف التي يمكن اكتسابها عن هذه الطريقة وعلى هذا اليقين ؟ لقد حدّ ذلك مؤلف « القسطاس » في قوله : « اعلم يقيناً ان هذا الميزان هو ميزان معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه

١) ذات المرجع .
٢) راجع اعلاه ، ص ٥٥٧ .

وملكوته »[1] ؛ واستعمال الموازين لا يقتصر على الدينيات : « هيهات ، لا ادعي اني ازن بها المعارف الدينية فقط ، بل ازن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعية والكلامية . وكل علم حقيقي غير وضعي اميّز حقه عن باطله بهذه الموازين . وكيف لا وهو القسطاس المستقيم »[2] . لم يكتف الغزالي بهذه التصريحات والاثباتات العامة ، بل نراه ، بعد عرض كل ميزان والكلام عن حدّه وعياره ، يورد لخصمه التعليمي مظنة استعماله في النظريات والالهيات، طبقاً مبادئه على معارف معينة ، اجدرها بالذكر معرفة وجود الخالق .

لقد برهن الغزالي في « القسطاس » عن وجود الخالق في مرحلتين . اما الاولى ، فعند كلامه عن ميزان التعادل الاكبر اذ قال: « كل جائز فله سبب ، واختصاص العالم او الانسان بمقداره الذي اختص به جائز ، فاذن يلزم منه ان له سبباً »[3] . ان هذا البرهان صحيح ينتج نتيجة ضرورية ، اذا تمّت الدلالة على صحة مقدماته وضروريتها . فالمقدمة الكبرى « كل جائز فله سبب » هي عبارة عن تحديد معنى الجائز . والمقدمة الصغرى تنتج عن كون الانسان مختصاً بمقدار مخصوص ، اذ ان « نسبة المقادير الى شكل الانسان واطرافه متساوية ، فتخصيصها لا محالة بفاعل »[4] . فالانسان اذن ليس ضرورياً بل جائزاً، والعالم كذلك . « ومن يتشكك في شيء من هذا فطريقه ان يترقى منه الى اوضح منه حتى يترقى الى الاوليات . وشرح ذلك ليس من غرضنا »[5] .

فالعالم اذن له سبب ، وسببه موجود قديم. هذا ما يبينه في المرحلة الثانية عند القول في ميزان التعاند : « الموجودات اما ان تكون حادثة او بعضها حادث وبعضها قديم . ثم تقول : ومعلوم ان كلها ليست بحادثة ، فيلزم ان فيها قديماً . فان قيل : فلم قيل ان كلها ليست حادثة ؟ فنقول : لان كلها

١) « القسطاس » ، ص ٢٢ .
٢) « ايضاً » ، ص ٨٤ .
٣) « القسطاس » ، ص ٣٧ .
٤) ايضاً ، ص ٣٨ .
٥) ايضاً ، ص ٣٩ . وقد برهن الغزالي عن ذلك بالتفصيل في « الاقتصاد في الاعتقاد» ص ١٤ الى ١٧ .

لو كانت حادثة ، لكان وجودها بانفسها من غير سبب . فبطل ان تكون كلها حادثة ، فثبت ان فيها موجوداً قديماً »[1] .

مهما كانت قيمة هذا البرهان ، فانه في نظر الغزالي مقنع ، اذ يبرهن عن وجود الخالق بوجه قطعي يقيني ، ويدلنا ، بالتالي ، على ان للعقل ومنهجه العلمي في حقل ما وراء الطبيعة سلطة واسعة يستغني بها عن كل معونة خارجية. ولكن على اي اساس يرتكز هذا البرهان ؟ اذا تحققناه وتتبعناه خطوة خطوة ، وارتقينا فيه من مقدمة الى مقدمة ، يتضح لنا انه يدور حول مبدأ العلّية . فهل هذا الاصل صالح الاستعمال في البرهان العلمي ، اي هل معرفته اوّلية ضرورية في العقل ، يستحيل نقضها ، كما يستحيل فيها الخطأ او امكانية الخطأ ؟

لقد يبدو ان موقف الغزالي في هذا الصدد ليس موحداً مطرداً في جميع مؤلفاته . ففي « الاحياء » مثلاً يقول ان معرفة العلية تنتج من طبيعة العقل ذاتها ، اذ حيث وجد العقل وجد فيه ايضاً مبدأ العلّية : « وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً ، سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب »[2] . انه واضح وضوح « الاثنين اكثر من الواحد » وبالتالي صالح الاستعمال في مقدمات البرهان العلمي ومفيد لمعرفة حقيقية يقينية ابدية ثابتة . انما يعترض هذا التصريح ما ورد في « تهافت الفلاسفة ». فمهاجمته القوية للفلاسفة ونقده اللاذع لاستنتاجاتهم المبنية على هذا المبدأ[3] يضعف كثيراً برهانه عن وجود موجود قديم حيث يعول هو نفسه على مبدأ العلية . هذا ما حمل ابن رشد فيما بعد على الرد عليه قائلاً : « فمن ينفي ذلك ، ليس يقدر ان يعترف ان كل فعل لا بد له من فاعل »[4] . لقد اضطر الغزالي ، لاثبات قدرة الخالق المطلقة ، ان ينفي ضرورة اطراد احكام الطبيعة وسننها ، فنفى ايضاً هكذا امكانية العلم الذي يستند الى ما

---

١) « القسطاس » ، ص ٥٨ ، « والاقتصاد في الاعتقاد » ص١٧و١٨ .

٢) « الاحياء » ، ك ١ ، ب ٦ ، ص ٧٣ .

٣) « تهافت الفلاسفة » ، طبعة بويج ، بيروت ١٩٢٧ ، ص ٢٧٧ .

٤) « تهافت التهافت » ، طبعة بويج ، بيروت ١٩٣٠ ، ص ٥١٩ راجع ايضاً ص٥٠٨ الى ٥٤٢ حيث يرد ابن رشد على المسألة السابعة عشرة من « تهافت الفلاسفة » في ابطال قولهم باستحالة خرق العادات .

هو ضروري . فختم ابن رشد نقده قائلًا: «ان الموجودات تنقسم الى متقابلات ومتناسبات، فلو جاز ان تفترق المتناسبات لجاز ان تجتمع المتقابلات . لكن لا تجتمع المتقابلات فلا تفترق المتناسبات. هذه حكمة الله تعالى في الموجودات، وسنته في المصنوعات ، ولن تجد لسنة الله تبديلًا . وبادراك هذه الحكمة ، كان العقل عقلًا في الانسان »[1] .

انما على الرغم مما جاء في « التهافت » لا يحق لنا ان نجزم بان الغزالي لم يدرك العلاقة بين سنن الموجودات وسنن العقل نظرًا لما اوردناه اعلاه عن وصفه لقوة المعرفة في «المشكاة»[2] . فكيف يمكننا عندئذٍ تفسير وتبرير ما صرّحه في «التهافت»؟ اننا نلمس هنا المشكلة التي اعترضت مؤرخي الفلسفة العربية واثارت بينهم المناقشات الطويلة. لقد حان الوقت ان نطرح السؤال على بساط البحث : ما هو موقف الغزالي من العقل ؟ هل انشأ في المعرفة طريقة عقلية بحتة وهل اخلص لبنيان او نظام فلسفي معين ؟ ام استعان في تفكيره بمعطيات الدين التي يسلّم بها الايمان ؟ فيلزمنا عندئذٍ ان نحدد مدى تداخل معطيات العقل والايمان في انتاجه . هذا ما سنحاول الاجابة عليه في الصفحات التالية ، مستمدين عناصر الجواب من مؤلفاته ومما كان له دور مهم في توجيه موقفه العملي .

٣ : التناقض ومحاولة تفسيره

لقد قدّم لنا الغزالي في «القسطاس» منهجه في معرفة الحقيقة. انه لم يكتف بعرض نظري ، بل ارانا فعليًا ، كما بيّناه آنفًا ، ان استعمال الموازين يفيد « برد اليقين » في الغيبيات . وينمّ هذا عن تقديره لسلطة العقل في حقل ما وراء الطبيعة . ولم يقتصر موقفه هذا من العقل على مؤلف واحد ، اذ اننا نراه في « الاقتصاد في الاعتقاد » يعوّل على العقل ليبرهن مثلًا عن وجود الخالق؛ وهناك ايضًا ، في «الاحياء» و«اللدنية» ، بعض اثباتات تؤيد هذا الموقف وتظهر لنا

١) ايضًا ، ص ٥٤٢ .
٢) راجع اعلاه ، ص ٥٥٩ — ٥٦٠

ان ايمانه بصلاحية العقل لم يكن امرًا استثنائياً فقط ، او مرحلة من مراحل تطوّره الفكري .

ولكن اذا تفحّصنا جميع مؤلفاته ، ناظرين اليها نظرة فلسفية محضة ومحاولين استجلاء وحدة في التفكير ، لا نستطيع الا ان نقر بان هناك ما يحملنا على الريب في صحة موقفه من العقل واخلاصه له فقد لاحظنا تملّلاً ، فيما يتعلق بالعلية ، تذبذباً بل تناقضاً في تصريحاته وتصرفاته . فكيف التوفيق بينها اذن ؟ وهل يمكننا ذلك ؟ هذا ما سنسعى الى القيام به فيما يلي :

تهافت الفلاسفة :

ان بعض مؤرّخي الفلسفة العربية اعتبروا كتاب «تهافت الفلاسفة» كتحدّ رماه الغزالي في وجه العقل . فقال غاودري: « ان اشهر تآليفه ، ذلك الذي يلخص روحه الجدلية المكافحة لصالح الايمان وضد العقل ، هو «التهافت» [1].

اننا نرى ان في هذا الرأي شيء من المغالاة ، وهو ابعد ما يكون عن الدقة . فقد ادلى لنا مؤلف «التهافت» في مقدمات كتابه ما كان يهدف من ورائه . فهناك عدة اسباب دفعته الى وضعه ، اهمها كفر الفلاسفة واعراضهم عن الدين واعفاء انفسهم من مقتضياته وتكاليفه ، مدّعين ان في العقل ونوره غناء عن كل ذلك . وهناك ايضاً عدة مواضيع لم يشاطرهم فيها رأيهم : اولًا تفسير مفهوم « الجوهر » ، وثانياً قضايا لا تعلق لها بالدين ، وثالثاً قضايا تنوط بفقرة من فقرات الدين كقدم العالم وعدم نشر الاجساد ومعرفة الله للجزئيات . ولكنه ، نظرًا الى هدفه الرئيسي ، اقتصر على تفنيد آرائهم التي تمس الدين [2] . فاظهر كيف انهم لم يفوا في تفكيرهم بما اشترطوه من شروط في المنطق ، ولا سيما عندما بحثوا في وجود الخالق . فترى اذن ان هذا الهدف كان اولًا الدفاع عن الدين ، وليس مهاجمة الفلسفة كفلسفة ، لانه قام بهذا العمل باسم العقل لاقحام الفلاسفة الذين اساؤوا استعماله [3] .

١) Gaudri, *La philosophie arabe dans l'Europe médiévale*, Payot, 1947; p.125, §3.

٢) «التهافت» ص ٩ الى ١٣ .

٣) ايضاً ، ص١٦ .

ولكن بالرغم من هذه الملاحظة ، فلا تزال العقبات قائمة ، اذ انه ، بمهاجمته صرحهم الفلسفي ، يضعف قيمة برهان وجود الخالق ويهدم برهان روحانية النفس . ثم انه ليضع قدرة الله المطلقة في مأمن من الشك، اضطرّ الى نقد مبدأ العلية ونكران اطراد سنن الطبيعة حتى تورط في سفسطة ساذجة . هذا ما يحملنا على تقليل اهمية العقل في نظر المؤلف . وقد حاول اسين بلاسيوس ان يخرج الغزالي من هذا المأزق ، فعوّل على حدّة المجادلة ورأى فيها السبب الذي دفعه الى «تلك التصريحات التي تمس سلطان العقل ، والتي ما كان ليقرّها في حالة التفكير الهادئ »[1] . ولكن هذا الحل يبدو لعزقول ضعيفاً ، عديم القيمة اذ يصعب عليه «تصوّر مفكّر دقيق ومالك لفكره وقلمه كالغزالي يرمي كلاماً يضطرّ فيما بعد الى الرجوع عنه والندم عليه »[2] . فالغزالي في نظره يؤمن بسلطان العقل ولكنه يضع له حدوداً .

وخاض عزقول للوصول الى هذه النتيجة في نقد داخلي، ولاحظ ، كما بيّناه آنفاً ، ان غرض « التهافت » الاول انما هو الهدم ، وقد وعد المؤلف بمحاولة انشائية منطقية اودعها في كتاب « الاقتصاد في الاعتقاد »[3] . اما حملته على الفلاسفة فسببها تناقض تعاليمهم الناتج عن اساءة تطبيق القواعد المنطقية ، ولا عن عدم صلاحية العقل للبحث في حقل ما وراء الطبيعة . واذا كان الغزالي لم يقر لهم بامكانية الدلالة على وجود الخالق ولا بقضيتهم في استحالة الترقي الى الغير المتناهي ، فبالاستناد الى نظريتهم في قدم العالم ، اذ ان من يسلم بقدم العالم لا يستطيع اثبات وجود الخالق[4] . واخيراً ، لقد تورط الفلاسفة في اتجاههم وحادوا عن الصواب لانهم ارادوا سبر كنه الامور الالهيّة : « ما المانع من ان يقال المبدأ الاول عالم ، قادر ، مريد ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، يخلق المختلفات والمتجانسات كما يريد وعلى ما يريد ؟ فاستحالة هذا لا يعرف بضرورة ولا نظر (...) فيجب قبوله . واما البحث عن كيفية صدور

١) كريم عزقول : «العقل في الاسلام» ، بيروت ١٩٤٦ ، ص١٥٢ .
٢) ايضاً : ص ١٥٣ .
٣) راجع ص ٥٥٧—٥٥٩ .
٤) «التهافت» ، ص ١٣٦ .

الفعل الاول من الله بالارادة ، ففضول وطمع في غير مطمع (...) . فلتتقبل مبادئ هذه الامور من الانبياء وليصدقوا فيها اذ ان العقل لا يحيلها ، وليترك البحث عن الكيفية والكمية والماهية، فليس ذلك مما يتسع له القوى البشرية»[1].

وينتهي نقد عزقول الى النتائج الآتيـة : « اولاً : ان العقل هو المعيار الوحيد لجميع حقائق علم ما وراء الطبيعة (...) . ثانياً : ان العقل عاجز عن معرفة اسرار ملكوت السماوات ، اي عن ادراك الكيفية والكمية والجوهر وحقيقة السبب الاول والغاية الاخيرة من الامور الالهية . ففي هذا النوع من الحقائق لا يجوز له ، لا الاثبات ولا النفي ، بل الحكم بالامكان فحسب . ثالثاً : ان العقل، فيما عدا ذلك النوع المعيّن من الحقائق ، له مبدئياً حق الحكم المطلق في الامكان والاثبات والنفي»[2]. فعلى ضوء هذه النتائج ينبغي لنا ، يقول الناقد، ان نؤول تصريحات «القسطاس» في هذا الصدد ، كهذه مثلاً : «اعلم يقيناً ان هذا الميزان هو ميزان معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبـه ورسله وملكه وملكوته»[3] ، او تلك: «هيهات، لا ادعي اني ازن بها المعارف الدينية فقط، بل ازن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعية والفقهيـة والكلامية . وكل علم حقيقي غير وضعي فاني اميّز حقه عن باطله بهذه الموازين»[4] . اي ان العقل يقدر فقط ان يطلق على المعارف الالهية احكام الامكانية والاثبات والنفي.

ان هذا التفسير طريف ، ينم عن عمق بصر وثقب نظر . ولكنه لا يحل كل الصعوبات . نعم ، اذا كان الامر كذلك ، فلماذا لم يذكر الغزالي هذه الحدود في «الاقتصاد»؟ وهكذا الكتاب المكرس للمعرفة العقليـة اجدر من غيره بان يتضمن مثل هذه الايضاحات . ثم انه ، بينما يطلب منا في «التهافت» ان نتسلم من الانبياء ان المبدأ الاول عـالم وقدير اذ ان العقل لا يستحيله ، تراه في « الاقتصاد » يبرهن عن هذه الصفات بالاستناد الى العقل[5] ويرسم لنا في

١) «التهافت» ، ص ١٣١ .

٢) «العقل في الاسلام» ، ص ١٥٩ و ١٦٠ .

٣) «القسطاس» ، ص ٢٢ .

٤) «القسطاس» ، ص٨٣ و ٨٤ .

٥) «الاقتصاد» ، ص٦ : « ومقصود هذا العلم اقامة البرهان على وجود الرب تعالى وصفاته وافعاله...».

«القسطاس» وغيره من كتبه المنطقية الخطة العقلية المفيدة لبرد اليقين في معرفة الالهيات. وأخيرًا ، لم يبيّن لنا عزقول لماذا لا يأتي الغزالي في «الاقتصاد» على اي ذكر لبرهان روحانية النفس ، ولماذا لم يناقش فيه مبدأ العلية اصلًا وقد عوّل عليه في براهينه بعد ان انتقده واوهنه في «التهافت» .

الرسالة اللدنية – مشكاة الانوار – المنقذ من الضلال :

ان هذا التناقض لا يقتصر على التهافت فقط ، بل نراه ملموسًا ايضًا في تصانيف أخر . ففي «الاحياء» مثلًا يصرح الغزالي بأن معرفة روحانية النفس تنوط بعلم المكاشفة[1] مؤيدًا هكذا ما ادلى به في «التهافت»[2] . ولكنه في «الرسالة اللدنية » حيث يتعرض للمعرفة عن طريق الوحي والالهام ، يثبت اثباتًا مخالفًا فيقول: «وقد صح في العلوم الحكمية بالبراهين القاطعة والدلائل الواضحة ان الروح الناطق ليس بجسم ولا عرض ، بل هو جوهر ثابت دائم غير فاسد ، ونحن نستغني عن تكرير البرهان»[3] . كما انه في « المشكاة » ، بعد تحديد نقائص نور البصر ، يضيف قائلًا : « العقل اولى بان يسمى نورًا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع»[2] .

واذا انتقلنا الى «المنقذ» ، وهو من التآليف المتأخرة حيث يُفترض ان يكون الغزالي قد اودعَ فيه رأيه النهائي عن سلطان العقل في المعرفة ، فيتحدانا ذات التناقض ، مما يضعف اعتقادنا بثقته بالعقل . وفعلًا ، من يطالع دفعة واحدة هذه «الاعترافات» لا يتمالك من الاستنتاج ان ازمة الغزالي العقلية لم تنحل الا بفضل النور الرباني والصوفية ، اذ انه لم يجد الا فيها ما كان يسمى وراءه من يقين في المعرفة . وقال مكدونلد : « فمنذ ذلك الحين اصبحت وجهة نظره عملية ، وشرع يعلم ان وظيفة العقل تقتصر على قتل نقتنا به ، وان المعرفة اليقينية الوحيدة هي التي تكتسب بالتجربة ، لان الصرح الفلسفي ليس له اساس متين البتة »[4] .

١) «الاحياء» ، ك١ ، ب٢ ، ص ٨٣ .
٢) في «الجواهر الغوالي» ، ص٢٥ .
٣) ايضًا ، ص١١٣ و١١٤ .
٤) MACDONALD, in *Encyclopédie de l'Islam* II, p.154 b.

اما نحن فبعيدون كل البعد عن مشاطرة مكدونلد رأيه هذا ، اذ نعتقد ان الغزالي لم يزل حتى في « المنقذ » يثق بسلطان العقل ، وان ازمة الشك في الاوليات كانت مؤقتة ومنهجية . لقد اعترف انه لم يسترجع الثقة بها الا فضلاً لنور رباني ، ولكنه اضاف قائلاً : « ان الأوليات لا تطلب لانها حاضرة والحاضر اذا طلب نفر واختفى »[1]. فيظهر اذن ان شكه كان شكاً منهجياً، لان : « من طلب ما لا يطلب ، فلا يتهم بعدم طلب ما يطلب »[2]. هذا من ناحية الاوليات ، اما فيما يتعلق ببقية المعارف فنلاحظ ان الفلسفة التي لم تشف ظمأه الى العلم الضروري ، ليست الفلسفة الحقيقية بصفتها طريقة الى المعرفة اليقينية ، انما الفلسفة الواهنة التي كان ينهجها فلاسفة عصره ، اذ لم يتمكنوا في براهينهم عن الالهيات من الايفاء بما اشترطوه من شروط في المنطق . ومن الخطأ ايضاً ان نقول بانه استمد « كل » يقينه العقلي والديني من تجربته الصوفية، اذ انه يقر ، حتى بعد هذه التجربة ، بالدور الذي مثله العقل في اكتساب ما كان ، منذ بدء حياته الفكرية ، متعطشاً اليه من علم ضروري . وقال الاب بويج في هذا الصدد : « عندما كان الغزالي ، ابان مرحلته الصوفية ، يحسن حياته الدينية ويحكم بنيان مذهبه الدفاعي عن العقيدة ، لم يكتف بتجرباته الشخصية لارساء قاعدة بنيانه . لقد قال لنا بنفسه ان ما سيعرضه علينا كان له، في هذه الحقبة ، على الضرورة من اسباب لا احصيها ، مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهاني ، ومرة بالقبول الايماني »[3] .

ولكنه رغم اقراره بدور العقل في اكتساب المعرفة اليقينية ، فانه يرسم له حدوداً . فيقول في « المنقذ » : « ان العقل ليس مستقلاً بالاحاطة بجميع المطالب، ولا كاشفاً للغطاء عن جميع المعضلات »[4] لانه « يدرك الواجبات والجائزات

١) « المنقذ » ، ص٥٥ .

٢) ذات المرجع .

٣) Bouyges M., *Sur dix publications relatives à Algazel*, in *Mélanges U. S. J.* t. VIII, fasc. 8, Beyrouth, 1922.

راجع ايضاً « المنقذ » ، ص٨٩ و١٠٠ .

٤) « المنقذ » ، ص ٧٩ .

والمستحيلات»[1] فقط. «ووراء العقل طور آخر، تنفتح فيه عين اخرى، يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل، واموراً أخر العقل معزول عنها»[2].
ويبدو لنا هكذا ان موقفه هنا من العقل لا يختلف كثيراً عما جاء في «التهافت». فنلاحظ نفس المتطلبات العقلية لمعرفة الامور معرفة وضوح المشاهدة، وذات الاعتقاد بان فوق العقل قوة تفوقه وتدرك ما يعجز هو عن ادراكه، واخيراً ذات الحدود اذ يقتصر على معرفة الواجبات والجائزات والمستحيلات.

واذا قارنا الان هذه التصريحات بما ورد في «الاقتصاد» و«اللدنية»، نرى انفسنا ثانية ازاء ما سبق ذكره من تذبذب وتناقض. فحدود المعرفة العقلية في «الاقتصاد» مثلاً تتعدى ما عينه لها في «التهافت» و«المنقذ». فيقول: «ان ما لا يعلم بالضرورة، ينقسم الى ما يعلم بدليل العقل دون الشرع، والى ما يعلم بالشرع دون العقل، والى ما يعلم بهما. اما المعلوم بدليل العقل دون الشرع فهو حدوث العالم ووجود المحدث وقدرته وعلمه وارادته (...). ونحن نعلم من الوحي اليه بسماع، كالحشر والنشر والثواب والعقاب وامثالها. واما المعلوم بهما فكل ما هو واقع في مجال العقل ومتأخر في الرتبة عن اثبات كلام الله تعالى، كمسألة الرؤية وانفراد الله تعالى بخلق الحركات والاعراض كلها»[3].
بل انه في «اللدنية» يذهب شوطاً ابعد في توسيع نطاق العقل؛ انه يميز ثلاث مراتب في العلم العقلي: العلم الرياضي والمنطقي، والعلم الطبيعي، والمرتبة الثالثة «وهي العليا، هي النظر في الوجود، ثم في تقسيمه الى الواجب والممكن، ثم النظر في الصانع وذاته، وجميع صفاته وافعاله وامره وحكمه وقضائه وترتب ظهور الموجودات عنه، ثم النظر في العلويات والجواهر المفردة، والعقول المفارقة والنفوس الكاملة، ثم النظر في احوال الملائكة والشياطين»[4]. فمثل هذه الاثباتات تتفق مع ما ذكرناه آنفاً من «القسطاس»: «ان هذا الميزان هو

---

١) «المنقذ»، ٩٥.
٢) ايضاً، ص ٩٦.
٣) «الاقتصاد في الاعتقاد»، ص ٨٦.
٤) «اللدنية»، ص ٣٠ و٣١.

ميزان معرفة الله تعالى ، ومعرفة كتبه ورسله (...) وملكه وملكوته»[1].
حيث لا يعين الغزالي للمعرفة العقلية حدوداً اصلاً ، كما صنعه في « التهافت »
و « المنقذ » .

التفسير النظري :

رغم محاولات التفسير والتوفيق ، فهنالك اذن صعوبات لا تزال قائمة ، ليس فيما يتعلق بسلطة العقل ذاتها ، كما ادّعاه غوادري ثم مكدونلد[2] ، بل في مدى هذه السلطة ونطاقها . ولا بد من ان نلاحظ الآن ان هذه الصعوبات ستتصدّى لنا ما دمنا ننظر الى مؤلفات الغزالي نظرة فلسفية بحتة . لاننا نعتقد بانه ، مع تطرقه الى الفلسفة ، توخى مزج عناصر العقل بعناصر القلب في بنيان فلسفي ديني حيث اختلط صعيد الاعتقاد بصعيد العلم ، فقصر تفكيره الفلسفي وتلوّن بالصوفية .

نعم لقد خص الغزالي عدداً من كتبه بعرض قواعد المنطق وشروطه ، اهمها « محك النظر » و « معيار العلم » ومقدّمة «المستصفى » و«القسطاس المستقيم» ثم كرّس « الاقتصاد في الاعتقاد » لاعادة انشاء ، على اسس منطقية سليمة ، ما نقده وأوهنه وهدمه في «التهافت» . ولكن يبدو لنا ان هذه الاسس لم تكن وافية ، شاملة لكافة احكام الكائن والوجود ومقوماته . لقد ابرزنا اعلاه[3] بعض عناصر استنتجناها من كتبه تصلح لانشاء علم نفس او نظرية في المعرفة . فقد ادرك فعلاً في « المشكاة » دور العقل ، وعين وظائفه وآليته في المعرفة . كما انه بحث في مقدّمة « المستصفى » نشاط القوة المفكرة والقوة الحاكمة ، تلك لربط المفردات بعضها ببعض ، وهذه لاطلاق احكام التصديق والتكذيب عليها[4] . ولكنه لم يبين جلياً ان سنن الكائن هي ذات سنن العقل ، وان العقل اذا كان باستطاعته التكلّم عن الموجودات فلانه يقع تحت سنن هذه

---

١) «القسطاس» ، ص ٢٢ .
٢) راجع اعلاه ، ص ٥٦٤–٥٦٦ وص .
٣) راجع ص ٥٦٠–٥٦٢ .
٤) «المستصفى» ، ص ٤٥ .

الموجودات عينها ؛ كما انه لم يحدد العلاقة القائمة بين المادة والصورة ، وبين العرض والجوهر ، وبين الماهية والوجود ،ولم يتكلم عن مجانسة الكائن . بل نراه بالعكس يبدو نورًا في «التهافت» نقد معارمة « الجوهر » جازماً بان المناقشة التي تدور حول مفهومها ترجع الى اختلاف في التسمية[1] ، على حين اننا لا نعتقد ان المسألة مسألة تسمية فقط ، اذ ان نظرية المتكلمين والاشعري في «الجوهر» تختلف عن نظرية الفلاسفة[2] .

ولذا ، فلا عجب من اختصاره البحث والطلب عندما يضطر الى التعرض لمثل هذه المسائل المهمة. لا شك ان «الاحياء» يعد من كتب الغزالي الكلامية ولا ينبغي لنا ان نبحث فيه عن برهان عقلي لحقيقة النفس[3] ؛ ومن الطبيعي ان يصرح المؤلف بان الدلالة على روحانية النفس يخرج عن موضوع « الرسالة اللدنية» وان يطلب من القارئ الرجوع الى الكتب اللائقة بهذا الفن[4]. ولكن لماذا لم يأت بذكر هذا البرهان في كتاب لائق بهذا الفن «كالاقتصاد» ؟ ولا عجب كذلك اذ اضطر ، لصيانة قدرة الخالق المطلقة ، ان ينكر اطراد سنن الطبيعة واحكامها ، فانه لم يدرك جلياً علاقة العلة الاولى بالعلل الثانية ، وان تسامي[5] الله تعالى على الطبيعة لا يتنافى مع وجوده في صميم[5] احكامها ، ولا مع امكانية نقضها ، اذا ما اقتضى الامر ، فتظهر حينئذٍ للعيان سلطته على الكون .

واذا كان بنيان مذهبه العقلي ينم عن قلة تماسك داخلي وبعيد عن ان يشمل كافة المسائل الفلسفية ، فترى الغزالي ، من ناحية اخرى ، يدخل فيه بعض العناصر الصوفية . اننا نعلم ان الصوفية كانت في اسرته موضوع اعتبار واجلال وان ولي امره استودعه منذ نعومة اظفاره الى استاذ صوفي ليهتم بتنشئته وتربيته . ونعلم ايضاً انه ، لما كان في بغداد ، اعتزل التمام لاسباب سياسية.

---

1) «تهافت الفلاسفة» ، ص ١٠ .

2) Cf. *Encyclopédie de l'Islam*, art. « djawhar », t. I, col. 1057.

3) «الاحياء» ، ك ٢١ ، ص ٣ .

4) في «الجواهر الغوالي» ، ص ٢٥ .

5) immanence - transcendance

ودينية وهجر الى الشام واورشليم ومكة حيث عاش عيشة اختلاء بعيدًا عن الناس وعاكفاً على سلوك طرق الصوفية في المعرفة . كما نعلم انه ، بمعاشرته الجويني ، اكتسب في السعي وراء حقيقة الامور كافة حاسة عقلية مرهفة اقتضت منه اخلاصاً فكرياً مطلقاً[1] ، حيث يجب في نظره على اليقين الحقيقي ان يكون كيقين معرفة الاوليات او يقين المشاهدة . وهكذا ادمج في النظر الفلسفي عنصرًا مستمدًا من الصوفية . لا شك في ان اليقين الصوفي يساوي اليقين الفلسفي قيمة ، ولكنه من نوع آخر اذ يكلل طريقة في المعرفة تختلف عن الطريقة الفلسفية . فنتج عن هذا الاندماج ان الغزالي ، عندما يحدد ميزة المعرفة الحقيقية ، يلح في تفصيل شروطها وصعوبة الايفاء بها كي تكون يقينية كالاوليات او المشاهدة ، حتى يحملنا على الاعتقاد باستحالة توفرها بالواقع في البراهين العقلية . ونلاحظ ، والحالة هذه ، انه لا يزال تحت تأثير تجاربه الصوفية وما قد يكون اكتسب فيها من وضوح في معارفه ؛ فكأنه يحن بالحنين الى هذا النوع من اليقين بحيث لم يميز بينه وبين اليقين العقلي . وقد يرجع ذلك الى محاولته في انشاء مذهب فلسفي ديني يستغل فيه قوى المعرفة كافة ، سواء أكانت صادرة من العقل ام من القلب .

ولنقل اخيرًا ، ايضاً من وجهة النظر الفلسفية التي تنظر فيها اليه عمدًا ، ان الغزالي لم يميز بين العلم والايمان . لقد اعتبر العلم نوعاً من الايمان ، بل اعلى درجة منه ، اذ قال: « ان لفظة (الايمان) تطلق سواء على التصديق العلمي البرهاني او على الاعتقاد التقليدي او على العلم والعمل »[2] . فيتحتم اذن على العلم ان ينشأ وينمو في دائرة الايمان ، اي ، كما سنبينه ادناه ، ان يكون وسيلة لاستخراج حجج الاعتقاد . لا شك في ان هذا التصرف حق شرعي للمتكلم ، ولكن على شرط ان يعترف للعلم بصعيد خاص ، له هو ايضاً حدوده ، يستطيع ان ينمو فيه مستقلًا عن معطيات الايمان ، ويستحيل فيه على المعقول ان يكون معتقدًا . وإلا فما قيمة ايمان اشترط في مضمونه ان يكون

---

١) F. Jabre, *La Biographie et l'œuvre de Ghazālī* dans *Mélanges de l'Institut Dominicain d'Etudes Orientales*, I, Le Caire, 1954, p. 94.

٢) «الاقتصاد» ، ص ٩٢ .

مبرهناً عنه فقرة فقرة حسب طريقة علمية بحتة ؟ فهذا التمييز بالعكس يسمح لنا ان ندرك ان الايمان المتزه عن العلم جدير ان يكون موضوع يقين ديني عميق ذات قيمة حقيقية . اما الحجج التصديقية ، وان يكن من المستحسن اللجوء اليها لحمل الناس على الاعتقاد ولدعم ايمانهم والدفاع عن الدين ، فهي ليست ضرورية اساسية ولا تعفي من الايمان .

٤ : موقف الغزالي العملي

ولئن اسهبنا اعلاه في الكلام عن الدور الجوهري الذي يمثله العقل عند الغزالي في المعرفة ، فلكي لا يخطر ببال احد اننا نضع ذلك موضع الشك . وان حددنا ايضاً ما جاء في مؤلفاته من تناقض، فاننا لا ننسب ذلك الى تقلب في آرائه في هذا الصدد . امّا ما يبدو لنا من تناقض فلن نحسن فهمه الا بالرجوع الى الظروف التي كان لها اثر كبير في توجيه العملي . فلماذا اذن لم يتخذ الغزالي في جميع اتجاهه الطريقة النظرية في المعرفة ، بين انه صرح مرّات عديدة بانها صالحة الاستعمال ومفيدة لليقين في حقل ما وراء الطبيعة ؟ وهل يبرر موقفه هذا اساءة استعمال الفلاسفة للمنطق وعدم ايفائهم بشروطه في النظريات ؟ طبعاً لا . ولكن لا بد ان نضيف فوراً ونقول انه لم يكن لديه اعتراض مبدأي منبعه عن استقلال سلطان العقل فعلياً، ولكن الوظيفة التي دعي الى القيام بها في نظامية بغداد هي وحدها نصت عليه تصرفه العملي .

فمن واجبات هذه الوظيفة ، كان عليه ان يعمل على صيانة وتوطيد دولة سياسية ودينية معاً ، اي الدفاع عن الاسلام ضد هجمات الفلاسفة ، وتجديد استعمال الطرق النظرية في علم الكلام ، ومكافحة التعليمية ، هذه البدعة الشيعية التي كانت خطراً على النظام السياسي السني القائم . واضطر الغزالي الى استخدام اسلحة خصومه بذاتها لهدم ادلتهم وحججهم الفاسدة . ولكنه كان شديد الحذر في حملته هذه وفي عمله الانشائي، بادخاله النظر الصحيح في الكلام حتى لا يعرض ما جدّده لاستنكار رجال الدين الذين سبقوا واستنكروا ليس فقط نتائج الفلاسفة بل ايضاً اسلوبهم المنطقي . فاستطاع هكذا ان يثبت

المؤمنين في معتقداتهم ويزيل عنهم كل موضوع تشكك ويساعدهم ، بطريقة تتماشى مع عقليتهم وتناسب قريحتهم ، على اكتساب اليقين الديني وممارسة الفرائض .

الجدلي :

لقد اعلن الغزالي حرباً شعواء على الفلاسفة لانهم خاضوا في العلوم النظرية ، فذهبوا فيها شوطاً بعيداً وانتهوا الى نتائج لا تتفق مع الدين[1] فاستفتنوا بها عنه واصبحوا خطراً على الاسلام. وفعلاً كانت تصريحاتهم تبث القلق والاضطراب بين العوام السذّج حتى صاروا يشكون في صحة معتقدهم ، وكانوا قد ظنوه حقيقة مطلقة ثابتة غير قابلة النقض او التغيير . فتفشت بينهم روح التساهل في الدينيات حتى استهتروا بالشرائع واهملوا الفرائض . فجاء الغزالي وأراد الحط من نفوذ المعزولين عن هذه الحركة ، فهاجم الفلاسفة ودك صرح مذهبهم مبيناً تناقض اجزائه وخطأ نتائجه . فاظهر في محاولته هذه تطرفاً ، اذ انه لم يقر بصحة ما قد يكون مقبولاً في نظرياتهم ، رغم بعض نتائجها الفاسدة . ولكن الخوض في مثل هذه الدقائق التي يتجاوز ادراكها حد العوام كان جديراً ان يعرض عمله للاخفاق . "لقد بالغ في محاربته الفلسفة : لانه لم يميّز فيها الحق من الباطل ، ولكنه ضمن لحملته النجاح في نظر العوام .."

اما الآفة الثانية التي وجب عليه استئصال شرها من وسطه فهي التعليمية. لقد كان انصار هذه البدعة يعلّمون ويبشرون انه لا بد من الرجوع الى المعلم لحل الامور الفقهية والنظرية الجارية ، لان المعلم معصوم عن الغلط دون بقية الناس . فلا حاجة اذن الى الاجتهاد ، بل يكفي اللجوء اليه وتفويض اليه المشاكل المعترضة ثم الاستسلام الى ما ينتهي اليه رأيه[2] . فقام الغزالي يفنّد اراءهم ويرشدهم الى الطريق المستقيم ، فاستخدم مصطلحاتهم ولكنه رد اليها مدلولها الاصلي . وهكذا سلّم لهم بضرورة وجود معلم معصوم يتعلم منه المؤمنون كيفية تمييز الحق من الباطل والوصول الى الحقيقة اليقينية ، ولكنه

---

١) «المنقذ» ، ص ٦٣ الى ٧٤ .

٢) راجع اعلاه ، ص ٥٥٢–٥٥٤ .

اضاف ان هذا المعلم الوحيد هو النبي محمد، وقد سجّل تعليمه في القرآن ليستطيع المسلمون بواسطته ادراك حقيقة المعرفة ، اذ انه القسطاس المستقيم ويحتوي على موازين المعرفة الخمسة ، وهي كما بيناه ليست الا الاقيسة البرهانية . فاعاد بهذه الطريقة للنظر مكانته في اكتساب المعرفة ، مراعياً في آن واحد شروط المنطق وروح السنة وتقاليدها . وعلى هذا الاساس بنى مذهباً رفى فيه بحق التعليم الاصيل والنظر السليم جميعاً ، فاتى ببنيان ديني عقلي يأتلف فيه المعقول والمنقول ، لانه لم يكن جدلياً فحسب بل ايضاً متكلماً يحرص على صيانة دينه والدفاع عنه .

المتكلم :

لم يقتصر الغزالي على محاربة اعداء السنة والدولة من فلاسفة وتعليمية ، ولكنه تعدى هذه المرحلة إلى مرحلة اخرى ايجابية انشائية . فقد جدّد طريقة استعمال المنطق بتحديده ما يشترط فيه لافادة العلم اليقيني وادرجها في علم الكلام .

وكان قد اكتسب من معاشرته للفلاسفة حاسّة مرهفة في مقتضيات الوضوح العقلي ، فرسم الخطة المؤدية اليه في عدة تصانيف [1] . ثم سريعاً ما مزجها بعناصر أخر مستمدة من الحديث والكلام والصوفية ، محاولاً انشاء بنيان كلامي يتضمّن الحجج الوافية لتوطيد معتقد المؤمنين والرد على المخالفين . فنما تفكيره الفلسفي ضمن هذه الحدود وازدهر . ولذلك ، رغم محاولة «الاقتصاد» المستحسنة ، لا نستطيع ان نقول انه بنى صرحاً فلسفياً صرفاً برهن فيه عن كل ما يمكن ان يُبرهَن عنه بهذه الطريقة ، كوجود الخالق وروحانية النفس، بغية ارساء ايمانه في اسس عقلية وحمل المؤمنين على التسليم بالدينيات عن طريق الحجج والادلة العلمية القاطعة التي لا مناص لهم من التسليم بها . لا لم يفعل ذلك لان مقصود علم الكلام الذي ابتغى تجديده : « حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة ، ولا يكون هذا العلم ملياً بكشف الحقائق ، وبجنسه يتعلق الكتاب الذي صنفناه في تهافت الفلاسفة، والذي اوردناه في الرد على الباطنية

(1) cf. Jabre *loc. cit.* p. 78

في الكتاب الملقب بالمستظهري ، وفي كتاب حجة الحق وقواصم الباطنية وكتاب مفصل الخلاف في اصول الدين. ولهذا العلم آلة يعرف بها طريق المجادلة بل طرق المحاجة بالبرهان الحقيقي الذي اودعناه كتاب محك النظر وكتاب معيار العلم ، على وجه لا يلفى مثله للفقها. والمتكلمين ، ولا يثق بحقيقة الحجة والشبهة من لم يحط بهما علماً »[1] . اي ان غاية علم الكلام هي صيانة عقيدة الناس باستنتاج حجج التصديق ولا بالدالة عنها فقرة فقرة دلالة علمية ضرورية ، ولهذا السبب قال ان هذا العلم « لا يكون مليأ بكشف الحقائق » . ونحن نعتقد انه ينبغي لنا ان نفهم ونؤول بهذا المعنى ما ورد في « القسطاس » من تصريحات كهذه مثلاً :« ان هذا الميزان هو ميزان معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته»[2] . اي ان الاعتقاد بجميع هذه الحقائق يصبح معقولاً بالاستناد الى علم الكلام بعد ان جدد استعمال الطريقة العلمية فيه . وهكذا فان مثل هذه التصريحات ، وان كان لا يجب تأويلها تأويلاً مطلقاً ، تنم عن عناية كبيرة في معرفة كنه الامور وحقيقتها وتعطش الى المعرفة اليقينية وتطلب عقلي في الالهيات غريب عما سبقه من علماء الكلام السنيين . وفي بثه هذه الروح العلمية في طلب اليقين الديني كان الغزالي مجدداً لا مثيل له .

ولكن مهما كان فضله على علم الكلام في هذا الشأن ، لا بد من ان نقرّ بانه وقع في ما وقع فيه عامة المتكلمين من خطأ ، اذ قال في «المنقذ» : «وخاضوا (المتكلمون) في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ؛ ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم ، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى ، فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق»[3]. ونرى هكذا كيف ان الغزالي لم يتمكن من تجنب ما كان يؤاخذ عليه المتكلمين ولا التخلص تماماً من تأثيرهم . ولا عجب ، اذ انه لم يتوخَّ تجديد الكلام رأساً على عقب اي تجديداً ثورياً يعرض فيه حتماً نفسه لاستنكار المتكلمين ورجال

١) «جواهر القرآن» طبعة الكردي بجمالية مصر سنة ١٣٢٩ هـ ، ص ٢٥ و٢٦ .
٢) «القسطاس» ، ص ٢٢ .
٣) «المنقذ» ، ص ٦٠ .

الدين المحافظين ، وانتاجه الكلامي لاستهجانهم . فاقتصر اذن على تجديد اساسه المنطقي فقط ، وظل سائرًا حسب روح الاشعرية مخلصاً لها ، فتمسك بامور لم يقوَ على تبريرها علمياً ، وتورط في نظرية الجوهر الفرد وبقائه ، على ان الخالق لا يبرح يخلق الموجودات في كل لحظة [1] ، وذلك صيانة لصفاء حريته وارادته وقدرته المطلقة .

المدافع عن ايمان العوام :

رأينا ان الغزالي مال في الواقع نحو الكلام وادرج فيه اهتمامه الشديد بطلب الحقيقة ومنهج الفلاسفة المنطقي في المعرفة وعناصر صوفية مستمدة من نشوئه وتجاربه . ولئن ذهب هذا المذهب فليس لعدم تقته بالفلسفة ولكن لانه كان يشعر بعاطفة سامية نحو العوام وبواجب الدفاع عن معتقدهم والرد على المخالفين . انه ادرك جلياً المسؤولية التي القيت على عاتقه فاخلص لها وكرس لها معظم انتاجه وأحسن ايام حياته . فذهب ينتشل المؤمنين من ظلمات الآراء المختلفة المتضاربة وقد اخذت تفتك بايمانهم ، مبرهناً لهم عن صحة معتقدهم ، لا بطريقة عقلية نظرية بحتة ولكن باسلوب يناسبهم ويتفق مع استعداداتهم الذهنية والنفسية . فالمنهج العقلي الذي يمكن به الدلالة على وجود الخالق والوصول الى معارف اخر ، منهج صعب المأخذ والتطبيق وطريق وعرة [2] ؛ واستعماله استعمالًا صحيحاً منتجاً يتطلب من صاحبه مراساً طويلًا بافطام العقل عن الوهميات والحسيات ، وايناسه بالعقليات المحضة ، « وكلما كان النظر فيها اكثر والجد في طلبها اتمّ ، كانت المعارف فيها الى حد اليقين اقرب» [3] . اما في الواقع فقليل عدد من يقوى على سلوك هذا المسلك ، اذ ان « التصديق اليقيني(...) ما يحصل بالبرهان المستقصى ، المستوفى شروطه ، المحرر اصوله ، درجة درجة وكلمة كلمة ، حتى لا يبقى مجال احتمال وتمكن التباس . وربما يتفق ذلك في كل عصر لواحد او اثنين ممن ينتهي الى هذه المرتبة ، وقد يخلو العصر منه» [4] .

1) *Encyclopédie de l'Islam*, art. djawhar, tome 1, p. 1058.
2) «اللدنية» ، ص ٣٠ ؛ «المشكاة» ، ص ١١٦ .
3) «الميزان» ، ص ١٦٠ .
4) «الجام العوام عن علم الكلام» ، طبعة القاهرة سنة ١٣٠٩ هـ ، ص ٣٩ .

اما المواهب الذهنية فتختلف باختلاف الخلق ويليق أن يستعمل مع كل انسان طريقة تناسب مستواه . فالحكمة نصيب الخواص ، وهم قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال وهي القريحة النافذة وخلو باطنهم من تقليد وتعصب وايمانهم بقدرة المعلم . والجدل نصيب من له استعداد للمعرفة ولكنه عاجز عن ادراك كنه الامور . اما البله فيعالجون بالموعظة والادلة الخطابية . ويلاحظ ان الغزالي لم يميّز بين هذه الفئات الثلاث إلا بغية دعوتهم إلى الله تعالى[1] . ولكن قليلون هم من يسلكون الطريق الاولى وكثيرون من يعاملون بالموعظة ، لأن «ما أقل الأكياس وما أكثر البله ، والعناية بالاكثرين أولى»[2] . لقد أدلى الغزالي بهذه التصريحات في أواخر حياته ، وكأنه أراد بها تبرير موقفه العملي من النظر والكلام ، أي استعمال الطريقة النظرية الصحيحة في بنيان كلامي أدمج فيه أيضاً مصدر المعرفة الثاني وهو القلب حيث يتصل الباري تعالى بالانسان في صميمه[3] . وذلك لأن ما يهم أولًا حجة الاسلام ليست معرفة نظرية فقط لوجود الخالق الاله ، بل ولا سيما الاتحاد به وممارسة وصاياه ، ويتطلب هذا من الانسان ارتدادًا في القلب . ولكن هذين العنصرين ، المعرفة والارتداد ، أو حسب تعبير الغزالي العلم والعمل ، ضروريان جميعاً[4] لأنهما مقوّمان لا ينفصمان في بنية الانسان المؤمن . فالاول يختلف باختلاف القريحة والفطنة ؛ أما الثاني فيقوم على تطهير القلب وتحسينه ، وهو طريقة مفتوحة للجميع وتكلل أحيانًا بمشاهدة الحقائق كافة[5] .

اننا لنفهم الآن لماذا لم يستخرج الغزالي فلسفة نظرية محضة مستقلة عن علم الكلام . انه اقتصر على اعتبارها كوسيلة يبتغي منها إعطاء الحقائق الدينية تفسيرًا عقلياً . وإذا كان قد برهن عن وجود الخالق بالادلة الحكمية ، فليدعم عقيدة المؤمنين ، حتى أولئك الذين يتميّزون بمزيد فطنة وكياسة . وبوجه عام

١) «القسطاس» ، ص ١٧ .

٢) «الجام» ، ص ٢١ .

٣) «كيمياء السعادة» ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٨ ، ص ٥٠٥ : «اما حقيقة القلب فليس من هذا العالم» .

٤) «المنقذ» ، ص ٨٨ .

٥) «الاحياء» ، م ٣ ، ك ٢١ ، ص ١٦ .

انه اقترب من الفلسفة واستغل الادلة النظرية على قدر ما وجد في ذلك سبيلاً إلى التوفيق بين العقل والايمان، وإن لم يجد، فكان يفضّل البقاء في تيار الكلام. نعم انه حاول في «الاقتصاد» محاولة نظرية ميتافيزيقية محضة توصل فيها الى نتائج فلسفية قيمة، كما اننا نجد في تصانيفه بعض العناصر لبناء علم النفس، ولكننا نعتقد ان برهانه عن وجود الخالق وعن بعض الالهيات لم يكن ثمرة بنيان فلسفي متماسك الاجزاء متناسقها، يرتكز على المنطق وعلم الكائن ويتفرع عنه علم الفلك وعلم النفس وعلم الاخلاق. ذلك لأن معرفة الخالق معرفةً نظريةً هي في نظره كناية عن ايمان ومن أعلى درجات الايمان، وتنمو ضمن المعرفة[1]. وهذه المعرفة لا تتضمّن وجود الخالق فحسب، بل ايضاً ذاته وطبيعته وكماله. وهذه كلها تنوط بالنبوة التي أعطيت لمحمّد وقد يُعطى منها شيء للمؤمنين، ولكنها تقتضي أولاً ارتداد القلب وتطهيراً خلقيًا. ولهذا السبب نرى الغزالي في الواقع يميل الى الصوفية.

وسواء لنزعته الصوفية هذه او لحملته على الفلاسفة، اعتُبر الغزالي في نظر بعض مؤرّخي التفكير الاسلامي صوفياً غير مؤمن بسلطان العقل في المعرفة، في حين انه يعدّ أول من خاض بمثل هذا الخوض في الفلسفة والمنطق ومزجها بعلم اصول الفقه والدين مزجاً لم يضطر معه إلى مناقضة معطيات الايمان. ولكن منذ ان انتهى الفلاسفة الى نتائج لا تتفق مع الدين وتحلّلوا معها من ربقة الفرائض، استنكر علماء الدين الفلسفة ووضعوها موضع الشبهة والحذر فذهب عمل الغزالي الفلسفي ضحية هذه الحركة. فلم يكن العنصر النظري من تفكيره نقطة انطلاق لانشاء فلسفة لاهوتية طبيعية، بل أهمل وسلك من جاء بعده من المتكلمين، كابن الصلاح وابن تيمية[2]، مسلك الكلام الاسلامي التقليدي قبل تأثره من الفلسفة اليونانية. اما العنصر الصوفي فكان له أثر لا ينكر، وجاء الاسلام بعد الغزالي متأثراً بنزعته الصوفية أكثر من تأثره بنزعته العقلية.

---

١) «الاقتصاد»، ص ٩٢.

٢) «علي سامي النشار»: «مناهج البحث عند مفكّري الاسلام»، ص ١٤٠ وما يليها.

٣) «كريم عزقول»: «العقل في الاسلام»، ص١٧٧.

فروع الشجرة الاسماعيلية الامامية

بقلم عارف تامر

البحث الموجز الذي اضيفه الآن الى البحوث التاريخية العديدة عن الأسماعيلية، واقدمه ليوضع موضع التداول في الجامعات والمعاهد والمؤسسات الثقافية ولدى طبقات العلماء والباحثين والمستشرقين والمهتمين بالدراسات التاريخية الأسلامية والشرقية هو بالحقيقة بحث شيق ونادر وجديد، بل هو بالتأكيد من المواضيع « السرية » المجهولة لدى كافة العلماء الذين بحثوا التاريخ الأسلامي العام والأسماعيلية خاصة، وقد ظلت معرفته حقبة من الدهر وقفاً على فئة قليلة من علماء الأسماعيلية النزارية السوريين انفسهم لأنه يتعلق بأهم ناحية عقائدية لديهم وبادق موضوع علمي يحتل ابرز مكان في تاريخهم واعني به « شجرة الأمامة » المتسلسلة من الأمام « عليّ بن ابي طالب » وفروعها واقسامها، ومن الجدير بالذكر ان الواجب العلمي يقتضي على الباحث عند معالجته هذا الموضوع ايراد المصادر التاريخية الموثوقة واعلان النزاهة والتجرد والبعد عن كل انحياز او نزعة قد تكون سبباً لتحوير الحقيقة وقلب الواقع لصالح فرقة من الفرق او فئة من الفئات التي تتفرع من الأسماعيلية .

اجل ... ان الموضوع الذي اعالجه الآن سبق ان تناوله بالبحث مستشرق كبير معروف هو [الأستاذ و. ايڤانوف] (W. Ivanow) الذي كتب احسن البحوث ووضع اقوم الكتب عن الأسماعيلية وادبها وتاريخها وعقائدها (١) وقد افرد لموضوعه صفحات قصيرة في [مجلة الجمعية الأسيوية الملكية البريطانية] ولكن مع كل اسف جاء بحثه غير مستوفٍ للشروط العلمية وذلك لأن المصادر التاريخية السورية الأسماعيلية التي تشكل العنصر الهام بالموضوع كانت شبه مفقودة منه، مضافاً الى ذلك ان الأدلة والنصوص التاريخية جاءت مضطربة اشد الأضطراب . وكم هو مفيد وشيق الخوض في بحر المواضيع المجهولة العميقة في

(١ A. FORGOTTEN *Branch of ismailis* — W. IVANOW [J.R.A.S. 1938].

تاريخنا الشرقي وخاصة الزاخرة بالسرية والكتمان . والكشف عن القضايا العقائدية التاريخية المستورة لدى فرقة اسلامية لعبت دورا هاما في التاريخ وكتبت انصع الصفحات في اسفار العلم والفلسفة والادب .

هناك في التاريخ الأسماعيلي امر هام يلفت النظر ، ويجعل الباحث يقف واجماً حائرا لا يجد ما يقوله امام الأختلاف بين الأسماعيلية على شؤون «الأمامة» سواء كان بين المستعليين «البهرة» او «النزاريين» انفسهم وقد يكون التباعد الظاهر في شجرة «الأمامة» قد بدأ بالفعل يتخذ شكله الخطير بعد الأمام «المستنصر بالله الفاطمي» ومهما يكن من امر فلا بد لي قبل الدخول بالموضوع من الأتيان على الشجرة الأمامية التي يظهر فيها الأختلاف جليًا بين «الموسويين» «الاثنى عشرية» وبين الاسماعيلية وهي كما يلي :

«الامام علي بن ابي طالب»
(١)
الحسين
علي زين العابدين
محمد الباقر
جعفر الصادق

الاسماعيلية	«الموسويين الاثنى عشرية»	
اسماعيل	موسى الكاظم	توفي سنة ١٨٣ هـ
(٢) محمد بن اسماعيل	علي الرضا	« سنة ٢٠٣ هـ
(٣) عبد الله (الوفي)	محمد الجواد	« سنة ٢٢٠ هـ
(٤) احمد بن عبدالله (التقي)	علي الهادي	« سنة ٢٥٤ هـ
(٥) الحسين (الرضي)	حسن العسكري	« سنة ٢٦٠ هـ

١) «الشيعة الاثنى عشرية والاسماعيلية «البهرة» يعتبرون «الحسن» الابن الاكبر للامام علي اماماً . اما الاسماعيلية النزارية فلا يدخلونه في عداد الائمة

٢) يرقد هذا الامام في «تدمر-سورية» كما تؤكد المصادر الاسماعيلية الحديثة وضريحه يعرف باسم «محمد بن علي»

٣) مدفون في جبل «مشهد» بالقرب من بلدة «مصياف — السورية»

٤) مدفون في استانبول كتاب (فصول واخبار) للداعي نور الدين احمد

٥) مدفون في بلدة «سلمية — سوريا»

(١) محمد المهدي بالله او «عبيدالله ابو محمد»	محمد المهدي (المنتظر) غاب سنة ٢٦٠هـ
القائم بأمر الله او محمد القاسم	٣٢٢ هـ — ٣٣٤
المنصور بنصر الله او اسماعيل ابو الطاهر	٣٣٤ — ٣٣٥
المعز لدين الله (ابو تميم)	٣٣٥ — ٣٦٥
العزيز بالله او نزار ابو المنصور	٣٦٥ — ٣٨٦
(٢) الحاكم بأمر الله او المنصور ابو علي	٣٨٦ — ٤١١
الظاهر لا اعزاز دين الله او علي ابو الحسن	٤١١ — ٤٢٧
المستنصر بالله او معد ابو تميم	٤٢٧ — ٤٨٧

اجل . . . وكما سبق ان قلنا انها خدمة علمية جليلة الوصول الى معرفة تاريخ هذا الانقسام وأسبابه ونشأته الأولى وما طرأ عليه في العصور السالفة من احداث وما رافقه من تطورات واننا اذ نعيد الى ذلك نطلن على رؤوس الأشهاد تجردنا عن كل غاية وبعدنا عن الانحياز لفريق من الأسماعيلية دون آخر ، فهدفنا كتابة صفحة تاريخية تتجلى فيها الحقيقة ناصعة ، وخدمة الدراسات التاريخية عامة والأسماعيلية خاصة على ضوء مصادر جديدة كانت للامس القريب (سرية) ومجهولة.

غير خاف ان الأسماعيلية النزارية وخاصة (السورية) تنقسم الى فرقتين فرقة تسمى «الجعفرية»[٣] وهي التي تقول بالفقه الفاطمي المأخوذ عن الامام جعفر الصادق كما اورده الفقيه (القاضي النعمان بن حيون) بكتابه «دعائم الاسلام»[٤] وان عددها يقرب من الخمسة عشر الفاً ، وفرقة ثانية تسمى «الآغاخانية»[٥] وعددها يقرب من الثلاثين الفاً ، ومن الأمور الواضحة ان الأختلاف بين الفرقتين ليس بالأمر السهل الذي يجب ان يمر به الباحث مرور الكرام فهو من الأهمية بمكان لأنه يتعلق بأسرتين من ولد [الامام نزار بن الامام المستنصر بالله الفاطمي] تنازعتا مركز الامامة الاسماعيلية حقبة من الزمن مضافاً الى ذلك ان لكل اسرة

١) مؤسس الدولة الفاطمية ذهب من (سلمية) واستولى على (رقادة) سنة ٢٩٧ هـ وتوفي سنة ٣٢٢

٢) في عهد هذا الامام توقفت الطائفة الدرزية عن السير وراء الركب الامامي الاسماعيلي

٣) تقطن هذه الفرقة في بلدة (قدموس ومصياف وبعض قرى سلمية سورية)

٤) حقق هذا الكتاب العلامة الاستاذ «آصف بن علي اصغر فيضي»

٥) تقطن هذه الفرقة في (سلمية — سوريا) وفي (الخوابي) وهي قرى منتشرة في الجهة الشمالية من مدينة (طرطوس السورية)

منها اتباع تؤيد نظريتها وتبطل نظرية الفريق الثاني قائلة معتقدة بالأفضلية والأسبقية لمن هم من ائمتها ، وقد اخذ هذا الإختلاف يتطور حتى شمل جميع القضايا الدينية والأجتماعية والسياسية ، ولا بد لي قبل الخوض في صلب الموضوع من الأتيان على ذكر الأختلاف الذي سبقه وشطر الأسماعيلية الى شطرين نزارية ومستعلية (بهره) ثم قسم المستعلية «البهره» انقسم الى فرقتين هما (السليمانية - والداودية) كما قسم النزارية الى « جعفرية - وآغاخانية » كما قلنا .

بعد ان انتقل الأمام الفاطمي « المستنصر بالله » الى دار الآخرة سنة ٤٨٧هـ انقسمت الأسماعيلية الى فرقتين فرقة سارت وراء « نزار » النجل الأكبر المستنصر بالله الفاطمي وهي التي اتخذت « الموت » في فارس عاصمة لدولتها ، وفرقة سارت وراء نجل الأمام المستنصر بالله الثاني « احمد المستعلي » وولده « الآمر بأحكام الله » ثم ولده « الطيب » الذي قيل انه دخل في (الستر) ، اما « الحافظ » و«الظافر» و«الفائز» و «العاضد»[1] فكانوا حسب ترتيب الدعوة الفاطمية المستعلية « البهره » وكلاء على الدعوة ولا يدخلون في عداد الأئمة .

المستنصر بالله الفاطمي

النزارية		المستعلية « البهره »
نزار		احمد المستعلي بالله ٤٨٧-٤٩٩
		الآمر بأحكام الله ٤٩٥-٥٢٤
		الطيب بن الآمر (المستور)

الوكلاء

الحافظ لدين الله	٥٢٤-٥٤٤
الظافر بامر الله	٥٤٤-٥٤٩
الفائز بنصر الله	٥٤٩-٥٥٥
العاضد لدين الله	٥٥٥-٥٦٧

ومن الثابت تاريخيًا انه بعد وفاة « العاضد لدين الله » لم يبق « المستعلية - البهره » في القاهرة ما تعول عليه فاتخذت « اليمن » مركزًا رئيسيًا لها وقام

1) هو آخر خليفة فاطمي في مصر ومنه اخذ صلاح الدين الايوبي الملك سنة ٥٦٣ هـ

بشؤونها الدينية « داعي[1] مطلق » ومركزه في ترتيب الدعوة النائب للامام المستور ، وقد انقسمت الفرقة « المستعلية - البهرة » فيما بعد الى فرقتين سنة ٩٩٩ هـ الموافق سنة ١٥٩١ م وذلك بعد وفاة الداعي المطلق (داوود بن عجب شاه) فانتخب مستعلية (كجرات) (داؤد بن قطب شاه) خلفاً له فعارض اليمانيون وعاضدوا رجلاً آخر يدعى (سليمان بن الحسن) ويقولون إن داود وصى له بموجب وثيقة لا تزال محفوظة بأيديهم ، وهذا هو ترتيب شجرة الدعاة (المستعلية البهرة) بفرعيها الداوودية والسليمانية .

أروى بنت احمد[2] الصليحي توفيت سنة ٥٣٢ هـ
الخطّاب بن الحسن الهمذاني توفي سنة ٥٣٣ هـ
(٣) الذئب بن مالك « سنة ٥١٠ هـ
يحيى بن لمك « سنة ٥٢٠ هـ

ذؤيب بن موسى ٥٤٦ هـ
ابرهيم بن الحسين الحامدي ٥٥٧
حاتم بن ابراهيم الحامدي ٥٩٦
علي بن حاتم ٦٠٥
علي بن محمد بن الوليد ٦١٢
علي بن حنظلة الوداعي ٦٢٦
أحمد بن المبارك ٦٢٧
الحسين بن علي بن محمد بن الوليد ٦٦٧
علي بن الحسين بن علي بن محمد ٦٨٢
علي بن الحسين بن علي بن حنظلة ٦٨٦

١) الداعي المطلق للفرقة الاسماعيلية الداؤدية المستعلية البهرة اليوم هو (طاهر سيف الدين) المقيم في بومباي — الهند — سيفي محل — مليار هل . اما الداعي المطلق للفرقة السليمانية المستعلية البهرة فهو (علي بن الحسين) ويقيم في نجران — الحجاز .

٢) راجع مجلة الاديب اللبنانية عدد سبتمبر ١٩٥٦ جزء ٩ (نساء صنعن التاريخ — بقلم (عارف تامر) .

٣) يدخل بعضهم هؤلاء الدعاة الاربعة في عداد الدعاة المطلقين وبعضهم لا يدخلهم بدعوى انهم كانوا معاصرين لعهد ستر الامام (الطيّب)

ابرهيم بن الحسين بن علي بن محمد بن الوليد ٧٢٩ ه
محمد بن حاتم بن الحسين ٧٢٩
علي شمس الدين بن ابرهيم بن الحسين ٧٤٦
عبد المطلب نجم الدين ٧٥٥
عباس بن محمد بن حاتم ٧٧٩
عبدالله فخر الدين بن علي ٨٠٩
حسن بدر الدين بن عبد الله ٨٢١
علي شمس الدين بن عبد الله ٨٣٢
ادريس عماد الدين بن حسن ٨٧٣
حسن بن ادريس عماد الدين ٩١٨
حسين حسام الدين بن ادريس ٩٣٣
علي شمس الدين بن الحسين ٩٣٣
محمد عز الدين بن الحسن ٩٤٦
يوسف نجم الدين بن سليمان ٩٧٤
جلال شمس الدين بن الحسن ٩٧٥
داؤد بن عجب شاه ٧٩٩

« الداؤدية »		« السليمانية »	
داؤد برهان الدين	١٠٢١	سليمان بن الحسن	١٠٠٥
شيخ آدم صفي الدين	١٠٣٠	جعفر بن سليمان	١٠٥٠
عبد الطيب زكي الدين	١٠٤١	علي بن سليمان	١٠٨٨
علي شمس الدين	١٠٦٢	ابراهيم بن محمد	١٠٩٤
قاسم زين الدين	١٠٥٤	محمد بن اسماعيل	١١٠٩
قطب خان قطب الدين	١٠٥٦	هبة الله بن ابرهيم	١١٦٠
بير خان شجاع الدين	١٠٦٥	اسماعيل بن هبة الله	١٧٨٤
اسماعيل بدر الدين	١٠٨٥	حسن بن هبة الله	١١٨٩
عبد الطيب زكي الدين	١١١٠	عبد العلي	١١٩٥
موسى كليم الدين	١١٢٢	عبدالله بن علي	١٢٢٥
نور محمد نور الدين	١١٣٠	يوسف بن علي	١٢٣٤
اسماعيل بدر الدين	١١٥٠	حسين بن الحسين	١٢٤١
ابراهيم وجيه الدين	١١٦٨	اسماعيل بن محمد	١٢٥٦
هبة الله المؤيد في الدين	١١٩٣	حسن بن محمد	١٢٦٢

عبد الطيب زكي الدين	١٢٠٠	حسن بن اسماعيل	١٢٨٩
يوسف نجم الدين	١٢١٣	احمد بن اسماعيل	١٣٠٦
عبد العلي سيف الدين	١١٣٢	عبدالله بن علي	١٣٢٣
محمد عز الدين	١٢٣٦	علي بن هبة الله	١٣٣١
طيب زين الدين	١٢٥٢	علي بن محسن	١٣٥٥
محمد بدر الدين	١٢٥٦	غلام حسين	١٣٥٧
عبد القادر نجم الدين	١٣٠٢	حسين بن احمد	١٣٥٨
عبد الحسين حسام الدين	١٣٠٨	علي بن الحسين	٠٠٠٠
محمد برهان الدين	١٣٢٣		
عبدالله بدر الدين	١٣٣٣		
طاهر سيف الدين	٠٠٠٠		

اما الأسماعيلية النزارية بفرعيهـا (الجعفري) و (الآغاخاني) وهي المعنية بالبحث فقد تابعت سيرها الأمـامي وراء (نزار بن المستنصر بالله الفاطمي) وولده حتى يومنا هذا، والجدير بالذكر ان دراسة انقسامها الى فرقتين كما ذكرنا من الأمور المفيدة جداً التي يجب كشفها واظهارها.

امامي الآن شجرتان لأمامة فرع (النزارية) الأولى للفرقة (الأسماعيلية - النزارية - الجعفرية) التي تقطن (مصياف وقدموس) وبعض قرى (سلمية-سوريا) كما قلنا وهذه الشجرة هي التي كانت متداولة ومعترف بها لدى كافة الأسماعيلية في سوريا مدة تزيد على الخمسمائة عام وهي التي تحتل اكثر الصفحات والمصادر التاريخية وقد سميتها اصطلاحاً شجرة (ج) واما الشجرة الثانية للفرقة (الآغاخانية) النزارية التي تقطن (سلمية - والخوابي - سوريا) فقد أطلقت عليها اصطلاحاً شجرة (س) وانني بعد التدقيق والتحقيق والمقابلة وجـدت الفروق التالية :

المستنصر بالله الفاطمي

نزار

شجرة (ج) (الجعفرية)	شجرة (س) (الآغاخانية)
حسن المرتضى	هادي
محمد الكيا	مهتدي
حسن جلال الدين	قاهر
محمد علاء الدين	علي ذكره السلام
محمود ركن الدين	اعلى محمد
احمد القائم	جلال الدين حسن
محمد شمس الدين	علاء الدين محمد
	ركن الدين خير شاه
	شمس الدين محمد

فيلاحظ هنا ان الأختلاف قد بدأ بعد (نزار بن المستنصر بالله) ففي شجرة (ج) نرى امامين بعد نزار هما: الحسن المرتضى ومحمد الكيا ثم يأتي حسن جلال الدين، وفي شجرة (س) نرى خمسة ائمة بعد نزار هم: هادي ومهتدي وقاهر وعلى ذكره السلام وأعلى محمد ثم يأتي جلال الدين حسن او حسن جلال الدين كما تسميه شجرة (ج) وهذا يدل دلالة قاطعة على ان احدى الشجرتين ولا يمكن ان نقطع بصواب احدهما او نسبها قد عددت الأئمة (المستودعين)الوكلاء الذين كانوا(حجبا)على الأئمة(المستترين)في ذلك العصر المضطرب وقد سبق لنا أن ذكرنا الكثير عن هذا الموضوع ببحوثنا الأسماعيلية التاريخية هذا من جهة ومن جهة اخرى فيلاحظ ان الشجرتين بالتقائها عند حسن جلال الدين لا يلبثا ان يعودا الى الأختلاف ولكن بصورة اقل شأناً ففي شجرة (ج) بعد حسن جلال الدين يأتي محمد علاء الدين ثم محمود ركن الدين ثم احمد القائم وبعده محمد شمس الدين،

اما في شجرة (س) فيأتي بعد جلال الدين حسن علاء الدين محمد ثم ركن الدين خير شاه وهو نفس محمود ركن الدين الذي ورد اسمه بشجرة (ج) ثم شمس الدين محمد، ومن الغريب جداً اننا نرى شجرة (س) قد اغفلت ذكر (احمد القائم) الذي جاء ترتيبه في شجرة (ج) بعد (محمود ركن الدين) ، ومهما يكن من امر فهذا الأختلاف لا يشكل اموراً خطيرة ، وقد كان من الممكن اصلاح الأخطاء وايراد الصحيح من الأخبار والروايات التاريخية والأتفاق على الأصوب بعد الرجوع الى المصادر الحقيقية الثابتة .

وانه لمن المفيد اتماماً للبحث ان نقول بان الأختلاف الآنف الذكر لم يقف عند هذا الحد بل تعداه وبكل اسف عاد وتطوّر وازدادت الشقة توسعاً والأمور صعوبة وتعقيداً حتى وصلت الى نهاية لا يمكن معها توحيد الرأي او الدعوة الى وحدة الصف ، فانه بعد التقاء الشجرتين (ج) و (س) عند الأمام (محمد شمس الدين) كما ذكرنا نرى اختلافاً جديداً قد ذرّ بقرنه منذراً باختلاف شديد الوطأة لا يمكن معه العودة الى الوئام والأتفاق .

فالمعلوم ان الأمام بعد (محمد شمس الدين) هو (مؤمن شاه) في الشجرتين (س) و (ج) وهذا باعتراف المستشرق الكبير (و . ايفانوف) ولكن نلاحظ ان شجرة (س) قد اغفلت اسم هذا الأمام ولم تأتِ على ذكره لأسباب لا نعرفها .

وقد اعتبر ايفانوف ذلك نقصاً كبيراً في شجرة (س) ثم اننا نرى ان هذا النقص قد عاد وتطوّر حتى شمل كل شيء . واخيراً انقسمت هذه الشجرة الى فرعين هما :

محمد شمس الدين

شجرة (ج) الجعفرية	شجرة (س) الآغاخانية
مؤمن شاه	قاسم شاه
محمد شاه	اسلام شاه
رضي الدين	محمد بن اسلام
طاهر شاه	مستنصر بالله الثاني
رضي الدين	عبد السلام
(١) طاهر شاه الحسيني	غريب ميرزا
حيدر	ابو الذر علي
صدر الدين	مراد ميرزا
معين الدين	ذو الفقار علي
(٢) خداي بخش – او (عطية الله)	نور الدين علي
عزيز شاه	خليل الله علي
محمود شاه	نزار الثاني
امير محمد مشرف	سيد علي
حيدر	حسن علي
امير محمد باقر	قاسم علي
	ابو الحسن علي
	خليل الله علي
	حسن علي
	علي شاه
	آغاخان
	كريم خان

ونعود لأتمام البحث وايفاء الموضوع حقه من ايراد المصادر التاريخية عن الفرقة الأسماعيلية النزارية السورية ذات التاريخ المجهول فنقول بان هذه الفرقة ظلت سائرة وراء شجرة (ج) منذ عام سنة ٧١٠ هـ وان ائمة شجرة (س) لم يرد ذكرهم في تاريخ الأسماعيلية النزارية السورية ولم يظهروا على مسرح عقائدها طيلة هذه

١) هذا الامام هاجر من فارس الى الهند

٢) (خداي بخش) جملة فارسية تؤلف كلمتين معناها بالعربية (خداي – الله وبخش – عطية) اي (عطية الله)

المدة الطويلة التي تبتدئ من عام ٧١٠ هـ، حتى عام ١٢١٠ هـ ومن عام ١٢١٠ هـ حتى عام ١٣٠٣ هـ تعرضت الى فترة انقطاع كلي تام عن اي اتصال امامي وكان عام ١٣٠٤ وفي خلاله انشق قسم كبير من الأسماعيلية السورية واعان امامة (اغاخان) ومبايعته بالزعامة الدينية تاركاً شجرته الأمامية (ج) التي ظل متفيأً ظلها ما ينوف على الخمسمائة عام.

اما الفريق الثاني فقد ظلَّ منكمشاً على نفسه عند حد شجرته القديمة (ج) لا يحيد عنها منتظراً حلول الوقت الملائم للالتقاء بامامه المنتظر المفروض فيه ان يكون منحدراً من شجرة (ج). والآن بعد ايراد هذه الحقائق التاريخية اعود الى اثبات المصادر التاريخية الموثوقة التي تثبت تعلق الأسماعيلية السوريين بشجرة (ج) مدة تزيد على الخمسمائة عام واغفال شجرة (س) من اي ذكر في الكتب القديمة والمصادر التاريخية المخطوطة، وهذه المصادر زخرت بعدد من الرسائل الأمامية أرسلت للاتباع ثم مقاطع من قصيدة النسب للداعي السوري الاسماعيلي الأجل «شهاب الدين ابي فراس» ومقطع آخر لقصيدة نسب ثانية للداعي الأجل «محمد بن الجزيرة» ثم ارجوزة النسب للداعي المطلق الاسماعيلي السوري المتأخر (سليمان بن حيدر) وكل هذه المصادر جاءت تؤيد ما ذهبنا اليه، وعلى سبيل المعلومات التاريخية والتوسع بالبحث لا بد من ذكر لمحة تاريخية تعرضت لها الأسماعيلية في سوريا وكانت سبباً لانقطاعها عن اسرة (محمد بن مؤمن شاه) وهي شجرة (ج) وذلك من تاريخ ١٢١٠ هـ حتى ١٣٠٢ هـ.

اولاً هجوم حاكم مدينة طرابلس التركي «مصطفى بربر»[1] سنة ١٧٨٩ م على قلعة «الكهف» الاسماعيلية بغية تدميرها وقتل اهلها والأنتقام منهم بسبب ما نسب اليهم من قتل سفير الحكومة الأفرنسية لدى الباب العالي في «استانبول» بالقرب من قلعة «الكهف» نفسها بينما كان يقوم بزيارة معاقل الدعوة الأسماعيلية في سوريا، وقد احتجت فرنسا وتشددت على تلك الجريمة وهددت بقطع العلاقات ثم الحرب وهذا ما دعا الحكومة التركية الى اتخاذ تلك التدابير مضافاً الى ذلك الهجمات المتتابعة التي شنتها قوى «النصيرية» المجاورة على مراكز قلاع الدعوة في

١) راجع ما كتبناه في مجلة «الحكمة» اللبنانية عدد ٦ سنة ٣ شباط ١٩٥٤

« مصياف » والقدموس والكهف والعليقة والخوابي وقد انتهت بجلاء الأسماعيلية التام عنها بعد معارك دامية وذهاب ضحايا لا يمكن تحديد عددها وذلك في حدود سنة ١٨٠٣ م . اما مصياف في ذلك الوقت فقد ذبح رئيسها (الامير مصطفى ملحم) ورجاله بيد رجال قبيلة (الرسالنة) النصيرية ولم ينج منهم الا عدد قليل من النساء والأطفال ولهذا الامر قصة طريفة لا بد من ذكرها فقد عمل على افساح المجال لهؤلاء (الرسالنة) بالسكن في مصياف وجوارها رامياً من وراء ذلك تعويدهم على حياة المدن وايجاد جو من التفاهم الودي بينهم وبين الأسماعيلية او بلفة اصح ادخالهم في الاسماعيلية ولكن آماله لم تتحقق فقد غدر فيه هؤلاء وذبحوه في يوم كانت الاكثرية من رجاله الاسماعيليين خارج البلدة يقومون باعمالهم الزراعية . وقد كان هذا الحادث المظم سبباً لنزوح العائلات الاسماعيلية عن (مصياف) و(القدموس) وتوابعها الى حماة وحمص وحلب ودمشق، اما داعي الاسماعيلية المطلق في تلك الفترة فهو « الشيخ سليمان[1] بن حيدر » الذي هاجر وقتئذٍ الى حمص ومات فيها بعد اسبوع من وصوله فتولى شؤون الدعوة بعده « الشيخ علي الحاج » وكان من العلماء النجباء وعلى جانب عظيم من رجاحة العقل وقوة المنطق فذهب الى مدينة حلب وعقد المجالس الدينية مع علمائها ورجال الدين فيها وقد عرض لهم ما تعرضت له الاسماعيلية في سوريا من اعتداءات النصيرية وكيف انهم اصبحوا مشردين لاجئين لا سند لهم ولا معين، عند ذلك اصدر العلماء (فتوى شرعية) اعتبروا فيها الطائفة النصيرية فئة باغية معتدية وقد وجهوا الفتوى المذكورة الى حاكم دمشق وأمير الحاج فيها وقتئذٍ وكان « يوسف باشا » وطلبوا اليه باسم المسلمين بذل كافة المساعدات للاسماعيلية والعمل على ارجاعهم الى اوطانهم مهما كانت النتائج لا سيما وقد ثبت بالدليل القاطع انهم فرقة اسلامية قائمة بالشرع المحمدي الحنيف، وبعد ذلك توجه الشيخ علي الحاج الى دمشق ومثل امام حاكمها « يوسف باشا » بعد ان انضم اليه وفد آخر من علمائها الذين هبّوا لتأييده فعرض

---

١) يرقد هذا الداعي في حمص بمقبرة (باب هود) ويعرف ضريحه باسم (الشيخ المغربي) .

للحاكم واقع الحال وشرح له ما اصاب الاسماعيلية من ظلم وجور وعدوان عندئذ امر الحاكم بتسيير فرقة كبيرة من الجيش الى مصياف والكهف والعليقة والخوابي حيث عملت على جلاء النصيرية عن هذه المواقع وأرجعت الاسماعيلية اليها بعد معارك دامية، وبعد ان تم لها ذلك وتمركزت في اوطانها ولملمت شعثها وشتاتها بدأت تفتش عن ضالتها المنشودة وتحاول الاتصال بقائدها الروحي اي (الامام) ولكن أنى لها ذلك وداعيها الاكبر «الشيخ سليمان بن حيدر» قد توفي واعضاء مجلسه قد تفرقوا في البلدان بذلك العصر المضطرب وهم وحدهم يعرفون مكان الامام واسماء البلدان التي يتنقل فيها وطريقة الاتصال به .

واخيرا قرروا التريث والانتظار واستمر هذا الانقطاع حتى سنة ١٣٠٣ ه فذهب وفد من سلمية والخوابي الى الهند وبدلاً من ان يلتقي بالأمام (امير محمد باقر) المنحدر من شجرة (ج) التقى (بآغاخان) وهو من اسرة (قاسم شاه) المنحدرة من شجرة (س) وكما سبق وقلنا فان هذه الشجرة لم تكن معروفة قبل هذا الوقت لدى الاسماعيلية النزارية، وعندما عاد الوفد ليبشر بهذا النبأ قام فريق يؤيده وظل فريق يتمسك بنظريته القديمة مطالباً بامام من شجرة (محمد بن مؤمن شاه) المنحدرة من شجرة (ج) لأنها الأسرة الامامية التي رافقت الاسماعيلية السورية النزارية مدة تزيد على الخمسمائة عام، وبينما كان هذا الانقسام الداخلي المؤسف يأخذ طريقه ويعمل عمله كانت هنالك هجمات النصيرية التي لا تنقطع يرافقها حوادث الانقسام بين امراء مصياف والقدموس ومقتل حاكم القدموس (احمد هارون) وتأهب اهالي اللاذقية لغزو قلاع الدعوة الاسماعيلية ثم بناء بلدة «سلمية» ١٨٤٠ م من قبل (الامير اسماعيل)، مضافاً الى كل ذلك متاعب كثيرة ومصاعب وحروب خارجية وداخلية كانت جميعها او بعضها سبباً وقف في طريق اسماعيلية مصياف والقدموس عن الالتقاء بامامهم (امير محمد باقر) وهو آخر امام اتصلوا به من اسرة (محمد بن مؤمن شاه) كما ذكرنا وكما يبينه هذا التسلسل الأمامي :

بعد الأمام (محمد شمس الدين) المولود في (اذربيجان) سنة ٦٤٣ ه والمتوفي في (قونية) استلم شؤون الامامة ولده (مؤمن شاه) المولود سنة ٧١١ ه في (تبريز) والمتوفي سنة ٧٣٨ في (شيراز) .

وبعده (محمد شاه) المولود سنة ٧٣٥ في (شيراز) والمتوفي سنة ٨٠٧ في (دار سلطانية) .

وبعده ولده (رضي الدين) المولود سنة ٧٨٧ هـ في (دار سلطانية) والمتوفي سنة ٨٣٣ في قرية (جماسة) القريبة من القدموس - السورية .

ومن بعده (محمد طاهر شاه) المولود سنة ٨٢١ في (دار سلطانية) بفارس والمتوفي سنة ٨٦٧ في (دار سلطانية) ايضاً .

ومن بعده (رضي الدين) المولود سنة ٧٨٧ في (دار سلطانية) والمتوفي سنة ٩٣١ في (دار سلطانية) ايضاً.

ومن بعده (محمد طاهر الحسيني[1]) المولود سنة ٨٢٣ في قرية (خوند - زنجان) بفارس والمتوفي في بلدة (احمد نكر - الهند) ثم ان جثمانه قد نقل فيما بعد الى كربلا. وذلك سنة ٩٨١ هـ .

ومن بعده (حيدر) المولود في بلدة (احمد نكر) سنة ٩٤٣ هـ والمتوفي سنة ٩٩٤ هـ في بلدة (اورونك آباد[2]) .

ومن بعده ولده (صدر الدين) المولود سنة ٩٧٧ هـ في (اورنك آباد) والمتوفي سنة ١٠٣٢ هـ في بلدة (اورنك آباد) ايضاً .

ومن بعده ولده (معين الدين) المولود في بلدة (احمد نكر) سنة ١٠٠٣هـ والمتوفي سنة ١٠٥٤ هـ. في (احمد نكر) ايضاً .

ومن بعده ولده (خداي بخش) المولود سنة ١٠٢٧ في احمد نكر والمتوفي سنة ١٠٧٤ هـ في (بدخشان) .

ثم ولده(عزيز شاه)المولود سنة ١٠٥٤ في (احمد نكر) والمتوفي سنة ١١٠٣ في (اورنك آباد) :

(1) Ferishta-Mohamed-Kassim : *History of the Rise of the MuGhal Power in india* — 4 vols — *Translatedb y* John-Briggs-London, 1829. *and Cam. History*. III. p. 460 — ot Bivg-Dict. Tahir — and the Shia of india — J.N. Hollister and A For Gotten — *Branch of the ismailis* — W. Ivanow (J.R.A.S.) — 1938).

(2) (اورنك آباد) مدينة على بعد مسافة ستين ميلاً من برمباي - الهند

ثم ولده محمد معين الدين المولود سنة ١٠٨٧ في (اورنك آباد) والمتوفي سنة ١١٢٧ في (اورنك آباد) ايضاً .

ثم ولده (امير[1] محمد مشرف) المولود في(اورنك اباد)سنة ١١١٣هـ والمتوفي سنة ١١٧٨ في (اورنك اباد) ايضاً.

ثم ولده (حيدر) المولود في (اورنك آباد) سنة ١١٥٨ هـ والمتوفي سنة ١٢٠١ هـ في (احمد نكر) .

ثم امير (محمد باقر) المولود في (اورنك آباد) سنة ١١٧٩ هـ وهو آخر امام من هذه الاسرة عرف لدى الأسماعيلية النزارية في سوريا كما بيّنّا ففي عهده جرى انقطاع الأسماعيلية-السورية عن الاتصال الامامي وجرى التحول الخطير الذي نوهنا عنه وقد كان ذلك سنة ١٢١٠ هـ .

وها اننا نورد الآن بعض المصادر التاريخية التي تثبت هذه الحقيقة ونبدأها بقصيدة النسب المشهورة للداعي الاسماعيلي السوري الأجل (شهاب الدين أبي[2] فراس) المعاصر للأمام (محمد طاهر[3] الحسيني) وفيها يعود ويثبت صحة امامة اسرة (محمد بن مؤمن شاه) (الخداوندية[4]) وهي التي سميناها اصطلاحاً شجرة (ج) :

١) كان لهذا الامام اخ اسمه (الامير لطف الله) وقد هاجر من (اورنك اباد ، الى (حنكلي) الى (اركات) الى (ميسور) الى (منكرور) الى (ايرور) الى (اركات) وله ايضاً ولد اسمه (السيد علي) وللسيد علي ولد اسمه (السيد محمد) .

٢) راجع ما كتبناه عن حياة هذا الداعي في مقدمة كتابنا (اربع رسائل اسماعيلية و(رسالتان اسماعيليتان) تحقيق عارف تامر

٣) جميع المصادر التاريخية تثبت ان هذا الامام كان على جانب عظيم من العلم ورجاحة العقل والجرأة وكان فيلسوفاً بليغاً شهدت له المحافل العلمية بفارس والهند بالتفوق ، وقد هاجر من فارس على اثر حوادث عظيمة جرت بينه وبين الصفويين سنة ٩٢٣ هـ وهم (شاه عباس وشاه اسماعيل وشاه طهماسب) فجاء الى الهند حيث لعب فيها دوراً عظيماً وخاصة في (دكن) حيث حوّل فقه وعقائد هذه المملكة الى الفقه والتشريع الجعفري الشيعي ولعب دوراً سياسياً كبيراً مع السلطانين (برهان نظام الدين) و(برهان شاه الدكني) . ثم انه رجع ثانية الى فارس فلم يستقر فيها طويلاً فعاد الى الهند ثانية واستقر في بلدة (احمد نكر) مدة قصيرة ثم مات فيها ونقلت رفاته حسب وصيته الى (كربلاء) . لهذا الامام مؤلفات عديدة بالفلسفة والادب جميعها موجودة لدى الاسماعيلية في (بدخشان) .

٤) كلمة (خداوندية) لفظة فارسية كانت تعطى للاسرة الحاكمة الكبيرة وقد عرفت هذه الاسرة ايضاً (بالخداوندية) .

نور من (القدسوت[1]) زاه زاهر	ومن من (الطموت[2]) باهر باهر
وشموس لاهوت تألق نورها	ولها نفوس الانبياء مظاهر

ومنها :

من بعده المولى (الرضي) فانه	للمعضلات وكل كسر جابر
يتلوه مولانا امام زماننا	(الطاهر) المولى العلي الظافر
قد فاز من والاه في ايامه	والويل ثم الويل يلقى الكافر

وهذه ابيات منتخبة من قصيدة طويلة للداعي الاسماعيلي (محمد الجزيرة) وفيها يأتي على ذكر الامام (محمد طاهر الحسيني) والأئمة من شجرة (ج) :

ماذا عليهم لو اجابوا الداعي	ائرام خلقوا بلا اسماع
غنم تخطفها الذئاب بقوة	لما رعت في غير حد الراعي
سفن النجاة لمن تمسك فيهم	ووجودهم من عالم الابداع

ومنها :

الحاضر الموجود صاحب وقتنا	مولى الانام وملجأ الملتاع
(راء وهاء[3] بعدها الف وطا)	يوم المعاد يكون غير متاع

وهذه (ارجوزة النسب) للداعي الاسماعيلي المطلق الشيخ (سليمان بن حيدر) المولود في حصن (القدموس) سنة ١١٤٣ هـ والمتوفي في حمص سنة ١٢١٢هـ

والسبط (مؤمن شاه) باليقين	وهو المكنى (بعلاء الدين)
مولده تبريز ذي المعالم	هجرته شيراز في الاعاجم
محمد ثم رضي الدين	كلاهما قد خص بالتمكين
بعدها المولى التقي (الطاهر)	العالم الفرد العزيز الجابر
وبعده المولى (رضي) الثاني	مبدل للكفر بالايمان
وبعده الولي (طاهر) شاه	ليس له في عصره مباه
هجرته الى اراضي الهند	خير بلاد لكمال الوعد
في بلدة امينة احمد نكر	مقامه هناك فيها مشتهر

١) « القدسوت » من التعابير الصوفية ومعناها (القدس الاعلى)
٢) « الطموت » من التعابير الصوفية ايضاً ومعناها (الاسم الاعظم)
٣) هذه الحروف بجنسمة تشكل (طاهر) وهو اسم امام زمانه

وكان بحرًا سيدًا نبيها	ليس له في عصره شبيها
اخباره عند ملوك الهند	معظم مقامه في الصدر
وفاته في البلد المذكوره	احمد نكر بفضله مشهوره
وبعد هذا جسه قد تنقل	لمشهد السبط امام كربلا
ونجله المذكور (شاه حيدر)	مقامه في البلد المنوَّر
و(صدر) بعد و(معين الدين)	قد عززا بالعلم والتمكين
قد ولدا في البلد المذكوره	ودفنا في الروضة المعموره
اعني جا احمد نكر بالاسم	تقدست في جسهم والرسم
وبعد ذا في بدخشان قائما	(خداي بخش) سيدًا وعالما
ونجله المولى ولي الله	شاه تسمى (بعزيز) الله
مولده في البلدة المنوّره	(احمد نكر) في الروضة المطهره
من بعده المولى (معين الدين)	حامي حمى التشريع ثم الدين
موطنه اورنك لسان الفرس	آباد اضحت جنة للنفس
وجاء منها بلدة كريمة	معروفة بين الورى قديمة
ثم نقل منها الى احمد نكر	بعد الوفاة هكذا صح الخبر
ونجله من بعده مكرمًا	(محمد مشرفًا) معظمًا
من بعده السيد الشريف	(الحيدر) المطهر العفيف
وخاتم الكل الامام الباقر	اعماله في عصره مآثر

وننتقل الآن الى ايراد مصادر تاريخية اخرى ونبدأ بالكتاب او(التشريف)[1] المرسل من بلدة اورنك آباد بتوقيع (امير محمد باقر) من ائمة اسرة (خداوند) المذكورين بشجرة (ج) وهو آخر امام من هذه الأسرة عرفته الاسماعيلية - السورية وتاريخ الكتاب في عام ١٢١٠ هـ .

« كتاب مرسل من الحضرة العلية »

هو العلي العظيم، هو العليم الخبير، هو السميع البصير، واذكر ربك اذ نسيت، واذكر ربك في القرآن، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون، حسبي الله نعم الوكيل نعم المولى ونعم المصير، بحق من رفع عباده بعضهم فوق بعض

(١) راجع مجلة (الحكمة) عدد ٣ شباط ١٩٥٤ . عثرنا على هذا الكتاب في مدينة (مصياف) وتوجد نسخته المخطوطة بمكتبة (عارف تامر)

درجات ورحمة ربك خير مما يجمعون ولله ما في السموات والأرض وان تبدو ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير .

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله الذي سبح كل شيء بلسانه ، ونظم لآلئ توحيده ببيانه ، وأبان محامد فضله وأنعامه ، وهو كل يوم في شأن ، رفع السماء ، وخفض الغبراء وأزهر البساتين بالنرجس الأصفر ، والورد الاحمر ، يسبح الرعد بحمده وشوقه ، ويحمل السحاب المطر المدرار بأمره ، وتضطرب له المياه في سلاسل الامواج ، ويطلب الفلك في سراجه الوهاج ، تخطب باسمه العنادل على قضبان منابر الأشجار ، وتذكره الرياح بلسان اوراق الاغصان ، فهو الذي فضل رسوله محمد على سائر الانبياء وشرف عترته على قاطبة الاتقياء . وبعد فهذه شمامة التحية من الامام (امير محمد باقر) لتطيب مشام قدوة المتقدين خيرة المحبين زبدة الراسخين وعمدة المريدين سيوف دعوتنا ومورد لطفنا وافضالنا الشيخ (سليمان بن الشيخ حيدر[1]) وجميع المشائخ والامراء والأجناد في مصياف والقدموس وكافة الأنسيين وعامة المؤمنين ثبتكم الله على الصراط المستقيم وانعم عليكم بنعم الدارين الى يوم الدين ... آمين ... آمين ... آمين ...

وصل الي كتابكم من يد (حاج عبد الله) و(حاج علي) و (حاج احمد) في تاريخ خمسة من شهر شعبان سنة عشرة بعد المائتين والألف هجرية على صاحبها افضل السلام والتحية وقد تعطر مشامنا بطيب المضامين الطيبة وشرح صدورنا بادراك المعاني المشرفة ، وسبح بحمده خيتان الخلوص والوداد وتموج فيه امواج العقيدة والسداد عباراته متينة ومعانيه رزينة ، فلا زال من المحبين وصول هذه النمائق على هذه الطرائق بحرمة النبي خير الخلائق . بارك الله لنا وأياكم الى يوم الدين وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم المصير .

حرر في تاريخ احدى عشر من شهر رمضان سنة عشرة ومائتين بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة واتم التحية ... آمين .

---

(١) ذكرنا عن هذا الداعي ما فيه الكفاية

وهذا كتاب ثان او (تشريف)[1] كما تسميه الاسماعيلية مرسل من الامام (خداوند عزيز شاه) من بلدة احمد نكر سنة ١٠٣١ هـ . وهذا الامام ايضاً من شجرة (ج) .

بسم الله الرحمن الرحيم :

والهداية امر من عند الله العزيز العليم . اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حامداً شاكراً ، وان كان لا يحيط علمي بما يوجب ان يحمد عليه ، ولا يطيق لساني بيان المحامد التي ترجع اليه . فلا علم لي منه الا ما علمني اياه بعنايته ، ولا اخلع عليه الا نعوت الخير وصفات الكمال ، ولا اناديه الا يا واجب الوجود ويا مفيض كل خير وجود ، كنا ساكنين في ظلمات العدم منتظرين رشحات الفيض والكرم فتفضلت علينا باشراق نور الوجود وترحمت بجالنا بكمال الفضل والجود ، ثم انزلت علينا من فضلك ماء طهوراً اخضرت به قلوب عبادك المخلصين في رياض الهداية والعرفان ، وها انا ارتع في روض الندامة والحرمان فارحم عليّ افتقاري اليك وانكساري بين يديك .

اللهمّ اهدني واهدي قومي باقتفاء اثر نبينا محمد (صلعم) الناطق بلسان الوحي والتنزيل ووصيه (علي) اساس الدين المبين والتأويل المكين المرتضى المولى باب العلوم وامام الحرمين وحجة الثقلين وداعي البرية الى منهج السداد والرشاد امير المؤمنين وامام المتقين ومظهر كلمة الله وترجمان كلامه المبين العارف باسرار الكتاب والقاضي بالنص والخطاب .

اللهمّ احشرنا مع من انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وافتح اللهمّ بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ...

وبعد فهذا كتاب من عبدالله وحجته الامام (عزيز شاه الحسيني الى الأسماعيليين القاطنين في قلاع الدعوة السورية وما جاورها الذين خدمهم الله بين البرية باعتناق العروة الوثقى وايدهم باتباع كلمة الله العليا اولئك عليهم الرحمة والزلفى .

---

١) راجع مجلة الحكمة اللبنانية السنة ٣ العدد ١١ ايلول ١٩٥٤

ايها المؤمنون ...

السالكون القاطنون قلاع الدعوة الهادية وحصون مصياف والقدموس والخوابي والكهف والعليقة والمينقة وفي القرى والبلدان زادكم الله ايمانا وتسليماً. اعلموا ان خاطري عندكم ونفسي راغبة باصلاح حال كل مؤمن ومؤمنة منكم وقلبي يحبكم ناطقاً وشاهداً سواء اكان غائباً او حياً او ميتاً . فمن كان منكم مقراً بامام الزمان عاملاً بالأحكام فأسأل الله له الرحمة والرضوان وفي الحياة الهداية وسبيل العرفان .

ايها المؤمنون ...

ان الله تعالى مبدع العقول وموجد النفوس ومفيض الجود ومعطي الخير سبحانه لا اله الّا هو الكريم الودود ، فهو الذي خلق السموات والارض وما بينها وما خلقكم الّا لتعبدوه فداوموا على عبادته ولا تشركوا به شيئاً واعلموا ان الانسان هو المظهر الجامع للتضادات فصحيفته محتوية على آيات النور والظلام، وانه يجب ان لا يستقل احد بأمره لا في دنياه ولا في عقباه ولا يهتدي بنفسه الى معرفة مولاه لأن ذلك يستدعي وجود دليل ودولة كاملة من بينهم تدبر وتدير امرهم جامعة لهم تقضي بالحق والصواب وتدل على المبدأ والمعاد وتأمر الناس بما هو خير لهم وتنهي عمّا هو شر لهم فأطيعوا الله واطيعوهم فانهم امناء الله عليكم وسفراءه اليكم يعلمون بكل جزء من الزمان بما هو اصلح لأهله ويحكمون بما امرهم الله به فيهتدي بهم المهتدون وينكرهم الضالون جعلكم الله من المهتدين بدلاً من الضالين .

ايها المؤمنون ...

اجعلوا ايمانكم بالله وبما جاء من عند الله وبما انزل اليكم من الشرائع والنبوات ، وتخلقوا باخلاق الأمناء وتوسلوا بشفاعة محمد وآله لتكونوا محشورين يوم القيامة في زمرتهم وأياكم والغرور بزخارف الدنيا وقشورها والتواني عن العمل لنيل الآخرة ومسراتها واتقوا الله وتجنبوا هفوات اللسان وحب الشهوات وشرب الخمور وأكل الربى الحرام واقبلوا على نيل العبادات والقيام بالصيام ، وحبوا بعضكم بعضاً واطيعوا ما يأمركم به الدعاة والابواب ثم لا تنزعوا عند

اهوال الدنيا وشدائدها ولا تفرحوا بمسراتها وفوائدها فأن كل مصية تصيبكم تمتّ عنكم سيئة وكل فرصة تدرككم من لذات الدنيا تحيطكم من حسنة والله تعالى قد نهاكم عن هذين في كلامه المجيد وهو على كل شيء قدير . . . والحمد لله رب العالمين .

كتب سنة ١٠٣١ ه في بلدة (ر ن ك[1] ح م د ا)

وهذا كتاب ثالث او (تشريف[2]) مرسل من الأمام (حسن بن محمد بن حسن بن نزار) وهو من اسرة (الخداوندية) المذكورة بشجرة (ج).

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله مؤيد الحق ونصيره ومظهر العدل بتدبيره . ومقسّم الارزاق بتسخيره ومجري الفلك بتسييره ، ومضيء النهار بسنى نوره ، الدال على توحيده ببراهينه . المقيد جميع عباده بجدوده ، وصلى الله على النبيّين والمرسلين اجمعين. . .

ايها السادة المؤمنون . . . اتباعنا المخلصون . . .

اعلموا اننا نحن ابناء الحكمة وينبوع الكلمة وباب الرحمة ، خلقنا الله في احسن تقويم والفضل تعليم فاطيعونا حق طاعتنا واتقوا الله حق تقاته فقد قال المولى الكريم والأب الرحيم والمعلم الصادق والمصدق الامين « لو خافونا في حضورنا لما زلّ احداً منهم» واعلموا ان اثبات الحكمة وسبب وجود الرحمة اعتراف العبد بامام زمانه وصاحب وقته واوانه فاذا اقرّ واعترف به تجاد عليه وانعم وساواه وقال : « عبدي اطعني اجعلك مثلي حياً لا تموت وعزيزاً لا تذل وغنياً لا تفتقر فاذا تقصر العبد في معرفة مولاه والاقرار بامامته خسر دنياه وآخرته » هداكم الله للعمل الصالح وللايمان »

ايها المؤمنون . . .

اخلصوا الينا بقلوبكم وارحلوا الينا بنفوسكم فان عهدنا واصلاً اليكم وقد امرنا بتلاوته عليكم فتلقوه بقلوب صادقة ونفوس طائعة غير آبقة وقد اوسلنا اليكم باباً من ابوابنا وداعٍ من دعاتنا ليقرأ عليكم « العهد » ويتلوه

1) هكذا وردت بالاصل وتفسر (احمد نكر) وهي بلدة بالهند
2) راجع بحثنا بمجلة الحكمة اللبنانية سنة ٣ عدد ٩ ١٩٥٤

ويوضحه ولا يخفيه وهو الداعي « شمس الدين بن علي » الذي يوضح الحق حتى ينجلي ... انني الأمام « حسن بن محمد بن حسن بن نزار ».

ايها المؤمنون . . .

اطيعوا مواليكم وحافظوا على اخوانكم فقد اشرقت الأرض بنور ربها وقد آن اوان ظهور الحق المبين عند انقضاء دور الأربعين وانتهاء مدة السبعين فتنتهي مدة الخلائق اجمعين وتشرق الأرض بنور اليقين ويظهر الحق بكلمته على قلوب العارفين الذين هم على الطاعة عاكفين ولأمرنا لازمين فمن سمع ما أمرناه وقام بواجب ما فرضناه وعهد بما عهدناه اشرقت عليه شموس العزة الجبروتية واتحدت روحه بالعالم الروحاني وصار في مكان لا يحول وزمان لا يزول وعدّ بين اهل الصدق والأيمان وأهل الكشف والبرهان ، ومهما امركم به داعينا فامتثلوه وأطيعوه فانا مظاهر اوائل الكشف ومدبر التنزيل وصاحب التأويل وانتم ابناء الحقيقة واصحاب الطريقة المستقيمة فقد جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان هوقاً فقد انزلنا عليكم رحمتنا وشملتكم عين عنايتنا وارتضيتكم من بين خليقتنا وجعلتكم ابناء دعوتنا فطاعتنا عليكم فرض ونجاتكم في يوم الفصل والعرض . ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم بان لهم الجنة بالرضى والتسليم وحسن اليقين .

اعاذنا الله واياكم ممن كان لعهدنا ناكثاً وقلبه عن معرفة مولاه قاسياً فثواه جهنم وبئس المصير . فاركبوا سنن من كان قبلكم من المؤمنين الطائعين القائمين فهم في روح وريحان وجنة نعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ...

ايها المؤمنون ... ايها المخلصون ...

المؤتنون القاطنون (جبال[1] السماق) وقلاع البدعوة الهادية من الامراء الكرام والأسياد والدعاة الأسلام واصحاب مدينة السلام ارباب المراتب في الدعوة النزارية الهادية وسائر المؤمنين احسن الله احوالهم في الدارين ... اعلموا ان الله تعالى خلقكم واليه مرجعكم فمن آمن وعمل صالحاً فله الجنة والرضوان

---

١) هذه الجبال تقع شمالي مدينة اللاذقية وتمتد حتى حلب وتعرف الآن (بجبل الزاوي) وقد ظلت فترة طويلة موطناً للاسماعيليين.

ومن انكر فعليه اللعنة والخسران فداوموا على الطاعـة وتابعوا الحق وتخلقوا بالأخلاق الكريمة من الصبر والشكر والتوكل والخوف وقـلة الطعام والمنام والكلام فالله اعلم بالمتقين، واجتنبوا المقاهي والمحرمات وسائر الاخلاق الذميمة من الكبر والبغض والكذب والبخـل والنميمة واكل الحرام والخمر وحشيش (البنج) المخدر والربا واسعوا في نشر الدعوة النبوية الهادية كما جاء بها النبي (صلعم) وآله .

من سنَّ سنة حسنة فله اجرها وأجر من عمل لها ، فلهذا قد اقمت بنكم رجالاً ذوي صدق وعدل فاطيعوهم وعاونوهم واسمعوا لكرمهم وعززوهم بقـدر مراتبهم واعلموا ان (الختام) التي وقعت بقلعة «الكهف»[1] هي خاصة بامامكم (عليه السـلام) فعمروها واستعجلوا بارجاعها الى مـا كانت عليه واعرضوا مشكلاتكم في الدين والدنيا علينا لنحلها لكم ثم اعلموا ايضاً ان معتمدكم وخادمنا (محمد الخرساني) والداعي (ابراهيم) قد وصلا امند مولاكم فكان راضياً عنها وعن جماعة المؤمنين والحمد لله رب العالمين .

(كتب في «الموت» في السنة الثامنة عشرة بعد السمائة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل السلام والتحية) .

وهذا «تشريف» من الامام (معين الـدين) الى الاسماعيلية النزارية في سورية وهو من المصادر التاريخية التي تلقي ضوءا على بحثنا الآنف الذكر .

« فرمان من الحضرة الطيبة »

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الذي لا يحول ولا يزول ولا تحيط بمعرفة كنه ذاته العقول، لم يزل في القدم موجودًا وبأزل الأزل معبوداً : احمده في السر والعلن وأشكره في الفرح والحزن ، فهو الآن الفرد المتعالي عن الأبعـاد المتجرد عن العرض والطول ، رافع السماء وباسط الغبراء وموجد الموجدات ومقدر المقدرات والصلاة والسلام على سيد البشر وقائد البدو والحضر محمد بن عبد الله الذي سما الى عالم

---

[1] «الكهف» من القلاع الاسماعيلية التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ وفيها (حمام) من اعاجيب الدنيا . وهي تبعد خمسة عشر كيلومتراً عن (القدموس) للجهة الجنوبية...

المبدعات وارسل لانقاذ النفوس من بحران الضلالات ، وعلى وصيه وأساس دينه (علي) صاحب الآيات والمعجزات وسلّم تسليماً كثيراً ...

وبعد فهذا « تشريف » من عبدالله وحجته على خلقه الامام « معين الدين » الى الأتباع المخلصين المقيمين في اقليم قلاع الدعوة الأسماعيلية النزارية الهادية والى المؤمنين من ابناء دعوتنا انى كانوا في الجهات .

ايها المؤمنون . . .

ادعوكم الى التمسك باهداب الدين والورود من عين اليقين والحفاظ على الشريعة وفروض الصلاة والاقتداء بالامام والعلم بانه موجود بينكم يسمع بقلبه ويرى ببصيرته ولا تغيب عنه شاردة او واردة من اموركم .

اطيعوا داعي اقليمكم « المأذون » « برهان الدين » وخذوا عنه حقائق العلم وقفوا عند اوامره ونواهيه فنحن قد اعطيناه وفوضناه وعلمناه وجعلناه لنا نائباً وقائماً وداعياً .

ايها المؤمنون . . .

اعلموا انها ستمر بكم فترات عسيرة وستتعرضون للحروب ولشتى انواع المحن في سبيلنا وسبيل محبتنا فاصبروا فان لكم حسن المآب . . . تماسكوا ووحدوا الصفوف واكثروا من شراء الاسلحة الحربية وعززوا المواقع الدفاعية عن مواطنكم وعلموا اولادكم الفروسية كما كنتم في الماضي وارضعوهم من لبان علم اهل البيت وضحوا في سبيل اوطانكم ولا تتنازلوا عن قلاعكم وحصونكم فهي لكم رمزاً وحصناً ودرعاً وشرفاً .

ستأتيكم اوامرنا بلا انقطاع وستمر بكم دعاتنا باستمرار فاطيعوهم ولا تتنكروا لهم واعلموا برجوع عهدنا وقيام امرنا ونحن في دار هجرتنا نرنو بابصارنا الى كافة اشياعنا المخلصين .

حامل امرنا وناقل عهدنا (حسام الدين) من حصن « صهيون » كوه فهو من اركان دعوتنا وحراسنا والقائمين بطاعتنا وفروض خدمتنا والمجاهدين في سبيلنا ، والسلام عليكم ورحمة الله والحمد لله رب العالمين .

(كتب في بلدة (احمد نكر) في العاشر من شهر محرم سنة الالف والمائة والخامس عشر من الهجرة النبوية .

وهذا « تشريف » مرسل من الامام « محمد طاهر الحسيني » وهو من اسرة (محمد بن مؤمن شاه)المذكورة بشجرة(ج) الى اتباعه الاسماعيلية النزارية في سوريا.

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله الذي سبحت بحمده السن الكائنات ونطقت باسمه افواه الممكنات واخبرت بكمال الوهيته شفاه المبدعات وشهدت بجلال وحدانيته ذوات الموجودات والصلاة والسلام على اشرف الذوات العارفات ، والطف النفوس الطاهرات وعلى محمد المنعوت باطهر الاخلاق الزكيات المبعوث الى سائر الخلائق وكافة البريات المؤيد من السابق وما تلاه من الحدود العلويات بالآيات البينات وعلى اساس دينه وحجته على العالمين « علي » الهادي الى سبيل النجاة والمرشد الى نهج الحياة وعلى من جاء بعده من الأئمة والحجج والدعاة والاجنحة والمأذونين والمستجيبين والموقنين والمؤمنين والمؤمنات صلاة تتواتر عليهم بتواتر الآيات وتتعاقب بتعاقب الأوقات وبعد فان افضل النعم والهبات واكمل المنح والعطيات ما اباح الباري لاوليائه من العنايات وقدر لمحبيه من السعادات ورزقهم شرف العلم وضياء الحكمة ونور المعرفة وصحة التوحيد وكمال الايمان وخلاص المحبة ومحض المودة وصدقا لموالاة وسقاهم بكؤوس لطفه من ينبوع عين الحياة على ايدي ارباب الفيض واصحاب التأييدات وأوقفهم على مخزون العلم ومكنون الحكم الخفيات وسار بهم في فلك الاستقامة الزاخرات فغابوا عن نعوتهم وتعييناتهم امام انوار التجليات واختطفتهم امواج الهيبة الجبروتية النازحة عن الجهات ، ولما تفضلوا واتصلوا بالمراد ورعوا في رياض الجنان واجتنوا ثمار الحكم الشهية وتفيأوا اغصان اشجار الهدايات استحقوا من الله السلام والتحيات والنفحات المعطرات وكل من اقتفى آثارهم وسار على غرارهم وشرب من منهلهم عليه خالص التحيات وفائق الاشواق الطيبات ، وبعد فهذا عهد وميثاق من عبد الله وحجته ووليه (طاهر الحسيني) ابثه للابناء في نهج السداد وطريق الرشاد المؤمنين والمؤمنات المحبين والمحبات ابناء الدعوة الأسماعيلية النزارية القاطنين في (جزيرة[1]) سوريا

---

[1]) بالتعريف الاسماعيلي (الجزيرة) هي الاقليم والكرة الارضية كانت مقسمة الى اثنى عشر جزيرة حسب فلسفتهم .

وما جاورها من البلدان مقروناً بالسلام والبركات . وارسلها نفحة يفوح منهـا طيب نسيم الوداد ولاعج الشوق بصفو المحبة وصدق الاعتقاد الى من هم من الأصفيا. الأمجاد ، الـذين تعطر بطيب ذكرهم كل ناد وشمل فضلهم وانعامهم الحاضر والبـاد ، ثم ان سلامي مقرون بالدعا . الخالص من اب كثير الاشواق عزيز الأتواق جم الأرق دائم القلق الى مشاهدة تلك الشمائل الشهيات ومطالع تلك الفضائل البيأت ، واني ابتهل عن صدق نيـة واخلاص الطوية بحق المنزه عن الأسما. والصفات المتعالي بالوحدة وقدسية الـذات ان يحفظكم في المدارج الكونية ويجمع شملي بكم ويقر عيني برؤيتكم. فاشكروا الله على ما هداكم اليه من معرفة اوليائه الذين هم نعم الهداة وسفن النجاة وما ذلك الا من الطافه الخفيّة وعطاياه الهنيّة وقولوا دائماً « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله » .

ايها المؤمنون . . .

اعلموا وتيقنوا واطيعوا اهل بيت نبيكم وبقية الله فيكم فأنهم اوليا. الأمر الذين امركم الله تعالى بصلتهم وذوي القربى الـذين حثكم على مودتهم وهم عليهم السلام ائمة الهدى واعلام الورى واطواد النهى ومعـادن الجود ومصابيح الدجى ومفاتيح التقى وغيوث النـدى وليوث الشرى فولايتهم هي العظمى والدعوة الحسنى والمثل الاعلى والعروة الوثقى ومنبع الكرامة ومحل المعرفـة ومستودع الحكمة وموضع النور ومنار التوحيد ونور الكلمة وهم والله ورثة الكتاب وتراجم الوحي وصفوة البرية والدوحة المنوية والشجرة المباركة والثمرة الطيبة ومعدن الرسالة ومهبط التنزيل ومشرع التأويل ومادة الرحمـة وعنصر البركة وخزانة العلم ومقر الحكمة واصل الكرم واساس النعم ودعائم الدين وابواب اليقين والكهف المنيع والحرز الحصين ومادة العبـاد وأركان البلاد والعترة الطاهرة والصفوة الزاهرة ومثل اهل البيت نبيكم كمثل الفلـك العامرة فاز من ركبها ونجا من تمسك بها ولا خاب من ركن اليها فتولوهم واعرفوهم وتبعوهم واعلموا ان تمام الايمان معرفة امام الزمان عليـه السلام ومتابعته فيما يامر به من الحقائق والأحكام . . .

والله . والله . . . امام زمانكم هو الشاهد على احكامكم واعمالكم وهو صفوة الصفوة وخلاصة الكون والمقصود الاول والآخر وحقيقة الباطن والظاهر ونور الله المترجم ووجهه الذي لا يرى الا منه فأحيوا دعوته ولبوا كلمته واقبلوا ما افترض عليكم من طاعته بقدر الاستطاعة واعرفوا ما اوجب الباري تعالى لديكم من حقه ومودته فانه قد اصطفى بسمعه الشريف الى ما بيّناه من تقبل سعيكم واجابة دعاكم وقد اكمل الله سبحانه وتعالى جميع صفاته العلية ونعوته الجسمانية والروحانية وقد تجلى تجلياً تطمئن له القلوب وتقر به العيون وهذا هو يومكم الذي كنتم به توعدون . . .

اعانكم الله على حسن الطاعة فان طاعة اولياء الله انجح وسيلة وأربح بضاعة واحسن الخلق وجود السيرة وامتثال الامر في كل الاحيان والاحوال وكثرة الآداب وسعة الصدر وطلاقة الوجه ورعاية الحقوق وبذل الخدمة والعيش بالنظافة وحزم الرأي وصون السر والوفاء بالعهد وعلو الهمة وواجب الحكمة واقتناء المعرفة وليكن اجتماعكم ايها الاخوان المؤمنين الموقنين ثبتكم الله على نهج الدين بنفوس طيبة زكية وقلوب طاهرة ونيات خالصة فائقة وآراء متطابقة متوافقة يتجلى فيها الصفاء الصريح والوداد الصحيح على سبيل المحبة والائتلاف والاتفاق والانصاف والمواساة والاسعاف واللطف والتواضع واجتناب التنازع والاختلاف والتكبر والاعتساف ولتكن كلمتكم واحدة وليصل منكم الغني الفقير ويعين القوي الضعيف حتى تعم بينكم المساواة وتسود لديكم المفاداة في سبيل الله ودينه الحق وانزعوا من بينكم الاستئثار والعداوة والبغضاء وكلّ ما يؤخر سيركم في طريق النجاح والنجاة واقبلوا على ما يرد عليكم من اوامر الحضرة القدسية العلية من بالكناية والتصريح فاني عليكم مشفق وبالاخلاص لكم نصيح وأطيعوا اوامر الدعاة واسمعوا لهم في طاعة ووقار وامتثلوا للامر وتعبدوا لله ظاهراً وباطناً باليقين الخالص الصادق والاعتقاد الصحيح . . . وقولوا :

الحمد لله الذي اطلع شمس التوحيد من افق سماء الايمان وانار قمر التنزيل في غسق سويداء الجنان وامطر ارض الاخلاص بانوار الايقان ونوّرنا من الحقائق

بضياء العرفان والصلاة على حبيبه (محمد) (صلعم) الذي اصطفاه من ابناء نزار بن معد بن عدنان وأرسله الى كافة الانس والجان وأطلق لسانه في ميدان البيان وإيده في الحجة والبرهان وعلى وليه (علي) سيد الائمـة وعلى الحجج والأبواب والأجنحة والدعاة والمأذونين والمستجيبين في السر والأعلان وعلى التابعين الى يوم الدين باحسـان .

(كتب في بلدة (احمد نكر) من الخامس عشر من رجب سنة السبعة والاربعين بعد التسعمائة على صاحبها افضل التحية والسلام .

وهذا مصدر آخر وهو (تشريف) مرسل من الأمـام (محمود ركن الدين خير شاه) من (ألموت) بفارس .

بسم الله الرحمن الرحيم :

الحمد لله الذي خلص نفوسنا ببقائه وانطلقها هادية الى معرفته وطاعته ، وجعل افكارنا منصرفة الى قدس جبروته وبساطة بالدلالة على وحدانيته واعمالنا تابعة للحقائق ومنزهة عن العوائق حمداً واجباً وشكراً دائماً لتوال نعمته ودوام رحمته والحمد لله وصلاته على خاتم النبيين وأساس الدين وعلى آل بيته الطاهرين .

اعلموا ايها الآمنون المؤمنون المطمئنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ان معرفة الله تبارك وتعالى هي اشرف المعارف واجلها كما قـال عزء من قائل :

« ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » وان العبادة لا تكون الا بعـد المعرفة وسأل مولانا الصادق الامام جعفر بن محمد عن معرفة الله تعالى فقال : معرفة الله هي معرفة الامام المفروضةعلى الأنام وقال مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب (من قال فيه فهو جاهل ومن سكت عنه فهو غافل) فكل ما ميزتموه في اذهانكم من دقة معانيه مردود اليكم وانه لا بد للعبد من معرفتـه على الدوام لنيل المراد وان من جزيل انعامه وعميم لطفه واكرامه امره الكريم ان يكون في هذا العالم شخص بشري كامل مظهر لامر الله سبحانه وتعالى ومصدر للفيض معقول ومحسوس كما قال مولانا امير المؤمنين علي بن ابي طالب لكميل بن زياد (لا تخلو الارض من امام قائم ظاهر منظور او خائف مختف مستور) لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكما قال النبي (صلعم) في هذا المعنى :

(من مات ولم يعرف امام زمانه معرفة جلية مات ميتة جاهلية) وروى في صحيح الاخبار عن الائمة الاطهار صلوات الله عليهم اجمعين :
ان معرفة الله من معرفة الامام الذي هوالسبب بنجاة الخلق وغاية كمالهم وكما قيل :

ان اثبات الحكمة وسبب وجود الرحمة اقرار العبد واعترافه بامام زمانه وصاحب وقته وأوانه فاذا اقرّ واعترف به جاد عليه وساواه بنفسه كما ورد في الكلام القدسي :

(عبدي اطعني اجعلك مثلي حيًّا لا تموت وعزيزًا لا تذل وغنيًا لا تفتقر) وقال:
(من لم يقر بامامته ومرتبته خسر دنياه وآخرته ...) .

ثم اعلموا ايها المؤمنون الموحدون ثبت الله اقدامكم على الهدى وانار بضياء الحق افهامكم ان مولاكم صاحب الزمان وترجمان الرحمن وقوام الثقلين ونظام العالمين وقائم الدنيا وشمس الحق هو (ركن الدين) وان ابنه (احمد القائم) هو بمقام النجل الظاهر وحقيقة الباطن وابن السادة الاطهار والعروة الوثقى التي من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها ضلّ سعيه وغوى وكان من الهالكين الذين خرجوا عن طاعة امام الزمان وابو الذرية والبرية وصاحب الدنيا والدين عضد الاسلام مولى الانام عون المؤمنين وحبل الله المتين مولانا (محمود ركن الدين) ابن مولانا (علاء الدين بن مولانا حسن بن موالينا اباً عن اب حتى مولانا علي بن ابي طالب) . الذي :

فتح الله لكم باب الرحمة واسبغ عليكم النعمة ...

ابشروا فقد لاح الصباح وتبيّن الضوء من الظلام وظهر النور وغاية السرور وقرب الوقت ودنا الاجتماع ...

تأملوا عن قريب ... وتحققوا ليجزيكم الله باحسن ما عملتم ويزيدكم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ...

لقد ارسلنا اليكم داعينا والمقرب من الحضرة العلية السيد الفاضل الكامل المكمل الخبير الذي هو موضع العلوم والفضائل وجميع المكارم والشمائل الضارب في العلوم الدينية والحقيقية صاحب الخلق العظيم والطول الجسيم

سيّد السادات والنقبا. العارف بالله والدين الفقيه (الحسن بن المرتضى الشيرازي) ورفيقه الشيخ الصالح الفاضل الكامل النقي الزاهد الورع سيّد السادات ومنبع الوداد (عبد العزيز الزنجاني) ابقاه الله في العزة والكرامة ليحقق احوالكم ويبشركم البشارات العظمى انكم من مستحقي الاحسان والرحمة والرأفة والرضوان . - - - -

« صدر هذا الكتاب من الحضرة العليّة في (ألموت) وأرسل في شهر شعبان من شهور سنة احدى واربعين وستمائة والسلام على من اتبع الهدى وخشيَ عواقب الردى وذاقب امور الدنيا والآخرة والحمد لله رب العالمين » .

« وهذا التعميم الأمامي مرسل من الأمام (امير محمد مشرّف) .

بسم الله الرحمن الرحيم :

اللهمَّ اني وجهت وجهي الى القبلة المحمدية والاركان الهاشمية والكعبة القرشية والمحاريب الفاطمية والشموس اللاهوتية والائمة الاسماعيلية والشجرة المباركة لا شرقية ولا غربية لا فوقية ولا تحتية لا سماوية ولا ارضية على ملة ابينا (ابراهيم) الخليل ودين محمد (صلعم) الذي هو منهاج المؤمنين ومذهب مولانا (جعفر الصادق) . حقيقاً مسلماً وما انا من المشركين مقتدياً في امام عصري وزماني الحاضر الموجود :

(١)

م ش ر ف ك ذ ك ر ه ا ل س ج و د

والله اكبر .

ارسل من بلدة (اورنك اباد) في سنة ١١٧٣ هـ في الحادي عشر من شهر شوال .

---

١) راجع ما كتبناه بمجلة الحكمة عن الحروف الاسماعيلية السرية وكيفية استعمالها في الحروب – مجلة الحكمة اللبنانية عدد ١٣ شهر تشرين الاول ١٩٥٦

ولعله يكون من المفيد قبل انهاء هذا البحث وبعد ايراد هـذه المصادر التاريخية ان نعود لنقدم شجرة (س) الآغاخانية فنقول :

بعد الامام (شمس الدين محمد) استلم ولده (مؤمن شاه) ولكنه لم يذكر في الشجرة واغفل اسمه خطأ .

وبعده جاء ولده (قاسم شاه) المولود سنة ٧٠١ في (تبريز) المتوفي سنة ٧٧١ في (قاسم آباد) .

وبعده اسلام شاه المولود سنة ٧٣٥ في (بابك) والمتوفي سنة ٨٢٧ في (بهادلبور) .

وبعده (محمد بن اسلام) المولود سنة ٨٠٤ في (بابك) والمتوفي سنة ٨٦٨ في (بابك) .

وبعده (مستنصر بالله) المولود سنة ٨٤١ في (بابك) والمتوفي سنة ٨٨٠ في (بابك) ايضاً .

وبعده ولده (عبد السلام) المولود سنة ٨٦٢ في (بابك) والمتوفي سنة ٨٩٩ في (بابك) ايضاً .

وبعده ولده (غريب ميرزا) المولود سنة ٨٨١ في (بابك) والمتوفي سنة ٩٧٢ في (انجدان) .

وبعده (ابو الذر علي) المولود سنة ٩٠١ في (انجدان) والمتوفي سنة ٩٥٣ في (انجدان) ايضاً .

وبعده (ذو الفقار علي) المولود سنة ٩٣٢ في (انجدان) والمتوفي سنة ٩٧٨ في (انجدان) .

وبعده (خليل الله علي) المولود سنة ٩٧٨ في (انجدان) والمتوفي سنة ١٠٣٨ في (كوهك) .

وبعده ولده (نزار الثاني) المولود سنة ١٠١١ هـ في (كوهك) والمتوفي سنة ١٠٧١ في (كرمان) .

وبعده (السيد علي) المولود سنة ١٠٥٣ هـ في (كوهك) والمتوفي سنة ١١٠٥ في (النجف الاشرف) .

وبعده (حسن علي) المولود سنة ١٠٨٧ في (كوهك) والمتوفي سنة ١١٩٣ في (كرمان) .

وبعده قاسم علي المولود سنة ١١٢٧ في (كرمان) والمتوفي سنة ١١٩٣ في (النجف الاشرف).

وبعده (ابو الحسن علي) المولود سنة ١١٦١ في (كرمان) والمتوفي سنة ١٢٠٨ في (كرمان).

وبعده ولده (خليل الله علي) المولود سنة ١١٩٤ في كرمان والمتوفي سنة ١٢٣٣ في (النجف الاشرف).

وبعده (حسن علي) المولود سنة ١٢١٩ في (محلات) والمتوفي سنة ١٢٩٨ في (بومباي).

وبعده (علي شاه) المولود في (بومباي - الهند) سنة ١٢٧٣ والمتوفي سنة ١٣١٢ في (الهند) والمنقول الى (النجف الاشرف).

وآخرهم «آغاخان» المولود سنة ١٨٩٤م في كراتشي - باكستان... والمتوفي في سويسرا يوم الحادي عشر من شهر تموز سنة ١٩٥٧ وقد نقلت رفاته الى (اسوان) في مصر ثم بعد موته ظهرت وصيته التي تقضي بحرمان ولديه علي وصدر الدين من الامامة وتوريثها الى حفيده (كريم خان).

هذا ما اتسع له المجال عن هذا الموضوع الشيق الذي يشكل اهمية خاصة في الدراسات التاريخية الاسلامية.

والله من وراء القصد.

الكذب

بقلم الاب فليكس سرانيون اليسوعي

١ : التجربة بنت الشفة

نحن نستمع الى الصوت ولا نحلم في الاعجاب به، لاننا لا نعجب بالمبتذل من القول ونعني بذلك ما هو دارج على الالسنة ورائج، ولكن لما اراد العلماء تفسير الكلمة المتلفظ بها رأوا انها شيء غريب مدهش فكان لا بدّ لهم من الاستعانة بعلم الابدان وعلم وظائف الاعضاء والفيزياء وعلم المستحاثات لاكتشاف كيفية طرق تركيبها وأصولها .

وفي اثناء الملايين من السنين لم يكن لمصادمة القوى المادية دويّ ما في الاحساس الذي لم يكن له وجود على سطح الارض ، فاهتزاز اللامتناهي في الصِغَر اهتزازاً منسقاً ينتشر في فضاء السموات بسرعة تفوق التصور لم يكن يصادف شبكة عين مطلقاً ، والاهتزاز المنسّق للمادة المتطورة والمتجمدة الذي ينتشر من الاقرب الى الابعد بسرعة تكاد تكون انسانية وقليلة لم يكن يحرك صماخ اذن .

ويقول علماء النفس اليوم إن الصوت والنور هما جواب النفس الحيوانية على ارتجاج المادة المزدوج، وكان القديس توما يجعل شيئاً من النفسانية في الكواكب وفي الشفاف وسيطاً بينها وبيننا . اما نحن وقد زادت العلوم معارفنا فاننا نضع في النفس ذاتها مكان التقاء الطبيعي والحساسية .

وقبل انفتاح اول بؤبؤ لم يكن تراقص الذرات ينير ، وقبل ارتسام اولى مخططات الاذن لم تكن امواج الهواء تعطي صوتاً ، ولم يكن ذلك لا الظلمات ولا الصمت اللذان ليسا الا السلبيّين ولا حقيقة لهما الا بالحواس. فالكلمة الخالق قد تمّت اذاً بنظر الحي (Fiat lux) (ليكن النور) وبالسمع بدأ غناء الطبيعة .

وعلى ممر العصور الجيولوجية وفرت لوحة الالوان ، فالازهار التي ازدادت جمالًا اجتذبت عيوناً ازدادت شيئاً فشيئاً جمالًا ، وقد كان غنا. الطبيعة كجوقة نامية ذلك ما يقوله كودري (Gaudry) ان حشرة « الدڤونيّن » تدفع بصريرها الرتيب ، والطيور ما بدأت بعد موسيقاها العظيمة ، ويتم اتقان الاذن لتلتقط اشد الاصوات تراً ويدق الصماخ شيئاً وشيئاً حتى اللبونات .

وان حواس اللمس لا ترشد الحيوان الا الى مـا يقع مباشرة في جواره ويكتشف بالنور ما هو ابعد وابنا. جنسه واعداءه وفرائسه ، فقد كان بمقدوره ان يكتشف النجوم ولكنها لا تهمه ؛ اما الصوت فيحمل اليه رسالة تتصل به ، انه يتألق من عمق الموجودات ويظهرها خير مما تظهرها الالوان ، انه يأتي ايضاً عن آخر وعن قرين وعن صغير ويصدر من جماعة وينقل رغبات ومؤثرات .

والحيوان عاجز عن إحداث النور ، وانما لديه آلة صوتية تصل عند بعض الانواع الى مرانة مدهشة . . . فما الفائدة منهـا ؟ فالصوت والنور ينتظران النفس الانسانية لينجزا حقيقتهما ضمنا لاجله .

لقد تغنّى الشعر باختراع النار الذي كان بدون ريب فجأة وربما نتيجة لمصادفة. اما اختراع الكلام فمن حدثنا عنه ؟ لقد تحدثنا عنه نحن في احد ايام حداثتنا وهذه الذكرى اضمحلت في طيات ما قبل تاريخنا ، ويتحدث مؤديو ماري هورتين (Marie Heurtin) وهيلين كيلر (Hélène Keller) عن الدهشة التي اثارها في كلتيهما اكتشاف علامة فكرية ، وكان لا بدّ لآدم ان ينطلق مبتدئاً من هذه النقطة ولكنه لما رأى الطبيعة مباشرة عامة بعد ذلك في إمثاله (الشكل والتصور العقلي في المادة) اومأ الى ذلك بالحركة وبالصوت .

وان القدرة على ابلاغ فكرته الى سواه قد اضطرتـه الى الاستزادة من التفكير ، ومن هذه النقطة انطلق كل شيء : الاشتراك في الافكار والعواطف وفي الحضارة والعلوم والفن . . . اما الاعمى فتاعس واتعس منه الاصم : فالعالم الذي يرى ظاهراته يظل غير ممكن لديه فهمه : « اننا لسنا بشراً ولا رابط يصلنا ببعضنا بعضاً سوى بنات الشفة » (Montaigne. Essai, I, ch. 9) . ان الطفل هو الكائن الذي لا يتكلم فهو لن يخرج حقاً من الحيوانية الا بالكلام.

٣ : تدنيس بنت الشفة

لقد تركت الانسانية النفس فريسة الانخداع بالكذب الشيطاني ، فظل سمّ الحية وغريزة الخداع المترية في عروقها .

وقال قايين يوماً لاخيه هابيل وكان طبعاً قد تصنّع اللطف مظهراً له الود: « هلمّ نذهب في نزهة » وكان قصده ان يفتك به ويرديه .

فلا نحاولنّ رواية تاريخ الكذب على ممر الاجيال،فهو بحكم الطبع يحمل اسمه عن جدارة باصله ، وانما يكفينا ان نرى نفسنا-اين نحن منه الآن وذلك بعد عشرين قرناً من المسيحية وعلى رغم تقدمنا المادي والعقلي .

ومن اقوال احد المربّين الانكليز : انه يعرف صنفين من الاولاد: الذين يقولون نعم، والذين يقولون لا (boys of yes) و (boys of no) . اما الامر فليس بهذه البساطة فيما يتعلق بالبالغين. فبالاستطاعة ان نقسمهم الى فئتين بالنظر الى قضية الصدق في القول ، فان الفئة الاولى منهم هي التي تنفر نفوراً فطرياً من الكذب ، ولا تدري كيف يستطيع الانسان ان يفكر بصورة ويتحدث بصورة غيرها وكيف يبحث عن الظهور بغير ما هو عليه ، فهذا التلوّن بلونين يقع عليها وقع تفكك النفس وتزيقها والعار الذي لا يمحى، فهي تأبى التضحية بوحدة نفسها الجميلة ولو اعطوها جميع ما في العالم . ورجال هـذه الفئة هم من ذوي النظر الجليّ ولا تخفى علينا معرفتهم سريعاً،وانه لمن البهجة الحياة معهم .

وعلى عكس هذه الفئة هناك اقوام تعوّدوا المهارة في الكذب ، باستخدام الكلام في نظرهم ليس ذريعة لنقل افكارهم وانما هو ذريعة لعمل ما ، فاذا ما تحدثوا فانهم لا يتحدثون ليظهروا انفسهم وانما ليخلقوا في غيرهم وضعاً نفسانياً يستطيعون الاستفادة منه ، فكذبهم ينبغي ان يظل مستوراً ولا يهمهم الا ان لا يفتضح فذلك منتهى اربهم وغاية مهارتهم ، فيا لهم من رجال يخشى شرهم اذا لم يكن من السهل معرفتهم .

وثمة ايضاً فئة اخرى امرها بينَ بين وهي اوفر عـدداً وتشعر كل الشعور ببذاءة الكذب ولكنها ليست مزوّدة بالشجاعة الكافية لتنبذه ظهرياً.وعلى كل فانا اعتقد ان في يومنا القائم انزلاجاً الى اليسار ونحو الكذب المعتاد .

ولقد اصبح الكذب هيناً جداً .

في الاسرة : للتمرد بدون تثريب واخفاء امدم الامانة .

في البيئة : تفادياً عن الخجل وفي سبيل اكتساب الاحترام بثمن بخس .

في التجارة : لجرّ المغانم الكبيرة بدون جهد يذكر وللقضاء على المنافسين.

في الحياة المدنية : للفوز بوظيفة والاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها والا فما هي المعركة الانتخابية ؟ اهي شيء آخر غير الانتفاخ والاستغابة !

في السياسة الدولية : لقد استفاض الكذب استفاضة عالمية واستطار، فان الديبلوماسية ما كانت يوماً ما قط مدرسة استقامة على حين ان رجال الدولة السابقين كانوا على شيء من الصدق من تصرفاتهم وكانوا يجهدون لاتقاء المظاهر كما في قواعد التهذيب بين الناس. اما اليوم فقد ادار عدد كبير منهم الظاهر الى كل استحياء فزال ماء وجههم وغدوا إذا ما نطقوا ولا سيما في سبيل دعايتهم الداخلية والخارجية يغرقون العالم بما يناقض الحقائق وبالاختلاق والتخرص وغدت صحفهم جميعها تسير مقتفية نهجاً واحداً ، واصبحت كتب تاريخهم التي يضعونها في ايدي الناس مزروقة واحدة مخزية ومهزلة مضحكة تسمم الشبان .

ولقد كنا نأمل ان يكون قصر العدل الموئل الاخير للصدق ، اما القضاة فما برحوا يطلبون الى الشهود اليمين على انهم يقولون الحقيقة كل الحقيقة ولا شيء غيرها ، واننا لنعلم نتيجة هذه اليمين ، فقد اصبحت المحاكم في بعض قطاع الارض المختبر الذي يصطنع فيه الكذب، فهم يصطنعون الشهود الزور بالجملة ، وبلغ بهم الحد الى اكراه الاولاد الابرياء على اتهام ابيهم وامهم بهتاناً وبطلاً ، وهم ينوّمون الجماهير تنويماً مغناطيسياً ليطالبوا بقتل البريء ، ومما هو ابشع من هذا انهم يُكرهون المتهم على النمّ عن نفسه ، فهم لم يخترعوا فقط ما سموه (مصل الحقيقة)المزعوم ليقتحموا مستودع الضمير ويهتكوا حرمة اعمق اسراره بل حطموا الضمير نفسه ولاشوا الشخصية وارغموا الناس التائهين المساكين على تسويد انفسهم وتلطيخها باقبح ضروب العار امام الجمهور كانهم حيوانات مسوّمة مروّضة كل الترويض على ذلك ، اما في الدول الجماعية (الديكتاتورية) فهذا تدنيس بنات الشفة تدنيساً كاملاً ، وهم يدعون ان هذا الامر هو الذريعة الطبيعية لتمدين شعب واعداده الاعداد اللازم للفردوس الارضي الجديد .

٣ : منافاة الكذب لقواعد الاخلاق

هل من الضروري اقامة البرهان على ان الكذب منافٍ للقواعد الاخلاقية؟ واذا ادركنا ان الكلمة هي آية الآيات وعرفنا الغاية التي توختها العناية الالهية منها فهل يصحّ ان نغتفر سوء استعمالها وتدنيسها ؟ ولقد قال مونتاين (Montaigne) الكذب رذيلة نكراء. امينة اجمع الكل ضمناً على ذلك ، فالكاذب نفسه لا يود ان يوجه اليه هذا النعت .

ومع ذلك وبعد انقضاء ما يربو على اربعة عشرين قرناً من البحث ما برحت خاصة الكذب موضوعاً يمرّن الفلاسفة واللاهوتيون حصافتهم في بحثه ، (P. Creusen, dans la Nouvelle Revue Théologique de 1928, p. 50).

ان ثمة نظريتين احداهما دائماً على طرفي نقض من الثانية : نظرية الكذب الفردية ونظرية الكذب الاجتماعية .

النظرية الاولى وهي تفخر بالاسمين الكبيرين : اسمي القديس اوغسطينوس والقديس توما الاكويني ، وهذه النظرية وان تضاءل تأثيرها فان بعض اللاهوتيين المشهورين ما برحوا يأخذون بها منطلقين من التعريف التالي : الكذب ، هو انْ تقول ما يناقض الذي تفكر فيه ، وعليه ان القول على عكس مما نفكر هو ضمناً منافٍ للاخلاق وان لم ينجم عنه اي خداع ، ان الكذب هو عدم اتساق وجداني شخصي (Cf. P. Brouillard, dans Études, tome 205, p.207)

واننا سنرى فيما يلي كيفية البرهان على صغرى القياس اعني ان المعادلة كلمة = فكر هي معادلة لا تُخرق حرمتها ومقدسة ؟ واننا نكتفي عادة بتأكيد ذلك كأنه مؤكد من تلقائه ، وكتب الاب فرمرش (P. Vermeersch) في معجم داليس (D' Alès) الجزء الرابع الصفحة ٩٦٦ ما يلي : ان سياق الكلمة الطبيعي (اعني في نظره المعادلة كلمة – فكر) هو مصون لا تخرق له حرمة لان « علاقات البشر المتبادلة التي لا غنى للناس عنها في حياتهم الخاصة والاجتماعية ... تستوجب شرعاً وسيلة للاشتراك بينهم وما من وسيلة لهم الا الكلمة على ان تفهم تحت هذه الاسم كل حركة ذات معنى يشير اليها » . لا بأس بهذه الحجة بيد ان الاب المحترم ينتقل كذلك من الفردي الى الاجتماعي،

وانه لمن غير المنطق اذا ضربت غاية الكلمة وغاية الكذب صفحاً عن العامل الاجتماعي (Cf. aussi sa Theologia moralis, tome 2,n. 703 sq.) .

وان هذا المفهوم الفردي يجرّ على الحياة الاجتماعية نتائج مقلقة ، اما القديس اوغسطينوس فيفرض حالة رجل مريض مرضاً خطراً كان ابنه مريضاً ايضاً مرضاً خطراً ومات بدون ان يعرف به الاب الذي سأل : هل توفي ، فان مصارحته بالصحيح ربما افضت الى موت الاب ، اما السكوت واما اجابته بجواب التهرب فقد يفهم منها انه مات فما العمل ؟؟

ان القديس اوغسطينوس يصرح بارتباكه ، ويختم كلامه بقوله ليمت الرجل ولتسلم الحقيقة (Moveor his suppositis vehementer. Cf. P.L. 40 543).

وكان لا بد من ايجاد حلٍّ ما، فابتدعوا حيلة التحفظ الفكري التي تسمح بفضل الغموض باضمار غير ما تظهر انقاذاً للسر الضروري وللمعادلة كلمة = فكر في وقتٍ واحد .

«. هل لديك نقود ؟—كلا (اي ليس معي نقود لاعطيكها) ،هل فعلت هذا الامر ؟—كلا (اي اني لم افعله اليوم الخ) وحتى انه اذا لم يكن هناك ابهام يستطيع المخاطب الظن فيه فليس ثمة وجود حقيقي للمخالفة بين الفكر والعبارة التامة والحقيقة في مجموع، وان جميع هذه الامور شديدة التعقيد ولا بد لها من حضور الذهن او حضور الذهن فقط للتخلص من الامر ، ويقول الاب فرمرش (P. Vermeersch) انه اذا كان عدم موافقة القول للفكر حقيقياً وفي حال اليأس من ايجاد السبب فانه يصبح مشروعاً اذا كانت تقتضيه الحياة الاجتماعية : « ان عدم الانسياق بذاته بين القول والفكر ليس الا نفسانياً » وهذا ايضاً عدم انطباق على المنهج الذي يتضح عجزه عن تفسير جميع الحالات .

وينطلق انصار نظرية الكذب الاجتماعية من التعريف التالي : ان الكذب هو سوء استخدام الكلمة القائم على تحويلها عن الغاية النهائية ، ولكن ما هي هذه الغاية ؟ ان الكلام ليس لباس الفكر المحسوس فقط لايصاله الى الغير وانما هو على الاخص مركبته ، فالتكلم هو الاعراب من الوجهة الحسية عن فكرة لايصالها الى غيرنا فنحن لا نتكلم في الهواء او الى انفسنا لان

الكلام عمل اجتماعي بجوهره ، والانسان اذا اوصل فكرته الى غيره فلكي يعيش اجتماعياً .

اذاً فالكذب ايضاً عمل اجتماعي بجوهره وما من كذب الا بالنسبة الى الغير فروبنصون لم يكن بمقدوره ان يكذب .

ولو صرفنا النظر عن السامع فالمخالفة المادية بين الكلمات والفكر لا قيمة اخلاقية لها ، وان العلامة الشفوية لم تتحول عن غايتها الجوهرية . واذا لم تتكلم مع احد فبالاستطاعة التلفظ بعبارات لا تقابل الفكر الحالي كما نستطيع المشي على اليدين لتلعب ، واذا كان المستمع متنبه الى الاختلاق فالامر على ما هو ، وان الممثل المسرحي لا يكذب ، وان الحقيقة هي فكرة مجرّدة . فالذين يستحقون الاحترام هم الاشخاص : شخصيتي وشخصية غيري .

وان عدم الانسياق الباطني هو واقعي في الكذب ، ولكنه متأتٍ من الخداع الاختياري ومن اسبابه : كالغرور والانانية والخبث . . . وانه الشر الفردي ولكنه قد انجز في عمل اجتماعي مضر بالقريب كشر السرقة والبغض الخ وان ابلاغ فكرنا للغير ليس دائماً واجباً .

وقد يكون لنا الحق واحياناً قد يكون من واجبنا ان لا نبلغه وان نكتمه عن قليلي الرصانة والفطنة وعن اهل الخبث . . . وقد يتفق ان تكون الوسيلة الوحيدة لتجنب افشاء هذا الفكر ان نقول عكسه ، فذلك هو الكذب التفاني اذا شئنا لا الكذب الادبي لان هدفه ليس الخداع وانما صيانة حق فردي او القيام بانجاز فرض من فروض العدل او المحبة .

ولا فائدة من اجهاد النفس لاحترام السياق المادي اي المعادلة الكلمة = الفكر ، وانه لا بد صدقاً ان لا نلجأ الى خبايا الغموض والاضمار ، فنحن نعرف الرأي الذي تلخصه باسكال من سوء استخدام التحفظ الفكري عند « الآباء » سواء أكان ذلك صحيحاً ام مزعوماً في كتابه البروفنسيال (وهو يشكل رسائل دينية انتقادية) . اجل لقد كان هناك مساوىء واقعية احياناً في العالم بما ان محكمة الايمان اضطرت للتدخل في سبيل نبذها (مرسوم ٢ اذار ١٦٧٩ دنزنجر رقم ١١٢٦ و ١١٢٧) .

وعلينا ان نحذر نتائج الكذب النفساني حتى ولو كانت بعيدة اذ انه يقلل من الثقة التي لا يقوم المجتمع بدونها .

وباستطاعتنا ان نقرأ في القاموس اللاهوتي مقالة امان (Amann) بصدد هذا البحث (Article « Mensonge », tome X, col. 555 sq) فانه كان متسامحاً حيال الآخذين بالنظرية الفردية ومع ذلك فقد نبذها ، واني لاعجب من ان يتمسك بعض اللاهوتيين بتقليد يستوحي من الفردية التي غدت في طريق الهزيمة اليوم اينما كان ، (راجع المشرق سنة ١٩٥٣ ص ١٠٠ وما يلي) .

اما امر القديس توما فغريب ، ومن المؤكد ان لاهوته الادبي ليس فردياً فهو يسلّم في (IIa IIae, question 80, puis question 109, articles 1, 2, 3) ان الحقيقة كفضيلة ترتبط بالعدل (Veritas sive veracitas... secundum quod per eam aliquis dicitur verax) وانها خاصة بالغير وتقابل حقاً وبمعنى العبارة الواسع حق غيرنا في الحقيقة ، وذلك مطلب اجتماعي .

ويبدو ان مقدمتي البرهان هاتين تبشران بنظرية الكذب الاجتماعي ، كلا ثم كلا : ان قصد الخداع ليس جوهرياً للكذب .(Cf.question 110, article 1) لهذا فينبذ القديس توما حتى الكذب بقصد المفاكهة (ibid. article 3 ad 6 um) وانه معقول . ولكن اأصاب في الانتقال من تعريف الفضيلة الى تعريف الرذيلة. فقد قال في موضوع آخر(Ia IIae, question 71, articles 1 et 2) ان الرذيلة عامة تحددها الفضيلة المناقضة لها .

أنهو الاحترام لتقليد جليل هو الذي ساقه الى هذا؟ وهو مع انه كان امامه قدوات آخرون ليسير وراءهم : فهناك القديس يوحنا فم الذهب والقديس هيلار وغيرهما كثيرون وهم اقل قسوة من القديس اوغسطينوس .

٤ : الكذب اهانة لله

الفكر نور ونور باطني يبيّن الانسان لنفسه ويظهر له العالم ، وفكرنا الانساني مهما يكن متضعاً هو اشتراك بالنور المتجسد نور الكلمة التعبير التام الكامل عن الاب .

لقد جاء هذا النور الالهي الى العالم فاصطدم بظلام الخطيئــة ، لان كل خطيئة هي ظلام وكذب عملي وانكار لملك الله الاسمى ونفي لمحبتـه ونفي لشريعته .

وقال السيد المسيح : انا الحق ، انا النور ، فمن يتبعني لن يسير في الظلام بل يكون له نور الحياة (يوحنا ف ٨ اية ١٢) فالله اللامتناهية جودته واللطيف كل اللطف مع جميع البشر وحتى مع كبار الخطأة التائبين كان يكره كرهاً خاصاً الكذبة والمرائين : (انتم ابناء ابليس ... وهو كذوب وابو الكذب (يوحنا ف ٨–اية ٤٤) وقـال لتلاميذه : « احذروا لانفسـكم من خمير الفريسيين الذي هو الرئاء (لوقا ف ١٢– الاية ١) ليكن كلامكم نعم نعم ولا لا » لا تحلفوا البتة (متى ف ٥–اية ٣٧). ولقد سمعه القديس يوحنا في رؤياه ببطموس يقول : « انا الالف والياء ، البداءة والنهايـة للكل ، طوبى للذين حفظوا حلتهم نظيفة ... ان ابواب المدينة مفتوحة لهم . ليبقَ خارجاً الكلاب والسحرة والزناة وعبدة الاوثان وكل من يحبّ الكذب ويعمل بـه (رؤيا ف ٢٢ ، اية ١٣) ومن واجب تلميذ المسيح ان يكون انسان نور وان يجيب بنعم متى اقتضاه الجواب بنعم وبلا متى اقتضاه بلا (يعقوب ف ٥– اية ١٢) وعليه ان يتحلى بالحكمة الضرورية للحياة في هـذا العالم الملتوي وان يكون ذا نفس صافية كنفس الطفل .

ان الكنيسـة هي الحارس على هذا التعليم الذي ذكر به بقوة رئيسها الحالي المستشعر اخطار الساعة الراهنة وذلك في رسالته لعيد الميلاد سنة ١٩٤٧ :

... وان العلامة الموسوم بها جبين زماننا ... هي الميل دائماً الى المداجاة وتنقّص الصدق تنقصاً لم يبق وسيلة فقط للتخلص من ارتباك في سانحة صعبة طارئة او امام عقبات لم تكن متوقعة بل غدا تنقّص الصدق هذا كأنه قاعدة رفعوها الى مرتبة فنّ حربي اصبح فيها الكذب والتخرّص في الكلام وتمويـه الحوادث والمخادعة السلاح الدفاعي المألوف ، حتى مهر بعضهم في استخدامه كل المهارة وبات يفخر بهذه المهارة ، وحتى غدا نسيان القواعد الاخلاقية كل النسـيان جزءاً لا يتجزأ من التكنيك العصري في فنّ اصطناع الرأي العـام وادارته واخضاعه لمصلحة سياستهم ...

وانه لمن واجبنا ان نفتح عيون كاثوليك العالم برمّته... على الاخطار التي تعرّض لها سيادة الزيف هذه الكنيسة والحضارة المسيحية وجميع التراث الديني والانساني ... وفي سبيل الخروج من هذا المأزق ثمة ممر واحد ممكن: العودة الى العقل والى ممارسة التمسك بالصدق الكلي الاستقامة... Veritas liberabit vos (Jean, ch.8, v.32) (وتعرفون الحق والحق يحرّركم) ...

وربما لم يتفق قط ان احدث هذا الصراخ دوياً اشد قوة منه اليوم في عالم متعطش الى السلام وهو يشعر بوطء نير الكذب ينيخ عليه بكلكله ..

مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرون

اجتماع في مونيخ من ٢٨ آب الى ٤ ايلول ١٩٥٧

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

الفرح ثمرة السلام .

في صباح اليوم الثامن والعشرين من آب في أروقة جامعة مونيخ الرحبة شاهد الحاضرون خصوماً فرّقت بينهم سياسة الانانية يسايرون بعضهم بعضاً وقد جمع بينهم التآلف في خدمة العلم . هناك سمعت الآذان لهجات لغات شتى تتمازج : العربية والانكليزية والفرنسية والروسية والصينية وغيرها . هناك رأينا متجانسة الوان البشرية المختلفة الاصفر والابيض والاسود والاسمر والقاتم . وقد التقى هؤلاء المؤتمرون العديدون من الشعوب البعيدة والقريبة ليقضوا مجتمعين اياماً هادئة بعيداً عن دمدمة الحرب والاضغان في محيط مُنعش محيط بشرية متآلفة بشرية تسهر على تُراث ابنائها الروحي والعلمي بينما يُمنى غيرهم كثيرون بالهدم والإفقار .

حانت ساعة افتتاح المؤتمر في قاعة الجامعة الكبرى . هناك الف وثلاثمئة مؤتمرين في مقاعدهم وانظارهم متجهة الى المسرح حيث جلس موسيقيون للترحاب بهم بنغمات تترنم بقدوم علماء أتوا عديدين ليعرضوا نتائج بحوثهم ويستفيدوا مما يقتبسونه في مكاتب مدينة النور الفنية . كان لا بدّ للمندل من وضع حدّ لانبساط القلوب هذا وهي قلوب باحثين صادقة بخاصة ظنّ الناس ان العلم قد أصلدها . فابتسامتهم ودماثتهم وسلاسة معاملاتهم واستقامتها أوجدت محيط اتفاق دام اياماً لا تُنسى . اما فائدة مؤتمرات المستشرقين هذه فهي ان يتلاقى للمرة الاولى او للمرة العاشرة إخوان تبعدهم مئات او آلاف من الاميال عن بعضهم يمشون في طريق واحدة من البحوث منكبّين على عين المواضيع .

بعد الاستماع الى الموسيقية سلّم رئيس المؤتمر السابق الذي عُقد في كامبريج

سنة ١٩٥٤ السيد رالف تورنير رئاسة المؤتمر الجديد الى الدكتور ارنست فالدشميت وهذا بدوره رحّب باعضاء المؤتمر واعلن رسمياً افتتاح المؤتمر.

٥

بعد مشهد الوحدة هذا الذي دام ثمانية ايام كاملة ثمّ كلٌّ من اعضاء المؤتمر بالانضمام الى الفرع الذي ينتسب اليه حسب البحوث التي تخصّص فيها . كان المؤتمر منقسماً الى اربعة عشر فرعاً: علم الآثار المصرية والآثار القديمة الشرقية والآثار الآشورية والعهد القديم والشرق المسيحي وبيزانس والفرع الساميّ وفرعان للبحوث الاسلامية ثم فرع للبحوث التركية والايرانية وللهند ولآسيا الوسطى ولآسيا الاقصى ولآسيا الجنوبية الغربية ولافريقيا. بعد ظهراليوم الثامن والعشرين من آب كان ميعاد تلاقي المؤتمرين من جديد مجتمعين في شتّى فروع اختصاصهم حيث انكبّوا بنشاط على العمل: تصاريح ومباحثات وعروض اضطرّ اصحابَ المذكرات قِصَرُ الوقت المخصَّص لها ان يتابعوا بحثها في اروقة المؤتمر . ثم تعارُكُ آراء وانتقادات أُوجدت بين الباحثين المختلفي البلاد علاقات أُلفة واتفاق أعظم وامتن .

في الفرعين الاسلاميين — نبدأ بها — كان نشاط المستشرقين والمستعربين عظيماً فكانوا يهتمّون باطلاع سامعيهم على شيء من ابحاثهم فكأنهم يتعمّدون اثبات وجودهم بما يخصّ الابحاث العلميّة في عائلة المستشرقين العظمى . صلاح الدين المُنَجِّد في تصريح عن «مؤسسة المخطوطات العربية واعمالها» اظهر بجدارة كل ما تقوم بهِ وتُعِدّه هذه مؤسسة اللجنة العربية والعمل الذي تنوي به خدمة مصلحة العلم الشرقيّ . والحقيقة هي ان مشاريع هذه المؤسسة عظيمة ولكي تنجح في تتميمها تعتمد على مُعاضدة كل ذوي النوايا الصالحة من العلماء الذين يهمّهم حفظ التراث الثقافي الذي تركته لنا اجيال عديدة من التاريخ الاسلامي. الاب جورج قنواتي عرّفنا بنصّ فخم للمعتزلة لم يُطبع بعد وهو للقاضي عبد الجبار فسوف يكون نشره بدء اكتشافات كثيرة الفائدة فيما يخص فلسفة المعتزلة . وهنري بيرس أطلعنا على نتائج تفتيش قام به سنة ١٩٣٠ بخصوص قراءات الشرق الادنى العربية. اما ا.ل. طيباوي فكلمنا عن اهمية المقام الذي تحتله رسائل إخوان الصفاء في التربية الاسلامية .

ثم عُدنا مع ماريوس كانارد الى سوريا للتحدث عن مقدمة جغرافيا « بُغية الطلب » لابن العديم. وكاتب هذا المقال عرَّف سامعيه بنصٍ لم يُنشر بعد لابن خلدون فيه يظهر بلا ريب كمؤرخ التصوّف الاسلامي وانه لمؤرّخ حاذق يتبع عين الطريقة التي بالغ في مدحها في «مقدمته» مُفضّلًا اياها على كل المذاهب التي سبقت زمانه في التفتيش عن الحقيقة التاريخية. وحدثنا الاب ب. عبد الجليل عن النقد الذاتي في الاسلام وقد ذرّت طلائعه مؤخراً في مؤلفات مصرية. والامير موريس شهاب ألفت الانظار في تصريحه الى اكتشاف قصر اموي في عنجر . . . لولا طول المقام لذكرنا ايضاً تصاريح اخرى لكننا نكتفي بالتلميح الى ما قيل في القرآن: عن نصّه ولغته وقراءاته ثم في الفنّ الاسلامي والشعر.

في الفروع الاخرى نخصّ بالذكر حضور دريوتون ولوكلان وبرونير للمباحثات المصرية. وحضور كروسك ولاميد ومايز للآثار. وحضور مكانزي وزيتلين للعهد القديم. واوفهاوزر ولروا للشرق المسيحي. وريكمانس ودوبون سومّر وليفاو وموسكاتي وفون سودن وفليش وفاندن براندن للابحاث السامية. ودني وغيت للمباحث التركية. وبنفيسي ومنش وفرهادي للمباحث الايرانية. والياد وبخرجي وهيأن للمباحث الهندية. وكافر اوغاو وبازان لآسيا الوسطى. ووانغ وآزولي للشرق الاقصى. وزوآت مولدر واوبياشي لجنوبي آسيا الغربي. وڤان بولك ولوكاس لافريقيا.

كان يمكننا ان نزيد على هذه الاسماء اسماء اخرى كثيرة لكن غايتنا ليست إلّا الفات الانظار الى غنى التصريحات وتنوّعها لا غير.

◆

اذا اردنا الآن ان نستنتج نتائج من هذا مؤتمر المستشرقين الرابع والعشرين يسرّنا ان نقول إن هذا التلاقي الودّي كان لجميع هؤلاء الباحثين فرصة أذاعوا فيها كلٌّ في موضوع اختصاصه اكتشافات العلم الاخيرة. فمن حضر مثلًا بعض المباحثات بخصوص العروض العربي او بعض مشاكل العهد القديم تخيّل له انه يحضر مجادلات القرون المتوسطة حيث تآلفت دائماً الحدة والرزانة. وقد شاهدنا هنا ما يُرى عموماً في المباحثات الجدلية المتقدّمين والمحافظين، المتمسكين بالماضي

الثابت والمطالبين بتجديد البحث حتى في المشاكل الشرقية الراهنة . وان هذه المجابهة بين الاتجاهين المتباينين قد أوجدت— كما في مؤتمر كامبرج سنة ١٩٥٤ — اللذة والحسبا معاً .

قبل ان نختم لا بدّ لنا من الفات النظر الى امر عدنا مرارًا عديدة في هذه المجلة الى التكلم عنه . فالممثلون للغة العربية في المؤتمر قد ألحوا وبصواب في ضرورة توحيد جهود البحّاث . وقد حاولت اللجنة العربية في التوصل الى ذلك باتمام مشاريع قامت بها واخرى تنوي انجازها . وهي تودّ ان تعيد طبع بعض المخطوطات القديمة التي نشرها المستشرقون مستعينة بالمخطوطات المكتشفة جديدًا وباتباع طريقة علمية اكثر تدقيقاً وتودّ ايضاً ان توحّد اللغة العلمية لكيما تضحى اللغة العربية كما كانت قديماً آلة فعّالة على مثال اللغات الاوروبية واخيراً تبغي ان تعمل كل ما هو بوسعها لتسهّل على البحّاثين عملهم العلمي بنوع ثابت وذي قيمة .

ان هذه النتائج المختلفة بخصوص المؤتمر فيما يهمّ الشرق العربي هي جديرة بتحسين العمل والانتاج .

فمؤتمر المستشرقين المقبل الذي سوف يجتمع في لينغراد بدعوة من موسكو سنة ١٩٦٠ سوف يطلعنا على قدر تنفيذ هذه المقررات .

٥

في بدء كلامنا قلنا بان الفرح هو ثمرة السلام . والآن نقول بان السلام هو ثمرة الوفاق الارادي بين خدمة الروح لخير عالم تقدر البشرية ان تعيش فيه دون الخوف الدائم من نكبة مفاجئة .

تعريف عن الكتب

François Charles-Roux et Jacques Caille. — *Missions Diplomatiques Françaises à Fès*, 270 pp.-Gr. in-8° avec XXXI pl. h.-t., une bibliographie et un index des noms propres. Paris, 1955.

يتحفنا معهد الدراسات المراكشية العليا بهذا البحث الشيّق الممتاز الذي يتناول دراسة المهمات الدبلوماسية الفرنسية في فاس ، اما نحن فتراتا مدينين بهذا البحث الى رجلين اختصاصيين الاول بالامور الدبلوماسية في بلدان الاسلام والثاني بتاريخ مراكش وكلاهما كاتب ممتاز مما لا يفضي الى التقليل من قيمة عملها .

والفصل الاول يصوّر المهمات الدبلوماسية من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر بشكل مقدمة اي منذ عهد (الكولونيل) الزعيم المغامر بيير دبيتون (Pierre de Piton) ممثل فرنسوا الاول حتى عهد لويس دشينيه (Louis de Chénier) القائم بالاعمال .

ولقد شهرت كتابات دشارم (de Charmes) ولوتي (Loti) ومذكرات (الكابيتان) بوريل (Burel) التي نشرها مؤخراً احد المؤلفين وقد تصدينا الى مضمونها من قبل مهمات القرن التاسع عشر الدبلوماسية .

وان ادعى المهمات الدبلوماسية الى الاهتمام لها مهمة دوبيني (d'Aubigny) سنة ١٨٩٢ لانها فتحت السبيل امامنا لنلج مهمات القرن العشرين التي افضت الى توطيد النفوذ الفرنسي شيئاً فشيئاً على رغم بعض الرغائب الانكليزية ولا سيا على رغم مزاعم المانية .

والخلاصة لقد شهد عام ١٩٠٠ اسرة ممتازة من وكلاء قناصل فرنسا في فاس وهم : مارسيلي (Marcilly) وميشو (Michaux) وبالاير (Bellaire) وكايار (Gaillard) . ومن ثم كان هؤلاء الرجال العظام الثلاثة هم الذين عملوا وهيأوا لقبول « الحماية » التي وطدها وثبتها نهائياً ليوتي ، وان عاو همة الكونت دسانت اولاير (de Saint - Aulaire) ودسان رينه تايندييه (de Saint René Taillandier) واوجيني رينو (Eugénie Regnault) وكيلتهم وحسن تصرفهم

هي حقيقة باعثة على الاعجاب . اما مداوراتهم التي لم تكن تعرف الملل في عملهم فهي رواية حقيقية .

وان تأليف هذه الوثائق وجعلها كتاباً واحداً لامر بسيط وانما نابض بالحياة وملئ في الذهن الشيء الكثير . ه. شارل اليسوعي

Walter Greiling. — *Le monde dans cinquante ans.* Traduit de l'allemand par Louis Mengin - Lecreux. In-8° de 214 pp. Collection « L'avenir en marche ». Amiot-Dumont. Paris, 1955.

ما هذا الكتاب بصنف يستطلع المستقبل سلفاً وانما هو حدس يدور في الحسبان على قدر ما هو ممكن حسبانه، وانما يدور حدسه حول ما سيصير اليه اليه البشر من ازدياد ازدياداً حديثاً وهذا ما يكون محور بحثه .

واذ ينطلق المؤلف من هذا الرقم لا يبقى امامه سوى النظر الى ازدياد مقدار حاجاتهم الغذائية اولاً ومن ثم الى مقدار زيادة وسائل نقلياتهم .

وان هذا الازدياد لصائر من جراء تقدم الاليات (التكنيك) ومن العمل بواسطة المتجر الذين سيفضيان بانسان القرن الحادي والعشرين الى ان لا يخصص الا ساعة من مئة ساعة من عمله في انتاج مواده الحيوية .

وبالطبع لقد نظر المؤلف الى استخدام البحر والطاقة الشمسية والى ما ستضعه مصادر البيولوجية النباتية في ايدينا كانها ضرورة محتومة ، واعتبر من الممكن المحتمل الوقوع امر التحكم بالفضاء والكواكب .

وارتسم الكاتب لوحة شيقة جداً لهذا الانتقال في سبيل استغلال شتى المناطق الاقليمية والجغرافية من الكرة الارضية الى اقصى حدود الاستغلال ، اما البلدان التي سيعتريها شيء زهيد من هذا التحول فهي الهند واوروبة على حين ان المناطق الحارة : كافريقية الوسطى والامازون والانسولند (الارخبيل الماليزي) ستكون المناطق التي ستزداد نمواً وتستوعب اكبر عدد من السكان .

وفي الواقع ان تقدم وسائل النقل لا تخولنا ان نتوقع عدم ازدياد نفقاتها ازدياداً يستحيل على الناس تأمينها وبدون ازدحامها ازدحاماً باعثاً على الهلكة لاحتمال تسيير اكثر من عشر السكان ، مما يحملنا على ان نحشد بعض عشر

المليارات من هؤلاء. السكان في المنطقة الحارة على جزر عائمة يجدون فيها جميع تسهيلات الحياة : من غذاء ومرح ونظام حياة : كالمنزل والحديقة ...

وان المعضلة الكبرى ستكون معضلة تثقيف جماهير بدون عمل تثقيفاً فكرياً وروحياً ، وانما الامر الذي سنصادفه فقط في النتيجة لهذه النظرات التطورية هو ان نتحلى بالشجاعة في رؤية الامور لنديرهـا على قدر الامكان بدون ان ندعها تفجئنا .

ه. شارل اليسوعي

Vocabulaire biblique, publié sous la direction de Jean-Jacques von Allmen. — 1 vol. 25/18 c. 314 pp. Neuchâtel. Delachaux et Niestlé 1954.

ان هذا المعجم الصغير الحجم الذي لم يضعه مصنفه ليكون في متناول اهل الاختصاص فقط وانما في متناول الجمهور ينزع ان يكون كتاباً لاهوتياً لدراسة التوراة في متناول الجمهور وقد رتب اهم المعلومات التي وردت فيه بحسب الابجدية .

وهذا الكتاب الذي وضعه الذين يعنون بدراسة التوراة ينتمون الى الكنيسة البروتستانية المنبثقة من كلفن يضع امامنا بشكل دائم وجهة نظر هذه الكنيسة محاولاً لا اسداء الفائدة الى البروتستانت فحسب ولكن الذين هم (خارجون عنهم) الذين تساورهم الشكوك في التوراة او الذين ينقضون عليها وذلك دون اية فكرة تميل الى اهداء الناس الى معتقده — والى الكاثوليك الرومانيين الذين يساهمون في العمل عائدين الى ينبوع الكتاب المقدس .

ولا نستطيع النكران ان هذا الهدف قد بلغ اليه على الاقل ، فالسيد فون المان (von Allmen) الذي يطلعنا اولاً على الرغبة التي حملته على ان يعنون هذا الفهرس مجاراة للاسلوب القائم في اتخاذ العناوين التي تلقي في الذهن اموراً كثيرة : (اللفظة والكلمات) فكل درس موجز يحاول في الواقع ان يحيي للقارئ في جو العهد القديم او العهد الجديد وفي قيمتها كوحي الهي كلمات من النص المقدس التي بذاتها تبدو اشد او اقل ابهاماً وحتى جامدة لا حياة فيهـا كالكلمات « السير امام الله » « الخدمة » ، « الدعوة » .

ولكن — ويعتذر المؤلف عن ذلك — في سبيل ابلاغ مؤلفه الى ايدي

جمهور كبير وليقدم له في وقت واحد كتاباً بسيطاً وقليل النفقات قد وجب عليه ان يتخلى عن المعلومات الفنية العلمية وان يشرح كثيراً من العبارات ، فلذلك جمعت اسماء الاشخاص العلم في بضع صفحات مخصصة لاسماء ابراهيم ويعقوب وموسى وداود وسليمان وايليا ويوحنا المعمدان ومريم ام الله وبطرس وبولس .

وثمة مجال للتساؤل : ألا يبدو هذا الكتاب الجمهوري اللاهوتي للتوراة حتى للقراء البروتستانت المتادين فهم تفسير شارحي الكتب المقدسة بمثابة اجزاء شديدة التقطيع والتجزؤ .

وحرصاً منا على ان نظل بعيدين عن كل مباحثة جدلية فكيف لا نجد ثلمة خطيرة في فقدان كل ايضاح على الشخصية العظيمة جداً في اول عهود الكنيسة الا وهي شخصية يعقوب « اخو سيدنا يسوع المسيح » ؟

ولا يستطيع القراء الكاثوليك ان لا يتأثروا تأثراً مريراً بفقدان الانتباه فقداناً عملياً شاملاً في جميع الصفحات الى الشروح التقليدية المتناولة للكتاب المقدس ، فالكلمات (بار) و (نعمة) و (حياة) قد عالجها المؤلف كأنه لم يوجد لاالقديس اوغسطينوس ولا القديس كيرلس الاسكندري ، والخلاصة اننا نشعر فيه بقليل من الاقتناع بوجود الفائق الطبيعة بمفهومه الدقيق ولا نرى انتباهاً الى فكرة الاسرار التي استمدها السيد (O. Cullman) في امكنة عدة من العهد الجديد . وان مساهمته في المعجم مقصورة على المقالة «السلطات» ، واننا نلاحظ مع ذلك بعض التلطيف لاجلى مبادي «المصلحين» الاولين ، ان المقالة (مختار) لا تبين عقيدة كلفن القائلة بان مصير الانسان مقرر منذ الازل الا بصورة ملطفة ومقالة (البار) من جهتها لا تزيد مطلقاً رغم لوثير القريب المخالف للرأي العام حول الخاطئ المغفورة له خطاياه باستحقاقات يسوع المسيح بدون ان يتغير داخلياً ويصبح باراً حقيقة .

وللباحث الكاثوليكي على رغم جميع هذه النقائص وهذا الجو البعيد جد البعد عن جو كنيسته قد يكون هذا المعجم ذات فائدة حقيقية له وهو على شاكلة مؤلفيه لا يستطيع ان يمتنع عن ان يزيد بكل طيبة خاطر كل دراسة مخلصة ودينية حقاً للكتب المقدسة .

ب٠م٠

Falco Quilici. — *Le Sixième Continent.* In-8° de 218 pp. avec 2 cartes et 8 pl. h.-t. traduit de l'italien par Françoise des Guinards et H. Delgove. — Amiot-Dumont, Paris, 1955.

نظم الايطاليون بادارة برونو فايلاتي (Bruno Vailati) رحلة لدراسة قعر البحر وساكنيه دراسة علمية وكان لا بد لهم من جمع الاكتشافات الضرورية ، ولكي يلفتوا الانتباه الى ما لديهم من الطاقات بلغ احدهم وهو بوشر (Bucher) الى الرقم القياسي في الغوص ٣٩ متراً بجوار كابري (Capri) وكان معه مقاييس الاعماق ولكنه بدون جهاز للتنفس ، ولما كانوا مجهزين بالاموال وبالادوات التي قدمتها جمعية اجهزة الانقاذ الرومانية وبسفينة هي السفينة فورميكا (Formica) اتجهوا وسط زوابع الشتاء نحو ميدان اكتشافهم الى جزر دهلاك (Dahlak) في جنوب البحر الاحمر تجاه مصوّع .

وكانت هذه الرحلة منقسمة الى ثلاث فئات : فئة علمية كلفها اياها متحف جامعة ميلانو للحيوانات وفئة لجمع المستندات مكلفة ان تأخذ الافلام السينمائية والتقاط الصور انضم اليها المصور بريشيلا هاستنغس (Priscilla Hastings) واخيراً فئة الصيد المكلفة ان تجمع الصيد بالكلاليب او بالبنادق ، وانما يؤسفنا ان لا يكون قد انضم الى هذه الفئات طائفة من دارسي اللغات وعلماء طبائع الاجناس .

وكانت التجهيزات تجهيزات الغوص العادية تحت الماء . فالاجهزة التنفسية كانت اما اجهزة لتجدد الهواء واما اجهزة بالهواء المضغوط التي تمكنهم حفظ التوازن والابتعاد عن الحوادث التي تضايق الرئتين ، وكانت الاسلحة من البنادق الصغيرة من الكلاليب المسمومة . وفي الكتاب ذيلان تعطي التفصيلات حول ادارة الاعمال الفنية وتنظيم التقاط المناظر السينمائية وصدى الانوار (Flashs) تحت الماء لالتقاط المناظر الملونة .

وقطعت السفينة فورميكا اربعة الاف ميل في البحر الاحمر وبلغ مجموع غوص الرحلة خمسة الاف ساعة ، ويروي الكتاب اكتشاف عدة اجناس خاصة بالبحر الاحمر وكيفية اصطيادها ، ويتبسط في دراسة نفسية ضروب مختلفة من كلاب البحر ومن الجري ومن السمك الترسي او الدرنك الجبار .

ه . ش

القانون المقارن في الاحوال الشخصية الاجانب في مصر

بقلم تادرس ميخائيل تادرس

الطبعة الاولى ١٩٥٦ : الاسكندرية ، مطابع رمسيس ، قطع كبير ، ٢٧١ ص

ان الدروس القانونية، اذا اتت دروساً مقارنة، لهي من الفائدة بشيء كبير. فان واضع هذا الكتاب القيم ، بعد ان اختير كوكيل لمحكمة الاسكندرية الابتدائيةوكرئيس دائرة الاحوال الشخصية للاجانب فيها يدرس مشاكل القوانين وخاصة مشاكل القوانين التي تطبق على افراد عل مختلفة تحكمها شريعة خاصة ويأتي بهذاالكتاب وهو ينم عن اختبار واسع وخبرة حكيمة .

فقد قسم كتابه الى ثلاثة اجزاء : ضمّن الاول منها ما يعود الى مركز الاجانب في مصر وتنازع القوانين في مسائل الاحوال الشخصية الخاصة بهم ، واحتوى القسم الثاني على القوانين الاجنبية للاحوال الشخصية وضمّن القسم الثالث شرح قواعد المرافعات في مواد الاحوال الشخصية للاجانب .

ففي هذه الاجزاء الثلاثة سرد للقوانين العديدة . فاولها وقارنها ومن هذه المقارنة يسطع نور جلي يهتدي به من اراد ان يقابل في بلاد تكاثرت فيه الطوائف وقوانين الاحوال الشخصية بين العادة والقانون . ورجال القانون عندنا يستطيعون ان يستقوا فيه ما استطاعوا . ا. ع. خ.

كتاب قصيدة الجرجاني

تأليف ابو الهيثم احمد بن حسن الجرجاني

تحقيق هنري كوربان ومحمد معين ، طبع المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية – طهران

ص ١٢٥ المقدمة ١١٣

وهذا كتاب من الكتب الاسماعيلية الفارسية القيمة بل هو قصيدة فلسفية جامعة وموسوعة علمية رائعة وضعها شاعر كبير ضرب بسهم وافر في الشعر الفارسي الفلسفي وبالعلوم الاسماعيلية العريقة هو الحكيم الشاعر ابو الهيثم الجرجاني ، وبالحقيقة فقد جاءت قصيدته زاخرة بشكل طريف عن الفلسفة

الاسماعيلية وخاصة موضوع المبدأ والمعاد وقد تطرق المستشرق كوربان والاستاذ محمد معين في مقدمتها التي وضعاها باللغة الفرنسية الى تعريف هذا الموضوع وشرحه شرحاً ضافياً مضافاً الى كل ذلك عنايتها بالشروحات والفهارس وكل هذا يدعو الى التقدير والاعجاب .

عارف تامر

H. Ingholt, H. Seyrig, J. Starcky, A. Caquot. — *Recueil des tessères de Palmyre.* (Institut français d'archéologie de Beyrouth, Bibl. archéol. et histor., LVIII). Gr. in-4°, X-205 pp., 50 pl. Paris, Geuthner, 1955.

هذا مجموع اتفق عدد من العلماء فاتحفونا به وقد أدّوا بذلك لعلم الآثار السورية والسامية خدمة تُذكر .

الى ه . سيريغ يعود اولاً الفضل في البحث عن الالف والمئة والاثنتين والثلاثين من هذه الصفائح في المجموعات والمتاحف في برلين ولينغراد ولندرة واوكسفورد وباريس كما في الشام وتدمر . اما التنقيب عن معنى الكتابات التي تصحب هذه التصاوير فنحن مدينون به خصوصاً لهارولد انغولت (فانه اول من فكّر في هذه المجموعة) وللاب جان ستاركي . والملاحظات الاثرية التي تسبق الفهرست والرسوم فهي لاندره كاكو . ثم ان قائمة المجموعات والمختصرات الكتابية تدل على الاصول التي اعتمدها المؤلفون . يكفي نظرة الى الرسوم لتقدير الجهود التي تطلّبها تفحص هذه القطع الصغيرة واكثرها مخدشة بالية . وجدير بالاعتبار انه من الف ومئة وثلاثين قطعة أخذ بها البحث اكثر من ثمانمئة هي جديدة وان وصفها ورسمها يعتمدان احياناً على فحص ثمانين صفيحة من النوع الاول .

وقد ظهر تصنيف هذه القطع الصعبة التصحيص تصنيفاً منطقياً امراً غير ممكن فوجب الاكتفاء بتصنيف نصف منطقي حسب النظام المتبع اولاً . لا نجد هذا النظام مبيناً في الفهرس لكن يسهل اتباعه باعتبار العناوين المكتوبة تحت كل من الرسوم : صفحات عمومية . كهنة بيل . رؤساء ... بيل . . . وآلهة شتى . اغليبول . اللات . . . ارسو . آلهة اخرى (منها نرغال - هيركول

ونابو . يهريبول وملكبال . صدرفة) . آلهة شعاعية . آلهة على راسهـا الكالاتوس ... مباني . آلات عبادة ومـآدب . حيوانات . حقوق في التوزيع صور كهنة ... يعقب ذلك أختام باسم افراد ...

فيا سردناه من اوصاف هذا الكتاب دلالة على فوائده فانه يخبرنا عمـا يختص بشعائر تدمر الدينية وتنظيمها وعن الفنّ وعلم الصور والآثار التي كانت شائعة في المدينة واخيراً عن الاعلام الدارجة فيها . ويساعد على تاريخ بعضها ذكر السنة عليها (بين سنة ٨٩و١٣٣ ق ب) .وايضاً قائمة الاشخاص المعروفين.

وقد أعدّ هـ . سيريغ بحثاً تاريخياً أثرياً في هـذا البيان . واننا ننتظر هذه النشرة ونرغب فيها نعطي ملخص اوصاف ديانات تدمر وفنها وهي اوصاف لا بد للكتات المنتظر من ذكرها .

آلهة تدمر - وهي مدينة القوافل - اتتها من بلاد ما بين النهرين والعرب وفي لغتها الارامية آثار من اللغة العربية . بجانب بيل آلهة الحيرة - (واسم الحيرة هو ولا بد منقول من لقب اشتار ما بين النهرين « حيرتو » اي « زوجة »)— وبجانب « ناناي » و « شكناي » مساعدات بابل نجد اللات وارسو ومانو حتى ومناف موضوع اكرام فيها . وفي تدمر « شمس » هو اله كما هو « الشمس » العربي . ولا شك انه كان لهذه الآلهة في المدينة هياكلها او معابدها لكن لم يبق منها اثر . فاذا اردنا ان نتصورها علينا ان نتذكر هياكل دورا - اورروبوس المشرة . وكان كهنتها وبالاخص كهنة بيل — موضوع اكرام يحسدون عليه وكان من الصفائح ما يعطي الحق بالاشتراك في المآدب التي يخبرنها وبعضهـا يعطي الحق — عند التوزيعات مثلاً — « بكيل ونصف » من جرة الخمر المصورة من ورائها . ولا بدّ ان الكتابات من نوع « انبسط يا بيل » كانت تلمح الى المآدب المقـدسة (حسب التأويل المقبول) . . . ثم فهارس جيدة - (آلهة : اوصاف وثياب . اعياد . الاشخاص المكرسون لوازم العبادة والمآدب . المعابد) . تميز خير تميز الاستعلامات الضرورية وتصنفها . وفهرس فنّ النقر الدقيق اضيف الى فهرس الاوصاف والحيوانات والنباتيت لانارة كل بحث اثري .

الفنون الصغرى في تدمر كما في غيرها من المحال تستوحي معارفهـا من النقوش السفلى والتصاوير . فالتصاوير العديدة التي تمثل كهنة منبسطة في ظل

اغصان الكرم تذكر تصويرة ديونيسيوس الجدارية وقد نشرها الاب ستاركي في مجلة كليتنا الشرقية « Mélanges » (المجلد ٢٤ وجه ٣٢ سنة ١٩٤١). وفي « دليل تدمر » (١٩٤١ وجه ٣١ وسم ٣٥) . فاذا كانت سمات الختوم التي تظهر على القطعة يعود اصلها - هنا كما في سيلوقية الدجلة - الى القاعة اليونانية المبتذلة فالصفائح تعطينا صور الآلهة التقليدية مجابهةً واقفة او نصفية منفردة او مجتمعة باوصافها الكبرى .

الملاحظات اللغوية التي ألمحنا اليها اعلاه والفهرس الذي رتبه الاب ستاركي تبتّ بجلاء مشاكل عديدة تخصّ علم الاعلام التدمرية والسامية . وعلم اللغة وعلم الآثار يستنيران سواء احدهما بالآخر في هذا البحث العظيم ولقد حقّ اهداؤه للسيد رينه دوسو معلم الدروس السورية ومنعشها . ر. م.

Fernand Chapouthier. — *Les peintures murales d'un hypogée funéraire près de Massyaf.* (Extr. de *Syria*, XXXI, 1954, pp. 172-211 5 pl. dont deux en couleurs, 19 fig.).

ليس من الغريب ان نلاقي في وطن ميلياغر تصاوير مدافن كالتي يعرضها علينا ناؤوس صور الذي أعيد تنظيمه في متحف بيروت . وقد وعدنا موريس دونان بدرس هذا المجرع . يمكننا الى ان يتم هذا الوعد ان نطلع نوعاً ما على فحواه بواسطة تعليقة لشارل بيكار (« CRAI » ١٩٤٠ وجه ٤٠٥) ومن مقابلته مع مدافن « الناسونيين » (في اواخر الجيل الثاني) وقد عالج هذه المقابلة ج . فانك (معهد الآثار السادس في برلين ١٩٥٣ ص ١٥ لوحة ٢٤) . لكنه امر غريب ان نجد قرب مصياف في الوجه الشرقي من الجبال النصيرية تصاوير كهذه على جدران ناؤوس . . . وقد اكتشفها الكابيتن فيو واشار اليّ باكتشافه وبناء على المعلومات الموجزة التي اخذتها عنه قام المأسوف عليه فرناند شابوتيه بتأويلها تأويلا حاذقاً علمياً فمشهد خطف برسيفون على يد هاديس في عجلته تجرّها جُصُن بيض يتقدمها هرمس وهو يجذب الانظار اولاً . يتتبع ف . شابوتيه هذا الموضوع منذ الاواني المصورة (ومنها وعاء يوناني قديم احمر التصاوير ص ١٨٩) الى النواويس الرومانيّة وتصاوير مقابر روما ومصر (هيرموبوليس) وكرش .

ثم مشهد آخر مشهد اولاد يلعبون بين اشجار سهول جنة الآلهة «Elysée»: اولها بالنشيد العاطفي «نوكيتي» الشاعر اوفيد وبآثار مجازية . واللعب يشبه لعب الكراة بجوزات يلقيها اللاعب فيأخذها الرابح السعيد كلها .

ثم مشهدان فقط يتميزان لا عظيم اهمية لها : نرسيس في الينبوع . جازون وميدي يدل عليها اسمها كبقية الاشخاص وقد يكون هذا تمثيلها عندما توارت في عجلة ابيها بعد قتل اولادها . تساءل ف . شابوتيه بخصوص ثلاثة حروف كنت نسختها (Δ M W) ولم يشاهدها في موضعها أتدل على تاريخ (فتكون- بحسب الحساب السلجوقي المتبع اذ ذاك - من تاريخ متأخر جداً) (ص ٢٠٣) لكني اظن فقط باني اكون قد اخطأت اذ ذاك بقراءتي (M H Δ)

انه حسب نوع الانشاء يعرض تاريخ : «يصعب جدا الاختيار بين الجيل الثاني والثالث ويصعب علي النزول الى ما هو احدث» (ص ٢٠٥) . في هذا التاريخ كان للمواضيع المنتخبة معنى رمزي . بموجب امثال مأخوذة من مصادر عديدة يمكن نسبها الى نوايا مختصة بالموتى . . . في هذه الافكار عن قصر الحياة تجلي حية تعالية نفس العالم الذي اصابه الموت قبل الاوان . ر.م

H. Seyrig. — *Bas-relief de la Triade de Baalbek trouvé à Fneidiq.* (Extrait du *Bulletin du Musée de Beyrouth,* XII, 1955, pp. 25-28, pl. XVI).

لم يكن في حوزتنا الى اليوم الا تصويرتان تمثلان مثلث بعلبك . وجدت الاولى في بيروت عينها لكنها من العهد الروماني غير القديم وهي تعطي الآلهة هيئة آلهة الاولمب : يظهر فيها مركور عارياً يحمل العصا تلتف عليها الحيات . والثانية هي تصويرة البالاتان (احد تلال رومية القديمة السبعة) وهي مرضوضة في ثلثي علوها حيث الآلهة — إله في غشاء وإله نصب (مركور) وآلهة محجوبة— وعلى راس الثلاثة سل . تظهر عليها ملامح سورية . هذا النقش الذي ينشره ه . سيريغ يمثل صورة للعبادة كانت تتقدم زوار الشاطئ في شمال طرابلس في ذهابهم الى هيكل البقاع الكبير . تصويرة فنيدق التي هي الآن في حوزة متحف بيروت وتصويرة البالاتان تشابه الواحدة الاخرى كثيراً وهما ولا شك نسختا أثر كانت الجموع تكرمه في داخل هيليوبوليس - بعلبك .

في تصورة فنيدق الآلهة المسايرة تتحف بوجود عدد من « ابو الهول » معها . يرفع جوبتار ذراعه الايمن مثقّلا بالاساور (كالذراع الحديب المستدير الذي هو في بيروت : من نشر سيريغ في مجموعة متحف بيروت الاولى ١٩٣٧ ص ٨٥ لوحة ٨) . في اسفل الفثا. يظهر وجه مستعار وجه اسد رمز الشمس نجده بتواتر على آثار العبادة في هيليوبولس ويدل على تأثير علم التنجيم في بعلبك كالتقدمة (IOMH regulo) التي عرضت حديثاً على جميع المخطوطات العامي وسيتمّ تأويلها في المجلد ١٣ سنة ١٩٥٦ في نشرة متحف بيروت . ر.م.

R. Dussaud. — *La pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam* (Institut français de Beyrouth, Bibl. arch. et histor., LIX). In-4°, 234 pp., 27 fig., 4 cartes. Index de 18 pp. Paris, Geuthner, 1955.

يلزم لمن يريد ان يفهم البدو ان ينقب اولاً في تخوم البادية ولمن يريد ان يكتب تاريخهم — تاريخ تنقلاتهم ومصلاقاتهم مع الحضر — ان يكون حائزاً على علم واسع فائق وحسن نقاد نافذ رصين . بهذه الاستعدادات وهذه الاهلية عاد السيد ر. دوسو بعد خمسين سنة تقريباً الى معالجة موضوع كان قد بحث فيه اولا في سنة ١٩٠٧ : « العرب في سوريا قبل الاسلام » سبق ذلك بيانان اكتشافيان: « السفر الى صفا. » (١٩٠١) و« ارسالية في نواحي سوريا الوسطى المقفرة » (١٩٠٣) .

« للوصول من المعلوم الى ما هو اقلّ علماً » يصف السيد دوسو اولاً بايجاز البلاد التي فيها يجري الحدث التاريخي الذي عُني به : « سوريا وبلاد العرب » ثم في فصول شتى يتتابع « النبطيون » في بيترا وما وراء الاردن و« التدمريون » و« عرب الجنوب » (اللحيانيون والثموديون والصفائيون » واخيراً « العبرانيون - الاسرائيليون والاراميون والكنعانيون » .

الصفحات التي تستحق اعتباراً اعظم وهي الاكثر منفعة هي التي تبثّ بقيمة ما اطلعتنا عليه الحفريات الحديثة عن اصل الشعوب التي تذكر اسمها التوراة وعن تنقلاتها مدى الاجيال . ان كان ويلهوزن ومدرسته الانتقادية قد اعترفت باحتمال كون اهل الساميين عربياً فقد أدنت دون برهان تاريخ بعض الكتب المقدسة وانكرت بدون داع القيمة التاريخية لادلة كتابية عديدة

قد ميّزها النقد الباطني . والخطأ هو في تأسيس التاريخ على النقـد الكتابي (ص ١٦٥) فانه بالمقابلة مع تاريخ الشعوب المجاورة - وهو اليوم سهل المنال - يلزم ان يتقـدم البحث . فهكذا تاريخ الآباء حسب سفر التكوين يتّضح ويتوطد بجوهره بما تعطينا من معلومات لوحات ماري واوغاريت - راس شمرا . فالاشعار الدينيّة الوثنية من الجيل الرابع عشر قبل المسيح التي وُجدت في راس شمرا تبين بان الكنعانيّين «وبعدهم : الفينيقيّين» والعبرانيّين هم من اصل واحد وفي بعض الذبائح يحفظون رتباً دينيّة متشابهة ويكرمون الاله ايل عينـه وهم يعبدون معاً القوى الطبيعيّة يشخصونها باشخاص انسانيّة ، وبعض تلميحات التوراة الى ابطال قصصيّة من راس شمرا «دانئل - كيرت» تـدل ايضاً على شركة في التقاليد . ان السيـد دوسو (خصوصاً ص ١٧٣—١٧٣) لا يتردّد في افتراض اقامة مشتركة في النقب .

فهذا الافتراض يصلح «اسوأ خطإ» (بين «الاخطاء التي عليها يعتمد تاريخ الاسرائيليّين القديم» وهو الخطأ الذي أقام شقّ عدة اجيال بين الآباء وخروج اسرائيل من مصر — ولزم تشبُّثاً بهذا الخطأ — رَفضَ الاستفادة من ذكر اسرائيل في مسلّة منفتاح (راجع ص ٨١) ولزم ايضاً ابعاد كل ذكر لسبط اسرائيل في نصوص اللعنات وفي نصوص راس شمرا (ص ٢١٠) .

تظهر اهميّة الفصول السابقة لاستفادتها من معلومات جمة جغرافيّة وتاريخيّة وآثارية عُني بنقدها وتصنيفها . يطالع القارئ مثلاً في الفصل الاول صفحات مفيدة تتكلم عن طرق بلاد العرب حسب «موسل» وفي الفصل الثـاني — بخصوص النبطيّين — التمييز بين «النفش» «النفس النباتيّة — المعلّقة بالذبيحة على الركن — الشاهد» و «الروح» عمود محدود الرأس او مسلّة «مكرّسة للآلهة» و «الباذ» بنا. تذكاري (ص ٣١—٣٤) . ثم بحث مهم في رُتب الذبائح بالنسبة الى سفر اللاويين (ص ٤٣) . وفي الفصل الثالث «نبطيّو ما وراء الاردن» — تقويم ملوك النبطيّة التاريخي (ص ٥١—٥٥ و٢١١) — «حراسة البـادية على يد ملوك الحيرة» (ص ٦٢—٧٠) تُعنى معاً ارتداد النبطي امام العربي — «تشهد بهذا الارتداد كتابة مدفن امرئ القيس في نمارا سنـة ٣٢٨ : نصّ عربي بحروف نبطيّة» — وايضاً سقوط مملكة زينب في تدمر سنة ٢٧٢/٢٧٣ . ولا

بد ان امرئ القيس (ص ٦٥—٧٠) كان يسكن القصر الابيض » ولهذا القصر رسم لا صفة اموية له وزخرف يجانس زخرف مشتى» . اما مشتى فيكون قد ابتدأ تشييده امرؤ القيس او ابنه ثم توقف بناؤه (ص ٨١) .

ان السيد دوسو بمناسبة كلامه عن النبطيين يتخذ في عدة امور مختلف عليها موقفاً ثابتاً فبخصوص الذين يدعون انه «الإله جيناس» (ص ١١٠) معتمدين على تقدمة يونانية واخرى لاتينية لا ازال أرى انه ليس من المحتمل — (طالع IGLSYR ٤—١٣٠١) — ان سورياً من الجيل الثاني او الثالث قادراً على اكرام آلهه باحدى هاتين اللغتين ظن نفسه يوجه الكلام « الى الجن » « في الارامية : جنايا» ولو مجملاً — وهذا ولو افترضنا بان مسلة جب الجراح (ص ١١٣ . . . رسم٢٧) التي تمثل اللات والهاً فارساً غير مسمّى هي بالحقيقة مقدّمة «للجنايا» — .
نلاحظ ص ١١٣ نمرة ٣ ترجمة الاسم الاهلي لجوبيتر بلوركدس في قرب بيروت « مغران » بـ « دراس القمح في البيدر » . — والرصيف الاهليلجي من اصله الذي عليه كانت تجري رتبة دورة الطواف في مكة (ص١٢٩—١٣٠) يذكر دائرة قمة حرمون المقدسة الاهليلجية (MUSJ المجلد ٢٩ سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ص ٢٣—٢٤ لوحة ١) .

هذا الكتاب الجليل المقدم لهنري سيريغ « من اجل المهارة الثابتة التي بها يعنى منذ سنة ١٩٢٩ بنجاح الدروس السورية » يأتي هو ايضاً لهذه الدروس عوناً ما كنا ننتظره، ثمرة باهرة لمعرفة الاماكن والنصوص والآثار. ر.م

Jean de Leffe, S.J. — *Chrétiens dans la Chine de Mao.* — In-16° 136 pp. Bruges-Paris, Desclee De Brouwer, 1955.

شهادة سجين كان قبلاً معلماً ومديراً روحياً للتلامذة الكاثوليك في جامعة الفجر (Aurore) في شانغاي .

لما اوقفه الشيوعيون كانوا يأملون ان يحصلوا منه على رسالة اقرار فيها يعترف بسعيه في خدمة السلطات الاجنبية ثم — «بوعدهم اياه باعادته الى الحرية — على استعلامات تخص ما يزعمون انه « سر » المقاومة الدينية .

للوصول الى غايتهم اتخذوا ثلاثة اساليب : السجن الفردي في وحدة تامة يتخللها استنطاقات محرجة و« بيانات » يفرض عليه تقديمها (١٧ كانون الاول

١٩٥١ — ١ تشرين الاول ١٩٥٢) . ثانياً الحبس مع مساجين شتى يحرّضون بعضهم بعضاً على الاقرار للتحرّر . اخيراً المكوث في مستشفى السجن والملاطفة لمفاجأة انتباه المريض عند ارتخاء اعصابه .

ينتهي الكُتيّب على «أشعّة من الانجيل في ظلمات السجن» : كان الاب ج. دي لاف «لكي يحافظ على تمام قواه النفسيّة» ينظم مشاهد الخيبة شعراً ويتقنها غيباً .

في ٢ شباط ١٩٥٣ في هونكونك كتب بما يلي : «لم تمرّ كل هذه الآلام هَدَرًا : هناك في شانغاي تلاميذ الفجر القدماء كانوا صامدين بشجاعة فائقة وهم يكتبون صفحة من اجمل صفحات البطولة المسيحيّة».. ر. م.

المشرق

السنة الواحدة والخمسون — ت٢–كانون١ ١٩٥٧

الطيب الاثر الاب لويس شيخو اليسوعي

منشئ مجلة «المشرق» ومؤسس المكتبة الشرقية (١٨٥٩–١٩٢٧)

بقلم الاب بطرس سارو اللبناني

يطيب لنا، لمرور ثلاثين عاماً على وفاة فقيد العلم والفضيلة (٧ك١ ١٩٢٧–١٩٥٧)، الطيب الاثر الاب لويس شيخو اليسوعي، ان ننشر ترجمته على صفحات هذه المجلة «المشرق» التي انشأها وطالما غذاها بمقالاته وابحاثه القيّمة من دينية وادبية واجتماعية وتاريخية، وقام بادارتها نحوًا من ثلاثين سنة بغيرة ونشاط لا يعرفان مللاً ولا كللاً، الى ان سقط في ساحة الجهاد شهيد العلم والدفاع عن الدين ومبادئه القويمة. وقد ترك من آثار قلمه الخصاب ما يؤلف مكتبة تشع بكل جليل نفيس وتنطق بما كان عليه ذلك الدماغ المفكر والقلب الكبير من نهضة ادبية تظل غرّةً في جبين شرقنا هذا ما كرّت الايام وتوالت الاعوام.

وقد اعتمدنا بهذه الترجمة على ما قدّمه لنا حضرة ابن شقيقه الاخ رفائيل شيخو اليسوعي ، من معلومات كانت بيده أو جمعها مما روتــه بعض الصحف والمجلات ، او تناولها عن السنة من عايشوا الاب المترجم رحمه الله . وسنقتصر في ذلك على مراحل حياته وخطوطها الكبرى من حيث هو فتى وراهب دارس وكاهن عالم عامل لا سيما هذه المرحلة الاخيرة ، اذ يعجز العلم عن استيعــاب كل ما انطوت عليه تلك الحياة الزاخرة باجل المعارف واكل الفضائل ؛ وقــد انتشر شذاها في ربوعنا اللبنانية وفاح عبيرها شرقاً وغرباً .

الفتى

منشأه :

في قلب ما بين النهرين على مسافة نحو ٩٠ كيلو متراً شرقــاً من ديار بكر ، ونحو ٥٠ كيلومتراً غرباً من بلدة نصيبين المعروفة بوطن القديس فرام الشهيرة بمدارسها في ذلك العهد ، ترتفع سلسلة جبال ، شُيِّدت قديماً على احدى قممها الوعرة قلعة عظيمة ما زالت قائمة ، على رغم عوادي الدهر . وتطل القلعة على سهل خصيب بمياه الخابور . وهو ساعد شرقي من نهر الفرات. وعند اسفل هذه القمة والقلعة تستقر مدينة ماردين على علو ٦٠٠ متر عن سطح البحر . قد أمست في الحرب الكونية الاولى ١٩١٥ مستنقع عذاب للمسيحيين الابرياء ، فاستشهد منهم الوف وفي مقدمتهم المطران مالويان مـــع ١٦ كاهناً من شتى الطوائف. وكان آن ذاك سيادة المطران جبرائيل تبوني (نيافة الكردينال الحالي) شاهداً لهذه المأساة يتمزَّق قلبه ألماً ولوعةً دون ان يتمكن من انقاذ تلك الضحايا البريئة،فكان دماء اولئك الشهداء بذاراً لكثير من الدعوات الكهنوتيةوالرهبانية:

في تلك المدينة كانت اسرة شيخو الكريمة الكلدانية تتمتّع بالثروة والرخاء ؛ وتضم بين اعضائها رجالًا اشتهروا بنفوذهم الواسع وعُرفوا بالتقوى والزهد، منهم خال المترجم الاب جبرائيل دنبو ، مجدّد الحياة النسكية ومؤسس رهبانية مار هرمزدا بقرب الموصل ، قد لُقّبت بالانطونيـنة واستُشهد الاب جبرائيل دنبو بخناجر الاكراد ١٨٣٢ ، ونشر المثلث الرحمات المطران اسطفان كجو الكلداني تفاصيل استشهاده وترجمة حياته بمجلة (النجم) ١٩٣٠ التي تصدر في الموصل .

في تلك المدينة ماردين ابصر المترجم النور في ٥ شباط ١٨٥٩ وكان والده الشماس يوسف شيخو وجيه عشيرته وزعيمها ، اشتهر بتجارته الواسعة كما عُرف باستقامته وحسن تقواه . وقد زار الاماكن المقدسة فلُقّب بالمقدسي كما لُقّب « بالشيخ » لعلو مقام أحد اجداده ، ثم أطلق هذا اللقب على الاسرة بأجمعها مع اضافة حرف (الواو) وفقاً للهجة البلاد المتفوّق فيها العنصر السرياني الكلداني.

كان للشيخ يوسف المذكور من زوجته اليصابات ثمانية اولاد اكبرهم البكر عبد المسيح والاب (ستانسلاس) واصغرهم رزق‌الله (الاب لويس) . فمنذ ترعرع هذا الاخير ادخله أبواه مدرسة الآباء الكبوشيين المرسلين في ماردين ، فنال قصب السبق على اقرانه لما كان عليه من حدّة الذكاء والذاكرة والرغبة في التحصيل ، عاكفاً على ممارسة الصلوات والحفلات الدينية فشخصت الانظار اليه وكان الكل يتساءلون ما عساه يكون رزق‌الله الفتى ؟ ! اليك الآن ما كان من تدبير العناية الالهية في انضواء الاخوين عبد المسيح ورزق‌الله شيخو تحت لواء القديس اغناطيوس دي لويولا في جمعية الآباء اليسوعيين . في السنة ١٨٥٠ اقبل الى مدينة ماردين المونسنيور بلانشه (Blanchet) اليسوعي النائب الرسولي في ما بين النهرين ومعه رفيقه الاب لابور[1]. فتعلق بهما قلب الشاب عبد المسيح شيخو،فاراد بدعوة من الله ان يهجر العالم ويتجند في معسكر الآباء اليسوعيين فسار الى ديرهم في غزير (لبنان) وانخرط في سلكهم باسم الاخ استانسلاس شيخو (١٨٥٣)

ولما قدمت والدته اليصابات الى زيارة الاراضي المقدّسة وصحبتها الفتى رزق‌الله عرّجت على دير غزير لزيارة ابنها البكر . وما وقع نظر الفتى رزق‌الله على شقيقه الراهب اليسوعي حتى أحس بقوّة داخلية جذّابة تدفعه الى ترك الدنيا والمكوث في الدير لمجده تعالى وخير النفوس. وما زال يلحف على والدته التقية الى ان استمالها لتقدّمه هو أيضاً كشقيقه ذبيحة رضىً لله ، ولم يكن يتجاوز الثامنة من العمر . فتسلّمته المدرسة الاكليريكية غصناً نضيراً وغرسة صالحة في أرضها الطيّبة فنما وأينع وازهر مبتسماً لشمس المحبة الالهية تخصبه بأشهى ثمار الفضائل واسمى العلوم الدينية والدنيوية . فانصرف الى درس اللغتين العربية

١) وعند عودتهما الى حلب هاجمها الاكراد وقتلوهما بالمتاجر قرب بلدة سويرك سنة ١٨٥٣

والفرنسية فأبدى دلائل النجابة والذكاء مما ادهش اساتذته ورفاقه . وما مضى على وجوده في مدرسة غزير سبع سنوات حتى اختمرت دعوته الرهبانية، فصارح رؤساءه بذلك وسألهم ان يقبلوه في عداد ابناء الرهبانية. فأجابوه بعد ان تحققوا صدق دعوته وقبلوه وهو في الخامسة عشرة من العمر . وفي السنة ١٨٧٤ أبحر الى فرنسة للدخول في دير الابتداء في مدينة لونسله سونيه (Lons-Le Sonier) وسُمّي الاخ لويس . فقضى هناك ثلاثة اعوام مكباً على اقتباس الفضائل الرهبانية ودرس الآداب اليونانية واللاتينية والفرنسية. ثم رجع الى بيروت حيث كانت المدرسة الاكليريكية الشرقية ومدرسة غزير قد نُقلت اليها لتكونا نواة كلية القديس يوسف .

الراهب والكاهن التقي الغيور

لما عاد الاخ لويس من ديار المغرب عهد اليه الرؤساء بتدريس الآداب العربية . وفي الثامنة عشرة من عمره (١٨٧٧) كان استاذاً للصفوف العليا ، فأخذت مواهبه تنمو وتزهو بين جدران الكلية اليوسفية حيث طوى أحد عشر عاماً مدرساً نشيطاً واستاذاً عاملاً. وفي السنة ١٨٨٨ غادر بيروت ميماً انكلترا لينهي فيها دروسه اللاهوتية. وبعد درس اربع سنوات رُقّي الى درجة الكهنوت المقدسة (١٨٩٢). ثم قفل راجعاً الى بيروت بعد ان اتصل بكثير من العلماء المستشرقين وزار خزائن الكتب الكبرى ووقف على ما فيها من المخطوطات الشرقية . عاد الى كلية القديس يوسف ليواصل تشييد البناء والصرح العلمي الذي كان قد وضع اساسه قبل ذهابه الى عواصم اوربا. فكرّس جهوده الجبّارة ، مدة ربع قرن ، بالتعليم وادارة الدروس العربية ، واعار اهتمامه الخاص المكتبة الشرقية فجمع كتبها ومخطوطاتها بشق النفس ومعاناة الاسفار العديدة الى مختلف البلدان والامصار ، دون ان تصرفه هذه المهام عن اعماله الرسولية . فكان لا يني عن القاء الرياضات الروحية والمواعظ وسماع الاعترافات كلما دعا الواجب . وكان مثال الخشوع والورع في القيام بفروضه الدينية وتقيده بالقانون الرهباني لا يحيد عنه قيد شعرة . شديد التعبد لقلب يسوع الاقدس ولسيدتنا مريم العذراء كثير الثقة بشفاعتها . ومما يروى عن تعلقه الوثيق بالام الالهية ما قصه الاخ

اسكندر خوري اليسوعي قال : « رأيت ذات مساء ، الاب لويس يحرّر مقالًا وهو يتمشى على السطح تحت ضوء القمر الباهت فاشفقت على عينيه ان ينالها مكروه . فدنوت منه وسألته ان يكف عن العمل رأفة بناظريه فما كان منه الا ان ابتسم وقال : « اسمع يا اخي ، انني حين كنت في دير الابتداء بفرنسه طرأ عليّ ضعف شديد حمل الرئيس على التخوف من حلول مصيبة تذهب بعينيّ فتطفئهما . وكان من البديهي ، لو وقعت المصيبة ، ان اخسر دعوتي واضطر الى العودة من حيث أتيت . بل ان الرئيس همّ بارجاعي الى الوطن . ورأيت نفسي تجاه الامر الواقع وما في اليد حيلة. ولم يبق لي من مرجع سوى العذراء القديسة ام الرحمة والتعزية ، فاسرعت الى مذبحها في الكنيسة اخاطبها بثقة بنوية حارّة ، فجثوت عند قدميها وابتهلت اليها بنفس كئيبة وقلب يائس قائلًا : تعلمين يا سيدتي انني اصبحت منذ سنوات جندياً لابنك يسوع فان شئت ان اظلّ تحت رايته ، اخدمه طول حياتي ، فامنحيني نظرًا سليماً صحيحاً لمواصلة دعوتي الرهبانية . خابت آمالي في اطباء الارض ، فلا تخيبي أملي فيك ايتها الطبيبة السماوية. ومنذ ذاك الحين ، اي منذ خمسين سنة وانا متمتع بنظر صحيح اجهد عيني فلا اريحها بنظارة ما . وكل ذلك بفضل ام المعونة مريم العذراء الحنونة».

اما فضائله الرهبانية فحدّث عنها ولا حرج ، وقد امتاز بوداعته وتواضعه واستسلامه لارادة الله تعالى ابان المحن والتجارب كما يبدو ذلك في بعض رسائله الى ابن اخيه الاخ روفائيل شيخو الذي كان مع بعض الاكليريكيين في احد اديار رهبانيتنا اللبنانية في اثناء الحرب الكونية الاولى. فكتب اليه : « ان العزلة لا تكون شديدة الوطأة على من يعرف ان يصلي ويشتغل ؛ ذاك عنوان المتوحدين القدماء . وهو عنوانك وشعارك في زمن الصيف هذا» .

وكتب اليه بمناسبة عيد الفصح للسنة ١٩١٥ قال : « اذا كانت افراح هذا العيد في هذه السنة اقل ابهة منها في الماضي ، فالتعزية الباطنية هي فائضة فينا . على المسيحي الا يستسلم الى الحوادث الخارجية ، بل عليه ان يكرر مع القديس بولس : « احتفظوا بالفرح الباطني الذي ليس لاحد ان يخطفه منكم . اذا كان خدام الله الامناء يجدون ما يبتهجون به حتى في ضيقات الحياة ، فما ذلك الا لانهم يعرفون يد العناية الالهية التي لم تسمح بذلك الا لخيرنا وسعادتنا ».

ومما قاله فيه سيادة الوكيل البطريركي الكلداني في حلب هذه العبارة : « قد تأثرت من فضيلة الاب شيخو وانشرحت من عطر وداعته الفائح اكثر مما أُخذت بغزارة علومه السامية التي رنَّ صداها في الشرق والغرب » .

ومن حديث للاب لامنس معاصر الاب شيخو وزميله : « كنت تلقاه بشوشاً ، وضيع النفس ، حلو الحديث ، فقد صح فيه كلام المسيح الوديع : « طوبى للودعاء فانهم يرثون الارض ». لقد امتاز الاب شيخو بوداعته وتواضعه رغماً عما كان عليه من شهرة بعيدة ومنزلة رفيعة في عالم العلم والادب وعند من كانوا يقدّرونه قدره . وهذا ما كنت المسه بتلك الشخصية الفذة المشعة باسمى الفضائل وأجلّ المناقب ، يوم كنت دارساً في كلية القديس يوسف ، ثم رئيساً على اخوتنا الرهبان التابعين الدروس فيها والمقيمين في دير مار انطونيوس المجاور الكلية ؛ وكان الاب شيخو رحمه الله ، مديراً للدروس العربية ولمجلة « المشرق » هذه . وكنت واياه على اصفى ولاء وأخلص مودّة . فاذكر ما كان عليه ذلك الدماغ المفكر من غزير المعارف وما كان ينبض به ذلك القلب النقي الكبير من الغيرة الرهبانية على مجده تعالى وخير القريب ، والدفاع عن الدين الحق المقدّس ، يدافع عنه بقلمه ولسانه . وكان في غيرته جريئاً جداً لا يتهيب موقفاً ولا يخشى خطراً . وان لم يكن له من المواقف اللامعة سوى وقفته في وجه الماسون لكفاه ذلك فخراً. لقد حاربهم وصدمهم صدمات عنيفة في مقالات مشهورة في « المشرق » ولم يكن يأبه لتهديدهم اياه بالاذى والموت، بل ظل ثابت الجنان يناهض اعداء الدين والحقيقة بكل ما اوتيه من حجة دامغة ومنطق صادق ، ورأي سديد . تلك كانت فضائل الاب شيخو الراهب والكاهن واللاهوتي والفيلسوف والمجادل ، ولم نذكر منها الا قليلًا من كثير.

العالم العامل

ما تسلّم الاب شيخو ادارة الدروس العربية في كلية القديس يوسف حتى انصرف الى خدمة هذه اللغة وآدابها ؛ واذ رأى افتقار الطلبة الى كتاب يسهّل لهم درس لغتهم ويرغّبهم في اكتشاف كنوزها ، اقبل في السنة ١٨٨٢ على نشر « مجاني الادب » تلك المجموعة النفيسة التي انتخبها من الكتب والمخطوطات

المديدة في الشرق والغرب ، وبوّبها ستة مجلدات متدرجة ، وزينها واوضحها بالشكل الكامل. ثم بتعليق الشروح الواسعة عليها من لغوية وادبية وتاريخية وجغرافية وعلمية وفهارس . وفي اربعة مجلدات ذكر فيها ، كما في اواخر الستة الاولى ، الكثير من تراجم شعراء الجاهلية والاسلام وعلماء العربية وفقهائها ومؤرخيها وجغرافيها . ولسنا نبالغ اذا قلنا ان تاريخ الآداب العربي لم يعرف كتاباً اوسع انتشاراً واوفر فائدة من « المجاني » . فقد بلغت طبعات بعض اجزائه الثلاثين. وكان نحو نصف قرن ، دستور التعليم العربي في مدارس الشرق والغرب ، ابتدائية وثانوية وعالية .

وفي السنة ١٨٨٣ وضع كتاب « مرقاة المجاني » ليسهّل للمبتدئين الصعوبات التي يقعون عليها في تلك المجموعة الواسعة. ولا يزال كتابه « علم الادب في الانشاء والعروض والخطابة » نموذجاً تمشي عليه المدارس في تدريسها هذه الفروع الثلاثة.

ورغماً عن قيامه بمهام التدريس والتأليف كان يرئس المحفل الادبي ويديره بلباقة ونشاط ويعنى عناية خاصة بادارة الروايات العربية ويُعنى بنفسه على تلقينها وتمثيلها ، تاركاً الاثر الطيب في نفوس الطلبة . ولما رأى نطاق التدريس ضيقاً امام طموحه وهدفه السامي ، عرض على رؤسائه انشاء مجلة تكون غايتها خدمة العلوم والآداب العربية فاستحسن الرؤساء اقتراحه وعهدوا اليه بأن يتولى بنفسه ادارة المجلة وتحريرها فقام بهذه المهمة خير قيام واصدر الجزء الاول من « المشرق » في كانون الثاني من السنة ١٨٩٨ وظل يصدرها مرتين في الشهر حتى السنة ١٩٠٨ ، فارتأى بعد ذلك اصدارها شهرياً اي مرة في الشهر مع بقاء عدد صفحاتها على ما كانت عليه اي نحواً من الف صفحة في السنة وكان بقلمه السيال يدبج معظم مقالاتها ، معالجاً المواضيع التي تدل على فيض قريحته وسعة معارفه وسداد رأيه في مختلف الشؤون والمباحث من دينية وروحية وادبية واجتماعية وتاريخية واقتصادية. فكان لمجلته هذه التي ادارها سحابة ربع قرن ، منزلة رفيعة عند العلماء شرقاً وغرباً . وقد كتب المستشرق باربيه دي مينارو في المجلة الاسيوية ملخصاً مقدمة العدد الاول من « المشرق » الطالع ، قال :

« مقدمة عربية تأنق بكتابتها الاب لويس شيخو رئيس تحرير مجلة المشرق ، قد اعرب عن فكرة الجامعة اليسوعية في اصدارها هذه النشرة الجديدة ، هي

فكرة منافس شريف ومثمر فيما بين العلم الاوربي وبين الثقافة العقلية الشرقية ».
لقد كشفت هذه المجلة لاوربا كنوز الشرق وفي الوقت نفسه ايقظت في عدد وافر من الشرقيين، روح التدقيق والتنقيب والرغبة في النهضة الادبية. ولم تكن الخمسة والعشرون مجلداً من « المشرق » التي اذاب خمساً وعشرين سنة في تدبيجها ، لتصرفه عن التأليف ووضع الكتب الشائقة . فكان يتناول شتى المواضيع بما اتاه من المصنفات القيمة التي تشهد له بطول الباع في خدمة العلم واللغة بفروعها العديدة . وذلك عمل خطير شاق يعجز عن القيام به الكثيرون من الكتّاب والادباء . ونظرة واحدة الى لائحة كتب المطبعة الكاثوليكية تنبىء بما الاب لويس شيخو من تآليف ناضجة التفكير مثمرة الرأي ، طافحة بالابحاث اللغوية والمقالات الادبية . فمن « فقه اللغة » الى « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » الى « شعراء النصرانية » (١٨٩٠) قبل الاسلام ؟ تم اتبعه بثلاثة اجزاء بعد الاسلام (١٩٢٢—١٩٢٦) .

وقد جمع تراجم الشعراء الجاهلية واشعارهم من المخطوطات والمطبوعات المتفرقة وبوّبها وشرحها وذكر اختلاف الروايات فيها . ولم يثبط عزيمته ما عاناه في هذا العمل الشاق من التعب الكثير والتنقيب والتحديق في تلك المخطوطات التي تقادم عهدها فعلاها الغبار وفعلت فيها يد الدهر وذهبت ببعض حروفها وسطورها . ولهذا وصف المستشرق س. نالينو همة الاب شيخو ، مقدراً جلده وصبره على العمل ، فذكر اشتغاله في رثاء الخنساء وابن السقيط وكليلة ودمنة مع جميع ما أتاه من الانتقادات العلمية والشروح المفيدة .

وكان اول ما نشر من تلك الابحاث، مقالاته الخالدة في الاستنتاج والتنقيب عن « الاحداث الكتابية في شعراء الجاهلية »[1] فتلقاها العلماء بمزيد الاعجاب والثناء . وفي السنة ١٩٢٢ اتم ذلك الكتاب النفيس الذي كان بدأ به قبل الحرب ، الا وهو « كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية » . اليك ما قاله فيه المفكر المدقق الدكتور فيليب حتي احد اساتذة الجامعة الاميركية ، في مجلة الكلية (٩/١٩٢٢—٢٣ / ٢٨٥) ، وقد سُرّ كل السرور لظهور كتاب يروي ظمأه الى البحث الوصفي ، قال: « انه لا يصعب علينا ان نتصور

(١) المشرق (٧/١٩٠٤ : ٥٣٠)

الاب لويس شيخو اليسوعي

١٨٥٩ — ١٩٢٧

الطريقة التي جرى عليها المؤلف في وضع كتابه هذا، فانه لم ينفرد الى شاطئ بحر او تحت شجرة في ليلة مقمرة ولم يحك من وجدانه أفكاراً ومن مخيلته آراء، بل عمد الى المجلدات والكتب والى المجلات والتآليف وقضى الوقت الطويل يفتش في ثناياها عن المادة التي يطلبها وينقب في بطونهما عما يتناول موضوع بحثه. ثم جمع هذه المادة ومحصها وغربلها ونسقها وبوبها واستخرج منها استنتاجاته وقدم للعالم نتيجة مجهودات عقلية، تناولت عقوداً من سني حياته في كتيب يطالعه القارئ في خلال ساعات. هذا هو التأليف العلمي الصحيح»[1].

كان الاب شيخو عارفاً اثنتي عشرة لغة منها العبرانية واليونانية القديمتان وقد درس كل هذه اللغات وكشف عن غوامضها تحقيقاً لما كان يهدف اليه من انشاء مكتبة شرقية تجمع بين جدرانها المخطوطات الشرقية القديمة والآثار الادبية الرائعة. فانه لما قدم بيروت في السنة ١٨٧٩، لم تكن هذه المكتبة تحتوي الا على النذر القليل من الكتب مما لا يؤبه له، اما عند وفاته فكانت تشتمل على ٤٠،٠٠٠ مجلد و٣٠٠٠ مخطوطة اشتراها هو نفسه ونسخ بعضها بيده. فكان في كل صباح يلازم المكتبة ساعات طويلة مشتغلاً في الكتابة. وقد عانى في سبيل اغنائها بالكتب والمخطوطات القيمة، الاسفار البعيدة حتى الى الهند. وزار اكثر عواصم اوربا واطلع على ما تحتوي عليه من الآثار الشرقية النفيسة والمخطوطات العربية الفريدة فاقتبس منها ما استطاع واستنسخ ما توفر له استنساخه. وكان الرؤساء يمدونه بكل ما لديهم من المساعدات المادية والادبية للقيام بهذا العمل الخطير. ولهذه الغاية كان يجول في قرى لبنان وادياره وعواصم سوريا كدمشق وحمص وحلب . . . وفي السنة ١٨٩٥ قدم الى ما بين النهرين وكانت يومئذ فريسة الاضطراب في العهد الحميدي من جراء اعتداءات المغول ومع ذلك غامر الاب شيخو بنفسه وزار مع أحد الآباء أورفا وماردين حيث افتقد امه واخوته، ثم قصد الى ديار بكر فالموصل وبغداد ومنها الى بمباي. وعاد الى بيروت بعد سفر شاق دام اربعة أشهر توفق فيه الى جمع مخطوطات عديدة نفيسة .

[1] المشرق (٨٦ / ١٩٢٨ / : ٩١) من مقال الاستاذ فؤاد افرام البستاني : تأثير الاب شيخو في تاريخ الآداب العربية .

ان هذه المكتبة لهي من اجلّ المكاتب في الشرق، بل وفي الغرب ايضاً. وهي مأثرة عظيمة تنطق بفضل الاب شيخو وتحفظ له ذكرًا طيباً لا تمحوه يد الدهر.

وفي خريف سنة ١٩١٣ دخلت تركيا الحرب الكونيــة الاولى فاحتلت جنودها كلية القديس يوسف وانتزعتها من يد الآباء اليسوعيين الذين لجأ بعضهم الى دير مار انطونيوس في بيروت ومنهم الاب لويس شيخو، فأخذ يفكّر ماذا عساه يكون من امر المكتبة الشرقية ومخطوطاتها ثمرة اتعابه وعرق جبينه. فشق عليه جدًا ان يترك خزانة كتبه هذه العزيزة على قلبه ولا سيما بعد ان احس بان الحكومة التركية تنوي ابعاده لكن الله تعالى هيأ لــه كاظم بك والي بيروت الذي كان يقدّر فيه العلم ويحترم الفضيلة فسعى لدى جمــال باشا السفّاح في ابقائه في بيروت ونجح مسعاه.

وفي السنة ١٩١٦ طلب اليه هــذا الوالي ان يضع كتاباً في تاريخ بيروت وآثارها القديمة فقبل بهذا العمل، شرط ان تفتح له المكتبة الشرقية. فكان له ذلك فاتخذها فرصة سعيدة نظّم فيها جدولًا ضافياً لهذه المكتبة حفظاً على نفائسها. واستطاع بهذه الواسطة ان يأتي دفعتين في اليوم، صباحاً ومساء، للقيام بمهمته. لكن خصومه الماسون وشوا به الى جمال باشا فعزم على نفيه وكتب الى الوالي كاظم بك في ذلك، فاجاب قائلًا: « ان الواجب يقضي علينا بأن نحترم هذا الرجل بخدمه الجمة للعلم ولا يسوغ لنــا ان نسيء اليه » وبهذا كان سعي الماسون فاشلًا. وقد وصفته مجلة « الميلانج » وذكرت سكنته المألوفة في تلك الايام العصيبة قالت: « القلم بيده يدوّن خواطره العلمية او ينقح ما عنّ له من الادلة. طُلب من جمال باشا الى المجلس العرفي العسكري وبينما كانوا يقضون في امره كان هو مكبًا على نصوص قديمة يقلّبها بين يديه، فأساء موقفه هذا الحرّ الى احد ضباط المجلس، فقال له معاونه: « دعه انه سلطان اللغة العربية ».

— ولما اقترع ناظم بك وضعَ (سالنامه) للبنان طلب الى اليسوعيين القيام بهذه المهمة فكتب الاب صالحاني القسم الجغرافي. وبحث الاب شيخو في الآثار القديمة وعهد الى الاميركيين بالفصول الجيولوجية والتاريخ الطبيعي والاقاليم. وكانت مكافأة الاب شيخو عن هذه الاتعاب، شيئاً من الغلّة والقوت اليومي !! وقد تمكن في تلك الفرصة السانحة ان يحتفظ باهم المخطوطات التي كانت في المكتبة

انلا تعبث بها ايدي الضياع او يطمع بها طامع . ويعجز القلم عن وصف ما عاناه هذا الاب البار في تلك السنوات الاربع التي مرّت عليه كأجيال وكان فيها مستسلماً للارادة الالهية .

وما وضعت الحرب اوزارها حتى أخذ يفكّر في مواصلة اعماله ، على رغم ما ألمَّ به وبأهله من البلايا والمحن . فكنت تراه كسابق عادته يقضي الساعات الطوال، امام مائدة الشغل في المكتبة الشرقية تحيط به مئات الكتب والرسائل والمجلات الشرقية والغربية . ويواصل حملاته الشديدة على الماسونية كاشفاً القناع عما تضمره من الشر للكنيسة وابنائها . وفي السنة ١٩٢٣ اصدر رسالة ضافية ضد هذه الشيعة المقوتة .

وتقديرًا لفيض انتاجه العلمي الذي غمرَ به البلاد اهدته الحكومة اللبنانية وسام المعارف الذهبي . ومما جاء في احدى فقرات مرسوم الاهداء هذه العبارة البعيدة المرمى : « وخدم الاب شيخو لبنان خاصة وبلاد الشرق عامة بما نشره من التآليف عن تاريخها وآثارها وعلومها حتى بلغت مطبوعاته المئة والعشرين مجلدًا فاستحق شكر لبنان » .

وهذه المئة والعشرون مجلدًا من نتاج الاب شيخو توازي في نظر المفكرين والعلماء الوف المجلدات التي تطلع علينا بها المطابع ؛ ولا سيما وهي في مجموعها تتطلب الوقت الطويل والتمحيص الشاق والاستقراء الرصين . وفي هذا ما فيه من تنقيب مستمر ودقة ملاحظة. فاذا أمعنا النظر في هذا كله، وقفنا على صورة، ولو مصغرة، للجهود والاتعاب التي عاناها المترجم في خدمة الامة والعلم والدين.

وقد ذاع صيته بين العلماء المستشرقين فأكبروا همته وقدروه حق قدره . دعوه لعدة مؤتمرات علمية في مختلف البلدان الاوربية كبرلين وكوبنهاغ حيث كان يتصفح المخطوطات العربية بعد أن احس بثقل السمع وكان موضوع اعتبار الرجال الكبار؛ وكثيرًا ما كان مرجعاً لبعض المسائل العلمية والتاريخية وغيرها. وقد وقف معظم معلوماته وجهوده بوجه خاص على خدمة الشرقيين كما يدل عليه شعاره العلي المدرج في اول صفحة من المشرق حيث يقول: « اني افضل دائمًا كل الابحاث المتعلقة بالشرق والطوائف الشرقية . . . لئلا يقال : ان الغريب ادرى بما في البيت من اهله». لذلك تراه قد وجه جميع جهوده في خدمة دينه المحبوب وهذا الشرق العزيز.

وفي السنة ١٩٢٥ تألفت لجنة من نخبة رجال العلم والادب للاحتفال بيوبيله الذهبي لخمسين سنة صرفها في الرهبنة مجاهدًا في خدمة الدين والعلم . وقد ضم ذلك الاحتفال كبار رجال الدين والدنيا ؛ تبارى فيه الخطباء والشعراء اطراء ومدحاً للمحتفى به . ولا يسعنا المقام لذكر كل ما قيل فيه ، فنكتفي ببعض ما جاء في القصيدة العصماء للمرحوم الخوري بطرس البستاني استهلها :

« كلّ اليراعُ وما كللت فدنتْ به وانظر الى الذكر الذي احرزتهُ »

. . . .

لغةٌ حملت لواءها ، منذ الصبا ونشرته في الخافقين وصُنتهُ »
ولكم علا بين اللغات مقامها لمّا تحلّت بالذي رصّعتهُ »
« ما الشرق الوهّاج الا كوكبٌ ملأ البلاد هدًى بما اودعتهُ »
» » الصدّاح الا بلبلٌ سكرت به الاذان مُذ انطقتهُ »
ذاب الحديدُ ولم تذب لك همّةٌ وبدا لما الصعب الجموح فرضتهُ »
خمسين عاماً قد طويت محلقاً كالنسر تهزأ بالذي عاركتهُ »
وشارك الحق المبين بصونه قام على الحق المبين وقفتهُ »

. . . .

« لو كانَ يُنصبُ في الحياة لمحسنٍ م أثرٌ على ما شاد ممّا شدتهُ »
نصبوا لك التمثال فوق منارة شمّاء من مجموع ما انشأتهُ »

ومن قصيدة للاستاذ حليم دموس ضمّنها بتاريخ موفق لليوبيل :

« نعم الحياةُ حياة العلم والادب قرّبها خالد في صفحة الحقب »

. . . .

« خمسون عاماً !!! وكم فيهنَّ من أثرٍ ومن جهادٍ ومن جهد ومن نصبِ »

. . . .

« بهمّةٍ كغرار السيف ماضيةٍ الى اقتطاف « جاني » الصحف والكتبِ
لو قيل في الهند او في الصين مكتبة لطار من قطبٍ قاصٍ الى قُطبِ
أو قيل في الشُهبِ سفرٌ خطّه قلم لراح ينشده في السبعة الشُهبِ
بمثلِهِ فلتتِه امُّ اللغات على بمثله ولتنافسْ دولة الادبِ
يا ايها الشيخ يا من لست اذكره الّا ذكرت مثال الجد والدأبِ
سِرْ في جهادك واستقبل تحيتنا فان فيها هتاف العالم العربي
إنْ يفرح الغربُ في يومٍ يؤرخه « فالشرق يفرح في يوبيلك الذهبي »

ووقف على الأثر الشيخ ابراهيم المنذر مُنشداً هذين البيتين وهو من زعماء الماسون الذين كانوا حاضرين ، قال :

« طويت خمسين عاماً في الجهاد ولا تزال تنشر ما قابُ الزمان وعا »
« كفاك فخراً واجلالاً وتكرمةً أنَّ النقيضَين في بريلك اجتمعا »

يقصد بذلك الماسون والكاثوليك

وكان لي الحظ بأن احضر هذا الاحتفال الباهر واكون من جملة المهنئين . فرأيت استاذنا وصديقنا الاب لويس يتململ حياءً ويتضاءل تواضعاً امام ما يوجه اليه من مدح وثناء . ثم يقف في نهاية الحفلة وقد ارتسمت على وجهه تلك البساطة والوداعة المعهودة . فشكر للحفل الحاضر وقال : « اني وانا الراهب البسيط المنزوي في ديره ، لا استحق مثل هذا التكريم والثناء . واذا كنت قمت بخدمة لهذه المدينة وللآداب العربية مدّة نصف قرن ، فما الفضل في ذلك الا لتهذيب تلقيته من والدتي في صغري ، ولثقافة نلتها من امي الجمعية اليسوعية التي وسّعت لي مجال الاشتغال العقلي وسهلت لي طريق العلم وامدتني بما يلزمني للابحاث العلمية ، فلها كل الفضل واليها ليس الى شخصي الحقير يوجه كل مدح وثناء ».

— وكانت يد العناية تسنده في جميع مراحل حياته فتسهّل ما يطرأ عليه من المصاعب . اخبرنا المرحوم الاخ يوسف ساهر اليسوعي يوم كان متسلماً ادارة المطبعة الكاثوليكية ، قال : « في الرابع والعشرين من شهر نيسان السنة ١٩٢٤ ، تعطلت الآلة التي كانت تطبع عليها مجلة المشرق ، فبدلاً من أن تطبع صحيحاً ، أخذت تمزق الاوراق وتعرقل العمل ، ففككناها . وبالرغم من مهارة الخبراء الاختصاصيين في معالجتها مدّة ثلاثة ايام لم نعرف السبب : فالتزمت ان اخبر حضرة الاب لويس مدير المجلة وقلت له يا أبت ، لا حيلة ولا وسيلة لدينا لطبع « المشرق » في هذا الشهر فأرجو المعذرة . فاجابني : لا يجوز ابداً ان نحرم مشتركينا عددهم الشهري ، فاذا عُدِمنا الوسائل البشرية ، فلدينا وسائل اخرى سماوية فبايماننا الحي وثقتنا بالله نتغلب على هذه الصعوبة . سر معي الى المطبعة وأرني الآلة العاصية ، ولما رآها بأم عينه تمزق الورق ، طلب كأس ماء وصلى عليه رافعاً عينيه الى السماء ، ثم امرني برش الماء المبارك على الآلة

وفعلًا اخذت تتحرك وتطبع صحيحاً كعادتها. فاندهش الحاضرون من مفعول صلاته الحارة، اما هو فلم يلبث ان تركهم ذاهباً الى عمله فرارًا من المدح والثنا. ».

مرضه ، وفاته ، مأتمه

في صيف سنة ١٩٢٧ ذهب الاب شيخو الى وادي النيل ، باحثـاً منقّباً ، مجهدًا نفسه وصحته في حرّ مصر اللاذع وجوها الملتهب، وما أن رجع الى بيروت حتى أخذ يشكو مرضاً طفيفاً لم يقعده عن مزاولة اعماله . ورأى الأطبـاء من باب الاحتياط ان يترك اشغاله المعتادة ويدخل المستشفى ، حتى اذا ارتاح فيه بعض الزمن ، تجرى له عملية جراحية تعيد اليه كمال الراحة والعافية . فخضع لارادة الرؤسا. ومشورة الاطباء ، ودخل المستشفى . واذ كان يستمد للعملية ويأخذ بعد حين وآخر بعض المعالجة ، كان لا ينقطع عن مألوف عمله من تحبير المقالات ومراقبة طبعها. ولم يكن الاطباء يجدون مانعاً يمنعه عن ذلك، لما كان يتمتع به من مظاهر القوة، وحسن البُنية. فأجريت له العملية ونجحت كل النجاح.

وبينما الجميع ينتظرون عوده حاصلًا على مـا يرغبون له من البُرء والشفاء التام، اذا بأعراض غير مألوفة طرأت على امعائه ، سببت له وهناً في القلب. فبذل الاطباء كل ما يقدر عليه الطب من المساعدات لتلافي الوهن الزائـد ، لكن الضربة كانت قاضية فلم تنجح فيهـا حيلة . فلفظ الاب لويس شيخو انفاسه الاخيرة بغتةً من دون نزاع . بينما كان المتولون تمريضه يستعملون الوسائل لتخفيف ما كان يشعر به . وكانت وفاته يوم الاربعاء في السابـع من كانون الاول من عام ١٩٢٧ ، ليلة عيـد الحبل بلا دنس . كأن هذه الام الرؤوف أبت الا ان تشرك عبدها الامين في افراح عيدها المجيد في عالم السعادة والبقاء .

— وما كاد يذاع في المدينة نبأ وفاته ، حتى التاعت لـه القلوب ، أسفاً وحزناً فاستفدحته الخواطر . فالتأم مجلس الوزراء وقرّر باجماع الرأي ان يهدي اليه وسام الاستحقاق اللبناني وقد وضعه رئيس الوزارة عـلى جثمان الفقيد في الكنيسة قبل مباشرة صلاة الجناز . وقد اقبل على جامعة القديس يوسف رجال الوجاهة والادباء يشاطرون الآباء اليسوعيين مصابهم هذا الاليم. وقد زار كثيرون منهم جثمانه باكين ، متبرّكين منه مترحمين عليه .

وما أزف موعد الجناز حتى امتلأت اروقة الكلية بالجموع الغفيرة وأنيرت الكنيسة بالانوار الكهربائية تغطيها شارات الحداد . فازدحم فيها المتوافدون فضت بهم على رحبها . وأبى نفر من الادباء الا أن يحملوا النعش على اكفهم ، وفي مقدمهم النائب الكريم الشيخ ابراهيم المنذر والاديب جورج افندي نقولا باز ، ومدير دار الكتب الكبرى الفيكونت فيليب ده طرازي ، فعاونهم في ذلك عملة مجلة المشرق والبشير والمصالح المختلفة في المطبعة الكاثوليكية. وكان بعض الاصدقاء والادباء قد طلبوا ان يقدموا الاكلة فاعتذر اليهم مع الشكر لمنافاة ذلك عادات الرهبانية اليسوعية ولكن في الساعة الاخيرة ورد ثلاثة اكاليل كبيرة من غير سابق انذار . الاول من صاحب العظوفة وزير المعارف ، والثاني من رئيس المجلس النيابي محمد الجسر والثالث من نقابة الصحافة .

وعند نهاية الجناز نقل النعش بموكب فخم الى حيث غُيِّب عن العيون ذلك الذي ستُبقي له فضائله واعماله الذكر الطيب والاثر الحميد دهراً طويلا .

ولم تنته اذ ذاك ، مظاهر التكريم والاجلال نحو الفقيد الكريم ، لان الصحافة تناولت حياته وظلت اياماً تتحدث الى قرائها بذكرى ما خلف من جلائل الاعمال وخالد الاثار . وقد اجمعت كل الصحف ، حتى اللادينية(١) على بكاء الاب شيخو الذي كان نبراس الفضيلة والعلم ومفخرة من مفاخر هذا الشرق واحد اساطين اللغة والاداب . ولم تكن وفاته أخف وقعاً لدى العلماء المستشرقين في اوربا ولا سيما في فرنسا والمانيا حيث عقد الادباء واصحاب القلم المقالات العديدة ، مكبرين المصاب في الفقيد الكبير وآثاره الادبية ، مما يدل على ان سمعة الاب شيخو لم تكن محصورة في دائرة الشرق فحسب ، بل تجاوزت الآفاق البعيدة . واليك بعض ما قيل فيه :

كتب الاستاذ ستروتمان باسم المستشرقين في هامبورغ (المانيا) قال : «نحن ايضاً لقد أضعنا بموته اختصاصياً كبيراً ونشعر بالفراغ الذي أحدثه فقدانه» .

وقد ابدى معهد علوم اوكرين في روسيا منتهى الاسف لهذه الخسارة الادبية وأعرب عن رغبته في تخليد ذكرى هذا العالم الجليل ...

وكتب الدكتور اينياس كراجوفسكي كاتم اسرار دروس التاريخ والفلسفة في لنينغراد : « ان الضياع عظيم لعلماء العربية في العالم باسره . فقد كان (الاب

شيخو) ، بلا نزاع ، العارف الاسمى في مجاهل الآداب العربية المسيحية ويمكن القول اننا لا نجد له خلفاً في هـذا الفرع . اما في بقية الفروع العربية ، فمن الصعب ان نجد له نظيراً . على ان مجلة « المشرق » التي اسسها وقام بادارتها ، تقدم لنا معلمة للدروس العربية وبالعموم للدروس الشرقية ، واني شخصياً احس بهذا الضياع ، اذ كان لي الشرف بان اجتني كثيراً من الدروس التي القاها في الفرع الشرقي وبان أتبع محاضراته فيما بين سنة ١٩٠٨—١٩١٠ . وكانت لي به علاقات ودية ولم يمتنع ابداً ان يمدني بارشاداته العلمية » .

وكتب الدكتور اغوسطس هافنر بما معناه : « ليس اعتباري للاب المرحوم (شيخو) بصفته بحاثة خطير واستاذ وعلامة كبير ، بل اكثر من ذلك ، اني أمتّ اليه بصداقة متينة وستبقى هذه الخاطرة في نفسي كائن الخواطر » .

وكتبت مجلة اميركا الشمالية : « المجلة الاميركية للغات والاداب العربية » — ويظهر مما اتى به الكاتب ، انــه كان يعرف الاب شيخو شخصياً — « كلمة شكران لذكرى صديقنا الجليل والاستاذ النابغ في الادب العربي ؛ ان اسمه سيبقى خالداً فيما بين المستشرقين وفي قلوب الشعوب العربية ، ان تآليفه الجمة تشهد على سعة علمه وعلى ضعة نفسه وبساطة قلبه » .

ويحلو لنا ان نجعل كلمة الختام لاحد المستشرقين البلجيكيين المشاهير ، الاب هنري لامنس اليسوعي زميل الاب شيخو وقــد عايشه سنين طويلة وكانا معاً فرسي رهان في مضمار الفضيلة والعلم . قال الاب لامنس :

« تلك كانت الخاتمة السعيدة لحياة هذا الزاهد الكبير ، العلامة ، النابغة ، الذي طار صيته شرقاً وغرباً . قلت الخاتمة السعيدة ، لان سعادة المجاهد الظافر لا تشبهها سعادة ارضية ، فقد ظفر الاب لويس شيخو في كلتا حالتيه ، بل قل في مضماريه : الزهد والعلم . وقد اثبتت حياته نبوغه وعبقريته في كليهما . اما في العلم فقد انارت تآليفه وكتاباته كثيراً من الحقائق العلمية ، لابناء مشرقنا العزيز . وكان كل ما كتبه وبحثه من المواضيع المبتكرة ، على جانب عظيم من السلاسة والوضوح » .

غرائب الافعال الرباعية المشتقة في اللغة العامية

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

قد سمّينا في هذه المقالة فعلًا رباعياً مشتقاً ، لا الذي على الاوزان فعّل وافعل وفاعل ، بزيادة حرف على الثلاثي المجرد ، لان تلك الاوزان ليست غريبة ، بل الفعل الرباعي المشتق على غير تلك الطريقة من فعل او اسم معروفين او مرجحين . ذلك الاصل هو لبناني محض ، او عربي او سرياني ، وقلما يكون من لغة اخرى كالعبرانية او التركية ؛ وقد ذكرناه بعد الفعل الرباعي المشتق منه ، الا اذا اتضح من شرح ذلك الفعل . واذا كان عربياً ، اعني من اللغة الفصحى ، حركنا حرفه الاخير . الاصل اللبناني غير المتّبع بشرحه يكون بمعنى الفعل المشتق منه . اما اذا كان غير لبناني ولا عربي ، فيكون مطبوعاً بالجدية اللغة التي اقتُبس منها ، وملحقاً بكيفية لفظه ، المدلول عليها بحروف عربية على حسب المستطاع .
الحرف ه بعد الفعل يدل على ان المفعول به شخص ، اما د فتدل انه غير شخص .
النجمة السابقة بعض الافعال تشير الى صيغة المبالغة المختصة بها دون اصلها . من جهة اخرى لم نذكر كل معاني الافعال الرباعية المشتقة ، بل اكتفينا باحدها ، لان هذه المقالة ليست قاموساً .

اكثر تلك الافعال قد اخذناه من «معجم الالفاظ العامية في اللهجة اللبنانية» بقلم انيس فريحه ، معلم اللغات السامية في الجامعة الاميركية البيروتية . هو كتاب نفيس مبتكر ، فنثني احر الثنا على همة مؤلفه ، ثم نجاهر بشكره ، لانه قد هيّأ لنا بذلك المعجم مادة مقالتنا ، مع كوننا على غير رأيه في اصل عدة كلمات .

القسم الاول : اوزان مشتقة بزيادة حرف قبل فا. الكلمة الاصلية

بفعل : بشلل ه (اوقعه في ارتباك) من شلّت يده (بيست) . بيسع ، المحرّفة عن بوسع (افسح مكاناً) من وسع .

تفعل : ترفخ العجين (اختمر وارتفع) من رفخ . تمس الثمر (نضج والحنى) من نمس .

حفعل : حلس (لمس لمساً خفيفاً) من لمس . حوكم ، المحرّفة عن حكوم (كوّم) .

دفعل: دعبـل ه (دوّره) من عبل (ضخم) —دعتر ه (جعله يعثر) من عثر ه — دنكس (خفض رأسه عن خجل او خيبة) من نكس . دهور ه (اوقعه من مكان عال) من هوّر .

سفعل : سرغس (استراح ، اطمأن) من رغس ه الله مالاً او اولاداً (اكثر له منها) — سمّد الارض (مهّدها) من مهّد .

شفعل : شحرق البلعوم (التهب) من حرق — شخلع ه (جعله خليعاً وعلى الاخص بثياب غير لائقة) من خلع (تهتك)— شفلح ه ، وهي محرّفة عن شلفحه (عرضه لمجرى الهواء والبرد) من لفحتهُ السموم ونحوها (اصابت وجهه) — شقدف ه (بعثه من مكان الى آخر لتعذيبه او إذلاله) من قدف ه —شقرم الاناء (كسر رأسه) من قرم ه — شقلب ه من قلب ه — شلقح ه (القاه على الارض) من لقح ه — شلهب «الطقس» (اشتدت حرارته) من لهب — شنبر الماء (سال من فوهة ضيقة ، تحت الضغط) من مكّة نبّر (حفر ، ثقب) — شنمر (غضب) من مكّة نمر (صاح الوحش) . شنفخ الجرح (ورم وانتفخ) من نفخ — شنفر الماء (سال من فوهة تحت الضغط) من مكّة نفر (هرب) — شنهق الحمار من نهق .

طفعل : طقس عن شيء (طلبه وتتبعه) من قسّ ه — طنفخ الجرح (ورم) من نفخ — طنفش (ورم وانتفخ) من نفش القطن والصوف .

عفعل : عكبر المسألة (كبّرها وبالغ في اظهار اهميتها) من كبّر — عكرت (سالك ساوكاً سافلاً) من التركية kerata (ديوث) .

قفعل : قشمر الذراع والساق (ازاح عنها الثوب) من شمّر — قنبز (قام) من نبز .

مفعل : هذا الوزن فيه نوعان :

النوع الاول مشتق من الفعل : محرم ه الاسقف (حرمه دخول الكنيسة) من حرم — محشد لفلان (ناصره ، تعصب له) من حشد له — محشك ه (ضبطه ، ادخله مكاناً ضيقاً) من حشك ه — مخلط ه (خلط اجزاءه) من خلط — مخلع ه (هزه هزاً شديداً ليزيحه) من خلع — مرزع التلميذ (تخلف عن الدرس وغاب عن المدرسة) ؟ المرجح انها من دازغ (راوغ) — مرقع ه (قرّع ه) ، وهي تحريف مقرع ه ، من قرّعه (عنفه). مزرق البقول او الفاكهة (صيّرها

رطبة لزجة بكثرة معالجتها) من زرق الماء (خرج بسرعة من فوهة)—مزرك ه (ادخله مكاناً ضيقاً) من زرك ه — مسخر ه من سخِرَ بـه — مسطح ه (سطحه على الارض في الشمس ليجف) من سطحَ — مسلت ه (رماه) من سلتت المرأة الخضاب عن يدها (مسحته ورمته) — مسلق الشيء (طال وعلا) من ܣܠܩ سلق (صعد) — مشحر ه (سوّده) من شحّر — مشطح ه (رماه على الارض) من شطح الشخص (وقع على الارض)—مشقع الامتعة (نضدها بشكل عمود) من شقع — مشلح ه (رماه) من شلح — مشلع ه (قطعه) من شلع الغصن (قطعه) — مشلق الحائط (انهار) من شلق — مشور عليك من اشارَ عليك— مضيع الوقت (اضاعهُ سدى) — معجن ه (اطال عجنه)— مغفل ه (خطف منه شيئاً بغافلته)—مغنج الولدَ (اساء تربيته بفرط ملاطفته) من غنج — مقلس ه (هزأ به) من ܣܠܩ سلق (هجم ، انقض)— ملحم القتيل (اكثر جرحه) من لحمَ القصاب العظام (نزع اللحم عنه) — موكر الناس (اجتمعوا ليتساروا ويتباحثوا)

من وكرَ الطائر (اتى وكره) .

النوع الثاني من وزن مفعل مشتق في الغالب من اسم اوله ميم: مترح الحراث (وصل بالفدان الى آخر تلم وشرع يشق غيره) من مِتراح (تلم)— مترس الجيش (تحصن في الخنادق) من مِتراس (خندق)—مجدل البصلَ ونحوه (ضم بجدل اوراقه)من مِجدال (بصلات او نحوها مضمومة بجدل اوراقها). محكش الفار (حركها بآلة اسمها اللبناني محكاش)— مختر ه الحاكم (عيّنه مختاراً بالمعنى اللبناني ، اي نائباً له في ضيعة او حي مدينة)— مرجح ه (هزه في مرجوحة)— مسطر العنبَ (عصره) من مِسطار (عصير العنب قبل اغلائـه لتحويلـه الى دبس) — مسمر ه (سمّره) من مسمار — مسمك ه (دعمه بسماك، وهو في اللبنانية خشبة متشعبة الطرف لاسناد الكرمة او رفعها عن الارض) — مشمشت الفاكهة (قاربت النضج) من مشمش الثمر المعروف— مشور (ذهب وجاء مراراً) من مُشوار — مغر (حفر مغارةً) — مقلع ه (رماه الى البُعد) من مِقلاع — مشيخ ه الناس (جعلوه شيخاً لهم).

القسم الثاني : اوزان مشتقة بزيادة حرف بين فاء الكلمة الإصلية وعينها

فيعل : شيرح (تكلم وشرح بحرية كاملة) من شرح — كيتل ه من كتلَ ه.
فرعل : برحش (حفر الارض) من بحش — برعط (لعب بالماء ، اكثر من الحركة والطيش) من بعطَ في الجهل ونحوه (افرط) — برقع ه (لطخــه) من بقع (ظهرت فيه لطخات) — بزقع (تلوث) من بقّع — جربع الشخص (هزل بعد سمن) من جبعَ (هزل إسته) — حربص (اضطرب جداً) من حبّص حبَص (ضغط) — حربق (شبك ، عقد) ربما كانت من حبّق المتاع (جمعه) — حردب من حدِبَ — حزنق ه (اغاظه) من حنِقَ — خربط ه (احدث فيه خللاً) من خبطَ ه (وطئه بشدة) — خرمش (خدش) من خمَشَ — شربــط الانسان او الحيوان (اشتدت غلمته اي شبقه) من شباط (اسم الشهر) — شرحط ه (عذّبــه) من شحطَ (جر ، خدش) — شركل الحيوان من شكّلَ ه (شد قوائمه بالشكال) — طربخ ه (كبره) من طبَخ طبَخ — شرنقت عينه (نظرة بشهوة وحسرة) من شنق شُنِق (عذّب) — طربق البابَ (اغلقه) من طبق — طرنب بطنه (انتفخ من كثرة الاكل) من طنّب — عربط بالشيء (قبطه بحرص) من اعبطَ ه الموتُ (اخذه شاباً لا علة فيه) — فرطس الانف (ضخُم) من فطِسَ الشخص (كانت قصبة انفه منخفضة) — فرعط الحيوانات (اخافها فتفرقت) من فعطَ الناس (تفرقوا عن خوف) — فرقع الشيء (انفجر بضجة) من فقع — فركح الحذاء (عوّجه او طوى مؤخره الى الداخل) من فكح — فركش ه (وضع امامه ما يعثر به) من فكش يده (وقع فانحرفت بعض عظامها) — قردح الفحم (اشتعل) من قدح قدَح — قرحط ه (كشطه) من قحط — قردف ه (بعثه الى محل بعيد) من قدف — قرطش النباتَ (قطع اعلاه) من قطش ه (قطعه) — قرفد الخبز (يبس) من قفد قفَد (تقبض) — كربش ه (امسكه وضغطه) من كبش — كردح (عرج) من كدح — كرسح ه (صيّره اكسح) من كسحَ — كرفت ه (رماه من مكان عال) من كفت ه (صبّه كله بسرعة) — مرشق الورقَ (نزعه من الغصن بجره باليد) من مشق — مرعط الغصنَ (جرّده عن ورقه) من معط الطيرَ (نتف ريشه) — هربج (خدش) من هبج — هربش (خدش) من هبش — ورزك (مشى بمرّج) من وزك (مشى مشية قبيحة) .

فصمل : (عصمص النظر) ساء من ܥܡܨ عَمَص (اظلمت العين) .

فعزل : بعزق ه (فرّق ، انفقه بدون حساب) من ܒܙܩ بَزَق (نثر) .

فقعل : شقرق (اضاء ، فرح) من شرق (أضاء) .

فلعل : بلعط (لعب بالماء) من بعط — بلكم ه (اسكته) من بكم — جلحمت العين (تورمت واحمرت) من جحُم اللهيب (اتقد)—شلعط (التهب غضباً) من شعط الطعام (احترق) — شلوط يده (احرقها بالنار او الماء السخن) من ܫܚܛ شُحط (احترق) — فلقح ه (علّمه آداب المعاشرة) من ܦܩܚ فَقَح (افاد) — قلمط (وسّخ) من ܓܚܛ جَمَط (تقيأ) — قلفط (غضب ،قطب) من قفط — ملطع (اضاع الوقت ، غاب عن مكان العمل) من مطع (ذهب فلم يوجد) — ملطح الولد (لحس واكل بصوت كريه في مضغه) من ܡܠܚܣ مطح (لحس) .

فمل : همدر البحر من هدر — همرج الناس (لغطوا واختلطوا) من هرج الناس .

فنعل : بندق الشيء (فسد) من ܒܕܩ (الشق) —حنجل (مشى متثاقلًا بتصنع) من (حجل رفع رجلًا ومشى متريثاً على الاخرى)—زنقر (نظر نظرة غضب) من زقر — شنبك ه (ادخل بعضه بعضاً) من شبك ه — شنتر (غضب) من شتر به (سبّه) — شنخر (صات من انفه) من شخر — شندل ه (جعله يعدل عن رأيه) من ܫܕܠ شدل (غش ، حث على عمل) — شنطط الناس (ابعد بعضهم عن بعض) من شطّ ه (ابعده) — عنكش الشر (ظهر على الغصون بشكل عناقيد من كثرته) من عِكش (عنقود العنب) — فنجر عينيه (فتحها ونظر بانتباه) من فجر الماء (فتح له منفذاً)—فندق ه (فتقه) من فدق — قنزح نفسه (تشامخ) من قزح الشيء (ارتفع) .

فهعل : دهلس (راءى) من دلس .

فوعل : هذا الوزن فيه نوعان .

النوع الاول مشتق من الفعل الثلاثي في الغالب : بورد الشخص (شعر ببرد لذيذ) من برد — بورم الخيط (فتله) من برم الحبل — جودل الشعر من جدل — حوفر الضرس من حفر الشخص (فسدت اصول اسنانه من الحفر ،

وهو صفرة تعلوها)—دوبل الزهر من ذبل—دوحست الاصبع من دحت—روبص الغسيلَ (ضغطه ليغمره الماء الحار) من وُحْص رُبص (ضغط)—زوغل (غش) من زغل — سومكه (دعمه) من سمك — شوبر (تكلم واكثر حركات يديه) من ܫܒܪ شُبَر (تشبه بالاطفال) — شوتفه (وزعه) من ܫܘܬܦ شَوتِف (اشركه في شيء) — شوحطه (جره) من شحط—شوهر عليك (راقب حركاتك من مكان عال) من ܫܗܪ شْهَر (سهر) — صوفر (اسمع صفيرًا) من صفرَ — عوقد الخيط من عقد — عوكر الماء من عكرَ — غورق الزرع (لم ينبت وينمُ من كثرة البرد والامطار) من غرق — فوتل الخيطَ من فتل — فوتن (غضب) من فتنَ الشخص (وقع في الفتنة)—فوخر الشجر (اكل السوس لبه) من ܦܚܪ فَخر (سحق، ابلى) — فوزر (سمن حتى تشقق جلده) من فزرَه (شقه)—فوكس (غيّر رأيه) من فكس — قوشط (زل، سقط) من قشط — قوشع (رأى) من قِشِع — قوطب عليك (قطع عليك الطريق) من قطبَه (قطعه) — قوطر الدابة (ربطها بالسابقة) من قطرَ الجمالَ (صفّها بشكل قِطار، نعني جملًا وراء الآخر) — قوطع (قطع كلام غيره) — قوفع ظهر الرجل (تحدب واعوجّ) من قفّع الشيء (تحدب، إعوجّ) — لوطع (اضاع وقته)؛ ربما كانت من لطعَت البئر (ذهب ماؤها)—لوفك (كذب) من لفّقَ الحديث (موّهه بالكذب) — لوقطه من لقط — لوكته (لطخه) من لكتَ الوسخ بشيء (التصق به) — لوهج الجسم او النار (اشتد حرها) من ܠܗܓ ألهج (حوّل الى بخار)—ورحل المكان (اجدب) من محلَ — موخل عقلي (ادهشه)، ربما كانت من ܡܚܠ مُحل (اضعف) — موذر البيض (فسد) من مذرَ — موزر الحبلَ (شدّه) من ܡܨܪ مَصَر (شد) — موطل الشخص من مطلَ — نوبر الشعر (وقف من برد او خوف) من نبرَه (رفعه) — نوخرا جذع شجرة (اكل السوس داخله فصار فارغًا) من نخرَ (بلي، تفتت)—×نوعره (طعنه بشيء حاد) من نعر—×نوفر الماء (خرج من فوهة تحت الضغط) من نفر — نوقر على بيت (حاول ان يرى ما فيه من ثقب في بابه)؛ ربما كانت من نقرَ بين الناس (افسد) —هوبر على شخص، وهي في الارجح محرّفة عن هوبل عليه (اخافه) من هبّل عليه—

هوشل الولد (توحش فصار لا يغتسل ولا يلبس حذاء ولا يعيش بنظام) من هشل الشخص (هرب وهامَ على وجهه) .

النوع الثاني من وزن فوعل مشتق من اسم : بودرت المرأة وجهها (جعلت عليه البودره وهي المسحوق الابيض المعروف) — خوزق ه من خازوق — سولف (قص قصة) من سالفه (قصة) — سوكر بيتاً (جعله في امان من خطر الحريق او غيره بواسطة شركة تأمين) من سيكورتا (تأمين) التي من اصل ايطالي—شورب ه (رسم له شاربين)— شولم (غضب) من شِلّم (شرار) — صوبع قرصَ العجين (طبع عليه صورةً اصابعه) — صوبن ه و ه (غسله بالصابون) — عورض (اصيب بعارض ؛ معنى هذه الكلمة في اللبنانية وعكة خفيفة)—فودس (كان في زمن العُطلة) من فادوس او فيدوس (عطلة)— فونس الشخص (اضاء بالفانوس) — قودم (سلك اقصر طريق) من قادومه (اقصر طريق)—قوصل (اكل كثيراً) من قصيل (شعير وقمح وحبوب اخرى تُزرع معاً لتكون علفاً اخضر للدواب)—قولب ه (وضعه في قالب)— قونن (نظّم الامر على حسب قانون) — لوقن البابَ (سدّه باللاقونه ، وهي في اللبنانية صمغ بعض الاشجار مخلوطا بمسحوق الآجرّ)— موغر (حفر مغارة او نفقاً) — مولش النبات (اكله المالوش) — نودر (روى النوادر) — نودف (افتقر) من مندوف او منتوف (فقير) — نوسر الجرح (فسد وأخذ لحمه يتفسخ) من ناسور .

فيعل : هذا الوزن فيه ثلاثة انواع .

النوع الاول مشتق من فعل لازم يجعله متعدياً — بيعد من بعُدَ — ريجع (ارجع) — سيهر (ساهر) —طيلع (اصعد) من طلع — قيعد من قعد— ليعب (العب) — نيزل من نزل .

النوع الثاني مشتق من فعل لازم او متعد ، بدون اضافة معنى التعدية اليه — بيرق من برقَ (لمع) — بيلص ه (غبنه ، غشه) من بلص — ريجع زيلع ه (بلعه) من زلع — فيلت ه (افلت ه) — قيبع (ذهب مسرعاً) من قبع — قيمط الشخص (حرص ، بخل) من ضغط قمط (ضغط)— ميلص الشخص (هرب) من ملص — ميلط الثمر (صار رطباً لزجاً)

من ملط الحائطَ (طلاه بالملاط ، وهو نوع من الطين) — هيبق الامرَ عليه (هوّله) من هبّق— هيزع القوم (اضطربوا واختلطوا) من هزعَ (اسرع) .

النوع الثالث مشتق من اسم : زيبق (صار لزجاً) من زئبق — ليقن الدواة (وضع فيه ليقه ، وهي في اللبنانية قطنة ونحوها توضع في الدواة)— ميجن (غنى الميجانا ، وهي ضرب من الغناء اللبناني) — ميدن الشخص او الحصان (ركض شوطاً) من ميدان— نيشن ه (علّق على صدره وساماً) من نيشان (وسام) — نيشن (صوب قذيفة الى الهدف المقصود) من التركية نيشان (هدف) — هيشر النبات (طال ولم يقلّم) من هشير (نبات ملتفّ)— هيش الشجر (صار ملتفاً) من هيش (اجمة) .

القسم الثالث : اوزان مشتقة بزيادة حرف بين عين الكلمة الاصلية ولامها

فعبل : بعبر (فرّق ، نثر) من بعر — خلبط (اخطأ) من خلطِ — زعبر (غش) من زعر — زعبط (صاح ، تكلم بغضب رافعاً صوته) من زعط الولد — شحبر ه (سوّده) من ܫܚܪ شَحَر (سوّد) — طحبش ه (كسره) من طحش — عربش النبات (تسلق ما حوله) من عرّشَ الكرم — غلبط من غلطَ .

فعتل : شحتر ه (سوّده) من ܫܚܪ شَحَر (سوّد) — شفتر الشخص (ضخمت شفتاه) ؟ ربما كانت من مِشفر الفصحى (شفة البعير)—فستق ه (شقه) من ܦܣܩ فسَق (قطع) .

فعحل : حوحش ه (جمعه ، التقطه) من حاش .

فعدل : وردش له (شتمه ، عابه) من ورش (تتبع الامور الدنيئة)— شردق ه (جعله يغص) من شَرِقَ بريقه (غص) .

فعرل : زهرر الشيء (لمع) من زهرَ القمر او السراج — نكرز الشخص (حاول ايقاع الفتنة بين الناس) من نكز (وخز)— وكرك الشخص (عاد خائباً) من وكّ .

فعطل : شحطر ه (سوّده) من ܫܚܪ شَحَر (سوّد) .

فعلل : تعلس صحته (اضرها) من تعسهُ الله (اشقاه ، اهلكه)— زملط الشيء

(افلت) من زمط—زملق الشيء (افلت) من زمق — زهلل ه (ادهشه) من ذهِلَ — سملق النبات (ارتفع) من سمقَ — شفلق في عمله (عمله باهمال) من شفق سَفِق (جعل ه باطلًا) .

فعمل : حصمص (بخل) من حص (قطع)—دغمش المساء (اظلم)من دغشَ (دخل الظلام) — شرمط ه (مزقه) من شرط (قطع) — ترمش ه (قضم شيئاً يابساً فسُمع له صوت) من ترش (قضم)— × معمك ه (دلكه) من معكَ — نغمش الولد او الشيء على القلب (استهواه) من نغشَ الى شخص (مال اليه).

فعنل : برنق (لمع) من برقَ—زرنب عليه (غضب) من اوّت زرّب (ضغط،دحر)— ترنص الشخص (تجمد من البرد) من ترسَ الماء (برد وتجمد) .

فعول : هذا الوزن فيه نوعان .

النوع الاول مشتق من الفعل : × بجوش (حفر) من بجش —بخوش (ثقب) من بخش — بعوج ه (جوّفه بدون نقبه) من بعج — × بعوط (تحرك ، تلوى كالحية) من بعط— بهور (تشامخ) من بهرَ الشخص (فاق اقرانه)—حروق ه و ه من حرق— × حكوش النار (حركها لتتقد) من حكش— دحوش ه (ادخله مكاناً ضيقاً) من دحش — × دعوس (داس) من دعس — دعوق ه (ادخله مكاناً ضيقاً) من دعق — دلوس (راءى) من دلس— رعون (سلك سلوك الطائش) من رعنَ— × زقور (نظر بغضب) من زقر— سروج (شرّج) من سرج— شحور ه (سوّده) من شحّمَ شَحَر (سوّد)— × شخوط الكتابة (محاها) من شخط— × شروخ ه (ضربه) من شرخ—×شعوط الطعام (احترق) من شعط — شقول بنظاره (رفعه) من شقل (رفع ، حمل) — × شكوك من شك (نخس) — شلوح ه (رماه) من شلح — طعوج ه (عوّجه) من طعج — ×طهوج(مشى مشية ثقيلة) من طهج—عقوص العقرب او الحية (لسع العقرب، لدغت الحية) من عقص — فخوت ه (ثقبه) من فخت — فروض الكأسَ (كسر حافته) من فرض — فسوخ الجلد او السقف (انشق) من فسخَ ه (نقضه ، فصل اجزاءه) — قدوح ه (ثقبه) من قدح — قروش (ثرثر،لغط) من قرش (قضم) — قمون نفسه (تكبر) من قمِنَ الانف (ارتفعت ارنبته)— قلوش الجلدَ (قشره) من قلش— × كدوش ه (قضمه) من كدش— كوت

(تكلم بصوت خافت بكثرة وسرعة) من كرت – لحوس ه من لحس – لسوع البعوض من لسعَ – +لطوخ النار (اشعلها) من لطخ – لطوش ه (ضربه) من لطش – لطوع يده بالنار (احرقها) من لطع – +لموق (لحس) من لعِقَ – لموك ، محرّفة عن علوك (ثرثر) من علك – لعوك (عيي ولم يُفهم كلامه) من كلكِ لَمِج (تلجلج) – + لقوط ه (اخذه بيده) من لقط – لكوح الثوبَ (لطخه) من لكح – + لكوز (نخس) من لكز – لكوش (نخس) من لكش – + نتوش ه (اختطفه) من نتش – + نتوع (جرّ جراً شديداً) من نتع – ×نتوف ه من نتف – +نتوق(قاء) من نتق – نجور الخشبَ (حزه او قطعه فافسده) من نجرَ الخشبَ (سوّاه ونحته) – +نخوع ه (هزه هزًا شديدًا) من نخع – نسول الخيطَ (اخرجه من النسيج) من نسل – نشول الامتعة (اختطفها) من نشل – نطوز الحمار (وثب ورفع رجليه الخلفيتين) من نطز (وثب) – + نعور (وخز) من نعر – نعوش ه الشخص (انعشه) – + نعوص الكلب (هر بغضب وكشّر عن انيابه) من نعص – +نقوب الارض (حرثها الى عمق معين) من نقب – + نقور (ثقب) من نقر – نقوش من نقش – نقوط الاناء (قطر) من نقط – نكوت الولد (بكى) من نكت – +نكوز (وخز) من نكز – +نكوش الارض (قلبها بالمعول) من نكش – نهوق الحمار (نهق).

النوع الثاني من وزن فعول مشتق من الاسم ، وهو قليل : خصور الثوبَ (ضيقه على الخاصرة) – كعوك ه (صيّره بشكل حلقة) من كعك – نسورت الاصبع (ظهرت فيها حول الظفر نسرات ، وهي في اللبنانية شظايا خشب) .

فعيل : قريف الشيء (سبّب الاشمئزاز) من قرّف – هريط الشخص (ضعف وهزل بعد السن) من هرطَ (ارتخى لحمه من مرض او فزع) .

القسم الرابع : اوزان مشتقة بزيادة حرف بعد لام الكلمة الاصلية .

فعلب : نخرب الشجر (نخِرَ ويبس داخله) .

فعلت : صفرت الشخص (اصفرّ وجهه) .

فعلر : بعرر (صار كالبعر) – زمهر الجُرح (ورمَ وفسد دمه) من زمه الحر (اشتد) – شخطر ه (خدش) من شخط – كزبر الجسم (تقلص من البرد)

من كزبَ مُشط الرجل ، اي عظام ظهرها (تقبض) .

فعلس : نبرس النبات (ظهر) من نبرَ ه (رفعه) .

فعلش : حركش ه (حركه ، اثاره) .

فعلص : حرقص اللحم (قلاه) من حرق .

فعلط : زحلط ه (جعله يزلق) من زحل ه (ازاحه) .

فعلق : زحلق ه (جعله يزلق) من زحل ه (ازاحه) .

فعلك : حيلك الشخص (حاول التخلص من شر بحيلة)— فرتك الامور (شوشها) من ܦܪܬ فرت (قطع ، شق ، مزق) .

فعلل : قفشل الاشياء (جمعها بدون ترتيب) من قفشَ ه (جمعه)—قوزل ه (جمعه من قوز ه (كومه وجمعه مدورًا) — كمزل ه (جعله مدورًا) من كمزَ ه (جمعه باصابعه) — كفشل ه (جمعه في قبضته) من كفش ه (قبض عليه) .

فعلم : قرطم شجرة (قطع غصونها) من ܩܪܛ قرَط (قطع) — قرعم الرأسَ (قص شعره بافراط) من قرعَ الرأس (نزع لباسه) .

فعلن : هذا الوزن فيه نوعان .

النوع الاول مشتق من الفعل: خرسن ه (اسكته ، افحمه) من اخرسَ ه الله— دلعن الولد (لاطفه بافراط) من دلع — روحن ه (انعشه) من روّحَ ه (اراحه ، انعشه)—زعرن (غش ، سرق) من زعر — صفرن (اصفرّ وجهه ، أُغمي عليه)— عشون (ساء نظره) من عشا الفصحى—فرعن الغصن (اورقت براعمه) من ܦܪܥ فرَع (انبت ورقاً او اخرج ثمرًا) — كشون الشخص (ساءت صحته) ؛ ربّما كانت من كشا ه الفصحى (عضه بفمه فانتزعه) .

النوع الثاني مشتق من الاسم: تيسن ه (نسب اليه الحماقة او الجنون) من تَيس — حلون المنّ او الشراب (صار حلوًا)—حمرن ه (نسب اليه البلاهة) من حمار — خورن ه الاسقف (سامه خورياً اي كاهناً) — رهبن ه (جعله راهباً)—سودن ه (احزنه) من سوداء الفصحى بمعنى المرض المعروف المسبب للحزن — شلبن ه (زينه ، جمّله) من شلبي (جميل) — شلفن الفتى (نما وطال) من شِلف (قضيب حديد)— عصرن النهار (اتى عصره) — غشمن ه (عدّه احمق) من غشيم الفصحى (جاهل) — فكهن او فكون ه

(متّعه بالاطايب والملذات) من فاكهة—هبلن ه (عده ابله) من اهبل (ابله)— وجهن الشخص ذاته (تظاهر بالوجاهة) من وجيه .

فعلى : طعمى (اطمم) — فرجى ه (اراه) من فرّج ه —فرشى الثوبَ (ازال عنه الغبار بالشمرية) من فرشايه (شمرية) .

القسم الخامس : وزن فعفل

في هذا الوزن تكون الفاء المزيدة فاء الاصل ذاتها : بقبش (بحث عن شيء) من العبرانيـة בקש باقاش — بلبش (في التعبير « بلبش حالو » اي تورط) من بلش ه (اوقعه في صعوبة او ورطة)—توتل (الموجودة في « توتللو عقلاتو» اي جعله كالمجنون) من توّل ه (اجنّه) — حوحش ه (جمعه ،التقطه) من حاش — دردغ ه (طلاه ، لطخه) من درغ — دعدك ه (حكه ، ليّنه) من دعكَ — دلدق ه (سكبه) من داق — دهدك جسمه (نهكه) من دهك — زرزع ه ، الحرفة عن زوزع ه (اخافـه ، ارعشه) من ܙܥ زُع (ارتعش)—زرزق(شرب الماء من بُلبل ابريق) من ܙܪܩ زرَق (سكب)— زعزط الولد (صاح) من زعط —سبسب الشعر (انْسدل) من ܫܒ شبّ (نزل ، أنزل) — شحشط ه (جرّه) ؛ شحشطه ه (عذّبه) من شحط — شفشق في عمله (عمله باهمال) من ܫܩܫܩ سَقِق (جعل ه باطلا)— شقشل ه (رفعه بيده ليعرف ثقله) من شقل ه (حمله)— شوشره ه (اقلقه) من ܫܘܪ شوَر (ثار) — شوشط الطعام (احترق) من ܫܠܛ سُط (احترق) — صوصف النسيج (احترق من حرارة المكواة) من ܨܦ صَف (احترق) — صوصى الفرّوج او الباب او الحذاء الجديد (صات) من ܨܘܝ صَوي (صاى الفرخ اي صات) — طرطق ه (طرقه فاسمع صوته)— طوطل الامرَ (اجّله) من طال — عوعى الكلب او ابن آوى (عوى) — فرفح (فرح جداً وانتعش بعد اعياء او غمّ)— + فرفك من فرك — فلفش الاشياء (بعثرها) من فلش ه (نشره)— فلفص (تخلص من ضيق او نحوه) من فلص—قرقش ه (قضمه) من قرش — قرقط ه (قطّعه) من قرطَ اليكراث ونحوه (قطّعه) — قوقر العين (فقأها) من قوّر — قوقز ه (وضعه في مكان يتقلقل فيه) من قوز ه (كومه وجمعه بشكل مدوّر)— قلقز ه (حركه ، ازاحه) من قلز—قهقر

ه (اتعبه) من قهر ه (اغاظه) — كعكر الحائط (انهار) من كعر — كركع ه (دوّره ، جعله بشكل كرة) من كرع الطريق اي منعطفه — لهلبت النار (زاد لهيبها) من لهبت — لولت (اوّث) من لوّت — لولح الشيء (ظهر) من لاحَ — لولق ه (عوّجه) من لوَق — مخمض فمه (حرك الماء فيه) من مخض ه (حركه تحريكاً شديداً) — مرمس قلبَ شخص او حياته (اغاظه ، عذبه) من مرسَ الدواء في الماء (مرثه اي انقعه فيه) — مرمغ ه (طلاه ، لوّثه) من مرغَ العِرض (تدنس) .

القسم السادس : وزن فعفع

هذا الوزن فيه اربعة انواع .

النوع الاول مشتق من الفعل الثلاثي المضاعف ، المرادف في الغالب : بخبخ (رش الماء) من بخ — بصبص (لمع) من بص — بقبق (هذى ، ثرثر) من بقَ الماء من فمه (قذفه بشدة) — بلبل من بلّ — تختخ العجين (اختمر بافراط) من تخ — تشتش الشيء (صار رخواً بعد نقعه في الماء) من تش (ابتل) — تفتف (بصق) من تف — جبجب ه (جعله يقطع معاشرته للناس) من جبَّ (قطع) — جرجر من جرّ — حتحت (بخل ، قتر) من حتَّ الشجرَ (قشره واسقط ورقه) — حدحد الزيت (صار حريفاً) من حدَّ (صار حاداً) — حرحر (أصيب بحُمى خفيفة) من حرَّ (صار حاراً) — حزحز (قطع وعلى الاخص بسكين غير حاد) من حزَّ — حسحس (حاول ان يحس بشيء) من حس — حفحف من حف (حك) — حكحك من حك — حلحل الشيء (انحل ، تفكك ، ارتخى) من حل — خضخض ه (هزه) من خض — خنخن الشخص من خنَّ (تكلم مخرجاً صوته من انفه) — دبدب الطفل (مشى كالحية) من دبَّ — دقدق من دقّ — رترت (افتقر) من رتّ الثوب (رثّ ، بلي) — رجرج الشيء (اهتز) من رجّ — ردرد ه (اعاده) من ردَّ القول — رشرش من رش — رصرصت الارض (صلُبت) من رصَّ ه (الصق اجزاءه ورصها) — رضرض ه (دقه بدون كسره) من رضَّ — رقرق الثوب (بلي) من رقَّ — سدسد من سد — شبشب (صار كالشاب بالصحة والنشاط) من شبَّ — شخشخ من شخّ (بال) — شرشر ه (صبه في عدة جهات) من شرّ (سال

قليل من محتوى اناء) – شطشط الماء او نحوه (سال على جوانب اناء) من شط (سال) – شعشع (سطع) من شع –+شكشك (نخس) من شك – +شمشم من شم –+صرصره (وضعه في صرة) من صر –صفصف من صف – صمصم الشخص (بخل) من صمّ القارورة (سدها) – ضبضب الامتعة (رتبها) من ضبّ –طقطق الشيء (تكسر، انفجر) من طق (صات في انكساره) – عدعد الشخص (تذمر) من عد (تمنى عد وفصل رزاياه) – عرعر الكلب او الحمار (صات) من عر – عصعصه (ضغطه) من عص – +عضعض من عض – عنعن (زاح) من عن – غمغم الشيء على قلبي (احزنني) من غمّ – فتفت الخبزَ او نحوه من فت. فجفجه (كسره) من فج –+ فرفر (هرب) من فر –+فزفز (وثب) من فز – قبقب النبات (ظهر) من قب الشيء (ظهر) – قدقد (يبس) من قد –+ قشقش (جمع) من قش –+ قصقص من قص – كبكب (صبّ) من كب – كتكت (صب) من كت – كركر الخيطَ (اخرجه من المكب) من كرّ – كركر الماء (صبه في عدة جهات) من كر (صب) –+ كركر على شيء (ضغطه) من كر –+ كشكش الدجاجَ او الذباب (طرده) من كش –+ كلكلت اليد او الرجل (كلّت من فرط التعب) من كلّ –+ لسلس (ضعُف) من لس – لبلب (ثرثر) من لب – لتلت (ثرثر) من لت –لحلح (الحّ) من لحّ –+ لسلس (ذهب او اتى خفيةً) من لس –+ لشلش الورق ونحوه في الماء (ارتخى بابتلاله) من لش – لصلص على الشخص (راقبه خفيةً) من لصّه (فعله خفيةً) –+ لفلف الخيطَ ونحوه (جمعه مدوّرًا) من لف –+لقلق الشيء (اهتز) من لق – لكلك الغصنَ (اماله لقطف ثمره) من لك – لملم (جمع) من لم – مرمر الشيء (صار مرًّا) من مرّ – مزمز الشرابَ (مصه على مهل) من مزّ (مص) –+ مصمص من مصّ – مطمطه (مده ليطول او يتسع) من مطّ (مد) – نزنز الحائط او الارض (سال منها الماء) من نزّ المكان (صار ذا نزّ، وهو الماء المتحلب من الارض) –نطنط (اكثر الذهاب والاياب سُدى) من نط (وثب) –نقنق (تذمر) من نق –+هرهر التمر (سقط من الشجر) من هر –+هزهز الشجرة من هز –+هلهل الخباز الرغيف (رققه ودوّره) من هلّ – ورور (رمى) من ور.

النوع الثاني من وزن فعفع مشتق من فعل غير ثلاثي مضاعف: بطبط (هزل بعد سمن) من بطّط (اعيا ، عجز) — بكبك (بكى) — خطخطت المرأة حواجبها (صبغتها بالسواد) من خطّط — شقشق في عمله (عمله باهمال) من شقّق (جمل ه باطلا) —طرطر الشيء (تطاير) — فضفض اعماله (فرغ منها) من فضّي (فرغ) — + فمفع النحل ونحوه (طار وتفرق من الفزع) من فالج.

النوع الثالث من وزن فعفع مشتق من الاسم: جبجب العنقودَ (اكل حبوبه الناضجة) — خلخل عصير العنب (صار حامضاً كالخل) —رزرز (ركز في الارض رزّة ، وهي في اللبنانية وتد يربط برسن دابــة)— رصرص الضرسَ (حشاه بالرصاص) — رفرف الشيء (صار له رف) — محمح المكان (صار فيه محماح ، وهو في اللبنانية طين ناعم يُغال من الحصى)—نعنع الشيء (صار طرياً يانعاً كالنعنع) — خشخش الطفلَ (سقاه ماء الخشخاش لتخدير اعصابه).

النوع الرابع من وزن فعفع فيه حكاية صوت ، وليس مشتقاً ؛ مع ذلك قد ضربنا عليه بعض الامثلة: بعبع (ثرثر) — ترتر (ثرثر)— تكتك الشخص (رجف من البرد فصرّت اسنانه)— جعجع (ثرثر)—خشخش الشيء (صات) — دمدم (غنّى بصوت خافت) — دندن (تذمر) — فقفق (ثرثر)— قرقر (ثرثر) — قعقع الشخص (ثرثر) — قعقع الشيء (صات وازعج)— قلقل الشخص (تلجلج) — لعلعت المرأة (ولولت بصوت عال).

القسم السابع: اوزان مشتقة من الاسماء بجمع الاربعة الاولى من حروفها الاصلية

نكتفي بذكر بعض الامثلة عليها ، وقد ذكرنا شيئاً منها في غير هذا القسم: بخشش (اعطى مجاناً) من بخشيش (عطاء مجاني) — برغل الشيء (تحول الى شبه حبوب البُرغل) — برقعت المرأة (لبست البرقع) — بروز ه (احاطه باطار) من برواز (إطار)— بشنق ه (البسه البشنوقه ، وهي في اللبنانية غطاء للرأس مستعمل في بعض الانحاء)—بيدر الناس (جلسوا على الارض بشكل دائرة تشبه البيدر)—

بيكره (دوره) من بيكار – تشرن الشخص (قضى شهري تشرين الاول والثاني في مكان معيّن) – تمسح الشخص (صار بلا شعور كالتمساح) – جنزره (قيّده بالجنزير ، وهو السلسلة) – جنفص الشيء (صار كالجنفيص ، وهو نسيج خشن من قُنّب) – ختير (شاخ) من التركية ihtiyar (شيخ) – خرطش البندقية (وضع فيها الخرطوش) – خندق (حفر خندقاً) – خنزر (سمن كالخنزير) – دولبه (اماله الى رأيه او حزبه) من دولاب (حيلة) – رسمله (اعطاه رأس مال) – رعبن على شيء (دفع الرعبون ، اي العربون ، ليشتريه فيما بعد) – رمّن الجمر (علاه الرماد) من رُمّان (جمر يعلوه الرماد موضوع في اناء للتدفؤ) – رهون الفرس (عدا عدواً سهلاً) من رهوان (صفة الفرس الذي يعدو هكذا) – سركله (نفاه من البلد) من التركية surgun (منفى) – شرنق دود القز (صنع الشرنقة ، وهي في اللبنانية الفيلجة) – قردح (مارس حرفة قِرداحي ، وهو في اللبنانية صانع الاسلحة) – قرصن الشخص (جال في البحر بصفة قُرصان اي لص البحر) – قرمد البيتَ (وضع عليه قرميداً) – قصدره (طلاه بالقصدير) – قطرنه (طلاه بالقطران) – قندل (اشعل القناديل او الشموع حول متازع عند تقربه الى الاسرار الاخيرة) – قنطرت الشجرة (كان وزن ثمرها قنطاراً) – قورم (صنع القورمه ، وهي الدهن المذاب والمملّح) – قيطن الثوبَ (جعل القيطان ، وهو خيط ثخين من الحرير ، على حافة الثوب) .

تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

للاب لويس بليبل († ١٩٣٨)

المجلد الثالث

الفصل الثالث

عدد ٨٣

اما من جهة القس يوسف نجيم الذي اتخذ درجة الاسقفية في مدينة بيروت بعد ابراز المرسوم الرسولي الاعلى باثبات حضرة الاخ الكلي الشرف والاحترام، مخايل فاضل، المثبت مطراناً حقيقياً على المدينة المذكورة من الكرسي الرسولي المعظم؛ ثم بعد المرسوم الآخر الذي صدر بعد وفاة المرحوم المطران اثناسيوس الشنيعي، انه لا يجوز اقامة مطران آخر على الجزء الذي كان معه من ابرشية بيروت، بل تحفظ سالمة الى مطرانها الشرعي مخايل فاضل، فالمجمع المقدس الملتئم في دير سيدة ميفوق قد نصحه ونبهه وأعلنه انه ساقط تحت العقوبات الكنائسية واللاعنات اليمية، هو والذي رسمه بموجب الامر الرسولي والمجامع المقدسة وتحديداتها. فالمذكور، عوضاً عن ان ينتصح ويتنحى عن الكنية الكاذبة باسم اسقف او مطران ويعرف ذاته انه عاجز وساقط عن درجة الاسقفية ويتواضع ويطلب الحل من صاحب الكرسي الرسولي المقدس، فاخذ يجدف ويشتم المجمع ونصائحه بكلام يستحق قائله الحرم من ذاته؛ اذ انه مجمع قانوني باستيلاء (برئاسة) القاصد الرسولي الكلي الاحترام وحضوره. واستمر معانداً ومصراً بوقاحته، متصرفاً بدرجته الاسقفية. فنشهر اذاً، وننادي ونعلن لجميع المؤمنين الخاضعين للكرسي الرسولي، افراداً واجمالاً بان يوسف نجيم هو محروم من الكنيسة المقدسة الرومانية، حسب مرسوم الكرسي الرسولي المقدس وتبعاً لذلك مجمع دير سيدة ميفوق. وكل من يحامي عنه او يحتج عنه او يقول ان حكم الكنيسة ضده هو باطل، وباي زمان ومكان وجد ومن اي رتبة ومقام كان. وكل من يدعيه (يدعوه) مطراناً او اسقفاً ويأخذ منه بركة،

او يحضر قداسه ، او يكاتبه باسم مطران او اسقف ، فليكن محروماً مثله . ونشا . ونريد ونتوسل الى طبقات الناس ان يقدموا منشورنا هذا الى بين اقدام قدس الحبر الاعظم الكلي الطوبى . وكل من اعتفى عن استماع منشورنا هذا ، او منع قراءته او اشهاره ، او اخفاه ، فليكن ساقطاً تحت الحرومات البيعية . والذي يخضع ويتمم الحكم الرسولي ويغتر لبسهُ بمدة ثلاثـة ايام بعد اشهار مرسومنا هذا ، فليكن مباركاً . والحذر من غضب الله . والبركة على الطائعين.

حرر بدير قنوبين ، في ١٩ ت ١ ١٧٨٠ مسيحية

(عن نسخة طبق الاصل محفوظة باليد)

وفيها اجاز سيادة النائب البطريركي الانطاكي المطران مخايل الخازن، للرئيس العام الاب مرقس الكفاعي ، ان ينشئ كنيسة في انطوش الرهبانية في مدينة بيروت ، لاسباب ذكرها بمنشوره . وهذه حرفته :

مخايل الخازن بنعمة الله والكرسي الرسولي مطران قيسارية والنائب البطريركي الانطاكي .

فليعلم كل واقف وناظر على وثيقتنا هذه من مطارنة ورهبان وكهنة وعوام من كل ذي قدر وقياس ، فهو ان صرفنا حضرة ولدنا القس مرقس الكفاعي الاب العام وكافة رهبنته جميعها . بان يقيم لها كنيسة في انطوشهم الذي في مدينة بيروت وصرفناه بسلطاننا المعطى لنا من يمنة الله . وهذا المقام المبارك لاجل الرهبانية .

اولاً : لاسباب حدثت ضد الطرائق الكنائسية من الكاهن المتولي كنيسة المدينة لانه لم يعرف طرايق الكهنوت وحقّر بعض رهبان وكهنة ومنعهم عن القداس بعد لبسهم بدلـة التقديس من غير سبب موجب لذلك ؛ لان جميع الرهبنة اللبنانية المباركة ليس عليهـا مانع كنائسي بل رؤساها ومدبريها وكهنتها جميعاً لهم التصرف بتقدمة الاسرار في المدن والقرى وجميع الكنائس الماضين ليمنة الله . ويكون لهم التصرف بجميع الاسرار .

ثانياً : لاجل قطع كل سبب . لان ما كفى الكاهن المذكور شرّهُ في الكنيسة المتولي عليها ، بل طفقهم الى دير الافرنج وتحامل عليهم ومنعهم عن القداس نهار الاحد . فلاجل رفع ومنع هذه الشكوك حررنا لهم هذه البركة لاجل البيان ولدحض كل معترض .

تحريراً في دير سيدة قنوبين في ١٤ ك ١ ١٧٩٠ مسيحية

(عن الاصل وهو بيدي ؟)

من مطالعة هذا الاعلام يستدل ان ليس لآباء الرهبانية ان ينشئوا المعابد او المذابح في المحلات التابعة لرهبانيتهم ، لقضاء فروضهم الدينية لانفسهم ولمن

هم في خدمتهم فقط، بدون اجازة الرؤساء. والحال ان آباء الرهبانية يتمتعوا بالانعام المعطى للرهبانيات المعصومة المثبتة من الكرسي الرسولي وهي تحت حمايته. ولما كانت رهبانيتنا في عداد الرهبانيات المعصومة والمثبتة تحت حماية الكرسي الرسولي، كان لها ان تتمتع بهذا الانعام. واذا قيل ما الذي دعا الرؤساء الى التماس هذا الاعلام من النائب البطريركي، اجبت ان ذلك كان حسماً لكل اختلال واعتداء يقع على الرهبان في المستقبل، كما حدث من ذلك الكاهن الذي جهل او تجاهل حق الرهبان المعصومين وما ارتدع عن ملاحقتهم حتى الى كنائس مستقلة عن طائفته. فماذا يمنعه عن مطاردتهم لو عرف انهم اقاموا مذبحاً في انطوشهم بدون اجازة الرؤساء المحليين. هذا كان السبب لالتماس ذلك الاعلام لا غير.

وفي هذه السنة ١٧٨٠ ابس الاسكيم الاخوة: فيلبس المكاري ونوهرا المتيني ومرتينوس صربا وماتيا المتيني وله من العمر ٢١ سنة وسرابيون المزرعاني وشينا نابيه واندراوس الزوقي ودميانوس سلفايا وتياوس البكاسيني وانطون القرطباوي وبطرس المجلتوني ومبارك الخوري البكاسيني ولويس بليبل وله من العمر ٢٠ سنة.

وتوفي الاخ جرمانوس الدوار والاخ سمعان صفين.

(عن روزنامات الادبار)

الفصل الرابع

عدد ٨٠

وفي السنة ١٧٨١ كان الاب المدبر شربل مدلج وكيلاً عن الرهبانية في الدعوى التي اقامها الشيخ رامح الخازن وكيل دير مار انطونيوس بقعاتا على الرهبانية بشأن متروكات المرحوم المطران رفائيل الحاقلاني سليل الرهبانية ورئيس دير مار ساسين بسكنتا للراهبات التابعات قانوناً. وكانت المرافعة امام المطران جرمانوس آدم مطران حلب على الروم الكاثوليك بصفته زائراً رسولياً. فحكم على الرهبانية بوجه وكيلها المدبر، بان متروكات المطران رفائيل هي

لدير بقعاتا استنادًا الى العهد المصرَّح به في منشور السيد البطريرك طوبيا الخازن. وحكم على دير بقعاتا بوجه وكيله الشيخ رامح بان الطاحون المتروكة من المطران رفائيل والموجودة في نهر بقعاتا تكون لدير مار ساسين بسكنتا لقاء ما قدمه آباء الرهبانية من القداديس لراحة نفس المطران المتنيح بالرب[1] .

---

١) وهذه حرفية الحكم :

« اعلام لكل واقف على هذه الاسطر ، هو انه قد حضر امامنا الاب شربل مدلج احد مدبري اولادنا الرهبان القانونيين ، بالنيابة عن رئيسه العام واخوته المدبرين الجزيلي الاكرام ، بموجب صك وكالة مطلقة . ثم حضرة الشيخ رامح الخازن بالنيابة عن القس طوبيا رئيس دير مار انطونيوس بقعاتا المكرم . وترافعا بخصوص متروكات المرحوم المطران رافائيل الحاقلاني . فمن بعد استماعنا احتجاجات الجهتين ووقوفنا على مستنداتها واستحصناها بكل تدقيق ، فقد حكمنا ان كل ما يعرف للمرحوم المطران رافائيل ومتخلفاته بامرها من كلي وجزئي ، يحق لدير مار انطونيوس بقعاتا دون غيره بموجب العهد المثقل المصرَّح به في منشور المرحوم البطريرك طوبيا « المحرر سنة ١٧٦٤ ، حيث يشرط صريحاً بان مهما انوجد حين وفاة المطران رافائيل يكون لدير مار انطونيوس بقعاتا . ومهما كان عليه من الديون فهو على الدير المذكور . وقد قبل ذلك المرحوم وتولى على الدير التولي الكامل وتصرف فيه التصرف التام من دون معارض او محاسب استنادًا الى الاشتراط المومى اليه . فهذا العهد مطابق للقوانين المقدسة التي ترسم بان متخلفات الاسقف تكون للمكان الذي جُنيت منه اصلياً وانها تحفظ لاستعمال خلفه ولا تتوزع على الاقرباء وغير اماكن. فمن حيث ان دير مار انطونيوس بقعاتا قد جُعل من السيد البطريرك طوبيا مقرًّا للمرحوم المطران رافائيل تحت الاشتراط المتقدم ذكره ومن خيراته قد اعتاش والدير نفسه قدم كلفة دفنه ووفى ديونه . ولم يستطع حضرة الآباء الرهبان ان يثبتوا بانه جاب شيئاً معتبرًا للدير المذكور من مال اقربائه بطريقة الارث او من مال الرهبنة او من قرية بسكنتا او من رزق دير بسكنتا ومداخيله ، فبالضرورة تكون متخلفاته ومقتناه لدير بقعاتا لا لسواه .

اما احتجاج حضرة الآباء المومأ اليهم بورقة الشروط السرية المحررة فيما بينهم وبين المرحوم قبل وفاته بخمس سنوات ، بان تكون متخلفاته لرهبنتهم من دون تعيين شيء خصوصي ، فهو باطل شرعًا وغير معتبر لانه ينافي على خط مستقيم ، الارتباط الصارم والعهد المثقل المتقدم شرحه . على انه من المسلّم حسب قواعد علم الذمة والشريعة بان ما يكون قد وُعد به لشخص ما او مكان ما بطريقة عادلة ولاسيما اذا كانت مجانية ، بل بمن قبل التزام مؤكد وعهد مثقل ، فلا يصح نزعه عن ذاك الشخص او المكان وتسليمه لشخص آخر او مكان آخر . ومن الواضح المسلّم ان المرحوم المطران رافائيل بذهابه الى دير مار ساسين ، ما فسخ عهده السابق ذكره مع دير مار انطونيوس بقعاتا ولا رفع عنه توليه وتصرفه مطلقاً ، بل استمر متصرفاً كما كان الى منتهى حياته . انما لاجل نزع كل خصام قد حكمنا ان الحصص التي اشتراها المرحوم المطران رفائيل في طاحون دير بقعاتا الفوقاني وهي اربع

لا بدّ لي من تعليق على هـذا الحكم للايضاح : ان المطران رافائيل الحاقلاني هو الاب رافائيل موسى الحاقلاني الراهب اللبناني من زوق مصبح · ارتقى الى درجة الأسقفية الشريفة بوضع يد السيد البطريرك طوبيـا الخازن (سليل الرهبانية)، خلفاً للمطران يواصاف البسكنتاوي ، على دير مار سيمين بسكنتا للراهبات اللبنانيات .

(راجع صفحة ١٩٤ من تاريخ الرهبانية المجلد الثاني)

ثم جعل مقرّه في دير مار انطونيوس بقعاتا بالاتفاق مع البطريرك طوبيـا الذي عاهده بان تكون جميع متروكاته بعد وفاته لدير بقعاتا ، لقاء اقامته فيه وتصرفه باملاكه . لكنه ، قبل وفاته بمدة ، سلّم آباء الرهبانية صكّاً يقرّ به ان كل متروكاته تكون لدير مارسيمين بسكنتا اذ ترك دير بقعاتا وجاء فسكن دير بسكنتا الى ان توفي . وسنداً الى ما تقدم وضع آباء الرهبانية يدهم على متروكاته . فبرز الشيخ رامح الخازن وكيلاً عن دير بقعاتا ، يدعي لدى المطران جرمانوس آدم ، بتلك المتروكات . فحكم المطران بانها لدير بقعـاتا . وحكم على هذا الدير بان يسلم الطاحون التي على نهر بقعاتا الفوقاني ، لدير بسكنتـا لقاء القداديس المتقدمة من آباء الرهبانية لراحة نفس المطران المتوفي ، سنداً الى حجج قانونية شرعية اوردها في صورة الحكم ...

وفي هذه السنة (١٧٨١) اشترى الاب بولس المزرعـاني رئيس دير مار انطونيوس قزحيا لديره من الشيخ بركات قيس الضاهر ، نصف ارض مار شينا

والسبع مصاري والنصف والخمس مصاري ايضاً ، تكون الى دير مار سيمين بسكنتا . وقد صارت له ملكاً مطلقاً تعويضاً عن حسنة القداسات التي تقدست تبرعاً عن نفس المرحوم من الآباء الرهبان اللبنانيين المكرمين . وذلك حسب زعمهم . انما يلتزم المذكورون ان يردوا لدير مار انطونيوس بقعاتا ما اخذوه من متروكات المرحوم المطران كما تقدم بيان ذلك . ولم يعد جايزاً لاحدى الجهتين ان يجددوا دعوى خلافاً لما هو محرر بهذا الحكم الشرعي فهذا ما اجمع عليه رأي العلماء وحكمنا بموجبه من بعد فحص مدقق .

الفقير اليه تعالى جرمانوس آدم مطران حلب — الختم — (عن الأصل المحفوظ بيدي)

حرر في ٤ آب ١٧٨١

والعَندية وطاحون الزّمار الكائنة في ارض كفرزينا ، باربعمئة قرش .

(عن اوراق دير قزحيا)

وفي هذه السنة ايضاً استأجر الاب وكيل املاك دير مار الياس الراس الراهبات ، من الشيخ غندور الخوري نصف اراضي قرية المجيْدل ، ببدل مئة وثانية عشر قرشاً ونصف القرش ، يؤديها سنوياً لقلم جباية الاموال الاميرية . وهذه حرفية الصك :

« وجه تحريره هو اننا ضمنا نصف المجيْدل الحصة التي كانت مع الشيخ رامح الى رهبان مار الياس الراس بمبلغ قدره وبيانه ١١٨½ قرشاً يوردوها كل سنة لجباية الميري . وصرف القرش مصريتين . ومن غير ذلك لا يتكلفوا شيء (شيئاً) . حررنا لهم هذا السند لاجل البيان . حرره غندور سعد الخوري

تحريراً في ١١٩٥ هجرية توافق ١٧٨١ مسيحية » .

(عن اوراق دير مار الياس الراس) .

وفيها ايضاً جرى اصلاح مجهول في كنيسة دير مار انطونيوس قزحيا ، لان سجلات الدير لا تشير الى شيء من ذلك ، حتى ان سجلات الحسابات لم تذكر قيمة النفقة على هذا الاصلاح فيستفاد من ذلك ان كل العمل كان بيد الرهبان ، فلم يدفعوا بدل ذلك بارة الفرد . وقد وجدت بلاطة مكتوب عليها ما يأتي :

« باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين » :

قد تجددت هذه الكنيسة في زمان رئاسة الاب مرقس الكفاعي الرئيس العام والاب يونس الزرعاني رئيس الدير . وكان المتني بتياها الاب خايل البكناوي (الخراط) والاب عبد الاحد بكيفا . وكان ذلك ١٧٨١ مسيحية » .

ثم جرى في هذه الكنيسة اصلاح آخر معتبر في ايام رئاسة الاب افرام جعجع البشراوي العامة ورئاسة الاب بطرس البجدرفلي في السنة ١٨٦٢ . ولا بأس من ذكر هذه الاصلاحات هنا ، وان ما قدر لنا ذكرها في حينه.

ملاحظة : من المعلوم ان كنيسة هذا الدير البالغ طولها نحو اربعين ذراعاً وعرضها نحو عشرة اذرع مع السكرستيا القائمة بجانبها ، فانها مؤلفة من مغارة طبيعية الا قسماً صغيراً نحو ثلث الطول من الحائط القبلي المقابل لداخل الدير

وفي هذا الحائط باب الدخول هو من بناء. (اي ليس من صخر المغارة المؤلفة منها الكنيسة) .

الاصلاح : فاصلاح الاب بطرس بجدرفل (١٨٦٢—١٨٦٥) ، تناول سقفها ، اذ انه رفعه نحو ثلاثة اذرع بواسطة نسف البارود . والتقليد في الدير انه انفق على ذلك نحو ثمانية عشر قنطاراً من البارود واضاف الى سقفها فوق المذبح الكبير وباسفلها حيث العلو شاهق وهو فوق النسبة المطلوبة ، عقداً بالحجارة . وابقى وسط الكنيسة على حالته الطبيعية . ومن هذه الشقة يرشح الماء (دلفاً) طول ايام السنة ، صيفاً وشتاء . والحائط القبلي المذكور الذي فيه باب الدخول والنوافذ لانارة الكنيسة ، هو الحائط الوحيد فيها . فاقام الرئيس حائطاً آخر على طراز جميل ، هو واجهة الكنيسة . بُني من حجارة المرمر السماقية المصقولة المتماسكة بعضها ببعض بصبّ الرصاص في داخلها . يكللها تاج من النقوش الحجرية تحفة في الفن . وفوق باب الدخول قنطرة جميلة بنقوشها الفنيَّة تستند الى شمعتين اسطوانيتي الشكل . وعلى سطح الكنيسة في ظل الصخر تقوم قبب ثلاث متى قُرعت اجراسها دوّت اصواتها الرنانة في ذلك الوادي ، اشبه بنغم موسيقي يمجد الخالق ويشنف الآذان . وقد كلّفت هذه الواجهة مئة وخمسة وعشرين الف قرش . وكان في اسفل الكنيسة معبد صغير على اسم القديس افرام السرياني ، مفصولاً عن صحن الكنيسة بحائط يتوسّطهُ باب ؛ وكان يتلو فيه القداس بعض الكهنة وقت قيام الخورس بالصلاة الفرضيَّة . وفيه كانت توضع خزينة الدير . فالاب بطرس البجدرفلي هدم هذا الحائط واضاف المعبد الى الكنيسة .

في هذه الكنيسة سبعة مذابح ، منها المذبح الكبير ومذبح آخر من الحجارة . وباقي المذابح نُحتت في الصخر . وخلف المذبح الكبير مغارة صغيرة كانت قديماً سكرستيا فالغيت . وفي اعلاها غرفة مقفلة تحتوي على صندوق يضمّ عظام السعيد الذكر الاب يوسف البتن احد الآباء المؤسسين .

(راجع الصفحة ٨٦ من المجلّد الاول ؛ تاريخ الرهبانية)

وفيها ايضاً هياكل بشرية اخرى هي بقايا الحبساء الاقدمين الذين دُفنوا في هذا المكان كما تشير روزنامة الدير في باب المتوفين .

(تاريخ الرهبانية مجلّد اول ص ١٢٢ و ص ٢٣٠ من المجلّد الثاني)

وفي اليوم العاشر من شهر ت ٢ لهذه السنة (١٧٨١) عقد المجمع العام لرهبانيتنا اللبنانية بحسب الرسوم القانونية، وبعد تبادل الآراء في اصلاح ما يجب اصلاحه اجتمع الآباء في اليوم الثالث عشر من الشهر، والرابع من الاجتماع للاقتراع :

أصابت القرعة الاولى : الاب عمنوئيل الرشاوي فنودي به رئيساً عاماً[1]

〃 〃 الثانية : 〃 مرقس الكفاعي 〃 〃 〃 مدبّراً اول .

〃 〃 الثالثة : 〃 شربل مدلج 〃 〃 〃 〃 ثانياً .

〃 〃 الرابعة : 〃 اجناديوس الشبابي 〃 〃 〃 ثالثاً .

〃 〃 الخامسة : 〃 روفائيل الحاقلاني 〃 〃 〃 رابعاً .

وفي اليوم الاخير من الاجتماع وزّع مجمع المدبرين رؤساء الاديار :

لرئاسة دير مار يوحنا	« رئيسه مجهول »
〃 〃 مار انطونيوس قزحيا	الاب مرقس المرقباوي
〃 〃 سيدة طاميش	〃 نستير مدلج قيتولي
〃 〃 سيدة مشموشة	〃 نعمة الله الحجّار الشبابي
〃 〃 مار انطونيوس سير	〃 سمعان الخازن
〃 〃 مار يوسف البرج	〃 لويس نادر
〃 〃 مار مارون بير سنين	« رئيسه مجهول »
〃 〃 مار انطونيوس حوب	الاب مبارك الرشاوي
〃 〃 مار مخائيل بنابيل	〃 زكريا المجلاوني
〃 〃 مار موسى الحبشي الدوّار	〃 متى الحولي السبعلي
〃 〃 مار الياس المتن الكحلونية	〃 برتردوس الدينّة
〃 〃 سيدة ميفوق	〃 عمنوئيل الجبيلي
〃 〃 مار قبريانوس كفيفان	〃 فرنسيس الكفاعي
〃 〃 مار جرجس الناعمة	〃 مبارك الديراني
〃 〃 سيدة المدونات	« رئيسه مجهول »
〃 〃 مار الياس قبرس	〃 〃

(عن روزنامات الاديار)

---

١) هو الأب عمنوئيل الرشاوي الابراهيمي، (لقب عيلته) كما افاد الاب انطونيوس عمّون، بعد مطالعته اوراقاً قديمة .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : شينا المتيني. زكا الدوار. اثناسيوس الجزيني . ارسانيوس ميروبا . اسكندر معراب . كاروبيم بسلفايا . مرقس بكفيا . ارسانيوس المزرعاني . ليباوس البحرصافي . برتدوس القزيري. والقس متى الشبابي وهذا كان راهباً عابداً وكاهناً.

وتوفي : الاب مرتينوس المزرعاني . والاب تادروس البشراني . والاب نهرا ساحل علما . والاخ فيلبوس تيتولي .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ٨٥

في سنة ١٧٨٢ اذن النائب البطريركي الانطاكي السيد مخايل الخازن مطران قيسارية للاب العام عنوتيل الرشاوي بانشاء انطوش للرهبانية في مدينة صور بناء على التماسه اسوة بانطاش الرهبانية القائمة في المدن الاخرى مثل طرابلس وبيروت وصيدا . وهذه حرفية الاجازة :

« المتم » ميخائيل الخازن بنعمة الله والكرسي الرسولي ، النائب البطريركي الانطاكي اعلام لكل ناظر اليه :

وهو اننا بكل محبة ابوية قد سمحنا الى اولادنا القس عنوتيل الرشاوي الرئيس العام ولكافة رهبانيته اللبنانية باسم يرتبون لهم مكان ، مقام انطوش في مدينة صور كما لهم اناطيش في باقي المدن لاجل قضاء اغراض الرهبانية المذكورة ولا معارض يعارضهم بذلك . وقد اعطينا لهم هذه الوثيقة مسجلة بختم وظيفتنا لاجل رفع كل تعنت ، وسنداً يدام مؤبداً يبرض في حين الاحتياج :

تحريراً في ٢٨ ايار سنة ١٧٨٢ مسيحية (عن الاصل المحفوظ بيدي)

وفي هذه السنة طبعت في رومية الشحيمة المعروفة بفرض الرهبان الاخوة المتضمنة الصلوات النهارية والليلية مع مزامير التوبة ، وطلبة جميع القديسين ، وبعض صلوات روحية خشوعية . وقامت بنفقة الطبع رهبانيتنا اللبنانية لكي يستعملها الاخوة البسيطون . وذلك باعتناء الاب ساروفيم شوشان البيروتي ، تحت مراقبة الاب سمعان خضير الماروني استاذ اللغة العبرانية في المدرسة الرومانية في ايام البابا بيوس السادس . (عن الكفري)

وهذه الشحيمة طبعت مراراً باحرف سريانية (كرشوني) بمطبعة الرهبانية في

دير مار انطونيوس قزحيا . وطُبعت ايضاً باحرف عربية بناء على طلب كثيرين من العلمانيين ، في مطبعة الرهبانية أيضاً في دير سيدة طاميش .

ومما علّقه الاب ساروفيم شوشان نفسه في آخر الشبيّة ما يأتي بحرفيته :

« قد اعتنى في طبع هـذا الكتاب بالحرف الكرشوني الاب ساروفيم شوشان البيروتي الراهب « البلدي » المرسل من رهبانيته الى رومة في ايام رئاسة البابا بيوس السادس. وذلك بنفقة الرهبان ، بزمان رئيس الرهبانية العام قدس الاب عمونئيل الرشاوي سنة ١٧٨٣ » .

ويوجد نسخة من هذه الطبعة بيد الاب مارون قيطو احد آباء الرهبانية[1] .

---

١) جهذه المناسبة يجدر بنا إن ندون البحث التاريخي الانتقادي على تعدد طبعات هـذا الكتيب لما في ذلك من الفائدة التاريخية وهو بقلم الاب المرحوم يوسف حبيقة احد آباء رهبانيتنا العاملين . قال :

« الشبية كتيّب يحتوي الصلوات الليلية والنهارية وفرض الرهبان الاخوة وبعض صلوات غيرها . ولما كان هذا الكتاب من ألصق الصلوات بالنفوس فقد تعددت طبعاته تسع عشرة مرة ، نذكرها هنا تباعاً اذ لا تخلو من بعض الفائدة ، فنقول :

١ً — قد طبع هذا الكتيب في رومية سنة ١٥٨٤ بمطبعة دومينيك باسا .

٢ً — بمطبعة المدرسة الرومانية سنة ١٦٢٤ .

٣ً — بمطبعة نشر الايمان المقدس سنة ١٦٩٣ .

٤ً — وفيها ايضاً سنة ١٧٢٥ .

٥ً — طبع على نفقة الرهبان اللبنانيين بالحرف الكرشوني سنة ١٧٨٣ ، على يد الاب ساروفيم شوشان البيروتي المتوفى ١٨١٤ ، الذي ارسل الى رومية لهذه الغاية . وهي الطبعة المذكورة آنفاً . وبيدنا نسخة منها ، جاء في مقدمتها :

« اعلم ايها الاخ الحبيب انه في تاريخ سنة ١٧٨٣ ، لاجل افادة الجاهلين القراءة بالحرف العربي، قد اعتنى في طبع هذا الكتاب المبارك بالحرف الكرشوني الاب القس ساروفيم شوشان البيروتي الراهب (البلدي) اللبناني » .

فقوله : لاجل افادة الجاهلين القراءة بالحرف العربي ، دليل ساطع على انه حتى ذلك العهد لم تكن اللغة العربية سادت على السريانية التي كانت اذ ذاك قائمة حية بين ظهراني اجدادنا .

٦ً — طبع هذا الكتاب في دير مار انطونيوس قزحيا للرهبان اللبنانيين سبع مرات متوالية : الاولى في السنة ١٨٠٩ كما ذكرها (المشرق ٣ : ٢٥٧) . بيدَ ان هذه المطبعة تحقق قول (المشرق ٣ : ٢٧٠) ان مطبعة دير قزحيا نقلت اليه من دير مار موسى الحبشي قبل السنة ١٨١٥ .

(راجع حوادث السنة ١٨٠٥ من هذا المجلد وبه الكفاية)

وفي هذه السنة (١٧٨٢) ضمن الاب مرقس المرقباوي رئيس دير مار انطونيوس قزحيا ، من الامير علي شهاب اراضي في قرية بصرما الكائنة في جهات كورة طرابلس ، بمبلغ مئة وثلاثين غرشاً ، عن كل سنة ، تدفع عند اول محصول الحنطة . ومدة هذا الضمان منوطة بارادة الرهبان . وقد ربطه الامير بصك تسلمه الرهبان للعمل بموجبه وهذه حرفيته[1] :

وبيدنا نسخة من هذه الطبعة وهي الاولى التي طبعت في مطبعة دير قزحيا المستحدثة . ونذكر ما جاء في مقدمتها لاهميته :

« قد طبع هذا الكتاب المبارك في دير مار انطونيوس قزحيا الكائن في جبل لبنان . مقاطعة بشراي ، بنفقة الدير المذكور وذلك في سنة ١٨٠٩ في حياة قدس سيدنا مار يوحنا الحلو البطريرك الانطاكي الكلي الطوبى » .

(انتخب بطريركاً في ٨ حزيران سنة ١٨٠٩ وتوفي في ٢ ايار سنة ١٨٢٣) .

وبعهد الاب عمنوئيل الجبيلي الرئيس العام على الرهبانية اللبنانية الكلي الاكرام (المتوفى في ٣ ت ١ سنة ١٨١٠) .

ومن ثم نسأل القارئ والمصلي بهذا الكتاب ان يذكروا في دعائهم اولاً: حضرة الخوري خيرالله اسطفان المحترم (هو المطران يوسف اسطفان الشهير المتوفى سنة ١٨٢٣) الذي اعتنى بتعريبه عن الاصل (ربما قصد نقله بلغة اصح) .

وكذلك يذكر القس نعمة الله النجار البسكنتاوي ، والقس سارافيم حوقا شوشان البيروتي . الذين تعبوا في المناظرة على طبعه . وايضاً يذكر رفاقهم المسعفين لهم في مشقة هذه الطبعة » .

ثم يلي هذه المقدمة فهرس وتقويم الاعياد المتنقلة من سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٨٩٥ . والطبعة الثانية في سنة ١٨٢٠ . والثالثة في سنة ١٨٣٠ . والرابعة في سنة ١٨٣٨ . والخامسة في سنة ١٨٥٢ . والسادسة في سنة ١٨٥٨ . والسابعة في سنة ١٨٨٨ . وبيدنا نسخ منها كلها .

ثم طبعت في مطبعة دير سيدة طاميش بالحرف العربي اربع مرات :

الاولى سنة ١٨٥٩ . والثانية سنة ١٨٦٠ . والثالثة سنة ١٨٦٣ . والرابعة سنة ١٨٦٨ .

ويوجد حتى الآن بعض نسخ تتناولها الايدي . وقد سعى في طبع هذا الكتاب مؤخراً المرحوم الاب المدبر افرام حاتمي الحلبي الديراني وذلك بالمطبعة الكاثوليكية .

[1] وجه تحرير الاحرف : هو انه قد ضمنّا رهبان دير قزحيا عن يد رئيس الدير يومئذٍ القس مرقس . وذلك ارض قرية بصرما المساة بارض السراقي بمعرفة اولاد القرية وحضورهم ، ضاناً صحيحاً شرعياً ، بمبلغ قدره ريانه من القروش الاسدية الفضية ماية وثلاثين (وثلاثون) قرشاً مصركي (نقداً وعداً) يدفعها عن سنة كاملة في طلوع البيدر تاماً مقطوعة عن القلم من سائر الموزايات ويأخذ وصل (وصلاً) بذلك في المبلغ عن كل سنة بسنتها ما عدا خمس شنابل شعير (الشنبل خمسون رطلاً) . وشنبل ونصف قمح يدفعها في طلوع

ان سعي الرؤساء لاستئجار الاملاك البائرة سواء كان من الحكومة او من غيرها قصد تعميرها واستغلالها مما يدلّ :

١ً : على عظم فقر الرهبانية وحاجة مجموع افرادها الى اراض يعملون فيها لتحصيل معاشهم .

٢ً : على ما كان يقاسي الرهبان من الاتعاب والمشاق في تذليل صعاب الامور تحصيلاً لضروريات الحياة ، لما كان يعتريهم من المتاعب والمصاعب في مأكلهم او مشربهم او مسكنهم او رقادهم او صلواتهم ، نظرًا لبعد اديارهم عن الاراضي المستأجرة ، ولمعاشرتهم اناساً ربما كانوا على غير معتقدهم او يختلفون عنهم طريقةً ومعاشاً الى غير ذلك. فان اراضي قرية بصرما تبعد عن دير قزحيا ست ساعات . ومزرعة الجيدل (في الكورة) تبعد عن دير مار الياس الراس (في كسروان) عشر ساعات . فكيف يتأتى لهم تخفيف مشقة العمل وقت الراحة ؟ !

البيدر نظارة نازعة المصاريف من كلي وجزئي وصرّفنام في ضمان الارض المذكورة . يزرعوا شتوي وصيفي من غير مانع ، ما دام لهم ارادة في هالضمنة . ويحدّ الارض المعلومة غرباً : مجرى ماء شرقي العين . وشمالاً : حدّ ارض كفرقاهل . وقبلة : ارض قرية كوسبا . وشرقاً : درب السكة ، المعلومة حدودها وارض منصور الحوري المعلومة بالحدود والجهات . ومشنام في القرية تابع الضمان وهي حارتهم الجديدة . وقبو ابن العام لاجل بقرهم ولا احد له معهم معارضة بوجه من الوجوه لا هم ولا شركاتهم بخلاف ما هو مبين في هذه الحجة ولا يجرأ بخلاف ما نحن ذاكرين و كتبنا لهم هذه الحجة الشرعية سندًا بيدهم ولوقت الحاجة اليها حيث يتصرفوا بالارض المذكورة بارادتهم يفلحوا ويزرعوا وليس عليهم معارض بوجه من الوجوه . قد حرّر في سنة ١٧٨٢ مسيحية فتكون هجرية ١١٩٦ والاصح ١١٩١) .

علي شهاب

شهود الحال

عروة موسى ابراهيم ، انطونيوس حنا من عبرين ، سليمان الملم ، ابو رزق غازي ، علي ابن الكردي ، السيد حسين جباره ، الامير علي الباشر .

صح : بمعرفتنا وشهادتنا كما هو محرر حضرة الامير علي الى حضرة الاب رئيس دير قزحيا القس مرقس . ونحن نكون اسياف مع حضرة الآباء رهبان الدير على رفع المغايرات عنهم .

كاتبه

تحريرًا بتاريخ اعلاه — الاب سمعان البيطار

(عن الاصل الموجود بدير قزحيا)

اجل انهم حُرموا التعزيات الجسدية غير ان التعزيات الروحية لم تفارقهم قط. وهي التي كانت تدفع بهم الى احتمال تلك المشاق والمتاعب بالصبر الجميل والاستسلام لارادة الله المعلنة لهم بارادة رؤسائهم. اي بصوت الطاعة المقدّسة. آملين حسن المجازاة مردّدين قول الرسول: « مَن لا يتعب لا يُطعَم ». وكانوا بجدّهم ونشاطهم يجعلون تلك الاراضي صالحة للاعمال الزراعية ولسكن الشركاء الذين يأتون بهم من امكنة بعيدة ليعاونوهم في الاشغال وتحصيل المعاش.

٣ : من طريقة استثمار الأملاك هذه يظهر ايضاً : بطلان ما يزعمه البعض او وهمين ان املاك الرهبانية واوقافها حصلت جميعها بطريق الوقف. (او كما يريد ان يسميها البعض « سرقة خفيّة » تحت ستار الدين). والحقيقة الثابتة ان الحصول على هذه المتلكات كان بالثمن الغالي اي بالعمل اليدوي وعرق الجبين وشق النفس، ومن الاقتصاد في معيشتهم وحسن ادارتهم.

وفي هذه السنة (١٧٨٢) لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : يوسف صليما ولورنسيوس الرشماوي وشنينا الرشماوي وجراسيموس المزرعاني ومبارك العاقوري وجرمانوس الموشي ومبارك الرويدي ويوحنا القسطاوي وسابا بكيفا وتوما المجلتوني وموسى البزعوني وشربل الديراني.

وتوفي الاب بولس المزرعاني. (عن روزنامات الاديار)

عدد ٨٦

وفي السنة ١٧٨٣ اعان الاميران فارس واسعد شهاب رضاهما بانشاء دير مار مارون بيرسنين بموجب صك هذه حرفيته :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين.

« هو انه يوم تاريخه صار الاتفاق وبالله التوفيق بيننا وبين اعزازنا القس عمانويل الرئيس العام ومدبرينه الاربعة اللبنانيين وهم : القس مرقس (الكفاعي)، والقس شربل (مدلج)، والقس اجناديوس (الشابي)، والقس رافائيل (الحاقلاني)، على موضعنا المعروف بدير يرسنين الذي يدهم وانشوه (انشأوه) بان يكون ديراً قانونياً كباقي ديورتهم واملاكهم الشرعية وكشكل اوقافهم العادلة. والموضع المذكور وكل ما يعرف به من ماء وهواء واشارته تغني عن تحديده. وان ينشوه (ينشئوه) نشواً كاملاً حسب ديورتهم العامرة. وجميع التوت القائم رتبنا عليه ميرة كل حمل ورق بقرش وثلث صحيح يهم كيس سالم من جميع

الاكلاف وهو نصف الورق وجميع ما ينصبوه من الآن وصاعداً لهم نصف الثالث في الجديد ونصف الورق بالمطرة المذكورة بقرش وثلث صحيح واعطيناهم قول كل ست سنوات نقدّر عليهم تقديرة. واما النصب الجديد لا يتقيد لبعد جمّ المطعوم. وكذلك الكروم والزيتون داخله. والمختلف نقدره عليهم كل اثني عشر درهم بقرش والسليخ الذي يدهم يزرعوه بموجب ميرته السابقة كل براز كيل بنصف قرش ومهما زرعوا زريعة من خضرة وشاتل ما لنا فيه شيء. والارض التي ينصبوها ترتفع ميرتها عنها واذا عدم شيء من التوت القائم بغير قصد منهم يرجع تحت الميري بصواب (مثل) السليخ. وترتفع عنهم ميرته من التوت. وبعناهم جميع ما لنا من العار في الموقع المذكور وصار ملكهم وقبضنا منهم الثمن قبضة واحدة في مجلس واحد وما بقي لنا فيه شيء واعطيناهم قول اننا لا نكلفهم شيء غير الميرة التي ترتبت عليهم بموجب الدفتر (مسح الارض) المذكور ومهما صار توازيع واكلاف على البلاد لا نكلفهم شيء. كذلك اعطيناهم قول ان اجراتهم (اجراءهم) وشركاتهم (شركاءهم) ورعياتهم لا نأخذ منهم شيء ومرفوع عن ماعزهم وغلهم السداد (الرسم). واشرطوا على انفسهم كل موقع تحت السقي ويناسب للنصب ينصبوه. ولهم منا الصيانة والحماية ونفوذ الكلمة وقيام الحرمة. ورافع عنهم كل ما يعيق ويخالف قوانينهم منا ومن غيرنا ولا نطابق (نوافق) عليهم بأس ضد قوانينهم واذا احد اعترض على جمهورهم لا نقبل عليهم شكوى ولا رفيعه (رافعه) بل نكون معهم ومقاومين مع رعياتهم رغم حسودهم. وعلى ما وقع عليه الشرط المشروح اعلاه في باطن هذه الحجة قول الله. ورأي الله. لا تغيير ولا تبديل لا منا ولا من غيرنا ولا من يظهر من ذريتنا لان هذه الشروط منعقدة ومؤبدة حسب ديورتهم وقوانينهم.

« الختم » فارس شهاب « الختم » اسعد شهاب

يوسف شهاب الحمد لله وحده

وحرر ختم هذه الحجة بيدهم لاجل البيان والاحتياج اليه في الزمان.

حرر وجرى في اول ربيع الثاني ١١٩٧ هجرية توافق ١٧٨٣ مسيحية.

يعمل بموجبه من غير خلاف

اطلعت على هذه الحجة الشرطية فمع وجود اقرار حضرة جناب اسيادنا المحترمين وتذييل اسماءهم (امضائهم) وختومات جنابهم يعمل بها بموجب شروطها بما يلزم لها العمل شرعاً والحالة هذه والله اعلم.

علقه العبد الحقير

محمود بن منصور القاضي

سبب تحريره : هو اننا وقفنا على هذه الحجة وحيث انها بسوية املاكهم الشرعية ارتضينا بها ويسوغ العمل بموجبها .

تحريراً ١٢٢٢ هجرية توافق مسيحية ١٨٠٧

عباس شهاب حسن شهاب

(عن الاصل الموجود بدير مار مارون بيرسنين)

وعثرت ايضاً في اثناء البحث باوراق هذا الدير على رسالة من الامير فارس شهاب الى الاب عمانوئيل الرئيس العام وخلاصتها : انه عمل حجة الدير بحسب رغبة الرئيس العام وانها واصلة ؛ لانه رأي الامير ، كان قد كتب من قبل حجة وارسلها الى الرئيس العام وبعد ان اطلع عليها هذا مع مجلس المدبرين قرر انها مجحفة بحقوق الرهبانية ، فردها صحبة احد المدبرين . لذلك اجابة لطلبهم ، عمل الامير الحجة الموردة آنفاً ثم يصرّح بكتابته عن الاسباب التي دعته الى طلب الاقامة في الدير المذكور ولو موقتاً .

ان الاسباب الداعية لاعطاء هذا الصك الجديد بعد تملك الرهبانية دير مار مارون بيرسنين وسكن الرهبان فيه مدة ربع قرن ، هي مدرجة في حوادث سنة ١٧٥٧ في تاريخ الرهبانية المجلد الثاني الصفحة ٢١١ من مراجعتها كفاية .

وهذه رسالة الامير بحرفيتها :

الى حضرة عزيزنا القس عمانويل المكرم سلمه الله تعالى .

اولاً : مزيد الاشواق الى رؤياكم في كل خير وعافية . وبعده قبل ذلك وصلنا مكتوبكم صحبة اعزازنا القس رافائيل (المدبر الحاقلاني) والقس لويس (رئيس الدير الديراني) وفهمناه بخصوص امر بيرسنين وصار الاتفاق معهم (معهما) حسبا وكلتموهم وحررناها بالحجة وهي واصلة ممضية ان شاء الله محدودة غير محدودة المراد من محبتكم تداركوا امر ديركم لان القز مداهمة وعلى كل حال ما في شيء يفرّق بيننا وبينكم . كذلك يا عزيزنا ليس خافيكم (بخاف عنكم) ان الموضع الذي كنا ساكنين فيه هدم وسبّب عاقتنا عن النقلة من مجدالموش الى غير موضع طبع الدنيا ولا بعد صابر لنا عاقه ضرورة عن النقلة . اعزازنا المذكورين يشرحوا لكم عنه لزم اننا منّاً عليكم في الامل فنقلنا الى بيرسنين حتى نكون وقفنا على مطرح يناسبنا . ويكون عندكم محقق ومؤكد لو يمكننا الاقامة في مجد الموش والنقلة لغير موضع ما نزلنا لدير بيرسنين . وجه غايتنا في المطرح شهرين او اقل وعمال ندبر موضع لنسكن فيه ولا يصير عندكم قوشه (ريب) بذلك . واذا تدبرنا قبل القرم(الموعد)ان شاء الله تعالى ننقل وهذا الملحق احفظوه علينا سند(سنداً) . وعندنا معلوم ان كل غرض ليسنا(من جهتنا) ولنا فيه شدة (حاجة) ما عندكم ثقلة ولو كان في الاضامة عليكم . وسبب نقلتنا قبل رجوع

جوابكم : اولاً من حسن ظننا بكم . وثانياً لاجل الضرورة وفهمكم كفاية . ولا تقطعوا اخباركم السارة عنا . ودمتم . في ١ ربيع ثاني ١١٩٧ هجرية توافق ١٧٨٣ مسيحية.

(عن الاصل الموجود بدير بيرسنين) فارس شهاب

اننا نلفت نظر اصحاب الوجدان الى ما تضمنته حجة او كما دعاها قاضي الشرع شرطية الامراء (الاميرين) فارس واسعد شهاب المعطاة للرهبان والموردة آنفاً ، من شروط تمليك الثلث وتعهد تنصيب اراضي السقي وترك مداخيل الخضر والمشاتل وتنزيل مال الميري واعفاء اجراء وماعز ونحل من التكاليف قصد احياء اراضي بيرسنين المائية واقدام رؤساء الرهبانية على قبول الشروط ، فمن نظر في كل ذلك ظهر له جليًا وباكثر تفصيل ما اجملناه سابقاً مما كان يقاسيه الرهبان من الاتعاب والمشقات في تحصيل معاشهم القَشِف واصلاحهم الاراضي الحرية واستثمارها وجلبهم السكان اليها . وطريقة حصولهم على ما هو ظاهر الآن من ممتلكاتهم .

وقد عثرت على رسالة من نيافة الكردينال انطونللي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس الى الاب العام عمانوئيل الوشاوي هذه حرفيتها :

ايها الاب الكلي الاحترام .

« انه في البراءة التي تنازل قداسته وكتبها الى رأس الطائفة المارونية والتي مرسل (منها) لفاً نسخة الى ابوتكم ، ترون حضرتكم الوسائل والتحوطات التي اتخذتها غيرة قداسته غير الكلية لارجاع الاتفاق والسلام في الطائفة المسيحية المرقومة . وترون السبب الذي لاجله اندفع حلم قداسته (الى) تكليف حضرة بطرس دي موريا مجدداً في الجمعية المذكورة للموضوع المذكور ولازدياد سلطته ومفعولها قد لُقّب بالزائر الرسولي وزيّن بالصفة الاسقفية المقدسة ومجمع نشر الايمان المقدس يثق بان حضرتكم لا تتهاملون في الدخول بكل حذاقة عقلكم في ما يرمي اليه قداسته . وانكم تجتهدون مع رهبانكم كل الاجتهاد للمساعدة عند سؤاله (عند استنطاقه اياكم) ، متذكرين وجوب الاهتمام بقدر الامكان المعاونة بغيرتكم على حصول غاية هكذا نفوية ومقدسة ، وهي ان ترى بالمرة قد تمت هذه الشكوى وازيل كل خلاف . فبهذه الثقة ارجو من الرب ان يمدكم بنوره السماوي وارغب لكم من كل القلب كل توفيق حقيقي .

« الختم » اسطفان بورجيا « الختم » الكردينال انطونللي
كاتب الاسرار الرئيس

اعطي برومية في ٤ ت ١ ١٧٨٣

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

واما نسخة الاوامر الرسولية الوارد ذكرها اعلاه فلم اقف لها على اثر .

وفي هذه السنة (١٧٨٣) شرف دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب ، فارًا من بغداد من وجه بطريرك اليعاقبة ، السيد مخايل الثالث بطريرك السريان الكاثوليك، لابساً ثوباً اعرابياً وكان برفقته الشماس زكريا القطربلي وتوما الآمدي. ومكثوا فيه مدة ثلاثة اشهر . وكان الدير حينذاك بيد الرهبان الباد ، قبل ان تسلمته رهبانيتنا نحو سنتين .

(عن كتاب «الزهرة الزكية» للقس اسحق ارملة السرياني)

فاتني ان اذكر ، في سياق الحوادث للسنة الماضية، عقد المجمع العام لاخوتنا الفئة الحلبية لان السنة الماضية كانت سنة المجمع عندهم ، فعُقد في دير اللويزة في ميعاده القانوني وفي اليوم الرابع من الاجتماع اقترعوا :

فاصابت القرعة الاولى	الاب توما العاقل فنودي به رئيساً عاماً .
والقرعة الثانية	الاب جرمانوس الحصروني مدبرًا اول .
« الثالثة	« نتنائيل جوهر مدبرًا ثانياً .
« الرابعة	« يواكيم الحلواني الحلبي مدبرًا ثالثاً .
« الخامسة	« برنردوس مارون الحلبي مدبرًا رابعاً.

وفي اليوم الاخير من الاجتماع توزعت رئاسات الاديار.

وفي هذه السنة(١٧٨٣) لبس الاسكيم الرهباني الاخوة:لورنسيوس القليعاتي. وبيمين المتيني. وبرنردوس العجلتوني. وتوفي الاب عبد المسيح البجنيني.

(عن روزنامة الاديار)

الفصل الخامس

عدد ٨٧

في السنة ١٧٨٤ عقد اتفاق بين السيد البطريرك يوسف اسطفان وبين الاب العام عمانوئيل الرشاوي،خلاصة هذا الاتفاق ان السيد البطريرك يعضد الريس العام في كل ما يؤول الى صيانة الرهبانية من كل اعتداء، والى ما يعود لحفظ قوانينها وفرائضها . وانه (اي البطريرك) ، متى رجع اليه سلطانه البطريركي (لانه كان موقوفاً عنه بداعي قضية هندية الشهيرة) ، يشركه في الرأي بتدبير الطائفة وتدون ذلك بموجب صك[1] .

١) وهذه حرفيته : وهو انه اعطينا قول وقرار لحضرة ولدنا الاب عمانويل الرشاوي

وفي هذه السنة ، بسبب النكبة التي وقعت على الرهبان الساكنين دير مار الياس المطوشي في جزيرة قبرس ، وقد ذكرت في حوادث السنة ١٧٦٢ من تاريخ الرهبانية المجلد الثاني ص ٢٥٠ ، هجر رهباننا دير قبرس هذا وكلفوا حضرات الآباء الفرنسيسكان المقيمين في لارنكا ان يعنوا به . ولما عزم رئيسهم على السفر الى بلاده ، كاتب بذلك قنصل مملكة نابولي ، ومن ثمّ كتب الى الرئيس العام يخبره بالامر ويسأله ان يقدم كتابة للقنصل يشكره بها على هذه الخدمة . وهذه حرفية رسالة رئيس الآباء الفرنسيسكان :

حضرة الاب الكلي الاحترام .

السلام بالرب . اعلمكم بهذه العجالة ، حيث اني بزمع على السفر الى بلادي . اتوسل اليكم ان (نظرا من الله لاجل خلاصي «وحفظ صحتي» الجسدية والروحية . اني اترك ديركم النبي الياس تحت حماية قنصل نابولي الكلي الشرف . ارجوكم ان تبيّنوا له شكركم على هذه الخدمة . ارجوكم ان تسلّم (تسلموا) من قبلي على كل الاخوة . اني اطلب صلواتكم الكلي التعلق بابويتكم الكلية الاحترام .

عن لارنكا الملاحة . في ٢٨ تموز ١٧٨٤

(عن الاصل المحفوظ بيدي) الاخ عموس اوليفا

وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني من هذه السنة وهو بدء السنة في الرهبانية ، عقد المجمع العام بحسب نص الفرائض القانونية ، في دير سيدة طاميش .. وفي الثلاثة الايام الاولى من انعقاده ، جرت المداولة في ما يعود على الرهبانية بالخير والنجاح ماديًا وادبيًا وفي اليوم الرابع من الاجتماع ، (وهو اليوم ١٤ من الشهر) القيت القرعة السرية فاصابت :

الرئيس العام المحترم ، اننا نقوم بصالح رهبته وقيام قانونه . ومتى تصرفنا بدرجتنا يكون عندنا شريك الراي والشور في تدبير الطائفة وقيام صالحها ومتولج الكرسي وحقوقه الكنائسية بموجب الغيرة المسيحية وسترة الطائفة وخلاص الانفس وراحة الجمهور .

حرره الحقير

البطريرك يوسف

حررنا هذه الوثيقة في اول آذار ١٧٨٤ مسيحية .

صح صح (عن الاصل الموجود بيدي)

القرعة الاولى الاب شربل مدلج (قيتولي) فنودي به رئيساً عاماً على رهبانيتنا اللبنانية .
» الثانية » عمانوئيل الرشاوي » » » مدبراً اول
» الثالثة » مرقس الكفاعي » » » » ثانياً
» الرابعة » عمانوئيل الجبيل » » » » ثالثاً
» الخامسة » اجناديوس الشبابي » » » » رابعاً

وفي اليوم الاخير من انعقاد المجمع العام عين مجلس المدبرين العامين رؤساء الاديار .

الاب . . . مجهول لرئاسة دير مار يوحنا المعمدان في رشميا
» مبارك الكفروني » » مار انطونيوس قزحيا
» » الرشاوي » » سيدة طاميش
» » الديراني » » سيدة مشموشة
» متى الشرتوني » » مار انطونيوس سير
» جراسيموس الدرعوني » » مار يوسف البرج
» انطونيوس الزوقي » » مار مارون بيرستين
» نعمة الله الحجار » » مار انطونيوس حوب مدة سنة ثم خلفه الاب يونان الموشي تتمة المدة
» ارميا » » مار مخايل بنابيل
» عبد الاحد العراموني » » مار موسى الحبشي
» برنردوس الدبية » » مار الياس المتن الكحلونية
» مبارك الحوري » » سيدة ميفوق لمدة سنة ثم خلفه الاب رفائيل بقاعكفرا تتمة المدة
» مرقس المرقباوي » » مار قبريانوس كفيفان
» سمعان الخازن » » مار جرجس الناعمة
» عبدالله الشبابي » » سيدة المونات — جبيل
دير مار الياس الموشي قبرس كان مهجوراً — خراباً

(عن روزنامات الاديار)

وفي هذه السنة (١٧٨٤) لبس الاسكيم الرهباني الاخوة : رفائيل سلفاني وطوبيا سلفاني ونهرا ميروبا ومخايل دهام واغناطيوس بليبل وله من العمر ١٧ سنة وانطون المتيني .

وتوفي الاب نافيطوس الجبيس والاب عبد المسيح والاب انطونيوس الزوقي والاب نهرا بسكفيا . (عن روزنامات الاديار)

عدد ٨٨

وفي السنة ١٧٨٥ تسلم الاب العام شربل مدلج والآباء المدبرون دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب وقف عائلة بيت الاشقر . وهـذه حرفية صك التسليم :

وجه تحريره وموجب تسطيره .

« هو اننا نحن بيت الاشقر بوجه العموم قد سلّمنا دير مار انطونيوس النبع الى حضرة اجابتنا الرهبان اللبنانيين المكرمين الرئيس العام والمدبرين الاب الرئيس العام القس شربل مدلج والمدبرين الاب عمانويل الرشاوي والاب برقس الكفاعي والاب عمانويل الجميل والاب اجناديوس الشبابي . وذلك بخاطرنا وتمام رضانا من غير كره (اكراه) ولا اغتصاب . وصار ملكهم مثل بقية ديورتهم ولا لنا معهم معارضة في كل شيء يخص ديرهم وقانونهم ولهم منا الغيرة والسعة في قيام ديرهم ورهبانهم وعلى ذلك صار الرضى والاتفاق بيننا وبينهم » .

صح . صح . حرر ذلك في شهر كانون الثاني سنة ١٧٨٥ مسيحية .

وكذلك المويّه متى ما صار عوزها تتقدم . .

(عن الاصل المحفوظ بيدي) كاتبه على نفوسهم

محرر الاحرف عائلة بيت الاشقر

قبلان الاشقر عموم

وكان قد سبق هذا التسليم اخذ رضا سيادة النائب البطريركي الانطاكي ميخايل الخازن مطران قيسارية . فصرّح برضاه بموجب صك هذه حرفيته :

ميخايل الخازن بنعمة الله والكرسي الرسولي مطران قيسارية والنائب البطريركي الانطاكي « الختم »

السلام لكل واقف وناظر الى وثيقتنا هذه

هو اننا قد اذنّا بكل رضى وقبول الى اعزازنا القس شربل الرئيس العام ورهبانه ومدبريه بان يتسلموا دير مار انطونيوس النبع الكائن في قرية بيت شباب ويتصرفوا فيه التصرف التام كباقي اديرتهم المباركة من غير معارض يعارضهم بما يخص سلطتنا نحو الدير المذكور ويجروا كل ما يشاءون بحسب قانونهم وفرائضهم . واذ اننا بكل رغبة نشاء نمو هذه الرهبانية المباركة ، لزم اننا حررنا لهم هذه الوثيقة مسجلة بختم وظيفتنا لاجل البيان ولهم ولمن يتخلف بعدهم دوام هذه الرهبنة المباركة .

تحريرًا في اول ك ٢ ١٧٨٥ (عن الاصل وهو بيدي)

وكانت العادة في تلك الايام ان يؤخذ رضا الامراء حكام البلاد، ثم رضا الرؤساء الروحيين . فعملاً بهذه العادة ، أُخذ رضا الامراء المذكورين . وهذه كتابة باعلان رضاهم بحروفها :

وهذه تحريره :

هو انه اعطينا وسلمنا دير مار انطونيوس النبع في قرية بيت شباب الى حضرة اعزازنا الرئيس العام القس عمانويل الرشاوي ومدبرينه القس مرقس الكفاعي والقس شربل مدلج والقس اجناديوس الشبابي والقس رفائيل الحاقلاني وجميع جمهورهم الرهبان اللبنانيين يتصرفوا في الدير المذكور وجميع ارزاقه حسب اديرتهم . ولا عليهم مدعي ولا معارض يعارضهم . واعطيناهم قولاً ثابتاً اننا لا نبدلهم بغيرهم ولو كان من جمهورهم اذا كان منحرف عن طاعة رؤسائه او خارج على القانون الرهباني . ولا نكلفهم سوى الميري حسب عوايد المطرح ولا نتعرض معهم بشيء . وصار المطرح المذكور وجميع ارزاقه ملكاً لهم مثل اديرتهم يتصرفوا فيه كيفما ارادوا . ولا نتعرض معهم بشيء ولا ندع احد يتجرأ عليهم ولهم علينا الصيانة والحماية من كل مَن يتعرضهم بوجه من الوجوه ونحصّل لهم حقوقهم بحق الله . ولا نثبت لهم حق وهم يرفعوا دعاويهم لنا دون غيرنا ولا نتعارضهم في تدبير ديرهم وقانونهم . واذا كان رايح رزق للدير المذكور ان كان بيع ام رهنية نزده للدير بحق الله . وكتبنا لهم تمسكاً بيدهم حتى يكونوا مطمأنين القلب والخاطر من سائر الوجوه .

تحريراً في ١٧ ايلول سنة ١١٩٨ هجرية توافق ١٧٨٤ مسيحية .

صح صح . ورزق الدير الذي مباع من عن الدير . الذي يريد يأخذ دراهمه ويرد الرزق الذي شاريه تبع خاطره .

صح　　　علي . فارس . اسماعيل

وما تسلّمته الرهبانية من الاملاك الثابتة والاثاث المنتقل لهذا الدير ، رقمه الآباء بلائحة وهي مصونة في يدي مع صكوك التسليم الواردة اعلاه . اما الاسباب الداعية لهذا التسليم فهي كما رواها الاب عمنوئيل الاشقر سليل العيلة المار ذكرها . وروايته هي الحقيقية بعينها لعدة اوجه .

١ : لانه من العيلة الواقفة .

٢ : لانه يعتبر معاصراً لزمن هذا الوقف او لبعض اقاربه الذين حضروا التسليم وشهدوه وتحققوا الاسباب التي حملت العائلة على هذا التبرع .

٣ : لشهرته بالاستقامة .

وهذه حرفية ما علقه الاب المشار اليه في اول روزنامة هذا الدير . قال :

« ان هذا الدير كان قبلًا مسكن رهبان وراهبات كباقي اديرة البلاد في الزمان السابق غير انه معروف اصل منشاه من المشايخ بيت الاشقر من بيت شباب . فلما ان تسلمت الرهبانية هذا الدير من مدة من صار اختلاف ما بين الرهبان العباد سكان الدير حتى انه آل الى الخراب من قبل الاختلاف فلزم للاسرة بيت الاشقر المذكورين برضى الامير اسماعيل قيدبيه الافخم حضروا جميعهم لعند الاب تربل مدلج الذي كان اب عام على الرهبانية وبعد واحد صار الرضى منهم وسلموا الدير للرهبانية بموجب حجة شرعية . وكان ذلك في زمان المطران فيلبوس الجميل الكلي الشرف والاحترام . ثم اضم باسر ورضى السيد المشار اليه قاموا (نقلوا) الراهبات ووضعوهم بمحل منفرد عن الدير . والرهبان منهم دخلوا في الرهبانية مثل الاب جرمانوس الاشقر الذي توفي في شيخوخة صالحة في الدير المذكور بعد ان جاهد الجهاد الحسن في الرهبانية . والاخ مبارك دخل الرهبانية الحلبية وقضى ما بقي من حياته بسيرة رهبانية حقيقية . ثم ان الاب العام المذكور مع المدبرين باشروا في عمار الدير الذي هو الآن كون الدير كان قبلًا عند كنيسة مار انطونيوس الذي هو الآن مدرسة لعلم اولاد بيت الاشقر كما معيّن لهم بحجتهم مجانًا . ومن هناك وصاعدًا ابتدأ الرئيس العام والاباء المدبرين مع جمهور الرهبانية بالاعتناء في عمار الدير والكنيسة واشترى املاك الى غير ذلك» .

(نقلًا عن روزنامة هذا الدير)

وبعد ان تسلم آباء الرهبانية هذا الدير على الوجه المشروح ، عيّنوا له رئيساً الاب عبدالله الشبابي بعد ان وضعوا فيه جمهورًا لقيام القانون وللادارة الزمنية . ثم استأنفوا بناء الدير الجديد على اسم القديس انطونيوس البادواني لان الدير القديم هو على اسم القديس انطونيوس الكبير ابي الرهبانية وكوكب البرية[1] .

وفي السنة نفسها تفشى وباء لم يعرف نوعه ويُظنّ انه الهواء الاصفر ، فاصدر السيد البطريرك يوسف اسطفان منشورًا به يحث الرهبان والكهنة وعموم ابناء الطائفة المارونية ، على رفع الصلوات والتضرعات الى الله تعالى ، عن يد القديسين المعظمين يوحنا مارون البطريرك الانطاكي وورومانوس واسبيانوس الشهيدين ، مع الحث على الرجوع الى الله بتوبة صادقة ، لكي يرفع الرب الاله غضبه

1) ومؤخرًا قد شيدت الرهبانية في جانب هذا الدير بناية فخمة جنسدمة عصرية مستوفاة الشروط الصحية جعلتها معهدًا علميًا أسسته « المعهد اللبناني » ، يضمّ عددًا وافرًا من الطلاب اللبنانيين منهم فئة من اولاد المتربين في افريقيا . وهذا المعهد سائر في طريق النجاح والتقدم بعناية حضرة رئيسه النشيط والاباء معاونيه .

بواسطة التوبة الفعّالة وشفاعة هؤلاء القديسين . وقد ألف البطريرك نفسه لهذه الغاية ، صلاةً خصوصية تعتبر اثرًا جميلًا من آثار قلم ذلك البطريرك الشهير . وبما ان هذه الصلاة وردت في المنشور المشار اليه ، فحفظاً لها من الضياع ، رأيت ان ادونه هنا . وهذه حرفيته :

الحقير يوسف بطرس بطريرك انطاكية وسائر المشرق

« البركة الرسولية تحلّ على اولادنا العزاز رؤساء الرهبنات ورؤساء الاديرة وكهنة الرعايا المكرمين باركهم الله بافضل بركاته السماوية . آمين

اولًا : اننا عزيد الاشواق الى استماع اخبار سلامتكم السارّة وسلوككم لطاعة الله بكل خير وسلامة .

ثانيًا : بما ان الله تعالى في ضرباته مثل الوباء الواقع الآن لم يقصد هلاكنا بل رجوعنا اليه فيلزمنا اولًا ملازمة التوبة والندامة الصادقة على خطايانا .

ثالثًا : التضرع الى عزته الالهية ليرفع غضبه ويتراءف عنوه على شعبه . فنأمر رؤساء الاديره والرهبان وكهنة الرعايا بانهم يلازموا بنوع خصوصي في هذه الايام الصعبة من الاعتراف النقي وافعال التوبة الخفيفية مثل الاصوام والامساك عن الملذات في التزهات وتزيين المآكل وتقدمة الصلوات بخشوع بتكاثر .

رابعًا : اولادنا الاكليريكيين بعد نهاية القداس وهم لابسين ثياب الكهنوت يجثون على ركبهم بحضور الشعب ويتلون طلبة السيدة وبعدها ثلاث مرات ابانا والسلام اكرامًا للقديسين الجليلين مار يوحنا مارون البطريرك اب طائفتنا ومار روماتوس المعترف ومار ابيفانوس الشهيد .

وعند النهاية يتلو هذه الصلوة التابعة وهي هذه :

« صلوة »

اللهمَّ اذكر عهدك وقل للملاك الذي يضرب الشعب : « يكفي يكفي » . فالآن اقبض يدك ولا تخلِ الارض مقفرة وتهلك كل نفس حية . اللهمَّ الذي لا تشا بموت الخاطي بل انه يتوب ويحيى انظر مترأفًا على شعبك الراجع اليك لكيما اذا اعتنى خوفك بالعبادة الصادقة تنزع عنه بمحبتك قضبان غضبك . فلتدفعنا هذه الذبيحة يا رب وهي تعاضنا بقوة مفعولها من سائر الخفوات ومن كل اتفاق فناء وهلاك . استحيينا يا اله خلاصنا وانقذ شعبك من رجزك وامنحه الامان والطمأنينة برحمتك بواسطة ابنك الوحيد سيدنا يسوع المسيح الذي يليق لك معه المجد ولروحك الكلي قدسه . آمين .

وكل كاهن يقف على منشورنا هذا فلينسخ هذه الصلوة ويتلوها كما نحن آمرين عند نهاية القداس . وكل من اعترف وتناول القربان الاقدس من رجال ونساء فليكن له غفران اربعين اربعينية سنين . ونسأل الرب الاله ان يرفع قضيب غضبه عن شعبه المبارك بشفاعة والدته الكلية القداسة والطوبى والقديس يوسف مربيه وجميع القديسين . آمين .

بعد تجديد البركة عليكم ٢ و٣ والدعاء .

حرر بدير مار يوسف الحصن في ٢٨ ن (نيسان) ١٧٨٥ صح صح .

(عن نسخة وهي بيدي)

وفي هذه السنة عقد المجمع العام لاخوتنا الفئة الحلبية فوقع الاقتراع القانوني :

الاقتراع الاول	الاب توما الماقل فنودي به رئيساً عاماً	
« الثاني	« جرمانوس الحصروني فنودي به مدبراً اول	
« الثالث	« برنردوس مارون	« « « « ثانياً
« الرابع	« روافائيل مسابكي	« « « « ثالثاً
« الخامس	« يواكيم الحلواني	« « « « رابعاً

وفي الاجتماع الاخير توزعت الوظائف .

(عن روزنامة المجامع)

وفي السنة ذاتها لبس الثوب الرهباني ونذر النذور الاحتفالية الاخوة : يواكيم ارشاوي . ومرتينوس الرشاوي . والياس البجرصافي . ونستير خضير الباني . وكاروبيم البعبداتي . وحناديوس كفرعمي . وداميانوس ميروبا . وشربل البكاسيني . والقس جرمانوس الاشقر . فهذا الاب كان راهباً عابداً دخل الرهبانية لما تسلمت دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب كما ذكرنا قبلاً . وتوفي الاب سمعان البعبداتي . والاخوة : يوصاف عسكر الحصروني . ومتى البكاسيني . وتوما جرجوع . وامبروسيوس شامات .

(عن روزنامة الاديار)

عدد ٨٩

وفي السنة ١٧٨٦ . اشترى الاب العام شربل مدلج من الشيخ سلمان ابن الشيخ كنعان نكد المحسن الى رهبانيتنا بدير مار جرجس الناعمة القاطن يومئذ في دير القمر ؟ وهذا الشراء كان بموجب صك مصدق عليه من الامير يوسف شهاب الحاكم ومن محمود بن منصور قاضي الشرع . وهذا المشترى هو ارض

السليخ المعروفة بدير الناعمة وتحتوي على اغراس توت وزيتون وكروم وسليخ وعطل (بور) وخروب وتين ومختلف وعمار . وذلك بثمن ثلاثة الاف واربعمئة وثلاثين قرشاً عملة دارجة . يحدّ هذه القطعة قبلة الساقية من كعب جلالي الحجة الى حدّ ارض بعورته . وشمالاً نهر المشمش . وشرقاً ملك قرية بعورته الطريق السالك من ساقية القبلة الى ساقية الشمال الناطقة الى نهر المشمش . وغرباً الشوار العالي الذي فوق مراح بيت صابر شمال جلالي الحجه قبلة زاوية بيت الصفدي. الى الطريق السالك الى المشمش عدا عن الحرش الكبير . تمت الحدود .

ثم يشترط البائع بهذه الحجة انه لا يكلف الشاري ولا شركاءه بارة قط من كل مال يتوزع كخسائر او جوالي او توازيع الا عشرة قروش اميرة المواضع المذكورة حكر موبّد لا تزيد ولا تنقص. وعلى الشاري أن لا يعمّر على الظهر الكاشف على حارة الشيخ الكائنة في قرية الناعمة . واذا اراد الشاري ان يبيع او يقايض فعليه ان يعرض ذلك على الشيخ المذكور بسطرة الثمن التي اشترى بها . اي حمل الورق بعشرة قروش وبزر كيل القمح الشامي بعشرين قرشاً .

(بتصرف عن الصك المحفوظ في دير الناعمة)

وفي هذه السنة (١٧٨٦) انتقل رهبان دير مار جرجس الناعمة من الدير القديم الى الدير الجديد .

(راجع تاريخ الرهبانية المجلد الثاني ص ٢٠١)

وهذه حرفية ما علّقه الاب لويس بليبل احد الرهبان القاطنين في الدير وتشتذ ، على روزنامة الدير قال :

باسمه تعالى قد نقلنا الى الدير التحتاني الجديد في ايام رياسة حضرة الاب سمعان الخازن الاكرم وتشذ على الدير . وكان متوليّاً على الرهبانية اب عام قدس الآب شربل مدلج الكلي الاحترام . وكان ذلك في ١٢ ت٢ سنة ١٧٨٦ . والطاعون كان له سنتين في الديرة « الجهات » جميعاً مشتغل واخذ هالقدر اقثار غير محصيّة . وحين تاريخه كان بعده موجود . علّقه بيده الفانية الطالب الرحمة والمسامحة منه تعالى القس لويس بليبل قاطن في الدير المذكور يرتجي الدعاء من كل قارئ .

صحّ سنة ١٢٠٠ هجرية توافق سنة ١٧٨٦ مسيحية .

(عن روزنامة دير الناعمة)

وفيها « اي السنة » رفع الاب العام شربل مدلج ومجلس المدبرين الذي تمّ عقده في دير طاميش مقرّ الرئاسة العامّة، عريضةً الى قداسة امام الاحبار البابا بيوس السادس يلتمسون بها بعض انعامات من جملتها الاجازة بسيامة اسقف من ابناء الرهبانية لاجل الرسامات الكهنوتية والتكريسات في الرهبانية تخلّصاً من تعنّت السادة الاساقفة . وهذه حرفية العريضة :

ايها الاب الاقدس .

المعروض بين ايديكم المقدسة بعد تقبيل الارض موطئ اقدامكم الطاهرة بكل خضوع واحترام . انه نحن اولادكم الرهبان الموارنة الاب العام والمدبرين الاربعة المنضويين تحت قانون ابينا القديس انطونيوس الرهبان اللبنانيين قسمة اخوتنا الرهبان الحلبيين نلتمس من مراحم قدس قداسة ابينا الاقدس مار بيوس الحبر الاعظم الجالس على كرسي مار بطرس نائب يسوع المفخّم. بما اننا نحن مخصصون ومشرّفون بحماية وتأييد مجمعكم المقدس ، ان تمنّوا على اولادكم بمنح غفرانات كاخوتنا الرهبان الحلبيين :

اولاً : كل رئيس عام يقام لهذه الرهبانية اول قداس كبير « احتفالي » يقدمه يمنح غفراناً كاملاً الى جميع من هم في المجمع المذكور والحاضرين القداس المذكور .

ثانياً : غفران مثله بعيد الكبير وايضاً عيد الميلاد . وعيد مار انطونيوس الكبير . وعيد القربان الاقدس . وايضاً نكون مخصصين في حماية المجمع المقدس .

واثباتاً لهذه النعمة يرتسم منا مطران من رهباننا على رهبانيتنا ونحن نقيم بعاته دائماً . وكلما (ومتى) مات هذا المطران يرتسم مطران الذي نقدمه للسيد البطريرك وليس ذلك خارجاً من طاعة السيد البطريرك السامي الاحترام بموجب فرائضنا لكن لاجل قضي اغراضنا الزلجية ، مثل الرسامات وتكريس الاواني الكنائسية والتحليلات الديرية . لان رهبانيتنا بايامكم السعيدة نمت وكثرت وعند احتياجنا لقضي الاغراض المذكورة من السيد البطريرك ومن المطارين نراها متعسّرة لاسباب تخصهم ليس تخصّنا .

ويفهم قداستكم حضرة وكيلنا المفخم الكردينال ليوناردوس انطونلّي .

هذا ما نلتمسه من بحر مراحمكم الزاهرة على خراف المسيح المسلّمة لكم .

ونحن في كل وقت موجود خاضعون طائعون لمراسيمكم الرسولية مقبّلين مواطئ اقدامكم المقدسة ملتمسين بركتكم ورضاكم . والله تعالى تصون لنا حياتكم السعيدة ودوام بقاكم آمين .

اولاد قدسكم الكلّيو الخضوع : شربل مدلج

« الختم » ومدبرين الرهبانية اللبنانية

حرر بدير سيدة طاميش كرسي رهبتنا في ١٩ ايلول سنة ١٧٨٦

(عن الاصل المحفوظ لدي) [1]

---

١) وفي هذه السنة صدر مرسوم من مجمع نشر الايمان المقدس الى المطران ميخائيل الخازن

وفي هذه السنة (١٧٨٦) لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

فتح الله الشبانية . ويوسف البكاسيني. وانطون المتيني .وبطرس المزرعاني . وفرنسيس عندقت . ومانيا قيّاتي . وبطرس الشبابي .

. وتوفي الاخ مبارك الرويسة والاخ مخايل الرويسة (كلاهما من رويسة النعمان المجاورة لدير سير) والاب اندراوس البسكنتاوي . (عن روزنامات الاديار)

النائب البطريركي سابقاً ، نثبته هنا لما فيه من الفوائد التاريخية المتعلقة بطائفتنا المارونية وصوناً له من الضياع .

وهذا نصه بالحرف بحسب الترجمة الموجودة امامي وهي :

ايها السيد الاخ الكلي الشرف والاحترام مخايل الخازن مطران قيسارية .

ان هذا المجمع المقدس كان يرجو من السيد يوسف اسطفان بعد رجوعه الى كرسيه بكل حنو ان يجد بنيّة عاقة على اكمال الوصايا التي ارسلت اليه وهي : انه يباشر حالاً بعقد مجمع مؤلف من الاساقفة . ثم في انتخاب المطارين يجب السلوك حسب مراسيم المجمع اللبناني وهكذا ينبغي (كما ينبغي) .

ثانياً : احتياج الكنائس الفارغة من زمان طويل . لكنه حتى الآن وقد مضى على رجوعه اكثر من سنة ولم يبلغنا انه تمم شيء من هذا الالتزام الكلي الضرورة . فاقتضى ان نشهر له ايضاً باسم قداسة الحبر الاعظم بانه اذا كان ضمن مدة ستة اشهر بعد وصول امرنا هذا اليه ولم يكمل هذا الانتخاب والاكليريس بمشورة ورضا المطارين فيفهم حالاً ان امر هذا الكرسي الرسولي لم يتم وعليه فور يسقط حالاً تحت قصاص المنع عن التصرف بالحبريات ولا يعود يقدر يستعمل هذا المخصوص الحق الذي كان يخصه عن ذلك . ثم نعريف حضرتكم واخوتكم المطارين لاجل ارشادكم وتفهيمكم . نريد بان المشيئة الكلية من الاب الاقدس وارادة هذا المجمع المقدس بانه في الاجتماع لاجل انتخاب المطارنة لا يقدر ولا يمكن ان يحضر باي نوع كان المطران يوسف نجيم ولا ينتخب على كنيسة لكونه الى الآن ساقطاً تحت الموانع المحفوظة للكرسي الرسولي ولاجلها لا يمكن للسيد البطريرك ان يحله كما تجاسر وفعل . ثم بعد ان يجري هذا الانتخاب . وترتسم المطارين الجدد نكتب الى السيد البطريرك لاجل رفع كل طمع ولاجل رجوع التهذيب الصالح يلزم ان يعقد مجمع وبه يحضر جميع الاكليروس القانوني والنير القانوني الذي لاجل حق او عادة ان تكون لهم مكان في المجمع نظير هذا . ثم واصل لحضرتكم نسخة عن الاوامر المتروكة سابقاً عندكم من المطران انوش الزائر الرسولي وقاصد هذا المجمع « هو المطران بطرس دي موريتا » وهي المتضمن خمسة عشر قانوناً اللازم اشهارها في المجمع المذكور ليجري العمل بموجبها وبالنوع الاوفق يمكن ان يزاد على الاوامر المذكورة جملة قوانين مرجعها رجوع الصلح الى الطائفة المارونية ولاجل الرجوع الى الترتيب الحسن والتهذيب الكنائسي والعوائد المسيحية . وانما ارجو وانصح خوتكم بكل رغبة ان تفرغوا كل جهدكم وتمارسوا بكل غيرتكم وحرصكم

الفصل السادس

عدد ٩٠

وفي السنة ١٧٨٧ تشرّف الاب العام شربل مدلج بمرسوم الجواب من الكردينال ليوناردوس انطونللي رئيس مجمع نشر الايمان المقدس ، على العريضة المتقدمة منه ومن مجلس المدبرين السنة الماضية الى امام الاحبار البابا بيوس السادس . وهذه حرفيّة المرسوم الجوابي :

ايها الاب الكلي الاحترام .

اذ ان قدس قداسة سيدنا قد شاء ان تتمّ رغوبات ابوّتكم ومدبرين رهبانيتكم عموماً ويمنحكم في عضون ذلك عربون الحب الابوي نحو جميتكم هذه فتنازل بحلم ابوي ومنحها الغفارين المطلوبة منكم كما نطلبوا على البراءات الواصلة . واما نظراً الى رسامة اسقف خصوصي لاجل رهبنتكم فقداسته لم يرَ مناسباً اجابة سؤالكم في ذلك لكون هـذا الامر غير ممدوح ومضاد لروح القوانين المقدسة . ولكونه ايضاً اذا منحكم ذلك فيجب ان يمنحه ايضاً الى الرهبان الحلبيين والى غير رهبنات وذلك ما جرى قط ولا يليق عمله . اما من خصوص غيره اني اؤكد حضرتكم بان هذا المجمع المقدس لا يهملكم ايضاً ابـداً من حمايته اذ انه مؤكد تدبيره بانكم من طرفكم لم تهملوا بان تظهروا الغيرة نحوه والتماق الثابت بالكرسي الرسولي . فنطلب من الرب الاله بان يمنحكم كل خير حقيقي والتمس صلوات الجميع .

مستعد لرضاتكم

استفان بورجيا	الكردينال انطونللي
كاتب الاسرار	المقدام .

حرر برومية في ٣ نوار ١٧٨٧

(عن الاصل وهو بيدي)

المدوح لكي يتمّ بالفعل جميع ما ذكر اعلاه . لاجل قطع كل طمع وفساد محققين لحضرتكم انكم لا تقدروا ان تفعلوا شيئاً اعظم مزهدا يكون رضياً للجلالة الالهية واكثر موافقة الى هذه الطائفة المحبوبة جداً . واني ارجو من نحوكم كل اجتهاد قويّ . اسأل الله ان يحفظكم ويؤيدكم .

اسطفانوس بورجيا	مثل اخ الكردينال انطونللي
كاتب الاسرار	رئيس المجمع لنشر الايمان المقدس

عن رومية في ٢٣ ايلول سنة ١٧٨٦ (عن نسخة بيدي)

اما البراءات الوارد ذكرها في مرسوم نيافة رئيس مجمع نشر الايمان المقدس كما ذكر اعلاه اي براءات الغفارين المنعم بها ، فهذه حرفيتها :

ــ البراءة الاولى ــ

في غفارين كاملة منحت في اعياد بعض القديسين :

« من مقابلة قداسته التي جرت في اليوم الرابع من اذار سنة ١٧٨٧ مسيحية قدس قداسة سيدنا بيوس بنعمة الله السادس بعد اني انا المدون اسمي ادناه كاتب مجمع انتشار الايمان المقدس عرضت توسلات الاب شربل مدلج رئيس عام رهبان الموارنة اللبنانية من جمية رهبانية مار انطونيوس فقداسته سمح بعلم ، بان جميع الغفارين الكاملة والغير الكاملة الممنوحة من البابا أكليمنت الثاني عشر ببراءة رسولية محررة في ٥ نيسان سنة ١٧٣٤ ، (راجع المجلد الاول من تاريخ الرهبانية الصفحة ٢١٣) الى الرهبان المذكورين والى العاميين من كل جنس الذين يزورون كنائسهم في الايام المعينة لاجل الاحياء فقط بانها تتقدم ايضاً لاجل الارواح المعتقلة في المطهر حيث انها تحفظ وتكمل جيدا بالعمل جميع الشروط والاعمال المرسومة في البراءة المذكورة .

حرر في رومية في قصر مجمع نشر الايمان المقدس . في ١٠ آذار ١٧٨٧

اسطفان بورجيا

كاتب مجمع نشر الايمان المقدس

ــ البراءة الثانية ــ

في توسيع الغفران الكامل للنازعين :

من مقابلة قداسته التي جرت في اليوم الرابع من شهر اذار سنة ١٧٨٧ مسيحية قدس قداسة سيدنا بيوس بنعمة الله البابا بيوس السادس حسبما عرضت لديه انا المدون اسمي ادناه كاتب مجمع نشر الايمان المقدس منح بعلم مؤبداً الى رئيس عام رهبانية القديس انطونيوس الموارنة الجمية اللبنانية ولجميع رؤسائها العاميين البالقين والمدبرين ورؤساء الاديرة والوكلاء والرهبان المقلدين ايضاً رعاية النفوس السلطان بان يمنحوا البركة مع الغفران الكامل لجميع المؤمنين النازعين اذا حضروا عندهم حيث يحفظون الصورة والرتبة المعينة من البابا بناديكتوس الرابع عشر في براءته التي بدؤها « الام الحنونة » .

اسطفان بورجيا

كاتب الاسرار

حرر في قصر مجمع نشر الايمان المقدس في رومية . في ١٠ اذار ١٧٨٧

ـ البراءة الثالثة ـ

في توسيع الغفران الاختصاصي :

من مقالة قداسته التي جرت عن يدي انا المدون اسمي ادناه كاتب اسرار مجمع نشر الايمان المقدس في ٤ اذار سنة ١٧٨٧ مسيحية ، قدس قداسة سيدنا بيوس بنعمة الله البابا بيوس السادس، بنعمة وحلم خصوصي استجاب توسلات الاب شربل مدلج اب عام الرهبان الموارنة من جمية مار انطونيوس الثابتة بالجمعية اللبنانية(اي التوسلات المتقدمة منه بالخضوع الكلي ، ومنح الى الابد لجميع كهنة الجمعية اللبنانية المذكورة الحاضرين والمزمعين مذبحاً اختصاصياً واقنومياً لجميع الرؤساء في اربعة ايام ولكافة الرهبان في ثلاثة ايام في كل سبّة (اسبوع) بحيث انهم لاجل هذا الاختصاص لا يقبلون شيء زود عن حسنة القداس المتادة.

اسطفان بورجيا

حرر في رومية في قصر مجمع نشر الايمان المقدس . في ١٠ ايار سنة ١٧٨٧ .

صح انا الحقير ميخايل فاضل ترجمت الاربعة الكتابات الرسولية المذكورة وهي طبق الاصل بالتمام . الحقير ميخايل فاضل

مطران بيروت

(الاصل محفوظ بيدي مع ترجمته)

انه من مطالعة براءات الغفارين هذه المندرجة اعلاه ومن مقابلتها مع براءات الغفارين التي انعم بها قداسة البابا بيوس نفسه في السنة ١٧٧٩ . ومقابلتها ايضاً ببراءات الغفارين المعطاة من السعيد الذكر البابا اكليمنت الثاني عشر الصادرة في ٥ نيسان ١٧٣٤ ، يبان ان البابا بيوس السادس وسّع تلك الغفارين بهذا الانعام الصادر من لدنه بهذه السنة :

اولاً : وسّع الغفارين الممنوحة في السنة ١٧٣٤ من البابا اكليمنت ١٢ ، بحيث جعلها تشمل الاحياء والاموات معاً ، اي ان تلك الغفارين التي كانت محصورة بالاحياء للاحياء فقط ، فبهذا الانعام اصبح من الممكن اكتساب تلك الغفارين وتخصيصها بالانفس المطهرية .

ثانياً : ان غفران المذبح الاختصاصي وسّعه من ثلاثة ايام الى اربعة ايام للرؤساء فقط .

ثالثاً : ان الانعام الذي يخول الرهبان الكهنة حق منح الغفران الكامل الى النازعين ، قد وسّعه الى وكلاء الاديار بعد ان كان محصوراً بالرئيس العام والمدبرين ورؤساء الاديار

فقط[1]. اما الانعام للرئيس العام القائم بالوظيفة حالاً ولخلفائه ، بحق اعطاء الغفران الكامل مرة واحدة في اول قداس احتفالي يقوم به في ختام المجمع العام بعد انتخابه رئيساً عاماً ، ثم في اعياد الميلاد والقيامة وخميس القربان « عيد الجسد » ومار انطونيوس ابي الرهبان في كل سنة . فهذا الانعام تأخر منحه الى السنة ١٨١٤ كما سيأتي بيانه . والسبب لهذا التأخير مجهول عندي .

بحث في ربح الغفران من المذبح الاختصاصي

ورد في « كتاب مختصر اللاهوت الادبي للعلامة يوحنا غوري اليسوعي مجلد ثانٍ في الكلام على المذبح الاختصاصي : سؤال ثانٍ :

ما القول في من يقدس على مذبح انعامي . . . هل يلزمه ان يقدس ببدلة سوداء حتى يربح الغفران ؟ فورد الجواب : بالايجاب . . كذا اجابت جمعية الغفرانات المقدسة . فاذاً . . .

ـ حلّ المشكل ـ

ورد في مجلة المشرق للآباء اليسوعيين السنة الخامسة العدد الثامن الصادر في ١٥ نيسان سنة ١٩٠٢ . سؤال مستفيد في دير الكريم :

هل يستطيع الكاهن الشرقي ان يربح غفران المذبح الانعامي للموتى اذا لم يتلُ القداس الطاهر متشحاً ببدلة سوداء ؟

الجواب : بالايجاب . لانَّ الوشاح الاسود لا يستعمل في الكنائس الشرقية. واذا استعمله الموارنة فليس لهم قداس مختص بالموتى . . . هذا وان الكاهن الغربي نفسه يمكنه ان يربح الغفران بالوشاح الابيض والاحمر في الايام التي لا يجوز فيها لبس الوشاح الاسود .

وفي هذه السنة (١٧٨٧) تعيّن بامر الامير يوسف شهاب لجنة تنظر في مسح املاك الاهالي وتجديد التحديد بين قرية واخرى. وكانت هذه اللجنة قد نظرت في مسح املاك دير ترحيا وتحديدهما انما لسوء الحظ لم يقع في يدنا شيء من اعمال اللجنة المذكورة سوى كتابة واحدة فيها تجديد تحديد املاك قرية عربة ترحيا وهذه حرفيتها :

١) لقد اصبح هذا الانعام شاملاً لكل كاهن .

نحن المأمورين من سعادة الامير يوسف شهاب بجمع وتحديد البلاد فالتزمنا حسب امر سعادته تحديد بين قرية وقرية فحدّ عربة دير قزحيا : راس القرن مطل اجبع مقلب الماء لدير مار سمعان لدرجة البريج مقلب الماء لتحو النهر يخصّ العربة الى الطريق الذي يسري نحو ذنيت لتحديد مرعل . وابطو راس الضهر مقلب الماء سوات درجة الشمر الى راس درجة مطل مار شليطا . ومطل القبلة لطرزا . اي تحديد الريحاني ينطبق كما ذكرنا الى مقابلة راس الضهر الذي يشاهد لدرجة الشمر والصلبان تشهد بين قرية العربة وقرية مرعل الذين هم نحو حدود الزيتون وايضاً الصنوبر . حرر هذا البيان في سنة ١٧٨٧

بو حسن الحج من قرية عبيه | علي فارس من بيت مري | الياس الحج من قالوغا | جرجس عطيه من راس الحرف

(عن نسخة بيدي) [1]

---

١) وفي هذه السنة صدرت مراسم رسولية من مجمع نشر الايمان المقدس للسيد البطريرك يوسف اسطفان ومن حيث علاقتها بتاريخ الطائفة رأيت ان اثبتها هنا للزومها وهذه حرفيتها :

ايها السيد الكلي الشرف والاحترام .

قد وردت الى هذا المجمع المقدس كتابات سيادتكم مع اعمال المجمع الذي صار في شهر ايلول من شهور سنة ١٧٨٦ في كنيسة العذراء الكائنة في وطا الجوز . وكان الامل ان فيه تمرضون وتتممون التنبيهات المختلفة التي اعطيت لكم من السيد القاصد الرسولي لاجل قيام التهذيب والترتيب الحسن في طائفتكم لكن ما عدا بعض قضايا قليلة فيه قد رأينا انكم انبتم امور اخر مختلفة غريبة مضادّة بالكليه لرسومات المجمع اللبناني ومضرّة في تدبير وارشاد النفوس ومقيّدة حرية الاساقفة وحقوقهم . ومن ثمّ بعد الفحص البليغ لهذه الاعمال نفسها رأينا انه ليس فقط غير ممكن ان نثبتها بنوع من الانواع بل يلزم ايضاً ان نرفضها رفضا كلياً حسبما نكتب لكم فيما بعد باسباب وتفصيل . انما يلزم ان نعلمكم بالتعجب والانذهال الذي صار لي ولسادتي هؤلاء الكلي النيافة حينما سمعنا انكم قبل التئام المجمع المذكور بقليل ضدّ ارادة سيدنا الكلي قدسه وارادة هذا المجمع المقدس . قد اهتم لذاتكم ان تنتخبوا اسقفين اعني الاب يوحنا الحلو على كنيسة عكا والقس يوسف تيان على دمشق الشام من دون ان تعلموا بذلك الا قليلاً من الاساقفة الذين من حزبكم ومن دون ان تختبروا رضى الشعب . وهذا الامر قد حصل منه تيس (عدم الرضا) من الجميع عموماً . ومن جرّاء ذلك وردت الينا شكايات ثقيلة جدًّا ضدّ سلوككم ولهذا يلزم ان تأمروا المذكورين انفسهما بأن لا يتعاطيا في رعيتها قبل وصول تحديداتنا في شأن تلك الابرشيات . ثمّ انبهكم ايضاً من قبل سيدنا البابا الكلي قدسه بألّا تتجاسروا بعدُ ان تنتخبوا اسقفاً آخر البتّة او ترسموا من قد انتخب ولا تسمحوا برسامة قبلما تصلكم تحديدات هذا المجمع المقدس الساعي الآن بتوجيهها اليكم لاننا لا نقدر ان نصف لكم عن مقدار غرس قداسته لما بانتم انكم بسلطانكم المصرمي قد ارجعتم التصرّف الاسقفي الى السيد يوسف نجيم مع انه لايمكنكم ان تجهلوا بأنّ حلّه محفوظ للحبر الاعظم حفظاً خصوصياً . ومع ذلك فارجو انه لما وصلكم مكتوبنا المؤرخ في ٢٣ ايلول سنة ١٧٨٦ انكم لا تكونوا اهملتم التنبيه على السيد يوسف

نفسه بأن يمتنع عن كل عمل اسقفي كما صنع ذلك في كل اتفاق تارة في تكريس الميرون وتارة في الرسامات . وقد تقدمت للكرسي الرسولي توسلات مختلفة لاجل تصحيحها . وبخصوص حساب مداخيل الكرسي فبحيث لم يكن باستطاعتنا ان نحكم حكماً جازماً فيه فرأينا ان نعين لهذه الغاية السيد جرمانوس آدم الذي هو ذو كفاية كافية وصديقكم . فامامه اذاً يلزم الفريقين ان يرضا حقوقهما بواسطة شخص ذي خبرة كما ترون في المرسوم الذي في طيّه . والآن راجع لحضرتكم السيد المطران مخايل الخازن . فيرغب هذا المجمع جداً ان سيادتكم تستعملوا معه الحسنى المسكنة وذلك لاجل صفاته وحسن خدمته الجيدة . ولا ينبغي ان نكتم الغمّ الذي شعرنا به حين رأينا انكم لم تميزوه على رعية من ارعايا بعد ان كنا اوصيناكم بذلك بكل اهتمام من قبل قدسه الذي لا سمح الله انه قد يضجر من سلوككم الغير القانوني فيحصل ملتزماً ان يقضي تحديد ما شديد وبه يرفع عنكم كلياً الطريقة التي يمكنكم ان تقلدوا بها هذه الطائفة ذات الاستحقاق العظيم . لانّ قداسته قد صرّح بانه لم يبقَ له استطاعة ان يحتمل الاختلافات وسجس وقلاقل أُخر . فيرجو بواسطة خضوعكم واصطلاحكم السريع الذي تقدّموه لنا يكون سبباً ليرضى عنكم . وكاخٍ من كل القلب اقدّم ذاتي (اخلاصي) لسيادتكم .

اسطفان بورجيا	الكلي الودّ بخدمتكم
كاتب الاسرار	ليوناردوس انطونالي الكردينال
(عن نسخة بيدي)	الرئيس

حرر في رومية في ٦ ت١ سنة ١٧٨٧

اما التعليم المرسل من لدن الكرسي الرسولي ، كما ورد آنفاً ، في شأن أجراء المحاسبة بين السيد البطريرك والمطران مخايل الخازن النائب البطريركي سابقاً ، على مداخيل الكرسي البطريركي والمصاريف مدة نيابته ، فهذه حرفيته :

« انه لما انعرضت من الكردينال انطونلي الرئيس الكلي الشرف والاحترام المنازعات الكائنة بين السيد البطريرك الكلي الاحترام بطريرك الموارنة وبين الاب المحترم السيد مخايل الخازن الاسقف من جهة تصرفه في مداخيل البطريركية التي تصرف بها حيناً ما بالسلطان الرسولي كان يشغل مدة سنين وظيفة النيابة البطريركية . فقد لحظ اليها الكلية نيافتهم انه لم يبان بالكفاية من البراهين الموردة ماذا يجب ان يثبت ويقضي بموجب الحق . فرأوا مناسباً ان كل (كلًا) من الفريقين يختار له شخصاً متميزاً يبرض حقوقه . فالكرسي الرسولي المقدس قد عيّن كقاضٍ تعييناً خصوصياً الاب المعلم جرمانوس آدم اسقف حلب الروم الملكي فيلزم انه يقضي هذه الدعوى لانهاء الخصام . فهذا الرأي رأي المجمع المقدس قد عرضه الاب المحترم اسطفان بورجيا كاتب الاسرار على سيدنا الكلي القداسة البابا بيوس السادس في مواجهته اياه في اول ت ١ عينه . فقداسته قد اثبته (اي الرأي) بكل اجزائه واقام قاضياً في ذلك السيد جرمانوس آدم المذكور مانحاً له السلطان الكلي كما اعلاه .

أُعطي في رومية في قصر المجمع المقدس المذكور في ٦ تشرين الاول ١٧٨٧

	اسطفان بورجيا	ليونردوس انطونلي
(عن نسخة في يدي)	كاتب الاسرار	الرئيس

ومرسوم المجمع المقدس الى السيد جرمانوس آدم مطران حلب للروم الكاثوليك ، هذه حرفيته : ايها السيد الشريف والكلي الاحترام .

انه لا ينبغي (ان يفوت علم) سيادتكم كيف ان السيد ميخايل الخازن نائب البطريرك في السابق على الطائفة المارونية الذي قد استعمل مدة طويلة تصرف السيد البطريرك يوسف بطرس من جهة مداخيل الكرسي الذي تولى تدبيره في زمان نيابته فالتزم انه توجه الى رومية مسترحماً من سيدنا الكلي قدسه ومن هذا المجمع المقدس غوثاً في اظهار العدل ضد مطاليب السيد (البطريرك) المذكور القليلة الانصاف . والآن من حيث قد بان لنا انه لا يُرجى ، إنْ من المحاسبات المفروضة لدينا او من الابرادات الموردة من السيد مخايل الخازن ، نقدر ان نقف هنا على حقيقة هذه المنازعات والحكم حكماً جازماً ونقضي قضاء عدلاً من دون ان نقف على الابرادات المضادة ونكون ايضاً على يقين من حقيقة ومعرفة العوائد واكلاف المناويل والمصاريف اللازمة للكرسي البطريركي نفسه . فقد رأى سادتي هؤلاء الكليو النيافة مع رضا قداسته انهم يبيّنوا شخص سيادتكم الممدوح قاضياً لهذه الدعوى لان الجميع يثقون في صلاحكم وفطنتكم واستقامتكم ولذلك يرومون من الفريقين اي السيد البطريرك والسيد مخايل الخازن الاسقف ان يختار كلًّا (كل) منهما شخصاً ما خبيراً بالحسابات ويعرض عليكم حقوق موكله . وبعد ان تكونوا تأملتموها جيداً تصدروا الحكم الذي ترونه عادلاً ، ولاجل هذه الغاية واصل لكم ختم هذا المجمع المقدس مثبتاً من الاب الاقدس وقد ارسلنا نسخة عنه اخرى الى السيد البطريرك الماروني ليعلم منها ما قد رُسم لكيما يقدر ان يورد حقوقه امامكم . ويلزم هنا لاجل تنويركم ان اعلمكم انه لما اقيم السيد مخايل الخازن نائباً بطريركيًا بختم هذا المجمع المقدس المحرر في منشور سيدنا البابا بيوس السادس المؤرخ في ٢٧ من شهر تموز لسنة ١٧٧٩ ، قد تعين له لاجل معاشه الربع من مداخيل البطريركية والثلاثة ارباع الباقية تنحفظ للبطريرك ومنها يؤخذ ما يلزم للاشغال وكل المصاريف الاعتيادية والغير الاعتيادية المختصة بالكرسي البطريركي . فبالاعتبار المتشح به سيادتكم بكل استحقاق ونظراً الى الصلاح والعلم والتدبير الرصين يقدم هذا المجمع المقدس كل الرجاء بأنك تنهي هذه الدعوى بكل سرعة واهتمام وبرضا تام من الفريقين . ولا يمكني ان احقق لحضرتكم الرضا العظيم الذي يحصل لاسيادي هولاء الكلية نيافتهم من قبل ذلك . واسأل الله ان يحفظكم وينجيكم .

كاخ لسيادتكم ليوناردوس انطونلي — الكردينال الرئيس

اسطفان بورجيا — كاتب الاسرار

حرر في تشرين الاول ١٧٨٧

(عن نسخة في يدي)

(يتبع)

القصيدة الحكمية لابن العبري

شرحها الاب بطرس ساره اللبناني

توطئة

للعلامة المفريان غريغوريوس ابن العبري[1] الملقب بابي الفرج هذه القصيدة العامرة بثلاثمئة واربعة وعشرين بيتاً باللغة السريانية ، قد سعى في طبعها سنة ١٨٨٠ في رومية القس يوحنا انطون الحلبي اللبناني ، تحت اشراف الاستاذ الشهير القس جبرائيل القرداحي . وذيلها بحواش مكتفياً بتفسير الفاظها قاصداً تمرين الطلبة على قراءتها كما يستفاد من تنبيه علقه عليها . وقد تكلف حضرة الاب بولس الخوري اللبناني المعروف بتضلعه من اللغة السريانية وله فيها غراماطيق مدارسي نال شهرة واسعة ؛ فاعاد النظر في القصيدة المذكورة ودقق في معاني الفاظها وعنى بترجمتها ؛ فاردنا نشرها في « المشرق » الاغر حفاظاً عليها كاثر ثمين من قلم العلامة ابن العبري وافادة للقراء الكرام . وقد رأينا ان نضع الاصل السرياني بتمامه في صفحة وقبالته في صفحة اخرى الترجمة العربية ، تسهيلاً لمقابلتها وفهم ما اعتاص من معانيها .

على ان المؤلف بقريحته الجوّادة وقلمه المخصاب واستغراقه في اوقيانوس العزة الصمدانية تراه راغباً في استعمال المتضادات كضرب من الغرابة (Paradoxe) كما في مطلع القصيدة : « عذراء وام صبية وشيخة ، في محياها الصفاقة والحشمة » . ويحلّق في اجواء الرموز والتشابيه الغامضة ويغوص في عالم الرؤيا ، مطلقاً لمخيلته العنان دون ما حد ، بحيث يصعب جدّاً فهم ما يصفه ويرويه ؛ لذلك لا عجب ولا لوم اذا جاءت الترجمة في بعض الابيات غامضة غير وافية بالمراد ولعل الشاعر اراد بما نظمه ان ينحو نحو سفر الرؤيا ويلمع الى بعض ما جاء في سفر النشيد او ان يقتدي بالقديس اغوسطينوس في وصفه المملكتين الكبيرة والصغيرة ، العلوية والسفلية والله اعلم ! ويا ليته اقدم على شرح ما في قصيدته هذه من الغوامض والمعميات ، مفصحاً عن غايته ومقصده في نظمها ، ولكان ابان عمّا تكنه نفسه من المعارف الغزيرة والحكم الباهرة وسهّل لنا فهم منظمته هذه الفريدة وكانت منها الفائدة المرغوب فيها .

الاب بطرس ساره اللبناني

---

[1] المشرق ١ : (١٨٩٨) ص ٢٨٩ و٣٦٥ و٤١٢ و٤٤٩ و٥٠٥ و٥٥٥ و٦٠٥

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ܀

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ܀

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ܀

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ܀

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ܀

ترجمة القصيدة الحكمية (وهي ٣٣٦ بيتاً)

لابن العبري

صادفتُ في العالم صبيّةً يبهرُ الشمسُ بهاؤهـا
محيّاها حسنٌ وعيناها متلألئتانِ ومنظرها جميـل
عذراء وامٌ صبيّة وشيخة وامرها عجيب
كثيرٌ من الرجال اتخذوها امرأةً وما عرفها احد ❊
تمتزج في محياها العفافـةُ مع الحشمة
تحبّ الاقـتران ولا تميل الى التزوّج
تغمز بعينيها عابري الطريق كالزانية
ومع الاهلين ترفع جبينها باحتشام ❊
تهيّج وتأنف تُدني وتبعـد ومقرّها مخيف
كلامها شهيٌّ والفاظها عذبٌ وحبّها مرّ
تحب السكوت والهدوء ومرتع شغبها
حديثها لذيذ وحادّ جـداً لذعُ شوكها ❊
على وجهها مصوّرُ النهار الـذي ينير الجميعَ
والليل الدامسُ معلّق بذوائبها ومن لا يندهـل
داخل اجفانهـا تضمّ الشمسَ والقمر والهواء
والعناصر ترتكض بازائها برقصٍ مستدير ❊
ومن قبلاتها كانت النيرات والاجرام السماوية النقية
ومن لدغاتها تكوّنت البروق والصواعق المخيفة
الرمّان الحلو معلّق في صدرهـا كاللآلي
وخداهـا تحملان التفاح كالقناديل ❊

ܥܠܝܡܐ ܡܘܦܪܢ ܠܟܒܫ ܕܗܘܐ ܗܘܐ ܒܟܠܐ ܢܘܗܪܐ
ܡܟܝܠ ܓܝܪ ܚܕܘܬܗ ܘܦܘܪܩܐ ܥܠܡܝܢ ܘܓܢܝܢܐ ܠܚܙܘܐ
ܠܪܥܝܢ ܠܟܗܢܐ ܥܠܝܡܝܢ ܙܗܝܐ ܘܡܟܝܠ ܠܡܚܘܐ
ܘܡܢ ܠܚܢܢ ܒܟܗܢܐ ܫܡܫ ܐܢܐ ܘܩܫܝܫ ܩܕܪܐ ܀
ܒܬܡ ܘܟܬܒܐ ܐܡܬܩܒܠ ܙܘܓܐ ܐܒܗܐ ܡܟܝܠܐ
ܘܒܐܘܛܐ ܠܒܫܬ ܢܝܫܐܬ ܒܟܘܟܒܐ ܚܝܢܐ
ܒܪܝܫ ܠܐܬܝܢܘܣ ܘܒܠܓܘܪܐ ܒܪܘܛܐ ܡܟܝܠܐ
ܘܩܐܡ ܐܬܐܘܣܦ ܗܘܐ ܡܕܝܢ ܟܕ ܒܟܬܒ ܢܘܡܐ ܀
ܦܠܘܗܝ ܒܪܘܚܝ ܟܕ ܘܥܠܝܢ ܘܟܬܒ ܒܐܘܣܝܐ
ܕܫܬܩܠܐ ܦܘܠܩܢ ܘܐܦܐ ܦܣܩܢ ܘܟܬܒ ܒܦܘܩܕܢܐ
ܬܐܒܬܐ ܗܫܡܥܐ ܠܗܘ ܢܘܗܪܐ ܕܠܐ ܒܘܣܢܐ
ܘܟܠ ܐܘܪܫܐ ܠܟܘܗܢܐ ܕܗܘ ܐܘܒܠܢܐ ܀
ܡܕܝܢܬ ܠܓܠܘܬܐ ܕܫܡܫ ܐܬܘܪ ܫܡܥܘܢ ܢܘܡܝܢ
ܘܡܟܝܦܝܢ ܟܘܪ ܙܠܝܓܐ ܘܡܟܝܠܐ ܘܙܐܝܬܐ ܘܐܬܝܢ
ܟܦܪܗ ܘܒܐܩܝܡܘ ܠܒܬܝܠܐ ܘܫܘܦܪܐ ܘܙܘܥܐ ܘܐܘܦܝܢ
ܒܪܡ ܠܓܪܡܘ ܚܝ ܩܡ ܐܠܦ ܒܫܡܫܝܢ ܠܟܠܗܝܢ ܀
ܠܗܘܐ ܚܕܝܢ ܐܡܟܐ ܡܘܪܝܢ ܕܠܐ ܡܟܐܡܟܢ
ܚܙ ܐܝܟ ܦܠܚܘܗܝ ܘܦܠܚܘܗܝ ܐܝܟ ܚܙ ܬܒܪܐ ܡܦܣܩܝܢ
ܙܡܝܢ ܘܦܠܚܝܢ ܡܕܘܪܝܢ ܠܐܡܝܢ ܟܕ ܘܡܫܡܫܝܢ
ܘܟܫܢܬܐ ܕܦܠܚܬܐ ܡܟܣܝܢ ܘܐܡܪܝܢ ܀
ܥܠܝ ܐܘܪܫܠܡ ܠܟܢܐ ܠܐܡ ܒܟܠܗ ܡܕܝܢܬܐ
ܘܡܟܝܢ ܒܢܘܗܝ ܠܗܝܟܠܐ ܘܓܘܪܐ ܘܐܬܘܪܐ
ܫܪܝܬܐ ܘܓܡܡܝܬܐ ܘܙܒܢܐ ܘܐܦܝܬܐ ܘܡܟܝܢܬܐ
ܒܗܘܢ ܓܝܪ ܦܠܝ ܠܕܟܪܘܢܝ ܫܘܦܪܐ ܠܟܝܢܘܬܐ ܀

لقد طالما جعلني جمالُ هذه سقيماً
فسباني حبُّها وطار نومي وليس لي معين
انحلني الجوع عذّبني العطش اذابني السهر
وحُكمَ عليَّ بالابتعاد واليأس من نجواها ❊
أعيت رجلايَ مع السائرين وقتاً طويلًا
وعثرت في رواقها بقلب موجع زمناً مديداً
فتشتُ اثينا والجزائر بسعيٍ مستديم
فازداد وجعي وها هو يعذبني بدون راحة ❊
جميعهم مرضى ومسقومون وليس من طبيب
يتمسكون بالاحلام ويجسّون الجدران ولا سبيل للنجاة
لقد انخدع التائقون بالاضواء الباطلة بدون تروٍ
وعلى الاشعة البخارية ألقوا اتكالهم ❊
بلغت الجزيرة التي موقع مكانها مظلمٌ نيّر
ومجموعٌ فيها الرطب واليبس وحرّ الفضاء الاثير
ترابُها وحصاها جواهر ولآلئ وذهب خالص اوفير
ولكن تجارها، بالكد ان يكون الواحد من الف بينهم، غنياً ❊
يحيط بهذه الجزيرة ستة اسوار لا تُحدّ .
يُثبتُ بعضها بعضاً، احدُها نظير جميعها، وجميعها نظير احدها
وهي شاهقة وعريضة، تُحدِق بها ابداً وهي راسخة
تَضُمُّ وتَشدُّ وتقيد جزئياتها بكلياتها
لقد شيَّد هناك العاشقُ اوريفوس[1] عشر مدن
وجعل فيها ساحاتٍ وجبالًا وبلداناً
واعلاماً واشخاصاً وحركات وصناعات واختراعات
وقسَّم فيها جميع الاقطار اجزاء اجزاء ❊

١) اسم علم لاحد ملوك الروم .

ܠܒܪܗ ܡܢ ܥܠܡܐ ܐܘܪܚܐ ܚܠܦܘܗܝ ܕܡܫܡܫܢܐ ܡܫܒܚܝܢ
ܘܟܠ ܡܠܟܘܬܐ ܐܘ ܟܗܢܘܬܐ ܕܒܗ ܐܬܝܗܒ
ܠܟܘܪܐ ܘܡܕܒܪܢܐ ܘܡܬܒܥܝܢܐ ܘܦܠܐܓܐ ܘܡܢ ܟܠ ܐܟܚܕ
ܘܢܡܘܣܐ ܘܡܕܒܪܢܐ ܐܘ ܟܗܢܘܬܐ ܘܪܘܚܢܐ ܡܬܝܗܒ ܀
ܚܙܐ ܠܡܠܟܘܬܐ ܕܡܢ ܡܫܝܚܐ ܐܘܪܚܐ ܪܘܚܢܐ
ܫܪܝܬܗ ܠܡܪܗ ܒܡܠܟܘܬܐ ܐܘܪܚܐ ܡܫܡܫܢܐ
ܠܟܘܡܪܐ ܒܠܚܘܕ ܟܗܢܐ ܐܝܟܢܐ ܡܕܒܪܢܐ
ܘܠܡܠܟܐ ܕܡܢ ܡܫܝܚܐ ܫܠܝܛܐ ܡܦܪܫܐ ܀
ܫܠܝܛ ܗܢܐ ܟܗܢ ܐܠܗܐ ܐܝܟ ܡܦܪܫܢܘܬܐ
ܕܠܝܬ ܡܢ ܡܠܟܐ ܫܪܝܪܐ ܘܫܪܐ ܠܗܝܢܐ
ܕܡܢܝܢܬܐ ܡܢ ܫܠܝܛܐ ܘܐܦܠܐ ܠܡܦܪܫܘܬܐ
ܟܕ ܫܠܝܛܢܐ ܒܟܠ ܪܘܚܢܝܬܐ ܕܗܘ ܐܝܬܘܗܝ ܀
ܒܟܠ ܡܢ ܐܢܫ ܡܕܒܪܢܐ ܘܪܫܐ ܘܠܐ ܡܬܦܠܓܢܐ
ܘܡܫܡܫܐ ܠܟܗܢܘܬܐ ܘܡܢ ܟܕ ܕܐܝܬܘܗܝ ܠܐ ܡܬܦܠܓ ܡܕܡ
ܗܘ ܕܝܢ ܐܚܪܢܐ ܕܒܪܝܐ ܘܫܠܝܛ ܒܟܠܗ ܦܘܪܫܐ
ܟܕ ܟܠ ܐܘܪܚܐ ܦܠܓܘܬܐ ܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܀
ܡܕܝܢ ܕܐܦ ܠܟܘܡܪܐ ܕܡܠܟܐ ܡܢ ܐܠܗܐ
ܕܡܫܡܫܢܘܬܗ ܒܟܠܗ ܗܘܐ ܠܒܢܘܗܝ ܐܘ ܐܚܐ
ܗܢܘ ܗܘܐ ܫܠܝܛ ܒܗܠܝܢ ܕܐܬܝܗܒ ܘܠܐ ܐܦܠܐ
ܘܐܡܪ ܐܢܫ ܟܠ ܐܢܫ ܘܠܐ ܡܬܦܠܓ ܀
ܟܕ ܒܪܗ ܡܫܝܚܐ ܟܠ ܡܠܟܘܬܐ ܠܟܗܢܐ ܡܫܡܫܐ
ܕ ܫܠܝܛܘܬܐ ܠܟܠܗܝܢ ܕܒܢܘܗܝ ܢܦܫ ܢܦܫܐ
ܦܫܝܛ ܡܢ ܫܠܝܛ ܠܐ ܐܝܬ ܐܢܫ ܕܢܦܫܐ
ܘܐܦܢ ܠܗ ܠܗ ܕܪܘܚܢܐ ܫܡܝܐ ܘܕܥܠ ܡܢܗܘܢ ܀

وضمنَ هــذه اربع خزائن مركزة بحكمة
مخزون فيها كلّ الحسنات والسيّئات
الحنطة والخمر والزيت والاثمار من جميع الاشجار
والنور والظلام والانغــام التي تسبي الحواس ❊
احداها[1] تُنهج الطريق للبابليين بواسطة قناديلها
ورفيقتهــا تدوس الارض باخمصها لمصر
والأخرى تمهّد الطريق للفونيقيين بازدياد الكواكب
واختها تهيّج الاتراك بواسطة نغماتها ❊
رأيت هنــاك اختين جميلتين
ابنتي ملاك الواحدة شيخة والأخرى فتــاة
المتقدمــة اختٌ وامّ للمتأخرة
اذ صارتا في القربة ، عند نهاية السبي ، أَمتَين ❊
فوق الفلك تســكن الكبرى ولا تُمتَع
وتمسّ الاعماق ، ومن حيث هي لا تنتقــل ابدًا
اما الصغرى ، فتتيه في الهواء باشارة اختهــا
وهي تصوغ وتصطنع على الارض اصنافًا متنوّعة ❊
كثيرًا ما تاق سيد البلد الى جمال هاتين (الاختين)
وجُرحَ قلبــه وشُغِفَ بحبّها
تَسِمَ نفسه الكلتيها ولم يتجزّأ
وولّاهمــا على ملكه لئلا يتزعزع ❊
لهذا تكلمت معَ الكبرى بقلبٍ منكسر
ولما أبنتُ لها السبب الذي لاجله نفسي خارجة عن ذاتها
فاجابت حالًا انظرني فلا تكن كدودة القزّ
وتأسر ذاتــك بشَرَك التعب الباطل الحقير ❊

---

١) اي احدى هذه الخزائن .

ܬܐܪܓܐ ܕܡܬܠܐ ܣܒܪܬܢ ܒܐܘܪܚܐ ܕܐܘܣܛܝܢܐ ܗܘܝܐ
ܟܕ ܡܫܬܝܓܐ ܒܬܡܗܐ ܘܦܬܓܡܐ ܘܪܣܡܐ ܚܡܝܡܐ
ܒܣܘܟܗ ܕܢܦܫ ܡܢ ܟܕ ܡܗܝܡܢܘܬܐ ܕܫܪܝܐ ܡܕܪܫܬܐ
ܘܗܘ ܡܡܠܠܐ ܠܟܘ ܐܝܟ ܫܡܝܢ ܒܟܠܗܝܢ ܐܘܡܢܐ ܀
ܗܪܝܢ ܢܦܩܬ ܡܢ ܓܘܪܐ ܕܡܟܬܒܢ ܡܠܦܢܘܬܐ
ܘܦܘܫܩܐ ܬܡܠܐ ܘܡܬܒܥܐ ܘܓܘܪܐ ܟܡܢܐ ܕܘܒܫܬܐ
ܣܓܝ ܗܢܘ ܐܢܫ ܓܘܪܐ ܕܬܪܝܢ ܒܡܕܝܢܬܐ ܗܝܡܢܘܬܐ
ܘܪܚܡܘܬܐ ܕܝܠܟܘܢ ܘܥܡܠܐ ܒܬܪܥܐ ܘܓܘܫܡܐ ܀
ܣܓܝ ܗܢܘ ܐܢܫ ܡܠܦܢܐ ܐܒܘܗ ܒܝܬܗ ܕܗܘܐ
ܘܐܪܥܐ ܪܒܘܬܗ ܫܦܝܪܬܐ ܘܫܡܝܐ ܠܥܡܡܐ ܢܗܘܐ
ܐܝܟܢܐ ܣܓܝ ܗܘܐ ܡܬܟܪܐ ܘܪܗܛܐ ܘܐܝܟܢܐ ܒܣܘܪܐ
ܘܫܠܝܚܐ ܫܡܥܘ ܟܠ ܒܥܝܕܐ ܐܝܟ ܡܠܟܐ ܀
ܗܝ ܕܢܟܝܢ ܐܘܟܝ ܐܚܕܐ ܘܦܪܫ ܠܡܘܫܒܐ ܘܡܘܬܐ
ܘܐܣܝܪ ܒܢܦܫܗ ܒܥܕܐ ܪܒܐ ܘܢܛܪ ܐܘܡܢܐ
ܗܝ ܡܢ ܕܟܢܐ ܟܠ ܣܓܝ ܡܛܠܗ ܘܐܟܠ ܫܡܫܬܐ
ܘܐܣܝܪ ܡܕܒܪ ܗܘ ܠܗ ܒܬܐܪܐ ܘܪܙ ܕܡܫܡܫܢܐ ܀
ܣܓܝ ܐܘܟܝܬܐ ܫܡܫܬܐ ܒܡܒܥܐ ܡܡܠܠܢ܆
ܐܝܬܝܐ ܟܢܫ ܘܡܢܩܒܠܬܗ ܢܩܡ ܐܟܢ܆
ܣܓܝ ܟܫܝܪܘܬܐ ܚܫܘܟܐ ܡܢܝܐ ܐܝܟ ܦܬܐ܆
ܐܣܝܪ ܒܬܘܠܬܐ ܕܢܘܪܐ ܡܒܪ ܟܕ ܘܡܫܡܫܘ ܀
ܣܓܝ ܡܢ ܥܡܡܐ ܥܘܠܐ ܡܢܘܚܡܐ ܦܠܛ ܣܓܝ
ܐܣܝܪ ܟܠܗܘܢ ܒܥܡܠ ܕܟܦܢܐ ܠܚܡܐ ܐܠܗܝ
ܣܓܝ ܟܬܒܢܐ ܒܣܘܪܝܐ ܐܟܘܬ ܢܗܘܐ ܦܬܚ
ܐܣܝܪ ܒܢܘܡܣܐ ܠܐܦܝܣܩܘܦܐ ܐܟܢ ܫܬܩ ܀

ان اودية مخيفة مصطفّة في الطريق التي سلكتها الان
وهي مشبّكة بالنبال والفخاخ والدبيب الروي
فاتخذ اختي مرشدةً لانها مدرّبة كثيراً
وهي تبلغك غايتك من دون ضلال ❊
حينئذٍ خرجتُ من الجزائر المملوءة مخاطر
وطفتُ في الاودية والانهر والجبال بين الاشواك
فنظرت هناك قطعانا ترعى في المروج المخصبة
ورعاةً يرصفون الابنية للرموز والاشباه ❊
الواحد منهم أصعد اذنه فبثها في راس الجبل
وأمال نحوه شفةً تقطر جمر نار
والآخر خطف مفاتيح العلى وتوارى في كهف
وثار غضبُه على المسكونة كعمود دخانٍ كثيف ❊
الواحد انبت اجنحةً وطار قبالة العُلى
والآخر يغوص الى الاعماق الرطبة ويجسّ اللجة
هذا يضجع على جنبه ويأكل الرماد ...
وهذا يخدش نفسه بالحجارة ويرسم رسماً ❊
الواحد ينشد المراثي المحزنة باكياً
والآخر يزفن ويضرب بقيثاره مرتّلاً
الواحد يقيد ويوثق بالاجمة الوحوش الضارية
والآخر يرقص ويقفز في لهيب النار ❊
الواحد يقطف ويقطع من الحصرم الفج عنقوداً ناضجاً
والآخر يستأصل ويقتلع باهرائه اصول الجذع
الواحد يقهر ويذل الطبائع بعصا صغيرة
والآخر يزجر الكواكب ويحجبها في منازلها ❊

ܚܠܦ ܒܢܝ̈ܗܘܢ ܥܒܕܐ ܕܒܥܠܐ ܘܡܪܗ : ܐܠܗܐ
ܕܒܪ̈ܝܬܐ ܗܘ ܕܚܝܠܐ ܒܟܐ̈ܒܝܢ ܗܘܐ ܠܗ ܡܟܝܟܐ
ܥܠ ܕܝܢ ܕܠܐ ܡܬܚܪܪ ܗܘܐ ܠܗ ܒܒܟܝܐ ܣܓܝܐܐ
ܘܠܐ ܒܥܠܐ ܠܗ ܒܗܘ ܕܫܠܛܗ ܕܡܪܗ ܘܡܚܝܐ :
ܒܟܠܐ ܡܢ ܕܝܢܐ ܕܡܘܕܥܢܘܬܗ ܐܝܟ ܫܠܘܬܗ
ܘܒܡܟܝܟܘܬܗ ܫܒܩ ܘܐܘܒܠ ܚܘܒ ܒܝܫܬܗ
ܒܬܠ ܠܗ ܫܪܝܐ ܘܥܒܕܐ ܡܦܪܫܐ ܡܢ ܒܝܫܬܗ
ܘܠܐ ܐܬܘܕܝ ܠܡܫܬܒܚܘܬܗ ܘܠܐ ܠܪܚܡܢܘܬܗ :
ܟܕ ܓܝܪ ܢܦܫܗ ܡܫܬܘܕܝܐ ܠܐܠܗܐ ܕܕܝܢܐ ܒܡܡܡܐ
ܗܘ ܓܝܪ ܕܥܒܕ ܐܦܪܐ ܘܒܡܫܝܚܗ ܢܦܫܐ ܘܟܠܡܐ
ܦܫܛܗ ܫܒܪܐ ܘܫܒܝܐ ܥܠܘܒܐ ܥܡܘܕܐ ܘܫܢܝܐ
ܘܒܥܒܕ ܠܡܢܘܚܐ ܘܐܦܩ ܒܥܒܕܗ ܘܦܓܪܗ ܢܦܠ :
ܒܬܡ ܓܝܪ ܡܘܬܐ ܠܐ ܡܫܬܡܥ ܡܥܡܩ ܐܠܘܗ ܘܐܦܠܐ
ܡܥܒ ܗܘ ܫܠܛܗ ܕܟܠ ܟܠ. ܟܡܠܝ ܟܡܟܡ: ܟܡܠܐ
ܐܘܟ ܐܠܗܝܬܐ ܕܡܢ ܡܢܥܘܚܢ ܒܢܝܢܐ. ܐܘܠܐ
ܕܡܢ ܪܥܝܢܐ ܕܦܘܡ ܡܫܒܪܐ ܠܗܘ ܐܢܐ ܐܘܠܐ :
ܡܬܚܠܠ ܚܘܒܝܢ ܘܐܘܪܚܐ ܟܠܦܘܣ ܥܠ ܐܦܝܘܬܗ
ܘܥܒܪܐ ܗܘܐ ܠܗܘܢ ܒܟܠܟܠܬܐ ܠܥܒܝܕܬܗ
ܠܐ ܣܠܘ ܐܦܝܗ ܘܫܡܝܐ ܡܢܗܘܢ ܗܘܐ ܥܠ ܡܡܢܝܬܗ
ܘܥܢܝܢܐ ܗܘܐ ܡܢ ܒܢܝ̈ܗܘܢ ܗܘ ܦܠܚܘܬܗ :
ܐܘܗ ܢܦܠ ܕܢܫܝܟ ܪܘܚܐ ܐܠܗܝܢ ܥܒܕܐ
ܘܒܡܦܢ ܫܦܝܠܐ ܡܫܝܢܐ ܒܠܘܥܝ ܕܠܐ ܐܫܬܡܥܐ
ܒܡ ܪܘܚܐ ܒܗܘܐ ܕܐܡܪ ܡܢܟ. ܐܘܫܘܥܐ
ܘܒܪܒܢܢ ܒܝܘܬܐ ܐܠܗܐ ܐܘ ܕܒܗܬܐ :

رأيت بينهم فتى بهيًا لابساً تاجاً
اصبح مشغوفاً بهوى تلك التي جعلتني مجنوناً
على راس النخل كان يناجيها بقلبٍ حزين
فلا تجيبه لانها رأته قد زلّ وضلّ ❖
على راس سلطانه رفع حذاءها
وبدّل مماكته ونبذها من اجل مناجاتها
بنى له صرحاً السماء اوطأ من بنيانه
ولم تتنازل لاجابته ، وحتى لا يجفن عينها ❖
فلما اختبرتُ احتقار المتعظم الذي يشبه الشمس
ذاك الذي اخضع صولجانُ عزتهِ البحرَ واليبس
يئستُ واختفيتُ في الارض نظير الحشرات
وبكيتُ نفسي لاني تعبتُ سدًى وضاع الغرض ❖
لكن الغرام لم يدعني ارتاح واهدأ قط
فانّ شدتهُ من شانها ان تستخف وتهزأ بكل البلايا
وتهيأتُ ايضاً الى ان أستقي المياهَ من ينبوعها
لعلي إتخلص حالًا من وهدة اليأس ❖
والان زعماء الارض اطلعوني على امورها المدهشة
لان طيفها كان يزورهم في الليالي
لم يروا وجهها لان الظلام كانَ مُسدَلًا على منزلها
وجمالها كان محجوباً عن عيونهم ❖
أخبروا اذ ذاك ان الصبيةَ تحب الصيد
وتقيم دائمًا على شاطئ البحار علانيةً
وقد اكتسبت الفةً مع الصيادين الامين الذين هناك
وبمباشرتها وجدوا الغنى والعظمة ❖

ܢܛܦܝܢ ܡܛܪܐ ܘܐܝܟ ܐܣܦܝܪܐ ܡܦܝܢ ܒܡܠܬܗܘܢ
ܟܕ ܚܙܐ ܣܠܐܘܣ ܡܛܪܦܐ ܡܬܡܦܐ ܠܗ ܘܣܥܪܢܘܗܝ
ܠܒܦܘܣ ܟܡܐܘܣ ܒܪܘܣ ܒܪܟܘܣ ܒܡܝܩܪܢܝܬܗܘܢ
ܘܐܬܐܣܝܣ ܘܡܢ ܟܕܝ ܛܘܪܦܢ ܟܡܬ ܙܘܒܢܝܗܘܢ ܀
ܘܐܡܪܝܢ ܛܟܣܬܐ ܠܗ ܡܢ ܟܬܠܐ ܕܢܘܪܐ ܡܥܒܕܢܠܐ
ܘܒܩܪ ܫܘܪܦܢ ܢܘܪܐ ܒܥܒܕܢ ܡܕܡܠܠܐ ܡܕܡܠܠܐ
ܗܘ ܐܠܦܬ ܠܟܝ ܙܡܝܪܐ ܘܫܒܚܐ ܘܩܘܠܐ ܘܫܘܠܐ
ܘܟܠܗܝܢ ܡܠܝܠܐ ܢܥܪܐ ܒܫܡܝܢ ܒܒܝܬܐ ܠܚܝܠܐ ܀
ܐ ܙܒܢܐ ܐܝܟ ܕܫܘܡܠܝ ܐܬܐ ܟܢܪܐ ܦܘܢܩܐ
ܘܒܥܒܘ ܐܝܟ ܒܝܥܠܐ ܕܦܩܠܐ ܘܙܒܘܢܝܬܐ
ܒܡܫܟܢ ܐܬ ܟܘ ܟܬܒܠܐ ܘܙܒܢܬܐ ܘܪܘܚܐ ܡܫܒܚܐ
ܡܛܠ ܕܪܒܐ ܡܕܢܚܐ ܐܘܪܫܠܡ ܐܦ ܕܘܢܝܬܐ ܀
ܐ ܡܫܒܚ ܐܝܟ ܕܐܬܐ ܢܗܪܐ ܒܥܠܡܐ ܡܢܗܝܪܬܐ
ܘܫܘܒܚܟ ܐܫܬܐ ܒܐܪܥܐ ܟܡ ܢܫܒܚܘܢܐ
ܟܕ ܠܐ ܐܬܐ ܚܙܐ ܒܦܠܘܓܬܐ ܐܝܟ ܡܠܟܬܐ
ܡܪܝܡܘ ܠܡܘܬ ܒܢܘܗܝ ܕܡܠܟܘܬܐ ܟܡ ܢܗܝܪܬܐ ܀
ܡܕܡܝܟ ܛܘܪܐ ܕܪܝܡ ܗܘ ܘܥܠܘ ܩܕܝ ܡܫܡܫܢܬܐ
ܘܟܠ ܡܢܦܩܬܗ ܡܛܦܝܢ ܢܬܦܪܩܢܐ ܘܢܗܘܪܐ
ܘܒܟܠ ܡܫܝܚܘܗܝ ܟܬܒܐ ܕܘܡܝܐ ܐܫܬܦܠܬܐ
ܘܟܠ ܡܘܪܝܘܗܝ ܡܢܝܢ ܦܘܪܩܢܐ ܕܡܫܝܚܝܘܬܐ ܀
ܒܟܠ ܡܢ ܛܘܒܐ ܕܗܘܝܢ ܘܪܒܐ ܡܫܠ ܘܡܡܠܠ
ܡܛܠܗܘܢ ܦܠܛܬܐ ܕܡܠܝܟܝ ܡܘܦܪܢ ܕܠܐ ܡܬܡܠܠ
ܐܢܘܢ ܕܐܬܝܗܒ ܒܬܘܒ ܛܘܒܐ ܕܠܐ ܡܬܡܠܠ
ܡܬܥܒܕܢܐ ܚܙܐ ܕܐܬܪܘܡ ܒܟܝ ܗܘ ܕܡܫܒܚ ܀

خطفني الرجا وطرحني بينهم مثل كرة

ولما رأوني مضطرباً معذباً ترأفوا عليّ

فامسكوني وعزّوني واسعفوني وعالجوني بادويتهم

واستراحت روحي من عنائها في مجتمعهم *

ويقولون ان الصبيّة مستترة ضمن سجوف النار

وبسبب لحاجتها تخدم هنا في محلنا وترتب امورنا

وهي علمتنا الصيد والسباحة والغرور والحيلة .

وتمزج دائماً الخمر لجماعتنا بكاس مستدير *

فاذا شئتَ ان تكون محبوبتك ابنة دلال

وتصعد معها الى محل الغوامض والايضاحات

فعليك ان تقاسي اتعاباً واعراقاً وزوابعٍ من الشدائد

لان طريقها مفعمة دماً وعذابات *

ان كنتَ تستطيع ان تصير هدفاً للسهام الحادّة

وتنزلك الى الحربَ مع التجارب بفرح ونشاط

بحيث لا تهرب من الشدائد كراهي المزاحم

يمكنك ان تنقذ تلك المبتغاة بانتصار وظفر *

امامك جبلٌ علوّهُ ارفع من الحدود

وعلى قمته منبسطة البحار والانهر

وفوقها مدن الرياح الشديدة

وعلى اسوارها مشيّدة ابراج من اللهيب *

وفوق مدى هذه المراتب مرفوعٌ ومشيّد

خدر الجميلة التي فتنك حسنها الفائق الوصف

فاذا كنت تطير الى هناك طيراناً لا عائق له

تتنازل لتعالج قلبك السقيم *

ܒܝܘܡ̈ܝ ܫܒܬܐ ܐܦ̈ܝ ܠܐܠܗܐ ܘܐܠܐܝܢ: ܢܝܚܐ
ܡܢ ܠܡܦܩܘܠܝܢ ܗܘܐ ܫܒܬܐ ܒܚܕܝ ܘܫܒܩܐ
ܦܝܪܝ ܠܝ ܒܥܠܡܐ ܕܡܫܒܚܝܢ ܐܝܟ ܢܘܗܪܐ ܕܫܡܫܐ
ܦܐܐ ܡܢ ܠܚܢܬܐ ܡܢ ܐܡܗܘܬ ܕܢܟܘܬܐ ܕܐܢܫܐ ܀
ܡܢ ܕܫܠܛܘܬܗ ܒܢ: ܐܣܝܪܝܢ ܡܒܛܝܬܐ
ܘܗܝ ܥܠܬܗ ܒܚܒܪܝܢ ܡܢ ܡܠܝ ܦܠܓܗ ܡܣܝܡܬܐ.
ܡܘܦܩܗ ܡܒܨܝܢ ܠܫܡܫܗ ܡܕܘܪ ܘܡܠܟܝܢ ܘܐܝܟܐ ܀
ܡܘܕܐ ܠܝ ܒܝ: ܕܫܠܡܗ ܦܐܪܬܐ ܡܠܟܝܬܐ ܀
ܠܝܬܝ ܕܝܦܝܢ ܗܘܪܝܢ ܐܝܟܘ ܐܦܪܘܢ ܡܬܩܦܘܢ
ܘܐܠܗܝ ܠܒܝܬܝܢ ܠܐܝܠܝܢ ܢܗܘܪܝܢ ܕܫܢܘܢ
ܘܐܝܟ ܠܗ ܠܗܘܪܝܢ ܘܐܬܟܠܢ ܗܘܝܢ ܘܡܒܠܐ ܠܒܦܘܢ
ܗܝܡܢ ܡܢ ܒܝܠܝ ܠܒ ܙܘܕܩܐ ܕܗܘܐ ܐܣܝܪܝܢ ܀
ܝܘܒܝ ܐܝܟ ܐܝܟܗ ܡܥܠܝܢ ܡܢ ܠܐܦܘܝܐ
ܘܢܦܩ ܠܐܦܝ ܡܢ ܣܝܐ ܠܗ ܢܘܗܪܐ ܡܘܗܒܐ
ܘܗܢܝ ܠܗ ܕܡܢ ܒܣܒܪܬܐ ܕܐܡܗ ܡܠܐ ܡܘܡܢܐ
ܘܡܢܟ ܡܢ ܡܠܝ ܠܟܡ ܠܡܘܒܠܐ ܐܦ ܠܡܢܐ ܀
ܡܫܠܛܝܢ ܘܐܝܟ ܐܦܪܝܡ ܕܐܬܐ ܠܐܠܗܐ ܗܢܐ
ܘܐܝܟܐ ܠܒܝܬܐ ܡܢܐܝܢ ܐܠܦܝ: ܠܟܠ ܡܢܘܬܐ
ܡܢ ܕܐܝܟ ܠܝ ܗܘܐ ܡܬܐܬܝܢ ܐܘ ܒܫܘܒܠܢܐ
ܒܠܘܩܐ ܡܠܟܗ ܐܘ ܒܫܡܫܬܐ ܕܡܗܘܝܢܐ ܀
ܢܘܗܪܐ ܕܫܡܫܐ ܡܠܝܢ ܠܟܠ ܫܦܝܪܐ ܒܢܝ ܡܘܠܕܗ
ܡܪܢܐ ܡܠܟܐ ܕܫܠܝܛܘܬܗ ܕܐܝܟ ܠܡܘܠܕܗ
ܕܫܪܟܐ ܠܒܝܬܐ ܐܬܟܠܢܝ ܠܗ ܒܫܠܝܘܬܐ ܡܘܠܕܗ

لهذا السبب توجهت الى حيث اتجه النهوض
حينما انتهيت الى سفح الجبل في وقت المساء
صادفت شاباً يُغشي بهاؤه نورَ الشمس
أبهى من الملائكة وهو يحافظ شبه الانسان ❊
لقد استولت عليَّ الرعدة من مهابته
وجعلني جماله فجأةً نصفَ مائت
سباني جماله ، راعني جلاله وملأني رهبةً
واضحت مخافته البهية فيَّ آكلةً ❊
قيودُ حواسي وتاملي بهاءَهُ اسيرتني وسجنتني
واشعة بروق عزته اثارتني وشوشتني
فقدتُ ذاكرتي وذهب عقلي واكتنفتني الشدائد
نسيت نفسي عاجلاً وقد استولى عليَّ الاندهاش ❊
حينئذٍ مدَّ يده وانتشلني من موج البحر[1]
ونفخ بوجهي مجدداً فيَّ النَفَس والعقل
فطبت روحاً بعذوبة لفظه المملو حنواً
واكتسبتُ في الحال « شجاعةً » وفطنة ❊
سألني كيف تجرأت ان تأتي الى هذا المكان
واي سبب دعاك لتستخفَّ بالفناء.
أمن تلقاء نفسك كان مجيئك ام بمشورة؟
أفي تيه سلكتَ ام في آثار مرشد ❊ ؟
خيط السكوت مدَّ على شفتيَّ بمزاله
ومن ثم شدة الشوق اليه اضطرمت للقائه
لان كل السبب المحصر بجمال محياه

١) يريد بحر الخوف . بهذا المقطع شبهٌ بما ذكره في قصة طفولية العقل . راجع « كتاب الحمامة » المشرق (١٩٥٦) ص ٦٨ و ٦٩

ܘܡܕܝܢܬܐ ܡܫܝܚܝܬ ܗܘܬ ܘܫܪܟܐ ܕܢܘܗܪܐ ܩܕܡ ܡܢ ܕܢܚܗ ܀
ܡܠܐ ܕܡܫܝܚܝܢ ܒܐܪܙܘܬܐ ܕܦܓܪܗ ܘܚܝܠܐ
ܡܚܝܐ ܐܢܫܐ ܠܐܘܡܢܘܬܐ ܒܗܘ ܐܡܠܐ
ܡܚܝܢ ܢܦܫܐ ܐܝܟ ܕܡܢ ܡܝܬܐ ܘܐܘܣ ܕܚܝܠܐ
ܟܕ ܫܠܡ ܕܡܘܬܐ · ܐܦ ܕܚܝܫܬܐ ܠܐ ܗܘܐ ܒܝܬܐܠܐ ܀
ܡܛܠ ܕܢܦܫܗ ܐܝܟ ܕܒܡ ܕܡܬܐ ܕܟܬܒܢܘܬܐ
ܘܗܘ ܙܐܐ ܗܘܐ ܕܫܡܫܬܗ ܘܠܐ ܡܦܣܝܢܘܬܐ
ܡܛܠ ܕܢܘܗܪܗ ܫܡܫܗ ܘܐܘܪܗ ܕܐܘܪܚܬܐ
ܟܡܫܬ ܕܢܦܫܗ ܘܗܘܝܢ ܦܐܝܢ ܟܫܒܝܪܘܬܐ ܀
ܟܕ ܡܠܟܬܐ ܐܝܬܐ ܕܒܟܐ ܠܡܝܗ ܠܘܬ ܐܘܪܚܬܐ
ܠܘܬܗܘܢ ܕܟܗܢܐ ܕܡܥܒܕܢܐ ܘܡܬܪܓܡܢܐ
ܩܡ ܗܘ ܫܒܐ ܕܡܫܘܚ ܕܫܒܝܠܐ ܘܡܫܡܠܝܢܐ
ܠܝܘܡܐ ܕܐܠܘܬ ܕܠܗ ܩܡ ܡܫܡܫܢܐ ܘܕܡܬܦܪܫܢܐ
ܘܡܥܒܕ ܚܝ ܟܕ ܥܒܪ ܐܝܟ ܩܢܘܢܐ ܕܡܫܡܠܝܢܐ ܀
ܠܐܬܪܐ ܕܡܫܝܚܐ ܡܥܡܪܐ ܡܘܬ ܟܕ ܐܚܝ ܚܪܐܘܬܐ
ܕܡܚܝܢ ܒܗܘܢ ܠܫܒܐ ܡܥܫܩܐ ܐܝܟ ܫܠܝܚܘܬܐ
ܠܘܡܛܐ ܘܗܘܐ ܡܫܡܫܝܢ ܩܢܝܗܘܢ ܐܝܟ ܦܪܝܫܘܬܐ
ܦܪܝܫܝܢ ܠܗܕܐ ܟܕ ܡܫܡܠܝܢ ܘܠܐ ܡܫܬܟܚܘܬܐ ܀
ܟܕ ܚܝܝܢ ܒܟܠܗ ܕܒܥܠܡܐ ܐܝܬ ܒܚܘܒܐ ܐܠܗܐ
ܠܘܬ ܕܒܝܬ ܒܢܝ ܐܝܟ ܗܘܐ ܟܗ ܠܐܒܝ ܘܦܠܝܚ ܟܠܒܪܝܐ
ܘܗ ܟܡܝܢܐ ܠܒܝܬ ܗܘܐ ܡܟܬܒܐ ܘܣܘܦܐ ܘܪܕܝܐ
ܘܐܒܗܬܐ ܕܝܢ ܐܚܝܢ ܢܘܡܐ ܒܟܠܗܝܢ ܡܕܝܪܐ ܀
ܟܒܝܪܐ ܕܝܠܐ ܡܢܗ ܟܠ ܡܢܗ ܘܐܘܡܢ ܒܡܟܬܒܐ
ܘܐܬܠܡܠ ܠܘܬ ܟܠ ܕܢܦܫܗ ܘܐܘܪܚ ܡܫܪܟܐ

وماذا كنت اجيب من حمّية الاسراع جاءت من نفسها ❊
رأى ان شدّة لقائه المخيف قد اوهنتني
فحجب حالًا ما هو حقيقي بما هو مجازي اشاري
فانتبهت حينئذٍ كمن ينتبه من رقاد وابتعد الخوف
لما رايت انه، وان كان مساوياً (لي) بالجنس كذلك بالمقدار ❊
تكلمت معه: كما اتكلم مع رفيق بجرأة
وهو كان يصغي ببشاشة بدون ملل
بحثتُ معه في نسبه واسمه ووطنه باسهاب
فاجاب هكذا على الترتيب: ❊
انا ابن ملكٍ اخضع صولجانه المملكتين
العالمين : العقلي والحسّي
من تلك السلالة التي نشأ منها جنسُ السلاطين
حدود بلادي في داخل الاقاليم الممتازة
واسمي هو حيّ بن ملك حسب قانون الواصفين. ❊
اعطاني ابي ميراثاً ثلاث قلاعٍ حصينة
تحيط بها تسعة بحار كالخندق
ونحوَ الجو تفيض مياهها كالطيور
وفيضاناتها منفصلة ومتحدة معاً بلا اختلاط ❊
اما السبب الذي لاجله اتيت الى هذا المكان
فهو انه (كان) لابي عبدان يخدمان بالاجرة
فالكبير كان يحمل مفاتيح الماء والصباح
اما الصغير فيقيد الريح بقيود الطين ❊
وقد عصا العبد الكبير على سيده ورفع عقبه
وتعظم على رفقائه واثار حرباً

ܘܟܕ ܒܢܝܢ ܗܘܐ ܨܠܐ ܠܒܝܬܗ ܐܒܘܗܝ ܢܡܟܐ
ܘܒܢܝܢܘܬܗ ܢܛܦܗ ܘܟܠܗ ܘܡܫܒܚ ܠܐܠܗܐ ܀
ܘܟܕ ܕܝܢ ܡܠܟܐ ܘܡܕܒܪ ܠܒܝܬܝܗܘܢ ܠܥܕܪܘܬܗ
ܘܦܪܢܣ ܐܢܘܢ ܥܠ ܐܒܝܠܐ ܘܝܬܡܘܬܗ
ܠܗܘ ܓܒܪ ܢܨܝܚܐ ܒܗܘܐ ܘܡܠܟ ܠܢܡܘܣܘܬܗ
ܐܠܐ ܐܪܦ ܘܣܠܩ ܐܢܘܢ ܒܥܒܝܕܘܬܗ ܀
ܘܡܢ ܡܠܟܐ ܓܒܪܐ ܕܐܝܬܘܗܝ ܒܡܕܒܪܐ ܕܐܘܪܚܐ
ܐܡܝܢܐ ܕܒܗ ܟܕ ܒܗ ܒܛܠܘܬܐ ܕܐܬܟܠܒ ܢܒܥܬܗ
ܐܫܬܡܥ ܠܗܘܢ ܐܠܗܝܘܬܗ ܠܗ ܕܠܐ ܢܫܬܒܩ
ܘܢܬܠ ܚܝܠܐ ܘܢܬܟܠ ܥܠܝܢܐ ܗܘ ܕܐܝܬܘܗܝ ܀
ܐܝܟ ܡܫܡܫܢܐ ܘܐܝܟ ܫܘܪܐ ܗܘܐ ܠܐܦܝܣܩܘܦܐ
ܠܟܗܢܘܬܐ ܩܡ ܕܠܐ ܫܓܝܫܘܬܐ ܘܠܐ ܟܕ ܒܥܘܬܐ
ܘܟܕ ܗܘ ܒܬܘܕܝܬܐ ܩܘܪܒܢܐ ܘܡܠܐ ܒܗ ܘܕܘܒܪܘܗܝ
ܘܦܠܚܘܬܗ ܫܡܫ ܒܫܦܝܪܘܬܐ ܘܠܐ ܠܘܬܗ ܀
ܐܬܟܢܫ ܠܥܠܡܗܘܢ ܘܠܐܬܪ ܕܝܢ ܗܘ ܡܥܒܪܐ
ܘܐܬܚܫܒ ܠܗ ܘܫܡܫ ܙܕܝܩܘܬܐ ܥܠ ܠܚܒܪܘܗܝ
ܡܠܝܢ ܓܝܪ ܘܢܦܠ ܘܛܠܐ ܒܫܠܡܐ ܐܝܟ ܦܪܝܫܘܬܐ
ܘܢܬܠ ܠܗܘܢ ܡܝܬܪܬܐ ܐܝܟ ܠܥܒܕܘܗܝ ܀
ܒܫܠܡܗ ܒܥܡܠܗ ܘܦܘܠܚܗ ܘܒܝܬܗ ܡܢܝܚܐ ܫܘܒܩܢܗ
ܒܡܫܡܫܢܘܬܐ ܘܒܦܘܠܚܢܐ ܡܢܗ ܕܝܢ ܟܘܪܗ
ܐܬܝܗ ܡܢܗ ܠܫܠܡܐ ܒܫܡܝܐ ܘܒܝܬ ܐܒܘܗܝ
ܟܕ ܫܒܩܗ ܘܒܬܪܗ ܐܡܪܬ ܠܐܠܗܐ ܀
ܦܩܕ ܐܢܐ ܕܐܦ ܢܫܝܢ ܒܫܡܗ ܐܡܝܢܐ
ܕܒܥܠ ܒܬܘܕܝܬܐ ܢܬܪܥܘܢ ܥܠܘܗܝ ܐܘ ܢܬܟܬܒܘܢ

وبينا كان منهزماً صلا فخاً لرفيقه الصغير
واستولى عليه بمكره وسلبه وبدل مسكنه ❖
فغضب الملك وارسل عبيده ليصطادوه
وحضّهم على ملاشاة عتوه
اما ذلك العاتي فما خجل وما كفّ عن تصلّبه
بل اجترأ وانتصر عليهم بوقاحته ❖
حينئذٍ ارسلني الملك لافتك بالماكر الذي نافق
لكي يُرشق بالسهم الذي رشق به
فتزيّيتُ بزيّ البلد حتى لا يعرفني
فينهزم وتضيع الغنيمة التي احتال عليها ❖
اضحيتُ في الغربة كمسكين وجاسوس
وحيدًا بلا جنود ولا رفيق
صادفتُ في الطريق شدائد وعذابات ورجم
فاحتملتها كلها بنشاط دون إبطاء ❖
اخبروني ان ذاك العاصي يسكن في الهواء
فاحتلت عليه وصعدت اليه على عمود
فرآني وسقط واختبأ في القبر كالخفّاش
فانحدرت وراءه سريعاً كالغوّاص ❖
قبضت عليه في مخبائه ورضضت راسه وسط مغارته
وربطت عنقه بالسلاسل والاغلال
وانقذت منه العبد المظلوم الذي اكثر تعذيبهُ
اذ أعتقتهُ فارتحل الى بلاده ظافرًا ❖
فلبثتُ انا حتى يحمل رهطهُ كلهُ
لئلا يحدثُ له في الطريق رزيئةٌ او يُنهبُ

ܐܝܟ ܕܡܢ ܟܒܪܐ ܠܦܫܘܪ ܡܪܘܡܬܗ ܘܠܐ ܡܬܬܟܝܠܐ
ܟܕ ܡܢ ܐܘܪܚܐ ܕܪܘܚܩ ܡܟܒܪܐ ܚܕܐ ܠܐ ܡܫܬܡܠܐ ܀
ܡܢ ܠܟ ܒܐܬܪܝܢ ܒܐܬܘܬܐ ܕܒܟܢ ܐܝܟ ܕܠܐ ܐ
ܘܠܐ ܢܣܬܟܠܘܢ ܢܗܪܐ ܠܡܫܝܚܐ ܒܡܦܩܬܐ
ܗܪܡܢ ܒܠܘܡܢ ܘܠܐ ܐܬܬܣܒܪ ܕܡܫܬܡܬܐ
ܘܐܬܒ ܠܟܦܢ ܘܠܐ ܡܬܬܚܡ ܠܡܟܣ ܐܘܦ ܐܫܬܘܐ ܀
ܡܕܡܝܢ ܦܘܐܡܐ ܦܬܡܟܐ ܡܢܚܡܐ ܘܠܐ ܡܟܪܝܐ ܒܐܘܪܚܐ
ܘܐܝܟ ܒܗ ܢܘܟܪܝܐ ܢܦܩ ܦܘܬܝ ܘܟܠܗ ܟܒܗ ܐܘܪܚܐ
ܒܗܘܢܐ ܫܟܝܡܢ ܐܘܡܘܬܐ ܕܡܫܝܚܢ ܐܘܪܚܐ
ܡܢ ܐܡܪܘܬܐ ܘܠܐ ܢܬܠܒܒܘܢ ܟܕ ܚܕܐ ܡܟܠܐ ܀
ܐܬܚܙܝ ܒܢ ܘܐܦܘܪ ܦܘܬܐ ܕܚܝܟ ܟܠܗ ܘܟܠܗܘܢ
ܘܐܡܠܐ ܪܘܚܢ ܘܠܐ ܢܣܬܟܠܘܢ ܒܢܝ ܕܦܪܝܣܘܗܝ
ܘܐܝܟ ܟܢ ܒܐܘܪܚ ܘܐܠܗܐ ܫܬܩ ܕܒܫܬܩ ܡܢܗܘܢ
ܒܪܘܪܐ ܘܢܚܪܐ ܐܦ ܐܢܫܐ ܕܚܝܢ ܡܢ ܟܠܗܘܢ ܀
ܟܠܦܝ ܢܟܝܢ ܠܐ ܚܝܡ ܡܘܪܐ ܕܟܠܐ ܘܐܟܝܢ
ܟܠ ܕܝ ܐܘܪܚܐ ܢܟܝܢ ܡܚܝܢ ܠܐܢܫܐ ܕܟܢܫܢ
ܕܝ ܒܢ ܦܢܝܢ ܐܢܫܐ ܡܕܡܝܢ ܘܐܢܫܝܢ ܐܟܢ
ܡܢܝ ܡܚܡܫܘܬܐ ܕܡܦܚܡܬ ܘܠܐ ܐܬܦܟܢ ܀
ܡܢ ܦܫܬܐ ܘܢܣܠܐ ܠܡܟܣ ܡܟܪܝܐ ܐܘܟܝܢ
ܘܪܡܝܢ ܘܦܬܢ ܕܡܫܝܚܐ ܦܟܝܢ ܦܚܢܝܢ
ܐܢܫ ܦܘܡܢܐ ܐܝܟ ܐܘܪܚܐ ܐܡܝܢ ܕܦܫܝܢ
ܡܫܬܡܫ ܡܚܝܢ ܡܕܡܝܢ ܡܢܝ ܠܐܘܪܐ ܕܟܢܝܢ ܀
ܟܘܡܟܐ ܢܟܝܢ ܦܢ ܡܦܝܣܢܐ ܘܗܘܐ ܡܟܢܟܐ
ܚܪܐ ܡܚܟܬܐ ܘܪܡܙܐ ܒܪܘܟܐ ܘܟܡܟܢ ܟܐܘܪܚܐ

اما انت ايها الرجل فتمم مسيرك لئلا تحتقر
واحذر ألا تحيد عن الطريق التي يبرانهجها الملك ❊
خذ بيديك خاتمي بمنزلة علامة
لئلا يهشمك حراس الحدود بمعارضاتهم
احفظه بحرص لئلا تغتالَ بالحيل
وتتلف بالكلية ولا تعود تجد شفاء ابداً ❊
امامك فندق مزين رحب غير مركوز في الارض
وفيه خمس نوافذ وليس له باب
محبوسة فيه اربعة اسد تزأر
احترس لئلا تمزقك بمدة يسيرة ❊
احتل واغلق النوافذ التي بينك وبينها
وعجل سيرك لئلا تخدشك باظفارها
ويوجد في طريقك ايضاً ثلاثة وحوش اكثر شراسة منها
حمار وحش ونمر وتنين هو اشر من جميعها ❊
وغير موضوع بازاء هذه الوحوش سور يمنع او يصد
وهي رابضة على قارعة الطريق كامنة لمن يمر
الواحد منها يهيج والآخر يهيج والآخر يفترس
فرتب خطواتك لكيلا ترتبك ❊
على شمال الوادي تجد سبعة ابواب
عالية واسعة شهية جداً عند الكثيرين
وهناك حبشي كامن كبواب
يحث ويرغب ويهيج ويشوق الغرباء الذين يجتازون ❊
بازاء هذه عن يمين الجبل مركز
سلم رأسها في العلى واسفلها في الارض

ܡܐܟܘܠܐ ܘܡܫܬܝܐ ܘܡܣܝܒܪܢܝ ܡܢܗ ܕܪܘܚܐ ܡܫܒܚܐ
ܕܝܢ ܕܐܟܠܬܐ ܡܣܝܒܪܝܢ ܡܫܡܫܝܢ ܠܗܘ ܫܒܚܐ ܀
ܒܗܐ ܡܫܡܫܢܘܬܐ ܕܗܠܝܢ ܕܪܘܚܐ ܟܠܗ ܢܦܫܗ
ܕܦܘܠܚܢܗܘܢ ܠܡ ܡܬܒܥܐ ܠܦܩܘܕ ܢܦܫܗ
ܗܢܐ ܠܒܢܫܐ ܘܠܦܘܠܚܢܐ ܐܦ ܠܗ ܒܦܘܩܕܢܗ
ܟܕ ܡܢ ܠܡܫܡܫܢܘܬܐ ܠܟܠܗ ܗܘܐ ܡܟܠܐ ܠܢܦܫܗ ܀
ܘܐܦ ܠܗ ܕܐܝܬܝܐ ܚܕܐ ܠܗܕܪܐ ܟܠܗ ܡܢ ܠܗܘܪܐ
ܘܡܫܬܝܢ ܡܢܗ ܠܐܘܪܫܠܡ ܡܕܝܢܬܐ ܕܡܠܟܘܬܐ ܠܗܘܪܐ
ܦܬܘܫܠܡܐ ܕܡܠܟܘܢ ܕܗܘܐ ܣܓܝܐܐ ܘܛܒܬܐ ܘܣܘܓܐܐ
ܘܠܦܠܚܘܬܗܘܢ ܡܣܝܒܪܢ ܐܪܥܬܐ ܘܡܬܐ ܘܛܘܪܐ ܀
ܒܗܠܝܢ ܡܕܝܢܝ ܡܫܒܚܐ ܡܠܟܘܬܝ ܕܝܠܗ ܬܪܝܨܝܢ
ܗܢܘܢ ܕܠܐܝܬܝܢ ܡܢܗܘܢ ܗܘܐ ܠܗܘܢ ܡܕܒܪܢܝܢ
ܠܫܡܝܐ ܡܛܠ ܐܦ ܠܡܫܝܚܐ ܦܫܛܝܢ ܐܝܕܝܢ
ܘܠܒܬܪ ܢܦܫܐ ܐܡܪ ܠܐܒܘܬܐ ܠܒܣܪܐ ܡܕܡܫܡܫܝܢ ܀
ܐܢܘܢ ܕܒܪܐ ܘܫܘܠܛܢܐ ܐܝܟ ܠܡܫܡܫܢܘܬܗܘܢ
ܠܗ ܡܫܒܚܬܐ ܠܐܘܪܫܠܡ ܡܢ ܢܡܫܡܫܘܢ
ܠܐ ܐܬܦܠܓܘ ܒܦܘܪܫܢܐ ܡܠܐ ܕܡܠܟܘܬܗܘܢ
ܠܒܢܘܗܝ ܒܒܝܬ ܩܘܕܫܐ ܡܠܟܐ ܠܦܘܪܩܢܗܘܢ ܀
ܒܗܘ ܡܢ ܗܘܢ ܐܠܗܐ ܕܫܡܝܐ ܫܪܝܢ ܠܡܫܒܚܘ
ܡܬܢܝܐ ܠܡܫܝܚܐ ܕܫܘܪܝܐܗ ܫܦܝܪܝܢ ܢܘܗܪܐ
ܠܡܫܡܫܢܘܬܗܘܢ ܠܐ ܡܠܟܘܢ ܕܫܡ ܪܘܚܐ ܘܦܐܪܘܩܐ
ܟܕ ܡܫܒܚܝܢ ܠܡܠܟܬܐ ܡܫܝܚܐ ܘܢܘܗܪܐ ܀
ܟܠ ܡܬܦܩܕܐ ܕܦܠܚܘܢ ܫܡܝܐ ܫܡܝܢ ܘܡܫܬܢܝܢ
ܫܡܝܐ ܡܠܟܐ ܘܡܫܒܚܢܐ ܕܠܐ ܡܬܐܡܪܝܢ

مرتفعة وصعبة ومنتظم فيها سبع درجات
حيث القليلون معتادون ان يصعدوا الى مخزن الخصب ❊
هيئ نفسك للارتقاء في هذه الدرجات
حتى تدرك في آخرها غرضك بالافراح
امقت الراحه والسآمة والتأخر
اذ تقطف الوردَ من الاشواك اكليلاً لراسك ❊
ولك ان تشاهد جزيرةً فوق الجبال
فيها عشر مدن ملأى من المدهشات
اعتابها ذهبٌ خالص وجواهر وحجارة كريمة
وترتكض الى خبائها الازمنة والساعات والاوقات ❊
في هذه المدن يسكن سبعة ملوك نبلاء جداً
هائمون مضطربون ولهذا يسلكون في الضلال
يجرون ويطوفون الى الوراء والى الامام
ويدبرون الجمهور كالقهارمة بدون سكون ❊
اذا عرض لك ووجدتَ صدفةً في تخومهم
صُن خطواتكَ باحتراس من اشراكهم
لا تغترّ بجمال سلطانهم المستعار
فقط غمّض حواسك واجتزْ شباكهم ❊
في داخل هذه (المدن) تسعة حصون مصفوفة بترتيب
منيعة سنية مرتفعة من كل جانب
لا يقع في تخومها حادثٌ ولا خطرٌ ابداً
اذ هي مصنوعةٌ للجنود الذين يعدون امام السلطان، ملاذاً او ملجأ ❊
على قمة جميع الحدود مشيَّد ومرتفع
حصنٌ عاشرٌ عالٍ لا يُحدّ

ܚܘܪ ܢܦܫ ܘܡܢ ܣܡܘܟܐ ܠܐ ܡܬܡܟܟܐ
ܟܒܪܘ ܡܬܠܝ ܒܢܘܗܪܐ ܡܟܣܐ ܘܠܐ ܡܬܦܣܩ ܀
ܐܘܪܚܗ ܙܪܝܩܐ ܒܬܫܒܘܚܬܐ ܘܒܪܬܡܐ ܐܟܣܢܝܐ
ܐܦ ܐܬܟܣܝܘ ܡܢ ܚܘܡܬܐ ܘܡܢ ܒܨܘܪܚܝܐ
ܕܥܘܡ ܡܒܪܟܝܢ ܐܝܟ ܡܫܡܠܐ ܘܐܝܟܢܐ ܒܟܡܝܐ
ܐܫܬܥܝܘ ܠܢ ܕܡܢ ܡܫܬܟܚ ܘܬܒܥܐ ܡܫܝܚܐ ܀
ܐܬ ܟܬܢܘܡܗ ܚܕܐ ܙܟܐ ܘܡܬܒܪܟܬܐ
ܘܡܫܬܡܫ ܒܗ ܒܢܝܐ ܦܬܓܡܐ ܕܟܠ ܚܝܘܬܐ
ܐܝܟ ܟܘܡܪܐ ܘܐܘܦ ܡܠܟܐ ܕܟܠ ܡܢ ܟܘܪܚܬܐ
ܘܟܠܗܝܢ ܐܡܪܢ ܟܠ ܡܠܟܬܐ ܘܢܒܝܐ ܀
ܒܟܠ ܡܢ ܗܢܐ ܢܩܡ ܠܗ ܫܒܚܐ ܡܥܡܕܢܐ ܟܐܢܐ
ܘܐܡܪ ܠܬܠܡܝܕܘܗܝ ܒܫܦܝܪܐ ܕܛܝܒܘܬܐ ܘܗܘܢܐ ܘܟܐܢܐ
ܡܛܠ ܐܢܘܢ ܡܫܒܚܝܢ ܒܫܡܝܐ ܢܦܫܬܐ ܕܗܘܐ ܡܫܝܚܐ
ܟܕ ܡܫܒܚܝܢ ܗܘܘ ܠܟܠ ܡܠܟܐ ܕܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܀
ܐܡܢ ܐܢܬ ܠܝ ܕܐܦܬܚ ܒܐܦܝ ܐܠܗܐ ܘܫܘܒܚܐ
ܘܗܘ ܡܦܫܩܐ ܠܝ ܡܢ ܡܘܠܕܐ ܕܡܫܝܚܐ
ܡܫܒܚܐ ܡܫܒܚܐ ܡܟܣܝܐ ܡܫܡܠܝܐ ܘܪܒܐ ܒܟܠܗܘܢ
ܘܡܠܐ ܡܕܝܢ ܦܬܓܡܗ ܢܘܗܪܐ ܘܐܠܗܘܬܐ ܀
ܒܪܝܟ ܐܢܬ ܫܡܗ ܡܪܝܐ ܫܘܒܚܐ ܠܫܡܟ
ܘܐܘܪܚܗ ܠܟ ܟܢܫܬ ܕܩܝܡܐ ܘܩܘܠܣܐ
ܒܫܠܡܐ ܕܟܠܢ ܘܕܝܠܟ ܐܡܪ ܐܦ ܡܫܒܚܝܢ
ܘܕܡܝܢ ܘܐܘܕܝܐ ܘܡܫܒܚܐ ܡܫܒܚܐ ܒܟܠ ܠܗܘ ܀
ܐܬܚܘ ܠܢ ܡܘܗܒܬ ܠܟ ܣܒܪܐ ܡܒܘܪܟܐ ܡܫܝܚܐ
ܠܛܠܝܐ ܡܠܟܐ ܒܟܢܫܬܐ ܙܟܝ ܟܪܘܒܐ ܕܫܡܝܐ

منيرٌ سَنيٌّ ولا يحجبه الظلام
يتلألأ ابداً بنور بهي لا يُماثَل *
ارضه مرصوفه بوشاح البروق المنهلّة
وسقفه من اليواقيت واللآلي
لون منازله كالمها[1] والاشعّة السنيّة
واعتابه من البلّور والحجارة الكريمة اللطيفة *
يوجد على حدّه بحرٌ عظيمٌ من اللهيب
ووافرةٌ فيه اجناس جميع الحيوانات المتنوّعة
تأكل الجمر وتشرب ايضاً الدم من اللهبة
وترتّل دائماً جميع التراتيل اللذيذة *
وفوق هذا نصب الملك له خيمةً بهيّة
وربط اطنابها باجنحة العقول الشهية النقيّة
وركّز اوتادها في متون المواكب المضطرمة السنية
وقد وضع عواميدها على فيوض الامواج الرّطبة *
فهناك لك ان تعاين وجهاً بازاء وجه صديقتك
وهي تبرّدك من حرارة هيامك
تهذّبك وتحبّك وتعانقك وتقبّلك وترقد بحضنك
وتخفّف عنك كل ثقل شقائك *
لهذا تألمت انا حينئذٍ في مكانٍ حرجٍ
رضغطَ عليَّ بين دفتي مكبسٍ
فحلاوة العسل التي اشتهيتُها أمرّها أفسنتين
خبَر الطريقِ المملوءة شدائد ومقاومات *
انَّ آبائي اعطوني رفيقاً[2] مكّاراً مستتراً
بطيء عن الخير سريع الى الشر كالظبي

[1] كالسنجوني
[2] ربما اراد الجسد

ܕܢܫܐ ܐܚܘܪܐ ܡܐ ܕܦܓܠ ܒܗ ܒܥܩܒ: ܐܝܟ ܐܘܪܐ
ܘܐܢ ܡܠܬܪܘ ܡܠܐ ܒܪܢܐ ܒܗ ܐܝܟ ܡܬܢܐ ܀
ܘܐܠܗܘܗܝ ܐܢܐ ܡܒܥܢ ܩܢܐ ܘܫܢܐ ܘܪܫܢܐ
ܘܡܢ ܒܟܠܒܘܗܝ ܠܐ ܡܠܟܒܪܐ ܐܘܪܚܐ ܕܡܫܒܚܐ
ܡܢܢ ܗܘ ܗܘܝܐ ܟܠ ܫܘܬܦܐ ܐܘ ܟܠ ܩܐܡܐ
ܐܠܗܐ ܒܡܐܡܪ: ܟܠ ܦܘܫܐ ܘܟܠ ܡܘܡܫܡܐ ܀
ܢܫܡܐ ܒܘܡܫܬܐ ܕܠܒ ܡܢܢܝ ܢܘܒ ܟܕ ܒܢܝܢܐ
ܘܐܢܫܐ ܕܐܒܐ ܡܒܢܬܗ ܗܢܝܟܐ ܡܢ ܐܒܪܢܐ
ܐܝܟ ܕܒܦܘܦܘܣ ܐܠܗܘܬ ܟܢ ܡܦܫܢܐ ܗܘܢܐ
ܘܒܫܢ ܒܠܟܘܗܝ ܒܗܠ ܟܫܡܢܬܐ ܗܘܐ ܡܠܐܢܐ ܀
ܕܫܢܐ ܠܒܢܬܐ ܕܡܬܫܢܘܬܐ ܐܢܐ ܐܘ ܡܩܠ
ܘܒܡܟܬܒܐ ܕܟܬܒܐ ܒܫܬܡܐ ܐܡܪ: ܒܪܬܠ
ܟܪܘܫܡ ܒܗ ܒܠܐܠܗܘܬܗ ܢܦܫܐ ܘܫܟܠ
ܘܟܪܫܢܐ ܒܗ ܒܡܢ ܢܘܐܠܗܘܬܗ ܡܕܪܫܐ ܡܫܪܠ ܀
ܗܢܐ ܗܘܝܐ ܡܢ ܡܘܪܢܐ ܡܒܥܒܢ ܡܫܟܢ
ܘܒܢ ܪܡܫܐ ܒܠܠܟܘܬܗ ܫܒܪܐ ܒܒܪܢ
ܡܢ ܪܘܡܐ ܦܓܪܐ ܕܒܗ ܐܒܢ ܐܝܟ ܐܠܗܐ
ܘܠܐ ܒܪܗ ܒܗ ܕܐܦ ܟܐܒܫܢܐ ܐܡܪ ܡܫܡܢ ܀
ܒܟܠܗ ܕܗܘܢܐ ܟܠ ܡܢ ܐܘܪܚܐ ܕܩܪܐ ܐܢܐ ܗܘܡܐ
ܘܗܘ ܠܐ ܡܠܐ ܡܢ ܡܪܬܐ ܘܡܢ ܟܐܠܗܘܡܐ
ܡܠܟܐ ܩܪܝܐ ܡܠܬܗ ܒܗ ܒܪܘܚܐ ܒܡܘܡܟܢ ܢܡܐ
ܘܗܢܐ ܡܠܐ ܒܡ ܒܢ: ܡܠܟܘܗ ܡܢܢ ܦܘܡܐ ܀
ܒܢܝܐ ܕܢܦܫ ܡܢ ܢܘܡܐܠܐ ܕܦܘܡܗ ܢܘܗܪܗ
ܘܡܥܒܕܢ ܢܘܗܪܐ ܕܫܘܪܘ ܒܒܪܘܬܗ ܘܡܘܬ ܠܐܠܗܘܬܗ

متى حصل له راحة يسيرة ، زأرَ كالاسد
واذا مُدحَ مدةً يسيرة اهتزَّ كالمياه ❖
وهو أخٌ ومصيِّرٌ(١) فخًا وعدوًا وصديقًا
ومن دونهِ لا تتمّ الطريق الموضوعة
فهو مفتقرٌ اذن الى الكبح والى اللجام
هلمّ نتكلّم عن الداء والدواء
وهبني الطبع خمسة مناخس قاسية جدًا
وحيثما يريق سمّه المكروه فغايتهُ الهلاك
وكأن هذا الدورَ أُعطي لي لمذلّتي
وبسبب غضبه صرتُ كـلانًا بين الناجحين ❖
كم من الجبابرة المشهورين قهر واذلّ
وقيّد وعرقل المسرعين باشراكٍ بالية
يؤذي ويقتل من يحبّهُ بجيشانهِ
ويُرهن ويخدع من يبغضه بتمليقاته ❖
هذا اذن من البدء أذلني واسقطني
وجعلني رفيقًا مع الدبيب بجذبهِ
من بيت ابي الشهيّ ابعدني وانزلني
ولم يكتفِ بل عاد وفي الغربة اشقاني ❖
بسبب هذا انا الآن ملقى على قارعة الطريق
وهو لا يكفّ عن الفتن والقتال
يدفعني الهيامُ القديم الى السعي لادراك الغرض
وهذا الواهن ، مع مُشيدهِ ، يُوعز بالتوقُّف ❖
ايها المحتجب الذي خرج عن نقطة دائرة نورهِ
واتمّ دور تحرير عبيده وعاد الى مكانه

١) وقد صار فخًا

ܫܘܬܦܘܗܝ ܠܒܠܒܝܢ ܘܗܝ ܬܢ ܒܥܘܠܐ ܐܟܢܐ ܪܘܚܗ
ܕܒܗܘܐ ܢܕܟܐ ܘܠܐ ܬܬܟܠ ܡܢ ܫܦܝܘܬܗ ܀
ܡܩܒܠ ܐܢܫ ܡܘܕܝܢܐ ܟܠܢܝܐ ܕܠܫܘܬܦܘܬܐ.
ܕܗܘܐ ܒܦܘܪܣܢܬܐ ܚܕܬܐ ܕܡܬܩܠܐ ܘܡܬܒܥܕܬܐ
ܡܟܠ ܗܢܝܠ ܡܠܐܟ ܬܪܝܐ ܘܠܐ ܠܚܝܪܘܬܐ
ܡܢ ܐܘܟܡܬܐ ܘܐܘܪܒܠ ܟܝܬܗ ܡܢ ܢܝܚܬܐ
ܐܘܟ ܡܫܬܘܬܦ ܐܚܠ ܠܝܠܗ ܡܢܪܐ ܒܝܬܐ
ܠܐ ܬܬܒܥ ܢܝܫܐ ܐܘܪܐ ܒܡܫܡܫܢܘܬܐ
ܘܠܐ ܢܝܪܐ ܟܗ ܒܝܗ ܐܬܟܝܢܐ ܡܠܐ ܐܝܫܘܬܐ
ܡܢ ܐܘܪܫܠܐ ܕܒܘܪܟܐ ܢܗܪܐ ܐܟܝ ܡܢܗܪܘܬܐ
ܐܦ ܒܟܝܢ ܒܠܝܗ ܘܡܠܐ ܟܠ ܐܝܠܢܐ
ܘܒܡܫܝܚܬܐ ܡܒܠܟܬ ܡܫܝܚ ܟܡܦܣܢܘܬܐ
ܐܠܐ ܒܡܢܝܢܐ ܐܒܘܐ ܐܡܢ ܒܦܪܘܫܘܬܐ
ܘܠܐ ܐܠܦܘܦ ܟܗ ܒܟܡܢܘܬܐ ܡܟܠܝܢܘܬܐ
ܐܘܢ ܠܫܘܒܚܐ ܝܗܒܐ ܕܒܢܘܗܝ ܡܢܪܘܬܐ
ܫܟܢ ܐܝܟ ܒܐܠܗܐ ܟܢܫ ܘܗܝ ܦܘܩܕܐ ܘܠܐ ܦܟܝܚܘܬܐ

ارأفْ بعبدك واطلقْ عنقه من نير الاثم
ليكون خاصتك ولا يُقتاد من عدوه *
فالآن يا اخانا مجدَ الكمالِ البهيَّ
الذي صار بالحقيقة وارثَ الاسرار الغامضة والحكم
اقبل قصيدة الرموز التي لا سأمَ فيها
من القريحة التي أقفرَ بيتُها من المعارف
قد ادخل ربُّ البيت الى كنزه فلسين
فالقصدُ المستقيم لا يتمطّنْ بالفقر
لان ذلك التسبيح الملو نقاء لم يأنف
من قوت القربان القذرة في وقت الشدة
انه وإن كان كنزك غنيًّا ومملوءًا من كل البضائع
ويُغني الكثيرين جدًّا بسخاء
فمع ذلك إرضَ بهذه الهديَّة الصغيرة بفضل منك
ولا يطرأ على نشاطك ملَل
الشكر لمحبتك يا سيد جميع السادات
والسجود لك مع ابيك والروح القدس بلا انفصال

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم ١٧٨٧ ــ ١٨٠٩ (تابع)

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

على ايام المطران جبرائيل كنيدر
(١٧٨٧-١٨٠٢)

[١٧٨٧] في هذه السنة جلس المطران جبرائيل كنيدر على كرسي اسقفية حلب . وهو من اسرة مارونية عريقة بالقدم يذكر منها سجل الطائفة في ١٦ ايلول ١٦٦٨ اصيل ابنة يوسف كنيدر وهيلانة ابنة ابي عبدالله كنيدر ٣١ ك ١٦٧١ .

وعرف المطران جبرائيل بمناقشته المرسلين اللاتين في امر سماعهم الاعترافات في البيوت وعرضه القضية على قنصل فرنسة طالباً تدخله فيها . وفي المكتبة الشرقية رسالة (رقم ٧٧٠) رد فيها المرسلون بالاسهاب على حجج المطران ومنها افادة على مكانة القنصل الافرنسي في عين الموارنة فيأخذونه حكماً في امورهم حتى الدينية .

وفي هذه السنة (١٥ك١) ارسل البابا بيوس السادس براءة للطائفة المارونية بخصوص قصادة جرمانوس آدم مطران مدينة حلب الروم الملكي جاء فيها[1] :

« اننا نأمر المذكور عينه بان يدعو الى التيام سينودس جديد ويكون هو مترئساً عليه ويسالك فيه باستقامة في انتخاب اساقفة بموجب رسوم المجمع اللبناني واوامر مجمعنا هذا مجمع انتشار الايمان علماً ان السينودوس الاخير الملتأم في شهر ايلول سنة ١٧٨٦ في كنيسة البتول الطوباوية في عين شقيف لا يمكن اثباته لاجل علل كثيرة بل يجب ان يحسب كلا شيء ولا فعل له ويجب ان تتلاشى مراسيمه كما تستحق من كونها مضادة المجمع اللبناني المقدم ذكره ومضرة لاستقامة سياسة النفوس ومبينة خربة الحقوق الاسقفية : ومن هذا السينودوس الجديد يجب على كل حال تجنب وابعاد الاسقف يوسف نجيم المحكوم عليه بالمنع

١) لا ذكر لهذه البراءة في ترجمة جرمانوس آدم في القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي مجلد ١ : عمود ٤٩٤

عن التصرف بدرجة الاسقفية ومثل ذلك الاسقفان يوحنا حلو ويوسف تيان بما ان انتخابها قد صار خارجاً عن السينودوس ضد رسم المجمع اللبناني وضد الاوامر المكروة من مجمع انتشار الايمان » . راجع « مناشير من الكرسي الرسولي » (ص ٢٦—٢٩)

الطاعون في حلب

«اذ كان سنة ١٧٨٧ للمسيح موافق ١٢٠١ هجري صار طاعون وابتدا عند الاسلام واليهود في ١٠ سباط واما عندنا نحن المسيحيين لم يظهر الا نحو ٢٠ اذار وبعد هذا التاريخ بدأ الافرنج يختفون من ٢٨ اذار عيد الفصح وبعدهم اختفى اناس أخر من مسيحيي حلب واما نحن (آل باسيل) فاختفينا يوم الاربعاء ثالث جمعه بعد الفصح الواقع في ١٤ نيسان والموافق ٦ رجب وكان الى يوم اختفائنا انوسم نحو ثمانية واربعون نفر من طائفة الروم حسبما قرر الاب المعيّن لقبول اعترافاتهم . فنسأله تعالى ان يرفع هذا الغضب» .

واحصى صاحب المقال عدد الذين ماتوا بالطاعون في حلب من ١٤ نيسان الى ٢٦ تموز فقال انهم ٢٤٦٠ من اليهود و٥٢٠ من النصارى وذلك اخذاً عن اصدقاء ومعارف كانوا يأتونه بالاخبار يومياً وذكر اسماءهم في كتابه :

« جبرا زمريا، الياس كاتب ، نصري حجار ، بطرس ديب، جرجي نحاس الخ الخ ... »

وقال :

« ان هذا الحساب ما هو مضبوط لان بعدما خرجنا من الخباء بلغنا ان عدد الذين ماتوا من النصارى قيل الف ٣ وقيل الف ٤ ومن اليهود ٩٠٠ مئة وقيل ١٠٠٠ ومن الاسلام قيل الف و١٤٠ وقيل الف و١٥٠ ولا نعلم الحقيقة لانه قيل انه مات من البلد كرتين مع ان عدد البلد ثمان كرات (الكرة مئة الف ؟ — والمبالغة بينة[1] !) ولا نعلم الحقيقة . فاذا كان هذا القول صادقاً فيكون مات ربع اهالي البلد ما عدا انها خليت من الغريب .

ثم بعد الخروج من الخباء لم يزل الغلاء مشتداً فحمداً لمن لا يحمد على مكروه سواه . ولم تزل الناس تلهج الى الآن بان السبب ما انقطع . نسأله ان يرفع غضبه ولا يعيده بشفاعة والدته الطاهرة وجميع قديسيه. آمين.

[1] راجع فيما بعد سنة ١٧٩١ احصاء ديفيزين .

واختبأ عندنا ١٦ اشخاص من رجال ونساء . وكان جبور استبوليه يوم الذي تخبينا يخرج لقضاء الحوائج ويتمم مهمات الكار مع لوازمه . ثم صار يقضي حوائج بيت العائدة وبشارة الطرابلسي وبيت العم الخواجا ميخائيل باسيل[1] والمتسلم الله .

والكهنة الذين توفوا في تلك السنة قس لفرنديوس راهب روم ودفن بالخشخاشة (في الكنيسة) والقس لوقا راهب روم ودير ملكون الارمني والراهب الشراوي روم مطعون دفنوا في قبر في الجبانة . والقس انطون شاهيات روم مطعون دفن في الخشخاشة . والقس عطى الله اليازجي من المدرسة . مطعون . وخوري الفرنساوية من رهبان القدس والقس جبرائيل قواس والقس يوسف عاقوري رئيس الموارنة ١٣ حزيران مطعون دفن في الكنيسة . القس باسيل روم . والقس يوسف دياب في ٧ آب بالحمى . ودفن في الجبانة .

الاعترافات

وفي هذه السنة تأسست في حلب في دير الآباء اللعازاريين (خان البنادقة) اخوية القربان المقدس واكثر اعضائها روم كاثوليك والمتقدم فيها توما فرج الله عجوري الذي صار فيما بعد مطراناً على زحلة ونائباً لابرشية حلب (باسم اغناطيوس) وعرفت اخوية القربان الى يومنا باحتفالها الرائع بزياح عيد الجسد في حلب وفي زحلة وقد يكون الفضل في ذلك للمطران عجوري .

واكتتب فيها بحلب عدد وافر من الاخوة من سائر الطوائف الكاثوليكية حفظت اسماؤهم في لائحة رأينا ان ننشرها مع وقائع هذه السنة اخذاً عن الوثائق المارونية وفيها ذكر اهم العائلات الحلبية الكاثوليكية والفائدة لفهم قضية « الاعترافات » التي نالت في تلك الايام اهمية تجاوزت الحد اللازم فكانت موضوعاً للجدل والمناقشات والشكاوي[2] وكان من وقوعها التأثير في الحياة الدينية وتكون سبباً من اسباب التقوى الذي يمتاز به الحلبيون والفضل فيه يعود

١) فيكون الكاتب من آل باسيل وهذه الاسرة معروفة في حلب الى يومنا وهو انطون يوسف باسيل تحققنا شخصيته من المقابلة بين خط هذه الرسالة وخط غيرها الموقعة باسمه .

٢) راجع ما يقال عن المطران جبرائيل كنيدر والمطران جرمانوس حوّا في هذا المقال

الى ملازمة الاعتراف طبقاً لقوانين الاخويات وبموجب حياتها النشيطة . فيكون كل عضو من اعضائها « تحت المراقبة » فيعرف اسمه وطائفتـه واسم الكاهن معلم اعترافه ويضاف الى ذلك حيناً بعض الفوائد عن سيرته ومن هذا كله يشع نور على تطور الحياة الاكليريكية والرهبانية في الشرق لان كبار رجالها كجروا. وقراألي وفرحات وصايغ وزاخر وجروه وكسباريان ومظلوم نشأوا في تلك البئة المتحمسة للايمان . وفي ذلك الجو المتورع الحار ظهرت اخوية قلب يسوع للراهبة هندية المعروفة بشواذاتها . ومحور الحركة فيها يدور على نقطة الاعترافات. فمرجعها الى الاب المرشد ويكون من الاكليروس اللاتيني او الشرقي ولنفوذه التاثير البليغ في سياسة النفوس .

واليك لائحة اعضاء اخوية القربان مع اسماء معلمي اعترافاتهم وما الى ذلك من الملاحظات في مصير بعض الاخوة :

« الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
ابراهيم خياط	روم	البادري قلاوس	انتخب للكهنوت في تشرين ١٨٢٥
نعمة سنكي	«	« نيقلاوس	« «
يوسف عيد	«		« «
ميخائيل عجوري	«	« «	انتخب للكهنوت ١٨٢٧
يوسف ننجي	«	« «	« « ١٨٢٧
الياس كيال	«	« «	سافر للجبل وبعده صار كاهناً ١ ايلول ١٨٢٧
منصور	ارمن	« «	
ميخائيل بصال	سريان	« «	
بولس سنكي	روم	« «	سافر للجبل وبعده صار كاهناً ١ ايلول ١٨٢٧
فتح الله مقري	«	« ملاك	
يوسف طبه	«	ابونا نيقولاوس	
عبدالله حصاني	«	« «	
عبدالله قصبجي	سريان	البادري «	
حنا عزيزة	روم	« «	
ميخائيل رعد	«	قس يوسف عبديني	سافر للجبل باول ايلول وبعده صار كاهناً
اكيجان قسيس	ارمن		
يوسف سير	ارمن	قس كركور	
يوسف براهشا	سريان	خوري روفائيل	
نعمة الله برغل	روم		

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
جرجي سمعان	مريان	ابونا مرقص	
الياس مخزوم	روم		
الاخ مخايل جبارة	روم	ريس الشباني	
جبرائيل جوان	«	قس بولس اروتين	سافر للجبل ١ ايلول وبعده صار كاهناً
متري سنكي	«	البادري نيقلاوس	
انطون بصال	مريان	« «	
الياس قصاب	روم	قس نصرالله ايوب	
جرجي حداد	«	البادري نيقلاوس	
الياس خياط	ارمن	قس جبرائيل ارمني	
نقولا تركماني	روم		
حنا حجار	ارمن		
الياس عسالي	«		
الياس بصال	مريان	ابونا نيقولاوس	
بيدروس حداد	ارمن		
بطرس حجة	روم	حنا كبوجي	انتخب للكهنوت
جرجي بصبجي	ارمن		
الياس دقاق	مريان		
يوسف طرقتلي	ارمن	قس نصرالله ايوب	
نعمة الله قديد	روم	خوري مخائيل انطاكي	
حنا شقال	مريان	ابونا نيقولاوس	
جبرائيل كرباج	روم	قس بولس اروتين	
مخائيل سالم	«		
مخائيل شر	«	ابونا نيقولاوس	
نعمة الله مارين	لاتين	البادري «	
عبدالله سالم	روم	خوري بولس كاسيا	
شكرالله التنجي	«	قس نصرالله ايوب	
الياس كلزي	ارمن		
يوسف مخلحي	«	قس نصرالله ايوب	
انطون فرح	روم	« يوسف عبديني	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
نعمة الله حزاقه	ارمن	قس نصر الله ايوب	
انطون حجار	«	قس حنا كبوجي	
نصرالله مخزوم	روم	قس ابراهيم	
جرجي خوام	«	« «	
الياس ضاهر	سريان		
فتح الله قديد	روم	قس شكرالله حوا	
فتح الله جمل	«	البادري نيقولاوس	
فرنسيس مارين	سريان	خوري روفائيل	جعل كاهناً في ١٨٣١
انطون حجة	روم		سافر للرهبنة
الياس جيقون	لاتيني	البادري حنا الفرنسيسكاني	
شكرالله عسكر	«	« « «	تنيح بالطاعون
نصرالله خوام	روم	قس شكرالله ايوب	
الياس مطرجي	ارمن		
مخائيل الطوبجي	«	قس يوسف عبديني	
حنا ابريجام	«		سافر في ٢١ آب وانقطع عن المجيء
بطرس طرابلسي	روم	خوري مخائيل انطاكي	
مخائيل عزيزه	«	البادري نيقولاوس	
نعمة الله قرا	ارمن	قس نصرالله ايوب	
جبرائيل الطوبجي	«	« يوسف عبديني	
اكوجيان حداد	«	«	

[١٧٨٨] في هذه السنة كانت وفاة البطريرك باسيل الارمني واقيم عوضه بطريركاً في حلب المطران كركور كلزي.
(المجلة البطريركية ١٩٣١، ص٢١)

وكان مرشد اخوية القربان الخوري ميخائيل جربوع

— وفيها نعمة الله بن الخوري عبدالله مشاطي الحلبي نسخ كتاباً يتضمن « ما هو البابا » معرباً عن كتاب وضعه بمناسبة زيارة البابا لمدينة فينا ١٧٨٣ . (سباط ١٩٢)

[١٧٨٩] اقتنى المطران جبرائيل كنيدر الماروني في حلب كتاب المواعظ لاحد الاباء الكبوشيين . عربه عن الايطالية اغسطينوس زنده .

احصاء السكان ـ المهن ـ الوظائف

[١٧٩١] في هذه السنة كتب ديفيزين القنصل البريطاني في قبرس وحلب عن سكان هذه المدينة فقدرهم ٢٣٣ ٠٠٠[1] كما يلي :

٦٠ ٠٠٠	الاشراف وآلهم
١٥ ٠٠٠	الانكشارية وآلهم
٤٥ ٠٠٠	اللاحقون بالاشراف وآلهم
٤٨ ٠٠٠	الاتراك وآلهم
١٠ ٠٠٠	الاجانب
٢٠ ٠٠٠	المسيحيون
٣٠ ٠٠٠	اليهود

والمسيحيون[2] منهم :

٩ ٢٠٠	روم كاثوليك
٢٠٠	روم فوسيوس

١) ان هذا العدد مستغرب ولم يذكره احد من الكتبة الشرقيين او الغربيين عن حلب وان ما جاء في المقال عن الموظفين فهو دليل على ان ديفيزين لم يرسل كلامه مجازفة لانه يدقق في تعريف الرحل ووظيفته وراتبه فلا بد من القول انه شمل في الاحصاء العدد الوافر من القرويين الذين كانوا يترددون على المدينة ويسميهم اللاحقين بالاشراف فضلًا عن الانكشارية والاتراك وهؤلاء يقيمون اما في المدينة او في المنطقة الحلبية للخدمة العسكرية ولا عجب من كثرتهم لانهم جيش الدولة .

وان المدينة على سعتها اضيق من ان تحوي ضمن اسوارها الست مئة والثلاثة والثلاثين الف نسمة فيكون لاكثرهم « قاقات » خارجًا عنها يسكنونها مع عيالهم ويأتون المدينة عند الطلب . (راجع سوفاجه عدد ٩٠٨) .

٢) اليك لائحة خاطئة عن مهن المسيحيين آنذاك اخذًا عن سجل المعمودية المحفوظ في المكتبة المارونية في حلب نضيفها تكملة لتعليقات دفيزين مدونة بالحرف الابجدي .

اصحاب الزراعة وما اليها :

بستاني ، بقال ، حراث ، حصرم ، بطيخة ، تيناوي ، ايجاصة ، حمّص ، زعرورة ، زيتونة ، طباره (وهو شجر يشبه التين) عجوري ، كرز ، كوسا .

اصحاب الصناعة :

بخاتر ، بنّا ، بنّا كلزي (او كلسي) ، حبري ، حجّار ، حداد ، حنّار ، حماني ،

٢٨٠٠	ارمن
٣٠٠٠	سريان
٢٨٠٠	موارنة

واليهود منهم التجار بالجملة ولهم المحلات :

٥	للبنادقة	٧	للحلبيين
٢	لليفورنيين	١	للدمشقيين
٥	للبغداديين		

ومنهم اصحاب المهن كالصياغ والجوهرجية والصرافين وكبابي الحرير وبينهم فئة فقيرة بائسة .

وضرب ديڤيزين لائحة اصحاب الوظائف والحكام مع ما يتقاضونه من الرواتب يفيدنا الاطلاع عليها ليس كأثر تاريخي للتسلية فحسب ولكن لانها تكشف عن الفساد الذي اعترى الدوائر الحكومية في ذلك العهد وآل امره اخيراً الى سقوط الامبراطورية العثمانية بسبب كثرة الموظفين وقلة كفاءتهم للوظيفة وطمعهم بالمال وقبولهم الرشوة وتحريكهم الفتن ليصطادوا صيدهم في الماء العكر فيقول عنهم احد الكتبة المعاصرين . ان العثملي لا يشبع من المال . قال ديڤيزين :

١ : الباشا او نائب السلطان يتقاضى من مدينة حلب سنوياً ٤٢٥٠٠ طلاري او قرش تركي راتباً مقطوعاً . وله ١٢ بارة على كل راس غنم يمر بالبلد او بالولاية سنوياً . وله الاموال المبتزة من السكان بالجزاء النقدي والضرائب والاعانات المفروضة . وله الغنائم من الحرب .

حلواني ، حواط ، خاراني (خراط ؟) ، خباز ، خبازه ، خراق ، خضري ، خوام ، خياط ، دلال ، راعي ، رباط ، زبال ، زنابيري ، سايق ، شراباتي ، شاشاتي ، شطفاف ، صياد ، طباخ ، طحان ، عكام عنشية ، كبابه ، كيكاتي ، فتال ، فرا ، فرام ، قزبلية (او قزي؟) قطاش ، قلا ، قهواتي ، كلاسي ، كيال ، لباد ، لحاب ، مشاطي ، مراش ، مصور ، معاليني (بياع الملاق) ، مقلاعية ، مكاري ، منجد ، نجار ، نحاس ، نشار ، نقاش .

اضف اليها الاعلام المأخوذة من اسم آلة :

شاقوف ، بكر ، جره ، زغبية ، زمور ، كرباج ، مكينة ، منفاخ ، ناقوز .

ويفيدك ان تقابل بين هذه اللائحة ولائحة سوفاجه في مؤلفه عن حلب في مادة مهن (Métiers) وما اليها في فهارس كتابه (ص ٢٨٨)

ومع الباشا كان المتسلم او المحصل يتقاضى المال لحساب الباشا وله عشرة بالمئة من المحصول .

٢ً : الكيخيا الثاني بالوظيفة بعد الباشا . له عشرة بالمئة من المال الداخل للباشا .

كان الباشا يشتري وظيفته بالمال ثم يستعيض عن نفقاته من مال الاهالي .

« يتناقل الحلبيون اخبارًا وملحًا في ذكر باشاوات ذلك العهد . بلغ احدهم ان اهل البلد تآمروا عليه ويكتبون الى الباب العالي ليعزله لما كان عليه من الطمع بالمال وظلم الناس بالغرائم . فدعا الباشا بعض وجهائهم وادخلهم في غرفته الخاصة وفتح امامهم صندوقاً ملوءاً ذهبًا الى نصفه وقال لهم : سوف لا ارحل من حلب الا بعد ان يمتلئ الصندوق من ذهبكم . ولكن اعلموا ان من يأتي بعدي من الباشاوات سوف يأتيكم بصندوق فارغ – فأهون عليكم تتمة النصف من الكل ! – فبهتوا من كلامه وخرجوا ساكتين». (عن الشيخ نديم توتل)

ومن امثال ذلك ان احد الخدم القائم بتنظيف مكتب السلطان في استنبول وجد في قفة الورق المطروح للكب ورقة مكتوب عليها :

« انما الدنيا حيلة لمن احتال بها »

. وكانت بخط البادشاه وقد جرب عليها قلمه بعد القط كما كانوا يفعلون ايام لم تكن الريش النحاسية قد دخلت بالاستعمال .

فالتقط الخادم الورقة واحتفظ بها واخذ يسعى عند رجال الدولة بدهاء الى ان نال من الصدر الاعظم ان يرسله باشا على حلب .

ودقت الطبول ورفعت السناجق وخرج عسكر حلب لملاقاة الباشا القادم من استنبول . وسارت امامه الدراويش والانكشارية ودخل القلعة بالابهة والعظمة المألوفة في تعيين الباشا الجديد . وتوارى سلفه عن الانظار واخذ الباشا الجديد بالامر والتأمير والحكم والتدبير . الى ان سألوه عن الفرمان فصار يماطل ويقول غدًا وبعد غد .

وبلغ امره السلطان فتعجب واستدعاه الى استنبول وسأله من ارسلك باشا حاكم حلب ؟ واين فرمانك ؟ فضرب الرجل السلام « التملي » [1] وسحب من عبه ورقة حقيرة فقبلها ورفعها على رأسه وقدمها وهي بخط البادشاه ومكتوب عليها :

« انما الدنيا حيلة لمن احتال بها » .

فتعجب السلطان لهذا الدهاء المفرط وقال له : ارجع الى حلب وتولّ الحكم فيها . فانك لست دون غيرك مقدرة على تدبير الامور بالتي احسن» (للناشر)

١) السلام التملي برفع اليد على الرأس وخفضها الى الارض مع انحناء الجسم ثم ردها الى الصدر ثم الى الرأس

ويتقاضى المال من المتداعين في الدعاوي . ويرسله الباشا عند اللزوم في المهات.

وفي خدمة الباشا عدد يتراوح بين المئة او المئتين من الخدم. طبقاً لثروته. ويسمون ايش آغاسي وقد يكون بينهم المماليك لحراسة الباشا . ومنهم يختار اربعة وعشرين ضابطاً وموظفاً وخمسة مستشارين .

٣ : الخازندار آغا . وهو الثالث بالوظيفة . له ثلاثة بالمئة من مدخول الباشا . عليه ان يقوم بارد الجنود وبغير ذلك من الحوائج . هو رئيس الايش آغاسي ومدير السجون . ويتعهد بالمطبخية على نفقة الباشا .

٤ : الخزنه كاتبي او سكرتير الخازندار آغا . له اربعة بالمئة من مدخول الخزينة . وهو مسيحي . وله حق التفتيش في محاسبة الخازندار آغا .

٥ : اونكتر آغاسي . هو الخامس عشر من الاربعة والعشرين المذكورين سابقاً . موكل على المجوهرات والمذهبات والفضيات وعلى الجبخانة . له ١,٥٠ بالمئة من مدخول الخازندار . وله برانيات من مبيع المجوهرات . ويأكل على مائدة الخازندار .

٦ : ركتوان او رهوان آغاسي . احد الستة عشر من الاربعة والعشرين المذكورين . موكل على سروج الخيل وعدتها الذهبية والفضية . يتقاضى نصيبه من المال من هدايا الباشا تلقاء ما يقدم اليه من الخيل . يأكل من بقايا سفرة الباشا .

٧ : السلحدار آغا . او حامل السيف هو رئيس الضباط الاربعة والعشرين المذكورين . لا شغل يشغله الا ان يقوم بحمل السيف واقفاً على الجانب الايسر للباشا او ماشياً مباشرة وراءه . ليس له راتب معين لكنه يتقاضى المال على تنفيذه اوامر الباشا طبقاً لاهمية الظروف . وقد يحصل فيها من المئة الى الالف طالاري . وربما استعاض عنه الباشا بغيره من المال .

٨ : الايش جوخدار . او حارس ثياب الباشا هو الثالث من الضباط ٢٤ المذكورين . لا راتب له لكنه ينال ٢٠ او ٢٥ طالاري من الشخص الذي يهدي اليه الباشا فروة او عباءة . يأكل من مائدة الباشا .

٩ : المرهر دار او حامل الختم . هو الرابع من ٢٤ الضباط المذكورين يتقاضى ٢٫٧٥ طالاري على كل معاملة . ويوقع الختم على البيوردي الصادر من الباشا .

١٠ : الدوتدار . هو الخامس من الضباط ٢٤ . يتكفل الباشا بسكناه ومعاشه . لا له راتب الا مما يتكرم به عليه من يخدمهم بحمل الرسائل الى اصحابها .

١١ : البيرقدار . يحمل علم الباشا الابيض . هو السادس من الضباط . لا راتب له لكن الباشا يتكفل باكله وسكناه .

١٢ : الباش جاويش او رئيس الايش آغاسي. هو السابع من الضباط . تحت امره ثمانية خدام يسيرون امام الباشا لابسين ثياباً مرصعة جميلة .

١٣ : القهوجي باشي هو الثامن من الضباط . يتقاضى شهرياً مبلغاً معيناً من المال لتقدمة القهوة . ويتعهد الباشا بعيشته وسكناه. له برانيات في دخول الباشا الجديد او في تثبيت القديم وفي عيد رمضان وعيد الاضحى .

١٤ : البشكير باشي او صاحب السفرة . هو التاسع من الضباط ٢٤ . يشرف على الاطعمة التي يقدمها الخدمة للباشا . يتعهد الباشا بعيشته وسكناه. وله برانيات من ضيوف الباشا .

١٥ : بخوردجي باشي او حامل المنقل . لشمل البخور هو العاشر من الضباط المذكورين . ومعاشه وراتبه كالسابق .

١٦ : قفطان آغاسي . هو الذي يضع الوشاح على كتفي الباشا وهو الحادي عشر من الضباط المذكورين . ومعهود اليه بحفظ الثياب كالصوف والحرير والشرابات والبياض .

١٧ : السفره جي باشي . الثاني عشر من الضباط . يهتمّ بكل ما يلحق اواني السفرة ويتعهد بالخبز ويوزعه على سائر موظفي السرايا . يتعهد الباشا بعيشته وسكناه . وله برانيات من الخبازين .

١٨ : الخزنة كاتبي او المحاسب على الداخل والخارج. وهو الثالث عشر من الموظفين وهو مسيحي ولا يظهر للناس ويحجبه عنهم احد الاتراك الذي يتقاضى على ذلك حق الاعاشة والسكنى .

١٩ : الحراماجي باشي المشرف على الحمام . وهو الرابع عشر من الضباط له المعيشة والسكنى وغير ذلك من البرانيات .

٢٠ : معجون آغاسي . يقدم المشروبات والمربايات . له المعيشة والسكنى والبرانيات وهو السابع عشر من الضباط الـ ٢٤ (كذا ولم يذكر الـ ١٤ والـ ١٥)

٢١ : الكتبجي باشي . الموكل على المكتبة . هو الثامن عشر من الضباط المذكورين . ومعاشه كالسابق .

٢٢ : التتنجي باشي . هو التاسع عشر من الضباط . يهتم بكل ما له علاقة بالتتن والدخان . له السكنى والمعيشة . وله برانيات من التجارة في الدخان ولم تكن قليلة لانهم يكثرون من استعمال الغليون والتنبك نساء ورجالاً من سائر طبقات الشعب . وكان التدخين قد دخل منذ عهد قريب بين الناس وصار على «المودة» بين السيدات فتراهنّ وبين ايديهنّ الغليون وطوله اذرع وهو من عود الياسمين او الورد المرصع بالفضة والاحجار الكريمة .

٢٣ : الشهلشرجي او حارس الثياب البياض للباشا هو العشرون من الضباط . تحت يده جماعة من الغسالين . يتكفل الباشا بمعيشته وسكناه . وله برانيات من الاقمشة للبياض .

٢٤ : بربرجي باشي او رئيس الحلاقين . هو الواحد والعشرون من الضباط المذكورين يتعهد الباشا بمعاشه وسكناه . وله برانيات من الحلاقين طبقاً لمعروفه معهم .

٢٥ : محرمه جي باشي . موكل على المناشف وهو الثاني والعشرون من الضباط . له المعيشة والسكنى وما يلحقه من وراء الضرائب والغرائم .

٢٦ : الابريقدار آغا . حامل الابريق للباشا وهو الثالث والعشرون من الضباط . وله ما يأتي قبله من المعاش .

٢٧ : الايش مختار باشي . معهود اليه بالعناية العامة بدار الباشا . وهو الرابع والعشرون من الضباط وآخرهم . يسبق الباشا بثلاثة ايام الى حلب ليجهز السرايا للسكنى ويسبقه ايضاً في الرحلات ليهيئ له المقام وينصب الخيم .

٢٨ : وفضلاً عن الموظفين المذكورين هناك المؤذن والشمعدان باشي الموكل على اضاءة المصابيح . وامير اخور والكلارجي باشي للعناية بالفواكه والمشروبات.

والموظفون المذكورون من ٢٤ الى ٢٨ تحت امر كل واحد منهم اربعة او خمسة ازلام وكلهم يتعيشون من البرانيات .

وينام الباشا تحت حراسة احـد الموظفين الخمسة الاولين . وهؤلاء يقيم رجالهم في غرفة بينها وبين غرفة منامة الباشا ثلاث غرف . ويقضي رجال الحرس ليلتهم سهرانين على الغناء والاكل والشرب .

وللكيخيا رجاله وخدامه وله قواس يمشي امامه حاملاً السيف .

وكان للباشا هيئة من الموظفين غير الذين ذكرناهم واليك لائحتهم :
(ص ٢٠٧ وما بعدها)

١ً : ديوان افندي او سكرتير الدولة . يقرأ اوامر الباب العالي امام الباشا ويكتب اوامر ورسائل الباشا . (بوبوردي) ...

٢ً قبجلار خط اوضه سي . يقف حارساً في الاوضه الثانية المؤدية الى غرفة الباشا وله خيمة صغيرة تضرب بالقرب من خيمة الباشا في السير .

٣ً : امير آخور وراتبه اربعون خرجاً[1] وتحت امره السايس باشي والسهان باشي وغير ذلك ورجالهم ... وهؤلاء راتبهم من البخشيش او من المعاملات في وظيفتهم .

٤ً : عربندر باشي الموكل على البغال وسروان باشي الموكل على الجمال .

٥ً : السلام آغاسي . هو الذي ينادي بالسلام للباشا عند مروره بين الجمهور ويقول : سلامٌ ورحمة الله . وينحني الباشا يميناً وشمالاً نحو الجمهور ويرفع يمينه على صدره .

للسلام آغاسي راتب خمسة عشر خرجاً وما يحصله من البخشيش .

٦ً : الحرم كيخياسي تحت امره الطواشية او الخصيان السود والجواري . وثيابهم الثمينة تصير مادة للبيع والشراء تحت اشراف الحرم كيخياسي فيربح من هذه المعاملة وله فضلاً عن ذلك خمسون خرجاً .

٧ً : المكتبجي . له خمسة عشر خرجاً . والبرانيات .

٨ً : قبجي لار بولوك باشي سي . المعاون . له يومياً ١٥ خرجاً .

٩ً : سلاخور آغا . موكل على ركوب الخيل . له يومياً ١٥ خرجاً .

١٠ً : وكيل الخرج وتحت امره مصرف كاتبي . الكلارجي . عشي باشي .

---

١) الخرج اسم يطلق على ما يسعه الخرج من الشعير او من الحنطة ؟

١١ : سقلي آغاسي . يسير امام الباشا وحوله خمسة رجال يحمل كل واحد اغصان شجر الكرز . كل منهم له خمسة عشر خرجاً في اليوم الذي يشتغل فيه. ولهم برانيات .

وهؤلاء ومن سبق لهم الجياد المطهمة وسرجها الحمر الجميلة دليل على وجاهة الفرسان .

١٢ : مصرف كاتبي .

١٣ : المظهر باشي (؟) او رئيس جوقة الموسيقي تحت امره ٧٢ رجلاً . ثمانية منهم يعزفون على الآلات المتنوعة وهم ماهرون في صنعتهم ثم تسعة يقرعون الطنبور والطبل . تسعة ينفخون بالمزمار . تسعة يدقون بالنقارات . تسعة يعزفون على الآلات المرتدة . تسعة ينفخون بالبوق او النفير، تسعة جاويشية لا يحلقون ذقونهم . ويتقبعون بانواع القبعات المزينة بريش النعامة . ويرتدون الثياب الفاخرة من المخمل المرصع بالذهب والفضة ويتعكزون العكازات المجملة برؤوس الفضة الملبسة بالمخمل الارجواني المرصعة بالمرسات الفضية . وباقي الجوقة تلاميذ يتعلمون . وليس للجوقة راتب الا خمسة اخرجة لكل رجل يومياً اضف اليها ما ينالونه من البرانيات في الحفلات إذا دعوا للعزف في بيوت الناس وفي دور القناصل والآغاوات في الحفلات والاعياد .

وهناك جوقة نوبة نسائية تعزف للنساء في بيوت الاعيان .

وتعزف الموسيقى يومياً عند العصر وعند المشاء . وعند بدءها بالعزف ينادي الجاويشية التسعة بحياة السلطان والباشا ويرفعون عكاكيزهم وينزلونها[1] . وعند نهاية العزف يشكر السلام آغاسي الموسيقيين باسم الباشا .

ويقسم الموسيقيون تسعة فتسعة علامة على ان الباشا صاحب الموسيقى له لواء عليه ثلاثة اذناب الخيل . وكل ذنب يناسبه ثلاثة من رجال الموسيقى.

في اليوم الذي يدخل فيه الباشا حلب للمرة الاولى يسير امامه تسعة جياد على كل جواد ترس فضي مذهب وسيف وصولجان فضلاً عن عشرين جواداً يقادون باليد .

---

١) في يومنا رئيس جوقة الموسيقى العسكرية لهُ شبه تلك المكازة يرفعها وينزلها في وقت العزف .

اما الاذناب الثلاثة فيحملها الى البلد الطواشي باشي وهو احد الآغاوات . وتطلق ثلاثة مدافع سلاما . . .

ويأتي الباشا مع الياور . ثم الكيخيا وسائر الموظفين ثم السنجق او علم محمد وعليه آية قرآنية ويتلو السنجق جوق الموسيقيين ثم الآغاوات ثم سائر القوم.

١٤ : ويأتي من بعدهم «الدلياباش» او قائد الدالاتية وهم الجنود ركاب الخيل وله نائب اسمه باش دالي . ومن بعده الباشلو آغاسي والزنجير باشاويش والميدان استاذ والبلوك باشي او كبيتان الذي يأمر فرقة من٢٧ رجلاً .والفرقة تسكر تحت الخيمة .ومخصصات الخيمة يومياً٢٤خرجاً وشهرياً١١طلاري ذهب.

١٥ : التفنكجي باشي . تحت امره بيرقدار واوضه باشي وقهوجي ومن منتي الى ثلاثمئة رجل . راتبة خمسون خرجاً مع القهوة . ولكن له نصيبه من الجزاء النقدي الذي يضربه الباشا على المتداعين .

١٦ : الاق تفنكجي باشي . يقف على باب غرفة الباشا وبيده قضيب طويل ويساعد الباشا على امتطاء جواده . وله يومياً ١٥ خرجاً .

١٧ : جولا جقوداري او رئيس الحراس بالليل يسير على جانب الباشا وبيده النبود له ١٥ خرجاً وما يتقاضاه من المشبوه بهم اذا ما رآهم بالليل على الطريق من دون فانوس .

١٨ : تاتار آغاسي او صاحب البريد . له ثلاثون خرجاً فضلاً عما يتقاضاه من الذين يهدون اليه بالرسائل او ينالونها منه .

١٩ : باش جوقدار تحت امره عدة رجال يرافقون الباشا اذا ما خرج من البلد . له ثمانون خرجاً .

٢٠ : اشكنجي جوقدار او معاون الباش جوقدار . له عشرون خرجاً .

٢١ : المطرجي باشي . يحمل قربة الماء ليسقي الناس على الطريق . وينال منهم ما يناله فضلاً عن راتبه ١٥ خرجاً . وفي سفر الباشا يحمّل قرب الماء على الخيل ليسقي الجماعة على المحطات التي ليس فيها ماء .

٢٢ : تحشي باشي (؟) . حامل اذناب الخيل له ١٥ خرجاً .

٢٣ : اربه اميني الموكل على الشعير للخيل له كشة شعير على كل علوفة .

٢٤ : شروان باشي الموكل على الجمال والبغال . له ١٥ خرجاً .

ويظهر مما سبق ان رواتب الموظفين كانت تأتيهم غالباً من الهدايا والتعويضات والبلص ويكونون في العوز حين يدخلون الخدمة فيخرجون منها وجيوبهم ملأى من الدراهم .

٥

اما الانكشارية وعددهم ٣٠٠٠ فهذه لائحة موظفيهم :

١ : السردار او قائدهم . لا علاقة له مع الباشا . ليس له بدلة عسكرية ولكن يمشي وامامه اللواء الاحمر الاصفر الاخضر . يشتري وظيفته من الباب العالي بعشرة آلاف طالاري وقد تعطى الوظيفة لمن يشتريها باكثر من ذلك . وعليه نفقات الفرمان وقد تبلغ الفي طالاري . وليس له معاش من الدولة لكنه يتقاضى اربعة طالاريات على كل مئة جمل محمل يأتي من الاسكندرونة الى حلب ويتقاضى اربع بارات على كل جمل محمل من البصرة وبغداد والموصل . واخيراً له نصف بارة على كل دبة محملة من اينما اتت . وله برانيات لا يستهان بها من الدعاوي التي تقع بين الانكشارية فيبلص الطرفين ولا يفيدهما رفع الدعوى الى القاضي ضد السردار لان ذلك يعود وبالاً عليهما .

٢ : البيرقدار او حامل البيرق . يعينه كبار الانكشارية على امل ان يفيدهم . وله معاش ولكن عليه ان يقوم بنفقاته في السير والسفر وانه معفي من الضرائب . ولكنه دوماً تحت خطر الاعدام لادنى داعي كما كان يجري ذلك عند الاتراك .

٣ : الاوضه باشي او الحاجب على باب السردار له العشر من المال الذي يقبضه السردار من البلص فضلاً عن البرانيات التي يقبضها من كل شخص يدخل غرفة السردار او يخرج منها : طالاري او اكثر .

٤ : الجوقادارية الاربعة او رؤساء الحرس . وعلى رأسهم القلبق الضخم الاسود المدور الملفوف بقماش اخضر عرضه ست اصابع . يتعهد السردار بسكناهم وبمعاشهم اذا كانوا مزوجين . وله من غير ذلك برانيات .

٥ : خمسة او ستة جاويشية . كانوا سابقاً شيوخاً بلحى بيضاء طويلة . اما الآن فهم شبان يقفون مساء لامر السردار .

وراتب الانكشاري تقريباً ستة طالاريات في السنة . نفقات لبسهم عليهم حسناً كان او رديناً ويسيرون من غير نظام بعضهم ركوبا على البغال او الحمير او الخيل وبعضهم على الاقدام . بعضهم مسلحون بالاسلحة الجيدة وبعضهم بالاسلحة الرديئة . ولكل واحد سيف وبندقية . واذا ساروا الى الحرب تحارشوا كل من وجدوه على طريقهم وقد يقتحمون بيوت المسيحيين ليلصوهم المال .

والضباط منهم لهم خيم اما سائر الانكشارية فلا مأوى لهم . واذا ساروا للحرب فلا مؤونة لهم الا الرز لثلاثة ايام ويمتارون من القرى التي يمرون بها وعند قدومهم يهرب السكان من وجههم .

لما وقعت الحرب مع روسيا دُعي الانكشارية الى القتال . فساروا ومعهم آلهم ونساؤهم وما ابتعدوا ثلاثين ميلًا عن حلب الا ونشب الخصام بينهم فانهزم بعضهم الى طرابُلس ودمشق وغيرها وبعضهم مضوا الى استنبول مع الضباط وطلبوا هناك رواتبهم وعادوا بغير نظام الى حلب . وقد طُلبوا مرات الى استنبول ولكن تذرعوا بالحيل لكي لا يسافروا وباتوا في حلب .

٭

وكان عدد غير قليل من المسيحيين ومن اليهود يدخلون في دائرة القناصل الاجانب بصفة تراجمة ولكل ترجمان شخصان يدخلان في حمايته ويسمى كل منهما فرمانلي توجب البراءة السلطانية .

فكان لقنصل فرنسة ثلاثة تراجمة .

ولقنصل انكلترة احد عشر ترجماناً مسيحيين وواحد يهودي .

ولقنصل بندقية ثمانية تراجمة .

ولقنصل هولندة احد عشر ترجماناً مسيحيين وواحد يهودي .

ولوزير نابولي سبعة تراجمة .

ولوزير اسبانية ترجمانان .

ولقنصل النمسا ثمانية تراجمة .

ولقنصل بروسيا خمسة تراجمة .

ولقنصل السويد تسعة تراجمة .

والتراجمة والفرمانية يلبسون القلبق ويتمتعون ببعض الامتيازات ويعفون من

بعض الضرائب[1] . وعند دخول القنصل في وظيفته وعند وفاة السلطان وجلوس غيره يجب تجديد البراءة من الباب العالي . (انتهى مقال دبفيزين)

هذا وانه في فهارس الاب شيخو للمكتبة الشرقية رقم ١٨١ وصف مخطوطة « قانون بني عثمان » معرب عن التركية فيه الفصول عن وظائف خدام المطبخ العامر وجملتهم ١١٢٩ نفر علوفتهم في كل ثلثة اشهر ٨٢٣،٨٠٠ عثمانيين يكون لهم في السنة اثنين وثلاثين حمل وخمسة وتسعين الف ومائتين وثمان عثمانية » ... الخ .

وهذا الكتاب مؤرخ من سنة ١١٤٩ هـ. ١٧٣٦ م. وقد فقد من المكتبة فلا اقل من الاشارة اليه مرجعاً لهذه الدروس.

المجاعة

وفي هذه السنة حدثت المجاعة في حلب وفي بر الشام . على ذكرها نظمت زجلية نشرها في المشرق عيسى اسكندر المعلوف (١٨، ٣٣٨) جاء فيها :

سنة مايتين الف وسته[2]	اخذت مد الحنطة بسته[3]
وكان برغبان جدي وستي	باعوا بظلطه[4] سبع مداد...
وبطلت القرضه والدين	ما عادوا يعطوا قرشين
ومن يوجد عنده مدين	خفاهم في هذا الميعاد
وتعطل شغل النجار	وباع القدوم والمنشار
والحايك ثم البيطار	باعوا الآلة والاعداد
والصايغ ثم العطار	والبايع ثم الجزار
والصباغين والتجار	والقرداحي والحداد
والنقادين والطباع	والشرايين والبياع
والغاية كل الصناع	حصلوا في سوق الاكساد

١) راجع سابقاً سنة ١٧٤٩

٢) يريد سنة ١٢٠٦ هـ. الموافقة ١٧٩١ م

٣) ست مصريات

٤) الزلطة عند العامة ثلاثون مصرية

واطلت كل الكبنيات	ومعها جميع التترجات
لا فيه عرس ولا عزيمات	فكل شي من هذا ما عاد
وارتفعت كل الاسعار	جوع وضيق مثله ما صار
كثيرين ماتوا يا ستار	لما عدموا اكل الزاد

— ٢٧ آذار يوحنا زخور رفع اسمه من اخوية الموارنة لتقصيره عن الحضور ولانه سافر ولم يشاور الاب المرشد .

— وفيها لوسية بنت خجادور اوقفت مسقفات كنيسة البربارة بجبل كسروان لفقراء الدير ولفقراء الارمن بحلب .

وجرجس ولد الياس اوقف مسقفات لفقراء كنيسة الموارنة في حلب وكذلك فرج الله ولد الياس . (غزي ٢ ، ٥٦٤)

[١٧٩٥] عبد الرحمن آغا بيلان تعيّن واليًا على حلب لتأديب الاشراف . فاستعان عليهم بالانكشارية . وقتل منهم ٨٠٠ بيوم واحد وسجن ٨٠٠ والباقون طردوا من المدينة وقبض على ١٥٠٠ منهم فطُرحوا من مشارف القلعة على اشراك حديد فقتلوا . (سوفاجه ١٩٩)

[١٧٩٦] في هذه السنة كان ميخائيل جروه وانطون خياط وحنا فرج الله فتال ويوسف سالم وكركور صباغ اعضاء في اخوية القربان للروم الكاثوليك . (عن الوثائق المارونية)

— وفيها القس انطون صاجاتي الف « الجواب على رسالة الاب بطرس اللعازري» (٢٧ آب) فيما يخص تصرف المرسلين في توزيع الاسرار على الشرقيين. (مخطوط في المكتبة الشرقية)

[١٧٩٧] فتك الاشراف في الانكشارية قتلًا في محراب الجامع الاموي وحاصروهم في جامع الاطروش وقتلوهم. (غزي ٣، ٢١٢ ؛ سوفاجه ١٩٩)

وفي هذه السنة نصرالله حمصي ترأس اخوية القربان للروم. (الوثائق المارونية)

— وفيها جبرائيل الياس كنيدر اوقف مسقفات لفقراء كنيسة الموارنة . (غزي ٢، ٥٦٨)

[١٧٩٨] حنة عجمي العابدة المعروفة بهندية توفيت في دير سيدة الحقلة في

لبنان. ولدت في حلب ١٧٢٠ . امتازت بجاذبية عجيبة باقوالها وصلواتها الملتهبة بنار التصوف المسيحي والشغف بقلب يسوع وزعمت انها تتمتع بمواهب روحية فائقة فاغتر الكثيرون لاقوالها .

جاء عنها في الاصول التاريخية للشيخ نسيب الخازن والاب بولس اسعد . (١،ص ٨)

« ان المرأة العجيبة التي حملت هذه التسمية (هندية) قد آمنت وآمن الناس معها باشتراكها الحي بجوهر الألوهية على مبدأ اليوجية (البوذية ؟) الهندوسية ونطقت بحكمة كنفوشيوس وعجدت النار كالفرس والعناصر الاربعة كاليونانيين وذابت بالمحبة ممثلة بالقديسين المسيحيين » ولصاحبي « الاصول » الصحف الطوال والتعابير المثالية في شأن هندية وما دار حولها مع «معارك » و«ثورات» كأنها الحروب النابوليونية... وقد اكل الدهر عليها وشرب ولست ادري ما الافادة التاريخية من نشر اخبار معروفة بجوهرها ولا يزيدها ابرازها من اطارها البالية الا الملل والثرثرة العقيمة .

[١٧٩٩] سافر سبعة آلاف من الانكشارية من حلب الى مصر لمحاربة الافرنسيين فيها .

وكان بونابرت قد استولى على العريش ١٧ شباط واخذ يافا في ٧ آذار واخذ بحصار عكا في ١٨ لكنه انسحب عنها لان الطاعون فتك في جيشه .

[١٨٠٠] انطوان ولد جرجس قنديل اوقف مسقفات الكنيسة بزمار في جبل كسروان ولفقراء ارمن حلب . (غزي ٢،٥٧٠)

وفي هذه السنة الف رزق الله حسون كتاب «حسر اللثام في دين الاسلام». (شيخو ٦٩٧ فهرس المخطوطات)

عزباله اخوية الحبل بلا دنس للموارنة

[١٨٠١] جاء في السجل مرشد الاخوية المطران جبرائيل كنيدر والاب يوسف شراباتي المتقدم الياس جرمانوس صادر في ٥ تشرين ١ الشماس جرجي الياس كنيدر توفي بمرض حمى بلغمية فحملته الاخوة بالنوبة من بيته الى الكنيسة وبعد ان جنزوه هناك مع الكهنة حملوه الى القبر وامامه الشموع وبصحبته جميع الاخوة بالترتيب والترتيل مع الكهنة . وفي الجمعة الاولى بعد نياحه جنزه

حضرة الاب المرشد وصرح غيرته في ارتداد التائهين وارشاد الشبان والتئام التعاليم والاخويات المقدسة .

(وهذا الاحتفال بالجنازة الذي الفناه في ايامنا كان شيئاً جديداً ؛ راجع تحفة الاديب فيما يتم منه اهل الصليب في ذيل المقال وسابقاً اخبار ١٧٦٦)

— وفيها القس جبرائيل مراش نسخ « كتاب الجامع » تعريب المطران جرمانوس آدم. (سباط ٢٠٩)

[١٨٠٢] ١٥ حزيران وفاة المطران جبرائيل كنيدر الماروني في حلب ولد في ١٥ ت ٢ ١٧٣٦ وسمي فرج الله . سيم كاهناً ١٥ ك ١ ١٧٦٣ واسقفاً ٣٠ ايلول ١٧٨٧ . مانع في ان يعترف ابناء ابرشيته عند المرسلين اللاتين ثم رجع عن رأيه . (سباط ٦٦٩، غراف ١٨٨٠٤)

وظل الكرسي الاسقفي الماروني فارغاً مدة سنتين .

— وفي هذه السنة كان الاب يوسف شراباتي مرشد اخوية عزبان الموارنة للحبل بلا دنس والمتقدم فيها الشماس شكرالله ايوب .

وفيها ميخائيل الياس الانطاكي نسخ بخط جميل كتاب لاهوت تورنلي الذي عربه الاب انطون صباغ الحلبي الملكي وبولس عبد المسيح الانطاكي نسخ بخطه الجميل كتاب« الصبح المبين اضلال لوثاريوس وكلوين» تأليف لسيوس (Lessius) († ١٦٢٣) وبيكانوس (Becanus) († ١٦٢٤) تعريب فروماج (Fromage) († ١٧٤٠) . (سباط ٩٣)

وفيها الكولونيل ليك (Leake) والكولونيل سكواير (Squire) الانكليزيان نالا من الوزير الاذن في زيارة قلعة حلب وهي ممنوعة عادةً عن الاجانب . فوصفاها وصفاً نشره الانكليزي ولپول وعنه الالماني ريتر (ص ١٧٤٨) .

[١٨٠٣] توفي الخوري بطرس بن يوسف الدويهي وعمره نحو ٧٠ سنة بمرض الحمى ودفن امام هيكل مار الياس تحت القراية التحتانية مقابل تمثال العذراء . وكان متقدم الاخوية جرمانوس صادر ومن اعضائها شكرالله جرجي توتل .

— وفيها بربارة بنت بطرس فانوس اوقفت لدير الارمن الكاثوليك في جبل كسروان ولفقراء الطائفة وكذلك تريزيا بنت جرجس لدير بزمار ولفقراء الطائفة . (غزي ٢، ٥٧٠)

على ايام المطران جرمانوس حوا
(١٨٠٤-١٨٢٧)

[١٨٠٤] سيم جرمانوس حوّا اسقفاً على موارنة حلب . ولد ١٧٥٢ تعلم العربية والايطالية والتركية . سيم كاهناً سنة ١٧٩١ . حال جلوسه على كرسي الابرشية قبض على زمام الامر وصورته التي ننشرها عن اصلها الزيتي المحفوظ في دار المطران في حلب عليها ملامح البساطة النسكية والهمة وشيء من الدهاء . نسجوا حول شخصيته اسطورةً انه مدة اقامته في لبنان شرب ماء الجبل فصار « قبضاي » واذا سمع من احد ابناء رعيته انه شرد عن الحظيرة وتاه في بساتين « باب الله » فكان يتلثم متنكرًا بزي البدو ويخرج في طلبه ويعيده الى سبيل الرشاد قسرًا او يسرًا . وللاسطورة اساس حقيقي وهو ان المطران جرمانوس ايام الزلزلة التي ستطر الاهالي الى النزوح من بيوتهم الى البراري كان يلحقهم ويسمع اعترافاتهم ويزودهم بالاسرار .

وغالى المطران بتشديده على الرعية وبرفعه الشكوى الى رومة على المرسلين اللاتين كما جاء في «الاصول التاريخية » (ص ٦١٧) ولم يحسن سياسة الشعب فالجئ الى تأليف كتاب جمع فيه دعاويه دفاعاً عن نفسه .

[١٨٠٥] بطرس جرمانوس صادر الماروني نقل من الايطالية الى العربية كتاب تساعية قلب يسوع لاحد الآباء اليسوعيين (غراف ٣: ٢٨٢)

وفيها سيم كاهناً شكرالله ايوب متقدم الاخوية وانطون يوسف شيتا ونصرالله انطون ايوب .

— وفيها عن طلب ميخائيل كبابه في حلب نسخ سليمان صافي القاطن في بيروت « مجموع قوانين للكنيسة » للمعلم يوحنا كباسوس المترجم بقلم جرمانوس آدم مطران حلب الملكي. (المكتبة الشرقية مخطوط ٥١٩)

[١٨٠٦] سيم مخائيل مظلوم الحلبي كاهناً وصار كاتم اسرار مجمع قرقفه.
(غراف ٣: ٢٥٨)

[١٨٠٧] اشرنا الى اعمال المطران جرمانوس حوا في التشديد على الرعية

واليك بحرفه المنشور الذي اذاعه في حلب في تلك السنة وهو على «كثرة الغلبة» لا يخلو من الفوائد اللغوية عن اسماء الالبسة في ذلك العهد :

«جرمانوس حوا برحمة الله ونعمة الكرسي الرسولي مطران حلب .

انه من حيث ان انتقامات الله الظاهرة في هذه الايام على هذه المدينة تدل بأن غضبه متزايد من قبل خطايا المسيحيين وكواسيهم فالتزمنا من قبل وظيفتنا الرعائية ان نفرض هذه الوصايا على ابناء رعيتنا ونأمر بحفظها بكلمة الله العزيز سلطانها :

اولًا : البنات لا يقصن شعورهن غرر وزوالف بالكلية حتى ولا الاطفال منهنَّ . لكي بذلك تتميز الابنة من المتزوجة ثم ان المزوجات تكون زوالفهن ضيقات ولا تكن اطرل من وجوههن بالكلية . والضفاير لا تكن اكثر من سبعة سواء كانت ابنة ام امرأة والتي قر املها ذهب فحين تخرج للزقاق تخفيهم داخل ثيابها ولا يضمن عبيديات بالكلية .

ثانيًا : شرابات الارناوطيات بطالات ولا يلفن بروسهم شالات ترمسا بالكلية . ولا يدهبن الى الحمام والكنيسة بالذهب واللولو وشكوك الزهر مطلقًا .

ثالثًا : النساء والبنات لا يلبسن قنابيز قطنًا بل قساطين ولا تكن شفافات بلا بطانة ولا يلبسن مقلبانات مشروطات بل تكن الكمام صغار مزرزرات . والخرج ضيق بغير قصب ولا برق ولا حسيني ابدًا سيما على الذيال ولا يبينوا ذيال الفروات من تحت الغطا .

رابعًا : لا يلفن النساء والبنات اعناقهنَّ بالجورابات والشاشات المعقدة ولا يضمن بردايات شفافات ولا يطرزوا صدور القمصان وكمامهنَّ ولا يعيرن ويستعيرن مصاغ ولولو من بعضهن بعض كليًا .

خامسًا : الخطبة لا تتموّق اكثر من سنة ولا تكن العلامة غير مدورنين منديل وذهب والجورابات بطالات ولا يغدوا الرجال مع الكاهن في الخطبة ابدًا .

والنقد الاعلا الف والاوسط خمساية والادنى مايتين وخمسين والجهاز الاعلا ستة بدلات والاوسط اربعة والادنى بدلتين والفقرا يتزوجوا حسب حالهم . والعروس لا تطالع في جهازها مرآة صدر ولا فرشه ولا لكنات كبار ولا تطالع العروس خلعات غير للعريس فقط . ولا يأخذوا العروس الا نسا فقط وبالنهار من غير احتفال . ولا عاد يصير من الآن وصاعدًا تعرية العريس خارج بيت العريس .

سادسًا : لا يصير مراكل ومشارب وعزايم بالحمام ولا احد يرسل زهور بالكلية لا الى العروس ولا بحجة فرحه ام مباركه حتى ولا من ام العروس ولا النسا يأخذن معهن صبيانًا الى الحمام اكثر من سن السبع سنين . ولا تفوح منهن روايح الطيب والمطورات في الشوارع والنسا لا ترافق جنازة الميت حتى ولا الى الكنيسة ولا يخرجن بحجة المناحة الى القبور ولا

يزلفطوا خارجاً عن البيوت ابداً ولا يصير من احد كلفات وعرايم في بيت الميت والنسا لا يخرجن للبراري في ايام المواسم والمفترجات .

سابعاً : النسا لا يعيدن احد لا رجال ولا نسا لا في عيد الكبير ولا بقية الاعياد وكذلك الرجال لا نعيد النسا في اي عيد كان بالكلية .

واخيراً نختم على اكليروسنا ان لا يسمعوا اعترافات من يخالف هذه الوصايا ان كان من طايفتنا ام من غير طايفة . والمخالفين من طايفتنا ان اعترفوا عند غير كهنة فليعلموا ان اعترافاتهم نفاق وفاسد لاننا الآن نشهرهم بأنهم ممنوعين من قبول الاسرار المقدسة . وبركة الثالوث الاقدس تحل على الطايعين فليحذروا من انتقام الله تعالى المريع » .

واجع فيما بعد في سنة ١٨٢٥ ما طلبه في هذا المعنى كهنة الروم

وفيها ١٤ ك ١ : كانت وفاة الخوري يوسف شراباتي بمرض نزولة صعبة (كذا) حمل باكرام بالكرسي ودفن امام هيكل القربان المقدس ازاء الشعرية (النسوان)

في « الاصول التاريخية » (ص ٣٦١—٣٧٠) نشرت اربع كتابات للخوري نعمة الشراباتي خادم الطائفة المارونية في حلب رفعها الى مجمع انتشار الايمان بروما وفي هذه الكتابات « تحامل على هندية والزائر البطريركي ووسالته والبطريرك » ... في ٢٤ ت ١ سنة ١٧٥٠

ولعل نعمة هو ذاته الخوري يوسف لان اسم شراباتي يأتي في لائحة كهنة حلب الاقدمين (راجع منش المشرق :١٧، ٦٥) مرةً واحدة لا غير وهو تحت اسم يوسف وربما كان يوقع اسمه نعمة الله ايضاً . فان كان هو يوسف بالذات فيكون قد قضى بالكهنوت ما ينيف على ٥٧ سنة ولما كتبه في شواذات هندية قيمة خاصة لكونه عاش في حلب وكان شاهد عيان للاضطراب الذي احدثته في تأسيس اخوية العابدات او جمعية راهبات قلب يسوع.

وفيها نصرالله انطون نجار من ابناء الاخوية المارونية ترهب في دير لويزة في حزيران ١٨٠٥ وسوف يسام كاهناً في عيد الصعود ١٨١٣ ويسمى برنردوس

وفيها انطون يوسف باسيل من طائفة الروم نسخ كتاب تفسير الاناجيل الاربعة لكرنيليوس الحجري الذي نقله من اللاتينية الى العربية القس يوسف ابن جرجس الباني الماروني الحلبي . (سباط ٦٥:)

[١٨٠٨] لويس اسكندر دي كورانيز (Coranceze) قنصل فرنسة في حلب (١٨٠٢—١٨٠٨) تجول آسية الصغرى ووصف الشمال السوري وقال في حلب انها من اجمل مدن السلطنة العثمانية . يحكمها باشا بثلاث شرابات . ازقتها

ضيقة لكن بيوتها عامرة بالحجر الصلب والحجر يؤخذ من المقاطع تحالي المدينة ومن المغر والكهوف في حي الجديدة .

وقال عن الفلاحين انهم لا يملكون الارض ولكن يفلحونها مرابعين لاصحابها المزارعين الاغنياء .

— وفيها ٢٣ ك ١ قدم عن طريق بغداد الى حلب جان باتيست روسو (Rousseau) قنصل فرنسة العام . جاء ليفتقد والدته بعد موت ابيه كزفيه روسو التاجر بالجوهرات في حلب وكان من السعاة في خدمة بونابرت ليمهد له السبيل الى مهاجمة انكلترة في مستعمراتها بالهند والف في رحلته كتاباً وصف فيه البلاد بين العجم وبين حلب وادّى تعليمات عن محطات السفر وعن العرب سكان تلك المناطق من وهابية وعنزى وعن الجياد العربية التي يشتريها القناصل لدولهم . لما وصل الى السفيرة في ظواهر حلب بشرق وجد فيها الخدام الذين ارسلتهم امه للقائه عند محطة الكمرك فبات ليلته معهم هناك وفي اليوم التالي دخل حلب وقد استغرقت شهرين رحلته اليها من بغداد .

[١٨٠٩] جاء في سجل اخوية الموارنة (ص ٥) الشكر لله الذي حفظنا بين تلاطم امواج العالم المقلق واغرانا على الثبوت في اورشليم رويا السلام . . . وشاء ان يحفظ بيننا سلسلة العبادة الروحية التي نشأت من الجماعة اليسوعية .

بعد وفاة الخوري يوسف شراباتي عاد وتولى المطران جرمانوس حوا بذاته ارشاد الاخوية لكن حدثت بلابل بسبب انتخاب الموظفين فاغتاظ راعينا وتركنا . فحينئذ تحرك احدنا في ان نرسل نستغفر من قدسه بصك مختوم منا جميعاً فرداً فرداً[1] .

بطرس قرالي، حنا يوسف اروتين، يوسف انطون حكيم، يوسف انطون ايوب، فتح الله يوسف دياب، فتح الله يوسف كوبا، انطون جبرائيل عبديني، جرجي يوسف دمتي، الياس يوسف قرالي، انطون يوسف اندريا، جرجي استفان مطر، نعمة الله انطون ايوب، فتح الله انطون دياب، حنا يوسف ايوب، نعمة الله يوسف دياب، الياس طيب، الياس جرجي كلداني، حنا الياس يونان، انطون يوسف ايوب، جبرائيل دياب، انطون عصفور، مخائيل غزال، مخائيل نوح، نعمة الله مطر، انطون زنده، فتح الله عبود الخياط، انطون المصروفي . (للمقال صلة)

---

١) هذه اللائحة وغيرها مثلها نشرناها لما فيها من الافادة عن الامر المسيحية الحلبية واكثرها لم يزل معروفاً الى يومنا وهم احياء يرزقون

تعريف عن الكتب

محاضرات عن ولي الدين يكن

بقلم الدكتور محمد مندور

معهد الدراسات العربية – ١٩٥٦ مطبعة نهضة مصر ٩٠ صفحة قطع كبير

المؤلف معروف بدقة تحليله وبتآويله الصائبة . في كتابه هذا تظهر بنوع اجلى مقدرته في التحليل النفسي فانـه بكل صوابٍ يؤوّل شعر يكن ونثره الناريّ بتبدّل حالاته النفسية المتابعة فانه بعد ذكر اهمّ مراحل حياة يكن وبعد تعداد الاسباب التي صدر عنها الحزن والشدة اللذان أثّرا في نفسه يبدأ البحث في تآليفه الادبية .

قليل هو عدد الشعراء الذي يعبّر شعرهم عن نفسهم وشتى احوالها مثل المتنبي وابي فراس الحمداني وغيرهم قليلين .اما في عصرنا فقد زاد عددهم لكننا لا نعرف شاعرًا اثّرت فيه السياسة كما في يكن تأثيرًا حمله على مثاله ان يتّخذها موضوعاً لاغلب اشعاره النارية . أثّرت ايضاً في يكن المشاكل الاجتماعية وبهذا ايضاً يتميّز من غيره من الشعراء . في الامرين اللذين ذكرناهما يُعتبر يكن مجدّدًا جريئاً مُغرماً بالحرية .

ميّزات شعر يكن الانشائية هي الايجاز والجزالة وشعور بالحزن يرتجّ في اشعاره فتهتزّ له احشاء سامعيه . انه لصعب ان نميّز بين اشعاره مـا يمثّل هذا النوع اذ عليها كلها تظهر سيمة مؤلفهـا . نخصّ بالذكر ، خليج البوسفور في احدى ليالي الشتاء . فهو من الاكثر شيوعاً . ا٠ ع٠ خ

A. VINCENT. — *Les manuscrits hébreux du désert de Juda.* — (Coll. « Textes pour l'histoire Sacrée», Daniel-Rops). In-16, 281 pp., 1 carte, Paris, A. Fayard, 1955.

أيكون من الصواب اعتبار محاولة عرض عمومي للنصوص التي اكتشفت حديثاً في الصحراء القريبة من البحر المائت سابقة لاوانها : هذا هو رأي الاب

المحترم دفو بخصوص هذا الكتاب (« Revue Biblique «١٩٥٥ص ٦٢٩—٦٣١)
اننا نقدر ان نحتفظ من هذا النقد بهذا وهو ان الادلة المتعلقة بتاريخ الاكتشاف وتخصيص مواضع الاكتشافات الكبرى ليست بعد جلية لمن لم يتتبعها خطوة فخطوة. لكنها لخدمة جلى تقدم الى العامة المثقفة ان تعرض عليه بشكل سهل اهم النصوص المكتشفة منذ سنة ١٩٤٧ في صحراء اليهودية.

بعد مقدمة دانيال روبس — التي تبيّن ما تأتينا به الاكتشافات الحديثة من نور جديد لدرس العهد القديم والجديد — ينقسم البحث الى اربعة اجزاء : « الاكتشافات » « الآثار المكتشفة» (الكتابية وغيرها) « مكتبة الاسانيين». « بحث تاريخي » في الحركة الدينيّة والشيع عند اليهود في الاجيال التي سبقت الديانة المسيحيّة.

اهم الآثار غير الكتابيّة (شرح « حبقوق » و«دستور التأديب » اللذان «جدا في مغارة عين فشكا نُشرتا بتمامها حسب ترجمة الاب ا. ميشال في كتابه «رب العدالة» والاب ل. ج. لامبير اليسوعي في « المجلة الجديدة اللاهوتيّة في لوفان . زيد عليها نبذة اخرى تذكرها الكتب الاسينيّة « المؤلف الصدوقي الدمشقي » اكتُشف سنة ١٨٩٦ في « جنيزة » القاهرة ونُشر سنة ١٩١٠ بترجمة الاب ميشال . بعد هذه القطع الجوهرية مع حواشيها تأتي شروح شتى لنصوص تشابهها (كتاب هيغو — كتاب اليوبيلات) والاكثر اهميّة هو كتاب «قتال ابناء النور مع ابناء الظلمات» : بعد نصوص فيلون وبلين الوجيزة عن الاسينيّين عندنا هنا ثماني صفحات لفلافيوس جوزيف عن هذه الشيعة مترجمة.

يظهر بان الاتفاق قد تمّ اليوم على اعتبار المخبآت التي اخفى فيها اسينيّو خربة قمران اثمن كتبهم لم تسبق الا زمناً قليلًا خراب اورشليم على يد الرومان سنة ٧٠ بعد المسيح . وفي حرب اليهود الثانية سنة ١٣٢—١٣٥ في عهد هادريان سُكنت من جديد سكنها بركوكبا وقد وجدوا له رسالتين . وكانت « مكتبة الاسينيّين » تحتوي ولا بد ما عدا كتباً من الجيل الاول من تاريخنا كتباً اخرى اقدم منها عهدًا نقدر ان ننسب عددًا منها مثلًا : « قتال ابناء النور »و« كتاب الشام » الى الجيل الثاني قبل المسيح .

براسطة هذه الآثار الجديدة تنجلي فجأة حقبة من التاريخ اليهودي كانت

الى اليوم غامضة . وهي الاجيال التي تمتد بين العودة من المنفى الى الازمنة المسيحيّة . فيها ندرك من الآن فصاعداً مجاري التقوى وحركات الجموع التي مهّدت الطريق للديانة المسيحيّة ثم قبلتها او قاومتها. للبحث عن هذه الاتجاهات ولتحديد موقف الشيع التي تكوّنت اذ ذاك كرّس الاب فنسان – وكان قبل ذلك قد اهتمّ بتاريخ يهود ايليفانتين الآراميّين – البحث التاريخي : وتأليفه هذا هو عمل شخصي .

الانقسامات الاولى بين الاسرائيليّين الاتقياء واليهود تُبّاع اليونان هي سابقة لعهد المكابيّين. لما تمرد هؤلاء على انطيوكس الرابع ابيفان اجتمع اليهم جماعة الحسيديين (١ مكابيون ٢ :٤٢) « الاتقياء » . وقتْلُ اونياس الثالث عظيم الكهنة من سنة ١٩٨ الى ١٧٥ قبل المسيح هو ولا بد الحادثة التي تعتبرها هذه الجماعة وزمرة الكهنة الذين كانوا قد لحقوا باونيا في انهزامه الى الصحراء قتل « رب العدالة » . والى هؤلاء الكهنة نفسهم سوف ينسبون « كتاب الصدوقي الدمشقي » . للازمنة عينها يرجع ايضاً « قتال ابناء النور وابناء الظلمات » . اخيراً وبنوع خصوصي « الى هذه الزمرة من الكهنة يقتضي ان ننسب تأسيس « جماعة العهد الجديد » وشيعة الاسينيّين » (ص ٢٦٣) . لا شك ان « دستور التأديب » يعطينا نسخة متأخرة من كتاب الاسينيّين الطقسي والادبي هذا عندما عدلت الى طريق التشدد ونحو الآراء المتطرفة . واتخاذ تقويم خصوصي يُعرف « بكتاب اليوبيلات » كان علامة انفصالها من الهيكل ومن الديانة اليهودية الرسميّة .

من الحسيديّين خرج – كالصدوقيّين والاسينيّين – الفريسيّون او « المنفصلون » (باورشليم) اضداد الاسمونيّين المتأخرين مُغتصبي الكهنوت الاعظم « اذ انهم قد اكتفوا من الحياة كلها بالرتب الطقسيّة وحدها فسيكون دينهم اليهودي دون تقدم عقائدي ودون اشعاع روحي » .

في الفصل الاخير يبيّن الاب فنسان المشاكل التي توجدها ملاقاة الديانة المسيحيّة الناشئة مع الاتجاهات والشيع التي تتكلّم عنها آثار خربة قمران : لا نقدر ان نعطي عنها الا نظرة عموميّة .

من الممكن ان النظام الاجتماعي والمسلك الادبي العالي والحرارة الحقيقيّة

في العبادة التي كانت الاسينيين قد ألهمت بعض اعمال المجتمع المسيحي الاول حتى والمشاركة العامة بالاموال . اهم من ذلك المقابلة بين قانون الصدوقيين وبعض مواضيع مواعظ يوحنا المعمدان او ايضاً مع عبارات خصوصيّة من انجيل القديس يوحنا . وبعد ذلك لا يجوز الكلام عن تأثير يوناني او من الشيعة الغنوستيكيّة على الانجيل الرابع . « تشابه لفظي» لوحظ بين انجيل متى وانجيل لوقا ورسائل القديس بولس الصغيرة . هذا التلاقي يوجد خصوصاً بين عقائد «العهد الجديد » والكتب المسيحيّة الاولى : رسالة برنابي (المستعار الاسم) . وتعليم الرسل « (Didaché) وتعليم « الطريقين » و « باستور هرماس » .

لكنّ هناك تبايناً لا يمكننا اهماله : ما اعظم الفرق بين « رب العدالة » ابن لاوى الذي يوصف « مسيح هارون واسرائيل » ، استاذ عالم، خفيّ العقيدة يبتعد عن الدنسين جميعهم ، وبين يسوع الناصري « ابن داود» « المسيح » الواعظ الاليف القريب من اتعس الناس . ليس في تعاليم الصدوقيّين ما يمكن مقابلته مع تعاليم يسوع، مع شريعة الحب والحرية التي يفتخر بها القديس بولس وشريعة الوصايا العشر تجد تتمتها في الموعظة على الجبل . « في نحو سنة ٦٧—٦٨ بعد المسيح فهم ذلك صاحب الرسالة الى العبرانيين واستفاد منه لتعزية الكهنة اليهود الذين كانوا قد انضموا الى المسيح ولتثبيتهم وتشجيعهم . »

ر . م . اليسوعي

P. Ca'bia, B.A., Ph. D. — *Tāha Husayn, his place in the Egyptian Literary Renaissance.* — Luzac and C° Ltd, 1956. London, IX - 260 pp.

بحوث جزئيـة كانت قد ظهرت بخصوص طه حسين وقريحته كرواني ونقّاد . كان ينقصنا بحث شامل وها السيد قشيا يتحفنا به وهو بحث يستند الى نصوص ثابتة تضع مؤلفنا في قرينته التاريخية وتحاول ملاحظة التأثيرات التي خضع لها ونقاط شتى في تأليفه لا يمكننا فهمها بوجه آخر .

يبدأ المؤلف بدرس الانبعاث المصري بتفصيل ثم يذكر العوامل التي ساعدت على هذا الانبعاث (لكنه من سوء الحظ لا يتكلم الا قليلاً عما جاء به لبنان (لا سوريا حسبما يدعيه احياناً) وهو عظيم فيما يخص الآداب العربية والجرائد

والترجمات والروايات التمثيلية) بعد ذلك يقص علينا حياة طه حسين مُتبعاً اياه خطوة فخطوة في كتابه « الايام » . في هذا الجزء الذي يكلمنا عن حياة طه حسين لاحظ المؤلف وبصراب سرعة تقدمه وعظم قريحته وقد بانت بنوع جلي خصوصاً بعد ظهور كتابه عن ابي العلاء. ثم كتاب « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ». من ذلك الحين تتابعت تآليفه الادبية الكتب والمقالات في الجرائد والروايات تارةً في مواضيع انتقادية كبحثه في شعر الجاهلية وطوراً في العلم النفسي (بحوثه في ابي العلاء) ويظهر المؤلف ميلاً خصوصيا الى هذا الموضوع فان ما كتبه عن ابي العلاء يستند الى نصوص ثابتة وهو دقيق مؤثر . فان بينه وبين ابي العلاء تشابهاً . بعد ذلك في كتاب عنه تداوله كثيرون « مستقبل الثقافة في مصر » وسّع حسين مجال بحوثه وفي هذا سنحت له الفرصة ليقابل تشابهاً وتناقضاً بين الآداب على سواحل المتوسط ومستقبلها .

ثم يكلمنا مؤلف الكتاب عما حازه من اوسمة وبعد ذلك يصفه كمصلح في طرائق التعليم والشؤون الاجتماعية ويمدح نشاطه الرزين الرصين. يحدثنا المؤلف عن نفوذ حسين في عصره لكنه يتجنب — وقد يكون ذلك تعمداً — التحدث عن تقلبات احواله وعن اقدامها وادبارها . وموقفه هذا حمل كثيرين على ان ينسبوا اليه مُجاراة الظروف وعدم الجراءة .

اخيراً يحكم المؤلف في طريقة حسين الانتقادية. هنا نلاحظ عدم التفات المؤلف الى امر مهم وهي انه لم يعتمد الى على المؤلفات المصرية واهمل اللبنانية. في « الروائع » للسيد فؤاد افرام البستاني بحث صائب جواباً على بحث حسين في شعر الجاهلية .

هذا لا يمنعنا من تقدير كتاب المؤلف والثناء عليه . ا. ع. خ

Das Buch der vierzig Stufen von ʿAbd al Karim al Gili, éd. établie par Ernest Bannerth 1956 — Rudolph M. Rohrer — Wien 96 pp.

في مقدمة تستند الى نصوص ركينة يضع الناشر ابن عبد الكريم الجيلي في مجموع تاريخ الصوفية الاسلامية ويدلّنا على العوامل التي اثرت فيه والعلاقات التي كانت له مع غيره من الصوفية .

النشرة جيدة لكن فيها بعض الاغلاط سهل تنقيحها .

مقالة الجيلي هـذه هي مجموع حياة روحية يصف فيها باربعين « مرتبة » صعود « المريد » الى « رفع الحجاب » فهي نوعاً ما مرافقة المريد اليد باليد خطوة فخطوة الى اعلى قمم الكمال . نجد في المقالة تعاليم هي عامة عند كل الصوفيين لكنها تحتوي خصوصاً الالفاظ الاصطلاحية المستعملة في تعليم طريق الكمال وهذا برأيي ما يعطي هذه المقالة قيمتها .

الترجمة متقنة قريبة جداً من النصّ وزيادةً في الوضوح قد قسمه المترجم الى فصول ثم الحق به عدة شروح تزيد بقيمته . تمنينا لو جمع الناشر افكار الجيلي الروحية كما تظهر في هذه المقالة واتحفنا بها وتأسف ايضاً انه لم يعطنا على حدة مصطلحات الصوفيين الآخرين الذين قابل معهم الجيلي .

النشرة جيدة جداً ا. ع. خ

ازمة الفكر العربي

بقلم الدكتور اسحق موسى الحسيني

دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٥ — ١٢٨ صفحة قطع وسط

يحاول المؤلف بستة فصول ان يجاوب على مسألة ازمة الفكر العربي . يبدأ بتحديد المشكلة وتأكيد وجود الازمة ثم يعطينا رأيه بخصوص العروبة : اللغة العربية وكتابتها بالحروف اللاتينية . بعد ذلك يعرض علينا بجلاء لمحة من الفكر العربي ويختم متمنياً « تعريب » العرب .

هذه ازمة الفكر العربي ذكر المؤلف عدّة من مظاهرها وبكل صواب وكان بوسعه ان يذكر غيرها كثيرة. نقدر ان نلاحظ بان بعض الانواع البيانية والفلسفة نفسها ليست موضوع دروس خصوصية للذين يدّعون بانهم ادباء ويُمنون فعلاً بالادب . نرى ترجمات عديدة تظهر لكن نفتش فيها عن التفكير العلمي والفلسفي . هذه مسائل قد تكلمنا عنها مرارا عديدة في مناسبات اخرى واننا نلحّ في ايجاد مجمع علمي يشترك فيه ممثلون من كل البلاد العربية يدرس ويجدّد اللغة العلمية في كل انواعها . هكذا نكون قد حللنا مشكلاً من اهم مشاكل ازمة الفكر العربي .

يبحث المؤلف في مسألة اللغة العامية واللغة الصحيحة « البيانية . هذه مسألة اهتمّ كثيرون من المستشرقين واللغويين في درسها : مسألة سوف يعود الى بحثها الباحثون من حين الى حين:هذه مسألة حياة الشعوب. ان اللغة العامية حيّة لا تزال تنمو .

قائمة الكتب التي وضعت في الملاحظات تدل على الجهة التي عمل اليها المؤلف.

ا. ع. خ

المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث

بقلم الامير مصطفى الشهابي

معهد الدراسات العالية ، مصر ١٩٥٥ — ١٣٥ صفحة قطع كبير

هذا كتاب يدعو كل الذين يهمهم مستقبل اللغة العربية الى الاستفادة منه عندي ان المؤلف اوجز فيه جملة بحوث في ضرورة اللغة العلمية وفي نقصان المعجمات وفي ابهام الالفاظ المستعملة وفي الجهود التي قام بها بعضهم لايجاد الفاظ محكمة لترجمة الالفاظ التي تقابلها في اللغات الاوربية.يعرض المؤلف في الختام عدّة من هذه الالفاظ تظهر لنا موافقة. لكن هذا الكتاب ليس الاول للمؤلف نقد سبقه معاجم وموسوعات ... اننا على رأي المؤلف بضرورة توحيد المصطلحات العلمية .

ا. ع. خ

البدو والعشائر في البلاد العربية

بقلم عبد المجيد الطاهر

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥ — مطبعة الاعتماد . مصر — ١٥٢ صفحة قطع كبير

منذ بدء مطالعة الكتاب يلاحظ القارئ بان المؤلف لما شعر بصعوبة الموضوع الذي اتخذه فضّل اعتباره موضوعاً علمياً فحاول البحث فيه متباعداً عن كل موقف خياليّ وعاطفي . بعد الاشارة الى صعوبة الموضوع يعطينا في اثني عشر باباً عدة بحوث فيها يتكلم عن المجتمع البدوي ونظامه الداخلي والحقوق

والواجبات فيه ونفوذ البدويين في السياسة وعن العائلة البدوية والقبائل والتغيرات الحضرية التي تطرأ على المجتمع البدوي والهجرة الى المدن ومشاريع الري والتسليف الزراعي ووسائل التركيز الاجتماعية والثقافية .

مما يستحق الثناء ثبات المصادر التي اخذ المؤلف عنها مع العلم بان التاريخ بذاته هو هو لا يتبدل وان السياسة التي عملت بها كل الحكومات في ادارة القبائل جدّت في تركيز البدويّ في ارض تكون له ملكاً وسكنى ثابتة . والتسليف الزراعي الذي يساعد على زيادة غلّة الارض يساعد ايضاً سياسية التركيز على بلوغ غايتها . ا. ع. خ

غيوم ظامئة — شعر

بقلم وديع ديب

بيروت ١٩٥٧ — ٧٨ صفحة من قطع صغير

في هذا المنتطف نجد ولا جرم باكورة شاعر لكنها لم تبلغ بعد تمام النضج ولا كمال الوزن ولا بديعية المعاني واننا احياناً كثيرة لا نجد في الكتاب الا قطعاً منثورة مقفّاة . ينقص شاعرنا بعدُ الروح التي تنتعش في الشعر فتحرك بحركتها عواطف القارئ واحساساته . اننا في انتقادنا هذا لا نبغي ان ندخل اليأس الى قلب شاعرنا الجديد لكن نريد حثه على متابعة جهوده للتوصل الى ما هو افضل واتمّ وان يطالب قريحته بما هو احق به وبقرائه فينقح ويشذب حتى بلوغ ما هو الاحسن . واننا نرى بلذة جهود شعرائنا الجدد الذين اتخذوا الطبيعة بانوارها وجمالها وتقلبات احوالها مصدراً حيّاً يقتبسون منه ما يحرك فيهم الشعور ويلهم القلوب وانهم يجدون ايضاً في الديانة ينبوع سلام وعزاء وقوّة للاحتمال والعمل والنظر الى العُلى .

يمتاز في المقتطف قطعتان خصوصاً « ابداع » و « لبنان » برنتهما الشعرية ورونقها . اقدر ان اذكر غيرهما من القطع لكنها لا توازيها حياةً ونغمة .

ا. ع. خ

البابيون والبهائيون حاضرهم وماضيهم

بقلم السيد عبد الرزاق الحسني

مطبعة العرفان – صيدا لبنان ١٩٥٧ – ١٥٧ صفحة . قطع كبير

رأى الجيل التاسع عشر الشيع تتكاثر . لم تزل ايران ارضاً خصبة فيها تنبت هذه الشيع. في ايران ظهرت شيعة البهائيين وهي خارقة بغرابتها . غريبة بالنوع الذي به تفهم العالم والله والانسان غريبة ايضاً بوقفها ازاء الاوجاع بعزم وثبات جنان دون اعتدال. . . وهي غريبة بتنيرها في اتخاذ تعاليم الشيع السرية والمزامير وعادات شتى وجدتها في الديانات المجاورة وقد اساءت فهمها وتأويلها.

صعب هو تأويل انواع تصرّف البهائية واقوالها ولا يمكننا ان نسميها عقيدة فاننا في هذه الشيعة نعيش في محيط فريد خيالي فاقد الاتزان .

لزم للمؤلف كثير من الاناة والجرأة لمباشرة هذا العمل وتتميمه . اراد ان يعطينا تاريخ هذه الشيعة وتعاليمها بنوع وضعي وقد طالع لذلك كتباً عديدة واصاب باتحافنا في آخر كتابه بنصوص دينية من كتبها .

امتنع المؤلف من ابداء رأي صريح بخصوص هذه الشيعة لكننا نقرأ له خلال السطور انتقاداً هو حكم على غرابتها.

اننا نثني على المؤلف فقد أبان بنوع واضح اهمّ تعاليم هذه الشيعة وتصرفاتها اذ نسبها الى جمعيات سرية وقد حاول كشف بعض اعمالهم الاجتماعية كالزواج والموت والارث.

تكفي مطالعة هذا الكتاب ليبين الى اي حدّ من التعتُّه تقدر ان تبلغ سخافة عقل الانسان الذي فقد السلطة على نفسه . ا. ع. خ

اليزيديون في حاضرهم وماضيهم

بقلم السيد عبد الرزاق الحسني

مطبعة العرفان صيدا – ١٩٥٦ – ١١٣ صفحة من قطع كبير – الطبعة الثانية

لقد اثنينا مرات عديدة في مجلتنا هذه على المؤلف عبد الرزاق لحسّه الوضعي ورغبته في الذهاب الى الاصول ليتحف قراءه بتأليف مبتكر .

الطبعة الثانية لكتابه عن اليزيدية الذي نقدمه يستوجب تقتنا من اول

مقالته فالطريقة التي اتخذها المؤلف والتي يجري عليها الكتاب تظهر حالًا حسنة : يبدأ بالبحث عن اسم اليزيدية ثم عن تاريخهم ثم عن اسم مؤسسهم المظنون عادي وتاريخه ويكلمنا بعد ذلك عن عقائد شيعتهم وكتبها الدينية وعن رؤساء الدين والشرائع الطقسية والسنن الاجتماعية والاعياد الرسمية. الفصلان الاخيران يبحثان عن عدد تابعة الشيعة والاضطهادات التي كابدوها .

في كل هذه الفصول يستند المؤلف خصوصاً الى النصوص القديمة وينتقدها كلما اقتضى الامر ويقابلها بعضاً ببعض ولا يتوقف عن العدول عن القضية الا إن انجلت وعلاوة على ذلك اراد المؤلف ان يعاين هو بنفسه مظاهرات الشيعة الدينية والاجتماعية والانسانية فاعطانا هكذا اختباره الشخصي .

لكننا نأسف على عدم اهتمام المؤلف في هذه الطبعة الثانية بتكميل قائمة الكتب. نكتفي بالتذكير بان مجلتنا هذه «المشرق» قد نشرت سنة ١٩٥٢ و ١٩٥٣ نصين مهمين عن اليزيدية وان الاب انستاس الكرملي نشر هو ايضاً بحوثاً في هذا الموضوع عينه . فهل يجهل المؤلف ذلك .

لا يسعنا في الختام الا ان نثني على المؤلف وكتابه . ا. ع. خ

عودة الفصحى الى العصر الذهبي

بقلم يوسف اغوسطين

مصر – ٨٦ صفحة – قطع كبير

كثرت الآراء في الطريقة الاصلح لتسهيل القراءة والكتابة في اللغة العربية . يفتش بعضهم على جمال الكتابة وبعضهم يطلب التسهيل والتوحيد . من رأي هؤلاء الاحتفاظ بالحروف العربية وحركاتها ويفضل غيرهم اتخاذ الخط اللاتيني . المؤلف متمسك بالخط العربي لكنه يريد ادراج الحركات بواسطة حروف العلة التي تجانسها بين بقية الحروف على السطر .

لا شك ان تنظيم هذه الطريقة المبتكرة اقتضت من قريحة المبدع لتركيبها وقتاً طويلًا وهي جديرة بان يهتم لها الادباء . اما قبول هذه الطريقة فهو من اختصاص المجامع العلمية . لكننا نرى ممكناً اختراع طرائف اخرى اكثر بساطة لكي تسهل القراءة العربية على اهل البلاد والغرباء معاً .

رأينا ان الاحتفاظ بالحروف العربية ايًا كانت الطريقة المخترعة هو الافضل لكي يبقى حاضر اللغة متصلًا بماضيها. قد يكون اتخاذ الحروف اللاتينية احسن طريقة لتسهيل القراءة لكن الطريقة التي عرضها المؤلف لا تقطع الصلة بين الحاضر والماضي وفي هذا نرى طريقته صائبة.

تمتاز ايضاً طريقة المؤلف بتسهيل صف الحروف في الطباعة وفي هذا من الفن ما يستحق ان يذكر. ا. ع خ

حولية الثقافة العربية — السنة الرابعة ١٩٥٤ — القاهرة

بقلم ابو خلدون ساطع الحصري

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – ٥٦٥ صفحة قطع كبير

يقول المؤلف ويكرر القول في مقدمته انه لا ينوي اعطاء رأي شخصي او حكم ما بخصوص بلد من البلاد العربية التي يتكلم عنها. هذا امر محمود. لكن هل بقي على قصده وقام بوعده . فالجواب صعب على هذا السؤال . اما نحن فينقصنا التقاويم التي استخدمها في بحوثه والضرورية لمن يريد الحكم في الكتاب لكننا لا نشك بانه نافع جداً . كان المؤلف قد نوى استيعاب مادة بحوثه فكيف نؤول تجاهله وجود جامعة القديس يوسف في بيروت ووجود بيانات سنوية كان بامكانه الحصول منها على كل المعلومات الضرورية . يسهل القول في حاشية بانه لم يمكنه الحصول على كذا وكذا بخصوص المعاهد الاخرى. ان جاز القول هذا عن هذه الاخيرة فلا يجوز عن جامعة لها مطبعتها ودروسها العربية شهيرة برجالها كالآباء شيخو ولامنس وصالحاني ومعلوف ورباط وغيرهم وهم يُعَدّون من اهمّ ممهّدي الطرق للانبعاث العربي . هذا نسيان ارادي او غير ارادي لا بد من تلافيه في طبعة جديدة للكتاب او تصحيحه . ا.ع.خ

ليبنتز — المونادولوجيا

ترجمة البير نصري نادر

بيروت ١٩٥٦ اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية – (الاونسكو) قطع كبير

ليس امرًا هينا نقل افكار الغير من لغة الى اخرى وبالاخص اذا كان

الموضوع فلسفياً . في هذا الكتاب يعطي ليبنتز مجمل فلسفته الذي اعده للامير اوجين دي سافوا وقد بحث فيه كل المشاكل الفلسفية بايجاز وهذا مما يزيد في صعوبة ترجمته. مع هذا فالسيد البير نادر توصل بانشائه السلس البعيد عن التصنع ان يعطينا ترجمة يشفّ خلال اسطرها النص الاصلي . لكنه اضطر احياناً الى اعطاء المعنى مشروحاً دون اللفظ الفلسفي المقابل .

منذ سنتين اعطانا السيد ج. طعمه ترجمة المؤلف نفسه .لا اودّ هنا مقابلة الترجمتين لكن الاحظ بأني وجدت ترجمة السيد نادر أسلس وأصحّ . ويتقدم الترجمة بحث يدلّ على مقدرة المترجم فيه عرض بجلاء وايجاز المشاكل وحلها .

ا. ع. خ

Mohammed Iqbal : *Reconstruire la pensée religieuse de l'Islam.* — trad. et notes par Eva Meyerovitch. — Préface de Louis Massignon. — Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien-Maisonneuve — Paris 1955. — 213 pp.

في هـذا الكتاب ما يدل على ثقافة مؤلفه الواسعة وقد استخدمها لتجديد بناء الفكر الديني الاسلامي. في ابواب مشبعة يعرض اهمّ مشاكل هذا الفكر واضعاً قُبالة نصوص من القرآن شواهد مأخوذة من برجسون ورنان ويتهيد وايمرسون وغيرهم . هذه المقابلة وحدها تبدو غريبة . لكن ما نرى المؤلف في الابواب التي تبحث في « المعرفة والاختبار الديني » او في « ادراك الله » او في « الأنا البشري وحريته ودوامه » يستنتج من نصوص القرآن نتائج الفلسفة العصرية يأخذنا العجب فالعُرف التاريخي والطريقة التاريخية يرفضان ذلك بتاتاً. ليس من الصعب اعادة نصّ المعنى الذي نريد لكن هـذا المعنى أيطابق الذي اراده صاحب النصّ والذي تدل عليه النصوص السابقة واللاحقة ... رغماً عن هذه الملاحظات الخطيرة لا ننكر عـلى المؤلف مقدرته في التفكير والتنظيم القياسي لكن هذه المقدرة قد اضرّت بالحكم في حقيقة موضوعه . كان عليه ان يقابل شتى النصوص بعضها ببعض وان ينقّب عن علاقاتها بالديانات والممارسات الدينية المجاورة . مع هذا فالكتاب قد اصاب هدفه : « اعادة بنيان » فانه جعل من القرآن كتاباً كتبه مؤلفه في القرن العشرين .

وهناك ايضاً نقص عظيم الاهمية وهو خلوّ الكتاب من قائمة كتب جديرة

بالموضوع . لا اريد ان اذكر الا امرًا واحدًا وهو انه لكي يبحث في الديانة المسيحية في حياتها الروحية وممارستها في كتابه كله ليس للمؤلف من يعتمد عليه ويستعين به الا رينان ووليم جيمس والبدعة البروتستانتية لذلك ما كان اسهل عليه انتقاد الديانة المسيحية ومؤاخذتها . كان عليه ان ينظر الى الديانة المسيحية الحقة. واننا خوفاً من الاطالة نمتنع من مقابلة النصوص ادعاماً لما قلناه. تكفي قراءة الكتاب للتأكد بانه ليس الا بنياناً نظرياً لا يرتكز على التفكير الصريح المحض والحقيقة الوضعية .

ا. ع. خ

R. Köbert, S.J. *Vocabularium syriacum.* — Pontificium Institutum biblicum. — Roma 1956. — 215 pp.

كتاب جديد مفيد في الاشهر والسنين الاولى لدرس اللغة السريانية لانه موجز صريح سهل الاستعمال ونقدر ان نقول بانه يستوعب كل الالفاظ الاساسية بل ويتجاوزها لانه يحتوي الفاظ كتاب العهد الجديد (البشيطو) واحسن المنتخبات الموجودة وللدارس منفعة عظمى في اقتناء معجم سهل كالذي يجده في آخر كتاب منتخبات لغوية فانه يجد فيه بسهولة المعنى الذي يفتش عنه. لكن لكتاب الاب كوبرت خاصتان اخريان تزيدان كثيرًا في قيمته : الامانة والدقة اللتان يمكن للعلم الحالي بلوغها فقد وضع اساسه على بروكلمن الذي منذ سنة ١٩٢٨—سنة الطبعة الثانية — يعتبر المرجع الاعلى فيما يخص اللفظ والمعنى واشتقاق الكلمات خصوصاً علاوة على ذلك معرفة المؤلف للغات السامية مفرداتها وصرفها تساعده على الاستفادة من علم سلفه الشهير بذكاء واحكام . بمقابلاته يرغب ويثقف ويهذب المستشرق الحديث الذي يهمه الرجوع الى الاصول ومقابلة شتى احوال الكلمة في اللغات المختلفة التي حفظتها. اذن هذا المعجم هو جيد جدًا بمعنى الكلمة التام. نتمنى ان تكون طبعة كتاب دي بران الجديدة التي نرجو تتميمها شبيهة بهذا المعجم بغزارة معلوماتها واناقتها وجلائها واعتدالها .

بولس كوستاز اليسوعي

متسول غرناطة لهرتمان

ترجمة الارشمندريت يوسف فرج

بيروت ١٩٥٦ — دار للطباعة والنشر — ٢٤٣ صفحة — قطع وسط

من يجهل متسول غرناطة وهو كتاب فاتن للقارئ جزيل الفائدة يقص

علينا بصراحة وصدق حياة بطل المحبة ويكشف امام نظارنا نفساً ما زالت تحثّ على الجدّ ورجلاً شُغف بمحبة اخوته وحبّه لله .

شاء الارشمندريت فرج ان يتحف القراء العرب بترجمة هذه الطُرفة وحسناً فعل اولاً لانه فكّر باشراكنا بنتجات الاوربيّين الادبية وبغناهم الروحي. ثانياً لانه قد اجاد في تتميم فكره هذا اذ قدم لنا ترجمة صادقة صحيحة ظريفة فانه قد حفظ في ترجمته ما في الاصل من وهيج وحياة . وفي هذا براعة يُشكر عليها فهو يفضل في انتخاب الالفاظ والعبارة وتركيب الكلام . هذا ما يحملنا على اطراء الترجمة وامانتها للغة الاصلية . ا. ع. خ

البطريرك مكسيموس الرابع في اميركا بداعي المؤتمر القرباني الدولي في ريو دجانيرو ١٩٥٥

هدية المسرة ١٩٥٦ — ١٩٥٥ — ١٧٢ صفحة قطع كبير

هذه رواية سفر غبطة البطريرك مكسيموس الرابع تجعلنا بدقة انشائها وزخرفه كاننا برفقة غبطته في سفر طالت مدته ووفُرت اثماره.

تحدّثنا مقدمة الكتاب عن المؤتمرات القربانية فيها يقصّ علينا المؤلف تاريخ هذه المؤتمرات ويطلعنا على نمو التقوى المتوافر نحو سر المحبة. ثم نتبع البطريرك في اعماله في البرازيل والولايات المتحدة وفي روما وفرنسا ونطّلع على نجاح مساعيه لخير شرقيّي ما وراء الاتلانتيك وبالاخص الذين هم في البرازيل ومما يبهج القارئ ما صدر في روما بواسطته من قوانين غايتها تقوية ايمان هؤلاء الشرقيين وتمكين تعلقهم بطقوسهم . وهكذا فان ملاقاة الرؤساء الروحيين مع ابنائهم لا بد ان ينعش فيهم روح الديانة ويثبت تعلقهم البنوي بالكنيسة امنا .

في الكتاب صور فوتوغرافية عديدة تساعد القارئ على اتباع خطى غبطته في تنقلاته في سفره الجميل . اننا نهنئ المؤلف فقد اتحفنا بكتاب تاريخي قيّم .

ا. ع. خ

فهارس المشرق

للسنة الواحدة والخمسين

١٩٥٧

فهرس اول

لمواد اعداد السنة الواحدة والخمسين من مجلة المشرق ١٩٥٧

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الواحدة والخمسين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

٢ — مطبوعات اوروبية

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الواحدة والخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

O

Cinquante et unième année
1957

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1957

TABLE DES SOMMAIRES

LIe ANNÉE, 1957

◇

JANVIER - FÉVRIER

MARS - AVRIL

MAI - JUIN

JUILLET - OCTOBRE

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

المشرق

السنة الثانية والخمسون | كانون٢ — شباط ١٩٥٨

فكرة اليقين الديني عند الغزالي

بقلم الاب فريد جبر اللعازري

ليست شخصية الغزالي مجهولة عند رجال الفكر عرباً كانوا ام غربيين ولا سيا عند الذين قد اطلعوا ولو عن كثب على تاريخ الفلسفة في القرون الوسطى. وُلد في طوس (٤٥٠/١٠٥٨) في الخراسان، وبعد ان انهى دروسه الدينية في عاصمة البلاد آنذاك، نيشابور، لم يلبث ان اصبح من بطانة الوزير السلجوقي المشهور نظام الملك. فعهد اليه هذا بادارة المدرسة النظامية في بغداد وهو في الرابعة والثلاثين من عمره. فعالج عالمنا التدريس من سنة ٤٨٤ الى سنة ٤٨٨ (١٠٩١/١٠٩٥) واحرز حينذاك شهرة واسعة: كان الخليفة العباسي يكرّمه ويستشيره في امور الدولة وكان محط الوقار والاحترام عند الجميع وكان لقبه الرسمي: شرف الدين.

وما هو الّا وزاه — وهو على هذا الجاه العريض والشأن المنظوم —

يعتزل التعليم ويغادر بغداد ويتوارى عن الناس ويلتزم مـدة عشر سنوات خلوة وعُزلة يقول انه صرفها في الاعتكاف والتصوف . ثم ان الستار يرفع في سنة ٤٩٩/١١٠٦ م. ويعود الغزالي الى التدريس ، لا في بغداد بل في نيشابور . ولكنه لم يلبث ان عاد الى العزلة ثانية فالتزمها حتى مماته في بلدته طوس (٥٠٥/١١١١).

وللغزالي العشرات من المؤلفات بينها الضخم ومنها الصغير الحجم[1]. والذي يدفع الى درسه بنوع خاص هي الصفحات الاولى التي استهلّ بها كتابه : « المنقذ من الضلال »[2] الذي يُعدّ الى حدّ كمرجع في تاريخ حياة مفكرنا. فان هذه الصفحات لا بدّ من ان توقظ انتباه مؤرخي الفلسفة اذ انها تبدو كأنها عرض قبل الاوان لمشكلة فلسفية طالما اثارت قرائح رجال الفكر منذ اواخر الجيل الثامن عشر ولا تزال تشغلهم الى يومنا هذا الا وهي مشكلة النقد الفلسفي للمعرفة الانسانية .

والغرض الآن هنا استعراض المقاطع الاربعة الرئيسية من هـذه الصفحات وذكر الوجوه التي أولت عليها تحت تأثير عاملين: عامل سيطرة التفكير الغربي على فهم تراثنا العربي القديم من ناحية عند المستشرقين الذين حاولوا ان يدرسوا الغزالي ، ومن الناحية الاخرى عامل تطور اللغة العربية وما اخذت تشحن من المعاني الجديدة عند العرب او عند الناطقين بالعربية الذين اقبلوا على تحليل فكرة الغزالي مع العلم ان العامل الثاني تابع للاول ، او بالاحرى ناتج عنه. ثم ننتقل لنعرض بعد ذلك للوجه الذي يجدر بتلك المقاطع ان تفهم عليه وهو فيما يظهر نظرية الغزالي في تحديد اليقين الديني وتعريفه، فيسوقنا الحديث هذا الى الكلام بصورة وجيزة عن الاسباب السيكولوجية والتاريخيـة التي افضت بالغزالي الى استنباط تلك النظرية .

١) فيما يختص بصحة نسبة مؤلفات الغزالي راجع :

Montgomery-Watt, *The Authenticity of the works attributed to al-Ghazāli*, in JRAS, April, 1952, p. 24-45.

ثم :

Jabre, *La Notion de Certitude chez Ghazali*, Paris, Vrin, (sous-presse), Bibliographie et Introduction générale.

٢) المنقذ من الضلال ، طبعة دمشق ، ١٣٥٣/١٩٣٤ ، ص ٦٣-٧٧

١

في المقطع الاول يعبّر الغزالي عن موقفـه الفطري من المعرفة الانسانية او بكلام اصح بما يبدو أنه المعرفة الانسانية على وجهها المطلق العام . فيقول : « كان التعطش الى درك حقائق الامور دأبي وديدني (من اول أمري وريعان عمري)، غريزة وفطرة من الله وُضعتا في جبلتي لا في اختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت عليّ العقائد الموروثة على قرب عهد بسن الصبا . »[1]

والمقطع هذا يتممه مقطع ثانٍ يحلل فيه مفكرنا مشكلة اليقين وشروطه : « قلت في نفسي اولًا انما مطلوبي العلم بحقائق الامور فلا بد من مطلب حقيقة العلم ما هي؟ فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافًا لا يبقى معـه ريب، ولا يقاربه امكان الغلط والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك، بل الامان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارنًا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلًا من يقلب الحجر ذهبًا والعصا ثعبانًا لم يورث ذلك شكًا وانكارًا. فاني اذا علمت انَّ العشرة اكثرُ من الثلاثة فلو قال لي قائل: لا، بل الثلاثة اكثر بدليل أني اقلب هذه العصا ثعبانًا وقلبها، وشاهدت ذلك منه لم اشك بسببه في معرفتي، ولم يحصل لي منه الّا التعجب من كيفية قدرته عليه. فاما الشك فيما علمته، فلا. ثم علمت ان كل ما لا اعلمه على هذا الوجه ولا اتيقنه هذا النوع من اليقين، فهو علم لا ثقة به ولا امان معه، وكل علم لا امان معه فليس بعلم يقيني . »[2]

الى ان يقول في المقطع الثالث وفيه يعرض للحل الذي يبدو لاول وهلة انه مناسب وتحديد اليقين على نحو ما سبق: « فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلًا من علم موصوف بهذه الصفة الّا في الحسيات والضروريات . فقلت: الآن بعـد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الّا من الجليات، وهي الحسيات والضروريات. فلا بد من احكامها اولًا لاتيقن ان ثقتي بالمحسوسات واماني من الغلط في الضروريات اهو من جنس اماني الذي كان من قبـلُ في

١) المنقذ ص ٦٧–٦٨
٢) المنقذ ص ٦٨–٦٩

التقليديات ومن جنس امان اكثر الخلق في النظريات ام هو امانٌ محقق لا غدرَ فيه ولا غائلةَ له ؟ » وها هو الغزالي يقبل بجد بليغ يتأمل في المحسوسات والضروريات وينظر هل يمكنه ان يشكك نفسه فيها . فانتهى به طول التشكيك الى ان لم تسمح نفسه بتسليم الامان في المحسوسات ايضاً . واخذ يتسع ذلك الشك حتى اصبح يشمل العقليات نفسها التي هي من الاوليات ، كقولنا العشرة اكثر من الثلاثة ، والنفي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معدوماً ، واجباً محالاً » . فلما خطرت له هذه الخواطر انقدحت في نفسه ، فاخذ يحاول لذلك علاجاً ، فلم يتيسر اذ لم يكن دفعه الّا بالدليل ، « ولم يكن نصب دليل الّا من تركيب العلوم الاولية : فاذا لم تكن مسلّمة لم يكن ترتيب الدليل » .[1]

ولم تكن تلك الحالة ، فيما يقول الغزالي عن نفسه ، حالةَ الفيلسوف المفكر الذي يترخص بينه وبين نفسه في الاستسلام لما يمكن ان يسمى الشكّ الاسلوبي كما كان الشأن عند ديكارت ، بل كان واقعاً وجدانياً مؤلماً نزل بعالمنا وملك عليه امره . فهو يقول مشيراً الى ما سبق : « فاعضل هذا الداء ودام قريباً من شهرين انا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال . »[2]

وهكذا الى ان شفاه الله تعالى من هذا المرض وعادت نفسه الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة عنده موثوقاً بها على أمن ويقين .

وننتهي بذلك الى المقطع الرئيسي الرابع والاخير ، فيه يطلعنا الغزالي على الطريقة التي تم بها عنده ذلك الاطمئنان والارتياح الى اليقين من الاوليات والضروريات . « لم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح اكثر المعارف . فمن ظن ان الكشف موقوف على الادلة المحرّرة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة . فمن ذلك النور ينبغي ان يطلب الكشف وذلك النور ينبجس من الجود الالهي في بعض الاحايين ويجب الترصدُ له . »[3]

---

١) المنقذ ص ٧٠–٧١

٢) المنقذ ص ٧٣–٧٤ ٣) المنقذ ص ٧٤–٧٥

ثم إنه ، بجانب ذلك المقطع الاخير ؟ لا بد لنا من قراءة تلك الصفحات المطوّلة عن التصوّف يعرّض فيها الغزالي للحلّ الذي يراه صحيحاً لمشكلة الحصول على العلم اليقيني[1] . فهو خاصّةُ الصوفية لان جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوّة وليس وراء نور النبوّة على وجه الارض نور يستضاء بـه . والعلم اليقيني هذا ، بعد ذلك ، يؤمن عن طريق المعرفة التي محلها القلب وعن سبيل الذوق الذي يتم بملابسة عين حالة المعلوم فيكون كالمشاهدة والاخذ باليد تحت ضوء إرشاد النبي وتعليماته . ذلك لان الانبياء اطباء امراض القلوب ، وانما فائدة العقل وتصرفه ان يعرفنا ذلك وان يشهَد للنبوّة بالتصديق وبالعجز عن درك ما يدرك بعين النبوّة . فيأخذ بايدينا ويسلمنا الى تلك العين تسليم العُميان الى القائدين وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المُشفقين . والى هنا مجرى العقل وخطاه وهو معزول مما بعد ذلك الّا عن تفهيم ما يُلقيه الطبيب اليه .

وهكذا فنحن الآن في جوّ غير الذي كنا نشعر به في مقاطعنا الاولى : كنا هناك او بالاحرى كنا نظن انفسنا في جوّ عقلي فلسفي محض ، لا دخل فيه للاخلاق وللدين ولكل ما يمت الى الوجدان بصلة ونحن الآن في جوّ نراه ملبّداً بعناصر ومعنويات غريبة عن العقل ، بعيدة عنـه كل البعد : فيه تطهير النفس ، وفيه تصويب القلب وتشديده ، وفيه كل ذلك الذي تتطلبه حياة التصوف من رياضة روحية ووجدانيات تمدّ كشرط لا بدّ منه للوصول الى العلم اليقيني ، ومن خشوع لا تردّد فيه لتعاليم النبي الذي يؤخـذ كمعلم معصوم عن الخطإ ليس علينا الّا ان نُمعن النظر في علمه حتى نتيقن من صحته .

٢

ونرى انه لا بدّ لنا من هذا الاستعراض الشامل لتلك المقاطع الاربعة مع ما يلحق الرابع منها من توابع ، لا بدّ لنا من تلك النظرة الشاملة اقول ، ان شئنا ان نُلم الماماً صحيحاً بفكرة اليقين عند الغزالي : كيف عرض للمشكلة وحدّد شروطها من ناحية ومن ناحية اخرى ما هو الحلّ الذي وقف عنده نهائياً

[1] المنقذ ص ١٢١ تابع .

وراه وانياً لمقصوده . وان فعلنا فلا يسعنا الا وان نعدل عن تلك المحاولات التي بذلت في تأويل تلك المقاطع مها كان حظها من الصدق والاخلاص في البحث العلمي المجرد . فان الغزالي لم يقف من المعرفة الانسانية ومن شروط اليقين موقف ديكارت فيا يسميه الشك الاسلوبي وفي المبدأ الميتافيزيقي : « افكر واذن فانا كائن » الذي اقامه كحل لذلك الشك ، والذي يعتبر اليوم عند اغلب المفكرين اساس كل مذهب فلسفي صحيح . وهذا تأويل يوحيه المقطع الاول والثاني مجتمعين ، واليه ذهب اكثر الشارحين لفكرة الغزالي من الناطقين باللغة العربية في عصرنا هذا[1] . فكانوا بذلك مندفعين وراء ما أصاب تلك اللغة من تطور تحت تأثير التفاعل المشترك بين عقلية الغرب وتراثه المعنوي من جهة وبين الشرق العربي من جهة اخرى. وجميعنا يعلم ان موقف ديكارت في الامر هو موقف العقل المتحرر اصطلاحاً ، المتجرد من كل غرض ديني واخلاقي . وهو موقف كان الغزالي بعيداً عنه كل البعد ، كما ستراه بعد حين.

والغرض الديني هذا والاخلاقي الذي لا يزال قائماً نصب عيني الغزالي في سعيه وراء اليقين ، هو الذي يحملنا على الا نرضى ايضاً بنظرية المستشرق الاميركي ماكدونالد في الموضوع[2] . فهو يرى ، تحت نظرية استاذه وليام جيمس الفلسفية ، أن الغزالي يجعل اليقين نتيجة استبطان منطلق حر لا قيد له ، عن طريقه ينفذ المرء الى وجدانه حيث يجد الحق ينكشف امامه . فان الغزالي اذا ما عمد الى

١) انظر خاصة علي البلهوان ، ثورة الفكر ، في منشورات المباحث ، مطبعة الارادة ، بدون تاريخ ص ج وتابع ، ثم كريم عزقول ، العقل في الاسلام ، بيروت ، صادر ، ١٩٤٦ ، ص ٦٢ وخاصة ص ٦٥ ، للمقارنة بين الشك الاسلوبي عند ديكارت وعند الغزالي . راجع رأياً معاكساً عند ابي العلاء العفيفي ، اعترافات الغزالي ، القاهرة ، ١٩٤٣ ، في عدة صفحات هنا وهناك .

٢) راجع له دراساته في الموضوع :

1) *The Life of Ghazali with especial reference to his religious experiences and opinions*, in JAOS, XX, (1899), p. 70-132.

2) *Development of Muslim Theology and Jurisprudence*, London, 1903, ch. IV.

3) *Encyclopédie de l'Islam*, art. Ghazali.

ثم راجع في نقد هذه النظرية :

Jabre, *La Notion de la Certitude*, op. cit. Introduction.

الاستبطان في دعوته الى سلوك طريق التصوف ، فذلك الاستبطان مقيَّد ، يتم تحت ضوء كلمتي الشهادة ، لا اله الّا الله ومحمد رسول الله ، وتأثيرهما . فالشهادة هذه تتخلله منذ البدء وتوجهه حتى نهايته بمقتضى معناها السني. فرجع الاستبطان هذا الى تأمل مستمر عميق في فكرة تفرض على الوجدان فرضاً ولا يجوز التحيدُ عنها بحال .

وهكذا القول عما يذهب اليه المستشرق الالماني اوبرمان في مؤلفه الضخم — *Der Philosophische und Religiöse Subjectivismus Ghazalis* — الذاتية الفلسفية والدينية عند الغزالي —[1] فهو يحاول ان يبيّن شيئاً كوحدة فكرة ونظر بين الغزالي وكانت (Kant) في نقد العقل والمعرفة الانسانية وفي حلّ مشكلة الشك واليقين واسسها .

٣

وليس غرضنا من كل ذلك الحط من شأن الغزالي وقدرته الفكرية ، انما قصدنا اظهار أن ما كان يُهم ديكارت وباسكال ووليم جيمس وافلوطين وغيرهم من كبار مفكري الغرب في ابحاثهم الفلسفية لم يكن حاضراً البتة عند الغزالي في الافق الفكري الذي يكتنف المقاطع الرئيسية التي ذكرناها . فالواقع هو انه اقبل على كتابة تلك الصفحات الاولى من المنقذ وما وكدَ له الّا دعمُ عقيدة اهل السنة وتأمينُ الطريق التي بها يتم رسوخ تلك العقيدة في العقول والقلوب . وذلك واضح في الحل الذي يراه مناسباً ومشكلةَ العلم اليقيني على نحو ما يعرض له . قلنا ان ذلك العلم اليقيني لا يؤمّن الّا بعد الاهتمام البالغ بتعاليم محمد والتزام العبادات والتكاليف الشرعية وذلك ضمن مذهب السنة وقوانينها .

ولكن ان كان ذلك كافياً للدلالة على حلّ مرضي مقبول يمكن ان يُعتبَر كافتراض ، فهو لا يسوّغ بتّاً علمياً قاطعاً . فما كان بدّ اذن ، لتحقيق ذلك البت ، من درس الموضوع ، لا من الخارج ، بل في صميم داخله وباطنه ، اعني

[1] Obermann, *Der Philosophische und Religiöse Subjektivismus Ghazalis*, Wilhelm Braumüller, Wien und Leipzig, 1921.

درسَ المفردات واللفظات التي لجأ اليها الغزالي عندما حاول ان يعرض لمشكلته على نحو مـا ذكرنا . فحينئذٍ وجب علينا الرجوع الى مؤلفاته الاخرى الذي يبدو المنقذ كخلاصة لها، لاستخلاص معنى العبارات والمفردات مثل «حقائق الامور»، الاعتقاد ، العلم ، المعرفة، الذوق ، النور الذي يقذفه الله في القلب، وغيرها من الاصطلاحات التي قد توجد عند الغزالي على معناها العادي المشهور ؛ ولكنها ، غالب الاحيان، ولاسيما في مقاطعنا هنا ، تصطبغ بالوان خاصة من المعاني والصور.

اما العبارة « التعطش الى درك حقائق الامور » في المقطع الاول فلقد نقلها اوبرمان الى الالمـانية بما يلي : die Sehnsucht, die Wahrheit der Dinge, zu erkennen[1] . والترجمة هذه فيها شيء قوي من التجرّد النظري الفني بعيد عن تفكير الغزالي الذي لا يزال قريباً الى المعرفة الواقعية العادية العامية القائمة على التجربة الفورية . ولذلك نفضّل ترجمة الاستاذ مونتغومري واتْ من ادنبره Thirst after comprehension of things as they really are[2] الا إن هذا التعبير على اتصاله بالواقع لا يأتي على الغرض الذي يقصده الغزالي بكامله . فلهذا الغرض كما يقول الغزالي نفسه قِشر ولُب ، ظاهر وباطن ، سطح وغَور.

فلفظة الامور التي نحن بصددها تعني كل ما تدل عليه كلمتا الشهادة السنيّة من موجودات ثم من قوانين ترتبط فيما بين تلك الموجودات[3] . فالعلم بترتيب الامور الالهية المحيطة بكل الموجودات هو اعلى انواع المعارف ، ولقد تلقيناه من النبي الذي يتكلم عن وحي من قبل الله. الا ان تعليم النبي المضمّن كلمتي الشهادة ، هذا التعليم فيه مجال واسع لتأويل قد يفضي الى الانحلال التام ، وهو ايضاً عرضةٌ لجمود ناتج عن الوقوف عند اللفظ دون المحاولـة على استخلاص معناه المكنون فيه كما كان الامر عند الحنابلة. والاقتصاد بين ذلك الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الّا الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع . ثم اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما هي

١) اوبرمان ، المرجع المذكور ، ص ٢٥

٢) مونتغومري وات : *The Faith and Practice of al-Ghazāli*, London — Allen and Unwin Ltd, 1953, p. 21.

٣) راجع : Jabre, *Essai sur le Lexique de Ghazali*, (sous-presse) : اللفظة « أمر » .

عليه نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرّروه وما خالف اولوه"[1]. سنرى في حينه على ماذا يدل ذلك النور الالهي المشار اليه في نصنا . اما « اسرار الامور » فهي هي « حقائق الامور » تلك التي يصرّح الغزالي بانه كان متعطشاً الى دركها . فالحقيقة في لغة الغزالي هنا ليست المعلوم المجرّد الذهني بل الواقع الوجودي ولكن باعتبار ابعد واعمق شيء فيه : هي صميم الواقع وغايته القصوى . فاللفظة تدل على ما تدل عليه لفظة « سر » او « روح » او « قلب » او « لب » او « باطن » وهي بهذا المعنى تقابل المفردات لفظة ، قشر ، ظاهر ، في لغة عالمنا .[2]

واذن فان الغزالي كان متعطشاً الى درك حقائق الامور يعني انه كان في غاية الشوق الى ان يدرك غور تعاليم التي بمقتضى ما تفرضها عليه كلمتا الشهادة السنية وان يَنفُذ الى صميم تلك التعاليم بصميم فؤاده ووجدانه ، او بالاحرى ان يتشرب صميمُ فؤاده ووجدانه بعُصارة كلمتي الشهادة السنية وخُلاصتها .

قلنا « صميمُ فؤاده ووجدانه » ولا بدّ لنا من تعليل كلامنا ذلك. وهو اننا حتى الآن كنا قاصرين النظر على الناحيـة الموضوعية من البحث ، اعني على الشيء المعلوم المدرَك ، ولكن عند الغزالي كما ان هناك اطواراً في الشيء المدرَك يُنتَهى اليها بالتدريج الواحد تلو الآخر ، فهناك ايضاً اطوار ودرجات في الذات العارف المدرك ، ترتفع بعضها عن بعض ، تابعةً بعضها لبعض. فالادراك من هذه الناحية يبتدئ بالاعتقاد وهو ادنى درجات العلم واضعفها . فالاعتقاد يجعل النفس تصدق بالشيء تصديقاً جزماً ، نعم ، لا تتمادى فيه ولا تشعُرُ بنقيضه البتة ، ولو أُشعِرت بنقيضه يعسر اذعانها للاصغاء اليـه . ولكنها لو تُبُتّت واصغت وحكي لها نقيضُ معتقدها عما هو اعلم الناس عندها كنبي او صدّيق ، اورث ذلك فيها توقفاً. ذلك لان الاعتقاد هو تصديق من غير كشف وانشراح صدر يقيّد ظاهر القلب دون باطنه وصميمه ، وهو الى ذلك عُقدة على القلب والفكر تمنعها من ان يمتدا الى الاحتمالات البعيدة وتجعلها ينجزمان انجزاماً باسباب

---

١) راجع في كل ذلك احياء علوم الدين ج ١ ، ص ٩٢–٩٣ ثمّ :
Jabre, *La Notion de la Ma'rifa chez Ghazali*, p. 156-157.

٢) راجع كل هذه المفردات عند Jabre, *Essai de Lexique*.

ضعيفة من دون ان ينفذا الى صميم الشيء المطلوب ادراكه : فقد يكون ثمة اعتقاد حق واعتقاد باطل ، وقد يكون كلاهما قاطعاً جازماً ، وهما على كل حال قائمان على التقليد الموروث . اما حقيقة المعرفة والعلم فلا تتم الّا بعد انحلال تلك العُقـدة وانشراح الصدر فيحصُل الكشف ويحصُل اليقين والعلم اليقيني ويرتفع العارف المدرك من حضيض التقليد الى بقاع الاستبصار والمعرفة بالذوق[1] .

والطور هذا لا يصل اليه الّا من سلك طريق التصوف والاعتكاف ، ملازماً العبادات الشرعية ، مستهدياً بعين النبوّة ، متدبراً بينه وبين نفسه بصورة مستمرة تعاليم النبي وارشاداته حتى يسطع في باطنه ذلك النور الذي يقذفه الله في القلب والذي يسميه الغزالي ايضاً النور الالهي او نور اليقين او نور الايمان . وكلها عبارات تدل على الغريزة العارفة من الانسان بعد ان روضت ولانت لاوضاع الشرع حتى اصبح ذلك الشرع حقاً ثابتاً راهناً فيها ، ما عليها الّا وان تنظُر الى نفسها حتى تراه ملابساً لها فتجده وجداناً وتتذوقه تذوقاً .

وهذا هو اليقين بعينه عند الغزالي : هو في الآن نفسه حالة نفسية ذاتية تقوم وتحدَّد مباشرة بالنسبة الى معلوم ومدرك هو الحق باستثناء غيره في نظر عالمنا ، او بكلام اوضح هو في الآن نفسه سكون القلب واطمئنانه وارتياحه الى تعاليم النبي على ما تحصرها كلمة الشهادة السنية . فهو يقول : «السكون في القلب شيء واليقين شيء آخر . فكم من يقين لا طُمأنينة معه وكم من مطمئن لا يقين له . فان اليهودي مطمئن القلب الى تهوّده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلًا .»[2]

واذن فان موقف الغزالي في صفحات المنقذ الاولى ، ولا سيا في المقاطع التي ذكرناها من تلك الصفحات ، ليس موقف الفيلسوف المتحرز الناقد للمعرفة الانسانية على وجهها العام بصرف النظر عن كل غرض ديني واخلاقي ، انما هو موقف العالم الديني المسلم الذي يحاول ان يقرر شروط اليقين الديني وطريقة الوصول الى ان ينفُذ المؤمن بصميم قلبه الى صميم عقيدة اهل السنة فيصبح كأنه يحيا بها وكأنه تشخيص واقعي لها .

---

١) راجع الغزالي ، المستصفى من اصول الدين ، ج ١ ص ١٧ تابع . وراجع ايضاً : Jabre, *La Notion de la Certitude chez Ghazali*, 2e partie, ch. I et conclusion.

٢) راجع الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج ٤ ، ص ٢٢٤

٤

والموقف هذا يبدو بجلاء في الصفحات التي يخصصها الغزالي لنقد الفلسفة[1] ومنها نستخلص رأيه في الكلام والنظر العقلي والمنطق[2] فنطلع بـذلك على الاسباب السيكولوجية النفسية التي جملته يبتعد عن الحل الذي كنا نتوقعه بعد قراءة المقطع الاول والثاني المذكورين آنفاً وهو حل قريب الى نظريات ديكارت في النقد الفلسفي . اما الشكل الذي يلجأ اليه للتعبير عن حله هو مع ما يرافق هذا الحل من آراء في الطبيعة وما وراءها وفي اسس المعرفة ، فان هذا الشكل والمبنى يرجعان الى اسباب تاريخية سنذكرها ايضاً في حينها.

يقول الغزالي انه — بعد ان شفاه الله من شكه — اخذ يستعرض الفلسفة والكلام وغيرهما حتى يتبين اياً من هذه الطرق تؤدي الى الحق الذي كان ينشده فيبتدئ بالكلام ويثني بالفلسفة ويثلث بالتعليمات الباطنية ويربع بطريق الصوفية.

اما الفلسفة فكنا نتوقع منه كما قلنا ان يُقبلَ عليها كما نُقبلُ عليها اليوم اعني ان ينظر اليها بمقتضى مجرد اسس العقل ومبادئه ومقاييسه بصرف النظر عن كل عنصر خارج عنه . لا سيما وان هذا النظر يلائم كل الملائمة ما ذكره الغزالي من شروط اليقين واسسه كما قلنا . ولكننا نرى عالمنا عند حديثه عن الفلسفة يحللها وينقدها لا بالرجوع الى مقاييس العقل بـل بالاستناد الى العقائد الدينية الاسلامية على ما يقبلها اهل السُنة . والغزالي يُنكرها ويعدل عنها لا لشيء. الّا لاصول يعترف بها اصحابها فيتعرضون بذلك للتبديع والتكفير. ذلك لانه يرى الفلسفة لا كبحث حر منطلق من كل قيد يفرض عليه من وراء الطبيعة والعقل بل كمجموعة نظريات كمذهب أحدث واستنبط لتنظيم الوحي وترتيبه بعد استلام تعاليمه من النبي . فهي لذلك خاطئة لانها تخالف تلك التعاليم في كثير من اصولها هذا من ناحية ، ثم من الناحية الاخرى إنها قاصرة لانها تعجز عن ان تؤمن للمؤمن اليقينَ من القسط المشترك بينها وبين تعاليم الوحي.

---

١) المنقذ ، ص ٨٢ تابع .

٢) راجع Jabre, *La Notion de la Certitude chez Ghazali* الجزء الاول، تمهيد وخاصة الفصل الثالث من هذا الجزء وخاتمته .

واما الكلام[1] فهو من هذه الناحية الثانية هو والفلسفة على حدٍ سواء . نعم هو يتقيد بكل تعاليم النبي وبكل اصول الوحي الّا انّ اصحابه يدّعونه كافياً لفرض العقائد الدينية على الانسان بمجرَّد قوة الدليل والنظر العقلي. والغزالي يراه قائماً على مقدمات تسلّمها ذووه من خصومهم الذين كانوا يحاولون تشويش عقيدة الحق على اهلها . ثم انه لا يثق كل الثقـة بالادلة وقدرتها على تأمين اليقين . فهو في ذلك يذهب الى نظرية تكافؤ الادلة واستحالة طلب اليقين عن سبيلها ، وهي نظرية مَدين بها للجويني استاذه في نظامية نيشابور.[2]

٥

ومبدأ تكافؤ الادلة هذا هو الذي يقيض لنا الوقوف على الاصل الاساسي والسبب النفسي السيكولوجي اللذين عدلا بالغزالي عن ان يَحُلّ مشكلة الشك واليقين على الوجه الذي كنا نتوقعه ، لا سيما بعد قراءة المقطع الثاني من المقاطع الاربعة التي ذكرت . كنا ننتظر ان يكون تطوّره بعد ذلك على نحو تطور ديكارت مع الاخلاص اللاهم ، لمصطلحات ارسطاطاليس ومذهبه في المنطق. ونحن نعلم ان منطق ارسطاطاليس كما يعرُض له في الانالتيك الاولى والثانية قائم على مادة وصورة . فالصورة هي تنظيم للمعلومات والعقليات ترجع في الاصل الى مقدمتين — كُبرى وصُغرى — مع التعبير عن النتيجة التي تصدر عنها . والمادة هي مدلول المقدمتين والنتيجة ، اعني تلك العقليات والنظريات التي تُستنتج استنتاجاً ككليات عامة شاملة من الواقعيات الجزئية الفردية ، وذلك عن طريق ما يسميه الفرنج الـ induction الذي يتم على ضوء مبادئ العقل الاولى المشهورة في الفلسفة الغربية بالاسم 1ers principes . اما الغزالي فتقيد بالناحية الصورية الشكلية من دليل ارسطاطاليس وسبكه في وضع القياس وهو في الاصل كما نعلم اداة تُستخدَم لتنظيم ادلة الفقه . وهذا يفتح امامنا

---

١) راجع المنقذ ص ٧٨ تابع .

٢) راجع : Jabre, *La biographie et l'œuvre de Ghazali reconsidérées à la lumière des Ṭabaqāt de Subki*, in Mélanges de l'Institut Dominicain des Études Orientales, n° 1, Le Caire, 1954, p. 78 sq.

ثم : Jabre, *La Notion de la Certitude chez Ghazali*, 3e partie, ch. II et III, etc., 1re partie, ch. III.

للبحث والتنقيب باباً لا يعنيني ان اخوض فيه الآن . والذي يهمنا ان نقول هو ان عالمنا ، مع تقيده بصورة دليل ارسطاطاليس اسقط الناحية المهمة منه ألا وهي ناحية المادة ، واسقطها عمداً وقصداً . وهذا واضح من نقده الدقيق للاستقراء الـذي كان يراه فلاسفة العرب تعريباً وافياً لوضع الـ induction . وكان ذلك النقد عنده قائماً على المعنى المباشر للفظة استقراء ، الا وهو الاطلاع على واقعيات فردية جزئية بعد صفها بعضها وراء بعض او بعضها جنب بعض . وهو عمل لا يتخلص منه الى استنتاج معلومات عامة من صنف العقليات والنظريات على وجه المنطق الارسطاطاليسي . ولذلك لا نرى صحيحاً ان نترجم الالفاظ «الضروريات والاوليات» التي يستخدمها الغزالي، بالعبارة الفرنسية 1^er^ principes بل بالعبارات Données premières و Données nécessaires[1]

ذلك لان عمـل الضروريات والاوليات عند الغزالي ليس كعمل المبادئ الاولى للعقل عند ارسطاطاليس وفي الفلسفة الغربية. فان عالمنا يرى ان المعلومات بعضها يكون في العقل حاضراً كالعلوم الضرورية الاولية فهو يراها كواقع ثابت فيه ليس اكثر من دون ان يرى لها اصلاً ولا غاية ، ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال اذا عرض عليه بـل يحتاج ان يُهَزّ ويُستَوري زناده ويُنبَّه عليه بالتنبيه كالنظريات والعقليات[2]. والمذكِّر هنا والمنبِّه هو النبي عندما يأتي بتعاليمه بعد استلامها عن سبيل الوحي . وحينئذٍ فلا تعرض تلك النظريات على مقياس العقل وانما ترد الى ضوء الشرع ليَحكُم عليها به . فهي اذ ذاك قسمان: قسم يتعلق باصول قواعد الايمان ومخالفته تُعرّضُ للتكفير ، وقسم يتعلق بالفروع ومخالفتهُ تعرض للتبديع .[3]

١) راجع : Jabr, *La Notion de la Certitude chez Ghazali*, 1^re^ partie, ch. III, §§ II et III.

٢) راجع : Jabre, *La Notion de la Certitude chez Ghazali*, 2^e^ partie, ch. V, § I.

ثمّ : الغزالي ، مشكاة الانوار ، في الجواهر الغوالي من رسائل الامام حجـة الاسلام الغزالي ، القاهرة ١٣٥٣/١٩٣٤ ، ص ١١٧

٣) راجع الغزالي ، فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، في الجواهر الغوالي من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالي ، القاهرة ١٣٥٣/١٩٣٤ ، ص ٩٢ تابع.

فنحن اذن بعيدون كل البعد عن النقد الفلسفي واسسه. في قضية الحكم بين الحق والباطل، ليس الاعتماد على مقاييس العقل وشروطه بعد افتراض تجرده، اصطلاحاً على الاقل، من كل قيد ومبدأ خارج عنه. فاليقين انما يتم عن طريق التقيد بتعاليم النبي بعد الاقبال عليها بدون تردد، وبعد تدبرها حتى يُصبح العلم بها ذوقاً ووجداناً عند العارف المدرك. فالنبي هو المعلم المعصوم عن الخطأ واليقين لا يصح الّا بالتقيد بتعليمه.[1]

٦

وهذا يسوقني الى كلمة وجيزة عن السبب التاريخي الذي حمل الغزالي على ان يحلّ مشكلته في الشك واليقين على هذه الصورة التي عرضت.

قلت ان في نظر الغزالي لا يتم اليقين الّا بالاخذ عن النبي الذي يُعتبر بذلك كالمعلم المعصوم عن الخطإ، فالنبي يعلّم ويذكّر وينبّه والمدرك العارف يتيقظ لتنبيهه وتذكيره وتعليمه ثم يتدبّره فيُصبح عنده ضرورياً فيتيقن منه يقيناً يدعم به يقينه من الاوليات والضروريات الفطرية العقلية.

والنظرية هذه التي تُنتصب كمبدأ اساسي للمعرفة الانسانية نجدها هي هي مع التغييرات اللازمة عند فئة من فئات الشيعة الاسماعيلية يذكرها الغزالي باسم الباطنية او التعليمية. وهذا الاسم الاخير هو الذي كانت تعرف به تلك الفئة على ايام الغزالي اذ كان لها كما نعلم الانتشار الواسع على يد حسن الصباح، خاصة، صاحب قلعة الموت، حتى انها اخذت تهدد كيان الدولة العباسية نفسها وكادت تقوّضها الى اركانها لما كانت قد وصلت اليه من النفوذ والقوّة والمناعة[2].

وليس غرضنا هنا ان ندخل في تفاصيل تاريخ هذه الفئة وتطوراتها بل نكتفي

---

١) راجع المنقذ، ص ١٠٧ تابع، والقسطاس المستقيم في كل صفحاته؛ ثم:

Jabre, *La Notion de la Certitude chez Ghazali*, Part. II, chap. VI. et part. III. ch. I et ch. III.

راجع ايضاً: Frick, *Ghazālīs Selbstbiographie. Ein Vergleich mit Augustins Konfessionen*, Leipzig. 1919, p. 76 sq.

٢) راجع: Goldziher, *Streitschrift des Gazālī gegen die Bāṭinijja-Sekte.* Leiden, Brill, 1916, p. 14 sq.

راجع ايضاً: Corbin, *Le Livre réunissant les deux sagesses*, Téhéran, Paris, 1953, p. 11 sq.

ان نلمح انها من الناحية السياسية كانت تعمل على خلع الخليفة العباسي وتبديله بالخليفة الفاطمي القائم في مصر سعياً وراء توحيد العالم الاسلامي بأسره تحت سيادة اعقاب علي . فكانت دعاتها يصفون للناس الخليفة الفاطمي كمعلم معصوم عن الخطأ وصل اليه العلم بحقائق الامور وهو يُطلع عليه دعاته قبل ان يفوضهم الى رسالتهم وعملهم في الاقطار . وكان هذا العلم مرتكزاً على التأويل لنص القرآن ولتعاليم الوحي بالاعتماد الى مبدأ التمييز بين الباطن والظاهر . هذا علاوة عما كان يتضمن من نظريات في الطبيعة وما وراءها نعرف ان علماء الشيعة كانوا قد اتخذوها عن الافلاطونية الحديثة[1] التي وصلت الى الشرق ونقلها فلاسفة العرب عن السريانية كما نجدها في رسائل اخوان الصفاء . ومن السهل ان نتبين الى اي حد يتتبع الغزالي اصطلاحات التعليمية ومبادئها ونظرياتها محاولاً بذلك ان يكون محيي الدين ومجدده على رأس المائة الخامسة امام التعليمية كما كان الامر من الاشعري مثلاً امام المعتزلة[2] . وهذا واضح لمن يقيم المقارنة بين اول كتاب الفه الغزالي وهو المستظهري وبين مؤلفاته الاخرى . ففي المستظهري يعرض الغزالي لمذهب الباطنية التعليمية ويعرض له بالتفصيل متناولاً اسسه الثلاثة التي ذكرنا نعني مبدأ التعليم والنظريات الفلسفية ومبدأ التمييز بين الظاهر والباطن . ثم في مؤلفاته الاخرى يعود الى تلك المبادئ والاصطلاحات المتعلقة بها فيفرغها من معانيها الاصلية ويضمنها معاني جديدة تتلاءم والعقلية السنية وحاولنا ان نثبت كيف ان المنقذ نفسه لا يفهم تمام الفهم ما لم يقرأ تحت ضوء اعمال التعليمية وتعاليمهم . ولقد رأينا هنا المحل الذي يشغله مبدأ التعليم كأساس لليقين وللمعرفة الدينية عند الغزالي . فان التعليمية كانوا يقولون : لا بد للحصول على اليقين من الرجوع الى المعلم المعصوم . فيجيبهم الغزالي : وبالصواب نطقتم الّا ان ذلك المعلم ليس الخليفة الفاطمي القائم في مصر بل نبيّنا محمد ابنُ عبد الله بنُ عبد المطلب .

١) للمقارنة بين افلوطين والغزالي ، راجع :

Jabre, *l'Extase de Plotin et le Fanā' de Ghazali*, in Studia Islamica, n° 6.

٢) راجع : Jabre, *La Notion de la Certitude chez Ghazali*, Part. III, ch. I.

وهذا الجواب يؤدي بنا الى احدى الملاحظتين التي نريد ان نختم بها حديثنا، وهما يتعلقان بجدارة البحث في مؤلفات الغزالي وآرائه في عصرنا هذا، ومن ناحية المسلمين ومن ناحية كل ناطق باللغة العربية، مسلماً كان ام مسيحياً.

فالملاحظة الاولى هي ان الغزالي يركز جوابه الذي ذكرنا على التمييز بين القطعيات التي تتطلب اليقين الثابت الراهن وبين المجتهدات الفقهية التي يكتفي للعمل بها بالظن والترجيح[1]. فالعقائد واصول الايمان كالايمان بالله وباليوم الآخر وبالنبوة هي من الفئة الاولى من المعلومات. واما تعيين الخليفة والسلطة الزمنية فهي من الفئة الثانية. وعلى هذا المبدأ يتركز التمييز الشامل الواسع الذي يجعله في مؤلفاته بين الدنيا والدين اوالدنيا والآخرة، اوان شئت فقل بين الزمنيات والروحانيات[2]. وهما القطبان العظيمان اللذان يقوم عليها تفكيره فيميل ميلاً قوياً الى القطب الثاني دون الاول. وهذا راجع، نعم، الى الاثر العميق الذي تركته آراء التعليمية في تفكيره وتوجيهه كما يبدو من مؤلفاته. فلقد لاحظ المستشرق الفرنسي كوربين في الصفحات التي قدم بها على الكتاب «جامع الحكمتين» لناصر خسرو بالفارسية، الى الاهمية التي كان الباطنية يجعلونها لاوضاع الآخرة في مذهبهم ومؤلفاتهم حتى انه كان مصير ذلك المذهب ان ينتشر بين الصوفية العاكفين على ذكر الله، ويتستر في زواياهم بعد تدمير قلعة الموت وتبديد شملهم[3]. ومها كان من امر، فان تمييز الغزالي بين الدنيا والدين او الدنيا والآخرة وصرفه همه الى الثانية دون الاولى، ساقه في ذلك المضمار الى ابداء آراء يجدر ان ينظرها بعين الاعتبار كل مسلم يريد ان يخلص التمسك باسلامه كدين، يمتاز بروحانياته الخاصة، مع صرف النظر عما قد يكون لذلك الاسلام من سلطان وعز من الناحية الزمنية.

اما من ناحية تلك الروحانيات وما يتبعها من نظريات في المنطق والفلسفة، فان الغزالي قد عبّر عنها بلغة عربية سمحة منطلقة، لا شوب فيها ولا غبار عليها. وان تلك اللغة تتناول النفس الانسانية في ادق خفقاتها واخف همساتها بعذوبة

١) راجع: Jabre, *La Notion de la Certitude*, Part. III, ch. I § I.

٢) راجع الغزالي، احياء علوم الدين، ج ١، ص ١٦–١٨

٣) كوربين، المرجع المذكور، خاصة ص ١٠

وسهولة ما وراءهما عذوبة وسهولة ؛ هــذا علاوة عن ذلك الوضوح في البيان والاشراق في الاسلوب اللذين نرتاح اليها ونغتبط بهما بعــد الخروج من قراءة كتب ابن سينا وابن رشد الجافة التي طالما تستاص على الفهم في الكثير من مقاطعها . ولذلك فالرأي اننا نحن الناطقين بالعربية اليوم ، مسيحيين ومسلمين، يليق بنا ان نحتك بذلك المفكر العظيم اذا ما اردنا ان نعبر عن آرائنا الفلسفية والدينية بلغة عربية صحيحة ترفع بتراثنا الفكري العربي المعاصر وتجعله يتسع ويمتد الى مستوى انساني عالمي يجعله جــديراً بان يقرأ ويلتذ به في كل عصر وكل مصر ، في كل زمان وكل مكان .

تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

للاب لويس بليبل (✝ ١٩٣٨) (تابع)

المجلد الثالث

نادرة : انقلها عن كتاب صلوات ستة الآلام المعروف بكتاب الحاش الموجود في دير سيدة ميفوق لرهبانيتنا . وهي :

انّ الاب جرمانوس الشبابي قد خطّ اي كتب جميع الصلوات المدوّنة جذا الكتاب من سرياني وكرشوني بقطّة قلم واحدة لا غير . (اي قطع راس القلم ليصبح صالحًا للكتابة) . وكان المتني به الاب رافايل بعكفرة رئيس الدير .

ولا يذهب عن ذهن القارئ اللبيب ما هو حجم هذا الكتاب . فقطعه طلحية كبيرة من الورق الكبير وعدد الاسطر بكل صفحة ثلاثون سطرًا حرف ثلث . وعدد صفحات الكتاب المذكور ٦٠٠ صفحة فتأمل :

ملاحظة : من الصعب جدًا كتابة ١٨ الف سطر بقطة قلم واحدة الّا اذا اراد بذلك قلمًا واحدًا يبريه عند الحاجة . (الناشر)

وفي هذه السنة ١٧٨٧ بلغ الميعاد القانوني لعقد المجمع العام لرهبانيتنا اللبنانية فعقد بحسب عوائدها وفرائضها القانونية .

وفي اليوم الرابع من الاجتماع وهو اليوم المعد للاقتراع القانوني اقترع آباء المجمع فاصابت :

القرعة الاولى الاب مرقس الكفاعي فنودي به رئيسًا عامًا

« الثانية « شربل مدلج « « مدبرًا اول

« الثالثة « عمانوئيل الرشاوي « « « ثانيًا

« الرابعة « عمانوئيل الجبيل « « « ثالثًا

« الخامسة « الاب نعمة الله النجار فنودي به مدبرًا رابعًا

وفي اليوم الاخير من اجتماعهم انتخب مجلس المدبرين رؤساء الاديار :

لدير مار يوحنا رشميا (مجهول الاسم)

« « انطونيوس قزحيا الاب اقليموس المكاري

لدير مار يوسف البرج	الاب لورنسيوس الشرتوني
« « انطونيوس سير	(مجهول الاسم)
« سيدة مشموشة	«
« سيدة طاميش	«
« مار مارون بير سنين	«
« « انطونيوس حوب	الاب عبدايل المراط البكفاوي
« « عبدايل بنابيل	« سرابيون دياب
« « موسى الحبشي	« اسطفان الديراني
« « الياس الكحلونية المتن	« بولس الشبابي
« سيدة ميفوق	« مبارك الخوري
« مار قبريانوس كفيفان	« مانيا الشني
« « جرجس الناعمه	« لويس بليل
« سيدة المونات	مجهول
« مار انطونيوس النبع	الاب سرابيون
« « عبدا مشاد	« ارميا الكفروني
« « الياس مطوشي قبرس	(مهجور)

وفي هذا المجمع العام تقرر اعتبار مدرسة مار عبدا في معاد ، كدير من الاديار القانونية في الرهبانية واصدر آباء المجمع قراراً بذلك وعينوا للمدير رئيساً الاب ارميا الكفروني كما مر اعلاه (عن اوراق قديمة)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة جبرائيل الديراني وانطون البلالي وعمانوئيل الرشماوي ونيلوس المزرعاني وصموئيل الشبابي وارسانيوس حارة صخر وعبدايل عندقت ورفائيل صربا .

وتوفي الاخ مارون الكفروني . (عن روزنامات الاديار)

عدد ٩١

في السنة ١٧٨٨ اشترى الاب سرابيون دياب رئيس مار عبدايل بنابيل من الامير يوسف شهاب قطعة ارض في الكرك ، قصد بناء كنيسة لخدمة النصارى شركاء الامير الذي ، بعد عقدالبيع ، ترك المال الاميري وجميع المطاليب المترتبة على هذه الارض ، احساناً مؤبداً لهذه الكنيسة . وربط ذلك بصك هذه حرفيته :

وجه تحرير الاحرف

• هو انه بنا الى عزيزنا رئيس دير مار مخايل المتين مطرح كنيسة في الكرك وحاكورة قدام الكنيسة . وحدود المطرح من القبلة المشرفة حاكورة السيد علي افندي ومن الشرق الطريق السالك الى الكنيسة . ومن الغرب ومن الشمال حارة يوسف الزين. وصار المطرح ملكه يتصرف فيه حيث يشاء ويريد . وتابع البيع بستان بولين واشارته تغني عن حدوده . وصاروا المواضع المشروحة ملكه وسمحنا له في ميرتهم وكلفتهم حسنة مؤبدة للكنيسة لا يلحقه ميري ولا خسارة . وحررنا له هذا لاجل البيان

يوسف شهاب

تحريراً في شهر جمادى سنة ١٢٠٢ هجرية توافق ١٧٨٨ مسيحية

(عن الاصل في دير مار مخايل بنابيل)

ملاحظة : كان المؤلف، رحمه الله ، شديد الرغبة في جمع الوثائق التاريخية ، يحتفظ بها ويدونها بحروفها حرصاً عليها وله بذلك اكبر فضل كما ذكرنا في صدر هذا المجلد. على ان بعض تلك الوثائق قد لا يكون له علاقة تاريخية ، من ذلك رقيان (فرمانان) وجهت بها كاترينا الثانية سلطانة المسكوب بتاريخ السنة ١٧٨٨ ، الى امراء سناجق مصر ، جواباً على استغاثتهم بها على رفع مظالم الدولة العثمانية عنهم وان تساعدهم على استقلالهم ، فتعدهم بارسال عمارة منظمة مؤلفة من ثلاثمئة وثلاثين مركباً فيها خمسة واربعون الف محارب . وبما ان ذينك الرقيمين خارجان عن موضوع تاريخنا هذا عدلنا عن اثباتهما بحروفهما واسمائهما.

(الناشر)

وفي هذه السنة (١٧٨٨) سقط ثلج تكاثف جداً حتى غطى السواحل وبلغ في دير شمرا ثلاثة اشبار وبسببه حصل ضيق عظيم . فمات مساعز وبقر ومواشي لا تحصى. ثم انقطع المطر من احد الشعانين الى حزيران حيث امطرت السماء سيولاً مدة ثلاثة ايام وكانت القز في دير شمرا فاطورة الفطرة الرابعة ولها احد عشر يوماً . (عن اوراق دير شوّيا)

وفي السنة نفسها اوقف الامير علي شهاب على فقراء الرهبانية قطعة ارض في وادي شحرور لاجل تعلم الاولاد وذلك بموجب صك ، بناء على طلب وجهه الرئيس العام الاب مرقس الكفاعي الى الامير المشار اليه ، كما يستدل من جواب الامير الى الرئيس العام .

وهذه حرفية الكتابة :

حضرة عزيزنا القس مرقس المكرم سلمه الله تعالى

اولاً مزيد الاشواق الى رؤياكم بكل خير وعافية وبعده حضر عزيزنا القس عمانوئيل المدبر وترجانا عن لسانكم ان نسمح لكم في شقفة ارض في وادي شحرور تعلوها مدرسة لاجل علم الاولاد . وحيث الامر راجع الى الخير وفايدة شركانا سمحنا له في مطرح وحررنا له فيه حجة واصلة وافهمناه خاطرنا ليفهمكم اياه . ولا تقطعوا اخباركم عنا

علي شهاب

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

وهذه حرفية صك الوقف :

وجه تحريره

هو اننا قد اوقفنا الى اعزازنا الرهبان اللبنانيين المطرح الذي يعرف بدير حليه لاجل عمار مدرسة الى علم الاولاد . وحدود المطرح المذكور من القبلة الطريق السالك خلف الشيار ومن الشرق الشال الذي في نصف الحرش القاطع للدرب والى ماكات رزق . ومن الشمال الحيط العالي الذي فوق بيت يوسف التقشي على ما يشهد . ويتبع المطرح خندق التوت الذي فوق المزرعة . وحدوده لجنوب الشرق الدرب السالك . والشمال شورة الذي مع العريشي خالق الى مسيل المري . والغرب كذلك مسيل المري . والقبلة للدرب السالكة وتابع هذه الاماكن ثلاثة ارباع عودة محمود التي كانت مع رزق الاسمط . صارت وقفاً مخلداً مؤبداً ما احد له معه معارضة ومنازعة وصارت ملك مع جميع وقوفاتهم الشرعية حيث لا تباع ولا تشرى ولا يتعارض فيه بل يضل قايم هالمطرح لاجل علم الاولاد ما دام الرهبنة موجودة . والمطرح المذكور سالم من جميع التكاليف ومها صار عندهم شركاً واجراء لا تكلفهم شيء . واذا صار مهاونة في قيام هالمطرح وعلم الاولاد فهو مطلوب من ذمتهم وذمة الذين يخلفوا بعدهم .

علي شهاب

قد تمّ ذلك برضانا	قد تمّ ذلك برضانا	قد تمّ ذلك برضانا	قد تمّ ذلك برضانا
مراد	حسن	سلمان	درويش شهاب

حررنا لهم ذلك لاجل البيان تحريراً في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٠٢ هجرية توافق سنة ١٧٨٨ مسيحية

(عن الاصل وهو بيدي)

وفي هذه السنة ايضاً تعين المطران جرمانوس آدم قاصداً لطائفتنا المارونية ليرئس المجمع الطائفي المزمع عقده بموجب براءة رسولية هذه حرفيتها :

الى الاخ المحترم المطران جرمانوس آدم

ايها الاخ الموقر بعد السلام والبركة الرسولية . انّ صلاحك الواضح لدينا ايها الاخ الموقر وعلمك وحكمتك . قد صرّفونا بسهولة بان نختارك ونعينك قاصدًا رسوليًا للطائفة المارونية لتعقد مجمعًا وبه يسلك مستقيمًا في انتخاب الاساقفة حسب رسوم المجمع اللبناني واوامر مجمعنا انتشار الايمان المقدس . وان تصير تلك الامور التي تكون مفيدة لخير النفوس ولحسن سياسة الابرشيات ولاستجلاب الاتفاق والهدوّ حسب نية مجمع انتشار الايمان المقدس . وارشاده المقيد ان يرسل لك . فمن ثمّ نمنحك ايها الاخ الموقّر بالسلطان الرسولي بقوة هذه الاسطر المعطاة بصورة براءة كل التفويضات الضرورية والملايمة للغاية المذكورة . وهكذا نريد ونختم ونأمر بان الجميع يلتزمون بان يطيعوك . ونحظ بالرب الاخوة الموقرين البطريرك وروسا الاساقفة والاساقفة والابنا المحترمين والاكليروس القانوني والعلماني والمشايخ وسائر الشعب الطايفة المارونية . بان يرتضوا وان يقدّموا لك كل الاسعافات والسعي والمعونة . وان يقرنوا اجتهادهم مع اجتهادك وغيرتك وان يجتهدوا معك ويجدُّوا كي تستأصل العوائد السيئة ويرتد التهذيب البيعي القديم الذي قد سقط وتغيّر بنوع تعيس لاجل حوادث الامور وشرّ الازمنة . ومن حيث اننا نركن كثيرًا كما ترى ايها الاخ الموقّر في فضيلتك وتدرّب تصرّفك فنحن انفسنا بانه بعد الانتصار على كل الصعوبات وازالة الموانع سترتدّ من جديد في الطائفة المحبوبة منا وتزهر التقوى والترتيب الحسن والاتفاق الـذي كنا نتوجع كونه منذ سنين كثيرة قد أُنفي وأُبعد من الطايفة المارونية المذكورة . وبكل حب نمنحك البركة الرسولية ايها الاخ الموقر عربونًا لودّنا الابويّ العظيم نحوك . وبشارة لنجاح اعمالك السعيدة .

اعطي برومية حذاء كنيسة القديس بطرس . بختم الصياد . في ١٥ كانون الاول سنة ١٧٨٨ وهي السنة الثالثة عشرة من حبريتنا .

البابا بيوس السادس بنديكتوس ستاي

(١٧٧٥—١٧٧٩)

(عن نسخة بيدي)

ومن حوادث هذه السنة كان الامير اسعد شهاب لم يزل مقيمًا في عماره في دير مار مارون بيرسنين بعد ان باعه للرهبانية فاحتسابًا للايام ولما تولّده من المشاكل الشبيهة بالجانب طلب آباء الرهبانية من الامير المذكور ان يعطي

تعهداً على ذاته انه لا يجعل اقامته في دير مار مارون المذكور الا عند الحاجة الكلية والى مدة وجيزة . فاعطى الامير المومى اليه هذا التعهد :

وهذه حرفيته :

وجه تحريره

وهو اننا اعطينا قولنا الى عزيزنا الريس الحليم والارببة المدبرين النافعين بحين تاريخه من تمّ سكنتنا في دير بير سنين ببالنا اننا لا يمكن ان تسكن في الدير كلياً على طول الزمان اذا لم نكن لا سمح الله ان من قبل طاعون ام من حادث يحدث ضروري يلزمنا ان نطلع من المطرح الذي نكون ساكنين فيه . واذا نقلنا لتدم تكون اقامتنا بعد خلوص الحادث الذي يقع . ومتى خلص نطلع من عندهم واعطيناهم على ذلك قول الله وراي الله لا تغيير ولا تبديل . اسعد شهاب

حرر في سنة ١٢٠٢ هجرية

(عن اوراق دير بير سنين)

وفي هذه السنة (١٧٨٨) لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

نتنايل . وفرنسيس . وانطون من بيبدات . واجناديوس السدعوني . ويوسف كفرزينا . ورافايل الصنابي . واصراييون ديك المحدي . ولورنسيوس اللحفدي . ويعقوب الرويسي . وعبد الاحد البكاسيني . وعبدالله الشبابي . وتوفي الاخ مرقس عينطوره . والاب اثاسيوس الصنابي . والاب شربل مدلج المدبر الاول بعمر احدى وستين سنة . فانتخب عوضه مديراً الاب سمعان الخازن برتبة مدبر رابع

(عن روزنامات الاديار)

عدد ٩٢

وفي مفتتح سنة ١٧٨٩ كتب الاب العام شروطاً اوجب بها على نفسه وعلى من يخلفه في وظيفته ، القيام بما لاجله حصل الوقف المار ذكره من الامير علي شهاب في وادي شحرور .

وهذه حرفية الكتابة :

وجه تحريره

هو اننا يوم تاريخه ترجينا جناب افندينا الامير علي المحترم ان يسمح لنا في عمار مدرسة في وادي شحرور . وجنابه الله يطيل عمره وبقاه ، قبل رجانا وسمح لنا في اننا

مطرح لاجل عمار المطرح المذكور . وسمح في ثلاثة ارباح عودة عمود بموجب حجه بيدنا واشرطنا على انفسنا ان نحط في المدرسة المذكوره كاهنين لاجل علم الاولاد لا غير . وهل المطرح نضل قايمين فيه كما نحن ذاكرين ما دام رهبتنا موجودة في هل البلاد . وهل المطرح لا يباع ولا يشترى ولا يقاوض فيه بل وقفًا مخلدًا لاجل علم الاولاد . وان صار مهاونه في هل المق المذكور وترتيبه يكون لاحق ذمتنا وذمة الذي يستهتر فيه بعدنا

وحررنا ذلك لاجل البيان تحريرًا في اول كانون الثاني سنة ١٧٨٩

(الختم) الحقير

الاب مرقس الكفاعي اب عام لبناني

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

من النظر في الاوراق المتعلقة بهـذا الوقف، يعلم كل مطالع صاحب شعور ووجدان حي، ما كان عليه آباء رهبانيتنا من الغيرة والحماسة الدينيـة والحنان الابوي . شأن العبد النشيط الساهر على كل ما يعود بالنفع الروحي على عبيد سيده وخاصةً على ابناء طائفتنا العزيزة وعلى النشء اللبناني عموماً . فان الرئيس العام الاب مرقس الكفاعي، لما رأى مع مجلس المدبرين ما كان عليه اولاد قرية وادي شحرور شركاء الامير علي شهاب من الاهمال والجهل بنوع خاص للقواعد الدينية، اقدم غير هيّاب، وسأل مسترحماً الامير علي أن يحسن الى الرهبانية بقطعة ارض في تلك القرية ليقيم فيها مدرسة لاجل تعليم الاحداث . ولما كان هذا الاب الفاضل مع مدبريه لا يستهدف سوى مجد الله تعالى وفائدة القريب بتثقيف الاولاد وتربيتهم تربية حسنة لان عليهم آمال المستقبل، ألهم الله ذلك الامير الكريم ان يجيب سؤالهم بتمام الارتياح . مندفعاً بعامـل الخير وحب الاحسان لوجه الله، فلم يوقف على الرهبانية محلًا لبناء تلك المـدرسة وحسب، بل اراد ان يخصص لها املاكاً ايضاً يكون ريعهـا سدًّا لأوَد مَن يتجشم متاعب هذه الخدمة الروحية والادبية معاً . ومن ذلك يعلم المطالع مـا كان عليه السلف الصالح من حسن التفـاهم والولاء بين المسيحيين والمسلمين فيغارون على الاعمال الخيرية دون ما نظر الى مذهب ومـذهب . ثم ان آباء الرهبانية ما زالوا، منذ نشأتها حتى الآن، يبذلون كل غالٍ ورخيص في سبيل الخدم الروحية والتربوية لا توهن عزيمتهم صعوبة في هذا السبيل وهم لا يأملون مغنماً ماديًا من وراء ذلك، بل حسبهم رضا لله عز وعلا وخير القريب واتقين

بان اجرهم لا يضيع عند من يثيب كل انسان بحسب اعماله وحسن نياته .

فكاهة : يوجد قفل (غال) لباب كنيسة القديسة تقلا المشيّدة على اسمها مدرسة وادي شحرور، طوله نصف متر ٥٠ سنتي وعلوه ربع متر ٢٥ س . وسماكته ١٠ سنتي . ومفتاحه يوزن كيلو واحد ٤٠٠ درهم، مكتوب عليه بالحرف العربي بخط جميل ما يأتي :

« قد وقف هذا القفل بطرس مخايل غزالة الماروني الى دير قلب يسوع في بكركي سنة ١٧٧١ » .

شكل القفل لسان للمفتاح وجرّار يعمل به المفتاح على شكل القالات المستعملة الآن، اي ان مفتاحها يشتغل حركتين واحدة للسان والاخرى للجرّار .

وفي هذه السنة (١٧٨٩) تأسست مدرسة عين ورقة الشهيرة . ولما كانت هذه المدرسة من أجلّ وانفع اوقاف الطائفة المارونية، نظراً الى ما قدمت من جليل الخدم وجزيل المنافع اذ تخرج فيها رجال افذاذ خدموا الدين والعلم والانسانية . لذلك رأيت من اللازم ان اذكر شيئاً عنها في سياق تاريخي وان قيل انه خارج عن موضوعي، قلت ان فيه فخراً لكل ماروني يرغب في الوقوف على مآثر اسلافه الاماجد فاقول :

كان هذا الدير مخصصاً لسكن الراهبات المتبتلات وقد تحوّل الى مدرسة طائفية بسعي الشيخ غندور سعد الخوري من رشميا لدى السيد البطريرك العلامة يوسف اسطفان الشهير والسيد الذكر الذي لم يكن اقل رغبةً ومحبةً لطائفته من الشيخ غندور المشار اليه[1] .

فرغبةً في عمل الخير واجابةً لتلك المساعي الجليلة، همَّ السيد البطريرك بجمع اقاربه وبذل الجهد في اقناعهم بان يتخلوا عن ديرهم ويعلنوا رضاهم بتحويله الى مدرسة عمومية للطائفة . ولما نال بغيته هذه كتب الشروط اللازمة لهذا التحويل العائلي . وعمل صكاً آخر بصفته بطريركاً انطاكياً على الطائفة المارونية، وجهه الى البطاركة الانطاكيين خلفائه والى الاكليروس واعيان الطائفة، اعلاماً بما توقع، حاضاً الجميع على بسط يد المساعدة والحماية لهذا المعهد العلمي ليأتي بالنتائج والآمال المعلقة عليه. وذلك لمجد الله تعالى وفائدة القريب.

١) طالع سلسلة البطاركة للاستاذ رشيد الشرتوني

وهذه صورة المنشور :

« الى خلفائنا البطاركة الانطاكيين والى اخوتنا مطارنة الرعايا القائمين جهذا الوقت والى حضرة ولدنا الموسنيور الشيخ غندور سعد القنصل الفرنساوي على بيروت الكلي الشرف . ولحضرة اولادنا المشايخ الموازنة والحبيشيين والدحادحة المحترمين وكل مشايخ طائفتنا المارونية واعيانها المكرمين القائمين الآن والذين يخلفونهم من بعدهم ، بانهم يسعوا ويؤيدوا قيام هذا الخير في بلادهم جيلاً بعد جيل ، ان كان بنظرهم ام باحسانهم ام بحاماتهم المتصلة وبرفع الاثقال والاكلاف من هذه المدرسة وبكل ما يمكنهم من السعي الحميد . ونطلب من جميعهم ان يمضوا بخطوطهم وختوماتهم حجتنا هذه بنوع الاشهاد علينا ودلالة وبياناً لرضاهم بقيام هذا الخير المذكور . وقبولهم المحاماة عنه والاسعاف له لاجل مجد الله الاعظم الذي اقامهم رؤساء على بني بيته وسميه المؤمن ليسعوا جهدهم وجدهم على قيام شأنه الاقدس الذي له التسبيح والاكرام الى دهر الداهرين .

جرى ذلك في دير سيدة بكركي في ١٤ كانون الثاني ١٧٨٩

محرره وقابل ما فيه — الحقير يوسف بطرس اسطفان
بطريرك انطاكية وسائر المشرق

(عن سلسلة البطاركة للشرتوني)

وفي هذه السنة تسلّم الاب اقليموس المكاري رئيس دير مار انطونيوس قزحيا كنيسة القديس انطونيوس البادوي[1] الكائنة في القرب من قرية كفرزينا (لبنان الشمالي) من الشيخ بركات الضاهر ويوسف شلهوب وسمعان وبولس عطية. ويتبع هذه الكنيسة بذار اربعة شنابل حنطة ، اي قنطارين . وربطوا تسلّمهم هذا بموجب صك[2] .

---

١) قد تركت الرهبانية من هذه الكنيسة ومما يتبعها لابرشية طرابلس المارونية بناء على طلب صاحب السيادة المطران انطون عبد راعي الابرشية . (الناشر)

٢) هذه حرفيته :

سبب تحريره . هو انه قد حضر الشيخ بركات الضاهر وفلاحين قرية كفرزينا يوسف شلهوب وسمعان وبولس عطيه وسلموا دير مار انطونيوس البادواني الكائن في ارض ضيعتهم ويتبعه بذار اربعة شنابل قمح بمجالات الدير المذكور ، الى حضرة القس اقليموس المكاري رئيس دير مار انطونيوس قزحيا يتصرفوا فيه حسب املاكهم . لهم يعمروا بيوت واوض (غرف) لاجل سكنة رهبانهم ويغرسوا زيتون وكروم في اراضي الدير المذكور

وفي السنة ذاتها طبعت الشحيمة وخدمة القداس الالهي في دير مار موسى الحبشي في المطبعة الجديدة التي اشترتها الرهبانية بسعي الاب ساروفيم شوشان البيروتي وعند وصولها من رومية وضعت في دير مار موسى حيث طبعت فيها الخدمة والشحيمة وكلها بحبر اسود ، ثم نقلت الى دير مار انطونيوس قزحيا بامر الاب العام سمعان الخازن وبرئاسة الاب اغناطيوس بليبل على دير قزحيا (١٧٩٨—١٨٠٥) . وما ذكره الاب العالم نعمة الله الكفري في يوميته ان كتاب القداس والرسائل قد طبعا ايضاً في دير مار موسى ، فذلك مردود كما سيجيء. ومما جاء ذكره في كتاب الخدمة المذكورة قبل خدمة مار بطرس وبولس ما يأتي :

« ان الخدمة من هنا (اي من خدمة مار بطرس) ، وما بعدها قد زادها مار يوسف اسطفان البطريرك الانطاكي » (عن الكفري)

أما الخدم التي ألفها السيد البطريرك يوسف اسطفان كما ذكر اعلاه فهي :

١ : خدمة مار بطرس وبولس الرسولين.
٢ : خدمة مار يوحنا الانجيلي .
٣ : خدمة مار اغناطيوس النوري بطريرك انطاكية .
٤ : خدمة مار اسطفانوس اول الشهداء او رئيس الشمامسة .
٥ : خدمة الاربعين شهيداً .
٦ : خدمة الشهداء رهبان مار مارون .
٧ : خدمة مار الياس النبي الحي .
٨ : خدمة مار غابيل وجبرائيل .
٩ : خدمة مار افرام السرياني .

ويعطوا في كل سنة عشر قروش صح كسيم اي (لا اكثر ولا اقل) من غير تكاليف الى جهة الميري. وان حطوا مزي اونخل في ارض الدير المذكور ما عليهم كلف

المقر بما فيه صحيحاً	المقر بما فيه صحيحاً	المقر بما فيه صحيحاً
سمعان وبولس عطيه	يوسف شلهوب	بركات الضاهر

شهود الحال

لطوف الضاهر سركيس الضاهر

حرر وجرى في ١٢٠٧ هجرية توافق ١٧٨٩ مسيحية

(عن الاصل بدير قزحيا)

١٠ : خدمة مار يوحنا مارون البطريرك الانطاكي الاول على طائفتنا المارونية .

١١ : خدمة مار يعقوب الكبير تلميذ الانبا مارون .

١٢ : خدمة مار ليميناوس تلميذ الانبا مارون .

١٣ : خدمة القديسة دومنينا تلميذة الانبا مارون .

١٤ : خدمة الانبياء .

١٥ : خدمة الملافنة .

١٦ : خدمة البتولات

١٧ : خدمة لقديسة ما .

١٨ : خدمة القديسة مارينا راهبة قنوبين .

١٩ : خدمة قداس رئيس الكهنة .

فتكون جملة الخدم التي وضعها هذا العلامة تسع عشرة خدمة .

(عن كتاب الخدمة)

وفي هذه السنة(١٧٨٩) لبس الاسكيم الرهباني الاخوة بيوس البسكنتاوي ، وارميا وساروفيم دلبتا ، وسرابيون غزيري وشربل وتثاثائيل وامبروسيوس من المتين وعبدالله لحفدي وانطونيوس زوق مكايل والياس الشبابي .

وتوفي الاب ريشا الكفروني والاب يوحنا جماره زوق مصبح والاب فرنسيس الكفاعي والاخ برنابا العنالي والاخ فنياتوس الحالاتي .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل السابع

عدد ٩٣

وفي السنة ١٧٩٠ صدر تحديد (قرار) من مجمع نشر الايمان المقدس بفصل اديار الرهبان عن اديار الراهبات وباتفاق الكرادلة اعضاء المجمع المذكور تقرر ان يتقدم التوسل الى امام الاحبار البابا بيوس السادس ليفوض الى المطران جرمانوس آدم المؤتى قاصدًا رسوليًا ، قضاء بعض مسائل تخص طائفتنا المارونية[1] .

---

١) وهذه حرفية التحديد المذكور : تحديد مجمع نشر الايمان المقدس المبرز في ٧ حزيران ١٧٩٠ «انه لا شيء بعيدًا (منافيًا) عن اللياقة ولا شيء يضاد القوانين الكنائسية

ان هذا التحديد القاضي على الرؤساء بفصل اديار الرهبان والراهبات المزدوجة والمتلاصقة البناء او بالغائها بالكلية ، يتناول اديار الرهبان والراهبات المتّاد فقط ، لان اديار راهباتنا المنضويات تحت قانوننا هي مبنية في الاصل بحسب رسوم المجمع اللبناني الواردة في القسم الرابع الباب الثاني عدد ١٦ ، اي ان الغرف

المقدسة بمقدار تردد الرجال مع النساء اولئك الذين قد خصصوا ذاتهم الى الخدمة الالهية في احدى الرهبنات . ومن ثم ينبغي ان يستعمل كل التيقظ والتوقي لكي يكون تصرفهم ليس بعيدًا فقط عن كل مشتبه اثم ، بل لكي (يكون) للجميع ايضًا مثال الحشمة والرهبانية الكنائسية . ولذا فان هؤلاء الآباء الكلّيو السمو قد فهموا بغمّ عظيم جدًّا من قبل السيد الكردينال انطونلي مقدام (رئيس) المجمع الكلي النيافة والاحترام ، بانه لم تزل موجودة عادة سيئة عند الموارنة في جبل لبنان مع ان هذه الطائفة جليلة متمسكة بالايمان الكاثوليكي تمسكًا كليًا . وهي اي (تلك العادة) وجود اديرة الرجال متحدة وملتصقة مع اديرة النساء ، مع ان هذا الامر من زمان مديد قد تحرّم من المجمع اللبناني كما يوجد مسطرًا في الرأس الثاني من القسم الرابع عدد ١٦ . ثم ايضا مرات كثيرة قد تحرمت ورذلت ايضا كشيء مفعم من الاخطار والعثرات لاجل قرب الرجال والنساء من بعضهم من قبل تحديدات اخر ابرزت من هذا المجمع المقدس ومثبتة بالسلطان الرسولي . ولاجل ذلك فهؤلاء الآباء الكليو السموّ قد حرروا باتفاق الرأي بانه ينبغي ان يصير التوسل لدى سيدنا الكلي القداسة لكي يمنح تفويضًا متسع جدًّا الى السيد جرمانوس آدم المحترم مطران الطائفة الرومية الملكية في حلب ، المقام قاصدًا رسوليًا لاجل قضاء بعض اغراض تخص الطائفة المارونية بموجب منشور قداسته المبرز في ١٥ كانون الاول ١٧٨٧ ، لكي يتأمل هذه العادة الرديئة السيئة ولاجل اتمام ذلك يستطيع السيد المذكور بقوة السلطان الرسولي يفرز (يفصل) هذه الاديرة عن بعضها وينقل الجهة الواحدة الى مكان آخر ، بل ويستطيع ايضًا ان يبطلها ويلاشيها . وان يعين معاشًا من مداخيلها للراهبات اللواتي يمكن انتقالهن الى مكان آخر كما يرتأي بالرب اكثر مناسبة بموجب فطنته ، انما فليستشير اسقفين او شخصين من ذوي المراتب الكنائسية من الطائفة المارونية نفسها . فهذا التحديد المبرز من المجمع المقدس قد اعرض على سيدنا بيوس البابا السادس الكلي القداسة بواسطة الكردينال انطونللي مقدام المجمع المقدس الكلي النيافة والاحترام في اليوم العاشر من الشهر نفسه ، فقداسته ثبته بمنحه مانحًا المطران المذكور التفويضات اللائقة والضرورية لتنفيذ هذا الامر .

الكردينال انطونللي	يوسف كريتو
مقدام المجمع	كاتب الاسرار

اعطي برومية من ديوان المجمع المقدس في ١٢ حزيران ١٧٩٠

(عن صورة في يدي)

المدة لسكن الرهبان القائمة بادارة الاعمال الروحية والزمنية في اديار الراهبات ، هي منفصلة تماماً وبعيدة عن مساكن الراهبات كما نراه الآن .

وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني عقد المجمع العام في دير سيدة طاميش بحسب الرسوم القانونية والفرائض الرهبانية . وبعد الاجتماع في كنيسة الدير للاقتراع اصابت :

القرعة الاولى الاب عمانويل الجميل فنودي به رئيساً عاماً للمرة الاولى
« الثانية اصابت الاب مرقس الكفاعي « « مدبراً اول
« الثالثة « « عمانويل الرشاوي « « « ثانياً
« الرابعة « « نعمة الله النجار « « « ثالثاً
« الخامسة « « سمعان الخازن « « « رابعاً

وفي ختام المجمع انتخب مجلس المدبرين رؤساء الاديار :

لدير مار يوحنا رشميا الاب (مجهول الاسم)
« « انطونيوس قزحيا « اقليموس الشبابي
« سيدة طاميش « مبارك الرشاوي
« سيدة مشموشة « جراسيموس النجار
« مار انطونيوس سير « جرمانوس الديراني
« « يوسف البرج « مرقس المرقباوي
« « مارون برستين « لورنتيوس الشرتوني
« « عنايل بنايل « مبارك العاقوري
« « موسى الحبشي « مارونيم شوشان البيروتي
« « انطونيوس حوب « بولس الشبابي
« « الياس الكحلونية « مانيا المتيني
« سيدة ميفوق « روفائيل بتاعكفرا
« مار قبريانوس كفيفان « الياس الشبابي
« « جرجس الناعمة « لويس بليبل
« سيدة المونات – جبيل « (مجهول الاسم)
« مار انطونيوس النبع « لورنسيوس الرشاوي
« « عبدا ماد « اثناسيوس الشوري
« « الياس مطوشي قبرس « (مهجور بداعي الاضطرابات في الجزيرة)

وفي اليوم الثالث عشر من شهر كانون الاول من هذه السنة (١٧٩٠)، عقد مجمع اقليمي في دير سيدة بكركي وهو المجمع الاول الذي عقد في هذا الدير، بناء على امر امام الاحبار البابا بيوس السادس. وكان اعضاؤه السيد البطريرك يوسف اسطفان والسادة اساقفة الطائفة:

جرمانوس يمين	مطران طرابلس
يوسف التيان	النائب البطريركي
يوحنا الحلو	مطران عكا
بطرس مبارك	« بعلبك
يوسف اسطفان	« جبيل والبترون
فيلبوس الجميل	« قبرس
جرمانوس دياب ويوسف نجيم	« حمص

الاب عمانوئيل الرشماوي المدبر الثاني اللبناني بالنيابة عن المطران جبرائيل مطران حلب

الخوري مارون العضم بالنيابة عن المطران مخايل الخازن مطران دمشق

« يوسف شرف الخازن بالنيابة عن مخايل فاضل « بيروت

وكان في هذا المجمع من آباء رهبانيتنا:

الاب عمانوئيل الجميل	الاب العام
« مرقس الكفاعي	المدبر الاول
« نعمة الله النجار	« الثالث
وتعين القس مخايل الجاماني وجبرائيل الحاج موسى	كتبة المجمع

وكان ذلك برئاسة المطران جرمانوس آدم القاصد الرسولي.

اما الداعي لعقد هذا المجمع فهو العناية بتهذيب الاكليروس وحضهم جميعاً على القيام بواجباتهم كما ينبغي وفقاً لما يرسمه المجمع اللبناني. والفحص عن بعض احكام كان اصدرها الاساقفة وعن بعض دعاوى اقيمت بحق بعضهم وابطال مجمع عين شقيق وبالاخص فصل اديار الراهبات. وعقدت فيه اثنتا عشرة جلسة قرر اعضاؤه ما يربو على عشرين حكماً. ومن جملة ما تقرر في احدى جلساته وهي الثامنة ما يأتي:

« ان السيد البطريرك لا ينكر على الرهبان جمع الاحسان ولا يأذن لاحد منهم ان يذهب الى مكان ضد خاطر رؤسائه. فقبل المجمع تقرير السيد البطريرك وجعله من رسومه. وفي الجلسة التاسعة وضعوا جملة رسوم، منها الفريضة الخامسة »:

يحظر على الرهبان تحت طائلة الربط ان يوزعوا سر التوبة على العالمين دون اذن صريح من اسقف الابرشية . وان لا يبني الرهبان ديرًا الا باذن السيد البطريرك واسقف الابرشية .

وفي هذا المجمع رأى اكثر آبائه ان يكون المقام الاول بعد السادة الاساقفة لرئيس رهبانيتنا العام وهذا نص القرار :

« ثم رأى اكثر آباء المجمع بان يكون المقام الاول بعد الاساقفة لرئيس الرهبانية (البلدية) اللبنانية العام لاجل نمو الرهبنة وتوفر عددها . » (تاريخ سوريا مجلد ٨)

وفي نهاية المجمع اعطى بعض اساقفة الرعايا المأذونية لكهنة الاديار والمدارس والاناطيش الرهبانية الكائنة في ابرشياتهم في استماع اعترافات العالمين مرزوسيهم القادمين الى كنائس الرهبانية . وذلك بحسب رأي رؤساء تلك الاماكن وحكمهم ، شرط ان يكون الكاهن المذكور مأذونًا له من الاسقف بممارسة سر التوبة . وهذه حرفية الاجازة :

سبب تحريره

هو انه نحن المدونين اسامينا بهذه الوثيقة قد اذنّا الى حضرة اولادنا الرهبان اللبنانيين المكرمين ، بلسان (بشخص) كل كاهن يحضر في دير من اديرتهم الكائنة في ابرشياتنا ام مدرسة ام انطوش ، بان يمارس سر الاعتراف للعوام القادمين الى ذلك الدير ام المدرسة ام الانطوش ، حكم (كما) يأمره رئيسه بحيث يكون بيده ورقبة تصريف بسر الاعتراف من اي اسقف كان . ويحل المعترفين من جميع خطاياهم ما عدا الخطايا المحفوظة والممنوع والمحروم باسمه منا . وقد اعطيناهم هذه الوثيقة بيدهم لاجل رفع المانع الذي تحرر في مجمع بكركي حكم (بحسب) رسوم المجمع اللبناني . وقد سجلناه بختومنا شهادة للبيان .

قد ارتضينا بما ذكر اعلاه نظرًا لابرشياتنا .

الحقير جرجس يمين مطران طرابلس	الحقير مبارك مطران بعلبك (الختم)	الحقير مخايل فاضل مطران بيروت (الختم)

حرر في ١٢ ك ١ ١٧٩٠

(عن الاصل المحفوظ بدير معاد)

وهنا يعد المؤلف بتعليق ضافٍ على ما رسمه المجمع الاقليمي المشار اليه ، اذ حظّر على الرهبان تحت طائلة الربط توزيع الاسرار على العلمانيين دون اذن صريح من اسقف الابرشية . سنذكر ذلك كحادث تاريخي فقط ولا نرى لزومًا للاستفاضة في درسه درسًا قانونيًا لاهوتيًا حذرًا من الخروج عن نطاق التاريخ . (الناشر)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

بطرس من حدث بيروت واقليموس البشراوي واليشاع الدلبتاوي ويوسف اللحفدي وجراسيموس رشمين ومكاريوس قناتي.

وتوفي : الاخ يونان المشمشاني والاخ اغناطيوس القرطباوي والاخ جرجس بكاسيني . (عن روزنامات الاديار)

عدد ٩٤

في السنة ١٧٩١ صدر امر من الامير بشير الشهابي الحاكم العام، يطلب به من الرهبانية ثلاثين كيساً من الدراهم اي قيمة خمسة عشر الف قرش[1] . ولما كان هذا المبلغ مهماً باهظاً تعجز الرهبانية عن دفعه، لانه فوق طاقتها، مثل الرئيس العام الاب عمانوئيل الجبيل بين يدي الامير المشار اليه ومكث مدة نحو عشرين يوماً يعالج هذا الامر، باذلاً كل ما يمكنه من الوسائط لدى الامير لتخفيف هذه الضريبة التي تعطف فانزلها الى نصفها اي سبعة عشر كيساً. على ان يدفع منها خمسة اكياس ويؤجل دفع الباقي الى شهر . فوزع مجلس المدبرين هذا المبلغ على اديار الرهبانية ومراكزها بموجب لائحة وقرار.

. اليك لائحة التوزيع :

غروش		غروش	
		٥٦٠٠	ما قبله
٦٠٠	دير مار يوحنا المعمدان رشميا	٠٣٠٠	دير مار انطونيوس حوب
١١٠٠	« « انطونيوس قزحيا	٠٢٠٠	« مار مارون بيرسنين
٠٨٠٠	« سيدة طاميش	٠١٥٠	« « موسى الحبشي الدوار
١١٠٠	« « مشموشة	١١٠٠	« سيدة ميفوق
٠١٠٠	« مار عبدا بنايل	٠٥٠٠	« مار جرجس الناعمة
٠٥٠٠	« « الياس الكحلونية	٠٣٠٠	« « انطونيوس النبع
٠٦٠٠	« « قبريانوس كفيفان	٠١٠٠	« « ساسين بسكنتا
٠١٠٠	« سيدة المعونات جبيل	٠١٠٠	مدرسة مار شايل برمانا
٠١٠٠	« مار الياس الراس	٠١٠٠	دير مار شليطا عجلتون
٠٣٠٠	« « انطونيوس سير	٠١٠٠	« « عبدا مشمار
٠١٠٠	« « يوسف البرج	٠٠٥٠	مدرسة مار يوسف بسكنتا
٥٦٠٠		٨٦٠٠	المجموع ثمانية الاف واربعمئة قرش

[1]) قيمة الكيس خمسمئة قرش عملة تركية

فيكون اجمال الموزع على اديار الرهبانية ومراكزها ثمانية آلاف واربعمئة قرش وهي عبارة عن سبعة عشر كيساً الا مئة قرش . يلتزم دفعها الاب العام من مدخول وظيفته العامة بحسب اصطلاح تلك الايام .

ذكرت مفردات هذا التوزيع خلافاً لعادتي ، ليعلم منه المطالع مقدرة الاديار والمراكز الرهبانية وطاقتها المالية بالنسبة الى البعض الآخر ولعدالة التوزيع .

وهذه صورة قرار مجلس المدبرين بحرفيته :

ايها الآباء الاكرمون .

المعروض على حضرتكم بعد الشوق الوافر لرؤياكم (الى رؤيتكم). بكل خير وعافية . وبعده ما خفاكم المبلغ المطلوب لسعادته من الاديرة وقدره سبعة عشر كيساً من الدراهم وهذا بعد عمل الجهد والجهيد مدة عشرين يوماً ونحن في حشر وحصر لا يوصف . لانه كان مفصّل (مفروض) على الاديرة ثلاثين (ثلاثون) كيساً وكان مراد سعادته يرسل حواليه ثقيلة على الاديرة باستعجالات ومتاعب لا توصف ، لزم حملنا هذه المتاعب عنكم وحررنا تمسكات بالمبلغ المذكور ، منه خمسة اكياس لازم تورد وتكمل في اول يوم من الصوم والباقي الى شهر . وان اناق(تأخر)الدفع تثقل (تسبب)استعجالات قوية . فالذي يتعاق منكم بالدفع عمّا عليه يلحقه من الاستعجالات والذي يكون خلّص (دفع) ما عليه ترتفع عنه الاثقال . لزم تعريفكم بهذا لكي ترفعوا عنكم هذه الاثقال ولو بثمن الغالي والرخيص . وتستمر اديرتكم والرهبنة مستورة . ولا يلزم لكم زود تأكيد في ما ذكر لان مال الدنيا لا يساوي درهم من كسر الناموس . قصدنا عليكم بعد البركة من الله تشملكم ولكافة الآباء والاخوة بوجه العموم والدعاء .

خادمكم

عمانوئيل الرشاوي	مرقس الكفاعي	(الختم) عمانوئيل الجميل
(الختم) مدبر ثان	(الختم) مدبر اول	اب عام
لبناني	لبناني	لبناني
سمعان الخازن	نعمة الله النجار	
(الختم) مدبر رابع	(الختم) مدبر ثالث	
لبناني	لبناني	

في ٦ اذار ١٧٩١

وفي السنة نفسها (١٧٩١) ، على اثر المجمع الاقليمي المار ذكره ، المنعقد في السنة الماضية والحظّر على الرهبان سماع اعتراف العلمانيين الواردين الى اديرتهم لتنقية ضمائرهم ، كما تعوّدوه من قبل ، وبسبب رفض اكثر الاساقفة اعطاء

المأذونية في ذلك ، اضطر الرئيس العام ومجلس المدبرين ان يرفعوا عريضة الى اصحاب النيافة الكرادلة ورئيس مجمع نشر الايمان المقدس واعضائه ، بسطوا فيها واقع حال ما تقدم وباتوا ينتظرون ابدا. رأيهم في هذه المسئلة الهامة .

وهذه حرفية عريضتهم :

المعروض بعد الدعا المفروض ، لتأييد سيادتكم ورفع شانكم ، اذ اننا بكل خضوع واحترام نقبل اذيال برفيركم المكرّس ، نصركم الله تعالى على الانام اجمعين ، آمين.

وبعدُ من حيث ان يمنة الله هي عامود الحق والنصر وعادمة كل غلط واشتباه ومدبّرة من الروح القدس المرتضي بانتخاب نيافتكم قضاة العدل في ديوانكم المقدس ومؤتمنين على خزائن اسرارة لتتوزع على شعب المؤمن بوفور فطنتكم وعظم فضائلكم بالخير والرأفة والنيرة الوفية على نجاح الشعب الروحي الخاضع لتدبيركم السامي ...

ومن حيث اننا جمعة من هذا الشعب المبارك وبين طائعين وعبيدًا امينين . ولم يكن وقتًا (وقت) سابقًا ولم يكن لاحقًا بعونة الله ، الا واننا مرقين (مزعون) بكل خضوع واحترام يتن اقدام اب الآباء ورئيس الرؤساء وخليفة السيد الطوباوي مار بطرس الحبر الاعظم وبكرّم بكل وقار مراسيمه الشريفة واوامر مجمعكم المقدس .

وبما اننا جنود البيعة المقدسة ، لزم ان نعرض لمجمعكم المقدس كل ما يلمّ بالخراف الناطقة المسكينة البادمة الوصول الى راعي الرعاة لتشكو له حالها :

وهو انه في المجمع الذي قد التأم بامر نيافتكم لطائفتنا المارونية بواسطة قدس السيد جرمانوس آدم مطران حلب القاصد الرسولي الكلي النيرة والأعتبار ، فقد تم من قدس السيد البطريرك والسادة المطارين ورؤساء الرهبانيات وقد حكموا في مجمعهم هذا بان الرهبان يمتنعوا عن خدمة سر الاعتراف للعوام في اديرتهم وخارجًا عنها ، ولم يكن ذلك باتفاق ورأي القاصد الرسولي ولكن لوجود ان هذا الامر بسلطان السادة المذكورين ومطلوق لكل منهم حرية سلطانه ، فلم يرد (اي القاصد) ان يجبرهم بذلك .

واما نحن فمن المعلوم انّ بهذا المنع راحة ورياض (تخفيفًا) لرهباننا من المتاعب .

ولكنّ صراخ هذه الخراف الموجع يقدم قلوبنا حزنًا وغمًا لعدم وجود من يداوي جراحاتها المؤلمة لعدم معرفة رعاتها الامين كما اختبرنا بالعمل ، وذلك من تكاثر الزوار والواردين لاديرتنا لاجل تنقية ضمائرهم فقط .

وكم وكم من الانفار الذين لا يحصاهم (يحصيهم) غير الله عددًا قد تخلّصوا بنعمة الله من عظم الاوزار الثقيلة المستكنة جم من هل القدر زمان واعوام وهم ساعيون بها (قائمون فيها) ويتقدمون الى سر الاعتراف وتناول القربان الاقدس وهم بها متمرقلون . وذلك اما من غشم معلمين (مبلمي) اعترافهم وإمّا من الحياء البشري لوجودهم عند كاهن واحد .

وقد يتقاطر هذا الشعب المسكين الى الاديرة من كل ناحية لاقتبال سر التوبة لوجود الراحة الروحية التي يختلجونها في نفوسهم . ولكن لا يمكن القول الأ ان عدوّ الخير فعل هذا السبب ليقطع خير تلك الانفس من سعادتها ويلقي افكار السجس في القلوب الغير مستقيمة من الشعب المسيحي .

ونؤكد الحقيقة المستقيمة انه فعل عدو الخير وذلك لعدم وجود علة توجب هذا المنع من السيد البطريرك ام الاساقفة ام الموارنة ، ام ان يكون لنا بذلك رغبة جسدانية وذلك معلوم لفقر بلادنا ، سوى ان ذلك لمجد الله الاعظم وراحة الانفس فقط . واذ ان الزوار القاصدين الاديرة من بلدان بعيدة وقريبة وعدم اقام مرغوبهم براحة ضمايرهم لاجل المنع المذكور ، فهل يا ترى كيف نرى حالتهم وتحصّرهم (وتحسرهم) والبلبلة التي تحدث من قيل وقال والاضطراب الذي صار بهذه المدة شيء لا يوصف . وعوض انهم يكونوا قاصدين راحة ضمايرهم وتخفيف اثقالهم يرجعون وهم زائدون على اثقالهم ثلاثون (ثلاثين) وستون ومئة .

واذ ان الاساقفة ذوي الفطنة والغيرة المسيحية على خلاص شعبهم وراحة ضمايرهم ، لاطلاعهم على وجود هذا الخير العظيم الواصل الى رعاياهم بورودهم للاديرة ، قد سمحوا لنا بالعادة القديمة الساعين (العاملين) بها رهباننا من بداية الرهبنة للآن . وهو (وهم اي الاساقفة) :

قدس السيد ميخايل فاضل الكلي الشرف والعلم والغيرة الروحية والسيد جرجس يمين تلميذ رومية والمطران بطرس مبارك ذو النفس السليمة .

واما غيرهم فلم امكن عندهم رفع هذا المنع . وليس ذلك لاجل مضادة حق من حقوق سلطاتهم منا ، بل عن غرض النفس منهم فقط . وجميع ما ذكر فهو مثبت على صخرة الصدق الاكيد . واذا لم تكن شهادة المرء كافية لنفسه ، فهوذا قدس السيد المحترم المطران جرمانوس آدم القاصد الرسولي الذي من كل بد مستحق المديح الممدوح به من السدة الرسولية ومن مجمعكم المقدس لاجل حسن غيرته وحرصه الاكيد على تتميم الاوامر الرسولية بكل حرارة ونشاط وفطنة وافراز . واذ انه امين خاص لنيافتكم فانه يصادق على قولنا بواسطة الترجمة لديكم .

وكما نفيدون نيافتكم انه لم نزل متوقعين حصول حوادث مثل هذه فيما بين رومانشا وبين الرهبنة وبكل حادث لم نجرّ له سلامة الّا بواسطة ارشاد مجمعكم المقدس وقطع العلة بورود مرسوم شريف من الاب الاقدس ليقطع كل خصام ويحجر (يمنع) كل بلبلة تضرّ بسلامة الانفس .

فعلى هذا البنا قد رفعنا عرض حالنا هذا لدى مجمعكم المقدس ونرجو من بحر مراحم

الاب الاقدس بواسطتكم ، ايها السادة الموقرون ، بان يخرج رهبنتنا من كثرة النياض انعاماً من سخائه بمرسوم شريف ، اننا باديرتنا فقط نستعمل سر التوبة ومناولة سرّ القربان الاقدس للزوّار الواردين لاديرتنا لاجل قبول هذه الاسرار الالهية ، لانه شفوق وكلي الحنو والرأفة على خرافه وشعب رعيته ويرغب سلامة نفوسهم المشتراة بدم ابن الله . وبواسطة هذا الانعام يقدم نفوساً لا عدداً (عدد) لها الى المخدر السماوي بعد خلاصها من اشراك المحال .

وليس طلبتنا هذه لاجل خير جسدي ام لاعفائنا من نير الطاعة لروسائنا لا سمح الله بذلك ، بل رغبتنا في خلاص الانفس فقط ، وانه لا يشاق علينا خلاصها من الاغراض النفسانية كما ذكر .

فهذا يا رفقاه امام نيافتكم بخلوص النية وعدم الاشتباه ، مع اننا نصرخ لديكم بصوت هذا الشعب المفتقر الى الخبز الروحي .

وبعد عرض حالنا هذا نبقى غير ملامين لديوان عدل الله ، إذ جعلنا هذا الامر بين اياديكم وكل ما يليق بفطنتكم وتأمرون به فهو كلي الصواب ومقبول منا بكل خضوع واحترام .

حرر في ١٣ نيسان ١٧٩١ ، عبيد نيافتكم الكلي الخضوع

(الختم) عمنويل الجبيلي اب عام

وجمع المدبرين اللبنانيين

(عن نسخة طبق الاصل محفوظ باليد)

من مطالعة هذه العريضة والنظر الجلي في ما انطوت عليه من الشروح والنتائج يتحصل ان كل ما تقدم من وضع ذلك المنع ، لم يكن له داع سوى مآرب وغايات قد عرفها الاجداد رحمهم الله وجهلناها نحن لانهم لم يذكروها مفصلاً بعريضتهم ؛ انما اشتهارهم بالصدق وتفردهم بالتقوى ، يجعلنا نثق بحقيقة ما يسطروه وشاهدوه ودليل استشهادهم بعدم رضى القاصد الرسولي بذلك المنع ومشاركته ايام في الرأي هو وبعض الاساقفة كما ورد ذكره في العريضة غير اني لم اقف على مرسوم الجواب الصادر من الكرسي الرسولي رغماً عن التفتيش والتقصي ، ولا اخاله الا اصدر حكماً في هذه المسئلة الخطيرة : او اقلّه اعطى ارشاداً أبان فيه وجه الحقيقة الواجب اتباعها والوقوف عندها .

حاشية : لقد اندفع المؤلف الى البحث المسهب في حل هذا المشكل ، كما سبقت الاشارة . فاخذ يورد النصوص من القوانين الرهبانية ومن مواد المجمع التريدنتيني واقوال علماء اللاهوت ، مثبتاً ان لا حق للسادة الاساقفة في ما

حظّروه على الرهبان من توزيع الاسرار على العالمين بوجه الاطلاق . وبما ان الشرع الكنسي والحق القانوني الجديد قد حدّد جميع الحقوق التي للرهبانيات المتمتعة بعصمة القوانين المثبتة من الكرسي الرسولي المقدس ، كما هي رهبانيتنا، فاصبح هذا المشكل مفروغاً منه وبغنى عن عناء البحث . على اننا لسنا نهمل ما جعله خلاصة لبحثه في هذا الشأن وبه كفاية . (الناشر)

واليك الخلاصة :

اولاً : ليس لرؤساء طائفتنا المحبوبة الحق بوضع ذلك المنع الشامل ، بل لهم ذلك في حوادث معلومة .

ثانياً : ان غاية رهبانيتنا ايضاً مباشرة اعمال الرسالة ، كما يوصي به العلامة السيد يوسف السمعاني برسالته الشهيرة المؤرخة في ١٥ تشرين الثاني ١٧٣٦، حيث يقول : « نوصيكم ان تمارسوا هذه الخدمة الشريفة (الرسالة) من غير تطبيل باحد يامنكم رئيساً كان او مرؤوساً ، اذ لكم كل ما هو لمرسلي الكنيسة وعليكم كل ما عليهم » . والحال ان للمرسلين حق منح سرّي الاعتراف والمناولة للجميع الواردين الى اديرتهم ، اذن .

ثالثاً : اذا وجد نصّ مخالف لهذا الحق ، فقد اصبح لغوًا بما للمرسلين من الامتيازات .

ان هذه الحقائق لا يجهلها احد من ابناء رهبانيتنا . اما السبب الذي دعا اجدادنا الرئيس العام والمدبرين الى الوقوف عند قرار المجمع الطائفي والى رفع عريضتهم المار ذكرها ، فهو احتجاج الاساقفة عليهم بما فرضه المجمع اللبناني. «قسم رابع باب ثاني صفحة ٤٦٦ وهذا نصّه : « اما من حيث توزيع الاسرار فالرهبان هم تحت ولاية الاسقف فليس لهم ان يوزعوها على العالمين بغير اذنه واذن كاهن الرعية » فالمفهوم بولاية الاسقف والاذن الصريح ، انما هو حكم الاسقف باهلية الكاهن الراهب لاستماع اعترافات العالمين الطالبين اليه ذلك . قلت « العالمين » ، لان الاجازة بسماع اعترافات رهباننا وخدم اديرتنا منوط اعطاؤها برئيس الرهبانية العام . فيسوغ اذن للكاهن الراهب استماع اعترافات العالمين الواردين الى الاديار بدون افتقار الى مأذونية ثانية من الاسقف . اما في الكنائس خارج الاديار فلا بد من اذن خادم الرعية .

ذلك كان السبب لرفع عريضتهم الى الكرسي الرسولي ، ولئلا يظهروا عاصين بصورة لا تليق بالابناء المطيعين وتفادياً من اسباب مكدّرة حصلت

بينهم وبين بعض الرؤساء، فضّلوا الالتجاء الى الكرسي الرسولي المقدس على المناضلة عن حقهم . ولجين اصدار حكمه الفصل بحل هذا المشكل بصورة لا تقبل اعتلالاً ومراجعة، كما عوّدهم اياه في الماضي عند الالتجاء اليه .

أثر جميل

هو وصيّة المرحوم الشيخ غندور بن سعد الخوري من رشميا المتوفى شنقاً في سجن الجزار في عكا في السنة ١٧٩١

انه، بينما كنت ازور البيوت القديمة ذات الوجاهة، قصد الاطلاع على ما فيها من المكتوبات الخاصة، للاستعانة على وضع تاريخ رهبانيتي اللبنانية، عثرت عند آل السعد في عين تراز، على وصية المرحوم غندور بن سعد الخوري الرجل المحسن العظيم بكل ظروفه : باصله واعماله، في حياته ومماته . ولما في وصيته هـذه من العبرة لأولي الالباب ومن الحكمة والنصيحة للطامعين المغرورين بهذه الزائلات، رأيت ادماجها في تاريخي هذا، لازماً :

اولاً : صوناً لها من الضياع .

ثانياً : اظهاراً لعظمة هذا الرجل العصامي الكبير وما فيه من ثبات الجأش وعزم الارادة في الشدة والبلية .

ثالثاً : ليكون خبره قدوة للوالدين وتكون وصيته أغنى ثروة يتركها السّلف للخلف . وهذه حرفيتها :

بسم الآب والابن والروح القدس

هذه وصيتي بخط يدي :

انا غندور بن سعد الخوري، لوجود الخطر الحاصل عليّ من كل الجهات؛ اذا سمح الله بوفاتي يكون العمل بموجبها :

اولاً : انني اعترف لله الآب بالايمان المسيحي على مذهب الكنيسة الرومانية الجامعة الرسولية، ابارك كل ما تباركه واحرم كل ما تحرمه . وعلى هذا الايمان المقدس ١ً اسلّم روحي بيد مريم العذراء سيدتي واطلب شفاعتها . ٢ً انني اطلب السماح من الجميع وانني اسامح الجميع اي كل من اخطأ اليّ . ٣ً انني مسلّم لحكم الله بكل شيء .

ثانياً : جميع مالي ورزقي لاولادي راجي وحبيب مناصفة من كل شيء . والوكيل عليهم الله وعمنا الخوري صالح واخونا سلوم الدحداح حيث انني واثق بذمتهم .

ثالثاً : اوصي اولادي بخوف الله وحسن الديانة . وبطلب تهذيبهم من الاب الخوري تادي الحج الذي ارغب دوامهُ في البيت ، لثقتي بحسن تهذيبه وديانته وعلم الاولاد والبنات. ويلاحظ ويناظر ويكمل وظيفته .

ووالدتي تكون مكرّمة ومعززة الخاطر وتظلّ متصرفة بمزرعة طوروزا معاش لها ولاختي الكبيرة وبعد وفاتها لا سمح الله ، ترجع لاولادنا ولا نسمح توقف شيء منها.

بنت عمي ام حبيب واختي ام منصور اقسم عليهم بمحبتي لهم ان يكونوا حال واحد . باتفاق واحد ولا يفرق بينهم شيء . ولا اسمح الى اولادي ولا الى الوكلا ان يدقروا (يكسروا) خاطرهم او يتافوهم بشيء (يمساوا شيئاً في قنام غير مبالين بهم) ، بل رأي البيت وتدبير الاولاد بيدهم . وان بقيت ابنة عمي ام حبيب عند اولادها فهي صاحبة البيت ومعزّتها لا تنقص . واني واجي بطيها كما كان يطيعني .. وان ارادت تتزوج لها مصاغها وملبوسها المختصّ بها .

وبناتي قوته وراجينا بتجهز كل واحدة بثلاثة الاف قرش ومتى ترملوا يعطى لكل واحدة نصف رطل بزر « ٧٢ درهم بزر » معاش ما دامها طيبة وان ماتت يرجع لاخرتها . والتي بتنقطع (لا يكون لها ملجأ) ترجع تعيش في البيت ويكون لها استحقاق البنوّة بكل معزّة .

وامرأة عمي ام انطون حيث لها تعب وخاطرها مكسور ارجو بجابرتها من الجميع .

وجميع القداسات التي تصير في كنيسة مار يوحنا الانجيلي وهي الكنيسة الكائنة في عين تراز تعطى اجرتها . وتكون القداسات عن نفسنا ونفس والدنا دائماً دائماً .

ومزرعة حمود وطاحون البلاط الى ابن اختي منصور وفاء الفرضة للتي كانت جوائي من مال والده

وسحتي وعواد[1] شاهين جميعهم وعواد اولاد بو حاسب شركة اخونا انطونيوس جبور وعواد بيروت التي مع ابن خالتنا انطون تكون لاختي ام منصور نظير استحقاقها ومحبتها وتعبها لكيما تعيش فيهم كيفما ارادت تصرفهم لا احد يعارضها .

وجل المصري شراكة اولاد بو هاشم الى بنت اختنا استير هبة منا .

وطاحون البلانه ان كانت انباعت يعطى عوضها الى ولدنا منصور في مزرعة عطايا.

وبنتي قوته ان رادت تتزوج لاولاد عمنا راشد ام قرياقوس حسبما تريد لا احد يلزمها متى تبلغ الست عشر سنة من عمرها . وان رادت تترهب يعطى لها الف قرش فقط دون زود لا رزق ولا غيره .

وبنتي راجينا كذلك لا نسمح لاحد يغصب ارادتها .

واذا اولادنا لا سمح الله غدرهم الزمان واعتازوا يتصرفوا بنصف رزق اولاد عمنا

---

١) (جمع عودة اي بستان) .

حنا حصتنا من جدنا وحسب وصية المرحوم والدنا . وان لم يتازوا لا تسمح لهم يارضوا اولاد عمهم بشيء .

وبو شبل انطونيوس الحج بما انه حرّ وامين يبقى كرارجي في الحارة .

واما يوسف القهوجي ينعطى له مابة قرش وينصرف لانه بيسكر .

وام حنا غزير ينعطى لها مابة قرش وتنصرف لان لساها فتن .

وبنت عمنا ام نجم تبقى في البيت ومتى توفيت ولدنا يقدس لها بالف قرش .

ومزرعة حالات لنا ونحن دفنا غنها وحجتها من المشايخ اولاد خازن فهذه جميع مدخولها كسوة للنسا والبنات . هكذا في كل سنة ينجاب وينصرف في الحارة .

. ومزارع الوقف الـذين بيد اخوتنا بو صعب يبقوا على حكمهم ويتوزع مدخولهم للفقرا حسب وقتهم .

وامرأة عمنا ام انطون متى توفيت يتقدس لها بالفين قرش .

رزقنا ما احد له عليه دعوى لاننا ربيناه بدم والدنا ودمنا . وتعبه وتعبنا . ولنا من مالنا ستين كيس « ٣٠ الف قرش » عند افندينا (الامير يوسف) منها ثلاثين بريان ذمة (ابراء) . وثلاثين مترجا افندينا واولاده وافنديانا اخوته يعوضوها على اولادنا ويكون نظرهم عليهم . ولا ينسوا خدمانا وخطرنا وتعبنا قدامهم .

افندينا الامير حيدر يلزمه النظر المخصوصي على اولادنا عوض حبنا الروحي .

افندينا الامير قعدان كذلك يلزمه النظر المخصوصي والمساعدة عوض محبتنا وتعبنا ومنطلب منهم ذلك يوم الله .

واما الذي ينصرف عن نفسي :

اولاً : خمساية قرش في الجبّة يقدسوا فيها عن نفسي .

٢ً : خمساية قرش لكهنة الزاوية وبلاد البترون . ومنها خمسين قرش للحفدي حنا رشوان نظير تعبه .

٣ً : وخمساية قرش لكهنة بلاد جبيل والفتوح والعاقورة وقرطبا .

٤ً : والف وخمساية قرش لكهنة كسروان خمساية قرش للسيد البطريرك يوسف والسادات المطارين خمساية قرش .

٥ً : بطرك الكواثله والمطارين مع كهنة الروام خمساية قرش .

٦ً : خمساية قرش للرهبنة الشويرية .

٧ً : وخمساية قرش للرهبنة المخلصية الجميع يقدسوا قداسات .

٨ً : وخمساية قرش لكهنة رشميا وجيرتها مع كهنة الشوف واقليم جزين .

٩ً : خمساية قرش للرهبنة البلدية .

١٠ً : وخمساية قرش للرهبنة الحلبية ومار اشعيا . وباقي القداسات التي من المجمع اللبناني (اي من مدخول كتاب المجمع اللبناني الذي طبعه على نفقته) يصرفها السيد البطريرك بمعرفته .

١١ : وفي كل سنة يعطوا اولادنا للفقراء ماية كيل قمح بيروتي « يكون ٣٦ قنطاراً » عن نفسنا من غلّة البقاع والطواحين :

١٢ : واربعة الاف قرش تتفرق على الفقراء والمحتاجين منها الف قرش في بلاد جبيل والبترون . والف في الجبة والزاوية والف قرش في رشميا وجيرتها ودير القمر . والف قرش في كسروان .

ولنا الف قرش دين في دير مار الياس الراس منها خمسماية قرش يعطوها لاختنا الراهبة هيلانه لاجل كسوتها ولوازمها كون جسمها مريض . والخمسماية يقدسوا منها بماية قرش . والاربعماية قرش كل سنة يتفرق منها للفقرا بماية قرش خبز عن نفسنا كالة الاربع ستين .

واطلب المغفرة والسماح من الجميع كما واني سمحت واودعت كلما لي في جنب مخلصي . واولاد عمي يوحنا يقدسوا عن نفس عمتهم ام ناصيف ماية قرش .

واودع حياتي بيد مريم العذراء طالب شفاعتها . واموت معترفاً بايمان المسيح على امانة الكنيسة الرومانية .

والحسابات جميعها مسطرة فتريد تجري كما هي .

واوصي اولادي بخوف الله ويتجنبوا العشرة الردية والقراءة بكتب الغزل وكل ما عندنا من كتب الغزل فلتباع وتكون قراءتهم في الكتب الروحية . والتواريخ والحكمة . ويتجنّبوا السكر والزنا ويتدرعوا بالعفاف . وهذا خطي وختمي .

ويعطى لعمتنا ام شديد كسوة كل سنة خمسين قرشا ما دامها طيبة .

يحررها

غندور ولد سعد الخوري

حاشية : الخمسماية قرش التي للشوريرة منها ماية قرش لديرين الراهبات . والخمسماية قرش المخلصية منها ماية قرش لدير الراهبات . ومن كوني قدمت حياتي وما طالت يدي عن افنديتي فلازم لازم عائلية[1] يخلصوا ذمتي ويكون نظرهم على اولادي اطلب ذلك منهم في اليوم الاخير .

ونتمشم[2] بغيرة دولة فرنسا العظيمة ورجالها الفخام ان ينظروا الى خدماتنا برقاية اولادنا من الاخطار التي ستحل بهم بعد وفاتنا . حررت ذلك وانا متوجه الى عكا سنة ١٧٩١ .

(عن الاصل المحفوظ بمين تراز)

١) وبما اراد عائلياً او عليهم ٢) نترجا او نطمع

محررها

غندور سعد الخوري

« فتكون جملة الدراهم التي رغب واوصى بنفقتها كما ورد اعلاه احدى عشر الف قرش » .

وفي هذه السنة (١٧٩١) لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

امبروسيوس المزرعاني وبرنردوس البحرصافي واكليمنضوس التنوري وموسى الزاهرية .

وفيها انتقل لرحمته تعالى الاب برقس المرقباوي .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ٩٥

وفي السنة التالية (١٧٩٢) لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

موسى الشرتوني ويوسف البيروتي وبولس الجيتاوي وبرنردوس عبيد النوسطاوي وسرابيون العربانية وعبدالله قرطبا .

وتوفي الاخ انطون الملالي والاخ جرمانوس قيطو .

الفصل الثامن

عدد ٩٦

وفي سنة (١٧٩٣) تسلمت الرهبانية على يد الاب مبارك الفاقوري رئيس دير مار مخائيل بنابيل كنيسة القديسة تقلا في قرية المروج من عبود سركيس واخوانه سمعان وموسى ومخايل واسطفان وعقل بموجب صك هذه حرفيته :

وجه تحرير الاحرف

هو انه نحن المدونة اسماؤنا بذيله قد سلمنا كنيسة القديسة تقلا التي في المروج وجميع وقوفاتها المسميين بها وجميع النذورات والرزق المختص بها الى رهبان دير مار مخايل بنابيل تابع الرهبان اللبنانيين في زمان الاب مبارك الفاقوري رئيس الدير المذكور . صار ذلك ملك الرهبنة يتصرفوا فيه كتصريف الملاكه باملاكهم وذوي الحقوق بحقوقهم ومن جهة عمار الكنيسة واملاكها واثاثها والكرم منا ومن وزقنا محررينه بموجب قائمة سلمناها بيد

الرهبان . وهذا التسليم بخاطرنا وتمام رضانا من غير جبر ولا الزام بل بالاختيار . وكمال القرار لا تغيير ولا تبديل فيه ولا عليهم معارض ولا دعوى من سائر الوجوه .

المنسوب اليهم : عبود سركيس واخوانه
سمعان ، وموسى ، وغابل ، واسطفان ، وعقل

شهود الحـــــــــــــــال

سليم علي مردان	انطون بو فياض من جورة الشوط	الياس الخوري من بنايل

تشهد بصحة ذلك على ما هو مسطر
بهذه الحجة

محرر الاحرف الخوري اشعيا
خادم قرية الدوار

« عن الاصل المحفوظ بمدرسة المتين »

حرر ذلك في ٢٥ شباط سنة ١٧٩٣ »

وبحسب العادة المرعية في تلك الايام اعطى المير بشير ابي اللمع رضاه بهذا التسليم بموجب اعلام هذه حرفيته :

سبب تحريره

هو انه وقت تاريخه سلمنا كنيسة مار نقلا المروج عليها السلام الى حضرة اعزازنا رهبان مار بخايل عليه اشرف السلام واصم يلاحظوا على الكنيسة ورزقاتها ومدخولها ويخدموا الرعية الخدمة الروحية . وقداديسم ايام الاحاد والاعياد وكلا يخصهم بالروح . وحيث قبول الرعية حررنا لهم ذلك سندًا . واي من تعدى حدود السنة المرقومة نغصبه باي حال كان .

حرر ذلك في سنة ١٢٠٧ ه فتوافق لسنة ١٧٩٣ م .

كذلك من جهة المتوجب على الرعية يكون محصوله للرهبان . واي من تهاون لا يمكنه الدخول في خاطرنا .

كاتبه
بشير بللمع

« عن الاصل المحفوظ في دير بنايل »

ينتج من الصكين المدرجين اعلاه ثلاث نتائج :

اولا : من الصك الاول ان كنيسة القديسة تقلا في قرية المروج وما يتبعها من الاملاك الموقوفة بموجب اللائحة المدرجة في الصك المرقوم ٥ي موقوفة من عبود سركيس واخوته على دير مارمخايل بنابيل مجاناً وبدون عوض. وان لرئيس دير مار مخايل المشار اليه وحده حق الولاية على هذا الوقف لانه تابع لاوقافه.

ثانياً : من صك الامير : اعلان رضاه بهذا التسليم وباقامة الخدم الروحية في الكنيسة المرقومة لانه كما لا يغرب ان الامير درزي المذهب . ثم سماحه للرهبان بخدمة النصارى شركائه الخدم الروحية واشهاده على الرضا والاتفاق الذي جرى بين الرهبان والنصارى شركائه . وايجابه على ابناء الرعية المذكورة ان يعطوا الرهبان المعالم المتوجبة بدل اتعابهم بخدمتهم حسب العادة ومن يتأخر عن ذلك او يصدر منه معارضة لما وقع عليه الاتفاق يستحق القصاص ويخرج من خاطر الامير .

وربَّ معترض استنتج ثالثاً فقال :

ان من صك الامير يفهم ان كنيسة القديسة تقلا المذكورة رعائية لكنها تحت ولاية الرهبانية اي انه يحقّ لاهل المروج مطالبة الرهبان لو تمنعوا او تأخروا عن خدمتهم الروحية . فالجواب :

اولًا : ان الصك الاول يفيد ان تشييد الكنيسة واوقافها هو من عبود سركيس واخوته وهم من سكان قرية عين الزيتونة . واهالي قرية المروج المذكورون لم يكن لهم ملك فيها او شبه ملك وهم شركاء الامير بشير المذكور .

ثانياً : ان رضا الامير بهذا التسليم لم يكن له ولا لشركائه حق في ملك او شبه ملك لهذا الوقف بل لصفته الحاكمية كما هي عادة تلك الايام . وذكره في صكه خدمة الرعية يريد بذلك اعلان رضاه بالاتفاقية التي جرت بينه وبين الرهبان على خدمة النصارى شركائه ورضا الفريقين بذلك . فاذا رضي الامير بالتسليم ورضي الشركاء باتفاق سيدهم مع الرهبان على خدمتهم الروحية لا يفيد ان لهم حقًّا بمطالبة الرهبان بخدمتهم الروحية او ان لهم حقًّا في الكنيسة او تعهداً يبدل بل ان الرهبانية متى شاءت ان تنقل هذه الكنيسة فلها ذلك .

اذ ليس لاحد ان يعترضها بثبوت ملكيتها . ولنا بالحوادث الآتيـة قريباً التي لها علاقة بهذا الخصوص، برهان ساطع على هذه الحقيقة .

وفي ٢٢ نيسان من هذه السنة (١٧٩٣) رقد بالرب السيد الذكر البطريرك يوسف اسطفان الغسطاوي بطريرك طائفتنا المارونية ودفن في كنيسة مار يوسف الحصن الكائن في قرية غوسطا المبنية من احسان الملك لويس الخامس عشر ملك فرنسا . وتاخر الاجتماع لانتخاب خلفه بسبب الطاعون الـذي كان متفشياً بالخصوص في جهـات كسروان الى ان صار اجتماعهم في شهر ايلول وفي اليوم العاشر منه انتخب خليفة له العلامة المطران مخايل فاضـل البيروتي مطران بيروت . وارسل الى رومية قاصداً من قبله لابداء خضوعه وطاعته والتماس درع التثبيت المقدس، الخوري جرجس غانم البيروتي .

وفي ١٠ ت ٢ (١٧٩٣) عقد آباء رهبانيتنا مجمعهم العام في دير سيدة طاميش بحسب الموائد القانونية وفي الوقت المعين لانتخاب الرؤساء. القوا القرعة :

فاصابت القرعة الاولى الاب مرقس الكفاعي فتودي به رئيساً عاماً (للمرة الرابعة)
« « الثانية « عمنوئيل الجميل « « مدبراً اول
« « الثالثة « مبارك الديراني « « « ثانياً
« « الرابعة « سمعان الخازن « « « ثالثاً
« « الخامسة « نعمة الله النجار « « « رابعاً

وفي اليوم الاخير من الاجتماع توزعت الرؤساء :

فانتخب لرئاسة دير مار يوحنا رشميا مجهول
« « « « انطونيوس قزحيا الاب ارميا الكفروني
« « « سيدة طاميش « مبارك الرشناوي
« « « « مشموشة « برتردوس البكتناوي
« « « مار يوسف البرج مجهول
« « « « انطونيوس سير «
« « « « حوب الاب مانيا المتيني
« « « « مارون بيرسنين « مبارك الخوري البكاسيني
« « « « مخايل بنابيل « فيلبوس الشبابي
« « « « الياس الكحلونية « اغناطيوس بليبل

وانتخب لرئاسة دير مار موسى الحبشي	مجهول
« « « سيدة ميفوق	الاب روفايل بقاعكفرا
« « « مار قبريانوس كفيفان	« سرابيون ذياب
« « « مار جرجس الناعمة	« بولس الدبراني
« « « سيدة المونات جبيل	مجهول
« « « مار انطونيوس النبع	الاب انطون الدوعوني
« « « « عيدا معاد	« اثاسيوس الشموني
« « « « الياس مطوشي قبرس	مجهول

(عن روزنامات الاديار)

وفيها (١٧٩٣) عقد المجمع العام لإخوتنا الحلبيين في دير سيدة اللويزة برئاسة الاب برتردوس مارون النائب العام لوفاة الاب العام توما العاقل فانتخب آباؤه :

الاب فرنسيس موسى الحلبي	رئيساً عاماً
« برتردوس مارون	مديراً اولاً
« يواكيم الحلواني	« ثانياً
« جرمانوس الحصروني	« ثالثاً
« دانيال الشامي	« رابعاً

ومن احكام هذا المجمع ان يتقدم لراحة نفس الراهب المتنيح خمسة عشر قداساً .

(عن روزنامة الجامع بدير لويزة)

وفي تلك الاثناء ادعى اهالي مدينة جبيل بملكية كنيسة مار يوحنا مرقس الكبرى التي تملكتها الرهبانية من الامير يوسف شهاب بموجب صك مؤرخ في سنة ١٧٦٦ ومر ذكره في السنة المذكورة .

داجع صفحة ٢٧٣ و٢٨٣ من تاريخ الرهبانية المجلد الثاني

تلك السنة التي نشطت الرهبانية فرممتها وجددت بناء المتهدم منها وقد مر بك ذلك في البحث الخاص عن آثارها سنة ١٧٨٠ .

ف ٣ عدد ٨٣ من هذا المجلد . وهي موعد النهاية من ترميمها فليراجع

وفي النهاية من اصلاحها صرف النائب البطريركي المطران مخايل الخازن آباء الرهبانية بخدمتها . وحصر حق الولاية على هذه الكنيسة وباقي الكنائس

الموجودة في سهل جبيل واراضي دير سيدة المعونات بآباء الرهبانية بموجب اعلام ذكرته في السنة نفسها (١٧٨٠) وكان قصد الجبيليين نزع الكنيسة الكبرى المذكورة من يد الرهبان. فتوجه الاب العام مرقس الكفاعي والاباء المدبرون لدى السيد البطريرك مخايل فاضل وعرضوا لديه الاوراق والصكوك التي تثبت ملكيتهم وولايتهم على الكنيسة المذكورة وبها الكفاية لنفي دعوى الاخصام فضب مطالبتها وامعان النظر فيها اصدر السيد البطريرك مرسوماً الى المطران بولس اسطفان مطران مدينة جبيل اعلاماً بما ثبت لديه وهذه حرفيته :

البركة الرسولية تشمل حضرة الاخ الاكرم المطران بولس اسطفان المحترم باركه الرب الاله باغزر بركاته السماوية . آمين .

اولاً مزيد الاشواق لمشاهدة خوتكم بكل خير. والثاني نخبر خوتكم انه حضر لعندنا حضرة اولادنا رئيس عام الرهبان البلديين مع الاربعة المدبرين المحترمين . واعرضوا علينا البيّنات التي بيدهم بخصوص حقوقهم على كنيسة مار يوحنا مرقس جبيل وبعد وقوفنا على مضمونهم وجدناهم شرعيين وبموجبهم لهم حق التولي على الكنيسة المذكورة خصوصاً لانه حقهم واضح وقد استعملوه بالفعل حين تسلموها وعمروها الى حين صيرورة بجمع وطا الجوز الذي قد تلاشى . ومن ثم عزمنا على تصريفهم ورجوعهم الى حقوقهم المذكورة اي التولي على الكنيسة المذكورة بحسب عوايدهم السالفة واما قصدنا بذلك علم خوتكم والبركة تشمل خوتكم في ٢٢ ت ٢ سنة ١٧٩٣ .

الحقير مخايل بطرس البطريرك الانطاكي

« عن الاصل في انطوش جبيل »

(يتبع)

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)
رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

سنة تسع واربعين[1] وثلاثماية

ورد الخبر بغلا السعر بالموصل وبلوغ الكر من الحنطة بها الفا ومايتي درهم فهرب الناس عنها الى بغداد والشام .

وفي هذه السنة انحدر ابو احمد الشيرازي كاتب المستكفي بالله الى شيراز فقبله عضد الدولة واقطع ابنه ابا الفضل ماية الف درهم وحصن به .

وورد الخبر بان نجا غلام سيف الدولة واقع الروم وقتل منهم عدة وافرة .
وان سيف الدولة غزا في جمع كثير فسار في بلد الروم وفتح حصونا كثيرة وانتهى[2] الى خرشنة فاخذ عليه الروم المضايق والدروب فخلص في ثلاث ماية من اصحابه بعد جهد ومضى[3] باقي اصحابه قتلى واسرى واشار عليه اهل طرسوس بترك الخروج فلم يقبل فاصيب[4] .

وورد الخبر بان ابا نصر بن المكتفي بالله[5] ظهر بناحية ارمينية[6] وتلقب المستجير بالله ولبس الصوف وامر بالمعروف ($\frac{٢٣٥}{١١٥}$) ونهى عن المنكر وغلب على اذربيجان[7] فسار اليه ابن سالار فاسره .

وفي مستهل شهر رمضان ورد تابوت ابي عبدالله ابن ثوابة من القصر وكان قد اجيل بجاريه[8] عليا فمات هناك وتقلد ديوان الرسايل ابو اسحاق الصابي .

---

١) في الاصل وتسعين
٢) في الاصل وانتها ٣) في الاصل ومضا
٤) في الكامل ٣٥٨/٦ وتجارب الامم ١٨١/٦ وصف لاخلاق سيف الدولة
٥) في المنتظم ٣٩٥/٦ قال وفي هذا الشهر ورد الخبر بان ابنا لعيسى بن المكتفي بالله .
٦) في الكامل ٣٥٧/٦ والبداية والنهاية ٢٣٥/١١ والمنتظم ٣٩٥/٦ اذربيجان
٧) كذا في الاصل ولعله يريد اذربيجان كما هو في السياق المتقدم
٨) كذا في الاصل

وفي ذي الحجة مات ابو القسم البريدى[1] ببغداد .

وصودر ابو السايب قاضي القضاة[2] على ماية الف درهم .

سنة خمسين وثلاثماية

في هذه السنة بنى[3] معز الدولة داره بقصر فرج عن بستان الصيمرى وهدم ما جاورها من العقارات وابتاعها من اهلها وكان ابو العباس بن مكرم وابو القسم بن حسان الدلان وكيليه في ذلك وقلع الابواب الحديد التي على مدينة المنصور والتي بالرصافة ونقلها اليها ونقض قصور الخلافة بسر من رأى وتزل في المسنات ستة وثلاثين ذراعا ولزمه على بنايها ثلاثة عشر الف درهم وكان المتولي للبنا ابو الفرج بن فسا نجس .

وفيها مات ابو الحسن احمد بن الفضل بن عبد الملك الهاشمي وتقلد ابنه ما كان اليه من الصلاة ونقابة العباسيين .

وفي المحرم مات القاضي ابو بكر بن كامل[4] عن سبعين سنة .

وفي شعبان ابتدى ببناء المفيض بنهر الرفيل[5] تولى ابناه[6] ابو بكر بن الحلبي .

وفي هذه السنة توفي ابو السايب عتبة بن عبيد الله[7] قاضي القضاة[2] ، ولابن سكرة[8] فيه قصائد تجنبت اثباتها .

($\frac{٢٢٦}{١١٦}$) وسفر ارسلان السالمدار لابي العباس بن ابي الشوارب[9] ، في قضا القضاة[2] وقرر عليه مايتي الف درهم في كل سنة وامتنع الخليفة من تقليده فقلده معز الدولة .

---

١) نسبه في الكامل ٣٥٨/٦ ابو القاسم عبدالله بن ابي عبدالله البريدي

٢) في الاصل القضات ٣) في الاصل بنا

٤) في تجارب الامم ١٨٤/٦ ابو بكر احمد ابن كامل

٥) في الاصل الدفيل ، وفي تاريخ بغداد ٩١/١ ذكر لنهر رفيل وفيه ٩٧/١ ذكر لنهر دجيل

٦) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٨٩/٦ الحاشية ٣ البناء

٧) في الكامل ٣٦٠/٦ القاضي ابو السائب عتبة بن عبيد الله ، وقبضت املاكه ، وفي الحاشية رقم ١ نبذة عنه

٨) لابن سكره هذا نخبة من الشعر في يتيمة الدهر للثعالبي ١٥١/٣ وترجمة في وفيات الاعيان ٥٢٦/١

٩) في الكامل ٣٦٠/٦ ابو العباس بن عبدالله بن الحسن بن ابي الشوارب

وورد الخبر بان ابا بكر بن مقاتل توفي بمصر وهو يتقلد اعمال الخراج بها ووجد له مدفونا في داره ثلاثماية الف دينار .

وورد الخبر بان نجا غلام سيف الدولة دخل بلد الروم واسر وغنم وسبى[1] خمسماية الف اتى بهم في السلاسل .

وقطر[2] فرس عبد الملك ابن نوح[3] به فمات وولي مكانه اخوه منصور بن نوح.

وفي اخر[4] ذي الحجة انحدر عز الدولة الى المطيع لله ووصل اليه ابن سالار صاحب اذربيجان[5] حتى عقد له وسلم اليه العقد مع خلع سلطانية .

سنة احدى وخمسين وثلاثماية

ورد الخبر بان اهل عين زربة[6] دخلوا في امان الروم وانهم غدروا بهم فقتلوهم وقطعوا منها اربعين الف نخلة واعاد سيف الدولة بناءها بعد ذلك .

واتى الروم منبجا وكان فيها ابو فراس بن ابي العلا بن حمدان متوليا لها فاسروه فقال في اسره اشعارا كثيرة منها :

ارث[7] لصب بك[8] قد زدته على بلايا[9] اسره امرا
قد عدم الدنيا ولذاتها لكنه لم يعدم الصبرا
(٢٢٢/١٢٩) فهو اسير الجسم في بلدة وهو اسير القلب في اخرى[10]

وكتب الى امه[11]

فيا امتا لا تعدمي الصبر انه الى الخير والنجح القريب رسول

١) في الاصل سبا
٢) في تاريخ ابن الوزدي ٢٨٨/١ وفي تجارب الامم ١٨٩/٦ تقطر
٣) في البداية والنهاية ٢٣٨/١١ نوح بن عبد الملك الساماني
٤) في الاصل ، اخر
٥) في الاصل اذربجان
٦) في الكامل ٢/٧ عين زربى – وكذلك في معجم البلدان ١٧٧/٤ ط. داري صادر وبيروت
٧) الديوان ٢٠٧/٢ قال وكتب الى غلامه منصور وهو في الاسر
٨) في الديوان فيك
٩) في الديوان بلايا
١٠) في الاصل اخرا
١١) الديوان ٣١٢/٢ قال: وقال وقد ثقل من الجراح التي نالته وهو اسير ، وكتب بها الى والدته يعزيها ويسليها

مصابي جليل والعزاء جميل وظني بان الله سوف يديل الخ

ويا امنا لا تحبطي الاجر انه	على قدر الصبر الجميل جزيل
اما لك في ذات الناطقين اسوة	بمكة والحرب العوان تجول
اراد ابنها اخذ الامان فلم تجب	وتعلم علما انه لقتيل
تاسي كفاك الله ما تحذرينه	فقد غال هذا الناس قبلك غول
وكوني كما كانت بأحد صفية	ولم يشف منها بالبكاء غليل
ولو رد يوما حمزة الخير حزنها	اذا لعلتها[1] رنة وعويل
لقيت نجوم الليل[2] وهي صوارم	وخضت سواد الليل[2] وهو وحول[3]
ولم ارع للنفس الكريمة حرمة	عشية لم يعطف على حليل[4]
وما لم يرده[5] الله فهو ممزق	ومن لم يعز الله فهو ذليل
وما لم يرده الله في الامر كله	فليس لمخلوق اليه سبيل

ووافى الدمستق الى حلب ومعه ابن اخت الملك ولم يعلم سيف الدولة بخبره وخرج عند علمه وحار به قليلا فقتل جميع اولاد داوود بن حمدان وابن الحسين ابن حمدان وانهزم سيف الدولة في نفر يسير وظفر الدمستق بداره وهي خارج مدينة حلب[6] فوجد لسيف الدولة فيها ثلاثماية وتسعين بدرة دراهم والف واربعماية بغل فاخذ الجميع واخذ له من ($\frac{٢٢٨}{١١٧}$) السلاح ما يجاوز الحد واحرق الدار وملك الربض وقاتله اهل حلب من وراء سورهم فسقطت ثلمة على قوم[7] فقتلهم وقاتل عليها اهل البلد واجتمعوا بالليل[8] وبنوها وانصرف الروم عنهم فانتهب رجال الشرطة منازل الناس وامتعة التجار فمضوا لحريمهم .

فلما خلا السور صعد الروم وفتحوا الابواب ووضعوا السيف وكان في حلب[9] عند المسلمين الف ومايتا اسير من الروم فاطلقوهم وسبوا بضع عشر الف صبي

١) في الديوان ما علتها
٢) في الاصل اليل ، وفي الديوان الافق
٣) في الديوان خيول
٤) في الديوان خليل
٥) في الديوان يرق
٦) في الكامل ٣/٧ تسمى الدارين
٧) في المنتظم ٧/٧ على اهل حلب وفي تجارب الامم ٩٢/٦ على قوم من اهل حلب
٨) في الاصل بأليل
٩) زيادة عن الكامل ٣/٧ يقتضيها السياق

وصية واخذوا من الاموال ما لا يحد وضربوا الباقي بالنار واقام الروم بها تسعة ايام وكان عسكرهم مايتا الف وثلاثين الف رجل بالجواشن وكان معهم ثلاثون الف صانع للهدم وتطريق الطرق[1] واربعة آلاف[2] بغل عليها الحسك الحديد يخندقون به على عسكرهم .

وقال ابن اخت ملكهم لا ابرح او افتح القلعة وصعد الى مدرجها فرماه ديلمي بجشت[3] في صدره فانفذه .

وسار متقدم الروم الى بلده عند ذلك ولم يتعرض للسواد وامر اهله بعمارته ووعدهم بالعود اليهم .

وفي جمادي الاخرة مات دعلج ابن احمد بن دعلج[4] المحدث العدل وله خان بسويقة غالب عند قبر ابن سريج وقف على اصحاب الشافعي رحمه الله الى اليوم وعمره نظام[5] الملك رحمه الله [و][6] قد اطلق لهماية دينار في اول نوبة دخلها حين مضى[7] اليه اصحاب ابي رحمه الله واعلموه مقامهم به ($\frac{٣٢٩}{٤١٦}$) واستشفعوا بصحبته

وحكى[8] ابن نصر في كتاب المفاوضة قال ارني الشيخ ابو الحسن العلوي الحنفي الدار المعروفة بدعلج في درب ابي خلف بازاء داره فقلت له لم ازل اسمع الناس يعظمون شان هذه الدار وما اجدها كما وصفت فقال لي كان دعلج في هذه الدار وكان شاهدا ومحدثا وعظيم[9] الحال موسرا .

وكان المطيع لله قد اودع ابا عبدالله بن ابي موسى الهاشمي عشرة آلاف[10] دينار قبل افضاء الخلافة اليه فتصرف فيها وانفقها وادل بالقدرة عليها في طلبها

---

١) في تجارب الامم ١٩٣/٦ لتطريق الثلج وفي الكامل ٣/٧ واصلاح الطرق من الثلج
٢) في الاصل ٤ الاف
٣) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ١٩٤/٦ بخشت
٤) نسبه في الكامل ٥/٧ وهو دعلج بن احمد السجزي المعدل وفي المالية رقم ٥ نبذة عنه وله ترجمة في البداية والنهاية ٢٤١/١١ وفي المنتظم ١٠/٧
٥) في الاصل نظام
٦) زيادة يقتضيها السياق
٧) في الاصل مضا
٨) في الاصل وحكي
٩) في الاصل وعظم
١٠) في الاصل ١٠ الاف

فلما ولي الخلافة طالبه بها فوعده بحملها ورجع الى منزله وشرع في بيع شي. من املاكه وعقاره فتعذر فالح المطيع بالمطالبة بالوديعة فاعتذر بانها مخبوة لا يقدر عليها الا بعد ثلاثة ايام فانظره فلما حضر وقت الوعد قلق ولم ينم ولم يتجه له وجه وخاف ان يحرق به ولم يعود بثلم جاهــه فركب في بقية الليل[1] بغير غلام وترك راس البغلة تمشي[2] حيث شاءت فافضت به الى قطيعة الربيع فدخلها وعطف الى درب ابي خلف فاذا دعلج قد خرج وفي يده سكة فتامله فقال له خير فقال لا فقال ابا الله[3] انزل فنزل ودخل داره وقص قصته فقال لا باس اي نقد كانت الدنانير فقال النقد الفلاني فقال يا غلام اغلق الباب وحط ما عندك من العين واجلس مع الشريف ($\frac{٢٣٠}{١١٨}$) وانتقد النوع الفلاني الى ان ارجع من الحمام .

فلما عاد كان الغلام قد انتقد القدر فجعلها في اكياس وانفذها مع غلمانه ثم قال اكتب خطك في دفتري فكتبت خطي بذلك الى مدة اربعــة اشهر وانصرفت .

واستدعيت الضرف[4] التي كانت دنانير المطيع فيــه فنقلتها اليه وختمتها بالاسريجاه[5] التي كانت عليه فاتاني رسول المطيــع فحملت المال ووضعته بين يديه وقلت ان راي امير المؤمنين ان يتقدم بوزنه فقال مـــا افعل ذلك وهي تحت ختمي فخفت ان يتامل الختم فعجلت الى كسره وحلفت بنعمته لا بد مما تزنه فوزن .

واتفق انه دخل من ضيعتي ثلاثة آلاف[6] دينار قبل الاجل فحضرت عند دعلج ودفعتها اليه فقال لا اله الا الله ايها الشريف بما استحققت منك هذا ارتجعه قبل المدة فاكون كذابا فامسكت الدنانير حتى تكاملت في وقتها .

---

١) في الاصل اليل

٢) في الاصل تمي

٣) في الاصل ا الله

٤) كذا في الاصل ولعله يريد الظروف

٥) قال في اقرب الموارد ١/٥٠٩ السريجة ؛ السير يصنف بــه ج سرائح . وقال في الجمهرة ٢/١٣٢ السريجة القطعة من قد تشترجا نعال الابل في ارساغها ، ولعله اليها قصد .

٦) في الاصل • ا ر ف

وفيه خلع معز الدولة على ابي الفرج محمد بن العباس[١] وقلده كتابة عز الدولة مضافا الى ما اليه من الديوان .

وفي ذي القعدة مات ابو عبدالله [محمد][٢] بن ابي موسى الهاشمي .

ومات بعده ابو بكر النقاش[٣] صاحب شفاء الصدور في تفسير القرآن[٤] .

وفيه لقب عضد الدولة بهذا اللقب[٥] .

سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة

في هذه السنة خرج النساء منتشرات الشعور مسودات الوجوه يلطمن في الشوارع يوم عاشوراء على الحسين رضي الله عنه ($\frac{٢٣١}{١١٨}$) وغلقت الاسواق[٦] .

وفي جمادى الاخرة خرج المهلبي لفتح عمان .

وورد الخبر بغزاة سيف الدولة لنواحي ملطيه وغنيمته ، فقال الببغا[٧] يمدحه بقصيدة منها .

رد[٨] الدمستق دون منظره	خبر تضيق بشرحه الكتب
ناجته عنك البيض من بعد	نصحا وانفذ جيشه الرعب
وله ولو احببت حين نجا	ادراكه لم ينجه الهرب
يا كالي الاسلام يحرسه	من ان يخالج حقه اريب
ان كنت ترضى[٩]ان يطيك[١٠]ما	سجدوا له سجدت لك الصلب

١) يعني ابن قسا نحس

٢) زيادة عن الكامل ٦/٧ يقتضيها السياق

٣) في الاصل النقاش والتصويب من الاصول المترجمة له كالبداية والنهاية ٢٤٢/١١ والمنتظم ١٤/٧ والكامل ٥/٧ وله في الكامل ترجمة في الحاشية رقم ٣

٤) في الاصل القرءان وفي كشف الظنون العمود ١٠٥٠ قال فيه شفاء الصدور في تفسير القرآن الكريم لابي بكر محمد بن الحسن المعروف بالنقاش الموصلي المتوفى ٣٥١ [٩٦٢ م] وبروكلمن ٥٢١/١ وملحق ٣٣٤/١ .

٥) قال في الكامل ٥/٧ وفيها لقب الخليفة المطيع لله فناخسرو بن ركن الدولة بعضد الدولة . وفي يتيمة الدهر للثعالبي ١٩٥/٢ منتخب من شعره .

٦) اسهب الكامل ٧/٧ والمنتظم في ١٥/٧ بهذا الموضوع

٧) ترجم له في اليتيمة للثعالبي ٢٠٠/١ وفي وفيات الاعيان ٢٩٨/١

٨) كذا في الاصل ولعلها وَرَدَ

٩) في الاصل ترضا

١٠) في الاصل يطيك

وفي رجب عزل ابن ابي الشوارب عن القضا وقد ذكر انه ضمنه فكان النظار[1] يحيلون عليه بشاهرة الساسة والنفاطين فكانوا يجونه ويشدون نعالهم على بابه ويدخلون يطالبونه كما يفعلون بضامن الماخور فاتى ابو عبدالله بن الداعي العلوي معز الدولة وقال له رايت في المنام جدي عليا رضي الله عنه وهو يقول لك احب ان تقطعني ما على القضا وتأمر بازالته قال قد فعلت .

ولابن سكرة في ابن ابي الشوارب .

نوب تنوبك بالنوايب وعجايب فوق العجايب
وغرايب موصولة في كل يوم بالغرايب
مما جنى قاضي القضا حدثدل بن ابي الشوارب
قاض تزلى بالصبوح وبالطبول وبالدبادب
($\frac{٢٣٢}{١١٩}$) ومناديان يناديان عليه في وسط الكواكب
هذا الذي ضمن القضا [٠] مع الفروج بغير واجب
هذا قدار[2] زماننا واخو المثالب والمعايب

ولما عزل ابن ابي الشوارب تقلد ابو بشر عمر ابن اكثم[3] القضا بغير رزق.

وقد ذكرنا خروج المهلبي قاصدا عمان ولما بلغ الابلة تضجر خدمه بسلوك البحر ومفارقة نعمهم ببغداد فسموه ظنا منهم ان حالهم تبقى عليهم فنشبت به المنية وعاد الى زواطا[4] في محفة يتناوبها الرجال ومات بها في آخر[5] شعبان .

قال التنوخي مضيت في اول يوم من شهر رمضان لتهنية ابي الغنايم الفضل بن المهلبي وابوه في الطريق لم يات الخبر بموته وهو جالس بداره على الصراة في دست ودخل عليه صهره ابو العباس بن الحسين وابو الفرج محمد بن العباس فما تحرك لهما فجاء خادم لابي الفضل فساروه بشيء فقال قم يا ابا الغنايم فقد طلبك مولانا معز الدولة وقد مات ابوك فقام ابو الغنايم باكيا فقلنا الان كانا

---

١) في الاصل النظار

٢) في الاصل شر عمر والتصويب عن الكامل ٧/٧ القدار ' بالفتح ويكسره 'القدرة ' اقرب الموارد ٩٧١/٢

٣) البداية والنهاية وتجارب الامم ١٩٦/٦

٤) في تجارب الامم ١٩٧/٦ زا وطا وكذلك في معجم البلدان ١٢٨/٣

٥) في الاصل ٠اخر

بين يديه وهو الساعة ذليل بين ايديها وختم ابو الفضل على دار المهلبي وعلى امواله وعلى تجنى جاريته .

وكان المهلبي قد اصطنع ابا العلا عيسى بن الحسن بن ابزونا[1] النصراني الكاتب واستكتبه على خاصة واطلعه على اموال ودخاير دفنها فاخذ ابو العلا في جملة الماخوذين وعوقب اشد (٢٣٣/١١٩) عقوبة وضرب ابرح ضرب وهو لا يقر بشي ولا يعترف بذخيرة .

فعدل ابو الفضل[2] وابو الفرج[3] الى تجني[4] وامرا بضرب ابنها ابي الغنايم بين يديها فبكى[5] من عرفها من الذي تم عليها وقالت لهم ان مولاي المهلبي فعل هذا بي حين استدعى[6] آلات العقوبة لزوجة[7] ابي علي الطبري لما قبض عليها بعد وفاته ثم قالت احضروني ابا العلا بن ابزونا فاحضروه وحمل في سبنيه[8] بين اربع فراشين فطرح بين يديها فجعلت تساله عن شي[9] وهو يخبرها بمكانه حتى كان في جملة[10] ذلك ثلاثون الف دينار فقال له من حضر ويلك الست من الادميين تقتل هذا القتل ويفضي حالك الى التلف وانت لا تعترف فقال يا سبحان الله اكون ابن ابزونا[11] والطبيب الفصاد على الطريق بدانق ونصف دانق ياخذني الوزير ابو محمد ويصطنعني ويجعلني كاتب سره واعرف بخدمته واطلع الناس على ذخيرة ذخرها لولده والله ما كنت لافعل هذا ولو هلكت فاستحسن فعله وكان

---

١) في تجارب الامم ١٩٧/٦ ابزونا.

٢) يعني ابو العباس بن الحسين الشيرازي كما في تجارب الامم ١٩٧/٦ الحاشية رقم ١

٣) يعني محمد بن العباس بن الحسين بن فسانجس كما في تجارب الامم ايضاً

٤) يعني هي ام ابي الغنائم الفضل بن الوزير المهلبي كما في تجارب الامم ١٩٧/٦

٥) في الاصل فبكا

٦) في الاصل استدعا ء الات

٧) في الاصل لزوجه

٨) قال الفيروزابادي ٢٣٣/٤ السبنية وهي ازر سود للنساء ، وهي من حرير وكذلك في اقرب الموارد ٤٩٣/١

٩) في تجارب الامم ١٩٨/٦ الحاشية شي شي ، وليعلم ان هذه الحاشية نسبها امدروز الى انه نقلها عن التكملة وليست في الاصل

١٠) في الاصل حله والتصويب عن تجارب الامم ١٩٨/٦ الحاشية

١١) في الاصل بزونا وفي تجارب الامم ١٩٨/٦ الحاشية ابرونا

ذلك سبباً لاطلاقه وتقدم بذلك عند ابي الفضل وابي الفرج وابن بقية وتوفي سنة تسع وستين وثلاثماية (٩٧٩) في ايام عضد الدولة .

ومولد المهلبي بالبصرة سنة احدى وتسعين ومايتين[١] (٩٠٣) وكان ظريفا[٢] اديبا ومن شعره .

وصل الكتاب طليعة الوصل ودخيرة[٣] الافضال والفضل
فشكرته شكر الفقير اذا اغناه رب المجد بالبذل .
(٢٣٦/١٢٠) وحفظته حفظ الاسير وقد ورد الامان له من القتل

وله

وحياة الهوى ومر التجني وبخط العذار في صحن خده
لاذيبن وجنتيه بلحظي مثل ما قد اذاب قلبي بصده

قال التنوخي وشاهدت المهلبي وقد اشترى له ورد بالف دينار في ثلاثة ايام فشرب عليه وانهبه .

قال ابو حيان كان المهلبي يطرب على اصطناع الرجال كما يطرب سامع الغنا على الستاير ويرتاح لذلك كما يرتاح مدير الكاس على المشاير وقال لاكونن في دولة الديلم اول مذكور اذ فاتني ان اكون في دولة بني العباس رحمة الله عليهم اخر[٤] مذكور .

فمن نوه به ابو الفضل الشيرازي وابو عبدالله البقري[٥] وابو معروف القاضي وابو اسحاق الصابي وابو العلا صاعد وابن جعفر صاحب الديوان وغيرهم كابي تمام الزيني[٦] وابن مريمة وابي حامد المروردي وابي عبدالله البصري وابي سعيد السيرافي وابن درستويه والسري والخالدي[٧] ، الى من لا يحصى[٨] كثرة .

---

١) ترجم له في ارشاد الاريب ١١٨/٩ وفي يتيمة الدهر للثعالبي ٢٠٢/٢ ووفيات الاعيان ١٤٢/١ .
٢) في الاصل خريفا
٣) في يتيمة الدهر ٢٠٩/٢ بغرائب
٤) في الاصل ٠ اخر
٥) تكررت هذه الجملة في الاصل
٦) في الاصل الزيني والتصويب عن اللباب للسيوطي ٥١٨/١
٧) في الاصل والخالدية ٨) في الاصل يحما

وكان ابو الفرج الاصبهاني[1] يواكله.وكان اقذر الناس فافرد له المهلبي مايدة يجلس عليها وحده فقال يهجوه .

ابعين مفتقر اليه رايتني ... بعد الغنى[2] فرميتني من حالق
لست الملوم انا الملوم لانني ... املت للاحسان غير الخالق

($\frac{٣٣٥}{١٢٠}$) وقال ابن الحجاج يرثي المهلبي :

يا معشر الشعرا دعوة موجع ... لا يرتجى فرج[3] السلو لديه
عزوا القوافي بالوزير فانها ... تبكي دما بعد الدموع عليه
مات الذي امسى الثناء وراءه ... وجميل عفو الله بين يديه
هدم الزمان بموته الحصن الذي ... كنا نفر من الزمان اليه
وتضاءلت همم المكارم والعلى ... وانبت حبل المجد من طرفيه
ولتعلمن بنو بويه انما ... فجعت به ايام آل[4] بويه

قال التنوخي قال المهلبي لما عزم معز الدولة على انفاذي الى عمان طرقني امر عظيم فبت بليلة ما بت في عمري مثلها لا في فقري ولا في صغر حالي وما زلت اطلب شيئا اتسلى به عما دهمني فلم اجده الا اني ذكرت اني كنت حصلت في ايام صباي بسيراف لما خرجت اليها هاربا فعرفت هناك قوما اولوني جميلا وحصلت لهم علي ايادى ففكرت وقلت لعلي اذا قصدت تلك البلاد ان اجدهم او بعضهم او اعقابهم فاكافيهم على تلك الايادي .
فلما ذكرت هذا تسليت عن المصيبة بالخروج وسهل علي ووطنت نفسي عليه.
ودفن المهلبي[5] بالنوبختية[6] بمقابر قريش .

---

١) كتب الاستاذ شفيق جبري في ابي الفرج كتابا موضوعه دراسة الاغاني ، وايضا كتب الدكتور محمد خلف الله كتابا موضوعه صاحب الاغاني ابو الفرج الاصبهاني الراوية . وكذلك الاستاذ يوسف اسعد داغر في كتابه مصادر الدراسة العربية ص ١٦٦ دلّ على جملة وافرة من المصادر التي درست الاغاني

٢) في الاصل الغنا

٣) في معجم الادباء ١٣٨/٩ فرح بحاء مهملة

٤) في الاصل ءال

٥) ترجم له في البداية والنهاية ٢٤١/١١ وذلك في جملة اخبار سنة ٣٥١

٦) في تجارب الامم ١٩٧/٦ الحاشية رقم ١ النوبختية

وجعل معز الدولة ابا الفضل الشيرازي[1] وابا الفرج بن فسانجس[2] المدبرين للامور من غير تسمية لواحد منها بوزارة .

وفي ليلة الخميس ثامن عشر ذي الحجة وهو اليوم الذي (٣٣٦/١٢١) تسمية الشيعة غديرخم اشعلت النيران في الاسواق ولم تغلق الدكاكين كما يعمل في الاعياد وضربت الدبادب والبوقات وبكر المتشيعون الى مقابر قريش وصلوا هناك .

سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة

استهدى القرامطة[3] في هذه السنة من سيف الدولة حديدا فقلع ابواب الرقة وسد مكانها واخذ كل حديد بديار مضر حتى صنجات[4] البقالين والباعة واحدره في الفرات الى هيت وحمله منها الى البرية[5] .

واخذ ناصر الدولة المال عن معز الدولة فاصعد الى الموصل ومضى ناصر الدولة الى ميافارقين فسار وراءه الى نصيبين، واستخلف على الموصل سبكتكين فسار ابو تغلب [بن ناصر الدولة][6] واخوته لحربه فهزمهم سبكتكين فاحرقوا زبازب معز الدولة بالموصل واسروا الاتراك وصعد[7] ابو احمد الطويل غلام موسى فياده[8] وكان تدلفمن الاهواز واصعد منها ليفسخ ضمانه .

واخذ بنو حمدان كراع معز الدولة وسلاحه وما وجدوه من ماله .

فاقبل معز الدولة الى برقعيد[9] فاتاه حمدان بن ناصر الدولة مستامنا واتاه ابو الهيجا حرب ابن ابي العلا بن حمدان مستامنا ايضاً .

وانى[10] معز الدولة الموصل واستامن اليه المهيا[11] والمسيب غلاما ابي تغلب

---

١) نسبه في الكامل ٦/٧ وهو ابو الفضل العباس ابن الحسين الشيرازي

٢) نسبه في الكامل ٦/٧ وهو ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس

٣) في تجارب الامم ٢٠٣/٦ الهجريون

٤) في تجارب الامم ٢٠٣/٦ سنجات

٥) ذكر في البداية والنهاية ٢٥٤/١١ سبب هذا الاستهداء

٦) زيادة عن الكامل ١٠/٧ وتجارب الامم ٢٠٥/٦

٧) في الاصل وصاعد والتصويب عن تجارب الامم ٢٠٤/٦

٨) في تجارب الامم ٢٠٥/٦ فباذه

٩) افاض الشريشي في الكتابة عنها في شرحه لمقامات الحريري ١١٩/١ والبكري في معجم ما استعجم ٢٤٣/١ قال موضع بالشام وراجع بشأنها معجم البلدان ٣٨٧/١

١٠) في الاصل واتا ١١) في تجارب الامم ٢٠٦/٦ المهيا بكسر د

فخلع عليها وطوقها وسورها واتاه ابو الحسن علي بن عمرو بن ميمون ($\frac{٣٣٧}{١٢١}$) ورهن نفسه عنده على ستة آلاف[1] الف ومايتي الف درهم واطلاق الاسارى .

فرحل حينئذ ومعه ابن عمرو الى الحديثة واتاه الاسارى والمال بها فانحدر الى بغداد .

وفي هذه السنة خرج ابو عبدالله محمد بن القسم[2] المعروف بابن الداعي الحسني الى بلد الديلم .

وورد الخبر الى بغداد سنة سبع وثلاثين وثلاثماية (٩٤٨) فلزم الكرخي الحنبلي[3] وقرا عليه الفقه وقرا الكلام على ابي عبدالله البصري ومنشاه بطبرستان[4] وكان يجيب في الفتاوي احسن جواب .

والزمه معز الدولة النظر في نقابة الطالبيين ببغداد سنة تسع واربعين (٩٦٠) فعمل مجبرا وعمر وقوفهم .

وساله معز الدولة عن طلحة والزبير فقال هما من اهل الجنة لان النبي صلى الله عليه وسلم بشرهما بالجنة وكان المهلبي يخافه فوضع عليه موضوعات منها انه كان ياخذ البيعة على الديلم .

وبلغ من اجلال معز الدولة له انه دخل عليه وهو مريض فقبل يده استشفاء بها .

ولما غاب معز الدولة في هذه السفرة الى نصيبين استخلف[5] ابنه عز الدولة ببغداد فدخل ابن الداعي فخاطبه بعض اصحاب عز الدولة في معنى علوي خطأ[6] اومى[7] عليه فامتعض ابو عبدالله من ذالك وخرج مغضبا .

وكان ينزل بدار على دجلة بباب الشعير فرتب قوما معهم بالجانب الشرقي

---

١) في الاصل ٠ الاف

٢) نسبه في تجارب الامم ٢٠٧/٦ ابو عبدالله محمد بن الحسين

٣) في الاصل كتبت الحنيلي ' باسلوب الناسخ ' وكتبها محقق الكامل ١٠/٧ في الحاشية رقم ١ نقلا عن التكملة هذه الحنبلي ' وفي تجارب الامم ٢٠٧/٦ الحاشية رقم ١ الكرخي الحنبلي

٤) في الاصل بصبر ستان

٥) في تجارب الامم ٢٠٧/٦ الحاشية رقم ١ تخلف

٦) في الاصل خطاء والتصويب عن تجارب الامم ٢٠٧/٦ الحاشية رقم ١

٧) في الاصل او ما وفي الاصل مكررة.

واظهر انه مريض وخرج مختفيا ومعه ابنه الاكبر (٢٣٨/١٣٢) وخلف اولاده وعياله وزوجته ببغداد ونعمته وكلما تحويه داره ولم يستصحب غير جبة صوف بيضا وسيفا ومصحفاً وسلك طريق شهرزور ومضى[1] الى هوسم وسمه علوى هناك قام بعده . وكانت وفاته سنة تسع وخمسين وثلاثماية (٩٦٩) .

واقام الدمستق على المصيصة ثلاثة اشهر ووقع الوبا في اصحابه فاتى المستنفرون سيف الدولة فسار معهم وهو مريض فولى الدمستق وكان المتنبي بالعراق فكتب اليه جواب كتابه ورد عليه

فهمت الكتاب ابر الكتب　　فسمعا لامر امير العرب[2]
وغر الدمستق قول العداة[3]　　بان عليا ثقيل وصب
وقد علمت خيله انه　　اذا هم وهو عليل ركب
اتاهم باوسع من ارضهم　　طوال السبيب قصار العسب
تغيب الشواهق في جيشه　　وتبدو صغارا اذا لم تغب
فغرق مدنهم بالجيوش　　واخفت اصواتهم باللجب

سنة اربع وخمسين وثلاثماية

فيها قتل غلمان سيف الدولة بحضرته نجا غلامه فنشي على سيف الدولة لذلك فامرت زوجته بنت ابي العلا سعيد ابن حمدان برمي نجا من قصرها[4] ولما افاق قتل قتلته وبلغ الخبر ابا فراس فكتب اليه وهو ماسور شعراً .

(٢٣٩/١٣٢) ما زلت تسمى بجد برغم شانيك مقبل[5]
ترى لنفسك امرا وما يرى الله افضل

واوصل معز الدولة ابا احمد خلف بن ابي جعفر بن بانوا[6] الى الخليفة فقلده سجستان وخلع عليه وعقد له لواء .

١) في الاصل ومضا
٢) الديوان ٤٦٦ وانفذ اليه سيف الدولة كتاباً بخطه الى الكوفة يساله المسير اليه ، فاجابه بهذه القصيدة ، وانفذها اليه في ميافارقين ، وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة [٨٦٧]
٣) في الاصل العدات
٤) ورد هذا الخبر في الكامل ٩/٧ في صدر اخبار سنة ٣٥٣
٥) الديوان ٣٠٩/٢
٦) في تجارب الامم ٢٠٩/٦ بانو

وفيها دخل ملك الروم المصيصة وساق من اهلها مايتي الف انسان واعطى[1] اهل طرسوس الامان وامرهم بالانتقال عنها الى اي بلد اختاروا ومعهم من اموالهم ما شاؤا[2] ففعلوا[3] وحماهم الى انطاكية وجعل جامع طرسوس اصطبلا واحرق المنبر وتقدم لعمارة البلد واستخلف عليه بطريقا في خمسين الفا .

وفي جمادى[4] الاخرة قلد معز الدوله ابا احمد الموسى نقابة الطالبيين باسرهم سوى ابي الحسين بن ابي الطيب وولده فانهم استعفوه فاعفاهم وورد اليه امارة الحاج .

سنة خمس وخمسين وثلاثماية

فيها لقب الخليفة الحبشي بن معز الدولة سند الدولة .

وانحدر معز الدولة لمحاربة عمران .

وانحدر الى الابلة ونزل في دار البريدي بشاطى[5] عمان وبنى الشذوات والمراكب .

واوفاه نافع الاسود مولى يوسف بن وجيه مستامنا فقبله .

وانفذ ابا الفرج محمد بن العباس مع نافع في ماية مركب فلما صار بسيراف وافاه جيش عضد الدولة في مراكب وشذاءات نجدة لعمه معز الدولة .

وملك ابو $(\frac{٣٦٠}{١٢٣})$ الفرج عمان واحرق لاهلها تسعة وتسعين مركبا .

واصعد معز الدولة الى بغداد واستخلف على قتال عمران ابا الفضل العباس ابن الحسين الشيرازي[6] فاخذ في سد الانهار واستخلف على واسط سبكتكين.

وفي رجب فادى سيف الدولة الروم وارتجع ابا فراس منهم فقال البغا

عدحه

---

١) في الاصل واعطا

٢) في الاصل شاءوا

٣) في الاصل ففعلوه والتصويب عن تجارب الامم ٢١١/٦

٤) في الاصل جمادا

٥) في الاصل لشاطي

٦) في الاصل الشرازي

ما المال الا ما افاد ثناءنا[1] ... ما العز الا ما ثنى[2] الاعداء

شحت على الدنيا الملوك وعافها ... من لم يطع في حفظها الاهواء

باع الذي يفنى[3] بما ابقى له ... ذكرا اذا دجت الخطوب اضاء

فليهن سيف الدولة الشرف الذي ... لو كان مربيا لكان سماء

وطهارة الخلق الذي لو لم يكن ... عرضا من الاعراض كان الماء

ورجاحة الحلم الذي لو حل بالهضبات من رضوى ثناه هباء

بدر تحققت البدور باضا ... ليست وان كملت له اكفاء

القى اليه الدهر صعب قياده ... فاستخدم الايام فيما استاء

امحقق الآمال بالكرم الذي ... احيى[4] العفاة وبخل الكرماء

شكر الاله من احتمالك بالهدى[5] ... ما زاد باهر نوره استعلاء

راعيته وسواك في سنة الهوى[6] ... ما ذاد عنه لسيفك الاعداء

وفديت من اسر العدو معاشرا ... لولاك ما عرفوا الزمان فداء

كانوا عبيد نداك ثم شريتهم ... فغدوا عبيدك نعمة وشراء

والاسر احدى الميتتين وطالما ... خلدوا به فاعدتهم احياء

(٢٤١/١٢٣) وضنت نفس ابي فراس للعلى ... اذ منه اصبحت النفوس براء

ما كان الا البدر طال سراره ... ثم انجلى وقد استتم بهاء

يوم غدا فيه سماحك يتقى ... الاسرى ومنك يامر الامراء

خصت بنو حمدان منه بنعمة ... عمت بفضلك تغلب الغلباء

وقال ابن نباته[7] يمدحه بقصيدة منها

نطيع الله في خوض المنايا ... وسيف الدولة الملك الجليلا

اذا طلبت ملوككم الينا ... دخول الحرب زدناهم دخولا

فداوك من فديت من البرايا ... وان كانوا لان تفدى قليلا

فانت خلقتهم خلقا جديدا ... وصيرت السماح بهم كفيلا

---

١) كذا في الاصل ولعل الصواب ثناء

٢) في الاصل ثنا

٣) في الاصل يفنا

٤) في الاصل احيا العفات

٥) في الاصل الهدا

٦) في الاصل الهوا

٧) ترجم له في يتيمة الدهر للثعالبي ٣٤٩/٢ وفي وفيات الاعيان ٢٩٥/١

تريد بحسنه الدنيا ضياء وابصار الملوك به كلولا
اذا ما جيت والاملاك جما غدوت[١] نباهة وغدوا خمولا
احقهم ببذل المال فينا فتى يحمي لمهجته بذولا
واولاهم بان يحمي جوادا فتى يهب الرغايب والعقولا
تريك بنانه في كل يوم طعانًا محيا وندىً قتولا
وفضلا يستفيد الدهر منه كريم الطبع والخلق الجميلا

وورد الخبر بان ركن الدولة ملك الطرم[٢]، ومضى[٣] وهسودان[٤] منصرفا عنها فقال المتنبي يمدح عضد الدولة[٥].

ازاير يا خيال ام عايد ام عند مولاك انني راقد

يقول فيها

($\frac{٣٦٣}{١٦٣}$) نلت وما نلت من مضرة وهسودان ما زال رايه الفاسد

معناه انه جنى[٦] على نفسه الشر بتعرضه لقتالكم .

يبدا من كيده بغايته وانما الحرب غاية الكايد

معناه انه من سبيله ان لا يحارب الا مضطرا والكايد الذي يبغي الغوايل والشر .

ماذا على من اتى يحاربكم قدم[٧] ما اختار لو اتى واقد
بلا سلاح سوى رجايكم ففاز بالنصر وانثنى[٨] راشد

---

١) في الاصل غدوة
٢) الطّرم، بفتح اوله واسكان ثانيه، مدينة وهشوذان، الذي هزمه عضد الدولة فناخسرو، البكري، معجم ما استعجم ٣/٨٩٠ وفي معجم البلدان ٦/٣٢ تأويل اخر
٣) في الاصل ومضا
٤) عند البكري المتقدم ذكره وفي ديوان المتنبي ٦٠١ وهشوذان
٥) الديوان صفحة ٦٠١
٦) في الاصل جنا
٧) في الديوان قذم
٨) في الاصل وانثنا

وليت قومي فناء عسكره ولم يكن[1] دانيا ولا شاهد
ولم ينب غاب خليفته جيش ابيه وجده الصاعد

وقدم ابو الفرج بن[2] فسانجس من عمان فقال ابن نباتة يمدحه بقصيدة طويلة منها

لعمري لقد اهدى النصيحة مرة لال عمان خير حاف وناعل
وناشدهم بالله حتى تقطعت عرى[3] القول واغلت عقود الوسايل
فلما راهم[4] لا تثوب حلومهم رماهم بامثال القسي العواطل
فركب اغصان المنية فيهم رواء الاعالي ظاميات[5] الاسافل
سريت لهم ليلا تحول نجومه وهمك في اعجازه غير حايل
كانك اذ جردت رايك فيهم طلعت عليهم في القنا والقنابل
دنا الحق حتى ناله كل طالب وكان بعيدا من يد المتناول
واصبح شمل الناس بعد تبدد ينظم[6] في سلك من الحق عادل

($\frac{٣٦٣}{١٢٤}$) سنة ست وخمسين وثلاثماية

فيها قصد معز الدولة عمران بن شاهين وابى ان يقبل منه مالا وان يقنع الا بحضور بساطه فاعتل من ضرب ذرب لحقه واستخلف على عسكره سبكتكين ورجع الى بغداد وعهد الى ابنه عز الدولة[7] واظهر التوبة واحضر ابا عبدالله البصري وتاب على يده .

وكان مع ابي عبدالله صاحبه ابو القسم الواسطي فكانا اذا حضر وقت الصلاة خرجا من الدار وصليا في مسجد على بابها فسالها عن السبب في خروجهما فقال ابو عبدالله ان الصلاة في الدار المغصوبة عندي لا تصح وساله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن الصحابة رضوان الله عنهم فذكر ابو عبد الله سابقتهم وان عليا زوج عمر ابنته ام كلثوم رضي الله عنهم فاستعظم ذلك وقال ما سمعت هذا قط .

١) في الديوان تكن
٢) في الاصل من
٣) في الاصل عرا
٤) في الاصل رءام
٥) في الاصل شاميات
٦) في الاصل ينضم
٧) في الكامل ٢١/٧–٢٢ وتجارب الامم ٢٣١/٦ عز الدولة بختيار

وتصدق معز الدولة [بـ](١) اكثر ماله واعتق مماليكه ورد شيئا كثيرا من المظالم وتوفي في شهر ربيع الاخر .

قال ابو الحسين بن الشبية العلوي بينما انا في داري على دجلة بمشرعة القصب وكانت ليلة مظلمة والسماء متغيمة وقد اشتد الرعد القاصف ولمعان البرق الخاطف ولم تمض ساعة من الليل(٢) حتى هطلت السماء بعظيم السيل فخرجت الى الروشن لانظر الى السماء واسمع وقع المطر على الماء فاني لواقف اذ سمعت صوت الهاتف يقول .

(٣٦٤/١٢٥) لما بلغت ابا الحسين مراد نفسك في الطلب

وامنت من حدث الليالي واحتجبت عن النوب

مدت اليك يد الردى(٣) فاخذت من بيت(٤) الذهب

فارخت الوقت وكان لاربع ساعات مضت من ليلة الثلاثا سابع عشر شهر ربيع الاول(٥) .

ثم اتصل الوابل فحبس الناس اياما في المنازل فلما انقشع الغمام وانتشر الناس شاع الخبر بان معز الدولة توفي تلك الساعة في تلك الليلة ومولد معز الدولة سنة ثلاث وثلاثمائة(٦) (٩١٥) .

ومن آثاره(٧) سد بثق الرومانيه(٨) وعمل المبيض بالسندية(٩) وسد البثق بالنهروان واسقط المواريث الحشرية وامر بردها الى ذوي الارحام وتسليم مالا مستحق له الى القضاة(١٠) ليصرفوه في مصالح المسلمين .

وكان قد سال المطيع لله ان يطوف في دار الخلافة فشرط عليه ان لا

---

١) في الاصل اكثر وزيادة الباء عن تجارب الامم ٢٣١/٦ يقتضيها السياق

٢) في الاصل الليل

٣) في الاصل الردا

٤) في البداية والنهاية ٢٦٣/١١ بين

٥) في المنتظم ٣٩/٧ الاخر

٦) ترجم له في البداية والنهاية ٢٦٢/١١ والمنتظم ٣٨/٧

٧) في الاصل . اثاره

٨) كذا في الاصل ولعلها الروشانية نسبة الى عين راجع معجم البلدان ٨٣/٣

٩) راجع تعريفا عنها في معجم البلدان ٢٦٨/٣

١٠) في الاصل القضات

يخترق الدار الا في نفسين وتقدم الى شاهد خادمه وابن ابي عمرو حاجبه ان يمشيا[١] بين يديه .

فدخل معز الدولة ومعه الصيمري وحاجبه ابو الحسن الخراساني فقال له الصيمري بالفارسية واصحاب الخليفة لا يعرفونها في اي موضع انت حتى تسترسل اما تعلم انه قد قتل في هذه الدار بالف امير ووزير الس لو وقف لنا عشرة من الخدم في هذه الممرات الضيقة لاخذونا فقال صدقت وان رجعنا الساعة علم اننا قد فزعنا وخفنا وضعفت هيبتنا($\frac{٣٦٥}{١٢٥}$) فقال الصيمري ادن مني فان ماية من الخدم لا يقاومونني .

فانتهوا الى دار فيها صنم من صفر على صورة امراة وبين يديها اصنام صغار فسال عنها فقيل هذا حمل من بلد من بلدان الهند وقد فتح في ايام المقتدر رحمه الله وكان يعبد هناك فقال لو كان مكانه جارية لاشتريتها بماية الف دينار على قلة رغبتي في الجواري واريد ان اطلبه من الخليفة فمنعه الصيمري .

وما رجع الى معز الدولة عقله حتى رجع الى طياره وقال قد رايت محبتي للخليفة وثقتي به ولو اراد بنا سوءا لكنا اليوم في قبضته وتصدق بعشرة الاف[٢] درهم شكرا لله على سلامته .

وفي هذه السنة قتل ابو الطيب المتنبي[٣] وكان عند عضد الدولة بشيراز فودعه بقصيدته التي نعا فيها نفسه وقال فيها اشيا لم يقل في عقبها ان شاء الله منها :

اذا التوديع اعرض قال قلبي	عليك الصمت لا صاحبت فاكا[٤]
وكم دون الثوية من حزين	يقول له قدومي ذا بذاكا
فلو سرنا وفي تشرين خمس	رواني قبل ان يروا[٥] السماكا

١) في الاصل يمشيان ٢) في الاصل . الاف

٣) ذكر في البداية والنهاية ٢٥٦/١١ وفاة المتنبي في جملة اخبار سنة ٣٥٤ والكامل ١٦/٧ ذكرها في جملة اخبار سنة ٣٥٤ ايضاً وفي المنتظم ٢٦/٧ ونحن هذه هي سنة ٣٥٦ وللمتنبي ترجمة في البداية والنهاية كذلك وما اكثر ما كتب عن المتنبي في القديم والحديث راجع مصادر الدراسة العربية ١٧٠/١-١٧٩ ليوسف اسعد داغر ، وجامع التواريخ ١١٧

٤) الديوان صفحة ٦١٩ ومطلعها

فدى لك من يقصر عن نداكا فلا ملك اذن الا فداكا

٥) في الاصل يروا وفي الديوان تروا

قال ابن جني بالغ وبغى[1] في ذكر السرعة لان السماك يطلع لخمس يخلون من تشرين الاول اي كنت اسبقه الى الكوفة بالطلوع عليهم .

وما انا غير سهم في هواء ... يعود ولم يجد فيه امتساكا

يعني في سرعة الاوبة .

ولما قال .

(٣٥٦/١٣٦) واني شئت يا طرقي فكوني ... اذاة او نجاة او هلاكا

قال عضد الدولة يوشك ان تكون منيته في طريقه وعاد وقد اوقره مالا ولما بلغ همانيا[2] مقابل دير العاقول خرج عليه فاتك بن ابي الجهل الاسدي فقاتل المتنبي قتالا شديدا وقتل واصحابه واخذ ماله .

وقال ابو احمد العسكري يجيب ابن هارون وقد رثى[3] المتنبي .

يا شقوة المتنبي ما انيح[4] له ... بعد الكرامة من ذل ومن هون
تقضى منيته في ارض مضيعة ... ويستباح ويرثيه ابن هارون
اني لارثي له مما رثاه به ... قول ركيك وشعر غير موزون
لو كان يسمع شعرا قد رثاه به ... لقام من قبره في زي مجنون

وقال ابو الحسن محمد بن يحيى الزيدي العلوي واقام بعسكر مكرم كان المتنبي ينزل في جواري بالكوفة وهو صبي وابوه يسمى عبدون السقا يستقي[5] لاهل المحلة ونشا هو محبا للعلم والادب وصحب الاعراب بالبادية فجاءنا بعد سنين بدويا وكان لا يعترف بنسبه ويقول متى انتسبت لم آمن[6] ان ياخذني بعض العرب بطائلة بينه وبين قبيلته وكان اخوه ضريرا يتصدق ببغداد وادعى[7] انه حسيني ثم ادعى[7] بكلاب انه نبي فاشرف على القتل ثم استتابوه .

١) في الاصل وبغا
٢) الكامل ١٦/٧ قال : قريباً من النعمانية وللاستاذ يعقوب سركيس بحث في موضع مقتل المتني في كتابه مباحث عراقية ٧٠/٢
٣) في الاصل رثا
٤) في الاصل تيح
٥) في الاصل ستقي
٦) في الاصل . امن
٧) في الاصل وادعا

قال التنوخي[١] كنت احب ان اسال[٢] المتنبي عن سبب لقبه فكنت استحي لكثرة من يحضر (٢٦٧/١٢٩) مجلسه ببغداد فلما جاء الاهواز ماضيا الى فارس قلت في نفسي شيء احب ان اسالك عنه فقال عن لقبي قلت نعم فقال هذا شيء كان في الحداثة اوجبته صورة .

قال التنوخي فما رايت في[٣] دهشة الفت منها لانه يحمل المعنى انه كان نبيا اذا عمد الكذب او ان عنده انه كان صادقا الا انه اعرف بذلك .

امارة عز الدولة ابي منصور بختيار[٤]

ابن معز الدولة كانت امارته احد عشر سنة وشهورا[٥] .

وكان عز الدولة من احسن الناس واشدهم قوة كان يصرع الثور الجلد بيديه من غير حبال ولا اعوان يقبض على قوايمه [و]يطرحه الى الارض حتى يذبح وكان يقبض على رقبتي غلامين بيده وهو قايم وهما قايمان ويرفعها من الارض وهما يصيحان ويضطربان ولا يمكنها الخلاص .

وكان من قوة القلب على امر عظيم وبارز في متصيداته غير اسد وطرقه اسد على غفلة وثب على كفل فرسه فضربه بخشبة وقاتله .

وخلع عليه الخليفة وطوقه وسوره وكتب عهده .

وفي هذه السنة لحق ابا علي بن الياس علة الفالج[٦] وخالفه اولاده[٧] .

فملك عضد الدولة كرمان .

ومضى ابو علي الى خراسان تنادم صاحبها واطمعه في ملك الديلم فانفذ .

---

١) جامع التواريخ ١١٧/٨–١١٨

٢) في الاصل اسئل

٣) كذا في الاصل , واني لم اجد هذا القول مذكورًا في جامع التواريخ للتنوخي في خبر المتنبي بنا القول السابق مذكور

٤) ذكر في البداية والنهاية ٢٦٣/١١ تتفًا من اخباره وفي يتيمة للثعالبي ١٩٧/٢ له ترجمة وشعر

٥) العنوان وهذا السطر كُتب بخط اكبر

٦) في الاصل القالج

٧) ذكرهم في الكامل ٢٧/٧ وهم اليسع ، والياس ، وسليمان

صاحبه محمد بن ابراهيم بن سمجور (٣٦٨/١٢٧) ومعه هدايا الى الحسين بن الفيروزان والى وشمكير وجمل الى وشمكير تدبيز الجيش[1] .

وكاتب ركن الدولة عضد الدولة يستمده وكفي وشمكير بالموت فانه ركب فرسا ادهم حسن الصورة ونهاه منجمه على الركوب فعارضه خنزير قد افلت من حربة رمي بها فشب الفرس ووشمكير غافل فسقط على دماغه فخرج من انفه دم وحمل ميتا وكتب ابن العميد في ذلك كتابا اوله الحمد لله الذي اغنى[2] بالوحوش عن الجيوش . وقال اخذت هذا من كتاب كتبه صبي بين يدي عمرو بن مسعدة وقد ولدت بقرة آدميا[3] فقال له عمرو اكتب في ذلك فكتب كتابا اوله الحمد لله خالق الانام في بطون الانعام فحسد عمرو الصبي وخاف ان يشمم فتير بلاغته فاخذ الدرج من يده .

واجتهد عز الدولة بسبكتكين ان يخرج الى الجيش لمساعدة عمه ركن الدولة فلم يفعل فانفذ الفتكين ووصل الى الري وقد وقع الفنا عنه .

وفي شعبان خلع على القاضي ابي محمد بن معروف وولي القضا بالجانب الغربي .

وخلع على ابن سيار وقلد القضا بالجانب الشرقي .

وفيه توفى ابو جعفر هارون بن المعتضد بالله .

وفي ذي الحجة توفي مفلح الاسود خادم المقتدر بالله بمصر .

وفيه قبض ابو تغلب[4] بن حمدان على ابيه ناصر الدولة حين كبر وساء خلقه فانفذ اليه بالخلع واللواء من الحضرة .

وفي هذه السنة توفي (٣٦٩/١٢٧) كافور الاخشيدي[5] صاحب مصر .

— قال ابو جعفر مسلم بن طاهر العلوي ما رايت اكرم من كافور كنت اسايره يوما وهو في موكب خفيف مويد متنزها وبين يديه غلمانه وعدة جنايب بمراكب ذهب ومراكب فضة وخلفه بغال الموكب والفرس كما تكون الملوك

---

١) كذا في الاصل ولعله يريد الجيش
٢) في الاصل اغنا
٣) في الاصل ءادميا
٤) في الاصل ثاب
٥) ترجم له في البداية والنهاية ٢٦٤/١١ و ٢٦٦ تتمة وفي وفيات الاعيان ٤٣١/١

فسقطت مقرعته من يده ولم ترها ركابيته فنزلت من دابتي واخذتها من الارض ودفعتها اليه فقال يا ابا جعفر اعوذ بالله من بلوغ الغاية مـا ظننت ان الزمان يبلغني الى ان تفعل هذا ثم ودعني فلما سرت التفت فاذا خلفي البغـال كلها والجنايب فقلت ما هذا فقالوا امر الاستاذ ان يحمل هذا اليك فادخلته داري وكانت قيمته زيادة على خمسة عشر الف دينار وحكاياته عن المتنبي مشهورة .

وفي هذه السنة هلك سيف الدولة[1] ونصب غلمانه ابنه ابا المعالي بحلب .

وغزا سيف الدولة الروم اربعين غزوة له وعليه .

ومن شعره

تجنى عليّ الذنب والذنب ذنبه وعاتبني ظلما وفي جنبه[2] العتب
واعرض لما صار قلبي بكفه فهلا جفاني حين كان لي القلب
اذا برم المولى بخدمة عبده تجنى[3] له ذنبا وان لم يكن ذنب

وكان قد ترك الشرب لمواصلة الحرب فوردت مغنيه من بغداد ولم يكن ابا فراس ان يدعوها قبله فكتب اليه .

محلك الجوزاء او ارفع وصدرك الدهناء او اوسع
(٢٥٠/١٢٨) وقلبك الرحب الذي لم يزل للجد والهزل بـه موضع
رفه بصرع الدرد سمعا غدا قرع العوالي جل[4] ما يسمع[5]

فامر بعمل[6] المجلس واستدعى[7] بها وبالجماعة وبلغت الابيات المهلبي فامر ان يصاغ لها لحنا .

ويحكي ان سيف الدولة لما ورد الى بغداد وقت توزون اجتاز وهو راكب

---

١) ترجم له في البداية والنهاية ٢٦٣/١١ والثعالبي في يتيمة الدهر ١١/١

٢) في يتيمة الدهر ٢٥/١ شقه

٣) في الاصل تجنا

٤) في الاصل حل

٥) وورد بعده في الديوان ٢٤٣/٢ ، قوله

فجودك الناس ما ينقضي وفضلك الباهر لا يدفع

٦) في الاصل يعمل ولعل الصواب ما ذكرنا

٧) في الاصل واستدعا

فرسه وبيده رمحه وبين يديه عبد له صغير وقصد الفرجة وان لا يعرف فاجتاز بشارع دار الرقيق على دور بني خاقان وفيها فتيان فدخل وسمع وشرب معهم وهم يعرفونه وخدموه ثم استدعى[1] عند خروجه الدواة فكتب رقعة وتركها فيها ثم انصرف ففتحوا الدواة فاذا في الرقعة الف دينار على بعض الصيارف فتعجبوا وحملوا الرقعة وهم يظنونها ساذجة فاعطاهم الصيرفي الدنانير في الحال والوقت فسألوه عن الرجل فقال ذاك سيف الدولة بن حمدان .

وقال الببغا يرثيه بقصيدة منها

حلف المدايح بعد [ك] التابين	عن اي حادثة يعزى الدين
ما كان في الدنيا كيومك مشهد	جر العقول ولا تراه يكون
لم يبق محذورا فكل مصيبة	جلل لديه وكل خطب دون
هب للهدى من بعد فقدك سلوة	فحراكه مذ غبت عنه سكون
ابقى[2] نعيك في القبائل لوعة	فيها لمنهرب الدموع معين
اربعة الفرس استجدى نجدة	فهول عزك بالمصاب حزون
$(\frac{٢٥١}{١٨٣})$ كل كانت امي ولكن بالمجى[3]	بتفاضل المخزون والمحزون
ولى بسيف الدولة العز الذي	كانت عليه به الخطوب تهون

سنة سبع وخمسين وثلاثماية

وزارة ابي الفضل الشيرازي

فيها قلد عز الدولة ابا الفضل العباس بن الحسين الوزارة وخلع عليه واقطعه اقطاعا بخمسين الف دينار .

واظهر ابو الفرج الامتناع من العمل فالزمه وخلع عليه الدراعة .

وقال ابن الحجاج يهني ابا الفضل .

---

١) في الاصل استدعا

٢) في الاصل ابقا

٣) في الاصل ولكن بالمحا

هذا لواء العلا والمجد قد رفعا والبدر بدر الدجى[1] للتم قد طلعا
وكان بالامس لطخ دون رويته بالامس فانغاب هذا اللطخ[2] وانقطعا
فاليوم اصبح شمل الخوف مجتمعا يشكو الشباب وشمل الامن مجتمعا
قد اذعن الناس وانقادوا لسيدهم فمن تحرك منهم بعدها صفعا
فديت من لم اكن بالنفض[3] مكتحلا خوفا عليه ولا بالعيش منتفعا
حتى كفى[4] الله مولانا وخيب من سعى[5] عليه وفي ايامه طمعا
ومر بي سايرا في موكب لجب لو جاجل الرعد في قطريه ما سمعا
مني[6] علي وقلبي طاير جزعا اخشى[7] الشار هلى مولاي ان يقعا
فليت لي بدرة منها مكسرة الف وسايرها ضرب كما طبعا
حتى اذا مر مجتازا بمسكره نثرت منها الصحاح الدق والقطعا
والضرب في البيت عندي كنت ارفعه فانه جرف يبني ربما نفعا
(٢٥٣/١٢٦) ولو تلوح من مولاي لي فرج نثرت غلتها ثم الصحاح معا
لكن[8] ابقي لنفسي ما اعيش به فان رزقي مرفوع قد انقطعا

وكان الحبشي بن معز الدولة قد تغلب على البصرة .

فانحدر الوزير ابو الفضل الى الاهواز واستخلف ابو العلا صاعدا[9] وكاتب الحبشي يسكنه ويامره بانفاد مال فانفد اليه مايتي الف درهم فانفذها الوزير الى عز الدولة .

ثم ظفر الوزير بالحبشي وامنه وانفذه الى عمه ركن الدولة واستخلف على البصرة المرزبان ابن[10] عز الدولة .

---

١) في الاصل الدجا
٢) في الاصل اللطخ
٣) في الاصل بالعمض
٤) في الاصل كفا
٥) في الاصل سما
٦) في الاصل مضا
٧) في الاصل اخشا
٨) الاصل لاكن
٩) في تجارب الامم ٢٤٣/٦ ابو العلاء صاعد بن ثابت النصراني
١٠) في الاصل بن

وفي ليلة النصف من شعبان مات المتقي لله ابراهيم بن المقتدر بالله[1] في داره التي على دجلة المعروفة بابن كندا جميق ودفن في دار تحاذيها .

وفي شوال قدم ابو احمد الشيرازي من شيراز فاخبر ان عضد الدولة توجه الى كرمان لينزعها من يد اليسع وخطب بنت عز الدولة للامير ابي الفوارس بن عضد الدولة وكان الخطيب في العقد لها بكر بن قريعة وثبتت وكالة ابي احمد عند ابن معروف من عضد الدولة بعقد النكاح لابنه لصغره وكتب كتابين من نسخة واحدة على صداق مائة الف دينار .

وورد الخبر بوفاة[2] الحسن بن الفيروزان بالبلاد التي تغلب عليها من جرجان.

وفي هذه السنة توفي ابو الفرج علي ابن الحسين الاصفهاني صاحب الاغاني[3] وهو من ولد مروان ابن محمد الاموي ومولده سنة أربع وثمانين ومايتين (٨٩٧) ولم يعرف ($\frac{٢٥٣}{١٢٩}$) اموي تشيع سواه وله في المهلبي تهنية بابن ولد وله من سرية رومية .

اسعد بمولود اتاك مباركا	كالبدر اشرق جنح ليل مقمر
سعد لوقت سعادة جاءت به	ام حصان من بنات الأصفر
متبجح في ذروتي شرف الورى	بين المهلب منتماه وقيصر
شمس الضحى[4] قرنت الى بدر الدجى[5]	حتى اذا اجتمعا اتت بالمشتري

ويروى ان المهلبي دخل الى تجني فلما راها[6] تمثل :

فما انس لا انس اقبالها	تميس كغصن سقته الرهم
وقد برزت مثل بدر السما	ء في الطلوع علوا وتم
على راسها معجر[7] ازرق	وفي جيدها سبحة من برم

١) ترجم له تتمة في البداية والنهاية ٢٦٥/١١ والمنتظم ٤٣/٧ والسيوطي ٢٦١ في تاريخ الخلفاء وراجع بشأن موته السيوطي ايضا ، تاريخ الخلفاء ص ٢٦٣

٢) في الاصل بوفات

٣) ورد في الكامل ٢٥/٧ خبر وفاة ابي الفرج في جملة اخبار سنة ٣٥٦ وسنتنا هذه هي سنة ٣٥٧ وترجم للاصفهاني في البداية والنهاية ٢٦٣/١١ ويتيمة الدهر ٩٦/٣ وقد الف الاستاذ خلف الله كتاباً في الاغاني وصاحبه وللاستاذ شفيق جبري دراسة . وراجع مصادر دراسته في مصادر الدراسة الادبية للاستاذ يوسف اسعد داغر ١٦٦-١٦٧ - مراجع عنه

٤) في الاصل الضحا ٥) في الاصل الدجا ٦) في الاصل رءاها

٧) قال في اقرب الموارد ص ٧٤٦ المعجر بالكسر ، ثوب تعتجر به المراة اي تشده على راسها

ولم ترتقب لطلوع الرقيب ولم تحتشم من حضور الحشم
لقد سوتني بانضمام السرور واسقيتني بـا شفاء السقم
بجودك عن عفر في الكرى[1] وبخلك مسؤوله[2] عن امم
اهـذا المزار ام الازوار والمامكم الم او لم

فقالت له تجني تتشل بشعر قايله ولا تزيل شنه قـال ومن هو قايله قالت الاصبهاني يمدحك به ويقول فيه :

فداؤك نفسي هـذا الشتا علينا بسلطانه قد هجم
ولم يبق من سني درهم ولا من ثيابي الا رمم
يوثر فيها نسيم الهوا وتخرقها خافيـات الوهم
فانت العماد ونحن الغفـاة[3] وانت الرئيس[4] ونحن الخدم ($\frac{٢٥٦}{١٣٠}$)

فامر له بمال

سنة ثمان وخمسين وثلاثماية

في المحرم مات ابو احمد الفضل بن عبد الرحمـان بن جعفر الشيرازي ومن شعره :

اهلا وسهلا بالحبيب الذي يصفيني الود واصفيـه
محاسن الناس التي فرقت فيهم غدت مجموعة فيه
قد وضح البدر باشراقه والغصن غضا بتثنيـه
افديه . احبـه وقلت له من عبده افديه احيه

وفي هذه السنة اتى الهجريون عين التمر فتحصن منهم ضبة العيني بشفاثا فاستاقوا المواشي وانصرفوا .

واتى ملك الروم طرابلس فاحرق ربضها واخذ من بلدان الساحل ماية الف شاب وشابة وعزم على قصد بيت المقدس فهاب القرامطة وقد كانوا نزلوا الشام واوقعوا بابن عبدالله بن طغج .

---

١) في الاصل الكرا بالمد
٢) في الاصل مسئولة
٣) في الاصل العفات
٤) في الاصل الرءيس

وفي جمادى الاخرة مات الامير ابو جعفر بن الراضي بالله وكان نازلا بالرصافة .

وفيه كثر ببغداد موت الفجاة .

وبلغ الكر زيادة على تسعين دينارا .

ولم ترد دجلة والفرات والنهروان في هذه السنة .

وفي هذه السنة خطب لعضد الدولة بسجستان واستخلف على كرمان ابنه شيرزيل ($\frac{٣٥٥}{١٣٠}$) ووجد الاكراد في جبل جلود الوقيعة بسيل كشف عزارج[١] معقود فيه مال وصياغات ودراهم في كل درهم منها خمسة دراهم وفي احد وجهيه صورة بقرة وعلى الوجه الاخر صورة انسان وعليه كتابة رومية .

وكان ابو تغلب قد سلم الى اخيه حمدان الرحبة ثم اساء الى وكلايه فكتب اليه حمدان يحلف بطلاق[٢] ابنة سعيد بن حمدان وبكل يمين انه ان احوجه استعان عليه بالديلم فان انتصف والا استعان بالقرامطة فان بلغ غرضا والا استعان بملك الروم فكان جواب ذلك من ابي تغلب ان قبض ضياعه وطرد وكلاءه وانفذه اخاه ابا البركات فانتزع الرحبة من يد حمدان .

فدخل حمدان بغداد في شهر رمضان وتلقاه عز الدولة وسبكتكين في ميدان الاشنان وانزله في[٣] دار ابن رزق الكاتب النصراني وحمل اليه مائة وخمسين الف درهم وثلاث مائة ثوب اصنافا من ديباج وعتابي ودبيقي وثلاثون راسا بغالا وخيلا وجمالا وسبع مراكب ذهبا وكاتب اخاه يسفر في الصلح بينهما فتم ذلك ولما خرج شيعه عز الدولة وحمل اليه اكثر مما حمله اولا عند قدومه .

وحكي انه يوم دخوله صدم سبكتكين المجم احد القواد فقتله ورضح فرسه صاعدا فاعتل فلما وصل وافاه القاضي ابو بكر بن قريعة مسلما فقال حاجبه ان الامير نايم فعاد فلقيه انسان فقال من اين جاء القاضي ($\frac{٣٥٦}{١٣١}$) فقال اتينا حمدان وافدا ولاخيه مباعدا فقتل قايدا ورضح صاعدا وظل[٤] راقدا

---

١) كذا في الاصل

٢) في الاصل بالطلاق

٣) في الاصل مكررة

٤) في الاصل دخل

وقال ابن نباتة في حمدان قصيدة منها :

اليك صحبنا اليوم ترعد شمسه	وحيرة ليل اسود النجم فاحم
ودهرا ست حيتانه في سمايه	وانجمه في بحره المتلاطم
الى سده ان ينخف عنابنا	وما الظلم فيه غير شكوى الظالم
تكون بها انفاسنا وحديثنا	مدايح حمدان الملك القاتم .
فتى لم ترق ماء الشبيبة شعره	على المد حتى رام شم المراوم
اخو الحرب يثني جيدها[1] وهو صارم	ويسلم منها والقنا غير سالم
فتى لا يرى[2] ان الهموم مصايب	وان سرور العيش ضربة لازم
يومل في امواله كل آمل[3]	ويرحم من اسيافه كل واحم
اذا السيف لم يستنزل الهام لمه	فما هو من آرايه[4] والعزايم
ليهنيك جد يفلق الصخر جده	ويجتك صدر الجحفل المتلاطم
وانك لا تلقى الندى[5] غير باسم	اليه ولا صرف الردى[6] غيرى حازم

وسار حمدان عن بغداد وخلف حرمه واولاده وشيعه عز الدولة فلما وصل الى الرحبة عاد الخلف بينه وبين اخيه وانفذ ابو تغلب اخاه ابا البركات فانتزع الرحبة من يد حمدان وسار حمدان عنها في البر الى تدمر ففقد زاده ولحقه عطش شديد فعاود الرحبة ودخلها من ثلم عرفها وقد ترك ابو البركات اصحابه فيها واصعد الى الرقه فاستولى حمدان على دخايره $(\frac{٣٥٨}{١٣١})$ وامواله واصحابه .

فبلغ ذلك ابا البركات فانحدر فتلقاه حمدان وعدتـه قليلة وقال لاصحابه لا بد من الصبر فقاتل فنصر وقتل ابا البركات وانفذه الى اخيه ابي تغلب في تابوت فدفن يسل توبه واعتذر بانه دفع عن نفسه بقتله فقـال ابو تغلب والله لالحقنه به ولو ذهب ملكي .

وقبض ابو تغلب على اخيه ابي الفوارس محمد صاحب نصيبين وعرف انـه وافق حمدان على الفتك به .

---

١) في الاصل حيدها
٢) في الاصل لا يرا
٣) في الاصل ، امل
٤) في الاصل ، ارايه
٥) في الاصل الندا
٦) في الاصل الردا

ولما عرف هبة الله بن ناصر الدولة ما جرى على ابي الفوارس ثار به المرار وانكر فعل ابي تغلب .

وكتب الحسين ابن ناصر الدولة الى اخيه ابي تغلب وهو صاحب الحديثة يقول ان الله قد وفق الامير في افعاله ونحن وان كنا اخوة فنحن عبيد ولو امرني بالقبض عليه لفعلت فقال ابو تغلب هذا كتاب من يريد ان يسلم .

وانحدر حمدان واخوه ابو طاهر ابراهيم الى بغداد

وكان عز الدولة بواسط فانحدر اليه فتلقاهما وانزل حمدان دار ابي قرة وانزل ابا طاهر ابراهيم في دار ابي العباس بن مروق وحمل اليهما هدايا كثيرة واصعدا معه الى بغداد .

وفي شهر رمضان قدم الوزير ابو الفضل العباس بن الحسن من الاهواز وتلقاه عز الدولة واصعد الى بغداد .

وفيه مات ابو الحسين الكوكبي العلوي الذي كان يتقلد نقابة الطالبيين.

وفي ذي القعدة انحدر ابو اسحاق بن معز الدلة الى دار $(\frac{٣٥٨}{١٣٢})$ السلطان ووصل الى المطيع لله .

وعقد لعضد الدولة على كرمان وانفذ اليه الخلع واللواء والطوق والسوارين .

وفيه نقل عز الدولة اباه معز الدولة الى تربة بنيت له بمقابر قريش بعد ان كفنه وطيبه ومشى بين يدي تابوته الوزير ابو الفضل والرئيس[١] ابو الفرج والامرا من الديلم والاتراك وملك الروم والانطاكية يوم النحر .

سنة تسع وخمسين وثلاثماية

فيها فتح الروم مناز كردم[٢] من اعمال ارمينية بالسيف .

وفي شهر ربيع الاول صرف القاضي ابو بكر بن سيار عن القضا في حريم دار الخلافة وتولاه ابو محمد بن معروف .

وفي هذه السنة اقام ابو المعالي بن سيف الدولة الخطبة في اعماله واعمال فرعونة للخارج بالمغرب .

---

١) في الاصل والرئيس

٢) في الكامل ٣٧/٧ ملاذ كرد

وفي آخرها[١] قبض على الوزير ابن ابي الفضل الشيرازي وتولى الوزارة مكانه ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس وقال ابن الحجاج يمدحه .

يا وزيرا بنوره طلعت انجم المدى[٢]
صحن خدى لارض نعلك يا سيدي الفدا
بك قامت سوق النوال وقد اصبحت سدى[٣]
وسمنا فيها الندا على الجود والندى[٤]

فاما ابو الفضل العباس بن الحسين الشيرازى فولده بشيراز سنة ثلاث وثلاثماية (٩١٥) .

وورد مع معز الدولة بغداد وناب عن المهلبي وصاهره على بنته زينة من تجنى[٥] وكان ذلك ($\frac{٣٥٩}{١٣٢}$) سبب تقدمه ثم فسد ما بينهما وكان واسع المروة والصدر وداره على الصراة ودجلة وهي التي كانت بستانا لنقيب النقبا الكاملي وانتقلت الى الفضلوني وانفق عليها ابو الفضل زايدا على ماية الف دينار ثم احترقت فامر عضد الدوله بسطها بستانا .

وعمل دعوة لمعز الدولة وجعل في وسط السماط قصورا[٦] من السكر فيها[٧] مخانيث واغاني يغنون ويرقصون ولا يشاهدون وقطع دجلة من فوق الجسر الى دار الخلافة[٨] بالقلوس الغلاظ وطرح الورد فيها حتى ملاها وغطى[٩] دجلة .

ولم يترك[١٠] ببغداد قيان[١١] الا احضره وذلك في سنة اربع وخمسين وثلاثماية (٩٦٥) . (يتبع)

---

١) في الاصل • اخرها
٢) في الاصل المدا
٣) في الاصل سدا
٤) في الاصل الندا
٥) في الحاشية التي نقلها امدروز في تجارب ٢٦٩/٦ ' حذفها
٦) في تجارب الامم ٢٩٦/٦ الحاشية رقم ١ قصرا
٧) مكرر في الاصل
٨) في الاصل تكرر قوله الى دار الخلافة
٩) في الاصل وغطا
١٠) في الاصل سبق ولم يترك ' ولم يزل
١١) في الاصل قيانا

المجمع البلدي

الذي عقده البطريرك بولس مسعد بامر البابا بيوس التاسع

في دير سيدة بكركي سنة ١٨٥٦

نشره وعلق عليه الاب بولس مسعد مدير الاصول التاريخية

تمهيد

في الثالث من تشرين الثاني سنة ١٨٥٤ انتقل الى رحمة مولاه البطريرك يوسف الخازن ، فاجتمع مطارنة الطائفة المارونية لاختيار خلف له . فانتخبوا بالصوت الحي المطران بولس مسعد بطريركاً انطاكياً في الثاني عشر من الشهر المذكور والسنة نفسها .

وفي ١١ و١٢ و١٣ من نيسان سنة ١٨٥٦ عقد البطريرك مسعد بامر البابا بيوس التاسع مجمعاً في دير سيدة بكركي اسماه « المجمع البلدي » ترأسه ، بالنيابة عن الحبر الاعظم سيادة المطران يولس بروبوني ، القاصد الرسولي في سوريا.

وصف هذا المجمع المطران اغوسطين بستاني فقال : « هو احسن واطول مجامع الموارنة بعد المجمع اللبناني ، وقد اودع فيه عبطته كنوز علمه ومعارفه اللاهوتية والتاريخية ، وطبقه على قواعد المجمع اللبناني كل التطبيق . ومن يطالعه بدقة وامعان يلقَ من آثار القداسة والدراية والسداد ما يبهج الخواطر ، ويسلب الالباب .

» وعلى اثر هذا المجمع المبارك اذاع التعليمات الكنسية على اكليروس طائفته من كل رتبة ومقام ليجتهدوا في اتمام واجباتهم الرعائية ، حسب نصوص المجمع اللبناني ، وسائر المجامع المقدسة . ونشر المراسيم الخلاصية على ابنائه ، الشعب الماروني ، ليقبلوا على ايفاء فروضهم الدينية ، ويحيوا بوحدة المحبة والوئام ، ويحرصوا على جوهرة الايمان القديم التي ورثوها من آبائهم واجدادهم الاماجد

سالمة من كل عيب ، ويخلصوا الطاعة للسلطتين الروحيـة والزمنية ، ويرتبطوا بوثق الوثاق والوفاء مع من تجمعهم واياهم الوحدة البشرية . وكان يتضوع من معاني اقواله السامية ، وارشاداته الناجعـة شذا فضائله ، ويفوح عبير شمائله ، وعلمت المراجع العالية ، وكل من جالسه ، او طالع مناشيره ، واوامره ، ومناهيه انه حبر همام ، وقائد مقدام ، ورسول للسلام ، وعاقد للوئام ، وناشر للخير العـام بين الانام[1] وفوق ذلك ان هذا المجمع هو اسلم لغة من جميع المجامع الطائفية التي سبقته .

« وبعد انعقاده ارسلت اعماله الى روما ، فكتب البابا بيوس التاسع براءة مؤرخة في ٢ من حزيران سنة ١٨٥٦ يمدح بها البطريرك والمطارنة على عقدهم هذا المجمع ، الا انه لم يثبته لاسباب ما تزال طي الخفاء.[2] ».

وقبل نشر نصوص هذا المجمع ، ووصف النسخة التي نقلنا عنها ، نرى من الموافق ان نذكر بايجاز سلسلة المجامع الطائفية المارونية التي وصلت الينا اخبارها. قال المرحوم الخوري جرجس منش : «لم يبق الزمان وجوائحه على الآثار المارونية وغيرها من الآثار الشرقية المهيدة ، ومـا عف عنه المجتاحون التهمته النار ، وما نجا من النار انفرد به الخواص . . . وعليه لاعجب ان غـاب عن الموارنة اخبار مجامعهم القديمة في القرون الوسطى ، ولم يقفوا على غير المنعقد منها في العصور المتأخرة . وهي عند العلامة المغبوط البطريرك بولس مسعد ثلاثة عشر ، وعند الاب الفاضل ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني اربعة عشر ، وعندي ستة عشر »[3].

اما الحقيقة فعدد المجامع المارونية المعروفة لدينا ١٧ كما سترى فيما يلي :

الاول : عقده البطريرك موسى العكاري سنة ١٥٥٧ ، على ما ذكر العلامة البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخ الازمنة[4] .

---

١) راجع المشرق سنة ١٩٣٠ ص ٧٢٥ و٧٢٦ .

٢) راجع مجلة المنارة سنة ١٩٣٧ ص ٧٩٢ .

٣) التحفة الادبية في ثلاثة مجامع مارونية ، للخوري جرجس منش ، مطبعة الارز في جونية سنة ١٩٠٤ ص ١١ .

٤) نشره الاب توتل اليسوعي في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٥٠ ص ٢٦٠ .

الثاني : وضعه باللاتينية الابوان يوحنا اليانو ، ويوحنا برونو اليسوعيان ، ثم نقله احدهما الاب اليانو الى العربية نقلاً ركيكاً ، وعرضاه على البطريرك ميخائيل الرزي وسائر اساقفة الطائفة فدرسوه وذيلوه بتواقيعهم. وقد تم ذلك في ١٦ من آب سنة ١٥٨٠ في دير سيدة قنوبين[1] .

الثالث : انعقد في ١٨ من ايلول سنة ١٥٩٦ على عهد البطريرك سركيس الرزي ، وبرئاسة الاب ايرونيس دنديني اليسوعي القاصد الرسولي[2] .

الرابع : اجتمع في ٣ من تشرين الثاني سنة ١٥٩٦ على عهد البطريرك يوسف الرزي[3] .

الخامس : عقده البطريرك السابق ذكره في هيكل مرت مورا بضيعة موسى في سنة ١٥٩٨ . روى مشتملاته الخوري بطرس التولوي[4] .

السادس : انتداه البطريرك يوسف حليب العاقوري في دير مار يوحنا حراش في الخامس من كانون الاول سنة ١٦٤٤ ، ونشرته مجلة المشرق (٦ : ٨٨٨—٨٩٧).

السابع : جمعه العلامة البطريرك اسطفان الدويهي . قال البطريرك مسعد ، كما سترى فيما بعد ، ان الدويهي جمعه على ضلال سلفسترس القبرصي بطريرك الروم المشاقين في اواخر القرن السابع عشر ، وقلده في هذا القول كثيرون ، انما ارى ان صح عقد هذا المجمع على ضلال سلفسترس فعاقده البطريرك يعقوب عواد لا الدويهي ، وان صح ان الدويهي عاقده ، فعلى ضلال كيرلس الزعيم الحلبي الذي افحمه الدويهي بحضرة امير الدروز ، وما ذلك الا لان الدويهي رقد بالرب سنة ١٧٠٤ ، وسلفسترس القبرصي ارتقى البطريركية سنة ١٧٢٤ (عن التحفة باقتضاب ص ١٤ و ١٥) .

الثامن : المجمع الشهير الذي كان التامه في ٣٠ من ايلول سنة ١٧٣٦ في

---

١) راجع نص هذا المجمع الذي نشرناه وعلقنا عليه في المشرق سنة ١٩٣٦ من ص ٤١٥ الى ٤٤٢ .

٢) تاريخ الازمنة ص ٢٨٩ .

٣) ذيل المجمع اللبناني ص ١٧ .

٤) التحفة الادبية ص ١٣ .

دير سيدة اللويزة في كسروان برئاسة العلامة يوسف سمعان السمعاني الكبير[1].

التاسع : عقده البطريرك سمعان عواد في ١٢ من ايلول سنة ١٧٤٤[2].

العاشر : جمعه البطريرك سمعان السابق الذكر في ٢٨ من تشرين الثاني سنة ١٧٥٥[3].

الحادي عشر : انتظم شمله بامر البطريرك طوبيا الخازن في ٢٥ من آب سنة ١٧٥٦[4].

الثاني عشر : عقده البطريرك يوسف اسطفان في ١٦ من ايلول سنة ١٧٦٨، ونشره الاب بولس عبود في كتابه الاصول المحجوبة ص ٢٢٦، م ١، مطبعة التوفيق في بيروت ١٩٠٩ .

الثالث عشر : التأم على عهد وكالة المطران ميخائيل جرجس الخازن عن البطريرك يوسف اسطفان اذ كان محطوطًا عن درجته بامر الكرسي الرسولي في شهر تموز من سنة ١٧٨٠، ونشره الاب عبود في كتابه المشار اليه ص ٣٩٧ .

الرابع عشر : جمعه البطريرك يوسف اسطفان في ٦ من ايلول سنة ١٧٨٦، ونشره الاب عبود في الموضع المذكور ص ٢٢٦، م ٢ .

الخامس عشر : عقده البطريرك يوسف اسطفان في ٣ من كانون الاول سنة ١٧٩٠ ونشره عبود ايضًا ص ٤٩٣ م ١ .

السادس عشر : جمعه البطريرك يوحنا الحلو والسيد لويس غندلفي في ١٣ من نيسان سنة ١٨١٨ في دير سيدة اللويزة . وقد نشرناه في الاصول التاريخية المجلد الاول ص ٥٩٨ .

---

١) راجع الذكرى القرنية الثانية للمجمع الاقليمي اللبناني طبعناه في مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونيه ١٩٣٦ وردنا على الاب ميخائيل الرجي المطبوع في المطبعة المارونية في حلب سنة ١٩٣٧

٢) التحفة ص ١٥

٣) نشره منش في التحفة الادبية ص ٥٥-٧١

٤) نشره منش في الكتيب المار ذكره من ص ٧٢ الى ص ٨١

السابع عشر : انتداه البطريرك بولس مسعد في بكركي في ١١ من نيسان سنة ١٨٥٦ وهو الذي سننشره الآن[1] .

اما النسخة التي سنعتمد عليها للنشر فحفوظة في مدرسة القديسين بطرس وبولس في عشقوت ، ومجلدة تجليدًا حسنًا ، وحالتها جيدة ، وصفحاتها مرقومة وعددها ٢٥٩ ، وناسخها الخوري يوسف حريق ، وعليها توقيع الخوري يوسف المريض الذي رسم اسقفًا في ١٨ من نوار سنة ١٨٥٦ . وهاك الآن بعد هذا التمهيد المسهب نص المجمع :

الاب بولس مسعد
مدير الاصول التاريخية

١) راجع في شأن هذه المجامع كتاب الارث الماروني للاخوين الخوري بطرس آصاف ويوسف ح . آصاف ، مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونية سنة ١٩٥٤ من ص ٢٧٣ الى ص٢٩٧ ؛ وبحثا آخر بالفرنسية عن المجامع المارونية من سنة ١٥٥٧ الى سنة ١٦٤٤ للمطران بطرس ديب .

[١] فهرست

اعمال المجمع البلدي المنعقد من روسآء الطائفة المارونية في ١١ نيسان سنة ١٨٥٦ في دير سيدة بكركي من معاملة كسروان

[٣] فهرست الحواشي

قوانين دير الموارنة الموجود في رومية عدد ١٨ ص ٢١١ .

كتابة السيد البطريرك ، والمطارنة ، والاساقفة لقداسة البابا بيوس التاسع في شأن اثبات هذا المجمع البلدي ص ١١٩ (كذا) .

كتابة المذكورين لمجمع انتشار الايمان المقدس في شأن هذا المجمع البلدي ص ٢٢١[1] .

كتابة مجمع انتشار الايمان المقدس للبطريرك يوسف الخازن

ايها السيد الكلي الشرف والاحترام .

ان العادة التي اندرجت في الطايفة المارونية في عدم عقد مجمع كل ثلث [٥] سنوات بموجب رسم القوانين المقدسة ، والنسيان الذي اوُدعت بـه لاجل هذا السبب خاصة جملة ترتيبات مفيدة للمجمع اللبناني قد جعلا ان يتقدم لهذا المجمع تشكيات وامراضات مختلفة حتى من طرف اخصّ السلطات الكنايسية لكي يصير التحريض لسيادتكم على عقد مجمع يمكن ان يتقرر فيه رسم جملة قضايا من التهذيب الكنايسي مهمول حفظها ليس بدون ضرر جسيم روحي لتلك الطايفة . فلاجل ذلك فيما اني ابادر في تحريري الحاضر لاحرّض سيادتكم حتى باسم قداسته ايضاً لكي تريدوا ان تعتدوا بالاهتمام الممكن . فيسرّني ايضاً ان اوضح لكم انه لاجل زيادة شرف الاجتماع ، ولكي يجري كل شي باحسن نظام ، وباكثر هدو ، فقد تنازل الاب الاقدس ، ورسم في ان يجلس على اسمه راسا على المجمع المذكور ذلك القاصد الرسولي . وفيما اني عازم في ان اوجه للمذكور باقرب وقت مثل هذا الامر فاساله تعالى بان يحفظكم زماناً مديداً ويسعدكم . برومية من مجمع انتشار الايمان في ١٨ تموز سنة ١٨٥٤ .

الكلي الانعطاف لخدمة سيادتكم
يعقوب فيلبوس الكردينال
فرانسوني رئيس مجمع انتشار الايمان المقدس

اسكندر برنابو
كاتم الاسرار

صورة العبارات المحتواة في براءة قداسة سيدنا البابا بيوس التاسع المالك سعيداً الموجهة في ٢٣ اذار سنة ١٨٥٥ الى غبطة البطريرك بولس بطرس [مسعد] الانطاكي التي بها يحثه على الاعتناء بحفظ رسوم المجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ [٦] من رؤساء الطايفة المارونية ، والمثبت من سالفه البابا بناديكتوس الرابع عشر في براءته المبرزة في ايلول ١٧٤١ ، وبالتيام مجمع بلدي ، وهي هذه :

[1] هذا الترقيم يتعلق بصفحات المخطوطة فقط .

« ومن ثم فنرغب جدًّا بانه في قيامك بالوظيفة البطريركية ايها الاخ الموقر تضع بازاء عينيك ، وباجتهاد تعتني في اتمام الاشياء التي تعلم جيدًا انها قد رُسمت في المجمع الاقليمي المنعقد من روساء تلك الطايفة الكتابيين ١٧٣٦ ، والمثبت من سالفنا البابا بناديكتوس الرابع عشر ذي الذكر السعيد . وحيث انه لا يخفاك ان مجمعًا كذا نحرض جدًّا القوانين المقدسة الى التمامه . وقد اهمل ذلك عندكم زمانًا . فلذلك نطلب منك بتكرار بان تعقد مجمعًا اقليميًا حالما يمكنك بذاك النوع نفسه الذي قد آمرنا بـه سالفك براسطة مجمعنا المنام على انتشار الايمان . وتتسمه كما يجب جملةً مع الاخوة اساقفتك الموقرين حتى انه ، وفيما انتم مجتمعون بالروح القدس ، وبمداولة الآراء تترتب باعتناء كل تلك الاشياء التي تعود لزيادة مجده تعالى يوميًا ، ولتهذيب الاكليروس ، ولنمو التقوى ، والديانة ، والعبادة في الشعب ، وبالوقت نفسه يتقوّى ما كان ضعيفًا ، ويشفى ما كان معتلًا ، ويُجبر ما كان منكسرًا ، ويرتّجع ما كان مهملًا ، ويلتمس ما كان مفقودًا . وبعد ان تكون تمت عمل هذا المجمع ، فنهتم بان تنفذ الينا ، والى هذا الكرسي الرسولي اعمال المجمع المذكور بحسب المعتاد ليمكننا الوقوف عليها » .

كتاب السيد البطريرك لكل من اساقفة الطايفة

ايها الاخ المحترم ،

السلام بالرب ، والبركة الرسولية ، ووفور الاشواق لمشاهدتكم [٧] على كل خير وعافية . انه مما خفاكم صدور امر الكرسي الرسولي المقدس منذ حيوة المرحوم سالفنا البطريرك يوسف الخازن في عمل مجمع بلدي في طايفتنا . وقد اومرنا نحن ايضًا بمثله من قداسة سيدنا البابا بيوس التاسع . والان قد اتفق الراي مع حضرة الاخ المطران بولس برونوني القاصد الرسولي الكلي الشرف والاحترام ، بان تكون المباشرة في عمل هذا المجمع في اوايل شهر نيسان القادم هذه السنة في دير سيدة بكركي. وبناء عليه اقتضى اشعار اخوتكم بذلك لكي تستعدوا الى هذا العمل الكلّي الافادة ، وتحضروا الى دير بكركي في اول شهر نيسان المذكور حيث نشاهدكم بكل خير وسلامة . واما الان فرقونا عن وصول هذا التحرير لديكم ، والبركة الرسولية تشمل خوتكم ثانيًا في اول اذار سنة ١٨٥٦ .

الحقير بولس بطرس
البطريرك الانطاكي

كتابة السيد البطريرك لكل من روساء عام رهبنات الطايفة الثلث اي البلدية اللبنانية ، والحلبية اللبنانية ، ورهبنة ماري اشعيا الانطونيانية نظير الاساقفة .

الموظفين في المجمع :

الديدبان : الخوري بطرس مسعد اخو السيد البطريرك تلميذ مدرسة انتشار الايمان .

كاتمو الاسرار : الخوري يوسف المريض من زوق مكايل ، والخوري بطرس المكرزل من بيت شباب ، وكلاهما تلاميذ مدرسة عين ورقه .

القارئ : الخوري جرجس فرج من عجلتون تلميذ مدرسة الرومية .

معلم الرتب : الخوري يوسف حبيش من غزير تلميذ مدرسة انتشار الايمان [٨] .

المسجل : الخوري يوسف فريفر من كفرحي تلميذ مدرسة مار يوحنا مارون .

اللاهوتيين : الخوري نعمة الله الدحداح عراموني كسرواني ، والخوري يوسف السمعاني من حصرون ، وكلاهما من تلاميذ مدرسة انتشار الايمان .

حارسو الابواب : راجي عوّاد من حصرون ، وحنا صليبا من ساحل علما ، وكلاهما من تلاميذ مدرسة مار عبدا [هرهريا] .

خطاب من السيد البطريرك الكلي الطوبى

انه لا يخفى عن علومكم ايها الاخوة الموقرون ان التئام المجامع مندوب اليه في الكنيسة الكاثوليكية المقدسة إما لفض المشكلات الدينية ، او لرسم تهذيبات تؤول الى حسن النظام الكنائسي ، او لتجديد ما يكون تراخى حفظه فيها ، او صلاح [اصلاح] العوائد السيئة التي تكون تداخلت في بعض محلات ، او لخلاف غايات مقدسة تقصد في وقتها .

ومنذ الازمنة الاولى للكنيسة حتى في ايام الرسل الاطهار ، كما تقرأ في اعمالهم المدونة من القديس لوقا ، الى هذه الازمنة ، قد جرت هذه العادة المقدسة في بيعة الله بفائدة عظمى لانتصار الديانة الكاثوليكية المقدسة ، واتباتها ، وحفظ التهذيب الكنائسي ، ونمو العبادة ، والقداسة بين المؤمنين . ولذلك قال القديس كبريانوس الاسقف الشهيد : « انه لا بدّ لنا من ان نجتمع معاً كل عام نحن المشايخ والمتولون ، وننظم ما هو مسلّم لتدبيرنا ، وتهذيب القضايا الثقيلة بمشورة الجمهور » .

ومن [٩] هذه المجامع ما هو عام ، ومنها ما هو اخص . والخاص منه ما هو لاقليم او بلد ، ومنه ما هو لطائفة ، ومنه ما هو لابرشية . وامثلة ذلك جميعه كثيرة مذكورة في اعمال المجامع لا حاجة الى تعدادها هنا ، الا ما لم تره مذكوراً فيها من اعمال المجامع الاقليمية ، او الطائفية والبلدية التي التئمت في طائفتنا المارونية .

انا دون ان نلفت النظر الى الازمنة القديمة جداً التي يشير عنها البابا بناديكتوس الرابع عشر السعيد الذكر في براءته المبرزة في ١ ايلول ١٧٤١ لاثبات المجمع اللبناني يكفي ان نورد ما لا يحتاج الى برهان في ايراده من المجامع البلدية او الطائفية التي التئمت في طائفتنا مؤلفة من سلافنا البطاركة ، ومطارنيهم ، واساقفتهم ، وممن كانت تسمح لهم العادة بالحضور فيها منذ ازمنة ليست ببعيدة التاريخ فرضاً لبعض رسوم كان يرى فرضها لازماً ومفيداً ودحضاً لاعتراضات كانت تتقدم من الاراتقة والشاقين المجاورين لنا ضد ايماننا الكاثوليكي المقدس ، واصلاحاً لبعض عوائد سيئة كانت تداخلت وتتنذ .

ففي ١٨ ايلول سنة ١٥٩٦ قد عقد البطريرك سركيس الرزي مجمعاً . وفي ٣ تشرين الثاني من السنة المذكورة عقد مجمعاً البطريرك يوسف الرزي . وفي اواخر الجيل السابع عشر عقد مجمعاً البطريرك اسطفان الدويهي ضد سيلوستروس الشاق بطريرك الملكيين الشاقين الانطاكي الذي كان اشهر منشوراً يتضمن ما كان عليه من الاعتقادات المخالفة الايمان الكاثوليكي القويم .

وماذا نقول ، والزمان قصير ، عن المجمع الشهير غرباً وشرقاً المعروف بالمجمع اللبناني [١٠] الذي في اواخر ايلول ، واوائل تشرين الاول ١٧٣٦ قد عقده البطريرك يوسف ضرغام الخازن . وقد تقدم للكرسي الرسولي المقدس فاثبته البابا بناديكتوس الرابع عشر باحتفال كما يرى من براءته المشار اليها آنفاً مآمراً بحفظه على التمام مع الحواشي المزيدة عليه ، ولعظم مقداره بما انه يشتمل على قواعد دينية ، وذمية ، ورسوم تهذيبية ، وحوادث تاريخية توافق العموم والخصوص ، قد صار دستوراً للعمل للروساء والمرؤسين ليس فقط في طائفتنا بل في باقي الطوائف الشرقية الكاثوليكية ايضاً حتى ان اغلبهم في ايامنا هذه قد اقتطفوا منه اموراً كثيرة ، وعلى موجبها رتبوا مجامعهم .

وفي ١٢ ايلول سنة ١٧٤٤ قد عقد مجمعاً البطريرك سمعان عواد . وفي ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٧٥٥ عقد مجمعاً آخر . وفي ٢٥ آب سنة ١٧٥٦ قد عقد مجمعاً البطريرك طوبيا الخازن . وفي ١٦ ايلول ١٧٦٨ عقد مجمعاً البطريرك يوسف اسطفان ، وعقد مجمعاً آخر في ٦ ايلول ١٧٨٦ ، ومجمعاً آخر في ١٨ كانون الاول سنة ١٧٩٠ . ولكن اكثر هذه المجامع ما حاز الاثبات من لدن الكرسي

الرسولي المقدس لمخالفتها في بعض اجزائهـا لرسوم المجمع اللبناني الممتدح الذي كان الكرسي الرسولي المقدس يوحي دائمًا بحفظه ، وبترتيب المجامع البلدية في طايفتنا على موجبه كما هو واضح من المراسيم الحبرية ، وكتابات المجمع المقدس المحفوظة في خزانة كرسينا البطريركي .

واخيراً قد عقد مجمعاً البطريرك يوحنا الحلو في اواسط شهر نيسان سنة ١٨١٨ فاتبته البابا بيوس السابع بعد تهذيبه في براءته [١١] المعطاة في ٤ نيسان ١٨١٩ مآمراً ان يكون العمل بموجبه .

وحيث انه من ذاك الحين ، اي منذ سنة ١٨١٨ الى الان لم يعد يلتام في طائفتنا مجمع طائفي مع ان مجمعنا اللبناني المشار اليـه (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ٢٩) تبعاً للمجمع التريدنتيني المقدس (جلسة ٢٤ ، رأس ٢ ، وجلسة ٢٥ ، رأس ١٠) يرسم بعمله اقله كل ثلث سنين من جهة لتهذيب الخصال ، واصلاح النقائص ، وفصل المنازعات ، وقضاء الامور بموجب القوانين المقدسة . ومن جهة اخرى قد صار منظوراً بان اموراً كثيرة من المجمع اللبناني نفسه قـد تراخى حفظها . والمجمع الاخير البلدي المتام سنة ١٨١٨ لم يسلك كما ينبغي . والرهبان والراهبات قـد تراخوا في حفظ بعض اشياء من رسوم قوانينهم وفرائضهم الرهبانية المقدسة .

فقداسة سيدنا البابا بيوس التاسع المالك سعيداً لموضع غيرته على نمو الديانة المقدسة القائم من الجملة بحفظ رسوم المجامع المقدسة عامة كانت ام خاصة صدر امره عن يد المجمع المقدس منذ سنة ١٨٥٤ لسالفنا البطريرك يوسف الخازن لكي يعتني بالتئام مجمع بحضور السيد الكلي الشرف والجزيل الاحترام حضرة الاخ المطران بولس برونوني القاصد الرسولي ، وفيه يصير التشدد على حفظ المجمع اللبناني ، والاعتناء باستئصال ما يكون قد تداخل من العوائد السيئة في الطائفة عموماً وخصوصاً ، وباصلاح ما يجب اصلاحه فيها من الامور الكنائسية . ومن كون سالفنا هذا قد توفي لرحمته تعالى قبل ان يتمم هذا الامر المهم فقداسته [١٢] في براءته المنفذة الينا في ٢٣ اذار سنة ١٨٥٥ ما بين الاشياء التي يوصينا باجرائها في الطائفة على موجب نص المجمع اللبناني الذي يأمر بحفظ رسومه على

التام يذكرنا بما كان صدر امره به لسالفنا المرقوم مريداً منـا ان تعقد مجمعاً بلدياً للغاية المذكورة .

فنحن الان اطاعةً لذاك الراعي العام الذي اقامه يسوع المسيح الهنا وفادينا نائباً له في كنيسته العامة التي افتداها بدمه ليدبرها ، ويرعى على مروج القداسة بنيها المؤمنين المتبددين في كل المسكونة المعبَّر عنهم بالخراف ، والاساقفة المعبَّر عنهم بالنعاج الذين هم بمنزلة امهات للخراف ، ويهتمّ بهم كرأس واب ومرشد نعني به الحبر الروماني الاعظم خليفة القديس بطرس هامة الرسل بالرياسة على الكنيسة الكاثوليكية المقدسة باسرها . واتماماً لواجبات وظيفتنا الرعائية التي تلزمنا بالبحث عن كل ما من شأنه ان يهدي النفوس المقلدة لاهتمامنا الى السلوك في محجة الخلاص الابدي ، التي هي حفظ الشرائع الالهية ، والكنائسية على الخصوص ، فقد عزمنا على عقد هذا المجمع في هذا اليوم المبارك بحضرة السيد يولس برونوني القاصد الرسولي المومى اليه ، وحضرتكم ايها الاخوة الموقرون ، لترجّع به الى الرونق الاول ما كان مهمولاً حفظـه من رسوم المجمع اللبناني الممتدح مراراً كثيرة ، ونستأصل ما يمكن ان يكون تداخل في طائفتنا من العوائد السيئة في الشعب ، والاكليروس القانوني والعلماني بفرضنا بعض رسوم ملائمة لصد المخالفات في المستقبل لما نرسمه في مجمعنا هذا .

[١٣] فلنتقدمنّ اذاً ، ايهـا الاخوة الموقرون ، الى الاجتماع باسم سيدنا يسوع المسيح خلواً من كل غرض ذاتي ومقاصـد خارجية عما نحن في صدده ليمكن ان يقال بالحقيقة ان المسيح الهنا فيما بيننا جاعلين المجمع اللبناني ذاته دستوراً لعملنا هذا ليكون مقبولاً لدى الكرسي الرسولي ، والمجمع المقدس ما نرتبه واياكم في هذا الاجتماع الحافل لمجد الله تعالى الاعظم ، ولخلاص الانفس ؛ ونحن واضعون كل اتكالنا على ابي الانوار الذي منه كل عطية صالحة لكي ينير عقولنا باشعة انوار نعمته الالهية ، ويايد اعمالنا بمساعدته القوية لتنتج منها تلك الاثمار الصالحـة المرجوة ، وذلك بشفاعة سيدتنا مريم العذراء والدة الله البريئة من دنس الخطيئة الاصلية ، وسائر القديسين آمين .

الجلسة الاولى

وقد تمّت في اليوم الحادي عشر من شهر نيسان سنة ١٨٥٦ قبل الظهر

انه بعد اتمام ما وجب اتمامه حسب المعتاد ، والالتجاء الى الروح [١٤] القدس ، وتلاوة قانون الامانة الاوربانية جهاراً في الكنيسة ، وهي الموضوعة في آخر هذا الكتاب عدد ١ . قد افتتح المجمع بخطاب وجّهه السيد البطريرك الكلي الغبطة نحو الآباء الحاضرين تراه مدوناً آنفاً . وقبل كل شيء صار الاتفاق من جميعنا على بذل الاجتهاد في حفظ فرائض المجمع اللبناني ورسومه طبقاً للمراسيم الحبرية الصادرة قبلاً والآن بالتشديد على حفظها .

ثم صار البحث عن الحقائق الدينية الكاثوليكية هل هي محفوظة سالمة خلواً من ادنى انثلام في طائفتنا ، فجميع الآباء اجابوا بايجاب ما لا يمكن انكاره ، وهو ان ابناء طائفتنا باجمعهم افراداً واجمالاً متمسكون تمسكاً متيناً بالايمان الكاثوليكي المقدس الذي لا خلاص الا به ، ومحافظون بنعمته تعالى كوديعة ثمينة حفظاً هذا مقادره [مقداره] حتى انه اولى بهم ان يفضلوه على كل ما سواه ولو بفقد حياتهم اقتفاء بآثار قدمائهم الذين ما حادوا عنه قط بوقت من الاوقات منذ انتشاره من الرسل القديسين في هذه الاصقاع السريانية ، كما يشهد لهم بذلك الاحبار الرومانيون الاعظمون المتقدمون والمتأخرون ، ويوضحه المجمع اللبناني (قسم ١ ، راس ١) .

غير ان مجمعنا هذا قد حكم بوجوب السهر الدائم على حفظ وديعة الايمان هذه ، والتوصي للجميع ، ولا سيما الكهنة ، ولكل المتقلدين الاهتمام بالانفس ، ليحترسوا من ان ينساب احدٌ من الاعداء المخالفين للكنيسة الرومانية المقدسة ، التي هي ام جميع الكنائس ومعلمتهنّ ، في المحلات القاطن بها بنو ملتنا ، ويزرع الزوان [١٥] تحت طي الغيرة الكاذبة ، والانواع الاخرى المختلفة خاصةً في هذه الازمنة الملتوية ، التي بها قد صار منظوراً تقاطر الغرباء الى الجهات الفونيقية وما يليها من كل بلدٍ ، وجنسٍ ، واجتهاد الاكثرين منهم تارةً باشهار ما هم منطوون عليه مما يناقض الايمان الكاثوليكي القويم ، وتارةً مما يخالف الآداب الحميدة بل اذا وجد اناس هذه صفتهم يحرّضوا الجميع لكيلا يقتربوا

اليهم بنوع من الانواع بل يبتعدوا عن معاشرتهم والتردد الى محلاتهم ، والى مدارسهم ، ويتجنبوهم غاية التجنب محتسبين اياهم كذئاب خطفة يرومون ان يفترسوا الانفس المفتداة بدم ابن الله الكريم اذا لم يمكنهم اخراجهم من بينهم تبعاً لوصية الرسول الالهي الذي يأمر المؤمنين باخراج الخبيث من بينهم، ويتجنب كل اخ يسلك بالخبث ، وليس كالتعليم الصحيح ، ولا يقتنوا كتبهم، ورسائلهم الحاوية تعاليم باطلة ، وكاذبة ، واقاويل مشككة ، او مهما كان مما يفسد الضمائر السليمة، ويؤذي الاذان التقية ، ويعطل على طهارة الايمان الكاثوليكي المقدس ، ولا يقرأوا بها ، وبكتب صلواتهم ، ومواعظهم . .

ومن تجاسر على عمل الخلاف يسقط بذات الفعل بالحرم الكبير المحفوظ حله لسلطان السيد البطريرك الكلي الغبطة المحفوظ لسلطانه ايضاً الحل من الجرم الذي يقع به من يقرأ ، او يقتني الكتاب المقدس سواء كان العهد العتيق ام الجديد المطبوع من الجمية المعروفة بجمعية البيبليشيين البروتسطانت خلافاً لترتيب المجمع التريدنتيني المقدس ، ومجمعنا اللبناني (قسم ١ ، رأس ١) وباقي الكتب ، [١٦] والمواعظ ، والصلوات ، والرسائل المؤلفة ، والمستخرجة منهم خطاً كانت ام طبعاً المتضمنة اموراً مضادة الايمان الكاثوليكي المقدس ، والاداب الحميدة ؛ والعالم بين يخالف هذا الامر يلزمه بعد النصح الاول والثاني ان يشكيه لاسقفه كالتزامه باشهار من يرتكب المحرمات التي يذكرها مجمعنا اللبناني (قسم ١ ، رأس ١ ، عدد ١٣ و١٤ و١٥) اذا لم يمتثل للنصح .

ومن حيث انه قد كان تقرر بمجمعنا هذا بان البعض يحتجون بعدم امكانهم على التمييز ما بين الكتب الصحيحة التعليم ، والزائغة التعليم لكي يتجنبوها ، ويحتاجون الى من يميز لهم ذلك ؛ والبعض يشهرون تأليفات مرتبة منهم دون ان يعرضوها لفحص الرؤساء المألوفين ، فمن ثم تبعاً لرسم مجمعنا اللبناني (قسم ١ ، رأس ٣) نرسم :

اولاً : بان كلاً من اساقفة الرعايا يعين في ابرشيته احد الكهنة المتمهرين بالعلوم اللاهوتية لاجل فحص الكتب ، وان شاء فيقلد ذلك لنائبه العام بالروحيات بحيث ان يكون متصفاً بهذه العلوم ، وعليه بعد فحصها ان يعرض ما يراه للاسقف المكاني ليؤذن باستعمالها ان كانت صحيحة التعليم ، والا فيحكم

بلاشاتها. ولذلك يلتزم كل من بني ملتنا ان يعرض على اسقفه كل كتاب وقع بيده مهما كان، وباي حجم كان قبل ان يستعمله ليامر الفاحص المعين بفحصه.

ثانياً : بالّا يتجاسر احدٌ، ويشهر تأليفاً مرتباً منه، او منقولاً منه من ايّة لغة كانت خطاً ام طبعاً باي موضوع كان، وباي لغة كانت، ولو مهما كان صغير الحجم قبل ان يعرضه على اسقف الابرشية لاجل فحصه، ونوال الاذن منه باشهاره خطياً ام طبعاً. ثم واكفاء لاحتياج بني ملتنا [١٧] من الكتب اللازمة نرسم :

ثالثاً : بان يصير الاعتناء بتدبير مطبعة باحرف عربية. ومن حيث انه قد رؤي لدى مجمعنا بان هذا الامر متسهلٌ على الرهبان اللبنانيين المعروفين بالبلديين دون غيرهم، فنحتم عليهم ان يعتنوا بتدبيره حالاً خلواً من عذرٍ او قبول احتجاج.

واخيراً قد صارت المفاوضة في هذه الجلسة في ما يلاحظ الاعياد، والصيامات، والقطايع في طايفتنا، فرسم مجمعنا هذا انه ينبغي ان تكون محفوظة على موجب رسم مجمعنا اللبناني (قسم١ ، رأس ٤) ولا يحق لاحدٍ من المطارين والاساقفة ان يفرض صوماً مستنعاً، او عيداً تجب بطالته، او ان يلاشي ما كان مفروضاً من ذلك، لان فرض مثل هذه الامور في طايفتنا منوط بسلطان السيد البطريرك الكلي الغبطة.

ومن حيث انه في بعض محلات قد يُعيَّد لقديس واحد اعياد كثيرة في السنة يصير الامتناع فيها عن الاشغال، وفي غيرها توجد مقامات لقديسين كثيرين في مكانٍ واحد، ويُعيَّد لكلٍ منها عيد بالامتناع عن الاشغال ايضاً. فمراعاةً لحال فقر طايفتنا قد رسمنا ان يعيّن اسقف الابرشية يوماً واحداً فقط تجب بطالته في السنة في ابرشيته لذاك القديس الذي كان يُعيَّد له اكثر من يوم في السنة في ابرشيته، وباقي الايام تكون تذكاراً بسيطاً فقط لذاك القديس، ومثله يُعيَّد لقديس واحد على ايثار اسقف الابرشية بالامتناع عن الاشغال في ذاك المكان الذي [١٨] يكون فيه مقامات كثيرة لقديسين كثيرين.

ثم واجلالاً للحكم الاعتقادي الصادر من قداسة سيدنا البابا بيوس التاسع ببراءة سيدتنا مريم العذراء والدة الله من دنس الخطيئة الاصلية منذ دقيقة الحبل بها، فقد وسم مجمعنا هذا ان يكون عيد الحبل بلا دنس الواقع في اليوم

الثامن من كانون الاول كل سنة بطالة من جميع الاشغال في كل طائفتنا كما ان مجمعنا هذا قد رسم بانه عدا سكان المحل الذي يُحتفل فيه عيد ما لا يحضر اليه احد خلافهم بحجة العيد ، وذلك بفرض القصاص على المخالفين . هذا الرسم على ايثار الاسقف المكاني لانها مشهورة الاسباب الملومة والمشككة التي تصدر من المجتمعين الى هذه الاعياد .

الجلسة الثانية

وقد تمت في اليوم الحادي عشر من نيسان بعد الظهر

وقد صارت المذاكرة في هذه الجلسة في ما يلاحظ خدمة اسرار البيعة المقدسة وتوزيعها ، فروي لدينا ان بعض الكهنة في الابرشيات صادر منهم اهمال ، وعدم يقظة في ذلك . فمنهم من لا يبالي بما عليه من الواجبات بممارسة هذا الامر المهمّ ، فيوزّع الاسرار المقدسة ، ويخدمها كيفما اتفق خلافاً لِما تأمر به رتبة كنيستنا ، وكما هو مأمور به ان يعمل عمل الله بالخوف والرعدة . ومنهم من لا يظهر ذاته متأهباً [١٩] لتوزيعها في الظروف المقتضية ، فيُصدَق عليه ما قيل ان البنين يطلبون الخبز ، ولا يوجد من يكسره لهم .

ومنهم من لا يعتني بتعليم ابناء رعيته ما يجب عمله منهم باقتبالهم الاسرار المقدسة ، فيقتبلونها على سبيل العادة خلواً من تلك المعرفة المطلوبة ، وذلك الاستعداد الواجب كمن لا يدري ما يعمل ، او يقصد عمله .

ومن ثمّ فملافاةً لمثل هذه الادواء التي تنتج منها اضرار بليغة للانفس اذا لم نداوها بما يلائم من الادوية نحتم على الكهنة ابناء طائفتنا من اية طغمة كانوا حتماً جازماً تحت طائلة التأديب الصارم الذي يبرزه عليهم الاسقف الخصوصي عند عملهم الخلاف بان يمارسوا خدمة الاسرار المقدسة ، وتوزيعها على موجب نصّ مجمعنا اللبناني فيما يتعلق بامر ممارستهم ذلك بنشاط الجسم ، وطهارة السيرة مصلحين انفسهم مع الله بتنقيتهم اياها بواسطة الاعتراف النقي من دنس الاعمال المميتة قبل اقدامهم على ذلك لئلا يكون في خدمتهم عيب .

ونأمرهم بان يثقفوا ذواتهم بمعرفة مواد هذه الاسرار المقدسة ، وصورها ، واحتفالاتها ، ومعانيها ، ومفعولاتها ، وفوائدها ، لتمكنهم مداولتها كما ينبغي ،

وان يشرحوا ذلك للشعب المستودع لاهتمامهم ليعلم عظم شرفها ، ويتحرك قلبه الى اعتبارها ، والتأهب الواجب الى اقتبالها ، وان يكون كل منهم بحسب وظيفته مستعداً دائماً لتوزيعها عليه بالظروف المقتضية ، وعلى موجب كتاب رتبتنا المجموع والمهذب من الصالح الذكر المطران يوسف اسطفان النوسطاوي ، والمطبوع في رومية بمطبعة انتشار الايمان المقدس بمجلدين احدهما سنة ١٨٣٩ ، والآخر سنة ١٨٤٠ .

[٢٠] واولًا عمّا يخص سرّ العماد المقدس الذي هو باب الاسرار ، ومفتاح الملكوت السماوي ، فقد بلغنا ان البعض خلافاً لرسم المجمع اللبناني (قسم ٢ ، باب ٢ ، عد ٧) يأخرون [يؤخرون] عماد اولادهم اكثر من ثمانية ايام ، والبعض يعمدونهم دون الاحتفال المفروض بحجة انهم ناذرون ان يعمدوهم ، او يحتفلوا لهم في دير او في كنيسة غير كنيسة محل مولدهم ، او لغاية اخرى ، وكهنتهم يوافقونهم على ذلك بتغاضيهم مع خطر ان الاولاد يموتون بغير عماد ، او دون صيرورة احتفاله . والبعض لحد الآن يسمّون اولادهم باسماء غريبة غير لائقة بالمسيحيين ، فصدّاً للاخطار التي تأتي على الاطفال من تأخير عمادهم ، فنأمر مثل هؤلاء بالا يؤخروا عماد اولادهم باية حجة كانت او يأخروا (كذا) احتفاله بحجة ان يتمموه في فرصة اخرى ، وبان يسموا اولادهم باسماء قديسين ، ولائقة بالمسيحيين من اي مقام ، ورتبة كانوا ، والعاملون بخلاف ذلك فليقاصصهم اسقفهم بما يرى بالرب ، ويقاصص كاهنهم المطابق معهم على ذلك بتغاضيه .

ولا نسمح ان يكون العماد واحتفاله الا في كنيسة خورنية المولود ما عدا خطر الموت ، واسباب اخر يثبتها اسقف المكان ، كما اننا لا نسمح ان تكون اشابينه الا البالغين المعرفة ، لانه بلغنا ان البعض يعيّنون صبياناً اشابين لاولادهم موكلين عنهم بالغين .

ثم للاسقف اذا عمّد حتى الاطفال ايضاً ان يمنحهم مع العماد سر التثبيت المقدس تبعاً للرتبة القديمة . اما الكاهن فلا . وكل كاهن رعية فليدوّن في كتاب كنيسته اسماء المعمودين بالخط العربي لا بالهندي باليوم ، والشهر ، والسنة ، وان [٢١] اهمل ذلك فليؤدبه اسقفه ملزماً اياه فيه .

ثانياً : عما يخص سر التثبيت ، فقد بلغنا ان البعض اما من قبل تهاونهم ،

امـا لعدم وجود من يمنحوه في الوقت المناسب يتأخرون عن اقتبالهم دون الالتفات الى الالزام الذي عليهم باقتباله خاصةً قبل ان يتقدموا الى عقد زواج ، او قبول درجة ما من الدرجات المقدسة ، وبعض الاساقفة متغاضون عن ذلك لا سيما في الاماكن المستطرفة في الابرشيات ، اما لعجزهم عن زيارتها ، او من باب التواني ، فاصلاحاً لهذا التغاضي قد رسم مجمعنا هذا رسماً قاطعاً على جميع اساقفة الرعايا بان يراعوا من الان فصاعداً هـذا الامر المهم نابذين عنهم كل تغاضٍ وتوانٍ فيه لئلا يبقى احد من ابرشياتهم عادماً قبول هذا السر المقدس ، وعند عجز احدهم عن زيارة ابرشيته فليوكل احد الاساقفة المجاورهمـا ليمنحه لابنائها ، واذا لم يتيسر له ذلك ، فليعرض الامر للسيد البطريرك الكلي الطوبى ، وان بقي متغاضياً ومتوانياً ، فللسيد البطريرك ان يجري مـا يراه موافقاً بالرب تعويضاً لتوانيه وتغاضيه.

ومن حيث ان المجامع المقدسة رسمت عـلى المؤمنين بالا يعقدوا زواجاً ، ويتقدموا الى الدرجات المقدسة خلواً من هـذا السر المقدس كما هو واضح من مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ٤ ، عدد ١١) فيحتم مجمعنا هذا بحفظ هـذا الرسم تحت التهديـد للمخالفين بالقصاص الذي يراه الاسقف المكاني ، وعلى الاساقفة ان يسهروا على حفظه ، وللسيد البطريرك الكلي الطوبى ان يجري نحوهم ما يجب اجراؤه اذا تغاضوا عن ذلك . وكاهن الرعية فليحرر في كتاب كنيسته اسماء المثبتين باليوم ، [٢٢] والشهر ، والسنة بالرقم العربي لا الهندي ، وان اهمل ذلك فليقاصصه اسقفه ملزماً اياه به .

ثالثاً : عما يخص سر التوبة ، الذي هو الدفة الثانية للخلاص من الغرق ، فمجمعنا هذا يأمر الكهنة المصرفين بخدمته خصـةً كهنة الرعايا بان يكونوا مستعدين دائماً الى توزيعه على الشعب لا سيما في الاعياد الاربعة التي تتقدمهـا الصيامات ، وفي وقت الامراض ، والاخطار المداهمة . وكل مرة يُطلب ذلك منهم دون توقف اصلاً عن مجاوبة رغبات المؤمنين في هـذا الامر الضروري للخلاص الابدي .

ومن منهم يتأخر عن ذلك خلواً من سبب موجب فليقاصصه اسقفه اشد القصاص . ومن من المؤمنين يبتعد عن اقتبال هـذا السر المقدس في الاوقات

المرسومة خاصةً في الايام الفصحية ، فليشكه خوريه الى الرئيس المألوف ليجري نحوه ما يستوجب من القصاص. والخوري الذي يتغاضى عن ذلك يضحى ملاماً ، ومستوجباً التأديب على ايثار اسقفه .

وقد بلغنا ان البعض في حال مرضهم يفضلون علاج اجسادهم على علاج انفسهم ، وتارةً يكون السبب من اقربائهم او اصحابهم ، ولذلك لا نسمح للطبيب ان ياخذ بعلاجهم ، ولا لهم لا سيما المشرفين على الموت ان يستعملوا دواء ما قبل ان يداووا انفسهم بالاعتراف النقي ان امكنهم . والا فبالندامة والانسحاق القلبي اذا كانوا عادمي الكلام . ويلزم كاهن الرعية ، ومن يقوم مقامه [٢٣] ان يرقم اسماء المعترفين عنده في الايام الفصحية ، والغير المعترفين ليعرض ذلك لاسقفه ، والعامل بالخلاف يؤدبه اسقفه. وخارجاً عن حادث المرض ، وما اشبهه من الاسباب الثقيلة المثبوتة بالكتابة من الاسقف المكاني غير مسموح للكهنة علمانيين كانوا ام قانونيين ان يستمعوا اعترافات العلمانيين والاكليريكيين الغير الكهنة الا في الكنيسة . واما النساء ففي الكنيسة ، وفي كرسي الاعتراف الواجب ان يُنصب في كل كنيسة من كنائس طائفتنا ، ومعابدها بشكل شبكة او شعرية مناسبة للمقصود حسب رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ٤ ، عدد ١٠)

ومجمعنا هذا يأمر جميع الكهنة معلمي الاعتراف علمانيين كانوا ام قانونيين بحفظ هذا الرسم تحت السقوط بذات الفعل بالرباط المحفوظ حله لاساقفة الابرشيات عند عمل الخلاف كما انه يأمرهم بالا يواظبوا التردد كثيراً الى بيوت تلاميذهم لاية حجة كانت ، او يظهروا لهم ، لا سيا النساء ، تلك الدالة الممقوتة التي توصل غالباً الى الوقوع باشراك ابليس المهلكة ، لكيلا يُصدق عليهم ما اشار عنه الرسول الالهي في رسالته الى اهل غلاطية : انهم افتتحوا امرهم اولاً بالروح ثم ختموه اخيراً بالجسد .

وليحذر معلمو الاعتراف غاية الحذر من مخالفة البرآات الحبرية المبرزة في شأن الاغراء ، ومنع حلة الشريك في خطيئة الدنس سواء كانوا من الكهنة العلمانيين ام الرهبان ، والا فعدا القصاصات المفروضة فيها عن المخالفين ذلك [٢٤] فليعاقبهم اساقفتهم باشد منها دون رحمة وشفقة . ومن منهم يحل

شريكه بخطيئة الدنس فغير مأذون معلم الاعتراف اياً كان بان يحله من دون اذن السيد البطريرك الكلي الطوبى. وليحذر معلمو الاعتراف الا في حادث الموت من ان يحلّوا من الحوادث المحفوظة التي لا سلطان لهم على الحل منها . والا فيسقطون بالحرم المحفوظ حله لاسقفهم نظير الكاهن الذي يسمع الاعتراف بدون تفويض .

ومجمعنا هذا يرسم على الاساقفة بالا يطلقوا التأديبات لا سيما الحرومات كيفما اتفق مبتعدين عن الخط الاحتفالي للقسوس ، والشمامسة الكبار ، لان ذلك منوط بسلطان السيد البطريرك الكلي الطوبى حسب رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٦ ، عدد ٥٠) وبالا يكثروا حفظ الحوادث بل يراعوا بذالك المجمع اللبناني ، ويصير الاكتفاء بما هو محفوظ فيه ، وفي مجمعنا هذا ، الا عند الاقتضاء . واللزوم الكلي حسب فطنة كل منهم لئلا يُمتهن السلطان الكنائسي من قبيل ذلك ، وبالا يصرفوا احدًا من الكهنة بخدمة سر التوبة قبل ان تعطى له الشهادة من الفاحص الاعتيادي بانه اهل لذلك . وكذلك لا يصرّفوا احدًا منهم بهذه الخدمة قبل ان يكون اكمل السنة الثلاثين من عمره نحو الرجال ، والثلاث والثلاثين نحو النساء ، الا اذا لم يكن خلافهم من الكهنة بهذه السن في محل اللزوم .

وليكن معلوماً بان كهنة طائفتنا في كراسيهم يمكنهم ان يسمعوا اعتراف اي من حضر اليهم من سائر الطوائف الكاثوليكية ، وفي المحلات التي لا يوجد فيها [٢٥] كهنة ، ولا كنائس لهذه الطوائف الكاثوليكية ، فلخوارنة طائفتنا المكانيين ان يقضوهم كامل لوازمهم الروحية بمنزلة خوارنة شرعيين بينما يحضر اليهم خوري طائفتهم ، او اسقفهم الشرعي ، وذلك جميعه بانعام خصوصي من الكرسي الرسولي المقدس . والكهنة اللاتينيون المرسلون لهم هذا الانعام نحو ابناء طائفتنا في الاماكن التي لا يوجد لنا بها كنيسة ، ولا كهنة بينما يحضر اليهم كهنة ، او اساقفة من طائفتنا .

وانما ليس لهم بحجة ذلك او خلافه ان يلزموهم او يقنعوهم بان يتبعوا الطقس اللاتيني ، او يحتسبوهم تابعينه ، ولو مهما غاب عنهم كاهنهم او اسقفهم ، والا فيقعون حالًا من ذات فعلهم بخسارة الصوت الفاعلي والانفعالي ، وبالعجز عن

قبول اية درجة ووظيفة كانت من رتباتهم ، ورسومهم ، وجمياتهم الخصوصية ، مع قصاصات اخر تفرض عليهم من اية رهبنة وجمية كانوا بموجب مرسوم مجمع انتشار الايمان المقدس الصادر في ١٤ آب سنة ١٧٥١ تبعاً لرسالة البابا بناديكتوس الرابع عشر المدونة في ٢٤ كانون الاول سنة ١٧٤٣ المبدوءة « لما قلد الرب الاله » التي تأمر بحفظها ، وبحفظ المرسوم الآخر الصادر من مجمع انتشار الايمان المقدس في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٣٨ فيما يلاحظ امر الانتقال من طقس شرقي الى طقس آخر شرقي ، الذي نصه في آخر هذا الكتاب مع المرسوم الآخر المار ذكره هنا آنفاً عدد ٢ وعدد ٣ .

رابعاً : عمّا يخص سر المسحة قد بلغنا ان بعض الملتزمين باقتباله [٢٦] يأنفون من ذلك لمجرد توهمهم ، او توهم من يلوذ بهم بان موتهم قريب ومفاجئ [مفاجئ] مع ان صلوة الامانة تنجي المريض ، ويفرّج الرب عنه مؤذناً بالصحة ان شاء ، ومن ثم فنأمر كهنة الرعية بان يبذلوا النصح لمثل هؤلاء بالّا يتوقفوا عن اقتبال هذا السر غير ملتفتين الى توهمهم ، وتوهم من يلوذ بهم الفارغ ، مانحينه لهم بتلك الشروط التي يرسمها مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ٨) .

وليهتموا بالمرضى كابانهم ، ولا يتأخروا عن زيارتهم في الاوقات المعينة ، ولا يبارحوهم في حال خطر موتهم لئلا يبارحوا هذه الدنيا الدنيئة ، وهم غير مسلحين بالاسرار المقدسة ، ولا يسمحوا بعلاجهم الجسدي قبل علاجهم الروحي كما رسم مجمعنا هذا آنفاً ، والذي منهم يخالف واجباته هذه فليؤدبه اسقفه على ايثاره . واذا كان المرضى من الفقراء المحتاجين الى المساعدة ، فليعتنوا بمساعدتهم بما يسد عوزهم ، وليراعوا حفظ ما يرسمه مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ٩ ورأس ١٠) بهذا الشأن ، وبشأن جناز الموتى ، ودفنهم كلّا حسب رتبته ، ودرجته ، وتوزيع حسنة قداسات عنهم .

ولا يدفنوا الميت ، ولا سيما اذا كان موته فجائياً قبل مضيّ اربع وعشرين ساعة او اوقله اثنتي عشرة ساعة من موته ، ومن يخالف ذلك فليؤدبه اسقفه . ومن حيث انه خلافاً لنهي مجمعنا اللبناني هنا لم تزل جارية العادة بان تُدفن الموتى بالصراخ والضجة والبكاء والندب وباظهار امارات التوجع والتفجع بما لا يوصف ، وبحفظ الحداد نظير الامم ، وهو امر مشين حتى بالتقوى ايضاً ، لا

سيما في هذه الايام التي [٢٧] بها امور مثل هـذه تعيب مستعمليها ، وتجلب عليهم الهزء ، والضحك من مستمعيها خاصة الغرباء عنا . فلتجتهد الاساقفة باستئصال هذه العادة المكروهة من ابرشياتهم بمساعدة السيد البطريرك الكلي الطوبى حتى باجراء التأديبات على المخالفين .

ولا يهملنّ السيد البطريرك الكلي الطوبى، والمطارنة ، والاساقفة ، والخوارنة ، والرهبان صيرورة قداس احتفالي في كنائسهم عن نفس البطريرك الاخير المتنيح في كل سنة يوم تذكار موته ، ومثله فليصر في كل سنة قداس واحد احتفالي في كل كنائس الابرشية من خوارنتها ورهبانها عن نفس مطرانها او اسقفها الاخير المتنيح يوم تذكار موته ، لانه بلغنا ان ذلك مهمول خلافاً لرسم المجمع اللبناني (قسم ٢ ، رأس ١٠ ، عدد ١٢) . وكل كاهن رعية فليدون اسماء الموتى في كتاب كنيسته في اليوم ، والشهر ، والسنة بالرقم العربي لا الهندي ، ومن يتغاضى عن ذلك فليؤدبه اسقفه ملزماً اياه فيه .

خامساً : عمّا يلاحظ سر الزيجة فيلزم القاصدين عقد الزواج ان يستعدوا الى عمل ذلك بطهارة لائقة ، وبالاعتراف النقي ، وتناول القربان الاقدس بورع وعبادة كالمسيحيين الحقيقيين لا كالامم الغريبين عن روح ديانتنا المقدسة. ويجب على كهنة الرعية ، او من يقوم مقامهم ، الذين لا يصح الزواج الا بحضورهم ، وحضور اقله شاهدين ان يحثوهم [٢٨] على ذلك معلمين اياهم كيف ينبغي ان يكون تصرفهم في هذا الامر ، ولا يكللوهم قبل ان يبلغوا العمر الكافي ، ويتأكدوا رضاهم الطوعي الناجي من كل جبر ، واغتصاب ، ومعرفتهم قواعد الايمان ، والامور الضرورية للخلاص . واذا تقدمت الخطبة على عقد الزواج ، فلا يكن ذلك الا عن يد كاهن الرعية ، او من يقوم مقامه بحسب العادة الجارية في طائفتنا منذ القديم ، وشرح مجمعنا اللبناني بنوع اذا لم تتم عن يدهم ، فلا تحسب خطبة في المحكمة الكنائسية . ونرسم ان يكون شاهدان ، او شاهد واحد مع كاهن الرعية وقت وضع الخطبة لاجل ثبوتها في المحكمة الكنائسية عند الادّعاء .

والخطبة ان طال امرها اكثر من سنة بعد عقدها فللرأس المألوف ان يلزم الخطيبين بالزواج ، او يفسخ الخطبة ملافاةً للاضرار التي تتأتى على الخطيبين ،

او احدهما من التأخير كما علمت التجربة . هذا اذا لم يكن ثمه سبب شرعي موجب للطولة والتأخير .

واذا عُقدت الخطبة مع وجود مانع معروف ، ام عُرف فيما بعد فلا تصحّ ، الا اذا صار الشرط وتمّ وضعها على طلب حل المانع ، وقبل مرور السنة لا تفك خطبة شرعية ، الا للاسباب المشروحة في مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ١١ ، عدد ٣) ، وفي كتب علماء الذمة ، والشريعة الكنائسية .

وقد بلغنا ان بعض البالغين ، والمتفاوتين درجة البلوغ يخطبون حدثات بعمر سبع سنين وما دون تحت طي التردد السيء على امهاتهن او قريباتهن ، قصداً لمثل هذه الاسباب الملومة لا نسمح لكهنة الرعية ، او من [٢٩] يقوم مقامهم ان يضموا خطبات كذا الا بعد اخذ الاذن من اسقفهم الخليق به ان يجري الفحص عن ظروف القضية قبل ان يأذن بذلك ، وسبيل كهنة الرعية ، او من يقوم مقامهم الا يقدموا على تكليل احد قبل ان يبتنوا بالفحص جهدهم عن الموانع التي يمكن وجودها فيما بين القاصدين عقد الزواج ليطلبوا التفسيح منها من السيد البطريرك الكلي الطوبى ، او من المفوّض منه ، وليجروا قبل ذلك التنبيهات الثلاثية في القداس بحسب رسومها في الخورنية نفسها التي منها المتعاقدان ، واذا كان احدهما من خورنية ، والآخر من اخرى ، فلتتم في كل منهما على هذه الصورة وهي :

« فليكن معلوماً عند الحاضرين هنا كافةً ان فلاناً من العائلة الفلانية ، وفلانة من العائلة الفلانية ، والخورنة الفلانية بمعونة الله قاصدان ان يعقدا الزواج فيما بينهما ، ولذلك ننبه على الجميع افراداً واجمالاً بانه اذا كان احد يعلم بانه يوجد ما بينهما مانع ما يمنع الزواج من موانع القرابة الدموية ، او النسبية ، او الروحية ، او اي مانع آخر كان ، يجب عليه ان يعلنه لنا حالاً . وهذا هو التنبيه الاول اذا كان الاول ، والثاني اذا كان الثاني ، والثالث اذا كان الثالث » .

وكاهن الرعية الذي لا يتم التكليل في خورنيته يلزمه ان يخبر كاهن الرعية الذي يتم في خورنيته بانه اجرى هذه التنبيهات ، وانه وجد ، او لم يجد مانعاً ما من الموانع . وكاهن الرعية ، او من يقوم مقامه اذا اهمل اجراء هذه [٣٠] التنبيهات الثلاثية ، او بعضها دون نوال التفسيح من اسقفه ، وتمم التكليل

فيستوجب الرباط، وقصاصات اخرى شديدة على ايثار اسقفه .

ومن يعقد زواجاً دون صلوة العرس المعيَّنة في كتاب رتبتنا سواء كان برضى كاهن الرعية او بدونه، فيسقط حالًا بالحرم الكبير المحفوظ حله لاسقف الابرشية، واذا كان خوري الرعية، او من يقوم مقامه ساعياً بذلك يسقط بالرباط بذات الفعل المحفوظ حله لاسقفه .

ومن يعرف مانعاً من الموانع، ولا يقرره للاسقف، او لكاهن الرعية قبل عقد الزواج، فيسقط في الحرم الكبير حالًا بذات الفعل . ويسقط في هذا الحرم نفسه من بخداع وغش يخترع مانعاً كاذباً، او من بالشور والمساعدة يطابق بذلك عن غش وخداع . ولكيلا يقع غلط في امر الموانع، فيلزم كاهن الرعية، ومن ينوب منابه ان يدرس شرح مجمعنا اللبناني (قسم ٢، رأس ١١) وكتب علماء الذمة ليعلم ذلك جيداً .

وليحذر القاصدان الزواج من ان يوردا مانعاً بدلًا من آخر، او سبباً لطلب التفسيح من مانع ما خلافاً لما هو في ذاته، ولا يكن التفسيح من الموانع كيفما اتفق بل للاسباب المشروحة في مجمعنا اللبناني، وكتب علماء الذمة .

والغرباء عن ابرشية او خورنية لا نسمح بتكليلهم ما لم يحضروا شهادة من اسقفهم، او اقله خوريهم تحت امضائه وختمه بانهم غير مرتبطين بزواج، او برباط آخر يمنعهم عن الزواج . والعاملون بالخلاف فليؤدبهم اسقفهم .

ويعلم كل من يدفع على البنات ليتزوج بهن جبراً عن ارادتهن بانه يسقط بالحرم [٣١] الكبير هو، ومن يساعده على ذلك بايّ نوع كان، وتحرم عليه الابنة التي يدفع عليها .

ولا يخفى ان الزيجة المسيحية، الصحيحة، والمكملة لا تنفك اصلًا الا بموت احد الفريقين . فاذا صار الادّعاء من احد الفريقين او كليهما في بطلانها لامر ما، فليتقدم ذلك الى المحكمة الكنائسية . وليكن العمل في ذلك بموجب نص براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر المبرزة في ٣ تشرين الثاني سنة ١٧٤١ مبدوءة « نحن الذين برحمة الله » التي نضمها في آخر هذا الكتاب عدد ٤[1] .

---

[1]) بعد صدور الشرع الكنسي الشرقي الحديث صار اليوم اتباعه واجباً في الدعاوى الزواجية، وبطل العمل بجميع الشرائع السابقة التي تناقض هذا التشريع . (الناشر) .

وليعيّن كل اسقف محامياً للزيجات في ابرشيته على موجب شرحها. واذا قصد احد من الطوائف الكاثوليكية ان يتزوج بابنة من طائفتنا ، فلا نسمح باعطائها له ما لم يحضر شهادة ممضية ومختومة من بطريركه او اسقفه ، تعلن انه متمسك بالايمان الكاثوليكي المقدس ، ولا يسوغ الزام الامرأة ان تتبع طقس زوجها اذا كان من طقس مختلف عن طقسها ، بل يترك لحريتها عند التكليل ان تنتخب الطقس الذي تشآء ان تبقى فيه سوآء كان طقسها الاصلي ام طقس زوجها حسب المرسوم الصادر من مجمع انتشار الايمان المقدس في ١٩ ايار سنة ١٧٥٩ الذي ندونه في آخر هذا الكتاب عدد ٥ . واما الرجل فلا يقدر ان يتبع طقس زوجته دون اذن كلٍ من رئيسيها المألوفين اذا كان الاثنان من رتبةٍ واحدة على التقديس اي الفطير او الخمير ، واذا كان من رتبة مختلفة ، اي ان الزوج من رتبة الفطير ، والزوجة من رتبة الخمير ، او ان الزوج من رتبة [٣٢] الخمير ، والزوجة من رتبة الفطير ، فيقتضي لذلك اذن الكرسي الرسولي المقدسة ، ولو كانت الزوجة لاتينية في هذه النواحي الشرقية ، لان الترخيص المعطى للزوج الرومي بان يتبع طقس زوجته اللاتينية ان اراد في بولا البابا بناديكتوس الرابع عشر المبرزة في ٢٤ حزيران سنة ١٧٤٢ مبدوة « ولو ان سبر الحبر الروماني الرعائي » انما هو متجه نحو روم ايطاليا فقط .

ولتجتهد الاساقفة ، وكهنة الرعية في منع تلك الخلاعات ، والضجات ، وجلبة الاصوات ، والاغاني الغير اللائقة التي تحدث في احتفال الاعراس ، مما يجلب غضب الله على الفاعلين ذلك ، والعار والسخرية عليهم من الناظرين اليهم ، وفي صد كلما هو من شأنه ان يوقع شكوكاً واضراراً في هذا الامر . وان اقتضى تأديبهم للامتناع عن هذه الامور المكروهة فليؤدبهم الاساقفة بما يرون ملائماً . وليكن تكليل العرسان في الكنيسة نهاراً على موجب رتبتنا الا عند اللزوم الصوابي ، ففي البيت ، وباذن الاسقف المكاني . وحينئذٍ مسموح لكاهن الرعية ان يستمع اعتراف القاصدين الزواج في هذا اللزوم خارجاً عن الكنيسة ، وكرسي الاعتراف .

واما قانون تحاليل موانع الزيجة فليؤخذ بحسب التحديد الذي نضعه في آخر هذا الكتاب عدد ٨ ، وكل من هو مفوّض بالتفسيح من الموانع ، فليدوّن عنده

في كتاب اسماء الذين يفسّح لهم منها مع ذكر الموانع التي يفسّحها لهم باليوم ، والشهر ، والسنة ، ويعرضه على اسقفه كل مدة لينقله المسجل الى كتاب التحاليل المحفوظ في خزانة الاسقف ، وكاهن الرعية ، فليدوّن في كتاب كنيسته اسماء المخطوبين ، والمزوجين ، والموانع التي تفسّح لهم منها باليوم والشهر [٣٣] والسنة بالرقم العربي لا الهندي ، ومن يهمل هذا الامر فليؤدبه اسقفه ملزماً اياه فيه .

سادساً : عمّا يلاحظ سر القربان الاقدس ، وتقدمة القداس الالهي ، فانه امرٌ معلوم بان كل مؤمن بالغ السن ملزوم من باب الوصية الالهية بتناول هذا السر الاقدس ، واما من باب الوصية الكنائسية ، فملزوم بتناوله اقله مرة واحدة في السنة في الايام الفصحية تحت عقوبة الحرم بحكمٍ واجب اجراؤه على المخالفين اذا لم يكن لهم مانع مثبوت يمنعهم عن ذلك . وهذا لا يُفهَم منه عن مواظبة التناول فقط لان الكنيسة المقدسة ترغب من بنيها ان يتقدموا بتواتر ، لا سيا في الاعياد المشهورة ، الى تناول هذا السر المقدس باستمداد الجسد بالصوم الطبيعي عن كل مأكل ومشرب ، وبنقاوة القلب ، وطهارة النفس. ومن يعرف انه خالٍ من ذلك فليمتحن ذاته بالاعتراف الحقيقي بخطاياه لدى معلم الاعتراف. ولذلك نأمر كهنة الرعايا ، ومن يقوم مقامهم ، ومثلهم رؤساء الرهبان ، ورئيسات الراهبات ان يحثوا بالرب الخاضعين لهم ، ويرشدوهم بان يتقدموا الى تناول هذا السر الاقدس بتواتر ، وهم صائمون ، ومعترفون بخطاياهم لدى معلم الاعتراف اعترافاً نقياً كامل الشروط ، ليحصلوا بذلك على زيادة النعم الالهية التي يمنحها هذا السر الالهي لمتناوليه باستحقاق. ولكي يتمم جميع المؤمنين وصية البيعة المقدسة بالتناول الفصحي عند خوريهم اذا لم يمنعه مانع شرعي عن مناولتهم بذاته ، فليكن عنده مدوناً عدد جميع ابناء خورنيته . ومن منهم لا يتمم هذه [٣٤] الوصية في الايام المعينة فليشكه لاسقفه. والذين ليسوا من خورنيته فليرسلهم الى خوريهم ، الّا الغرباء ، والسائحين ، والذين ليس لهم مقر خصوصي فيناولهم بذاته المناولة الفصحية اذا طلبوا منه ذلك بحسب الرسوم .

ونأمر كهنة الرعيّة بالّا يهملوا ممارسة العادة الحميدة بان يعطوا الذين

يتممون عندهم التناول الفصحي ورقةً يعتلن منها ذلك تحت امضائهم وختمهم في اليوم ، والشهر ، والسنة . وبعد انتهاء الايام الفصحية يجمعونها منهم ليطلعوا منها من تمم هذه الوصية ، ومن لم يتممها . واذا اتجد احد لم يتمم الوصية بالتناول الفصحي بعد نهاية الايام الفصحية فلينبهه خوريه عن ذلك . واذا مضى ثلاثون يوماً من بعد الايام الفصحية ، ولم يتمم بها هذه الوصية ، فليعرض عنه خوريه لاسقفه . واذا لم يعرض عنه فيقع بالرباط المحفوظ حله لاسقفه ، وننبههم ايضاً لكي ينظموا في كل سنة قبل عيد الفصح دفتراً يدوّنون فيه حال الانفس القاطنين خورنيتهم مفصلاً باسمهم ، ولقبهم ، وعمر كل فردٍ منهم او العايشين فيها كفرباء. وبعد الايام الفصحية يسلموا هذا الدفتر مع اوراق المناولة لاسقفهم ليحفظه في خزانة كنيسته .

ولكي يتمكن المؤمنون لا سيما المشرفون على الموت من الحصول على تناول هذا السر المقدس كل مرة الزمهم الامر لذلك ، ويزورره بتلك العبادة المطلوبة فنأمر رؤساء الديانة والمدارس ، وكهنة الرعية الذين يمكنهم ان يحفظوا القربان الاقدس في كنائسهم البعيدة عن الاخطار في اناء من ذهب ، او فضة ، او قصدير ، او نحاس مطلي بذهب داخل بيت جسد ظريف لطيف وبابه [٣٥] مقفول جيداً بمفتاح يحفظ بيد كاهن الكنيسة ، وامامه قنديل مسروج ليلاً ونهاراً. وفي كل سبةٍ من فصل الصيف ، وفي كل سبتين في فصل الشتاء ، يتناول الكاهن القربان ، ويضع مكانه قرباناً جديداً. واذا لم يكن القربان الاقدس محفوظاً ، فالكاهن في قداسه يقدس اجزاءا على عدد المؤمنين الطالبين التناول لئلا يلتزم ان يناولهم من جوهرة قداسه .

واما صمد القربان الطاهر في الكنائس علانيةً فلا يكن الا باذن الاسقف المكاني ، وبتلك اللياقة المطلوبة ، وحمله الى بيوت المرضى فليكن تاماً حسب شرح مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ١٢) .

واما تقدمة القداس الالهي فمن كونها الاقدس فيجب ان تُخدم من الكهنة بالنوع الاقدس ، وتتقدم ، وتتناول منهم باستحقاقٍ واحترامٍ اعظم . ومن ثمّ سبيلهم ان يمارسوها كما ينبغي بالطهارة ، والقداسة ، والخشوع ، والاصغاء الكامل دون ان تكون قلوبهم مدنسة بخطايا مميتة .

وان وجدت معابة من ذلك فليمتحنوا ذواتهم بالاعتراف النقي لدى معلم الاعتراف قبل ان يتقدموا لخدمة هذا السر الالهي وتناوله . الا اذا لم يكن يتجد معلم الاعتراف ، وكان التقديس حينئذٍ ضرورياً ، فيكفي ان ينسحقوا عن خطاياهم بحيث ان يكون لهم قصد ثابت ان يعترفوا بها حالاً متى امكنهم. والا فيأخذون دينونةً لانفسهم .

ومَن مِن الكهنة ايًا كانوا يتمم قداسه باقل من نصف ساعة ، او لم يمكث في الكنيسة بعد قداسه اقله ربع ساعة يصرفه بالشكران ، والتأمل الروحي فليؤدبه [٣٥][1] اسقفه . ولا نسمح لكهنة طائفتنا غلانيين كانوا او قانونيين ان يستعملوا في القداس نوافير غير المطبوعة برومية ، والمطبوعة على موجبها في دير ما انطونيوس قزحيا بدون الاذن خطًا من السيد البطريرك الكلي الطوبى الذي لا يعطيه لهم ، الا بعد فحص العلماء الماهرين بمعرفة الطقوس ، والعلوم اللاهوتية . وبحيث انه اذا كان موجوداً فيها قطع باللغة العربية يكون مقابلها السرياني كرسم مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ١٣ ، عدد ١١) .

ويلزم الكهنة ان يكونوا خبيرين بمعرفة الطقوس ، والرتب الكنائسية ، ولذلك رسم مجمعنا هذا بان الاساقفة لا يضعون اياديهم على احدٍ قبل ان يتمرّن بمعرفة ذلك ، وبعد امتحانهم اياه فيه .

وقد بلغنا ان بعض الكهنة لا يكترثون بنظافة الكنائس التي يقدسون بها ، والمذابح التي يقدسون عليها ، والملابس التي يستعملونها للتقديس ، وباصلاحها او بتغييرها اذا كانت رثة وعتيقة فنحتم عليهم الحتم الجازم ان يعتنوا بملاحظة ذلك حسب نص مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ١٣ ، عدد ٧ ، وقسم ٣ ، رأس ٣ ، عدد ٢ ، وقسم ٤ ، رأس ١ ، عدد ٢ و ٣) .

ومن منهم يتغاضى عن ذلك فليؤدبه اسقفه اشد تأديباً دون قبول عذر ، واحتجاج ، وكهنة الرعية فليقدسوا في كنائسهم بالوقت الملائم لاستماع الشعب القداس حسب ظرفي الزمان والمكان تقديماً او تأخيراً بحسب الترتيب الواجب عمله من الاسقف المكاني بحيث لا يعدم الشعب هذه الفائدة المقدسة ، لا سيما اذا كان له كاهن واحد فقط ، ويحثوه ليواظب كنيسة خورنيته لحضور الصلاة

---

[1] مكرر هذا الرقم (الناشر) .

[٣٦] والقداس ، واستماع الوعظ ، والتعليم المسيحي في الوقت المعيّن منهم اقله ايام الآحاد والاعياد .

ومجمعنا هذا يحتّم على الجميع بذلك ، ولو ادعى بعضهم بانهم يتممونـه بتلك الافادة عينها في كنيسة غير كنيسة خورنيتهم حتى وفي كنائس المرسلين اللاتينيين الواجب عليهم ان يلاحظوا ذلك بموجب المرسوم الصادر من مجمع انتشار الايمان المقدس في ٢٥ نيسان سنة ١٧٠٧ الذي نضمه في آخر هذا الكتاب ، مع المرسوم الآخر الصادر منـه في ٢٦ نيسان سنة ١٦٤٧ في منع المرسلين اللاتينيين عن توزيع الاسرار المقدسة على ابناء طائفتنا من دون اذن رؤساء طائفتنا نفسها عدد ٦و٧ ، ومن من الشعب يخالف ذلك فخوريه يرفع امره الى اسقفه ليعامله بما يستوجب .

والكهنة اذا توجهوا الى المدن او الى الاماكن البعيدة عن ابرشيتهم بقصد الاستمرار فيها مدةً ما فليكن معهم ورقة شهادة من اساقفتهم بانهم غير ممنوعين من التقديس يعرضوها على اسقف المكان ، او وكيله ، او خوري الرعية . ومثلهم الكهنة الرهبان من رئيسهم .

واما اوراق شهادة الكهنة او الرهبان اللاتينيين [فلا] نقبل ما لم تكن مثبوتة وممضاة من رؤسائهم القانونيين المقيمين في سوريا ، او من رؤساء عام رهبانهم ، او من مجمع انتشار الايمان المقدس ، او من السفراء الرسوليين الموجودين في الجهات التي يحضرون اليها .

واما الكهنة المختلفة طقوسهم عن طقسنا بالطقس اللاتيني ، فلا نسمح لهم بالتقديس عندنا ما لم يتحقق اعتقادهم بالايمان الكاثوليكي المقدس ، وانهم [٣٧] غير محرومين ، او مربوطين من اساقفتهم الكاثوليكيين .

وكذلك لا تقبل بنو ملتنا شماساً ، او كاهناً ، او اسقفاً يخدم الاسرار الالهية في كنائسنا ما لم يتحقق انه مرسوم من اسقف كاثوليكي ، او اذا كان مرسوماً من اسقف اراتيكي او مشاق ما لم يتحقق انـه كفر بالارتقة والانشقاق ، وقرأ صورة الايمان الكاثوليكي ، ونال من السيد البطريرك الكلي الطوبى الحل من الرباط ، والتفسيح من الحجز .

وقد تقرر لنا ان بعض الكهنة في بعض اماكن يقدسون في البيوت احياناً

استناداً على بعض اعذار فارغة ، ولذلك نأمر امراً جازماً بألا يقدس احدٌ من الكهنة خارجاً عن الكنيسة او المعبد المعيّن ، والمكرّس ، او المبارك لهذه الغاية بدون الاذن خطاً من السيد البطريرك ، او الاساقفة المكانيين ، الذي لا ينبغي ان يعطى بسهولة ، ولا خلواً من ضرورة كيفما اتفق ؛ والكاهن الذي يخالف ذلك فليؤدبه اسقفه اشد تأديباً .

واذا وقع عيد البشارة يوم الجمعة العظيمة ، او السبت العظيم فلينقل في كل طائفتنا ، نظراً الى البطالة والفرض ، الى يوم الاثنين التالي الاحد [للاحد] الجديد . واما اذا وقع في باقي ايام سبة الآلام فلينقل الى اليوم المذكور نظراً الى الفرض فقط لا البطالة . وهكذا عيد مار يوسف البتول اذا وقع في احد هذين اليومين فلينقل الى ثلاث [ثلاثاء] الحواريين نظراً الى الفرض والبطالة معاً .

والكهنة سواء كانوا من الاكليروس العلماني ام القانوني لا نسمح لهم بان يقدسوا بروس مغطاة ، حتى ولا بالعرقية ، الا عن اذن السيد البطريرك الكلي الطوبى خطاً ، وللكلام الجوهري فقط لان المجمع المقدس [٣٨] رسم بانه مسموح للاساقفة فقط بان يقدسوا والقلنسوة على روسهم لحد الكلام الجوهري ، وبعد تناولهم القربان الاقدس .

وليقدس كل خوري رعية في كل سنة اثني عشر قداساً لاجل ابناء خورنيته اي قداساً واحداً في كل شهر حيث ان معاشه مرتب عليهم ، والكاهن اذا فاضت حسنة قداساته عن الستين قداساً فيلتزم ان يوزع على الكهنة ما يفيض معه عن ذلك ، الا اذا المحسنون وافقوه على ايفاء الفائض معه لكي يقدس به .

ويجب على كل كاهن ان يطلع اسقفه كل سنة على دفتر قداساته ، لكي اذا وجده مخالفاً هذا الرسم يعاقبه بما يستوجب .

ولتفحص الاساقفة عن الاوقاف المربوطة تحت قداسات في الاديرة ، والمدارس ، والكنائس ، والمعابد ، وغيرها ؛ ويقفوا على الدفاتر الواجب ان يتحرر فيها رسم القداسات بذاتهم ، او على يد نوابهم . واذا وجدوا تقصيراً من الملتزمين بايفائها فليقاصصوهم بما يرون ملزمين اياهم بايفائها .

ولا يجوز للكهنة العلمانيين والرهبان ان يقبلوا عليهم التزامات بقداسات

مؤبدة الا عن اذن الاسقف خطأ الذي لا يبيح لهم بقبولها ، الا ان رآهم كفوءا للقيام بهذا الثقل المؤبد بعد فحصه عن المدخول حسب العادة الجارية . والنتيجة فليحفظ ما هو مرسوم في ذلك من مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ١٢ ، عدد ١٣) .

وليعلم كل كاهن من كهنة طائفتنا بان البابا غريغوريوس السادس عشر السعيد ذكره قد [٣٩] خصص كل مذبح كبير من مذابح طائفتنا اينها كانت بانعام الغفران المؤبد في كل ذبيحة تتقدم عليه من جميع الكهنة سواء كانوا من العلمانيين ام من الرهبان وذلك في ١٠ ايار سنة ١٨٤٠ .

سابعاً : عمّا يخص سر الدرجة المقدس فكما ان هذا السر مقترن مع التقدمة بفرض الهي من حيثية الكهنوت الذي سلمه السيد المخلص لرسله ولخلفائهم في الكهنوت اذ خولهم السلطان على تقديس جسده ، ودمه ، وتقدمته ، وتوزيعه على حل الخطايا وامساكها فهكذا خدمة الكهنوت نفسه هو امرٌ الهي .

ولكي يمكن ان تُمارس بمزيد الاحترام ، وعظم اللياقة ، وجب ان تكون درجات خدام الكهنوت مختلفة ، ومتعددة تبتدئ من الادنى ، وتنتهي بالارتقاء الى الاعلى . ومنها صغار ، ومنها كبار . فالدرجات الصغار في كنيستنا السريانية الانطاكية ثلث اي درجة المرتل المتضمن فيها رتبة قص الشعر ، والقارئ ، والشدياق الشمداني . والكبار ثلث ايضاً اي الشماس الرسائلي ، والقس ، والاسقف . واما الباقي كالشماس الانجيلي المعروف بالارشيدياكن ، والبردوط ، والخوري الكبير ، والخوري ابيسكوكوس ، والمطريبوليط ، والجاثليق ، والبطريرك هن وظائف كما لا يغرب ذلك . ولكل من هذه الدرجات ، والوظائف خدمة مخصوصة مشروحة في مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٢ ، ورأس ٣ ، ورأس ٤ ، ورأس ٦) . فسبيل كل من اصحابها ان يسلك على منهج ما تقتضيه منه درجته ، ووظيفته خلوًا من كل توانٍ واهمالٍ [٤٠] واضعاً دائمًا بازاء عينيه الحساب الصارم العتيد ان يؤديه عن وزنته في ذلك اليوم الرهيب يوم الحشر والدينونة . وان وجد كذلك العبد الكسلان الذي دفن فضة سيده فيلقى في الظلمة البرانية حيث البكاء ، وصريف الاسنان .

(يتبع)

تعريف عن الكتب

تاريخ الوزارت العراقية

بقلم عبد الرزاق الحسني

الجزء السابع والجزء الثامن (مطبعة العرفان – صيدا ١٩٥٥)

ولو ان وجه بلد لا يظهر تاماً خلال سياسة حكومته يحق لهذه السياسة ان تدعي بان جزءاً كبيراً من تاريخه هو صنيعتها. ان العراق في حكوماته المتتابعة العديدة يتراءى للناظرين اليه كبلد يفتش على قرار لم يجده ولم يقدر قط على الوصول اليه تاماً فان الحكومات عنده كما في سائر هذه البلاد الشرقية تأتي وتذهب بسهولة : وهذا امر يحمل من يلاحظه على ان يتمنى لهذه البلاد قرارة وانسجاماً اكثر ثباتاً . لكن هذا لا يمنع من ان يكون متلو الحكم ذوي حس وطني وان يكونوا ايضاً عرضة لنفوذ قوات خفية . رغماً عن ذلك ومها كانت الترددات والعثرات والحوادث المؤلمة يدرك البلد سلاماً ولو كان مرتجاً . تكفي مطالعة هذين الجزئين وقراءة شتى البيانات الوزارية وملاحظة سهولة توالي الحكومات لتثبيت ما قلناه . وعبثاً نسأل عن اسباب هذه الحالة المتقلقة.

كنا قد تكلمنا سابقاً عن الجزئين الاولين من هذا الكتاب وأثنينا عليها : فيها وجدنا معلومات مأخوذة من مصادرها دون الحاقها بتأويل تلفق معانيها . أمنيتنا من المؤلف اهتمام اعظم في مقابلة شتى البيانات الوزارية بعضها مع بعض فقد ترك هذه المهمة لمن اراد ان يوحد كل تاريخ العراق ا. ع. خ

التفكير الحرّ في سبيل الانسانية والروحانية

بقلم الاب واصاف كرم اللبناني

(مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونية – لبنان ١٩٥٦ – ١٣٩ صفحة ، حجم وسط)

لهذا الكتاب طابعه المبتكر فقد اراد مؤلفه ان يحملنا بنوع غير مباشر على الاقرار بالمبادئ الاولية لكل تفكر روحاني : الله – الحرية – روحانية النفس ... وقد توصل الى ذلك بنجاح له قيمته .

قراءة هذا الكتاب تسهل علينا اجتياز مسالك وعرة بفضل سلامة انشائه وبطريقته الاستفهامية الخاصة وبالمنطق او بالاحرى بالخبرة اليومية المثمرة ، يبلغ المؤلف هدفه بانشائه المجازي والاستعارات حتى وباعتبارات اجتماعية :

هذا نوع أعجبنا لكن لنا من المؤلف رجاء وهو ان يبني مبادئه على اسس اكثر ثباتاً فان كتابه لا يقدر على الصمود امام قارئ همّ بجادلته . ينبغي ان يتبع هذه الخطوة الاولى خطوات اخرى آمنُ واثبت . ا. ع. خ

الاستعمار

بقلم الامير مصطفى الشهابي

الجزء الاول ٢٢١ ص – مطبعة دار الهنا بمصر ١٩٥٦
الجزء الثاني ٢٢٠ ص – مطبعة النهضة مصر ١٩٥٧

كتاب في جزئين يحتوي على محاضرات في الاستعمار القاها الامير مصطفى الشهابي على طلبة « معهد الدراسات العربية العالية » تناول فيها موضوع الاستعمار من جميع نواحيه. فيبدأ بدراسة نظرية حول تعريف الدولة والامة ثم ينتقل الى تاريخ الاستعمار ومسوغاته في نظر المستعمرين واشكاله المتنوعة حتى ينتهي الى دحض فكرة الاستعمار من اساسها . هذا في الجزء الاول من الكتاب .

اما في الجزء الثاني فهو يتناول المسألة العربية متكلماً عن القومية العربية فالدولة العربية الواحدة عهد الراشدين والامويين. فالامة العربية في نظره تشمل كل اصقاع الجزيرة فالعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وافريقيا الشمالية ، وسكان هذه البلاد كلهم عرب لان الجزيرة كانت منبعاً ونقطة انطلاق للشعوب القديمة التي حلت مصر والساحل الفينيقي وما بين النهرين . فالسريان والاحباش والاقباط والبربر كلهم من اصل سامي عربي .

وهكذا يصهر في بوتقة الامة الواحدة العرب والفينيقيين والاقباط والبربر على اختلاف طبائعهم وسجاياهم وعاداتهم . وهو ينسى او يتناسى ان كل هذه البلدان لم تكن يوماً موحدة في دولة ... واذ يصل في كتابه الى المسألة الشرقية يتوقف خاصة على الانتداب الفرنسي في لبنان وسوريا فيصم فرنسا بتهمات جريئة وان لم تخل من الصحة :

فرنسا في نظره قد امتصت بحجة الانتداب اموال سوريا ولبنان . وهي التي سببت التأخر الاقتصادي والسياسي والثقافي في البلاد . وقد ربت نشأ لا يعترف بقوميته العربية ويتنكر للغته . هي الدولة المجرمة التي قضت على الوعي القومي وعلى حرية الضمير . وحتى المبشرون الفرنج فانهم كانوا انصاراً للاستعمار يعملون على تمليك فرنسا في رقاب الاهلين .

ويختم كتابه بدعوة الى التحرر قوامها الثورة لان « الظلم الذي يحصل بالقوة لا تدفعه الا القوة » وهو يرى ان الاستقلال لا ينتزع من المستعمرين الا بالدم .

اما الدافع على تأليف هذا الكتاب فهي هذه الروح الثورية المشغوفة بحب الاستقلال التي راحت تدعو الى التحرر ولو كلف اهراق الدم وبذل المهج ولا غرو فالمؤلف عاش في عهد الانتداب وتألم من المظالم التي ارتكبت باسم قانون الاستعمار . فاراد ان يوقظ في قلوب العرب حب الحرية ولذة الاستقلال بحمله على المستعمرين ودعوته الى الثورة في هذا السبيل .

فهو يكشف عن مساوئ الاستعمار في جميع الحقول من سياسية الى اقتصادية فثقافية وقومية . . . وفي حماسه هذا ينسى او يكاد ينسى ان للاستعمار فوائد . ولذلك يستنتج ان الاستعمار لا يجوز مطلقاً ، وان مسوغات الاستعمار التي يتذرع بها المستعمرون ان هي سوى حجج واهية لاستغلال الشعوب المستعمرة . فهذه النظرية وان لم تخل من الصحة فهي في نظرنا قابلة الانتقاد :

يرى المؤلف ان يبقى الشعب الجاهل الهمجي على جهله وهمجيته ويفضل هذه الحالة على النور والثقافة على يد المستعمرين . اما نحن وان كنا لا نقدس الاستعمار ولا نستسيغه في البلاد المتمدنة فاننا نقرّه في البلاد التي يأكل فيها البشر لحمان ابناء جنسهم وحيث تعيش القبائل كما كان يعيش رجل العصر الحجري . هذا الاستعمار الانساني نراه واجباً على الشعوب المتمدنة . ولسنا نرتضي كما هو رأي المؤلف ان تظل هذه الشعوب على فطرتها . وان استفاد الشعب المستعمر من حاصلات البلاد فهذا لا يعني ان هناك ظلماً الا اذا ادت هذه الافادة الى استغلال هذه البلاد وحرمان اهليها من مرافق العيش واستعبادهم لغايات شخصية كما يحصل في اكثرية المستعمرات . فنحن ندحض مثل هذا الاستعمار

كما اننا لا نجيز استعماراً في غير موضعه او استعماراً هدفه ونتيجته استغلال الشعوب الضعيفة وهضم حقوق الدول الصغيرة . فالمؤلف لا يرى محاسن للاستعمار البتة وهذا خطأ .

اما الكتاب فلغته سهلة وقراءته شيقة ويعجبك ما فيه من دعوة للوعي والتحرر والاتحاد .

لكن المؤلف في حماسه ينسى او يتناسى حقائق تريخية فيحوّر ويأوّل على هواه وقائع واضحة وذلك لبث فكرة وللدفاع عن وجهة نظر . فهو لا يرى الا قضية يريد الذود عنها ولا يفطن لما في نظرية غيره، حتى ولو كانت عرضة للانتقاد، من محاسن .

نحن نحس مع المؤلف بثقل الاستعمار ووجوب مقاومته لكننا لا نقدر وان اخفينا بعض الحقائق ان نحوّر التاريخ . فما كان قد كان . ولم يكن التاريخ يوماً ملك ارادتنا. اما تحوير الحقائق الراهنة وتأويلها على هذا النحو فهو مساس بالحقيقة والعلم لا يغفره للمؤلف كل واقف على وقائع الامور .

جوزف ضرغام

حديث السائح

رواية حياة القديس اغناطيوس (كتبها عن ذاته)

(طبعة ثالثة : اهتم بتنقيحها الاب ا. تيري اليسوعي ١٩٥٦ .
مئة واثنتين وخمسين صفحة – عند دبكلي دي بروور)

سنة ١٩٥٦ هي الذكرى المئوية لموت القديس اغناطيوس دي لويولا مؤسس الرهبانية اليسوعية. في هذه المناسبة صدرت عن مؤلفين شهيرين بحوث ومؤلفات عديدة . لكن الكتاب الذي تلذ بنوع خصوصي قراءته هي حياته كما حدّثنا عنها هو نفسه فاننا نجد فيها خلوص نفس ساذجة وعمقاً روحانياً لم يُسبق. يتقدم نصَّ رواية حياة القديس عن ذاته بحث مطوّل في حوادث حياة القديس اغناطيوس وضع فيه الاب تيري بنوع لطيف وذوق سليم عاطفة بنوية واعجاباً جاء في محلّه .

واننا نهنئ دار الطباعة لاتقان هذه الطبعة وحسن اخراجها. ا. ع. ح

Emmanuel Karim Delly - *La Théologie d'Élie bar Sénaya. Étude et traduction de ses Entretiens.* (Studia Urbaniana), n. 1). Rome, Pontificia Universitas Urbaniana de Propaganda Fide, 1957. Gr. in-8°, 95 pp.

هذا فصل من اطروحة الدكتورا التي قدّمها المؤلف الى جامعة البروبغندا في رومية . موضوع البحث درس حياة اسقف نصيبين واعماله .وهو يعتمد على مخطوطات لم تنشر بعد . فهو اذاً تأليف مبتكر .

يبتدئ المؤلف بعرض جميع المخطوطات التي اعتمد عليها بعد مقابلتها بعضها ببعض وتصنيفها ثم يتحدث عن المجادلات الاسلامية المسيحيـة في كنيسة بلاد الفرس واخيراً يبحث في السرين العظيمين الثالوث والتجسّد .

الكتيّب الذي اتحفنا به المؤلف هو فصل من تعاليم أسقف نصيبين تتعلق بتجسد الكلمة : بحث وضعي جلي يعتمد على نصوص قديمة ثابتة يأولها بمقابلتها بعضها ببعض حافظاً معنى للتطور في فكرة المؤلف الاصيل . فهو بحث حاذق جريئ . فالمؤلف دللي بعد ان جادل بعض اراء سابقيه كالسمعاني وغيره يُعطي رأيه الذي يظهر لنا حسب النصوص المعطاة الاكثر صواباً . ولكن يلزمنا للحكم النهائي والبتّ في قيمة هذا الكتيّب انتظار نشر المؤلف بكامله ونشر كل محادثات اسقف نصيبين .

يأوّل المؤلف فكرة ايليا من خلال عقليـة ليست عقلية إسقف نصيبين ويتوصّل الى صدّها وكشف ما فيها من خلل وحيرة . اتّبع هذه الطريقة وكان يجدر به ان يرجع الى التاريخ والعصر الذي عاش فيه ايليا ليكشف عن معنى الجوهر والذات والكيان واذاك لكانت الاطروحـة اقرب الى تفهم شطط اسقف نصيبين . ولكن لن نجادل المؤلف في ذلك كما فعل بعضهم بمرارة والم وبحنق ليس للطريقة العلمية فيه شيء .

في ختام الكتيّب الذي درسناه نشر المؤلف اثنين من احاديث الاسقف المذكور ورسالة في وحدة الخالق وثالوث اقانيمه . اننا نأخذ برأي المؤلف فيما يتعلق بمقدرة الاسقف المنطقية. لذلك نتمنى نشر البقية دون تأخير ونتمنى كذلك ان يهتم المؤلف بالبحث عما تبقى من آثار هـذا الاسقف كي نعرف ايضاً من مطالعتها ان كان اللاهوت النسطوري قد اثر في التعاليم الروحية .

يقول المؤلف انه اختار المخطوط الاصدق نقلًا وفكرًا لانه اقدم المخطوطات المعروفة . لا نقرّه على رأيه هذا فان القدم ليس وحده بمحك لفصل الخير من الغث .

يا حبذا لو توسّع المؤلف في ايضاح حكمه في تعاليم الاسقف بما يخصّ عقيدة الثالوث والتجسد فيبيّن لنا — دون تأكيدات قاطعة — كل ما يتعلق بالجوهر والطبيعة ما يقربها ويميّزها لكي يعيّن بنوع جليّ النقطة التي زلّت فيها العقيدة النسطورية . لقد اعطانا المواد لكن ينقصنا التبيين ونحن بانتظار .

ا. عبده خليفة اليسوعي

Léonce de Grandmaison s. j. — *La personne de Jésus et ses témoins.* (Coll. Verbum Salutis. Préface de Jean Daniélou s. j.) — In-16, 264 pp. Paris, Beauchesne 1957.

لا حاجة هنا الى تقديم كتاب « حياة المسيح » تأليف الاب دي غرانمزون. لكننا نقدم طبعته الجديدة وقد ظهرت مطابقة لما يتطلبه جمهور القرّاء المعدّة له.

عنوان الكتاب يدل على معنى المنتخبات منه او بالاحرى ما أهمل من المؤلف التام اي اولًا الجزء الاول بكامله وموضوعه « الاصول » ثم « البيئة » و « الرسالة » .

ما يشغل الانتباه هو شخص يسوع المسيح نفسه لذلك أهمل ايضاً الجزء الثاني عينه وكذلك الكتاب الخامس الذي يبحث عن « اعمال المسيح » ثم القيمة الجدلية لنبؤاته وعجائبه وقيامته ولم يُحفظ الا الفصل الجوهري الذي يختص بـ « سر يسوع » ثم الفصول التي تبحث في شهادة الجيل الاول وشهود التاريخ .

يظهر الخيار صائباً ونقدّر الرزانة في المحافظة على المتن فلم ترد عليه الا ملاحظات نادرة .

ف. ده ل.

Saint Augustin parmi nous, par H. Rondet, Ch. Morel, M. Jourjon, J. Lebreton. In-8°, 309 pp. Le Puy, Paris, X. Mappus, 1954.

يتركب الكتاب من ستة بحوث يتبع الخمسة الاولى منها نصوص منقولة الى الافرنسية . نحب ان نقرأ منها العناوين .

القديس اوغسطينوس ما بيننا (هـ. روندِه)—حياة صلاة القديس اوغسطينوس بحسب مراسلاته (ش. موريل) — الغنى والفقر بحسب مواعظه (هـ. روندِه)—

الاسقف وشعب الله بحسب القديس اوغسطينوس (م. جورجون) — الحرية والنعمة في لاهوت القديس اوغسطينوس (ه. رونده) - القديس اوغسطينوس في افريقيا المغزوة (ج. لوبروتون) .

على ما يظهر ليس عندنا هنا الا حزمة : اربع من عشر زهراتها مُقتطفة من مجلات قد نشرت قبلًا . اذن الا يكون ما يجمع بينها الا عنوان . ليس كذلك فان لاجزاء الكتاب كلها ما عدا الخامس لها موضوع واحد عدا تعاليم القديس اوغسطينوس وهو الاهم:حياة القديس حياته النفسية وحياة راعي نفوس وبهذه الحياة هو قريب جدًا منا . ثم ان الجزء الخامس نفسه الذي يبحث عن الحرية والنعمة في اللاهوت الاوغسطيني لا فقط يعيد الينا ذكرى الجدال البلاجي والنيمي-بيلاجي لكنه يظهر لنا منفعته التي لا تزال حالية حتى عند فلاسفتنا الوجوديين .

انها لموهبة خاصة بالاب ه. رونده ان يتفكر بنوع حي تفكر القديس اوغسطينوس — ولا شك ان الذين تعمقوا فيها قليلون — دون التناني عن الفكر المصري فانه لا يجهل منه شيئاً له قيمة وفي هذا على رأيي اعظم منفعة هذا الكتاب الذي يوافق تماماً عنوانه .

نقرأ (في الصفحة ٤٠) : « العلم والقداسة يجتمعان في القديس توما بحر القهم وحوة السذاجة لكن الدكتور الملائكي يبين لنا مع ذلك بُعدًا . يبعد عنا باكثر من ستمئة سنة ومع ذلك يرمي على ظلماتنا شعاعاً نيّرًا يبهرنا احياناً. المخلص اللاهوتي الذي شيده كحمى لحقائق اعتقادنا جميعا قد اقتحم الدهور واليه نعود برضى . اننا لا نسكن فيه كل ايامنا فانــه معقدس منه ننزل الى السهول حيث الناس يقاتلون ويعيشون .

اما اغوسطينوس فهو قريب منا . الف وخمسمئة سنة مرت وكانه يعيش بيننا بذكائه وبقداسته وباخلاصه الساذج . لا ندّعي بانه قد قال كل ما ينبغي قوله وقد ادرك كل ما يمكن ادراكه لكن ما أعطاه من توجيهات ايام كان العالم على انهيار لا تزال له قيمته .

مع ذلك ان رأي الاب رونده في القديس اوغسطينوس يبقى بصيرًا فهو لا يتردد (صفحة ٣٩) في إبانة « نقائص » اوغسطينوس وصفحاتُ بحثه

التعليمي هي مدققة جداً تنبهنا بصواب الى نقاط تحذر القارئ منها .

العلاقات بين امبروسيوس واوغسطينوس هي برأيي جديرة بان تواجه بانتباه ادق . المؤلف يقول عن امبروسيوس: « رزين لا ينتبه الا قليلاً الى ما يُقلق نفساً تفتش عن الله : اليس في هذا القول افراط . فمن تعرّف ولو قليلاً (على القليل في قراءات الفرض) الى امبروسيوس — وقد يكون بين آباء الكنيسة الاكثر انسانية — يقف ولا شك متحيّراً ازاء هذا الحكم . الا نقدر ان نتكلم بالاحرى عن وَجل اوغسطينوس .

بحث الاب لوبروتون كان قد نُشر سنة ١٩٤٢ في زمن الاحتلال الالماني وجاء اذ ذاك حقاً في وقته . انه يُظهر لنا اوغسطينوس بكبر نفسه التي لم تزل ببعض شيها رومانية بقداستها .

بحث ش. موريل وبحث موريس جورجون يساعداننا ايضاً على التفرّد الى هذه النفس التي هي متحدة تماماً بالله ومُعطاة للشعب معاً .

الكتاب مُهدىً الى الكردينال جرليه سنة يوبيله الاسقفي وبيداً برسالة — مقدمة حيث المديح وافر مدبر يدلّ جلياً على ان نباهته قرأ وتذوّق صفحاته كما فعلنا فهو يختم رسالته بهاتين الكلمتين : خذ واقرأ وليسا الا صدى الصوت الباطني « الذي سمعه سابقاً فيلسوف الاعترافات الشاب » .

ف. ده لترسان اليسوعي

La Sainte Vierge au Liban, par le P. JOSEPH GOUDARD, s. j. Deuxième édition entièrement refondue par le P. HENRI JALABERT, s. j. Gr. in-4°, 308 pp. 1 carte, 4 h.t. en couleurs, 48 pl. en noir. Beyrouth. Imprimerie Catholique, 1955.

تأليف بديع . بمناسبة السنة المريمية (١٩٥٤) جدّد الاب جلابير مؤلفاً قيماً بعد ان اجتهد في تكميله وكان هذا المؤلف قد ظهر اولاً في باريس في الـ la Bonne Presse سنة ١٩٠٨ وقد نفد منذ زمان طويل فاصبح نادراً للغاية وكان عدد كبير من المسيحيين يطالبون باعادة طبعه بعد تصحيحه وتكميله . وهذا ما كتبه بحشمة الاب جلابير في مقدمته : « هذه الطبعة الثانية كما هي

تبقى تصنيف الاب غودار . قبل ان يموت (١٩٥١) كان قد أبشر بهذا التصحيح وترك لنا لذلك حرية تامة ولقد بذلنا وسعنا لعدم التعدي في هذه الاباحة » . والحقيقة هي ان التغييرات جزيلة ومن يقرأ الكتاب بانتباه يلاحظ حالا بان المنقول عن الطبعة الاولى هو اكثر ما يكون نصف النص الجديد .

هذه هي التغييرات الجديدة : اخذ المؤلف في السفر تبعاً إثر الاب غودار وقيد ما لاحظه من تغيرات في زينة كل من المعابد وهندسته وموقعه . من سنة ١٩٠٨ الى ١٩٥٥ — نصف جيل تقريباً ذو تاريخ مضطرب — حوادث كثيرة تتابعت لا بد من الالماح اليها وبالاخص النمو الذي حصل لمزار معبد سيدة حريصا . في ظلّ هذا المعبد الوطني نشأ سنة ١٩٠٣ و ١٩٣٦ رهبانية مرسلين ورهبانية مرسلات مشهورتان بغيرتها اي الآباء البولسيون وراهبات سيدة المعونة الدائمة الملكيات . عندنا لوصف هذا الحادث فصل جديد بتمامه (صحيفة ١٠٩—١١٥) . مثل ثانٍ : الاب يعقوب من غزير الكبوشي المتوفى سنة ١٩٥٤ الذي عاش حياة قديس كان قد حصل في سنة ١٩١٩ على صومعة حقيرة مكرّسة لسيدة البحر واقعة فوق جل الديب . هناك سنة ١٩٢٥ ارتفع صليب فوق معبد صغير . وبنيت اربع حُجر ضيقة . « من هذا البدء الوضيع انبثت جمعية رهبانية : فرنسيسكانيات صليب لبنان ومستشفى — مأوى يأوي اكثر من ثمانمئة من البؤساء » . في الصفحة الثامنة يتكلم الاب جلابير عن الاب يعقوب بإعجاب ويصفه « كوتولانغو لبنان الحقيقي » .

في الانتداب الفرنسي استعاد لبنان حدوده الطبيعية التاريخية . لم ير الاب جلابير حاجة الى تجاوزها . والاب غودار غير مكتف بالمتصرفية المستقلة التي سبقت الحرب العالمية الاولى كان قد جاز الى سوريا وفلسطين .

المؤلف مؤرخ درس بنوع خصوصي تاريخ الشرق الادنى لذلك فالطبعة الجديدة تمتاز بتدقيقها التاريخي . اجتهد المؤلف بتصحيح نص الشواهد ووضع علامة استفهام لا غير في آخر بعض القصص . الملاحظات جمعت كلها في آخر الكتاب وهي مدققة جداً . مثلاً يدحض المؤلف الاسطورة التي تدعي بان صورة سيدة النجاة الجميلة التي تكرمها بكفيا هي تصوير تلميذ حاذق للدور يودستي . الاب جلابير يقول ما نصه : « اتت هذه الصورة من رومية وهي

رسم تصوير لساسوفراتو على نحاس (١٦٠٥–١٦٨٥) محفوظة في البندقية .

فيما يخص التصاوير : على الصور الفوتوغرافية الصغيرة الشتيتة في الكتاب كله فضلت صفائح كبيرة خرجا من النصوص . يحق يؤكد الاب جلابير في المقدمة بانه « في هذه المادة نجاح الفن هو انقلابي » والمطبعة الكاثوليكية باجهزتها المصرية قد فاقت تفوقها العادي . في الكتاب : خريطة لمعابد العذراء واربعة تصاوير ملونة مستقلة من النص و ٤٨ صفائح على سواد : تجليد متكين بنسيج ازرق . قطع كبير (٢٣–٣١) . وهذا كله يدل كفاية على ان هذا « النجاح الانقلابي » استخدم لتمجيد العذراء التي أعطيت مجد لبنان .

قراءة النص كثيرة اللذة . لا يتخيل القارئ بانه سوف يجد فيه تعدادا — وقد يكون مغرياً لكنه يتعب سريعاً — لقصص عجيبة اكثر او اقل صحة . لا بدّ لكتاب كهذا ان يتحفنا بقصص عجائب عديدة واساطير واخبار شتى . لكنه يعطينا علاوة على ذلك تأويل متجول وملاحظات تاريخية ومعلومات عديدة عن الطوائف الشرقية والعوائد اللبنانية . هذا المجموع المتنوع المتعجب بتمازج اجزائه يعطي القارئ بدقة معرفة كل ما يعود الى تاريخ بلد ذي اسم فاتن . وهو يعلمنا عن اشياء كثيرة بالاخص عن اوائل اتحاد الطوائف المنشقة مع رومية اوائل صعبة فاجعة . مثلا الاقرار الاول بالايمان الكاثوليكي للاساقفة اليعاقبة الذين ارتدوا من الهرطقة في الجيل الثامن عشر (ص ١١٦) كذلك الجامع الشرقية خصوصاً مجمع اللويزة سنة ١٧٣٦ (ص ١٠٠) وقصارى القول ان كلا من صفحات الكتاب تقريباً تأتينا بذكر شيء من تاريخ لبنان الديني والسياسي . سعة العلم الرزينة هذه هي واحدة من مزايا الكتاب السامية .

في الفصول الثلاثة الاخيرة (ص ٢٦٩ — ٢٨٩) يعطينا المؤلف لمحة شاملة كاملة . وهو لا يخفي النقائص : احياناً ممارسات تقرب من الخرافات (مثلا « الطرافات » ص ٢٧٩) فقر المعابد الهندسي وازيان غريبة الذوق وفي بعض المجال تراكم التصاوير والقناديل واكاليل الازهار وتقدمات النذور لكنه يمدح خصوصاً ما هو اهل لاعجابنا التام : ثقة اللبنانيين المطلقة بملكتهم عند المسيحيين وايضاً عند . . . المسلمين وصوم السبت اكراماً لمريم والمقاومة ضد المرسلين البروتستانت اعداء كل اكرام يقدم للعذراء . (ص ٢٨٧).

ا. غ. التيرعي

Maria. Étude sur la Sainte Vierge, sous la direction d'H. du Manoir, s. j. — Tome III, Livre VI^me, Études d'hist. du culte et de spiritualité mariales, II^me Partie, *De l'École Bérullienne à la Définition Dogmatique de l'Assomption.* Gr. in-8° , 324 pp., 1 pl. h.-t. Paris, Beauchesne, 1951 — Tome IV, Livre VII^me, 1^re Partie : *La Sainte Vierge et l'expansion du catholicisme* ; Culte marial dans les différents pays du monde, 1040 pp., 3 pl. h. t. 1956.

كتاب كهذا — وليس « خلاصة » مريمية لكن نخبة بحوث عن العذراء — لا يمكن اختصاره . لا نعطي هنا الا لمحات من المجلدَين الثالث والرابع من النشرة التي هي بادارة الاب دي مانوار .

٥

الزمان الذي يتكلم عنه المجلد الثالث يمتد من عهد « مدرسة بيرول » الى تحديد عقيدة انتقال السيدة الى السماء اي ثلاثمئة سنة فيها لم تزل تتقدم تقدماً عظيماً التعاليم اللاهوتية بخصوص العذراء والتعبد لها ثم تبعها انحطاط تدريجي عقبه تجديد عظيم . الاب ر. لورنتان المعلم في جامعة انجي الكاثوليكية يصف لنا هذه المراحل في المقدمة . منه ايضاً الاستنتاج فيه يحذّر ضد « تجربتين » : اولاهما تميل الى جعل العذراء مسيحاً آخر . . . والثانية ترى في العذراء تتمة (بشرية) لمسيح ناقص. ثم نجد في ملحق بعنوان « اثباتات من التعليم الكنسي » البراءات الخاصة بالعذراء التي صدرت من سنة ١٨٥٤ الى ١٩٥٠ .

بين الملخصات او البحوث التي يحتويها المجلد يجدر ذكر بعض من اللاهوتيين : بيرول والقديس غرينيون دي مونفور ثم نيومن وشيبن . من هذا او ذاك من هؤلاء المعلمين استوحى الساليسيون والاوديون وآباء رهبانية الروح القدس ورهبان قلب مريم الطاهر والساليزيون وغيرهم فاتخذ كل منهم نوعاً خاصاً في تعبدهم للعذراء . اكثر ابتكاراً هي الحياة الروحية لدى الراهبة ماري للتجسد او لدى مؤسسات رهبانية « ماري التعويضية Marie Réparatrice » وراهبات « ضحايا قلب يسوع » . ثم نظرات عمومية بخصوص مريم والكهنوت وجمعيات البحوث المريمية في بلاد شتى واخيراً بخصوص نموّ العبادة للعذراء. الحديث يزيد في اتساع البحث حتى انه يصل الى التقوى الروسي وفكرة الانكليكان الحصرية. نقدر

ان نشير الى آنين مهمّين في تجديد التعبد للعذراء : حرارة اعظم في التقوى منذ ١٨٣٠ ثم ازدهار تصانيف ثمينة عن التعبد لمريم العذراء منذ ١٩٢٠ .

في المجلد الرابع المؤرخون كالاب دي مورو والقانوني كريستياني اللذين لكي يصفوا انتشار التعبد لمريم في العالم تفاوضوا مع مرسلين من كل البلاد. ومرسلو الصين الذين يذكر الكردينال كوستانتيني في للقدمة اعمالهم وغيرتهم قد اشتركوا في هذا مع غيرهم من المنفيين . لكن امام القارئ يتجلى مشهد فخيم عالمي : « روميا وايطاليا وفرنسا والبلاد الشمالية وهولندا وبلجيكا والمانيا والنمسا وسويسرا واللوكسمبورغ وبريطانيا العظمى واسلندا واسبانيا والبرتوغال والمجر وليتوانيا وبولونيا وروسيا وبيلوروسيا والاوكرين وبوهيميا ومورافيا وسلوفاكيا ورومانيا واليونان » الى كل هذه البلاد يصل الزائرون .

ثم تأتي آسيا وهي الاقرب الينا. لنذكر « معابد فلسطين.» تأليف المأسوف عليه الاب آبيل الدومنكاني و « التعبد المريمي في لبنان » وفي « سوريا » لسيادة المطران دوميط رئيس اساقفة صور الماروني والمونسنيور جوزف نصرالله ثم « التعبد للعذراء مريم في آسيا الصغرى من الجيل الاول الى الجيل الخامس عشر » تأليف الاب اليسوعي موريس تلون: هنا تتلاقى التقاليد الاجدر بالاحترام. لكن في هذا التكريم العظيم لسيدتنا العذراء تشترك ايضاً الهند ولانكا (سيلان) والصين في الجيلين السابع عشر والثامن عشر واليابان والهند الصينية ثم عدة اقطار تبشّر فيها بالانجيل « الرسالات الاجنبية » (باريس). وكتاب لو–هونغ–نيان هو شاهد لحرارة هذا التعبد الروحي الشرقي .

في المجلد اربعون موجزًا لم يُستقصَ بعدُ البحثُ في مواضيعها الى اليوم وهي غنية بتعاليمها وبآمالنا منها ... وقوائم الكتب المنظمة المُضافة عادةً الى هذه الموجزات تقدم لمؤرخي الكنيسة ولاولي العلم ولمؤرخي الفنون معلومات قيّمة .

ر . م

JEAN DANIÉLOU — *Les Saints païens de l'Ancien Testament.* In-8°, carré, 174 pp. Paris, éd. du Seuil (1955).

في كل قداس يُشرك الكاهن ذبيحة المسيح في تقدمة هابيل وابرهيم وملكيصادق وهكذا يتصّل العهد الجديد الذي انشأه يسوع المسيح بظهور الله

وايمان بالله سبقا الوحي الموسوي وفيهما اشترك الآباء قبل اسرائيل والوثنيون الخالصو النية. يرى الاب دانيلو في ذلك « عهداً » مع البشرية ونقدر ان نسمي هذا العهد طبيعياً لو كان هذا التعبير لا يبين كنفي لعمل النعمة . هذا العهد لا يفترض ظهوراً آلهياً غير مشهد العالم لذاك سُمّي « العهد الكوني » .

لا بد للاهوتيين من المطالبة بايضاح لهذا « العهد » — (لان اللفظة هذه تفترض نوعاً ما عقداً اي اتفاقاً متبادلاً بين المتعاقدين) — وللايمان الذي يخلص ويبرر الوثنيين . الاب المحترم في مقدمته وخاتمته يهتمّ في الجواب عليهم. بموجب القديس توما للحصول على خلاص الوثنيين وقداستهم كان يكفي « ايمان ضمني بالمسيح الوسيط وهذا الايمان موجود ضمنياً في الايمان بالعناية الآلهية » ولا حاجة لان نفترض مع كلوبن وبرث « وحياً يكون شبيهاً بوحي اختيار اسرائيل » (صفحة ٣٦) .

« بحسب القديس بولس : وحي الله بقياس الدين الكوني يظهر برأيين : « بدوران الفصول وبواسطة الضمير » . الاول يقابل نظام الخدمة الدينية الكونية والثاني يقابل القداسة الوثنية فان « حسن السيرة في ذلك الزمان هي سجود » (صفحة ١٦٦) .

اذن يوجد خِدَم دينية كونية : خدم الفصول — بها ما زالت تتشبّه سلسلة اعيادنا السنوية الكبيرة بعد ان تشبّهت بها قبلاً رُتَب شعائر الدين عند اليهود . كانت هذه الخدم تحمل الامم على الانتباه اليها حسب الكلام الذي وجهه القديس بولس الى وثني لسترة الذين حسبوه « المشتري » « زوس » : « الله في الاجيال السالفة ترك جميع الامم يسلكون في سُبُلهم مع انه لم يدع نفسه بغير شهود متفضلاً من السماء رازقاً امطاراً وازمنة مثمرة ومالئاً القلوب طعاماً وسروراً » (اعمال الرسل ١٤: ١٥—١٧) كهنة هم في خدمة الشعب : اولاً هابيل وشيت وأنوش واخنوخ ونوح وملكيصاداق وايوب » (وحسب القوانين الرسولية ٨ : ٥) : قدموا لله ذبيحة مرضية .

اما القداسة في هذا النظام السابق للوحي الذي أُعطيَهُ اسرائيل فهي « الاجابة الى دعوة من الله فانه يُسمع صوته بواسطة الضمير » . كنيسة القرون الاولى اعتبرت هابيل وملكيصاداق قديسين رمز الكاهن الازلي. ثم ان اخنوخ

(نبيّ العهد الكوني) ودانال (الذي تمدحه تقاليد راس شمرا الكنعانية قبل حزقيال بزمان طويل) ونوح (الذي خلص من الطوفان كالمسيحي من الجحيم) . وايوب (الذي ابتُلي بالشدة رغماً عن استقامته : وهذا سرّ لا تجلوه الا آلام المسيح) واخيراً لوط وملكة سبا هؤلاء كلهم قاموا باعمال أبطال وهي القداسة. هم القديسون الوثنيون الذين عندهم توقف الاب دانييلو فلم تبلغ جراءته ما بلغت جراءة كوليوس الذي سنة ١٦٢٣ في كتابه *De animabus paganorum* (بخصوص نفوس الوثنيين) « أعلن دون تردد خلاص السيبل وسولون وابكتيت الابدي » .

هذا البحث اللاهوتي اللامع لا يختص فقط بالمسيحيين. وهو يبرهن لمؤرخي الاديان على اهمية العبارات « الحقلية » الكثيرة الانتشار في الازمنة الاولى وعلى قيمتها الروحية .

ر. م.

المشرق

السنة الثانية والخمسون

آذار – نيسان ١٩٥٨

الانسان الكامل وميزته النشورية في الاسلام

بقلم الاستاذ لويس ماسينيون

تمهيد

ان الموضوع الذي يعالجه الاستاذ ماسينيون هنا هو واحد من تلك الابحاث الكبرى التي تعوّد المهتمون بالشؤون الاسلامية والصوفية خاصة ان يقرأوها تحت ريشة الاستاذ الكبير صاحب « آلام الحلّاج » . قد يفوت الكثيرين تهم هذا البحث الذي هو ثروة يخجل لديها فقرنا العلمي . ولقد كان نقله الى العربية ضرباً من الشعوذة اللغوية . فالنص الفرنسي ذاته هو آية في الصعوبة والاعجاز ، وذلك لان اسلوب ماسينيون خاص به ، وتعابيره صارمة يزخر فيها النفس الملحمي فتضجّ الكلمات وتتصادم الحروف ، واذا به يطوّفك من العلم الى الفلسفة الى الشعر ، ويسمك نبرةً تحاكي وعيد النبوءات القديمة .

وهذه الترجمة التي تقدّمها اليوم « للمشرق » كان حاولها عبد الرحمن بدوي في كتابه « الانسان الكامل في الاسلام » (القاهرة ، سنة ١٩٥٠ ، ص ٧٩ – ١١٢) . واذا كنّا نعيد المحاولة ذاتها فلاسباب عديدة منها ان ترجمة الاستاذ بذوي ، رغم إقرارنا بالخدمات الجلّى .

التي أدّتها لنا ، قد اخفقت حيناً في فهم المنى واحياناً في اداء المبنى ، ومنها ايضاً ان يتعرّف الكثيرون على هذا البحث الذي نشر في مجلة[1] صعبة المنال ، موقوفة على بعض القراء المعدودين من ذوي الاختصاص العالي .

ومن الاسباب ايضاً اهمّها اعترافنا بفضل رجل لن تُذكر الصوفيّة الاسلامية من بعد ، طالما هنالك اسلام ومستشرقون ، إلا وُذكر اسمه . وقد نعود يوماً الى درس شامل لفكرته وآثاره في حقل التصوف الاسلامي ، وللطابع الذي ختم به جباه المتدينّ بالاسلاميات اليوم ، ولرسالة « اللاعنف » التي بشّر بها ابناء جيله ، انه واحد من القلائل الذين وَهبوا دون منّة بعد ان وُهبوا بغير حساب .

ميشال الحايك

١

قبل ان ابدأ في درس المعطيات الاسلامية حول « الانسان الكامل » ، اودّ ، حسب تعبير يونج (Jung) ، ان « ادخل حلقة اللعب » فاقود القارئ ضمن « ساحة المعقولية » حيث تُعتبر كحقيقة صادقة مثلُ هذه المواضيع ، ذات الصبغة النموذجية المتفاوتة الالوان . فحبذا لو أُتيح لعالم اجتماعي يعنى بالشؤون الاسلامية ان يعرض ، بشكل عام وحسب الطريقة « الوجودية » ، اهمية هذه المواضيع العصرية ، الآن ، وقد أوشكت ان تدق ساعة « الحساب الاخير في اذن اوربا المستعمرة (وفي اذن الصهيونية التي تقاتلها)» ذلك « الحساب» الذي يندمج في الصيحة المتصاعدة من افواه الشعوب المستعمَرة المطالبة بحقوقها ، بعد ان حرمناها نحن نصيبًا من امتيازات حضارتنا .

اجل هو « الحساب الاخير !» ولقد صدق الفيلسوف الوجودي المسيحيّ ، غبريل مرسل (Gabriel Marcel) ، اذ لاحظ ، في مقال عنوانه : « التكنية والخطيئة »[2] « ان حزب التماسيح » (Léviathans) قد تنادت في الكون كله فانقلبت جريمةً عامة ضد الحياة ، وان القنبلة الذرية ترامت تهديداتها بالافناء حتى حدود الشمول . نعم ، لا يزال بعد هنا وهناك صدى احتجاجات خافتة

---

١) Louis Massignon, *L'Homme Parfait en Islam et son originalité eschatologique*, dans Eranos — Jahrbuch (Zürich, 1947), XV, pp. 287-314.

٢) G. Marcel, ap. « *Le cheval de Troie* », I, p. 76-94.

تدعو الى «الرفق بالحياة» ؛ ولكن التكنية لا ترفق، والتي هي نصيب النخبة المتحضرة، تصدّ عن سماع تلك الاحتجاجات المتأمّلة المتضائلة يوماً بعد يوم. وبما ان الانسانية أمست على وشك الانتحار، فلقد ولجنا حقيقة، أيقنّا ام لم نوقن بذلك، في عهدٍ نشوري .

كذا تدلّ الظواهر اليوم ؛ أمّا من حيث باطن الاحداث فاننا حين نسمع فلا نكتفي بسماع صرخة العدالة منطلقةً من حناجر التعساء المحتشدين غصباً في المصانع التكويئيّة (Concentrationnaire)، اذاك يتحسّس وجداننا بان هنالك ايضاً خطراً للخلاص مداهماً من صوب العالم الاخر . ان هذا المظهر الاخروي واحد من الاغراض الفلسفية والدينية المتنوعة الآفاق التي تهتم بدرسها المجلة الباريسية المسماة : «الله الحي» (Dieu Vivant) . قد أنشئت حديثاً في باريس «لجنة مسيحية للتفاهم» بين فرنسا والاسلام، ولكن في الوقت ذاته ما برحت اقلية من زعماء استعماريين في اميركا واوروبا يستمرون في معاملتهم الامتهانية للاربعمائة مليون مسلم في العالم (وللثلاثمائة مليون هندوسي وبوذي) . وأمام هذا الواقع الحالي يخيّل الينا بالشعور المبهم ان «الانسان الكامل» لن يكون ذلك الانسان الآلي (polytechnicum)، سليل المصانع المغرور، الذي تنحته اصابع التقدم في علم الفيزياء والكيمياء، بل بالاحرى سينهض طالعاً علينا من البيئات البشرية التي عوملت على اشد ما يكون من الامتهان، متخذاً نبرة «الحاكم» الذي ألجئ الى لفظ قراره النهائي[1] .

ومهما كان الامر، ففي ظننا ان فكرة «الانسان الكامل» قد نشأت في الرؤى السامية، لا في فلسفة الاغريق الذين نظّموها فيما بعد بقوالب متحجرة . فهي عند انبياء اسرائيل فكرة «عبد يهوه»، فكرة «البار المبتلى» المزمع ان يعود ظافراً الى كرامته في آخر الزمان، فيُظهر «مجد البار»[2] الذي اخفى الله «سرّه» على الملائكة، «السرّ» الذي هو تلك «الامانة» التي ما سوى

(1 *Cahier VII de «Dieu Vivant»*, Paris, éd. du Seuil; cf. «*Témoignage Chrétien*», Paris, 27/6/47. 15.8.47 (et «Combat», Paris, 22/6/47, 23 7.47).

(٢ اشيا، ٣٨: ١٦ ؛ وراجع

Léon Bloy, *Lettre à Hello*, 18/8/80 (in «*Mendiant ingrat*», 2,79).

القلب البشري من يستطيع حملها ، (قرآن ، ٣٣ : ٧٢ ؛ «ذهاب الامانة» ابن ماجه ، سنن ، ٢ : ٤٩٩) . وهذه الفكرة هي ، في المسيحية ، عودة المسيح في آخر الزمن ، وتتويج الكنيسة المثلثة الملك ، وتآليه كل الذين حملوا بالله بقلب واحد ، وتمجيد انتقامي لكلمة « كنْ » العذراء . والفكرة ذاتها هي في الاسلام ، فكرة « شاهد القِدَم » ، صوت الروح المعظم في رجعته كلّ رمز وثني ، اذ «يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً » : انه الانشودة التي ترنّ ، ملأى بالايحاء ، لدى تحسسها بالجمال الازلي وهو على وشك ان يستعاد .

والفكرة السامية حول «الانسان الكامل» مكينة العرى بالاسلوب النبوي . وبالرغم من الاحكام الهندو ـ اوروبية المتسرّعة ، فالنبوة ليست غايتها ، عند الساميين ، ان تنتقل الى صيغة المستقبل مع احواله المستقبلة لتلوّن الكلّ «بلوتنا الحلي» و«بزماننا الذاتي» ، نحن معشر الآريين ، وليس عليها ان تندمج في السياق العَرَضي لتلك الاحداث المتقطعة ، المتفرقة التي تعبّر عنها اللغات الالتصاقية .

والاسلوب النبوي ، في اللغات السامية ، يُدخل حالة الفعل التام في الفعل الناقص ، ويُدخل المطلق في النبي . و«معجزة» النبوة هي انها تعبّر عن ذاتها ، — لا بتقطيع خطّ الزمان الهارب (بواسطة احداث متقطعة اللحظات ، احداث عارضة ، نقطية ، دقاقة كدقات الساعة التي تُضاف الى بعضها البعض لتمدّ الحركة ، كما في الساعة الرملية الارسطاطاليسية) ، — ولا ان تعكس زمان الكواكب المتمدد السير في جَريه الدوراني ، ذلك الزمان الذي هو ، حسب افلاطون ، لمحة من الابد (مطلّةً على رجعاته الى الوراء ، وقفزاته الى الامام ، وخسفاته بواسطة الاغنومن الكلداني النصف كروي) ، — ولكنها تعبّر عن ذاتها عندما تجمّد عقرب الرقّاص فوق درجة الصفر من درجات دورانه (الراقص ، مع نبضات الحياة حول اللحظة الحاضرة) ، فوق « نقطة البيكار » لدى الدروز ، فوق قمة إسراعه ، فوق نقطة الوصول الغير المنتظر الى « مقام الخلاص » (القديس اغوسطينوس) .

وإيقاف الزمن هذا هو « المصيبة » . والمصيبة هي العنصر الاول في كل ملحمة ، مصيبة تفرض العدل اذ تفكك جهاز الطبيعة الفاني فتقدس الطبيعة ،

وتضمد كالطبيب جراح غريزة القداسة فينا . والمصية هذه تضرم فينا نيران غائيتنا القصوى حيث ندرك سبب وجودنا ، وذلك بادراك فجائي ، ترباني ، يحقق فينا شخصياً ذاك الرمز او تلك الفكرة النموذجية من التاريخ الانساني. وهذا الانفصال المحوري ، في الزمن الرقّاص ، الذي هو الملحمة ، يجلو « باسلوب القهقرى » غائية التاريخ (تضامن في شخص آدم واستعادة الزمن في شخص المسيح) ويُطلع من جديد حجارة الزاوية معروفة «بعد ان رزلت قديماً» وذلك حين يقابلها «بلبنة الفضة» المفقودة ، وبنقطة الالتقاء في قبة « البنيان المرصوص» المقدسة . وهذه الملحمة تدير ايضاً فوهة الصور الصارخ نحو بدء الزمن وتعكس نظره الحاكم من النتائج صوب الاسباب ؛ وهي تجاور العلامات المعترضة فتذكر بشاراتها النموذجية ؛ وإذ تجمع العناية الالهية كل المحن والضغائن والاخفاقات ، اذا بالذين قُدّر عليهم الحب تنجلي وجوههم فيبينون وينزلون ويُحققون كأنهم اهداف شخصية ، امام انظار الملأ « لا احد اغير من الله » (البخاري ، توحيد ، في نهايته) ، « لن يجيرني من الله احد » (قرآن ، ٧٢ : ٢٢) .

ومهما قيل ، فان نبرة صدق ممزقة تنطلق من هذه النصوص التي تنفر منها افهامنا ، وذلك لان فيها يتململ المدى ويتبدل الزمن ؛ وهذه الاضطرابات المقصودة قد رُبطت باستعمال متعمد لبعض الاعداد الصحيحة ذات المعنى النموذجي ؛ فاذا بالعصور تتداخل ، وبالمجالات الزمنية تمحي مسافاتها ؛ والغاية من كل ذلك هي ان تجعلنا نستقر في محور المشيئة الالهية . فالتصاوير التي تتصادم وحشية ، شاذة ، في هذه النصوص ، وتجعل الحية نصب مقاييس الجمال عندنا ، تقودنا الى ان ندرك ان كتّابها « الملهمون » هم سلفاً شهود القيم الانسانية المقلوبة رأساً على عقب في آخر الزمان ، وانهم لم يحاولوا أن يصطادونا في شباك النائية المتكلّفة ، ذات « الخيوط الغليظة » ، خيوط « الخدعة الكتابية الكبرى » (Grosse Taüschung) التي تكلم عنها الدكتور دليتش (Fr. Delitzsch) : فهم في الله يتحققون ان هنالك لحمة جوهرية بين ما يتوقعون من احداث عتيدة تمزق احشاءهم ، وبين النبوءات السابقة التي تثبت اسلافهم من حقيقتها . فاذا بذاكرتهم تصبح رجاء ، ولذلك فانهم يستخرجون تباعاً « بعضاً مما سيحدث » فيولجونه فيها .

النبوة هي افصاح ملائكي الى الطبيعة الانسانية عن اتمام غائيتها بشكل خارق الطبيعة . وهذا لا يتمّ الا بتهديم الظاهر ، بنقض الهيكل الجسمي، لتنجلي بعد ذلك النيّة العميقة وغاية المادة الداخلية ، فاذا بالنفس ، عاريةً امام الله ، تجد في ذلك النوع المقولي الذي به تبلغ حدّ الكمال فيّتيهـا ، شهادةً قصوى للحق الذي يجب عليهـا ان تعبّر عنه . وهي تعبّر عنه اذ تفوه بعبارة خلّاقـة تبتدئ بضمير المتكلم : « انا » الذي هو الله مثبتاً وجوده المباشر من خلال تحطيم الايقونة وحطم الصليب المادي . انه الله وانه ايضاً « الانسان الكامل » . فليس بعدُ لاهوت متأنس ، بل ناسوت متألّه .

وهكذا نرى ان الرؤيا الاخروية تحمل معها تحقيقها ، ولكن ذلك لا يتمّ باستعمال طارئ لمبإٍ مُفترض ، بل عندما تنجلي غوامضهـا الاولى تحت التأثير الباطني الناتج عن عامل تحليلي حادّ ، عن تفسير جارح في الصدر (شرح الصدر). ان في هذا تبديلًا لليتيم «يوقظ النائم » (ابن سيمين) ، وصرخة الأمة وهي تلد » (الجيلي[1]) . وليس سوى تواضع نذر الفقر ما يخوّل الانسان ان يصير « حاكماً » ، وما سوى يتيم الأب ، المولود من كلمة « كنْ » من يستطيع ان يحيي الموتى . هناك نصّان في الانجيل لا يعادل قيمتهما الملحمية اي نص آخر ، وذلك لانهما لم يتحققا بعـد وهذان النصّان هما طوبويات « موعظة الجبل » و « تعظّم نفسي » (لوقا ، ١ : ٤٦—٥٥) وقد لا يجد صنّاع التفسير الحرفي الاشتراعي سوى نسيج من الحماقـات في هذين النصّين اللذين يبشران بقدوم « الانسان الكامل » وبانتصار المظلومين . اما اولئك الذين حُرموا كل شيء ما عدا الظمأ الروحي الى العدالة ، فانهم يُقبلون عليهما متمسكين بهما بكل رجائهم الصامد ، غير المغلوب .

اجل ، عديدة هي الكتب المنحولة والمزيّفة المنسوبة الى الانبياء ، حتى في بعض النبوءات الحقيقية . ألم تُدخَل مثلًا ، في قضية جان دارك ، نبوءة مرلان (Merlin) عن « الفتاة الآتية من غابٍ عتيق » كلتي (Celtique) اذ اقتُطعت

١) عبد الكريم الجيلي (المتوفى سنة ١٤٢٨ ؛ انظر كتابنا « *Recueil* » ١٩٢٩ ، ص ١٤٨) في « الانسان الكامل » ، طبعة القاهرة سنة ١٣٠٤ هـ ، جزء ٢ ، ص ٥٠ : « تلد الامة ربّتها» انظر كلمة « صيحة» في القرآن ، ٥٠ : ٤١ .

منها فقرة خاصة بالحواشي المكانية . ولذلك كان بوسع جان دارك ، كما يظهر من سياق دعواها سنة ١٤٣١ ، ان تدعي لذاتها دون اثبات بهتان تحقيق ذلك الموضوع النموذجي كله ، ما خلا تلك الفقرة التي أسقطت من نبوءة مرلان . .

اما النبوءات الكاذبة الموضوعة لخدمة السياسيين العاملين ، فانها تندثر سراعاً لما يعتريها من تناقض داخلي . فهي لا تثق بقيمة الرموز ، بينما تتطلب جنة ان نثق بقيمة اولئك الزاعمين بانهم حظوا بانعام تلك الرموز . ففي سنة ١٩١٧ خطر للمكتب البريطاني في القاهرة انه يستطيع تأييد هجوم جيش القائد ألنبي (Allenby) على القدس ، فاستغل المصادفة بين كتابة اسم ألنبي بالعربية وبين قراءته بلفظ النبيّ ، وهكذا تنبأ المكتب بالاستيلاء على المدينة . ولكن العالم العربي حينذاك لم يلتذ كثيراً بهذا التزييف الساذج في مصلحة نبي أرغم على امره وكان بالاحرى اشبه بالمسيح الدجال اذ انه اعاد اليهود الى القدس دون ان يحفل بمسيحهم .

٢

ان فكرة « الانسان الكامل » ظهرت منذ عهود متقادمة في تاريخ المبادئ الانسانية . فالدراسات التي تعنى بمقارنة الاديان ، حين ترقى الى الإعماس الاريّ الجامد لتبدأ به بحوثها ، تجد صورة « الانسان الكامل » في « الانسان الابتدائي » (Urmensch) ، الذي هو « الجيومرث » (Gayomerth) عند المزدكية ، و« ادم قدمون » عند القبالة اليهودية و« الانسان القديم » عند المانوية المستعربة . ولا بد من الاعتراف بان نظريةً في وحدة الوجود العقلانية في الاسلام أدّتْ في عهد متأخر الى تكوين نظرية في الانسان على انه « انسان عين الوجود » (المخلوق) ، فأحلت محلّ الكلمة المتجسد عند النصارى فكرةً نموذجية هي الطابع المعنوي الذي اودعه الخالق في خلقه ، فاذا بين الخالق والمخلوق نوع من اللحمة المجردة (أساء الى سموّ الخالق) . و« انسان العين » هذا هو النبي محمد ، قبضة من النور النبوي الازلي زعموا ان الله قال لها : « كوني ! فلولاك ما خلقتُ السموات » . وفي هذا شيء من القول بمثل « الحبل بلا دنس » بجماعة

المصطفين من المسلمين ، ولكننا في الواقع نعلم ان القران (٣:٣١) لا يقول هذا الا عن عيسى ومريم ، دون ان يعادل هذا الدور الازلي دور اخروي . اما في المسيحية فهذا « الحبل بلا دنس » لم يوجد الا مرتبطاً بالدور النهائي الخاص بالحاكم القادي (= يسوع) ، بينما عند اولئك المسلمين القائلين بوحدة الوجود لا نراه ابداً يفترض ان النبي سيكون الحاكم في يوم الحساب الاخير . وبما ان الثائية العدلية هي عند الساميين عنصر جوهري في فكرة الانسان الكامل ، فان خلوّ نظرية « انسان عين الوجود » (الاسماعيلية ، ابن العربي) من الطابع النشوري الحيّ لم تحدث اي تأثير على التطور الاجتماعي في العالم الاسلامي . وهذا ما يعفينا من تحليلها هنا بالتفصيل . فهي انا تحدّرت من تأليه فلسفي للعقل الفعّال ، بينما الانسان الكامل الحقيقي الذي ينتظر الاسلام مجيئه هو مسيح من السماء .

وهنا يصدمنا الاعتراض التقليدي : أو ليست فكرة المسيح اليهودية ذاتها ايرانيّة الاصل ، اذن آرية (Reitzenstein) ? أو ليست ايضاً فكرة الانسان الكامل الاسلامي بمعناها النشوري الحي هي ذاتها ، منذ بدء تكوينها ، فكرة المهدي « المنتظَر » عند الشيعة الامامية ، وهؤلاء كان معظمهم داخلين في الاسلام من اصل ايراني ، اي آري اذن ؟

لا شك في ان التاريخ الايراني الذي عقب العهد المزدكي ما برح ينفرج عن توق سام الى العدالة (فهنالك الاعتقاد بمخلصين منتظرين : ساوشينت ، ميترا ، بهرام ، سروش ، وسائر « المبعوثين » المنويين) . ولكن ايران كانت دوماً تضم عنصرا سامياً ، طبقة من الكتبة المطبوعين بالروح السامية ، ومن المحتمل جداً ان يكون هؤلاء تركوا اثرهم في هذا التاريخ الايراني ، وذلك بستة قرون قبل المسيح . ففي ذلك العصر كانت فكرة مجيء المسيح تتضخم ، بسبب الجلاء ، في نفوس الذين سُبوا الى بابل وأُنفوا عن ارض الميعاد . وفي ايران حينذاك كان تفهّم كافٍ لهذا الرجاء بالمسيح المنتظَر أدّى الى السماح بعودة اليهود الى اورشليم وتجديد بناء الهيكل . وعلى النحو ذاته نشهد منذ فجر الاسلام ، في اليمن العربية ، نشأة الفكرة ذاتها تقول بمخلص منتظر يأتي « ليعيد كل حق الى نصابه » ، وهو القحطاني صاحب العصا ، « منصور اليمن » . وبما ان

الجاليات اليهودية والايرانية ، وهي كثيرة العدد في اليمن وتتنزر ، لم تندمج في القبائل العربية عن طريق الولاء الا بعد اعتناقها الاسلام ، وبما ان القحطاني ، منصور هـذا ، قد أحصي بين الموالين فتعرف اليه بنو كنده في شخص ابن الاشعث ، وبنو همدان في شخص عامل علوي (ابن وهب السبائي ، منصور القرمطي) ، وبنو الحارث في شخص إمام كيساني عباسي (السفاح ابن الحارثية) ، لاجل كل ذلك تبدو لنا هذه التصاميم الاولية « للانسان الكامل » عربية صرفة.

وازاء نظرية وحدة الوجود التي تكلمنا عنها سابقاً ، نشأت فيما بعد محاولة توفيق هرمسي النزعة غايتها ان توحد بين « انسان عين الوجود » والحاكم النهائي الذي يسميه الهرمسيون الاغريق « أغاثوديمون » (Agathodémôn) كما ذكر ذلك اخوان الصفاء في « رسائلهم » الجامعة . ويجيء ابو سليمان السجستاني[1] فيقول ان السعادة القصوى هي الترصل الممكن منذ هذه الحياة الى « الطباع التام » اذ يلبس هذا « الطباع » العظمة الالهية (الربوبية عند الكندي ؛ راجع « الماجد » المنسوب الى جابر ، طبعة كراوس (P. Kraus) .

ولكن هذه الاعتبارات وما شاكلها هي مضللة . فلا بدّ لنا اذاً من عودة الى القرآن والتأمل في نصه تأملاً محورياً ، سُنّياً ، سليماً ، لكي نرى كيف نمت فكرة الانسان الكامل مع كل متطلباتها النشورية ، نمواً اسلامياً خالصاً .

٣

لقد حاول كازانوفا (Casanova) ان يبرهن عن ان محمداً كان يعتقد في نفسه موقتاً انه نبي « انتهاء العالم » ، اذن هو « الانسان الكامل » . ولكن القرآن يقول عن عيسى « انه لعِلمٌ للساعة » ، (قرآن ، ٤٣ : ٦١) لا عن محمد ، وإلا لاحتجنا ان نضع من قدر الخلاص محمد في ايمانه بالله محور الكون ، ومن قدر تعبّده للقرآن الذي كان يصليه . وهو كلام الله هذا الذي كان يهيب به لا الى ان يحقق انباء العالم بل ان يذكّر الامة المحمدية بهذا الانتهاء المزمع وذلك باسلوب اشد عنفاً في توراة اليهود وانجيل النصارى . فمنذ الجيل الاول

[1] السجستاني ، مخطوطة كراوس ، الرسالة الثالثة : « في الكمال الخاص بنوع الانسان » .

للهجرة كانت السورة السابعة عشر تُقرأ للعياذ من الدجّال (الذي هو يأجوج ومأجوج، عند ابن ماجه، «سنن»، جزء ٢، ص ٥١١، ٥١٣). وفي «حجة الوداع» سنّ محمّد، بصورة نشورية غريبة، شعائرَ الوقفة في عرفات، وإذ أبقى على الحج كفارةً عن الذنوب، «أدخل العمرة في الحج الى يوم القيامة». وهكذا يتجاوز الشرعُ آفاقَ الحرم (صرنا في الحِلّ) ويتجاوز الربا والاخذ بالثأر واستعبادَ المرأة، ويتصاعد قربان الفؤاد، في دعاء مطلق من القيود، حتى حدود الغفران، واذا بالجنة تتراءى على الافق نازلة كالعروس من السماء، «مع نزول الله» (قرآن ٥٠: ٣٠، وراجع «رؤيا» يوحنا). واذا بمحمد اذاك، فيما يتعلق بشخصه، ينحاز (كما فعل ابليس حسب قول الحلاج) الى صورة العبادة الاولية فيغار على الانكماش فيها، تاركاً للحجّاج المسلمين الاتقياء ان يحققوا في نفوسهم عند تأملهم بالقرآن، مهمّة «إكمال الدين» التي تكلم عنها وقت حجة الوداع. وكان ذلك ببضعة شهور قبل ان يعاجله الموت المبكر، فيكون موته «المصيبة» الاولى التي تفتتح مصائب انتهاء العالم. اما تلك المهمة فهي تقديس «الابدال» اولئك الذين القوا اتكالهم كله على الله، اقتداء بابراهيم.

وليست هي النزعة الجوفية في الاحاديث التي جمعها اصحاب التفاسير والمُسنَدات، بل هي الشعائر الدينية المفروضة بطريقة غريبة، التي ساعدت الاسلام الناشئ على التنبُّه الى ما في التأمل الجماعي بانتهاء العالم من قدرة فعّالة على تقديس النفوس.

ولم يطل الامر حتى ادرك الاسلام، وهو بعد في المدينة، ما الاهمية الغير المماثلة للسورة القرانية، سورة «اهل الكهف» التي كانت تُقرأ للعياذ من الدجّال وما برحت النصّ الشعائري الثابت تُقرأ منذ ثلاثة عشر جيلاً في العالم الاسلامي باسره، في الصلاة الكبرى كل يوم جمعة (حديث نافع[1]). وهذه السورة، في اول موضوعاتها، تعرض قصة اهل الكهف السبعة الافسيين، مظهرةً

[1] نافع، في «لسان الميزان»، جزء ٥، ص ١٥٢. أوفد اثنان من خلفاء القرن التاسع بعثات الى كهف افسوس والى سور دربند العظيم (البيروني، «الآثار الباقية»، ص ٢٨٥؛ ياقوت، «معجم البلدان» جزء ٣، ص ٥٦).

كيف ان هؤلاء المؤمنين رفضوا ان يجحدوا دينهم فلجأوا الى كهف حيث احياهم الله بشكل عجيب ، وقتّهم ، « يقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال » « ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً » ، وكيف ابقاهم ليكونوا له شهوداً في آخر الزمان . اما الموضوع الثاني ، عن موسى ورسول الله (الخضر) ، فيبيّن لاحد الانبياء كيف ان سر الله ليس سوى اسرار القلوب جميعاً ، تلك التي لا يطّلع عليها سوى الاولياء ، الواحد تلو الآخر ، وهم في حضرة الله (قرآن ٥٠ : ٣٦) وفي الموضوع الثالث وصف للسدّ العظيم ، سدّ يأجوج ومأجوج الحافظ للعالم المتمدّن ، وقد هدّدت جحافل (الترك) يأجوج ومأجوج بفتح ثغرة فيه (يأجوج ومأجوج = المسيح الدجّال ؛ انظر قرآن ٢١ : ٩٦) .

وهنالك ، في السُوَر الاخرى ، آيات متفرقة تدوي فيها اصداء نشورية فتبعث امالاً ثورية في نفوس « المستضعفين » وفي نفوس « الموالي » خاصة (وهم دخلاء في الاسلام ، من غير العرب ، يكاد عليّ ان يكون وحده المدافع عنهم) . فمنذ خلافة عمر عُذب صبيغ بن عسل التميمي لانه فسّر تفسيراً ملحمياً سورة « الذاريات » (قرآن ٥١ : ١) وهي « الرياح المحرقة » ، صوم العدل (انظر في الذيل رقم ١٩٦ من « خطبة البيان ») ، وفي خلافة عثمان ، نهض ابو ذرّ ينادي باقتراب العهد حيث يقتصّ الفقراء والمساكين من الاثرياء والمكابرين . واذا بذلك النوع الادبي ، العريق العروبة ، نوع « المثالب والمفاخر » ، يسمو فوق مستوى النزاع القبائلي الى النَفَس الملحمي ، نظير اسلوب دانته (Dante) وبلوا (Léon Bloy) ، فيصبح بلاغة ساخرة ، ثلابة تصبّ اللعنة على البعض والبركة على البعض الآخر ، محطمة ، في اندفاعها نحو الهدف النشوري ، مقاييس الجمال المألوفة . وقديماً قال ترتليانوس (Tertullien) : « في سفر الرؤيا يندكّ صريماً نظام الازمنة ! » (In Apocalypsi, ordo temporum sternitur) .

هكذا تكلم الروح في انبياء اسرائيل . ولكن اليهود اذاك اصمّوا اذانهم وقلوبهم « الغُلف » (قرآن ٢ : ٨٢ ؛ ٤ : ١٥٤) زاعمين ان بوسعهم جعل « يد الله مغلولة » (قرآن ٥ : ٦٩) ، بينما قد لن يكون باستطاعتهم ابداً ان يصبحوا هم احراراً . وعلى النحو ذاته تكلم الروح في « رؤيا » يوحنا الموجهة الى الكنائس السبع النائمة (قابل مع اهل الكهف السبعة النائمين) : ففيها

عودة الحاكم المنتقم ، عندما يستعيد الروح تاريخ البشرية المغمور بالعناية الإلهية، وقد اعلن يسوع تلك العودة إذ تكلم عنها بصيغة ضمير المتكلم : « انا الالف والياء » ؛ قارن مع الانجيل حيث يقول : « انا الطريق والحق والحياة ! انا الباب ! انا الراعي الصالح ... » . ولكن المسيحيين اذاك ، حتى الرهبان منهم ، لم يتوصلوا الى ان يرعوا رهبانيتهم « حق رعايتها » بطريقة تحظى « برضوان الله » (قرآن ٥٧ : ٢٧) وتجعل ان يكون فيهم « اناس كاملون » . ومن ذلك كانت فِرَقهم المستطيلة .

والقرآن ، اذ يصبّ وعود العقاب الالهي على المارقين من اصحاب الوعود الالهية الخاصة ، يهود ومسيحيين ، لا يحمل الى المسلمين وعود « الحظوة » ولا الرجاء ببلوغ القداسة في العالم الآخر بل يطوي سجلّ المصير رادًّا الزمن على اعقابه حتى بلوغ الوحي الـذي أُعطي لابراهيم ؛ ثم يتوعد المسلمين المنافقين بعقاب مباشر نظير عقاب اليهود والنصارى : « لن يجيرني في الله احد » (قرآن ٧٨ : ٢٢) ، « لا شخص أغير من الله » (البخاري ، في « التوحيد » ، نهايته) .

على كل فرد ان ينجو وحده بنفسه . فاذا كان الحجّ عوضاً عن الغير مستطاعاً فما ذلك الا موقتاً . ولهذا كان لا بدّ للانسان الكامل ان يخرج بشكل من الاشكال على شريعة الانسان . ولقد اصاب الاسلام فهمَ ذلك اكثر من اسرائيل . ولهذا السبب فالاسلام منذ الترمذي حتى ابن سبعين رأى في الانسان الكامل « خاتمَ الولاية » الذي هو روح عيسى الحالّة إما على احد تلاميذه المرتشدين بهدايته (المقدسي ، جزء ٢ ، ص ١٧٢ مثل ابن هود المتوفي سنة ٦٩٩ ، قابل عند الدروز الابداليين : سلمان — حمزه) ، وإما بشكل ظهور شخصي امام الاولياء (ثم امام الصُلَحاء) وحدهم ، ثم امام الناس جميعاً (حسب الحلاج[1]) . وهذا الظهور لإحكام العدل ، قد ربطه القرآن ثماني مرات بكلمة « كن » الباعثة ليوم الحساب[2] حيث يبدو عيسى منفرداً مجرّداً كأنه

١) « روايات الحلاج » ، ٢٣ ؛ القرآن ، ٤ : ١٥٧ .

٢) القرآن ، ٢ : ١١٦ ؛ ٣ : ٤٢ ، ٥٢ ؛ ٦ : ٧٢ ؛ ١٦ : ٤٢ ؛ ١٩ : ٣٦ ؛ ٣٦ : ٨٢ ؛ ٤٠ : ٧٠ (في رأي مقاتل ، راجع كتابنا Recueil ، ص ١٩٧ ؛ وكتابنا « آلام الحلاج » (Passion) ، ص ٥٢٠)

تصوّر بحت للتولية الكاملة ، او كأنه ذلك الحق الذي هو خاتم الخلق : « لا مهدي الا عيسى »[1] .

ولكن التفكير الاسلامي وجد ذاته حيران امام امر أشكل عليه ، وهو ان عيسى في مجيئه الاول لم يفضض خاتم الخلق هذا فيبرهن عن برّ الله وعدله بالرغم من ان الله ترك الصالحين يقاسون الاضطهاد ، بينما الانسان الكامل المتبد لا بد له ان يكون اجلّ من ان يُغلب ، من حيث انه الشاهد ، واجلّ من ان يُقتل ويموت[2] ، من حيث ينبوع حياة . ولقد قال : « سيأتي بعدي من ينتصف لي » (يوحنا ٨ : ٥٠) . أترى سيكون بعد شخص آخر غير عيسى يهتدي بوحي عيسى ، وينتصف لذلك العدل المنتقم الذي ينشده الاسلام في جهاده المقدس ؟ « انا عيسى الزمان » تقول الطلبة الشيعية على لسان عليّ (انظر « خطبة البيان » رقم ٢٦٠) . ولكن هنالك اقلية متكاثرة من الشيعة المتهوّسين ، يجعلون من هذا العادل المنتقم الغير المذكور الاسم (= « القائم » = « المنتظر » = المهدي) شخصاً متحدراً من سلالة النبي ، اذاً فاطمياً ، علوياً .

ويؤكد البلاذري (راجع « الانساب » في « مجلة الدراسات الشرقية » RSO جزء ٦ ، ص٤٩٥) انه قام ، على اثر موت علي ، اربعة من الغلاة[3] يتناقلون عنه خطبة « مشكلة الفهم » . ومهما يكن الامر فمنذ سنة ١٢٠ هـ سرت بين الناس خُطَبٌ ملحمية المعاني ووصية وجفر ، وكلها منسوبة الى عليّ (والجفر

---

١) « لا مهدي الا عيسى » : حديث الشافعي (الحسن البصري ، عن لسان محمد بن خالد الجندي) ؛ الذهبي في « ميزان الاعتدال » جزء ٣ ، ص ٥٢ ؛ « لسان الميزان » تحت اللفظة ؛ السبكي ، « الطبقات » جزء ١ ص ٢٨٠—٢٨١ ؛ ابن خلدون في « المقدمة » جزء ١١ ص ١٨٨—١٨٩ ، ١٩٤ ؛ القندوزي في « الينابيع » ص ٤٣٤ ؛ القنوجي في « الاذاعة » ص ٦٤ ؛ هذا الحديث ناقض منذ سنة ٧٤٩ احد العلويين (المهدي السبأي) ، والسلطة هي لعيسى وحده ؛ والسفّاح هو لقب ملحمي أطلقه الشيعة على علي ؛ قابل بين الاسماء الملحمية التي تسمّى بها الخلفاء العباسيون (المنصور ، المنتصر ، المهدي ، القائم) كما ذكر ابن الخطيب في « تاريخ بغداد » جزء ٩ ، ص ٣٩٩ وابن خلدون في « المقدمة » جزء ٢ ص ١٨٣ .

٢) علي وفاه ، ذكره الشعراني في « لواقح الانوار » تحت اللفظة الواردة .

٣) حجر بن عدي ، عمر بن الحمق ، حبّة بن جُوَين البجلي العرني ، عبدالله بن وهب الهمداني (= ابن سبأ) ، انظر أصبغ ، حارث الهمداني ، رُشَيد الهجري (عند ليڤي دلا ڤيدا (Levi della Vida) .

هو تفسير ملحمي للقيمة العددية في الحروف الساكنة التي تؤلف الآيات الاولى من بعض السُور القرآنية) .

ومتى طُبِّق الجفر في قضية الانسان الكامل يكون هذا الاخير هو « الميم » (= ٤٠ = محمد) ، او « العين » (= ٧٠ = علي) ، او « السين » (= ٣٠٠ = سلمان ؛ عيسى ؟) ولكن رقم ١٤٤ و ١٤٨ من « خطبة البيان » المذكورة في ذيله تقول انه التجلي الاسلامي لعيسى . واخيراً فان « الصيحة بالحق » الكونية (قرآن ٥٠ : ٤١) ، صيحة نوح وصالح ، كانت أساساً لصرخة الحلاج الثورية : « انا الحق » التي أثارت الاتراك ، فلم تكن فكرة محجّرة .

٤

وعلينا الان ان نحلل كلًا بمفرده العناصر الثلاثة التي تكوّن هذه النصوص الملحمية التي استعين بها على وصف الانسان الكامل عندما يجيء بين ازمات وبين مصائب جمّة .

هو الجفر اولًا وهو استعمال عدد الحروف القرآنية المنفصلة (وهو تفسير الامام جعفر في رأي هارون بن سعيد العجلي ، راجع ابن خلدون جزء ٢ ص ٢١٤) . لقد نبّه الاسماعيليون والدروز الى الوجهة السرّية الكامنة في الحروف الخماسية التي تُستهَلّ بها السورة « ١٩ » (كهيعص) والسورة « ٤٢ » (حم عسق) فسمّوا الاولى ، « كهيعص » ، « حروفَ الصدق » وسمّوا الثانية ، « حم عسق » ، « حروفَ الكذب » (ضد النصيرية الذين يقرأون الثانية هكذا : « المثلث ع — م — س هو الحق » ؛ قارن في العبرانية كلمة « امث » التي معناها الحق ، خاتم الله ، حسب إرميا ١٠ : ١٠ و « التلمود البابلي » ، « شبت » ١٥٥ ، و « التلمود الاورشليمي » ، « سنهدرن » ، ١١٨ ، اعطاني هذا المرجع ف . فيشل (W. Fischel) . فالحروف الاولى تعادل عدد ١٦٥ والثانية عدد ٥١٨ ، وكلا العددين يصلح ان يتدخل في السيرة الصوفية للامام الحلاج التكفيرية (باعتباره « انسان كامل ») فداء عن بغداد . وذلك لان حديث ارطأة المشهور (الذي اورده نعيم المتوفي سنة ٢١٨ هـ والطبري) يجعل العدد ٥١٨ سنة تهديم بغداد ، المدينة المزدوجة (وهي في الواقع أُسِّسَت سنة ١٤٤ هـ وخربت باعتبارها

عاصمة سنة ٦٥٦ ومنها نُقلت الخلافة الى القاهرة سنة ٦٦٢ ؛ فاذا جمعنا ١٤٤ و ٥١٨ نحصل على ٦٦٢ ؛ وقد ردّد الحلاج وهو يحتضر « آيتها » من القرآن ٤٢:١٧) . فالعدد الاول ١٦٥ ، اذا ما زيد على ١٤٤ ينتج عنها العدد ٣٠٩، السنة الهجرية لموت الحلاج (قارن ايضاً بحروف طاء + سين ، فعددهما ٩٠٣ هو بجموع حروف القرآن الاستهلالية وهو يعادل عدد ٣٠٩ منعكساً) ، وهذا العدد ٣٠٩ هو عدد « تجوهر الخليل » (الششتري) ، وعدد سني سُبات اهل الكهف المقدس (قرآن ١٨ : ٢٤) . وقد استخدم ابن ابي واطيل ، تلميذ ابن سبعين ، عددَ ٦٨٣ (ك — ف — ج) ثم ، حسب الكندي ، عدد ٩٨ (د — ه) فاستنتج ٦٩٨ سنةً لعودة عيسى الروحية . وقد ظنّ الصوفي عامر البصري ان هذه العودة قد تحققت في شخص المهدي الكاذب الاردستاني (المتوفي سنة ٦٩٩) ففي ظن الكندي ان عمر تاريخ الاسلام ٦٩٣) .

ومن بعد الجفر ، مواضيع الكوارث في اليهودية — المسيحية ، وهي الفتن واشراط الساعة[1] التي تسلّمها القرآن من جديد فجمّعها واوضحها على طريقته الخاصة : طوفانات ماء ، وامطار من نار ، ومذابح في امكنة العبادة : ويتفرع القرآن الى إهمال ذكر الاوبئة ولكنه يتكلم عن القمر (العُرجون) من بين اشارات السماء ، ويستعيد مراراً ذكر مصائب الامس الفاجعة مشيراً الى ميزتها الدورانية اذ تتوالى تباعاً اخطارها الملحمية المهددة . فيضان امواه تغرق مراكز ومدن التجارات الحرام (فالكوفة اصيبت « بتنور » الطوفان عقاباً لها عن مناكحة الجنّ قرب سجن الملاكين هاروت وماروت اللذين أغوتهما نهيد ، قرآن ٢ : ٩٦ ؛ اما البصرة وكانت أصيبت بالعقاب سنة ٨٦٨ لانها لم تلبي دعوة غلام خليل الحنبلي الى التوبة ، فسوف تبتلعها المياه ؛ قابل بينها وبين مرسيليا التي أُنذرت بعد الطاعون) . اما امطار النار فهي التي هدمت العواصم التي ارادت ان تتخلّى عن الله (سدوم ، عاد ، ثمود ، مدين ، اما انذار بابل بواسطة

١) نعيم بن حمّاد ، « كتاب الفتن » ، مخطوطة الاسكوريال رقم ٢ ، ١٠٣٦/١٠٣٧ ؛ اختصره العزّ المقدسي ، مخطوطة عاطف رقم ٦٠٣ (مجلة « الحضارة الاسلامية » Isl. Cult. ، جزء ٣ ، ص ٣٦١) ؛ ابن المنادي (المتوفي سنة ٣٣٦) ، « كتاب الملاحم » الذي افاد منه السيوطي في « العرف الوردي » الذي ذكره الحاوي ، جزء ٢ ، ص ٥٧—٨٦ .

سفر « الرؤيا » ، (وهو صدى لخراب برج بابل ، فهو يستهدف روما ولندن وباريس) وتساقطت لدى صيحة كبرى ، مثل صيحة نوح وصالح . وهكذا على النحو ذاته ، ان بغداد، المدينة المثاة ، هذه « المدماتان » الارضية ، قد أنذرت منذ البدء (حديث أرطاة)[1] بالخراب (نهب المغول) وصاح الحلاج عليها قبل الاوان صيحتها (الصيحة عكس البشرى) . اما فيما يتعلق بالمذابح التي تترك مدن العبادة قاعاً خراباً ، فاننا نرى الملاحم تقترح رمزاً يعالج القرآن ايضاحه في موضوعين :

كما ان اورشليم عوقبت بالخراب ، هكذا ستعاقب ايضاً بالخراب مكة او بالاخص الكعبة . ولكن بينما ألقي تابوت العهد في بحيرة طبرية (او في انطاكية) ، اعدّ محمد خراب الكعبة الرمزي في حجة الوداع . « فبإدخاله العمرة (وهي خلوة العبادة قرب الكعبة) في الحج (وهو تقدمة الضحية في عرفات) الى يوم القيامة »[2] ، أفصح للناس ان المسجد حيث نحن في احرام امام الله ، اي بدننا ، يجب ان يهدّم مع الضحية الطقسية ، وذلك في الوقت ذاته حيث نقدم ذواتنا في عرفات ، كتقدمة « الذبيح العظيم » الذي ترمز اليه الاضاحي الحيوانية . ومقابل هذا تصبح اذاك كما تقول « خطبة البيان » تحت الرقم ١٠٥ ، « مائدة الكشف » ، اعني « مائدة الوجد المرزيّ » (قابل مع « الطمأنينة »[3]) ، تلك العلامة التي هي سلوانٌ للمسيحيين الحقيقيين حتى انقضاء الزمن ، ذلك « العشاء السرّي » الذي دعا المسيح اليه قبيل « آلامه » المحطمة. وهكذا فالاسلام كما انه يرجع « المعمودية » الى « الفطرة » ، اي النور الفطري الابتدائي ، فانه كذلك يتلمح « العشاء السري » كعلامة نشورية ، كتناولٍ عقلي لنوعٍ معقولي غامرٍ بالسلوان الالهي (هي « الطمأنينة » عند النصارى وهي « السكينة » عند اليهود) . وبينما كان العصاة القرامطة يتأهبون

١) الخطيب ، جزء ١ ، ص ٤٠ ؛ الطبري ، تحت الكلمة الواردة ؛ اما عن خراب مدن اخرى فراجع مقاتل الذي ذكره المقدسي جزء ٢ ، ص ٩٧–٩٨ .

٢) الحلبي ، في « انسان العيون » جزء ٣ ، ص ٢٩٧ ؛ ابن تيمية في « الرسالة السبعينية » ص ٩٣ .

٣) مؤاساة تثبت الصلاة في الله (الشافعي) .

لذبح اهل مكة وتحطيم الكعبة ، ارسل الحلاج الى شاكر بن احمد كتاباً يقول فيه : « اهدم الكعبة (مع مسجد بدنك) وابنها بالحكمة (الميلاد الثاني) حتى تسجد الكعبة مع الساجدين وتركع مع الراكعين[1] . » وبينما كان اصحاب التفاسير الحرفية في زمان الحلاج لا يتفون من النبوءات المتعلقة بخراب مكة سوى ما يخولهم رؤية هزيمة الاحباش سنة ٥٧٠ قد عوضت بانتصار احباش آخرين ، لعلهم القرامطة ، ادرك الحلاج ان قيامة هيكل بدنه المجيدة هي وقف على حبة خردل (= قطعة من جسده الذي أحرق قرباناً لله) ، وبهذا اوصل رمز حجة الوداع الى قمة معناه النشوري .

ومن الكعبة وقد جعلت شخصاً هو شخص الانسان الكامل ، تقودنا حتماً مواضيع الملحمة الكبرى (هجوم الروم النصارى على الاسلام هجوماً يبدأ بنقض المدينة وينتهي بالاستيلاء على القسطنطينية) الى تصوير ملامح « القائم » الذي ينتصب للظلامات « فيملأ الارض عدلاً كما ملئت ظلماً » . وقد عرض لهويته بما عرض لهوية الضحية التي أريدت من ابراهيم والتي عرفها الاسلام (ابن حنبل) باسم اسحاق ثم تخلّى ، تحت تأثير البرقية ، عن اسحاق الى اسماعيل .

اما « القائم » فقد اجمع اهل السنة على انه المسيح يعود ظافراً لا مهاناً ، او على انه قائد مظفّر تجلّى عليه روح عيسى ويهتدي بهدايته ، هذا ان لم يكن هو عيسى ذاته . وان ما يثبت صحة هذين التفسيرين فهو الحديث المشهور الذي اورده الحسن البصري والشافعي : « لا مهدي الا عيسى » . اما من غير اهل السنّة ، فهنالك شيعيون من الجيل الثاني (المستنيرية ، المنصورية) ، ومعتزلة من الجيل الثالث (احمد بن خابط والفضل الحدثي) قد اقبلوا هذا الحديث ان لم يكن في شكله ففي جوهره ، وهو حديث تشتم منه نزعة الجدل العباسي ضد الشيعة . وفي اواخر القرن الثالث كان يقول بصحته عدد غفير من محدّثي اهل السنة ، مثل ابن ماجه ، وابن خزيمه (المتوفي سنة ٣١١) ، وابن زياد النيسابوري ، وابن ابي حاتم الرازي (المتوفي سنة ٣٢٧) ، والساجي البصري (المتوفي سنة ٣٠٧) ، والقزويني قاضي دمشق (المتوفي سنة ٣١٥) ، والطحاوي من القاهرة (المتوفي سنة ٣٢١) ، ويعقوب الاسفرائيني (المتوفي سنة ٣١٦) والطرائفي .

(١) ابن دحية ، « النبراس » ، ص ١٠٣ .

وهذ التأمل الاسلامي المتصل الحلقات في هداية عيسى الذي بدأ به الترمذي، قد استمرّ حتى بعد ابن العربي . ومنذ قرنين ، كانت ثمة في المغرب مدرسة باسرها تتابعَ تعليمُها من ابي المهدي عيسى الثعالبي (المتوفي سنة ١٠٨٠ ؛ انظر الكتاني في « الفهرس » جزء ٢ ، ص ١٩١) حتى محمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي (المتوفي سنة ١١٣٤) وتلاميذه (الأفراني المؤرخ المتوفي سنة ١١٥١ ، والناصري محمد الدرعي التمغروتي المتوفي سنة ١١٥٨) ، مثبتاً ان هذا الحديث معناه ان عيسى روح الله هو الشيخ الهادي الى طريقة الحياة الكاملة ، وان في هذا مجيء « الانسان الكامل » .

واذا كان ، في القرن الاول ، رأي خاص بابن سيرين يؤثر ان يحمل « القائم » في شخص « القحطاني » ، فان اقلية ما برحت على الاجيال تتزايد بين الشيعة ، ترى في « القائم » علوياً ، ثم من بعد ذلك حصرته في سليل فاطمي . واذا بهذا الاعتقاد الاخير يسود ، منذ تسعة قرون ، بين اكثرية المسلمين .

وهذا الفاطمي ، سليل البيت الشرعي ، وهو شاب فارٌ أخفاه اتباعه (فترة « الكهف » في السورة ١٨ ، حسب الاسماعيلية) ؛ ولكن هذا « العائذ » الذي أعلن خليفة غصباً عنه ، لن يستمر في حكمه الحربي اكثر من تسع سنوات . ولكن هنالك من يعتقدون بمجيء ثلاثة مهديين متتابعين[1] قبل مجيء « الدجال » كما انه ستكون ثلاث كرّات « للرجعة » (القيامة) التي ستنتقم امام الجميع من الظالمين . اما المهدي الثاني فسيكون الحسين (= المنتصر) ، نموذج المستشهدين ، والمهدي الثالث هو ابوه علي (= السفاح) . وسواء تعلّق الامر بهزيمة الروم (= بني الاصفر) التي ألمع اليها القرآن (٣٠ : ١—٢) ابأن عهد كسرى ، ومن هذه الهزيمة يستخلص ابن برّجان استعادة القدس ، وذلك بخمسين سنة قبل استردادها فعلًا سنة ١١٨٧ — ، ام كانت له صلة باحتلال القسطنطينية « بفضل الصلوات لا بالسيوف والحراب » (ابن العربي) . « عنقاء

---

[1]) مهدى الخير ، الدم ، الدين ؛ وايضاً ثلاثة سفيانيين « كما في كتاب دانيال » (السيوطي ، الحاوي ، ص ٢، ٨٤، ٧٨) وثلاث « رجعات لعيسى » (محمد بن حامد للترمذي ، ذكره الشعبي في « الجوهر الفريد » ، ورقة ٣٢ ب، مخطوطة القاهرة ، مجموعة رقم ٢٢٩)؛ ثلاث خسفات (ابن ماجه ، « سنن» جزء ٢ ، ص ٥٠١) .

مغرب » ، طبعة ١٣٥٣ ، ص ١٠ و ٦٨) وهو اختلال وعدت به الاحاديث ستة اجيال قبل حدوثه (انظر القرآن ، ٢ : ١٠٨) — ، فالاحاديث تتردد في في نسبة هذه الاحداث الى القائم ذاته او الى « الشاهد الثاني » (الذي يبدو مزيجاً من الشاهدين المذكورين في « رؤيا يوحنا » ، حيث « الشجرتان الزيتونتان المباركتان » ايضاً جمعها القرآن في شجرة واحدة ؛ انظر القرآن ٢٤ : ٣٥) . ومن جهة اخرى فهذا « الشاهد الثاني » ليس هو تماماً الانسان الكامل ، لانه هو الروح الطاهرة ، العبد الصالح (الخضر = الياس) الذي سيُغلب ويقضي حتفه شهيداً . ولكنه سيكون السابق ، حامل الراية ، فيطلق العصيان في بلاد الترك ويمشي على رأس فيالق حاملة رايات سوداً (قابل برايات العباسيين ؛ او خمس رايات بيضاء ، زرقاء ، صفراء ، حمراء ، زرقاء عند الدروز) فيرد السفياني (ذي الرايات الخضر المرسومة بعلامة الصليب) واعوانه الكلبيين على اعقابهم ، ويوافي السبعة الابدال في الحجاز (او السبعة الراقدين في الكهف ، الآتين من بيسان) والعصائب الاربعين (الآتين من العراق) لاعلان بيعة « القائم » (او المهدي) . ودور هذا الشاهد الثاني » ينتهي بموته على ابواب القدس . اما اسمه فتختلف فيه المصادر ، فهو طوراً « القحطاني » ، وتارةً « منصور » ، وحيناً « شعيب » ، المولى التميمي ، الآتي من طالقان (في الجوزجان[1] ، وهذا سبب فتنتين ملجميتين حدثتا سنة ٢١٩ وسنة ٣٠٦) . وفي صفوفه ، تُبصر اول جنود « القائم » ، وهم مركز في مقدمة الجيش يُخسف ثلاث مرات في الحجاز كما تُبصر نخبة الثلاثمائة والثلاثة عشر نفراً (عدد اصحاب جدعون — طالوت ، عدد الظافرين في موقعة بدر) .

وبعد ان يُقضى على النصارى ، يبدأ الكفاح ضد اليهود وعلى رأسهم الدجّال (الذي هو « المسيح الدجّال » ، التحوير العبراني الإصلي للمسيح المضادّ للمسيحية ، وهو آخر حلقة من سلسلة المراطقة السبعة والشرين ؛ وقد وصفه نصّ مسيحي مشبوه بانه سيكون « ابن اسقف وراهبة عبرانية ») . وهذا

[1] في حديث طالقان ، راجع المقدسي في « البدء والتاريخ » جزء ٢ ، ص ١٥٧ ؛ « اخبار الحلاج » طبعة ١٩٣٦ ، ص ٤٨ ؛ القندوزي ، في « الينابيع » ص ٤٤٩ (قارنه بابن بابويه في « الاكمال » ص ٢٥٩) .

الدجال سيجترح المعجزات التي اجترحها المسيح ، وسيحتل الصحراء وجميع الموارد العذبة (طبرية ، بيسان ، زُغر) ، فيهدي الناس الى دينه ، ويضرب الحصار حول المدينة («معسكرًا في الظريب الاحمر ، الـذي هو الكثيب الاحمر»[1] ، حيث جرت « المباهلة ») وحول مكة والقدس وسيناء . — اذ ذاك ينزل عيسى ، او قائد حلّت عليه روح عيسى ، هابطاً من السماء على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيظهر على الدجال ويقتله في لُدّ[2] ، ويقتل الخنزير ويكسر الصليب وتكون الحجارة والشجر ، ما خلا الغرقد ، عوناً له في القضاء على اليهود الهاربين (اليهود هنا حسب الفقرة ١٨ من عقيدة الدروز ، هم المسلمون السنيون المتعلقون بالتفسير الحرفي) . ولا بدّ من الملاحظة في هذا الصدد ان هذا الوصف العتيق للدجّال يتفاوت في الزمن مع تاريخ القائم الفاطمي . ويبدو ان الخصيبي ، وهو من الشيعة ، يخلط بين الدجّال وبين السفياني الذي يسمّيه «عثمان بن عنبسه العفريت» .

وهنالك موضوع آخر قديم العهد (رؤيا يوحنا) هو الدابّة وهي ذات معنى مثنّى هنا (احياناً هي علي) . وقيامها سيكون بين الدخان وبين النار (المنذرة بيوم الحساب) التي تسطع من عدن او من اصفهان الى بصرى .

ويوافق هجوم « الشاهد الثاني» انهيـار سد يأجوج ومأجوج يدكه قوم « وجوههم كالمجان المطرَقة ، صغيرو الاعين ، خُنُس الانوف ، يلبسون الشعر» ، قيل انهم الاتراك ، وذلك قبل القرن التاسع[3] . ويُنسب اخيرًا الى القائم نهضة اقتصادية عامة تمتاز إمـا بفيض المواد الثمينة (بفيض نهر الفرات

---

١) ابن ماجه ، جزء ٢ ص ٥١٤ ؛ انظر بحثي في « المباهلة » ، باريس (HE (SSR ، سنة ١٩٤٣ — ١٩٤٤ ، ص ٢٤٠ . « اذاك يعود الاسلام « غريباً » (ابن ماجه جزء ٢ ، ص ٤٧٧ ؛ راجع بحثي في « سلمان » سنة ١٩٣٣ ، ص ٤٢ .

٢) او في عكا (الفتوحات المكية » ، جزء ٣ ، ص ٣٦٤ : الملحمة الثانية = ارما جدّون .

٣) اتراك من بُست (منذ ابن الاشعث القحطاني ، راجع المسعودي ، جزء ٥ ص ٣٠٢) ؛ اتراك دخلاء على الاسلام من سامرّا ، او غُزّ كفرة ، او صينيّون (المقدسي ، جزء ٢ ، ص ١٥٤ ؛ النووي بهامش « صحيح » ابن مسلم ، جزء ١٨ ، ص ٣٧ ؛ ابو داود ، طبعة سهرنبور Saharanpur ، جزء ٥ ، ص ٠١٦ — ١٠٧ .

ذهباً[1]) في كتره بالكوفة (في مسجد سهلة) وإما بصك نقود سليمة جديدة الشكل ، مكعبة ، فضية (لبنة فضة) تسد بها آخر ثغرة في سور الاسلام ، وبهذا تكتمل الزكاة . ولم يكن غير الحلاج وابن تومرت من جعل هذا « الدرهم المربع[2] » ، متداولاً بين الناس .

وكما تقل الالتباس الناتج عن النظرية الالفية (millénariste) على الشرح المسيحي في تفسير رؤيا يوحنا حول ملكوت المسيح الظافر قبل الحساب الاخير ، كذلك وزح تحته التفسير الاسلامي إذ حاول وصفاً لتلك النهضة الاجتماعية التي سيحققها « القائم » قبل يوم القيامة . أو ليس التكهن النشوري المشهور المخبر بطلوع الشمس من المغرب الذي يعني اختتام عهد المغفرة ، وحكم العدالة المنتقم ، إطلالاً مباشراً على قواعد المنبر الاكبر ؟ ان النصوص الشيعية تصور فاطمة اذاك متشعثة الشعر ، رافعة صوب الشمس وليدها الاخير محسن القتيل الذي لم يثأر به . انها بهذا الشكل تصب اللعنة على القاتلين[3] . ولكن فاطمة عند الغلاة من الشيعة هي « حمرة المغرب حيث يطلع الهلال » ، حمرة تبدل بها الشمس (= ميم) في اوان « فجرها الغربي » ليوم الحساب . وبما ان فاطمة تعتبر تجديداً ثانياً لروح مريم (اذ ان فاطمة هي « فاطر » و « فاطر » من حيث العدد توازي مريم ، اي عدد ٢٩٠) فابتهال فاطمة يماثله انتصار المرأة التي تمثل كنيسة الشهداء الذين في رؤيا يوحنا ، غضبوا لإهمال العدل الالهي (قرآن ٥ : ١١٦ ؛ ١٩ : ٣٤) .

اما الذين يجعلون من مجيء « القائم » ومن مجيء عيسى ، « مجدد العصر » شيخ الطريقة الكاملة في نفوس الصوفية ، حدثاً واحداً ، فقد صوروا انتصار المرأة هذا على أنه انتصار « الرفيقة » عروس عيسى في الجنة ، تلك الراعية البدوية

---

١) مسلم — نووي ، جزء ١٨ ، ص ١٨ — ٢٠ (قابل بتعذيبهم الحلاج) .

٢) ساسي (Sacy), Chrest. ، جزء ٢ ، ص ٢٨٣ في التعليق ؛ غولدتسيهر Goldziher, ZDMG. XLI, 41.71,103 ؛ ابن خلدون « المقدمة » جزء ٢ ، ص ٥٨ ، ١٩٣ ؛ ابن دحية « النبراس » ، ص ١٠١ ؛ « الفتوحات » ، جزء ١ ، ص ٣٥٥ .

٣) الخصيبي ، « الهداية » ص ٢٨٧ وما بعدها ؛ فاطمة ، « ام ابيها » تضم محسن بين ذراعي جده .

التي « ترعى الغنم مع الذئاب » ، شوهـاء ، « امرأة بلا رجلين ولا يدين ولا عينين » ، ولكنها « في سلام الله » (راجع ابو نعيم ، « الحلية » ، جزء ٦ ، ص ١٥٨ ؛ جزء ١٠ ، ص ١٧٧ ؛ والنيسابوري ، « عقلاء المجانين » ، ص ١٢٤ ، ١٢٩ ؛ والشيذله ، مخطوطات الفاتيكان العربية ، رقم ٣٢ ، ١٥٤ ؛ انظر في ذلك ليفي دلا فيدا « فهرست مخطوطات الفاتيكان » ص ٢٨١ ؛ لسان الدين ابن الخطيب ، « روضة التعريف » مخطوطة الظاهرية التصوفية ، رقم ٨٥ ، ورقة ١٣٠ ؛ وليون بلوا ، « حياة ميلانيا » ، Léon Bloy. Vie de Mélanie) ص xvi) .

٥

كل هذه الموضوعات التي ذكرناها آنفاً كانت متفرقة ، منفدة فلمّها جمّاعون كانوا في النزاهة يتفاوتون وجمعوها في كتب دُعيت « كتب الملاحم » . واقدم هذه الملاحم كانت شعراً (قابل بالاناشيد السيبلّيه Chants sibyllins اليهودية اللاتينية) ، منها ملحمة معدان السُّميطي (المتوفي حوالي سنة ١٦٥ ﻫ) في المهدي الشيعي (كما اورده الجاحظ وابو الفرج الاصفهاني) ، وفيها ذكر الطائر الخرافي « عنقاء » (الذي اختطف الطفلَ المضطهَد وطار به الى السماء) . وفي الجيل الثامن للهجرة ، حلّل ابن خلدون الملاحم التي تداولت استعمالها الأسَرُ الحاكمة في افريقيا الشمالية وجماعات الصوفية (مثل القلندري الباجربقي المتوفي سنة ٧٢٤) . ثم بعد ذلك كانت ملاحم مؤلفة باسلوب السجع (راجع في الذيل ، « خطبة البيان » ، الرقم ٣) . واخيراً بين يدينا محاولات نثرية هي سرد لبعض السير قبل اوانها (ملحمة بحيرا المزعوم التي حلّلها آبل (Abel) ، ونصوص تركية من الجيل العاشر للهجرة وقد درسها داني Denys) فهي إمّا سيرة الانسان الكامل (المسيح بن داود اليهودي) وإمّا سيرة « شاهده المبتلي » (المسيح بن يوسف اليهودي) . وهذا الشاهد ، قائد طليعة الرايات السود (الذي مثّله من قبلُ ابو مسلم سنة ١٣٠ ﻫ) ، الذي يأتي من بلاد الترك ، دعاه نعيم (وأيده المقدسي في « البدء والتاريخ » ، جزء ٢ ، ص ١٥٧) باسم شعيب بن صالح الطالقاني ،

مولى تميم ، ذي اللحية المتفرّقة ، وهو يسبق مجيء « القــائم » (الحسيني ، او الحسني الزيدي ، الآتي من خوتن ، في الصين = ما سين) فيظفر على السفياني (ذي الرايات الخضر المرسومة بعلامــة الصليب) في البيظاء قرب اصطخر ، ويحتفل بتمليك « القائم » والابدال السبعة في مكة ، ثم يُذبح « كالشاة » ، قبيل اندحار بني كلب السفيانيين في بيسان ، في بطين وادي قدرون ، في ايلياء (= القدس). وقد اعتبر اهل طالقان الحلّاج في حياته انه هو شعيب هذا المُنبأ عنه ، ثم رأى فيه الشاذلية ، ثلاثة قرون بعــد ذلك ، انه ابو مدين الشفيع القديس الحامي عن تلمسان (انظر السيوطي ، الحاوي ، ٢ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥) .

٦

وها نحن الآن نحلل بالتفصيل « خطبة البيان » ، اذ انها النص الملحمي الاسلامي الذى كان اكثر النصوص تنويعاً في تكوينه على تعاقب الاجيال .

ان آخر رواية له كانت رواية كامل الدين ابو سالم محمد بن طلحة الحلبي (الجيل الثالث عشر) في كتابه « الدر المنتظم » (راجع مخطوطة الترسيسي ، من ورقة ١ الى ١٢ ؛ والايراني ، ٣٥ — ٤٤ ؛ والقندوزي ، في « ينابيع المودة » ص ٤٠٤ — ٤٠٧ ؛ ومخطوطة باريس رقم ٢٦٦١ ، من ورقة ٢١ ب الى ورقة ٢٤ أ) حيث نراه يتألف من ثلاثة اقسام : ديباجة تعدد اسماء الله (« خالق السموات والارض وفاطرها . . . ») واسماء النبي محمد (« الخاتم لما سبق من الرسالة . . . ») ؛ ثم تعداد بلسان الخليفة للمصائب المتكاثرة التي لا بدّ من ان تعقب موته (« عظمت البلوى واشتدت الشكوى . . . ») . اذ كان علي فوق المنبر يخطب في مسجد الكوفة الجامع قاطعه كافر يُدعى سويد بن نوفل الهلالي يسأله من اين له كل هذا . ففي فورة غضبه ، القى عليه خطبة مؤلفة من ٢٦٨ اسماً حيث يضع ذاته في صفة المتكلم (« انا سر الأسرار . . . »). اذاك خرّ سويد الكافر ميتاً فتابع علي كلامه (« سلوني قبل ان تفقدوني ! » وهي عبارة غدت مشهورة ، مردداً ملحمة ذات عبارات مؤتلفة الايقاع ، ومعدداً كل الفتن الممتدة حتى آخر الزمــان ، ابتداء من « علج بني قنطور » (مهدّم البصرة) ثم انتقــال الحرب الى ناحية الغرب ، من العراق الى الشام ومصر

(الثوّار القادمون من المغرب »، حتى الانتها. بعد وصول طليعة ظافرة الى القدس، يجيء « قائم » الاسلام .

اما ميزة الخطبة ففي الطلبة المؤلفة من ٢٦٨ اسما . وبالرغم من ان الرضيّ لم يذكر عنها كلمة واحدة في مجموعته المعروفة ، الزيدية النزعة دون شك، والتي جمعت الخطب المنسوبة الى عليّ (« نهج البلاغة ») ، منقولةً عن مصادر ترقى الى ١٥٠ سنة قبل « النهج » (الذي جمع حوالي سنة ٤٠٠ ﻫ ، ١٠٠٩ م) كما بيّن هبة الله الشهرستاني ، بالرغم من ذلك فان « خطبة البيان » قد ترقى الى اواخر القرن الاول للهجرة . وان ما يدلّ على انها كانت معروفة قبل سنة ٩٦٠ مسيحية ، فهو وجود خطبة اخرى ألّفها ابو القاسم (ونشرها متس Mez ، ص ١٥٧) على الصيغة ذاتها لاجل التهكم ، ووجود اقتباس منها ورد في « بدء » المقدسي (نشره هيوار Huart ، جزء ٢ ، ص ١٧٤) . فاذا كان الغلاة المتأخرون من الشيعة قد ألّفوا خطباً جديدةً مستقلة عن هذه (راجع عن خطبة البكتاشية ، برج Birge ، ص ١٤١) ، فان النصيريين يحتفظون بخطبتين نُسبتا الى عليّ (طَطنجية ، في مخطوطة باريس رقم ٥١٨٨ ، ص ٩٥ ؛ والخصيبي في « الهداية » ، ص ٤٧ ؛ لاحظ العبارة : « انا مُهلك عاد ... » ، وهي عبارة شكا الصولي الشيعي المتشيع للنصيرية ، في دعوى سنة ٣٠١ ﻫ ٩١٣ م[1] ، الحلاج أنه قالها عن نفسه) . وهاتان الخطبتان تتشابهان كل الشبه ، ويرجع تاريخها الى ما قبل سنة ٣٠٠ للهجرة .

في الاعلان الكيساني سنة ٨٩١ بعض شذرات من هذه الخطبة (طبري ، انظر تحت سنة ٢٧٨ ﻫ) . ولكن من الممكن ان ترقى الى ما قبل هذا التاريخ وذلك بفضل مصدر من مصادر « معرفة الرجال » (ص ١٣٨ ؛ انظر المامقاني ، ص ٣٩٢) لمؤلفه الشيعي ، الكشي (سِيَر جُمعت قبل سنة ٩٠٠) وفيه بعض مقتطفات من الخطبة رواها اسمعيل بن قتيبة (المتوفي حوالي سنة ٨٢٠) عن طريق ابي العلاء خالد بن طهمان الخفّاف السلولي الذي كان يرويها ، حسب

١) عبارة مشهورة منذ مُغيرة (راجع المقدسي في « البدء والتاريخ » جزء ٥ ، ص ١٢٦؛ لاحظ ومعناه السمة للابدال السبعة) .

زعمه ، عن الامام باقر (المتوفي سنة ٧٣١) . وهذا الزعم له معناه ، اذ ان هذه الخطبة قد تكون عن سنّية الكوفة ، وهم فرقة تعتقد بوجود روح الهي يتقمّص بواسطة التناسخ ، من جيل الى جيل حتى يوم الحساب الاخير حيث تتحققُ مجموعة الاسماء التاريخية مكتملةً في شخص « الانسان الكامل » . وهذه الاسماء قد عدّدها الجابران (جابر الانصاري وجابر الجُعْفي) في الكتب المنحولة التي كانا ينسبانها الى الامام باقر ؛ ولا اهمية لرأيهما فيمن هو ذلك « الانسان الكامل » ، أكان الامام « الصامت » (فرقة العينية) ام كان الامام « الناطق » (فرقة الميمية) ، ام كان احد المرشدين الملهمين (فرقة السينية : سلمان او عيسى) .

اما الديباجة فتبدو احدث بكثير في الزمن .

واما الملحمة التي تنتهي بها الخطبة فانها ، كما يظهر لنا بعد مراجعة سلسلة « المصائب » القديمة العهد التي ذكرناها آنفاً ، تبدو وقد فقدت ، لكرّ الزمن عليها ، كلّ نبرة تقريباً .

وهذه هيَ اهمّ ما في الخطبة من اسماء (وكلها تبتدئ بلفظة : انا)

١ : سرّ الاسرار ؛ ٢ : شجرة الانوار ؛ ٣ : دليل السموات ؛ ٤ : انيس المسبّحات ؛ ٥ : خليل جبرائيل ؛ ٦ : صفيّ ميكائيل ؛ ٧ : مُستنَدل الافلاك ؛ ٨ : سائق الرعد ، ١٠ : سرير الضُّراع (= كعبة السماء الرابعة) ؛ ٢٠ : كيوان الكهّان ؛ ٢٣ : موثق الميثاق ؛ ٢٤ : عصام الشواهد ؛ ٣٥ : سبب الاسباب ؛ ٣٦ : امين السحاب ؛ ٣٧ : مشرّد الخلائق ؛ ٣٩ : جوهر القدم ؛ ٤٥ : الاول والاخر ، والظاهر والباطن ؛ ٦٤ : جناح البُراق ؛ ٧٤ : شلال الجبال ؛ ٧٦ : مفجّر الانهار ، ٧٨ : مُفيض الفُرات ؛ ٨٨ : ام الكتاب ؛ ٩١ : أساس المجد ؛ ٩٨ : خامس الكساء ؛ ١٠١ : رجل الأعراف ؛ ١٠٥ : مائدة الكشف ؛ ١٩٩ : سرّ ابراهيم ؛ ١١٠ : ثعبان الكليم ؛ ١١١ : علانية المعبود ؛ ١١٥ : مخاطب الكهف ؛ ١٢٧ : بشير الترك ؛ ١٢٩ : مُفنّيا الزنج ؛ ١٣٠ : جرجس الفرنج ؛ ١٣٣ : برشّم الروس ؛ ١٤٤ : ايليا الانجيل (طور طابور ، الالام : الخضر) ؛ ١٤٥ : جُنّة النزاة ؛ ١٤٦ : كاسي العراة ؛ ١٤٧ : مؤاخي يوشع وموسى ؛ ١٤٨ : ميمون رضى عيسى ؛ ١٥١ : شديد القوى ؛ ١٥٢ : حامل اللواء ؛ ١٥٣ : إمام المحشر ؛ ١٥٤ : ساقي الكوثر ؛ ١٥٥ : قسيم الجنان ؛ ١٥٧ : يعسوب الدين ؛ ١٦٣ : قالع الباب (باب خيبر) ؛ ١٦٥ : صاحب اليقين ؛ ١٦٨ : مخاطب الاموات ؛ ١٧٥ : الجوهرة الثمينة ؛ ١٧٦ : باب المدينة ؛ ١٧٣ : مُحكم الطواسين ؛ ١٩٩ : ١٨٤ : امانة ياسين ، صاحب النجم (الزُهرة) ؛ ١٩١ : جانب

الطور ؛ ١٩٣ : باطن الصور ؛ ١٩٦ : سهام الذاريات ؛ ٢٠٠ : امانة « الاحزاب » ؛ ٢٠٩ : ممدوح « هل أتى » (قرآن ٧٦ : ١) ؛ ٢١٠ : « النبأ العظيم » (قرآن ٧٨ : ٢) ؛ ٢٠٥ : علامة الطلاق ؛ ٢١٨ : عذوبة الفِطر (= الوحي ، المعرفة) ؛ ٢١٥ : هلال الشهر ؛ ٢١٦ : لؤلؤ الاصداف ؛ ٢١٨ : سرّ الحروف ؛ ٢٢٥ : روح الاشباح (وهي اجسام الاظلة المنظورة) ؛ ٢٢٩ : الشهيد المقتول ؛ ٢٣٥ : مكسّر الاصنام ؛ ٢٣٦ : صاحب الاذان ؛ ٢٤٠ : شيث البراهمة ؛ ٢٤٢ : ذومن البطارق ؛ ٢٤٣ : بطرس الروم ؛ ٢٥٥ : مشكاة النور ؛ ٢٥١ : إمام أرباب الفتوّة ؛ ٢٥٩ : مهدي الاوان ؛ ٢٦٠ : عيسى الزمان ؛ ٢٦١ : وجه الله ؛ ٢٦٧ : ليث بني غالب ؛ ٢٦٨ : عليّ بن ابي طالب .

ان القرآن هو مصدر ثلث هذه الاسماء على الاقل . وهي تحشر في الاسلام كل الشعوب وكل الفرق (انظر الارقام من ١٢٧ الى ١٣٣ ومن ٢٤٠ الى ٢٤٣) مجتمعةً في يوم الدينونة الاخيرة لتؤدي حساباً عن قبولها بالتجلي الالهي بين الناس ، تجلي الله في صورة انسان سُمّي بواحد من هذه الاسماء التي أوحيت من قبل فاعتُرف له بها وبها دُعي للحصول على النجاة . وهنا تعترض مشكلة تعمقت في البحث عنها الفِرَق الشيعية : أهذا التجلي الالهي هو تجلي « السين » ، اعني تقديس شيخ عارف بواسطة الروح ؟ ام هو تجلّي « العين » اعني الملكوت الصامت لله المعبود ، مقدس الأمام ؟ ام هو تجلي « الميم » ، اعني شهادة كلام الله على لسان نبي ؟ ان اغلب الاسماء المذكورة اعلاه هي سينية (راجع الارقام: ٤ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠) وهي تلمع الى ذلك الروح القدس الذي كان هادياً سامياً للخَضِر ومن بعده لعيسى ثم لسلمان ، والذي سيستترّ في روح الحاكم الاخير . ولكن هنالك اسماء اخرى تشير إما الى الانبياء ، وبشكل خاص الى محمد ، فهي اذاً ميمية (راجع أرقام: ٥ ، ٦ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٩) ، وإما الى اوصياء الانبياء (راجع ارقام: ٩٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٤٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ ، على الاخص عليّ) . واخيراً توجد اسماء تختص بالالوهة اللامخلوقة الصامتة (راجع ارقام : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، [قابل مع « هيولى الكواكب »] ٤٥ ، ٧٦ ، ٢٠١) . فهي اذاً عينية . ومصدر الخطبة هذه هو دون شك امامي « عيني » ، لأنه يكرّسها كلها لتأليه عليّ . ولكن نموذجها قد يكون ، على ما يظهر ، « سيني »

المصدر ، بهدفه الاشارة الى الحاكم النهائي الذي عليه سيستقرّ الروح — عيسى (سلمان ، حمزه) .

لقد لاح للاسلام ، بصحبة « الانسان الكامل » الموضح دلائلَ المسيح اليهودي ما لم يخطر في انظار اسرائيل : اعني ذلك الدور الشوري التمهيدي الذي ستقوم به « المرأة الكاملة » ، تلك « المرأة » المضطهدة في رؤيا يوحنا ، التي سيولد منها « الانسان الكامل » . وبهذا الصدد اننا نحيل القارئ الى تلك الخطبة النصيرية العجيبة المكرسة لفاطمة[1] ، او بالاحرى « للأنوثة » المتجلية في كلتا المريمين ، مريم بنت عمران ومريم بنت يواقيم ، « صخرة الصحراء ذات العيون الاثنتي عشر » . اما الآفة الوحيدة في هذه الخطبة فهي أنها توثق نسب الميلاد الروحي (حيث لها الفضل بانها تجمع بين « المرأة » و « السين ») بحلقات ميلادٍ دموي مادي . ولقد كان الحلاج اصدق حين عبّر عن ذلك النسب بكلمة اصح : « اسرارُنا بكرٌ ما افتضّها الا خاطر الحق » .

« ان صحةَ « ختم الولاية » للحكيم الترمذي ، وكنت قد نشرتُ تصميمهُ وفقاً لابن العربي (« مجموعة نصوص » ، Recueil ، صفحات ٣٣ — ٣٦ التي توافق « الفتوحات » ، جزء ٢ ، ص ٤٤ — ١٥٤ ، و ٤٥٤) ، تؤيدها الان تلك الفقرات اللائقة للحكيم الترمذي ذاته في « نوادر الاصول » طبعة ١٢٩٣ هـ ، ص ١٥٧ — ١٥٨) ؛ راجع ابن العربي عن الاولياء العيسوية (في « الفتوحات » ، جزء ١ ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ؛ جزء ٢ ، ص ٦٤ — ٦٥ ؛ « رسالة القدس ») » .

---

[1] راجع بحثي في « العبادة النصيرية لفاطمة » .

« *Gnost. Kult der Fatima* » (Zürich, 1938), Eranos - Jahrbuch, 162-173 .

فيا يختص بالعلاقة بين فاطمة ومريم ، لنلاحظ ان والدة المهدي لا بدّ من ان تكون نصرانية نبيلة الاصل (من سلالة بطرس) . والأئمة مولودون من « السين » (الذى هو الروح القدس) عند السينية ، وامهم عذراء ، وهي تحمل من السين ، كما ان مريم « حلت باذنها » ابنها الذى بشّرها الملاك به متلفظاً باسمه (قرآن ٣ : ٤٠) .

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم ١٨٠٩ ــ ١٨٣٢ (تابع)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

على ايام المطران جرمانوس حوا

(١٨٠٤-١٨٢٧)

« تنبيه »

في١٨ ت ٢ ١٩٥٧ برفقة حضرة الاب موريس تالون اليسوعي عميد معهد الآداب الشرقية وامين المكتبة الشرقية في جامعة القديس يوسف وباذن غبطة البطريرك بولس بطرس المعوشي ومساعدة حضرة الخورسقف ميخائيل الرجي امين مكتبة بكركي . وفقنا في تصوير فهارس ام الوثائق الخطية المحفوظة في المكتبة المذكورة .

واذ نحن في سرد اخبار الموارنة الحلبيين متابعة مع السنين على ايام المطران جرمانوس حوا اعتنينا خاصة بالتي جاء ذكرها في وثائق بكركي فاذ هي وافرة تشغل الصحف الطوال وليس في قراءتها ما يشرح الخاطر ويدعوا الى بنيان المسيحيين الروحي والى رفع شأن الابرشية المارونية الحلبية لما هناك من سلسلة شكاوي ودعاوي بين المطران والكهنة والرعية ومن صداها في الوثائق الصادرة من رومة اما عن مجمع انتشار الايمان او عن وساطة القاصد الرسولي او عن تدخل حارس الاراضي المقدسة في امرها .

مع ذلك رأينا افادة في ذكرها مختصرة اخذاً عن فهارس بكركي فهي صفحة من تاريخ بلادنا الدينية والمدنية والاعلام المدونة فيها اسماؤهم تقع في موضعها الطبيعي في جملة الاسماء الواردة في مقالنا . والعبرة في الذكرى .

وكان المطران جرمانوس حوا الرئيس ، والرأس كثير الاوجاع ، نوهنا سابقاً بغيرته وعناده فلم يحسن التفاهم مع الناس واستبد وكان من مؤازريه المطران جرمانوس آدم الملكي الكاثوليكي مواطنه ومعاصره . فانه قبل موته اوصى الخوري بطرس آدم وكيله قائلاً : « لا تقبلوا شكوى على المطرن جرمانوس حوا » (بكركي رقم ٤٣) وارسل الروم الكاثوليك من حلب في ٨ ك١ ١٨٠٩ عريضة الى البطريرك الماروني يوحنا الحلو ضد المطران حوا لانتصاره لحزب جرمانوس آدم . فكان من البطريرك يوحنا الحلو انه ارسل

في ٢٣ آب ١٨١٠ الى جرمانوس حوا كتاب توبيخ وتهديد وذمّ سلوكه مع الرعية ومع المرسلين وكان الاضطراب سائداً بين الطوائف بسبب الانتقال من طائفة الى طائفة والتعريف في سماع الاعترافات وتوزيع القربان المقدس على شكل الخبز او الفطير فيحرد بعضهم على الطائفة ويهجرونها وتناق الكنيسة لمدة ويدس السم في مواد ذبيحة القداس للمطران جرمانوس حوا ! ويتبدد شمل الرعية بسبب سماية الاكليروس التابع للفنار واضطهاده لروم حلب. ومن الذين لعبوا أدوارهم على ذلك المسرح في الربع الاول من القرن التاسع عشر اخصهم بين رجال الدين فضلاً عن جرمانوس حوا القاصد غوندولفي والبادري سيجيسموندو الفرنسيسكاني والبطريرك مكسيموس مظلوم والقس نصرالله ايوب الحلبي والقس انطون نوح النائب في حلب والخوري يوسف الشراباتي .

وبين رجال الدنيا القنصل الافرنسي غيز ووكلاء الطائفة اولاد كنيدر وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم .

— وفيها في ١١ت٢ توفي في زوق ميكائيل المطران جرمانوس آدم الملكي. ولد في حلب وتعلم في البروبغندا في رومه فاضاف الى معرفة العربية معرفة اليونانية واللاتينية والايطالية والافرنسية . سيم اسقفاً على عكا في ١٧٧٤ ونقل الى اسقفية حلب في ١٧٧٧ ومنعه « القسافسة » عن الاقامة فيها فلجأ الى زوق ميكائيل والى دير مار يوحنا الشوير ومنه كان يدبر شؤون ابرشيته وكان قد اتصل في ايطالية بجماعة من اللاهوتيين الشذاذ فاخذ عنهم أراءهم الضالة فيما يخص العلاقات بين الكنائس والحبر الروماني فكان له التأثير السيء في اعمال مجمع القرقفه المنعقد سنة ١٨٠٨ . من مؤلفاته كتاب «التعليم المسيحي» وقد اصلحت فيه الاضاليل بما يخص سلطة الحبر الروماني قبل ان يجري استعماله في المدارس الكاثوليكية .

(راجع فايلهي (Vailhé) : قاموس التاريخ والجغرافية الكنائسي ١ ، عمود ٥٩٤و٥٩٥)

وكان جرمانوس آدم من اكابر الاكليروس الحلبي فقال المعلم نقولا الترك في ديوانه مؤرخاً وفاته .

هنّ ابن آدم بالفردوس حيث قضى	اجى حبرة بتقوى الله منتهية
جرمانوس السد المفضال من شهدت	لفضله السامي المشهور كل فئة
نلت الاكاليل في سنة مؤرخة	جاءت بالف وتسع مع ثماني مئة

— وفيها نصرالله ولد انطون حوا اوقف مسقفات لكنيسة الموارنة وللفقراء

الطائفة وكذلك حنا ولد الياس كنيدر ويوسف ولد عبدالله الفجال وجرمانوس ولد انطوان حوا وحنا ولد جبور فراري ومريم بنت بشارة الطرابلسي.

(غزي ٥٧٥٠٣)

وكان انطون عبديني المتقدم في اخوية الموارنة.

— وفيها نسخ القس شكر الله والقس نصر الله ايوب كتاب « مختصر الشريعة » تأليف عبدالله قرألي مطران بيروت الماروني (١٧٤٢–١٨٢٨).

(سباط ٦٣٤)

والى هذا الكتاب مرجع مجلة الحقوق في لبنان نشره الخوري بطرس غالب في المجلة البطريركية.

(ايار ١٩٣٠ ص ٥٧٨ وما بعدها)

[١٨١٠] فتح الله انطون صايغ من طائفة اللاتين وترجمان قنصل فرنسة سافر من حلب مرافقاً تيودور دي لاسكاريس الموفد من قبل بوناپرت الى قبائل العرب في بلاد الفرات وما بين النهرين والى الوهابيين تمهيداً لحملة بوناپرت الى الهند عن طريق استنبول والشمال السوري.

— وفيها كان مرشد اخوية عزبان الموارنة المطران جرمانوس حوا والمتقدم الشدياق الياس قرألي.

— وفيها ترهب من ابناء هذه الاخوية مبتدئاً في دير اللويزة في لبنان في اوائل ايلول مخائيل حنا غزي [كذا].

— وفيها سيم الخوري ميخائيل مظلوم اسقفاً على الروم الملكيين في حلب وسمي مكسيموس. وكان غائباً عنها واقام مدبراً له فيها امنا الخوري موسى قطان واما اغناطيوس ارقش.

— وفيها قال المعلم نقولا الترك مؤرخاً ترؤس المطران مكسيموس المظلوم على حلب بعد وفاة المطران جرمانوس آدم :

بشرًا لشهباء الوجود لانها	قد عوضت عن ذلك المرحوم
في خير مطران سما بين الورى	شرفاً باعمال زكت وعلوم
مكسيموس الحبر المهذب ذو التقى	فخر الافاضل خير كل حزوم ...
ولمن ينل عنه بتاريخي أجب	حكم الاله بنصفه المظلوم (١٨١٠)

وكان « الروم » في حلب متحدين بالايمان مع سائر الطوائف الكاثوليكية كهنة وعواماً اما المطران عليهم. فكان يونانياً يعينه بطريرك الفنار القسطنطيني التابع فوسيوس وتعليمه يخالف التعليم الكاثوليكي فنشأت من هذه الحالة ازمة تكون لها اطوارها المضنية الدموية كما سترى وجاء مكسيموس مظلوم محرراً الطائفة من نفوذ اليونان ورأى انه لا يستطيع السبيل الى ذلك الا بقبضه على زمام امورها اسقفاً ثم بطريركاً فيسعى ويسعى الى ان يبلغ مأربه فيستميل اليه بالدهاء اصحاب الامر والتأمير في الشرق والغرب ويتظاهر تارة بالتنازل عن الاسقفية وطوراً بالقيام في حلها الى ان تواتيه الظروف ويُعيّن بطريركاً قانونياً وهذه الافادة تساعدك على فهم معاني الوثائق التي ستنشر عنه شيئاً منها.

وفي ٨ آب ارسل البطريرك اغابيوس مطر منشوراً الى رعية الروم الكاثوليك بحلب بعد انتخاب ورسامة المطران مكسيموس (ميخائيل) يدعوهم الى طاعته وكان الكهنة فيها شحان داقور ميخائيل تديد اي التحوي نعمة الله نجم انطون صاجاتي جرجس طحان ميخائيل مظلوم (وهو مكسيموس) بطرس آدم حنا سالم بولس خياط جبرائيل مراش انطون داقور .

(منتخبات ص ١٧٢)

[١٨١١] ٥ ايار سافر المطران جرمانوس حوّا الماروني الى رومة .

— وفيها يوسف ابن القسيس ميخائيل صاجاتي نسخ كتاب « مجموع قوانين الكنيسة للعلم كباسيوس » . ودخل الكتاب بملك الشماس يوسف مخلجي .

(المكتبة الشرقية المخطوط ٥١٨)

— وفيها كاترينا واختها ابنتا يوسف دياب اوقفتا لفقراء كنيسة الموارنة في حلب مسقفات بحالة حسنة . (غزي ٢ : ٥٧٧)

— جاء حلب ابراهيم كوبلي خادم رعية الارمن واسقف حلب على الارمن. له مؤلفات دينية منها ترجمة « ظلمة الكرمل » للقديس يوحنا الصليبي

(غراف ٤ : ٩٠-٩٢)

[١٨١٢] بطريركية الفنار عزلت نيوفيتوس عن كرسي حلب واقامت محله جراسيموس .

(كاراتوفسكي ١٥٠)

— زحف الجراد واتلف المزروعات .

— مرشد اخوية عزبان الموارنة الاب عبدالله شينا — المتقدم الشدياق يوحنا اروتين — انطون عزوز نسخ برسم انطون يوسف باسيل كتاب طريق التوبة . لمؤلفه الاب اسكندر اليسوعي. وكان قد نقله عن الايطالية الى الارمنية الاب بطرس المرسل في تفلس ثم نقله ديريعقوب من الارمنية الى العربية سنة ١٧٣٨ وهو الذي سيرتقي السدة البطريركية على الارمن الكاثوليك .

(سباط ٤١٩)

[١٨١٣] اليك صورة منشور مكسيموس مظلوم الى رعية حلب يستفاد منه انه يعتبر اسقفها الشرعي ويوكل البطريرك بالابرشية الحلبية حين غيابه عنها وهذا النص تحفة من تحف الاساليب الديبلوماسية .

الحقير في رؤساء الكهنة مكسيموس مطران مدينه حلب

وما يليها :

بركة رسولية وسلام بالرب لكل واقف على منشورنا هذا ولكل سامع له من جميع اكليروسنا الحلبي الموقر وارخندوس رعيتنا المبجل وباقي شبنا المبارك ازوم الكاثوليكيين المكرمين المحبوبين منا بالرب الاعزا الكرام باركهم الرب الاله مع جميع اعيالهم وسائر تصرفاتهم باتم البركات السنوية آمين .

ان الذي نوضحه لجمهوركم المتعر لدينا ايها الابناء الاعزاء الجزيل نفوامم هو انه اذ كان قد اتفق راي قدس السيد البطريرك كيريو كيريو اثاسيوس الكلي الطوبى مع راي حضرة اخوتنا مطارنة الكرسي الانطاكي الكلي الشرف على ان انوجه الفقير راعيكم لديوان السدة الرسولية وكيلا بطريركيًا عامًا لاخراج التثبيت والباليون المقدس لغبطته كجاري العادة الكاثوليكية ثم لتهي مواد حلب المرفوعة لدى قداسته ونيافتهم مع باقي المواد المختصة بالكرسي البطريركي رغبته وسيادتهم قد كلفوني لذلك ومن ثم بالرب هذا الراي الصوابي فبعد التجائي الى ابي الانوار وتاملي جميع الظروف الماضية والحاضرة والمستقبلة قد ارتضيت بهذه الوكالة وباشرت هذا العمل ملاحظًا به بمجرد قيام مجد الله وخير الانفس وراحة الطائفة وجلال هذا الكرسي المقدس مظهرًا بذلك كم اني محترم فوق السلطان الاب الاقدس البابا بيوس السابع الكلي القداسة مع جميع انتشار الايمان القانوني المقدس معتبرًا حق الرعاية العامة المطلق لهذه السدة الرسولية في شخص القديس بطرس زعيم الرسل من السيد المسيح نفسه ومن ثم اذ اذعنت لصوت هذا المجمع البطريركي عقبًا اياه كصوت الله

كما تعلمت دائماً ان اكون في طاعة روساني الشرعيين وتسلمت صك الوكالة الفاسوري من السينودس المقدس الكنيسة الشرقية الرومية الكاثوليكية واعتمدت الانتزاح عن هذه البلاد متكلاً على عناية الله ومتجهاً نحو اوروبا فصرت ملتزماً ان اوكل في سياستكم ورعاية انفسكم بما يختص بالسلطان الاسقفي ذاك الذي يتمم هذه الالتزامات في مدة غيابي عن هذه البلاد فلم ارَ اكثر ملاءمة لهذا المقصود سوى ان اتوسل لقدس السيد البطريرك كيريو كيريو اثناسيوس الجزيل الغبطة بان يقبل مع اهتمامه العام الاعتناء الخاص ايضاً في ما يلزم لسياسة انفسكم فغبطته قد ارتضى بذلك بكل حب ابوي ولهذا قد دفعت بيد قدسه هذا الصك الممضي والمختوم في نسختين وبه اوضح واقرر بان طوباويته قد صار وكيلاً قانونياً شرعياً عن شخص حقارتي في كلما يتعلق ويختص بالسلطان الاسقفي من السياسة الرعائية والتدابير الكنائسية ورسامة المنتدبين للدرجات المقدسة بموجب القوانين واصدار الاوامر حسب مقتضى احتياج هذه السياسة الرعائية والتدابير الكنائسية ثم باعطاء الراي والحكم المشترك في المجامع البطريركية او رسامة احد المطارنة اذا لزم ان يكون في زمان غيبتي هذه على احد الكراسي فجميع ما يختص بي ويحق لي ويتعلق بواجبات درجتي الاسقفية مما ينوط بسياستكم وبتدبير الطائفة والكرسي البطريركي قد صار مفوضاً لطوباويته في مدة غيبتي ولذلك نريد من جميعكم ونامركم بالطاعة المقدسة بان تنقادوا لغبطته في كلما يحق له ليس فقط من قبل رعايته العامة الصادرة عن السلطان البطريركي بل ايضاً من قبل ما يختص بهذه الوكالة الحاوية ما يختص بالسلطان الاسقفي واذ كان لنا في جزيل تقواكم وخصوصاً منكم وحسن صفاتكم اكثر مما نؤمل فلا يلزم ان نطيل الخطاب في هذا الشان بل ان نرفع يمنانا الضعيفة ولو عن بعد ونباركَكم بالبركات الرسولية مودعين جميعكم ومستودعيكم في حماية جروحات مخلصنا يسوع المسيح متوسلين اليه عزّ وجلّ كما انه سمح وارتضى بابعادنا عنكم الشاسع في هذه المدة لغايات يعلمها هو التي قد طابقنا معها ارادتنا خاضعين وقابلين كلما ترسمه عنايته تعالى القدوسة معتقدين ذلك احد اعتقاداته جلت قدرته معتمدين بانها انما هي الخير المقصود منه تعالى فهكذا نتوسل الى جوده الالهي ان يواصل طريقتنا على جميعكم ويسمعنا عنكم في مدة هذا السفر ودائماً كل المسرات وفي آن واين يتمجد فيها اسمه القدوس يجمعنا واياكم وانتم بالصحة والعافية وحسن التوفيق والنجاح روحاً وجسداً مملوين من الانعام السماوية والعطايا الربانية وكل خير ولم يكن لدينا شيء اخر نوصيكم به الان سوى تلك الوصية التي اودعها مخلصنا لتلاميذه الاطهار وبواسطتهم لجميع الشعب المسيحي وهي ان يحب بعضهم بعضاً سالكين بكل تلك العلامات والواجبات التي ترسمها هذه الفضيلة السامية التي اذا كانت لا تلتمس حقوقها فهكذا نؤمل من جميعكم ان يكون سيركم واعتناؤكم بكلما تقتضيه واجبات هذه الفضيلة السامية التي بدونها لا يقدر احد ان يعاين الله هذا ما

لزم تحريره لجميعكم ايها الابناء الاحباء الاتقياء فلا تنسونا من الـذكر في صلواتكم وعربون حبنا الابوي نمنحكم جميعاً البركات الرسولية ثانياً وثالثاً .

تحريراً في ١٠ أيلول سنة ١٨١٣ الف وثمانماية وثلث عشرة في مدرسة البشارة في عين تراز — (مكان الختم)

الحقير
في روما الكهنة
مكسيموس مطران
مدينة حلب
وما يليها

وجاء في القاموس التاريخي الجغرافي الكنائسي .
(لكارالوفسكي ١٠٥)

ان اعلان مكسيموس مظلوم متروبوليتاً على حلب كان بعد انتخاب غير قانوني . ففسخته رومة ١٨١٠—١٨١١ وظل كرسي حلب فارغاً . وانتدبت جمعية انتشار الايمان الى النيابة فيه الخوري اغناطيوس ارقش واعلنته متروبوليتاً ١٨١٥ وتوفي قبل سيامته .

ونقول ان العناية الالهية باسرارها الغامضة سخرت هذه الظروف الشاذة لتصل الى غايتها وهي تركين شؤون الطائفة الملكية الكاثوليكية على اسسها المتينة.

[١٨١٣] البطريرك غريغوريوس الثاني الارمني الكاثوليكي سام اسقفاً على حلب الكاهن الواعظ جبرائيل خديد. (غراف ٤٠٠٤)

وفيها امرت الحكومة النصارى بان يعتموا بعمائم زرق وان يحتذوا بارجلهم بالسرماية الحمراء. (غزي ٣٢١٠٣)

وفي حلب محمد جلال الدين باشا ابن چوپان طاف في شوارعها وبرفقته الجلاد وقطع رؤوس خمسة انكشارية ارهاباً للنفوس . ثم اولم وليمة في تكية الشيخ ابي بكر ودعاهم اليها فاباد زعماءهم وتتبع الباقين منهم ليقتلهم وذلك بامر السلطان . (غزي ٣٢١٠٣)

وفي هذه السنة حدث الطاعون الجارف .

وفيها القس عبدالله شينا مرشد الاخوية اقتنى كتاب صناعة الفصاحة الذي نقله الى العربية اثناسيوس دباس المتوفى ١٧٢٤ (سباط ٦٤٣)

وكان متقدم الاخوية المارونية انطون جبرائيل عبديني ومن الاعضاء

في ١ شباط جبرائيل مخائيل توتل .

وفيها نسخ انطون يوسف باسيل تاريخ الكنيسة لاورسي ومع يوسف خوري عبود نسخ تفسير الاناجيل الاربعة لكرنيليوس الحجري .

(سباط ٤٢٣ – ٤٦٥)

[١٨١٤] اخذ بعض المسيحيين يتنكرون بزي الانكشارية ليأمنوا اذى العامة .

– مريم بنت فرج الله نجم اوقفت حسنات على فقراء ديري مار يوحنا بجبل لبنان كسروان « على فقراء الروم » وكذلك كتر بنت الياس قصاب .

– نعوم بن انطون غضبان اوقف مسقفات حسنة لدير في جبل لبنان ولفقراء « الروم » .

– سيدة بنت كبار اوقفت مسقفات لفقراء الارمن بدير بزمار ولفقراء حلب . وكذلك اندراوس ولد حنا (غزي ٢، ٥٧٩)

[١٨١٤] ماكدونالد كنيير زار حلب وكتب عنها . كان الامر بيد الانكشارية وعمال السلطان لم يكن لهم نفوذ البتة . وكان الباشاوات يعيشون بالفقر ولا حرس لهم . وكان الانكشارية قد احتكروا القمح وضبطوا مرافق التجارة فربحوا الملايين منذ بدء القرن الى ان جاء محمد بن چوپان وقتلهم بالحيلة وحشى رؤوسهم شمعاً وارسلها الى استنبول . وصادروا اموالهم .

(ريتر ١٧٥٥)

ولا يناقض كلام كنيير ما قاله ديفيزين سابقاً عن الوظايف وسطوة الباشا وابتزازه اموال الرعية لان ما رآه كنيير قد يكون موقتاً محصوراً بظروف استثنائية اما ما قاله ديفيزين فقد جاء على ما كان يجري عادةً .

[١٨١٥] ولي حلب رجب باشا امير الحج سابقاً . اليه ينسب بستان الباشا في الميدان الكبير شمالي حلب بشرق. (غزي ٢، ٢٩٥)

– سيدة بنت بطرس عزيز اوقفت مسقفات على فقراء السريان .

(غزي ٢، ٢٨٠)

– القس يوسف جربوع اوقف مسقفات لكنيسة السريان بحلب ومريم بنت جرجس التركماني على دير بزمار وعلى فقراء الارمن وكذلك حنة بنت بطرس صمان . (غزي ٢، ٥٧٦)

[١٨١٥] اوتو فردريك فون ريشتر ١٧٩٢–١٨١٦ الروادة الليفوني الشاب اقام في حلب اياماً وكان شاهد عيان للفتنة بين الاشراف والانكشارية. وكان مريضاً وسال عن طبيب فلم يجد الا طبيباً جراحاً كان في خدمة سفينة وهذا لم يصف له دواء غير الصوم. وازرقت يداه من البرد وتورمت رجلاه واخيراً شرب شيئاً من العرق فتحسنت صحته واخذ يتجول المدينة ويتبادل الزيارات مع القناصل وكان «غريغور» خادمه الارمني رفيقه في رحلته. (١ كانون الاول) ومن هذا الخبر افادة عن حالة التطبيب في تلك الايام في حلب.

وفيها نيسان ارسل مكسيموس مظلوم من مدينة رومية بعد وصوله اليها بمدة نحو ثمانية اشهر مكتوباً الى البطريرك مكاريوس طويل يتضمن تنزله عن ابرشية حلب «لاجل راحة ضميره من شغل هكذا باهظ ومن شعب هكذا متعب». (منتخبات ٤)

وفيها ٢٥ نيسان مكسيموس مظلوم ارسل مكتوباً الى القس جرجس طحان طلب اليه ان يحمل الى البطريرك المكتوب السابق من دون ان يخبر الحلبيين بتنازله عن الابرشية وليترك الى البطريرك امر اشهار ذلك. (منتخبات ص ٨)

وفيها ٢٠ تموز مكسيموس مظلوم ارسل مكتوباً الى البطريرك مكاريوس طويل كرر فيه تنازله عن ابرشيه حلب ووعد بالرجوع من روميه وهو حامل الباليوم الى البطريرك وارسل تحريراً عمومياً للقس جرجس طحان متقدم اكليروس طايفة الروم الكاثوليك بحلب قال فيه:

«لم يعد لنا غوكم التزام كنائبي ما كما انه لم يعد لكم تعلق بنا اصلاً بل صرتم مختصين بدون وسيطه لقدس البطريرك مكاريوس طويل». (منتخبات ص ١٢)

ودعا الشعب الى التصافح والاتفاق:

[١٨١٦] كانون الثاني. شهد فون ريشتر قدوم القافلة من بغداد ومعها عدد وافر من الحجاج العجم الذين سيعودون من مكة الى بلادهم عن طريق ديار بكر وارضروم. وكان زيهم زي التتر وثيابهم رثة ويركبون الخيل. ومعهم بغالهم تحمل خيمهم. — ويرافقهم جماعة من التركمان وعليهم امارات القوة والبأس ولكن لم يظهروا في عين المؤلف اشداء كعرب الشام وحوران وتدمر. (ص ٢٥٨)

يدعى الى البالو في الجالية الاوروبية بين القناصل والى الصيد .

وسوف يتوفى في ١٣ آب ١٨١٦

وفيها ولد اغناطيوس عجوري اسقف زحلة والفرزل ١٨٣٤ .

(غراف ٤٤ : ٣)

وفيها بنت توما الاعرج اوقفت مسقفات على نصارى « الروم » بحلب .

(غزي ٢ : ٥٨٠)

[١٨١٦] ١٨ « نيسان شرقي » مكسيموس مظلوم ارسل تحريراً من رومه الى مطارنة الطائفة تعزية عن وفاة البطريرك مكاريوس طويل في ٣ ك ١ ١٨١٥ واعرب عن رغبته بألا يتأخروا بانتخاب خلفه واهدى اليهم السلام من السيد جرمانوس حوا الماروني اسقف حلب الذي كان آنئذ في رومة .

(منتخبات ص ٢٠)

وفيها ١٢ ايار عينت رومة باسيليوس عرقتنجي مطراناً على حلب . في ايامه حدثت الاضطهادات من قبل جراسيموس « الارثوذكسي » .

وفيها ٢٢ ايلول ارسل مكسيموس مظلوم كتاب التهنئة الى باسيليوس عرقتنجي رئيس عام الرهبان الشويريين في انتخابه مطراناً لكرسي حلب وفي ٢٤ ايلول من رومة الى القس موسى قطان خادم رعية زوق ميكائيل لانتخابه بطريركاً على انطاكية .

(منتخبات ٣٠)

وفيها وقع الطاعون في حلب وانتشر في البلاد فوضع فيه نقولا الترك ارجوزة تذكر بما سبقنا ونشرناه عن وسائل الوقاية سنة ١٧٨٦ :

« يا طالب حقيقة الانباء	والحكم في ماهية الوباء
ان الوبا سمية دباقة	لصاقة نفاذة خراقه
يسبح في الابدان سبح الدهن	اذا سرى في الصوف او في القطن
وشأن هذه العلة الضالة	والآفة المهلكة القتالة
ان تعدى الابدان عند اللمس	وليس انها قلته من لبس
فان بدت نافذة بحمرة	فأمن وخفها ان بدت مخضرة
وحال هذا الداء فيه الكل	حاروا وعن علاجه قد كلوا
فاستجمعوا الرأي به واعتمدوا	ان حل يوماً في مكان بعدوا
ان حل طاعون بارض فارحل	او فاحتجب من خلف باب مقفل

وان ترم ان تتقي مناهجه	ادخر به من كلا تحتاجه
كالشمع ثم الشحم ثم الزيت	وكل حلو يقتضي للبيت
من سكر يتقى ودبس مع عسل	مع كلها يحلو مذاقاً ان حصل
واقتن جارا ذا عطور نافحه	والزعفران المنتقى ذو الرايحه
احضر لديك الكل قبل الغفله	اياك تستولي عليك الغفلة
واستقن امواساً لحلاق الراس	كي تمسي مرتاحاً بلا وسواس
والتبغ خذ مفرومه مقدار ما	يكفيك للمشروب طول الاحتما
واحذر من الفيران واخشى المرا	لا تقبله ان اتى من برا
وبعد اتمام لذا القانون	بالاحتما في مدة الطاعون
سلم جميع الامر للرحمان	تسلم عبد مخلص الايمان»[1]

(ديوان : ص ٥٤–٥٨)

[١٨١٧] قدم الى حلب النائب الرسولي لويس غوندولفي الايطالي البيامونتي اللامازري وهو من اوائل الذين ارسلتهم البروباغاندا الى الشرق ليحلّوا محل اليسوعيين . كان قد اقام في ازمير ١٧٨٢–١٧٩٧ ثم ترأس دير عينتورة واتخذه الامير بشير الثاني الشهابي مرشداً . في ١٧٨٧ سيم اسقفاً بلقب قونية . ولما علم الحلبيون بقدومه خرجوا للقائه وسار معهم السيد غيس قنصل فرنسة على رأس التراجمة وكان بمعيته كوسان دي برسڤال المستشرق الافرنسي والتقوا بالسيد غوندولفي عند قرية الانصاري في بعد نحو فرسخين عن حلب على طريق خان طومان . وكان راكباً دابةً حقيرة فتحوّل عنها الى جواد اصيل قُدِّم له . وسار الركبان يمرجان الى البلد . وان كوسان دي برسڤال تصر عليه كبح جماح جواده فتقدم احد الاشراف ونفخ في انف الحصان نفخة دخان التبغ فسكن الحصان وانقاد طائعاً لراكبه . ونزل غوندولفي بدير تراسانتا واقام في حلب اياماً وزار خورشيد باشا فاستقبله بالاكرام .

(عن داموازو ص ١٢٦)

وفي هذه السنة نعمة الله دوناطو الشماس الانجيلي الارمني الف رسالة في

1) هذا واذ الشيء بالشيء يذكر ، في حين تدوين هذه الاسطر تنشر جرائد لبنان الاحتياطات اللازم اخذها للوقاية من الحمى الآسيوية ١٩٥٧ وما اشبها بهذه الاحتياطات بما نشرناه .

الاربعين شهيدًا . (عراف ٤-٢٩٦)

ودير كيورك ابن دير ماركار اوقف مستقفات على فقراء كنيسة الارمن بحلب وديوتيسيوس ميخائيل هدايا اقيم مطراناً على سريان حلب .
(غراف ٢: ٥٨١٤)

وفيها في ٢٥ نيسان حرّر المطران جرمانوس حوّا الى يوحنا الحلو بطريرك الموارنة كتاباً بالايطالية مع ترجمته العربية يطلب الصفح منه ويقول انه عايد لابرشيته ويصفح عن اخصامه . (بكركي ٧٤: ٧٥)

« ايها السيد الجزيل الغبطة والكلي الاحترام بعدَ قبلة انامكم المقدسة وتقدمة كلما يجب ويليق لمقامكم السامي والسؤال عن خاطركم وصحة سلامتكم المرغوبة هو انه من الاوامر الرسولية الواصلة لسيادتكم تفهمون كيف انتهت دعاوينا فلا يلزم اعادة الشرح ونحن حبًّا للسلامة ولأجل خير نفوس رعيتنا قد صفحنا وتركنا لكلدن اما لشخصنا وقدم لديوانكم ما هو زور ضدنا وباي نوع كان وهكذا نؤمل من شيمكم بانكم تتركوا كلما مضى وتصفوا الخاطر وتصفحوا عما تباين لكم انه صدر منا ضد غبطتكم لا سمح الله بل اننا لم نزل والى الآن ايضًا كما كنا سابقًا مستعدين بكل احترام وخضوع لطاعة كافة الاوامر البطريركية القانونية . ثم اننا ننتظر جواب سيادتكم المحترمة بجاب ان سمح لنا الباري بكوننا متوجهين بعونه تعالى لابرشيتنا فرافقونا بدعاكم الصالح في هذا السفر ثم نكرر كلما يجب ويليق مع تقبيل انامكم ثانيًا وثالثًا .

سطر بمدينة رومية العظمى في ٢٥ نيسان ١٨١٧ الحقير

جرمانوس حوا

برحمة الله ونعمة الكرسي الرسولي

مطران حلب

قتل « الشهداء » المسيحيين

[١٨١٨] قيل تاريخه ذهب كهنة الروم الكاثوليك من حلب بامر عالي بخط شريف عن يد بطريرك استنبول ومطران حلب جراسيموس وكان ذلك النهار مهولًا محزنًا والم بالغم جميع المسيحيين وكان بدؤ اضطهاد الكاثوليك على يد الروم وهم اغنى واكثر جميع الطوائف في حلب . وجاء الامر بنفي المرسلين

عن دخول بيوت الروم ومنع الروم عن الصلاة في غير كنائسهم وكان الكاثوليك مخبوطين في استنبول.

(من دفتر اخوية حفظ الايمان الكاثوليكي — حلب، الخزانة المارونية)

« الحادثة المهولة التي جرت في ١٨ نيسان ١٨١٨ مسيحية بحلب على طايفتنا الروم الكاثوليكية الملكية لسبب اخذ الفرمان المقدم ذكره من سلطان محمود والاعتاء التابعة من خرشد باشا والي حلب لكي يدخلوا طائفتنا الى كنيسة الروم الغير الكاثوليك وهذه الاوامر كانت بحركة من البطريرك القسطنطيني وكيل جراسيموس تركان الكائن بحلب وتشدد فمن عدم قبول طائفتنا الدخول الى كنيسة الروم المذكورة وتحريض المطران مع بعض اعوانه الى الوالي المومى اليه اقترضها عداوة على نفس السلطان وامر حالاً بقتل بعض اشخاص فصادفت القرعة قريباً من الشيخ ابي بكر الى اشخاص المدون اسماؤهم ادناه من طائفتنا نفسها :

نعمة الله الياس شاهيات، يوسف عبد اسود، جبرائيل طنبه، نعمة الله باسيل، انطون باسيل، جرجس جبرائيل عجوري، بطرس نصر الله مراش، نصرالله عبد الله طنبة، يوسف قاق، من طائفة السريان جرجس بخاش، من طائفة الموارنة انطون حوا ».

(المقتطفات ص ١٥٤)

قال المعلم نقولا الترك راثياً بطرس مراش المستشهد في حلب :

بدل الحياة الدنيوية بالبقا	واختار مجداً سرمدياً دوما
وحُبي على استشهاده خير الجزا	واعتاض اكليل الثواب مفخما
لله فرقة بطرس كم اوحشت	تلك الربوع واظلمت ذاك الحما
من ذا يعزي قلب زوجته التي	فقدت قريناً كان بدراً في سما
او من يسلي عمه جبريل من	قد بات بالحزن الشديد مهيما
اعني به النفس الذي فيه را	ثيه لقد جعلت ارمّيا ابكما
ويكلها قاسى فرنسيس البلا	برسوخ قلب ثابت لن يقسما
يا غبطة المستشهدين رفاقه	اولايك المتوجبون تكرما
الفايزون بجنة الملكوت ما	بين الملائكة الفائز الاعظما
فلذاك قلت صلوه تمجيداً بتا	ريخي فقي دمه الذكي ورث السما

سنة ١٨١٨

(ديوان ص ١٣٦ وما بعدها)

وفي « المجلة البطريركية » نشر المرحوم الخوري بولس قرالي ما وقف عليه

من الوثائق في هذه الحادثة المحزنة وخص منها بعنايته « الرواية » المنسوبة الى بولس اروتين الذي سيام اسقفاً على موارنة حلب في ١٨٢٩ نكتفي بالاشارة اليها .

وفي تلك الايام المشؤومة كان السيد مكسيموس مظلوم في بلاد النمسة. فكتب الى فتح الله غضبان في استنبول كتاباً قال فيه : انه نقل الى الايطالية كل ما حدث للطائفة منذ ١٤ اذار الى ٨ نيسان ورفعه الى الاب الاقدس . وقال انه التجأ الى امبراطور النمسا فطلب حمايته على قدر الامكان وارسل صورة الحوادث الى الجي (سفير) النمسا والى الجي فرنسة ايضاً ليسعيا معاً في حماية الطائفة وجرت المكاتبة ذاتها مع ديوان انكلترة وارسل الحبر الاعظم « بريفه » او تذكرة الى سلطان فرنسة في هذا الشأن .

وحرر السيد مكسيموس الى نصرالله دلال والى نعمة الله عرقتنجي في استنبول وكتب بالمعنى ذاته الى البطريرك وقال :

« وربما ان الباري تعالى قد سمح بحدوث الشر الذي صدر كي يصدر عنه الخير المؤمل» .
(منتخبات ص ٧٠)

وبالامر الواقع يقول ناشر هذه الوثائق لقد نتج خير عظيم من تلك الشرور وكانت نتيجة الاضطهاد تمسك الروم بالكثلكة في حلب تمسكاً لا يتزعزع فاصبحوا فيها الطائفة المسيحية الوجيهة الشهيرة بما ادته من الخدمات للكثلكة بعدد الدعوات من بطاركة ومطارنة ورهبان وراهبات خرجوا منها ففاقت بذلك سائر الابرشيات واحتكرت اسم « الروم » لها بمعنى الروم الكاثوليك .

في هذه السنة

«في ٦ حزيران القس ارميا الباني حضر من الجبل فعينه المطران جرمانوس حوا مرشداً ... فوضع هذا قانوناً على من يتأخر عن المجيء للاخوية مايتين ركعة وصوم اربعة ايام على الخبز والماء . ثم في ٢٢ حزيران امر بان تكتب اسامي الذين ينقطعون عن الحضور للاخوية وتعطى لمستشارين ويسألونهم ان كانوا يواظبون ويعدون بحفظ المراسيم كان به والا طردوهم . ثم في الجمعة التي بعدها اي في ٩ تموز امر بان توقد شمعة مكرسة فقدموا له المستشارون اسامي اثني عشر اخاً فامر الكاتب بان يكتب اسم كل واحد على قطعة ورق وابتدأ

بحرق الشمعة واحدًا فواحدًا تاليًا على نيته مرة ابانا والسلام مع نافذة وجيزة هكذا الا في فلان بن فلان تحرق اسمه لاجل مباينته الاخوية وتركه لها بدون سبب واجب بل لاجل عناده وعصاوته فلهذا نفصله عن شركة الاخوية ومن جميع استحقاقها ومن شركة عبادة سيدتنا مريم العذراء. ام الاخوية صلوا على نيته مرة ابانا والسلام لكيلا يسمح به الرب ان يحترق في جهنم ثم وعظنا وكانت هي الجمعية الاخيرة من ارشاده لنا . في ذلك الاسبوع حضر امر من قدس السيد البطريرك لمجيئه لمنده ورجوعه الى جبل كسروان لاسباب نحن بغنى عن شرحها » . (عن الوثائق المارونية .)

وفي ٥ آب كتب السيد مكسيموس مظلوم الى البطريرك منوهاً بمساعيه في تحصيل التعويضات عن الخسائر بواسطة دولة النمسا قال :

« يلزم ان تفهموا قدسكم ان المسافة من تريسته الى فيّنا توازي قلما يكون المسافة المكانية من مدينة حلب الى مدينة عكاكوضا هي مشي تسعة ايام على جرى الكروسة التي تمشي في النهار مقدار ما يمشيه القتل مرتين ولكن كنت الفقير قد اخذت هذه المسافة في مدة سبعة ايام ونصف بجري كلي كي اصل قبل بيوم ولكن من حيث ان هذا جميعه هو موضوع لاجل بجرد مجد الله وشرف الايمان الكاثوليكي ولخير الطائفة فلا ثقلة ولا غم عندي به بل اومل ان اتجزى من الباري وحده عز وجل بالنهاية الصالحة المقصودة من هذا العمل . . وقد اعتمد ديوان الامبراطور ان يطلب من الباب العالي تعويض الاضرار التي حدثت ومقاصصة الذين سعوا بها ظلماً وكان كل منا هو راض بان يصفح عمّا مضى بحيث ان تحصل الراحة المطلوبة » .

(منتخبات ص ٩٩)

ملحق — افتتحت مدرسة انتشار الايمان ونقل اليها التلامذة وقبل فيها تلميذان من الطائفة الملكية احدهما من ابرشية حلب والآخر من الابرشية التي يعينها البطريرك . (منتخبات ص ٨٠)

[١٨١٩] في ٢١ آب الاخوة من طايفة الروم لسبب سفر كهنتهم والاضطهاد الذي اصابهم لم يبقَ عندهم اخويات فقبلوا في اخوة الموارنة وهم نعمة الله مخلوطة شكر الله الياس ناقوز شكر الله جبرائيل ناقوز نعمة الله انطون طنبة يوسف نعمة الله حاتم يوسف قبواتي الياس موازيني جبرا دحدوح جبرا شرقي جبرا ازرق مخائيل ازرق .

– وفيها الياس جبرائيل عزوز المولود سنة ١٧٩٩ مات ميتة الصالحين بعد حياة صالحة للغاية .

– وفيها ترهب من الاخوة جرجس انطون رز ابتدأ في دير اللويزه في ١٥ ايلول وسمي جرمانوس ثم سيم كاهناً في ٦ ايار ١٨٢١ .

خورشيد باشا

هو حاكم حلب ومنفذ اوامر الباب العالي فيها والمسؤول نهائياً عن المأساة الدموية التي حدثت في ربيع العام الماضي ١٧ نيسان .

قيل : « ان يوم الجمعة (١٨ نيسان) صار الارمنه برفع القتل وعفى عن ضبط مالهم وندم جداً على ما فعل كون يوم الذي استشهدوا به اي يوم الخميس صار بالشيخ ابو بكر ضوجة عظيمة واضطربوا جميعاً حتى الوزير ذاته وثاني يوم الجمعة حالاً امر برفعهم وعدم ضبط مالهم ومن حين قتلهم لحين رفع لاشاتهم مقدار ٣٥ ساعة وحين رفعهم كأنهم ساعته قتلوا والنور متلألئ منهم والدم سخن باجسامهم بشهادة من يثق به » .

(مقتطفات ص ١٥٩)

ولسنا نعرف عن خورشيد باشا من كامل الغزي مؤلف نهر الذهب في تاريخ حلب ومن سلسلة الاخبار اليومية التي نشرها الاب بولس قرألي سوى انه كان البطل الشرس القاسي في مذبحة « الشهداء » وفي البطش بالأشراف في ثورتهم عليه سنة ١٨١٩ .

الطبيب البيطري داموازو

ولكن وقفنا على كتاب للرحالة الافرنسي داموازو الطبيب البيطري . قصد الى الشرق تفتيشاً على الخيل العربية ليبتاعها لاراتب لويس الثامن عشر ملك فرنسة لكي تلقح الخيل الافرنسية بدم الحصان العربي الاصيل وتعوض على فرنسة ما فقدته من حصنها في الحروب النابوليونية. وفي احتلال الحلفاء فرنسة ١٨١٤–١٨١٥ . وان داموازو جاء حلب وتعرف الى خورشيد باشا ذكر ماجرياته معه واستعان به على شراء الخيل .

قال داموازو ان ثلاثة من الانكشارية اهانوه وهو في جولاته بالمدينة فشكاهم الى خورشيد فاستدعاهم الباشا وامر السياف بقطع رؤوسهم وان السياف ليفعل لولا تدخل داموازو بالامر والتشفع بهم فصفح الباشا عنهم.

فمن كان دم العباد رخيصاً بين يديه كدم هؤلاء الانكشارية لا عجب ان يسفحه سفحاً كما جرى في الامس وكما سيجري فتكاً بالثوار.

هذا وقد اكرم الباشا ضيفه الافرنسي . جاء الناس يعرضون على داموازو جيادهم وكان لاحد ابناء الآغاوات حصان اصيل طلب به الفين واربعمئة غرش تركي (١٨٠٠ فرنكاً ذهباً) وباعه اخيراً بالف وخمسمئة غرش . وكان الحصان للآغا وهو في الحج . فلما عاد من الحج وعلم ان ابنه باع الحصان غضب ورفع الامر الى خورشيد وطلب فسخ البيعة واسترداد الحصان ولكن خورشيد ابى تلبية طلبه لان الشاري افرنسي وضيفه ولم يرد ان يكدر صفاءه .

وكان الحصان سهل المراس فنُقل الى فرنسة ودخل في زريبة الخيل في مدينة پو .

واي استعراض للخيل اصلح من لعب الجريد لاختيار خيرتها لاصطبلات ملك فرنسة ؟ فيجري اللعب في الحقل عند السبيل في ظل خورشيد باشا . فيحضره داموازو . وحدث ان اصحاب الجياد تنازلوا في اللعب . وكان بينهم صراف الباشا راكباً على جواد مطهّم فتقدم ورمى بالجريدة (العصا) خصمه وتحوّل ليرى كيف يتقي جريدة خصمه فاصطدم بكتف حصان احد الآغاوات وكان قادماً ليرمي الجريدة . وكانت الصدمة هائلة طار بها الفارسان عن صهوتي حصانيها وسقطا على الحضيض مضرّجين بالجراح . وكذلك جرح الجوادان . ودعي داموازو الى تطبيب الفارسين وحصانيها فوفق في مسعاه . ونال من الصراف ان يبتاع من اسطبله حصاناً اصيلاً . فابتاعه وسماه « صراف » .

وذكر داموازو كيف ابتاع الحصان « ابو فمار » من صاحبه الاعرابي . قال انه دفع ثمنه ٢٩٠٠ غرش (٢١٧٥ فرنك ذهب) فجاء الاعرابي ووضع بيد داموازو الحبل الذي كان يربط عنق الحصان واخذ يخاطبه ويعلمه انه سوف يفترق عنه وقال له : كن اميناً ومطيعاً للملك الجديد كما كنت اميناً ومطيعاً لي . ثم ملأ الاعرابي فمه من دخان التبغ وتقدم من حصانه المحبوب ونفخ في مناخيره الدخان . وان الجياد العربية تطرب لرائحة الدخان فاخذ ابو فمار يفرح ويتهيج واظهر بحركاته محبته لصاحبه كأنه يريد منه نفخة دخان جديدة علامة على الرفق والولاء بين الحصان وسيده .

وكان ابو فمار شهيراً في البادية وكانت القبائل تستعيره للتلقيح . فسافر به داموازو الى فرنسة ليمزج الدم العربي بدم جياد الملك .

[١٨١٩—١٨٢٥] في هذه السنين اضطربت احوال الطوائف في حلب . فقتل من قتل منهم ونفي كهنة الروم وحدثت ثورة الاشراف على خورشيد باشا ١٨١٩ وصارت الزلزلة الكبرى ١٨٢٢ وكان في تلك الازمة للموارنة دورهم الخطير ودونوا في دفترهم اسماء الذين الجأتهم الظروف الى طلب المعمودية من كهنتهم فذكروا كل واحد منهم من روم وسريان وارمن مع اسمه الشخصي واسم ابيه وتاريخ عماده باليوم من الشهر ومن السنة بين ١٨١٩ و١٨٢٥ .

راجعنا هذه الوثائق واخذنا عنها الاسماء ونشرناها بالترتيب الابجدي تسهيلاً للتفتيش عليها لما لها من الوقع اللذيذ عند الحلبيين اصحابها سواءا اكانوا في في وطنهم او رحلوا الى لبنان او مصر او الى بلاد الغرب وهي مرجع لا يستهان به لمعرفة تاريخ المسيحيين في الشرق ومن يريد الاطلاع عليها في الاصل ليراجعها بين ١٨١٩و١٨٢٥ في سجل المعمودية المحفوظ متقناً في خزانة مخطوطات الطائفة المارونية في حلب .

اسماء المعمدين عند الموارنة من روم وسريان وارمن

أبرص ، أبو شعر ، أبو شنب ، أبو عرب ، أبو عطى ، ادلبي ، ارنـاؤوطي ، ازرق ، استانبولي ، امرائيل ، اسود ، اسود قالا ، اصفر ، اعرج ، اعمى ، افيوني ، الياس ، آل كسا ، اكال الجراد ، انطاكي ، انكرجي ، باز ، باس ، باسيل ، باشا ، بحة ، بخاش ، بدره ، بردخجي ، بردوي ، بردويل ، برغل ، بركات ، بزراني ، بزارنه ، بستاني ، بشور ، بصبوص ، بصال ، بطيخة ، بكر ، بلدي ، بلدي قحمه ، بنا ، بنا مشكل ، بنـا كازي ، بوجي ، بولس ، بدني ، بوابة ، بيروتي ، بيطار ، بيلونه ، تاجر ، تركمان ، تركماني ، تفلا ، توتن ، توتنجي ، تيناوي ، جاصة ، جاموس ، جرروع ، جرنينه ، جرّه ، جرّو ، جلّاد ، جلّه ، جمل ، جنبرت ، جوان ، حاتم ، حاحا ، حبري ، حبيقة ، حجار ، حجه ، حداد ، حرامي ، حرداوي ، حرات ، حراقه ، حسكور ، حشكل ، حشمه ، حفار ، حكيم ، حكيم الاعمى ، حكيمة ، حكيواتي ، حلب ، حمص ، حماني ، حمي ، حمري ، حناوي ، حنون ، حنينة ، حنينو ، حوّا ، حوارة ، حواط ، خاراتي ، خاروق ، خبازة ، خراق ، خضري ، خلط ، خليل ، خوري ، خوّام ، خياط ، دحدوح ، دعدع ،

دعدوع ، دعيس ، دلّال ، دميان ، دولتي ، دياب البنا ، ديك ، ديمتري ، ديوب ، راعي ، راهب ، راهبة ، رباط ، رعد ، رويق ، ريال ، زاخر ، زارية ، زبال ، زخريا ، زوزقدره ، زرزور ، زعرورة ، زعيبة ، زلط ، زمور ، زنانيري ، زيتونة ، زيعه ، ساره شامي ، سابا ، سالم ، سايق ، سباغ ، سجق ، سرت ، سرس ، سرور ، سادة ، سعود ، سقال ، سكران ، سلار ، سلّوم ، سليان ، سمان ، سماك ، سهان ، سنكري ، سويده ، شاشاتي ، شاعر ، شاهيات ، شامي ، شبارح ، شباط ، شحود ، شر ، شرقي ، شطاف ، شمراوي ، شقشلة حفار ، شكره ، شلهوب ، شماس ، شنيق ، شوحا ، شوا ، شيخ ، شيح الحارة ، صايغ ، صباغ ، صبري ، صردار ، صقال ، صواف ، صياد ، ضحك الورد خوام ، ضرير ، طباخ ، طبارة ، طحان ، طرابلسي ، طنب ، طنجر ، طوبجي ، طوبل ، طويله ، طيارة ، ظاباطه ، عايده ، عازار ، عبجي ، عبد النور ، عبدش ، عبده ، عبوجي ، عجوري ، عجلون ، عربش ، عرقتنجي ، عروق ، عزيزة ، عطار ، عطيل ، عنشية ، عكام ، عكوش ، علانة ، عيسه ، عيلاني ، عيون السود ، غالية ، غزال ، غزالة ، غضبان ، غنطوز ، فارس ، فتال ، فحمه ، فحمه خوام ، فرا ، فرام ، فرغ ، فرنجية ، فستوك ، فيان ، قاق ، قباش ، قدره ، قدري ، قبيسنة ، قراوسخ ، قسطون ، قصبجي ، قصص ، قصير ، قصيرة ، قطش ، قطاش ، قلا ، قز ، قندلفت ، قهواتي ، قيه ، كاك ، كبابة ، كبوجي ، كحال ، كحالة ، كدركة ، كرباج ، كرز ، كريكة ، كرة ، كساب ، كمكة ، كميكاتي ، كلاسي ، كلال ، كتري ، كله ، كلوا ، كوسا ، كوكه ، كيال ، لاجين ، لباد ، لية ، لكلك ، لماب ، لحيب ، مارين ، ماشطة ، مالص حلب ، مالي ، متري ، مخزوم ، مخلوطه ، مراش ، مرعب ، مزعبر ، مست ، مشادفجي ، مشارقي ، مشاطي ، مصري ، معارخجي ، مطولة ، مفاسس ، مقري ، مكينه ، منفاخ ، ميبر ، موسى شيخ الحارة ، ميره ، ناصر ، ناطال ، ناقوز ، نجار ، نجمة ، نحاس ، نحال ، نس ، نشار ، نصري ، نقاش ، وكيل ، ياني ، يوا كيم .

وفي هذه السنة ١ ايلول كتب المطران مكسيموس مظلوم الى البطريرك من مرسيليا ما معناه : يبلغ عدد الشرقيين فيها الى ما ينيف على اربعماية نفس وهم كالرعية التي لا راعي لها . وكانوا مفرقين هنا وهناك بسبب الحروب ولم يجتمعوا في مرسيليا الا من مدة قريبة . ويجهلون اللغة الافرنسية فلا يعترفون عند خوارنة البلد ولا يسمعون الوعظ وبينهم كثيرون من القبط المراطقة ومن الروم المنفصلين . فاخذ المطران مكسيموس يسمع اعترافاتهم ورد الكثير الكاثوليك الى الكثلكة . ومنح سر التثبيت وبركة الاكليل للكثيرين وصالح المتخاصمين وعمد بعض المسلمين . وذلك بتفويض مطران مرسيليا . وبسعيه

نال من المطران ومن الحكومة ان تقام كنيسة خاصة بالروم الملكيين في مرسيليا يخدمها خوري وتلبه. (منتخبات ص ١٢٠)

وفي يومنا هذا لا تزال الكنيسة في مرسيليا مفتوحة المسيحيين .

وكان وكلاء تلك الكنيسة في عهد مكسيموس مظلوم في مرسيليا ميخائيل حموي ، جبرائيل سكاكيني ، الكومندان هرقل ، ميخائيل حمصي ، عبدالله الطال الآغا وارسلوا بواسطة المطران مكسيموس الى القس افتيموس خريسطوفوروس الراهب الشويري كتاباً دعوه فيه الى خدمة الكنيسة المذكورة متعهدين بتقدمة كل احتياجاته . (منتخبات ص ١٣٣)

[١٨٢٠] ترهب من ابناء الاخوية المارونية في هذه السنة فتح الله لويس توتل (؟) ابتدا في دير اللويزة في ايار ١٨٢٠ وسمي فرنسيس . وكذلك يوسف ابراهيم بكر والشدياق يوسف فرنسيس اوغسطين ثربليه في دير اللويزة وسمي اوغسطينوس .

وارتسم كاهناً شكرالله حوا في ١٩ شباط .

وعاد المطران جرمانوس حوا الى ابرشيته الحلبية وعاد ايضاً الى سابق شواذاته في التصرف مع الكهنة وسائر الرعية مما بلغ صداه الى رومة فجاءه الكتاب التالي ، اخذنا نسخته عن وثائق بكركي ونشرناه على علاته وفيه خلاصة الاسباب التي بلبلت شؤون الطائفة في ايام كانت فيها بمسيس الحاجة الى الهدوء والسلام وافادة في معرفة الخير الناتج لبيعة الله بوجود رئيس اعلى يدبر شؤونها فيصلح الفساد ويسد الخلل .

صورة تحرير من مجمع انتشار الايمان المقدس للمطران جرمانوس حوا مطران حلب :

« ايها السيد الجزيل الشرف والاحترام

قد تبلغ الى هذا المجمع المقدس ان سيادتكم قد ارتأيتم الآراء الخمس التابعة وهي :

اولاً : انكم اعلنتم باطلة الاعترافات التي يصير استماعها من بعض كهنة من ابرشيتكم وبالخصوص من نصرالله وشكرالله ايوب اللذين من برهة حرمتموهما ثم حلهما البطريرك (؟) الذي كانا قد استغاثا به وانكم الزمتم المعترفين بمراجعة اعترافاتهم .

ثانياً : انكم عند تصريف كهنتكم تتضمن هذه العبارات : اعلموا انكم متصرفون

بخدمة سر التوبة في طائفتنا شرط انكم تجددون الاعترافات الصابرة لذي كان من الكهنة الذي لا يكون معروفاً منا .

ثالثاً : انكم حرمتم على كهنتكم عادث محفوظ لكم ان يحلوا اشخاصاً واقعين بخطيئة الدنس مع كاهن ما شرقياً كان او لاتينياً قبل ان يلزم المعترف او المعترفة باشهاره لكم الكاهن الذي اخطأ معه .

رابعاً : انكم قلتم ان كهنتكم اية وصية تمت بحضوركم تكون باطلة اذا كان عدا المبلغ المعين للاكليروس لا يكون مبلغ آخر معيناً لشخص الاسقف .

خامساً : انكم دونتم في سنكسار الشهدا الاحد عشر قاثوليكياً الذين ذبحوا في الاضطهاد الاخير مع تسميتكم اياهم شهداء دون تمييز باسم شهداء حالاً كون الدمشقيين انفسهم يرتابون باستشهاد البعض لاسيا باستشهاد واحد غير رومي الذي قتل في المعمة خدية سلب دراهمه منه . من حيث ان الاراء الخمس المذكورة التي يقال انكم تقولون بها هي مستغربة بهذا المقدار فهذا المجمع المقدس لم يقدر ان يصدق ان تكون صدرت منكم وانه بافتراض ان ذلك صحيح فيريد المجمع ويأمر امراً جازماً بان ترجعوا حالا عن قولكم بها ولا ينتظر بهذا الخصوص مراجعات منكم بل ينتظر فوق [ذلك] الوقوف على خضوعكم لاوامر المجمع المقدس الحاضرة الذي اذا كنتم سيادتكم لا تمتثلون لها حالاً فالمجمع نفسه يأخذ تدابير قوية لانه صار منا عجز من تصرفاتكم المستجربة ومن عنادكم المتجرئ . ولكيلا يحدث ان الاوامر المذكورة لاجل اي حادث كان لا تتصل الى مفعولها فها اني مرسل هذا التحرير لسيادتكم [عن] بطريرككم حتى يوصلوا اليكم بالامن وقد اعلمته بخصوصها . هذا ما وجب علي ان اعلنه لكم [مبتهلاً] الى الله بان يوفقكم زماناً طويلاً .

رومية من ديوان مجمع انتشار الايمان المقدس في ط (٩) ايلول سنة ا ف ك (١٨٢٠) الكلي الانعطاف لكرامة سيادتكم . الكردينال فرلوس بريتشيني

كاتم الاسرار

وبموجب السلطة التي اعطاها المسيح لنائبه على الارض ان يرعى « الغنم » و«النعاج» نبّه الكرسي الرسولي المطران جرمانوس حوا الى واجب ارتداده عن آرائه . وارتد المطران وخضع . ولم تدخل رومة في شؤون الموارنة للانذار والتحذير فحسب لكنها في كل فرصة سانحة تظهر عطفها على ذلك الشعب التقي المطيع المؤمن .

جاء في سجل بكركي ١ ص ٧٠٠ صورة الغفران الكامل الممنوح بمناسبة وقوع عيد القديس يوحنا مارون فاستفادت منه الابرشية الحلبية .

من اعمال مواجهة الاب الكلي القداسة البابا بيوس السابع بالعناية الالهية الكاينة في اليوم السابع والعشرين من شهر ايار ١٨٢١ هو ان قداسته بواسطة اعراضي لديه انا كاتم اسرار الجمع انتشار الايمان المقدس المدون اسمي ادناه وقد وسع الغفران الكامل المؤبد الممنوح في اليوم الثلاثين من كانون ٢ سنة ١٨٢٠ لكنيسة القديس يوحنا مارون بطريرك الطايفة المارونية الانطاكي ليربحه في كل عام كل شخص من المؤمنين بالمسيح رجالًا ونساء الذين بندامة حقيقية يعترفون ويتناولون القربان المقدس في عيد القديس المذكور الواقع في اليوم الثاني من آذار ويزورون بعبادة الكنيسة المذكورة . [في مدرسة قرية كفرحي من ابرشية البترون في يوم عيد القديس المذكور من بزوغ الشمس الى غروبها اذ يصرفون برهة من الزمان بالطلبات التقية لله لاجل انتشار الايمان المقدس] اي ان قداسته بحلم قد رسم ان هذا الغفران ذاته يعد ثابتاً مديدًا الى سائر كنائس الطائفة المارونية وخاصة تلك الكنيسة التي تشيدت حديثاً على اسم القديس البطريرك المذكور (في قرية المختارة) بحيث ان تحفظ جميع الشروط كما في الانعام السابق.

كارلوس ماريا يدجيني
كاتم امرار مجمع انتشار الايمان المقدس

— وقد اشهرنا في كل كنائس طائفتنا هذا الغفران الكامل المؤبد المنعم به الاب الاقدس .

١٨٢٢ الحقير يوحنا بطرس الانطاكي

وفيها ٤ آذار ارسل المطران مكسيموس مظلوم الى رعية الروم الكاثوليك في الشام كتاباً دعاها الى الاتكال على الله في الشدائد والى المحبة الاخوية.

[١٨٢٢] وفي هذه السنة ١٣ آب يوم الثلاثاء مساء بعد المغرب بنحو ثلاث ساعات حدثت زلزلة مهولة جدًا لم يكن لها مثيل منذ القرون على ما قيل وقد هدم نحو ربع المدينة وقتل تحت الردم اناس كثيرون من نصارى ومسلمين ويهود . وبسبب الرعبة اكثر الاولاد الرضيعين علوا وماتوا . وتشتت وتبلبل كل شيء ومن الجملة اخويتنا المارونية فامتنعنا عن الاجتماع عدة اشهر وربما اجتمعنا حيناً بعد حين في البساتين اذا ما وجد هناك عدد كاف من الاخوة. ولما رجعنا

الى بيروتنا رد الينا المطران مرشدنا القس عبدالله شينا .

ومن المتوفين في حادث الزلزلة انطون حنا خيــاط كان محتشماً متواضعاً مطيعاً لوالديه نشيطاً عفيفاً .

وهجت الناس الى البساتين الملة بغيلتها والمطران جرمانوس حوا طلع الى البراري والبساتين وابتدأ يندم وكل فرد من المسيحيين يقدم الندامه بحله شرطي لان ما كان يتأمل زوال الزلازل المتصلة . الغاية ان في البراري ما منهــا خطر والناس انضاموا من عدم وجود مأكول وفي مدة ثلاثة واربعة ايام ما انوجــد اكل ينباع ولا امنية فلا احد ينزل يجيب من بيته ولا فرن يخبز

(عن رسالة نصرالله غزاله رواها قرالي في المجلة السورية ١٩٣٨ ص ٥٨٢)

وفي هذه السنة سيم كاهناً سليمان يوسف راجي (الياس).

— وفيها نموه الياس كلداني نسخ شرح مختصر الرذائل وما يقابلها اعني السبع فضائل . (سباط ٦٣٢)

[١٨٢٣] ١٦ نيسان ارسل المطران جرمانوس حوا الماروني الى القنصــل الانكليزي كتاباً قال فيه :

« انه في الزلزلة قد خرب بعض اطراف كنيستنا من خارج فارسل الباشا والقاضي كشفوا كنيستنا فما رأوا اننا عمرنا شيء بالكلية ومع ذلك مسكوا قسيس من كهنتنا وحبسوه وعروه من ثيابه واخرجوه ليشنقوه واخذوا جرم من كنيستنا بثمانية عشر الف وخمسماية غرش ١٨٥٠٠ غ مع كوننا لم عمرنا شيء واوقاف الكنيسة خربت ايضاً . فالبعض منها اكريناها لسكانها فقرا والكنيسة مديونة وعاجزة عن عمارها فباقية معطلة وملزومين ان نعطي المقابر والصلبان من الخراب . وما بقى لكنيسة مدخول من الاوقاف . فان كان دولتكم العالية الشأن تكرم على كنيستنا واوقافها بشيء لاجل العار فيبقى لسعادتكم ودولتكم المنصوره الثواب عند الله . . . »

(الوثائق المارونية ' اضبــارة جرمانوس حوا عدد ١٢٥ — راجع الرسالة — اتحاف الاريب فيما يتم منه اهل الصليب) .

[١٨٢٣] ٢٠ حزيران سيم اسقفاً على الارمن في حلب الورتبيت كوبلي .
(غراف ٤: ٩٢)

[١٨٢٤] اشترك باخوية عزبان الموارنة من طائفة الروم :

شكرالله طرابلسي' فتح الله موسى بندق' الياس شبارخ' جبرائيل زرزور' الياس توتونجي' نعمة الله زكريا .

[١٨٢٥] عاد كهنة الروم الكاثوليك من المنفى واقبلوا على خدمة الرعية بغيرة رسولية ونشاط قوته المحن والتجارب. فاملى عليهم روح الايمان والرغبة في المحافظة على الاخلاق رسالة حرروها الى مواطنهم السيد اغناطيوس عجوري مطران زحلة وفرزل والبقاع وراعي ابرشية حلب في ذلك العهد وعرضوا فيها لما رأوه قد تسرب على الرعية من العادات الواجب اصلاحها وطلبوا اليه تأييدهم في سد الخلل ومنع الضرر ولتلك الرسالة فوائدها لمعرفة حياة اجدادنا بتفاصيلها كما « سترى في بيان القضايا التي ارتضينا نحن المحررة اسماؤنا ادناه ان يكونوا بطالات في طايفتنا » تحريراً في ٢٢ تموز ١٨٢٥ .

اولاً : تبطل النوبة في جميات النساء وكذلك النوبانية بطّالة في كافة الاعياد وحيثما يوجد نوبة في الاعراس والسبوعات والعزايم فالتقوط للنوبانية بطّال كذلك رقص النساء. بوجود الرجال ورقص الرجال بوجود النساء . مخالفتها تحت ثقل غضب القوغضينا .

ثانياً : خروج النساء بالذهب واللولو الى الحمام بطّال واما الخروج للازقة والصلاة فان يكن بسيذيات او قرامل تربط ، والذهب الذي بالراس يتجلل مع رقم الروايح العطرة كليا ، تحت كلمة الله والقانون المفروض.

ثالثاً : ارسال الزهور بالاعراس والمعايدات وباقي المبارك‌ات والتهاني كافة بطّال على الاطلاق ، تحت ثقل مخالفة الوصية والقانون المفروض .

رابعاً: المعايدات بطّالة بالكلية لا فيما بين الرجال مع بعضهم ولا فيما بين النساء مع بعضهم ولا من الرجال للنساء ولا من النساء للرجال عدا الوالدين لاولادهم وبالعكس والاخوة لاخوتهم ان يكن لطايفتنا أو لغيرها مثله .

خامساً : دورة العروس بعد زيحتها بطّالة على الاطلاق . تحت مخالفة وصيتنا والقانون المفروض .

سادساً : اعارة الذهب واللولو والملبوس وما اشبه ذلك بطّال على الاطلاق فيما بين الجميع ، تحت مخالفة وصيتنا والقانون المفروض .

سابعاً : الشبان والبنات لا يشاموا خارجاً عن بيوتهم الا اذا اقتضى في بيوت اخوتهم او اخواتهم برضا والديهم الطرفين او من يقوم مقامهم واذا كان خارجاً عن هذه المحلات فليكن معهم احد والديهم او من يقوم مقام والديهم مثله .

ثامناً : منذ الآن فصاعداً لا يتفصل قنابيز للنساء على الزي الحاضر بل يتفصل فساطين لا غير واذا احد فصل قنابيز بالزي الحاضر فليدفع لجهة الفقراء مقدار ثمن القماز وكلفته وذلك بيد معلم اعترافه الذي ينبغي الا يدعها تلبسه على الاطلاق والمفصل عندهم سابقاً لا يلبس قطعاً

ونلزمهم بتغيير تفصيله تحت مخالفة وصيتنا وتغليظ خاطرنا والترامنا بابراز القصاص المخالفين مع الزام وفاء القانون ·

تاسعاً : لا يذهب احد في نوادي المشورة سوى ستة سبعة انفار من خاص الانام الاكثر قرابة تحت مخالفة وصيتنا والقانون المفروض.

عاشراً : جلب العروس لا يكون بنوبه وضوضا ولا مع نسا كثيرات سوى ستة سبعة نسا فقط من خاص الاقربا وكذلك من بيت العروس لا يكون اكثر من العدد المرقوم تحت مخالفة وصيتنا والقانون المفروض .

الحادي عشر: تعريب العريس بطال على الاطلاق تحت مخالفة وصيتنا والقانون المفروض.

الثاني عشر : نقد العريس لعروسته فليكن الاعلى ٣٠٠٠ ثلاثة الاف غرش والاوسط ٢٠٠٠ الفين غرش والادنى ١٠٠٠ الف غرش والدون بدونه تحت مخالفة الوصية وتغليظ خاطرنا والترامنا بالقصاص ويلتزم بوفا القانون المفروض.

الثالث عشر : جهاز البنات فليكن الاعلا ٧٠٠٠ سبعة الاف غرش والاوسط ٥٠٠٠ خمسة الاف غرش والادنى ٢٥٠٠ الفين وخمساية غرش والدون بدونه تحت مخالفة الوصية وتغليظ خاطرنا والترامنا بالقصاص ويلتزم بوفا القانون المفروض.

الرابع عشر : اذا وجدت العروسة المخطوبة بالحمام ووجد احد من بيت احماها فلا يعطي لها ذهبات ولا يوتي باكل وشرب للحمام جذا الشان واذا النفسا دخلت للحمام فلا يصير لها عزايم هناك غمرات (تغطيس) العرايس بالحمام بطّال تحت ثقل مخالفة الوصية والقانون المفروض.

فهذا ما قد ارتضينا به بطوعية ارادتنا واختيارنا من دون اكراه او اجبار وكل من يخالف الوصايا المحررة اعلاه فنقول نحن جمهور الكهنة المحررة اسماؤنا ادناه فليكن ساقطاً بالخطأ الثقيل وتحت كلمة الرب العزيز سلطانها وما عدا ذلك فيكون على المخالف قانون يدفع لجهة فقراء الطايفة ليصرف في مصالحها.

الاعلى ٣٠٠ ثلاثمة غرش والاوسط ٢٠٠ غرش والادنى ١٠٠ماية غرش والدون بدونه وذلك كل عن يد معلم اعترافه ليدفعها لوكيل الفقراء .

صح صح صح الخوري مخائيل انطاكي الخوري جبرائيل ديمتري الخوري حنا سالم
صح بولص خياط صح جبرائيل نحاش صح انطون داقور
صح نعمة الله غنم صح جرجس طحان صح يوسف لجحي
صح بولس كاسا .

[كذا في الرسالة وتلاها ما يأتي]

صح قد وقفنا على صورة صك ارتضائكم واتفاقكم الشرعي المتضمن رفع العوائد السيئة والزيات الفاحشة والتبذرق المنهي عنه الذي هو بذاته خطا الناتج عن حب الافتخار العالمي المضاد الاحتشام المسيحي الذي يتلد منه خطايا

لا تعد وشكوك فاعلية وانفعالية والمقيدة والمجتذبة للسقوط بالخطايا الثقيلة ومثقلة ذمة اغلب ارباب العيلات لعدم السلوك بموجب العدل وعدم ايفاء مال القريب بل وكسره ايضاً وهم اربعة عشرقضية فبعد ان تممنا بهم ورأينا صوابية بطلانهم ووجوب السلوك بموجب البعض منهم والشرور والخطايا التي تنتج عنهم وفتح اعين الحكام والامم على المسيحيين فمدحنا اتفاقكم هذا الصوابي الناتج من حسن تقواكم والمراجع لخلاص انفسكم وتثقيف اعيالكم واولادكم وباركنا هذا الاتفاق والعهد المثل واثبتناه بسلطاننا الرسولي مثبتين القانون المفروض من الاكليروس الموقر والمقبول منكم الممضى من حضرة الابا الكهنة ومنكم بطوعية ارادتكم واختياركم فنحن لكي نثبت ونوطد هذا الاتفاق الملاحظ به مجد الله وخير الطايفة ورفع الشكوك واسباب الخطايا فبنلو سلطاننا الرسولي وكلمة الله العزيز سلطانها نبطل ونلاشي ونرفع كل هذه العوايد الردية وتامر بحسمها كلياً والسلوك بموجب البعض منها ونتوعد المخالفين لا سمح الله بالحرم الذي سينادى عليهم انهم محرومين ومتطوعين في شركة الكنيسة اذا احد تجاسر وخالف احدى القضايا او فسخ العهد كاينا من كان ولاجل اي سبب كان ونريد ونحتم ونناشد بالرب حضرة الابد نايبنا ان يتصارم على المخالفين ويلزمهم بايفا القانون حسبما فرض حرفياً ولا يتساهل ولا يأخذ بالوجوه ولا يميز كبيراً من صغير غنياً او فقير كما اننا نناشد ايضاً حضرة الاباء الكهنة الخوارنة موزعي سر التوبه ان يغاروا وبواسطة نصحهم وارشادهم وردعهم يلاشوا ويبطلوا كلما يجب تبطيله ويلزموا بالسلوك بموجبه .

صح تحريراً في اليوم الاول من اذار سنة ١٨٢٦

(مكان الختم) الحقير اغناطيوس عجوري
مطران الفرزل والبقاع
ونائب ابرشية حلب

(ملحق) انني قد قابلت هذه النسخة على النسخة الاصلية فوجدتها طبقها حرفياً :

صح صح صح

الفقير الخوري جبرائيل مراش
نائب السيد اغناطيوس عجوري
راعي ابرشية حلب

ورأينا سابقاً سنة ١٨٠٧ وثيقة للمطران جرمانوس حوا بالمعنى ذاته. وورت المجلة السورية للخوري بولس قرألي ١٩٢٨ (٣ ص ٦ وما بعدها وصفحة ٧٢ وما بعدها) منشورين للبطريرك اثناسيوس دباس (✝ ١٧٢٤) وللمطران اغناطيوس كربوس (✝ ١٧٧٦) بالمعاني ذاتها افادات الاشارة اليها تكملة لهذه المواد الدالة على عوائد تلك الايام.

[١٨٢٥] ١٢ ك١ انتخبت الطائفة الملكية الكاثوليكية الشماس شكرالله طرابلسي والشماس بطرس سمان وارسلتها الى السيد اغناطيوس عجوري في جبل كسروان فارتسما كاهنين عن يده في دير البشارة ١٨٢٦

[١٨٢٦] مريم بنت كسبار توسيس اوقفت مسقفات على كنيسة الارمن بحلب. (غزي ٢: ٥٨٢)

[١٨٢٧] الشماس يوسف نعمة الله حاتم الملكي الكاثوليكي سافر في ايلول وارتسم في ١٢ ك١ كاهناً عن يد السيد اغناطيوس عجوري وحضر الى حلب في ٢٩ حزيران ١٨٢٩.

– وفيها انطون يوسف اندريا نسخ بخط جميل تأملات الاب لويس دوپون تعريب الاب فروماج اليسوعي (سباط ٦٩١)

– وفيها ٢ شباط ولد بولس بليط الورتبيد. (غراف ٤: ٩١)

– وفيها (٢٣ مارس) اخذ النفوذ المصري يتمدد الى حلب فكتب محمد علي عزيز مصر الى والي حلب يعلمه بفاجعة نوارين وبوجوب اصلاح ما بقي من السفن ثم يرجوه ان يسهل نقل الاخشاب اللازمة من الاسكندرونة الى مصر. (محفوظات ٢٤٤)

– وفيها جاء في دفتر الاخوية المارونية :

كان يحدث بعض الفتور ويجرد قدس المرشد القس عبدالله شينا ونستعطفه بمكروك وعديه الى ان في حزيران ١٨٢٧ انتقل الى رحمة الله السيد جرمانوس حوا وترك حسنات بمعدل غرش ونصف حسنة قداس وجناز للخوري وخمسة غروش للمطارين وبقي الكرسي فارغاً مع حدوث الانقسام سنتين وبعده ارتسم مطراناً علينا السيد بولس اروتين.

وبسبب انقسامات مختلفة في الطوايف واخصهم طايفتنا حضر السيد لوزانا القاصد الرسولي ومن جملة تدابيره افتقد رسوم اخويتنا وصلواتها بعدما بقيت مسكره مقدار خمسة اشهر فثبتها بمنشور من يده.

على ايام المطران بولس اروتين

١٨٢٩-١٨٥١

بولس اروتين ولد في حلب ١٨ ك١ ١٧٨٨. وفيها تلقن مبادئ العربية والسريانية في المكتب الماروني ثم تعاطى الاشغال التجارية مع ابيه.

وفي ١١ ك٢ ١٨١٠ سامه شدياقاً المطران جرمانوس حوا وفي ٤ حزيران ١٨١٦، كاهناً، البطريرك يوحنا الحلو في دير قنوبين بلبنان وفي ٣ ايار ١٨٢٩، اسقفاً على حلب، البطريرك يوسف حبيش في دير بكركي.

وعلى ايامه حدثت في البلاد وقائع خطيرة نالت منها حلب نصيبها الوافر بوقعها في مركز حركة الحرب بين المصريين والاتراك وما جرته معها من البلايا ولم يكن للمسيحيين في حلب دور في حمل السلاح لكنهم اثقلوا بالضرائب وذهب بعضهم ضحية الفتن والفوضى التي عقبت رحيل ابراهيم باشا هنا وقد تصدى اخبارهم الطائفية الى الحوادث التي جرت في جهاد مكسيموس مظلوم تحقيقاً لاستقلال الروم عن سطوة البطريرك القسطنطيني اليوناني وسيأتي ذكر ذلك مع تتابع السنين فيما يلي طبقاً لاسلوبنا السابق.

[١٨٢٩] انفصل الرهبان الباسيليون الحلبيون عن الباسيليين الشويريين وانفصلت كذلك الراهبات الحلبيات عن الشويريات (١٨٣٢) (كتاب الوفيكي ١٠٦)

(غراف ٣: ٣٨٤)

[١٨٣٠] اصدر الباب العالي فرمانين احدهما فيما يخص الارث وحرية الكاثوليك في البلاد العثمانية.

والآخر لرئيس الاساقفة الارمن يعقوب بن مانويل البطريرك الارمني.

(سباط ٤٣٠)

— وفيها كان البطريرك بطرس جروة مقيماً في حلب.

(غراف ٣: ٥٨٤)

وفيها مريم بنت جبرا نحاس اوقفت مسقفات على دير البزيان الكاثوليك بجبل كسروان وعلى فقراء حلب. ومرغريتا بنت نعمة البلدي اوقفت مسقفات على فقراء الروم الكاثوليك. وكذلك انطون ولد يوسف باسيل ومرتا بنت

نعمة شعراوي ونصري ولد عبدالله واخوه وواتيس ولد اوهان سيرفي اوقف مسقفات على كنيسة الارمن بحلب . (غزي ٢-٥٨٤)

— وفيها جورج روبنسون الرحالة الانكليزي خرج من بيروت في ٢٠ ايلول وتجول مدن وقرى لبنان وسورية وقدم الى حلب عن طريق الشام حمص حماه سرمين خان تومان ودخل البلد في ٨ كانون الاول بالقافلة . فخرج الناس الى لقائها بالفرح واطلقت البنادق اكراماً للمسافرين . تعرف روبنسون الى المستر بارك احد اعيان الانكليز في حلب زوج مس هايس ابنة احد التجار الانكليز الاغنياء . وان بارك اقتنى املاكاً واسعة بالقرب من بستان الشابندر وكانت اسعار العقارات قد هبطت الى درجة قصوى فالبيت الذي كانت قيمته ثلاثة آلاف ليرة استرلينية عرض للبيع بمئتين وخمسين ليرة . وكانت اثار زلزلة سنة ١٨٢٢ باقية .

(Georges Robinson : *Travels*. Vol. II. Syria, London, 1837, p. 305).

— وفيها في ٢٧ آذار حضر الامر من الكرسي الرسولي بالغاء كل اخوية لم يثبتها بذاته وكان قد بلغه ان في حلب اخوية سرية لقلب يسوع يتظاهر اصحابها بالتمتع بمواهب روحية فائقة كالاختطافات . فبطلت الاخويات الغير المثبتة ومن جملتها اخوية القربان [المارونية] ولم يبق في حلب من الاخويات الموجودة سابقاً سوى البشارة كونها مثبتة بموجب بولا رسولية واخويتي الارمن والسريان في الدير [في خان البنادقة] تحت ارشاد الاب البادري نيقولاوس العازاري . (خزانة الموارنة مخطوط رقم ١٠٤٢)

— وفيها في ٢١ نيسان أرسلت التلال والمؤن مجزًا من الاسكندرونة الى حلب . وكان محمد باشا سرعسكر ولاية حلب وبلاد العرب .
(المحفوظات ٧٧٩)

[١٨٣١] في ايار الشماس الياس انطون حكيم رسمه كاهناً المطران بولس اروتين.

دخلت حلب في حياة جديدة مع استيلاء ابراهيم باشا ابن محمد علي عليها وكانت مدته فيها نحو عشر سنوات الى ١٨٤٠. وكثيرون من الاهالي هجروها لكي لا يضطروا الى الخدمة العسكرية وغيرهم كانوا قد هجروها بعد الزلزلة ١٨٢٢ . (ريتر ص ١٧٥٢)

— وفي هذه السنة اعلن استقلال الطائفة الملكية الكاثوليكية من الفنار.
(كارالوشكي ١١٥)

وفي ٢٥ حزيران توفي بحلب المطران ابراهيم كوبلي الارمني .
(غرات ٤ : ٩٢٠)

— ميخائيل ولد انطون مشتي اوقف مسقفات على كنيسة الموارنة وفقراء النصارى .
(غزي ٢ : ٥٨٤)

— ٢ تموز قدم الى حلب ابراهيم باشا المصري واحضر معه الهواء الاصفر .

— وفيها في ٢٧ آب وقع السيد مكسيموس مظلوم اسمه على المعاهدة بينه وبين الاب جان روثان رئيس الرهبانية اليسوعية العام عهد بموجبها الى الآباء اليسوعيين بانشاء مدرسة اكليريكية في عين تراز .

— وفيها في ١٣ ت١ حل الاباء اليسوعيون في بيروت ومنها انصرفوا الى اعمالهم الرسولية في سورية :

— وفيها في ١٣ ت ٢ اصدر محمد باشا وارباب الامر والنهي في حلب ما يلي :

« ٧ جمادى الاولى ١٢٤٧

انه من المنادات القبيحة التي تعمل فيها الاعراس والزفاف اجتماع الناس واستماعهم آلات اللهو والطرب والضرب بالدف واللعب وحرق البارود والقماش وربما صدر من بعضهم التجاسر على شرب الخمر والافعال المحرمة فحيث ان هذه الاحوال والحركات مخالفة للشريعة الغرا المحمدية ومغايرة للشروط المستحسنة فالمراد من الآن وصاعد اذا صار عند احد عرس وزفاف فلا يصير تجاسر على هذه الحالات بل اذا اجتمع عند ذلك الرجل بعض من الاحباب في ليلة الزفاف فلا يستقيموا غير ساعتين من الليل وبعد ذلك يتفرقون كل الى منزله ؛ وبعض من يوجد في جوار صاحب الزفاف يتعرض لاخذ عرايد من دراهم او قماش او غيره بغير حق فهذه ايضاً تكون من الممنوعات ولا احد يتعرض بشيء من ذلك فالمراد منكم ايها المخاطبون المشار اليكم تجمعوا اهالي المحلات وتنبهوا عليهم بمنع ذلك وتركه » .

(رستم : الاصول ١ : ٤٨ - ٤٩)

واذا قابلت بين هذه الوثيقة وبين ما نشرناه سابقاً في سنة ١٨٢٥ رأيت بان عادات الترف والزهو التي شكا منها الكهنة المسيحيون كانت ايضاً شائعة بين غيرهم من المواطنين ...

— وفيها ٢٣ ايار المعلم يوحنا بحري يسأل البطريرك يوسف حبيش ان يدعو النصارى من ابناء طائفته للتجند في جيش ابراهيم باشا المصري فكتب البطريرك الرسالة التالية الى مطارين الطائفة المارونية :

نخبر حضرتكم بان بتاريخه حضر لنا تحرير من جناب ولدنا الخواجا يوحنا البحري (عميل ابراهيم بن محمد علي باشا) واصل لكم صورته تتطلعون عليها في خير وحيث ان هذه الخدمات يقتضي تتميمها بما اننا نأول لانشراح الخاطر (الخديوي) الشريف ويحوز الجميع بياض الوجه نرغب من خوتكم ان تطلعوا ذلك لجميع اولادنا ابناء رعيتكم وتحثوهم ليسارعوا باجمعهم كلمن فيه الكفاية لهذه الخدمة الشريفة حسبما هو مدون بالتحرير المرقوم.

وان يوحنا بحري ارسل الطلب ذاته الى مشايخ الدروز في ذلك العهد في البلاد الحلبية لا بد من ان يكون قد بلغ اليهم الطلب عن لسان عقالهم كما انه ولا بد من ان يكون المطران الماروني بلغه طلب البطريرك لكن هيهات ان يليه شعبه الماروني الحلبي القليل العدد المائل الى السكينة .

(رستم الاصول ١ ، ص ١٣٥–١٣٦)

— وفيها في ١٢ حزيران ارسل ابراهيم باشا الى المفتي في حلب فاخبره عن فتح عكة ودمشق وطرابلس وقال انه آتٍ الى حلب « لانها من بلاد العرب الطاهرة فيجب تخليصها من ادران الظلم والفساد». (المحفوظات ١٠٥٨)

— وفيها ١ حزيران جاء في صورة بيورلدي صادر من ابراهيم باشا سرعسكر مصر الى اهالي حلب انشاء المرحوم المعلم بطرس كرامه... الى الحاكم الشرعي والمفتي والعلماء والخطباء والوجوه :

خرجنا من مصر القاهرة ودخلنا عكا عنوةً واتينا الشام فارادت محاربة عساكرنا لكن دخلناها بسلام وتلي سيفنا على نار فتنة هذه الاقطار. وقد بلغنا بانه موجود بعض باشاوات ومعهم عساكر متحشدين في حماه وتلك الجهات فاننا سنجد وراهم بالطلب ولا بد بانهم سيركنون الى الهرب ويقصدون حلب فاياكم تقبلوهم في بلدتكم او تمكنوهم يتوطوا خطة مدينتكم .

(رستم ؛ اصول، ص ١١–١٢)

— وفيها في ١٦ تموز اجلا الاتراك عن حلب وفروا الى عينتاب ودخل الجيش المصري بقيادة السرعسكر الى حلب .

(المحفوظات ١٣٦٨)

— وفيها ١٨ تموز ارسل ابراهيم باشا الى ابيه محمد علي كتاباً يبشره بوصوله الى حلب واستيلائه عليها ودخول جميع بلدان العرب بحوزة العزيز . واحتفل المصريون ابتهاجاً بالاستيلاء على حلب .

(المحفوظات ١٢٨١)

وارسل (٢٧ تموز) محمد علي الى ابنه ابراهيم المقيم في حلب «وسام محمد علي» واخبره بالزينة والافراح في مصر ابتهاجاً بانتصاراته .

— وفيها في ١٧ تموز ابراهيم باشا في حلب يحرر الى الامير بشير الشهابي :

ان الباشاوات الذين انهزموا من حمص علموا بحضور حسين باشا السردار القادم من الاستانة لمؤازرتهم بمن معه من العساكر وترافقوا بالرجوع سوية حتى دخلوا بمحروسة حلب وقصدوا ان يستنجدوا باهلها وطلبوا منهم بان يعاونوهم على محاربتنا فجاوبوهم بالواقع بان ما لهم اقتدار على مقابلة عسكرنا وهم رعية لمن غلب . واما نحن فلحقناهم لكي نقطع دابرهم وفي مرورنا كلما حل ركابنا في مرحلة نجد جانباً من عسكرهم يحضرون الينا طالبين الامان ويوم وصولنا الى مرحلة برنا وزيتا (قضاء جبل سمعان) كان بلغ الباشاوات المذكورين قدومنا فتركوا خيامهم وجبخاناتهم وسدافهم وذخايرهم تحت جناح الظلام وولوا هاربين .

وعندما طرق مسامعنا ذلك ركبنا بالعسكر الخيالة فقط وبحلول ركابنا بمحروسة حلب وجدنا من عسكرهم مقدار الف نفر ومسكناهم جميعاً باليد ثم حضر لدينا علماء ووجوه واعيان الاهالي حضروا لدينا مقدمين الطاعة وبعد تأمينهم دخلت عساكرنا الظافرة واستولت على المدينة وكافة موجودات الباشاوات الهاربين ونحن الان ايضاً لم نزل مصممين النية ان نقتفي اثرهم ونقطع دابرهم عن اخرهم .

(رستم : الاصول ٢٠٤١-٢١)

— وفيها ٢٧ تموز وصل من ابراهيم اغا صاف مقسام حلب لخزينة ابراهيم باشا مبلغ عشرين الف غرش عما في ذمته من الالتزامات وفي « جمادى الاولى ٢٥٠٠٠ غرش من مال جزية ذميون حلب » . وفي « ٦ شوال ١٨٧٤٥ غرش اوراق خيرية سنة ١٢٤٨ » .

(يتبع)

تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

للاب لويس بليبل († ١٩٣٨) (تابع)

المجلد الثالث

من مطالعة ما ورد في مرسوم السيد البطريرك المورد اعلاه بقوله : « ان حقهم واضح وقد استعملوه بالفعل حين تسلموها وعمروها الى حين صيرورة مجمع وطا الجوز الذي قد تلاشى . ومن ثم عزمنا على تصريفهم ورجوعهم الى حقوقهم المذكورة ؟ » يظهر ان مجمع الاساقفة الذي عقد في كنيسة عين شقيق في وطا الجوز في ١٦ ايلول سنة ١٧٨٧[1] كان قد حكم على آباء رهبانيتنا بنزع ملكيتهم عن الكنيسة المرقومة ورفع ولايتهم عنها وتسليمها الى الاهالي . فاستنادًا الى هذا الحكم اقام الاهالي الدعوى على الرهبانية لدى السيد البطريرك . فالسيد البطريرك بعد اطلاعه على اوراق الملكية والولاية التي ابرزها ابناء الرهبانية ، ابان في مرسومه المشروع اعلاه بطلان مستندات الاهالي ودعواهم :

١ً : باوراق التصريف وصكوك التملك .

٢ً : ان مجمع وطا الجوز تلاشى . ولما كانت الاوراق التي بيد الرهبانية شرعية وما حكم به مجمع وطا الجوز بنزع تملك الرهبانية عن الكنيسة « ولو كان بغير حق » قد تلاشى فبسلطانه البطريركي العام يرجع اليهم حقهم في الملك ويصرفهم بحق الولاية بحسب عوايدهم السابقة .

فالمطران بولس اسطفان المذكور ، غب اطلاعه على مرسوم السيد البطريرك ، رفع اليه عريضة جوابية هذه حرفيتها :

ايها الاب الاقدس

المعروض بعد تقبيل اياديكم المقدسة بكل شوق واحترام . وصلنا مرسوم قدسكم الذي به تذكرون بان حضرة الاب الرئيس العام اعرض عليكم الحجج التي بيد الرهبان بخصوص

١) قد طالت قوانين هذا المجمع في المجلد الثاني القسم الثالث من تاريخ الكنيسة الانطاكية لحضرة الاب العامل الخوري غايل غبريل الشابي . فلم اعثر على الاحكام الصادرة من آبائه القاضية بنزع ولاية وتملك الرهبانية لهذه الكنيسة لكي اوردها هنا تميمًا للفائدة .

ان لهم حق بخدمة كنيسة جبيل فنحن اعرض علينا ذلك عن يد جناب ولدكم الشيخ ابو عساف المحترم « هو الشيخ جرجس باز » والتصرف الذي قدرنا نصدره للرهبان من غير تعب ذمة ولا تعدّ على القوانين حررنا لهم بمنشور منا لاجل خاطر جنابه فلا ندري ان كان اعرضوه على قدسكم ام لا . اقبل اياديكم الطاهرة ثانياً وثالثاً والدعاء في ٢٦ ت٢ (١٧٩٣)

(عن الاصل المحفوظ بالانطوش المذكور)

ولد قدسكم بولس اسطفان
مطران جبيل

واما منشور التصريف الوارد ذكره اعلاه فلم اقف عليه .

ثم بعد ذلك اصدر السيد البطريرك مرسوماً الى اهالي جبيل يخبرهم فيه عن حضور الرئيس العام الاب مرقس الكفاعي والاباء المدبرين الى ناديه الكريم وتقديمهم له الاوراق التي تثبت ملكيتهم للكنيسة المشار اليها وولايتهم عليها . ومن ثم يدعوهم ، اذا كان لهم بينات او ادعاءات شرعية بهذا الخصوص ، ليرفعوها اليه فيرى المقتضى .

وهذه حرفية المنشور :

البركة الالهية تحل مضاعفة على اولادنا اهالي جبيل المكرمين باركهم الله باتم بركاته السماوية .

اولاً : اننا لمزيدون الاشواق لاستماع اخباركم السارة وسلوككم بطاعة الله بكل خير .

والثاني : نخبركم حضر عندنا اولادنا ريس عام (البلديين) والاربعة المدبرين واعرضوا علينا البينات التي بيدهم بخصوص حقهم بالتولي على كنيسة مار يوحنا جبيل من كونهم اقاموها من العدم ولهم مقدار ثلاثين سنة مستلمينها ومن قبل ذلك ان حقهم بالتولي المذكور لا ينكر . انما لاجل الطرايق الشرعية وراحة الذمة والضمير قصدنا نعرفكم لكي اذا كان معكم بينات او ادعا شرعي ضد البينات التي بيد اولادنا المذكورين تعرضوها لدينا لكي بعد الفحص المدقق على بينات الجهتين نخرج حكم قاطع بسلطاننا الاعلى لنهاية هذه المادة . قصدنا الجواب عاجلاً والبركة تشملكم ولكافة عيالكم المباركين .

تحريراً في ٤ ك ١ ١٧٩٣ الحقير
✠ البطريرك مخايل

(عن الاصل المحفوظ في انطوش جبيل)

وقد علق الاب لويس بليبل على روزنامة دير مار جرجس الناعمة حيث كان قاطناً بعض الحوادث التي وقعت في هذه السنة ١٧٩٣ قال :

في هذه السنة حدث في البلاد حرب عظيمة مع الدولة (العثمانية) استقامت سنة كاملة والدولة مخزولة . وبعده حصل طاعون وجدري وامراض مختلفة وغلاء في موسم واحد حتى انباع رطل الطحين بقرش وبخمسة وستين بارة ولم عاد انجد . وانباع مدّ البلوط بقرش .

(عن روزنامة دير الناعمة)

وفي هذه السنة لبس الثوب الرهباني الاخوة :

اغوسطين الدّيّة . ومرتينوس الدلبتاوي . وافرا الرشاوي . ويوسف الدلبتاوي . ويونان الدلبتاوي . وبابا المتيني . وسركيس رومية . وموسى خرايب صباح .

وتوفي الاخ موسى الرشعاوي .

عدد ٩٧

وفي سنة ١٧٩٤ لم يكن في هذه السنة من الحوادث الهامة في الرهبانية تستلزم النشر فاكتفيت بذكر من لبس الثوب الرهباني ومن توفاه الله :

لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

اغوسطين الشنتيري . واسكندر الكفروني . وبرنابا الباني . وروفايل الشبابي . وانطونيوس المنايي ، ومرقس الزوقي . وبرنلاوس ميروبا . ومرقس الشنتيري وله من العمر ١٦ سنة .

وتوفي الاب موسى الديراني ، والاب عمنوئيل الرشاوي في دير مار الياس الراس للراهبات وله من العمر ٧٠ سنة .

وعلق على القسم الرابع من روزنامة الدير المرقوم القسم المختص باسماء المتوفين ما يأتي بحرفيته :

قد درج بالوفاة الى رحمة مولاه .

عمنويل بجاه . مريم ام الاله . راهباً قانوني . وصفاً لبناني . راذلاً للفنياني . تمّ عمره سبعين . قضاه في تعب مهين . دخل بعمر عشرين . باول شهر تشرين . قس وراهب ومبتدي . عاشها بتعبدٍ . وللقانون مشدّدٍ . ثلاث مجامع اب عام . مدبر عشر عقوده قام . والسبعين بالتمام . سفينةً كاس الحام . بالاسرار مسلحاً . متقرقاً وعوحاً . مات ميتة صالحة . في بيان واضحة . عشرة في ايلول مات . ورمانا بالحسرات . وتركنا مكتئبات .

(عن روزنامة دير مار الياس)

قلت انه علق على القسم الرابع من روزنامة دير الراس القسم المختص بقيد اسماء المتوفين كما اعلاه . ولمزيد الفائدة اقول : ‐

انه يوجد في كل دير سجلات وهي ما نسميها « روزنامات » عديدة منها واحدها سجل « روزنامة » يقسم الى اربعة اقسام :

القسم الاول : لقيد اسماء المبتدئين « اي الطالبي الترهب » .

القسم الثاني : لقيد اسماء الناذرين « اي الذين نذروا النذور الاحتفالية ولبسوا الثوب الرهباني » .

القسم الثالث : لقيد اسماء المتدرجين بالدرجات المقدسة مثل « الشماسية والقسوسية » .

القسم الرابع : لقيد اسماء المتوفين .

عدد ٩٨

وفي سنة ١٧٩٥ سعى الاميران حسن وسعد الدين شهاب ولدا الامير يوسف شهاب مع رهبان دير مار الياس الراس لاستبدال مزرعة بهران ومتريت (شمالي لبنان) الجارية على ملكية الدير المذكور بموجب صك من الامير يوسف شهاب سنة ١٢٠٩ هـ . توافق ١٧٩٥ م ، بمزرعة بهرين الجارية على ملكية المشايخ بيت الحاج يوسف المتاولة وتحرر صك منها (الاميران) بهذا الاستبدال وهذه حرفيته :

سبب تحريره .

وهو اننا اعطينا اعزازنا رهبان دير مار الياس الراس مزرعة بهرين التي فوق جبيل بجميع ما يعرف بها من توت وزيتون وكرم وسليخ وعمار ومفاصل وحراش ومختلف بجميع ما يعرف بها بحدودها .

اعطيناهم المطرح المذكور عوض عن مزارعهم بهران ومتريت الذين اخذناهم منهم واعطيناهم الى اعزازنا المشايخ بيت الحاج يوسف . وصارت مزرعة بهرين المذكورة ملك الى اعزازنا رهبان الدير المذكور . يتصرفوا فيها حيث شاؤوا وارادوا بنسبة املاكهم ومرفوع عنهم التعدي والتجري والمطاونة كائناً من كان . ويدفعوا الميري على المزرعة المذكورة في كل سنة ثانون قرشاً لا غير واذا اجرينا دبوس على البلاد نجري دبوس على المزرعة المذكورة ونوامهم بالميري بنسبة ديورتهم على موجب الحجة التي بيدهم من المرحوم

والدنا . واذا انجد حجة في المطرح المذكور مع شيخ او فلاح فلتكن باطلة لا يعمل بها لانها معطية لهم منا نظير مزارعهم .

حرر في سنة ١٢٠٩ ه توافق للسنة ١٧٩٥ م .

حسن سعد الدين

(الختم) شهاب (الختم) شهاب

(عن اوراق دير الراس)

ثم بعث الامير سعدالدين اعلاماً الى شركاء تهرين ضمنه اخبارهم بما جرى من الاستبدال وتطمين خواطرهم وهذه حرفيته :

الى اعز المحبين شركات تهرين سلمهم الله تعالى .

وبعده نعرفكم باننا اعطينا المزرعة المذكورة الى اعزازنا رهبان مار الياس الراس وسلمناهم حجتها وتثبت لهم يتصرفوا فيها التصريف التام لزم تعريفكم لكي تكونوا طوعهم وتحت تصريفهم دون غيرهم وتكونوا طيبين الخاطر من سائر الوجوه ومتقيدين في اشغالكم ولا تعطوا قدامكم الاكل مليح عرفناكم خاطرنا

سعد الدين شهاب

(عن دير الراس)

وفي هذه السنة ١٧٩٥ انتقل الى راحة الابرار والصالحين السعيد الذكر العلامة البطريرك مخايل فاضل البيروتي ٥ - ١ ايلول ١٧٩٣—٢٧ ايار ١٧٩٥ في دير مار يوحنا حراش حيث دفن وكانت وفاته في ١٧ ايار قبل ان يقبل درع التثبيت المقدس لكن البابا بيوس السادس ادرجه في عداد بطاركة الموارنة الانطاكيين بقوله : « في الديوان المنعقد في ٢٧ حزيران ١٧٩٦ فاذا لم تسمح لنا حوادث الزمان بان نهبه التوطيد والتثبت وهو حيّ ، فنهبه اياه وهو ميت ونريد اذاً ان يُعدّ ويحصى في سلسلة بطاركة الموارنة ولو اعاقه الموت عن قبول زينة الدرع المقدس » .

(سلسلة البطاركة للشرتوني)

وخلفه على الكرسي المطران فيلبوس الجميل مطران قبرس فتوارسل قاصداً الى رومية ليستمد له درع التثبيت الاب ارسانيوس القرداحي الراهب الحلبي اللبناني وكان انتخابه في ١٣ حزيران ١٧٩٥

كلمة في البطريرك فيلبوس الجميل بخصوص استمداد درع التثبيت نقلاً عن مذكرات الاب انطون مارون الراهب الحلبي اللبناني . وهذه المذكرات مخطوطة بيد الاب انطون صاحبها وهي موجودة في البطركخانه المارونيـة في مصر — شبرا — مقرّ اخوتنا الرهبان الحلبيين ، مركز الرسالة .

حدَّث الاب انطون مارون قال :

« انه في سنة ١٧٩٥ انتُخب قدس السيد البطريرك مار فيلبوس الجميل بطريركاً على طائفتنا المارونية خليفةً للسعيد الذكر البطريرك ميخايل فاضل .

وفي هذه البرهة «السنة» قصد قدس السيد البطريرك فيلبوس قدس الاب العام «للرهبانية الحلبية» في ارسال بازجيه (كاتب اسراره) القس ارسانيوس القرداحي قاصداً من قبله للاعتاب الرسولية في رومية العظمى ليحضر له التثبيت الرسولي .

فاجاب قدس الاب العام لطلب قدس السيد البطريرك المذكور وسمح بالتوجه للاب المذكور الى رومية وحرّروا معه مكاتيب جملة الى المجمع المقدس .

وهذه الكتابات جميعها نبيّضت بخط يدي . وسلم قدس السيد البطريرك المكاتيب المختصين بقدس سيدنا الاب الاقدس البابا بيوس السادس الجالس على الكرسي الروماني البطرسي المقدس . ثم ومكاتيب المجمع المقدس .

وفي شهر تشرين الاول سنة ١٧٩٥ سافر الاب القاصد من عرونية طرابلس .

وفي هذه المدة حضر مكاتيب بوصول القاصد الى رومية بكل سلامة وحضر اعلام بان القاصد قبل وصوله الى مدينة رومية كانت سبقت مكاتيب من الاضداد للمجمع المقدس ضد البطريرك المذكور وان الامور مُضرة للغاية ومن جملة الشكاوات التي تقدمت للمجمع المقدس بان البطريرك المذكور رسم مطراناً على بيروت[1] قبل ان يُثبَّت من الكرسي الرسولي . وان ما احد سلفه جذه العادة . لزعم الاخصام ان البطريرك لا يقدر يتصرف بسلطان الكرسي الانطاكي الّا بعد حضور التثبيت من الكرسي الرسولي .

« حاشية للاب مارون »

ان هذا الزعم باطل بالكلية ولا يجب التسليم فيه لانه يحقر ويثلم شرف بطريركيتنا الانطاكية المارونية كما نذكر هنا في شرحنا فعين حضَرت هذه المكاتبات من الاب

[1] على رواية العلامة الدبس ان المطران الذي رسمه البطريرك فيلبوس الجميل ، هو المطران ميخايل فاضل ابن شقيق البطريرك ميخايل فاضل ، خلافاً لما ذكره السيد يوسف خطار غانم في برنامجه اي ان البطريرك ميخايل فاضل هو الذي رسم حفيده المطران ميخايل ، ورواية الدبس هي الاصحّ .

ارسانيوس القاصد لقدس الاب العام ومن ضمنها كتابات لقدس السيد البطريرك بمعنى واحد .

وحضرة القاصد طالب الجواب والاستاتة لكي يعطي الجواب الى المجمع المقدس الذي نطل بهذه الدعوى زيادة عن غيرها كما توجهت له الشكوى من بعض المطارين الشم (البسطاء) ومن رئيس عام الكبوشيين البادري فرنسيس الشم في سرقة حقوق بطريرك طائفتنا وبعضاً من المشايخ الذين نضرب صفحاً عن ذكر اسمائهم لعدم معرفتهم القوانين والعوايد الدارجة في بطريركية طائفتنا .

فحينئذ قدس السيد البطريرك توهم من ردّ الجواب عن هذا المشكل وكذلك قدس الاب العام . فعند نظري لهذه الاوهام الباطلة فبالحال طرقني فكر حميد ان احرر للمطران جرمانوس الحازن مطران دمشق الشام وارجاه في انه يرسل لي كتاب تواريخ سلسلة البطاركة تأليف السيد الذكر البطريرك اسطفان الدويهي لاني كنت اسمع بهذا الكتاب ولكن ما نظرته قط فبينما انا بهذا الفكر واذا بقدس السيد البطريرك المذكور حضر لعندنا لدير لويزه لكي يفهم الكتابات التي حضرت من القاصد لقدس الاب العام من رومية .

وبما ان السيد البطريرك كان مجمّل في الفضيلة والعلم والعمل فكان الاب العام من اخص المناضلين عن السيد البطريرك عند المجمع المقدس وفي الطائفة .

فحينئذ اظهر له قدس الاب العام المكاتيب بحضوري فتراهم وارتاب جداً فتجاسرت انا الفقير وقلت يا سيدنا ايمكن ان تفحص لي عن كتاب سلسلة البطاركة وترسله لي مع ساعٍ مخصوص فقال لي السيد البطريرك ليس اعرف اين يوجد هذا الكتاب ولكن سافحص عنه ان وجدته ارسلته لك ولكن ليس بمعلوم انك تجد في الكتاب ما ترغبه فاجبته بصلواتك اجد ذلك .

وثاني يوم قدس السيد البطريرك اجتهد في البحث عن هذا الكتاب فالتقاه في دير ريفون فحالاً ارسل احضره مع ساعي وارسله لي فبالحال تلوته من الاول للآخر وفيما انا في بحر من الوهم واذا بورود سلسلة بطركين من طائفتنا حين انتخابهم ورسامتهم رسموا مطارين واحدهم ارسل المطران الذي رسمه قاصد للكرسي الرسولي لكي يحضر له درع التثبيت وحصل له مزيد القبول من الكرسي الرسولي واحضر التثبيت لمرسله .

فلست اقدر اشرح الفرح والسرور الذي شملني بذاك الوقت وذهبت بالحال اعرضت الكتاب المذكور على قدس الاب العام فحالاً امرني ان انسخ ذلك بكراس لنرسله لحضرة القاصد فحالاً نسخت كراس عن الكتاب المذكور عما يخص هذه الدعوى .

وقدس الاب سجّله بختم ارشامة ووضعت فيه شهادتي وبكل سرعة ارسلنا جواب المكاتيب ولاشينا كافة الدعاوي الباطلة التي كانوا ضموا فيها السيد البطريرك المذكور .

وحررت ثلاثة نسخ بمعنى واحد وارسلتهم عن طرقات مختلفة . وحالاً حررت لقدس

السيد البطريرك والى المطران جرمانوس الخازن المذكور اعلاه واخبرتهم بنفي الجواب مع تفنيد كافة الدعاوى الباطلة فحصل عندهم غاية السرور .

ولما وصلت هذه المكاتبات الى رومية قدمها حضرة القاصد الى المجمع المقدس ومن بعد الفحص قبلوها وبالحال خرج التثبيت المقدس للسيد البطريرك المذكور . واثبتوا رسامة المطران الذي رسمه السيد البطريرك وحاوه من ناص العسر المحدود لرسامة المطارين وحضر الجواب من القاصد الى قدس الاب السام بالبشائر في استلام الباليوم وبراءات التثبيت الرسولية .

وقبل وصول هذه المكاتيب الى قدس الاب العام كان توفي قدس السيد البطريرك بدير سيدة بكركي في جبل كسروان وشاع الخبر انه مات مسموماً وسبحان من يعلم الحقائق .

وجلس على الكرسي الانطاكي نحو احد عشر شهراً وكانت وفاته سنة ١٧٩٦ .

وتخلف في الكرسي الانطاكي قدس السيد الجليل والمعلم اللاهوتي المشهور باللغة ما بين تلاميذ مدرسة رومية العظمى المطران يوسف التيان البيروتي .

وتوجهت الكتابات لحضرة القاصد بوفاة البطريرك فيلبوس وانتخاب البطريرك يوسف التيان الذي ارسل قاصده الى الكرسي الرسولي حضرة الاب لويس بليبل من رهبان اخوتنا اللبنانيين » .

وفي هذه السنة ١٧٩٥ لبس الاسكيم الاخوة :

اسكندر المريانة . وسارافيم الشبابي . وجبرايل الشبابي . وبرلام الشبابي . ويواصاف الشخيري . وسلوانس اللحفدلي . وروكس الرامي . وفرنسيس بكيفا . وصموئيل سلتاني . وتوفي الاخ بولس البكاسيني . والاخ عبدالله كفركدي .

(عن روزنامة الاديار)

الفصل التاسع

عدد ٩٩

وفي سنة ١٧٩٦ في ١٢ نيسان توفي السيد الذكر البطريرك فيلبوس الجميل كما ورد في مذكرات الاب انطون مارون الحلبي ، قبل وصول درع التثبيت المقدس ودفن في دير سيدة بكركي وهو اول من دُفن من البطاركة فيه . وللحصول على نفقة دفنه اضطر السادة الاساقفة ، وهم المطارين :

يوحنا الحلو . مخايل فاضل (ابن شقيق البطريرك مخايل فاضل) . بطرس مبارك .

حرمانوس الخازن . يوسف التيان . اغناطيوس الخازن . اسطفان الخازن . يوسف نجيم. وبولس اسطفان ، الى بيع الوردة المختصة بدير سيدة بكركي ، الواقعة في خراج زوق الخراب بغرب دير طاميش . ومـا زالت حتى الان تعرف بورة بكركي ، من رئيس دير طاميش وهي تحتوي على اغراس توت مقدار خمسة عشر حملاً ويختلف وبورة وبيت سكن للشريك ، بثمن مايتي قرش وميرها ثلاثة قروش .

(عن سجل دير طاميش)

وفي ٢٨ نيسان خلف البطريرك المتوفى على الكرسي البطريركي الانطاكي الرسولي المطران يوسف التيان (١٧٩٦—١٨٠٩) ، مطران مدينة الشام وتثبت من البابا بيوس السادس على يد قاصده الاب لويس بليبل الراهب اللبناني.

(عن تاريخ سوريا جلد ٨).

سافر الاب لويس بليبل الى رومية قاصدًا من قبل السيد البطريرك يوسف التيان والطائفة لالتماس درع التثبيت للسيد البطريرك فوصل اليها في ١١ ك ٢ سنة ١٧٩٧ وبعد ثمانية ايام من وصوله رفع عريضة للسيد البطريرك شرح فيها عن وصوله وما توقع له في رومية من الحوادث وهذه حرفيتها :

بعد الترجمة :

« والآن بتوفيق الباري وصفو خاطر قدسكم الشريف قد وصلت الى رومية العظمى في ١١ ك ٢ ١٧٩٧ « اي بعد ثمانية اشهر تقريباً » بكل سلامة وسبب عاقني في بلاد نابولي فهو من التحريج الواقع الان من كل السلاطين في كل البلاد وان الغريب ما يقبلوه الا بشهادات واضحة ومتى دخل ما يعود يمكنه الخروج الّا بعد تعب جزيل وخسائر مالية بسبب الفرنساوية الذين يزورون رومية ويدخلون في . . . ويفسدوها وحال وصولنا الى رومية تركنا في دير اخوتنا وحالاً فرقنا الكتابات .

فثاني يوم وصولنا حضروا لعندنا . . . الموجودين زارونا فشرحنا لهم عن انتخاب قدسكم على الكرسي البطريركي بالطريقة القانونية بانتخاب الروح القدس وكيف حصل السرور للطائفة بشرح مستطيل فالجميع قدموا الشكر لله ودعوا لقدسكم بالتأييد سيما قدس السيد الجليل يوسف عجلون المحترم . فحضر لعندنا قبل الجميع وهو مستعد لكل خدامة تلزم غبطتكم .

وبعد ثلاثة ايام . . . السنيور انطون السمعاني حضرنا سلمنا على الكردينال جردين

وقدمنا له الكتابات الذين باسم المجمع المقدس وباسم الحبر الاعظم بما انه رئيس المجمع الان . فاقبلنا بكل بشاشة وسلم علينا مصافحة واستقمنا نشرح له باسهاب بمقدار ساعة ونصف عن كل ما هو لازم وترجيناه بزود بانجاز امرنا باخراج التثبيت بسرعة فاعطانا قول بذلك . وانه ما يعاملنا كثيرا .

وبعده حضرنا لعند الكردينال اتطونلي والكردينال بورجيا لان هؤلاء الثلاثة هم العمدة في المجمع .

وثاني يوم كان مرادنا نحضر نقبل اقدام قدس قداسته فحصل ترشيح الى السنيور انطون قوي جداً فبقينا ذلك لبعد صحته .

وقد فحصنا باجتهاد اقا بلطافة اذا كان حضر كتابات من احد ضد قصادتنا فلم نر قط شيء .

اقا القس انطون يونان اخبرنا بان حضر كتابات من البادرية الكبوشية والفرنسيكان الذين هم في الجبل عندكم . والكتابات بعد ما انظهرت وما منعرف كيف هي ؟ ولكن في نظر قدسكم ما هي هم .

ثم قصدنا القس ارسانيوس القرداحي القاصد السابق باقي في هذا الطرف وقد تسلم تثبيت المرحوم فجبنا جبنا صورة البولا وقرأناها فوجدنا في البولا انبهما مثبتين البطاركة المتنيحين اثنيهم (مخايل فاضل وفيليبوس الجميل) ولاجل توسلات الاب ارسانيوس الى المجمع مثبتين المطران مخايل فاضل على رعية بيروت . مع رفع كل تدقيق وباي حالة كانت .

كذلك حصلنا بخجل زايد لاجل ما معنا هدايا وخدم للكردينالية والى البابا والى أصحاب الوظايف لان الاب ارسانيوس قدم هدايا لجميع المذكورين قدر ثلاثين رطل بن ومثله فستق حلبي وقرب قنطار ونصف خمر زوقي عتيق وصلبان من القدس كبار مكللين وفرق بخاشيش قدر شي واهي « كثير » .

ولزم اني قدمت اعتذار بسبب الضيم الحاصل على الكرسي .

اولاً : من ظلم الحكام وخراب البلاد والخسائر التي حصلت على الكرسي البطريركي وعلى بقية البلاد . . .

ثانياً : انه في فرصة قليلة تنيح ثلاثة بطاركة وانتخب عوضهم في هذه الاوقات المتعبة نفسها فأيش قدر يلزم مصاريف لهذا فلاجل ذلك حصل الكرسي البطريركي الان باضامة واهية « عظيمة » لزود الديون التي صارت متناقة وحتى الان البلاد فارقنه خراب .

فانقبل هذا الاعتذار والجميع اظهروا الشفقة ولاموا سلفائنا على زود مصاريفهم لان الاب ارسانيوس افهمنا انه قبض من يد الخواجا اسحق طربيه مايتين وستين قرش . واجاه براية من مصر بخمساية قرش وتسلم من رومية خمساية . ريال روماني عنهم قروش عملة بلادنا . . .

وجميعهم على الكرسي البطريركي . انما شادي جراس اثنين وتصاوير كبار وزهور وشاعدين باس مرسلو منشان دير الكرسي شويا يكون يشريف عليكم .

ثم نذكر ايضاً صاحب الجهاد والمناقب الحميدة الخوري جرجس غانم(هو قاصد البطريرك مخايل فاضل الى رومية لالتماس درع التثبيت) .

فلا نقدر شرح اوصافه بالكفاية بل بالاختصار فانه قد تسلم مبلغ دراهم من رومية وحدها خلاف ما تسلم من ڤينيسيا وتريستا الف واربعماية سكوت روماني . عنهم دراهم محولة بلادنا . . .

ولكن ما هو على الكرسي بل على ذاته وانه سيرسل لصاحب العرش حوائج مشتبه (ثمينة) من الجبل . وقد اخذ معه جملة حوائج منه من جملتهم زوج طبنجات باثنين سكوت وذخيرة عظيمة بثلاثين سكوت ونظارات وعلب وساعات واشيا كثيرة باثمان واهية « غالية » وهو الان بعده في تريستا .

كذلك من جهة انطون غنطوس كريا وانطون ماضي . اذ كنا ارسلنا الكتابات من ماضينا وعرفناهم يرسلوا لنا الجواب الى رومية .

فلما حضرنا وجدنا جواب من انطون كريا وعرفنا نسلم الدراهم للاب اسطفان حيث اقتضى توفي اغوسطين ، فرددنا له الجواب ان هذا شيء مفهوم عندنا انما الدراهم مرسلة من قدسه لحضرتكم لكي تصرفوها وتدفعوا محلة افرنجية بتلك جهة الطرف ليستطيع الاب المذكور يشتري الاواعي المطلوبة من قدسه . فلم رجع لنا جواب بعد .

واما انطون ماضي حتى الان لم يرد لنا جواب لزم اننا راجعناه نعرف كيف يحضر جوابه .

ومن جهة حضرة الاب اسطفان سعد قابلناه وسلمناه مكتوبه ومكتوب المرحوم اغوسطين فالمذكور مقدم ذاته بالخدامة لقدسكم انما بدّه دراهم حتى يشتري المطلوب . . . ما ذكرنا لم احد عاد يركن يسلّم قرش للشرقيين . . . . الاب جرجس صارت شائعة في كل رومية فهذا ما عرضناه .

ومن جهة الاخبار لم جد شيء بعد الشيء الذي عرضناه لديكم سابقاً .

سيدنا البابا عمال دائماً يبعث عساكر على حدود بلاده يقويه بالعساكر والفرنساوية كذلك عمالين يزيدوا عساكرهم لان شارات الصلح اوثنمت وبوقت تاريخه قد حضر ساوي عسكر من عند سلطان النمسا سفنه وباعث يشجعه وانه عن قريب يشتبك الحرب .

واما عساكر النمسا دائماً تشتغل بما بينهم وبين الفرنساوية واكثر الانتصار الى النمسا .

وما منعرف النهاية وربنا يحامي عن كنيسته بشفاعة السيدة ام النور ودعا قدسكم .

وكنا متأملين انه في وصولنا الى رومية نحظى في مشرفة من قدسكم تطمأنت بها عن

سلامتكم ولكن حيث قضى المولى فما يعود لاحد راي وقول نسأل من ام الخلاص ومن مراحمهم الهنا الحبيب بان قريباً نحظى بتقبيل اقدامكم المقدسة .

وارجو من فمكم الاقدس البركة مع مزيد الاشواق وقبلة ايدي قدس سيدنا المطران يوحنا « الحلو » وايدي حضرة اخوتنا الخوري خيرالله «اسطفان» وبقية الابا خدم قدسكم. وبكل خضوع واكرام ووجد واحترام اقبل مراحمي اقدام قدسكم مع التماس البركة والدعا لله تعالى بامتداد ايامكم ابداً .

وقد حضرنا سيرنا الشيور انطون السماني وكيل قدسكم شاكراً مراحمكم العميمة حيث شرفتوه بغداتكم ولم امتور . . منحنياً مقبلاً اقدامكم ذات القداسة مع البركة من فمكم الاقدس والدعاء في ١٩ ك٢ سنة ١٧٩٧ .

(عن الاصل المحفوظ في بكركي) ولد قدسكم

(الختم) لويس بليبل (

قاصدكم

وفي السنة ١٧٩٦ في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني الميلاد القانوني لعقد المجمع العام عقد بحسب النصوص القانونية في دير سيدة طاميش وفي اليوم الرابع من انعقاده اجتمع آباؤه في كنيسة الدير والقوا القرعة فأصاب :

الاقتراع الاول	الاب عمنويل الجبيل	فنودي به رئيساً عاماً « للمرة الثانية »	
« الثاني	« سمعان الخازن	« « مدبراً اول	
« الثالث	« مرقس الكفاعي	« « « ثانياً	
« الرابع	« نعمة الله النجار	« « « ثالثاً	
« الخامس		« « « رابعاً	

وفي اليوم الاخير من المجمع العام بانتخاب مجمع المدبرين توزعت رؤساء الاديار :

فانتخب لرئاسة دير مار يوحنا رشميا	مجهول
« « « « انطونيوس قزحيا	الاب مانيا المتيني
« « « سيدة طاميش	« اقليموس الشبابي
« « « « مشموشة	« مبارك الديراني
« « « « مار انطونيوس سير	مجهول
« « « « يوسف البرج	الاب لورنسيوس الشرتوني
« « « « انطونيوس حوب	« ميخائيل الخراط البكفاوي

فانتخب لرئاسة دير مار مارون بيرسنين	الاب مبارك الخوري البكاسيني
« « « « مخايل بنايل	« مينا الرشاوي
« « « « موسى الحبشي	« اغناطيوس بليبل
« « « « الياس الكحلونية	« برنردوس بسكنتا
« « « سيدة ميفوق	« مبارك الباقوري
« « « « مار قبريانوس كفيفان	« روكس الديراني
« « « « جرجس الناعمه	« جبرايل القدسي
« « « « انطونيوس النبع	« فيلبوس الشبابي
« « « « عيدا ماد	« شربل الحبشي
« « « سيدة المونات	مجهول
« « « مار الياس مطوشي قبرس	مهجور

(عن روزنامات الاديار)

وفيها ايضاً في سنة ١٧٩٦ صدر تعليم من مجمع نشر الايمان المقدس الى السيد البطريرك يوسف التيان يتعلق بفصل اديار الرهبان عن اديار الراهبات . وليس هذا التعليم جديداً بل هو تكرار صدور الاوامر الماضية القاضية والجازمة بفصل الاديار المزدوجة عن بعضها والظاهر ان التسلم بهذا الفصل قد كان لدى اولياء الامور في ذلك الحين من إعقد العقد .

وهذه حرفية التعليم :

في مجمع آخر عام من انتشار الايمان المقدس المنعقد في ١٣ ايار سنة ١٧٩٦ بموجب اعراض السيد الكلي النيافة الكردينال انطونللي المقدم ذكره وقد تحدد هكذا عن اديرة الرجال والنساء المضاعفة :

انه يجب ان يحفظ بالتمام رسم المجمع اللبناني في المسدد السادس عشر من الراس الثاني القسم الرابع .

وايضاً مرسوم هذا المجمع المقدس الصادر في ٧ حزيران سنة ١٧٩٠ المثبت من قداسته وارسل نسخة منه للسيد البطريرك .

ومن كون هذا المرسوم قد كان اعطى التقليد للسيد المطران جرمانوس آدم القاصد الرسولي المكرم لكي يفصل اديار الرجال عن اديار النساء المضاعفة وينقلهم الى غير مكان او يلاشيهم ويبيدهم الامر الذي للآن لم يبان انه تمّ ؛

فلذلك يوجب مرسوم آخر يعطى هذا التقليد الى السيد البطريرك الكلي الاكرام اذا كان اسقف تهامل عن انه يحفظ في ابرشيته رسم المجمع اللبناني المذكور فهو بذاته يتمم تلك الاشياء التي كان امر بها السيد المطران جرمانوس آدم المكرم في المرسوم الاول .

انما يستشير مطرانين ام شخصين آخرين من ابناء الطائفة الموجودين في احدى المراتب الكنائسية ويعلم المجمع المقدس عن نفوذ هذا المرسوم تحت طائلة العقوبات التي تطلق من قداسة سيدنا البابا على الغير المطيعين .

وهذا امر يلائم جداً ايضاً انك في جمية المطارين ذاتها تجعل انها تنفذ جميع مراسيم هذا المجمع المقدس المعززة في سنة ١٧٨٤ وعددها سبعة منها تثبت بنوع خاص في براءة قداسته المعطاة في ٢٧ ايلول سنة ١٧٨٤ التي مبداها « فرح عظيم » . ومثل ذلك المراسيم الاخر المبينة في القائمة الواصلة طيه والتي نوجه اليكم نسختها . ومن جملة هذه المراسيم يوجد خصوصاً الرسم الذي يخص ديورة الرجال والنساء المضاعفة فالمجمع اللبناني في براءة البابا بنديكتوس الرابع عشر التي بها تثبت هذا المجمع المذكور .

ومراسيم اخرى متكاثرة برزت حديثاً من هذا المجمع المقدس يرذلون هذه العادة السيئة جداً بكل صراحة ومع ذلك لا استطاع ولا اراد ان يضمحلها البطريرك يوسف اسطفان المتوفى .

فتحصل سيادتك على اجر وافر اذا استعملت الوسائط الاكثر فاعلية للاشاة هذه الاديرة المضاعفة ولانفصال الرهبان عن الراهبات . ليس فقط لاجل عدم النظام بل ايضاً لاجل رفع الظنون والشكوك المتصلة الى العوام.

(عن نسخة في يدي)

وعثرت على كتابات من محررات سنة ١٧٩٦ من الموسيو بورفيلير قنصل مملكة فرنسا في طرابلس الشام خلاصته العتب الشديد على الرئيس العام كيف انه لم يخبر القونصلاتو المذكورة عن انتخابه اباً عاماً . وعن انتهاء المجمع العام بحسب العوائد القديمة المرعية في الرهبانية . ويخبره عن ان المدرسة التي يروم انشاءها في مدينة طرابلس وقد ارسل راهبه في شأنها «لا بدَّ لها من فرمان شاهاني الى غير ذلك .

وهذه حرفية هذا التحرير :

ايها الاب الجزيل الاحترام :

المعروض على قدسكم من بعد تقبيل اياديكم المباركة انه بلغنا بغاية السرور والانشراح انتهاء مجمعكم المبارك طبق مرغوب ومرام كل مسيحي وان شاء الله في ايام رياستكم يحصل نمو كلي في رهبانيتكم . ولكن نظراً الى القوانين السابقة والعوايد الدارجة كنا نتأمل من حضرتكم التعريف من متها بجمعكم الكون بخصوصية رهبتكم قديمة لدولة فرنسا . وغير ذلك كنا نتأمل ايضاً من حضرتكم قبل ارسال الراهبين المينين لفتوح المدرسة بهذا الطرف بان تخبرونا كما سبقت لكم العوايد بالماضي فبناء على ذلك محررين لحضرتكم هذه السطور نعلمكم عن الموانع الحاصلة الان لاجل مباشرة مادة مثل هذه .

« فالمانع الاول : هو انه لا يسوغ فتح مدرسة من غير فرمان سلطاني وذلك لا يخفى سارقكم » .

والمانع الثاني : هو ان انطوشكم ساكن فيه احد اخوتنا الفرنساوية الخواجا جبرورين .

وكذلك ولده الخواجا انطون ترجماننا وبيده عقد اجار شرعي ولاجل ذلك ليس هو حق اخراجهم من المطرح المرقوم قبل انتها مدة الاجار ونتأمل من حضرتكم كما هو الشم[1] في مزاياكم بان بعد خلاص الاجار المذكور تمهلوا عليهم بالاستقامة والتمكن بعونه تعالى في الانطوش لينا الباري تعالى عن عليهم بالرجوع الى محلاتهم .

فهذا ما نؤمله من شوالهكم الحميدة السابقة واللاحقة معا يبدو لحضرتكم من المصالح والاغراض موقوفة بعونه تعالى على الاعلام ولا تنسونا قط من صالح دعاكم على الدوام والدعاء في ١٩ كانون الاول سنة ١٧٩٦ .

« وشكل ختم الفرنسلاتو ابنة حاملة بيدها اليمنى مشعال وكتابة افرنسية ترجمتها الجمهورية الافرنسية » . « ختم الفرنسلاتو »

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

واما الاسباب التي دفعت القنصل الافرنسي المشار اليه الى هذه الرسالة المملوءة عتاباً للاب العام فقد افصح عنها حضرة الاب العالم الخوري بطرس غالب في كتابه صديقة ومحامية صفحة ١١٧ ونحن نعتمد هذه الاسباب اذ نصدق واقعيتها قال :

وكان رهبان الموارنة من يوم اتخذهم ملوك فرنسة في حمايتهم يعلمون قنصل

---

[1] الشم معناه (الرجاء) والمقصود « الطمع في مزاياكم » .

هذه الدولة في طرابلس بانتها، بجمعهم العام . وكانت تأتي هيئة الرئاسة تزور وتفصح عن دوام اخلاصها وتعلقها بالدولة الحامية .

فلما حدثت الثورة العظمى وبلغت اخبارها اليهم اهملوا المجيء الى طرابلس للقيام بالواجب المعتاد . فتأثر القنصل بورفيليو من ذلك وارسل الى رئيسهم العام الاب عمنويل الجميل كتاباً جاء فيه ما حرفيته :

« ثم يروي ما جاء في كتاب القنصل المدرج اعلاه »

وفي السنة عينها ارسل الاب العام الاب اسبيريدون الزوقي الوكيل العام الى مصر وباقي البلدان الشرقية والاستانة وما يليها لاجل استعطاء بموجب اعلام منه . وبه يوضح مزيد افتقار الرهبانية واحتياجها من قبل اختلاف الحكام ومرور العساكر وكلفها ونهب بعض الاديرة ثم طلب تحت الترسيم ولم يكن انقاذهم واستفكاكهم حتى لزم الامر الى بيع اواني الكنائس وبعض الاملاك الثابتة وقد عجز الرهبان عن تحصيل معاشهم .

(عن الكفري)

وفي هذه السنة ١٧٩٦ لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

رفئيلوس حيفه . ومكاريوس الشرتوني . وساراقيم الشرتوني . وزكريا الرامي . وحنانيا الشبابي . ويوحنا الشرتوني . وانطونيوس الفتالي . ومكاريوس رشيا . ويوسف رشاوي . ومكاريوس وادي شحرور .

وتوفي الاخ يوحنا الرشاوي . والاخ نقولا بتاعل « كان تقياً جداً » . والاب بولا المزرعاني . والاب صموئيل بكفيا .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٠٠

خلاف حصل في سنة ١٧٩٧ بين ابناء الطائفة المارونية في مدينة طرابلس الشام وبين الاب العام عمنويل الجميل بخصوص انطوش الرهبانية الكائن في هذه المدينة وافتتاح مدرسة فيه ، رفع الاب العام الامر الى قنصل مملكة فرنسا هناك يعلمه بواقع الحال .

فالقنصل كتب اليه جواباً يتضمن البراهين المقنعة بابطال دعوى ابناء الطائفة وهذه حرفيته :

استخراج تحرير شرعي من محكمة فرنسا في طرابلس .

من قنصل جمهورية فرنسة بطرابلس الشام الى حضرة الاب الرئيس العام وباقي المدبرين للرهبانية اللبنانية المنسوبة للقديس انطونيوس المتسكنة في جبل لبنان .

آباءنا المحترمين .

ورد تحرير قدسكم بتاريخ واحد اذار وحاطنا انذهال فوق انذهال من سبر ابناء الطائفة المارونية في طرابلس الذي رامها الزامكم بمنع كتاب « مدرسة » في الانطوش الذي هو ملكاً شرعياً (ملك-شرعي) لرهبتكم بهذه البلدة ، بقرب دير الآبا الكرملتان قائدها (اي الطائفة) بأن الانطوش المذكور اوهبه لرهبانيتكم احد الفرنساوية تحت هذا الشرط فهو باطل . وبناء عليه قد بحثنا ودققنا بكل تدقيق في جميع سجلات المحكمة فلم وجدنا ولا شرط من هذا الجنس بل بخلاف الحجج المسجلين مشيّدين بالبلاغة وموضحين بالجلية بان الانطوش المرقوم هو ملكاً شرعياً لحضرتكم . وبناء عليه اننا بوجه السرعة مرفينكم لاجل راحتكم بهذا الخصوص بموجب تحريرنا هذا الشرعي فحين وصوله ليدكم وتصريفكم ينبغي ان تستهزئوا بكل الطلبات والفرضات السالفة والمزمع بضموهم الموارنة الطرابلسية فيما يخص الانطوش المذكور . الذي هو ملكاً شرعياً لكم . وطبق الاحكام الشرعية الاستطاعة والقدرة للتصرف به كما تشاؤوا وتختاروا مثل بقية الملاكة بتصرف في املاكهم . وغير هذا يجب ان نخذركم بان لو اردتم باختياركم ورضاكم صنع الجميل مع الموارنة المذكورين بفتح مدرسة الى اولادهم فلا تقدروا عليه بغير ان يكون لكم الاستطاعة على منحة فرمان خاقاني من لدن مراحم الدولة العلية صاحبا رب الحرّية اذن وسماح لمثل هذا المرغوب . الثانية تكرر من جديد بان ما احد كايناً من كان له بماية الله التسلط عليكم ولا اهانتكم بساير الوجوه والانواع ولا بواسطة او حيلة كانت فيما يخص الملك المرقوم ..

وبناء عليه كونوا مرتاحين البال والخاطر وهذا التحرير الشرعي الممضي باسمنا واسم قاضي هذه القنصلية المختوم بختم دولتنا ابقوه سنداً وحجة شرعية عندكم لاجل كل احتياج وتعدي اي وقت كان تحريراً في طرابلس الشام نهار العاشر من شهر اذار سنة ١٧٩٧ تاريخ قديم .

المحرر بيده بطلب البوراس القنصل للمحكمة ، وهو طبق الشرع .
انطون داما
القاضي حالاً

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

انتهى في هذه السنة ١٧٩٧ بناء كنيسة القديس عبدا في دير معاد كما يفيد التاريخ الموضوع فوق بابها الملوكي :

ولبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

مرقس الفزيري . ويعقوب الليلكي . وانطون الليلكي . وبرنابا الشبابي . ومرقس الشبابي .

وتوفي الاخوة : بطرس الفوسطاوي . ويوسف الزوقي . وابراهيم المزرعاني . واقليموس المكاري . (عن روزنامات الاديار)

عدد ١٠١

وفي سنة ١٧٩٨ في ٢ ايار ارتقى الاب لويس بلبيل احد آباء رهبانيتنا الى مقام الاسقفية على ابرشية قبرس وجُلي باسم عبدالله في دير مار شليطا مقبس من يد السيد البطريرك يوسف التيان .

وفيها أعطى الامرا نصر ومنصور وبشير ابي اللمع رضاهم عن تسلّم آباء رهبانيتنا كنيسة القديسة تقلا في قرية المروج .

واوقف الامير بشير على الكنيسة ربع المدخول السنوي من الدكان بدون ان يكون للرهبان حق التصرف في ملكيته .

وهذه حرفية اعلان الرضا :

السبب الداعي لتحرير هذه الاحرف :

هو اننا اعطينا قول واقرار الى اعزّازنا رهبان مار مخايل بخصوص كنيسة مار تقلا المروج ان تكون تبع ديرهم مار مخايل الكنيسة وكل ما يتبعها من ارض وكروم ولا يكون لاحد منهم معارضة بغير الحق واي من بدا منه تجرّي بغير الحق تردعه عنهم باي وجه كان وحررنا لهم هذا السند لاجل البيان .

تحريراً في جمادى الآخر سنة ١٢١٣ ه توافق سنة ١٧٩٨ م .

منصور نصر

صح : اعطيناهم كما هو مرقوم لا تغيير ولا تبديل . ومن جهة الدكان عملنا للكنيسة ربع مدخوله كل سنة ياخذوه من غير ان يتصرفوا في عمار او مقارشة هل المطرح المذكور .

تحريراً في سنة ١٢١٣ ه توافق سنة ١٧٩٨ م . بشير

(عن الاصل المحفوظ بدير بنابيل) بللمع

وفي اثناء بحثي عن اوراق مدرسة الرهبانية في قرية المتين للاستفادة عن وقت انشائها ومن هو منشئها توقفت الى معرفة ذلك.لكني عثرت على صك وقف مؤرخ في سنة ١٧٩٨ يستفاد منه ان الكنيسة كانت على اسم القديس يوسف البتول وهي بيد الرهبان اللبنانيين .

وهذه حرفية الفقرة المذكورة :

« أوقفت نصف السليخات . . . الى كنيسة مار يوسف المتين التي بيد الرهبان اللبنانيين وقفاً مخلداً دهريا . . »

ثم عثرت على ورقة اخرى مؤرخة سنة ١٨٠٣ تتضمن فصل خلاف عقاري واقع بين الرهبان القاطنين في المدرسة وبعض الاهالي يستفاد منها ان المدرسة كانت موجودة .

وهذه حرفية الفقرة المرقومة :

« يوم تاريخه حضرنا الى المدرسة . . »

ثم عثرت على حجة وقف مؤرخة سنة ١٨٠٤ .

وهذه حرفيتها :

وجه تحريره .

هو انه يوم تاريخه وقفنا عمار المدرسة والتوتات والبور الـذي يخصنا في عين دحويش وحدوده على موجب الحجج الذي بيدنا مشترى من اصحاب الارض وقفاً مخلداً دهرياً لا يباع ولا يرهن الى الرهبانية اللبنانية وذلك بايام رياسة الاب عمنويل الجبيل والحجج الذي تخص الارض المذكورة سلمناهم الى الرهبان بخاطرنا ورضانا من غير الزام .

حرر في ك ٢ سنة ١٨٠٤

قابلين على انفسهم

محرر الاحرف شديد عقل المودي اخيه عقل اولاد بشير صعب بو عقل اولاد منصور
يوسف فاضل واخيه راشد بو عقل بو عقل

(عن اوراق مدرسة المتين)

يستفاد من الفقرتين الواردتين في تاريخ سنة١٧٩٨ وسنة١٨٠٣ ان المدرسة كانت موجودة . ويستفاد من صك الوقف المؤرخ سنة ١٨٠٤ خلاف ما تقدم .

واما انا فالذي ارجحه : ان الواقفين صحب ورفقاءه بدلا من ان يقولوا في صكهم قد وقفنا على المدرسة العمار والتوتات والبور قالوا غلطاً : وقفنا عمار المدرسة والتوتات . . . »

وفي هذه السنة ١٧٩٨ كرّس كنيسة السيدة في دير ميفوق المطران بولس اسطفان رئيس اساقفة جبيل وكان ذلك في يوم عيد خميس الصعود .

وفيها لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

يوسف الشبابي . وسلوانس القليعاتي . ويونان الصباحي . ومبارك رعالا . وارسانيوس الشرتوني . وسابا زوق مصبح . وطوبيا غزيري . ومخايل الملفة . ونعمة الله البسكنتاوي . وتوفي الاب متى الحوراني والاخ جراسيموس المشتاني .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل العاشر

عدد ١٠٢

وفي سنة ١٧٩٩ سلّم السيد البطريرك يوسف التيان (١٧٩٦—١٨٠٩) صكاً ابان فيه عن حسن استعداده نحو الرهبانية ومساعدته في كل ما يعود الى تعزيزها وهذه حرفيته :

الداعي لتحريره .

انه يوم تاريخه قد وقع الاتفاق بيننا وبين حضرة ولدنا القس عمنوئيل الجميل الرئيس العام المحترم على ما يأتي :

اولاً : اننا من الان فصاعداً الرهبان الذين يلتجوا الينا لا نقبلهم ولا نطعمهم بل اذا شفناهم حالاً نرجعهم لطاعة رئيسهم واذا ما كان متوضح لنا ذلك نبقي الراهب عندنا ونرسل نستخبر عن امره من حضرة ولدنا الرئيس العام المذكور .

ومتى يتوضح الامر نامر الراهب يسري بموجب الفرايض .

ثانياً : ان الرهبان الذين يكونوا خارجين من الرهبانية متى عرّفنا الرئيس العام عنهم وطلب نغيّر لهم لبسهم بزي الرهبان الغير القانونيين حالاً نجيب طلبه . وقد اجرينا مناشير بخصوص كتب قزحيا بتضمنوا ان الذي يبيع ام يشتري الكتب المذكورة يقع تحت القصاصات انما اذا تقدم احسان للدير المذكور لا بحجة الكتب فلامانع بذلك .

وفي ذلك ما عاد يصير تغيير منا . واخيرا اعطيناه قول بالحماية والصيانة ونتنظر لنمو الرهبانية بنوع خصوصي ولا يمكن متطابق على شيء يضر صالحهسا بل نبذل جهدنا بما يأول لنموها روحاً وجسداً .

تحريراً في ٢٦ آب سنة ١٧٩٩ الحقـير

(الختم) يوسف بطرس البطريرك الانطاكي

(عن الاصل المحفوظ يدي)

وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني(١٧٩٩) عُقد المجمع العام في ميعاده القانوني في دير سيدة طاميش كرسي الرهبانية وفي اليوم الرابع من الاجتماع وهو اليوم الثالث عشر من الشهر المذكور حصل الاقتراع السري في كنيسة الدير.

فاصابت القرعة الاولى الاب سمعان الخازن فنودي به رئيساً عاماً «للمرة الاولى»
« « الثانية « مرقس الكفاعي « « مديراً اول
« « الثالثة « عنزيل الجبيل « « « ثانياً
« « الرابعة « نعمة الله النجار « « « ثالثاً
« « الخامسة « بولس عزيز الديراني « « « رابعاً

وفي اليوم توزعت الرؤساء :

تعين الاب اغناطيوس بليل رياسة دير مار انطونيوس قزحيا
« « ماتيا المتيني « « سيدة طاميش
« مجهول دير مار يوحنا رشميا
« « سارافيم حبقوق الصفابي « « « انطونيوس سير
« « اسبيريدون الروقي « « « يوسف البرج
« « اقليموس الشبابي « « سيدة مشموشة
« « مجهول « « مار مارون بيرسنين
« « غنايل الخراط البكتاوي « « « انطونيوس حوب
« « اسبيريدون التزبري « « « موسى الحبشي
« « جبرايل قدسي « « « جرجس الناعمه
مجهول « « « الياس مطوشي قبرس
« « الياس الشبابي « « « غنايل بانيل
« « سارافيم البيروتي « « « قبريانوس كفيفان
« « مبارك الديراني « « سيدة ميفوق .

فتعين الاب شربل المتيني لرئاسة دير مار الياس الكحلونية
« « جرمانوس الاشقر « « « « انطونيوس البنبع
« « سرابيون ذياب « « « عبدا معاد
مجهول « « سيدة المونات جبيل

وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني هـذه السنة ايضاً عقد مجمع عام لاخوتنا الرهبان الحلبيين في دير سيدة لويزة لانتخاب رئيس عام واربعة مدبرين فاسفر اجتماعهم والاقتراع عن انتخاب :

الاب قرنيليوس موسى للرئاسة العامة
« برتردوس مارون مدبراً أول
« يواكيم الحلواني « ثانياً
« عبدالله النخري « ثالثاً
« اغناطيوس مركيس المكاري « رابعاً

ومن احكام هذا المجمع ان يبعث الاب العام دير مار بطرس كريم التين بمبلغ من الدراهم لانه فقير . ثم توزعت الرؤساء .

(عن روزنامة المجامع بدير لويزة) .

ولبس في هذه السنة الاسكيم والثوب الرهباني الاخوة :
اندراوس التنوري . وابيفانيوس المتيني . ورافائيل الزاهرية . ومرتينوس بسكنتاوي . وعبدالله قرطبا . اسطفان رشماوي . مرتينوس عبيد . مخي دليتاوي .
وتوفي الاخ موسى الزغبي . والاخ سارافيم قرطبا . والاخ جرمانوس كفرحال .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٠٣

وفي سنة الف وثمانماية (١٨٠٠) في بداية هذا الجيل اوقف على الرهبانيـة الخوري مارون غصوب من بيت شباب جميع ما يملكه بعـد ان اعطى بناته نصيبهن من ميراثه «في الفريكة وحارة بيت الشمار» من عمار وعقار وماء وهواء. بقصد عمل خيري لم يعينه ولكن من الفقرة الاخيرة في صك الوقف وهذه حرفيتها :
« ومهما كان موجود معنا من تمسكات ودراهم وغيره يكون وقفاً على المـدرسة المذكورة » .

يستفاد انه قصد من قوله العمل الخيري انشاء مدرسة لعلم اولاد القرية المذكورة وما يجاورها من القرى مثل قرية الشاوية وقرية قرنة الحرا والحارة السفلى من بيت شباب...

فقبل الاب العام سمعان الخازن والمدبرون الاربعة هذا الوقف والزموا ذمتهم وذمّة الرهبانية بعهد القيام بما نواه الخوري المذكور .

وانشأوا في الاملاك المرقومة كنيسة على اسم القديس مارون المعظم ابي طائفتنا المارونية شفيع صاحب الوقف. ومحلًا لسكن الرهبان ولتعليم الاحداث.

وواصل آباء الرهبانية عملهم الخيري هذا الى اواخر هذا الجيل « التاسع عشر » ثم لاسباب قانونية وظروف مكانية وبالاتفاق مع سلالة الواقف حوّل آباء الرهبانية النية من هذا الوقف الى انشاء دير للراهبات بموافقة الرؤساء لان هذه الجهات باحتياج الى ذلك.

وسنوفي هذا الحادث حقه من التفاصيل في المجلد الرابع من هذا التاريخ.

(راجع مجلة السنابل حيث ترى اكمال تاريخ هذا الدير عدد ك٣ ١٩٥٧ صفحة ٥٦ ».

وهذه حرفية صك الوقف المذكور :

سبب تحريره .

هو انا الخوري مارون غصوب من قرية بيت شباب قد وقفت جميع رزقاتي في الفريكة الى الرهبانية (الرهبان) اللبنانيين البلديين من توت وعمار وكرم وتبن وعريش وحرش وسليخ وصنوبر في حارة بيت الشمار المعروفة باسمنا .

ومن اثاث ونحاس يذكر وما لا يذكر من ماء وهواء حسب الحجاج والقافة التي سلموها منا ما عدا التوتات الذين اخذناهم من اولاد غصن عبد الله هي لولاد اخونا ولاد غصوب ، وقفًا مخلدًا الى الرهبانية المذكورة .

وصارت الرزقات المذكورة ملكهم حسب املاكهم ولا عليهم دعوى من المدعاآت لانه ملكنا وقد وقفناه بخاطرنا وتمام رضانا بصحة عقلنا وجسمنا من غير كره .

وان هذه الرزقات تكون موقوفة لاجل عمل الخير ولم يبقَ حق ان نتصرف بشيء بل صار الوقف في تصريف الاب العام سمعان الخازن والآباء المدبرين ومن يخلفهم .

ومن ثمّ بناتنا حرمة هاشم لنا عندهم خمسين قرش والكرمات في شرار البلوط يكونوا لها قطع ميراث .

وحرمة دانيا « دانيال » الخوري يعطى لها بعد موتنا خمسين قرش قطع ميراث .

وحرمة مفرج يتعطى لها بدموتنا عشرة قروش قطع ميراث لاخا هانتنا .

ومن ثمّ بناتنا الراهبات اعطيناهم استحقاقهم في الزايد .

ومهما كان موجود منا من تمسكات ودراهم وغيره يكون وقف للمدرسة المذكورة هذا خاطرنا وتمام رضانا واذنا بالاشهاد علينا والله اكبر الشهود .

صح   محرر الاحرف

طنوس الاشقر

شهد بذلك

نصار غبريل   الياس طمه   ابن عمنا هاشم   ابن عمنا طوبيا الاشقر

صح قد وقفنا على هذه الحجة الوقفية وحكمنا بصحتها ويعمل بموجبها شرعاً .

(عن الاصل المحفوظ بدير مار مارون بيت شباب « القنيطرة »)

(الختم)   الحقير عبدالله بليبل

مطران قبرس

وليس في هذه السنة ١٨٠٠ الاسكيم الرهباني الاخوة :

رفينوس الدلبتاوي . وعبدالله الاهمجي .

وتوفي : الاخ حنانيا الماقوري ، والاخ جبرايل لحفداني . والاخ باسيليوس البكاسيني .

(عن روزنامات الادبار)

عدد ١٠٤

وفي سنة ١٨٠١ اشترى الاب العام سمعان الخازن والآباء المدبرون مرقس الكفاعي وعمنويل الجميل ونعمة الله النجار ولويس عزيز الديراني . من الشيخ سلمان كنعان نكد واولاده نصف ما يملكونه في جل البحر بعد فرز حصة الرهبان ، بثمن ثمانية آلاف ومائة وسبعة وثمانين غرشاً ونصف القرش ٨١٨٧½ وذلك بموجب صك خلاصته :

ان الشيخ سلمان نكد باع الاب العام والاباء المدبرين المشار اليهم اعلاه ، نصف ما يملكه في جل البحر الذي يعرف مكانه في سقي الناعمة ، قسمة حصة الرهبان المذكورين وكل ما به من توت ومختلف وفواكه وبري وجوي ، قدره ثلاثماية وسبعة وعشرين حملاً ونصف الحمل ، ثمن كل حمل خمسة وعشرون قرشاً فتكون جملة الاحمال عن حصة الشيخ وحصة الرهبان ستماية وخمسين حملاً ، بمائه ومرواته وما يعرف به من كلي وجزئي ، عامر وداثر ، وذكر ام لم يذكر ، يبلغ قدره ثمانية الاف ومائة وسبعة وثمانون قرشاً ونصف القرش ، قبض من

اصل المبلغ ٥٨٧٦ وتسدد بالباقي ، وقدره ثلاثة الاف وستماية قرش حصة الرهبان في بستان عين ابو مرعي بارض الناعمة .

وحدود البيع المذكور من القبلة ملك اولاد الامير منصور شهاب في الملفة وعودة الشيخ المرقوم التي مع ابو رضا والقنا السالك من بين رزق الامرا المذكورين وجل البحر .

ومن الشرق قناة الماء السلطاني النازل الى حد عودة الخوري يوسف .

ومن الشمال حد عودة الخوري يوسف ومجرى الماء وحد عودة ابو حنا . وبعطف شمالاً حد عودة شديد مزهر . وعودة صابر ونصبات ابراهيم الخوري يوسف الى البحر ومن الغرب الى البحر .

ولهم في الماء نهارا وليل اربعة وعشرين ساعة .

وللمشايخ مثل ذلك اربعة وعشرين ساعة ومها صار على الماء من أكلاف فعلى الرهبان النصف وعلى الشيخ النصف .

حرر في شهر شعبان سنة ١٢١٦ ه . فتوافق لسنة ١٨٠١ م . صح

شهد بذلك	شهد بذلك	المقر بما فيه شرعاً
عمر سعاده	اسماعيل نكد	سلمان نكد واولاده

(عن الاصل بدير الناعمة)

وفي التاريخ نفسه اشترى الاب جبرايل القسيس رئيس دير مار جرجس الناعمة من الشيخ سلمان نكد عودة ابو رضا من سقي وبعل بثمن الف وخمساية وخمسين قرشاً .

وحدود البيع المذكور قبلة ملك الامير منصور شهاب .

وشمالاً ملك الشاوي ومن السقي والبعل ملك الخوري يوسف .

وشرقاً الطريق السالك وملك الامرا المذكورين .

وغرباً ملك الامرا المذكورين .

وفي الوقت عينه جرت المحاسبة ما بين الرهبان والشيخ المذكور على كل ما كان من الاخذ والعطا وامثاله وتحرر صك ابراء ذمة بينهما .

وهذه حرفية الصك :

السبب الداعي لتحريره .

هو انه يوم تاريخه بينا الى اعزازنا رهبان دير الناعمة حصتنا بجل البحر وتحاسبنا نحن واياهم عن جميع الحسابات التي بيننا وبينهم عن مال ميري واغلال وديون كلي وجزئي من حين عمار الدير لتاريخه . ولم يبق لنا في ذمتهم درهم الفرد .

وهم ايضاً ما لهم في ذمتنا درهم الفرد .

ومها اتجدد قبل تاريخه من سندات ام قوائم دين وغيره منهم او منا او مع عيالنا لا يعمل بها كلياً لاننا قاضينا عن جميع الحسابات وابرينا ذمة بعضنا الابرا العام وحررنا ذلك لاجل البيان وحفظاً من النسيان .

تحريراً في شعبان سنة ١٢١٦ هجرية وتوافق سنة ١٨٠١ مسيحية .

محررها سلمان

نكد (ختم)

(عن الاصل بدير الناعمة)

من مطالعة صك المخالصة المدرج اعلاه يستفاد اربعة امور :

الاول : طيلة زمان شراكة الرهبان المعروفة بشراكة الثلث عند الشيخ كنعان نكد وورثته لان الرهبان شاركوا عنده سنة ١٧٥٦ .

(راجع المجلد الثاني من هذا التاريخ صفحة ١٩٩)

فتكون مدة هذه الشراكة ٤٥ سنة .

والثاني : ان الاملاك الواقعة تحت عقد الشراكة البالغ عدد احمالها ستماية وخمسة وخمسين حملاً كانت ذات مساحة كبيرة لذلك لزم لاجل احيائها مدة ٤٥ سنة واتعاب كثيرة .

والثالث : أنهم بعد قسمة نصيبهم الحاصل بموجب عقد الشراكة اشتروا القسم المختص بالشيخ واولاده من محصول القسم الاخر بنتيجة اعمالهم الزراعية واتعابهم والاقتصاد بمعيشتهم .

ويستفاد رابعاً : ان اوقاف الرهبانية كانت نتيجة اعمال زراعية واتعاب شاقة بذلها الرهبان في سبيل الحصول عليها كشراكة الثلث والمساقاة المتبعة وليست من اوقاف وقفها ابناء طائفتنا على هذا الدير او على غيره . وخاصة ان املاك هذا الدير واوقافه كانت لاناس ليسوا موارنة ولا مسيحيين ايضاً . وقد استحقها الرهبان باتعابهم . .

وفي هذه السنة ١٨٠١ حصل الحادث الآتي ايراده في دير مار عبدا مشمار وهذه حرفيته نقلاً عما رواه وكتبه بخط يده وسجله بختم وظيفته الشاهد العياني الثقة الاب مرقس الكفاعي المدبر الاول قال :

« اعجوبة صدرت من صورة القديس عبدا الكائنة بدير ماد بحضور كهنة ورهبان وعوام في ١٣ حزيران سنة ١٨٠١ .

« انا الحقير الواضع اسمي بذيله قائم في صلاة المساء ليلة الاحد في اليوم الثالث عشر من شهر حزيران وهو يوم عيد القديس انطونيوس البادواني . والرهبان مترلين صورة القديس عبدا من الحنية وناكينها على الحائط مرادهم ينفضوهـا من الغبار ومي على القرّاءة الاب سرايون رئيس الدير واربعة كهنة وهم الآباء :

رافائيل القرطباوي . ولورنسيوس المتنا . وموسى وانطونيوس من شرتون . وليباوس ساقية المسك .

والصلاة قائمة والعرّق ناضح من صورة القديس عبدا من رأسه والكتفين نازل لعند الركاب والرهبان تدهن والعوام ايضاً . واستقام هذا العجب لثاني يوم صباح الاحد . بعد القداديس والصورة في مكانها على الكرسي . والرهبان والعوام تحضر تقبل الصورة وتأخذ بركة .

وهذا صار بحضوري وحضور الاباء المذكورين والرهبان . وكان معنا على القراية الشيخ موسى رزق وقبل الصورة وتدهن من العرق . وحضر الشيخ لطف الله بصبوص والعرّق ناضح من الصورة والجميع مجدوا الله » .

(ختم) انا الحقير مرقس كتبتها بيدي الفانية

(عن الاصل المحفوظ بدير ماد)

ليس لي ان اقول في هذا الحادث العجيب سوى كلمة واحدة اعرّف بها القارئ اللبيب من هو الاب مرقس الكفاعي صاحب هذه الرواية الغريبة .

فالاب المذكور هو من قرية عينكفاع في بلاد جبيل قريبة من قرية ماد من بيت الحداد لبس الاسكيم الرهباني في دير مار انطونيوس قزحيا من يد الاب مبارك عبيد القوسطاوي رئيسه في سنة ١٧٤٥ وله من العمر ٢١ سنة .

وفي المجمع العام المنعقد في دير مار موسى الحبشي سنة ١٧٥٧ انتخب مدبرًا ثالثًا .

وفي المجمع العام تاليه ، انتخب رئيساً على دير سيدة طاميش .

وفي المجمع العام لسنة ١٧٦٣ انتخب مدبرًا ثانياً .

وفي المجمع العام بعده لسنة ١٧٦٦ انتخب مدبرًا اول .

وفي المجمع العام بعد القسمة لسنة ١٧٦٩ انتُخب رئيساً عاماً .

ولما كان آباء الرهبانية قد قرروا في مجمع عام سنة ١٧٦٩ انهم من ذاك الحين وصاعدًا لم يعودوا يجددون انتخاب الرئيس العام القائم في الوظيفة حالًا الى عقد ثانٍ ما لم يتخلل انتخابه انتخاب آخر الى مدة ثلاث سنين ، اذ بنهايتها لا مانع من تجديد انتخابه ثانيةً .

(راجع صفحة ٣٠٧ في المجلد الثاني من هذا التاريخ)

فعملًا بموجب هذا القرار ، كان عند انتهاء مدة الثلاث سنين في الرياسة العامة يُنتخب مدبرًا اول ثم يجدد انتخابه رئيسًا عامًا الى مدة ثلاث سنين ، فيكون بالإجمال خدم الرئاسة العامة مدة خمس عشرة سنة . ووظيفة المدبرية الاولى خمس عشرة سنة ووظيفة المدبرية الثانية تسع سنوات . والمدبرية الثالثة ثلاث سنين ورئاسة الاديار ثلاث سنين.

فيكون اجمال السنين التي خدم فيها الرهبانية متقلباً في وظائفها الكبيرة والصغيرة سبعاً واربعين سنة . اي من السنة ال ١٧٥٧ الى سنة ١٨٠٤ سنة وفاته حيث سار الى راحة الصالحين وله من العمر ثمانون سنة .

وقد اشتهر في الرهبانية بنسكه وتقشفاته وتقواه الجم ، وفضائله الكثيرة الباهرة كما اشتهر في حسن السياسة واصابة الرأي . وكان قبره مزارًا وما زال في دير مار عبدا مشمرا حيث دُفن .

هذا هو الرجل اي الاب مرقس الكفاعي صاحب رواية هذا الحادث . فلصاحب الوجدان الحكم على ذلك بحسب وجدانه . لان الحكم الجازم بمثل هذه الحوادث انما هو للسلطة العليا في الكنيسة .

وفي هذه السنة ١٨٠١ لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

جرمانوس حاتا . بولس التنوري . فرنسيس الشرتوني . كيرلس دار بشتار . سمعان ساقية المسك . بولس الديه . مرقس الديه . يونان عاتوري . نقولا الرويه . يوسف بسكنتا .

وتوفي الاب ابراهيم النزبري . الاب نعمة الله صفير . الاخ نقولا المزرعاني . الاب افرام الحيس . الاخ دوكس المشاني . الاخ غريغوريوس التنوري .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل الحادي عشر

عدد ١٠٥

وفي سنة ١٨٠٢ تجدد حكر ديوس دير مار قبريانوس كفيفان بخمسة وتسعين قرشاً وكفرخلوص والفندية التابعتي لدير مار الياس الراس بثلاثة عشر قرشاً فيكون ماية وثمانية قروش .

وتمّ ذلك بامر الاميرين حسين وسعد الدين ولدي الامير يوسف شهاب خالص جميع التكاليف والمصاريف .

(عن اوراق الديرين)

وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني من هذه السنة وهو الوقت القانوني لعقد المجمع العام عقد في دير سيدة طاميش وفي اليوم الرابع من الاجتماع في الاقتراع السري انتخب :

الاب عمانوئيل الجميل	لوظيفة الرئاسة العامة	« للمرة الثالثة »
« سمعان الخازن	« مدبر اول	
« مرقس الكفاعي	« « ثاني	
« نعمة الله النجار	« « ثالث	
« بولس عزيز الديراني	« « رابع	

وفي اليوم الاخير من الاجتماع توزعت الرؤساء :

فانتخب لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا	الاب اغناطيوس بليبل
« « « « يوحنا رشميا	مجهول
« « « سيدة طاميش	الاب مانيا المتيني
« « « مار انطونيوس سير	« لورنسيوس الشرتوني
« « « سيدة مشموشة	« اقليموس الشبابي
« « « مار يوسف البرج	« عبد الاحد العراموني
« « « « مارون بيرسنين	« لورنسيوس الرشماوي
« « « « انطونيوس حوب	« مرقس الدليتاوي
« « « « جرجس الناعمة	« نوهرا السلفاني
« « « « موسى الحبشي	« جراسيموس عين تراز

وانتخب لرئاسة دير مار مخايل بنابيل	الاب الياس الشبابي
« « « سيدة ميفوق	« مبارك الدبراني
« « « مار الياس الكحلونية	« اسطفان البسكنتاوي
« « « انطونيوس النبع	« جرمانوس الاشقر
« « « تبريانوس كفيفان	« سرابيون ذياب
« « « عبدا ساد	« سارافيم شوشان
« « « الياس مطوشي قبرص	مجهول
« « « سيدة المونات جبيل	«

(عن روزنامات الادبار)

وفي هذه السنة عقد المجمع العام لاخوتنا الفئة الحلبية في دير سيدة لويزة واثبتوا اصحاب الوظائف الكبيرة في وظائفهم .

وفي اليوم الاخير انتخبوا الرؤساء .

ولبس الاسكيم الرهباني في هذه السنة الاخوة :

امبروسيوس البسكنتاوي . وايجيديوس التنوري . وانطونيوس الرشاوي . وجبرايل صليا[1] بسري . واغوسطين التنوري . وسركيس عينطورة المتين . واسطفان بتدين .

وتوفي الاب جرمانوس الديراني . والاخ برنردوس غزيري . والاب اغناطيوس الروية . (عن زورنامات الاديار)

عدد ١٠٦

وفي سنة ١٨٠٣ كما ورد في الفصل السادس عدد ٩٢ من تاريخ سنة١٧٨٩ ان الشيخ بركات الضاهر وفلاحيّ قرية كفرزينا يوسف شلهوب وسمعان وبولس عطية سلموا دير مار انطونيوس البادواني بوجه الوقف في قرية كفرزينا مع بعض املاك للاب اقليموس الهكاري رئيس دير مار انطونيوس ترحيبا لاجل اقامة الرهبان في حين اشتغالهم بتعمير الاراضي المختصة بديرهم ببدل عشرة قروش يدفعها الدير المذكور كل سنة مال ميري صمْ كسم[2] .

ثمّ في هذه السنة سلّم الاميران حسين وسعد الدين شهاب صكًا اعلنا فيه رضاهما عن هذا التسليم بحسب العادة المرعية في تلك الايام .

---

١) مزرعة تخص دير مشموشة ٢) راجع الصفحة ١٠٧ من هذا المجلد

وهذه حرفيته :

وجه تحرير الاحرف :

هو انه قد سلمنا عزازنا الرهبان اللبنانيين كنيسة مار انطونيوس البادواني في قرية كفرزينا وانهم يعمروا المحل المرقوم ويتسلموا الارزاق والاوقاف المختصة بالكنيسة المذكورة . وقد صار الموضع بيدهم يدبروه حكم (بحسب) تدبيرهم ديورتهم ما لاحد عليهم معارض ولا منازعة بسائر الوجوه .

وبيدهم حجة في الموضع من عزيزنا البطريرك يوسف (التيان) يكون العمل بموجبها . وحررنا لهم هذه الحجة لاجل الاثبات بما ذكرنا .

حرر في ذي القعدة سنة ١٢١٧ هجرية التي توافق السنة ١٨٠٣ مسيحية .

« ختم » سعد الدين شهاب   « ختم » حسين شهاب

وهذه حرفية اعلام السيد البطريرك بتسليم الكنيسة المشار اليها الوارد ذكرها بحجة الاميرين كما مرّ :

اعلام بالرب لكل ناظر اليه وواقف عليه .

هو اننا قد سلمنا حضرة اولادنا الرهبان البلديين اللبنانيين كنيسة مار انطونيوس البادواني في كفرزينا وحررنا بيدهم حجة ثانية مسجلة منا . نعم في كل من واضع يده على رزق ام نذر كاين من كان يدفعه ليد الرهبان اولادنا المذكورين ولا نسمح بان احد يبقي عنده شيء ولو كان جزئياً .

والذي يتجاسر ويبقي عنده شيء يكون سبب تغيير خاطرنا عليه لا سمح الله . وعندنا مؤكد كبير غيرة الجميع سيما لامر خير نظير هذا والبركة الرسولية على الطائعين.

حرر في ٨ اذار سنة ١٨٠٣

الحقير يوسف

« ختم » بطرس البطريرك الانطاكي

(الاصل المحفوظ في دير قزحيا)

واما الصك الاول الوارد ذكره في هذا الاعلام كما تبيّن اعلاه فلم اقف عليه. ثم اصدر السيد البطريرك مرسوماً الى المشايخ بيت الضاهر يعلمهم به بواقع الحال ويستهم غيرتهم للمحافظة على حقوق هذا الوقف، وان يأخذوا بيد الرهبان ضد كل من يعترضهم بتدبير هذا المقام .

وهذه حرفية المرسوم :

حضرة اولادنا المشايخ بيت الضاهر المحترمين باركهم الرب الاله آمين .

اولاً : مزيد الاشواق الى مشاهدتكم على كل خير وعافية .

ثانياً : نخبر حضرتكم باننا سامحنا حضرة اولادنا الرهبان اللبنانيين كنيسة مار انطونيوس البادواني في كفرزينا وحررنا بيدهم حجة لثبات ذلك .

ولكوننا نفهم بان ذلك مما يسركم تشييد الحق والخير الناتج من هذا المطرح يلزم من حضرتكم المساعدة لما يأول لنجاح المطرح المذكور وتشييد ما يختص به وتحصيل حقوقه من ارزاق ونذورات وردع كل من يتعرض اولادنا الرهبان المذكورين لانه غير ممكن ابطال ذلك . قصدنا عليكم بما يلزم لا تنيبونا والبركة الرسولية تشملكم في ٨ آذار سنة ١٨٠٣

(الختم) الحقير يوسف بطرس (تيان)

(عن الاصل المحفوظ بدير قزحيا) البطريرك الانطاكي

والمعروف الآن عن هذا المقام ان الرهبانية تركته وهو تابع اوقاف مطرانية طرابلس الشام . واما كيف اتصل هذا الوقف باوقاف الاسقفية المذكورة مع وجود الصكوك الموردة اعلاه فلم ارَ نصاً بخصوصه ولكن التقليد الشفاهي في الرهبانية الى هذا اليوم هو : ان مطران الابرشية ادعى ان هذا التسليم لم يتمّ بمصادقة الاسقف المكاني بموجب الرسوم وعليه فانه يعتبر الوقف غير قانوني ويحق له استرجاعه وبناء على ذلك خرج الوقف المذكور من يد الرهبانية وتسلمه المطران الموصى اليه . ولم تشأ الرهبانية مخاصمته . على ان اجازة السيد البطريرك ورضاه بالوقف يكفي لثبوته بحسب الرسوم القانونية[1] . وقد انشأت الرهبانية ديراً في هذه البقعة على اسم القديس انطونيوس الكبير باملاك فصلوها عن دير قزحيا سنة ١٨٤٧ اي بعد مرور ٤٤ سنة ، ذلك دليل على رغبتهم ان يسكنوا في هذا المحل[2] لا ان يتركوه .

وفي هذه السنة ١٨٠٣ لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

نعمة الله قرنة شهوان وجرجس البريسافي وجبرائيل المكاري وسابا البحرصافي وثوافيلوس التنزانية ويوسف الدويري وتوفي الاخ مبارك صليما (عن روزنامات الاديار)

(يتبع)

---

١) راجع المجلد الاول من هذا التاريخ صفحة ٢٨٠

٢) كان هذا الوقف بيد الرهبانية وقد تنازلت عنه مؤخراً لابرشية طرابلس بناء على طلب صاحب السيادة راعي الابرشية .

شارل ج. لودي: محمد وأسرائيل والمسيح (١)

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

في هذا الكتاب الفاظ سحرية يعيدها المؤلف بولَع : الحب . المودّة . العاطفة . الترحاب ... فكأنه يريد من هذه الالفاظ فرض طريقة للبحث في كتاب علمي . نعم ان الحب الحقيقي هو صفاء وصدق واخلاص لكنه لا يمنع صراحة اعتبار الامور والحكم فيها كما هي . فدون التخلي عما يفرضه الحب وتحذّراً من توهم العاطفة حقيقةً ومن التيه بعيداً عن موضوع البحث ودون ترويق ولا تخريب يجب ان تُعلَن الحقيقة كما هي .

هذا ما يجعلنا نقف ازاء هذا الكتاب متحيّرين اذ يتخيّل لنا بان الحب والمودة والاخلاص قد زوّرت فيه اتجاه بحوث علمية بحتة . من مقايسات لفظية ومن مقابلات معانٍ ينتزعها من صلب النصوص التي هي جزء منها ومن افتراضات عاطفية ومن انفعالات نفسية شخصية يحتسبها للآخرين ومن مبادلات افكار يضعها دون برهان وتدقيق : من هذه كلها يستنتج المؤلف نتائج يدّعيها ثابتة .

لا نريد بانتقادنا هذا ان نشك قط بالنية الشريفة الخلوصة التي حملت المؤلف على الوقوف وقفته هذه من اول كتابه الى آخره . لكن العاطفة شيء والعلم شيء آخر لا يجوز لنا الا ان نميّز بينهما والتقاليد الاسلامية نفسها سوف تشهد بحقيقة ما نقوله .

٥

يتركب الكتاب من مقدمة وثلاثة اجزاء وهي : الحادث في التاريخ — في قلب النبي — في بركة ابرهيم .

يدلنا المؤلف في حاشية استهلاله على الهدف الذي يتوخاه وهو جدير بالثناء . لا ننكر بان التوصل الى محادثات تؤدي الى تنظيم القوى الروحية ازاء الكفر الطاغي هو رغبة كل نفس صالحة الارادة وكل قلب بشري .

لكن هذا الهدف السامي — والمؤلف يشعر بذلك — يفوق المقادير بما

(١) Charles-J. Leoit : *Mahomet, Israël et le Christ.* — La Colombe, Paris, 1956, 178 pp.

يخص اللاهوت المسيحي والتعليم الاسلامي . يعلن المؤلف بان بحوثه « شاقة » واحياناً « جريئة جداً » وكأنه يشعر بتوبيخ من ضميره لقوله ما قاله فيتابع : « ويأمل المؤلف بانه دون ان يترك مواقف الايمان الكاثوليكي لم يخن تعاليم اللاهوت الاسلامي الجوهرية » (ص١٠) واننا نشك بانه قد نجح في تسيم امله بمده تلم اللاهوت الكاثوليكي وعدم التعرّض لتقص فيما يخص اللاهوت الاسلامي.

٥

في ابواب الجزء الاول الاربعة لا نجد ما نؤاخذ عليه المؤلف الا حاشية عرضيّة في الصفحة الثانية والعشرين يدعي فيها « بان الاسلام لم يتعرض لشخصية كلمة الله الإلهية » . لا نرى على ما استند المؤلف في اثبات حكمه هذا : وهو الذي يحاول تفهم روح ديانة نراه هنا يعتمد على الوضع اللفظي لا غير. نعم لا نجد في القرآن نفياً لفظيًا او حكماً كلامياً بخصوص شخصية كلمة الله الالهية لكن روح القرآن بتمامها تؤكد لنا بان هناك رفضاً باتًا بقبول شخصية كلمة الله الالهية . اكتفي بايراد السورة المئة والثانية عشرة حيث يثبت محمد وحدانية الله بنوع لا تبقي محلًا لجدال، ونصوص اخرى في القرآن مقابلة للسورة المذكورة تؤكد ذلك .

ما عدا ذلك فالتاريخ الذي يقصه علينا المؤلف يسير دون عارض لكنه لا يخلو من تلميحات الى موقف الكنيسة لسنا نرضى بها : فكأن السبب الوحيد لظهور محمد كان شقاق الكنيسة اذ ذاك ومبالغتها في التدقيقات العقائدية وطمها. لكن قد يكون هناك سبب اكثر تأثيرًا في نفس محمد الدينيّة او علاقاته مع تجار جوّالين من النساطرة او غيرهم اكتشف بها ديانة رأى فيها فائدة لنفسه ولمعاصريه .

سوف نعود الى الكلام عن هذين السببين .

٥

اننا في ابواب الجزء الثاني الخمسة خصوصاً نجد طريقة التحليل النفسي بكمالها : ويدّعي المؤلف بانه يتحاشاها. وسوف نعطي فيما بعد الامثلة الاكثر جلاء لكننا نبدأ اولًا بانتقاد الطريقة عينها .

في الصفحة الواحدة والخمسين يعلن المؤلف بان « ليس احد يرضى بتحليل

نفسيّ عن اشخاص غائبين وبالأحرى عن الموتى » . وهـذا قول صوابي لكنه يظهر كمن يحامي عن نفسه بقوله هذا اذ لا يخفى عليه عدد الدرجات التي يمر بها ليتوصل — حسبما يدّعيه — الى اطلاعنا على شخصية محمد . ففي الصفحة المئة والثالثة عشرة بعد ان فتّش عن متطلّبات موقف محمد النفسيّة وحلّلها أبهتنا فجأةً عند قراءة قطعة بها تمتاز هذه الطريقة . ها نحن نضعها بنصها تحت نظر القارئ .

« لنقُل حالًا بأن لقرآن الحوريات قيمةً « كثارتية » كثيرًا ما لا يُعرف قدرها . ففي بشرية مستميدة لاندفاع الاميال أيكون اسلوباً سيئاً تقلُ اشدّ اندفاعاتها الى ما وراء الحياة . الالهام الكتابي عينه ألم يعمل لتهذيب اسرائيل بتشبيه العهد بعقد الزواج . لا نفتّش بعيدًا في نفسية الاعماق : هذه حنة أما حقّ لهـا ان تنتحب امام تابوت العهد لِتُقم حياتها البيتية وألم يكنْ لزكريا ان يتوسل الى السماء ليعطيه [الله] ابنا . اذن هنا ايضاً يُرتاب من تأويل ليس الا تحليلًا نفسياً » .

لا نقدر عند قراءة هذه القطعة وبواسطتها — وهي تمثل جيدًا الروح التي تختلج في الكتاب كله — ان نمتنع من ابداء الملاحظات التالية :

١ — لماذا هذا الاختيار الغريب : كفت للمؤلف كلمة « عقد زوجي » للاتيان بمقابلات لا مُبرّر لها . يرفض ذلك اللاهوت الاسلامي ويرفضه اللاهوت المسيحي . فالنساء الحوريات هنّ خلائق من دم ولحم ، لكن العهد ليس الا روحياً وداخلياً الا اذا اتخذنا لتأويل الفردوس الاسلامي تأويل محمد عبدو والحركة العصرية التي تقوم ضدها تقاليد اسلامية ثابتة . وعلاوة على ذلك بما ان المؤلف يحب اللجوء الى المقابلات لماذا لا يفتش ايضاً في ديانات اخرى تَصِفُ ما وراء الحياة مشابهات اخرى لا تقلّ صحةً من التي تذرّع بها هنا .

٢ — ثم اذ يأبى المؤلف احياناً كثيرة اللجوء الى طريقة التحليل النفسي نراه هنا يستخدمها استخداماً مفرطاً حتى اننا نتساءل اَبحثاً علمياً يقصد ام نفسياً يجب التحقيق فيه .

اننا نستغرب من المؤلف تأويله فالتاريخ ينكره . ليس محمد من عصرنا لنحلل نفسيته كأنه منه فإن عصر محمد ليس عصرنا ولكل عصر نفسيته الشخصية ولو وُجد بين الواحد والآخر بعض المشابهات . لا شك بان النعمة تقود النفوس بطرق شتّى ، والله لا يقود الناس كلهم بطريقة واحدة حتم

بها مقدماً دون المبالاة باختلاف الاطباع. الانجيل كله يقاوم هذا التنظيم الآلي الموحد . اننا لا ننكر وجود مبادئ عمومية تخص كل الاطباع ، لكن ليس ما يقوم مقام الفردية ، وشخصية محمد بعيدة عنا في التاريخ وهذا يزيد في صعوبة تأويلها وفقاً لطريقة قياسية لا يجوز قط اخضاع الشخصية البشرية لحكمها .

في الصفحة المئة والسابعة عشرة يعطينا المؤلف حكمه في محمد بتدقيق اذ يخضعه لتحليل نفسي يأوّله على طريقته وكل تأويله النفسي يبنيه على انفعالات محمد الجنسية فهو « يعجب للازواج المتآلفة تآلفاً الهياً » . واننا لنعجب من المؤلف اذ يؤلف هذه الاشياء ماراً من الوضع الجسداني الى الوضع العاطفي ففي هذا التأليف تلاشي القرآن . اذا كانت غاية مؤلف الكتاب ان يعلم مفسري القرآن كيف يجب تأويله فهل يا ترى ينوي ايضاً تعليم محمد نفسه ما المعنى الذي اراده حقيقة بالالفاظ التي استعملها . اللاهوت الاسلامي عينه يرفض هذا التأويل رفضاً باتاً . وإلّا فيكون وصف محمد للفردوس جواباً على خيبة أمل . بعكس ذلك نعرف من القرآن بانه قد احب خديجة ... « حبيبان بعمر متقارب يقدمان الواحد للآخر حباً لم يزل بتولياً وبكلمة كل ما كان ينقص في زواجه الاول » (ص ١١٧) . ألا يوجد اذن في القرآن الا احلام عاشق « تأويل عال لأميال تأبى ان تذل بلذات عبد .. تعويض عن حالة مؤلمة اشد الألم » ؟

ثم كثير هو ما يمكننا ملاحظته بخصوص سطور في اسفل الصفحة ١١٨ . لكن نرى السكوت اجدر بنا .

ج

يحتوي الجزء الثالث من الكتاب ما هو اكثر غرابة وهو يتركب من اربعة فصول .

يندهل القارئ اولاً اذ يرى المؤلف يلقي على نفسه مشاكل حقيقية كالتي قد يلقيها عليه لاهوتي مسيحي . لكنه يمر بها مروراً دون اكتراث بجواب ، دون ان يعيرها ادنى اهتمام كانها لم تكن (ص ١٢٣) . في الصفحة ١٢٤ يظهر المؤلف رغبة صادقة بمقابلة الديانتين المسيحية والاسلامية . هذا شوق يشرفه لكنه لا يعوزه التسرع في المقابلات . يبقى بين الديانتين فرق اساسي لا يلاحظه المؤلف هنا : سرّ الثالوث الاقدس . هذا الفرق الذي حدده كل مفسري القرآن

والقرآن عينه باجتهاد ودقة . لا يكفي التكلم عن الله بل يجب الفحص عن النوع الذي تم به الالهام في كل من الديانتين . اللاهوتيون المسلمون كابن حزم والغزالي (طالع كتاب الاب روبر شدياق «التفنيد البارع») ينهضون لدحض المؤلف.

في الصفحة ١٢٦ يعطي المؤلف مثالاً جديداً عن طريقته الاختيارية اذ يقول : الإله الذي يتكلم عنه عدد من المزامير لا يختلف من اله الاسلام . فنجيبه بهذا السؤال : المزامير التي تتكلم عن هذا الاله هل تقول عنه كل ما يقوله الكتاب المقدس عن الله . ثم ليس من ينكر بان معرفة الله في المزامير تتكمل شيئاً فشيئاً لا بذاتها لكن في فكر الذي يتكلم وفي حياته . وهل نقدر ان نتكلم عن اله المزامير دون تأخير الحكم فيه الى ان تتم صورة اله كتب العهد القديم . هذه المقابلات قد اتت في غير اوانها وان نتائجها وخيمة لا شك .

في صفحة ١٢٨ يظهر لنا المؤلف راجعاً الى الوراء . في ما تكلمنا عنه اعلاه مقابلة بين اله الاسلام واله المزامير (ويكون هذا اله الالهام الصحيح) . والحال في الصفحة المذكورة يعتبر المؤلف الاسلام ديانة طبيعية فكيف تمكن اذن مقابلة اله الاسلام باله الالهام وهل يكون الاله الذي يتوصل الى معرفته علم الالهيات الفلسفي واله الالهام الاله عينه . يقولون انه يوجد مجانسة بين الاثنين انه يوجد بينهما تشابه . لكن الحقيقة هي ان بينهما فرقاً عظيماً .

في الصفحة عينها يجب الانتباه الى تصريحات اخرى عديدة يتوقف عندها المؤلف معجباً . ليت المؤلف يرضى بالتوضيح لنفهم ما يعنيه بهذا الاثبات الذي جاء في كتابه : « وفعلاً نلاقي في الاسلام قيماً قريبة من النعمة المقدسة » . ماذا يعني يا ترى بهذه اللفظة « قريبة » . هل يجهل بان التعليم الكاثوليكي يميز تمييزاً باتاً بين الفائق الطبيعة والطبيعي . نعم يوجد في الطبيعة اهلية للفائق الطبيعة وهذا امر لا ننكره لكن المجمع التريدنتيني يقول بان هذه الاهلية تتم بعمل النعمة عينها . ان يكون في الطبيعة استعداد ، ان يكون انتظار ، هذا امر ممكن بل اكيد، لكن لا نتعدَّ فان هذا الانتظار لو كان هو هو النعمة لما كان لنا حاجة الى الله. لكان يكفي اذ ذاك لادراك المُنتَظَر ان تعمل الطبيعة نفسها بقواها الداخلية دون مداخلة خارجية .

علاوة على ذلك – وهذا لا يجهله المؤلف – ان للنعمة المقدسة معنى هو خاصّ بالديانة المسيحية تتفرّد هي به وليس « قريباً » لمعنى غيره .

ثم في الصفحة عينها يتكلم المؤلف عن « حضور » الله وعن « استراحة الله بين ذويه » . اين يا ترى في القرآن او مؤوّليه ما تعنيه هذه الالفاظ . القرآن يقول عن الله بانه اقرب الى الانسان من عروقه وهو يريد بذلك ان يثبت خضوع الانسان التام الطبيعي لله لا غير . فالمعنى الذي يُعيره المؤلف لكلام القرآن ليس فيه فهو معنى مسيحي كتابيّ مُلهَم محض لا يحتمل مقابلة .

في الصفحة التابعة ١٢٩ يحامي المؤلف عن نفسه بقوله: « يجب ان لا نطلب من الاسلام الناشئ تفكيراً لاهوتياً في معنى الرضى والاستراحة » . لربما يمكن ان نطلب ذلك من مفسّري القرآن او من التقليد الاسلامي كما يفهمه الاسلام. عبثاً فان مفسري الاسلام – وهم ينقلون عن بعضهم بعض (وهذا امر يسهل اثباته) – لم يهتموا قط لذلك . اما المسيح فانه في ظروف شتى كرر قوله بانه للاتمام والتكميل لا للهدم . وكان باتصال دائم مع العهد القديم . من العهد القديم كان يأخذ ليشرح ويعلم . هل نقدر ان نقول هذا عن القرآن . لو جاء المسيح بعد محمد اكان يمكنه ان يأخذ من القرآن ليشرح ويعلم ويبقى بالاتصال معه . هذه اسئلة نوجهها للمؤلف الجواد .

في اسفل الصفحة عينها نقرأ ما يثير فينا الاستغراب والدهش . نقرأ : « بينما اسرائيل عاش دائماً وانظاره متجهة الى المسيح اي الى تجديد ملك داود السياسي والروحي ، الاسلام يعلم منذ البدء بان الحادث المسيحي الوحيد المنتظر هو المجيء الاخير اي دينونة العالم ومعها رجوع يسوع « كعلامة الساعة » . فهل يختلف بهذا حقاً الاسلام من الايمان الكاثوليكي » . واتماماً لتأكيده هذا يورد في الحاشية ١٨ السورة ٥/ ١١٤ « حيث يظهر يسوع معاوناً اولاً في الدينونة » .

أنْ يتساءل المؤلف ان كان « الاسلام مختلفاً حقاً من الايمان الكاثوليكي » يحملنا على الظن بانه قد نسي معنى تعاليم اللاهوت الكاثوليكي فانها تثبت بان يسوع سوف يأتي لا كمعاون في القضاء لكن « لكي يدين الاحياء والاموات » لان اباه قد اعطاه كل سلطان ليدين والعالم كله خاضع لدينونته : هو العلامة

وهو المقياس . هنا ايضاً يعتمد المؤلف على مقابلات لفظية ويتعجل بالاستنتاج. ليته اكتفى بعرض المسألة دون الجواب عليها .

في الصفحة التابعة ١٣٠ يثبت المؤلف لكي يبيّن صواب موقفه بان المسلم « لا يزال يعتبر عيسى كخاتم القداسة » . هذا اثبات مطلق مبهم فلا حقيقة فيه . والصوفيون هم الذين اشاعوا فكرة قداسة يسوع هذه فباي حق يقال « المسلم » .

يتابع المؤلف متمسكاً برأي شخصي لا سند له المعادلة بين احداث العهد القديم واقواله واحداث والفاظ القرآن . ما قاله في الصفحة ١١٣ يكرره في الصفحة ١٣١ دون الاعباء بقيمة الالفاظ وهي من جهة كلام ملهم ومن الجهة الاخرى تعطي طعم المواعيد الفردوسية الجسداني . ان كلامنا يتفق سواء مع اللاهوت الاسلامي . لذلك اننا نؤاخذ المؤلف على ما يقوله في الصفحة عينها بان « الخيّرين بين المسلمين قد ادركوا وبصواب ضرورة هذا التأويل بالنقل » . من هم هؤلاء المسلمون الذين يتكلم عنهم . لا بد انه يتكلم عن بعض مسلمي عصرنا الذين اثرت فيهم الافكار العصرية وقيمة الشخصية البشرية الروحية . اذا كان ذلك فاين النقد التاريخي وتطبيق الطريقة المرضية على البحث المطلوب. وهل يتفضل علينا المؤلف باسماء لاثبات ما يقول .

تتلاحق التصريحات المذهلة المحيّرة دون ما يتوجب من تدقيق وضبط في الصفحة ١٣٨ والصفحة ١٤٠ وبالاخص في اسفل الصفحة ١٤٣ . كيف يجرأ المؤلف على المقابلة بين اسرائيل واسماعيل دون الاساءة الى اللاهوت المسيحي الذي يثبت بانه يوجد اسرائيل روحي وهو الكنيسة وهو لا يعترف باسماعيل روحي. لماذا المعاندة في المطالبة بمقابل لاسرائيل الروحي واي ضرورة دينية الى توسيع الافكار والتاريخ دون اساس . وما الموجب الادعاء بوجود كنيسة مقابلة للكنيسة وهل يوجد جماعة مؤمنين تسمو على كنيسة يسوع المسيح ؟ وان المؤلف ، عندما استند هنا الى نصوص القديس توما الاكويني ، ليبدو لنا كمن أوّل تلك النصوص حسب رأي شخصي دون الاسس الكافية لذلك. اذ المطلوب ان لا نميّز بين نبوّة واخرى ولكن ان نعرف ما يتعلق بالنبوة الحقيقية وما لا يمت اليها بصلة .

بهذه التآويل المبهمة يمهد المؤلف الدخول الى الفصل التابع. يحاول التفريق بين محمد والمسلمين كما يفرّق بين المسيح والمسيحيين . هل يرضى اللاهوت الكاثوليكي بهذه المعارضة بين مؤسسي الديانتين او يعتبر المؤلف المسألة فقط من الناحية الانسانية والعقلية دون اكتراث بالوحي . وهل يرضى المسلمون بهذه المعارضة . للجواب على هذا السؤال الاخير تكفي مطالعة كتب بعض مفسري القرآن كالبيضاوي وشتائم ابن حزم ومحاولات الغزالي الدمث الاخلاق . ونقول لتكميل جوابنا بان الكنيسة بصفتها كنيسة هي تتمة يسوع، مهمتها ان تشرح تعاليمه وتحيا حياته. اما المجتمع الاسلامي فيهتم باظهار للتعليم الذي تسلمه من محمد.

غمدنا في الصفحة ١٤٩ من التآويل المغرضة الباطلة المبنية على مقابلات لا مسوغ لها وعلى افتراضات ليست الا التعبير عن تزعزع في معرفة الديانة الاسلامية ولربما المسيحية ايضاً . وهوذا نصوص : بعد ذكر قطعة من سورة المائدة يأخذ المؤلف بالتأويل : « وفتح الله مائدته ليسوع وذويه . ما الذي كان يقدر ان يعطيهم الا ذاته هو الذي يشبع دون قياس وحضوره في قلب الشهيد يعطيه القوة للشهادة . الطلبة فائقة وانكارها يستوجب عقاباً فائقاً ». وهكذا ينتقل المؤلف من « الاشتراك بائدة » الرب فيقابلها مع نصوص القديس بولس الشديدة اللهجة بها يحكم على الذين يتقدمون الى المائدة المقدسة دون استحقاق وبعد ذلك يذكر الملائم التي يوجّها محمد الى الجماعات الرهبانية المتراخية في سيرتها « مع انها تجتمع حول هذه المائدة حيث يضيء مصباح المقدس » . ما الذى يا ترى يريده المؤلف. لماذا الافراط في التفتيش والضلال. فالكلام عن سورة المائدة وهي تحدث عن الطعام الذي اعطاه الله لعيسى وتلاميذه. وما هي للمسيحي القيمة الرمزية لهذه المائدة المقدسة . كم نتمنى ان يكون المؤلف قد اعطانا براهين لاثبات هذا التصريح الاعتباطي المؤسف . هو الانتقال من فكر غريب الى آخر يحيّر القارئ، ويتعبه. ثم اننا نعجب لمرورها تحت نظر منتقدين يقظين قبلوها برضى غير ساخطين... في الصفحة نفسها ١٤٩ بحاشية: « حسب المؤولين هناك رووا : سمكة مشوية دون قشر ودون حسكات وملحاً وخلًا واعشاباً وخمس خبزات مستديرة عليها زيتون وعسل وزبدة وجبن ولحم مقطّع (البيضاوي: في المحل عينه) وبالاختصار كل مايتركب منه غذاء. فصحي حيث يقوم مقام

الحمل الرمز المسيحي السمكة (طالع اكور ١١—٢٣) .

ماذا يعني المؤلف « بالغذاء الفصحي » وخلال نص قرآني. ماذا يعني بالحمل الفصحي والسمكة في النص هذا عينه .

نريد باسئلتنا هذه ان نلفت انتباه المؤلف والقارئ معاً الى ما يلي : يوجد اشياء هي مسيحية محضاً فاذا كان اسرائيل قد تكلم عنها على الاقل بنوع صريح لم ينو بذلك الا الفات انتباه القارئ عما سوف يكون ، عن حادثات. ولا ننكر بامكان اكتشاف « حجرة انتظار » في بنيان ديانات اخرى تترقب مجيء الديانة المسيحية . لكن « حجرة الانتظار لا توازي بقيمتها قيمة الحقيقة التي تمت في الديانة المسيحية وفيها وحدها اكتملت. عندما نتكلم عن الغذاء الفصحي نعطي هذه الالفاظ معنى خصوصياً ليس المعنى الذي يعطيه المؤلف اعتباطاً للمائدة التي مدت عليها الاطعمة المختلفة التي ذكرها والا فكل مائدة مدت عليها هذه الاطعمة هي « وليمة فصحية » .

في الصفحة ١٥٠ يشبه المؤلف محمدًا ببطرس وهو « لحبه العظيمة ليسوع لا يرضى بانتصار اعدائه ».لا اتصور بان لاهوتيي الاسلام يقبلون برضى التأنيب الذي وجهه يسوع الى بطرس عندما « لحبه المفرط » له رفض سرّ الصليب،اننا نستغرب كيف يطبق المؤلف على يسوع كما يتكلم عنه القرآن اقوال الالهام المسيحي وبالاخص اقوال القديس بولس . انه يحيّرنا بعمله هذا . بين هذه النصوص وتلك بون عظيم دينيًا وبشريًا .

وما نقوله الآن يوقفنا هنا . ففي صفحة ١٥٢ وفي الصفحة التابعة يعود المؤلف ويؤكد لنا بارتياح ان القرآن يقر بتجسد الكلمة فانه يقول : « الا يخاطب اذ ذاك الله نفسه ومباشرةً الانسان « بشخص » كلمته « وهذا هو تمام سرّ التجسد.فمن اذن يجد في القرآن انكار تجسد الكلمة » . هذا النص يثبته نص آخر نأخذهُ من الصفحة ١٥٤ وهو هنا اكثرًا تأكيدًا : « اذا القرآن لا يتردد في اعلان تجسد الكلمة فهل يتوصل الى الاقرار بحقيقة هذه السجية الالهية التي توجب السجود » .

ما الحكم في هذه التأكيدات التي تتابع متراكمة. في الصفحة ١٥٢ يتكلم المؤلف عن كلمة الله واضعاً لفظة « كلمة » بين قوسين . ظننا اذ ذاك بان

هذه العلامة تعني انه يأخذ هذه اللفظة بمعناها الخصوصي في القرآن . لكن ظننا لم يستقرّ فان المؤلف اخـذ في الصفحة التالية يتكلم بنوع مبهم عن تجسد الكلمة . ولم يتكلف تحديد هـذه اللفظة « الكلمة » بحسب نصوص القرآن التي نجدها فيها. لم يتجرأ. ولو اتى على ذلك لما استطاع ان يبين لنا فكره كما فعل ذلك في الصفحة التابعة،هذا الفكر الذي يظهر بنوع جليّ مخالفاً معاً للقرآن وللاهوت الاسلامي وللاهوت المسيحي . فكأن المؤلف يجهل القرآن او يأوّله تأويلاً خيالياً شخصياً غير عابىء به ولا بالتقليد الاسلامي ولاهوته ولا باللاهوت المسيحي . كان يمكنه قبل اثبات ما اثبته مباشرة البحث الضروري لتحديد معنى هذه اللفظة واطواره المتتابعة — وهو بحث عسير طويل المدى — فلو فعل لما قدّم لنا ما قدمه دون برهان ولا سند .

امر مستحيل قبول تجسد الكلمة بموجب القرآن هذا اذا حفظنا لهذه اللفظة معنى : اذا الكلمة ليس آلها — والقرآن لا يمكن ان يكون آلها — فما معنى التجسد اذن .

في الصفحة ١٥٥ حاول المؤلف لكي يصحح موقفه واقوال القرآن تفسيراً للثالوث الاقدس مستنداً الى المجمع اللاتراني الرابع. هوذا ما يقوله: « من يرضى بان الله يستطيع ان يعطي لذاته نسلاً على نمط اوثان البلاد العربية الجداثيين . للمسيحي كما لأي كان اخر الذات الآلهية واحدة « لا تلد ولا تولد » .(هنا يعطي المؤلف في حاشية العدد ١٣٢ من دنزنغر حيث توجد تأكيدات مجمع اللاتران) ثم يتابع — هي كيان بثلاث علاقات نقول اصطلاحياً بثلاثة « اقانيم » وهي تؤلف حياة الروح : المعرفة والنطق والحب . ليس حال فيه « لا يدخل الله الا ثالثاً » (٦/٥) ويسوع لا يحتل محل الله (١٩/٥) يبقى كلمة الله . وهذا كاف » .

فيما يخص اللاهوت الكاثوليكي هذه الاثباتات تتطلب شرحا. القول بان الاقانيم الثلاثة في الثالوث الاقدس هي: « المعرفة والنطق والحب » هو السقوط في ضلال « النوعية » فانه يجعل من العلاقات الثلاث القائمة بذاتها اي من الاقانيم انواعاً من الكيان لا غير ووسائط للنطق. وهذا ضلال غوغل والبروتستانتي مرنود. هل من يقبل بان العلاقات الثلاث اي الاقانيم الثلاثة هي حياة الروح .

وعلاوة على ذلك متى عنت لفظة « الله » الكيان الآلهي اي الطبيعة الآلهية . لما يوجه المسلم كلامه الى الله يريد التكلم مع شخص لا مع الطبيعة الآلهية . فلا نقدر اذا ان نتجه الى مجمع اللاتران للاستجارة به والمحاماة عن تأكيدات القرآن التي تعود الى هذا : « الله لا يولد ولم يلد » . فانه يخالف لمجمع اللاتران الذي يعلم بانه ليست الطبيعة هي التي تلد لكن اقنوم الآب . الضلال هو ان تنقل الى ديانة اخرى كلمات مسيحية مع محتواها وليس في هذا خدمة بل ضرر .

نترك القطعة الثانية من الصفحة ١٥٦ وخاتمة الصفحة ١٥٨ لكي لا نعيد الانتقادات عينها .

الفصل الاخير من الكتاب يثير هو ايضاً مشاكل كثيرة خصوصاً مشكلة النبوة ومعناها الصحيح . النصوص المأخوذة عن القديس توما والتي عليها يستند المؤلف تحتاج بعد الى تدقيق والى مقابلتها مع بعضها بعض . لا يجوز اقتطاع نص من مقالة القديس توما في النبوة دون ان يتغير معناه الحقيقي الذي لا يصح الا باقترانه ببقية النصوص . نقف هنا لاننا قد اطلنا المقال .

⁂

نختم مؤكدين للمؤلف باننا لا نشك قط بحسن نيته . فاذا انتقدنا فقد انتقدنا رأياً متهوراً وبطريقة شاذة لا يرضاها المنطق وهو رأي يخالف لتعاليم القرآن وتقاليده .

في ذمة الله

زكي محمد حسن

١٩٠٨-١٩٥٧

بقلم بشر فارس

كنت ارتقب منه رسالة تطمئنني عن حاله واذا نعيه يصدمني. فقدت مصر بل فقد الشرق العربي واحداً من خير ابنائه العاملين في ميدان العلم، عرفته ونحن نطلب الآداب في باريس ثم سايرته وعاشرته في القاهرة، فما أصبت فيه الا الجهد في جد

لزكي محمد حسن الفضل في شق باب التصنيف في مطالب الفن الاسلامي. جاء الينا من طريق التبصر في التاريخ الشرقي، فله في أول أمره بحثه «الطولونيون»، ومنه أقبل على «كنوز الفاطميين» ثم توسع فألقى بالنظرة الشاملة على «فنون الاسلام» وعرج منها الى موضوعات خاصة نحو «التصوير في الاسلام عند الفرس» و «الفن الاسلامي في مصر» و «الصين وفنون الاسلام» و «تحف جديدة من الخزف الفاطمي» و «مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي». هذا الى جنب التفاته الى تشابك الفن الاسلامي والفن القبطي، من ذلك «بعض التأثيرات القبطية في التصوير الاسلامي». وفي كل هذه عرف المؤلف كيف يفيد من اطلاعه المحكم على الآثار الاسلامية في مختلف العصور ومن تحصيله الزاخر لما وصل اليه البحث الغربي في شأنها يتبعه وينهل منه ببصارة. يعينه على ذلك معرفته للفرنسية والانجليزية والالمانية من جهة، وتثبته في طرائق الاستقراء والعرض من جهة. ومن مناقبه أنه كان يعف عن التلصص والسطو فتركها للادعياء والفقراء ممن يلتقط وينتحل. كان راضياً بقدرته على بسط المعارف والآراء، شأن الاستاذ الذي جعل همه التوقيف والتثقيف. وولع الفقيد بالتاريخ حداه الى المساهمة في نشر «كتاب المغرب لابن سعيد» نشراً محكماً والى المشاركة في ترجمة «معجم الأنساب والأسرات

الحاكة في التاريخ الاسلامي » للمستشرق زامباور ، وله فيه تعليقات غاية في الدقة .

ولهذا العالم سعي جليل في خدمة المتاحف بمصر. فاني أشهد أنه لولا نشاطه ما كان لجامعة القاهرة معرض دائم للفنون الاسلامية ، ولولا همته ما كان المرض في دار الآثار الاسلامية ان يبلغ هذا المبلغ من الحسن ، وقد صنف لكل منها دليلا نفيسا .

بقي ان للزميل يداً عالية جميلة في تنشئة جيل وجيل من المقبلين على الفنون الاسلامية. وبعد أن خرّج وأرشد في القاهرة مشكوراً مرة ومرة غير مشكور، قصد الى بغداد ، ففتح هنالك افقاً بهيّاً جال فيه عشاق الفن الشرقي . ولسنة مضت عاد في الصيف الينا فانكب على تصنيف « أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية » . وما كف عن الكد حتى أتمه. وكم مرة نصحت له ان يهوّن على نفسه وأن يستجم ، ولكنه أصر على ان يقدّم الى طلابه في بغداد العزيزة ثمار تحقيقه . وَيحكَ يا زكي ، قدمتها ثماراً معطرة بآخر أنفاسك ، لما صرعك الكُباد ، هذا الداء الذي نفذ الى جوفك من باب الحسرة ، أجل ، ظلموك في بلدك وتنمر لك الحساد ونصبوا لك الفخ بعد الفخ .

رحمك الله يا زكي ، يا أخي ، وأبقى لك من بعدك زكاء فضلك .

سيرة زكي محمد حسن وآثاره

١ — التخرج

– الجامعة المصرية، القاهرة، ليسانس في الآداب، سنة ١٩٢٨ .
– مدرسة اللغات الشرقية، باريس، شهادة في الفارسية، ١٩٣٢ .
– جامعة باريس، دكتوراه الجامعة في الآداب (التاريخ الاسلامي)، ١٩٣٤ .
– مدرسة متحف اللوفر، شهادة في الفنون الاسلامية والاسيوية، ١٩٣٤ .

٢ — التدرب

– متحف برلين بارشاد المستشرق Ernst Kühnel سنة ١٩٣٤
– دار الآثار العربية بالقاهرة (الآن: متحف الفن الاسلامي)، بملازمة المستشرق Gaston Wiet مدير الدار حينئذ، ١٩٣٤ وما يليها .

٣ — التوظف

– أمين دار الآثار العربية، ديسمبر ١٩٣٤ – ديسمبر ١٩٣٩ .
– مدرس للتاريخ الاسلامي والفنون الاسلامية، جامعة فؤاد الاول، القاهرة، ديسمبر ١٩٣٩ – يوليو ١٩٤٢ . ثم أستاذ مساعد فيها، الى اكتوبر ١٩٤٦ . ثم استاذ الى ديسمبر ١٩٥٢ .
– عميد كلية الآداب، جامعة فؤاد الاول، اكتوبر ١٩٤٨ – اكتوبر ١٩٥١ .
– مدير متحف الفن الاسلامي، القاهرة، مارس ١٩٥١ — ديسمبر ١٩٥٢ .
– رئيس قسم الآثار والحضارة في كلية الآداب والعلوم، بغداد، اول اكتوبر ١٩٥٣ – ٣١ مارس ١٩٥٧ .

٤ — النشاط

– رسول الى مؤتمرات للآثار الشرقية .
– عضو في جملة جمعيات مصرية تعنى بالفنون، مثل «لجنة حفظ الآثار» (الآن: ادرجت في «مصلحة الآثار») و «جمعية الآثار القبطية» و «جمعية محبي الفنون الجميلة» و «جمعية الدراسات التاريخية» .

٥ — المؤلفات

ا – الكتب

١ – بالانجليزية: — *Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages*, Cairo 1937 (16 pp., 11 pl.)
— *Moslem Art, in the Fouad I University Museum*. 1, Cairo 1950 (XI pp., 115 pl.).

٢ – بالفرنسية :

— Les Tulunides, étude de l'Egypte musulmane à la fin du IXe siècle, Paris 1934 (340 pp., 16 pl.). Compte rendu : Hartmann, *OLZ*, 8-9 (1936), p. 543.

٣ – بالعربية :

— « الفن الاسلامي في مصر » القاهرة ١٩٣٥ (١٣٣ ص ، ٣٧ لوحاً » .

نقد : بشر فارس ، مجلة المقتطف ، مارس ١٩٣٦ ، ص ٤١٨ — ٤٢٠

— « التصوير في الاسلام عند الفرس » القاهرة ١٩٣٦ (٨٦ ص ، ٥٤ ل . نُقل هذا الكتاب الى الفارسية ، طهران ١٩٤٩ . .

— « كنوز الفاطميين » القاهرة ١٩٣٧ (٢٩٢ ص ، ٦٤ ل) .

نقد : Kahle, *ZDMG*, 92 (1938), p. 299, Kühnel, *Ars Islamica*, VI, p. 184-185 ;

— « في الفنون الاسلامية » القاهرة ١٩٣٨ (١٠٨ ص ، ٥٠ ل) .

— « الفنون الايرانية في العصر الاسلامي » القاهرة ١٩٤٠ (٣٦١ ص ، ١٨٠ ل) . طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٤٦ ٤٠٦ ص ، ١٦٠ ل) .

نقد : Mayer, *Ars Islamica*, XV-XVI, p. 213-214 ;
M. Mostafa, *Bull. Soc. Arch. Copte*, VI, p. 263-274.

نقل هذا الكتاب الى الفارسية ، طهران ١٩٤٦

— « الصين وفنون الاسلام » القاهرة ١٩٣٨ (٨٤ ص ، ٣٢ ل) .

— « مصر والحضارة الاسلامية » القاهرة ١٩٤٣ (٤٠ ص) .

— « الرحالة المسلمون في العصور الوسطى » القاهرة ١٩٤٥ (١٩٢ ص) .

— « فنون الاسلام » القاهرة ١٩٤٨ (٧٦٠ ص ، ٥٨١ ل) .

— « أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية » (مطبوعات كلية العلوم والآداب ببغداد) القاهرة ١٩٥٦ (٥٦٨ ص ، ١٠٨٤ شكلاً) .

— كتُب تحت الانجاز وهي بين يدي كلية الآداب والعلوم ببغداد :

« أطلس العمارة » — « مناهج البحث التاريخي » — « دراسات مقارنة في كتابة التاريخ عند الغربيين والمسلمين في العصور الوسطى » .

ب المقالات :

١ – بالانجليزية :

— *The Attitude of Islam towards Painting*, *Bulletin of the Fac. of Arts*, F.I. Univ., july 1944, pp. 1-15.

— *Some Persian Lustre Ceramics, in Dr. Ali P. Ibrahim's Coll.* Ibidem, May 1947, pp. 63-98, 18 pl.

— *Moslem Egypt and Its Contribution to Islamic Civilization*, Ibidem, December 1949, pp. 115-137.

٢ – بالفرنسية :

— *Exposition d'art Copte, Bull. Soc. Arch. Copte*, 1945, p. 177-186, 7 pl.

— « *Cinquante ans de littérature égyptienne* » ou *Un livre bâclé. L'Egypte Nouvelle*, Le Caire 3e série, nº 462, 8 mai 1953, p. 370-373. Cité par B. Farès, *A propos du livre de Dermenghem : « les plus beaux textes arabes », Le Monde de l'Islam*, Leyde, III, 3-4 (1954), p.222, n. 2.

٣ – بالعربية :

— « بعض التأثيرات القبطية في الفنون الاسلامية » (مجلة جمعية محبي الفن القبطي، القاهرة ١٩٣٧ ، ج ٣ ، ص ٨٣–١٠٤ ، ٥ ل) .

— « من الكنوز الفنية في مصر : بستان سعدي في دار الكتب المصرية » (مجلة الثقافة القاهرة ، يناير ١٩٦٠ ، ص ٢٩–٣٣) .

— « السيرة النبوية في الفن الاسلامي » (مجلة المقتطف ، القاهرة ، مايو ١٩٦٠ ، ص ٤٨٨–٤٩١ ، ٥ ل) .

— « الصور والنقوش والتماثيل في الاضرحة والمساجد الايرانية » (مجلة الثقافة، القاهرة، سبتمبر ١٩٦٠ ، ص ٢٢–٢٥) .

— « شبابيك القلل » (مجلة الثقافة ، القاهرة ، فبراير ١٩٦١ ، ص ١٣–١٧ ، مارس ١٩٦١ ، ص ٢٨–٣٢) .

— « معرض السجاد التركي بدار الآثار العربية » (مجلة المقتطف ، القاهرة ، مارس ١٩٦٤ ، ص ٢٨٣–٢٩٢) .

— « حول وحدة الفن في عصور التاريخ المصري » (مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، القاهرة مايو ١٩٤٦ ، ص ١٣–٢٦ ، ١٤ ل) .

— « الكتاب في الفنون الاسلامية » (مجلة الكتاب ، القاهرة ، يونيو ١٩٤٦ ، ص ٢٥٥–٢٦٣) .

— « في معرض الآثار الاسلامية » (مجلة الكتاب ، القاهرة ، مارس ١٩٤٧ ، ص ٧٢٥ – ٧٣٤) .

— « المؤتمر الأول للآثار في البلاد العربية » (مجلة الكتاب ، القاهرة ، نوفمبر ١٩٤٧ ، ص ١٨٩١ – ١٩٠١) .

— « زخارف المنسوجات القبطية » (مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول، القاهرة، مايو ١٩٥٠ ، ص ٨٩–٩٦ ، ١٢ ل) .

— « دراسات في مناهج البحث والمراجع في التاريخ الاسلامي » (مجلة كلية الآداب

بجامعة فؤاد الاول ، مايو ١٩٥٠ ، ص ١٥٣–١٨٦ . بحث مستقى من : J. Sauvaget, *Introduction à l'histoire de l'Orient Musulman (Éléments de bibliographie).* Paris, 1946.

— « رسوم الحيوان والطير في التصوير الهندي الاسلامي » (مجلة صوت الفن، القاهرة، مايو ١٩٥٠ ، ص ١١–١٤) .

— « تحف جديدة من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني » (مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص ٩١–١١٠ ، ١٦ ل) .

— « خمسون عاماً من الادب المصري » (جريدة الزمان ، القاهرة ٣ يونيو ١٩٥٣ — نقد لاذع يحق لكتاب هزيل وضعه بالفرنسية رهط من الكتاب في مصر ، عنوانه : *Cinquante ans de littérature égyptienne.*

— « مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي » (مجلة سومر ، بغداد ١٩٥٥ ، مجلد ١١ ، ج ١ ، ص ٣–٣٤ ، ١٦ ل) .

نقد : بشر فارس ، مجلة المشرق ، بيروت، ١٩٥٥ ، السنة ٤٩ ، ج ٤ و ٥ ، ص ٥٨٤–٥٨٨

— هناك مقالات أخرى أقل من تلك شأناً .

ج – المؤلفات المشتركة وهي بالعربية :

— « في مصر الاسلامية » اخرجه مع عبد الرحمن زكي، القاهرة ١٩٣٧ (١٦٨ ص، ٢١ ل)

— « نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية » ، أخرجه مع نفر من العلماء ، القاهرة ١٩٣٨ (فصل التصوير ، ص ١–٢٨ ، ١٦ ل) .

— « التصوير عند العرب » تأليف أحمد تيمور ، أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات ، القاهرة ١٩٤٢ (٣٢٤ ص، ٥٢ شكلاً) .

نقد : بشر فارس ، مجلة المقتطف ، القاهرة ، يوليو ١٩٤٣ ، ص ٢٠٧–٢٠٨ ، مصطفى جواد ، مجلة الثقافة ، القاهرة ، ١٠ اكتوبر ١٩٤٦ ، ص ١٤–١٧ .

— « دليل متحف الفن الاسلامي » أخرجه مع معاونيه في المتحف ، القاهرة ١٩٥٢ (١٦٨ ص ، ١٩ ل) .

— « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد (الجزء الاول من القسم الخاص بمصر) ، قدم له ونشره مع سيدة كاشف وشوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٣ (٤١٩ ص) .

د – الكتب المترجمة :

— « تراث الاسلام » القاهرة ١٩٣٦ (فصل التصوير ، الجزء ٣ ، ١٨٠ ص) . من الانجليزية : *The Legacy of Islam.*

— « مذكرات نائب في الارياف » لتوفيق الحكيم ، القاهرة ١٩٣٨ (١٦٩ ص) مع G. Wiet. الى الفرنسية : *Journal d'un substitut de campagne*

— « دليل موجز لمعروضات دار الآثار العربية » للمستشرق G. Wiet ، القاهرة ١٩٣٩ (١١٥ ص ، ٢٨ ل) .

من الفرنسية : *Guide sommaire*

— « معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي » للمستشرق E. de Zambaur، القاهرة ١٩٥١–١٩٥٢ (٣٤٥ ص) من الفرنسية مع حسن محمود : *Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam.*

٥ – المشاركات في موسوعات :

— « الجدول المسلسل للرقوم العربية » سنة ١٩٣١ وما يليها :

Répertoire chronologique d'épigraphie arabe, publié par Combe, Sauvaget et Wiet, Le Caire, IFAO, 1931 et suiv.

— « الثبت السنوي للآثار والفنون الاسلامية » ١٩٣٥–١٩٣٧ :

Annual Bibliography of Islamic Art and Archaeology, edited by Mayer (1935-1937).

— « دائرة المعارف الاسلامية » طبعة ثانية جارية ، ١٩٥٦ وما يليها . الجزء الاول ، مقال : « أحمد بن طولون » .

لعل سعي زكي حسن أن يكون عبرة لمن يعتبر في هذا الشرق العربي المستخف بأصول الثقافة وهم جندها .

بشر فارس

INSCRIPTIONS THAMOUDÉENNES DE L'EGYPTE

par le Père A. VAN DEN BRANDEN

Les graffites commentés sous ce titre proviennent de la Haute-Égypte. Les numéros 1 à 3 ont été copiés durant l'hiver de 1897-1898 par F.W.GREEN dans le *Wadi Hamâmat*, les numéros 4 à 6 ont été relevés en 1902 par le même explorateur à *Bir Menih*, dans les environs d'*El Kab*. C'est à travers ces régions que passaient les routes commerciales qui reliaient les ports maritimes de la Mer Rouge à la vallée du Nil. Comme on le voit, ces graffites font partie de deux collections différentes de textes. La première contient, outre les trois graffites thamoudéens, un grand nombre d'inscriptions nabatéennes et quelques graffites grecs. La seconde est constituée par de nombreux textes égyptiens, trois graffites thamoudéens, une inscription minéenne et quelques textes grecs. L'ensemble de ces textes a été publié dans *Proceedings of the Society of Archeology*, XXXI (1909), p. 247-254 et p. 319-322 sous le titre: F. W. GREEN, *Notes on some Inscriptions in the Etbai District*.

Le texte minéen, en parfait état de conservation, a été traduit et commenté par le professeur G. Ryckmans de l'Université de Louvain dans *Le Répertoire d'Epigraphie Sémitique*, n. 3571. Pour autant que nous sachions, les textes thamoudéens n'ont jamais été interprétés jusqu'à présent. Vu leur emplacement géographique, ces inscriptions sont probablement tracées par des caravaniers thamoudéens provenant de Midian et qui entretenaient un trafic commercial avec l'Égypte. Les dessins des bateaux qu'on trouve parmi les textes suggèrent que les caravaniers traversaient d'abord la Mer Rouge pour s'engager ensuite sur la route commerciale qui aboutissait aux centres d'embarquement du Nil.

Paléographiquement ces inscriptions appartiennent au premier courant de l'écriture thamoudéenne à l'exception du n. 3 qui semble être du second courant. Voir nos *Inscriptions thamoudéennes*, Louvain, 1950, pl. I. A cause de la présence de ce texte du second

courant, ces inscriptions peuvent être datées d'entre le premier et le second siècle de notre ère.

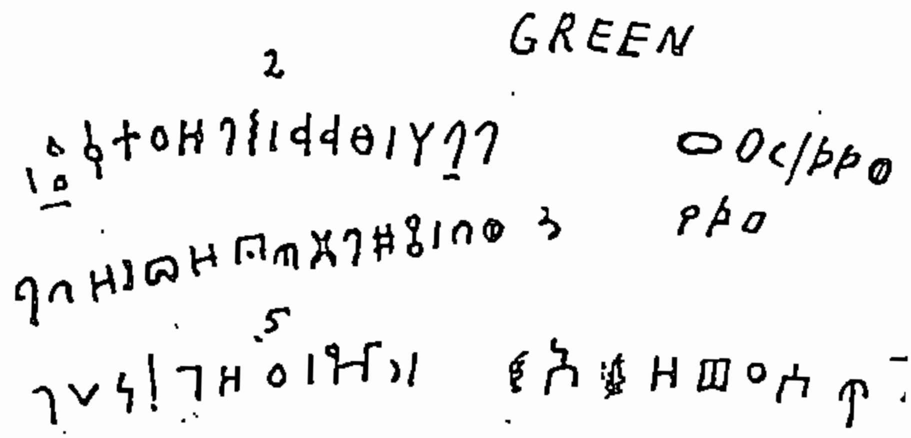

En voici l'interprétation :

1 — Green, Notes, p. 319, planche LI, n. 11.

wdd / rgm	Salut de Rugm
'dy	l' 'Adite.

Commentaire :

Ce petit texte est une salutation qui nous livre le nom de l'auteur et le nom de la tribu à laquelle il appartient. — *wdd*, correspond à l'arabe ودّ . Ce mot figure dans de nombreuses inscriptions thamoudéennes provenant de toutes les régions de l'Arabie septentrionale et centrale. Voir nos *Inscriptions thamoudéennes*, p. 44; — *rgm* est connu comme un nom de lieu dans l'Arabie du sud, cf. Ryckmans, G., *Les noms propres sud-sémitiques*, vol. I, Louvain, 1934, p. 368. Ici *rgm* est un nom propre d'homme. En tant que nom propre d'homme il est encore actuellement connu en Algérie, cf. Gouvernement General d'Algerie, *Vocabulaire destiné à fixer la transcription en français des noms indigènes*, Alger, 1891, p. 321 les noms رجيم et رجة — *'dy*, le *y* final prouve que *'dy* est un nom gentilice. *Rgm* appartient à la tribu de 'Ad. Il s'agit de la fameuse tribu de 'Ad dont parle le Qoran et qui est toujours mentionnée ensemble avec Thamoud. 'Ad était une branche de Thamoud. Cette tribu était déjà mentionnée dans les textes de *Qarina* que nous avons publié dans la revue *Assanabil*, 1957, p. 41-48.

2 — Green, Notes, planche LII, n. 12.

lhn wdd nsl d̲ʿtq Par Lahn. Il salue Nasl d̲û-ʿAtiq.

Commentaire :

Ce texte est également une salutation. Le nom de l'auteur et celui du destinataire sont mentionnés cette fois-ci. L'inscription se trouve à côté d'un cavalier à chameau. Les derniers signes constituent le wasm de l'auteur ou de sa tribu. — *lhn*, est un nom connu, voir nos *Inscriptions thamoudéennes*, HU. 456, p. 215; — *nsl*, est également connu comme nom propre, cf. nos *Inscriptions thamoudéennes*, HU. 56, p. 61; — *d̲* indique ici l'appartenance à une tribu. La tribu s'appelle *ʿtq* et est un nom ethnique nouveau. On le connaissait déjà comme nom propre d'homme, voir nos *Textes thamoudéens de Philby*, vol. I, Louvain, 1956, 168 (n), p. 103.

3 — Green, Notes, planche LII, n. 12 bis.

wbn t̲t̲lt ḥb d̲mr d̲bl

Et est resté (ici) T̲at̲t̲ʾ ilat. Il aime D̲amir d̲û-Ball.

Commentaire :

Il s'agit d'un texte d'amour. Un certain T̲at̲t̲ʾ ilat proclame son affection pour D̲amir du clan de Ball, et l'attendait dans l'endroit où cette inscription était gravée. — *bn* correspond à l'arabe بن . Le mot se rencontre à plusieurs reprises dans l'épigraphie thamoudéenne, voir nos *Inscriptions*, HU. 234, p. 129; — *t̲t̲lt* est un nom théophore et signifie: 'Ilat a peu de poils aux sourcils». '*Ilat* est le nom d'une divinité, cf. nos *Inscriptions*, p. 11 et le mot *t̲t̲* correspond à l'arabe ثط . Ce verbe se rencontre aussi comme nom propre d'homme, cf. nos *Textes thamoudéens de Philby*, vol. II, n. 268 (c), p. 28. Le nom *t̲t̲lt* fait probablement allusion à la représentation de la divinité, voir nos *Textes thamoudéens de Philby*, vol. II, p. XXIII-XXIV ; — *ḥb*, correspond à l'arabe حب , verbe fréquemment employé en thamoudéen, cf. HU. 138 de nos *Inscriptions*, p. 93; — *d̲mr* est un nom propre connu dans le nord, cf. Harding, G. Lankester, *Some Thamudic Inscriptions from the Hashmite Kingdom of the Jordan*, Leiden, 1952, n. 173; — *bl*, se présente pour la première fois comme nom ethnique. Comme nom de personne il est très fréquent en thamoudéen, cf. nos *Inscriptions*, HU. 35, p. 56.

4 — Green, Notes, p. 254, planche XXXVI, n. 27.

lys' wd(r)'(l) Par Yasi' et Ḏara'il

Commentaire :

Simple graffite qui ne contient que deux noms propres. Ce texte est considéré comme indéchiffrable par le *Répertoire d'Epigraphie sémitique*, n. 3572. Le premier nom est assez bien détérioré par quelques éraflures, mais les signes effacés semblent facilement restituables. — *ys'* correspond au nom hadramoutique *yś'm*, voir Ryckmans 437, 2 dans *Le Muséon*, LXII (1949), p. 120. D'après Ryckmans *yś'm* serait la forme hadramoutique du nom *yṯ'm* des autres dialectes sud-arabes. Le nom يسع est connu en Algérie, cf. *Vocabulaire*, p. 375; — *ḏr'l*, nous avons restitué le *r* et le *l*. Ce nom est assez fréquent en thamoudéen, cf. nos *Inscriptions*, HU. 250, p. 134.

5 — Green, Notes, p. 254, planche XXXVI, n. 27 bis.

lrkyn 'ḏl | n(h)l

Par Rukayn, (clan de) 'Aḏil. Il a étanché sa soif (ici).

Commentaire :

Un certain Rukayn appartenant au clan de 'Aḏil a marqué de son nom l'endroit où il a étanché sa soif. — *rkyn* est un nom nouveau. Il semble être le dimunitif de ركن , «rat, souris». Le *k* et le *y* sont ligaturés de sorte qu'ils ne forment qu'un seul signe. On connait les noms arabes: راكن et راكة , cf. *Vocabulaire*, p. 324; — *'ḏl*, est connu comme nom ethnique en safaïtique, voir *Corpus Inscriptionum semiticarum*, vol. V, n.66 et n.305. L'auteur du texte a omis le *ḏ* d'appartenance, procédé fort connu en thamoudéen, cf. nos *Textes thamoudéens de Philby*, vol. II, p. XII; — *nhl* correspond à l'arabe نهل , «étancher sa soif». La barre descendante du *h* manque sur la copie.

6 — Green, Notes, p. 254, planche XXXVI, n. 28.

nhb Nâhib.

Commentaire :

Ce nom propre est rendu par un monogramme. D'après le *Répertoire d'Epigraphie sémitique*, n. 3573 il s'agirait d'une marque de carrier. Le nom *nhb* existe en safaïtique, voir *Corpus inscriptionum semiticarum*, vol. V, n. 111.

Beyrouth, octobre 1957 A. van den Branden.

تعريف عن الكتب

Georges Didier — *Désintéressement du Chrétien. La rétribution dans la morale de saint Paul.* (Coll. « Théologie »). In-8°, 254 pp., Paris, Aubier, 1955.

بحث نافذ ودقيق دون افراط في التعاليم الروحيـة وعلم النفس وتفسير الكتاب المقدس خصوصاً كما يدل على ذلك العنوان الثاني .

المؤلف يدرس فيه مشكل الحب كما تكلم عنـه في جداله الموجز الاب روسلو وكما اتفقوا منذ نفرين على تسميته « éros » و « agapé » : هل هو جوهري للحب ان يكون توقاً الى المحبوب والبحث عنه او هو اعطاء الذات للمحبوب .

يضع المؤلف المشكلة في موقعها ويعرضها في مقدمة طويلة . اعمال كافر بالله عصريّ وبالاحرى حياته المضحاة دون ادنى رجاء في الابدية وذلك لانتصار « القضية » تعطي المسألة حالية مؤثرة . هذا الحلّ للمشكلة « حلّ بالمستحيل » ازاءه لا يتردّد اصحابنا الوجوديون .

خاتمة طويلة تعرض علينا الحل المسيحي . الاب ديديه دون التخلي عن المبادئ المنطقية التي لا تقبل ميل لا ينفتش على ما هو له الخير (فالخير : هو ما يتمنيه الجميع) خير صاحب الميل نفسه؟ يبيّن كيف يمكن ان يتفق ميلا حب واحد عينه حيث ان موضوع الشوق والاكليل المطلوب والسعادة المبتغاة ليست الا المسيح يسوع الذي لا يزال حاضراً في النفس التي تفتش عليه ومذ ذاك ترضى بان لا تحب الا فيه ومعه ان تحب الآب وحده والنفوس لتعطيها للآب . اذ يجعلنا الروح القدس ابناء بالذخيرة الا يشركنا بعين حب الابن الوحيد وخاصيّة الابن كلها وكل كونه الشخصي الّيس يكون « الى الآب » فهو اذن لا يقدر ان يحب نفسه الا في الآب بحبته للآب .

هذا ما يمكننا بالتعمق في البحث اكتشافـه في تعاليم الرسول وفي نفس الرسول .

المؤلف في سياق الفصول الاحد عشر يتصفح تابعاً كل الرسائل ليقف فيها

على كل ما يستطيع ان يشهد بالسمي في تحصيل المكافأة : « أنسى ما ورائي وامتد الى ما أمامي فأسعى نحو الامر لاجل جعالة ... » (فيلبي ٣:١٣) او بالعكس عدم الاغراض التام : « ولقد وددت ان اكون انا نفسي مبسلًا عن المسيح من اجل اخوتي ذوي قرابتي بحسب الجسد » (رومية ٩:٣) كل من النصوص قد فحص بتدقيق وخصوصاً قد وضع في النصوص المجاورة له وفي المرمى الذي اليه ينظر بولس الرسول .

يظهر لنا باننا نقدر ان نوجز الخاتمة كما يلي : — الرسول لا فقط لا يطلب التخلي عن المكافأة لكنه في الوقت الموافق يُقرّها ضد القنوط . لكن لهذه الدعوات الى المكافأة مواقع قليلة في ارشاداته . فهو نفسه وان لم يرفض المكافأة قط ، فلا يضع سعادته القصوى الا في المسيح وحده : « ان اكون مع المسيح فذلك افضل بكثير » (فيلبي ١:٢٣) بناء عليه لا يحسب بولس شيء حساباً الا ان يحيا للمسيح وفي المسيح منذ الحياة على الارض » . حياة المسيح الذي يحيا فيه وبه تسعى في اثر النفوس التي يريد ان يكسبها للآب : وفي هذا منذ الآن سعادة بولس الحقيقية .

كتاب جميل يفتح للاهوتيين وللفلاسفة آفاقاً واسعة قيّمة وانه يفرض اعتباره على مفسري الكتاب المقدس بمؤلفه الخالصة للقديس بولس وبمعرفته الواسعة لتأويل الرسول ورزانة فحوصه للنصوص واختياره الرصين للترجمات .

ر. دُ لانفرسان اليسوعي

Jacques-Albert Cuttat — *La rencontre des Religions* avec une étude sur *la spiritualité de l'Orient Chrétien* — Collec. «Les religions», 12 — In-16, 200 pp. Paris, Aubier 1957.

كتاب جميل لفيلسوف مسيحي قاده اختلاف الاديان التي اقتسمت العالم الى التعمق في ايمانه والى التأكيد بانه يوجد في الاديان الاخرى دعوات مختلفة غير مقضيّة للنفس الانسانية الى الجواب الوحيد جواب الاله الواحد في ابنه يسوع المسيح وهذه الدعوات ليست قط معادلة .

يقتضي احياناً كثيرة للقارئ العادي الاعتماد على علم المؤلف فيما يخص ديانة بوذا وديانة البراهمة وقد يحدث ايضاً انه يجد صعوبة باتباع المؤلف في استنتاجاته لكن من حين الى حين صفحة تامة الوضوح او عبارة جلية تسهل له الطريق .

نحاول الآن ولو تعرضنا لايجاز بسيط إبانـة سير الجزء الاول « التقاء الديانات » .

اتجاهان دينيان يقتسمان العالم : الاتجاه الشرقي الذي يقول بلاهوت غير شخصي : بان الانسان الدَّين يسمى بالتفكر الباطني الى التواري في المطلق الالهي . —والاتجاه الغربي الذي يسمونه موحِّداً لكنه يقتضي التمنق فيه تعريفه كديانة آله شخصي ليس العالم اظهاراً له ولا انبثاقاً منه بل صنيعته الاختيارية وان التاريخ في مرور الازمنة يحقق نواياه الازلية .

بين الاتجاهين هل يمكن ان نقيم محاورة .

نعم لكن من جهة واحدة فقط فان اتجاه ما وراء الطبيعة لا يمكنه ضمّ التوحيد اليه دون ان ينزع عنه عنصريه الجوهريين : التفوق (transcendance) الشخصي والمجانية (gratuité) . اما الموحِّد فيقدر ان يضم اليه المطلق المتجاوز الطبيعة دون ان يفقد بذلك شيئاً من قيمته الحقيقية الصحيحة .

يعتقد المؤلف بانه لاحظ تدريجياً في نمو شتى اديان الهند اتجاهاً ونوعاً ما مناجاة للآله الشخصي عند اول انتشار الديانة المسيحية : « السريرة القصوى تناجي التفوق التوحيدي » . لا يعرف الانسان معرفة حقّة نفسه « هو » الا بمواجهته آخر « انت » وعندما يكون هذا الآخر شخص المسيح الآلهي—الانساني يتخذ الايمان هيئة ويحصل على سعة لا يمكن تصورهما خارجاً عن الديانة المسيحية . يضحي الايمان قوة بها في رجل آخر يبصر الحقيقة التي يراها الله ثم—في الحدود المعيّنة للخليقة — الله ذاته كما يرى هو نفسه » .

ان الادعاء بالحكم في الديانة حسب آراء بشرية هو عدم ادراك تام لما هي وكذلك تنسيق تاريخ الاديان بحسب هذه الاراء او اعتبارها كتنوعات كشعور ديني واحد .

من جهة اخرى ان من سمع مرة الله يكلمنا بابنه واحسّ بأي اعماق هذا الصوت يجد صداه فينا يقدر ان يدرك في تخيّلات العامة وخصوصاً في جهود النفس الروحانية دعوات ثابتة من الانسان الى الله .

نرى انه لا بد من بعض التحفظ فيما يخص الجزء الثاني الذي لم يكن اولاً الكتاب على ما يظهر لنا الا ملحقاً . لا يخلو هذا الجزء من آراء مغرية لكنها

قد تكون احياناً حاذقة اكثر مما هي صائبة . العنوان هو : طريقة التأمل (hésychasme) ومداها في تخوم الشرق والغرب .

« هذه الطريقة — يكتب المؤلف — التي اخذت شكلها في جبل أثوس والتي اعطت كنيسة الشرق هيئتها الخاصة تكون جوهرياً احلال العقل في القلب لادخال اسم يسوع فيه بواسطة ابتهال موازن للتنفس يحتوي هذا الاسم .

الادعاء هذا بانه بواسطة الطريقة المذكورة تجد النفس الراحة التامة بالتأمل في النور غير المخلوق هل يمثل بالحقيقة الحياة الروحية بموجب اعتقاد الكنيسة الشرقية أليس في هذه الكنيسة عينها الا رأياً خصوصياً لا يزال مريباً. على كل حال هل يمكن ان نرى تهيئة الحياة الروحية غير الشخصية لديانة الآله الحي في تعاليم غريغوريوس بلاماس وهو الاهم بين الذين اثبتوا « l'hésychasme » والذي يعتبر النور غير المخلوق حقيقة متميزة من جوهر الله وبالتالي من الآله الشخصي الذي لا يدركه في ذاته لا فقط الروحاني في تأمله الكن ولا الطوباويون انفسهم. يظهر بان المؤلف استدرك الاعتراض وحاول الجواب عليه في ملاحظة قصيرة (ص ١٣٤) : « قد يكون التمييز حقيقياً لنا دون ان يكون له (الله) » هل يرضي يا ترى (l'hésychasme) الاصلي بهذا الجواب . نترك لذوي العلم البت في ذلك .

مهما كانت الحال سوف يجد دائماً فائدة ولذة عقلية قراء هذا البحث المتعمق الجزيل الايجاء .

ف. ده ل.

Code Oriental de Procédure Ecclésiastique: — Traduction annotée par F. Galtier s. j. In-8°, 582 pp. Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1951.

الاب ف. غالتيه الذي كان قد نشر منذ سنة ١٩٥٠ تأويل الحق القانوني الشرقي للزواج (motu proprio *Crebrae allatae* ٢٢ شباط ١٩٤٩) ثم بعد الاعلان الرسمي في ٦ كانون الثاني جزء الحق القانوني الشرقي المختص باسلوب الدعاوي الكنسي (Motu proprio *Sollicitudinem nostram*) عاد الى العمل فالف للدارسين كتاباً جديداً في الحق القانوني وقد ظهر هذا الكتاب عند نهاية ١٩٥١ وهو يتميز كالاول بوضوحه ونظامه ودقته . لا شك بان هذا الكتاب ضروري للقضاة الكنسيين في البلاد الشرقية لكنه ايضاً نافع للعلماء بالقوانين

اللاتين فان المؤلف وضع فيه – مثلما فعل في كتابه عن الزواج – شبه درس مقابل للحق القانوني حيث يعارض النصوص التشريعية الشرقية بالقوانين التي تقابلها في « مجموعة الحق القانوني ».

الاختلافات عديدة كما يبينه الملحق (نبرة ١) : في ١٢٦ قانون يختلف « المحرَّر » فان التصنيف في الحق القانوني الشرقي قد استعمل غالباً احكام المجامع واجوبة لجنة تأويل الحق القانوني (مثلاً : القانون ٤٧٨ من الحق القانوني الشرقي المختص باسلوب الدعاوي يقابل القانون ١٩٧١ من مجموعة الحق القانوني بخصوص حق الشكوى على الزواج) . يوجد في الحق القانوني الجديد ١١٦ قانون لا مقابل لها في مجموعة الحق القانوني. مثلاً: القانون ١٧ بخصوص الدعاوي المحفوظة للمجمع الدائم والقانون ١٩ بخصوص الدعاوي المحفوظة للديوان البطريركي . . . ولا سيما النظام الذي اتخذه الحق القانوني الشرقي هو افضل منطقياً من نظام الكتاب الرابع من مجموعة الحق القانوني وهو يتركب من ثلاثة اجزاء : المبادئ العمومية — الدعاوي الجدلية — الدعاوي الجنائية . وبخصوص الدعاوي الجدلية يميّز بوضوح الاسلوب اما المحكمة « collegial » والاسلوب امام الحاكم الوحيد . . . هذه الملاحظات تكفي لتبيّن بان لطبا. القانون اللاتين فائدة في درس الحق القانوني الشرقي المختص باسلوب الدعاوي فانه من الآن فصاعداً يمكن النظر الى ما يكون يوماً تصميم اصلاح جزئي للحق القانوني الخاص بالكنيسة الغربية : نظام جديد اكمل منطقياً و «محررات» مغيّرة او مكمّلة ومراسيم جديدة .

رغبةً في الوضوح والاختصار امتنع المؤلف عادةً من الدخول في بحوث تاريخية ومجادلة الآراء المختلف عليها. قائمة الكتب في اليد. تبين بانه قد طالع باهتمام كل التآويل الكبيرة للكتاب الرابع من مجموعة الحق القانوني. وان سعة اطلاع المؤلف هذه لا تضر قط بالوضوح .

نعرف بان شريعة الاحوال الشخصية في الشرق الادنى قد وسّعت كثيراً حقوق المحاكم الكنسية (خصوصاً في لبنان منذ قانون ٢ نيسان ١٩٥١ : نجدها في الملحق الثاني) لذلك فمعرفة الاسلوب الكنسي هي اكثر ضرورة للقانوني حتى وللحاكم نفسه . كتاب الاب غالتير هو جزيل المنفعة للشرقيين وهو يبيّن

لكل علماء القانون ولو كانوا من اللاتين التحسينات الجوهرية التي طرأت على الحق القانوني الغربي لسنة ١٩١٧ .

ا. غ. اليسوعي

Recueil Cardinal Eugène Tisserant. « *Ab Oriente et Occidente* ». Publié par Sever Pop, avec la collaboration de G. Levi della Vida, G. Garritte et Mgr O. Barlea. (Travaux publiés par le Centre intern. de dialectologie générale). Gr. in-8°, Tome I, pp. XXIII-341; Tome II, pp. 344-818 ; 48 pl. h.t. Louvain, 1955.

كتاب تاريخ وهو ايضاً اقرار بالجميل من قبل « المنفيين » الذين حماهم الفاتيكان في ايام الشدة : هذا هو الكتاب . نشره سيفر بوب الذي « حملته عقيدته الكاثوليكية على ترك الجامعة التي كان يعلم فيها وبلاده » ؛ البحث في المقدمة عن « اعمال الكردينال تيسران العلمية » (ص ١–١١) هو بتوقيع ج. لڤي ديلا فيدا .

عن بعض الصفحات تقدر ان تقول بانها قصة حياة الكردينال وتاريخ عائلة من اقليم اللورين بين ١٨٨٠ و ١٩٥٠ . « يعدّون عادةً سكان اللورين بين الفرنسيين الخزمة وذوي سلطة » (ص ٧٢٦) ما يخبرنا به الكتاب هو كاف لفهم ايمان الاهل العميق وشهامتهم وقرائح الحبر العتيد وجهده الدائم . كل الجزء المعنون « درس ورسالات روحية » يعطينا بعد ذلك مشبداً من هذه القابلية العجيبة للمرونة التي تنتقل من الكيمياء الى العلوم الآثورية وجملة من اللغات الشرقية : خطوات جازمة توجه هذا الطريق الى الهدف : سنة ١٩١٣ اختياره منصب « محرر » في مكتبة الفاتيكان (مفضلاً اياه على كرسي مدرس في الكلية الكاثوليكية في باريس) ثم دعوته الى وكالة ادارة المكتبة المذكورة سنة ١٩٣٠ ثم المقام الكردينالي ١٩٣٦ . ومنذ اذ ذاك مهام الكنيسة الجامعة العديدة حلت البحوث العلمية . لن يكون اوجين تيسران المستشرق المنتظر الذي لا نديد له . لكن « تصانيفه العلمية كما هي تبقى مبهة بقيمتها وغزارتها . وهو يعمله هذا كله يخدم كنيسة المسيح

من هذه التصانيف احتفظوا في هذين الجزئين بعد قائمة اهم نشرات الكردينال بمجموعتين فريدتين بجدارتها ونافعتين للغاية وهما المقالاتان العظيمتان في « قاموس اللاهوت الكاثوليكي » (Dictionnaire de théologie catholique) موضوعاهما : « الكنيسة النسطورية » و « الكنيسة السريانية — الملبارية » .

لم يكن ممكناً ترك محل لقائمة المخطوطات الشرقية التي كانت من اختصاصات « محرز » الفاتيكان لكن تنظيم هذه المكتبة هو موضوع فصل كامل « حسن نظام المكاتب » (bibliothéconomie) . « موهبة اللغات » يشهد بها البحث في « القطع السريانية من كتاب اليوبيلات » والمباحث « بخصوص ابي البركات ابن كبر » و « رسالة المهدي مرتضى الى البابا انشنيوس الرابع » ثم دروس اخرى احدث تحقق العنوان الآخر : « من الشرق والغرب » : « الديانة المسيحية في مصر » و « جيوفاني ي. نيومن ودخوله في الكنيسة الرومانية المقدسة » و « الديانة المسيحية والمدنية الغربية » ومقالة لم تطبع عن « القديس لويس ماري دي غيرنيون دي مونفور والمدرسة الشمية » ومقالة اخرى (نُشرت اولاً باسم مؤلفها عن « كاهن تقدمي ضحية السوفيات : غبريال كوستلنيك » . ثم اخيراً « المقدمات » . ومنها الاكثر تأثيراً المقدمة التي اعطيت للاب براون المحترم ل « مؤلفات الاب لاغرانج » .

اعمال الكردينال تيسران في المجامع الرومانية لم تدرس في هذا المقتطف لكن بقيامه بمهامه الرعائية منذ عشر سنين في ابرشية الاكبر رتبةً في المجمع المقدس وهي بورتو وسانتا روفينا يظهر لنا الكردينال يقظاً على ضروريات رعيته ودائماً « عاملاً » .

بين التصاوير (التي تزين الكتاب تناسباً مع اعمال الكردينال تيسران صورتان اثرت فينا بنوع خصوصي : الكنيسة الرومانية بالنمط البيزنطي مارميخائيل دوروا « d'Aurora » (تصوير الولايات المتحدة) وكاتدرائية دلا ستورتا وهي عزيزة على كل ابناء القديس اغناطيوس . د. م

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب

بقلم الدكتور اسد رستم

الجزء الثاني – بيروت دار المكشوف – ١٩٥٦ – ٢٤٦ صفحة، قطع كبير

لقد تكلمنا عن الجزء الاول من هذا المؤلف في هـذه المجلة عند ظهوره وأبنّا فحواه وحكمنا فيه واليوم نصف الجزء الثاني من هذا المؤلف الكبير . في خمسة فصول وبشيء من التسرّع يصف لنا المؤلف عظمة مملكة

وانحطاطها دون السكوت عن امر ما: الحياة العامة والسياسة والفنون والآداب والفلسفة واللاهوت واسباب الشقاق والدسائس والاعياد العديدة في حياة هذه المملكة . هذا كله يعرضه المؤلف ويدقق فيه ويحكم بالجفاء الذي تعرفه له كمؤرخ .

تكلمت عن تبرع المؤلف فاننا نرى في الكتاب قطعاً متتابعة وهي ملأى حوادث تتصل بعضها ببعض. فهذا يجعل الكتاب اشبه بالكتب المدرسية ومن خير كتب تاريخ علاقات المملكة البيزنطية مع العالم الاسلامي... كان بوسع المؤلف ان يطيل بحثه في هذه العلاقات خصوصاً واننا نجهل تاريخ شامل لهذه العلاقات فان كتب السيد كانار لا تبحث الا عن حقب من التاريخ الاسلامي.

اني امتنع عن اعطاء امثال اثباتاً لما قلته خوفاً من الاطالة .

لكني بما قدمته من ملاحظات لا اعني نقصاً في استقصاء الموضوع مع اني استغربت عدم ذكر المؤلف كتب بول جريرت. عجبت ايضاً لرؤيته يقابل احياناً آراء العلماء الشرقيين والعلماء الغربيين دون اعطائنا رأيه فيها .

نلاحظ ايضاً بان المؤلف رغماً عن عدم محاباته يظهر ميلاً جليباً بخصوص تاريخ الانشقاق الى تأييد بطاركة القسطنطينية ولوم احبار رومية . وقد اهمل ذكر اسم هؤلاء حتى الذين منهم اظهروا السماحة والمحبة مثل اوجين الرابع في مجمع فلورنسا . لذلك رأيي ان المؤلف لو تعرف الى بعض النصوص التاريخية الكاثوليكية لوجد فيها ما ساعده على تعديل انفعالاته اكثر مما فعل . اذكر بالخصوص كتاب الاب جوجي « الانشقاق البيزنطي » والنصوص التي رجع هذا اليها للبحث والتنقيب .

الاحظ ايضاً امراً قليل الاهمية بذاته لكنه جدير بالملاحظة: ضرورة ضبط كتابة الاسماء الاعجمية بالحروف العربية . اعطي مثلاً من الكتاب : يوحنا تزيميلس . تقرأ في الصفحة ٣١ (سمشيق) ثم في الصفحة ٤٥ (شمشقيق) وفي الصفحة ٣٣٠ (شمشيق) وفي هذه الصفحة عينها يرجعنا المؤلف الى (جيمسكي) والحال هذه الكلمة لا نجدها في حرف ج فننتقل الى حرف الياء الحرف الاول من اسمه الشخصي حيث نجد (جيمسكي) لا غير ... ذكرنا هذا للتصحيح في الطبعة القادمة .

ا. ع. خليفة اليسوعي

V. Monteil. — *Les Arabes* (collection « Que sais-je » ?.) In-16, 112 pp. 1 carte. Paris — Presses Universitaires de France, 1957.

القضية العربية ليست بسيطة الا في بيان نظريّ . بنوع جليّ مؤلف هذا البحث عيّز المشكلة السياسية (وهي موضوع بحثه) من المشكلتين المقترنتين بها : المشكلة العنصرية والمشكلة الدينية . يخصّص بحثه بالستين مليون من العرب والمستعربين الذين يعيشون في البلاد الواقعة بين مسقط وكازبلانكا . ثم عرّ الى الحالة الحاضرة كما هي اي نتيجة الحروب ثم الى تنافس الدول العظمى وتقدم البلاد الشرقية السريع. في سياق فصول (« الهلال الخصيب » وفلسطين ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر ومراكش والمغاربة) يتكلم عن الحوادث المهمة والشعوب الجديدة تتابعاً . في الخاتمة يوجه نظره الى « العروبة » وامكانيات وفرنسا .

الاستعلامات (تقويمات السكان الاخيرة) ووضوح العرض والاعتدال في الاحكام العامة هذا كله جدير بالثناء . لنقرأ مثلاً الصفحات التي فيها وصف مصر الخالدة والمتحركة او حالة « المغاربة » التي لا نعرفهم الا قليلاً لنفتش خلال الصفحات على المعلومات الخاصة بوضع الاسلام السياسي او الحقيقي: اينما اتجهنا في قراءتنا نجد مادة للتثقف والتفكر .

لربما كان الاوفق ان نسمي فلاحي سوريا والعراق « آراميين » أحرى من تسميتهم « نبطيين » (ص ٧ و ٤١) فهذا الاسم الاخير هو تاريخيًا اسم شعب صغير متجمع حول بيترا ويجهل كثيرون بانه « في مدة اجيال الاسلام الاولى كان العرب يسمون « نبطيين » الفلاحين المتكلمين باللغة الآرامية » (سوفاجه، مجلة سيريا ٢٦ سنة ١٩٤٩ ص ٣٤٤ نمرة ٤) . د.م.

P. Goubert, S. J. *Byzance avant l'Islam.* Tome second. *Byzance et l'Occident sous les successeurs de Justinien. I. Byzance et les Francs.* Gr. in-8°, 223 pp. 16 pl., h.t. 4 cartes. Paris. A. et J. Picard, 1956.

البازيلوس موريس وجهاده في اعادة عظمة امبراطورية يوستينيانوس والامراء الافرنج الذين اقتسموا « مملكة الافرنج » بعد موت كلوتير الاول سنة ٥٦١ . وملكات : خصوصاً برونهو ملكة اوستراسيا . والباباوان بيلاج الثاني والقديس

غريغوريوس اللذان بذلا وسعهما لقيام محالفة ضد اللومبارديين في ايتاليا وضد فيزيغو اسبانيا الآريين بين مملكة الافرنج المجددة » ومملكة موريس الرومية ».
ورؤساء اخر اقل اهمية : غونديفالد وساغريوس وروماتوس اكسرخوس وافتا : هؤلاء هم الممثلون الاكثر اهمية على مسرح العالم مدة الثلاثين سنة التي هي موضوع بحث الاب غوبرت في المجلد الثاني من «بيزنطية قبل الاسلام ».

مفاوضات شيلبريك وتيبير لاقامة معاهدة (٥٨٣ — ٥٨١) بين نوستريا واوستراژيا ضد محالفة غونتران اللومبادية — البورغوندية . ثم مخاطرة غونديفالد الذي اتى من بيزنطية مطالباً بحصته من ميراث كلوتير (٥٨٥—٥٨٢) واخيراً تفصيل حادث السفارة الاوستراژية سنة ٥٨٩ او ٥٩٠ : عن هذا كله تكلمنا فصول المجلد الثلاثة .

الفصول الاربعة (ص ٩٥—٢٠١) التي هي الجزء الثاني من المجلد تحتوي تحليلاً ادق من كل تحرير آخر في اللغة الفرنسية « للرسائل الاوستراژية » . مطبقاً الطريقة التي عرضها جورج ريفردي في بيان موضوعه « علاقات شيلدوبر الثاني مع بيزنطية » (Revue historique, t. 114, 1913. pp 61 —85) اي واضعاً كلا من القطع في « النصوص التاريخية التي نجدها عند المؤرخين المعاصرين » الاب غوبرت يعين تاريخ الثلاث وعشرين رسالة التي تبودلت بين بلاط مدينة متز وبلاط بيزنطية : — رسائل موريس الى شيلدبير الثاني ورسائل شيلدبير الى موريس والى بطريرك القسطنطينية — رسائل برونهو الى موريس وبرونهو الى اثناجيلد حفيده — رسائل شيلدبير الى اشخاص من وجوه بيزنطية—رسائل شيلدبير الى لورنسيوس « بطريرك » ميلان اللاجيء في جنوا منذ غارة اللومبارديين — رسائل الاكزارك روماتوس لملك اوستراژيا . ثم اربع بعثات (مع الرسائل المختصة بها) واقعة (ص ١٧١) بتاريخ سبق قليلاً سنة ٥٨٥ وسنة ٥٨٩ . يظهر بان البعثة الثالثة هي تبعة لواقعة سنة ٥٨٨ التي كان يريد شيلدبير تلافيها في حملته الاخيرة ضد اللومبارديين في ايتاليا (سنة ٥٩٠) .
« التعاضد الافرنجي — البيزنطي لم يعط الثمار المطلوبة . اخفقت القراة كالغزوات التي سبقتها » — وكذا اخفقت فعلاً كل محاولات عمل مشترك لابقاء الممتلكات البيزنطية في ايتاليا واسبانيا .

تشهد لسعة البحوث قائمة كتب واسعة في ختام الكتاب مع ان كل فصل يعطي ايضاً المصادر والمستندات الخاصة بموضوع البحث . العرض جليٌّ سريع ينتعش لمرأى وقائع العصر الفاجعة . تصاوير جميلة مختلفة تروح من مشاهد الخيانة والجور . ز.م.

Histoire des religions, publiée sous la direction de M. Brillant et R. Aigrain. Tome IV, *Les religions asianiques* (M. Rutten) ; *Palmyréniens... et Arabes du Nord* (J. Starcky) ; *La religion suméro-accadienne et la religion cananéenne* (L. Largement) ; *La religion sud-arabe préislamique* (A. Jamme) ; *La religion d'Israël* (G. Vincent). — In-8°, 384 pp. Paris, Bloud et Gay, 1957.

المجلد الرابع من تاريخ الديانات هذا — وقد اعطت مجلة « المشرق » تحليلاً عن الذي سبقه — يظهر كمشهد ينتقل من منظر أعمّ الى مناظر خصوصية محصورة. في نظام الطبع (وهو صوابي اكثر من السياق المبيّن على الغلاف) يتبع ملخص الديانات الآسيانية عرض الديانات السومرية — الاكادية ثم الكنعانيــة وديانات عرب الشمال وعرب الجنوب قبل الاسلام واخيرا ديانة اسرائيل . تأليف نثر فاخر قام به علماء مسيحيون مطلعون جيداً على ما اتت بـه الاكتشافات من ادلة جديدة .

اذا كنا باسم « الآسيانيين » نعني « سكان آسيا الادنى الاقدمين الذين لا ينتسبون لا الى مجموع الساميين ولا الى مجموع الاندو — اوروبيين بحصر المعنى» فبيان دياناتهم يمتد من السومريين الى الحثيين والى الميلاميين، وفي المجلد يأخذ ١١٧ صفحة بترقيم مارغريت روتن . مـا بين المصادر الدينية التي هي خصوصاً من زمان السلالة البابلية الاولى وعظمة مردوك — بيل يصعب ادراك الاشياء الجوهرية من اعتقادات السومريين وطقوسهم الدينية . يبدأ المؤلف بتحليل « الفكرة السومرية » (اهمية الاسم والكلام والغناء ورموز الاعداد والرتب الدينية) التي كانت شعوب ما بين النهرين مزمعــة ان تتمثل بها في مواقفها الدينية. ثم يتبع وصف هيكل جميع الالهة (Panthéon) ووصف الرتب الطقسية والتعبد والسحر اخيرًا بيان المشاكل الكبيرة التي تخص المصير النهائي للانسان بحسب السومريين، مع تأثيرهم على عبادات الحثيين وحوريي « ميتاني » والميلاميات يقترن تأثير الاندو — اوروبيين . هنا ليست الاختلافات عميقة الى

الثانية : « عند الآسيانيين يكرمون الزوج : « الاله السماوي المظم » (الـه الزوابع والامطار) والالـهة الارضية العظيمة (الـهة الخصب وكثرة النسل) وعند الاندو — اوروبيين يكرمون السما. أبا والارض اما. « الزواج المقدس » يختص برتب هؤلاء واولائك الدينية (ص ١١٥) .

القوم السومري — الاكادي حافظ على افعال تكريم الطبيعة التي كان يمارسها السومريون واضافوا اليها ممارسات الديانة النجمية : رتبها وسحرها وقصصها الدينية معروفة. المصادر « الكونية » والانسانية (anthropomorphique) (او النفسية « psychologique ») التي منها انبثقت هيئتها الالهية (Panthéon) يمكن تمييزها وكذلك اصل قصصها الدينية (mythique) .. هذا المجموع قد وصفه بعبارات دقيقة وصفاً تمثيلياً السيد م. ر. لارجمان .

هذا العالم نفسه يقابل هذه الديانة الناشئة المرتبكة بديانة بلاد كنعان الساذجة . اما ما كان مشتركاً بينها وبين الديانة البابلية فصدره عناصر سامية سبقت تَشَتُّتَ القبائل. انها تهتم خصوصاً بالـهة الاجواء التي توزع المطر والحياة وهي اكثر فظاظة واكثر كلفاً باللذات الشهوانية « هي بنوع خاص ديانة الساميين المتبدين وقد اصبحوا حضريين » (ص ١٩٨) — في هذا الموجز المختص بالكنعانيين (وسابقاً في الصفحات المعنونة: « النفوذ الاسياني في فينيقا ») نقدر ان نفتش عن مشهد للديانة الفينيقية بحسب نصوص راس شمرا — اوغاريت.

عرب الشمال وخصوصاً التدمريون والنبطيون اشتركوا في عبادة ايل التي نجدها في تدمر باسم « الـه » و « الله » . الالهان العظيمان بل وبعلشمين ينتسبان الى عنصري السكان الاصلين الآرامي والعربي . وهذا اختلاف الاصل عينه يظهر في سياق الآلهة الثانوية بينما تنظم فكرة « رب السماوات » تجعله « من اسمه مبارك للابد » . بهذه « المشاركة » عينها — التي في بلاد العرب تضيف الى عبادة الله عبادة آلهة عديدة — عدد من التدمريين — دون التخلي عن عبادة الآلهة التقليدية — « كانوا يظهرون معاً تعبداً جلياً للاله الواحد » (ص ٢٠٨) . « الحَرَمَ » هو الهيكل الخاص بالعرب البدو او المتبدين . « والحجر » (bétyle) موضوع تعبدهم الخاص .

عدد الآثار الكتابية العظيم التي قُرئت منذ سبعين سنة وقد وُجدت في

البلاد العربية الجنوبية هي بالنسبة حديثة العهد وصعب هو تمييز التي منها تبتت اشتراكها في القِدَم مع التي هي من الشمال : الاسماء التي يدخلها اسم ايل او إل هي آثار طبع شمش الذكر. لكن نخبة جميع الآلهة هو جدير بقوافل تسافر الليل تقودها النجوم وحضر يترقب السقي. وشعوب جنوب بلاد العرب الاربعة المنائيين واهل سبأ والقطبانيين واهل حضرموت يعبدون مثلثاً واحداً : الاله القمر الاله النجمي عشتر الذي — كاله « ابن » يفوق الله المظلم او بكونه « الاله » المعبود بين الجميع في الاصل — هو الاول في التقدمات للثلث (ص ٢٧٧) . اخيراً الالهة شمس . لا نقدر ان نتبع د. نيلسين في رأيه ان هذا المثلث يجمع كل الالهة التي تتعبد لها الديانة النجمية والعبادة الدائمة الانتفاع التي تثبتها لنا التقدمات (dédicaces) .

الفرق عجيب بين شتى انواع عبادة الآلهة التي تعرضها فصول المجلد الاولى وديانة اسرائيل. اننا لا نقدر ان نتبع نموها منذ الآباء الى ما بعد رجوع اليهود من المنفى ، المونسنيور أ. فنسان يحدد بوضوح ازمنتها (ابرهيم — موسى — الملوك — الانبياء) يقابلها تقدم قائمة الكتب المقدسة — وذلك في نظام التاريخ الشرقي القديم العمومي . عبادة الآله الواحد تبقى ثابتة — رغماً عن جاذبية الرتب الدينية الكنعانية — في درجة عالية لا تعادل بين كل ديانات تلك الازمنة فان تقوى اسرائيل مدى الاجيال قد الهمت المزامير كما نقدر ان نقرأها في الكتاب المقدس المطبوع في اورشليم .

لا يمكن ذكر كل ما اعطاه المؤلفون للآثار من تآويل شخصية هنا وهناك لكننا نذكر بخصوص النصوص مجادلات عديدة للاب جامّ المحترم (باستعمال المفرد للفظة proscynème ص ٣٠٣ . في اوغاريت لا يجوز اعتبار تاريخ كيريت وتاريخ دانيل كأحاديث . « انها تظهر بالاحرى كتاريخ قديم فيه تمدن ديني سجّل لتظاهرات آلهية . . . » (ر. لارجمان ص ١٩٨) في تقدمة لجيل رمّ نقدر ان نترجم « ديبجي » ب « الذي هو في غايا » واسمها اليوم « الجي » في مدخل بيترا « وقد يكون ايل او إله وقد يمثله في الاصل الآله الثمودي « ملك » (ج. ستاركي ص ٢١٤ و ٢٢٤) .

ر. م.

Studii biblici Franciscani. Liber Annuus, VI, 1955-1956. In-8°, 339 pp., 4 pl. dont une en couleurs, 32 fig. Jérusalem, apud Aedem Flagellationis, 1956.

هذا المؤلف الجميل يحتوي ولا بد بحوثاً في الكتاب المقدس لا شك انها سوف تجلب اليه انتباه المتخصصين بالعهد الجديد . نكتفي هنا بالتوقف عند الجزء الآثاري من النشرة ..

اخذ الاب د. بلدي المحترم عن مصادر عديدة مواد بحثه في « معابد القديس يوحنا المعمدان في الاراضي المقدسة ». ثم في « حفريات دير عند « الرب بكى » (Dominus flevit) يصف الاب ب. باغتي المحترم معبداً ذا حنية والمصلّى المتاخم لدير صغير كما اديرة مثله في الازمنة البيزنطية اربعة وعشرون فوق جبل الزيتون . الفسيفساء التي تمتد على ارض المصلّى تحتوي هذه التقدمة « بحب المسيح سمعان » وقد أوّلت جيداً . والمزمور ١٢٠ الآية ٨ وُجد على قطعة تقدمة (ص ٢٦٢ كتابة الصورة ١٢) . الى الاب باغتي المحترم ايضاً يعود الفضل بنسخ تصويرة « مائية » تمثل : هيراكليوس امبراطور وايلينا ملكة : على فسيفساء من الجيل الثاني عشر في القبر المقدس وكانت هذه الفسيفساء مفقودة منذ الجيل الثامن عشر .

الاب ج. لومباردي المحترم عُني بنشر كتابات الجابر لم تطبع بعد (في تخوم الاردن وسوريا : عرض بصرة) . ر.م.

Alexis Mallon S.J. — *Grammaire Copte, Bibliographie, Chrestomathie* et *Vocabulaire.* Quatrième édition revue par Michel Malinine, directeur d'Études à l'École Pratique des Hautes Études, 22/15 c.XX-220 pp. — Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1956.

كان كتاب الصرف والنحو القبطي للاب مالون بعد ظهوره الاول سنة ١٩٠٤ قد طُبع طبعتين اخريين . هذا دليل جليّ عن صفاته التي نجملها بالحقيقة كتاباً مدرسياً . ما عدا الصرف والنحو المشروحين شرحاً بسيطاً واضحاً يوافق تماماً لحاجة المبتدئين كان يحتوى قائمة كتب مهمة ومقتطفاً ومعجماً . موضوع الدرس هو اللهجة البحيرية ولكن يتبع التراماطيق والقطع الادبية تتمة تعطي معلومات ابتدائية فيما يخص اللهجات الاخرى من اللغة القبطية خصوصاً الصعيدية .

ميشال مالينين الذي كُلّف باعداد طبعة جديدة الرابعة لم يرَ مناسباً تغيير

الشرح القواماطيقي لئلا ينزع عن الكتاب سمة مؤلفه وشيئاً من خواصه التعليمية لكنه ليمكّن الدارسين من معرفة ما احرزته اليوم اللغات من التقدم عني بتكميل قائمة الكتب وتحسين تفصيل مواضيعها لكي يجعلها آلة سهلة جداً بيد الدارسين .

وقد زيد على المقتطف قطع من الكتاب المقدس وفي المعجم فُرّقت الكلمات اليونانية واللاتينية واسماء العلم ووضعت على حدة .

وهكذا كتاب الاب مالون بعد ان اهتم بتكميله طابعه الجديد يبقى جديراً بتقديم خدمات سنية . هذا ما نتمناه ونقدر ان نرجوه . ب . م .

R. Ruzicka. — *La question de l'existence du ġ dans les langues sémitiques en général et dans la langue ugaritienne en particulier* (Extr. d'archiv. Orientalni, XXII, 1957, pp. 176-237).

المؤلف يذكر بانه منذ خمس واربعين سنة يقاوم الرأي العام بين علماء اللغات السامية القائل بوجود ġ سامية عمومية وهو راغب في مجادلة لتأييد مقاله الذي يختصر في صفحة ٢٣٦ :

« تحوّل الحروف الحنجرية السامية ... يحصل بسبيلين كانا يؤديان ويؤديان اليوم . اولاً : الى ازالة تامة للحنجرية وهذا يحدث في كل اللغات السامية . — ثانياً : الى نقل الحنجري الى المدى الفموي ... (١) ه « h » اصبحت تنفسية vélaire دون رنين ح « ḫ » (في كل اللغات السامية) (٢) ع « ʿ » اضحت تنفسية vélaire رنانة « ġ » — في اللغة العربية وحدها »

الجواب هو من اختصاص معلمي اللفظ السامي (phonétique) ومأوّلي الآثار التي وجدت في راس شمرا . ر . م .

المشرق

السنة الثانية والخمسون — ايار – حزيران ١٩٥٨

اكتشافات برية يهوذا

بقلم الاب بولس موترد اليسوعي

لم يحن بعد الأوان لكتابة الصفحات الجازمة بخصوص الآثار المكتشفة في برّية يهوذا في ضواحي البحر المائت ولا يمكن التأكيد بان المستقبل لا يستبقي لنا مفاجأة بخبأ آخر جديد. ثم وان فرضنا ان هذا لن يكون فان عدة آثار لم تُنشر بعد وفحص الآخر هو بعيد من ان ينتهي.

مع ذلك اننا نرى مناسباً بعد ان مرّت عشر سنوات ان نعطي تلخيصاً بياناً عن الحاصل المكتسَب وعن الآمال المحتملة وتساعدنا على ذلك نشرات حديثة جداً عديدة منها بنوع اخصّ كتاب صغير ظهر في ربيع سنة ١٩٥٧ في مطبوعات «السّرف» تأليف الاب ميليك وهو واحد من اهمّ العاملين في «جمعية اورشليم». عنوان الكتاب «عشر سني اكتشافات في برّية يهوذا».

مجموع الآثار في الحاضر

في سنة ١٩٤٨ أخذت اكبر جرائد العالم كله تنشر اخبار اكتشاف مخطوطات قديمة جداً وُجدت قرب البحر المائت وتتكلم عن عظم اهميتها .

بدويون من قبيلة التعامرة الرحالة — المتحضرة وهم رعاة يتجولون في جنوبي اريحا أتوا بهذه المخطوطات اولاً الى بيت لحم ثم الى القدس. اول الشارين — لاربع كتب بخمس قطع — هو المطران السرياني الاورثوذكسي مار اثناسيوس يشوع صموئيل الساكن في دير القديس مرقس الشهير في المدينة القديمة (في ربيع ١٩٤٧) ثلاثة كتب اخر بست قطع اشتراها في تشرين الثاني الاثري الكبير الاسرائيلي ل. و. سوكينك .

السيد المطران صموئيل راغباً بيع مُقتناه بثمن كبير عرض بتحفظ أدراجه لعدة اشخاص مختلفي المعرفة جداً .

وكاد هذا التلاعب يدوم زماناً طويلاً دون فائدة لو لم يعزم المطران اخيراً على السماح لعلماء اختصاصيين برؤية الأدراج باكثر من عرض سريع فقد رضي في الآخر باظهارها واعارتها لتُفحص لمدرسة التفتيش الاميركانية (American School of Oriental Researches) المقيمة في المدينة الجديدة من جهة المتحف . مُرسَل المطران لم يجد المدير السيد ميلور بروز لانه كان اذ ذاك يتجول خارجاً عن فلسطين لكنه وجد اثنين من معاونيه كلاهما من الشبان صار اسمهما مذ ذاك شهيراً وهما وليام ه. برونلي وجون س. تريفور . وهذان ما لبثا ان عرفا تاريخ الآثار التي استلماها وعظم قدمها وتحققا وجود كتاب لاشعيا وتوصلا الى اخذ صورة فوتوغرافية لكل الادراج الا لواحد عالجا عبثاً حله وتمكنا ايضاً من أخبار « البرايت » العظيم من جهة المحيط الاخرى فانتفض حالاً بجثته .

جرائد العالم باسره وقد نبهتها بذلك اسرائيل ايضاً رددت بجلبة صداه منذ نيسان . لكن الحالة لم تكن سهلة في القدس لان كل تنقل كان اذ ذاك عسيراً ومعرضاً للاخطار . دير القديس مرقس عينه أصيب بضرب القنابل . ثم ان بروهلم وتريفر وبروز تركوا البلاد عائدين الى اميركا . وقد اخذوا ..

الصحائف الفوتوغرافية وفي مدة سفرهم بالبحر اهتموا باعداد طبعات مستقبلة . والمطران صموئيل باس من بطريركه سافر هو ايضاً الى اميركا آخذاً معه المخطوطات المشهورة . كان هذا التصرف غير قانوني لكن له عذره وهو انه لم يكن حينئذ في القدس سلطة محدّدة فان الانتداب البريطاني كان قد انتهى .
هوذا قائمة هذا القسم الاول من الاكتشافات :

١ : مقتنيات المطران صموئيل

١ : درج يحتوي كتاب اشعيا عجيب بحفظه كامل او تقريباً كامل . رغماً عن قدمه وعن وضعة الكتابة – فانه مُثقّل بنوع شاذ بحروف لاحقة – (matres lectionis) لم يأتنا بمعارف جديدة فيما يخص نص الكتاب المقدس فانه لا يختلف الا قليلاً عن النص العادي او المأثور (massorétique)
٢ : مجلد محذوف منه في اوله ومتلف في مواضع اخرى يحتوي تأويلاً لكتاب حبقوق . هذا التأويل كان يفسّر النص المقدس بنوع موافق لتاريخ شيعة يهودية .
٣ : درجان – وفيهما ايضاً خلل – كانا يحتويان مجموع تعاليم مختلفة ادبية ودينية ورسوم تهذيبية : قانون هذه الشيعة او قسم من هذه الشيعة المنقطعة الى حياة من النوع الرهباني . هذا الاثر سمّوه منذ الاول الكتاب التهذيبي .
٤ : درج خامس – مجلد مُفسد جزئياً – لم يمكن حلّه في القدس ولم يُحلّ الا سنة ١٩٥٥ . لم يلاحظوا اولاً الا انه مكتوب لا باللغة العبرانية لكن بالارامية وبانه يحتوي ولا بدّ تأليفاً محرّفاً (Apocryphe) .

٢ : مقتنيات سوكنيك

١ : مخطوط آخر لاشعيا ناقص سيئ الحال ذو نصّ هو عين نصّ الكتاب المقدس المأثور .
٢ : اربعة ادراج او قطع ادراج فيها مواضع متلفة تحتوي مجموع اناشيد تخصّ هذه الشيعة .
٣ : كتاب للشيعة عينها عنوانه «سُنّة الحرب» . وقد سمّاه سوكنيك : كفاح ابناء النور ضدّ ابناء الظلمات .

سوكنيك في وسط المقاتلات بين اليهود والعرب حيث كثيرون من ذويه كانوا مُتجندين توّصل الى استباق نشرات الاميركان المقابلة بطبع كراسة جميلة في حزيران ١٩٤٨ بهذا العنوان : « ماغيّوت غنوزوت ميثرخ جنيزا قيدومـا شنيمشما بيدبّر يهوذا » — مضمـاه : مخطوطات قديمة مُخفاة صادرة من « جنيزا » موجودة في بريّة يهوذا - هذا العنوان يدل على انه اعتبر مغـارة الاكتشاف « جنيزا » (اي : محلّ توضع فيه المخطوطات النفايات) متعلّقاً بكنيس مفروض في هذه البراري المقفرة . وهذا ظنّ بعيد التصديق . كراسة ثانية تبعت في سنة ١٩٥٠ . الكراستان كانتا تعرفان بمجموع الاناشيد وبكتاب سنـة الحرب لكن دون نصوص كاملة . الطبعة التامة تأخرت بسبب موت سوكنيك ولم تظهر الّا في سنة ١٩٥٤ باللغة العبرانية ثم في ١٩٥٥ باللغة الانكليزية .

بفضل جهود السيد و. بروبلي ظهر بسرعة نصّ كتب ثلاثة من القائمـة الاخرى وهي اشعيا وتأويل حبقوق في سنة ١٩٤٨ ثم بعد زمن قصير كتاب التهذيب والترجمة الى اللغة الانكليزية في (Bulletin of American School of Or.R.) منذ ١٩٥٠ و ١٩٥١ برّو وتريفير وبروبلي أتموا عملهم بنشر مجلّـدين جميلين من « صور طبق الأصل » (facsimilés) .

اما المخطوطات عينها فلم تجد في اميركا من يشتريها . لم يتوصل سيـادة المطران صموئيل الى بيعها الا سنة ١٩٥٤ بثمن غالٍ ٢٥٠،٠٠٠ دولار : اشترتها دولة اسرائيل وهي تجمع الآن معاً المخطوطات السبع الاولى .

دون انتظار الاكتشافات التابعة — ولم يكن من ينتظر اهميّتها — اقبلت جماعات علماء الكتاب المقدس والآثار وغيرهم من الاختصاصيين ذوي جـدارة مختلفة على الاستفادة من هذا الحظ . في اميركا وانكلترة والمانية وفرنسة وفي بلاد اخرى اتصلت البحوث الى تراكم الظنون والاوهام والى بعث مجادلات حامية .

نعلم ان السيد دوبون - سومّر أوّل بجرأة بعض المواضع من تأويل حبقوق بنوع انه اعتقد بوجود سيأء يسوع المسيح الجوهرية في شخصيّة رب العـدل اللغزية : الآلام والقيامة والمجيء المقبل حتى والاصل الالهي. كانت هذه تجربة خطرة للغاية وهو نفسه تركها تماماً ثم رفضها كل العلماء ذوي الجدارة وقد اتفق هؤلاء بالخصوص على انه بموجب ما توحي به النصوص عبارات كثيرة يلزم ان

نفهما لا عن رب العدالة لكن عن عدوه الكاهن الكافر وهـذا ما يغير كثيرًا اوضاع المشكلة .

والحق هو انه من هذه القطع ومن التي سوف تضم اليها فيما بعد سينبعث أضوا. ثمينة تنير المجتمع اليهودي في ايام يوحنا المعمدان وحياة المسيح التعليمية والكنيسة الاولى .

لو توقف الباحثون عند اوضاع الايام الاولى لربما بقيت ايضاً المجادلات دون جدوى وحقيقة الادراج نفسها مريبة .

المهمّ الاول كان على الاقل التفتيش عن المحل الذي فيه كان الاكتشاف.

كان بدويو تعميرة قد تكلموا عن مغارة تقع في نواحي البحر المائت وكان المكتشف معروفاً جيدًا ومُعيناً وهو شاب من قبيلتهم اسمه محمد الديب . الرواية « الرسمية » تقول بانه وجد المغارة عند تفتيشه عن عنزة ضائعة وفي هذه الاثناء وقف ليستريح هنيهة ثم خطر على باله ليتلهّى ان يلقي حجرًا في ثقب فسمع له عند سقوطه صوت خزف يتكسّر وهذا ما حمله على الرجوع الى المغارة بعد زمن قليل مع ابن عمه احمد محمد فوجدا فيها ما عدا شقفاً مكسرة ثماني جرار صحيحة احداها تحتوي على مخطوطات . كان ذلك في شباط او اذار من سنة ١٩٤٧ .

كل العلماء الاوروبيين والاميركيين كانوا راغبين في الذهاب الى المغارة لرؤيتها . لكن احوال البلاد جعلت وقتياً ذلك الجولان صعباً مخطرًا خصوصاً للاجانب . في كانون الثاني ١٩٤٨ بواسطة ضباط انكليز من الجوقة العربية والضابط البلجيكي ليبونس مراقب جمعية البلاد المتحدة عُرفت المغارة المذكورة ثم بعد قليل ذهب الى زيارتها مناظر مصلحة الآثار الاردنية ج. ل. هاردنغ والاب المحترم دي فو وآخرون . لسوء الحظ كان قد مرّ فيها خفيةً قبلهم بقليل اناس حفروا الارض وقلبوا منظر المحل وقد تركوا عددًا من الجرب ومن اجزاء مخطوطات . اذن مغارة الاكتشاف هي هذه ولا شك بعد بحقيقتها .

تنفتح المغارة في منحدر ارض تطلّ على البحر على حافة ناتئ صخري من جهة الشمال الغربي — الجنوب الشرقي يصل بزاوية حادة الى شاطئ البحر المائت في رأس فشكا بالقرب من واحة تسقيها مياه عين فشكا . قد استعملوا مدة من الزمان هذين الاسمين في النشرات لتعيين موقع المخطوطات .

في الشمال هذه الخدة باتجاه طريق اريحا متوازيا يمتد وادٍ وادي قمران لا ماء فيه في اكبر جزء من السنة ثم من الجهة المقابلة لهذا الوادي رصيف تراب صعب المنحدر . على هذا الرصيف كانت تقوم انقاض باسم خربة قمران .

هذه الانقاض كانت قد بقيت دون كشف وهي معروفة من زمان طويل وبخصوص اهلها كانت التخمينات شتى : أتكون قلعة رومانية او مدفناً او عمارة عربية لم يكن من يعلم ذلك . يوجد حديث يعتمد على لفظ البدويين لاسمها « غمران » يقول بانها عمرة المذكورة في الكتاب المقدس .

السيد هاردنغ والاب دي فو بعد كشف قصير لهذه المواضع لم يريا جديراً بان يُعمل حفريات حقيقية فيها . لكن غيرهم كانوا يطالبون بها وخصوصاً العالم الكبير الالماني پول كهلي . ثم بوشر العمل دفعة اولى مدة خريف وشتاء ١٩٥١ . كان رأي كهلي صائباً للغاية فان هذه الحفريات والتي تبعتها سنة ١٩٥٣—١٩٥٤—١٩٥٥ افضت الى نتائج عظيمة الفائدة .

في تلك الاثناء لم يخطر على بال التفتيش في تخاريب فشكا او مغاور اخرى في النواحي للبحث عما يمكن ان تحتويه هي ايضاً للاعتقاد السائد بانه ليس هناك ما يهم الا المخطوطات الكبيرة والجزئية التي وُجدت في المغارة الشهيرة ونظنها الوحيدة .

لكن البدويين كانوا قد لاحظوا اهمية عتائق صخورهم بنظر علماء الآثار وعدّدوا الفوائد العظيمة التي يمكنهم اجتناؤها .

اذن عادوا من جديد الى القدس في كانون الاول ١٩٥١ وبايديهم قسم آخر مختلف جداً عن الاول : نفثات وجدوها في وادي مربّعات على بعد ٢٥ كيلومتراً من جهة الجنوب وفيها كانت تحتوي عليه آثار تختص بعصيان اليهود الثاني من سنة ١٣٢ الى ١٣٥ من تاريخنا في زمان كان المتمرّدون يأوون الى هذه المغاور . تفتيشات رسمية تمت اثناء المخطوطات وآثار اخرى غيرها قديمة .

كذا حدث ايضاً لخربة مرد : انقاض دير مبنيّ هو ايضاً في موقع قلعة هيركانيون للاسمونيين . بعد البدويين جاء من لوفان علماء آثار ووجدوا نصوصاً بتاريخ نهاية العصر البيزنطي وبدء العصر العربي .

من محل آخر بقي مجهولاً جاء التعميرة سنة ١٩٥٢ بقسيم آخر وبما يحتويه برديّات نبطية .

هذه اللقطات التي يحتواها ومحلها الاصلي خربية عن مجموعة قُمران لها هي ايضاً اهمية كبيرة وسوف نعود الى الكلام عنها في آخر هذه الاسطر .

لكن بفضل مداخلة التعميرة المستمرّة كانت منحدر فشكا ونواحي خربة مزمعة ان تسلمنا كنوزاً اخرى عديدة .

بعد ذلك اضحت مغارة الاكتشاف الاول الشهيرة المغارة ١ (ق ١ في قائمة اصطلاحات « القمرانيين ») فانه منذ شباط ١٩٥٢ تثبتّ بان البدويين قد وجدوا مستودعاً آخر (ق ٢) لكنه ليس غنياً جدًّا .

انتبه علماء الآثار الى ذلـك فأسرعوا الى كشف منظّم لكل مخاريب منحدر فشكا على جبهة طولها ثماني كيلومترات . عشرون مغارة تقريباً كانت تحتوي آنية من الفخّار تشبه التي وجدوها في خربة وفي واحدة منها (ق ٣) قد وجدوا مخطوطات احداها هي فريدة في نوعها : درجان من نحـاس عليها نصّ عبراني منقور . (٢٢—١٠ آذار ١٩٥٢)

بعد انتهاء هذا العمل غلب الظنّ بان اللقطة اكتملت وان بضاعـة آثار قمران كلها قد جُمعت .

كان هذا الظنّ باطـلاً فالتعميرة ابطال الكشف الاثري الحقيقيّون اثبتوا بعدئذ ذلك جليّاً ان المحل الذي تمّ التفتيش فيه هو منحـدر من حجر كلـسي جيد ثُقبت فيه اغوار قادرة على مقاومة الاجيال وتقديم ملاجئ امينة ولو جافية للانسان ولمخطوطاته . اما من جهة الوادي الاخرى فكان يوجد ثقوب مفتوحة لكن في تراب كلسيّ ممزوج بصلصال وهي قلما تجذب الناظر اليهـا . اذا افترضنا بان هذه الثقوب هي مداخل لمغاور قليلة المتانـة فهل يطرأ على فكر انسان بان يعهد اليها بودائع ثمينة وهل يمكن ان تحفظها مدة اجيال صالحـة لافادة ولو غير صحيحة .

البدويون انفسهم لم يكونوا بلا شك يحسبون ذلك لو لم يدفعهم اليه ذكر حادث قديم شبيه بالذي حدث لمحمد الديب سنة ١٩٤٧ . رجل من القبيلة شيخ سمع الشبان يتكلمون عن اعمالهم الرابحة فرأى ان يتكلم هو ايضاً، لقد حدث

له قديماً ايام شبابه انه كان يوماً يتبع في الوادي حجلة وانهـا ذهبت واختفت في ثقب باتجاه الخراب فدخل هو ايضاً الى الثقب ومنه اخذ مع الحجلة سراجاً عتيقاً وآنية من الفخار . فاستفاد سامعوه من هذا الخبر وبعد زمن قليل شبان اخذوا معهم حبالاً وزوادة وادوات ومشاعل وتوجهوا الى الغار الذي دلت عليه اقوال الشيخ ، فكان لهم الحظ بوجودها ولما وصلوا الى داخلها اخذوا بتعزيل تراب الردم الذي كان يغطي الارض لقد التزموا بقلب عدة امتار مربعة من التراب وحينئذٍ رأوا امامهم مستودعاً خارق العادة اغنى من كل مستودعات النواحي (ق ٤) كان هناك مخطوطات قد لوثها الوحل مخرّقة اجزاء لا شكل لها ، لكن بمقدار غير عاديّ . آلاف من قطع الجلد الصغيرة وُجدت هناك وهي توازي تقريباً اربعمئة مخطوطة .

مستودعات اخرى اقل اهمية (المغاور ١٠—٥) اكتُشفت بقرب الخرائب أُخذ منها كل ما احتوته

الاكتشاف الاخير حدث في ربيع ١٩٥٦ في منحدر فشكا . كان هنـاك غار مردوم المدخل ولم يكن ما يدلّ على وجوده الا شقّ بارز فوق كومة القضض . مذاقة التعميرة العجيبة الرغبة وحدها قدرت ان تكتشفها ..

وكانت التعميرة قد استفادت فائدة ضخمة من المغاور الاولى وخصوصاً من المغارة ٤ الخارقة العادة . قد دفعت حكومة الاردن خمسة عشر الف ليرة ستيرلنغ لكن هذه القيمة لم تكف فاضطرت مؤسسات علمية عديدة ان تزيد عليها حصتها مما وجب دفعه .

احد عشر مستودعاً من المخطوطات (المغاور ١١—١ منها ١ و ٤ و ١١ هي الاهم) هذا هو عدد اكتشافات قمران الحالي وهي تكوّن مجموعاً متجانساً هو كما سنرى متناسباً مع سكان ابنية الرصيف المجاور . الى هذا المجموع أُضيف ما أوتي به من مختلف المخطوطات وآثار شتى لتواريخ مختلفة وُجدت ابعـد جنوباً وشرقاً في وادي مربّت وخربة ميرد .

كل ما اعطته هذه الاكتشافات مجموعٌ اليوم اقلّ مـا يكون وقتياً في متحف القدس الاردني ما عدا سبعة ادراج المغارة الاولى فهي بحوزة اسرائيل كذلك ما تبقّى بعد عند البدويين ولسوء الحظ ايضاً يوجد قطع عند افراد

اشتروها ولا يقدرون ان يفيدوا منها البتة .

المجموع جسيم وأجسم منه العمل الذي يتطلّبه.

بعد الحصول على محتوى المغارة ، صار من الواجب اقامة جمعية دولية مؤلفة من اختصاصيين من شتى الطوائف المسيحية يهتمون ببسط الادراج وتصنيفها وتصويرها وقراءتها وترجمتها : عمل عظيم للغاية .

اعضاء هذه الجمعية هم: المونسنيور ب. و. سكيفن معلم في جامعة واشنطون الكاثوليكية . و ف. م. كروس من «مك كورمك تيولوجيكل سميناري» (Mc Cormick Theological Seminary) وهو متفوّق في علم الخطوط والكتابات العتيقة. و ج. م. اليغرو مساعد في جامعة مانشستر . و ج. ستروغنيل من اكسفورد . و س . ٥ . هونزنغر من جامعة غوتنغن والاب جان ستاركي والاب ج. ت. ميليك وكلاهما على حساب المركز الوطني الفرنسي للتفتيش العلمي (Centre national français de la Recherche scientifique) . مهمة خصوصية تسلمها الاب م. بايبا وهو معلم في جامعة تولوز الكاثوليكية فقد فوّض اليه امر القطع التي أُخذت من المغاور ٢ و٣ و٦ .

يتوقعون نشر عشرة مجلدات للطبعة التامة للكل بهذا العنوان: اكتشافات في برّية يهوذا (Discoveries in the Judaean Desert) ظهر منها الاول فقط في اكسفورد سنة ١٩٥٥ وهو يختص بالقطع المكتشفة في المغارة الأولى .

قطع جديدة نُشرت على حدة خصوصاً في مجلة الكتاب المقدس(Revue Biblique) ومجلة تآليف الكتاب المقدس (Journal of Biblical Literature) . فيما يخص القطع التي لم تُنشر مع التي حُقّق فيها حديثاً أعطانا عدة معلومات خصوصاً كتاب الاب ميليك فانه جدير ليكون في طليعة المستعلمين في هذا الموضوع.

اننا نرى مفيداً اختتام هذا العرض التاريخي للاكتشافات بموجز تاريخي:

— بدء ١٩٤٧ : اكتشاف المغارة . اكتشفها التميري محمد الديب — في مدة ١٩٤٧ : بيع المخطوطات السبع الاولى جزء منها للتروبوليت صموئيل وجزء للجامعة العبرية .

— سنة ١٩٤٨ :التثبت من المخطوطات والابتداء بنشرها — بدء مباحثات مهمة بين العلماء رددت شتى اصديتها التآليف الكبيرة والملأ .

— سنة ١٩٤٩ : التثبت من المغارة ١. دوام المجادلات دون ان يقع امر جديد ينيرها .

— سنة ١٩٥٠ : لم يحدث حادث جديد في الموضع .

— سنة ١٩٥١ : لقطات البدويين في وادي مربّط. اول مباشرة حفريات في خربة قمران.

— سنة ١٩٥٢ : السنة الكبرى للاكتشافات .

حفريات في وادي مربّط . اكتشاف المغارتين ٢ و ٣ (الربيع) . الصيف والخريف : يجد البدويون خربة ميرد ثم المغارة ٤ . تفتيش واكتشاف المغاور ٥ و٦ و٧ .

— سنة ١٩٥٣ : حفريات بلجيكية في خربة ميرد .

: تفتيش جديد في خربة قمران .

— سنة ١٩٥٤ : تفتيش ثالث في خربة قمران - دولة اسرائيل تشتري المخطوطات من المتروبوليت صموئيل .

— سنة ١٩٥٥ : تفتيش حفريات رابع في خربة قمران ونواحيها وكشف المغارة ١١ .

تاريخ مخطوطات قمران

قبل الحفريات في قمران من سنة ١٩٤٨ الى ١٩٥١ الادلة المساعدة على تاريخ المخطوطات التي وُجدت في نواحي قمران لم تكن واضحة بالكفاية. علم الخطوط والكتابات القديمة كانت تشير ولا بدّ الى تقدم كبير لكن يصعب تحديده . طريقة الراديو - كربون، التي استعملت باتلاف اقمشة كانت مع المخطوطات، اعطت عند الفحص سنة ٣٣ من تاريخنا . لكن هذا الاسلوب احتمال خطأ قد بلغ الى مئتي سنة فتكون اذ ذاك المدة متراوحة بين ١٦٧ الى ٢٣٣ من تاريخنا .

علماء عديدون خصوصاً البعيدون عن موقع الاكتشافات او هم مؤرخون اكثر مما هم علماء بالآثار كانوا يميلون مبدئياً وتحفّظاً لتواريخ متأخرة . لذلك نرى العالمين الكبيرين في الامور السامية بول كهلي وج. ر. دريفر يدفعان تاريخ المستودع الى الجيل الثالث بل حتى القرون المتوسطة . علماء اسرائيليون

اتوا المجادلة بمعلومات ثمينة لكن ايضا بآراء متصلبة للغاية فبرأي دل ميدركر وسوكنيك نفسه مستودع مخطوطات باللغة العبرانية هو ضرورة « جنيزة » كنيس ولو وُجد في برية منعزلة . وسالومون زيتلين مدير مجلة (Jewish Quarterly Review) ارتأى اعتمادًا على مبدإ اول للبحوث اليهودية بانه « لا تأويل اقدم من العصور المتوسطة والحال ان مكتشفات البحر المائت تحتوي تأويلا . اذن ... »

بالعكس ممثلان كبيران للتفتيش في ارضه السيد هاردنغ والاب المحترم دو فو ومعهما آخرون يرتأون حسب ادلة الآنية الخزفية بان جرار المغارة هي من العصر اليوناني لا الروماني فيكون اذن المستودع سابقًا لتاريخنا بمئتين سنة على الاقل .

دون اثباتات جديدة أكان ممكنًا التوصل الى حلّ اكيد . هذه الاثباتات لحسن الحظ اعطتها بعدئذٍ حفريات خربة قمران .

فقد كشفت — دون ان تعطينا مخطوطات — عن ابنية تقابل بنوع جلي مستودعات المناور كانت تسكن فيها الشيعة اليهودية التي يكلمنا عنها «التأويل لحبقوق » و« كتاب التهذيب » وقد وجدوا ايضاً فيها آنية من خزف تشبه التي وُجدت مع المدارج . وجدوا ايضاً فيها نقودًا تدلّ دلالة تبين ثابتة على ان اعضاء هذه الشيعة كانوا قد اقاموا فيها عند منتصف الجيل الثاني قبل تاريخنا ويظهر جليًا جدًا بانهم لم يتمكنوا على المكوث فيها الى السنة السبعين من تاريخنا . ما عدا ذلك ان آثار حريق شديدة وتهوّر الجدران وسقوط سقف على كومة من الآنية المنتظمة تدلّ على ان الابنية سكنى هذه الجماعة لم تُترك اختياريا لكنها هُدمت هدماً . وان حدود سهام مثلثة الاجنحة خاصة بالتسلّح الروماني وبقايا ونقود تركها الجنود فوق الردم تساعدنا على تصوّر الفاجعة وتاريخها بتدقيق . يخبرنا المؤرخ جوزيف (يوسيفوس وهو يهودي) بان فسباسيان — وكان اذ ذاك قائدا للجيوش المرسلة لاخضاع العصيان اليهودي — انتقل في صيف سنة ٦٨ من قيصرية الى وادي الاردن وهو رئيس للفرقة العاشرة (X^a Legio Fretensis) لا بد ان هؤلاء الجنود قد اهتموا معًا بتحصين اريحا وبالقضاء على كل جماعات المقاومة الموجودة والذين يأتون من بعد في النواحي . فكانت قمران من هذا العدد وعلى

اخربتها قد اقيم مدة طويلة مركز جنود للمراقبة .

اذن عندنا هكذا امر اكيد بخصوص تاريخ مستودعات المخطوطات فانها كلها سابقة لخراب ابنية خربة قمران الذي حدث سنة ٦٨ . قد يكون بعضها خاصاً بمكتبة شخصية لعضو من أعضاء هذه الشيعة كان يسكن في الليل على الاقل في المغاور لكن الاعم من هذه المخطوطات ولربما جميعها هي قسم من مكتبة عمومية قد أُخفي عمداً ووُضع باعتناء. في اجرار قد أُغلقت غلقاً مُحكماً خوفاً من نكبة منتظرة .

قد أُخفيت المخطوطات المكتشفة في نواحي قمران قبل سنة ٦٨ فهي اذن سابقة بقليل او بكثير لهذا التاريخ . اسباب مأخوذة من قدم الخط تدل على ان بعضها قد كُتب قبل تاريخنا وان كتاب صموئيل المحفوظ بقطعتين او ثلاث قطع قد يكون من الجيل الثالث قبل السنة المئتين .

مضمون مخطوطات قمران

في قمران لم يجدوا لا مراسلات ولا اوراق اشغال ولا غيرها من كتابات اقل اهمية فنوع حياة الجماعة لم يكن ليكثرها ولما دعت الحاجة الى انقاذ كنوز المكتبة من التراة لم يكن هنالك ما يستحق ذلك غير الكتب الحقيقية .

يمكن تصنيف هذه الكتب تحت اربعة عناوين :

كتب العهد القديم «القانونية الاولى» (التي يحتويها الكتاب المقدس العبراني) .

الكتب « القانونية الثانية » (التي لا توجد في الكتاب المقدس العبراني لكنها موجودة في « السبعينية » اليونانية (la Septante)

كتب « محرّفة » (apocryphes) .

كتب الشيعة واكثرها دينية .

١ : كُتب العهد القديم

الى اليوم لم يكن عندنا العهد القديم بلغته الاصلية الا بمخطوطات جميلة جداً وفي حالة حسنة لكن اقدمها مجموع (le Codex Petropolitanus) مراسيم : هو من سنة ٩١٦ من تاريخنا . ليس عندنا الا بردي مجهول التاريخ، البردي « ناش » يحفظ اسطراً مكتوبة من عهد قديم حقاً .

حالة تقليد مخطوطات العهد القديم هذه. كانت جديرة بالاسف بالخصوص لانها كُتبت بعد ان ثبّت ربانيون متخصصون نصاً منتخباً بتدقيق ، وكانت تنسخ بامانة خارقة العادة بحيث ان مفسري الكتاب المقدس لا يجدون فيها شيئاً من الفروق بالنسخ : من هذه الفروق التي فيهـا يبقى احياناً النصّ الاوّل الحقيقي والمعنى الصحيح لعبارات لا تزال تُفهم بغير معناها الحقيقي . النصوص الكتابية التي وُجدت في مُربَّط وهي تابعة لهذا التثبيت المفرط بيّنته فقط لنا منذ زمن قديم . ما عسى مخطوطات قمران تعطينا بهذا الخصوص .

لقد اعلمتنا خاصّةً بان نصّ الربانيين او النص المـأثور (massorétique) يطابق تقليدًا ثابتاً لا يعارضه الا مثال اصليّ واحد كان مترجمو السبعينية قـد اعتمدوا عليه . مخطوطات قمران تتبع اغلب الاحيان هذا المثال لا المثال المأثور فيما يخص الكتب التاريخية وقد يكون هذا المثال الاثبت فيما يخص هذه الكتب.

ما عدا هذه النتائج العمومية تعطينا مخطوطات قمران الكتابية عددًا من الفروق منها جزء صغير وُجد في مخطوط المغـارة ١ الشهير وفي المحتمل ان يتخذوها كقراءة ثابتة لبعض كلمات اشعيا .

مغاور قمران قد أعطتنا — بمخطوط تامّ تقريباً لاشعيا وبقطع مختلفـة القدر واحياناً عظيمة لسائر الكتب — نصوص كل كتب العهد القديم العبراني ما عدا كتاب استير . عندنا قطع لاكثر من عشر مخطوطات مختلفة لتثنية الاشتراع واشعيا والانبياء الصغار والمزامير . المغـارة ١١ كانت تحوي درجاً للمزامير لم يُدرس بعد ومخطوطاً لسفر الاحبـار ومخطوطاً آخر لكتاب ايوب وهو منقول الى اللغة الآرامية .

في المخطوط الكبير لاشعيا نلاحظ في الفصل الثالث والثلاثين اسقاطاً قد يكون اثراً لزمان اكثر قدماً لم تكن بعد فيه قد تحقّقت وحـدة الكتاب الحالية .

وقـد لاحظوا ايضاً بان كتاب المزامير يتبع ترتيباً مختلفـاً عن ترتيب كتبنا . بعض القطع تقربنا كثيراً حتى من تاريخ تأليف الكتاب . هكذا نسخة سفر الجامعة تتبعه بقرن واحد فقط ولنسخة دانيال قـد يكون التأخر نحو خمسين سنة .

٣ : نصوص كتب العهد القديم « القانونية الثانية » .

نعرف بان « جنيزة » القاهرة — وقد انتفع منها البعض منذ سنة ١٨٩٦ الى ١٩٠٠ — قد سلمتنا النص العبراني لكتاب يشوع بن سيراخ (Ecclésiastique) وكان الى هذا التاريخ عندنا مجهولًا . وفي المغارة ٤ بين القطع التي ظهرت وُجد اجزاء من نفس هذا الكتاب (٦ : ٣١—٢٣) .

أحدث هو ظهور كتاب طوبيا وكان القديس ايرونيموس قد وجده واستعمله وهو باللغة الآرامية وحسب قول القديس باللغة الكلدانية في قمران وجد منه قطع بالآرامية (مخطوطتان) وبالعبرانية (واحدة) .

٣ : الكتب المحرّفة (Apocryphes)

من هذه الكتب نعرف للعهد القديم ثلاثة كباراً محفوظة في مخطوطات مسيحية بترجماتها اليونانية واللاتينية وخصوصاً الاثيوبية : كتاب اليوبيلات وكتاب اخنوخ ووصية الآباء الاثني عشر . رغماً عن تأكد وجود نصوص مسيحية مدرجة فيها كانوا يظنونها جوهرياً من اصل يهوديّ .

ان اكتشافات قمران قد ثبّتت هذا الظن بخصوص كتاب اليوبيلات لا فيما يخص اخنوخ ووصية الآباء . من تراجم اخنوخ المسيحية يظهر ان جزءا كبيرا هو ادراج المؤلف ومن المحتمل ان يكون هذا يهودياً - مسيحياً وحسب شهادة عشر من مخطوطات قمران لم يكن للاقدمين اليهود فيها الا جزءان اي سفر اخنوخ ثم رُؤياه وقد يكونان كتابين منفردين . قطع من مخطوطات المغاور تعطينا وصيّة للاوي واخرى لنفتالي وقد تكون هاتان الوصيّتان المفترقتان قطعتين استفاد منها واوجزهما يهودي - مسيحي من الجيل الثاني وادرجها ببراعة في مجموع كامل « لوصايا ابناء يعقوب الاثني عشر » .

مع الكتب المحرّفة المعروفة برزت تآليف اخرى . الدرج الآرامي بعد التوصل بصعوبة الى حله ومعه ادراج اخرى للترويليت صموئيل يعطينا تفسيرا لكتاب التكوين من نوع المداريش الساذج . هذا الكتاب المبتور في اوله يبدأ بكتاب للامك وهو يخبر فيما يخبر به عن تقل نوح عند ولادته . ثم يتبع كتاب لنوح وهو يبتدي بهذا التصريح الورع: « كل ايام حياتي قلت الحق دائما » .

ثم تأليف باسم مستار ارميا عندنا منه بضع نسخ لا يشبه ما كنا نعرفه الى الآن من هذا النوع .

ودرج صغير ارامي عنوانه صلاة نابونيد وهو جدير بالانتباه .

نعرف الفصل الرابع من كتاب دانيال الذي يكلم فينا المخيلة خصوصاً: يعرض علينا نبوخذنصر العظيم مصاباً بمرض غريب يضطره مدة سبع سنين الى ان يعيش حياة حيوان وحشي في قصره في بابل ثم يشفى بوساطة دانيال بعد ان يصلي الى الإله الحقيقي. التأويل حتى الذي يميل الى قبول حقيقة الكتاب التاريخية قبولاً تاماً كانت مرتبكة لا فقط بنوع المرض الشاذ لكن ايضاً باسم نبوخذنصر وباسم بابل . الامكان الوحيد لوجود ملك كلداني في شدة طويلة الأمد هي باسم خليفته نبونيد المنفرد مدة سبع سنين لا في بابل لكن في واحة تيا. وهذا عارض كانت تواريخ المملكة تذكره صريحاً . القطعة الجديدة تخص نبونيد بهذا الحادث وتعين مدينة تيا. محلاً لمرضه واهتدائه الى الإله الحقيقي . هذه رواية اولى اقل مشهداً واقل نبرة عن الحوادث التاريخية للحادث الشهير الذي وقع لنبوخذنصر المتحوّل الى بهيمة .

٦ : كتب جمية قران

في المكتشفات الاولى كان يوجد مدرج مقطوع الى جزئين مبتور في اوله يحتوي قانون جمية مقيمة في قران سمّاه الناشرون « كتاب التهذيب » وهو مجموع اوامر وتعليم ادبي ينتهي بنشيد . هذا الكتاب يكلمنا طويلاً عن اعمال ساكني هذه المحال وعن افكارهم لكنه يمتنع عن تفصيل ظروف الحياة المادية والمعيشة المشتركة التي كنا نتمنى معرفتها ....

قطع المغارة ١ زادت عليه « الصودين » صفحة ظنوها اولاً شيئاً من الجزء البدني الناقص من كتاب التهذيب لكنها اقل ما يكون من النوع عينه.

بعد ذلك ومراراً عديدة مع قطع من كتاب التهذيب برزت اسطر من تأليف كان لدينا اصله من « جنيزة » القاهرة « حجة الشام » وهو باق الى الآن متفرداً :هو قانون مثل كتاب التهذيب يشبهه كثيراً لكنه لا يفرض عند الذين يتبعونه عين انواع الحياة الاجتماعية بحصر المعنى. وجوده في قران يدل على

ان الاثنين يصدران من الشيعة اليهودية عينها وانه يمكن الانتفاع من الاثنين معاً للاجتهاد في تشخيصها . هذا ما علينا عمله فيما يأتي .

لتفسير حبقوق فائدة مختلفة فان له صفة خاصة . النص المقدس آية فآية يُطبّق على تاريخ الشيعة في مدة من الزمان لا يمكن ابداً ان يتجاوز السنة الـ ١٧٥ قبل تاريخنا ولا ان يتعدى جلوس هيرودس حتى ولا ان يتصل به في سنة ٣١ قبل تاريخنا . أيكونون قد اعطونا هذا التاريخ صريحاً : المثلان الكبيران هما رب العدالة وهو معلم الشيعة الكبير . ثم خصمه الكاهن المنافق وهو أو ليس بعينه رجل الكذب بينما يدخل الجناة من بيت انسالون ويتربّص « الكتيم » الهائلون . هل نحن ازاء براعة انشائيّة او حاجة حقيقية للتكلم في التخفّي بالفاظ غامضة . مهما كان الحال النتيجة هي عينها واذا رأى هذا او ذلك من الخياليين ان يعالج الترجمة فان انتظار ترجمة واضحة لهذا النوع من الرؤيا قد يدوم دواماً لا حدّ له .

كتاب جميل وهو متلف لسوء الحظ يحتوي اناشيد (هُدَيوت) يبدأ بـ : « اشكرك يا رب لأن ... » مثل صلاة الفريسيّ في الانجيل لكن بروح تواضع وعواطف سامية امام الله . هذه الاناشيد ينشدها تبّاع شيعة قران في صلاتهم العمومية او الخصوصية وكأنها تلتمع صريحاً الى حياة تجتازها المحن وقد غمرتها العطايا الإلهية يشهد المنعم لها بانها قد علت بنفوذ لعدد كبير الطريق المؤدّية الى الله . قد تكون هذه الاناشيد من صنع ربّ العدالة نفسه يصف حياته او من صُنع احد المعجبين به يتكلم باسمه .

اكثر غرابة هو « قانون الحرب » ويسميه سوكنيك « عراك أبناء النور وابناء الظلمات » حسب رأي ابنه يادين ابن سوكنيك وهو متخرّج في امور الحرب من سنة ١٩٣٩ الى ١٩٤٤ ثم سنة ١٩٤٨ نجد في هذا الكتاب تماماً فنّ الحرب الحقيقي مأخوذاً عن كتب فنّية رومانية . لكن ذلك لا يقلّل ما فيه من الغرابة والخيال . فيه وصف حرب تحت ادارة الكاهن الاعظم نفسه يقود فيه الحركات العسكرية كهنة بصوت الابواق ، ويأتي انكسار العدوّ واندحاره في الوقت المعيَّن . حسب قول السيد برّوز : « قصة الحوادث ثم وجود عدوّ لا بدّ من انهزامه او سقوطه مائتاً في الوقت الموافق يذكّرنا بالاحرى رقصاً لا

قتالا » (ص ٢٤) . الخصم هو جيش بليعال وهو مركب من « كتيم » آثور و« كتيم » مصر وفرق آدوم ومواب وعمون والفلسطية . الى اي شيء تعود هذه التخصيصات الحالية . ظن البعض بانها تتكلم عن قتال تاريخي لكن هذا امر عسر القبول . ويصعب ايضاً علينا ان لا نرى فيه الا استعارات حرب روحية . ما نراه فيه بجلاء هو امتداد الوطنية عند الشعب اليهودي في تردّيه ورجاؤه بالمسيح الآتي المقترن بهذه الوطنية . لا بد ان عدداً من رهبان قمران كانوا ينتظرون قريباً مجيء المسيح او بالاحرى مجيء المسيحين مسيح هارون ومسيح اسرائيل ومعها حرباً ظافرة لابناء النور وهم قمران ومتشايعيه ضد بقية العالم وهم ابناء بليعال والظلمات .

من هذا الشكل عينه في انتظار المسيح يوجد مقتطفات من اقوال وشواهد مأخوذة من كتب العهد القديم أدمجت فيها عبارات من اناشيد يشوع المحرّفة وقطع تجانس « الحلقة » الربانية تزيد قوانين قمران بنصوص من التوراة و«الميشماروت» او تناوب العائلات الكهنوتية في الهيكل هي مفيدة لانها تعطينا تقديم الشيعة السنوي . كهنة الشيعة من سبب انشقاقهم ما كانوا يمارسون الخدم الدينية في الهيكل ، اذن هذه الكتب ترجع الى حق حرموه ظلماً وتنظر الى مستقبل ولو سماوي حيث الخدم الدينية الموسوية سوف تدوم دائماً .

نذكر ايضاً بقايا تفاسير اشعيا وميخا وناحوم والمزامير ووصفاً لاورشليم السماوية وتناجيم وكتابات بحروف سرية . ويظهر ان القائمة سوف تطول عندما يتقدم فحص قطع المغارة ٤ الشاق تقدماً كافياً .

ننهي بكلام وجيز عن الادراج النحاسية التي وُجدت في المغارة ٣ التي يصعب حلّها كثيراً . هي لفائف معدنية طولها متران واربعون سانتيماً . لو كان نصّها يقابل اشياء صحيحة لكان ثمه لا يُقدر فانه يدعي بتعيين ستين مُخبأ لكنوز مختلفة : ذهب وفضة وبخور وعطور ثمينة . هذا كله في امكنة شتى من فلسطين لكن في القدس خصوصاً وفي مقبرة قدرون . من جملة المستودعات : ستة آلاف ثقل (talents) اي ٢٠٠ طن (tonnes) من المعدن الثمين : نستنتج بان هذه القائمة هي مختلقة تماماً بانها عمل سذاجة مخيلات صبيانية او سقيمة وقد يكون ساعد في عملها سارق ماكر محتال . عندنا غير امثال من هذا النوع من

الإقاصيص منها ما نشره سنة ١٩٠٧ احمد بك كال : « كتاب اللآلئ المدفونة والكنوز المخزونة » .

شيعة قران الاسانيون

مؤلفان من اليهود فيلون ويوسف تركا لنا وصف شيعة يهودية : « الاسانيين » ويدّعيان بان عدد اعضائها بلغ تقريباً اربعة آلاف . ويوسف يقابلها مع الفريسيين والصدوقيين كمدرسة ثالثة . ينتج من مقالها ان تبّاع هذه الشيعة على الاقل عدد كبير منهم كانوا يعيشون عزّاباً ويلزمون انفسهم حياة شبيهة بحياة الرهبان المسيحيين : معيشة زاهدة وطاعة موجبة والشركة في الاموال والصلوات المطوّلة والشغل والاكل معاً . وهذا لكل من الاعضاء بعد نوع من الطلب او الابتداء يدوم سنتين .

والعالم الروماني بلين « القديم » الذي كان قد تجول في الشرق يخبرهو ايضاً بايجاز في كتاب علم الطبيعيات عن وجود الاسانيين ويندهل كثيراً من تبتلهم : « في غرب بحيرة الاسفلتيك (البحر المائت) يقيم الاسانيون بعيدا وراء منطقة الشاطئ المضرّة . شعب منعزل اغرب ما يكون دون نساء دون حب دون مال يعيش في صحبة « النخيل » وكان قد زار او على الاقل قد عاين هذا المقام في روايته عن سفره يلاحظ بعد ذلك بانه في الاسفل (infra) على الطريق كانت عنجدا اي عنجدي. ان استعمال بلين هذه الكلمة يعني « في مجرى النهر » الاسفل عندما يتحدث عن امكنة واقعة على جانب نهر وانّ العادة اعتبار البحر المائت كامتداد مجرى الاردن — كما تشهد بذلك مصادر اخرى — اننا نرى امراً صعباً عدم قبول وحدة مقرّ قران وما رآه بلين ووحدة سكانه واسينيي بلين . اما هؤلاء فهم قسم من الشيعة التي عرفها فيلون ويوسف .

قبل سنة ١٩٥١ والحفريات في خربة ، اعتماداً على آثار قليلة جداً كانت قد عُرضت تحقيقات اخرى بخصوص مؤلفي « كتاب التهذيب » وتفسير حبقوق . رأى بعضهم بانهم الابيونيون او يهود — مسيحيون او يهود « قرائيون » من العصور المتوسطة . لقد مرّ زمن هذه التخمينات . يريد دل مديكو الى الآن ان يجد في قران غير الاسينيين وهم « الغيورون » (Zélotes) وهؤلاء هم حزب

وطنيّ اكثر مما هم حزب ديني. قد لعب دوراً كبيراً مدة التمرد الاول فيكون « رب العدالـة » القائد ماناهين ابن يهوذا الجليلي ويكون خصمه اليعازار الحبر الاعظم الاخير. رغماً عما جاء به دل مديكو من المهارة للدفاع عن هذا الرأي وما قيل عن قبول السيدين دريفر وروث (وهما فائقان في اختصاصهما) لهـذا الرأي لا يمكننا بالحقيقة ان نأخذ بعين الاعتبار رأياً لا يتفق الا اتفاقاً لا يُذكر مع معلوماتنا الثابتة بخصوص هـذه المسألة. لم يقدر الغيورون ان يفتكروا بالعيشة في قمران خاضعين لقوانين كتاب التهذيب الصارمة مدة سنين تزيد على المئة ولم يقدروا خصوصاً قبل سنة ٦٨ تأليف « تفسير حبقوق » وهو يتكلم عن موت الحبر الاعظم المنافق اذا كان هـذا اليعازر فانه سنة السبعين كان حياً ونشيطاً.

لكي نعرف كيف كان يعيش سكان قمران وهم على رأينـا الاسينيون فلنتبع خطوات الحفّار لتفحّص مبانيهم.

نحن على رصيف كلسي قليل الارتفاع تحيط به منحـدرات وعرة. من جهة الجنوب وادي قمران. في اكبر جزء من السنة لا ماء فيه لكن الميـاه تجتمع فيه في الشتاء ومنه تنحدر الى البحر المائت. هـذا الماء ذخر ضروري للدير الذي هو بعيد عن كل ينبوع ماء. قناة طويلة تُرى الى اليوم مركّبة على مجرى النهر الفوقاني توصل مياه امطار الشتاء الى مجموع صهـاريج او احواض عددها عشرة. على تصميم الحفريات هذه القنوات تذكّر بالمجرى الدموي في جسد حيّ. وفي الواقع يوجد شيء من هذا فان الماء والماء النزير كان ضرورياً بنوع خصوصي للاسينيين من اجل تمسكهم في الطهارة الشرعية فانهم كانوا يغطسون في الماء مراراً عديدة. هل يا ترى كان بامكانهم ان يجدّدوا ميـاه الاحواض بتواتر كما تقتضيه المحافظة على الصحة: سؤال في محله.

جزء من ابنية الدير كان مرتكزاً على اساسات اقدم منه بكثير. السيد ميليك يظنها مدينة الملح القديمة « عير ها ميلاح » التي يتكلم عنها يشوع. (يشوع ١٥ : ٦٢)

ثم ابنية اخرى صغرى موجودة في النواحي وهذه الاسوار لربما كانت جزءاً من البروج او القليعات التي شُيِّدت في ازمنة عوزيا. (سفر الايام ٢٦ : ١٠)

مجموع ابنية الدير يختلف تماماً من القرية طوله نحو ثمانين متراً وكذلك عرضه وليس منقسماً الى محالّ سكنى فلا بدّ انّ اكثر الذين كانوا يجتمعون فيه كانوا ينامون في محالّ اخرى : في المغاور التي تركوا فيها شقفاً من الفخّار او في خيم او في اكواخ .

يوجد جزءان : البناء الاعظم وهو مربّع وكان في احد زواياه نوع من البروج وبجانبها قاعة الاجتماع وأبعد منها من جهة الغرب مجموع مرتبك سمّاه الحفّارون « الحي الصناعيّ » :

الارض التي تأخذها الصهاريج فسيحة جدًّا . ثم قاعة في اسفل حيطانها دكّك قد تكون محل الاجتماع لدرس الشريعة ولمجالس الرؤساء . قريباً من هناك مطبخ فيه مواقد تُعرف بسهولة وفي الحيّ الصناعي وغيره من الامكنة محالّ لشتى الاشغال : مطحنة ومَغسل ومصبغة وفاخورة وغيرها لا يظهر جليًّا المقصود منها لربّما للنسيج ولعمل الثياب . ثمّ حجرة طولها ثلاثة عشر متراً وعرضها اربعة امتار فيها طاولات ضيّقة بوجه سويّ والواح محفورة فيها مخاريب ويتمّم الكل محابر من نحاس ومن خزف وآثار حبر نباتيّ : هذا محلّ للكتابة . كما ان الكتبة كانوا اسرائيليّين وكان عليهم ان يغسلوا حسب النظام الطقسي ايديهم كل مرة عند كتابة اسم يهوى كان لا بد من هذه المخاريب المتلئة ماء .

في محل مبتعد قليلًا كان اسطبل .

في الجنوب كانت القاعة الكبرى طولها اثنان وعشرون متراً وعرضها اربعة امتار ونصف المتر . لا بد انها كانت للاجتماعات الاهمّ وللاكل . في زاوية الجنوب الغربي يوجد نحو مئة آنية للمائدة قد تكون الجماعة استعملتها للاكل عشية نكبة سنة ٦٨ . قريباً منها ذخر آخر من هذه الآنية موضوعة بترتيب يحتوي على اكثر من الف آنية .

من جهة الدير الشرقية المدفن تفرق بينها ساحة . عدد القبور فيها الف ومئة كلها تمتد من الشمال الى الجنوب ضد العادة الجارية في الشرق التي تمدّ قبورها من الشرق الى الغرب . على القبور لا توجد اسماء ولا بلاط بناء لكن فقط كَوْم من حجارة تُدفن الجثث في عمق متر واحد او اكثر لا ينزل معها الى القبر شيء لا حلي ولا آنية ولا نقود . مدفن اسيني قمران كحياته كانت فقيرة وزاهدة .

حسب عبارات كتاب التهذيب كان قد طلب قبوله في الشيعة وكانوا يسمونها « العهد » : « لطلب الله لعمل ما هو صالح ومستقيم امامه كما امر بذلك بواسطة موسى والانبياء عبيده. لكي احب كل ما اختاره وابغض كل ما رذله ولكي ابتعد عن الشر واتمسك بكل الاعمال الصالحة ولممارسة الحقيقة والعدالة والحق في البلاد ولكي لا اعود امشي في عناد قلب مجرم وبعينين مملوءتين دنساً وانا اعمل كل شر . ثم لكي آتي بالذين يقدمون انفسهم لحفظ شرائع الله الى دخول عهد الحب الذي لا يتزعزع ولكي نكون متحدين بموجب مقاصد الله ونمشي امامه في الكمال ممتثلين لكل ما اوحى به فيما يختص بازمنة شهاداتهم المحددة ولمحبة كل ابناء النور كلّاً منهم بحسب النصيب المدّخر له في نيّات الله ولبغض كل ابناء الظلمات كلٌّ حسب وزره بموجب انتقام الله . »
(بروز ص ٤٢٤ بده الدرج)

اذن طالبُ نوع حياة قمران كان مبدئياً راغباً في حفظ شريعة موسى حقّاً وتماماً وتعاليم الانبياء التي تكملها ولم يكن يفكر بانه يصبح مُشاقّاً لكن عضواً لاسرائيل الحقيقي . كان يعتقد بانه يدخل شرعاً في العهد ويكون ابن النور ويفترق من جماعة ابناء الظلمات اللعينة . هو مدعوٌّ الى حبٍّ سامٍ للصلاح ولارادة الله والى محبة شديدة لرفقائه في هذا القصد الشريف والى بغض شديد ايضاً للشرّ وفساد الاخلاق ولكل ابناء الظلمات وهذا البغض لا فقط للامم لكن ايضاً لعدد كبير من الاخوة بالنسل الملعونين لمخالفتهم الاثيمة للشريعة . العهد الذي كان يدخله الراغب كان يحفظه بتدقيق . لقد كان هذا الذهاب الى قمران بكل معنى الكلمة تجنّداً .

« كل الذين قدموا انفسهم الى حقيقته يأتون بمعارفهم وقوتهم واموالهم الى جماعة الله حتى ينقّوا معارفهم في حقيقة وصايا الله ويدبروا قوتهم حسب كمال طرقه وحتى يتصرفوا باموالهم حسب مقاصده العادلة » (ص ٤٢٤) .

يحكم في قبول الراغب « مَن وُضع في رأس « الكثيرين » (وقد يكون: اعضاء الجماعة المهذّبين) والناظر (وقد يكون عين هذا الرئيس او غيره) كان يقبله « لطلب » يدوم سنة على ما يظهر — اذا حكم بقبوله — وفي مدة هذه السنة كان يفسر له قوانين الجماعة (ص ٤٣٣) .

يتبع زمن الطلب الابتداء. ويدوم سنتين . في ختام السنة الاولى « اموال المبتدئ واجرته كانت توضع (كوديعة) عند وكيل الاموال » دون ان توضع بعد في مُقتنى الجماعة .

في نهاية السنة الثانية هذه الاموال كانت تُضمّ الى مُقتنى الدير فيمكن الراغب الدخول الى المشرب المقدس : وهل يكون ذلك الّا الاكل مع الجماعة وكان له صفة دينية . وهكذا يضحي من الجماعة عضواً حقيقيًا فيها مهذباً ونوعاً ما ناذراً النذور الرهبانية فيضحي واحدًا في عدد « الرّبيم » والمترجمون يسمونهم تارةً « العذيدون » واخرى « الكبار » والتسميتان غير صحيحتين . وبصفته هذه — الا اذا تعرض لقصاص — يحقّ له الاشتراك في الشورى ويكون له صوت في المجامع .

في كل من مراحل طلبه كانت شورى الجماعة قد بتّت في امره فاذا قُبل نهائيًا يُقيّد اسمه في محل ثابت حسب تهذيبه وتصرّفه . لكن هذا نظام التصدّرات كان يمكن النظر فيه كل سنة لتقديم او تأخير الاعضاء حسب تصرّفهم .

بعقوبات مختلفة كانت تُقاصص المخالفات . موقف مخالف للحشمة كان يجلب لصاحبه ستة شهور حرمان من الطعام المقدس والحرمان نفسه مدة شهر فقط لمن يبصق او ينام او يقهقه في مدة الاجتماع . عقوبات مشابهة كانت تُفرض على الكاذب والمفتري والمتمم والمتفوّه باقوال باطلة . اعلان كاذب بالاموال الشخصية كان يُعاقب بسنة حرم وتنقيص ربع من الطعام ولربما تقديم ربع الطعام القانوني فقط . الحرم النهائي الطرد كان عقاب الجرائم الكبيرة مثلاً التلفظ باسم يهوى وبلعنات وبالقدح على الجماعة وبالتذمر ضد تأسيس العهد .

جزء عظيم من الحياة اليومية كان مخصصاً للصلاة ولدرس الكتب المقدسة كانوا يصلون عند شروق الشمس وعند غيابها قبل الاكل وبعده ومدة ثلث الليل وهذا يبدأ بعد طعام المساء . كانوا ينصبّون على قراءة الكتب المقدسة والتفتيش عن الصلاح وتمجيد الله معاً .

من المحتمل ان بعضهم كانوا يخصّصون دائماً او احياناً بدرس الشريعة وحدها ، بينا كان الرؤساء مهتمين بوظيفتهم والمرضى والعُجّز مضطرّين الى البقاء

في الدير او في اكواخهم . اما الآخرون الرجال الاقوياء فكانوا ينطلقون الى اشغالهم .

كانوا بعيدين عن المحالّ الآهلة وكانوا مُصمّمين على تقليل مخالطاتهم مع كل نوع من المنافقين اكثر ما يمكن. ولهذه الاسباب كان اهالي قمران مضطرين الى ان يقدموا لهم كل ما هو ضروري لمعيشتهم بتكبد تعب شديد لمرورهم في وادي الاردن . كان في الدير من الاشغال ما يكفي للجميع : مزارع عين فشكا وربما ايضاً غير قطع من الارض . ثم الاهتمام بالحيوانات الداجنة صيانة الابنية والقنوات هي اشغال يلزمها رجال كثيرون . كان عندهم اشغال مختلفة في شتى المعامل والخدم : في المخبزة والفاخورة والمغسل والمصبغة هذا ما عدا المكتب . يوسيف يأتي ايضاً بذكر السخرة :« بعد (طلوع الشمس والصلاة) يرسل الرؤساء كلّاً منهم ليشتغل بالمهنة التي يعرفها فيبقون الى الساعة الخامسة يشتغلون بكل قواهم » . وهكذا ايضاً بعد الظهر .

كان للاطعمة صفة شيء مقدس كما نرى ذلك في اوامر « اثر دمشق » فكانوا يحيطونه باهتمام خارق العادة فيما يختصّ بالطهارة الشرعية . تهيئة الاطعمة تهيئة بعضها على الاقل كانت تُعَدّ امتيازاً لا يُمنح للمبتدئين ولا للذين فُرض عليهم عقاب .

ما كانوا يبدأون بتهيئة الطعام الا بعد الاغتسال لا غسل اليدين والوجه فقط لكن بعد حمّام كامل . هذا ما يفترضه جليّاً كتاب التهذيب فانه بخصوص الراغبين المرفوضين يقول :« لا يدخلوا في الماء لكي يمسوا طعام الرجال القديسين» . اذا اردنا ان نصغي الى ما يقوله يوسيف — ولو كان دائماً متّهماً بطلب تصورات إعلانية — نحضر مشهداً معجباً للغاية :« يجتمعون من جديد في محلّ واحد وهم يحتزمون بعصائب من كتان ويغسلون كل جسدهم بالماء البارد وبعد هذا التطهير يجتمعون في حجرة خصوصية حيث لا يحق الدخول لمن ليس من الجماعة وهم لا يدخلون الى هذه المائدة الا اطهاراً مثلما في دار مقدسة ثم يجلس كل واحد منهم في محله فيقدم له الخباز خبزة ويضع الطباخ امامه صحناً فيه مأكول واحد فيتلو الكاهن صلاة قبل الاكل ولا يجوز لاحد ان يذوقه قبل نهايتها وبعد الاكل يصلي من جديد . (حرب اليهود ٢ : ٧ فقرة ٣١ : ١٩٩)

كتاب التهذيب لا يدلّنا ابداً على ما كان يجري في قاعة قمران الكبرى لكن في نص منه يكلمنا عن وجود غيرهم من جماعات العهد يقول ان جماعات من هذا النوع يجب ان تضمّ على الاقل عشرة اعضاء. احدهم كاهن ويجب ان ينصبّ كل واحد منهم بدوره على درس الشريعة ويلاحظ بان الطعام يلزم ان تسبقه بركة الكاهن: «عندما يهيئون المائدة للاكل او الخمر للشرب يمد الكاهن يده ليبارك باكورة الخبز والخمر» اللفظة المترجمة هنا بخمر ليست لفظة «يايين» العبرانية وهي ادقّ لكن لفظة «تيروش» وهي السُّلاف او الخمر الحلو او غير مشروب حلو. من الممكن ان الاسينيين كانوا يمتنعون تقشفاً عن شرب الخمر الحقيقيّ ويعوّضون عنه بشروب آخر غير مُسكر.

فيلون وبلين يثبتان تبتّل الاسينيّين ويطنبان فيها وبالاخص بلين القديم وقد فتنه هذا النوع من الحياة وكما رأينا انه يعطي شهادة عن اناس لا نقدر بالحقيقة ان نعيّن لهم مقرّاً الا قمران.

لكن ليس في كتاب التهذيب ولا في غيره سطر واحد يجعل التبتّل واجباً وقد يكون تقليداً غير مدوّن يحرّض على حفظه الناسك الذي عند دخوله الى الدير يختار الطريق الضيّقة.

على الاقل في هذا القانون لا يذكر قط نساء او اولاد فهذا بنوع مباشر تحريم تأسيس عائلة او ابقائها وهو بالحياة التي كان يوجبها والخضوع الذي كان يفرضه ما كان يبقي بالحقيقة لا الحرية الكافية ولا اسباب المعيشة الضرورية لحياة زوجية وللاهتمام باولاد.

لذلك رغماً عن وجود هياكل عظام نساء في مدافن المقبرة نقدر ان نتأكد بان سكان قمران كلهم او عدداً كبيراً منهم كانوا محافظين على التبتّل.

كتب يوسيف ما كتبه لقرّاء وثنيين واهتمّ بعرض افكار اخوته اليهود بنوع يناسب قرّاءه لذلك نراه يفسّر لهم هـذا التبتّل مبرّراً اياه ببواعث نفور من الزواج وهي بواعث مبتذلة ومكروهة اذ يقول عنهم: «يخافون من فجور النساء وهم متأكدون بانه ليس فيهن واحدة تحفظ الوفاء لزوج واحد» وهذا اختراع مضحك لا يُصدّق. اذا لم يكن امرأة للاسيني في قمران فذلك لانه لم يكن له وقت فيه يقدر ان يعيش معها ولا فلس لتدبير نفقات البيت. يمكن

ان يكون هناك غير اسباب. بعض رسوم القانون تدلّ على شعور حشمة وحياء حيّ . وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بتقدّم فضيلة البتولية عندهم . هؤلاء الزهّاد المتبتلون ليتمّموا بكمال شريعة موسى ولكي يبتوا بنوع اكمل واكثر ثباتاً في حالة الطهارة الشرعية يكونون قد شعروا ايضاً بان تزهّداً كهذا هو غاية طهارة داخلية اعمق .

لم تكن الحياة الاسينيّة في قمران وحدها ولو انها تظهر في قمران متميّزة بنجاحها لكنّ تباعها كانوا موجودين ايضاً في غيرها وليست قمران نقطة انطلاقها . فان مساحة خرائبها واسباب المعيشة فيها لا تمكننا من فرض وجود اكثر من اربعمئة راهب فيها والحال ان يوسيف وفيلون يتوافقان بالقول بان عدد الاسينيين هو اربعة آلاف ويوسيف الذي كان مطّلعاً على امرهم اكثر من فيلون لم يكن يحصر انتشارهم الجيوغرافي في نواحي البحر المائت فقط فانه يقول : « انهم ليسوا مجتمعين في مدينة واحدة لكنهم يعيشون متفرقين في مدن عديدة » لكن فيلون يقول بانهم كانوا يفضلون المحالّ القليلة السكان لكونها اجدر بالاختلاء .

من جهة اخرى يوسيف الذي وصف باعجاب حياة الاسينيّين المتبتلين يعرّفنا بانهم لم يكونوا كلهم كذلك وان جزءاً منهم كان يعيش في حالة الزواج .

ان ما عندنا من الآثار يثبت هذه المعلومات . رأينا بان كتاب التهذيب عينه وهو خاصّ برهبان قمران حافظي القانون بتدقيق يذكر وجود جماعات عديدة يترأسها كهنة وعدد اعضائها عشرة على الاقل .

كتاب قوانين آخر كانوا يقرأونه في قمران ولو انه كان يختص بغير امكنة هو « اثر دمشق » هذا الكتاب — وقد يكون اقدم من « كتاب التهذيب » — يطلعنا على شيء قليل بخصوص اصول هذه المنظّمة . لا يمكن انكار وحدة العقيدة ووحدة الالهام بين قوانين كتاب دمشق وقوانين قمران لكن حياة العهد في كتاب دمشق لا تقوم بحفظ قوانين رهبانية حقيقية .

في الصفحات الاولى نشهد رواية حزب كهنة يدّعون الانتماء الى رئيس الكهنة صادوق معاصر سليمان ومعهم لاويّون يتبعهم عدد من العلمانيين وكانوا باختلاف شديد مع رئاسات اسرائيل الروحية، لذلك تركوا ارض يهوذا ليذهبوا

ويسكنوا في ارض وثنية في بلاد الشام . لا نعرف محل سكناهم أفي حوران او في شمال ما وراء الاردن وكانوا يعيشون في محال يسوتها مراكز . في هذه الظروف كانوا يتّخذون لنفسهم نصّاً من عاموس وهو لعنة موجّهة جليًا الى وثنيين غير عابئين بمنطق : « بل حملتم خيمة مُولككم وكِيوان تماثيلكم كوكبَ الهكم الذي صنعتموه لكم فسأجليكم الى ما وراء دمشق ». (عاموس ٥ : ٢٦ — ٢٧)

هذه المراكز كانت تذكّر محلات العبرانيين في بريّة سينا فان الشعب الذي يسكن فيها هو كأجداده في ايام موسى المستأمن الوحيد للعهد، لعهد جديد، لان الرؤساء الروحيين الرسميّين قد اصبحوا « امّة بليعال » (برّوز ص ٤٠٥) .

كما في قران اجتمع هؤلاء ايضاً لمعرفة الدليل ولفهم اعمال الله وطلبه بقلب صادق في هذه المحلات اعضاء العهد يعيشون جماعــات في كل منها عشرة على الاقل وفيها على الاقل كاهن واحــد . يرئس هذه الجماعات رئيسان كبيران احدهما كاهن « مفتّش » (مُبقد) والثاني قيّم المحلات « (مبقّر) .

قوانين الطهارة الشرعية وحفظ السبت كانت — لربما مُزائدة نحو الآخرين — مشدّدة حتى الجنون. فهي تأمر بفصد الاسماك وهي حيّة كالحيوانات الحارّة الدم وأن لا يؤخذ الجراد للشواء ولا يوضع في الماء للطبخ الا حيًا . وكانت تحرم نقل شيء مهما صغر يوم سبت ولو كان كيس طيب معلّق بالثياب وكان محرّماً حمل الرضيع بالذراعين . كان محرّماً ايضاً اخراج حيوان سقط في بئر او صهريج ومحرّماً كذلك اخراج انسان لتخليصه اذا لم يكن انقاذه ممكناً دون استعمال حبل او سلّم .

اعضاء العهد العائشون في هذه المحلات لم يكونوا مُجبَرين على التخلّي عن اموالهم لكن فقط كانوا ملزمين بدفع ضريبــة توازي اجرة يومي شغل كل شهر للصندوق العمومي .

كان الزواج مُباحاً بشرط الخضوع في حالته لقوانين اولاً لشريعة موسى وثانياً للتي تنتج من تأويل الشيعة التي هو منها فانها كانت تمنع الُمضادّة وربما الطلاق ايضاً وتحرّم زواج العمّ بابنة اخيه او اخته مع ان سفر الاحبار لا يحتوي هذا التحريم .

لكن الظروف التي كانت قد أوجبت هذا الجلاء الى بلاد دمشق لم تلبث ان تغيّرت، حينئذٍ تمكّنت المحلّات ان تقيم في يهوذا او في الجليل بينما مركز قران الرهباني كان يثبّت في نواحي البحر المائت وهكذا في بدء تريخنا في زمن محدّد كان قد توصل عدد الاعضاء الى اربعة آلاف وهو عدد ذو قدر ولو لم يكن كبيراً . وكان لا بدّ من وجود محيط حول هذه الاخويات الاسينية مختلف الآراء من نافر او محبّذ .

يظهر ان هذه الروح الاسينية قد بلغت الى المهاجرين انفسهم على الاقل الى مدينة الاسكندرية حيث تعارف فيلون مع « التيرابوت » وحسب وصفه لهم نرى انهم كانوا يعيشون عيشة قريبة جداً من قوانين قران وفي حالة التبتّل . وكان هناك ايضاً جمعية نسائية . ثم ان وجود قطع من الترجمة السبعينية في مغاور برّية يهوذا قد يكون دليلًا على علاقة بين الاسينيين و« التيرابوت » .

في كلامنا عن « أثر دمشق » ذكرنا بأننا فيه نجد معلومات عن اصل الاسينيين . نعود الآن الى المسألة لنفتش على ما نقدر ان نعيّنه من تريخهم . عندنا ايضاً كتاب آخر يعطينا شيئاً من هذا التاريخ بنوع أجلى وبحيّة . عن هذا الكتاب كتب كثيرون وهو « تأويل حبقوق » . كما حدث لمفسّرين كثيرين خياليين لسفر الرؤيا حدث لهم فانهم بسهولة تصوروا وجود شرلمان ومحمد وهتلر والقنبلة الذرية فيه . كذا الاسينيون كانوا قد فسروا الانبياء بموجب ماضي شيعتهم ورغباتها لكنهم لسوء الحظ تجنّبوا قصداً ذكر اسم اي شخص كان . وعلاوة على ذلك فان عباراتهم ليست دائماً دون اشتباه والحلال تزيد في الارتباك .

يطول بنا المقال اذا اردنا ان نعدّد كل التخمينات التي بُنيت على هذا الأساس وخصوصاً اذا باشرنا مباحثة مستفيضة في هذا الموضوع . نكتفي بتعيين سريع للنقاط الثابتة والحلول المحتملة .

يخبرنا يوسيف (القدميّات اليهودية ١٣: فصل ٥ و١٧١) «انه في ايام يوناثان وهو ثاني المكابيّين كان يوجد بين اليهود ثلاث شيع كان لكل منها اعتقاد مختلف بخصوص الامور البشرية وهي شيعة الفريسيين وشيعة الصدوقيين والثالثة شيعة الاسينيّين ». يمكننا قبول هذه المعلومات وعندنا اسباب صوابية للظن بانه

في الازمنة التي سبقت كانت هذه الشيع موجودة فقط كحالة اتجاهية او كتجمّعات غير منظمة .

ان اضطهاد انطيوكس الرابع ابيفانيوس سنة ١٦٧ هيّج مقاومة الشعب اليهودي ومتاتياس الكاهن — لم يكن من ذرية صادوق — وطّد هذه المقاومة وترك لابنائه مهمة ادارتها . في اول هذه المقاومة وهو زمن البأس والشجاعة عاضدته كثيرًا او قليلًا جماعة من رجال متعلّقين بنوع خصوصي بالشريعة وهم « الحسيديون » (١ مكابيون ٢:٤٢) لكن هذه الجماعة لم تتعامل بعد ذلك معه كحليفة فانها اسرعت الى قبول السلم دونه مع الملك ديمتريوس مغرورين لوجود كاهن من نسل هارون معه «الكيم» (١ مكا ٧:١٢-١٤) ولا يظهر انهم رغمًا عن انخداعهم وبعد هذا العمل القليل الفطنة عادوا الى المكابيين واتحدوا معهم بصراحة للمقاومة .

هؤلاء الحسيديون بغيرتهم على الشريعة يسبقون نوعاً ما الفرّيسيين ولا يستحيل ان يكون بعضهم قد لعب دورًا في بروز شيعة الفرّيسيين . لكن لم يكن الاسينيون اقلّ غيرة على المراسيم الموسوية ويمكن ان يكونوا هم ورثة الحركة الحسيدية خصوصاً بقلة اتفاقهم مع المكابيين .

كما يصف لنا معيشتهم كتاب دمشق نرى فيهم اولًا حزباً كهنوتياً يتركب من عدد وافر من الكهنة واللاويين وهو خاضع لرؤساء من نسل هارون واحترامهم لموسى عميق لكنهم بعده يضعون في درجة ممتازة رئيس الكهنة صادوق فبرأيهم انه حتى مجيئه كانت الشريعة مهملة جدًا حتى من جهة داود لكن جهل هذا يعذره لمخالفتها بتعدّد زوجاته .

في الازمنة التابعة دخل الشرّ من جديد وشاع « لكن الله اخرج من هارون رجالًا ذوي فهم ومن اسرائيل رجالًا حكماء » وهم رجال «العهد الجديد» في برّية دمشق وهم وحدهم الصالحون الحقيقيون .

ضد اخصامهم ولا بد ان هؤلاء — حسب روح كتاب دمشق — هم المكابيون او خلفاؤهم السلالة الاثمونية عندهم شكوات شديدة عديدة منها : انهم يجيزون تعدّد الزوجات ضد كلام التكوين: «خلقهما ذكرًا وانثى » ثم: « سيدخلون السفينة اثنين اثنين » .

. وانهم يأذنون بما لا يجوز مثلاً : بزواج ابنة الاخ او الاخت مع اخي الاب ثم انهم غيّروا حساب ايام السنة الخدمي .

لهذه الملاومات النظرية نظنّ انه يوجد اسباب عدم رضى احق وأهمّ عند كهنة قد يكونون من ذرية صادوق وهم الزعما. فان السلالة الاشمونية الكهنوتية والملوكية معاً كانت حائزة على منصب رئيس الكهنة الـذي كان خاصاً بذرّية صادوق منذ اجيال .

في اول الامر كانت تدفع الاسيين اسباب متباينة وغيرة حقيقية على الشريعة وغيظ كامن كانوا يشعرون او لا يشعرون به . وجاء يوم — لربما بعد خصام مع الكهنة الرسميّين — فيه اختاروا المنفى ووطّدوه باتخاذ نوع من المعيشة تحاهم ان لم يكن عن كل نفوذ فعلى الاقل عن مقـدّم ملعب الحياة . لكن الحزب كان يعتقد اعتقاداً ثابتاً بانه مستأمن عهد جديد مدعوّ الى جمع شتات اسرائيل الحقيقي لقتال جازم وانتصار المسيح المتبدئ. هذا المسيح هو الذي يعتقد به الاسيّون وهو مسيح كهنوتي مسيح هارون واسرائيل ويفترق احياناً الى شخصين مسيح هارون وهو زعيم ديني ومسيح اسرائيل وهو علماني وفي الدرجة الثانية وهم في اثناء ذلك يُعدون عبثاً ضد بقيّة الناس .

شخصان يعطي اسمها كتاب دمشق وتأويل حبقوق هما زعيما هذا الانشقاق المكدّر : « ربّ العدالة » و « الكاهن المنافق » .

لا بدّ ان « رب العدالة » كان شخصاً قوياً وقد حوّل — لخدمة مآربه — حركة مرتبكة وقليلة الانتظام ناشئة الى منظمة عاملة وثابتة . كتاب دمشق يعلن بان الله ارسله « ليقود (ذويه) في طريق تكون حسب قلبه » (D D. I, Burrows, p. 339) لكنه يتكلم عن مدة العشرين سنة التي سبقت دخوله الى العمل . اذن لا يظهر بأنه هو المؤسس لكن المنظّم والزعيم . كتاب تأويل حبقوق ينسب اليه أسمى مواهب المعرفة ويقول « بانه كان كاهناً وضع الله في قلبه الحكمة ليفسر اقوال خدامه الانبياء » (حبقوق ١:٥) وان الله كان قد « اوحى اليه بكل اسرار اقوال الانبياء خدامه » (حبقوق ٢:٢) فكان اذن واجباً قبول رسالته وكبيرة كانت خطيئة اخصامه برفضها : « هم الذين تصرّفوا تصرّف خونة بالاتفاق مع رجل الكذب لانهم لم يُبالوا بكلام رب العدالة

الخارجة من فم الله » (حبقوق ٥:١) ثم ينتقل المؤول الى آية شهيرة منها بعد ذلك انتج القديس بولس نتيجة مختلفة جداً فيكتب : « لكن البارّ سوف يحيا من ايمانه وهذا يعني كل الذين يمارسون الشريعة في آل يهوذا وسوف ينقذهم الله من الحكم عليهم من اجل محنهم وايمانهم بربّ العدالة » (حبقوق ٢:٤)

لا يمكن الشك بان تأثير هذا الشخص كان عظيماً في المذهب الاسيني كله وان اليه تعود بالاخصّ رسوم الحلات وعظم الوثبة الادبية التي تنتعش في عدة صفحات من الكتب التي وصلت الينا وقد جعلت ممكناً نجاح الحياة الزهدية في قمران .

ازاءه يقف « الكاهن المنافق » ولا بد انه هو « رجل الكذب». السيد ملّار برّوز يقدّمه الى قرائه قائلاً :« وها الآن دخول الخـائن » هوذا هذا الدخول الى المسرح بمناسبة آية « النبي » ٢:٦ : « الويل لمن يكدّس ما ليس له » وهذا يعني « الكاهن المنافق وقد دُعي اولاً حسب الحقيقة لكن عندما بدأ يملك في اسرائيل انتفخ قلبه كبرياء فترك الله وخان وصاياه من سبب الغنى. نهب وكدّس غنى رجال الصولة الذين كانوا يتمردون على الله واخذ غنى الشعوب جامعاً في نفسه الخطأ والجور » (برّوز ص ١٧٩) ونص آخر يظهره لنا مضطهداً لربّ العدالة ثم نراه هو ايضاً وقد سُلم الى اعدائه وعوقب : « هـذا يعني الكاهن المنافق الـذي من جرّاء الشر الذي سبّبه لرب العدالة ولرجال حزبه سلّمه الله الى أيدي اعدائه ضارباً اياه بعقاب مهلك في مرارة نفسه لانه تصرف بنفاق ضد مختاره » (٢ : ٨).

و« واعظ الكذب » وقد يكون الكاهن المنافق بعينه يُعاب لانه دفع اناساً عديدين الى بناء مدينة « خداعة » . هذا صدى ملام عنيف يوجهه عدة مرار كتاب دمشق ضدّ « بنّائي اسوار الـذين بنوا السور وطلوه بالملاط » (كتاب دمشق ٧ و٩).

كاهن مالكٌ على اسرائيل قد اغتنى من اموال الشعوب واموال اشخاص تمرّدوا هم ايضاً على الله ويظهر انه كان مولعاً بالبناء : هـذه خطوط صورة خصم رب العدالة الكاهن المنافق مرسومة جيداً . يبدو جلياً بانه كان قد

توصل الى الإتكا. عليه وعلى ذويه لكن هو ايضاً كان قد سُلم الى اعدائه و ـب بعقاب مهلك .

« بيت ابشالوم » — اسم لُتزي — بقي مدة على حياد مجرم : « يعني هذا بيت ابشالوم ورجال حزبه الذين حفظوا السكوت ازاء عقاب رب العدالة وذويه ولم يعضدوه ضد رجل الكذب الذي نبذ الشريعة ضمن جميتهم ».

هوذا اخيرًا نصّ كان موضوع تأويلين مختلفين : « هـذا يعني الكاهن المنافق الذي يضطهد رب العدالة لكي يخزيه في حدّة غضبه راغباً في نفيه (في غير موضع : في ابتلاعه) . وفي وقت عنـد بطالتهم يوم التكفير ظهر لهم ليخزيهم ويُوججهم يوم الصوم سبت بطالتهم » .

دوبون سومر في محاولته لوجود مشابه بين رب العدالة ويسوع المسيح كان يرى في هذه العبارات ذكر مكيدة كادها ضد رب العدالة الكاهن المنافق توصلت الى قصد قتله والى تنفيذه . لكن رب العدالة أخذ ثأره اذ قام من الموت وظهر لاعدائه بنوع ناقم في يوم التكفير عينه وهذا الظهور ليس الا نكبة دخول بومباي الى الهيكل .

هذا التأويل يقتضي رجوع رب العدالة الى الحياة وليس في النص ما يدل على ذلك ويقتضي ايضاً قبول وقوع ما يحدث احياناً في الانشاء عند الساميين بان الكاتب بروره من جملة الى التابعة ودون ان ينتبه الى ذلك بنوع جليّ غيّر الفاعل : « ... الكاهن المنافق الذي يضطهد ... ظهر لهم ليخزيهم ... » (فانه يعطي لفاعل « ظهر » غير فاعل « اضطهد »).

انه لصوابيّ اكثر عدم تطلّب تغيير الفاعل هذا وبهذا النوع عندنا تأويل عرضه م. س. تلمون ونشره في « بيبلكا » (Biblica) سنة١٩٥١ وهو مقبول اليوم عموماً : الذي ظهر هو الكاهن المنافق وذلك حيث كان حينئذٍ مركز الاسينيين الاهمّ وفي يوم اجتماعهم لعيد التكفير بحسب حسابهم وظهر لهم « ليرججهم » بدعوته اياهم الى ترك ممارساتهم الخصوصية . بوجب هذا التأويل تكون هذه مسألة تفتيش قام به رئيس الكهنة بذاته او باسمه عند اناس رآه مناسباً . هذا ما فعلته فيما بعد سلطات اورشليم اذ ارسلوا الى شواطئ الاردن من فوّضوا اليهم ان يستفسروا عن اعمال المعمدان .

من هذه المعلومات ماذا نقدر ان نستنتج من امر جليّ او محتمل ؟

احتمل رب العدالة وذووه ما احتملوه من قبل الكاهن المنافق وهو اذ ذاك رئيس الكهنة رئيس ديانة اورشليم الرسمية وقد يكون سبب ذلك ما أبدوه من التعصب ولربما كان اضطرارهم للجلاء الى دمشق الشيء الاهمّ في اضطهادهم .

عندما كُتب « اثر دمشق » كان رب العدالة قد مات « كان قد جُمع » (يروز ص ٤٠٨) ويظهر ان موته كان طبيعياً . نحو اربعين سنة فيما بعد على الاكثر كان مُفتَرَضاً ان يحدث « ابادة رجال الحرب الذين اتّبعوا رجل الكذب » : انتصار بالمسيح .

من يكون رب العدالة هذا . الى اليوم لم يعرض احد في ذلك رأياً يستحق القبول . من المحتمل جداً ان اسمه — وقد اهمل مشايعوه ذكره — ليس اسم شخص مذكور في الكتاب المقدس ولا في الكتب المحرّفة ولا في كتب يوسيف أو في غيره مما وصل الينا . لقد بالغ المتحزّبون له في تعظيمه ولربما لم يكن له عند بقية اسرائيل الا مقام قليل الاهمية .

اما خصمه الكاهن المنافق فتحديد شخصيته اقلّ صعوبة كما يظهر ذلك من النصوص التي اتينا بها اعلاه . ليس لنا ان نفتش الا بين رؤساء كهنة اسرائيل الذين مارسوا ايضاً السلطة الملكية وهم السلالة الاشمونية التي بدأت بتابع المكابيين الشهير . عندنا اسمان بارزان : الاسكندر جانّه وهو مشهود بقساوته (٧٦ — ١٠٣) وقبله بكثير المكابيّ الثاني يوناثان (١٤٢—١٦٠) ان سفر المكابيين يعرض لاعجابنا شخص يوناثان . اما الاسينيون فكانوا متمسكين بمبادئهم متعلقين بنسل صادوق الكهنوتي لذلك يمكن ان حكمهم فيه كان مخالفاً لحكم سفر المكابيين . هذا رأي الاب ج. فرماس من آباء صيون وقد دافع عنه م. ميليك . وما يحمل الاكثر على قبولهم انه الوحيد الذي يطابق ما نعرفه من صفات الكاهن المنافق حسبما يكلمنا عنها « تأويل حبقوق » اي : ابتداء لا يؤاخذ عليه ثم اغتناء لاموه عليه لوماً شديداً لكنه فقط من اموال الامم والذين تمرّدوا بشدّة على الله ثم اخيراً بناء اسوار ثم أسر وموت فاجع .

لن نعرف ابداً من يُعنى «ببيت ابشالوم». وهو لا يُذكر الا بكلام وجيز.
من وراء هذا المشهد ودون علاقات متينة مع حوادث الشيعة يظهر عدو خارجيّ عابد أعلامه الحربيّة ذو بأس عظيم وطاغية « الكيتيم » وهم بالاحرى الرومانيون لا السلوقيون .

الحميّة التي جعلت ممكنة حياة الحلات الصعبة والجذاب المشايعين الى دير قمران تستند ولا بد على اعتقادهم الوطيد بانهم هم وحدهم « بالعهد الجديد » في « برّية دمشق » الصادقون الاصفياء. ورجاؤهم العظيم المنتظر تتميمه قريباً وهو انتصار العدل عند مجيء المسيحين ولا بد ان بغضهم للفاتح الروماني — ولم يكن اقل شدّة من بغض بقية اليهود — كان يلمج غيرتهم .

لا نقدر ان نعرف بصراحة ماذا كان مقامهم في اسرائيل . نعرف انه كان لهم حظوة عند هيرودس العظيم وانهم اذ ذاك هجروا قمران مدة من الزمان . يمكن ان دسائس الكاهن المنافق ضد ربّ العدالة كانت بالخصوص رفض يوناتان او احد خلفائه قبول رسالة مُلهَم الشيعة الكبير — وهذا الرفض يظهر صوابياً — واعادة رتبة رئيس الكهنة لواحد من نسل صادوق. فالكهنة واللاويون الاسينيون كانوا مُبعدين من خدمة الهيكل لرفضهم الاختلاط بسائر الكهنة لهذا السبب ما كانت جماعتهم تشترك الا نادراً في الشعائر الدينية الرسمية . لكن ليس ما يُثبت انهم كانوا عادةً وفعلاً مضطهدين من قبل سلطات اورشليم الدينية ولا محتسبين كمُنشقّين مرذولين مثل السامريّين ثم ان حياتهم المعتزلة ما كانت لتجذب جزءاً مهماً من الشعب فكانوا غير مؤذين وكان تأثيرهم ضعيفاً . ثم ألم يكن الناس امام الغرباء فخورين لاسرائيل كله من فضائل حياتهم ومن تبتلهم الارادي العجيب .

يعنّ لي ان اقابلهم — عن بُعد وفي بعض الاوجه فقط — بشيع كانت موجودة في الكنائس الصقلية من « المؤمنين — القدماء » (الراسكولنك) . هنا كما هناك نرى اختلاط عناصر ممكن تفسير تركيبها نفسياً : قلة ذكاء و « misonéisme » متعصبان ضد تغييرات جاءت بوقتها او على الاقل مقبولة ثم ادّعاء بالوحي متباين يزول الى ممارسات غريبة حتى الى عقائد ضالّة مع همّة في العبادة احياناً جديرة بالاعجاب .

اما الشكوى الموجهة الى زعماء الدين في اورشليم بانهم مذنبون باتخاذهم حساباً جديداً لايام السنة وبانهم لم يحرّموا تكاثر الزوجات ولا بعض الاقترانات الزواجية ولو انها ليست محرّمة في نصوص الشريعة فكل هذا يظهر لنا الاسيئين كأناس متعصبين على شبه الراسكولنك بخصوص حركات في الخدم الدينية او لفظ اسم يسوع . مثل هؤلاء الراسكولنك او بعضهم على الاقل كانوا يشدّدون في المشاكل الضميرية بخصوص المآكل والتطهير وحفظ يوم السبت وهذا يدلّ على نفسيّة ناقصة الذكاء .

لكن عند هؤلاء المتحمّسين مواقف فاخرة بها يظهرون متفوّقين على منافسيهم الصدوقيين والفريسيين الاكثر نشاطاً وحظاً .

ليس عندنا عن الصدوقيين معلومات تامة وما نعرفه عنهم ليس مما يرفع شأنهم . من الكتاب المقدس لا يعترفون الا بالتوراة وبما انهم يتّمون ماضياً ليس عنهم بعيداً يرفضون قبول كل ما جهلته التقاليد القديمة وبالاخص قيامة الموتى والمجازاة في الحياة الاخرى . هذا الانكار الصريح كان يصلّب ما لم يكن في ايام داود الا جهلا حسّياً بخصوص ما بعد الحياة لا يرفض امكان امر ما لم يرَ بعدُ النظام الإلٰهي ان يوحي به . هذا الضلال الجوهري فيما يخصّ مصير الانسان بعد الموت هو الذي يحملنا على اعتبار عقيدة الصدوقيين ومبادئهم العملية ناقصة مادّية . سفر يشوع بن سيراخ الذي كان يميل الى هذا الاتجاه يُظهر لنا بانه لم يكن مخالفاً لإحساس ديني عميق وبالحقيقة دون عظيم همّة . لكننا نعرف بان الصدوقيّين كانوا متشدّدين في حفظ الشريعة وتأويلها . كانت قوّتهم بالعائلات الكهنوتية الكبيرة التي منها كان عظيم الكهنة في عهد المسيح . يكلّمنا الانجيل بأسطر قليلة عن الصدوقيين لا لمدحهم . لكنّ تآليف اليهود التابعة تبالغ في ذمّهم تعصّباً .

نعرف الفريسيّين معرفة أوفى . هم اولًا علمانيون وهم غيورون على معرفة الشريعة وحفظها ورغماً عن احتقارهم لغيرهم من الاسرائيليين كان لهم هيبة ونفوذ اعظم . ان حزبهم وحده بقي حياً بعد نكبة سنة السبعين وسنة ١٣٥ بينما اضمحل حزب الصدوقيّين بعد انقطاع الخدم الدينية في الهيكل وحزب

الاسينيّين لم يبقَ له اثر. ثم خلف الربانيُّ الكاهنَ والحزبُ الفريسي صار واحداً مع الشعب الاسرائيلي عينه .

كان موقف البدعة الفريسيَّة شديداً ضد الصدوقيين وكانت متمسكة بعقيدة المجازاة في الحياة الثيدة ومن ثم بقيامة الاجساد . ومجموعتها للكتب المقدسة هي التي تثبّتت في الكتاب المقدس « المأثور » . لكن على مثال عزرا الذي تتلمذت له كان اهتمامها محصوراً في الشريعة في موسى وقد عُنيت بنوع خصوصيّ بحل المشاكل العملية الدمية . غاية الفريسيين في قراءتهم الانبياء والاسفار الحكمية هي خصوصاً ان يجدوا فيها ما يساعدهم على تأويل موسى. هذا ما انتج فيها هزالاً دينياً مؤسفاً اذ جعلت اليهودي بيلاجياً قبل ان يكون البيلاجيون عندنا مثالاً من الفريسيين في الانجيل : انه يقف مفتخراً بصلاحه ناسياً ما هي بالحقيقة مرتبته ازاء خالقه .

اما الاسينيون الذين تعرّفنا اليهم – وهم خصوصاً حزب كهنوتي – مع انهم كانوا – ربما لمزايدتهم للفريسيين – اكثر تعصباً منهم للتدقيق في حفظ الشريعة. نراهم يقرأون باهتمام اعظم كتب الانبياء . يشهد بذلك الدرج الاول مما ورثناه منهم. انه كان سفر اشعيا . وفي البرية تبعوا موسى لكنهم معه وجدوا ايضاً من جديد ايليا واليشاع وابناء الانبياء المحيطين بهم . بهذا الفكر اتخذوا لهم شعاراً وضعوه في الصفحة الاولى من كتابَي قوانينهم بهذه العبارة: « طَلَبُ الله ». لكن في هذا الطلب كان تعيق مشيهم عوائق عديدة لم يكن ليتغلّب عليها الا الانجيل . كانت الشريعة لهم استاذاً قاسياً مخيفاً لا يعرفون كيف التخلّص منه. وما هو أتعس انهم مع محبة الله ومحبة القريب (والقريب ليس الا الاخوة بالعهد) كانوا يتعلمون بغضاً شديداً لابناء الظلام لا فقط لاخطائهم وأضاليلهم لكن ايضاً لهم شخصياً .

زهد قمران لا يخلو من النقص لكنه مع ذلك امر عظيم لما كان يتطلبه من الخضوع للرؤساء والمحبة الاخوية والثبات في الصلاة والشغل دون غرض شخصي .

الارشادات المفيدة والاناشيد تشهد لهم بسلوك سام جداً وبحياة داخلية حقيقيّة . هوذا مثلاً جزءاً من نشيد ينتهي به كتاب التهذيب :

يجب ان لا يُعجب الانسان الا بارادة الله .
وان يفرح لكل كلام يخرج من فمه .
وان لا يشتهي الا ما امر به الله .
لكن ان يتأمل دائمًا بشرائعه .
في كل ساعة تُقبل فليبارك خالقه .
في ايّ حال وُجد فليبارك عدالته .
عندما ابدأ بتقديم رجليّ ويديّ
ابارك اسمه .
عندما ابدأ بالخروج او الدخول .
عندما اجلس او اقوم .
وعندما اكون مستلقيًا على مضجعي أعظّمه .
اباركه بتقدمة شفتيّ .
اكثر مما بالذبائح التي يقدمها البشر .
لن اردّ لاحد جزاء الشرّ .
سألاحق كل انسان بالخير .
فلله الحق بمحاكمة كل انسان حيّ .
لا يتقدمه الاعتراف الوضيع بضعف الانسان وبالخطيئة وبالرجاء في عدل الله
لنيل الشفاء منها :
لكني من عدد البشرية الخاطئة .
من جماعة الضلال الجسدي .
مآثمي وهفواتي وخطيئتي .
كذلك إثم قلبي المجرم .
تختص بالدود وبالذين يمشون في الظلمات .
اما انا فاذا ارتججت
فحب الله الذي لا يتزعزع يكون خلاصي الى الابد .
واذا ترجرجت في خطيئة الجسد .
فمحاكمتي تكون الى الابد في عدل الله .

اذا ترك التوجع يذوب فيّ .
سوف يُنقذ نفسي من الهوّة .
وسوف يقود خطاي في الطريق المقدسة .
برحمته قرّبني اليه .
وبعدالته سوف يطهّرني من الدنس البشري .
من خطايا ابناء الانسان .
كن مباركاً يا الهي .
انت الذي فتحت للمعرفة قلب عبدك .
الا قُد اعماله كلها الى الصلاح .

الاسينيون كالفريسيين ينتظرون جزاء في الحياة الاخرى لكنهم لا يلحّون في الكلام عن عقيدة قيامة الاجساد الحاح الفريسيين . تعريفهم للانسان يقيم بين النفس والجسد ثنوية صريحة لذلك يمكن انهم فكّروا بان السعادة هي للنفس وحدها بصحبة الملائكة . من جهة اخرى يظهر أن رجاءهم بازمنة المسيح جعلهم ينتظرون الى سعادة يصلون اليها دون المرور بالموت .

انه لتعذّر من قبل يوسيف ادّعاؤه بانهم يوجهون صلاتهم الصباح الى الشمس فمن الاكيد أنهم يوجّهونها الى الإله الحقيقي . ثم ان استفادة كتاب التهذيب من موضوع الطريقين لا تحتوي الا ما كان مطابقاً بالتمام لعقيدة التوحيد حتى اذا فرضنا فيه (وهذا ليس مُثبتاً) وجود تذكار للثنوية الايرانية .

عقيدتهم بخصوص العناية الإلهية تقرّر بالاختيار من الازل وبتحديد مستقبل الانسان لكننا لا نرى فيها انكاراً للحرية البشرية . علاوة على ذلك كانوا يعتقدون بالتنجيم فينسبون الى النجوم تأثيراً باتاً في حظوظ البشر .

حسابهم لايام السنة مثل حساب كتاب اليوبيل وحساب جزء من كتاب اخنوخ لم يكن الحساب القمري الرسمي في اورشليم في ايام المسيح مع اسماء الاشهر التي حفظتها اللغة العربية العصرية : نيسان وحزيران وتموز والبقية . فكان اذن حسابهم شمسياً (وقد يكون من اصله مصريًّا) يتركب من اثني عشر شهراً ومن اثنين وخمسين اسبوعاً وعدد ايامه ٣٦٤ . في حسابهم — كما ينوون ان يجعلوه في عصرنا — يوم لشهر وايام الاسبوع متقابلة بنوع لا

يتغيّر . مثلاً اول يوم من السنة واول يوم من كل ثلاثة اشهر يقع دائماً في يوم الاربعاء. ثم الاعياد مثلاً عيد الفصح وعيد التكفير كانت تقع دائماً في تاريخ محدّد . اننا لا نعرف كيف كانوا ينظمون توافق هذه السنة مع تقدّم الفصول الحقيقي فانه كان ينقصها يوم .

هكذا عاش الاسينيون بجانب المجتمع على حدة متكلّفين ممارسات مجاوزة الحدّ وهم متيقّنون ولا شك بانه لا تعوزهم معرفة . لكنهم أهلٌ للاعجاب بتجرّدهم وتزهّدهم وجهودهم في طلب الله .

في سنة ٦٨ بعد ان وضع الاسينيون مخطوطاتهم حسب امكانهم في محل أمين . وبينما كان كثيرون منهم حسبما نظن يحاربون او قتلوا في صفوف المقاومين حينئذٍ ظهر الجنود الرومانيون جنود الجوقة الفريتنسية (Xª Legio Fretensis). ومدةً من الزمان وضعوا في الخرائب مركز مراقبة . بعد ذلك جاء دور مشايعي برخوشبا ثم من بعد ذلك والى اليوم خيم فيها بدويّون . هذه كانت نهاية الحياة النسكية اليهودية الحارة بعبادتها الفريدة بنوعها التي كانت قد أنعشت قمران مدة اكثر من قرن .

يظهر انه بهذا الخراب انتهت كل حياة اسينية منظمة لا فقط في قمران لكن ايضاً خارجاً عنها . لا بد ان ما سببه الموت والاستعباد من نقصان في عدد الاسينيين القليل كان كافياً للاشاء الشيعة بسرعة دون ان يبقى لها بعد ذلك بقاء بتأثيرها في منظمات دينية اخرى وخصوصاً في الديانة المسيحية .

آثار قمران والديانة المسيحية

منذ الجيل الثامن عشر خطر على بال بعض الباحثين ان ينسبوا اصل الانجيل الى مصادر اسينيَّة . فريدريك الثاني — ولم يكن له من الجدارة في هذا الموضوع الاشيء زهيد — كتب الى دالمبر ما يلي: «كان يسوع بحصر المعنى اسينياً. كان متشرباً من تعاليم الاسينيين الادبية وهي تعاليم أخذت كثيراً من زينون». هذا رأي ساذج ارتأى به رغماً عن قلة ما كان معروفاً بخصوص الاسينيين او لسبب ذلك متطفّلون في تفسير الكتاب المقدس وتاريخ الاديان .

اكتشافات قمران فتحت باباً هنا او هناك لتصريحات قليلة التوفيق في

نشرات كبيرة ومجلات وغير تآليف مخصّصة لجميع القرا . ويحدث في هذا النوع من الكتابات بان لا يبالي الكاتب كفاية بالتدقيق .

ولو ان هذه التصريحات لا طائل تحتها وليست اهلًا بان نقف عندها فالامر لا يُنكر بان آثار قران قد أتتنا بما يقدر ان يساعدنا على فهم احسن لكتب العهد الجديد واصول الديانة المسيحية . درس النصوص الاسينية والمسيحية ومقابلتها ولو انه الى الآن متردّد هو غزير الوعود. كما هو غزير بالنتائج المكتسبة . ومما لا شكّ فيه ان امكان درس كهذا هو اهمّ الفوائد التي أتتنا بها اكتشاف قران .

لنقُل حالًا بان هذا البحث صعوباته الخصوصية فيلزم اذن الدخول فيه باسلوب دون الانحراف الى جاذبيّة مقابلات بارعة لكن دون اثبات مكين او الى اقامة ابنية مموّهة على اساس مُريب .

من مشابهة بين مثل بوذي وقول من الانجيل اي مفكّر رزين يحكم بان احدهما ايًا كان قد أخذ عن الآخر عوضًا عن الاكتفاء بالحكم بان هنالك اتفاقًا عرضيًا . في تاريخ الاديان حتى في استعمال ما يُسمّى الاسلوب التشبيهي لا يجوز اعتبار ادلة بسيطة كبرهان تحقيقي فان ذلك لا تتبله محكمة ولا يرضى به نظام مباحث آخر .

نرى اذن انه يجب كلما حدث وجود مصادفة لفظية بين احد آثار قران ونصّ من العهد الجديد ان نتحاشى تجاوز ما تعنيهُ فإنها ليست الا دلالة مفيدة ولكنها ضعيفة على احتمال وجود استعارة او تأثير فلا يجوز اذن اعلان الشيء حالًا كأنه امر واضح لا يُردّ ولا يُعترض عليه .

يجب ايضًا التحذّر من الميل الى عدّ المسألة سهلة واعتبار اسينيًا جوهريًا تعبيرًا او عادة او اتجاهًا دينيًا ما لا نعرفه الا من كتابات قران وحدها .

هنا نرى ما هي فعلًا قيمة الاكتشافات الحديثة واهميتها فانها وحدها تعطينا نصوصًا مكتوبة في فلسطين في زمان الانجيل عينه وتعطينا هكذا شيئًا مما كان الناس يقولون ويفكرون ويحيون بموجبه وهذا دون ان نقدر اكثر الاحيان البتّ فيما اذا كان ذلك شيئًا خاصًا « بالعهد الجديد » .

والفائدة تبقى عظيمة فيما يخصّ تفسيرًا لكتب العهد الجديد . الى الآن

كان ينقصنا الادلة نقصاً تاماً. نعم ان فيلون كان معاصراً للمسيح لكنه شاهد من يهود الاسكندرية متكلمي اللغة اليونانية وعلاوة على ذلك انه كاتب ذاتيّ للغاية اما يوسيف فانه يكتب لقارئيه الوثنيين فيشوه كل ما يمسه واحياناً كثيرة بنوع مكروه . وهكذا ما كان لنا لايضاح كتب العهد الجديد وسائط الا التآليف اليهودية المتأخرة اي المشنا والتلمود والمدراشيم ومعلوم ان هذه الادلة هي مخبية فانها كُتبت بعد سنة السبعين حيث كان خراب الهيكل بسنين عديدة ولم تكن اذ ذاك الا ذكريات عن الخدم الدينية البائدة . الحزب الصدوقي اضمحلّ حالاً بعد خراب الهيكل والحزب الاسيني أهمل. اما الكتبة ورثة التقليد الفريسي وحده فنسوا او تناسوا كل ما في الماضي الا هذا التقليد علاوة على ذلك انهم بعقليتهم الفقهية كانوا أكثر اهتماماً بتدوين ما كان يجب ان يكون مما كان فعلاً . وهذا ما أسكن المفسرين المتقادمين الى قبول ما كتبوه عند كلامهم عن المشاء السري من وصف رتب المشاء الفصحي اليهودي بتدقيق حتى انهم ذكروا لون « الشاروست » الشهيرة ثم في كلامهم عن نكران بطرس الرسول بحثوا عن شرعية وجود الديك الصائح في أورشليم احسن من هذا : كان في امكاننا ان نكمّل ما نعرفه عن شخصيّة الفريسي ونؤكد صحة التعديات التي اعلنها المسيح واهميتها (الحلفانات الباطلة والتدقيقات المفرطة بخصوص حفظ السبت وحلّ المشاكل الذمّية بنوع غير عقلي وبقلة استقامة) . لكن في كل مجموعة النصوص التي يعطيها بليربك عبثاً نفتّش عما يدلّنا على ما جعل كرازة المسيح تجد نفوساً مستعدة للاصغاء اليها نفوساً تهتز بعدُ لوحي الانبياء. ولم تهزّ لها مشروعية قانطة .

الاسينيون بما تركوا لنا من آثار كتابية يزيلون جزئياً هذا النقصان ويجعلوننا نفكّر بوجود تديّن مختلف جداً من التديّن التلمودي عند « اسرائيليّ قانا او بيت صيدا الحقيقيّ » فانهم ازاء رسوم الكمال المسيحي المقبل الموجودة متفرقة في كتب العهد القديم وموعظة المسيح على الجبل او رسالة القديس بولس الى الرومانيين هم ورثها وحدهم همّوا بممارسة تعاليمها السامية او على الاقل كانوا شهوداً لما عاينوه من حفظها والتعمق فيها .

كان الانبياء قد استنكروا زهو الاغنياء. فبدأوا هكذا بتعظيم الفقير

المظلوم . في المزامير صدى صوت الانبياء يمجد « الابيون » اي الفقير فـالله هو ثروته الوحيدة . اننا لا نجد شيئاً بهذا المعنى عنـد ابن سيراخ وهو الصدّوقيّ السابق بينما نرى في الاناجيـل « الفريسيين وكانوا محبّين للمال » يهزأون بالمسيح لانه اعلن « لا تقدرون ان تخدموا الله والمال » .
(لوقا ١٦ : ١٤-١٣)

اما يسوع فكان يقدر ان يعلن : « طوبى للفقراء » وكان الجمع يفهمه وكان هو يقدر ان يدعو يعقوب ويوحنا لترك شباكهم ومتّى لترك مائدة الجباية وكانوا يطيعونه والى الشاب الغني يوجّه هذه الدعوة : « ان كنت تريد ان تكون كاملاً اذهب وبع كل شيء لك وأعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعالَ اتبعني » .
(متى ١٩ : ٢١)

ولم يكن للشاب هذه الشجاعة لكنه كان قد فهم (غيره بعـده بثلاثة اجيال سمع هذه الدعوة : انطوان) . اذن لغير الفريسيين المستهزئين كان معنى لمدح الفقر حتى وللدعوة الى ترك كل شيء لخدمة الله وقد فُهم هذا المعنى بنوع اخصّ في قمران وفي محالّ اخر حيث كان الاسينيون مجتمعين على الاقل عشرة اعضاء معاً .

وبنوع طبيعيّ كان الزهد قد قاد زاهد قمران الى التبتّل الاختياري ولا بد انه محّص فيه معنى البتولية . لم تكن الازمنة اذ ذاك ازمنة الآباء الاقدمين والملك داود . كان للعهد القديم من هذا النوع سابق عظيم ارميا الذي صار ضحية لرسالته النبويّة .
(ارميا ١٦ : ١)

يعظّم كتاب يهوديت ممارستها للبتولية في ترمّلها وقد اقتدت بها حنة النبية .
(لوقا ٢ : ٣٦)

اسراع الكنيسة في القرون الاولى الى تكريم البتولية الا يدلّ على سوابق اخرى . انما كانت عند الاسينيين في قمران ولا شك في غيرها ايضاً من الاماكن . سرّ زواج يوسف ومريم هو من طبعه امر مُبهم لكن صعوبة فهمه هي اعظم لمن لا يرى شعب الله الا خلال ما يعرفه من قصص سفر التكوين والقوانين الرّبينية (طالع : ريني لورانتان) :
(Structure et Théologie de Luc I-II, Note annexe. 2 pp. 176-188)

ان بولس الرسول في رسالته الى اهل غلاطية ورسالته الى اهل رومية اضطرّ الى دحض البلاجيّة قبل ان تكون وهي بلاجية مشدّدة عند اليهود وعند اليهود - المسيحيين سنّي الإهتداء. فانهم كانوا فخورين باعمالهم متيقّنين بانهم يصلون بواسطتها الى الصلاح . هذه الافكار الساذجة بخصوص علائق الانسان بالله وهي افكار فرّيسيّ الانجيل فان التعاليم اليهودية التي نجدها في التلمود خاطرت بالنفوذ الى الكنيسة .

قبل ذلك وعن بعد، نصوص من كتب الانبياء كانت قد عارضت هذه البلاجيّة واضعةً في الله مصدر صلاح الانسان (اشيا ٤٥ : ٢٥) « بيهوى يتبرّر كل ذرية اسرائيل » (اشيا ٥٤ : ١٧) « هذا ميراث عبيد يهوى وبرُّهم مني يقول يهوى » — (وارميا ٣١ : ٣٣) « اجعل شريعتي في ضمائرهم وعلى قلوبهم اكتبها — (وحزقيال ١١ : ١٩) « واعطيهم قلباً واحداً واجعل في احشائهم روحاً جديداً وانزع من لحمهم قلب الحجر واعطيهم قلباً من لحم لكي يسلكوا في رسومي ويحفظوا احكامي ويعملوا بها . »

بين مبادئ لاهوت النعمة هذه وتعاليم القديس بولس ما كنا لاحظنا الى الآن بالحقيقة لا اتصالاً ولا نصباً متوسّطاً لذلك يأخذنا العجب عندما نصغي في قران الى نشيد الخاطئ المفتقر :

وقلتُ : من سبب خيانتي طُردتُ من عهدك .
لكنني تذكرتُ قوة ذراعك وغزارة رحمتك .
فتأديتُ رقتُ .
فتثبّت روحي إزاء التعاسة .
لاني اعتمدت على جودتك وعلى غزارة رحمتك .
نعم انك تسامح في الاثم .
وبعدلك تطهّر الانسان من الخطيئة (النشيد الرابع)

ألا يعطي هذا النشيد صوتاً لسلوك الخاطئة الصامت (الخاطئة التي يتكلم عنها انجيل لوقا) أو ليس ايضاً تعظيماً لصراخ العشار الذي جعله الله اكثر برارة من الفرّيسي المدّعي بالبرارة .

الانسان في كل اعماله هو بين يدي الله وبحاجة الى عونه ليصل الى البرارة :

كن مباركاً إلهي انت الذي تفتح للعلم قلبَ عبدك .
وطد كل اعماله في البرارة .
وامنح لابن عبدتك .
ان يقف الى الابد امامك .
لان الطريق ليست كاملة دونك .
ودون رضاك لا شيء يكون .

(النشيد الاخير من كتاب التهذيب – فرمس ص ١٥٧)

اما انا فاعلم بان البرارة ليست للانسان .
ولا للانسان كمال الطريق .

(النشيد الرابع – في الكتاب عينه ص ١٩١)

بعيدٌ بعد هو تعليم بولس الوطيد لكنّ عبارات كهذه تشير الى قرب مجيئه. يعرف الاسيني بانه ليس صنع اعماله وأنّ عليه ان ينتظر من العدل الالهي التطهير والغفران والمقدرة على العمل الصالح .

هذه هي على ما تبين لي الاعمال الثلاثة الكبرى او السياق والذي دخلته الذي اندمجت فيه الإسينيّة لاعداد النفوس للانجيل : معنى الفقر والزهد واعتبار التبتّل الاختياري والتأكد بان الانسان هو في كل شيء خاضع لله ومحتاج الى عونه ليكون باراً .

من مطالعة كتاب التهذيب وتاريخ يوسيف يأخذنا العجب لرؤية الديانة اليهودية قد توصلت الى تأسيس حياة رهبانية حقيقية من النوع النسكي وهو فيما يختص بتقسيم الاعمال اليومية قريب جداً من حياة الترابيست . هل يمكن وجود مقابلات اكثر غرابة . والحال يظهر جلياً بان هذا التشابه ليس الا توافق عمليْن مستقلّين الواحد من الآخر لم يعرف كتاب التهذيب لا القديس باكوم ولا القديس باسيليوس ولا القديس مبارك ولا القديس برنردوس ولا الاب دي رانسي والامر اكيد بانهم لم يستوحوا يوسيف في عملهم .

لكن الاسينية ولو انها بخير ما فيها قد أعدّت الطريق للانجيل لم تكن قابلة للاتجاه اليه ولا بد انها أوقفت بعيداً عن المسيح كثيرين من تابعيها المتمسكين بها .

في هذا التمسك بالاسينية كما في كل التقاليد الشريفة نرى ما يستحق الاعتبار وفي بقاء هؤلاء الاسينيين أوفياء لاسم صادوق الكاهن الاعظم. لكن هذا منعهم من الذهاب الى الامام فان الزمان كان قريباً فيه يسمح الله بانتهاء ذبائح الهيكل وبالتخلي عن كهنوت هارون.

ربّ العدل لم يعرف كالمسيح بعده ان يضع كمال الاعمال في النيّة التي تحييها فأفضى لذلك كالفريسيين الى طلب اهمّ ما في الصلاح من الاكثار في المراسيم الدينية والتدقيق فيها ولو خالفت المحبة الاخوية والعقل السليم ومن هذا نتجت المزايدة ومعها التعصب البليد البغيض لنتائج شريعة السبت حتى والموت عينه اذا سقط انسان في البئر يوم السبت ولم يكن بالامكان انقاذه الا بواسطة سلم او حبل. من ذلك ايضاً الاكثار من الاستحمام التام والوصايا المختصّة بالطباخة. عندما كان المسيح يذمّ الفريسيين في امور كهذه كان يُلمح ايضاً الى ممارسات الاسينيين دون ان يذكر اسمهم.

كان الاسينيون اكثر بعداً من روح المسيح ببغضهم — وكانوا يعتبرونه عملاً دينياً — لا فقط للشرّ لكن ايضاً للخاطئ نفسه «ابن الظلمات» و«رجل بليعال» اذا كان من «الختم عبادِ رايتهم او من الفريسيين او من كهنة اورشليم او من جاحدي عهدهم. اما يسوع فيضع في محبة الاعداء اقتداء من الدرجة الاسمى بكمال الآب السماوي.

هذا الشعور وقد شدّدته عقيدة تحديد المختارين السابق كان يحمل الاسيني على الاهتمام بذاته وبجهده لا عبر دون مباشرة عمل لهداية بقيّة اسرائيل والوثنيين الى الكمال الذي يتوخاه. اما المسيح فقبل أن يرسل تلاميذه الى الشعوب لدعوتها ابتدأ هذه الرسالة هو نفسه بالعجائب التي صنعها لقائد المئة وللمرأة الكنعانية وبزيارة السامريين.

ان انتظار الاسينيين للمسيح المقبل كان هو ايضاً لا عوناً لكن عائقاً للانجيل. بالحقيقة لقد اعلن رب العدالة بقرب اتمام اقوال الانبياء ويوم الدينونة وهذا الاعلان يذكره الاب المحترم دانيلو بحميّة واعجاب بهذا الشخص كأنه هو ايضاً نبيّ حقيقي أقامه الله ليبدأ رسالة يوحنا السابق. لكن ايّ مسيح كان ينتظر الاسينيون. «قانون الحرب» يبيّنه بقتال ليس قط روحياً فانه يظهر

في نور ضئيل مسيح هارون ومسيح اسرائيل ولا نعلم هل هما اثنان او مسيح واحد ونجهل المهمة التي من اجلها أرسلا . لم يكن للروح القدس شركة في النبوءات وهي قريبة جداً مما ينتظره الشعب من مسيح هو بالاحرى رئيس زمرة مهمّته طردُ الرومانيين . (يوحنا ٦ : ١٥)

في التآليف التي ظهرت الى اليوم بخصوص قمران لم ترَ من حاول مقابلة بين الاسينيّة والانجيل كما فعلنا نحن هنا باختصار . هذا بالخصوص في كتاب صغير للاب دانييلو : « مخطوطات البحر المائت واصول الديانة المسيحية » .

(باريس : مطبوعات الاورانت ١٩٥٧)

قد لفت انتباه المؤلفين موافقة عوائد او تعاليم او عبارات بين حياة كنيسة العصور الاولى وحياة الاسينيين وبين كتب العهد الجديد ومخطوطات المغاور.

ان كتاب الاب دانييلو — والمؤلف شهير وحاذق — يحتوي دون شك على كثير مما تقدم من هذا النوع مع ملاحظات جليّة بخصوص الاختلافات بين الانجيل والاسينيّة لكن لعل مهاودته لكل ما هو جيّد خارجاً عن الديانة المسيحيّة حملته على الافراط بالاعجاب ببعض ابطاله وخصوصاً برب العدالة. فبل اتبع اسلوباً هل وجد وقتاً عن مهامه العديدة وقتاً كافياً للتفكر فيتمكّن من تحقيق قيمة المقايسات التي اخذها من غيره او وجدها هو نفسه . للاكتفاء بمثل واحد نسأل هل يوجد حقًّا مقابلة ممكنة بين ما يعنيه قولُ المسيح : « الذي يغمس يده معي في الصفحة هو يسلّمني» والنظام المفروض في قمران بان للكاهن الحقّ بان يضع الاول يده على الخبز . والقديس بولس الم يكن له حقّ باستعمال آية حبقوق الشهيرة « البارّ يحيا بالايمان » دون ان يُتهم باتّباع اثر الاسينيين او بمجادلة « تأويلهم » ولربما انه لم يقرأه ابداً .

نعتذر لعدم التوقّف طويلاً إزاء هذه المقابلات التي تدّعي بالتدقيق وقد تكون لكثرتها طويلة مُملّة . لنا الامل بان تقدّم البحوث سوف يتوصل بعد نص قصير او طويل الى تمييز ما يمكن حفظه من هذه المقابلات وما يتمّ الاتفاق على اعتباره جديراً بالاهمال .

اول سؤال تفرضه كل مقابلة دقيقة بين قمران والانجيل له اسم يوحنا المعمدان. قد أثبتنا اعلاه وجوب تأويل رزين متأنٍّ ومع ذلك لا يمكن انكار

وجود علاقات متينة على الاقل بين يوحنا المعمدان والاسينيين . انجيل لوقا يعلمنا بان يوحنا كان منذ صغره في برّية يهوذا : « وكان الصبيّ ينمو وكان في البراري الى يوم ظهوره لاسرائيل » (لوقا ١ : ٨٠) . حسب ملاحظة الاب دانيلو « لا نرى كيف يكون هذا الصبيّ مربيًا في البراري » (ص ١٨ من الكتاب عينه) . هذا ما يجعلنا نفكّر بانه عاش فيها ضيفًا حياة زهد حسب مستقبله عند اناس امناء واكبر سنًا منه وما هؤلاء الناس الا الاسينيون إما في قمران وإما بالاحرى في محل آخر اقلّ بُعدًا من اهله . ليس في « كتاب التهذيب » او في « أثر دمشق » ما يدلّنا على ان الاسينيين اهتمّوا بالتربية ولا يُحتمل إلّا قليلًا ان يكونوا مارسوها في قمران عينها . لكن يوسيف ينسب اليهم هذا العمل بما تعوّده من التفخيم : وهذا ما يحملنا على التردّد .

على شواطئ الاردن يوحنا فتى يافع يحيا حياة زهد مؤثّرة شبيهة بحياة مجاوريه ويمكن انه شاركهم مدة من الزمان الحياة في مغاورهم او كهفهم الكبير في طاعة رؤسائهم . لكن هذا امر يحتاج الى اثبات ولا نأخذ على نفسنا ان نقول بانه محتمل .

على كل حال يوحنا في ايام رسالته كان قد استقلّ عنهم ولو فرضنا بانه حفظ من تربيتهم ومن معاشرتهم انواع الصلاة وممارسة التوبة وعبارات مختصّة بهم كثيرًا او قليلًا ثم انه دون امر او سماح منهم باشر رسالة تائهة لا تتفق البتة مع قوانينهم فانه عوضًا عن ابعاد الخطأة عنه يجتذبهم اليه ويأتي بهم الى التوبة ويُعدّهم لمجيء ملكوت الله وهو ملكوت روحيّ دينيّ لا غير . كم هذا التصرّف هو مُختلف من « قاعدة الحرب » . ان الاسيني متعصّب الاستحمام لكنه يدّخر ذلك له وحده ولا يقصد به الا الطهارة الشرعية . اما يوحنا فيعرض عماده على الخطأة وحدهم ليساعدهم بهذه العلامة التي تدلّ على انواع من العماد اكثر فاعليّة وعلى ندامة اكثر نفوذًا واكمل . هو الزاهد المشدّد في زهده يعطي لهؤلاء الخطأة ارشادات دون جفاء ولا شدّة فانه مثلًا لا يأمر العشارين بترك مهنتهم لكن فقط بحفظ شرائع العدل . يجتمع حواليه تلاميذ يعلّمهم الصلاة والصوم بموجب نظام قد يكون شبيهًا بنظام حياة الاسينيين لكنه يمتنع من الحاقهم بقمران .

لا ندري ان كان، من سبب اعماله التائبة هذه، موضوع لعنة مجاوريه ومصدوداً كخائن او بالعكس كان له ولتلاميذه معهم علاقات ودية .

يمكن انه بواسطة تلاميذ يوحنا نفذ شيء من الاسينيّة الى الكنيسة فانهم على مثال معلمهم كان لهم حياة روحية تشبه الحياة في قمران وكانوا يمارسون مراسيم مشابهة مع مراسيم قمران ويستعملون عبارات جارية في هذه الشيعة لذلك لربما كانت الروح الاسينية قد أثرت فيهم لا بامور جوهرية لكن بكثير من تصرفاتهم - بين هؤلاء التلاميذ كان تلميذا يسوع الاولان احدهم اندراوس اخو بطرس والآخر قد يكون يوحنا الانجيلي ولا شكّ انهما ليسا الوحيدين بين الذين مرّوا من يوحنا الى يسوع الذي كان يوحنا يبشر به فغيرهما قد تبعه مدة حياة رسالته او فيما بعد .

يلزم ان نبعد بتاتاً فكر اقامة يسوع نفسه في قمران . هل كان له مع الدير علاقة ما . هذا على الاقل امر نشكّ فيه . نعم ان جماعة قمران كانت حارة في العبادة لكنها كانت هائمة فيها لذلك كان للانجيل صعوبة أعظم للنفوذ فيها من صعوبة النفوذ في الفريسيين رغماً عن تعصبهم . لا بد ان بعضهم تركوا حزبهم للالتحاق بالمسيح : نفوس زكية ينبوا من الشيعة لما أحسّوا فيها من نقصان . لربما كانت الجاذبية اعظم في غير محالّ في الجليل مثلاً عند الاسينيين المشتّتين في جماعات صغيرة او عند المحاطين بهم المتحدين . على كل حال كلّ ما نقوله في هذا الصدد ليس الا تخمينات .

قلنا اعلاه باننا لا ننوي اعطاء قائمة مهمة من المقابلات اللفظية التي تُلاحظ بين الآثار الاسينيّة والعهد الجديد لكننا لا نعني بذلك أننا لا نعتبر غير صحيح ما يجري من بحث في هذا الموضوع .

يُجمع الباحثون على ان الاناجيل الثلاثة الاولى لا تحتوي الا القليل النادر من هذا النوع . ان اصل هذه الاناجيل هو التعليم فليست اذن غايتها ان تعطي عقائد لاهوتية او ادبية ببراهينها القياسية لذلك قد اكتفت بنقل تعاليم المعلم كما كان يلقيها على الجموع لا كما كان يحدث له ان يجادل بها نيقودمس او الفريسيين بنوع مشدّد .

بالعكس عندنا مقابلات بين قمران ورسائل القديس بولس وفي الانجيل

الرابع وايضاً في الرسالة الى العبرانيين .

الاتفاق بين قمران ويوحنا الانجيلي يُلاحظ خصوصاً في كثرة استعمال الالفاظ : النور والظلمات وكلاهما عندهما العبارة « نور الحياة » . لكن رغماً عن هذه المقابلة الفرق بينهما عظيم فان يوحنا ينظر الى النور عينه بخلاله يظهر شخص الكلمة المتجسد الذي جاء الى هذا العالم . اما الاسينيون فيعرفون خصوصاً «ابناء النور» و«ابناء الظلمات» وهي لهم عبارات مُحمّلة بنخنة لا تحاول الشيمة اخادها وبالعكس المسيح يحمد حيّة « ابناء الرعد » .

كان بولس فريسياً لم يكن له تعلق بالاسينيين . لكن رأينا ان الاناشيد الاسينية وحدها — نظراً الى ما عندنا حتى الآن من الآثار — تدلنا على تعليم اسرائيل فيما يخصّ عقيده التبرير . نلاحظ ايضاً بعض الشبه بين معرفة واجبه باعلان سر عظيم والامتياز المنسوب الى رب العدالة « باعلان كل اسرار اقوال الانبياء خدامه » . بصواب يستنتج الاب دانييلو من ذلك اثباتاً بان القديس بولس لم يكن بحاجة الى اخذ عبارات وافكار كهذه خارجاً عن التقليد اليهودي.

في اوائل الديانة المسيحية كما نعرفها من كتاب اعمال الرسل نرى جهوداً تُبذل في التنظيم منها وقتية ومنها جازمة .

بين الجهود الاولى وَضعُ كلّ شيء مشتركاً بين المؤمنين الذي يتكلم عنه كتاب اعمال الرسل (٢ : ٤٥) والذي نتج منه حادث حنانيا وصافيرا المحزن . لا بد انهم لم يبطئوا ان تركوا هذا النظام الذي ادّى الى جعل الكنيسة - الامّ المعوزة الكبرى، التي اهتمّ القديس بولس بتزويدها . المقابلة مع قمران جلية لكن بينهما فرق وهو ان نسّاك برّية يهوذا من اجل زهدهم الشديد في الاشياء المادية وانصبابهم على الاشغال اليدوية الثابتة المثمرة لم يوصلهم تخليهم عن اموالهم الى هذا الحدّ من العوز .

أيكون تأثير الاسينيّة هو السبب الذي حمل جماعة اورشليم على التسرّع في بيع حقول مُغِلّة وأموال اخرى مثمرة اما يكون ذلك بالاحرى رغبةً في اطالة أزمنة البطولة في الحياة العامة وفي إسعاف الفقراء .

في هذا البيان الذي اوردناه موجَزاً بخصوص تأثير الاسينية في اوائل الديانة المسيحية نرى مناسباً ذكر رأي عرضته الآنسة جوبر (Jaubert) . لقد تأكدت بان

الاسينيين كانوا يستعملون تقويماً كهنوتياً قديماً لحساب ايام السنة الشمسية بثلاثمئة واربعة وستين يوماً ثم عرضت اسباباً شتى للاعتقاد بان يسوع تبع هذا التقويم عينه ليأكل الفصح مع تلاميذه . في هذا الحال يكون العشاء الاخير ورسم سرّ الافخارستيا قد سبقا بيومين حسابنا اي انهما وقعا يوم الثلاثاء لا يوم الخميس؛عدة شهادات مسيحية قديمة جداً تبدو لنا كأنها قد حفظت هذه الذكرى ولا ننكر ان هذا الترتيب لحادث الآلام يتفق جيداً مع بعض معلومات الانجيل خصوصاً لانه يعطي المدة الضرورية من الزمان لحضور المسيح امام المحاكم المختلفة.

الى الآن لم يرضَ بهذا الرأي الا القليلون ونلاحظ ان مجلة الكتب المقدسة (Revue Biblique) لم تذكره بعد قط . لكننا لا نقدر إنكار افادته ورفض احتمال صحته .

ماذا يكون نوع ارتضاء المسيح مبادئ الاسينيين بتصرفه هذا هو ورسله . ليس بامكاننا ان نحدده لكن يظهر جلياً بانه لم يكن للاسينيين تقويم خصوصي لكنهم تمسكوا بالذي عندهم ضدّ ابتداع تقويم الحساب القمري للخدم الدينية. عدد من الكتب المحرّفة يتبعون هذا التقويم الجديد.ونراه مبيناً في كتاب حزقيال حيث يؤرخ النبي رؤياه الاولى بالشهر الرابع وهذه هي عادة التقويم الجديد بتعيين الاشهر بالعدد لا باسمها . لربما جماعات اخرى غير الاسينيين كانوا هم ايضاً محافظين على هذا التقويم .

عندنا مشكلة اخرى نعرضها : باستباق الفصح الرسمي اربعاً وعشرين ساعة او يومين او اكثر يسوع ورسله بعملهم هذا ما كانوا مقاومين جهاراً لسلطات اورشليم الدينية بحيث يظهرون كنشقين منها ويخسرون ثقة الشعب فانه ولو اننا لا نجد في كتب اليهود المتأخرة دليلاً من هذا النوع لا بد لنا اردنا ام لم نرد من الاقرار بان عدداً من الاسرائيليين الذين كانوا يأكلون الفصح في اورشليم كانوا يسبقون اليوم الرسمي وكان تصرفهم هذا مسموحاً به . اسباب عملية كانت تجعل ضرورياً هذا التصرف للزوار حتى يجدوا محلاً موافقاً : لم يكن اذن لاستباقهم الفصح واختيار اليوم الموافق قبل التاريخ الرسمي معنى غير مقبول .

في كتاب العهد الجديد لا نجد قط ذكراً للاسينيين كما اننا في الكتابات

التي عندنا من قران لا نجد تلميحاً واحداً الى كرازة يوحنا المعمدان او المسيح ولا الى تلاميذه. قد يكون الالحاح في طلب سبب لهذا السكوت الذا. مشكلة لا وجود لها اذ ان هذا السكوت يمكن ان يكون عَرَضيا ويكون سببه الحقيقي ان الاسينية كانت في اسرائيل قليلة الاهمية واننا نرى تجاوزًا للحدود في الاستنتاج بان الاسينيين كانوا بنظر المسيح ورسله وبكل معنى الكلمة اصدقاء « اسرائيليين حقيقيين » . فاذا اردنا على كل حال تأويلًا لهذا السكوت الذي يزعج بعضهم لرأيناه موقفاً صائباً ازاء منظمة مُبهمة حيث ليس لا اعداء حقيقيون ولا اصدقاء جديرون بكل ثقة .

هل يجب التقدم في الزمان بعيدًا للتفتيش على آثار لقمران وللاسينيين في الرسالة الى العبرانيين وفي اوائل الديانة المسيحية في انطاكية وفي محال اخرى .

هذا مشروع يبين لنا خطرًا فانه يتطلب في اوائل الكنيسة مآتي اسينية مهمة نوعاً وعددًا. وهذا امر لا يمكن اثباته وبالعكس نشعر جيدًا في الرسالة الى اهل غلاطية بوجود مؤثرات فريسية شديدة عند اليهود - المسيحيين .

من جهة اخرى ألا يجب ان نذكر بجانب الاسينية وما يبين شبيهاً بها ببعض مظاهره — وقد اهمله اليهود كما اهملوا غيره كثيرين — الاتجاه الذي أعطانا الترجمة السبعينية وسفر الحكمة وفيلون والرسالة الى العبرانيين والاتجاه اليهودي الديني المتكلم باللغة اليونانية ومركزه الاسكندرية وقد نشأ منذ اوائل الكنيسة دون انتظار الاوامر. اخذ الاتجاه الاول يبشر بالانجيل لدى الوثنيين: لم يكن هؤلاء المبشرون فلسطينيين لكن كانوا قبرصيين وقيروانيين « اخوة تبددوا من اجل الضيق الذي حصل بسبب استفانس فاجتازوا الى فينيقيا وقبرس وانطاكية وهم لا يكلمون احداً بالكلمة الا اليهود ولكن قوما منهم كانوا قبرسيين وقيروانيين فهؤلاء لما قدموا انطاكية اخذوا يكلمون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا الى الرب ».

(اعمال الرسل ١١ : ٢١-١٩)

وسوف تعود جيرمهم الى العمل بواسطة برنابا . بين هؤلاء المبشرين برز أبلّوس وهو من اعظمهم واكثرهم نفوذًا « منشأه الاسكندرية وهو رجل فصيح

طويل باع في الكتب . . كان يحج اليهود جبرًا حجًا بليغًا مبينًا من الكتب ان يسوع هو المسيح » . (اعمال الرسل ١٨ : ٢٤ و٢٨)

اليه يُنسب اليوم تصنيفُ الرسالة الى العبرانيين فانها تظهر جليًا كتأليف يهوديّ يتقن اللغة اليونانية وقد تعلّم في الاسكندرية . إن كان قد تحدّث كثيرًا عن الكهنوت هلّا أمكنه ذلك دون الرجوع الى « العهد الصدوقيّ » الذي يتكلم عنه « اثر دمشق » اما الجماعة المسيحية — وهي قديمة — التي اليها يكتب فلا يجذبها لا قمران ولا المحلات الاسينية الصغيرة لكن رُتب الهيكل الرسمية .

هل كان للاسينية تأثير خارجًا عن الديانة المسيحيّة في مجتمعات اخرى. لربما كان فيمن شارك في تثقيف الابيونيين اسينيّون والابيونيّون كما نعرفهم هم جماعة تائهة لكنها يهوديّة مُحّة تعترف بيسوع نبيًا وهي مضادّة للقديس بولس. لكن يصعب علينا ان نجد لهم اثرًا كافيَ الاثبات عند « الغنوستيّين » .

يظهر ان الاسينيّة بعد نكبة سنة السبعين لم تعش قط حتى ولا في الشعب الاسرائيلي نفسه لكنّ شيعة يهودية كانت موجودة في الاجيال المتوسطة وهي بعد في الوجود الى اليوم تدّعي بتُراث الصدوقيين وهي شيعة القرائيين وبصفتها هذه قامت ضد التقليد الصادر من الفريسيين . وأنان مؤسسهم قد أثبت من جديد المبدأ القديم الذي يعتبر الكتاب المقدسَ القانون الوحيد للايمان والحياة الدينية . بهذا العمل تصوّرَ تلاميذه بانهم ليسوا ورثة صادوق الكاهن الاعظم لكن ورثة صادوق تلميذ انطيكونوس دي سكُو الذي عاش في الجيل الثالث قبلَ المسيح . بعد وفاة أنان او قبله بزمان قليل في سنة ٨٠٠ مخطوطات اكتشفت في مغارة قريبًا من اريحا — لا بد ان هذا كان مستودعًا اسينيًا قرب قمران او في نواحيه — فتأثَّر القرائيون بالمحل المهمّ الذي يحتلّه فيها اسم صادوق واخذوا عنه طريقة سلوك تامة مُستمدّة من « اثر دمشق » . على كل حال نسختان من هذا الكتاب قد وُجدتا في جنيزة مجمع القاهرة مع مخطوطات للقرائيين ولا بد ان تكونا من صنعهم . بهذا النوع قد بقي شيء مما عمله قديمًا رب العدالة .

اكتشافات بريّة يهوذا

وما اتت به في مواضيع شتى

انتباه العالم كله التفت الى اكتشافات ضواحي البحر المائت لكنه لم يهتمّ الا قليلًا بغير ما وُجد في قران وبما أتى به من مساعدة لفهم الكتاب المقدس فهماً أوفى او بالاكثر للتبحث بصواب او بغير صواب عن الاسينية والديانة المسيحية .

ينبغي لنا ايضاً ان لا نجهل ما اعطتنا الاكتشافات الاخرى من آثار في قران وفي غير مواقع من بريّة يهوذا وهي مفيدة لعلوم قديمة شتّى إفادة لا يجوز اهمالها لانها هي ايضاً تأتينا بما هو أهل لاهتمامنا .

لبحثنا هذا نكتفي بمطالعة الفصل الاخير من كتاب الاب ميليك واعطاء موجز منه .

يلاحظ المؤلف اولًا ان مجموع المخطوطات المكتشفة يمتدّ تاريخها الى الفي سنة تقريباً . احد اوراق بردي « المربّعات » وهو الاقدم عندنا باللغات السامية يتصل بالجيل الثامن قبل المسيح . نقرأ فيه اللغة العبرانية مكتوبة بحروف فينيقية : اربعة اسماء علم واعداد . ومن جهة التاريخ الاحدث عندنا آثار خربة ميرد : قطع عربية مكتوبة على ورق .

ثماني لغات تظهر في الآثار هذه وهي : اللغة العبرانية للكتاب المقدس وعبريانية الميشنا والآرامية الفلسطينية واللغة النبطية واللغة اليونانية واللغة السريانية الفلسطينية واللغة العربية .

في قران اكثر الآثار الا الكتاب المقدس هي باللغة العبرانية الصحيحة ويمكننا ان نسميها الجديدة وهي اللغة المائتة عالجها اصحاب اللغة لتوفيقها مع الظروف الجديدة على قدر استطاعتهم كما فعل كتاب عصر الانبعاث للغة اللاتينية .

بعض القطع خصوصاً المدرجات النحاسيان هي مكتوبة بلغة مختلفة قليلًا باللغة التي ستظهر فيما بعد في الميشنا وهكذا تكون شهادة لحياة العبرانية الى عصرها وهي ممتزجة اقلّ او اكثر باللغة الفينيقية في بعض الاماكن .

النكبتان نكبة سنة السبعين ونكبة سنة المئة والخمس والثلاثين جاءتا بالشؤم لهذه اللغة القليلة الانتشار لغة فلسطين الارامية التي تكلم بها المسيح نعرفها بتاريخ اقدم منه بكثير في كتاب دانيال وبتاريخ احدث بآثار يهودية شتى . قمران تردّ الينا نصوصاً معاصرة لاوائل تاريخنا . يوماً ما سوف يساعدنا هذا في توضيح بعض تفاصيل كتب العهد الجديد .

اللغة السريانية - الفلسطينية وهي لهجة ارامية من النوع الغربي اتخذتها الكنائس الملكية زمناً قليلاً قبل الفتح العربي مُعارضة للغة السريانية ولكنها لم تقدر على مجاراتها ولو عن بعد لانها تأخرت كثيراً فلم يكن لها زمان كافٍ لذلك . كان يوجد مخطوطات بهذه اللغة اكتشف اكثرها خارجاً عن بلادها الاصلية خصوصاً في سينا وفي جامع الامويين . دير خربة ميرد تعطينا غيرها وفي بلادها عينها مع قطع غيرها باللغة العامية . لكن اثمن ما جاءنا لفائدة درس اللغات والاصول السامية هي عدة مخطوطات نبطية نجد فيها بالخصوص مبايعة طويلة بها وارث يسترجع اموالاً بيعت بالمزاد. قراءة هذه المبايعة وادراك معناها توصّل اليها الاب ستاركي . الى اليوم كانت اللغة النبطية تُعدّ بين اللغات التي لا نعرفها الا من تواريخ القبور وكتابات اخرى قصيرة قليلة العدد .

اكثر صعوبة من علم اللغات هو علم الكتابات القديمة وتحولاتها لكنه كالفخار القديم مفيد جداً ولو ثانوياً لعلم الآثار . الى اليوم فيما يخصّ اللغة العبرانية قبل تاريخنا وفي اوائله لم يكن لدينا الا كتابات والأصداف وهذا كان كافياً للمتخصّصين لاكتشاف قِدَم تاريخ مدرجات قمران . من الآن فصاعداً هذه المدرجات والقطع التي وُجدت معها تكون ادلّة كبيرة الثمن وقد انتجت نتائج غزيرة .

من اهمّ هذه النتائج المقابلة بين ما وُجد في قمران من نصوص الكتاب المقدّس ونصوص « المربّعات » للكتاب عينه . النصوص الاولى هي اقدم من سنة ٦٨ فهي اذن اقدم من مجمع الربّانيين الذي اقيم في جمنيا سنة ٨٠ وعنه تُكلّمنا الميشنا والذي حدّد نهائياً نصوص الكتاب المقدس العبراني . نجد فيها فروقاً بالمقابلة مع هذا النص وهو مُصادقة المثال الاصليّ ولو اختلف شيئاً ما من الترجمة السبعينية . نجد فيها ايضاً حروفاً كتابية مختلفة أُهملت لِقِدَمها . نصوص

الرّبّانيين ليست فقط مُقرّرة نهائيًا بذاتها لكن ايضاً بنوع كتابتها ولا بدّ انها فُرضت في جمنيا .

اخربة قران تكلمنا عن تمرد اليهود الاول سنــة ٧٠—٦٦ . في وادي المرَبعات نرى آثار التمرد الثاني في عهد الامبراطور هادريان (١٣٥—١٣٢) . لا بدّ ان المتمرّدين اتخذوا كلاجئ المغاور في هذا الموقع بقيادة يشوع ابن جلجولة وكان لهذا علاقات مباشرة مع بركوكبا الشهير رئيس التمرد الاعظم . الى اليوم كنا نعرف لهذا تسمية مدح بركوكبا (ابن الكوكب) وكنية بركوزبه (ابن الكذبة) . في المرَبعات نعرفه باسم ثالث باسمه الحقيقي شمعون بركوزباه (ويكون معناه : الكزيرة . ولربما تكون تسمية حرب) . اغرب القطع رسالة منه الى يشوع بر جلجولة ولا بدّ انها بخط يده فيها يظهر ذا حماسة شديدة : «يشوع بر كوزبه الى يشوع بن جلجولة والى رجال المُوقع . السلام . آخذ السماء شاهداً ضدي اذا عومل احد الجليليين الذين هم بينكم معاملة سيئة اذ ذاك سوف اقيد رجليك بالحديد كما فعلت بابن ابلول . كتبه شمعون بركوزبه» .

قد يكون هؤلاء الجليليون لاجئين يهوداً من الجليل أحرى من ان يكونو مسيحيين وقد اساء بر كوزبة معاملتهم حسب القديس يوستينوس الشُهيري . ولربما يكون سوء المعاملة عدم اعطائهم كل حصّتهم من المأكل في اوقات المجاعة هذه في ايام حرب .

ننهي بهذه الرسالة القصيرة بعث بها راهب لارشيمندريته تحيّةً لخربة ميرد وهي اقل غنًى من غيرها بالاكتشافات الكبيرة :

«من قِبَل المبارك من الرب والخاطئ غبريال الى رئيس منارة معلمينا وآبائنا ارجوك الصلاة من اجلي من سبب القبيلة فان قلبي يرتجف بخصوصها . ليكن معك السلام من قِبَل الآب والابن والروح القدس . آمين» .

صوت مؤثر في سرّ هذا الدير الذي بدوره سقط في الاهمال . صوت شاركها اتفاق الحفريات الحديثة وقد ابتعدت باصوات اسلاف قمران فاضحت بعد المسيح وفي شريعته وقد رُسمت بعلامة الصليب صدى الجهود التي بدأت يبذلها في شريعة موسى نفوس كريمة تركت كل شيء في طلب الله .

المحامي عن العدل او المدعي العام الكنسي

بقلم الخوري يوسف حتي
دكتور في الحقوق الكنسية – وكيل النائب القضائي في المحكمة البطريركية الاستئنافية المارونية

من جملة الوظائف العديدة العامة التابعة للدوائر الاكليركية وظيفة المدعي العام الكنسية . اما مهمة هذا الموظف فذات اهمية من الدرجة الاولى بوصفه حارساً يقظاً تقع على عاتقه صيانة القانون واحترام العدل .

وهو بصفة كونه المدافع عن المصلحة العامة والمتصبر لما يرى نفسه قد عهد اليه بأثمن كنوز الكنيسة . فالى المدعي العام يعود الحق وعلى عاتقه تقع المسؤولية الخطيرة في تطبيق الاوامر الصادرة عن السلطات الشرعية. وعليه ان يعمل في سبيل التقيد بالقوانين، عليه ان يصون قيمة الاستمرار وان يتلافى الجنح. وله ان يطالب بانزال العقوبة بالمخالفين ، وان يدافع عن حقوق القاصرين والاشخاص المعنويين وعن العاجزين والضعفاء .

وفي سبيل تمكنه من القيام بمقتضيات وظيفته البالغة الشرف والدقيقة كل الدقة والشاقة جد المشقة ، لا بد له من ان يتحلى بابرز الصفات : الحزم في الطبع والاستقامة في الاحتكام والتعلق الواعي بالكنيسة والغيرة على مصالحها غيرة لا يعتريها الونى ، والتضلع المكين من علم الحقوق ، والثبات الذي لا يتزحزح على رغم مناوأة الاشرار له .

ولقد اجمع العلماء على الاعتراف باهمية دور هذا الموظف ، ومع ذلك فما برحت ايضاحات القانون بصدده ضئيلة ، ولم يخصه بدراسة معينة ومنظمة الا النزر اليسير من علماء الحقوق الكنسية ، فلذلك لا غرابة فيما اذا ظل منشأ المدعي العام الكنسي يكتنفه الغموض واذا ما استمر وجهه القضائي مبهم التعريف .

أ – اصل المدعي العام من الوجهة التاريخية

اننا لننكر مع غالبية المؤلفين امكان العثور على هذا الاصل في الحقوق

الرومانية . وفي الواقع ان الالقاب التي جاء على دراستها كتاب مجموعة الفتاوى (Digeste) او كتاب مجموعة القوانين (Code) تشهد فقط على قيام التشابه بين الاسماء. وتنفي ان تكون هذه الوظيفة هي نفس الوظيفة التي يضطلع بها المدعي العام الحالي في الدوائر الاكليريكية .

فان « الوكلاء والمحامين » (Procuratores et Defensores) لم يكونوا سوى ممثلين عاديين انتدبهم شخص فرد للدفاع عن مصالحهم في المعاملات المدنية . وكذلك كان ايضاً « وكيل القيصر » (Procurator Caesaris) مندوباً بسيطاً للامبراطور وممثلاً شخصياً للقيصر لا تنطوي مهمته على اي وظيفة عامة كانت . اما « وكلاء ... دار الجباية وبيت القيصر » (Procuratores Praediorum et domus Augustae) فكانوا موظفين انيط بهم امر العناية بأملاك الامبراطور وتمثيله امام المحاكم . وان وجه « المحامين عن المدن (Defensores civitatum) ليختلف ايضاً عن وجه المدعي العام الكنسي فانهم قد كانوا بالاخص قضاة عهد اليهم في امر تحديد الدعاوي ذات الاهمية الضئيلة . اما « المحامي المالي » (Advocatus fisci) الذي يعمل في الامور المدنية العائدة للجباية فدوره لا يستطيع ان يكون نفس دور المدعي العام الكنسي القائمة مهمته الرئيسية على ملاحقة الدعاوي العامة .

اما « المحققون في الدعاوي الجنائية » (Quaestores parricidii) فانهم لا يمثلون جميع ملامح وجه مدعينا العام المعقد ، اذ كانوا يمارسون احياناً السلطة القضائية .

وثمة سبب آخر يؤيد هذه النظرية ، وهو ان الاشتراع في رومية لم يعرف وظيفة المدعي العام في العهود الثلاثة للملكية والجمهورية والامبراطورية ، « فالدعوى الشعبية » (Actio popularis) قد منحت حق ملاحقة الجرائم لكل مواطن ، مما لا يترك مجالاً لشخص يمارس وظيفة عامة باسم المجتمع .

وانه لمن العبث ايضاً ان نرغب في البحث عن اصل المدعي العام الكنسي كما هو الآن في « اصول الاتهام الشخصي » (Système accusatorial privé) الذي اتبعته الكنيسة في القرون التسعة الاولى من وجودها ، فتلك الطريق

المتبعة في اصول المحاكم الجنائية كانت مستمدة من الاشتراع الروماني وتكاد تشبهه من جميع الوجوه .

وتحت شكل اصول المحاكمات عن طريقة اعلام السلطة المختصة (Procédure par dénonciation) يزداد سيرنا نحو تأليف نيابة عامة كنسية . « فشهود المجامع » (Témoins synodaux) الذين عهد اليهم بوظيفة عامة وانيط بهم التحقيق في الجرائم لصيانة القانون والعدل (Pro legis et justitiae tutela) قد مهدوا الطريق امام قيام وظيفة المدعي العام الحالي . فمنذ ظهورهم الى حيز الوجود اخذ وجهه يزيد ارتساماً . الا اننا لا نرى جميع مظاهر هذا الموظف الكنسي تحت هذا الشكل من اصول المحاكمات كما لم نره تحت شكل الادعاء الشخصي الذي مرّ بنا درسه .

ولقد كان لطريقة التفتيش (Système inquisitorial) التي ادخلها اينوسنت الثالث في الكنيسة تأثير كبير في ايجاد المدعي العام الحالي ، فغالباً ما كان القاضي يعين بحكم الوظيفة (fama publica deferente) شخصاً ثالثاً يسمى « المدعي العام المفوض خصيصاً من القاضي» (Promotor specialiter delegatus a judice) ومهمته استجماع الادلة بحق المجرمين . فكان « وزير التفتيش » (Minister inquisitionis) هذا مرحلة جديدة اخرى من السير نحو اقرار الوظيفة التي نحن بصددها .

واصول المحاكمات بطريقة التحقيق مع محرك للاتهام (inquisitio cum promovente) التي افضت الى ايجاد شخص رسمي (Promovens) انيط به توجيه الاتهام ، قد كان لها تأثير كبير في اقرار مدعينا العام الحالي اقراراً نهائياً . واذا ما سرنا خطوة اخرى الى الامام عثرنا على مفهوم « المدعي العام المالي » (Promotor fiscalis) والمدعي العام العدلي (Promotor justitiae).

ولهذا اننا لواجدون اصل المدعي العام الاشد مباشرة في اصول التحقيق مع محرك للاتهام (Inquisitio cum promovente) وذلك فيما يتعلق بمهمته الرئيسية كمدع عام يوجه الاتهام في الجرائم .

وفيما يختص بدوره الثاني في الدعاوي الحقوقية ولا سيما في دعاوي املاك الكنيسة الزمنية ، فقد بحثنا عن اصله في انظمة الكنيسة للقرن الثالث عشر

وعلى الاخص في « مؤسسة الوكلاء العامين الماليين للدوائر الكنسية والرومانية».
(Institution des procureurs ou promoteurs fiscaux des curies ecclésiastiques et surtout de la curie romaine).

وهاتان الوظيفتان كانتا في البدء مختلفتين احداهما عن الاخرى ويمارسها رجال مختلفون بيد ان الجمع بينهما لم يتأخر به الزمن حتى كان منذ نهاية القرن الثالث عشر (قبل سنة ١٢٨٦) في ابرشية ريمس في فرنسا .

وهكذا لم يبق لنا من حاجة الى الاحتذاء « بوكلاء ملوك فرنسا » (Procureurs des rois de France) لتوضيح اصل المدعي العام من الوجهة التاريخية .

ب – بعض المعلومات الاولية الشرعية بصدد المدعي العام الكنسي

اننا ندرس بادئ بدء الاشخاص الذين خولهم القانون صلاحية تعيين المدعي العام . ان هذا الحق يعود الى الحبر الاعظم في الكنيسة كلها جمعاء والى الكرادلة في ولاياتهم (territoires, titres, diaconies) والى البطاركة والى رؤساء الاساقفة اذا كانوا من اصحاب الابرشيات المقيمين ، والى النواب والمدبرين الرسوليين (Vicaires et préfets apostoliques) في نياباتهم ومدبرياتهم، والى ممثليهم (Pro-vicaires et pro-préfets) اذا لم يكن هؤلاء النواب والمدبرون موجودين ، واذا كان هناك عائق يحول دون ممارستهم لولايتهم ، والى المدبر الرسولي المعين مدبراً دائماً (Administrateur apostolique permanenter constitutus) والى المدبر المعين موقتاً (ad tempus) بنفس شروط النائب الذي يدبر الابرشية الشاغرة (Vicaire capitulaire) والى رؤساء الديورة والاساقفة الذين لا ابرشية لهم (Abbés et prelats nullius) وذلك في اديارهم وولاياتهم، والى المطران المقيم، والى مساعده اذا كان عاجزاً ، والى النائب مدبر الابرشية الشاغرة ، والى القاضي الذي ينتدبه الكرسي المقدس والى رؤساء الرهبانيات الاعلين (Supérieurs religieux majeurs) لمحاكم رهبانياتهم .

وعلى العكس من ذلك نحن ننكر حق هذا التعيين على الكرادلة في خارج ولاياتهم وعلى نواب البابا ، وعلى البطاركة ورؤساء الاساقفة الذين لا ابرشية لهم ، وعلى وكلاء النواب والمدبرين الرسوليين في اثناء حياة من ينوبون

عنهم ، وعلى المساعد الذي اقيم لاسقف وهو لا يزال قادراً على ادارة ابرشيته (Vicaire coadjuteur) ما لم يكن مزوداً بتفويض خاص ، وعلى الاسقف المساعد غير المفوض (evêque auxiliaire non mandaté) وعلى المطران الفخري، وعلى النائب العام ، والنائب المنتدب (Vicaire délégué) وفقاً لتعليمات مجمع الاسرار المقدسة الصادرة في ١٥–٨–٣٦ ، وعلى رئيس الديوان واخيراً على القاضي الذي انتدبه الاسقف .

ولنبحث الآن المزايا المطلوبة ليصح احدهم ان يكون مدعياً عاماً . انه من واجب المدعي العام (Jure codicis) بالنظر الى اهمية دوره ان يكون ذا طابع كهنوتي ومن اصحاب السمعة التي لا غبار عليها اي انه عليه ان يكون من الذين يتمتعون بالتقدير الذي يقدر به الرجال المستقيمون، وعليه ايضاً ان يكون حائزاً على مرتبة دكتور في الحقوق القانونية او على الاقل ان يكون من اهل الكفاية في هذا الباب . وعلى الاجمال من المفروض في المدعي العام ان يكون حائزاً على صفتين هما الحكمة والانصاف اللذين لا يستطيع بدونهما ان ينجز المهمة الملقاة على عاتقه . اما من جهة الحق المتبع(De Jure condito) فلا نعتقد ان شرطاً من هذه الشروط هو مطلوب لصحة تعيينه .

واذا ما عالجنا طبيعة ما انتدب له المدعي العام(nature du mandat) فنؤكد ان هذا العضو في الوزارة العامة الكنسية ، لا يمارس عمله الا بحكم الوظيفة الكنسية بالمعنى الواسع لمناها القانوني (Office ecclésiastique au sens large) لا في المعنى الضيق . فمهمته لا تنطوي على اي سلطة كانت بالنسبة الى الدرجات الكهنوتية (aucun pouvoir d'ordre) . وهو لا يمارس اي ولاية من الوجهة الضميرية فيما يختص بالاسرار وفيما هو خارج عنها . اما من حيث اضطلاعه بوظيفته في المحكمة الخارجية فنعلن ان المدعي العام هو مجرد عن كل سلطة تشريعية وغريب عن كل مساهمة في السلطة القضائية وعن ممارسة اي سلطة تنفيذية .

اما بصدد حق المدعي العام بالتدخل فنعلن انه بوصفه محامياً عن المصلحة العامة الكنسية فهو معهود اليه ان يتدخل في الدعاوي الاجرامية وقد عهد المشترع اليه وحده في القيام بجميع هذا العمل . وفي سبيل حماية القانون وصيانة

المصلحة العامة من حق المدعي العام بل ومن واجبه ايضاً التدخل في القضايا الزواجية ودعاوي الفصل بين المتزوجين وبالدعاوي المتعلقة بالعهاد والرسامة الكهنوتية وبدعاوي مصالح الكنيسة واملاكها وبالقضايا العائدة الى القاصرين والاشخاص واخيراً بالقضايا التي تتناول شرائع اصول المحاكمات. وما خلا هذه الشؤون فان وجود المدعي العام لا بد منه في قضايا الاجرام وفي المحاكمة الحقوقية اذا ما ارتأى الاسقف ان المصلحة العامة عرضة للخطر.

واذا ما بحثنا قضية وجه المدعي العام من الناحية القانونية (Figure juridique) نحن من الذين يؤكدون ان هذا الشخص الكنسي لا يقوم بأي دور كان لتمثيل اسقفه كما كان يمثل وكيل الملك قديماً سيده. واننا لا نقر ايضاً له ان يمثل السلطة التنفيذية على شاكلة المفاهيم الفرنسية والايطالية للوزارة العامة، بيد انه لا بد لنا من الاعتراف بأن ثمة شيئاً من التشابه بين المدعين العامين في الحقوق المدنية وبين المحامي عن العدل الكنسي، ولكننا ننكر ان تكون الوظيفتان هما هما او ان تكون المماثلة التامة موجودة في الصلاحية او الوظيفة.. فالمدعي العام الكنسي بنظرنا هو خصم في القضية (pars in causa) ولكنه خصم لا مثيل له (pars suis generis) وصاحب امتيازات. وهو طرف رئيسي في دعاوى الاجرام. اما في الدعاوي الحقوقية، فيسعه التدخل كطرف خصم يمارس وظيفة مشابهة للوظيفة التي يقوم بمارستها في الدعاوى الجنائية او انه يقوم فقط بدور ممثل الشريعة في سبيل صيانة المصلحة العامة. اما في دعاوي الزواج فيقوم بدور المدعي اذا كان الفريقان لا يحق لهما اقامة الدعوى في زواجهما.

ج — المدعي العام في القضايا الزواجية

اذا ما عالجنا قضية تقديم دعوى الزواج فنحن نؤكد ان القرين البريء يحق له دائماً ان يقيم الدعوى في زواجه، بيد انه من المؤكد ايضاً ان الكنيسة بوسعها ان تنتزع هذا الحق من القرين المعروف بأنه مسبب مسؤول (Cause coupable) وبالواقع ان الكنيسة تستعمل صلاحياتها هذه، فتحرم حق اقامة الدعوى على الزوج المسؤول مسؤولية اكيدة (Causa certe culpabilis) لوضعه مانعاً لزواجه او لوقوع هذا الزواج باطلاً بسببه. اما الزوج المشكوك في مسؤوليته (Causa

(dubie culpabilis فلا يمكن حرمانه من حق اقامة الدعوى في زواجه ، سواء اكان الريب من حيث الواقع او من حيث القانون . اما في الحالة التي يكون الزوج مسؤولاً فيها من ناحية ، وبريئاً من الناحية الثانيــة (Causa culpabilis ex uno capite et causa innocens ex altero capite) فنقول ان الزوج الذي لا صلاحية له لاقامة الدعوى من جهة واحدة (ex uno capite) لا يمكنه ان يقيمها من الجهتين (Quoad duo capita) وان كان يصلح ليقيم الدعوى في احداهما.

واذا ما درسنا حق المتزوجين في اقامة دعوى زواجية عندما يضعان شرطاً لعقد قرانهما ، فباستطاعتنا القول انهما يصلحان لاقامة الدعوى في زواجهما وذلك اذا ما اعلنا شرطاً لائقاً وقانونياً ، اما اذا وضعا شرطاً غير لائق بذاته او عن طريق العرض او شرطاً منافياً لجوهر الزواج فهما لا يصلحان لاقامة مثل هذه الدعوى .

اما حق اقامة دعوى قرينين غير كاثوليكيين فجواب المجمع المقدس الرسمي يعلن عدم صلاحيتهما للتداعي في القضايا الزوجية ، مــا لم تكن اسباب خاصة تقتضي اقتضاء ملحاً بقبول شخص غير كاثوليكي كمدع ، ولكن لا بــد من الرجوع في كل مرة الى المجمع المقدس في هذا الصدد . وكذلك هو الامر بشأن غير الكاثوليك الذين اقتبلوا سر العماد وبشأن اهــل البدع والمنشقين والمارقين فالكنيسة قد حرمتهم حق اقامة دعوى زواجهم امام المحاكم الروحية.

وبصدد الزوجين الصادر حرم بحقهما ويحق المعاطاة معهما (excommunicati vitandi) وبصدد المحرومين المتسامح معهم (tolérés) بعد ادانتهم بحكم منزل العقوبة او معلنها ، فهؤلاء لا يمكنهم التقاضي الا بواسطة وكيل عنهم . اما المحرومون المتسامح معهم فباستطاعتهم اقامــة الدعوى في زواجهم وملاحقتها بأنفسهم امام القضاء ، وذلك قبل صدور حكم بحقهم ينزل العقوبة او يعلنها.

ويستطيع القاصرون الذين بلغوا سن الرشد المرافعــة والمدافعة في القضايا الزواجية . اما المتوهون والبالغون العاجزون تماماً فبوسعهم اقامة دعواهم امــام القضاء بواسطة ابائهم ، وأوصيائهم او وكلائهم . اما الغرباء (extranei) فلا يستطيعون بموجب القــانون (Jure codicis) ان يقيموا دعوى زواجية وانمــا يسعهم ان يعلموا بها السلطة ذات الشأن .

وبعد ان عرفنا حقوق القرينين في اقامة دعوى زواجها فلنحاول الآن القاء شيء من النور على حقوق المدعي العام المقابلة لها ، واذا ما وجدنا بين العبارة « المانع العلني بحسد نفسه » (Impedimentum natura sua publicum) وبين العبارة « موانع الحق في الحقوق القديمة » (Impedimenta juris publici) نستنتج انه متى كانت الموانع علنية بطبيعتها كان من حق المدعي العام الخاص ان يقيم الدعوى في الزواج وبدون اعلام سابق ، اما في بقية الموانع فانه يقوم بعمله بحكم وظيفته (vi muneris sui) وانما بعد اعلام فقط .

واذ فرغنا من ايراد الحجج على حقوق اقامة المدعي العام لدعوى الزواج في « الموانع العلنية بحد نفسها » ، فلنعالج الآن قضية هذه الحقوق في الموانع الاخرى . في هذه الموانع لا يستطيع المدعي العام اقامة الدعوى الا بعد اعلام سابق بيد ان كل اعلام يصله وهو مستوف شروطه من حيث الاساس والشكل لا يوجب عليه لمجرد وصوله (ipso facto) اقامة الدعوى وانما يقضي عليه واجبه قبل ان يتخذ موقف المدعي في قضية الزواج بأن يقوم بالتحري الاداري جاعلاً هدفه البحث عن الاسباب الضمنية والخارجية (الشك والتشهير والاصلاح) وبعد بحثه لجميع هذه الامور يحكم على مبلغ صحتها من حيث هي هي وعلى هذا الاساس يشرع بعمله . ومن واجبه ان يضع عريضة مستوفية من حيث الاساس والشكل . ومتى وصلت عريضته هذه الى المحكمة تقرر هذه بدورها اما قبول طلبه واما رفضه فاذا قررت قبوله فمن واجب رئيس الديوان ان يحرص على ان يكون تأليف محكمته كاملاً للبت في بعض امور طارئة اذا اتفق ان كان ثمة شيء منها : دفع الشبهة ، والنفقات القضائية والتسامح بالمعونة القضائية . . . الخ . ويشرع بعدئذ في الاستحضار والمجاوبة على الادعاء .

وبعد الفراغ من دراستنا لحقوق المدعي العام وواجباته في اقامة دعوى الزواج لنتحول الآن الى النظر في الدور الذي يقوم به في التحقيق بالدعوى اي في اثناء استعراض الادلة والاثباتات . ولما كان الزواج ينعم برعاية القانون كان من واجب المدعي العام ان يقوم على اعداد الذرائع التي تقوى على ادخال الاقتناع المطلوب في نفس القاضي ليلفظ حكمه ضد عقد الزواج . وفي سبيل هذه الغاية ينبغي لنا ان نعترف للمدعي العام بحق ايراد البنود الخاصة التي تتعلق

بجوهر الدعوى وان يطرح على القاضي سلسلة من الاسئلة ليوجهها الى المتزوجين في اثناء استجوابهما وان يقدم للمحكمة لائحة بأسماء شهود لتستمع اليهم وان يكون حاضراً ليسمع افادات الزوجين والشهود والخبراء وان يعمد الى اعداد الذرائع او المستندات التي تبرهن على بطلان الزواج ... الخ ...

وبعد فترة تقديم الاثباتات يأتي ميعاد اعلان المحاكمة وختام التحقيق . ومما تنبغي الاشارة اليه هو انه بعد القيام بهذه الاعمال يجب على القاضي ان يأخذ رأي المدعي العام — وهو رأي مطلوب صراحة — للتمكن من الاستماع الى الشهود انفسهم مرة ثانية ولاستجلاب شهود جدد وقبول اثباتات جديدة. ويحق المدعي العام فضلاً عن كل هذه الامور وبعد المهلة التي حددها الحاكم للمناقشة في الدعوى ان يقدم مرافعة تحت توقيعه الى رئيس المحكمة وان يرد على ملحوظات محامي الوثاق . ثم يلفظ القاضي حكمه الذي لا عمل للمدعي العام في وضعه ووضع صيغته وانما يقضي الواجب بابلاغه اياه بعد صدوره .

وعند صدور حكم بصحة الزواج ، يحق للمدعي العام ان يستأنفه الى محكمة أعلى اذا حسب نفسه موتوراً من جرائه . ويحق له ايضاً ان يرفع شكوى البطلان ضد الحكم مستقلة عن الاستئناف ، الا انه عليه في هذه الحالة ان يوجه طلباً يتضمن حيثيات كافية الى القاضي الذي لفظ الحكم المشوب بشائبة البطلان .

د — المدعي العام في بقية الدعاوي المتفرقة

وان كانت هذه الدعاوي تتصل في الدرجة الاولى بمصلحة الافراد الخاصة فان بعضها يتعلق بالمصلحة العامة ايضاً . فبناء على هذا اننا نبرر تدخل المدعي العام في الدعاوي العائدة الى القاصرين والاشخاص المعنويين على رغم الوصاية القضائية التي وضعها القانون نفسه في متناولهم . وان اشد هذه التدابير جدوى — وان كان تنفيذه نادراً — هو الذي وضعه القانون الكنسي لحماية القاصرين والاشخاص المعنويين وهو بدون ريب اعادة المحاكمة .

وانه اذا ما اتفق للمدعي العام ان يتدخل في الدعاوي الروحية فله ما يبرر تدخله كل التبرير لانه من المحال ان نقوى على فصل مفهوم المصلحة العامة عن

مفهوم الدعاوي التي تتصل بحياة المؤمنين الروحية ، وباستطاعتنا ان نورد المسودية والرسامة الكهنوتية والهجر بين الزوجين مثلاً على ذلك .

واخيراً ثمة حالات يتطلب المشترع تدخل المدعي العام فيها صراحة واننا لنذكر بهذا الصدد بصورة خاصة الدور الذي يتولى القيام به في دعاوي حراسة العين ومنع التصرف في الحق ، وفي دعاوي اعادة اليد او استرجاعها ، وفي الدعاوى المتعلقة بالمدعي المتخلف ، او برفض العريضة ، او باعطاء المعونة القضائية الخ ...

ه – المدعي العام في دعاوي الجرائم

ان حق الاتهام الاجرامي هو من اختصاص المدعي العام وحده ، اما بقية الافراد الشخصيين والضحية نفسها فباستطاعتهم فقط اعلام السلطات ذات الصلاحية بالجنحة . وهذا العلم المسبق الذي يتقدم به الفريق المتضرر او هذه الشكوى هما مطلوبان في القضايا المتعلقة بالاهانات او بالثلب ، وانما هناك شواذ عن هذا المبدا العام . فالفعل الاجرامي بالاستطاعة مباشرة الدعوى فيه بحكم الوظيفة اذا كانت الاهانة او الثلب خطيراً ويمس اكليريكي او راهب او بالعكس اذا كان الفاعل اكليريكياً او راهباً .

ولا بد لنا من الاشارة الى ضرورة القيام بالتحقيق القضائي الخاص اذا ما بلغنا هذه المرحلة وذلك اذا لم تكن الجنحة مشهورة ولا اكيدة كل التأكيد. ولا مندوحة لنا ايضاً عن التذكير بحق المستنطق – وهو عادة احد القضاة الابرشيين – في العودة الى طلب رأي المدعي العام كلما اعترضته صعوبة والى اشراكه في دراسة المستندات قبل ختام التحقيق. وهذا هو الامر الوحيد الذي يرجع فيه الى المدعي العام في باب التحقيق .

واذا اوضح المحقق في تقريره عند ختام التحقيق ثبوت الجنحة وخطورتها الموضوعية ومسؤولية الفاعل وامكان اقامة الدليل القضائي على ذلك حوّل الرئيس المكاني مستندات التحقيق الى المدعي العام،وذلك اذا اتضح ان التوبيخ القضائي هو غير كاف لاصلاح الشك الناجم عن مخالفة القانون . فينظم عندئذ المدعي العام عريضة الشكوى ويرفعها الى ديوان الابرشية .

ومتى رأى القاضي انه صالح للنظر في الدعوى فلا يستطيع ان يرفض لائحة المدعي العام الاتهامية الا لاسباب مستمدة من الشكل ، اما اذا كانت لائحته صحيحة من حيث شكلها فعليه ان يستدعي المتهم وان يشرع في معاملات التحقيق .

اما المتهم فيجري استدعاؤه وفقاً للاصول المتبعة في الدعاوي الحقوقية. فاذا لبى المدعى عليه الدعوة الموجهة اليه ومثل امام القاضي وفي نيته الدفاع عن نفسه فثمة مجال للمجاوبة على الادعاء . امـا اذا لم يحضر المدعى عليه بشخصه او بواسطة وكيل ينوب عنـه فيعلن القاضي محاكمته غيابياً نزولاً على طلب المدعي العام الذي عليه اثبات وقوع الجنحة ومسؤولية المدعى عليه ، وان العقوبات التي جاء على ذكرها في لائحته الاتهامية هي عقوبات يفرضهـا القانون . وفي فترة تقديم الاثباتات والادلة يتمتع المدعي العام بنفس ذرائع الاثبات التي يتمتع بها في الدعاوي الحقوقية . وبعد ان يمحص القاضي الادلة التي اوردها المدعي العام والمدعى عليه يصدر حكمه بادانة هذا الاخير او بتبرئتـه حسبما تتحقق له مسؤوليته او براءته .

يتضح من هذه الدراسة الخاطفة اهمية وظيفـة المدعي العام في المحاكم الكنسية ، فهو يحتل مقاماً مرموقاً بين اعضاء الدوائر الاكليريكية بوصفـه المساعد في القضاء والحارس للمصلحة العامة والمنتصر لها . ولقد كان من غايات هذا المقال بيان اهمية هذا المركز والقاء النور على اصل المدعي العام من الناحية التاريخية ، وعلى ملامحه القضائية وعلى الدور الذي يتولاه في الدعاوي الحقوقيـة والجنائية ، آملين ان يعود درسنا ببعض الفائدة على اعضاء المحاكم الروحية وخصيصاً على من يقوم بهذه الوظيفة الخطيرة .

تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

للاب لويس بليبل († ١٩٣٨) (تابع)

المجلد الثالث

عدد ١٠٧

وفي سنة ١٨٠٤ سلّم بوجه الوقف ، البعض من عائلة صفير دير مار جرجس الرومية الى الرهبانية على يد الاب العام عمنوئيل الجميل لاسباب يرى المطالع اكثرها مدونة :

١ً في قرار السيد البطريرك يوسف التيان مع خمسة من الاساقفة ، باستحسان تسليم الدير الى الرهبانية ، مصرحاً به عن اسباب التسليم .

٢ً من صك الوقف .

٣ً من صك الامراء واعلان رضاهم عن التسليم .

٤ً من عريضة الشيخ جرجس باز الى المجمع المقدس بهذا الخصوص .

وهذه حرفية قرار السيد البطريرك والاساقفة :

(المتن) . الحقير يوسف بطرس البطريرك الانطاكي وسائر المشرق

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه :

انه اذ كان الكرسي الرسولي قد ابرز جملة تحديدات واوامر متكاثرة في ملاشاة الشركة فيما بين الرهبان والراهبات « اي الاديار المزدوجة » . واخيراً قد ابرز امراً قاطعاً في ملاشاة الاديرة عينها ان لم يتمكن ملاشاة الشركة كما هو محرر في التحديد المعطى في سنة ١٧٩٠ .

وهذا التحديد ، اذ لم يكن تمّ مفعوله بذاك الحين فجمع انتشار الايمان المقدس ، من بعد ارتفاقها الى السدة البطريركية باثبات الحبر الاعظم البابا بيوس السادس(١٧٧٥—١٧٩٩) السيد الذكر قد دجّع بسلطانه نفوذ هذا التحديد وسلوكم بالعمل بموجب مرسوم تاريخه في ١٣ اذار سنة ١٧٩٦ .

فنحن امتثالاً لهذه المراسيم قتدنا ملاشاة الشركة المذكورة اولاً من دير مار جرجس

الرومية لحضرة الاخ مطران الابرشية « اسطفان الخازن » واذ لم يكن ملاشاة بالنوع المطلوب من التحديدات الرسولية . التزمنا وباشرنا الامر بذاتنا .

وبعد استعمالنا كل الوسائط الفعّالة ليس فقط لم نستفد شيئاً لكمال مرغوب السدة الرسولية البطرسية بل انها زادت من رهبان وراهبات هذا الدير الشكوك والانقسامات فيما بينهم حتى ان بعضهم اختصّ لذاته راهبات وقسموا ارزاق ووقوفات الدير . وبدّدوا وباعوا منه جانب لاجل الدفائع على الرئاسة .

ولذلك خاب املنا من نظام هذا الدير على موجب الرسوم الرسولية . فاتباعاً لارشاد المجمع المقدس المرسول بتاريخ ١٨ آب سنة ١٧٩٦ قد شاورنا حضرة الاخوان المطارنة المحترمين وبقوة السلطان الممنوح لنا قد لاشينا دير الرومية المذكور التلاشي التام اي اننا نقلنا منه الراهبات الى غير اديرة وعيّنا لهم معاشاً كافياً من اصل مداخيله .

ونرسم وننادي بان هذا الدير لم عاد يدعى دير راهبات ولا عاد للمذكورات عليه حق من الحقوق ولا الى بيت صغير دعوى ما فيما سيأتي . لان الوقوفات باجمعها متعلقة بسلطان الكرسي الرسولي .

واما الدير المذكور بشور حضرة الاخوان المطارين المحترمين قد ارتضينا الرضا التام بان يكون ملكاً وقد ملكناه الى حضرة اولادنا الاعزاء الرهبان البلديين اللبنانيين وانه من الان وصاعداً يحسب ملكهم كاحد اديرتهم القانونية يتصرفوا فيه وفي ارزاقه ومداخيله وكلما يتعلق فيه التصرف التام العاري من كل شائبة شرعية او كنائسية .

وذلك لكون اولادنا الرهبان البلديين المذكورين لهم استحقاقات وافرة واتعاب جزيلة في الطائفة .

ولكوننا ايضاً محققين حسن فطنتهم وغيرتهم واقرازهم وجدّهم على حفظ القوانين الرهبانية ونظام الاديرة على موجب الرسوم الكنائسية . هذا ما لزم ان ننادي به لاجل خلاص ذمتنا واتمام وظيفتنا وامتثالاً لاوامر السدة الرسولية .

اعطي في ١٦ تخلت من شهر ايار سنة ١٨٠٤

الحقير	الحقير	الحقير
(ختم) جرمانوس ثابت	(ختم) اسطفان	(ختم) غابل فاضل
مطران جبيل والبترون	الخازن	مطران بيروت
الحقير	الحقير	الحقير
بطرس مبارك	اغناطيوس الخازن	عبدالله بليبل
(ختم) مطران بعلبك	(ختم) مطران طرابلس	(ختم) مطران قبرس

(عن الاصل المحفوظ بدير الرومية)

وهذه حرفية صك الوقف المسلّم بيد آباء الرهبانية من بعض عائلة صفير :

الداعي لتحريره

انّنا نحن الواضعين اسامينا بذيله بالحق الذي لنا من باب الميراث العالي من ملك اجدادنا ويّانا بدير الرومية انّنا نسلّم لمن يقوم بالخدمة الالهية والحدود الرهبانية واهلنا الكهنة الذين موجودين بدير الرومية ' قد ظهر منهم كسور من عدم اتفاقهم وانضامهم مع بعضهم وانعدمت الثمرة الرهبانية في الدير المذكور .

فلاجل خلاص ذمّتنا قد سلمنا الدير المذكور الى حضرة الاب عمنوئيل الجليل الرئيس العام ومدبريه اللبنانيين تسليم شرعي بخاطرنا وتمام رضانا من غير كره . يتصرفوا في الدير المذكور حسبما يشاؤوا ويريدوا في عوايدهم وقوانينهم .

بقي الدير المذكور ملكاً من بعض املاكهم الشرعية فصار لهم حق التصرف الكلي بجميع ما يعرف بالدير من اثاث واملاك ومواشي من كلي وجزئي . وقد وهبنام جميع ما يخصنا من ارث جدودنا ويّانا الى الرهبنة المذكورة واذا احد منا اراد يتدعي لا تسمع دعواه بجميع الشرائع عند جميع القضاة .

ولنا عليهم في الشركة الروحية والمناظرة منهم حسب الامكان . واذا احد من عائلتنا اراد ان يدخل في الرهبانية هذه ليس عليه مانع من الرجال والنساء . واذا انقطع احد منا يتاش من الدير حسب ما يقتضي معاش المقطوعين . ويصير قداس نهار كل جمعة عن انفس الموتى المذكورين . وقد حررنا هذا السند الشرعي بيدهم لاجل الاحتياج اليه .

صح . وحرر في شهر كانون الثاني سنة ١٨٠٤

قابله على نفسه

قابل على نفسه ومحرر الاحرف واكيم صفير خليفة صفير

مرعي جلوان صفير

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

وهذه حرفية صك الامير حسين شهاب باعلان رضاه عن تسليم الدير للرهبان بحسب العادة المرعية في تلك الايام.

وقد اجازه الامير بشير شهاب الحاكم العام: يعمل بموجبه من غير خلاف .

كاتبه

(الختم) بشير شهاب

وجه تحرير الاحرف :

انه حين انعرض لدينا امراراً عديدة عدم السير المرضي والمخصومات التي نشأت من سكان دير الرومية وعجزوا رؤساء دياناتهم عن اصلاح احوالهم وبعد الفحص الكافي اتضح لنا ذلك من روساهم ولاجل حسم هذا النزاع ورفع الخصام من بين رعايانا قد سلمنا الدير المذكور (للرهبان اللبنانيين) بجميع ما يعرف به من املاك ومواشي واثاث وكلي وجزئي مثل بقية الاديار المعروفة بهم واعطيناهم بان لا نتعرضهم في دياناتهم ولا نبدلهم بغيرهم ولهم منا الحماية والصيانة . ويوردوا مال الميري المرتب على الدير المذكور واعطيناهم هذا السند لاشهار خاطرنا وصدّ كل معارضة .

تحريراً في اواخر شهر رجب سنة ١٣١٨

(الختم) حسين شهاب

(عن الاصل وهو بيدي)

وهذه حرفية العريضة التي رفعها الشيخ جرجس باز مقدام ديوان احكام جبل لبنان الى اصحاب النيافة كرادلة مجمع نشر الايمان المقدس وقد ضمنها الشرح الوافي عن حالة دير الرومية وما اجراه من التدابير لاصلاح حاله .

ايها السادة الكلي السمو :

انه من حيث انعطاف واستمالة خاطر هذا الكرسي الرسولي المقدس نحو طائفتنا المارونية واظهار الحب الابوي لنجاحها وعزّ غرس وردها ما بين اشواك الاضطهادات والامم الغريبة بتلك الارشادات الابوية الصادقة والمودة القلبية الواثقة من حين وجودها الى الآن . ثم وخضوع هذه الطائفة وامتثالها وخضوعها التام لديوان هذا المجمع المقدس .

قد نودّ ونجتهد دائماً في ملاشاة زوان الخلل من بين حنطة الاستقامة ولا نروم سوى الطاعة وحسن السلوك المرضي مما يزيد هذه الطائفة رونق الاعتبار الروحي باتمام واجبات الرسوم الارثوذكسية من كامل الامور والقوانين الكنائسية سيما وعلى الخصوص نظام الاكليروس والرهبنات اذ انهم المصباح ونور العالم وبهم يقتدي الشعب المسيحي الماروني وغيرهم من جماهير الطوائف الكاثوليكية .

وحسب وجودي بانعمة المعطاة لي من لدن واهب النعم والخيرات بصالح دعاكم المستجاب اذ اني وتنفذ المتقدم على هذه الطائفة بل على كافة الطوايف في جبل لبنان وما يليه بحسن انظار سادة افندياتنا الامرا الافخمين .

وجب عليّ ذمة وشرعاً بان اغار مجتهداً على تنفيذ اوامر مجمعكم المقدس ونظام كرسي طائفتنا المارونية ورفع كل شائبة وعادة سيئة من هذه الطائفة وغيرها سيما وبنوع خاص ان

ازيل والاشي تلك العادة السيئة الغير المحتملة وهي وجود الاديرة المضاعفة للرهبان والراهبات في طائفتنا الامر الذي هو بعيد بعداً كلياً عن روح الكنيسة ومرفوض ليس فقط من رسوم المجمع اللبناني بل من كل القوانين المقدسة .

وقد برز جملة اوامر وتحديدات من مجمعكم المقدس في شأن هذه الاديرة ومن بعضها اوامركم الرسولية المبرزة في شهر حزيران سنة ١٧٩٠ ولم تزالوا ترسلوا اوامر من مجمعكم المقدس في اصلاح هذه العادة وانه ان لم تصطلح تتلاشى الاديرة المذكورة .

وبهذه الاوقات من بعض هذه الاديرة انوجد دير يعرف بدير مار جرجس الرومية من معاملة كسروان ما برح قط بالسجس والشكوك المتراكم والمتواتر حتى ان رهبانه وراهباته ابتليوا (ابتلوا) بالانقسام وتركوا الرسوم الرهبانية وتقلدوا بالانواع العالمية مثل اختصاصات وعوائد سيئة وكل واحد منهم خصص لذاته محلات وراهبات .

وما زالوا يقدموا الدقائع للحكام لاجل الحصول على الرياسة وقهر اخصامه[1] من رهبان وراهبات واستعملتا كل الوسائط لكي جذب رهبانه وراهباته تارة عن يد السيد البطريرك وتارة عن يد اسقف الابرشية . فلم يتمّ ذلك بل قد تزايد انقسامهم لغاية صالحة يريدها الله . اذ قد التجوا الى حضرة اب عام ومدبرين الرهبانية البلدية اللبنانية بان يتسلموا ديرهم ويصلحوا نظامهم .

ولما اتعرض لنا هذا الامر افرحنا جداً من كون هذه الرهبانية المذكورة مزينة في حفظ القوانين الرهبانية سايرة في مناهج حفظ الرسوم والكمالات المسيحية ناجحة بالاعمال الصالحة وقيام الاديرة والمدارس لخير الطائفة بكلما يجب ويُستحسَن ويرضي .

ومن بعد وقوفنا على رضى قدس السيد البطريرك ورضى مطران الابرشية . أيدنا الرهبان اللبنانيين المذكورين في تسليم دير الرومية المذكور . ومنعنا عنهم ساير الاضرار والموانع اذ اني بعون الله لا اعجز عن ذلك خاصة بقيام العدل الكنايسي العايد لخير الطائفة لان اولئك الرهبان المطرودين كما صرّحنا ما برحوا بارشاد البعض من اعداء الخير من الطايفة يلتجوا الى الحكام الاجنبين والدروز وارشوهم في مبالغ باهظة لكي يرجع اليهم الدير ويكملوا خرابه . ولكن بصالح دعاكم وعدل مجمعكم المقدس ابطلنا مقاصدهم ولم ينالوا اربهم وقد ارسنا الرهبان اللبنانيين المذكورين في تسليم الدير المذكور لاجل الخير العام والتزموا بوفاء الدين المترتب على الدير واداء معاش كافي للرهبان والراهبات .

فالمرجو من حنوكم الابوي انفاذ اوامركم المقدسة بتأييد هذا الامر بموجب براءة رسولية للرهبان اللبنانيين المذكورين تعلن رضا مجمعكم المقدس واثبات تسليم الدير المذكور بيدهم بنوع كافٍ يزيل كل مانع ومعترض حسب الرسوم الكنائسية والقانونية .

---

[1] الضمير راجع لكل منهم .

ثم نرجو ايضاً ابراز حكم رسولي في ملاشاة هذه العادة السيئة اعني الاديرة المضاعفة المشتركة مع الرهبان والراهبات على الوجه المشروح لان وجودهم ليس منه نتيجة سوى مزيد السجس والشكوك وقد صرنا هزءاً لجيراننا

ثم نرجو سيادتكم بان تحشوا بالامر الرسولي القاطع انه اذا كان كرسي طائفتنا البطريركي في احد هذه الاديرة المضاعفة يكون خالياً من وجود رهبان وراهبات على منوال احكامكم الرسولية السابقة ونحن مستعدون بكل رغبتنا اتمام نفوذ اوامركم المقدسة بكل تدقيق . وانا بكل اعتبار اقدم ذاتي لنيافتكم وتشييد اوامركم الرسولية .

حرر في ١٥ نيسان سنة ١٨٠٤

تلميذكم الكلي الخضوع جرجس باز

(ختم) مقدام ديوان احكام جبل لبنان

(عن الاصل المحفوظ يدي)

من مطالعة قرار السيد البطريرك وصك الوقف وصك اعلان رضا الامير حسين وعريضه الشيخ جرجس باز الى المجمع المقدس ينتج :

اولاً : استحكام اسباب الخلاف بين الرهبان والراهبات سكان دير مار جرجس الرومية المذكور .

ثانياً : انقسام بعضهم على بعض واختصاص كل فئة منهم باشخاص واماكن ومداخيل بذاتها دون غيرها .

ثالثاً : بيع بعض املاك من الدير الموما اليه فوق مداخيله ودفعها للحكام العاليين الاعيين للترأس على الدير نكاية بالآخرين .

رابعاً : ان تداخل الرؤساء باصلاح الشؤون لم يكن منه نتيجة لاستفحال الخلاف بين الفئتين .

خامساً : شهادة حسنة بتصرف الرهبان اللبنانيين وحفظهم الرسوم الرهبانية وبما يبذلونه من الاتعاب والمساعي الحسنة في سبيل الدين والطائفة .

— ولما لم تنجع الوسائط التي استعملها الرؤساء لاصلاح الخلل المذكور ، وكانت الاوامر الرسولية ملحة بوجوب فصل الاديار المزدوجة او بملاشاتها تماماً ان لزم الامر ، ارتضى فريق من عائلة صفير اتماماً لاوامر رومية ، ورفعاً للشكوك الصادرة عن سوء تصرف رهبان هذا الدير وراهباته ، فسلموه للرهبانية اللبنانية . عندئذ اصدر السيد البطريرك قراره بذلك ووافق الحاكم العام على

اعلان رضى الحاكم الاقطاعي الامير حسين شهاب . وعليه تقرر هذا التسليم . واستعدَّ الشيخ جرجس باز رئيس ديوان حكومة جبل لبنان لمخاصمة من يعارض ذلك .

ولما تسلَّم الاب العام الدير المشار اليه ، باشر حالاً نقل الراهبات اللواتي شئنَ الانتماء الى رهبانيتنا اللبنانية ، الى اديار الراهبات . والراهبات الاخريات وضعهنَّ في محل مناسب بعيد عن الدير وامر لهنَّ بتقديم المعاش اللائق بامثالهنَّ . ثم سعى لايفاء الديون المستحقة على الدير واسترجاع ما بيع من املاكه بقدر الامكان .

ثم باشر بناء جديداً لسكن الرهبان وكل ذلك واضح من لائحة المصاريف الآتي ايرادها .

ولما لم تكن حاصلات الدير كافية للقيام بهذه الاعمال الخطيرة حصلت مساعدات من اديار الرهبانية ومن وظيفة الرئاسة العامة .

وفي هذه السنة ١٨٠٤ لبس الاسكيم الرهباني ونذر النذور الاحتفالية الاخوة :

نعمة الله الفتوح . وافرام الرقباوي . ومارون البعبداتي بعمر ١٨ سنة وهذا الاخ اشتهر بالادارة وقد اقتنى الاملاك الواسعة لدير قزحيا في جهات الزاوية وكان له الفضل على المطران يوسف الدبس (يوم كان فتى تحت يده في كفرزينا) .

وتوفي الاخ اثناسيوس البعبداتي . والاب مارون البشراوي . والاب مرقس الكفاعي المدبر الثاني الشهير وله من العمر ٨٠ سنة .

(عن روزنامات الاديار)

راجع ما كتبناه عن حياة هذا الاب المفضال واعماله في حوادث سنة ١٨٠١ من هذا التاريخ فصل ١٠ عدد ١٠٤ فترى ان خسارة الرهبانية بوفاته كانت عظيمة انما كان لها اعظم تعزية باعتقادها ان نفسه البارة قد حصلت دون شك ، على السعادة الخالدة .

وهناك تساعد الرهبانية بتوسلاتها الحارة امام العزة الالهية اضعاف ما كانت تقدر عليه في حياتها الجسدية .

...

الفصل الثاني عشر

عدد ١٠٨

وفي سنة ١٨٠٥ صدر امر الكرسي الرسولي بارجاع دير مار جرجس الرومية الى اصحابه عائلة صفير بعد ان تسلّمته الرهبانية على ما ورد في العدد السابق. واما الاسباب التي اوجبت صدور الامر بارجاع هذا الدير لاصحابه فهي مدونة في الافتاء المعطى من المطرانين يوسف اسطفان ويوحنا مارون النائب البطريركي وهذه حرفيته :

ما قول العلماء بالشرائع الكنائسية في دير راهبات معروف بعائلة لهم عليه الولاية الشرعية القانونية . ويوجد بهذا الدير من العائلة بعض كهنة قائمين بالخدمة اللازمة واحدهم وكيل عليه برأي الجميع ويتعاطى الوكالة بموجب القوانين .

وقع اختلاف بين هؤلاء الكهنة على الوكالة وكل منهم يريد الوكالة لنفسه . فاستبان للوكيل القائم بان اسقف الابرشية يريد عزله ويوكل غيره فرضي هكذا الوكيل بان يسلم الدير المذكور الى رهبنة قانونية وكتب الى اب عام الرهبانية بشأن ذلك لاجل مقاهرة باقي الكهنة الموجودين وطلب من الاب العام بعض شروط تخصه .

وقبل ان يصير التسليم رجع عنه واتفق مع باقي كهنة الدير . فعرّف الاب العام عن رجوعه عن رضاه السابق وانه لا يريد تسليم الدير للرهبنة فما قنع الاب العام بذلك بل تسلّم الدير المذكور باقتدار ذوي شوكة من دون رضى سكان الدير ومن دون رضى جمهور العائلة ذات الولاية الرسمية . وقدس السيد البطريرك ومطران الابرشية مع بعض اساقفة الطائفة قد اثبتوا للرهبنة تسليم الدير بدون مسوّغ شرعي بل بمجرد امر حاكم السياسة .

الجواب

انه واضح لدى الجميع بان التسليم والتسجيل ليس هما قانونيين وشرعيين لكونهما ناتجين عن الخوف والاغتصاب اللذين ينفيان الاختيار اللازم وجوده حتى ولو رضي بعض العائلة بهذا التسليم لان رضى البعض لا يوجب رضى العائلة

كلها ولا ينقل حق التملك لان الاوقاف لا يجوز نقلها او تحويلها من خير الى خير ولو كان اعظم ، الا برضى ذوي الولاية الشرعيــة كما هو محرر في القوانين المقدسة الكنائسية فاذًا . . .

ان ما جاء في سؤال طالب الافتاء المدرج آنفاً عن كيفيــة اسباب صدور الوقف على الرهبانية وتخلف الرهبان عن ترجيعه الى اصحابه يخــالف على خط مستقيم لما جاء في اوراق السيد البطريرك والحكام وصك الوقف عن الاسباب الداعية لتسليم الدير الى الرهبانية . فكيف يوفق بينها : فالذي اراه ان اسباب الخلاف التي حصلت ما بين الرهبان سكان الدير قد اتخذها الرؤساء سبباً لاجراء ما اجروه . وقد اعتمدوا ايضاً بوجــه خاص ، على اوامر الكرسي الرسولي القاضية بملاشاة الاديار المزدوجة تلك التي لا تسلّم بالفصل اطاعــةً للاوامر الرسولية . وان طالب الافتاء قد تجاوز عن ذكر ما لا يوافق مطلبه لذلك حصل الخلاف في الرواية .

فائتماراً بالاوامر الرسولية عوّل آباء الرهبانية على ترك دير الرومية وارجاعه الى اصحابه . ومن ثمّ تمّ الاتفاق بين الاب العــام والخوري يوسف صفير والقس جرمانوس صفير على شروط تتضمن كيفية التعويض على الرهبانية بدل اتعابها في الدير وهذه حرفية الاتفاقية :

سبب تحريره

هو انه نحن المدونين اسامينا قد ارتضينا مع قدس الاب العام القس عمنوئيل الجميل الكلي الاحترام من تمّ العمــارة التي خاسرها والدّين الذي وافيه عن ديرنا الرومية تشـّن له فيه رزق سمر الحمل الورق في نمر العليب بخمسة وعشرين قرشاً . وفي التليمات بثلاثين قرش . والصنوبر والسليخ على ذمة المخمنين والحرش الذي في النهر نعطيه اياه نظير اتعاب الحجارين (الرهبان) بالعار . وهو يرجّع ديرنا لتسليمنا .

ومن تمّ دخل الدير وخرجه نحن قد سلمنا لذمة الاب العام يأخذ حساب من رئيس الدير انكان فاضل شي للدير وان كان باقي نلتزم في وفاه .

ولاجل البيان حررنا له هذا السند بخاطرنا وتمام رضانا تحريرً في ١٥ آب سنة ١٨٠٥ صح صح . ومن تمّ الراهبات الذين في ديورة الاب العام التي ما تريد ترجع لعندنا نعطيها معاش وقد ارتضينا بذلك .

كاتبه كاتبه

الخوري يوسف صفير القس جرمانوس صفير

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

وفي اوائل شهر تشرين الثاني انتهت المحاسبة واخذ بها الاب العام تعهدًا للعمل بموجبه وهذه حرفيته :

سبب تحريره

هو انه قد تحاسبنا نحن وحضرة الريس العام الاب عمنوئيل الجميّل على الذي نفذ من يده من وفاء الديون واستفكاك الرزق ومعاش الراهبات وميّر (المال الاميري) عتيقه . والذي نفذ من يده على الدير بلغ ١٣٣٠٥ ثلاثة عشر الف وثلاثماية وخمسة قروش

واننا نثمّن له رزق فيها في نهر الصليب على القاطعين وان ما قدّى (كفى) نكمل له بالقليبات وان ما قدّى في الشطوح . والبواد مع كرومهم وسليخهم . والسليخ الذي بين ارض الدير نعطيه عوضه مطرح متحدف .

ومن ثمّ الميري ينشّ‌غّس رزق الدير وقدر ما يطلع ميري على الرزق يدفع حسب ميري الدير . حيث صار الرضا والاتفاق بيننا وبين الاب المذكور صح حرر في ت ٢ سنة ١٨٠٥

قابلين على انفسهم

القس جرمانوس — الخوري يوسف

مغير — مغير

(عن الاصل وهو بيدي)

ومبلغ الثلاثة عشر الف والثلاثمئة والخمسة قروش المورد آنفًا قد تحرّر به مفردات بموجب لائحة ارقها هنا بمفرداتها تفكهةً للقراء ولمعرفة ما كانت عليه الاسعار ونوعية المعاملات في تلك الايام .

وهذه هي اللائحة بحرفيتها :

بارة	قروش	
١٠	٦٣١	فرش (اثاث) ومصروف
٢٠	١٦	ثمن ملح
	١٨	للراهبات
	١٨	خرج عن يدنا
	٩	ثمن نصب توت
	٦٥	ثمن ثلاث اكيال قمح
	٧	ميرة عودة صربا
٣٠	٧٦٤	المجموع

بارة	غروش	
٣٠	٧٦٤	ما قبله
٢٠	٨	ملح وعليق دابة
	١٢	للراهبات على مرتين
٢٠	٢٦	ثمن بزر من شاهين القاموع
	١٥٠	الى سعد بو صعب
٣٠	٣	كري فعاله
	١٠	خرج
	٤	علف للبقر
	٣٤	ثمن زيت
	١٨	حليب
	٣٠٨	ثمن قرش ونصف قفة رز
٢٠	٣٢٤	ميري عن عام ماضي
	١٦	ثمن زيت
	٣	مصروف
	٣٣	وفاء دين لمارون الديك
٢٠	٣	للاب جرمانوس وخلافه
	٥٤	ثمن قمح من فالوغا على مرتين
	٤٠	خرجية للاب جرمانوس على ثلاث مرات
٢٠	٤	ثمن خضر
	٣٦	كري فعاله
	١٥٠	ايضاً كري فعاله
	٣١٠	ثمن قمح من فالوغا والبقاع
	٣٠	ثمن شعير
	٤٠٠	كلف الاتون
٢٠	٣	ثمن خضرة
	٣٨٧	وفاء دين لحرمة الشيخ قبلان
	٥	« « الى حسين الشريك
	٣١	« « لمنصور الخوري من زيتون
٢٠	٢٩٤٠	المجموع

بارة	غروش	
٢٠	٣٩٤٠	ما قبله
٢٠	٢٣٠٣	استفكاك رزق من حنا صيدح
	١١٠	ثمن نصب
	١٥٠	لاسعد بو صعب بامر جنابه
	٥٥	الى رفاق المذكور
	٢٠٠	خرج عن يد الاب المدبر سمعان عن دراهم اديرة بلاد جبير
	٩٠	الى بيت صفير خليفة وواكيم وسمعي وماجا
	٣٠	وفا دين للشيخ قبلان الخازن
	٨	وفا دين ليعقوب من زبوغا
	١٣٠	الى الراهبة سوسان صفير
	٢٦٠	الى الاختين ترازيا وشموني صفير
	١٠٠	الى الراهبة هيلانة
	٩٩	الى حداد المزرعة
	١١	الى مراد من ميروبا
	٩	« علام من القليعات
	١٠٠	« شاهين القاموع
	٣٣	« عباس شريك الدير
٢٠	١٧	« ضرا الراعي
٢٠	١٧	« سمعان شماس المطران بطرس
١٠	١٨	« جواد ثمن لحم
	٧	« الياس وفا دين
١٠	٣٦	« طنوس الحداد من غزير
٢٠	٤٩	« الياس المكيس
	٤٤	« ابراهيم من النهر
	٤	« البدوي من القليعات
٢٠	٩	« قلاووس من عجلتون
١٠	٧	« ابراهيم الشمالي
	١٤٨٠	استفكاك رزق من يد ابراهيم ساده
٣٠	٨٣٠٩	المجموع

بارة	غروش	
٣٠	٨٣٠٩	ما قبله
	٣٥٠	ثمن بغل
	٧٣	« قمح من مار مخايل ومار موسى
	٦٠	« « وحمص وبرغل من مار سابين
	٣٦	« شعير وسمن وزيت وشمع من طاميش
	١٢١	من مدرسة بحرصاف والكحلونية والناعمة ورشميا وسير وبير سنين زيت وغلي (غلة)
	٦١٤	خرجيه للاب برلس وخدامه مفرقة بخصوص الدير
	٦٨	كسوة للخوري سمعان
	١٥	وفا دين للمطران اغناطيوس
٢٠	٥٢	اجرة فعالة ليد الاب برثيتوس
	٣٥	الى الاب جرمانوس صغير
	٩٠٠	وفا دين لابراهيم النقاش
٣٠	٢٠	« « انطونيوس الحداد من غزير
	١٢	للاب جرمانوس ثوب صوف
	٢٠٠	الى الشيخ عقل
	١٩٠	وفا دين الى بو حاتم صغير
	٢٠٩٨	« « واستفكاك رزق الى حنا صيدح
	١١٠	ثمن جوز بقر من الشيخ عبس
	١٠	اجرة حرير لطنوس مفرج
١٠	٣٣	ثمن نصف غرارة صنوبر
١٠	١٣٣٠٥	المجموع

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

فيكون اجمال الدين الذي وفاه آباء الرهبانية بحسب مفردات اللائحة ، ٢٨٠٨ قروش . واجمال المال المدفوع لاسترجاع الرزق بحسب مفردات اللائحة ٥٨٨١ غرشاً المجموع ٨٦٨٩ غرشاً ومـا بقي ٤٦١٦ تتمة مصاريف الدير . ينتج من هذه اللائحة ثلاث نتائج :

اولاً : قيام آباء الرهبانية بكل الشروط المفروضة عليهم بكل دقة وسرعة .

ثانياً : عظمة اهتمام الرؤساء بالاعمال العايدة لخير الدير ونموه

ثالثاً : وضع الاهتمام بالعمل بدون تأخير كايفاء الديون واسترجاع قسم من الاملاك المباعة والشغل فيها وتشييد البناء اللازم في الدير لراحة سكانه .

ويستفاد ايضاً منها شدة اهتمام اباء الرهبانية بنتيجة اوقافها وان هذه الاوقاف ما كانت وما حفظت حتى الان الّا بفضل حرصهم على الزمان بالعمل اليدوي المتواصل وعيشتهم القشفة .

وفي هذه السنة ١٨٠٥ وقفت وقفاً نافذاً السيدة ماري سوسان ارملة الخواجا جرمين الافرنسية الاصل ، على دير مار انطونيوس قزحيا عن يد رئيسه الاب اغناطيوس بليبل ، نصف ما تملكه من اصل نصف قرية عشاش المتصلة اليها بالشراء الشرعي من الشيخ لطوف الضاهر . ثم اوقفت في نفس الوقت ، النصف الآخر وقفاً مؤجلاً الى ما بعد وفاتها وهذه حرفية الصك الاول :

انه حيث ان الموت هو حق وواجب كقوله العزيز جلّ شأنه تعالى ، بعدم معرفة المحتوم اي عدم معرفة ذلك اليوم وتلك الساعة ؛ واذ رأيت حالتي انا الحقيرة المدونة اسمي ادناه ، باني معدومة الخير وليس لي امل بمن يخلص لي ذمتي بعد انقضاء حياتي ووقوفي امام الديان العادل ، قد حركتني يد المعونة الالهية من تلقاء ذاتي وصحة عقلي وجسمي ، من غير رغم ولا ارشاد ، قد اوقفت نصف ما يخصني وملكي بموجب الحجج التي بيدي بنصف قرية عشاش شركة جناب اولاد المرحوم الشيخ لطوف الضاهر ، من توت وكروم وزيتون وطاحون ومختلف وعمار عامر وداثر وكلي وجزئي ، اعني نصف ما يعود لي من القرية المذكورة ، بموجب السندات والقوائم ، الى دير القديس مار انطونيوس قزحيا دير الرهبنة اللبنانيين ، وقفاً مدبداً خالدًا ؛ وذلك لاجل الذكر الصالح عن حي وعن والديّ ، ليبقى لنا الاشتراك في المواهب الروحية المعطاة للمحسنين الى هذا المقام المبارك .

ومن ثم قد اوقفت ذلك بكل شروق وتمام رضاي الطوعي العاري عن كل التباس . وقد بقي كل ما يخصني بالقرية المذكورة اي نصف تملكي وما يختص اليّ ابضاً جا، بتصرف حضرة ابونا رئيس الدير الاب اغناطيوس بليبل ومن ينوب من حضرة الآباء رؤساء الدير المذكور، يتصرفوا فيه كباقي أملاكهم ووقوفاتهم حيث يشوا ويريدوا .

وقد سلمت لحضرة الاب الرئيس المشار اليه كامل السندات والحجج التي بيدى يخصوا المحل المذكور .

واما الاموال الاميرية يدفعوا ما يخصهم كما هي سنة (محددة) في الحجة . واي من نعارض هذه الوقفية بنوع من الانواع او بوجه من الوجوه .

نسأله تعالى ان لا يكمل سعيه والقديس مار انطونيوس صاحب المقام يكون خصمه دنيا وآخرة . والويل ثم الويل ان هو قبل على نفسه ذلك .

وقد تحررت هذه الوثيقة بحضورنا في الدير المذكور وذلك في صحة عقلنا وجسمنا . وأذنا بالاشهاد علينا . ونعرض على جناب السادات الكرام قضاة وافنديه ذوي احترام .

صح تحريراً في ٥ تشرين الاول سنة ١٨٠٥ مسيحية .

قابلتها على نفسها

ثم اسمها بالافرنجي سوسان المداما

جرمين

شهود الحال

محررها بيده انطونيوس بقينو (الختم) انطونيوس الشدياق (الختم) بومى الخوري

(الختم) سليم شهاب (الختم) سعد الدين شهاب (الختم) حسين شهاب

صح قد حضرت امامنا ابنتنا سوسان المداما جرمين واستقرت بما هو محرر بباطن هذه الحجة الوقفية . وان قد تم ذلك وتحررت هذه الوقفية بتمام رضاها واختيارها الطوعي . فمن بعد ان صرّحت بذلك امامنا آذنتنا بالاشهاد عليها لاجل توضيح ارادتها .

ولذلك فنشهد بصحتها ونحكم باثبات هذه الوقفية . ولتكن شرعية ولا عاد يسوغ الرجوع بها . صح .

(الختم) الحقير جرمانوس ثابت

مطران جبيل والبترون

قد اقرّت قدامنا ابنتنا سوسان المداما جرمين بصحة هذه الوقفية وانها تمت برضاها وتمام ارادتها من غير اكراه ولا الزام، بل انها محبّة لمجد الله الاعظم واكراماً لشرف القديس مار انطونيوس، قدمت ذلك عن نفسها ونفس والديها ورجلها وابنها . وآذنت لنا بالاشهاد عليها . فمن ثمّ شهدنا بصحة هذه الوقفية ونقول انها شرعية يعمل بموجبها . صح .

(الختم) محرر الاحرق

الخوري يواكيم بيين

وهذه حرفية الصك الثاني :

الداعي لتحريره .

انه قد اوقفت نصف ما يخصني بقرية عشاش بموجب الحجج والسندات التي بيدي شركة جناب المشايخ اولاد المرحوم الشيخ لطوف الضاهر ، بموجب حجة وقفية مني لدير مار انطونيوس قزحيا .

والنصف الثاني الباقي لي قد قبلت وارتضيت ان يكون في يد الاب اغناطيوس بليبل ومن يتبعه من حضرة الآباء رؤساء الاديرة اي دير قزحيا المذكور ويدبروه بسبة ارزاقهم ويضبطوا جميع المداخيل من حرير وارض وطاحون وكروم وزيتون وغنائم وعمار وكلي وجزئي ، يتورد لنا ما يخصنا من بعد قطع الميري والاكلاف والاغلال المذكورة ، معاش لي في زمان حياتي .

وبعد مماتي يكون هذا النصف الثاني الذي يخصني ، وقفاً مؤبداً مخلداً الى الدير المذكور ويصير ما يخصني بالمطرح المذكور بكامله وقف (وقفاً) للدير يتصرف فيه رئيس الدير المذكور كباقي املاكه وارزاقه ولا يعارضه معارض . وقبلنا ذلك بخاطرنا وتمام رضانا .

وسلمنا حضرة رئيس الدير حجج قرية عشاش وكامل سنداتها الذين بيدنا وعلى ذلك وقع الرضا وصح الاشهاد .

تحريراً في ٥ ت ١ ١٨٠٥ — قايلة على نفسها

(ثم اسمها بالافرنجي) — سوسان الداما جرمين

شهود الحال

محرره الخوري يواكيم (ختم) موسى (ختم) انطونيوس (ختم) محرره انطونيوس بنينو ريين — الخوري — الشدياق

(ختم) الحقير جرمانوس ثابت
مطران جبيل والبترون

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

اما كيفية اتصالية هذه الاملاك الى السيدة سوسان المذكورة ، من الشيخ لطوف الضاهر واسباب وقفها هذه الاملاك على دير مار انطونيوس قزحيا، فالى المطالع شرحها كما دونها الاب اغناطيوس سركيس البيروتي في السجل العام الذي انشأه للرهبانية في السنة ١٨٣٩ بامر الرئيس العام الاب عمانوئيل الشبابي . (وهو الآن محفوظ في خزانة الرئاسة العامة رقم ١ ص ١٩١) —وقد اشرنا الى

هذا السجل في سياق هذا التاريخ مرارًا – في باب تسجيل صكوك هذه الوقفية واوراقها . وهو ثقة في كل ما حرره بهذا الخصوص :

١ : لصدقه بالنقل .

٢ : لوقوع هذا الحادث في عصره .

٣ : لانه هو الذي اقيم محامياً عن الرهبانية في هذه الدعوى ، بامر الرؤساء ، لما اقام الدعوى بعض اقرباء السيدة الواقفة بعد وفاتها كما سيأتي . وبما ان هؤلاء اقاموا عدة دعاوى باوقات متفاوتة ، رأيت من اللازم ان اسرد جميع الحوادث استطرادًا ، بدون ان اراعي سياق حدوث تاريخ الدعاوى اما الشرح عن اتصال تلك الاملاك بالسيدة سوسان وعن اسباب وقفها فهذه حرفيته :

« اعلم انه في تاريخ خمسة ايام من شهر تشرين الاول لسنة الف وثمانمئة وخمس للتجسد الالهي ، قد تصدقت واوقفت الحرمة التي تسمى ماريا سوسان ارملة الخواجا جرمين المولودة في مدينة حلب الشهباء من يوحنا انطونيوس روزا من مدينة مرسيليا .

ووالدتها التي تسمى ترازيا كونتي من البندقية وزوجها ريشا جرمين المار شرحه . فهذه المذكورة ، بموجب حجة شرعية ممضاة تحت ختم واشهاد وقضاة وسادة بعض امراء شهابية حكام البلاد واعيان مشهورين بجبل لبنان ووكلاء وقناصل فرنساوية : أعطت هذه الحرمة المذكورة الى الرهبان فقراء دير قزحيا بوجه الوقف الصارم الشرعي ، نصف قرية عشاش الشهيرة بقرب مدينة طرابلس الشام المربوطة تحت ولاية حاكم جبل لبنان من ساحل الزاوية . وايضاً بموجب حجة ثانية من كونسلارية فرنسا في طرابلس الشام ذاتها في ٩ كانون الاول سنة ١٨٠٩ . »

وكيفية ذلك :

هو ان هذه الحرمة المذكورة هي ارملة رجل فرنساوي كانت ساكنة في مدينة طرابلس الشام المذبورة . وكان لها كمية دراهم معلومة بذمة رجل يسمى لطوف الطاهر من مشايخ الزاوية .

فهذا الرجل قد اعطى وملك نصف قرية عشاش المذكورة التي هي من متملكاته الشرعية ، الى الارملة جرمين المذكورة ، الاملاك المشتملة على اغراس توت وزيتون وفواكه وعريش وبرّي وجوّي وارض سليخ ومشاع وعمار وطاحون وماء وهواء ومجالات ومنتفعات ومشتملات وكلي وجزئي .

وقد حصل هذا التملك المسطور لهذه الارملة من الرجل المذكور بوجه الشرا الشرعي بموجب بيانات شرعية لدى قاض . وذلك وفاء عن قيمة مبلغ الدين الموظف بذمته . فتولت المرأة المذكورة على نصف قرية عشاش . سنوات معلومة . وبما انها امرأة فرنساوية لا يمكنها تملكات ارزاق وعقارات ثابتة بهذه الديارات الشرقية .

ومن جهة اخرى رامت بارادة تقوية وارادة روحية ان تحبس هذه الرزقة نفسها للتذكرة المؤبدة الخيرية بوجه الوقف المؤبد باسم الفقراء المار ذكرهم.

فحينئذٍ اقرت هذه الحرمة عينها لدى قاضي بل هو تمام ارادتها الطوعية ومشيئتها الاختيارية وآذنت بالاشهاد على قرارها برضا اختياري انها اوقفت وتصدقت واخرجت من ملكها الرزقة المشهورة بقرية عشاش المار شرحها المشتملة على سائر الاغراس والاشجار والفواكه والارض والمهار والمياه عن كل ما يعرف بها للفقراء المذكورين . واجرت غب الرضا البيانات والصكوك الشرعية وسلمتهم اياها وصرفتهم التصرف التام .

وقد ربطت الحرمة على الرزق معاشها بنوع معلوم، تتناوله بوجه الاباحة مدة حياتها من الموقوف عليهم ، وان الاموال الاميرية المربوطة على هذه الرزقة تطلب من الفقراء المذكورين حسب مطاليب الحكام .

واشهدت على اقرارها الشرعي القنصل الفرنساوي الموجود وقتئذٍ بطرابلس الشام وسجل على اقرارها بصحة الوقف . ومثله من انام شتى من ابناء بلادنا الشرقية وفرنساوية ايضاً .

وغب ذلك كله قد قبل الرهبان المذكورون هذا التملك وتوظفت عليهم الاموال الاميرية . وتمّ التسلم والتسليم . وتسلّم الرهبان الصكوك باللغتين العربية والافرنجية. وعاشت هذه الارملة، بعد عقد هذا التملك نحو اثنتي عشر سنة . وبكل عام كانت الارملة المذكورة ماريا سوسان تجدّد وتشدّد رضاها عن هذا الوقف .

وبنهاية الاثني عشر سنة توفاها خالقها وكان ذلك في سنة ١٨١٧ .

ثم وباثناء وفاتها حضر كتابة من جناب قنصل طرابلس الشام الافرنسي وقتئذٍ وهو موسيو«رينو»،مؤرخاً في اول شهر تشرين الثاني لسنة ١٨١٧،الى قدس

الاب اغناطيوس بليبل الرئيس العام وبه يطلبه (القنصل) لـديه مع الاوراق والحسابات والبيّنات التي تخص وقف الارملة المذكورة، وهو نصف قرية عشاش.

فالاب العام المذكور قد حضر لموافاة القنصل نفسه وطلب منه سببية احضاره لديه. فاجاب القنصل :

ان ماريا ارملة جرمين لقد نكثت بوقفها وغيَّرت بعطيتها الرزقة اي نصف قرية عشاش لدير مار انطونيوس قزحيا وكان ذلك قبل وفاتها.

فاجاب الاب العام شارحاً له واقع الحال وكيفية هذا التملك واطلعه على حجج الوقف وصكوك وبيانات التملك، موضحاً له صورة الواقع تماماً.

فحين شاهد القنصل المذكور كل ذلـك وتمن بجوهر الامر وحسن بناه واثباته شرعاً لدى قاضي، فلم يعطِ جواباً سوى ثبات حق التملـك للرهبان فقراء دير مار انطونيوس قزحيا وتصريفهم وتملكهم هذا الشرعي.

وحالاً وجّه اعرض (عرض) كيفية هذه الـدعوى الى متولي احكام دولة فرنسا عن كيفيّة رزقة عشاش وتمليكها للحرمة. وبعده صورة وقفها على دير مار انطونيوس قزحيا.

وبما انها امرأة فرنساوية وزوجها ايضاً فرنساوي، يفترض لصحة اعطائهـا ذلك، رضى الامبراطور. وبعـده ورد الجواب من المرصى اليه باسم القنصل المذكور يقول : «فهمت كامل شرحك واني وجهت اعراضـك الى وزير امور الديانة التي تخصه هذه الوقوفات. فان جاوبني بشيء يضاد هذه الوقفية فافيدك عن ذلك، والا، اي ان لم يعطِ جوابه. فان هذا كافٍ لك».

وجرى ذلك بتاريخ ١٠ حزيران سنة ١٨٢٠

ومن ذلك الحين الى الآن، لم يحضر جواب قط ولا خطاب بهذا الشأن.

ثمّ انه من بعد ذلك بمدة ظهر اناس حلبيون يقال لهم بيت الكونتي زعموا انهم من اقارب السيدة جرمين من جهة والدتها وان لهم الامكان بالارث. مع ان المذكورة بحياتها وحين وفاتها اشهرت عدم حقهم بالارث من متروكاتها.

١ً : بما انهم اعقاء بحقها ومبتعدون عنها غضباً والارث يتعداهم.

٢ً : انها قطعت ميراثهم بحياتها بكمية من الدراهم معلومة منها. وبعد وفاتها حضر بيت الكونتي المذكورون وادعوا بذلك ورفعوا دعواهم الى محكمة

اكس السامية في فرنسا بزعمهم ان احد القناصل لم يمكنهم من ضبط الميراث. ومن بعد رفع دعواهم بمدة اتاهم جواب من المحكمة نفسها ليحضروا مع باقي خصومهم واعطتهم المحكمة مدة ستة اشهر ليحضروا بيّناتهم واوراقهم الموجودة معهم . ومن بعد مرور هذه الفسحة توجه المذكورون الى المحكمة نفسها في اكس وقدموا لها البراهين والبينات بمقتضى امكانهم واخيراً ظهر حكم هذه المحكمة عينها الى احد القناصل الموجود وقتئذ في اللاذقية يشرح هكذا :

« ان متروكات الارملة جرمين الملومة كميتها دراهم ٩٨٤٨٤ تسعة آلاف وثمانماية وثمانية واربعين قرشاً وثلاثين مصرية . فهذه الكمية تحت طلب الورثة » .

وكان تاريخ رفع دعوى بيت الكونتي في ١٣ شباط سنة ١٨١٨ ومحكمة اكس اخرجت اشعاراً في ٣٠ حزيران سنة ١٨٢٣ واعطت لهم مهلة ستة اشهر غب هذا الاشعار والحكم الذي اخرجته كان باتاً قاطعاً مؤرخاً في ٢٦ ك٢ سنة ١٨٢٤ بان هذه الدراهم المار شرحها تقسم على بيت الكونتي .

وهكذا صار بموجب الامر الذي صدر من قنصلية اللاذقية التي يعلن حكم اكس الاخير بتاريخ ٢٣ آب سنة ١٨٢٤ بان هذه المتروكات تنقسم بالسوا على عائلة كونتي كنصوص الحكم الذي هم التمسوا اخراجه برفع دعواهم بدون ان يذكروا عشاش باي نوع كان ولا اتوا بذكر دير مار انطونيوس قزحيا حتى انه في حين رفع دعواهم وطلب الحضور الى محكمة اكس لم يحضر علم للرهبان فقراء دير مار انطونيوس قزحيا من المحكمة المذكورة ولا من الخصوم انفسهم وانصرف هؤلاء الانام بسبيلهم بموجب حكم اكس وتوزيع القنصل المذبور (المذكور) عن كمية المبلغ المتروك لهم .

واما في هذه البرهة فقد برز اناس منهم في حلب وشكوا امرهم الى نائب قنصلية حلب القنصل الفرنساوي على ايالة طرابلس بزعمهم ان يأخذوا نصف مزرعة عشاش من رهبان دير مار انطونيوس قزحيا . ويقولون ان رهبان دير قزحيا المار ذكرهم تملكوا نصف قرية عشاش بدون ارادة الملك الامبراطور الفرنساوي ، وان الحرمة جرمين المذكورة ابطلت وقفها حين وفاتها .

فحين قدّم الخصوم هذا المعروض تقوّى القنصل المذكور وفي الحال اجرى

كتابة باسم الاب مكاريوس « وادي شحرور » رئيس دير مار انطونيوس قزحيا حينئذٍ في شهر آب سنة ١٨٣٦ فحواها :

ان بيت الكونتي عرضوا له عن دعواهم بخصوص الرزقة نصف قرية عشاش انها معطاة لدير مار انطونيوس قزحيا بدون مسوغ شرعي بموجب الترتيبات الفرنساوية وان مراد المذكورين ان يشارعوا في حلب بديوان القنصل نفسه بموجب الشريعة الفرنساوية . ويقول هذا القنصل المذبور لرئيس دير مار انطونيوس قزحيا المذكور انك تحضر اوراقك وبيّناتك واحضر الى محكمتنا في حلب ، وان مضى اربعة اشهر بعد تحريرنا هذا ولم تحضر فانني ساخرج الحكم بموجب سماع الدعوى من خصمك . ولا افتقر لحضورك قط .

فمن ثمّ عرض رئيس دير مار انطونيوس قزحيا هذه القضية على الرئيس العام وقتئذٍ قدس الاب عمنوئيل المتيني الكلي الاحترام فالمشار اليه اقام وكيلًا شرعياً اعطاه الوكالة المطلقة بماطاة هذه الدعوى محرره القس اغناطيوس سركيس .

فالقس المذكور وجّه مكتوباً جواباً الى القنصل المذبور في ٢ ايلول سنة ١٨٣٦ ردًّا على افتراضه .

اولًا : يقول له انه بموجب الوكالة المقلّدة لي من قدس الاب العام ونيابة عن رئيس دير مار انطونيوس قزحيا المثبوتة في كنشلارية فرنسا بمحكمة بيروت تحت امضا واختام جميع المحترمين اوكست بانوس وقنسا ارازي . اعرض انه بخصوص طلبك ايانا الى محكمة حلب فلا يمكنك ذلك لجملة اعتبارات :

١ : « بموجب رسوم سني الرهبانية لا اقدر ان اتوجه في كذا مسافة بعيدة غريباً عن الاديرة واهمين النظام الرهباني بمشاجرة عالمية وانا غريب البلد .

٢ : لا يمكنني اوكل احدًا في حلب يقوم مقامي بمشاجرة هذه الدعوى حيث لعدم معرفتهم وقوع حالها القديم الايام الذي بلغ ٣٣ سنة .

٣ : حيث انه من المعلوم يلزم لايضاح اثباتها شهود وبراهين وفحص وكشف وتحديد وغير ذلك فهذه كلها موجودة هنا اي بناحية طرابلس الشام وفي بيروت فلا يمكنني اوجه شهود من هذه الاصقاع الى مدينة حلب . ولا يمكنني ان اوجه اناساً من حلب الى هذه الديارات اي عشاش وغيرها لاجل فحص وكشف وغيره .

٤ : لا اقبل استماع شريعة في ديوانك الخصوصي وانت تحكم بها بما انها استمعت في دواوين اعلا سوًّا واقدر حكماً من ديوانك واخص ديوان آكس العالي نيافة والسامي شرافة . . . الخ

فتوجه بهذا الشرح مع مرسال خصوصي الى حلب لجناب القنصل المشار اليه عن يد نائب قنصلية طرابلس جناب الخواجا جوفر المحترم .

ثمّ اتت كتابة ثانية من المذكور بورفيل القنصل في حلب بتاريخ ١٢ اذار سنة ١٨٣٧ يقول فيها بعد الترجمة :

« اني حكمت ان يوءخذ المكان الذي يسمى عشاش اي نصف تملكات هذا الموضع من رهبان دير قزحيا ويعطى لعائلة بيت الكونتي . وان الرهبان نفسهم المار ذكرهم يعطون حساباً من حين تملكهم الارزاق هذه مع العطل والريع الناتج منها الى يومنا هذا » .

واسند حكمه على اعتبارين: الاعتبار الاول عدم حضورنا لديوانه بمجرد طلبه .

والاعتبار الثاني : ان الامبراطور الفرنساوي واضع رسماً في البند الـ ٩١٠ في فرنسا من شرايع نابوليون :

« ان الهبات ما بين الاحياء او بموجب وصية لجانب الاديرة ام فقراء بلاد او لمحلات مشهورة لجهة ما ، لا يعمل بها من دون صدور اوامر امبراطورية ؟ » .

فمن هنا نتّج هذا القنصل ان الحكم الذي صنفه يكفي له هذان الاعتباران لاخلافها . والحال ان الاعتبارين المار ذكرهما لا فائدة منها قط .

الاول : لمجرد طلبه لحضورنا ، وعدم حضورنا اليه لا يسلبنا حق التملك الشرعي الماضي من عمر ٣٢ سنة واخصه عدم سماع شرحنا بل لمجرد دعوى الخصم لا غير .

الثاني : استناده الى البند الـ ٩١٠ النابوليونية فهذا البند محصور وضعه وفرضه وتفترض صيرورته في مملكة فرنسا المعظمة وليس في كل مكان واقليم لوجه العموم غرباً وشرقاً حتى ولا في اي مملكة كانت يسري هذا الزعم عينه الا باقليم فرنساوي فقط . مع ان الامبراطور يوضح في سنه هذه بكتاب شرائع الفرنساويين ان يكون هذا الرسم في مملكته . ولو انه يفرضه على كل الممالك لكان اضحى رسماً ممحواً ووضعاً خالياً خاوياً لا عبرة له . وعلى اي كان من الافتراضين فاننا غير ملزومين بالوقوف عند حكم هذا القنصل الخالي من الحقوق الشرعية . ومع ذلك انه انوجد له ردّ على كتابته المساة حكماً موردين له غلطه عن كل اعتبار بمفرده وارسلناه له وبه نقول له :

« اننا غير واقفين عند حكمك ولا مقرين بشرحك واننا رافعون دعوانا عليك الى

ولاة امورك ومحكمة اكس السامية شرقاً . فمن الآن وصاعداً ما عاد يسوغ لك سؤال وجواب منا ، بهذا الشأن ليكون نفذ جواب محكمة اكس السامية ولاة امورك الاعظمين » .

وهذا الرد تقدم له عن طريق بيروت بمناظرة جناب القنصل آتري كيز وتسجيل الكنشلارية . ومثله توجهت عرايض مشروحة ببداية هذه الدعوى ونهايتها تماماً الى صدر الوزراء العظام بفرنسا تطلب الاستقالة بعدم قبول الحكم ورداً على غلط القنصل بورفيل المذكور وانتهت الدعوى هذه بمجال كذا . . .

هذا ما علقه الاب اغناطيوس سركيس من الشرح بخصوص هذه الدعوى وذلك الى هذه السنة التي هي سنة ١٨٤٠ واما ما كان بعد ذلك اي من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٢ التي كانت فيها نهاية هذه الدعوى ، فانني انقله عن الجورنال الرسمي الصادر من قنصلية فرنسا في حلب المختص بهذه الدعوى :

ان الخواجا يوسف الكونتي من انحصر فيه الارث المتروك عن المرحومة ارملة جرمين رفع عريضة الى الخواجا آتري كيز القنصل الافرنسي في حلب شارحاً فيه واقع حال هذه الدعوى من السنة (١٨٤٠) الى سنة (١٨٤٢) بما حرفيته ، قال :

« لا احد مثل جنابكم مطلع على حقيقة هذه الدعوى وان عائلة كونتي كانت طائفة اخبار تقدر على قيامها ضد رهبان مار انطونيوس قزحيا في لبنان ، وذلك بخصوص الهبة التي اعطتها ابنة عمي روزه ارملة جرمين الى دير هذه الرهبانية الكائن في قزحيا . فلهذا انني باعتنائي من تقديم شرح مستطيل اقدر انصل الى النهاية التي تدعيني الان للالتجاء الى سلطتكم :

وهو انا يا سيدي القونسلوس المحترم كما ليس خافي انه كان تارة تسمع دعوانا على استرجاع الهبة وتارة ترفض حتى اخيراً حصلنا على اعلام موافق ، ولكن حيث الرهبان لم يتبرروا ذاتهم انهم ملتزمين بالامتثال اليه كونهم غير خاضعين للشريعة الفرنساوية فبقي ذلك الاعلام بدون اجراء والدعوى بدون رفع خلاف محكمة حتى التزمت جنابكم عرض هذه الحالة لسعادة وزير الاشغال الدينية الذي بجوابه يرفع كل شبهة عن عدم صحة الهبة وبحق بطلان الادعا الذي تدعيه العائلة الكونتية بهذا الشأن .

فمع ذلك بحيث انني التزمت الى مصاريف كثيرة ان كان للاسفار وان كان للمحاكم كلفة فتاوى بهذه الدعوى لمع لي ان اعرض حالتي الى رئيس دير مار انطونيوس قزحيا .

فبعض اشخاص عاملي خير تداخلوا حينئذٍ لكي تنال المقصود باوفق نوع فحصلت على وعد باربعة الاف قرش بصفة تعويض المصاريف المسببة من هذه الدعوى المذكورة ولكن بشرط ان عائلة كونتي تحرر ورقة بكونسلاريتكم بما تترك هي وسليلتها كل ادعا وطلب او حق على قرية عشاش المذكورة الموهوبة من المرحومة الست روزه ارملة جرمين الى دير مار انطونيوس قزحيا لان الريس لا يقدر يكلّف ديره بمصارفات بدون غاية نفع التي هي راحة خاطرهم من الآن وصاعداً عما يختص بهذه الهبة .

فقد ارضيت الجميع لان يتمموا الورقة المذكورة المطلوبة كما اعلاه من الرئيس الموما اليه . ولم يبقَ عليَّ سوى تفويض من جنابكم لاقوم مقام اخي فيلكس انطون كونتي الذي صار له غائب عن حلب مدة ٦٠ سنة والذي ما عاد ظهر عنه خبر من مدة عشرين سنة .

وحيث المادة لا تأول الى ارث بل الى اقرار لا يتضمن كما هو باطن الامر حق مستحق التمس يا سيدي القونسلوس المحترم ان تجيب سؤالي كي اقدر ان استولي على المبلغ الذي يصير لي منه الثلاثة ارباع حيث يصير اقربائي تركوا لي قسمهم والذي نظراً الى حالتي يُعدّ عندي عظيماً » .

وبحسب التماسه المورد آنفاً اعطته القونصلاتو التفويض اللازم ولما لم يَعُد مانع لاعطاء صك الاسقاط والابرا، ودفع ما تقرر دفعه من المال لنهاية هذه الدعوى التي اشغلت الرهبانية نحو ثلث قرن ، تحرر الصك الآتي وصادقت عليه قونصلاتو فرنسا في حلب وهذه حرفيته :

« انه في ٢٣ آذار سنة ١٨٤٣ ، بعد الظهر بساعة امام مونسيور أنري ركيتز كونسلوس فرنسا رتبة اولى في حلب وامامنا نحن يوحنا المسدان جنروا كونسلير القنصلية المذكورة وامام الخواجا يوحنا يونس وجورج فيدال شاهدين مدعين حضروا من جهة واحدة .

والخواجا خليل رقيّه وكيل مقام بموجب تحرير مؤرخ في ٧ اذار سنة ١٨٤٣ من قبل الاب اغناطيوس سركيس المحترم رئيس دير القديس انطونيوس قزحيا ، كي ينوب في مصالحة فيما بين الواهب المذكور وبين اعضاء عائلة كونتي حاضرين او غائبين في حلب .

وهذه الوكالة قد تسلّم عليها منا لكي لا يحصل عليها تغيير فهي باقية موضوعة بهذه الكونسلارية . ومن جهة اخرى .

اولاً : الخواجا يوسف كونتي الساكن في حلب المذكورة ، عاملاً كما عن ذاته عن اخيه البكر الخواجا فيلكس انطون الغائب ، ام عن ورثاه ان يكن له ، وذلك بموجب حكم قونسلوس فرنسا مؤرخاً في ٩ اذار من السنة الحاضرة بناء على بمضمون اعراض الخواجا يوسف كونتي المرقوم لهذا الحكم . وعاملاً كذلك عن الخواجا يوسف

انطون كونتي واندره كونتي واندري فيدال بموجب اوراق الابراء المؤرخين في ٢٣ حزيران سنة ١٨٦١ و٧ تموز و٢٥ ايلول سنة ١٨٦١ الذين هم ايضاً مضافين الى هذه الوثيقة.

ثانياً : لويزا كونتي التي هي بتول .

ثالثاً : غرة كونتي بتول والنسا ماريا كونتي امرأة اينجي النائب . وراجينا كونتي امرأة بشير الحاضر . ومدول كونتي امرأة يوركي الحاضر ايضاً .

رابعاً : الست انطونينا فيدال امرأة يوسف مكرديج ديار بكر الحاضر مع امرانه .

الذين حضروا جميعاً ليقروا ان لاجل رفع كل نوع شبهة يمكن ان تكون موجودة للان على الحقوق التي كانوا ظنوها ان تكون لهم على هبة ضيعة عشاش الكائنة في ارض طرابلس الشام التي وهبتها الست روزه(سوسان)ارملة جرمين قريبتهم الى دير مار انطونيوس قزحيا .

فتركوا الان بحسب هذه الوثيقة عنهم وعن سليلتهم او عن ورثاهم كل ادعا على الهبة المرقومة . ويعترفوا ان ما لهم عليها ولا نوع حق وقابلين مبلغ اربعة الاف قرش بصفة اكرامية التي يعطيهم اياها رئيس دير القديس انطونيوس قزحيا المذكور بحساب تعويض خسائر نافذة منهم وقت قيام الدعوى .

فقد طلبوا منا هؤلاء اصحاب الدعوى ان نحرر عليهم وثيقة بجميع ما ذكر اعلاه ، وقد حررنا عليهم وبعد تلاوتها وترجمتها لهم بالعربي اللغة التي لا يعرفون غيرها.والتي نحن كونسليير بحسب وظيفة ترجمان القنصلية نعرفها والمفهومه ايضاً من جناب قنصلي المومى اليه ومن الخواجا دقية ومن الشهود المذكورين اعلاه فهذه التلاوة والترجمة قد شهدوا بصحتها اصحاب الدعوى كل واحد منهم بمفرده .

وحينئذٍ دفع الخواجا خليل دقية الاربعة الاف قرش ستة حصص كل حصة ستماية قرش « والاربعماية غرش التي قابضت اندفعت للخواجا هيبوليت مرتين ايضاً لما كان سلّف مصاريف كونسلارية حينما اتقامت الدعوى ». متقسمة على اصحاب الدعوى فيما بينهم بحسب حقوقهم ومطابقة شجرة سلالة عائلة كونتي الذي كل فرع منها قبض خمسه بمعاينة جميع الحاضرين فالستماية قرش التي تخص الخواجا فيلكس انطون كونتي او ورثاه ان وجد احد منهم قد اندفعوا ايضاً للخواجا يوسف كونتي اخيه لكي يقدم حساباً عنها متى لزم الامر .

واعطوا اصحاب الدعوى وصولاً بالاربعة الاف قرش المذكورة المدفوعة لهم بامر حضرة رئيس دير مار انطونيوس قزحيا للغاية المشروحة اعلاه .

« ثم الاضاءات الموردة اعلاه »

وعلى نهاية هذه الدعوى على ما اشرنا اليه اعلاه ، ارسل القنصل المومى اليه كتابة الى الأب اغناطيوس سركيس البيروتي رئيس الدير ناهياً اليه ما توقع . ولما في هذه الرسالة من الاهتمام الشديد الصادر من القنصل المرقوم لنهاية

هذه الدعوى حباً بمصلحة الوقف . وحفظاً لجميله رأيت رقمها لازماً ذيلاً لهذا الاجهاد واليك حرفيتها :

بعد الترجمة :

انه ليس خافٍ بورود تحرير ابوتكم رقم شهره المتضمن تفويضكم لنا بنهي مادة قرية عشاش مع عائلة كونتي ، باشرنا بحل الاوراق المقتضية شرعاً وبحوله تعالى وحسن دعاكم تممنا ذلك على اتم المرغوب اذ اننا ارضينا اصحاب الدعوى . وعند ذلك احضرناهم لكونسيلاريتنا ولدى شهود محد (ثقة) اقروا بان ما عاد لهم لا حق ولا دعوى ولا بوجه من الوجوه . الخ . على هبة نصف قرية عشاش . ودفعت بالحال لكل ذي حق حقه وواصل طيه .

١ : صورة امر سعادة وزير الاشغال البرانية « الخارجية » .

٢ : صورة اوراق ترك حقوق الخواجات يوسف كونتي وكيل قنصل صيدا . واندري كونتي الكائن في الاسكندرية . وفرنسيس اندري ڤيدال كونسلير قنصل فرنسا في بغداد . والى الخواجا يوسف كونتي الموجود في هذا الطرف .

٣ : صورة معروض الخواجا يوسف كونتي المذكور المقدم لنا . وصورة تفويضنا له شرعاً على ان له أن يقوم مقام اخيه الغائب عن حلب منذ زمان مديد .

٤ : صورة الاسقاط والابراء من يوسف كونتي المذكور ومن باقي اصحاب الدعوى المحررة والمسجلة بكونسلاريّة قنصليتنا مع ترجمة جميع هذه الاوراق والتحقيق عليهم منا كمجاري السادة . وما بقي علينا سوى تهنئتكم بخلاصكم من هذه الدعوى التي نهايتها كان مزعجاً للغاية .

ثم ترون في ورقة الاسقاط والابراء ذكر اربعة الاف قرش فقط واما بوصول آخر عربي العبارة ترون ذكر خمسة الاف قرش اخرى وذلك من يوسف كونتي المذكور حيث ان المذكور لا خفاكم انه رجل فقير الحال ذو عائلة كبيرة مديون وعدا عن هذا كله هو المحراك بهذه الدعوى وله اتعاب على القرية في زمان مدام جرمين ابنة عمته وله مصاريف تنوف عن ثمانية الاف قرش نافذة منه على قيام الشريعة واجرة السفار وسلوم كونسلاريات وفتاوى . . .

فاقتضى استحسنا ذمة ومرضاة لخاطره اعطيناه مبلغ الخمسة آلاف قرش سراً عن الغير . فهذا كما تفيدوا لا ينتج منه لحضرتكم ادنى خلل كلياً فيكون كامل المبلغ الذي نفذ من يدنا تسعة الاف قرش وليس ثمانية حيث ما امكن الصرف الا بزيادة الف قرش عما حررتم لنا ولكن يتعوّض على حضرتكم منها فرق عملة ، اذ اننا دفعنا المبلغ المرقوم محدوحي

« ريال » سعر ٢٣ قرش فكما لا يخفى عن البّرة لاجل النهي لم نتوقف عن زيادة المبلغ الذي ذكر كوننا ما عاد معنا وقت للمراجعة .

فكما نقدم واصل طيه جميع الاوراق المرقومة عن يد جناب الاخ طنوس بنينو ليسلمكم اياها كما اقدتم فنؤمل تسليمه القيمة الاف قرش سعر الممدوحي ٢٣ قرش كما نقدم ليقدم لنا ارسالهم حالاً كما مرّقينه قبل توجهنا الذي ان احب الله يكون في اواسط الشهر القادم الذي نستمد له دعاء قدس الاب العام ودعاكم زوّادة .

وتأخذوا من الاخ وصولاً وتفيدوا عن ذلك . وعن وصول متلّفنا هذا . ونختم مؤملين دوام وورود اظانياتكم المسرة ودام بقاكم » .

في ٢٩ آذار سنة ١٨٤٢

كونسلير آتري كيز قونسلوس

(ختم) دولة فرنسا في حلب

(عن الاصل المحفوظ في سجل دير طاميش والاوراق الاصلية)

وفي التفتيش في سجل حسابات دير قزحيا بمدة رئاسة الاب اغناطيوس بليبل على هذا الدير لهذه السنة ، عثرت على قيد ثلاثة وستة عشر غرشاً ٨١٦ مصارفات على المطبعة .

فمن هذا القيد يستفاد ان المطبعة نقلت الى هذا الدير من دير مار موسى الحبشي قبل سنة ١٨٠٩ او بعدها كما قد ظنّ البعض . لان قبل هذا الحساب لا يوجد قيد في حسابات قبله صرفاً ولا دخلاً تحت اسم مطبعة . واما حسابات الرؤساء تخلّف الاب بليبل فيوجد قيود مصاريفات على المطبعة ومداخيل منها . ففي حسابات الرئيس الاب برتردوس الدبّية تخلّف الاب بليبل في الرئاسة على دير قزحيا من سنة ١٨٠٥ الى سنة ١٨٠٨ مصاريف على المطبعة ٢٠٩٨ غرش ومداخيل ٥٠١ غروش .

فمن هذه القيود يستفاد ان المطبعة نقلت من دير مار موسى الحبشي الى دير مار انطونيوس قزحيا في سنة ١٨٠٥ او قبله مدة قليلة ويثبت ذلك التقليد الشائع في الرهبانية ان الاب اغناطيوس بليبل هو الذي نقل المطبعة من دير مار موسى الحبشي الى دير قزحيا والى هذا التقليد استند من قال ان المطبعة نقلت في سنة ١٨١٤ والصحيح ان الاب بليبل نقلها من دير الحبشي الى دير قزحيا بزمان رئاسته على الدير سنة ١٨٠٥ وليس بايام رئاسته العامة سنة ١٨١٤

وفي هذه السنة ١٨٠٥ عقد المجمع العام في ميعاده القانوني في دير سيدة طاميش وبعد اجراء ما يجب من مقدمات الانتخابات صار الاقتراع لانتخاب الوظائف الكبيرة فاصابت القرعة الاولى :

الاب سمعان المارني ... فنودي به رئيساً عاماً (للمرة الثانية)

ووقعت القرعة الثانية على الاب عمنوئيل الجميل « « مدبراً اول

« « الثالثة « « اغناطيوس بليبل « « « ثانياً

« « الرابعة « « هبة الله النجار « « « ثالثاً

« « الخامسة « « مانيا المتيني « « « رابعاً

وفي اليوم الاخير من مجمع المدبرين ختام المجمع العام توزعت الرؤساء :

فانتخب الاب برتردوس الدبيه لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا

« « شربل المتيني « « سيدة طاميش

« مجهول « « مار يوحنا رشميا

« « « « « انطونيوس سير

« « اقليموس الشبابي « « سيدة مشموشة

« « مبارك الموري الرشاوي « « مار يوسف الحرج

« « لورنسيوس الشرتوني « « مارون بير سنبن

« « مبارك الماقوري « « « انطونيوس حوب

« « اسبيريدون الغزيري « « « مومو الخبشي

« « تومرا السلفاني « « « جرجس الناعمه

« « الياس الشبابي « « « عائيل تايل

« « اسبيريدون الزوق « « « قبريانوس كفيفان

« « جبرايل الديراني « « سيدة ميفوق

« « بولس الحاج « « « المونات جبيل

« « اسطفان بسكنتا « « مار الياس الكحلونية

« « عبدالله الشبابي « « « انطونيوس النبع

« « مكاريوس وادي شحرور « « « عبدا مشاد

« « مجهول « « « الياس مطوشي قبرس

(عن روزنامات الاديار)

وفي هذه السنة ١٨٠٥ عقد المجمع العام لاخوتنا الفئة الحلبية في دير سيدة اللويزة وفي الوقت القانوني لانتخاب الوظائف الكبيرة اجتمع اباء هذا المجمع في كنيسة الدير وانتخبوا بالاقتراع القانوني :

الاب فرنسيس موسى الحلبي	للرئاسة العامة
« عبدالله فخري البشراني	مدبراً اول
« اغناطيوس سركيس عواد	« ثانياً
الاخ جرجس الشدياق الحلبي	« ثالثاً
الاب جراسيموس اصيلي الحلبي	« رابعاً

ومن احكام هذا المجمع ان الاخ جرجس المدبر يتفقد الاديار ويقف على حسابات الرؤساء ويصلح ما يجب اصلاحه . ويفيد الاب العام .

وفي اليوم الاخير توزعت الرؤساء .

(عن روزنامات المجامع في دير لويزة)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

رافائيل بقاعكفرا وموسى الرشاري .

وتوفي الاخ بطرس التزبري الميندي والاب ميخائيل الحرائجي البكفاوي المعلم الحجار الشهير

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٠٩ :

وفي سنة ١٨٠٦ في اوائل شهر ايار وقف الشيخان يوحنا واسطفان الياس وعموم اهل بان وكفرصغاب خمس قطع ارض متفرقة في خراج القريتين للرهبانية على يد الاب سمعان الخازن والاباء المدبرين لانشاء مدرسة بين القريتين لتعليم احداثها وذلك بموجب صك هذه حرفيته :

سبب تحريره .

هو اننا وقفنا للمواضع المذكورة الى رهبانية دير مار انطونيوس قزحيا اللبنانية الى قدس الاب سمعان الخازن الرئيس العام وحضرة الاباء المدبرين بان يكون الموضع المذكور مدرسة لتعليم الاولاد القراءة والمطارح المذكورة بقيت ملك الرهبانية يتصرفوا جميعا حيث ما شاؤوا وارادوا حسب وقوفاتهم وارزاقهم ومدارسهم ولا لنا عليهم معارضة ولا مدعاة من سائر الوجوه وسلمناهم المواضع المذكورة من دون ميري واذا صار ديوس لا ينحط عليه

ميري واكلاف . ومها حصل وجرى في بلادنا لا يتكلفوا مصرية الفرد .

وقدس الرئيس العام وحضرة الاباء المذكورين تعهدوا لنا في قيام مدرسة بين القريتين لاجل علم الاولاد وهيك صار الشرط والاتفاق فيا بيننا وبين حضرة الاباء المذكورين وجرى ذلك لاجل البيان وحين الحاجة اليه .

تحريراً في اول ايار سنة ١٨٠٦

المقر بما فيه

محرر الاحرف انطونيوس الياس	اهالي بان محروم	اهالي كفرصغاب محروم	حنا واسطفان الياس

وجملة الاوقاف « الارزاق » خمسة قطع ، ثلاثة قطع كرم ، وقطعتين سليخ .

(عن سجل طاميش)

وفي الحال اقرّ الاب العام افتتاح هذه المدرسة (وما زالت قائمة بهمتها حتى الان) وقد جدد لها جملة املاك واصلح بناءها وزاد عليه الاب افرام جعجع بمدة رئاسته العامة .

ان من انعم النظر في مقدار هذا الوقف (وما هو الا قليل) عرف ان الغيرة وحدها هي التي حركت آباء الرهبانية الى قبوله كواسطة او سبب لتثقيف احداث هذه القرى الذين هم بحاجة كلية لتعليمهم قواعد الديانة الكاثوليكية اكثر من طمعهم بالفائدة المادية من هذا الوقف الذي لا يُعدُّ شيئاً بالنسبة الى ما تتكلفه الرهبانية من المال والاتعاب والتضحيات للقيام بهذه الواجبات سواء لمعاش من يقوم بهذه المهمة او لانشاء مكان يسكنه وكنيسة لائقة لقضاء الواجب الديني للرهبان وللاولاد كما هي العادة . فمن وقف على ذلك شكر لاباء الرهبانية فضلهم واثنى على همتهم الناهضة طالباً من الله ان يجزل ثوابهم ويقدّرهم على مواصلة هذه الاعمال المبرورة لمجده تعالى وخير القريب.

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

خرا شرتون . وتاوفيطوس اسيا . ومارون كلداني . ومتى الماقوري . وحنانيا تنوري بعمر ٢٠ سنة . ولبس اسكيم الرهبانية في دير مار ساسين بسكنتا ثلاث راهبات من راهبات دير مار جرجس الرومية لما تسلمته رهبانيتنا . والثلاث الراهبات المذكورات هن من اللواتي تقلنّ من دير الرومية الى اديار راهباتنا .

وتوفي الاب مارون القبارية . والاخ طوبيا السلفاني . والاخ سركيس المتيني .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١١٠

وفي سنة ١٨٠٧ لوفاة المطران جرمانوس الخازن مطران دمشق المقام زائرًا رسوليًا في اقطارنا اللبنانية قد تعين زائرًا باسم الكرسي الرسولي الاب لويس كانضولفي الذي كان قاضيًا عند المطران المتوفى . وقد اصدر قداسة البابا بيوس السابع توصية بصفة براءة للامير بشير الشهابي بالاب المذكور وهذه حرفيتها :

الى سعادة الامير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان :

ايها الابن الحبيب والرجل الشريف السلام والبركة الرسولية :

انه اذ كان قد توفي جدًا القريب الاخ المحترم جرمانوس الخازن مطران دمشق الماروني الذي كان اقيم منا زائرًا رسوليًا في نواحيكم فالتزامات خدمتنا الرسولية اقتضت ان نقيم عوضه رجلًا اخر ملائمًا لكي يترأس على قضايا الكاثوليكيين خوفًا من ان يلتحق ضررًا ما بالديانة المسيحية الكلية الاستقامة .

فهذه الوظيفة ذات الشغل المظم قد قلدناها لولدنا الحبيب لويس كانضولفي الذي كنا اقمناه سابقًا بمنزلة قاض لدى المتوفى جرمانوس الخازن من كونه كلي الكفاية لتتميم التزامات هذه الوظيفة ؛ وعزيز لدينا لاجل صفاته الحميدة .

فنوصيك بهذا الزائر بكل اجتهادنا ولا ريب عندنا بانه سيكون عزيزًا لديك لاجل فضائله ولاجل توصيتنا به .

فانعطافك نحونا واحترامك لهذا الكرسي الرسولي يُقنعاننا ان توصيتنا بالمذكور ستفوز بفاعلية عظيمة لديك . وعلى الخصوص توصيك بالقضايا المختصة بالديانة الكاثوليكية . ونتوسل اليك بان لا تكف عن صيانتها والمحاماة عنها بسلطانك واقتدارك بحسب مقتضى غيرتك وحبك نحوها فلا ريب ان بتتميمك هذا الامر ستحصل على نعمة عظيمة من قبلنا . والامر الاعظم المعول عليه هو انك ستنال مجازاة عظيمة من لدن الله .

ونؤمل انك ستتمم بالفعل ما ذكر بكل استطاعتك ؛ ومن ثم بكل حب نمنحك بركتنا الرسولية عربونًا لودّنا نحوك يا ايها الابن الحبيب والرجل الشريف .

اعطي برومية حذاء كنيسة مريم الكبرى تحت ختم الصياد في ٨ ك سنة ١٨٠٧ وهي السنة الثامنة لحبريتنا .

(عن سجل طاميش)

وفي هذه السنة ادّعى اهالي رشميا على ان الجرس المعلق في قبة كنيسة دير مار يوحنا في رشميا هو من مال عموم اهالي القرية ليس من مال الرهبانية . فنظم

الخلاف واشتدّ ولصرف هذا الاشكال وتثبيت حق الملك رفع الامر الى السيد يوحنا الحلو النائب البطريركي ودافع ضدّ دعوى الاهالي من قبل الرهبانية الاب ماتيا المتيني المدبر ، وكان المدافعون عن اهالي القرية بالاصالة والوكالة : يوسف الخوري . وسعد ابو صابر . وجرجس ابو مرعي . وطانيوس مبارك.

وغب المرافعة الشرعية ثبت حق الرهبان وحكم سيادة المطران المومى اليه ان الجرس من مال الرهبانية وان دعوى الاهالي باطلة .

وهذه صورة الحكم :

اعلام بالرب لكل واقف عليه .

«انه قد حضر امامنا حضرة ولدنا القس ماتيا المتيني المدبر اللبناني المحترم واولادنا اهالي رشميا : حنا الخوري ، وسعد ابو صابر . وجرجس بو مرعي ، وطانيوس مبارك بالاصالة عن ذاتهم وبالوكالة عن اهالي ضيعتهم رشميا .

فادّعوا المشار اليهم على المدبر المذكور في الجرس المعلق في دير مار يوحنا رشميا وان اصل مشترى هذا الجرس من مالهم متقدم للدير بمنزلة وقف ثابت لكي يدقوه ويكون شرفه راجعاً لقريتهم وقدّموا لصحة ذلك « اي ادّعائهم » اربع شهود من اهل رشميا ان ثمن مشترى الجرس هو من مالهم ودفع المبلغ من قرية رشميا ثمه دراهم وشرانق وغزل .

فانكر المدبر هذا الادّعاء واورد انّ ثمن هذا الجرس هو من مال الرهبانية وقدم شاهدين عادلين لهم قدمية في الرهبانية وقاطنين الان عند الحلبية .

فالاول : القس سليمان الشبابي .

والثاني : القس دانيال .

واعلنا شهادتها : ان جرس مار يوحنا رشميا شاريه المطران ارسانيوس « عبد الاحد » من مال الرهبانية مع جملة اجراس وارسله الرئيس العام للموضع المشار اليه .

فبعد استماعنا اجتماع الفريقين ووقوفنا على كل ما اورده الجهتين (الجهتان) وتفحصنا عما تأمر به المجامع المقدسة ، حكمنا بابطال دعوى اهالي رشميا على هذا الجرس .

اولاً : لأن ليس بيدهم بيان كاف ان الجرس موقوف من مالهم وان الشهود يشهدون لمالهم والشاهد لذاته شهادته باطلة .

ثانياً : على افتراض ان الجرس هو موقوف من مال اهالي رشميا فهذا الوقف هو متنقل وليس ثابت والوقف المتنقل فصاحب الولاية له حق التصرف بان يوزعه ام يبيعه ام ينقله ام يقاوض فيه حسبما يراه موافقاً بالرب . ولو كان خلاف ذلك لكان بطل استعمال كل خدم الوقف .

فمن ثمَّ نعلن ونحكم . ان اهالي قرية رشميا ليس لهم دعوى ولا معارضة البتة بخصوص هذا الجرس بل الرئيس العام ومدبريه لهم السلطة المطلقة على استمانه ونقله وحتى بيعه من غير معارضة ولا مشورة احد لانه وقف سواء كان من مال المدعين ام من مال الرهبانية لكونه متنقل وليس ثابت وينتدوا اهالي رشميا عن ذلك المنع الشرعي هذا ما حكمنا به .

صح في ٢١ ت ٢ سنة ١٨٠٧

الحقير يوحنا الحلو
مطران عكا ووكيل بطريركي

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

لم ارَ مسوغاً او موجباً يعتصم به اهالي رشميا لمنازعة الرهبانية على ملكية جرس كنيستها سوى قصد التعنيف وفتح باب لخصام للرهبانية فقط لانه سواء كان الجرس موقوفاً من الاهالي او مشترًى بمال الرهبانية ، فما هي النتيجة المجتناة من هذه الملكية . ومما يحقق ملاحظتي هذه ما سيأتي من حوادث النزاع بين الرهبان وبيت ابي صابر على صحة وقف احد اجدادهم على الرهبانية كما سيجيء في حوادث سنة ١٨١٠ .

وفي الثالث عشر من شهر تشرين الاول لهذه السنة ١٨٠٧ رفع غبطة السيد البطريرك يوسف التيان عريضة الى الكرسي الرسولي المقدس مجدداً رغبته في التنازل عن تدبير الكرسي البطريركي ويلتمس قبول تنازله . وقد قبل الكرسي الرسولي التماسه سنة ١٨٠٨ ، كما سنذكره .

ومن حوادث هذه السنة ١٨٠٧ أنَّ المشايخ بيت القاضي الدروز ادعوا على مزرعة سفيتي التي اشتراها منهم الشيخ سعد الخوري من رشميا ، ثمَّ باعها من الرهبانية . وخلاصة دعواهم انهم باعوا هذه المزرعة من الشيخ سعد مكرهين . ثمَّ حصل التراضي والوفاق بين المشايخ والرهبان وربطوا اتفاقهم بقرار مشهور فيه وهذه حرفته :

« انه في سنة ١٧٧٥ اشترى الشيخ سعد الخوري مزرعة سفيتي من المشايخ بيت القاضي الدروز بثمن ٣٦٢٦ غرش .

ثم باعها الشيخ سعد للرهبانية باسم ديرسير برئاسة الاب عمنوئيل الرشاوي العامة في حوالي سنة ١٧٨٢ بثمن ٣٧٥٠ غرش .

ثم بعد مرور سنوات عديدة على هذا المبيع برز المشايخ بيت القاضي المار ذكرهم وادعوا

بأن الشراء الذي تمّ على مزرعة سنيق للشيخ سعد الخوري حصل مكرهاً بامر ذوي شوكة .
ثم حصل التراضي بين الطرفين على ما يأتي :

ان يجدد تخمين اراضي المزرعة المرقومة وما يبلغ ثمنها يحسم من اصل قيمة ما دفعه الرهبان الى الشيخ سعد وما تبقى يدفع ليدهم فبلغ ثمنها ٩٠٢٥ غرش حسم من اصلها ما دفعه الرهبان وقدرة ٣٧٥٠ غرش وما تبقى ٥٢٧٥ غرش دفعت ليد المشايخ المار ذكرهم واسقطوا دعواهم وحرروا صكاً بالبيع .

جرى ذلك سنة ١٢٢٢ هجرية توافق لسنة ١٨٠٧ مسيحية .

احمد القاضي	خالد القاضي	شرف الدين القاضي	حسين القاضي
عساف القاضي	يوسف القاضي	عبداق القاضي	اولاد خالد القاضي
	سلمان القاضي	حمود القاضي	

شهود الحـــــــــــال

احمد من	شرف الدين بن حسين
الدير	من الحلالية

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

طوبيا وجبرايل من القليعات . وانطونيوس وجراسيموس من تنورين . مارون المشاني . وعبد الاحد قيتولي . وسابا الماتوري وله من العمر ٣٠ سنة .

وتوفي الاب مكريوس المجلتوني الحبيس بجنة صافة . والاخ مخايل البساني . والاخ فرنسيس قرطبا . والاب اغوسطين الحلبي .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل الثالث عشر

عدد ١١١

وفي سنة ١٨٠٨ أسس رهبانية القديس هرمزدا لطائفة الكلدان الكاثوليك الاب جبرايل دمبو الماردينى المتوفى في سنة ١٨٣٣ قتلاً من عسكر محمد باشا الراونديزي الكردي وسارت على قانون رهبانيتنا اللبنانية وقد اثبت هذه الرهبانية البابا غريغوريوس السادس عشر .

(عن المشرق سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٨٦)

وفي هذه السنة عقد المجمع العام لرهبانيتنا اللبنانية في دير سيدة طاميش بحسب القانون والعادة المرعية وفي اليوم الرابع من الاجتماع القيت القرعة القانونية السرية في كنيسة الدير فكانت نتيجة الاقتراع الاول انتخاب :

الاب عمنوئيل الجميّل فتيدي به رئيساً عاماً (للمرة الرابعة والاخيرة)

وفي الاقتراع الثاني انتخب الاب اغناطيوس بليبل مدبراً اول
« « الثالث « « سمعان الخازن « ثانياً
« « الرابع « « مانيا المتيني « ثالثاً
« « الخامس « « نعمة الله التجار البكفتاوي « رابعاً

وفي اليوم الاخير من الاجتماع انتخب مجمع المدبرين رؤساء الاديار وهم :

الاب جبرايل الديراني	لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا
« جراسيموس المونثي	« « سيدة طاميش
مجهول	« « ماريوحنا رشميا
« مرقس الدليتاوي	« « « انطونيوس سير
« روفائيل المونثي	« « « يوسف البرج
« شربل المتيني	« « سيدة مشموشة
« بولس عزيز الديراني	« « مار انطونيوس حوب
	« « « موسى الحبشي
الاب جراسيموس عين تراز	« « « جرجس الناعمة
مجهول	« « « الياس مطوشي قبرس
الاب سرابيون ذياب	« « « مخايل بنابيل
« لورنسيوس الرشاوي	« « « قبريانوس كفيفان
« اقليموس الشبابي	« « سيدة ميفوق
« جبرايل قدسي	« « « المونات جبيل
« برنردوس بسكنتا	« « مار الياس الكحلونية
« انطونيوس الدرعوني	« « « انطونيوس النبع
« مكاريوس وادي شحرور	« « « عبدا مشاد
« موسى	« « « مارون بير سنين

(عن روزنامات الاديار)

وفي هذه السنة صدر القرار من المجمع المقدس بقبول تناول السيد البطريرك

يوسف التيان عن تدبير الكرسي البطريركي الانطاكي واعلن ذلك بموجب مراسيم سامية منها للسيد البطريرك المشار اليه ومنها للقاصد الرسولي السيد لويس غوتضلفي .

وفيها عقد المجمع لاخوتنا الفئة الحلبية اللبنانية في دير سيدة لويزة واسفر الاجتماع عن انتخاب :

الاب يوسف السماني	للرئاسة العامة
« اغناطيوس سركيس	مدبراً اول
« طوبيا الخازن	« ثانياً
« انطونيوس البكاسيني	« ثالثاً
الاخ جرجس الشدياقية	« رابعاً

وفي اليوم الاخير توزعت الرؤساء .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

يواكيم الشرتوني . ونوهرا الشابي . واندراوس السلفاني . وجرمانوس الصغابي . وارسانيوس الشيحاوي بعمر ٢٠ سنة . ويوحنا الرشاوي . ويوسف المتيني . وموسى وحزقيال المتيني . وواكيم الزوقي .

وتوفي الاخ زكا المزرعاني . والاب رافائيل جرجس . والاخ انيا القزيري . والاخ صموئيل الشتيري . والاخ اندراوس زوق مصبح . والاب افرام كفرشخنا .

(عن روزنامات الأديار)

عدد ١١٢

وفي سنة ١٨٠٩ بلغت المراسيم الرسولية المختصة بقبول تنازل السيد البطريرك التيان الوارد ذكرها آنفاً والآمرة بانتخاب بطريرك يخلفه حالاً . فبناء على ذلك انتخب السيد يوحنا الحلو مطران عكا والنائب البطريركي بطريركاً انطاكياً في مجمع الاساقفة الذي عقد في كنيسة القديس يوسف في قرية عينطورة الزوق في ٨ حزيران وتثبت من الحبر الروماني الاعظم البابا بيوس السابع (١٨٠٠—١٨٢٣) في ٢٥ ك٢ سنة ١٨١٠ وارسل اليه درع التثبيت في ١١ ك ١ سنة ١٨١٠ . والسبب في تأخير ارسال درع التثبيت من سنة ١٨١٠ الى

سنة ١٨١٤ وجود الحبر الاعظم منفياً بعيـدًا عن كرسيه بامر الامبراطور نابوليون الاول .

وقد ورد في حوادث سنة١٨٠٥عدد ١٠٨ ان الكرسي الرسولي امر بارجاع دير مار جرجس الرومية الى اصحابه بيت صفير بداعي احتجاج القسم الآخر من العائلة نفسها ، على تسليم الدير للرهبانية بدون رضاهم . ولما كان قد صرف ابناء الرهبانية مبلغًا وافرًا من المال في سبيل ايفاء ديونـه واسترجاع بعض املاكه المباعة وتجديد بناء فيه وبالاختصار ان الرهبانيه قـد بذلت فيه اتعاباً وافرة وعناء جزيلًا كما اوضحوا ذلك في اللائحة المتقدمة منهم وقد ورد ذكرهـا . فجرت اتفاقية بين الاب العام والاباء المدبرين وبين كهنة بيت صفير على مـا يجب التعويض عن هذه الاتعاب ورقم ذلك بموجب صك ورد ذكره . لكن ما جرى في تلك الايام كان حبرًا على ورق الى هذه السنة لاسباب يمكن الاستدلال عليها من مرسوم غبطة السيد البطريرك الصادر بهذا الخصوص وهذه حرفيته :

(الختم) الحقـير

يوسف بطرس بطريرك انطاكية وسائر المشرق

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه :

هو انه اذ كانوا حضرة اولادنا القس عمنويل الجبيل وحضرات الاباء المدبرين الارسة وباقي جمهور الرهبان اللبنانيين قد ارتضوا من تلقاء ذواتهم يرجعوا دير مار جرجس الروميه لاصحابه اولادنا بيت صفير كهنة وعوام

وإذ كانوا صرفوا على الدير المرقوم مبلغًا واهيًا « وافرًا » لاجل وفاء الدين الذي كان عليه قبل تسليمه اياه وكشف الدار والرزق وهذا لازم ايفائـه لاولادنا الرهبان اللبنانيين المذكورين فقد اجرينا الحساب بين الفريقين بكل تدقيق وبعد ان حضرة ولـدنا الرئيس العام مع حضرة اولادنا المدبرين قد تركوا مبلغًا وافرًا شفقة على الدير ورهبانه فالذي تبقى لهم بعد ذلك خمسة الاف وثمانماية قرش ٥٨٠٠ اذ ان كهنة بيت صفير قد اوضحوا عجزهم بوفائه نقدًا كما تحقق لدينا ايضًا . !

فارتضى الرئيس العام تنازلًا منه براي حضرة المدبرين في ان يثمّن بالمبلغ رزق من ارزاق الدير حيث يشاء ويتحرر به حجج من كهنة بيت صفير تسجّل منا . وقد قبل ذلك الفريقين .

واما موسم باقي الارزاق هذه السنة فيكون بتسليم كهنة بيت صفير وهم ملتزمون بوفاء الكسر الذي ترتب على الدير هذا العام قبل تسليمهم .

ومن ثمَّ نطلق بموجب اعلامنا هذا بان هذا الصرف قد تمَّ برضى الجميع باثبات منا . وانه لم يبقَ لاحد لجهة (لاحدى الجهتين) على الاخرى دعوى مما مضى بما يخص دير مار جرجس الرومية لا من قِبَل ارزاق مباعة ولا اغلال ولا نحاس ولا اثاث ولا سائقة « مواشي » ولا مصارفات ولا مداخيل . بل كل شيء مضى وغصب كأنه لم يصدر .

ولاجل رفع كل اشتباه وايضاح رضى الجميع قد حررنا هذا الاعلان مسجلاً منا ومن حضرة ولدنا الرئيس العام وحضرة اولادنا المدبرين وكهنة بيت صفير .

في ١٢ اذار سنة ١٨٠٩ الحقير عمنوئيل الجميل

(ختم) اب عام لبناني

(ختم) اغناطيوس بليبل (ختم) سمعان الخازن (ختم) مانيا متيني (ختم) عبدالله النجار
مدبر اول لبناني مدبر ثاني لبناني مدبر ثالث لبناني مدبر رابع لبناني

القس جرمانوس الخوري يوسف
(ختم) صفير (ختم) صفير

صح . تمَّ ذلك بحضورنا ونشهد بصحته . في ١٢ آذار ١٨٠٩

(ختم) الحقير عبدالله بليبل
مطران قبرس

(عن الاصل المحفوظ بالرومية)

من مطالعة لائحة المصاريف النافذة من يد الرهبان وقدرها ثلاثة عشر الفاً وثلاثماية غرش ومقابلتها مع المبلغ الذي تمَّ الاتفاق عليه بدل المصاريف كما ورد في مرسوم السيد البطريرك وقدره ٥٨٠٠ غرش خمسة آلاف وثمانماية غرش وبما يداخل المطالع شك في حقيقة ما ورد في اللائحة المار ذكرها ولكن بامعان النظر فيما ورد في المرسوم البطريركي الجليل يظهر ان الترك لم يكن بسبب عدم ثبوت اللائحة بل كان ذلك شفقةً على الدير لعجزه عن دفع المطلوب منه . وقد ظلَّ آباء الرهبانية واضعين اليد على الدير المرقوم لغاية هذه السنة يستثمرون املاكه مدة اربع سنين . ويثبت ذلك التقليد في الرهبانيـة للآن ان الرؤساء مكثوا واضعين اليد على دير الرومية مدة خمس سنين .

ولما استلمت عائلة صفير الدير من آباء الرهبانية اصدر القاصد الرسولي الاب لويس غندولفي حكماً بحق الولاية على الوقف المرقوم ببيت ابي داغر صفير . وهذه حرفية الصك :

اعلام بالرب لكل واقف على اسطرنا هذه :

هو انه قد وقفنا على حجة سالفنا المثلث الرحمة المونسنيور يوسف السمعاني القاصد الرسولي فيما يخص دير مار جرجس الرومية وهو :

١ً : انه ثبت بان الدير المذكور هو مختص باولادنا بيت ابو داغر صفير لان الرزق كله رزقهم والدير ديرهم وورثة لهم .

٢ً : حاكم انه ليس لاحد يترأس على الدير المذكور الا احدهم اذا كان موجودًا بالدير

٣ً : حاكم برفع يد الكل عنهم وعن ديرهم وان ليس لاحد من الرؤساء يتعرّضهم في تدبير رزق الدير بل يبقى ذلك جميعه بيد الرئيس الذي يكون مترأسًا منهم تحت طائلة السقوط بالقصاصات الكنائسية من كل من يتعدى عليهم .

فمن ثمّ اذ كان سالفنا المذكور متصفًا بالعلم والفطنة وعلامة عصره . فمن كل معلوم ومؤكد انه لم يبرز هذه الحجة الا بعد الفحص الكلي ووقوفه على صحة ما هو محرر .

وكذلك من كونه كان مسلحًا بالسلطان الرسولي فكل ما حكم به في الحجة المار ذكرها فهو ثابت لا يسوغ نقضه من احد . ولو بأي وجه كان .

ولذلك نحن اذًا متسلحين بذاك السلطان عينه الذي كان لسالفنا المذكور ، نقول ونحكم ان دير مار جرجس الرومية فهو مختص بعائلة بيت صفير ابو داغر وورثة لهم وليس لاحد من اي درجة كان ان يتزعه منهم او يرفع توليهم عليه . او يتعرضهم بتدبير ارزاقه ووقوفاته ولو مها صار تغيير في باقي الديورة الذي(التي)ليس هم (هي) نظيره اذ انهم لا يخالفوا ترتيب وتعيين ديرهم حسب رسوم المجمع اللبناني وكما يرى مناسبًا وموافقًا بالرب وحسب امكن البلاد والزمان لان تملكهم هذا الدير والحقوق التي لهم عليه بموجب حجة سالفنا المذكور قد تأيدت من الكرسي الرسولي ومجمع انتشار الايمان المقدس الذي ، حين انعرض لديه بان الرهبان اللبنانيين قهروا اصحاب هذا الدير واخذوه منهم بالقوة غصبًا(١)ـ أمرنا اننا نفحص عن حقيقة القهر وان وجدناه نرجع الدير لاصحابه المذكورين . كما واننا نحن فعلًا وبامر المجمع المقدس ارجعناه لاصحابه بيت صفير المذكورين . ولاثبات ذلك ولرفع كل نزاع عنهم في المستقبل ولكي لا يقع عليهم تغيير فيما بعد اصلًا بل يستمروا على ما هم عليه دون ادنى تغيير او دعوى من احد سلمنام هذا الاعلام ممضيًا بخطنا وختمنا مؤيديه بحق السلطان الرسولي .

صح حرر في قرية عينطورة ٢٥ نيسان سنة ١٨٠٩

(عن الاصل بدير الرومية) الحقير البادري لويس غندولفي

(الختم) القاصد الرسولي

---

١) اني لا اعلم كيف يوفق بين هذا القول وبين اوراق السيد البطريرك وكتابة جرجس باز وبعث التسليم من بعض افراد هذه العائلة ، بأن الرهبان قهروا اصحاب هذا الدير واغتصبوه منهم ؟ . . .

LE DÉCHIFFREMENT DES INSCRIPTIONS PROTOSINAITIQUES

PAR

le Père A. van den Branden

La découverte des textes

En 1904-1905, Sir W.M. Flinders Petrie entreprit la fouille du temple de Ḥatḥor et des mines de turquoise au mont Serābīṭ el-Khādem, dans le Sinaï. Parmi ses trouvailles, le butin épigraphique était particulièrement riche. Il consistait surtout dans un lot important d'inscriptions égyptiennes. Mais il avait trouvé également un certain nombre de textes qui, tout en ressemblant à l'égyptien, s'avéraient être écrits dans une autre langue, leur lecture à partir de l'égyptien ne donnant aucun résultat. Vu le milieu où furent trouvées ces inscriptions, les savants en soupçonnèrent le caractère sémitique, ce en quoi ils avaient raison. On leur donnait le nom de « protosinaïtiques ».

L'ensemble des textes de Petrie fut publié par Alan H. Gardiner et T. Eric Peet dans un livre monumental intitulé *The Inscriptions of Sinai* 1). Ces auteurs nous apprennent que les nos 345-347 proviennent du temple de Ḥatḥor qui se trouve dans la proximité des anciennes mines. Le n. 345 (notre n. 1) est tracé sur un petit sphinx conservé actuellement dans le British Museum; le n. 346 (notre n. 2) est gravé sur une statuette qui se trouve actuellement au Musée du Caire; le n. 347 (notre n. 3) est également écrit sur une petite statue acquise par le Musée du Cinquantenaire de Bruxelles. Le n. 348 (notre n. 4) se trouve dans le Wādy Megharа, à 20 milles de Serābīt où il fut découvert par H. Sp. Palmer en 1869 et dont la copie, faite par cet explorateur, fut publiée en 1904 par R. Weill 2). Les nos 349-355 (nos numéros 5-11) sont des fragments de pierre que Petrie avait trouvés à l'entrée de la mine L.

En 1927, la Harvard University envoyait une expédition au Sinaï dans le but d'examiner les manuscrits de la fameuse bibliothèque du couvent Ste Catherine. Les circonstances étant favorables, les membres de l'expédition ont pu faire un « détour » jusqu'au mont Serābīṭ el-Khādem, ce qui a permis d'ajouter aux onze textes de Petrie, trois nouvelles inscriptions dont deux furent découvertes par Johnson, membre de l'expédition, à l'intérieur même de la mine L. La troisième se trouvait tout près de la même mine. R. Butin 3) leur a donné les cotes 356-357-358 (nos numéros 12-13-14). L'expédition a pu ramener au Caire tous les fragments de pierre que Petrie avait laissés sur place. Ils se trouvent maintenant au Musée de cette ville. C'est à la suite de cette expédition que R. Butin étudia et publia l'ensemble des textes protosinaïtiques dans la *Harvard Theological Review*, XXI, (1928), p. 6-67.

Une seconde expédition, également patronnée par la Harvard University et dont Butin fit partie, fut organisée en 1930. Elle avait pour résultat de ramener le nombre des inscriptions à 29 unités. C'était pour Butin l'occasion de rééditer et de reprendre l'étude de tous les textes connus 4). Les résultats d'une troisième expédition faite en 1935 furent consignés dans la publication *Excavations and Protosinaïtic Inscriptions at Serābīt el Khadem* (*Studies and Documents*, VI), Londres, 1936. Ce livre ne nous a pas été accessible.

Le déchiffrement.

Un premier déchiffrement fut tenté par Alan H. Gardiner 5) et A. Cowley 6). Gardiner arriva à lire exactement le mot *b'lt*. Les deux auteurs cités établirent exactement les valeurs : ', *b*, *z*, *l*, *m*, *n*, ', *r*, *t*.

En la même année, mais indépendamment de Gardiner et de Cowley, l'égyptologue K. Sethe 7) identifiait les mêmes valeurs que celles des deux Anglais, tout en y ajoutant le *w* et le *s*, ainsi que le *g* et le *d* qu'il présente toutefois comme douteux.

Eisler, R. 8) édita en 1919 une étude de l'ensemble des textes de Petrie. Il conteste certaines acquisitions de ses prédécesseurs, mais n'arrive pas lui-même à un résultat définitif.

C'est alors, en 1923, le tour d'Hubert Grimme 9). On sait, qu'à l'époque, cette contribution a fait quelque bruit du fait que l'auteur avait cru pouvoir lire le nom de Moïse et de la princesse qui l'avait sauvé des eaux du Nil. N'empêche que, travaillant sur de très mauvaises copies, il a pu déterminer exactement les valeurs : ', *b*, *g*, *d*, *l*, *m*, *n*, *s*, ', *f*, *ṣ*, *r*, *ś* et *t*.

Nous n'avons pas pu consulter le livre de Ch. Bruston, *Nouvelles inscriptions du Sinaï*, Montauban, 1928, mais on peut se faire une idée de son travail par les citations de Butin 10) qui en cette même année se mit au déchiffrement à partir des bonnes photographies que la Harvard Expedition lui avait procurées. Ce savant américain a fait du bon travail dans l'identification des signes. Nous pensons que 16 en sont à retenir.

A la suite des travaux de Butin, Bruston publie une nouvelle note sur ces textes dans la *HTR* de 1929, p. 175-180, tandis que Cowley reprend son travail dans le *JRA* de 1929, p. 200-218. Il faut attendre l'année 1931 pour une nouvelle étude d'ensemble faite par M. Sprengler 11). Dans toutes ces études, aucun accord ne se dessine, ni pour l'identification définitive des signes, ni pour les traductions des textes.

La seconde expédition de l'université de Harvard avait doublé le nombre des inscriptions. Butin reprend l'étude des textes et en communique les résultats en 1932 12). Nous ne constatons aucun progrès dans l'identification des signes, l'auteur ayant maintenu ses valeurs de 1928.

F.W. Albright 13) nous donne en 1935 quelques remarques sur le déchiffrement de textes protosinaïtiques, mais c'est seulement en 1948 que le savant américain publie un nouvel essai à partir d'un certain nombre de textes 14). Il rejette plusieurs valeurs acceptées par ses prédécesseurs et présente une table de l'alphabet contenant 19 valeurs dont nous pouvons en admettre 11.

Pour autant que nous sachions, les recherches en sont restées là. Le dernier mot a-t-il été dit? Nous ne le croyons pas. Malgré l'accord des auteurs sur les valeurs d'un certain nombre de signes, les traductions des textes sont tellement divergentes et tellement

compliquées, qu'il est difficile de se rallier à l'un ou l'autre essai. Le contenu proposé manque de la simplicité qu'on attend de ces mineurs et qu'on observe dans les autres branches de l'épigraphie sémitique. Il est vrai que les premières copies étaient très imparfaites. Souvent une éraflure était prise pour un signe. Mais dans ce domaine, Butin a fait du très bon travail. Ses planches sont bonnes et ses fac-similés, surtout ceux de 1932, sont en général assez exacts. On peut donc se demander quelle était la vraie cause de cet échec de traduction. Évidemment, tous les signes alphabétiques n'étaient pas identifiés et il y avait encore la présence de certains signes égyptiens qui posaient également un problème. Mais pour cette dernière question, Butin avait déjà signalé que les valeurs égyptiennes de ces signes pourraient bien entrer dans un mot sémitique. Il nous semble avoir eu raison. Nous pensons qu'on s'est trompé sur le caractère même de la langue. On a voulu traduire les textes à partir d'une langue nord-sémitique bien constituée. Albright rend bien cette idée quand il écrit : « We begin with the assumption that the script is normal canaanite and the language a normal Northest-Semitic dialect of the same general period as the ugaritic epics and other texts...» 15). C'est à peu près le point de vue de tous les auteurs précédents. Nous croyons que l'erreur est là. Et en effet, vu la situation géographique du mont Serābīṭ, on pourrait concevoir que le recrutement des ouvriers de mines a pu se faire également en Arabie, c'est à dire dans les régions du nord et au delà de la Mer Rouge. Si cela est ainsi, l'influence arabe a dû se faire sentir dans la langue de Serābīṭ. Et c'est bien le cas. Non seulement l'alphabet possède les consonnes qui sont propres au sud-sémitique, mais encore la majorité des noms propres qu'on rencontre dans ces inscriptions peuvent être de formation arabe: on les retrouve dans les différents dialectes nord- et sud-arabe. Il en est de même pour le vocabulaire et pour certaines constructions grammaticales. Nous renvoyons à notre partie épigraphique pour les détails. D'autre part, plusieurs auteurs 16) avaient déjà signalé l'étroite ressemblance de certains signes des alphabets arabes préislamiques avec les signes de Serābīṭ.

הכזב ואחר תגלה להם הדעת כמי
הים לרוב הוי משקה רעיהו מספח
חמתו אף שכר למען הבט אל מועדיהם
פשרו על הכוהן הרשע אשר
רדף אחר מורה הצדק לבלעו בכעס
חמתו אבית גלותו ובקץ מועד מנוחת
יום הכפורים הופיע אליהם לבלעם
ולכשילם ביום צום שבת מנוחתם שבעתה
קלון מכבוד שתה גם אתה והרעל
תסוב עליכה כוס ימין יהוה וקיקלון
על כבודכה
פשרו על הכוהן אשר גבר קלונו מכבודו
כיא לוא מל את עורלת לבו וילך בדרכי
הרויה למען ספות הצמאה וכוס חמת
תבלענו לוסיף ויכשלו

من تفسير حبقوق : عمود ١١

L'hypothèse de l'origine protosinaïtique de ces alphabets y trouvait sa justification. Mais cette ressemblance n'avait pas été exploitée à fond pour l'identification des signes protosinaïtiques. Le pourquoi est simple. On se basait trop sur le principe acrophonique et le dogme qu'on avait affaire à une langue nord-sémitique empêchait de tirer les conslusions qui nous semblent évidentes. Toutefois, on ne saurait nier certains caractéristiques nord-sémitiques dans la langue du Sinaï. Certains mots et quelques tournures grammaticales ne s'expliquent pas autrement. Il faudrait en chercher le pourquoi.

Notre déchiffrement.

Nous avons travaillé sur les planches photographiques de Butin et c'est à partir de ces planches que nous avons établi nos fac-similés tout en nous référant aussi aux fac-similés du savant américain. Ce travail nous a demandé beaucoup de temps, les photographies n'étant pas toujours d'une parfaite clarté, mais il nous a permis parfois, à notre avis, d'obtenir une meilleure lecture du texte. Nous reproduisons sur nos planches les meilleures photographies de Butin, dont nous n'avons pas fait de fac-similé.

Pour l'identification des signes, nous avons fait appel, comme les autres auteurs, au principe acrophonique pour établir les valeurs, Mais nous nous sommes surtout laissé guider par la ressemblance des signes protosinaïtiques avec les signes des alphabets arabes préislamiques. On pouvait supposer légitimement que s'il y avait eu des Arabes au Sinaï et s'ils y avaient vraiment emprunté leur alphabet, ils ont dû maintenir les mêmes valeurs aux mêmes signes. C'était une hypothèse, mais elle nous semble avoir donné de bons résultats. Sur les 24 signes alphabétiques différents qu'on rencontre dans les textes (nous ne comptons pas les signes égyptiens), pas moins de 19 nous semblaient se retrouver dans les alphabets arabes, soit tels quels, soit sous une forme plus ou moins évoluée. En appliquant à ces signes protosinaïtiques les valeurs des signes arabes, les traductions des textes, on le verra, donnait un sens très satisfaisant. Seuls les signes 6 et 7, de notre planche alphabétique qui correspondent aux valeurs arabes *h* et *y*, ne se pliaient pas à ce principe.

Puis nous sommes parti de l'idée que la présence des Arabes à Serābiṭ n'est pas à exclure à priori. Il fallait donc examiner si les textes ne présentaient pas une influence arabe. Nous avons commencé à étudier d'abord les graffites 348, 359, 362, 364 et 367. Ils nous semblaient contenir les noms propres *šlm*, *ṯlt*, *'s*, *'bm*, *'d*, *bn kr* et *gd*, les mots *ḫb*, *'r*, *f'l*. Or tous ces mots et tous ces noms propres sont connus dans l'épigraphie arabe préislamique. Ainsi l'influence arabe nous paraissait acquise. Mais Butin 17) avait également signalé la présence des noms propres nord-sémitiques dans les textes égyptiens. Il serait alors étonnant de ne pas en trouver également dans le protosinaïtique. Cela signifiait aussi qu'il fallait tenir compte d'une influence nord-sémitique dans la langue. La suite des traductions prouvait le bien-fondé de cette hypothèse. La langue protosinaïtique ne se présente pas comme une langue exclusivement nord- ou sud-sémitique, mais elle nous semble refléter un stade linguistique précédant la formation définitive des deux groupes nord- et sud-sémitiques. Est-ce la langue parlée autrefois par les Arabes du Nord ou par les autochtones sémitiques du Sinaï? C'est possible. En tout cas, on pourrait soupçonner que les Arabes des fameux royaumes de Muṣri et de Adammatu dont parlent les inscriptions assyriennes à partir du 8ème siècle avant J.C. parlaient une langue analogue 18). En effet, les noms propres des rois et des divinités qu'elles citent appartiennent aussi bien au nord-sémitique qu'au sud-sémitique 18 bis. Dans nos textes nous avons compté 26 noms propres. De ce nombre, 21 nous semblent être des noms arabes, connus d'ailleurs dans l'épigraphie nord- ou sud-arabe. 4 peuvent appartenir aussi bien aux dialectes arabes qu'aux langues nord-sémitiques et un est seulement connu en nord-sémitique. Nous constatons aussi que le pluriel se forme en *n*, comme en arabe. 20 substantifs ou verbes ne se rencontrent actuellement que dans le sud-sémitique, 9 sont communs au nord- et sud-sémitique et 8 ne sont employés actuellement que dans le nord-sémitique dont ici deux sont munis de la désinence *n* du pluriel. Le vocabulaire accuse donc une prédominance sud-sémitique.

Contenu des textes.

1. — Les noms propres :

'bm, «'Ubayum», nom arabe, n. 15.
'd, «'Add», nom arabe, n. 18.
'lk, «'Alak», nom arabe, n. 29.
'lsw, «'Ilsuy» (?), nom arabe, n. 6.
'nš, «'Enôš», nom nord-sémitique, n. 8.
's, «'Aws», nom arabe, n. 14, et *'st*, n. 31.
bšn, «Baššān», nom arabe, ns. 7, 9, 16, 17.
gd, «Gadd», nom arabe, n. 29.
gt, «Gawt» (?), nom arabe, ou Get, nom nord-sémitique, n. 9.
dṣnr, «Dū-Ṣinār», nom arabe, n. 12.
zlt, «Zallat», nom arabe, n. 22.
ṭlt, «Ṭawlat», nom arabe, n. 3.
kr, «Kawr», nom arabe, n. 20.
lst, «Lussat», nom arabe, n. 2.
mlk, «Malik», nom arabe, n. 5.
n'm, «Na'am», nom arabe ou nord-sémitique, n. 2.
ntn, «Natan», nom arabe ou nord-sémitique, n. 19.
swr, «Sūr», nom arabe ou nord-sémitique, n. 8.
'bw, «'Abū», nom arabe, n. 28.
šb't, «Šabā't», nom arabe, n. 16.
šbn, «Šiban», nom arabe, n. 21.
štm, «Šattām», nom arabe, n. 4.
tz, «Tawz», nom arabe, n. 5.
twt, «Tūt», nom arabe, n. 27.
tm, «Taym», nom arabe, n. 31.

2. — Les noms divins :

Nous avons cru pouvoir lire trois noms divins: *b'lt*, «Ba'alat», cf. ns. 1, 2, 7, 8, 9, 12, 21, 25); *lbnn*, «Lebanon», n. 8 et *'b*, «'Ab», n. 13. Ba'alat est, vu le nombre de textes dans lesquels elle est citée, la divinité principale de Serābiṭ. D'après le «bilingue» n. 1, elle serait à identifier à Ḥatḥor, la Dame de Turquoise. D'ailleurs, plusieurs stèles votives sur lesquelles figure son nom, sont trouvées

dans le temple de cette divinité égyptienne. Ba'alat, «La Dame» serait donc le nom sémitique de la Dame de Turquoise, Ḥatḥor.

Le dieu Lebanon nous semble identique au Ba'al Lebanon de la côte phénicienne. Si cela est ainsi, on aurait la preuve de la présence des Phéniciens à Serābiṭ.

'Ab est une divinité arabe, connu par les textes thamoudéens. C'est probablement un dieu protecteur des haut-lieux.

Si notre interprétation du nom *'lsw* s'avère exacte, l'élément *'l* rentrerait alors dans la composition des noms théophores comme il en est le cas dans la plupart des autres langues sémitiques. Il est impossible de dire, à partir d'un seul nom, quelle divinité est visée par cet élément *'l*.

3. — Le contenu litteraire :

Vu le nombre restreint d'inscriptions, leur contenu s'avère assez pauvre, mais il nous permet quand même de faire quelques constatations intéressantes.

La langue et les noms propres, nous l'avons dit, semblent prouver qu'on est en présence d'une population d'origine sud-sémitique. Mais il se peut aussi que ces sémites soient des autochtones du Sinaï. Le culte de cette colonie s'adresse avant tout à la Dame de Turquoise que les Égyptiens invoquent sous le nom de Ḥatḥor, les Sémites sous celui de Ba'alat. Les fidèles s'appellent les «aimés de Ḥatḥor-Ba'alat». Un des actes du culte religieux consiste en la déposition d'une statue ou d'une stèle inscrite dans le temple, et cet objet devient sacré par l'onction qu'une prêtresse lui applique. Cette offrande pourrait être un simple acte de dévotion, mais parfois elle est aussi un geste de reconnaissance pour l'intervention divine dans telle ou telle circonstance, comme, par exemple, la protection des caravanes (cf. n. 9, 22).

Plusieurs stèles ont été trouvées dans le haut-lieu près du temple de Ḥatḥor. Leur caractère mortuaire pourrait en être déduit 19) et il s'ensuit que le culte des morts faisait partie des préoccupations religieuses de cette population.

On trouve une fois une petite oraison jaculatoire (n. 12).

Un nommé Dū-Ṣinâr demande à Ba'alat de le favoriser. Il est, assez curieux de constater qu'un certain Enōš, au nom bien nord-sémitique, a sculpté une stèle en honneur du dieu Lebanon pour l'offrir ensuite à la divinité locale Ba'alat, protectrice des mines égyptiennes. Un second texte nous fait assister au même geste, fait cette fois-ci par une femme nommée Baššān qui offre l'image du dieu Ptaḥ à Ba'alat. Ces gestes, impliquent-ils la reconnaissance de la suprématie divine de Ḥathor-Ba'alat? Cette hypothèse nous ferait mieux comprendre le texte n. 13. Ce texte semble faire allusion à une véritable rivalité entre 'Ab en Ḥathor-Ba'alat, rivalité qui serait à l'origine de la lutte mentionnée. Les Sémites, ou une fraction de Sémites polythéistes refusaient probablement de reconnaître la suprématie de la divinité égyptienne que les Égyptiens, pour l'une ou l'autre raison, voulaient imposer.

Les offrandes de stèles d'une femme, Baššān, sont assez nombreuses vu le nombre de textes qu'on possède. Elle remercie une fois, ou peut-être deux fois, la divinité pour la protection accordée à la caravane. Était-elle la propriétaire des caravanes comme Hadiga l'était à l'époque du Prophète Mohammed? Ce Gawt du texte n. 9, qui s'associe à l'offrande de Baššān, pourrait être le chef de la caravane comme Mohammed l'était de la caravane de Hadiga. Quoiqu'il en soit, il est certain que Serābiṭ était desservi par des caravanes. Dans le n. 24 un certain Gadd se dit caravanier. La mention de la caravane de Zallat et la présence du nom propre Ubayum prouvent que les caravaniers sud-arabes n'ignoraient pas le chemin de Serābiṭ. Étaient-ils les fournisseurs d'essences du temple de Ḥathor? Les inscriptions à contenu profane sont rares. Il y a quelques graffites exprimant un simple nom propre. On trouve une inscription d'amour. Une fois, un couple dit avoir tracé leur texte. Mais on constate avec intérêt que le contenu et la forme des graffites sont exactement les mêmes que ceux des graffites nord-arabes.

4. — Notes grammaticales.

1. — *L'alphabet protosinaïtique.*

La question de l'origine de l'alphabet sémitique restera toujours matière à discussion. Est-elle à base acrophonique? Il est difficile de trancher cette question. Il est toutefois certain que certains signes de l'alphabet protosinaïtique peuvent s'expliquer par l'acrophonie. Mais disons tout de suite que tous les signes ne se plient pas à ce principe. Il y a dû y avoir des nouvelles créations indépendantes de ce principe, des emprunts aussi à d'autres écritures existantes. C'est dire donc que si ce principe acrophonique est à la base de notre alphabet, son usage n'a pas été constant.

Voici l'alphabet tel que nous pensons pouvoir le reconstituer. Les chiffres renvoient aux numéros de notre planche alphabétique.

1. — Ce signe se présente 24 fois dans les textes avec un tracé plus ou moins parfait. Le principe acrophonique pourrait en expliquer la valeur ': *'eleph*, «bœuf», dont d'ailleurs personne ne doute. Les signes dédanites et thamoudéens sont assez proches du signe primitif, tandis que les signes sud-arabes semblent avoir passé par une plus grande évolution.

2. — La valeur *b* de ce signe est acceptée par tous. Si ce signe représente le dessin d'une maison, il s'expliquerait par le principe acrophonique: *byt*, «maison». On le compte 37 fois dans nos inscriptions. Les signes arabes en sont certainement dérivés.

3. — Nous adoptons avec Grimme, Butin etc. la valeur *g*, rejetée par Albright. Le dédanite et le thamoudéen primitif ont maintenu la première forme de notre liste, tandis que les dialectes sud-arabes ont adopté la dernière forme qui semble être une simplification de la première. On le retrouve à 4 reprises dans nos textes.

4. — Nous donnons avec Butin la valeur *d* à ce signe. La forme de Jamme 863 se rapproche de notre premier signe, tandis que les autres dialectes arabes emprunteront surtout la seconde forme. Nous ne l'avons trouvé que trois fois. Signalons que Albright attribue la valeur *d* au signe du poisson, notre *s*, et la valeur *ḥ* à notre troisième signe.

5. — A ce signe qu'on ne trouve qu'une seule fois, nous avons attribué la valeur *ḏ* à cause de sa ressemblance avec le *ḏ* de Jamme 863 où cette valeur nous paraît sûre. D'ailleurs le nom propre dans lequel il figure est un nom arabe: *ḏsnr*. Albright lui donne la valeur *ḍ*, et Butin y voit une variante de *t*.

6. — Ce signe n'est employé qu'une fois, et nous lui donnons la valeur de *ḥ* à cause du contexte: *nṣb ḥẓlmt*, Butin lui attribue la valeur *q* et donne à notre signe 9 la valeur *ḥ*, comme Albright aussi. Les alphabets arabes semblent l'avoir transformé légèrement, probablement pour éviter la confusion avec *y*.

7. — D'après Butin, le principe acrophonique serait à la base de cette valeur. En phénicien le *w* est rendu par le même signe. Les Arabes semblent avoir recouru à une nouvelle création en s'inspirant probablement du même principe acrophonique. En effet leur signe pour rendre le *w* est assez souvent employé comme wasm. Nous avons signalé ailleurs que les Arabes thamoudéens n'ignoraient pas ce principe; cf. nos *Inscriptions thamoudéennes*, Louvain, 1950, p. 18.

8. — Les deux barres parallèles qu'on trouve 16 fois, semblent avoir la valeur de *z* comme le signale également Butin. Le *z* de Jamme 863 comme celui de l'alphabet thamoudéen en semblent être des simplifications.

9. — Nous donnons à ce signe, qu'on trouve 6 fois dans les textes, la valeur *ḫ* et nous pensons qu'il présente parfois également la valeur *ẖ*. Butin et Albright lui attribuent la valeur *ḥ* et le premier prend notre signe 10 pour un *ḫ*. Les signes arabes en sont sans doute dérivés.

10. — Nous sommes d'accord avec Albright, contre Butin, pour donner à ce signe la valeur *ẖ*. Il est consigné 4 fois dans nos inscriptions, et nous y voyons un emprunt égyptien. C'est probablement pour mieux marquer la différence entre les *ḫ* et *ẖ*, primitivement rendus par un même signe, qu'on a recouru à cet emprunt égyptien. Les Arabes avaient trouvé une autre solution pour distinguer la prononciation ḫ et ẖ mais nous y décelons encore la même origine. Cf. signes 9 et 10 sud-arabes de notre planche alphabétique.

11. — On connait ce signe en sud-arabe où il a la valeur *ṭ*. Dans nos textes il se présente une seule fois dans un graffite à contenu tout à fait arabe. Butin donne la valeur *ṭ* à notre signe 12.

12. — Ce signe figure 3 fois dans les textes. Nous lui avons donné la valeur *ẓ* comme en thamoudéen. Le signe sud-arabe, comme probablement aussi celui de Jamme 863, en sont des évolutions. Le principe acrophonique pourrait être indirectement à la base de cette valeur. En effet, ce signe est le déterminatif égyptien de la divinité qu'on représentait généralement par une statue: *ẓlmt* en sud-arabe.

13. — Nous pensons que le signe pour la valeur *y* ne figure pas dans nos textes.

14. — Ce signe de la main se présente 8 fois et pourrait avoir, d'après le principe acrophonique, la valeur de *k* comme le pense aussi Albright. Butin le lit *y*. Les signes arabes nous semblent de nouvelles créations quoiqu'on trouve en thamoudéen parfois des signes qui se rapprochent étroitement du troisième signe de notre liste.

15. — On trouve ce signe pas moins de 29 fois. Sa valeur *l* n'est mise en doute par personne. Les alphabets arabes l'ont schématisé davantage, mais Jamme 863 semble l'avoir maintenu tel quel.

16. — Tous les auteurs sont d'accord pour attribuer la valeur *m* à ce signe, valeur qui s'explique par le principe acrophonique. Il se présente 19 fois dans les textes. Il n'est pas certain que les signes arabes en proviennent.

17. — Ce petit serpent se présente 39 fois. Sa valeur *n* qu'on peut déduire du principe acrophonique est admise par tous. Les signes arabes en sont une évolution.

18. — La valeur de ce signe qu'on rencontre 4 fois pourrait être déterminé par le principe acrophonique: *samak*, «poisson». Albright lui donne la valeur *d* d'après le mot *dag*, «poisson». Mais les Arabes ne semblent pas connaître ce mot. Le *s* sud-arabe pourrait provenir de ce signe, mais les autres signes nous semblent être des nouvelles créations.

19. — Ici encore, le principe acrophonique permet d'attribuer la valeur ʿ à ce signe, valeur admise par tous. Il se présente pas moins de 20 fois. Les alphabets arabes l'ont maintenu à peu près dans sa forme originale.

20. — Nous ne croyons pas que le *ġ* soit contenu dans nos textes.

21. — Avec Butin nous donnons la valeur *f* à ce signe. Présente-t-il l'image de la bouche, ce qui permettrait de l'expliquer par l'acrophonie? Butin le pense. Les signes arabes en semblent être déduits. Albright attribue à notre n. 3 la valeur *f*.

22. — On retrouve ce signe à 5 reprises et nous lui donnons avec Butin la valeur *ṣ*. Les signes arabes en peuvent être une évolution. Jamme 863 semble l'avoir maintenu tel quel. D'après Albright sa valeur serait *q*.

23. — Nous n'avons pas trouvé de signe pour la valeur *ḍ* que Albright donne à notre signe 5.

24. — On ne trouve ce signe qu'une fois. Nous le lisons *q* à cause de sa ressemblance avec le *q* arabe qui pourrait bien en être une évolution. Albright y voit un [illegible]

25. — L'acrophonie peut expliquer la valeur *r* de ce signe comme tout le monde l'admet. Il se présente 12 fois. Si les signes arabes en proviennent, ils ont dû passer par une grande évolution.

26. — Nous comptons 25 fois la présence de ce signe dans nos textes. Avec tous les auteurs nous lui donnons la valeur de *š*. Toutefois Albright le transcrit régulièrement par *ś*. Les alphabets arabes ont gardé ce même signe.

27. — Personne ne doute de la valeur *t* de ce signe. Il se présente 37 fois. Le même signe s'est maintenu dans les alphabets nord-arabes et sous la forme d'une croix de St André dans le sud-arabe.

28. — Nous n'avons pas trouvé de signe pour la valeur *ṯ*.

Les quatre derniers signes de notre liste n'appartiennent pas à l'alphabet protosinaïtique proprement dit. Ce sont des infiltrations égyptiennes. Leur présence dans les textes du Sinaï peut s'expliquer par le bilinguisme des auteurs ou par le manque d'expérience dans le maniement de l'alphabet protosinaïtique. En effet,

nous voyons que les valeurs de ces signes égyptiens sont employées à l'intérieur d'un mot sémitique et d'après le procédé de l'écriture égyptienne. Ainsi le signe ayant la valeur de *ḥm* rentre dans le mot *sḥm* et le complément consonantique est également exprimé: *s-ḥm-m*, comme en égyptien. Il en est de même pour les deux autres signes *sw* et *ḥ'*. Mais ceux-ci ont ceci de particulier que la seconde partie de la syllabe correspond à une faible en sémitique, qu'en principe on n'écrit pas dans nos textes (une seule exception dans le n. 13). D'ailleurs, ce second élément semble bien avoir ici une valeur phonétique. Ainsi le signe *sw* rentre dans le nom propre *swr* qu'on prononçait probablement *sūr* et dans le nom propre *'lsw* où *sw* pourrait bien correspondre à l'arabe سوى, « équité ». Le signe *ḥ'* figure dans le mot *sḥn* dont la prononciation semble avoir été *saḥan*. Les deux autres signes correspondent au *w* égyptien. Les noms propres dans lesquels ils figurent peuvent être lus : *twt*: «Tūt» et *'bw*, «'Abū», noms connus en arabe. Les valeurs de ces signes égyptiens existent déjà dans l'alphabet protosinaïtique. S'ils sont employés dans nos textes, c'est bien pour les raisons indiquées plus haut.

2. — *Les pronoms.*

'n, pron. personnel, «je, moi», comme en thamoudéen (n. 5, 12).

z, pron. démonstr. masc., «celui-ci» (n. 6, 7, 9, 16, 17?) et pour le fém. *zt*, «celle-ci» (n. 9, 17, 16). On emploie également *zn*: *ẓlmt zn*, «cette image» (n. 7). *z* est encore en usage pour le neutre, «ceci» (n. 2, 17?) et *z'*, «là», démonstr. loci (n. 19, 21).

š, pron. relatif, «lequel» (n. 5, 9, 31).

n est pron. suff. au verbe dans le n. 12.

3. — *L'article.*

L'article est *h*. On le rencontre une fois dans le n. 7.

4. — *Les prépositions.*

On ne rencontre que *l*, «à, pour» (n.1,27,8,9,13,15,31). Nous avons restitué deux autres: *b*, «dans» (n. 6) et *'l*, «vers» (n.31).

5. *Le nom.*

Le vocabulaire, d'ailleurs fort réduit, nous permet de classer les substantifs suivants :

A deux consonnes :

'ḫ, «frère», arab. أخ, (n. 5, 6) et *'ḫt*, «sœur» (n. 19).
't, «signe», tham. *'t*, hébr. אות et את (n. 9).
bn, «fils», hébr. בן, dialectes arabes bn (n. 8, 12, 20).
bt, «temple», arab. بيت, hébr. בית (n. 6).
mš, «statue», phén. *mš*, (n. 6, 8) et «sculpteur»? (n. 5).
'r, «caravanier», arb. عاد (n. 24).
rb, «chef», arab. رب, hébr. רב (n. 2, 5).

Un seul adjectif :

rb, «nombreux», hébr. רב (n. 13).

A trois consonnes :

'mr, «borne, stèle», arab. أمر (n. 13).
'nš et *'nwš*, « hommes, troupe », hébr. אנשים, cf. l'arabe انس et انيس (9, 13).
'ḫt, «caravane», hébr. ארחה, sud-arabe 'rḫ, « commerce », (n. 9, 22, 31).
ṣlmt, «image, statue», sud-arabe *ẓlmt*, (n. 2, 5, 7, 8).
nṣb, «stèle»; arab. نصب, (n. 6, 7) et *nṣb*, « statuaire », arab. ناصب (n. 2, 5).
ṣnm, «idole», arabe صنم, (n. 13).
ḥrḍ, «inscription», arabe حرز, «incision», (n. 5).
'ṣb, «tribu», arab. عصب (n. 31).
tnt, «don», punique *mtnt*, thamoudéen, *mtn* (n. 3, 19).

Avec apocope de la 3ème radicale :

mḥ, «statue, stèle»?, de l'hébr. מחה ? (n. 9, 10).
bm, «haut-lieu», hébr. במה (n. 13).

Avec *m* préfixe :

mḥ, «statue, stèle» pour *mnḥḥ*? (n. 10).
ms't, «halte», hébr. מסע (n. 31).

6. — *Le genre.*

Comme dans toutes les langues sémitiques, la désinence *t* indique ici également le genre féminin: *b'lt*, *ẓlmt*, *'rḫt*, *'ḫt*. Le genre des autres noms qui se présentent dans nos textes est plus difficile à déterminer. Qu'il ne correspond pas toujours aux genres constatés dans les autres langues sémitiques est bien prouvé par le substantif *bm*, pl. *bmn*, en hébr. במה, pl. במות

7. — *Le nombre.*

Le pluriel masculin est formé par la désinence *n* comme le pluriel régulier des dialectes arabes. Ainsi on trouve *bmn*, «haut-lieux»; *'mrn rbn*, «de nombreuses stèles»; *nṣbn*, «statuaires»; *'ḫn*, «frères». On n'a pas d'exemple du pluriel féminin.

8. — *Le verbe.*

Comme pour les noms et les noms propres, ici encore on trouve un mélange de verbes nord- et sud-sémitiques. Faut-il se servir de la dénomination nord-sémitique: *qal* etc. ou de celle du sud-sémitique: *If* etc.? En voici la liste :

Verbe régulier.

I f. active: 3ème pers. masc. sing.:

'mg, «il se dépêche», arab. عمج (n. 31).

f'l, «il a fait», arab. فعل, hébr. פעל (n. 14).

sḥn, «il a poli», arab. سحن (n. 8).

3ème pers. fém. sing.:

mr't, «elle a oint», arab. مرع (n. 2).

Impér. fém. sing.:

mẓln, «favorise-moi» (n. 12).

I f. passif: 3ème pers. masc. pl.:

qm', «ils ont été endommagés», arab. قمع (n. 13).

Verba mediae geminata.

I f. ou Qal: 3ème pers. masc. sing.:

mš, «il a sculpté», phén. *mš* (n. 8, 9).

gn, «il a protégé», hébr. גנן, arab. جنّ (n. 13).

ḥb, «il a aimé», arab. حب (n. 4).

3ème pers. fém. sing.:

gn, «elle a protégé» (n. 9, 22, 31).

mš, «elle a sculpté» (n. 7, 9, 17, 21).

3ème pers. masc. pl.:

mš, «ils ont sculpté» (n. 16).

3ème pers. masc. pl.: *mš*, «ils ont sculpté» (n. 16).

Partc.: *mš*, «sculpteur» (n. 5).

IV f.: partc. fém. *mḥbt*, «aimée» (n.17).

Verbe faible.

I f. ou Qal: 3ème pers. masc. sing.: *št*, « il a placé », hébr. שית, (n. 6, 10).

3ème pers. fém. sing.: *kn*, « elle était », arab. كان, phén. *kn* (n. 19, 21).

II f. 3ème pers. masc. sing.: *kwd*, « il a dressé », arab. كود (n. 1).

Verbe tertiae y (h).

Qal: 3ème pers. masc. sing.: *ʿš*, « il a fait », hébr. עשה sud-arab. *ʿsy* (n. 5, 24).

Partc. pass.: *m'ḥ*, « aimé » (n. 1, 6) et *m'ḥt*, «aimée», arab. أخا (n. 21).

II f. ou piel: 3ème pers. masc. sing.: *ʿl*, « il a érigé », hébr. עלה arab. على (n. 2, 19).

Epigraphie.

I. — Petrie-Peet, 345; cf. HTR, 1928, p. 48; 1932, p. 164 et pl. X. Voir notre plnache I, n. 1. L'inscription est tracée sur la statuette d'un sphinx qui porte également une inscription égyptienne. La statuette a été trouvée dans le temple de Ḥathor et semble donc être un objet d'offrande. Nous lisons de gauche à droite :

Côté droit : *m'ḥ bʿl(t)* L'aimé de Baʿalat.

Côté gauche : *kwd lbʿlt* Il (l') a déposée pour Baʿalat.

Commentaire : L'inscription est complète sauf à la fin de la ligne du côté droit où il manque le *t* et une partie du *l*. La première ligne correspond en partie à l'inscription égyptienne. Butin

signale que Eisler et Grimme avaient déjà fait cette constatation. Toutefois, ces auteurs, comme d'ailleurs Butin aussi, ont basé leur tradition du texte protosinaïtique sur la lecture *m'hb'lt* = *m'hbb'lt*, ce qui nous semble être une erreur, cf. aussi *BASOR*, apr. 1948, p. 16 où Albright fait la critique de cette lecture et propose de lire *m' hb 'lt* : «Pray, give a burnt offering». Nous lisons: — *m'ḫ*, partc. que nous mettons en rapport avec l'arabe اخا qui signifie à la III f. « se regarder comme frère et ami » ; اخي , III f. «avoir des sentiments de frère». En sud-arabe le verbe *'ḫw* a le sens de «établir des liens de fraternité», cf. RES. 3945, 13 et à la V f. dans CIH. 308, 11. Le signe que nous avons rendu par *ḫ*, correspond au signe sud-arabe pour cette valeur. Il se peut qu'à l'époque où fut tracé notre texte ce signe rendait aussi bien la valeur *ḫ* que *ḥ*. Voir plus haut p. 362. Au n. 21 ce participe se présente au fém.: *m'ḫt*; — *b'lt*, est le nom de la divinité. Nous croyons qu'il s'agit ici de la déesse Ḥatḥor et non d'une divinité sémitique comme la Ba'alat phénicienne qu'on trouvera plus tard à Byblos, cf. l'inscription de Šafat-ba'al, 3-4 etc... L'expression *m'ḫ b'lt* rappelle la formule *b'ḫwt 'lmqh*... «par la fraternité de 'Ilumquh etc.», cf. CIH. 428, 3 et 455, 5; — *kwd*, II f. du verbe arabe كود , «amonceler, entasser», d'où «déposer», « offrir ».

2. — Petrie-Peet, 346; cf. HTR, 1928, p. 48, pl. VIII; 1932, p. 165, pl. XI-XII et notre pl. I, n. 2. Ce texte est tracé sur le devant et le côté gauche d'une statuette trouvée dans le temple de Ḥatḥor. Le tracé est en direction verticale. Nous lisons de haut en bas :

Côté gauche : *'l n'm rb nṣbn*
Devant à gauche : *'l n('m ẓl)mt lb'lt*
Devant à droite : *z ls(t) mr't*
A érigé Na'am, chef des statuaires.
A érigé Na('am cette sta)tue à Ba'alat.
Ceci, Lisat a oint.

Commentaire : La lecture *'l n'm rb* a été proposée par la plupart des auteurs et on le traduit généralement «for the well-being of the foreman of...»; nous proposons une traduction différente; —

'l, «ériger», piel, cf. pour cette forme en phénicien, FRIEDRICH, J., *Phönizische-Punische Grammatik*, Rome, 1951, n. 174. Ce verbe a le même sens à la forme causative dans les textes de Ras Schamra: *skn dš'lyt tryl ldgn*, «stèle qu'a érigée Tryl à Dagon», cf. DE LANGHE, R., *Les textes de Ras Schamra-Ugarit et leurs Rapports avec le Milieu Biblique de l'Ancien Testament*, I, Gembloux-Paris, 1945, p. 267; — *n'm*, est un nom propre connu en hébreu, cf. I Chron. 4, 15, mais il est également fréquent dans les différents dialectes arabes, cf. tham., HU. 555; Jsa. 680; lihy., Jsa. 54; saf. Csaf. 96 et qat. Jamme, 869, 1; — *rb nṣbn*, le mot *rb* signifie «chef» dans les langues nord- et sud-sémitiques. L'expression *rb nṣbn* nous rappelle le passage biblique de I Rois, 4, 5 où on lit: *sr hnṣbm*, «chef des préfets». Nous pensons toutefois que dans notre texte, *nṣb* correspond à l'arabe نصب, « statuaire ». Donc nous traduisons : «chef des statuaires». Ce titre se présente encore dans le n. 5. En phénicien on connaît les expressions: *rb khnm*, «archiprêtre» (CIS. I, 119, 2); *rb srsrm*, «chef des marchands» (RES. 1206-Cook, 21, 1). En protosinaïtique, la désinence du pluriel est *n*, comme le pluriel régulier dans les différents dialectes arabes, cf. HOEFNER, M., *Altsüdarabische Grammatik*, Leipzig, 1943, p. 104, n. 89; nos *Inscriptions thamoudéennes*, p. 38; CASKEL, W., *Lihyan und Lihyanisch*, Koeln-Opladen, 1954, p. 68. Ce pluriel se présente encore dans les numéros 5 et 13; — *'l n'm*, ce dernier mot est restitué d'après la ligne du côté gauche de la statuette; — *ẓlmt*, ici encore, les deux premières consonnes sont restituées d'après le n. 7. Ce mot a le sens de «image, statue» en sud-arabe où il se présente sous les formes *ẓlm*, RES. 4232, 2 et *ẓlmt*, cf. les références dans Conti ROSSINI, *Chrestomathia Arabica Meridionalis Epigraphica*, Rome, 1931, p. 94-94, les numéros 94 et 96; — *ẓ* est le pronom démonstratif comme en phénicien, cf. Friedrich, op. cit., p. 47, n. 113. Nous pensons qu'il se rapporte ici à la statuette et non au nom propre suivant qui est un nom féminin et qui, dans ce cas, devait être précédé par le démonstratif féminin, *ẓt*. Voir un exemple en phénicien dans CIS. I, 5: *'ẓ ytn lb'l lbnn 'dny br'št nḥšt*, «ceci il a donné à Ba'al Lebanon, son seigneur, (fait) du meilleur bronze» où *ẓ* est muni

d'un aleph prothétique. Voir encore l'inscription phénicienne de Karatepe, Statue, IV, 18-19 (cf. *Le Muséon*, 1948, p. 48): *wẓ b(ʿl) h'lm*, «et ceci, les dieux l'empêcheront»: — *lst* est d'après le verbe suivant un nom propre féminin. Il pourrait s'agir d'une prêtresse. En tham. et en saf. (Ph. 289(a) et Csaf. 1960) on connaît le nom *ls*. Le *t* est douteux; — *mr't*, nous semble être la 3ème pers. fém. du verbe مرء , «oindre ». L'onction des statuettes offertes à la divinité fait donc partie du rituel du temple de Ḥathor.

3. — Petrie-Peet, 347; cf. HTR, 1928, p. 48; 1932, pl. XIII et notre pl. I, n. 3. Petite statuette, également trouvée dans le temple. Nous adoptons la lecture de G. Ryckmans, dans *Le Muséon*, 1927, p. 201 suiv. qui lit *tnt*, «don». Sur une seconde statue qui se trouve également au Musée du Cinquantenaire de Bruxelles on lit les signes *tn...lb* que Ryckmans restitue *tnt lbʿlt*, «don pour Baʿalat».

4. — Petrie-Peet, 348; cf. HTR, 1928, p. 48; 1932, p. 167 et notre planche I n. 4. Ce texte, tracé en direction verticale, a été trouvé par Palmer dans le Wady Maghara, à 20 milles de Serābīṭ. Nous lisons :

štm ḥb ṭlt Šattām aime Ṭawlat.

Commentaire : — *štm* est un nom connu en lihy., Jsa. 156 et en saf. Csaf. 3469; — *ḥb*, arb. حب , «aimer». Ce verbe et la formule dans laquelle il figure sont courants en thamoudéen, cf. HU. 183: *mhl ḥb mt*; HU. 237: *blfn ḥb mt*; Ph. 261 (ac): *ʿrw bys ḥb drn* etc.; — *ṭlt* est connu en saf. Csaf. 566. Toutefois, on pourrait lire aussi: *št mḥb ṭlt*, «Šet ami de Ṭawlat», *mḥb* étant assez fréquent en tham., cf. HU. 89; 90 etc. Nous ne croyons pas que le premier signe de ce nom soit à restituer en ʿ.

5. — Petrie-Peet, 349; cf. HTR, 1928, p. 48 et pl. II; 1932, pl. XIV et notre pl. II, n. 5. Ce texte a été trouvé à l'entrée de la mine L. Les lignes sont tracées en direction horizontale, de droite à gauche. Voir aussi la reproduction du texte d'après la lecture de Albright dans BASOR, apr. 1948, p. 20 et sa traduction, p. 16.

1 — *'n tẓ š*	Je suis Tawz qui suis
2 — *rb nṣbn mš*	chef des statuaires, sculpteur de

3	*'rk mlk*...	l'inscription de Malik...
4 —	...*'ḫn z*...	.....frères. Celui-ci (ceci)...
5 -	*'š ẓl(mt)*...	a(ai) fait la statue de...
6	*mš ẓ(lmt)*...	a(ai) sculpté la st(atue)...
7	*'š*......	a(ai) fait......

Commentaire : C'est dans cette inscription que Grimme avait cru pouvoir lire le nom de Moïse. — *'n*, pron. persn. 1ère pers. Le tham. a conservé cette forme, cf. nos *Inscriptions tham.* p. 35. On le rencontre sporadiquement en phénicien, cf. Friedrich, op. cit. n. 110; — *tẓ*, correspond à l'arabe ترز ; « nature, origine ». C'est un nom propre nouveau, inconnu, pour autant que nous sachions, dans l'épigraphie arabe. Le nom propre ترزة réfère à la même racine, cf. *Gouvernement général de l'Algérie, Vocabulaire destiné à fixer la transcription en francais des noms indigènes*, Alger, 1891, p. 360; — *š* nous semble être le pronom relatif, comme en phénicien où il est muni d'un aleph prothétique, cf. Friedrich, op. cit., b. 121 et 95a. On le rencontre aussi dans le n. 9; — *rb nṣbn*, cf. n. 2; — *mš* de *mšš*, « toucher » ? Cf. *Syria*, VI (1925) p. 109 ; dans le texte phénicien de Larnax-Lapéthos, 2 — Cook, 29,2 on lit : *hsml z mš 'nk*, «cette statue que j'ai sculptée». Voir n. 6 pour le substantif. Dans notre l. 2 *mš* semble avoir le sens de « sculpteur»; — *'fk*; en hébreu le mot signifie «disposition, arrangement» d'où en phénicien, CIS. I, 1, 6 le sens de «peristyle (*'rkt*)». Nous mettons ce mot en rapport avec l'arabe عرك , « gratter » et *'ark*, «incision». d'où notre traduction «inscription»; — *mlk*, dont la lecture nous semble certaine, est un nom connu dans les différents dialectes arabes, tham. HU. 698, 1, 3; Hard. 47; lihy. Jsa. 192: 335; saf. Csaf. 39; sud-arabe, RY. 515, 3 (*Le Muséon*, 1953, p. 314). Le reste de la ligne est effacée, comme aussi le début de la ligne suivante. D'après le mot suivant, elles ont dû contenir un nom propre et peut-être le mot *šn* ou *'šn*, deux»«; — *'ḫn*, «frères», en arb. اخوة . Le ḫ est rendu ici par un signe emprunté à l'égyptien; — *z*, pron. démonstr., cf. n. 2 et 6; — *'š*, sud-arabe *'sy* et hébr. *'šh*, «faire», cf. aussi la ligne 7 et le n. 24; — *ẓlmt*, cf. n. 7. Les deux dernières lettres sont restituées.

6. — Petrie-Peet, 350; cf. HTR, 1928, p. 53 et pl. II; 1932, pl. XIV et notre pl. I, n. 6. Stèle brisée en plusieurs morceaux, trouvée devant l'entrée de la mine L. Tracé en direction verticale Nous lisons :

'lsw š(t) (b)bt mš nṣb
z m'ḥ b('lt)
'Ilsûy(?) a posé dans le temple la statue de(cette)stèle.
Celui-ci est l'aimé de Ba'alat.

Commentaire : — *'lsw*, nous semble être un nom théophore, «'Il est équité», en arabe سرو , « équité ». Voir plus haut l'explication du signe *sw*. A la rigueur on pourrait prendre ce dernier signe pour un *k*. Il faudrait alors lire ce nom *'lk* que nous retrouvons dans le n. 30; — *št*, en hébr. שית , «poser, placer». Seule la partie supérieure du *t* est encore visible. Ce verbe est fréquent en phénicien. Il est intéressant de rapprocher notre texte de l'inscription phénicienne de Cook, 29,7 : *yšt bmqdš mlqrt 'yt mš fn 'by*, « j'ai posé dans le temple de Melqart la statue de la face de mon père», cf. notre article *Notes phéniciennes*, dans *Bulletin du Musée de Beyrouth*, XIII, (1956), p.83 ; - *bbt*: la préposition *b* est restituée, la stèle étant brisée en cet endroit. Toutefois, cette préposition n'est pas absolument nécessaire pour légitimer notre traduction, *bt* pouvant être un acc. loci, cf. Friedrich, op. cit. n. 280 et pour l'hébreu, Gesenius-Kautzsch, *Hebraische Grammatik*, éd. 22, Leipzig, 1878, pargr. 118, I. Voir aussi Albright dans *Supplements to Vetus Testamentum*, IV (1957), p. 246. Le sens de temple pour le mot *bt* est d'usage courant en sémitique; — *mš*, cette lecture nous semble certaine. Pour le sens de «statue» voir le texte phénicien de Eliba'al, I: *mšj z f'll 'lb'l*, «statue qu'a faite 'Eliba'al», cf. *Syria*, VI (1925), p. 109 et *Syria*, IX (1928). p. 172 ainsi que le texte de Cook cité plus haut: *mš fn 'by*, «statue de la face de mon père». Voir encore *mš ẓlmt*, «statue de cette image» dans le n. 8; — *nṣb*, en arb. نصب , « stèle », cf. aussi en tham. HU. 216, en saf. Csaf. 527 ; en sab., CIS. IV, 23 et en phén. CIS. I, 123, 1. Le mot se présente également dans le n. 7; — *z* est assez visible sur la pl. II de Butin; cf. n. 2 pour les références; — *m'ḥ*, lecture cer-

taine, cf. n. 1; — *b'lt* est restitué, seul le *b* est encore visible en partie.

7. — Petrie-Peet, 351; cf. HTR, 1928, p. 53 et pl. III; 1932, p. 172 et pl. XV et notre pl. I, n. 7. Cette stèle contient deux lignes en tracé vertical et l'image de la divinité égyptienne Ptaḥ. D'après les explorateurs ce n. et les n. 352 et 353 auraient été gravés sur un même bloc de pierre. Nous lisons :

> *zt bšn mš nṣb hẓ-*
> *lm(t) zn (l)b'lt*
> Celle-ci est Baššān. Elle a sculpté la stèle de
> cette image (pour) Ba'alat.

Commentaire : La lecture est certaine d'après la pl. III de Butin. — *zt*, pron. démstr. fém., en hébr. *z't*, cf. Gesenius-Kautzsch, op. cit., p. 88, n. 34. Comme la prouve la présence de *zn* dans la seconde ligne, l'usage de *zt* n'est pas constant, comme en phénicien, cf. Friedrich, op. cit. n. 113; — *bšn* est un nom propre masculin en saf. Csaf. 2073. Ici *bšn* est un nom fém.; cf. aussi n. 9 et 16. Butin, HTR, 1932, p. 135 signale la présence du nom «*Baasha*» sur un obélisque égyptien de Serābiṭ. La forme masculine du nom *bšn* ne présente aucune difficulté. Dans les dialectes arabes un même nom peut être porté indistinctement par une femme ou un homme. Voir des exemples caractéristiques dans Jamme, A., *Some Qatabanian Inscriptions Dedicating « Daughters of God »*, dans *BASOR*, apr. 1955, p. 39 suiv.; — *mš*, cf. n. 5. La désinence *t* de la 3ème pers. fém. n'est pas écrite. Voir aussi en phénicien, Friedrich, op. cit. n. 131. Il est intéressant de constater que cette désinence est régulièrement omise dans les verbes d'origine, ou plutôt d'usage nord-sémitique (cf. n. 9, 12?, 17, 19, 22), tandis qu'elle est constamment appliquée aux verbes en usage dans le sud-sémitique (cf. n. 2, 17?, 21); — *nṣb*, cf. n. 6; — *hẓlmt*. Le *h* est l'article comme en nord-sémitique et dans différents dialectes nord-arabes, cf. p. ex. pour le tham. nos *Inscriptions thamoudéennes*. p. 40; pour le lihy., Caskel, op. cit. p. 68. Une éraflure couvre en partie le *t* du mot *ẓlmt*. Voir n. 2, 5, 8; — *zn*, pron. démonstr. renforcé par un *n* comme en phén. cf. Friedrich, op. cit. n. 113 b.

En thamoudéen nous avons trouvé une fois ce même démonstratif *zn* dans un texte inédit de Philby (n. 411(a)). Disons toutefois que ce dialecte se sert généralement de la forme *dn*, cf. nos *Inscriptions thamoudéennes*, p. 36; — *b'lt*, cf. n. 1.

8. — Petrie-Peet, 352; cf. HTR, 1928, p. 53 et pl. II; 1932, p. 137 et pl. XV et notre pl. II, n. 8. L'inscription est fortement endommagée, deux lignes sur quatre sont presque entièrement effacées. Tracé vertical. Nous lisons :

1 — *'nš bn swr sḥn*
2 — *mš (ẓ)lmt lbnn*
3 — *m(š). . . . . . lb'lt*
4 — . . . . *(lb')lt*

Enôš, fils de Sûr a poli
la statue de l'image de Lebanon.
Il a sculpté . . . . . . pour Ba'alat.
. . . . (pour Ba'a(lat).

Commentaire : — *'nš*, nom connu en hébr., Gen. 4, 26 etc. Le *n* est douteux; — *bn*, «fils»; — *swr*, nom connu dans les différents dialectes nord-arabes: tham. Ph. 210(1)9; lihy. Jsa. 97; saf. Csaf. 87 et en palmyrien: *srw*, CIS. III, 4159, 2; — *sḥn*, arb. سحن , « polir ». Voir le commentaire sur notre signe *ḥ'*; — *mš*, cf. n. 6; — *ẓlmt*, cf. n. 2. Le *ẓ* est restitué, mais il en reste quelques traces, et d'après ces traces, si nous avons bien vu, il serait dessiné presque verticalement. Le *m* est certain d'après la planche XV de Butin; — *lbnn*, semble être le nom de la divinité phénicienne (cf. CIS. I, 5, texte du 8e s. avant J.C.). Ici l'image du dieu Libanon est offerte à Ba'alat, comme dans le n. 7 l'image de Ptaḥ. Veut-on signifier par ce geste la suprématie de Ba'alat?

9. — Petrie-Peet, 353; cf. HTR. 1928, p. 37 et pl. IV; 1932, p. 177, pl. XVI et notre pl. II, n. 9. La stèle contient 3 lignes tracées en direction verticale. Nous lisons :

1 — *zt bšn mš mḥ b'lt*
2 — *gn (')nš 'rḥt*
3 — *z gt š mš 't lb(')lt*

Celle-ci est Baššān. Elle a sculpté la statue de Ba'alat.
Elle (Ba'alat) a protégé les hommes de la caravane.
Celui-ci est Gawt qui a sculpté une marque pour Ba'alat.

Commentaire : — *zt bšn mš*, cf. n. 7; — *mḥ* vient probablement du verbe *nḥh*, en hébr. «s'appuyer», d'où le sens de «socle», «statue»? Voir aussi n. 10 et pour la formation du mot Friedrich, op. cit. n. 58c; — *gn*, hébr. *gnn*, «défendre, protéger». Ici le sujet semble être Ba'alat, cf. notre remarque ad n. 7; — *'nš*, en hébr. אנש , « gens, hommes », cf. aussi n. 13. Le aleph est douteux, mais nous distinguons assez bien le *n* et le *š*; — *'rḥt* semble correspondre à l'hébreu ארחה , « caravane », mais il rappelle aussi le sud-arabe *'rḥ*, «commerce» et qui a pu signifier primitivement «caravane»; — *gt* est un nom nouveau. Les Arabes se servent du mot *gawt* pour exciter les chameaux, cf. le dictionnaire arabe de Biberstein-Kazimirsky, sub voce. Le nom *gt* est connu aussi en hébreu comme nom de ville; — *'t*, hébr. אות , « signe », mais cf. aussi le tham. *'t*, «marque», HU. 350 etc.; — *b'lt*, la copie porte *blt* que nous corrigions en *b'lt*. Le *t* est couvert d'une éraflure.

10. — Petrie-Peet, 354; cf. HTR. 1928, p. 53 et pl. V; 1932, p. 188 et pl. XVII et notre planche I, n. 10. Il reste peu de cette inscription qui primitivement a dû contenir trois lignes. Le fragment est trouvé devant la mine L.

m . . . . . .
. . . . (*š*)*t mḥ b'lt* . . . a posé la statue de Ba'alat.
. . . . *h* . . . . . .

Commentaire : — *št*, cf. n. 6. Le *š* est restitué; — *mḥ*, cf. n. 9.

11. — Petrie-Peet, 355; cf. HTR, 1928, p. 48; 1932, p. 180. Fragment de pierre sur lequel sont tracées quelques lettres appartenant à trois lignes différentes.

12. — Butin, 356; cf. HTR, 1928, p. 37, pl. VI; 1932, p. 181, pl. XVIII et notre pl. II, n. 12. La première ligne de cette inscription semble être incomplète à la fin. La stèle a été trouvée à la même place que le n. 366. Nous lisons :

'n ḏsnr bn . . .	Je suis ḏū-Ṣinār, fils de . . .
mzln b'lt	Que Ba'alat me favorise !

Commentaire : la lecture de ce texte est sûre d'après la pl. VI de Butin; — *'n*, cf. n. 4; — *ḏṣnr*, cf. le nom tham. *snr*, Ph. 332(k). Les noms propres précédés de *ḏ* sont fréquents dans les différents dialectes arabes: tham. Ph. 342(j)2: *ḏ'byt*; Ph. 363(u): *ḏ'tn*; saf. Csaf. 2515: *ḏġrb*; Csaf. 3515: *ḏ'sd* etc. C'est le seul *ḏ* qu'on rencontre dans nos textes. Nous avons donné à ce signe la valeur *ḏ* à cause de sa ressemblance avec le *ḏ* de Jamme 863 où cette valeur nous semble sûre. Étant donné qu'en protosinaïtique le pronom démonstratif est rendu par *z-zt*, on s'attendrait plutôt à la forme *zṣnr*. Toutefois, même en Arabie du Sud, du moins dans certaines régions, on rencontre aussi bien la forme *ḏ* que *z* comme pronom d'appartenance. Voir p. ex. les inscriptions du Wadi Habban, RY. 432-437, dans *Le Muséon*, 1949, p. 103-121; — *bn*, cf. n. 8; — *mzln*; le mot *mzl* a le sens de «constellation» d'où «sort». Dans les textes phéniciens de CIS. I, 95, 5 et de Karatepe Statue, I, 10 (cf. *Le Muséon*, 1948, p. 43 suiv.) on rencontre l'expression *lmzl n'm* qui correspond à la formule grecque: ἀγαθῇ τύχῃ, «bonne chance». Le verbe *mzl* pourrait donc avoir le sens de «procurer la bonne chance», «favoriser», «rendre heureux». Le *n* est le suffixe de la 1ère pers. Toutefois, sur la pl. VI(a) de Butin, on voit clairement un *l*, en dehors de la ligne, entre le *n* du mot *mzln* et le *b* du mot *b'lt*. Appartient-il au texte de la ligne 2? Dans l'affirmative et supposé que notre texte soit complet, on pourrait lire: *'n ḏṣnr bn mzln lb'lt*, «je suis ḏū-Ṣinār, constructeur des dallages de Ba'alat»? Pour *bn*, «constructeur», cf. le texte phénicien de Bostan ech-Cheikh, 4: *'š bn*, «qui est constructeur» et *mzln* pourrait être mis en rapport avec le sud-arabe (ou l'éthiopien?) *mzlt* qui semble avoir le sens de «passages?», cf. Caquot, A. et Drewes, A.J., *Les monuments recueillis à Magallé* (*Tigré*), dans *Annales d'Ethiopie*, I (1955), p. 36-37.

13. — Butin, 357; cf. HTR., p. 37, pl. VII-VIII; 1932, pl. XXVII et notre pl. III, n. 13. L'inscription est tracée en angle droit, mais elle semble incomplète à la fin. Ce texte se trouve à l'intérieur de la mine L. Nous lisons :

'nwš gn sḥm l'b bmn

qm' 'mrn rbn ' . . .

La troupe a protégé l'idole de 'Ab. Les haut-lieux ont été endommagés, de nombreuses stèles . . . .

Commentaire : On pourrait traduire aussi *l'b bmn*, «de 'Ab dans les haut-lieux». Le verbe *qm'* se rapporterait alors à *'mrn rbn*; — *'ws*, cf. n. 9, mais ici la mater lectionis *w* est exprimée comme en hébreu et en moabite, cf. Friedrich, op. cit. n. 100; — *gn*, cf. n. 9 ; — *ṣḥm* nous semble correspondre à l'arabe سحم , « corne, idole». Voir l'explication de cette lecture, plus haut, à notre signe *ḥm*; — *'b* est ici le nom de la divinité, probablement le dieu-patron des haut-lieux. Les thamoudéens ont admis ce dieu dans leur panthéon, cf. HU. 730. Pour la construction *ṣḥm l'b*, cf. Friedrich, op. cit. n. 10b, d; — *bmn*, pl. de *bmh* en hébr., «haut-lieu». En hébr. ce mot est du genre féminin, pl. *bmwt*. Ce changement de genre est connu aussi en phénicien, cf. p. ex. CIS. I, 86B, 7: *l'šm 'š lqḥm knrm*, «aux hommes qui jouent les lyres», cf. *Bulletin du Musée de Beyrouth*, XIII (1956), p. 92 et Friedrich, op. cit. n. 303; — *qm'*, arabe قمع , «frapper, endommager», ici passif; — *'mrn*, pl. de l'arab. أمر , «borne, stèle». Pour la présence de haut-lieux à Serābiṭ et leur signification, cf. Albright, F. W., *The High Place in Ancient Palestine*, dans *Supplements to Vetus Testamentum*, V (1957), p. 242-258; — *rbn*, pl., cf. hébr. רב , «nombreux»; — ' semble être l'initiale d'un verbe. Les douze petites barres en face de la partie horizontale du texte pourraient bien se référer aux stèles endommagées.

14. — Butin, 358; cf. HTR, 1932, p. 184-185 dont nous reproduisons le fac-similé sur notre pl. IV. L'inscription se trouve à l'intérieur de la mine M. Une première copie en avait été faite durant l'expédition de 1928 et une seconde, de beaucoup la meilleure, en 1930. C'est cette dernière copie que nous avons prise comme base de notre traduction. Il y a dû y avoir trois lignes dont une seule est restée intacte. Nous lisons :

's f'l m-	'Aws a fait la sta-
(š) . . . ' . . *l*	tue . . . . .
. . . . . *dk*	. . . .

Commentaire : — *'s* est un nom propre très connu dans les différents dialectes arabes, cf. tham. HU. 15 etc., lihy. Jsa. 245; saf. Csaf. 61 ; — *f'l*, arb. فعل et hébr. פעל , cf. tham. Ph. 166 (r)2 ; — *mš*, restitué.

15. — Butin, 359; cf. HTR, 1932, p. 186 et pl. XVIII et notre pl. III, n. 15. Ce graffite a été trouvé par une mission finnoise à Serābīṭ. Butin signale qu'il y a avait un *l* devant le '.

(l)'bm Par 'Ubayum.

Commentaire : — *'bm* est un nom propre connu en sabéen, cf. Ryckmans, G., *Les noms propres sud-sémitiques*, vol. I, Louvain, 1934, p. 38. Le *m* serait la mimation en usage dans l'Arabie du sud, cf. Hœfner, op.cit. p. 114-115. Si notre interprétation s'avère exacte, nous aurions ici la preuve de la présence de sud-arabes à Serābīṭ.

16. — Butin, 360; cf. HTR. 1932, p. 186 et pl. XIX que nous reproduisons sur notre pl. V. D'après Butin cette inscription est trouvée dans un «sleeping-shelter», mais comme Albright (BASOR, 1948, p. 11), le signale, il s'agit plutôt de «burial cairns». Nous lisons :

z šb't zt bšn mš

Celui-ci est Šabā't, celle-ci est Baššān. Ils ont sculpté (ceci).

Commentaire : — *šb't* est connu en thamoudéen, cf. Ph. 167 (ab); — *bšn*, cf. n. 7; — *mš*, cf. n. n. 5. On pourrait mettre en parallèle le texte tham. de Ph. 368(k): *ḏn 'n ḏt šn*... «Celui-ci est 'Awn, celle-ci est Šinn...».

17. — Butin, 361; cf. HTR. 1932, p. 187 et pl. XIX que nous reproduisons sur notre pl. V. Ce texte a été trouvé sur un petit rocher près de la mine L. Il a dû contenir 4 lignes. Nous lisons :

z šb bšn mš
zt mḥb(t) b('l)-
t šn . . . . . .
. . . b . . . . . .

Ceci est l'inscription de Baššān. Elle (l') a sculptée.

Celle-ci est l'aimée de Ba('al)-
at. Les deux . . .

Commentaire : — *z*, cf. n. 2; *šb*, pourrait être mis en rapport avec l'arabe سب , «couper», hébr. שבבים , . «échardes, éclats», mais on pourrait y voir aussi le mot شاب , « jeune homme » et on traduirait alors: «Celui-ci est le jeune homme de B.»; — *b'n*, n. 7; — *mḥbt*, artc. IV f. de *ḥb*. Voir le tham. *mḥb*, HU. 89 etc. Le *t* est restitué; — *b'lt*, en partie restitué; — *šn*, «les deux»? Nous ne distinguons plus aucun signe dans cette ligne.

18. — Butin, 362; cf. HTR. 1932, p. 190 et pl. XII et notre pl. III, n. 18. Ce graffite est trouvé au-dessus de la mine L.

(*l*)'*d* Par 'Add.

Commentaire : — '*d* est connu en tham., Jsa. 177.

19. — Butin, 363; cf. HTR. 1932, p. 190 et pl. XX que nous reproduisons sur notre pl. IV. Comme le texte précédent, celui-ci est également trouvé au-dessus de la mine L. Il y a quatre lignes en partie abimées. Nous lisons :

1 — . . . . . . '*l*	. . . . . . a érigé
2 — . . . . . . *tn*(*t*) *ntn*	. . . . . . don de Natan
3 — '*ḫt* '	. . . sœur de 'A . . .
4 — *kn z*'	Elle était là.

Commentaire : — '*l*, cf. n. 2; — *tnt*, cf. n. 3. Le second *t* est restitué; — *ntn*, connu en hébr., cf. II Sam. 7, 2-4 etc., mais aussi dans les différents dialectes arabes, tham. HU. 446; Ph. 278(a); saf. Csaf. 1245; sab. min., cf. Ryckmans, *Les noms propres*, p. ;514 — '*ḫt*, cf. '*ḫ*, n. 5; — ' semble être l'initiale d'un nom propre; — *kn*, arab. كن , en sud-arab. voir les références dans Conti Rossini, op cit., Glosarium, p. 167 et en phénicien Friedrich, op. cit., n. 166; — *z*', cf. Gesenius-Kautzsch, op. cit., p. 270, n. 122, 2. Voir aussi n. 21.

20 — Butin, 364, cf. HTR. 1932, p. 191 et pl. XXI que nous reproduisons sur notre pl. V. Ce fragment est trouvé devant la mine M. Le texte est incomplet au début. Nous lisons :

. . . *bn kr* . . . fils de Kawr.

Commentaire : — *bn*, cf. n. 8; — *kr* est un nom connu en tham., cf. Ph. 160(a) (2)4.

21. — Butin, 365a; cf. HTR. 1932, p. 191 et pl. XXIII que nous reproduisons sur notre pl. VI. Cette pierre a été trouvée dans ce que Butin appelle «le camp des Égyptiens», mais qui est sans doute encore un «burial cairn». Elle est inscrite de deux côtés. Il y a trois lignes que nous lisons dans l'ordre suivant : 1-3-2 :

1 — *(m)š šbn m'ẖ-*	A sculpté Šibān, l'ai-
3 — *t b'lt*	mée de Ba'alat.
2 — *kn z'*	Elle était là.

Commentaire : — *mš* est restitué. Seul le *š* figure sur la copie; — *šbn*, nom connu en saf. Csaf. 17. Lire *bšn* comme dans le n. 7?; — *m'ẖt*, cf. n. 1; — *kn z'*, cf. n. 19.

22. — Butin, 365b; cf. HTR. 1932, p. 194 et pl. XXII que nous reproduisons sur notre pl. VI. Cf. la remarque ad n. 21.

g(n) 'rẖ(t) zlt

Elle (Ba'alat) a protégé la caravane de Ẕallat.

Commentaire : — *gn*, cf. n. 9. Le *g* est en partie effacé, ainsi que le *n*; — *'rẖt*, cf. n. 9. On voit encore la partie supérieure du *t*; — *zlt* est un nom de tribu ou de lieu, connu en sud-arabe, cf. Ryckmans, *Les noms propres*, p. 294 et p. 335.

23. — Butin, 366; cf. HTR. 1932, p. 194. Ce fragment est trouvé près de la mine L comme le n. 356. Le texte est trop fragmentaire pour qu'une traduction soit posssible.

24. — Butin, 367; cf. HTR. 1932, p. 195 et notre pl. III, n. 24. Ce texte se trouve dans un «burial cairn», le «sleeping-shelter» de Butin, au sud de la mine L. Butin n'en donne pas la photographie, mais il spécifie que toutes lettres sont clairement tracées. Nous lisons :

gd 'r 'š Gadd, le caravanier, a fait (ceci).

Commentaire : — *gd* est connu en tham. Ph. 417 (b), en lihy. Jsa. 364 et en saf. Csaf. 480 ; — *'r*, cf. l'arabe عار , s'en aller » et عير , « caravane ». Voir aussi en tham., Ph. 212(g) et Jsa. 332; — *'š*, cf. n. 5.

25. — Butin, 368, cf. HTR. 1932, p. 196 et pl. XXIV. Petite inscription dont il ne reste que quelques traces.

26. — Butin, 369; cf. HTR. 1932, p. 169 et pl. XXV que nous reproduisons sur notre pl. VI. Statuette découverte dans le temple de Ḥathor. Quoiqu'on ait pensé qu'elle est couverte d'inscriptions égyptiennes, nous lisons clairement sur le côté gauche, tracé en très gros caractères le mot :

b'lt Ba'alat.

27. — Butin, 370; cf. HTR. 1932, p. 197 et pl. XXIII et notre pl. III, n. 27. Graffite trouvé à une courte distance de la mine L. Nous lisons :

twt Tūt.

Commentaire : — *twt* est un nom connu sous la forme *tt* en saf. Csaf. 3158. En arabe توت signifie « mûrier ». Voir notre explication sous le signe égyptien *w*.

28. — Butin, 371; cf. HTR. 1932, p. 197 et pl. XXIII que nous reproduisons sur notre pl. V. Provient du même lieu que le n. 360 notre n. 16.

'bw 'Abū.

Commentaire : — *'bw*, cf. Ryckmans, *Les noms propres*, p. 156 et *Vocab.*, p. 1:

29. — HTR. 1932, p. 200. Fragment trouvé près de la mine A. On pourrait lire probablement *(b)'l(t)*, Ba'alat

30. — HTR. p. 200 et notre pl. III. n. 30. Graffite trouvé à l'entrée de la mine L. Nous lisons :

'lk 'Alak.

Commentaire : — *'lk* est un nom connu en thám. Jsa. 581. Le dernier signe nous semble être un *k* et non un *y* comme le pense Butin qui se réfère au phén. où ce signe est plutôt un *m* et qui se rencontre pour la première fois dans le texte de Karatepe, au 8ème siècle avant J.C.

31. — Notre article était rédigé quand le R.P. Benoit de l'École Biblique de Jérusalem attirait notre attention sur deux nouveaux textes chacun d'une vingtaine de signes, parmi lesquels des signes nouveaux, publiés dans *Excavations and Protosinaitic*

Inscriptions at Serābīt el Khadem, le rapport de la troisième expédition de la Harvard University (lettre du 5-3-58). Nous avons déjà dit que ce livre est introuvable à Beyrouth. Toutefois, nous avons dans notre dossier deux inscriptions protosinaïtiques, une en photographie, l'autre en fac-similé que nous n'avons pas retrouvées dans la littérature qui nous était accessible ici. S'agit-il de ces deux inscriptions signalées par le R.P.? Le fac-similé est, d'après une note, de la main de Grimme, mais il est inutilisable pour la traduction. Seul le début de la ligne quatre pourrait être lu : *'n ntn...* «Je suis Natan...». Remarquons aussi que, pour autant qu'on puisse en juger, ce texte ne contient aucun signe nouveau. Notre photographie ne comporte aucune annotation. Nous ignorons donc sa provenance. Le texte est clairement tracé. Nous avons constaté qu'Albright (*BASOR*, apr. 1948, p. 19) a déjà donné une interprétation de cette inscription, toutefois sans reproduire le texte. Est-ce la seconde inscription à laquelle a fait allusion le P. Benoît? Mais elle, non plus, ne contient de signes nouveaux. Nous reproduisons cette photographie sur notre pl. VII. Voici l'interprétation de l'inscription :

1 — (*gn*) *'rḫt*	(Elle (Ba'alat) a protégé) la caravane
2 — *'mg 'st*	S'est dépêché 'Awsat
3 — *š lš'b tm*	de la tribu de Taym
4 — (*'l*) *ms't g...*	(vers) la halte de G...

Commentaire : La partie supérieure de la pierre a été abimée. D'après Albright il s'agit d'une «mortuary inscription which diverges from the usual formulas». L'auteur lit: 1 — ()*'rḫt*. 2 — ()*m p'dt*. 3 — ()*ṯlṯ*(*t*?) *btmi*. 4 — *md't pn*(?) et traduit: 1 — ()wild cow. 2 — ()mercy. 3 — ()three houses(?). 4 — () intimate friends(?). Nous croyons qu'on est ici encore en présence d'une stèle d'action de grâce comme il en est le cas de nos n. 9 et 21-22; — *gn 'rḫt*, cf. n. 22. Le verbe *gn* est restitué, mais la tête du *n* est encore visible sur la photographie; — *'mg*, arabe عمج , «se dépêcher, presser le pas». Le ' est en partie abimé; — *'st* est un nom connu en saf., cf. RNP. I, p. 42 et sous la forme *'wst* en

lih. Jsa. 344, en saf. Csaf. 183 ; — *š*, cf. n. 5; — *š'b*, en arab. شعب, cf. Csaf. 887 et en sab. CIH. 70, 2; — *tm* est connu comme nom de tribu en tham. Hard. 522 et en saf. Csaf. 2555. La formule *š lš'b tm*, «lequel appartient à la tribu de Taym» rappelle celle du texte phénicien de Kilamawa, II, 15: *b'l ṣmd 'š lgbr ....b'l ḥmn 'š lbmh*, «Ba'al Ṣemed de Geber ...Ba'al Ḥammon de Bamah» (cf. ZDMG, 1913, p. 221); — *'l* est restitué et correspondrait à l'hébreu אל ou l'arabe ال ; — *ms't* correspond à l'hébreu מסע , « halte, étape»; — *g* est l'initiale d'un nom de lieu.

Nous pensons donc que la langue de Serābiṭ est un dialecte nord-arabe, parlé non seulement au Sinaï, mais encore dans les régions où se formeront plus tard les royaumes de Muṣri-Midian et d'Adammatu (l'actuel Dumat al Gandal). Ce sont sans doute les Arabes du Sinaï qui ont créé cet alphabet à partir de l'écriture égyptienne, au moment même, ou peut-être un peu plus tôt, où, dans le Nord, à Ras Schamra, nous assistons à un autre essai basé sur le système cunéiforme 20). Nous croyons que l'alphabet de Serābiṭ s'est répandu dans toutes les régions de l'Arabie du nord et du sud. Avec le temps il a évolué, il est vrai, mais comme le prouve l'étroite ressemblance de la majorité des signes de ces deux alphabets, sans renier ses origines.

Nous laissons aux spécialistes le soin de juger de nos résultats. Nous savons que toutes les questions ne sont pas résolues. Seront-elles jamais dans ce domaine vu l'extrême pauvreté des données dont on dispose? Nous espérons que d'autres puissent faire mieux. Toutefois, nous sommes convaincu avoir indiqué une voie qui pourrait s'avérer plus apte à résoudre le problème protosinaïtique.

Beyrouth, Janvier 1958 A. VAN DEN BRANDEN.

ABRÉVIATIONS :

BASOR = *Bulletin of the American Schools of Oriental Research*; — CIH = *Corpus Inscriptionum Semiticarum*, Pars Quarta, *Inscriptiones Himyariticas et Sabaeas continens*, Paris, 1889; — CIS, I = idem, Pars Prima, *Inscriptiones Aramaeicas continens*; — Cook = Cook, A.G., *A Textbook of North-Semitic Inscriptions*, Londres, 1903; — Csaf. = CIS, V, Pars Quinta, *Inscriptiones Saracenicas continens*, Paris, 1950; — Hard. = Inscriptions de Harding, cf. Harding, G. Lankester, *Some Thamudic Inscriptions of the Hashimite Kingdom of the Jordan*, Leiden, 1952; — HU = Inscriptions de Huber, numérotation d'après notre ouvrage *Les Inscriptions thamoudéennes*, Louvain, 1950; — HTR = *Harvard Theological Review*; — Jsa. = Inscriptions de Jaussen-Savignac, cf. Jaussen-Savignac, *Mission archéologique en Arabie*, 2 vol. et atlas, Paris 1904-1914 (1920); — lihy = *lihyanite*; — min. = *minéen*; — Ph. = inscriptions de Philby, numérotation d'après nos ouvrages *Les textes thamoudéens de Philby*, 2 vol., Louvain, 1956; — RES = *Répertoire d'Epigraphie sémitique*; — RY = *textes sud-arabes de Ryckmans*; — sab. = *sabéen*; — saf. = *safaïtique*; — tham. = *thamoudéen*.

(1) Gardiner, Alan, H. et Peet, T. Eric. *The Inscriptions of Sinai*, vol. I, Londres, 1917. Dans la seconde édition que J. Cerny a fait paraître en 1952, les inscriptions protosinaïtiques ont été éliminées à l'exception de la bilingue No. 345.

(2) Weill, R., *Inscriptions égyptiennes du Sinaï*. Paris, 1904, p. 154.

(3) Lake, K. et Blake, R.P., *The Serâbît Inscriptions. I, The Discovery of the Inscriptions*, dans *Harvard Theol. Rev.*, XXI (1928), p. 6.

(4) Butin dans *Harvard Theol. Rev.* XXV (1932), p. 95-203.

(5) Gardiner, Alan, H., *The Origin of the Semitic Alphabet*, dans *Journal of Egypt. Archeol.*, III (1916), p. 1-16.

(6) Cowley, A., *The Origin of the Semitic Alphabet*, dans *Journal of Egypt. Archeol.*, III (1916), p. 17 suiv.

(7) Sethe, K., *Der Ursprung des Alphabets* (Nachrichten von den Göttinger Gesellschaft des Wissenschaften, Geschäftliche Mitteilungen), 1916, p. 88-161, ouvrage que nous n'avons pas pu consulter; du même *Die neuentdeckte Sinai-Schrift und die Entstehumg der Semitischen Schrift* (Nachrichten von der Königlichen Gesselschaft der Wissenschaften zu Göttingen: Philologisch-historischen Klasse) 1917, p. 437-475; du même *Die wissenschaftliche Bedeutung der Petrie'schen Sinaifunde*, dans *ZDMG.* 80 (1926), p. 24 suiv.

(8) Eisler, R., *Die Kenitischen Weiheinschriften der Hyksoszeit*, Freiburg i.B., 1919.

(9) Grimme, H., *Althebraische Inschriften vom Sinai*, Hannover, 1923; Voir encore du même auteur: *Die Losung des Sinaischriftproblems, Die altthamudische Schrift*, Münster, 1926; *Hiatsepsu und die Sinaischriftdenkmaler*, dans *ZDMG.*

80 (1926), p. 137 sq.; *Die altsinaitischen Buchstabeninschriften auf Grund einer Untersuchung der Originale*, Berlin, 1929.

(10) Butin, R., *The Serabit Inscriptions. II, The Decipherment and Significance of the Inscriptions*, dans *Harv. Theol. Rev.* XXI (1928), p. 46 suiv.

(11) Sprengler, M., *The Alphabet. Its Rise and Development from the Sinai Inscriptions* (Oriental Institut Communications, n. 12) Chicago, 1931.

(12) Butin dans *Harvard Theol. Rev.* XXV (1932), p. 95-203.

(13) Albright, F.W., *Some Suggestions for the Decipherment of the Proto-Sinaitic Inscriptions*, dans *Journal of the Palestine Society*, XV (1935), p. 334-340.

(14) Albright, F.W., *The Early Alphabetic Inscriptions from Sinai and their Decipherment*, dans *BASOR*, april 1948, p. 6-22.

(15) *BASOR*, april 1948, p. 13.

(16) Le dernier en date, cf. Jamme, A., *Quelques problèmes sud-arabes*, dans *BIOR*, XII (1955), p. 220.

(17) Butin dans *Harv. Theol. Rev.*, XXI (1928), p. 9.

(18) Cf. Hommel, F., *Ethnologie und Geographie des alten Orients*, München, 1926, p. 578-589.

(18 bis) On sait que le Père Burrows a publié en 1927 (dans le *Journal of the Royal Asiatic Society*, p. 795 suiv.) trois petites inscriptions rédigées en une écriture protoarabe, provenant de Ur. Albright les a rééditées et retraduites dans *BASOR*, déc. 1952, p. 39-45. D'après les dernières opinions, ces textes dateraient du 8-7ème siècle avant J.C. (*BASOR*, déc. 1952, p. 42 et note 10). On peut se demander si ces inscriptions ne doivent pas être attribuées à des Arabes prisonniers originaires des régions d'Adammatu ou de Muṣri. L'influence babylonienne sur ces textes est manifeste. C'est d'après leur contenu linguistique qu'Albright les considère comme « chaldaean Inscriptions ». Toutefois, d'après les traductions de cet auteur, on y rencontre le nom *Kars*, qui est un nom arabe connu en tham. HU. 259 et Eut. 186 (*Le Muséon*, 1956, p. 116) et le nom *Daniel* qui peut être un nom nord-sémitique (connu aussi à Ras Schamra). Ce dernier nom se présente à la forme syncopée: *dnl*, procédé connu également dans les plus anciennes inscriptions thamoudéennes, cf. Jsa. 195; 197; 505; 513 etc. Si notre hypothèse s'avère exacte, ces inscriptions « chaldéennes » confirmeraient alors les données des textes assyriens qui nous présentent l'onomastique arabe des régions d'Adammatu et de Muṣri comme composée d'un mélange de noms propres nord- et sud-sémitiques.

(19) Albright, W.F. dans *BASOR*, apr. 1948, p. 11, et dans *Supplements to Vetus Testamentum*, IV (1957), p. 248-249.

(20) Pour la date des inscriptions protosinaïtiques, cf. Albright dans *BASOR*, apr. 1948, p. 9 suiv.

الخلاصة

في ١٩٠٤—١٩٠٥ العالم في الآثار المصرية فلايندرس بتري في الحفريات التي قام بها في هيكل هاتور في «سرابيط الخادم» في سينا اكتشف الاحد عشر نصاً «السيناني الاول» (Protosinaïtiques) .

بعد ذلك ثلاث بعثات بعناية جامعة هارڤرد ١٩٢٧ و١٩٣٠ و١٩٣٢توصلت الى جعل عدد النصوص المكتشفة نحو ثلاثين .

المحاولات الاولى لقراءة النصوص بدأت سنه ١٩١٩ . تمكن ألن غاردنر من قراءة الكلمة «بعلت» ومعرفة بعض العلامات . منذئـذ علماء كثيرون عالجوا ترجمة هذه النصوص لكن الى اليوم ليس في هذه المحاولات ما يُعتبر حلّاً باتّاً .

ما هو سبب عدم النجاح . في اساس كل هذه المحاولات لقراءة النصوص وضعوا مبدأين اعتبروهما ثابتين : ١ً معرفة حروف الألفبـاء يلزم ان تكون عوجب المبدأ (acrophonique) . ٢ً : لغة سينا هي سامية شمالية(كنعانية).

من هذين المبدأين لم ينتج نتيجة مرضية لذلك اتخذنا طريقة اخرى:انـنا لم نهمل تماماً المبدأ الاول فقد كمّلناه بالاستعانة بطريقة المقابلة . اخذنا الحروف الهجائية العربية السابقة للاسلام كحد للمقابلة . فان علامات كثيرة من هذه الحروف الهجائية تشبه علامات النصوص السينائية المذكورة . فللعلامات المقابلة او المشابهة اعطينا قيمة العلامات العربية التي تطابقها .

المبدأ الثاني هو قياس فرضيّ وضعـه آلن غاردنر ورضي الجميع به دون اثبات وضعي . انـنا نظن بان هؤلاء العمال الساميّين في معادن سرابيط لم يكونوا ضرورةً ساميين من الشمال يتكلمون لغة كنعانيـة . من الممكن ان يكون فيهم من السكان الاصليين او عرب اتوا من شمالي البـلاد العربية . اذن ليس من الضروري ان تكون لغة سرابيط لغة كنعانية فتكون بالاحرى — اذا تحققت مفروضاتنا — لغة سامية جنوبية . مع هذا فيما يخص الموقع الجغرافي فان سينا هي على الحدود اللغوية حيث يفترق الفرع الشمالي والفرع الجنوبي من

اللغات السامية لذلك فمن الممكن ان يوجد في لهجة سرابيط شيئاً من مميزات الفرعين فتكون حينئذ نوعاً ما لغة تمر .

ترجمة النصوص اعتماداً على المبادئ التي فرضناها تبين لنا انهـا قد اعطت معنى مرضياً جداً . كما كنا نتوقعه في اللغـة لاحظنا التأثيرين الشمالي السامي والجنوبي السامي-لكن قد ظهر في التقويم الذي عملناه بان اسماء العلم والمفردات اللغوية تدل على التغلب العربي .

اذن لغة سرابيط هي لهجة شمالية عربيـة اثر فيها كثيراً الشمال السامي وعلى ما يظهر لم تكن فقط لغة سينا لكن ايضاً لغة شمال البلاد العربية حيث تنشأ بعد ذلك ممالك مصري - مديان وأدماتو .

هؤلاء عرب سينا هم الذين اخترعوا هذا الالفباء في منتصف الجيل السادس عشر قبل المسيح . هذا الالفباء هو اصل ما تبعه من الفباء عربي قبل الاسلام وعلى ما يبين قد انتشر في البلاد العربية شمالاً وجنوباً بواسطة ادلاء القوافـل العرب الذين كانوا في خدمة سرابيط

ا. ف. د. براندن

I

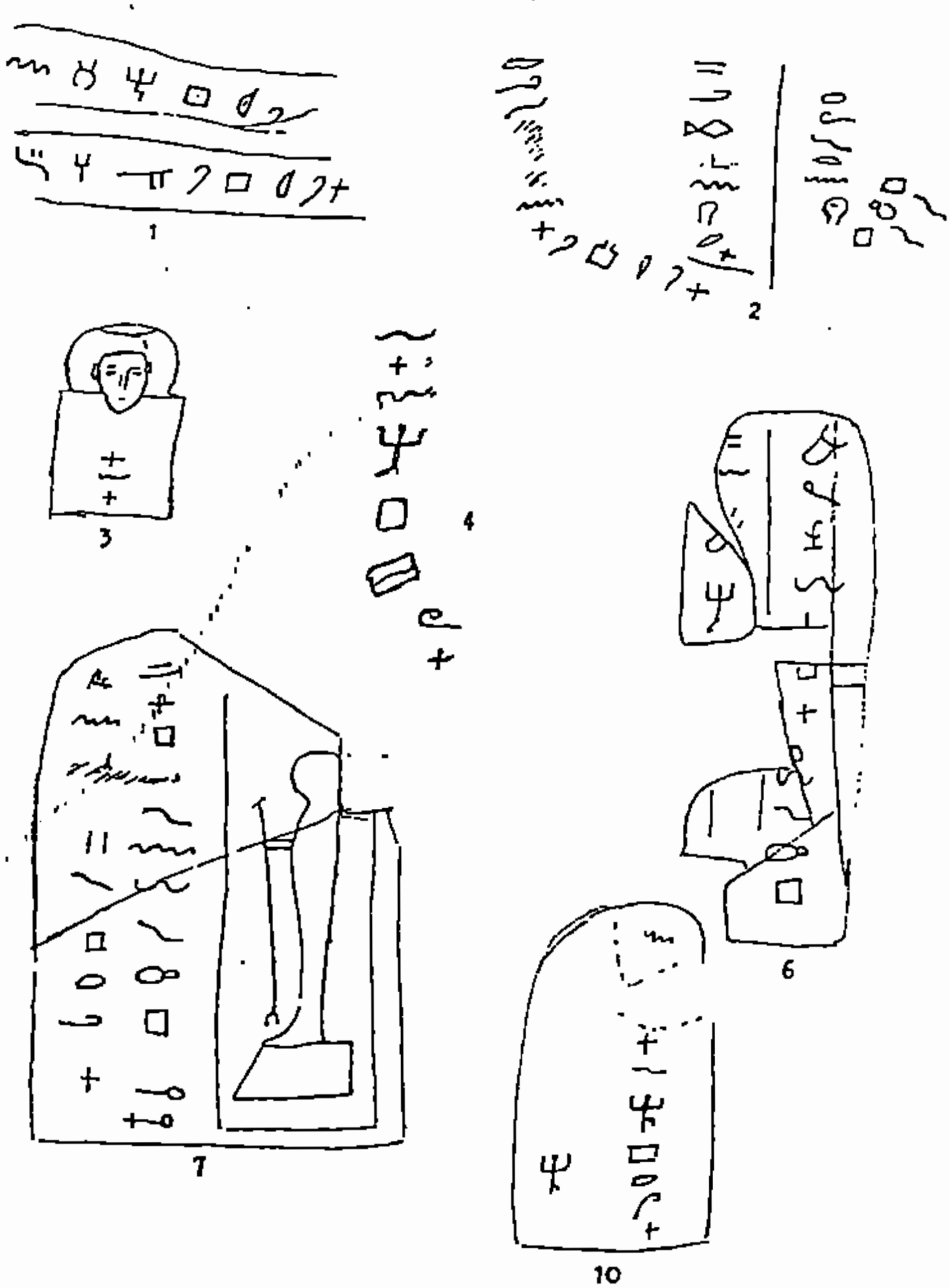

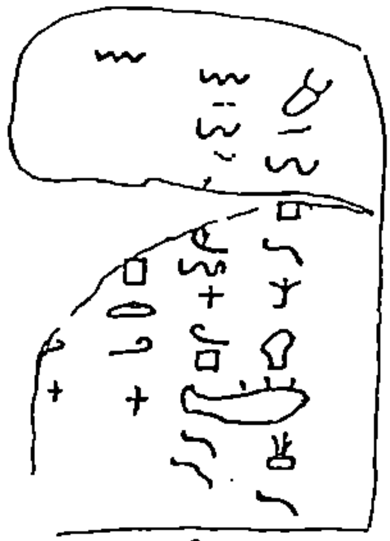

8

5

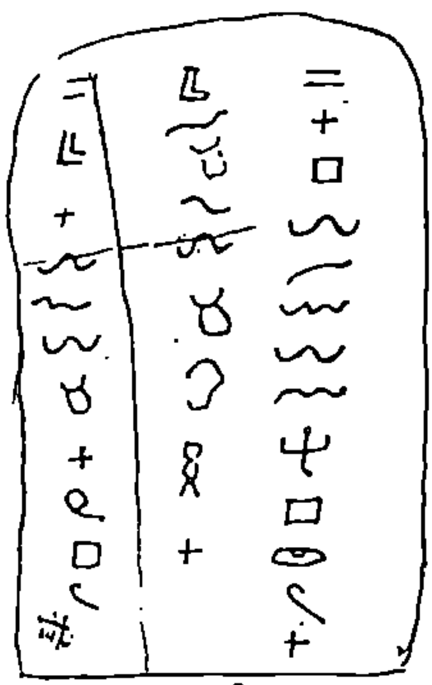

9

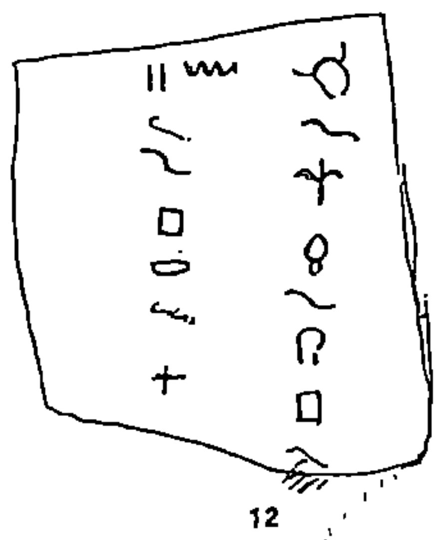

12

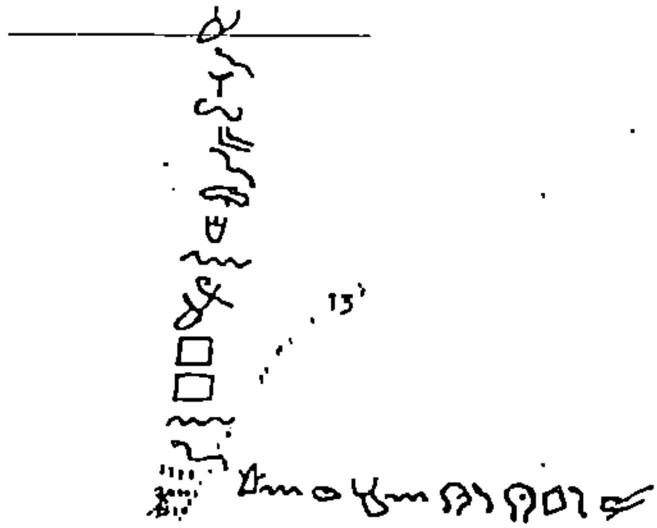

13

15

24

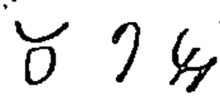

30

18

27

14

19

V

16 17

20 28

VI

21 22

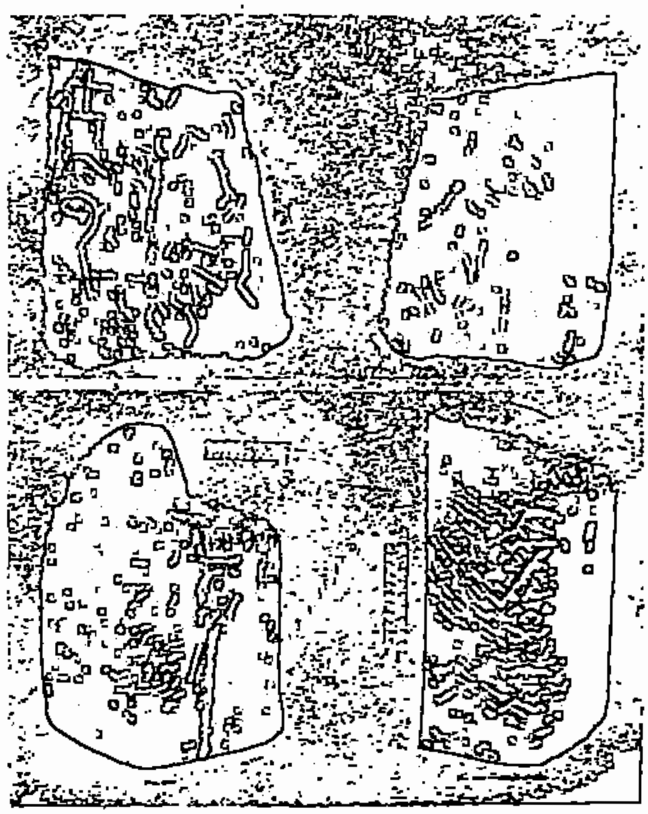

26

VII

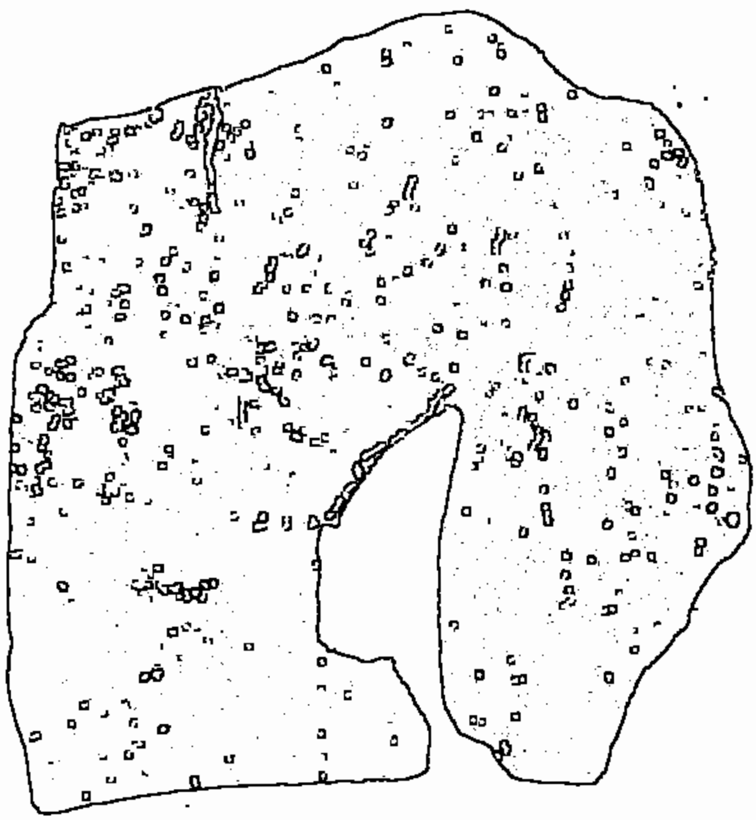

31

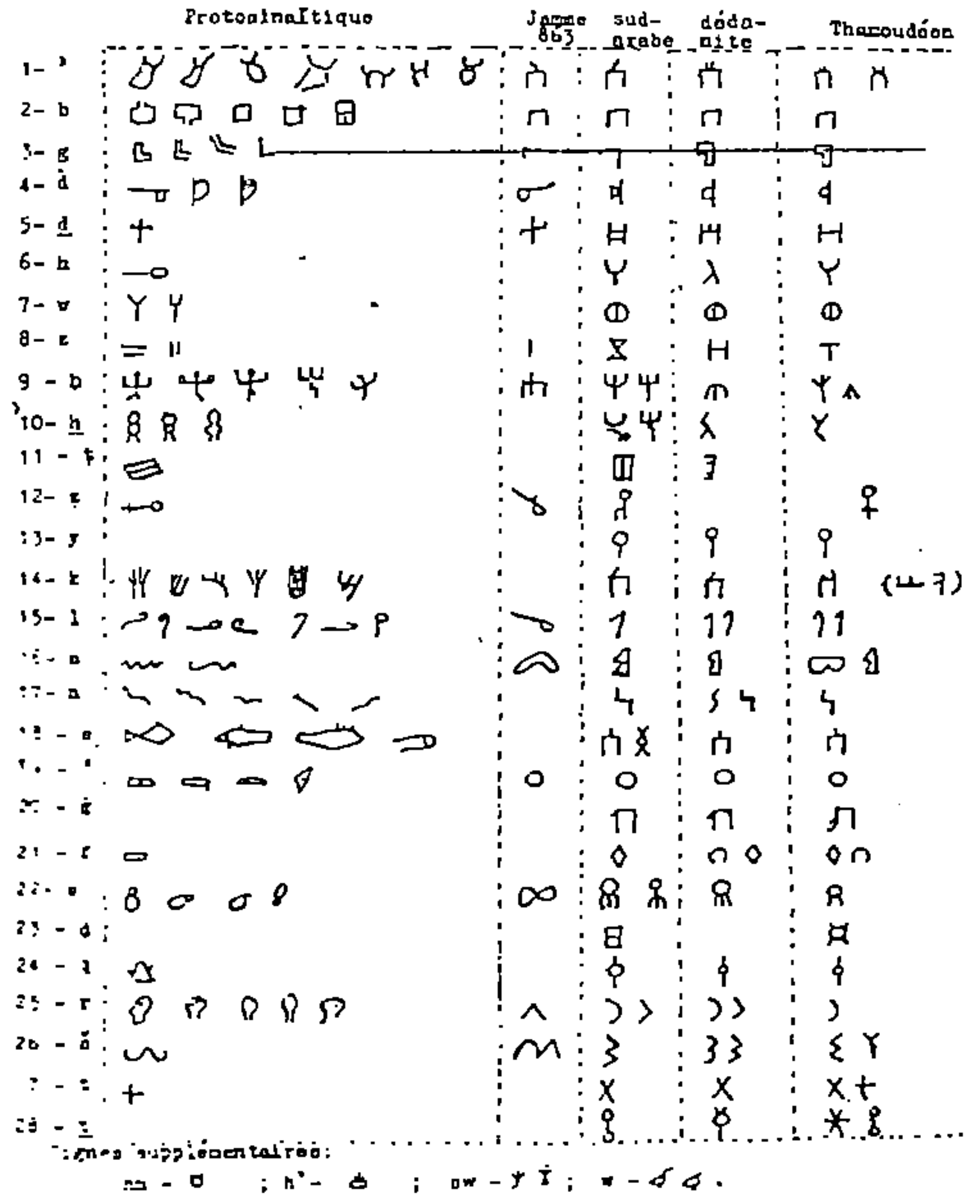
Protosinaïtique
Jamme 863
sud-arabe
dédanite
Thamoudéen
Signes supplémentaires :

تعريف عن الكتب

Georg Steindorf. — *Lehrbuch der Koptischen Grammatik.* In-8°, 16×24 cm. XVI-250 pp. — The University of Chigago Press 1951.

ناشر عدة آثار قبطية جورج ستيندورف كان منذ سنة ١٨٩٤ قد ابرز في السلسلة المعروفة « باب اللغات الشرقية » (Porta linguarum orientalum) موجز الصرف والنحو للغة القبطية وقد جدد بعد ذلك طبعه . ثم عند موته ١٩٤١ ترك تأليفاً اكمل كان قد انتهى من تنقيح نصه.

كان الناشرون الاميركيون من سكان شيكاغو قد صمموا على طبعه لا بلغة مؤلفه لكن مترجماً الى اللغة الانكليزية انما وفاة السيد كروم سنة ١٩٤٨ (واليه كانوا قد عهدوا بهذه المهمة الدقيقة) اضطرتهم الى العدول عن ذلك وهكذا قدم لنا هذا الكتاب مثلما كان انشأه ستيندور باللغة الالمانية .

هذا الكتاب هو مُعَدّ للعلماء. خصوصاً الذين يُعنون بالاطلاع على اسرار المخطوطات واوراق البردي المكتشفة والتي سوف تُكتشف . فليس اذن مثل مؤلفات اخرى من نوعه خصوصاً كتاب الاب مالون مخصصاً لدرس اللغة البُحيرية التي هي وحدها مستعملة في كتب العبادة . غاية كتاب ستيندور هي خلاصة تامة لكل لهجات اللغة القبطية فيما يخص اللفظ والصرف والنحو . وقد اتخذ كلهجة اساسية لا البحيرية لكن الصعيدية .

الى الاختصاصيين البارعين يعود بكل حق الحكم في قيمة هذا القرماطيق القبطي الجديد وفي اهمية جهوده في تقدم الدروس القبطية . ب. م

Stefan Strelcyn, *Prières magiques éthiopiennes pour délier les charmes (maftshe šsrag).* In-8°, LXXVI-496 pp. *Rocznik Orientalistyczni*, t. XVIII. Warsawa, 1955.

من اراد ان يعرف الانسان ليكون اكثر اهلية لمساعدته في اوهانه يجب عليه ان يعرف ايضاً ميله الى الغيب وزلاقاته في هذا المجال المظلم وبكلمة وجيزة ممارساته السحرية . نشر النصوص التي يستعملها السحرة وتباعهم هو الاول ضرورةً . وما ينشره اليوم ستيفن ستربلسين في هذا الجزء الثامن عشر

من R. O. هو نصوص من هذا النوع. هذا المؤلف قد قُبل في باريس كاطروحة لاجازة في الفرقة الرابعة من معهد الدروس العالية (السربون) سنة ١٩٥٠ وقد اكتمل البحث بادارة السيد كوهن. يضمن الكتاب اولًا مقدمة خطيرة بست وسبعين صفحة ثم النص والترجمة « المفتاح شراي » (ص ٣١١) يتبعها ملحقان (١١ صفحة) ثم فهرس بستة اقسام (١٥٨ ص) وقائمة كتب مجهزة (١٣ص).

اثيوبيا هي للسحر ارض مفضّلة « احدى البلاد التي فيها يوجد اكبر عدد من النصوص السحرية » (ص ١١) وهو قديم فيها وثبت فيها ونجح رغمًا عن تحريم الكنيسة المسيحية (وليس هذا كلمة وحسب) وعن الديانة الاسلامية.

المقدمة تعطي التوضيحات الضرورية . تقدر ان تقسم الكتابات السحرية الاثيوبية الى جزئين : اولها يتضمن النصوص التي فيها يظهر المغزى الديني جليًا وكانت تُعتبر اعتبار النصوص التعبدية : نوع من ذخائر السعادة دون تعيين احوال خصوصية . الثاني يتضمن تمائم مصنوعة لمقاومة بلية او مرض خصوصي وفي هذه التمائم العنصر السحري متفوّق . نصوص الصنف الاول درسها د. ليفشتز ونصوص الصنف الثاني وهي عديدة لم يدرس منها الا عدد قليل. ينوي المؤلف ان يسد هذا الخلال الكبير .

انتخب المؤلف مقتطفاً في مخطوط مكتبة الفاتيكان (نمرة ١٢٨) اعتبره جديرًا بتمثيل النوع (S. Grébaut et E. Tisserant, *Codices aethiopici Vaticani et Borgiain.* Cité du Vatican, 1935-1936, 2 volumes). في هذا المخطوط الاوراق ٢٣ ر° — ٩٨ ر° تحتوي ٦٢ قطعة « بانتا مفتحي شاراي » (اي : لاجل حلّ الرُقى) مكتوبة باللهجة الجئزية — و٢٧ وصفة ضد الرُقى : وصفات طبية — سحرية محرّر اكثرها باللهجة الامهرية .

الصلوات « مفتاحي شاراي » هي بحصر المعنى من السحر الدفاعي « السحر الابيض » لكن هذه الصلوات هي النص السحري الاثيوبي الوحيد ولربما ايضاً النص السحري الوحيد في الشرق الادنى وهو يؤلف موسومة حقيقية صغيرة « للسحر الاسود » (السحر المهاجم — وهذا من سبب كل الاحتياطات التي اتخذت في وضع هذه الصلوات حتى تكتسب قوة واقية عظمى وقد ألجئ المحرّر الى تعداد الاعمال السحرية الاعمال الكلية او الاعمال المصرّحة (لكي يحسن

ملاشاتها) وايضاً تعداد الوسائط التي يستخدمها السحرة او اصناف الاشخاص المرهوبين لقوتهم السحرية (خصوصاً الحدّاد والغريب) .

الجزء الاهم في تركيب صلاة « لحل الرُّقى » هي هذه الجملة : « حلّ وفرّق » « ذوّب وبدّد » فيما يخاطبون اما الله واما الاذية عينها مباشرةً . او الجملة الامرية « كن محلولاً . . . » او صور اخرى مختلفة ، لكن الى هذه العبارة يضاف عبارات اخرى مساعدة : اما بذكر حالات (مشابهات) مثلاً : إنقاذ يوسف (للعهد القديم) و « حلّ (تخليص) الرسولين القديس بطرس والقديس بولس (للعهد الجديد) . او بالحاق الفاظ سحرية بتسجيعات غريبة لا تفهم . او بمخطوطات رسوم سحرية حيث قد تدخل حروف خط زيدت في اطرافها حلقة صغيرة (« حروف بنظّارات » او « حروف ذات كُرى ») وقصارى القول بكل الاسلحة المضادة للسحر المؤذي . فترى اذن كل الفوائد التي تقدر ان تحصل عليها فيما يختص بالسحر من هذه الصلوات « مفتاحي شراي » .

نقّب المؤلف عن مصادر الاجزاء المختلفة التي منها تتركب هذه الصلوات « لاجل حلّ الرُّقى » . انها تتصل بالتقليد اليوناني الذي حسب مذهبه التوفيقي جمع ومزج سوية عناصر سامية (اثورية وآرامية ويهودية) مع اخرى يونانية ومصرية قبطية . في هذا التقليد اليوناني « المفتاحي شراي » تتميّز خصوصاً بانها جزء من الدور التعبرياني .

في النشرة يوجد المخطوط عينه بصور فوتوغرافية وهذا ما جعل ممكناً ان توضح في النشرة الرسوم السحرية والحروف ذات كُرى » . ازاء كل صفحة ترجمتها الى اللغة الفرنسية . اختيار المخطوطة الفاتيكانية ١٤٨ كان صائباً للغاية فانها كانت ولا بد مثالاً لساحر اخذوا عنه لصنع التمائم وقد توصل المؤلف الى معرفة من كان هـذا الساحر : ليس هو الا « البرامباراس » جيورغيس وهو يوناني من الايبير جاء الى اثيوبيا نحو سنة ١٨٦٥ : رجل مشهور مخاطر يتكلم اللغة الايطالية وبلا شك العربية ايضاً دخل الى الجندية وحاز فيها بدرجة « البرامباراس » وسريعاً صار « حكيماً » اي طبياً وساحراً . توفي سنة ١٩٢٦ . ومخطوطة الفاتكان ١٢٨ هي ولا بدّ التي اشتريت عنده او عند ابنه للسيد غريبو (ولمكتبة الفاتيكان) حين مكوثه في قاعدة اثيوبيا .

بنشر هذه المخطوطة ستيفن ‑سترلسين خدم خدمة عظيمة الدروس الاثيوبية فان الثمرة قد كلفته جهوداً كبيرة صلبة . بحوث دوتي وموشان قــد اتتنا سابقاً بعلومات عديدة عن السحر في افريقيا الشمالية . فيما يخص سوريا ولبنان في عصرنا لم ينشر الى اليوم في هذا الموضوع شيء بموجب معرفتنا . ج فولرس في بحثه الجيل « بلاد العلويين » (مدينة تور ١٩٤٠) لم يمس هــذا الموضوع والحال ان هذه البلاد غنية به . في سوريا ولبنان عوائد ظاهرة كثيرة تدل على اهتمام كبير بتجنب حمل « العين الشريرة » : قلادة لؤلؤ ازرق فاتح في عنق الاولاد (او الحيوانات) واللؤلؤ المثبت في شعر الاولاد ونعل الفرس فوق الباب والحذاء العتيق لحماية محوّط او كرم او بستان زيتون . لهذه العادة الظاهرة خفي يقابلها . لكننا ازاء موضوع لم يدرس بعد . ه. ف اليسوعي

The Political Quarterly. Special Number — *The Middle East.* Vol. 28,2, April-June 1957, pp. 101-208, London, Stevens a. Sons Ltd.

هذا العدد الخصوصي من المجلة — وموضوعه الشرق الادنى — يجمع ثماني مقالات لمؤلفين مختلفين يسبقهــا « عرض المسألة » دون اسم مؤلف بعنوان « ملاحظات وتأويلات » . اننا نجد فيه معاً مشهداً صريحاً لبلاد الشرق الادنى وحكماً في السياسة التي اتبعتها نحوها دول الغرب (ومنها الولايات المتحدة) وايعاز الى ما تكون سياسة بريطانيا العظمى في المستقبل .

تذكير للتاريخ يفتتح الكراسة : الشرق الادنى كان دائماً « مركز زوبعة » فيه ارتاضت اعمال انكلترا السلمية بالاغراء او بالقوة منذ اكثر من قرن . هذه ازمنة قد مضت . ومهمة اليوم هي فقط السهر على ترك الدول الجديدة بين بعضها بعض بموجب ارشادات جمية الدول المتحدة وعــلى وقايتها من نفوذ السوفيات . . .

التفتيش الاهم في الحاضر يختص بمصر وبتركيا وهو يحاول تحديد مكانتهما في ميدان السياسة الدولي . انه يصف بالجنون عمل السير انطوني ايدن (ص١٠٥) وايلي كيدوري يرذل سياسة الجامعة العربية وميراث لورنس (Panarabism and British policy) من الجهة الفنية الدفاعية نظراً الى « الحرب الباردة » والى الحرب معاهدةُ بغداد تجمع تركيا وايران وهما (مع اسرائيل) سند مكين .

من اراد اشراك البلاد العربية فيها بتقديم السلاح اراد البناء على الرمل. المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الزيت ولا يمكن حلها بتسليم الاستثمار الى هيئة دولية لكن يجب البت فيهـا باتفاقات بين دولة ودولة . اما وضع اسرائيل (ومستقبلها يقلق كلًا من المؤلفين) فقد وصفه السيد اوروان صموئيل (Israil and and the Arab States) وصف يائس . ب. م.

Sœur Marie-Aline de Sion — *La forteresse Antonia à Jérusalem et la question du prétoire*. (Thèse principale pour le doctorat ès-lettres). Gr. 8°, XIII, 304 pp., 76 pl. Jérusalem, Typogr. des PP. Franciscains, en vente au Couvent de l'Ecce Homo, mai 1955.

. موضع دار الولاية الذي فيه حضر المسيح امـام بيلاطس هو الى اليوم موضوع جدال عند العلماء . ان مجلة الكتاب المقدس « La Revue Biblique » لسنة ١٩٥٢ قد شاهدت مطين من المدرسة الكتابية والآثارية يتجادلان بكل لطافة في هذا الخصوص . فالاب فنسان المحترم وهو قديم في التفتيش عن ارض اورشليم يضع دار الولاية المتحدة في البلاط — الحصن الذي كان هيرودس قد شيّده في الزاوية الشمالية — القريبة من ساحة الهيكل في الانطونيا . اما الاب بنوا المحترم— معتمداً خاصةً على النصوص— فيضعه بالاحرى في بلاط هيرودس الآخر الكائن في المدينة العليا .

هل نرى يوماً حفريات في موقع هذا البلاط الاخير تعطينا معلومات أثارية نقدر ان نستفيد منها لبحث المسألة . الآن ليس لدينا منها شيء . وبالعكس هوذا الانطونيا تخرج من دمارهـا — هوذا اسها الذي يكشف عن تأسيسها في الصخر وطريقة سحب مياه البلاط وتبليط الدار المركزيـة مع « طاولات الالعاب » وتنسيق واجهتها الهندسي وأخيرا رسوم وتمثيل متفقة مع « رسم الانطونيا الصحيح بحسب الاب فنسان » .

هذه هي نتيجة الحفريات التي باشرت بها سنة ١٩٣١ الام مـاري غودلين راهبة من رهبانية صهيون ولا تزال تتبعها والتفتيشات التي تقوم بها الاخت ماري آلين من رهبانية صهيون صاحبة الاطروحة التي نفصّلها . عندمـا سنة ١٨٥٥ ابتاع الاب ماري— الفونس راتيسبون تحتية « هوذا الرجل » مع كوم الانقاض

المجاورة لها من جهة الشمال لم يتصور اهمية موقع حيث يقف اليوم زوار الاراضي المقدسة متأملين في تاؤوس « الليتستروتوس » . . .

الاخت ماري ألين تكلمت عن الانطونيا في الجزء الاكبر من كتابها وهو يتميز بجدّته ووضوحه واتقانه . رغماً عن الردم التام الذي اصاب الحصن بعد حصار السنة السبعين. الحرب التي كشفت عنها الحفريات تمكننا من مقابلات مفيدة مع ابنية لهيرودس اخرى حتى ومع هندسة قديمة في سورية . فحص « الطاولات الالعابية » « Lusoriae tabulae » في الليتستروتوس مع « لعب الملك » و « le Jeu du Roi » سوف يلفت ايضاً انتباه علماء الآثار . الرسوم التصويرية الممدة لها هي مفيدة وجيدة .

في الجزء الثالث « الانطونيا ومسألة دار الولاية » المعلومات التاريخية وقصص الآلام ووصف مواقعها هي مقابلة مع الرسوم الآثارية ومع التقاليد . شهادتها تطابق بسهولة قصص الاناجيل . اننا لا نجد فيها اليقين لكنها تقدم لنا اثباتات ملتمسة بخصوص موقع دار الولاية الذي يتكلم عنها الانجيل في الانطونيا .

ر . م .

Histoire du Commerce de Marseille — Index des tomes I,II,III,IV, V. — De 1660 à 1789, *Le Levant* par R. Paris. In-8°, 237 pp. Paris, Plon 1956 ; VI-628 pp. : 4 pl. ; 22 cartes et graphiques ; ibid. 1957.

ان السيد روبير باريس يقدم لنا تأليفاً جميلاً بالحقيقة . كيف يكون تصنيف اتجاهاته المختلفة وكثرة معلوماته : برأينا ان المؤلف قد قام بهذا التصنيف احسن قيام .

يبدأ بالكلام عن متجرة المدينة . يلزمها الحصول على امتياز البيع والشراء مع الاساكل وبلاد البربر : وهذا تمنحها ايام براءة ١٦٦٩ . يلزمها ايضاً تجهيز شركة ملاحة واقامة علاقات حسنة مع الاتراك وكانت في ذلك رهينة سياسة بلادها . ثم تجديد الامتيازات ومداخلات السفراء : فيلنوف ونوانتيل . . . هذا هو موضوع الجزء الاول : « تجارة الاساكل في مرسيليا » .

في الجزء الثاني تقدم لنا الملاحة : « النقلات » ووصف المراكب والفيف المسافرين في البحر والشحنات والاخطار من العواصف والقراصنة .

في الجزئين التابعين ها نحن في نهاية السفر في الاساكل : اولًا تعريف هذه الصحبة الخفية اي تجار مرسيليا ثم الشعب الفرنسي ثم في الاساكل: حياة الشعب والحياة الاجتماعية والحياة الدينية وحياه الاشغال. ثم درس بلاد شتى الاساكل: مصر وسوريا وازمير والقسطنطينية .

اخيرًا جزء خامس يتكلم عن « حركة المقايضات » : اصناف بضائع المقايضات : نقل الواردات والصادرات : نمّو المقايضات ثم تقاويم .

حياة شعب خصوصي تنتمش في هذه الصفحات وتفاصيل الحرفة ولغتها الخاصة تعطيها عذوبة ولذة . حسب رجاء السيد غستون راميير في المقدمة سوف يستفيد من هذه المعلومات لا العلماء فقط بل : كل انسان متأدب ايضاً لن يتصفح التأليف الا بتأن ولذة .

مع هذا المجلد الخامس ظهر آخر فيه فهارس الاربعة مجلدات الاولى: وهو اداة ثمينة سوف يقدرها الجميع : اهل مرسيليا واكس واقليمها للاستعلام عن العائلة والاصل والتجار ثم المؤرخون والبحّارة لاتمام مــا يتطلبه من تفتيش الاختصاص والفن .

هـ. ش

P. BÉARN — *A la conquête de la mer.* — 1 vol. 20/13 c. — 125 pp. — Coll. « La joie de connaître » — Paris, éd. Bourrelier, 1956.

موضوع واسع كتاريخ الملاحة لا يوجز في كتاب لا تزيد صفحاتــه الا قليلًا على المئة . لقد التزم المؤلف ولا بد جهودًا يُشكر عليها لكي يتوصل الى اتمام هذا العمل العسير وقد اصاب الهدف الذي فرضه عليه نشر كتابه في مجموعة واسعة الابراز اسمها « فرح المعرفة » وانه قد اتحفنا بكتاب لذيذ المطالعة حيث جمهور من القراء والشباب خصوصاً يجدون مدوّنة بنوع جلي فتأن صفحة هي ولا بد من اعجب صفحات دهاء الانسان وجراءته مدة اجيال طويلة .

لا يجدر بعلماء الآثار القديمة وسائر اختصاصيّي التاريخ القديم التشكي من المؤلف وهو ملاح لانه نظر الى مشاكل « التريار » التربية وسائر المراكب الحربية القديمة ومشكلة دورات الفينيقيين البحرية نظرة ملاح قد يكون استعجل بحلها حلًا نهائياً . في هذا ايضاً لا بد ان ضرورة الاختصار المفرط قد ضايقته.

تأسف جداً لنقصان لا تصعب ازالته في طبعة اخرى نجده ايضاً في غيره من مؤلفات المجموعة . ليتها تقدم لقرائها الاكثر انتفاعاً وانتباهاً في قائمة قصيرة بياناً بنخبة كتب اكثر توسعاً في الموضوع فهي بذلك تجعل منفعة موجزاتها اعظم .

بولس موترد اليسوعي

Monseigneur Joseph Nasrallah — *Marie dans la Sainte et divine liturgie byzantine*. Nouvelles éditions latines. — Paris. 1955 — 107 pp.

ينقسم الكتاب الى جزئين : يحتوي الاول بحثاً في منزلة مريم في فن الايقونات في المعابد . الجزء الثاني يبحث عن منزلتهـا في الطقس الالهي . قيمة هذا الكتيب هي خصوصاً بغزارة اسانيده ودقة شروحه وجمال نخبة تصاويره والصلوات البيزنطية التي يحتويه . . . في هذه الصلوات تتراءى العقائد ويتحد الايمان والقلب المسيحي وروح التقاليد وهذا يجعلها طرفة من نوعها . اكثر هذه الصلوات مختصة بالكنيستين اليونانية الكاثوليكية والمنشقة معاً . ليت العذراء التي تصغي بعطف الى هذه الصلوات تعيد قريباً الى الوحدة الاخوية التامة القلوب التي فرقتها ظروف تاريخية شتى ثم اثبت الدهر والغايات هـذا افتراق الاخوة الاليم. نور المسيح ونعمته وشفاعة امه هي لرجائنا الأس الوطيد.

مؤلف الكتاب معروف من قبل بنشراته عن الكنيسة الشرقية وقد اظهر هذا الكتاب ايضاً مقدرته في هذا الموضوع. الاب ع . خ .

من لا شيء

بقلم خليل رامز سركيس

منشورات الندوة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ١٦١ صفحة قطع وسط

اذا اخذ الانسان بالتفكر تفكراً حراً بعيداً عن سابق حكم لا بد ان يضع اسس الحياة الانسانية على صخرة المبادئ الراسخة مبادئ الايمان. من هذه المبادئ تصدر الشجاعة والصلاح الذي لا ييأس وادراك حقيقة الامور .

في مقالة الكتاب الاولى يتكلم المؤلف عن الايمان ولا يتردد في التأكيد بانه دون الايمان لا قيمة لشيء. وان الانسان دون الله ليس له قط من يستند اليه.

في مقالات الكتاب الاخرى عندما يكلمنا المؤلف عن الرجل الفلاني او

الفلاني من رجال الادب وبنوع اخص عن ابيه مُطنباً في الصفات الانسانية التي اتصفوا بها نلاحظ جلياً ارتباطاً متيناً بين هذه الفصول والفصل الاول الذي يعطي الكتاب كله اتجاهه. في الفصل الاول المبدأ الذي عليه يرتكز الكتاب. في هذا قيمة الكتاب الجوهرية، في هذه الافكار العالية يعبر عنها انشاء واضح صحيح يزيد في لذة قراءتها وسهولة قبولها . وللكتاب اتقان الطبع والهيئة الجذابة مما يدعو الى مطالعته والتمعن في افكاره . ا. ع. خ.

ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية

بقلم الاستاذ جورج صيدح

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦ — مطبعة الرسالة — مصر — ٣١٨ صفحة قطع كبير

الادب عند المهاجرين مأثرة جميلة. قدم المهاجرون الى بلاد غربتهم وانصبّوا على العمل للحياة وكسب الثروة دون ان يهملوا لغتهم الاصلية بل انهم قد بالغوا في الاهتمام بها .

عندنا هنا بحث جميل وهو يمتاز خصوصاً بذكر عدد من ادباء المهجر لا يعرفهم الا قليلون وهو غزير ملذّ في ما يعطيه هنا وهناك من مواضيع يدرسها واحساسات يحللها وتنوّع الاوزان الشعرية التي يعرضها . والمؤلف يتوقف احياناً لمقابلة الادب عند المهاجرين مع الادب عند المقيمين منقباً عن الافضل بينهما . كثيرون هم الذين انتقدوا المهاجرين وعابوهم لغلطات صدرت منهم او الجهل لكن المؤلف يدافع عنهم وبصواب ويثبت بان هذه المجادلات هي دون فائدة لان المهاجرين كالمقيمين قد خدموا اللغة العربية لغة الثقافة .

في الجزء الاول من الكتاب يتكلم المؤلف عن ميزات ادب المهاجرين ويصفه قائلاً بانه يندفق من اعماق نفس متأملة واثقة. مع مجاهدتهم في العمل للحياة والتوصل من العسر الى اليسر انهم لم يكتفوا بالمحافظة على الحنين الى وطنهم بل تمكنوا ايضاً من التعبير عن مواقف جديدة وافكار شتى لم تكن من قبل مواقفهم وافكارهم.

يتميز ادب المهاجرين بطابعه العاطفي وطابعه الروحاني والتأملي والاخلاقي كما بالطابع الواقعي والقومي واخيراً بالطابع الانساني . ثم ان ما اخذه الادباء المهاجرون من الادب الغربي قد اغنى لغتهم العربية واثّر في تآليفهم

فتميزت بصفات خصوصية وانا رأينا منهم من كتبوا سواء باللغتين العربيـة والانكليزية فأغنوا هكذا الادب الانكليزي نثراً وشعراً وتاريخاً .

في الجزء الثاني من الكتاب يتكلم المؤلف عن عدة من هؤلاء. ويعطي لبحثه عن كل منهم مجالاً اكبر او اصغر حسب اهمية الدور الذي قام به في تآليفه او في اندية العالم الجديد الادبية وقد اعطانا من كتاباتهم مقاطع كثيرة تشهد بصحة آرائه فيهم واننا نرى هذه الآراء صوابية اذ نقرأ ما يعرض علينا من كتاباتهم . لكن المؤلف في حكمه فيهم يسكت عن كفرانهم بالله والديانة بل يمتدحـه . كان يجب على الاقل ان يمتنع من الحكم في هذا الصدد فيمكننا نحن ايضاً ان نسكت عنه فان جميع المؤلفين الذي يتكلم عنهم الا العدد القليل، من امين الريحاني الى حسني عبد الملك وجبران ونعيمه قد عاشوا في ذلك العصر في التمرّد السرّي او العلني على الكنيسة وسلطانها ورسومها. . .

لمطالعة هذا الكتاب فوائد جمة للمعلومات الوافرة التي يحتويها. ويطيب لنا ان نرى المؤلف يمتدح باعجاب ادب المهاجرين دون انكار ما فيه من نقص . لكن حكمه هو صوابي . ا. ع. خ

صوت الغائب

بقلم خليل رامز سركيس

منشورات الندوة اللبنانية – بيروت – ١٩٥٦ – ١٥ صفحة قطع كبير

يلزم لمن يتحدث عن ميشال شيحا روح شبيهة بروحه . انه ما كان يبحث في موضوع الا مسترشداً شعوره الديني وما كان يدرس مشكلة الا بنور الابدية . عاش ميشال شيحا شريفاً مستقيماً . كان عزوما وكان ايمانه وتمسكه باليقين يثبّته في مواقفه لا تزعزعه النظريات المادية وظروف الحياة المتغيّرة. كان ينظر الى ما يدوم ويعمل له دون اعباء بما هو زائل . وقد مثّل دوره بثبات ونجاح. وقد تكلمنا عن هذا باسهاب في العدد الذي خصّته به مجلة الحكمة (١٩٥٦).

ان السيد خليل رامز سركيس بلغة جميلة دقيقة جامعة عرض علينا خواطر شيحا وآراءه مجلاء وامانة . اننا نشكر له عمله ونثني على جهوده . وانه قد اثبت لنا بما كتب جدارة اللغة العربية على تعبير دقائق المعاني كاللغات الاوروبية.

في مقدمة هذا الكتيب ذكر السيد ميشال اسمر كل ما لبنان هو مديون به لفقيدنا ميشال شيحا الذي خطفه منا الموت قبل الاوان . ا.ع.خ

نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية

بقلم الخوري منصور الحتوني

نشرها يوسف ابراهيم يزبك – بيروت ١٩٥٦ – ٣٠٩ صفحات

لبنان في كل العصور لم يُحرم من المؤرخين الذين كتبوا عنه . اراد السيد يزبك باعادة طبع تاريخ كسروان كما يفعل ذلك ايضاً في «اوراق لبنانية» ان يتحفنا بنص له اهميته. وقد قام بجدارة في نشره لكننا نأسف لتنقيحه النص الاصلي وحذف جزء منه خوفاً من حدوث مجادلات بين ابناء وطن واحد . أفنمدحه لمثله هذا؟ كنا نفضّل ان يُعاد لنا النص بحرفيته . فدور الناشر ان ينوّه بلاحظاته دون ان يمس لغة المخطوط . فهواة اللغة يريدون ان يدرسوها في جيلها وكتب ذلك الجيل . وعلى المؤرخ ان لا يقلل من روعة الحوادث ورهبتها . هذا واننا لا نشك قط في حسن نية السيد يزبك وقد خدم لبنان بجرأة كبيرة في « اوراق لبنانية » . ا.ع.خ

إحياء الجبر – درس لكتاب الخوارزمي في « الجبر والمقابلة »

بقلم عادل انبوبا

منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات الرياضية ١ – بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٥ – ٢٨ صفحة حجم كبير

يطيب لنا الثناء على الجامعة اللبنانية لما تبديه من نشاط في تنظيم اعمالها ونشراتها. وقد احسنت بتفويض درس هذا الكتاب وتحليله الى الاستاذ عادل انبوبا فقد اجاد.

بعد ان عرض الاستاذ موضوع البحث والتحليل والطريقة المتبعة ادخل القارئ شيئاً فشيئاً وبسهولة الى كنه الموضوع وفي كلامه عن اهمية كتاب الخوارزمي بيّن جلياً مبلغ تقدم العلوم وانتشارها عند العرب وهذا امر قلما يتكلم عنه التاريخ.

نعرض على الاستاذ امنية تحدثنا احياناً عنها وهي ان يهم بتأليف كتاب فيه يجمع الاصطلاحات العلمية والحسابية فان الحاجة اليه لا تُنكر . فانه ان فعل يكون قد خدم اللغة العربية خدمة جُلّى وبذلك يكون قد خدم البلاد ايضاً . ا.ع.خ

المشرق

السنة الثانية والخمسون — تموز – ت١ ١٩٥٨

رسالة عمرو بن بحر الجاحظ

في الحكمين وتصويب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في فعله

تحقيق ش. بلّات

[ظ ١٧٨] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده[1]

١ — وفّقك الله للسلامة والتقية، وأعزّك بالحقّ، وختم لك بالسعادة، وجعل لك من عليك واعظاً ورقيباً [و]من نفسك سامعاً ومُطيعاً؛ وجعل لك مع حزمك نصيباً من التوكّل، ومع توكُّلك حظّاً من التحذُّر، حتى تقبل إذنه في الحَذَر وتطيع أمره في التوكُّل؛ قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

١) كتب هنا احد القراء : لعن الله معاوية وشيعته .

« اعقِلها وتوكّلْ »[١] ، فجمع بين الأمرين وسوّى بين الوصيّتين ؛ وقال صلى الله عليه وسلم : « أبلِ الله من نفسك عُذرًا ، فإذا أعجزك أمرٌ فقُل : الله حسبي »[٢] ؛ قال أبو عبيدة ابن الجرّاح لعمر بن الخطّـاب حين خاف طواعين الشام فانكفأ راجعاً إلى المدينة : « أتفرّ من قدَر الله ؟ » — قال : « نعم ، إلى قدر الله ! »[٣] ؛ وقال له سعيد بن جرير[٤] : « قم ، أينفع الحذر من القدر ؟ » — فقال : « لسنا ممّا هناك في شيء ؛ إنّ الله لا يأمر بما لا ينفع ولا ينهى عمّا لا يضرّ » .

٢ — وقد كنتُ حذّرتُك ، يا ابن حسّان ، أمورًا ، فكأني أغريتُك بها ، وآنستُك بأمور ، فكأني أوحشتُك منها ؛ وكنتُ لا أظنّ بك من النقصان إلا ما كان عن بلوغ الكمال ، ولا من التقصير إلّا ما كان عن التفضّل ، ولا من تضييع الرأي إلا ما أمكن من استدراكه قبل الفوت ، ولا من نكوب ما لا يبلغ الكثير إلا ما لا يبقى الندم ، ولا من النسيان إلّا ما لا يمنع من سرعة الانتباه ، ولا من السآمة إلّا ما لا يقرّب من المعجزة ، ولا من الحميّة إلا ما لا يخلط العصبيّة ، ولا من التنافس إلّا ما باعد عن التحاسد ؛ وكنتَ عندي، إن لم تكن مع العلية ، فلم[٥] تنحطّ عن الأوساط إلى السفلة ، وإن رضيتَ بمجال المتفضلين ، لم ترضَ إلّا أن تكون مع المنصفين ، وإن لم تكن غنياً[٦] لمخالفيك عند مناظرتهم لك ، ورائدًا لموافقيك عند استعانتهم بك ، وآلةً لمن استملى منك ، ومفزعاً لمن سمع إليك ، وحِرزًا لأسرار خصمك[٧] وحائطاً من وراء مَن ذهب من الناس عنك ، لم[٨] تكن عندي بمخوف على ما انتهى إليّ من خبرك ولا على ما حكاه مَن لا يُتّهم على مودّتك .

٣ — عتبتُ عليك في مجادلة الرافضة ، فأعتبتَني بمماراة الغالية ، وأنكرتُ

---

١) راجع البخلاء (الحاجري) ، ١٧٥ ؛ اعتلها أي الناقة .
٢) في البخلاء ، ١٧٥ : ابل الله عذرا . . . فقل : حسبي الله .
٣) راجع البخلاء ، ١٧٥ .
٤) كذا في الاصل ولعله سعيد بن جبير .
٥) خط : فلن .
٦) خط : غيا ، وليس له وجه فلعل الصواب ما اثبت .
٧) خط : حصك .
٨) خط : ولم .

منك مقارنة الخوارج ، فاردفتَ ذلك بمساعة النوابت ، حين زعمتَ في جواب مسألة النابتيّ أنّ عليًّا[1] كان أحقَّ بالإمامة من معاوية ، وزعمتَ في[2] جواب الخارجيّ أنّ رضاه كان هفوةً منه ومكيدةً من عدوّه ، إلّا أنّها الهفوة التي لا تبلغ الضّلال والتهمة التي لا تفسد الحكم والنقصان الذي لا يكمل معه حل[3] العقد والتضييع الذي لا ينقض معه العهد .

٤ — ثمّ قطعتَ الشهادة وأوجبتَ الحكومة أنّ عليًّا قال عند موته وأقرّ عند زلله :

إنّي عثرتُ عثرةً لا تَنجبِرْ سوف أكيس بعدها وأستمِرْ
وأجمعُ الرأيَ الشتيتَ المنتشِرْ[4]

ثمّ قضيتَ بعد قطع الشهادة والحكم على غائب الفعل بأنه لم يعنِ بذلك القول إلّا الرضى بالحَكَمَيْن ، وجزمتَ على أنّه لا تأويلَ لذلك القول إلّا ما ذهبتَ إليه ولا معنى له إلّا ما قضيتَ به .

٥ — فأجمع الآن بالك في الاستماع للحقّ كما جمعتَ بالك في الاجترام على الباطل ، وفرّغ قلبك لما أنا واصفه لك ومقرّبه من عقلك ؛ فإن أعجزك الفهم فليس يُعجزك [و ١٧٩] التفهّم ، وأوّل منازل الإنصاف حسنُ التثبّت ، ونعمَ الرائد التفهّم ونعمَ العون حبُّ الإنصاف ! وقال يزيد بن المهلّب : « هذا ابن الأشعث غلب على النصر فغُلب على الصبر » ؛ فاحذر أن يُقال : « هذا ابن حسّان غلب على العلم فغُلب على التعلّم ! » ؛ وقد قال عامر بن عبد القيس : « الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان »[5] .

٦ — وقد علم أني شديد الحبّ إلى رشادك ، حريصٌ على هدايتك ، وانا

---

1) كلما ورد اسم علي بن ابي طالب اردفه الناسخ بالصيغ المتداولة بين الشيعة مثل : عليه السلام ، صلوات الله عليه الخ ؛ فحذفناها .
2) خط : من .
3) خط : محل .
4) في هذه المسألة راجع شرح نهج البلاغة ، ٢ : ٢٦٢
5) انظر البيان ، ط . هارون ، ١ : ٨٣–٨٤ ، والحيوان ، ٤ : ٢١٠

بعد ذلك كله أسأل الله أن يديم لك العصمة وأن يوفقك للمرفة ؛ وقد قال بعض العلماء : « لا تستجيب إلّا لمخلص أو مظلوم » ؛ فأما نيّتي في تبصرتك بابَ الرشد من الغيّ فقد تقدّم القول مني فيها بما سمعتَ ؛ وأمّا الظلم فمَن أظلم لصديقه ممّن أفسد نفسه عليه ، ومَن أجوَرُ على وليّه ممّن دان بدين عدوه ؟ ومن التوفير على حظّ هذا الكتاب من الافهام وعلى حظّك من التفهّم أن لا يهذّه القارئ هذًا ولا ينثر كلامه نثرًا ، فلا يكون نصيب السمع منه إلّا صدى الصوت ولا حظّ العقل منه إلّا استحسان التأليف[1] ؛ فعليك بالتوقّف وحده[2] بالترسّل والتثبّت مع تفريغ البال ونفي الاشغال ومع الاحتراس من دبيب الهوى وفراغ المنشإ .

٧ — خبّرني أيّ شيء نعتَ[3] لعليّ بن أبي طالب من الفضل ، وأيّ شيء نعتَ[3] على معاوية من النقص حتّى وضعتَ الخيار بينهما وأقررتَ الشبهة في أمرهما من غير إكراه ولا حلال عُذر ؟ فمن أعجز رأياً ممّن زعم [أنّ ....] أفضل من عمرة[4] وأنّ سحبان أخطب من باقل ، وأنّ زيادًا أدهى من هَبَنَّقَة[5] ، وأنّ أبا ذرّ أصدق من مُسيلمة ، وأنّ الجالينوس[6] أطبّ من أبي دينار[7] ! وهل ذلك إلّا في مجرى مَن قال : « أيّما أصدق : المسيح ابن مريم أو المسيح الدجّال ؟ » ، وهل ذلك إلّا كقول القائل : « أيّما أحلى : العسل أم الخلّ ؟ » وليس للخلّ حظّ في الحلاوة .

٨ — قلنا — فكيف تزعم أنّ عليًّا أولى بالإمامة من معاوية وليس لمعاوية في الإمامة حظّ ؟ ولقد عجبتُ فطال تعجّبي وشنّعتُ فاشتدّ تشنيعي على النجاشيّ[8] حيث يقول بفخره على معاوية بعليّ :

١) خط : للتبار .
٢) كذا في الأصل ، ولعله : واحدُه (اقتراح محمد الطالبي) .
٣) كذا في الاصل ولعله : نفيت بمعنى وجدت .
٤) كذا في الاصل وقد سقط اسم مَن يضرب به المثل في الفضل .
٥) يضرب به المثل في الحمق ؛ راجع الميداني ١ : ٢٢٧ .
٦) كذا بالالف واللام .
٧) انظر البيان ، ٤ : ١٥ .
٨) هو النجاشي الشاعر ؛ راجع شرح نهج البلاغة ، ١ : ٣٦٦-٣٦٨ .

نِعْمَ الفتى أنتَ، إلّا أنَّ بَيْنَكُما كما تفاضَلَ ضَوءُ الشمسِ والقمرِ[1]

فمن هذا الذي يقرّ بأنه ليس بين عليّ ومعاوية في الفضيلة واستحقاق الإمامة إلّا بقدر ما بين الشمس والقمر ؟ بل نجعل لمعاوية في ذلك حظّاً ونصيباً ، إلا أن نريد مزيد الفرق بين هاشم وعبد شمس ، وبين عبد المطّلب وحرب ، وأبي طالب وأبي سفيان ؛ ونذهب إلى البيان والفصاحة ، والفصاحة ممّا قد يتفاضل فيه البرّ والفاجر ويتساوى فيه الجاهليّ والإسلاميّ ؛ وإن أردتَ معرفة ذلك فانظر في كتابي الذي فرقتُ فيه بين قبائل قريش وميّزتُ فيه بني عبد مَناف وبيّنتُ فيه من فضل هاشم وأظهرتُ فيه جَمال عبد المطّلب[2] .

٩ — أوَ لستَ ، يا ابن حسّان ، قد أطمعته في التمثيل بينهما وأقررتَ بالحاجة إلى تمييز حاليهما ، وقد علمنا أنّ الله — تعالى قدره — قد قال : ﴿ قُلْ أيُّ شيءٍ أكبرُ شهادةً قلِ اللهُ ﴾[3] ؛ وقال : ﴿ أذلكَ خيرٌ أم جنّةُ الخُلدِ التي وُعِدَ المتّقونَ ﴾[4] ؛ وليس ذلك في موضع الخيار وتمييز الحال من الحال ولا على الموازنة بين أتمّ الخيرين ؛ فلو اد اىعا[5] الله قلتُ مقالة تسير مع الركبان اردها[6] بعليّ ؛ وإن الرّبيع بن زياد قال :

عُمارة الوهّاب خيرٌ من علىٍّ وزرعة الفـا (؟) شرٌّ من أنس

وأنا خيرٌ منـك يا قنب القَرَس[7]

١٠ — وإنما هذا على معنى قول عليّ لأجناده ، وكخطبته على أصحابه عند استبطائه إيّاهم وتأنيبه لهم : «أبدلني الله بكم مَن هو خير لي منكم وأبدلكم بي مَن هو شرّ لكم منّي»[8] ؛ والكلمة تكون جواباً فتدلّ على معنى ، ثمّ

١) البيت في الشعر والشعراء ، ٢٩١ (ضوء الشمس) .
٢) راجع *Arabica* ، ١٩٥٦/٣ ، رقم ٢ ، ٥٢ : ١٤٤ .
٣) سورة الانعام ، ٦ : ١٩ .
٤) سورة الفرقان ، ٢٥ : ١٥ .
٥) كذا في الاصل ولعله : فلولا اتقاء الله .
٦) كذا في الاصل ولعله : افردها .
٧) خط : الفحرس .
٨) راجع شرح نهج البلاغة ، ٢ : ٤١ وادناه ، ٥٥ .

تكون ابتداء فتدلّ على خلاف ذلك المعنى، وتدور دلالتها مع ظاهر الحالات على قدر ما يسبق من الحالات حتى تكون الكلمة كفرًا في حال وإيمانًا في حال.

١١ — فكذلك المجاز والتصحيح، والتقريب والتبعيد، والارتجال والتحرير، والكناية والإفصاح، والتعقيد والإسجاح، والخطل والإيجاز، والإفهام والإلغاز، والمعاريض والكنى [ظ ١٧٩] والاستكراه والمذ، وغير ذلك من أشكال الكلام وحدوده وصوره وأقسامه ودلائله؛ وقد قال كثير:

فهلّا فداك الموت من كل ريبةٍ ومَن هو أسوا منك ذلًا وأقبحُ

وقال حسّان بن ثابت في بعض ما يصرخ وينافح عن النبي صلى الله عليه وسلم:

أتهجوهُ ولستَ لـهُ بكفْءٍ فشرُّكما لخيرِكما الفداءُ[1] ؟

وسمع أعرابيّ رجلًا يقول: «الشحيح أعذرُ من الظالم» — فقال: «أخزى الله أمرين خيرُهما الشحّ!»[2].

١٢ — وعتبتُ عليك في معاونة إبراهيم بن الحسن[3] على ترك القنوت في مسجد ابن رَغبان[4] ومحلّة البصريّين[5]، وزاد في التعجّب منك والإنكار عليك تخذيل خالد الازله، [. . .] عنه خبّرني، حدّثني [عن] غدرك[6] إيّاه؛ فأنت معتزليّ نظّامي: فكانت محاباة خالد على نصيبه من مذهب البصريّين من القنوت — وليس القنوت من دينه — أوفرَ من محاباتك على نصيبك من مذهب المعتزلة في القنوت — وهو من دينك؛ وقد علمنا أنَّ الذي بناه من ماله وأوقف عليه الغلات لنوابته بصريٌّ ابن بصريّ ثمّ معتزليّ؛ على ذلك اشترى الارض ووضع الأساس وشيّد البنيان وكتب عليه

---

١) ديوان حسان، ٨.
٢) راجع البخلاء، ١٥٣، ١٧٠.
٣) لعله ابن الحسن بن وهب.
٤) راجع البخلاء، ٣٢٧.
٥) في بغداد.
٦) الجملة مشوشة في الاصل.

﴿ إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإحْسَانِ ﴾[1] ، وهو الفُضَيل بن عبد الرحمن[2] مولى بني سَدوس ؛ ولم يزل المسجد يقنُت فيه الجَبْريّ كما يقنت فيه المعتزلي العدلي ، ويقنت فيه النابتيّ كما يقنت فيه المعتزليّ ومن صلّى فيه ، حتى عرضت فيه بما دلّ خالدًا — بزعمه — على رقّة دينك وسخافة عقلك وحلمك وانفساخ عقدك وسوء المحافظة على نحلتك ، غير مكترث لما نال عِرضك وغير محتفل بما ثلم دينك وساء وليّك وسرّ عدوّك .

١٣ — ولم أقل إنّ معاوية ليس بمذكور بالعقل والحلم وبالدهاء والفهم وبالنكرى والحزم والسودد والعزم[3] ، وبالبيان العجيب والغور البعيد ، وإنّه لم يكن كاتب وحي الله وصاحب ديوان بيت مال الله ، وإنّ أبا بكر لم يوله مقدّمة أخيه ، وإنّ عمر لم يجمع له أرباع الشامات وإنه لم يعزله إلى أن توفي ولم يغضب عليه مذ رضي عنه ، ولم يكتب له بفضل خصال القضاء وترتيب منازل الحكم ، كما كتب إلى أبي موسى الأشعريّ وإلى قضاته في الأمصار ورجال القتيا في الأطراف ، وإنّ عثمان لم يؤكد له ما تقدّم منهما[4] ويثبت له ما جرى له من قبلهما[4] وزاد في تثبيت عدالته وتزكية نجابته في سني الجماعة وسني الاختلاف ؛ وأدنى حالاته أن يكون مؤمنًا غير فاسق ووليًا غير عدوّ وعدلًا غير مزوّر، مع علمي بأنهم لم يكونوا ليولوا الثغور والأحرام والإمارات العظام إلّا القويّ الأمين وصاحب الرأي الرصين .

١٤ — ولكنّ الخلافة ، يا ابن حسّان ، لا تستحق والامامة لا تستوجب إلّا بالتقدّم في الفضل والتقدّم في السوابق ، وإلّا بان يكون الفضل إمّا ظاهرًا للعيون ومشهورًا عند جميع المسلمين قد أجمعوا على تقديم رجل وتأمير أمير من تلقاء أنفسهم بغير سيف ولا خوف ولا إكراه ظاهر ولا سبب يوجب سوء الظنّ فضلًا على غير ذلك ؛ وإمّا بأن يختاروه عن تشاور وتناظر ويظهر فضله بعد

---

١) سورة النحل ، ١٦ : ٩٠ .

٢) كنت اعتقد الى الآن ان هذا المسجد بناه ابن رغبان ؛ واما الفضيل بن عبد الرحمن فلم اعثر له على خبر .

٣) خط : الحزم .

٤) خط : منهم ... قبلهم .

طول التخايُر ؟ أو يكون له ذلك [في] مصره دون رهطـه[1] بميراث العمومة ويستحقّها كما تُستحقّ المقامات الموروثة ؟ او يكون ذلك من جهة وصيّة أو وراثة مشهورة ؟ أو يكون ذلك نتيجة خصال كريمة لاقت القرابة وحرمة العترة، فبلغ صاحبها باجتماع الخصلتين ما لا يناله صاحب الواحدة ويكون معمـا[2] للإلف لأنّه أمسّ بالمدن وأقرب من صاحب المقام [و ١٨٠] وأحرى[3] أن لا يخفى مكانه على بعيد الدار ، كما لا يأنف منـه العظيم الكبير ، وإن كان نصيبه من الطاعة دون نصيب كثير ممن لا يجري مجراه في شرفه ولا يشاكله في موضعه ؟ وهذه الأركان تجتمع على جميع المقالات إلّا ما لا يعدّه المتكلمون قولًا وكان عندهم حارضاً بهرجاً .

١٥ — ولم نجدهم ادّعوا لمعاوية إلّا أنه كان رجـلًا من عرض المسلمين وصالح الطلقا[4] وكاتب الوحي[5] ؛ فقد كتبه قبله مَن قـد علمتم : ابن أبي سرح ثمّ كان من أمره ما كان ، وكتبه عليّ بن أبي طالب وكتبـه حنظلة الكاتب الأسيّدي[6] وكتبه زيد بن ثابت؛ فلم نجد أحدًا جعل كتابتهم للوحي سبباً الى ادّعاء شيء من مراتب الإمامة وطبقات استحقاق الخلافة .

١٦ — وأمّا قولهم « خال المؤمنين » ، فانّه انّما يكون خالًا لو كان كون امّ حبيبـة[7] أمًّا للمؤمنين من طريق النسب لا من طريق تحريم النكاح والتعظيم لحقوق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ولو كان قولهم قياساً مقبولًا وتأويلًا معقولًا لكان أبو بكر وعمر وأبو سفيان أجـدادًا للمسلمين ، ولكان جميع ولد أبي بكر وعمر أخوالًا للمسلمين ، ولكان سالم بن عبـد الله[8] ابن خال

---

١) يظهر ان النص ناقص ، غير ان المعنى مفهوم .
٢) كذا في الاصل ولعله : مقنعا .
٣) خط : واحده .
٤) كذا في الاصل .
٥) خط : انه الوحي .
٦) هو حنظلة بن الربيع بن صيفي الاسيدي (صنرا) ، وفي الاصل : الاسدى ؛ راجع الإصابة ، رقم ١٨٥٩ .
٧) ابنة ابي سفيان .
٨) حفيد عمر بن الخطاب .

المسلمين ؟ وهذا حمل والاحتجاج به سفه والقائل به إما ساقط العقل وإمّا ظاهر العبث .

١٧ — وإن كان معاوية قد كان سكن إلى هذا القول وكان هذا القول قد قيل في تلك الأيام، فما كان ذلك منه إلّا من خوف شديد وحاجة مفرطة ؛ ولو كان للمسلمات خالًا لما جاز له أن ينكحهن[١] ، وهذا رأي ساقط ومذهب فاضح .

١٨ — وليس ينبغي لمعاوية أن يُحمد على ما اتّفق له من أسباب القوّة وتهيّأ له من الملك إلّا قتلة عثمان[٢] والذين صاحوا يومَ قالوا[٣] : « أخرجوا لنا قتلة عثمان ! » . — فقالوا[٤] : « كلّنا قتلة عثمان ! » ، لأنّ عثمان لو لم يُقتل لم يُمكنه[٥] أن يُوهم أغمار الأمّة وأغثار أهل الشام والقابلين والمفتونين من الأعراب وأشباه العرب أنّ عليًا هو الذي قتله أو كان السبب [لقتـ]ـله عندهم من جهة الشبهة على أهل الغبا والغفلة أو على مَن يعميه هواه أو يلي جدّه[٦] ، وصار مَن قتل إمام المسلمين يتبرّأ عندهم ممّن قتل رجلًا من عرض المسلمين ، وقاتِلُ المؤمن عندهم ضالّ والضالّ لا يكون شاهدًا فكيف يكون عندهم حاكمًا ؟ ومَن لا يجوز أن يكون عندهم حاكمًا فكيف يجوز أن يكون عندهم إمامًا ؟

١٩ — فلمّا فرغ من تثبيت ذلك عندهم وهّمهم أنّ مَن منع الضالّ من الإمامة أحقّ منه بالإمامة ، وأنّ أولى الناس بمقام الإمام مَن انتدب للطلب بدمه وبذل في ذلك نفسه لأخذ الحقّ منه لولده ووليّ دمه ؛ فلما فرغ من ذلك وهّمهم وثبّت عندهم أنّ مَن دان بدين سعد[٧] وذهب مذهب ابن عمر[٨]

---

١) خط : سكحهن .
٢) اى : لم ينل ذلك الا بفضل قتلة عثمان .
٣) اي أصحاب معاوية .
٤) اي اصحاب عليّ .
٥) اي لم يمكن معاوية .
٦) كذا في الاصل .
٧) هو سعد بن أبي وقّاص .
٨) هو عبد الله بن عمر .

ممّن لا يرى قتال «الفئة الباغية» ويقول: «كُن عبد الله المقتول» ولا يرى طلبها ولا الدفع عنها إلّا بالكفّ دون البسط وإلّا بالجدال دون القتال — وعلى أنّ عليه إن ظنّ أنّ الجدال يؤدّي إلى شيء من القتال أن يكون أترك الناس للدعاء إليها والإحواج لها فضلاً على غير ذلك من الامور [...] [1].

٢٠ — هذا مع ما عليه من طبائع الناس من حبّ المال والعلوّ في الحال وأنه متى لم يُرعهم السوط وينهكهم السيف فالامر مَريج والفساد شامل والحرب أكدة والفتن شائعة والامر مضاع والحقّ مقموع؛ ومَن عزّ بزّ [2] ومَن قلّ فلّ ومَن فلّ أُكِل [3] ومَن ظهر قتل؛ فالإمام ما لم يحمِ مكانه وثغر سلطانه فمطلوبٌ معزول ومطلوب مقتول، والرئيس [4] ما لم يذُد عن حوضه [ظ ١٨٠] ويحامِ عن عشيرته فمسلوبٌ مغلول أو [م]شلو[ل] مأكول على الدنيا [5] لم يكن معنى قطّ على هذه الصّفة ولا صحّت يوماً قطّ إلّا على خلاف هذه الحال.

٢١ — وممّا تهيّأ له من الاسباب واتّفق له من العلل ما كان ظاهرًا من رأي سَعد وابن عمر في تحريم البسط والامر بالكفّ والنهي عن حمل السلاح والإمكان من الحربة: فاجتمع له السبب الذي به يُوهم موضع دم عثمان؛ فانّ سعدًا، وإن كان بقيّة الشورى، فانّ الحقّ لا يغريه وإنّ الباطل لا يغتل [6] به؛ وعلى هذين الاصلين دار [......] الطمع منه فيها واستجاز الطلب لها والحرص عليها.

٢٢ — ثمّ اتّفق أنّ جنده يمانية إلّا القليل، وجند عليّ نزاريّة إلّا القليل؛ واتّفق أن كان أهل العراق أصحاب الخواطر والنظر والتأويل والقياس، ومع هذه الصفة يكون الاختلاف إذ كانوا عرباً وأعراباً وعهدُهم بالجاهليّة قريب وتعظيم الرؤساء فيهم غير قديم؛ وأهل الشام هم في قلّة الخواطر والتنقير وفي قلّة الفطنة والتفتيش على خلاف ذلك؛ وكانوا ملوكاً وأجناد ملوك أو قرابين.

---

١) الجملة ناقصة ومعنى ما سقط: فان من كان كذلك فلا يستحق الخلافة.

٢) راجع الميداني، ٢: ٢٦٣.

٣) دون نقط في الاصل؛ يقال: من قلّ ذلّ ومن أُمِرَ فلّ (راجع الميداني، ٣: ٢٦٦).

٤) خط: والزبير.

٥) كذا في الاصل ولعل الصواب: على أن الدنيا لم يكن لها معنى.

٦) خط: يدل.

ملوك، لا يعرفون إلّا طاعة الملوك والكبراء واتباع الرؤساء؛ وقد علمتَ أنه متى أطاع الجندُ الرئيس والرئيس يصيب الرأي، فكأنهم رئيس وكلهم مصيب ومع الإنصاف[1] تجتمع القوّة ويقوى الضعيف، ومع الاختلاف ينتثر[2] الامر وتنكث القوّة؛ وقيل لرجل من عبس: «كيف تهضّم بالماثر الكبار على الالوف؟» — قال: «كان لنا رئيس يصيب الرأي وكنا له تبعاً فكنّا ألف رئيس».

٢٣ — وجند عليّ بن أبي طالب من ربيعة ومُضَر، وهم كانوا أصحاب التحارُب في الجاهلية والتجاذُب، وفيهم كان التحالُف والتجاوُر وهم كانوا أصحاب الغزو والغارات والسبي وطلب الطوائل، وأكثرهم أصحاب وَبَر وعُمُد وصحار، وأقلّهم أصحاب المَدَر والحالّ، وأكثرهم أصحاب الحَذَر والنجعة والفقه والمواثبة [؟]؛ ومع الحاجة يكون الطلب والحركة ومع الغناء والخصب يكون الحلم والمروّة والتثاقل عن الحركة؛ حتى كان رؤساؤهم يخرجون في الحروب والمغازي متسايرين، لكل رأس لواء ولكل سيّد معسكر؛ وما زال أصحاب التجارب والعقول وأهل النظر والتحصيل من كل ملّة وأمّة وقرن وبلدة يرون انّ الشرك في الحرب كالشرك في المُلك وأنها كالشرك في الزوجة، وأنّ الخطأ في ذلك لا يُستقال والوهن لا يستدرك، وأنّ هذه الخصال فاحشة الضرر سيّئة الاثر، لا يثبت معها إلف ولا يصلح عليها تدبير؛ فاحتملوا ما في التشاوُبه من ضرر التساند لنكود الاخلاق ولشرف الحميّة ولِما كانوا عليه من حميّة الجاهلية.

٢٤ — ألا ترى أنّ مروان بن محمّد لما استبدل[3] قيس عيلان الجند بقيس عيلان الجند[3]، من أبناء قحطان، كيف ظهر انتثار[4] أمره واضطرب حبله واختلفت الكلمة وتقطّع النظام وانحلّت العقد وأدبر الملك وركدت الريح؟ هذا وقيس عثمانية عند أنفسها جماعية دعامية فيما تذهب إليه سلطانية؛ كذلك اصطبرت

---

١) كذا في الاصل ولعل الصواب: الائتلاف.

٢) خط: ينتشر.

٣) كذا في الاصل وليس للعبارة معنى؛ فالمشهور ان مروان بن محمد اقام بني كلب مقام قيس عيلان؛ فلعل الصواب: استبدل قيس عيلان الجند بكلب من ابناء قحطان.

٤) خط: انتشار.

إليها الملوك ، يعني⁽¹⁾ المصاهرة دون النزارية ، بالانفس ، ووليت العراق المرار الكثيرة والثغور العظام والمهمّ من الامور الجسام ؛ ولم يفعلوا ذلك [و ١٨١] بتميم ولا بربيعة لما كان فيها من النزوح والخارجية ، ولذلك قلّت الفتوح في تميم وربيعة ؛ وكانت قيس في جملة أمورها ومعظم تدبيرها زارية على الشيعة ناقمة عليها ، نافرة من الخوارج ناهية عنها ؛ وقد عرفتَ ما كان من شأن زُفَر ابن الحارث ومُجاشِع بن مسعود وحاتم بن النعمان والجحّاف بن حكيم ، وحال كلّ من سيّره عليّ من البصرة بعد وقعة الجمل الى الجزيرة ؛ ثمّ مع ذلك ما برحتْ أن نزعها ذلك العزم وجذبها ذلك الطمع ولم تدعها الرحم من نزار ، وعرف مروان فضل رأي أسلافه على رأيه وتدبيرهم على تدبيره .

٢٥ — ولعلّ قائلا يقول : « فأين ربيعة السامعة المطيعة وكانت شطر نزار ومعظم الفرسان ؟ أوَ ما كانوا في طاعة عليّ مجتهدين وعلى معاوية مطيعين ، حتى هجروا فيه الإخوان والجيران وفارقوا من أجله الاوطان كصنيع عجل بالبصرة وانتقالهم بعد نصرته يوم الجمل إلى الكوفة حتى نزلت ديارهم وصارت في ربوعهم الازد ، يتقدّمها⁽²⁾ ابن نوح ؟ قال في ذلك الشاعر :

وَشَيَّبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينِ مَشِيبِهِ   نُزُولُ العَبِيدِ فِي دِيَارِ بَنِي عِجْلِ

٢٦ — قلنا لهم عند ذلك : قد كانوا كما وصفتم ثمّ صاروا شرًّا من قيس وأكثر خلافاً من تميم ، على أنهم بتميم أشبه ؛ ولذلك قال الحجّاج⁽³⁾ : « الكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم » ؛ بل صارت رجال يمانية أسوأ طاعة وأكثر خلافاً من رجال نزار ، كالذي كان بين الأشتر والأشعث وكالذي كان بين الأشعث وحُجر⁽⁴⁾ ، وما تخفى عليك امور لهمدان وكندة في تلك الأيام ، وحال سعيد بن قيس⁽⁵⁾ ، وما كان من قول عبدالله بن بُدَيل ؛ هذا إن كان

---

١) كذا في الاصل .
٢) خط : مقدمها .
٣) في البيان ، ٣ : ٢٩٤ : قال زياد
٤) هو حجر بن عدي .
٥) راجع شرح نهج البلاغة ١ : ٣٦ .

بعض ما ذكرنا يعرفها[1] من قبل عليّ ومعاوية بن ملجم، ومن إمداده الرأي ومن تشجيعه على الاقدام وإفساد عاتبه عليه فضلاً على قيسته؛ فقال يزيد بن حجبة قبل أن يكون إليه من عليّ بن أبي طالب ما كان :

عَادَتْ رَبِيعَةُ قَيْساً بَعْدَ طَاعَتِهَا
حَتَّى اليَمَانِيّ لَا يُبْقِي وَلَا يَــذَرُ

ثمّ صرف إلى معاوية مع أكثر قومه من تيم اللات بن ثعلبة وقال :

وَقَالُوا : عَلِيٌّ لَيسَ يَقْتُـلُ مُسْلِماً
فَمَنْ ذَا الَّذِي يُحْيِي الرُّفَاتَ وَيَقْتُـلُ.

٢٧ — ثمّ لحق بالشام خالد بن المعمّر[2] في أكثر بني سَدوس؛ ولقدره ولقدر ما جلب إلى معاوية من القوّة قال قائلهم[3] :

مُعَاوِيَ أَمِّرْ خَالِــدَ بْنَ مُعَمَّرٍ فَإِنَّكَ لَوْلَا خَالِــدٌ لَمْ تُعَمَّرِ

ثمّ لحق مَصقلة بن هُبَيْرة[4] في عامّة بني شيبان في رجال كثير ورؤساء لا يُحصَون، معروف سبب هربهم ومشهور تنقّمهم[5]؛ وأمّا مصقلة بن هبيرة فانه طولب بما عليه من مال الله من ثمن مَن أعتق من بني ناجية؛ وأمّا يزيد بن حجبة ففرّ من الجيش لما كان فرّ من خراج المسلمين الى ما لا يعرف من هرب النجاشي[6] عند شرب الخمر.

٢٨ — والجملة أنّ رجالات العرب ورؤساء الأعراب وكثيراً من أهل الباس والنجدة والرئاسة في العشيرة كان سوء معاوية ومعاملته أحبّ إليهم من سوء عليّ بن أبي طالب ومعاملته، لأنّ القوم، لمّا ثبت عندهم من إطعام خراج مصر عمرو بنَ العاص ما ثبت، ومن ضمانه لذي الكَلاع سميفع بن ناكور ما ضمن، ولحبيب بن مسلمة ما قد علمتَ، ورأوا ما صنع عليّ بيزيد بن حجبة

1) خط : سرها.
2) راجع شرح نهج البلاغة، ١ : ٤٩٥.
3) البيت في البيان، ٣ : ١٠٨ (لم تومر)؛ خط : امن خالد :
4) راجع شرح نهج البلاغة، ١ : ٢٦٤، ٢٧٠.
5) خط : سمهم ولعل الصواب ما اثبت.
6) هو الشاعر.

وسمعوا ردّ جوابه على مَن سأله أن يزيد في عطاء الحسن والحسين وكيف قال، ورأوا مع ذلك شدّته [ظ ١٨١] على الخائن وقمعه للظالم وأنّ الرجل أنّما تحظى عنده على قدر الزهد والفقه وعلى قدر الوفاء والنجدة وعلى قدر العلم بالكتاب والسنّة لم يكن لهم همّ إلا التخلّص الى معاوية وإلا أن يصيروا الى من يرتع ويرتعون معه ويأخذ ويأخذون معه ويذهب مذهب التودّد والتحبّب والتألّف ويدع مذهب الإمامة وإقامة جزاء الحسنة والسيّئة ؛ وقد قال خالد ابن المعمّر لعلباء بن الهيثم : « اتّق الله في عشيرتك وانظر لنفسك ورحمك ، ما تؤمل عند رجل أردتَه على أن يزيد في عطاء الحسن والحسين دُرَيْهمات يسيرة ربّما يبلان بها من طريف عيشهما ، فأبى وغضب ؟ » .

٢٩ : فكلّ ما ذكرنا ممّا اتّفق له من غير اكتساب وتهيّأ له من غير احتيال ، فغيرُ مكره — حفظك الله — معاويةُ على ما اتفق له ولا ملومٌ عليّ ابن أبي طالب على ما امتُحن به فيهم ؛ فعلى هذه العقدة دار الكلام ؛ ثمّ اتفق له الخلاف الذي كان عن رفع المصاحف والانتشار الذي حدث عن ذلك التدبير والحيلة ؛ فانظرْ هل ألفى عليٌّ عندها عاقلاً أو صادف بها عزيزًا ؟ ولقد قال ثمّ أعاد القول ثمّ احتجّ وعرف وزجر وتوعّد وقال : « ويحكم ! إنّها خدعة ومكيدة ، وإنّها بعدُ دليل على الفشل وعلى انقطاع القوّة ؛ فانتهزوا هذه الفرصة فقد دلّكم بها على موضع العورة ، وليس بينكم وبين الظفر إلا صبر ساعة ! » ؛ فكان أشدّ القوم عليه خلافاً وأفحشهم عنودًا الذين صاروا بعدُ إلى إكفاره وإلى البراءة منه بعد إقرارهم بانه كان المستبصر والمجدود والواعظ والمتوعّد ، وأنّهم كانوا المخدوعين والمغرورين والمخذولين ؛ فهذا هذا .

٣٠ — وكان مما امتُحن به عليّ واشتدّت البلوى على أصحابه فيه وعلى اصحاب النبيّ وعلى مَن معه من أجناده ومن خاصّة أهله ، أن صار الحَكَمُ المُوازي لعمرو بن العاص أبا موسى الأشعريّ ، فكان من خدعه له ومن غدر عمرو به ما قد علمتم ؛ ولم تجد الناس اقتصروا من أمرهما على أنّه خدعه بفضل أربٍ وكاده بُعد غور واستنزله بفضل [. . . . . . .] ؛ فلو لا يزال يكون مثلةً بين الرجال من رجال الرأي والدهاء والمادّة وجدتْ العامّة والطبقة التي

تلي العامّة لا يشكّون أنّ أبا موسى كان أغبى[1] العالمين وأعيى[1] الأولين والآخرين، وأنّه فوق جهيزة[2] في سقوط الرأي، وأسوأ حالاً من دغة[3] في الرقاعة، وأكثر خطلاً وأعجب خطأً وأغرب غلطاً من جحا[4] وأعيى[1] لساناً من باقل[5].

٣١ — وليس يقول هذا — رحمك الله — إلّا من لا علمَ له ولا تحصيلَ عنده؛ قد عرفنا حال أبي موسى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند أبي بكر ومنزله من عمر بن الخطّاب ومكانه من عثمان بن عفّان في كثرة فتوحه وصحّة تدبيره، ألا وإنّها عن مقارعة شديدة ومناقفة [؟] طويلة بالرأي السديد والكيد البعيد والسيوف الحداد وبالمدّة والعتاد وسياسة الأجناد وتبي[6] الفتنة والسلامة العجيبة وحفظ الرعيّة والقسمة بالسويّة، ومع الفقه في الدين والعلم بالقياس والحجج في [و ١٨٢] الفتيا؛ وكان سادس ستّة من حصلوا من فقهاء الصحابة وأحد القضاة وأحد الثلاثة، ولذلك قالوا: «ثلاثة أخذوا عن ثلاثة: ابن مسعود عن عمر، وأبو موسى عن علي، وزيد عن أبيّ»؛ ويدلّ على ذلك قول الشاعر في مدح بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى وكان قاضياً ابن قاضٍ ابن قاض، قال له:

وأنتَ يا ابنَ قاضيَيْن

وقال آخر في بلال:

قَضَيْتَ على عرقٍ بما لك صاعدًا ... وَأُوتيتَ مِزْمارًا وَخُطْبَةَ فَيْصَلِ

(ذهب من المزمار الى ما كان أُعطي أبو موسى في حنجرته من الصفا والشحا؛ وذهب من ذكر الخطبة الى ما كان أُعطي في لسانه من البيان).

٣٢ — وكان مع ذلك مشهورًا بالحلم ومذكورًا بالفقه، من المعدودين في

١) خط: اعمى.

٢) يضرب بها المثل في الحمق؛ راجع الميداني ١: ٢٢٨ (احمق من ...) و٢: ٣٨ (قطعت جهيزة ...)

٣) يضرب بها المثل في الحمق ايضاً؛ راجع الميداني ١: ٢٢٨.

٤) يبدو انه كان معروفاً في عصر الجاحظ؛ انظر البغال ٪ ٣٥.

٥) راجع الميداني ١: ٥٠٤.

٦) كذا في الاصل.

أصحاب الفتوح ومن المذكورين في الولاة والعمّال ومن المعروفين بالنزاهة وطيب الطعمة ومن المعروفين بصحة الرواية ؛ ثمّ خصلة ما أقلّ ما تجدها وأكثر ما تفقدها وهي قلة التغيّر مع طول الولاية والثبات على الامر الاوّل مع كثرة الفتوح والفائدة ، ولو كان أبو موسى كما يقولون غبيًّا منقوص العقل ضعيفاً ، لكان اللوم على تأميره [على] البلدان والامصار وعلى الجيوش العظام وتسليطه على الاحكام ، على مَن ولّاه دونه ؛ ولو كان ذلك كذلك لكان لعليّ في ذلك أوفرُ الاقسام .

٣٣ — كلّا ، ولاكن نقول فيه كما قال اهل العلم من أسلافنا وأهل العدالة من مشايخنا : نقطع الشهادة على كلّ ما أجمعوا عليه ونقف عند كلّ ما اختلفوا فيه ؛ وقولي فيه ، إن لم يكن قول أبي إسحق[1] بعينه فما أقربه[2] من قوله ؛ قال أبو اسحق : كانت التي[3] خلع بها علي بن أبي طالب دون عمرو وبعد التصادر على ذلك والتوكيد له نتيجة خمس خصال ، منها انصرافه عن[4] عليّ ، والاخرى ميله الى رأي سعد بن ابي وقّاص وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة[5] وصهيب بن سنان[6] وأسامة بن زيد[5] من الكفّ وتحريم القتال ؛ ولذلك روى بالكوفة ما روى حيث أقعد[7] الناس عن عليّ بن أبي طالب ونصرته ومعاونته حتى جرى في ذلك بينه وبين الحسن وعمّار ما جرى حيث قال : « سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « تكون فتنةٌ القاعدُ فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي [فيها] خير من الساعي »[8] .

٣٤ — وخصلة اخرى وهي ميله من عدنان لقحطان ولذلك قال يومئذ : « لو كان هذا الامر لا يُنال إلّا بالقدم والشرف لكان رجل من أولاد أبرهة

١) لعله ابو اسحق النظام .
٢) خط : اقره .
٣) لعل كلمة « الحلة » قد سقطت .
٤) خط وكان عن .
٥) راجع فهرس الثمانية
٦) راجع الاصابة ، رقم ٤١٠٦ .
٧) اي ابو موسى .
٨) راجع شرح نهج البلاغة ، ٣ : ٢٩١-٣ .

ابن الصباح أولى بها منهما » ؟ وخصلة اخرى وهي نتصانه لا محالة عن مقدار عمرو في بُعد الفكر وشدّة المكر ؟ ولكن ليس مَن خُدع مرة او كان دون أدهى الناس فلا اسمَ له إلّا الغبيّ العميّ الجاهل المنقوص ؟ وخصلة اخرى وهي ما كان إسرار قلبه من تصيرها الى ابن عمر بكلّ حيلة وبكل قيد وقوة ، ولذلك وافى ابن عمر دومة الجندل ؟ والخصلة من هذه الخصال — رحمك الله — تصرف بنصيبها من إدخال الخطإ على العقل ، فما ظنّك بها وقد اقبلت معاً ثمّ صادفت عقلاً مستهدفاً وعرضاً قريباً ؟

٣٥ — وكان أبو اسحق يتعجب من قول مَن زعم أنّ عليّاً إنّما حير[1] [ظ ، ١٨٢] على أبي موسى احاراً ولم يوجه اختياراً لانّ اليمانية أبتْ أن تكون إلّا ميزان نزاريين ؟ قال أبو اسحق : قد علمنا أنّ من شأن طبائع الأزد وتميم وبكر وبربوع وتغلب وقيس وجملة عدنان وجملة قحطان أن تتفانى في أقلّ من هذا ، وقد عرفنا سبب حرب البسوس وسبب حرب لبني قيلة وسبب حرب داحس والغبراء وهي حرب الإخوة وأطول حرب كانت في الجاهلية وأشدّها ضغينةً وأبعدها غاية في طلب الطائلة ، وما كان بعد ذلك ممّا كان بين تغلب وقيس وابن أبي الهيذام وقبائل اليمن بالشام وغير ذلك ، وكيف كان صغر الامر في أوائلها وعظمُهُ في أواخرها ، وكيف طبائع العرب قاطبةً والاعراب خاصة ، وكيف نفوس الاجناد ، وكيف حركة الاتباع ، وكيف صبرت نزار كلّها ، مع ما وصفنا ، على هذه الذلّة واغضت على هذا القذى وتعرضت لهذا التغير وكيف استنجدت وأطرقت وطابت وسامحت حتى لم يختلف سيفان ، والسيوف عتيدة ، ولا اجتمعت في ذلك جماعة والخيام متقابلة .

٣٦ — ثمّ لم يقلْ فيه شاعر قصيدةً واحدة ولا فخر به فاخر مرّةً واحدةً ؟ فلا هؤلاء هجوا ولا هؤلاء مدحوا ؟ وهل يُعرف هذا من أخلاقهم وهل يُظنّ هذا بهم ؟ بل متى أغضت نزار من اليمن على مثلها ؟ ولو كانت معاودة لذلك منها في جاهليّتها لَما صبرت على ذاك بعد تحوّل المُلك فيها والنبوّة اليها ، وقد رأيناهم كيف كانوا يوم خزازى ويوم الكُلاب الاخير ويوم شويحط[2]

---

١) بدون نقط ولعل الصواب : أجبر . . . إجباراً .

٢) خط : سوبط .

ويوم اجتمعت تميم على زرارة ويوم اجتمعت على غزو اليمن في ملك تميم من ايدي الباهلة والربسان[1] الاضبط بن قريع[2] والنمر الحصاني، وكم قتلوا من الملوك عنوة وكم غزوا ديارهم لا يلتمسون حيًا دونهم كغزوة حُذيفة بن زيد وحصن[3] بن حذيفة وفلان وفلان .

٣٧ — واحتسبت كيف لم تتحد باحتمال ملالها ولم تتقرّب بذلك إلى علي ابن أبي طالب ولم تجنح بالورع وتدّعِ[4] بُغض الشرّ وكراهة الفتنة إن كان العجز قد قطعها والجبن قد خلع قلوبها وكيف حمل على نفسه هذه الدنيّة وكيف بالضغطة وكيف نزل على هذا الحكم وكيف أمكن من نفسه هذا التمكين وأغرى بها هذا الاغراء ، وفي دون ذلك مرزية الاعداء وضراوة لاهل العصبيّة؟ وقد علم أنّ فطم العادة شديد وأنّ نزع صاحب الدربة عسير .

٣٨ — وقال أبو إسحق : احسبهم كانوا القاهرين والغالبين والمحكمين المتحكّمين ما حالف[5] إلى أبي موسى وأي جمع كان هنالك من الأشعريّين وأيّ عزّ كان في ذلك العسكر لاهل بلده ؟ وإن كان غبيًا عند أصحابه مغموزًا وايلَ المرتة مخدوعًا ، فماذا الذي اضطرّهم إليه ؟ فأين كان الاشعث ابن قيس ؟ وأين كان سعد بن قيس ؟ وأين كان عبد الله بن بُديل ؟ وأين كان قيس بن سعد ؟ فان قلتَ إنّ القوم لم يرضوا إلاّ بمن له صحبة ، فما حدث[6] لماوية هذا التحدب[6] على الصحابة ، وهذا التعظيم لمن له هذه الحرمة ، وهذا التقديم لمن له هذه التقدمة ؟ ولا بأس ، فأين كان أبو أيوب الانصاريّ وأبو مسعود البدري[7] ؟ وأين كان عديّ بن حاتم ؟ فإن أقرّت [و ١٨٣] قحطان بانه لم يكن في جماعته رجلٌ واحدٌ كانت له صحبة يفي موازاةَ عمرو بن العاص ، فقد أقرّوا بالخيبة وسلّموا بالفضيلة .

١) كذا في الاصل (الربيان ؟) .
٢) خط : الاسبط بن قريع .
٣) خط : حصن .
٤) خط : مدعى .
٥) كذا في الاصل .
٦) كذا في الاصل ، ولعل الصواب : فاحدث لماوية هذا التحدّب (اقتراح محمد الطالبي) .
٧) خط : ابو سعود ؛ هو عقبة بن عمرو ؛ انظر الاصابة ، رقم ٥٦٠٦ .

٣٩ — ولعمري أن لو كان المسؤولون من نزار لذكروا رجالاً قد جمعوا مع الصحبة العقلَ البارع والتجربة الكثيرة والرأي الاصيل والغور البعيد والحزم والعزم والعلم والنكري والدهاء والرأي [. . . . . .](١) ، ولو كانت الحال قد بلغتْ بعليّ إلى أن صار لا يمتنع من قهر تلك اليمانية ومن غلبة بعض ذلك الجند ، وذلك ظاهرٌ لمعاوية ولجواسيسه السمية(٢) ، وتُزال عنه فرض الجهاد ، فمن كان كذلك كان عن حلبة أهل الشام وأجناده المتناصرة بالأيدي المتفقة الا هو أعجز .

٤٠ — كلّا ، ليس الامر على ما قالوا وذكروا ، فما دعا إذًا معاوية إلى المحاكمة وكيف رضي بالنصفة ؟ كان عليّ بن أبي طالب أشدَّ ورعاً وأثقب نظراً وألطف في الامور تدخُّلا من أن يوجّه مع عمرو بن العاص حَكَماً وهو عنده عبد متقوص أو عدوّ مرصد ، بل لا كَرِر أن يقلّده مثل ذلك الامر وهو عنده ظنين عليه ، وكان الاقلّ من ذلك أن لا يدع الاحتجاج والتبيين والاعتذار الى غيره من رعيّته وأجناده ؛ فمن أين اتى — يرحمك الله — أمن كلال وجمد وعيّ لسان ، أم من قلّة معرفة وضعف خبرة ؟ أو من جبن قلب وشدّة هيبة ؟ أم من خور في العرق ؟ أم من فساد في أصل الطينة ؟ أم من خبث في المنشإ والعادة ؟ أم من قلّة ممارسة للحروب ومقارعة للابطال ومعاودة للقتال ، مع قتل الفرسان والقادة والرؤساء والسادة ، وهل رُبّيَ إلا فيها وهل نبت لحمه إلا عليها وهل يعرف شيئاً سواها ؟ ألا يدور ما يعرف منها على استفاضة علمه واتّساع معرفته ؟

٤١ — ولو لم يكن عليّ امتُحن منها بشيء قطُّ ولا اختُبر بأمر قطُّ إلا بما امتُحن به يوم نادى منادي معاوية : « أخرجوا إلينا قتلة عثمان ! » ، لكان في ذلك أعظم المحنة وأشدّ البلاء والفتنة ، ولقد ابتُلي عليّ بعقد لا سبيل إلى حلّه وبقفل لا حيلة في فتحه ، ولو كان باب الحيلة فيه مغلقاً ولم يكن [. . . .](٣) منها ، لكان أحقّ مَن [. . . . .](٤) ذلك القفل و[. . . . .](٥) لذلك الغلق ؛

١) خط : والراى الزلا .
٢) كذا في الاصل .
٣) لعله : شيا .
٤) لعله : مضيئاً .
٥) لعله : راحتال .

ألا ترى أنّه لو أخرج إليهم طلبتهم والـذين أوقعوا عليهم ظنونهم ومَن هو عندهم قاتله إما مُعيناً وإما متولّياً .وإما بالهوى والمحبة والنحلة(١) والديانة ، لدفع إليهم محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر وعمرو بن الحمِق وسودان بن حمران ومالك الاشتر وعبـد الله بن عُديس وعمرو بن زُرارة وعُمير بن ضابئ وفلاناً وفلاناً ؟

٤٢ — ولو أخرجوهم إليهم لأمتنعوا بعشائرهم ولمنعتْهم الذين قالوا :« كلّنا نصيحة واحدة ، كلُّنا قتّال عثمان ! » ؛ ولو كان كذلـك لكان معاوية أوّل واثب بهم وكان ذلك من أكبر فريضة فيهم ؛ ولو أخرجوهم إليهم وسلّموهم في أيديهم ، لقتلوهم خبطاً بالسيوف ورضخاً بالجنـدل ، ولأعجلوهم عن حكم الإمام القائم وعن التثبّت والتعرّف وعن تمييز مـا بين الآمر والمحبّ والمُعين والمتولّي والمتهم والمعترف(٢) بالدم .

٤٣ — ولو قام [ظ ١٨٣] عليّ في كلّ عددهم وعـدّتهم يردّ عليهم ويكذّبهم ، لكان تواثب بعضهم إلى بعض بالجدال والقتـال أقربَ من وثوب معاوية بهم على قرب ذلك منهم ، ولو جرى بينهم بعض ما هو دون السابقـة والمتأخرة لكان في تشاغلهم واضطراب حبلهم واختلاف كلمتهم وانتشار أمرهم ما يدعو أهل الشام إلى الوثوب بهم والشدّ عليهم ؛ ولو فعل ذلك والحال كذلك لما كان دون البوار ستر ولا دون الظفر بهم مانع ولا حائل .

٤٤ — وقد علمتَ — حفظك الله — أنّ النـاس في قتل عثمان على ثلاث طبقات : فطبقة تدّعي ان قتل عليّ لعثمان كان من اكبر طاعاته لله ، وهـذه الطبقة هم الشيعة والخوارج ؛ وإنّ الطبقة الاخرى هي الذين يرون الوقوف فيه وفي عثمان ، وفيه وفي طلحة والزبير ، ويتولّونهم على أصولهم ويقفون عنـد أحداثهم ؛ والطبقة الثالثة وهم السواد الاعظم والجمهور الاكبر ، منهم أصحاب الحديث والقضاة والنوابت ومَن زعم أنّ جميع أهل الكلام [........] وأنّ الكفّ عن ذلك هو السنّة والجماعة .

٤٥ — فلو أنّ عليّاً قال يوم ذلك : كذبوا ، لم يكن ذلك تدبيراً ، وقد

---

١) كذا في الاصل ولعلها النحلة .

٢) خط : والمعرفة .

ذكرنا ذلك وفسّرناه ، ولو قال: صدقوا ، لخلعه[1] جميعُ مَن يرى الوقوف وجميع من يرى تبرئته ونفيَ تلك الدعوى عنه ؛ ولو كان على سبيل مَن قتله لما كان عليه في ذلك اليوم الإقرار بقتله ، إذ كان الاقرار فيه ليس بفرض واجب ، ولا كان مأخوذًا به ، وفيه إفساد قلوب العامّة وبعض الخاصّة ، وما كان إلا كرجل قال إنّ السماء خضراء ، فقد صدق ، وليس عليه أن يقول في كل حين إنّ هذه سماء ولا إنّها خضراء ، ولكن عليه ، إن أثر أن يُخبر ، أن لا ينكر أنّها خضراء .

٤٦ — فكذلك كانت حال عليّ بن أبي طالب إن كان على سبيل مَن قتله وان لا يرى أنّ محلّه في تلك الحال المحلّ الذي لا يكون أضيق منه ، إذ كان لا يمكنه في وجه التدبير أن يقول : صدقوا ، ولا أن يقول : كذبوا ، فهل ترى التدبير إلا ما صنع عليّ ؟ ولذلك زعم بعض من يفضّل عليه أبا بكر وعمر أن ذلك الفضل لهما الى أن امتحن عليّ بما لم يبانه امتحانهما ، فصار أفضل منهما ؛ ولولا أنّ الله قد علم أنّ إرادته في نفسه كانت أتمّ وعلمه أوسع وعزمه أقوى ، لما أختبره بذلك ولا امتحنه إلا بمثل ما امتحن به الائمة قبله .

٤٧ — ولو كانت هذه رسالة تخصّ تخريج القول في الحكمين والاحتجاج في جميع أبوابه لاستقصيت ذلك ، لكني سأومئ إليك — إن شاء الله — بجملة يكتفي بها مَن كان في دون حالك بعد أن يستصحب الإنصاف ويتحفّظ من الهوى ويتحذّر [من] السابق الى القلوب وهي فارغة .

٤٨ — قد تبيّن للناس كلهم اختلافُ أصحاب عليّ بعد رفع المصاحف وإخلادُهم إلى البقاء بعد أن رجعوا الى أوطانهم ، وكيف ملّوا الحرب وسئموا طول مقارعة الشرّ ، بعد أن ذاقوا العضّ ووجدوا مسّ[2] الجهاد وشمّوا ريح الاولاد ، وبعد ان عاينوا من عدد الجرحى والصرعى والقتلى ، وبعد أن وجدوا خشونة المسّ ومنع الجانب ، وبعد أن قال كبراؤهم : « لا نعود حتى نشحذ الكراع ونحدّ السلاح ونجبي المال » .

٤٩ — وأنا واصف لك جملة القول في الحكمين ، إن كان كتابنا هذا يعجز عن التفسير ، فافهم واعلم أني وجدت الذين خطّؤوا عليًا في ذلك لم

1) خط : لخلعه .   2) خط : مسر .

تجاوز تخطئتهم له ثلاثة أوجه : أحدها اختيار أبي موسى بعينه وفي العسكر مَن هو أدهى منه وأنصح ، [و ١٨٤] وقد قلنا في ذلك جملةً كافية إن شاء الله ؛ والوجه الآخر إنكارهم حكمَ الرجال في الامر الذي قد بيّنه الكتاب وقطع عليه الشهادة وعرّفهم فيه وجه الحقّ وهو قوله : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ﴾[1] ، وإنّه مثل قوله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ ﴾[2] ؛ فكما أنه ليس لعليّ ولا لغيره أن يحكّم الرجال في قطع السارق وفي الامساك عنه وفي ضرب الاجل له ، لما ظهر في الآية من الدلالة ، فكذلك ليس له ولا لغيره أن يحكّم في قتال الفئة الباغية ويترك ما ظهر في صورة الآية وفي ظاهر الكتاب .

٥٠ — والوجه الثالث أنهم قالوا : لم يكن يخلو عليّ في ترك قتالهم ، وقد دعوناه إليه ، من وجهين : إمّا أن يكون كان عاجزاً معذوراً أو قويّاً غير معذور ، فالعذر في ترك القتال واقع ، بل قد فرض الله عليه أن لا يعرض قليلَ مَن معه لكثير مَن مع عدوّه من الاعداء ، وعليه أن يعرف ذلك الجاهل ويكف عمّن عرف النُمر[3] المتسرّع ، فان قبلوا كان قد بلغ ما أراد من الشفقة والحيطة ، وإن ردّوا ما قصده كان قد أعذر وأنذر ، فظهر في العوامّ عذره وثبتت على سائر[4] الانام حجّته ، وإن كان قوياً وكان بمثل عدده وعدّته يُزالُ الظلمُ ويُدحض الباطلُ ويُقمع العدوّ ، فعليه أن يقاتل : فإن ظفر كان مطيعاً منصوراً ، وإن ظُفر به كان مطيعاً معذوراً .

٥١ — قد قلنا في تنازعهم واختلاف قلوبهم ونكوبهم إلى أوطانهم وفي سآمتهم بما قد سمعتَ ؛ وقد علمنا أنّ مَن جمع بين القلوب المختلفة والقلوب المؤتلفة وإن كان عدّة المختلف فوق عدّة المؤتلف ، إنه مذمور التدبير مسخوط التقدير ؛ واذا كانوا كذلك فالرأي ان يكتم الناس داءهم وعيبهم ولا يفطن

---

١) سورة الحجرات ، ٤٩ : ٩ .
٢) سورة المائدة ، ٥ : ٣٨ .
٣) كذا في الاصل .
٤) خط : عار .

لذلك عدوّهم بكلّ ما أمكن من الحيلة وبلغه التــدبير ، وأن يستأني بهم ويتلطف لهم ويُنتظر أوبتهم وإفاقتهم من سكرتهم وانتباههم من رقدتهم إلى غاية وإلى نهاية ، ولا يُعجل الى تفريقهم ما دام الطمع في تراجع قلوبهم ممكناً وكان الامل في تمايزهم وتراجزهم مأمولاً .

٥٢ — فان قال قائل : لا نستطيع أن ننكر أنه قد كان هناك خلافٌ يومَ رفع المصاحف ، ولكنّا قد علمنا أنّ الذين عصوه يومئــذٍ في قطع القتال هم الذين أطاعوه اليوم في معاودة القتال ، نادمين على ما كان وسلف منهم ، مقرّين بالخطإ على أنفسهم ، مذعنين لصواب رأيه دونهم ؛ وهم كانوا العُصاة يوم عصوه ، وصار هو العاصي يوم عصاهم ، لانه دعاهم للقتال فأمسكوا عنــد رؤية المصاحف ، ثمّ دعوه بعد أن تبيّنوا المكيدة التي كانت بانت له يومئذ ، فدخل في مثل ما دخلوا فيه ؛ إلّا أنّ القوم كانوا أعذر منه لفضل علمه ونقصهم عن كماله وأنّ الشبهة عليهم يوم رفع المصاحف كانت أغمض والنفوس أشغــل والرأي أقلّ من الشبهة عليــه يوم جاؤوه نادمين سادمين ومقرّين متغايرين ومستغفرين نازعين ؛ قلنا لهؤلاء القوم : إن كان الشأن في اختــلاف ألسنتهم وقلوبهم وفي سوء طاعتهم وفي تثاقلهم عن قتال عدوّهم وركونهم الى المقام في أهليهم ليس على ما حكينا ولا على ما ثبت به الخبر عندنا ، وانما كان ذلك في قليل من كثير وفي مقدار لا ينقص الجمهور الاعظم ولا ينقض قوى الســواد الاكبر ، فهل يخلو تركه لقتالهم من وجوه أنا ذاكرها لكم ؟ فان كان عندكم وجه غير ما ذكرنا أو نحن ذاكروه فاذكروه .

٥٣ — لا يخلو ترك عليّ [ظ ١٨٤] لقتالهم ، إن لم يكن ما قلنا حقّاً ، من أن يكون صار جباناً أو عاد منخوبَ القلبِ حَرِباً بعــد أن كان أشدَّ الناس أشراً وقلباً وأتمهم بصيرة وعزماً ؛ وإمّا أن يكون طمع في نزوع معاوية وتوبة عمرو ؛ وإمّا أن يكون ذلك منه على طريق الندم على[1] مــا أراق من الدماء ومن عدد القتلى ، فتاب من ذلك إذ استبدل باليقين الشكّ وبالاستبصار الشبهة ؛ وإمّا أن يكون الخرف عجل عليه قبل وقت لِداته وقبل العــادة المعرو[فة] في رهطه ، فظهر ذلك في تدبيره وغلبةُ الاختلاط في قوله وعمله ، وما

1) خط : وعلى .

علمنا أنّ احداً من المُخالفين والمُوافقين ولا من أهـل الوقت ولا مّما يُنسب إلى الحشو ادّعى ذلك عليه ولا قرفه به ؟ وكيف يقول ذلـك قائل ويطمع في القبول عنه طامع وهو يعلم أن قوله مر[دود] مكذّب ورأيه مسخوط معتلّ !

٥٤ — فاختاروا خصلةً من خصلتين : إمّا أن تُوجدوا وجهاً لم يُذكر، وإمّا أن تثبتوا عيناً أنّ عليّاً قد كان اعتراه بعض ما ذكرنا من الجبن أو من الخرف أو الطمع في تورع معاوية أو الندم على ما سلف منه،فعلى أي الخصال تعتمدون وأيّها تدعون ؟ إن ادّعيتم الجبن على أشدّ الناس قلباً وأشرّا وأكثرهم للاقران تتلاً وأبينهم نقيبةً وأشدّهم بصيرة ، أكذبتم الأمّة وبهتّم حكم المعرفة ؛ أمّا عد[د] قتلاه وجرحاه وصرعاه ومَن فرّ منه وترك التعرّض له ، فلا أعلم ذكرَكم إلّا فضلاً من القول ، وما ذلك إلا كمن التمس الزيادة في العانة إذا مـدّ البحر بالعطن[1] ، وأمّا تتابع الظفر وين النقيبة فقد علمتم الذي تهيّأ له من قتل العظماء والسادة والنجباء وأنّ ذلك أعظم العناء ، وأنه لم يتوجّه في جيش قطُّ إلا كان هو المنصور وعدوّه المخذول ، كشأنه وشأن بني زبيد ، وكشأنه وشأن أصحاب الجمل ، وكشأنه وشأن أصحاب النهروان ؟ وهل قاومه عدوٌّ قطّ ، إلّا ما كان في بعض ساعات أيّام صفّين ؟ وهل أتي في ذلك من قِبل نفسه ومن تدبيره وتصميمه ومن تعبئته ؟ وهل أتي إلا من جنده ؟ وهل مُنع من الظفر به إلا بما صنعوا بانفسهم ؟

٥٥ — وقد علمتم ان معاوية قد كان القى بيـده وأيس من نفسه حين أحدقت به الرماح وقصد له عبد الله بن بُديل في أهل البصائر ومنعه من الفرار برعه الذي ذكر في شعر ابن الإطنابة بقوله :

أبتْ لي عِفّتي وأبى حَيائِي وأخذِي المَجدَ بالثَّمنِ الرَّبيحِ
وَقولِي ، كُلّما جَشأتْ ، لِنفْسِي مَكانَكِ تُحمَدِي أو تَستَريحِي[2]

---

١) كذا في الاصل والمعنى واضح ؛ فمن ثلاث واحدة : اما ان اراد الجاحظ : التمس الزيادة في الثابة أو أمد البحر بالقطيرة (اقتراح محمد الطالبي) ، او : الزيادة في الغاية . . ؛ او : الزيادة في العانة (بلدة على الفرات في الجزيرة) اذا مد البحر بالقطر (بلدة ايضاً) ، والله اعلم .

٢) راجع جمع الجواهر للحصري ، ٩٧ ؛ وفيه : بلائي (مكان حيائي) و : وجاشت (مكان لنفسي) ؛ انظر ايضاً لسان العرب ، مادة : جشأ .

وهل نفس عن كربه[1] ورفّه عن خناقه وردّ عليه جشاشة روحيه وابقى عليه علالة نفسه إلا ما كان من اعتزا[مهم] برفع المصاحف ومن تركهم القتال وهو يذكرهم بالله ويعظهم بالقرآن ويزجرهم بوعده ؟ وسنذكر من كلامه الدالّ على شدّة اختلافهم عليه وإبطائهم عن عدوه وركونهم الى الراحة ، المعروفَ من خطبه والمشهور من كلامه والمذكور من مقامه الذي لا تستطيعون أن تقولوا إنه مما رواه أبو مخنف أو صنعه ابن دأب أو أنه شوكر[2] أو حبره الثابي وقبل ذلك رشيد الهجري ، وهو قوله حين انكشف أمر الصحابة وظهر المكتوم من سره وسرّ عيوب أجناده[3] : «أيها الناس المجتمعة أبدانهم المتفرقة أهواؤهم ، ما عزّت دعوةُ مَن دعاكم [و١٨٥] و[لا] استراح قلب مَن قاساكم ، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب وفعلكم يُطمع فيكم عدوكم ؛ إذا أمرتكم بالمسير قلتم كيت وكيت [.......][4] أعاليل بأضاليل وأضاليل [بأبا]طيل ، وسألتموني التأخير ، دفاع ذي الدين المطول ، استخفكم الجهل حيدي حياد ، ولا يمنع الضيمَ الذليلُ ولا يُدرك الحقّ إلّا بالجدّ ؛ أيَّ دار بعد داركم تمنعون [أو]مع أيّ إمام بعدي تقاتلون ؟ المغرور — والله — مَن غررتموه ومن فاز بكم فقد فاز [بال]سهم الأخيب ! أصبحتُ — والله — لا أصدّق قولكم ولا أطمع في نصركم فرّق الله [بين]ي وبينكم وأعقبكم من هو شرّ لكم مني وأعقبني مَن هو خير لي منكم ! » .

٥٦ — فلما نزل [قصد]وه يعتذرون إليه ، فقال : « أما [إنكم] — والله — ستلقون بعدي ثلاثاً : ذلّاً شاملاً وسيفاً قاتلاً وأثرة [........] يتخذها الظالمون عليكم سنّة[5] فيتفرق جمعكم وتبكي عيونكم ويدخل الفقر [ق]لوبكم فتمنون[6] أنكم رأيتموني فتنصروني[7] فلا يبعد الله إلّا مَن ظلم ! » .

١) يبدو ان الضمير عائد الى علي لا الى معاوية الا ان هناك نقصاً فيما يلي من النص .
٢) خط : شوكه ؛ راجع لسان الميزان ، ٣ : ١٥٨ .
٣) في ظروف القاء هذه الخطبة ، انظر شرح نهج البلاغة ، ١ : ١٥٢ حيث نجد رواية تختلف بعض الاختلاف عن نص الجاحظ ؛ راجع ايضاً البيان ، ٢ : ٥٦ .
٤) خط : وميا ولا ندري .
٥) راجع شرح نهج البلاغة ، ١ : ٣٧٩ .
٦) كذا في الاصل ولعل الصواب : فتتمنون .   ٧) كذا في الاصل.

٥٧ – وقال في مقام [آ]خر : « وددتُ – والله – أنّ لي بكم ألفَ فارس من بني فِراس بن غنم ! »(١) ؛ وقال في مقام آخر : « وددتُ – والله – أنّ لي بكل عشرة منكم فارساً من بني فراس بن غَنم صرفَ الدينار بالدرهم »(٢) [و]بلغ من تثبيتهم لهذا الخبر ان جعلوه حجة في صرف الدينار في ذلك الدهر ؛ [و]قال في مقام آخر : « يا أهل الكوفة المَنبر من مَناسر أهل الشام أطلّ عليكم أغلقَ كلُّ امرئٍ منكم بابه وانجحز في بيته انجحاز الضُبع في وِجارها ولكن رُميَ بكم لقد رُميَ بأفوق ناصِل »(٣) ؛ ولابطائهم عن عدوّهم قال لهم : « ما قوتل قومٌ قطُّ في عقر [د]ارهم إلا ذلّوا » في كلام كثير مشهور معروف .

٥٨ – قد قلنا في العذر في اختيار أبي موسى وفي العذر في تأخير القتال بعد أن كان هو الداعي [إ]ليه والحاثّ عليه ؛ ونحن قائلون في نفس التحكيم وبالله التوفيق ؛ وجواب آخر : زُعم أنّ عليّاً لو وجّه الحسن او الحسين ابتداء(٤) او عبدالله بن عباس او عمّار بن [يا]سر أو مالكاً الاشتر او قنبراً مولاه ... أنصح الناس جيباً أو أعنهم رأياً أو أشدّهم نبراساً أو أبعدهم غوراً أو أقواهم عزماً ، لما استجاز أن يحكّمه بينه وبين معاوية ؛ [و]كيف وهو على يقين أنّ معاوية لا يصلح للخلافة في حال من الاحوال ؛ ليس لخوف التبديل به والاشتقاق من ذلك الرأي عليهم ، ولكن لانّ الدنيّ(٥) والبعيد مانع من ذلك لانّ الحقّ عنده أنّ أهل بدر والحُديبيّة لو أطبقوا كلهم على أنّ معاوية أولى بها منه أو على أنه يصلح لها في بعض الحالات ، لكانوا ضُلّالاً غير مهتدين ولكانوا [مُخ]طئين غير مُصيبين ؛ وإذا كان إنكارهم لحقه(٦) لا يحلّ عقدة الخلافة وإقرارهم به لا يثبت عقدة الخلافة ؛ بل يكون ذلك منهم مؤكداً ومسدّداً ومرساً ومركاً(٧) ؛ أما أن يكون رضى رجل او سخطه تبرماً ناقضاً خلافته ، فلا .

---

١) راجع شرح نهج البلاغة ، ١ : ١١٠ .
٢) نفس المرجع ، ٢ : ١٨٣ ، والبيان ، ٢ : ٥٦ .
٣) راجع شرح نهج البلاغة ، ٢ : ٣٨ .
٤) خط : ابدا .
٥) خط : الدين .
٦) خط : لحقهم .
٧) كذا في الاصل ولعل الصواب : ومُرسِياً ومزكّيا .

٥٩ — قد علمنا خلاف [ط]لحة والزُبير وسَعْد ومحمد بن مسلمة وصُهيب ابن سنان وسَلَمة بن سَلامة بن وقش وهم بدريون ، فلم يكن ذلك بناقض لإمامته ولا ناقص من بصيرته ؟ [و]القياس[1] أنه لو لم يكن منه سبب تُستحق به الإمامة إلا سبب هؤلاء له ، أن إقرارهم غير مُثبت كما أنَّ إنكارهم غير ناقض ؟ ولو بان عند الامام أنَّ رجلًا أكرُ أهل محلته كانوا ثم أبي إمامته[2] من أهل ذلك المصلى عشرةٌ من وجوههم [ظ ١٨٥] لأجبرهم الامام عليه ولما التفت إلى ما كان من بغيهم عليه وغلطهم فيه .

٦٠ — ولكنّا نزعم أنَّ عليًا دافع بمعاريض الكلام وبالتورية وبما يُشبه التوهيم وأتال المكيدة عند الحاجة إلى المكيدة حين رأى اختلاف القلوب وانتشار الامور ونقصان البصائر والركون الى الراحة وطمع أن تكون عظته وتصرفه وتعريفه وتخويفه مما ينفع فيهم ويسري في طبائعهم وينبههم من رقدتهم ويحرك مواضع الأنفة من قلوبهم إلى انقضاء تلك المدة وفي تلك المهلة والهدنة حين ارتبق فيهم حبله ولم يبق غاية ، وبعد ان كتم الداء ودثر الدواء وأرفق العلاج ؟ فلما أعضل الداء واستفحل البلاء وظهر العيب واستتم الفساد وصار ستره عيًا وكتمه عجزًا ، خطب بالموعظة على المنابر وقرع بالتأنيب في المحافل وأعذر عنه المُقبل والمُدبر ، وكان على يقين من انهزامهم ... مضى بهم مكرَهين غير متبصرين ومختلفين غير متفقين، هذا أسوأ ما كان [. . . . .] فة[3] الجيوش عنه فتظهر له الخُلة وتتشنّع به المثلة .

٦١ — واعلم أنَّ لصاحب الفتنة والمكر والخدع من معاريض القول من التورية في الكلام ومن إضمار المعاني في الالفاظ إلى ما يخرجه من الكذب وإن وهّم ذلك القول السامعَ الطالب والمستحلف الناصب الموافقةَ والرضى بحكمه ما ليس لغيره ، وهذا هو المعنى في الفتنة التي أزاغها الله تعالى بعباده ، وقد كان له أن يتعبّدهم بالإفصاح وإن قُتلوا عن آخرهم .

٦٢ — ونحن نزعم أنَّ اليمين إذا كانت لازمةً لك فهي على ضمير من

---

1) خط : الى الناس .

2) اي : امامته في المصلى .

3) لعله : ما كانت تكاشفه الجيوش عنه .

استحلافك، وإذا كانت غير لازمة فهي على ضمير الحالف ؛ وكذلك البيعة وجميع الكلام، والعمل عندنا في ذلك كالقول ؛ ولو أنّ غاصباً أخذ عليك يميناً للبيعة له، كان لك أن تقول « نعم » ولست تريد التي هي خلاف « لا »، ولاكن تر[يد] النَّعَم من الابل والبقر ؛ وإن كنتَ تعدّ أنه يظنّ غير ما تعني، تقول أيضاً عند استحلافه « نعم » وان وهمت الكلمة معنى « نعم » التي هي خلافَ « لا » وأنت تريد الطاعة ؛ ولو قال لي بعض مَن أخافه على نفسي : « قل : المسيح ابن الله »، لكان لي أن أقول [ذلك] وأنوي أنه كذلك عند النصارى، وإن علمتُ أنه لا يتوهّم إلّا ما دلّ عليه [اللفظ] ؛ فان أمكن أن أنوي وأوجّه الكلام واعمل الاضمار والاستثناء ولا عناء عليَّ فيه ولا مشقّة ولا تُهمة[1] يرتاب بها ؛ ثمّ لم اضمر خوفاً من فطنته فقد شرحتُ بالكفر صدراً ؛ فاذا جاز أن أقول إنّ مع الله إلاهاً آخر وإنّ محمداً — عليه السلام — كذّاب وإنّ مسيلمة صدوق إذا خفتُ على نفسي، بعد أن أضمر و[. . . . . .] وإن كان ظاهر قولي التكذيب لمحمّد صلى الله عليه وسلم، جاز أن أقولَ إنّ أبا موسى حكيم وله أن يحكم وأنا أنوي غير ما أظهر وأضمر غير ما أبدي إذا خفت على الناس الفتنة والهرج والفساد وتبديل الحكم .

٦٣ — فلو لم يظنّ عليّ ويطمع أنّ أصحابه سيعودون إلى بصائرهم وإلى ما يشبه أوّل حا[لهم] [و١٨٦] عند التخابر والتذاكر وعند قضاء الوطر من الزوجات والاوطان وبعض الملال من طول الاقامة وبعض الحياء من النميم ومعه الانف من ظهور الاعداء وبعض الترقّب للبلاء إذا جرى عليهم حكم عدوّهم ولعلّهم أن يطالبوهم بطوائلهم ولم يأمنوا الوثبة بهم، لمّا جاز له ذلك ولما كان لصنيعه ذلك وجه ؛ فالمخدوع في هذا الموضع معاوية والخادع عليّ، وعليّ صاحب المكيدة ومعاوية المرتاب، لانه في ذلك لو فطن لانثار[2] الامر على عليّ ثمّ غزاه بالقلوب المجتمعة والاهواء المتّفقة، لمّا كان دون الظفر مانع ولما كان بعد تلك الوقعة وقعة ؛ فرأى عليّ أنّ التدبير في ترهيبه وتوهيم أصحابه الرضى بالمساواة والاقرار بان في أمرهما من الشبهة ما يُحتاج فيه الى نظر الرجال،

١) في الاصل دون نقط .

٢) خط : لانثار .

وعلم أنه متى أعطاه ما كان لا يطمع فيه ولا يناله طرفه ولا أمنيّته ولم يزل يظنّ، بل لا يشكّ، أنه[1] لا يُجيب إليه [......][2] ولم يكن[3] عرف من سرّ أصحابه مثل الذي عرفه عليّ فرأى أنه قد ربح وأنّ عليًا قد خسر؛ فما ينقضي تعجّبي من رضى معاوية بتلك الهدنة والمدّة مع ما قد كان ظهر من اختلاف أصحاب عليّ، وأرى الناس يتعجبون من رضى عليّ بها مع اختلاف أصحابه؛

٦٤ – اللهمّ إلا أن لا يكون عصى عليّ عندهم إلا في تحكيم الرجال دون تأخير القتال؛ فانْ كان ذلك كذلك فما قولهم وإكثارهم: «عصينا أمس حين تطمنا القتال وعصى عليّ حين رجعنا ندعوه الى القتال [فـ]أبى»؛ فقد ينبغي لنا الآن أن نقصد إلى الجواب في لفظ التحكيم: أيجوز أم لا يجوز، فندَع ما سوى ذلك من الامور؛ وإذا لم يبقَ إلا ذلك فقد سقط ثلاثة أرباع الخلاف؛ وليس على ذلك بنى القوم أمرَهم وجرت عليه عادتهم؛ وربّما رأيتُ بعض مَن يظُنّ أنه من الخاصة ويزعم ان معاوية كان أبعد غورًا وأصحّ فكرًا وأجود رويّة وأبعد غاية وأدقّ مسلكًا، وليس الامر كذلك؛ وسأومئ اليك بجملة تعرفُ بها موضع غلطه والمكانَ الذي دخل عليه الخطأ من قبله، فافهم ذلك.

٦٥ – كان عليّ لا يستعمل في حربه إلا ما عدّله ووافق فيه الكتاب والسنّة؛ وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنّة ويستعمل جميع المكايد وجميع الخدع حلالها وحرامها، ويسير في الحرب سيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، وخاقان إذا لاقى رُتبيل[4]، وبغفور[5] إذا لاقى المهراج؛ وعليّ يقول: «لا تبدؤوهم بقتل حتى يبدؤوكم، ولا تتبعوا مدبرًا ولا تُجهزوا على جريح ولا تفتحوا بابًا مغلقًا»؛ فهذه سيرته في ذي الكلاع وأبي الأعور السُلَمي[6] وعمرو ابن العاص وحبيب بن مسلمة وجميع الرؤساء، كسيرته في الحاشية والحشو

١) خط: انا.
٢) يظهر ان الجملة ناقصة.
٣) اي معاوية.
٤) كذا والصواب: زُنبيل (ملك زابل).
٥) كذا والمعهود من اسم ملك الصين: بغبور او فغفور.
٦) راجع شرح نهج البلاغة، ١: ٢٩١، والاصابة، رقم ٥٨٥١.

والاتباع والسفلة ؛ وأصحاب الحروب ان قدروا على البيات بيّتوا ، وأن قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا ، وإن أمكن ذلك في طرفة عين لم يؤخروه ساعة ، وإن كان الحريق بالنار أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخروا الحريق إلى وقت الغرق ، وإن أمكن الهدم لم يتكلّفوا الحصار ولا يدعون[1] أن ينصبوا[2] العرّادات والمجانيق والنقب والسرب والدبّابات والكمين، ولا يدعون[1] دسّ السموم والتضريب بينهم بالكذب وطرح الكذب في عساكرهم بالسعايات وتوهيم الامور وإيحاش بعضهم من بعض وقتلهم بكل آلة وحيلة وكيف [ما] وقع القتل وكيف [ما] دارت به الحال .

٦٦ — فمن اقتصر — حفظك الله — من التدبير على ما في الكتاب والسنّة كان قد منع نفسه الطويل [ظ ١٨٦] العريض من التدبير وأما [ط][3] الاشاهي من المكايد ؛ والكذب — حفظك الله — أكثر من الصدق، والحرام أكثر عددًا من الحلال ؛ ولو سمّى إنسانٌ إنسانًا باسم الانسان كان قد صدق وليس له اسم غيره ؛ ولو قال : هو شيطان ، أو كلب ، أو حمار ، أو شاة ، أو بعير ، لكان كاذبًا في كلّ ذلك ؛ فكذلك الايمان والكفر ، وكذلك الطاعة والمعصية ، وكذلك الحقّ والباطل ، وكذلك السقم والصحة ، وكذلك الصواب والخطأ .

٦٧ — فعليّ كان بالورع مُلجمًا عن جميع القول إلا ما هو لله رضًى ، ولا يرى الرضى إلا فيما دلّ عليه الكتاب والسنّة ، وممنوع اليد من البطش إلا ما هو لله رضًى دون ما يعوّل عليه أصحاب الدهاء والنكرى والمكايد والآراء ؛ فلمّا أبصرت العوامّ — حفظك الله — بوادر معاوية في المكايد ومثابرة غوايته في الخدع وكثرة ما اتفق له وتهيّأ على يده ، ولم يروا مثل ذلك من عليّ ، ظنّوا بقصور رأيهم وقلّة عقولهم أنّ ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند عليّ ؛ فانظرْ بعد ذلك هل بقيّ له إلا رفع المصاحف وهي من خدعه ، ثمّ انظرْ هل خدع بها إلا مَن عصى عليًّا ومال عن رأيه وخالف إذنه .

١) خط : يدع .
٢) خط : نصب .
٣) خط : واما (اقتراح محمد الطالبي) .

٦٨ — فان زعمتَ أنه نال ما أراد من الاختلاف فقد صدقتَ ؛ وليس في هذا اختلفنا ولا عن غرارة أصحاب علي وعجلتهم وتسرّعهم وتنازعهم دفعنا ؛ وإنما كان القول في التمييز بينهما في الدهاء والنكرى وصحة العقل والرأي البرّ ، لا على أنا لا نصف الصالحين بالدهاء والنكرى ولا نقول : « ما كان أنكر أبا بكر بن أبي قحافة وما كان أنكر عمرَ بن الخطاب ! » ، ولا يقول أحد عنده من الخبر شيء : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أدهى العرب والعجم وأنكر قريش وأمكر كنانة » لأنّ هذه الكلمة إنما وضعت في مديح أصحاب الأرب ومَن يتمقّق في الرأي في توكيد أمر الدنيا وزبرِ جدها[1] وتشديد أركانها ؛ فأما أصحاب الآخرة الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر وإنما يصلحون على تدبير الخالق للبشر ، فانّ هؤلاء لا يُمدحون بالدهاء والنكرى ولم يُعنوا هذه إلا ليُعطوا أفضلَ منه ؛ ألا ترى أنّ المغيرة بن شعبة ، وكان أحد الدهاة ، حين ردّ على عمرو بن العاص قوله في عمر بن الخطاب ، وعمرو أحد الدهاة ، [قال] : « أأنتَ كنتَ توهم شيئاً فتلقيه عنك ، ما رأيتك[2] مستجلياً أحداً إلا رحمته كائناً من كان ذلك الرجل ، كان — والله — أعقل من أن يُخدع وافضل من أن يَخدع » ، ولم يذكره بالدهاء والنكرى ، هذا مع عجبه باضافة الناس ذلك اليه ؛ ولكن قد علم أنه إن أطلق على الائمة الالفاظ التي [لا] تصلح لاهل الطهارة كان ذلك غير مقبول منه ، فهذا هذا .

٦٩ — وكذلك كان حكم قول معاوية للجمع : « أخرجوا إلينا قتلة عثمان نحن لكم سلم » ، فاجهد كلَّ جهدك واستعن بن شايعك إلى ان تتخلص الى صواب رأي في ذلك الوقت أضلّه[3] عليّ حتى تعلم أنّ معاوية خادع وان علياً كان المخدوع ؛ فان قلتَ : وقد بلغ ما أراد ونال ما أحبّ ، قلنا : وهل رأيتَ كتابنا [و ١٨٧] وُضع إلا على أنّ علياً كان قد امتحن في أصحابه في دهره بما لم يُمتحن به إمام قبله من الاختلاف والمنازعة والتشاح على الرئاسة والتسرّع والعجلة ، وهل اتى إلا من هذا المكان ؟ أوَ لسنا قد فرغنا من هذا مرّةً ؟ وقد علمنا أنّ ثلاثة نفر تواطؤوا وتبايعوا على قتل ثلاثة : فانفرد ابن

[1] وزبرجدها .

[2] خط : رايته .

[3] كذا في الاصل .

مُلجَم بالبَأس ذلـك من عليّ ، وانفرد [عمرو بن بكر التميمي][1] بالبأس ذلك من عمرو من العاص وانفرد [البرك بن عبد الله الصريمي][2] بالبأس ذلك من معاوية ؛ فكان من الاتّفاق أو من الامتحـان أن كان عليّ المقتول من بينهم ، وفي قياس مذهبكم أن تزعموا أنّ سلامة معاوية وعمرو إنما كانت بجزم كان منهما ، وان قتل عليّ إنما كان من تضييع كان منه ، إذ قد تبيَّن لكم من الابتلاء والامتحان في نفسه خلاف الذي قد شاهدتموه في عدوّه وكلّ شيء سوى ذلك فإنما هو تبع للنفس ، فهذا باب .

٧٠ — والباب الآخر الذي عتبتُ عليك فيه ، وهو زعمك ان معاوية قد ضلّ من وجوه وكفر من وجوه ، فأخطأتَ في إكفاره ولم تصب الحقّ في تفسير بعض الوجوه ؛ زعمتَ أنه كفر في حكمه بادّعاء زياد بن أبي سفيان وأن من جعل الولد للعاهر وجعل الحَجَر للفراش ومن ردَّ الحكم المنصوص وبدّل هـذا القول المفسّر فقد كفر ؛ وهذا منك سرف وبعد ، وهو شبيه بمذهب أصحاب التكلّف والتزيّد ومَن يريد [با]لبغي[3] الذي في نفسه والذلّة التي يجدها في قلبه والريبة التي تشتمل عليها أضلاعه أن يُذلّ مَن حضره ويوهم مَن سمع كلامه ، أنه إنما يكفّر من أكفر من فرط في تعظيمه لحرمات الله ومن شدّة غضبه على مَن عصى الله ؛ وعهدي بك تشنع بذلك على الشريّة والرافضة وعلى الخوارج والبكريّة .

٧١ — ولو كان معاوية صنع ما تقول على ما فسّرتَ ورد المنصوص على ما ذكرتَ ، لكان جلّة السابقين وكبراء التابعين وفقهاء المحدّثين قد سبقوك إلى إكفاره وتشريكه ، بل كان أعداؤه وأهل الخلاف عليه قـد أكفروه وسبقوا إلى ذلك فيه ؛ فان زعمتَ أنه قد كان عند غالية الشيع وعند جميع الخوارج كافرًا ، قلنا : لعمري ، لو كانوا لا يُكفّرونه على خصال كثيرة لا ترى أنت وأصحابك أنه قد كفر من أجلها ، ثم أكفروه على هذه الخصلة ، لكان في ذلك متعلّق لهم ومعاب ومجـال ومَتَنَّح ؛ ولكن الفريقين جميعاً

---

1) خط : البرك الصريمي .

2) سقط من خط : راجع شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٤ ؛ مروج الذهب ٤ : ٢٧ الخ .

3) خط : البغي .

يكفرانه على جميع خصاله التي أنت لا ترى بعضها إثماً ، فضلاً عن أن تكون [عندك] فسقاً ، ولا تراها فسقاً ، فضلاً عن ان تكون عندك كفراً .

٧٢ — ثمّ اعلمْ أنه لا بدّ لك من الخبر على تأثيم مَن ترك إكفاره ، بل على إكفار مَن ترك إكفاره ، إذ كان إنما كفره بردّ المنصوص وما لا يحتمل التأويل ، وأمّا أن تجرأ[1] أن تدّعي عليهم من إكفاره خلافَ ما ثبتت به الشهادة عنهم وخلاف المعروف من قولهم ، فلو كان كذلك لكا[ن] الخبر به مشهوراً ولكان معروفاً مستفيضاً ، بل ينبغي أن يكون قد كان ثبت عنده أنّ وطياً[2] قد كان ، ورأى فيه الشبه والمخايل والاخلاق والشمائل وشبّه له القافة ، وذهب في سبيل الفراسة وتأويل قول عمر[3] وسمع كلام أبي مريم[4] وقوّاه رأي المُغيرة فقال : « هو ابن أبي سفيان » ، لم يذهب الى تثبيت حكم ولكنّه حَبَل كان عنده من نطفته فكأنّه قال : « هو من نطفة أبي سفيان » ، وكان أغلظ أحواله أن يكون كمن استلاط اليوم منّا رجلاً أو أقرّ بولد عند موته ليصرف [ظ ١٨٧] الميراث عن آخرين ، ولم يعترض على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمه وسنّته بردّ ولا جحود ، والحاكم عندك وعند أصحابك قد يعطل الحكم ويحكم بالهوى ويجلد مَن يستحقّ القطع ويقطع مَن يستحقّ الجلد ، ثم أنتم لا ترون إكفاره ولا تشريكه .

٧٣ — ولم أنصب نفسي — حفظك الله — لاحتجاج له إلّا بما يلزمني من الاحتجاج مَن لا يرى إكفاره من السلف ، وإيّاهمُ أردتُ وعنهم دافعتُ ، وعلى أنّي على كلّ حال أكره الزيادة والنقصان ، والعدل أولى بنا وهو مذهب إخواننا ومشايخنا وسلفنا من المنزلة في فرق ما بين الاكفار والتفسيق ، وفي فرق ما بين التفسيق والتأثيم ، ولسنا ممّن يميل في شقّ عن شقّ ويتعصّب لبعض على بعض ومَن يبخس[5] حقّ الدون ، فكأنك به قد تبخس[6] حقّ مَن

1) خط : تجر (يقترح محمد الطالبي : تجر ، مبنيا على المجهول) .
2) يشير الى ما كان من امر ابي سفيان .
3) كذا ، ولعله : عمرو .
4) انظر مروج الذهب ، ٥ : ٢١ .
5) خط : يحس . 6) خط يحس .

فوقه حتى تصير إلى أئمته المهتدين وخلفائه الراشدين؛ لستُ عمريًا دون أن أكون علويًا ولا علويًا دون أن أكون عثمانيًا، اللهمّ إلّا بما اختص به العترة بسبب القرابة؛ وأمّا في غير ذلك فليس شأني إلّا محبة الجميع والتوفير على الكل ودفع الظلامة عن الكبير والضعيف[1] على قدر ما شاهدنا عليه من الحالات؛ وليس هذا الكتاب من كتب أصحاب الاهواء ولا من كتب المكتسبين ولا المتقربين ولا من كتب المفلقين بالباطل ومن جرى من النفاق على أخبث منشإ وأسوإ عادة؛ فعليك ببذة[2] أسلافك ودع عنك ما قد أخذ الناس فيه.

٧٤ — وأمّا براءتك منه على قتل حُجر[3] وأصحابه وإطعامه عمرو خراجَ مصر، وعلى ادّعاء الخلافة وعلى الحكم بالهوى ونَبْذ كثير من أحكام الكتاب والسنّة، والسير في الحرب والسلم سيرة ملوك الغلبة، فهذا ما لم أملك عليه ولم أنكره منك، وعلى ذلك مضى سلفك الصالح — نضر الله وجوههم —؛ ولكنّي عتبتُ عليك في قولك: « وضلّلته أيضاً لبيعته لابنه »، فان قلتَ: « وضللته أيضاً بالمبايعة ليزيد لانه كان صاحب كذا وكذا ويقول كذا »، لكان صواباً ولكان قولًا عدلًا ولكان مصفّى مهذباً؛ وأجود العبارات ما كانت الدلالة فيها غير مستنكرة ويكون اللفظ للمعنى طبقاً لا فاضلًا ولا ناقصاً؛ وأما أن تقول كلمة مرسلة الوجوه مطلقة [....... فلا][4].

٧٥ — ضلّلته لانه بايع ابنه، وما بأسُ بيعة الابن إذا كان لذلك مستحقًا؟ ما الابن ألا كالأخ وما الأخ إلّا كابن العم؛ وما علمك؟ لعلّ عليًا قد بايع الحسن ولعلّ الحسن قد بايع الحسين؟ فأيُّ حجة تدفع ذلك وما البرهان على خلاف ما جاء من ذلك؟ وهل يعترض على هذا المذهب مسلمٌ وهل يجهله عاقل؟ فايّاك أن تعود الى هذا اللفظ مفتراً أو مشروحاً مثبتاً؛ فان من حقّ العلم عليك ومن شكر أياديه عندك ومن الصون لمراضه والدفع لقدره أن تخلّص

---

١) خط: الضعفا

٢) كذا في الاصل، ولعل الصواب: بسنة.

٣) هو حجر بن عدي قتيل معاوية.

٤) الجملة ناقصة.

ألفاظك من كل هجنة وأن تصفيها من كل كدر وان تتخير من الالفاظ أبانها وأقربها دلالة وأن تقصد من المعاني لاطهرها شرفاً وأرفعها قدراً وأكرمها منصباً؟ وقد يلزم مَن عبَّر عن العلم وتوكَّل به وأضاف نفسه إليه أن يعبر عنه بأبيَن العبارات وأقرب الاختصار وأن يضعه في موضعه وأن يجري عليه كما ينبغي على نفسه وأن يُجيبه إلى السامع [و ١٨٨] بالإنصاف ويُنهيه عنده بالترسل ويرتبه بالنصيحة، وأن يجمل قائده إلى القلوب الغُلف وسائقه إلى العقول الانقطاع إليه، ولا يغالب خصمه ولا يناهب الكلام من ناقله ولا يعجله عن جوابه إذا فاتحه[1] ولا يُظهر تضجره إن هو أبطأ عنه ولا يغتنم غلطه إن هو سها ولا بشيء يلفظه ظنّاً وهو يجد له في الصواب محتملاً .

٧٦ — وزعمتَ أنَّ كتاب القضيَّة في الحكمين يُثبت للخوارج حجَّتهم وأنَّ لفظه يمتنع فيه التوجيه والتورية، وسألتني أن أكتب لك الكتاب لتجمع بين مخارج لفظه ودلائل وصفه وبين احتجاجي له في ضماني عليه؟ والكتاب الذي يدور في صحف أصحاب الاخبار والاسناد هو هذا الكتاب الذي أنا مصوِّره لك، ولكني بعد ذلك عائد إلى أسانيده بالتصفُّح في التثُّبت وعلى أصل مخرجه بالتفتيش والتنقير إن شاء الله :

٧٧ — بسم الله الرحمن الرحيم، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن عن الزُّهري وحباب بن موسى[2] وعليّ ومجاهد عن محمد بن إسحق : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى[3] عليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (قال معاوية : « لو سمَّيتُك بهذا لم أحاربك ولولا أنك أسنّ منّي ما قدّمتُك » ، فأبى عليّ مليًّا من النهار ثم تسمّح وكتب : هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان : قاضي [عليّ بن أبي طالب][4] على أهل العراق [ومَن كان معه][4] من شيعته من المؤمنين والمسلمين [وقاضى معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين][4] أنا ننزل عند حكم الله في

١) خط : فاتحه .
٢) راجع البيان ، ٣ : ٨١ .
٣) انظر روايتين لنص القضية في شرح نهج البلاغة ، ١ : ١٩٠-١٩١ .
٤) التكملة من شرح نهج البلاغة .

كتابه فيما اختلفنا فيه من فاتحته إلى خاتمته ، نحيي ما أحيي ونميت ما أمات ؛ فما وجدنا في كتاب الله مسمّى أخذنا به ، وما لم نجده في كتاب الله مسمّى فالسنّة العادلة الجامعة غير المفرقة فيما اختلفنا فيه ؛ والحكمان عبد الله بن قيس الاشعريّ وعمرو بن العاص ؛ وأخذ عليّ ومعاوية عليهما عهد الله ليحكمان بما وجدا في كتاب الله وما لم يجدا في كتاب الله مسمّى فالسنّة العادلة الجامعة غير المفرقة ؛ وأخذ الحكمان من عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان الذي يرضيان من العهد والميثاق ليرضيان بما يقضيانه فيهما من خلع من خلعا وتأمير من أمّرا ؛ وأخذا من عليّ ومعاوية والجندين كليهما الذي يرضيانه من العهد والميثاق وأنّهما آمنان على أنفسهما وأموالهما ، والأمّة لهما أنصار على ما يقضيان به عليهما وأعوانٌ على من بدّل وغيّر ، وأنّه قد وجبت القضيّة من المؤمن والآمر والاستفاضة ورفع السلاح أين ما شاؤوا وكانوا على أنفسهم وأهاليهم وأموالهم وأرضهم وشاهدهم وغائبهم ؛ وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقه ليقضيان بين الامة ولا يذراهم في الفرقة والحرب حتى يقضيا ؛ وآخر أجل القضيّة بين الناس في انسلاخ شهر رمضان ؛ فان أحبّا أن يعجّلا ذلك عجّلا ، وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك عن ملاءمتهما وتراضٍ أخّرا ؛ وإن هلك أحدُ الحكمين فانّ أمير الشيعة والشيعة يختارون مكانه رجلًا لا يألون عن أهل المعدلة والاقتصاد ؛ وانّ ميعاد القضيّة أن [ظ ١٨٨] يقضيا بمكان من أهل الكوفة وأهل الحجاز وأهل الشام سواء لا يحضرهما فيه إلّا من أرادا ، فان أحبّا أن يكون بأذرح وبدومة الجندل كان ، وإن رضيا مكانًا غيره حيث أحبّا فليقضيا على عليّ ومعاوية أن يجتمعا على الحكمين ؛ شهد عبدالله بن عبّاس والاشعث بن قيس وسعيد بن قيس وورقاء بن [......][1] البكريّ الحارفيّ وعبدالله بن طُفيل البكاويّ (ويقال : عبد الله بن طليق البكاوي) وجرير بن يزيد الكنديّ وعبدالله بن حجل العجليّ وعُتبة بن زياد المذحجيّ (أو الانصاري) ومالك بن كعب التحلي (او الهمداني ويقال : عتبة ابن زيد ويقال زياد بن كعب) ».

٧٨ – وأنا أقول – حفظك الله – ان كتاب القضيّة كتاب مدخول ؛

(١) غير مقروء في الاصل .

منه ما يشبه ألفاظهم ولحنهم وطبع الفصاحة وقريحة البلاغة — وللقوم كلام معروف وجوهر معلوم متى تكلّفه المولّد لم يستطع تغليط الجهابذة فيه إذا طال شعره وامتدّت خطبته ، وكذلك رسالته واحتجاجه ، وقد يخفى ذلك في الشعر القصير والكلام القليل — ؟ وفي هذه القضيّة كلام ركيك ضعيف خفيف سخيف ، وفيها ما يضارع الحجة ويناسب الصحة ؟ ومما يُبهمه أيضاً اختلاف الخوارج والشيعة وما بين اهل الشام واهل العراق من الزوائد والنقصان فيه مع ضعف أسانيده وحال رُواته عند رُواة الآثار وحمّال الأخبار وعند ناقلي الحلال والحرام ؛ ولأنّ أبعد غاياتهم فيه الزُهريّ وأمتن ما يعتمدون عليه ابن اسحق وهذان لم يدركاه ولا شاهداه ؟ فكلّ مَن روى ذلك عنها فليس بالمحمود ولا المثبت المقبول ؟ وليس العلم به وبصحّته كالخبر الذي ليست للخاصّة فيه فضيلة على العامّة وإنّما هو خبر يدرَك عند مَن يطلب مثله ؟ فإذا لم نجده في معدن الصحّة وفي جوهر الصدق ومُصاب السلامة والبراءة من التهمة فكان معرضاً لأصحاب الأهواء أو لمن له في "النقصان منه والزيادة فيه"[1] وفي تحريفه وتبديله أقوى العلل ؟ لم يكن لك ان تقضي به على عليّ بن أبي طالب في سابقته وشدّة ورعه واتّساع معرفته وصحّة غريزته وثبات حجّته فكنت خليقاً أن ترد حكم ذلك إلى الأصل الذي به عرفتَ فضيلته ونقصان غيره عن درجته . . .

٧٩ — وعلى أنّ عامّة الشهود المذكورين فيه مشكوك في نسبهم ، مختلف في أسمائهم ؟ ثمّ لا تجدهم إلّا أقلّ القليل من وجوههم وذوي العدالة والأقدار منهم ، حتى كان واصفه حيث وصفه وصفه [وصفَ] مَن له الخيار فيه : إن شاء أثبته وإن شاء أنكره ؟ ونحن لا نشكّ أنّ عليّاً إنّما أعطى القوم المدّة ليحكم واستحلّ ذلك التوهّم لِما رجا في تلك المهلة والهدنة من رجوع معاندهم إليهم ومن اجتماعهم بعد فرقتهم ؟ وفي هذا الكتاب [و ١٨٩] أنّ أجل القضيّة سلخ شهر رمضان ، وهذا كلام ظاهره ينقض ظاهر التدبير الذي لا وجه للتحكيم غيره ولا عذر فيه سواه وليس نقضه نه بما يعرف بالاستنباط وبعد التفكير فيُدَّعى فيه الغلط ، بل هو ظاهر فيهما قائم بهما .

---

[1] خط : النقصان والزيادة منه وفيه .

٨٠ — وقد قسمنا أقسام التدبير الذي لا يجوز على غيره وعددنا أبواب ذلك وسألنا المخالفين لنا أن يزيدوا فيها وينقصوا منها ، فلم نجد ذلك بعد التفكير منا ومنهم وبعد أن مرّت عليه الدهور وبردت عليه الحقود ؟ فكيف يجوز لنا أن نظنّ أنّ عليًا وأصحابه تولّوا نقض تدبيرهم بأيديهم ولم يدفعوه ولم يحتالوا فيه وكيف سهلوا وكيف هان عليهم موقعه وهم لا يعلمون في سواه ولا حيلة لهم غيره ؟ وبعدُ فمدار الكلام إنّما هو على أنّ عليها أن ينظرا في كتاب الله وفي سنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فإن دلّ الكتاب على أنّ عليًّا هو الإمام فعليّ هو الإمام وسبيل السنّة في ذلك سبيل الكتاب وكذلك حالها في الحكم لمعاوية .

٨١ — فخبّرني — رحمك الله — وقفْ عند ما أسألك عنه عن الكتاب ، كيف يجوز أن يدلّ على معاوية وكيف جواز ذلك وأين بابه وأين مفتاحه والطريق إليه ، في أيّ سورة ذلك الدليل وفي [أي] آية ذلك البرهان يُصاب؟ وأين تلك السنّة ، وأين تُطلب ، ومن أيّ شكل هي ، وما لفظها ، وما أصل معناها ؟ وقد علمتَ أنّ القرآن الذي أشاروا إليه هو الذي في مصاحفنا وانّ السنن التي قصدوا إليها هي التي في صحفنا ممّا فرض الله في كتابه وسنّة النبي صلى الله عليه وسلم في أمّته؟ فانظرْ فيها وتبيّنها وفتّشها بالنظر الشافي والتقليب المستقصي . هل تجد فيها اسم معاوية أو صفته او حليته او صفة عمله او جلية عمله ؟

٨٢ — وقد علمنا ان الله الجليل قدره لم يقل في كتابه : « اقبلوا شهادة أبي بكر وعمر وعثمان » ولكنّ الله لمّا قال: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾[1] وجدناهم مرضيّين نصًّا فقبلنا شهادتهم ؟ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليؤمّكم خياركم » ، فإذا كان الغرض الذي إليه ينزع الكلام ويشير القول إليه الخير دون الشرّ والفضل دون النقص ، فكلّ من كان خيرا كان احقّ بتلك الإمامة ؟ فإن كان كتب القضيّة إنّما دعا الحكمين في هذا الجنس من النظر ، فليس لمعاوية فيه درك ولا متعلّق ولا طمع ، وإن كان على غير هذا الوجه فخبّرني ما هو وما شكله وأيّ صورة هو .

[1] سورة البقرة ، ٢ : ٢٨٢ .

٨٣ – وقد قالوا في وصف السنّة فجعلوها العادلة والجامعة غير المفرقة ، والسنَن[1] كلها عادلة وكلها جامعة غير مفرقة ، فأيّتهنّ هي وما علامتها وما شبهتها ? ويدلّك على فساد هذا الامر أنه لم يأتنا قطّ أنهما مذ نفذا إلى ان انقضى امرهما تذاكرا شيئاً من ذلك في خلاء ولا ملاء. ولا التمسا تأويلاً ولا خرّجا تفسيراً ؛ ولا سمعنا في ذلك إلّا ما كان منهما عند المراوضة انّ الناس لا يكونون بعد تفريقهم إلّا على رجل لم يخض في الدماء. وليس لأحد قبله بيعة ولا وتر ؛ فهذا خلاف الشريطة والذي وقعت فيه القضيّة وإنما جعل إليهما سطرًا في كتاب الله والسنّة على أيهم ادلّ فقط ، فتركا ذلك البتّة .

٨٤ – ثمّ ابتدءا باباً آخر لم يجر لهما ذكره ولا وقع عليه شرط ؛ فلو ان أبا موسى قال : « قد صرفتُها إلى ابن عُمر » ، وقال عمرو : « قد صرفتُها الى ابني عبدالله بن عمرو » ما كان إلّا كقول ابي موسى ، وهذا عند جميع من شهد القضيّة خلاف ما وقع عليه شرط القضيّة ، وهما – حفظك الله – لم يحكّما على ان لهما ان يخرجاها إلى من أحبّا وإنما جعل إليهما [ظ ١٨٩] في ظاهر الكتاب أن يحتما على أحد الرجلين اللذين حكّماهما ؛ فأمّا أن يقول له عمرو وهو يعرف رأيه في عمر وميله إلى ابن عمر : « ما لهذا الامر خيرٌ من رجل لم يخض في الفتنة ، صحبة ولم يتلطّخ بالدماء. وليست قبله تباعة ولا ضغينة ، فيكون مرضيا ابن مرضي » ثمّ توهمه ذلك ليسكن إليه ويظهر أن الرأي في وضع شورى بين من كان هذا شكله وهذا صفته ، وهذا خروج من حدّ القضيّة ، وقد دريا عند يختاران للأمة ، فلا يثبت ذلك الحكم منهما إلّا أن يكون عن توكيل منهما لهما ، أو يكون لأنّ مكانهما من الإسلام أن يضعا الامامة حيث حبّا ؛ وإذا كانا كذلك فهما أحقّ بالإمامة ممّن يريان إقامته وتقويه ؛ فلا الأمة وكّلتهما ولا مكانهما هذا المكان والحمد لله .

٨٥ – ووجه آخر تستدلّ به على صواب ما قلنا وتعرف به صحّة ما فسّرنا : كأنّ قائلاً قال : كان عليّ قد كان علم ان عمرًا وأبا موسى يوم القضيّة وفي تلك الحال لم يكونا عند أهل العراق وأهل الحجاز عدلين مرضيّين،

---

1) خط : والسير .

وإذا لم يكونا مرضيّين لم يكونا شاهدَين ، وإذا كانا بعيدَين من جواز الشهادة كانا من جواز الحكم أبعد ؛ فأظهر عليٌّ قولًا يتوهّم المتوهّم معه أنّه قد رضي بحكم عمرو وقد علم انّ في قلوب اصحابه منه ومن سقوط عدالته ما فيها ، وعلم انّ عمرًا وأبا موسى [إن] اجتمعا على الحكم له فقد كفي القيل والقال ؛ وإن اجتمعا على معاوية ، وعمرو عندهم لا يجوز حكمه ، كان على دارس أمره ، لأنّ الحكم كان مجعولًا إليهما ولا باجتماعهما يقع ؛ ولا يقع ان يلزم عليًّا حكمُ عمرو لمعاوية ولا يلزم معاويةَ حكم ابي موسى لعليّ ، وإنّما الشرط ان يجتمعا ومَن[1] اجتمعا عليه فله إنكار ذلك الحكم إذ كان واحدُ مَن لا تتم الحكومة إلّا به فاسدَ الحكم ؛ وإنّما استجاز علي ان يُظهر كلامًا ما ، يحتمل الحكم الفاسد[2] لمكان التقية ، وليس هذا التدبير كان معروفًا عنده ؛ وهذا — أبقاك الله — تدبيرٌ مُعجب ورأي مؤنق في هذا المكان وعند هذه البلية وعند الضيقة والتقية والخوف من الفتنة لا كتدبير معاوية في ذلك ، فإنّا لا نجد له في ذلك مذهبًا مرضيًا ولا تدبيرًا صحيحًا .

٨٦ — وقد علمتَ — أبقاك الله — انّ الذي أخرج معاوية إلى حرب علي ولزوم محاربة علي عزلُ عليٍّ له حين بويع له وحين لم يستحلّ ان يدعه طرفة عين ، ولذلك حين قيل له : « لو شئتَ ان تدعه حتى إذا تمكّن الأمر ومهد وضرب الحقّ بجرانه عزلته » — قال : « ما كنت متخذ المضلّين عضدًا » ؛ فقد دلّ ذلك على ان رأيه كان فيها متقدّمًا ؛ فعليٌّ عندما قال ذلك القولَ وصنع ذلك الصنيع الذي يتوهّم عنها المتوهّم انه قد رضي بعمرو حكمًا وكره ايضًا بما اعطاه الله من صحّة الغريزة وقوّة القريحة وعجيب التدبير ان يجيء برجل غير ابي موسى ويجيء معاوية بغير عمرو ، فكان إنكار حكم عمرو وإزالة جوره ، إذ كان عند اهل العراق والحجاز ظنينًا ، أهوَن وأيسر من ان يرضى برجلين مسلمين صالحين برّين تقيّين مسلمين سليمين طاهرين نقيّين ؛ فإن هما غلطا او بدلا كان نفي حكمهما والسخطُ لما أبرما من قضيتها أعسرَ وأضيق ؛ بل قد اراد ان يجرّح شهادة ابي موسى ويسقط

---

١) خط ، رمى .   ٢) اي يحتمل الرضى بالحكم الفاسد .

حكمه عند جميع الامة [و ١٩٠] لانه بالامس قد كان روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الروايات في التثبيط عن عليّ وأنّ مَن سعى معه في تلك الجيوش والحروب مفتونٌ ، حتى جرى بينه وبين الحسن وعمار ما قد رواه الناس وشاع في الآفاق ، وصار بعد ذلك حكماً لهذا القاتل ليحدّ إليه وإلى حيزه .

٨٧ — كذلك كان ظاهر حالها ، فنفس حال أبي موسى كانت جارحة لشهادته مفسدة لحكمه ؛ فاراد عليّ أن يكون بالخيار وكان ينبغي لمعاوية في الحزم أن يفطن لهذه المكيدة وأن يرتاب بظاهر رضاه بأبي موسى ، والحال عنده معروفة وجواسيسه كثيرة ومن يكاتبه أكثر عدداً .

٨٨ — والناس — حفظك الله وأرشدك — عن تدبير هذا الامام غافلون ؛ لا الشيعة يعرفونه فيضيفونه اليه ويحتجون به على الخصوم ويوسعون الناس عذراً عند تضايق الامر عليهم فيه ، ولا الخوارج الذين هم عليه ينقمون والمكفرون له من هذه المارقة يعرفون ذلك التدبير ، وهم كانوا من خاصة جنده من المحققين وأصحاب البرانس وأصحاب السا[1] دون غيرهم ، فيرتدعون عن إكفاره وشتمه وخلعه ؛ وقد كان ينبغي لمن خالف عليّاً مرة — حفظك الله — وهو مستبصر[2] في نفسه ثم تبيّن أن الحق معه ، أن يرتدع عن الاستبصار[2] في أمر آخر فلا يدري لعلّ السبيل فيه كالسبيل فيما قبله .

٨٩ — فلو قال لهم بعض نصحائهم : قد علمتم ما كان منّا يومَ رفع المصاحف من إضلال وجه الرأي ومن خديعة معاوية إيانا ومن إصابة عليّ وجهَ الرأي وتنبيه لنا ، فلعلّ الذي أعطى من نفسه في الحكمين من شكل ذلك التدبير؟ بل قد رأيتم وسمعتم ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ قضيّة الحديبية حين ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب اسم النبوة وقاضاهم على أنّ مَن أتاه من عدوه كان عليه ردّه ، ومن صار إلى عدوه من اصحابه فليس عليهم ردّه ، فماجوا وضاقت نفوسهم وقالوا : « هذه دنيّة » حتى قال أبو بكر : « لو كانت دنيّة ما أعطاها » ، ثم اقبل على عمرو وقال : الزم

---

1) كذا في الاصل .

2) كذا في الاصل : ولعل الصواب مستبطر . . . الاستبطار (اقتراح محمد الطالبي) .

غرزه[1] واعلم أنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعطِ[2] دنيّة[3]»، فلم يرَ المسلمون قطّ قضيّة أعظم عليهم بركةً منها؟ فلو فكّر القوم فيا أعطى الله أنبياءه وخلفاءه من صواب التدبير والرأي والمعرفة بغوامض الامور لما تهوّروا تهوّر الاغمار ولا أقدموا على تخطئة الائمة إقدام من لا يحبّ التمكن ولا يعرف فضل عقل الإمام على رعيّته.

٩٠ — وأمّا ما رويتم عن ابن عبّاس أنّه قال لعليّ حيث أبى إلّا عزله وقال: «ما له عندي إلا السيف حتى يغلبه الحق» — فقال له ابن عباس: «وما لك عنده إلّا السيف حتى يغلبك الباطل»، فانّ باطل معاوية يومَ عزمَ على عزلــه [لا] يتخوّفه على الخلافة ولا ظنّ أحد ولا دار في وهمه ولا خطر على بالــه ان الامور ستنفتح وان الحوادث ستنفتق بما تفتّحت وتفتّقت، ولا ظنّوا ان تلك الاعاجيب كانت كامنة في تلك الحالات، ولا قدّر ذلــك معاوية ولا ظنّه ولا طمع فيه، ولاكنّها أمور تناتجت وأعاجيب تلاقحت وامور كثيرة — حفظك الله — قد كانت محقَّرة الاوائل مصغَّرة الاسباب ثمّ ترامت بها أمواج البلاء وزخرت بها بحور الفتن حتى عتت وخرجت من الجملة وطمت وامتنعت على الاطباء؛ وقد قال مُجاشِع الرَّبعي: «ليس بكبير ما أصلحه المال» وقد يصلح المال الداء وينجع فيه الدواء وربّما أعضل الداء فامتنع الشفاء.

٩١ — وقد خبّرتك أنّ [ظ ١٩٠] دم عثمان كان من آمنّ أسبابه وأجود مصايده، وكان ذلك الدم دماً أكثرته الجماعة واستفظعه الدهماء وكبر في نفوس العامة وفي نفوس اكثر الخاصة؛ وقد رووا انّ ابن عمر لمّا هجم على طارق مولى عثمان يأكل الطعام على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما ظننت ان العقوبة بقتل عثمان تبلغ ما أرى!»، وقال عديّ بن حاتم: «إنّكم إن قتلتم عثمان لم تحبق[4] فيه عنز»، فلما قتل ابنه وفقئت عينه ودخل بعد ذلك على معاوية وقد صار الامر اليه وله، قال له: «هل حبقت العنز؟» — قال: «أي — والله — والتيس الاضخم!»[5]؛ وزعموا أنهم حين سمعوا قول كثيّر في ولد عثمان:

١) خط: عدره.
٢) خط: يعطى.
٣) راجع المثانية، ٧٧
٤) تحبق العنز: تضرط.
٥) راجع البيان، ٢: ١٥

وابن الذي عوقبت في قتله العرب

عجبوا مما ألهم ؟ وقد قالوا لعليّ بن أبي طالب ولأصحابه يوم الجمل :

رُدّوا علينا شيخنا ثم بَجَل ننعى ابن عفان بأطراف الأسل[1]

٩٢ — فاذا كان جند طلحة والزبير وحالها في دم عثمان والعون عليه وهو محصور حالها وهم يقولون هـذا القول ويطالبون عليا بدمه هذه المطالبة، كيف تتعجب من معاوية وجنده وكيف لا يطالب معاوية عليا بدم عثمان بأهل الشام إذ كان طلحة والزبير يطالبان عليا بدمه ، وأصحاب طلحة والزبير يوم الجمل هم فتحوا هذا الباب لأصحاب معاوية يوم صفين ؟ وإنما ذكرتُ لك هـذا لتعلم أنّ معاوية يوم عزله عليّ لم يكن بالمخوف على ما تهيأ له واتفق على يده ؟ فان قلتَ : فانّ اكثر الناس قد أكثروا في عليّ وقالوا : « قتـل عثمان » ، وقال حسّان بن ثابت[2] :

يا ليتَ شعري وليتَ الطيرَ تُخبرني ما كان شأنُ عليٍّ وابنِ عفّانا
لَتَسمعنّ وشيكاً في ديارِكم الله أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا

وقال الوليد بن عقبة ايضاً[3] :

بَني هـاشمٍ رُدّوا سِلاحَ ابنِ أختِكم
ولا تَنهبوه . لا تحلّ مناهبه ،

٩٣ — قلتُ لك إني قد سمعتُ من هـذا روايات ورويتُ فيه أشعارًا وسمعتُ من الناس فيه خوضاً كثيرًا ، وسأقيمك على الواضحة وأقف لك على الجادّة ، بل على العلم العظيم والمنهج الفسيح إن شاء الله ؟ وخير الاقاويل بل أعدلُها وأرضاها عند الله أقصدُها ، ولذلك اخترنا الاعتزال مذهباً وجعلناه نحلة ومفخرًا ؟ وسنقدم قبل القول في هذه المسألة قولاً ، فافهمه : قالت الجهمية : « لا نقول إنّ الله معنى ولا نقول إنه شيء ، ومتى أضفنا إليـه شيئًا فتى نحن

١) راجع شرح نهج البلاغة ، ١ : ٨٤ حيث تجد البيت مقلوبا : ننعى الخ .
٢) ديوان حسان ، ٤١٠
٣) البيت من قطعة اوردها المسعودي في المروج ، ٤ : ٢٨٦

أضفناه إليه فذلك الشيء فعلٌ من أفعاله ، كذلك سمعه وبصره وعلمه وقدرته» ؛ وقالت الرافضة : «هو جسم فضلًا عن ان نقول إنّه شيء» ؛ وقالت المعتزلة : «هو شيء وليس كمثله شيء ، وليس بجسم وليس علمه بفعل ولا صنع ، وانما قولنا : له علم ، كقولنا : هو عالم ، نريد أنه لا يخفى عليه خافية» .

٩٤ — وقالت المرجئة : «القاذف مؤمن» ، وقالت الخوارج : «القاذف كافر» ، وقال بعضهم : مشرك ؛ وقالت البكرية : «بل هو أسوأ حالًا من المشرك ، والمنافق أشدّ عذاباً من الكافر» ؛ وقالت المعتزلة : «هو فاسق كما سمّاه نصًا ولا نسمّيه كافرًا فيلزمنا أن نلزمه أحكام الكفّار وليس ذلك حكمه ، ولا نقول : مؤمن ، فيلزمنا ولايته ومدحه وإيجاب الثواب له ، وقد أخبرنا الله تعالى أنّه مشؤوم من أهل النار ، فنزعم أنه في النار مع الكافر وأنّه لا يجوز أن يكون في الجنّة مع المؤمن» .

٩٥ — وقالت الخوارج في قتال الفئة الباغية : «نسير فيها بالإكفار وبالسبي [و ١٩١] والغنائم وباتّباع المدبر والاجهاز على الجريح» ؛ وقالت المرجئة : «لا قتال» ؛ وقالت المعتزلة بالقول المرضيّ وهو إيجاب القتال على جهة الدفع لا على القصد إلى القتال ولا على السبي ولا على الاجهاز على الجرحى ولا على استحلال الاموال ، فلم نُفرط إفراط الخوارج ولم نقصّر تقصير المرجئة ، ودين الله بين المقصّر والغالي ، وهذا الاشتقاق ، وهو التوسّط والاقتصاد ، هو الاعتزال لغلوّ مَن غلا وتقصير مَن قصّر ؛ والاصل الذي نبني عليه أمورنا فيمن ليس عندنا كعليّ وسابقته وأرومته وكامل خصاله بل في أدنى رجل من أوليائنا ، أنّا متى وجدنا له عملًا يحتمل الخطأ والصواب لم يكن لنا ان نجعل عمله خطأً حتى يُعيينا فيه وجه الصواب ، وليس لنا بعد ان قضينا بانه خطأ أن نقضيَ بانه خطيئة حتى يُعيينا القدر بانه سليم من طريق المآثم ، فان قضينا بانه إثم فليس لنا أن نقضي بانه ضلال ونحن نجد لصرف الدفع عنه أنه ضلال الى الاثم محتملًا ، وإن قضينا بانه ضلال فليس لنا ان نقضيَ بانه كفر إلّا بعد ألّا نجد من ذلك بدًّا فيكون الحقّ أحقّ ما قُضيَ به وصُبر عليه .

٩٦ — فمن كانت — حفظك الله — هذه سيرته وطريقته في أدنى أوليائه ، فكيف تظنه في أرفع أوليائه؟ فهذا ما لا يحلّ لي أن أظنّهُ بعليّ بن ابي طالب؛

فان كان عندك برهان واضح ودليل بيّن يكشف لنا عن الحال فيه حتى يتبيّن به انه كان سبباً من إراقة دمه ، فعلينا السمع واليقين والاقرار وعليك البيان والافهام بالدليل والحرص .

٩٧ — واعلمْ أنّ الرجل المخوف على الملك قد يكون محبوساً عند الملك القائم فيموت حتف أنفه : فلا يشكّ الناس أن الملك هو الذي أمر بقتله ؛ ويموت على فراشه وفي منزله : فلا يشكّون انه قد دسّ إليه السموم وأدبّ إليه العقارب ، ويموت وهو ناءٍ عنه : فلا يشكون انه قد احتال له وتقدّم في ذلك من أمره على يدي طبيب أو خادم او طبّاخ او صاحب شراب على بُعد داره وشطون مزاره ، ولو تمنّع مكانه واشتدّ احتراسه ؛ ولو قتله هبوب الريح أو صاعقته صاعقة لوجدتَ من يقول في ذلك قولًا مرغوباً عنه .

٩٨ — وقد قال بعض العلماء ممن تعلم : « لقد عَجز عن معرفة أمر عثمان مَن شهده ، فكيف بِمن غاب عنه؟ » ؛ ولو كان معاوية القائمُ ، بزعمه ، بدمه هو القائم بعده بالحجاز والعراق ، لوجدتَ مَن يقول إنه قد كان دسّ عليه وربص به وأفسد عليه وأنغل ، إن لم يجدوا شيئاً ظاهرًا ؛ هكذا الناس فاعرفهم ، إلّا مَن عصم الله ولا يعصم الا المخلصين .

٩٩ — وكان — حفظك الله — من اعظم ما أتى به على عليّ في دم عثمان أنّ دهماء الامة كانوا يعظِّمون شأن دمه ويُبرئون عليًّا منه ، وكان أكثر أجناد الخلافة والقوّاد ورؤساء العشائر من سوء الرأي في عثمان وحسن الرأي في قاتليه على خلاف ذلك ؛ ولم يكن للناس جند سواهم : فصار عليّ ، إن هو أظهر الدلالة الصحيحة على البراءة من قاتليه ، خاف أن يفسد عليه عامّة أجناده ؛ فكان يُمسك عن ذكره ما امكنه الامساك ، فاذا اضطرّه القول قال قولًا يحتمل رضى الفريقين ، ولو شهدتَه — أرشدك الله — عذرتَه ، ولو وَهمتَ نفسك حالاته التي كان يُمتحن بها لصوّبتَه ، بل لعلمتَ انه لا رأيَ ولا صواب إلّا ما اختار ولا رأي إلّا ما كان يفعله ؛ واحذرْ — حفظك الله — تخطئة الائمة ، فانه [لو] لم يزل ذلك إلّا لأنها كثيرًا ما تُظهر من تدبيرها شيئاً تورى به عن شيء آخر مخافةً في حال [ظ ١٩١] وطمعاً [في] ان تكون مصلحة شأنه في ذلك التدبير ، لوجب[1]

---

١) خط : ولوجب .

عليك ترك ذلك ، ولذلك رُوي عن عليّ : « ما قتلتُــه ولا امرتُ بقتله وما ساءني وما سرّني » ، ورُوي عنه انه قال : « الله قتله وانا معه » ؛ في كلام كثير يحتمل التأويل .

١٠٠ — وزعمتَ أنك سمعتَ رجالًا من السُّفيانيّة ممّن يرى رأيَ المروانيّة وبعض من ينحل مذهب النّابتيّة ومن أصحاب ثور بن يزيد والاوزاعيّ يذكرون حججاً في تثبيت الخلافة لمعاوية وأنّ نسبه إليها أقرب من نسب الزُّبير وطلحة ، وأنهم كانوا يتعجّبون ممّن رأى الوقوف في حرب عليّ والزبير وطلحة ولم يقف في حرب عليّ ومعاوية ، وأنّ معاوية إمّا أن يكون على الحقّ وإمّا أن يكون أثبت على القياس وأبقى على المسائل من أمر طلحة والزُّبير ، وأنّ حجّتــه في قتال عليّ أصحّ من حجّة عبدالله بن وهب ، وأنّ عذره أوضح من عذر أصحاب النهر ، ولكنه لمّا كان أهل الحجاز وأهل العراق لبُغضتهم على أهل الشام ولطول محاربتهم لأجناد بني مروان وآل أبي سفيان أطبقوا على عداوتهم والبراءة منهم ، صار مَن عرف حقّهم استعمل التقيّة ومَن لم يعرفه قال : « تقول تلك الجماعة » إذ كان لا يرى الجماعة إلّا تلك الجماعة .

١٠١ — وذلك أنّ عليًا سمّى أصحاب الجمل الناكثين لنكث[1] طلحة والزُّبير لبيعته[2] ، ولم يختلف الناس في بيعتها له[3] ، ولا أنكر ذلك الزبير يومَ واقفه عليّ بالبصرة[4] وقد أقرّ بها طلحة ثمّ ادّعى الإكراه ؛ ففي واجب الحكم أن يقضى عليه بإقراره وأن يُسأل البيّنة[5] على دعواه ؛ ولم يستشهد إلّا أسامة ، وليس في قول أسامة وحده حجة على أنه لم يشهد عليّ ، وأسامة ممّن ترك بيعة عليّ ، ولو لم يدع بيعة عليّ لما كان في شهادة الواحد حجّة[6] ؛ على أنّه لم يشهد إلّا بأنه بايع وهو كاره[7] ، وهذا اللفظ يحتمل الوجوه ، وهو بخلاف ما أراد طلحة أشبه .

١) من هنا تبتدئ صورة المخطوطة المحفوظة الآن في مكتبة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب (انظر ادناه ، ص ٤٨٣) ؛ فرمزها في الحواشي : ع .
٢) ع : بابنه .
٣) سقط من ع .
٤) خط : في البصرة .
٥) كلمة غير مقروءة في ع .
٦) سقطت الجملة من ع .
٧) ع : كارها .

١٠٢ – والحقّ كلّه مرّ والباطل كله حلو ؛ وقد خلق الله النار فحفّها بالشهوات وخلق الجنة فحفّها[1] بالمكاره ؛ ومن صفة الطاعة أن يحتمل فيهما[2] صاحبها الكُلفة والمشقّة ومجانبة الهوى ، ومن صفة المعصية أن يدخل فيها من طريق الشهوة لها والذهاب معها ؛ وقد رجع الزُّبير عند الادّكار وتأخر طلحة إلى خلاف موضع صاحب الاستبصار حتى قتل في أخريات الناس ، ولذلك قال بعض الناس : « لله[3] مصرع شيخ ما أضيعه » ، وهو لا يستطيع أن يدّعي على معاوية عقد بيعة[4] ولا على أصحابه نكثاً كما ادّعى على الزبير وأقرّ له بها طلحة .

١٠٣ : ولو كان[5] معاوية سيّئ السيرة في أهل الشام سيّئ النظر للعوام[6] غير مصيب في[7] سياسة الأجناد وفي ترتيب الأشراف وفي تقريب العلماء[8] وفي [ع ٢] رحمة المساكين ولم يكن عفيفاً عن المال شديداً على الفاسد قامعاً[9] للظالم قوياً في الحقّ سهل الحجاب معظّماً للشريف منصفاً للضعيف بصيراً بالحزم[10] عالماً بالحكم كثير الفتوح رحب العطن[11] واسع الصدر ميمون النقيبة[12] فاضل الحلم ، قد جمع المحبّة والهيبة[13] ، لما تمّوا معه[14] بجباههم ظُبار[15] السيوف وبنحورهم أطراف الأسنّة ، ولما خلّفوا العيالات وراءهم [و] ملك الروم قد زحف[16] إليهم ، ولولا أنّ[17] عدله عليهم وحسن سيرته فيهم قد كان دخل كلّ قلب[18] وخصّ كلّ شخص وتمكّن من كلّ قلب ، لكانت الملالة لطول الولاية والذي[19] يعتري النفوس من [و١٩٢] الضجر والضمة[20] عند السآمة قد منع من ذلك وأعان

---

١) خط : وحمها .
٢) « : عنها .
٣) ع : قيل : أخرب باب الثار وكم لك قال يعصم لله ؛ فعلى كل حال العبارة غامضة .
٤) بياض في ع .
٥) بياض في ع .
٦) خط : فم .
٧) بياض في ع .
٨) بياض في ع .
٩) ع : وقامًا .
١٠) ع : بالمراح .
١١) خط : العطن .
١٢) « : التقية .
١٣) ع : والقسمة .
١٤) ع : منه .
١٥) ع : ظبارة .
١٦) ع : وقد زحفت .
١٧) سقط من خط
١٨) ع : كذا ؛ خط : بيت (= بيت ؟) .
١٩) خط : الذى .
٢٠) « : والمنة .

عليه "من لم[1] يعنه، ولكان أحسن حالاته أن ينجو منهم سالما لا له ولا عليه.

١٠٤ — وهل رأيتم قط أو سمعتم برجل ولي[2] مثل ما ولي "من أمر[3] الناس أربعين سنة، عشرين سنة منها[4] كان فيها أميرا وعشرين سنة كان فيها خليفة، وكانوا مع "ذلك يوم"[5] فارقهم أضن به "وأميل إليه[6] منهم في ابتداء ولايته وفي أول ما أذاقهم من حلاوة "إمرته؟ وقد[7] رويتم[8] أن عليا قال: «لا تتمنوا موت معاوية، "فإنه لو مات لرأيتم الرؤوس تندر عن كواهلها»؛ وقال معاوية: «لو أن[9] شعرة طرفها في يدي وطرفها الآخر "في أيدي[10] الناس لما انقطعت أبدا» — قيل له[11]: «وكيف ذلك[12]؟» — قال: «كنت [ع ٣] إذا مدوا أرسلت وإذا أرسلوا مددت».

١٠٥ — فمن أين[13] سماهم القاسطين، والقاسط هو الجائر؟ فأي جور كان رآى منه؟ ولو كان صاحب جور كان من أغضى[14] له على ذلك الجور أجور؟ فهذا اسم أصحاب يوم الجمل اشتق لهم من النكث انكث الرجلين؟ وهذا اسم[15] أصحاب النهر اشتق لهم اسم[16] الحرورية من نزولهم بحروراء، واسم المارقين لأنهم مرقوا عندهم من الحق مرتين: مرة حين عرفهم أن رفع المصاحف خدعة، فعصوه ومرقوا "عن أمره[17]، ومرة لمسألتهم إياه العودة وهو يرى فيهم الوهن وفساد القلوب وضعف الركن.

١٠٦ — فخبروني عن معاوية أي جور ظهر منه منذ ولاه عمر إلى أن قتل عثمان، وعلى من كان جار، وأي شيء ذلك الجور؟ ومن يعرف ذلك ومن يشهد به عليه[18] " فإن زعمتم أن امتناعه من اعتزاله[19] [عن] العمل هو جور

١) خط: ولي.
٢) ع: وإن.
٣) خط: من؛ ع: امر
٤) سقط من ع.
٥) « من خط.
٦) بياض في ع.
٧) بياض في ع.
٨) خط: رأيتم.
٩) بياض في ع.
١٠) بياض في ع.
١١) سقط من ع.
١٢) « من ع.
١٣) « من ع.
١٤) غير مقروء في خط.
١٥) سقط من ع.
١٦) « من ع.
١٧) « من ع.
١٨) « من ع.
١٩) ع: اعتزال.

فلذلك[1] سماه قاسطا ثم عم به الجميع لطاعتهم له ، فقد قلنا في ذلك ما[2] قد سمعتم ؛ وكيف ونحن لم نر أحدا من فقهائهم لم يأخذ منه عطاءه ولا أبى جائزته ولا أسقط اسمه من ديوانه [3]ولا ترك ابتياع السبي من مغنم عمال ثغوره ولا ترك وطء ما يبيع من مقاسمه[3] ولا ترك الأكل والبيع والابتياع من ثمار قطائعه، ولقد سموا العام الذي سلم إليه فيه[4] الحسن الخلافة[5] « عام الجماعة » ، ولقد دفع[6] [ع ٤] إليه عبد الرحمن بن سمرة ، [7]وهو من كبار الصحابة[7] ، مالا كان عنده وعلي حي ، وقال : « جيئته في الجماعة فلم[8] أكن لأدفعه إلا في الجماعة » ؛ وقيل لابن عمر : « ما منعك[9] من أخيك ابن الزبير حين[10] نصب نفسه للخلافة[11] وخرج على يزيد بن معاوية ؟ » — فقال : « إن أخي وضع يده في فرقة وإني لن أنزع يدي من جماعة وأضعها[12] في فرقة » .

١٠٧ — وقلت : [13]وكان مما[13] احتجوا به في استحقاق اسم الخلافة واستيجاب الإمامة [14]أنه قال[14] : « هذا موضع وضعني به عمر بن الخطاب ، لم يعزلني مذ ولاني وقد كان لا يكاد[15] يدع أميرا[16] إلا استبدل به وإلا[17] غضب عليه لبعض ما يكون منه ، وربما أمر بإشخاصه إليه ، [18]ولم يعزلني[18] ولم يغضب علي مذ رضي عني ولا عزلني مذ ولاني ، ثم جمع لي الأرباع بعد أن كان ولاني ربعا وقوى أمري وثبت وطاتي ، ثم أكد لي[19] ذلك عثمان بن عفان وشدده وقوى أمري ومكنه ، فلم[20] يكن في بني الاختلاف أكثر في ذلك منه[21] في

---

١) خط : ولذلك .
٢) ع : بما .
٣) سقط من خط .
٤) « « « .
٥) « « « .
٦) خط : رفع .
٧) سقط من خط .
٨) خط : ولم .
٩) ع : يمنعك .
١٠) خط : حتى كان .
١١) خط : للخلاعه .
١٢) خط : ولم اضع يدى .
١٣) « : ايضا مما .
١٤) سقط من خط :
١٥) « من ع .
١٦) ع : امرا .
١٧) خط : ولا .
١٨) سقط من ع .
١٩) « من ع .
٢٠) خط : بن عفان وشده وقوى أمرى ولم ؛ ع : وشدده وقواه ومكنه فلم
٢١) خط : منه

بيني الائتلاف ، ثمّ إنّك أمرتني[1] بالاعتزال من غير أن أكون أحدثتُ حدثاً أو أويتُ مُحدثاً ، وأنت لم تأخذها من جهة التشاور والتخاير كما أخذها عثمان، ولا نصّ عليك عثمان كما نصّ أبو بكر على عُمَر ، ولا أجمعتْ[2] عليك الأمّة من تلقاء أنفسها كما أجمعتْ[2] على أبي بكر ، فلم[3] يكن [ع ٥] لي أن[4] أسلّم إليك[5] علقاً في الفرقة كنتُ تسلّمتُه من أهله في الجماعة ؟ فإن[6] حاربتني على ما[7] في يدي ، منعتُك[8] ، وإن تركتني ، سلّمتُه إلى مثل من سلّمه إليّ ، ولي أن أمنعك بالسلاح إن شهرتَ عليّ السلاح ، وأن أمنعك بالحجّة إن طلبتَه منّي بالحجّة[9] .

١٠٨ — وزعمتَ أنّهم قالوا : وقال معاوية : « احسبوا أنّ هذا العلق الذي قد صار في يدي[10] ، وصار لي فيه حقّ صاحب اليد فيه[11] ، كان لقطةً طلبها منّي بعض مَن لم يثبت عندي أنّ اللقطة له ، لا من طريق البيّنات التي لا معارض لها [ظ ١٩٢] ولا[12] من طريق العلامات التي يستحقّ بها اللقطة مَن جاء بمثل العلامات التي يُستحقّ بها اللقطة[13] : فأنا في منعك مُحقّ ، وأنت في طلبها[14] منّي مُبطل ، فإن قاتلتني قاتلتُك دون حقّي ، وإن كففتَ عنّي انتظرتُ بها صاحبها[15] متى أرادها[16] منّي ؛ أو[17] ليس لو طلبها منّي سَعْد ولم يتبيّن لي أنّه أحقّ بها منك فدفعتُها إليه كنتُ ضامناً لك[18] ؟ فكذلك أنت في التماسك ما لو دفعتُه إليك كنتُ ضامناً له[19] ؛ وإذا اجتمعنا على أمر فعندها لك أن تأمر وتنهى ، ولستَ في جبلي فضائل[20] على سعد بأسوأ حالاً من سعد

١) ع : ثم أمرني ، فيخاطب معاوية عليا.
٢) خط : اجتمعت .
٣) « : ولم .
٤) سقط من خط
٥) ع : لك .
٦) ع : حين .
٧) سقط من خط .
٨) « من ع .
٩) خط : طلبت مني الحجه .
١٠) سقط من خط .
١١) سقط من ع .
١٢) خط : لا .
١٣) سقط من ع . : كذا في خط ، والصواب : « من جاء بمثلها » فقط .
١٤) ع : طلبه .
١٥) ع : به صاحبه .
١٦) ع : اراده .
١٧) خ : ط و .
١٨) ع : له .
١٩) سقط من ع .
٢٠) ع : جهل فضيلتك .

حين جهل فضيلتك عليه ، وقد أشكل علي كما أشكل على من قبلي ؛ ولو كانت أقداركم عند عمر بن الخطاب[١] متميّزة وحالاتكم عند أنفسكم وعند الرقباء عليكم غير مشكلة ، لكان تكلّف التشاور عيّاً[٢] وعجزاً ، [ع ٦] ولكان تكلّف[٣] عمر ذلك[٤] لكم جهلاً وضعفاً ؛ وكيف أمسكت في[٥] ذلك الدهر عن إنكار[٦] مخايرة سعد وأنكرته في هذا الدهر ؟ فأرنا الفضيلة التي حدثت لك والنقص الذي ظهر له ! » .

١٠٩ — وزعمت أنهم قالوا : قال معاوية : « قتل إمامي وخليفتي مظلوماً وقتل ابن عمي وولي نعمتي مخذولاً ، ورأيت موضع قاتليه[٧] ومنتهكي حرماته في زمان مفتون ودهر اختلاف ، واولياء دمه ضعفاء وهم لي أهل وأولياء : فإن أنا طلبتهم وحبستهم إلى أن يقوم إمام يحكم فيهم وكان ذلك مني من طريق القيام بحق الحرمة والحسبة[٨] وما يجب من شكر النعمة ، كان ذلك حسناً : فهو يحسن من طريق الدين والحسبة ومن طريق الوفاء والمودة ومن طريق الأرحام الماسة ومن طريق ما يوجبه شكر النعمة ، وكيف يحسن بي[٩] أو يستحسن لي ترك محاولة ذلك وتكلفه وتعاطيه وامتحان الحال فيه مع ما معي من الآلة[١٠] والقوة والعدد والعتاد[١١] والمدة ، وقتلته معروفون ومكانهم مشهور ؟ فإن حال بيني وبين الاستيثاق منهم أحد كان ظالماً ، وهل أنا في أخذهم إلّا كقوم مات إمامهم فشدّوا على من في[١٢] محالهم وعشائرهم من أهل الدعارة والفساد ومن رجال الفتنة والفساق [ع ٧] فحبسوهم إلى أن تجتمع جماعتهم وتتفق كلمتهم ؟ فإن منعني دون هؤلاء القتلة مانع بالسلاح ، طلبتهم بالسلاح ، وإذا فعل ذلك عدل زالت عدالته وتحول حكمه ؛ ولا تجوز الإمامة إلّا لعدل[١٣] ، بل لا تجوز لمن اشترك في دم[١٤] أو عان على قتل مسلم

١) سقط من ع .
٢) ع : عيا .
٣) خط : تكليف .
٤) « لذلك .
٥) سقط من خط .
٦) « « « .
٧) ع : قاتله .
٨) ع : الحسبة ومن طريق القيام بحق الحرمة .
٩) سقط من ع .
١٠) خط : اللامه .
١١) سقط من ع .
١٢) ع : قوم من .
١٣) ع : بعدل .
١٤) ع : في دم عثمان .

أو منع وليّ الدم[1] من أخذ قاتل وليّه إلى أن يسلّمه إلى مَن له أن يحكم فيه حكمه[2] » .

١١٠ — وزعمتَ أنّ أصحابه قالوا : « كيف[3] جاز لسليمان بن صُرَد وللمسيّب بن نجبة ولعبدالله بن هلال[4] أن يطلبوا بالسلاح قتلة الحسين بن علي[5]، ولا يكون لمعاوية أن يطلب بالسلاح قتلة عثمان ؟ » ؛ وقلتَ : وزعموا أنّ معاوية زعم أنه أحقّ بالخلافة من جميع بقيّة الشورى : فأمّا سعد فلم يستحقّها قطُّ لأنّه كان جليساً لا يرى أن يدفع ضيماً ولا يمنع[6] حريماً ، وأنّ الدفع بالسلاح عمّن أراد السلطان بالسلاح بدعةٌ وفسق وضلال وفجور ، ولأنّه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان آخى عليّاً دون جميع الصحابة وقال له : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى »[7] ، فإن[8] كان صادقاً فهلّا روى هذه الرواية أيامَ كان عليٌّ حيّاً وهو يجاذبه [ع ٨] الرئاسة ويأبى تقديمه إلى مقام الإمامة ويزعم أنّه أحقّ بها منه ويدعوه[9] إلى الشورى ويقول : « ما أنا بقميصي هذا أحقُّ منّي بها »[10] ؟ وهل يخلو من أن يكون في روايته كاذباً أو صادقاً ؟ فإن كان صادقاً فقد ضلّ بامتناعه عن بيعة مَن هذه عنده صفته[11] وتركِ تقديم مَن هذه الرواية فيه ومَن مكانُه من الرسول هذا المكان ؛ وإن كان كاذباً فليس هذا النوع من الكذب من أخلاق الأئمّة ومن صفات الخلفاء، وعلى أنّ[12] مَن أقرّ بأنّه[13] قد ترك تقديم مَن هذه صفته، فقد أقرّ على نفسه[14] بالمعاندة وبترك[15] الإقرار لأهل الحقّ [و ١٩٣] بحقّهم ؛ ومتى ثبت ذلك عليه بطل خبره ورُدّت روايته ، ومن كان مكذّباً في حديثه ، فغير إمام ولا حاكم ولا شاهد ، فافهمْ ذلك[16] .

---

١) ع : دم .
٢) ع : بحكم ولا شهادة .
٣) ع : وكيف .
٤) ع : والى .
٥) سقط من ع .
٦) خط : يمنع ، سقط من ع .
٧) انظر فهرس الثانية .
٨) خط : واف .
٩) خط : ويدعو .
١٠) انظر فهرس الثانية .
١١) ع : من بيعة من هذا صفته ، خط : عن بيعته وهذه عنده صفته .
١٢) خط : على عليه السلام انه .
١٣) « : انه .
١٤) سقط من خط .
١٥) خط : وبترك .
١٦) سقط من ع .

١١١ – وأمّا طلحة والزبير، فإن كانا قد اهتديا في بيعته، فقد ضلّا في النكث عليه، وإن كانا قد ضلّا في بيعته، فما تابا من ضلالها ولا خرجا من إدخال الشبهة على رعيّتها، وإدخال شبهة تورث الفتنة أعظمُ من قتل رجل من المسلمين؛ وفي رجوع الزبير ونكوص طلحة وفيما كان من مسيرهما وتجاذبهما الإمامة فيما بينهما وتقديم ابنائهما الصلاة[1] على [ع ٩] التوب واختلاف أمرهما ما يدلّ على اختلاط التدبير؛ فإنّهما[2] لم يكونا من أحلاس الخلافة ولا يتّسمان لها ولا ينهضان بأعبائها، وإنّ الأمر لو أفضى إليهما ومات من ينازعهما، لكان كلّ واحد منهما أشدّ على صاحبه من العدوّ[3] الذي مات عنه[4]، ولو فرغا من حرب عليّ لألقيا للناس حرباً أطول وفتنة أشنع وقتلاً أذرع، ولو قتل كلّ واحد منهما صاحبه أو مات عنه[5] حتف أنفه لجرى بين[6] ابنيهما، إذ كان هذا يصلّي بالناس مرّة عن أبيه وهذا مرة عن أبيه[7] من الشرّ والمناصبة ومن القتال والمغالبة[8] ما[9] هو أشنع وأفظع وأدهى وأمرّ؛ ولو كان ذلك لأصابنا من[10] أتباع أبناء الأبناء وسرعان الغوغاء ما ينسي ما قبله ويشغل عن ذكر ما تقدّم امامه؛ ومن كان كذلك حكم ارتحاله وحلّه وعقده[11] ونقضه وإبرامه لم يستحقّ تلك المقادم ولم يستوجب تلك المراتب.

١١٢ – وقالوا[12]: وأمّا عليّ بن أبي طالب[13] فإنّه مع الشرك في ذم عثمان والاشتمال على قتله لم يزل لا يرى أن يعيد الأمر إلى الشورى، وكان ذلك منه طعناً على عمر وزراية منه[14] على أولائك الرقباء والأمناء، وخلافاً [ع ١٠] على رأي[15] الجماعة، والطعن على هولاء ضلال[16] والخلاف[17] عليهم إثم كبير،

١) سقط من ع، راجع مروج الذهب، ٤: ٣٠٧
٢) خط: وإنّها.
٣) ع: العدد.
٤) خط: منه.
٥) سقط من ع.
٦) « من ع.
٧) « « «
٨) ع: والثلبة.
٩) ع: وما.
١٠) خط: لاصابنا؛ ع: الاحساما.
١١) « : حطه وارتحاله وعقده.
١٢) « : قالوا.
١٣) سقط من ع.
١٤) « من ع.
١٥) خط: لراى.
١٦) ع: الضلال.
١٧) خط: والاختلاف.

وإنّما كان الإنصاف والإقرار بالحقّ والخضوع اللازم أن تجتمع بقيّة الشورى وهم أربعة فيشتوروا في التخيير[1] كشورتهم[2] فيه وهم ستّة، ولأنّ ذلك الأمر إنّما كان مقصورًا على قوم قد أجمعوا على تفضيلهم وتوليتهم[3] *وأنّه حقّ النفر[4] فلا يزول[5] حقّ الحيّ لموت الميت، والجماعة الذين كانوا بالأمر راضين لم يتغيّروا ولم يتبدّلوا، وإنّما كانوا[6] ستّة فمات عبد الرحمن[7] وقتل عثمان : فلو تركهم عليّ يجتمعون ولم يبتزّ[8] الأمر وصيّره إلى التخاير والتشاور وإلى طلب مَن هو أردّ عليهم وأنفع لهم ولو بشيء يسير[9] وذلك هو القياس، لمّا كان اختلاف[10] كما لم يكن قبله اختلاف، وعلى أنّ المسلمين لم يتشاوروا قطّ في أمر الإمامة فما دونها فافترقوا إلّا[11] عن غير اختلاف، وكيف يختلفون وقد أطاعوا ربّهم وكيف لا يعصمهم وقد اعتصموا بحبله وآثروا حقّه ؟ قال الله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾[12]، وقال : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[13]، وقال : ﴿ فَابْعَثُوا حَكَمًا [ع ١١] مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[14]، ولا يجوز أن يضمن التوفيق لنفسين إذا أرادا الإصلاح ويخذل الجماعة، ولا يجوز أن يوفّق مَن كان من عرض الأمّة ويدع الأئمّة .

١١٣ — وبعدُ فهل خالف ذلك الرأي من عُمر أحد ؟ ولقد اتّفقوا عليه بعد موته كما اتّفقوا عليه قبل موته ؟ ولقد خالف بعضهم أبا بكر في استخلاف عمر وما خالف أحدٌ عمر في وضع الأمر في الستّة، ولم يقل أحد[15] من الستّة : « فينا واحد لم يكن ينبغي أن يكون منا »، * أو : « في الناس واحد كان

١) ع : تخييرهم .
٢) ع : أكبرهم .
٣) سقط من خط .
٤) « من ع .
٥) ع : يزيل .
٦) ع : كانت
٧) ابن عوف .
٨) ع : س .
٩) ع : بنى سيره .
١٠) خط : الاختلاف .
١١) « : لا .
١٢) سورة الشورى ٤٢ : ٣٨
١٣) سورة آل عمران ٣ : ١٥٩
١٤) سورة النساء ٤ : ٣٥
١٥) ع : واحد .

ينبغي أن يكون منا »[١]، لا[٢] ولا قال احد من الأمناء ولا من جميع الجمهور والدهماء: ٥« فيهم واحد ٭لم يكن ينبغي أن يكون فيهم[٣] وفينا واحد كان ينبغي أن يكون معهم »؛ فتمّت الكلمة وشاع الرضى واستفاض التسليم[٤].

١١٤ — وقالوا[٥]: فعليّ لا يصلح لها من هذه الوجوه وطلحة والزبير لا يصلحان[٦] لها من حيث ذكرنا، وسعد هو الذي لا يجوز أن يجيء منه ملك ولا إمام في كفر ولا إسلام، لأنّ مَن لم يدفع عن بيضة الملك بالسيف فهو مقتول [ع ١٢] ٭وأمره ضائع[٧]، ٭ ولم يطلب ملكك أحد[٨] [ظ ١٩٣] فرضي بأخذه دون ٭أن يأخذ[٩] نفسك مع الملك، وهذا قائم منذ كانت الدنيا، ٭ولو أمنه[١٠] أن يثب به أو يثب من أجله واثب٭[١١] ما دام حيًّا لكان استبقاؤه أحبّ إليه وألذّ[١٢] له وأبلغ عنده[١٣] فيما يريد.

١١٥ — وقالوا: ولو ادّعى رجل عندنا النبوّة وذكر أنه يستشهد إحياء الموتى والمشي[١٤] على الماء، ثمّ زعم أنّ الملك مستقيم دون منعه بالسيف والسوط، لَعلمنا أنّه لم يكن ليأتيَ بعلامة أبدًا ولا يُقيم شاهدًا[١٥] على دعواه أبدًا، إلّا ان يأتي قوم طبائعهم على خلاف طبائعنا وحالاتهم على خلاف[١٦] حالاتنا ٭وعاداتهم على خلاف عاداتنا[١٧] وأسبابهم على خلاف أسبابنا؛ فأمّا والأمر على ما شاهدنا من طبائع الناس اليومَ وعلى ما سمعنا من طبائع العرب في جاهليّتها وإسلامها[١٨] والعجم في سالف أيّامها، فانّ ذلك لا يجوز ولا يقوله مَن يعرف الدنيا وما فيها؛ ولذلك لم يكن للزنادقة مملكة قطّ ولا تكون أبدًا، ولقد اضطرّ

---

١) سقط من خط.
٢) ٭ من ع.
٣) ٭ من خط.
٤) خط: التسليم والما.
٥) ٭: قالوا؛ ع: قال.
٦) ع: يكملان.
٧) سقط من ع.
٨) خط: ولا يطلب مالك احد؛ ع: املكك اخذ.
٩) ع: اخذ.
١٠) ع: ولم يامنه.
١١) دون نقط في الاصلين.
١٢) خط: واشد
١٣) ع: له.
١٤) خط: والمس.
١٥) ع: علامة.
١٦) خط: غير.
١٧) سقط من خط.
١٨) ليس في ع ولعل الصواب حذفه.

الأمر نصارى الروم ونصارى الحبشة إلى الدفع باليمن حين[1] رغبت في الملك ومالت إلى الدنيا مع علم [ع ١٣] جميع العالم أنّ القتال[2] ليس من دينها ولا من مذهبها .

١١٦ — ألا ترى أنّ الله لم يُخلِ الدنيا من أن يجعل فيها نبيًا يحمل السلاح ويُقيم جزاء الحسنة والسيئة ويستعمل السيف والسوط ، أو يضمّ إليه مَلِكًا يذبّ عن النبوّة بعز[3] الملك ويدعو النبيُّ إلى طاعته برأفة النبوّة ؛ فأمّا أن يُرفع أحدهما من العالم فلا بدّ من اجتماع اللين[4] والشدّة[5] إمّا في شخص واحد[6] وإمّا في شخصين، وقد قال الله : ﴿ وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ[7] ﴾[8] ، وفي المثل المحمود : « قتل البعض إحياء الجميع »[9] ، وليس في الأرض ملك إلّا وأطراف ممالكه تنتهي إلى حدود ممالك الملوك[10] ، فهو وإن تنصّر فإنّ الملوك لا يتنصّرون معه ، وإن تزندق لم يتزندقوا معه ؛ على أنّ الملوك لم تنصب الأديان رغبةً في الديانات ولكنها تعلم أنّها إن لم يكن لها[11] دين لم تلزم بيعة[12] ولم يثبت عقد أولي[13] الملك من بعدها[14] ، ولم يتديّن الناس بقتال من يخرج عليها[15] ويريد إزالتها[16] ؛ وإن لم يكن دين كانت الأموال منتهبة والزوجات مشتركة ولم يثبت نسب [ع ١٤] ولم يكن لأحد وارث ولم يكن تزويج ولا طلاق ولا ملك ولا عتاق ولم

١) خط : حتى .
٢) « : القتل والقتال .
٣) ع : بعد .
٤) خط : في اللين .
٥) ع : والشد .
٦) سقط من ع .
٧) « من ع .
٨) سورة البقرة ، ٢ : ١٧٩ .
٩) خط : قبل الترض احياء للجميع .
١٠) ع : ملك .
١١) ع : انهم انا لم يكن لهم ؛ خط = انها ان يكن لها .
١٢) خط وع : بيته . ١٤) خط وع : بعده .
١٣) خط : لواء . ١٥) « : عليه؛ ع: عليهم . ١٦) خط وع : ازالته

يثبت توكيل ولا أجرة[1] ولا شهادة ولا وصية ولا شرط ولا عهد ولا حدود ولا قصاص ولا قَوَد[2] ولا حبس[3] ولا إقرار ولا إنكار ولا دعوى ولا أَيمان ولا بيع ولا شراء ولا ميراث ؛ وإنّما[4] يحرص عليه لأنّ به[5] وفيه ثبات ملكه وتوكيد سلطانه، ثمّ لا يبالي ما قالوا في الله وما جوّزوا على الله وكيف وقعت الأمور بعد أن يستقيم له شيء[6] يكون فيه وبه[7] ثبات الملك .

١١٧ — فإن كنتَ تحبّ أن تعلم أنّ الذي أقول حق[8] فتأمّل قول كسرى مع شدّة عقله في الله وفي إبليس وفي أعلام زرادشت وفي شرائعه من غشيان الأمهات[9] والتوضؤ بالأبوال ، وفي دين قيصر وقوله في الله وفي المسيح وفي بولُص ، وفي دين ملوك[10] العرب وفي عبادة الحجارة ، وفي ملوك الهند في البُدّ وفي تعظيم الزناء ودخول النيران ، وهولاء رؤساء الأمم ، فانظر كيف تجدهم في الأديان .

١١٨ — وإذا كان هولاء وهم بقية الشورى لا يصلحون للإمامة فمن دونهم أجدر ألّا يصلح لها [ع ١٥] وكانوا منها أبعد ؛ وقلتَ[11] إنّ معاوية أولى بها منهم إذ كان أبرأهم ساحةً من هذه[12] العيوب وأسلمهم[13] فِناءً من هذه اللوائم ، ولأنّه أيضاً أولى مَن انتدب ؛ ولو أنّ جميع أهل بدر أمكنتهم إنكار المنكر من مُلك [و ١٩٤] متغلّب إلّا أنّهم[14] لم يتكلّفوا ذلك حتّى انتدب رجل من عرض المسلمين فبذل نفسه وأهله وماله وداره وعشيرته وأصحابه وأمّل[15] الناس فيه درك[16] حاجتهم ورجوا الفرج على يديه ، كان ذلك المنتدب — وإن كانت[17] سابقةُ غيره أفضل — أولى[18] بذلك منهم ، ولعلّه أن يلحق بهم في الطاعة أو

١) خط : امره
٢) « : قوه .
٣) « : حبش .
٤) ع : فانما .
٥) سقط من ع .
٦) خط : يستقيم شيئا ؛ ع : يعلم لهم شيء .
٧) سقط من ع .
٨) خط : حق قائم صحيح .
٩) « : عصيان الامهات ؛ ع : غشيان الاموات
١٠) سقط من خط .
١١) ع : وقبلت .
١٢) سقط من ع .
١٣) خط : واسلم .
١٤) « : جم .
١٥) « : وابل .
١٦) « : وعند درك .
١٧) « : كان .
١٨) « وع : واولى .

يجوزهم ، كما عقد عمر بن الخطّاب[1] لأبي عبيد ابن مسعود على أربعين من أهل بدر وعلى الجماعة الكثيرة من المهاجرين والانصار[2] السابقين وليست له[3] في ذلك علة إلا أنه كان أوّل من انتدب ، ولذلك[4] كانوا رأوه وتحدثوا به ، فساروا تحت لوائه وصلّوا خلفه وأطاعوا أمره وأكبروه بالخضوع له وأعظموه بالإطراق بين يديه والانتصاب له عند طلعته .

١١٩ — قد كتبتُ إليك[5] ، يا ابن حسّان ورسمتُ لك[6] ما ألقيتَ إليّ[7] من جُمل دعواهم مفسّرًا ومن حججهم مبيّنًا ، ولم أقتصر على مقدار ذلك حتى لم أدع لذي هوى [ع ١٦] نزاعًا ولا لذي حيلة متعلّقًا ، لأنْ أحسم من قلبك هذا الداء وأقطع أصل هذه المادّة ، ولولا أنّي — والحمد لله — على ثقة من سهولة الجواب وقرب المأخذ وظهور المعنى وقمع الحقّ للباطل وأنه لا يتلقّاك إلّا مكشوف[8] القناع ناصع البياض مشرق اللون ، لما رضيتُ أن أكون سببًا لتنبّه[9] العدوّ ومادّةً لخواطر[10] الأعداء ، ولعلّ بعضهم أن يعدوَ عليّ بالسلاح الذي ألقيتُ إليه[11] يوم الحفل ويلتمس به تحري على شغل منّي[12] ؛ فقف الآن على فصل فصل وانظرْ في باب باب ، فإنك ستفهمهما لم تتشاغل تشاغل المتفرغ وتستبين[13] ما لم تصدّ عنه صدود المتثبّت[14] إن شاء الله .

١٢٠ — بإسم الله الرحمن الرحيم[15] ، فأوّل[16] ما أبدؤك به وأوّل ما أذكره لك من هذه الخصال ، تعريفك أنّ معاوية لم يحتجّ بشيء من هذا قطّ ولا احتجّ[17] له به في عصره[18] أحدٌ قطّ ، ولا جرى لهذا الشكل ذكرٌ

---

١) سقط من ع .
٢) سقط : من ع .
٣) ع : ليست لهم .
٤) سقط من ع .
٥) ع : لك .
٦) سقط من ع .
٧) خط : الك .
٨) « : مكشوفا واضح .
٩) « : تنبه .
١٠) خط : خاطر .
١١) « : عليه .
١٢) ع : في عرض ساعة الشغل .
١٣) خط : وستبين .
١٤) ع : تصدر عنه صدره المصمت ؛ خط : المـ[. . .] ؛ (اقتراح محمد الطالبي) .
١٥) سقط من ع .
١٦) ع : اول .
١٧) خط : ولم يحتج .
١٨) ع : عمره .

قط[١] ولا خطر على بال ؛ فمنه ما تكلّفه أعداء[٢] عليّ من[٣] المتكلمين وأهل السباب[٤] من الناصبة الملاعين ، ومنه ما هو تخريج[٥] من أصحابنا لخصومهم على أنفسهم ليتقدّموا في الحيّة وفي العتاد والعدّة وفي الأخذ بالثقة [ع ١٧] كصنيعهم واعتلالهم[٦] بمذاهب المخالفين ودعوى جميع المبطلين ، ومنه ما حضرني عند ابتدائي الإخبار عنهم وما عزمتُ عليه من استقصاء كلّ شيء لهم[٧] لتعرف قوّة أوليائك وعجز أعدائك[٨] ، وتعلم أنّ مَن عرف من حُجج الخصم أكثر ممّا يعرفه[٩] الخصم كان بحجج نفسه أعرف وعلى معاني حقّه أغوص وعلى غايته أقدر وأنضى ، ولكان أينس للمخالف وآنس للموافق[١٠] ، ولأن تعلم أنّ أولياءك لو لم يجدوا في أنفسهم فضلًا لما أعاروا بعض قوّتهم[١١] أعداءهم ، ولأن لا يبقى[١٢] على مَن قرأ كتابي شبهة بعد قراءته ، والله الموفّق للصواب[١٣] وهو على كلّ شيء قدير[١٤] .

١٢١ — ولو كانت هذه الحجج قد احتجّ بها معاوية واحتجّ إليها أحد في ذلك[١٥] الدهر ، لكان[١٦] ذلك مشهورًا عند حمّال الآثار والمعروفين بالصدق من أصحاب الأخبار والنقلة مثل الزُّهري ومحمد بن إسحق إمامي أهل الحجاز في علم السِّيَر ونقل الأخبار ، ومثل قتادة صاحب الأخبار بالبصرة ومَن كان

---

١) سقط من ع .
٢) خط : تكلفته اعدادا .
٣) سقط من خط .
٤) ع : الشار .
٥) خط : يحرج .
٦) ع : واعتلالاتهم .
٧) خط : له .
٨) سقط من ع .
٩) خط : عرف .
١٠) خط : ولنصى وايسر ارتداع المخالف وانس الموافق . ع : ولكون اباسى للمخالف وانس للموافق .
١١) ع : قولهم .
١٢) ع : يخفى .
١٣) سقط من ع .
١٤) سقط من خط .
١٥) خط : هذا .
١٦) ع : لقد كان

الملوك تكتب إليه من الشامات في المشكلات ، ومثل سماك بن حرب بالكوفة ، ومثل الشعبي وابن شُبْرُمة والقاسم بن مَعْن ، وجملة من أهل [ع١٨] البصرة مثل ابن أبي عُيَيْنَة ،ومثل مَسْلَمة بن محارب،بل مثل أبي عمرو ابن العلا. ويونس بن حبيب[1] ومحمد بن حفص وعبيد الله بن محمد بن حفص[2] وأبي عُبَيْدة وأبي اليقظان ، ومثل[3] مسمع وكُردين[3] وأبي عاصم النبيل ، ومثل[4] خلّاد بن يزيد والقَحْذَمي ومؤرّج وابن قَنبَر .

ص٥٠ ١٢٢ — وسندع[5] ذكر الأصحّا. والثقات وأصحاب التبريز[6] في تصحيح[7] [ظ ١٩٤] الروايات ، ونذكر مَن دونهم ممّن قد يؤخذ عنه ويُطعن عليه كالكلبي وابن الكلبي وعَوانة والشرقيّ بن القُطامي وأبي الحسن المدائني والهيثم بن عدي وأبي مِخْنَف لوط بن يحيى وابن جُعْدُبة ؛ وكان لا أقلّ من أن يرويه شوكر وابن دأب والعُتبي ، أو أرواه رواة الخوارج كعمران بن حطّان والمُقطِل[8] والضحّاك بن قيس وحبيب بن خدرة[9] وأبي عُبيدة كُردين[10] ومُليل[11] وأصفر بن عبد الرحمن ورعا[12] ومسمار .

١٢٣ — وأنت تعلم اضطرارًا أنّ هذه المسالك ليست بمسالك الرواة وإنّما هي[13] مسالك المتكلمين إذا كانوا رواة ؛ وقد سمعت خطب معاوية ورسائله وكتاب القضيّة : أفتظنّ أنّ معاوية كان عنده من هذه[14] الحجج ومن هذه الاعتلالات شيء. وهو يدع أن يخطب به ويشيعه ويدعو إليه ويعرضه [ع ١٩]

١) خط : معقب .

٢) خط : الحسن .

٣) ع : مسمع كودين ؛ كذا في خط ؛ انظر ادناه § ١٢٢ .

٤) سقط من ع .

٥) ع : وسنذكر .

٦) ع : التبريق ، ولعل الصواب : التدوين .

٧) خط : وتصحيح .

٨) خط : والمهطل ؛ ع : والمتطل .

٩) « : حدره ؛ ع : حمزة .

١٠) راجع البيان ١ : ٣٤٧ ؛ واما كردين المذكور في الفقرة السابقة فلعله كورين او كرزين والله اعلم .

١١) خط : ومطلل ؛ ع : وبليل .

١٢) كذا في ع ؛ سقط من خط .

١٣) سقط من ع ؛ ومن هذه الاعلام ما يتطلب بحثا وتنقيبا .

١٤) سقط من خط .

على أصحابه ؟ بل كان لا يدع أن يجعله في كتاب ويقرأه على أجناده في كلّ خميس واثنين ؟ ولم أقل إنّ معاوية لم يكن فطناً أو بعيد الغور بيّناً ، ولكن[1] لو جمتَ إلى عقله ودهائه عقل عمرو بن العاص والمُغيرة بن شُعبة وزياد والأحنف والمهلّب وأضعافهم من الرجال ، لما عرفوا من هذا الشكل شيئاً بطباعهم[2] دون أن يستعملوا[3] صناعة[4] الكلام ، كما أنّهم لو أرادوا الحساب والهندسة وعلم اللحون والطبّ وجميع العلوم لكانوا لا يدركون من ذلك حظّاً دون كثرة التنقير والتفتيش[5] وطول الدراسة للكتب ومنازعة الرجال ؛ وما أشكّ أنّهم أحقّ بذلك من كثير ممّن قد رأيته من المعدودين في أهل النظر؛ فلا[6] تنكرْ قولي إنّه[7] لم يكن يعرف من هذا قليلًا ولا كثيراً .

١٢٤ — فدواؤك قبل كلّ شيء أن تُخرج من قلبك أنه كان يحسن هذا وأنّ عمرًا كان يهتدي له ؛ ثمّ أعلمْ أنّه مولّد خبيث وتمويه ضعيف ، وسنُوجدك ذلك فيه باباً باباً وفصلًا فصلًا ؛ وقد يكون الكلام ظاهر العيوب بادي المقاتل مستهدفاً[8] للطاعن ، ولا يفطن له الحازم من الرجال ويفطن له الخسيس العقل من أهل النظر ؛ وإن خرّجنا [ع ٢٠] كلّ شيء في هذا الباب كثر الكلام ، وإذا[9] كثر الكلام خرج الكتاب من[10] حدّ الرسائل ، ولم نأمن من[11] ملالة القارئ ونعاس المستمع ، وفيما نُلقي[12] إليك من الجمل ما يُغني مثلك عن التفصيل ، ولو كان المقصود[13] إليه سواك لما وجدتُ بدًّا من التفسير والتخريج وانتظام جميع الأمرات واستقصاء جميع[14] الأبواب .

١٢٥ — أمّا قولهم بقول[15] معاوية : « هذا موضع صرتُ إليه بالإجماع[16] فلا أخرج منه في الفرقة » ، فإنّ أكثر الناس يغلطون في حكم الإجماع في

١) ع : ولكنك .
٢) ع : بطبائعهم .
٣) ع : يستعمل في .
٤) خط : صنعة .
٥) سقط من خط .
٦) ع : ولا .
٧) اي معاوية .
٨) خط : نعم ومستهدفا .
٩) ع : زاد .
١٠) خط : عن .
١١) سقط من خط .
١٢) ع : الفى .
١٣) ع : المقصد .
١٤) سقط من خط .
١٥) خط : تقول ان .
١٦) كذا في خط و ع ، انظر § ١٠٧ .

هذا المكان ويلحقونه بغير شكله ؛ نقول إن الناس إنما جمعوا على تفضيل الفاضل لفضيلة وجدوها فيه[1] ، وليس أنهم وجدوا الفضيلة فيه لأنهم أجمعوا على تفضيله ؛ فالإجماع تبع للفضيلة الموجودة ، وليست الفضيلة تبعاً للإجماع الذي كان منهم ؛ وإذا كان الفضل بارزًا ، فعليهم الإجماع عليه ؛ فإن اختلفوا فلا يبعد الله إلّا مَن خالف الحقّ حقّ الفاضل ، وإن لم يصل إليه مع ضعف الموافق وقوّة[2] المخالف ؛ فإن[3] وافق صاحب الحقّ[4] إجماعاً فعليه الشكرُ والحقّ حقّه ، وإن وافق اختلافاً فالحقّ حقّه وعليه الصبر .

١٢٦ — وقد كان فضل عليّ ظاهرًا [ع ٢١] ، فإن أجمعوا عليه فقد أصابوا حظوظهم ووافقوا محبّته إذ كان ذلك حقًا ، وإن اختلفوا فقد أخطأ المخالف حظّه ، ولم يضِم ذلك عليًا لأنّ ثواب عليّ على الصبر على البلاء كثوابه على الشكر على الرخاء ؛ والحقّ [و ١٩٥] ليس يجب له بالإجماع بل إنّما كان ذلك دليلًا على الاستحقاق[5] وحكم مقام النبيّ صلى الله عليه وسلم وحكم مرتبة الإمام[6] والتفضيل إلى أن نعلم أنّ أمرًا قد اضطرّ إليه ؛ فما لم نعلم ، فالحكم بالتفضيل لازم لظاهر الحال ، وليس لنا أن نُزيل[7] حكم ظاهر الأمر بـ ... ، وليس يزول اليقين إلّا باليقين ، ومتى هجمنا على رجل قد أجمع ... على تأميره طائعين غير مكرَهين ، ثمّ رأيناهم يدينون بطاعته ويتقرّبون إلى الله بنصيحته ويرون أنّه إذا ولّى رجلًا صلاة الجمعة[8] أنّ له أن يقصر ... أن يقصروا خلفه ، وإن هو[9] عزله كان عليه وعليهم أن يأتوا بخلاف ذلك ، ومتى استعمل رجلًا على ثغر دانوا بإتباع[10] ذلك السبي[11] ووطئه[12] واستخدامه وبيعه والانتفاع بذلك المقسم[13] وبإتباع[14] العقد [ع ٢٢] والعقارات والمستغلّات منه ، ومتى عزله حرّموا ذلك وسقطوا مَن لم يجتنبه ، ومتى

---

١) خط : فيه يعني في الفضائل .
٢) ع : وقد
٣) حد : وإن
٤) ع : انصل .
٥) حد : ستحقاق .
٦) ع : الامامة .
٧) حد : نرسل .
٨) خط : رجل الصلاة صلاة الجمعة .
٩) سقط من ع .
١٠) خط : باتباع .
١١) « : السبى .
١٢) سقط من حد .
١٣) خط : القسم .
١٤) « : والانتياع .

استقضى رجلًا لزم الناس حكمه ونفذ فيهم[1] أمره ووجبت سجلاته ولزمت قضاياه[2]، ومتى قال: قد عزلتُك، كان كالمفتي وكالمشير والمصلح، ثم تراهم إذا كان قاضياً[3] يقومون فوق رأسه ولا يجلسون إلا بأمره.

١٢٧ — ولم نَرَ عليًا[4] لمّا[5] عزل سعدًا وولّى أبا موسى وعزل عمارًا وولّى المغيرة، قال المعزول: «لا أعتزل البتة!»، أو قال: «لا أعتزل حتى أعرف لِمَ[6] عزلني ولِمَ ولّى مَن أنا أعظم غناء منه وأجوَد سياسةً منه وأشرف[7] أرومةً منه»، أو قال: «أنا[8] أسنّ منه وأكثر فقهاً وعلماً[9] منه»، أو يدّعي أنّ أهل البلدة به[10] أرضى وأنّه لا يرضى أن يكون قد عانى[11] خراب أرضها[12] وفساد رجالها وضياع ثغرها، فلمّا عمّر البلدة وحصّن الثغر وأصلح الفاسد وقد كلف وتعب وسهر ونصب، بعثَ[13] رجلًا يصير[14] له مهنأها[15] فيذهب ببردها وحلاوتها، وأنا[16] قد صليت بحرّها[17] ومرارتها[18]؛ بل تجد المعزول صابرًا راضياً والمستعمل قابلًا نافذًا لأمره وقوله[19]؛ فحكم ظاهر[20] هذه الحال وحكم المرتبة التقديمُ لأهلها والتفضيل لأربابها[21] حتى تثبت الحجة بمعنى يحطّه[22] عن أعلى المراتب ويقتصر به على دون الكمال، فالإجماع تابع في هذا الموضع.

١٢٨ — فأمّا من حيث ذهب القوم إليه فقد قلنا في ذلك؛ فإن قال: «فهلّا جعلها شورى بينه وبين طلحة والزّبير؟» — قلنا: قد زعمتم أنها قد

---

١) ع: وهو.
٢) سقط من خط.
٣) سقط من ع.
٤) ع: نره.
٥) ع: اذ.
٦) سقط من خط.
٧) خط: واجرد.
٨) سقط من ع.
٩) « من ع.
١٠) خط: اهل البلد انه.
١١) خط: عامل.
١٢) خط: اهلها.
١٣) ع: بعث.
١٤) ع: ويصير.
١٥) ع: مهناه.
١٦) سقط من ع.
١٧) سقط من ع.
١٨) ع: وموارتها.
١٩) بياض في ع.
٢٠) بياض في ع.
٢١) بياض في ع.
٢٢) هنا تنتهي مخطوطة الاستاذ عبد الوهاب.

بايعًا فإن كانا قد ضلّا بتلك البيعة فقد صارا لا يصلحان للإمامة ، وإن كان ذلك منها هدًى فقد ضلّا بالصمت قبل الحديث ؟ فإن قالوا : قد قلنا[1] ذلك في طلحة والزبير ولكنّا قد علمنا أنّ سعدًا لم يبايع وإنّما ضلّ عندنا بعد أن تبيّن لنا رأيه في ترك البسط وفي روايته في تفضيل عليّ على نفسه بعد وفاة عليّ ولكن ما باله لم يدعُ إلى الشورى يومئذ ، وتركه للشورى عندها ضنـ[ـينة][2] على عمر وتخطئة[3] للجماعة ؟ — قلنا : إنّ عمر لم يشترط ذلك الأبد ، ولم يُوجبه إلّا في الثلاثة الأ[يام] التي قال : « إن انقضت ولم يفرغوا ، فاقتلوهم » ، وما علم عمر بما يكون من الحفاظ قوم وتبديلهم ، وبأي وجه آخر يبدل مَن تقدّمهم ، وبما يحدث في أنصارهم من العمى الـذي يمنع من الحكم ، أو ممّا يُعجل من [. . . . . .][4] الذي يحول دون الخلافة ، أو ليس[5] الإمام الـذي بعده قد كان له في رعيّته من التدبير مثل الذي كان لعمر في رعيّته ؟

١٢٩ - أوَ لستم تزعمون أنّ أبا بكر أقام عمر وأنّ عمر ترك سيرة أبي بكر وصار إلى الشورى ووضعها ؟ فإن قلتم : « إنّما غيّر التدبير حين لم يجد واحدًا فاردًا[6] » — قلنا لكم : « وكذلك مَن بعده فغيّر تدبير عمر كما غيّر عمر ذلك التدبير عن بعض ما شاهد أبو بكر من الحال المخالفة للحال الأخرى ؛ فليس لنا أن نُلزم عليًّا الشورى إلّا بأن يُوجد أنّ عمر قد كان جعل ذلك شرطًا محدودًا وأنّ الأمة تلقّت ذلك بالتصويب ، فلمّ [. . . . . .][7] اختلاف وليس لعمر في سلطانه إلّا مثل ما للإمام [. . . . . .][8] [ظ١٩٥] المصلحة على قدر ما شاهد من الحال ؛ وإنّما تدبير الأمور على قدر اختلاف الأمور وقد وجدنا

١) كذا ، ويقترح محمد الطالبي : قبلنا .
٢) اقتراح محمد الطالبي .
٣) خط : وحطه (اقتراح محمد الطالبي) .
٤) لعل : الهوى (اقتراح محمد الطالبي)
٥) خط : وايس .
٦) كذا في الاصل ؛ ولعله : نائبا (اقتراح محمد الطالبي) .
٧) محو في الاصل ولعله : بنشأ فيه .
٨) محو في الاصل ويقرأ محمد الطالبي : للامام الثاني في ايام سلطانه من اد[راك] المصلحة .

عليًا نفسه عند الحاجة والضرورة وعند الحطبة على الرعيّة قد أظهر الرضى بأن يكون أبو موسى وعمرو يتشاوران فيه ، فكانا في موضع الشورى في ظاهر الحال وهما عنده على ما هما له عندنا ، وكذلك معاوية وقد امتنع قبل ذلك أن يحبس[1] نفسه بمخايرة طلحة والزبير وسعد [فحبسها] بحيالة أخرى أبعد من الأولى من كلّ ما ذكرنا ؛ وإنّما كلّ ذلك بقدر ما يشاهد الإمام من الحال إذ كان ذلك إنّما يُعرف صوابه من باب الرأي فقط .

١٣٠ — ويقال لهم : فإنّا نردّ الأمر إليكم : أرأيتم لو أُمرتم أن تختاروا بين عليّ وسعد إمامًا كيف كنتم تصنعون حتى تُوجدونا أنّ سعدًا او[لى][2] من عليّ ؟ قولوا كيف شئتم ؛ قد علمتم أنّ هـذا الأمر ، إن كان بالحسب ، فإنّ سعدًا ليس من شكل عليّ ، وعليّ هاشميّ الأبوين وكان أول هاشميّ الأبوين كان في الأرض ، وَلَدَه أبو طالب ابن عبد المطّلب بن هاشم من فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهم أربعة : عليّ وجعفر وعَقيل وطالب ؛ ثمّ هو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اخي حمزة والعباس ؛ ثم الذي يجمع أبا النبيّ صلى الله عليه وسلم وأبا طالب [. . . . . .][3] الأدنى بالأم التي جمعتها .

١٣١ — فإن كان هذا الأمر إنّما يستحق بالرواية فليس لسعد في ذلـك حرف واحد ممّا يُوجب له الإمامة والتفضيل على جميع الأمّة وما أكثر[. . . . .] روى [. . . . . .] ولكنّ تلك الرواية ليست من شكل الرواية في علي بن أبي طالب ، [فإن] ذكرنا أهل التقدمة في الإسلام والسبق إليـه فأدنى حالاته أن يكون مذكورا معهم ، وإن ذكر أهل الزهـد والتقشّف والظلف والنزاهة وقلّة الركون إلى الدنيا والميل إلى اللذّات فـأدنى [حالاته] أن يكون مذكورًا معهم ، وليس بعد هـذه الأمّهات شيء يستحقّ به الخلافة إلّا ما حددنا وذكرنا ؛ وكأنهنّ مجموعات في عليّ بن أبي طالب ومتفرّقات في سواه ؛ فقد فوّضنا الأمر في سعد إليكم : فقولوا كيف شئتم : فإن سددتم قدمتم عليًا ،

١) خط : يحس .

٢) يقترح محمد الطالبي : افضل .

٣) محو في الاصل ولعله : من النسل (اقتراح محمد الطالبي) .

وإن تركتم السد[اد] كفيتمونا [......] فيكم وأعفيتمونا من ذكركم وشغل القلوب بكم .

١٣٢ – وأمّا طلبه بدم عثمان ، فليس ذلك مستنكرًا إذ كانت غايته الاستيثاق منهم إلى أن يقوم حاكم الجماعة ؛ ونحن لا نخالفكم أنَّ قاتل عثمان من أهل النار مَن كان من العالمين ، ولكنَّ معاوية وأهل الشام لم [......][1] عند علي بما هو بيّن [...........................]
دون قيام الحجّة بالأمّ ولا بما هو [..................] ولا أن يقتلوا [.........] قتله ومن أمر ومن أشار ومن أظهر محبّة ذلك وعلم أنّه لو درجهم إليهم إنّهم كانوا لا يقتصرون عليهم حتى يطمعهم ذلك في أكثر منه ، كان له حين عرف [........] أيّ معنى [......] وأيّ طريق يسلك ان يمنعه من ذلك .... بأهل [.......] فضلًا عن أهل الصلاة ومن يشكّ ان عسكر عليّ قد كان يشتمل على قو[م ......] طوائل وفي رقابهم حقوق ومتى يتهيّأ أن يجمع منه ألف مقاتل ليس فيهم إلا مؤمن بريء الساحة [............] العدالة .

١٣٣ – وأمّا ما ادُّعيَ عليه من قتل عثمان فقد قلنا في ذلك في صدر الكتاب بجملة كافية،وأمّا القنوت فإنّي سأقول فيه إن شاء الله وأحد [.... .....] أكثر ممّا قد كنت قد أوردتُه على ابن ابراهيم بن الحسين بحضرتك وحضرة [......] شهادتك عليه بحب المغالبة وقلّة التهيّب والمرافقة وبغيظك على [.......] يظهر في صدوده وشدّة عنوده ، ولو كان القنوت وتركه
....

[1] لعله : يقوموا (اقتراح محمد الطالبي)

فهرس

(ترجع الارقام الى الفقرات)

UNE *RISĀLA* INÉDITE DE ǦĀḤIẒ

sur

L'ARBITRAGE ENTRE 'ALĪ ET MU'ĀWIYA

En 1955, M. H.H. Abdul-Wahab me confiait avec son obligeance habituelle la photographie, acquise au Caire, d'un manuscrit d'une vingtaine de pages (1), en m'affirmant qu'il s'agissait d'un fragment d'une *risāla* de Ǧāḥiẓ; une main inconnue, mais probablement égyptienne, avait ajouté au crayon rouge, sur la première page : الثانية, ce qui laissait entendre que le fragment en question avait été détaché d'un manuscrit plus important; cependant, un examen rapide me permit de me rendre compte que j'étais bien en présence d'un texte ǧāḥiẓien, mais nullement du *Kitāb al-'Uṯmāniyya* sur lequel je travaillais précisément à cette époque.

Sans attendre la découverte de nouveaux éléments d'information, je tirai des quelques pages dont je disposais la matière d'un article sur *le Culte de Mu'āwiya au III^e siècle* (2), en me bornant à proposer de voir dans ce manuscrit un passage du *Kitāb imāmat Mu'āwiya*; je devais avancer la même hypothèse dans mon *Essai d'inventaire de l'œuvre ǧāḥiẓienne* (3), non sans songer cependant à rattacher le fragment au *Taṣwīb 'Alī* (4); la suite de mes recherches me prouva que cette dernière hypothèse était la bonne.

Grâce à l'obligeance du conservateur de la Bibliothèque Ambrosienne de Milan, Mgr Enrico Galbiati, à qui je me permets d'exprimer ici ma déférente gratitude, je pus en effet disposer d'un microfilm d'une *risāla* de Ǧāḥiẓ, déjà signalée par Griffini (5), et intitulée *Risāla fī l-ḥakamayn wa-taṣwīb amīr al-mu'minīn*

1) Paragraphes 101-127 de la présente édition.

2) Dans *Studia Islamica*, VI. 1956, 53-66.

3) Dans *Arabica*, 1956/2, 161.

4) *Ibid.*, 151.

5) Voir *Centenario M. Amari*, I, 403-4, et *ZDMG*, 1915, 63-8.

'Alī b. Abī Ṭālib fī fa'lihi, wa-hiya risāla ilā Ibn Ḥassān, ce qui pourrait se traduire: *Epître sur les deux arbitres et justification de la conduite du commandeur des Croyants 'Alī b. Abī Ṭālib*; je n'ai malheureusement pas encore réussi à identifier le destinataire de cette *risāla*, Ibn Ḥassān.

Le texte occupe les fol. 178 r° — 195 v° du manuscrit H 129, qui fait partie d'une collection rapportée du Yémen par L. Beltrami, lequel en a fait don à l'Ambrosienne en 1914. D'une écriture très serrée (de 30 à 35 lignes à la page), ce ms. est dans l'ensemble très difficile à déchiffrer, d'autant que les points font le plus souvent défaut et que l'écriture, par endroits très pâle dans l'original, devient illisible sur le microfilm. Il en résulte que si le passage pour lequel je disposais de deux manuscrits est maintenant, dans l'ensemble, établi d'une façon relativement satisfaisante, le reste du texte présente encore de nombreuses obscurités, dues aussi bien aux fautes du copiste qu'à mes propres erreurs de lecture; enfin les deux dernières pages sont très altérées, et la fin du texte manque.

M. Mohammed Talbi a bien voulu, malgré la préparation de sa thèse qui l'oblige précisément à lire de nombreux manuscrits, accepter de fatiguer un peu plus ses yeux pour vérifier l'ensemble de mon déchiffrement; il m'a proposé un certain nombre de corrections dont j'ai fait mon profit, ainsi que quelques lectures plus hasardées que j'ai cru bon de signaler en note. Qu'il soit assuré de toute ma reconnaissance pour le soin qu'il a apporté à vérifier un travail dont je mesure toutes les insuffisances.

Les multiples obscurités qui subsistent m'ont justement engagé à ne pas publier ce texte en un ouvrage indépendant, mais à profiter de l'hospitalité que m'accorde toujours si généreusement le R.P. Khalifé, pour en donner, avec une annotation très réduite, une première édition provisoire qui me permettra, j'en suis sûr, de bénéficier des remarques que ne manqueront pas de m'adresser les lecteurs intéressés en général par Ğāḥiẓ et en particulier par les polémiques sur l'arbitrage. En dépit de toutes ses défectuosités, ce texte présente en effet un intérêt certain, car il nous éclaire

sur un aspect de la pensée de Ǧāḥiẓ et montre combien, au IIIe/IXe siècle, les esprits étaient encore préoccupés par la question de l'arbitrage et de l'accession des Umayyades au pouvoir.

Comme d'habitude, il est difficile de découvrir un plan dans cette *risāla*, qui paraît avoir été écrite à la suite d'une conversation à laquelle participait Ǧāḥiẓ et partiellement aussi en réponse à une lettre de son correspondant, le mystérieux Ibn Ḥassān. On se bornera donc à une rapide analyse:

Cet écrit est fondamentalement destiné à justifier 'Alī d'avoir accepté l'arbitrage et à prouver que Mu'āwiya n'avait aucun titre au califat. Ǧāḥiẓ se refuse à comparer les deux hommes (§§ 1-17) et démontre que Mu'āwiya doit sa puissance à des circonstances particulières dont il a su tirer parti: en premier lieu, l'assassinat de 'Uṯmān, qui lui a fourni un prétexte pour se dresser contre le calife légitime, puis les défections provoquées dans les rangs de 'Alī par une trop grande rigueur morale de la part de ce dernier, le trouble jeté dans les esprits par l'affaire des exemplaires du Coran (§§ 18-29) et enfin le choix d'Abū Mūsà comme arbitre; on devine Ǧāḥiẓ très embarrassé pour justifier ce choix: Abū Mūsà n'était pas aussi nul qu'on le dit généralement et l'on ne peut attacher foi aux traditions d'après lesquelles 'Alī aurait cédé sous la pression des Arabes du Sud; s'il en avait été ainsi, en effet, le camp du calife eût été si vulnérable que Mu'āwiya n'eût pas eu besoin de recourir à l'arbitrage et que la victoire eût été à portée de sa main (§§ 30-40). 'Alī a accepté l'arbitrage parce qu'il ne pouvait ni livrer les meurtriers de 'Uṯmān réclamés par Mu'āwiya, ni s'y refuser sans risquer les pires catastrophes (§§ 41-48). Comme il est invraisemblable qu'il ait manqué de courage ou que ses facultés intellectuelles aient été affaiblies, on doit penser que son attitude relève d'une suprême habileté (§§ 49-59). En effet, il a seulement fait semblant d'accepter l'arbitrage pour s'accorder un répit, dans l'espoir que ses troupes, après réflexion, se montreraient plus combatives (§§ 60-63). Mais, sur ces entrefaites, la puissance de Mu'āwiya, à qui pourtant de multiples reproches pourraient être adressées, ne fit que croître (§§ 64-75). Après

avoir reproduit le texte de l'accord entre ʿAlī et Muʿāwiya, document dont il conteste fortement l'authenticité (§§ 76-84), Ǧāḥiẓ explique que ʿAlī, sachant bien que les ʿIrāqiens et les Ḥiǧāziens ne considéraient pas ʿAmr b. al-ʿĀṣ et Abū Mūsà comme dignes d'être arbitres, se réservait d'accepter leur décision si elle lui était favorable, et de la rejeter dans le cas contraire; c'était de sa part une subtile manœuvre dont personne ne s'avisa, ni Muʿāwiya, ni les Šīʿites, ni les Ḫāriǧites (§§ 85-90). Après être revenu sur l'assassinat de ʿUṯmān dont certains accusent ʿAlī (§§ 91-99), Ǧāḥiẓ reproduit les arguments des partisans de Muʿāwiya qui le jugent plus digne que ses compétiteurs d'accéder au califat (§§ 100-118) et les réfute un à un, en affirmant que Muʿāwiya était incapable de trouver par lui-même les arguments que l'on met dans sa bouche, qu'il n'en a d'ailleurs jamais fait état de son vivant et qu'on ne saurait en tenir compte pour affirmer son droit au califat. La fin de l'argumentation de Ǧāḥiẓ est perdue, et l'on ne saurait évaluer le nombre des pages qui ont malheureusement disparu.

Ch. PELLAT.

الجزء الاول

من تكملة تاريخ الطبري محمد بن جرير (تابع)
رحمه الله

نشره البرت يوسف كنعان

فلما كان في سنة خمس وخمسين (٩٦٥) قال له معز الدولة يا ابا الفضل تلك الدعوة فريدة بلا اخت فقال بل هي في كل سنة .
وعمل دعوة انفق فيها الفي الف درهم ووهب فيها جواري وغلمانا واتراكا وضياعات واستعد بعد عملها عند الشرابين الف حمل[1] مشوي .
وحمل الى ابي الفضل اصحابه ما امكنهم من الهدايا .
وكان لابن الحجاج كميت فاراد ان يقوده ثم خاف[2] ان يقبله فكتب اليه

وصاحب لي امس شاورته	كيف ترى[3] لي اليوم ان افعلا
فقال قد هذا الكميت الذي	قد جمع الحسن وقد اكملا
فقلت لا والله لا قدته	اخاف يا احمق ان يقبلا

واما ابو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس فولده بشيراز (٣٠٣/٩١٥) سنة ثلاث وثلاثمائة (٩١٥) وورد مع معز الدولة في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثمائة (٩٢٠) وابوه من اصحاب النعم الوافرة بفارس صادره عماد الدولة على ستمائة الف دينار وقيل انه كسبت معه خمسين الف[4] الف درهم وجاء مع معز الدولة الى بغداد وولاه الزمام على المهلبي وتوفي سنة اثنتين واربعين وثلاثمائة (٩٥٣) وتكفل المهلبي بامر ابنه حتى رد اليه الديوان .

سنة ستين وثلاثمائة

في صفر لحقت المطيع لله سكتة استرخى[5] فيها جانبه الايمن وثقل لسانه .

---

١) في تجارب الامم ٦/٢٦٩ الحاشية رقم ١ حمل (بحاء مهملة)
٢) في الاصل حاف ٤) في تجارب الامم ٦/٢٦٩ الحاشية رقم ١ لم تذكر الف
٣) في الاصل ترا ٥) في الاصل استرخا

وفيه توفي ابو الفضل محمد بن الحسين ابن العميد[1] كاتب ركن الدولة فاستكتب مكانه ابا الفتح ووالده ابو عبد الله العميد[2] كان يكتب لمرداويج بن زيار ولاخيه وشمكير .

ورتب ركن الدولة ابا الفضل بن العميد مع عضد الدولة فهذبه وادبه ثم تغير عليه فحلف ان لا يقيم بفارس ومضى[3] الى ركن الدولة ومات بالري وقدم عليه المتنبي وهو بارجان فمدحه بقصيدته التي اولها :

باد[4] هواك صبرت ام لم تصبرا وبكاك ان لم تجر[5] دمعك او جرى[6]

[و]منها :

فدعاك حسدك الرئيس[7] وامسكوا ودعاك خالقك الرئيس[7] الاكبرا

($\frac{٢٦١}{١٣٣}$) خلفت صفاتك في العيون كلامه كالخط يملا مسمعي من ابصرا

قال ابن جني اي فكما ان الخط يقوم لقاريه مقام ما تسمعه اذنه فكذلك ما يشاهد من فضلك يقوم مقام قول خالقك

من مبلغ الاعراب اني بعدها شاهدت[8] رسطاليس والاسكندرا

وملت نحر عشارها فاضافني من ينحر البدر النضار اذا قرى[9]

وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكا متبديا متحضرا

ان جمع الملوكية والبدوية والحضرية ونصب دارس على الحال .

ولقيت كل الفاضلين كانما رد الاله نفوسهم والاعصرا

اي اجتمع في زمانه الفضلاء المتقدمون

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما واتى فذلك اذ اتيت موخرا

اي مضوا مثل الحساب الذي يذكر تفاصيله ثم يقال في الاخير والجميع

---

١) راجع في ترجمته زيدان ٢٦٩/٢ وداغر مصادر الدراسة الادبية ١٨٤/١ والمقدسي، تطور الاساليب النثرية ١٥٢/١ ومبارك النثر الفني في القرن الرابع، وتجارب الامم ٢٧٥/٦

٢) اخبار ابي عبدالله هذا تجد منها نتفة في يتيمة الدهر للثعالبي ١٣٨/٣

٣) في الاصل ومضا

٤) الديوان ٥٦٦

٥) في الديوان يجر

٦) في الاصل جرا

٧) في الاصل الرييس

٨) في الديوان جالست

٩) في الاصل قرا، وفي الديوان لمن عرى

كذا فلما جيت انت آخرهم[1] كنت كالك جملة التفصيل :

يا ليت باكية شجاني دمعها نظرت اليك كما نظرت فتعذرا

شجاني احزنني يقول ايت من بكى[2] لفراقي نظر اليك فيعذرني ونصب فتعذر على التمني.

وترى[3] الفضيلة لا ترد فضيلة الشمس تشرق والسحاب كنهور

الكنهور القطيع من السحاب اي وترى[3] الفضيلة فيك مشرقة غير مشكوك فيها كما ترى الشمس اذا اشرقت والسحاب اذا كثر ونصب الشمس والسحاب بفعل مضمر تقديره (٢٦٢/١٣٤) ترى بروية فضايلك الشمس والسحاب ونصب فضيلة على الحال

انا من جميع الناس اطيب منزلا واسر راحلة واربح متجرا

وواصله ابن العميد لهذه القصيدة بثلاثة الاف[4] دينار .

وقال يودعه من قصيدة[5]

نفضلت الايام بالجمع بيننا فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد

اي لم تدم على حمدنا وجعل الحمد منها جميعا لان كل واحد منا احب لقاء صاحبه وكره فراقه :

جعلن وداعي واحدا لثلاثة جمالك والعلم المبرح والمجد

المبرح الذي يكشف حقايق الامور من قولهم برح الخفاء اي انكشف الامر

وقد كنت ادركت المنى[6] غير انني يعيرني اهلي بادراكها وحدي[7]

---

١) في الاصل ·اخرهم

٢) في الاصل بكا

٣) في الاصل ترا

٤) في الاصل ·الاف

٥) الديوان ٥٧٨ ومطلعها :

نسيت وما انسى عتابا على الصد ولا خفر زادت به حمرة الخد

٦) في الاصل المنا

٧) في الاصل وحد

اي ادركت بلقايك المنى[1] الا ان اهلي يعيروني كيف لا اشاركهم في ذلك :

وكل شريك في السرور بمصبحي ارى بعده ما لا يرى مثله بعدي

اي كل من يشاركني في السرور بقدومي يرى ما افدتنيه .

فجدد لي بقلب ان رحلت فانني مخلف قلبي عند من فضله عندي

قال ابن الصابي : قيل ان مما نفق به ابن العميد على ركن الدولة ان ركن الدولة اراد ان يحدث بناء بالري واختار له موضعا وكانت فيه شجرة ذات استدارة عظيمة وعروق نازلة متشعبة فقدر لقلعها واخراج عروقها جماعة كثيرة ولم تقع ثقته[2] بانها (٣٦٣/١٣٤) تستأصل استيصالا قاطعا فقال ابن العميد انا اكفي للامير هذه الكلفة واقطع هذه الشجرة بعروقها باهون شيء وفي اقرب امد واقل عدد .

فاستبعد ذلك ركن الدولة وقال من طريق الازرا افعل فاستدعى[3] حبالا واوتادا وسلك هذا السلك المعروف في جر الثقيل فلما رتب ما رتب ونصب ما نصبه اقام نفرا قليلا حتى مدوا ومنع ان يقف احد على جر بان كثيرة من الشجرة بحسب ما قدره من وشوح[4] اصولها ورسوخ[5] عروقها .

ووقف ركن الدولة في موكبه ينظر فما راعهم الا تزعزع الارض وانفتاحها وانقلاب قطعة كبيرة منها وسقوط الشجرة منسلة بجميع عروقها فعجب ركن الدولة من ذلك واستظرفه[6] واستعظمه ونظر الى ابي الفضل بعين الجلالة .

وهذا امر لا يعظم عند من يعرف الحيلة فيه والطريق المقصود اليه .

ومن شعر ابن العميد[7] يذكر حال حبيب له بعد :

---

١) في الاصل المنا

٢) في تجارب الامم ٢٧٥/٦ بحاشية يقع في نفسه انها . . .

٣) في الاصل فاستدعا

٤) لعله يريد وشوع ، فان معنى توشع تفرق وترشح لبس الوشاح

٥) في الاصل ورسوح بحاء مهملة وفي تجارب الامم ٢٧٥/٦ وذشوج ولعل الاصح ما ذكرت .

٦) في الاصل واستضرفه ٧) في يتيمة الدهر للثعالبي ١٣٧/٣

هيه كما قال العذول هيه ... اما آن[1] ان تحني العواذل فيه
دعيه ولا ترضى[2] لاتلاف جسمه ... افاتن ان لم تغنه ستريه
اذا[3] اعتاقت كفي خيلا تعرضت ... له نوب الايام تسلبنيه[4]

وفي شهر ربيع الاول وصل ابو الحسن علي بن عمرو بن ميمون[5] وقد ثبتت وكالته عند القاضي ابي محمد بن معروف من ابي تغلب وتزوج له بنت عزالدولة [بختيار][6] وسنها ثلاث سنين على صداق ($\frac{٣٦٦}{١٣٥}$) ماية الف دينار وكنى الخليفة ابا تغلب وجدد له ضمان الموصل وسائر اعماله بديار ربيعة ومضر[7] في كل سنة بالف الف ومايتي الف درهم .

ووصل ابن عمرو الى المطيع لله مع ابي عمر محمد بن فنا خسر الخازن حتى سلم اليه الخلع لصاحبه والسيف[8] .

وانحدر الوزير ابو الفرج الى الاهواز فشرع ابو الفضل الشيرازي في الوزارة فتم ذلك له وانفذ عز الدولة من قبض على ابي الفرج بالاهواز وقبض على اخيه ابي محمد الخازن ببغداد واطلق ابا الفضل من اعتقاله بدار ابي الفرج فكانت وزارة ابي الفرج ثلاثة عشر شهر وثلاثة ايام .

وزارة ابي الفضل العباس
بن الحسين الشيرازي الثانية

قال التنوخي كنا جلوسا في دار ابي الفضل الثانية ننتظر خروجه حتى يخلع

١) في الاصل ، ان
٢) في الاصل ترضا
٣) ورد هذا البيت في اليتيمة ٣/١٥٩ على هذا النص :
متى علقت نفسي حبيبا تعلقت ... به غير الايام تسلبنيه
٤) في الاصل تسلبنيه والصواب ما ذكرت
٥) في تجارب الامم ٦/٢٨٣ قال : وفي هذه السنة ورد صاحب لابي تغلب ابن حمدان وهو عدة الدولة فعقد مصاهرة
٦) زيادة عن الكامل ٧/٣: يقتضيها السياق
٧) في الاصل مصر ، والتصويب عن تجارب الامم ٦/٢٨٣ الحاشية ١
٨) علق امدروز في تجارب الامم ٦/٢٨٣ على هذه الجملة بقوله : والراجح ان الخازن المذكور هو ابو محمد على ما تقدم ذكره .

عليه وكان معنا ابن الحجاج صاحب السخف في شعره فانشدنا مديحا لابي الفضل منه :

سيدا طلعته لم تزل	اشهى الى عيني من النوم
لم نظام القوم وحاشاك ان	تنسب في الظلم الى القوم
حديثهم مثل السدي اسافرا	في الدار والمجلس واليوم

وكان معنا ابن زنجي حاضرا فانشدنا ابيات ابن زريق[1]

انا لقينا حجابا منك اعرضنا	فلا يكن ذلنا فيه لك الغرضا
فاسمع مقالي ولا تغضب علي فما	ابغي بنصحك لا مالا ولا عرضا
الشكر يبقى ويفنى ما سواه فكم	سواك قد نال ملكا فانقضى ومضى[2]
في هذه الدار في هذا الرواق على	هذي الوسادة كان العز فانقرضا

$(\frac{٣٦٥}{١٣٥})$

وهذه الابيات قالها ابو محمد بن زريق[3] وقد اتى الى باب الكوفي وقد استكتبه بجكم[4] وعزل ابن شيرزاد وانزل الكوفي دار ابن طومار بخان ابي زياد وكانت من قبل ديوانا لابن شيرزاد فجاء ابن زريق فحجب عن الكوفي فقال لحاجبه حين انشده الابيات ويلك اما كان له اسوة بمن دخل ولكنك[5] ردت ان يخرق عرضي ويواجهني بما واجهني به ووفق بابن زريق ولم يزل به حتى جلس ورضي .

وفي رجب تقلد ابن معروف قضاء القضاة .

وانحدر عز الدولة والوزير ابو الفضل لمحاربة عمران واقام ابو الفضل لحربه .

ولابن الحجاج في ذلك وقد كسر عمران عسكر الوزير غير مرة انشدني ذلك شرف المعالي بن ايوب وكان احسن الرؤسا محاضرة واجملهم معاشرة وكم له الي من مكارم اجزلها وكم ليته من مناقب اثلها :

ان عمران مد نشا النصر فينا	قد صفعنا قفاه حتى عمينا
قال قوم حرم من مقصوره	قلت لا بل حرم من يصفينا

(١) في الاصل ابن رايق ولكن فيما يتقدم بعد قليل نسبها المؤلف الى ابي محمد بن زريق وهو الصواب

(٢) في الاصل فانقضا ومضا

(٣) كذا في الاصل وطها ابن رايق كما هو واضح من سياق الكلام

(٤) في الاصل بحكم (٥) في الاصل ولاكنك

وقام ابو الفضل يحارب عمران سنـة حتى ملك تله فانتقل عمران الى هوكولان[١] .

وفي هذه السنة قبض على ابي قره بالجامدة وحمل الى جند يسابور فمات تحت المطالبة وكان قد نقل (٢٦٦/١٣٦) القبة التي على قبر الوزير القسم بن عبيدالله وهي قبة مشهورة بالشوم ونصبها على مجلس في داره وكان القسم قد تزوق[٢] في عملها ودفن تحتها حين تمت

سنة احدى وستين وثلاثماية

في شهر ربيع الاول خلع على ابي احمد محمد بن حفص بواسط وقلد الديوان مكان ابي قرة .

وانحدر عز الدولة الى البصرة .

وفيها مات ابو القسم سعيد بن ابي سعيد الجنابي[٣] بهجر وعقد القرامطة لاخيه ابي يعقوب ولم يبق من اولاد ابي سعيد غيره .

وفي هذه السنة صالح ركن الدولة وابنه عضد الدولة صاحب خراسان على ان يحملا اليه ماية وخمسين الف دينار .

وتزوج صاحب خراسان بنت عضد الدولة وتوسط الامر عايد[٤] .

وفي شعبان قبل ابن معروف شهادة ابي طالب ابن المباوس العلوي .

وفي شهر رمضان توفي عيسى بن المكتفي بالله .

وفيه توفي ابو الغنايم بن ابي محمد المهلبي بالبصرة وحمل تابوته الى بغداد .

سنة اثنين وستين وثلاثماية[٥]

خرج الدمستق في جموع كثيرة الى بلد الاسلام فوطيا واثر الاثار القبيحة

١) لم يذكرها ياقوت في معجمه !

٢) في تجارب الامم ٢٨٩/٦ الحاشية رقم ١ تفوق وهو خطأ

٣) في الاصل الختاني والتصويب عن المنتظم ٥٧/٧ والبداية والنهاية ٢٧٢/١١

٤) في تجارب الامم ٣١١/٦ عابدين علي

٥) بعض اخبار هذه السنة في الكامل ٤٤/٧ وتجارب الامم ٢٢٥/٦ مذكور في جملة اخبار سنة ٣٦١ المتقدمة

فيها واستباح نصيبين واقام بها خمسة وعشرين يوما وانفسد اليه ابو تغلب مالا هادنه به .

واتى المستغيون ($\frac{٣٦٢}{١٣٦}$) من اهل تلك البلاد الى بغداد وضجوا في الجامع وكسروا المنابر ومنعوا من الخطبة وصاروا الى دار المطيع لله وقلعوا بعض شبابيكها[١] .

وكان عز الدولة بالكوفة فخرج اليه ابو بكر الرازي وابو الحسين[٢] علي بن عيسى الرماني وابو محمد الداركي[٣] وابن الدقاق في خلق من اهل العلم والدين مستنفرين وونجوه على حرب عمران بن شاهين وصرف زمانه الى القبض على ارباب الدواوين وعدوله عن مصالح المسلمين .

فادى اجتهاد ابي الفضل الشيرازي ان قال للمطيع لله يجب ان تعطي مما تصرفه في نفقة المجاهدين فقال المطيع لله انما يجب علي ذلك اذا كنت مالكا لامري وكانت الدنيا في يدي فاما ان اكون محصورا ليس في يدي غير القوت الذي يقصر عن كفايتي فما يلزمني غزو ولا حج وانما لي منكم الاسم على المنبر فان اثرتم ان اعتزل اعتزلت[٤] .

والتزم له بعد ذلك اربعمائة الف درهم باع بها انقاض داره وثيابه .

ثم وصل الخبر بان الدمستق قصد آمد[٥] فخرج اليه واليها هزا مرد[٦] مولى ابي الهيجا ابن حمدان وانضم اليه هبة الله بن ناصر الدولة وساعدهم اهل الثغور فنصرهم الله تعالى[٧] وكثر القتل والاسر لاصحاب الدمستق واخذ ماسورا ردمث في ثاني شوال .

---

١) في الاصل شبابكها .

٢) في البداية والنهاية ٢٧٣/١١ ابو الحسن وفي الكامل ٧/٤ : الحاشية رقم ١ ابو الحسن علي بن عيسى النحوي وله ترجمة في بغية الدعاة ٣٤٤

٣) في الكامل ٧/٥ : الحاشية رقم ١ ابو القاسم الداركي

٤) من رغب في مراجعة كلام المطيع في هذا المعنى فليقرأ الكامل ٧ : ٤ وتجارب الامم ٦ : ٣٠٢

٥) في الاصل واحد

٦) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٣١٢/٦ نقلا عن التكملة هذه كما قال امدروز هزا مرد . وفي الكامل ٧/٩ : هزار مرد ، وفي البداية والنهاية ٢٧٣/١١ هزر مرد غلام ابي الهيجاء

٧) في الاصل تعلى

وكان اكثر[١] السبب في خذلان الله تعالى[٢] للروم ان هبة الله تعالى[٢] متقدمهم في مضيق وقد تقدم عسكره ولم يتاهب فكانت الحال في امره كما وصفنا .

(٦٨٠/١٣٧) وكتب ابو تغلب كتابا الى المطيع لله يخبره بالحال وكتب الصابي الجواب عنه وهو مذكور في رسائله[٣] .

ومات الدمستق من جراح به .

وفي شعبان قتلت العامة والاتراك خمارا صاحب المعونة برلس الجسر من الجانب الشرقي واحرقوا جسده لانه كان قد قتل رجلا من العوام وولي مكانه الحبشي فقتل احد العيارين في سوق النحاسين[٤] فثارت العامة وقاتلته وانفذ ابو الفضل الشيرازي حاجبه صافي لمعاونة صاحب الشرطة وكان صافي[٥] يبغض اهل الكرخ فاحترق النحاسين الى الساكين فذهب من الاموال ما عظم قدره.

واحرق الرجال والنساء في الدور والحمامات .

واحصي ما احترق فكان سبعة عشر الفا وثلاثماية[٦] دكان وثلاثماية وعشرين دارا اجرة ذلك في الشهر ثلاثة واربعون الف دينار .

واحترق ثلاثة وثلاثون مسجدا .

وكلم ابو احمد الموسوي لابي الفضل الشيرازي بكلام كرهه فصرفه عن النقابة وولى ابا محمد الحسن بن احمد بن الناصر العلوي .

وركب ابو الفضل الى دار ابن حفص التي على باب البركة واحضر التجار وطيب قلوبهم فقال له شيخ منهم ايها الوزير اريتنا قدرتك ونحن نومل من الله تعالى ان يرينا قدرته فيك فامسك ابو الفضل ولم يجبه وركب الى داره .

---

١) كذا في الاصل اكثر ، وفي تجارب الامم ٣١٢/٦ الحاشية رقم ١ اكبر

٢) في الاصل تعى

٣) راجع المختار من رسائل الصابي صفحة ٣٤ طبعة الامير شكيب ارسلان اللبناني سنة ١٨٩٨

٤) في المنتظم ٦٠/٦ النخاسين

٥) قال في الكامل ٢٩/٦ وكان – زاي صافيا – شديد العصبية للسنة ، فالقى النار في عدة اماكن من الكرخ ، فاحترق حريقا عظيما

٦) في البداية والنهاية ٢٧٣/١١ ثلاثة دكان (فقط)

نزول الخارج بالمغرب بمصر

($\frac{٣٧٩}{١٣٧}$) وكان جوهر صاحب الخارج بمصر قد اتى مصرا واقام الدعوة لصاحبها وبنى[١] له قصره واتاها ابو تميم معد بن اسماعيل الملقب بالمعز فنزلها .

وفي سادس عشر ذي القعدة خلع على اسحاق بن ابراهيم بن معز الدولة من دار الخلافة بالسيف والمنطقة ورسم بحجبة المطيع لله على رسم اخيه عز الدولة في ايام ابيه ولقب عمدة الدولة .

وفي سادس ذي الحجة قبض على ابي الفضل الشيرازي وقد كثر الدعاء [عليه] في المساجد والبيع والكنايس وقد ذكرنا مصادرته للمطيع لله واحراق غلامه الكرخ وما بت من المصادرات وسلم الى الشريف ابي الحسن محمد بن عمر فانفذه الى الكوفة فسقي ذراريح في سكنجبين فتقرحت مثانته ومات من ذلك.

قال ابو حيان[٢] قيل له في وزارته الثانية كنت قد وعدت من نفسك ان اعاد الله يدك الى البسطة ورد حالك الى السرور والغبطة انك تجمل في المعاملات وتنسى[٣] المقابلة وتلقى[٤] وليك وعدوك بالاحسان الى هذا والكف عن هذا فكان جوابه ما دل على عتوه لانه قال اما سمعتم قول الله تعالى[٥] ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه[٦] فما لبث بعد هذا الكلام الا قليلا حتى اورد ولم يصدر بعد ان عثر وتولى ابن بقية مصادرته فصادره على ماية الف دينار .

وزارة ابي طاهر بن بقية لعز الدولة

($\frac{٣٣١}{١٣٨}$) كناه الخليفة وخلع عليه ولقبه الناصح وكان يخدم في مطبخ[٧] معز الدولة حتى خدم ابا الفضل الشيرازي وكان واسع النفس وكانت وظيفته[٨] في كل

١) في الاصل وبنا

٢) الامتاع والمؤانسة ٣/٢١٥-٢١٦

٣) في الاصل وتنسا

٤) في الاصل وتلقا

٥) في الاصل تعلى

٦) الانعام ٢٨ والاية بتمامها : بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبلُ ولو رُدوا لعادوا لما نُهوا عنه وانهم لكاذبون . وتفسيرها في الكشاف ١/٥٠١

٧) اطال ابن كثير في البداية والنهاية ١١/٢٧٣ في اخباره ٨) في الاصل وضيفته

يوم الف رطل ثلجا[١] وفي كل شهر اربعة آلاف[٢] منا شمعا وكان يفعل كما يفعل وزراء الخلفاء من الجلوس في الدسوت الكاملة ويضع وراء مجلسه اساطين الشمع وبين يديه عدة اتوار[٣] فيها الموكبيات والثلاثيات وفي كل مجلس من الدار تور فيه ثلاثية وان كان المكان خاليا وفي ايدي الفراشين الموكبيات بين يدي من يدخل ويخرج وفي الشتا يترك بين يديه كوانين الفحم فيها جمر الغضا ويترك عليه اقطاع الشمع فكان يشتعل احسن اشتعال .

وفي هذه السنة توفي القاضي ابو حامد احمد بن عامر بن بشر المروروذي بالبصرة .

سنة ثلاث وستين وثلاثماية

طولب ابو محمد بن معروف ان يستحل بيع دار ولد ابي الحسن محمد بن ابي عمرو الشرابي[٤] حاجب الخليفة وكان ابوه قد مات والبايع لها وكيل نصبه المطيع لله فامتنع واغلق بابه واستعفى[٥] من القضا فقلد مكانه القاضي ابو الحسن محمد بن صالح بن ام شيبان الهاشمي بعد ان امتنع واجاب على ان لا يقبل رزقا ولا خلعة ولا شفاعة وان يدفع الى كاتبه من بيت مال السلطان ثلاثماية درهم ولحاجبه ماية وخمسين درهما وللقاضي[٦] في الفروض على (٣٧٢/١٣٨) بابه ماية درهم ولخازن ديوانه[٧] واعوانه ستماية درهم وان يصل اليهم ذلك من الخزانة فاجيب .

وركب معه ابن بقية والوجوه وتسلم عهده بحضرة المطيع لله فتولى انشاه ابو منصور احمد بن عبيد[٨] الله الشيرازي صاحب ديوان الرسايل يوميذ وقرى عهده[٩] في جامع المدينة .

---

١) في المنتظم ٦١/٧ وكانت وظيفته كل يوم عن الملح الف رطل الخ . . .
٢) في الاصل ٠الاف
٣) التور ، اناء صغير ، ومنه كان يتوضأ بالتور اقرب الوارد ١١١/١ وفي الفيروزبادي ٣٨١/١ اناء يشرب فيه ، وفي تجارب الامم ٢٩٥/٦ الحاشية رقم ٣ تورتيه وهو خطأ .
٤) قال في المنتظم ٦٤/٧ ابو منصور الشرابي على ابي بكر الاصبهاني الحاجب الخ . . .
٥) في الاصل واستعفا
٦) في المنتظم ٦٤/٧ وللفارض
٧) في المنتظم ٣٤/٧ ولخازن دار الحكم والاعوان
٨) في المنتظم ٦٤/٧ عبد ٩) نقرأ نسخة هذا العهد في المنتظم ٦٤/٧

وصرف ابو تمام الزينبي عن نقابة العباسيين وتقلدها ابو محمد عبدالواحد بن[1] الفضل ابن عبد الملك الهاشمي .

وفي رجب لقب ابو تغلب عدة الدولة وخرج باللقب اليه ابو الحسن بن عمرو كاتبه .

واضاق عز الدولة فانحدر الى الاهواز فتنازع تركي وديلمي في معلف بالاهواز فوقعت بينهم وقعة[2] فقيل ارسلان التركي وهو امرجته[3] وكان قد ظهر بين سبكتكين وعز الدولة فقبض عز الدولة على الاتراك الذين عنده .

وحل اقطاع سبكتكين بالاهواز وقبض على عماله ووكلايه ففعل باصحابه بالبصرة كذلك وكتب على الاطيار الى اخيه ابي اسحاق وامره ليقبض على سبكتكين .

فاشاع ابو الحسن عمدة الدولة ان عز الدولة اخاه قد مات وقصد ان ياتيه سبكتكين معزيا فيقبض عليه وحسب ذلك ووردت عليه كتب اصحابه بالشرح .

وجمعت ام عز الدولة الديلم بالسلاح .

وركب سبكتكين الى دار عمدة الدولة وهي دار مونس فحاربهم يومين فاستنفوا وسالوه ان يفرج لهم ليحدروا ففعل وانحدروا .

وتفرق الديلم برقمات ($\frac{٢٧٢}{١٣٩}$) الى عز الدولة واستولى سبكتكين على اموال عز الدولة وسلاحه .

وانحدر المطيع لله فانفذ سبكتكين ورده .

ونهبت الاتراك دور الديلم ثم نهبوا دور التجار فافتقر الناس واعتزل المطيع لله الخلافة ونذكر سبب عزله .

وكان المطيع لله كريما اديبا .

حكى[4] ابو الفضل التميمي عن المطيع لله قال سمعت شيخي ابن منيع يقول سمعت ابا عبدالله احمد بن حنبل يقول اذا مات صدقا الرجل ذلك ذل :

---

١) في المنتظم ٧/٦٤: حذف ابن

٢) راجع هذا الخبر في تجارب الامم ٦/٣٢٤

٣) كذا في الاصل

٤) في الاصل حكا

خلافة الطايع[1] لله ابي بكر عبد الكريم ابن المطيع لله

كانت سبع عشرة سنة وثمانية اشهر وستة ايام .

لما وقف سبكتكين على حال المطيع لله رحمة الله عليه في حال العلة التي لحقته والفالج الذي تمادى به حتى ثقل لسانه دعاه الى خلع نفسه وجعل الامر الى ولده الطايع لله .

وبويع له يوم الاربعا لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثماية (٩٣٣) ولم يتقلد الخلافة من له اب حي غيره وغير ابي بكر الصديق رضي الله عنه .

وركب الطايع لله يوم بويع له وعليه البردة وقد خلع على سبكتكين وكناه ولقبه نصير[2] الدولة وطوقه وسوره وسار سبكتكين بين يديه وركب في يوم الاضحى[3] الى المصلى وصلى بالناس وخطب وخلع على (٢٧٣/١٢٩) ابي الحسن علي بن جعفر كتابته .

واصعد عز الدولة من الاهواز الى واسط .

وصارت بغداد حزبين فالسنة تنادي بشعار سبكتكين والشيعة تنادي بشعار عز الدولة .

وواصل عز الدولة استنجاد ركن الدولة وابي تغلب وعمران بن شاهين.

سنة اربع وستين وثلاثماية

توفي في المحرم ابو منصور اسحاق بن المتقي لله على احدى وخمسين سنة .

وقدم حمدان بن ناصر الدولة على سبكتكين واحدره على مقدمته واصعد دبيس بن عفيف على مقدمه عز الدولة فالتقى[4] دبيس بحمدان تحت جبل فاسر

---

١) راجع اخبار هذه الخلافة في البداية والنهاية ٢٧٦/١١ والمنتظم ٢٦٦/٧

٢) في البداية والنهاية ٢٧٦/١١ ناصر

٣) في الاصل الاضحا

٤) في الاصل فالتقا

حمدان من اصحاب دبيس خلقا وقتل آخرين[١] واستامن بعد ذلك الى عز الدولة.

وانحدر سبكتكين والاتراك لقتال عز الدولة .

وانحدر الطايع لله ومعه ابو المطيع فلما بلغوا دير العاقول توفي المطيع ليلة الاثنين لثمان بقين من المحرم وتوفي[٢] سبكتكين بعده ليلة الثلاثا لسبع بقين منه لذرب ناله فكانت مدة امارته شهرين وثلاثة عشر يوما ففي ذلك يقول ابن الحجاج :

اغضوا وفي الاحشاء جمر الغضا	واستقبلوا الحزن على ما مضى[٣]
عجبت من امركم ما بدا	حتى تولى مرضا وانقضى[٤]
تفسحت دونكم هيبة	للصل في واسط اذ نضنضا
لما سما مولاه في جحفل	اسود كالليل[٥] يسد الفضا
ولاح برق الموت من سيفه	والموت من حديه قد اومضا
امرضه الخوف ومن حق من	شاوره الريبال ان يمرضا
وانفتحت ثمة باب استه	فلم يزل يسلح حتى قضى[٦]
يا معشر الاتراك لا تمرضوا	عن قولي من صرح او عرضا
نوحوا وصيحوا يا قتيل الخرا	قد كنت فينا ثقة مرتضى[٧]

(٣٦٣/٩٧٤)

قال الرئيس[٨] ابو الحسن وجدت بخط سابور نسخة بما خلفه سبكتكين الف الف دينار مطيعية وعشرة الاف الف درهم ورقا وصندوقيان طويلان فيها جوهر وستون صندوقا طوالا منها خمسون[٩] واربعون ؟ فيها[١٠] انية الذهب والفضة وخمسة عشر منها[١٠] باور بحكم[١١] وثلاثون[١٢] مركب ذهب منها

---

١) في الاصل اخرين

٢) ترجم له في البداية والنهاية ٢٨٢/١١ والمنتظم ٧٦/٧

٣) في الاصل مضا

٤) في الاصل وانقضا

٥) في الاصل كاليل

٦) في الاصل قضا

٧) في الاصل مرتضا

٨) في الاصل الرئيس

٩) في الاصل خمسون اربعون ١١) في المنتظم ٧٧/٧ ومحكم وفي الاصل بحكم بغير نقط

١٠) في المنتظم ٧٧/٧ فيها ١٢) في المنتظم ٧٧/٧ ومائة وثلاثون

خمسون كل واحد وزنه الف مثقال وستماية مركب فضة واربعة الاف[1] ثوب ديباجا منها الفان وخمساية تسترية وخمساية رومية ملكية والباقي بغدادية [و][2] عشر الاف[1] راس جمالا ، [و][3] ثلاثماية غلام دارية [و][4] اربعون خادما .

وحمل المطيع لله الى بغداد ودفن في تربة والده المقتدر بالله رحمة الله عليهما بالرصافة وصلى عليه ابن معروف وكبر عليه خمسا .

ودفن سبكتكين بالمخرم .

وعقدت الاتراك الامر لتكين ابن منصور مولى معز الدولة وعرض عليه الطايع اللقب فامتنع وكان يكتب من ابي منصور مولى امير المومنين.

وانحدروا الى واسط وعز الدولة ($\frac{٣٦٥}{١٤}$) نازل بغربيها واقامت الاتراك بشرقيها وعبروا اليه وقاتلوه واستظهروا عليه اياما كثيرة .

وبينا حمدان يقاتلهم مع الديلم رماه تركي بنشابة فوقعت في سماخ[5] دابته فقطرت به فوقع فضربه الاتراك بالدبابيس حتى انحل وركه واخذوه اسيرا .

وكان عز الدولة قد كاتب ابا تغلب يستدعيه الى بغداد فاستولى عليها العيارون فدخلها ابو تغلب وقتل منهم جماعة واخذ ما وجده الاتراك .

وذكر ابو حيان في كتاب الإمتاع والموانسة[6] قال حصل ببغداد من العيارين قواد منعوا الماء ان يصل الى الكرخ وكان فيهم قايد يعرف باسود الزبد لانه كان ياوي قنطرة الزبد ويستطعم من حضر وهو عريان لا يتوارى .

فلما فشا الهرج راى[7] هذا الاسود من هو اضعف منه قد اخذ السيف فطلب سيفا ونهب واغار وظهر منه شيطان في مسك انسان وصح وجهه وعذب لفظه وحسن جسمه واطاعه رجال فصار جانبه لا يرام وحريمه لا يضام وظهر من حسن خلقه مع شره ولعنه وسفكه الدم وهتكه الحريم وركوبه الفواحش

١) في الاصل ١٠الاف

٢) في الاصل عشرة وزيادة الواو يقتضيها السياق

٣) في الاصل ثلاثماية وزيادة الواو يقتضيها السياق

٤) في الاصل اربعون وزيادة الواو يقتضيها السياق

٥) لعله يريد صماخ

٦) الامتاع والموانسة ٣/١٦٠ وفي الاصل الموا

٧) في الاصل رءا

وتمرده على ربه القاهر ومالكه القادر انه اشترى جارية بالف دينار فلما حصلت عنده حاول منها حاجته فمنعته فقال ما تكرهين مني فقالت اكرهك كما انت فقال ما تحبين قالت ان تبيعني قال او افعل معك خير من ذلك وحملها الى مسجد ابن رغبان ($\frac{٢٧٦}{١٤١}$) فاعتقها بين يدي القاضي ابن الرقاق ووهب لها الف دينار فعجب الناس من نفسه وهمته وسماحته وصبره على خلافها وترك مكافاتها على كراهتها ثم صار في جانب ابي احمد الموسوي فحماه وسيره الى الشام[١] فهلك بها .

وقال ابن الحجاج يذكر دخول ابي تغلب الى بغداد :

وانت يا بغداد قولي فقد	سالتك الحق ولا تكذبي
ارايت بدرا قط في تمه	احسن من وجه ابي تغلب
دلي عليه او فهاتيه من	اي مكان شيت او فاطلبي[٢]
هيهات هذا طلب فايت	تختلف المنى فلا تتعبي
وكنت قد اخبرت حاشاك يا	نظيرة الجنة ان تخربي
حاشاك من تغلب ساداتها	وطال ما استعجبت فاستغربي
فوالذي يمنو باحسانه	مقتدرا عن ذلة المذنب
لو نطقت بغداد قالت نعم	سبحان من فرج ما حل بي
انعش عني[٣] بعد ما مات ام	في ليلة القدر دعا لي النبي
يا عدة الدولة كم دعوة	مجابة فيك ولم تحجب

ولما بلغ الاتراك استيلاء ابي تغلب على دورهم واخذه ما وجد فيها من انقاض وغيرها اصعدوا معهم الطايع فلما قاربوها اصعد ابو تغلب عنها فاصعدوا وراءه الانبار وانحدروا وقد بعد ودخلوا بغداد .

وانحدر الطايع الى داره .

وجدد الفتكين ($\frac{٢٧٧}{١٤١}$) التوثقة على حمدان بن ناصر الدولة ثم اطلقه وخلع عليه .

وانفذ ركن الدولة جيش الري مع ابي الفتح بن العميد وساروا الى

---

١) في الاصل الشام
٢) في الاصل فاصلي
٣) كذا في الاصل

عضد الدولة واسر بالنفوذ لمحاربة عز الدولة فالتقوا بارجان وساروا وكان اكثر خوفهم ان يتلقاهم الاتراك بباذبيس[1] وهم تعبون فكفوا ذلك باصعاد الاتراك .

ولما وصل عضد الدولة اجتمع به بختيار واصعدوا عن واسط وسار عضد الدولة في شرقي دجلة وعز الدولة في غربيها .

فاحضر الطائع الاشراف والقضاة[2] واخذ على الاتراك الايمان بالطاعة والمناصحة في الثبات والمكافحة وركب الى باب الشماسية واستقر الناس لقتال عضد الدولة واجتمع من العامة[3] اليه الجم الغفير .

وكان عز الدولة مع ايثاره لنصرة ابن عمه يخاف من محنة ومشاهدة نعمته .

ولما قاربوا بغداد انحدر المطيع والفتكين وعبروا ديالي وعسكروا ما بينه وبين المداين والتقوا بعضد الدولة فكانت الاتراك اولا ثم انهزموا فغرق منهم خلق كثير واستامن اخرون[4] ودخل بغداد في النصف من جمادى الاولى وتزلوا عند باب الشماسية ثم رحلوا عند اسفار الصبح وقد اخذوا عيالاتهم واتباعهم وتبعهم الخلق الكثير من اهل بغداد .

وانفذ عضد الدولة ونادى ببغداد بالتسكين لاهلها والعفو عن جناتها[5] ونزل بباب الشماسية عند دخوله .

فلما وصل خبرهم من تكريت بتشتتهم (٣٧٨/١٦٣) نزل عضد الدولة في دار سبكتكين ونزل عز الدولة داره وهي[6] دار المتقي لله .

وقال ابن الحجاج يستعطف عضد الدولة لاهل بغداد :

يا ايها الملك [illegible]	ارحم [illegible] من يرق ويرحم
مولاي وصلك [illegible] عندنا	فالان انت احسل منه واعظم
بغداد كانت [illegible]	فيما مضى[7] فالان فهي جهنم

وراسل عضد الدولة [illegible] بابي محمد بن معروف حتى استعاده ودخل الى

١) كذا في الاصل [illegible] كما هو في معجم البلدان لياقوت
٢) في الاصل [illegible]
٣) في الاصل العامه
٤) في الاصل اخرون
٥) كذا في الاصل [illegible] جناتها
٦) مكررة في الاصل
٧) في الاصل مضا

بغداد في حديدي جلس على سطحه وخرج عضد الدولة في طياره فتلقاه قريبا من قطيعة ام جعفر وصعد الحديدي وقبل البساط ويد الطايع لله وطرح له كرسي بين يديه فجلس عليه وكان عضد الدولة عليه قباء اسود وسيف ومنطقة واحدقت الطيارات والزبازب بالحديدي .

وانحدروا كذلك الى دار الخلافة وكان عضد الدولة تقدم بعمارتها وتطريتها وانفاذ الفرش والالات اليها .

وحمل الى الطايع مالا وثيابا وطيبا وخطب له يوم الجمعة عاشر رجب بعد ان قطعت الخطبة له من عاشر جمادى الاولى ولم يخطب الى هذه الغاية لاحد.

وكتب الصابي عن عضد الدولة[1] لما ورد امير المؤمنين البردان انعم بالاذن لنا في تلقيه على الماء فامتثلناه وتقبلناه وتلقانا من عوايد كرمه ونفحات شيمه والمخايل الواعدة بجميل($\frac{٢٧٩}{١٤٢}$)رايه وعواطف الجانه وارعايه ما كتفنا[2] عنه وشايعنا عزه الى ان وصلنا الى حضرته البهية شرفها الله في الحديدية التي استقلت منه بـليل النبوة وعقيد الخلافة وسيد الانام والمستنزل بوجهه در الغمام فتكفلت علينا في ظلال نوره ونشره وغمرتنا حبابات بفضله وفضيلة[3] واوسعنا من جميل لقياه وكريم نجواه ما وسم بالعز اعتقال النعم وتضمن الشرف في النفس والعقب وتكفل من الفوز في الدين والدنيا بغايات الامل .

وكانت لنا في الوصول اليه والمثول بين يديه في مواقع الحافظه[4] وتوارد الفاظه مراتب لم ينلها احد فيما سلف ولم تجد الايام بمثلها لمن تقدم .

وسرنا في خدمته على الهيئة التي القي شرفها علينا وحظ[5] جمالها مدى[6] الدهر لنا الى ان سار الى سدة دار الخليفة والسعود تشايعه واليامن تواطيه

---

١) لم اقف على هذه الرسالة في المختار المطبوع بعناية الامير شكيب ارسلان اللبناني المذكور سابقا

٢) كذا في الاصل ولعله يريد كفتنا

٣) كذا في الاصل ولعله يريد وفضيانه

٤) في الاصل الحافه

٥) في الاصل دحض

٦) في الاصل مدا

وطالع[1] الامال يستشرف له وثغر الاسلام يتبسم اليه فعزم علينا بالانقلاب عنه على ضروب من التشريف لا مورد بعدها في جلال ولا موقف وراءها لمنهب في جمال واجتلت الاعين محاسن ذلك المنظر وتهادت الالسن من مناقب ذلك المشهد ما بهت الناظر وعاد شمل الاسلام مجموعا ورواق العز ممدودا وصلاح الدهماء ماهولا .

ومدح عضد الدولة ابو نصر بن نباتة بقصيدة يذكر فيها الفتح منها :

($\frac{٣٨٠}{١٩٣}$) فما ذاب شطر اليوم حتى تصافحت … اسنة ارماح العدى[2] وحدودها

واقدم وثابا على الهول خيله … اذا كلمت لا تنقشر جلودها

يميد الى جر العنان صدورها … ولا يدرك الغايات الا مبيدها

رميت جباه الترك يوم لقيتهم … بشهباء من سمر العوالي قيودها

وكل فتى تحت العجاجة وكدة … اذا الخيل جالت مينه[3] يستجيدها

تداركت اطناب الخلافة بعدما … وهى[4] سمكها العالي ومال عمودها

فاعقبت من تدبيرها متكافئا … يحل به يوم الحفاظ[5] عقودها

وسربلت ايوان المدائن بهجة … اناف به والحاسدون شهودها

هو الملك المخلوق من خطراته … طريف المعالي كلها وتليدها

ملوك بني ساسان تزعم انه … له حفظت اسرارها وعهودها

فتاها ومولاها ووارث مجدها … وسيدها ان كان رب يسودها

قبيلة بهرام واسرة جمن … يميت ويحيي وعدها ووعيدها

على زمن الضحاك كانت عصابة … ولو عما مات الملوك حديدها

اذا سترت غب الحروب جراحها … اتتها العوالي والسيوف تعودها

ولم اك ادري ان اخوتها القنا … وان الظبى آباؤها[6] وجدودها

تفارق في رحب الثنا نفوسها … وقد علمت ان الثناء خلودها

فلا تجعلوا الاقدار مثل سيوفها … فقد تسبق الاقدار فيمن يكيدها

اقول وقد سلت عشية جازر … ولاذت بها اغمادها تستعيدها

اتلك رقاب زايلتها رؤوسها[7] … لقا او سيوف زايلتها غمودها

١) في الاصل وطالع

٢) في الاصل المدا

٣) كذا في الاصل ولعله يريد مينة

٤) في الاصل دها

٥) في الاصل الحفاظ

٦) في الاصل الظبا اباؤها

٧) في الاصل رءوسها

(٣٨١/٩٩٣) وفي شهر رمضان اعيد ابو تمام الزينبي الى النقابة على العباسيين وصرف ابو محمد عبد الملك عنها وامر على الصلاة في الجوامع واعيد ابن معروف الى قضاء القضاة وصرف ابن ام شيبان .

واعيد ابو احمد الموسوى الى نقابة الطالبيين .

ومات ابو العباس احمد بن خاقان المفلحي عن تسعين سنة وحجب اربعة خلفا وتقلد المعونة بالحضرة دفعات .

وزادت الاسعار وعدمت الاقوات وبيع الكر من الدقيق بمائة وخمسة وتسعين دينارا وكانت الدراهم اربعة عشر بدينار وبيع كل ثلاثة ارطال بدرهم.

ووافق عضد الدولة الديلم حتى شغبوا على عز الدولة فاراد استصلاحهم فقال لعضد الدولة تقلد الامر وانفذ حينئذ الى داره فختم على خزاينها وتولى له ابن بقية ذلك .

وقبض على ابي اسحاق وابي طاهر اخوي عز الدولة .

وقرئ على القضاة والشهود والاشراف والاماثل بالجامع كتابا يتضمن استعفاء عز الدولة من النظر ورد الامر الى عضد الدولة ووعدوا بافاضة العدل واحسان الرعية .

واختار ابن بقية[1] ان يضمن واسطا وتكريت وعكبرا واوانا[2] فاجيب الى ذلك وخلع عليه واقطع خمساية الف دراهم في كل سنة وانحدر الى واسط.

وقد كان عضد الدولة قد عاهد عمران بن شاهين واعفى[3] ابا تغلب من حمل مال وكان بينهما مودة قديمة ومكاتبة .

ولما حصل (٣٨٢/٩٩٢) ابن بقية بواسط خلع الطاعة وعول على انه متى قصد التجا الى نهر الفضل واعمال عمران فكاتبه عضد الدولة بتسكينه وبذل الامان في كتابه فاجابه انني اقلت افلات المجروح المكلوم وتخلصت تخلص المطلوب المظلوم وقد حصلت اهلي بين قوم سيوفهم حداد وجعلت دون كل واحد منهم

١) له ترجمة في وفيات الاعيان ٢٩/١ وبغية الوعاة ١٣٩

٢) اطلب التعريف بها في معجم البلدان ٢٧٤/١ طبعة داري صادر وبيروت

٣) في الاصل واعفا

اناسا على البغاة[1] غلاظ شداد وقد وجدته اعطى[2] قبلي امانا لقوم قولا واسقطه فعلا فلم يف بشيء منه بل صدق في الجميع عنه فليت شعري اي الامانات يعطيني ؟ [ا][3]امان بني شيرزيل وقد عاهدهم الصيمري له واستعان بهم على ساير عساكره بعد وفاة[4] عماد الدولة وحلف لهم ايمانا نقض جميعها وابطل سايرها واباد خضراهم وقلع من فارس اصولهم ام بني شكر سنان وقد كانوا الممهدين[5] له الدولة والمصلحين لـه الجملة ام الملوصين وقد اوردهم بساطه واظهر بتقريبهم سروره واغتباطه فلما حصلهم ببلاده واراضيه قضى فيهم بالغدر اقبح قواضيه .

وحكى لي ابو الريان صاحبه متبجحا انه ما بقي منهم صاحبه بارض فارس الا ستة نفر وما بقي من اماناته فهو اكبرها واجلها وهو وروده تحت الركاب لنصرة ابن عمه على زعمه .

فلما ورد على تلك الصورة وقع التشكك فيه قبل ان يحكم اموره واعطاه من الايمان والعهود ما استدعى[6] التايبين بفعله ($\frac{٣٨٣}{١٤٦}$) واستجلب السكون الى ما اضمره من اغتياله وختله وعز الدولة ينسب الى ما ياتيه الى الجميل ولا يسترسب في كثير ولا قليل .

فلما سكن اليه واعتمد في التوسط بينه وبين اوليايه عليه انتهز فرصته واستلب غرته واستولى على الامور كانه مالكها وانشب مخالبه فيها فكانه لم يزل مدبرها وجعل ارش مسيره لمعاونته انتهاك محارمه وتشتيت اصحابه وحرمه وتناسي افعال معز الدولة له ولوالده منذ ثلاثين سنة وبذله عنها عظيم الاموال ونفيس[7] الاحوال في دفع اصحاب خراسان كل دفعة وكسر عساكر وشمكير والله تعالى[8] يهلك الظالمين[9] وياخذ الباغين .

ورأى انه متى عاجلني ظهر تمويهه وثار به ساير الاوليا وانكشف تدبيره

---

١) في الاصل البنات
٢) في الاصل اعطا
٣) سقطت هذه الالف في الاصل والسياق يقتضي زيادتها
٤) في الاصل وفات
٥) في الاصل الممهدون
٦) في الاصل استدعا
٧) في الاصل نفس
٨) في الاصل نعلى
٩) في الاصل الظلمين

فاسر امرى في نفسه ولم يتمكن من اظهاره في وقته فاطمعته كل الاطماع في ارتفاع ما ضمنته من الاموال واعتمدت في اموره على من اعطاني المقدرة عليها وبلجأت الى كرمه في ما عود منها حتى تفرت من بين يديه تفرة يا لهفه عليها لو ادركها واسفه على ما تم لي فيها وكنت بحول الله في تدبيري كما قال ثابت الخزاعي :

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده ... اضاع وقاسى[1] امره وهو مدبر
ولكن[2] اخو الحزم الذي ليس نازلا ... به الخطب الا وهو للقصد مبصر

وكانت نفسي تنازعني تقديم ما تاخر وتجاذبني تعجيل ما ($\frac{٣٨٦}{١٦٥}$) تاجل فاجبتها بما قاله علي بن محمد البصري العلوي :

واذا تنازعني اقول لها اصبري ... موتا يريحك او صعود المنبر
ما قد قضى[3] سيكون فاصطبري له ... ولك الامان من الذي لم يقدر

وقد لقيت كافة جيوشه وعامة اصحابه وهي كعدد اهل احد كثرة بفتيان كعدد اهل بدر قلة فما زلت معهم في كل الايام كما قال علي بن محمد ايضا .

وانا لتصبح اسيافنا ... اذا ما انتضين ليوم سفوك
منابرهن بطون الاكف ... واغمادهن رؤوس الملوك

وانا اعرض عليه ضد ما عرض علي لانه صحيح وانا به ملي وفي وقد آمنت[4] عضد الدولة فناخسره بن ركن الدولة ابي علي مولى امير المؤمنين على نفسه ومماليكه ومن يختار المسير معه من اصحابه بامان الله وامان رسوله صلى الله وامان مولانا عز الدولة واماني الا ان يكون سفك دما في بلادنا فالحكم بجمعه واصحاب القواد او اخذ مالا من غير واجب فلا سبيل الى غير رده او اظلم احدا في ممالكنا فلا طريق الى الصفح عنه الا بعد الانتصاف للمظلوم منه .

واعتد عضد الدولة باطلاق ابن بقية في كتابه فاجابه ابن بقية :

فما بغيا علي تركتماني ... ولكن[5] خفتما صرد النبال[6]

1) في الاصل وقاسا
2) في الاصل ولاكن
3) في الاصل قضا
4) في الاصل ءارمنت
5) في الاصل ولاكن
6) البيت للدين المنقري وتجرأه مع ترجمة في الشعر والشعراء ص ١٩٦

وحصل عضد الدولة من المصادرات الف الف وتسماية (٣٨٥/١٤٥) وخمسون الف درهم منها من ابي عمرو بن عمر ادى كاتب سبكتكين الف الف وخمسماية الف درهم ومن ابي بكر الاصفهاني الفا الف درهم ومن ابن قريعة ماية الف درهم .

وقبض ابن بقية على من اصحبه عضد الدولة من القواد واجتمع والمرزبان بن عز الدولة وكان بالبصرة على مكاتبة ركن الدولة بالاستغاثة من عضد الدولة وابي الفتح بن العميد فوردت كتب ركن الدولة اليهما يامرهما بالتمسك بمكانهما ويعدهما المسير بنفسه .

وكتب بمثل ذلك الى ابي تغلب فلما عرفوا نيته فيه تجاسروا عليه واقدمت عليه العامة فانفذ بابن العميد وابن بندار وقال لهما قولا لابي ان انا خرجت من بغداد انفسدت علي الممالك وانا اقاطعه على ثلاثين الف الف درهم في كل سنة واقدم منها عشرة الاف[1] الف .

فلما وصلا الى ركن الدولة اراد قتلهما وسيل فيهما فاوصلهما وقال عودا اليه[2] وقولا تريد ان تمن على بني اخي بدرهمين انفقتهما ومرام بالخروج عن بغداد وتسليمها الى عز الدولة .

فعاد ابن العميد الى عضد الدولة وحده وعرّفه الحال فاضطر الى الخروج عن بغداد الى فارس وافرج[3] عن عز الدولة واخوته وخلع عليهم .

وثار عليه العيارون والعامة بالاستخفاف والسب[4] ووافق ابن العميد على ان لا يتخلف بعده اكثر من ثلاثة ايام .

(٣٨٦/١٤٦) فلما خرج طابت بغداد لابن العميد ونزل في الدور على دجلة وحصلت له الزبازب والاغاني وكانت قد حصلت بينه وبين ابن بقية مودة .

وامتنع ابن العميد من الشرب لما قبض عضد الدولة على بختيار فكتب اليه ابن الحجاج وقد شرب ابن بقية :

١) في الاصل ،الاف
٢) في الاصل تكررت وقال عودا اليه
٣) في الاصل وافرح
٤) كذا في الاصل ولعله بريد والسب

حقي على الاستاذ قد وجبا	فاليه قد اصبحت منتسبا
يا ابن العميد وانت سيدنا	ما قلتها زورا ولا كذبا
يا خير اهل الارض كلهم	اما ويا امرى[1] العباد اما
مولاي ترك الشرب يتكره	من كان في بغداد محتسبا
ان كان من غم الامير فلم	ووزيره بالرطل قد شربا
ان الملوك اذا هم اقتتلوا	. اصبحت فيهم كلب من غلبا
فلذاك اسكر غير مكترث	والف من خيشومي الذنبا
يا سادتي قد جاءنا رجب	فتفضلوا واستقبلوا رجبا
بمدامة لولا ابو حسن	ما كنت قط اشرف العنبا
خمر كمثل النار موقدة	لم تلق لا نارا . ولا حطبا
من قال ان الملك يشبها	ربما فلا والله ما كذبا

وكان ابن العميد قد سال ابن الحجاج الحضور عنده فامتنع واعتذر باقطاعه الى خدمة عز الدولة فسال عز الدولة حتى انفذه اليه وشغف به وقال له لم تاخرت عني فقال له ابن الحجاج انني تركت ما كان عليه اسلافي من الكتابة وعدلت الى الشعر السخيف الذي هتك ستر (٢٨٧/١٩٦) تجملي وفكرت في انك ممن لا يسامى قدره ولا يرد امره ونهيه واتهمتك بانك جبلي الاخلاق فظ العشرة ولم آمن[2] من ان لا انفق عليك او لا تنفق انت علي فتذهب قطعة من عمري وقد تنغص عيشي فقال له ابن العميد فكيف رايتني قال بالضد مما اتهمتك فيه فاجعلني في حل فقال له قد تساوينا لك علي[3] مثل ما لي عليك فانني كنت اقرا اشعارك فاظنك سخيفا قليل المروءة كثير العيوب حتى شاهدتك فكنت بخلاف[4] ذلك فان احللتني احللتك .

واعتقد ابن العميد على بختيار بما صنعه معه من ابعاده عضد الدولة فعرض عليه وزارته فقال لا يمكنني فانني واهلي في خدمة ركن الدولة منذ خمسين سنة وهو هالك فاذا مضى[5] جئتك بقطعة من عسكره .

وكان ذلك يبلغ عضد الدولة فحنق عليه .

---

١) في الاصل امرا
٢) في الاصل امن
٣) في الاصل على
٤) في الاصل بخلا في
٥) في الاصل مضا

ـ وورد ابن بقية بغداد في ذي القعدة وملا عين ابن العميد بالهدايا وقال في بعض الايام لا بد ان اخلع عليه فلما اكل وقعدا على الشرب اخذ ابن بقيـة بيده فرجية وردا في غاية الحسن والجلالة ووافى بها الى ابن العميد وقال صرت يا استاذ جامدارك فانظر هل ترضيني لخدمتك فطرح الفرجية عليه فاخذ الردا منه ولبسه .

وقصد الفتكين في ثلاثمائة غلام دمشق وكان العيارون قد استولوا عليها فخرج اليه اشرافها وشيوخها وسلموها اليه فاحسن السيرة وقمع اهل الفساد (٣٨٨/١٤٧) وقامت هيبته وعظمت منزلته وقصد العرب وابعدهم وظهرت شجاعته وكان اعور .

وكان ابن الشمشقيق قد جاء في الروم فاخذ بلاد الثغور وصالح اهل دمشق على مال كثير فخرج اليه الفتكين ولعب بين يديه بالرمح فاعجبته فروسيته ووهب ما قرره على اهل دمشق له فسأله ان يهدي له سلاحه فقاد مع فرسه وسلاحه عشرين فرسا بتجافيفاتها[1] فردها ابن الشمشقيق ولم يقبل غير فرس الفتكين وسلاحه وحده .

وانصرف عنه الى جبلة وبيروت ففتحها عنوة وتحصن منه اهل انطاكية فاستخلف عليها صاحبا له فقطع شجرها التين وهو يجري مجرى النخل بالبصرة وفتحت له بعد ذلك .

وسار ابن الشمشقيق الى قسطنطينية فما بعدت وفاته .

ومضى[2] الى الفتكين والده عز الدولة واخواه ابو اسحاق وابو طاهر وابنه المرزبان بعد قتله على ما نشرحه فاولاهم الجميل واحسن اليهم وقصدته العساكر من مصر متكاثرة وكان ما يأتي ذكره في السنة الآتية وما بعدها .

---

١) قال في اقرب الموارد ١ ١٢٨ التجفاف آلة للحرب تلبسها الفرس والانسان يتقي بها كأنها درع ج تجافيف

٢) في الاصل ومضا

سنة خمس وستين وثلاثمائة

توفي المعز[1] بمصر في شهر ربيع الاخر سنة خمس وستين ومدة عمره خمس واربعون سنة وسبعة اشهر ويومان ومدة نظره ثلاث وعشرون سنة وخمسة اشهر وسبعة عشر (٣٨٣/١٦٧) يوما منها بمصر ثلاث سنين .

وقام ابنه نزار مقامه ولقب بالعزيز فكاتب الفتكين بالاستمالة فاغلظ في جوابه وقال هذا بلد اخذته بالسيف[2] ولا ادين لاحد فيه بطاعة فانفذ اليه جوهرا في عساكر كثيرة فدعا اهل البلد واعلمهم ما قد اظلهم وانه على مفارقتهم فقالوا ان ارواحنا دونك وانا باذلون نفوسنا دون نفسك .

ولما حصل جوهر بالرملة كاتب الفتكين وعرفه انه قد استصحب له امانا وكتابا بالعفو عما فرط فيه وخلعا يفيضها عليه واموالا فاجابه الفتكين اجابة مغالط واحال على اهل دمشق فعل جوهر على الحرب وسار اليه فالتقيا بالشماسية ودامت الحرب واتصلت مدة شهرين وظهر من شجاعة الفتكين وغلمانه ما عظموا به في النفوس .

وعاضد الفتكين الحسن ابن احمد القرمطي واجتمعا في خمسين الفا فانصرف جوهر الى طبريه ومنها الى عسقلان فحاصراه بها وقطعا عنه الماء .

وكان جوهر في الشجاعة[3] معروفا فكان يبارز الفتكين ويعرض عليه الطاعة لصاحبه فيكاد ان يجيبه فيعترضها القرمطي فلا يمكن الفتكين من ذلك .

فاجتمعا يوما فقال جوهر قد علمت ما يجمعني واياك من عظم الدين وقد طالت الفتنة ودماء من هلك في رقابنا وان لم تجب الى الطاعة فاسالك[4] ان تمن علي بنفسي وباصحابي وتذم لنا وتكون قد جمعت بين (٢٩٠/١٦٨) حقن الدماء

---

١) نسبه في الكامل ٧/٦٥ فقال : المعز لدين الله ابو تميم معد بن المنصور بن اسماعيل بن القائم بامر الله محمد بن المهدي ابي محمد عبيد الله العلوي الحسيني وفي الحاشية رقم ٣ نقل تعليقات عن ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة . وله ترجمة في البداية والنهاية ١١ : ٢٨٠ والمنتظم ٧/٨٢

٢) ورد هذا الخبر في الكامل في جملة اخبار سنة ٣٦٦ وسقناه هنا سنة ٣٦٥

٣) في الاصل السحاعة

٤) في الاصل فاسالك

واصطناع المعروف فقال الفتكين انا افعل على ان اعلق سيفي ورمح القرمطي[١] على باب عسقلان[٢] وتخرج من تحتها قال رضيت واخذ خاتم الفتكين على الوفا.

وانفذ اليه جوهر مالا والطافا فاجتهد القرمطي بالفتكين ان يغدر فلم يفعل وخرج جوهر وشرح لصاحبه الحال فاسر باخراج المال واثبات الرجال وسار وجوهر على مقدمته واستصحب توابيت آبائه[٣] .

ولما عرف الفتكين والقرمطي الحال عاد الى الرملة واحتشد وتقارب العسكران واصطفا للقتال وجال الفتكين بين الصفين فكبر وحمل وطعن وضرب.

فعلا العزيز على رابية وعلى راسه المظلة وقال لجوهر ارني الفتكين فاراه اياه وكان على فرس ادهم بتجفاف من مرايا وعليه قزاغند[٤] اصفر وهو يطعن تارة ويضرب بالدبوس اخرى والناس يتحامونه.

فالتفت العزيز الى ركابي يختص به وقال له امض الى الفتكين وقل له انا العزيز وقد ازعجتني من سرير ملكي واخرجتني لمباشرة الحرب وانا اسامحك بجميع ذلك ولك علي عهد الله باني اهب لك الشام باسره واجعلك اسفهسلار عسكري

فمضى[٥] الركابي واعاد الرسالة ، فخرج الفتكين بحيث يراه الناس وترجل وقبل الارض مرارا ومرغ خديه وقال قل لمولانا لم تقدم القول لسارعت فاما الآن فليس الا ما ترى[٦] .

فعاد الى العزيز بالجواب فقال ارجع اليه وقل له تقرب مني بحيث اراك وتراني (٢٩١/١٦٨) فان استحققت ان تضرب وجهي بالسيف فافعل .

فمضى[٥] فقال الفتكين ما كنت بالذي اشاهد طلعته واتابذه بالحرب وقد خرج الامر عن يدي .

وحمل عند ذلك على الميسرة فهزمها وقتل كثيرا من اهلها فحمل العزيز

---

١) في الاصل القطرمي
٢) في الاصل اعسقلان
٣) في الاصل ءاباءه
٤) كذا في الاصل
٥) في الاصل فمضا
٦) في الاصل ترا

والمظلة على راسه فانهزم الفتكين والقرمطي ووضع السيف في عسكرهما فقتل منه عشرين الف رجل .

ومضى[1] القرمطي هاربا وبذل لمن ياتيه بالفتكين مائة الف دينار .

وكان الفتكين يحل الى المفرج ابن دغفل بن الجراح الطائي ويتمرده للاحته وشاع ذلك عنه فانهزم يطلب ساحل البحر ومعه ثلاثة من غلمانه وبه جراح وقد جهده العطش فلقيه سرية فيها المفرج فلما رآه[2] التمس منه ماء. فسقاه وقال له سيرني الى اهلك فحمله الى قرية تعرف بلبنى[3] واحضر له ماء وفاكهة ووكل به جماعة وبادر الى العزيز فاخبره فاعطاه المال الذي ضمنه ومضى[1] معه جوهر فتسلمه .

وتقدم بضرب مضارب واحضر كل من حصل في الاسر من اصحاب الفتكين فامنهم وكساهم وجعل كل واحد منهم فيما كان فيه معه ووصل الفتكين فاخرج العسكر لاستقباله وهو لا يشك انه مقتول .

فلما وصل الى النوبة وراى[4] اصحابه مكرمين وترجل الناس له وحمل الى دست قد نصب ليجلس فيه رمى بنفسه الى الارض والقى[5] عمامته وعفر وبكى بكاء شديدا وقال لم استحققت هذا الا بقا[6] وامتنع من الجلوس في الدست .

ووافاه امين الدولة ابو الحسن ($\frac{٢٩٢}{١٦٩}$) ابن عمار وجوهر والخدم على ايديهم الثياب واعلوه رضى[7] العزيز عنه والبسوه الخلع وتقدم الى البازيار[9] به واصحاب

---

١) في الاصل فمضا
٢) في الاصل رءاه
٣) عرفها البكري في معجم ما استعجم ص ١١٤٩
٤) في الاصل ورءا
٥) في الاصل والقا
٦) كذا في الاصل
٧) في الاصل رضا
٩) نشر الاستاذ محمد كرد علي كتاباً في البيزرة لابن عبدالله الحسن بن الحسين بازيار العزيز بالله الفاطمي في جملة منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٣ مع مقدمة في تاريخ البيزرة او تربية البزاة والجوارح من الطير . والدكتور محمد اسعد طلس نشر في بغداد كتاب المصايد والمطارد لكشاجم سنة ١٩٥٤ في جملة منشورات دار اليقظة – بغداد .

الجوارح بالمصير الى مضربه وراسله بالركوب الى الصيد تانيسا له وقاد اليه عدة دواب وعاد عشاء واستقبله الفراشون والنفاطون[1] بالمشاعل ونزل وركب العزيز اليه ليلا فقبل الارض وخاطبه[2] بما سكن منه وجعله حاجب حجابه .

وعفا عن الحسين بن احمد القرمطي واقام بطبرية وجعل له سبعين الف دينار في كل سنة وتوجه اليه جوهر وقاضي الرملة فاستخلفاه .

ومضى[3] الفتكين مع العزيز الى مصر وقد استامن اليه اخو عزالدولة وابنه فزاد في اكرام الفتكين .

وكان يتكبر على ابي الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وتدرجت الوحشة وامرهما العزيز بالاصطلاح فلم يفعل الفتكين فدس عليه ابو الفرج سما فقتله وحزن عليه العزيز وقبض على ابي الفرج وقد اتهمه بقتله نيفا واربعين يوما واخذ منه خمسماية الف دينار ووقفت الامور باعتزاله النظر فاعاده حين لم يجد منه بدا .

وتزوج الطايع بنت عز الدولة[4] على صداق ماية الف دينار وخطب ابو بكر بن قريعة خطبة النكاح .

وفي ذي القعدة توفي ابو الحسن ثابت بن سنان . ابن قصرة الصابي[5] صاحب التاريخ .

وقسم ركن الدولة الممالك بين اولاده فجعل لعضد الدولة فارسا وكرمان وارجان ولمؤيد الدولة الري واصبهان ولفخر الدولة همدان والدينور .

ومرض ($\frac{٣٦٣}{١٦٩}$) ركن الدولة فسار اليه عضد الدولة وقبل الارض بين يديه والتقيا باصبهان وعمل ابن العميد دعوة جمع فيها ركن الدولة واولاده والامرا

---

١) حاملو المشاعل

٢) تكررت في الاصل

٣) في الاصل ومضا

٤) ورد هذا الخبر في البداية والنهاية ٢٨٠/١١ في جملة اخبار سنة ٣٦٦ قال وفي يوم الخميس لعشر خلون من ذي القعدة تزوج الخليفة الطائع شاه باز بنت عز الدولة ... اه . نقلا عن ابن الجوزي في المنتظم . وفي تجارب الامم ٣٥٥/٦ الحاشية رقم ١ نقلا عن تاريخ الاسلام .

٥) ترجم له في وفيات الاعيان ١٠٠/١ في ترجمة جده ثابت بن قرة ، وابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٣/١١ احالة على ابن الاثير

وخاطبهم ركن الدولة بان عضد الدولة ولي عهده وخلع ابن العميد على القواد الف قبا والف كسا .

واخذ عز الدولة لسهلان ابن مسافر خلعا من الطايع ولقبه عنه عصمة الدولة وانفدها له .

وانفد الى فخر الدولة مثلها فلم يلبساها ولم يتلقب سهلان مراقبة لعضدالدولة .

سنة ست وستين وثلاثماية

توفي ركن الدولة ابو علي[1] بالري في ثامن عشر المحرم وقال ابو بكر الخوارزمي يرثيه[2] :

احين جرى[3] ملكه في الملوك ورد به الله ملك العجم
وخط الفناء على قبره بخط البلى وبنان السقم
اذا تم امر بدا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم

واتاها مويد الدولة وانفصل عن اصبهان واقر ابا الفتح بن العميد على ما كان اليه وكان يكتب له في حياة ابيه الصاحب ابو القسم محمد بن العميد حسده الصاحب وغيظه من قربه ان حمل الجند على الشغب فحسم مويد الدولة المادة باعادة الصاحب الى اصبهان .

وكان في نفس عضد الدولة على ابن العميد ما ذكرناه حتى انه كان يقول خرجت من بغداد وانا زويق الشارب وابن العميد خرج ملقبا بذي الكفايتين لان اهل بغداد كانوا يلقبون (٢٩٦/١٥٠) عضد الدولة بزريق الشارب .

ونشط ابن العميد للشرب وتداخله ارتياح فعمل مجلسا عظيما وشرب[4] ببقية نهاره وعامة ليله وعمل شعرا وهو يشرب وامر بتلحينه والغنا له به ففعل المغنون ذلك والشعر :

---

١) ترجم له في البداية والنهاية ٢٨٤/١١ والمنتظم ٨٥/٧

٢) الثعالبي ، يتيمة الدهر ٢١١/٤ قال في مطلعها :

الست ترى السيف كيف انثلم وركن العلاقة كيف انهدم

٣) في الاصل جرا ٤) في الاصل وشهر

دعوت المنى[1] ودعوت العلى[2] فلما اجابا دعوت القدح
وقلت لايام شرخ الشباب الي فهذا اوان الفرح
اذا بلغ المرء[3] اماله[4] فليس له بعدها مقترح

ولما غني له بشعره استفزه الطرب وشرب حتى سكر وقال لغلمانه غطوا المجلس واتركوه على حاله حتى نشرب عليه ونصطبح وقام الى بيت منامه.

وباكره رسول مويد الدولة يستدعيه فركب وعنده انه يخاطبه على مهم ويعود سريعا فلما دخل اليه قبض عليه واخذ امواله .

ومن شعر ابي الفتح :

يقول لي الواشون كيف تحبها فقلت لهم بين المقصر والغالي
ولولا حذاري منهم لصدقتهم وقلت هوى لم يهوه قط امثالي
وكم من شفيق قال ما لك واجما فقلت ابي ما بي وتسألني[5] مالي

وترامت به الحال الى قتله .

وحكي ان اباه رآه وهو يخطر خطرة انكرها من مشية امثاله فقال لمن حضره اني لاخذه بالادب حتى لانغص عليه عيشه فانه قصير العمر وعمره على ما يدل عليه نجمه ثمان وعشرون سنة . هذا ما حكاه الثعالبي في اليتيمة[6] .

($\frac{٢٩٥}{١٥٠}$) وقال ابن الحجاج يرثيه من قصيدة :

رويدك ان الحرب ضربة لازم الا فليقم ناعي البحور الخضارم
الا ان هذا المجد قد ساخ طوده فاصبح نهد الـذرى والدعائم
الا ان بحر الجود قد غاض لجه فمن للقلوب الصاديات الحوائم
فيا صارما فل الـزمان غرب حده وكتابه تفري متون الصوارم
مضى[7] حسنت الدنى وصفت بعده معالي تلك المأثرات الجسائم

---

١) في الاصل المنا

٢) في الاصل العلا

٣) في الاصل الامر والتصويب عن اليتيمة ٣ ص ١٦٥ طبعة الصاوي والبيت الثاني ساقط في اليتيمة

٤) في الاصل امانيه

٥) في الاصل وتسألني وفي معجم الادباء ١٤: ١٠١ تسألني وعلى الله

٦) لم اجد هذا القول في الفصل الذي عقده الثعالبي في اليتيمة عليه ٣/١٣٧ – ١٦٩ وقد ترجم له في معجم الادبا ١٤/١٩١–٢٤٠

٧) في الاصل مضا

احلاي بالري الدين عهدتهم	يوفونني حق الصديق المسالم
الموا جميا او فرادى بنسوه	وقولوا ، عن اجدع الانف راغم
كظيم وما زال الاسى[1] متحاملا	على كل موتور السراير كاظم
ابا راحلا عن قومه غير آيب[2]	ويا غايبا عن اهله غير قادم
لذلك فتبك العيون مآربع	وما قايضا حد الدموع السواجم
وما كنت الاصار ما فُل حده	باخر[3] مشحوذ الغرارين صارم
فلا من هندى سقى[4] دمك الثرى[5]	عزاه[6] الوغا الا باوهن قايم
وما يسلي الحزن انك وارد	على فرح في جنة الخلد دايم
ولم لا وقد قدمت زادا من التقى[7]	، خضت به مستبشرا غير نادم
تجيء اذ صحف المظالم نشرت	بيضاء غفل من سمات المظالم
وكنت اذا الفحشاء نادتك معرضا	اصم غضيض الطرف دون المحارم
عجبت لمن اغضى[8] عليك بسيفه	فاغضى[8] على غصن من البان ناعم
اما راعه ذاك الشباب رحمته	فتدركه في الحال رقة راحم
(٢٩٦/١٥١) ابا الفتح يابى سلوتي عنك انني	جمات عليك الحزن ضربة لازم
فما قصرت بي عن حقوقك نية	ولا اخذتني فيك لومة لائم

[9][و]لما بلغ عز الدولة وفاة ركن الدولة قال انا ولي عهد عمي ركن الدولة وحلف لعمران بن شاهين وتزوج ابنته وتزوج ابو محمد عمران ابنة عز الدولة وحضر بين يدي الطايع وحلف لعدة الدولة ابي تغلب فقال ابن الحجاج من قصيدة :

انت علمتني المدايح حتى	صرت فيها مجودا مطبوعا
انت واملتني وكنت على الباب	طريدا مبعدا ممنوعا
انت جددت ثوب عزي وقد كان	لبيسا مفتتا مرقوعا
ملك عين من يباديه لا تطعم	غمضا ولا تذوق هجوعا
ايها السيد الذي طاب في المجد	اصولا كريمة وفروعا

١) في الاصل الاسا
٢) في الاصل ،ايب
٣) في الاصل بأخر
٤) في الاصل سقا
٥) في الاصل الثرا
٦) كذا في الاصل
٧) في الاصل التقا
٨) في الاصل اغضا
٩) ساقطة في الاصل وزيادة يقتضيها السياق

ان يوم المبير اصبح فيه … علم المجد والعلى[1] مرفوعا
رفعت راية الهدى يد النصر … وخر النفاق فيه صريعا
دولة عزها ومجدها اليوم … اضافا الى الجموع الجموعا
وصلا الحبل بالتصافي فاضحى[2] … ظهر من يظهر الخلاف قطيعا
وله راية اذا ضحكت النصر … اليها تبكي السيوف نجيعا
في جيوش تطبق الارض خيلا … وسيوفا قواطعا ودروعا
ينصرون الامام خير امام … لم يكن خالعا ولا مخلوعا
ورث الامر عن ابيه بحق … لم يكن محدثا ولا مصنوعا
($\frac{297}{151}$) فهو مثل الهلال في الافق نورا … وعلوا ورفعة وطلوعا
وتراني بدرتي اصفع الحاسد في اخدعيه صفعا وجيعا
لا اجابي وحق من خلق الجنة لا نايما ولا متبوعا
ولو اني حابيتهم كنت نذلا … ساقطا سافلا خسيسا وضيعا

[و][3] في رجب قبض على ابي الفرج بن فسانجس وحمل الى سر من راى وتحرك ما كان في نفس عضد الدولة من قصد العراق فاستخلف عز الدولة على بغداد الشريف ابا الحسن محمد بن عمر وخرج معه ابن بقية فزارا مشهد الحسين عليه السلام .

وقصد ابن بقية الكوفة وحده فزار واجتمعا[4] وانحدر الى واسط وقال ابن الحجاج يودعه :

يا من اليه الامال تختلف … ومن عليه القلوب تنعطف
ومن بنو عمه واخوته … ملوك اهل الدنيا به شرفوا[5]
من استقلت بنو ابويه به … كما استقلت بالعاتق الكتف
مولاي صبرا فان سابر ما … تراه عما تحب ينكشف
وكل ما تشتهي وتوثره … ياتي كما تشتهي ولا يقف
ومن اتانا يسوقه طمع … عنك بخفي حنين ينصرف
ثانيه عن هفوة الشباب غدا … راي بعيد من النوى نصف

١) في الاصل والعلا
٢) في الاصل فاضحا
٣) ساقطة في الاصل والسياق يقتضيها
٤) كذا في الاصل ولعله يريد واجتمع على الانفراد
٥) في الاصل شرفو

اولا فمزيه ملسلمة تستر منها السيوف والحجف
وذبل يحكم الطعان لها باعا في الصدور تنقصف
وشرب ضمر فوارسها لا عزل فوقها ولا عنف
(٢٩٨/١٥٢) هذا ونفس الامير دونك للرماة[1] في حومة الوغى[2] هدف
فاخص به نجوم اذا خضوا واز حف اليهم به اذا زحفوا
وانت اعلى بني بويه يدا وان تساوى القديم والخلف
كنتم بني اهل بيت مكرمة توصف منهم بمثل ما وصفوا[3]
حتى تلوتاكم فكان لكم الفضل عليهم والمجد والشرف
والدر جنس لكن له قيم في الفضل عند التجار يختلف
وليس يدري ما فضل فاخره المكنون حتى يفتح الصدف
يا من اذا اخلف البحار ففي نداه من كل فايت خلف
ينتظم[4] المدح فيك مقترنا وفي سواك المديح يترحف[5]
مولاي لما بعدت فاشتعلت نيران قلبي وطار بي الاسف
جيتك اعدو والشوق يحجاني اليك يا داوني واصرف

وسال عز الدولة الطايع الانحدار فاجاب وانحدر الى واسط في عاشر شعبان ومعه ابن معروف ونزل في دار الوزارة بها .

وساروا الى الاهواز فوصلوها عاشر شهر رمضان .

وكتب عز الدولة عن الطايع كتابا يدعو الى الطايع وانفذ به خادمه فقال عضد الدولة للخادم قل لمولانا امير المومنين لا يمكنني الجواب الا اذا مثلت بحضرتك ولم يجب[6] على الكتاب .

ولما اشرفت[7] الحال على الحرب اصعد الطايع الى بغداد وكانت الحرب

---

١) في الاصل للرمات
٢) في الاصل الرعا .
٣) في الاصل وصفو
٤) في الاصل ينتضم
٥) كلمة يترحف هذه كتبت في الاصل فوق كلمة ينحرف ولكن عند اسمي حجت
٦) في الاصل تجب
٧) في الاصل اسرفت والزحاف عند العروضيين تغيير يلحق ثاني السبب الخفيف والثقيل اقرب الموارد ٤٥٨/١

بناحية يقال لها مثبان[1] من اعمال الباسيان في نصف تموز (٣٦٩/١٥٢) وهو يوم الاحد مستهل ذي القعدة وكان دبيس بن عفيف الاسدي على ميسرة عز الدولة فاستامن وعطف على النهب فنهب فانهزم عز الدولة وقتل من اصحابه خلق وغرق اخرون[2] على جسر عقده بدجيل .

وكان حمدان في جملة المنهزمين وتفرقت المذاهب بالمنهزمين فالتقوا بطارى[3] .

واجتمع عز الدولة وبه جراح باخيه عمدة الدولة وابن بقية بها على اسوا حال.

وانفذ عمران بابنه الحسن وكاتبه وقواده في عدة سفن الى عز الدولة وانفذ اليه والى ابن بقية بمال وثياب وانفذ المرزبان بن بختيار الى ابيه بمثل ذلك من البصرة .

وانحدروا الى البصرة وهي مفتتنة فاراد ابن بقية ان يصلحها فازدادت فسادا واحترقت الاسواق ونهبت الاموال .

وورد ابو بكر محمد بن علي بن شاهويه صاحب القرامطة الكوفة في الف رجل منهم واقام الدعوة[4] بها وبسورا[5] وبالجامعين والنيل لعضد الدولة .

واشفق بختيار ان يسير عضد الدولة الى واسط فيملكها فتفوته النجاة[6] فاخترق[7] البطايح فتلقاه عمران في عسكره واقام ابن بقية عنده ثلاثة ايام .

وكان عمران قد قال لعز الدولة لما قصد حرمه سترى انك تحتاج الي واعاملك من الجميل بخلاف ما عاملني به ابوك من القبح فعجب الناس من هذا الاتفاق .

واستدعى[8] البصريون من عضد الدولة من يتسلم بلدهم فانفذ ابا الوفا (٣٠٠/٢٥٠) طاهر بن محمد فدخلها .

واقام بختيار بواسط وتراجع اليه اصحابه وجنده .

---

١) في معجم البلدان ٥/١٣١ ط. داري صادر وبيروت . بلدة قريبة من البصرة

٢) في الاصل . اخرون

٣) راجع في شانها معجم البلدان ٣/٢٧٨

٤) في الاصل الدعوا

٥) راجع في شانها معجم البلدان ٣/٢٧٨

٦) في الاصل النجات

٧) في الاصل فاحترق

٨) في الاصل واستدعا

ورجع ابن بقية الى دخيره له بها واستمال الجند فرغبوا فيه واثروه على صاحبه .

وقال بعض البصريين في بختيار :

اقام على الاهواز خمسين ليلة	يدبر امر الملك حتى تدمرا
يدبر امرا كان اوله عمى	واوسطه بلوى وآخره[1] خسرا

ومن اعجب ما اتفق عليه انه اسر له غلام اسمه[2] باتكين لم يكن يميل[3] اليه فحن عليه وتسلى عن ملكه الا عنه وانقطع الى البكا وامتنع من الغذاء واحتجب عن الناس فخف ميزانه واستهان به ابن بقية وانفذ بالشريف ابي احمد الموسوي[4] والحرب قايمة يسال عضد الدولة في رد الغلام وبذل في فدايه جاريتين عوادتين[كان]بذل[5]ابو تغلب بن حمدان في احداهما[6]ماية الف درهم وقال لابي حمدان ان لم يرض عضد الدولة بها فاعطه هذا العقد وكان فاخرا نادرا واضمن له ما اراد[7] .

ولما مضى[8] ابو احمد الى عضد الدولة وادى[9] الرسالة امر برد الغلام وكان قد حمل في عدة غلمان الى ابي الفوارس بن عضد الدولة فاعيد الى عضد الدولة ولم يكن بين الغلام وبين غيره من الاسرى[10] فرق فامسكه عنده وقال لابي احمد لا انفذه حتى تمضي اليه برسايل وتقرر معه القبض على ابن بقية واضاف اليه ابا سعد بهرام بن اردشير الكاتب .

فلما وصلا الى بختيار (٣٠١/٤٥٢) وخليا به اوحش ذلك ابن بقية .

---

١) في الاصل وءاخره

٢) في تجارب الامم ٣٧١/٦ غلام تركي

٣) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٣٧١/٦ لم يكن من قبل يميل اليه . راجع خبر هذا الغلام في الكامل ٨١/٧

٤) قال في المنتظم ٨٣/٧ وتجارب الامم ٣٧٢/٦ ابو احمد الحسين بن موسى

٥) في تجارب الامم ٣٧٢/٦ كان ابو تغلب بن حمدان بذل . . .

٦) كذا في الاصل وفي تجارب الامم ٣٧٢/٦ باحديها

٧) تقرأ هذا الخبر مطولاً في المنتظم ٧٣/٧

٨) في الاصل مضا ٩) في الاصل وادا ١٠) في الاصل الاسرا

وكان بختيار ينزل في الجانب الغربي وعول ابن بقية على طرد بختيار وان ينفرد هو بالحرب فعدل بختيار الى تسكينه وتلافيه .

فلما كان في ذي الحجة اشار ابراهيم بن اسماعيل وكان بختيار قد استحجبه بعد ان كان نقيبا بالقبض عليه اذا[1] عبر اليه ففعل ذلك وانفذ امواله وخزاينه ووجد له ستة الاف[2] رطل ثلجا كان اعدها لسماط عزم على اتخاذه للجند وطلب عز الدولة منه شيئا قبل القبض عليه فانفذ اليه ثلاثين رطلا .

فكانت وزارة ابن بقية اربع سنين واحد عشر يوما .

واستخلص عز الدولة ابا العلا صاعد بن ثابت النصراني من مجلس[3] ابن[4] بقية وكتب الى بغداد على الاطيار بالقبض على اهله فوقعت الكتب في ايديهم فهربوا الى بني عقيل[5] بالبادية .

وقبض على ابن بقية بمشهد من بهرام بن اردشير واعاد معه الشريف ابا احمد وجرت اقاصيص حتى عاد اليه بالتسكين .

وقال ابن الحجاج يمدح ابا سعد بن بهرام .

ابا سعد قد انكشف الغطاء ... وامكننا المضور كما نشاء
وزادت[6] [illegible] واشتفى حتى ... شفي من لوعة الشوق اللقاء
[illegible] من [illegible] منير ... له في كل ناحية ضياء
هزمت [illegible] حرب ... فاست في خفارتك الدماء
(٣٠٢/١٥٦) وكم [illegible] ولكن ... لطفت فصادف الداء الدواء
[illegible] به [illegible] ... وراي لم يكن فيه رياء
فاضحوا [illegible] لكم عبيد ... وامسوا والرجال لكم اماء

ولما حصل [illegible] بالبصرة تواترت البشاير الى بختيار واظهر من السرور ما لم يعهد وضمن انه اذا [illegible] عاد الى بغداد واظهر الطاعة .

---

١) في الاصل اذ
٢) في الاصل الالاف
٣) في تجارب الامم ٦ : ٢٧٠ من عبيد . وكان امر ابن الراعي بقتله في الليلة المقبلة
٤) في الاصل بن
٥) في تجارب الامم ٦ : ٣٧٠ الى بني شيبان ثم الى بني عقيل
٦) في الاصل وذاكر

وامر عضد الدولة ابا احمد ان لا يسلم الغلام حتى يصعد بختيار الى بغداد .

وكان قد ورد عليه عبد الرزاق وبدر[١] ابنا[٢] حسنوية[٣] في الف فارس لنصرته فلما رايا افعاله كاتبا اباهما بالصورة وعرفاه ضعف رايه[٤] واختلال تدبيره واصعدا وفارقه عبد الرزاق بجرجرايا[٥] واستحيى[٦] بدر من مفارقته .

وعادت الرسالة اليه بسهل ابن بقية فقطل وسحل بعده صاحبه ابن الراعي[٧] واخذت عليه الايمان بطاعة عضد الدولة واثبات اسمه على راياته واقامة الخطبة له في كل بلد دخله .

فانصرف عنه بدر بن حسنوية[٣] حينئذ .

وكان في جملة ما شرط عليه عضد الدولة ان يرحل عن بغداد الى الشام وان لا يوذي ابا تغلب .

واتى عضد الدولة الاهواز فرتب امورها وسار منها الى البصرة وقد انصرف عنها المرزبان بن بختيار فوجدها مفتتنة فاصلحها وضمن اكابر اهلها اصاغرهم .

(٣٠٣/١٥٤) سنة سبع وستين وثلاثماية

في صفر ورد الخبر الى الكوفة بوفاة[٨] ابي يعقوب ابن الحسن الجنابي[٩] صاحب هجر فاغلقوا اسواقهم ثلاثة ايام اجلالا للمصيبة ومولده سنة ثمانين

---

١) في تجارب الامم ٣٧٦/٦ ابو النجم بدر
٢) في الاصل بنا
٣) في الاصل حسنونة والتصويب عن تجارب الامم ٣٧٦/٦
٤) في الاصل نكررة
٥) راجع تعريفنا بها في معجم البلدان ١٢٣/٢ طبعة داري صادر وبيروت
٦) في الاصل واستحيا
٧) نسبة في المنتظم ٨٦/٧ وهو ابو يعقوب يوسف بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر . وفي الكامل ٨٧/٧ الحاشية رقم ٣ علق بما ياتي : هذا هو آخر القرامطة الذين تولوا الامر استقلالا . وعند موته اغلقت الاسواق بالكوفة ثلاثة ايام .
٨) في الاصل برفات
٩) ورد هذا الخبر في الكامل ٨٧/٧ في جملة اخبار سنة ٣٦٦

ومايتين (٨٩٣) وعقدوا الامر لستة نفر من اهـل بيته اشركوا[1] في الامر لصبيته وسموا السادة .

وصار ابو الحسن محمد بن محمد بن يحيى العلوي الى عضد الدولة من الكوفة وسار في مقدمته الى بغداد .

وسار عز الدولة عنها لليلتين بقيتا من شهر ربيع الاخر وتفرق ديلمه عنه فرقة انحازوا الى الحسن ابن فيلسار[2] وسار بها الى جسر النهروان . وانفذ عضد الدولة بن اتاه به اسيرا وبه عدة ضربات .

وفرقة صاروا الى عضد الدولة وفرقة ثبتوا معه .

فقال ابن الحجاج في خروجه :

فديت قوما ساروا ولكن[3]	ساروا على صورة خبيثة
نودي عليهم كما ينادى[4]	بسوق يحيى على الحريثة
كانهم من جيوش مطرى[5]	قد طردوهم من الكثيبة

آخر الجزء الاول وتتلوه في الثاني مملكة عضد الدولة[6] ابي شجاع والحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله[7] الطاهرين وسلم تسليما .

١) في الكامل ٨٧/٧ شركة

٢) كذا في الاصل

٣) في الاصل ولاكن

٤) في الاصل ينادا

٥) في معجم الخريطة التاريخية قال محمد امين واصفا الحضر مدينة قديمة بارض الجزيرة في الجنوب الشرقي من سنجار على نهر صغير يصب في دجلة يسميها اليونان Atra . وفي معجم البلدان لياقوت ٢٦٧،٢ مادة حضر اسم مدينة بازاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات ، وهي مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وابوابها ، وكذلك قال ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع ٣٠٧،١ وفي :

Webster Geogra. Dict. Hatra, al-Hatr., ancient town and frotress, mesopotamia in desert w. of the tigris 55 m. s. w. of Mosul, now village and archeological site in N. W. Iraq.

قلت اني لم اجد مطرى كما هي في النص

٦) في الاصل اخر

٧) في الاصل واله

تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

للاب لويس بليبل († ١٩٣٨) (تابع)

المجلد الثالث

عدد ١١٣

وفي السنة ١٨١٠ ادعى بيت ابو صابر من قرية رشميا على وقف دير مار يوحنا رشميا بانه باطل وان بيدهم اوراقاً تؤيد مدعاهم هذا واثباتاً لذلك ابرزوا صكاً مؤرخاً في سنة ١٧٠٧ . وهي سنة وقف هذا الدير على الرهبانية.

(طالع المجلد الاول من هذا التاريخ صفحة ٤٨ و٤٩).

والصك المذكور من امضاء الاب عبدالله قراألي الرئيس العام يومئذٍ. وقدموا ايضاً فتوى مؤرخة في السنة ١٧٥٧ من امضاء السيد يوسف اسطفان مطران بيروت (البطريرك يوسف اسطفان فيما بعد).

وهذه حرفية الصك المزعوم :

رجه تحريره وموجب تسطيره :

هو انه يوم تاريخه قد تسلمنا دير مار يوحنا من يد ولدنا الحاج صقر (ابو صابر) عن يد اخونا الخوري ابراهيم (التزبري) ، بتوته وعماره وزيتونه وسليخه وتينه وعريشه وبقره ومعزته وفرشه وبغلته وحانوته ودابرته لا هو وقف ولا هو هبة ولا هو حسنة بل معاش لنا.

لا لنا تصرف لا في توت ولا في سليخ ولا في زيتون ولا في عمار ولا لنا تصرف في شي. لا نحن ولا الذين يجوا بعد منا . الا بأمر ورأي وتدبير اصحابه الذين يكونون موجودين وان نجاسرنا وبعنا او رهنّا او « بخشنا » نحن ام الذين يجوا بعدنا وما هان على اصحابه وما ارادوا انا نبقى في الدير يتسلموا ديرهم من غير شرع .

لا لنا تنازع ولا لنا تعلّل ولا لنا توقع على حكام ولا على مشايخ . يتسلموا ديرهم

بتونه وسليخه وزيتونه وعماره وحانوته لان ما لنا في الدير شيء لا في الوقف ولا في الوهبة ولا في الحسنة بل كل شيء يكون وقف او وهبة ام حسنة للدير . . .

والذي تكون شاريينه في قرش النصف لنا وللدير النصف. وان بان حجة ام سند ام قرار لا يعمل فيها لان ما معنا حجة ولا سند . ولا لنا نشارع حتى يطلع لنا قرار .

وان احد يعجز او ينقطع بماود يعيش من رزق الدير وان ما راد يقعد في الدير يتقدم لهُ معاشه من غير كره .

صح صح صح حرر وجرى في سنة ١٧٠٧

قابل بما فيه القس عبد الله
ورهبانه

شهود الحال

عواد ابن بو عواد ابو مرهج ابن ابو عبد الله مرهج الخوري ابراهيم محرر الاحرف
جرجوره ميتا

نقلت عن الاصل حرفياً :

الحقير غنايل فاضل
مطران بيرت

والحجة الاصلية تحت ختم واسم
البطريرك يعقوب عواد
(عن نسخة في يدي)

وهذه حرفية الفتوى :

الواجب لتحريره :

هو انه يوم تاريخه حضر قدامنا القس اقليموس الزوعاني وولدنا ابو صابر جرجس وترافعوا على دير مار يوحنا وشيا بان الرهبان مدعيين عن بو صابر جرجس بان الدير وقف . فعدنا وقفنا على الحجاج الذين بيد الرهبان والحجاج الذين بيد بوصابر جرجس المذكور فرأينا حجاج الرهبنة فاسدين مفسودين لا يعمل بها والحجاج الذين بيد ولدنا المذكور ثابتة شرعية لا تغيير فيها فيعمل بموجبها شرعاً والله اعلم سنة ١٧٥٧

الحقير يوسف اسطفان
مطران بيروت

صح ان الحجة الاصلية التي بيد ولدنا ابو صابر جرجس تحت ختم واسم السيد الذكر البطريرك يعقوب عواد .

صح ناقلها عن الاصلية حرف بحرف

الخوري يواكيم

(من الاصل بيدي)

صح نقلت عن الاصلية حرف بحرف

الحقير يوسف بطرس
البطريرك الانطاكي

فالاب العام والاباء المدبرون توصلوا بالمسالمة وسياسة اللين الى حلّ المشاكل بدون محاكمة فاقرّ بيت ابو صابر بصحة الوقف وبطل مدعاهم وحرروا صكاً باقرارهم صدّقه السيد البطريرك يوحنا الحلو وشرح عليه المطران يوسف اسطفان ... « وهو الخوري خير الله اسطفان » وبقي هذا الصك بيدهم لاسباب اجهلها .

وفي اثناء ذلك توفي الاب العام في دير الكحلونية فانتخب او تسلّم مكانه المدبر الاول الاب اغناطيوس بليبل بحسب الرسوم القانونية تحت لقب « نائب عام » وبعد استلامه وظيفته ، حضر لدير سيدة طاميش بيت ابو صابر لاتمام معاملة المصالحة كما ذكر آنفاً .

ولما لم يتفقوا مع الاب النائب العام شكوا امرهم الى الامير بشير الشهابي الحاكم العام فاصدر الامير مرسوماً الى الاب النائب العام والمدبرين يعلمهم به الشكوى عليهم من بيت ابي صابر ويحثهم على صرفه هذا المشكل .

وهذه حرفية المرسوم :

الى حضرة اعزازنا النائب العام ومدبرين رهبان قزحيا المكرمين سلّمهم الله تعالى .

اولاً : مزيدون الاشواق لرؤياكم في كل خير وعافية .

وبعده نخبر محبتكم . اعرضوا لدينا اعزازنا المشايخ بيت بو صابر بانه كانت جرت المصارفة بينهم وبين رئيسكم العام القس عمنوئيل عن الدعاوي التي تخصهم بدير مار يوحنا وتمّ الوقف ما بينهم وبينه وسلموا الاوراق التي تخصهم والباقي اعدموه وحرروا حجة مصارفة وافهموه انهم برّاؤه لطاميش ليعطيهم الشيء الذي ركز عليه الحال معهم ويعطيهم حجة ابراء وبالطريق توفّاه خالقهُ .

ثمّ توجهوا لعندكم وبالمجمع طلبوا منكم اتمام ذلك فلم قبلتم بل متعللين بذلك . والحال

مادة جزئية ما يقضي لما كل هذا النزاع الحاد فبوصول المكتوب بمنشوم على موجب الصرف الذي تمّ مع رئيسكم ولا تدعوهم يراجعوا بذلك ويكفي لحل (لهذه) المادة منازعات. ولا تقطعوا اخباركم عنا . هذا .

(الختم) كاتبه
بشير الشهابي

وعلى قفا هذا المرسوم مكتوب شرح ما توقع بعد صدوره وذلك بقلم الاب برتردوس التزيري .

وهذه حرفية الشرح :

بيت ابو صابر احضروا هذا المرسوم الى قدس الاب اغناطيوس بليبل النائب العام فالتزم ان اعرض الامر لدى سعادته وطلبوم (وطلبهم) النائب العام والمديرين للشريعة قدام غبطة السيد البطريرك يوحنا الحلو وقدام السيد المطران يوسف اسطفان ولزّوهم « اي الحوالة » ثلاث مرات ولم حضروا فتقدم الرجا لدى سعادته الى بيت بو صابر لكي يتشارعوا وحضر لهم حواليّة ولم كانوا يحضروا ثم بعده ارسلوا كتابة الى قدس الاب النائب العام مع الحجة التي كانوا حرروها للمرحوم الاب عمنوئيل الجميّل الرئيس العام الصالح المذكر ، تتضمن سقوط دعواهم على دير مار يوحنا رشميا فقبلوها (فقبلها) الاباء المديرين(المديرون) وترجوا سعادته برفع الحواليّة . وحررتُ ذلك بوقته ليفهموا الآتيين (الآتون) بعدنا.

تحريراً في ١٥ نيسان ١٨١١

كاتبه
القس برتردوس التزيري

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

واما الصك المقدم من بيت ابي صابر اقراراً بفساد دعواهم على دير مار يوحنا فلم اعثر عليه ، انما وجدت هذا الشرح .

وهذه حرفته :

انه في سنة ١٨١ مسيحية لقد تحرر صك شرعي اسقاط وابراء واقرار طوعي من المشايخ بيت ابي صابر من قرية رشميا وهم :

بطرس وسعد واسطفان بنلن هذا الصك بطلان دعواهم على دير مار يوحنا رشميا الموقوف شرعاً من اجدادهم بتسلم وتسليم ومصادقة شرعية .

واشترط المذكورون على نفوسهم عدم قيام بالتداعي قطعياً وان صار منهم خلاف فيكون

ذلك عدوانًا وتجرؤ فلا تقبل او تسمع دعوام باي محكمة كانت ويكون قصاصهم من الحكم المألوف .

ويقولون ايضًا اننا راسخون وقابلون بما اوقفته اباء عائلتنا منذ القدم ، والآن نجدد رضانا وتقرطاتنا بان دير مار يوحنا المذكور هو وقفًا (كذا) مخلدًا وحبسًا مؤبدًا للرهبانية اللبنانية دون غيرها ، وكان ذلك بايام السيد الذكر الاب عمنوئيل الجبيل الرئيس العام وقتئذ والاباء المدبرين اغناطيوس بليبل ومانيا المتيني ونعمة الله النجار وعبد الاحد البكاسيني.

وكان اقرار المشايخ المار ذكرهم لدى المحررة اساميهم ادناه (كذا) .

صح وقفنا على هذه الحجة الوقفية فيا بين الرهبان اللبنانيين والمشايخ بيت بو صابر وحيث تمّ الرضى الاختياري من المذكورين فمن ثم ستحكم باثباته ويكون العمل به . صح

الحقير

(الختم) يوحنا بطرس الحلو البطريرك الانطاكي

المنسوب اليهم

اسطفان	سعد	بطرس
ابو صابر	ابو صابر	ابو صابر

صح يجب السلوك بموجبه ولا عاد يسوغ قيام دعوى فيا بعد .

الحقير

المطران يوسف اسطفان ،

شهد بذلك على هذه الحجة :

عبود خادم دير مار الياس — محرر الاحرف

وشيا — حرحوره البنا

(نقلًا عن سجل دير طاميش بخط الاب اغناطيوس سركيس البيروتي)

في ٣٠ تشرين الاول من هذه السنة (١٨١٠) انتقل الى رحمة الصالحين السيد الذكر الاب عمنوئيل الجبيل رئيس الرهبانية العام بمرض لم يمهله طويلًا في دير مار الياس الكحلونية وله من العمر ٦٠ سنة وهي السادسة والثلاثون لرهبانيته ودفن في الدير المذكور وقد خدم الرهبانية اجلّ الخدم باكبر وظائفها، خدمها بصفة رئيس على دير سيدة ميفوق ، وهو من الاديار الكبيرة ، ثلاث سنين وبوظيفة المدبرية خمس عشرة سنة وبوظيفة الرئاسة العامة احدى عشرة سنة

فتكون جملة سني خدمته ٢٩ سنة فانه قضى كل سني رهبانيته تقريباً متقلباً في وظائفها .

فهذا ما يدلنا على انه كان رجلاً عاقلاً حكيماً ادارياً ولهذا وضعت الرهبانية ثقتها به فعهدت اليه بادارتها .

ومما جاء بمذكرة الاب نعمة الله الكفري ما حرفيته :

« وكان هذا الاب ذا اهابة طبيعية وفضائل عدة منها التواضع والحرارة في تلاوة الصلوات حتى كان يرتفع عن الارض كما رآه احد الاخوة فيما كان يصلي اذ كان لم يزل مبتدئاً . ويروى عنه انه مرة اراد ان يوفق اقاربه في بكفيا لخلاف حدث بينهم ولما لم يتفقوا قال : « نشّف الله ينبوعكم » فانقطع جريه حالاً . ولما رأوا ذلك اذعنوا لقوله وتصالحوا وفقاً لرغائبه الصالحة وسألوه الصفح عنهم فصفح واعاد الينبوع الى جريه . » »

وبعد وفاته بثلاث سنين وجد جثمانه صحيحاً سالماً من الفساد كما سنبين ذلك في حوادث سنة ١٨١٣ .

وفي هذه السنة ١٨١٠ عقد رهبان دير مار مارون بير سنين عقد شراكة تعرف بشراكة الثلث مع الامير حيدر شهاب على املاكه الكائنة في وادي الست المعروفة بالبركة على ان الاباء المشار اليهم يغصبونها ويقيمونها حق قيام ولهم بدل ذلك نصف ملك ، وهذه الشراكة ممدودة غير محدودة ، ولهم من الاغلال الثلثان وللامير الثلث خالصة المصاريف وربطوا ذلك بصك .

وهذه حرفيته :

الداعي لتحريره :

هو انه صار الاتفاق فيما بيننا وبين اعزازنا رهبان دير مار مارون بير سنين على تسليمهم البركة التي لنا في مزرعة وادي الست فيجددوها ويقيموها ولهم نصف الاغراس وثلثين الاغلال من كلي وجزئي مما يزرعونه ولا يخصنا شيء من الاكلاف ولا عليهم ميري طالما هم بعقد الشراكة ومتى صار قسمة فنقسم لهم النصف فتتبعهم الميري على حصتهم بموجب سطرة سال الذكر .

وكذلك سلسام الشبات الذين كانوا بيد الخوري جرجس وهم دفعوا له ثمن حصته وصاروا تابعين هذه الشركة بشروطها .

واما الدار في هذا المحل فعلينا النصف من اكلافه .

تحريراً في سنة ١٢٢٦ توافق لسنة ١٨١٠ مسيحية .

(الختم) حيدر شهاب

وفي هذه السنة حصل خلاف بين اهالي المروج وبين رهبان مار مخائيل بنابيل وارجحه على تخلفهم عن دفع معالم «المرتب» عليهم بدل الخدمة الروحية كما يظهر من الاوراق الآتي ذكرها .

قصد اهالي المروج المومى اليهم سيامة كاهن على مذبح القديسة تقلا لخدمتهم الروحية بدعواهم ان لهم اتعاباً ومشاركة في بناء الكنيسة واوقافها فدحض اباء الرهبانية دعواهم المذكورة ببراهين وبينات لا ترد ، منها شهادة المعلم الذي بناها .

ثم ان الامير بللمع مالك المروج ارسل كتابة الى الاهالي المشار اليهم يدحض بها مدعاهم ويثبت ان الوقف واكلاف البناء هي من عبود سركيس من عين الزيتوني ، وان الرهبان مالكوها من نحو عشرين سنة بحمايتهم ورضاهم ولذلك ينهيهم عن هذا التعدي وان لا يسمعوا للناس المقلقين ويحثهم على الاتفاق مع الرهبان كما كانوا حددوا ذلك من قبل وذلك خير لهم من كل عمل لانه لا يرضى عن تعديهم ولا يسلم بسلب صاحب الحق حقه .

وهذه جزئية كتابة الامير :

عزازنا المشايخ اهالي المروج سلمهم الله تعالى .

اولاً : مزيد الاشواق اليكم في كل خير وعافية .

وبعده بلغنا مرادكم ترسموا خوري على كنيسة مار تقلا والحال نحن هذا كان مرغوبنا لاجل جملة اوجه ولكن خير فان الكنيسة والذين كانوا ساعيين في عمارها عزازنا بيت سركيس وسلموها للرهبنة بموجب حجة وانتم ارتبطوا ان الرهبان تتسلمها والان مستمرة في يدهم مقدار عشرين سنة وما حصل منازعة الا الان فقط فهذا شيء لا يمكن نسلم فيه المراد ترفعوا المنازعات عن انفسكم وراي بعض ناس مثلكم لا ينفعكم ورأينا عليكم في التسليم الى راي الرهبنة ولذمتهم هو الاوجب ، وكما ذكرنا وعرفناكم خاطرنا كذلك هم مستلمين حجة من بيت سركيس وحجة منا وبرضاكم فمن حيث ذلك ما لكم مهم تلق او تعلل اصلاً كلياً ولا نسمح بمنازعة الرهبان صح .

(عن اوراق دير بنابيل)

كاتبه

(الختم) بللمع

وهذه شهادة المطم الذي بناها بحروفها :

هو انه يوم تاريخه حضر عندنا الاب قرياقوس اللبناني واستشهدنا من خصوص عمار مار نقلا وعن عمارها ومن قدم كلفتها ونحن نشهد امام الله والناس اننا كنا نشتغل في حل الكنيسة وناخذ كرانا من عبود سركيس والحرج وكان وكيله ميخائيل الشروتي وغير هيك ما حدا تكلف علينا شيء وان انجد شهادة عن لساننا غير هذه الشهادة لا يعمل بها ان كان مع الرهبان او مع اهل المروج صح

حرر في سنة ١٨١٠

كاتبه	محرر الاحرف
المعلم شاهين	ولده حبيب

« عن الاصل المحفوظ في دير بنايل »

وفي هذه السنة كان قد استأذن الاب العام عمنويل الجليل السيد البطريرك يوحنا الحلو لانشاء انطوش في مدينة صور وان يعهد الى وكيل هذا الانطوش خدمة الرعية الروحية . فصدر امره بقبول طلبه واعلن ذلك بموجب كتابة . هذه حرفية بعض ما جاء فيها :

ايها الابن العزيز :

السلام والبركة بالرب . بعد الترجمة :

ثم من خصوص قيامكم الانطوش في مدينة صور وان يقيم به كاهنًا لخدمة الرعية وقضاء مصالح الرهبنة حضرة ولدنا هذا شيء سرّنا للغاية وقوي ' نشدنا به همتكم . ربنا تعالى يعطيكم به المعونة والمساعدة . فن كل بد باشروا ذلك بسرعة وبغير اهمال ولا تبدّوا على هذا الامر شيء لانه خير ومفيد ' ولكم اجره عند الله تعالى . ومن صوبنا اذا لزمكم كتابات او توصّي بشيء اعرفونا حالًا لنحررها . انما نرغب من حسن افرازكم وذكي فطنتكم ان الكهنة الذين تحطّوهم في المحل المذكور يكونوا ذوي معرفة ومناقب حميدة وتقوى حتى يقدروا ينفعوا بالموضع ويسلكوا فيه كما ينبغي لئلا اذا كانوا بالخلاف يتعبوا ويتعبوا وينضروا ويضروا . وفهم حضرتكم عن التكرار كفاية والبركة الرسولية تشمل حضرتكم ثانيًا والدعا (١٥ ك ٢ سنة ١٨١٠) .

(عن الاصل وهو بيدي)

الحقـــــــــير

(الختم) يوحنا بطرس البطريرك الانطاكي

وفي هذه السنة ١٨١٠ لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

توما الشرتوني . جبرايل البزعوني . ميخائيل الحصروني . يوسف حمانا .

وتوفي الاب مبارك القليماتي اذ كان وكيلا لدير الراس . والاب عمنويل الجبيل الريس العام بدير الكحلونية .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل الرابع عشر

عدد ١١٤

وفي سنة ١٨١١ وهب الامير بشير الشهابي الحاكم ؟ الاب النائب العام اغناطيوس بليبل لما طلب قطعة ارض في معلقة زحلة لاقامة كنيسة ومحل لسكن الرهبان لاجل خدمتها « انطوش » بموجب صك هذه حرفيته :

كنيسة ٢٠ ذراع طول و ١٠ اذرع عرض . دار طولها ١٦ ذراع . عرض١٦ ذراع .
اوضتين الى كاهنين رهبان وبيت للمونة ومحل لسدواجم ٣٠ ذراع طول و ٦ اذرع عرض فيكون الجميع ٦٦ ذراع عرض لا غير .

بموجب تحريره :

هو انه اننا اعطينا ارض ذراع كما مبين اعلاه لاجل بنيان الاماكن المشروحين الى عزيزنا القس اغناطيوس بليبل رئيس عام الرهبان اللبنانيين ليعمر كنيسة في المعلقة الى النصارى الموجودين واوضتين وبيت مؤونة ومربط دواب لزوم الكهنة الذين يخدموا الرعية وجملة الاذرع ٦٦ ذراع طول و٣٠ ذراع عرض كما مشروح اعلاه .

واعطيناهم قول ان يكون عندهم مكاري وخادم غريبين عن المحل « اي لا يكونوا من المعلقة » .

واعطيناهم انه مرفوع عن الانطوش وعن اجيرهم ومكاريهم جميع التكاليف لاجل خدمتهم للنصارى الموجودين بالمعلقة .

وأشرطنا عليهم لا يلقوا احدا من اهالي المعلقة عندهم لا بطريق المكاري ولا استئجار ولا فلاحية .

ومها تعمر كنائس للموارنة في الموضع المذكور لا يكون لهم قارش في الرعية ما زالهم اعني الرهبان اللبنانيين ساكنين بالمطرح المذبور .

تحريراً في رجب سنة ١٢٢٦ توافق سنة ١٨١١ مسيحية .

(عن اوراق مخطوطة بيدي) (الختم) بشير شهاب

واعطى السيد البطريرك منشورًا اجاز فيه هذا العمل وفوّض الى الرهبان الخدمة الروحية وهذه حرفيته :

اعلامًا لكل واقف عليه .

هو اننا آذنّا الى حضرة ولدنا القس اغناطيوس بليبل النائب العام اللبناني ان يقيم كنيسة وانطوش في قرية المعلقة في البقاع . وآذنّا الى الكاهن القاطن في الموضع المذكور ان يخدم الرعية .

ولاجل البيان حررنا هذا الاعلام صح في ايلول سنة ١٨١١

الحقـــــــــــــــــــــــــير

(الختم) يوحنا بطرس الحلو البطريرك الانطاكي

(عن اوراق محفوظة بيدي)

ان السبب في اعطاء التصريف من السيد البطريرك للرهبان في خدمة الرعية في القرية المذكورة هو لانها كانت من ابرشيته الخصوصية .

واما ما هو الداعي لاشتراط الامير على الرهبان ان لا يلقوا احدًا من اهالي المعلقة لا بصفة مكاري او فلّاح او اجير كما هي عبارته ، فالذي افترضه وربما هو السبب ان اراضي المعلقة كانت مملوكة من الامير فحرصاً على مصلحته الخصوصية بابقاء الكل عنده اوجب هذا الشرط .

ان من انعم النظر في طلب الاب النائب العام ، وهبة الامير لدى الطلب ، عظّم غيرة كليهما لانه لم يكن الدافع لها سوى فائدة الشعب روحيًا وادبيًا . اذ لم يكن فائدة مادية او سياسية منها قطعيًا . فيا ليت التاريخ يعيد نفسه !

وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني لهذه السنة عقد المجمع العام بحسب الرسوم القانونية في دير سيدة طاميش .

وفي اليوم الرابع من الاجتماع وهو اليوم الثالث عشر من الجاري انتخبوا بالقرعة السرية الاولى :

الاب اغناطيوس بليبل		رئيسًا عامًا « لاول مرة »
وبالقرعة الثانية	الاب جراسيموس الشبابي	مدبرًا اول
« الثالثة	« نعمة الله النجار البكتاوي	« ثانيًا
« الرابعة	« سمعان الخازن	« ثالثًا
« الخامسة	« مايا المتيني	« رابعًا

وفي اليوم الاخير من الاجتماع انتخب مجمع المدبرين رؤساء :

الاب اقليموس الشبابي	لرياسة دير مار انطونيوس قزحيا
« الياس يمين «	« « سيدة طاميش
« مرقس شنتيري	« « مار يوسف البرج
« بولس عزيز الدبراني	« « « انطونيوس حوب
« اغوسطين غديري	« « « جرجس الناعمه
« دانيال البكتاوي	« « « غابل بتابيل
« عبد الاحد البكاسيني	« « سيدة ميفوق
« سمعان البحرصافي	« « مار الياس الكحلونية
« عبدالله الشبابي	« « « انطونيوس النبع
« نقولا الشبابي	« « « يوحنا رشميا
« يوسف الزوقي	« « « انطونيوس سير
« شربل التيني	« « سيدة مشموشة
« موسى	« « مار مارون بير سنين
« برتردوتيس الغزيري	« « « موسى الحبشي
« لورنسيوس الرشاوي	« « « قبريانوس كفيفان
« مكاريوس وادي شحرور	« « « عبدا مااد
« جبرايل قدسي	« « سيدة المونات جبيل
بجبول	« « مار الياس مطوشي قبرص

(عن روزنامات الاديار)

وفيها عقد المجمع العام للرهبانية الحلبية اللبنانية في دير سيدة لويزة في ميعاده القانوني . فاصاب :

الاقتراع الاول	رئيساً عاماً	الاب يوسف السمعاني
« الثاني	مدبراً اول	« اغناطيوس مركيس
« الثالث	« ثانياً	« جراسيموس اصيل
« الرابع	« ثالثاً	الاخ جرجس الشدياقية
« الخامس	« رابعاً	الاب انطونيوس البكاسيني

ومن احكام هذا المجمع العام تسليم دير مار بطرس كريم التين لتدبير الاب العام .

(عن روزنامة المجامع)

وفيها لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

رافائيل ديك المحدي وجراسيموس البكاسيني .

وتوفي الاب جبرايل الديراني . والاخ زكا السكنتاوي .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١١٥

وفي سنة ١٨١٢ وضع حكام البلاد ضرائب على املاك اديرة الرهبانية الكائنة في بلاد جبيل والبترون وعلى شركائهم ، مالاً يفوق طاقتهم وذلك مما يوقع اضراراً على الاديار تسبب هجرها. وكانت قد جرت عادة اخرى من امراء بيت ابي اللمع يطلبون من الاديرة الكائنة في عهدتهم مالاً يسمونه « مقارضة» وكانت العادة ان الحاكم العام يطلب ذلك منهم .

فرفع الاب العام اغناطيوس بليبل هذه الظلامة الى الامير بشير الحاكم ولما كان للاب العام من الدالة العظيمة لدى الامير لبى سؤاله واصدر امره اولاً الى الامراء المشار اليهم وهذه خلاصته :

« انهم ما عادوا يطلبون من اديرة الرهبانية اللبنانية ومحلاتها الكائنة في عهدتهم ، مالاً على سبيل مقارضة كلياً لانه يطلب المال المذكور من رؤسائها والرؤساء يوزعون ذلك على ... ثم اوجب عليهم رفع قارشهم (طلبهم) بذلك وان لا يكلفوهم شيئاً » .

ثم اصدر امراً ثانياً الى ملتزمي الاقلام في بلاد جبيل والبترون ان لا يتقاضوا من الرهبان اللبنانيين عن ديورتهم في منطقتهم سوى نصف ما يطلب منهم من مال الجوالي والسياق لانه ترك لهم النصف الآخر الى امد ممدود غير محدود ثم يأمر بتسليم امره ليد الرهبان سنداً بيدهم .

وهذه حرفية امر الامير في ما يلاحظ ترك الجوالي والسياق :

اعزازنا وكلاء دفتر الجوالي والاسياق في بلاد جبيل والبترون المكرمين .

وبعده نعرّفكم اننا تركنا الى اعزازنا الرهبان اللبنانيين عن ديورتهم في بلاد جبيل والبترون عشر جوالي نصفهم خمس جوالي وثلاث اسياق نصفهم سيق ونصف تحاسبوهم بذلك كل سنة ممدود غير محدود . وامرنا هذا يبقى بيدهم سنداً .

حرر في سنة ١٢٢٧ هجرية توافق لسنة ١٨١٢ مسيحية .

(الختم) بشير شهاب

وفي هذه السنه لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

يوحنا كفرحي . وزكريا ديك المحدي . وارميا خضير الباني .

وتوفي الاب بولس الشبابي . وكان راهباً غيوراً على الرهبانية بحفظ قوانينها بكل تدقيق وله اتعاب جمة بصناعة العمار . والاخ جرجس الدلباوي . والاخ جبرايل البسكنتاوي .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١١٦

وفي سنة ١٨١٣ توفي احد الرهبان في دير مار الياس الكحلونية ولما اراد الرهبان دفنه في مدفن المتنيح بالرب الاب عمنوئيل الجميل الرئيس العام السابق وجدوا جسده سالماً من كل فساد وذلك بعد ثلاث سنين من وفاته .

فبناء عليه رفع الاب سمعان البحرصافي رئيس الدير المرقوم عريضة للاب العام بالامر طالباً اليه ان يرشده فيما يلزم عمله في هذا الحادث .

فتوجه الاب العام يصحبه الاب ماتيا المتيني احد الاباء المدبرين في ٢٧ ايلول الى الدير المرقوم وبعد ان اجرى كشفاً على جثة المرحوم الاب عمنوئيل وتحقق سلامته من الفساد امر بوضعه ضمن صندوق «تابوت» خشب صنع بالحال تحت التسمير وارجع للدفن بحسب الرسوم الكنائسية المرعية بهذه الحوادث وعلق على روزنامة «سجل» الدير الشرح الآتي .

وهذه حرفيته :

« انه قد انتقل بالوفاة لرحمته تعالى قدس ابينا العام الاب عمنوئيل الجميل في ٣٠ تشرين الاول سنة ١٨١٠ قبل الغروب بساعتين بنية صالحة ساحباً بكافة الاسرار المقدسة بحضور رئيس الدير وكافة الجمهور وحين مرضه استتام يوم واحد بدون قداس دفن في المشخاشة بين اخوتنا الرهبان المتنيحين .

وبعد وفاته بتسعة اشهر توفي الاخ زكا البسكنتاوي وعند دفنه وجد جسد المرحوم السعيد الذكر ابينا ورئيسنا غير بالي منه شيء ولا اثوابه ايضاً .

ثم بعد مدة نحو سنة توفي الاخ جبرايل « اي بعد الاخ زكا » وعند دفنه قد وجدوا جسد الاخ زكا المذكور بالي كحال الاموات . اما السعيد الذكر ابينا ورئيسنا غير بالي منه شيء لا جسمه ولا اثوابه فقط ان الشعر الذي بوجهه « ذقنه » سقط واما شعر رأسه وشاربيه لم يزالا باقيين .

فرئيس الدير الاب سمعان البحرصافي لما رأى ذلك فيلقنا ذلك بحسب الرسوم وعليه حضرنا لزيارة الدير ورفقتنا الاب المدبر مانيا المتيني وفي ٢٧ ايلول سنة ١٨١٣ بعد صلاة الليل « اي بعد الغروب وليس نصف الليل كما هو ترتيب الصلوات في ايام الصيف » توجهنا الى المشخاشة وبيدنا الشموع المضيئة والمبخرة وبرفقتنا الاب المدبر المرقوم ورئيس الدير الاب سمعان يومئذٍ وكافة جمهور الدير فامرنا بفتح المشخاشة وبالحال صار فتحها وبعد صلاة وضع البخور بحسب الرتبة « اي عال عطرُ دبسه طُوبه » دخلنا المدفن فوجدنا جسد المتنيح سالم – وغير بالٍ منه شيء لا من جسده ولا عينيه ولا اذنيه وشعر رأسه واكليله وشاربيه باقٍ واثوابه باقية نظيفة حتى قميصه واثوابه الداخلية كأنها عن قرب لُبِسَت على جسمه .

وللحال امرنا بعمل تابوت من خشب وبعد عمله وضعنا جسد السيد الذكر فيه تحت التسبير وارجعناه للمشخاشه .

والرهبان الذين توفوا قبله والاخوين اللذين توفيا بعده اي الاخ زكا والاخ جبرايل البكتاويين لم عاد لهم اثر من اثوابهم او من اجسادهم سوى العظام كحال الاموات .

وقد تحرر ذلك لاجل الاستذكار صح في ٢٧ ايلول سنة ١٨١٣

الحقير
اغناطيوس بليبل
اب عام لبناني (المتم)

(عن روزنامة دير الكحلونية اي السجل الرسمي)

وفي هذه السنة انتقل الى راحة الصالحين الاب سمعان الحازن المدبر الثالث في دير مار عبدا معاد حيث دفن وله من العمر ٦١ سنة وهي السنة الحادية والاربعين لرهبانيته ، خدم الرهبانية بوظيفة رئاسة الاديار ست سنين . ووظيفة المدبرية بين اولى وثانية وثالثة تسع سنين والرئاسة العامة ست سنين .

وذكر الاب نعمة الله الكفري في مفكرته ، خبر وفاة الاب سمعان الحازن ودفنه في دير مار عبدا معاد حيث توفي ، فروى ما يأتي :

« وقيل انه بزمانه « اي بزمان رئاسته العامة » . درج في الرهبانية ان يكون الطبخ بسمن في الايام المسموح بها أكل الزفر لانه قد كان الطبخ دائمًا بزيت الا للضرورة » » .

وفيها (السنة نفسها) لبس الاسكيم الملائكي الاخوة :

نعمة الله الديراني . وسركيس غزيري . وجبرايل الحويس . واثناسيوس الشوقي .

وروحانا القليماتي . ومرقس المصروني . وجبرايل الشبابي . وليباوس التنوري . ومبارك حليحل البسكنتاوي بعمر ٢٧ سنة . وبواصاف البسكنتاوي . ومارون الصنابي . وانطونيوس بسكنتاوي .

وتوفي الاخ توما القريكي . والاخ سمعان قتالي . والاخ سرابيون لحفداني . والاخ اندراوس الشرتوني . والاب بولا الموشي . والاخ برنباوس ميروبا . والاخ سارافيم كفرسلوان . والاب يوسف الحلبي بعمر مئة سنة . والاخ ابيديوس كفر متى . والاخ بطرس القرطباوي . والاخ وافائيل الصنابي . والاب سمعان الخازن المدبر الثالث .

(عن رزنامات الاديار)

الفصل الخامس عشر

عدد ١١٧

في اوائل سنة ١٨١٤ طلب قنصل دولة فرنسا في صيدا من الاب العام اغناطيوس بليبل ان يرسل اليه الاب مبارك البكاسيني من ابناء الرهبانية ليخدم الجالية الافرنسية القاطنة في خان الافرنج في المدينة المذكورة وهذه حرفية الطلب .

ايها الاب الجزيل الاحترام ادام الله برّه وبقاءه امين .

من بعد التماس البركة ودعا قدسكم على الدوام انه لم خافيكم بان من قديم الزمان طائفة الموارنة محسوبة ومعتبرة كانها من ابناء طايفتنا الفرنساوية . فنظرًا لذلك ونظرًا الى احتياجنا الان لوجود كاهن عندنا بالمكان ونظرًا الى محبة قدسكم الصادقة الى الفرنساوية لزم ان نطلب من حضرتكم راهب كاهن لاجل خدمة طائفة خانيا لينا يحضر لنا بادري . فان لقيتم مناسب الراهب المذكور يكون القس مبارك البكاسيني .

وبما اننا متأكدين كما ذكر على صدق محبتكم لنا نؤمل من قدسكم ارسال اذن بموجب باطنطا باسم الاب المشار اليه حتى يكون مقيم عندنا . وانتخابنا لهذا الأب هو من بعد تأكيدنا على مزاياه الحسنة وسلوكه المحتشم وطهارة ذمته .

فالمأمول قبول رجانا ومنح مطلوبنا مما يلزم لقدسكم من المصالح والاغراض موقوفة بمعونة الله على الاعلام من بعد التماس بركة ورضا حضرتكم ثانيًا وثالثًا ودمتم . في ١٦ اذار سنة ١٨١٤ .

(عن ترجمة للاصل وهو بيدي)

مستمد دعا حضرتكم

نيترون قنصل فرنسا في صيدا

وفي هذه السنة ١٨١٤ سلّم السيد البطريرك يوحنا الحلو الاب العام بليبل اعلاماً خوّله به حق التصرف التام في المقام المشيد على اسم القديسين الرسولين بطرس وبولس في المكان المعروف بالروَيس فوق قرية اهمج ، من يوسف وداود ابن موسى عيسى من قرية اهمج وذلك بتمام رضاه ورضى يوسف وداود المذكورين. واذن له بوضع كاهن او اكثر في المحل للخدمة الروحية وصرفه ايضاً في الارزاق الموقوفة والمشتراة له كتصرفه في املاك الرهبانية .

وهذه حرفية الاعلام :

اعلام بالرب لكل ناظر وواقف عليه :

انه حضروا لعندنا اولادنا يوسف بورميا واخيه داود بن موسى عيسى من قرية اهمج وبما ان المذكورين باذن منا وبسعيهم قد عمروا كنيسة على اسم القديسين المعظمين ماري بطرس وبولس في مكان يدعى الرويس فوق اهمج بكتنا في عنايا والتمسوا منا كي نعين لهم كاهن (كاهناً) يخدم في الكنيسة المذكورة لاجل مجد الله وفائدة القريب المسيحيين الذين بقرب المكان لزم اننا صرفنا حضرة ولدنا القس اغناطيوس بليبل اب عام الرهبان اللبنانيين المحترم ان يرسل كاهن (كاهناً) من رهبنته يكون كفاية في المطرح يخدم في الكنيسة المذكورة وصرفناه برضى اولادنا المشار اليهم في الرزق الموقوف والمشترى والذي هو شراكة المناولة بحقوقه يتصرف فيه كباقي املاك رهبنته وديورته من غير معارضة من احد واشرطنا عليه ان يبقي كاهن في خدمة الكنيسة المذكورة .

وان حسن يقطنوه اكثر من كاهن ما فيه مانع ويدبروا المطرح كباقي ديورته . وقد حررنا بيده هذا الصك لاجل البيان تحريراً في ٢ ت ٢ سنة ١٨١٤ .

الحقـــــــــــــير

(الختم) يوحنا بطرس البطريرك الانطاكي.

(عن الاصل وهو بيدي)

واما ما هو معروف عن اصل هذا المقام فهو ما يأتي : ان يوسف بو رميا وداود بن موسى عيسى من اهمج قصدا ان يشيدا معاً (كنيسة) على اسم عيد التجلي «عيد تجلي الرب يسوع في ٦ آب» في اعلى الرويس المذكور وذلك في سنة ١٨١١ فلم يرضَ السيد البطريرك عن اطلاقها هذا الاسم على المقام المذكور . واصدر اعلاماً ابطل فيه تلك التسمية واستبدلها باسم القديسين الرسولين بطرس وبولس.

وهذه حرفية الاعلام :

اعلام بالرب لكل واقف وناظر اليه .

هو انه من خصوص المحل الباديين بعماره على اسم عيد التجلي بروح امحح اولادنا داود ويوسف من القرية المذكورة لاشيئا لفظة تجلي بهذا الموضع واذنا ان يكون على اسم القديس بطرس هامة الرسل الواقع عيده في اواخر حزيران .

فمن ثم نعلن للجميع ان لا عادوا يلقبوا هذا المقام بعيد التجلي بل كما نقلناه بسلطاننا يكون عيد مار بطرس بدلاً من عيد التجلي .

وآمرنا اولادنا المذكورين كفالة عماره وقيامه وحث الجميع ان يسعفوهم في قيام هذه الكنيسة والقديس بطرس صاحب هذا المقام يكون شفيع لكل ساع وساعد ومهتم بما حررناه به .

حررنا بدهم هذا الاعلام في ١٩ آب سنة ١٨١٢ .

الحقير

(الختم) يوحنا بطرس البطريرك الانطاكي

وبعد ان اتم المذكوران بناء المعبد وقلاية بجانبه لسكناهما استأذنا مطران الابرشية واستمدا منه اثبات عملهما ففعل . ولما لم يكن احدهما كاهناً التمسا من الاب العام ان يعطيهما كاهناً من ابناء الرهبانية يقيم عندهما لخدمتها الروحيه .فالاب العام ما اجاب طلبهما حتى سلما المحل الى الرهبانية فقبلا وعملا بحسب طلبه وتسلم الاب العام اعلاماً من السيد البطريرك يؤذن به وبرضاه ورضاهما عن الخدمة الروحية والتسليم كما جاء في الاعلام المار شرحه فاضحى اذ ذاك هذا المقام بين اوقاف الرهبانية وممتلكاتها . ثم سلمها الاب العام مالاً لمشترى املاك وتجديد وما اشبه مبلغاً لا يقل عن اربعة الاف قرش . وكان يواصل اعطاءهما المال عند الطلب .

وفي هذه السنة ١٨١٤ في شهر تشرين الثاني عقد المجمع العام في دير سيدة طاميش بحسب العادة القانونية المرعية وكان عدد آبائه ثانية وخمسين اباً . وفي مفتتح الجلسة الاولى من اليوم الاول من انعقاده تلي مرسوم السيد البطريرك يوحنا الحلو الحاوي منح البركة الرسولية وتنياته الخيرية عربون النجاح . ثم تليت اوراق شهادات وكلاء الاديار المرسلين من جماهيرها يحملون اقتراحاتهم الادارية وشكاويهم وشكرهم من روسائهم وللانابة عنهم في انتخاب الاب العام

والمدبرين وباقي الاعمال المجمعية التي يمكن لهم عملها لو دخلوا . ثم عينوا بمعلمي الاعتراف وكاتب القرعة وفاحصيها والبواب والقندلفت وباقي وظائف المجمع العام.

وفي الجلسة الثانية شددوا الحكم بحفظ الصلوات العقلية واللفظية وتلاوتها باوقاتها والمخالف فليقاصه رئيسه . والرئيس فليقاصه الاب العام .

وحكم ثانياً مشدداً على الرهبان ان يتناولوا القربان المقدس في القداس الكبير الواجب الاحتفال بتلاوته في صباح ايام الاحاد والاعياد. الا الكلارجي والطباخ والمنذور مع اذن الرئيس . وشدد ايضاً موجباً على الكهنة ملازمة المحادثة اللاهوتية والقراءة الروحية في ايام الاحاد والاعياد . وحكم ايضاً مشدداً كل التشديد بمنع اكل اللحم الا لداعي شرعي « مرض » وحكم الطبيب واجازة الرئيس . والراهب المخالف يقاصص بقصاص الزلة الاثقل للغاية. والرئيس يعزل عن رئاسته . وهكذا حكم من يدخن « يشرب تتن » وحكم بوجوب حفظ الصوم الرهباني من دون تحليل « اي ان الفطور يكون قبل الظهر بساعتين » وحكم خامساً واخيراً موجباً على الاب العام ان يزور الاديرة كلها في كل سنة بذاته او بواسطة آخر «زاير» وفي الرابع منه القيت القرعة القانونية لانتخاب الوظايف الكبيرة فانتخب اولاً :

الاب اغناطيوس بليبل	للرئاسة العامة (للمرة الثانية)
« نعمة الله النجار البكتاوي	مدبراً اول
« مانيا المتيني	« ثانياً
« جراسيموس الشبابي	« ثالثاً
« عبد الاحد البكاسيني	« رابعاً

وفي الجلسة الاخيرة من انعقاد المجمع العام ومن انعقاد مجمع المدبرين توزعت الرؤساء :

الاب برنردوس الفزيري	لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا
« مرقس شننعيري	« « سيدة طاميش
« يوسف المازن	« « مار يوسف البرج
« لويس عزيز الدبراني	« « « انطونيوس حوب: ولما توفي اكمل المدة بعده الاب يونان الذبراني

الاب ؟	لرئاسة دير مار جرجس الناعمه
« بولس الليلكي	« « « عمائيل بنابيل
« شربل المتيني	« « سيدة ميفوق
« سمعان البحرصافي	« « مار الياس الكحلونية
« عبدالله الشبابي	« « « انطونيوس النبع
« ؟	« « « يوحنا رشميا
« جبرايل البسكنتاوي	« « « انطونيوس سير
« رومانوس	« « « مارون بير سنين
« عمائيل الحوري الرشاوي	« « « موسى الحبشي
« لورنسيوس الرشاوي	« « « قبريانوس كفيفان
« موسى خرايب صباح	« « « عبدا ماد
« روكز وادي شحرور	« « سيدة المعونات جبيل
« اسطفان بسكنتا	« « « مشموشة
« ؟	« « مار الياس مطوشي قبرص

(عن روزنامات الاديار)

وفي هذه السنة ١٨١٤ وقع خلاف بين دير ميفوق وبين اهالي قرية رام على الحدود. فحضر المطران يوسف اسطفان ونظر في الحدود ووضع لها فواصل. ولما كانت هذه الحدود مجحفة بحق الدير لم يعمل بها . وبقي كل شيء على حاله لانه من نظر الى حجة الامير يوسف شهاب ووقف على الحدود المشروحة فيها يرى ان تحديد المطران مجحف بحقوق الرهبانية فضلاً عن ان شهادة الشهود التي تقدمت عززت دعوى الرهبانية ، الامر الذي جعل تأخيراً في حل هذا المشكل الى ان كانت سنة ١٨٨٤ .

تجدد الخلاف وتقدم العرض عنه للسيد البطريرك بولس مسعد فارسل المطران يوسف فريفر نائبه الى دير ميفوق ليرى الخلاف ويفصله فحضر المطران المرقوم الى الدير وبالاشتراك مع كهنة واوجه القرى المجاورة حصل الاتفاق وتصححت الحدود وتحرر صك بذلك .

وقد تركت الرهبانية قسماً مهماً من الاراضي المتنازع عليها ، لاهالي قرية رام بعد ان ثبت حق الرهبانية ، حباً بالسلام ورفقاً للخصام .

(عن اوراق دير ميفوق)

وفي هذه السنة ١٨١٤ في الميعاد القانوني لعقد المجمع العام لفئة اخوتنا الحلبية اللبنانية عقد هذا المجمع في دير سيدة لويزة .

وفي اليوم الرابع من الاجتماع انتخبوا الوظائف الكبيرة بالقرعة السرية القانونية :

الاب اغناطيوس سركيس	للرئاسة العامة
« يوسف السماني	مدبراً اول
« طوبيا الخازن	« ثانياً
الاخ جرجس الشدياق	« ثالثاً
الاب توما اللبوني	« رابعاً

وفي اليوم الاخير من الاجتماع عين مجمع المدبرين رؤساء الاديار . ه

(عن روزنامة المجامع في دير لويزة)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

اغناطيوس البكتاوي . واقليموس الاهمجاني . وداود داريا . وجرمانوس قيطو . وانطون بو داغر بكفيا . ومارون جورة السوط ، وجبرايل البكتاوي .

وتوفي الاب اسطفان الديراني . والاخ بولس الشبابي . والاخ يواكيم القنابة المبتدئ . والاب فرنسيس بكفيا . والاب الياس بكتا . والاب سارافين شوبنان حرقا البيروتي بعمر سبعين سنة .

وهذا الاب هو الذي سافر الى اوروبا وجلب مطبعة الرهبانية وله اتعاب جزيلة فيها .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١١٨

وفي سنة ١٨١٥ وقف اهالي قرية قرطبا كنيسة مشيدة على اسم القديسين سركيس وباخوس وبعض عقارات مجاورة لها ، على الرهبانية بشخص رئيسها العام الاب اغناطيوس بليبل والآباء المدبرين بقصد انشاء مدرسة او دير في الوقف المرقوم لسد حاجة العموم بالمساعدات الروحية والادبية وسلموا بذلك صكاً هذه حرفيته :

الداعي لتحريره :

هو انه اذ كنا ملترمين ذمة في عمل الخير الراجع لمجد الله الاعظم وخيرنا الخصوصي لقد سلمنا كنيسة القديسين المطيبين مار سركيس وباخوص المبنية بسمينا وانابنا نحن المدونون اسماءنا بذيله اهالي قرطبا بوجه العموم الى الرهبنة (البلدية) اللبنانية عن يد حضرة الاب اغناطيوس بليبل الاب العام الجزيل الاحترام وحضرات الاباء المدبرين نعمةالله النجار . ومانيا المتيني . وجراسيموس الشبابي . وعبدالله الكاشيي .

وذلك وقفاً مخلداً وحبساً مؤبداً الى الرهبانية المذكورة وانهم يتصرفون بالكنيسة المذكورة وبما يعرف بها من الارزاق والاملاك الثابتة والغير الثابتة مع عدّان الماء الذي يتعين منا في قائمة تحديد الاملاك والارزاق المعروفة بالكنيسة المذكورة والموقوفة منا ومن اهالينا قديماً وحديثاً وذلك كتمليكهم باديرتهم ومدارسهم واوطانهم وتملكات رهبتهم من غير معارضة البتة لا منا ولا من يتخلف بعدنا .

ثم ولا نعارض حضرة الاب العام في من يريد ان يسكنه في الطرح المذكور فاي من اراده حضرته بموجب قوانين رهبته ورسومها .

واذا تجددت ارزاق واملاك فان كان من تعب الرهبان ام مشترى ام وقوفات فكذلك يكون في تصريفهم كما مذكور اعلاه .

ثم انه لا نحاسبهم من مصاريف واكلاف الضيعة لا من كلي ولا من جزئي بل فقط يدفعون الميري المترتبة على الارزاق بموجب دفتر الحاكم .

وعلى هذا اخذنا قولاً من حضرة الاب العام والآباء المدبرين أن يقيموا مدرسة في المحل المذكور لاجل علم اولادنا القراءة والتعليم المسيحي والارشاد وخدمة الامور الروحية مجاناً .

وانما اذا اراد احد منا يقدم احساناً ام اسافاً للمدرسة المذكورة فلا مانع بذلك لكون اجر الخير راجع لفاعله . ثم يخدمون بالامور الروحية ولوازم الذمة بموجب قوانين ورسوم رهبتهم . ولهم منا الغيرة والمساعدة والحماية بما تقتضيه ديانتنا وقدرتنا .

وعلى ذلك وقع الرضى والاتفاق منا ومن حضرة الاباء المشار اليهم ومن كافة جمهور الرهبنة من غير كره ولا الزام بل ذلك لاجل مجد الله الاعظم كما مرَّ ونمونا الروحي .

تحريراً في شهر آب سنة ١٨١٥

قابلينها على انفسهم اهالي قرطبا

بوجه العموم

صح قد تمَّ ذلك بامرنا وعن يدنا لكوننا رأينا ان هذا الخير راجع لمجد

الله وخير القرية المذكورة فمن ثمّ قد اثبتناه بسلطاننا ليكون العمل بموجبه ولاثبات ارادتنا وايضاح نيتنا سجلناه بختمنا صح .

الحقـــــــــــــــير
جرمانوس ثابت مطران جبيل
والبترون

(عن النسخة الاصلية وهي بيدي)

واما اللائحة المدرجة فيها مفردات الاملاك الموقوفة فهذه حرفيتها :

صح قد حضرنا نحن اهالي قرطبا بوجه العموم امام قدس سيدنا المطران جرمانوس ثابت الجزيل الشرف والاحترام وحضرة الاب اغناطيوس بليبل الاب العام على الرهبنة اللبنانية الكلي الاحترام والاباء المدبرين وسلمنا كنيسة مار سركيس وباخوص الى الرهبنة اللبنانية مع كافة الارزاق والاملاك الثابتة والغير الثابتة المختصة في الكنيسة المذكورة الموقوفة منا ومن اهالينا قديمًا وحديثًا وذلك وقفًا مخلدًا الى الرهبنة (البلدية) اللبنانية المذكورة لانهم يقيموا لنا مدرسة في المطرح المذكور مجانًا لعلم الاولاد والقداس والصلوات حسب المدارس الدارجة برهبنتهم

وحررنا بيدهم حجة بحضور سيدنا المطران المشار اليه وبرضاه ايضًا .

ثم ترجينا حضرة الاب العام بحضر برى الكنيسة والارزاق والاملاك المذكورة وحضرته تنازل وقبل رجانا وشرف بالمطرح المذكور .

ثم حددنا الاراضي والتوت وكلما يختص في الكنيسة المذكورة بحضور الاب المشار اليه والاباء الرهبان .

وهي هذه اولًا لميل الغرب السنسال الذي بطرف الكتف حد توت اولاد ابراهيم الخوري على ما يشهد نازل لكعب نصبات الخوري عبدالله ومن كعب نصبات الاب المذكور للغرب لحد توت انطون فرحات .

ومن ميل القبلة حد ارض بيت كرم كعب العريض نازل للقى السواقي .

وميل الشرق الساقية وطالع للدرب التي تأخذ الى عبود .

وميل الشمال الدرب المذكورة على ما تشهد للغرب لحدتوت بيت الحاج في عريشة فنوش ونازل لميل القبلة لملقا الدربين للسنسال المذكور .

والذي داخل بهذا التحديد فهو تابع للمدرسة ما عـدا نصبات ننان الذي شاويهم من طانيوس بو فرح .

وسهم منصور يونس المنصوب . وارضات اولاد الخوري البساس المشترى من انطون فرحات .

ونصبات بو لطوف الذي في الحلة . ونصبات يوسف ضاهر بالحلة
وحصة بو جبور بليخ وتوت الذي في الكتف .
وحصة عيسى ويوسف في العريض .

والذي تابع المدرسة خارج هذا التحديد المذكور اعلاه :

التوتات الذي من ديب الحاج واخوه منصور بحريشة فنوش .
وحصة شاهين بو نادر في عين خلف حد اولاد بو فياض .
وخمس توتات وبيش من اولاد بولس صوب البيدر .
والبيدر والعرايش والمضافات والتينة من اولاد ريشا .
وتوتات جبور سليمان الذين عند الزيتونة .
وسهم طانيوس الخوري يوسف في الكتف تحت توت اولاد ابراهيم .
وعريض المنشار الذي من اولاد جرجس بطرس واولاد منصور الحاج وهو شمالي المدرسة .
وحصة ابراهيم بو شديد واولاد عمه في الكروم والسليخ الذي غربي بيت حمزه .
والارضات الذين من غاريوس في حقل الزيتوني وحقلة الطفشية حصة الخوري عبدالله وابن عمه وحصة اولاد غاريوس في الحقلة المشتراة من السيد حسن في عين الزرقا وهي شراكة الشيخ مركيس الدحداح .
وايضاً من يوسف الياس القسيس واقف كل سنة سل عنب لرهبان المدرسة .
وعدان مربه من عين خلف على الصيمة في كل جمة ومجالات الضيعة والمدرسة يمشوا على عوايدهم واذا نطن مجال يتمسل عبره صح صح .

قابلينها على انفسهم اهالي قرطبا
بوجه العموم

حرر هذه الفاغة الخوري عبدالله خادم الضيعة المذكورة وبحضور اهالي الضيعة في ٢٩ آب سنة ١٨١٥ .

ثم بوقت ذلك اوقف التوتات الذي على كتف الدرب بين خلف وهم عشر توتات وبيش الى المدرسة المذكورة والواقف ذلك شاهين بونادر وهودي غير مذكورين بالقايمة .

محرره الخوري عبدالله المذكور

صح قد اثبتنا هذا التحديد ليكون السلوك بموجبه . صح

(عن الاصل وهو بيدي) الحقير

(ختم) جرمانوس ثابت

مطران جبيل والبترون

ووجدنا في مفتتح سجل الدير المذكور شرحاً مسهباً تناول حوادث التسليم والباعث اليه . وهو من قلم الاب ارسانيوس النيحاوي[1] كاتب اسرار الرئاسة العامة (يازجي) . وقد اطلع الاهالي المشار اليهم على هذا الشرح . والاب ارسانيوس هو كاتب ثقة وشاهد عياني لهذا الحادث . ولفائدته التاريخية الجزيلة نثبته بحروفه كما رقمه الاب ارسانيوس نفسه ولا نزيد عليه شيئاً سوى اعلان الثقة بالرواية .

حدثنا الاب ارسانيوس النيحاوي المذكور قال :

« انه في تاريخ سنة ١٨١٥ مسيحية قد حضر البعض من اجاويد اهالي قرطبا الضيعة الكائنة في جبّة المنيطرة بقرب قرية الماقوره الى دير سيدة طاميش بين يدي قدس الاب اغناطيوس بليبل الرئيس العامّ اللبناني (حينئذٍ) الكلي الاحترام وكان سبب حضورهم لكي انهم يبدلوا مطرح وفيه كنيسة عامره على اسم القديسين مار سركيس وباخوص وذلك عن علم ورضى اهالي الضيعة عموماً لكي انه يقيم في المكان المذكور اما ديراً واما مدرسة على اسم الرهبنة اللبنانية حسب ما يشاء خاطره وذلك وقف ونذر منهم لاجل افادتهم الروحية . ولسبب الواغش (الوباء) الذي صار في تلك السنة لانه قد اختلط جميعاً بالطاعون وبشفاعة هؤلاء (هذين) القديسين صاحبي الآيات والعجائب ما نقص احداً منهم وتصلوا منه بكل سلامة .

فاقتضى نووا هذه النية وتوجهوا لدير سيدة طاميش كما ذكرنا وعرضوا ذلك جميعه لقدس الاب العام المشار اليه فجاوبهم قدسه انه مع توفيق الباري عنيد ان يتوجه لدير مار انطونيوس حوب بالقرب من ضيعتهم وبعده يتبصر بالامر .

ثم من بعد خمسة اشهر مضت من تاريخ حضورهم قد حضر (الرئيس العام) الى دير حوب المذكور . فمن بعد ايام قليلة علم اهل الضيعة المرقومة في وصوله لزم ان حضر اكثرهم لتقبيل يديه واعرضوا له ما كانوا اعرضوه قبلاً فجاوبهم قدسه ان هذه المادة لا تتم الا بحضور ورضى السيد المطران جرمانوس مطران الابرشية وبعلمه .

ان قدس سيدنا المطران جرمانوس ثابت الكلي الشرف والاحترام كان قريباً يشرف لتلك النواحي فما اقتنعوا ولا انصرفوا الى ان الأب العام تنازل الى طلبتهم بقبولها واعطاهم قولاً اكيداً في قبول المطرح المذكور .

---

[1] قد رشحه المجمع العام المنعقد ١٨٥٦ الى الرئاسة العامة . وترأس على دير قزحيا السنة (١٨٢٠—١٨٢٣) وكان شيء من عاملي الدير القديم يسمى باسمه « عملي النيحاوي » .

اولاً يقيم فيه مدرسة باسم الرهبنة تعلم اولادهم وارشادهم بالامور الروحية وبعده ان امكن يقيم ديراً كما ذكرنا لان هذا الاب الفاضل كان محباً لعمل الخير والرحمة مع القريب وخاصة لكونه رآهم مفتقرين الى معرفة الديانة المسيحية حتى الى قانون الايمان ذاته الذي يوجب اقرار اكثرهم ان اكثرهم لم يعرفوه .

فالتزم قبل هذا المحل المرقوم واعطاهم القول الأكيد باجابته الى طلبهم وافهمهم انه بوصول قدس السيد المطران المشار اليه الى ضيعتهم يعرضوا لسيادته ما هو مطلوبهم وما جاوبهم به الاب العام . فانصرفوا على هذا المنوال .

ثم من بعد مدة شرف سيدنا المطران المار ذكره الى قرطبا وعرض اهالي الضيعة على مسامع سيادته عن مرغوبهم وعما توقع منهم مع الاب العام من المجابرة وغيرها وانه قد تنازل باجابة طلبتهم فيما هو راجع الى الخير والصالح لهم والى الرهبنة المذكورة .

فقد انسر سيادته وطاب خاطره وانشرح من مرغوبهم الصالح ومن الاب العام ونيته الصالحة . وشرع يحثهم على تتميم هذا العمل الخيري وانهم لا يملون من الطلب الى الاب العام لتمام هذه الغاية واظهر لهم انه هو ذاته يسعفهم عند الاب العام المشار اليه لكون سيادته كان محباً للرهبنة خصوصياً .

وقد رأى ان رعيته في هذه الضيعة مفتقرة الى علم قواعد الديانة المسيحية من صغيرهم الى كبيرهم . وكان ذا غيرة على خلاص الانفس وبالاخص على ابناء رعيته الذين رأى هذه الحالة حالتهم .

وابتدا في شهر آب سنة ١٨١٥ المرقومة اعلاه وقد حضر سيادته الى قرية التنورين بقرب دير حوب وصحبته اجاويد اهالي قرطبا .

ثم ثاني يوم حضر سيادته ومعه الجميع الى الدير المذكور (حوب) حيث هو الاب العام. وكان وقتئذٍ رئيساً على الدير المذكور حضرة الاب لويس الديراني ، فقاتح سيادته والمذكورون بهذه الدعوى ، الاب العام الى ان تمت ، فحرروا سندات بذلك وقبل قدسه انه اولاً يعمل المطرح مدرسة ثم بعد بتي مع توفيق الباري ويجدد له ارزاق ويقيم ديراً على اسم الرهبنة كما مر بيانه . وقدس السيد المطران المشار اليه علم (وافق) على السندات وشرفها بخطه وختمه .

ثم وعدهم الاب العام انه من بعد مدة يحضر الى قرطبا ويشوف الكنيسة والمحلات الموقوفة منهم . فانصرفوا الى ضيعتهم مجبورين الخاطر .

فمن بعد كم يوم توجه قدس الاب العام وصحبته رئيس الدير (حوب) المذكور الاب لويس الديراني والبازجي الاب ارسانيوس الشيحاوي نحو قرطبا ومن قبل وصولهم الى اول الضيعة المذكورة لاقتهم اهلها عموماً ومشوا قدامهم بكل بهجة مع ورع واحتشام لا يوصف مقداره الى ان بلغوا جميعهم لداخل الكنيسة المشيدة على اسم القديسين العظيمين سركيس وباخوس التي مر ذكرها ، وكان وقتئذٍ مساء .

وفي اليوم الثاني قدّس قدس الاب العام والكهنة المذكورون في هذه الكنيسة ثم بعده قد شاف (نظر) الكنيسة جيداً والمحلات الموقوفة وعيّن جميع الموقوف في قائمة بحضور اهالي الضيعة وحددوا الوقوفات للكنيسة وما يليها ارض سيات وداخل التحديد مقدار عشرة احمال ورق توت ومقدار فدان كرم لا غير ، وقفاً مؤبداً الى الرهبانية اللبنانية بموجب القائمة المقيدة (من ذكرها اعلاه) .

وعلّم على القائمة المذكورة قدس السيد المشار اليه .

وقدس الاب العام قد اعتنى بعمار هذا المطرح وقيامه وذلك من تعب رهبنته واسعافه وسعيه في العمار وتجديد ارزاق عدا الوقوفات مشترى وتجديد اثاث مثل فرشات ونحاس وفخار وفضّة وكتب وجميع الاشياء الضرورية لقيام المطرح فهي من سعي الاب المذكور وكان اعتناؤه حين كان بقرطبا من بعد تحديد الوقوفات .

وفي ثالث يوم تبصّر في المطارح المناسبة الى عمار اوض (غرف) لسكنى الرهبان الى البيوت للمؤونة وتربية القزّ (دود الحرير) وعلم الاولاد وغيرها . وقد قايس وأشّر (عيّن) على المطارح المناسبة وبعث جاب المعلم الحجار الاخ عبدالله الاهجي وفهّمه عن كيفية العمار وفي اي محل يكون .

وفي خامس يوم رجع الاب العام والذين بصحبته الى دير حوب واصدر امراً الى القس برنردوس عبيه واحضره امامه من دير مار الياس الراس حيث كان مرشداً وقتئذٍ للراهبات وسلّمه بدنه (ورقة وثيقة) الوكالة على هذا المحل الجديد للرهبنة المذكورة وانه يعلم اولاد الضيعة القراءة ويرشد ويعلّم اهالي الضيعة عموماً قواعد الايمان الكاثوليكي المقدس ومعرفتهم الله تعالى (بحفظ وصاياه الالهية) واللازم لخلاص نفوسهم لكونهم ترجّوا قدسه في وكالة الاب المذكور في اول البدء لانه كان حضر قبلاً الى ضيعتهم وارشدهم مقدار شهر رمضان وعمل لهم اخوية مريم العذراء الكلي طهرها وقد نالوا على يده افادة كلية بواسطة وعظه وارشاده الروحي لكونه كان معلماً ومشهوراً بالتقوى . فلزم ان قدسه وكّله كما ذكرنا وسلّمه دراهم جملة لكي يشتري ارزاق والاثاث اللازم .

ومن هنا ابتدأ الاب العام في قيام هذا المطرح من عمار وتجديد وشراية ارزاق ثابتة ومتنقلة . وذلك في اول ايلول ١٨١٥ مسيحية .

(عن روزنامة الدير)

يحسن بنا ان نذكر على سبيل الفكاهة التاريخية ، مجمل مصارفات بناء دير مار سركيس وباخوس قرطبا . ومشترى املاكه وما اشبه . ثم قيمة مداخيله من اول استلامه :

اولاً : المصاريف على المدرسة ومداخيلها مدة ٨ سنوات .

ثانياً : بعد تسيته ديراً الى مدة تسع سنين ، فنقول : ان قيمة ما اشتراه الاب العام اغناطيوس بليبل لدير قرطبا من املاك واثاث وغيرها ، من السنة ١٨١٥ الى السنة ١٨٢٣ بلغ اربعمئة واربعين الف غرش ومئة وواحد وستين غرشاً (٤٤٠١٦١) . وما اقتناه رؤساء هذا الدير فيما بعد اي بعد وفاة الاب بليبل بلغ (١٣٥٠٠٠) مئة وخمسة وثلاثين الف غرشاً . فيكون اجمال ذلك (٥٧٥،١٦١) خمسماية وخمسة وسبعين الفاً ومئة وواحد وستين غرش .

ثالثاً : مدخول المدرسة من سنة ١٨١٥-١٨٢٣ التي فيها سميت المدرسة ديراً اي بعد ثماني سنين (١١،٨٠٣) أحد عشر الفاً وثمانمئة وقرشين .

رابعاً : ومن بعد تسميته ديراً اي من سنة ١٨٢٣-١٨٣٣ بلغ المدخول (٨٨٣٠٠) ثمانية وثمانين الفاً وثلاثماية غرش لا غير .

(عن دفاتر الدير وصكوكه)

من مطالعة هذه الاوراق وامعان النظر في ما حوته من الشؤون والحوادث والنتائج يتحصل ثلاث حقايق تاريخية ومكانية وعمومية لها مكانتها من الاهمية :

الحقيقة الاولى :

ما كان عليه اهالي قرية قرطبا من الحماس الديني والاهتمام الشديد لسد حاجاتهم الروحية . (ما اجمل التاريخ لو تجدد حوادثه !) .

وهذا الاهتمام ظاهر من سعيهم المتواصل ذهاباً واياباً الى مقر الرئاسة العامة والتوسل بواسطة اسقفهم الجليل الغيور السيد جرمانوس ثابت مطران جبيل والبترون لاجل مساعدتهم لدى رؤساء الرهبانية باجابة سؤالهم دون ان يأخذهم ضجر او يعتريهم ملل . وقد بذلوا ما استطاعوا اليه سبيلاً عن يد سخية في هذا السبيل عن كرم واريحية .

فكلل الرب مسعاهم بالنجاح وفازوا ببغيتهم اذ لبى آباء الرهبانية طلبهم بقبول هبتهم على قلة قدرها وانشأوا فيها مدرسة لتعليم احداثهم وبذلوا الجهد في ان رقوا هذا المعهد الصغير الى رتبة الاديار بعد اتعاب جزيلة واعراق غزيرة.

فزاد لهم الخير والنجاح في كل ما كانوا يتوقون اليه من بناء دير في قرية قرطبا ليحافظوا على اهلها ويساعدوهم في كل محنة وشدة روحية وزمنية ويغرسوا في حقل الرب زهور الفضائل والاشجار المثمرة ثمرة صالحة بمثلهم وتعليمهم :

الحقيقة الثانية :

ما كانت عليه الطائفة من مسيس الحاجة الى فعلة نشيطين يعملون في حقل الكنيسة والدين وهذه الحقيقة ثابتة مما مرّ شرحه اعلاه .

الحقيقة الثالثة :

ما كان عليه آباء الرهبانية من الحماس الديني والغيرة الرسولية والمفاداة في سبيل مجده تعالى وفائدة القريب ، بارسال ابنائها الذين فيهم الاهلية والكفاءة الى التعليم والتهذيب في كل مكان حيث يلزم وبقدر الامكان . ويظهر حسن استعدادهم الى تلبية كل ما يطلب منهم من اعمال خيرية ولو مهما تحملوا من مشاق واتعاب .

فمن وقف على ما بذلته الرهبانية من جهود افرادها وما انفقته من الاموال الطائلة البالغ قدرها (٥٧٥٠٠٠) خمسماية وخمسة وسبعين الف غرش في هاتيك الايام ، عرف مقدار التضحيات التي قدمتها الرهبانية على مذبح المحبة في خدمة الطائفة والانسانية دون بدل سوى رجاء حسن المجازاة من كرم القائل :

« ان من سقى كأس ماء بارد باسمي اجره لا يضيع » (متى ١٠ : ٤٢) .

وعرف ايضاً ان اوقاف الرهبانية هي ثمن الاقتصاد والاعمال الزراعية وليست نتيجة الصدقة والاحسان والنذور كما يظن البعض . على اننا لا ننكر ان لبعض الكرام ارقافاً وحسنات ونذوراً على الرهبانية انما تلك الاوقاف لا تتجاوز اصابع اليد عداً، فضلاً عن ان قيمتها زهيدة كما هي الحال هنا بهبة اهالي قرطبا الواردة في صكوكهم .

اجزل الله ثواب المحسنين .

رواية تاريخية

انقلها بكل ضبط وامانة رواها لي السعيد الذكر البطريرك يوحنا الحاج الشهير . قال رحمه الله :

« أن اهم الاسباب التي رغبت الاب اغناطيوس بليبل الرئيس العام في قبول هبة او وقفية اهالي قرطبا على قلة قيمتها وكثرة اتعابها ، كانت :

اولاً : تعزيز شأنهم لان قريتهم محاطة باكثرية ساحقة من ابناء الطائفة الشيعية(متاولة) .
ثانياً : ليكونوا في مأمن من تعديات هذه الطائفة الكثيرة والمتواصلة . وذلك لا يتم الا بأمرين :

الاول : باغناء ثروة النصارى واضعاف ثروة المتاولة .

والثاني : بتأديب هؤلاء المتدين عند كل اعتداء ..

لذلك شمّر الاب بليبل تسيك عن ساعد الهمة وبدأ يحسّن للمتاولة بيع املاكهم من الرهبانية باثمان فوق المعتاد،فلبوا طلبه وباعوه جانباً مهماً من املاكهم وهم يجهلون مقصده . ثم اقتدى به اهالي قرطبا فشروا الكثير من تلك الاملاك ولم يمض زمان حتى اتوا على جانب عظيم منها فضعفت اذ ذاك سيطرة المتعدين عليهم واستراحوا من شرهم » .

ثم تابع البطريرك روايته فقال :

« ان الاب بليبل كان كل مرة ينظر من دير قرطبا الى قرية لاسا وجوارها ، يتأوه ويقول :« يا ليت الله يفسح في اجلي ويوفقني ويسهل امري حتى اشتري املاك مزرعة لاسا كما وفقني في مشترى املاك المتعدين في جوار قرطبا ! » .

ثم قال بلهجة المفتخر :

« ان الله لم يوفق قريبك لاتمام مرغوبه في حياته ، قد اعطاه مشتهاه بعد وفاته ، اذ سخّرني انا خليفته الضعيفة بان اشتريت املاك اولئك المتعدين في مزرعة لاسا وارحتُ المسيحيين من شرهم » .

اما من جهة تأديبهم ومنعهم عن تعديهم فروى لي الحادثة التالية قال :

« انه في نحو السنة ١٨٢٣ اعتدى وهجم بعض المتاولة من عائلة ابي النصر في كفرحيال وجوارها على اهل قرطبا فتصدى لهم الرهبان.فما كان من المتاولة الا ان انهالوا على الرهبان بالضرب وجرحوهم .

ولما كان الاب العام بليبل في دير مشموشة ذهب اليه وفد من رهبان دير قرطبا يشكون اليه امرهم . وفي مرورهم عبدانا بيت الدين رآهم الامير بشير فارسل كي احضرهم الى ناديه وسألهم عن وجهة سفرهم فعرضوا لديه واقع حالهم واروه جراحهم .

فطيّب الامير خاطرهم وامرهم بالرجوع الى ديرهم وان لا يتكلفوا الذهاب الى الرئيس العام لانه مريض وربما يتأثر من هذا الخبر فيزداد مرضاً . وانه هو اي الامير يجازي المتعدين .

وبعد ان الحّ عليهم بالرجوع صرفهم فتوجهوا الى انطوش اخوتهم الرهبان الحلبيين في دير القمر حيث باتوا ليلتهم وفي الصباح واصلوا سيرهم الى ديرهم .

وفي الحال اوعز الامير الى ابنه الامير خليل وامره ان يركب على راس عدد من الجند ويتوجه الى قرية لاسا وكفرحيال ومزرعة السياد ويعمل فيهم السيف والحريق بدون شفقة تأديباً لهم وردعاً لغيرهم في المستقبل عن التعدي على الرهبان .

فامتثل الامير خليل امر والده وقام بمهمته .

ولما وصل الرهبان قبالة تلك القرى رأوا نارها صاعدة الى الجو ودخانها يملأ تلك النواحي .

ومن ذلك الحين ارتدع المتدون عن الاعتداء على النصارى » » .

الخلاصة من هذه الرواية ان غاية قريبنا الاب اغناطيوس بليبل قد تمت بعناية الله وتوفيقه عن يد ذلك البطريرك الهمام .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

يعقوب جورة الشموط . ويوسف التنايه . ورافائيل طرزا . وميخائيل الشرتوني . وارميا الكاري . ومانيا دار بشتار . وحنانيا الشحتولي . وارسانيوس الحاجي . وعمنوئيل المتيني وله من العمر عشرون سنة .

وتوفي الاب سارافيم البجاني . ورافائيل قرطبا . وطوبيا الشبابي . والاخوة : مرتينوس فيحاوي . انطون شنتيري . يوحنا الشرتوني .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١١٩

وفي السنة ١٨١٦ تمّ طبع نوافير القداس للمرة الاولى في دير مار انطونيوس قزحيا ، لان الاب العام اغناطيوس بليبل رأى ان الكنائس بحاجة الى كتاب الليتورجية المقدسة ، اي كتاب رتبة القداس ، فامر الاب نعمة الله النجار البسكنتاوي المدبر الاول ، بان يتولى هذا العمل على نفقة الرهبانية في مطبعتها الحديثة بدير قزحيا . وان يعتمد على النسخة المطبوعة في رومية سنة ١٧١٦وان يضيف اليها فصول الاناجيل المقدسة التي عرّبها وقسمها على مدار السنة والاعياد المتنقلة (القمرية) ، العلامة المطران جرمانوس فرحات . وان يقتصر على طبع ثمانية نوافير (رتب) من الثلاثة عشر نافوراً المطبوعة في النسخة المعتمد عليها فاطاع الاب نعمة الله المذكور وابتدأ بطبع الكتاب في السنة ١٨١٥ ، متجشماً مع رفقائه اتعاباً شاقة لحداثة معرفتهم بفنّ الطباعة ولقلة وجود الآلات المستعملة

في تسهيل اعمال الطبع كما هي اليوم، وخاصة للطبع بلونين من الحبر الاسود والاحمر . ومع ذلك فقد جاء الكتاب حسن الطبع جليّ الحرف قليل الاغلاط، مما يشهد لمن تولوا هذا العمل، بالذكاء والنشاط والصبر . اثابهم الله على تعبهم .

وقد صدّر الاب نعمة الله المارّ ذكره، ذلك الكتاب بشرح وافٍ، اوجزته بما حرفيته :

« انه بتاريخ سنة ١٨١٥ مسيحية قد تأمل (نظر) قدس الاب اغناطيوس بليبل رئيسنا العام اللبناني الكلي الاحترام، بان كتب القداس المختصة بخدمة الجلال الالهي قد دثرت وصارت اغلب الكنائس بغاية الاحتياج اليها، لزم ان اعتنى الاعتناء الكلي في ان نطبع هذه الكتب المقدسة الالهية بمطبعة رهبانيتنا اللبنانية وعلى نفقتها . وذلك لمجد الله الاعظم ولسد احتياج كنائس طائفتنا المارونية .

فلاجل ذلك امرني انا ولده القس نعمة الله النجار البسكنتاوي ان اهتم الاهتمام الكلي في مداركة نظام وترتيب طبع هذا الكتاب المبارك . فامتثالاً لامر الطاعة المقدسة ورغبةً في اكتساب الاجر والثواب والخير العام لهذه الطائفة، اني اضع على ذاتي اتعاباً وشقاء هذه المهنة، فوق اتعاب وشقاء الشيخوخة الوهنة . متكلاً على ان يد الله هي الصانعة القادرة على كل شيء وان ارادته الالهية تستميل في الى هذا العمل الصالح وتسند ضعفي البشري .

فعلى هذا الرجاء والاتكال قد تمّ وكمل هذا الكتاب الشريف القائم طبق المرام . وقد وضعنا فيه زيادة عن النسخة المستعملة قبلاً، فصولاً منتخبة من البشائر الاربع الانجيلية لتقرأ بكل قداس لكونها مقسمة على مدار ايام السنة الشمسية مع ايام الصوم الكبير وما يتبعه من الاعياد القمرية والفصحية . وذلك على موجب نظام سكساري طائفتنا المارونية .

واذ رأينا ان جملة من هذه الفصول يتراجع بعضها امراراً عدة في سياق الاشهر، فلزم (ان) وضعنا لها تعريفاً للايام المراجعة في محلها وتناضينا عن الاعادة اذ هي بغير افادة، سوى انها فقط زيادة اتعاب ويصير ضخماً حجم الكتاب .

وحيث ترى في الفصول المذكورة تغيير بعض الكلام عما في الكتاب المطبوع في رومية، فلا يوهمك ان ذلك غلط او توهان، بل انا نقلناها عن النسخة الاصلية المعربة من المثلث الرحمة المطران جرمانوس فرحات المنقولة منه عن النسخة السريانية وطبق الاصول النحوية، لكن حيث انه واضع تحريماً عن كل من يقدم او يؤخر ام يزيد ام ينقص عن النسخة المذكورة، فلزم عدلنا عن وضع الحركات على الاحرف المقتضي تحريكها كمثل التنوين وغيرها، لانه هكذا وجدناها محررة في النسخة الاصلية عينها وذلك بغير تحريك .

وقد تمّ ذلك في حبرية قدس سيدنا وتاج رؤوسنا مار يوحنا الحلو البطريرك الانطاكي الكلي الطوبى، ادام الله حياته علينا زماناً مديداً .

ومن ثمّ نسأل ونطلب من كل مطالع على هذا الكتاب الشريف ، ان يذكر في عقيب دعاء لكل من له تعب وشركة بهذا العمل المنيف .

قد طبع بدير مار انطونيوس قزحيا . وكان انتهاؤه في ١٦ كانون الثاني ١٨١٦ مسيحية .
ثمّ وله الحمد والمجد دائمًا . (عن نسخة كتاب القداس)

لا بد من كلمة مختصرة عن تعداد طبعات هذا الكتاب وما أدخل عليه من اضافة او اسقاط في تعداد طبعاته : انني رأيت من وجهة اتمام الفائدة التاريخية ، ان اقول كلمة بهذا الخصوص ومعتمدي على ما علقه السيد الذكر العلامة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت في أول هذا الكتاب لما جدّد طبعه للمرة الاولى في المطبعة العمومية المارونية في بيروت سنة ١٨٨٨ قال بعد مقدمة وجيزة :

« ان الرهبان اللبنانيين في طبعتهم لهذا الكتاب ، قد اسقطوا عدد النوافير الثلاثة عشر ، كما في النسخة التي اعتمدوها ، الى ثمانية نوافير . وزادوا في طبعتهم هذه على طبعة رومية ، فصول الاناجيل كما عرّبها وقسمها المطران فرحات » .

ولم يقلْ شيئاً عن ادخال كلمة « وقادِشْ » « ܘܩܕܫ » (قدّس) ، على صورة كلام التقديس ، لانه في نسخة رومية يقال :« وَاودِي لُوخ وبَارِخ وقصو ܘܐܘܕܝ ܠܟ ܘܒܪܟ ܘܩܨܐ » تعريبه شكر وبارك وكسر . واما في نسخة الطبعة الثانية في دير قزحيا ، فيقال :« ܘܐܘܕܝ ܠܟ ܘܒܪܟ ܘܩܕܫ ܘܩܨܐ » واودي لوخ وبَارِخ وقادِش وَقصو :« اي شكر وبارك وقدّس وكسر » .

قال العلامة اللاهوتي المدقق البطريرك اسطفانوس الدويهي في كتابه « منارة الاقداس » الجزء الثاني في الشرع الثالث عن المقدمة للكلام الجوهري في النوافير السريانية وفي حقيقتها :

« ان المقصود من هذا الشرح ان نصف للقارئ شيلة التقديس التي تخص القديس الجليل يعقوب اخي الرب . ثم كلام التقديس الموجود في جميع النوافير السريانية المقبولة .

« وسبب ذلك ان المعلم توما طراف الذي فوّض اليه فحص كتاب النوافير الذي طبع سنة ١٥٩٤ للمسيح بمدينة رومية العظمى ، في المطبع الماديني ، لم يأذن في طبع الشيلات وكلام التقديس ، على ما ترتبت من الآباء الاطهار اصحاب النوافير ، بل ادخل عوضها الشيلة التي تستعملها الكنيسة الرومانية .

« وكان ذلك من غير مشورة صاحب الكرسي الروماني ومن غير علم البطريرك الانطاكي سركيس الرزي الذي كان يدبر شؤون الملة المارونية » .

وقال في موضع آخر من الكتاب نفسه في الشرح الثالث الفصل السابع ، ما يأتي ، وللمعترض ان يقول :

اذن لاي سبب ، لما طبع برومية كتاب النوافير السريانية في سنة ١٥٩٣ ، ما طُبعت معه شبلة التقديس السريانية ، بل طبعت بدلها (الشبلة) التي تستعملها كنيسة رومية ؟

فنجيب على هذا :

ان الكتاب طبع في المطبع المديني وفحصه الراهب توما طراف من رهبان مار عبدالاحد ومن تلقاء نفسه تلاعب في الكتاب وغيّر شبلة التقديس ودعوة الروح القدس دون امر البابا ومن غير مشورة البطريرك سركيس الرزي ولما انتهت النسخة الى البطريرك حرم الكتاب وكل من يقدس فيه واستمر الحرم اربع سنوات .

غير انه بسبب عدم وجود صناعة الطبع في بلاد الشرق وقتئذٍ ، فسّح (سمح) البطريرك باستعماله لكن شبلة التقديس التي لكسريطوس ما زالوا يتصرفون بها الى زمان البطريرك يوحنا الصفراوي ذي الذكر الصالح وغيره » .

ذكر العلامة المطران الدبس في شرحه الآنف الذكر ان كتاب الليترجيا طبع مرتين في رومية ، الاولى في السنة ١٥٩٤ بمراقبة البطريرك جرجس عميره الاهدني اذ كان تلميذاً لمدرسة رومية المارونية بأمر البابا اكليمنت الثامن وايام البطريرك سركيس الرزي .

والطبعة الثانية تمت بعناية الاب اندراوس القبرسي وجبرائيل حوا رئيس دير مار بطرس ومرشلينوس ، بأمر البابا اكليمنت الحادي عشر والبطريرك يعقوب عواد . ولم يذكر الطبعة الثالثة التي تمت في ٢ نيسان ١٥٦٣ برئاسة البابا اكليمنت الثالث عشر والبطريرك طوبيا الخازن وسعي الاب توما مدلج الانطوني ، تحت مراقبة العلامة يوسف سمعان السمعاني وابن اخيه المطران اسطفان عواد ، على موجب النسخة المطبوعة في سنة ١٧١٦ .

فيكون هذا الكتاب قد طبع ثلاث مرات في رومية اي في السنين ١٥٩٤ و ١٧١٦ و١٧٦٣ .

ثم طبع في دير قزحيا اربع مرات :

الاولى : في سنة ١٨١٦ بعناية الرئيس العام الاب اغناطيوس بليبل . على

نفقة الرهبانية ، براقبة الاب نعمة الله النجار المدبر الاول ، طبقاً لنسخة رومية مع زيادة فصول الاناجيل واسقاط خمسة نوافير .

والثانية : في سنة ١٨٣٨ ، برئاسة الاب عمانوئيل سلامه المتيني ونفقة الرهبانية ، بعهد البطريرك يوسف حبيش ، وبهذه الطبعة اضافوا كلمة «وَقادِش» على صورة كلام التقديس .

والثالثة : كانت باهتمام الاب العام المذكور ونفقة الرهبانية في دير قزحيا، في السنة ١٨٥٧ . برئاسة الاب اغناطيوس شكري على الدير وايام البطريرك بولس مسعد .

والرابعة بعناية الاب العام افرام جعجع البشراوي ونفقة الرهبانية في سنة ١٨٧٢ .

ثم استأنف المطران الدبس طبع هذا الكتاب في السنة ١٨٨٨ . وتجدد طبعه ايضاً في سنة ١٩٠٠ براقبة الآباء المرسلين اللبنانيين (الكريميين) .

اجزل الله اجر الجميع .

وفي هذه السنة ١٨١٦ لبس الاسكيم الرهباني :

عمانوئيل الشبابي وله من العمر ١٨ سنة . وصموئيل التنوري . وانطونيوس المزرعاني . وسمعان السرعلي . واليشاع الجردي وله من العمر ١٧ سنة .

وتوفي الاب برتردوس بكفيا . والاب مكاريوس الريفوني . والاب مبارك البزعوني . والاب الياس الشبابي . والاب رفائيل المراط البكفاوي . والاب ارسانيوس المشاني .

(عن روزنامات الاديار)

(يتبع)

المجمع البلدي (تابع)

الذي عقده البطريرك بولس مسعد بامر البابا بيوس التاسع

في دير سيدة بكركي سنة ١٨٥٦

نشره وعلق عليه الاب بولس مسعد مدير الاصول التاريخية

ويلزم السيد البطريرك الكلي الطوبى ان يسهر على الاساقفة، وهؤلاء على من تحت ولايتهم من اصحاب الدرجات، والوظائف في هذا الامر ليكون كل شيء تامًا برسومه، ولا يكون في خدمتهم عيب بنوع من الانواع، ولتستعمل اساقفة طائفتنا رتبة الرسامات في هذه الدرجات والوظائف على موجب كتاب الشرطونية الذي جمعه، وهذبه البطريرك اسطفان الدويهي الصالح الذكر، وطبع في رومية في مجلدين احدهما سنة ١٧٥٦، والآخر سنة ١٧٥٨. ولا نسمح ان يستعمل خلافه في الرسامات، او ان يستعمل منه النص العربي دون ان يكون مقابله السرياني، حتى واذا كان احد العلمانيين، او الرهبان الذي من طائفة اخرى، او طقس آخر يحضر لدى السيد البطريرك الكلي الطوبى عن اذن رؤسائه لاقتبال الرسامة منا فلا تكن رسامته الا على موجب رتبتنا هذه السريانية.

ولتحذر اساقفة طائفتنا من ان يرسموا الغريبين عن طائفتنا وطقسنا كولتمتنع ابناء طائفتنا من الارتسام عند اساقفة غير طوائف، ولو كانوا كاثوليكيين بغير ضرورة داعية، واجازة صريحة خطأ من الحبر الروماني الاعظم، او السيد البطريرك الكلي الطوبى. ومن يمن ابناء [٤١] طائفتنا ايًا كان تجاسر على اقتبال الدرجات والوظائف من اسقف غريب عن طائفتنا وطقسنا، ولو كان كاثوليكيًا، فليبق مربوطًا مؤبدًا عن استعمال الدرجات، والوظائف المقبولة منه. واذا اقتبلها من اسقف اراتيكي او منشق فعدا ذلك يسقط بالحرم الكبير بذات الفعل.

ولتحفظ الاساقفة رسوم المجامع المقدسة ، ومجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ١٤) فيا يلاحظ الرسامة للعلمانيين والرهبان متحذرين من ان يضعوا اليد على مَن ليس هو من رعيتهم ، او على من هو من رعيتهم في رعية غيرهم دون الاذن الصريح من السيد البطريرك الكلي الطوبى ، او الاسقف المكاني ، ومن ان يرقوا احدًا من العلمانيين الى الدرجات الكبار دون تعيينه على كنيسة او دير ، ودون ان يكون له معاش معيّن على الكنيسة التي يخدمها ، او مدخول من املاكه وامواله ، او وقف من ابائه واجداده ، او اقله من عمل لائق بدرجته كالتعليم ، والكتابة ، وما ضاهى ذلك . ومَن منهم يعمل الخلاف يضحى ملتزماً بتقديم المعاش للذين يرسمهم خلوًا من ذلك الا المرتسمين على اسم الرسالة المقدسة .

ولئلا يقع تبلبل في نظام الامور الكنائسية فلا يكثروا عدد الكهنة والشامسة بل يقتضي ان يكون ذلك بحسب اللزوم والحاجة ؛ وفي المدن والقرى الكبار التي يوجد فيها عدد وافر من الكهنة والشامسة فليعيّنوا فيها خوريًا يروس على جملة كهنة ، وشماساً انجيليًا يروس على الشامسة الكبار والصغار . ولا يرقوا احدًا الى الدرجات الكبار علمانيًا كان ام قانونيًا [٤٢] بغير شهادة من الفاحص الاعتيادي المعيّن في كل ابرشية . وقبل اجراء التحقيق عن مولده ، وعمره ، وايمانه ، وخصاله ، وسلوكه بشهادة من يوثق بقولهم ، وقبل عمل رياضة روحية عند المرشد المعيّن من الاسقف ، ولا يرقوا احدًا من العلمانيين الى الدرجات الصغار ما لم يكن حافظًا القراءة ، وقواعد الايمان ، ومأمولًا انه يختار العيشة الكنائسية بشهادة خوريه . ولا يرسموا احدًا ما لم يكن بلغ العمر المعيّن الّا عند اللزوم ، وبتفسيح من السيد البطريرك الكلي الطوبى كما ولا يرسموا احدًا من العلمانيين ، او الرهبان في الدرجات الكبار ما لم يكن متعلمًا عدا باقي العلوم اللازمة اللغة السريانية بقواعدها الغراماطيقية . ويلزم ان يكون زمان ما بين اعطاء الدرجات لكي يخدم بها المرتسم قبل ارتقائه الى غيرها ما لم يرَ الراسم خلاف ذلك .

ولا يجوز ان تُعطى درجتان كبيرتان في يوم واحد . وتسهر الاساقفة على المرتسمين منهم بالدرجات الكبار ، ولا يتركوهم ان يبارحوا كنائسهم جائلين

بشلك من محل الى آخر تارةً بحجة التوسل لانفسهم ، او للمحلات التقوية ، وتارة بحجج اخرى كاذبة . وليعاقبوهم اشد العقاب اذا لم يمتثلوا .

والكهنة الذين ينتقلون من ابرشية الى اخرى ، وان كان بقصد السكن خلواً من اجازة اسقفهم خطاً فلا يقبلوا فيها . وليحفظ على التمام ما رسمه مجمعنا اللبناني (قسم ٢ ، رأس ١٤ ، عدد ١٤ ، و ١٥ ، و١٦) تبعاً لرسم المجمع التريدنتيني المقدس ، وباقي المجامع المقدسة فيما [٤٣] يلاحظ اقامة الرعاة وثبوتهم في كراسيهم ، وكنائسهم ، لاجل تتميم واجبات وظائفهم كما ينبغي ، ونظراً الى رسامة الرهبان في العدد العاشر من هذين القسم ، والراس ، والكتاب الواجب ان يكون عند كل اسقف ليحرر فيه اسماء الذين يرسمهم .

ثم انه في هذه الجلسة بينما قد صار الكلام عن سيرة الاكليروس ، وادبه ، وكسوته في الكنيسة وخارجاً عنها . وحيث انه قد رؤي لدينا ان البعض منهم غير سالكين على منهاج الاستقامة في هذا الامر ، فحكم مجمعنا هذا بان كل اسقف يعتني في تهذيب اكليروس ابرشيته لا سيما الكهنة على موجب رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ١) ليكونوا مثالاً صالحاً للجميع مظهرين ذواتهم في كل شيء كخدام الله اي بان يظهروا الادب المسيحي في سلوكهم ، وحركاتهم ، وكلامهم ، وكساويهم متجنبين السكر ، والبذخ ، والولائم ، واللعب المفهوم به لعب الورق اي القمار ، والزار ، ولو كان لاجل التنزه والانشراح ، والحضور في الرقص ، والملاهي ، والمزح ، والمجون ، والغناء بين الاعوام ، وفي الاعراس ، واماكن الازدحام ، وكل الاماكن المشككة ، والقنص بالاسلحة ، والطيور الكواسر ، وصراخ الكلاب ، والنشاب ، والنار ، والتشاغل بالتجارة ، واستئجار الكروم ، والاراضي ، ولو كان بالواسطة ، وخدمة الحكام ، والامراء ، والمشايخ ، والاعيان بمنزلة وكلاء وخولية ، والتداخل بالامور العالمية التي لا تعنيهم ، والكفالات ، والاشهاد بدعوى جنائية ، والتعاطي بصناعة الطب ، والجراحة بغير اذن الاسقف المكاني ، ومساكنة [٤٤] النساء ، ومعاشرتهن ، والتردد عليهن ، ولو كنّ من التقيات ، الا اللواتي من القرايب في الدرجة الاولى والثانية بشرط عدم وجود سبب موجب للشك من الطرفين . والنتيجة

ان يكونوا كاملين ومكمّلين في جميع تصرفاتهم حتى لا يمكن لاحد ان يقول عنهم كلمة شر .

وليواظبوا اعمال الخدمة الروحية كل منهم بحسب رتبته منكبين على درس الكتب التي تحكمهم للحيوة الابدية ، راذلين الكتب الحاوية امورًا قبيحة ، واقوالًا باطلة ، ويثابروا على الدرس في العلوم الكنائسية ، والدينية ، وما يتعلق بدرجة كل منهم ، ووظيفته ، وما يخص الرتب ، والطقوس ، والالحان الكنائسية . ويعلّموا الشعب التعليم المسيحي ، وعند خدمتهم في الكنيسة فليتشح كل منهم بالثوب الاكليريكي الكنائسي المعين لدرجته ووظيفته ، وليقدموا الاحترام والاكرام لبعضهم بعضاً في الكنيسة ، وخارجاً عنها ليكونوا محترمين من الناس بدوام الاحترام .

٥ . ونوصي الطائفيين امراء ، ومشايخ ، ومتقدمين، واعيان ان يعرفوا واجباتهم حيث انهمَ معتقدون بالايمان الكاثوليكي المقدس بان يعطوا للاكليروس والرهبان حقوقهم الكنائسية ، ويقدموا لهم الاكرام ليس فقط بذواتهم بل يهتموا بان يتقدم لهم ذلك ممن هم تحت اياديهم وحكمهم ، وان يتجنبوا اهانتهم باي نوع كان ، وليعلموا بان من بوسواس شيطاني مد يدًا ظالمة عليهم ، او يجذبهم بخلاف القانون الى المحاكم العالمية يسقط بالحرم الكبير المحفوظ حله للاسقف المكاني ، ومثله من [٤٥] يتعدّى حقوق الحايات الكنائسية التي للكنائس ، والاديرة ، والمدارس ، والكراسي ، وباقي المحلات التقوية ، ومن يهين الحرية الكنائسية .

ويجب على كل اسقف ان يسهر على سلوك اكليروس ابرشيته ، وان يوبخ، ويؤنب، ويؤدب ، ويصلح كلًّا منهم على ما يراه مناسباً بالرب لا سيما الكهنة ، والشامسة الكبار . ويعين للكهنة ايهم كانوا اوقاتاً يلزمهم فيها لدرس الكتب المفيدة لاتقان درجاتهم ووظائفهم ، وديرًا او محلًّا آخر ينفردون فيه افواجاً في كل سنة مدة عشرة ايام يلازمون فيها الصلوة العقلية ، والرياضات الروحية متفرغين لهذا العمل الخلاصي عن كل عمل تبعاً لامر البابا اكليمنضوس الحادي عشر السعيد ذكره الذي يمنح غفرانًا كاملًا للعاملين ذلك من الكهنة.

وهنا فلنذكر المطارنة ، والاساقفة يوجه العموم ما يطلب منهم مجمعنا

اللبناني (في اماكن عديدة لا سيما قسم ٤ ، رأس ٢ ، عدد ١٥) وباقي المجامع المقدسة نظرًا الى اتقان سيرتهم بالاعمال التقوية ، والاقوال المرضيــة ، ليكونوا نموذجاً صالحاً للاكليروس والشعب في كل شيء . لا سيما في الطهارة التي لا يعاين احد ربنا من دونها ، ومتجنبين كل ما من شأنه ان يدفع شكوكاً في عقول الضعفاء ، وسبب عثرة لهم .

الجلسة الثالثة

وقد تمت في اليوم الثاني عشر من شهر نيسان قبل الظهر

[٤٦] ففي هذه الجلسة قد صارت المفاوضة عمّا يلاحظ تصرف القسوس والكهنة خادمي الرعية ، فرسم مجمعنا هذا تبعاً لرسم مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٢) وباقي المجامع المقدسة :

اولاً : بان المتدرجين في درجــة القسوسية سواء كانوا من الاكليروس العلماني ام الرهبان بحيث عليهم الا يمارسوا شيئاً مما يخص رعاية الانفس ، وخدمة سر التوبة خارجاً عن حادث الموت ، الا بعد فحص اسقفهم عن كفاءتهم واجازته لهم خطاً ، وما لم يكونوا معيّنين لخدمة رعية .

ثانياً : بان الكهنة خدام الرعايا الــذين ندعوهم خوارنة ايضاً ، من حيث انهم متقلّدون الاهتمام بالانفس من الاساقفة . وقد تحقق ان بعضهم لتشاغلهم بامور العالم ومهامه ، او لرغبتهم في الراحة والعيشة الخالية من المهام ، لا يلتفتون الى تمام واجبات الوظيفة كما ينبغي ، بل هم متراخون فيها باشياء كثيرة ، فيلزمهم من ثمة ان ينبذوا عنهم كل تراخ وشاغل يعيقهم عن اتمام واجبات وظيفتهم ، ويشدّوا احقاءهم بنطاق النشاط ، عارفين ما عليهم من الالتزامــات نحو الاغنام المسلمة لاهتمامهم ، اي بان يرعوهم بانذار كلام الله ، وبتوزيع الاسرار المقــدسة عليهم ، وبالنموذجات الكافية للاعمال الصالحة ، لا كالاجراء المتــأجرين بل كالرعاة الصالحين الذين يبذلون انفسهم دون اغنامهم ، وان يعلموهم التعليم المسيحي وشرحه ، وما يلزم للخلاص الابدي كرسم مجمعنا اللبناني (قسم ١ ، راس ٢) ، وان يعتنوا بمحبة ابوية بالمساكين ، والفقراء ، وفي كلما يتعلق بوظائفهم بانفسهم لا على يد آخرين الّا لعائق شرعي لينجوا من وجوب اعطـاء [٤٧] الحساب

للديان العادل الذي يطلب منهم دم كل نفس تهلك بسبب اهمالهم ، وتغاضيهم . ولذلك لا يجوز لهم ان يتركوا رعيتهم بـل يلتزمون بالثبوت فيها الا لداعٍ صوابي ، وعن اذن اسقفهم خطاً بوضع من ينوب منابهم في غيابهم الـذي لا يتفاوت الشهرين الا بمعرفة اسقفهم واثباته . ولكي يكونوا متأهبين الى خدمة الكنيسة والرعية باوفر سهولة ، فلا يسكنوا خارج حدود رعيتهم بل فلتكن سكناهم في البيوت القريبة من كنيسة رعيتهم .

ولا يهملوا قيام صلوة الخروس في الكنيسة مساء وصباحاً لا سيا ايام الاحاد والاعياد منذرين ابناء رعيتهم بالحضور اليها . ومثل ذلك باقي الطقوس، والرتب الدارجة في طائفتنا باوقاتها المعيّنة من مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٣، عدد ٢) وفي كتاب الرتب المطبوع في رومية بمجلدين احدهما سنة ١٨٣٩ ، والآخر سنة ١٨٤٠ المذكور آنفاً ، متحذرين عن ادخال اية رتبةٍ جديدة كانت . وما عدا الكتب الخمسة الواجب ان تكون عند كل كاهن رعية التي يدوّن فيها اسماء المعمدين ، والمثبتين بالميرون ، والمخطوبين ، والمزوجين ، والموتى في رعيته ، فلتقتنِ كهنة الرعية تلك الكتب الضرورية لارشاد ذواتهم وتثقيفها ، ولارشاد الانفس ، ولتوزيع الاسرار المقدسة ، وكتاب المجمع اللبناني ، ومجمعنا هذا ، وباقي الكتب اللازمة لكنيسته . وليحتفظوا عليها تحت مفتاح بالحرص الواجب مع دفاترهم ، ودفاتر الذين سلفوهم بالخورنة وكتبهم ، ودفاتر اثاثة الكنيسة ، وحجج اوقافها ، وانعاماتها ، وغفراناتها ، وشهادات الـذخائر المقدسة الموجودة فيها [٤٨] والرسوم التي يجريها الاسقف حين زيارته الرعية ، ودفتر القداسات المربوطة على تلك الكنيسة بعددها ، واسم موقفها .

وليسهروا السهر التام على رعاياهم ، ويستأصلوا منها كل العوائد الرديئة التي يمكن ان تكون جارية فيها من اعمال اناس اشرار عاريين من مخافة الله والتقوى ، ولا يحابوا ، ولا يأخذوا بالوجوه عندما يشعرون بوقوع ادنى سبب مشكك في رعاياهم ، بل دون مراعاة خواطر للاكابر والاصاغر فليوبّخوا ، وينصحوا من يقدم على مثل هذه المغايرات كائناً من كان مازجين ذلك بالرفق، والافراز ، والفطنة .

واذا توقعت خصومة ، او عداوة ، او بغضة فيما بين ابناء رعيتهم فليعتنوا

بازالتها ، وبالقاء الصلح ، والمحبة فيما بينهم لانـه ينبغي منهم ان يكونوا محبي الصلح والسلام ، مبتعدين جهدهم عن كل ما من شأنه ان يوجب وقوع الفتن والمنازعات فيما بينهم وبين الآخرين، ليجتذبوا قلوب الجميع الى محبتهم ، واحترامهم ، واعتبار قيمتهم . وليحذروا من ان يرفعوا اياديهم على احد بالضرب لان ذلك مما يلزم لاحتمال القصاص من اسقفهم ، وبتعويض الاهانة .

والنتيجة فليكن اخصّ اهتمامهم باتمام واجباتهم مجرداً لمجد الله ، وخير ابناء رعيتهم مساعدين اياهم في حال ضيقاتهم الروحية والجسدية بمودة ابوية متساوية دون تمييز ما رفيع ووضيع .

ومجمعنا هذا يوصّي اساقفة الرعايا ، ويحثهم بالرب ، ليكونوا ساهرين على مسالكهم بتلك اليقظة الرعائية المقتضية ، ويشددوا المتراخين منهم [٩ : ٣] ويقاصصوا المتغاضين عن اتمام واجباتهم هذه الخلاصية ، وليلاحظوا حال الكنائس نظراً الى المدخول والمصروف ، وعدد الشعب المخصوص فيها ، وغناءه وفقره لكي يقيموا كهنة رعية على قدر الحاجة واللزوم ، والامكان ، لا كيفما اتفق ، ويعينوا لهم علوفة [مرتباً] كافية على الرعية التي يخدمونها ، او على كنيسة الرعية اذا كانت غنية وشعبها فقير ، ومدخولها يكفي للوازمها التي لا بد عنها .

ولهذا الامر ، وعند الامكان فليعينوا لكل كاهن رعية كاهناً آخر بمنزلة مساعد له في خدامة الانفس بالحضور والشيوبة [النياب] ويرتبوا له معاشاً كما مرّ .

وليعينوا اقله في السنة مرة كهنة مناسبين ليساعدوا خوارنة المدن والقرى في الكرز والتعليم وتوزيع سرّي الاعتراف والقربان المقدس ، وكلما يفيد لخلاص الانفس كرسم مجمعنا اللبناني (قسم ١، رأس ٢) الذي يلزم هنا السيد البطريرك ايضاً بان ينتخب كهنة متصفين بالعلم والتقوى من الاكليروس العالمي والقانوني ، وبعد اجراء الفحص عن كفاءتهم يرافقهم بمنشور ، ويرسلهم الى الرعايا لاجل عمل الرسالة المقدسة .

ثم انه قد بلغنا ان الرهبان الذين يخدمون بعض محلات يتصرفون بخدامتها من دون فحص اسقف الابرشية ، واثباته ، وتفويضه اياهم بذلك خلافاً لرسم

مجمعنا اللبناني ، وقانونهم مكتفين بامر رئيسهم العام ، او رئيس الدير فقط ، فجمعنا هذا يأمر بالا يتعيّن كاهن من الرهبان لخدمة هذه المحلات ، او غيرها من دون فحص اسقف الابرشية ، واثباته ، وتفويضه ، والا فالكاهن الذي يتعيّن بدون ذلك لهذه المحلات [٥٠] او غيرها تكون اعماله في خدمة الرعية باطلة لا مفعول لها ، ولتحفظ الرهبان في هذا الامر ، وغيره كلما هو مرسوم عليهم من قانونهم (قسم ٢ ، باب ٩) في الخضوع لرؤساء الكهنة .

الجلسة الرابعة .

وقد تمت في اليوم الثاني عشر من نيسان بعد الظهر

ففي هذه الجلسة قد صارت المفاوضة في ما يلاحظ تصرف الاساقفة ، والسيد البطريرك الكلي الطوبى في واجباتهم . وقد ظهر وقوع اهمال ، وتوانٍ ، وتراخٍ في بعض الالتزامات التي على كل منهم .

ومن ثم عمّا يخص الاساقفة قد رسم مجمعنا هذا تبعاً لرسم مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٤) وباقي المجامع المقدسة بان تفرغ اساقفة طائفتنا كل جهد باتمام واجباتهم الاسقفية ، والرعائية عارفين شرف مقامهم ، ما عليهم من الالتزامات ، وان ينبذوا عنهم كل اهمالٍ ، وتوانٍ ، وتراخٍ بهذا الامر المتيدين ان يعطوا عنه حساباً صارماً للعدل الالهي بنوع يفوق عمّا دونهم من خدام كنيسة الله ، لانهم خلفاء الرسل القديسين ، ومطلوب منهم ان يكونوا مقتفين آثارهم في كل شيء حتى الى سفك دمائهم في خير ديانتنا الكاثوليكية المقدسة . فيلزمهم اذًا ان يتغايروا على اتمام [٥١] واجبات وظيفتهم نحوهم ، ونحو الآخرين بروح الطهارة ، والقداسة ، والقناعة ، والحشمة ، والدعة ، والغيرة المتقدة ، والتواضع الصدق وبالاجمال بتلك السيرة المزيّنة بسائر الفضائل الراهنة بتعزل عن كل امر مشين ، وغرض ذاتي كما يقتضيه منهم حال مقامهم سواء كانوا في منازلهم ام في منازل الآخرين لينيروا بمصباح نموذجاتهم الصالحة ، وتعاليمهم المقدسة ، وتدابيرهم الحسنة ، وتصرفاتهم الممدوحة جميع الذين ينظرون اليهم ، ويتعاطون معهم .

واساقفة الابرشيات فليبذلوا غاية الاعتناء اولاً بتهذيب اكليروسهم بكلما يمكن من التقوى،والعبادة،وحسن السلوك ، وتثقيفه بالعلوم اللازمة حسبما تقتضي درجة كل منهم ، ووظيفته كما مرّ آنفاً . ثم بارشاد الشعب واقتياده في محجة الخلاص الابدي،وليكونوا ساهرين يقظين على مصالحكم كافةً بالحرص الواجب، ومجتهدين فيما يوافق لامر خلاصهم كالآباء الشفوقين ، والرعاة الصالحين ، الذين يبذلون انفسهم دون الخراف . ولتكن محبتهم لهم ، ورغبتهم في خيرهم ونجاحهم متساوية غير تاركين الفقراء ، والمساكين ، والايتام ، والارامل من المساعدة لانهم كلّ في لكلهم ، واباء لجميعهم ، وهم اولادهم الملتزمون ان يدّخروا لهم الذخائر الصالحة لبنيانهم .

ولذلك فليحذروا من ان يفضلوا عليهم الاهل والاقارب منجذبين من الميل الطبيعي الى دفع مال الكنائس لهؤلاء ليستغنوا بما هو مختصّ بالله لان ذلك محرّم عليهم ، كما انه محرّم عليهم ان يبدرقوا مال الكنائس ، ويبددوه بمحبتهم، ولكن اذا كانوا فقراء ، فلهم ان يحسنوا اليهم كباقي فقراء رعيتهم حسب رسم مجمعنا [٥٢] اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٩ ، عدد ٢) .

ولا يهملوا تبكيت الذين يقاومون الحق بل يؤدبوهم ، ويقلعوا كل رذيلةٍ وشرٍ ، وعادةٍ رديئة من بين ابناء رعيتهم ايهم كانوا اكابر ام اصاغر ، دون مراعاة خواطر البتة ، وليتجنبوا البطالة ، وعيشة الكسل منعكفين على درس الكتب المفيدة لاتقان واجباتهم. وليواظبوا الكرازة، والتعليم، وتوزيع الاسرار المقدسة كالواجب باجتهادٍ يفوق اجتهاد الكهنة الذين تحت اياديهم ، وليكرّموا قسوسهم ، وكهنة رعاياهم بذلك الاكرام الذي يستوجبونه منهم كالآباء لابنائهم، ويزوروا ابرشياتهم كل سنة مرة بموجب رسم مجمعنا اللبناني (قسم٣،رأس٩،عدد ٢٨) والسؤالات المتادة في الزيارة التي نضعها في آخر هذا الكتاب(عدد٩)وبرفقتهم نائبهم او احد الكهنة المجتلين بالعلم والتقوى ، ولا يغيبوا عنها[١] غيبة مستطيلة الا لسبب داعٍ مثبوت من السيد البطريرك الكلي الطوبى، وعن اذنه خطاً بل فليثبت كل منهم في كرسي كنيسته المعيّن ضمن حدود ابرشيته كرسم مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ١٩ و ٣٦) ممارساً ومرتباً كلما هو مندوب اليه منه فيه .

١) اي عن الابرشية .

ولا يهملوا القراءة الروحية على موائدهم في كراسيهم . ولذلك من حيث ان بعض الابرشيات لا يوجد فيها كرسي مخصوص ثابت لاساقفتها لحد الآن كابرشيتي بعلبك ، ودمشق[1] ، فحكم مجمعنا هذا بان يصير الاعتناء دون قبول عذر او احتجاج بان يترتب لكل منها كرسي مخصوص ثابت داخل حدودها بمساعدة من تقتضي المساعدة منهم ، كما انه حكم ايضاً [٥٣] بان كل اسقف ابرشية يقيم مدرسة حذاء كرسيه حسبما يرسم مجمعنا اللبناني عند تكلمه عن المدارس نظير مدرسة مار يوحنا مارون الكائنة في ابرشية جبيل والبترون المختصة بالسيد البطريرك الكلي الطوبى لكي يثقف فيها بالتقوى ، والعلوم اللازمة شبان ابرشيته الذين يرومون اتباع الحالة الاكليريكية ، ويرتب لها قوانين موافقة ، ويقيم في كل مدينة وقرية من ابرشيته اسكولة[2] لتعليم الاولاد القراءة والكتابة سريانياً وعربياً وقواعد ديانتنا المقدسة.

ويرسل كل سنة فاحصاً يفحص الكهنة عن علومهم وكامل امورهم، او انه يفحصهم بذاته او عن يد خوري البردوط في الزيارة السنوية . ولتقف الاساقفة عند ما يحدده مجمعنا اللبناني (قسم٣ ، رأس ٤، عدد ٢٤ و٣٠) في منع مداخلة احدهم في ابرشية الآخر ، وضد تطاولهم على السلطان المحق للسيد البطريرك ، الذي يجب له الاحترام والخضوع من جميع اساقفته ، بموجب الحلف الذي ابرزه كلٌ منهم وقت الرسامة ، وبمقتضى رسم مجمعنا اللبناني ؛ ولا يباشروا امراً مهماً ، ولا ثقيلًا بغير مشورته . ولا يتجاوز احدٌ منهم حدود ابرشيته المرسومة في براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر المعطاة في ١٤ اشباط سنة ١٧٤٢ التي نضعها في آخر هذا الكتاب عدد ١٠ مع التحديد الاصلي عدد ١١ ، ما عدا ابرشيتي قبرس وبيروت ، اللتين صارت مبادلة قديمًا فيما بينهما ببعض قرى تبعًا لحدود حكم جناب الامراء المحترمين بيت مراد ، وبيت قيدبيه ؛ وما عدا ابرشية جبيل ، والبترون التي أعطي منها؛ بعض قرايا في جبة بشري لابرشية

---

١) كرسي ابرشيه بعلبك شادها البطريرك يوحنا الحاج · وكرسي ابرشية دمشق شادها المطران بولس مسعد .

٢) لفظة ايطالية معناها مدرسة صغيرة .

طرابلوس حسب حكم الكرسي الرسولي [٥٤] والمجمع المقدس الذي نضه في آخر هذا الكتاب عدد ١٢ و١٣ .

ولا تهمل الاساقفة عمل مجمع الابرشية كل منهم في ابرشيته مرة في السنة في الوقت الملائم حسب رسم مجمعنا اللبناني وشرحه (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ٢٩) ورتبة صيرورة المجمع التي نضها في آخر هذا الكتاب عدد ١٤ .

وفيما يلاحظ سلطانهم على رعاية ابناء رعيتهم، وضبطهم في السيرة الصالحة، واستماعهم دعاويهم ، وابرازهم الحكم فيها ، فلا يتجاوزوا حدود ما فرضه مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ٢٢) وكذلك ما يتعلق بجمع المشور من الابرشيات فليكن حسب نص مجمعنا اللبناني ذاته (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ٣٤) ، دون اعفاء احد ، ولو باية حجة كانت .

ويلتزم كل اسقف ابرشية ان يطلب كل سنة من السيد البطريرك الكلي الطوبى منشورًا لجمع المشور من ابرشيته، ويدفع له المبلغ المعيّن عليه من ذلك بدفعتين ، ويحق للسيد البطريرك ان يرجع الى حقوقه الاولى ضد الاساقفة الذين يتأخرون عن دفع المبلغ المعيّن كما رسم البابا بيوس السادس السعيد الذكر في براءته المعطاة في ١٨ ايلول سنة ١٧٨٤ التي نضها في آخر هذا الكتاب عدد ١٥ .

ثم لكيما تقدر اساقفة الابرشيات ان يقوموا بواجباتهم كما ينبغي ، ويتمموا كل شيء حسب رسومه، فحكم مجمعنا هذا تبعاً لحكم مجمعنا اللبناني في اماكن عديدة بأن كلّا منهم يضع عنده في كرسيه :

اولًا : خوريًا مزينًا بالعلوم اللاهوتية ، ومعرفة الشرائع الكنائسية ، ويجعله نائبًا عامًّا له في الامور الروحية ليساعده فيها ، وفي قضاء الدعاوي الكنائسية .

ثانياً : اقنوماً لاجل مساعدته باستماع الدعاوى العالمية، وفي تدبير ارزاق كنيسة كرسيه ، وحفظها ، وضبط [٥٥] المداخيل ، والمصاريف ، ويشارك احدهما الآخر بعاطاة الوظيفة ، وبعضيان الاوراق ، والاحكام التي تخرج من محكمة الاسقف عن يدهما بعد اثباتها منه بامضائه وختمه ، ويرقمان مداخيل كنيسة الاسقف ، ومصاريفها بدفتر خصوصي ، ويعرضانه عليه [اي الاسقف] في السنة مرتين ،

ويبقى محفوظاً ليتسلم لخليفته ليحاسبها عن ذلك حسب رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ٢٧) .

ثالثاً : مسجلاً ليحرر السجلات كلها بكل ضبطٍ عالمية كانت ام كنائسية، ويحفظها بخزانة كرسي الاسقف لكي تتسلّم لمن يتخلف الاسقف .

رابعاً : ان يعين في ابرشيته خوري بردوط فقط لاجل زيارتها كل ما اقتضى الامر بموجب نص مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٣ ، عدد ٤) .

واي اسقف ابرشية خالف حكم مجمعنا هذا في هذا الامر فللسيد البطريرك الكلي الطوبى ان يلزمه فيه بما يرى موافقاً بالرب ، وان لم يمتثل فهو بذاته يرتب ذلك في كرسي الاسقف المخالف .

والنائب ، والاقنوم ، والمسجل المذكورون فليحفظوا في استماع الدعاوى وما يتعلق بها ، وبتسجيلها مع تسجيل باقي الاشياء اللازم تسجيلها كلما رسمه مجمعنا اللبناني في الراس الخامس من القسم الثالث في الحكم الكنائسي . ومثلهم مقدموا (كذا) الدعاوى ، والشكاياة (كذا) للديوان الكنائسي ، والذين يشهدون فيها متجنبين جميعاً كل تزوير يوجب عليهم السقوط بالحرم الكبير المحفوظ حله للاسقف المكاني . وكل اسقف فليجعل له خزانة في كنيسة كرسيه، ويضع فيها جميع الكتب التي يأمر مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ٣٧) [٥٦] الاساقفة ان يرتبوها عندهم .

وليكن لكل اسقف ختم كبير منقوشة عليه صورة قديس كنيسته ليختم فيه رسائله ، وكل ما يخص الدرجة الاسقفية . وبعد وفاته يتسلم لخليفته ، ولذلك لا يجب ان ينقش فيه اسمه الخصوصي ما حول الصورة بل اسم الوظيفة، والمدينة المرسوم عليها فقط مثلاً اسقف او مطران المدينة الفلانية .

واما عما يخص السيد البطريرك الكلي الطوبى فمن كونه بعد الحبر الروماني الاعظم رأساً ، واباً لجميع طائفتنا رؤساء ومرؤوسين من اية طغمةٍ ورتبة ومصاف كانوا ، فسبيله ان يكون معتنياً بامر الجميع ، وساهراً على مسالكهم كما ينبغي ، ومتمماً واجبات وظيفته نحوهم خصوصاً وعموماً حسبما يقتضيه حال مقامه بموجب مرسوم مجمعنا اللبناني . ويجب على ابناء طائفتنا افراداً واجمالاً ، رؤساء ومرؤوسين ، سواء كانوا موجودين في سوريا ، وفونيقي ، وجبل لبنان ، ام في

فلسطين ، وقبرس ، والديار المصرية ، واقاليم الاناضول ، وسائر اقاليم المشرق ، وعلاته ان يحترموا سلطانه ، وحقوق وظيفته ، وخصوصياتها ، مقدمين له الخضوع ، والاطاعة ، وكلما يتوجب له عليهم ، ولا يتهاون احد باوامره ، وبالرسوم ، والفرائض ، والاحكام التي تبرز من ديوان قضائه للعموم والخصوص .

ومجمعنا هذا يذكره بحرارة ليكون مراعياً على الدوام ما يرسمه مجمعنا اللبناني باستعمال سلطانه ، وممارسة الخصوصيات ، والحقوق التي له على تدبير الطائفة ، وان يعتبر الحقوق التي يعطيها المجمع اللبناني ذاته الاساقفة [٥٧] في ابرشياتهم ، ولا يسمح باتلافها الا على موجب القانون ، وفي التعويض عن توانيهم . ولا يباشروا امرًا ثقيلًا ومهماً بغير مشورته لكي يكون كلما يلاحظ النظام الكنائسي محفوظاً ، وتاماً برسومه بمعزل عن كل تشويش ، وتبلبل ، لمجد الله الاعظم ، وخير طائفتنا .

ولا يتناسى ما هو مفروض على ذمته من وجوب الاطاعة والخضوع للحبر الاعظم الروماني رأس كنيسة المسيح باسرها ، والاعتبار للمراسيم والاوامر التي تصدر من الكرسي الرسولي المقدس ، ومجمع انتشار الايمان المقدس ، وزيارة الاعتاب الرسولية كل عشر سنين مرسلاً قاصداً من قبله (مجمع لبناني قسم ٣ ، رأس ٦ ، عدد ٩) وبالرسالة (بوله) غريغوريوس البابا الثالث عشر في ١٨ ايلول سنة ١٥٧٩ المدونة في آخر هذا الكتاب عدد ١٦ ، معطياً حساباً عن احوال بطريركيته ، وتدبيره اياها بحسب اليمين التي ابرزها حين رسامته ، وحين تثبيته بطريركاً ، وقبوله درع الرئاسة ، وفي انتخاب الاساقفة ورسامتهم يلزمه ان يحفظ مدققاً رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ١٥—١٨ ، و٣٥) ليقع الانتخاب ، والرسامة على اشخاص موسومة بالعلم ، والعمل الصالح ، وسائر الصفات الحميدة ، ملاحظاً بذلك افادة بيت الله تعالى ، ومجده الاعظم ، لا الاميال البشرية ، ورغبة القاصدين الارتسام لاجل العز والافتخار فقط . ومن كون القسوس الذين يسيرون حسناً يستحقون الاكرام المضاعف لا سيما الذين يتعبون في الكلام والتعليم كما قال الرسول الالهي ، فليوجه من ثم انظاره [٥٨] خاصة نحو اولئك ، الذين عدا تحليهم بالعلوم ، والفضائل الراهنة يكونون قد اصرفوا اتعاباً شاقة في خير الانفس ، والطائفة والكرسي البطريركي ، وتهذيرا ،

وتثقفوا في معاطاة الاشغال ، وصاروا كفوءا لخدمة بيعة الله كما ينبغي لئلا يتقدم الى هذه الدرجة السامية ، والخدمة الشريفة من كان خالياً من هذه الصفات الممدوحة ، وعوضاً عن الافادة المطلوبة يجلب اضرارًا جسيمة لذاته ، وللكنيسة كما علمت التجربة .

ومن المعلوم انه لا يجوز اعطاء شيء ، واخذ شيء في انتخاب الاساقفة ورسامتهم الا ما سمحت به العادة للمطارنة ، والاساقفة ان يقدموه للكرسي البطريركي على سبيل الاسعاف ، والاحترام عند تسجيله اوراق الشهادة برسامتهم التي بدونها لا يقدرون ان يستولوا على كراسيهم . وهذا لا يتجاوز مقدار ربع مدخول الاسقف السنوي . ويُقسم ما بين كنيسة البطريركية ، وشمامسة السيد البطريرك ، والموظفين في ديوانه .

واما مدخول الكنيسة المترملة من اسقفها التي حفظها الاقنوم بعد وفاة الاسقف الى دخول الاسقف الجديد ، فنصفه للكنيسة البطريركية ، والنصف الآخر يقسم جزوين : الواحد للاسقف الجديد ، والآخر لافادة كنيسته كرسم مجمعنا اللبناني في ذلك جميعه بالاعداد المذكورة .

واما نظرًا الى باقي الاشياء المختصة بكنيسة الاسقف قبل وفاته فليكن العمل بموجب رسم مجمعنا اللبناني ايضاً (قسم ٢ ، رأس ٤ ، عدد ٢٧)وانتخاب السيد البطريرك فليكن على موجب رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٢ رأس ٦) تاماً .

[٥٩] وفي كل ثلاث سنين فليجمع السيد البطريرك المجمع البلدي في الوقت الموافق لذلك من كل مطارنته ، واساقفته ، وبعض الكتانيين الذين يحق لهم الحضور فيه على مقتضى شرح مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ٢٤) وترتيب المجمع الموضوع في آخر هذا الكتاب .

وفي الدعاوى التي تقام على الاساقفة سواء كانت بجرم ثقيل ام خفيف ، فليحفظ رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٤ ، عدد ٣٣) .

ولكي يقدر السيد البطريرك الكلي الطوبى ان يتمم ما يتعلق بالوظيفة البطريركية بما يقتضي من النشاط ، والانزاز ، فيلزمه ان ينتخب له اشخاصاً مناسبين في العلم والعمل كهنة كانوا ام اساقفة ، ويقلدهم معاطاة الامور الروحية والجسدية . وبناء على ذلك ، فليكن عنده دائماً اسقف او اسقفان بمنزلة نوّاب

عام لا تكون لها ابرشية ، يقلد احدهما تدبير الامور الروحية ، والآخر الزمنية على موجب شرح مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، رأس ٦ ، عدد ٦) . وليتقدم لها معاش كافٍ من مداخيل الكرسي البطريركي ، ولا يعزلها السيد البطريرك من الوظيفة الا لذنب مثبوت شرعاً .

ومن وفاة السيد البطريرك الى اقامة البطريرك الجديد يتعاطيان الامور الروحية والجسدية في الكرسي البطريركي ، والطائفة بالاتفاق مع الاكليروس المقيم في الكرسي البطريركي على مقتضى رسم القوانين ما عدا الرسامات ، والامور المهمة التي تقتضي مشورة المطارين والاساقفة : واذا توفيا مع وجودهما في الوظيفة فخلفتاهما الحاصلة من اثار الوظيفة تخص الكرسي البطريركي .

واما ما يلاحظ تدبير الابرشية[٦٠] المختصة بالسيد البطريرك بدون واسطة فليكن على موجب ما يرسمه مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، راس ٤) في تدبير المطارنة والاساقفة ابرشياتهم ، وما لحمه (قسم ٣ ، راس ٦ ، عدد ٦) عما يلزم السيد البطريرك بابرشيته الخصوصية تبعاً لذلك . واذا شاء ان يرسم اسقفاً يقلده تدبيرها بمنزلة نائب له ، فالامر له بذلك .

ويعين السيد البطريرك الكلي الطوبى في كرسيه البطريركي كهنة علماء لاجل مساعدة نائبيه المذكورين باستماع الدعاوى الروحية والزمنية ، واقله مسجلاً واحداً لاجل تسجيل السجلات كلها ، وباقي ما يلزم تدوينه ، ويرتب خزانة لاجل حفظ ذلك ، وحفظ باقي الكتب اللازمة كما قلنا آنفاً عن المطارنة ، والاساقفة .

وفي استماع الدعاوى وكلما يتعلق بها ، فليحفظ الديوان البطريركي كلما يرسمه مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، واس ٥) في الحكم الكنائسي . وهنا نذكر الجميع بما يرسمه مجمعنا اللبناني (قسم ٣ ، راس ٦ ، عدد ١٠) ، وباقي المجامع المقدسة عما يلاحظ تحريم التعصبات في بيعة الله ضد الاكليروس ، والمطارنة ، والاساقفة ، والسيد البطريرك الكلي الطوبى ، والقصاصات المفروضة على مثل هذه الشرور ليحذروا من ذلك ، ويتجنبوا كل ما من شأنه ان يجلب عليهم غضب الله القائل من لمسكم فقد لمس حدقة عيني .

وليعتنِ السيد البطريرك الكلي الطوبى والاساقفة في جمعية المرسلين اللبنانيين الموارنة المقامة منذ سنة ١٨٤٠ من المرحوم البطريرك يوسف حبيش في

مدرسة طائفتنا الكائنــة في قرية عين طورا في كسروان لكي تنموا بجميع احوالها ، وينتج منها باقرب وقت الخير [٦١] المأمول للطائفــة المفتقرة لامله الجيلين ، وليدبر لها قوانين ، ورسوم ملائمة لحال بلادنا .

ثم انه في هذه الجلسة قد جرت المفاوضة ايضاً فيما يلاحظ منح الغفرانات ، والجميع كمن فم واحد اجابوا على انه نظراً الى الغفرانات الكاملة، فسلطان منحها منوط بشخص الحبر الروماني الاعظم وحده ، وليس لبطريرك طائفتنا، ومطارينها، واساقفتهـا ان يستعملوه دون تفويض خصوصي من الكرسي الرسولي المقدس حسبما توضح ذلك في براءة البابا بيوس السادس المخلد الذكر المنفذة في ٢٨ ايلول سنة ١٧٨٤ لمطارنة طائفتنا ، واساقفتها مبدوءة « ان مكاتيبكم ايها الاخوة الرؤساء »[1] ، واما نظراً الى الغفرانات الغير الكاملة ، فاجابوا بانه قد درجت العادة في طائفتنا منذ القديم بان بطريركها ، ومطارنتها واساقفتها يمنحونها باكثر ما تحدد في هذا الشأن في المجمع اللاتراني الرابع ، وحكموا بان يُقدم التوسل الى الكرسي الرسولي المقدس لكي يبقيهم على هذه العادة لئلا اذا بطلت ، والشعب قد اعتاد على ان يسمع من افواههم منحها في قداساتهم على صورة ما تقدم ، تبرد حرارة عبادته فضلاً عن الشكوك التي تصدر من ذلك.

الجلسة الخامسة

وقد تمت في اليوم الثالث عشر من نيسان قبل الظهر

[٦٢] ففي هذه الجلسة صارت المفاوضة فيما يلاحظ الكنائس ، والاديرة ، والرهبان ، والراهبات في طائفتنا . واولاً عمّا يخص الكنائس فقد رؤي لمجمعنا هذا انه حاصل اهمال في بعض محلات في حسن ترتيبها ونظامها كما يقتضي ، واكفانها من الاواني ، والاشياء اللازمة لخدمة الجلال الالهي . ولذلك رسم بان تصرف الاساقفة كل جهدهم في هذا الامر ، ويعتنوا بحفظ الكنائس ، واصلاح ما هو متعطل منها في ابرشياتهم ، وباكفائها على قدر الامكان مما

---

[1] راجع نص هذه البراءة في كتاب « البراءات البابوية للموارنة » الذي جمعه المرحوم الاباتي طوبيـا العنيسي ، وطبعه في روما سنة ١٩١١ باللاتينيـة تحت اسم : (*Bullarium Maronitarum*) من ص ٤٢١ الى ص ٤٢٩ .

يلزم لخدمة الجلال الالهي بحسب افراز فطانتهم ، سواء كان من مداخيلها ام من احسان المؤمنين اذا لم يكن لها مداخيل كافية لذلك ، ولا يسمحوا ببناء كنيسة ما لم يكن لها جهاز او مدخول كاف ، لان العمل بخلاف يسبب اهانة ، واحتقارا لبيت الله . ولتهتم الكهنة ، ووكلاء الكنائس بنظافتها ، وزينتها بكلما ينبغي من اللياقة ، ولا سيما بنظافة مذابحها ، واوانيها ، وانائها ، وبحفظها ، وبابعاد كل استعمال عالمي منها ، وبترتيبها داخلا ، وخارجا حسب نص مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ١ ، عدد ٣ و٤ و٥) . ولا يسمحوا بالجلوس داخل درابزون المذبح للعلمانيين ، الذين يجب عليهم ان يظهروا في الكنيسة ، كل نوع من العبادة ، والورع ، والخشوع ، والحشمة ، والاحترام مبتعدين عن كل صراخ ، وضوضاء ، وضجيج ، ومخاطبة ، لانها بيت الله للصلوة ، وتقديم ما يتوجب لعزته الالهية من العبادة ، والسجود ، والوقار . ولا يدخل اليها احد بسلاح . ولتمتلئ لكل كنيسة من الكنائس الكبار المكفية من اللوازم ، ولا سيما اذا كان محفوظا [٦٣] فيها القربان الاقدس ، حافظ بمنزلة قندلفت ليلاحظها ، ويلاحظ كل اوانيها ، وامتعتها بكلما ينبغي من النظافة ، ومنع الوقف عنها ، ويسرج القنديل دائما ليلا ونهارا ، امام القربان الاقدس المحفوظ فيها ، ويحرس على ابوابها باستيثاق .

ولا يخفى انه غير مسموح لاحد من الكهنة ، علمانيا كان ام راهبا ، ان يقدس في المعابد الخفية ما لم يفحصها الاسقف المكاني ، ويثبتها . والعامل بخلاف يقع من ذات فعله بالرباط . ويحسب المعبد نفسه حاصلا على المنع كما لو قدس فيه كاهن علماني ام قانوني لم يكن له اذن بالقداس في معبد كذا من اسقفه . ويحدث هذان الرباط والمنع ايضا ، ولو كان المعبد مثبوتا ، اذا صار فيه في يوم واحد قداسات كثيرة ، من كهنة كثيرين ، بغير اذن السيد البطريرك ، او الرأس المألوف .

وليعتن السيد البطريرك الكلي الطوبى ، والاساقفة ببناء كنائس ومعابد في المحلات التي لنا بها شعب بغير كنيسة ، ولا سيما في المدن ، والاماكن البعيدة عن جبلنا هذا اللبناني ، ويطلبوا المساعدة في ذلك من المؤمنين غربا وشرقا . وهنا نجدد رسم ما حدده مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ١ ، عدد

٩) على الاكليريكيين الذين ضد خاطر اسقفهم يقيمون مذابح ، ويبلبلون النظام الكنائسي في امور كثيرة ، وما حدده على الجميع فيما يلاحظ حرية الكنائس وتدبير ارزاقها (قسم ٣ ، رأس ١ ، عدد ١١—١٤) ونأمر بحفظ ذلك على التام تحت الشروط حالاً بتلك التأديبات المفروضة هناك على المخالفين.

وعدا ذلك نرسم رسماً جازماً بانه من الآن فصاعداً لا [٦٤] يسلم السيد البطريرك الكلي الطوبى ، او الاسقف ، تدبير الكنائس ، والمدارس ، والاديرة ، وباقي التأسيسات التقوية ، مهما كانت ، لاحدٍ من الكهنة ، والاكليريكيين ، والرئيس العام من اية رتبة. وقانون كان لا يسلم تدبير الاديرة ، وباقي الاماكن المختصة برهبنته لاحدٍ من الرهبان ، ما لم يبرزوا يميناً امامهم بانهم لا يبيعون ارزاق الكنائس ، والتأسيسات التقوية ، والاديرة ، وباقي المحلات التي يتسلمون تدبيرها ، وكل ما يختص بها ، ولا يوهبونها ، ولا يرهنونها ولا يغيرونها باي نوع كان ، وباية حجة كانت ، بغير الاحتفالات المرسومة من مجمعنا اللبناني ، والقوانين المقدسة . ولا يبددون مداخيلها ، ويبدرقونها على هواهم بل يحفظونها لتُصرف على موجب القانون بروح الرب الهنا .

وليرقوا كل شيء بدفاتر مضبوطة ليعطوا عنه حساباً لمن يخصّه ذلك، ومن دون هذه اليمين لا نسمح ان يتسلم احدٌ من الاكليروس الطباقي والقانوني ، كائناً من كان ، تدبير كنيسة ، او دير ، او مدرسة ، او تأسيس آخر تقوي، حتى الرؤساء العام ايضاً عند قيامهم مثلما ان المطارنة ، والاساقفة يبرزون هذه اليمين عند رسامتهم ، والسيد البطريرك الكلي الطوبى عند رسامته ، وتثبيته، والذين قد تسلّموا تدبير ذلك من دون هذه اليمين قبل التام مجمعنا هذا ، فيلزمهم ان يبرزوها حالاً كما مرّ. والا فتُحسب كل اعمالهم، وتدابيرهم للمحلات المذكورة باطلة لا مفعول لها .

كذلك عندما احدٌ يتسلم ديراً ، او مدرسة ، او محلّاً تقوياً يجب ان يسلّم للرأس [٦٥] الذي يسلمه الدير ، والمدرسة ، والمحل التقوي قائمة ممضية بخط يده ، محتوية تعداد الامتعة التي تسلّمها حتى انه عند تركه الوظيفة يتحاسب على موجب القائمة المذكورة .

ثم انه في الحكم بحق الولاية على الكنائس ، والعلائق الكنائسية ، والكابيلات ، والمعابد ، وكيفية التصرف فيه يلزم السيد البطريرك ، والاساقفة الرعايا ان يتمسكوا بما يحدده المجمع التريدنتيني المقدس في الجلسة ١٤ (رأس ١٢ ، ورأس ١٣ والجلسة ٢٤ (رأس ١٨) والجلسة ٢٥ (رأس ٩) ومجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ١ ، عدد ١٨) بهذه الالفاظ وهي :

« انه لا احد من اية رتبة كنائسية كان ام عالمية ينبغي ان ينال او يقدر ان يحوز حق التولي باية حجة كانت ما لم يكن من جديد اسس او شيد كنيسة ، او علاقة ، او كابيلا ، او يكن قد جهز من ارزاقه الخاصة والخالصة كما يجب احداها حال كونها مقامة دون جهاز كافٍ . اما في حالة التأسيس والتجهيز فترتيب ذلك محفوظ للاسقف ، او لغيره ادنى منه .

« ثم انه لا يجوز لصاحب التولي ان يقدم احداً باي وجه كان للعلاقة التي له عليها حق التولي الا لاسقف المكان المألوف الذي يختص به بموجب الناموس تدبير هذه العلاقة ، واقامتها عند بطلان الانعام . والا فالتقديم والاقامة ، اذا صدرا ، فليفهم انهما باطلان. لكنهم يلتزمون عند فروغ الكنيسة الخورنية ضمن عشرة ايام ان يسموا امام الفاحصين نائبيكيين مناسبين لتدبير الكنيسة الفارغة .

« واما اذا كان الامر [٦٦ . في حق المتولي الكنائسي ، وكان امر الاقامة منوطاً بالاسقف لا بغيره . . . صاحب التولي اكثر استحقاقاً فيما بين المخبونين من الفاحصين يلتزم ... يقدمه للاسقف لكي يقام منه ، وحيثما يجب اتمام الاقامة من خلافه الاسقف ، فحينئذٍ ينتخب الاسقف وحده الاكثر استحقاقاً من المستحقين لكي يقدمه صاحب التولي الى من ينوط به امر الاقامة . فاذا كان الامر في حق التولي العالمي ، فالشخص المقدم من صاحب التولي ينبغي فحصه من الموكولين لذلك الفحص ، ولا يقبل ما لم يوجد اهلاً .

« وفي جميع الاحوال المار ذكرها لا يقام على الكنيسة الا واحد لا غير من المفحوصين المذكورين المقبولين من الفاحصين . وكما انه ليس عدلاً ان تتلاشى حقوق الولايات الشرعية ، وتخالف ارادة المؤمنين التقوية في اقامتهم .

فهكذا ايضاً لا ينبغي السماح بان العلائق الكنائسية تخضع للعبودية بهذه الصفة .

« فاذاً لكي يحفظ في جميع ذلك الرسم الواجب ، فنحكم بان صفة حق التولي تكون من قبل التأسيس ، او التجهيز اللذين يتوضحان ببرهان صحيح ، وبقتضيات اخرى شرعية ، او ايضاً من التقديات المكررة بكرور زمان قديم جداً يتفاوت معرفة الناس ، وبغير ذلك حسب ترتيب الناموس . ولا برهان الزمان الغير المعروف بدوه يفيد بنوع آخر ، الا اذا تبرهنت بكتابات صحيحة التقديات المتواصلة عدة ليس باقل من خمسين سنة ، وتكون جميعها حازت مفعولها ، فضلاً عن باقي الاشياء الضرورية له . وعلى هذا فيسوغ للاسقف ان يرفض المقدّمين [٦٧ أ] له من اصحاب التولي ان لم يكونوا اهلاً .

« اما اصحاب التولي على العلائق من اية درجة او مقام كانوا اكليريكيين ام علمانيين ، فليس لهم مطلقاً ان يتداخلوا ، ولو باية حجة او سبب كان في تناول الاثمار ، والربح ، والايرادات من العلائق اينما كانت ، ولو كان يحق لهم ناموسياً التولي عليها من قبل التأسيس والتجهيز ، بل فليتركوها على الاطلاق للوكيل ، والمتقلد العلاقة دون ان يضاد ذلك اية عادة كانت . ولا يتجاسروا على ان ينقلوا حق التولي المذكور الى آخرين بطريقة البيع ، او باية صفة كانت خلافاً للتحديدات القانونية ، والا فليخضعوا لتأديبات الحرم والمنع ، ومن ذات الناموس يضحون عادمي حق التولي المومى اليه نفسه . وليتيقظ الاساقفة ، وليفحصوا حقوق الولايات الكائنة في ابرشياتهم مهما كانت ، والتي يجدونها مؤسسة حقاً طبق التحديدات القانونية ، فليقيدوها في اعمال خزائنهم ، ويتركوا حقها لاصحابها كما مرّ اعلاه .

« ولكن اذا عرفوا انه حصل اضافات مضمونة الى كنائس حق التولي من خلاف علائق حرّة فليعلنوا موضحين بان هذه الاضافات مع انضماماتها الحاصلة بطريق الاختلاس هي باطلة ، وليعزلوا العلائق نفسها على حدة ، ويقلدونها لآخرين » .

ثانياً عمّا يخص الرهبان فهؤلاء منهم من هم قائمون بذاتهم ويتدبرون من

رئيس ديرهم الخاص ، وعدد اديرتهم معيَّن في المجمع الملتئم اخيرًا في دير لويزة سنة ١٨١٨ الذي نأمرهم بحفظه على التمام . ومنهم من هم عائشون تحت مجمع واحد ، ويتدبرون من رئيسهم العام ، والمدبرين الاربعة القائمين بمساعدته ، وهم على رتبتين احداهما لبنانية ، وتقسم [٦٨] الى حلبيـة ، وبلدية . والاخرى انطونيانية ، وتنسب الى القديس اشعيا الناسك ، وكلهم من قانون القديس انطونيوس الانبا الكبير . ولدى الفحص عن احوالهم في مجمعنا هذا قد تحقق عندنا تراضيهم في حفظ امور جمة من قوانينهم ، وفرائضهم الرهبانية ، وحكمنا بوجوب التشدد عليهم بصرامة ، لترجـع الحفظ القانوني عندهم الى رونقه الاول .

ومن ثم فمن الرهبان العائشين في الاديرة القائمة بذاتها نرسم بما يأتي ايراده تبعاً لرسم مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٢) وهو يلزمهم ان يكونوا سالكين بموجب رسومهم الخاصة ، وما يأمرهم به مجمعنا اللبناني تحت تدبير رئيس ديرهم الخاص ، واطاعته من كون كل دير من هذه الاديرة القائمة بذاتها يقام فيـه رئيس من رهبانه الناذرين بحضور الاسقف المكاني ان شاء ، واقنوم اي وكيل من رئيسه بشور الرهبان القدماء (وان كان للدير اصحاب حق ولاية لان من من الاكليريكيين او العلمانيين ابتنى ديرًا ، واوقف له اوقافاً فله ان يقيم عليه اول رئيس فقط كرسم المجمع اللبناني في هذين القسم والرأس) هذا اذا كان فيه اقله عشرة رهبان . والا فيقيمها الاسقف المكاني . ولا تدوم رياسته اكثر من ثلاث سنين ، الا اذا انتخبه الرهبان في مجمعهم ثانياً بالقرعة القانونية السرية حسب رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٢) ويختص به تدبير ارزاق الدير بمساعدة الوكيل بعد ابرازه اليمين المفروضة انفاً مع التزامه برقم المداخيل والمصاريف بدفتر خصوصي مدققاً ، وبكل ضبط [٦٩] باطلاع الوكيل الذي ان يحرس معه على مال الدير في صندوق تحت قفلين بمفتاحين مختلفين ، احدهما في يده ، والآخر في يد الرئيس ليعرضه كل سنة على اسقفه ، ويحفظـه في خزانة الدير . ولا يباشر امرًا مهماً في الدير ، وخارجاً عنه الا بمشورة الوكيل ، والرهبان القدماء ، وان تعسر عليهم ذلك فيرفعه لاسقفه ، وليلاحظ ما يقتضي للرهبان من امر المعاش ، والكسوة ، والفرشة ، ويقدمـه لهم لا بالتقتير ولا

بالتبذير ، بل بالاعتدال المناسب لحال ديرهم ، وبالمساواة مع بعضهم ومعه ، دون تخصيص لئلا يتذمر ، ويتشوش افكارهم . ويوزع عليهم الاشغال الديرية على مقتضى كفاءة كل منهم ، واطاقته .

وليلاحظ المرضى فيهم بكامل لوازمهم مفتقدًا اياهم ، وهو مملوء من الاشفاق عليهم ومعتنيًا بامر علاجهم ، وليقدمهم بحفظ القانون ، وبمساواة المعيشة ، وليكن نموذجًا صالحًا لهم في كل امر ، ولا يطرد راهبًا منهم من الدير الا بعد الاذن من الاسقف المكاني او السيد البطريرك الكلي الطوبى ، وليسهر على مسالكهم ، ويحرضهم على ملازمة الصلوات النهارية والليلية في كنيسة الدير باوقاتها ، واستماع القداس يوميًا ، والادمان على الصلوة العقلية ، وقراءة الكتب الروحية ، لا سيما ايام الآحاد والاعياد الواجبة بطالتها ، التي يلزمهم بها ان يعترفوا عند معلم الاعتراف المعيّن لهم ، ويتناولون القربان المقدس ، الا اذا تعددت هذه الاعياد في سبة واحدة .

وليعلموا التعليم المسيحي ايام الآحاد والاعياد للرهبان الشمامسة ، والاخوة ، ويرشدوهم بما يفيد للخلاص الابدي ، وليعملوا رياضة روحية [٧٠] في كل سنة قبل سبة الالآم في ديرهم ، وبجملتهم . ولا يهملوا قراءة كتاب ما روحي على المائدة التي يجب ان يشتركوا فيها جميعًا بمعزل عن كل تخصيص .

وليحفظوا الهدوّ في الدير دائمًا ، والصمت في الكنيسة ، والمائدة ، ومن بعد صلوة الستار لبعد صلوة الثالثة . ولا يأكلوا لحمًا الا عن علة مرض ، وشور الطبيب ، واذن اسقف الابرشية لان ذلك محرم عليهم من مجمعنا اللبناني ، ومن رسومهم ذاتها تحت الخطأ المميت ، وليضعوا نصب اعينهم دائمًا النذور الثلاثة اي الطاعة ، والفقر ، والعفة التي كدنوا ذواتهم تحت نيرها ، منذ لبسهم الاسكيم الرهباني ، ليحفظوها حفظًا تامًا معتزلين عن مساكنة النساء ، ومعاشرتهن ، والتردد عليهن ، ولو كانوا من الاهل ، والاقارب حتى من الدرجة الاولى ايضًا . وليعلموا ان ادخال النساء ، ودخولهن الى ديرهم ممنوع تحت سقوطهن ، وسقوطهم بالحرم الكبير المحفوظ حله للاسقف المكاني .

وليمتنعوا عن الجولان ، والدوران ، والاقامة بين العلمانيين ، ولو كانوا اهلهم ، ولا يسافروا بلا رفيق يرافقهم الى رجوعهم ، ولا يخرجوا من الدير الا عن اذن الرئيس ، او وكيله في غيابه ، ولتكن قلاليهم تفتح بمفتاح واحد ، ولا يختصوا لذواتهم شيئاً ، بل يكون كل شيء لهم للدير ، ومشتركاً فيما بينهم ، ومختصاً بالدير تحت تدبير الرئيس ، ووكيله ولا يتداخلوا في اشغال عالمية ، ومهمات ارضية بل يتجنبوا كل معاطاة تضاد حال دعوتهم ، لا سيما المتاجر ، والارباح النجسة ، ولئن كان بالواسطة .

[٧١] وليعينوا محلاً خارج الدير لاقتبال الضيوف بحيث لا يكون له منفذ الى الدير ، وليحفظوا السلامة فيما بينهم ، وبين الجميع مبتعدين عن كل ما من شأنه ان يلقي السجس والخصومة فيما بين الاخوة وغيرهم . وليكونوا على الاطلاق محتشمين ، ومؤدبين في جميع حركاتهم ، وتصرفاتهم ، سواء كانوا داخل الدير ام خارجاً عنه . ولا يناموا خارج الدير بغير ضرورة شديدة ، واذن الرئيس ؛ والعامل بخلاف ، فان كان قساً فليكن مربوطاً ، وان غير قس ممنوعاً عن الدخول الى الكنيسة الى ان يحلها اسقفهما .

ولا ينتقل الراهب من الدير الذي ترهب فيه الى دير آخر الا عن رضى رئيس ديره الاول ، واسقفه ، والدير الثاني واسقفه . ولتكن كسوتهم متساوية ، وثوبهم من صوف اي العباءة ، والمشلح ، والاسكيم المروس ، ولا شيء من حرير ، والزنار ، والحذاء من جلد ، والكل بلون اسود ، وما يلبسونه مخفياً تحت العباءة يجوز ان يكون بلون ابيض ، او ازرق ، او اسود ، لكن لا من حرير حسب رسم مجمعنا اللبناني .

والمبتدئ لا ينذروه قبل اكتمال السنة السادسة عشرة من عمره ، وقبل ما يكمل اقل ما يكون سنة واحدة من التجربة . ومن ينذر خلافاً لذلك فنذره باطل . وليكن قبول المبتدئين ، وتلبيسهم الاسكيم الرهباني بموجب الرتبة المعينة لذلك من المجمع اللبناني في القسم ، والراس المذكورين ، وليحفظوا تماماً كما هو مرسوم عليهم منه ، ومن المجمع الملتئم اخيراً في دير لويزة سنة ١٨١٨ .

ولتواظب القسوس الرهبان درس الكتب المفيدة لدرجتهم ، ووظائفهم ،

والرهبان المناسبون للعلم ، فليدرسوا العلوم [٧٢] اللازمة لاقتبال درجة القسوسية ، التي لا يرتقون اليها الا بشهادة الفاحص الاعتيادي عن كفاءتهم في العلم وشهادة رئيسهم عن حسن سيرتهم .

وليدرسوا اولاً الغراماطيق السرياني ، والنحو العربي ثم باقي العلوم اللازمة ، والمفيدة لهم وللقريب .

ويعين الرئيس بواباً من الرهبان الاتقياء ليحرس على باب الدير الواجب ان يكون مغلوقاً ، ولا يُفتح الا عند الاقتضاء باذن الرئيس او وكيله في غيابه . ولذلك ينبغي ان يكون الدير محصناً جيداً بحائط بحيث انه لا يمكن الدخول اليه الا من بابه المذكور .

وليسهر الاسقف المكاني في ذلك جميعه على هؤلاء الرهبان، ويزور اديرتهم التي في ابرشيته كل سنة بذاته ، او عن نائبه ، والخوري البردوط، ويرتب ما يجب ترتيبه ، ويصلح ما يجب اصلاحه فيها ، ويأخذ حساباً من الرئيس ، والوكيل عن ترتيب الدير حكم رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٢ ، العدد ٨) . ويقاصص المتعدين بموجب رسم المجمع اللبناني ذاته عينه خاصة في العدد ٢١ من هذين القسم والرأس في مقاصصة الرهبان ، والراهبات ، ... على موجبه ايضاً ينبغي ان يكون العمل بمقاصصة هؤلاء الرهبان من رئيسهم عند الاقتضاء .

فهذا ما كان عن الرهبان القاطنين بذاتهم . واما الرهبان ... تحت مجمع واحد ، فمن حيث انه ظهر انهم قد تراخوا في حفظ بعض شيء من قوانينهم ، وفرائضهم حال الدعوة الرهبانية التي دعوا اليها من الله ، فمجمعنا هذا يأمرهم رؤساء كانوا ام مرؤسين [٧٣] بان ينبذوا عنهم كل تراخ ، ويشدوا احقاءهم بنطاق النشاط ، ويسلكوا على موجب قوانينهم ، وفرائضهم ، وما هو مرسوم عليهم من مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٢) حافظين نذورهم الاربعة التي هي الطاعة ، والفقر ، والعفة ، والتواضع ، وكل هو مطلوب منهم حفظه اتاماً لهذه الدعوة التي تقتضي منهم الكمال الانجيلي .

ولتكن عيشتهم مشتركة ، وبمساواة فيما بينهم ، رئيس ومرؤس في المائدة ، والكسوة ، والفرشة دون تخصيص البتة ، ولا يأكلوا خفية الا لعلة

مرض ، واذن الرئيس ، وشور الطبيب ، لان ذلك محرم عليهم من مجمعنا اللبناني ، وقوانينهم ذاتها تحت ثقل الخطاء المميت ، وليمتنعوا تحت طائلة القصاص عن معاشرة النساء والتردد عليهن ، ومساكنتهن ، ولا يستخدموهن ، ولو كنّ من الاهل ، والاقارب حتى من الدرجة الاولى ، ولا يسمحوا لهنّ ان يدخلن الى اديرتهم ، واوض مدارسهم ، واناطيشهم ، لان ذلك مما يوجب عليهم وعليهنّ السقوط بالحرم الكبير المحفوظ حله لاسقف المكان .

ولذلك يلزم ان كل دير ، وانطوش ، ومدرسة يسكنه الرهبان يكون محاطاً بدائر حائط حاجز دخول النساء اليه من اية درجة ومقام كنّ ، ولاية غاية كانت ، وليمارسوا الصلوات النهارية ، والليلية في الكنيسة باوقاتها بموجب تقسيم الساعات الواجب وضعه في كل دير بحسب تغيير فصول السنة ، ولا يهملوا الصلوة العقلية في الكنيسة ، او في قلاليهم ، واستماع القداس يومياً في كنيسة ديرهم ، ولا يختصوا لذواتهم شيئاً ، ان كان من دارهم ام غيرها ، ولئن كان من عند اهلهم [٧٤] واقاربهم خلافاً لرسم القانون .

وحسب رسم القانون (قسم ٢ ، باب ٧) فليحفظوا الهدؤ ، والسكينة والادب ، والحشمة في الاديرة ، وخارجاً عنها ، والسلامة فيما بينهم ، وبين الجميع . وليمتنعوا عن الجولان ، والدوران ما بين العلمانيين ، وملازمة الحكام ، ولا يسافروا بغير اذن الرئيس ، ورفيق يرافقهم الى رجوعهم . ولا يناموا في المدن والقرى بغير ضرورة بالغة ، واذا اضطروا الى ذلك لاجل قضاء اشغال مهمة لاديرتهم ، فلا تكن منامتهم الا في اناطيش اديرتهم ، او في بيت كاهن الرعية اذا لم يكن لهم ثمة اناطيش ، وان خالفوا هذا الامر فيستوجبون اشد القصاص .

وليتجنبوا المداخلة في امور العالم ، وفي ما ينافي حال دعوتهم الرهبانية ، وليمارسوا الاشغال الديرية التي يعينها لهم الرئيس بكل رغبة ، ونشاط مبتعدين عن عيشة الكسل ، والبطالة ، ولا يتعاطى احدهم الطب الا كرسم القانون (قسم ٢ ، باب ١٢) .

وليثابروا على الاعتراف النقي ، وتناول القربان المقدس ، والرياضات ، والانفرادات الروحية في الاوقات المعينة في قانونهم . وليكن قبول

المبتدئين ، وتجربتهم مدتها سنتين او سنة ، ونذرهم الرهباني على موجب قانون كل رهبنة من رهبناتهم في الدير الذي يكون فيه جملة رهبان حافظين القانون الرهباني مع ممارسة الصلوات الفرضية ، وباقي الرتب الكنائسية باوقاتها .

وحيث انه قد صار محققاً بالاختبار ان اكثر تقهقر الرهبان في حفظ القوانين ناتج عن عدم [٧٥] ملاحظة المبتدئين في مدة تجربتهم ووجودهم في تلك الاديرة التي لا توافق للتجربة ، فرسم مجمعنا هذا بان كل رئيس عام يعين في رهبنته ديراً ، او ديرين ، او اربعة اديرة من الاديرة الكبار حسب كثرة جمهور كل من هذه الرهبنات الثلث او قلته ، لاجل تجربة المبتدئين ، مانعاً تجربتهم في غيره من الاديرة تحت قصاص الزلة الاثقل بالغاية على من يعمل الخلاف ، كما انه يرسم بان كل رئيس عام يعين في رهبنته ديراً من الاديرة الكبار برسم مدرسة يدرس فيها رهبانه ذوو القابلية للعلم تلك العلوم المفروض عليهم اتقانها من قانونهم (قسم ٢ ، باب ٤) ليفيدوا ذواتهم ، واخوتهم الرهبان ، والطائفة بعمل الرسالة في الرعايا ، وممارسة الوعظ ، والارشاد ، وباقي الامور الروحية بامر الاساقفة ، او السيد البطريرك الكلي الطوبى .

واذا تغاضى الرؤساء العام عن الاديرة للابتداء ، والمدارس للعلم حسب رسم مجمعنا هذا ، فللسيد البطريرك ان يلزمهم بذلك بالنوع الذي يشاؤه .

ولا يرتقي احد من الرهبان الى الدرجات المقدسة الا بشهادة الفاحص الاعتيادي عن كفاءته بالعلم ، وبشهادة رئيس الدير ، ومجمعه عن سيرته ، وآدابه . وكل رئيس دير فلينتخب بواباً ليحرس على باب الدير ، ولا يفتحه الا بموجب رسم القانون (قسم ٣ ، باب ٤) .

وليتعين في كل دير محل للمرضى من الرهبان حسب رسم القانون (قسم ٣ ، باب ١٢) وليعر الاهتمام الكلي فيهم ، ويتقدم لهم كلما يلزم [٧٦] في حال مرضهم بمشورة الطبيب الواجب على رئيس الدير ان يستدعيه اليهم كلما اقتضى ، مقيداً بخدمتهم احد الرهبان الصالحين الاتقياء ، مع تعيين وكيل المرضى حسب رسم القانون (قسم ٣ ، باب ١٥) لاجل ملاحظتهم في كل امر روحياً وجسدياً . وان تهامل الرئيس بذلك ، فليقاصص باشد قصاصاً ؛

وليحفظ القربان الاقدس في كنيسة كل دير كما شرحنا آنفاً .

ولئلا يتشوش النظام الرهباني من اقبال الضيوف في الدير ، فليتعين لهم منزل معتزل عن الدير حسب رسم القانون (قسم ٢ ، باب ٧) .

ولتحفظ رؤساء الرهبان ، واصحاب الوظائف الكبار فيهم ما هو مرسوم عليهم في القانون (قسم ٣ ، باب ١ وما يتلوه) حفظاً تاماً ، وليكونوا نموذجاً صالحاً لرهبانهم ، ويتقدموهم في حفظ القانون ، والفرائض الرهبانية، ويكفوهم في كل لوازمهم ، لئلا يتذمروا ، وتتشوش افكارهم .

ويجب على المجمع العام ان ينتخب ديراً حسب رسم القانون (قسم ٣ ، باب ٣) يستمر فيه الرئيس العام بمنزلة مقره ، ومقر المدبرين المعتاد ، ولا يغيّره الرئيس العام بغير مشورة المدبرين ، ولا يهمل الرئيس العام زيارة اديرة رهبنته .

ويجب عليه ان يحرر عنده اسماء الرهبان ، وتواريخ مجامعهم ، والحوادث التي تقع في الرهبنة ، وليكن عنده كاتم اسرار ليتسلم كتاباته ، واقنوم يتسلم حسابات مداخيله ، ومصاريفه ، ويرقمها بكل ضبط . ولا يصرف شيئاً بغير علمه [٧٧] ويكون بمنزلة وكيل عام يسعفه بحفظ الارزاق الزمنية المختصة بالرهبنة باجمعها حسب رسم القانون (قسم ٣ باب ٨).

ويلزم كل رئيس دير ان يكون عنده بموجب رسم القانون (قسم ٣ ، باب ٧—٩) نائب ، واقنوم اي وكيل ، ومشيرون ليساعدوه على القيام بواجباته كل واحد منهم حسبما تقتضي وظيفته . ودراهم الدير ، ودفاتره ، وروزماناته ، وحججه فلتُحفظ في صندوقين كل منهما تحت تقلين بمفتاحين مختلفين ، احدهما في يد الريس ، والآخر في يد الاقنوم . وهذا جميعه يحتم به مجمعنا هذا لئلا يترك تدبير الاديرة على هوى رؤسائها ، وكيفما اتفق ، ويحصل للاديرة اضرار توّصل الى الخراب نظير الماضي . واذا تغاضى ريس الدير عن هذا الامر ، فللريس العام ان ينتخب له نائباً واقنوماً ، ومشيرين ، ويلزمه بالمفاوضة معهم في مصالح الدير بموجب رسم القانون . ولا يهمل رئيس الدير عمل مجمع شهري ، واسبوعي في ديره من جميع رهبانه الناذرين كما يرسم القانون (قسم ٤ ، باب ٤ وه) ليكونوا عارفين دائماً واجباتهم ، ليصلحوا ما ينبغي اصلاحه في الامور الديرية .

وليكن انتخاب الرئيس العام ، وباقي اصحاب الوظائف في المجمع العام حسب ترتيب القانون ورسمه (قسم ٤ باب ٢ وما يتلوه) بمعزل عن روح الغرض ، والاميال الذاتية ، والاهواء العالمية للحم ، والدم ، والبلدان . وليصر الاقتصار عن تكثير الاصوات الذي ما فائدته سوى التحزب ، والانقسام الذي آخرته الخراب الروحي والجسدي خلافاً لغاية الرهبنة. والحساب المتاد ان [٧٨] يؤخذ في المجمع العام من الرئيس العام ورؤساء الاديرة ، نأمر بالا يؤخذ منهم الا بعد تمام الانتخابات التي تصير في المجمع العام ، اي بعد ان يكون قام الرئيس العام والمدبرون ، وذلك صداً للمحاباة ، والاخذ بالوجوه الذي يصير املاً بنوال الوظائف ، واستجلاب الاغراض ، اذا اخذ الحساب منهم قبل ذلك كما علّمت التجربة .

وما يلاحظ سياق الدعاوى التي تتقدم على الرهبان ، ومنهم ، والحكم فيها ، وابراز القصاصات عليهم ، فليكن على مقتضى نص قانونهم ، وفرائضهم (قسم ٥ ، باب ١ و٢ وما يتلوهما) لا على خاطر رؤسائهم وهواهم . واذا ادّعى راهبٌ من الرهبان انه دخل الرهبنة غصباً ، او جبراً ، او خوفاً ، او زعم انه نذر قبل العمر المحدود ، وما اشبه ذلك ، فلا تسمع دعواه الا في بحر خمس سنين منذ نذره بموجب رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٢ ، عدد ١٨ و٢٠) ونص براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر السعيد الذكر المبرزة في ٤ آذار سنة ١٧٤٧ مبدؤة « اذا لم يكن جائزاً » التي نضعها في اخر هذا الكتاب عدد ١٧ .

ثالثاً مما يخص الراهبات فهؤلاء بعضهنّ تابع قانون الرهبان اللبنانيين ، وبعضهنّ تابع قانون رهبان مار اشعيا ، وبعضهنّ قانون راهبات دير مار يوحنا المعروف بدير حراش في كسروان ، وبعضهن قانون مار فرنسيس سالاسيوس . فالتابعات قانون الرهبان اللبنانيين ، والتابعات قانون رهبان مار اشعيا يلزمهنّ السلوك بموجبه تماماً حسبما هو محدد عليهنّ فيه (قسم ٢ ، باب ١٤) [٧٩] وبموجب ما يخصهن من رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٢ ، رأس ٣) وغيرهما منه . ولتكن عيشتهن مشتركة مع بعضهنّ دون تخصيص البتة في المائدة ، والكسوة ، والفرشة ، وباقي الامور الديرية . وكلما يدخل لهن من

تحت ايديهنّ ، او من غير جهة فليتسلم لرئيستهنّ الملتزمة ان تقدم لهنّ كلما يلزم لهنّ حسب رسم القانون .

ولا يأكلون لحماً الا لعلة مرض ، وباذن الرئيسة ، وشور الطبيب لان ذلك محرّم عليهنّ تحت الخطأ المميت . وليواظبن الصلوة الفرضية باللغة السريانية في كنيستهنّ باوقاتها المعيّنة من القانون، اذ لا نسمح لاحدٍ من الكهنة والرهبان ، والعالمانيين ايهم كانوا ، تحت سقوط الكهنة حالاً بالرباط ، وغيرهم بالمنع المحفوظين لاسقف الابرشية ، ان يقيموا الخوروس بكنيستهنّ . ومن ثمة اذا كان بعضهنّ غير متعلم القراءة السريانية ، فيلزمهنّ ان يتعلمنها، وان يتعلمن الكتابة مع الباقي منهنّ .

ولا يهملن الصلوة العقلية ، واستماع القداس يومياً ، وليمارسن الاعتراف النقي ، وتناول القربان الاقدس ، والرياضات ، والانفرادات الروحية في الاوقات المعيّنة في قانونهنّ .

وتدبيرهنّ بعد السيد البطريرك الكلي الطوبى ، واسقف الابرشية يختص برئيسهن العام بغير واسطة حسب رسم القانون (قسم ٢ باب ١٤) . ولا نسمح الرهبان تحت طائلة القصاص ان تسكن في اديرتهنّ ، ما عدا الوكيل المقام على ديرهنّ من الرئيس العام مع معلم اعتراف واحد او اثنين في محل معتزل عنهن بالقرب من الدير . وهذان يجب ان يكونا متقدمين في السن ، ومجملين بالتقوى ، وحسن السيرة والخبرة [٨٠] ويتغيران كل ثلاث سنين ، وليرسل لهنّ ايضاً مرشدون غير اعتياديين اربع مرات في السنة . واذا لزم لهن راهب آخر لقضاء بعض مصالح خارجة كملى الدولاب ، وفي الارزاق القريبة من ديرهنّ ، فنسمح به بحيث ان يكون متقدماً في السن ، وذا سيرة ممدوحة ، وتكون سكناه مع الوكيل ومعلم الاعتراف .

ولا تلبس المبتديات او الناذرات ثوابهنّ الا في كنيسة الدير في حضرة الرئيسة والراهبات على يد الرئيس العام بعد ان سبق ، واخذ رضى اسقف الابرشية بذلك ، او على يد الاسقف المذكور بعلم الرئيس العام حسب رسم القانون (قسم ٢ ، باب ١٤) .

وانتخاب رئيسة الراهبات وباقي الوظائفية ، فليكن بموجب رسم القانون

(قسم ٢ ، باب ١٤) . ولكن ختم الدير بيد الرئيسة الذي [لا] يسوغ له ان يباشر شيئاً يخص الدير الا باذنها .

ولتكن اديرتهن محوّنة كما ينبغي بحيث لا يقدر احدٌ من الرجال ان يدخل الى حصونها ، لان ادخال الرجال ، ودخولهم داخل حصون اديرتهن بخلاف رسم القانون موجب عليهن ، وعليهم ، السقوط في الحرم الكبير المحفوظ حله لاسقف المكان . وبالنتيجة ان مهما قلناه آنفا عن الرهبان العائشين تحت مجمع واحد نظراً الى اتقان السيرة الرهبانية نقوله هنا عن هؤلاء الراهبات التابعات قوانينهم ، وفرائضهم ، مع الالزامات التي عليهن بالحفظ الرهباني .

واما الراهبات التابعات قانون راهبات دير حراش المعين عدد اديرتهن في المجمع المقام اخيراً في دير لويزة سنة ١٨١٨ فهؤلاء [٨١] يلزمهن ان يسلكن بموجب القانون المذكور المرتب من الصالح الذكر المطران عبدالله قراعلي الحلبي، وان يحفظن ما هو مرسوم عليهن من مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٢ ورأس ٣) ومجمع لويزة المشار اليه بالعيشة المشتركة فيما بينهن بالمائدة ، والكسوة ، والفرشة ، وباقي الامور الديرية الواجب الاشتراك فيها دون تخصيص او تميز احداهن عن الاخرى .

وليمتنعن عن اكل اللحم المحرّم عليهن تحت ثقل الخطاء المميت الا لعلة مرض ، واذن اسقف الابرشية ، او الرئيسة ، وشور الطبيب . ولتسلم لرئيستهن كلما يدخل لهن من كدّ اياديهن ، او من جهة اخرى . ولتقدم لهن الرئيسة كل لوازمهن بحسب رسم القانون ، ولتعتني في سائر امورهن ، ولا سيما حال امراضهن مستدعية لهن طبيباً لمعالجتهن كلما اقتضى ذلك . ولتوزع عليهن الاشغال الديرية على قدر مكنة كل منهن ، واحتمالها ، ولتهد ، وتمنع كلما يكون معيقاً لسلوكهن في طريق السيرة الروحية ، والكمال الرهباني.

ولتصلِّ هؤلاء الراهبات في كنيستهن الصلوات الفرضية باللغة السريانية في اوقاتها المعينة ، الا القيام لصلوة نصف الليل فمعفيات منه ، ومن ثمة فليتعلّمن القراءة السريانية ، والكتابة ، ولا يهملن الصلوة العقلية ، واستماع القداس يومياً .

ولا تسمح لاحد من الكهنة ، والرهبان ، والعلمانيين ان يقيم الخوروس بكنيستهن تحت سقوط الكاهن حالاً بالرباط ، والآخرين بالمنع المحفوظين لاسقف المكان . ولتتقدم الراهبات الى الاعتراف التقي ، وتتناول القربان الاقدس ، وعمل الرياضات الروحية في الاوقات المفروضة من قانونهن وبموجب [٨٢] رسم المجمع اللبناني ، ومجمع لويزة المذكور ، فليقم اسقف الابرشية لكل دير من اديرة هؤلاء الراهبات في ابرشيته وكيلاً تدوم وكالته ثلاث سنين ليساعد الرئيسة ، والوكيلة في تدبير ارزاقه ؛ ويطلب منهم الاسقف الحساب في كل سنة ، ومن ثم يجب عليهم ان يرقموا مداخيل الدير ، ومصاريفه بكل ضبط ليعرضوها عليه ، وتحفظها الرئيسة عندها مع رزنامة الدير ، وحججه ، وكامل اوراقه .

وليكن ختم الدير مع الرئيسة لا مع الوكيل الذي لا يسوغ له ان يباشر امرًا يخص الدير الا بمشورتها ، وارادتها . ولا يمكنه ان يكون معلم الاعتراف ، بل ان الاسقف يعين لكل دير راهبات في ابرشيته كاهناً متقدماً في السن ، ومتصفاً بالعلم والسيرة الممدوحة لاستماع اعترافاتهن ، وتكون سكناه مع الوكيل في محل معتزل عنهن بالقرب من الدير . ولا نسمح ان يمكث في هذه الوظيفة اكثر من ثلاث سنين بل يبدله الاسقف بكاهن آخر مناسب كما انه يجب عليه ان يرسل لهن مرشدين غير اعتياديين اربع مرات في السنة كرسم المجمع اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٣) .

وممنوع تحت طائلة الحرم المحفوظ حله لاسقف المكان ترهب الرجال في اديرتهن . واما دراهم الدير فتوضع في صندوق تحت قفلين بمفتاحين مختلفين احدهما مع الرئيسة ، والآخر مع الوكيلة .

وكل ثلاث سنين فلتجتمع الراهبات مجمعاً لانتخاب الرئيسة ، وباقي الوظايفية اللواتي لا يمكثن في الوظائف اكثر من ثلاث سنين ، ولا ينتخبن اليا قبل مرور ثلاث [٨٣] اخرى من عزلهن الا عند الضرورة ، وبتحليل من السيد البطريرك الكلي الطوبى ، او اسقف الابرشية . واذا اهملن ذلك ، فليؤدبهن اسقف الابرشية ، ويلزمهن لعمل المجمع حالاً .

ولتكن اديرتهن محصنة كما يجب بحيث لا يمكن ان يدخل الرجال الى

حصونها لان ادخالهم ، ودخولهم الى داخل حصون اديرتهن خلافاً للقانون موجب عليهنّ ، وعليهم السقوط بالحرم الكبير المحفوظ حله لاسقفهن، والرهبان ممنوعون تحت السقوط في الحرم المحفوظ حله لاسقف المكان من السكنى في اديرتهنّ حسب رسم مجمعنا اللبناني ، وامر البابا بيوس السابع السعيد الذكر في براءته المعطاة في ١٤ نيسان سنة ١٨١٩ في اثبات مجمع لويزه الاخير ، الا الوكيل ، ومعلم الاعتراف اذا رأى اسقف المكان ان يكونا من الرهبان حيث تكون بهما الاهلية لذلك ، ولا يمكثان اكثر من ثلاث سنين عندهنّ كما مرّ .

وليعلم الجميع بان من يلزم النساء ، والبنات بالترهب جبرًا عن ارادتهنّ ، او يسعى ، او يشور ، او يطابق بذلك يسقط في الحرم الكبير المحفوظ حله لاسقف المكان . ومن حيث ان اديرة الراهبات جميعها خاضعة لاسقف المكان مع حفظ سلطان السيد البطريرك الكلي الطوبى ، الذي يحق له بموجب رسوم القوانين ، لا سيما في التعويض عن تواني الاساقفة ، فيلزم اسقف المكان ان يزورهنّ مرةً في السنة بذاته ، او على يد نائبه ، او خوري البردوط لاجل الفحص عن حفظ القانون الرهباني ، واصلاح ما يجب اصلاحه . وإن دعت الحاجة فيزورهنّ اكثر من مرة في السنة ، ويستيقظ ساهرًا على سالكهنّ [٨٤] متمماً نحوهنّ واجبات وظيفته على مقتضى رسم المجمع اللبناني ، ومجمع لويزة الاخير ، ثم مجمعنا هذا .

ومن ثمّة فحالما ينتهي مجمعنا هذا فيلزم اسقف كل ابرشية ان يزور اديرة الراهبات التي في ابرشيته بذاته ، ام بواسطة وكيل كاهن من قبله ، لاجل الفحص عن احوالهنّ ، لا سيما عن التحصين الديري . واذا وُجد شيئاً مخالفاً للرسوم ، فليرتبه على موجب قوانينهنّ .

واما الاديرة المبيّنة في مجمع لويزه الاخير المشار اليه للعابدات ، فقد صارت المفاوضة في مجمعنا هذا في كيفية ترتيبها ، فاجمع الرأي على ان تكون الراهبات القاطنات فيها تبعات قانون راهبات دير حراش كباقي الراهبات اللواتي اتّبعن هذا القانون ، لان ذلك اكثر ملائمة في بلادنا هذه لسلوكهنّ في السيرة الروحية ، وضبط ذواتهنّ عن الارتباك في امور العالم ، ما عدا

دير مار انطونيوس الكتيبي ، فهذا قد حكم مجمعنا بان يكون تابعاً للمدرسة الجديدة المقامة من مطران قبرس حذاء كرسيه المعروف بدير مار شليطا بقرنة شهوان ، لانه لا يصلح ان يكون ديراً للراهبات لصغره ، وقلة مداخيله التي لا امل بزيادتها .

واما الراهبات السالبسانيات القاطنات دير الزيارة الذي في قرية عينطورا بكسروان ، وفي دير البشارة الذي لطائفتنا في زوق مكايل من حيث انهنّ من ذات تأسيسهنّ خاضعات لسلطان السيد البطريرك الكلي الطوبى بغير واسطة ، فللسيد البطريرك ان يدبرهنّ بذاته ، ويعين لهن آباء روحيين ، ومعلمي اعتراف اعتياديين ، وغير اعتياديين ، من كهنة طائفتنا بموجب رسوم قانونهنّ ، وفرائضهنّ ملزماً [٨٥] اياهنّ ان يحفظن طقسنا الماروني في كل اجزائه .

واخيراً يرسم مجمعنا هذا على جميع الراهبات من اي رسم ، وقانون ، كنّ بالّا يقبلن في اديرتهنّ البنات ، او الارامل ، او باقي النساء من اي مقام كنّ ليتربين في اديرتهنّ ، او يعشن معهنّ مدة قليلة ، او مستطيلة ، الا باذن السيد البطريرك ، او اسقف الابرشية ، وعلى موجب نص المجمع اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٣ ، عدد ٨) .

الجلسة السادسة

وهي الاخيرة . وقد تمت في اليوم الثالث عشر من نيسان بعد الظهر

وقد صارت المفاوضة في هذه الجلسة الاخيرة في ترتيب اخويات العالميين ، والخوروس ، والمدارس والاسكولات .

فنظراً الى اخويات العالميين قد حكم مجمعنا هذا تبعاً لرسم مجمعنا اللبناني (قسم ٤ ، رأس ٤) بالّا تقام اخويات في كنائس طائفتنا ، واديرتها من احد كائناً من كان بغير اذن السيد البطريرك ، او اسقف الابرشية . والمقامة بخلاف ذلك فناشئها يستوجب اشدّ التأديب ممن له السلطان عليه ، ولا يكون مفعول لاعمالها ، وانعاماتها ، وغفراناتها . وليكن ترتيب هذه الاخويات تاماً بموجب

رسم مجمعنا اللبناني في المحل المذكور. والرسوم والفرائض [٨٦] المثبتة لكل منها مثبوتة من السيد البطريرك ، او اسقف الابرشية .

وليعتنِ السيد البطريرك والاساقفة في أن تنتشر في الرعايا باوفر امتداد اخوية الحبل بلا دنس بسيدتنا مريم العذراء والدة الله الكلي طهرها ، المندرجة في طائفتنا من زمان مديد ، لان منها فوائد كبرى للخير الروحي ، ونمو العبادة في بيعة الله المقدسة كما قد صار محققاً بالعمل من جهات كثيرة . وبناء عليه فقداسة سيدنا البابا بيوس التاسع المالك سعيداً قد منح في ١٩ ايار سنة ١٨٥٤ لابناء طائفتنا المشتركين في هذه الاخوية ، والذين يشتركون معهم فيها من باقي الطوائف الكاثوليكية ، تلك الانعامات ، والغفرانات المعتاد الكرسي الرسولي المقدس ان يمنحها لها . هذا ما اقتضت ملاحظته في ترتيب الاخويات . .

واما نظراً الى ترتيب الخوروس ، فنذكر الجميع بما رسمه مجمعنا اللبناني في اماكن عديدة ، ولا سيما في (عدد ٨ و٩ من قسم ٤ ، رأس ٤) مأمورين بالّا يهمل احد من الكهنة العالميين ، والقانونيين شيئاً من رسومات الرتب المقدسة سواء كان بتلاوة القداس ام الفروض الالهية ، بل فليتمسك كل منهم بما يكون مفروضاً من رتبة الكنيسة البطريركية ان كان فيما يلاحظ عدد الخدام ، والحاضرين ، ام بما يلاحظ صورة الملابس المقدسة وعددها .

اما نظراً الى المدارس والاسكولات ، فمما يلاحظ اقامتها في كرسي الاساقفة ، وفي الرهبنات الثلاث ، وفي المدن ، والقرى قد سبق الكلام في الجلسة الرابعة والخامسة . وهنا نجدد ذكر ذلك راجين بالّا تهمل الاساقفة هذا الامر المهم بل يصرفون كل جدهم فيه ، وان تهتم روساء [٨٧] عـام الرهبنات ، ورؤساء الاديرة القائمة بذاتها بان يعيّنوا محلًا حذاء كل دير من اديرتهم الجامعة لاجل تعليم اولاد القرى القريبة منها القرآءة ، والكتابة سريانية ، وعربياً ، وقواعد ديانتنا المقدسة ، وتهذيبهم بخوف الله تعالى ، والتقوى ، وان امكن تعليمهم الغراماطيق السرياني ، والنحو ، والصرف العربي ، والحساب ، وليعيّنوا لذلك كهنة من رهبانهم متصفين بالعلم ، والتقوى كحسب رسم مجمعنا اللبناني (قسم ٥ ، رأس ٥) .

وعاً يلاحظ المدارس المشاعة المختص تدبيرها بالسيد البطريرك الكلي الطوبى بغير واسطة المقامة في كسروان ، وهي مدرسة عين ورقة[1] ، ومدرسة مار عبدا[2] ، ومدرسة مار مارون المعروفة بالرومية[3] ، ومدرسة مار سركيس ريفون[4] ، فينبغي من السيد البطريرك ان يعتني في ترتيبها ، وتثقيف تلاميذها بالعلوم اللازمة ، وتهذيبهم بالتقوى ، وخوف الله بموجب القوانين المرسومة لها ليضحوا فعلة ناجحين لفلاحة كرم الرب الصباوت ، ويسهر على حفظ مداخيلها لتصرف على لوازمها ، ولوازم التلاميذ ، لا على خلاف ذلك مما لا يجوز ، ويأخذ حساباً مدققاً عن ذلك كل سنة من وكلائها .

ويقيم في كل مدرسة منها وكيلاً لاجل معاطاة الامور الخارجة ، ومدبراً لاجل الامور الداخلة فيها ، وتدبير التلاميذ بكل احوالهم ممن تكون بهم اللياقة ، والكفاية بالعلم ، والعمل من الكهنة لهاتين الوظيفتين على مقتضى حجة تأسيسها . ثم ينتخب من الاكليروس كاهناً متصفاً بمعرفة اللغات ، والعلوم العالية ، ومجتلاً بحسن السيرة والديانة ، ويقلده الملاحظة بمنزلة ناظر العلوم على هذه المدارس الاربع ، ويجعل اقامته في كل منها مدة يرتب التلاميذ في نوع درسهم وكيفيته ، وقضية تهذيبهم [٨٨] بالفضائل ، وسلوكهم بما يوصلهم الى الغاية المقدسة التي لاجلها دخلوا المدرسة . وحيناً فحيناً يعطيه حساباً مدققاً عن احوالهم ، واحوال المتوظفين في هذه المدارس من وكلاء ، ومدبرين ، ومعلمين ، ورعاة . ولا يهمل السيد البطريرك زيارة هذه المدارس مرة في السنة بذاته ، او بواسطة نائبه ، لاجل فحص التلاميذ عن علومهم ، وسلوكهم ، وعن باقي ما يقتضي الفحص عنه فيها ، ويكون مطلعاً دائماً على ما هو جار فيها ، ويصلح ما

---

١) دير قديم للرهبان والراهبات حوله البطريرك يوسف اسطفان مدرسة سنة ١٧٨٩ .

٢) دير قديم للرهبان والراهبات في محلة هرهريا جعله البطريرك يوسف حبيش مدرسة سنة ١٨٣٢ .

٣) دير قديم ايضاً للرهبان والراهبات في قرية الغليات اقامه مجمع اللويزة الثاني مدرسة سنة ١٨١٨ .

٤) وهذا كان ديراً للرهبان والراهبات كذلك حوله البطريرك يوسف حبيش الى مدرسة سنة ١٨٣٠ .

يجب اصلاحه بالروحيات والجسديات ، ماتعاً كل ما من شأنه ان يعطّل . على غاية تأسيسها . وان وجد سبباً موجباً لذلك من جهة احد المتوظفين فيها ، فليؤدبه حتى بالعزل ايضاً ، دون مراعاة بشرية ، او ادّعاء بحق من الحقوق ، ويضع غيره من الانسب .

والعلوم المقتضى ان تدرسها التلاميذ في هذه المدارس الاربع هي النحو السرياني ، والعربي ، واللحن ، والحساب الكنائسي ، والفصاحة ، والاشعار ، وعلم الآداب ، والمنطق ، والفلسفة ، والهندسة ، والطبيعيات ، والفلك ، واللاهوت النظري ، والعملي ، والمجادلات الدينية ، وشروح الكتب المقدسة ، والحق القانوني ، والتاريخ الكنائسي ، والوعظ والانذار بكلمة الله تعالى ، والرتب ، والاحتفالات الكنائسية ، ولكن حيثما لا يمكن ادراج كل هذه العلوم ، فللسيد البطريرك النظر بما يمكن من ادراجها بملاحظة ظرفي الزمان ، والمكان ، والاشخاص في كل من هذه المدارس .

ومن ثمة فمطلوب من السيد البطريرك ان ينتخب اناساً متمهرين في العلوم المذكورة ، وموسومين في التقوى وحسن الديانة ، والخبرة في التهذيب ، ويعيّنهم لتعليم تلاميذ هذه المدارس تحت ادارة ناظر العلوم [٨٩] المشار اليه ، وتدريبه اياهم بذلك . وليحذر كلّ منهم من ان يدرّس تلاميذه في كتب الغير المؤمنين ، والاراتقة ، والمشاقين ما لم يكن احسن مقابلتها السيد البطريرك الكلي الطوبى ، او نائبه ، او الاسقف ، او نائبه ، وتنفث من كل بدعة او ارتقة ، او انشقاق ، او غلط ، او سفاهة .

ومن حيث ان اللغة العربية الدارجة في بلادنا السريانية ، لا توجد فيها بالكفاءة تلك الكتب اللازمة ، والمفيدة لدرس العلوم العالمية ، لا سيما على موجب النظام المستجد ، فقد اجمع رأي مجمعنا هذا على انه من الآن فصاعداً تلاميذ مدرسة عين ورقة ، ومدرسة مار عبدا بعد ان تدرس السرياني ، والعربي جيداً ، يتعلّمون اللغتين اللاتينية ، والايطاليانية كما ينبغي بقواعدهما ، وان امكن فاللغة الفرنساوية ايضاً . ويدرسون العلوم العالية المشار اليها في اللغة اللاتينية عند المعلمين الخبيرين بذلك ، الذين ينتخبهم السيد البطريرك كما ذكرنا لهذه الغاية .

ونرسم ان يجري هذا الترتيب عينه في المدارس الكبيرة التي آمرنا آنفاً ان تُقام في الرهبانات الثلاث لاجل تعليم الرهبان العلوم العالية ، وهكذا يصير هؤلاء التلاميذ بالاستعداد الواجب لتأليف الكتب المفيدة باللغة العربية ، واستخراج ما يلزم استخراجه اليها من الكتب المؤلفة في اللغات الاوروباوية المفتقرة اليها ديارنا هذه السريانية . ولئلا يقنط التلاميذ ، ويفشلوا بعد اتمامهم درس العلوم، وخروجهم من المدارس ، ويعيشوا بالكسل والتواني متروكين ومهمولين من المساعدة ، ويتناسوا ما يكونوا اكتسبوه في المدارس من العلوم والفضائل ، ويذهب سدى التعب عليهم فجمعنا هذا يثقّل ذمة السيد البطريرك الكلي [٩٠] الطوبى ، والاساقفة الرعايا ليهتموا بامرهم ، سواء كانوا من التلاميذ الدارسين في رومية ام في مدارس لبنان ، ويجعلوا منهم من يقوم بتعليم الاولاد في المدن ، والقرى ، والمدارس ، ومن يقوم بالرسالة ، وعمل الرياضات الروحية ، ومن يقوم بالوعظ ، والارشاد ، واستماع الاعترافات ، ومن يقوم بافادات اخرى روحية حسب كفاءة كل منهم ، ومكنته ، لا سيما في تلك الاماكن المفتقرة بالاكثر الى الافادات الروحية ، وينشطوهم بالاقوال والافعال ، مجازين كلا منهم حسبما تستوجب اتعابه ، وتستحق اعماله المصرفة في فلاحة كرم الرب ، وخير الطائفة ، وبذلك يفيدون ، ويستفيدون ، وتكون تمت الغاية المقصودة في تأسيس المدارس ، التي هي مجد الله تعالى ، وافادة القريب بامر الخلاص الابدي ، ويكون الرؤساء اكملوا عمل ما هو مفروض على ذمتهم نحو الانفس المقلدة لاهتمامهم .

ولتكن الملاحظة لملبوس التلاميذ في المدارس بان يكون متساوياً بشكل واحد ، ومحتشم ، ويتشدد عليهم السيد البطريرك الكلي الطوبى في هذا الامر .

ومن كون المدرسة التي انشأها في مدينة رومية العظمى لطائفتنا البابا غريغوريوس الثالث عشر صاحب الذكر الصالح سنة ١٥٨٠ قد ظهر منها علماء كثيرون افادوا طائفتنا بما لا يقدر ، وقد اتصلت افاداتهم الى الباقي شرقاً وغرباً كما هو المشهور ، وقد بيعت هذه المدرسة من رجال المشيخة الفرنساوية عند هجومهم على رومية في اواخر الجيل الماضي ، فلا يهمل السيد البطريرك الكلي الطوبى ، والمطارنة ، والاساقفة [٩١] تقديم التوسلات في الفرص

الملائمة لقداسة سيدنا الحبر الروماني الاعظم لكي يترأف على ملتنا ، ومن فيض خير كرسيه الرسولي المقدس ، وانعامه ينشئ لها مدرسة عوضها في مدينته الشريفة ، لاجل تعليم اولادها كسابق الازمنة ، منتخبين من انسب التلاميذ المتربين في مدارس لبنان .

ثم انه لجهة الدير الموجود في رومية المختص برهبنة طائفتنا الحلبية اللبنانية، والمعروف الان بدير مار انطونيوس حذاء مار بطرس في السلاسل ، فهذا من كونه معيناً ايضاً لتعليم البعض من هذه الرهبنة العلوم اللازمة لافادتها ، وافادة الطائفة بموجب قوانينه المندرجة في براءة البابا اكليمنضوس ١٢ السعيد الذكر المبرزة في ١١ تموز سنة ١٧٣٢ التي نضمها في آخر هذا الكتاب عدد ١٨ ، فجمعنا هذا يأمر رئيس عام الرهبنة المذكورة بان ينتخب من الآن فصاعداً بعضاً من رهبانه ذوي القابلية للعلم ، والذين يكونون اتقنوا في هذه النواحي درس اللغتين السريانية والعربية بقواعدهما كما ينبغي ، ويرسلهم الى الدير المذكور بمرافقة السيد البطريرك الكلي الطوبى ورضاه ، ليدرسوا فيه العلوم اللازمة باللغة اللاتينية ، ويرجعوا بعد ذلك الى ديارنا هذه السريانية ليفيدوا رهبتهم، والطائفة، اتماماً لغاية تأسيسه المقدسة ، ثم يرسل اليه خلافهم .

ثم انه في هذه الجلسة الاخيرة قد صار الاتفاق على وضع بعض رسوم موافقة لايضاح بعض ما تقدم شرحه في الجلسات الست المؤلف منها مجمعنا هذا وهي: [٩٢]

اولاً : اننا قد ابطلنا جميع الملامات ، والتأديبات الكنائسية ، التي وضعها سلفاؤنا البطاركة ، والمطارنة ، والاساقفة ، او نحن الحاضرون من اي نوع كانت ، ولاي سبب كان فرضت بعد التئام المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ الى انعقاد مجمعنا هذا ، كما اننا قد رفعنا الحفظ عن كل حادث محفوظ حله من سلفائنا المذكورين او منا ، الّا ما هو محفوظ الحل منه في المجمع اللبناني المذكور، ومجمعنا هذا فاننا نروم ان يبقى ثابتاً على كيانه خطأ، كان ام حرماً ام اي تأديب كنائسي كان مع ابقاء السلطان لكل منا ، ولمن يتخلفنا في الدرجة ، والوظيفة ، على ابراز الملامات ، والتأديبات الكنائسية ، وعلى حفظ الحل من تلك الحوادث التي يرى حفظ الحل منها لازماً بمراعاة ظرفي الزمان والمكان ، حسبما نوهنا في العدد الثالث من الجلسة الثانية في سر التوبة .

ثانياً : اننا في مجمعنا هذا ما قصدنا ولا نقصد ان ننقص ، او نلاشي شيئاً مما يحق لسلطان كل واحد منا ، وولايته . ولا نعني انه صار الاكتفاء بما ترتب في هذا المجمع نفسه دون الافتقار الى ترتيب خلافه فيما يأتي بالنسبة الى ما يلزم من الترتيب ، مما تكون اهملنا ذكره

فيه من باب عدم اللزوم بالحاضر ، بل نقول اننا كل مرة نرى لزوماً للترتيب المفيد لنمو طائفتنا ، ونجاحها بالامور الروحية والزمنية نتخذ الاهتمام على ذواتنا في مباشرته سواء كان [٩٣] في المجمع البلدي الواجب عمله كل ثلث سنين من السيد البطريرك الكلي الطوبى ، او في مجمع الابرشية الواجب عمله كل سنة في الابرشية من اسقفها ، او في الزيارة السنوية الرعائية .

ثالثاً : ان رسوم مجمعنا هذا لا تربط ، ولا تحصر سلطان السيد البطريرك الكلي قدسه ، او سلطان المجمع البلدي بنوع انهما لا يقدران ان يحللا بها ، او يزيدا ، او ينقصا ، او يبدلا شيئاً منها وقت الحاجة ، والضرورة ، والمناسبة بالرب بموجب سلطانهما الكنائسي بل يبقى ذلك بامكانهما كما ذكرنا .

رابعاً : نأمر جميع اكليروس طائفتنا القانوني والعالمي ، لا سيما المتقلدين خدامة الانفس ، بان يقتنوا كتاب هذا المجمع بالحواشي الثاني عشر الملفقة عليه جملةً مع كتاب المجمع اللبناني المشار اليه ، للعمل بموجبها فيما يلاحظ درجة كل منهم ووظيفته .

فهذا ما رتبناه ، ونظمناه لمجد الله تعالى ، وخير طائفتنا في مجمعنا هذا بست جلسات متتابعة ، بدؤها في اليوم الحادي عشر من نيسان سنة ١٨٥٦ ، ونهايتها في اليوم الثالث عشر منه ، في دير سيدة بكركي التابع الكرسي البطريركي في ساحل كسروان . وقد قبلنا ، وارتضينا به نحن المدونة اسماؤنا ، والموضوعة اختامنا بذيله ، ونحن بحوله تعالى ، وبكلية عزمنا قاصدون ان نمشي على موجبه ، ونشيه في كل طائفتنا غير مهملين حفظ شيء مما يجب حفظه في المجمع اللبناني الممدوح مرات كثيرة ، وذلك [٩٤] باسناد قوة يمين قداسة سيدنا البابا بيوس التاسع الحبر الروماني المالك سعيداً ، الذي نخضع كتاب مجمعنا هذا بحواشيه المذكورة لسدته الرسولية المقدسة ، ونتوسل الى إنعطافه الابوي لكي يتنازل الى اثباته ، وتأييده بسلطانه الرئاسي العام بعد ان يأمر بفحصه ، وتهذيبه ، واصلاحه في ما يحتاج الى التهذيب والاصلاح لانه خليفة القديس بطرس هامة الرسل ، ونائب الهنا وفادينا يسوع المسيح ، الذي ينبغي له ، ولابيه ، ولروحه القدس المجد والاكرام الآن وكل اوان ، والى ابد الآبدين آمين .

[٩٥] الحقير بولس بطرس البطريرك [على] انطاكية ، وسائر المشرق

بولس برونوني مطران طارون ، وقاصد رسولي في المجمع

الحقير بولس موسى مطران طرابلوس

الحقير عبدالله البستاني مطران صور وصيدا وبالنيابة عنه الخوري بطرس البستاني

الحقير انطونيوس الخازن مطران بعلبك وبالنيابة عنه الخوري طوبيا الخازن

الحقير يوسف جعجع مطران قبرس

الحقير نيقولاوس مراد مطران اللاذقية

الحقير طوبيا عون مطران بيروت

الحقير فيليبوس حبيش مطران حماه

الحقير يوسف رزق مطران قورش

الحقير يوسف مطر مطران حلب

الحقير اسطفان الخازن مطران دمشق

امضاء رؤساء عام الرهبنات

الحقير بطرس عزيري اب عام رهبان مار اشعيا الانطونياني

الحقير اجناديوس زرقي اب عام حلبي لبناني

الحقير عمنوئيل متى اب عام لبناني

امضاء الوظائفين في المجمع

الخوري جاورس مسعد ديديات المجمع ، والخوري يوسف المريض كاتم اسرار المجمع ، والخوري بطرس المكرزل كاتم اسرار المجمع ، والخوري جرجس فرج القارىء بالمجمع ، والخوري يوسف حبيش معلم الرتب بالمجمع ، والخوري نعمة الله الدحداح ملقسان اللاهوت لاهوتي في المجمع ، والخوري يوسف السمعاني نائب اسقف طرابلس الشام واللاهوتي في المجمع ، وراجي عواد حارس الباب في المجمع ، ويوحنا مابيا من ساحل علما حارس الباب في المجمع ، والخوري يوسف فريفر مسجل المجمع .

[٩٦] خبرية هذا المجمع

بسم الاب ، والابن ، والروح القدس الاله الواحد امين .

فليكن على وثيقة كل متطلع على حجتنا هذه . انه في اليوم الحادي عشر من شهر نيسان سنة تاريخه ادناه قد التئم مجمع بلدي في دير السيدة المعروف بدير بكركي من معاملة كسروان ، وحضر فيه السيد البطريرك بولس بطرس الانطاكي الكلي الغبطة ، والسيد بولس برونوني مطران طارون والقاصد الرسولي الكلي الشرف والاحترام ، والسادة مطارين طائفتنا المارونية واساقفتها الكلي شرفهم واحترامهم . وبعد انهم باجتماعات سرية رتبوا رسوماً عديدة ضموها الى كتاب واحد مرفق بحواشي ثماني عشرة نعموا مما يجب اقامه كمألوف العادة . ثم اجتمعوا في كنيسة الدير المذكور اجتماعاً حافلاً ، وبعد عمل العظة المعتادة من احد المحتسبين ، وانتخاب الوظائفية للمجمع ، وتوجيه خطاب من السيد البطريرك نحو الحاضرين ، لاجل افتتاح المجمع ، فشرع القارىء يتلو هذه الرسوم باسرها مع الحواشي المضافة اليها حتى في الكنيسة على الحاضرين المشار اليهم ، الذين من جملتهم كان رؤساء عام رهبنات طائفتنا الثلاث ، وذلك في ست جلسات على ثلاثة ايام متتابعة ، كان يتم فيها كل يوم جلستان : احداهما قبل الظهر ، والاخرى بعد الظهر ، والجميع قبلوا هذه [٩٧] الرسوم مع الحواشي المضافة اليها قبولاً تاماً مرتضين بكلية خاطرهم ، وضعوا عليها امضاآتهم ، وختومهم . ومن كوني المعين بالسلطان البطريركي في هذا المجمع فقد أمرني السيد البطريرك ، والسيد القاصد المومى اليه بان اسجّل هذا الكتاب ، فسجلته بخطي ، وميرته بختمي بحضرة الجميع ، وقبل انصرافهم منه .

الخوري يوسف فريفر المسجل
بالسلطان البطريركي

حرر في دير بكركي في اليوم الثالث عشر من نيسان سنة ١٨٥٦ [١]

(١) الى هنا ينتهي ما نشره بالايطالية من هذا المجمع ده كارك في كتابه تاريخ المجامع ، المجلد ١١ ، ٢ ، باريس سنة ١٩٥٢ من ص ١٠٩٣ الى ١١٢٩ . وهاك عنوان الكتاب بالفرنسية :
Histoire des Conciles d'après les documents originaux, Tome XI, 2. Conciles des Orientaux catholiques, Charles de Clerq, Paris 1952.
والصفحة ٩٨ من مخطوطتنا بيضاء ، فانتبه الى ذلك .

عندما الارض تهتز...

بقلم الاب ب. كوچوي اليسوعي

بين الحوادث الطبيعية التي جذبت انتباه الانسان وحملته على بحث عن اسبابها من أوليات هذه الحوادث هزّات الارض هذه الارض التي كان يسميها القارّة اي الارض الثابتة ليست قط ثابتة بل لها من حين الى حين طفرات تملأه رعبة وهميّة. لا بد ان بين الاسرار التي التزم الانسان حلّها هذا الحادث المزعج هو الاول لكنه لم يجد له حلّاً مرضياً وجزئياً فقط الّا منذ زمن قليل ، لان العلم الذي يدرس هذه الهزّات لا يتجاوز تاريخه الخمسين سنة . لذلك فكّرنا بان عدداً من قراء هذه المجلة الراغبين في معرفة الامور يُسرّون اذ يجدون هنا بياناً ولو مُجملًا عن النتائج التي توصّل اليها هذا العلم .

مدة اجيال عديدة لم يهتم الباحثون عن هذه الهزات الّا بمقابلتها بعضها ببعض ومقابلة مفاعيلها المرئية والمحسوسة على وجه الارض وعلى ابنيتها . اول عالم بحث في هذه الهزات وهو من ميلن لم يبتدئ الّا سنة ١٨٩٢ . لكن منذ هذا التاريخ اخذ هذا العلم يتقدم سريعاً باتقان الآلات كما بكثرة المراصد المختصة به . نلاحظ دون تلبث بانه بهذا التقدم لم يبأ الشرق الادنى والشرق الاوسط الّا قليلًا . أُسس مرصدان الاول في حلوان (مصر) والثاني في كساره (لبنان) سنة ١٩٠٧ ثم ثالث في إستنبول لا غير . بنوع ان اقرب مرصد في شرقي كسارة يبعد عنها بـ٣٠٠٠ كيلومتر تقريباً (في الهند) . نذكر ايضاً بان لاسرائيل منذ زمن قليل مرصدين واحد في القدس والآخر في حيفا وقد عزمت على بناء مرصد ثالث في النقب . وهكذا على وجه الارض يناهز عدد المراصد الثلاثمئة بحيث ان كل هزات الارض حتى القليلة الاهمية منها تُدوّن وتُسجّل .

اول مسئلة يلقيها علينا زوار المرصد هي هذه: وما المنفعة من المرصد ? أفيل يمكن ادراك الحادث قبل وقوعه ? جوابنا هو كلا. ليس بمقدرة العلم الحالي ادراك

الحادث قبل وقوعه الّا انه اعتمادا على المعلومات التاريخية يمكن معرفة احتمال وقوع هزة في المحل الفلاني او الفلاني وهذا الاحتمال قد يكون ضئيلًا او وثيقاً. كما تُرسم خرائط هيئة الارض ومُركباتها كذلك يمكن رسم خرائط دقيقة للهزات الارضية تدل على درجة تعرّض البلاد لهـا واعطاء متوسطها السنوي للبلد الفلاني او الفلاني وتعيين شدّة الاهتزاز الممكنة ومهندسو البلاد الاكثر تعرّضاً لهذه الهزات يستشيرون هذه الخُرائط ليعملوا توجيها في إحكام تصاميم البناء. ولكي يتجنبوا على قدر الامكان الاخطار على الحياة البشرية . التقرّب المباشر الى مقدرة ادراك الحوادث قبل وقوعها يكون ممكناً يوم نحصل على الوسائل الضرورية لقياس تجمّع القوى المتوترة الموجودة تحت وجه الارض في عمق عشرة كيلومترات الى مئة . حلّ هذه المشكلة الحيوية يقوم العلماء في كل البلاد ببحوث جدّية .

علاوة على ذلك بين كل العلوم علم هزات الارض وحده يقدر ان يدلّنا حسب الامكان على تركيب باطن الكرة الارضية . مثلما الأشعة X لجسم الانسان كذلك تفعل تموّجات الهزات الارضية التي تنفذ الى وسط الارض فانها تمكّن الآن ولو بنوع مرتبك من معرفة صلابة المادة الباطنية وقابليتها للحصر وكثافتها ومعرفة الانقطاعات الموجودة بين مختلف طبقاتها العميقة . وهي ايضاً وسيلة جيدة جدًا لفحص ما تحتويه اعماق الارض فان اعمق ما يتصل اليه الثقب هو خمسة او ستة كيلومترات . فباصدار هزات ارضية ضئيلة بواسطة حشوات قوية من الديناميت ووضع آلات سيسموغرافية مسجلة على مسافة منها يمكن تخمين سماكة مختلف الطبقات الارضية الى عمق اربعين او خمسين كيلومتراً .

باطن الارض

رأي الناس العمومي بخصوص الارض هو انها كرة نارية تغطيها قشرة رقيقة جامدة — القشرة الارضية — فيها تكون البراكين كمنافذ منها تتدفق المادة الذائبة التي منها يتركب باطن الارض . لكن الحقيقة كما يطلعنا عليها علم الهزات الارضية ليست بسيطة الى هذا الحد .

نجـد اولًا على وجه الارض طبقة مختلفة الجنس تتراوح سماكتها حسب

الاماكن بين لا شيء الى اربعة او خمسة كيلومترات: هذه هي الطبقة الرسوبية بحجارتها الكلسية والرملية والحزوية والصفائحية وغيرها في هذه الطبقة يفضل التنقيبَ الباحثُ في علم الارض . تتبع هذه الطبقة ما نقدر ان نسميه بحق « قشرة الارض » وهي تتركب من الصوان ومتوسط سماكتها من ثمانية الى عشرة كيلومترات . تعقبها طبقة من الحجر البركاني تتراوح سماكته بين خمسة وعشرين وثلاثين كيلومترًا . بفعل « الاتزان المتعادل » هذه القشرة هي اكثر سماكة تحت الارض اليابسة واقل تحت البحور المحيطة . وامر غريب : تحت المحيط الباسيفيكي لا اثر للطبقة الصوانية : اما البراكين فهي حادث يقع في القشرة الارضية ومصدرها الطبقة البركانية بين عشرين واربعين كيلومترًا من العمق في حفرات مادّة ذائبة. قصر مقالتنا لا يسمح لنا بعرض القياسات الفرضية لاسباب هذا الذوبان .

الغلاف التابع للكرة الارضية هي ما سموه « الرداء الصخري» ويتركب من سيليكات الحديد والمغنيزيا . رغمًا عن الحرارة التي هو فيها (٢٠٠٠ درجة) هو جامد او بالاحرى عجينيّ يشبه قليلًا لكّ الختم الذي ينكسر عند ضغط شديد سريع لكنه يسيل عند ضغط ضعيف طويل وهذا يبيّن لنا امكانية الهزات العميقة وتيارات التحدّب التي تجتازه بسرعة تساوي من سنتيمتر واحد الى عشرة في السنة . وسماكته هي ٢٩٠٠ كيلومتر اي اكثر قليلًا من ثلث شعاع قطر دائرة الارض .

عند هذا الحد نُفاجأ بسقوط الكثافة اذ تمرّ من ٥٫٥ الى ٩٫٥ . نحن هنا على حدود النواة الخارجية . التيارات S لا تنتشر فيها : فهي اذن سائلة ، لكن من المحتمل ان يكون تركيبها الكيميّ من عين نوع تركيب « الرداء الصخري » لكن في حالة مختلفة . لا يخفى انه تحت تأثير ضغط شديد يلتقي آنٌ فيه ترتخي فجأة قوات الالتحام الذرّية. فهكذا مثلًا الهيدروجين تحت ضغط ٧٠٠٫٠٠٠ ثقل هوائي يمر فجأة من الكثافة ٠٫١ الى ٠٫٨ وهذا ما يحدث ايضًا عند هذه الحدود بين « الرداء الصخري » والنواة الخارجية . سماكة هذه النواة هي ٢٠٨٠ كيلومترًا. وال ١٣٩٠ كيلومترًا الاخيرة من « الشعاع » الارضي هي النواة الباطنية وهي تتركب بمعظمها من الحديد والنيكل . هل هي جامدة او

سائلة او غازية: كل ما نعرفه هو انها تنقل تيارات اهتزازية كما يفعل ذلك جرم له صلابة الفولاذ ومرانته : كثافته تمرّ من ١٢ على الوجه الى ١٧ في الوسط.

التيارات الاهتزازية

لما يحدث زحول اجرام عظيمة من الصخور تماكسه الارض مماكسة جامد مرن وتيارات اهتزازية تجتاز باطن الارض ووجهها . علينا اذن ان نتفحص عن التيارات الباطنية وتيارات الوجه .

التيارات الباطنية نوعان : التيارات المستطيلة وهي شبيهة بالتيارات الرنانة تنتشر في كل موضع : الجامد والسائل والغازي . ثم التيارات المعترضة وهي تشبه التموجات التي يعطيها حبل ممدود عندما نضرب عليه ، وهذه التيارات لا تنتشر الّا في الاجرام الجامدة . النوعان من هذه التيارات يتبعان السير عينه ، لكنّ سرعة المعترضة هي اقلّ من سرعة المستطيلة ، لذلك يسمون التي تصل الاولى التيارات « P » (الاولى Première) والاخرى « S » (الثانية seconde). سرعتها تتبع كثافة المواضع التي تجتازها وصلابتها ومرانتها وقابليتها للضغط . وهكذا سرعة P تتغير بين ٨،٣ كيلومترات في الثانية على وجه الارض و ١٣،٦ في باطنها . وسرعة « S » تتغير بين ٤،٦ و ٧،٣ . والسير ليس على خط مستقيم لكن على شكل قوس قمته تتجه الى وسط الارض .

هذه التيارات عندما تلاقي اما وجه الارض واما عدم اتصال او حدوداً في باطن الارض كما على وجه النواة مثلًا تقع تحت تأثير انعكاسات وانحرافات وانعطافات كما يحدث لأشعة النور بنوع انه على قدر ما يكون الابتعاد عن مركز الاهتزاز بقدر ذلك يكثر ما يأتي من تيارات مختلفة او اطوار . وقد مُيّز نحو ثلاثين من هذه الاطوار وأثبت سيرها وعُيّن وقت وصولها بفرق ثانية واحدة او اثنتين . فالتيار P يضع ٢٠ دقيقة و١٢ ثانية ليصل الينا من ابعد محل في الارض اي الاقطار المقابلة .

تيارات اخرى تنتشر فقط في قشرة الكرة وهي تيارات الوجه الطويلة « L » وتسمى الطويلة لطول مدتها التي تبلغ ٣٠ ثانية واكثر . نقدر ان نقابلها بامواج البحر لكن بامواج قد يبلغ عرضها ٦٠ كيلومتر . هذه التيارات تسبب

اهتزازات بطيئة على وجه الارض : لذلك لا نحسّ بها ولو انها تحتوي الجزء الاعظم من الطاقة التي يسرّحها اهتزاز الارض. سرعتها هي ٣ او ٤ كيلومترات في الثانية وهي تقريباً متشابهة الشكل وتدوينها على الآلة المسجلة يدوم احياناً ثلاث او اربع ساعات وهـذا الوقت كافٍ لتسجيل الدوران حول الارض والرجوع لتسجيل جديد .

هزات الارض واسبابها

تحدث هزة الارض عندما مقدار هامّ من القوّة يفلت في موضع ما في باطن الارض على الاقل في مدة ثانية من الزمان . يسمون « اطيمة » الموضع الذي ينبعث منه الاهتزاز « ومركزاً » محل وصول الخط العمودي من الاطيمة الى وجه الارض . من الممكن ان يكون بُعد الاطيمة عن وجه الارض بعض مئات من الامتار وقد يبلغ ٧٠٠ كيلومتر . لم يحدث ان يدوّن اهتزاز ارضي بعمق يتجاوز ٧٠٠ كيلومتر . بنوع عمومي كل قوة الاشتداد لا تفلت بهذه واحدة كبرى . عادةً يحدث تماكسات وتنطلق كلها من نواحي الاطيمة عينها احياناً بتكاثر مئة باليوم، وهذا مدة شهور لكنها تضعف وتقلّ عدداً من يوم الى يوم.

يمكن ان تحدث هزات حتى في الطبقة الرسوبية يسبّبها سقوط حفائر داخلية وهي بدورها تسبب هزات ارضية صغيرة محليّة. ويوجد هزات بلقانية تصدر من قوات ضغط الغازات الموجودة في ثقب الحجر السائل ومجاري البركان . فالضغط هذا يُصعد السائل كما يُصعد الحليب على النار ويمكنه ايضاً هدم جوانب البركان بانفلات هائل. لهذه الهزات الارضية البركانية قوة شديدة، وتقدر ان تسبب خراباً عظيماً في جوارها لكن عددها قليل وهو زهاء عشرة بالمئة من الهزات المسجّلة.

الاهتزازات الارضية الحقيقية الاشد والاكثر عدداً (٨٠/١٠٠) هي التي يسمّونها «تكوّنية» (tectonique) اي بالتناسب مع هيئة خارج الارض ومع « الاوروجينيز » اي منشأ الجبال . اطيمتهـا تقع في قشرة الارض بين عشرة وخمسين كيلومتراً عمقاً ويسبّبها انقلاب فجائي او تشقق في كُتل صخرية على طول كيلومترات ، بتأثير قوى مماكسة او بالفسخ او بالضغط يحدث في وقت ما . ان القشرة الارضية تهبط تحت الشدّة في الموضع الاضعف من هيئتها عادةً

على طول انقطاعات او مكاسر قديمة . على وجـه الارض تنتج منها شقوق وتُقر ارتفاعات وخسوف في الاراضي: ينابيع تنزح واخرى تنفجر . ويحدث ان اشد الاهتزازات تخرب بلداً خراباً تاماً الى حدّ ان المناظر المألوفة عينها تظهر غريبة.

لانها. هذا التعداد علينا ان نذكر ايضاً الهزات البعيدة القعر التي تحدث في الرداء الصخري وهي نادرة (تقريباً ١٠٠/٥) وليست بوجه العموم هدّامة لان القوة في ذهابها الى الوجه تضعف بامتدادها في مدى اوسع . والهزات التي تقع بين ٤٠٠ و٧٠٠ كيلومتر عمقاً تحدث في امكنة محدّدة بكل خلاء في دارة المحيط الهادئ . اما الظروف التي تسببها فهي اليوم موضوع بحث .

المصدر الاخير الذي هو اصل تجمع هذه القوى في اجواف الارض لا بد انه الحرارة ، وقد اشركوها بنوع عمومي في تبريد السبعمئة كيلومتر من سطح الارض اي في التضيق الـذي يحصل في الكرة الارضية بسبب هذا التبريد . لكن منذ بضع سنين ارتفعت اصوات اخرى تعلن بالعكس لا تضيق الكرة لكن امتدادها وتدعي بان الكرة تتدفأ لوجود موادّ اشعاعية تحتوي منها جزءاً عظيماً القشرة الارضية. للبتّ في هذا الجدال يلزم بعد عدة سنين من التنقيب.

الشدّة والمقدار

كيف يُقاس مقدار او شدّة اهتزازات الارض . افتكر الباحثون اولاً في قياسها بنتائجها الملاحظة على سطح الارض ووضعوا لها درجات (مقياس ماركلّي) تصعد تتابعاً من «بالكاد احسّ بها القليلون» الى «مضارّ جسيمة». المحال المأهولة هـذا المقياس نافع جداً لكنه بالحقيقة غير صحيح للاهتزازات العميقة وعديم المنفعة في المحال المقفرة او في وسط الاوقيانوس . اذن التمكن من اعطاء مقياس عمومي يقدر ان يطابق جميع الاهتزازات حاولوا قياس مقدار القوة التي تنبعث من أطيـة الهزة ، فاننا اذ نعرف دقّة الآلة ودرجتها ودرجة تسجيل التيار الـذي تحدثه وسعة اهتزازه نستطيع ان نحسب زحول الارض الحقيقي وبالتالي القوة التي انتجته. من هنا فكر «المقدار» المعبّر عنها بـ«ergs» واصلها «المتوالية الحسابية» «للوغاريتم» «E» (القوة بـ ergs) بنوع انه لازدياد الواحد من المقدار يزداد قدر القوة نحو ستين مرة.

هكذا مثلاً مقدار الاهتزاز اللبناني بتاريخ ١٦ اذار ١٩٥٦ كان ٦,٢ ، وهذا يوازي قوة ٨٥×١٠^١٩ « ergs » . اشدّ هزة ارضية سُجلت الى اليوم هي التي في ١٢ حزيران ١٨٩٧ خرّبت الهمالايا في آسام الاعلى . كان مقدارها ٨,٦ وقد شعر بها الناس على بعد اربعة ملايين كيلومتر مربع واكثر . ما عدا ذلك هزة ١٥ آب ١٩٥٠ في الموضع عينه كانت شديدة كالاولى تقريباً ، لكن في الحادثين لم يكن عدد الموتى كبيراً — اقلّ من الف — وذلك لقلّة عدد سكان البلاد في هذه الجبال العالية .

بين الهزات الارضية الحديثة الكثيرة الضحايا نقدر ان نذكر :

— هزة مسّين في ٢٨ كانون الاول ١٩٠٨ — المقدار ٧,٥ — عدد الموتى في مسّين ٨٣٠٠٠ من ١٣٨٠٠٠ من السكان — وفي ريجيو ٤٠٠٠٠

— مقاطعة قنصو في الصين ١٦ كانون الاول ١٩٢٠ — مقدار ٨,٤ — عدد الموتى اكثر من ١٠٠٠٠٠

— مقاطعة كوانتو في اليابان ١ ايلول ١٩٢٣-المقدار ٨,٢-عدد الموتى ١٤٠٠٠٠

هذه قائمة متوسط عدد الهزات السنوي في العالم والتقابل التقريبي بين الشدّة والمقدار :

الشدة في الاطيمة	المقدار	متوسط العدد السنوي
١—٢	١—٢	٨٠٠ ٠٠٠
٢—٣	٢—٣	٣٠ ٠٠٠
٤—٥	٣—٤,٥	٤ ٥٠٠
٦—٧	٤,٥—٥,٦	١ ٧٠٠
٨—٩	٥,٦—٦,٦	٨٠
١٠	٦,٦—٧,٥	١١
١١—١٢	٧,٥—٨,٦	٣

درجة تواتر هزات الارض وشدّتها

لا شك انه في ممرّ الازمنة جهات الاهتزاز تتنقّل ، لكن لذلك يلزم ان

تعدّ بالسنين الجيولوجية اي بملايين السنين . نقدر ان نقول بانه منذ الازمنة التاريخية درجة تواتر الهزات في شتى الخا. الكرة لم تتغيّر الّا قليلًا او قط. في كل الاقطار يمكن ان تقع اهتزازات عارضة لكن درجة التواتر هي فعلًا مختلفة جدًا حسب مختلف الاقطار : فمن هذه الاقطار ما هي غير اهتزازية وفي غيرها تعدّ الهزات السنوية بالمئات بل وبالآلاف. كل سنة ينظمون خارطة لاهتزازات الكرة الارضية وامر عجيب هو مشابهة هذه الخرائط بعضها لبعض ، ولولا فروق طفيفة لاعتُبرت مرسومة الواحدة على الاخرى .

اعظم دارة لعمل الهزات الارضية تدور حول حدود المحيط الهادئ وتنزل بالألسكا والجزائر الأليوتية والكوريل واليابان وفيليبين وغينيا الجديدة وزيلاندا الجديدة وكل شواطئ الاميركتين الغربية . ثم دارة اخرى تحتوي نواحي البحر المتوسط وتجتاز آسيا للاتصال بدارة المحيط الهادئ في الهند الشرقية. يوجد دارات اخرى اصغر في القطب الشمالي وفي قلة المحيط الاطلانطي الوسطى وفي المحيط الهندي ./ ٨٠ من القوة الاهتزازية تصدر من دارة المحيط الهادئ و./ ١٥ من الدارة الاوروبية—الآسية و./ ٥ من سائر الدارات.

درجة تواتر الهزات الارضية في لبنان هي متوسطة . الهزات الهدامة هي قليلة فيه : واحدة او اثنتان في جيل . الامر جليّ ان الهزات الضعيفة او « الآلاتية » هي اكثر وقوعاً : في ثلاثين سنة سجل مرصد كساره ٢٧٠ هزة في بعد ٢٠٠ كيلومتر حوالي كساره . يختلف المقدار بين ٢ و٥ وبالنادر اكثر. بالنسبة الى توزيعها في محالّ وقوعها نجد لاهتزازها منطقتين هامّتين:الاولى تصدر من حماه وحمص وتتابع سفحي جبل لبنان الشرقي من جهة نحو بعلبك ووادي الاردن ، ومن جهة اخرى نحو دمشق وحوران . المنطقة الثانية تقع في البحر في المثلث لماسول – يافا – بورسعيد ، حيث اعمال سبر البحر اظهرت تغييرات في العمق مفاجئة جدًا من ١٠٠ الى ٢٠٠٠ متر . احيانًا كثيرة هذه المنطقة هي التي تؤثر في الشواطئ اللبنانية .

نؤمّل انه بعد الهزة العظيمة سنة ١٩٥٦ قد تثبّتت ارض لبنان حقبة اطمئنان وسلام طويلة .

القول بالطبيعة الواحدة في المسيح
عند شمعون الطوراني

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي

الشيعة النسطورية بفرقها في المسيح الإله والانسان احدثت ردة القائلين بوحدة الطبيعة مع ما جاءت به من افراط في الكلام ومبالغات في التعابير قد تفضي الى انكار ثبات وكمال الطبيعتين في وحدة الاقنوم.

للدفاع عن الوحدة اتخذوا تعابير من شأنها ان تعني قبولهم باختلاط اللاهوت والناسوت وتغيّرهما في المسيح. في كتاباتهم هاتان اللفظتان « اختلاط » و« اختلط » تردان احياناً : المسيح اختلط بالجسد. لا بد ان غايتهم في ذلك كانت الدلالة على وحدة الكلمة والجسد. مهما كان من الامر انه لجلي بان القول بوحدة الطبيعة هو مخالف لتعليم المجمع الخلقيدوني الذي حدد ان في المسيح طبيعتين.

بعد الاقرار بهذه الوحدة لا بد للقائلين بها من تفسيرها : ففي رأيهم انها تتمّ حسب الطبيعة والاقنوم وان كل اتحاد حقيقي يجب ان ينتهي الى طبيعة واحدة واقنوم واحد حتى تجعل من اللاهوت والناسوت مسيحاً واحداً ابناً واحداً الكلمة الذي صار جسداً. هذا اثبات الاتحاد بالطبيعة ليس له الا معنى واحد : انه لا يلغي قط الفرق بين حقيقة اللاهوت والناسوت لكنه يزيد وحدة الفرد في الكلمة المتجسد. هذا الاتحاد يؤول الى تكوين مسيح واحد حقيقي تامّ هو معاً الكلمة والجسد اله وانسان. وحدة دون تغيير دون اختلاط اللاهوت والناسوت لكن دون اعتلاء. كل منها شخصية « بروسوبون » خاصة لانهما لا يتلاقيان بحالة متفردة ومفترقة. هكذا يكون التأليف نوعاً من الاتحاد يبقي العناصر التي تجمعها تامّة بصحتها الخاصة لكنها تنزع منهما قيامها الذاتي المتميز ووجودها المفترق المستقل فالاتحاد اذن كما نرى ذلك يتم لا في الكيان لكن في الوجود.

القائلون بوحدة الطبيعة يفرطون في التدقيق وبما انهم يعتقدون بمساواة الطبيعة » والذاتية « (hypostase) والاقنوم يُثبتون بان هذه الطبيعة الوحيدة هي لاهوت الكلمة لا غير . هذا ما يؤكده صريحاً المؤلف في كتابه كما سيبين ذلك لنا . ففي كلامه عن المسيح ينسب الى اللاهوت للكلمة بكونه الهاً كل ما في الوجود اما الى الجسد الى الارادة فلا ينسب الا كل ما يبقى لان المسيح هو الله والله فقط حتى بعد ان صار انساناً.

بعد ان قدمنا هذه المعلومات الوجيزة عن اهمّ تعاليم موحّدي الطبيعة في المسيح اننا نحاول الان نقد موقف مؤلفنا .

يبتدئ شمعون عرضه بكلام الرب في الانجيل : « لم آتِ لاعمل مشيئتي لكن مشيئة الذي ارسلني » من هذا الكلام يتنج المؤلف بانه ليس في المسيح مشيئتان لكن مشيئة واحدة فانه ما قال هذا ليعني مطابقة مشيئته مع مشيئة الله لكن لينكر معلناً عدم وجودها تاماً. ويزيد شمعون قائلاً لو كان للمسيح ارادتان فايهما نزلت من السماء ؟ وعلاوة على ذلك هل يكون الثالوث الاقدس ثلاث ارادات واننا ان جعلنا للمسيح أرادة عدا الارادة الالهية لوُجِد في الثالوث اربع ارادات .

ان المسيح اتحد بجنسنا « اتحاداً اقنومياً لا اصطحابياً اضافياً كما يُقرّون بعض الاراتقة النسطورية وبعض الاراتقة الرابية القابلين في اعتقادهم ان مولانا المسيح هو صورتين الواحدة هي موضوعة للاهانة والشتايم والاخرى تبهر بالمعجزات وكل واحدة تفعل ما يختص بها بالاشتراك مع الآخرة. وبقولهم هذا نبذوا اتحاد اللاهوت بالناسوت بهذا المقدار حتى عاد اصطحابياً او اشتراكياً او اضافياً. . . وهذا الاعتقاد ليس هو اعتقاد الكنيسة الواحدة المقدسة ولا واحد من ابائها القديسين الكاملين الناطقين بالهام الروح الكلي قدسه » وبنوع ان الكلمة اتحد بالانسان حتى ان الله والانسان اضحيا اقنوماً واحداً : « اتحد اتحاداً اقنومياً طبيعياً لا تثنية فيه ولا فرقة بل هو اتحاداً عجيباً بهذا المقدار حتى صار الاله والانسان اقنوماً واحداً » .

« نعم تجسد ولكن بتجسده لم يزد في الثالوث الاقدس ولا عليه شيئاً آخر

لا طبع ولا ارادة ولا فعل ولا اختيار . وهو نفسه الاله المتجسد بطبع واحد ومشيئة واحدة وفعل واحد » .

فالكلمة لم يكتسب ارادة بشرية : لو كان له ارادة بشرية لكان في الثالوث تفرقة لكان لكل اقنوم الهي ارادة وعمل وهذا هو « كفر » .

علاوة على ذلك اثبات ارادتين يجعل الابن ابنين وهذا « كفر » . الابن الوحيد هو يد الآب ذراعه قوته حكمته فاذن كل ما يعمله المسيح ويريده هو إرادة وعمل الآب والروح القدس معاً فاليد هل تقدر ان تعمل عملاً خارجاً عن ارادة الروح . الروح هو الذي يدلّ اليد على ما ينبغي عمله فلما كان المسيح يد الآب كل ما يعمله يعمله بإرادة الآب . وقد قال هو ذلك : لم آتِ لاعمل مشيئتي لكن مشيئة الذي ارسلني . بقوله هذا يرفض اثبات ارادته الخصوصية والا لكان مسيحين مسيح للمعجزات وآخر للامور الارضية .

لنرجع الان ان نتكل على كلام الآب عند العماد : هذا هو ابني الحبيب به وضعت مسرتي » فان الاب قد تكلم عن ابنه بالطبيعة . لا اكثر . اذن من المحال ان نميز اثنين في هذا الابن . المسيح الذي صنع العجائب والاعمال البشرية هو هو عينه .

من جهة اخرى لا بد لكل عمل من عامل فاذا كان للمسيح عملان كان ايضاً فيه عاملان : « هذا الاتحاد لا فرقة فيه ولا تثنية من غير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة » . « وهو هو كان في الحضن الابوي وهو كان في البطن البتولي » .

والحالة هذه ليس في المسيح الا عامل واحد للاعمال العجيبة وللاعمال الاعتيادية : « فعل الضعيفات بلاهوته وهو ايضاً فعل العليات بناسوته بفعل واحد لفاعل واحد » . « اتحد بطبعنا الكامل من كل وجه اتحاداً طبيعياً اقنومياً » « اللاهوت يفعل الدنيات بناسوته بفعل واحد لفاعل واحد ... » . « لان الطبع لا قوام له الا باقنوم وحيث ليس اقنوم فما للطبع من وجود » . « وهكذا نقول في المسيح بما انه هو اقنوماً واحداً فطبعه ايضاً هو واحد وفعله واحد واختياره هو واحد » .

واليعاقبة موحدو الطبيعة قد تسلط عليهم واجب مناقضة النساطرة الى هذا

الحذ انهم يعتبرون ضرورياً ودون تمييز كنسطوري كل من لا يقول مقالهم وهذا لانهم يعتقدون بان اثبات طبيعتين في المسيح يوجب اثبات اقنومين ايضاً : « اما قولك في المسيح طبيعتين ينبغي ان نقول عنه اقنومين » . او من يثبت في المسيح طبيعتين لا يقدر بعد ان يتكلم الا عن اتحاد « اصطحاباً اشتراكياً » والحال ان المسيح واحد في طبيعته : « ان المسيح واحد بالطبع والاقنوم الواحد وانه مع ابيه وروح قدسه بارادة واحدة وفعل واحد » .

غايتنا هنا هي ان ننبه الى هذا الاثبات الاخير الذي يعتمد مؤلفنا عليه لنجيب على احتجاجات شمعون اليعقوبية .

***

ما نلاحظه اولاً هو ان موحدي الطبيعة القدماء — ومنهم مؤلفنا — باندفاعهم المفرط في طريق مناقضة الشيعة النسطورية تطلعوا خصوصاً الى اقنوم الكلمة الواحد الغير المتغير حتى في التجسد وهذا ما جعل مذهبهم وحيد الاتجاه فانه يتكلم بوضوح وقوة عن بعض خصائص المسيح دون التعرض للاخرى . انه يعترف بثبات العنصرين الدائم في الاتحاد لكنه لا يصرح به إلا قليلاً . انه لا يلاشي يسوع باقصائه في الابدية لكنه يدخل الكلمة في الزمان والتاريخ كأنه يخاف من ايضاح وجود العنصرين في اتحادهما في الاقنوم عينه . لنأت الآن الى بحث اثباتات مؤلفنا الصريحة .

***

اول اثبات يصرح به شمعون هو ان الكلمة المتجسد يكرر هذا القول : « لم آتِ لاعمل مشيئتي لكن مشيئة الذي ارسلني » . يرى المؤلف ان المسيح في هذا القول ينفي تماماً « الارادة البشرية » فيه . فما الرأي الصائب في هذا الادعاء :

امر غريب الاعتماد على هذا النص لنكران الارادة الانسانية في الكلمة المتجسد وفيه على ما يبين اثبات لوجودها فان الكلمة المتجسد اذ يثبت وجود ارادته وحقيقتها يعلن خضوعها وتسليمها التام لارادته الإلهية ارادة كلمة الله . ثم الا نجد صدى هذا النص في الرسالة الى العبرانيين : « قد جُرِّب في كل مثلنا ما خلا الخطيئة » (٤—١٥) . فما تكون طبيعة بشرية دون ارادة

خصوصية وحقيقية مميّزة للافعال الخاصة بها الصادرة من الانسان . ولو لم يتجسد الكلمة تجسدًا حقيقيًا بأخذه طبيعة بشرية صحيحة متّحدة دون انقسام بكلمة الله لكن — حسب قول مجمع خلقيدونيا ومجمع القسطنطينية الثالث — قابلة للمعرفة متميّزة ولو متعلقة تعلقًا داخليًا باللاهوت كيف كان ممكنًا ان يتم خلاصنا وكيف يمكننا اذاك ان نثبت بان الكلمة تجسّد تجسدًا حقيقيًا بأخذه طبيعة بشرية وقد انكرنا وجود ارادة بشرية مختصة بهذه الطبيعة . بحق يقول مجمع القسطنطينية الثالث بان طبيعة مؤلّهة ليست متلاشية . وفي وجود هذا الاتّحاد والتميّز معًا في التجسد السر الذي نؤمن به وله تخضع عقلنا. فاذا توقّفنا في قبوله تمامًا كنا عرضة للتخيلات والتناقض (دتزنغر ١٤٣ و ١٤٨ و٢٨٩—٢٩٣ . ونقدر ان نذكر نصوصًا عديدة من تعاليم الكنيسة تثبت هذه العقيدة) .

اثبات شمعون الثاني يزيد في اندهالنا . يتساءل ماذا تكون ارادة الكلمة المتجسد التي نزلت من السماء . اليس في هذا السؤال نوعًا ما رفض لادراك الروابط الحقيقية الموجودة بين اقنوم الكلمة البريئ من التغيّر الذي يدوم هو هو الذي اتّخذ جسدًا بشريًا فرديًا دون ان يترك السماء وبين الطبيعة البشرية . الاتّحاد الاقنومي يتمّ في الاقنوم والذي اتّخذ دون اختلاط الطبيعة البشرية هو اقنوم كلمة الله . لا يبقى اذن مجال للتساؤل عن ايّ من الارادتين نزلت من السماء . للجواب على هذا السؤال الغريب نورد ما يقوله القديس لاوون : « نازلًا من عرش السماء وغير مستبعد من مجد الآب . . . الغير منظور بما هو خاصّ به صار منظورًا بما هو خاصّ بنا والغير ممكن ادراكه اراد ان يكون مُدركًا الدائم قبل الازمنة بدأ ان يكون في الزمان . . . » (دتزنغر ١٤٣و١٤٤) .

لكن اعتبارات شمعون لا تتوقف هنا فانه يقول : اذا فرضنا ان للكلمة ارادتين فما يحدث اذن للثالوث المقدس فانه بثلاثة اقانيم لكن بطبيعة واحدة وقدرة واحدة وارادة واحدة وفعل واحد للثلاثة اقانيم (دتزنغر ٢٥٤) اذن الارادة هي مرتبطة بالطبيعة عينها . مجمع القسطنطينية الثالث لا يكفّ عن تكرير قوله بان الارادة هي من نفس الطبيعة . من ينكر الارادة الخاصة

بالطبيعة البشرية انكرها هي ووقع في ضلال ناكري حقيقة الجسد (docétisme) في المسيح او رضي بما يعلمه شمعون اي ان الكلمة والانسان ليسا بعد الا شخصاً واحداً : هذا الاثبات هو معاً صحيح ومخطئ : هو صحيح بما انه ينكر وجود اقنومين في المسيح وهو مخطئ بما انه يلاشي البشرية في الكلمة بحيث انه لا يبقى اهمية لوجودها او عدم وجودها وهكذا يكون التجسد والفداء والقيامة الفاظاً لا معنى لها .

ان الارادة البشرية في الكلمة المتجسد تبقى بشرية حتى بتألهها فليس اذن في الثالوث ارادتان ارادة الطبيعة الالهية وارادة المسيح البشرية فان ارادة المسيح البشرية تمكث مرتبطة باطناً بالطبيعة البشرية التي اتخذها الكلمة وليس لها في احكام الثالوث الا ما هو للاقنوم الثاني الذي اتخذها . انها ليست غريبة عن الثالوث.

هذا جوابنا على ادعاء شمعون الاخير بانه ان كان ارادتان كان ايضاً ابنان: (فكما اذن جسده يسمى وهو بالحقيقة جسد الله الكلمة كذلك ارادة جسده الطبيعية هي خاصة بالله الكلمة قولاً وفعلاً : « لانني نزلت من السماء لا لاعمل مشيئتي بل مشيئة الذي ارسلني » (يوحنا ٦ : ٣٨) يتكلم عن مشيئته الخاصة اي مشيئة جسده) .

هوذا حجة مؤلفنا لاثبات مقاله يقول : لكل فعل فاعل فاذن اذا وُجد عمل انساني في الكلمة المتجسد يكون فيه فاعلان . اذا اثبتنا فيه طبيعتين نثبت في الوقت عينه اقنومين . والحال واحد هو المسيح في طبيعته .

ان سر تجسد كلمة الله يعلمنا بان اقنوم الكلمة اذ اتخذ الطبيعة البشرية قد تركها تامة بذاتها ولاعمال هذه الطبيعة البشرية قيمة غير متناهية من سبب الاتحاد الاقنومي عينه .

قلنا اعلاه عَرَضاً بان الاتحاد في التجسد يتمّ في اقنوم الكلمة لا بين الطبيعتين. فان الاقنوم الالهي هو الذي يرفع الى وحدته الطبيعة البشرية وهذا الاقنوم الالهي نفسه اذ يرفع اليه الطبيعة البشرية يمنحها القيام في شخصيته اي اقنومه . اما الاتحاد بالطبيعة فيتطلب اختلاط العناصر التي تتحد والحال حسب تعليم الانجيل الطبيعة البشرية لا تتلاشى بالتجسد واننا اعتماداً الى النصوص الموحاة نثبت الاتحاد في الاقنوم لا في الطبيعتين لكن كما انه في الكلمة

الالهي الاقنوم والطبيعة الالهية ليسا مفترقين في الكيان فهما اذن حقيقة واحدة. مع ذلك فما تعنيه اللفظتان اقنوم وطبيعة هو مختلف لذلك الاتحاد بالاقنوم ليس الاتحاد بالطبيعة فانه لا يمكن ان تكون الطبيعة الالهية موضوعاً في الاتحاد الا بواسطة الاقنوم نفسه (cf. S. Thomas, IIIª, Q.II,a.2, ad Ium ; Thomassin, *de Incarnatione*, L. III, c. V, n. 2).

ان اثباتات شمعون تختص معاً بشيمة موحدي الطبيعة (monophysites) وموحدي الارادة (monothélites) فانها تقول: «بما انه ليس في المسيح الا فاعل واحد يعمل واليه وحده تنتسب الاعمال الالهية والانسانية وهو اقنوم الكلمة الذي يفعل تارة بلاهوته وتارة بناسوته فنقول بانه ليس فيه الا فاعلية (energeia) واحدة» فيه قد تلاشت الطبيعة الانسانية وليس بعد فيه الا طبيعة (phusis) الكلمة الازلية لكنها الان مركبة لانها الآن تقوم ايضاً بالجسد اي بالناسوت الذي اتخذته فانها مكتسية بالجسد.

هنا اذ نوجه القارئ الى البحوث المدققة العديدة بخصوص التجسد نود ان نلخص الاجوبة على هذه المشكلة بالملاحظة الآتية:

ان شمعون لا يزيد قط على حجج موحدي الطبيعة التقليدية حجة جديدة لذلك فالاجوبة التي أعطيت تقليدياً قبله لها ايضاً قوتها ضده.

واننا نقدر ان نلقي ختاماً هذا السؤال: اليس في موقف موحدي الطبيعة مشكلة كلامية لا غير. يصعب عليهم التعبير عن العقيدة فيقولون «هو بعينه كان يرفض بشرياً الألم ويقول: يا ابتاه ان كان مستطاعاً فلتعبر عني هذه الكأس... والهياً: الروح مستعد. وراضياً كان يذهب الى الالم والعذاب. (راجع لوبون: توحيد الطبيعة السويري: ١٩٠٩ — ص ٤٦٤). كما قلناه في البدء. نرى ان مناهضتهم للنساطرة جعلهم ان يجدوا في المجمع الخلقيدوني العقيدة النسطورية وهذا كان يدفعهم الى المبالغة في التمسك بالوحدة دون التمسك بما يخص حفظ العنصرين اللذين اتحدا. مدى تاريخهم نراهم يتناقضون ويضادون ويستعملون عبارات مخالفة لما علمه لاهوتيوهم الاولون. على كل اننا لا نجد عند شمعون جديداً لا نجد الا ما سبقه اليه الاولون دون اعطاء اثباتات تفسر لنا تمسكه بما يورده.

دار الكتاب اللبناني

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

ليس ما يشجع الاجيال الطالعة في العمل والنفاذ كالملاقات التي يواظبون عليها مع الاجيال السابقة فان مثال المثابرة على العمل والتآليف العلمية والتاريخية والادبية التي تركها الاقدمون للبشرية هو وحده جدير بان يعطي لرجال اليوم الهمة الضرورية في الاستفادة من اوقاتهم الثمينة للعمل بانتباه في التعمق في ازمنتهم واكتشاف ما تحتويه من مباحث ومذاهب ادبية وتاريخية وعلمية وبهذا هم ايضاً يكونون قدوة حية للذين ياتون بعدهم بتآليفهم وقوتهم الفاعلة . هذه هي سُنة الحياة .

بدور الطباعة اذن ينوط امر تقريب الاجيال المختلفة الى بعضها بنشر احسن المؤلفات القديمة جاهدة في تقديمها جذابة تسترعي انتباه عالم قد فقد التصبّر على ذاته عالم فيه تجري الامور بسرعة تعطي الدوار .

بين دور الطباعة هذه ننوي ان نلفت انتباه قرائنا الى « دار الكتاب اللبناني » . نترك لغيرنا اطراء كتبها المدرسية المتقنة الطبع يجد الطالب لذة بمطالعتها . نكتفي هنا بعرض كتاب شهير لابن خلدون تقوم اليوم دار الطبع بنشره .

لا يحتاج تأليف ابن خلدون « المقدمة » الى تعريف فقد كان موضوع بحوث عديدة بمجموعه تارة وتارة في بعض اجزائه بنوع خصوصي : الطريقة التي يقتضي اتباعها في درس التاريخ ومسألة تقدّم المجتمعات ومسألة الاجناس ومسألة الفلسفة الاجتماعية ومسألة حق الشعوب وغيرها .

لا حاجة الى جذب انتباه العلماء الى اهمية مقدمة ابن خلدون لكننا نريد هنا ان نثني على دار الكتاب اللبناني لما جاءت به في طبع هذا الكتاب من عناية واتقان وذوق وجدارة علمية وتوفيق في النصوص .

ان نشر النصوص امر صعب وليس كما يظنه البعض سهلًا درس المخطوطة واعدادها لتسليمها للنشر وهذا عمل كثير الاهمية ويتطلب من القائم به جدارة وجهودًا يقتضي مقابلة المخطوطات المختلفة مع بعضها بعض ومعرفة مصادرها والتوصل الى المخطوطة الاصلية ان امكن ذلك والى اختيار الافضل بينها اما لقدمها او لصلتها الخاصة بالنص الاصلي المفقود. كل هذا يستوجب من الناشر مهارة في البحث والحكم . ثم بعد انتخاب النصّ الافضل يلزم لمنفعة القارئ الحاق النص بفهارس شتى إذا اقتضى النص ذلك بشرح المفردات والمصطلحات الخاصة به واذا وُجد مؤلف آخر قد بحث الموضوع عينه يحسن ان يُقابل بينهما ويحكم في من يفضل الآخر .

هذا كان منهاج ناشر كتاب ابن خلدون الذي نتكلم عنه . قبل هذه الطبعة ظهرت طبعات اخرى لكل منها ما يميّزها لكن ان قابلنا نشرة دار الكتاب اللبناني مع نشرة القاهرة نرى الاولى تمتاز على هذه جليًا فانها لما تحتويه من ملاحظات وفهارس ومقابلات مع الطبري والمسعودي وابن الاثير . وهذا يجعلها اشبه بموسوعة العلوم التاريخية .

اقتضى الناشرين جرأة الرواد للاقدام على مشروع كهذا وغايتهم في التوغل في هذا الطريق ليست الا خدمة العلم والإهداء الى الاجيال الطالعة تأليفاً تتجاوز قيمته الازمنة والامد .

لا حاجة الى الكلام للثناء على الذين اقدموا على هذا العمل يكفي وحده للثناء عليهم ولمجدهم. لكن يلزم ايضاً مع الثناء ان يقدّر العلماء هذا المشروع حقّ قدره خصوصاً وقد تمّ في زمن فيه اقلقت العالم الحوادث السياسية . فان نظر المقدمين على هذا العمل قد امتدّ الى المستقبل وهمّ بحفظ القيم التي تركتها لنا الازمنة الغابرة للاجيال الآتية . هذه الغيرة على خدمة الغير تستحق الالتفات اليها باعجاب والى ما تتطلبه من حميّة للاقدام على العمل وجرأة على الثبات حتى يتم .

لكن اليس في هذه النشرة الا ما يستحق الاطراء. ألا يوجد فيها ما يدعو الى ملاحظة او انتقاد . لا اظن الناشرين لا يرون فيها الا الكمال الله وحده هو الكمال . لذلك لا نتوقف في ابداء بعض ملاحظات في امور قليلة الاهمية:

ليت الناشر اعطانا في انتقاده النصوص المختلفة لنتمكن نحن ايضاً ان نحكم في حسن اختيار الاصحّ منها لئلا يُفرض علينا نصّ لنا فيه غير رأي الناشر فان مطاليب العلم في ايامنا بهذا الخصوص هي مُلحّة جدّاً .

لنا ايضاً ملاحظة اخرى : ان يُكثر الناشر اكثر مما فعل من وضع حركات على الالفاظ فان قراءة نصّ ابن خلدون صعبة لافراطه في استعمال الضمائر الشخصية فلا ترى الا بصعوبة باي لفظة تتعلق . لا تقلّل هاتان الملاحظتان من قيمة الكتاب الكبيرة لكنها تزيد ايضاً فيها للنشرة القادمة .

جولة في عالم الكتب :

[مع كتاب منتخبات اسماعيلية]

بقلم عارف تامر

يعيش الاسماعيليون المستعليون (البهرة) بمجموعات صغيرة ومتباعدة في اليمن ، ويكاد يكون مركزهم الرئيسي الاكثر اهمية واقعاً في مقاطعة (نجران) التي كانت في عهد النبي محمد مركزاً هاماً للمسيحية ، ومنذ عام ١٩٣٤ اصبحت هذه المقاطعة تبعة للمملكة السعودية الحجازية ، وفي الشمال وادي (هبونه) وفيه مركز الداعي المطلق للاسماعيلية ويسمى اليوم داعي قبائل (يام) لان قبائل (يام) اصبحوا في هذا العصر حملة لواء الدعوة الاسماعيلية الاساسية ، وتشمل قبائل يام ايضاً جماعات اسماعيلية اخرى وبالاخص القاطنين جبال [حراز] الواقعة على الطريق الممتد بين حديدة وصنعاء بعد اجتياز منطقة السهول عبر الهضاب التي تمتد الى [حجيلة] البالغ ارتفاعها (٦٥٥) متراً عن سطح البحر ومن هنالك تتصل بالوادي الضيق المسمّى [برور] حتى تصل الى ارتفاع (١٠٤٧٠) متراً في المنطقة الوعرة ، وفي الجهة الشرقية الشمالية تعبر مناطق (عثاره) الاسماعيلية حتى تصل الى [مراخة] التي يبلغ ارتفاعها [٢٣٢٢] متراً عن سطح البحر .

ان بعض هذه الجماعات الاسماعيلية في [حراز] تخضع لقبائل بني يام في نجران الذين تمكنوا من الخروج على السادة [الزيديين] ومن الملاحظ ان توزيع القبائل الاسماعيلية في اماكن ستراتيجية هامة في اليمن ممتزجين مع

(الزيديين) الذين يشكلون الاكثرية جملهم يلعبون في كل الادوار دوراً سياسياً هاماً وخاصة اثناء سيطرة القوى الاجنبية على اليمن ، وفي الجهة الشمالية الغربية من صنعاء في مكان [ذي المرمر] الذي كان اكثر من مرة مركزاً للداعي المطلق وخاصةً في القرنين الثامن والتاسع الهجريين وفي المكان المعروف [بيابريم] ايضاً جنوبي صنعاء يوجد عدد منهم غير قليل ايضاً وهكذا يتجلى لنا بصورة قاطعة ان الاسماعيليين في اليمن هم بقايا تنظيمات سرية لم تلبث ان انتشرت في كل مكان وقد كانت شؤونها السياسية والاجتماعية تدار من قبل زعماء لهم الدراية الروحية والثقافية والمرونة السياسية في آن واحد حسب مقتضيات العصر .

يبلغ عدد الاسماعيليين اليوم في اليمن ما يقارب المئة الف ، وفي نجران اي المملكة العربية السعودية يوجد ما يقارب من السبعين الف ايضاً ، ومهما يكن من امر فقد ساهم القطر اليمني بالتأسيس الاول للاسماعيلية وتابع السير على المنهاج الفاطمي بصورة مستقلة حتى استطاع ان يكون في فترة من الفترات مملوكاً بكامل حدوده للاسماعيليين ، وقد ظلّ هكذا حتى بعد سقوط الدولة الفاطمية لدرجة انه كان الموضع الاول لانتشار الدعوة الثقافية والمكان الذي انتج عدداً كبيراً من الدعاة الاجلاء الخارقين الذين اوجدوا للمكتبة الاسماعيلية العامة انفس المؤلفات الفلسفية وأقومها كما انه لا يزال يحتفظ للآن بجماعات اسماعيلية لها مرونتها الخاصة وتقاليدها العربية الاسلامية الموروثة وثقافتها الفلسفية العريقة .

اما الفرع الثاني وهم الاسماعيليون النزاريون فقد كانت سوريا وبلاد فارس مسرحاً لنشاطهم الفكري والسياسي سواء في عهد ما قبل الدولة الفاطمية او في ابان ظهورها او ما بعد انقراضها ، وقد استطاعوا ايضاً في فترتين متعاقبتين ان يؤسسوا دولتين من اعظم الدول التي سادت في تلك العصور ، وان يلعبوا دوراً هاماً في التاريخ ، فقد كانت الاولى بقيادة [سنان راشد الدين] وان حروب هذا القائد العظيم مع الصليبيين وحوادثه مع صلاح الدين الايوبي تنبآن عن عظمة دولته ، اما موقع امارته الجغرافي فقد كان في سلسلة الجبال الممتدة من شمالي بلدة طرطوس على الساحل السوري جنوباً حتى الجبال الممتدة فوق اللاذقية شمالاً ، ومن البحر المتوسط غرباً حتى السهول الواقعة شرقي سلسلة جبال النصيرية كما

تسمّى اليوم شرقاً ، هذا فضلاً عن مراكز لدعوتهم كانت تضمّ الآلاف من الاتباع في كل من دمشق وحلب وحمص وفي مجموعة جبال السماق المعروفة اليوم بجبل (الزاوي) غربي معرة النعمان .

امّا في ايران فقد كانت عاصمة دولتهم [ألموت] وقد استطاعت هذه الدولة التي امتدت مساحتها حتى شملت اذربيجان ومناطق قزوين وخوزستان وبلوجستان ان تصمد امام غزوات السلجوقيين وهولاكو وان تقض مضاجع العباسيين بفضل الاسس السياسية المتينة والمنظمات السرية البارعة التي كان الفضل بتأسيسها للقائد العبقري الكبير [الحسن بن الصبّاح] ، وجاء في دائرة المعارف بأن مملكتهم كانت تمتد من سواحل البحر المتوسط الى داخلية تركستان وهي عبارة عن كل القسم العربي من اسيا من حدود خراسان الى جبال سوريا الجنوبية ومن بحر قزوين الى الشواطىء الجنوبية من البحر المتوسط ، ومهما يكن من امر فقد استطاعت هذه الدولة بفرعيها السوري والايراني ان تنتج عدداً كبيراً من العلماء الاجلاء والدعاة الكبار الذين خلفوا وراءهم اقوم المؤلفات الفلسفية ، وهنا تعرض قصة الفلسفة الاسماعيلية التي نحن بصدد التحدث عنها فنقول بأن هذه الفلسفة التي وضع اسسها الدعاة الفاطميون في عهد الدولة الفاطمية وما قبلها لم تتغير ولم تتبدل اصلاً بالنسبة لفرعيها المستعلي والنزاري وقد كان التغير شكلياً وبالفروع فقط وهذا لا يشكل ايّ خطر على الدعوة ولا يؤخر تقدمها وازدهارها لانه كان ناتجاً عن مؤثرات اقليمية يلمسها كل من رضع لبان هذه الفلسفة وجال في مجاهلها ووصل الى اعماقها ، ولهذا كان من الجدير والواجب على كل باحث يتصدى لبحث هذه الفلسفة ان يشير الى هذه المؤثرات ويفرق بينها لانها لا تخرج عن كونها كما قلنا من فعل البيئة والمحيط وعليه ان يكون على حذر حين تعرض امامه وعليه ايضاً ان يكون ملمّاً (بالزرادشتية) ليعلم تأثيرها على الفلسفة الاسماعيلية في فارس هذا من جهة ومن جهة اخرى عليه ان يلم بأصول (الزيدية) يدرك كيف ادخلت على الاسماعيلية في اليمن شيء من التحفظ والتعصب والمحافظة والانكماش كما يظهر في اكثر المؤلفات التي انتجها دعاة ذلك العصر .

هذه نواح كان لا بد من الاتيان على ذكرها في معرض الحديث عن كتاب منتخبات اسماعيلية للدكتور عادل عوا مدرس الفلسفة في الجامعة السورية ، وقد

كنت اتمنى مخلصاً لو ان الزميل عوا راعى الاختصاص قبل اقدامه على نشر كتابه ، واطلع على مصادر اوسع بحثاً عن هذه الفلسفة اذن لجاءت مقدمته اغنى وكتابه اقوم مما كنا نتوقعه له ولكان ظهر بثوب قشيب لا اثر لاي نقص فيه ولا شك ان عدوى السرعة قد انتقلت في عصر السرعة حتى الى الباحثين والمؤلفين فجعلتهم يسلقون كتبهم وبحوثهم سلقاً سريعاً بدلا عن التأني واستقصاء البحث اللذان هما من ميزات العلماء الكبار . ومهما يكن من امر فنعود الى ما نحن بصدده لنقول بأن كتاب منتخبات اسماعيلية جاء محتوياً على اربع رسائل هي :

١ – رسالة تأويل دعائم الاسلام : للقاضي النعمان بن حيون
٢ – رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول : لعلي بن محمد الوليد
٣ – رسالة زهر بذر الحقائق : لحاتم بن ابراهيم الحامدي
٤ – كتاب الازهار : لحسن بن نوح بن يوسف

هذا وكم كنت اتمنى من صميم القلب لو ان الدكتور عادل عوا لم يصرف وقته في سبيل تحقيق هذه الرسائل وخاصة الرسالة الاخيرة (الازهار) التي نعتبرها حديثة وغير جديرة بالنشر ومشوهة نصاً ومعنى . . هذا من ناحية الرسائل اما المقدمة فانه يظهر عليها الضعف والارتباك والبعد عن الواقع العلمي ، وكم كنت ارجو مخلصاً ايضاً لو ان الدكتور عوا كلف نفسه واجهدها بالتفتيش عن مصادر اسماعيلية موثوقة تذخر بالحديث عن النعمان وعلي بن الوليد وحاتم بن ابراهيم والاسماعيلية بوجه عام وترك جانباً كتاب « تاريخ الدعوة الاسماعيلية » لمصطفى غالب الذي اتخذه مصدراً هاماً ، وهذا الكتاب يعتبر من اضعف واسخف الكتب التي صدرت عن الاسماعيلية باعتراف العلماء والباحثين .

في الكتاب اخطاء نحوية كنت ارجو ان لا تقع في كتاب علمي وهذه الاخطاء لا يمكن تعدادها لانها اكثر من ان تحصى ، ولكن الشيء الاكثر اهمية الاخطاء الاخرى التي وقعت في الكتاب وجميع اسماء اعلام من انبياء وائمة وقد كان بالامكان تفاديها لو ان الدكتور عوا كلف نفسه مؤونة مراجعة التوراة والانجيل او مقابلة المخطوطة على نسخ اخرى كما يفعل العلماء والباحثون وهذه بعض منها :

صفحة عدد	الكلمة كما وردت في الكتاب خطأ	الصواب
١٧٦	والكبات	كجرات
٢١٣	عزيز عليه ما عنتم	عزيز عليه ما عنتم
٢٠٥	أنوش بن شيت	أنوش بن شيت
٢٠٥	ميثان بن أنوش	قينان بن أنوش
«	مهلائيل بن ميثان	مهلئيل بن قينان
«	يارذ بن مهلائيل	يارد بن مهلئيل
«	واختوخ بن يارذ	أختوخ بن يارد
«	متوشلخ بن اختوخ	متوشالح بن أختوخ
«	ملك بن متوشلخ	لامك بن متوشالح
«	ارفخشد بن سام	ارفكشاد بن سام
«	سالخ بن ارفخشد	شالح بن ارفكشاد
«	عابد بن سالخ	عابر بن شالح
«	فالغ بن عابد	فالج بن عابر
«	وارعوا بن فالغ	رعوا بن فالج
«	وساروغ بن ارعوا	سروج بن رعوا
«	أيوب بن ناحوز	أيوب بن ناحور
٢٠٧	قيندار بن اسماعيل	قيذار بن اسماعيل
٢٣٥	ضرغانة	فرغانة
٢٣٦	بسكد مكرم	عسكر مكرم
٢٣٦	زوجة المدي بالله	زوجة المهدي بالله

هذا ما اتسع المجال لذكره في معرض الحديث عن كتاب « منتخبات اسماعيلية » للدكتور عادل عوا عرضناه له عرضاً وجيزاً ، فعسى ان يكون في ذكره بعض الفوائد لكل باحث في فلسفة الاديان ، وعسى ان يكون ذلك مشجعاً للدكتور عوا نفسه فيعمل على تلافي مثل هذه الاخطاء في الكتب الفلسفية التي يعتزم نشرها في المستقبل والى اللقاء معه في كتاب آخر .

حياة المثلث الرحمة المطران بولس موسى كساب الجزيني ١٧٩٥ـ١٨٧٣

بقلم الاب يوسف الي نادر الانطوني

دير مار اشيا – المتن – برمانا ، مطبعة الرهبانية اللبنانية – ٢٨ صفحة

هذه حياة مليئة من الله: حياة رسولية لا تعرف الملل حياة احتمال واخلاص وصلاة وهمة: راهب كرّس مطراناً على ابرشية طرابلس فأغناها وقدسها. تعلق المؤلف بالمطران وحبه له يؤثر في القارئ رغماً عن مراجعات عديدة تبطئ سير الكتاب.

نثني على المؤلف لانه وضع نصب اعيننا مثال حياة روحية خصبة باعمالها وغيرتها. الى مثل هذه الامثال يحتاج عصرنا الذي كثيراً ما لا يعتبر من الحياة الروحية الا الظواهر وينسى بانها ملجأ السلام ومصدر الخصوبة لأجلّ الاعمال لخدمة الخير. كتب كهذا اذا كلمتنا عن رهبان او علمانيين جديرين بأن يقتدى بهم لخدمة الله والبشرية هي لا بد كثيرة الفائدة لمطالعيها فليتها تزداد عدداً وقيمة. ا. ع. خ

محاضرات في القانون المدني العراقي
(نظرية العقد) ــ جامعة الدول العربية

بقلم الدكتور حسن الذنون

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦ – مطبعة نهضة مصر ، ١٣٤ صفحة ، قطع كبير

بين الدول المختلفة معرفة قوانين الحكم والحقوق الفردية والعامة فيما تساعد كثيراً على التفاهم والتعاضد والاعتزاز المتبادل.

في كتاب بمئة واربع وثلاثين صفحة يدرس المؤلف العقد فيقابله مع الاتفاق ويميزه منه ويبحث في انواعه: العقد مع غائب. بالتلفون .... يهتم خصوصاً بلزوميات العقد وبانحلاله والطرق القانونية التي تسبب انفساخه.

بحث ثابت يعتمد على النصوص . يقابل المؤلف مراراً بين الحق الشرقي والحق الغربي خصوصاً في التفتيش عن عنصر العقد « الصوري » : أهو الارادة ام ما ينتج من اتفاق اختياري في امر معلوم . مسألة اخرى لا تخلو من الاهمية هي تبيين العلاقات الموجودة بين المشترع والعقد بين أحياء . ا. ع. خ

مؤتمر برلين ١٨٧٨ واثره في البلاد العربية — جامعة الدول العربية

بقلم الدكتور محمد مصطفى صفوت

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٧ – مطبعة الرسالة ، ٢٥ صفحة ، قطع كبير

كتابة التاريخ ليس دائماً امراً سهلاً مهما ادّعت لقرائها بلذة المطالعة. لكن موضوع هذا الكتاب هو عصر تاريخي يتميّز بحوادثه واضطراباته وذلك مما يجذب انتباه القارئ، وينشطه: الصراع بين الدول العظمى وبالاخص بين فرنسا وانكلترا وبروسيا ومطامعها ومنافساتها ومواقفها حيال الدول الصغرى خصوصاً موقف بسمارك الحاكم المطلق الذي لا يعرف الرحمة ولا الانصاف ويظهر متجبراً جازماً مخيفاً لا يقبل على ارادته اعتراضاً .

يقص علينا هذا كله بتدقيق ووضوح ويصف لنا حالة البلاد النفسية ومواقفها وما يبين لنا متميزاً بفائدته ما يرويه المؤلف عن حالة تركيا عن ترددها وتراعها مما أعدّ سقوط عهد السلاطين . مواربات هؤلاء ازاء المعارضين أضعف اكثر فاكثر « الرجل المريض » وجعله عرضة لاطماع الدول .

الحق المؤلف نصوصاً شتى بانشا الاصلية شهادة على صحة مقاله .

ا. ع. خ.

André G. Haudricourt et Mariel Jean-Brunhes Delamarre. — *L'homme et la charrue à travers le monde.* — Geographie humaine 25. — 23/14 c. — 506 pp. — Paris, Gallimard, 1955.

دون المحراث لا شغل في الحقول ممكن ومفيد ومن ثمّ لا قوت بعدُ للبشرية . لا نجهل ما توصلت اليه الصناعة الآلية لاستكمال المحراث وتسهيل

استعماله بالآلات القوية المتحركة . لكن المحراث الاصلي وهو اقل قوة باقٍ الى اليوم وله من الفائدة ما لا يستغنى عنها في حراثة الحقول القليلة المساحة وفي البلاد التي لا تملك بعد الجهاز الآلي العصري . وهـذا المحراث الاصلي الذي يذكرنا ما اعطته الارض لغذاء الانسان وغناه منذ القدم له تاريخ مرتبط بتاريخ الانسان وقد تحول مع الايام من شكل الى شكل ، لذلك فدرس هـذا الموضوع الذي لم يتناوله بعدُ البحث الا نادراً هو جزء من علم جغرافية الانسان الجلي الذي ينظمه جان برون وقد اجاد عرضه في عدد من التآليف الاختصاصية في مجموعة يدير نشرهـا السيد بيار ديفونتان . وقد تكلف السيد اندره ج هاندريكور المعروف بتآليفه العديدة المختصة بتاريخ الزراعة والسيدة ماريال جان برون ديلامار وقد اخذت في هذا الموضوع عن مصدر وثيق كلاهما تكلفا امر القيام بهذه المهمة وهذا ما ضمن لها النجاح .

لا يكفي لذلك بلا شك استعلام جزئي لا غير كالذي اكتفى به مثلاً كثيرون من مترجمي قصيدة فرجيـل باناشيدها الاربعة . قد فرض التفتيش الضروري على الاختصاصيين السفر حتى الى الشرق الاقصى وللبحث التاريخي الوصول الى الالف الرابع قبل المسيح لبلاد ما بين النهرين . وقد انصبا على تفحص الاختام السومرية والتصاوير المصرية والأواني اليونانية والنقوش الرومانية وتُحف العصور الوسطى والرسوم الهندية والصينية وقطع اخرى عديـدة من مجموعات شتى . وكل هذه المباحث لزم تأويلها بحذاقة خبير بعلم الفلاحة يمن النظر في هيئـة كلّ من انواع المحاريث واجزائها وفي جهود الدوابّ المقترنة لجرها والرجل الذي يقود كما بحذاقة الجغرافيّ العارف بتساحات المسكونة وباراضيها .

اننا نعجب لمهارة تطبيق الطريقة المدققة المُتَّبعة في هذا التفتيش طول المدة التي اقتضاها وهو تفتيش صعب على كل وجه .

اننا نشكر لهذا التأليف وضوح تعريفه وتمييزه للنوعين المختلفين من المحاريث: المحراث القديم الذي يقدر على تخطيط الارض وشقها قليلاً والمحراث الحقيقي صاحب المصبّ الذي يقلبها جيداً وينحّي مدرها . ثم اننـا لاحظنا بدهشة استمرار بعض البلاد حتى في اوروبا على استعمال المحراث القديم وكنا نظنه

مهملاً بنوع نباتي لكنه بالحقيقة نافع بعد بل ضروري لبعض الاراضي الخليطة او القليلة المساحة . ب . م .

تكوين العقل الحديث

بقلم جون هرمان راندال

الجزء الاول — ترجمة الدكتور جورج طعمه — مقدمة الدكتور محمد حسين هيكل

دار الثقافة ، بيروت — ٥٥٢ صفحة ، قطع كبير

كتاب مفيد . هو ثمرة جهود سنين عديدة من التفتيش والبحث . في هذا الجزء الاول يهم المؤلف بان يجمع بين الفلسفة وبين اللاهوت والتاريخ . في بدء الكتاب الملاحظات الفلسفية في التاريخ المستندة الى معلومات تاريخية في التمدن الغربي تفتح امام القارئ مشهداً رحباً فيه يرى تقدم العقل في عصرنا خطوة فخطوة . بتحولات شتى بترقيات وهبوطات عديدة باكتشافات سهلة وايام محنات في الظلام العقل البشري تمسك اولاً بالايمان ثم لما وصل الى القوة ادعى بانه قادر أن يتحرر من السلطة الإلهية . بعد ذلك يتكلم المؤلف عن الفلسفة اليونانية ونفوذها ثم عن الديانة المسيحية ويبين ثمرة تعاليمها بتجديد عقلية الانسان وروحه لكنه يتوقف في طريقه ليبين لنا كيف ان هذا الرأي او غيره من آراء اللاهوتيين الكبار اوجدت فيه إقتساراً ما زال يجاهد للتخلص منه . واننا نرى ان ما يعرضه علينا من القديس توما لا يطابق الحقيقة بعض الاحيان.

ثم ينتقل الى بحث الوجهة الاجتماعية وهذه مسألة ليست اقل اهمية فبان الاقطاعية التي تغلبت لم تلاقِ في عقيدتها وتصرفاتها خصماً كالكنيسة الكاثوليكية . لكن عندنا هنا ايضاً ما لا نرضى به من المؤلف وهو انه بعد ان وصف البيئة اهمل الدور المهم الذي قامت به الكنيسة .

في الجزء الاخير يرسم المؤلف بياناً مُثبتاً عن الانقلاب العقلي والاجتماعي الذي ابتدأ في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . هذا الانقلاب ضد النظام القائم لم يزل بعد تأثيره عاملاً في الشعوب الى يومنا .

تأسف كثيراً ان المؤلف في طلب اثباتاته اكتفى بما اخذه من المحيط البروتستانتي لا غير .

بخصوص المقدمة اننا نؤاخذ الدكتور حسين على اقتباسه كل ما يعرفه عن الديانة المسيحية من رنان : يكفينا ان نسمي هذا المؤلف لنحكم حكمنا في قيمة المقدمة .

الترجمة جيدة ولو انه ينقصها احياناً شيء من الرشاقة والوضوح لكنها تعطينا معنى النص الاصلي بكل امانة . ا.ع.خ

ماتيلدا وريدي: نور السجون الفنلندية

بقلم هيلين ج. كوشير

طبعة ثانية ، الطابع « عمل وايمان » : (Labor et Fides)

جنوى ١٩٥٧ – ١٦٤ صفحة

هذه نفس غيورة كريمة اعطت بسخاء كل ما لها وبذلت ذاتها لإراحة السجناء . انها لم تألُ جهداً حتى تنال لهؤلاء معاملة انسانية مسيحية فتمكنت برضى عناء الاسفار الضرورية لهذه الغاية واشتركت في مؤتمرات فيها دافعت عنهم احسن دفاع . اما مصدر هذه الغيرة فكان روح ايمان عظيم لا يهدأ مفتشاً عن وسائل جديدة لإنجاد هؤلاء التعساء . كل حياتها كانت حياة وديعة ومتحمسة وكان كلامها يخرج تاريًا من قلب مؤمن لا يعي . رغماً عن صحتها الناحلة لم تكف عن جهودها الا امام الموت . كان ايمانها في حياتها واعمالها مصدر قوة وفرح في بذل الذات والعناء . هي من عصرنا وُلدت سنة ١٨٦٤ وتوفيت سنة ١٩٢٨ وهي فخر له باحتمال المشقات وتضحية الذات في اغاثة التعيس والتفريج عن كربة المنكودي الحظ . ا.ع.خ.

خلاصة التصوف المسيحي

وضعه ادولف تانكره وترجمه الارشمندريت يوسف فرج ق . ب .

الجزء الاول والجزء الثاني – المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٥٧ – ١٩٥٨

كتاب تأمل وصلاة وتعليم لاهوتي. يبحث في اهم حدث غيّر وجهة البشرية: دعوة الانسان الروحية للاشتراك بحياة الثالوث الاقدس. وهو اذ يدلنا على الحق الاسمى والاوحد ينير لنا الطريق ويهدينا للوصول الى الغاية القصوى اي الاتحاد بالله .

وضع هذا الكتاب بالفرنسية ادولف تنكره ونقله الى العربية حضرة الارشمندريت يوسف فرج ق. ب.

ظهر منه في سلسلة « الينبوع الحي » الصادرة عن المطبعة الكاثوليكية جزءان : يتكلم الجزء الاول عن مبادئ الحياة الروحية: ماهيتها وكمالها والتزام الميل اليها ثم يبسط الوسائل الموصلة اليها . وذلك في ٢٥٧ صفحة .

ويبحث الجزء الثاني في طريقي الإستنارة والتطهير حيث تمر النفس العابدة قبل بلوغها الاتحاد . وذلك في ٢٦٣ صفحة .

يعجبك في الترجمة جملة متينة وعبارة سهلة ولفظة سلسة . وهناك الفاظ وكلمات جديدة الاستعمال للتعبير عن حالة روحية او معنى لاهوتي تطابق المعنى المقصود ولا ينفر المطالع من جدتها . فعسى كل من سيكتب في المواضيع الروحية يفيد من هذه الالفاظ والتعابير . فلحضرة المعرّب شكر كل مسيحي مخلص .

اما سلسلة « الينبوع الحي » فنريدها متابعة الحلقات نظراً لحسن اختيار الكتب المعرّبة ولحاجة مكتبتنا العربية لمثل هذه الكتب الروحية .

فبهذا العمل الحيوي تسد المطبعة الكاثوليكية عوزاً تشعر به النفوس المتعطشة الى تفهم الحياة الروحية والسير في طريق القداسة . فكلنا يشعر ان في هذه السلسلة ما يثلج صدور المسيحين ويبشر بطلائع نهضة كتابية في حقل الدين والاخلاق .

فبوركت همة من يدير هذه السلسلة وبوركت الاقلام التي تتكرس امثل هكذا شريف .

جوزف ضرغام

بشير بين السلطان والعزيز ١٨٠٤–١٨٤١

الجزء الاول والجزء الثاني : من منشورات الجامعة اللبنانية – نشر الدكتور اسد رستم
بيروت ١٩٥٦ – ١٩٥٧ – ١٠٨ و ٢٥٣ صفحة

« بشير بين السلطان والعزيز » كتاب تاريخي يبحث في علاقات الشهابي الكبير مع السلطان من جهة ومع محمد علي من جهة ثانية .

عدا عن اللغة الجميلة التي يتحلى بها الكتاب فتجعل قراءته سهلة مستلذة – بالرغم من بعض الكلمات الثقيلة التي كانت تستعمل في ايام الاتراك – قيمة الكتاب التاريخية تدل على سعة ودقة اطلاع المؤلف على المعلومات التاريخية التي استوفيت درساً وتحليلاً . ليس الكتاب مجرد استشهادات بالوثائق التاريخية تأتي مبعثرة هنا وهناك ، ولكنه استساغة لتلك الوثائق الكثيرة وانزالها في قالب تاريخي ادبي منسجم ومقتضب . فلا يلحظ في الكتاب اي تبجيل او اي تعظيم خادع لبعض وقفات اللبنانيين الجميلة التي برهنوا فيها ايام بشير عن تعلقهم بوطنهم واخلاصهم للحكام من جهة ، وعن استنشاطهم وعدم احتمالهم الضيم من جهة ثانية ، ايام كانت تدعوهم الحاجة الى ذلك .

نرى بشيراً في بادئ الامر خاضعاً للسلطان ضمن استقلال داخلي ضئيل ، غير ان الامير لم يرَ من ذلك كبير فائدة . فحالما لمع نجم محمد علي خديوي مصر ، اتفق الاثنان وتحالفا ليرفعا عنها ضيم الاتراك . ثار محمد علي على الدولة العثمانية فبسط سلطانه على ما جاوره من البلدان الخاضعة للاتراك وسعى لتحرير بلاده حائزاً نصراً بعد نصر ، متكلاً على جيش منظم يقوده ابنه ابراهيم ، وينصره اوان الشدة جيش الامير بشير الذي تسلمت قيادته الى ابنائه .

ولكن سرعان ما تحولت انظار محمد علي الى مس كرامة اللبنانيين فاراد ان يستخدمهم كآلة يحركها ساعة يشاء : غير ان اللبنانيين انقلبوا عليه ثائرين وردوه خائباً لانهم كانوا يؤثرون كرامتهم وحريتهم على كل شيء . ومذ ذاك اخذت تنشب ثورات داخلية لن تنقضي الا بمجازر دامية وتدخل الاجانب .

غير ان المؤلف لم يعرض لهذه النقطة الاخيرة اذ انها تتعدى البحث المتين. فالكتاب درس لما جرى بين السنة : ١٨٠٤ و ١٨٤١ .

جوزف بشاره

Emile Tyan. — *Institutions de droit public musulman.* Tome deuxième : Sultanat et Califat. — Gr. in-8°, 626 pp., Paris, Recueil Sirey, 1957.

الجزء الاول من المجلد الثاني من هذا البيان المُحكم في « انظمة الحق العمومي الاسلامي » الذي ظهر سنة ١٩٥٤ كان موضوعه الخليفة الى العهد العباسي . في المجلد الحاضر نجد اولًا تتمة هذا البيان : في الفصلين الخامس والسادس منه يبحث المؤلف عن اصل السلطنة والعلاقات بين الخليفة والسلطان في عهد البويهيديين والسلجوقيين في بغداد في الجيل الحادي عشر من تاريخنا. ثم ينتقل الى ازمنة المماليك بعد تجديد الخلافة في ملك بيبرس . هنا (صفحة ٢٦٣ من الكتاب) يبدأ الجزء الثاني بهذا العنوان العام: بيان نظري عام في الخلافة « Théorie générale du Califat » وهو يدرس تتابعاً النظرية السنية والنظرية الشيعية والنظرية الفاطمية ومذهب الخوارج ووضع خلفاء اسبانيا وافريقيا الشمالية الثانويين .

أقرّت اولًا العادة للخليفة بالسلطنة دون ان يُبدّل اسم امير المؤمنين باسم سلطان. عندما في آخر العهد العباسي فرض الرؤساء الاقطاعيون سلطانهم بجانب الخليفة كانوا يتصرفون كأمراء الأمراء. لم يظهر لقب السلطان الا مع السلجوقي طوغريل بك الذي دخل الى بغداد سنة ٤٤٧ ﻫ . ١٠٥٥ م . (ص ١١) لكن احتياز السلطة كان قد بدأ قبل ذلك بجيل بفعل الملوك البويهيديين.

مذ ذاك بازاء هذه الولاية الحقيقية المطلقة سلطة السلطان بقي الخليفة العباسي محتفظاً بمقامه كخليفة النبي والرئيس الروحي للاسلام . يطلب السلطان منه نيابة ويجدّ في نيل حلف متبادل بحيث السلطان والخليفة يعدان الواحد الآخر الامانة بقَسَم. السلطان هو صاحب السلطة فعلًا ويجهد في ضمان من يخلفه اما بوصيّة او بانتخاب الشخص الذي يختاره .

في عهد المماليك (هذه دولة عبيد سادة البلاد) لم تتغير علاقات السلطان

والخليفة عندما ابتدأت في القاهرة سنة ١٢٦٠ سلسلة الخلفاء العباسيين الجديدة. فيما يخص هذه الحقبة التي لم يدرس المستشرقون تاريخ الخليفة فيها الا إجمالا يبيّن لنا الاستاذ تيان اتفاق السلاطين المماليك والايوبيين في دمشق على الاقرار للخليفة بحق السلطة الاعلى مع ان المماليك ما زالت تُصرّ على مطالبته بالنيابة فاذا وقع اختلاف يبقى الحكم بالامر للقوة « الفصل المزعوم بين الروحي والزمني » لا يفسّر الحالة القائمة « فان الخلافة لم توجد ابدًا منفردة في سلطة روحية لم تكن قطّ لها بل انها بقيت كنظام روحي . . . نظير « فعل ايمان اسلامي » (ص ٢٥١—٢٥٠) .

ان نظرية الخلافة – وهذا موضوع الجزء الثاني من المجلد والكتاب الثاني من المؤلَّف – تضع الخلاف بين السنيين والشيعيين .

عند السنيين نجدها محدّدة مذ مقالات الماوردي المعتمد عليها (١٠٥٣—٩٩٤) والفراء (١٠٦٤—٩٩٠) بنوع ان احد اساتذة الازهر رشيد رضا سنة ١٩٢٢ عرض تعليمهم « بتعابيرها عينها » (ص ٢٦٤) مع ان محمدًا كان قد تنبأ – حسب حديث مشهور – « بعدي تكون الخلافة ثلاثين سنة ثم يكون المُلك. الملك هو السلطة فعلًا دون الاهتمام بالامورة الدينية حتى ان السلطان ينتخب هو نفسه الخليفة حتى يؤيّد سلطته ووراثته . في الصفحات ٢٩٥—٢٨٢ نجد فحوى المُلك عمليًا المقابلة للخلافة كما فهمها ابن خلدون .

تعلم الشيعة بخلاف الفكر (الموجب – الاقل رجوبًا – العملي) الرائج عند السنيين (ص ٢٩٣—٢٦٨) عند الشيعة – وهو الحزب المعارض المُبعَد من السلطة مدة ثلاثة اجيال – تروج تعاليم تبتعد اكثر فاكثر من الحقيقة القائمة : بحث طويل في الإمامة وفي نظرية المهدي تبين ما كان في ذلك تأثير الديانة بما ان الشيعيين هم متفقون – استنادًا الى نصوص من الوحي القرآني – بان الأئمة المتتابعين والإمام الخالي قد اقامهم الله (ص ٣٨٣) .

الفاطميون ملكوا على القاهرة سنة ٩٦٩ لمدة ٢٠٧ سنين وهم من اصلهم من البربر ادخلهم في الشيعة اسماعيليون جاؤوا من سلمية . ان صفة التكريس للامام تعاظم بحيث ان الحاكم سنة ١٠١٧ بتأثير ثلاثة لاهوتيين أكرم وحمزة ودرزي يظن بانه تأنس اللاهوت. بعد موت الحاكم (ويقول الدروز : اختفاؤه)

الى درزي -- وهو ابو الدروز -- الى لبنان واستوطنه (ص ٥٢٥) . لكن هذه سلطة الخليفة الوحيدة تحكم عملياً بواسطة وزراء وهؤلاء ينصبون الخلفاء ويخلعونهم . . .

درس الخلافة عند الخارجين ثم في اسبانيا واخيراً عند المهاد والحفصيين يشغل الاربعين صفحة الاخيرة من المجلد قبل فهرس الكتاب الثاني (الجزآن الاول والثاني) وقائمة الكتب .

نظام البيان المدقق ووضوح مضمونه والرجوع الدائم الى المصادر هي للمؤلف فضل لا يُنكر .

ر . م .

Henri Crouzel. — *Théologie de l'Image de Dieu chez Origène.* — Edit. Aubier, Paris, 1956, 287 pp.

بحث جديد مقتبس من مصادر ثقة . رغبة في درس موضوع عظيم الاهمية في اوريجينوس اللاهوتي الكبير درساً شاملاً وايضاً حباً بهذه المؤلف الذي مدى التاريخ صار عرضة لاحكام غير صائبة ومتغايرة وضع صاحب البحث في بحثه كل سعة معرفته لمذهب اوريجينوس .

في فصل افتتاحي همّ المؤلف بالتفتيش عن سوابق هذا المذهب بمعنى الصورة في التقليد اليوناني والتقليد اليهودي والتقليد المسيحي فاننا لا نرى ممكناً ان اوريجينوس توصل الى هذا الحد من الاستبداد وانه لم يتأثر بهذه العوامل المختلفة خصوصاً لان هذه التقاليد قد اثرت الواحدة بالاخرى وقد يكون اوريجينوس قد انقاد الى اولى هذه التقاليد الثلاثة . لكن المؤمن فيه عمل لانتصار التقليد المسيحي بكل غناه فكانت له الارض الخصبة التي منها اخذ وفيها تأمل .

ينقسم الكتاب الى جزئين الاول يبحث عن المسيح صورة الله وموضوع الثاني تاريخ اشتراك الانسان بصورة الله .

استفاد المؤلف من الجزء الاول -- وهـذا كان ضرورياً -- ليعطينا مقالة لاهوتية تامة في المسيح حسب تعليم اوريجينوس وهكذا ذكر ودحض بنصوص مأخوذة من اوريجينوس نفسه كل الهرطقات بخصوص المسيح حتى التي نُسبت اليه مثلاً مذهب الذين يدّعون بان الآب اعظم من الابن «Subordinatianisme»

فيجهد بنجاح في شرح هذا المذهب عند اوريجينوس فيحكم له باستقامة الرأي تاماً مهما كان من تعابيره .

عند مطالعة هذا الجزء من المؤلف يشعر القارئ بغنى فكر اوريجينوس خصوصاً لان المؤلف فكر وبصواب بان يضع امامنا نصوص اللاهوتي العظيم عينها .

ليس الجزء الثاني غير متعلق بالاول فانه يتكلم عن الانسان صورة الله . هذا الموضوع كان عاماً عند الآباء اليونانيين فالمؤلف يبحث فيها هنا بحثاً شاملاً بتفاصيلها المتعددة الخصوصية. من جهة اخرى مسائل كعلاقات الصورة والخطيئة لم تمنع المؤلف من ان يقابل – عبر الاجيال – هذه التعاليم مع مذهب كلوين في فساد الطبيعة البشرية الجوهري الذي نتج من خطيئة ابوينا الاولين واننا نرى ان هذه المقابلات جاءت في محلها .

لكن الفصول التي اجتذبت انتباهنا بنوع اخص هي التي بها يجد المؤلف في اعطائنا البيانات الضرورية لمعرفة الاختلاف الموجود بين الصورة والمشابهة . تعليم الآباء الشرقيين متردّد بخصوص ما بينهما من اختلاف فاننا لا نجده محدّداً بجلاء عند جميعهم . لكن ما نجده عندهم جميعاً هو على القليل الاثبات الآتي الذي نجده عند اوريجينوس : تُعطى الصورة بالخلقة والتشابه في الآخر .

ينهي المؤلف بحثه بتحليل آراء اوريجينوس اخرى مثلاً رأيه في قيامة الاجساد . انما تمنينا ان يكلمنا ايضاً في هذه المناسبة عن القيامة العامة وعن الرجاء العام بخلاص جميع الموتى . فما يكون اذن مصير الصورة عند الهالكين اذا كان الافتراق من الله محتوماً فان موقف اوريجينوس بهذا الخصوص لا يظهر مستقيماً بالتمام .

لا يمكننا بالحقيقة الا ان نهنئ المؤلف للطريقة المدققة التي اتخذها في بحثه لكننا نثني ايضاً على ما جاء به من جلاء وجرأة باتخاذ مذهب في نقاط كثيرة مخالف لآراء تعتبر الى اليوم مقررة كرأي صاحب السيادة كيريلوس في الخلقة وكذلك نثني على سعة مجال بحثه فقد حلل او ذكر بدقة كل تعاليم الجبذ العظيم المهمة .

قبل ان نختم هذا البيان الموجز نقف امام مسلك اوريجينوس الروحي اذ تأتى

المؤلف في هذا الموضوع برأي فولكير وهو ايضاً رأي برتراند فاوضح بعض اثباتات اوريجينوس وأبان بانه فوق كل آراء هذا الجهد الصبة الادراك تحوم سمة روحية لانه كان مسيحياً عظيم الايمان .

اخيرا ان لهذا البحث فائدة خصوصية لنا في الشرق فان اوريجينوس كان في الاسكندرية المعلم الكبير وقد أثر تأثيراً لا يُقابل هو بذاته او بواسطة تلميذه البارع ايفاكر البنطي على كل الذين بعده اشتهروا في الشرق بتآليفهم وبتعاليمهم . ا. ع. خ

Ph. Lippens. — *Expédition en Arabie centrale.* — Gr. in-8°, XII-218 pp. 1 carte, 1 index, 5 pl. en couleurs et 40 similigr. h.-t. — Paris, Adrien Maisonneuve, 1956.

في هذه الاسطر يجد القارئ بيان الرياد الكشفي الاول للآثار القديمة في البلاد العربية الوسطى المجهولة وكانت حكومة الملك ابن السعود المتوفى اوصت به عقبي التقاء الكاهن القانوني ريكمانس والسيد جوحن فيلبي في مؤتمر المستشرقين سنة ١٩٤٨ في باريس: غاية فيلبي الحصول على معلومات جغرافية دقيقة عن البلاد العربية الوسطى وغاية ريكمانس التفتيش عن معلومات كتابية قديمة تتيح له تكميل رحلاته الكشفية المثمرة في جنوب البلاد العربية واثباتها واستصحبا جاك ريكمنس وهو دكتور في علم اللغات الشرقية وفيليب ليبنس وهو قائد في الطيران قد قام بجولات جريئة في الصحارى وعارف بامور الشرق بصفته ملاحظ لجامعة الشعوب المتحدة في فلسطين . فكان الحاصل من هذه الريادة : فيما يخص الجغرافيا قيد مسافات ٥٠٠٠ كيلومتر او تحقيقها وفيما يخص الآثار القديمة تسجيل اكثر من ١٢٠٠٠ كتابة .

هذه الاسطر لفيلبي تطلعنا على جمال الرواية وقيمتها : « لقد نجح ليبنس نجاحاً تم تحديده حتى يفخر للعالم مثل جولة كالتي قمنا بها في بلاد مقفرة . فقد اتبع تقدم هذا السفر يومياً بانتباه دقيق الى عوارضه وبروح تفهم هما اليوم شيء نادر عند الذين يحدث لهم ان يزوروا البلاد العربية فانهم لا يرون فيها الا النفط ونشأة الشيع . واننا نجد بالخصوص في هذا الكتاب دلائل عاطفة روحية وعقلية نحو هؤلاء الناس والفقراء وهم فقراء سذج صالحون لم تصبهم بعد تعاسة الاطلاع

على أحاجي تمدن يدعي بالتفوق لكنه لا يتفق الا اتفاقاً سيئاً مع حقائق القفر الابدي الذي منه نجمت بسهولة ديانات العالم الثلاث الموحدة ».

ملء رواية هذه الرحلة زبدة: كل من الملاحظات التي تحتويها هي ذكرى حية ونحس بانها نوعاً ما نقطة انطلاق لكل خبرة الحاج عبدالله بخصوص تمدن القفر ولكن علم الريكمنس لتاريخه ومجموع ذلك كله متأنس في قلب كبير قلب ضابط قائد رجال ، بإنشاء بسيط صريح خيالي. كذلك الصور الفوتوغرافية والاوصاف هي دقيقة مُزوّقة بها تنجم امامنا بهيئة الغرائب والمناظر بملامحها الخصوصية التي تجعلها شبيهة بما نعرفه او مختلفة منه في مناطق اخرى محيطة اقل مناعة: البريّة السورية والخليج العجمي ومسقط واليمن ...

ما عدا هذه الملاحظات المختصة بالاطباع والعوائد وبالجغرافيا وبالتاريخ طول مدة رحلة التي اتخذت لها طريقاً اهمّ القُطُب الدينية والتجارية والحربية في البلاد العربية لهذا البيان الكشفي فائدة عظيمة وهي انه يضع امامنا في حياته الداخلية شعباً هو في وقت واحد بدويّ وحضريّ عندما اخذ تمدن الغنى يقلب تماماً حياته العريقة في القدم. أعطي هنا فِكرًا من المؤلف لابيّن ما في هذا الكتاب الانساني من غنى: رؤية مؤثّرة دينيّة واجتماعية للإسلام يهوي ويقوم مقامه فلسفة تنكر امكان معرفة العلة الاولى وما ابدعته ثم الوطنية وكذلك رواية التحضر وهي فاجعة ادبيـة تُبدل « الحق العادي » بالادارة ثم فاجعة اقتصادية تبيد شيئاً فشيئاً غابات البلاد العربية لخدمة مطابخ المدن التي كرياض يبلغ اليوم عدد سكانها بمائة الف: « طريق الحطب » يقوم مقام طريق التوابل في زمن لا خلاص للبلاد العربية فيه الا في إجراء الماء وفي الاسداد في الزراعة وفي اعادة غرس الاشجار طالما يدوم للبلاد غنى البترول ولا تقوم مقامه الذرة.

شكرًا ايها الضابط لك ولرفاقك فقد أفضلتم علينا بان نشارككم حياة فاجعة البلاد العربية مدة رحلتكم هذه الشاقة المثمرة في برودة الليالي المرصعة بالنجوم خلال غبار تراب الدروب ذي اللون الحديدي وذلك في ضيافة النخيل المحبور.

هنري شارل اليسوعي

Jean-Bowie-Shor — *Après vous, Marco Polo.* In-8°, relié sur papier alfa-neige bouffant de 319 pp. avec 12 pl. h.-t. de photos en similigravures et 7 schémas d'itinéraires. — Les Presses de la Cité — Paris, 1956.

كانت جان بوي بعد وليدا ثم شابة عندما اخذت تفكر في اجتياب آسيا على اثر ماركو بولو فكانت لها الحرب فرصة لهذه المخاطرة: تقيّدت في الصليب الاحمر الاميركاني كضيفة لمراكز الجندي ثم بعد ان ذاقت مرارة الاسر عند الشيوعيين الصينيين تزوجت مراسل جرائد خبيراً يظهر فاتر الطبع وهو بالحقيقة ذو حميّة. فكانت رحلة عرسها مباشرة اتمام مشروعها ولقضاء شهرهما الاول انتقلا الى دير « بحيرة السماء » في سفح بفدا اولاً في تركستان الصين ثم رجعا الى شانغي بطريق اوروبجي وبريّة غوبي.

بعد ذلك عادا فسافرا من البندقية يحاولان وصل طرفي الرحّالة العظيم، وبزيّن كل صفحة من مذكرة طريقها نصّ من ماركو بولو: في الشرق الذي لم يأخذ بالانطلاق الا اليوم ملاءمة هذا النص هي دليل جليّ على المهارة في الملاحظة والتدقيق عند البندقي صاحب النص. ما عدا ذلك اننا نعجب لنضارة اوصاف جان وليا يكشف من العاطفة التي تحمله على اكتشاف ما في الناس والاشياء من جودة وللترح الفائر الذي يُنعش فيهم ما يعجب ويؤثر. امام هذين الزوجين الشابين ثقة خالصة مرحّبة تفتح الابواب كلها وكل القلوب حتى عند شاه ايران وملك افغانستان ورئيس عصبة كانت تحتاز مضايق الواخان.

هذا الرئيس واسمه رحمان قول هو الذي أعطى الاوامر الى الادلاء الكرغيز ليتيهوا فرنك وجان على طريق الهند في مضايق دلهي صانغ التي يبلغ ارتفاعها ٦٥٠٠ متر حيث تعرّضوا للجوع والتعب ولطمع الادلاء. وللحقّ اظهرا في مكابدتها صبراً ثابتاً الى ان وصلا الى الفردوس الارضي امارة هنز.

قد اجاد القائد جوان بترجمته فقد عبّر احسن تعبير عما يحتويه وصف هذه الرحلة الجريئة المفيدة من فاتن تارةً جذّاب مضحك وتارةً فاجع.

هنري شارل اليسوعي

المشرق

السنة الثانية والخمسون

ت ٢ – ك ١ ١٩٥٨

هل الانشاء اللاواوي عربي محض

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

لقد وضعنا سنة ١٩٢٥ كلمة «لا واوي» بصفة نعت للانشاء الذي لا اداة عطف، كالواو والفاء وغيرهما، في اوائل كثير من جمله المستقلة، التي تفصلها نقطة عما قبلها. ذلك النعت ذاته يدل ايضاً على حذف حروف العطف بين افعال او موصوفات متتابعة او بين ما تكرر من حرف الجر عينه مع مجرورات مختلفة.

بعد ذلك الشرح الضروري نعيد سؤالنا: هل الانشاء اللاواوي عربي محض ام تشبه اعمى بانشاء كل اللغات الاوربية، ومن جملتها التركية، فلا نصيب له البتة من العروبة؟ نرجح ان اكثر قراء «المشرق» يجيبون بالنفي القسم الاول من ذلك السؤال، بدون ان يخامرهم ادنى شك في صحة رأيهم. اما نحن فنقول ان الانشاء اللاواوي عربي محض، مع كونه اقل شيوعاً من ضده، الامر الذي يتضح لكل ذي عينين.

سنبرهن على سداد رأينا بذكر عدد كبير من القطع اللاواوية ، بمعنى حذف ادوات العطف في اوائل كثير من الجمل المستقلة . قد اقتطفناها اولًا من القرآن ، وهو الذي حوّل لهجة قُريش ، دون غيرها من لهجات العرب ، الى اللغة العربية الفصحى الوحيدة، التي انتشرت بسرعة رائعة في مشارق الارض ومغاربها، بل اثّرت دون سواها من اشهر الالسن القديمة والحديثة ، في نحو مئة من لغات العالم ، كما اثبتنا بالادلة الدامغة في كتابنا « غرائب اللغة العربية » . ثم ذكرنا قِطعاً لاواوية اخرى ، بالمعنى المشار اليه ، وهي ثلاثة وعشرين من اشهر الادباء القدماء ، وعشرين من نوابغ رصفائهم المعاصرين ، بحيث لا يجسر احد جسارة معقولة على انكار عروبة الانشاء اللاواوي المحضة ، منذ نشأة لغة الضاد الى ايامنا .

جعلنا بعد اسم كل اديب متوفى تاريخ وفاته بين قوسين ، وبذلنا الجهد لاختيار قطع لاواوية كاملة المعنى، لذيذة الموضوع، شديدة التنوع، بقدر الامكان. وضعنا في اول بعضها او آخره ثلاث نقط تدل على اهمال ما قبلها او بعدها ، مما لا يوافق غايتنا . قد اشرنا بغاية الدقة الى مصدر كل قطعة ، ليسهل على القارئ تحقيق مطابقة نصها في هذه المقالة لاصلها .

القسم الاول

حذف حروف العطف في اوائل كثير من الجمل المستقلة

الفصل الاول : القرآن

١ من سورة طه (من الآية ٩٣ الى ١٠١)

قال : « يا هارون ، ما منعك ، اذ رأيتهم ضلّوا ، الّا تتّبعن ? افعصيت امري ? » قال : « يا ابن أمّ ، لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ، اني خشيت ان تقول فرّقتَ بين بني اسرائيل ، ولم ترقب قولي . » قال : « فما خطبك ، يا سامري ? » قال : « بصُرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها ، وكذلك سوّلت لي نفسي . » قال : « فاذهب ، فان لك في الحياة ان تقول لا مساس ، وان لك موعدًا لن تُخلفه ، وانظر الى الهك الذي ظلتَ

« عليه عاكفا؟ لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً . انما الهكم الله الذي لا اله إلا هو ؛ وسع كل شيء علماً . كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق، وقد اتيناك من لدنا ذكراً . من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً .

٢ من سورة النمل (٢٣ الى ٣٥)

اني وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شيء، ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وزين لهم الشيطان اعمالهم ، فصدهم عن السبيل ، فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ، ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا اله الا هو، رب العرش العظيم. قال :« سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين . إذهب بكتابي هذا ، فالقه اليهم ، ثم تولَّ عنهم ، فانظر ماذا يرجعون . » قالت :« يا ايها الملأ ، اني أُلقي اليَّ كتاب كريم . انه من سليمان ، وانه باسم الله الرحمن الرحيم ، الّا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين . » قالت :« يا أيها الملأ ، أفتوني في امري ؛ ما كنت قاطعة امراً حتى تشهدون. » قالوا :« نحن اولو قوة واولو بأس شديد ، والامر اليك ؛ فانظري ماذا تأمرين . » قالت :« ان الملوك اذا دخلوا قرية ، افسدوها وجعلوا اعزة أهلها اذلة ، وكذلك يفعلون . »

٣ من سورة ص (٧٥ الى النهاية)

قال :« يا ابليس ، ما منعك ان تسجد لما خلقتُ بيديَّ ؟ أستكبرتَ ام كنت من العالين ؟ » قال :« انا خيرٌ منه؛ خلقتني من نار ، وخلقته من طين. » قال :« فأخرج منها ، فانك رجيم ، وان عليك لعنتي الى يوم الدين . » قال : « ربِّ ؛ فأنظرني الى يوم يُبعثون .» قال :« فانك من المُنظَرين الى يوم الوقت المعلوم . » قال :« فبعزتك لأغوينهم أجمعين الّا عبادك منهم المخلصين . » قال: « فالحقُّ — والحقَّ اقول — لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين . قل ما اسألكم عليه من اجر ، وما انا من المتكلفين . إن هو إلا ذكرٌ للعالمين ، ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين . »

٤ من سورة الشورى (١٧ الى ٢١)

الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان ، وما يُدريك لعل الساعة قريب ؛

يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مُشفقون منها، ويعلمون انها الحق، الّا انّ الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد . الله لطيف بعباده، يرزق من يشاء، وهو القوي العزيز . من كان يريد حرث الآخرة، نزد له في حرثه؛ ومن كان يريد حرث الدنيا، نؤته منها، وما له في الآخرة من نصيب .

٥ً من سورة الدخان (٣٨ الى ٥٤)

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين . ما خلقناهما الّا بالحق، ولكن اكثرهم لا يعلمون . ان يوم الفصلَ ميقاتهم اجمعين، يومَ لا يُغني مولى عن مولى شيئاً، ولا هم يُنصرون إلا من رحمَ الله؛ انه هو العزيز الرحيم. ان شجرة الزقّوم طعام الاثيم؛ كالمهل يغلي في البطون، كغلي الحميم. خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم، ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذُق؛ انك انت العزيز الكريم . ان هذا ما كنتم به تمترون. ان المتقين في مقام امين في جنة وعيون؛ يلبسون من سندس واستبرق متقابلين .

٦ً من سورة الحجرات (١٥ الى النهاية)

انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يرتابوا وجهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله، اولئك هم الصادقون . قُل اتعلّمون الله بدينكم، والله يعلم ما في السموات وما في الارض، والله بكل شيء عليم . يمنّون عليك أن اسلموا؛ قُل لا تمنّوا على اسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان، ان كنتم صادقين . ان الله يعلم غيب السموات والارض، والله بصير بما تعملون .

٧ً من سورة ق (٢٤ الى ٣٧)

ألقيا في جهنم كل كفّار عنيد، منّاع للخير، مُعتدٍ مُريب، الذي جعل مع الله الهاً آخر؛ فالقياه في العذاب الشديد .

قال قرينه: «ربنا، ما اطغيتُه، ولكن كان في ضلال بعيد .» قال: «لا تختصموا لديّ، وقد قدّمت اليكم بالوعيد . ما يبدّل القول لديّ، وما انا بظلّام للعبيد . يومَ نقول لجهنم هل امتلأت، وتقول هل من مزيد، وأُزلفت الجنّة للمتّقين غير بعيد . هـذا ما توعَدون لكل اوّاب حفيظ، من خشي الرحمنَ بالغيب وجاء بقلب مُنيب . أُدخلوها بسلام؛ ذلك يوم الخلود . لهم

« ما يشاءون فيها ولدينا مزيد . وكم اهلكنا قبلهم من قرنٍ هم اشدّ منهم « بطشاً ، فنقّبوا في البلاد هل من محيص . »

٨ً . من سورة الذاريات (٨ الى ١٩)

انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك. قُتل الخرّاصون الذين هم في غمرة ساهون . يسألون ايّانَ يوم الدين ، يومَ هم على النار يُفتنون ، ذوقوا فتنتكم ، هذا الذي كنتم به تستعجلون . ان المتقين في جنّة وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم . انهم كانوا قبل ذلك محسنين. كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. . .

٩ً من سورة الحديد (١ الى ٨)

سبّح لله ما في السموات والارض ، وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات والارض ، يُحيي ويُميت ، وهو على كل شيء قدير . هو الاول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ، ثم استوى على العرش . يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرُج فيها ، وهو معكم اينما كنتم ، والله بما تعملون بصير . له ملك السموات والارض ، والى الله ترجع الامور . يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل ، وهو عليم بذات الصدور . آمنوا بالله ورسوله ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا ، لهم اجر كبير .

١٠ً فضلاً عن القطع السابقة ، نجد في القرآن امثلة عديدة جداً على الانشاء اللاواوي ، ومن جملتها ما في السوَر الآتية : مريم (٨٨ الى ٩٧)، طه (١٣ الى ٢٣ ، ٤٤ الى ٥٣) ، الحج (٥٨ الى ٦٨) ، المؤمنون (٣٥ الى ٤١) ، النور (١ الى ٤ ، ٢٣ الى ٢٧) ، الشعراء (١٢ الى ٣٨)، القصص (٨٣ الى ٨٦)، الروم (١ الى ٨) ، الاحزاب (١٦ الى ٢٢، ٦٠ الى ٦٦) ، سبأ (٤٦ الى ٥١) ، فاطر (٣٨ الى ٤٣)، يس (١٥ الى ٢٧) ، الصافات (٥١ الى ٦٦) ، الزمر (٤ الى ١٧) ، غافر (١ الى ٦ ، ٦١ الى ٧٠) .

الفصل الثاني : بعض نوابغ الادباء القدماء

عبدالله بن المقفّع (٧٢٧)

من حكاية الحمامة والثعلب ومالك الحزين في كتاب « كليلة ودمنة » ، الذي عرّبه من اللغة البهلوية

. . . فقال له الثعلب : « يا مالك الحزين ، اذا اتتك الريح عن يمينك فاين

تجعل رأسك ؟ » قال :« عن شمالي » . قال : « فاذا اتتك الريح عن شمالك ، فاين تجعل رأسك ؟ » قال : « اجعله عن يميني او خلفي . » قال :« فاذا اتتك الريح من كل مكان وكل ناحية ، فاين تجعله ؟ » قال :« اجعله تحت جناحي.» قال :« وكيف تستطيع ان تجعله تحت جناحك ؟ ما اراه يتهيأ لك . » قال: « بلى . » قال :« فارني كيف تصنع ... »

ابو عمرو اسحاق الشيباني (٨٢٢)

حكاية « ازهر وابي جعفر المنصور » في الجزء الثاني من « مجاني الادب » للاب لويس شيخو اليسوعي ، الصفحة ١٥٢

روى الشيباني قال :« كان ابو جعفر المنصور ايام بني امية اذا دخل، دخل مستترًا. فكان يجلس في حلقة ازهرَ السَّمان المحدّث . فلما افضت الخلافة اليه، قدِم عليه ازهر ، فرحّب به وقرّبه وقال له :« ما حاجتك ، يا ازهر ؟ » قال: « داري منهدمة ،وعليَّ اربعة آلاف درهم . » فوصله باثني عشر الفًا وقال :« قد قضينا حاجتك ، يا ازهر ؛ فلا تأتنا طالبًا . » فاخذها وارتحل ؛ فلما كان بعد سنة ، اتاه . فلما رآه ابو جعفر ، قال :« ما جاء بك ،يا ازهر ؟ » قال :« جئتك مسلّمًا . » قال :« قد امرنا لك باثني عشر الفًا ، واذهب فلا تأتنا طالبًا ولا مسلّمًا . » فأخذها ومضى . فلما كان بعد سنة ، اتاه . فقال : « ما جاء بك ، يا ازهر ؟ » قال :« اتيت عائدًا . » قال : « انه يقع في خلدي انك جئت طالبًا .» قال :« ما جئت الا عائدًا . » قال :« قد امرنا لك باثني عشر الفًا ، واذهب فلا تأتنا طالبًا ولا مسلّمًا ولا عائدًا . » فاخذها وانصرف . فلما مضت السنة ، اقبل . فقال له : « ما جاء بك ، يا ازهر ؟ » قال : « دعاء كنتُ اسمعك تدعو به ،يا امير المؤمنين ؛ جئتُ لاكتبه . فضحك ابو جعفر وقال : « انه دعاء غير مستجاب ، وذلك اني قد دعوت الله به ان لا اراك ، فلم يستجب لي ، وقد امرنا لك باثني عشر الفًا ، وتعال متى شئت ، فقد اعيتني فيك الحيلة . »

عبد الملك الاصمعي (٨٢٨)

من اشعر شعراء العرب . القصة التالية في الجزء الرابع من « مجاني الادب» ، الصفحة ٢٤٨

ومما جاء من اخبار البرامكة ما رواه الاصمعي ؛ قال : خرج الفضل للصيد

والقنص ؛ وبينا هو في موكبه ، اذ رأى اعرابيًا على ناقة قد اقبل من صدر البرية ، يركض في سيره . قال : « هذا يقصدني ، فلا يكلمه احد غيري . »
فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب والخيام تنصب ، والعسكر الكثير والجم الغفير ، وسمع الوغاء والضجة ، ظن انه امير المؤمنين. فنزل وعقل راحلته وتقدم اليه وقال : « السلام عليك ، يا امير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته . » قال : « إخفض عليك ما تقول . » فقال : « السلام عليك ، ايها الامير . » قال : « الآن قاربتَ ؛ إجلس . » فجلس الاعرابي . فقال له الفضل : « من اين اقبلت ، يا اخا العرب ؟ » قال : « من قُضاعة . » قال : « من ادناها او من اقصاها ؟ » قال : « من اقصاها . » فقال : « يا اخا العرب ، « مثلك من يقصد من ثمانية فرسخ الى العراق لاي شيء ؟ » قال : « قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد . » قال : « من هم ؟ » قال : « البرامكة . » قال الفضل : « يا اخا العرب ، ان البرامكة خلق كثير ، وفيهم جليل وخطير ، ولكل منهم خاصة وعامة . فهل افرزتَ لنفسك منهم من اخترت لنفسك واتيته لحاجتك ؟ » قال : « اجل ، اطولهم باعاً واسمحهم كفًّا . » قال : « من هو ؟ » قال : « الفضل ابن يحيى بن خالد . »

ابن قتيبة الدينوري (٨٨٩)

القطعة التالية في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ٩١ .

حكي ان الحجّاج خرج في بعض الايام للتنزه ، فصرف عنه اصحابه وانفرد بنفسه ، فلاقى شيخاً من بني عجل ، فقال له : « من اين انت ، يا شيخ ؟ » قال : « من هذه القرية . » قال : « ما رأيكم بحكام البلاد ؟ » قال : « كلهم اشرار يظلمون الناس ، فيختلسون اموالهم . » قال : « وما قولك في الحجّاج ؟ » قال : « هذا النجس الكل ؛ سوّد الله وجهه ووجه من استعمله على هذه البلاد . » فقال الحجاج : « تعرف من انا ؟ » قال : « لا والله . » قال : « انا الحجّاج . » قال : « انا فداك ، وانت تعرف من انا ؟ » قال : « لا . » قال : « انا زيد بن عامر ، مجنون بني عجل . أُصرع كل يوم مرة في مثل هذه الساعة . » فضحك الحجاج واجازه .

ابو عُمر احمد بن عبد ربه (٩٤٠)

١ً من رواية « ابن كلدة عند كسرى » في الجزء الثالث من « مجاني الادب » :
الصفحة ١٨١

وفد ابن كلدة الثقفيّ على كسرى ، فانتصب بين يديه . فقال له كسرى : « من انت ؟ » فقال: « انا الحارث بن كلدة. » قال: « اعربيٌ انتَ ؟» « قال : « نعم ، ومن صميمها . » قال : « فا صناعتك ؟ » قال : « طبيب . » قال : « وما تصنع العرب بالطبيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذائها ؟ » فقال : « ذلك اجدر ، ايها الملك ، اذا كانت بهذه الصفة ، ان » تحتاج الى ما يُصلح جهلها ويُقيم عِوَجها ويسوس ابدانها ويعدّل اسنانها. » قال الملك : « كيف لها بأن تعرف ما تعهده عليها ? لو عرفتِ الحق ، لم تُنسب الى الجهل . » قال الحارث : « ايها الملك ، ان الله — جلّ اسمه — قسّم العقول » بين العباد كما قسّم الارزاق ، واخذ القوم نصيبهم . . . »

٢ً. حكاية الحجّاج والاعرابي ، في الجزء الثاني من مجاني الادب ، الصفحة ١٥ .

خرج الحجّاج ذات يوم ، فأصحر وحضر غداؤه، فقال : « اطلبوا من يتغدى معنا . » فطلبوا فلم يجدوا الا اعرابيًا في شملة ، فأتوه به . قال له : « هلُمّ . » قال له : « قد دعاني من هو اكرم منك ، فاجبته . » قال : « ومن هو ? » « قال : « الله تبارك وتعالى دعاني الى الصيام ، فانا صائم . » قال : « صوم في مثل هذا اليوم على حرّ ? » قال : « صمت ليوم هو احرّ منه . » قال : « فأفطر » اليوم وتصوم غدًا . » قال : « او يضمن لي الامير ان اعيش الى غد ? » قال : « ليس ذلك اليّ . » قال : « فكيف تسألني عاجلًا بآجل ليس لي اليه سبيل؟ » قال : « انه طعام طيب . » قال : « والله ما طيّبه خبّازك ولا طبّاخك، ولكن طيّبته العافية . » قال الحجّاج : « تالله ما رأيت كاليوم ! »

ابو الحسَن المسعودي (٩٥٦)

١ً القطعة التالية في الصفحة ٤٤ من الكتاب (Cours gradué de traduction française arabe) للاب هنري لامنس (Lammens) اليسوعي

فدعا الامير بالطعام ثم قال لي : « صِف لي الطعام والشراب والطيب

والخيل .» قلت : «ايكون ذلك منثورًا او منظوماً ؟» قـال : «لا بل منثورًا .» قلت : «اطيب الطعام ما لقي الجوع بطعم وافق شهوة .» قال : «فما اطيب الشراب ؟» قلت :«كأس مدام تبرّد بها غليلك وتعاطي بهـا خليلك .» قال : «فأيّ السماع افضل ؟» قلت : «اوتار اربعة .» قـال : «فأيّ الخيل افره ؟» قلت :«الاشدق الاعين الـذي اذا طُلب سبق ، واذا طلب لحق .» قال : «احسنت ، يا بشر ، اعطه مئة دينار .» قلت :«واين «تقع مني مئتا دينار ؟» قال :«اوَقد زدتَ نفسك مئة دينار ؟ يا غلام ، اعطه «المئة كما ذكرنا ، والمئة الاخرى لحسن ظنه بنا .»

٣ً دونكم قطعة اخرى من رواية في الصفحة ٨٨ من الكتاب المشار اليه

قال المهدي[1] :«اتـدري من انا ؟» قال :«لا والله .» قال :«انا من خدم الخاصة .» قال : «بارك الله في موضعك وحيّاك من كنت .» ثم شرب الاعرابي قدحاً وسقاه . فلما شرب الثاني ، قال:«يا اعرابي ، اتدري من انا؟» قال : «نعم ، ذكرت انك من خدم الخاصة .» قال : «فلستُ كذلك .» قال : «فمن انت ؟» قال : «انا احد قواد المهدي .» قال :«رُحبت دارك وطاب مزارك .» ثم شرب الاعرابي قدحاً وسقاه ، فلما شرب الثالث ، قال: «يا اعرابي ، اتدري من انا ؟» قال :«نعم ، زعمتَ انك احد قواد المهدي.» قال : «فلستُ كذلك ، انا امير المؤمنين بنفسه .» فاخذ الاعرابي ركوته فوكاها ، فقال له المهدي : «إسقنا» قال : «لا والله ، لا تشرب منها جرعة «فما فوقها .» قال:«ولِمَ ؟» قال :«سقيناك واحدًا ، فزعمتَ انك من خدم «الخاصة ، فاحتملناها لك . ثم سقيناك آخر ، فزعمت انك احد قواد المهدي ، «فاحتملناها لك . ثم سقيناك ثالثاً ، فزعمت انك امير المؤمنين . لا ، والله ، «آمن ان اسقيك الرابعة ، فتقول : «انا رسول الله .» فضحك المهدي ...

ابو الفرج الاصبهاني (٩٦٦)

٤ً هو مؤلف «الاغاني» . القطعة التالية في الجزء الاول من «مجاني الادب» ، الصفحة ١٠٣

قال هلال الرائي ، وهو هلال بن عطيّة ، لبشار الشاعر ، وكان لـه صديقاً

---

[1] قول الخليفة موجه لاعرابي اضافه في خيمته ، فاطعمه وسقاه من خير ما عنده .

يمازحه :« ان الله لم يُذهب بصر احد الا عوّضه بشيء ، فما عوّضك ? » قال : « الطويلَ العريض . » قال :« وما هذا ?» قال :« ان لا اراك ولا امثالك من الثقلاء . »

٣ً هذه قطعة اخرى للاصبهاني ، في الجزء السادس من «مجاني الادب» ، الصفحة ٢٩٤

قال ابن ابي بكرة :« لقيت الحُطَيئة بذات عِرق ، فقلت له : « يا ابا مليكة ، من اشعر الناس ? » فاخرج لسانه كأنه حية ، ثم قال : « هذا اذا طمع . » وأخبر المدائني ، قال :« مر ابن الحمامة بالحطيئة ، وهو جالس بفناء بيته ، فقال :« السلام عليكم .» فقال :« قلتَ ما لا يُنكر .» قال :« اني خرجت من اهلي بغير زاد . » فقال :« ما ضمنتُ لاهلك قِراك . » قال : « افتأذن لي ان آتي ظل بيتك ، فاتفيأ به ?» قال:« دونك الجبل يفيء عليك.» قال :« انا ابن الحمامة . » قال :« إنصرف وكُن ابن اي طائر شئت . »

بديع الزمان الهمذاني (١٠٠٧)

١ً هو صاحب المقامات الشهيرة . هذه القطعة في الجزء السادس من « مجاني الادب» ، الصفحة ١١٤

فليكن الموت منكم على ذكر ، لئلا تأتوا بنُكر . فانكم اذا استشعرتموه ، لم تجمحوا ، ومتى ذكرتموه ، لم تمرحوا ؛ وان نسيتموه ، فهو ذاكركم ؛ وان كرهتموه ، فهو زائركم . قلنا :« فما حاجتك ? » قال :« اطول من ان تُحَد ، واكثر من ان تُعدّ . » قلنا :« فسانحُ الوقت ? » قال :« ردُّ فائت العمر ، ودفع نازل الامر .» قلنا : « ليس ذلك الينا ، ولكن ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها .» قال :« لا حاجة لي فيها .»

٢ً قطعة من المقامة القريضية ، في الجزء الخامس من « مجاني الادب » ، الصفحة ٩٠

... فقلنا :« ما تقول في امرئ القيس ? » قال :« هو اول من وقف « بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وُكناتها . ووصف الخيل بصفاتها ، ولم « يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجِد القول راغباً ، ففضَل من تفتّق للحيلة لسانه ، « وتنجّع للرغبة بنانه .» قلنا :« فما تقول في النابغة ? » قال : يثلب اذا حنق ،

« ويمدح اذا رغب ، ويعتذر اذا رهب ، ولا يرمي الا صائباً . » قلنا :« فما تقول في زهير ؟ » قال :« يُذيب الشعرَ ، والشعر يذيبه ، ويدعو القولَ والسحر يجيبه . » قلنا :« فما تقول في طرفة ؟ » قال :« هو ماء الاشعار وطينتها ، وكنز « القوافي ومدينتها . مات ولم تظهر اسرار دفائنه ، ولم تُفتح اغلاق خزائنه . » قلنا :« فما تقول في جرير والفرزدق ، وايهما اسبق ؟ »...

ابو اسحق القَيرواني (١٠٦١)

قطعة من « زهر الآداب » في الجزء الثالث من « مجاني الادب » ، الصفحة ٣٠

لقي رجل حكيماً فقال :« كيف ترى الدهر ؟ » قال : « يُخلق الابدان ويُجدّد الآمال ويُقرّب المنيّة ويباعد الأمنيّة . » قال :« فما حال اهله ؟ » قال: « من ظفر منهم لَغِب ، ومن فاته نصب . » قال : « فما يُغني عنه ؟ » قال : « قطع الرجاء منه . » قال :« فايّ الاصحاب ابرّ واوفى ؟ » قال:« العمل الصالح والتقوى . » قال : « ايهم اضرّ واردى ؟ » قال :« النفس والهوى . » قال : « فاين المخرج ؟ » قال :« سلوك المنهج . »

ابن ابي الرندقة الطُرطوشي (١١٢٦)

١ قطعة من مقالته في كمالات الله تعالى ، في الجزء الثالث من « مجاني الادب » ، الصفحة ٣

ان الله — عزّ وجلّ — لم يزل ولا يزال . هو الكبير المتعال ، خالق الاعيان والآثار ، ومكوّر النهار على الليل والليل على النهار ، العالم بالخفيّات وما تنطوي عليه الأرضون والسماوات . سواء عنده الجهر والإسرار ، ومن هو مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار . الا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير ؟ خلق الخلق بقدرته ، واحكمهم بعلمه ، وخصهم بمشيئته ، ودبرهم بحكمته . لم يكن له في خلقهم معين ، ولا في تدبيرهم مشير ولا ظهير . وكيف يستعين من لم يزل بمن لم يكن ؟ لا تلزمه لِمَ ، ولا يُجاوره اين ، ولا تلاصقه حيث ، ولا تعدّه كم ، ولا تحصره متى ، ولا تُحيط به كيف ، ولا تُظهره قبل ، ولم تفته بعد ، ولم تجمعه كلّ وصفه لا صفة له ، وكونه لا امد له ، ولا تُخالطه الاشكال والصور ، ولا تُغيّره الآثار والغيَر ، ولا تجوز عليه المماسّة والمقاربة ، وتستحيل عليه المحاذاة

والمقابلة . إن قلتَ « اين هو ؟ » ، فقد سبق المكانَ وجوده . لم يفتقر وجوده الى اين . هو بعد خلق المكان غنيٌّ بنفسه ، كما كان قبل خلق المكان ؟ وكيف يحلّ في ما منه بدا ؟ . . .

٣ً حكاية الملك وسائق الحمار ، في الجزء الثاني من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٠٠

مر بعض الملوك بغلام يسوق حمارًا غير منبعث ، وقد عنُف عليه في السوق ، فقال : « يا غلام ، أرفق به . » فقال الغلام : « ايها الملك ، في الرفق به مضرة عليه . » قال : « وما مضرته ؟ » قال : « يطول طريقه ويشتد جوعه ، وفي العُنف به احسان اليه . » قال : « وما الاحسان اليه ؟ » قال : « يخفّ حمله ويطول اكله . » قال فأعجب الملك بكلامه وقال له : « قد امرتُ لك بالف درهم . » فقال : « رزقٌ مقدور وواهب مأجور . » قال : « وقد امرتُ باثبات اسمك في جيشي . » فقال : « كُفيتُ مؤونةً ورُزقت بها معونة . » قال : « لولا انك حديث السن ، لاستوزرتك . » قال : « لن يعدم الفضل من رُزق العقل . » قال : « فهل تصلح لذلك ؟ » قال : « انما يكون المدح والذم بعد التجربة ، ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها . » قال ، فاستوزره ، فوجده ذا رأي صائب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق .

ايليا الحديثي (١١٩٠)

هو بطريرك نسطوري مشهور ببلاغة مواعظه . هذه القطعة في الجزء السادس من « مجاني الادب » ، الصفحة ٣٥

اليوم قرت شقاشق اشعيا النبي المجّد في الانبياء . أن البتول الطاهرة تحبل وتلد اشرف الابناء . اليوم انقضّ الكوكب الصُبحي في فلك آل يعقوب ، وفضّ بنوره اغساق الضلال من آفاق القلوب . اليوم نصلّ خضابُ الاضاليل ، اصحرت هضاب الاباطيل ، تناثرت اوراق الرذائل ، بدا الايراق في اغصان الفضائل . اليوم تبلجت اقمار الحقائق ، فُتحت الذخائر والكنوز ، نُضيت ستور الاسرار عن وجوه الامثال والرموز . اليوم تدكدكت اعران الضلال ، تبركت الاذهان بميلاد معيد الكمال ، تنفس صباح السعادة والاقبال ، تسربلت جبلة آدم من فخر الولادة المسيحية اسنى حُلة وابهى سربال . اليوم انجم سحاب العطايا ،

انجم خباب الخطايا ، فُتحت خزائن المواهب ، مُنحت صوائن الاذخار لكل آتٍ وذاهب . اليوم سقطت اجنّة الطغيان ، أُبِسَت جُنّة الغفران ، ظهرت سُنة الايمان ، تهترت الاكنّة عن القلوب والاذهان .

احمد الشريشي (١٢٢٢)

هذه القطعة في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٠١

قال افلحُ التركي : « خرجنا مرة الى حرب لنا ، ومعنا رجل كان يقول : « انا اتمنى ان ارى الحرب كيف هي . » فاخرجناه معنا ، فاول سهم جاء وقع في رأسه . فلما انصرفنا ، دعونا له معالجاً ، فنظر اليه وقال : « إن خرج الزج ، وفيه شيء من دماغه ، مات ؛ وان لم يخرج عليه شيء من دماغه ، لم يكن عليه بأس . » فنزعه فلم ير عليه شيء فقبّل رأسه وقال : « بشّرك الله بخير ؛ إنزعه ، فما في رأسي دماغ . » فقال الطبيب : « وكيف ذلك ؟ » قال : « لو كان فيَّ ذرة من دماغ ، ما كنتُ هنا . »

شهاب الدين السُهرَوردي (١٢٣٤)

قطعة من « عوارف المعارف » في الجزء الخامس من « مجاني الادب » ، الصفحة ٤

... اجساد ارضية بقلوب سماوية ، واشباح فرشية بارواح عرشية . نفوسهم في منازل الخدمة سيّارة ، وارواحهم في فضاء القرب طيّارة . مذاهبهم في العبودية مشهورة ، واعلامهم في اقطار الارض منشورة . يقول الجاهل بهم « فُقدوا » ، وما فُقدوا ، ولكن سمت احوالهم فلم يدركوا ، وعلا مقامهم فلم يُملكوا ، كائنين بالجثمان ، بائنين بقلوبهم عن اوطان الحدثان . لارواحهم حول العرش تطواف ، ولقلوبهم من خزائن البر اسعاف . يتنعمون بالخدمة في الدياجر ، ويتلذذون من وهج الظمإ بظمإ الهواجر . سلوا بالصلوات عن الشهوات ، وتعوّضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات . يلوح من صفحات وجوههم بِشر الوجدان ، وينمّ على مكنون سرائرهم نضارة العرفان . لا يزال في كل عصر منهم علامون بالحق ، داعون للخلق . منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة ، وجعلوا للمتقين قدوة ، فلا يزال تظهر في الخلق آثارهم ، وتزهر في الآفاق انوارهم . من اقتدى بهم اهتدى ، ومن انكرهم ضل واعتدى ...

كمال الدين الحلبي (١٢٦٢)

هذه القطعة في الجزء الرابع من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٦٦

الكُتّاب عماد المَلك واركانه ، وعيونه المبصرة واعوانه ، وبهاء الدُول ونظامها ، ورؤوس الرئاسة وقوامها . ملابسهم فاخرة ، ومحاسنهم باهرة ، وشمائلهم لطيفة ، ونفوسهم شريفة . مدار الحل والعقد عليهم ، ومرجع التصرف والتدبير اليهم . لهم تُحلّى العواطل ، وتبتسم ثغور المعاقل . مجالسهم بالفضائل معمورة ، وبنداهم اندية القُصّاد مغمورة . يُهدون الى الاسماع انواع البديع ، ويتزهون الاحداق في حدائق التوشيح والترشيع. هم اهل البراعة واللسن ، وشيمتهم لف القبيح ونشر الحسن . يميلون الى القول بموجَب المدح ، ولا يملّون من مراجعة الراغبين في المنح . دأبهم استخدام الناس بالمعروف ، وعدم التورية عن العاني والملهوف . يحلّون الكبير ، ويبجلون الصغير ، ولا يُخلّون بمراعاة النظير . لهم الى الخير رجوع والتفات ، وبالجملة فقد حازوا جميع جميل الصفات .

الحسَن بن حبيب (١٣٧٧)

قطعة من كتابه « نسيم الصبا » في الجزء الخامس من « مجاني الادب » الصفحة ١٠٥ في تلك القطعة يمدح الشتاء ذاته .

... معروفي معروف ، ونيل نَيلي موصوف ، وثمار احساني دانية القطوف. كم لي من وابل طويل المدى ، وجَود وافر الجدا ، وقطر حلا مذاقه ، وغيث قيّد العُفاةَ اطلاقه ، وديمة تُطرب السمع بصوتها ، وحياً يُحيي الارض بعد موتها ! ايامي وجيزة ، واوقاتي عزيزة ، ومجالسي معمورة ، بذوي السيادة مغمورة بالخير والمَير والسعادة . نقلها يأتي من انواعه بالعجب ، ومناقلها تسمح بذهب اللهب ، وراحها تنعش الارواح ، وتفتق العقول الصحاح . إن رُدتها ، وجدت مالا ممدودًا ؛ وان زرتها ، شاهدت لها بنين شهودًا ...

ابن بطوطة (١٣٧٨)

القطعة التالية في الصفحة ١٧ من الكتاب Cours gradué de traduction française arabe للاب هنري لامنس (Lammens) اليسوعي

حكاية من مكارمه . حضرتُه يوم جمعة ، وقد خرج من الصلاة قاصدًا

الى داره ، فتعرض له احد الفقراء اليمنيين ، فقال له : «يا ابا المواهب .» فقال: « لبيك ، يا فقير ، حاجتك ؟ » قال : « اعطني هذه الثياب التي عليك . » فقال له : « نعم اعطيكها . » قال : « الساعة » . قال . « نعم ، الساعة » .

احمد القلقشندي (١٤١٨)

القطعة التالية في الصفحة ١٤ من الكتاب Cours gradué de traduction française arabe للاب لامنس (Lammens) اليسوعي

اول من خطب على العصا وعلى الراحلة قُسّ بن ساعدة الايادي . اول من عمل المنبر تميم الداري ، عمله للنبي صلعم ، وكان قد رأى منابر الكنائس بالشام . اول من خطب جالساً معاوية حين كثُر شحمه . اول من رفع يده في الخطبة يوم الجمعة عُبيد الله بن عبدالله بن عُتبة .

ابو بكر ابن حُجة الحموي (١٤٣٣)

قطعة من رواية « اولاد نزار عند الافعى » ، مقتبسة من كتاب «ثمرات الاوراق» وهي في الجزء الثالث من «مجاني الادب» الصفحة ١٦٦

شخص مُضَرُ وربيعة وإياد وانمار اولاد نزار الى ارض نجران . فبينما هم يسيرون ، اذ رأى مضر كلأً قد رُعي ، فقال : « البعير الذي رعى هذا اعور . » فقال ربيعة : « وهو ازور . » قال إياد : « وهو ابتر . » وقال انمار : « وهو شرود . » فلم يسيروا الا قليلا حتى لقيهم رجل على راحلة ، فسألهم عن البعير . فقال مضر : « اهو اعور ؟ » قال : « نعم . » قال ربيعة : « اهو ازور ؟ » قال : « نعم . » قال إياد : « اهو ابتر ؟ » قال : « نعم . » قال انمار : « اهو شرود ؟ » قال : « نعم . » فقال : « هذه والله صفات بعيري ، دلوني عليه . » فحلفوا انهم ما رأوه . . .

احمد بن عربشاه (١٤٣٧)

هذه القطعة في الجزء الرابع من مجاني الادب ، الصفحة ٢١٧

انا رأس العفاريت المتمردين ، محل غضب رب العالمين . خُلقتُ من مارج من نار ، وطُبعت على القاء البوار والدمار . رجوم النجوم انما أُعدَّت لاجلي ،

وعُتاة الثّواة لا تصل رؤوسها الى مواطئ رجلي . الشياطين تستمدّ من زواخر مكري ، والزنديق يقتبس من ضمائر فكري . لم تمر قضية من الزمان الغابر إلا ولي شركة فيها ، ولا حدثت محنة لنبي ولا وليّ إلا وانا متعاطيها . جدي ابليس ، نهض لجدي التعيس ، والى نحو آدم هوى ، فعصى ربه فغوى . وانا قضيت بالتسويل حتى قتل قايين هابيل . انا سوّلت لاولاد يعقوب ، وحاولت في قضية ايوب ...

بهاء الدين الابشيهي (١٤٤٦)

١ً هذه القطعة في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ٦٨

امر زياد بضرب عنق رجل ، فقال : « ايها الامير ، ان لي بك حُرمة . » قال : « وما هي ؟ » قال : « ان ابي جارك بالبصرة . » قال : « ومن ابوك ؟ » قال : « يا مولاي ، اني نسيت اسم نفسي ، فكيف لا انسى اسم ابي ؟ » فردّ زياد كمّه على فمه وضحك وعفا عنه .

٢ً هذه القطعة الثانية في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ٨٩

قيل ان رجلًا ادعى النبوءة في ايام احد الملوك . فلما حضر بين يديه ، قال له : « انت نبيّ ؟ » قال : « نعم . » قال : « والى من بُعثت ؟ » قال : « اليك . » قال : « اشهد انك سفيه احمق . » قال : « انما يُبعث لكل قوم مثلهم . » فضحك الملك وامر له بشيء .

محمود دياب الاتليدي (اواخر القرن السادس عشر)

هذه القطعة في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ٩٧

قيل ان ابا دُلامة الشاعر كان واقفًا بين يدي السفّاح في بعض الايام ، فقال له الخليفة : « سلني حاجتك . » فقال له ابو دلامة : « اريد كلب صيد . » فقال : « اعطوه اياه . » فقال : « واريد دابة اتصيد عليها . » قال : « اعطوه اياها . » قال : « وغلامًا يقود الكلب ويصيد به . » قال : « اعطوه غلامًا . » قال : « وجارية تُصلح الصيد وتُطعمنا منه . » قال : « اعطوه جارية . » قال : « هؤلاء ، يا امير المؤمنين ، عبيدك ، فلا بد لهم من دار يسكنونها . » فقال : « اعطوه دارًا

تجمعهم . » قال :« وان لم يكن لهم ضيعة ، فمن اين يعيشون ؟ » قال : « قد اقطعتك عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة . » قال :« وما الغامرة يا امير المؤمنين ؟ » قال :« ما لا نبات فيها . » قال :« قد اقطعتك ، يا امير المؤمنين ، مئة ضيعة غامرة من فيافي بني اسد . » فضحك منه وقال :« اجعلوها كلها عامرة . »

بهاء الدين العاملي (١٦٢١)

هذه القطعة في الجزء الرابع من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٦

يمسي وهمّه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر. يبيت حذرًا ويصبح فرحًا . حذرًا لما حذر من الغفلة ، وفرحًا بما اصاب من الفضل والرحمة . اذا استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يعطها سؤلها فيما تحب . قُرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى . يمزج الحِلم بالعلم والقول بالعمل . تراه قريبًا امله ، قليلًا زلله ، خاشعًا قلبه ، قانعة نفسه ، متزورًا اكله ، سهلًا امره ، حريزًا دينه ، ميتة شهوته ، مكظومًا غيظه . ان كان في الغافلين ، كُتب في الذاكرين ؛ وان كان في الذاكرين ، لم يُكتب من الغافلين . يعفو عمّن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيدًا فُحشه ، لينًا قوله ، غائبًا مُنكَره ، حاضرًا معروفه ، مُقبلًا خيره ، مُدبرًا شره . في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور . لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ؛ يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه ؛ لا يُضيع ما استحفظ ، ولا ينسى ما ذكر .

احمد القليوبي (١٦٥٩)

القطعة التالية في الصفحتين ٢٧ و٢٨ من الكتاب Cours gradué de traduction française arabe للاب هنري لامنس (Lammens) اليسوعي

ركب خالد في يوم شديد البرد كثير النيم ، فتعرض له رجل في الطريق ، فقال له :« ناشدتك الله ألا ما ضربت عنقي . » فقال له : « أكفرتَ بعد ايمان ؟ » قال :« لا . » قال : « ازنيت بعد احصان ؟ » قال :« لا . » قال : « افتزعت يدًا من طاعة الرحمن ؟ » قال : « لا . » قال :« اقتلت نفسًا بغير تبيان ؟ » قال :« لا . » قال :« فما سبب ذلك ؟ » قال :« خصمٌ لجوج قد علق

بي ولزمني وقهرني . » قال : « من هو ? » قال : « الفقر . » قال : « فكم يكفيك ? » قال : « اربعة آلاف درهم . » ثم التفت لرفقائه وقال لهم : « هل ربح احد من التُجار كربحي اليوم ? » قالوا : « وكيف ذلك ? » قال : « عزمت على ان اعطي هذا الرجل ثلاثين الف درهم ؛ فلما طلب اربعة آلاف درهم ، توفر عليَّ ستة وعشرون الفًا . » فقال الرجل : « حاشاك وأُعيذك بالله ان تربح على مؤمّلك . » فقال : « يا غلام ، اعطه ثلاثين الفًا . » ثم قال للرجل : « إقبض المال أمنًا من خصمك ؛ ومتى عاد يعاندك ، إستنجد عليه بنا . »

٣ً هذه القطعة في الجزء الاول من « مجاني الادب » ، الصفحة ١٠٢

حُكي ان جحى قال ذات يوم لرجل ، وهذا الرجل جاره : « هل سمعت ، يا اخي ، البارحة صراخنا ? » فقال له : « نعم ؛ واي شيء نزل بكم ? » قال له : « سقط ثوبي من اعلى السطح الى الارض . » قال له : « واذا سقط ، ما الذي يضره ? » قال له : « يا احمق ، لو كنتُ فيه ، ألست كنت انكسر واموت ? »

الفصل الثالث : بعض نوابغ الادباء المعاصرين

ابرهيم اليازجي (١٩٠٦)

١ً لا ريب احد انه من زعماء النهضة اللغوية والادبية للغة الضاد في القرن التاسع عشر ، وهو الذي نقّح تعريب اليسوعيين لاسفار العهد القديم . هاكم نص المزمور الخمسين بعد تنقيحه اياه . نجد مثل هذا الانشاء اللاواوي في المزامير ٢ : ٣ : ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ الخ .

ارحمني ، يا الله ، بحسب رحمتك ، وبحسب كثرة رأفتك ، أمحُ معاصيَّ . زدني غسلًا من إثمي ، وطهرني من خطيئتي ؛ فاني عارف بمعاصيَّ ، وخطيئتي امامي في كل حين . اليك وحدك خطئت ، وامام عينيك صنعت الشر ، لكي تعدل في كلامك ، وتزكو في قضائك . اني في الاثم وُلدت ، وفي الخطيئة حبلت بي امي . انك احببت الحق في الافئدة ، وفي الخفية اعلمتني الحكمة . تنضحني بالزوفى فاطهُر ، تغسلني فأبيضّ اكثر من الثلج . تُسمعني سرورًا وفرحًا ، فتبتهج العظام التي هشمتها . أحجب وجهك عن خطاياي ، وامح جميع آثامي . قلبًا طاهرًا

اخلق فيَّ ، يا الله ، وروحاً مستقيماً جدد في داخلي. لا تطرحني من امام وجهك ، ولا تنزع مني روحك القدوس. أردد لي سرور خلاصك ، فيعضدني روح نشيط. اعلِّم العُصاة طرقك ، فيرجع اليك الخطأة. انقذني من الدماء ، يا الله اله خلاصي ، فيترنَّم لساني ببرك . ايها السيد ، افتح شفتيَّ ، فيخبر فمي بتسبحتك ، فانك لا تبتغي ذبيحة فابذل ، ولا ترتضي بمحرقة ؛ انما ذبائح الله روح منكسر. القلب المنكسر المنسحق لا ترذله ، يا الله . أحسن برضاك الى صهيون ، وأبنِ اسوار اورشليم . حينئذ ترضى بذبائح البرّ ، بالمحرَّقة والتقدمة التامة ؛ حينئذٍ يقرّبون على مذابحك العجول .

٣ً هذه قطعة من الفصل الاول من « مراثي ارميا » (من الآية ١٢ الى ١٩) ، بعد تنقيح ابرهيم اليازجي اياها . كل انشاء تلك المراثي لاواوي

الم يبلغكم ، يا جميع عابري الطريق ؟ تأملوا وانظروا هل من وجع كوجعي الذي اصابني ، الذي اعتنى به الرب في يوم اضطرام غضبه . من العلاء ارسل نارا الى عظامي ، فسرت فيها . بسط شَرَكا لرجليَّ ، فردّني الى الوراء . جعلني مستوحشة وانية كل النهار . شدَّ نير معاصيَّ بيده ، فاحتبكت وتقلّت على عنقي . اسقط قوّتي ، جعلني السيد في ايدٍ لا استطيع معها القيام . رفع السيد من داخلي جميع اقويائي ، دعا عليَّ فئةً ليحطِّم شُبّاني . داس السيد المعصرة على العذراء بنت صهيون ؛ على هذه انا باكية ، وعيناي تنهملان بالماء ، اذ قد ابتعد عني كل معزٍّ يردُّ نفسي . بنيَّ هلكوا لان العدو قد غلب . بسطت صهيون يديها ، ولا معزي لها . اقام الرب على يعقوب من حوله مضايقين له ؛ صارت اورشليم بينهم كطامث . عادلٌ الرب ، لاني عصيت امره . اسمعوا ، يا جميع الشعوب ، وانظروا وجعي ؛ عذاراي وشُبّاني مضوا الى الجلاء . . .

ولي الدين يكن (١٩٢١)

من القطعة « امام مهدها »[1] في جزء حزيران ١٩١٣ من مجلة « الزهور » ، الصفحة ١٧٤

اعددتكِ ذخرًا ، واذا بك مسلوبة ! ظننتك لي ، فاذا بك للثرى ! لهفي عليك ، اذ تذهبين ، ولم تري من سطوري ما يكون لك عظة من بعدي ! بل

١) معنى هذا العنوان : امام مهد بنته الصغيرة المحتضَرة .

لهفي عليّ ، اذ استندي عيون النيرات بحراع ارتجله ، وانا اطلب اليوم فيك كلام الرثاء ، فلا تساعفني المعاني ! إن يخطئك الحمام – وهيهات ! ما اظنه فاعلاً ! – فقد ابقى لي الدهر املاً كاد يُزمع الرحيل . وان يأخذك ، كما اخذ اجدادك وجداتك من قبلُ ، فقد اسرعتِ في قطع طريق يتطالع في قطعها الخلائق . اتيتِ نقيّة ، وتذهبين نقيّة ، كقطرة الطل على ورقة من الورد ؛ تلمع بُكرةً ولا تلبث ان تستطار بخاراً .

بين نوحات الثاكلاتِ وترجيع الحمائم بالأسحار ، وبكاء السماء وابتسام الارض ، تضادٌ يُغيظ الموجع . لا اشكو بثي فيك ، ولكني استبقيه ، لاعتصر منه ذوب الشجون ، ولاخاطب به نفسي ناصحاً ، كلما غلبت عليها غفلات هذه الدار ، وكادت تكون لها فتنة . لا استطيع دفعاً لشيء يسوقه المقدور ، ولكني وفيّ ، اضمن لك ألّا يلتام جرح يؤلمك هذا ! تزولين انت ، وتبقى ذكراك ! كذاك الحياة ؛ تزول الهيولى وتبقى الجوهر !

محمد تيمور (١٩٢١)

نموذج من انشائه اللاواوي في كتابه «الشيخ جمعه واقاصيص اخرى» ، الصفحة ٧٠

الاول يُدعى فكري بك . شابٌ قصير القامة . . . له عينان صغيرتان . . . يدّعي الجمال والخفة . . . اذا دخل في حديقة . . . والثاني يدعى كامل بك . فتى رشيق . . . ليس له مشتهى . . . هو نموذج صادق . . . لا ينقطع يوماً واحداً . . . يقضي الصيف في عمل تجارب الصيف . . . يجيد ركوب السيارات . . . ا

مصطفى لطفي المنفلوطي (١٩٢٤)

من قطعة «الصياد» في الطبعة الرابعة من الجزء الاول من «النظرات» ، الصفحة ٢٢٣

قلتُ : «وهل تعد نفسك سعيداً ؟» قال : «نعم ، لاني قانع برزقي ، مغتبط بعيشي ، لا احزن على فائت من العيش ، ولا تذهب نفسي حسرةً وراء مطمع من المطامع ؛ فمن ايّ باب يخلص الشقاء الى قلبي ؟» قلتُ : «ايها الرجل ، اين يُذهب بك ؟ ما ارى الا انك شيخ قد اختُلس عقله ؛ كيف تعدّ نفسك «سعيداً ، وانت حافٍ غير متنعل وعارٍ الا قليلاً من الاسمال البالية والاطمار السحيقة ؟» قال : «ان كانت السعادة لذة النفس وراحتها ، وكان الشقاء المها

« وعناءها ، فانا سعيد لاني لا احد في رثاثة ملبسي ولا في خشونة عيشي ما يولد « لي المًا او يُسبّب لي همًا ؛ وان كانت السعادة عندكم امرًا وراء ذلك ، فانا لا « افهمها الا كذلك . » قلتُ : « الا يُحزنك النظر الى الاغنياء في اثاثهم « ورياشهم وقصورهم ومراكبهم وخدمهم وخولهم ومطعمهم ومشربهم ؟ الا « يُحزنك هذا الفرق العظيم بين حالتك وحالتهم ؟ » قال : « انما يحقر جميع « هذه المناظر في عيني ويهونها عندي اني لا اجد اصحابها قد نالوا من السعادة « بوجدانها اكثر مما نلته بفقدانها ... »

الاب لويس شيخو اليسوعي (١٩٢٧)

لا يخلو انشاؤه من بعض الفقر اللاراوية ، كما ترى في الصفحة ١٠٤٤ من مجلد مجلة « المشرق » لسنة ١٩٢٢ : « لكن هناك مشاكل جديدة نجمت اليوم « بتغيير احوال البلاد . خلعت الاقطار العربية النير التركي . أنشئت الدول « العربية . دخلت بعض الاصقاع في حكم الانتداب ... الخ . »

مصطفى صادق الرافعي (١٩٣٧)

من مقالته « بين خروفين » المدرجة في كتاب « القراءة الطريفة للصف الخامس » الذي نشره حلمي النطاه : الطبعة الاولى ، الصفحة ٩٢

... فقال له الكبش : « اراك وزها ، يا ابن اخي ، كأنك لا تجد ما اجد ؛ اني لأحسّ ان القدَر مُصحب : « ما من ذلك بدّ . » قال الصغير : « اتعني الذئب ؟ » قال : « ليته هو ! فأنا منه على انه الذئب . ان صوفي هذا درع « من اظافره ، وقرنيّ هذين ترس ورمح . » قال الصغير : « فماذا تخاف بعد الذئب ؟ اتخشى العصا ؟ » قال الكبش : « انك لو علمتَ ما اعلم ، لما اطمأنت بك الارض ولرجفت من القلق كحبة القمح في غربال يهتز وينتفض . » قال الصغير : « اتعني ما كان في القرية ... »

فليكس فارس (١٩٣٩)

من « وقفة في قلة صنين » في المجموعة « اطيب الثمر » للاب لويس شيخو اليسوعي ، الصفحة ٥٠

أدخل بنفس تحب ان تمجد خالقها ، لدى آثار الزوال الكاتبة على الصخر :

«وهو الباقي!» ادخل بقلب خفّاق ونفس تريد ان تشعر، فاقف امام الخرائب، كالحياة المتجددة امام الموت الشامل. امرّ امامها كرور الاجيال امام هيكل الحب، الذي اخلقته الايام ولم تدمّره.

اتأمل في كل سرداب وباحة ورُواق، فلا افتكر بطول هـذه ولا بعلو تلك، بل اقابل ما بين هذا البنيان والطبيعة الجامدة، اقابل بينه وبين الجبال والامواه والاشجار. اقيس بقياس التأمل بين كلمة الخلق ومحاولة البشر. اقابل هذه الضخامة بحقارة من شيدها وزال، فأستخرج من ذلك قياساً تفهمه النفس، ولا يعرف ماهيّته الا القلائل.

امامي ابنية يتصدع العقل لدى ما بقي منها تائهاً، وينقبض القلب لـدى بقاياها المبعثرة على الارض، وهي اشبه باشلاء اموات، ممـدّدة شاخصة الى الاكوان، كأنها لا تريد ان تفنى. هنا اعمدة قائمة، وقد سقط رُواقها المديد، كأن السماء، التي اصبحت سقفها الوحيد، تغار على ما مرّت عليه القرون، أن يظلّل بغير اثيرها الفسيح. لا تريد السماء ان يغطي سواها ارضاً مرّت عليهـا القرون، فلم تعد مختصة بزمان وشعب...

امين الريحاني (١٩٤٠)

١ً قطعة من كتابه «فيصل الاول» الصفحة ٧٥

وعدتم البلاد في حفلة التتويج بحكومة نيابية دستورية، وها قد مرّت السنة بكاملها، والحكومة لا تُعرف ادستورية هي ام انتدابية ام ملكية مطلقة. ان البلاد تشكو السياسة البريطانية المترشدة تبدأ «فرّق تسُد»، الهادمـة لآمالنا القومية والوطنية كلها. ان البلاد مهدّدة بالانتداب، والانتداب خطر على الحرية والاستقلال. لقد اسقطنا الوزارة التي عيّنهـا البريطانيون، وجئنا نطلب وزارة وطنية صادقة، يعيّنها مليك البـلاد. اننا نؤيد العرش ونرفض الانتداب، ونطلب ان تحدّد السلطة البريطانية في الدوائر الادارية كلها...

٢ً قطعة اخرى من الكتاب المذكور، الصفحة ٨٥

... وهاك الحديث من مـذكراتي: «لو رحت اليوم ابحث عن حليف للعراق، فاين اجده؟ في فرنسة؟ الفرنسيس اعدائي. في تركية؟ مـا انتهت

الحرب بيننا وبين الاتراك . في العجم؟ان حكومة العجم تريد بتاعبنا وعيشا كلنا في تدخلها بشؤون اهل الشيعة في العراق . اين اجد الحليف ؟ في نجد ؟ لا تزال خطة ابن سعود حربية اكثر منها سلمية ، وفيها الخطر عليه وعلينا سواء . افلا ترى اننا محاطون بالاعداء ، ولا اصدقاء لنا غير الانكليز ؟ هي الحقيقة ، يا اخي ؛ واذا اعترفتُ بها وقبلتها وعالجتها بالتي هي احسن ، قالوا اني امالئُ الانكليز واخدم سياستهم .

والانكليز ؟ العياذ بالله . عاد الى وعدي المستر تشرشل واستطرد قائلاً : « وهم يطلبون مني ان اوقع معاهدة لا تمكنني من تأسيس حكومة وطنية قوية ، ولا تمكننا لذلك من القيام بتعهداتنا . خذ الجيش مثلاً . نحن نبغي جيشاً وطنياً ، ولا احد يتطوع ، وفي البلاد انتداب . والبرهان بسيط ؛ يقول العراقيون : « اذا كان الانكليز مقيمين في العراق ، فليدافعوا عنه بجيوشهم » . هذا حق ، بل هذا منطق ؛ والانكليز كثيراً ما يؤثرون المنطق على الحق ...

٣ً قطعة ثالثة من الكتاب ذاته ، الصفحة ١٠٤

فزع الملك وفزع السيد الى السعدون . توحدت قوات البلاط والفوضية والحكومة على المعارضة ، ففتت في ساعدها ، وما تمكنت من القضاء عليها . قد استمرت الحال هذه سنة كاملة ، سقطت خلالها وزارة السعدون . فجاء جعفر باشا العسكري بامر ملكي يستأنف الجهاد ، جهاد المعارضين بانتخاب المجلس ، لانه كما ادعوا ، سيسن قانوناً يتضمن الاعتراف بالمعاهدة . مضت وزارة جعفر في سبيلها ...

٤ً قطعة رابعة من الكتاب عينه ، الصفحة ١٢٦

علت وزارات وهوت في بغداد . انهزم المحافظون ، وفاز العمال في حومة الانتخابات بلندن . مزقت السياسة كتباً من تقاليد الجدود ، وضحت بكتائب من جيش التقهقر والجمود . قضى عميد في النضال ؛ وانتحر وزير إبان القتال . ذللت عقبات وجددت خصومات ، وكل ذلك في اثناء سنة واحدة ...

٥ً نجد امثلة كثيرة بتيرة من ذلك الانشاء اللاواوي في كتابه الشهير « ملوك العرب »

الخوري مارون غصن (١٩٤٠)

قد اشتهر بمروية انشائه ، والحال ان عبارته لاواوية محضة في كل روايته « دفاع الابن عن شرف ابيه » .

مي زياده (١٩٤١)

١° من المقالة « انا والطفل » ، في الكتاب « ظلمات واشعة » ، الصفحة ٥

نظرتُ في جميع هذه الملامح متمعنة، فقلتُ للطفل :« من اين أتيت بعينيك ، يا روبرت ، ومن اعطاك زرقتها ؟ » اجاب ولم يفهم غير كلمتي « من اعطاك » : « ماما . » قلت « قرّت عينا امك بك ! واي عمل يعمل ابوك ؟ » قال ولثغاتــه اللطيفة تتدحرج على لسانه متعثرةً بشفتيــه :« بابا ضابط ، وانا عسكري مثل بابا . » قلت : « انت جميل وانا احبــك ، يا روبرت ، هات يدك » . قال : « نعم . . . »

٢° من خطاب « الاخاء » في الكتاب « كلمات واشارات » ، طبعة سنة ١٩٢٢ ، الصفحة ٩٣

. . . كذلك عاطفة الاخوّة لا تكون اخوة حقيقيــة الا اذا خرجت من حيّز الشعور الى حيّز العمل . تنفجر عذوبتها على ذرى الاجتماع ، وتجري نهراً كريماً بين طبقــات المجتمع ، فتُلقي بين المتناظرين سلاماً ، وبين المتدينين تساهلاً . وتنقش محامد الناس على النحاس ، اما العيوب فتخطها على صفحة الماء . تساعد المحتاج ما استطاعت ، بلا تفريق بين المحمدي والعيسوي والموسوي والدهري . ترفع المسكين من بؤس الفاقة ، وتنشر على الجاهل اشعة العلم والعرفان ، وتفتح ابواب الرجاء امام اتلانتها احزان الليالي . . .

الاب لويس معلوف اليسوعي (١٩٤٦)

١° هذه القطعة من كتابه « رياضة روحية للكهنة » ، الصفحة ٧٧

ماذا نجهل ؟ نجهل هل يكون الموت لنا سبب تعزية او سبب يأس وقنوط ، داعي فرح او داعي حزن ووجع . ذلك يتعلق بعيشتنا في هذه الحياة . لست اعرف هل تفتح يد الموت في وجهي ابواب النعيم ام ابواب الجحيم . ذلــك

يكون ربّما حسب ما تكون هذه الرياضة الحاضرة . لسنا نعرف ان كنا نموت في حالة النعمة ام في حالة الخطيئة : ولكن نعلم ان الموت في اكثر الاحيان يكون صدى الحياة . كما نعيش هكذا نموت . تلك سُنّة تتحقق في معظم الاوقات . اطلب من الله ، بشفاعة القديس يوسف ، ميتة صالحة مُعزّية كميتته ، بين ايدي يسوع ومريم .

٢ هذه القطعة الثانية من الكتاب ذاته ، الصفحة ٨٤

قد يموت بعد مرض قصير المدة . يموت بعد ايام قليلة ، تتنازعه فيها اوجاع المرض وعوامل الاضطراب والمشاغل المادية . يستغرق افكاره السعي والاهتمام في استعادة الصحة والشفاء من المرض . قد ينصحونه بان يعترف . . . قضي الامر وفاضت نفسه ، ومثلت امام الديّان . ان نصيبه جهنم الى الابد .

٣ هذه القطعة الثالثة من الكتاب ذاته ، الصفحة ١٠٢

قد ندم[1] وكانت ندامته سريعة . بادر واتّبع حركة النعمة ، دون تردد ، وهجر اسباب الخطيئة . كان يسوع مارًا في رواق الدار ، فنظر الى بطرس ، وبطرس نظر الى يسوع . ما اقوى مفعول تبادل هذا النظر بين المعلم وتلميذه ! فهمَ بطرس وتذكر كلام الرب : « قبل ان يصيح الديك مرّتين تنكرني ثلاث مرات . » امتلأ قلبه ندمًا ، وفي الحال خرج من الدار وابتعد عنها . لم يفكر في ان يبقى بين الخدم ، فلربما تساعده الاحوال على التعويض عمّا جرى ، فيكذّب ما قال ، ويُزيل ما سبّبه من شكوك . قد يكون في ذلك اغلب الاحيان غرور وضلال ، يحسّنه لنا حبّ الذات . قبل كل شيء يجب ترك السبب . اما التعويض فيمكن ان يتم فيما بعد ، في وقت مناسب . من لا يترك في الحال السبب الذي يستطيع تركه تركًا تامًا ، مهما صعُب عليه الامر ، يدل على ان ندامته غير صادقة .

---

[1] الكلام هنا على ندامة القديس بطرس ، هامة الرسل ، بعد انكاره المثلث للسيد المسيح .

٤ هذه فقرة من مقالة نشرها الاب معلوف في جزء ٤ نيسان ١٩٢٩ من جريدة « البشير » التي ادارها ثلاثين عاماً

قام المسيح حقاً ، فقام معه كل صدّيق وبارّ . قام معه كل من كان للخطيئة اسيرًا . حطّم سلاسل الجحيم . طحن كلاليب الاثم والكفر . ملأ العالم رحمةً ونعمةً وحناناً ، بعد ان كان مملوءاً فسقاً وبربريةً وقساوةً . ان الطبيعة نفسها تشارك الارض والسماء في افراحها بالقيامة ، فكأنها تقوم من موتها متهللةً بقيامة المسيح خالقها . اورقت الاشجار ، نبت العشب والزهر ، طاب الهواء ، نبعت العيون غزيرة ، غنّت الطيور مودعةً البرد والشتاء ، ومستبشرةً بقدوم الحرارة والحرية . فرحَ الانسان نفساً وجسدًا ، انتعش بالشمس والنور والضياء . صارت الدنيا كأنها عروس تجملت وتزينت لعريسها .

انطون الجميّل باشا (١٩٤٧)

من « تحية العلَم الوطني » في مجموعة « نفثات الكتّاب » ، طبعة سنة ١٩٢٦ ، الصفحة ٨٥

هناك انفتحت فوهة النار ، فرأى الجندي فيها الموت الزؤام ، وهو سائر ، بل طائر ، الى النصر او الى الهلاك ! نظر نظرة اخيرة الى علَم الوطن ، وتمنى ان يكون له الكفن ، وزأر كالاسد الضرغام !

... الف سلام عليك ، يا علَم بلادي ! الى الامام ! في ميدان القتال تساقطت الابطال حول العلم ، كما يتساقط في الخريف ورق الشجر ! جريح طريح على الارض ، مُبَضَّع الاعضاء ، مضرَّج بالدماء ، تضم يده الواحدة جرحه ، من حيث تخرج حياته مع دمه ، ويده الاخرى مرتفعة نحو السماء ، تطلب الاغاثة . يئن وينوح ، ولا مغيث ولا معين ! لا يسمع سوى زفرات تتصاعد من صدور تتلظى كصدره ، وتنهدات تخرج من احشاء تتقطع كاحشائه !

تتجه افكاره الى منزل بعيد ، غادر فيه حليلة محبوبة ، تترمل بفقده ، واطفالًا صغارًا تتيتم بموته . تسيل من عينيه دمعتان ، فتحرق منه المآقي . يشعر بقشعريرة ، ترجف اعضاؤه . يتراءى له كل شيء مصبوغاً بالدم ! يدوي في اذنيه صوت رهيب ، يرفع رأسه المتعب ، تبرق عيناه ، فتخرقان الظلام المتلبد ، ويلوح

له علم الوطن في ليل الموت ، كالنجم المضيء ، فيلفظ مع روحه هذه الكلمات: « عليك سلامي الاخير ، يا علم البلاد ! »

الياس ابي شبكه (١٩٤٧)

انشاؤه لاواوي بحت في كل فصول كتابه « طاقات زهور ».

امين تقي الدين (١٩٤٧)

عبارته لاواوية في مقالته « يوميتي » المنشورة في الجزء الاول لسنة ١٩٢٩ من المجلة « رسالة السلام ».

ميخائيل نعيمه

في مقالاته عدة امثلة على الانشاء اللاواوي ؛ قد كتب في الصفحة ١٥٨ من « مجموعة الرابطة القلمية » لسنة ١٩٢١: « ... حول جملة تدور افكارهم. لاجلها يتعبون ولاجلها يعيشون . اذا ضحكت ، ضحكوا ... الخ . »
نجد مثل ذلك الانشاء في الصفحات ١٦٨، ١٦٩، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩ .

فيليب حتّي

من المقالة « بين الرأي والواقع » في جزء « السائح » الممتاز لسنة ١٩٢٧ ، الصفحة ٦٥

امامي مقال لكاتب عربي من الطرز السوري ، يصفه ناشر مقّه بانه « في طليعة كتّابنا النابهين البلغاء » . عنوان المقال هو « الحياة الاقتصادية في سورية وفلسطين » . ما اهم هذا العنوان وما الذه ! أحر به ان يكون عنوانًا لمجلد ضخم ؛ ولكن لا بأس ؛ عليَّ اليوم محاضرة في مجتمع اميركي عن الاحوال الحاضرة في سورية ؛ فربما استقيت من هذا المصدر آخر كلمة في احوال البلاد الاقتصادية . نبدأ بالقراءة ؛ فماذا نجد ؟ نتوقع ان نعثر على كلمات من هذا النوع: الانتاج والاستهلاك ومقدارهما ، الوارد والصادر والمقابلة بينهما ، طرق الزراعة والصناعة الحديثة ، اساليب الريّ ، تقادير الجمارك ، تقارير الحكومات ، حركة الاصطياف ، المهاجرة ، الخ ، الخ .

ولكن « ما هو عيب » ؛ كلمات مسكوكة في معمل كهذا لا يتنازل كاتب معدود من « اكبر المفكرين » لاستعمالها ومعالجتها . اذا كان هو

« مفكرًا » ، فتفكيره يقضي عليه ان يستنبط من دماغه مادته ، لا ان يستقيها من مصادرها ! هو يعالج موضوعــه على طريق الشعور ، على طريق القلب ، لا على طريق العقل والكتب ؛ وإلا فكيف استحق لقب«المفكر المثنىّ البليغ» ؟ هو يصوغ الكلمات وينتق التعابير ، ويندب سوء حظ البلاد ويستنزف الدموع، ويترك القارئ في آخر المقال اقل حكمةً مما كان في اوله ! صاحبنــا يرتئي ؛ يصوّر الاسد من ذهنه !

محمود تيمور

١ً قطعة من كتاب « الاطلال » ، الصفحة ١٣٤

لقد نشأتُ واياها في منزل واحد . واحببنــا بعضنا بعضًا اطفالاً وصبيانًا وشبانًا . لقد كانت تحبني حبًا عظيـًا . كنت اقرأ ذلــك في عينيها ، وكنت اراه مرتسمًا على محياها . لم تكن تغشني في ذلك الحين ابدًا ، بــل كان كل شيء فيها ينطق بالصراحة والاخلاص . هذا ما كان منها قبل الزواج . وكنت انا لا اقل عنها محبةً واخلاصًا . كنت ارى فيها كل آماليَ واحلامي .. كانت هي كل دنياي . لا اعبأ بشيء خلافها في هذه الحياة . وكان الزواج ؛ ويا ليته لم يتم ! كان بداية تعسي ومذلتي . لم اكد ابدأ بتذوق نعيـي معها حتى انقلبت شيئًا فشيئًا من حمامة وديعة الى نمرة مفترسة . وكنت اذا اردت التماس محبتهـا القديمة لي ، وجدتُ مكانها قسوة غريبة . يا للعجب ! كانت تُذلني وكنت اقبل مذلتها صاغرًا ، ولم اكن افكر الا في رضائها.

٢ً قطعة ثانية من الكتاب المذكور ، الصفحة ١٣٦

ولكني ما زلت احبها ، بل ما زال حبي لها يتزايد في قلبي يومًا بعد يوم . انه مشرَّب بدمي . اصبح جزءًا من لحمي وقطعــة من روحي . ليست بشرًا هذه المرأة . انها جنّية تبعث في قلبك الرهبة والرغبة. اذا نظرت اليها استطعت ان ترى ما هو خلفها . انها شفّافة ، مصنوعــةٌ من البلور والنور . واذا خطرت بجانبك ، شعرتَ بهبّة لطيفة مسكرة . انها نفحــة من نسمات الربيع . ليست بشــرًا هذه المرأة . انها الهة متربعة على عرشها ، يعبدها الناس ويسجدون تجاهها خاشعين . وانا من اكون ؟ زوجها ؟ يا للوقاحة ! يا للسبة الفظيعة ! قطعة دنيئة

من الظلام تريد ان تعلو بجانب ذلك النور العظيم، الذي يملأ الابدية كلها . . .

٣ً قطعة ثالثة من الكتاب ذاته، الصفحة ١٤٢

الشيخ مبروك من اعيان مديرية البحيرة رجل متيسر يعيش مع عائلته ومواشيه في عزبته الصغيرة عيشة لا غبار عليها. يبلغ من العمر الخامسة والخمسين. ممتلئ الجسم بقامة قصيرة ووجه مفرطح . اذا سار تدحرج ككرة القدم، لا تكاد تتبين رأسه من رجليه. واذا تكلم اعوزته الحيلة، فتلعثم وتهته مرتبكاً. معروف بين سكان البلدة بالقزم القصير . . .

٤ً فقرة من كتابه «ابو علي عامل ارتست وقصص اخرى»، الصفحة ٥٨

لا تكن عبيطاً وتشترك في مشروع الكازينو . كله كلام فارغ . منذ خمس عشرة سنة وزوجي يعيش في مشاريع وهمية، لا يكسب من ورائها بارة واحدة . ان اولاد الحرام يضحكون على عقله وينهبونه .

٥ً هذه الفقرة من الكتاب المذكور، الصفحة ٦١

ستحضر الليلة عندي في المنزل . كل شيء سيكون مُعدًّا لنا . ستدخل من النافذة المفتوحة المطلق عليها منديل . اياك ان تتأخر عن الحادية عشرة.

٦ً هذه الفقرة من الكتاب ذاته، الصفحة ٧٠

شاهدتها مرات قليلة، وانا اتناول الطعام على مائدته، اذ كانت تقوم على خدمتنا اثناء الاكل . فتاة متوسطة القامة، عادية الملامح واللون، خالية من كل رشاقة وزينة، لا يميزها الا شيئان يشاهدان دائماً عند كل فتاة في سنها : دنوها من النضوج الخنائي والتفتح الجنسي . تدل حركاتها الساذجة وما ينبعث من هيئتها من مظاهر الجبن والاضطراب، على ما تعانيه من حياة كلها قسوة واستبداد . يعاملها ابوها معاملة شاذة لا تتفق وطيبة قلبه .

٧ً هذه الفقرة من الكتاب ذاته، الصفحة ٩١

وكثيراً ما اخرج لي من جيبه قائمة طويلة مكتوباً فيها : علم الاجتماع . علم النفس . علم ما وراء المادة . علم الفلك . علم اللاهوت . علم التنويم المناطيسي . علم العروض والقوافي الخ . الخ.

احمد حسن الزيات

هذه القطعة في الصفحة ١٢٢ من الطبعة الاولى لكتاب « القراءة الطريفة للصف الخامس » ، التي جمع منتخباتها حلمي اللحام ، وقد طُبع في دمشق سنة ١٩٣٧

... انقضت السنون الاربع ، فصوّحت الواحة ، وانطفأت الومضة وتبدد الحُلم ، واخفق الطب ومات ابني !! يا جبّار السموات والارض ، رُحماك ! اني مثل خفة الوسنان تتبدل الدنيا غير الدنيا ، فيعود النعيم شقاء ، والملأ خلاء ، والامل ذكرى ؟ اني مثل لمحة العجلان يصمت الروض الفرد ، ويسكن البيت اللاعب ، ويقبح الوجود الجميل ؟ حنانيك ، يا لطيف ! ما هذا اللهيب الغريب الذي يهب على غشاء الصدر ومراق البطن ، فيُبرض الحشا ، ويُذيب لفائف القلب ؟ ! والهف نفسي عليه يوم تسلل اليه الحمام الراصد ، وعبث الداء الوبيل بجسمه النضير ، كما تعبث الريح السموم بالزهرة النضّة ! ! والهف نفسيَ عليه ساعة اخذته غصّة الموت ، وادركته شهقة الروح ، فصاح بَلْ فمه الجميل « بابا ! بابا ! » كأنما ظن اباه يدفع عنه ما لا يدفع عن نفسه ! لنا الله من قبلك ومن بعدك ، يا بُنيّ ! ...

اسكندر الخوري البيتجالي

قد لُقب بشاعر فلسطين ، وهو من اشهر ادباء ذلك القطر . وجدنا في الجزء الثاني من روايته « غبريلا الحسناء » ، الذي وقع تحت نظرنا دون الاول ، امثلة عديدة من الانشاء اللاواوي ، على الاخص في الصفحات التالية : ٢٩٢ ، ٣١٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، ٣٦٥ .

القس سليمان صايغ

في طليعة ادباء العراق المعاصرين ، وقد تحققنا ان نحو ثلاثة ارباع جُمل روايته « يزداندوخت » لاواوية .

الاب فردينان توتل اليسوعي

قد حرّر بانشاء لاواوي كل قاموسه « المنجد في الادب والعلوم » ، الذي صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٦ ، والثانية سنة ١٩٥٧ .

جرجي باز

هو من اشهر ادباء لبنان . قد شُغف بالانشاء اللاواري الى حد الافراط . اليكم قطعة عن مقالة نشرها في جزء نيسان ١٩٢٩ من مجلة «المعارف» البيروتية، بعد انتخاب الاستاذ شارل دباس رئيساً للجمهورية اللبنانية

وُلد شارل في بيروت في ١٩ نيسان ١٨٨٤ . تعلم اولاً في الكلية اليسوعية، ثم في جامعة الاميركان . درس الشرائع في فرنسا، في جامعتين مونبيليه، باريز. باشر الشغل في بيروت مع المحامي جرجي جريديني . اشتغل فيها محامياً الى اعلان الدستور، خادماً بعض جمعياتها الخيرية، كساعدة المرضى، اتحاد البر.

ترأس هنا تحرير جريدة الحرية الفرنسية، ثم انشأ جريدة البيان، ايضاً افرنسية، سنة ١٩٠٩ ؛ من محرريها على عهده خيرالله خيرالله، الكاتب اليوم في جريدة الطان الباريزية . سافر الى الاستانة عاصمة الدولة، مدعواً ليرأس فيها تحرير جريدة في لغة الفرنسيين، عزم الاتحاديون على اصدارها نسخة لجريدتهم التركية طنين . في العاصمة اشتغل محامياً سياسياً معاً . عينوه قنصلاً عثمانياً في الارجنتين . دعوه الى بعض المناصب . انتدبوه لعدة لجان .

وافى العرب الى باريز عام١٩١٣، اشترك في المؤتمر العربي الباريزي سكرتيراً عاماً (١٨—٢٣ حزيران) . في مدة الحرب تتبع في جامعة باريز دروس الدكتورا الشرعية، مشتغلاً ايضاً في المسئلتين السورية اللبنانية، من اركان الجمعية المركزية.

حاكمه غيابياً ديوان الحرب العرفي في عاليه سنة ١٩١٦، فحكم عليه بالاعدام لتشبثه بفك ارتباط ولايات سورية من الادارة العثمانية، فتشكيل امارة مستقلة، محاكماً معه احمد عزت باشا، خيرالله خيرالله، نعوم مكرزل، المونين اسكندر داود، اسعد داغر، رزق الله ارقش، جميل معلوف .

غاب عن بيروت عشر سنين، عائشاً نلثيها في فرنسا . زار انكلترا، ايطاليا . استلم دعاوى مهمة في الاستانة، في باريز .

عاد اواخر عام ١٩١٨ . تعين معاون مستشار شرعي في المفوضية العليا في غرة العام التالي، فاستمر عشرين شهراً. انتدبوه لنظارة العدلية في لبنان الكبير منذ اعلان دولته (١ — ٩ — ١٩٢٠)، فتولى النظارة، الوزارة اكثر من خمسة اعوام، منتدباً ايضاً لتمثيل المفوضية في مجلس النواب .

انتخبه المجلسان الشيخ النواب اول رئيس لجمهورية لبنان حين اعلانها ١٩٢٦ ، ثم انتخبه ايضاً مجلسنا الحالي رئيساً في هذه الدورة . فتولى الرئاسة العليا ثلاثة اعوام برهن فيها علماً وافراً ، ادباً عالياً ، جهداً عظيماً ، تجرداً نزيهاً ، تدبيراً جميلاً ، سياسة عامة ، لا طائفية ، مما يستدعي الاعجاب . . .

الانشاء اللاواوي في بعض اشهر الجرائد المصرية

هاكم اول جزء ١٥ تموز ١٩٥٨ من « الاهرام » :

سقطت الملكيــة في العراق ، وأعلنت الجمهورية . نام الشعب العراقي اول امس ، وهو يرزح في قيود الملكية ، وفي الصباح فتح الشعب عينيه على صوت مذيع بغداد يقول : « هنا اذاعة الجمهورية العراقية العربيـة . » اعلن الجيش الثورة ، وخرج الشعب يباركها . حطم الجيش الملكية ، وذهب الشعب يشيع الحطام الباقي . احاط الشعب بالقصر الملكي ، وارغموا عبد الاله على الخروج ، وهم يصرخون في وجهه : « يا عدو الاله ، يا عدو الاله ! » قتل عدو الاله . أعلن تكوين مجلس سيادة ومجلس وزراء جديـد . يتولى المجلسان الحكم الى ان يجري استفتاء شعبي . اعترفت الجمهورية العراقية بالجمهورية العربية المتحدة .

اذاعت محطات العالم نبأ الثورة في العراق . قطع العراق المواصلات اللاسلكية بين بغداد ولندن . فُرضت الرقابة العامة ، وصدر امر بحظر التجول . العالم كله يتابع ثورة العراق .

في تركيا : لم تصل طائرة نوري السعيد والملك فيصل الى استانبول . كان مقرراً وصولها لحضور اجتماع الدول الاسلامية في حلف بغـداد امس . احيط مصيرهما بالغموض . لم يُعرف شيء عنها حتى الآن . أُلغي اجتماع استانبول . عقد زعماء الباكستان وايران وتركيا اجتماعاً في انقرة .

في امريكا : ابلغ السفير الامريكي في بغداد نبأ الثورة الى حكومته . اصيبت امريكا بدهشة كانت مفاجأة . قالت وكالة الاسوشيتدبرس ان ثورة العراق هي اخطر صدمة لمركز الغرب في الشرق الاوسط منذ تأميم القناة . دعا ايزنهاور زعماء الكونغرس من الحزبين للاجتماع به في البيت الابيض .

في لندن : اجتمع ماكيلان مع سلوين لويد اجتماعاً عاجـلاً استغرق ٤٥ دقيقة . حذرت الصحف المسائية بريطانيا من التدخل في العراق . قال الدبلوماسيون

ان الثورة جاءت ضربة قاضية لحلف بغداد ومشروع ايزنهاور . المسؤولون يدرسون حلف بغداد لتقرير مدى التزامات انكلترا نحو العراق . اعلن سلوين لويد في مجلس العموم ان هناك مظاهرات في العراق . هبوط في اسعار البورصة واسهم شركات البترول .

إقرأوا ما نُشر في العمود الثاني من الصفحة الاولى، في عدد ١٦ تموز ١٩٥٨ من جريدة « الاخبار »، وهي من أكبر جرائد القاهرة :

في لبنان : احتلت القوات الامريكية بيروت . وقع شمعون وكل وزرائه طلبا بالاحتلال . استقبل انصار شمعون قوات الاحتلال بالطبول والزمور. أعلن صائب سلام ان قواته ستقاتل من منزل الى منزل .

في لندن : بدأ اعداد مؤامرة لغزو العراق . بريطانيا ستبدأ الغزو خلال ايام . احرق موظفو السفارة البريطانية في بغداد سفارتهم لتبرير التدخل . قام الجيش العراقي باطفائها . نقل موظفي السفارة الى افخم فندق في العراق. بريطانيا تريد اتخاذ ذلك حجة للتدخل . امرت جنودها في قبرص ومالطة بالاستعداد للتحرك فوراً . صدرت الاوامر بتعزيز القوات البريطانية في عدن والخليج الفارسي . تقرر نقل ٦ آلاف جندي للشرق الاوسط خلال ٤٨ ساعة . هناك ٤٠ الف جندي في قبرص على استعداد للتحرك . ابحر لواء الكومندوز من مالطة لقبرص . اعدت بريطانيا اكبر قوة ضاربة تملكها للتدخل.

في مجلس الامن : الجو يهدد بالانفجار . روسيا تنذر بالحرب . تطالب باصدار قرار بسحب القوات الامريكية فوراً من لبنان . حاول مندوب روسيا طرد مندوب الحكومة العراقية السابقة . عارضت امريكا وبريطانيا.

في جنيف : حمى في اوروبا لم تصل الى هذه الدرجة منذ نشوب الحرب. ذعر حقيقي . يعتقد المراقبون ان الغرب سيفقد اعصابه. سيدخل في حرب عالمية.

واشنطن : الاجتماعات مستمرة . حمى الحرب . اوامر للاسطول الامريكي في الاطلنطي بالاستعداد للتحرك بعد ٤ ساعات من صدور الاوامر اليه .

هاكم اخيراً ملخص سيرة عبد الكريم قاسم، المنشورة في العمود الاول من الصفحة الثالثة، في جزء « الاخبار » السابق ذكره :

ان عبد الكريم قاسم زعيم ثورة العراق عمره ٤٨ سنة . شاب هادئ .

تخرج في الكلية العسكرية ببغداد ، وكلية اركان الحرب . اشترك في معركة فلسطين . عاش هزائمها وشهد خياناتها . بدأ منذ عامين تكوين خلايا من الضباط الاحرار . درس طريقة جمال عبد الناصر في تكوين خلايا الثورة . جمع كل معلوماته عن هذا مما كانت تنشره صحف القاهرة عن اسرار الثورة . كان يجتمع سرًا بالضباط المتذمرين . كان يوزع النشرات السرية على الضباط الاحرار .

وكان سر نجاح عبد الكريم انه كتوم . يتحرك بحساب . يعرف الضباط الذين يعتمد عليهم والضباط الذين لا يجوز الثقة بهم . كان يتلقى منشورات الاحرار ، شأنه شأن الضباط الآخرين . وكان عدد قليل جدًا من الضباط يعرف انه مركز النشاط الثوري ...

القسم الثاني

حذف حروف العطف بين افعال او موصوفات متتابعة او بين ما تكرر من حرف الجر عينه مع مجرورات مختلفة

لا ننكر ان الادباء القدماء لم يألفوا ذلك الحذف ، لعدم استعمالهم الفواصل (virgules) ، التي تنوب مناب حروف العطف بين افعال او موصوفات متتالية . بيد ان فريقًا من اشهر المعاصرين قد الفه بعد انتشار علامات الوقف في الادب العربي ؛ فلا بد من ايراد بعض الامثلة على ذلك .

حافظ ابراهيم وخليل مطران

نجد في الصفحة ٢١ من « الموجز في علم الاقتصاد » ، وهو تعريبهما لكتاب العالم الفرنسي الشهير بولس لوروا بوليو (Leroy Beaulieu) (١٩١٦) : « حب العمل ، السلطان على النفس ، الجلد ، المثابرة ، الإقساط ، التبصر ، الرغبة في النسل . » في الصفحة ٢٤ : « انتاج الارزاق ، توزيعها ، تداولها ، استهلاكها . » في الصفحة ٢٨ : « التشبه ، العادة ، الارث . » في الصفحة ٣٢ : « الطبيعة ، عمل الانسان ، رأس المال . » قد اكتفينا بتلك الامثلة اتقاء للتطويل الممل .

الاب لويس معلوف اليسوعي

نرى في كتابه « رياضة روحية للكهنة » نموذجات عديدة من الحذف المشار

اليه ، فنجتزئ بذكر شيء زهيد منها. في الصفحة ٦٨ : « يرى كيف استخدم قواه الروحية : العقل ، الارادة ، القلب ، الاميال . » في الصفحة ٦٩ : « الصلوات ،
« فحص الضمير ، الاعتراف ، الذبيحة الالهية ، الوعظ ، التعليم ، العناية بالاولاد
« والمرضى ، خدمة الاسرار الالهية . . . » في الصفحة ٧٠ : « كان كله لله ،
« للكمال والفضيلة ، لنفسه ، للعناية بالنفوس . » في الصفحة ٧٥ : « سيفصلنا
« (الموت) عن الاهل والاصدقاء والمعارف ، عن ممتلكاتنا ومقتنياتنا وثروتنا ،
« عما حصلنا عليه من الالقاب والامتيازات والمناصب ، عن دواعي الفرح
« والمسرة ، عن الملذات والملاهي ، عن مصاعبنا واتعابنا وهمومنا ومشاكلنا ،
« عن اوجاعنا وامراضنا واحزاننا . »

في جزء ٨ شباط ١٩٢٨ من جريدة «البشير» : « لقد اصبحت ابواب جمهوريات
« اميركة الجنوبية اليوم مقفلة في وجوه السوريين والفلسطينيين ، نخص بالذكر منها
« كولومبية ، المكسيك ، غواتيمالا ، السلفادور ، البرازيل ، هندوراس . »

في الصفحة ٦٨ من تقويم « البشير » لسنة ١٩٢٨ ، وقد ادار تحريره الاب معلوف : « اهم مُدن لبنان على الساحل : طرابلس ، البترون ، جُبيل ، جونية ، بيروت . »

جرجي باز

١ً في « حسن التذكار » ، الصفحة ١٠ : « فبئاً اذاً منافاة سنة السرّان ، مباكسة الطبيعة ، مخالفة الرأي العام . » في الصفحة ٢٤ : « تأملوا باهيتكم ، بنفوذكم ، بعظمتكم . »
٢ً في مقالته على شارل دباس ، رئيس الجمهورية اللبنانية ، المنشورة في جزء نيسان ١٩٢٩ من مجلة « المعارف » البيروتية . في الصفحة ٢٦٧ : « مَواطنها (يعني مواطن اسرة
« دباس) اللُّد ، يافا ، بيروت ، الشام ، اليوم اسكندرية . نبغ منها ثلاثة بطاركة في
« جبيل ، اثنان منهم اخوان ، اثنان اثناسيوسان ، ثالثهم علّامة . . . منها في بيروت ، في الجيل
« الماضي ، جرجس احد مؤلفي الجمعية الخيرية ١٨٦٨ ، بطرس اول رئيس علماني لجمعية
« مساعدة المرضى نحو سنة ١٨٩٠ ، ديمتري من عمدة مستشفى مار جرجس . . . من سيداتها
« الكريمتان اغول ، فوتين . »

حسْبنا ما اوردناه من الامثلة لئلا يفرغ صبر القراء من فرط طول هذه المقالة . على ان تكملتها بايجاز تقتضي ذكر سؤال ادرجته مجلة « لغة العرب »

في الصفحة ١٠٥ من جزء آب ١٩٢٦ ، ولا يخفى على الادباء ان محررها كان الاب انستاس الكرملي (١٩٤٧) اللغوي النابغة ، من اعضاء المجمع العلمي العربي . هاكم نص ذلك السؤال :« هل ورد في شعر العرب معطوفات متوالية « بلا حرف عطف ، ثم وُضع عطف واحد قبل المعطوف الاخير ، كما يقول الافرنج « مثلاً : Joseph, Jean, Paul et Pierre sont arrivés ? لاننا رأينا كثيرين « من المتفرنجين يصيغون عباراتهم على مثال الافرنج . »

اليكم الآن جواب الاب انستاس التابع للنص السابق : « لم يخترع ابناء الغرب هذا النمط من التعبير ، فان ابناء العرب سبقوهم اليه ، حتى في شعرهم . قال الراجز : راجع كتاب البيان للجاحظ (١ : ٦٢) :

اذا غدت سعدٌ على شبيبها ، على فتاها وعلى خطيبها ،
من مطلع الشمس الى مغيبها ، عجبتُ من كثرتها وطيبها.

فانت تراه قال « على شبيبها ، على فتاها وعلى خطيبها »، جاعلاً اداة العطف في الآخر ، على حد ما يفعله الافرنج في عهدنا هذا . »

نجد مثل ذلك التركيب في انشاء بعض مشاهير ادبائنا المعاصرين . كتب الاب لويس معلوف في جزء ٢٠ ايلول ١٩٢٨ من جريدة « البشير » : « وقد خدم الانفس في المدن طرسوس ، منصورة ، ايقونية وازمير . . . »

كتب ميخائيل نعيمه في الصفحة ١٥٧ من « مجموعة الرابطة القلمية » لسنة ١٩٢١ :« لا يسب الدين ، لا يسكر ، لا يلعب بالقمار ولا يدخن . »

* * *

عباس محمود العقاد ، المفكر المصري الشهير ، يؤيد رأينا كل التأييد في عروبة الانشاء اللاواوي المحتة ؛ قال في هذا الشأن ؛ لا فُض فوه . « كان قراء اللغة العربية وبعض اللغات الافرنجية يحسبون ان كثرة الفصل بين الجُمل خاصة من خواص الاسلوب الافرنجي ، تطرقت الى لغتنا من الترجمة او محاكاة كتّاب الغربيين في رصف الجمل وتقسيم العبارات . . . ولكني اعتقد ان الفصل بين الجمل خاصة من خواص التفكير ، قبل ان تكون خاصة من خواص حروف العطف وصلات الالفاظ. واري ان كتّاب الافرنج اكثر منا عنايةً بوصل المعاني وترتيب الموضوعات ، وإن ظهر على ترجمة اساليبهم انها اقرب الى التفكك

والانقطاع بين الجمل والفقرات . وارى من ناحية اخرى ان البلاغة العربية لم تخلُ من الفصل الكثير في اساليب افصح الفصحاء واقدر الكتّاب والمنشئين . بل هذا القرآن الكريم، تتوالى فيه الآيات احياناً بلا صلة لفظية بينها غير الصلة التي تُفهم من سياق الكلام ، وتؤديها علامات الترقيم[1] احسن اداء . »

نختم مقالتنا الطويلة باختصار فوائد الانشاء اللاواوي الجليلة . الاولى هي زيادة رشاقة الانشاء ، فان ادوات العطف غير الضرورية شبه قيود تثقله . الثانية هي زيادة رخامة الجمل المستقلة بتنويع اول حروفها ، عوضاً عن التكرار المملّ للواو والفاء وامثالها . الثالثة — وهي عملية جداً — تقليل نفقات الطبع ؛ فاذا حذفنا في كلّ من خمسمئة صفحة كبيرة في كتاب ، ثلاثين حرف عطف ، بلغ مجموع المحذوف منها خمسة عشر الفاً ، وهو يساوي نحو اربعمئة سطر .

على كل حال ليست غاية مقالتنا بيان افضلية الانشاء اللاواوي ، بل عروبته المحضة ، وقد اثبتناها باسطع الدلائل ؛ وللّه الحمد على جميع آلائه ، فهو مصدر كل الحقائق وينبوعها الفياض !

---

(1) يعني بهذا التعبير المألوف في مصر « علامات الوقف » .

اللحى في الاسلام (تابع)

بقلم حبيب زيات (+)

كان ابن ابي العباس (السفاح) كثير الطيب يملأ لحيته بالغالية حتى تسيل على ثيابه فتسود فلقبوه (ابا) لدبس وقال فيه بعض شعراء اهل البصرة (لما ولاه المنصور البصرة) :

صرنا من الربح الى الوكس اذ ولي المصر ابو الدبس
ما شئت من لوم ومن نفسه وحسبه من اكرم الجنس[1]

كان محمد بن ابي العباس محتذٌ فكان يغلف لحيته باواق من الغالية فتسيل على ثيابه فتصير مسودة فلقبه اهل البصرة ابا الدبس[2] .

ابو عبيد بن سلام ... كان ابوه عبداً رومياً وكان يخضب بالحناء احمر الراس واللحية[3] .

سنة ٢٩٤ تزوج الحسن بن الافشين باترجة بنت اشناس ... وكان عرساً حافلاً وليه المعتصم بنفسه حتى قيل انهم كانوا يخضبون لحى العامة بالغالية[4] .

قال بكر بن مرداس على لسان اعرابيين وفدا على يزيد بن الوليد والي اليمن :

فقدنا خاتا مثل اقل غذائها واضيع فيها الدهن يا ابن مطيع
دهنّا ونقشناها بأميرنا كخافقي تمر هوى لوقوع
فما ساقنا خيراً سوى الفقر منهما واخما غم لكل فجيع
فيا ليتنا كنا حلقنا منهلا لو قل كالاعراب كل ربيع
فتلك مالاً لا ترزق مده مخافة عري او مخافة جوع[5]

ان دهنت منابت شعر اللحية بدهن القرع المز وقثاء الحمار مذاباً فيه شمع ارمني اسرع فيها نبات الشعر[6] .

---

١) الاغاني ١٣ : ٩٦
٢) الاغاني ١٣ : ٩٦
٣) وفيات الاعيان طبعة دسلان ٥٨٥
٤) البداية والنهاية ١٠ : ٢٩٠
٥) صفة جزيرة العرب لابي محمد الحسن بن الهمداني ٥٧
٦) عيون الاخبار ٣ : ٢٨٩

كان الامين لا يرى احدًا وسيماً حسن الرداء الا خلع عليه وقوّده وكان لا يقوّد احدًا الّا غامت لحيته بالغالية وهم للذين يسمون قواد الغالية[١] .

عن الصادق عم : ان رجلًا دخل على رسول الله صلعم وقد صفر لحيته فقال له رسول الله صلعم ما احسن هذا[٢] .

عن ابي محمد الموذن قال كان ابو عبدالله عم يصفر لحيته بالخطمى والحنا.[٣] .

قاضي القضاة زين الدين التفهني الحنفي كانت لحيته صفراء غير نقية البياض قيل انه كان يبخرها قدماً بكبريت حتى تبيض بسرعة (المنهل الصافي نسخة الجامعة ٤: ٥٤) .

عن ابي عبدالله عم قال خضاب الراس واللحية من السنة[٤] .

لنجم الدين بن صابر اربعة ابيات في بياض الشيب قال في آخرها :

لو ان لحية من يشيب صحيفة   لمعاده ما اختارها بيضاء[٥]

لابن عصفور النحوي الاشبيلي :

لما نُسبت الى التفريط في كبري   وصرت مغرى بشرب الراح والكاس

رأيت ان خضاب الشيب ستر لي   ان البياض قليل الحمل للدنس

(المنهل الصافي نسخة الجامعة ٤: ١٦٦)

احمد بن الحارث الخراز . كان كبير الراس طويل اللحية كبيرها . . خضب قبل موته لسنة خضاباً قبيحاً فسئل عن ذلك فقال بلغني ان منكرًا ونكيرًا اذا حضرا ميتاً فرأياه خضيباً قال منكر لنكير تجاف عنه[٦] .

كان حسان بن ثابت يخضب شاربه وعنفقته بالحناء ولا يخضب سائر لحيته فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت لم تفعل هذا قال لاكون كاني اسد والغ في دم[٧] .

---

١) تاريخ الطبري ٣: ٢: ١٠٢٠

٢) نوادر الاشراق ١٠٩

٣) نوادر الاشراق ١١٢

٤) نوادر الاشراق ١١٤

٥) وفيات الاعيان ، مصر ، ٥٠٣

٦) ارشاد الاريب ١: ٤٠٨

٧) الاغاني ٤: ٢

خرج كثير يريد عزة ... فلم يلبث ان اقبلت جارية معها طست وتور وتوبة ماء حتى انتهت اليه ثم جاءت بعد ذلك عزة فرأته جالساً قريباً من ذراع راحلة فقالت له ما على هذا ؟ فارقتك . فركب راحلة وهي باركة وقامت الى لحيته فاخذت التور فخضبته وهو على ظهر راحلة حتى فرغت من خضابه ثم نزل فجعلا يتحدثان حتى علق الخضاب ثم قامت اليه فغسلت لحيته ودهنته ثم قام فركب وقال :

ان اهل الخضاب قد تركوني مزدعاً مولعاً باهل الخضاب[1] .

دخل الرقاشي على بعض الامراء فقال له قد اصبح خضابك قانياً . قال لاني امسيت له معانياً . قال وكيف تعمل به قال أنعم الحناء عجناً واجعل ماءه سخناً وارو شعرك دهناً فان بات فني وان اغنى اغنى[2] .

رأيت عمر بن عبد العزيز وهو امير المدينة وهو يأخذ خاتمه يمسح به خده او لحيته ثم يختم به فكأنما الملح الاندراني ذُرَّ عليه ، يعني من الطيب .

الخضاب الاسود المعروف بالهندي وهو الخضاب الذي يلمع سواده فيما يظهر من اصول الشعر سنة كاملة بصبغة سوداء ولا ينصل منه شيء . ويحكى ان هشام بن عبد الملك بن مروان كان يخضب بهذا الخضاب[3] .

- تقي الدين بن حجة الحموي هجاء الشيخ بدر الدين الشبتكي :

صبغ دعاويه لا تنتهي يخطي الصواب ولا يثمر
تنكرت فيه وفي ذقنه فلم ادر ايهما احمر[4]

وكان الشيخ تقي الدين رحمه الله يخضب بالحنا .

الخضاب بالخطر (نبات يجعل ورقه في الخضاب الاسود يختضب به) قال :

ان شيئاً صلاحه بالخضاب لعذاب موكل بعذاب
ولعمر الاله لولا هوى البيض وان تشتم نفس الكعاب
لأرحت الخدين من وضر الخطر واذعنت لانقضاء الشباب !

---

١) الاغاني ٨ : ١١٠
٢) الاغاني ١٥ : ٣٨
٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ٣ : ١١
٤) المنهل الصافي نسخة الجامعة المصرية ٨ : ٨٣

الخضاب بالوسمة . قال المتنبي :

عليك الطرّ عليك ان تداني الى بعض تراجن حسور

في هذه السنة (١٩٦) استأمن الى محمد الامين) من طاهر جماعة كثيرة وشغب الجند على طاهر ففرق محمد في من صار اليه من اصحاب طاهر مالاً عظيماً وقوّد رجالاً وغلق لحاهم فسموا بذلك قواد الغالية (تاريخ الطبري ، مطبعة الاستانة ١٩٣٩ ، ج ٧ : ٤٧) .

الوَسمة نبات تخضب بورقه ويقال حر العِظلم .

٨ – خفة اللحى

١ . ومن اشتهر بكونه سناطاً او كوسجاً لا لحية له او لحيته على ذقنه لا على العارضين .

كان الاحنف سُناطاً فكان رهطه يقولون : وددنا انا اشترينا للاحنف لحية بعشرين الفاً . وعن شريح القاضي : وددت ان لي لحية بعشرة آلاف[1] .

كان قيس بن سعد سناطاً فكانت الانصار تقول : لوددنا انا اشترينا له لحية بانصاف اموالنا . . واما عبدالله بن الزبير فيذكر اهله انه قال : عالجت لحيتي الى ان بلغت ستين سنة فلما اكلتها يئست منها[2]

القاضي شريح . . . هو احد السادات الطلس وهم اربعة : عبدالله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة والاحنف بن قيس الذي يضرب بـه المثل في الحلم والقاضي شريح والاطلس الذي لا شعر في وجهه[3] .

ابن سُريج المغني كان آدم احمر ظاهر الدم سناطاً[4] .

كان سهل الكوسج ابو سابور بن سهل صاحب الاقراباذين المشهور من اهل الاهواز وكان ألحى وانما لقب بالكوسج على سبيل التضاد[5] .

١) الف باء لابي الحجاج يوسف . اكسفرد Marsh. 242 f-947-948
٢) الكامل للمبرد طبعة ليبسك ٢٩٧ .
٣) وفيات الاعيان ٣١٦
٤) الاغاني طبعة الدار ١ : ٢٤٩
٥) عيون الانباء ١ : ١٦٥

(اهل خوزستان) الغالب على خلقهم صفرة الالوان والنحافة وخفة اللحى[1] .

لجرير يهجو :

ان العجم قبيلة ملونة حمص اللحى متشاجو الالوان

قال وخفة اللحى في بني عجم ظاهرة[2] .

كان العرجي ازرق كوسجا[3] .

لقي اشعب صديق لابيه فقال له ويحك اشعب كان ابوك ألحى وانت ثط فالى من خرجت قال الى امي[4] .

الوليد بن عتبة بن ابي سفيان (عامل الحجاز) كان وجهه ورقة من ورق المصحف (الاعلام بالحروب الواقعة بصدر الاسلام — المكتبة الملكية بمصر ٢:٢) .

سنة ٦٢٣ توفي واقف الرواحية بدمشق وحلب ابو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحة . . . كان غاية في الطول والعرض ولا لحية له[5] .

قاضي القضاة نجم الدين المقدسي الحنبلي († ٦٨٩) ليس له من اللحية الا شعرات (٦٤)[6] .

سنة ٨٦٥ توفي الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر . اينـال العلائي تسلطن يوم الاثنين ٨ ربيع الاول سنة ٨٦٧ كان طويلًا خفيف اللحية بحيث اشتهر باينال الاجرود[7] .

كان ابو عمر احمد بن عبد ربه صديقاً لابي محمد يحيي القلفاط الشاعر . . . وكان القلفاط يلقبه بطلاس لانه كان اطلس لا لحية له ويسمى كتاب العقد حبل الثوم[8] .

---

١) المسالك والممالك لابن حوقل ١٧٤ وانساب الاشراف ٥ : ٢٠١
٢) الأغاني ٧ : ٦٠
٣) الاغاني ١ : ١٥٤
٤) الأغاني ١٧ : ٩٦
٥) البداية والنهاية ١٣ : ١١٦
٦) المنهل الصافي نسخة الجامعة المصرية ١ : ٦٤
٧) شذرات الذهب ٧ : ٣٠٥
٨) بدائع لابن ظافر ٣٠

كان الوزير ابن المغربي (الحسين بن علي) امر شديد السمرة سناطاً (في المطبوع بساطاً)[1] .

٩ – قصّ اللحى وتدويرها

قال المزني : ما رأيت وجهاً احسن من وجه الشافعي ولا لحية احسن من لحيته وكان ربما قبض عليها فلا تفضل عن قبضته ولقد سمعته يوماً ينشد :

قوم يرون النبل تطويل اللحى   لا علم دين عندهم ولا تقى[2]

سنة ٦٥٥ دخلت الفقراء الحيدرية الى الشام ومن شعائرهم لبس الفراجي والطراطير وقص لحاهم وترك شواربهم وهو خلاف السنة فعلوا ذلك متابعة لشيخهم حيدر حين اسره الملاحدة فقصوا لحيته وتركوا شواربه فاقتدوا به في ذلك وهو معذور مأجور حيث فعل به ذلك بغير اختياره وارادته وهم غير مأجورين بل لهم مأمورون وقد نهى رسول الله صلعم عن ذلك وقد بنيت لهم في ايامنا زاوية بظاهر دمشق[3] .

لما ملك ابن عثمان حلب ارسل خلف خاير بك نائب حلب وصار من جملة امرائه ولبس زي التراكمة العامة المدورة وقص ذقنه[4] .

في يوم الاثنين سادس عشر المحرم سنة ٩٢٨ وقع فيه من النوادر الغريبة ان ملك الامراء لما عرض المماليك صار كل من رآه من المماليك ولحيته طويلة يقص منها نصفها ويعطيها له في يده ويقول له امش على القانون العثماني في قص اللحى وتضييق الاكمام وكل ما تفعله العثمانية[5] .

« غيّر الحلّة وقصّر اللحية » من رسالة التطفيل لتاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني[6] .

قال هشام بن الكلبي كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت وحلفت

---

١) المطلع ٣: ١٥٨
٢) مجلد من المقفى للمقريزي خزانة ليدن – Arab.1366ª .
٣) تاريخ ابن كثير رواية الطبراني ١٥١٦ باريس ١٧ .
٤) تاريخ ابن اياس ٣: ٥١
٥) تاريخ ابن اياس ٣: ٢٨٠
٦) نهاية الارب ٣: ٢٢٧

ان لا اخرج منه حتى احفظ القرآن فحفظته في ثلاثة ايام ونظرت يوماً في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة فاخذت ما فوق القبضة[1] .

قال عمر بن عبد العزيز : اياكم والمثلة في العقوبة جزّ الراس واللحية[2] .

نظر النبي عليه السلام الى رجل طويل اللحية فقال ما كان هذا لو هيأ من لحيته . فبلغ الرجل ذلك فهيأ لحيته بين اللحيتين ثم دخل على النبي صلعم فلما رآه قال هكذا فافعلوا .

عن محمد بن مسلم قال رأيت الباقر يأخذ من لحيته فقال دوّرها وقال الصادق عم تقبض بيدك على اللحية وتجزّ ما فضل .

عن كتاب المحاسن عن علي بن جعفر قال سألت اخي عن الرجل يأخذ من لحيته قال اما من عارضيه فلا بأس واما من مقدمها فلا تأخذ .

عن سرير الصيرفي قال رأيت ابا جعفر عم قد حفّ لحيته .

عن سرير قال رأيت ابا جعفر عم يأخذ عارضيه ويبطن لحيته اي يأخذ من تحت الذقن .

عن ابي عبدالله عم قال من زاد من اللحية على القبضة ففي النار . وعنه عم من سعادة المرء خفة لحيته .

عن ابي ايوب عن محمد قال رأيت ابا جعفر عم والحجام يأخذ من لحيته فقال له : أدرها[3] .

عضد الدولة اول ما عمل بابي الفتح بن العميد ان سمل احدى عينيه ثم نكل به وجزّ لحيته وجدع انفه[4] .

١٠ — نتف اللحى

من عجيب ما حكي عن الحريري انه كان مشغوفاً بنتف اللحية وهو مرض من غلبة السودا. فوكل به شخص . فلما عرض المقامات على الوزير واعجب الوزير صنعته سأل عن حاجته فقال مأكني لحيتي[5] .

١) كتاب الاذكيا : لابن الجوزي ٥٧

٢) عيون الاخبار ١ : ٧٣

٣) نوادر الاشراق ٩٥-٩٦

٤) ارشاد الاريب ٥ : ٣٤٩

٥) اثار البلاد واخبار العباد للقزويني ٣٠٨

كان الحريري مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة[1] . . . لابن جكينا البغدادي في هجائه وكان الحريري يزعم انه من ربيعة الفرس :

شيخ لنا من ربيعة الفرس   ينتف عثنونه من الهوس
انطقه الله بالمشان كما   رماه وسط الديوان بالخرس[2]

ترف الفضيلة في نتف اللحية الطويلة لمحمد بن احمد بن رضوان المتوفي سنة ٧٢٢[3] .

دعا مسلم بن عقبة المري امير الجيش بعد وقعة الحرة عمرو بن عثمان بن عفان وقال له : نحن نقاتل عن دولتكم وانت تكيدها ؟ يا غلام انتف لحيته فنتفت حتى ما تركت فيها طاقة[4] .

لما هزم عمرو بن الزبير واسر قال له اخوه عبدالله بن الزبير : ويحك ما صنعت ؟ اما حقي قد تركته بالاخوة ولا بد من الاخذ بمظالم الناس فحبسه اشهراً يقفه كل يوم فيأتي الرجل فيقول: لكزني فيلكزه. ويقول الآخر لطمني فيلطمه ويقول الآخر نتف لحيتي فينتف لحيته[5] .

خرج بنو امية وغيرهم بعائشة حتى قدموا البصرة فاخذوا ابن ضيف اميرها من قبل علي فنالوا من شعره ونتفوا لحيته وخلوا سبيله فقصد علياً وقال له : بعثتني ذا لحية وقد جئتك امرد قال : اصبت اجراً وخيراً[6] .

تزوج الفرزدق حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس الشيباني وخاصمته النوار واخذت بلحيته فجاءت بها وخرج وهو يقول :

قامت نوار اليّ تنتف لحيتي   تنتاف جعدة لحية الخشخاش
كلتاهما اسد اذا ما اغضبت   واذا رضين فهن خير معاش[7]

والخشخاش رجل من عنزة وجعدة امرأته.

---

١) وفيات الاعيان ١ : ٣١٤
٢) وفيات الاعيان رسلان ٥٨٧
٣) كشف الظنون ١ : ٢٨٢
٤) انساب الاشراف ٤ : ٣٩
٥) انساب الاشراف ٣٨
٦) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٨١
٧) الاغاني ١٩ : ١٢

ان عمارًا ذا كناز كانت له امرأة يقال لها دومة تخلقت بخلقه في شرب الشراب والمجون والسفه ... ثم حجت في امارة يوسف بن عمر فقال لها عمار :

اتقي الله قد حججت فتوبي   لا يكونن ما صنعت خبالا

(في اربعة ابيات اخر) فضربته دومة وخرقت ثيابه ونتفت لحيته وقالت اتجعلني غرضاً لشعرك ؟[1]

اماجور ولي دمشق في ايام المعتمد سنة ٢٥٦ ... وجه مرة فـارساً الى ازرعات ولما رجع نزل اليرموك فوجد هناك اعرابياً فجرت بينهما خصومة فنتف الاعرابي من ذقن الجندي خصلتين فبلغت اماجور الواقعة فتحيل على البدوي بحيلة في ذكرها طول الى ان ظفر به وطلب حجاماً وقـال لا تدع في وجه الاعرابي ولا في جسده شعرة فنتف الحجام حواجبه ثم جفون عينيه ولم يدع في راسه ولا في وجهه ولا جسده شعرة الا نتفها ثم ضربه اربع ماية سوط ثم حبسه ثم ضربه اربع ماية سوط اخرى ثم قطع يديه في اليوم الثاني وقطع رجليه ثم قطع رأسه وصلبه ثم دعا بذلك الجندي وكان قد حبسه فضربه بالعصي ماية عصاً واسقط اسمه وقال انت ما دفعت البدوي عن نفسك فما عساك تنفع ؟[2]

لما تمكن طلحة والزبير من البصرة وقتلوا حرس بيت المال وهم سبعون رجلاً من غير سبب ولا ذنب اخذوا عثمان بن حنيف الانصاري عامل امير المؤمنين علي بن ابي طالب على البصرة ونتفوا لحيته وارادوا قتله[3] .

لبعض الشعراء في انكار الرفق بالمصادرين وقلة الاستقصاء في شناعة تعذيبهم والتنكيل بهم :

اين عرك الاذان واللطم . . .   . . وعصر المصى وابن الزيار
اين نتف اللحى وشد الحيا   زيم وابن الحبوس والمضار[4]

نتف اللحية من ابن دحية لتاج الدين الكندي (معجم الادباء لياقوت ١١ : ٢٧٥) .

١) الاغاني ٢٠ : ١٧٥–١٧٦
٢) تحفة ذوي الالباب للصفدي ٨٧
٣) الديارات ٩٢
٤) صلة عريب ٦٦

لما صودر علي بن محمد بن الفرات بعد وزارته الثانية وسلم لحامد بن العباس وزير المقتدر وضاق حامد بن العباس ذرعاً في مناظرته امر ان ينتف لحيته فلم يمتثل احد امره فوثب هو بنفسه اليه وجذب لحيته[1] .

ذكر ابو هرون العبدي قال رأيت ابا سعيد الخدري بالمدينة ولحيته بيضا. وقد خف جانباها وبقي وسطها فقلت يا ابا سعيد ما حال لحيتك ؟ فقال هذا فعل ظلمة اهل الشام يوم الحرة دخلوا على بيتي فانتهبوا مـا فيه حتى اخذوا قدحي الذي كنت اشرب فيه الماء ثم خرجوا ودخل علي بعدهم عشرة نفر وانا قائم اصلي فطلبوا البيت فلم يجدوا فيه شيئاً فاسفوا لذلك فاحتملوني من مصلاي وضربوا بي الارض واقبل كل رجل منهم على ما يليه من لحيتي فنتفه فما ترى خفيفاً فهو موضع النتف وما تراه عافياً فهو ما وقع في التراب فلم يصلوا اليها وسادعها كما ترى حتى اوافي بها ربي[2] .

لعمارة اليمني يهجو ابن دجان :

مكنك الدهر سبال الورى فاحلق لحاهم آمناً وانتف[3]

وله في الامير المؤتمن ابي علي موسى بن المأمون من قصيدة :

فابعث بمن ينتف ذقن المنى ان لم تكن امالنا سالية[4]

انشدني ابو نصر بشر بن هرون الكاتب النصراني البغدادي لنفسه في ابي رفاعة بن كامل احد خلفاء القضاة ينفرد عن سوادها :

قضى شعري على القاضي بحكم احب اليه مفروغاً مذالا
ولو لم يستحِ لنتفت منه سبالاً ان وجدت له سبالا
ونتف سباله شيء محال لان الخلق صيره محالا[5]

. لزيد بن الحسن الكندي كتاب نتف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية الكلبي في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي[6] .

---

١) تجارب الامم ٥ : ٦٠
٢) الاخبار الطوال للدينوري ٢٧٨
٣) المكتبة العصرية ٢٩٦
٤) المكتبة العصرية ٣٨٧
٥) نشوار المحاضرة ١ : ٥٢
٦) ارشاد الاريب ٤ : ٢٢٣

افدي الذين نأوا والدار دانية وشتتوا بالجفا شمل المودات
كم قد نتفت سبالي في صدورهم والصد اصعب من نتف السبالات[1]

وله ايضا :

كلفت من امرهم ما لا اقوم به ومن يقوم بأمر فيه تكليف
لا تنفن سبالي طاعة لهم فالذقن ان دام ذا الاعراض منتوف[2]

لابي القاسم الواساني :

يا معشر الناس اسمعوا ما انا قائله واستمعوا وصفي
اذا اردتم ستر استاذنا فلتكن الاناف في غلف
ثم اغسلوا شعر اللحى بعدها غسل الدرايك والقطف
وبخروها بعد تطييبها بكل شيء طيب العرف
وما ارى سائر ما قلته يغني ولا احسبه يكفي
او فانتفوها واستريحوا فما ينجيكم شيء سوى النتف[3]

قال المنصور يوماً لعبدالله بن عياش المنتوف قد بغضت الي صورتك عشرتك وكفرت بالله لئن نتفت شعرة من لحيتك لاقطعن يدك فاعفاها حتى اتصلت فكان عنده يوماً وحدثه باحاديث استحسنها فقال له سل حاجتك قال نعم يا امير المؤمنين لحيتي تقطعني اياها اعمل بها ما اريد فضحك المنصور وقال له : لقد فعلت[4].

حدث عبدالله بن عباس الهمداني قال : قال لي المنصور : حدثني حديثاً بلغني عنك في نتف لحيتك في سفرك قال نعم يا امير المؤمنين . وجهني خالد القسري الى هشام بن عبد الملك برسالة اشافهه بها فقال : اعف لحيتك في سفرك هذا فلئن جئتني وقد نتف منها شعرة واحدة لاقطعن يدك (وكان مولعاً بلحيته) قال ففعلت فلما دخلت دمشق دخلت المتوضأ فخلوت بنفسي ادرس الرسالة

---

١) يتيمة الدهر ١ : ٢٤٢
٢) يتيمة الدهر ١ : ٢٤٣
٣) يتيمة الدهر ١ : ٢٦٥
٤) الجزء الحادي عشر من تذكرة ابن حمدون ١٥١٦ (ادب دار الكتب المصرية ١٤٦ / ١ .

واقول: إن قال لي كذا قلت كذا وسهوت عن الوصية فاقبلت على لحيتي انتفها والقيها بين يدي فاتيت على جميعها فصحت بغلامي فامرته بجمعها وغسلها وشددتها بمنديل ثم خرجت ولبست ثيابي واخذت المنديل في كمي وصرت الى باب هشام فاستأذنت فاذن لي فاديت الرسالة فاجابني فلما اردت مفارقته قلت انا بالله وبك يا امير المؤمنين من خالد قال ما لك وله فحللت الصرة واريته ما فيها وخبرته الخبر فامر بالكتاب الى خالد: « قد اجرت عليك عبدالله بن عباس ما كنت اوعدته من نتف لحيته واعطي الله عهداً لئن اثرت فيه اثراً بعقوبة لاقتص له منك والسلام » قال فقدمت على خالد فلما رآني قال: ما هذا قبل ان يسألني عن الرسالة قلت: جوابك في الكتاب تقرأه تعالى اولى لك. ثم سألني عن الرسالة فاديتها اليه فضحك المنصور حتى استلقى[1] .

كان ابو محمد المهدي المعروف بابن الصلاء احد الشعراء الطارئين على الاندلس كثيراً ما يأتي بالاستعارة التي تضحك كقوله :

لحى جراباتي متوفة وَمرّ دهر وهي لا تنتف[2]

اهل خوارزم لهم تجار يدخلون الى نواحي ياجوج وماجوج لاستخراج الخزوز والادبار وقلما يدخل لهم ذو لحية واكثرهم خفيفو العوارض والاسبلة. واهل القاف من ياجوج وماجوج مُردٌ جرد فاذا دخل اليهم ذو لحية كثا. نتفها الملك الذي يدخل بلده من نسل ياجوج وماجوج ثم احسن الى التاجر الذي انتف لحيته واغناه[3] .

كان الحريري مولعاً بنتف لحيته فنهاه امير البصرة وتوعده على ذلك وكان كثير المجالسة له فبقي كالمقيد لا يتجاسر ان يعبث بلحيته فتكلم في بعض الايام بكلام اعجب الامير فقال له سلني شيئاً حتى اعطيك قال لحيتي . قال قد فعلت (معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ٣: ٢٧٤) .

---

١) الثاني من كتاب تاريخ الموصل لابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس الازدي رقم ٢٠٧٥ دار الكتب المصرية ٢٩ و ٣٠٤

٢) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة القسم الرابع المجلد الاول ٣٢٢

٣) صورة الارض لابن حوقل ١٩٣٨ ص ٤٨١ – ٤٨٢

١١ – حلق اللحى

أُتي عبد الصمد بن علي باناس من الشطار فأمر بضربهم وحلق رؤوسهم ولحاهم ففعل بهم ذلك وكان فيهم رجل بساط فقيل له ان هذا ليست له لحية فهل تزيده في الضرب قال : لا ولكن احلقوا لحية هذا الشرطي مكانه[١] .

عبد الواحد بن يحيى بن منصور امير مصر ورد عليه في سنة سبع وثلاثين ومائتين كتاب الخليفة المتوكل بحلق لحية قاضي قضاة مصر ابي بكر محمد بن ابي الليث وان يضربه ويطوف به على حمار ففعل ما أمر به[٢] .

منع السلطان الملك الناصر الطائفة القلندرية من تحليق لحاهم وان من تظاهر بهذه البدعة قوبل على فعله المحرم وان يكون شيخًا على طائفته . . . وهذه البدعة لها منذ ظهرت ما يزيد على اربعمائة سنة واول ما ظهرت بدمشق في سنة بضع عشرة وستمائة[٣] .

كان شهاب الدين قلندر يحلق لحيته وحاجبيه على طريقة القلندرية[٤] .

من نسخة تذكرة سلطانية كتب بها عن السلطان الملك الصالح علي ابن الملك المنصور قلاوون لكافل السلطنة بالديار المصرية الامير زين الدين كتبغا عند سفر الملك الصالح الى الشام واستقرار كتبنا المذكور نائبًا عنه في سنة ٦٩٩ : فصل الحبوس . . . وتحلق لحى الاسارى كلهم من فرنج وانطاكين وغيرهم ويتعهد ذلك فيهم كلما تنبت[٥] .

محمد الساوجي جلال الدين شيخ القلندرية قدم دمشق وقرأ القرآن وسكن بجبل قاسيون ثم تزهد واقام بمقبرة باب الصغير في قبة زينب بنت زين العابدين ثم حلق لحيته وحاجبه ورأسه فوافقه على ذلك طائفته واشتهر وتبعه جماعة وحلقوا وذلك في حدود العشرين وستمائة (١٢٢٣ م) ثم لبس دلق شعر ومضى الى

١) المحاسن والمساوئ ٢ : ١٥٤

٢) النجوم الزاهرة طبعة الدار ٢ : ٢٨٨ – تاريخ الاسلام للذهبي اكسفرد .Laud. Or. 244, f°. 235b

٣) الخطط ٤ : ٣٠٢

٤) رحلة ابن بطوطة ١ : ١٠٢

٥) صبح الاعشى ١٣ : ٩٣

دمياط ... وتوفي فيها سنة ثلاثين وستمائة (١٢٣٢/٣) وقبره بها مشهور وله اتباع[1] .

سنة ٦٥٨ فيها اتفق علي بهادر شحنة بغداد وعماد الدين القزويني وجماعة من صدور العراق وقصدوا حضرة السلطان (هولاكو قان) حيث كان في الشام ورفعوا على علاء الدين صاحب الديوان (عطاء ملك العراق الجويني) اشياء اعتمدها .. فامر السلطان بقتله فسئل العفو عنه فامر بحلق لحيته فحلقت وكان يجلس في الديوان ويستر وجهه[2] .

باب ما يجب في اللحية اذا حلقت في رواية السكوني ان علياً عم قضى في اللحية اذا حلقت فلم تنبت بالدية كاملة فاذا نبتت فثلث الدية[3] .

محمد المالكي كان مولعاً بقص شاربيه وحلق لحيته وحاجبيه توفي سنة ١١٨٥ للهجرة[4] .

في ذي الحجة سنة ٧٦١ ورد كتاب السلطان بالزام القلندرية بزيّ المسلمين وترك زيّ الاعاجم والمجوس وتركهم حلق اللحى وشعر الوجه[5] .

قال رجل لولده وقد شاء ان يكون قواداً : اذا يبلغ السلطان خبرك فيحلقون راسك وذقنك وينادى عليك[6] .

انشدني الشيخ تاج الدين الكندي .. انه كان بدمشق وقد رسم السلطان بحلق لحية شخص له وجاهة بين الناس فحلق نصفها وحصلت فيه شفاعة فعفي عنه في الباقي فصل فيه ولم يصرح باسمه بل رمزه وشتمه وهو :

زرت ابن آدم لما قيل قد حلقوا … جميع لحيته من بعد ما ضربا
فلم ار النصف محلوقاً دعت له … مهنئاً نادي منها له وهبا
فقام ينشدني والدمع يخنقه … بتين ما نظم فيا ولا كذبا

---

١) جزء من المنفى ليدن Arab 1366 c .

٢) الحوادث الجامعة للفوطي ص٣

٣) كتاب من لا يحضره الفقيه لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رقم ١٧٠٣ المكتبة الملوكية ص ٤٩٧

٤) سلك الدرر ٤: ٦١

٥) ذيل ابن قاضي شهبة ١٥٩٨ باريس ١٥٦

٦) نشوار المحاضرة ١: ١٩٧

اذا اتتك حلق الذقن طائفة فاخلع ثيابك . . . مربا
وان اتوك وقالوا انها نصف . فان اطيب نصفها الذي ذهبا[١]

والبيتان الاخيران منها في الحماسة ايضاً .

الشيخ احمد بن عمر المعروف بالقاري المتوفي سنة ١٠٤١ (١٦٣١) لازم خدمة الشيخ المجذوب ابي بكر الحلبي . . فتولى الخلافة بعد جماعات متعددة . . . وكلهم فحلقوا اللحى يلبسون المرقعات ويفترشون جلود الغنم ويأكلون الحشيش والكلس وبعض المجاذيب منهم يشرب الخمر والعرق ولا يصومون وتتوارد عليهم مجاذيب البلاد[٢] .

ابو بكر بن وفا المجذوب الحلبي (توفي في حدود التسعين وتسعماية) حلق لحيته وحواجبه وقلع اسنانه ثم كان يفعل ذلك في من يأتيه فقيرًا حريدًا وبقي جماعة على هذه الطريقة وظاهر منكر في الحقيقة[٣] .

كان المرزبان انفذ رسولًا الى معز الدولة في امور حمله اياها . . . (سنة ٣٢٩) فادى اليه الرسالة وكان فيها ما غاظه فتقدم بحلق لحيته ففعل واسمع نيابة ما يكره وانصرف على هذه الحال فحكى للمرزبان ما جرى عليه فامتعض واخذ في جمع الرجال والاستعداد[٤] .

بين يدي القعقاع (بن ضرار وهو يومئذ على شرطة الكوفة) حجام واقف وصفرة موضوعة فيها المواسي فاذا أُتي بشراب النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم[٥] .

قال مسكين المدني لما كان عبدًا خياطاً وسمع يوماً سوداء على رقبتها جرة وهي تغني وطلب منها ان تلقي عليه هذا الصوت فابت الا بدرهمين ثم انصرفت الى مولاي فقال هلم خراجك فقلت كان وكان فقال يا ابن اللخناء وبطحني وضربني وحلق لحيتي وراسي[٦] .

---

١ فوات الوفيات ٢ : ٢٩٣
٢ خلاصة الاثر للمحبي ١ : ٢٦٠
٣) الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة لنجم الدين احمد الغزي – الجامعة الاميركية بيروت Ms 920. 02 G 41 ص ٢٢٤
٤) تجارب الامم ٦ : ١٣١
٥ . الاغاني ١٨ : ١٤٩
٦) مروج الذهب بهامش الكامل ٨ : ١٥٨–١٥٩

اخذ الوليد بن يزيد بن عبد الملك سليمان بن هشام فضربه مائة سوط وحلق راسه ولحيته[١] .

سنة ١٧٦ استُعمل على دمشق ابرهيم بن صالح بن علي... واستخلف ابنه اسحق وكان ميله ايضاً مع اليمانية فاخذ جماعة من قيس فحبسهم وضربهم وحلق لحاهم فنفر الناس[٢] .

سنة ٣١٧ نودي في الرجالة المصافية بخروجهم عن بغداد ومن اقام قبض عليه وحبس ... وظفر بعد النداء بجماعة منهم فضربهم محمد بن ياقوت وحلق لحاهم وشهر بهم[٣] .

اسحق بن ابرهيم بن صالح بن عباس الهاشمي ولي دمشق نيابة عن ابيه ابرهيم في خلافة الرشيد ... حبس رؤساء قيس واحداً واربعين رجلاً من محارب فضربهم وحلق رؤوسهم ولحاهم[٤] .

كان المعروف بابي سالم بن همام الحلبي قد ولي مشارفة الديوان بدمشق... فظهر منه خيانات اعتدها ... فخرج الامر السامي النوري بالكشف عن سماياته فاقتضت الحال بان تحلق لحيته ويركب حماراً مقلوباً وخلفه من يملوه بالدرة وان يطاف به في اسواق دمشق بعد ستر وجهه وينادى عليه: هذا جزاء كل خائن وغام[٥] .

سنة ٥١٥ قبض سليمان (ابن نجم الدين ايلغازي) حجاب ابيه فصفعهم وحلق لحاهم ومد يده الى اموال الناس[٦] .

ابو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبدالله الباهلي الاندلسي المربي خرج ليلة وهو سكران من دار زين الملك ابي طالب بن الخياط فوقع وشج وجهه... واخذ المرآة فرأى الجرح في وجهه غائراً تحت الجفن بعد وقعته فقال من ابيات:

١) الكامل لابن الاثير ٥ : ١٠٣
٢) الكامل ٦ : ٤٣
٣) الكامل ٨ : ٦٨
٤) تحفة ذوي الالباب ٦٣ ا
٥) ذيل القلانسي ٣٣٦
٦) زبدة الطلب ١٦٦٦ باريس ١٦٣

روقمت منبلجاً على وجهي وطارت عمتي
وعلمت ان جميع ذلك من تمام اللدة
من لي باخرى مثل تلك ولو بحلق لحيتي[١]

اسامة امير مصر احصى الرهبان ووسمهم ... واذا ظفروا براهب او غير موسوم قدموه الى الامير فينقب اعصابه ويبقى اعرج ولم يكن يحصى عدد من شوّه به على هذه القضية وحلق لحى كثير[٢].

لنافع بن خليفة الغنوي :

فان تضربونا بالسياط فاننا ضربناكم بالمرهفات الصوارم
وان تحلقوا منّا الرؤوس فاننا حلقنا رؤوساً باللحى والغلاصم[٣]

سعيد بن عبد العزيز البيروتي قال كان عندنا قاضي قال للناس احلقوا لحاكم ... فحمل الناس كلهم على حلق اللحى فكنت لا تلقى احداً الا محلوق اللحية (ابن عساكر ٧ : ١٥٢) .

للوزير ابي الوليد بن طريف :

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته
(نفح الطيب ٢ : ٢٠٨) .

المتلذذ : من اللذاذات اربع : حلق اللحى الطويلة العريضة وصفع الاقفية اللحمية وشم الارواح الثقيلة والنظر الى الوجوه الصبيحة المليحة[٤] .

سبيل المزيّنين ان يصلحوا لحية كل احد على مقدار ما يليق بوجهه ... وان لا يحلقوا ذقن مخنث ولا يزيّنوا له صدغاً[٥] .

اهل غانة هم اجمع يحلقون لحاهم ونساؤهم يحلقن شعورهن[٦] .

للسيد الحميري في الهجو :

---

١) عيون الانباء ٢ : ١٤٥
٢) سير البطاركة لابن المقفع ٢ : ١٥١
٣) ذيل امالي القالي ٢ : ١١٦–١١٧
٤) خاص الخاص للثعالبي طبعة تونس ٣٠
٥) نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام المشرق ١٩٠٧ ص ١٠٨٢–١٠٨٣
٦) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب للبكري طبعة الجزائر ١٧٥

لحاني بي امام الهدى وفاروق افتنا الاكبر
سأحلق لحيته انها شرود على الزور والمنكر[١]

بعض الروس يحلق لحيته وبعضهم يفتلها كمثل اعراف الدواب ويضفرها[٢].

وجدت في حلب طائفة كثيرة يقال لهم الباشغردية شقر الشعور والوجوه جداً ، يتفقهون على مذهب ابي حنيفة رضه فسألت رجلاً منهم عن بلادهم وحالهم فقال اما بلادنا فمن وراء القسطنطينية في مملكة ... من الافرنج يقال لهم الهُنكر ونحن مسلمون ... فسألته ولم تحلقون لحاكم كما تفعل الافرنج فقال يحلقها معاً المتجندون ويلبسون لبسة السلاح مثل الافرنج اما غيرهم فلا[٣].

ابو اسحق المزبّد المدني ... غضب يوماً عليه بعض الولاة فأمر الحجام بحلق لحيته فقال له الحجام انفخ شدقيك حتى اتمكن من الحلاقة . فقال الوالي امرك بحلق لحيتي او تعلمني الزمر ؟[٤] .

كان احمد بن سهل خليفة عمرو بن الليث على مرو فقبض عليه عمرو ونقله الى سجستان فحبسه بها ... ثم ان احمد طلب الحمام فادخل اليها فاخذ النورة فطلى بها رأسه ولحيته فسقط شعره وخرج من الحمام ولم يعرفه احد فاختفى[٥].

سعيد بن عبد العزيز البيروتي قال كان عندنا قاضي قال للناس : احلقوا لحاكم فانها نبتت على الضلالة حتى تنبت على الطاعة . قال فحمل الناس كلهم على حلق اللحى فكنت لا تلقى احداً الا محلوق اللحية (لم تذكر وفاته) . (تاريخ ابن عساكر ٧: ١٥٣) . (له صلة)

---

١) الاغاني ٧: ١٣-١٤
٢) المسالك والممالك لابن حوقل ليدن ٢٧٦
٣) معجم البلدان ١: ٤٦٦-٤٧٠
٤) فوات الوفيات ٢: ٢٨٠
٥) الكامل لابن الاثير ٨: ٢٧

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم ١٨٢٩ ــ ١٨٣٨ (تابع)

نشر الاب فردينان توتل اليسوعي

على ايام المطران بولس اروتين
(١٨٢٩-١٨٥٠)

جاء في «برنامج اخوية القديس مارون» الجزء الثاني – لمؤلفه يوسف خطار غانم (المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٣ ص ٢٠٧ و٢٠٨):

«ما كادت الابرشية الحلبية تصاب بفقد حبرها المطران جرمانوس حواء في ١٣ حزيران ١٨٢٧ حتى اتجهت خواطر الاعيان واتفقت كلمتهم على اختيار الخوري بولس اروتين خلفاً له.

فرفعوا نتيجة اقتراعهم الى البطريرك يوسف حبيش فكان ان رضي عن ايثارهم واستقدم المنتخب الى لبنان واحتفل بتسقيفه في ٣ ايار ١٨٢٩ فانشرح صدر الحلبيين على عمومهم رضاء...

بيد ان الذين ضرب الله على قلوبهم غشاوة شغبوا على المطران الجديد فاصدر الكرسي الرسولي براءة بابعاده. فسافر الى لبنان في ٦ تشرين الاول ١٨٣٢ ولم يعد الى ابرشيته الا في ١١ آذار ١٨٣٦.

فترى من التواريخ المذكورة ان سنتين مضتا بين وفاة جرمانوس حوا وتسقيف بولس اروتين. وان بعد ثلاث سنوات من اقامته في حلب اضطر الى الرحيل الى لبنان ولن يعود الى كرسيه الا بعد اربع سنوات.

فما كانت اسباب تلك الحوادث الشاذة ومن كان السعاة فيها؟

– فيما نحن في تأليف هذه الصفحات هدانا حضرة الاب اغناطيوس سعد الخوري اسقفي الحلبي الماروني الى مجموعة مكاتيب محفوظة في دار السيد الوجيه

ارنست عبديني في بيروت . فقصدنا اليه وتفضل فاعارنا تلك المجموعة . واذ نحن في تدوين الحوادث التاريخية عن حلب رأينا ان نعرضها الى القراء اجمالاً قبل ان نروي ما رويناه عنها في ما يخص الموارنة وما اليهم : دفاتر السيد ارنست عبديني هي ستة كبيرة ، فيها مسودات المكاتيب التجارية التي صدرت من حلب . ان اوليات تلك المكاتيب موقعة باسم يوسف غنطوز كبه والتي تتلوها ليس عليها توقيع المحرر ولكن من معانيها يستنتج انها ايضاً من يوسف غنطوز كبه او احد ذويه كلها مؤرخة اما بالتاريخ الميلادي واكثرها موجهة الى التجار المسيحيين واما بالهجرى واكثرها موجهة الى التجار المسلمين او الى العمال في الحكومة :

الدفتر الاول	:	فيه المكاتيب من	١١٩٣ الى ١٧٩٥
« الثاني	:	«	١٨٢٧ — ١٨٣٣
« الثالث	:	«	١٨٣٣ — ١٨٤١
« الرابع	:	«	١٨٤١ — ١٨٤٣
« الخامس	:	«	١٨٤٣ — ١٨٤٥
« السادس	:	«	١٨٤٥ — ١٨٤٨

والخط فيها تارة خشن وتارة رقيق والصفحات اكثرها مكتظة بالاسطر صعبة القراءة . وهي موجهة الى سائر المدن التي كان آل كبه يتعاطون التجارة معها شرقاً وغرباً : بغداد الموصل اورفا ماردين عينتاب اذنه دمشق بيروت لاذقية قبرص مصر دمياط ازمير سلامبول مرسيليا ولاسيما ليكورنا حيث كان مقيماً انطون كبه واولاده .

وبعض هذه المكاتيب موجهة الى كسروان في لبنان الى المقام البطريركي تدل على ان يوسف كبه كان وجيه الطائفة المارونية في حلب والمتعهد بشؤون اوقافها والمسؤول عن فقرائها في دفع الضرائب للحكومة وما الى ذلك من الاموال التي كانت تفرض من الباشا على الطوائف .

فكانت كلمة يوسف كبه مسموعة عند البطريرك وعند القاصد الرسولي . فيحوم ويسعى ويتدخل في شؤون انتخاب المطران .

هذا وخدماته للطوائف مأثورة فانه يصدر المطلوبات من مال حلب ليس

فقط لآله التجار ولكن لرجال الاكليروس الحلبيين الموجودين في بلاد الافرنج ويستصدر الاواني الكنائسية . فالكرسي الرسولي يقدر له اتعابه ويلقبه بكفالير وما اسهل ما ان ينقلب اسم « كبه »[1] العربي الى « كوبا» فيوقع من ثم احدهم في تحريره الى البطريرك يوسف الخازن تهنئة عند جلوسه في ١ ت ١ ١٨٤٥ : « فتح الله مركيز دي غنطوز كوبا وكيل المجمع المقدس » .

ان مجموعة هذه المكاتيب هي باللغة العربية ويوجد غيرها من الوثائق بالايطالية عند السيد ارنست عبديني وهي جديرة بالدرس فتؤدي مادةً لا يستهان بها لوضع تاريخ التجارة في حلب في اواخر القرن الثامن عشر وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر فتفيد عن المعاملات بين الشرق والغرب قبل فتح قنال السويس اذ كانت حلب في ازدهارها الاقتصادي فتعرفنا بالعملة واسعارها في المصارف وباموال القبان والمصنوعات وعن حركة السفن واتصالها بالاساكل الشرقية وبتجارة الحبوب والمجوهرات والاقمشة .

خلال تلك الصفحات الطوال تأتي خلسة تعليات عن حادث محزن او مفرح وعن حكم صاحب التحرير بفلان او فلان من الذين يتعاطون الاشغال في عهده ولا الخالي مخطئاً في رواية ما يلي وهو على ملاحته لا يخلو من انتقاد لطيف :

[١٨٤٦] يوسف غنطوز كبه يكتب الى الخواجات كوبا في ليكورنا ١٩ ايار .

« سؤالكم عن حمي الاب نعمة الله ام اولاده رزق الله واخوته فنظرًا الى حال الحاضر

---

١) من امثال ذلك ما جاء ذكره في تحرير صدر من آل كبه في حلب الى ذويهم في ليكورنا في ٢٧ ك ٢ ' ١٨٤٤ .

« نترجاكم باخذ شماع من فضة لاجل زياح القربان المقدس يكون ثمن حده ١٥٠ ليرة (ايطالية) وترسلوه الى دير مارانطانيوس البدواني في بعبده وهو من اديرة رهبان ازرقيه ليد الريس القس انطون شراباتي وتفيدوا القدر من حساجا وهذا يسير سكة اليد ملمة حيث ثمن قليل وتعرفونا عن ذلك ولكم الثواب وان حررتم الى الريس مكتوب عرفوه ان مرسل من حرمة اخونا بحلب وان كان يتوفق لكم بدلة قداس في ثمن مهارد يكون ترسلوا لنا لاجل الكنائسة حيث المرسولة قبلاً عدمت يكون معلوم » .

وهذا الشماع قد يكون ذات الشماع المستعمل الى يومنا في كنيسة مار يوسف للرهبان في دير مار انطونيوس بعبدا اراناه اياه الاخ انطونيوس ضو المتي بشؤون المبد .

احسن منه في النصارى لم يوجد وان كان الاولاد هم ورثاه ومنذ صغر سنهم لهم رسال يشطوه بهم ولا يعرفو منه شيئاً بل دايماً يزيد وبثل اليهود ما ينعرف لهم سر » .

ويسخر رجال الاكليروس آل كبه للمراسلات بواسطة القافلات او عمال الططر وقد يؤدي الكلام في ذلك الى ابعد ما يرام لهذا المقال فاقتصرنا فيه على ما يحصر في نطاق درسنا ومنه التقدير ما للكرسي الرسولي من الفضل في حسم الخصام الناتج عن التزاحم على المطرانية اذ ينقسم الشعب احزاباً لها.

وفي ٢٩ ك٢ ١٨٢٨ كتب يوسف غنطوز كبه الى البطريرك حبيش :

« تقدم لطوباويتكم كافي وضمنه تحارير من البلاد وصاوتا مع الططر تشرفوا عليهم بخير . والآن لا يخفا شريف سامعتكم في ٩ الجاري صار الانتخاب الاسقفي بالقرعة والاصوات الاكثر لحضرة الاب القس عبد الله شيتا وبكل هدو وسلامة حصل القبول من الجميع لا سيا كونه بجمل بالصفات اللايقة والمطلوبة من الفطنة والدراية وحسن السلوك والتصرف وتقدم عرض من باقي الكهنة والطايفة بشرح صيرورة الانتخاب لكي يستمدوا اوامركم بالقبول والطلب لتكرسوا مطراناً على ابرشية حلب وموجه ساعي من حضرة النايب جذا الشأن فعروم بعد بلوغه السلامة والاطلاع تشرفوا ابنايكم في اوامركم المقدسة».

ولم ينتج الانتخاب عن نتيجة حاسمة .

وكان يوسف كبه من حزب القس عبد الله شيتا فكتب الى البطريرك يشكر صفات الناخبين . ولعله مصيب في كلامه ولكن مـا كان احراه بالسكوت فلا يتداخل الا بما يعنيه والا فالثرثرة وكلام الغيبة نتيجته الفتنة والضرر للطائفة .

٣٠ تموز ١٨٢٨ بلغ شريف مسامعكم صيرورة الانتخاب المفسود لوجود الانقسام والتحزب فوجب ان نعرض حال الاشخاص المرورين في هذا الانتخاب ولا بد يحل تحارير من بعض الكهنة بهذا الشأن :

اولهم : شكر الله سامحه هذا من كان في خدامة خيف المغل رافائيل بيجوتو الذي كسر ماله واكل غرش الناس . اخذ كافليرية القدس بواسطة الاسقاف لهذه الوظيفة في دعوى شكوري الارمن قطع الجرم على الكنيسة من غير تفويض الطايفة .

ثانيهم : الياس مرور بيش من مماطاة البطل ومسك مواد الخصام ليأكل من الطرفين.

وهناك الخوري بولس ارونين . . . فيحمل عليه صاحب التحرير بتهات وشكاوي وظنون في سلوكه واستقامته بتدبير الاوقاف وبكونه ممروضاً لا يصلح للاسقفية .

... لكن البطريرك اقر رأيه على تعيين بولس اروتين مطراناً على حلب. فكتب يوسف غنطوز كبه التحرير التالي ... وفيه يقول اخيراً انه يخرج من الطائفة ... نرويه على علاته اذ هو ترجمان لحالة كانت ولم تزل موجودة بين البشر ومنها افادة لدرس تاريخ الكنائس.

«كروان البطريرك يوسف حيث لقد تقدم لطوباويتكم خلافه في ٧ اذار وبه كفاية. انشاء الله اشرفتم عليه بخير وبعده تشرفنا برسومكم المنيف المحرر في ٢٠ آذار الذي به تمرفونا بطلب القس بولس اروتين لتسموه مطران على الابرشية وتوملوا منا الموافقة مع الشعب في ذلك. فقد ذهلنا هذا الامر كون لا بت[بد] صار عيط بشريف علمكم من تحاريرنا بعدم مداخلتنا في امور هذا الانتخاب. واما ان كان مراد غبطتكم استرضانا في المنتخب نظراً للمجمع اللبناني بهذه المراجعة كرضا مع طلب المنتخب حتى روني ملحق مبري فاقتضى ان نفترض خلاف ملاحظة من طوباويتكم وهي اما معتبرين تحارير المترضين لهذا الانتخاب في ان جميع الطايفة قابلين به وانه حصل بروح الاستقامة من دون رابطة او لاجل عدم مداخلتنا يثبت انا لسنا قابلين في المنتخب والحال اعراضنا من الاول كان ملاحظين الاضرار التي سوف تحدث من هذا الانتخاب المفرود والمنتخب الغير مقبول لجملة اوجه صواية شرعيه والباين طوباويتكم لاحظتم تحارير اناس لا يهمهم خراب الطائفة والاضرار كون لا يدفعوا شيئاً من الخسائر لكي يسير لهم افادة اوليك الذين الان هم روس الانتخاب مع ان وجودهم في الانتخاب فقط كافي لفساده بسبب سلوكهم وشهرتهم وبهذا كفاية والحالة هذه قد استدعينا لحضرة نايبكم القس شكرالله ايوب لتوصله مرسوم غبطتكم الذي ضمنه التحرير بطلب المنتخب فاجاب انهم مستغيثين في الكرسي الرسولي والمجمع المقدس وان الطايفة الذين لهم ادنى حق في الانتخاب مع الاكليروس عاملين عرض لطرباويتكم لكي تختاروا من تريدوه سوى القس بولس لاجل اسباب معروضه لديوانكم وبعده حين مرض ظهر عليه مبلغ ديون معتبر ليس قادر على الوفاء مع زيادة مصروفه البدخ سوى في خراب الوقف والكنيسة بسبب ما تبقى لكي يقدر يوفي. واما ولدكم فما اعتبرت شيئاً سوى اني سلمت المكتوب بوقته لكي يوصله حسب امركم من دون ملاحظات صواية وبما كانت ترضي طوباويتكم لو تبقي ذلك لمراجعتكم سيما كون مكتوب الطلب من دون منشور للطايفة الذي قد صح عندنا ان زيادة التحارير من اصحاب الغرض اقلقت طوباويتكم فقصدتم التبصر كيف يكون الحال بعد وصول تحريركم وبالاختبار تميزوا صدق التحارير من الجهتين. ثم بلغنا ان حضرة النايب ارسل امر طوباويتكم برفقة كاهنين يخبروا للقس بولس انهم مستغيثين ضد انتخابه ومعروض ذلك لديوانكم الموقر وللمجمع المقدس ويسلموه المكتوب وان حضر مكتوب الى شكر الله جينه تخبروه في الطلب حسب

رغوبه واقتضى ان يؤلفوا عرضاً جديداً ويجبروا الناس على الختم به في اضم لم اجبروا احداً في الانتخاب واذا اتصاروا في التهديد لبعض اخيراً تم ختام الامر في الضرب لمن مـا اراد يختم واجاب بعدم القبول فهكذا حادث شنيع يحزن مهين اعتبار الطائفة من انام كذا يتم طوباويتكم استماعه وكذلك لباقي الطائفة ولولا تغير ظروف الايـام لا بت [بد] كانت النهاية بجريمة كبيرة للطائفة انما توفيق ربنا عجيب فماد المرض عضال والـدواء الشافي من لدنكم ان اشرحتم توجهوا حضرة الخوري نقولا حبيش المحترم قاصـد للفحص عن الانتخابات السابقة وبفطنته المشهورة يصلح الامور ويحصل الهدو ونحن الذي جبرنا على المشرح بهذا الشأن هو لاجل منع الاضرار الروحية والزمنية المتبد ان نصدو من التصرف الحاضر وليس لنا غرض مع احد ولا يهمنا كلمن ارتسم حيث ليس له علينا سلطان مـا وبعده نظراً للاضرار الزمنية فعندنا طريقة للفرار منها وننتقل الى غير طائفة وتدفع منهم الاموال المجرية لكي نخلص من الضرر وجميع ذلك حيث ناظرين جيداً ان غاية هـذه الأمور لا تتم باقل ضرر من غاية ارتسام المطران مكسيموس مظلوم[1] وحاشا لحنوكم الابوي انْ تسمحوا بضرر اولادكم ورعيتكم المظلومين من جور الزمان الذين ما لهم واحة سوى بعـدم الجبر والراحة من طرف الامور الكنائسية فالآن ان خسروا ذلك لتنفيـذ اغراض اثام يمهين السجس فيحصلوا كخراف بدون معزّي تنظن عاد شرحنا كافي للاقناع وحبكم السلامـة والوفق يلزمكم توقف ما سبق وسيتضح لديكم ان هـذا المنتخب وجوده يتم للخراب وليس للعمار قصدنا احاطة شريف علمكم ثم ولا ريب لتلاحظوا صعوبة بمـا تقدم نظراً لسجس الحاضر فان حرروا لقس بولس ان يتسلم الحرية في انتخابه واحد الـذي يتحسن امامكم وبهذه الوسيلة يبطل التحزب الموجود كون ما نظن انهُ يخلو من اوتبـاط ما في امر انتخابه وبحصل الهدو المرغوب من طوباويتكم ٢٧ حزيران ١٨٢٩ .

وفي غضونها يواصل يوسف غنطوز كيه سعيه في خدمة الاكليروس فيكتب الى المطران مكسيموس مظلوم وهو في رومية فيفيده عن المعاملات التي قام بها في الشؤون المادية ويعود الى قضيـة تعيين بولس اروتين اسقفاً على حلب والى المعارضة في سبيله مع كون الامر قد تم وسيم الخوري بولس اروتين اسقفاً على حلب في ٣ ايار كما ذكرنا سابقاً .

رومية مطران مكسيموس . . .

صندوقين الكتب وصاروا وبحيث ان صندوق الكبير في الطريق وقع في النهر وتفرغت

[1] تنويه الى ما وقع من الحوادث والمشاكل بسبب اقامة مكسيموس مظلوم مطراناً ثم بطريركاً على الملكيين .

الكتب ثم سلنام لحضرة القس شكراقه ايوب النايب البطريركي لتوزيعهم كرسوم[1] قدسكم الذي برسم من يكون تجدد ابتقف على الابرشية وكذلك سلمنا لحضرة شقيقكم صندوق الصليب وكتب الميته لتسليه ونظيره المواجهات حوا وددوكلو[2] وحسون ونجيث كتب الميته برسم لهم التلف ازود فاستحسنا الاصلح بطلبهم من البقية من شدة [كذا] الانكليزيه وسلنام للمذكورين كما والمينين من سيادتكم شحادة لولدكم باسمه وبطيه الجواب تشرفوا عليه بخير ثم أمرتم ندفع لحضرة الاب الخوري ميخائيل انطاكي ١٧ ريال عامود بموجب تحويل من سيادتكم لقبضه وبوقته دفعنا لحضرته ذلك وتسلناه مظهراً واطلعنا على صورة حساب المطلوب من سيادة المرحوم المطران جرمانوس حوا ونحن سيتا جذا الحساب مع خلاف مطاليب كانت عليه الى الناس فقرا وبحال اللزوم ليس لطلب حقهم بل للمساعدة وهذا القرش كان يلتزم اليه بوقت الضرورة القصوى للواقف ام للكنيسة وعندما يدفع عنه تعويض وجه (؟) فبعد وفاته كما يقتضى للصواب والاستقامة ان تتصلم دفاتره ويتخلص ماله عند الوقف والكنيسة اقله فقط ليندفع عنه الديون التي مطلوبه لاربابها . فعوضاً عن ذلك وجدت الامور بخلاف ومع خيانة شماسه وحساباته الغير مظبوطه اضاعوا حقوق سيادته وللآن باقية ديون غير مريدين اوفاهم وتسلم ذلك بيد اناس اشرار ملومين السمه والسلوك متفقين مع القس بولس ارونين ومساعدين الى بعضهم واضاعوا الحق بالمكر والتزوير الى ان كملوا غاية ساعيهم في انتخابه ابتقف على الابرشية وعما عن الذين لهم حق الانتخاب بموجب تحديد المجمع اللبناني . وغبطة السيد البطريرك بيان صاغي الى راى اناس لا يهمهم خراب الطايفة بعد ان تقدم تجاريب كافية بذلك والاشخاص الادنيا تسلطوا وذلك خيفة من ضررهم حيث عدا وجود واحدهم [شكراقه] ساعيه في خدمة ذاك الظلوم احمد بك الذي جرزي باس الدولة بما يستحق وثانيهم لياس سرور وتلبيذه ابن تمشق الذين يتهددوا للطايفة في اسمه يخبروا الحكام بجنايات عظام وهي ان المتوفى كان ابتدأ في عمار كنيسة وموجوده وانه كان ود للايمان انام[3] واذ كان موافق مهم المذكور ساعيه فيخشوا البقية من بلوغ ذلك لمحلاته وتحصل الاضرار [برفع الوشاية والشكوى الى الحكومة التركية] . ومع ذلك وتوسط الاستثناة من الاكليروس والارخندوس قطوباريته لا زال برايد وكرس القس المذكور على كاندراثية حلب فهذا هو الذي يجب ان نطلعه على حساب سيادتكم فلاجل امر نحن ما نقصر في تحصيل الباقي ولكن حسبا بلتماس من

١) راجع حوادث ١٨١٦

٢) قنصل فرنسة .

٣) « الذمي اذا فتن مسلماً عن دينه قتل في الحال »

(راجع معالم القربة في احكام الحسبة ص ٤٥)

الموري غانيل ان الحساب تراجع واعرض لقدسكم عن كنيسة الباقية ومع تجردنا من جميع هذه المداخلات حتى ولا اعطينا انتخاب قطعًا ولا رأي فم ذلك حين رجوعه لحلب اذللنا جهودنا مع الاكليروس لكي يسلكوا مع بعض في السلامة لرجوع المجمع المقدس بخصوص الاستغاثة المتعلقة بالديوان الرسولي وتوقف ذلك مع انخذال المحامين للاسقف المذكور وانابنا سريرة قدسكم بهذا الشرح لان ربما يبلغ شريف مسامعكم بعض من حوادث المحزنة ويقتضي تعريف الاشخاص المذكورين وما هو الاقتدار الذي كانوا يخشوه الاكليروس ام الطايفة وتروم لا تعفونا من اجتهادكم . ١٣ تموز ١٨٣٩

ويكتب غنطوس كبه الى الكردينال رئيس المجمع المقدس تحريرًا في المعنى ذاته ويلوم البطريرك حبيش ويطلب ان يكون الاسقف غريبًا عن حلب[1].

« ان هذه الاسطر تتضمن لنيافتكم الكلية الجلالة ملف المقدم لديوانكم السامي من جميع اكليروس الطايفة المارونية عدا واحد منهم وبصعوبة كلية ارى ذاتي ملتزمًا ان اعرض لنيافتكم امجاس كنيستنا بحلب بعد ان ابذلت جهودي بنعم والتزمت ان انسحب على الظاهر من الجمهور لاني رأيت ان الكاهن المتميز في الانفاق بحادث الانتخاب عن البقية مصيّر له حزب وان يكن قليل بالمرقة وكما في الامور الدينية وزعيم السمعة بل صادف سوم ان يتفقوا بهذا الامر عينه مع واحد موجود في خدامة المقام الرجل الظلوم (الذي بهذه الايام القريبة قطع رأسه بامر الدولة العلية) وكانوا يخيفوا الاكليروس لكي يتجوم على سادم وللبعض من الطائفة بتهديدات آيلة الى خراب الكنيسة . . . ان السيد جرمانوس حوا كان يرد النير مؤمنين الى الايمان وان في زمان حياته كان ابتدا في عمارات اماكن ملاصقة للكنيسة قصده بذلك مع تمادي الايام توسيع الكنيسة وحصر يوصلوا ذلك للحكام في ان جميع ذلك برضى ومعرفة الموجودين قصدهم بذلك ان لا احد يمانعهم عن تمام مرغوبهم في اقامة القس بولس اروتين مطران على هذه الابرشية والسيد البطريرك من بعد تحارير كافية تقدمت لديوانه بشأن فساد هذا الانتخاب لم اراد ينحت الى جميع ذلك حينئذ فتكون اني الاشي مقاصدهم اذا اقيم غريب على كرسي حسب جده المرة . فغبطته كان يقول لنا تارةً انه لا يعتبر الانتخاب الموضح فساده في غرير المستحبين كما هو واضح من منشور غبطته الى شعب حلب في وصول الاسقف يقول هكذا اكملنا طلبكم باقامته اسقفًا فهذا نفر كثيرين واعطام سبيل الحكام الخ . فجرى من كنيستنا صيرتني ان اتعب كثيرًا والجئني الضرورة ان اقدم مبلغ وافر لاجل حفظها من غضب الحكام . . . »

[1] قالوا ان الحلبيين لا يرضون عليهم الا باسقف حلبي ! . . . الحقيقة هي ان الاسقف النير الحلبي الذي عاش في لبنان وجوه النسيج عسير عليه جدًا ان ينحصر ضمن الدائرة الضيقة التي تتكون منها ابرشية حلب فلا يلبث ان يهجرها الى لبنان .

وان شيطان الخصام لم يمت وكان على يوسف غنطوز كبه ان يسكت ويستر على العيوب فتنطفئ شرارة الفتن عفوًا ولكنه يعود ويكتب الى البطريرك يوسف وتستغيث الطائفة بالكرسي الرسولي وبعض ابناء الطائفة المارونية يتبعون الطقس اللاتيني فيقل بذلك عدد المكلفين في دفع الضرائب للحكومة ويثقل حملها على وكلاء الوقف واخصهم غنطوز كبه.

وفي ذلك العهد كانت قضية الاخويات تشغل المسيحيين كما شغلتهم قضايا الراهبة هندية في القرن السابع عشر فيذهبون في شؤونها شتى المذاهب الى ان يبطلها الكرسي الرسولي. (راجع دفتر اخوية عزيزان الارمن وما اليه ص٤٤٨ ؛ بيروت ١٩٥٠) لانها اتسمت بسمة «التصوف الزائف». وضل فيها اناس ليس من اهل العامة فقط ولكن من الاكليروس ايضاً ولعل المطران بولس اروتين كان ممن ناصروا العابدات في عباداتهن فيؤاخذ بذلك. لهذا السبب مع ما سبق وذكره يوسف غنطوز كبه في رسالته الى البطريرك يوسف التي نشرناها يكون داعياً الى نفي المطران عن كرسيه. قال يوسف خطار غانم في كتاب «برنامج اخوية القديس مارون» (٢٠٨):

«ان اهل الفساد طيروا النية والبث في الرعية وشنعوا على المطران باشائعات ملفقة حتى تجرأوا ان يوصلوا وشاياتهم بوسائل ذات اقتدار الى اذان الكرسي الرسولي فارسل براءة رسولية بابعاد الحبر الى جبل لبنان واليك نصها اخذاً عن اضبارة ١١١ اوديجيه في خزانة موارنة حلب) وهي موجهة من البابا غريغوريوس السادس عشر الى البطريرك يوسف حبيش. ومن خلال تعريبها الاعجمي الركيك يستفاد ان الحبر الاعظم يرعى مكانة البطريرك الماروني المعهود اليه بتدبير الطائفة الداخلي فلا يمسها البابا الا بواسطته».

ان الطائفة المارونية الجليلة لاجل ثباتها المتعاظم في الاعتقاد بالايمان الكاثوليكي واحترامها الفريد الاحبار الاعظمين وهذا الكرسي الرسولي قد استحقت ان يشاد بها غالباً من سلفائنا بمدايح سامية. فانت ايها الاخ المحترم ذاتك المتقفي آثار قدمائك قد اوعدتنا مرارًا عديدة بانك تتعلق بهذا الكرسي المؤيد بنوع ثابت ومؤبد وذلك حينما كنا متقيدين بشاغل انتشار الايمان المقدس وبعد ان ارتقينا ايضاً (ولو كنا غير مستحقين) الى كرسي بطرس. ولذلك نعتبر بانه يخص وظيفتنا وذاك الحب الخاص الذي نحبكم به بالرب ان نوازرك في الضيقات وفي الاشياء المرتبة بها لكي يضاف اشتداد قوة الثبات الرسولي

الى تلك الحوادث الواجب ان تنهى بواسطتـك ذاتك لتستأصل الشكوك .
انا لقد صرنا مطلعين على الاختلافات والمخاصات الناشئة في حلب ما بين الشعب والاكليروس والمطران الماروني واننا بنهم شديد عالمون بان الامور اتصلت الى هذا الحد حتى انه صار ضرورياً بالكلية ان تتصادم بالادوية الملائمة تلك الاضرار الاكثر ثقلاً التي ربما تستطيع ان تتولد . انه لاجل رياسة هذا الكرسي الاوفر استطاعة قد كنا بالحقيقة نقدر ان نامر بتلك الاشياء التي نحكم بالرب انها اكثر افادة لايجاد السلام في كنيسة الموارنة الحلبية . لكن قد اردنا بالاحرى ان نقدم لك برهاناً جديداً عن حبنا لك وعن الاجتهاد الذي قاسيناه لكي ان التهذيب والنظام المتقدم الى طغماتٍ المرتب شرعياً يحفظان على قدر الامكان في كل من الكنايس الشرقية من غير ان تتثلم الامور الكنائسية . فمن ثم انت ايها الاخ المحترم ذاتك تأمر المطران الحلبي الماروني بولس اروتين ليأتي الى جبل لبنان ويستقيم في دير معين ليما يبرر ذاته من الشكايات المتكرر عليه بها اذ تعتني بانسان كنائسي مناسب لكي يتقلد له في هذه البرهة تدبير مشاغل الكنيسة الحلبية . انه من حيث تلطفت صرامة الحكم بمحبة ابوية سيحدث ان الموارنة الحلبيين يتمتعون بذاك السلام الذي اوصى به ربنا يسوع المسيح رسله . ان علامة تلاميذ المسيح هو السلام المسيحي الذي رباطاته لا تستطيع ان تحل دون ان ينفتح سبيل الى الانشقاق والغلط حالما يرفع السلام من الوسط . فلتذكرنّ بان وقر الاهتمام الرعائي هذا لثقيل جداً . اعني ان نتعب كثيراً لان نكون باجمعنا قلباً واحداً ونفساً واحدة بوحدة الايمان والمحبة . انا لمؤكدون بانك لا تتغاضى عما يخص وظيفتك بهذا الشأن وبود وافر نمنح خوتك البركة الرسولية .

اعطي في رومية عند كنيسة القديس بطرس تحت ختم الصياد في اليوم الرابع والعشرين من شهر كانون الاول سنة الف وثمانماية واحدى وثلثين وهي السنة الاولى لحبريتنا .

نشهد بصحة استخراجه عن اصله بكل ضبط — الخوري بولس مسعد

الحقير

غريغوريوس بطرس بطريرك الارمن

عبد الاحد تيبتا

وعن امر السيد البطريرك الماروني شد المطران بولس اروتين رحاله وترك حلب الى لبنان .

وقد اطلعنا في المكتبة الشرقية اليسوعية على مخطوط (رقم ٧٧٨) عنوانه « الدفاع عن السيد بولس اروتين » يُذكر في آخره بانه قوبل عن النسخة الاصلية المأخوذة من البادري فيشنسيوس رئيس رهبان ماري فرنسيس حافظ الارض المقدسة في حلب بامر القاصد . اما مواضيع البحث فيه فهي :

١ : توسيع سلطان القاصد ارسولي لوسانا .
٢ : اثبات ربط المطران اروتين .
٣ : تبرير الكهنة العصاة من القصاص المعزز عليهم من رؤسائهم المألوفين .
٤ : كلام مفيه غير لائق ذكره وما اشبهه .
٥ : ثلب رؤساء الكنائس الشرقية الموجودين بسوريا .

وصف الاب لويس شيخو الكتاب في مجموعة المخطوطات ان اصحابه المتحزبين للمطران بولس اروتين كتبوا ما كتبوا عن روح الانشقاق والعصيان. ومن خلال الفصول نفهم انهم كانوا يصطادون الكلمة ليرموها مادةً للفتن ويا ليت هذه الثرثرات ينقضي عهدها ولا تتكرر امثالها في زماننا .

على ان صبر المطران بولس اروتين اظهر براءته والكرسي الرسولي الذي كان قد ابعده عن حلب سوف يردّه اليها كما سترى في سنة ١٨٣٥ .

ابراهيم باشا المصري

وفي سنة ١٨٣١ خرجت تركية منهوكة القوى من حربها مع الروس وكان السلطان محمود قد اباد عسكر الانكشارية ولم يسمح له الزمان بان يستعيض عنه وكانت الاصلاحات المسماة « التنظيمات » قد ظلت حبراً على ورق .

وكان في غضونها محمد علي عزيز مصر مستعداً لمحاربة السلطان وقد تخرجت جنوده على ضباط افرنسيين وتمرنت في الحروب . وكان ابنه ابراهيم باشا في سن الاربعين حازماً شديد البطش فسار على رأس الحملة المصرية واستولى على دمشق وحمص وحلب .

[١٨٣١] «ومنّ الله بالفرج على البلاد الشامية بدخول ابرهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر اليها فما لبث ان وصل حتى امن الناس في الحال على ازواجهم واموالهم وعدل في قضاياهم ونظم امورهم وسهل طرق المعيشة والراحة عليهم وكان ذلك في اواسط عام ١٨٣١ وبعد حكم ابراهيم باشا في الشام بدأ عصر التنوير والاصلاح فقد كان الذمي قبل ايامه لا يعد نفسه من الادميين فلما انتشرت راية العدل وعم الامن وتساوى الناس امام الحاكم وظهرت القوة التي كانت كامنة في الصدور خطا النصارى الخطوات الواسعة في ميدان الحضارة ونشطوا الى القيام بالاعمال الكبيرة ولم يزل اهل الشام يتحدثون بابراهيم باشا وايامه الى هذا الحين» .

راجع «خبر الشام عن نكبات الشام» (مصر ١٨٩٥ ص ٤٥)

وفي المكتبة الشرقية اليسوعية مخطوط رقم ١١٠ وهو عبارة عن قصيدة في مديح ابراهيم باشا المصري عدد ابياتها ٧١ متينة النظم بخط جميل بحبر اسود معلق عليه بحواشي بالحبر الاحمر ليس عليها اسم مؤلفها ولعلها من الشيخ ناصيف اليازجي . جاء في مطلعها :

«الله اكبر جاء النصر والظفر	والامن واليمن لما ساعد القدر
واخضر روض الاماني فهي حالية	كانما جرّ فيها ذيله الخضر
واشرق المجلس المسعود طالعه	بطلعة عن سناها الطرف ينحسر
اعني الوزير الذي اعتابه وزر	به الوزارة كالعلياء تفتخر
العدل ينشر في ديوانه ابداً	والشرع يأمر والصمصام ينتظر
والحق يعلو على الاخصام قاطبة	والعلم محترم والمال محتقر»

ويقيم المصريون في بلاد الشام حوالي ٨ سنوات تحت امرة ابراهيم باشا وتكون حلب مركزاً لحركاته العسكرية وتقع فيها حوادث نرويها من مصادرها وفيها تكملة لاخبارنا ومصداق لما روي عن ابراهيم باشا من حسن السياسة.

[١٨٣٢ ١٤ يوليو] طلب السردار حسين باشا قائد الجيش العثماني من اعيان حلب أن يمدوه بالمؤونة والرجال ولكن كان اهلها قد بغضوا الحكم التركي واشفقوا على مدينتهم ان يحل بها الخراب فأبوا ان يدخل احد من جنوده الى مدينتهم ولم يسمحوا الا للجنود الجرحى والمرضى بالدخول ثم اغلقوا ابوابها .

وقبالة عناد الحلبيين اضطر السردار الى مبارحة مدينتهم يوم ١٤ يوليو قاصداً اسكندرونة حيث كان يرسو الاسطول العثماني وقر قراره على اتخاذ مكان حصين لدى مضيق بيلان وساعدته طبيعة الارض على الامتناع بها .

اما ابراهيم فوصل الى حلب يوم ١٧ يوليو واضطر للاقامة فيها عدة ايام لتستريح جنوده وافاد من بقائه هناك بعد ان أوضح للاهالي من جميع الملل اهداف ابيه من قتال الباب العالي فانتصروا اليه بعد ان تبددت نواياه وسمعوا خطباء المساجد يخطبون باسم خليفة المسلمين وفي اثناء اقامته جاءته وفود من اورفا وديار بكر تعلن خضوع المدينتين لحكم محمد علي .

(راجع : ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ص ٢٣٢)

— وفيها في ١٠ آب كتب ابراهيم باشا : «افتخار الاماجد الكرام سياف زاده ابراهيم آغا متسلمنا بمحروسة حلب . . . وقد تحقق لدينا انواع المشقات التي تكبدوها الرعايا في ايام الولاة السالفين لكثرة التوزيعات التي تتحصل منهم عن مصارف الحكام وعوايد وغيره وعدا عن الاموال الاميرية ومن حيث ان الله سبحانه وتعالى قد انقذهم بادخالهم تحت ظل الحكومة المصرية فصار واجب وفرض عين التشبث باستحصال اسباب راحتهم وعدم غدرهم بمنع هذه التوزيعات عنهم وابطالها بالكلية فيلزم منكم بوصول [مرسومنا] هذا الحكم تتلوه جهاراً في محكمة الشرع الشريف بحضور كافة الاعيان والوجوه ويكون معلوماً عندكم انه عدا عن الاموال الميرية والمقننات العائدة الى الخزينة العامرة من الآن وصاعد لا تسمح ارادتنا بانه يوزع سليانه على الاهالي مثل عوايد متسلمين ووجوه وخدام ومصارفات وغيره ولا نصف فضه واحده وكلمن تجاسر ووزع شيء مثل هذا على الرعايا فيكون خالف امرنا . . .

كذلك الشاردين والواردين كل منهم يكون بيده امر بان يصرف له ذخيرة فيصرف له بموجب الأمر الذي بيده ويوخذ منه رجعه بقدر ما يصرف له وبموجبها [يخصم] الثمن على طرف الخزينة واما الذي لا يكون بيده امر اذا صرف له عليق وذخيره فهذا على الذي يصرفه ولا يخص الاهالي من ذلك شيء والغاية الاهالي لا يطلب منهم الا ما كان عايد الى الخزينة فقط» .

(الاصول ٢:٢١-٣١-٣٢)

— وفيها في ١٩ آب انشئ المستشفى العسكري في حلب وطلبت له الادوات اللازمة من مصر .
(المحفوظات ١٥٧٨)

— وفيها في ٢٣ آب قاضي حلب كوراني زاده السيد مصطفى المولى بخلافه بمدينة حلب الشهباء يجاوب ان امر ابراهيم باشا برفع الضرائب نافذ حرفاً بحرف.
(اصول ١ : ص ٣٥ — ٣٦)

— وفيها في ٣٠ آب ارسل محمد علي كتاباً الى قاضي حلب يعينه « مولا خليفة» في حلب ويوصيه بواجب المحافظة على النزاهة والاستقامة وحسن الادارة.
(المحفوظات ٢١٣٨)

— وفيها ٢ ت ٢ ارسل متسلم واعيان حلب كتاباً الى ابراهيم باشا التمسوا منه تخفيض عدد الانفار المطلوبين للخدمة العسكرية في حلب .
(المحفوظات ٢١٣٨)

— وفيها ٦ ك ١ انتدب ابراهيم يكن باشا عبدالله بابنسي زاده الى جمع الف وخمسمئة نفر غير نظامي في حلب .
(المحفوظات ٢٣١٤)

[١٨٣٣ ٧ شباط] قاضي القدس مصطفى الخادمي رفع الى محمد علي عزيز مصر شكوى رهبان الروم في القدس والتمسهم صدور امر خاص يمنع الرهبان الكاثوليك عن التزي بزيهم والتلبس بلباسهم .
(المحفوظات ٢٦١٦)

— وفيها في ايار صدر من مصطفى الخادمي القاضي في القدس الشريف مرسوم يضمن للكهنة الروم الكاثوليك حقهم بلبس الزي الاكليريكي كسائر رهبان الروم بالقلوسة والاثواب السود ووافق عليها قاضي صيدا وقاضي بيروت.
(الاصول ٢ : ٦٣)

[هو الخصام « حول بالقلوسة »] .

(راجع ما كتبه شارون في تاريخ البطريركية الملكيين بالافرنسية ٣ ، ص ١٧٢ وما بعدها .

خلاصته ان الروم الغير الكاثوليك لما رأوا ان الروم الكاثوليك نظموا طائفة رسمية لها حقوقها كسائر الطوائف المسيحية في السلطنة العثمانية عارضوهم في زيهم لئلا تعتبرهم العامة كالروم الاصليين وان هذا عين ما اراده البطريرك

مكسيموس مظلوم وحجته كانت : يا روم نحن الارثوذكس الحقيقيون وانتم باتباعكم فوسيوس انفصلتم عنا . . . وما زلتم تتزيون بزينا ! وكانت القلوسة التي اراد الملكيون التابعون فوسيوس ان يفرضوها على الكاثوليك رأسها على شكل مثمن الزوايا فابى مكسيموس مظلوم الا ان ينال من الحكومة الحماية على « قلوسته » والى يومنا يحفظ في دير الشير مكين لبنان قالب القلوسة الخشبي المثمن الزوايا !

وكذلك كان من امر لون ثياب الكهنة . وقد اراد الغير الكاثوليك ان تكون زرقاء ولكن لبس الكاثوليك الثياب السود . . . وما زالوا بها الى ما شاء الله !)

[١٨٣٣ ٢٣ حزيران]توفي الاب عبدالله شينا وسافر المطران بولس [اروتين] الى الجبل فتحرك الاب يوسف عبديني بالغيرة وبعد اخذ رأي الخوري بولس راجي نائب الاكليروس الماروني صار يجمع شتات الاخوة واعاد الاخوية الى نصابها الى السنة ١٨٤٧ وكانت اخويتنا بحالة هدوء وسلامة بدعاء مرشدنا بالرغم من الشكوك التي حدثت بسبب اخوة العابدات المذمومة .

— وفيها حضر المطران غريغوريوس شاهيات على طائفة الروم الكاثوليك واشترى دور للكنيسة . (وثيقة جوزف بوخه)

— وفيها صوفيا بنت يوسف حكيم اوقفت مسقفات على فقراء موارنة حلب وانطون ولد جرجس اوقف مسقفات على فقراء السريان وكذلك حسيده بنت فرج الله واوقف يوسف واخته عرم ابنا انطون طارو مسقفات على فقراء الروم الكاثوليك بحلب . (غزي ٣ : ٥٨٥)

— وفيها في ١٣ تموز ارسل محمد علي عزيز مصر الى محمد شريف بك في حلب يوافق « ما دام مجلس الشورى قائماً في حلب » على تعيين عبد الله آغا بابنسي زاده متسلماً على هذه البلدة ويأمر السلاحدار آغا بالتعاون مع المتسلم نظراً لقلة اختباره . (المحفوظات ٣٥٤٧)

— وفيها في ٣٠ تموز ارسل عبدالله بابنسي كتاب الشكر لابراهيم باشا وهنأه بانتصاره على ثوار فلسطين . واطلقت المدافع في حلب ابتهاجاً . (المحفوظات ٣٥٩١)

[١٨٣٣ ٢٧ تموز] ارسل محمد علي عزيز مصر الى ابنه ابراهيم باشا كتاباً بوجوب ارسال بعض الاختصاصيين في صناعة النشوق (السعوط) وتحضيره من حلب الى مصر . (المحفوظات ٣١٢٤)

— وفيها في ٢٢ آب ارسل الصدر الاعظم كتاباً الى محمد علي يوصيه بالضباط والانفار الذين رخص لهم ان يزوروا اوطانهم في حلب .

— وفيها في ٢٣ ت ٢ احتج قنصل انكلترة في حلب قائلاً ان الاموال المطلوبة من رعايا دولته مخالفة للاصول .

— وفيها في ٢٣ آب ارسل محمد علي باشا الى ابراهيم باشا يفيد انه امر اللواء اسماعيل بك بالسفر حالاً الى حلب ليشرف على اعمال الدفاع في الشمال وانه امر سليم باشا ايضاً بالتوجه الى حلب استعداداً للطوارئ ويستدل من مضمون هذه الرسالة ان هذه التدابير اتخذت على اثر الاستعدادات التي قام بها محمد رشيد باشا في الاناضول . (المحفوظات ٣٦٣٩)

— وفيها في ٣ ايلول ارسل ابراهيم باشا الى محمد علي باشا كتاباً يبحث فيه قضية ارسال سليم باشا الى حلب للاشراف على التجنيد فيها .
(المحفوظات ٣٦٥٥)

ويرى ان الضرورة تقضي بابعاد عبد الرحمن المرعشلي وتقي الدين افندي وجابري زاده وابراهيم آغا متسلم حلب سابقاً وغيرهم من اعيان حلب الى دمشق ويرجو ارسال ٥٠٠ فارس عربي من مصر الى برّ الشام (المحفوظات ٣٦٥٦)
ويرى (١٧ ايلول) ان يوفد سليم باشا الى حلب ليجمع سلاحها ويشرف على اعمال التأهب للطوارئ ثم يستحسن ارسال المجندين الى مصر لتدريبهم فيها نظراً لشدة البرد في بر الشام . (المحفوظات ٣٦٨٩)

— وفيها في ١٩ ايلول ارسل محمد منيب افندي الى ابراهيم باشا يفيد انه لدى وصوله الى حلب اذاع الامر السامي الذي يقضي بلم السلاح وشرع بتنفيذه . فنفر الاهالي من هذا الامر واظهروا عدم الرضى عنه وعن الفردة .
(المحفوظات ٣٦٩٤)

— وفيها في ٢١ ايلول ارسل يوحنا بحري بك الى سامي بك يفيد انه لم ينته بعد من لمّ السلاح من برّ الشام ولذا فانه لم يشرع في التجنيد (المحفوظات ٣٦٩٨)

[١٨٣٤ ٢١ ك ٢] ابراهيم باشا يأذن لبطريرك الروم بتعمير كنيسة السويدية وكنيسة بقرية سورية اللتان خربتا في الزلزلة . . . بشرط انهم لا يتعدوا حدود طولهم وعرضهم القديم ولا يتوسعوا عن اصابهم . صدر من ديوان ولاية جده وسر عسكرية مصر وارامكاه محروسة حلب. (الاصول ٢ : ٩٩)

— وفيها في ١٦ ايار ارسل محمد علي باشا الى ابراهيم باشا يرى ان يحدد مدة الخدمة العسكرية فيجعلها ١٥ عاماً ويستطلع رأي السر عسكر في ذلك.
(المحفوظات ٤٠١٣)

وارسل الى محمد شريف باشا يوافق على بناء كنيسة للروم في انطاكية اذا ثبت ان ليس لهم كنيسة فيها . (المحفوظات ٤٠٤٦)

— وفيها في ايار ارسل اللواء حمزة بك الى ابراهيم باشا ينقل اليه خبر خروج الفرسان المصريين من حلب .

— وفيها في ٤ حزيران ارسل الكولونيل تشنه الانكليزي الى ابراهيم باشا يحيط علماً بعطف الباشا سرعسكر واستعداده لتسهيل اعمال بعثة الفرات ويذكر حاجته الى الجمال لنقل المهمات من السويدية الى الفرات .
(المحفوظات ٤٠٨٠) راجع فيما بعد ١٨٣٥

— وفيها في ٧ حزيران ارسل محمد علي باشا الى محمد شريف باشا يحيل اليه عريضة بطريرك الروم الارثوذكسي في دمشق التي تتضمن اعفاء القسس والرهبان من دفع الجزية والاعانة وذلك للدرس والتمحيص .
(المحفوظات ٤١١٥)

— وفيها ٤ تموز محمد شريف كتخدا الخديوي وحكمدار بر الشام اقام متسلماً على حلب عبدالله آغا بابنسي زاده بعد وفاة احمد حسبي . وهو مأذون بالضبط والربط وتحصيل اموال الميرية والمرتبات المرعية . فينتج عنه الى حفظ البلدة وصيانة ذوي الاعراض والطلوع من حق الاوباش . . .
(رستم ٢ : ١١٩ — ١٢٠)

— وفيها في ٧ آب قدم شريف باشا الى سامي بك عريضة رفعها اليه اعيان طائفة الروم الكاثوليك في صفد يسترحمون فيها ان يؤذن لهم بانشاء كنيسة في بلدتهم ومع هذه العريضة عريضة اخرى من امضاء البطريرك مكسيموس مظلوم بالمعنى نفسه . (المحفوظات ٤١٥٤)

– وفيها في ١٥ ايلول ارسل ابراهيم باشا الى سامي بك بحث في ترقية اولاد العرب الى رتبة يوزباشي وفي ارسال ناظر يشرف على بناء الشكنة في حلب وفي الرسوم الكمركية التي تجبى عن القطن الذي يصدره المسيو بيجوتو قنصل النمسا في حلب . (المحفوظات ٤٢٢٩)

– وفيها في ١٦ ك١ ارسل محمد شريف باشا الى سامي بك في التماس رهبان الروم في القدس ان يعفوا من دفع الضرائب الكمركية وعن الهدايا التي يقدمونها لبطريركهم في الآستانة . (المحفوظات ٤٢٧٧)

– وفيها ابراهيم ناظر الابنية في حلب الى اسماعيل بك يرجو استحضار الزجاج اللازم لشكنة الشيخ يبرق من الاسكندرية . (المحفوظات ٤٢٨١)

– وفيها جورجي ابن يوسف بصال اوقف مسقفات على فقراء السريان الكاثوليك والمطران غريغوريوس ديتري شاهيات اوقف مسقفات على الروم الكاثوليك بحلب ومرتا بنت قسطنطين فتال اوقفت مسقفات على دير جبل لبنان كسروان . (غزي ٢ : ٥١٥)

وكذلك كتر بنت قسطنطين فتال . وانطون ولد جبرا ماورديني اوقفا مسقفات على فقراء السريان ويوسف ولد يغيا اصلان واخته مريم على فقراء الارمن الكاثوليك وانطون ولد باصيل على فقراء الروم الكاثوليك ومريم بنت فرنسيس فقير [كذا] على فقراء الارمن الكاثوليك وكذلك سوسان بنت انطون وسيده بنت اليان عجاقه على السريان الكاثوليك وكذلك مريم بنت حنا صباغ وسالمه بنت نصري صب اوقفت مستقات على فقراء الروم الكاثوليك بحلب . (غزي ٣: ٥٨٦)

[١٨٣٥ في ١ ك ٢] شكا قنصل الانكليز في حلب من تجنيد حاجب دائرته واقتحام ممثلي السلطة لمحله . (المحفوظات ٤٤١٠)

– وفيها في ٢٨ ك٢ تعين عبدالله دلال عضواً في مجلس الشورى . (المحفوظات ٤٤١٤)

– وفيها في ٥ شباط عظم جشع القصابين في حلب وتوجب تجريمهم بمبلغ من المال ينفق في تمهيد طرق حلب . (المحفوظات ٤٤٢٠)

وفيها في ١٨ اذار اوشه الوا[1] العلامة النباتي الافرنسي قدم الى حلب اتياً من استنبول على ظهر جواده مع قافلة قضت لا اقل من ثلاثين يوماً على الطريق . وكان الحكم لابراهيم باشا المصري . قال : « اباحوا شرب المسكرات وصاروا يأخذون عليها الضرائب . واخذوا بجمع السلاح والزموا الناس بتقديمه وصاروا يضربون بالفلق من لا يأتي به فاخذت اسعاره ترتفع والفقرا. يظلمون .

وصادروا الدواب واخذت لتسفير الجيش الى الجزيرة العربية لقمع الفتنة فيها فوقف دولاب التجارة مع المناطق الداخلية . وكان الهواء بارداً فاتلف شجر البرتقال . واخذ التجار الحلبيون يحلون محل الافرنسيين وغيرهم من الاوروبين في تعاطي انواع الكوميسيون مع اوروبة فيزاحمونهم عليها وينجحون وينسحب الاوروبيون من السوق . »

— وفي هذه السنة فتحت كنيسة مار جرجس الشرعوس لعادات المسيحيين.

[١٨٣٥–١٨٣٧] كولونيل تشسنه الانكليزي رحل الى الشمال السوري وبلاد بين النهرين ليبحث شؤون الفرات ودجلة وكانت فكرته ان يضع تصميماً لفتح ترعة بين براجيك والسويدية وللملاحة بين خليج العجم وبين الجزيرة العراقية والبحر المتوسط ووضع كتاباً مطولاً في تاريخ هذه البلاد وثروتها ومرافق تجارتها. وان حلب هي العروة الوسطى في هذه الشبكة من الطرق بين الشرق والغرب . وقال ان طريق الهند البحرية كانت في القرن السادس عشر تتشعب فرقتين في البصرة : احداهما تجري عليها السفن من دجلة الى بغداد ثم كانت تحمل الى ديار بكر وسيواس وطرابزون الى البحر الاسود فاستنبول والثانية كانت تصعد الفرات الى براجيك ومنها تحمل الى حلب فالاسكندرونة ومنها الى اليونان وايطالية وفرنسة .

ان خروج التجار الاوروبيين من حلب كان من اسباب انحطاط التجارة في حلب فضلاً عن اكتشاف طريق الهند عن رأس الرجاء الصالح . حوالي ١٧٥٠ كان فيها اربعون محلاً للتجار البنادقة و١٨ او ٢٠ للتجار الافرنسيين . اثنان او ثلاثة للانكليز. وكانت ست قافلات تخرج سنوياً من حلب الى بغداد. اعظمها

(1) AUCHER - ELOY : *Relations de voyages en Orient de 1830 à 1838.* Paris, p. 170-180.

كان يعد ١٢٠٠٠ جمل واحترها من ٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠ . ومن ثم كان مجموع عدد الجمال التي تخرج من حلب سنوياً نحو خمسين الفاً ما عدى التي كانت تسافر الى دمشق وبيروت وكردستان وآسية الصغرى . وفي ١٨٣٢ امسى عدد المحلات الافرنسية واحد او اثنين ولم يبق للانكليز الا محل واحد (١ ص ٤٤٥).

عودة المطران بولس اروتين من المنفى

صورة تحديد المطران يوحنا المعدان اوثرنيه القاصد الرسولي الذي ارسله للسيد البطريرك يوسف حبيش في شأن رجوع المطران بولس اروتين الماروني الى ابرشية حلب .

(عن بكركي بالكرشوني)

مكان ✝ الختم الكبير

يوحنا معدان بنعمة الله والكرسي الرسولي المقدس مطران ايقونيا وناثب رسولي على حلب وقاصد رسولي في جبل لبنان . يهدي سلاماً واماناً للسيد الكلي الشرف والاحترام البطريرك يوسف بطرس بطريرك الموارنة الانطاكي . .

ايها السيد الكلي الشرف والاحترام .

انكم لعارفون جيداً بانه قد منح لنا من مجمع انتشار الايمان المقدس سلطاناً تاماً لكيما نحكم بتأني وباكثر تقدم فيما يلاحظ دعوى وحال السيد الكلي الشرف والاحترام بولس اروتين مطران حلب . فاذاً بعدما قريت تلك الاشياء التي قد كانت فعلت وترتبت من سالفنا نظراً لهذه الدعوى خاصة بعدما تقدم الاحترام السامي الكلي للمرسوم الرسولي الاعلى الذي بقوته قد أمر مطران حلب المذكور بان يسافر من مدينة حلب الى جبل لبنان وفيما نحن منعكفون لتتميم مهمتنا .

قد فحصنا زماناً مستطيلاً وتأملنا باكثر تبصّر بالقضايا هذه واجمالاً المتقدمة لحكمنا التي كانت تلاحظ هذه الدعوى وبعدما بتأييد الله تأكدنا غاية التأكيد بانه ارتجينا الظروف ، لم يبق غب ذلك مانع البتة من ان مطران حلب المرقوم يرجع من جبل لبنان الى حلب . فباسم الكرسي الرسولي المقدس قد منحنا ونمنح باسطرنا هذه الاخ الموقر بولس اروتين مطران حلب سلطاناً واستطاعة يمكنه بجوار وحرية يرجع لرعيته وبرسمها ويستعمل كل التصرفات التي تختص بالدرجة والوظيفة الرعائية والاسقفية . وانما فمن حيث ستذكرون بان الحبر الاعظم ذاته رأس الكنيسة العامة ومتقدمها قد تنازل وقلدكم الاهتمام ايها السيد الكلي

الشرف والاحترام لكيا انكم ذاتكم تستدعوا باجتهاد المطران الحلبي المذكور الى جبل لبنان فنحن ولو بتواضع وبعزل عن التشابه اقتفاء بالآثار الكلية القداسة نلتمس منكم بالرب ايها السيد الكلي الشرف والاحترام لكيا انتم ذاتكم توضحوا حالاً حكمنا هذا للاخ المذكور بولس اروتين مطران حلب وتأمروه بان يرجع بسرعة من الامصار اللبنانية الى مدينة حلب ناصحين اياه نصحاً اخوياً بل بحرارة كلية لكيا اذا يقتدي بكامل الرضا بمشورات ونصائح رجل ما خبير وحكيم وعتق الاركان به فكر الافعال والوداعة الابوية واصدار حركات النيرة واخيراً بتصرف بيئة ستقيمة ينبذ عنه بعيداً كل سبب الشذوذ بل انما يربح بدائه شهادة حسنة حتى من الخارجين جلياً الابتهاج لكل الصالحين. ثم فيما نحن منتظرون منه ان يتمم ذلك بامانة وبنذوية مقدمون لكم علامة الحب وشهادة الاحترام بتلهف نلتمس من الله تعالى ان يوفقنا جميعاً ويحفظنا على الدوام باشد السلام بقوته وبرحمته.

اعطي بحلب في ٥ شباط سنة ١٨٣٥

يوحنا ممدان مطران ايقونيا

نائب وقاصد رسولي

وفيها يوحنا المنبدان اوفرينه رئيس اساقفة ايقونيا النايب والقاصد الرسولي اعلن (٣ نيسان):

— اولاً: انه قد فتح في حلب مدرسة مجانية.

— ثانياً: ان مدرسة حلب هذه تصير في دير الاباء الكبوشية المكرمين وتحت ارشادهم (خان الجمرك).

— ثالثاً: ان قوانين للمدرسة المثبتة منا يطلع عليها رؤساء الطوائف الموقرون الذين عندهم تستطيع اهالي الاولاد ان يطلعوا على الشروط الموضوعة لقبول اولادهم.

— رابعاً: انه يوم الاحد ١٧ من الشهر الحاضر في الساعة التاسعة صباحاً يصير في دير الاباء الكبوشيين المكرمين افتتاحاً للمدرسة قداس الروح القدس وبعده يرتل شبه هلم ايها الروح الخالق والتلاميذ المقبلون يحضرون هذا القداس.

— خامساً: رسالتنا هذه الرعائية تقرى. تعلق في كل مكان يقتضي.

(اضبارة اروتين ١٨٥)

[١٨٣٦] وفيها في ١١ شباط صدرت رسائل من حلب تبحث في الآلات الجراحية التي صنعها اولاد العرب القادمون من اوروبة الى مصر وفي الورق

والحبر اللازمين لطلاب المدفعية في حلب . (المحفوظات ٤٤٢٨)

— وفيها في ٢٠ شباط صدرت من حلب رسالة ادارية مالية تبحث في امكانية تربية غنم طاوينوس في بر الشام وفي كيفية ادارة هذا العمل من الوجهة المالية . (المحفوظات ٤٤٣٦)

وغيرها تبحث في البغال المطلوبة لحاة الحجاز . (المحفوظات ٤٤٣٧)

وكان الجواب انهم لا يمكنهم الحصول على عدد ٣٠٠ بغل دفعة واحدة .
(المحفوظات ٤٤٥١)

— وفيها في ١٠ نيسان . المدافع التي ارسلت الى حلب من عيار ثلاثة وتسعة ثقيلة للغاية لا يمكن نقلها بالسهولة المطلوبة ويرى ابراهيم باشا ان ترسل مدافع غيرها من عيار واحد ونصف وان تصنع عربات جديدة على طراز العربات الافرنسية الحديثة لعلها تعاون على سهولة جر المدافع الثقيلة والمدافع التي لا تصلح للعمل تبعث من حلب الى السويدية ومن حمص الى طرابلس لنقلها من هذين المرفأين الى مصر . (المحفوظات ٤٥٠٩)

وبحث ابراهيم باشا في ظهور الجراد في ايالة حلب وفي الترتيبات التي نظمت لمكافحته وفي المنشور الذي ينوي اذاعته بين الجمهور في بر الشام لارجاع النازحين من بر الشام الى اوطانهم . (المحفوظات ٤٥٢٠)

— وفيها في ٦ ايار اخذوا يكافحون الجراد في حلب ويساهم الجيش في هذا العمل . (المحفوظات ٤٥٦١)

— وفيها في ٣٠ تموز صدر القرار انه من الآن فصاعداً القناصل وتراجمينهم لا يمكنهم الاستخدام بصفة دومينيك (عمال) اشخاص من الرعايا التابعين للجهادية . (المحفوظات ٤٦٦١)

— وفيها يوسف كبار ابن دير خجدور الصائغ الارمني نسخ بحلب كتاب جرمانوس فرحات « باب الاعراب عن لغة الاعراب » والشماس يوسف الخلوطة نسخ « تفسير يوحنا فم الذهب لرسالة بولس الى العبرانيين » تعريب عبدالله بن الفضل الانطاكي (شباط ٩٧٠) ويوسف انطون تيشاوي نسخ كتاب « رياضة القديس فرنسيس كسفاريوس مع واجبات اخوية مريم العذراء .

(مخطوطات شيخو ٦٥١)

[١٨٣٧] سوف يترك المصريون اسمهم على الدراهم اجمالاً وقد تدعى الى يومنا « بالمصريات » .

اليك بيان اسعار المعاملة بالآستانة صرّات الضربخانة بحساب الليرة ٪١٠٩½ وذلك بتاريخ ٢١ شعبان سنة ١٢٥٣ ٢٠ ت٢ ١٨٣٧ واسعار المعاملة بحلب بحسب التنبيه .

	بحلب		بالآستانة	
	غروش	باره	غروش	باره
غازي	٣١	٠٠	٣٣	٢٥
بجر	٤٥	٢٨	٤٩	٢٠
يالدز	٤٦	١٧	٤٩	٢٠
اسلامبولي [لين] ١٢ قيراط	٣٦	٢٠	٣٧	١٥
ربية فندقلي ٦ قراريط	٠٩	٠٠	٠٩	٠٥
جهادي تاريخي	٦٣	٢٠	٦٧	٠٠
« يابس سمك	٣٦	٢٠	٣٧	٠٠
عدلي تاريخي	١٨	٠٠	١٨	٣٠
عدلي يابس	٩٦	٠٠	١٧	٠٠
ريال عمود	٣٠	٢٨	٣٣	٢٠
ريال كرشه	٣٠	٠٠	٣١	٢٠

هؤلاء بالآستانة بحساب الدراهم ١٦ قيراط ٣٦٣

النقدية التي تتوجه الى حلب جهتين :

١ : جهة الواحدة الى الآستانة صحبة التاتارية والمعاملة التي ترسلها التجار هي الاصناف المشروحة اعلاه واسعارها بالآستانة مشروحة اعلاه تبدل في بوالس من الآستانة الى بلاد اوروبا .

٢ : والجهة الثانية بحرًا صحبة مراكب النار الى بلاد اوروبا واسعارها بتلك البلاد باعتبار العيار والوزن .

(المحفوظات ٣ ص ٣١٤)

وفيها في ٤ ايلول ارسل محمد شريف باشا الى سامي بك يحيط علماً

بشكوى التجار الانكليز من طفرة اسعار العملة في حلب وبالامر السامي الذي يقضي باستقرار هذه الاسعار فيفيد انه سبق له ان نبه اسماعيل بك الى ذلك من قبل . (المحفوظات ٥٠٨٥)

— وفيها تقدم اعراض من ناظر مواشي الميرية بحلب ويخبر بـه عن موت جمل من جمال الميري واستدعي تحقيق امر موت الجمل وعلته وايضاً يذكر باعراضه عن لزوم خدمة الى الجمال لكل خمسة جمال نفر واحد ويترتب لهم معيشة تقوم بهم (اصول ٢، ٤، ص ٩٧)

الحاج عبد الرحمن الحوام قدم معروض محـال من طرف حكمدار حلب يتضمن ان من مدة اربعة اشهر اخذ من عنده خام للاكفان وانه طلب صرف الثمن من متسلم حلب فاحالة الى سليم بك ميرالاي السادس والمير المومى اليه آمره باعراض ذلك الى حكمدار حلب فيستدعي صرف الثمن .

احيل الى مجلس حلب العالي العرض المتقدم من ميخائيل كبابه[1] المتضمن انه اخذ منه خيش الى لزوم الميري بمعرفة متسلم حلب فيستدعي قطع الثمن وصرفه . (الاصول ٣،٣ ص ٩٩)

قرر بمجلس حلب العالي من اربابه الحاج يوسف آغا يكن زاده ان مصرف خان خيري بك سرابه مسدود ونجاسته في الطرقات جارية ويخشى من ذلك الضرر للعساكر الساكنين بالخان المذكور والى باير البريه ومن حيث ان الخان المذكور هو بايجار الميري فاذا صدر الامر بعمله ومهما تبلغ مصارفـه ينقطع على صاحبه الكرا . (الأصول ٣،٣ ص ١٠٠)

النظافة في طرقات حلب

صدرت الارادة السنية لحكمدار ايالت حلب بتنظيف الازقـة والاسواق من الاوخام والاسواق ويترتب لذلك مكنسين مخصوصين لكل محلة على قدر جسامتها ويترتب الى هؤلاء المكنسين اجرة معلومة تتوزع على دور المحلة وتعطى لهم .

---

١) يكون عيد آل كبابه ومنهم الاكسرخوس اثناسيوس كبابه (١٨٧٢–١٩٣٧) تلميذ اكليريكية عين تراز ، ومدير المدرسة الاسقفية للروم الكاثوليك في حلب

تذاكر مجلس شورى حلب في القضية ورأى ان من حيث ان جل المرام تطهير الطرقات ورفع العفونة وامر ترتيب المكنسين الى المحلات هو من اللوازم استحضروا آغاوات الاثمان للمجلس وامروا بعمل دفتر باسماء محلات حلب والمكنسين التي تلزم لهم بعد تعديل الحارات ورتبوا لذلك قايمة ووجدت مناسبة.

اما اجرة المكنسين فاستحسن المجلس ان تكون الى النفر مساية غرش بالشهر فعلى هذا ينبغي اصدار خلاصات الى آغوات الاثمان بتوزيع ماهيات المكنسين بمعرفة الاختيارية (المختارين ؟) كل واحد ماية غرش على الدور الكاينة بمحلات ذلك الثمن كل دار بحسبها الشهري ويعرفوا المكنسين كيفية رفع الاوساخ كل يوم مرتين صباحاً ومساء وتطبيق السرابات المكشوفة وكل اغا من الاغاوات ينبه على حمامين محلته ان لا ينشروا داخل [الاقميات] قامه خضرا ولا رطبة ولا بداخل المحله بل ينشروه بالاماكن الواسعة والبراري ثم اذا كان يوجد بالمحله جماعة فقراء فيتعافوا من دفع شي. وكذلك الاغوات داعاً يدققوا على المكنسين بالتطهير وهم المسؤولين عن ذلك بحيث اذا مر الطوف ووجد لم يحصل التطهير وفي الامر يجري الجزا اللائق بامور تلك المحلة ثم تصدر خلاصة الى سعادة حكمدار بك بالتحرير الى امراء الالايات بان ينبهوا على الطوف بمداومة التردد الى الاسواق والازقة ويخبروا عن الذي يقع منه التكاسل من المأمورين وقرّ رأي المجلس على ذلك في ١٠ مارس ١٨٣٨ .

(الاصول ٣ و٦ ، ص ٩٠-٩١)

حنا جانجي قدم معروض محال من طرف سعادة حكمدار حلب يتضمن انه سابقاً كان ثمن ثلاثة بدلات اوزان بمعرفة احتساب آغاسه لاجل ارسالهم الى بلاد كلس وعينتاب وانطاكية ليعيّروا عليهم اوزانهم وللآن لم ياخذ ثمنهم واستدعى صرف الثمن .

(رسم ٣-٦ ص ٩٤)

حضر للمجلس المعلم نصري شهلي وبيده رجعه بختم ابراهيم افندي ناظر الاسبتالية تتضمن اخذ اربعة اثواب خاصة منه ويستدعي قطع الثمن — والاربعة اثواب خاصة لاجل الاكفان بالاسبتالية وانقطع ثمنهم بالمجلس ولكن ارباب المجلس استكثروا ثمن الخاصة المذكورة .

— وفيها في ٥ ك١ ارسل ابراهيم باشا الى محمد علي باشا يفيد انه منذ ان وصل الى حلب وصحته تتقدم شيئاً فشيئاً ولكنه يتأفف من البرد وقلة اسباب الراحة في المنزل الذي يقيم فيه ثم يفيد انه اشترى منزلاً له وانه يعنى باصلاحه وترميمه . (المحفوظات ٥٢٤٠)

وارسل ايضاً رسالتين اداريتين تبحثان في تعدي العساكر على وكيل قنصل الانكليز في حلب . (المحفوظات ٥٢٤١)

[١٨٣٨] وقع القرار الكنائسي بانفصال الرهبان الباسيليين الحلبيين عن الشويريين . وفي تحرير من القس كرنيليوس جريوع الى المطران بولس اروتين في ٢٠ ت٢ ١٨٢٩ يخبره عن افتراق الرهبانية الحلبية والبلدية وتقاسم الاديار عند الروم الكاثوليك فيقول : « قد افترقنا واخوتنا البلدية فطلع الذي يخصنا من الاديرة مار ميخايل الذوق ومار اشعيا النبي ومار جرجس الغرب ودير سيدة الراس واما اخوتنا طلع لهم مار يوحنا الشوير مع جميع متعلقاته والمطبعة ايضاً ومار الياس زحله ومار انطونيوس وغير محلات .

(اخبار اروتين ٤٢)

— وفيها في ٤ شباط سيم اسقفاً على الارمن الكاثوليك في حلب ساروفيم عيواظ وسمي باسيليوس . (عرب ٦ : ٩١)

— وفيها الخواجا شكري تاجر[1] مباشر خزينة حلب قدم معروض للمجلس العالي يتضمن انه ورد من اللادقية ستون زنبيل آرز من رز وفي النمم وعند الاطلاع عليه وجد فيه اربعة زنابيل غرقانين وجميعهم كسر وديرين مثل التراب وانه قد سئل من المكاريه عن سبب تلف ذلك فقرروا ان الزنابيل وقعت بالماء بالطريق ومن حيث ان آرز الاربعة زنابيل تلف وعجز ثمنه فيستدعي حصول المذاكرة بما يرى مستحسناً لذلك فلدى المذاكرة رؤي من حيث ان الارز الذي يذكر عنه مباشر الخزينة هو اربعة زنابيل ثم بعد المذاكرة ظهر من مجاوبته انه حضر آرز عاطل غير الاولي ومجموع العاطل اثني عشر زنابيل وبالمجلس استحسن تعيين مأمور من اربابه صحبة احتساب اغاسه وتوجهو لمحل الارز

[1] آل تاجر من الروم الكاثوليك في حلب .

واخرجوا الصاغ لوحده والعاطل لوحده واتضح ان الـذي طلع صاغ من الاثني عشر زنابيل هو مابة واثنين وستين اقة رز والجرك ثلاثماية وتسعة وخمسين اقه وقرروا ان العاطل المذكور اذا تيبس وانهز ربما يباع بسوق الدجاج كل اقه بعشر فضه او بخمسة وعشرين فضّه فعلى هذا بما ان سبب عطل الارز من كون رقعت الزنابيل بالماء والقاطرجية ما صار منهم تقصير ولكن يلزمهم ضمان نصف قيمة التالف ومن حيث ان الارز الذي ظهر جرك هو ٣٥٩ اقه فينبغي تسليم نصف ذلك الى القاطرجيه وكل واحد منهم يتسلم نصف الذي عطل بيده والخزينة تحاسبهم بثمن نصف الجرك بحساب كل اقه ثلاثة غروش والنصف الثاني العاطل يتسلم الى وكيل الارز وبيعه بسعر ما يسوي ويحاسب به الخزينة وكذلك يتسلم الذي ظهر صاغ اقه ١٦٢ وعلى هذا يلزم اصدار خلاصه ليشرح عليها حضرة حكمدار بك للخزينة باجراء العمل على الوجه المشروح ومحاسبة القاطرجيه على الكرا بتمامه كما تقر الراي عليه بالمجلس العالي في ١٣ نيسان ١٩٣٨ .

(رقم ٢ الاصول ٣/٤ ص ١١٤)

بتاريخ ٢٩ نيسان ١٨٣٨ انقطع بالمجلس ثمن كراسي صغار نظير الذين يستعملونهم بالقهوات كل كرسي باره ٢٨ ثمانية وعشرين باره وذلك واردين من طرف متسلم ادلب واخذوا لورشة دردنجي الاي بموجب رجعة النـاظر المرقوم باستلامهم وتحرير لهم الثمن على ورقه من المجلس وختم بختم المجلس بتاريخه ولزومهم لاجل جلوس شاغلين المراكيب عليهم .

(الاصول ٣/٤ ص ١٢٢)

— مات واحد وخمسون جملًا من الميري وتقرر الراي على تحصيل ثمن تسعة منهم من الناظر حيث انهم غير ميرية والباقي يتقيدوا على طرف الديوان لانهم ماتوا من الضعف واكلوا حشيشة الحرم . ويُضرب الناظر الف كرباج .

(الاصول ٣/٤ ص ٢٠٨)

(يتبع)

الذكرى المئوية الاولى

لوفاة خادم الله الاب نعمة الله كساب الحرديني

(١٨٥٨ - ١٩٥٨)

بقلم الاب بطرس سارة اللبناني

مئة سنة مرت على جثمان رجل الله نعمة الله الحرديني الثاوي في ضريحه بدير مار قبريانوس كفيفان، سليماً متماسك الاعضاء، وكان وما زال ذلك الضريح مزاراً شهيراً وينبوعاً فياضاً بأشفية النفس والجسد. وقد رفعت دعواه الى رومية في السنة ١٩٢٨ مع رفيقيه خادم الله الاب شربل مخلوف والراهبة رفقا، بعد ان تعينت لجنة خاصة قامت بالتحقيق المحلي بحسب الاصول القانونية وأجري الكشف الطبي باسم السلطة الكنسية، على ذلك الجثمان الطاهر، فوجد على سلامته، صامداً ضد عوامل الفساد.

وكنا نتمنى ان نحتفل بتلك الذكرى المئوية السعيدة احتفالاً باهراً اذ اسعدها الحظ بان تلتقي هي والذكرى المئوية الاولى لظهورات السيدة العذراء في مغارة لورد (١٨٥٨). ولان الاب نعمة الله الحرديني كان من اوفى واخلص المتعبدين للعذراء الكلية القداسة وفي طليعة من حملوا لواء عقيدة الحبل بها بريئة من دنس الخطيئة الاصلية، بعد اعلانها عقيدة ايمانية في السنة ١٨٥٤. وكان من اشد المحرضين على الانخراط في اخويتها. وقد لفظ انفاسه الاخيرة وهو يقول: « فليكن مباركاً الحبل بسيدتنا مريم العذراء البريء من الدنس ».

اجل لقد كنا نفوز بتلك الامنية، لو لم ترَ السلطة المختصة ان مثل هذه المظاهرات قد تقف عقبة في سبيل الدعوى ونجاحها. لذلك اعرضنا عن مثل هذا الاحتفال واكتفينا بهذا المقال عن حياة ذلك الراهب المثالية المشعة باسمى الفضائل واكرم الصفات، بها اخذ وعليها نسج في حياة ملائكية تلميذه خادم الله الاب شربل مخلوف. فكان كلاهما بطلي رهبان سارا في طريق الكمال المسيحي بخطى جبارة ورفعا علم الفضيلة عالياً في سماء لبنان وفاح شذا فضائلها فعطر سائر الاقطار وتردد صداه من وراء البحار.

ان لنا في تراجم اوليا. الله اعظم عبرة واسمى موعظة واسطع دليل على تلك القوة الروحانية التي تصوغ من الانسان الترابي ملاكاً سماوياً وتأتي به من عزلة الدير وصمت الصومعة فتقيمه افصح لسان يذيع بمجد الله ويمثل كمالاته الالهية في وسط سطت فيه المادة على الروح وطرحت بهـذا العالم في مهاوي القلق والاضطراب مما عجز المفكرون واساطين السياسة عن مداواته باستقرار السلام الحقيقي .

على اننا نرى ان أنجع دواء وأصلح وسيلة للسلام المنشود انما هو مطالعة حياة اولئك الابطال الذين ظهروا في العالم كالنيرات تضيء على المتسكعين في ديجور الكفر والضلال فتقبل بهم الى نور الهداية والحق وترفعهم من عالم المادة الى اجواء الروح بحيث يشرق عليهم ذلك الاشعاع الالهي بما فيه من خير وحق وجمال فيهتفون مندهشين : « تمجد الله في قديسيه » .

اليك شعاعاً من ذلك الاشعاع الروحاني يغمر تلك النفس البارة ويسطع في كل مرحلة من مراحل حياتها البالغة ذروة الكمال ولمّا تتجاوز العقد الخامس من العمر .

نشأته

على منبسط من جبال لبنان الشمالي — قضاء البترون — تقوم قرية تسمى بيت كساب تابعة لقرية حردين المشهورة بحسن هوائها وصفاء سمائها ومائها وجودة اراضيها ، ونخوة ابنائها الذين عُرفوا بطيب عنصرهم وكرم اخلاقهم وشديد تمسكهم باهداب الدين القويم . حردين الرابضة في سفح ذلك الجبل لا يقل علوها عن البحر عن الالف متر تمتد عن جنبيها الاودية الكثيرة التعاريج وتخفرها التلال من كل ناحية وتطل على منطقتي الكورة والزاوية ، حيث ترى البنايات الفخمة والبيوت العديدة بين كروم الزيتون الفضة ، كأنها جزيرة في وسط تلك البحيرة الخضراء الفسيحة الارجاء .

في تلك القرية الوادعة أطلّ طفل على الحياة في مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٨) ، من والدين فاضلين هما جرجس كساب ومريم وعد ، قد ارضعاه مع الحليب لبان التقوى والفضيلة . وما اصطبغ بماء العماد ، وأفرغ عليه اسم يوسف

حتى لبس ثوب النعمة ناصعاً وأخذ ينمو بالقامة والحكمة امام الله والناس ، محاطاً بعناية والديه التقيين اللذين لم يدخرا وسعاً في تربيته التربية المسيحية الصحيحة باشرابه المبادئ القويمة والآداب السليمة بالقول والمثل. فشبّ الفتى على اساس البرّ والصلاح ومال بكل ما فيه الى حب الفضيلة ، تضرم قلبه نار المحبة الالهية فتنكب به عن لهو الصبيان اترابه وتدفعه الى ملازمة الهيكل على مثال الفتى صموئيل ، يدمن الصلاة ويحضر الذبيحة الالهية كل صباح .

واذ رأى فيه ابواه ميلاً شديداً واستعداداً حسناً الى القراءة ولم يكن في القرية مدرسة لتعليم الاحداث ، ارسلاه الى مدرسة الرهبان اللبنانيين التابعة لدير مار انطونيوس حوب قرب قصبة تنورين ، حيث اقام في بيت جدّه لامه . فانكب على درس مبادئ اللغتين العربية والسريانية وحقائق التعليم المسيحي مع بعض القواعد الحسابية ، كما كانت تسير عليه المدارس الابتدائية في تلك الايام. وكان من المتازين بين اقرانه. ولم يقصر همّهُ على تلقن القراءة والتمرين على الكتابة ، بل كان يأخذ عن اساتذته الرهبان الافاضل دروس الحياة الروحية النسكية راغباً فيها كل الرغبة .

وما تأهب واقدم على المناولة الاولى وحلّ جسد الرب في قلبه حتى ازداد اشتعالاً بنار المحبة للسيد المسيح سجين المحبة في سر الافخارستيا فاتخذه عريس نفسه لا ينفصل عنه مدى الحياة ، مترنماً بنشيد الاناشيد : « حبيبي لي وانا له » (٢ : ١٦) .

وكنت تراه ، وهو فتى ، يصرف الساعات بكاملها امام القربان المقدس ، يناجيه مناجاة الابن اباه ويكشف له مكنونات قلبه . وكان مثال التلميذ النشيط يطيع استاذه اطاعته اباه ويصافي رفقاءه ويحبهم محبته اخوته . وكانت نفسه النقية ، بعد ان تغذت خبز الحياة وطعام الملائكة ، تزداد يوماً فيوماً تعمقاً بمعرفة الله وانشغافاً بكمالاته تعالى بحيث يراها ماثلة لديه في المناظر الطبيعية البديعة : فما مرّ يوماً بتلك البقعة من الصرود اللبنانية الفاتنة الا انبسطت لديه تلك المشاهد الرائعة الجميلة : جبال شاهقة تتفجر من بطونها الينابيع العديدة ، تحيط كالهالة بتلك السهول الواسعة وتصب فيها الحياة والخصب وتغنيها بالمزروعات وتجعل منها بساتين وجنات غناء .

كان يوسف الفتى يمتع النظر بتلك المشاهد البديعة ويغرق فيها بما اوتي من عقل ثاقب ومخيلة نقية صافية وايمان حيّ، فيتمثل صورة الله في مخلوقاته، توحي اليه الجبال عظمة الخالق وقدرته غير المتناهية، والمياه الفياضة جودته تعالى. والاشجار والازهار على مجاري المياه والمزروعات النضة تصور له جمالَ مبدعها. ومنها يرتفع بناظريه الى القبة الزرقاء وعالم الفضاء. فيذهل من ذلك المنظر العجيب وما فيه من نظام بديع ويهتف مع النبي داود المرتل: « السماوات تذيع مجد الله والفلك يخبر بعمل يديه (مزمور ١٨: ٢).

بمثل هذه الثقافة الشريفة السامية في بساطتها وبذلك الاستعداد الحسن المبشر بما يكون هذا الصبي، عاد يوسف الى بيت ابيه وانكبّ على مساعدة والديه بالاشغال البيتية مقدماً لهما طاعة الابن الابرّ لا يعرف تعباً ولا نصباً في ارضاء الله تعالى وابويه. واذا تراكمت عليه الاشغال وتصبب جبينه عرقاً، ذكر الآية الكريمة: « بعرق جبينك تأكل خبزك » (تكوين ٣: ١٩). يباشر جميع اعماله بهذه النية والروح الطيبة، لا يعرف للبطالة وقتاً.

ولم يكن يهمل شيئاً من واجباته الدينية كالصلاة وسماع القداس كل يوم ومناولة القربان الاقدس بتمام الورع والخشوع. يقهر جسده بالاماتات وضبط الحواس قمعاً لاهواء النفس واميالها المنحرفة وكبحاً لنزق الشباب وجماحه. وكان في آدابه ونشاطه خير مثال للشبان ارفاقه الذين كانوا يرون فيه صديقاً حميماً ومرشداً حكيماً يقيهم عثرات الشبيبة البطرة ويقودهم بقود العقل السليم المستنير بنور الايمان الى ما فيه خيرهم ونجاحهم.

وما ناهز العقد الثاني من العمر حتى تكشفت له الدنيا عن غرورها وأحيت نعمة الله في قلبه وذهنه تلك التذكارات الجميلة يوم كان فتياً دارساً على اساتذته الرهبان امثولة الفضيلة والتقوى، فشاقه ما كان يراه فيهم من الامثلة الصالحة وروح الزهد والنشاط والاعتكاف على الصلاة والعمل وغير ذلك من ضروب التقشف والعبادة وممارسة التأمل والصمت، مما جعله يصغي الى صوت الله يدوّي في قرارة نفسه: « ان اترك عشيرتك وبيت ابيك واحمل صليبك واتبعني ». فلم يتردد في تلبية صوت الدعوة هذا. وما لبث ان سار في طريقه وملاك الرب يرافقه، حتى وصل الى دير مار انطونيوس قزحيا، دير الابتداء، الرابض في

سفح الوادي المقدس والمشهور بقدمه وبكونه مزاراً يؤمه الناس على اختلاف نحلهم ومذاهبهم لنيل نعمة او للاستشفاء من مرض . ولقد لُقّبَ « قزحيا » اي كنز الحياة ، لما يجري الله فيه من الخوارق على يد القديس انطونيوس ابي الرهبان ، او لما يتدفق فيه ومن حوله من المياه الغزيرة الرامزة الى تلك النعم والمواهب .

المبتدئ

الى هذا الدير وصل الشاب يوسف كساب صاحبُ الترجمة طالباً الدخول في الرهبانية . وكان في دير قزحيا آنذاك الرئيس العام الاب اغناطيوس بليبل[1] يقوم بزيارة قانونية ، ولما وقع نظره على هذا الشاب توسم فيه حسن الاستعداد ودلائل الرصانة والتقى ، فامر رئيس الدير وقتئذٍ الاب مكاريوس الشحروري بان يقبله . فامتثل الامر وادخله سلك المبتدئين في غرة تشرين الثاني السنة ١٨٢٨ . وهو في العقد الثاني من العمر . وحلّاه باسم « نعمة الله » ومنذ ذات الحين عرف بالاخ « نعمةالله الحرديني » . وكان اسمه مطابقاً مسمّاه وجاء خير فألٍ لما يكون منه في مستقبل الايام ، اذ غمرته النعمة الالهية منذ الصغر وما برحت تزداد وتنمو فيه حتى بلغت به اعلى ذرى الكمال والقداسة .

وليس يخافٍ ما في الابتداء من الصعوبات والمحن ولا سيما في ذلك العهد . على ان الابتداء في نظر القديسين ، كما ترسمه قوانين الرهبانية ، هو كور التجربة ، فيه يمحص المبتدئ كما يمحص المعدن في النار . او هو مدرسة الفضيلة فيها يتخرج الطالبون على خيرة الآباء فطنة وعلماً وتقىً ويسمون السمو الجدّي في تحصيل الفضائل المسيحية والرهبانية لتكون لهم عدة في المستقبل لبناء برج الكمال واصلاح ما فيهم من الشوائب ومكافحة ما يطرأ عليهم من التجارب .

---

[1] هو الذي ترأس على الرهبانية مدة سبعة مجامع اي ٢١ سنة متتالية مدبراً نوراً رئيسة دير مار موسى الحبشي ودير مار انطونيوس قزحيا (١٧٩٩–١٨٠٥) وكان صديقاً حبيباً للامير بشير الكبير حاكم البلاد وبهذه الصداقة تمكن من تأدية أجلّ الخدم للرهبانية ونموها وله يرجع الفضل في انشاء ديري مار سركيس وباخوس في قرطبا ومار مارون عنايا حيث ضريح خادم الله الاب شربل .

وما هي ايام وليال تنقضي حتى لمع نجم ذلك الطالب المبتدئ الجديد، وظهر بما فيه من ارادة قوية ورغبة شديدة في اقتباس تلك الفضائل واضعاً نصب عينيه مثال السيد الاعلى، مقتفياً آثاره في طريق الصليب، راغباً في ان يزداد كفراناً بنفسه وتجرداً عن الدنيا، وعلى مثال ابيه القديس انطونيوس كان كالنحلة التي تجني العسل من الازهار يجني ثمار الفضائل من مرشديه واخوته، فلا يرى فضيلة في واحد منهم الا أكبّ على ممارستها واقتباسها. ولا تقع عينهُ على نقص إلا أغمض الطرف عنه. وكان بسلكه هذا ونشاطه في اتمام واجباته، قدوة لجميع اخوته المبتدئين. لا يرتاح قلبه الا في مناجاة الله ربه. اذا قام الرهبان للصلاة نصف الليل، استمرّ ساهراً في الكنيسة حتى الصباح وكثيراً ما كان يحيي الليالي بجملتها امام القربان المقدس لا يفارقه الا بشق النفس، وبعد ان تأمره الطاعة فيخرج من الكنيسة مرغماً متنهداً باكياً.

ولم يكن أدق منه في حفظ النظام ولا اسرع الى مباشرة الاشغال. يستحضر الله امامه عند كل عمل يتعاطاه روحياً كان او زمنياً. ولكثرة ما كان يمارسه من الاماتات الشاقة، خشي الرئيس على صحته وعلى الاخوة الراغبين في الاقتداء به، فأوقفه على حدّ بحيث يكون في مأمن من التعرض لخطر المرض، فلم يرَ بدّاً من الاذعان للنصيحة ولامر الطاعة المقدسة.

على هذه الخطة المثلى اكمل الاخ نعمةالله سنتي التجربة ونال ثقة رؤسائه ومرشديه ومحبتهم له. فقدموه لابراز النذور الرهبانية بعد ان استعد لها برياضة روحية مدة ثمانية ايام كما تنص القوانين، فابرز نذوره الاحتفالية في ١٤ تشرين الثاني السنة ١٨٣٠ وافرغ عليه الاسكيم الملائكي رئيس دير كفيفان الاب مكاريوس الشحروري.

ولا تسل عمّا ناله من الفرح والابتهاج بعد ان قدم ذاته بالنذور محرقة كاملة لله، موقناً انها معمودية ثانية غمرت نفسه بالنعمة وخولته حرية ابناء الله واعتقته من قيود المادة والمحبة الذاتية، فاصبح كالنسر يحلّق في الاجواء الروحانية. لا همّ له الا بما عاهد الله به بحفظ المشورات الانجيلية بكل امانة ودقة، عاقداً القلب على الكفران بالذات وحمل الصليب وراء الاله الفادي، متغلباً على ما يعترضه من مصاعب وعقبات. يسير بقدم راسخة ونفس جريئة وعزم شديد

وايمـان متين ، مرددا قول رسول الامم : « أما انا فحاشى لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صلب العالم لي وانا صلبت للعالم » . (غلاطية ٦ : ١٤) .

الراهب الدارس

أرسل الاخ نعمةالله بعد ابرازه نذوره الى دير مار قبريانوس قرب قرية كفيفان ، ليكون في صف الاخوة الرهبان الدارسين . ولم تكن المدرسة في ذلك العهد على دقتها ونظامها الحالي ، فان الرهبان الدارسين كانوا يتعاطون مع الدرس الاشغال اليدوية في الحقل كالحصاد ونقب الارض وتربية دود الحرير والقيام بجميع الخدم الديرية ، وممارسة الصلوات الفرضية في الخوروس حتى صلاة نصف الليل بوقتها مع الرتب اليومية . وبالرغم من ضيق الوقت كانوا يتقنون اللغتين العربية والسريانية ويدققون في علم اللاهوت الادبي ودرس بعض القضايا الهامة من اللاهوت النظري .

وقد تخرج في هذه المدرسة منذ افتتاحها (١٨٠٨ — ١٨٧٤) ، نحو مئتين وستين كاهناً إشتهر كثيرون منهم بعلمهم وقداسة سيرتهم كصاحب هذه الترجمة ورفيقه ، تلميذه الاب شربل مخلوف وغيرهما ممن أتوا بأجل الخدم والاعمال في الرهبانية والطائفة . ومن تلاميذ هذه المدرسة الاب انطونيوس النفالي الذي اتقن اللغة العربية ووضع فيها بعض تآليف في فن العروض وارجوزة في المعاني والبيان وكتاب « ينبوع السلوان في زيارة القربان » ، لاجل الانفس المطهرية ، وقد جددنا طبعه (١٩٥٦) لما فيه من الصلوات الحارة والمواطف الشريفة[1] .

عرف الاخ نعمة الله ارادة رؤسائه في تعيينه بين مصاف الاخوة الاكليريكيين فانكب على الدرس والمطالعة بملء قلبه وحسن استعداده وكان الله تعالى ينير عقله وفهمه فتسهل لديه كل صعوبة في تحصيل العلوم وبخاصة

---

١) وله ايضاً معجم في اللغة العامية . وكان يرجى منه الشيء الكثير لما تحلى به من مواهب نادرة واخلاق كريمة كما يشهد له اساتذته وبينهم الاب نعمة الله الكفري الذي كان معجباً به آسفاً شديد الاسف على فقده اذ فاجأته المنية ولم يتم العقد الثالث من العمر (٢٦ سنة) .

العلوم اللاهوتية التي امتاز فيها حتى كان يقصده الاخوة الدارسون لحل بعض مشاكلها. يطرحون عليه الاسئلة مهما كانت صعوبتها، فيجيب عليها بكل وداعة ورصانة واذا حميَ وطيس الجدال في قضية، كان يبادر امامه، كما يفرض القانون، بكلمة «اغفر لي» وعندها يُحسم كل جدال. وكانت ترنّ في اذنيه آية الرسول: «العلم ينفخ والود يبني» (كور ١–٨:١) فينبذ بعيدًا كل فكر عجب وكبرياء، ولم يكن ليكتفي بركم مواد التعليم في ذهنه فقط، بل يمد الى تثقيف العقل والقلب والارادة فيصهرها في قالب الكمال الانجيلي، عالمًا ان تلك هي الثقافة الصحيحة التي بها تبنى الشخصية الانسانية والقداسة الحقة وبها تستقيم الاحكام في الاشياء والاشخاص، ويرقى الانسان مراقي النجاح والفلاح. وقد وضع نصب عينيه هدفًا واحدًا لا يحيد عنه قيد شعرة، هو محبة الله والقريب في الله، موقنًا أنّ كل كمال وخير انما مصدره الله وحده اصل كل علم وحكمة. فاخذ يبالغ في حفظ القوانين والفرائض الرهبانية، حتى كاد يؤدي به التدقيق فيها الى المرض والوسواس.

فظن الرؤساء انه في حالته هذه لا يقوى على متابعة الدروس اللازمة للكهنوت. فأمروا بفصله عن الاخوة الدارسين وارساله الى دير مار موسى الحبشي في المتن. فامتثل الامر حالًا معتقدًا ان هذه ارادة الله فيه. ما همّه ان يكون في الرهبانية كاهنا او راهبًا اخًا بسيطًا، بل حصر كل همه في ارضاء الله تعالى وتقديس نفسه. حسبه ان يصل الى غايته هذه باحدى الطريقتين كما يريده الله. فسار الى دير مار موسى حيث وجد متّسعًا من الوقت للاستغراق في بحر المحبة الالهية وما لبث مدة حتى اخذ يزيد في ضروب التقشف والاماتات والدقة في حفظ القوانين والقيام بجميع ما يكلّف به من الخدم الديرية، فادهش الناظرين اليه من رهبان وعالميين، فاعجبوا بما كانوا يرون في هذا الراهب الشاب من سمو الفضائل وجليل المناقب. فاحبه الجميع واتخذوه قدوة لهم في القداسة والكمال المسيحي.

لا يبعد ان تكون شهرةُ تقواه وقداسته هذه، مدة اقامته في دير مار موسى، قد تركت ذكرًا طيبًا واثرًا عميقًا في قلوب من عرفه او سمع به في جبة المتن من المجاورين والبعيدين، حتى شاءت العناية ان تخص تلك الناحية من

جبل لبنان بأولى وابهر معجزة اتاها الله عن يد صفيه هذا بعد وفاته ، كما سترى.

لذلك كنا وما زلنا نرى الكثيرين من جهات المتن ، ممن نالوا الاشفية العجيبة بواسطته ، يؤمون دير مار قبريانوس كفيفان لايفاء نذورهم ولزيارة ضريحه والتبرك بجثمانه واخذ شيء من آثاره .

على ان العناية الالهية نفسها التي جعل كل اتكاله عليها ، كانت ترعاه بعينها الساهرة ، وتسنده بذراعها القديرة ، مُعِدةً اياه لامر خطير ، فأوجبت على الرؤساء ارجاعه الى دير كفيفان لاستئناف دروسه تحقيقاً لما يعلق عليه من الآمال نظراً لحسن سلوكه واستعداده الطبي ، وتفوقه على رفاقه الذين هللوا لرجوعه اليهم ، لما كانوا يستفيدون منه فضيلة وعلماً .

عاد الاخ نعمة الله الى ما كان عليه من نشاط ودقة في القيام بجميع واجباته الرهبانية والمدرسية . وكان يتعاطى فوق عمله العقلي ، مهنة الخياطة وترتيب ثياب الاخوة وتوزيعها وغير ذلك من الخدم ، سالكاً مسالك الراهب الصالح الذي لا هم له سوى ارضاء الله وبه يحفظ نذوره ، عالماً ان جوهر حياة الراهب وكيان الرهبانية نفسها قائم بحفظ النذور الثلاثة : الطاعة والعفة والفقر الاختياري التي هي اشبه بثلاث حلقات متماسكة بعضها ببعض بحيث يكون انفكاك احداها سبباً لانفكاك غيرها ، ولذلك يحذرنا الحكيم بقوله : « أن لا تنذر خير من ان تنذر ولا تفي » (الجامعة ٥ : ٣) .

رسخت هذه الآية في ذهنه ، فقام بايفاء نذوره على اكمل وجه جاعلاً مثاله الاعلى يسوع المسيح مصدر جميع الكمالات ، القائل : « انا الطريق والحق والحياة » (يوحنا ١٤ : ٦) ، فلا طريق اذن الى الكمال ولا هداية الى الحق ولا حياة مسيحية ورهبانية ، إلا بالاتحاد به تعالى اتحاد الغصن بالكرمة ، كما صرح بقوله عز وجل : « انا الكرمة وانتم الاغصان من يثبت فيَّ وانا فيه يأتي بثمر كثير لانكم بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً » (يوحنا ١٥ : ٥) .

على هذه الآية الكريمة جعل الاخ نعمة الله دستور حياته ومحور جميع اعماله مقتدياً برسول الامم القائل : « ان حياتي هي المسيح . . . (فيلبي ١ : ٢١) . انا حي لا انا ، انما المسيح هو الحي فيَّ (غلاطية ٢ : ٢٠) رأى المسيح طائعاً حتى الموت فمات تخليه عن ارادته الذاتية مستسلماً لارادة الله التي كان يتعرفها

مجسمة لديه بارادة الرئيس. اذا دعته لامر او لعمل، سمع صوت الله يناديه ونظر الى الرئيس نظره الى شخص المسيح كما يفرضه القانون. وكان يؤثر المرؤوسية على الرئاسة شاعرًا تمامًا عليها من عظم المسؤولية. لذلك لم يكن يقبل وظيفة الا اذا انتدبتهُ السلطة مباشرة، او بطريق الانتخاب القانوني، كما وقع له ان انتخب ثلاث مرات لوظيفة المدبرية.

ولم تكن الوظيفة في نظره سوى خدمة في جنب المصلحة العامة لاجل فائدة الجمهور، كان يقوم بها بمنتهى التفاني والاخلاص كما شهد بذلك كل من عرفه مديرًا واستاذًا للمدرسة الرهبانية في دير كفيفان مدة ست سنوات كان فيها مثال المثقف والمربي الحكيم يبعث في عقول تلاميذه، مع العلم روح الفضيلة والتحلي بالتقوى الصحيحة، والرغبة في احترام السلطة التي هي من الله، مشوقًا اليهم الصعود في درجات الكمال درجة درجة، يرشدهم بنصائحه الابوية، ويقودهم بمثله الصالح، ويمكن القول: انه كان لهم ولغيرهم في الرهبانية، قانونًا حيًا في حفظ النظام الديري، موقنًا ان السير بحسب النظام على ما توجبه الفرائض، هو اقوى سلاح لمكافحة البطالة امّ الرذائل، وأضمن وسيلة للسلوك بروح الطاعة المقدسة.

اما عفافه، فحدث عنه ولا حرج. لقد تسامى بهذه الفضيلة، الى حد انه كان فيما اشبه بالملاك منه بالانسان اللابس الجسد الضعيف. وبما انه كان بمزاجه العصبي معرّضًا لكثرة التجارب، اعتصم بنعمة الله واخذ يروّض ما فيه من الاميال والشهوات الطبيعية ليقيم من جسده هيكلًا لروح القدس عاملًا بقول الرسول: «اقمع جسدي واستعبده لئلا ارذل انا الذي بشرت آخرين» (١ كور ٩ : ٢٧).

ومما يروى عنه انه لما كان في دير قزحيا جاء الدير زائرًا احد علماء النفس العارفين بالفراسة. واذ وقع نظره على الجرديني وتفرّس فيه قال لاحد الرهبان: «كيف يمكنكم ان تقبلوا بينكم هذا الرجل الشهواني ؟» فاجابه الراهب: «ماذا تقول، انه لقديس عظيم نقتدي بفضيلته وطهارته» فاردف السائل معجبًا: «ان كان كذلك فهو حقًا اعظم مكافح، لاجمّ جماح الحيوانية في الطبيعة البشرية».

ان مزاجه العصبي كان يميل به ويعرّضه الى أشد التجارب، ويزجه في ثوران

الشهوة ، فيشعر بداخله شعور القديس بولس ، بان فيه سنّة تناقض سنّة ضميره فالخير الذي يريده لا يعمله ، والشر الذي يأباه ، يرى نفسه مائلة اليه (رومية ٧: ١٥ و ٢١) فيصرخ مع الرسول القائل « من ينقذني من جسد الموت هذا ».
لذلك كنت تراه يبالغ في قمع الجسد الى حدّ غير مألوف ، ممارساً جميع انواع الاماتات ، جاعلاً من اسكيمه لثاماً او حجاباً على عينيه حتى لا ينظر الى امرأة ، او الى فتى امرد ، مردداً قول ايوب البار : « عاهدت عينيّ ان لا افطن في عذراء » (ايوب ٣١ : ١) بل اذا صودف ان رأى في طريقه ما يعرّضه للتجربة ، تحوّل عن الطريق فراراً من السبب . وكان البعض يعدّون تصرفه هذا ضرباً من الجنون او المغالاة والوسواس . ولم يكن ذلك منه ، الا حفاظاً على زنبقة طهارته ودرتها الثمينة فلا تمس باذى .

وما ذلك الا لما كان يحس به من حدّة الشهوة وثورانها . ولا عجب في الامر . فان القديسين أرقّ الناس شعوراً ، ولا حدّ لعطفهم وعاطفتهم وشديد رغبتهم في محبة الله والقريب. وهم في معارك الطهارة يكافحون مكافحة الابطال ، مدججين بسلاح النعمة الالهية وترس الايمان وعزم الارادة القوية ، لتكون النفس سيّدةً لا عبدة رقٍ للجسد. ويبقى مثالها الاعلى ما هو فوق الطبيعة ، تنزع اليه وترغب فيه. وبما ان الطبيعة نفسها هي مدخل النعمة ومقرّها ، تتكمل وتتجمل وترقى بتأثير الروح القدس الحال فيها ، دون ان تفقد شيئاً من كيانها الطبيعي وفاعليتها ، لذلك لم تكن النعمة لتطفيء فينا نيران الشهوات ، بل انها تروّض جماحها ، وتحسن تنظيمها بلطف ، مقدمة لها غذاء اسمى واشرف. على ان الشهوة قوة وشيء حسن بذاتها ، شرط ان تعدّل وتنظم. لذا قيل بصواب: « لا اقوى من الشهوة في العابدين المغرمين بحب الله تعالى وما من قلوب اطيب فطرةً واشد حباً وحرارة من قلوب القديسين » . وان كانت المحبة في اعماق جميع الشهوات ، كما تعلّم الفلسفة ، وهي تعبّر وتفصح عنها ، فهلّا تكون ديانة يسوع المسيح اقوى ضمين ومهذّب للشهوات . وهي ديانة المحبة الصادقة والمتفانية في عمل البر والصلاح ؟

على هذه الخطة الشريفة سار رجل الله الحرديني في ترويض ما كان يتنازعه من الشهوات الجسدية بعد ان صبّها في قالب الامانة ، واحكم قيدها بالنظام

والقانون، موجهاً بها الى هدف سام فوق الطبيعة، مستعيضاً من اللذة الجسدية، بلذة سماوية سامية، اليها ترتاح نفسه، وعندها يسكن ضميره، ونحوها يصرخ مع الملك والنبي داود: «من يعطيني جناحي الحمامة لاطير واستريح (مزمور ٥٤: ٧). لقد جعل كل راحته ولذته في يسوع حبيبه، الاله المتأنس، فادي البشرية، وحبيب القلوب، وموضوع كل حب وكمال وجمال. وهل من جمال او كمال او غبطة يسكن عندها القلب البشري مثل هذا المثال الاسمى، ولهذا كان رجل الله مستغرقاً في هذا الختم، ولا يلذه سوى التمتع بذلك الجمال والكمال الالهي الباهر. بذلك تظهر روحانيته بوجه اخص. وقد آلى على نفسه الا يميل بقلبه الى محبة خليقة الا في ذلك الجوّ الصافي النقي، فتحصن في ديره واحاط زنبقة طهارته بسياج اشواك الاماتة والتقشف لتبقى ناصعة البياض نضرة، موقناً أن جسده انما هو هيكل الروح القدس يحفظه شريفاً نظيفاً. ولما علم ان تلك الزنبقة الجميلة لا تعيش الا في تربة التواضع، وفي جوّ الاماتة، غذاؤها الصلاة والعمل، أخذ بممارسة هذه الفضائل على الوجه الاكمل.

درس على معلمه الالهي، وهو التلميذ الحكيم العاقل، هذه الامثولة الشريفة: «تعلموا مني اني وديع ومتواضع القلب» (متى ١١: ٢٩)، فاقام بناية كماله على صخرة الوداعة والتواضع المسيحي. وعرف انَّ بناية الكمال لا تقوم شامخة ثابتة الا على هذا الاساس المتين الذي هو ميزة الديانة المسيحية ومصدر جميع الفضائل واحدها الطهارة الملائكية، ذاكراً ما قاله القديس برنردس في كلامه عن العذراء مريم: «ان البتولية والتواضع فيها صنوان. كانت نفسها مرضية لله الذي جعل مسرّته فيها، لان تواضعها اقام وزناً لطهارتها والبتولية تاج الاتضاع وزينته. لست اتورّع عن القول بأنه لولا التواضع، لما سُرّ الله بطهارة مريم نفسها، ولو لم تكن مريم متواضعة، لما اصبحت مستودعاً للروح القدس، ولو لم يحل فيها، لما حبلت بالكلمة الالهي. فاتضح اذن انها قبل ان تحبل من الروح القدس، كما جاهرت هي نفسها: «نظر الله الى تواضع امته» (لوقا ١: ٤٨) اكثر من نظره الى بتوليتها، فان ارضت الله بطهارتها، فهي مع ذلك قد حبلت بتواضعها. والحقيقة اذن ان الله يسرّ بطهارتها، لاجل تواضعها. القديس برنردس عظته الاولى في التجسد. على ان التواضع لا يعني خسة النفس والجبانة،

خادم الله نعمة الله الحرديني يصلي

ضريح خادم الله نعمة الله الحرديني

فالمتواضع الحقيقي ، وان أقرّ بعجزه امام العظمة الالهية وسلك مع القريب مسلك الانس واللطف والوداعة وكان حليماً رؤوفاً ، فهو مع ذلك كبير النفس أبيّها ، جريءٌ لا ياوي عن احقاق الحق والجهر بالفضيلة ومقت الرذيلة . على هذه القاعدة سار رجل الله الحرديني بتواضعه ووداعته مع الجميع . وبالرغم مما كان عليه من مزاج حصبي وأنفة في الطبع ولا سيما مما يعرّض فضيلته الى ادنى عَطَب او مساس ، فقد عرف ان يذلّل بحكمة التواضع جماح طباعه ويصبّها في قالب الحمل الالهي الذبيح ويقيم من ذاته حملًا وديعاً لا يماحك ولا يصيح ، يلاطف الاخوة جميعهم ويعدّ نفسه بينهم آخر الجميع ، راضياً بالاحتقار والاهانة اقتداء بالسيد المسيح القائل : « ليس تلميذ افضل من معلمه ولا عبدٌ من سيده » (متى ١٠ : ٢٤) . وفي تقلده الرئاسة كان يزيد في وداعته وتواضعه ، مضيّقاً على نفسه متساهلًا مع مرؤوسيه متى دعت الظروف ، شرط التقيد بما تفرضه القوانين ، عاملًا بقول الحكيم : « اذا جعلوك رئيساً فلا تتكبّر بل كن بينهم كواحد منهم » (سي ٣٢ : ١) .

اما اماتته فلم يكن لها انقطاع ، ولم يكتفِ بالصوم الدائم ولبس المسح وغير ذلك من ضروب الاماتة الخارجية فقط ، بل كان يتعمّد الاماتة الباطنة ايضاً ، مضحياً بارادته واحكامه الذاتية ، مستسلماً لارادة الله في كل حال : في الحياة والموت في الصحة والمرض على السواء . يخوض غمار المصاعب والبلايا جندياً باسلًا لا يهاب ولا يجزع فيخرج من المعارك ظافراً .

كلّفه مرة المثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد بفضّ خلاف في تنورين ، فنزل في دار الشيخ فارس طربيه واضطرّ بوقته ان يغسل بيده المسح الذي كان يلبسه ، فعلم صاحب الدار بذلك وقدّره قدره ، فرجاهُ رجل الله بكتمان السرّ . وكان معتصماً بفضيلة الصبر في جهاده وامراضه المسببة عن مكثه الطويل في بيت الله وامساكه عن الطعام وتحمل البرد القارس في الشتاء ، ما عدا قوارص الكلام من بعض الثقلاء المستخفين بطريقته . قيل ان شقيقه الاب اليشاع حبيس دير مار مارون عنايا ، كان يلح عليه ويدعوه الى دخول المحبسة ليكون واياه في سلام وطمأنينة ، فيجيبه قائلًا : « يجب ان نعيش بين جمهور الاخوة في الاديار ونحتمل بصبر وثبات ، ما يلحقنا من الهزء والاحتقار . بهذا نزداد اجرنا ونكثر

عن آثامنا ونعمل بقول الرب من يصبر الى المنتهى يخلص » (متى ٢٤ : ١٣)
وبصبركم تقتنون نفوسكم (لوقا ٢١ : ١٩) .

رجل الصلاة والتأمل

لقد أصغى رجل الله الى آية الحكيم الذهبية : « لما علمت باني لا اكون عفيفاً ان لم يهبني الله العفة ، توجهت الى الله وسألته من كل قلبي » (حكمة ٨ : ٢١). فصوناً لطهارته الممتازة كان يصل ليله بنهاره في الصلاة الى الله والتعبد لامه العذراء . كنت تراه يرتفع بقلبه وعقله الى العلاء نافذاً حجب الغيوم وعالم النجوم ، ضارعاً الى العلي ليسند ضعفه في الحرب الروحية ، فيهتف مع المرنم : « اليك رفعت عينيّ يا ساكن السماوات ! .. كما ان عيني الأمة الى يد سيدتها كذلك عيوننا الى الرب الهنا ... » (مزمور ١٢٢ : ١ و ٢) . وهي الطلبة التي يتلوها الكاهن كل يوم في القداس قبل رفعة الكأس .

وكان كالنسر يحلق في سماء القداسة بجناحي الصلاة اللفظية والعقلية مستغرقاً في اوقيانوس العزة الالهية ، متعمقاً بحقائق الديانة المسيحية وعواقب الانسان الاربع فتصغر في عينه الدنيا وما فيها من اباطيل ، فيزداد اتحاداً بالله وينال من جودته تعالى جميع النعم اللازمة للقيام بواجباته الرهبانية والكهنوتية لحق القيام ، على الرغم مما كان فيه من ضعف وهزال مسبب عن مرض المعدة الدائم . وفضلاً عما كان يمارسه من صلوات فردية ، كان لا ينقطع عن مشاركة الجمهور في صلوات الخورس حتى في نصف الليل ، كما كانت العادة في الرهبانية . ويمكن القول بان خلاصة حياته كانت سلسلة صلوات متواصلة الحلقات . اذا دخل المعبد اشرق محياه مسرة وغبطة وغاص في بحر التأمل بالرب يسوع حبيبه في سر القربان الاقدس يصرف امامه الساعات الطوال ومن ينبوعه الفياض يستقي جميع الفضائل ولا سيما التواضع والصبر والفقر بالروح الذي امتاز به كما تفوق بطاعته وعفافه . كان الفقر أليفه وسميره ، لا يعلق بشيء من حطام الدنيا ولا يختار لنفسه من كسوة وقوت وفراش الا الادنى في الدير ، شرط ان يكون نظيفاً على مثال القديس برناردوس الذي كان يرضى بالثوب المرقع النظيف . واذا انتقل من دير الى دير آخر لا يأخذ معه حتى قلماً من قصب للكتابة دون اذن الرئيس ،

كما حدث له مرة بعد خروجه من دير قزحيا. وما وصل ليده شيء من صدقات المحسنين، او حصّل بتعبه شيئاً الا سلّمه الى وكيل الخرج في الدير. ومن دخل قليته رأى البساطة والفقر سائدين فيها.

ورغماً عمّا كان عليه من مرض المعدة، استمر محافظاً على العيشة المشتركة فلا يتناول من الطعام الا ما كان معدّاً لجمهور الدير. وكثيراً ما كان يتناوله بارداً اذ كان يصوم باذن الرؤساء، حتى الظهر وكان الرهبان قديماً لا يتناولون سوى وقعتين في النهار اي الساعة العاشرة قبل الظهر والخامسة بعده.

وكان مبالغاً في تجرده عن الاهل والانسباء منصرفاً الى خدمة ربه ورهبانيته ولم يدخل بيت والديه، مدة حياته الرهبانيــة، سوى مرة واحدة وكان رفيقه الاب نعمة الله الكفري. وقريته حردين لا تبعد كثيراً عن دير سكناه مار قبريانوس كفيفان. كانت والدته قدمت له منديل يد، فلم يحتفظ به بل دفعه الى رفيقه، كي لا يكون بين يديه ما يحمله على التفكر بالاهل والبيت — وقد مارس هذا التجرد التام عن العالم، أخذاً بقول صاحب الاقتداء: «كلما سرت الى الناس، عدت من بينهم اقلّ ما كنت عليه من انسانية» (الاقتداء سفر اول فصل ٢٠). وكان يقول: «الراهب في ديره ملك في قصره، دولتــه رهبانيته وجنوده اخوته الرهبان ومجده فضيلته وقداسته وتاجه تواضعه وطهارته وبرفيره فقره وطاعته»... أكرم بها من حِكَمٍ سامية واقوالٍ عَسجدية املاها عليه الروح القدس الحالّ فيه. فهنيئاً لمن يفكر فيها ويعمل بها!.

الكاهن

بعد ان اكمل الاخ نعمة الله درس اللاهوت وأدّى عنه فحصاً نال به ثناء فاحصيه، ارتقى درجة الكهنوت المقدسة في ٢٥ كانون الاول (١٨٣٣)، عيد ميلاد الرب بالجسد فكان ذلك اسعد فأل لولادته الكهنوتيــة وله من العمر خمس وعشرون سنة. وتم ذلك بوضع يد المطران سمعان زوين النائب البطريركي على عهد المثلث الرحمة البطريرك يوسف الحبيشي (١٨٢٣—١٨٤٥).

ما رقي الدرجة المقدسة حتى أخذ يزداد ارتقاء في سلم الكمال والقداسة، عالماً ان سمو هذه الدرجة التي تزدحم تحتها مناكب الملائكة، تستلزم الارتقاء والتقدم في الفضيلة . وانه لو لم تنتدبه السلطة لها لما اقدم عليها، بل آثر ان يكون في مصاف الرهبان الاخوة مكتفياً بحظ مرتا لانه اتى الرهبانية ليَخدم لا ليُخدم ولما لم يكن له مجال فسيح ليقوم بكل ما تقتضيه الغيرة الكهنوتية، اقتصر، بحسب حالته وطريقته، على تكميل نفسه والجماعة التي كان يتيم بينهم، بل كان بمثله الصالح وشهرة قداسته رسولاً يبشر بالمسيح كل من عرفه او سمع بسيرته في جميع انحاء الجبل . وكم كان يتمنى لو اراده الله ان يكون شهيداً يسفك دمه في حب المسيح .

وقد علم ان الذبيحة الالهية التي يقدمها كل يوم انما هي ذبيحة الصليب الدموية التي قدمها الفادي الالهي على جبل الجلجلة لما فيها من الثمار والمفاعيل غير المتناهية، فلم يكن يقدم عليها إلا بعد ان يستعد لها الاستعداد الذي تستحقه . يقوم نصف الليل الى تلاوة صلاة الفرض على الخورس مع الجمهور كما أسلفنا، ثم يحضر جميع قداديس اخوته الآباء الكهنة، ويصرف ساعات امام القربان المقدس بالتأمل والقراءة الروحية، ثم يعترف بخطاياه، ولو لم يكن عليه مادة ضرورية، لانه يعتبر ان الاعتراف فعل اتضاع عميق يسر به الله تعالى، وبه يمارس المعترف افعال الفضائل الالهية : الايمان والرجاء والمحبة . وقد اتخذها خطة سار عليها مدة حياته الكهنوتية . واذا تبرّم مرشده من سماع اعترافه كل يوم، كان يقف امامه متذللاً باكياً ليسمح ويسمع له .

كنت تخاله وهو على المذبح، منخطف الروح . عقله وقلبه في الحمل الذبيح بين يديه. تلوح على جبينه امارات الفرح والخشوع. وتمر الساعة وهو على حرارة ايمانه الحيّ ومحبته ليسوع القربان والمقرب الاول، فلا يدانيه فتور او ملل واذا انتهى من القداس صرف ما بقي من الوقت بالشكران يناجي ضيفه الكريم باصدق عواطف الحب مردداً افعال السجود والشكر والتكفير والطلب ثمار الذبيحة الالهية . وقد لازم خطته هذه مدة كهنوته خمساً وعشرين سنة

ما كان يهمل اعمال الغيرة على خلاص النفوس، رغم رغبته في العزلة والانحباس في الدير . فانه كان يسعى في تنشيط الجميع الى عبادة الله عبادة

صحيحة ، نافضين عنهم غبار الفتور والتواني . متمسكين بالتقوى الحسنة والقيام بالواجب حفاظاً على نفوسهم المشتراة بدم المسيح . وكلما سنحت له فرصة ومكنته الظروف كان يجمع السذج والاولاد ويشربهم روح الفضيلة ويلقنهم قواعد الدين بالتعليم المسيحي ويهديهم طريق الخلاص .

ومن آثار غيرته في نشر عبادة قلب يسوع الاقدس ، تحريضه الجميع على الاشتراك فيها ، ناشراً اياها في الاديار بين اخوته الرهبان وفي الخارج بين العلمانيين وهي العبادة التي كانت تدفعه الى التعبد لسر القربان الاقدس ، وتوجيه جميع عواطف قلبه واشواقه اليه ، والسجود امامه ليل نهار ، كما ذكرنا . ومن تعبده لقلب يسوع الاقدس حصل على فضيلة الاتحاد العجيب بالله تعالى اتحاداً لم تصدّه عنه الاشغال الزمنية اية كانت بحيث كان ينوي توجيهها لمجد الله عزّ وجل . فمَن رأى سكونه وصمته وسمع تنهداته وزفراته ، عرف في الحال ان قلبه وفكره في السماء . ولهذا كان متفرداً في اتقان الحياة الباطنية .

اكرامه وعبادته لسيدتنا مريم العذراء

لما علم ان مريم العذراء ام الحبل الالهي هي ام الاطهار وشفيعتهم وانها الطريق السوي المؤدي الى الاتحاد بابنها يسوع المسيح ، أخذ يجدّ في طلب شفاعتها ويبالغ في اكرامها وكانت محبته لها دونها محبة الابن لامه . لم يفتر من التحدث بذكرها والتلفظ باسمها الكريم . ومتى دهمته تجربة ، هرع اليها طالباً شفاعتها ، صارخاً : « يا عذراء ساعديني » . ولم ينفك عن الشخوص الى ايقوناتها المقدسة ، متنفساً الصعداء كأنه يود الخروج من الجسد ليرتع برؤيتها السعيدة في دار الخلود . وما دخل قلّيته مرةً او خرج منها ، الا جثا امام ايقونتها المعلقة في الحائط وحياها بالسلام ، مكبراً فيها ، على الخصوص ، الحبل بها البري من الدنس ، حتى قبل تحديد هذه العقيدة . فاحبت البتول ان تجازيه على اكرامه هذا بان نقلته اليها اثر الاحتفال بعيد الحبل بها بريئة من وصمة الخطيئة الاصلية . وكان يحضّ الكثيرين على عبادتها ولا سيما على الاشتراك في اخوية قلبها الاقدس واخوية الحبل بلا دنس .

وقد انشأ هذه الاخويات في اديرة الرهبانية بموجب الاذن المعطى له . يتلو ورديتها كل يوم، منفردا او مع رفيق يساعده ويغوص في التأمل باسرارها. ولم يهمل الاشتراك في ثوب سيدة الكرمل ويرغب كل الرغبة في مطالعة كتاب « أمجاد مريم » للقديس ليكوري، جاعلًا اياه سميره يذوق بمطالعته طعم العسل ويضعه قرب وسادته ليل نهار . وكثيرًا ما كان يردد هذه العبارة التي لازمته حتى النفس الاخير : « فليكن مباركًا الحبل بسيدتنا مريم العذراء البريء من دنس الخطيئة الاصلية ». مشيرًا باقوال اعاظم القديسين، كالقديس فرام: « انت بريئة من العيب خالية من الدنس، منزهة عن وصمة اية خطيئة على الاطلاق. ان نورك ابهى من الشمس والقمر وكواكب الرقيع، لان انوار هذه تغرب، أما نورك فهو مشرق الى الابد . انتِ اعلى من السماء واسمى من الكاروبيم وارفع من السارافيم . كل اتكالنا عليكِ، ايتها الكلية نقاوتها » . وقوله المشهور : « فلتصرخ عظامي من القبر ان مريم هي والدة الاله، وان خامرني ريب في ذلك فلتلتهم النيران عظامي » .

والقديس ايرونيموس : « لو تحولت اعضاؤنا جميعها الى السنة، لما امكننا ان نفيها حقها من المديح. فاني مهما قلت فيك ابقى مقصرًا، ان قلت انك اعلى من السماء وانك ام القبائل وسلطانة الملائكة وصورة الله، فتلك القاب قاصرة عن مدحكِ »

بمثل هذه المدائح اللذيذة كان يتغنى ذلك الموسيقار الروحاني، معلناً عظم محبته وتعلقه الشديد بامه البتول الكلية القداسة، يتمثلها كما ظهرت ليوحنا الحبيب، ملتحفةً بالشمس تحت قدميها القمر وعلى رأسها اكليل من اثني عشر كوكباً » (رؤيا ١٢ : ١). واكراماً لها لم يكن يقتات ايام السبوت وبيرموناد اعيادها وفي الشهر المريمي بكامله، الا بالزيت والملح وبعض البقول . وكانت هذه الام الرؤوم تشدده في جهاده وتعزيه في محنه وامراضه وتنصره في معارك الطهارة وفي جميع ما ينتابه من التجارب .

المدبر والرئيس

لقد شاء الله ان يلقي على عاتق خادمه مسؤولية الرئاسة والمدبرية ، اذ اراده ان يكون السراج المضيء على منارة ليرى الجميع نوره . فانه ، رغم فراره من الوظيفة ، أبى عليه اخوته الرهبان الا ان ينتخبوه مدبراً في ثلاثة مجامع اي مدة تسع سنوات لكي يرتشدوا بآرائه ويجعلوه مثلاً حياً امامهم . فلم يرَ بدّاً من الانصياع لامر الله المنفذ اليه بامر الطاعة المقدسة ، سائلاً الرب نعمة خاصة للقيام باعباء الوظيفة . ومما ساعده على قبولها كونها وسيلة لانعاش روح الكمال والمحبة بين اخوته ، كما كانوا يرغبون ، لما يرون فيه من الغيرة على حفظ النظام والمفاداة في سبيل المصلحة الرهبانية .

على انه بتواضعه كان يفرّ من كل ثناء ومديح بشري . واذا خاطبه احد بامر الرئاسة العامة وانه سينتخب لها لما يُرجى منه من الخير والنجاح للرهبانية ، امتعض وقال : « الموت ولا الوظيفة » ، لشعوره بتبعاتها الجساء . واذا قيل له ان الله يريده لاجل خير الرهبانية ، اجاب : « كلا ليس مشيئته تعالى وارادة والدته الطوباوية ، ان لا اصير رئيساً » . وان قالوا له : كيف تعلم ذلك ؟ اجاب على الفور : « ان البتول مريم قالت لي » .

وما كان ينظر الى ما في الوظيفة من شرف بل الى انها خدمة [illegible] معناها الصحيح ، يؤديها بكل ما فيه من غيرة ونشاط وامانة . يبدي رأيه بما توحيه اليه الحكمة الالهية ويسير بجميع تصرفاته بحسب نص القوانين من دون محاباة ومراعاة ، متنزهاً عن كل غرض وميل بشري ، هدفه واحد لا يحيد عنه : « الله والرهبانية » . يعمل بالمساواة بين الجميع ويغار على خير مرؤوسيه بروح المحبة والفطنة .

على هذه الخطة سار في السنوات الست التي تقلد فيها رئاسة دير مار قبريانوس كفيفان وادارة المدرسة الرهبانية فيه ، يعني بتهذيب النشء الرهباني على سنن الفضيلة والعلم الصحيح . محرضاً تلاميذه على الجد والنشاط والاخلاص بحق ربهم ورهبانيتهم ، ويسير امامهم منكباً على المطالعة والدرس ولا سيما

اللاهوت الادبي الذي امتاز فيه كما مهر بالحياة الروحية مستنيرًا بالهام الروح القدس . لا ينى عن بذل النصح لتلاميذه بان يقرنوا العلم بالفضيلة الراسخة والا كان وبالًا على صاحبه وعلى الرهبانية والكنيسة كما يثبته التاريخ — ويوصي الجميع بالمحافظة على الوقت الثمين وبمكافحة البطالة مصيدة ابليس . ولم يكن هو نفسه يدع برهة تمرّ من دون عمل . فكنت تراه اذا انتهى من الصلاة والمطالعة ، هرع الى القيام ببعض الخدم الديرية المفيدة . وكان قد اتقن مهنة تجليد الكتب ، يقوم بها حتى وهو في وظيفة المدبرية . وما يحصله منها يقدمه للرئيس ليصرف في مصلحة الجمهور . وبما انه كان يعظ بمثله اكثر من كلامه ، فينقاد اليه المرؤوسون بملء الرضى والاختيار .

وما عتم ان طارت سمعة تقواه في البلاد وانتشرت قداسة سيرته انتشار أريج البنفسجة المختبئة . فتنسم شذاها جماهير الرهبان ، كما شدا بذكرها العالميون في اكثر الانحاء . حتى كان يضرب بها المثل ليس عند الرهبان فحسب ، بل عند العامة ايضاً ؛ فكانوا ، اذا ارادوا تبيان فضيلة احدهم ، قالوا : « انه مثل الحرديني » .

ولا عجب بعد هذه السيرة الملائكية ان يكون الله علّام الخفايا ، قد أشرك صفيّه هذا في شيء من معرفة الغيب والعلم بما كان وشيك الوقوع من حوادث الايام والمخاطر كما رواه المشاهدون ومنهم الاب نعمة الله الكفري الذي عايش وسبر غوره ووضع الاساس لترجمته[1] وهو ثقة في ما رواه لما تحلّى به من تقوى راسخة وضمير حي ، قال : « انه ، بينما كان ذات يوم ، مشتغلًا بتجليد الكتب ، اذا بعاصفة هوجاء تهب منذرةً بضرر جسيم . فما شعر بها حتى هب لساعته ونادى احد الاخوة : أن اذهب حالًا وقل لوكيل الحقل ليخرج الابقار من الحارة قبالة الدير » . فضحك منه الاخ ولم يعبأ بقوله . فصرخ به عندئذ وشدّد عليه الامر والا وقع ما لا تحمد عقباه ، فعندها امتثل الاخ الامر وما ان اخرجوا الابقار من القبو حيث كانت ، حتى انهار من اساسه . فزادت ثقتهم برجل الله واحترامهم شخصه المبجل واوامره وآراءه الصائبة » .

---

١) المشرق ٥ (١٩٠٢) صفحة ٦٠٥

وفاته وشفاعته لدى الله

ولما رأى الله ان عبده قد نضج واصبح ثمرةً دانية القطوف ، اراد ان ينقله من دار الشقا. وساحة الجهاد ليكلله بالاكليل الذي وعد به مجاهديه الظافرين. ففي اوائل شهر كانون الاول من السنة ١٨٥٨ اصيب الاب نعمة الله وهو في كفيفان بدا. ذات الجنب المؤلم واشتد المرض عليه فاضطرَّ ان يلازم الفراش ، ثم انتابته ادوار الحمّى الشديدة وعجز الاطبا. عن شفائه. ولما احس بان اجله قريب ، اخذ يستعد لملاقاة ربه وطلب الاسرار المقدسة . وكان جمهور من الآبا. والاخوة حاضرين وفاتــه ومنهم تلميذه الاب شربل مخلوف والابوان نعمة الله الكفري ودانيال الشراوي مرشده . وكان جميعهم متأثرين متعجبين مما رأوه في هذا الرجل البار من طمأنينة القلب وصفاء النفس ، ما لا يشعر به في حشرجة الموت وسكراته ، غير اصفيا. الله الابرار. ولما اشتدت وطأة الحمّى وغاب عن وعيه ، سمعه الحاضرون يكرر صلاته المعتادة : « فليكن مباركاً الحبل بسيدتنا مريم العذرا. البري. من الدنس ». وكان ، اذا ثابت اليه نفسه ، التفت الى ايقونتها امامه ، ملتمساً شفاعتها حتى اسلم الروح وهو يقول والابتسامة تعلو ثغره : « بالسلام ارقد وانام. يا يسوع ومريم ومار يوسف ، بين ايديكم استودع روحي ». فتسلمت البتول روحه الطاهرة في ١٤ من شهر كانون الاول ١٨٥٨ نصف ليل الثلثا. بعهد رئاسة الاب لورنسيوس الشبابي العامة على الرهبانية ورئاسة الاب نعمة الله التولاوي على الدير المذكور . فعمَّ الاسف الجميع على هذه الخسارة الجسيمة وعلى احتجاب ذلك الوجه النبيل وكوكب الفضيلة الساطع في سما. الرهبانية اللبنانية التي استضاءت بنوره مدة ثلاثين سنة وقد فاخرت وما تزال تفاخر بفضائله النادرة .

روحانيته

يحلو لنا الآن ان نتغلغل ، ولو قليلاً ، في مطاوي تلك النفس الجميلة وان نسبر غور تلك الشخصية الممتازة ، ما استطعنا اليه سبيلاً ، مكررين أسفنا على

ان لا يكون لدينا معلومات مسهبة عن اطوار حياة رجل الله هذا. وكم كنا نتمنى لو اقدم هو نفسه على كتابة سيرته، وابقى لنا أثرًا من مراسلاته وان قليلة نادرة! فاكتفينا بسرد حياته قائلين مع الشاعر :

« والنفس راغبة اذا رغّبتها   واذا تردُّ الى قليل تقنعُ » .

حسبنا ان نرى تلك الشخصية الفذّة، وقد لبست الوقار وشاحاً واتخذت النعمة سلاحاً، تسير بقدم الجبار، شوطها في الحياة، متكئة على اجلّ الاعمال واسماها، متحدةً بالله الذي منه كل عطية صالحة وكل موهبة كاملة (يعقوب ١٧:١). كانت البساطة في العظمة والصمت الناطق بكلمة الحق وجمال الفضيلة. نفسٌ كبيرة وثّابة الى العلاء، صغُرت في عينها الدنيا فطاوت بجناحي الايمان والمحبة بيسوع ربها وحبيبها، اتخذته في سر الافخارستيا محيّيها وسميرها. ارادة مرهفة اعتصمت بالرجاء. واستهدفت الخير الاسمى لا تقف بوجهها مصاعب وعقبات.

ان الرهبانية كانت تجوز في تلك الحقبة من الزمان، أحرجَ الظروف مما لا يساعد على الدقة في حفظ القوانين والحياة النظامية، لما طرأ عليها من التراخي وما تسرّب اليها من عادات تنافي غايتها. ولذلك كان رجل الله الحرديني يقف في وسط تلك المصاعب وقفة الجندي الباسل، مثابرًا على خطته القانونية بكل دقة وحزم، يشجع كل اخوته على اقتحام الصعوبات واحتمال المحن موجهاً اليهم كلامه المشهور : في مثل هذه الظروف والاحوال، « الشاطر يخلّص نفسه » . وهو يعني بذلك ان الراهب العاقل النشيط صاحب الارادة ومحبا النعمة، لا ينثني عن حفظ قوانينه ولا يرجع القهقرى مهما كانت الظروف. وعليه ان يمرّ بما يراه من خلل، مرَّ الكرام .

ان المثلث الرحمة السيد فريديانو جيانيني القاصد الرسولي آنذاك، وهو من رجال الكنيسة العلماء المفكرين، عندما وقف على هذه الميزة في حياة الاب الحرديني ونظر في مَلفّ دعواه، قال: « حسب هذا الراهب قداسةً أن يكون

حفظ قوانينه، على رغم ما كان يحيق به من المصاعب». ولما عرف بوفاته المثلث الرحمة البطريرك بولس مسعد وهو من اعاظم بطاركة الطائفة المارونية، قال: «بالحقيقة هـذا الرجل ترهب كما ينبغي فهنيئاً له». انه لكلام بليغ يتضمن، على ايجازه، اسمى معاني الكمال الرهباني.

اليك ما قاله فيـه الاب ميتر اليسوعي، رحمه الله، اذ كان مدير المعهد الاكليريكي الشرقي في جامعة القديس يوسف – بيروت – وهو من الآباء المشهود لهم بالعلم والتقوى. وقد جاء دير مار قبريانوس كفيفان وطلب ان يزور ضريح الحرديني، لما كان يسمع عنه. وما ان دخل المعبد الخاص ووقع نظره على ذلك الجثمان الراقد في صندوق من خشب الابنوس[1]، حتى جثا هو ومن معه واخذ يصلي خاشعاً متأثراً. ثم سأل: ماذا كانت سيرة هذا الراهب وما هي اعماله الممتازة؟ – فأجيب انه كان مثابراً على حفظ قوانينه بكل دقة. فقال: «كفى انه لقديس حقاً لان قداسة الراهب قائمة بحفظه القوانين». وهذا رأي علماء الروح بهذا الشأن.

أمّا مئات الخوارق والمعجزات التي جرت حول ذلك الضريح واهمها شفاء اعمى وكسيح مقعد في جهات المتن؛ فقد دوّن بعضهـا معاصره وسميّه الاب نعمة الله الكفري المار ذكره وهو رجل ثقة لما تحلّى به من دقة النظر والضمير الحي. واذ كان رئيساً عاماً علّق عـلى روزنامة الدير او سجل العجائب هذه العبارة بنصها الحرفي:.

«انا المدوّن اسمي بذيله، كاتب حياة الطيب الذكر الاب نعمةالله الحرديني، اشهد امام الله والناس اني لم اكتب شيئاً فوق ما عرفته عن هذا الرجل الفاضل،

---

١) هو الصندوق الذي قدمه المنذور له الطيب جورج شكرالله الذي كان معجباً بالاب الحرديني وبالاشفية العديدة الغريبة التي كانت تجري حول ضريحه. وقـد خبر الامر هذا الطيب بنفسه.

بذاتي او ما سمعته من اناس صادقين عاينوا وشاهدوا ما قالوه لي . هذا وبعد مراجعة ما كتبته وتمعنت فيه مليًا قد مضيته بخط يدي ومهرته بختم وظيفتي لاجل البيان والمصادقة . واذكر ايضًا ان راهبنا الاب روفايل البزعوني الذي كان حاضرًا ساعة موته ، قال لي انه شاهد ، وقت انفصال نفسه البارة عن جسمه الطاهر ، شيئًا من النور البهج خرج من فمه . وهكذا انقطع خيط حياته المقدسة » .

تحريرًا في ٣٠ كانون الثاني ١٩٠٤

† (الختم) كاتبه
نعمة الله الكفري
اب عام لبناني

حول الكيان الاجتماعي للقرائين في البلاد العربية

بقلم شمعون شيشان

كانت هذه المجموعة الضخمة للامم ذات الثقافة العربية ، التي تمتد من المحيط الاطلسي الى الخليج الفارسي ، مسرحاً لنشاط دائب ، قام به دعاة القرائين لا سيا في الفترة بين القرنين الثامن والثاني عشر للميلاد ، وترتب عليه دخول أفواج كثيرة في مذهبهم . ولكن ما يكاد القرن الثالث عشر يستهل حتى نشهد هبوطاً في الحياة الروحية لدى هؤلاء القرائين هنا وهناك ، وتضاؤلاً سريعاً في عدد أبناء هذه الطائفة ، حتى وصل الامر في ايامنا الحاضرة الى انه لم يبق في البلاد العربية من هذه الطائفة الا مجموعتان احداهما في القاهرة والاخرى في « هيت » بالعراق .

ومما هو جدير بالذكر هنا ان تعاليم المذهب القرائي وتطوره وانتشاره لم تحظ الى الآن الا بدراسات ضيقة غير كافية ، لا سيما ما يتعلق بالحالة الاجتماعية ، اذا استثنينا بعض ملاحظات عابرة ساقتها المصادفات البحتة . وهكذا نتبين لاول وهلة ان دراسة الكيان الاجتماعي للقرائين في البلاد العربية ما تزال ميداناً لم يطرقه احد من الباحثين ، رغم ما يمكن أن يتم فيه من دراسات مقارنة على اكبر جانب من الاهمية ، لدينا من وسائلها وموادها الاولية قدر غزير جداً . وهنا ينبغي بدون أي شك ان نذكر في الطليعة الكشف الذي تم في عام ١٨٩٦ وعثر فيه على وثائق قديمة ترجع الى القرن الثامن الميلادي ، خلفتها لنا طائفة القرائين في « الفسطاط » من ضواحي القاهرة . وتتضمن هذه الوثائق التي تعرف عادة باسم « مستودع القاهرة » « Geniza du Caire » نحو مائتي الف قطعة ما تزال بعد غير مدروسة ، فيما عدا قدراً ضئيلاً جداً تناولته ابحاث جزئية متفرقة . ومع ذلك فان هذا القدر الضئيل الذي نشر كاف لاعطائنا فكرة عن غزارة المادة

التي تحويها هذه المخطوطات[١] .

وقد اتيح لنا اثناء ابحاثنا ودراساتنا ان نجمع من المعلومات ما يكفي لتصور ما كانت عليه الحياة الاجتماعية للقرّائين في الاقطار العربية ، في تلك الازمان السحيقة . اما فيما يتعلق بوقتنا الحاضر ، فقد قمنا بزيارة لطائفة القرّائين بالقاهرة ، وسندلي ههنا ببعض ملاحظاتنا في هذا الصدد .

ولما كانت طوائف القرّائين التي بقيت الى وقتنا هذا حضرية قحة ، اي تسكن المدن فحسب ، فان دراسة اجتماعية مقارنة تقضي بمراعاة ذلك منذ البداية . اي ان بحثنا سيقتصر على المدن ولن يمتد ابداً الى الأرياف . ونحن نعرف مبلغ الفرق في مجتمعات الشرق الأدنى بين حياة القرى وحياة تلك الحواضر الكبرى المتأثرة بالتيار الاوربي .

هذا ، وطائفة القرّائين بالقاهرة كثيرة العدد نسبياً اذ يبلغ اعضاؤها نحو ثلاثة آلاف وان كان هذا الرقم تقريبياً نظراً لان الاحصاء الدقيق ما يزال يعوزنا الى الآن .

وتتكون هذه الطائفة على وجه العموم من صغار ارباب الحرف على اختلافها . ففيهم النجّارون والنسّاجون والخيّاطون ، كما ان بينهم عدداً لا بأس به يشتغل بالصياغة او الحفر او الترصيع . وهنالك طبقة وسطى قليلة العدد تتألف من الصنّاع ميسوري الحال — (اكثرهم جوهريون) — ومن التجّار . يلي هؤلاء عدد اقل من التجار الاغنياء ومن ملّاكي العقارات او الاراضي ، ثم بعض موظفي المكاتب . ويأتي في النهاية عدد يقارب العشرة من ارباب المهن الحرّة : من اطباء ، واطباء اسنان ، وصيادلة ، ومحامين ، ومهندسين . وهكذا نجد في داخل هذه الاقلية من القرّائين كل الفئات الاجتماعية المعروفة في المدن الكبرى . وكما هو الحال في جميع انحاء الشرق ، نلاحظ لدى القرّائين فرقاً شاسعاً بين طبقة الملّاكين وبين غير

١) الوثائق التي تتكون منها هذه المجموعة موزعة في مكتبات العالم اجمع ، واهمها موجود في مكتبة جامعة كامبردج وفي المكتبة العامة لمدينة ليننجراد . راجع في هذا الصدد:
P. KAHLE : *The Cairo Geniza* ; Londres, 1947.

وارجع ايضاً الى مقال :
Sur la Geniza du Caire : *Vetus Testamentum* — Vol. III, 1953, p. 411-413.

الملاكين. وهذا الفرق يتضح لاول وهلة في نوع الاحياء التي يسكنها كل منهم في المدينة . فالطبقات الدنيا والوسطى تسكن في وسط المدينة ، في حي « الخرنفش » المتيق ، حول « الكنيس » القديم المهجور الى حد كبير ، وحول المراكز الادارية للطائفة . اما الطبقات الميسورة فانها تعيش في حي " العباسية " الحديث ، حيث يجري الآن بناء « كنيس » جديد ، او في مصر الجديدة « هليوبوليس » ، من ضواحي القاهرة . كما نجد في النهاية بضع عائلات تسكن احياء اخرى .

وتحافظ الطبقة الدنيا والوسطى على تقاليدها الشرقية القديمة وان كان ينبغي ان نذكر ان المظهر الخارجي لحياتها قد تأثر بتيار الحضارة الغربية . اما الطبقات العليا ، التي درس كثير من ابنائها في اوربا ، فانها تحيا حياة اوربية بشكل ملحوظ . فمثلاً بينما يحافظ ابناء الطبقات الدنيا على الزيّ المحلي الوطني ، يلبس الآخرون الملابس الاوربية . اما الطربوش الذي كان الى عهد قريب غطاء الرأس الاجباري للجميع ، فانه آخذ الآن في الاختفاء شيئاً فشيئاً .

ويستعمل القراءون اللغة العربية ، وكلهم تقريباً يعرفون القراءة والكتابة . وتوجد بحي « الخرنفش » مدرسة للطائفة ، تشرف هي على ادارتها ، وتتلقى اعانة من الحكومة المصرية . وابناء القرائين في هذه المدرسة اقلية ضئيلة بالنسبة للعدد العام من التلاميذ ، اما البقية منهم فمعظمهم من المسلمين ، وان كانت توجد كذلك نسبة كبيرة من القبط . اما في حي « العباسية » فتوجد دراسة ليلية تعنى بتلقين تعاليم الدين لابناء الطائفة الذين يتعلمون اثناء النهار في المدارس الاخرى . وللطائفة مجلة نصف شهرية تصدر باللغة العربية اسمها « الكليم » ، وهي في منتهى البساطة في مظاهرها ومحتوياتها ، لا تكاد تهتم الا بالشؤون المحلية .

واذا ما حاولنا ان نتبيّن الوضع الاجتماعي للمرأة في طائفة القرائين ، لاحظنا اولاً انها اكثر تحرراً من نساء بقية الشعب ، غير محجبة على الاطلاق ، وان كان رب البيت ، حتى في الاسر التي تعيش على النمط الاوربي تماماً ، لا يشرك معه زوجته في استقبال قادم الى الزيارة .

ولنترك الآن مدينة القاهرة ، هذه العاصمة الكبيرة الشديدة التأثر بالحضارة الاوربية ، وننتقل الى داخل العراق ، على ضفاف الفرات ، الى ذلك البلد الصغير

المسمى « هيت » ، على بعد مائة وسبعين كيلومتراً من بغداد ، حيث لا يزيد عدد السكان على ثلاثة او اربعة آلاف . هنا نلاحظ ان الطائفة القرائية قليلة العدد لا تتجاوز المائتين ، كلهم من ارباب الحرف : حدادون او نحاسون أو مقصدرون او صاغة . ومستوى الثروة بينهم منحط جداً كما انه لا يوجد فيهم من بلغ مستوى اجتماعياً عالياً. وهكذا لم تؤثر عليهم ولم تصل اليهم بعد تيارات الحضارة الغربية ، بل ظلّوا محافظين اتمّ المحافظة ، حريصين على التقاليد والعادات القديمة ، التي لم يَعُدْ لها وجود الا لديهم ، ومن اجل ذلك فهم في رأينا جديرون بدراسة عميقة ، فمثلاً هم ما يزالون يزدون شعيرة « الغطاس اليومي » على النحو الذي كانت معروفة به لدى قدماء « الاسينيين Esséniens » وهي نوع من الاغتسال الكلي او الغطاس في نهر الفرات مرتين في اليوم للطهارة[1] .

ونحن نعلم ان في دمشق ، وهي مدينة قريبة نسبياً من العراق ، كانت ما تزال توجد في عام ١٨٣١ طائفة من القرائين لا تتجاوز في ذلك التاريخ بضع عشرات . وكان ابناؤها يشتغلون بالزركشة بالذهب على النسيج ويعيشون في فقر مدقع[2] . وفي السنة المذكورة حُلّت الطائفة ورحل اعضاؤها الى اسطنبول أو القاهرة ، اما من بقي منهم فقد اندمج شيئاً فشيئاً في طائفة الروم الكاثوليك[3] . وانما ذكرنا ذلك ليتبين لنا ان بعد اندثار القرائين بدمشق تبدو دراسة الطائفة في « هيت » من الناحية الاجتماعية على اكبر جانب من الاهمية ، اذ انها لم تندمج في اي عنصر آخر بل ظلت حافظة لكيانها وتقاليدها القديمة .

١) ارجع الى مقالنا :
Une Visite au Caire : *Vetus Testamentum* ; Vol. IV, 1954, pp. 203-204.

٢) C. J. Seetzen, *Reisen durch Syrien, Palästina, Phönicien, die Transjordan-Länder, Arabie Petraea und Unter-Aegypten*, Vol. I, Berlin. 1854, p. 295 ;
H. Petermann, *Reisen in Orient*, Vol. 1, Leipzig. 1860, p. 112.

٣) الزيات : الخزانة الشرقية (*Bibliothèque Orientale*) مستخرج من مجلة المشرق ، ١٩٣٨ – ١٩٤٠ المجلد الثالث – بيروت ١٩٤٦ . وارجع ايضاً الى مقالنا :
Les « Caraïtica » Syriens بالمكتبة البولونية في مجموعة : *Teka Bejrucka.* (كراسات بيروت) Cahier A., Beyrouth. 1949, p. 181-183, un résumé en français, 197.

ومع ذلك فقد لعبت طائفة دمشق دوراً هاماً في قديم الزمان، اذ من المرجح ان تكون قد تأثرت بتعاليم « طائفة العهد الجديد Nouvelle Alliance » التي استقرت ردحاً من الدهر على ساحل البحر الميت، ثم لاذت بعد ذلك بالفرار متخذة من دمشق ملجأ لها مدة ما من الزمن. وعلى ذلك تكون طائفة القرائين في هذا البلد وريثة هذه الطائفة القديمة، والقائمة على استمرارها فيما بعد. هذا على الأقل هو ما نميل الى افتراضه عند اختبار مخطوطات البحر الميت التي تم العثور عليها حديثاً[1].

ولنذكر هنا ان طائفة القرائين في دمشق قد انجبت في عهود ازدهارها رجالاً ممتازين في الثقافة والمجتمع، نذكر منهم « القزاز » الذي كان من بين حكام المدينة، والذي نجد عنه عدداً من المعلومات في مخطوطات « مستودع القاهرة ».

وكما سبق ان ذكرنا، نلاحظ ان القرائين في ايامنا الحاضرة ليسوا الا فضلات من مراكز قرائية كانت في قديم الزمان كثيرة العدد، ذات طابع ممتاز، تعيش في انحاء هذا العالم العربي. فمثلاً مركز من مراكز القرائين كان ما يزال موجوداً حتى مستهل القرن الثامن عشر، وكان يتألف من قوم من سكان جبال الاطلس الافريقية يحترفون الحدادة او الجندية[2].

هذه المعلومات القليلة تمكننا مع ذلك من تكوين فكرة عن تعدد اشكال الكيان الاجتماعي لدى القرائين التي استعرضنا بعضها الآن وذكرنا

---

١) ارجع الى محاضرتنا : *La Communaute de la Nouvelle Alliance et le Karaïsme* التي قدمت يوم ٢١ سبتمبر (ايلول) ١٩٥٦ امام المؤتمر السادس عشر للمعهد الدولي لعلم الاجتماع، في مدينة بون Beaune بساحل الذهب (Cote d'Or (France (فرنسا) . وفي نفس المؤتمر قدمت الدراسة الحالية كذلك .

٢) Joannis Leonis Africani : *Africae Descriptio*, IX, lib. absoluta. Lugd. Batav. Apud Elzeviz, 1632, pp. 126-128 وقد نشر النص بالعربية في : *Recueil de Voyages...* بحث باشراف H. Cordier و Ch. Schefer المجلد ١٣ — باريس ١٨٩٦ ص ١٦٣—١٦٤

J. Jovet, *L'Histoire des Religions*, t. IV, Paris, 1710, p. 36.
P. Davity, *Description Générale de l'Afrique*, Paris, 1660, pp. 105, III

بعض وجوه الشبه بينها وبين ما اتصل بها من صور المجتمعات التي كانت او ما تزال على صلة بها . وهذا التعدد في البنية الاجتماعية ليس فيه ما يدهش اذا ما تنبهنا الى تعدد المجموعات البشرية والحضارات المختلفة التي عاشرها القرّاءون في قديم الزمـان ، والى ان هؤلاء انفسهم كانوا ينتمون الى جميع الاوساط الاجتماعية من ادنى الطبقات الشعبية الى ارقى ارباب الثقافة والعلم . ولنذكر مثلاً احد معتنقي هذا المذهب في القرن العاشر وهو الفيلسوف الكبير داود المقمص الذي وصل الى الرياسة العليا للطائفة بأجمعها[1] .

نلاحظ ايضاً ان المذهب القرّائي كان يحترم الخصائص البشرية والثقافية حيثما القت به المقادير ، ويبدو هذا الاحترام بنوع خاص في ترجمـة الكتاب المقدس والصلوات المختلفة الى لغات الامم التي يعيش فيها معتنقوه . وهكذا نجد تراجم تركية وروسية وعربية . كما ان الترجمة من العربية كانت غزيرة جداً كما تشيد بذلك وثائق من هذه المكنونات التي عثر عليها في الفسطاط ، ومؤلفات لعلماء من القرّائين الذين كانوا يعيشون في الشرق الادنى في هـذه الازمان .

واخيراً فلعل هذه العجالة السريعة عن المذهب القرّائي في العالم العربي ، تدفعنا الى الشعور بضرورة دراسة كاملة ، على يد المختصين في شعب العلم والثقافة على اختلافها . وحسبنا نحن ان نكون قد لفتنا انظارهم الى موضوع هو في الحقيقة جزء متمم للدراسة الاجتماعية العامة للشرق الادنى .

ترجمة الدكتور حسن حبشي

المدرس بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية

---

[1] كان داود المقمص من اتباع مذهب ارسطو في الفلسفة والمعتزلة في علم الكلام . وفي القرن التاسع عشر عثر على بقايا من مؤلفات عديدة له اتاحت للباحثين ان يتعرفوا على شخصية هذا المفكر التي كانت مبهمة غاية الابهام الى ذلك الحين .

تعريف عن الكتب

من ذكرياتي في المحاماة في مصر وسورية

بقلم فتح الله الصقال المحامي

مطبعة الضاد ، حلب ١٩٥٨ ، قطع ٨ ، صفحة ٣٦٢

هذا كتاب اهداه مؤلفه الى قراء ونصراء مجلة «الكلمة » « لسان حال مشاريع الكلمة الخيرية ». تصفحناه فراقنا ما وجدنا فيه من الفوائد في علم الحقوق واساليب معالجة الدعاوى في المحاكم والكثير منها جرى على ايام الانتداب والقضاء في المحاكم المختلطة . وان في هذه الدعاوى التي بلغ مجموعها ٣٢٠٤ ، (صفحة ٥٨ سطر ١٠) على مدى اربعين عاماً في القطرين الشقيقين المكونة منها « الجمهورية العربية المتحدة » ، اختار منها المؤلف ما رآه احق افادة للمطالعين بين نكتة طريفة فتنشرها جريدة « الاهرام » تفكهة لقرائها (الحجز على القبر — مشاكل البائنة — السمسرة في الزواج — المورفين الخ. صفحة ٣٤ وما بعدها) ومعضلة عويصة خطيرة النتائج السياسية والادبية والاقتصادية (دعوى ابراهيم هنانو صفحة ٧٥ وما بعدها — دعوى رزق الله غزالة... صفحة ١٣٩ — دعاوي وقف المثمانية صفحة ١٩٠) ، وغير ذلك مما تسوغ مطالعته وتفيد وتبقى « ذكرى » لما يرد فيها من اعلام اشخاص كان لهم دورهم في تاريخ البلاد الشرقية عامة والحلبية خاصة » فضلاً عما هناك من استطرادات في الكلام على احوال القضاء كما كانت في العهد الروماني والبيزنطي والعثماني وتطورات الشرائع بمناسبة الظروف المستحدثة وعن تدوين الكتاب اسماء رجال من شرقيين وغربيين يحق لهم ان يذكروا فيشكروا. وهذه الدريهات التي لا بدّ منها للعيش ويتقاضاها «الصقّال» بالاصفر الرنان فلا يتورّع عن تعدادها طالما عرفنا ما وراء ذلك من بسط اليد في سبيل الخير ، اثابه الله على ما يجود به من ثمر اتعابه في اسعاف ذوي البؤس والحاجة . ونغتنم فرصة الكلام على هدية « الكلمة » لنمدح مطبعة الضاد على جمال طبعها . ف.ت.

على ضوء الانجيل ـ مواعظ وارشادات

بقلم الخوراسقف انطون عقل

مطبعة الآباء اللبنانيين صفحة ٢٢٨ قطع ١٢ ، بيروت ١٩٥٨ .
ثمن النسخة ٥ ليرات لبنانية ، لانشاء ميتم بادارة راهبات القديسة تريزيا

في ١٩٥٨ القى الخوراسقف انطون عقل مؤسس رهبنة القديسة تريزيا المارونية ارشادات الرياضة في رعايا مار مارون ومار انطونيوس وسيدة العطايا في بيروت ، ومار يوسف في حارة حريك ، ومار نهرا في قرن الشباك . وكان احد الاصدقاء يسجل بعض الخطب وكان الواعظ «يرتجلها غالباً» ، فيها العظات المختصرة في شرح التعليم المسيحي — والارشادات للراهبات — وارشادات الرياضة في الحقائق العظمى وغيرها في مواضيع مختلفة وفي العجائب خاصة. وهذه العظات لم يتح للواعظ ان يتبسط بها قبل طبعها ، فظهرت مقتضبة برؤوس اقلام تساعد على التأمل والصلاة . فنشكر لحضرة الخوراسقف اتعابه في حقل الرسالات ونتمنى له عمراً مديداً في خدمة الانفس لمجده تعالى. ف. ت.

Kenneth Cragg. — *The Call of the Minaret*. In-8° de XVI-376 pp. avec une bibliographie et un index. Oxford University Press, New-York, 1956.

المؤلف بعد ان علّم اللغة العربية والانظمة الاسلامية منذ ١٩٥١ في مؤسسة هارتفورد التعليمية « Hartford Seminary Foundation » انتقل الى القدس ومن هذه المدينة يأتي الى جامعة بيروت الاميركية حيث بصفة معلم مساعد يعطي دروساً في الفلسفة : هذا يكفي ليدلنا على جدارته لاستقصاء موضوع هذا الكتاب اي العلاقات بين الديانة المسيحية والاسلام التي تزداد ارتباطاً من يوم الى يوم. ان الدكتور كراغ هو محرر في مجلة «العالم الاسلامي: Muslim World» وعلى مثال مؤسس هذه الجريدة الغراء س. م. زويمر يحاول تسهيل معرفة روح الاسلام الديني لمسيحيي الغرب جاهداً في التفتيش عن النقاط التي تلتقي فيها التعاليم الاسلامية والمسيحية نوعاً ما ولو لم تكن مطابقة او متشابهة لبعضها بعض متحاشياً عن سذاجة التوفيق بين الاضداد .

يبدأ المؤلف بعرض موقف الاسلام في عصرنا ثم يدخل في بحثه بتأويل اسم الله الذي به تبتدى الشهادة او الاقرار بالايمان والدعوة الى الصلاة التي ينشدها المؤذن من أعلى المنارة يأتي بعد ذلك فصل يتكلم عن محمد ثم بحث عن الصلاة وعن حياة الاسلام الدينية واخيرًا خلاصته في الغاية الاجتماعية التي يعرضها الاسلام.

الجزء الاخير من الكتاب هو موجه بنوع اخص الى المسيحيين يسعى الى افهامهم بان المنارة دعوة الى التفاهم ودعوة الى الخدمة مرسلة الى شعوب لم تبلغ بعد بالكفاية نموّها في التهذب والاقتصاد والفنون . عنوان الفصل العاشر هو : « الدعوة الى التأويل » بل نقول نحن: « دعوة الى عرض المتقدات المسيحية » وهذا الجزء يبين لنا الاكثر شخصية وفائدة وهو يستند الى كتب مؤلفين كالآباء عبد الجليل ودانيلو ودي لوباك ومثل تمبل غاردنر وبيفن جونس وغيرهم كثيرين غربيين ومسلمين مذكورة اسماؤهم في قائمة كتب هذا الجزء الاخير. هذه الكتب ترعز خصوصاً الى نوع عرض معتقدنا للمسلمين فيما يخص الكتاب المقدس والله والثالوث الاقدس والمسيح والصليب .

يختم الدكتور كراغ كتابه داعياً الى الصبر فانه ضروري من جراء ضيق تخوم روح التساهل في الاسلام خصوصاً عند اهتداء احد اعضائه الى الدين المسيحي ومن جراء ما يوجده في الشرق انقسام المسيحيين من نقصان في الحياة المسيحية.

يوجد اذن في هذا الكتاب مادة وافرة للتفكر الديني والرسالة لذلك فلا شك انه يساعد المسيحيين والمسلمين المدنيين ورجال الدين الذين يقرأونه على التفاهم والزيادة في التعارف وبذلك على انشاء علاقات روحية مفيدة بين الديانة المسيحية والاسلام .

هنري شارل اليسوعي

Jacques Berque. — *Structures Sociales du Haut-Atlas.* In-8° de VIII-370 pp., avec 10 pl. h.-t. et 10 cartes ou figures dans le texte, une bibliographie, un glossaire des termes cités et un index des groupes magrébins mentionnés — Bibl. de Sociol. contemp., PUF., Paris, 1955.

لم يمكنا الحصول على هذا الكتاب الفاخر للاستاذ الممتاز في كلية فرنسا الا في آخر سنة ١٩٥٧ وذلك بفضل « الدروس المراكشية العالية » فنعتذر اذن لعدم اعطاء بياننا هذا الا في ١٩٥٨ .

هذا البحث هو ثمرة حياة دامت سنين عديدة بين قبائل الاطلس الغربي الذي يطلّ على شواطىء البحر المحيط في اعالي اغادير وكان المؤلف قد أعدّه بسلسلة من البحوث العلمية عن المغرب ظهرت بين ١٩٣٨ و ١٩٤٩ . أتمّ المؤلف كتابه في الشرق الادنى فساعده تعرّفهُ على التدقيق بالمقابلة في وصف الانظمة المغربية . يأخذ الاستاذ برك على نفسه ضمانة ما رسمه من وصف انظمة سكساوا لكنه رغماً عن ذلك لم يهمل في ذلك طلب آراء رفقائه الاكثر إلماماً في الامور المراكشية : دي لاشابيل ومونتان وسيليريه وتيراس ولاوست وبوسكه ... نكتفي بذكر هذه الاسماء المعروفة الى الآن في الشرق .

لسنا جديرين باعطاء حكم فيكون من جهتنا عن غير معرفة لكن بامكاننا ان نُثني على حسن طريقة عرض « الادلة » وعلى المهارة في جدال العوائد وفي هذا الخصوص الجزء الثالث الذي يبحث عن العلاقات بين الديانة والحق ظهر لنا كمثلة من نوعه وقد طالعناه بلذة.

بعد ان تحدّث عن البلاد والرجال وسابق تاريخها بعد ان درس المبادلات بين القوم والبيئة الطبيعية بعد ان وصف باسلوب الانظمة الدينيّة والحقوقية وقيمها يختم الاستاذ برك بتدقيق مدى جنس السكساويين الاجتماعي وادراكه ومحاولة استخلاص الطباع الاصلية بموجب مذهب (chleuh) حيث الاضداد تتساوى . هذه النتائج المختلفة هي بمثابة نقطة انطلاق لبحوث جديدة . ان البحث العلمي المدقّق الذي أعدّه سوف يفيد كل الذين ينصبّون على المشاكل الاجتماعية التي تختص بشعوب دار الاسلام فانها كلها «خاضعة كثيراً او قليلاً للنفوذ الاجنبي وهي ترجع الى حالها القديم بجهد متواصل.. اساليب ضمير متصلب برأيه حيث التصرفات تتجهز بالاحرى من ان تتوضح ... مباشرات لا تتفق مع قلة الوسائل الاقتصادية تتميز بتجاوز الانسانية للطبيعة.

هنري شارل اليسوعي

Ibn Jobair. *Voyages.* Traduits et annotés par Maurice Gaudefroy-Demombynes ; Editions Geuthner. 3 volumes. Paris, 1949-1956.

ابن جبير : «رحلة» . نقلها الى الفرنسية وعلق عليها موريس جودفروا دمامبين ١٩٤٩ — ١٩٥٦

وهذا وجه آخر ناضر ذهب من سنتين الى وجه ربه الانضر . رحمك الله يا دمامبين ، عنك اخذتُ في جامعة باريس طرائق الاستشراف وعلى يدك حررت بعض رسالتي «العرض عند عرب الجاهلية» ، فما وجدت والله فيك سوى مروءة الاستاذ وانس الملقن . وكم رددتَ من حماسة هذا الشاب الشرقي فسددت الخطا وعلمت الفكر كيف ينفر من الاعوجاج او الشرود والقلم كيف يتثبت ويتوغل . ولولا انت ما كنتُ لأحسنَ تمييز الغثّ من السمين اذا عرض لي كتاب من كتب التاريخ العربي ، فحسبك انك بصرتني مواقع الحسن.

تترك الدنيا وقد نظرتَ اليها من طرف ساخر لا يجدّ ولا يلمع الا اذا اقبلتَ على مسائل العلم . وما الطفها وما أغزرها بين يديك : لك في الحج الى بيت الله كتاب مَرجع ، ولك في تاريخ سوريا تحت حكم المماليك سفر قائم ، وفي الاحكام الاسلامية رسالة جامعة ، ثم لك تعليقات وفيرة على صفة افريقية كما جاءت في « مسالك الابصار » — للعمري ، وعلى مقدمة « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ، الى آخر ما سطرت من مقالات في التاريخ خاصة . ثم لك هذه النقول من العربية الى الفرنسية : « ملوك غرناطة » عن ابن خلدون ، « مئة ليلة وليلة » ، « صفة افريقية » ، مقدمة « الشعر والشعراء » ، وعند آخر المطاف هذا الكتاب اللطيف « رحلة ابن جبير » .

للترجم فضل وفضل : الاول انه يلتزم النص العربي فيستخرج المنى كله من دون ان يعبث بمجرى الكلام هروباً من الصعب اذا اشكلت الجملة او زاغ العرض تحت تراكم الالفاظ . والثاني انه مع التزامه النص يعرف كيف يدير التعبير الفرنسي برشاقة وحلاوة . فهو في الحالين من ائمة الناقلين واكثرهم دراية بالعربية وتصرفاً بالفرنسية . وقد تعقبت الترجمة في مواضع ، فما وجدت

خروجاً وما كدت اجد مجانبة للاصل ، وليست المجانبة على اية حال من النقائص بل ربما استدعاها اسلوب اللغة المنقول اليها .

ومما يزيد في قدر الكتاب ان المترجم عقد الهمة على التعليق والتبيين كلما عرض حادث من التاريخ او لمحة من الجغرافيا او لطيفة من الادب او حكم من احكام الدين او لون من الوان المجتمع . وفي هذا يفيض تبحر المترجم ليُيسّر لك مطالب « الرحلة » بما فيها من فوائد وطرائف ، فضلاً عن انك تجد في الهامش بعض روايات أصابها المترجم في مخطوط مبتور لهذه «الرحلة» محفوظ في فاس نُسخ في القرن الرابع عشر او الخامس عشر .

وهذه الترجمة كاملة ، وكانت « الرحلة » قد حظيت من قبل بنقول الى الفرنسية . منها نقل صفة دمشق بقلم Sauvaire سنة ١٨٤٠ ، ثم صفة صقلية بقلم Amari سنة ١٨٤٦ ، ثم بعض صفة سوريا في الجزء الثالث من Historiens des croisades .

بشر فارس

فهارس المشرق

للسنة الثانية والخمسين

١٩٥٨

فهرس اول

لمواد اعداد السنة الثانية والخمسين من مجلة المشرق ١٩٥٨

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثانية والخمسين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

٢ — مطبوعات اوروبية

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثانية والخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE
PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction
des Pères de la Compagnie de Jésus
UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Cinquante deuxième année.
1958

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1958

TABLE DES SOMMAIRES

LII^e ANNÉE, 1958

◇

JANVIER - FÉVRIER

MARS - AVRIL

MAI - JUIN

JUILLET - OCTOBRE

NOVEMBRE - DÉCEMBRE

المشرق

السنة الثالثة والخمسون | ك ٢ – شباط ١٩٥٩

كتاب دعوة القسوس

نشره لاول مرة عن نسخة يتيمة وحققه

الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

بين الصعوبات التي تعترض المحقق في مخلفات العصور الغابرة ، اختفاء الكنوز الخطية وراء جدران المكتبات التي لا تكشف عن اسرارها بواسطة اللوائح الوافية . ولكن هناك من رجال العلم من يُتاح لهم الحظ الاطلاع على تلك الكنوز بيد انهم يتبجحون بهذه الاكتشافات كانهم اكتشفوا عالمًا جديـدًا ويلومون غيرهم على جهلها . وانى لهؤلاء ان يطلعوا عليها وقد غابت في دياجير الاديرة أو في اقبية البيوتات القديمة . ونحن نقول هذا ونعني بقولنا ناقدًا نعود يومًا الى ما قاله في اللائحة التي ادرجناها في الـ Mélanges de l'U. S. J. 1957 لمخطوطات المكتبة الشرقية . فـان العلم الصرف لا يتطلّب من المحقق سوى ان يُطلع القارئ على نتيجة تفتيشاته ولا يُؤخذ عليه ما جهله اذا كان الجهـل جهلًا لا تجاهلًا ولم يكن هناك من طريقة مؤدية لتلافيه . واذا قامت بعـد

ذلك دلائل اخرى تسمح بزيادة الايضاح وبفيض الاطلاع فأهلاً بها ولكن دون تبجّح ولا انانية ولا كبرياء .

٭

بينما كنّا نعدّ لوائح اعداد المشرق الخمسين سنة ١٩٥٢ وقعنا على « خمريات نصرانية » يتغزّل فيها المؤلف بالخمرة المقدسة قراتنا واخذنا نفتش عن مؤلفها الى ان اشترينا مكتبة المرحوم الاستاذ حبيب زيات وصادفنا فيها كتاب « دعوة القسوس » ووقفنا على الابيات التي كانت راعت انتباهنا فقررنا نشره ورحنا نفتش له عن رفيق ، فبتنا مخذولين . فنقّبنا عن اصله ونحن نطلع القارئ على نتيجة ما توصلنا اليه من معلومات :

كان اول من نشر مقاطع من كتاب دعوة القسوس الاب لويس شيخو ولكنه زاد في ملاحظة انه « لم يجد ذكرًا لهذا الكتاب في ما لديه من التواريخ »[1] . وفي سنة ١٩٠٩ من مجلة المشرق عاد المؤلف المذكور فتكلم عن دعوة القسوس وعزاه الى ابن بطلان حيث قال : « . . . لابن بطلان اشعار كثيرة ونوادر ظريفة ومن كتبه دعوة الاطباء الفه للامير نصر الدولة احمد بن مروان وكتاب دعوة القسوس الذي وجدنا منه قطعًا فنشرناها في المشرق (٦ : ٤٦٦) . وقد صنّف كتابًا بهذا الاسم الفتى يعقوب المارداني على ما روى ابن العسّال في مقدمة اصول الدين »[2] . ولكن الاب شيخو لم يعطنا برهانًا نتيقّن به من صحة نسبة ما نُشر في المشرق ١٩٠٣ الى ابن بطلان . ولمَ لم ينسبه الى يعقوب المارداني ؟

وقد ذكر الدكتور جورج كراف في مجلة « الشرق المسيحي » لائحة لمخطوطات سريانية الذ في سياق الكلام على ذكر الكتاب الذي نحن بصدده فقال : « . . . يذكر ابن العسّال هكذا : الفتى الفاضل يعقوب المارداني صاحب كتاب دعوة القسوس »[3] .

وفي سنة ١٩٢٤ عاد شيخو في كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية على ذكر الماردانى فقال :

« من كتبة القرن الثاني عشر ذكره ابن العسّال في قائمة الكتبة التي قدمها على كتابه اصول الدين ونسب اليه كتاب دعوة القسوس »[4] .

---

١) المشرق ٥ (١٩٠٣) ص ٤٦٦ .

٢) « ١٢ (١٩٠٩) ص ٤٩١ .

٣) Oriens Christianus 1912. Leipzig, p. 214

٤) ص ٢١٥

ونعجب تمام العجب اذ ان المؤلف نفسه في الكتاب عينه عند ذكر ابن بطلان لم ينسب اليه في قائمة الكتب التي ألفها كتاب دعوة القسوس كما نسبه اليه في المشرق سنة ١٩٠٩[1] وقد سكت ايضاً عن ذكر هذا الكتاب ايضاً في كلامه عن ابن بطلان في المشرق سنة ١٩٢٥[2] .

اما الدكتور گراف فقد اتى ثلاث مرات على ذكر كتاب دعوة القسوس. ففي كتابه « تاريخ الاداب المسيحية العربية » الجزء الثاني ذكر مؤلفين نُسب اليهم تأليف الكتاب المذكور . ففي الصفحة ٧١ يقول ان اغاتون مطران حمص كتب في الربع الاول من القرن الثاني عشر « ايضاح الايمان وسر الكهنوت » — وذكره سباط تحت العدد ٢٥٣٧ من فهرسه — و«دعوة القسوس»[3]. وفي الصفحة ٢٧٠ يعود الى الكلام عن اغاتون دون ان ينسب اليه الكتاب المقدم ذكره . ولكنه في هذه الصفحة يتكلم عن يعقوب المارداني الذي حفظ ذكره ابن العسال في « كتاب مجموع اصول الدين ومسموع محصول اليقين »[4] وينسب اليه كتاب دعوة القسوس[5] . وفي كلامه عن ابن بطلان ينسب اليه ايضاً الكتاب المذكور[6] .

بين هذا التأرجح في الاراء يصعب على المحقق ان ينسب بدقة كتاب دعوة القسوس الذي نهتم بنشره وقد طارت الاوراق الاولى منه ولم يضع الناسخ في آخره اي ذكر للمؤلف . والحالة هذه ، فاننا نترك ليوم ربما اتى حيث نعثر على رفيق لكتابنا يوضح امامنا سؤالاً يتركنا في ارتباك وحيرة. ولكننا نميل فننسبه الى المارداني .

---

١) ص ٥

٢) ص ٦٥٩ وما يتبع .

٣) Geschichte der christlichen arabischen Literatur, Città del Vaticano, II, 1947, p. 71. ذكر سباط في فهرسه كتاب دعوة القسوس تحت العدد ٢٥٣٨

٤) الكتاب نفسه ، الجزء نفسه ، ص ٢٧٠

٥) راجع مخطوطات باريس رقم ٢٠٠ ، ص ٢١٦–٢١٧ . من ذكر هذا المخطوط يتضح ان المخطوط الذي ننشره هو ليعقوب المارداني .

٦) الكتاب نفسه ، الجزء نفسه ص ١٩١

المخطوط

مخطوطنا مبتور من عدد قليل من اوراقه في اوله وفي سياق الكلام. ضاعت ولم نتوصل الى التعويض عنها .

خط مؤلفنا خط قديم كنسي ، بقيت اغلب حروفه مهملة. طوله ١٨ سنتيمترا وعرضه ١٤ سنتيمترا وفي كل صفحة ١٠ سطرا.

يقص علينا باسلوب وضاح دعوة قس الى مائدة امير ، يأخذ بالمرح يفتن المسامع والقلوب ، ويعود بنا الى عصور انقضت ويذكرنا بابيات لابن المعتز او ببعض تواريخ الاديرة للشابشتي ؛ فيه وصف المدامة ونزعة الى ذكر الخمرة المقدسة في القربان . خمريات في مخطوط يتيم . وها نحن ننشره مع ما ينقصه من الصفحات واثقين ان في قراءته متعة وفي كلامه الوقاد صور لعصر غابر وكأنه حي .

كتاب دعوة القسوس

[١] . . . هـذا حظي المنحوس . وطالعي المنحوس . ان حدثت نفسي نسبت الى الافتخار . وان اظهرت ما في قلبي دعيت بالمنافق المكّار . ثم انه عاد يبسطني ويمازحني ويحادثني . والبشاشة لايحه من غرته . والفرحه ظاهرة من طلعته . ويقول يا اخي قم طول هذا الكلام . افهل استعملت يومنا هذا شيء من الطعام . ام نحن جميعاً الى الان صيام . قلت لا والذي فصل بوصولي الى العالم الضرّ . ما ذقت حلو ولا مر . وهاتك عندك من الفجر وقد تفرغ محي من القتر . فقال قم بنا فقد اخذ منا الجوع نصيباً اكثر . وحظاً اوفر . فقمت معه قاصدًا مربعه فلما وصلنا داره . وآتينا دياره . التفت الي باب الدار قايلًا سبحان مغيّر الساعات . ومقلب الاوقات . هذا الباب من ايام الخير اعادها الله . صنعه نجار كان من رعيتي رحمه الله . لم يلتمس مني المرحوم اجاره ولا جزا . الا الصلوات[٢]والدعا . واليوم لو طلبت دقة من البلوط المنحوس . ما اعطيتها الا بالفلوس . ثم سعى بين يدي قايلا ادخل فالمرضع بحكمك وامرك . قلت بل عبد الله شوط عمرك . فعندما دخلنا الدهليز رفع رأسه الي سقفه . وجعل يعبر يده على لحيته وانفه . ثم قال يا اخي الا ترى هذه الطباق المروقه . والالواح والادهان الحسنه المنفقة . وحق من يجمع شملك باهلك قريباً . وكان الله حسيباً مجيباً . ما خسرت عليها جميعا لا فلس ولا دينار . ولا عود ولا مسمار . ولكن كان يحكمي سوق النجارين . واكبر الحدادين . فنهم من كان يرجوني لوقت الوفاة . وفيهم من كان يطلب مني الدعا والصلاة . ومنهم من كان لي عليه حق تجبير البنين والبنات . وبالجملة مضى ذلك الزمان ومضت معه البركات . فلما لمح مني الاضجار . بادر بالدخول الى الدار . فدخلت دارًا . قد حلت فيها نعمة الله . وجلت في ترتيبها [٣] عن الاشباه . فبادر ينشد ارتجالًا بصوت مطرب ولفظ معرب:

يا منزلًا اصبح الاقبال مبتهجاً   في ربعه ضاحكًا عن ثغره الشنب
كم لي بربعك ايام سعدت بها   مع كل منفرد بالعلم والادب
وفي يميني امان من نوايبها   وفي شمالي من مسولة النشب
ابشر فقد عادت الايام تسحب في ارجآء سعدك ذيل العز والطرب
واليوم قد عاد برج السعد يشرق في سما سعدك نور البهجة الشهب

ان رجلك يا اخي لرجل بالبركات مقرونة . وان طلعتك لطلعة ميمونة . وحلك لهذا المنزل من حيث الزمن القديم . خلوًا من كل خل ونديم . ومن كان له قلب يلتفت الى الندماء . من بعد الاخوان القدما . أم اي صدر ينشرح الى شرب العقار . بعدما شرحت لك من الاعذار . بل اليوم نستوفي ما اقترض منا . [٤] اذ انت اليوم حاضر معنا . وفي غدٍ راحل عنا . ثم قال للتلميذ عجل بالدواة والطرس والاقلام . بعدما تسير بعمل الطعام . وحمل الات المدام. واحمل رقاعي الى اصحابي القسوس . فاليوم يوم مسرة النفوس . فلما حضرت الدواة والطرس . جعلت اتبيّن خطه بالحدس . فلمحت اناملٍ كالنيران المضطرمة. واسطر كالالا المنتظمة . واحرف كالرياض المبتسمة . فعندما كمل كتابة رقعته. ناولها لبعض صبيته . ثم قال له عجل بها لاعز اخواني . واجل خلاني الراهب القس عبد المسيح . ذي اللسان الفصيح . واللّحن المليح . فبادرت الى قراءة الرقعة قبل ياخذها الغلام . فوجدت فيها كاللولو المنظوم . والوشي المرقوم :

اعبد السيد الربّ المسيح   عليّ بذلك الوجه الصبيح
فقد[1] غفلت خطوب الدهر عنا   وقد ظميت الى الصهباء روحي
[٥]وقد حضرت ربّن نحوى فبادر   وروّ جوارحي[2] بدم المسيح
فلو كانت حرامًا ما أبيحت   لمن يختار شرب دم المسيح
ولا داوا [داوى] بها رب البرايا   جرايح[3] ادم المُلقى الجريح
ولا اوصا [اوصى] بها المسيح[4] جهارًا [جهرًا] وحلّل شربها ام التسليح
فان بادرت سرت[5] بكل شكر   وحصّلت السرور مع المديح
وان اخّرت دعوتنا لمنىً[6]   ابا الغدر القبيح ام المليح[7]

* نقابل بعض القصائد التي ترد في المخطوط مع ما ذكره شيخو في العدد ٥ (١٩٠٢) من المشرق ص ٤٦٦–٤٦٧ .

١) ش لقد

٢) ش جوانحي

٣) ش بليّة

٤) ش الرسول

٥) ش فزت . وهي برأينا الصحيح

٦) ش لأمرٍ

٧) يذكر شيخو العجز كما يلي : خسرتَ جزاك من صنع المليح . – ويقف هنا من ابيات هذه القصيدة .

ويطمع في الزيارة بعد وقت لتمحوا ما سطرت من القبيح
فندنا كالمشتدر[1] في سرور وانت سايبا مثل الطريح

فلما وقفت على ابياته العجيبة واعتبرت ما اودعها من المعاني الغريبة . وشاهدت سرعة خاطره الى الارتجال. وما نظم في سرعة الوقت والحال. ناولت الرقعة الى تلميذه بعد ما سجتها . بل وسارعت في الحال وسطرتها . وعدت اليه قائلًا له : تبا لزمان يقعد بالعلما . وسحقا لدهر يقوم للجهلا . تالله انك لطراز الامة المسيحية . وتاج هذه الطائفة [٦] النصرانية . فما اكمل ادارتك . وما اجمل صفاتك . فجعل يحكي له قلة اكتراثه بالفنون الشعرية . وبعد عهده من الالفاظ الخطابية . قلت وكيف يهمل مثلك هذه الفضايل . وانت هذا الرجل العاقل . قال قد كنت تقدمت بالقول اليك . انني اشرح لوم هذا الرفيق الوغد لديك . اليس انه اذا اعياه العيا . واقلقه الدا . جعل هذه الفضايل ذنوباً . وهذه المحاسن عيوباً . فتراه اذا شاهد الناس يمدحوني . ويذكرون فنوني ويشكروني . يخاصم وينازع ويقول هولا العلما . قد عرفوا في العلوم . كذا كنت اسمع عن والدي المرحوم . وكان يا اخي والده اكثر الناس جهلًا . واقلهم عقلًا . وانجسهم اصلًا . من جملة الحكايات عنه . انه دخل الى دياره بعض المتمرضين . وقد حضره بعض المتطببين . فوصف له صفة تمسك الطبيعة من كثرة القيام . فانقطع ذلك في تلك الايام . فجعل يطلب من ذلك الدوا . كمن له مريض بذلك الدا . فلما ساله من حضر عن العلة [٧] فقال لنا بقرة سودا بهذه . فضحك من حضر على لحيته . وصار نقلهم حكايات خفته . ثم مد يده الى القلم وهو يقول . مضى النهار ونحن في حديث المحارفين[2] . وحكايات المسخين . وسطر رقعة ثانية في الوقت والحال . وناولها تلميذاً اخر . وقال عجل بهذا الى صديقنا القس الفاضل الى الصفا شمون . واحذر ان يعلم بك الشيطان الملعون . فيتطفل علينا . ويسارع الينا . فيكدر صفو ساعتنا . ويفرق شمل جماعتنا . فهذه عوايده النجسة . وطرايقه الوحشة . فاخذها التلميذ وهم بالخروج في الباب الخان . فاقسم عليه برب الارباب . قايلا له بالطف خطاب . اجعل طريقك على باب الخان . واعط رقعتي هذه للقس سليمان . فلما قرات الرقعة المسطورة . فوجدته قد نظم عقود الاخرى كالالى المنثورة . فاعتبرتها بيتاً فبيتاً

---

١) كالمخدّر . ولا نرى معنى لكلمة النص ٢) المحروم الحظ

سطرًا فسطرًا . فوجدت في الواحدة مكتوباً . من غير لحنٍ ولا عيوباً .

[٨] قل للصديق الفاضل النس الاجلّ ابي الصفـا
عني مقالة من تفرد بالمودة والاخـا
اذا ترى الصهباء غير القوم تعلن بالندا
هبّوا عبـاد الله غوي طال مكثي في الانا
وسامت ريح القـار في الدن الملتم في الحيا
والشوق يحدني الى القوم الكرام الاصفيـا
فضوا الختام وفرجوا عن كربتي وغدو عطا
تجدوا النهار من الدجيـة والصباح من المسا
وانا الذي لبيتها وطفيت علتها بماء [بما]
واقول انك لي وللصهباء من اهـل الوفا
فانهض الي فيومنا يوم المسرة والرخـا
مع فتية مثل النجوم الزهر في كبد السما
لا تتعدن عن لـذة كل يوول الى الفنـا

وسبرت الاخرى فصادفتها تعرب عن تلخيص عجيب . وتجنيس [٩] غريب . ويتلوا ابياتها . نثر كالدر المنثور . والروض الممطور . فنظرت الابيات لوقوع موضعها من قلبي . وحلول حبها في خاطري وبالي وهي شعر :

ايا من غدا ذخري لكل ملمة نلمّ فلا زيد سواه ولا عمرو
هلم الى الراح التي كان صاغها لنا دهنا من قبل ان يخلق الخمر(١)
وبادر(٢) فما اللـذات الا غنيمة(٢) فشمر(٣) اليها قبل ان ينفـذ العمر

فلما انصرف تابيذاه بالرقـاع . ورمي عن كفه الطرس واليراع . جعلت اعجب من سرعة خاطره الذكي . وطيب نشر نظمه الفايح الزكي . ثم قال لو شاهدتني في زمـان مضى . ودهر سلف وانقضى . ابصرت خاطرًا كالقضآ . وفكرًا اشد نفاذًا من جرات القضآ . ولكن مع ما دهمني من قلة الدخل . وضعف الجسم وهذا جميعه عندي سهل . اذا اعتبرت احوالي مع هذا التذل .

١) يذكر شيخو المجز كما يلي : لنـا دون خلق الله في دهنا الخُمر . (الخمر سريانية معناها الدير والكنيسة) .
٢) يذكر شيخو الصدر كما يلي : فبادر الى راحٍ تجد فيها راحةً .
٣) شَمَّ وشـر .

فوحقك لقد اشغل خاطري . واسهر ناظري . وقسم ضمايري . وهدّني وحطمني واقلقني . [١٠] واسقمني . ومن جملة خزياته انه يتصدى لاوقات تجتمع النسا الى القبور . فيسارع الى هناك من غير فتور . ثم يقف علي قبر قبر فيصلي عليه . ويرفع الى السما يديه . كانه يطلب الرحمة لذلك المدفون . ويطوف على القبور كالمجنون . فمتى عوّل على الانصراف تقدم الى النسا وترحم علي الاسلاف . ثم يقول لا حاجة الي كثرة البكا علي الاموات . فاكرامهم هو بالصلوات . والقوانين والحسابات . وان كان الانسان لا يصبر . والعالم لا يغدر . ثم اذا عرف منهن من لها ميت ينظر اليها ويرسل الدموع مثل السحب . ويقول لقد كان فلانا اجل اصحابي . واعز احبابي . شهدت الله ما قربت قرباناً الا ترحمت عليه . ولا وقفت في هيكل الله الا وذكرته لديه . وبالجملة فهذا هو شغلي وهذا هو عملي . وان كان غيري لا يلتفت الي هذه الامور . ولا يرضى ان يخرج الي القبور . ولا يلوي الا اذا استوت القدور . ويوهم للناس انه حريص علي الصلاة . ويرخص الحسايات [١١] والبراخات . ولو ابصرته ابصرت حماراً ناهقاً . وتيساً ناطقاً . فبينا هو يحادثني . ويخبرني احواله مع رفيقه المذكور . الا وقد اقبلت رفقته القسوس مثل البدور . يرفلون في اثواب الهيبة والجمال . ويسحبون ذيول الوقار والجلال . فلما جلسوا بعد سلامهم . جعلوا ينثروا لواز كلامهم . ويسالون عن قدومي وامري . وهو يقدم في القدوم بغدري . ويقول رجل غرّ بهذا المكان . وقد اخبرته باحوالنا في هذا الزمان . وهو معول في غدٍ على الانصراف . فاحببت الاجتماع به على السلاف . فما فيهم الا من شكره على فعله . قايلين ابا الفضل ان يكون الا لاهله . وجعل يورد اليهم حربات رفيقه الملعون . وهم يوافقونه على جميع الفنون . وانا انتظر الطعام . واطيل النظر الى الظلام . فالتفت اليه الراهب عبدالمسيح . قايلا له بالمجون المليح . العلك قد دعوتنا للسب الحاتم . او كانا جالسين في ماتم . اين البراطي والطاسات . [١٢] واين الصواني والكاسات . مضي نهارنا في ذكر ذالك الشيطان . دعنا من قبايحه وعجل باينه الدنان . قال ليس تكرار ذكره من افراط محبته . لكن لما قد زلت من مكره وحيله . فاشغل الله خاطره كما اشغل سرّي . وقسم فكره كما قد قسم فكري ثم التفت الي تلميذه ينشد :

سمرٌ[١] ذيولك لي عرا الزنار وعليك نحو الدن بالمنقار[٢]
فلقد يعجز [×] في راسه من وطية الايام والاعمار[٣]
واكشف تجد شمس الضحا محجوبة في جنح ليل القار والفخار[٤]
قالوا العقار ولو اضاً لعقولهم مقدارهـا ما سميت بعقار[٥]
نور ينوّر العقول ضياؤه من علة الاضوا والانوار[٦]
سرٌ امر به الى اتباعه نورُ[٧] العقول وكاشف الاسرار
قد قلت لما ابرزت في كاسها نفس اللالي باعوا الطلا بنظار[٨]
مالوا الى الـدينار قلت عُدمتكم أدمُ المسيح يباع بالدينار
قد كان قبلهم يهوذا بايعاً دمه بترر التزر للكفّار

[١٣] عجّل يا ولدي بها فوحقّ من تجسّم من الجبلة الادميّة . وقال هـذا دمي لخلاص البريّة . ما تعوضت عنها درهما ولا دينار . ولا اقتنيتها بائعاً ولا خمار . وانما ادخرتها لعار في قدرها . وللخبرا بحقيقة امرها . والذين انكشفت لهم غوامض سرّها . وقد حضر اجلُ اصحابها وذويها . وارباها ومستحقيها . فبادر نحو الدن بالمنقار . وابرزها لي الكاس مثل شهاب النار . فنظر اليها القس واشار الى التلميذ بغير اعتبار . وانشد :

نور بكفك ام شهاب النار جمرٌ[٩] تضرم ام نضار جار
شمس الضحا في الكأس ام فجر نبم صبحـه من تحت ليل القار
هذي التي مزج المخلّص كاسها في يوم عيد الفصح للاطهار
هذي التي حلّت بها اشجارها[١٠] عن سائر الاشجار والاثمار
كالنور[١١] لكن حمرة في خدها من لطم اخمص ارجل العصّار

١) ش اشدد
٢) يذكر شيخو العجز كما يلي : واعجل الى دنٍّ طلي بالقار .
٣) لا يذكر شيخو هذا البيت بكامله .
٤) يذكر شيخو هذا العجز كما يلي : قدماً مدى الايام والاعصار .
٥) لم يذكر شيخو هذا البيت .
٦) يذكر شيخو هذا البيت كما يلي :

نورٌ يفوق سناءُ كل طريقـةٍ من ساطع الاضواء والانوار

٧) ش ربٌ .
٨) يذكر شيخو هذا العجز كما يلي : نفس الذي باع الضيا بغبار
٩) ش جمر . ١٠) ش انوارها ١١) ش صفراءُ

لما رمت منها الكثيف تمكنت[١] فتلاعبت[٢] بلطايف الافكار
وكذا النفوس اذا رمت شرارها فويت[٣] لملم[٤] غوامض الاسرار

[١٤] فلما وقفت الجماعة على اياته الفاخرة . واعادت النظر في ابتكار معانيها الباهرة . صارت الخواطر في انفاذ خاطره . وسارعت اكف الافكار الي تلطف جواهره . فطفق القس شمعون يقفوا في النثر اثار قوافيه . ويعسف خاطره او [×] فلا فيه . قايلا لنا وحق الذي حجب ذاته عن لطايف الافكار . فهو نور الانوار . وسر الاسرار . لو سطرت مقاصد هذه الاشعار . بانامل شرار النار . واقلام شهاب الجبار . على صفايح الفضة . والنظار . لاستحق قدرها هذا المقدار. قلت له لقد قمد مدحك عن واجباتها. وعجز شكرك عن مفترضاتها. بل والذي انار العقول والافكار . بما افاض عليها من الخيرات الالهية والانوار. لو سطرت هذه المعاني والاشعار . انامل الفيض السماني والانوار . باقلام الحبر الاهي . ومداد الاسرار . على طروس العقول [١٥] والافكار . لما بلغ قدرها ما يستحق من المقدار . ثم عاد صاحب الدار الى تلميذه قايلا علي بالطاسات . والقناني والكاسات . وأدر الاقداح لتدور معها الافراح . ثم نهض ودخل داره . ونظري يقفوا مواقع اثاره . طمعاً في احضار الطعام . قبل يطوف علينا كاسات المدام . فغاب ساعة طويلة ثم عاد . وليس معه شي من الزاد . وغالب الظن والاعتقاد . انه تناول شي من الزاد . فلما جلس في مكانه . عاد يقول لاصحابه واخوانه . ما ابهى مجالس العلما . وما احلي محادثة الفضلا . سيما اذا طاف كاس المدام . وفي اثره خاس الكلام . وقد جمع الله بين الامرين. والنقل بين الفيتين . فليكن طاين الشراب. يقفوا اثار شافي الخطاب . وعوض السماع الطبيعي . السماع العقلي . ولنجعل نقلنا المحادثة . ومشمومنا المباحثة . فما يسمح الزمان في كل يوم بالمسرات . ولا يتفق [١٦] في كل وقت الاجتماع في الخلوات . ثم انشد في الحال :

---

١) ش تجوهرت
٢) ش وتلاعبت
٣) ش فازت
٤) ش بعلم
٥) النقل هو ما يؤكل كالفستق وما شاكله .

واحلا الدرات ما راحا سماع العلوم ونقل الكلام
ولولا الحاديث مع العارفين لما ند لي قط طعم المدام

ثم قال لتلميذه يا بارد اما علمت انني ما ادخرت هذا العقار الا لمثل هذه السادة الاطهار . فالآمَ تحبس عنان طرف الكؤوس . عن ميدان اكف القسوس . عد الي المراخ وادر الراح . ثم وثب واخذ الكاس ومرخها والتفت الى الجلاس . وجعل ينشدهم وهو يسقيها في ضو النهار . وهي في كفه كانها شعلة من النار :

لو لم تك الراح لا شبه لجوهرها ولا يماثلها في اللطف مشروب
ما قال سيدنا والكاس في يده هذا دمي لجلاس الخلق مسكوب

ثم دارها على الحاضرين مترعة الكوس . وانا اتعلل عن شربها دون القسوس . فقال لي يا اخي ما علمت انك [١٧] حشوة الهموم . وقلب ملوه القلق والغموم . ثم لوي عنقه نحوي . وجعل يحرك راسه قايلًا لي . يا اخي اما طلبك فقد صاب . وسهم قصدك فوالله ما اصاب . اي رزق بقي في القانية . ام اي معيشة تخلفت للمنتهي الي الامور البيعية . والله يا اخي لم يبق لهذه المنزلة حرمة . ولا لاهلها قدر ولا لاصحابها نعمة . ولا لاربابها رزق . ولا لسعادة حافظها عرق . ذهب زمانها . ومضى اوانها ورثَّ بنيانها . وتناقضت اركانها . لله ايامي وانا في هذا المكان وحدي لا قسّ يشاركني . ولا رفيق يباسيني . ولا ضد ينازعني . بل انا الماجد الفاخر . الناهي الامر . الفاضل الفايق . النبيل الرايق . ذو الامر العظيم . والحكم الجسيم والقدر العلي . الشاغل السني . لا امر فوق امري . ولا قدر فوق قدري . اخذ حقوقي كاملة تامة . من الخاصة والعامة . وكان [١٨] حسبي يا اخي بما كان يحصل لي من العادات . والبراخات والقرانين والحسايات . فاما الجنازات فلا تنسها . وكان اقبالها قد هزم عكسها . لقد مر لي بها زمان كان اعذب من زمان الصبى . وهب لي بها نسيم كان اطيب من نسيم الصبى اياماً كنت لا اقع الا بيد العزيز الكبير . ولا الوي الا على الرئيس القدير . والموت يركض خلف الناس ركضاً . والجنائز تتلوا بعضها بعضاً . وانا في غبطة عذبة الينبوع . ولذة باسقة الفروع . ومسرة غدقة الهطول . وبهجة مستمطرة الذيول . لا انحز من دفن هذا . الا وقد مات هذا .

ولا اخبار بالجنازات في بعض الاسواق . الا والصراخ على غيرهـا من ساير الافاق . اظل نهـاري ادفن الاموات بحضر من الجمع . وكم من مرة دهمني الليل . فدفنت اناساً على [×] . فلو شاهدت يا اخي تلـك الايام الغر . وحضرت تلك المواقف [١٩] . . . . (هنـا وقعت بعض الصفحات من الكتاب) الى تلميذه قايلًا . اتني بالطعام عاجلًا . وعاد الى اصحابه يقول . اي الذنوب عند الله اشر . ام اي الخطيات اقتل واضر . اقول ان الشره اردي الزلات . واقبح الجهالات . وقد بان وظهر . وعرف واشتهر . ان الشره قتل آدم ابو البشر . وهو كان سبباً لهلاك الـذرية الادمية . والجبلة البشرية . ولو احتفظ ادم بالوصية. خلد هو وذريته في الجنان الروحانية لكن قتله الشره وحب التمرد . ونسي الوصية ودنا الى الشجرة . اكل فهبط . وشره فسقط . ثم لزمت خطيته ذريته : وواصلت زلته جبلته . ثم ان جميع هـذه الفواحش والخطيات . وساير هذه الاثام والزلات. ظهرت من اصل هذه الشجرة المرة . فاثمرت الثمرات القتالة المضرة . قلت له اذا كان الاكل عنـدك اقبح الخطيات . فلا شك ان الجوع على رايك اجلّ الحسنات . وانشدته على سبيل المداعبة . وان كان باطن الخطاب ضرباً من المعاتبة .

[٢٠] شعر

اذا كان جوعي رفقتي ومحاسني لديكم وفضلي زلتي وذنوبي
فلا واصلتني رفقة ومحاسن ولا فـاصلتني زلتي وعيوبي

اجابني قايلًا ا‌ه‌ا انت فقد زغت عن منهاج قصدي . واما انا فقد عرفت شر جدي. هكذا ابدًا نظن في تضحية الخيانة. وفي هتكة غيري الصيانة. اتري قبيح ما ذكرت عن الشره . وما يصدر عنه . وما يحدث من المضرات وما يوجد منه . يعز علي فقد الزمان من العلما . وصفر اكف الايام من المعلمين النجبا . اين انتم مما شرحوه من شهوة البطن . والفصول التي اوضحوها في هذا الفن . وانما قد غلبت على نفوسنا الشهوات البهيمية . وقهرتنـا الاهوية الردية . حتى صارت الجهالات عندنا كالحسنات . والخطيـات كالخيرات . ولو انا نظرنا الى انفسنا بالعين الخفية . ووزنا امورنا بالميزان المدلية . علمنـا ان الانسان لم يخلق لمجرد المشارب والمآكل . لكن لتعلم العلوم والفضايل. ونحن قد شغلنا الاهتمام

بنا [٢١] يوكل عنا بعلم وبنا يشرب عنا يفهم . ان هـذا المرض الاعظم . ثم وثب هو يترنم :

ار دابنا الشره المردي وقد عقلت عقولنا عن ردا (ردى) سبل المضرات
ولو عقلنا علمنا ما نفود لنـا من المضرة في حبل الخطيـات
ندعوا لاجسامنا الفضلات عدبة الامراض من كون اسباب العقوبات
وللنفوس مع الايام ما رفعت تلك الذنوبات من هدي التجارات

فما نجز الابيات الا وقد اقبل الغلام . وعلى يده اول الطعام . فاحضر لدينا من البوارد اغرابها . ومن الحوامض اعجبها . ومن السوادج اعذبهـا . ومن الحلوى اطيبها . ثم قدم خروفاً الطف من سرابه . واسمن من احبابـه . نشر العود ينفح من رائحته . وطيب العوافي يلمح من جوذابته . فلما راني اطيـل النظر الى الزبادي القاشانية . والصحون الصينية [٢٢] والالوان الغريبـة . والاواني العجيبة . ثم اعيد الحاتي في الكاسات والقناني . والبواطي والصواني . قال مشيراً نحوي بالخطاب يا اخي هذه ثمرات تلك الشجرات الفاخرة . وهذه الانوار من شمس تلك الاوقات الزاهرة . هذا الصحن الصيني من تركة فلان . حمله الي علامة ليلة القربان . وهذه الزبادي الصغرى . المجرية بالتبري . انتقلت الي من بيوت المحتشمين . الرووسا المتصرفين والظرفا المتخصصين . ايام نقلهم الله من هذه الدار الفانية . الى الدار المخلدة الباقية . فاما الفراغات القاشاني . والاقداح والقناني . فلهذا اسباب طريفه . وحكايات ظريفة . كان اذا مات بعض الكبرا . او سلف احد من الروسا . من افراط حزن زوجتـه . يهم بكسر اقداحه والته . فيقول لهـا من حضر تكون له هذه الانية تذكار وقربان . ولا تصير من حظ الشيطان . فكانت تحملها الي وتحضر جميعهـا لدي [٢٣] وتتقل باخذها علي . وتطلب مني في مقابلة ذلـك التذكار في الصلوات . والدعا لمن سلف ومات . فان سلفت بعض النسا لمثل هولا الرووسا . كلما دخل الرجل فابصر منازلها واعاد النظر فيما قلبت اناملها . ثم يلتفت الي الفراغات التي تمسلها . وترفعها وتنقلها . امطرت عيناه بالعبرات . وبادر فواده الى الزفرات . وتلقل قلبه تلك الحسرات . فيقول لغلامه لا قلبت لي يبصر هذه الصحون والزبادي . ولا يوافقني ضميري ان اعطيها للمنادي . اولا ليلا يفرح بيعها

صميم فوادي . وثانيا لاجل شماتة الاعــادي . وثالثاً لما كان لصاحبتا علي من الايادي . فبحناني عليك اما حملتها الي قسس بيعتنا . ومقدم شريعتنا . ليذكر المرحومة في صلواته . ويترحم عليها في قداساته . فتحمل اليّ في الحال . من غير اغفال ولا مطال . فوت الرجال كان يقود إلى الات المدام . وموت النسا كان يحرك لدي فراغات الطعام . [٢٤] هــذا سوى الملابس والثياب . التي كنت احق بها من التراب . واما هذا الخروف وجوذابته وهذه اللبنيّة . واللحم اللطيف الذي في السماقية والبورانية . والطيور المشوية والمقلية . فلهــا الحكايات الغريبة السنيّة . اعلم انه كانت لي نعجة صغيرة في السن . عجيبة في السمن . سلمتها في العام الماضي . الي راعي اغنام القاضي . وكان في الغنم كبش كبير . للولي الاجل الوزير . انعم به عليه الامير . وكان هــذا الكبش من اغنام العرب . يجر طرفه مثل الذنب . الا انه كان بديعاً في صورته . يرهب الكباش من هيبته . وكانت هذه النعجة لا كردية . ولا تركانيــة . لكن مجنسة من الجنسين . كالفرع الظاهر من اصلين . فعــادت اليّ في بعض الايام وهي من الكبش عشار . فاحتفظت بها احتفــاظ المفلس بالدينار . وجعلت اطعمها الشعير المفسول الاسود . واسقيها الما العذب المبرد . الى ان ولدت هذا الخروف [٢٥] الموسد . وفطنتهُ من الجنس الاعرابي . واعتداله من الاصل الكردي . وسمنته من التركاني . ولقد ظلّ هو وامــه طول الصيف يأكلان الحب . ويشربان الما المبرد العذب . فلما فــاق حسنهما . وظهر سمنهما . الي ان كاد يسيل دهنهما . اتفق هذا اليوم المبارك . الذي ليس له في الايام من مشارك حصّلت من راس الخروف الكوارع وابن النعجة امور اللبنيّة . ومن الخروف مثل هذه الشويه . ومن النعجة السمينة [×] . هذه الالوان العجيبــة : والطبايخ الغريبة . واما الطيور فمن انعام المولي الكبير . الصاحب الكامــل الوزير . نفذ بعضها امس بعد العصري . وبعضهــا اليوم من الفجري . وبالجملة فقد يحصل لنا ما نريد من المراد . فقم يا اخي وبارك على الزاد . فما خرجت الكلمة من بين شفتيه . حتى دنوت الى الطعام وصليت عليه . فلما اكلنا يسيرًا من البقل . وهو يمدح حموضه الخل . الا وقد تذكر القرعة . [٢٦] انه يوم الجمعة . فوثب يخبط كفا على كف . كمن اقبل على امر مهول او جدف .

ويقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . ويعوذ بالله من هذا الامر الشنيع والخطب الجسيم . اي شي اهلك شعب اسرايل . الا اهمالهم حقيقة الشرع وميلهم الى الاباطيل . يا اخوتي هبوا اني انا مستقل السر منقسم الفكر من اسباب كثيرة . كيف تغافلتم انتم عن هذه المعضلة الكبيرة . او ما علمتم ان يوم الجمعة من اشرف الايام . وان اكل الدسم فيه حرام . وكيف لا نندب نفوسنا ونحن من جماعة القسوس . ومنا يعلم حقايق الناموس . ويغفل عما يكون الناموس . ونغفل عما يكون فيه هلاك النفوس . ارفع باعلام هذا الطعام ولا تدع سوى البقل . ومعه جميع الخل . فمتى غربت الشمس عند العشاء . اتحفنا بهذا الغداء . فوحقك من حيث كنت صبياً وغلاماً . ما رفضت لئاماً وما حللت حراماً . فما خرجت الكلمة من فيه . الا وقد رفع الطعام عن بكرة ابيه . [٢٧] فعمدت استعمل من البقل والخل . وجعلته من الباقي في اوسع حل . وتاقت نفسي الى ارتشاق ابنه العنب . فلما سددت جوعتي . وشغلت بذلك الغدا معدتي . جعل يطيل النظر الي . قايلا كأنه يشفق علي . ما هذه النية لمن له ارب اللبنية . ولا هذه الطوية . لمن بقي له غرض في الشربة . ثم انه التفت الي الغلام . وقال حيث الان قد استغنينا أدر كوس المدام . بحيث يطوف ايضا اقداح الكلام فطفق الي الكاسات فاترعها بالعقار . وكان بها على الجماعة يحكي الجار . فلما وصل الي احضرها لدي . ثم انشدني بصوت جامع الاطراب . ولفظ جاري الاعراب :

خذها مكالة در مطرة بحمرة الند فيها المسك مفتوت
كأنما الماء اضحى جامدًا دررًا وهاك في بوتق البلور ياقوت

فلما اخذتها وتناولتها كاس بعد كاس . التفت الي الجلاس . قايلاً للراهب عبد المسيح . لقد كاس صاحبنا طرزك بفنون المديح . ونسبك الي اللسان الفصيح . واللحن المليح . فاخبرني اي العلوم [٢٨] البيعية عرفت . ام اي الفنون الشرعية سعفت . واي ضروبها اتقنت . ام اي فنونها حققت . قال انني من حيث الزمن القديم . ومن ايام التعليم . ما ارتاحت نفسي الا الي الالحان . فاتقنتها غاية الاتقان . وبالجملة من حيث اول الزمان . ما جال جواد همتي في غير هذا الميدان . قلت له لقد ارتحت الي اجل الصنايع . وتاقت نفسك الى افخر البضايع . واشغلت نفسك بالعلوم الموسيقية . واهلتها للصناعة الارغنية .

فتراك ان سالت عن بعض علوم هذه الصناعة . او طلبت باظهار هذ البضاعة.
انت قادر على الخطاب . ام عندك لما اقول جواب . قال اجل والذي جعل
الاذان . ابواباً للالحان . لست بعاجز عن جميع اصنافها . واني لقايم بسائر
اوزانها واوصافها. فسل لا بل جراد لسانك. وقل لا قلّ مداد ثيابك قلت بل
وانت تظن انني اسيلك عن الفرق بين الالحان. فيقول اعرف ذلك من الحركات
والاوزان . او تقول انني اسلك من كان المرتب [٢٩] للالحان من
اول الزمان . فتنسب ذلك الى الحكما . القدما . او الفلاسفة النجبا . اهل
العلوم الرياضية . والخبرا بالصناعة الموسيقية. فلا تظن انني اسيلك عن الاقاويل
كيف كنه ترتيبها . ولا عن طرايقها واستخراجها وضروبها . فتقول ان
المعلمين القدما والملافنة الفضلا . نقلوا البعض عن الالحان اليونانية . ورتبوا
البعض على وفق الاصول الموسيقية . واما سوالي عن اصول صناعة الالحان .
واريد منك اقامة الدليل والبرهان . وقد اعددت لك خمس مسايل . وازفها
لك في افخر الغلايل . فان كنت عارفاً باصولها . سالتك عن كنه محصولها .
قال سل فاني مجيب عن سوالك . وقل فما ها هنا من يقعد عن جواب مقالك .
قلت اخبرني يا من عرف الالحان وخبر حركاتها . وعلم ميزاتها وسبر كسراتها.
لم كانت الالحان ثمانية في العدد . لم تنقص ولم ترد . الثانية ثم بيّن لي لم كانت
الاربعة منها تشابه الاربعة. ولا تعدل عنها.[٣٠] الثالثة ثم عرفني اهلٌ لها امزجة
طبيعية. ام هي امور عرضية. الرابعة ثم اكشف لي اسرار امزجتها. وتضادد فعلها
وقوتها . الخامسة فصل لدى المطرب منها والمحزن . والمشجع فيها والمذلل .
اجابني والتبسم ظاهر من ثغره . والتعجب لايح من سره وجهره . لا والذي
خلق الالحان . ورتب لها الكسرات والاوزان. ما قرعت اذني هذه الكلمات.
ولا خطرت لي هذه اللفظات . ولكن سالني عن كسرات الزمارات. وتصحيح
نهايات الهلالات. وتحرير المانيث على اصلاح المقالة الزهاوية . وتلاوة القوانين
اليونانية . على موافقة النهاية المطلية . فانني اورد ذلك لديك بصوت يخجل عند
حركاته الارغن . ويفتن لشجوه الشجي المفتن . قلت يا اخوتي اما رسوم العلوم
البيعية فقد درست . واما السن الفنون الشرعية فقد خرست . اقلت والله
اقمارها . وخفت اسرارها . واقست انوارها . رما بقي لنا من شروط

[٣١] الالحان الموسيقية . واصول الترتيلات البيعيّة . سوى اجتناب الملوّحات والحموضات . خوفاً من تخشين الحلق وكانها هي المفروضات . واستعمال الصمغ العربي والنياب لتقطيع البلغم . شرك لصيد المسجد والطلغم . والمشابة بتطليم عطر مرعشي . او بيت ملطي . او زمار رهاوي . او هلال مشرقي . والتصدي لوقت من اوقات الاعياد . وترقب احد المواقف والاحاد . فان كان يا اخوتي من ذوي الحماقة . وارباب الجهل والبراقة . فاسمعوا طريقته . وافهموا قبح سيرته . تراه يدخل الى البيعة وانفه على كتفه . وينظر الى قدامه وخلفه . ويتمايل يميناً وشمالاً . ويتيه اعظاماً واجلالاً . ويضحك من مقاله هذا . ويبتسم من لحن هذا . حتى كان واضع الموسيقى . او كانه ارغن لكل لحن حقيقي . فاذا تقدم الى رفقته . جعل يعبر يده على لحيته . وينكس عمامته على جبهته . ثم يطيل النظر الي الكتاب . ويطرق [٣٢] ويرفع راسه ويدمل ويبصق . ويقول هذا البلغم قد قتلني . وسد حلقي وامرضني . حتى اذا ميّل راسه . ورفع صوته وضاقت انفاسه . رفع صوته واعاد الكسرات . ورجع لحنه وحرك النهايات . فان كانت زوجته تنظر اليه . والجماعة تثني عليه . فمن شمعون الصفا في رياسته . ومن فولوس في بلاغته . ومن باسيليوس في دقايقه . ومن يوحنا فم الذهب في حقايقه . ولو سالته بعد ذلك عن معنى كسرة من الكسرات . او عن حركة من الحركات . او عن حقيقة نهاية من تلك النهايات . نسب السؤال الي الهذيان . واعتقد في الكلام غاية الزور والبهتان . اجابني صدقت والذي تعظم عن المواد . وجلّ ان يدخل تحت الاعداد . لقد عرفت طريقة الجهلا من هذه البيعة . وسبرت لعمري احوال هذه الشريعة . ولست من الذين ينفرون عن الحق . ولا ممن لا يفرق بين الكذب والصدق . ولقد اضرمت في قلبي نارًا لا تخمد [٣٣] لشهابها ولا لبرد حرارة التهابها . وازعجتني بمسالكك الباهرة . ومقاصدك الفاخرة . فان كان عندك لها تاويل . فاغتنم الشكر العريض الطويل . وانعم بكشف اسرارها . لنستضي بمصابيح انوارها . وسهل وعور اشجارها لينتفع بقطف اثارها . قلت ان كنت لذلك اهلًا . فلن تري عندي بخلا . لان الزماد لا يقيد على الاطلاق . اذا لم يكن الاستعداد في الحراق . قال قد اهلت نفسي لما اشرت . واعددت خاطري لما ذكرت .

انعمت بما وعدت واعدت عليك فصول مسايلك. والتقطت حينيذ درر فضايلك. قلت سل عما بدا لك . وخذ الجواب عن سوالك . قال اقسم عليك بالعلة الاولى . ما كشفت لي سر المسلة الاولى . لم كانت الالحان ثمانية في العدد . لم تنقص عن ذالك ولم ترد . قلت اسمع لا تمل سمعك . ولا هطل دمعك . لما كانت القوة السمعية من جملة الحواس الجسمانية . وكان جميع ما يورد على الحواس . مما يوكل ويشرب ويشم ويبصر [٣٤] ويلمس لجميع الناس . له امزجة ثمينة وكانت الامزجة ثمانية وجب ان تكون الالحان ثمينة . بحيث لا ينقص حظ الحس السمعي عن حظ اصحابه بل يصدر اليه من الكيفيات ما هو احرى به فوردت عليه الالحان الثمينة. ذات الامزجة الثمينة . فلهذا المعنى لم ترد الالحان عن الثمينة . ولم تنقص منها . كما لم تنقص الامزجة الثمانية الواردة عن الحواس ولم ترد عنها . قال لله درك فما افخر درك . فبحق العلة الثانية الا اظهرت لي معاني المسلة الثانية . لم كانت الاربعة من الالحان تمازج الاربعة في ساير الحركات والاوزان . قلت اسمع لا ظل علمك . ولا اعتل فمك . ان الكيفيات الواردة على الحواس . اذا اعتبرت بالبرهان والقياس . لا يمكن ان يوجد على وجه الانبساط والانفراد . بل ثمانيتها تعود الي الاربعة في تركيب امزجتها وفي الاعداد . مثل قولنا ان الحار لا يوجد الا وفيه اما يبس واما رطوبة . ولا الاول الا ويمتزج معه الخامس ليظهر تركيبه . [٣٥] ويعتبر ذلك ايضا من الاربعة اخلاط . وكونها لا توجد امزجتها على وجه الانفراد . والانبساط بل منها حار فيه الرطوبة . وحار فيه اليبس . وبارد فيه الرطوبة . وبارد فيه اليبس . وهي اربعة اذا اعتبرت عند تركيب امزجتها . كذلك الالحان الثمانية عند تركيب اربعتها . فالاول ممتزج بالخامس . والثاني يقترن بالسادس . والثالث يشابه السابع . والثامن يوافق الرابع . ولهذا كانت الاربعة . من الالحان يمازج الاربعة . في ساير الحركات والاوزان . قال لقد ارويت بسحب الفاظك غلتي . وسقيت بادوية معانيك علتي. فبحق الصفة الذاتية الثالثة الا بينت لي معاني المسلة الثالثة . هل لها امزجة طبيعية . ام هي اصوات عرضية . قلت اما الالحان الثمانية المحررة الحقيقية . فلها امزجة طبيعية . وهي ترد علي القوة السمعية . بمنزلة ما يرد مما يوكل ويشرب على القوة الذوقية .

وكما ان الناس لاختلاف امزجتهم . تختلف لذات شهواتهم فيما يلتذون مما يأكلون [٣٦] ويشربون . كذلك تختلف لذاتهم في معني الالحان . وسوف يظهر ذالك مما ياتي من الكلام بالدليل والبرهان . قال لقد هيجت اشواقي الي استفهام معانيك النافعة . فبحقك الا اظهرت لي غوامض المسلة الرابعة. كيف ترتيب امزجتها وتضادد فعلها وقوتها . قلت يا اخي ليس الالحان. مما يلتمس. فتعتبر باللمس . ولا مما يذاق فتعتبر بالذوق . ولكن لما كانت القوة السمعية الطف الحواس الجسمانية . كان ما يرد عليها من الكيفيات الطف من الماكولات. والمشروبات . وكان في الالحان قوي طبيعية . وحركات لطيفة حسية . يظهر فعلها في الامزجة البشرية . عند ورودها على القوة السمعية . فيعتبر امزجتها من الحانها واوزانها ونغماتها . وحركاتها . ولذعها وحلاوتها . وحزنها وكآبتها . وطيبها وحدتها . وغلظها ورخامتها . وثقلها وخشونتها . وانني اوضح لديك تفصيل امزجتها عند تركيبها . واغنيك [٣٧] عن طول الكلام علي بساطتها بحسن ترتيبها . اعلم ان الاول والخامس . مزاجها حار رطب لان فيها لدغا واطراباً وحدة تدل علي الحرارة . وحركة رطبة لذيذة تدل على الرطوبة ... والثاني والسادس مزاجها بارد رطب لان فيها حركة قلقة رخمة تدل على البرودة. وحركة لطيفة لذيذة تدل على الرطوبة . والثالث والسابع مزاجها حار يابس لان فيها حركة لذاعة كيبة تدل علي الحرارة وحركة محزنة حادة تدل على اليبس ... والرابع والثامن مزاجها يابس لان فيها حركة غليظة رخمة تدل على البرودة وحركة ثقيلة خسة تدل على اليبس . وتظهر قوى هذه الامزجة في امزجة الناس . فيعتبر ذلك بالقياس . ففي الناس من يستلذ من الالحان الاول. ومنهم الثاني ومنهم الخامس ومنهم السادس . مثل ما فيهم من يستلذ الخاو . ومنهم الحامض . ومنهم الدسم وفيه المالح . وذلك لاختلاف الامزجة البشرية . [٣٨] واختلاف ما يرد عليها من قوي الكيفيات الطبيعية . فالذي تكون المرّة الصفرا غالبة عليه . فالحامض من المآكل لذيذة عنده . ولديه الثاني والسادس من الالحان . فقد اظهرت لك فيها طريق البرهان . فاعرف الباقي بهذا الميزان . وقد عرفتك المعنى على وجه الاختصار . فقس عليه بغير اضجار . وسوف اشكل ذلك لديك واشجره . واجليه في تصويره واظ(هره) . قال كل

لي المسئلة الخامسة وعد الي تصويره. وتمم سوال هذا الفصل وارجع الى تشجيره. اي الالحان المطرب وايها المحزن . وام هو المسجع وايها المدلل . قلت اعلم ان المعلمين النجبا . والملافنة الفضلا . ما رتبوا الالحان عبثاً وجهلاً . لكن علما وفضلاً . فجعلوا لكل عيد من الاعياد ما يليق بذلك العيد على الانفراد . ورتبوا لكل وقت من الاوقات . ما يحسن بذلك الوقت من الالحان والنغمات. فاما المطرب من الالحان فهو الاول . وينضاف اليه الخامس بغير بهتان [٣٩] فلذلك كانا في اعياد الافراح . فاعتبر ذلك من غير اطّراح. وان شيت أظهرت لك ما تطلبه . بحيث تعرف حقيقته وتفهمه . الا تعلمّ ان الاول وضع في العيدين الفاخرين . والموقتين الطاهرين . عيد الولادة المسيحيّة . عندما بشرت الملايكة بخلاص الجبلة الادميّة . وعيد القيامة الالهيّة . حيث كان سبب قتل الموت والخطية . وقد علمت ان لا فرح يشبه هذين العيدين . ولا بهجة تماثل هذين الموقفين . والخامس كان في يوم اصعاد المخلص الى السما . واعاد الجبلة الادمية الي المنزلة القديمة العليا . واما المحزن وهو الثالث . ويقترن اليه السابع. ولذلك كانا في اكثر الامر في الجنازات . والاجدر بهما دفن الاموات . واما المشجّع فالرابع ورفيقه الثامن . وقد نجد ذلك في اكثر الامر لجهاد الشهدا. ومعاناتهم اكثر الشدة والبلا. بحيث يتشجع السامعون الي ما يسمون[٤٠]ولا يفعل الخوف فيهم فيذلّون . واما المذلل فهو الثاني وينضاف اليه السادس فلذلك وضعا في وقت الذلة والتواضع والآلام . اعني الاسبوع الذي تالم فيه المخلّص عوضاً عن الانام . فان انت قست ما شرحت لك حصّلت الفوايد والفضايل . وهذه غاية الخمس مسايل . اجابني قليلاً والبشر لايبرح من ابتسامه . والدرينير من اظلاف كلامه . جابت والله الافهام . وبهرت الافكار والاوهام . ولقد اعددت لاهل البيعة نعم الفوايد . ونثرت علينا من مسايلك نعم الفرايد . فحيث الان قد انعمت بما علمت . وتفضلت بما فهمت . فلا تنحلن كما وعدت بالتصوير . واظهار فنون المسايل في التشجير . قلت اجل والذي يخاص صاحب الدار . من رفيقه المنافق المكّار . سوف اصور ذلك علي سبيل الاختصار . واعود الى تناول كاسات العقار . فاخذت القلم والطرس في الحال [٤١] فلما ابصرت الجماعة . ما ادعت المسايل من هذه الصناعة . عادروا النظر في استفهامها . وعرفوا

مقاصدها من تشجيرها ونظامها . طفق صاحب الدار وفي يده كاس العقار . وهو يقول ايها السادة الاخيار . والقسان الاطهار . بالله ان يومنا هذا ليوم عظيم . وان وقتنا لوقت كريم . وقد جملنا الله بهذا القس الكامل . وفايدة ما اورده لدينا من هذه المسايل . وما شرح في تاويلها من الدلايل . ولكن كلما تذكرت هذه المسرة . وفكرت في انصرافه في غد من بكره . تقلقني لرحيله الوحشة . كما دهتني عند قدومه الدهشة . فيا ليته وهبنا نفسه ولو يوم واحد في كل ملته سنين . في حياة من هولا السادة الحاضرين . لكن عند الحقيقة ما [×] اذقة ماردين . ثم التفت الى تلميذه قايلًا يا ولدي متى يعود هذا المحتشم الى ديارنا . ومتى يرجع يأمّ فنا دارنا . وقد تكاملت لنا اليوم [٤٢] الافراح باستماع هذه المسايل الملاح . فادر علينا الارطال والاقداح . فقد ازف ان يزف الينا كروس الراح . ثم تحياتي عليك حيث الان قد اطربتنا لمسايل الالحان. فلا تخرج بنا عن الركض في الميدان . وانشد لي الابيات التي اقترح عليّ عملها المولي الوزير في دير سيلان الكبير . ونحن يوميذ نسحب فيه ذيل السرور المريض الطويل . في دعوة الاب البطريرك ابنا ميخايل . فما يليق بجاستنا الاغاني . ولا اصوات المثالث والمثاني . فوثب التلميذ قايماً على قدميه ينشد . بصوت تخجل عند حركاته كبرات ابن معبد . شعر :

أمط عن سناها الختم طال بها العمر	فما صانها الا لاربابها الصبر
وقد جاءها(١) يا راهب الدير خاطبًا	لها راغبًا فيها وان كبر(٢) المهرُ
فقال أبن لي(٣) المهر تبرًا فانما	لترجع صفر الكف ان ظهر الصُّفرُ
فقلت ادر(٤) قم الدنان مبادرًا	فكيل لنا تبرًا وكيل لنا خمرُ(٥)

---

١) ش جئناكَ
٢) ش كثُرَ
٣) ش اريد
٤) ش إذن
٥) يذكر شيخو العجز هكذا :

أكيلُ لكم تبرًا يُكيَّلُ لنا خمر

ولا يذكر شيخو الثلاثة الابيات التالية .

فقال يباع الوقت لا الخمر خمرنا — فقد رذلت قد صار يشبهها التبرُ
[٣ب] وفض ختام الدن والليل مظلم — فبان لنا فجر وما انبلج الفجرُ
وابرزها دوماً من التبر سائلا — يلوح على حافات كاساتها درُّ
فقلت[1] له خبّر حقيقة اصلها[2] — فقد بان لي من سر انوارها الخبرُ[3]
فقال هي الراح المسيحية التي — جلا امرها شرباً كما اشتهر الامرُ[4]
تناولها شمعون[5] ثم تداولت — بها عصر عصر ويدركها عصرُ
الى ان وجدنا في المذابح من سنا — تجوهرها سراً فبان لنا السرُّ
وكان[6] لها خدر الدنان فاصبحت — براحتنا تجلى وكاساتها الخدرُ
اذا اترعت في كاسها وتشعشعت[7] — ينال بها جرّاً[8] وليس بها جرُ
مشعشة يزري[9] على الشمس نورها — كأن سناها في جبينك يا بدرُ
معطرة اعطافها فكانها — اعير لها من طيب اعطافك النشرُ[10]

فلما انشد الابيات واوردها . ورمزج دمغيّرها بعد ما انشدها . طربت لحسن ايراده المعرى من اللحن . وعجبت من الالفاظ والمعاني واللحن . وجعل كلّ منا يرا كفه بغير كاس من العين . وتناولنا الكاسات . ودارت علينا

١) ش وقلت
٢ ش امرها
٣) ش خُبْرُ
٤) ش يذكر العجز كما يلي يلي :
جلا امرّها ربي كما اشتهر الامرُ
٥) ش سمعان
٦) ش فكان
٧) ش وتلالأت
٨) ش جرّ
٩) ش يزهو
١٠) ش يذكر هذا العجز كما يلي :
استعيرُ لها من جنّة العدنِ القطرُ

في هذه القصيدة يذكر شيخو بعض الابيات قبل غيرها . يذكر الثلاث الابيات الاخيرة قبل الثلاثة التي تسبقها .

يذكر شيخو في آخر هذه الخمريات النصرانية بيتين يأتي ذكرها في المخطوط ص ١٤

هذي هي الراحُ لا شبهٌ لجوهرها — ولا يماثلها باللُّطفِ مشروبُ
قد قال سيّدنا والكأس في يده — هذا دمي لخلاص الخلق مسكوبُ

[٤٤] الطاسات . واخذنا حظنا يومنا من المسرات . والجماعات تتذكر الحكايات . فالتفت الشيخ صاحب الدار الي الجماعة قايلًا يا اخوتي ما اشبه هذا اليوم السعيد . بذلك الدهر الحميد . وما اشبه فرحاته بتلك الفرحات . وبهجته بتلك البهجات . ايام كان يتزاحم على بابي ارباب الامرات . ولا يصلون الي الا بالشفاعات . واقسم ما تجرعت كاسًا طيبًا من ذلك الزمان . ولا اعذوذب لي عيش رغد من حيث ذلك الاوان . الا هذا اليوم الشريف . بحضور هذا الاخ اللطيف . واقول ان رجله تكون علي رجل ميمونة . وبكبره والموت والوخم مقرونة . فهذه علامات الفرحات ظاهرة . من هذا اليوم بهذه الدلايل الفاخرة . فاسعدوني بالدعا يا اخوتي . وارثوا لتحيري وشقوتي . هذا ان تخلصت من هذا الرفيق الملعون . فقد اورثني فعله اسباب الجنون . ولكن ان عادت تمر بارضنا سحابة من تلك السحايب الساكبات . فنسحب فيها ذيول عاداتها الهاطلات . اروت غلة فوادي الظمان . [٤٥] وشفيت غلة قلبي ودفنت ذلك الشيطان . فالكساد اذا عم قتل . والنفاق يردي الجميع اذا هطل . ثم اعاد نحوي النظر . وانشد وهو يتحسر :

لان عادت الايام والشمل جامع	وغلت غليلي من كووس سلافها
لنبت المطايا ساجدًا بحمولها	وقبلت اجلالا مكان خفافها

فلما اعتبرت غزارة علمه . وسبرت اجلاله وفهمه . ونظرت في خزانة نظمه . ثم شاهدت حسراته . وعاينت زفراته . وما هو عليه من الاسف . على زمانه الذي سلف . وشوقه الى موت العالم . شوق التوايح الى المآتم . قلت له لله درك فما احلا ثمرات لبك . وما امر حسرات قلبك . ولقد سباني نظمك ونثرك . ودهاني شانك وامرك . ولكن لا يليق تذكار الترحات . في اوقات الفرحات . ولا الحسرات على الامرات . في ساعات اللذات والخلوات . ويومنا هذا يوم المسرة والمحادثة . واغتنام الفرصة مع هذه الجماعة الحاضرة والمباحثة . وبالجملة [٤٦] فلعن الله الفوايد من موت البشر . ولو حصل منه الالى والدرر . قال قد جرت عادة [×] ان تلوم المترم العاتي . ولو قاسا ما يقاسي وعانا ما يعاني . اقصر عن عذلي وملامتي . وأرث لعناي وشقوتي . ولو انصفت يا اخي لحملت امري على المثل الشارد . مصايب قوم عند قوم فوايد .

وبالجملة فعودوا انتم الي المحادثة . وما انتم بصدده من المباحثة . ودعوني انا اعالج الرجا والامال . وبالله المستعان علي كل حال . فعدت انا قايلًا للقس سليمان . مضى ما مضى لنا في مسايل الالحان . ولقد كنت انت المشكور من الجماعة . بالبلاغة والكفاية والبراعة . فتراك اي شي حصلت من علوم البيعة . ام باي فن اشتغلت من فنون الشريعة . فبادر صاحب الدار الى الخطاب . قبل ان يعيد القس الجواب . عجباً لك ايها الاخ الفاضل . والقس الماجد الكامل . وانت اخص من هذه الملة المسيحية . واجل الانبا لهذه الطائفة السليحية . [٢٧] وقد سافرت الاقطار . وعاشرت العلما الاخيار . وتجهل مثل هذا القس الربان سليمن . وقد سارت بمواعظه الركبان . وامتلت بخطاباته البلدان . هذا واعظ بيعتنا . وخطيب شريعتنا . فلما اخجلني بهذا العتاب . عدت اعتذر الى القس بالطف الخطاب . قايلا له يا ايها الاخ الصالح . لقد سرني فيك هذا الشكر الفايح . وعطر فكري هذا الثنا العطر الروايح . ولقد كنت مشتاقاً الى مثلك من الخطبا . شوق الظمان الي زلال الما . وحيث الان قد يسر الله عسير الرجا . وحضر الدا . فخر الدوا . فاخلب العقول بمواعظك الفاخرة . واطرب النفوس بخطاباتك الباهرة . واجل علينا بعض عرايس خطبك الوعظية . لنتنزه في محاسنها البحاير الفكرية . فافطن الناس من ذكر المرض عند صحته . وعيد مرارة الادوية عند حلاوة عافيته . واسعد الناس من اتعظ في وقت فرحته . وتذكر غصص الموت في حال طيب مسرته . [٤٨] اجابني قايلًا لله در السادة الملمين . والملافنة الاولين . فلقد صنفوا من خطب الوعظيات . من المواعظ ما قطعوا به حبال الخطيات . فان شيت احضرت لديك بعض تعاليمهم . واوردت عليك بعض تراجيمهم . قلت له كاني غريب من كتب القوم . حتى تتحفني بها اليوم . اين انت من المثل المشهور العام ليس بعلم علم لا يدخل مع صاحبه الحمام . الا تعلم ان العالم درعه علمه . وجواده فهمه . وسنانه لسانه . وسيفه بنانه . وضربه جوابه . وطعنه خطابه . والعلما اقرانه . وقهره برهانه . ومثل هذا الموقف ميدانه . ومثل يدخل ميدان الحرب والجهاد . عار من الدرع والقضب والجواد . ومن لا في الحرب يتيز لبسه . فليس يحتاج الي نفسه . فان القرن لا يرحم قرنه العريان . اذا احدق نحوه

السنان . فان كنت اهلا لما اهلوك . وما وصفك به اهلوك . فارفع عن بعض الخطب المبتكرة . ستر نقابها . ليرتع [٤٩] الحاضرون في بهجات نور خطابها . ولا تخلي عن تعاليم العلما القدما . ولا تكلني الى تراجم الخطبا الفضلا . فانني اخبر منك بما عاموه . واعلم منك بما ترجموه . وليس كل قاري الخط يدعي خطيباً . ولا كل حافظ شعر يسمى اديباً . اجابني لا والذي نجّا النفوس من ورطة الخطية . وانقذها من الابحر الشيطانيَّة . ما خطبت يوماً خطبة مبتكرة . ولا وعظت بموعظة مستّره . ولست ممن يدعي ما ليس من اهله . ولا من يكون كلامه اجل من فعله . ولكن عند اجتماع الجماعة الي البيعة في الاعياد . وفي ليالي الصيام والاحاد . اورد عليهم المقالات المشهورة من الكتب المسطورة . تارة من كتب يوحنا فم الذهب . ومرة من اي كتاب خطر من الكتب . قلت يا هذا وما تفرض الّا وقد حضرت بعض الايام في موضع غريب . وقد اشتهر عنك الواعظ الخطيب . فطلب منك فايدة للحاضرين . ونفع النفوس المومنين . بموعظة حاضرة او خطبه . جاذبتني النفوس [٥٠] الى التربة . الحسن ان تقول دعوني حتى امضي الى ماردين . واحضر لكم بعض كتب المعلمين . او اخرج الى سوق الكتبيَّة . فربما وقع فيه بعض الكتب الوعظيَّة فتعرض لك مثل قضية بعض القسان . وقد حضر بعض البلدان . وكان قد الف القراة في انجيل له مختصر . مجلد بجلد احمر . فاستدعى عند قراة الانجيل . على سبيل الوقار والتبجيل . فدنا ورفع الانجيل وصلّب علي من حضر . وفتح الفصل واطال فيه النظر . فلم يعرف منه لا ما قل ولا ما كثر . فلما بقي ساعة والانجيل مفتوح لديه . والجماعة تنظر اليه . وهو ينظار مرة الي تجليده . وتغير جلده عليه وتسويده . وتارة الى ورقه وخطه . الى ان فات الوقت وجار حد شرطه . فقال له بعض الحاضرين . لم لا تقر الانجيل على المومنين . فقال ما امر هذا الانجيل صحيح . لان الانجيل يكون عليه جلد احمر مليح . وهذا جلده اسود وخطه دقيق [٥١] وحبكه غليظ . وورقه رقيق . ثم انصرف والجماعة تضحك علي جهله . وتتعجب من سوء فعله . فلا تقنع لنفسك انت بمثل هذه الاحوال . وترضى بالاسم دون الفعالْ . فوحق الذي يخص من يشا برحمته . ويفيض على النفوس العاملات خيرات نعمته . لا يفيد

الصعلوك . اموال في خزاين الملوك . ولكن ثوب خليع للعريان . احب اليه من الف ثوب في خزائن السلطان . ومع هذا فلو اعترفت بتقصيرك . حملت على العذر في امورك . فالمقر بالذنب يستحق الشمول بالرحمة . والمصر على الخطية يستوجب حلول النقمة . ولو اعترف ادم بخطيته . غفر له عظيم زلته . ولكن اخطا واصر على الخطية . فسقط في تلك المنزلة العلية . اجابني تالله لقد اوجعتني بسياط عتبك وملامك . واقلقتني بنبالك وسهامك . وهانا معترف بالقصور عن القيام . بواجبات ما سالت . فان اعتذرت عن الايضاح بما قلت وتاولت . علمت انك قد موهت للقول علينا وتقولت . وحسبك لايامك [٥٢] ويكفيك سايلا سوالك . فلما رايته قد تالم من ملامي . ولمحت منه التململ من سهامي . ومن دفعته التشكك في كلامي . علمت بانني ان لم اظهر درتي . واصفع راس الظن بردتي . ما في القوم من يقبلن عثرتي . وعرفت ان عيون الجماعة تعتبر مزاقع اللفظ . طمعاً في الرد على بعض الخطب والوعظ . فقلت لهم ارفعوا ستاير الجهالة عن لمحات بصايركم . واتزعوا اطمار الملالة عن لحظات ضمايركم . تنظروا حسن العرايس . في افخر الملابس . ثم بادرت اورد خطبتي محترساً من الغالطات . واسرد موعظتي حذراً من السقطات . قايلاً والعيون ترمقني . وسهام الظنون ترشقني . الحمد لله الفاخرة نعمته . الغامرة رحمته . الغامضة حكمته . الفائضة عنايته . الطاهرة شفقته . الباهرة عظمته . القادرة قدرته . القاهرة سطوته . والشكر لله القديم الذي تاخرت عن قدمته قدمة القدماء . والعظيم الذي خضعت لعظمته [٥٣] عظمة العظماء . الحكيم الذي حارت في حكمته حكمة الحكماء . العليم الذي عجز عن علمه علم العلماء . احمده حمداً كما هو اهلاً للحمد والثنا . واثني عليه في كل صباح ومسا . معاشر البشر فجروا ينابيع العبرات فقد آن لها ان تنفجر . شمروا ذيول الخطيات فقد ازف لها ان تنشمر . الام سيوف الشهوات تحطم راس افكاركم . وحتام حتوف الزلات تهدم بنيان اعماركم . اغمدوا صوارم الخطيات في اغمدة الحسنات . واعمدوا الى رفع عزايم الجهالات . عن اعمدة الميل الي الشهوات . امطروا صفحات الخدود بامطار العبرات . وكرروا لمحات العقول في دار الحسرات . تبصروا داراً وجودها عدمان . وجودها حرمان . صحتها سقم . وفرحتها غم . ونورها ظلم وبرؤها الم . شهدها مر . قندها صبر .

ردها جمر . ورغدها فقر . حقها ظلال . وصدقها محال . فيا لها دارًا قد سلبت عساكر لذاتها افكار الخلايق . ودنيا قد حجبت ستاير شهواتها انوار الحقايق. فتكت في اعمار [٥٤] ذويها وهتكت استار اهليها . ولو لم تكن منزل اللعب والطغيان . ومحل الكذب والبهتان . لما عذبت في السن الرايقين مرارة علقمها . ولا حسنت في اعين الرامقين دجيات ظلمها. ولا صفت لاوهام الشاربين اقذار اكدارها . ولا عشقت اقدام الداعين احجار اوعارها . ولا شاف الناظرين قتام ضيايها . ولا راق للعالمين غيام طغيانها . اسدلت والله استار عقلاتها . على ابواب الافهام . واشغلت تالله خمار جهلاتها في البـاب الانام . حتى غرقت في لجج الاثام افهام البرية . واسرقت في مرج الاثام سهام الخطية . فاضحى المحال للمخدوع بها كانه صدق . ووافا الظلال للمطيع لها كانه حق . الا نادم على الورطة في نار الشهوات والارادات . الا قادم الى الغبطة في دار الخيرات والسعادات . الا قايم من الهبطة في منار المسرات والكرامات . اين علامات الاشعار بالعيوب يا ذوي الاذان . ام اين قلامات اظفار [٥٥] الذنوب يا اولي الاذهان . اين حسرات الندم على عثرات القدم . اين المسامع المايلة الى المواعظات . ام اين المدامع السايلة على الخطيات . اين تقاطر غزارة عبرات الاجنان . لتذكره حرارة جمرات النيران . حيث يقول المطيع للدار . الفاجرة . واحسرتاه . والمضيع للدار الفاخرة واحيرتاه . والمبيع الدنيا بالاخره واقرتاه . حيث لا يسمع قول المتندرين . ولا ينفع مال المتدخرين . ولا يمنع مال الهاربين . ولا يقنع امال الخايبين . فيا فرحة الزارعين يوم حصار الغلات . ويا برجة الضايعين حيث اتحاد الجنات . ويا حسرة الفاسقين اذا احدق سنان الفضايح . ويا حيرة السارقين اذا نطق لسان الجوارح . ويا مسرة المتقين اذا صدق برهان العمل الصالح . يوم تعلم الابرار حق مقامهم في دار النعيم . وتفهم الاشرار صدق دوامهم في نار الجحيم . فيا لها وقفة ما اقاق احكام حبارها . وما افرق اصطدام جمارها . ووااها لها ساعة [٥٦] ما احلى مذاق اثمارها . وما اشهى اوراق اشجارها . وما امر الحسرات في جدارها . وما اضر الزفرات في نارها . واحر العبرات في قرارها . وما اقر الابصار بشريف أزهارها . وانوارها . هذه غاية الخلق فاين الماملون . وهذه اية الحق فاين الاملون . ولقد انذر في قوله الصادق في القايلين . وحذر في

الجليله خالق العالمين . واعلن قايلًا للسامعين . سيظهر برهان الاخرة يقينًا . وتبصر الدنيا محالًا . وتعتبر الخرفان الظاهرة يمنًا . وتقهر الجدا شمالًا . يوم يقرن الملك بين الصنفين . ويفرق القاضي بين الصفين . قايلًا للابرار ادخلوا الدار الالهية المعدة لكم قبل وجود الازمان . عادلًا في الاشرار ان تحملوا الى النار الابدية المعدة لجنود الشيطان . جعلنا الله واياكم ممن اعدّ تطبيب علته . قبل تلهب علته . واستعد للقار مسه . قبل سقا نفسه . وتاهب للشمول للرحمة . قبل النزول الى الظلمة [٥٧] واستوجب الحلول في النعمة قبل حلول النقمة . بشفاعة السيدة البتول والدة الرحمة . وام الحياة ذات الطوبا والنعمة . وشفاعات الابرار والصالحين . والشهدا والقديسين . امين . فما نجزت الخطبة البديعة الفاخرة . والاسماع واعية الي مقاصدها الباهرة . الّا وقد ذرفت المحاجر قدرها . وقذفت البصاير درها . واخذت الجماعة تذكر الاخره والمات . وتمطر على الخدود شآبيب العبرات . وتارة يشكرون الموعظة وتضادد الكلمات . وتجانس القراين واللفظات . وموقع معانيها من القرايح . واطنبوا القوم في التذكار الصالح . الي ان اخجلوني بالثناء والمدايح . فالتفت الراهب عبد المسيح . يجول في ميدانه الفسيح . قايلًا وحق سيدنا يسوع المسيح . لو حضر هذه الخطبة قس . وقد خطب علي منبره قس . لنزل عن ناقته خاضعًا . وقبّل اقدامه طايعًا . افلحت والله الفلاحة . ولها على الامم من الان الاباحة . لما [٥٨] اثمرت من الحكم والفصاحة . فتبارك الذي رفع المتواضعين . ووضع المفتخرين . ولقد والله اظهرت الدره الثمينة في صدف الكلام . ونظمت الالي الثمينة احسن نظام . وبالجملة فحيث قد التذت بهذه الموعظة النفوس . فلنرجع الي معاطاة الارطال والكؤوس . ولا باس ان يرجع تلميذ صاحبنا تلك الكسرات الاربعية . ويرجع الى تلحين اشعاره الخمرية . ولا يخرج بنا الي ايراد الاشعار المشيقة . فما يليق هذا الفن بهذه الجماعة المسيحية . قال صاحب الدار والله لقد اصاب سهمك الغرض . واجاب قصدك المفترض . اجل جوادك ايها التلميذ في هذا الميدان . وحيث الان قد اخذت حظها الاذهان . لا يتحسن من المسرة نصيب الاذان . ولحن لي ما امليه عليك مرتجلًا . وانظمه الان لا مستعيرًا ولا منتحلًا . هذا بعد ان تطوف علينا الكؤوس . مترعة الحانات والرووس . فدارت الاقداح على القسوس .

[٥٠] واشرقت في اكفهم مثل الشموس . والتلميذ يرجع صوته ويلحن . وهو يملي عليه ارتجالًا بافصح الالسن :

الا روّي الجوارح يا نديمي براح من بقيّة كرم نوح
الا وامزج بها روحي وجسمي كما اتحدت جسذا الجسم روحي
فاشرف منحة عند النصارى اتحاد جسومهم بدم المسيح

فاقسم انه لما لحن الابيات . وعاد التكسيرات والحركات . وقد اطافت علينا السقاة بالكاسات . ووددت لو ان كل شعرة من جسمي اذن تسمع . وكل جارحة مني فم ينهل ويكرع . وبينا نحن ندير تارة كوس الراح . ونستجلي مرة عروس المراح . ونتوارد السمر . ونتذاكر الاخبار الدهرية . وقد عاد صاحب الدار اليّ . واخذ كاساً وجلس بين يدي . ثم قال هذا الكاس عندك . فلا تخيبن في القصد عبدك . وانني مع ذلك مقترح على خاطرك الكريم. ما يعود الينا منه النفع العظيم العميم . قلت اما كاسك فمقبول . واما سؤالك [٦٠] فلا ينكره المسؤول . فاشرب الكاس مترعاً . واعده الي مسرعاً . ثم عد الي الامتحان والخطاب . وبالله المستعان على الجواب . فجعل يتجرع الكاس الملان . مثل ما يكرع الزلال الظمآن . فلما شربه وعاد ودغدغه واستفه نحوي وشمشمه وقبله ثم ناولنيه . مكللة حافاته حواشيه . ثم جلس في مكانه . والجماعة تنتظر مخرج امتحانه . قال يا ايها القس الاوحد . والاخ العالم الامجد . كان اصحابنا ارتابوا امر خطبتك الفاخرة . وما اودعتها من العبارات الباهرة. مع تلك الفصاحة الجليلة الفايقة. والقراين الغريبة [X] فمنهم من قال انها تلقين وتسليم. وفيهم من قال انها من بعض العلما تعليم. وليس النار من زنادك . ولا هذا الركض لجوادك . وفيهم من قال ان القول قولك . والكلام كلامك . والقوس قوسك . والسهام سهامك . فان كان ذلك الصباح . يبلج من مشرق فجرك . وذلك التبسم صدر [٦١] عن ماخذ ثغرك . فلا تتركن سموم الظنون تلهب انوار زهرك . وقتام الشكوك يحجب انوار فكرك . وقد عرف ان ارتجال الامتحان . يفصل بين الحق والبهتان . فان شيت تحقيق الحق وكشف اليقين للصدق . واظهار الباطل والشك. فاعرض ابريزك للحك . وهانا مقترح عليك ما يكشف امرك . ويظهر سرك . ويحقق

اما برهان فضلك . او بيان جهلك . قلت اجل والـذي جل عن الادراك بالاوهام . وتعظم ان يفهم بلطيف الافهام . لقد فوقت عن قوس العدالة سهما صايباً . فلم يخطر الغرض ولم يعن خايباً . وليس ابرزي مما يهرجه الحك . فدونك واظهار المحك . فانني لا اخشى عليه ولا من السبك . قال فاريد ترقم لي في هذه الساعة . يجبر من هذه الجماعة . خطبة عربية . عربية بكرا معربة مسلية وعظية . جامعة للتعازي والموعظات . لايقة بمحافل الاموات . تذكر فيها الموت وشدة مراراته . وبجرع غصص علقم كاساته . وآلام زفراته وحسراته . [٦٢] وشدة قلق المرء عند وفاته . ثم تذكر فيها احوال هذه الدنيا وعبراتها . وسعادة الاخره ولذاتها . وراحة النفس النقية بمفارقة الشهوات الجسمانيــة . ووصولها الى الخيرات الالهية . ويرصع تاجهـا بافخر الدرر السنيَّة . ويحلي نحرها باحد الالي الفكرية . فاقول ان هذه الخطبة تجذب الى البركات . وبها اخطب في هذه الايام في محافل الاموات . فقد قيل ان فصـل الخريف اردا الفصول . لامزجة البشريين . سيما لذوي الامزجة الباردة اليـابسة والطاعنين في السنين . وقد شاهدتم مكابر شيوخ ماردين . حتى قد ناطح اكثرهم عشر التسعين . واقول ان هذا يفصل بينهم وبين الحياة . ويوصل حبالهم بحبل الوفاة . وما يحاوا ان ينضاف اليهم من قد غلب على مزاجه البرد واليبس او يكون قد غلط عليه قلب هذا المولي الشمس . فهو الذي كان سبب الكساد . وتقليد الصحة الى العباد . ويليق بنا اذا حضرنا الى وفاتهم . وكلنا تجنيزهم وصلاتهم . ان نعزيهم [٦٣] بما يحسن من التعازي اللايقة . ونسلي الجماعة بما يليق من الالفاظ الرقيقة الرايقة . وليس هذه الفايدة لي وحدي . لكن ولساير الانام ممن ياتي بعدي . فقلت له فكان الناس ينفعهم سوالك . بقدر ما تضرم امالك . وان كان يفيدهم اقتراحك . فانه يبيدهم ارتياحـك . اجابني لا يلزمك من الشجاني ولو كان جدير بالرزايا . ولا من الاماني وان كانت جاذبة المنايا . فلا يركض في ميدان المغالطة . على جواد التمويه والسفسطه . فلا يلزم لغير شكره . ولا يجمل الانتها بغير ثنايه وذكره . لان منه ابتدا كل ابتدا . واليه انتها كل انتها . احمده حمدا معترف بجميل نعمايه . معتصم بجميل الايه . شاكر لسرا نعمه صابرا لضرا نعمه . واثني عليه حتى يبطل مني حراك اللسان . يوم تسيدني

اشراك الاكفان . معاشر البشر ما للابصار ناظره وكانكم لا تنظرون. وما للاسماع سامعه وكانكم لا تسمعون . ما للاطفال يسلبون . وكانكم راقدون. ما للشبان ينهبون . [٦٤] وانتم لا تتعظون . ما للشيوخ يذهبون . وانتم مخلدون . حيوك الموت تحث رواكم وانتم لا تلتفتون . سيوف القضا تقصم اعماركم وانتم لا تستفيضون . حتى كان الموت قد سافر عن دياركم . هيهات وعساكره تقفوا مواقع اثاركم . الام هذا التاطل والحق قد وجب . وحتام هذا التاحل والموت قد قرب . الطكم توملون الفرار من الخطب الملم . او القلوب منحوته من الصخر الاصم . فان عتقت عندكم الرزايا . او نسيتم حلول المنايا . فانظروا الى هذه الحادثة الحديثة الطرية . وتفكروا في هذه المصيبة الجديدة الردية . واعتبروا بما حل عندكم من هذه الرزية . وانظروا من شيد ورفع . وبدد وجمع. وتاه في الدنيا تيه المخلدين . واجتهد فيها اجتهاد المويدين . وحرص في تحصيل الدرهم والدينار . واعمر ما دبر من المنازل والديار . ومايل في السمو محل السما. وقابل في العلو رتبة الجوزا . وبهر بالذكا صنوا الذكا. وقهر بالارا صعاب الاشيا . كف حالت [٦٥] علية عساكر القضآء . فاصبح بعد العز عزيز العزا . رءهدي به بعد ذلك العز الحنيف . والحل الشريف . وهو يتقلب بطنا وظهرًا . ويتحسر سرًا وجهرًا . وينظر الى المال والاولاد شزرًا . يبسط يده اليمنى ويجمع رجله اليسرى . فلا يقلع حسره الا وفي اثرها اخرى . حتى برق الى القلق . واحدق الفرق . واشتدت منايا مصايبه . وامتدت حنايا حواجبه . وانقطع رجا اقاربه. وانقطع عطا حبايبه . لا يكاد يردد الطرف بين الالحاظ والاغماض . الا وقد اخفي السواد تحت البياض . وظل يتجرع امر الكاس امر من الحماض . فيا له حبيباً لا يلتوي على احبابه . وتربا اشغلته المصيبة عن اترابه طريحا كثيبًا حسبه ماية . ووالهاله لديغا لا ترقى لمته . وراحلا لا ترجى اوبته . وراقدا ما ان يرى نقصته . قد يتقن بسفره الى الابد . واذعن بمفارقة الاخ والولد . لمثل هذه الساعة فليزرع الزارعون . ولمثل هذه [٦٦] الوقفة فليبدد الجامعون . نبهوا الافكار من رقدة الخطية . قبل ترقد الابطار الرقدة الابدية . تحملوا فهذا سبيلكم . وتحملوا فقد دنا رحيلكم. كانكم برووس اقدامكم . وقد لحقت اعقاب السالفين وطروس اثامكم .

وقد الصقت في صحايف الاولين . كانكم بلحظات الطرف وقد خمدت . وحمرات الاطراف وقد بردت . وحركات الاعطاف وقد جمدت كانكم الوجوه البهية وقد اقتمت . وبالنواظر المصية وقد اعتمت . وبالاعناق السقية وقد مالت . وبالمحاسن الجميلة وقد استحالت . كانكم بصارم الموت وقد ابرق . وببرق المنون وقد تالق . وبقلق الساعة وقد افلق . وبجمع الاحباب وقد تفرق . فغفر الله لمن سارع الي معالجة دايه . من قبل يعز وجود دوايه . قبل ان يبرد العرق . ويشتد القلق ويعل العنق . وسامح الله من اسبل ذيول الحسرات . واسدل ذيول العبرات . على ما صنع من الجهالات . لا على مفارقة الضيف الراحل عنا . [٦٧] والعضو المنفصل منا . مع علمنا انه رحل عن محل الشقا . فنزل في محل البقا . فاضل الدار الحسية . وواصل الدار العقلية . ظعن عن منزل الحسرات . وقطن في منازل الخيرات . فارق النقطة الكثيفة البرانية . وقارن الدايرة اللطيفه السماوية . انتقل عن ربع الندامة . وحل في حمى الكرامة . وكانني به وقد وجد الراحة الشريفة . واللذة الطاهرة اللطيفة. في المنازل التي لا عين نظرت ابعدها من الكثايف الارضية . ولا اذن سمعت بجس نغماتها بالتسبيحات الالهية . فسبحان منشي البرية . والواهب له هذه الغبطة السنيه . والموهبة الحسنة الزكية . وذلك لما قدمه من الاعمال الفاضلة المرضية. وبعده عن الرذايل الشنيعة الدنية . ثم دارت الكاسات على القسوسُ . الى ان وثب صاحب البيت المحروس . وقال يا اخوتي قد استقام الطالع المكرس . وغاب نجم الخطا المنحوس . وظهر نجم الاقبال . وبلوغ الاماني والامال . [٦٨] وهذه امارات السعادة لايحة . ورياض الاقبال عطرة الرايحة . وما اظن هذه الخطبة تخني عبثا وعرضاً . الا وقد اصاب سهما عرضاً . ومن الذي يسمعني اخطب بهذه اللفظات . على من يكون قد سلف له من الاموات . فيقنع لي بالحق اليسير . او يقابلني بالشي الحقير . ولو انه البايس الفقير . اقول انه تضاعف حقي ولو بغير استحقاق . او علي وجه الحيا وصرنا من النفاق . ولو انه اتجمل الناس على الاطلاق . وفق الله مستحقاً من الاموات . واول من تتلا عليه هذه الايات . لتكون مفتاح الخير والبركات . فما اسعد من كان سبباً للخير والسادات . ثم انه عاد الي تاميذه قايلا حيث الان قد تكاملت الاماني .

فاغتنا بنعماتك عن الاغاني . وعن اصوات المثالث والمثاني . فقد ان تطوف علينا القناني . وانشدني يا ولدي بجياتي ما املته عليك من ابياتي . فطفق التلميذ ينشد . وهو علي عليه ويسرد :

[٦٩] الا فاسقني بيت الدوالي ففي كاساتها نعم الدوالي
اجل خريدة صان النصارى نست بين المدائح والقلالي
وحاق سرها في القول جهرًا وفي انجيله رب الجلالي
تسلمها الحواريون عهدًا جديدًا للخلاص من الضلالي
اعيرت من سنا الايام نورًا وتيجان النجوم من الليالي
وجالت في ثياب من عقيق بكلله باجناس اللآلي
اذا الساقي جلاها قلت قرن الغزالة في مغارنة الغزالي
يمينًا لا تصدّوا عن يميني شمول سلافه او عن شمالي
فان حرامها في نص ديني اذا مزجت احل من الحلالي

نجزت دعوة القسوس
ولله الشكر والسبح
دائمًا كثيرًا ابدًا

تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

للاب لويس بليبل (✝ ١٩٣٨) (تابع)

المجلد الثالث

الفصل السادس عشر

عدد ١٢٠

في السنة ١٨١٧ بلغت الاب العام براءة الانعام المعطاة له بمنح الغفران الكامل في اربعة اعياد احتفالية وهي :

عيد الميلاد الشريف وعيد القيامة المجيدة وانتقال السيدة مريم العذراء الى السماء وعيد مار انطونيوس ابي الرهبان .

وذلك بموجب البراءة الرسولية المشار اليها لانه في اليوم السادس والعشرين من شهر ايلول السنة الماضية(١٨١٦) ، بناء على التوسل الذي رفعه الكردينال لورنسيوس ليتاريوس الى قداسة البابا بيوس السابع انعم قداسته ، بحسب الطلب ، على الرئيس العام الاب اغناطيوس بليبل وعلى خلفائه بالرئاسة ، بمنح الغفران الكامل في الاعياد الاربعة المارّ ذكرها اعلاه ، بموجب براءة رسولية هذا نصها الحرفي :

من اعمال مواجهة الاب الكلي القداسة الكائنة في اليوم ٢٦ ايلول سنة ١٨١٦

« ان سيدنا الكلي القداسة البابا بيوس السابع بالعناية الالهية ، قد عرف متحققاً من التخبير المقدم لديه مني انا المحرر اسمي ادناه مقدام مجمع انتشار الايمان المقدس ، التوسلات ذات الاتضاع الكلي المقدمة من حضرة الاب اغناطيوس بليبل رئيس عام جمعية الرهبان الموارنة اللبنانيين الكلي الاحترام ، فقد منح قداسته الرئيس العام المذكور وكل من يخلفه

في المستقبل بالرئاسة العامة ، استطاعة اعطاء البركة البابوية مع الغفران الكامل اربع مرات بالسنة ضمن الاعياد الآتي ذكرها وهي :

عيد ميلاد سيدنا يسوع المسيح وعيد الفصح والقيامة المجيدة وعيد انتقال الطوباوية مريم البتول وعيد القديس انطونيوس الكبير . وذلك في اي دير او انطوش مختص بالرهبانية المذكورة بالنوع الحاضر .

والغفران الكامل المذكور يكتسبه كل اولئك الذين يكونون حاضرين اعطاء البركة المذكورة ، من اية رتبة كانوا من المؤمنين المسيحيين المعترفين والمتناولين النادمين بالحقيقة الذين يتوسلون الى الله تعالى بعبادة ، من اجل انتشار الايمان المقدس وارتفاع شان الكنيسة الرومانية المقدسة .

وهذا الغفران يمكن ان يتخصص ايضاً لافادة الانفس التي في المطهر .

غير أنه يلزم ان تحفظ في اعطاء البركة ، الصورة المرسومة في الارشاد المبرز من السعيد الذكر البابا اكليمنضوس الثالث عشر ببراءته المبدوءة :

(كنز الغفرانات غير المتنقص)

والصورة المطلوبة هي التالية عينها :

« فليرحمكم الله القادر على كل شيء باستحقاقات وتضرعات الطوباوية الدائمة البتولية مريم ، والطوباوي ميخائيل رئيس الملائكة ، والطوباوي يوحنا المعمدان ،والقديسين الرسولين بطرس وبولس وجميع القديسين . وبعد ان يغفر خطاياكم ، فلينقذكم يسوع المسيح الى الحياة الابدية » .

الخوروس يجاوب : آمين .

فليمنحكم الله الرحوم القادر على كل شيء ، الصفح والغفران والحلّ من جميع خطاياكم وليهبكم اوانا للتوبة الحقيقية ذات الثمار وليعطكم قلباً منسحقاً دائماً مع اصلاح السيرة والثبات في الاعمال الصالحة .

الخوروس يجاوب : آمين .

فلتنحدر عليكم بركة الله القادر على كل شيء الآب ✝ والابن ✝ والروح القدس ✝ ولتثبت فيكم دائماً .

الخوروس يجاوب : آمين .

(انتهى)

أعطي برومية المدينة من ديوان المجمع المقدس السابق ذكره ، في اليوم والسنة المذكورين . اعلاه ، مجاناً من دون وفا (ايفاء) شيء. كليًّا ، ولو تحت اية حجة كانت .

(†) الكردينال لورنسيوس ليتا مقدام
(رئيس المجمع)

(عن ترجمة البراءة الاصلية)

لقد ذكرت في حوادث السنة ١٧٨٦ ، ان الاب العام شربل مدلج والاباء المدبرين، قد رفعوا عريضة الى قداسة البابا بيوس السادس ، التمسوا بها منح الرهبانية بعض انعامات اسوةً باخوتنا الرهبان الحلبيين الموارنة . منها الانعام على الرئيس العام بان يمنح غفراناً كاملًا في اول قداس يحتفل به ، بعد انتخابه رئيساً عامًا ، يربح هذا الغفران كل من يحضر قداسه .

ثم انه يمنح غفراناً كاملًا ايضاً في كل من اعياد الميلاد والفصح وخميس الجسد ومار انطونيوس .

(راجع الصفحة ٩٠ و٩٢ من هذا المجلد)

فلم يستجب الطلب في ذلك الحين دون ان نعلم السبب . وربّما اقتصر الجواب على براءات الغفارين الثلاث .

(راجع الفصل السادس عدد ٩٠ ص ٩٢ و٩٣ و٩٤)

وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني لهذه السنة (١٨١٧) التأم المجمع العام في دير سيدة طاميش، برئاسة الاب العام اغناطيوس بليبل والاباء المدبرين. وكان عدد آبائه كما في المجمع الماضي ٥٨ اباً .

وبعد المداولة في ما يعود على الرهبانية بالنجاح المادي والادبي والروحي والتشديد بحفظ ما وُضع من الفرائض في المجامع العامة الماضية وبعض فرائض جديدة ، توافق تطور الايام والسنين وتنطبق على عادات الرهبانية وقوانينها ، ولما بلغ اليوم الرابع من افتتاح المجمع ، جرى الاقتراع القانوني السرّي فاصابت القرعة الاولى :

الاب اغناطيوس بليبل فنوردي به رئيساً عاماً (للمرة الثالثة)

وفي القرعة الثانية انتخب الاب نعمة الله النجار مديراً اول

« « الثالثة « « ؟

« « الرابعة « « «

« « الخامسة « « «

ثم توزع الرؤساء :

فانتخب الاب برنردوس التزبري	لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا
« « مرقس الشننيري	« « سيدة طاميش
« « موسى الشرنوني	« « مار يوسف البرج
« « يونان الديراني	« « « انطونيوس حوب
« « شربل المتيني	« « « جرجس الناعمة
« « مخايل البسكنتاوي	« « « مخايل بنابيل
« « موسى خرايب صباح	« « سيدة ميفوق
« « ليباوس الدوار	« « مار الياس الكحلونية
« « (مجهول)	« « « يوحنا رشميا
« « امبروسيوس البسكنتاوي	« « « انطونيوس سير
« « رومانوس	« « « مارون بير سنين
« « مخايل الخوري الرشاوي	« « « موسى الحبشي
« « سركيس وادي شحرور	« « سيدة مشموشة
« « (مجهول)	« « مار قبريانوس كفيفان
« « سابا البحرصاني	« « « عبدا مشاد
« « عمنوئيل المتيني	« « سيدة المعونات جبيل
« « (مجهول)	« « مار الياس مطوشي قبرس

(عن روزنامات الاديار)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

موسى القنتوري . ومرقس الدراو . وزكا البروتي . ومرقس الدليتاوي . وروكس الشبابي . ويعقوب الصنائي . وموسى قيطو . وسرابيون المزرعاني . وصموئيل وغبريال التنوريان . ونستير المراموني . ومبارك داريا . ومانيا درعوني . وجنادبوس المتيني . ونافيطوس عمّيق .

وتوفي الاخوة :

يعقوب الحبشي المبفدي . وفرنسيس مزرعة الشوف . ومكاريوس الشقوتي . والاخ ضرا المتيني . وقد قضى حياته راقدًا على « البلاس » اي بساط من الشعر الخشن . والاب مرقس فالوغا . والاب لويس عزيز الديراني اذ كان رئيسًا على دير مار انطونيوس حوب وكان شجاعًا غيورًا على مصالح الرهبانية وارزاقها وقد سافر الى اوربا غير مرة سعيًا وراء خير الرهبانية .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٢١

في السنة ١٨١٨ اشترى الاب العام اغناطيوس بليبل ،اوظيفة الرئاسة العامة، نصف عودة في قرية عجلتون ، من امرأة تدعى اسبنيولية . وكان الامير بشير الشهابي الكبير حاكم البلاد يملك نصف هذا العقار .

فسأله الاب العام راجيًا ان يسمح فيبيعه النصف الذي يملكه وبالثمن الذي يريده وان يرسل اليه صكًا بالمبيع وبقيمة ثمنه ، فورد اليه الجواب بالايجاب .

ولما حوى هذا الجواب من الدلالة على كرم اخلاق الامير وما كان للاب بليبل من الدالة والاعزاز وحرمة المقام لديه ، رأيت ان اورده بحروفه .

وهذا نصه :

« نخبر محبتكم ، بعد الشوق ، وصل تحريركم الجواب وفهمناه وبقي معلومنا اهتمامكم بمداركة التوزيع والتنبيه بتقديم اللوازم ، بارك الله بحسن معروفكم . ومن عدم حضوركم لهذا الطرف لم فيه مقتوب (عتب) .

« فواصل حجة بما يخصنا في عجلتون نصف العودة شركة حرمة اسبنيولية ، لديكم في خير . وثمنها الف ومئاية وخمسين قرش . فهذا حسب التعريف السابق ، يتوزع النصف قداسات والنصف الآخر وقف مخلد للرهبنة ، حسبما تشو (تشاءون) تخصيصه لاحد الاديرة . نرغب تعرفونا علم الوصول .

« وتعث محبتكم بارسال كتاب مار انطونيوس بخط احد الحبساء لا يكون طبع . وفيما بعد لا تقطعوا اخباركم عنا » .

كاتبه

بشير شهاب

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

ومما يرويه القدماء الحادث الآتي نذكره على سبيل التفكهة قالوا : انه لما تعلق الجرس الاول على سطح كنيسة مار بطرس وبولس في رويسة عنايا (المجبسة) المشرفة على وادي علمات، ولما سمع صوته المدعو علي هاشم من مشايخ طورزيا الشيعيين سدّ اذنيه بسبابتيه وأخذ يصرخ باعلى صوته :

« باطل ، باطل ، لا ، لا ، باطل ، باطل » .

وما زال على هذه الحال حتى أغمي عليه ووقع صريعاً . .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

انطون الشنعيري . واغوسطين القليعاتي . ورفائيل البـاني . ويعقوب بقاعتوتا . وبرنلاوس بسكنتا . ومارون قيطر . وبولس المتيني . وليباوس المتيني . وزكا الرحلاوي . وبواصاف الباني . وجبرايل حريصا . ويوسف وبرنلاوس من تنورين . وسلوانس عنلقت (عكار) . وساروفيم قرطبا . ونستير ومانيا واسحق من طرابلس . وباخوس الباني . وعزرا الامجي . ورفائيل الصنابي .

وتوفي :

الاخوان يمين وشينا من المتين . والاخ نقولا الرشاوي . والاخ نستير صفير . والاخ ارسانيوس ميروبا . والاخ جرجس القبرسي بعمر ٩٣ سنة . والاخ لورنسيوس الشابي .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٢٢

وفي السنة ١٨١٩ لم يقع من الحوادث ما يستدعي النشر ، لذلك نكتفي بذكر اسماء الذين لبسوا الاسكيم الملائكي والمنتقلين الى رحمته تعالى :

لبس الاسكيم الاخوة :

عبدالله البيروتي . ومرقس السلفاني . وجبرايل الديراني . ومكاريوس الخباز البترونی . ودانيال الشرنوني . واثاسيوس ونافيطوس من القليعات . والبشاع وسابا من الشبانية . وعمانوئيل الصفيني . وافرام مزرعة كفرديان . وانطونيوس مزرعة الطاحون (النهر) . واجناديوس التنوري . ويوسف المتيني . ومارون قرنة شهوان .

وتوفي الآباء :

البشاع المسادي الخيس عمر ينيف عن تسعين سنة وقد سكن في المجبسة ما يزيد عن الثلاثين سنة بسيرة طاهرة وحياة تقية . وميخايل الرشاوي اذ كان رئيساً على دير مار موسى الحبشي . وعبدالله الصنابي .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل السابع عشر

عدد ١٥٣

وفي السنة ١٨٢٠ ، بعد ان كان الرئيس العام الاب اغناطيوس بليبل مهتماً ببناء دير مار سركيس وباخوس في قرطبا، حوّل اهتمامه الى بناء دير مار مارون عنايا في هذه السنة .

ولما جاء لينظر في المحل الموافق لبنيان الدير ورأى المقام المشيد على اسم القديسين بطرس وبولس في قمة الرويسة الذي كانت الرهبانية قد تسلمته في السنة ١٨١٤ عن يد البطريرك يوحنا الحلو ، كما مرّ ، لم يستحسن البناء فيه لصعوبة مجالاته وتعرضه للاهوية والزمهرير ، فعمد الى محل آخر اكثر موافقة .

واذ علم اهالي حجولا والمجاورون الشيعيون بقدومه حضروا للسلام عليه. وبعد ان قام بواجب الضيافة نحوهم بحسب العادة ، سألهم ان يبيعوه قطعة ارض في المكان القائم فيه الدير الآن ، لموافقته لسكن الرهبان في الشتاء . فلبوا طلبه واحضروا في الحال مخمناً من اهمج يدعى عيسى ماروني . فخمّن القطعة قرب السنديانة التي هي تحت الدير الآن غير بعيدة عن الرويسة ، بثمن الفين وخمسئة قرش ، فتذمر البائع وقال لاحد الحاضرين ان التخمين مجحف فقال له رفيقه المتوالي :

« ما قلّ عقلك يا متوالي ، ان المخمّن نصراني والشاري نصراني ، فهل يا ترى راح برحمك يا متوالي » .

فلما عرف الاب العام بذلك ، زاد له الثمن خمسئة قرش فبلغ ٣٠٠٠ قرشاً ، فكان راضياً .

ثم تقدم متوالي آخر ، ووهب الاب العام قطعة ارض محاذية للارض المشتراة، فلم يقبلها هبةً ، بل اوعز الى المخمّن عيسى ان يخمّنها ، فبلغ ثمنها الفاً وخمسئة قرشاً ، فدفع له الرئيس العام الفي قرش ، فكان شاكراً . . .

وعند المباشرة باختيار مكان البناء ، اختلفت الآراء على الموقع الموافق للبناء. واخيراً اتفقوا على حسب رأي الاب العام ، ان يكون بناء الدير حيث هو الآن ليكون قريباً من الارض المعروفة بالشِّعب (شِعب حجولا) المشهور

بجودة ارضه وغزارة محصولاته في بلاد جبيل . فسعى الرهبان مع الوقت ، في مشترى هذا الشعب لقربه منهم[١] . ثم ابتدأ ببناء بعض قلالي ارضية وبجانبها كنيسة صغيرة ، في موقع الحارة شرقي الدير حيث البيدر الآن . وبعد مدة اخذ ببناء الدير بوجه نهائي . فاقام القبو الاسفل للجهة القبلية .

ولما تنزل عن الرئاسة العامة ، ترك لاتمام البناء مبلغاً وافراً من المال . فكان ما صرفه من صندوق الوظيفة العامة على مشترى املاك وبناء واثاث وما خصصه للدير من مال لا يقل عن المئتي الف قرش في تلك الايام (٢٠٠،٠٠٠ قرش) .

وفي العشرين من شهر شباط لهذه السنة توفي البطريرك يوسف التيان ودفن في مدفن البطاركة في قنوبين . وكان قد تنازل عن البطريركية بتمام رضاه زهداً وتواضعاً . وخلفه المطران يوحنا الحلو ١٨٠٩ .

وفي نحو السنة ١٩٠٥ اكتشفوا جثمانه في مستودع بقايا البطاركة اسلافه ، موضوعاً ضمن صندوق من خشب مملوء رملاً . فوجدوه سالماً من الفساد وهو محفوظ في دير قنوبين .

والخلاف وقع هذه السنة ، بين اهالي قرية بان والخوري انطون خضير خادم رعيتهم ، لانهم تمنعوا عن دفع راتبه ، فاصدر المطران جرمانوس ثابت مطران الابرشية ، امراً مشدداً بالدفع مع بعض تأديبات كنسية ومن جراء ذلك حصل سوء تفاهم بين المطران ذاته والاب برتدوس الفزيري رئيس دير قزحيا الذي كان قد عرض للمطران وافهمه ان سوء تصرف الكاهن هو الذي سبب هذا المشكل . فاجابه المطران بما يوضح مميات هذا الحادث . ولما في هذا الجواب من فوائد تاريخية وايضاح بعض حقوق قانونية للرهبانية وعليها ، نثبته هنا بنصه الحرفي :

ايها الاب الاكرم .

بعد الترجمة ، في ابرك وقت وصلنا عزيز تحريركم وفهمناه وحمدناه تعالى لصحة سلامتكم المرغوبة . وما ذكرتموه من جهة الخوري انطون خضير وعن الكلام الذي سمعتموه عن لسانه ، صار معلوماً ، فاذا كان صحيح صدر منه هذا الكلام ما نحن مستعجبينه لانه من

---

١) هو الآن ملك الدير ، ومن هذا نعلم ما كان عليه الرئيس العام بليبل من بعد النظر والغيرة على مصلحة الرهبانية (الناشر) .

خدامة عبود بك الى خدامة بان . والمذكور معروفة عندنا صفاته واطواره وحديث (حديثه) اطباعه . وهذا الكلام تفحص عنه وتقف على صحته فاذا كان صحيح نجري عليه اشد القصاص لان هذا الكلام ما لنا علم به كليًا .

وأما من نحو المعالم (المرتبات) ، حين كنا بي بان اعرض لنا (اي الخوري) ان البعض اعطوه معاليمه والبعض ماسكينها عليه ، لزم نبهنا في الكنيسة بان يدفعوا له معاليمه تحت حرم ، بعدكم يوم راجعنا بان ما دفعوا له المعاليم ولا عادوا قدسوا في كنيسة الضيعه ولا احد منهم حضر لعندنا واعرض لنا عن شيء .

اقتضى اننا حررنا اعلام ان الاشخاص المظهرين العصاوة وما دفعوا معاليمهم ، أي كاهن قبلهم في كنيسته بعد ان ننبّه عليه ، فليكن مربوطًا هو وكنيسته . فما نحن قايلين ان كنيسة المدرسة تكون مربوطة هي وقسوسها .

ومن قولكم انه موجود انعامات الى ديورتكم ومدارسكم هذا شيء معروف عندنا ما يقتضي تنظنونا به ونحب من خاطركم تفهموا اننا نرغب زيادة الانعامات لديورتكم ومدارسكم . وانما يلزم ان تميزوا حضرتكم ان هذه الانعامات لا تنفي المحرومين والمقطوعين من استفهم في كنايسكم واذا قبلوا المحرومين والمشرعين من بعد معرفتهم بذلك يكون القصد احتقار اوامر الاسقف وعدم نفوذ اوامره .

فلو كان الامر على موجب ظنكم ولا رعية الا فيها ديورة ومدارس فما كان يقتدر الاسقف لا يحرم احد ولا يمنع احد فان هذا الامر لسنا بصدده ولا يمنا ذلك . اذا كنتم ترغبوا جلالة الرهبانية بالقيراط نحن نرغبها بالقنطار .

ومن قولكم انكم نبهتم على شركانكم انهم لا يدفعوا للخوري يدوّيه(رسم) ولا يقدسوا خلفه بينما تتوافقوا انتم والخوري امامنا ، حضرتكم غرنوا ونحن لو يفهمنا الخوري ان شركانكم ما دفعوا له يدويه كنا عرّفناكم نلزموهم .

ونحن فاهمين ان الخوري واقع منه كسور بما يخص خدامة الرعية ولكن شفقةً عليه بما انه فقير ومعيل (صاحب عيلة) ، صفحنا له عمّا مضى وحددنا له عمّا سيأتي . بقي الذي يحسن دبروه . ونحن وقتها حصل لنا تشويش . نرغب تزازرونا بدعاكم ودايمًا طمنونا عن صحتكم والبركة الالهية تشملكم ثانيًا والدعا ٨ ت ١ ١٨٢٠

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

الداعي لحضرتكم
جرمانوس ثابت
مطران جبيل والبترون

وفي اليوم العاشر من تشرين الثاني لهذه السنة عقد المجمع العام بحسب

الرسوم القانونية في دير طاميش . وبعد المذاكرة بما يعود على الرهبانية بالنجاح ، بلغ اليوم الثالث عشر من الشهر فباشروا الاقتراع القانوني السري في كنيسة الدير ، فاسفر :

الاقتراع الاول	الاب اغناطيوس بليبل	للرئاسة العامة (للمرة الرابعة)
« الثاني	« نعمة الله التجار	مدبراً اولاً
« الثالث	« برنردوس الغزيري	« ثانياً
« الرابع	؟	(مجهول)
« الخامس	« اجناديوس زعرور	مدبراً رابعاً

وفي اليوم الاخير توزعت الرؤساء :

الاب ارسانيوس النيحاوي	لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا
« مرقس الشنتيري	« « سيدة طاميش
« يوسف الخازن	« « مار يوسف البرج
« يونان الديراني	« « « انطونيوس حوب
« جرجس التاعبه	« « « مركيس وادي شحرور
« مخائيل بتايل	« « « ليباوس الدوار
« موسى خرايب صباح	« « سيدة ميفوق
« سمعان البحرصافي	« « مار الياس الكحلونية
« عبدالله الشبابي	« « « انطونيوس النبع
« يوحنا رشيا	(مجهول)
« اغناطيوس البكستاوي	« « مار انطونيوس سير
« عمانوئيل سلامه التيني	« « سيدة مشموشة
« رومانوس	« « مار مارون بيرسنين
« مبارك حليحل البكستاوي	« « « موسى الحبشي الدوار
« جراسيموس زعرور	« « « قبريانوس كفيفان
« انطون الرشاري	« « « عبدا معاد
« ارميا خضير الباني	« « « المونات جبيل
(مجهول)	« « « الياس مطوشي قبرس

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

اسطفان السبعلي . وجرمانوس وروكس وانطون واغناطيوس مركيس[1] البيروتيون . وعمانويل صنبيتي . وبولس البكاسيني . ولورنسيوس الشرتوني . وبطرس الاهمجي . ودوانيسيوس درب بشتار . وكاروبيم النزيري . ونعمة الله التنوري . وجرجس وطوبيا من بسكنتا . وانطون الاهدني . ولورنسيوس (مزرعة كفرديان) . وبطرس وبولس من (البيون) . وابراهيم سلفاني .

وتوفي الاخوة :

نتنائيل البمداني . وبرنابا الروفي . واسكندر من (معراب) . والاباء جرمانوس الدبراني والياس الشبابي وماتيا ميروبا .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٢٤

وفي السنة ١٨٢١ ، لم يكن من حوادثها ما يستدعي الاهتمام ، لذلك نقف عند ذكر اسماء من لبسوا الاسكيم الرهباني ومن رقدوا بالرب .

لبس الاسكيم الاخوة :

يمين الحلة . وارساتيوس مزرعة كفرديان . وبطرس الباني . واجناديوس الحدثي . وحنانيا قرطباوي . وموسى من سير الضنية . وعمانوئيل واكليمنضوس من القليعات . ومرقس الرامي . ويوسف قيطو . وفرنسيس الزيفوني . وتوما اده . والياس الحدثي .

وتوفي : الاب جرمانوس الاشقر عن ٧٧ سنة وهو الذي سلمنا دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب . والاب مبارك الخاتم الماتوري وكان حبيساً فاضلاً . والاب حنانيا التنوري . والاخوة : نوهرا من جديتا . وفرنسيس من بلما . وانطونيوس الرشاوي . وثادي من جرن . وشينا المنيتي .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٢٥

وفي السنة ١٨٢٢ روى الاب نعمة الله الكفري في يوميته وفاة المطران يوسف اسطفان المدعو قبلاً الخوري خير الله اسطفان وقيل مات مسموماً ودفن في عين ورقه . وهو الذي اعتنى بتعريب شبية صلاة الفرض الرهبان الاخوة

1) وفي روزنامة دير قزحيا الاب اغناطيوس الشدياق من بيروت في ١٦ نيسان ١٨٢٠

بالحرف الكرشوني ، اي انه هذب العبارة العربية واصلح ركاكتها ، كما هو مذكور في مقدمتها اذ طبعت للمرة الاولى في مطبعة دير مار انطونيوس قزحيا في السنة ١٨٠٩ بمساعدة الاب نعمة الله النجار المدبر الاول المتوفى ١٨٢٦ والاب ساروفيم شوشان حوقا المتوفى ١٨١٦ .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

اقليموس المزرعاني . ومبارك اده . وموسى الاجحاني . ويعقوب الشراوي . وسركيس قرطباوي . واسكندر ترتجاني[1] . وسرابيون الريفوني . ويعقوب الغليطاني . وبرنابا الرامي . وبرنردوس قيطو . ويوسف جمجم البشراوي . وفرنسيس فخري . ويعقوب القرطباوي . ومبارك الموصلي . وبرنردوس الغفوري . وطوبيا الميون . ومرتينوس دير شمرا . واغوسطين الدوار . وبطرس بعبدا . وبولا مزياره .

وتوفي الاب عبدالله الناعمه . والاخوان : يوسف البكاسيني . وابراهيم البكشتاوي .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل الثامن عشر

عدد ١٢٦

وفي السنة ١٨٢٣ ، بناء على الطلب المرفوع الى قداسة الحبر الاعظم البابا بيوس السابع ، (١٨٠٠ — ١٨٢٣) انعم قداسته على الاب رئيس دير مار انطونيوس قزحيا حالياً وعلى كل من يخلفه في الرئاسة بالمستقبل ، بحق منح الغفران الكامل في عيد القديس انطونيوس ابي الرهبان ، الواقع في ١٧ كانون الثاني ، في كنيسة ديره ، لكل افراد المسيحيين الكاثوليكيين من كل جنس . ويمكن تخصيص هذا الغفران بالانفس المطهرية .

وهذه حرفية الانعام :

« من مواجهة قداسة سيدنا الكائنة في اليوم الخامس عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٨٢٣ ، ان الكلي القداسة سيدنا البابا بيوس السابع بالعناية الالهية ، بموجب تبليغي انا

١) قتله متاولة حجولا في دير مار مارون عنايا يوم هجموا على الدير فتصدى لهم الاخ المذكور فاوسعوه ضرباً بالعصي حتى وقع صريعاً ، لكن تمكن المدبر اثناسيوس الشوفي من سماع اعترافه واعطائه الحل الاخير .

المحرر اسمي ادناه كاتب اسرار جمع انتشار الايمان المقدس ' بحسب التوس الكلي الخضوع من المحترم رئيس الرهبان الموارنة الملقبين بمار انطونيوس الكبير ' الـذي هو رئيس على دير قزحيا ' بكل حلم قد أنعم له(عليه)وصرفه ان يمنح غفراناً كاملاً وايضاً يكون اسمانا للانفس المطهرية ' لجميع افراد المسيحيين الكاثوليكيين من كل جنس رجالاً ونساء بحيث يكونوا نادمين حقاً ومعترفين ومتناولين القربان الاقدس ويزورون بكل عبادة كنيسة الدير المذكور اعلاه . المشتهرة ' في عيد مار انطونيوس الكبير يكون اكتساب هذا الغفران من طلوع الشمس الى غروبها . ثم يصلون الى الله تعالى لاجل انتشار الايمان المقدس».

أُعطي برومية من مجمع انتشار الايمان المقدس في ١٥ ك٢ ١٨٢٣ .

من غير حق ولا ثواب ' بل انما لا يعطى لاحد بشيء على اي نوع كان » .

(عن الاصل المحفوظ بدير قزحيا) كيرللوس ماريا بيدسيني

كاتب الاسرار

وفي هذه السنة توفي البطريرك يوحنا الحلو بعد ان خدم المقام البطريركي اربع عشرة سنة (١٨٠٩—١٨٢٣) . ودفن في قنوبين . وفي ايامه تحوّل دير مار يوحنا مارون في كفرحي الى مدرسة اكليريكية لابرشية بلاد جبيل والبترون. ودير الرومية الى مدرسة طائفية عمومية .

وانتخب بطريركاً خلفاً له المطران يوسف حبيش .

(عن تاريخ سوريا مجلد ٨)

وفي السنة نفسها وقع الخلاف بين المطران بطرس كرم مطران بيروت وبين الاب العام اغناطيوس بليبل ' على ملكية كنيسة القديسة تقلا في المروج . فادعى المطران بان تسلُّم الكنيسة للرهبانية كان تحت شرط خدمة اهالي المروج مجاناً ' أي اذا تمنّع الرهبان او تاخروا عن هذه الخدمة ' حُقّ للمطران ان يرفع يدهم عن الكنيسة ويسلمها لمن يشاء لقاء الخدمة الروحية فقط . فرفعت الدعوى الى النائب الرسولي السيد لويس غوندلفي . وبما ان هذه الكنيسة تابعة اوقاف دير مارميخائيل بنابيل حضر رئيس هذا الدير لدى النائب الرسولي وقدم له الاوراق المثبتة ملكية ديره لهذه الكنيسة . وبعد الاطلاع عليها افتى النائب نفسه بثبوت ملكية الكنيسة المذكورة للدير . وان لا حقّ للمطران بملكيتها ؛ فلما عرف المطران بذلك ارسل الى النائب الرسولي كتاباً يبين فيه ادعاءاته .

وهذه حرفية الكتاب :

قدس الاخ السيد الكلي الشرف والاحترام .

بعد اهداء ما وجب ولاق وبث تباريح الاشواق الى مشاهدة طلعتكم السارة بكل خير وعافية ، بأيمن وقت وأسر اوان وصلنا تحريركم الجواب وفهمناه وحمدناه تعالى لرياضة بالكم . بلغنا ان ولدكم رئيس دير مار دانيال حضر لعندكم ومعه اوراق تخص كنيسة مرت تقلا بالمروج وان سيادتكم اخذتم نسخ الاوراق وسلمتموهم الى حضرة ولدكم الخوري دانيال الجميل وافهمتم الرئيس المذكور ان الحق له ونحن ما لنا حق بهذه الكنيسة . فما صدقنا ذلك .

اولاً : لكوننا اعرضنا بالكتابة عن هذه المادة وعن عدم امكانية تدبير كاهن (يقوم) بخدمة (اهالي المروج) من دون تسليم الكنيسة .

ثانياً : فلنفرض ان الطرح موقوف خصوصي للدير والعملية بكل هذه المدات هم (الرهبان) خادمين المطرح ، فيفهم انهم تسلموا المطرح بهذا الشرط فاذا بطل هذا الشرط بطل المشروط ان (اي) التسلم .

ثالثاً : كيف يمكن يقام كنيسة ضد خاطرنا ونحن غايتنا ورضانا خدامة الرعية . ومع كل ذلك نحن واثقون بحسن ذمتكم ورأيكم الحميد وليس لنا غاية الا راحة ضميرنا، نرجو تدبرونا على وجه تخلص ذمتنا . اذا ما تدبر لهؤلاء كاهن يخدمهم . وحققوا ان اولادكم الرهبان لا يمكن نرتضي بخاطرنا أن يتركوا هذا المطرح ، بل نرغب من صميم قلبنا ان يكونوا المباشرين والمستلمين لاننا نحبهم ونميل اليهم من داخل فؤادنا . والنتيجة اذا كان حقيق اخذتم نسخ هؤلاء الاوراق ، نترجاكم ترسلوها لنطلع عليها ونرجعها لسيادتكم وعرفونا عن المحسن (المستحسن) برأيكم بخصوص هذه المادة ومها كان يجد بنواحيكم لا تغيبونا . ونقبل ايديكم ثانياً وثالثاً والدعا .

وقرر الرئيس المذكور ان مرادكم توجهوا لنا حضرة الخوري دانيال ولهذا السبب اخذتم نسخ الاوراق ونترجا يكون بشريف علمكم ان هذه الرعية لاجل فقرها الكلي لا يمكنها تقوم بمعاش كاهن بدون هذه الكنيسة .

١٣ ايلول ١٨٢٣ الداعي اخوكم بطرس كرم

مطران بيروت

(عن الاصل وهو بيدي)

ان الاوراق التي اشار اليها المطران في كتابه واراد الاطلاع على محتوياتها، قد مرّ ذكر حرفيتها في حوادث السنة ١٧٩٣ و ١٧٩٨ و ١٨١٠ . وزيادة على

ما تقدم ذكره من الاوراق التي تنفي زعم المطران ، وجدت كتابة استحصلها الاب العام من عبود سركيس واقف هذه الكنيسة على الرهبانية ، اوضح بها انه لم يقصد من وقفه الزام الرهبانية بشيء مطلقاً ، بل ان عمله هذا كان مجردا لمجد الله واستمداداً لشفاعة القديسة تقلا صاحبة المقام .

وهذه حرفية الكتابة :

ايها الاب الكلي الشرف والاحترام .

المعروض على قدسكم بعد تقبيل ايديكم والتماس صالح دعاكم في كل خير وعافية . في ابرك وقت وصل لي ورقة بركتكم وسرني علم سلامتكم وذكرتم اني اعلمكم من جهة مار تقلا وعمار الكنيسة ووقوفاتها وكل شيء يلوذ بها . قدس ابونا نعلمكم باني انا قديمٌ (قديم في) المروج والذين اليوم في المروج كانوا ساكنين المتين ونحلوا الى المروج وشاركوا في الموضع . وقبل ان ابدي في عمار الكنيسة صممت النية امرها على اسم الرهبانية . فلما بديت في فتح الاساس وكان معي الاب جناديوس زعزور راهبكم وعمرت في مار تقلا كام يوم وبطلت مدة فكان لي ولدين فات الواحد منهم خفت بانه سماح من الله لسبب تاوني في عمار الكنيسة . فرجعت امرها على اسم الرهبانية وقدمت لها كاس وصينية وبدلة ووقفت لها موضع كرم . فحضر الاب مخايل راهبكم تقب الكرم ونصبه وصونه . ومن ثم اهل المروج ما لهم عليها ولا دعوى فنحن كنا نعمر فرضنا على كل واحد عشر خشبات فما احد قدم ولا خشبة واحدة . وكل وقوفاتها وعمارها من عندنا من رزقنا . ثم صار لنا احسان من الدريّة (المارّين) ومن غيرهم خمسة عشر غرش لا غير . وراهبكم الاب مخايل صار يخدم الكنيسة ومات ودفن في الكنيسة لانه مات في الطاعون . هذا ما نعلمكم لا احد داعاني من اهل المروج ولا لهم يداعوني وانا عمّرتها على نية الرهبانية وكل ما يلوذ بها وقف منا بموجب حجج مضية منا سلمناها بيد الرهبان .

هذا ما لزم اعرضه لقدسكم ثم اني اقبل ايديكم والتمس بركتكم والسلام .

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

ولدكم عبود سركيس

وفي اليوم العاشر من تشرين الثاني لهذه السنة عقد المجمع العام في دير سيدة طاميش بحسب الرسوم القانونية .

وفي اليوم الرابع من عقده اجتمع الآباء في كنيسة الدير لانتخاب هيئة الرئاسة العليا في الرهبانية بالاقتراع السري ، فاصابت :

القرعة الاولى الاب اغناطيوس بليبل لوظيفة الرئاسة العامة للمرة الخامسة

« الثانية انتخب الاب نعمة الله النجار مدبرا اول

« الثالثة « ؟ « ثانياً

« الرابعة « ؟ « ثالثاً

« الخامسة « جراسيموس الشبابي « رابعاً

وفي اليوم الاخير انتخب مجمع المدبرين رؤسا الاديار :

لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا الاب مرقس شنتيري

« « طاميش « نعمة الله قرنة شهوان

« « مار يوسف البرج « ؟

« « « انطونيوس حوب « جبرايل قليماتي

« « « جرجس الناعمه « اغناطيوس حماني

« « « مخايل بنابيل « مخايل بسكنتاوي

« « سيدة ميفوق « ارميا خضير الباني لمدة سنة وثمانية اشهر

وخلفه الاب جبرايل البزعوني

« « مار الياس الكحلونيه الاب سمعان البحرصافي

« « « انطونيوس النبع « ؟

« « « يوحنا رشيا « ؟

« « « انطونيوس سير « امبروسيوس بسكنتاوي

« « سيدة مشموشه « يونان الديراني

« « مار مارون بير سنين « اغناطيوس حاتم حمانا

« « « موسى الحبشي الدوار « مكاريوس وادي شحرور

« « « قبريانوس كفيفان « موسى الشرتوني

« « « عبدا معاد « عبد الاحد البكاسيني

« « سيدة المعونات « اثناسيوس شوتي

« « مار سركيس وباخوس قرطبا « عنوبل الشبابي

« « « الياس مطوشي قبرس ؟

وفي هذه السنه لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

يوحنا وايجيديوس وموسى من بسكنتا . وانطونيوس وتوما وسركيس وسرابيون من تنورين . وتادروس وبرنباوس من بشراي . وروفايل الشرتوني . وشربل بدادوني .

وسمعان قرطباوي وسرابيون عينطوريني . وسمعان الدلبتاوي . وعبد الاحد البكاسيني .

وتوفي لرحمته تعالى الاخوة : عمنويل الرشاوي . ونعمة الله كفرسلوان . ولورنسيوس سفي لحفد . ومتى الناقوري .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٢٧

وفي سنة ١٨٢٤ ترك بغتةً الاب رميا خضير الباني رئيس دير سيدة ميفوق ديره بعد ان ترأس عليه سنة وثمانية اشهر (اي من ت ٢ سنة ١٨٢٣ الى ١٧ تموز سنة ١٨٢٥)[1] ، وذهب متوارياً آخذاً معه ما كان بخزانة الدير من النقود وقدرها احد عشر الفاً وخمسماية قرش . خرج من الرهبانية تائهاً لم يعرف احد مقرَّهُ ولا سبب هجره . انما بعد مدة من الزمن تبيَّن انه ذهب الى رومية العظمى ليرفع شكواه الى الحبر الاعظم والكرسي الرسولي على السيد البطريرك يوسف الحبيشي لانه لم يرسمه مطراناً على مدينة طرابلس الشام خلفاً له ، على ان ابناء الابرشية المذكورة كانوا انتخبوا باكثريتهم الاب خضير المذكور . ولما علم هذا الاخير ان شكواه لم يقبلها الكرسي الرسولي ، ترك رومية راجعاً الى الشرق . وهذا كل ما عُرف عنه في ذلك الوقت ، اذ انقطعت اخباره تماماً . الى ان كانت سنة ١٨٧٠ (اي بعد ٤٥ سنة) . وصلت كتابات للسيد البطريرك بولس مسعد والى الرئيس العام الاب افرام جعجع ، تحمل امضاء الاب ارميا خضير الباني اللبناني ، خلاصتها انه موجود حالياً في مدينة ايقونية بوظيفة طبيب عسكر الفيلق الثالث الهمايوني في المدينة المذكورة . وان لديه تركة وافرة فيطلب :

١ً ان يرسل اليه كاهن من ابناء الرهبانية ومعه التفويض بالحل من جميع الخطايا والتأديبات اللاحقة به بصفته مسيحياً وراهباً وكاهناً ، لانه قاصد ان يقدم توبة لله عن ماضيه .

٢ً ان يكون الكاهن ايضاً مفوضاً بقبول الشراء والهبة عن دير قزحيا اذ يريد ان يخصص قسماً وافراً من متروكاته بالدير ايفاء عن ذمته والى غير ذلك من المطاليب الحميدة .

---

[1] فيكون ترك الدير في سنة ١٨٢٥ كما يستفاد من روزنامة دير سيدة ميفوق التي تذكر ان الاب خضير الرئيس قد البس الاسكيم الرهباني الاخ هارون الديراني في ١٧ تموز سنة ١٨٢٥ . (الناشر)

فبعد الروية عقد مجلس المدبرين جلسة قرر فيها :

١ً اجابة طلب الاب ارميا بدون تأجيل .

٢ً ارسال الاب ابرهيم الجميل الموجود في ذلك الحين ، في دير مار الياس مطوشي قبرس ، الذي له المام كاف باللغتين اليونانية والتركية .

ثمّ رفع الاب العام قرار مجلس المدبرين الى السيد البطريرك الذي وافق عليه ومنح التفويضات اللازمة للاب ابرهيم الجميّل بحسب الطلب . وكذلك فعل قدس الاب العام .

ثم ارسلت الاوراق الى الاب ابرهيم الى دير قبرس فتسلمها وسافر الى ايقونية فبلغها بعد سفر شاق طويل . وقابل الاب ارميا خضير واطلعه على اوراق التفويضات ، فقبله الاب ارميا بكل مسرة وحفاوة واظهر استعداده لمباشرة رياضة روحية في بادئ الامر ليتصالح مع الله تعالى ، بعد تلك العداوة الطويلة . ودامت الرياضة نحو شهر زمان .

ثم اعترف اعترافاً عاماً واقتبل الحل السري وتناول القربان المقدس بعد ان حرم منه اربعين سنة . وبعد ذلك روى الاب ارميا للاب ابراهيم تاريخ حياته من يوم هجره الرهبانية الى الساعة التي هو فيها . قال :

« اني تركت لبنان وسافرت الى رومية العظمى بقصد رفع دعواي على السيد البطريرك لامتناعه عن تعييني مطراناً على طرابلس . وبعد ان وصلت الى رومية ، عرفت ان الكرسي الرسولي لا يشاء ان يسمع دعواي لانها غير قانونية ، فقفلت راجعاً الى قبرس وسافرت منها الى الاناضول . واخذت انتقل من محل الى آخر الى ان بانت ايقونية فالقيت عصا الترحال فيها . ثم اتقنت معرفة اللغة التركية وفكرت في البحث عن عمل لايق اتعاطاه لتحصيل معاشي . فصممت النية على مباطاة الطب وكان لي بعض الالمام به لاني كنت مولعاً في مطالعة كتبه واقتنيت كتباً عديدة غيرها اطالعها بكل فرصة . واعلنت نفسي طبيباً وشرعت اتعاطى الطبابة فنجحت .

ولما اصبحت في سعة من الدنيا اقترنت بامرأة وطنية من طائفة الروم الارثوذكس وعشت معها بسلام الى ان توفيت من زمن تاركة لي ابنة فاهتممت بزيجتها من رجل عرفت انه يرعيها وهو من الاوجه .

فاستدعاني ذات يوم ، مشير الفيلق الثالث المرابط مع جيشه في هذه المدينة لاعالجه في داء عجز اطباء الجيش عن شفائه . فعالجته ونجحت فشفيته فسرّ مني كثيراً وقدمني على اطباء الجيش اذ عينني طبيباً اول فيه .

وهكذا اقبلت الدنيا بخيراتها ؛ الى ان تمت هذا العمر فانعم الله عليّ بأني اخذت افكر في ما كنت عليه في ماضي ايامي في الرهبانية والكهنوت ، وما انا عليه الآن وما سكون حياتي بعد هذه الدنيا ؛ فحزنت على نفسي حزنًا شديدًا وقلت بعد تأمل طويل :
قُمْ يا رجلي لك اسوة بالابن الشاطر .

ولساعتي همت ورفعت العرايض للسيد البطريرك وللاب العام ، طالبًا منهما ان ينظرا في حالتي الشقية بعين الاهتمام لان بيدهما خلاصي .

فنظر الله اليَّ وسمع طلبتي جاعلًا الشفقة بقلب الرؤساء فاجابوا التماسي والحمد لله . وانا ما زلت ، ايها الاب ، اشكره تعالى في كل صباح ومساء ، بل وفي كل دقيقة ما عشت ، على ما انعم عليَّ به من فيض سخائه ، على غير استيهال . واني لا اشك بان توالي هذه النعمة نعمة التوبة والرجوع اليه تعالى بغير استحقاق ، هي نتيجة تعبدي لوالدة الله مريم العذراء ملجا الخطأة ، بتلاوتي سبحتها الوردية المقدسة ولاجل تلاوتي الصلاة الفرضية الكهنوتية ، فكان لي بها الحماية والنجاة . لاني من يوم خرجت من دير سيدة ميفوق (ليت ذلك اليوم ما كان !) لم اترك تلاوتها يومًا واحدًا .

ثم يخبر الاب ابراهيم الجميّل الذي قصّ عليّ هذه الرواية ، بما يأتي :

« ان علامات التوبة التي ابداها الاب ارميا والخشوع والتسليم لله تعالى في كل تلك المدة التي قضيتها معه ، قد كانت عظيمة دالة على صدق رجوعه الى خالقه . وانه لم يكن يذكر حادثة غروره وخروجه من الدير ، الا ويذرف الدموع مدرارة على هذه الجهالة »

ثم وصف لي اشكاله فقال :

« انه كان معتدل القامة يميل الى القصر ، عبل الجسم ، حنطي اللون ، صغير العينين بصر حادّ . عريض الجبهة كبير الانف ، طلق اللسان ، فصيح الكلام لينه . يصلح شعر ذقنه على الطريقة التركية . وعلى اثر الانتهاء من الرياضة كتب ثلث ما يملك من منتقل وثابت موقوفًا على دير القديس انطونيوس قزحيا الكائن في جبل لبنان ، كما كان صرح في كتاباته للسيد البطريرك وللاب العام » .

ومكث الاب ابراهيم عند الاب خضير في داره نحو سنتين ، صرفهما الاب ارميا باعمال التوبة وبالمثابرة على تلاوة الصلوات والاستعداد لملاقاة ربه . وبعد ان بلغ نحو الثمانين سنة من الحياة نفذت فيه سهام الموت .

وبعد وفاته اهتمّ الاب ابراهيم باستلام ما اوقفه المرحوم الاب ارميا لدير قزحيا ، فلم يستطع الى ذلك سبيلًا لانه غريب الديار وضعيف اللغة . وكانت ابنة المرحوم وزوجها من اوجه ايقونية ، مسموعي الكلمة عزيزي الجانب .

ولما وجد الاب ابراهيم ان المقاومة شديدة وليس باستطاعته تذليلها ، استسلم للقنوط وترك المداعاة بالوقف وخرج من البيت وتقيد بخدمة بعض بيوت كاثوليكية في المدينة بتفويض من مطران حلب . ومكث هناك نحو ثمان سنين رجع بعدها الى لبنان صفر اليدين .

هذا ما رواه لي الاب ابراهيم مرةً واثنتين وثلاث مرات. وهذا ما كان من امر الاب ارميا المذكور وفيه عبرةٌ لمعتبر . ثم في اثناء الحرب الكونية الاولى اخذت الحكومة التركية الاطباء من البلاد لخدمة الجيش وكان من جملتهم الدكتور رزق‌الله البعقليني الماروني من الشوير ، عينته الحكومة طبيباً لجيشها في مدينة ايقونية . وفي اثناء وجوده هناك عرفه البعض انه ماروني من لبنان فسألوه قائلين : ان لدير قزحيا بطائفتكم وقفاً معتبرًا في هذه المدينة ، فلِمَ لا يرسل رئيس الدير معتمدًا من قبله ليستولي عليه ؟ وبما ان الدكتور كان يجهل هذا الحادث ، فلم يستطع ان يقول شيئاً . وبعد نهاية الحرب ورجوعه الى لبنان قابلته فقصّ عليَّ ما قيل له في ايقونية وسألني الافادة فاخبرته عن روايتها مفصلًا ، ثم رفعت واقع الحال الى الرؤساء . . .

وفي هذه السنة (١٨٢٤) لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

مكسيموس الدرعوني . وتوما التنوري . وانطون كفركده . وسابا وبطرس من بشراي . وبيبين وعبد المسيح ويوحنا من قرطبا . وحنانيا من الشبانية . وبرنردوس الدلبتاوي . وسركيس التنوري .

وتوفي الاخوة : جبرايل التنوري . وجرجس المدوشي . وميخايل الطرابلسي وبرنابا الجزيني . والاب سابا المدوشي .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٢٨

وفي السنة ١٨٢٥ وقفت المرأة اسبانيولية ابنة انطونيوس خليفة من عجلتون ، على الرهبانية اللبنانية ، بما خصها من ارث والديها ، من توت ومختلف وعمار وبئر جمع للماء واثاث ونحاس وفضة من كلي وجزئي ؛ ببدل كسوتها ومعاشها بمثابة امثالها. وان يتوزع بعد وفاتها مبلغ خمسمئة قرش خمسة قداديس لراحة نفسها ، ما عدا نفقة دفنها .

وقد اثبت هذا الوقف المطران اسطفان الخازن (الاول) . بعد وقوفه على ما يجب الوقوف عليه شرعاً . وبعد سنوات معلومة توفيت المرأة الواقفة فبرز زوجها المدعو شاهين القاموع ، وقد كانا تهاجرا بموجب حكم كنسي مرعي الاجراء ، فوضع يده على الرزق الموقوف ، مدعياً انه انفق بعض المصاريف على المرأة المذكورة تحت الوعد بان تملكه الرزق ؛ وانها نكلت بوقفها قبل وفاتها . واضاف يقول : انها معتوهة لا يحق لها التصرف بما تصرفت به . واستحصل امرًا من الحاكم الى الرئيس العام برفع يده عن الرزق او بتعيين وكيل عنه للمرافعة . فتعين وكيلًا الاب اغناطيوس سركيس البيروتي الذي توجه الى محكمة بعقلين حيث الحاكم الشرعي ، بعد اخذ رضى السيد البطريرك . وبعد المرافعة ثبت حق الرهبانية وسقطت دعوى المدعي . وقبل ان يحكم القاضي بالدعوى ، رفض وكيل شاهين القاموع وكالته وهرب . فعندها أمر الحاكم بان دعاوى الاوقاف هي من صلاحية الحكام الكنسيين . فلتسمع هذه الدعوى بديوان السيد البطريرك . واذ ذاك اتخذها وكيل القاموع فرصة سانحة ذهب فيها الى الشام ورفع شكواه الى الوالي ، مدعياً بضغط خصومه عليه واكراههم اياه وعدم سماع دعواه بموجب الشريعة الغرّاء . وانه مظلوم . فصدر امر من الوالي الى سعادة الامير بشير الشهابي الحاكم العام ، مآله : ان يحضر الرهبان الى الشام للمحاكمة ولا يقبل لهم عذرًا عن عدم الحضور . فوجه الامير بشير امرًا الى الرئيس العام بان يتوجه بحسب امر الوالي ، واذا تأخر هو او من يقيمه وكيلًا عنه ، التزم ان يحوّل عليه (الحكم عليه) .

ولما كانت الرهبانية تحت حماية الدولة الافرنسية ، عرض الاب العام واقع الحال بهذه الدعوى ، على سعادة الخواجا هنري كيز قنصل فرنسا في بيروت ، المشهور بغيرته وهمته وحسن ديانته المسيحية ، فوجّه كتابة الى والي الشام ألمرما اليه ، يفيده ان الرهبان لا يستطيعون الذهاب الى الشام لان قوانينهم وحالتهم تمنعهم من السفر الى امكنة بعيدة لاجل المحاكمة في محاكم خارجة عن ديانتهم . ثم ان الرهبانية هي تحت حماية دولته السعيدة . وعليه لا يمكنه مطلقاً ان يسمح للرهبان بالتوجه الى الشام ، بل لهم وحدهم حق اختيار المحكمة لاستماع دعواهم . ولذلك يطلب من الوالي ان يعين محكمة بيروت او صيدا او طرابلس الشام

لسماع هذه الدعوى . ولما بلغت هذه الرسالة الى الوالي ، اصدر حالا امرا الى ابن القاموع ليبارح الشام في الحال وان يحضر الى احدى المحاكم المذكورة . واردف امره هذا بأمر الى الامير بشير بان يحوّل على ابن القاموع ليحضر الى المحاكمة مع الرهبان في المحكمة التي يختارونها . فصدع الامير بأمر الوالي وحوّل على المدعي المذكور وبعد ان بقيت الحوالية عنده اياما ، اذعن للحق وانتهت الدعوى . . .

(عن شرح لهذه الدعوى دوّنه الاب اغناطيوس مركيس البيروتي في السجل المعروف بدير طاميش)[1] .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

مخايل المروجي . ونعمة الله المبروني . وانطون البكسيني . ومرقس غياله . وبرنردوس الدليتاوي . ومخايل المروجي . ورومانوس وتوهرا وجبرايل واجناديوس وفرنسيس ومخايل من قرطبا . وسابا من بيت ملّات (عكار) . ومرتينوس الدرعوني . ومبارك وبرنردوس من الديه . ومارون الديراني . وبواصاف البنا علي .

وتوفي : الآباء انطونيوس الزوقي . وعبد الله القرطباوي . وفرنسيس المادي . وفرنسيس المتاوي (من مستا) . والاخوة : كاروبيم البعداني . ويوسف الدليتاوي . وعبد الله المتيني .

الفصل التاسع عشر

عدد ١٢٩

- في السنة ١٨٢٦ اتفق الاب العام بليبل مع الشيخ البدوي الضاهر على جلب الماء من قرية عشاش الى رشعين لاجل ري املاك الرهبانية الموجودة هناك اذ كانت محرومة من المياه . وربطت الاتفاقية بكتابة هذا نصها :

الداعي لتحريره :

انه يوم تاريخه قد تمّ الرضا والاتفاق منا مع قدس الاب اغناطيوس بليبل الرئيس العام الكلي الاحترام لجهة املاك دير قزحيا في رشعين انهم يجيبوا من موية (مياه) عشاش في

---

١) وهو الآن بين سجلات الرئاسة العامة تحت رقم ١

ساقية رشمين ويسقوا املاكهم الموجودة في رشمين لان ما لهم حق من (في) ماء رشمين بالكلية . وذلك مما يخصنا من دورنا . وهكذا قد تمّ الرضا والاتفاق فيما بيننا ليس عليهم معارضة لا منا ولا من غيرنا .

كاتبه

-- البدوي ضاهر

حررنا ذلك للبيان تحريرًا في ٧ ن (نيسان) ١٨٢٦

(عن الاصل المحفوظ بيدي)

وفي هذه السنة ابتدأ رؤساء الرهبانية بشراء الاملاك الكائنة في مزرعة كفربعال لدير مار مارون عنايا عن يد الاب بطرس الاهمجاني وقد تمّ مشتراها بمدة ثلاث سنين ، اي من هذه السنة ١٨٢٦ حتى السنة ١٨٢٩ ، بموجب خمسة صكوك :

الصك الاول : من الشيخ عباس بن حمد خير حماده ومنصور بن حمد خير حماده ووالدتة . ومحمد علي جهجاه حماده ووالدتهم . وذلك المبيع ثلث رزقهم في كفربعال بثمن الفين وثلاثمئة قرش .

والصك الثاني : من المذكورين اعلاه ببيع الثلث الباقي لهم في المزرعة المذكورة بثمن الفين ومئتي قرش .

والصك الثالث : في كفربعال من المشايخ بالنصر وسعد الدين وداود وموسى ويوسف وسلوم ، ببيع الثلث في المزرعة بثمن الفين وستماية قرش .

والصك الرابع : في كفربعال من المشايخ عباس واولاد ملحم اولاد حمد حماده بثمن الفين ومئتي قرش .

والصك الخامس : من المشايخ اولاد الشيخ علي بالنصر سعد الدين وداود وموسى ويوسف وسلوم عن الباقي لهم في المزرعة المذكورة . وقيمة الثلثين الباقيين لهم بثمن خمسة الاف قرش . فيكون مبلغ ثمن المزرعة اربعة عشر الفا وثلاثمئة قرش .

(عن الصكوك في دير مار مارون عنايا)

وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني لهذه السنة عقد المجمع العام في دير سيدة طاميش في موعده القانوني .

وفي اليوم الرابع من الاجتماع ، جرى الاقتراع السري في الكنيسة بحسب الرسوم ، فاصابت :

الفرعة الاولى انتخاب الاب اغناطيوس بليبل رئيساً عاماً للمرة السادسة
« الثانية « « اقليموس الشبابي مدبراً اول
« الثالثة « « برنردوس التزبري « ثانياً
« الرابعة « « افرام الصنابي « ثالثاً
« الخامسة « « عبد الاحد البكاسيني « رابعاً

وقد حكم آباء هذا المجمع مشددين في الجلسة الخامسة والاولى بعد الاقتراع ، انّ كل راهب يدخّن (يشرب سيكارة) او يستعمل النرجيلة ، فلا يُحلّ في محكمة الضمير وكل كاهن يتجاسر ويمنحه الحلّ يسقط حالاً في تأديب الربط عن التصرف بدرجته وحلّته محفوظة للاب العام . وأنّ كل من يأكل لحماً بدون علة مرض ومشورة الطبيب واذن الرئيس ، فان كان رئيساً يعزل عن رئاسته ، وان مطيعاً (مرؤوساً) فينزل به قصاص الزلة الاثقل بالغاية . وحكموا ايضاً أن من مات من رهباننا ووجد مقتنياً نحو خمسة قروش ولم يعلم رئيسه بها فيكون محروماً من استحقاقات الرهبانية الروحية ولا يصلى عليه ويحرم الدفنة في مدافن الرهبان الا اذا كان مسافراً بأمر رئيسه وتوفي بغتةً ووُجد معه مثل هذه القيمة اي خمسة قروش فلا يعامل بموجب هذا الحكم . وجددوا حكمهم ايضاً بان لا يكون عند الراهب سوى بدلتين من الثياب الا اصحاب الاعمال اليدوية في الحقل والبستنة والمعامين الحجارين (البنّائين) والنجارين ... فليعطوا بدلة ثياب زيادة . وحكموا ايضاً ان من واجبات كل رئيس دير ان يعين احد كهنة ديره ليعلّم خدام الدير والشركاء التعليم المسيحي وكل ما تلزم معرفته للاعتراف التقي . وان يلقي عليهم رياضة روحية سنوية بعد الانتهاء من رياضة الدير السنوية لجمهور الرهبان .

وفي الجلسة الثانية بعد الاقتراع والسادسة من الاجتماع ، قد شدّد آباء هذا المجمع بوجوب حفظ الوقت المعين للصلوة العقلية في الصباح وفي المساء ، مقدار نصف ساعة على الاقل . فاذا كان الراهب حاضراً في الكنيسة فليتأمل مع الجمهور المرتد، وان كان خارجاً فليختلِ بنفسه لممارسة هذه الصلاة . ومن ثبت

عنه انه في مثل هذا الوقت يدور في ممشى الاخوة ، فليقاصصه رئيسه اشد القصاص .

وفي الجلسة الاخيرة تعيّنت الرؤساء :

فانتخب الاب مكاريوس وادي شحرور لرئاسة دير مار انطونيوس قزحيا
« « مرقس الشنتيري « « سيدة طاميش
« « عبد الاحد الداراموني « « مار يوسف البرج
« « جبرائيل الفليماتي « « « انطونيوس حوب
« « نعمة الله قرنة شهوان « « « جرجس الناعمة
« « مخايل البسكنتاوي « « « مخايل بنابيل
« « سمعان البجرصاقي « « سيدة ميفوق
« « عمانوئيل المتيني « « مار الياس الكحلونية
« « عبدالله الشبابي « « « انطونيوس النبع
« « عمانوئيل الشبابي « « « سركيس وباخوس قرطبا
« « ؟ (مجهول) « « « يوحنا رشميا
« « امبروسيوس البسكنتاوي « « « انطونيوس سير
« « يونان الديراني « « سيدة مشموشة
« « انطون الرشاوي « « مار مارون بير سنين
« « ارسانيوس النيحاوي « « « موسى الحبشي
« « موسى الشرتوني « « « قبريانوس كفيفان
« « سركيس الوادي « « « عبدا ساد
« « مارون قيطو « « سيدة المونات جبيل
« « ؟ (مجهول) « « مار الياس مطوشي قبرس .
« « سركيس القرطباوي « « « مارون عنايا

(عن لائحة المجمع العام)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

اغناطيوس المجلتوني . وانطونيوس الحدثي . وجبرائيل الحصروني . ويوسف سقي لحفد . ومركيس النيق . وسمعان المجدلاني . ويونان الميتطوريني . ومكاريوس القرطباوي . وجرجس المختارة . ونافيطوس الرشاوي .

ونوفي الاخوة : رافائيل الشرتوني . ويوسف الصمالي . وجراسيموس سماحون (كذا) سماحون . والاب عمانوئيل الدبراني عن ٩٠ سنة . والاب جراسيموس زعرور المدبر (بداء الفالج) . والاب نعمة الله النجار البسكنتاوي عن ٩٥ سنة . وكان غيورًا فاضلًا ناسكًا متقشفًا متلمسًا خدم وظيفة المدبرية نحو سبع وثلاثين سنة وأراد آباء الرهبانية ان ينتخبوه رئيسًا عامًا مرارًا فرفض اتضاعًا .

عدد ١٣٠

وفي السنة ١٨٢٧ ملّك الامير بشير الشهابي الحاكم العام ارض حمى اللقلوق لرهبانيتنا ببدل دفع المال الاميري المرتب عليها بموجب صك هذه حرفيته :

علم تحديد وتبذير اراضي عين الفرن وعين فشيله وتوابعها في حمى اللقلوق بمعرفة المعلم طنوس وهبه المقدر المطاوق كما يأتي شرحه :

تحديد عين الفرن من القبلة البلاطتين المقارنتين بعضها .

من الشرق الجبل لحد قرنة يوسف حماده ومنها نازل الى الشمال لنصف سهلة الصيوان على ما تشهد نازل الى ميل الغرب لثغرة المرأة ومن الغرب من ثغرة المرأة الى نبع الداعوق . وتبذيرها ستة وعشرين كيل عالي وعشرة اكيال وسط مطوي . تحديد عين فشيله وتوابعها ميل القبله من نصف سهلة الصيوان على ما تشهد الى قرنة يوسف حماده الى ثغرة المرأة

ومن ميل الشرق من راس حرف تلة الحمراء الذي يسمى حرف الجبل على ما يشهد الى صوب الشمال الى قلعة الشرقية الى حد مجرى الماء الى نبع بتاره من ميل الغرب الجبل الماصي وتبعها بذار كيل في عين شمرا حد مجرى الماء وتبذيرها كيل عالي ثمانية عشر كيل، ووسط مطوي ستة اكيال وادنا (كذا) (ربما ودون) مطوي ثمانية اكيال مجموع ذلك ثمانية وسبعين كيل صح صح .

. الباعث لتحريره هو انه يوم تاريخه ادناه قد ملكنا نصف هذه المحلات المشروحة اعلاه الى اعزازنا رهبان دير ميفوق ، اي عين الفرن وعين فشيله بتوابعها واساسها وحدودها وشهرتها وكل ما يعرف بها وكل ما هو داخل هذا التحديد المسطر اعلاه قدرها عن النصف المذكور سبذر اربعة وثلاثين كيل تملكًا مؤبدًا ممدود غير محدود وكامل المياه التي في داخل هذه الاراضي قد ملكناهم نصفها على قدر حصتهم يزرعوا ويغرسوا ويتصرفوا بهذه الاماكن واغلالها تصرف الملاكي (الملاكين) باملاكهم وذوي الحقوق بحقوقهم لا يعارضهم معارض ولا ينازعهم منازع تملك شرعي خالٍ من الشرط والرجوع وقد رتبنا على هذه الاماكن مال ميري سلطاني اصل عن بذار كل كيل غرش واربعه فضة ومجموع ذلك على الاربعة والثلاثين كيل سبعة وثلاثين قرش وستة عشر فضة . وذلك على العالي والوسط والدون حيث كان الوسط والدون مطوي ويدفعوا على هذه القاعدة بكل عام الاموال واللاحيق والتكاليف

والابراءات العايدة لخزينتنا لسبة ارزاق رعايا مقاطعة بلاد جبيل .واعطيناهم قول بان لا يجري دبوس ثاني على هذه المحلات .

واما النصف الثاني فقد ملكناه الى اهالي قرية اهمج تحت قرش الميري بموجب حجة بيدهم مشعرة بذلك .

تحريرًا في ربيع آخر سنة ١٢٤٣ هجرية توافق مسيحية ١٨٢٧

اما منازل العرب ما هم داخلين في هذه الحجة بل باقية لهم وذلك عيون الطق لميل القبله لحد اراضي السياد وكفرحيال .

وميل الشرق مجرى الماء الشتوي فاصل ما بين المواقري والترل .

وميل الشمال حد عين البربريسة جبانة العرب .

لميل الغرب الجريد وهو جبل ما بين الحمي والمنازل . ومرج البساط وسير السود ثم وارض اللقاوق ارض واسعة ما لها تحديد عدا الاراضي التي تبدرت وهي ملك الرهبان والفلاحيه حسب منطوق الحجج .

كاتبه

بشير شهاب

(عن الاصل المحفوظ في دير القطاره)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

يوحنا قرطبا . ونيولا حراجل . واسكندر الشرتوني . وجناديوس اللحفداني . واندراوس غيالي . وجرجس الديه . وموسى الدلبتاوي . وعمنوئيل دار بشتار . وتادروس قرطبا . ومرتينوس قرطبا . واغناطيوس دار بشتار . وجرمانوس الديراني . واثناسيوس الديراني . وبطرس الرشاوي . وجبرايل عينطوريني .

وتوفي الاخوة : بطرس البسومي . ومارون الديراني . ويواصاف الشبابي . وجناديوس البكفاوي . وبطرس الشبابي . ودانيال عين عاق . وموسى قرنة الحمراء . ومرتينوس الزوقي .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٣١

وفي سنة ١٨٢٨ رأى الاب العام اغناطيوس بليبل ان كهنة طائفتنا المارونية بحاجة كلية الى كتاب صلوات الفرض الصغير (الشحيمة الصغيرة) لانه كان قد نفد المطبوع منها فارسل الاب اثناسيوس الشرقي والاخ طوبيا الغزيري الى رومية العظمى لتجديد طبع هذا الكتاب على نفقة الرهبانية .

فسافرا وباشرا بمشترى اللازم للطبع واستغرق عملها نحو سنتين لان المركب

الناقل الورق المعدّ للطبع نهب في طريقه انما الورق كان مضموناً فتحول الاهتمام الى مشترى ورق غيره وتحصيل ثمنه من شركة الضمان (سكورتا) وبما ان شركة الضمان تاخرت عن الدفع نحو نصف سنة وكانت الدراهم الباقية باليد لا تكفي لمشترى الورق اللازم ودفع اجرة الطبع وكان من الصعب مخابرة الاب العام بذلك وطلب الدراهم والحصول عليها لم يكن بالامر الهين نظراً لبعد المسافة ، ولكي لا يتعطل العمل او يتأخر استدان الاب اثناسيوس المذكور من الخواجات انطون غنطوس كوبا واولاده في ليفورنو مبلغ مئتي ريال سكوت تحت تحصيل قيمة ثمن الورق من شركة الضمان .

وهذه حرفية المراسلة بين الاب اثناسيوس والخواجا كوبا :

حضرة الاب والاخ المحترمين .

بعد الترجمة . المعروض امس تاريخه حظينا بشرفتكم المحررة في ٢٧ الجاري (اذار) فقريناها وحمدناه لسلامتكم وكامل ما تفضلتم بشرحه صار معلوماً . بخصوص علم معرفة طبع الكتب واتفاقها اعتمدتم على مباشرة طبع كتاب الترض الكنائني بنفقة الرهبانية وانه يعوزكم لهذا العمل قرضة ميتي ريال عمودي وانكم بتعطونا بوليسة على حضرة رئيسكم العام ام خلاف طريقه حسب مرادنا وان اردنا نقطع من اصل ذلك قيمة سيكورتة الورق حين قبضه . بالنتيجة لاجل خاطركم بتاريخه مرقين (السنيور) درمينيكو فالتتين بطرفكم انه متى لزمكم يدفع لكم مئتين سكوت ويسحب المبلغ علينا وبوقته نبقى نعلمكم كيف نستوفي المبلغ من حضرتكم ان كان بوليسة على حضرة الاب العام ام خلافه . واما دراهم السيكورتا مال الورق هذا بده مدة طويلة لوقت ما ينقضي (يحصل) لانه للآن القبطان كاجينو ما ارسل شهادات بتشليح المركب لكي بموجب ذلك نداعي بالدراهم بنوع السيكورتاه حسب القانون انما عن قرب منتظرين ذلك لنداعي . ولما يصلوا الاوراق ولا بد بعد وصولهم باربعة خمسة اشهر نقبض الدراهم حسب عوايد هنا . الغاية مثلما تعمل بما لنا نعمل بما لكم .

هذا ما لزم اعراضه ثم ابناء عمنا والاخ سطره يقبل يدكم ويطلبون دعاكم . من بعد تكرير ذلك .

ليفورنو ٣١ اذار سنة ١٨٢٨ .

ولدكم
انطون غنطوس
كوبا واولاده

(عن الاصل وهو بيدي)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

انطونيوس من الركزوك . ويوحنا الشوريتي . والياس المونثي . وبرنردوس ويواصاف من غيالي . وابراهيم قرطبا . وسمان عراموني . ومركيس الاهجاني . ومارون كفرسارم . وعمنوئيل الجبيّل

وتوفي : الاب شرابيون ديك المحدي . والاب عبد الله بن عاق . والاب يوسف جون . والاخوه افسطين التنوري . وناثيطوس الرويسة . وفرنسيس بكفاوي .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل العشرون

عدد ١٣٢

وفي السنة ١٨٢٩ تخلت نعمة الله عن احد الرهبان (نحتفظ بذكر اسمه اكراماً لعيلته وموطنه) فترك الرهبانية والدين المسيحي وتمذهب بالدين الاسلامي ودُعي يوسف المسلماني . فهذا المنكود الحظ تادى بشره وادعى امام عبدالله باشا والي صيدا ، على الاب العام اغناطيوس بليبل وعلى الاب يونان الديراني رئيس دير سيدة مشموشة وعلى الاب عمنوئيل الجميل رئيس دير مار الياس الكحلونية ، بانهم سلبوه قدر الف وخمسمئة قرش .

فصدر امر الباشا الى الامير بشير الشهابي الحاكم بقبول دعوى المسلماني والزام الرئيس العام بدفع المبلغ المدعى به ؛ وبما ان الرهبانية تحت حماية دولة فرنسا . اسرع الرئيس العام فكتب الى السيد هنري كيز القنصل الفرنساوي في بيروت ، يعرض عليه واقع الحال . فوجه القنصل حالاً كتابة الى الباشا يتبع دعوى المدعي ويدعوه الى الوقوف في المجلس الشرعي. فكان الجواب بالايجاب وان تسمع الدعوى في محكمة صيدا . فوجه الاب العام وكيلاً عنه الاستاذ طنوس الشدياق من بعبدا المشهور بمعارفه[1] . وبعد المرافعة بهذه الدعوى صدر الحكم برد دعوى المدعي لبطلانها .

(عن البيروتي السجل العام)

---

[1] هو شقيق فارس الشدياق الكاتب واللغوي الكبير .

ولقد عثرت على كتابة من محررات هذه السنة بين اوراق الكرسي البطريركي في بكركي ، تحتوي على تاريخ تأسيس دير مار مارون عنايا وهي بقلم الاب اغناطيوس سركيس البيروتي المشهور وقد عرفه قراء تاريخي هذا وهو ثقة في ما يروي . واني ، وان كنت اتيت على تاريخ دير عنايا في حينه ، فمع ذلك رأيت تدوين هذه الكتابة لازماً زيادة للفائدة ، وانا اجهل سبب وجودها في خزانة الكرسي البطريركي . وهذه حرفيتها :

« في ٣ تشرين الثاني سنة ١٨١٤ ، بايام قدس سيدنا مار يوحنا الحلو البطريرك الانطاكي الكلي الغبطة والجزيل الطوبى ، حضر الى تقبيل مواطئ اقدامه قدس الاب اغناطيوس بليبل الرئيس العام على رهبانيتنا فاعرض غبطته عليه بان في (يوجد) كم انسان من قرية اهمج متوحدين وعمّال يعمروا كنيسة في برّية وآخذين ارزاق من المشايخ المتاولة ولاجل عمل الخير ، اني وعدتهم اني اسلك (الرئيس العام) هذا المطرح وهذه الكنيسة وتعطيهم كاهن ام اكثر والمحل تتدبر فيه مثل بقية اديرتك » .

فامتثل لامر غبطته قدس رئيسنا المشار اليه وكتب (البطريرك) حجة هذه صورتها حرفيًا :

اعلام بالرب لكل ناظر اليه وواقف عليه .

انهم قد حضروا عندنا اولادنا يوسف ابو رميا واخيه داود بن موسى غيبى من قرية اهمج . وعيا ان المذكورين باذن منا وبسعيهم قد عمّروا كنيسة على اسم القديسين العظيمين بطرس وبولس في مكان يدعى الرويسه فوق اهمج يكنّى بعنايا والتمسوا منا حتى نعيّن لهم كاهنًا يخدمهم ويخدم في الكنيسة المذكورة لاجل مجد الله الاعظم وافادة المسيحيين الذين بقرب المكان .

ثم اننا صرفنا حضرة ولدنا القس اغناطيوس بليبل اب عام الرهبان اللبنانيين المحترم ان يرسل كاهن من رهبانيته يكون كفايه في المطرح يخدم في الكنيسة المذكورة ، وصرفناه برزق اولادنا المشار اليهم في الرزق الموقوف والمشترى والذي هو شركة المتاولة بحقوقه يتصرفوا فيه كباقي املاك ديورتهم دون معارضة من احد .

واشرطنا عليهم ان يبقى كاهن في خدمة الكنيسة المذكورة وان حسن يوضعوا اكثر من كاهن ما في مانع ويدبروا المطرح كباقي ديورتهم .

وقد حررنا بيده هذا الصك لاجل البيان تحريرًا في ٣ ت ٣ سنة ١٨١٤

† الحقـــــــير

يوحنا بطرس البطريرك الانطاكي

وبعد ذلك عرض الاب العام المشار اليه الى قدس سيدنا المطران جرمانوس ثابت مطران الابرشية الكلي الشرف والجزيل الاحترام . وقدسه كان محباً لجمهورنا وغيوراً على رهبانيتنا ومشتركاً بالشركة قداديس فانشرح بذلك واحتضن هؤلاء الشبان وهم كانوا سبعة فتوجه منهم ثلاثة دخلوا في رهبانيتنا بالابتدا ونذروا بموجب القانون . والاربعة قدسه لبّسهم ثوب الرهبنة ورسم البطريرك منهم واحداً كاهناً يقال له القس بطرس والباقي بقيوا رهبان بسطاء وبعده عاد رسم منهم كاهناً برجاء الاب العام واستقام مقدار سنة وتوفي بالرب وقدمنا عن نفسه قدامات مثل احد رهباننا واعطام الاب العام كاهنين لمساعدتهم بمشترى الرزق لكون الاب العام المشار اليه كان بادياً في عمار دير على اسم القديسين سركيس وباخوس في قرية قرطبا بعناية زائدة .

فبعد ان كمّل عمار الدير ورتب له لوازمه من اثاث الكنيسة والدير وطرش (ماشية) وارزاق وصار فيه مقدار سنين نفس من جمهور رهبان ومبتديه واجراء . ولا عاد لازمه شيء . فحضر الى دير مار بطرس امهج المذكور فوجد محل الكنيسة لا يوافق الى عمار دير من جملة موانع : ارضه محجره ومهوي وعدم المياه ومجالاته ظمرة جداً .

فحسن بفكره ان هذه الكنيسة تبقى محبسة للرهبان واخذ مزرعة بقرب الدير (اي المحبسه) من المشايخ المتاوله بمشترى غروش جمله وافراد . وانه محل بناسب الى المجالات وفيه حجار وخرايب كنايس وعين ماء تكفي لقضي لوازم الدير والشرب والطروش .

فبالحاضر بعث جمع رهبان من ديورته وان يحضر الراهب ومعه فرشته ولِكسوته . وجمع بقر للفلاحه ومعزى وبدا يشتري محلات وسمّى هذا الدير باسم ابينا مار مارونُ المعظم لكونه في كل بلاد كسروان وبلاد جبيل والبترون وجبة بشراي ما فيها مقام دير على اسم ابينا المعظم اب طائفتنا المارونية .

وشاورنا قدس سيدنا المطران جرمانوس المؤما اليه فقد انسر سيادته بذلك وانشرح خاطره والى وقت تاريخه في شهر ك ٢ سنة ١٨٢٩ ابتدا قدس الاب العام يجمع رهبان وطروش ويدبر اثاث واغلال لمؤونة الجمهور الذي جمعه بما انه لم يكن موجوداً الا زوج بقر ودابة ومقدار مئة راس معزي وقدر عشرين شنبل قمح (٥٠ رطل) وعمار في المزرعة لم موجود مطلقاً ولا اثاث والاخوة الذين كانوا موجودين اغلب سكناهم في المزارع في الفقر الكلي . انما مدبرين شوية رزقات من ارض وتوت وسليخ مقسم . وكما ذكرنا من تاريخه كان قدس الاب العام يدبر الجميع . الاسعاف من الاديرة كما مرقوم ذلك وما بقي قدّمه من مدخول وظيفة الرياسة العامة وتعب الاخوة . علم المصروف على الدير المذكور عدا عن الطروش والاثاث الواردة عن الاديرة من كلي وجزئي من يد الاب العام عن وفاء دين قليل ومشترى ارزاق واثاث كنيسة وباقي الوظايف . وهذا المصرف لغاية ت ٢ سنة ١٨٢٨

٦٦٤٠١ غرش و١٠ بارات ، اسعاف من الاديرة ثمن مواشي وبقر وبغل وفرشات وكساوي واغلال : ٣٦١٣ غرش ومن ثمن ٣٠٠ معزي ٣٠٠٠ راس ٣٠٠٠ قرش واسعاف ٨٠٠ قرش .

فيكون ٢١٬٨١٤ الف قرش .

(عن الاصل الموجود في بكركي)

قلت في تاريخ حوادث السنة ١٨٢٣ ، ان المطران بطرس ابي كرم مطران بيروت الماروني ، قد تصدّى لمنازعة الرهبانية بشأن تجديد بناء كنيسة القديسة تقلا في قرية المروج وتدخل النائب الرسولي السيد بولس غندولفي ؛ الى ان كانت هذه السنة (١٨٢٩) التي فيها تم الاتفاق على ان الرهبانية تجدد بناء هذه الكنيسة على نفقتها وتعتني بخدمتها بحسب عوائدها القديمة . فوافق المطران على ذلك باعلان هذه حرفيته :

الداعي لتحريره .

هو انه قد آذنا حضرة اولادنا الاب اغناطيوس الرئيس العام الجزيل الاحترام والى اولادنا المدبرين الاربعة المحترمين ، بان يجددوا كنيسة القديسة تقلا في المروج لكونها كانت من خشب واخدمت فهي مختصة في رهبانيتهم وموقوفة لهم من قدم . وحيث ان هذه الكنيسة مع وقوفاتها وقف لرهبانيتهم وراجع قيامها لاجل مجد الله وشرف القديسة وخير المسيحيين ، لزم اننا حثيناهم بامارها . وحسب عادتها كل احد وعيد يتقدس بها ولا عليهم معارض .

وحررنا ذلك بيدهم للبيان وحوادث الزمان صح ٨ ت ٢ سنة ١٨٢٩ مسيحية .

(عن الاصل وهو بيدي)

الحقــــــــــــــــــير

بطرس كرم مطران بيروت

(يتبع)

المجمع البلدي (تابع)

الذي عقده البطريرك بولس مسعد بأمر البابا بيوس التاسع

في دير سيدة بكركي سنة ١٨٥٦

نشره وعلق عليه الاب بولس مسعد مدير الاصول التاريخية

---

[٩٩] حواشي

المجمع البلدي المنعقد من رؤساء الطائفة المارونية
في دير سيدة بكركي من معاملة كسروان في ١١
[من] نيسان سنة ١٨٥٦

[١٠٠] عدد ١ : اعتقاد الايمان الارثودوكسي الواجب ابرازه من الشرقيين المطبوع بأمر قدس سيدنا البابا اوربانوس الثامن في مدينة رومية العظمى بمطبعة ونفقة مجمع انتشار الايمان المقدس . وكان ذلك سنة الف وثمانماية واربع مسيحية باجازة الروساء .

اعتقاد الايمان الارثودكسي الواجب ابرازه من الشرقيين

باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

انا اومن ايماناً ثابتاً . واعتقد بجميع الاشياء ، وبكل شيء يتضمن في قانون الايمان ، الذي تستعمله الكنيسة المقدسة الرومانية . اعني :

اولاً : اومن بالاه واحد اب قادر على كل شيء صانع السما والارض ، وكلما يُرى وما لا يرى ، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور ، الاه من الاه ، نور من نور ، الـه حق من اله حق . مولود غير مخلوق مساوي للاب في الجوهر . الذي به صار كل شيء . الذي من اجلنا نحن البشر ، ومن اجل خلاصنا نزل من السماوات . وتجسد من الروح القدس . من مريم العذراء فصار انساناً . صُلِب ايضاً من اجلنا في عهد بيلاطوس

البنطي . تألم وقُبر . وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب . وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين الاب ، وسيأتي ايضاً بالمجد ليدين [١٠١] الاحياء ، والاموات ، الذي ليس لملكه انقضاء ، وبالروح القدس الرب والمحيي المنبثق من الاب والابن . الذي مع الاب والابن سويةً يُسجد له ، ويُمجد ؛ الناطق بالانبياء ، وبكنيسة واحدة لمغفرة الخطايا ، وانرجى قيامة الموتى ، وحيوة الدهر الآتي امين .

ثانياً : اني اكرّم ايضاً ، واقبل المجامع العامة كما سيأتي اعني المجمع الاول النيقاوي . واعتقد بما حُكم فيه على اريوس المحروم ذكره . ان الرب يسوع المسيح هو ابن الله الوحيد ، المولود من الاب . اعني من جوهر الاب . مولود غير مصنوع . واحد مع الآب في الجوهر . وانهما صواباً حُرمت في المجمع المذكور تلك الالفاظ الاثيمة ان ابن الله لم يكن حيناً ما او انه صُنع من اشياء ليست موجودة . او انه كاين من جوهر آخر . او من ذات اخرى . او انه متغيّر او متقلّب .

ثالثاً : المجمع القسطنطيني الاول ، وهو الثاني بالترتيب . واعتقد بما حُكم فيه على مقدونيوس المحروم ذكره . بان الروح القدس ليس عبداً بل ربّاً . ليس خليقة . بل الاهاً ، وله لاهوت واحد مع الاب والابن .

رابعاً : المجمع الاول الافسسي ، وهو الثالث بالترتيب . واعتقد بما حُكم فيه على نسطور المحروم ذكره . بان اللاهوت والناسوت في اقنوم واحد اي في اقنوم ابن الله باتحاد لا يُوصف ، ولا يُدرك اقاما لنا مسيحاً واحداً . ومن اجل هذا السبب مريم[1] العذراء الطوباوية هي بالحقيقة والدة الله .

خامساً : المجمع الخلقيدوني وهو [١٠٢] الرابع بالترتيب . واعتقد بما حُكم فيه على اوطيخا ، وديسقوروس المحروم ذكرهما . بان ابن الله الواحد سيدنا يسوع المسيح هو كامل باللاهوت ، وكامل بالناسوت . الاه حق ، وانسان حق من نفس ناطقة ، وجسد . واحد مع الاب في الجوهر بحسب اللاهوت . وهو بعينه مساوي لنا بحسب الناسوت ، ومشابه لنا نحن بكل شيء ما خلا الخطيئة . من جهة اللاهوت هو مولود من الاب قبل الدهور . وهو نفسه من

---

١) بالحبر الاحمر (الناشر)

جهة الناسوت في اخر الايام من اجلنا ومن اجل خلاصنا مولود من مريم[1] العذراء والدة الله ، فالرب المسيح الواحد الابن الوحيد بذاته لازم انه يُعرف انه في طبيعتين بغير اختلاط . من دون تغيير. من غير انقسام. من غير انفصال. بغير زوال فرق الطبيعتين لاجل الاتحاد . بل بالافضل باثبات خاصيات الطبيعتين المجتمعة بالاقنوم . والقيام الواحد ، وليس منقسما او منفصلا الى اقنومين ، لكن واحد بعينه هو الابن الوحيد الاله الكلمة الرب يسوع المسيح .

سادساً : ثم انا اعترف ان لاهوت سيدنا يسوع المسيح . الذي به هو واحد في الجوهر مع الاب ، والروح القدس ، هو غير قابل الالام والموت . وهو هو بعينه بحسب الجسد فقط صُلب ومات ، كما تحدد في المجمع المذكور. وفي رسالة القديس لاون البابا الروماني الذي نادت جماعة الآباء في ذلك المجمع بعينه ان مار بطرس الرسول قدكان تكلم بفمه . فحرمت بذلك التحديد بدعة اوليك الذين كانوا يزيدون على الثلاثة التقديسات المنزلة على ايدي الملائكة والمرتلة في المجمع الخلقيدوني [١٠٣] المذكور : اي قدوس الله . قدوس القوي . قدوس الذي لا يموت ارحمنا . وهم كانوا يزيدون الذي صُلب من اجلنا ، فهم بقولهم هذا كانوا يزعمون ان طبيعة الثلاثة الاقانيم الالهية هي قابلة الالام والموت.

سابعاً : المجمع القسطنطيني الثاني ، وهو الخامس بالترتيب الذي فيه تجدد تحديد المجمع الخلقيدوني المذكور .

ثامناً : وايضاً القسطنطيني الثالث ، وهو السادس بالترتيب . واعتقد بما حُكم فيه على المونوتيليتين ، اي الذين يقولون ان في المسيح مشية واحدة . واعترف ان في سيدنا يسوع المسيح وحده توجد مشيتان طبيعتان ، وفعلان طبيعيان بلا انقسام ، ولا قبول تغيير ، ولا انفصال ، ولا اختلاط . وان مشية الانسانية ليست بمخالفة لأرادته الالهية القادرة على على كل شي، بل مطيعة لها .

تاسعاً : المجمع الثاني النيقاوي ، وهو السابع بالترتيب . واعتقد بما حُكم فيه على الايكونوكلاستي اي الناكرين الصور المقدسة بانه واجب علينا ان نحوي عندنا ، ونكرم صور المسيح ، والعذراء والدة الله ، وساير القديسين .

عاشراً : المجمع الرابع القسطنطيني ، وهو الثامن بالترتيب . واعتقد بان

---

[1] اسم مريم في الاصل باحرف سريانية ، وبالحبر الاحمر (الناشر)

فيه بحق واجب حرم فوتيوس ، واسترد القديس اغناطيوس البطريرك [كرسيه].

حادي عشر : وكذلك انا اكرّم ، واقبل جميع المجامع العامة الاخر التي اجتمعت باذن البابا الروماني على موجب القوانين ، وتثبتت بسلطانه ، وخصوصاً المجمع الفلورنتيني ، واعتقد بكل ما حُكم فيه اعني :

ثاني عشر : بان الروح القدس هو موجود من الآب والابن وجوداً ازلياً . وله حاصلة ذاته ، وكونه القائم من الاب والابن معاً ، ومنبثق من كليهما منذ الازل كمن مبدإ واحد وبنفخة [١٠٤] واحدة .

ثالث عشر : وايضاً ان تلك اللفظة « ومن الابن » زيدت في قانون الايمان بجواز ، وصواباً للايضاح ، وللضرورة المتأتية .

رابع عشر : ثم ان جسد المسيح يتقدّس حقاً بالخبز القمحي خميراً كان او فطيراً . وان الكهنة اجمعين هم ملزومون ان يقدسوا باحد النوعين - كل واحد على عادة كنيسته غربية كانت ام شرقية .

خامس عشر : ثم ان التائبين بالحقيقة اذا ماتوا بمحبة الله من قبلما يعملوا [يعملون] اثماراً مستحقة التوبة على ما عملوا من الخطايا ، وتركوا من الحسنات ، فارواحهم بعد الموت تتطهر في عذابات المطهر . ولكي ينجوا من تلك العذابات فتفيدهم اسعافات المؤمنين الاحياء . اعني ذبائح القداسات ، والصلوات ، والصدقات ، والفضائل ، وغيرها من الاعمال الصالحة التي اعتادت ان تصير من المؤمنين لاجل مؤمنين آخرين بحسب رسوم الكنيسة ، وبان انفس اوليك الذين بعد المعمودية لم يتدنسوا بدنس خطيئة ما قط ، تلك الانفس التي قد تطهرت بعد التدنس بالخطيئة اما في اجسادها ، اما خارجاً عنها تقتبل حالاً في السماء ، وتعاين الله جاراً بذاته ، ذا التثليث والتوحيد كما هو بذاته . ولكن كاختلاف استيبالهم واحداً افضل من الآخر . واما انفس اوليك الذين يموتون في الخطية الفعلية المميتة ، او في الاصلية فقط ، فارواحها تهبط الى الجحيم ، انما تتعذب بعذابات مختلفة .

سادس عشر : ثم ان الكرسي الرسولي المقدس ، والحبر الروماني له الرياسة على المسكونة جميعها . والحبر الروماني بعينه هو خليفة مار بطرس رئيس الرسل ، ونائب حقيقي للمسيح ، وراس البيعة جميعها ، وابوا (كذا) المسيحيين اجمعين ، ومرشدهم . وهو في [١٠٥] شخص مار بطرس تناول من سيدنا يسوع المسيح

السلطان التام لبرعى، وليـوس، ويدير جميع البيعة حسبما يقال ايضاً في اعمال المجامع العامة، وفي القوانين المقدسة كما يشهد المجمع الفلورنتيني المذكور.

سابع عشر: اعتقد ايضاً ان طقوس الشريعة العتيقة، اي شريعة موسى الشرعية، وتقديساته، وذبائحه، واسراره، بعد مجي ربنا يسوع المسيح قد بطلت. ولا يمكن حفظها بعد انتشار الانجيل بغير خطية. وكذلك تمييز تلك الشريعة العتيقة بين الاطعمة النقية والنجسة هو من السنن التي فنيت في اشراق الانجيل.

ثامن عشر: ثم ان تحريم الرسل ذبائح الاصنام، والدم، والمخنوقات كان واجباً لتلك الازمنة لكي ينزع من بين اليهود، والامم سبب المخالفة، وانه عند بطلان سبب هذا التحريم الرسولي بطل مفعوله ايضاً.

تاسع عشر: ومثل ذلك انا اكرّم واقبل مجمع ترنتو، واعتقد بكلما حكم وتوضح. فيه خصوصاً ان في القداس تقدم لله ذبيحة حقيقية استرضائية عن الاحياء والاموات، وان في سر القربان المقدس (حسب حق الايمان المحفوظ دائماً في بيعة الله) يحتوي جسد ودم سيدنا يسوع المسيح مع نفسه ولاهوته حقاً وحقيقياً وجوهرياً، وبان جوهر الخبز كله يصير جسداً، وجوهر الخمر كله يتحول دماً، وبان هذا التحويل سمته الكنيسة الكاثوليكية بكل صواب استحالة جوهرية. ثم ان في كل واحد من الرضين، وفي كل جزء منها اذا اقتسما يوجد المسيح كله.

عشرون: ثم ان اسرار الشريعة الجديدة المفروضة من سيدنا يسوع المسيح لاجل خلاص جنس البشر هي سبعة، ولم تكن كلها ضرورية [١٠٦] لكل انسان. وهي المعمودية، والميرون، والقربان، والتوبة، وزيت المرضى، ودرجة الكهنوت، والزيجة، وكلها تمنح النعمة. ومنها المعمودية، والميرون، ودرجة الكهنوت غير ممكن تكريرها.

حادي وعشرون: ثم ان المعمودية هي ضرورية للخلاص، ومن اجل هذا يجب ان تُعطى سرعةً، وبلا مهلةٍ في خطر الموت. ومتى أُعطيت من اي كان، وفي اي وقت كان بالمادة والصورة المفروضة، وبالنية الواجبة، فتكون صحيحة.

ثاني وعشرون: ثم ان رباط سر الزيجة غير قابل ان ينحلّ، ولو كان جائزاً افتراق الزوجين، فيما هو للمضجع، والمساكنة لسبب الزنا، او الهرطقة، او

اسباب اخر ، فمع ذلك لا يجوز ان يتزوج احد منهما باخر .

ثالث وعشرون : ثم ان تقليدات الرسل والبيعة ينبغي لنا ان نقبلها ونكرمها .

رابع وعشرون : ثم ان السلطان على منح الغفرانات ، قد ابقاه المسيح في البيعة ؛ ويفيد كثيرا استعماله للجماعة المسيحية للخلاص .

خامس وعشرون : كذلك ايضاً انا اقبل ، واعتقد بما حُكم في مجمع مدينة ترنتو المذكور على الخطية الاصلية والتركية ، وعلى عدد الكتب المقدسة من الناموس العتيق والجديد وتفسيرها .

سادس وعشرون : انا اقبل ايضاً واعتقد بسائر ما تقبله ، وتعترف به الكنيسة المقدسة الرومانية . وجملةً انا احرم وارفض ، والعن جميع الاشياء المضادة ، والانشقاقات ، والارتقات المحرومة ، والمرفوضة ، والملعونة من الكنيسة المذكورة نفسها .

سابع وعشرون : وعدا ذلك فانا احلف ، واوعد بالطاعة الحقيقية للبابا الروماني خليفة بطرس [١٠٧] الطوباوي رئيس الرسل ، ونائب سيدنا يسوع المسيح .

ثامن وعشرون : فهذا ايمان الكنيسة المقدسة الكاثوليكية التي خارجاً عنها لا يمكن لاحد ان يخلص . فانا الان بارادتي اعتقد به ، واتمسك به حقًّا ، وانني احفظه ، واعترف به الى آخر حياتي بغاية الثبات سالماً بلا عيب بمعونة الله . واني اجتهد بقدر قوتي ان كل رعيتي ، والذين هم تحت تدبيري يتمسكون به ويتعلمونه ، ويكرز به عليهم . وانا هكذا اوعد وانذر واحلف هكذا . الله يعينني ، وهذه الاناجيل المقدسة .

عدد ٢ : صورة مرسوم مجمع انتشار الايمان المقدس العام المنعقد في ١٨ [من] ايار سنة ١٧٥١ مسيحية .

ان الكردينال دى بردري المعرض الكلي النيافة والاحترام اذ قد اعرض التجاء السيد الكلي الاحترام بطريرك الموارنة ، والسيد المحترم مطران عكا عما يلاحظ انتقال الموارنة الى الطقس اللاتيني . ثم الطلبات ذات التوسل في رجوع الذين يدعون مثليتين الى الطقس الماروني . فالمجمع المقدس المهتم بهدوّ

التدبير الكنائسي قد حكم بانه يلزم التوسل للكلي القداسة لكي يتنازل ، ويجعل ممتدًا الى الموارنة المرسوم الذي اشهره قداسته في رسالته ذات الامر المبرزة في ٢٩ [من] كانون الاول سنة ١٧٤٣ التي بدؤها «لما قلد الرب الاله». فقداسة سيدنا الكلي القداسة البابا بنديكتوس الرابع عشر اذ قد اعرض عليه السيد المحترم نيقولاوس ليركاريوس كاتم الاسرار حكم المجمع المقدس هذا في المواجهة الصائرة في اول آب من السنة المذكورة ذاتها . قد اثبته موضحاً ، ومانعاً منعاً صريحًا جميع الموارنة افرادًا واجمالا من انهم ينتقلون الى الطقس اللاتيني من دون اذن خصوصي من الحبر الروماني .

اما المرسلون جميعهم افرادًا واجمالًا [١٠٨] من اية رتبةٍ ، ورسمٍ كانوا حتى اليسوعية ايضاً قد امرهم امرًا واضحاً تحت قصاص خسارة الصوت الفاعلي ، والانفعالي ، والعجز عن قبول اية درجة ووظيفة كانت في رتباتهم ، ورسومهم ، ومجامعهم الخصوصية الذي يقعون به حالًا من ذات فعلهم ، على قصاصات اخر تفرض عليهم ، على حسب ايثار الحبر الروماني ذاته القائم بوقته ، بالا يتجاسروا على انهم يقنعون احدًا من الموارنة ذاتهم بالانتقال من طقس الموارنة الى الطقس اللاتيني ، او انهم يسمحون الراغبين ذلك ايضاً من دون مشورة الكرسي الرسولي .

اما عن الموارنة المتلتنين قد [فقد] حدد واوضح بانهم امام اشخاص ستعين من قداسته [كيف] يجب ان يستقروا مرة [واحدة] وباية رتبةٍ يريدون بالاكثر ان يتمسكوا . وفي هذه الرتبة يلتزمون فيا بعد ان يستمروا من دون ان يبقى لهم سلطان في تغييرها اصلًا .

اما البنون الذين سيولدون من مثل هؤلاء الوالدين بعد ابدائهم التوضيح المار ذكره ، والذين قد ولدوا منهم ، وانما لم يبلغوا للآن سن التمييز ، فليتبعوا حال الوالدين اذا كان القرينان انتخبا رتبة واحدة بعينها ، والا فليتبعوا رتبة والدهم .

ولكن اذا حدث فيا بعد ان اناساً من الموارنة يقبلون من باب الضرورة ، لعدم وجود خوري ذي رتبةٍ مارونية ، سر العماد او غير اسرار من كاهن لاتيني ، فهؤلاء لا يجب ان يحسبوا من ثم انهم قد دخلوا في الرتبة اللاتينية .

لكنهم بمعزل عن كل ريب يلتزمون ان يحفظوا رتبة الموارنة التي ولدوا فيها ، ويتمسكوا بها ما دامت الضرورة المذكورة في كل الاشياء الممكنة سيما في حفظ الاصوام . اما [١٠٩] نظرًا الى بقية الاشياء فليرجعوا اليها ، ويتمسكوا بها تمامًا حال ما يحضر الاسقف او الخوري الماروني .

أعطي برومية في ٧ [من] اب سنة ١٧٥١ مسيحية

مكان الختم الكردينال والتيني

نيقولاوس ليركاريوس رئيس المجمع

كاتم الاسرار

عدد ٣ : مرسوم مجمع انتشار الايمان المقدس العام .

انه اذ اعتبر مجمع انتشار الايمان المقدس بانه سيكون امرًا كلي الافادة لتدبير الكنيسة المستقيم في جهات الشرق اذا تسلمت قاعدة ما فيما يلاحظ الانتقال من طقس ما من الطقوس الشرقية الى طقس اخر . ففي الاجتماع العام الصائر في ١٠ [من] ايلول سنة ١٨٣٨ بواسطة اعراض الكردينال ميتروفانني الكلي النيافة والاحترام قد حكم ان يُرسم ما يأتي ذكره :

ان البعض من الشرقيين كالارمن ، والموارنة يستعملون مع الكنيسة اللاتينية الفطير في سر الاوخارستيا . واما البعض فالخمير اعني الملكية ، والكلدان ، والسريان ، والقبط ، فمن ثم لا يسوغ لاحد ان ينتقل دون رضى الكرسي الرسولي من الطقس الذي يصير بـه استعمال الفطير ، الى الطقس الذي يتم به الخمير . وهذا ذاته يجب حفظه نظرًا الى الانتقال من الطقس الذي به يستعمل الخمير الى الطقس الذي به يأمر استعمال الفطير .

واما لما لا يوجد ما بين تغيير طقسين الاختلاف المذكور [اي] اختلاف المادة في الاوخارستيا ، فليكفِ ارتضاء الاسقف الذي منه ، والاسقف الذي اليه يصير الانتقال . فهذا ما قد تحدد في شأن اولئك الذين منذ زمان يعترفون بالايمان الكاثوليكي [١١٠] واما ما يلاحظ الاراتقة والمشاقين الذين يرجعون الى حضرة الكنيسة ، فالمجمع المقدس قد حكم بانه يجب ان يسمح لهم بان يعتنقوا ذاك الطقس الشرقي الذي يريدونه بالاكثر .

فحكم المجمع المقدس هذا الذي اعرضه المطران الرهاوي المدوّن اسمه

ادناه كاتم اسرار المجمع المقدس ذاته لسيدنا الكلي القداسة البابا غريغوريوس السادس عشر بالعناية الالهية في المواجهة الكائنة في ١٦ من الشهر والسنة عينها فقداسته قد اثبته بحلمه ، وامر بان يُحفظ بكامل اجزائه .

أُعطي من ديوان المجمع المقدس في ٢٠ [من] تشرين ثاني [الثاني] سنة ١٨٣٨ .

الكردينال يعقوب	انتاطيوس مطران الرها
فيلبوس فرانسوني	كاتم الاسرار
رئيس المجمع	

عد ٤ : براءة البابا بنديكتوس الرابع عشر في استماع دعاوي الزيجة . رسم لدى مَن ، وباي نظام ، وباية صورة يجب ان تتم احكام الزيجات .

فاتحة

بناديكتوس الاسقف عبد عبيد الله لتذكار الامر [١١١] مؤبدًا . نحن الذين برحمة الله ، الذي احكامه لا تُدرك ، وطرقه لا تفحص ، قد اقمنا بغير استحقاق في محرس الكنيسة الاسمى لكي نسهر بنشاط على جميع القطيع الرباني ، نعلم بانه يخص وظيفة الالزام الرعائي المقلدة لنا ان نستأصل العوائد [العادات] العاطلة الناشئة من خباثة العدو الجهنمي ، ومن رداوة البشر ، والتي تنتج منها مضرة خلاص الانفس ، واهانة اسرار الكنيسة . وان نبرز الى الوسط بالسلطان المعطى لنا من العلاء لكي نلجم الجسارة البشرية ، ونحفظ سلطان الشريعة الالهية المستوجبة الاحترام .

الجزء الاول : ان الزيجة غير قابلة الانحلال بحق طبيعي والهي . لان عقد الزيجة هو مرسوم من الله ، وبما انه واجب الطبيعة نظرًا الى رغبة تربية النسل ، وحفظ باقي خيرات الزيجة ، فوجب ان يكون دائمًا ، وغير قابل الانحلال . وبما انه سر الكنيسة الكاثوليكية ، فمخلصنا نفسه اوضح بفمه انه لا يمكن ان يُحل بجسارة بشرية قائلًا : « ما ازوجه الله لا يفرقه الانسان » . وقد طرق اسماعنا الرسولية انه يفسخ في بعض المحاكم الكنائسية من قبل تساهل القضاة العديم كل فطنة ، وانه بجسارة ، وعدم تمعن في بطلان هذه الزيجات عينها تُعطى باحكام جازمة للزوجين استطاعة على الانتقال الى زيجات اخرى . فهؤلاء

القضاة المدعوا (كذا) الاحتراس كان ينبغي ان ينبهوا على نوعٍ ما من الحالة البشرية ، ومن اللفظ [١١٢] نفسه حتى لا يحلوا بتهور وقوح [قحة] عقد الزيجة المقدس الذي سبق ابو الجنس البشري الاول ، ونبه بانه دائم ، وغير قابل الانحلال قائلا :« هذا هو عظم من عظامي ، ولحم من لحمي » . وزاد على ذلك :« فلهذا يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ، ويكون اثناهما جسداواحداً».

الجزء الثاني : افراط العرائد [العادات] الباطلة في التسليم بفسخ الزيجات .

أما خبر هذه القباحة الواجب ابطالها فقد وصل الينا من جهات مختلفة . وقد تقدمت لدينا ايضاً امثلة بعض الرجال الذين بعد الزوجة الاولى ، والثانية ، والثالثة التي كانوا اقترنوا بها ، قد تقدموا ايضاً بسبب تهوّر القضاة المفرط في الحكم ببطلان الزيجات الى عقد الزيجة الرابعة ، وزوجاتهم الاول باقيات بالحيوة . ومثل ذلك امثلة بعض النساء اللواتي بعد الزوج الاول ، والثاني ، والثالث ، قد اقترن بالرابع ، وازواجهن الاوائل باقون احياء . ليس من دون شكٍّ للضعفاء ، ومقتٍ من جميع الاتقياء . الذين كانوا يتوجعون من ان رباطات الزواج المقدسة تُحتقر هكذا ، وتفسخ بجسارةٍ . فنحن لما فهمنا هذه شعرنا بغمٍ جسيم ، ومحبنا باقصى فؤادنا ، ولم نهمل ان نتمم بالرب واجبات اهتمامنا الرسولي ، لاننا في السنة الاولى لحبريتنا غرمرنا من هذه القباحة التي كانت تُقاسى من بيعة الله ، [وبعثنا] برسائل مسهبة [١١٣] منفذة الى اساقفة تلك الجهات التي كانت تحدث بها الاشياء المذكورة . وقد اعتنينا بانهاض همهم الى ملاشاتها ، وباحترام غيرتهم الرعائية ، الامر الذي تممناه ايضاً نحو خلاف اساقفة غير جهات ، حينما علمنا بانه تداخل استعمال ابطال الزيجات الردي . هذا .

الجزء الثالث : الاسباب التي تنسب اليها هذه القباحة .

لكنّا قد تحاوبنا بان هذا يحدث غالباً تارة بذنب اولئك القضاة الذين تنفوض اليهم من الكرسي الرسولي دعاوى الزيجة . اما في المحاكمة الاولى حينما لا يمكن ان تفحص الدعوى لاجل سبب ما عادل لدى القاضي الاعتيادي . اما في المحاكمة الثانية حينما لا يوجد في الجهات قاضٍ تُرفع الدعوى الى ديوانه بنوع الاستغاثة ، او اذا وجد فلا يمكن فصل الدعوى لديه لاجل سبب عادل .

والذين امّا لاجل جهلهم ، اما بسبب شرّ ارادتهم يكونون مائلين الى فسخ الزيجات ، ويحكمون بعد استعمال فحص خفيف ، او بغير استعمال فحص ما بان هذه الزيجات عينها هي باطلة ، وغير صحيحة . وتارة ايضاً بعمل الزوجين المتخاصمين على بطلان زيجتهما . لما واحد منهما فقط ، وهو الذي يطلب فسخ الزواج يحضر بتواتر الى القضا . وعند نيله الحكم بحسب مرغوبه بدون ان يناقض ذلك احد يجتاز الى [١١٤] زيجةٍ اخرى . او اذ يحضر الزوجان الى القضا ، ويشتغلان الواحد بتأييد الزيجة ، والآخر ضدها . وبعد الحكم ببطلانها لا يستغيث احد بالقاضي الاعلى . اما لان المتخاصمين يكونان مختلفين ظاهراً ، ومتفقين حقًّا فيما بينهما ، ويرغبان ان تفسخ الزيجة المعقودة مطابقين بعضهما . اما لان الفريق الذي كان مترفقاً عند صحة الزيجة ، ومناقضاً بنشاط بطلانها ضد الخصم يغير ارادته بعد ابراز القاضي الحكم ضدها . اما بسبب عدم وجود دراهم لمصاريف الخصومة ، اما بسبب نقصان غير اسعافات ضرورية للخصام ، فيترك من ثم العمل المبتدأ به ، والدعوى بعد الحكم الاول ، ومن هنا يحدث بان يجتاز بعد ذلك كلا الزوجين ، او احداهما الى عقد زيجة اخرى .

الجزء الرابع : اعتناء الحبر في تفويض الدعاوى الى القضاة في الجهات الخارجة .

امّا ما يخص القضاة الذين تتفوض اليهم دعاوى الزيجات خارج الكورة الرومانية لاجل راحة المتخاصمين ، فنحن بمقتضى ذاك السهر الابوي ، الذي بموجبه يجب ان نكون مهتمين في توزيع عدل الرب على كل احدٍ بالتمام ، وبكل حكمة قد اجتهدنا معتنين برسالة عامة منفذة في اليوم السادس [١١٥] والعشرين من شهر آب السنة الثانية لحبريتنا الى الاخوان البطاركة ، والجثالقة ، ورؤساء الاساقفة ، والاساقفة المحترمين بها رسمنا تلك الاشياء التي بما انها مطابقة القوانين المقدسة ، ومراسيم المجمع التريدنتيني ، فلو حُفظت باجتهادٍ بحسب املنا لما كانت بعد ذلك تتفوض الدعاوى الا لاشخاص مجملين بالمعرفة الموافقة للشرعية ، وباسعاف الصلاح الضروري ، وحسن الامانة . ودعاوي الزيجة لا يجب ان تتفوض الا للاساقفة ، وعند عدم وجودهم للقضاة المجمعية [المجمعيين] .

وعدا ذلك فنضيف الان على تلك الاشياء التي رُسمت في الرسالة العامة

عينها هذا ايضاً ، وهو انه ، ولو ان مرسوم المجمع التريدنتيني الذي قد ارتفعت فيه دعاوي الزيجة عن حكم مقدام الكهنة ، ورييس الشمامسة ، وغيرهما من الادنى ، وحُفظت الى فحص ، وولاية الاساقفة يتجه نحو روساء الشمامسة والمتقدمين وخلافهم من الاحط فقط المعينين في الابرشية نفسها ، والذين اما بانعام ، او باستحلال اقله في الزيارة كانوا يختصون لذواتهم فحص دعاوى الزيجات ، ومن ثم لا تضاد ذلك التفويضات التي كانت تصير من الكرسي الرسولي لاحدهم لاجل بث دعاوى الزيجات نفسها في المحاقة الثانية ، فمع ذلك نأمر اوليك الذين يخصهم الاهتام بتعاطي هذه التفويضات [١١٦] او التوكيلات بالّا عادوا يفوضوا في المستقبل فحص دعاوى الزيجة الّا الى الاساقفة خاصة الاقرب . واذا لم يوجد اسقف ما يمكن تفويض ذلك اليه بسهولة لاجل سبب شرعي ، فليتجه حينيذ التفويض والتوكيل الى احد اوليك الذي (كذا) يكون اقيم قاضياً ذا اهلية من الاسقف بشورة مجمعه بحسب النظام ، والنوع المرسوم منافي الرسالة العامة المذكورة .

الجزء الخامس : فينتخب في كل ابرشية محامٍ للزيجات .

اما ما يلاحظ حفظ نظام ، وسياق الاحكام في دعاوى الزيجات ، فنحن لاجل نيهها الواجب والمناسب نرسم برأينا الخصوصي ، وبعلمنا الاكيد ، وبعزمنا التام ، او بملوء السلطان الرسولي ، وبختمنا الثابت مؤبداً ، ونحكم ، ونأمر بان ينتخب من جميع اساقفة المحلات ؛ ومن كل اسقف منهم في ابرشيته الخصوصية شخص ما ذو اهلية ، وان امكن ، فليكن من المصاف الكنايسية مجملًا بعلم الناموس ، وبصلاح السيرة ايضاً يسمّى محامي الزيجات ، لكن مع السلطان على توقيفه وعزله اذا وجد سبب عادل ، وعلى تنويب شخص خلافه ذي اهلية بالسواء ، ومجمّل بالصفات نفسها ، الامر الذي يمكن اتمامه كل مرة [١١٧] يكون الشخص المعين لمحاماة الزيجات معاقاً شرعاً ، والحاجة ماسة الى المعاطاة .

الجزء السادس : في وظائف المحامي .

ثم انه يخص وظيفة محامي الزيجات هذا المنتخب كما مر آنفاً ان يحضر الى القضاء كل مرة يحدث بان يصير فحص دعاوي الزيجات امام القاضي الشرعي

نظرًا الى صحتها او بطلانها . وينبغي ان يستدعي في كل مرافعة شرعية ، وان يحضر فحص الشهود ، وان يحامي صحة الزيجة لساناً وكتابةً ، وان يقدم جميع الاشياء التي يظن بانها ضرورية لتأييد الزيجة .

الجزء السابع : وهذا فليحضر دائماً في القضاء ، وليبرز يميناً ، ويستدعى في جميع الموافقات. اخيرًا ، فليحسب شخص هذا المحامي كفريق ضروري لصحة الحكم وكماله ، ويحضر دائمًا في القضاء سوى حضر اليه احد الزوجين الذي يشتغل في بطلان الزيجة ، او كلا الزوجين اللذين احدهما يشتغل في بطلانها ، والاخر في صحتها . ثم انه من كون وظيفة كذا تفوض الى المحامي ، فليحلف بانه يتممها بامانة . وكل مرة يحدث بان يحضر الى القضا لاجل محاماة صحة زيجة ما ، فليبرز من جديد هذا اليمين نفسه . وكل الاشياء التي تُعمل في القضاء من دون ان يُدعى او يُعرف بنوع شرعي تعلن انها باطلة عاطلة وكلا شيء. ونريد ان تعتبر باطلة ، وعاطلة ، وكلا شيء ، كانه لم يُدعَ ولم يُعرف ذلك الفريق الذي كان استدعاوه لازماً ، والذي كان ضروريًا [١١٨] مطلقاً لصحة الحكم شرعاً او يستدعي ، او يُعرف بموجب رسوم الشرايع والقوانين .

الجزء الثامن : ولا يستغيث [يستأنف] ضد الحكم المبرز في صحة للزيجة.

وحينما تتقدم اذاً دعوى ما لدى الاسقف الذي يخصه ان يفحصُ دعاوي كذا تكون في الارتياب بصحة الزيجة ، ويكون حاضرًا في القضاء اما احد الزوجين الذي يدّعي بطلان الزيجة ، اما كلا الزوجين الذين احدهما يدّعي صحتها ، والآخر بطلانها ، فليتمم محامي الزيجة جميع واجبات وظيفته باجتهاد . ومن ثم فاذا برز الحكم من القاضي في صحة الزيجة ، ولم يكن من يستغيث ، فليمتنع هو ايضاً عن الاستغاثة . وليُحفظ هذا ايضاً اذا حكم في صحة الزيجة من قاضي المحاقة [الدرجة] الثانية بعدما يكون حكم قاضي المحاقة الاولى بفائدتها . اما اذا برز الحكم ضد صحة الزيجة ، فليستغث المحامي ضمن الازمنة الشرعية مرافقاً للجهة التي كانت تدّعي الصحة . وحينما لا يكون في القضاء احد يدافع عن صحة الزيجة ، واذا وجد فبعد الحكم ضده يترك القضاء ، فليلتجِ المحامي نفسه بمقتضى وظيفته الى القاضي الاعلى .

الجزء التاسع : لا يجوز لاحدٍ ان يجتاز الى زيجات اخرى بعد الحكم المفرد سواء صارت الاستغاثة ام لا .

انه عند وجود الاستغاثة ضد الحكم الاول او [١١٩] عند عدم صيرورتها بسبب رداوة ، او توانٍ ، او تلاعب المحامي والاخصام ، فاذا تجاسر كلا الزوجين او احدهما على عقد زيجات جديدة نريد ونرسم بان تحفظ ليس تلك الاشياء التي فرضت ضد اوليك الذين يعقدون الزواج ضد منع الكنيسة فقط خاصة بان يُفصلا عن المساكنة معاً بينما يبرز حكم آخر في البطلان لا يكون استغيث ضده ضمن عشرة ايام ، او تكون انتركت الاستغاثة بعد تقديها ، بل عدا ذلك فليخضع بالتام عاقد او عاقدو زيجة كذا الى جميع القصاصات المفروضة من القوانين المقدسة ، والمراسيم الرسولية ضد المتزوجين ثناء كثيرات ، والتي برأينا ، وبعلمنا ، وبسلطاننا المشابه نفرضها من جديد ، ونجددها كما يقتضي حاقين بها ضدهم .

الجزء العاشر : وظائف المحامي في المحاقة الثانية هي هي عينها .

وبعد ما تكون تقدمت الدعوى في المحاقة الثانية بانمام الاستغاثة الى قاضٍ آخر ، فجميع الاشياء الواجب حفظها ، وكل شيء منها يكون سبق ، وتجدد امام القاضي الاخر في المحاقة الثانية اذ يدعى في كل موافقة قضوية محامي الزيجة الذي يجب عليه ان يحامي صحتها بنشاطٍ ، وبحسب استطاعته بالكلام والخط . واذا كان القاضي في المحاقة الثانية مطراناً بن يختص انتخابه [١٢٠] او سفير الكرسي الرسولي ، او الاسقف الاقرب ، فليكن محامي الزيجة من يكون تعيّن منهم . كما اننا نأمرهم ان يعيّنوه حتى يمكنه ان يتمم تلك الاشياء التي رسمناها اعلاه .

اما اذا كان القاضي في المحاقة الثانية قاضياً موكولاً يكون تفوض اليه فحص الدعوى من الكرسي الرسولي ، ولا تكون له محكمة ، او ولاية اعتيادية ، ولاجل هذا يكون عادماً محامي الزيجة . فنريد ان يستخدم محامي الزيجة الذي يكون تعيّن من الاسقف الذي يفحص الدعوى في رعيته ، ولو كان نفس الاسقف الذي ابرز الحكم الاول في الدعوى المذكورة .

الجزء الحادي عشر : يجوز عقد زيجات جديدة بعد حكمين متطابقين ، ما لم تكن صارت الاستغاثة ، او صار المنع من غير جهة ، او ما لم يظهر شيء ما من جديد. الاستغاثة تعلق تنفيذ الحكم ، وفي كل محاقة يجب حفظ النظام نفسه .

بعد ان يكون انتظم القضاء على هذا النمط ، فاذا كان الحكم الثاني مطابقاً للآخر اعني اذا كانت الزيجة تبطلت وتلاشت في الحكم الثاني كما في الاول ، ولا يكون الفريق ، او المحامي ظن بمقتضى ذمته وجوب الاستغاثة ضده ، ولا يكون حكم بوجوب متابعة الاستغاثة المتقدمة ، فيكون في استطاعة الزوجين وحريتهما ان يعقدا زيجات جديدة بحيث لا يكون ذلك ممنوعاً على احدهما لاجل عايق ما ، او لاجل سبب شرعي. لكن يفهم ان الاستطاعة قد اعطيت للزوجين بعد الحكم الثاني المطابق كما مرّ اعلاه [١٢١] وان لها محلاً مع بقاء حق ، او انعام دعاوي الزيجة التي لا تصير بمرور اي زمان كان شيئاً محكوماً به سالماً وثابتاً دائماً . واذا ظهر شيء جديد لا يكون تقدم او كان مجهولاً فيمكن استئنافها ، ووضعها من جديد تحت المخاصمة الشرعية. اما اذا استغاث الفريق الثاني ضد الحكم الثاني بالبطلان ، او كان الحكم هكذا حتى ان محامي الزيجة لا يحكم بسلامة ضمير انه يستريح عليه ، اما لانه يبان له واضحاً انه غير عادل او غير صحيح ، اما لانه كان ابرز في المحاقة الثالثة ، وكان استرجاعاً للحكم الاخر السابق المبرز في الصحة في المحاقة الثانية ، فنريد ان يبقى .

ثانياً : المنع على كلا الزوجين بان لا يجتاز الى زيجات اخرى ، التي اذا جاسرا على عقدها ، فنحتم بان يخضعا الى القصاصات المرتبة منا كما هو مذكور. ولنفحص الدعوى في المحاقة الثالثة او الرابعة على حفظ كل الاشياء التي أمرت منا في المحاقة الاولى والثانية باجتهاد ، اعني بان يصير استدعاء واستماع محامي الزيجة الذي يكون تقلد المحاماة من قاضي المحاقة الثالثة في كل موافقة تضوية.

الجزء الثاني عشر : ممن ، ومن اية جهة يجب ان تتعين علوفة [جُعل] المحامي المريد العلوفة ؟

ثم ان محامي الزيجة الذي يخرصه بالرب على اتام وظيفته مجانا لاجل محبة الله ، وافادة القريب ، واكرام الكنيسة اذا [١٢٢] اعتذر لاجل سبب ما عن تقديم تمبه بلا اجرة او علوفةٍ ، فلتعين له من قاضي الدعوى نفسها ، ولتدفع له من الفريق الذي يدّعي صحة الزيجة اذا كانت له استطاعة ؛ ولم تتقدم له من قاضي المحاقة الاولى ، او من قاضي المحاقة الثانية ، او من قاضي المحاقة الثالثة كل بحسبا يخصه الذين يمكنهم ان يستعملوا في مصاريف كذا الدراهم المجموعة ، او المقيد جمعها من غرامات محاكمهم ، والتي يجب اصرافها في اعمال صالحة .

وحينما يكون قضاة الدعوى موكولين ليس لهم محكمة ، وبالتالي دراهم مجموعة من الغرامات ، نريد ، ونأمر بان يُوفى محامي الزيجة من دراهم غرامات ذلك الاسقف الـذي يباشر القاضي الموكول القضاء في ابرشيته بحسب امر الكرسي الرسولي .

الجزء الثالث عشر : وهذه الاشياء جميعها فلتحفظ في المحكمة . بن يختص هناك انتخاب المحامي ؟

قد تكلمنا لحد الان في دعاوي الزيجة التي تصير معاطاتها خارج المحكمة الرومانية . اما نظرًا الى الدعاوي التي يجب فصلها في رومية فمن كون استماعها في المحاقة الاولى يخص كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة نائبنا في الامور الروحية القائم بوقته في المدينة المحررة ، وفي دساكرها ، واعمالها ، فنأمر ونفرض بان تحفظ بالتمام جميع الاشياء وكلشي [١٢٣] رسم في الدعاوي الاخرى مع باقي الاشياء كما اعلاه الواجبة معاطاتها خارج المحكمة الرومانية اعني بان يتم القضاء بعد استدعاء ، واستماع محامي الزيجة المعين من نفس الكردينال النائب . ثم انه في الدعاوي الاخر التي تتقدم الى رومية اما في المحكمة الاولى برضى الفريقين ، اما في الثانية بواسطة الاستغاثة المقدمة الى الكرسي الرسولي بغير توسط ، اما في الثالثة فنريد ان يُحكم بها جميعها اما في مجمع كردينالية [كرادلة] الكنيسة الرومانية المقدسة القامين على تفسير وتنفيذ المجمع التريدنتيني ، او في ديوان الدعاوي في بلاطنا بحيث لا بيان لنـ٦ ، او للحبر الروماني القائم بوقته من قبل اسباب عادلة بان ذلك يجب ان يتفوض الى مجمع

خصوصي من مجامع كردينالية الكنيسة الرومانية المقدسة ، او من مجامع رؤساء الكورة الرومانية .

ثم لما تقام الدعوى ببطلان الزيجة في مجمع كردينالية الكنيسة الرومانية المقدسة مفسري المجمع التريدنتيني المذكور، فليقام محامي الزيجة من الكردينال رئيس المجمع نفسه . ولما تقام في ديوان بلاطنا ، فليقام من زعيم الديوان المذكور المستمع الدعوى . اخيراً اذا اقيمت في مجمع خصوصي ، فليقام من الشخص الاكبر في المجمع نفسه .

الجزء الرابع عشر : ضروري هو دائماً تكرار الفحص . لدى من يجب اتمام هذا الفحص؟

بعد ان يكون برز حكم فردي في بطلان الزيجة ، فاذا سُمعت الدعوى في مجمع الكردينالية مفسري المجمع التريدنتيني [١٢٤] او في مجمع خصوصي معين لذلك ، ومثله في ديوان بلاطنا ، فلا يكفي قطعاً حكم فردي مبرر في البطلان لاعطاء استطاعة مطلقة للزوجين على عقد زيجات جديدة .

اما اذا كانت الدعوى تقدمت الى مجمع الكردينالية مفسري المجمع التريدنتيني المذكور ، فلتوضع تحت الفحص من جديد في المجمع عينه بموجب طلب محامي الزيجة نفسه . واذا كانت تفوضت الى مجمع خصوصي فليفوض بها ايضاً مجمع آخر خصوصي بموجب طلب المحامي عينه . واذا كان حكم بها في ديوان بلاطنا ، وتقدمت الاستغاثة من المحامي المرقوم ، فلتحدد من مستمعين آخرين بموجب النظام الدوري. اما اذا تفوضت الدعوى الى عموم الديوان، فلتفحص من جديد من جميع المستمعين . ولا نريد قطعاً بان يحسب منحلاً رباط الزواج في حادث ما ما لم يبرزوا قضائين او حكمين متشابهين بالتمام ، ومتطابقين لا يرى الفريق الواحد ، ولا محامي الزيجة وجوب الاستغاثة ضدهما. واذا حدث الخلاف ، وعقدت زيجة جديدة ، فليخضع مخالفوا [كذا] ارادتنا هؤلاء الى القصاصات المرسومة منا كما اعلاه .

الجزء الخامس عشر : لا تقبل الطلبات في حل الزيجة الصحيحة والغير المكتملة بلا احالة الحبر .

ومن كونه معتادًا ان تتقدم مراتٍ كثيرة الطلبات لدى [١٢٥] الكرسي الرسولي لاجل فسخ الزيجة الصحيحة ، والغير المكتملة المعتادة غالباً ان تحال من الحبر الروماني القائم بوقته بالقرعة الشورية الى مجمع كردينالية الكنيسة الرومانية مفسّري المجمع التريدنتيني . واحيانا الى مجمع ما خصوصي معيّن لذلك. فلكي تتم طلباتٍ كذا بنظام واستقامة نريد ونأمر بان يتقدم لنا ، او للحبر الروماني القائم بوقته معروض الطلب الذي يتضمن نوع كل العمل التام والمدقق ، وتوضح به جميع الاسباب التي يُظن من مقدم الرجاء انه يمكنها ان تقود الى نيل التفسيح المطلوب ، لكي يمكن الحبر الروماني بعد تلاوته والتمعن به ان يتبصر هل يزول الطلب ، او يفوض فحصه الى مجمعٍ ما من المجامع المذكورة ، الذي بعد ما يبرز منه الراي الشورى ، فليُعرض من كاتم اسراره سياق كل العمل بالتدقيق للحبر الروماني القائم بوقته ؛ الذي يحكم بموجب حكمته في هل يجب اثبات رأي المجمع ام يجب بالاحرى تفويض فحص كل الدعوى من جديد الى مجمع آخر او محكمةٍ كما يبان للحبر الروماني نفسه .

الجزء السادس عشر : قوة الرسالة الحاضرة هي مؤبدة تحت القصاصات المبرزة الخ .

اخيرًا نريد ، ونرسم بان تكون الآن ، وفيما يأتي رسالتنا هذه الحاضرة ثابتة دائمًا وصحيحة ، وفعّالة ، ونائلة ، وحائزة مفاعيلها التامة والكاملة . وان تُحفَظ من اولئك الذين تخصّهم وقتاً ما بحسب [١٢٦] الزمان في كل شيء بكل تمام ، وبغير مخالفة ، وبانه يجب ان يُحكم ويُحدد في اي مكان كان هكذا ، وليس بالخلاف من اي قاضٍ كان اعتيادياً كان او موكولاً ، ومن مستمعي الدعاوي في بلاطنا الرسولي ايضاً ؛ ومن كردينالية [كرادلة] الكنيسة الرومانية المقدسة نفسها ، ولو كانوا قصادًا من الجانب الرسولي ايضاً . ومن سفراء الكرسي المقدس ، ومن اي كان غيرهم من الحاصلين والمتيدين ان يحصلوا على اي تقدم وسلطةٍ كانت مرفوعة عنهم ، وعن ايٍّ كان منهم كل استطاعة وسلطان على الحكم ، والتأويل بالخلاف . واذا حدث الخلاف بان يجاسر احد بمعرفة ام بجهل على ذلك ، فعمله يكون باطلًا وعاطلًا ؛ ولا تضاد ؛

ذلك السماحات ، والرسومات ، والترتيبات الرسولية ؛ ولا اية مراسيم وعوائد [عادات] كانت مزيدة باي حلف ، واثبات رسولي كان ، وباي ثبات آخر كان، ولا الانعامات ايضاً ، والنعم ، ولا الرسائل الرسولية المعطاة تحت اي سياق وصورة من الالفاظ كانت ، وباية قيود مبطلة للاشياء الابطالية كانت ايضاً ، او بخلاف قيود اكثر فاعلية ، وغير اعتيادية ومبطلة ، ومراسيم اخرى ممنوعة ومثبتة ومجددة بالرأي ، والعلم ، وملء السلطان المساوين [١٢٧] بالجنس او بالنوع ، او ممنوحة من غير جهة على اي نوع كان ، فهذه جميعها ، وكل فرد منها نبطلها واضحاً هذه المرة فقط ايجاباً لمفعول الاشياء المتقدّمة ، ولو مهما كان مما يضاد ذلك مع بقاء قوتها في ظروف اخرى على حالها ، ولو لزم لابطالها الكافي ذكر خصوصي ، ومتنوع ، وصريح ، وفردي ، وكلمة فكلمة لها ولسياقاتها جميعها ، وليس بقيود عمومية حاوية هذا عينه ، او لزم وجود اي توضيح كان ، او كأنها مصرحة ، ومدروجة في رسالتنا هذه نفسها .

الجزء السابع عشر : مفعول الاشهار ، وشهادة النسخ .

ثم نريد ان تُشهر ، وتُعلق رسالتنا الحاضرة على ابواب الكنيسة اللاترانية، وعلى ابواب كنيسة هامة الرسل ، والديوان الرسولي ايضاً ، وفي ساحة حقل الزهور في المدينة بحسب العادة . وبعد ان تكون أذيعت هكذا وتعلقت تلزم جميع اوليك الذين تخصهم ، وتتجه اليهم ، وكل فرد منهم كأنها أعلنت واشهرت على كل منهم باسمه شخصياً ، وان يوثق بالتمام بنسخها وصورها ، حتى والمطبوعة ، والممضاة ايضاً بيد احد المسجلين المشتهرين ، والممهورة بختم شخص ما ذي مقام كنائسي تلك الثقة عينها التي يوثق برسالتنا الحاضرة ذاتها لو تكون تقدمت [١٢٨] او اشهرت ، وذلك في كل مكان كما في القضاء كذلك خارجاً عنه .

الجزء الثامن عشر : الجزاء .

فاذا لا يجوز لاحد من الناس قاطبة ان يثلم صفحة مرسومنا ، ورسمنا ، ومنشورنا ، وتحريمنا ، واسترجاعنا ، وابطالنا ، وتوضيحنا ، وامرنا ، وارادتنا هذه ؛ او يضادها بقحة جسورة . واذا اقدم احد على هذه المجاسرة ، فليعلم

بانه يقع تحت غضب الله القادر على كل شيء، وغضب رسوليه بطرس وبولس الطوباويين . أعطي في رومية هذا، القديسة مريم[1] الكبرى سنة ١٧٤١ الف وسبعماية واحدى واربعين للتجسد الرباني في اليوم الثالث من شهر تشرين الثاني، وهي البينة الثانية لجريتنا .

أذيعت في اليوم التاسع والعشرين من الشهر والسنة عينها .

يوحنا بانيتا	السيد الكردينال	روئيت في المحكمة
اوجانيوس	يابتونيوس ثاني	نيقولاوس انطونللوس
	واناديوس	(مكان الختم)

صح هذه البراءة مستخرجة عن اصلها اللاتيني بكل ضبط وتدقيق صح كاتبه

(مكان الختم) الخوري بطرس البستاني[2]

[١٣٠] عدد ٥ صورة تحديد من المجمع المقدس بخصوص اتباع النساء طقس ازواجهن الذين ليسوا من طقسهن في ١٢ [من] ايار سنة ١٧٥٩ .

انه في مجمع انتشار الايمان العام المقدس من جملة الاشياء قد أُعرض له من البعض المشكل في ان اي طقس يجب ان يتبعه المتزوجون اذا اتفق ان يكونوا مختلفي الطقوس ؟ فالمجمع المقدس بسلطان سيدنا البابا الكلي القداسة قد حكم بان يمكن ان يسمح ان النساء تتبعن طقس رجالهن بحيث ان الامرأة لا تكون من طقس لاتيني . ففي هذا الحادث خلواً من مشورة الكرسي الرسولي لا يسمح لهن ان ينتقلن الى طقس الرجل . فاذا عرض ذلك الاب المحترم السيد نيقولاوس انطونيلي كاتم سر المجمع المشار اليه الى سيدنا الكلي القداسة اكليمنضوس الثالث عشر البابا بالعناية الالهية في الاجتماع الحادث في ١٢ من شهر ايار ، فقدسه بحلمه اثبت كل الاشياء ، وبقوة السلطان الرسولي ايدها ، وحتم بان تحفظ من الجميع ولو مهما كان ضد ذلك[3] .

أعطي برومية من دار المجمع المذكور في اليوم التاسع عشر [من] ايار ١٧٥٩ .

---

١) اسم مريم مكتوب بالحبر الاحمر . (الناشر)

٢) ان الصفحة ١٢٩ بيضاء في الاصل . (الناشر)

٣) اشرنا من قبل الى ان هذه القرارات قد اصبحت لاغية بعد صدور الحق القانوني للشرقيين ، ولا يجوز العمل بعد الان الا به . (الناشر)

عدد ٦ : صورة تحديد المجمع المقدس في وجوب حضور الموارنة الى كنائسهم.

انه في ٢٥ [من] نيسان سنة ١٧٠٧ تتميماً للجواب الصاير في الجمية التي عُقدت امام الكلي القداسة في ٢٠ [من] نيسان الجاري قد صارت جميات في قلايات الدفتردارية الرسولية [اي ديوان التوقيع الرسولي] . وحضر بها السيد الكلي النيافة الكردينال يوسف ساغريبانتي رئيس مجمع انتشار الايمان المقدس. والسيد مرهج بن نمرون الماروني . والاب المحترم جبرائيل حوا الماروني كاهن [١٣١] القديس انطونيوس . والاب المحترم انطونيوس ميراندا الحافظ عرضاً عن وكيل الارض المقدسة . والاب فرا تيموتاوس الكبوشي وكيل عن الرسالات . والاب يوحنا فيرسو اليسوعي وكيل الرسالات . والاب الياس جيادشيتو من القديسة مريم مرسل بطريرك الموارنة .

وبعد التمعن صدر الامر بان جميع المرسلين الذين من بلاد اوربا يحثوا [يحثون] حثاً فعّالاً مراراً عديدة في اوقات ملائمة موارنة الشرق ليترددوا على كنائس طايفتهم ، ويسمعوا بها القداس ، ويحضروا الفروضات [الفروض] الالهية في ايام الاعياد الواجبة بطالتها . ومن باب الفرض لمّا بعض الاوقات تذهب الموارنة في الايام المذكورة الى كنايس المرسلين لتسمع القداس فسبيل هؤلاء في هذه الفرصة ، وفي اية فرصةٍ كانت ان يذكروهم بالالزام الذي عليهم ايضاً بموجب عادتهم القديمة لان يقروا المشرو للخورانة الموارنة ام ذاك الاحسان الذي يسمح لهم به حسب امكانهم .

سبيل المرسلين المذكورين ان يذكروا الموارنة بالزامهم هذا سيما في الصيامات الاربع التي تصير حسب عادة الطايفة .

عدد ٧ : مرسوم مجمع انتشار الايمان المقدس العام المنعقد في ٢٦ [من] نيسان سنة ١٦٤٧ .

انه اذ قد اعرض السيد الكلي النيافة الكردينال سبادا طلبات الاب المحترم السيد اسحق [الشدراوي] مطران طرابلوس الماروني . فالمجمع المقدس باثبات سيدنا الكلي القداسة بانه يُحرِّم على المرسلين ان يوزّعوا الاسرار من دون اذن روسا. الطايفة المذكورة على الموارنة الخاضعين لهم . قد اجاب بانه يوجد في اوراق تصاريف المرسلين قيد ، وهو انهم من دون [١٣٢] اذن

الاساقفة ام الخوارنة الموجودة رسالاتهم ضمن حدودهم لا يستطيعون ان يوزعوا الاسرار الخورنية . اما بقية الاشياء يستطيعون [فيستطيعون] ان يواظبوها بعد ما يظهر [تظهر] اوراق تصاريفهم للروسا. ، والخوارنة المذكورين ، الامر الذي يجب عليهم ان يتمموه حالا يصلون الى اماكن الرسالات ، ولا ينبغي ان يتعروا من الروسا. او الخوارنة المرقومين ، وذلك تحت القصاصات المتضمنة في المراسيم الحبرية ضد الذين يمنعون خدام الكرسي الرسولي عن استعمال ما يتعلق بوظايفهم.

عدد ٨ : تعيين [رسوم] الكانشيلاريّا اي الديوان .

اولًا الكهنة او الخوارنة :

لاجل العماد : ربع سكوت روماني[1] . ولاجل الزيجة : نصف سكوت روماني . ولاجل الجناز : ربع سكوت . ولاجل الفروض والجناز السنوي اي الفرض ، واليوم الثالث ، والتاسع ، ويوم الاربعين ، ونهار المائة : خمسة سكوتات . ولاجل القداس : ربع سكوت .

من كل بيدر كيل قمح . في ايام الاحاد والاعياد لهم من كل ابناء الخورنية رغيف خبز .

لاجل اعطاء الشهادة بالعماد ، والتثبيت ، والدفن ، او بموت احد :

الجزء الثاني عشر : عِشرٌ من السكوت . اما عن الخطبة والزيجة المنعقدة فسدس سكوت .

[١٣٣] ثانياً : روساء الكهنة .

لاجل العماد ، والزيجة ، والجناز ، والقداس : سكوت واحد . ولاجل القداس على تكريس الكنيسة والمذبح فثلاثة سكوتات .

لاجل القداس والوسامة [رسامة] المرتل والقارئ ، والشدياق سكوتان ؛ على سيامة الشماس ، ورئيس الشمامسة ، والقس ، ورئيس القسوس ، والخوري ، والبرديوط ، او الخوري ابيسكوس ، فأربعة سكوتات .

ولاجل كل هذه الخدم المذكورة فيحق للسيد البطريرك الكلي الاحترام الجزء المضاعف . لاجل تفسيح سنه واحدة كاملة في العمر المطلوب لسيامة الشدياق ، والشماس ، والرساني او القسيس ثلاثة سكوتات .

[1] السكوت الروماني يساوي خمسة فرنكات ذهبية . (الناشر)

لاجل تفسيح اقل من سنة كاملة كما اعلاه سكوت ونصف .
لاجل تحليل مانع القرابة الدموية والنسبية [الاهلية] سكوت ونصف .
لاجل تحليلة بالوجه السادس عشرة سكوتات .
لاجل تحليلة بالوجه الثامن سكوتان ونصف .
لاجل تحليلة بالوجه الخامس والسادس والسابع والثامن اذا كانت هذه الاوجه مضاعفة ، فضعف ما ذكر اعلاه .

ثالثاً المسجلين :

لاجل اعطاء الشهادة في الرسامة اثنا عشر قيراطاً من السكوت .
لاجل الاذن في القداس كما اعلاه .
[١٣٤] لاجل التصريف باستماع الاعترافات كما اعلاه .
لاجل الوكالة كما اعلاه .
لاجل الامر بالاستدعاء الى المحكمة كما اعلاه .
لاجل تسجيل اية حجة او عهد كان فكما اعلاه .
لاجل الحل من الحرم ، او من اي تأديب كنايسي كان كما اعلاه.
لاجل منشور الحرم ، او اي تاديب كنايسي كان كما اعلاه .
لاجل الحكم في اية دعوى كانت من راس الكهنة وعضية من المسجّل كما اعلاه.. ولاجل امضاء الوصية او الشهادة كما اعلاه . ولاجل اوراق الرسامات كما اعلاه . ولاجل نسخ اية حجة كانت سدس السكوت بحيث لا يتفاوت ذلك طلحية ورق . اه .

[١٣٥] عدد ٩ : الاسئلة الواجب اجراؤها في الزيارات .

اولاً : الخوري

هل هو واحد او اكثر ؟ ممن ومتى أدخل ؟ هل بيده شهادة بالرسامة الشرعية ؟
هل توجد به بعض نقايص جوهرية [طبيعية] وما هي ؟ هل يوجد عنده دفاتر تلاحظ الرعية اي للمعمودين ، والمثبتين ، والمتزوجين ، والموتى ؟
هل توجد عنده خزانة يحفظ فيها تحت القفل الكتابات والتذكارات المختصة بالكنيسة ؟

هل يقيم في الخورنية ، او يغيب عنها غالبًا ؟
هل في غيابه يعيّن كاهنًا ملائمًا عرضه ليقدس للشعب ، ويتلو الفروض الالهية ، ويوزع عليهم الاسرار ؟
هل يساكن نسوةً في بيته ، ومن هنّ ؟
هل يعتني بخدامه ، وأهل بيته ليعيشوا عيشًا مسيحيًا ؟
هل يحتفل بالقداس ، والفروض الالهية أيام الاحاد ، والاعياد ؟
هل يعلّم الحدثان اسرار الايمان ، والصلوة الربية أقله ايام الاحاد ؟
هل ينبه على الشعب عن الاعياد ، والاصوام ؟
هل رتب وصية لاحد ، واعتنى بتنفيذها حسب نية الموصي ؟
هل هو مجتهد بتوزيع الاسرار ؟
هل يظهر حاله سهلًا ، ومستعدًا لسماع الاعترافات ؟
هل يبادر الى افتقاد المرضى دون عايق ؟
هل بسبب اهماله توفي طفلٌ ما دون عماد ، او مريض دون اعتراف ، وزوادة ، ومسحة ؟
هل يخدم الاسرار بملابس كهنوتية لائقة كما ينبغي ؟
هل يحفظ الاسرار والاشياء المقدسة تحت القفل ، وفي محل لايق وملايم؟
هل يوجد عنده كتب [١٣٦] كنايسية لازمة للقداس ، وللفروض الالهية على مدار السنة ، ولاجل احتفال الاسرار ، والاشياء المقدسة ؟
هل يوجد عنده كتاب الكاتيكيزموا لاجل تعليم المسيحي ؟
هل عنده كتاب ما روحي ، أو علمي يختص بوظيفته ؟
هل يقدس في ايام السبة وكم مرة ؟
هل يقدس بملابس كاملة ونظيفة ؟
هل يشرب تبغًا قبل القداس الامر المحرّم في الشرق ؟
هل وكم مرة معتاد ان يعترف ؟
هل يتلو الفرض الالهي يوميًا بساعاته المعينة ، وفي أي مكان ؟
هل له اكليل شعر لايق في رأسه ؟
هل مرتبك باشغال عالمية كالتجارة ، وخدامة الاكابر ؟

هل يسمح بانتشار الخصومات ؟ وما هي ، وممن ، وعلى أي شيء ؟
هل يعتني بحسم المنازعات بين ابناء رعيته ، وما هي ، وبين من هي ؟

ثانياً : الشماس

هل يسير سيرة حسنة ذات نموذج مبني للعوام ؟
هل يساكن النساء ، ومن ترى هن ؟
هل يسير دائماً متشحاً الملبوس الاكليريكي ؟
هل يتلو يومياً الفرض الالهي ؟
هل يعرف جيداً التعليم المسيحي ؟
هل يسمع القداس عن طيبة خاطر وبتواتر ؟
هل يخدم القداس اقله أيام الاعياد ؟
هل يواظب على عمل الاعتراف ، والمناولة المقدسة بتواتر ؟
هل يوجد عنده كتب روحية ، وأدبية يقتبس منها التقوى والعلم ؟

[١٣٧] ثالثاً : الكنيسة

كيف هي الكنيسة ؟
هل هي ذات حيطان قائمة ؟
هل هي صلدة ؟
هل ثابتة أم متهدمة يقتضي لها تصليح ؟
هل لها حريم [حرم] على ما يحوطها وكيف هو ؟
هل تشيدت باذن الاسقف وبجهاز ؟
هل هي مكرسة ، وعلى اسم أي القديسين هي مقامة ، وفي أي يوم يحتفل بعيده ، وكم مذبح فيها ؟
هل تتزين كما يجب ، وكم طاولة من القماش توجد على المذبح ؟
هل هي لائقة ؟ وكم شمعدان عليه [أي على المذبح] ؟
هل المذابح ذات عرض ، وطول ، وعلو مناسبين ؟
هل على واجهتها صليبوت ؟
هل صحن الكنيسة مترق [مبلط] ببلاقة ؟

هل حيطان الكنيسة وسقفها متعطلة ؟

هل ابوابها تحتاج الاصلاح ؟

هل توجد الاواني الكنايسية ، والاثاث اللازمة للذبيحة مثل الكاسات ، والصواني ، والسفنجات ، والصمدات ، والكنف ، وغطاء الكاس ، وحق البخور ، وقناني المزكا ، والمناشف ، والصليب لاعطاء البركة به ، والكتونات ، والزنانير ، والبطارشيل ، والبدلات ، وكتب القداس خطاً كانت أم طبعاً ، ومزامير للخدام ، والقفازات وسائر الزينات اللازمة ؟

هل توجد خزانات تحفظ بها الملابس المقدسة ، والكتب وسائر الاثاث الكنايسي بنظافةٍ ولباقةٍ ؟

هل يوجد دفتر بالاثاث الكنايسي ؟

هل ابواب الكنيسة ، وشبابيكها هي محكمة الضبط ، ومحصّنة جيداً ، ومسكرة بالاقفال الواجب ان تبقى بيد الخوري ؟

هل يوجد الماء المبارك ، وكم مرة يتجدد ؟

هل يوجد مبخرة ، وحق بخور ، وملعقة ؟

هل يوجد نواقيس ؟

هل يوجد في الكنيسة ذخائر احد القديسين ؟

هل هي صحيحة مثبوتة ام مجهولة ، ام مرتاب فيها ، وكيف اعطيت للكنيسة ومن ؟ [١٣٨]

هل عُرفت من الاسقف ؟

هل هي محفوظة بلياقةٍ في بيوتٍ اتاه من خشب مذهب مع كتابتها ؟

هل ، وكيف تحمل في الزياحات ؟

هل الصور الموجودة في الكنيسة هي محتشمة ، ومصورة بلياقةٍ ، وكم هي ، ولاي القديسين ؟

هل باركها الاسقف ، ونبتها قبل صمدها ؟

هل توجد غفرانات ممنوحة ، وما هي ، وفي اي الاعياد ، والاوقات ؟ فليحصر اظهار البراءة الرسولية في الغفرانات ، وتفحص هل فات زمانها .

هل تُشهر دون اذن الراس المالوف ؟

هل للكنيسة ايرادات ، وحقول ، واشجار ، وما اشبه ذلك ؟ ومن هو متسلم تدبيرها ؟ وليطلب الحساب عن تدبيرها .

رابعاً : العماد والتثبيت

هل توجد كل اللوازم الضرورية لتوزيع سر العماد اي الماء المبارك حسب الطقس[1] ، وزيت المعمودين ؟

هل يوجد الميرون المقدس لاجل سر التثبيت مكرساً[2] من الاسقف هذه السنة؟

هل يُقبل في العماد اكثر من عرّابين ؟

هل القوابل من مفحوصات ، ومخبورات ، ويعرفن الصورة الجوهرية للعماد لاجل حادث الضرورة ؟

هل يؤخر عماد الاطفال الى ايام كثيرة ؟

هل توضع للمعمودين اسماء لائقة بالمسيحيين ؟

هل تدون اسماء المعمودين والمثبتين في الكتب المعينة لذلك دون تأخير ، وخطر النسيان ؟

هل يمنح سر العماد في البيوت خارجاً عن حادث اللزوم ؟

هل يوجد في الرعية بالغون دون تثبيت ، وكم هم ؟

هل يعرف الخوري صدور القرابة الروحية بين الاشابين والمعمود [٣١٩] والمثبت ووالديها ويفهمهم ذلك ؟

خامساً : الاوخارستيا

هل تحفظ الاوخارستيا في مكان لائق في حق من فضة او اقله نحاس مع الطبقة ، والغطاء فوق صمدة نظيفة ؟

هل تحفظ بقفل متين ومفتاح يتسلمه الكاهن بمفرده ، او تحفظ في المقدس؟

هل الاجزاء المقدسة تتجدد كل ثمانية ايام ، او اقله خمسة عشر يوماً ، وتصير مناولة الاجزاء العتيقة مع فرطها في الذبيحة ؟

---

١) ليس من عادة الموارنة حفظ الماء المبارك للعماد بآنية معدة لذلك مثل اللاتين ، ولذلك لم نفهم لهذا السؤال من معنى ! (الناشر)

٢) من عادة الموارنة ان يقدس الميرون السيد البطريرك وحده . (الناشر)

هل يوجد قنديل مسرجاً نهاراً وليلاً امام القربان المقدس ؟

هل ما عدا حق القربان معا ضمنه من القربان المقدس يوجد محفوظاً في بيت الجسد شيء اخر ، وان كان مقدساً ، فان كان ذلك فليُخرج ، ويوضع في مكان اخر ؟

هل حمل الاوخارستيا للمرضى يصير بالاحترام الواجب ؟

هل نبه الخوري الذين لم يتناولوا في الفصح ، واعرض للاسقف عن اسمائهم ؟

سادساً : التوبة

هل يتوزع سر التوبة بالبطرشيل ، وفي كل مكان لائق ؟

هل في الكنيسة ، وهل في كرسي الاعتراف المعتاد ، ولماذا لا يُدرج في الكنيسة استعمال كراسي الاعتراف ؟

هل يعرف الخوري الحوادث المحفوظة للسيد البطريرك الكلي الاحترام ، وللاسقف ، وعنده قائمتها ؟

هل يعرف صورة الحل ؟

هل هو خبير بحوادث الذمة ، ولا سيما بما يلاحظ الخطايا الملكية ، والسبب القريب للخطاء ، والزام رد الصيت ، والمال المساوبين ، وما ضاهى [١٤٠]ذلك ؟

هل يحفظ سر الاعتراف بحرص ، وتقوى ؟

سابعاً : المسحة الاخيرة

هل يوجد عنده زيت كافياً لمسح المرضى ، وهل يحفظه في اناء اقله من نحاس ، وهل له علامة تميزه عن زيت العماد ، وزيت الميرون ؟

هل يأخذ كل سنة زيوتاً جديدة ، وهل يستعمل العتيق غب ان يكون تكرس الجديد ؟

هل يعلم المرضى في خورنيته ، هل يفتقدهم ، وهل لا يتأخر عن الذهاب اذا دُعي ليلاً لسماع الاعتراف ، واعطاء الزوادة ، ومنح المسحة الاخيرة ؟

هل في زمان ثوران الوباء يترك الشعب دون منح الاسرار ، وهل يعيّن عوضه كاهناً ما مناسباً ، وهل هذا المعيّن عوضه يتمم وظيفته باجتهاد ؟

هل يمنح المسحة الاخيرة ، والزوادة المقدسة للاطفال الغير الداركين التمييز ، او للخطأة المشتهرين المتوفين بلا توبة ؟

ثامناً : الزيجة

هل يعرف موانع الزيجة ، ويعلنها للشعب ؟
هل يكلل المتزوجين في البيت لا في الكنيسة دون اذن الاسقف او نائبه ،
وهل يكلل في الازمنة المحرمة من الكنيسة ، وهل يرخص بعقد الخطبات ،
او الزيجات قبل ان يبلغ المتعاقدان العمر المعيّن الواجب ، او هل بدون رضى
كل من الطرفين او احدهما ، او هل بدون التنبيهات اللازمة ؟
هل يحترص في الا يتساكن الخطيبان معاً ، او يتعاشرا بدون حراسة
الوالدين [١٤١] والاقارب ؟
هل يسألهم في هل يعرفون اسرار الايمان ؟
هل يكلل الدوّارين ، والغرباء ، والغائبين طويلاً عن الابرشية دون اذن
الاسقف ، والشهادة عن حالهم المطلق ؟
هل يدون الخوري اسماء العاقدين [عاقدي] الزواج في اليوم نفسه ؟
هل يحضر الاعراس ، والرقص ، وينعكف على الشراب بشك ؟

تاسعاً : القداس

هل الخوري يقبل الغرباء ان يقدسوا من عير [غير] ان يكون بيدهم
شهادة الاسقف ؟
هل يوجد كهنة يتلون القداس دون عبادة ، وكيف يقدس هو ؟
هل يعرف الرتب الموافقة لمنارة القداس ؟
هل ينبه ابناء خورنيته عن التراسيم تحت الخطاء المميت بان يسمعوا
القداس ايام الاحاد والاعياد المأمورة ؟
هل عنده خمر للقداس ، وكيف هو ، وهل ممزوج بخلاف سيالات [اي
سوائل] ؟
هل عنده خبز فطير للذبيحة ؟
هل هو من دقيق نقي خالص او مخلوط ، وباية صورة مصنوع ؟
هل يمتنع عن استعمال الزواج قبل القداس بزمان ما[1] ؟

[1] هذا السؤال للكهنة المتزوجين (الناشر)

عاشرًا : الجناز

هل توجد عوائد [عادات] مرذولة في الجنازات اعني بان ترافق الجنازة بالبكا. والصياح الخ ؟

هل تودع الجثث الحادها قبل مرور زمان عشرون [عشرين] ساعة اقله ، او مرور اربع وعشرين ساعة نظرًا لاولئك المتوفين فجأة ؟

هل ينكر الخوري الدفن على احد ، او يؤخره بحجة عدم استيفاء الحسنة ؟

هل يدفن الاراتقة ، والمشاقين ، والمحرومين بالصلوات المتادة ؟ [١٤٢]

هل يوجد في المقبرة مكان متميزًا لدفن الاطفال المتوفين دون عماد ، وهل يوجد مكان اخر للاطفال المتوفين بعد العماد قبل بلوغ سن التمييز ؟

هل المقبرة هي مصونة من كل جهة ؟

هل تدنس مرة او حصل عليه انثلام ، [اي هل تدنست مرةً او انثلمت؟]

وهل يجير هناك شرب خمر ، واجتماعات ، وما اشبه ذلك ؟

هل تتقدم قداسات عن الموتى ، اعني القداسات المدفوعة حسنتها للخوري من ورثاء الميت لاجل اليوم الثالث ، والتاسع ، والاربعين ، والسنوي ، وما ضاهي ذلك ؟

حادي عشر : الرهبان

هل الدير اقيم باذن الاسقف ، وهل بجهاز كاف لاعالة الرهبان ، وكم هو عددهم ، ومن هو الرئيس ؟

هل هو منتخب شرعاً او هل بالخلافة الارثية التي لا يجوز [تجوز] ، وما هو مدخول الدير ، وما هي المصاريف السنوية ، وما هي الجمارك [الدخل] ، وهل يوجد عند الريس دفتر بجميع الارزاق ، والاشيا. اجمالًا وافرادًا ؟

هل توجد عنده خزانة يضع بها الكتابات ، وهل يؤدي حساب تدبيره لمجمع الرهبان سنويًا ، ما هو قانون الرهبان ، وهل يحفظونه ؟

هل يساكنون النسا. ، او الراهبات الواجب ان يكنّ مبعدات عن اديرة الرهبان ؟

هل يجولون في الاماكن ؟

هل يلتمسون الاحسان دون اجازة الريس المألوف ؟

هل يتداخلون في توزيع الاسرار ضد ارادة خوري الرعية ؟

هل هم حافظون نذر النفة [العفة] ؟

هل هم عايشون العيشة الجهورية بالماكل، والمشرب، والملبوس، وكل [١٤٣] شي؟

هل الريس يعتني بتدبير الاشيا. الضرورية للرهبان ، وهل يساوي بين الجميع ما عدا المرضى ؟

هل يأكلون اللحم ، وهل يحفظون الاصوام المفروضة ؟

هل يتلون الفروض الالهية ، والقداس في الساعات المعينة ؟

هل يقبل في الدير من كانوا خالين من الصفات المعينة من القانون ؟

هل يقبلون لابراز النذر قبل ابتداء سنة واحدة قلما يكون ؟

هل يتشحون بالثوب الرهباني دون الرتبة المعينة ؟

هل يبرزون نذورًا وبيد من ؟ [اي امام مَن] .

ثاني عشر ـ الراهبات

هل اديرة الراهبات هي منفصلة بالكلية عن اديرة الرهبان ، وبيوت العوام؟

هل حيطانها وجدرانها هي محصّنة من كل جهةٍ ؟

هل يقبل داخل هذه الاديرة بعض اشخاص علمانيين ، ام كهنة ام رهبان ، وهل ذلك دون ضرورة ، ودون الاحترازات المرسومة ؟

هل تخرج الراهبات خارج الحصون ، ويجلن في القرى دون اذن الريسة ، والكاهن الريس ؟

هل تعيش الراهبات جميعاً عيشة جهورية ، ولا يملكن شيئاً ، ولا يحفظن شيئاً ، ولا يهبنَ شيئاً ، او يقبلنَ شيئاً بعزلة خاصة لهنّ دون اذن الريسة ؟

هل ياكلنَ جميعاً الطعام في المائدة وقت الاكل مهيئاً من الكلار والخزينة الجمهورية ؟

هل يهيئن اطعمة للخارجين ، او يرسلنها لهم ، او يقبلن منهم [اكلًا] دون اجازة الريسة ؟

هل ثوبهنّ متساوٍ ، وبموجب رسم القانون ، واي قانون هنّ حافظات ؟

هل جميع الراهبات يعترفون [يعترفن] في الوقت المعين ، ويتناولنّ الاوخاريستيا ؟

هل يسمعن القداس يومياً [١٤٤] وهل يتلين الفروض الإلهية في الخوروس، واي الكتب التقوية يطالعن ؟

هل وقت المائدة يصير [تصير] قراءة كتاب ما روحي ؟

هل يحفظ الصمت باوقاته ؟

هل كل راهبة لها قلاية خصوصية، وفرشة متميزة ؟

هل يقبلنَ لابراز النذور قبل اكمال سنة التجربة اقله، وهل مرغومات ومغصوبات [على ذلك] ؟

هل يتشحن بالثوب[الرهباني]دون بركة الاسقف او نائبه، ودون الرتبة المعينة؟

هل ينذرن النذور الرهبانية، وما هي، وبيد من، [امام من] وكم راهبة توجد في كل دير ؟

كيف تنتخب الرئيسات، وصاحبات الوظائف الاخرى ؟ وكيف تسدبر ارزاق الدير، ومن هو الراهب المترأس على امور دير الراهبات الزمنية الخارجة، ومن هو الراهب المتولي تدبير الروحيات، وممن هم معينون لذلك، وبأية خصال متصفون ؟

(يتبع)

LES KURDES

HISTOIRE. SOCIOLOGIE. LITTÉRATURE. FOLKLORE

S'il est un peuple du Moyen-Orient qui reste presque inconnu et souvent méconnu du monde occidental, c'est bien le peuple kurde. Ce n'est point que les journaux ne le citent à l'occasion de quelque trouble, ni qu'il ait dit son dernier mot, mais les spécialistes seuls ont lu la magistrale étude de Professeur V. Minorsky qui lui a été consacrée dans l'Encyclopédie de l'Islam il y a bien longtemps déjà, et qui était le seul travail d'ensemble à nous faire connaître ce peuple indo-européen.

Or voici qu'à moins d'un an d'intervalle deux ouvrages de valeur viennent rafraîchir et enrichir nos connaissances en ce domaine. Monsieur Basile NIKITINE, qui a eu des contacts personnels avec le peuple kurde, lors de son séjour comme Consul Russe à Ourmiah (Perse), durant la première guerre mondiale, s'est toujours tenu au courant et nous offre aujourd'hui la synthèse de ses études dans *Les Kurdes, étude historique et sociologique.* (Paris, C. Klincksieck, 1956, 360 pages). Certes, tout n'est pas neuf dans ces pages et nous en avions déjà lu la primeur en de multiples articles de revues, tant françaises qu'étrangères, publiés au cours de ces dernières années. Si l'ouvrage, rédigé depuis 1943, ne voit le jour que maintenant, la cause en est aux difficultés de l'édition. De très brèves notations nous signalent cependant les principaux événements survenus dans l'intervalle. Malgré son titre: *Kurds, Turks and Arabs* (London, Oxford University Press, 1957, 458 pages), l'ouvrage de Monsieur C. J. EDMONDS est moins vaste dans son extension, mais étudie plus minutieusement certains points, ainsi que nous l'indique d'ailleurs le sous-titre: *Politics, Travel and*

Research in North-Eastern Iraq, 1919-1925. L'auteur, arrivé dans le pays depuis 1918 et qui y resta comme Conseiller au Ministère de l'Intérieur de 1934 à 1945, était aux premières loges pour nous renseigner sur les personnages qu'il a rencontrés ou les événements auxquels il a participé ou dont il a été témoin durant cette période cruciale pour l'existence même de l'Irak, période assez brève en somme. Nous ne devons donc pas nous attendre à voir exposés et résolus tous les problèmes pendants entre les Kurdes, les Arabes et les Turcs, ni même à savoir tout ce qui s'est passé au Kurdistan irakien durant cette même période. Certains Kurdes qui depuis la fin de la première guerre mondiale ont joué un rôle actif, sinon toujours positif, ne sont même pas mentionnés et on ne nous cite pas non plus les Yézidis, par exemple, tout simplement parce que l'auteur n'a pas été mêlé personnellement à ces activités ou à leur règlement. On peut le regretter, car il va sans dire que C. J. Edmonds pouvait nous apporter beaucoup de lumières. — Ces lacunes d'ailleurs ont été plus ou moins comblées par la publication récente de certains documents en kurde, en arabe ou en turc, que nous citerons par la suite. Car, dans cette étude, prenant comme cadre le travail de B. Nikitine, nous voudrions faire le point de ce que nous savons aujourd'hui sur les Kurdes, leur histoire, leur vie sociale, religieuse et scolaire, leur littérature et leur folklore, en utilisant, sinon tout ce qui a paru, du moins tout ce qui nous est parvenu sur ce sujet durant ces dernières années.

I

L'HISTOIRE

Les Kurdes, dont le nombre atteindrait plusieurs millions, chiffre variant entre trois et neuf, suivant les différents auteurs, occupent en un bloc homogène, que séparent des frontières artificielles, une partie de la Turquie, de l'Irak et de l'Iran. On en trouve encore près de 200.000 en Syrie et près de la moitié autant en U.R.S.S., tant dans la République d'Arménie Soviétique qu'en Géorgie. Dans son second chapitre (p. 23-42), M. Nikitine traite de la *Géographie du Kurdistan*, de ses hautes montagnes, de ses rivières

au poisson abondant, de ses gras pâturages, de son climat souvent bien rude, et termine par quelques statistiques. Le Taurus, l'Ararat et la «chaîne magistrale» (Edmonds) du Zagros forment l'ossature du pays. Certains sommets sont très élevés et dépassent les 4.000 mètres. Le Tigre et l'Euphrate prennent leur source en plein cœur du Kurdistan et leurs multiples affluents, comme le Mourad-Sou ou les deux Zab, arrosent de fertiles villages. En ce qui concerne le Kurdistan irakien, C. J. Edmonds nous en détaille la moindre rivière, le moindre pic, le moindre col, du moins dans le secteur qu'il a lui-même parcouru. En outre, on n'ignore pas, d'une part, que la majorité des puits de pétrole se trouvent, en Irak, dans la zone kurde; on sait, d'autre part, que le barrage du Dokan, en voie d'achèvement, par la retenue des eaux du Zab inférieur, va former un des lacs artificiels les plus grands du monde, d'une capacité de 7 milliards de mètres cubes d'eau, d'une superficie de 50 kilomètres carrés et permettra l'irrigation de 350.000 hectares: ce qui ne sera pas sans influer sur l'économie de toute cette région kurde.

Une première question historique qui se pose est celle de l'*origine* des Kurdes. Problème obscur, s'il en fut. Certains savants orientalistes considérèrent les Kurdes comme les descendants des Carduques, qui luttèrent contre Xénophon; d'autres en font des Khaldes ou des Kyrtiens. Marr les croit autochtones et japhétiques. Minorsky, qui connaît bien la question, leur donne une origine médo-scythe. Et chacun naturellement d'apporter des arguments d'ordre historique, anthropologique ou linguistique à l'appui de sa thèse. On les lira dans le premier chapitre de Nikitine (p. 1-22), qu'on refermera avec encore bien des doutes dans l'esprit. En tout cas, il n'est pas interdit de penser que les Kurdes d'aujourd'hui proviennent de plusieurs souches, qui se sont amalgamées au cours des siècles.

Quoi qu'il en soit de l'origine raciale des Kurdes, Edmonds signale, en de nombreux passages de son livre, les ruines et traces des peuples anciens qui ont habité ou traversé cette partie du Kurdistan si bien connue de lui et qui est véritablement pétrie

d'Histoire et même de Préhistoire. En effet, Jarmo, entre Chamchamal et Sulaimani, est «le plus ancien village du Moyen-Orient» (1). Barda-Balka, la grotte de Hazar Merd, dans la même région, ou celle de Shanidar, près de Rawandiz, où fut découvert le premier squelette humain du temps paléolithique en Irak (2), montrent que le pays fut peuplé depuis des millénaires. Edmonds ne parle guère de ces sites qui n'avaient pas encore été fouillés, mais la civilisation accadienne se retrouve à Kirkuk (Arrapha) (p. 286), à Yorghan Tapa (Nuzu) (p. 286-289). C'est sur le mont Nisir, identifié à Pira Magrun, que s'est arrêtée l'Arche de Gilgamesh (p. 21). Le roi d'Akkad, Naram-Sin, a dressé, 2.400 ans avant J.C. une «stèle de la victoire», remportée par Satuni, roi des Lullu, à Darband-i Gawr (p. 359-360). Les sculptures et inscriptions de Maltai (p. 430), Darband-i Ramkan (p. 238-241), Batas (p. 239) et de multiples tells inexplorés rappellent la puissance assyrienne. La tombe du Mède Phraortes, père de Cyaxare, ne serait autre que la légendaire Grotte-du-gars-et-de-la-fille (*Ishkewt-i kurh u kich*), près du village de Shornakh (p. 207-212). Faut-il rappeler la Bataille d'Arbelles, entre Alexandre et Darius, qui aurait eu lieu près de Gaugamela (p. 299) ? La tour de Paikuli, avec ses inscriptions en pelhévi et en parthe, aurait été dressée par ordre du sassanide Narseh, en 293, pour commémorer son accession au trône (p. 164-167). On a signalé à Edmonds les ruines de deux monastères chrétiens à Mazon et à Salot (p. 243), dans la région de Ranya, mais c'est près de cent couvents que les Nestoriens avaient construits, avant l'Islam, dans ce pays qui est aujourd'hui l'habitat des Kurdes (3). La période pré-islamique a laissé encore à Sardash les ruines du château de Julindi (p. 212-213), roi païen qui s'allia au Diable, dit la légende, pour résister à l'avance des Musulmans. Au sud de Halabja, entre Sazan et Kosawa, près de la frontière persane, on voit le trône de la Princesse Zérinkewsh-aux-sandales-d'argent, d'où elle venait admirer le paysage (p. 198). Ces quelques noms relevés dans le livre d'Edmonds montrent l'intérêt archéologique et historique du Kurdistan irakien.

L'*Histoire du peuple kurde* nous est résumée à longs traits dans les chapitres VII à IX de Nikitine (p. 153-190). Elle commence, comme on peut s'y attendre, par celle, plus ou moins morcelée, des principales tribus qui vécurent assez longtemps indépendantes. De véritables petits royaumes s'installèrent ici ou là, du VIIe au XVe siècle, avec les dynasties des Chaddadites, des Hassanwaihides, des Marwanides, des Banou Annaz et surtout celle des Ayoubides. Mais on pourrait dire qu'il s'agissait en fait d'États plus foncièrement musulmans que spécifiquement kurdes. C'est assez clair, me semble-t-il, pour Saladin qui, de tous les personnages qui ont illustré leur Histoire, reste pour les Kurdes celui dont ils sont, à juste titre, le plus fier. Or Saladin exerça une action où son kurdisme, si j'ose dire, ne transparaît guère, sauf peut-être en sa psychologie humaine de vrai chevalier et dans le caractère constructif de son œuvre. A. Champdor a donné il n'y a pas si longtemps une biographie alerte de la plus haute figure de l'Islam, après Mahomet (4). L'esquisse biographique, plus ou moins romancée, de ce héros légendaire qu'en avait composée, il y a des années, l'écrivain libanais Georges Zaidan, vient d'être traduite en kurde, à Baghdad, par A. B. Hewrî (Maaref, 1957, 160 pages), et V. Minorsky, tout récemment encore, en des pages consacrées à la *Préhistoire de Saladin*, nous a fourni les dernières précisions scientifiques sur les origines kurdes de cette forte personnalité (5).

Du XVIe siècle jusqu'au milieu du XIXe, c'est la période du régime féodal en Turquie et en Perse. Le *Charaf-Nameh* nous renseigne sur des gouvernements kurdes indépendants, avec leurs dynasties héréditaires, ainsi que sur les grands féodaux qui battaient monnaie et faisaient dire la *khoutba* à leur nom. Un autre personnage marquant de l'Histoire kurde est un prince de la famille kurde des Zend, Kérim Khan, qui régna sur la Perse de 1750 à 1779, tout en refusant le titre de Chah, pour se contenter de celui de Régent (*Wakil*). Son amour de la justice et des arts le fit surnommer le Titus de la Perse. Sa mémoire est toujours en vénération. Il avait fait de Chiraz sa capitale qui, aujourd'hui encore, s'enorgueillit des monuments qu'il y a élevés. Malheureu-

sement, sa mort entraîna la rivalité des princes Zend qui ne possédaient pas tous sa sagesse. Ils se disputèrent entre eux pour la couronne, puis contre les Kadjars. L'aventure se termina par l'assassinat de Lutf Ali Khan, dernier Zend, qui fut remplacé par le Kadjar Agha Mohammed Khan en 1794. C'est l'histoire romancée de ces événements tragiques, *Pâlawani Zend* (Baghdad, Maaref, 1956, 171 pages), que raconte, en kurde, HASAN FEHMI CAF, après avoir rapporté quelques anecdotes sur Kérim Khan lui-même. Ainsi qu'on l'aura remarqué, pas plus que Saladin, Kérim Khan n'a essayé de faire une œuvre nationale kurde, si bien que certains Kurdes se sont demandé si le destin des Kurdes n'était pas précisément de se mettre au service des autres peuples. Cette thèse, soutenue autrefois, en turc et en français, par le Dr Chucri Mohammed SEKBAN (6), a été violemment combattue, et tout spécialement en arabe par REFIQ HILMI (*Maqâlât*, Baghdad, 1956, 80 pages). En tout cas, s'il reste vrai que le Kurdistan n'a jamais existé comme État indépendant unifié, il n'en a pas moins fourni aux gouvernements des pays où il se trouve situé, — et M. Massignon le reconnaît dans la Préface de l'ouvrage de M. Nikitine, — un grand nombre de fortes personnalités qui se sont distinguées — et se distinguent encore — dans l'armée, la diplomatie, la politique et même la littérature.

Vers le milieu du XIXe siècle, les Sultans Ottomans et les Chahs d'Iran voulurent centraliser leur pouvoir et faire disparaître tous ces princes qui ne reconnaissaient d'autre autorité que la leur propre. Ce qui provoqua bien des mouvements et soulèvements contre les gouvernements turc et persan. C'est alors que naît le sentiment national, qui tend à unifier toute la Nation kurde. Au début, toutes ces révoltes se font un peu sans vue d'ensemble: c'est un chef un peu plus puissant que ses voisins qui veut garder son autonomie ou se tailler un petit royaume. Les plus connus sont Bédir Khan Beg (1843), et cheikh Obeidullah de Nehri (1880). L'unification des aspirations nationales kurdes s'esquisse en 1908, après la révolte des Jeunes-Turcs, et fut reconnue officiellement par les Grandes Puissances, dans le Traité de Sèvres, du 20 août

1920, qui envisageait l'autonomie des régions kurdes de l'ancien Empire Ottoman. On sait comment le Traité de Lausanne (24 juin 1923) a brisé cet espoir. Depuis lors, tant en Turquie qu'en Irak ou en Iran, les Kurdes ont essayé de réaliser leur rêve d'indépendance. M. Nikitine est assez bref dans son récit des événements qui ont intéressé les Kurdes depuis le fin de la première guerre mondiale. Ils ne manquent pourtant pas d'importance pour l'Histoire des Kurdes, ou même d'intérêt pour l'Histoire tout court, puisque le Pandit NEHRU lui-même y fait plusieurs fois allusion dans son *Coup d'œil sur l'Histoire du monde*, traduite en arabe (Beyrouth, 1957), p. 159 et 329. On trouvera les renseignements essentiels sur cette période dans L. RAMBOUT, *Les Kurdes et le Droit* (Paris, Le Cerf, 1947, 160 pages). Mais depuis la parution de ce travail, maint acteur ou témoin des événements a livré au public les pages de son Journal ou publié ses Souvenirs. Pour la Turquie et les révoltes de Cheikh Said et de Dersim, nous avons, en turc, le récit détaillé du Dr M. NURI DERSIMI, dans son ouvrage fondamental: *Kurdistan. Tarihinde Dersim* (Alep. Ani Matbaasi, 1952, 342 pages). L'auteur, qui est du pays et connaît personnellement les principaux acteurs, nous donne d'abord une description détaillée de la géographie et de la situation économique de la région en chacun de ses secteurs (p. 1-74). Après le rappel de quelques notions d'histoire et de l'activité des leaders kurdes vers la fin du régime ottoman et le début du pouvoir d'Ataturk (p. 75-172), Dersimi raconte alors en détail la révolte de Cheikh Said de Piran (1925), celle de l'Agri-Dagh (1930) et surtout celle de Dersim (1937-1938) menée par Seyid Riza, qui fut la plus dure et la plus coûteuse pour les Turcs. On nous annonce encore un ouvrage, également en turc, du Lt. Col. irakien ABDULAZIZ YAMULKI, *Kurdistan and the Kurdish revolts* (7), dont le premier tome traitera spécialement des Kurdes de Turquie, le second étant réservé aux événements d'Irak et d'Iran.

On est relativement bien documenté sur les Kurdes d'Irak. C. J. Edmonds, dans la quatrième partie de son ouvrage (p. 386-435) rappelle les tractations au sujet du vilayet de Mossoul, convoité par les Turcs, et le rôle de la Commission envoyée par la

S.D.N. en 1924-1925, dont les travaux ont abouti au maintien de cette zone kurde sous l'autorité du roi d'Irak et cela grâce à l'activité déployée par la Grande-Bretagne: ce que les jeunes Irakiens ont oublié, constate amèrement l'auteur (p. 433). Edmonds rappelle aussi sa participation à la répression du premier mouvement de Cheikh Mahmoud (passim). Mais l'histoire de ce «Roi du Kurdistan», nous est racontée avec force détails par Refîq Hîlmî, en une série de brochures, en kurde, d'une centaine de pages chacune, dont la publication a commencé en 1956 et qui ont pour titre (en français): *Souvenir. Kurdistan du Sud. Les révolutions de Chaikh Mahmoud* (8). Ces pages nous donnent en quelque sorte une chronique des Kurdes d'Irak depuis la fin de la guerre de 1914-1918. Le rôle de Cheikh Mahmoud y est naturellement mis en vedette; mais on nous cite aussi le nom de beaucoup de chefs de tribus, d'officiers britanniques ou d'autres personnages qui parurent un jour ou l'autre sur la scène. De nombreuses photographies de personnes ou de paysages illustrent ces petites brochures: malheureusement la plupart manquent de netteté. Cheikh Mahmoud mourut à Baghdad, le 9 octobre 1956, à l'âge de 76 ans. Depuis longtemps déjà il vivait dans la retraite à Sulaimani. Il eut peut-être autant d'ennemis que d'admirateurs, mais son nom restera célèbre dans les Annales de l'Indépendance kurde.

Les Cheikhs de Barzan, au N.E. de l'Irak, eux aussi, ont donné du fil à retordre aux Britanniques et aux Irakiens: Cheikh Ahmed, en 1930 et 1933 et surtout son frère, Molla Moustapha en 1943 et 1945. Ce dernier, réfugié en U.R.S.S., est désigné désormais sous le nom de Général Moustapha Barzani. Le récit de leurs révoltes contre le gouvernement irakien nous est conté, en arabe, par M. Brifkani, *Vérités historiques sur l'affaire de Barzan* (Baghdad, 1953, 43 pages) et par Maruf Ciyawok: *Le Drame du Barzan opprimé* (Baghdad, 1954, 216 pages). L'exposé du premier est plus clair; celui du second, qui fut fonctionnaire administratif dans la région et qui est mort au début de 1958, est beaucoup plus détaillé, mais assez mal ordonné; et le ton, pour être sincère, n'en est pas toujours très serein. Les motifs des différentes révoltes des

Cheikhs de Barzan sont probablement plus simples et moins politiques que ceux qu'il dénonce. — A côté de ces mouvements sanglants où s'entremêlent politique, religion et questions sociales, l'Irak connait encore des vagues de banditisme, né parfois d'un vain prétexte, mais qui dégénère et provoque le trouble dans toute une région. C'est ce qui s'est produit dans le Caza de Chwarta (liwa de Sulaimani) où, de 1947 à 1955, un bandit, Khola Pisé, a semé la terreur avec ses complices, multipliant pillages et assassinats, jusqu'au jour où il fut finalement abattu par la police ainsi que ses acolytes. Le récit de ses méfaits est narré, en arabe, par Mohammed CHUKRÎ EL AZZAOUÎ, dans une brochure intitulée: *Le Livre Noir* (Baghdad, 1955, 64 pages).

Aucun document nouveau, à ma connaissance, n'a paru récemment sur la République kurde de Mahabad, fondée, en Iran, en 1946, par Ghazi Mohamed (9). En ce pays, les derniers événements de quelque importance survenue au Kurdistan furent une première action punitive, en 1950, et une expédition militaire plus importante, en février 1956, contre les tribus de Djawanroud, d'où une nouvelle protestation des Nationalistes kurdes à l'O.N.U., le 3 mars 1956 (10). Quelques détails sur cette affaire sont rapportés, en arabe, par SAMED KURDISTANÎ, dans *Le Combat des Kurdes* (11).

Comme l'Histoire se fait tous les jours, il nous faut noter ici quelques petits faits qui datent d'hier à peine. On le sait, les Nationalistes kurdes s'efforcent, depuis longtemps, d'attirer l'attention des instances internationales. Leurs Appels à l'O.N.U. sont assez fréquents, mais sont toujours restés sans écho. Lors du Congrès International de la «Ligue anti-colonialiste hellénique», tenu à Athènes, en novembre 1957, une Déléguée kurde a pu, finalement, exposer la question kurde, malgré l'opposition violente de certaines délégations; mais lors de la Conférence Afro-Asiatique du Caire (26 décembre 1957-2 janvier 1958), l'envoyé kurde se vit refuser l'accès de la Conférence, sous prétexte qu'il s'était présenté «trop tard».

Enfin il est trop tôt encore pour juger des répercussions possibles de la récente révolution irakienne sur le développement du

nationalisme kurde. Notons l'article 3 de la Constitution provisoire de la nouvelle République où «pour la première fois dans l'histoire du pays mention est faite des Kurdes «*considérés comme partenaires égaux avec les Arabes dans la nation et dont les droits au sein de l'Unité irakienne sont reconnus*». (*Le Monde*, nº 4219 du 17 et 18 août 1958). De fait, comme dans les gouvernements précédents, plusieurs Kurdes furent introduits dans le Ministère, et en particulier Cheikh Baba Ali, fils du fameux Cheikh Mahmoud. D'autre part, un Décret du 2 septembre 1958, amnistia Moustapha Barzani et ses compagnons réfugiés à l'étranger. Ils sont donc rentrés à Baghdad, après avoir rendu visite au Président Nasser, avec qui Barzani aurait étudié, le 5 octobre, «un programme d'action» comme l'écrit la presse égyptienne. L'annonce de la révolution avait effectivement provoqué une vague d'enthousiasme dans le Kurdistan où l'on afficha partout des cartes du Kurdistan, qui disparurent bientôt d'ailleurs. De leur côté, les communistes du pays relevèrent la tête, reprirent l'édition de leur journal *Al qa'da* (La Base) et, en particulier, se remirent à diffuser leur organe en kurde, *Azadi* (La Liberté). Tout cela n'est pas sans soulever les craintes des journalistes turcs de l'*Akis*, qui redoute le dynamisme kurde contre les Turcs de Kirkuk, et du *Cumhuriyet*, qui voit là la main de Moscou. De quoi demain sera-t-il fait?

II

LA VIE SOCIALE, RELIGIEUSE ET SCOLAIRE

B. Nikitine consacre les chapitres III à VI de son ouvrage à l'étude sociologique des Kurdes.

1. — *L'état social.*

On a affaire, nous dit-il, à un peuple de pasteurs et d'éleveurs semi-nomades, groupés en tribus, et d'agriculteurs sédentaires, à l'artisanat familial, et qui abandonnent le commerce à leurs voisins chrétiens et juifs. Cependant, il faut reconnaître que le Kurde a su s'adapter facilement aux travaux techniques et mécaniques qu'impose désormais, dans leurs régions, l'industrie pétrolière moderne.

Ce genre de vie va naturellement influer sur le caractère du Kurde. «C'est sous cette double influence, celle de la lutte constante avec la nature et l'homme et celle des exigences de la discipline tribale que s'est formé le noble caractère kurde marqué par cette triade aristocratique: fierté, distinction de comportement et sens d'honneur chevaleresque» (p. 69). Ce qui n'est incompatible ni avec l'instinct de pillage, la cruauté de la vendetta, le goût de la chasse ou la générosité de l'hospitalité. Ajoutons une digne pureté des mœurs. Ces belles qualités sont reconnues par de nombreux voyageurs étrangers dont on nous rapporte maints témoignages (p. 75-80). Quelques récits nous rappellent le sens de l'humour de cette forte race.

La *famille kurde* fait l'objet d'un long chapitre (p. 87-118). Après avoir décrit la tente ou la maison paysanne, détaillé le costume, tant masculin que féminin, relaté l'alimentation et l'organisation des repas, l'auteur insiste, à juste titre, sur le rôle de la femme en milieu kurde. La femme kurde, par son esprit d'indépendance et son sens de l'honneur, sa bravoure et son dévouement familial, se montre la digne émule de son mari. On nous met ensuite au courant des rites de la vie de famille: mariage, naissance, obsèques.

S'il est un point, bien caractéristique d'un peuple et qui éclaire assez bien sa mentalité, c'est le nom qu'il donne à ses enfants. Beaucoup de Kurdes portent des noms musulmans, cela va de soi. Mais il existe aussi des noms spécifiquement kurdes, portés par les Héros de l'histoire et de la légende nationales, ou qui désignent des vertus qu'on souhaite posséder, ou sont tout simplement des noms de fleurs, de fruits ou même d'animaux dont les qualités sont appréciées de tous. Pour que les parents ne soient pas embarrassés dans leur inspiration patriotique, ELADÎN SÊCADÊ a publié une petite brochure originale (12), sorte de mémento alphabétique où l'on peut choisir pour les «chers petits», ou comme dit l'auteur «les coins de notre foie», «*cegergûşekeyan*», un titre sur mesure.

Passons maintenant, avec B. Nikitine, à l'étude de la *structure de la tribu*, considérée tant au point de vue social que sous son aspect économique. Sans doute, aujourd'hui, la tribu tend-elle à se désagréger. Les pouvoirs du chef risquent d'être supplantés par l'autorité d'un gouvernement central, jaloux de ses prérogatives. Ce qui ne laisse pas d'avoir une profonde répercussion sur l'économie du groupe. Mais si le cadre se détend, il existe pourtant encore, et c'est ce qui continue à rendre complexe la solution du problème kurde: C. J. Edmonds, à son tour, enrichit notre connaissance de la sociologie kurde. C'est ainsi qu'à propos de la ville de Sulaimani (ch. VII), il nous donne des détails précis sur le costume (p. 87-89), l'habitation, avec un plan de maison (p. 90-93). Ailleurs, il nous entretiendra des coutumes matrimoniales (p. 225-226). Il relève lui aussi le rôle de la femme dans la famille et nous cite plusieurs d'entre elles qui surent tenir une place de chef dans leur tribu (p. 14 et 233), ou dans la cité, comme Rabi'a Khan, chef des boulangers à Sulaimani (p. 86); sans parler de cette étrange Faqê Marif, âgée de vingt-cinq ans, au nom, aux vêtements et au comportement masculins (p. 234).

Un des intérêts certains de l'ouvrage de C. J. Edmonds c'est que l'auteur s'est informé de l'origine des familles de chefs qu'il a rencontrés. Il nous donne ainsi l'arbre généalogique des chefs Hamawend (p. 41), des Baban (p. 55), des Begzadés Djaff (p. 144) et des Begzadés Avroman (p. 155), des Aghas de Pijdar (p. 219), des Zengana (p. 272), et des Dauda (p. 273). Cette remontée aux sources explique et fait comprendre les liens, mais aussi les rivalités actuelles des tribus entre elles ou des chefs, originaires d'une même tribu.

La vie sociale des Kurdes d'U.R.S.S. est décrite dans l'ouvrage récent de Emînê Evdal, *Mœurs et Coutumes des Kurdes de Transcaucasie* (13).

«Le livre se divise en deux parties. La première compte trois chapitres et la seconde six. Dans son introduction, l'auteur nous décrit brièvement l'habitat actuel des Kurdes. Il rappelle qu'avant 1595, à cause de la violence et de l'oppression du Gouvernement turc, quelques tribus kurdes sont venues de Turquie et d'Iran dans la montagne Gharabagh, dans le nahiya de Larchin

en Azerbaidjan soviétique, et s'y installèrent. Puis de nombreuses autres tribus vinrent en Transcaucasie, Géorgie, Azerbaidjan et Arménie où elles vivent jusqu'à ce jour.

Dans la première partie de son livre, l'auteur décrit les mœurs et coutumes du peuple kurde avant la Révolution, ses occupations, ses croyances, l'état de son habitation, le mariage et le deuil, les armes et l'habillement. Tout cela a été parfaitement expliqué et quiconque lit attentivement ce travail doit en reconnaître la valeur, ainsi que les peines endurées pour acquérir de telles connaissances auprès des vieillards très au fait de ces anciennes coutumes qui, d'ailleurs, ne sont pas propres uniquement aux Kurdes d'Arménie, mais se retrouvent aussi chez ceux de Géorgie et d'Azerbaidjan. En outre, l'auteur fournit la liste de tous les *nahiya* et villages habités par les Kurdes et le nom des tribus auxquelles ils se rattachent.

Dans la seconde partie, Eminê Evdal s'attarde aux us et coutumes des Kurdes soviétiques de Transcaucasie; il insiste sur les progrès réalisés et les usages nouveaux. Bien des choses nuisibles d'autrefois ont été éliminées. Il n'y a plus désormais d'esclaves des cheikhs et des pirs, ni de serviteurs des aghas et des begs. Tous vivent libres et heureux. — L'auteur s'arrête sur la maison des Kurdes et en montre l'amélioration. On n'y dort plus sur des nattes ou des feutres pourris, mais sur des tapis de haute laine, avec couvertures et matelas de laine, recouverts de châles et de peluche. Dans la maison kurde, on trouve aujourd'hui appareil de radio, lit nickelé, commode et horloge; au lieu d'habitations souterraines, les Kurdes vivent maintenant en des maisons lumineuses construites en belles pierres de tuf et éclairées avec des lampes Ilitch.

L'auteur montre qu'au lieu de maisons isolées d'avant l'arrivée des kolkhoz, la propriété est devenue collective; au lieu de la charrue et du chariot d'autrefois, les plaines des kolkhoz sont cultivées au tracteur et à la moissonneuse-batteuse. Il écrit que beaucoup de garçons et de filles kurdes travaillent, non seulement dans les kolkhoz et les sovkhoz, mais aussi dans les entreprises, établissements, fabriques et usines; que maintenant, par milliers, les enfants de ce peuple, autrefois opprimé, s'instruisent dans des écoles, instituts techniques et établissements d'enseignement supérieur. Puis en détail, on nous décrit la situation de la femme kurde. Autrefois, elle n'avait le droit ni de s'instruire, ni de travailler en commun avec des hommes, et on la vendait comme une marchandise; mais maintenant elle est libre et indépendante, peut voter et être élue aux différents postes du Gouvernement. Elle reçoit l'instruction, non seulement dans les écoles moyennes, mais aussi dans les établissements d'enseignement supérieur».

Le recenseur signale en outre que l'ouvrage est abondamment illustré de photographies de Kurdes célèbres et termine par quelques critiques de détail sur l'emploi de tel ou tel mot ou la réalité de tel usage et souhaite que le volume soit bientôt traduit en kurde. Tel est bien aussi notre vœu.

De tout cela il ressort qu'en Arménie soviétique, où le nomadisme a totalement disparu, le cadre tribal a éclaté de toutes parts. Des kolkhoz ont été établis partout et l'élevage des troupeaux conserve toute son importance sur les pentes de l'Alagöz. Pourtant un aspect nouveau de la vie sociale est apparu: la participation aux activités politiques. A ce propos, rien de plus pittoresque que le compte-rendu des dernières élections. Celles-ci sont organisées

comme une fête, avec chants, drapeaux et banderoles. Dès les premières heures du matin, paysans et paysannes s'approchent des urnes. Les reporters n'oublient pas de signaler la première personne du village qui accomplit ce devoir patriotique. Par exemple, à Sorik, dans le nahiya de Talîn, c'est une trayeuse de choc, Ana Acho qui, en déposant son bulletin, déclare que les femmes kurdes, comme toutes les femmes soviétiques, doivent s'atteler aux fonctions civiques: aussi va-t-elle voter pour le Parti Communiste. A Gelto, dans le même nahiya, ce sont les deux centenaires du bourg, Ayoyê Temo et Ekhterê Temo (respectivement âgés de 110 et de 120 ans?), qui félicitent les jeunes de vivre désormais libres et heureux. C'est pourquoi ils donnent leur voix au Parti. Au village de Nédjirlûya-Jorîn, dans le nahiya de Chahûmiyan, la Kurde Badjoya Hamê se réjouit de la victoire remportée depuis quarante ans sur les Padichahs, les propriétaires et les exploiteurs et évoque le temps de sa jeunesse, quand sa mère se plaignait qu'on imposât un mari aux fillettes, laissées sans instruction... et elle termine son petit discours en remerciant le Parti Communiste et le Gouvernement des Soviets. Et notre reporter de conclure: «En trois heures, tous les électeurs du village, *comme un seul homme, mîna mirovekî*, donnèrent leur voix aux candidats du bloc communiste (14).

2. — *La situation religieuse.*

Abordant la vie spirituelle des Kurdes, B. Nikitine nous introduit tout d'abord dans leur Religion (ch. XI). Les Kurdes sont musulmans sunnites pour la plupart et de rite chaféite. Mais l'auteur montre que, pour être orthodoxe dans l'ensemble, la religion des Kurdes doit beaucoup à l'influence mystique des cheikhs des Confréries Naqchbendi ou Qadri surtout, qui très souvent aussi, jouèrent un rôle politique important. On rencontre également au Kurdistan des sectes, tout imprégnées d'islamisme, mais qui aujourd'hui sont bien loin de l'Islam. On nous signale les *Ahl-ê Haqq*, en Perse (p. 241-244), et les *Yézidis*, si souvent et improprement appelés Adorateurs du Diable, dont le plus grand nombre vit en Irak. Sur ces derniers, M. Nikitine nous fait connaître les théories, bien spéciales, de son compatriote le célèbre Professeur N. Marr

(p. 228-241), théories bien anciennes d'ailleurs, puisqu'elles datent de 1911. J'avoue, pour ma part, n'être point du tout convaincu de cette thèse qui s'appuie sur des bases bien fragiles. Quant à la méthode «paléontologique» de Marr de reconstruire l'Histoire, elle me laisse non seulement sceptique, mais rêveur. La simple analyse du mot *Tchelebi*, dont l'étymologie reste d'ailleurs controversée, suffit au professeur pour expliquer l'origine des Kurdes en général et celle des Yézidis en particulier. C'est sans doute le caractère trop conjectural de cette hypothèse qui l'a laissée dans l'ombre car, sauf erreur de ma part, elle n'avait pas jusqu'ici été portée à la connaissance de l'Europe occidentale. L'exposé de la religion chez les Kurdes se termine, dans l'ouvrage de B. Nikitine, par le rappel de quelques superstitions populaires que l'on compare à celles des peuples avoisinants (p. 244-254).

Chose curieuse, M. Edmonds ne souffle mot des Yézidis. C'est vrai qu'il n'a pas eu de contacts directs avec eux. Par contre, il s'étend très longuement sur la secte des *Ahl-ê Haqq* qu'il nomme *Kakai* (ch. XIII). Il nous rappelle l'origine de la secte (p. 182-184), nous en résume l'histoire (p. 184-185), s'étend sur son organisation (p. 185-191) et sa distribution géographique (p. 191-196). Il identifie les *Sarli* aux Kakai, mais les distingue nettement des *Shabak* (p. 195), qui sont des *Qizilbash* kurdes, dont il parle également (p. 268-269). La plupart de ces renseignements sont de toute première main.

Chez les Kurdes de Turquie, existe en outre la Confrérie, nord-africaine, des *Tijani*, qui compterait 30.000 adeptes (15). En Syrie, au Kurd Dagh, au nord d'Alep, un peu avant la seconde guerre mondiale, de 1930 à 1940, un mouvement de réveil religieux et de réformes sociales, le *mouroudisme*, dirigé par Ibrahim Khalil, dégénéra bientôt en jacquerie sanglante contre les Aghas et dut être réprimé par la force. Depuis l'assassinat de Cheikho Agha, d'un côté, et de Cheikh Hanif, de l'autre, pour des rivalités électorales, en 1947, la situation semble avoir perdu de sa tension aiguë.

Le lecteur n'aura pas été sans remarquer que bien des événements survenus dans les différents secteurs du Kurdistan ont sou-

vent pour promoteurs des chefs religieux. C. J. Edmonds, qui a tout un chapitre (ch. VI) sur ces personnages: *Cheikhs et Seiyids* (p. 59-79) nous y donne des renseignements précieux sur l'origine et la puissance des Seiyids de Barzinja, famille du fameux Cheikh Mahmoud (p. 69), non sans rappeler le pouvoir magique d'un ancêtre, Kak Ahmed, de protéger des balles, grâce à un talisman: *gulabend* (p. 74-76). L'auteur nous donne encore l'arbre généalogique des Aghas de Tawêla qui sont, comme il dit, des cheikhs «à tapis de prière» (p. 78) et aussi de la famille des Cheikhs Talabani de Kirkuk (p. 276) Par contre, il ne nous dit rien des Cheikhs de Barzan, avec qui il n'a pas eu affaire; mais nos sources orientales ne nous manquent pas sur ce point. SADIQ DAMLOOJI, qui avait déjà publié un gros ouvrage sur les Yézidis, *El-Yazidiyyah* (Mossoul, 1949, 520 pages), nous entretient des *Takiés* soufies de Bahdinan (p. 61-68) et des réunions mystiques qui s'y tiennent (p. 163-167), dans un travail plus récent sur *Les Principautés kurdes du Bahdinan* ou *Principautés d'Amadia* (Mossoul, 1952, 176 pages). CIYAWOK (*op. cit.* p. 52-56) résume les croyances et coutumes des Barzanis et leurs révoltes au temps des Turcs. M. BRIFKANI (*op. cit.* p. 5-11) nous apprend que Barzan est le nom du village des Cheikhs de la confrérie Naqchbendi qui commencèrent à prendre de l'influence en 1825, au temps du Cheikh Taha de Nehri, successeur de Mewlana Khaled qui introduisit la fraternité au Kurdistan. Barzan n'est donc pas une tribu, comme on se l'imagine souvent; mais on a fini par appeler Barzani les tribus Beroji, Chirwan, Mizûri ou Herki qui acceptèrent l'enseignement des Cheikhs de Barzan et subissent fanatiquement leur influence. On croit les cheikhs doués de puissance surnaturelle et on se dévoue à leur personne, à la vie, à la mort.

Outre ces associations religieuses classiques, si je puis dire, il n'est pas rare de voir surgir en ces frustes milieux impressionnables des inspirés, plus ou moins excentriques, qui se croient une vocation de réformateurs de la religion et de la société, mais dont le rôle reste éphémère et finit souvent lamentablement. Il y a vingt-cinq ans, dans la région de Surdash (Irak), un cheikh, appelé Babê Richê, avait fondé ou rénové une secte: *Haqqa*, qui prêchait

l'obligation pour le riche de distribuer ses biens aux pauvres et préconisait l'émancipation totale de la femme. L'arrestation, en 1944, de son successeur, Mama Riza, soupçonné de communisme, provoqua des troubles entre ses disciples et l'administration. Edmonds ne le jugeait pas dangereux (p. 204-206). Tout récemment, 16 avril 1958, les journaux nous faisaient part de l'arrestation à Kilaw-Kut, dans le district de Shuwan en Irak, d'un illuminé, Hama Sur, qui s'attribuait le titre de prophète et avait jeté les fondements d'une nouvelle religion qui interdisait le thé et tous les «excitants», proclamait la nécessité de la continence même pour les gens mariés, interdisait la coupe des cheveux, déclarait la prière inutile et se faisait le champion de la journée de huit heures......

Ainsi, au fond de toutes ces agitations, où s'enchevêtrent sentiments religieux, aspirations sociales et sensibilité tribale, on retrouve presque toujours une rivalité inconsciente entre guides spirituels, chefs de tribus et autorités locales, car les premiers veulent ajouter à leurs pouvoirs d'ordre spirituel une influence d'ordre matériel et temporel. Et, vu l'ignorance et l'esprit superstitieux du montagnard kurde, ils arrivent souvent à leurs fins. On s'explique dès lors l'attitude de la jeunesse instruite d'aujourd'hui qui tend à s'éloigner de ceux qu'elle considère comme de mauvais bergers. Et, d'autre part, l'esprit encore féodal de beaucoup de chefs de tribus n'attire pas davantage les jeunes évolués qui cherchent leur voie et croient découvrir, dans l'idéal communiste, une solution équitable aux problèmes de vie qu'ils se posent.

3. — *La vie scolaire.*

La vie scolaire au Kurdistan, à peine signalée par B. Nikitine (p. 256-257), était inexistante lorsqu'Edmonds fit ses débuts dans la région. Or les études scolaires sont de la plus haute importance pour la vie d'un peuple. Où en sont les Kurdes aujourd'hui en ce domaine? Sans doute, dans la plupart des pays qu'ils habitent les petits Kurdes peuvent fréquenter les écoles, plus ou moins nombreuses, qui y existent et y apprendre la langue nationale officielle: turc, arabe ou persan; mais, en fait, actuellement, ce n'est qu'en Arménie soviétique et dans les liwas irakiens de Sulaimani, Kirkuk

et Erbil que les enfants kurdes peuvent apprendre à lire dans leur langue maternelle (16).

Quelle est donc, aujourd'hui, la situation scolaire du Kurdistan, en ce qui concerne le nombre des écoles, leur programme, les manuels utilisés?

En Arménie soviétique, il semble bien que tous les enfants kurdes d'âge scolaire peuvent bénéficier de l'instruction. En effet, il y a vingt-cinq ans déjà que P. Rondot (17) signalait 40 écoles primaires, avec 71 professeurs kurdes et 1936 élèves, sur une population kurde estimée à 17.500 personnes. Il existait en outre une École moyenne de 7 classes et une École Normale kurde à Érivan avec 161 élèves. Cette situation n'a pu que s'améliorer avec le temps Et, en effet, en 1947, on relevait pour le seul nahiya d'Aparan, qui compte de 60 à 65 villages, la fabrication de 250 poêles pour les salles de classes du secteur. Cependant si, du côté gouvernemental, il n'y a rien à redire, il n'en serait pas de même de la part de la population, à en croire les plaintes récentes de T. Emer directeur de l'école septennale de Tilik, dans le nahiya de Talin (18).

En Irak, la situation est assez différente. Il n'est pas facile de dire combien de petits kurdes profitent de l'instruction et on sait qu'un des principaux griefs que les Nationalistes font périodiquement au Gouvernement irakien est précisément le manque d'écoles dans le Kurdistan. Les chiffres cités par Rambout (*op. cit.* p. 70), ou Nikitine (p. 256) doivent être considérés aujourd'hui comme périmés. L'effort vraiment remarquable de l'État irakien dans le domaine de l'enseignement primaire ne peut pas ne pas avoir eu sa répercussion au Kurdistan (19). Certaines villes kurdes sont privilégiées. Ainsi Halabja, qui est en quelque sorte la capitale de la grosse tribu de Djaff, possédait déjà en 1946:

1 école primaire de garçons	avec 6 classes et	283 élèves;
1 école intermédiaire	avec 3 classes et	37 élèves;
1 école primaire de filles	avec 6 classes et	75 élèves.

Soit un total de 395 élèves pour une population de 10.000 habitants. A Sulaimani, centre administratif de Mohafazat du même nom, en 1955, le roi Fayçal II a inauguré une École technique où 152

garçons suivent, durant cinq ans, des cours d'enseignement secondaire combinés avec des cours pratiques de mécanique, électricité, menuiserie, soudure, etc. 530 enfants (garçons et filles) fréquentent la première école mixte ouverte, il y a deux ans, à titre d'essai et qui s'est avérée être un réel succès. En outre, en cette même ville, se trouve un des plus jolis centres d'éducation fondamentale de l'Irak, où 300 femmes et jeunes filles apprennent à filer, tisser, tricoter, coudre et faire la cuisine (20). En tout cas, voici un tableau de l'Instruction Publique pour le liwa entier de Sulaimani pour les années 1947, 1951 et 1955. Lés progrès réalisés sautent aux yeux. Sont indiqués dans les colonnes (1) le nombre d'écoles; dans les colonnes (2) celui des professeurs ou maîtresses; dans les colonnes (3) celui des élèves.

GARÇONS	1947			1951			1955		
	(1)	(2)	(3)	(1)	(2)	(3)	(1)	(2)	(3)
Primaires	42	123	2.950	41	161	3.632	71	278	6.893
Moyennes	1	4	60	1	6	102	2	15	249
Secondaires	1	14	320	1	12	402	1	20	555
Techniques							1	7	92
Totaux	44	141	3.330	43	179	4.136	75	320	7.789

FILLES	1947			1951			1955		
Primaires	7	44	910	8	47	971	30	75	2.293
Moyennes	1	3	100	1	7	147			
Secondaires							1	11	245
Totaux	8	47	1.010	9	54	1.118	31	86	2.538
TOTAL GÉNÉRAL	52	188	4.340	52	233	5.254	106	406	10.327

Ainsi qu'on le constate, si l'avance est modeste entre 1947 et 1951, on peut dire que le développement est spectaculaire entre 1951 et 1955, surtout dans l'enseignement féminin, où le nombre d'écoles primaires a presque quadruplé.

Pour cette même année 1955, la statistique que j'ai sous les yeux ajoute un certain nombre d'écoles du soir, écoles élémentaires,

coraniques, ménagères pour les filles (500 élèves), pour les soldats (610 élèves), avec un effectif global de 7.446 élèves. Ce qui fait que pour cette année-là, sur une population totale du liwa de Sulaimani estimée à 222.700 habitants au recensement de 1947, le nombre de Kurdes à recevoir une instruction plus ou moins poussée s'élève à 19.773. — Je n'ai pas de chiffres récents pour l'ensemble des écoles officielles du Kurdistan irakien, mais les exemples précités suffisent à montrer une amélioration sensible. Ajoutons que subsistent encore en certains villages, grâce au dévouement de quelque mollah ou de quelque cheikh, des écoles religieuses traditionnelles: coraniques, religieuses «moyennes» et écoles dépendant des mosquées; mais il est difficile d'en préciser le nombre et l'effectif.

Je transcris maintenant l'horaire scolaire des leçons de la classe de 4ème de l'école de garçons el-Ayoubiya de Sulaimani, tel qu'il a été écrit, en arabe, par un élève de cette classe, le 17 avril 1955.

Samedi	Gram. arabe	Dessin Trav. manuel	Calcul	Leç. Choses Hygiène	Géographie
Dimanche	Lect. arabe	Calcul	Religion	Histoire	KURDE
Lundi	Rédact. arabe	Calcul	Gymn. Chant	Politesse	Écrit. arabe
Mardi	Calcul	Gram. arabe	Géographie	Religion	Dictée arabe
Mercredi	Gram. arabe	Dessin Trav. manuel	Calcul	Écrit. arabe	Histoire
Jeudi	Calcul	Poésie arabe	Leç. choses Hygiène	Religion	KURDE

Ainsi donc, sur les 30 leçons hebdomadaires, il n'y en a que deux seulement qui sont réservées à l'étude de la langue kurde; mais il faut y ajouter les 13 leçons de quelques matières enseignées également en kurde, à savoir: calcul (6), Histoire (2), Géographie (2), Sciences (2), Politesse (1). Le dessin et la gymnastique mis à part (3 leçons), le Coran nécessairement enseigné en arabe (3 leçons). Avec les neuf heures de classe assignées à l'enseignement de la langue arabe, on constate que les deux langues sont donc enseignées à peu près à égalité.

J'ignore si l'emploi du temps dans les écoles d'Arménie soviétique, tel qu'il était donné dans l'article précité de P. Rondot est

toujours en vigueur. Sur les 30 heures de classe en quatrième, les élèves avaient 6 heures de kurde, 3 d'arménien et 3 de russe (première année d'enseignement) et dix-huit heures d'autres matières. On ne nous spécifiait pas d'ailleurs la langue employée pour ces leçons-là; mais le kurde seul devait, en principe, être utilisé durant les deux premières années d'enseignement. Mais les Règlements sont une chose et leur application en est une autre. C'est ainsi que dans un tout récent article intitulé: *L'enseignement de la langue kurde dans le nahiya d'Aparan* (*Riya Teze*, n° 44 (960) du 1er juillet 1958), K. ÇAÇANÎ constate avec regret que cet enseignement laisse beaucoup à désirer. En effet, certains instituteurs utilisent les dialectes plutôt que la langue littéraire, d'autres se servent de manuels démodés alors qu'existent de nouvelles éditions, et même, et cela est un comble, d'aucuns omettent entièrement les leçons de kurde.....

Examinons maintenant les manuels scolaires. Signalons pour commencer quelques alphabets récents: H. CINDÎ, *Elifba* (6ème éd. Erivan, 1954, 100 pages; 7ème éd. en 1957); O. SEBRÎ, *Elîfbêya Kurdî* (Damas, 1955, 56 pages); CEMAL NEBEZ, *Nûsînî kurdî be latînî* (Baghdad, 1957, XI, 35 pages). Il convient de remarquer ce dernier, qui est un nouvel essai d'alphabet latin par un Kurde d'Irak. A part quelques petits changements, il correspond à celui de *Hawar*, utilisé par les Kurdes de Syrie. Mais attendons de voir si désormais, en Irak, les livres kurdes seront édités en ces caractères-là (21).

E. EVDAL avait publié, à Erivan, en 1952, une petite grammaire à l'usage de la première classe: *Zmanê kurmancî* (96 pages). Or, en 1956, ont paru simultanément trois grammaires, en trois pays et en trois écritures différentes: QANAT KÖRDO, *Gramatîka zimanê kurdî ser zaravê kurmancî* (Erivan, 174 pages); REŞÎD KURD, *Rêzmana zimanê kurmancî* (Damas, 114 pages) et NURÎ 'ELÎ EMÎN, *Qewa'îd zimanê kurdî le serf û nehw* (Baghdad, 112 pages). Ce sont, en fait, les premières grammaires complètes, composées par des Kurdes, à l'usage des écoliers kurdes. Les auteurs se sont donc ingéniés à faire œuvre nouvelle. Tout le vocabulaire grammatical était à créer. Nos grammairiens y ont plus ou moins réussi. On ne constate pas sans stupeur qu'ils ne sont d'accord que sur un seul mot, le nom: *nav*. Tous les

autres termes: adjectifs, verbes, pronoms, adverbes, etc., sont différents et d'ailleurs plus ou moins adéquats. On pourra lire à ce propos mes *Remarques critiques sur la nomenclature grammaticale kurde*, à paraître dans la *Bibliotheca Orientalis* de Leiden.

Le dictionnaire est le compagnon normal de la grammaire. Inutile de dire qu'il n'existe en kurde rien qui approche, même de loin, de nos différents Larousse. Les seuls dictionnaires existants ont pour but de faciliter aux élèves la compréhension des textes de la langue du pays qu'ils habitent. En Irak, ils ont à leur disposition un dictionnaire Arabe-Kurde, *El-Murched* ou *Raber* de 400 pages, assez mal imprimé, mais avec beaucoup de courage, à Erbil en 1950 par Gewê Mukrîanî (22).

Depuis septembre 1957, les Kurdes d'Arménie soviétique ont trois nouveaux dictionnaires: un Dictionnaire Arménien-Kurde, un Dictionnaire Kurde-Russe et un Dictionnaire Russo-Kurde. Les deux premiers sont assez différents, tant dans leur présentation que dans l'esprit qui a présidé à leur composition. Le Dictionnaire Arménien-Kurde, *Xebernama ermênî-kördî*, préparé par S. Siyabendov et A. Çaçan et édité à Erivan (352 pages, 22×15) se présente élégamment en son cartonnage vert d'eau et en la netteté de son impression. Ce dictionnaire est destiné à compléter et même à remplacer celui qui avait été édité en 1933. Il contient 23.000 mots. Mais cette richesse ne doit pas faire illusion. E. Şemîlov, qui en rend compte dans le n° 21 (937) de *Riya Teze* du 13 mars 1958, reproche aux éditeurs d'avoir forgé maladroitement et de façon hybride quelques mots nouveaux. Il donne comme exemple le mot: aquarelle, traduit *akvarêl* et *avboyax*. Il ne fait aucune remarque sur la première traduction, et pourtant...; mais il dit: *Av* est kurde, *boyax* est azerbaidjanais, la formation du mot n'est donc pas conforme au génie de la langue et on aurait dû dire: *avreng*. Cette critique est tout à fait pertinente; pourtant bien d'autres observations auraient pu être faites. En effet, dans cette seule et même page 17, que viennent faire, par exemple, les mots *akt*, *aktîv*, *aktîvîst*, *akrêdîtîv*, *akrobat*, *aksent*, *aksîz*, *aksionêr*, *akûstîk*, *klûb*, et il y en a d'autres? Si tous ces mots-là sont kurdes, un

Européen n'aura bientôt plus besoin de dictionnaire pour lire un texte kurde...; mais ce sont, sans doute, les Kurdes eux-mêmes qui ont besoin d'un dictionnaire. En fait, tous les mots précités ont leur équivalent en kurde et peut-être aurait-on pu, au moins, les marquer d'un astérisque pour montrer qu'ils ne remontent pas à la source originelle de la langue. Comme tout langage primitif, non encore adapté à la civilisation moderne, le kurde a tout à fait le droit d'emprunter à des langues plus évoluées les termes qui lui manquent pour exprimer les idées nouvelles, surtout dans le domaine de la technique, à condition toutefois qu'on ne puisse, à partir des racines propres, forger ces mots nouveaux. Or la langue kurde se prête parfaitement à cette formation de vocables neufs. Il n'y a qu'à lire les revues *Hawar* ou *Ronahî*, publiées à Beyrouth en 1942-1945, pour voir comment les frères Bader-Khan ont su exprimer par des formes vraiment kurdes, tout le nouveau matériel de guerre utilisé alors, pour ne prendre que cet exemple. A Baghdad, Tewfiq Wehbi avait agi de la même façon (23).

Le Dictionnaire kurdo-russe, *Kurdsko-russkiy slovarî* ou *Xebernama kōrmanci-rūsi* sort des presses de l'Institut des langues étrangères de Moscou. Il compte 620 pages, format 17×11, les pages 507 à 618 étant consacrées à une *Esquisse de la Grammaire kurde*, en russe, qui m'a paru assez claire. Les tableaux des conjugaisons, en particulier, sont bien présentés. L'auteur est Çerkes X. Beko, candidat en sciences philologiques. L'ouvrage, préfacé par l'Académicien I. A. Orbéli, renferme environ 14.000 mots. C'est beaucoup moins que l'ouvrage précédent, mais il est mieux conçu et réalisé. Contrairement à ce dernier, il ne se contente pas de mettre un ou plusieurs mots en face de son correspondant arménien, il distingue les différents sens possibles d'un même mot en les numérotant, et en les séparant alors encore par des lettres. En outre, il donne beaucoup d'expressions, de phrases même: ce qui rend ce travail à la fois plus scientifique et plus pratique. Mais il n'est pas, malgré tout sans défauts. Il abonde lui aussi en mots étrangers, comme, dans la seule page 234, *manîfest*, *manometr*, *marksîzm*, *matêmatîk*, *matêrializm* dont la présence peut à la rigueur s'expliquer;

mais certains vocables kurdes, par ex., *masî*, poisson ou *mar*, serpent sont orthographiés *me'sî* et *me'r*, ce qui leur donne une prononciation qui n'est pas la prononciation courante et cela déroute un peu.

Quant au Dictionnaire Russo-kurde, *Russko-Kurdskiy slovari*, il a été édité par I. O. Fazilov, à Moscou, également à l'Imprimerie Nationale des Dictionnaires étrangers et nationaux. Il compte 782 pages et près de 30.000 mots. Malheureusement je ne l'ai vu que quelques instants à Paris et n'ai pu me rendre compte de ses qualités et de ses défauts.

Je n'ai pas en mains les livres scolaires en usage dans les classes primaires des villages kurdes d'Arménie soviétique, mais les quelques manuels utilisés dans les régions kurdes d'Irak ne sont que des traductions de l'arabe. Ainsi la Géographie, pour la classe de 4e: *Cixrafiyayî ibtidayî taze* (1949, 162 pages); l'Instruction civique et morale pour la 5e: *Wacibatê rewştî xuwê niştîmanê* (1948, 98 pages) ou *Firmanê niştimanê û rewştî* (1951, 130 pages); l'Histoire naturelle: zoologie et botanique: *Ktêbê eşiya û seretayî sirwişt*, pour la 5e (1950, 120 pages). Dans ce dernier ouvrage, chaque titre de chapitre ou de paragraphe est traduit en arabe et, sous chaque gravure, on donne, en kurde et en arabe, le nom de la plante ou de l'animal représenté. Les Kurdes se plaignent que ces livres, imprimés à Baghdad par le Gouvernement irakien lui-même, ne sont pas composés spécialement pour les Kurdes et que, d'ailleurs, ils sont insuffisants (24).

Si nous comparons maintenant les Livres de lecture employés dans les écoles kurdes d'Irak ou d'Arménie soviétique, nous ferons des constatations intéressantes.

Les élèves de la quatrième primaire en Irak ont à leur disposition La Lecture Kurde: *Xwendinê Kurdî* de Nacî Ebas (Baghdad, 1949, 224 pages). Ce livre, qui débute par une page du Coran, en arabe naturellement, contient quarante morceaux. Ce sont pour la plupart des fables ou des histoires d'animaux. Des légendes et contes, empruntés au folklore oriental, ont toujours une teinte moralisante. Quelques lectures seulement ont un aspect plus scientifique. La seule saveur réellement kurde de l'ouvrage nous

est apportée par une dizaine de poèmes de Zîwer (1875-1946), toujours plein de charme et bien fait pour plaire aux enfants. Chaque morceau de ce recueil est suivi de quelques questions d'intelligence et aussi d'un petit vocabulaire où les mots difficiles ou rares sont expliqués et souvent même traduits en arabe. Les dessins sont aussi spirituels, mais les photographies sont lamentables et n'ont donc rien d'éducatif.

Si nous passons au livre de lecture, imprimé à Erivan, en 1955, et édité pour la classe de 3e par Hacîyê Cindî: *Zmanê dê. Ktêba xwendinê* (180 pages); nous entrons littéralement dans un autre monde. Les 126 numéros, assez brefs, de l'ouvrage sont répartis en neuf centres d'intérêt. Les huit premiers numéros n'ont point de titre commun, mais voici celui des autres: 1. — Le jardin et la vigne (nos 9-26); 2. — L'école, la maison, les camarades (nos 27-41); 3. — La Grande Révolution Socialiste d'Octobre (nos 42-62); 4. — L'hiver (nos 61-71); 5. — Lénine (nos 72-82); 6. — Les animaux sauvages et domestiques (nos 83-95); 7. — L'hygiène (nos 96-100); 8. — Le printemps (nos 101-117); 9. — La fête du 1er Mai (nos 118-126). Prose et poésie alternent au long du livre. On voit déjà, par ce simple énoncé, que si les lectures des petits Kurdes d'Arménie soviétique sont plus variées que celles de leurs camarades irakiens, elles sont aussi plus nettement orientées. En outre, alors que les différents contes ou fables du livre irakien restent anonymes, les textes que nous avons ici constituent comme une Anthologie de traductions d'écrivains célèbres, russes comme Pouchkine (n. 8), Tolstoi (n. 39), Nékrasov (n. 70), Jitkov (n. 66); les spécialistes pour enfants: Gaidar (n. 31) et Ilin (n. 1), Mikhailov, auteur des paroles de l'hymne soviétique (n. 73), et j'en passe. Comme il convient les auteurs Arméniens Aghayan (n. 89 et 116), Toumanian (nos 25, 90, 103) et Tcharentz (n. 46) sont aussi mis à contribution. Citons encore l'Ukrainienne Wassilievskaya (n. 85). Il s'agit, on le voit, de faire connaissance assez tôt avec les auteurs connus de la grande famille des peuples communistes. Mais les écrivains kurdes conservent naturellement une place de choix: poètes, comme Mikaîlê Rechid (nos 21 et 23), Q. Mirad (nos 7 et

55), Usivê Beko (n. 117), E. Django (n. 26), A. Tcholo (nos 33 et 81); Emînê Evdal (n. 102); en prose, on peut lire les pages de Dj. Gendjo (nos 9, 36, 96), de Q. Kördo (n. 112), de W. Nadirî (n. 124). L'auteur du manuel s'est réservé la part du lion avec 23 poésies et tous les textes en prose, non signés, au nombre de 31. Des questions suivent la plupart des passages en prose. On y insiste sur le côté moral et le patriotisme.

Le patriotisme. Arrêtons-nous y un instant. La première lecture, en effet, due à la plume de Ilin, est intitulée: *Welenê me, Notre Patrie,* c'est-à-dire «la maison des peuples soviétiques». Le numéro deux est la traduction kurde de l'Hymne national de la République Socialiste Soviétique d'Arménie:

> Monde libre de l'Arménie Soviétique,
> Bien des siècles d'oppression ont passé sur toi,
> Nos ancêtres ont farouchement lutté pour toi,
> Pour que tu sois Notre Mère-Patrie, Arménie!

On se représente mal des petits Kurdes chantant cela. Mais, au fait, les petits écoliers kurdes d'Irak, n'admirent-ils pas eux aussi la photographie de leur roi, le Roi Fayçal II, à la première page de leurs manuels scolaires? et le mot Kurdistan n'est-il pas proscrit, ici et là, dans les livres laissés aux mains des écoliers? (25) Tous ces volumes d'U.R.S.S. sont cartonnés et leurs illustrations, sans toujours être très artistiques, ont pourtant un cachet plus concret, plus véridique que les dessins des ouvrages irakiens.

Si l'insuffisance d'écoles primaires, en pays kurde, maintient une grosse partie du peuple dans l'analphabétisme, il ne s'ensuit pas, loin de là, que tous les Kurdes soient ignorants. Cela peut paraître paradoxal, mais il existe chez eux une assez forte proportion de gens très cultivés qui constituent l'élite intellectuelle des pays où ils vivent. Je me suis laissé dire qu'à Istanbul même un bon pourcentage des journalistes du pays était d'origine kurde. On pourrait faire à Baghdad une constatation analogue. En effet, nombreux sont ceux qui quittent les villages de leurs montagnes pour fréquenter les écoles secondaires de Mossoul et les établissements supérieurs de Baghdad, où ils font très bonne figure auprès

de leurs condisciples arabes. Erivan et Moscou, de leur côté, abritent de nombreux étudiants kurdes. Et la réflexion de ces Anglais qui disent des Kurdes d'Irak qu'«ils ne lisent rien ou lisent Sartre et Hemingway» (26), montre bien le caractère presque anormal de cette situation. Certains poursuivent leurs études à l'étranger. Ils sont aujourd'hui environ 70 en Europe occidentale et près de 100 aux États-Unis, et on n'est pas obligé d'admettre cette boutade de James Bell qui affirme (*Time*, 22 sept. 1952) que les quelques Kurdes qui sont allés aux U.S.A. en sont revenus «fanatiques de base-ball, de Xavier Cugat et des girls de la Ve Avenue»! En tout cas, les étudiants kurdes d'Europe ont tenu leur second Congrès Général à Londres, du 2 au 4 janvier 1958. Leur «Association Culturelle des Étudiants Kurdes en Europe» (A.C. E.K.E.), *Komeley Zanistî Xwêndikarani Kurd le Ewrupa*, en est sortie réorganisée et renforcée. Ses principaux buts sont: 1. — Unir les étudiants kurdes en Europe et organiser des rencontres périodiques entre eux; 2. — Réaliser l'entraide matérielle entre les étudiants kurdes en Europe; 3. — S'occuper de la culture nationale kurde et travailler à son développement; 4. — Faire connaître au monde la culture du peuple kurde, son pays et sa situation; 5. — Se mettre en contact avec d'autres organisations estudiantines nationales ou internationales en vue de coopération, conformément aux buts de l'Association et dans les limites de son intérêt; 6. — Publier un Bulletin périodique comme un moyen d'exécution. Ce programme est extrait précisément de ce Bulletin, intitulé *Kurdistan*, et dont le nº 1, mars 1958, a été ronéotypé à Londres. Ses trente pages contiennent l'Appel du Président de l'Association, Ismet Cheriff, en kurde, arabe, anglais et français; un article du même, en anglais, sur *La langue kurde et ses dialectes*; un article de Bakir A. Ali sur *La musique kurde*, en anglais également. Les autres articles, tous en kurde, mais en caractères arabes, traitent de la langue *kurde*, de l'*histoire kurde*. Salahedin Seedila donne un alphabet en caractères latins; un étudiant en médecine traite de la *malaria* et un ingénieur nous parle de la *maison au Kurdistan*. On peut lire encore quelques poèmes de Dildar (1917-1948). On est agréa-

blement impressionné par le caractère sérieux des articles de ce premier numéro d'une revue dont les rédacteurs sont étudiants à Lausanne, Vienne, Londres, etc. Nous lui souhaitons bon succès et longue vie.

Le numéro 2 du Bulletin a paru en Août presqu'entièrement en anglais (18 pages). Dans son éditorial, il salue avec joie la naissance de la République irakienne et prône la fraternité kurdo-arabe. I. Chériff continue son étude sur le *langue kurde et ses dialectes*; Saleh Saadallah donne une petite étude sur *Mamê Alan*; F. M. Resha rend compte de la brochure *Dîyarî* de Kameran. — On publie des lettres de B. Nikitine, de P. Rondot et une entrevue avec S. Wikander ; un article (en kurde) sur les Kurdes de Turquie. Enfin quelques nouvelles. — D'autre part, le troisième Congrès général des étudiants kurdes en Europe s'est réuni à Münich (Allemagne) du 4 au 6 Août. On y a décidé de rayer le mot (culturel) du nom de l'Association, non pour lui ôter son aspect culturel, mais pour élargir son activité. L'A.E.K.E. va donc désormais ajouter à ses principaux buts celui «de travailler au service du peuple kurde et de ses questions nationales, de les faire connaître au monde...».

III

LA LITTÉRATURE

Le dernier chapitre de B. Nikitine (p. 255-295) nous entretient de la littérature kurde qui, au dire de Viltchevsky, souffre de «l'hypertrophie du folklore». De fait, celui-ci est extrêmement riche, qu'il s'agisse d'épopées, de contes, de fables, de proverbes, de chansons, les Kurdes n'ont rien à envier à personne et les Orientalistes nous ont déjà fait part de leurs découvertes en ce domaine. La littérature écrite est plus récente. Elle doit se débattre souvent au milieu de bien des difficultés matérielles; peu à peu pourtant, elle fait son chemin, tant en Irak qu'en Syrie et surtout en Arménie soviétique. Que les Russes s'intéressent aux Kurdes, le fait n'est pas nouveau et l'auteur se complaît à nous rappeler, en un trop court paragraphe, le rôle de pionniers tenu par ses

compatriotes dans la kurdologie (27). D'autre part, nous avons déjà jeté, dans cette même Revue un «*Coup d'œil sur la littérature kurde*» (*Al-Machreq*, mars-avril 1955, p. 201-239). Depuis me sont parvenues quelques nouveautés et je vais signaler aussi quelques ouvrages qui avaient échappé à ma connaissance. Les pages qui suivent voudraient utiliser au mieux tous ces nouveaux documents.

1. — *L'Irak conserve son avance.*

En effet, la liberté culturelle qui existe en ce pays permet aux Kurdes de maintenir vivante leur langue et d'enrichir leur littérature. Deux nouvelles Revues ont vu le jour cette année. La première *Şefeq, L'Aurore*, paraît à Kirkuk et est éditée depuis janvier 1958. Elle est en principe bimensuelle, mais pour le moment ne paraîtra qu'une fois par mois. Elle compte 48 pages (28×21), dont un peu plus de la moitié en kurde. L'autre partie est en arabe. En effet, cette Revue «littéraire, scientifique et sociale» a pour but de favoriser en Irak la double culture qui y règne. C'est un rapprochement intellectuel kurdo-arabe. Les noms de Tewfiq Wehbi, Refiq Hilmi, Cemil Bendi Rojbeyani, pour ne citer que ceux-là, suffisent à montrer qu'avec de tels collaborateurs cette Revue fera honneur aux Lettres kurdes. Je ne connais pas directement l'autre Revue: *Taqaddom, Le Progrès*, publiée à Baghdad depuis peu. D'après le journal *Al-Hurriya* de Beyrouth (nº 33 du 15 mai 1958), c'est un magazine kurdo-arabe également. L'édition de la section kurde est confiée au Sénateur Tewfiq Wehbi, tandis que l'éditeur pour l'arabe est Sayid Mohammed Brifkani, journaliste irakien (kurde) bien connu. Le magazine rapporte les événements de la semaine, contient des articles littéraires, d'autres pour les femmes, quelques contes brefs et une chronique sportive (28).

Dans le domaine des traductions, quelques travaux dignes d'être mentionnés. De GORAN, *Helbijarde* (Baghdad, 1953, 106 pages) ou Morceaux choisis d'auteurs occidentaux, comme Pearl Buck, Oscar Wilde, Catulle-Mendès et Anatole France et quelques récits de guerre. *Zadig* de Voltaire, ainsi que je l'ai contrôlé, a trouvé un bon traducteur en MEHEMED ELÎ KURDÎ, *Hekayet Zadiç* (Baghdad, 1954, 168 pages). *The Tempest* de Shakespeare, *Çîrokî Gerda-*

weka fut mis à la portée des lecteurs Kurdes par C. A. Nebez (Baghdad, 1955, 150 pages), qui laisse entre parenthèses les noms propres et certains mots anglais difficiles, dont la traduction peut ainsi être vérifiée.

Parmi les prosateurs, quelques récits ou contes légendaires, comme *Mem Homer* (Hawlêr, 1954, 27 pages) par M. M. Emin; *Nasr ù Marmar* (Baghdad, 1956, 22 pages) par M. T. Urdî; *Xanzad* (Sulaimani, 1957, 56 pages) de C. A. Baban. — Dans *Lalo Kerîm* (Hewlêr, 1956, 72 pages) C.-A. Nebez expose les souffrances de la vie sociale. Mais tout cela reste assez maigre. Par contre Eladîn Sêcadê, dont la plume est féconde, a publié coup sur coup trois beaux volumes, de 200 pages chacun, intitulés *Le Fil des Perles, Rişteyê Mirwarî* (Baghdad, 1er et 2e vol. 1957; 3e vol. 1958). Ces récits littéraires, ces contes, ces historiettes où se mêlent philosophie, croyances, Histoire, fournissent de bonnes heures de lectures à la fois instructives et amusantes. Le même auteur nous décrit, d'autre part, une tournée qu'il fit à travers le Kurdistan, *Keştik le Kurdistanê, A Journey in Kurdistan* (Baghdad, 1956, 146 pages). Périple de 1.816 kms, accompli par Sedjadé, durant l'été de 1955, et qui le mena dans les principales villes du Kurdistan irakien, en commençant par Mossoul (p. 6-11), Akra (p. 12-20), Zakho (p. 21-28), Duhok (p. 29-33), Amadia (p. 34-47), Bamerné (p. 48-62), Hewlêr ou Erbil (p. 63-74), Kirkûk (p. 75-83) et se termine par Sulaimani (p. 84-96), avec une pointe sur le barrage du Dokan (p. 97-102) et Qaladiza, à la frontière persane (p. 103-117), puis retour à Baghdad. Aux pages 118-120 on a dressé un tableau des écoles du liwa de Sulaimani que j'ai utilisé plus haut. Cet ouvrage est une véritable mine de renseignements sur la géographie et les ressources naturelles et économiques de la région, son Histoire aussi, la situation sociale, les mœurs et coutumes de ses habitants. L'auteur y a rencontré les personnages les plus marquants et a eu avec eux des conversations pleines d'intérêt. Malheureusement le volume est déparé par les photographies où il est impossible, dans la plupart des cas, de reconnaître ce qu'elles représentent.

La poésie est toujours à l'honneur. Le folklore est représenté

par deux longs poèmes épiques: *Leyla û Mecnûn*, publié à Baghdad (1950, 48 pages) par Alî Bapîr et *Xorşîd û Xawer*, publié également à Baghdad (1953, 54 pages) aux frais de Mela M. Salihî. La même année, parut, toujours à Baghdad, le *Diwanê* Safî, surnom de Kak Mistefa Heyrani (1972-1941). Son œuvre, qui comporte une section kurde (p. 13-68) et une partie persane (p. 71-112), est éditée par Mohsen Dizayî et précédée d'une notice biographique par Eladin Sedjadé. En 1957, à Baghdad encore, M. Xiznedar, avec l'aide du journal Gulavêj de Sulaimani, nous donne une très belle édition de *Diwanê* Ehmedê Hemdî Beg Sahibqiran (1878-1936), précédés d'une notice historique et littéraire (400 pages). La facture de ces nombreux poèmes est variée. Les strophes prennent souvent la disposition de quatrains ou de quintils. On y exalte l'amour de la Patrie et de la Liberté et la note religieuse conserve sa place. Quelques Anthologies sont publiées. R. Hîlmî, dans le second volume de *Poètes et Ecrivains Kurdes*, *Şiir û edebiyatê kurdî* (Baghdad, 1956, 208 pages), nous donne, précédés de notices littéraires, des extraits de Dildar, Ramzi, Zîwer, Salim, Salam, Alî Bapîr et Nûrî Şêx Salih. A. B. Hewrî, né en 1915, nous offre dans *Azad û Awat* (Baghdad, 1956, 78 pages), quelques pages de son Diwan. Une longue préface (p. 7-21) de Mistefa Salih Kerîm nous renseigne sur l'auteur. Ehmed Herdî, de Sulaimani, dans *Razê Teniyayî* (Baghdad, 1957, 32 pages), nous présente quelques-uns de ses poèmes que Marûf Xiznedar situe dans l'Histoire de la poésie kurde (p. 4-12). A l'usage des classes, Nerîman publie un nouveau choix de poésies: *Helbest bo qutabiyan* (Kirkûk, 1955, 84 pages). Le Recueil *Bizar* (Baghdad, 1957, 106 pages), édité par Resûl Bizar Gerdî, né en 1926, se divise en trois sections. La première (p. 6-30) compte 53 *Heyran* ou brèves odelettes lyriques de quelques lignes, de facture libre originale; la seconde (p. 31-64) nous offre des chants, *Goranî*, pour lesquels l'auteur a composé la musique; la troisième, intitulée *Maqâmât* ou Séances (p. 64-106) renferme des poésies de différents auteurs. Kameran fait précéder d'une notice sur la poésie en général (p. 5-13) un recueil de ses poèmes qu'il intitule: *Cadeau, Diyarî* (Baghdad, 1957, 84

pages). Ce même Kameran fait l'éloge, en vers libres, de *Jemîlê*, héroïne algérienne, dans *Şefeq* (fév. 1958, p. 25-26), que célèbre également SACÊD AWARÊ (Baghdad, Liwa, 1958, 16 pages). L'auteur compare cette jeune fille à Jeanne d'Arc «héroïne française qui se dressa contre l'impérialisme anglais». Dans ce même ordre de panégyrique, M. S. DELAN a glorifié Cheikh Mahmoud l'Immortel: *Şêx Mehmûdê Zindû*, avec une introduction de M. Xiznedar (Baghdad, 1957, 60 pages). Les préoccupations à propos de l'instruction des filles et du rôle de la femme dans la société se manifestent en deux comédies: La fille et l'école, *Keç û qutabxanê* de F. BURJAN (Baghdad, 1956, 14 pages) et La femme et l'écriture, *Efrat û niveşte* par JÎRÎ (Baghdad, 1956, 20 pages). Ces pièces ont été jouées dans les écoles du liwa de Sulaimani. Signalons pour terminer que MARUF XIZNEDAR, décidément très actif, a traduit en arabe un certain nombre de Chants et Poèmes kurdes: *Aghanî Kurdistan* (Baghdad, 1956, 64 pages) où nous retrouvons Ehmedê Xanî, Pîremêrd, Dîldar, Mihrban Xanim, Nalî, Bêkes, etc. De son côté, Edmonds publie et traduit en anglais quelques pièces du satirique Riza Talabanî (p. 57 et 290-295), de Pîremêrd (p. 44) et dix poésies de Goran (p. 172-179).

2. — *En Syrie, on entretient le feu sacré.*

Des Kurdes de Syrie, nous n'avons pas grand'chose. O. SEBRÎ, ce conteur si vivant en prose, semble passer par une période de pessimisme, à en juger par son petit recueil de poésies, intitulé *Bahoz, La Tempête* (sans lieu, 1956, 68 pages). Les sentiments nationalistes exprimés paraissent s'exaspérer et attendre du Nord l'espoir de se réaliser. La prosodie du poète d'autre part rompt carrément avec les procédés classiques.

Mais arrêtons-nous plus longuement au *Destana Memê Alan, Légende de Memê Alan*, paru tout récemment à Damas (1957, XXXIV, 150 pages). On connaît cette histoire, une des plus populaires du folklore kurde. Grâce à des Péris, Memê Alan, fils du roi d'Occident, rencontre de façon merveilleuse la Princesse Zîn, de la famille régnante du Botan. Mais l'enchantement terminé, les deux amants sont de nouveau séparés et n'auront de cesse

qu'ils ne se soient retrouvés. Naturellement, maints obstacles se dressent sur la route de leur amour, préparés par la jalousie du magicien Béko, favori de l'Emir de Djézireh et qui finira par obtenir la mort des deux jeunes gens réunis. Ce long poème de 3.675 vers se partage en plusieurs épisodes qui se subdivisent eux-mêmes en de multiples fragments. Dans une très intéressante introduction (p. V-XXXIV), l'éditeur, *Çîroknivîs*, qui reste anonyme, ne nous cache pas qu'il a basé son édition sur le travail de R. Lescot, *Textes kurdes, II, Mamê Alan* (Beyrouth, 1942, 386 pages), mais, dès la première page, on se rend compte qu'il ne s'est pas contenté de recopier ce texte. Il y introduit maints changements. Dans l'orthographe d'abord. En effet, il préfère écrire *Ku, hun, ûsa, biçûk*, au lieu de *ko, hon, wisa*, et *piçûk*. Il fait aussi quelques corrections grammaticales; mais surtout il n'hésite pas à remplacer un mot turc par un mot kurde. Ainsi, rien que dans le premier paragraphe, il élimine les mots arabes ou turcs: *ezîm*, *qapîyan, walîlix, midirlix* pour les remplacer par: *mezin, deriyan, wîlayet, midiriyet* (ces deux derniers mots sont arabes, d'ailleurs, mais utilisés en Syrie), et rectifie l'orthographe de *dewa, cîl, carciyan* en *deva, cil* et *carşiyan*. Malheureusement, ce beau purisme ne se maintient pas partout et un mot turc, supprimé ici, est conservé à la page suivante. Quelques vers ont sauté: 345-347; 386; 424, 426; 772-773; 1619-1620; 1656; 2112-2114; 3027; 3166; 3640-3643. Certains ont dû disparaître par mégarde, mais d'autres semblent bien avoir été omis à dessein, comme le vers 424 où des jeunes gens kurdes portent des anneaux aux oreilles. Par contre, le vers qui précède le salut final (3674-3675) est à coup sûr ajouté par l'éditeur: *Bixebitin ji bo yekîtiya Kurdane*: *Travaillez à l'union des Kurdes*. Quoi qu'il en soit, l'ensemble textuel ainsi présenté est satisfaisant. Seulement il va sans dire que cette façon de corriger les textes, pour se rendre plus compréhensible à l'auditeur d'aujourd'hui, et qui a déjà dû être utilisée par des éditeurs antérieurs, enlève toute base sérieuse à qui voudrait dater le poème original. Il est assez ancien et précède de beaucoup le *Memozîn* de Ehmedê Xanî de Bayazid (1650-1706), qui n'en est qu'une refonte plus

littéraire et islamisée. Les quelques noms de personnages, qui d'ailleurs ne sont pas toujours identiques dans les différentes versions, ne permettent pas de fixer une date bien précise. Faut-il remonter au XIVe siècle (Lescot?), ou seulement à la seconde moitié du IXe siècle de l'hégire (Orbéli)? Pratiquement la question est insoluble. Ce qu'il y a de certain, c'est que, malgré tout, ce long poème renferme une quantité de renseignements sur les mœurs et coutumes kurdes anciennes. Qu'il s'agisse de pratiques rituelles, de croyances ou de superstitions, de formules de serment, nous sommes abondamment servis. Les proverbes ne manquent pas non plus qui illustrent les situations les plus variées. Si l'on s'arrête aux procédés de composition, on rencontre de multiples répétitions qui jouent presque le rôle de refrains; beaucoup de morceaux parallèles se répondent l'un à l'autre. Souvent les dialogues forment aussi comme des strophes alternées. De toutes les figures de style, les plus fréquentes sont les comparaisons, soit avec les animaux, où le faucon revient le plus souvent, soit avec les astres ou les phénomènes de la nature, soit avec des objets familiers, comme le chapelet ou la meule.

> Si je ne lui avais touché le genou, il ne serait pas sorti de son extase,
>
> Tel un faucon aux serres sanglantes, rouges comme le vin, les ailes dorées, le jabot jaune, qui habite les hautes falaises et reste dans son nid
>
> Trois jours et trois nuits, sans goûter la chair du gibier de la plaine. (Vers 1809-1811, trad. Lescot).
>
> Elle saisit les barreaux de la fenêtre et s'y pendit, pareille à une boucle de cheveux (v. 1363).
>
> Il redit tout par le menu, comme on égrène un chapelet (v. 2452).
>
> Tout tourna autour de lui, comme s'il eût été sur une escarpolette d'enfant (v.2547).

Ce poème, vraiment classique, dont les variantes sont très nombreuses, déjà connu en français, grâce au travail de R. Lescot, vient d'être traduit en arabe à Beyrouth: *Mem û Zîn* (1958, 184 pages). Mais c'est plutôt là une adaptation du poème plus littéraire d'Ehmedê Xanî que M. SAÎD REMEZAN vient de nous donner de cette histoire qu'il compare à celle de Roméo et Juliette. D'autre part, HECÎVÊ CINDÎ a donné du même poème, sous le titre *Mamê û Zînê*, une traduction arménienne (Erivan, 1956, 190 pages),

tirée à 5000 exemplaires, présage du bon succès de cette édition. Dans la longue introduction de l'éditeur (p. 5-23), c'est à Tristan et Iseult que sont comparés cette fois les deux héros de l'histoire. Mais nous voilà revenus aux Kurdes d'Arménie soviétique.

3. — *Œuvres et Ecrivains d'Arménie Soviétique.*

Dans ma précédente étude, intitulée: *Coup d'œil sur la littérature kurde*, j'avais consacré quelques pages (p. 229-232) aux écrivains kurdes d'Arménie soviétique. De nouveaux textes me permettent aujourd'hui de mieux juger et apprécier les efforts, l'évolution et la portée de la culture d'une infime minorité nationale au sein de la grande Patrie des Soviets. Comme on le verra, les volumes qui serviront de base à cette étude sont dus à un petit nombre d'auteurs, toujours les mêmes, ce qui n'a rien pour nous étonner.

Les Recueils des «Œuvres des Écrivains kurdes soviétiques», *Efrandinê niviskarê kōrmanca sovêtiyê*, paraissent à de certains intervalles. J'ai entre les mains le 4e volume, paru à Erivan, en 1948, par les soins de CESIMÊ CELÎL (cartonné, 140 pages, tirage à 2000 exemplaires). Neuf auteurs y sont représentés: *Heciyê Cindî* (6 poèmes, p. 3-27); *Emînê Evdal* (18 poèmes, p. 28-73); *Wezîrê Nadirî* (3 poèmes, p. 74-78); *Cesimê Celîl* (6 poèmes, p. 79-93); un morceau en prose de *Cergoyê Genco* (p. 94-98); *Qaçarê Mirad* (9 poèmes, p. 99-114); *Etarê Şero* (7 poèmes, p. 115-127); *Usivê Beko* (2 poèmes, p. 129-134) et *Mîkaîlê Reşîd* (2 poèmes, p. 135-136). En 1954, le même CESIMÊ CELÎL publiait à Erivan encore une nouvelle Anthologie: Les Écrivains kurdes soviétiques, *Nivîsarkarê kōrmanca sovêtiyê* (cartonné, 302 pages, 1000 ex.). On y retrouve les noms de *Haciyê Cindî* (20 poèmes, p. 5-82); *Emînê Evdal* (22 poèmes, p. 85-154); *Cesimê Celîl* (14 poèmes, p. 154-246); *Wezîrê Nadirî*, un long poème: *Nado et Gulîzer* (p. 249-260); *Usivê Beko*, un long poème également: *Sihid* (p. 263-286); enfin *Mikaîlê Reşîd* (9 petits poèmes, p. 289-293). Rappelons le livre de lecture, édité par HECIYÊ CINDÎ en 1955 et signalé plus haut. Enfin j'ai reçu une petite brochure de *Vers*, *Şiyêr* de ETARÊ ŞERO (Erivan, 1957, 50 pages) (29).

Le 29 septembre 1958, à 8 h. du soir, les écrivains kurdes soviétiques se réunirent à Erivan dans les bureaux du journal *Riya·Taeze* afin de discuter de leurs travaux. Ils étaient 6: Hadjiyê Djindî, Emînê Evdal, Ûsivê Beko, Djasimê Djelîl et Qatcharê Mirad sous la présidence de Ereb Chamilov. Le numéro 80 (996) du 5 octobre 1958 de *Riya Teze* donne la photographie du groupe, en même temps qu'un compte-rendu de la séance. Voici les travaux annoncés. De HADJIYÉ DJINDI un recueil (en russe et en kurde: *Beyt, Serhatiyêd Kördi*: *Nouvelles kurdes* et aussi *Çirokêd Körda*, *Histoires des Kurdes*, en préparation. EREB CHAMILOV a un livre à l'impression: *Berbang*, *L'Aube*, recueil de ses œuvres et prépare un roman: *Jina bextewar*, *La vie heureuse*, qui décrit la vie des Kurdes à l'époque des Soviets. D'EMÎNÊ EVDAL dont on rappelle les éditions (en arménien) de *Gölizer* où est décrite la vie des Kurdes d'avant la Révolution et le poème *Memê û Zinê* qui lui a demandé dix ans de travail, a annoncé *Rastnivisandine zimanê Kördiya*, *Orthographe de la langue kurde*, qui sera la bienvenue, car son utilité se fait sentir. Û. BEKO éditera, cette année, en arménien, *Bilûrê Şivên*, *La flûte du berger* et travaille en outre à un roman, intitulé: *Gulê*. Après le rappel de l'édition arménienne des œuvres de CESIMÊ CELIL, on signale qu'il a écrit pour le cinéma un scénario de l'Épopée *Siyabend û Xecêzerê*, dont nous parlerons plus loin. — Enfin à Erivan, en 1959, on publiera un recueil de vers de Q. MIRAD.

A ces ouvrages, il convient d'ajouter un certain nombre de traductions. En effet les écrivains s'efforcent de plus en plus de faire connaître aux autres peuples de l'Union Soviétique leur folklore et les œuvres de leurs poètes contemporains. Les Arméniens, cela se conçoit, en sont les premiers bénéficiaires. Nous avons ainsi de CESIMÊ CELÎL, *Alagöz* (Trad. arménienne, 1954, 132 pages, 3000 ex.). Ce volume se divise en cinq parties: *Pour la paix* (12 poèmes, p. 7-22); *Alagöz* (10 poèmes, p. 25-38); *Je suis une rose sauvage* (4 poèmes, p. 41-45); *la flûte du berger*, recueil de trois pastorales assez longues (p. 49-68); enfin cinq *légendes populaires* (p. 71-128). L'ouvrage se termine par une notice biographique

(p. 129-130). Du même CESIMÊ CELÎL, un autre recueil de *Poèmes kurdes* (Trad. armén. 1955, 116 pages). Il renferme quatre assez longs poèmes: Une nouvelle version de 2172 vers, divisés en 15 chants, de *Mamê et Zinê* (p. 3-71); *Le Chant de Hozbek* (p. 72-97); *Hamûdê Şankê* (p. 98-107); et *Têlî Eyşê* (p. 108-115). De son côté, HACÎYÊ CINDÎ a publié *Golizer* (Trad. armén. Erivan, 1956, 94 pages) ainsi que *Mamê û Zinê*, déjà indiquée ci-dessus. En 1954, il avait fait paraître *Köröglu* (240 pages), extraits de la version kurde d'une épopée azerbaijanaise, ainsi que sa traduction arménienne (30).

On voit par les listes qui précèdent que ce sont en fait toujours les mêmes noms qui reviennent depuis un quart de siècle. Ils sont d'ailleurs assez peu nombreux, une dizaine en tout, mais ils ont maints points communs. Cinq d'entre eux au moins sont originaires de Kars, ils ont sensiblement le même âge et sont tous membres du Parti communiste. Leur chef de file, celui qui le premier entra dans la carrière, car il a dix ans de plus qu'eux tous, est EREB ŞEMO ou ŞEMILOV, né dans le petit village de Sousouz, près de Kars, le 28 octobre 1898. Cette précision inaccoutumée est due au fait que son père, berger du village, avait été chargé par le chef de la police rurale de retrouver sa jument perdue et lui avait donné pour cela un ordre écrit demandant aide et protection à tous les maires du secteur. Ce papier, conservé précieusement en famille, avait été délivré le jour même de la naissance de notre futur écrivain. Petit berger yézidi, de la tribu Hesenî, il avait appris, par la pratique, outre le kurde sa langue maternelle, le turc et l'arménien. Il avait par surcroit acquis quelques notions de russe à l'école d'Alexandrovka, village de Molokans où il habitait, à 7 kms de Kars. Cela lui permit de s'engager comme interprète dans les troupes russes, lorsque les Cosaques, dès octobre 1914, voulurent attaquer la Turquie, En 1916, alors qu'il travaillait au chemin de fer d'Erzeroum, il fit la connaissance de Russes de Moscou et adhéra au bolchevisme. Il s'enrôla dans l'Armée Rouge, participa à un certain nombre d'engagements contre les Blancs, fut blessé à plusieurs reprises. En 1924, le Comité Central du P.C. d'Arménie le nomma

membre de la sous-commission des Minorités nationales et instructeur du Comité Central. Il est chargé de la propagande dans son pays d'Alagöz, où il organise des cellules parmi les tribus kurdes. En 1925, des Soviets sont élus dans les campements nomades et la féodalité est supprimée, après bien des heurts et difficultés avec les Taçhnaks arméniens qui, dans l'intervalle, avaient tué son père, tandis que sa mère était morte de faim. C'est lui-même qui nous raconte toute son histoire dans le *Berger kurde*. Par la suite Ereb Şemo est devenu Docent kurdologue de l'Académie historico-linguistique de Léningrad, mais le talent de cet auteur ne s'est guère exercé dans le domaine de la poésie. Voici par contre un trio de quinquagénaires qui sont comme les piliers de l'œuvre poétique kurde actuelle en Arménie. Cesimê Celîl est né en 1908 à Khizer-Ghoula, district de Digor, dans la province de Kars; Hecîyê Cindî, en 1906 (?), à Jamantchair, dans la même région et Emînê Evdal, vers 1910, dans un village de ce même secteur de Kars. Toute cette région fut le théâtre de combats durant la première guerre mondiale. C'est par miracle que la famille d'Emin, alors âgé de huit ans, échappe au massacre presque total de la population. En 1920, l'enfant est recueilli à l'orphelinat américain de Kars. Cesimê Celîl a un destin semblable. En 1918, ses parents qui étaient des paysans sédentaires et s'occupaient d'agriculture et d'élevage, sont tués par les Turcs. Le jeune garçon s'est réfugié à Alexandranopol (auj. Leninakan), et est admis dans un orphelinat arménien où, jusqu'en 1925, il apprend l'arménien et reçoit une éducation moyenne que, de 1927 à 1931, il continue à Bakou et à Tiflis. En 1930, il entre dans le Parti et, en 1931, il est nommé Directeur de Pédagogie en Transcaucasie. En fait, ses études n'ont pas été retardées. Il n'en à pas été de même, semble-t-il, pour Eminê Evdal. Celui-ci quitta en 1923 l'orphelinat de Kars pour Tiflis où il s'initia à la lecture de Karl Marx, ce qui, nous confie-t-il, était impossible, car interdit, chez les Américains. Pour gagner sa vie, il devint d'abord portefaix, comme son oncle, à la gare de chemin de fer. C'est là qu'un inconnu le découvrit à l'âge de 14 ans et le mit à l'école. L'enfant termina ses études secondaires,

fut instituteur quelques années dans les villages kurdes et revint s'inscrire à l'Université d'État à Erivan, où il termina brillamment ses études comme licencié en philologie. Il est collaborateur de l'Académie des Sciences d'Arménie. Quant à Heciyê Cindi, nous savons tout simplement qu'il fut d'abord berger. J'ignore où il a fait ses études et obtenu sa licence ès Sciences philologiques. Il est collaborateur scientifique de l'Académie des Sciences et est Président de la section kurde de l'Union des écrivains soviétiques d'Arménie. D'abord compilateurs des contes, chansons et légendes du folklore kurde qu'ils ont édité en le corrigeant plus ou moins, ces trois auteurs se sont par la suite essayé eux-mêmes à ce qu'on pourrait appeler des exercices d'imitation, avant de se laisser guider par une inspiration personnelle. Aussi leurs œuvres abondent-elles en clichés et ne manifestent-elles pas toujours beaucoup d'imagination créatrice. En tout cas, de ces trois pionniers de la littérature kurde, Celil est sans doute celui dont l'âme est la plus poétique et l'art le plus original.

Samand Siyabendov naquit lui aussi dans les environs de Kars, en 1909, d'une famille de paysans. Après la guerre, sa famille se réfugia à Tiflis où son père fut portefaix. En 1926, ils s'installèrent à Aparan, en Arménie. Le jeune homme fit ses études à l'Institut des Minorités nationales orientales soviétiques à Léningrad. En 1938, il est député au Soviet suprême d'Arménie pour les Kurdes de l'Alagöz. Il prit une part héroïque à la guerre et participa, comme commandant, à la défense de Moscou. Après décision du Soviet Suprême, il fut honoré du titre de «Héros de l'Union Soviétique». De 1946 à 1950, il est député kurde au Soviet Suprême de l'U.R.S.S. Dans le domaine des lettres, on retrouve son nom comme rédacteur de livres de classe et j'ai déjà signalé son activité dans l'élaboration du dictionnaire arméno-kurde.

Les trois auteurs dont les noms suivent me paraissent être d'une formation intellectuelle différente. D'ailleurs les renseignements biographiques sur eux sont maigres. Wezîrê Nadiri, mort prématurément en 1946 ou 1947 (mes sources arméniennes ne concordent pas), dans un accident à Tiflis, est originaire de Tur-

quie, lui aussi, où il était ouvrier agricole. Je n'ai malheureusement pas entre les mains son œuvre autobiographique: *La misère instruit*, dans laquelle il fournissait des informations sur son enfance. Il semble n'être venu dans les territoires soviétiques qu'après les soulèvements kurdes écrasés par Moustapha Kémal en 1931. Dans ses œuvres en tout cas, il se montre très anti-turc. Il connaissait et parlait bien sept ou huit langues, dit-on, dont le russe, l'arménien et l'azerbaidjanais (ou turc), était communiste militant, membre de l'Union des écrivains soviétiques d'Arménie et attaché à l'Université d'État d'Erivan. Il avait épousé NÛRÊ POLATOVA, première femme kurde universitaire (en Russie), originaire de Digor, toujours dans la province de Kars, et que je soupçonne fort d'être yézidie d'origine. «Par tout son être, par la tournure de son esprit, par l'attention qu'il donnait au passé national, conservant toujours un profond sentiment de l'époque contemporaine, cet homme soviétique, ce Kurde cultivé, symbolisait les principes soviétiques, présidant au développement de la culture, nationale par la forme et socialiste par son contenu» (M. Chaguinian). ÛSIVÊ BEKO lui, dit être un ancien berger. Son long poème: *Sihid*, que nous analyserons plus loin, le montre plutôt comme un *dengbêj* ou troubadour que comme un écrivain. ETARÊ ŞERO, à en juger par la photographie parue dans *Efrandnê* (p. 115), semble plus âgé que ses compagnons. Il a même gardé l'ancien costume paysan. J'ai noté plus haut ses libertés orthographiques qui laissent supposer que son passage dans les écoles n'a pas duré trop longtemps.

Je n'ai pratiquement aucun renseignement biographique sur quelques écrivains, comme EHMEDÊ MÎRAZÎ, ATAMÊ TEIR, CERDOYÊ GENGO, qui est surtout prosateur. KANAT KÖRDO, Professeur à Leningrad, s'occupe surtout de la langue et de la grammaire kurdes. C'est à son amabilité que je dois d'avoir plusieurs ouvrages, en particulier le dictionnaire kurdo-russe, et je l'en remercie cordialement. D'EHMEDÊ ÇOLO, je sais seulement, par un poème d'Emînê Evdal, qu'il est mort, avant 1954, à l'âge de 57 ans, qu'il avait connu la misère en sa jeunesse et qu'il accompagnait

sur sa guitare ses chants en l'honneur de la Liberté et de la Patrie. Qaçarê Mirad et Mikaîlê Reşid paraissent plus jeunes que tous ceux-là. Leur nom d'ailleurs n'a fait son apparition que plus tard dans les journaux et revues. Le prénom du dernier, Michel, permet-il de supposer une origine chrétienne, ou le brassage des différents éléments ethniques (et religieux) du pays des Soviets, au moyen de mariages mixtes? Quoi qu'il en soit, je le mettrai volontiers à part. En effet, ce poète authentique s'est lancé dès l'abord dans des œuvres au ton personnel. Son art est plus subtil et plus scientifique à la fois. Il affectionne les petites pièces de vers, triolets, par exemple. Mais on y sent toujours passer quand même ce souffle qui nous rappelle que le Parti, le Communisme est partout et, en définitive, inspire tout, — même les berceuses!

Une dernière remarque s'impose. Sortis d'un milieu totalement illettré, anciens bergers pour la plupart, et d'origine yézidie sans doute pour plus d'un d'entre eux, nos poètes kurdes n'ont pas eu de contact en leur jeunesse, et vraisemblablement au cours de leurs études, surtout arméniennes et russes, avec la culture arabe ou persane, si bien que leur vocabulaire, rempli de mots turcs, n'est guère contaminé (ou enrichi) par les termes mystiques arabes ou érotiques persans, comme l'est trop souvent celui des poètes kurdes de Syrie ou d'Irak. Mais il y a un revers à la médaille. Toute leur instruction date de l'ère soviétique et leurs œuvres s'en ressentent, tant pour le fond que pour la forme. Leur langue de semi-nomades ou de paysans, forcément réduite, devait emprunter nécessairement beaucoup de mots inconnus de leurs ancêtres et devenus indispensables pour décrire leur genre de vie tout nouveau ou leur psychologie d'hommes socialement évolués. Comme ils ne connaissaient pas suffisamment les riches possibilités de développement de leur propre langage, l'Occident leur fournit cet appoint. J'ai déjà signalé plus haut, à propos des dictionnaires, que ce n'est pas nécessairement un progrès. Mais n'exagérons rien et essayons de montrer qu'ils ont su pourtant, non seulement conserver, mais même enrichir le patrimoine poétique qu'ils ont reçu en héritage.

N. B. *Alors que ce travail est sous presse, je reçois quelques nouvelles études susceptibles d'en éclairer certains points.*

D'abord dans le *Recueil ethnographique de l'Asie Antérieure*, publié en russe à Moscou (1958, I. p. 160-222), une très intéressante étude du Prof. VILTCHEVSKY, intitulée *Les Kurdes Moukri, Essai ethnographique.* En voici les têtes de chapitres: Introduction (p. 180). Population (p. 183). Économie et relations sociales (p. 186). Culture matérielle (p. 193). Villes et vie urbaine (p. 201). Genre de vie général et familial (p. 206). Religion et rites funéraires (p. 214). Langue. Littérature. Folklore (p. 218-222).

L'étude de S. S. GAVAN, qui a pour titre: *Kurdistan: Divided Nation of the Middle East* (London, Lawrence and Wishart, 1958, 56 pages), avec une préface (datée de février 1958) de l'Emir Kamuran Aali Bedir-Khan, est tout à fait différente. Il s'agit ici de faire connaître la question kurde aux milieux d'Occident, si souvent mal informés. L'auteur, très bien documenté, expose sa thèse en quatre chapitres: 1.- Le Kurdistan: Histoire, Langue et Littérature kurdes, Économie nationale kurde (p. 9-20). 2.- Le mouvement national kurde après la première guerre mondiale: La lutte en Turquie le mouvement national kurde en Iraq; les Kurdes d'Iran; la conspiration anti-kurde (p. 21-36). 3.- Le mouvement national kurde après la seconde guerre mondiale: Les Barzani; la République de Mehabad; la lutte en Iraq (p. 37-47). 4.- Problèmes et devoirs du mouvement national kurde (p. 48-56).

La révolution d'Iraq (14 juillet 1958) et ses répercussions sur le mouvement kurde a naturellement occasionné beaucoup d'articles de presse. On acceptera avec les réserves d'usage les dépêches provenant d'Ankara ou de Téhéran. Signalons tout simplement, parce que leurs auteurs sont hautement qualifiés, les articles de C. J. EDMONDS, *Middle East Focus on the Kurds*, dans le *Daily Telegraph* du 22 juillet 1958 et ceux de P. RONDOT, *L'arme secrète de Moscou au Moyen-Orient: les Kurdes?* dans *La Croix* (Paris) du 19 juillet et dans le même journal (9 octobre 1958), *Les récents événements d'Orient donnent à la question kurde un vif renouveau d'actualité.* Ce même auteur, spécialement compétent, a publié dans le n° 7 de la revue *Orient*

(3[e] trimestre 1958) une assez longue étude, datée du 17 septembre, sur *La Nation kurde en face des mouvements arabes.* Il y passe en revue: 1). Contacts et rapports traditionnels entre Kurdes et Arabes (p. 2-5); 2). Les Kurdes dans l'État national syrien (p. 5-7); 3). Les Kurdes sous la monarchie hachémite d'Iraq (p. 7-10); 4). Les Kurdes en présence des mouvements arabes actuels et dans la nouvelle république d'Iraq (p. 11-13); 5). Perspectives (p. 14-15).

Signalons enfin que depuis le n° 41 (Janvier 1958) la revue *L'Afrique et l'Asie* (13 rue du Four, Paris) publie une intéressante *Chronique de Sociologie kurde.*

NOTES

(1) G. Roux, *The Story of Ancient Iraq*, in *Iraq Petroleum*, vol. 6, n° 4, nov. 1956, p. 33.

(2) R. Solecki, *The Shanidar Child, ibid.* vol. 3, n° 8, march 1954, p. 4-9.

(3) J. Leroy, dans son ouvrage *Moines et Monastères du Proche-Orient* (Paris, Horizons de France, 1958, 278 pages), consacre le chapitre VII (p. 204-251) aux Couvents chrétiens qui subsistent *«aux confins du Kurdistan»*. Le chapitre VIII (p. 252-269) traite des Yézidis et de leur sanctuaire de Cheikh 'Adi qui s'est substitué à un monastère nestorien.

(4) A. Champdor, *Saladin, le plus pur héros de l'Islam* (Paris, Albin Michel, 1956, 364 pages).

(5) V. Minorsky, *Studies in Caucasian History* (London, 1953), III, p. 116 et sv.

(6) Dr M. Serdan, *Kurdlar Türklerden ne istiyorlar* (Ce que les Kurdes demandent des Turcs), Le Caire, 1923; *La question Kurde. Des problèmes des minorités* (Paris, P.U.F. 1933).

(7) Voir l'hebdomadaire beyrouthin (anglais et arabe) *Al Hurriya*, n° 25, 15 janvier 1958.

(8) *Yad daşt, Kurdistanî Iraq û Şûrişkanî Şêx Mehmûd*, Baghdad, 1956, n° 1, 100 pages; n° 2, p. 101-210; n° 3, 108 p.; n° 4, p. 109-210; n° 5, p. 418-533. Une traduction arabe est en cours de publication, due à la plume de Cemil Bendî Rojbeyanî (Baghdad, 1957).

(9) Sur cette république autonome et éphémère, outre l'article de A. ROOSEVELT, Jr., *La République kurde de Mah-Abâd*, dans le *Middle East Journal* d'avril 1947, on lira les chroniques toujours si objectives et documentées de P. RONDOT, dans *En Terre d'Islam*: *Les revendications nationales kurdes* (1946, p. 114-120); *Le mouvement national kurde en* 1946 (1947, p. 128-141); *L'expérience de Mahabad et le problème social kurde* (1948, p. 178-183).

(10) Dans le n° d'avril 1956 de *la Vie intellectuelle*, l'éminent orientaliste Pierre RONDOT, déjà cité, constatait que la répression de la tribu des Djavanroudis avait été le premier résultat pratique du Pacte de Baghdad.

(11) *Kifâh el Akrâd* (sans lieu, 1956, 48 pages). Dans cette brochure, on résume les différents mouvements ou soulèvements qui se sont produits, depuis 1918, en Turquie, en Irak et en Iran. Les seuls renseignements dignes d'être relevés concernent les différents partis kurdes qui se sont formés, plus ou moins clandestinement, durant la dernière guerre (p. 24-25 et 36): *Piştîwanî Pêşkewtin* (Le Progressiste); *Rezgarî* (la Libération); *Şûrêş* (la Révolution); *Hêwa* (l'Espérance); *Janeweyî kurd* (la Renaissance kurde). Tous ces Partis, patriotes ou doctrinaires, plus ou moins locaux, ont fini par fusionner, d'abord en Parti Démocrate Kurde, puis en Parti Démocrate Unifié du Kurdistan. Il semble qu'à l'heure actuelle ce soit là le seul parti kurde organisé qui subsiste et pousse ses ramifications un peu partout.

(12) ELADÎN SECADÉ. *Nawê kurdî*, (Noms kurdes) (Baghdad, 1953, 38 pages).

(13) Cet ouvrage a été publié en 1957 sous les auspices de l'Académie des Sciences de la République d'Arménie Soviétique. L'auteur est candidat ès Sciences philologiques. Le rédacteur est D. Vardoumian. Je ne connais le livre que par le compte-rendu de Critique et Bibliographie de K. ÇAÇANI, *Un travail scientifique sur les mœurs et coutumes des Kurdes de Transcaucasie*, paru dans le n° 28 (944) du 6 avril 1958 de *Riya Teze*. J'en traduis presque textuellement la première partie.

(14) Voir le Journal *Riya Teze*, n° 23 (939) du 20 mars 1958. Nous aurons encore plus d'une fois l'occasion de citer ce journal, que je reçois depuis mars 1958. C'est l'organe de la section kurde du parti communiste d'Arménie. Il paraît le jeudi et le dimanche de chaque semaine, sur quatre pages de petit format (42×30) et coûte 20 kopeks. Son contenu me fait penser exactement à un Bulletin paroissial ou à une Semaine Religieuse, où les Encycliques pontificales, les Mandements épiscopaux et les nouvelles de la paroisse seraient remplacées par les Discours de M. Khroutchtchev, les consignes du Parti, la chronique des événements des différents villages, kolkhoz et sovkhoz. Les cours de catéchisme et prédication sont assurés par les «agitators» qui ont pour mission d'expliquer les directives des autorités supérieures. Sont cités au tableau d'honneur les bergers, les ouvriers, les trayeuses, dont le rendement dépasse la norme exigée. Un bulletin bibliographique et le bloc-notes de l'agitateur indiquent au militant les sources de son apostolat. Des poésies entretiennent la dévotion envers Père de la Patrie Soviétique. La censure existe aussi et qui n'a pas

l'*imprimatur* ne peut livrer ses œuvres à l'impression. C'est ainsi, par exemple, que dans le n° 26 (942) du 30 mars 1958, on nous signale une séance de la Section des Écrivains kurdes soviétiques où Eli Mamêdov a présenté le manuscrit de son travail *Xatê Xanim* et *Mirof.* E. Chamilov, H. Mahmoudov, E. Evdal, H. Djindi, A. Tchatchan ont discuté l'affaire et ont fait leurs remarques, en bien et en mal. Mamêdov, satisfait des critiques des camarades, a promis d'en tenir compte pour l'amélioration de son travail. — Mais il y a encore autre chose. En chaque numéro, on peut voir quelques photos. Elles sont toutes intéressantes pour nous faire connaître la vie de ce peuple dans son train-train quotidien. En effet, elles nous montrent que, si les hommes ont adopté les vêtements européens, les femmes, dans l'ensemble, sont demeurées fidèles au costume national traditionnel. Les intérieurs des maisons sont extrêmement simples et le mobilier, pour être rudimentaire: lits de fer, table et chaises en bois blanc, n'en existe pas moins. Les murs sont ornés de tapis. Les salles de classe, où se tiennent les réunions d'endoctrinement sont bien éclairées, mais simplement meublées. Le matériel agricole est moderne, mais je suis frappé du peu de sourires sur les visages. Bref l'impression qui se dégage de cet ensemble reste, malgré tout, assez peu réconfortant.

(15) Dernièrement A. Benningsen, *La Turquie face à son destin*, dans *Etudes*, CCXCVI, fév. 1958, p. 240-241, signalait une recrudescence de l'activité des Confréries islamiques, même dans la partie kurde de la Turquie moderne.

(16) Rappelons que la langue kurde comporte plusieurs dialectes. «Pratiquement, dit Edmonds, p. 10, on peut les partager en deux groupes principaux: le *groupe septentrional*, comprenant les dialectes de la région au nord et à l'ouest d'une ligne passant de la côte méridionale du lac d'Ourmiah aux rives du Grand Zab, où elle change de direction du sud-est au sud-ouest et de là suit le cours de cette rivière jusqu'au confluent avec le Tigre; et le *groupe méridional*, comprenant les dialectes parlés entre cette ligne et les limites du Kurdistan, telles que nous les avons indiquées. Le kurde méridional se subdivise en outre en deux groupes principaux: le moukri (Moukri-Soran) et le Sulaimani (Sulaimani-Ardelan). Mais la ligne de séparation n'est pas nette: les dialectes se combinent entre eux, tout comme le Sulaimani du sud se combine avec le parler de Kirmanshah et le lakki du Louristan septentrional». Ajoutons que les Kurdes de Turquie, de Syrie, d'Arménie soviétique se rattachent au groupe du Nord. En outre, en Irak et en Iran, les Kurdes ont conservé l'écriture arabe. En Syrie, ils ont adopté l'alphabet latin, de même en Turquie. En Arménie, ce même alphabet primitivement utilisé a été abandonné pour l'alphabet cyrillique. Cette variété des langages et cette différence d'écritures, on le conçoit, ne facilitent guère les relations culturelles entre Kurdes qui n'habitent pas le même pays.

(17) *L'adoption des caractères latins et le mouvement culturel chez les Kurdes de l'U.R.S.S.*, dans R.E.I., 1935, cahier 3, p. 87-94.

(18) Voir le n° 21 (937) de *Riya Teze*, du 13 mars 1958. En effet, certains parents, dit-il, ne comprennent point qu'ils doivent collaborer, avec l'école,

à l'instruction et à l'éducation de leurs enfants. C'est ainsi qu'il a fallu l'intervention de l'instituteur pour convaincre Kinoyê Khalit et sa femme d'envoyer régulièrement leurs quatre enfants à l'école qu'ils délaissaient habituellement. Mehmedê Mousa, Kolilayê Khalit et Chéniya Ono sont dans le même cas. Cette dernière a même retiré son fils Asibê Ehmed de la classe de 6e, pour l'envoyer travailler à Erivan. Et, ajoute l'instituteur, beaucoup de parents retirent leur fille de l'école après la classe de 4e ou de 5e.

(19) On constate les progrès réalisés dans V. Clark, *L'obligation scolaire en Irak*, UNESCO, 1951, 80 pages et dans Mme Tomiche, *Organisation de l'enseignement dans les pays arabes*. (Documentation française. Notes et Études documentaires; n° 2.106, 29 nov. 1956). — En 1951-1952, il y avait, en Irak, 1.306 écoles primaires officielles avec un total de 199.231 élèves, les effectifs ayant ainsi plus que doublé depuis 1938-1939. Et le progrès continue. Mme Tomiche n'en conclut pas moins qu'en Irak «près de 80% des hommes et plus de 95% des femmes sont illettrés» (p. 27).

(20) *Iraq Petroleum*, vol. 7, n° 1, aug. 1957, p. 15.

(21) Dans son ouvrage, Edmonds a publié un certain nombre de poèmes kurdes en caractères latins naturellement, mais il n'a pas renoncé aux doubles lettres, par ex., *ch, sh, rh, lh, uw, iy*. Et quel avantage y a-t-il vraiment à traduire la conjonction *et* par *u* entre deux consonnes et *w* après une voyelle?

(22) Je signale du même auteur l'*Arc-en-Ciel* ou *Kolkê zêrînê*, liste de mots groupés d'après le sens, en kurde, persan, arabe, français et anglais. (Erbil, 1955, 132 pages), et la petite brochure, bien rudimentaire: *Try speaking kurdish*, de Abdulla Shally (Sulaimaniya, 1955, 42 pages). — Je viens de recevoir le volumineux *Dictionnaire kurde, persan, arabe, Kitabê Ferhengê Mardoukh*, édité en photocopie et en trois colonnes, sans lieu ni date, mais probablement en 1957 et à Téhéran, par Mardoukh Mahmoud Kurdestani, en deux volumes de 27 + 980 et 26 + 961 pages. — Les 27 premières pages du premier volume résument des notions grammaticales; les 26 premières pages du second volume offrent une collection alphabétique de 899 proverbes kurdes.

(23) C. J. Edmonds, *A Bibliography of Southern Kurdish*, in R.C.A.J., 1945, p. 186-187.

(24) Cf. R. Hilmi, *Maqālāt*, en arabe, Baghdad, 1956, 80 pages, p. 73.

(25) Une image m'a bien étonné dans l'ouvrage de H. Cindî, p. 85. Elle représente une ronde d'enfants autour d'un sapin devant lequel sourit un bon vieux Papa Nouvel An, ainsi qu'on désigne en Russie désormais le Père Noël. Et l'auteur doit aimer cette scène populaire, qui n'a pourtant rien de kurde, puisque la même gravure est reproduite également p. 89 de son alphabet, signalé plus haut.

(26) D. Steward et J. Heylock, *New Babylon. A portrait of Iraq*. (London, Collins, 1956, 256 pages), p. 222.

(27) Justement un autre point à signaler et qui donne une valeur toute spéciale à l'ouvrage de M. Nikitine, c'est l'utilisation des nombreux auteurs

russes qui ont parlé des Kurdes et dont les œuvres nous sont peu accessibles. J'ai déjà noté N. Marr, dont plusieurs études sont citées et analysées; mais il y a encore Eghiazarov et son travail sur les Kurdes d'Erivan; Joukovsky, qui traite des Ahl-ê Haqq; Djavakhov des cultes païens en ancienne Géorgie et N. Tchoursin des Kurdes d'Azerbaidian; les textes kurdes de Khatchatourov, les études linguistiques de Viltchensky et de Zuckermann, les travaux sur la féodalité de N. Bogdanova ou de Pétrouchevsky, etc.

(28) S'il est vrai que Tewfiq Wehbi a été emprisonné par le Gouvernement républicain d'Irak, il est vraisemblable que les revues kurdes qu'il animait en subiront le contrecoup.

(29) Ici une remarque générale s'impose en ce qui concerne l'orthographe. Elle reste encore assez floue. Si l'on compare l'ouvrage imprimé en 1947 et ceux qui l'ont suivi, on constate une nette amélioration. On ne trouve plus dans ces derniers de simples lettres comme prépositions, par ex., *b, l, j,* ou pronoms *ç, k.* On écrit désormais *bi, li, ji, çi, ki,* ce qui est plus normal. De même on a rétabli de nombreux *i* muets, plus ou moins élidés dans la prononciation et dont la notation semblait laissée au gré de l'écrivain et qui variait plus ou moins avec chacun. *Efrandnê, nvîskar, hlanin, hneqa,* et on pourrait multiplier les exemples, s'écrivent maintenant *efirandinê, nivîskar, hilanin, hineqa.* A ce point de vue, la publication du Dictionnaire kurdo-russe facilitera sans aucun doute l'acquisition d'une orthographe correcte et celle-ci ne pourra pas ne pas avoir un effet salutaire sur le rythme même de la poésie. Par contre, l'utilisation, en ce même dictionnaire, de nombreuses consonnes suivies d'apostrophe, sous prétexte de nuances de prononciation, complique plutôt les choses. Entre autres singularités, Etarê Şero a conservé son orthographe variable, et l'on ne sait s'il faut en incriminer un prote négligent ou le poète fantaisiste.

(30) Ce ne sont pas les seules traductions d'œuvres kurdes. M. Nikitine me signale qu'un *Recueil russe de la poésie kurde contemporaine en U.R.S.S.* a paru en 1956, rédigé par Mlle Azistova. En russe également, l'Union des Écrivains de Géorgie a publié à Tiflis (1958) *Novi pût, La Voie nouvelle,* recueil des œuvres des écrivains kurdes de Géorgie, sur lesquels on fournit quelques renseignements biographiques. — D'après *Riya Teze,* nº 29 (945) du 10 avril 1958, on a édité en géorgien des Histoires kurdes, *Çirokêd kürdi.* Ces contes ont été recueillis et préparés par les écrivains et poètes kurdes Çaçarê Mirad, Tiharê Biro et Morof Mamedof. On a aussi publié un livret de poèmes kurdes, *Şiyirêd kürda,* contenant les œuvres des poètes kurdes soviétiques qui vivent à Tiflis. Enfin le livre de l'écrivain kurde Ereb Şemilov, *Le berger kurde, Şivanê kürd* a également été traduit en géorgien. M. Nikitine constate à plusieurs reprises (p. 201 et 324 de son ouvrage) que la réédition kurde de ce livre, faite à Beyrouth en 1947, l'a été sur sa propre traduction française. Enfin il existe aussi quelques traduction d'ouvrages kurdes en ukrainien, azerbaidjanais, etc.

المحامي عن العدل في الدعاوي الزواجية

بقلم الخوري يوسف حتي

الرأس الاول

في اقامة الدعوى الزواجية

المطلب الاول

في حق الزوجين بشكوى الزواج

١ في حق الازواج الابرياء

كل حق يدافع عنه بدعوى[1] وكل شخص في الكنيسة[2] يقدر ان يرفع الدعوى مطالباً بحقوقه[3] الا من منعته عن ذلك القوانين المقدسة[4].

فينتج اذا جلياً من المبادئ المذكورة ان الزوج البريء هو حقيق دائماً بشكوى زواجه[5] وقد اثبت الاجتهاد القانوني هذا المبدأ زمناً طويلاً قبل صدور مجلة القوانين[6] ولم يبدِ احد قط ادنى شك بخصوصه[7].

(1) c. 184 COP; c. 1667 CIC.

(2) c. 87 CIC.

(3) c. 1 COP; c. 1552 CIC.

(4) c. 161 COP; c. 1646 CIC.

(5) Graziani, Limitazioni al diritto del conjuge di accusare la nullità del matrimonio, dans Il Diritto Ecclesiastico, IDE (1935) 115; Roberti, De jure accusandi matrimonium, dans Apollinaris, Apoll. 3 (1930) 57.

(6) Cappello, De jure accusandi matrimonium, Pariodica 16 (1927) 233-235 où l'auteur cite Pirhing, Jus canonicum in V libros decretalium distributum. Dilingae, 1626, lib. IV, tit. 18 n] 1; et Schmalzgrueber, Jus ecclesiasticum universum, Romae 1843, lib. IV, tit, 18, n] 13.

(7) Cappello, La figura giuridica dei conjugi e del promotore di gius tizia nelle cause matrimoniali, dans Civiltà Cattolica, Civ. catt. 3 (1939) 222.

٣ في تحديد حق الازواج المتسببين ببطلان زواجهم

لا جرم ان الكنيسة تقدر ان تحرم من حق شكوى الزواج الزوج المتسبب ببطلان زواجه تسبباً مباشراً وعن ذنب[٨].

وقد جرت عادة بتقديم اعتراضات عديدة ضد سلطة الكنيسة هذه. فالمداعاة — كما يؤكد بعض المؤلفين — هي نتيجة ضرورية لكل حق، وقدرة الزوج على شكوى الزواج هي حق طبيعي لا تستطيع الرسوم الوضعية ان تحرمه اياه. اما اذا حرم الازواج هذه المداعاة فتضحي حالتهم غير ممكنة اذ يرون نفوسهم مضطرين الى المساكنة دون مقدرة التمتع الشرعي بالزواج. وهكذا يكون خلاصهم في خطر كما يصبح الخير العام هو نفسه مهدداً لما للدعاوي الزواجية من تأثير كبير دائم على المجتمع[٩].

اننا نرى بالعكس ان حرمان الكنيسة الزوج المذنب من حق شكوى الزواج هو قانوني تماماً لا بل ضروري. فلا شك ان الادعاء هو نتيجة لكل حق (ق ١٨٤ من اصول المحاكمات للكنيسة الشرقية والقانون ١٦٦٧ من مجلة الشرع القانوني الغربي) لكننا لا نقدر ان نعتبره عنصراً جوهرياً لهذا الحق. فانه يمكن ان توجد حقوق لا يقابلها ادعاء ما، فالشرع الكنسي يفرق جلياً بين الادعاء والحق ويقر بوجود حقوق بدون ادعاء[١٠]. والشارع يحرم ايضاً غالباً من الادعاء اصنافاً من الاشخاص لا جدال في حقهم[١١].

اننا نقر ايضاً ان الخير العام يتأثر دائماً من اقامة الدعاوى الزواجية، لكن للخير العام — حسب ملاحظة العلامة روبرتي — درجات عديدة فاذا اختلفت

(8) c. 478 COP; c. 1971 CIC.

(9) Roberti, De obligatione promotoris justitiae accusandi nullitatem matrimonii, Apoll. 10 (1937) 113; De Guise, Le Promoteur de justice dans les causes matrimoniales, Ottawa 1944, pp. 149-150.

(10) cc. 1017 § 3; 454 § 1; 1438; 1447; 1927 CIC.

(11) cc. 87. 1646; 1654; 1628 § 3; 1971 § 1, 1 ; 1554 CIC etc.. Pontificia Commissio ad codicis canones authentice interpretandos, Pont. Comm. du 12 mars 1929, dans Acta Apostolicae Sedis, AAS 21 (1929) 70; 17 juillet 1933, AAS 25 (1932) 345-346; cfr Roberti, De processibus, Romae 1941, vol. I, n 21, pp. 55-64 et Apoll. 3 (1930) 53-59; Apoll. 6 (1939) 442-444.

يتغلب الخير العام الاعلى على الخير العام الادنى[١٢] . وهكذا يجب ان يضحى بخير شخصين او اربعة اشخاص لفائدة المجتمع كله .

وكذلك يبرر المعلم تريبس بدوره قوانين الكنيسة ، فانه بعد بحث الحيل التي يلجأ اليها الازواج ليجدوا مخرجاً ويعقدوا زواجاً جديداً يختم قائلاً :

« لا يبقى اذن في احوال كهذه الا ان تضع الكنيسة على قدر الامكان عوائق للشكوى وللادعاء حتى يصبحا على نوع ما غير ممكنين »[١٣] .

وان لم تتخذ الكنيسة تدابير كهذه تنفتح الى الطلاق الكنسي طريق سهلة نافذة[١٤] . ولنلاحظ ايضاً بان الكنيسة اذ تحرم الزوج المتسبب ببطلان زواجه من حق الشكوى تقر له دائماً بحق الاخبار ببطلانه (droit de dénonciation) اي اخبار اسقف الابرشية او المحامي عن العدل[١٥] وتعتبره خصماً حقيقياً في الدعاوى الزواجية الطارئة[١٦] . (Causes matrimoniales accidentelles)

٣ - في حق الزوج المسؤول عن بطلان زواجه مسؤولية اكيدة

(Causa certe culpabilis)

بعد ان بررنا قوانين الكنيسة نلاحظ بادئ ذي بدء بان المشترع الكنسي يحرم الازواج من حق شكوى زواجهم اذ كانوا سبب المانع المبطل[١٧] ويسمى متسبباً الشخص الذي ينسب اليه العمل[١٨] ويجب ان يكون هذا السبب حاصلاً

(12) Roberti, De obligatione promotoris justitiae... Apoll. 10 (1937) 114.

(13) Triebs, De promotore justitiae in causis nullitatis matrimonii, Apoll. 10 (1937) 403.

(14) Bartoccetti, De jure et officio promotoris justitiae accusandi matrimonium, Apoll. 10 (1937) 574 sq.

(15) c. 1971 § 2; Roberti, De jure denuntiandi nullitatem matrimonii, Apoll. 3 (1930) 248-250; Pont. Comm. du 12 mars 1929, AAS 21 (1930) 196.

(16) Cappello, La figura giuridica dei conjugi... Civ. Catt. 3 (1939) 228, 2.

(17) c. 1971 § 1, 1 ; cfr Instructio servanda a tribunalibus dioecesanis in pertractandis causis de nullitate matrimoniorum a Sacra Congregatione de Sacramentis editae 15-8-36; INnmSCdeS art. 35 § 1, 1 ; cfr Apoll. 9 (1936) 532.

(18) Roberti, De matrimonii accusatione, Apoll. 6 (1933) 442.

عن نية لا مادياً[19] وان يكون موجباً مسؤولية[20] ومصحوباً بالخداع .

(Causa formalis. imputabilis, dolosa)

وهذه الشروط هي ضرورية لجعل الزوج غير اهل للادعاء ببطلان زواجه. لكن لا يهم انه كان سبباً لمانع بمعناه الحصري او الواسع[21] او كونه سبباً للمانع او لبطلان الزواج عن ذنب منه[22] .

فينتج عن ذلك ان الزوج يبقى اهلاً للشكوى والادعاء لدى المحكمة اذا كان متسبباً بريئاً بمانع الزواج او ببطلانه (Cause innocente et passive) وهكذا من تحمل مثلاً خوفاً او قسراً[23] فان حرمانه هذا الحق يكون جائراً ومضاداً للخير العام[24] .

ه في حق الزوج المشكوك في مسؤوليته (Causa dubie culpabilis)

عندما يكون الزوج « مسؤولاً عن البطلان مسؤولية اكيدة » يجعله الشرع القانوني غير اهل مطلقاً لشكوى زواجه . لكن هل يجب ان تفرض عليه العقوبة عينها اذا كان « مشكوكاً فقط في مسؤوليته » ؟

يرى العلامة بريشتي مستنداً الى القانون ١٧٠٩ في بنده الاول ان القاضي لا يقدر ان يباشر تحديد الدعوى طالما لم يتأكد ان الزوج هو اهل شرعاً للمرافعة . فانه يقول « من الصواب ان لا يسير القاضي بالدعوى الا بعد ابعاد كل شك في عدم اهلية المدعي »[25] .

(19) Pont. Comm. du 17 juillet 1933, AAS 30 (1933) 345 ad I; Graziani, Limitazioni al diritto...IDE 46 (1935) 115.

(20) Toso, De matrimonio accusando vel denuntiando, Jus Pontificium, JP (1937) 11; Triebs, De promotore justitiae in causis nullitatis matrimonii, Apoll. 10 (1937) 397; il ne s'agit pas de la culpabilité au sens entendu dans le droit pénal ou dans l'ordre moral.

(21) Pont. Comm. du 12-3-29.

(22) Pont. Comm. du 17-7-33; Creusen, dans Nouvelle Revue Théologique, NRTh 60 (1933) 732-733 contre Gasparri, Tractatus canonicus de matrimonio, Typ. Polyg. Vatic. 1932, n 1260; Graziani, Limitazioni...IDE 46 (1935) 116-117 contre Roberti, Apoll. 6 (1933) 443.

(23) Pont Comm. du 17-7-1933 dans AAS 25 (1933) 345 ad I.

(24) Bartoccetti, Circa inhabilitatem conjugum accusandi matrimonium, Apoll. 11 (1938) 202. De Guise, o.c.p. 160.

(25) Circa inhabilitatem... Apoll. 11 (1938) 207.

لكن المؤلف يستطرد قائلاً بانه في حال وجود مسؤولية كهذه مشكوك فيها يقدر الاسقف المكاني ان يأمر المحامي عن العدل بالتدخل . فيكون هذا التدخل بمثابة اصلاح لعدم اهلية الزوج المسؤول مسؤولية غير اكيدة .

اما رأي الاستاذ شيبروتي فهو مخالف[٢٦] فانه يرى ان الزوج المشكوك في اهليته لا يمكن ان يحرم من حق شكوى الزواج . ولكي يثبت رأيه يميز بين الشك من حيث القانون والشك من حيث الواقع .

فاذا كان الشك من حيث القانون ، فالمادة ١٩٧١ التي تضع قاعدة تحدد حرية ممارسة الحقوق وهي تحتوي شذوذاً للشريعة[٢٧] يجب ان تؤول بحصر معناها. علاوة على ذلك يرسم القانون ١٥ من مجلة الشرع القانوني الغربي ان الشرائع في حالة الشك من حيث القانون لا تلزم بالعمل بها وان كانت مبطلة ورافعة للاهلية (irritantes ou inhabilitantes)

والاستاذ الشهير يستنتج قائلاً : وهكذا في الشك من حيث القانون « يجب اتباع الرأي الاكثر موافقة لاهلية الزوج للادعاء. بنوع انه لا ينبغي رد شكوى الزوج الا عندما لا يبقى ادنى شك في مسؤوليته[٢٨] .

واذا كان الشك من حيث الواقع فعلى الخصم او القاضي من قبل المنصب ان يعترضا به ، فالا فالزوج المشكوك في اهليته يتمتع بحق الشكوى فانه « لا احد يعتبر شريراً الا اذا ثبت ذلك » ، « ولا يمكن ان يحرم احد من حقه الا اذا ثبت ذلك بنوع اكيد » .

ان روبرتي يعتمد على نتائج هذا المقال ويستصوبها تماماً اذ يكتب : « اننا نرضى طوعاً بهذه النتائج وليس عالم بالفقه يقدر ان يخالفها بسهولة »[٢٩] .

وهذا يجب ان يكون موقفنا ايضاً فاننا مقتنعون تماماً ببراهين الاستاذ

(26) Ciprotti, De conjuge dubie habili ad matrimonium accusandum, Apoll. 12 (1939) 265-267.

(27) cc. 19 et 1667 CIC.

(28) Ciprotti, De conjuge dubie habili... Apoll. 12 (1939) 266.

(29) Roberti, Quando conjux dicendus sit dubie habilis ad accusandum matrimonium, Apoll. 12 (1939) 267.

شيبروتي ، ولاننا رفضنا على المحامي عن العدل ان يتخذ صفة قائمقام او متدخل في الدعوى لاصلاح عدم الاهلية كما يريد برتوشتي .

٥ في حق الزوج المسؤول من جهة والبري، من جهة اخرى

(Causa culpabilis ex uno capite et causa innocens ex altero capite)

كان رئيس اساقفة ميلان قد عرض على مجمع الاسرار المقدس ثمانية اسئلة بخصوص سبب بطلان الزواج . وهذا نص السؤال الاول :

« هل يجب ان يعتبر اهلاً لشكوى الزواج الخصم الذي كان سبباً للمانع او للبطلان اذا رفعت الشكوى « لسببين : سبب القسر والخوف وسبب الشرط الموضوع ولم يكن المتسبب مسؤولاً الا عن السبب الثاني » ؟

فعلى هذا السؤال اجاب مجمع الاسرار المقدس بالنفي في ٢٠ ايار سنة ١٩٣٨[30] . ومن جوابه يستدل على ان الخصم الذي هو غير اهل « من وجه واحد » لا يقدر ان يقيم الدعوى « بالوجهين » ولو كان اهلاً من احد الوجهين . « فالشر — على حسب ملاحظة العلامة روبرتي — من اي نقص كان »[31] . ولكن المدعي المذنب لسبب واحد كان قادراً على شكوى الزواج للسبب الاخر الذي هو بريء منه ، ولكان الحكم الصادر في ما يخص هذا السبب شرعياً[32] .

٦ في حق الازواج ووضع الشروط

يرسم البند ٣٧ من ارشاد ١٥/٨/٣٦ ان الزوج « الذي وضع سبباً صالحاً وجائزاً للمانع هو اهل لشكوى الزواج » . ومجمع الاسرار المقدس عينه في جوابه الى اسقف مدينة ميلانو الايطالية بتاريخ اليوم الاول من شهر ايار سنة ١٩٣٨ يعلم بان الشرط الذي هو صالح وجائز بذاته وان كان موضوعاً بدون

(30) Rivista diocesana Milanen. 1938, p. 396; cfr Apoll. 11 (1938) 497-501.

(31) Roberti, Annotationes ad responsa Sacrae Congregationis de Sacramentis d. 30 maii 1938, dans Apoll. 11 (1938) 499 ad I.

(32) cfr Responsa ad dubia II et III dans Apoll. 11 (1938) 497.

رضى الاسقف المكاني لا يجعل الزوج غير اهــل لشكوى الزواج . ولكنه يلاحظ ايضاً بان شرطاً جائزاً بذاته يقدر ان يضحي غير جائز اذا كان النوع الذي اريد الجازه به هو غير جائز بذاته . وهذا هو الواقع اذا اريد تأكيــد البتولية بواسطة الفعل الزوجي[٣٣] . ففي هذه الحــال يضحي الشرط غير جائز وسيئاً عملياً[٣٤] .

واذا كان الشرط قبيحاً بذاته او بالعرض (par accident) يعتبره المشترع كانه غير موضوع[٣٥] . اذن لا يمكن ان ينشأ اي حق كان من وضع شرط كهذا ، فلا يقدر لا الزوج ولا المحامي عن العدل ان يلجأ الى هذا الشرط ... وعبثاً يلجأ اليه اي كان[٣٦] .

لكن لا يجوز عدم التمييز بين الشرط القبيح (Conditio turpis) والشرط المضاد لجوهر الزواج (Conditio contra matrimonii substantiam) . فالبند ٣٨ في فقرته الاولى ب للارشاد المذكور اعلاه يرسم تعريضاً ان الازواج الذين « وضعوا شرطاً مضاداً لجوهر الزواج ولا يقدرون ان يشكو زواجهم . فان هذا الشرط يجعل الزواج باطلاً ، وبالفعل عينه ينتج حق الشكوى ولكن بوضع شروط كهــذه يصبح الازواج مسؤولين عن بطلان زواجهم فيحرمون من حق الشكوى .

في هذه الحال يعود حق اقامة الدعوى الى المحــامي عن العدل وحده[٣٧] .

وبالاختصار اذا كان الشرط صالحاً يقدر الزوج دائماً ان يشكو زواجه . اما اذا كان الشرط قبيحاً فلا يقدر ان ينتج منه ادنى حق ولا يكون احــد اهلاً لشكوى الزواج . واخيراً ان كان الشرط مضــاداً للجوهر كما لو كان

(33) Sacra Romana Rota, S.R.R. Tergestina, nullitatis matrimonii, coram Grazioli, 11 juillet 1938.

(34) Bartoccetti, Circa inhabilitatem conjugum... Apoll. 11 (1938) 202; Roberti, Annotationes... Apoll. 11 (1938) 500.

(35) c. 1092 § 1 CIC.

(36) Roberti, De accusatione matrimonii... Apoll. 12 (1939) 115.

(37) Roberti, ibid.

ينفي احدى خاصتيه الجوهريتين فالشكوى تبقى من اختصاص المحامي عن العدل وحده[٣٨] .

٧ في حق غير الكاثوليك

قبل نشر الشرع القانوني كان غير الكاثوليك عموماً محرومين من حق اقامة الدعوى ، لكنهم كانوا احياناً بنوع شاذ مقبولين في المطالبة لحقوقهم وخصوصاً في الدعاوى الزواجية . الا انه بنشر الشرع القانوني لانت القوانين ولم يعد الاجتهاد يمنع غير الكاثوليك منعاً باتاً من المرافعة لدى المحاكم الكنسية[٣٩] . ولكن جواب ديوان التفتيش المقدس الصادر في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٨ اعاد البحث في هذه المسألة عندما اعلن بان غير الكاثوليك المعمدين وغير المعمدين لا يقدرون ان يرافعوا في الدعاوى الزواجية . اما اذا كانت اسباب خصوصية (كضرر للخصم الكاثوليكي او رجاء وطيد باهتداء الخصم الغير الكاثوليكي) تتطلب قبول غير الكاثوليكي كمدع فيلزم في كل حال الالتجاء الى ديوان التفتيش المقدس[٤٠] . وهذه الفتوى لا تلزم محكمة الروتا فقط لكنها اعطيت على السواء لكل محاكم الابرشيات[٤١] .

وهذه هي نتيجة قانونية لمرسوم البند ٨٧ الذي اليه يسند الديوان المقدس جوابه . ففي هذا القانون يقول المشترع ان العماد وحده يجعل الانسان شخصاً في كنيسة المسيح له كل حقوق المسيحيين وعليه كل واجباتهم .

وهكذا فغير المؤمن بما انه لم يقبل سر العماد ليس شخصاً في الكنيسة ولا

(38) Roberti, De accusatione matrimonii... Apoll. 12 (1939) 115.

(39) Roberti, De competentia in causis matrimonialibus initis a promotore justitiae, Apoll. 11 (1938) 215.

(40) AAS, 20 (1928) 75 resp. ad I dubium; cfr Haring, Das Klagerecht der Akatoliken, dans Theologishe Praktishe Quartalschrift 89 (1936) 357-358; idem, De promotore justitiae in causis nullitatis... Apoll. 10 (1937) 397-399.

(41) AAS 31 (1939) 131, Decretum de competentia in causis matrimonialibus et de jure promotoris accusandi matrimonia acatholicarum; cfr Roberti, Annotationes... Apoll. 12 (1939) 157-161.

يقدر اذن ان يدعي لنفسه باي حق كان من الحقوق التي هي للمؤمنين بحكم انضامهم الى الكنيسة . فليس هو بالنتيجة اهلاً للادعاء ببطلان زواجه .

اما غير الكاثوليك المعمدون الهراطقة والمشاقون فبما انهم اشخاص في الكنيسة يتمتعون ببعض حقوق ممنوحة للكاثوليك ولكن لانهم وضعوا عائقاً للاتحاد مع الكنيسة فالمشترع يحرمهم من بعض الحقوق الاخرى ومنها الادعاء ببطلان زواجهم .

والكافرون[42] يحرمون هم ايضا من حق شكوى زواجهم ، فاسم غير الكاثوليك يطلق عليهم « فيما يخص حق الشكوى في الدعاوى الزواجية » بموجب جواب من مجمع التفتيش المقدس موجه الى رئيس اساقفة مدينة سالزبورغ بتاريخ السابع والعشرين من شباط سنة ١٩٣٧[43] .

٨ في حق المحرومين

ان كتاب الشرع القانوني يميز بين المحرومين الواجب اجتنابهم والمحرومين المحتملين بعد صدور حكم موقع او معلن للحرم ، وبين المحرومين المحتملين قبل صدور اي حكم .

وقد قصر الشارع الاهلية للادعاء في جنب المحرومين الواجب اجتنابهم والمحرومين المحتملين بعد صدور حكم منزل او معلن للحرم . وبوجه العموم ، يجب على القاضي – اذا كانوا مدعين – ان يرد دعواهم اما بحكم المنصب او عند طلب المدعى عليه[44] . ولكن اذا كان طلبهم يرمي الى ابعاد ضرر او خطر عن انفسهم – كما هي الحال في الدعاوى الزواجية – فيقدرون ان يرافعوا لا بانفسهم بل بواسطة وكيل .

---

(42) c. 1325 § 2 CIC.

(43) Karl Kronlachner, Auch Apostaten gelten als Acatholici im Sinne der Entscheidung des S. Officium vom 18. Janner 1928, Theol. Prakt. Quart. 90 (1937) 321; cfr une recension dans Jus Pontificium 17 (1937) 282.

(44) cc. 1654 § 1; 1628 § 3 CIC.

اما المحرومون المحتملون قبل صدور حكم معلن او موقع للعقوبة فانهم يتمتعون بكامل اهلية المرافعة فيستطيعون ان يرافعوا ويدعوا ببطلان زواجهم، ولكنه يمكن دائماً صدهم بدفع حرمهم . وهـذا الدفع يكون دعوى طارئة يفصلها القاضي بقرار منه[٤٥] .

٩ حق القاصرين والمجانين و«الاجانب عن الدعوى» (Extranei)

في المسائل الروحية – كما هي الحال في الدعاوى الزواجية – وفي الامور المقترنة بالروحية لا يحتاج القاصرون الـذين بلغوا سن الرشد الى الحصول على رضى وكلائهم الشرعيين للادعاء والدفاع لدى المحاكم الكنسية . وحتى نهاية السنة الرابعة عشرة من عمرهم يقوم مقامهم الوصي الذي يعينه الاسقف المكاني او الوكيل الذي يختارونه برضى الاسقف المذكور . اما بعد السنة الرابعة عشرة من عمرهم فيرافعون ويدافعون بانفسهم[٤٦] .

اما المتوهون والمجانين البالغون فانهم يرافعون لدى القضاء بواسطة آبائهم او اوليائهم او اوصيائهم . والوصي المعين من السلطة المدنية يمكنه ان يدافع لدى المحكمة الكنسية ولكن بموافقة الاسقف وحده[٤٧] .

اما « الاجانب عن الدعوى » فانهم بعد ان ابطل القانون ١٩٧١ الشرع القديم في هذا الموضوع لم يعودوا قادرين على شكوى زواج يعلمون بطلانه وعلى الكثير يمكنهم ان يخبروا به الاسقف المكاني او المحامي عن العدل .

(يتبع)

الخوري يوسف حتي
دكتور في الحقوق الكنسية
نائب رئيس المحكمة البطريركية الاستئنافية المارونية

(45) cc. 1654 § 2; 1628 § 3; 1837 sq. Roberti, De officio promotoris justitiae accusandi matrimonia acatholicorum, Apoll. 10 (1937) 596.

(46) c. 1648 § 3; Naz, Traité de droit canonique, vol. IV n 230 p. 132.

(47) cc. 1648 §§ 1 et 2; et c. 1651.

تعريف عن الكتب

الجزء الثاني من كتاب مفرج الكروب : في اخبار بني ايوب

تأليف جمال الدين محمد بن سالم بن واصل

نشره الدكتور جمال الدين الشيّال

استاذ التاريخ الاسلامي في جامعة الاسكندرية

بقلم رشدي الحكيم

مطبوعات ادارة احياء التراث القديم (وزارة التربية والتعليم المصرية)

المطبعة الاميرية في القاهرة ٥١٧ صفحة

هذا الكتاب من الكتب ذات الشأن التي يعنى الدكتور جمال الدين الشيال باخراجها اخراجاً علمياً متقناً منقحاً وقد صدر الجزء الاول منه عام ١٩٥٣ وهو يتضمن تاريخ نور الدين محمود بن زنكي في ٢٨٦ صفحة . وصدر الآن الجزء الثاني منه ويحتوي تاريخ صلاح الدين الايوبي الى حين وفاته في ٥٤٥ صفحة عدا المقدمة . وهذا الجزء كسائر ما ينشره الدكتور الشيال من الكتب تصحيحاً وتعليقاً وتفسيراً للكلمات العمرانية وبخاصة ما يتعلق منها بآلة الحرب والوان السفن الحربية وطوائف الجند المحارب مع ضبط الاعلام عند المسلمين والصليبيين وغير ذلك . وذيل هذا الجزء بواحد وعشرين ملحقاً او وثيقة تاريخية معظمها رسائل بقلم القاضي الفاضل الكاتب المنشئ المشهور وزير صلاح الدين صدرت عن العاضد آخر الخلفاء الفاطميين الى اسد الدين شركوه والى صلاح الدين وعن صلاح الدين الى الديوان العزيز للخلافة العباسية في بغداد والى بعض ملوك المغرب .

وقد اذكرتني حواشي هذا الكتاب كلمة ابي بكر الخوارزمي عندما اسنّ « اصبحت لا اشتهي شيئاً سوى النظر في حواشي الكتب» ولا ريب في انه كان يعني امثال هذه الحواشي الممتعة والتي هي زبدة بحث وتحقيق وغوص في اعماق المراجع المختلفة من عربية وافرنجية ، ومن نظر الى ما يقوله

الاستاذ في المقدمة « واشهد اني كنت اقضي احياناً الاسبوع والاسبوعين بل الشهر جرياً وراء مصطلح غامض اسمى التحقيق والتعريف » عرف مبلغ ما عانى الدكتور من المشقة والجهد والاناة حتى اخرج الكتاب على هذه الصورة من الاتقان .

وقد علقت على هامش هذا الجزء في اثنـاء قراءتي له ملحوظات احببت أن اضعها امام انظار المحقق المفضال لعل فيها ما يستحق النظر والاخذ بعين الاعتبار .

اما الجزء الاول فقد وفاه الاستاذ الدكتور مصطفى جواد حقه ونشرت تصويباته في آخر الجزء الثاني هذا .

جاء في الصفحة م من المقدمة بيت شعر لابن سناء الملك :

ومقتـك واللاجي يلاند بالعذل فكنت ابا ذر وكان ابا جهل

وصوابها اللاحي بالحاء لا بالجيم بمعنى اللائم ولعلها من خطأ الطبع .

في الصفحة ٢ من الكتاب س ١٢ وحى سنة والصواب وحيي بيائين .

ص ٦ س ٢ ضبطت سروج بتشديـد الراء . والصواب سروج على وزن رسول واليها ينسب ابو زيد السروجي الذي اجرى الحريري المقالات على لسانه.

ص ١٨ س ١ وتفريطهم في البلاد وبذلهم القطيعـة للفرنج من غير ان يبدوا عذرا ونرى ان ما ورد في الاصل (يبلوا عذرا) هو الارجح وفي القاموس وابلاه عذراً اداه اليه فقبله .

ص ٢٨ س ١٤ من رسالة فاضلية من صلاح الدين الى الديوان العزيز ببغداد (وانا لا نتمكن بمصر منه (من العدو) مع بعد المسافة وانقطاع العمارة وكلال الدواب التي بها على الجهاد قوة ، واذا جاوزناه كانت المصلحة بادية والمنفعـة جامعة واليد قادرة والبلاد قريبة الخ) وربما الصحيح (وجاورناه) بالراء لا بالزاي.

ص ٣٣ من قصيدة عماد الدين الكاتب :

لا تنن من فرق الفراق الادمسا

ضبطت فرق بسكون الراء . والصواب بفتحها بمعنى الخوف :

قلب امانيه الميون ولم يزل من سها بالحاجـات روعـا

ومن التجبر ابي اجرنـة ‏ بي ظعنهم وسألت عنه الارما

ولعله (ومن التجني) :

اصبحت اذ شيتهم لثلاثـة ‏ صبري وغمضي والفؤاد مشيعـا

ضبطت مشيّعا بالبناء المجهول والسياق يقتضي ان يكون للمعلوم .

ص ٤١ س ٣ (والكاتب له حسن مجد الدين ابي السعادات) والصواب بو السعادات .

ص ٤١ س ١٥ .

فكأنني بالساحل الاقصى وقد ‏ ساحت ببحر دم الفرنجة ساحه

لعله (بالمسجد الاقصى) .

ص ٤٣ س ١٧ ورد في قصيدة لعماد الدين الاصفهاني :

وحل عن المسلمين ليلهم المدلج

والصواب (وَجلّ) بالجيم وتشديد اللام ولعلها من خطأ الطبع .

ص ٥٧ س ١ .

ايبلغ دهري قصدي وقد ‏ قصدت بمصر ذرى يوسف

وقد ضبطت ذرى بضمة على الذال كانها جمع ذروة . والصواب على ما ارى (ذرى) بفتحها بمعنى الملجأ والناحية والفناء .

ص ٩٦ س ٦٩ من رسالة للقاضي الفاضل الى صلاح الدين يذكر له اولاده ويشوقه اليهم (اما يشتاق جيد المولى ان يتطوق بدورهم اما تظمأ عينه الى ان تتروى بنظرهم اما يحن قلبه الى قلبه اما يلتقط هذا الطير الطائر بتقبيلهم ما خرج منهم من حبه وللمولى ابقاه الله ان يقول :

وما مثل هذا الشوق يحمل بعضه ‏ ولكن قلبي في الهوى يقلوب

وربما كان الصواب (بدررهم) جمع درة لا بدورهم جمع بدر (ولكن قلبي في الهوى لقلوب) وقَلوب يجيء بمعنى متقلب وكأن هـذا البيت ينظر الى قول المتنبي :

وبي ما يذود الشعر عني اقله ‏ ولكن قلبي يا ابنة القوم قلب

وفي هذه الرسالة يقول القاضي الفاضل .

(وليس فيهم بحمد الله من يؤخر على ما عود الله من صحة وسلامة وكفاية ووقاية) ولزوم المستقل منهم لمشهد الكتاب ولموقف الآماج ومخايل الحضر منهم من تحت ليل الصبى انور دلالة من ضوء السراج) .

ولعل الارجح (ولزوم المستقـل منهم لمهد الكتاب عن ثدي الاملاج) والاملاج الارضاع .

اما (مخايل الحضر) فالاغلب انها (مخايل الفجر) .

وفي هذه الرسالة ايضاً ص ٧٠ س ٢ .

(وصغيرهم ما فيهم عند الملا صغير) وما فيهم .

ص ٧٦ س ١ وصاحب الطبرية واخره صاحب جبيل والصواب (وصاحب طبرية) البلدة المعروفة وليس المقصود صاحب حملة الطّبر بدليل ذكر صاحبه جبيل بعده .

ص ٧٨ س ١٢ .

هو يومُ اضحى كيوم حنين سهل الله نصره في المازون

وضمت ضمـة على الميم في يوم وحقها ان تكون منونة (هو يومٌ اضحى كيوم حنين) .

ص ٨١ س ٤ (فصعد انسان من العامة بقميص خلق) ضبطت خلق على وزن كتف والصواب (خَلَق) محركة .

ص ٨٤ س ٤ (الى ان غدت اكبادهـا السود ترجف) ضبطت ترجف بكسر الجيم والصحيح ضم الجيم .

ص ٩٠ س ٢ .

ذلك لي المـدام فاضحى لين العطف بعد طول شماس

ضبطت شماس بفتح الشين والصواب ضمها .

ص ٩٠ س ٧ امناء الله والكرام واهل الجود والعلم والتقى والباس (والكرام) الواو زائدة .

ص ٩٨ س ٢ (واعرضت عني كل ما فيه صلاح لـك وللمسلمين) والصواب (واعرضت عن) ولا شك انها من خطأ الطبع .

ص ٩٨ س ٦ (واحسب أحدا ما يواجهك بهذا) ربما كان الصواب (ما يوجهك بهذا) .

ص ٩٩ س ٧ (ومدحه جمال الدين ابو غالب محمد بن سلطان بن الخطاب) وعلق عليه في الحاشية ٢ (انه لم يعثر له على ترجمة) ولجمال الدين هذا ترجمة في الوافي بالوفيات .

ص ١١٨ من الجزء الثالث .

ص ١٠٠ س ١٣ (وكان ذلك على نهر شيخه وهو نهر يرمي الى الفرات) وعلق عليه في الحاشية ٨ (انه لم يجد لهذا النهر ذكرًا عند ياقوت لضبط اسمه) وقد ذكره ياقوت تحت اسم سنجه ويرجع في ذلك الى كتاب بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٦ والتعليق بالحاشية (١٣) .

ص ١١١ س ٦ (وقطع من كان ينازع الخلافة رداءها ويطهر المنابر من رجس الادعياء) ربما كان الصواب (وتطهير) .

ص ١١١ س ١٦ و ١٧ (فانهم لو بذلوا بلادهم كلها ما وفت بفتح مصر التي رحل بها أسامي الادعياء الزاكية اعوادها) ولعـل الصواب (التي ارجل بها أسامي الادعياء الزاكية اعوادها) .

ص ١١٩ س ٩ (ثم اعمال البقعه) ولعلها (باعشيقـا) من قرى الموصل كبيرة كالمدينة من نواحي نينوى في شرقي دجلة ولها نهر جار يشقها (مراصد الاطلاع) .

ص ١٣٨ س ٢ في قصيدة ابن سناء الملك هذا البيت :

واستعمل الجد فيها غير مكترث بالجد حتى كان الجد كاللعب

جاءت كان دون همزة على الالف وضبط الجد بضم الدال في حين ان كأن حرف تشبه والجد اسمها .

ص ١٤٥ س ١٤ في قصيدة لابن سناء الملك ايضاً :

اتى اليها يورد الخيل ملتطا فالبيض كالموج والبيضات كالحبب

ولعلها (فالبيد كالموج).

ص ١٤٥ س ١٧ وفي هذه القصيدة :

حمالهم من مخازيهم اذا قفلوا حمالة السبي لا حمالة الحطب

وربما كان الصواب (اذا قفلوا).

ص ١٤٦ س ٤ وفي القصيدة نفسها :

فليت كل صباح در شارقه فدا ليل فتى الفتيان في صلب

والصواب (ذر شارقه) بالذال و(فداء ليل) وهذا البيت يشبه بيت ابي تمام:

ابا سهري بليلة ابرشهر ذممت الي نوما في سواها

ص ١٤٨ س ١٢ (وكذلك فعل بابراج وقلاع وغيرهما) وابراج وقلاع هنا ليست اسماء امكنة وانما هي جمع برج وقلعة ويقصد المؤلف الى ان صلاح الدين كما فعل ببيسان فعل بابراج وقلاع غيرها.

ص ١٦٠ س ٥ من كلام العماد الكاتب يصف حصار الكرك (فأناف الابراج مجذوعه وثنايا الشرفات مقلوعه) والصواب (فآناف الابراج مجدوعه) آناف جمع انف ومجدوعة بالدال.

ص ١٦١ س ١ في قصيدة لابن سناء الملك :

تخر له الاملاك ذلا وانما يعز اذا خرت لديه من الذل

وربما كان الاولى (تعز اذا خرت).

وفي القصيدة :

وارجلها لو قطعت كسرت بين عليها لدم والصل يسعى بلا رجل

والصواب (لسرت) والضمير يعود للخيل.

وفيها :

وصبحت أخرى صبحتك باهلها وستك اذ شيت وهي بلا اهل

والصواب (اذ سيت) بالسين.

وفيها ايضاً :

احسوا بطل للخريف فجاءهم ربيع من النيل المسدد بالوبل

والصواب (فجادهم) بالدال و(من النبل) بالباء لا بالياء جمع نبلة .

ص ١٦٢ س ٢ ومنها :

وما شرقوا بالماء والرفق اذ رأوا جيوشك لـكن بالفوارس والرجل

ولعل الصواب (والريق) بالياء .

ص ١٦٦ س ١٥ (وانما مقصوده ردهم الى طاعة الخليفة ونصرة الاسلام وردهم عما اعتادوه من الظلم واستحلال المحرم) وربما كان الاولى (وردعهم عما اعتادوه) .

ص ١٦٧ س ١ (وابوه زين الدين هو بيتهم وشيد امرهم) ولعله (هو بنى بيتهم وشيد امرهم) .

ص ١٧٢ س ١٥ (وقام يضبط الامور والجلوس في كل يوم في النوبتية) والصواب (وقام بضبط الامور) .

ص ١٨١ س ٠٧ (وعلم نجاح تقي الدين في ركوب تلـك اللجة) ولعله (وعلم لجاج تقي الدين) .

ص ١٩١ س ٣ (فايقنوا بعـده بالبوار واشتجر فيهم القتل والاسر) والصواب (واشتجر فيهم) اي اشتد .

ص ١٩٣ س ٢ (ومن البارونية من اخطأه البوار فاصابه وساءه الأسار) وربما كانت (فاصابه اسار الاسار) الاولى بمعنى الحبل والقيد والثانية الاسر .

ص ١٩٣ س ١٢ (وايس الناس اذ لا انتعاش للملة) ولعلهـا (وايقن الناس) او (وايس الناس من انتعاش الملة) .

ص ١٩٧ س ١٢ (وهو في عناء من سقمه قال فقيل له ان الله تعالى ايقظك ولن يمينك من السوء سواه) ولعلها (ان الله تعالى انقهك) .

ص ١٩٦ س ٨ من قصيدة ابن الساعاتي :

تخال حماة حوزتها نساء يخوضون الحديد متنبنا

ضبطت حماة بضم التاء. والصواب بفتحها جمع حامي لا حماة البلدة المعروفة.

ص ٢٠٠ س ٦ ومن القصيدة .

سهاد جفونها في كل فج سهاد يمنح الغمض الجفونا

واملها (في كل فج) .

ص ٢٠٠ س ٧ :

فقلب القدس مسرور ولولا سُطاك لكان مكتئباً حزينا

ضبطت سطاك بضم السين وهي بفتح السين .

ص ٢١١ س ٢ (فجاءت كالفتح بالفلك المواخر) وفي الفتح القدسي للعماد ص٣٦ (فوافت كالفتح الكواسر بالفلك المواخر) .

ص ٢١٠ س ٤ (والحاجب لؤلؤ مقدمها ومقدامها وضرغام غابتها وهمامها) ولعلها (وضرغام غابتها) بالباء الموحدة لا بالياء المثناة وفي الفتح القدسي(غابها) بالباء.

ص ٢١٢ س ١٠ (لقد تحاذر (كذا) اهل الخبرة عدة من كان فيه من المقاتلة بما يزيد على ستين الفا) . وهي (تحازر) بالزاي لا بالذال ولا حاجة عندئذ لوضع كلمة (كذا) بعد تحاذر .

ص ٢٢١ س ٢ (وعرّج به منه الى السموات العلى) ضبطت عرج بتشدد الراء والصواب عرج بالتخفيف .

ص ٢٢٥ س ١ (واياكم ان يستذلكم الشيطان) والصواب (يستزلكم) بالزاي لا بالذال من الزلة لا من الذلة .

ص ٢٣٥ س ١١ و ١٢ و ١٣ من قصيدة ابن سنا الملك (وتاجاً وطيلسانا وردنا)ضبطت الراء بالكسر والصواب ضمها.(فلا الرمح تثنا ولا المهند ظنا) ولعلها طنًا بالطاء المهملة . (ولم يثنى عليها) والصواب ولم يثن لانها مجزومة بلم .

ص ٢٣٦ من قصيدة ابن سناء الملك .

ونصيدهم بحلقة صيد يجمع الليث والغزال الاغنا

وقد ضبطت الاغن بضمة على الغين وهي مفتوحة .

وجرت منهم الدماء بحارا فجرت فوقها الجزائر سفنا

وربما كانت (الحوائر) ويقصد بها الكرائم من الخيل :

صَنَعْتَ فيهم وليمة عرس رقص المشرفي فيها وغنى

وقد ضبطت صنعت بفتح تاء المخاطب والصواب صَنَعَتْ والضمير يعود الى حلقة الصيد وضبطت رقص بتشديد القاف والصواب التخفيف .

واللعين الابرنس اصبح مذبوحاً بيمين لم يعدم الدين يمنا وربما كانت الاولى .

واللعين الابرنس اصبح مذبوح بيمين لم تُعدم الدين يمنا ومعلوم ان صلاح الدين هو الذي قتل الابرنس بيده :

وغادت عرائس المدن تخلا وغار الآمال منهن تجنا

والصواب (تجلى) لا تخلا .

لا يغص الشام منك التواني كل صقع وكل قطر جنى

والصواب(الشآم)ليصح الوزن وقد ضبطت صقع بكسر الصاد والصواب ضمها .

ص ٢٣٨ س ٣ من شعر الملك تقي الدين عمر بن شاهنشاه :

شرك هذه الاماني فبالله كم واقع بغير خلاص

ضبطت شرك بكسر الشين وسكون الراء والصواب شرك محركة وبهذا يستقيم الوزن والمعنى .

فكأنما الدنيا ببهجة حسنها تحلا على اذا رايتك مقبلا

والصواب (تجلا) من جلوة العروس لا من الحلاوة .

ص ٢٤٠ س ٨ (وكانت الالسنة ربما صلقة) والصواب سلقة بالسين .

ص ٢٤١ س ٨ (واستحكم وهنه وضعف ركنه وزاد حسنه وزال حزنه) والصواب (وزال حسنه وزاد حزنه) .

ص٢٤٢س ٩ (فأن الذي سيرت الينا بالأمس قد نفدت) والصواب (قد نفد).

ص ٢٤٥ س ٦ (فكان ذلك الشواني لجدوى لضيق المجال [كذا]) وربما كانت العبارة (فكانت تلك الشواني قليلة الجدوى لضيق المجال) .

ص ٢٥١ جاء في الحاشية (١) ان نص ابن الإثير (من غرغاء الحاج العراقي وبطاطيهم وطاعتهم العالم الكثير) وفسر البطاطي بأنه يفهم منها انها مرادفة

لغوغا. وطاءة واورد شواهد من القاموس واللسان تفيد ان البطيط العجيب ورأس الخف بلا ساق والداهية .

والذي ارجحه ان بطاطيهم محرفة عن بطاليهم من البطالة .

ص ٢٥٤ س ٤ (وتجنب عقبة فيق) وضبطت بفتح الفا. والصواب كسرها او هي أفيق على وزن عتيق .

ص ٢٥٤ س ٢١ (ولم يكن من رأيه التوزع والسكون واضاعة الحزم) ولعل الصواب (التودع) بالدال من الدعة وان كان للتوزع وجه ايضاً .

ص ٢٦٢ س ٢ (مقابل قرنه من السور) ولعل الصواب (قرنة) بالتاء المربوطة وكذلك في س ٨ .

ص ٢٧٠ س ١٤ (ووجد السلطان ابن اخيه الملك المظفر قد عمر قلعة حماة وحصنها وعمر خنادقها) وقد يكون الصواب (وعمق خنادقها) بالقاف .

ص ٣٠٠ س ٩ (يفرد كل شيء على مستحقه ولم يعدم الا القليل وضبطت يعدم بالبناء للمجهول والاولى بناءها للمعلوم .

ص ٣٠٢ س ١٤ (وجاءتهم في البحر مراكب اخلفت من عدم منهم بالبناء للمجهول والاولى (من عَدِم) بالبناء للمعلوم .

ص ٣٠٣ س ٤ (وامر اهل عكا باغلاق ابوابها ووجد بذلك الفرج) وقد سقطت كلمة الفرنج قبل الفرج لانهم هم الذين جاءهم بذلك الفرج .

ص ٣٠٤ س ١٨ (والخيل قد ضجرت من عرك اللجم) والصواب (من علك اللجم) باللام لا بالراء .

ص ٣٠٧ س ٥ (وثار ثائرها وسار سائرها وطار طائرها ونقضت خزائنها) والاولى ونفضت خزائنها بالفاء وان كان للاولى وجه ضعيف .

ص ٣٥٢ س ١٣ (العدو الذي قد استفحل امره واستشر شره) والصواب (استشرى شره) .

ص ٣٥٣ س ٨ (الا وقد طال ظهرها وقل وقرها) وقد يكون الاصوب (وفرها) بالفاء .

ص ٣٥٣ س ١٣ (ويوماً بالنقب وليلا بالسرايات وطوراً بطم الخنادق واناة بنصب السلالم) والصواب (واناء) كسحاب ومن معانيها الوهن والساعة من الليل .

ص ٣٥٤ س ٥ (وهذه ابراج وستائر للرجال ومنجنيقات من العطب لا تؤثر فيها الحجارة الرامية ولا تعمل فيها النار الحامية).وارى ان صوابها (منجيات من العطب) لا منجنيقات .

ص ٣٥٧ س ١٧ (ويعز عليهم) وعلق في الحاشية (٥) بما يأتي (كذا بالاصل ولا يستقيم بها المعنى) ولعله (وتغر) بالتاء والغين او (ونعر) بالنون والعين وكلاهما يفيدان معنى الغضب والصياح .

ص ٣٦٨ س ١١ (وقتل من العدو كند عظيم وقاتل دون جماعة من مقدميهم فما قتل حتى قتلوا) والصواب (وقاتل دونه) .

ص ٣٦٩ س ١٩ (وكان بلدا خفيفا محكم الاسوار عظيم البناء) والاصح (حصيناً) لا خفيفاً .

ص ٣٧٢ س ٤ (وهو يُقطع الدواية الاسبتاريه ما اراد من البلاد) والصواب (والاسبتاريه) لان هؤلاء غير اولئك .

ص ٣٨٦ س ٦ (انكم جند الاسلام اليوم ومنعته) وقد ضبطت منعة بكسر الميم وسكون العين والصواب (منعة) محركة جمع مانع .

ص ٤٠٨ س ١٠ في سياق كلامه على عزم السلطان على الحج وامره بتهيأة الازواد والنفقات (ثم فند السلطان في عزمه) والصواب (ثم فتر) من الفتور.

ص ٤١١ س ١٩ (والملك في الظاهر لابنه وفي الحقيقة ليس لابيه الا مجرد الاسم) والصواب (والملك في الظاهر لابيه) .

ص ٤١٢ س ٩ (فجمع الاوجية [كذا ؟ الاجناد] الاوجية جمع عربي لكلمة تركية وهي آوجي ومعناها الصياد ثم اطلقت على الجنود الرماة .

ص ٤٣٦ س ٧ (ثم ينهض الى خيمة خاص له ينام فيها) (خيمة خاصة) كما ورد في تأليف القاضي بن شداد .

ص ٤٣٨ س ١٠ (ولقد قلبت في خزائنه كيسان من الذهب المصري

وكيـان من الفلوس) وعلق في الحـاشية ١ ان الاصل (وكيـين) والصحيح (بـكيـين) بمعنى ان الذهب بدل به الفلوس وهكذا اوردت في تاريخ ابن شداد.

ص ٤٣٩ س ٨ (وخاب الراجون وعاب الملاحون) وفي الفتح القسي للعماد (وغاب اللاجون) تخفيف اللاجئون .

ص ٤٣٩ س ١٠ (ضحوكا بهابة فحوما بجلالة) ولعله (مازحاً بجلالة) .

ص٤٣٩ س ١١(معصب الكبائر ولا يسامح بالصغائر) ولعله(يغضب للكبائر).

ص٤٤٣ س١٠ (عضد الله به الدين) ضبطت بتشديد الضاد وهي بالتخفيف وقد سبق ان انتقدها الاستاذ الدكتور مصطفى جواد في تصوبياته عن الجزء الاول .

ص ٤٤٥ س ٢ (وليأتي الله به بنيان الاعداء من القواعد) والصواب (على بنيان الاعداء) بزيادة على .

ص ٤٤٦ س ١٣ (فما اعترض ليل كربة الا انصدع له عن فجر وضاح ، ولا انتقض عقد غادر الا عاجله الله سبحانه بأمر فضاح ، ولا انقطعت سبل نصرة الا وصلها الله تعالى بمن يرسله) وقد سقطت هنـا كلمتان او ثلاث ولعلها (بمن يرسله من الانصار النُّصَّاح) او ما في هذا المعنى .

ص٤٤٨ س ١ (استشرفتك الصدور وتطلعت اليك عيون الجمهور واستوجبت عقيلة النعم بما قدمت من المهور) وقد ضبطت (استوجبت) بسكون التـاء الثانية والصواب فتحها .

ص ٤٤٩ س ١ (فمن درك قاتلت بجبرك قبل عسكرك ونصرت بانيرك قبل عشيرك) ولعل الصواب (باثرك) .

ص ٤٤٩ س ١٨ (ودفعت الخطب الاشق ، وطلعت انوار النصر مشرقة بك وهل تطلع الانوار الا من الشرق) ولعـل الارجح ان تكون الجملة (وطلعت وانوار النصر) بتاء المخاطب .

ص ٤٥٠ س ٧ (وتدبير مـا عدقه الله بأمير المؤمنين من امور اوليائه اجمعين) والصواب (عذقه) بالذال بمعنى اناطه .

ص ٤٥١ س ١ (فهي وان كانت لك عادة وسبيل لاحب الى السادة ؛ وردت لاحب مضافة الى سبيل وربما كان الاولى (وسبيلا لا حبا) .

ص ٤٥٢ س ١٣ (والمصاف التي ضربت فكنت ضارب كماتها) ضبطت المصاف بكسر الضاد دون تشديد وصوابها مشددة بمعنى القتال .

ص ٤٥٢ س ١٤ (والتدريب الذي اطاق جدك ، والتجريب الذي اورى زندك) ولعل الصواب (الذي اذاق حدك) .

ص ٤٥٥ س ١٠ (وروحنا اذا هوت فيه الدوحات اينعت الضروع سابقة النور باسقة الثار) ولعلها بائقة النور .

ص ٤٥٧ س ٢ و٣ (وموهبة تشد موضع الكلم وتسد موضع الثلم) ولعلها (تشد جوامع الكلم وتسد مواضع الثلم) .

ص ٤٥٨ س ٢ (وقلب عليك اسناد الفتكات فتقلبت ، واوضح لك منهاج البركات فتقبلت) ولعلها (فتقيلت) بالياء المثناة من تقيل اباه اشبهه .

ص ٤٥٨ س٩ (وهذا المسند الجامع من قديم الفخر وحديثه لاغنتك غريزة عزيزة وسجية سجية) ولعل الصواب (من قديم للفخر وحديث لاغنتك غريزة غريزة وسجية سخية) .

ص ٤٥٨ س ١٣ (وخلال جلال عليك شواهد انوارها تتوضح ومباعي مساعد لديك كمائم نورها تتفتح) وعلى الارجح (ومساعي مساعدة) وقد تكون من خطأ الطبع .

ص ٤٥٨ س ١٤ (فكيف وقد جمت لك في المجد بين نفس واب وعم ، ووجب ان سألك من اصطفاه امير المؤمنين ماذا حصل ثم على الخلق عم) لعله ووجب ان نالك من اصطفاه امير المؤمنين ما اذا حصل .

ص ٤٥٨ س٢١ (على ان قلدك تدبير مملكته الذي اعرقت في ارثه واغرقت في كسبه) والصواب (التي اعرقت) لا الذي .

ص ٤٥٩ س ١٠ (وتبوأ منها صدرا لا تتطلع اليه عيون الصدور ، واعتقل منها درجة على مثلها تدور البدور) والصواب (واعتلِ منها درجة) .

ص ٤٥٩ س ٢٠ (واسحب ذيول الفخار حيث لا تعمل التيجان واملأ لحظا من نور الله حيث تتقي الابصار لجيد الاجفان) والارجح (واملأ لحظك من نور الله) .

ص ٤٦٠ س ١١ (فهم وهم يد في الطاعة على من ناواهم يسعى بذمتهم ادناهم ، وتحاكم فيهم وانت عند امير المؤمنين أعلاهم) ولعلها (وتحكم فيهم).

ص ٤٦٠ س ١٩ (وعرفهم بركة سلطانك ، واقتدِ قلوبهم بزمام احسانك) ضبطت الدال من واقتد بالكسر والصواب سكونها من الاقتياد لا من القدوة.

ص ٤٦١ س ٢ (والجهاد فانت راضع دره وناشئة حجره وظهور الخيل مواطنك وظلال الجيل مساكنك ، وفي ظلمات مشاكله تجلى محاسنك) ولعل الاولى (وناشئ حجره) (وظلال الليل مساكنك) لا الجيل .

ص ٤٦١ س ٧ (والاموال: فهي زبدة صلب اللطف لا العنف ، وجمة يمتريها الرفق لا العسف) ضبطت جمة بضم الجيم والصواب فتحها بمعنى مجتمع ماء البئر .

ص ٤٦١ س ١٥ (لاستغنيت عنها بفطنتك الزكية وفطرتك الذكية) ولو نقلنا الزكاء الى الفطرة والذكاء الى الفطنة . كان اولى .

ص ٤٦٧ س ١١ (فتزل طريقاً بها واخلا على نقيل السود [كذا]) ولعل الصواب (واطل على نقيل صيد) ونقيل صيد بالقاف جبل عظيم والنقيل بلغة اهل اليمن العقبة وهي بيد مخلاف جعفر وبيد حقل ذمار وفي رأسه قلعة تسمى سمارة كما جاء في مراصد الاطلاع .

ص ٤٦٨ س ٤ (ثم اخذ حصن نادية وشرباق وحط على عُزّان ذخر) وعلق عليها بما يلي : كذا بالاصل بدون نقط او ضبط وكان الاولى ضبطها بفتح عين عزان وتشديد الزاي وذخر ككتف كما جاء في القاموس .

ص ٤٧٠ س ١٠ (فاضحى الدين واحداً ابعد ما كان اديانا والخلافة اذا ذكر بها اهل الخلاف لم يجزوا عليها الا صما وعميانا) ضبطت الخلافة بفتح الآخر والصواب الضم لأنها معطوفة على الدين .

ص ٤٧٠ س ١٥ (وقطع دابرهم ووعظ آتيهم غابرهم) والصواب (ووعظ آتِيَهم غابرُهم) .

ص ٤٧٠ س ١٨ (ولا خفاء عن المجلس الصاحبي أن من شد عقد خلافه وحلى عقد خلاف) والصواب (وحل عقد خلاف) .

ص ٤٧١ س ٢ (وتلي دعوته بما اقام من دعوة ، وتوصل غزوته بما وصل من غزوة) واصلها (وتوصل عزوته) بمعنى النسبة .

ص ٤٧٢ س ١٦ و١٧ (مفتقرة الى نصرة من الله يملكها ونظره ستدركها، رافعة يدها في اشكائها ، متظلمة اليه ليكفل بأعدائها على اعدائها) وربما كان الصواب (نصرة من الله تملكها ونظرة تدركها و(ليتكفل باعْدائها على اعدائها) واعدائها الاولى بكسر اولها مصدر من اعدى بمعنى اعان .

ص ٤٧٣ س ٧ (وزهدنا فيه من قناع الدنيا القليل) والصواب (من متاع)

ص ٤٧٤ س ٨ (من عارضها ردت احكامه ، ومن ناقضها نقض زمامه) والصواب (ذمامه) بالذال .

ص ٤٧٨ س ١٤ (واذا بعث اسطولا الى بعض الثغور انهض فلانا من عنده وبقي في البلد وحده) وربما كان الصواب (انهض فلان مَن عنده) ففلان فاعل انهض ومن اسم موصول لا حرف جر .

ص ٤٨٠ و ٤٨٢ الملحق رقم ١١ والملحق رقم ١٢ وضع عنوان كل منها للآخر خطأ طبع .

ص ٤٨٩ س ١٩ (وغزا ساحل الحرم فساء منه خلقا ، وخرق الكفر من هذا الجانب خرقا) والصواب (فساق منه خلقاً) .

ص ٤٩٠ س ١٠ وذلك ان بني عبد المؤمن قد اشتهر ان امرهم قد أمِر ، وملكهم قد عمر) والصواب (ان امرهم قد امر) امر على وزن سمع كثر وعظم ومنه قول ابي سفيان للعباس يوم فتح مكة اني ارى ان امر ابن اخيك قد امر .

ص ٤٩١ س ٢١ (ونزل الفرنج على بانياس واشرفوا على احتيازهـا ، ورأوها فرصة مدّ وأيد انتهاژها) والصواب (مدوا ايديهم الى انتهازها .

ص ٤٩٤ س ٩ و١٠ (والا فقد قضت الليالي والايام على تلك الامور.وما تحركت للفلك في قلمها نابضة ، وغيرت الاحوال على تلك البدعة وما ثارت لافراسها رابضة) ولعل الصواب (مضت الليالي) و(غبرت الاحوال) بالباء الموحدة لا بالياء .

ص ٤٩٥ س ٢ (قد بورك للخادم في الطاعة التي لبس الاوليا. شعارها ، وامضى في الاعداء شفارها) ولعل الارجح (التي لبس للاوليا. شعارها) .

ص ٤٩٧ س ١٢ (فلم يبقَ طاغية من طواغيهم ، ولا اثفيه من اثافيهم الا الجم واسرج واجلب وارهج وخرج واخرج) وقد ضبطت الجم وخرج بالبناء للمجهول ولعل الاولى ان يكونا للمعلوم (أَلْجم واسرج وخَرّج واخرج).

ص ٤٩٨ س ٤ (وكاما يجن القتل من عددهم مائة اوصلهسا البحر ومَن يصل وراءه باب) ولعل يجنّ (يحين) من احان اهلك (وممن يصل من ورائه).

ص ٤٩٩ س ٦ (وغضباً لله ولدينه ، وبذلا لمذخوره في الـذب عنه دون ما عوده) والاقرب ان تكون (دون ماعونه) .

ص ٤٩٩ س ٩ (وقد استشرف المـلمون طلوعهـا من جهة المحروسة جاراً من الأساطيل تغشى البحار) ولعلها (جواري من الاساطيل) .

ص٤٩٩س ١٩ (وقد اوفدناه على باب حضرة سيدنا وهو الداعي المسمع والمبلغ المقنع والمجمع المستجمع ،علمناه امرا يسرا وبوأناه الصدر فكان وجها وأودعناه السر فكان صبرا) ونرجح ان يكون (علمناه امرءا يسرا) لا امرًا وهـذه العبارة في وصف رسول صلاح الدين الى المنصور بن عبد المؤمن ملك الغرب.

ص ٥٠٦ س ١٥ (وليفتح بقية ما لم ينقطع بتقطع يد الشرك من حبله) ولعلها بتقطيع او بقطع يد الشرك .

ص ٥٠٦ س ٢٢ (واذا امن المؤمن على هذه الدعوة رجا ايجابها) (رُجي ايجابها) بضم الراء .

ص ٥٠٧ س ١٣ (فركب الاجاج العجاج وامتطى من البحر مشية الرجاج) ولعلها (مطية الرجاج) .

ص ٥٠٨ س ٤ (وحصرنا منازلهم من العدو من جهة جانب البر فحدقوا على انفسهم وحثوا التراب على رؤوسهم) وربما كانت (فخندقوا على انفسهم) .

ص ٥٠٩ س ١٢ (ولو ترك سبيلها لملأ قراره كل واد) والارجح (لملا قرارة كل واد) .

ص ٥١٣ س ١ (وما هو الا ان يهرب تماركان منا فيستريان على اطراف بلاده) والصواب (فيستريا) .

محاضرات في القصص في ادب العرب ـ ماضيه وحاضره

للاستاذ محمود تيمور

جامعة الدول العربية ١٩٤٨ – المطبعة الكمالية ص ٧٧

محاضرتان القاهما الاستاذ محمود تيمور على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العالية لجامعة الدول العربية .

كتيب لا يتعدى الـ ٧٧ صفحة يحث فيه الكاتب في محاضرته الاولى مذاهب الادب من الكلاسيكية الى الواقعية الحديثة مروراً بالرومانطيقية فالواقعية فالرمزية فما فوق الواقعية فالوجودية .

يلم الكاتب المامة عابرة بهذه المذاهب والاتجاهات فيدرس اسباب نشوء كل منهب ودواعي رسوخه وقوة تأثيره في بيئتـه . وينهي درسه باسترعاء انتباه سامعيه الى موضوع دراسته القريبـة حول موقف الادب العربي من هذه المذاهب والاتجاهات ومكانه منها وتأثره بها وتأثيره فيها .

في المحاضرة الثانية يتطرق الكاتب الى دراسة القصص في ادب العرب . فيبين اهمية القصة في حياة العرب والدور الذي مثلته في كتبهم قديما وحديثها . وهو يرى في تهافت الجماهير على القصاصين وفي اخبـار العرب وايامهم وبعض قصائدهم وغيرها وفي كتب الف ليلة وليلة واساطير لقمان وما اليها ان العرب امة قصصية بالطبع . وبالتالي فادبنا القصصي الحديث يحمل لقاحه وبذوره من القصص العربي القديم ، وهو ان يلمس العجز الفني في قصتنا العربية قبل نهضتها الاخيرة لا يستسلم للتشاؤم بل ينظر باعجاب وتفاؤل الى النهضة القصصية التي بواسطتها سيشارك الادب العربي ركب الحضارة في كشفه عن خصائص الانسانية الخالدة في اطار من القصص الفني الرفيع . ان المحاضر متفائل بمستقبل القصة العربية الفنية وينقل تفاؤله هذا الى سامعيه وقارئيه مشجعاً القصة والقاصين وذلك باسلوب شيق يعرف الاستاذ تيمور ان يلج به القلوب .

يوسف ضرغام

محاضرات في فن المسرحية

للاستاذ علي احمد باكثير

جامعة الدول العربية ١٩٥٨ – المطبعة الكمالية ص ٩١

هو الاستاذ ينقل اختباراته للطلاب في سلسلة من محاضرات القاها السيد علي احمد باكثير على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية التابع للجامعة والدول العربية .

كتيب في ٨٩ صفحة تكلم فيها المحاضر عن الفكرة الاساسية في المسرحية وعن غنى المواضيع من تاريخية ودينية وسياسية واسطورية وغيرها .

يشرح الاستاذ كيف ان المسرح فن درج عليه الاقدمون وكيف انه تعبير عن شعور وتصوير لحياة .

والمحاضر يتكلم عن هذا الفن من خلال تجاربه الشخصية منذ بدء اشتغاله بالتأليف المسرحي : يواجه مشاكل الفن المسرحي من حيث قواعده وعناصره . . .

وفي كل هذه الابحاث يعطي امثلة من مسرحيات له ذات قيمة كتابية تدل على تفكير شخصي وقوة في التعبير والاداء .

وهو مع ذلك عالم بالمسرح الغربي وقد اعده وبالخصوص المسرح الانكليزي حيث يعجب بشكسبير لانه شاعر قبل كل شيء وشاعر يجمع بين الشعر القديم والفن المسرحي الحديث .

فالاستاذ كاتب مسرحي مجدد يوجه تلامذته نحو نهضة مسرحية عربية تستمد عناصرها من المحيط العربي وتؤدي بلغة عربية قد تكون شعرية او شعرًا مرسلًا او اللغة العامية .

يوسف ضرغام

محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي

للدكتور محمد مندور

جامعة الدول العربية ١٩٥٨ – مطبعة الرسالة ص ١١٨

القاها الدكتور محمد مندور على طلبة قسم الدراسات الادبيـة واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية لجامعة الدول العربية .

كتاب صغير الحجم يبحث فيـه الكاتب حالة الشعر المصري اليوم ويثني على الشعر الوجداني الذي خرج على التقليد في الادب . بعـد ان كان الشعر العربي القديم يستمد مادته من الحياة مباشرة طغى التقليـد على الشعر العباسي وما تبعه حتى لقد اصبحت ابواب الشعر لا تتعدى مدحاً او هجاء او غزلاً . . . الى ان جاء رائدو النهضة الشعرية الحديثة التي كان من حاملي اعلامها الاستاذ محمود سامي البارودي الذي خلص الشعر العربي من التفاهة والزخارف اللفظية. وعلى هذه الطريق سار الاستاذان العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري الـذي اراد الشعر وجداناً وصدقا .

شعر الوجدان والتعبير عن الحياة هذا شق طريقه في صفوف شعراء المهجر ولاقى رواجاً خاصة عند جماعة ابوللو الذين عملوا على تخليص الشعر من التقليد والجمود . وطالبوا بالشعر الذي يصدر عن النفس ويصور مـا في الوجدان من آلام وآمال واشواق .

فالكاتب يدرس ويحلل في مجموعة محاضراته بعض ابيات وقصائد لشعراء وشاعرات من مصر اتبعوا هذا التيار الوجداني فاجادوا بتصوير حالاتهم النفسية وصدقوا فيما غنوا فجاء شعرهم مرآة لنفوسهم ولعصرهم ومحيطهم .

وفي الكتاب ضمّة من هذا الشعر المعاصر الذي يدخل بك الى اعمـاق نفوس قائليـه . ولقد احسن الكاتب اختيار قصائده ودرسهـا ببعض اسهاب فاعطانا عن شعراء مصر بعد شوقي صورة مصغّرة ولكنها واضحة .

يوسف ضرغام

المشرق

السنة الثالثة والخمسون — آذار – نيسان ١٩٥٩

محاكمة المسيح

نشيد للشاعر رومانس المرنم

نقله عن اليونانية وعلق عليه
الأب نقولاوس قادري ق . ب

توطئة

وانتصب الحق متجسداً أمام رجال القضاء. يحكم بصمته النيّر على عربداتهم وشاياتهم المختلقة الكاذبة .

وقف المسيح امام منابر الحكم العديدة : الدينية والسياسية والمدنية والشعبية . وكان القضاء — آن قدم المسيح للمحاكمة — قد تبرأ من العدل والحق ، وتجلبب برداء الظلم ، وتقنع بستار الغيرة الكاذبة والاندفاع الذميم على الرسوم والشرائع المتحجرة في عقول الكتبة وقلوب الفريسيين الصخرية . وقد تبرقعت نفوسهم بقناع التصلب والتجمد الفكري .

.. وراح النور يرتسم امام عيون القضاة بشخص من الحب والتواضع ويتمثل

الحبّ امام البغض والحقد ، ويصمد الغفران امام التعدي والاقتراف الإثم. ويمثل الحق امام البطل والخداع فيبعث النور ويبرز سرائر الضمائر واعماقها .

وانهالت على المظلوم الصامت وشاية الاجرام وشكايات الاحقاد والضغينة بنوع انه لم يبقَ في اورشليم ولا منبر للقضاء الا واعمل في البريء الهادئ فظائع السخط وأوقع به عقاب الجلد واللطم والسخرية. واخيرًا أماتوه مصلوباً على خشبة الصليب مات وقد كتب بموته الانتصار والغلبة باحرف العذاب والالم المرير.

وكأني بالشاعر رومانس وقد اخترق حجب الزمان الكثيف واندفع توًا الى مشاهد تلك المأساة الاليمة يوم مُثلت وقائعها لاول مرة في قصور اورشليم وفي ساحاتها وشوارعها وعلى جبالها وتلالها . وقد حضر الشاعر هذه المأساة الوحيدة حضرها بالخيال والعاطفة فانبجست من ينبوع قلبه وذاكرة خياله وتفكيره قوية شديدة ترسم لنا باحرف من الجمال والاناقة ما يشعر به المتعبد الخاشع والمتأمل الصامت في آلام يسوع وخصوصاً في هذا المشهد الكبير المؤثر : محاكمة الاله الانسان.

فهذه اللوحة من مشهد الآلام والعذاب تتطلب انتباهًا واصغاء دقيقاً وقد استطاع رومانس ان يمر امام باصرتيه وذاكرته الدقائق السراع التي هابت بعاطفته الدينية وشعوره المرهف الى الانتفاض بالاحساس الحي والالم الخصيب.

ونشيد « محاكمة المسيح » هذا هو واحد من الاناشيد الثلاثة التي وضعها رومانس ليوم « الجمعة العظيمة » فكان للكنيسة ان تختار اما « الحوار بين مريم ويسوع الذاهب الى الصلب » واما « نكران بطرس للمعلم الالهي » او اخيرًا نشيد محاكمة المسيح » الذي نزفه اليوم الى روّاد الشعر وعاشقي الفن والجمال ونقدمه نتمة جديدة لخواطر القراء الكرام .

ولهذا النشيد مقدمتان وثلاث وعشرون مقطوعة تتماسك بهذا التوزيع :

مزمور الالام لرومانس Εἰς τὸ Πάθος ψαλμὸς Ρωμανοῦ

فالمقدمة الاولى تتعلق مباشرة في المقطوعة الاولى . وفي المقدمة الثانية يتكلم الشاعر عن زوال العداوة الكائنة بين الله والانسان وولوج هذا الاخير الى للفردوس بواسطة آلام السيد المسيح .

يَبدأ الشاعر بالمقطوعة الاولى فيحرض الطبيعة من سماء وارض وشمس وعناصر لتشترك في آلام المسيح (مقطوعة اولى) ثم يتكلم عن علاقات الانسان مع

الاله المتألم بالطبيعة البشرية (م ٢) ثم يمثل يسوع امام منبر رجال الدين ويحاكم بحضور قيافا (م : ٣ و٤ و٥) .

وتبدأ المحاكمة السياسية فيأخذ الجنودُ يسوع ويقودونه الى عند بيلاطس (م : ٦ و٧) ثم تليها المحاكمة الشعبية فيخاطب يسوع الشعب ويسألهم عن سبب تسليمه (م : ٨ و٩ و١٠) ويجاوب على تُهمهم ويفند مزاعمهم (م : ١١ و١٢) اما الشاعر فيوقع المسؤوليات على الحاكم الذي حقق ارادة الشعب ولم ينظر الى البري. ليطلق سبيله (م : ١٣ و١٨) ويشرح الشاعر غاية الصلب (م : ١٤) ومعنى الآلام الرمزي والعقائدي (م : ١٦—١٨) ويتكلم عن علاقة الالم بالحياة البشرية عن موت المسيح ودفنه وما سبق ذلك من الرموز التي تجمعت في اشخاص ابرهيم واسحق ويونان (م : ١٩—٢٠) واخيراً يحث الشاعر المؤمنين على الاستعداد الداخلي لاقتبال نعمة المسيح في نفوسهم ليتجددوا بحياة القيامة الجديدة والفرح الخالد والانتصار الرائع (م : ٢١—٢٣) .

وهكذا من مزيج المحاكمات العديدة والمنابر المختلفة المتنوعة يصوغ رومانس المرنم لوحات الآلام ونشيد « محاكمة المسيح » .

هذا هو النشيد بإيابه الخارجي ويتألف من ثلاثة وعشرة ابيات من الشعر الموزون بعدد المقاطع والنبرة الصوتية .

وبالرغم من نسيان الليترجيا لهذا النشيد وعدم ادخاله في الصلوات الفرضية الرسمية فهو لا يخلو من الروعة والفن والقوة في التأليف وانسجام الابيات والمقطوعات في قالب يطفو بالجمالات الفريدة التي تسيطر على عديد المشاهد والابتكارات الخيالية والنفس الملحمي والوثبات الشعرية الغنائية ولوحات مترعة بالتحليل النفسي ودرس الاشخاص درساً مسهباً وواحداً في تسلسل واتساق المقطوعات .

ويزين هذا النشيد ما يتخلله من حوار ووصف وألوان محلية ناطقة يستعير الشاعر للتعبير عنها عناصر شعرية متعددة ومتلونة فهنا النداء الصاخب :« اذهلي مرتعدة يا سماء » ! يا ارض عودي الى الخواء ! وهناك الامر الجازم : « لتنشق الصخور » و«ليصدّع حجاب الهيكل » وهناك الاستهزاء المرير :« حافظ الاعمى على عديد من سبوت وظل يربطه ظلام » (م : ١٠) و«انتم غالباً تحلون السبوت وانا ما خرجت من حضن الآب لاجل السبوت » (م : ٩) .

ويبدو رومانس شاعر المسرحية الموفقة بمشاهدها المتنوعة والمندفعة بقوة وعنف كما في المقطوعات (١ و٩ و١٤ و١٥) بينما العمل المسرحي يسير بهدوء واطمئنان كما في المقطوعات (١٧ و١٨ و٢٠ و٢٢) ويخف العمل الدراماتيكي والحوادث ويسود السلام ويعمق التأمل في المشاهد المقتضبة كما في المقطوعات (٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣) ويسيطر روح الشعر الغنائي على هذه اللوحات فيندمج الشاعر بعاطفته وبايمانه وتأملاته بعواطف وشعور الشعب ويحس بالعاطفة التي تتفجر من مشاهد الآلام ليحسّ ويشعر كما لو كان هو نفسه على جبل الجلجلة يتألم مع المسيح ويصلب معه :« خذ ، يا مخلصي ، مالي حتى آخذ انا مالك ؛ بموتك انا حييت ، وانت وضعت في قبر (م : ٢) ويرافقه عبر المسير الطويل حتى الى جبل الاستشهاد :« اما نحن فنأخذ دم المخلص ونمجد الفداء. ليفرح آدم المنفي لنيله الخلاص . » (م : ١٧) وينظر اليه نظرة المطمئن الى الخلاص والفداء الشامل :« عارياً علق على صليب فألبس الاشقياء حياة وأظهر الابتسامه للاموات وللاحياء . » (م : ٢٢) :

ويكثر رومانس في هذا النشيد من استعمال الكلمات والاوضاع الشعرية يستعمل كلمة (ζόφος) ظلمة بمعنى (Σκοτεία) وكلمة (τὸ πάρος) قبلا بمعنى (ποτέ) ومرض (νόσος) ومجد (κλέος) وجنب (πλευρά) وقدم (ἴχνος) وطيب (μύρος) وعمود (στῦλος) وراعد (ὁ βροντῶν) وكلها اوضاع تجسم الافكار العميقة والغنية ببعد المعاني والرموز التي توحيها وقد تدل على غنى الخيال بما يربطها مع الحقائق وما يتخللها من بديع وطباق وجناس . ها هو امام كلمة جنب (πλευρά) فيعبر بها عن المرأة ويقول ملمحاً الى امرأة بيلاطس :« اما انت فآلمت جنبه واظهرت قوتك (م:١٣) . » كلمة وضعية تدل بمناها العميق على المرأة التي اخذت من ضلع الرجل كما ورد في سفر التكوين : فأوقع الرب الاله سُباتاً على آدم فنام فاستلّ إحدى أضلاعه وسدّ مكانها بلحم وبنى الرب الاله الضلعَ التي اخذها من آدم امرأةً (تكوين ٢ : ٢١—١٢) .

وترد هذه اللفظة مرة اخرى لتدل على حواء المرأة الاولى كما في المقطوعة الثامنة عشر :« انت ظمآن بسبب جنبك ! » وهي تحمل في جوهرها معنى المرأة الساقطة بالمعصية والتعدي على امر الله وبسبب هذه المرأة الخاطئة أصبح

الانسان ظمآن الى الحياة السماوية الالهية .

وتتعدد الصور المتنوعة الفنية كما في هـذه الفقرات : « سمعتم الملامة من كثيرين نازلين حولكم » (م : ١١) والموغلة في الفجور استولت على قدمي كانها لهـا معلم للعفاف » (م : ١٣) وقوله : « العمود يشد على عمود والصخرة تتتل على عمود » صورة حية (م : ١٤) « وأوسعوا في الجرح جرحاً » (م: ١٧) المسيح « يحمل الصليب كغنيمـة » (م : ٥) عارياً علق على صليب فألبس الاشقيا. حياة . » (م : ٢١) ان الشعب الغاص بالدما. سمع يسوع يقول هذا فزمجر كأسـد ليخطف نفس المسيح الحمل » (م : ٩٤٠) وكلهـا استعارات وصور جريئة بل هي لون من ألوان الشعر النابض بالحيـاة الزاهرة تضفي على النشيد إطارًا من الالوان النفسية واهابا من الحيـاة الشعرية الراقية التي تستقي من ينبوع التأمل والنظر العميق الى الحقائق الخالدة المنتشرة على صفحات الانجيل والكتاب المقدس والتمسك بتحديدات المجامع والتقليد المقدس .

والنشيد كما فهمه المسيحيون الاقدمون هو تعليم لا ينفصل عن التـأمل بل هو تعليم يبرز بتأمل وتسبيح وحمد . ورومانس الشاعر هو مجصر المعنى المتأمل البعيد المرمى والمتعمق في التصوف الروحاني المسيحي وبنظرة ثاقبة يرى آفـاق الاسرار وغورها ويتوسع في ابلاغها الى المسامع والعقول بقالب من الحوار بين الاشخاص التي تبرز على مشاهد المأساة الدينية وعبر تأملات الجوق المتعبد الخاشع .

وانما الروعة في تحليل المشاهد والصور والالوان تحليل الحياة المندفعـة من الطبيعة تشترك في السمو وتشعر بشعور الانسان كانهـا فرد من افراد البشرية فتنتفض من مكامنها انتفاضة قوية صاخبة فالشمس والسماء والارض والهيكل والصخور كانها تثور على الاثم الفظيع والمشهد المريع :« سيد الطبيعة يعلق على صليب ويُطعن جنبه بحربة » (م:١٠) و«من هو ينبوع المجاري العذبة سُقي خلا وأعطيَ مرارة وقد امطر المن وأنبع من الصخرة ماء» (م : ٢١) انهـا الحياة تتمدد في ابيات من الشعر الصافي وتتبسط في مقطوعات هذا النشيد فتزيـده غنى في الاوضاع الشعرية وفي انواع البديع من طباق وجناس وتجريد وأوصاف علاَ الخيال المبدع صورها من الروعة والجمال . « من رأى الحية تحمل بـدل سمها حلاوة العسـل ؟ » ومن سمع يوماً ان الكذب يصدق ؟ » (م : ٤) تجريد

لذيذ لكلمة الكذب بدل الكذاب كما يستعمل صورًا أخرى «من شاهد اللهيب بقطار ندى» وتتجمع الجمالات الساحرة في نخبة من الصور يقف عندها العقل جامدًا ذاهلًا : صامتا وقف الراعد والكلمة لم يتكلم – العمود يشد على عمود – والصخرة عات على عمود وانك لتشعر بقراءة الاصل اليوناني لهذه الابيات بهزيم الرعد المنطلق بقوة من تلاحم وتمازج الاهجنة الشديدة :

صامتا وقف الراعد Ἄφωνος ἵστατο ὁ βροντῶν

والكلمة لم يتكلم λόγου ἐκτὸς ὁ Λόγος

كل هذه الصور الشعرية وغيرها تدل على قوة التعبير ودقة التصوير النفسي وتباين فكرتين متصارعتين ، الهدوء والعظمة في الالم والحقد والغضب في سورة النفس المتمايلة الى الشر وكانت الجماهير تصخب بغضب ولكن يسوع لم يصرخ وفي المدى البعيد من الزمن السحيق لم يسمع الا جلبة الضربات ولم يشوش هدوء الصمت سوى صوت الجلادين وصراخ الشعب « اصلبه ارفعه ! »وكأني بالشاعر رومانس يرى بعينه هذه الموجات الدموية التي كانت تتفتح في جلد الانسان كانها أتلام حراثة في احد الحقول : جلد بيلاطس الطبيب وغسل اليدين ! « (م : ١٥) و«اما بيلاطس فحقق ارادة الشعب وجلدك انت الوديع وهكذا حرث على ظهرك » (م : ١٣) .

وعبر هذه الساعات التي تسمرت ثوانيها في ذاكرة الاجيال والتي تخطت أهميتها ليل الموت هذا حيث ضرب الانسان في نزوة الجنون ضرب صديقه وجلد فاديه وتنكر لاخيه وفي جو تعصبت عليه الاحقاد والبغض والضغائن واستلم الضعف المتملك لارادة شعب هائج تقوده شرذمة من الرؤساء. والخونة تصاعدت من قلب الشاعر رومانس صلاة عرفان الجميل نحو من تحمل الآلام طوعاً لخلاص البشرية وخلاصه واذا به ينظر من وراء هذا الشخص المتألم نورَ الاله ويشع من وجه هذا المغلوب ومن هذا المائت نور سماوي ورجاء وطيد بالحياة الخالدة المتفجرة من موت المسيح :« عارياً علق على صليب فألبس الاشقياء حياةً وأظهر الابتسامة للاموات وللاحياء » وستبقى ابتسامة المسيح تعدو فوق تلال الدهور وقمم الاجيال ينقليا الجبال على اوتار ناي الشعر وقلبه وشعوره ويسمرها الفكر في لوحة الوعي الخصيب .

محاكمة المسيح[1]

نشيد للشاعر رومانس المرنم

مقدمة اولى :

اليوم رَجَفَت اساساتُ الارض
وتبدل لون الشمس اذ لم تحتمل هذا المنظر :[2]
فمعطي الجميع الحياة يُعلق على صليب
والفردوس يُفتح للتعدي القديم
وآدم المنفي يفرح لنيله الخلاص

مقدمة ثانية :

العداوةُ تلاشى طغيانها ،
وحواءُ كُفت دموعها ،
بآلامك ، يا محب الانام ، ايها المسيح الاله !
فبك المائت تجدد ،
وبك اللص في الفردوس توطد[3] ،
وآدم المنفي يفرح لنيله الخلاص .

---

١) Ρωμανοῦ τοῦ Μελῳδοῦ Ὕμνοι, ὑπὸ Νικολάου Β. Τωμαδάκης Ἀθήναις 1954 Τόμος Β. 184-201

٢) متى ٢٧ – ٤٥ لوقا ٢٣ – ٤٤

٣) لوقا ٢٣ – ٤٤

١) اذهلي مرتعدة ، يا سماء ! ٢) خذ ، يا مخلصي ، ما لي

يا أرض، عودي الى الخواء![٤]
لا تتجاسري ، يا شمس
وتنظري الى سيدك
معلقا على العود طوعا !
لتنشق الصخور[٥]
لان صخرة الحياة
قد ثقبت الان بالمسامير .
ليصدع حجابُ الهيكل،[٦]
لان رجالا أثمة
طمثوا بحربة
جسد السيد .[٧]
لتنتحب الخليقة كلها
آلام الخالق
ولتنح[٨]
وليفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص

حتى آخذ انا ما لك .
انت تقبل ان تتالم
لأمتهن انا الالام .
بموتك انا حييت ،
وانت وضعت في قبر
واعطيتني الفردوس مسكنا .
انحدرت الى الاعماق
فرفعتني .
أسقطت الى الارض أبواب الجحيم
ففتحت ، لي يا مخلص
أبوابا سماوية .
جبارًا ألزمت نفسك بكل شيء ،
ولاجل الساقط
لأجله احتملت كل شيء ،
لكي يفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص .

٤) متى ٢٧–٥١
٥) متى ٢٧–٥٢
٦) مرقس ١٥–٣٨
٧) يوحنا ٢٠–٣٦
٨) متى ٢٧–٤٥

« هكذا كان ينبغي للمسيح ان يتألم وان يقوم في اليوم الثالث من بين الأموات »

لوقا ٢٤ : ٤٦

٣) عليك قبض الآثمون ،
يا قابضا بيده
على أزمّة الارض كلها ،
أخذوك الآن
الى دار قيافا ، [٩]
يا من يضيق العالم عنه .
وعندما شاهدك
من عميت بصيرتهم
هتفوا بحماقة : « قد أتى
من امتهن الناموس
وموسى .
وكل من يكرم موسى
ويحترم الناموس
سيغدو غيورا .
فلا يتكاسلن احد
فيا المضل يأتي ويتألم [١٠]
كي يفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص . »

٤) عندما صرّح الشعب بهذا
قال الكاهن :
« أما احسنت القول قبلا :
انه لأفضل ان يهلك
هذا وحده
ولا تهلك الأمة كلها ؟ » [١١]
من رأى الحيّة تحمل
بدل سمها
حلاوة العسل ؟
من شاهد اللهيب
يقطر ندى ؟
من سمع يوما
ان الكذب يصدق
كما تنبأ قيافا قسرا ؟ [١٢]
انك ، يا مخلصي
ستموت عن الجميع
كي يفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص .

---

٩) يوحنا ١٨-٢٤
١٠) مرقس ١٠-٣٣ و ٣٤
١١) يوحنا ١٤-١٨
١٢) يوحنا ١١-٥١

٥) هكذا نطق الكاهن
ولم يعِ ما نطق ؛
لان الحسد شلّ وعيَه
وأغراهُ بالقتل ،
فرافق القتل الحسد .
وهابيل الشهيد حُسِد
حسده قايين
فأرداه[١٣]
والمسيح طوعاً
كان على غراره .
فحبُّه لشعبٍ حسود
أغضب ذلك الشعب ؛
أظهر لهم الحنان ،
وشفى السقام ،
فأبدلوا له الشكر
بالعذاب والصليب
كي يفرح أدم المنفي
لنيله الخلاص .

٦) ان جمع الأئمة
لما قاوم كثرة المعجزات
هتف : « إرفعه اصلبه ! »
وأقاموا لدى بيلاطس
من قطر الدنيا كلها ؛
وأرسلوا للقضاء
من سيدين الملوك والفقراء
وبيلاطس المستحق المحاكمة
والعائش بالتخفي
كان يهدد بالهلاك
المنقذ والحاكم العادل
كأنما يُهدّد لصاً[١٤] .
لبث المسيح صامتا
كي يتألم
ويجابه خصومه
بصمته[١٥]
ليفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص

١٣) تكوين ٤-٩
١٤) يوحنا ١٩-١٠
١٥) يوحنا ١٩-٩

٧) صامتا وقف الراعد
والكلمة لم يتكلم .
فلو أطلق الصوت
لما غُلب ،
ولو اراد النصر لما صُلب
وفاز آدم بالخلاص .
لذا من علّم النطق الحكماء
انتصر بصمته
ابتغاء للألم . .
وعندما نظر الحاكم
من لم يفه بشيء [16]
اخذه الاضطراب
فقال : « ماذا أصنع
بمن لم يقل شيئا ؟ » [17]
ـ اما هم فاجابوا :
انه مجرم [18]
ونحن طلبنا ان يُمات
حتى يفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص . »

٨) قال المخلص
للشعب الأثيم :
أموتاً مستوجب انا [19]
لاني اعتبرت بيلاطس
غير اهل ان يُجاب
لبعده عن الصواب ؟
بدلا من الكلام
أما أقمت ابنة يائيروس
بكلمة ؟ [20]
بدلًا من الكلام
أما انهضت وحيد الأرملة؟ [21]
وبنداء واحد جعلت
لعازر الميت
يمشي امام الجميع ؟ [22]
لا ! انا لا أتألم واموت
بسبب هذه ،
او بدل تلك ،
بل ليفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص . »

---

١٦) ١ كور ١-٢٠ أشعيا ٢١-١٦
١٧) متى ٢٧-٢٣
١٨) متى ٢٦-٦٦
١٩) يوحنا ١٩-١٠
٢٠) لوقا ٨-٥٤
٢١) لوقا ٧-١١
٢٢) يوحنا ١١-٣٨

٩) عندما سمع الشعب
الكلمة التي من عسل
امتلأ مرارة وأجاب :
« انك لا تصلب
بسبب هذه
بل لانك حلات السبت.»[٢٣]
ـ ما هو الافضل
اشفاء المرضى
ام احترام السبت ؟ »[٢٤]
انتم غالبا تحلون السبوت
وانا ما خرجت من حضن الآب
لاجل السبوت .
لكن رايت من العلاء
ان الطبيعة وهنت
فانحدرت مسرعاً
لكي يفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص

١٠) السبت لا تهابه الجحيم
ولا يتجنبه المرض .
ليس من يشفي السقماء
غير رب السبت وحده :
اناء انا الذاهبُ الى الصليب .
حافظ الاعمى
على عديد من سبوت
وظلّ يربطه ظلام[٢٥] .
وهابّ المخلّعُ من قديم
سبوتاً كثيرة
ولبث سقيما
ثمانية وثلاثين عاما ،
انه لم يُنقذ
ولم يتمّ شفاؤه[٢٦] ،
حتى اتيت انا
لكي يفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص .

---

٢٣) يوحنا ١٦٩
٢٤) مرقس ٢-٢٧
٢٥) يوحنا ٩-١-٤١
٢٦) يوحنا ٥-٥

١١) سمعتم الملامة من كثيرين
نازلين حوالكم ،
ان المحافظين على السبوت
هم مرضى ؟
قالت الأمم :
« اين هو إلههم ؟
أيطردُ الامراض عنهم
ذاك الذي
يكرمونه بحسب الشريعة؟ »
هذا ما قاله اعداؤكم ،
سخروا منكم وعيّروكم ،
وألقوا عليكم الكلام[٢٧].
انا اخلص الجميع ،
وأمنح سكان الارض
مجدًا وافرًا ،
لكي يفرح آدمُ المنفي
لنيله الخلاص.

١٢) جائزًا ظهرت
حينما بُرّرت
الزانية التائبة[٢٨].
فالموغلة في الفجور
استولت على قدمي
كأنهما لها معلم للعفاف .
وبدمعها الغزير
بللت آنذاك
قدميَّ اللتين
ما بلّهما غُباب ،
ودهنت رأسي بطيب ،
وقد خاف الصابغ ان يلمسه
حتى أمرته انا[٢٩] ،
وابديت ما اعاني انا الان
بحبٍ ورضى[٣٠]
لكي يفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص .

٢٧) مزمور ١١٣ : ١٠
٢٨) متى ٢٦ : ٧
٢٩) متى ٣ : ١٤
٣٠) يوحنا ١٢ : ٧

١٣) ان الشعب الشرس
الغاصّ بالدماء،
سمع يسوعَ يقول هذا
فزمجر كأسد
ليخطف نفس المسيح الحمل.
اما بيلاطس فحقق
ارادة الشعبْ
وجالدك انت الوديع،
وهكذا حرث على ظهرك[31].
واما أنت
فآلمت جنبه[32]،
وأظهرت قوتك
فابانت له امرأته
وقالت له:
« أتدين ديّانك »
لكي يفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص.»

١٤) الفادي يكابد الجلد،
المحرر يغدو في وثاق،
عاريا ومنبسطا على عمود
من تكلم قديما
مع موسى وهارون
بعمودٍ من غمام[33].
ومن ثبّتَ عَمَدَ الأرض،
كما روى داود،
يُشَدُّ على عمود.
ومن أظهر للشعب
طريقا عبر القفار[34]
بدا لهم بهيئة نار؛
العمود يشهد على عمود،
والصخرة تُقتل على عمود،
وفي قالبي صُبّت الكنيسة،
لكي يفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص.

---

٣١) مزمور ١٢٨ : ٣
٣٢) متى ٢٧ : ١٩ وتكوين ٣ : ٢٩ آلمت جنبه اي امرأته
٣٣) سفر العدد ١٤ : ١٠
٣٤) سفر الخروج ١٣ : ١٨

١٥) جلد بيلاطس

الطبيب
وغسل اليدين[35]،
آملا من ذلك
تبرير الطبيب،
غير أنه لبث مضطربا.
وبعد الجلد
دفعه للصلب،
وهو يقول: «اني بريء»[36]
— من سمع يوما
قاتلا يقول لسيفه
«أأقتل بك ولا أجازى؟»
استعمل بيلاطس
سيف الآثمين،
وذبح الخالق،
لكي يفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص.

١٦) سمع القاتل الآثمين

يصرخون «اصلبه!»[37]
فأتم ارادتهم[38]
واسلم، دون اضطرار،
المزمع ان يصلب طوعا.
ولما علم القاتل
ان المسيح عدو لقيصر[39]،
خاف الشقي؛
وبما انه لا يريد
ان يكون عدوا
لقيصر الملك القدير،
فهو يمتهن الآن
لحياة الحياة
اذن لن يكون بريئا
من يقتل أخي بسبب الأثمة،
لكي يفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص.

---

٣٥) متى ٢٧: ٢٦ يوحنا ١٩ : ١
٣٦) متى ٢٧ : ٢٦
٣٧) يوحنا ١٩ : ٦
٣٨) لوقا ٢٣ : ٢٥
٣٩) يوحنا ١٩ : ١٢

١٧) رماهم بالتهمة
وقتل المسيح بسببهم[٤٠]،
فوجدهم مؤازرين له
وقائلين: « ليكن دمه
علينا وعلى اولادنا[٤١]،
والأولاد الذين لم يولدوا بعد.»
اعدّ الآباء
ثوب اللعنة للأولاد،
وأوسعوا في الجرح جرحاً،
وجرّوا مدى الدهر
على أجيالهم
قصاص الشرور.
أما نحن فاذ نأخذ
دم المخلص،
نجد الفداء،
ويفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص.

١٨) هلك الأرضيّ عطشاً[٤٢]؛
والتهب بالحريق
وتاه في قفر لا ماء فيه
وما وجد الشقي
ما يروي به عطشه.
ولذا، مخلصي،
ينبوع الخيرات،
أنبع مجاري الحياة
هاتفاً: « انت ظمآن
بسبب جنبك،
فاشرب من جنبي
فلن تعطش الى الابد[٤٣].
لان مجرى هذا الجنب
مضاعف يغسل الانجاس
ويروي،
ويفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص.

٤٠) متى ٢٧ : ٢٤
٤١) متى ٢٧ : ٢٥
٤٢) الارضي هو آدم الذي جُبل من الارض
٤٣) يوحنا ٤ : ١٤

١٩) اذن لا يقل احد
ان جنب المسيح
هو جنب مجرد انسان ؛
فإنسانا كان المسيح
وكان إلها :
غير منقسم الى اثنين .
هو واحد من أب واحد ،
هو كان المتألم وكان غير المتألم ؛
هو المائت وهو غير المائت ؛
واذ هو حي باللاهوت ،
أماتوه بالجسد .
ووالد اسحق
صار رمزا له في الجبل[43] ،
اذ ذبح اسحق بشخص الحَمَل[44] ،
ومات اسحق وهو حي
مثل مخلصي ،
لكي يفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص .

٢٠) والنبي يونان
غدا ايضا
رمزا ليسوع :
فقد وُسع في بطن الحوت ،
وفيه اختفى ،
كما وُسع الرب في الرمس .
ذاك خرج من الحوت
بعد ثلاثة ايام[45] ،
كذلك خرج المسيح من الرمس ؛
ذاك بشر في نينوى
وخلص اهلها[46] ،
وأما المسيح
فأنقذ المسكونة كلها ؛
اذ جاء ليتمم
كل ما أبانه الكلم
بالأنبياء[47] ،
لكي يفرح ادم المنفي
لنيله الخلاص .

٤٣) تكوين ٢٢ : ١-١٢
٤٤) اشعيا ٥٣ : ٧ يوحنا ١ : ٢٩
٤٥) متى ١٢ : ٤٠ يونان ٢ : ١
٤٦) يونان ٣ : ٥
٤٧) متى ٥ : ١٧

١١) المسيح معطي
الوداعة الانتصار ،
يحمل الصليب كغنيمة
على كتفيه ،
خرج ليُصلب[٤٨]
ويصلب من جرحنا .
واذ أتمّ كل ما كان علينا
اسرع نحو الموت ؛
والذي لا تحتمل الشيروفيم
النظر اليه ،
بل يحجبون الأبصار[٤٩] ،
يقدم وجهه للطمات .
وبما انه لا يبالي بالهوان ،
يُلبس طوعا الوشاح
للسخرية ،
لكي يفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص .

٢٢) سقوا خلًّا[٥١]
ينبوع المجاري المذبة ،
واعطوا مرارة
من امطر المن[٥٢]
وأنبع من الصخرة ماء .
ولما ضُرب
بقصبة على رأسه[٥٣] ،
محا نفيَ الاعداء ؛
عاريا علق على صليب ،
فألبس الاشقياء حياةً ،
وأظهر الابتسامة
للاموات وللاحياء ؛
رُفع على عود ،
ولف بكفن[٥٤] ،
واستودع القبر ،
لكي يفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص.

---

٤٨) مرقس ١٥ : ٢٠ يوحنا ١٩ : ١٧
٤٩) يوحنا ١٩ : ٣
٥٠) يوحنا ١٩ : ٢
٥١) يوحنا ١٩ : ٢٩ متى ٢٧ : ٣٤
٥٢) متى ٢٦ : ٣٤
٥٣) متى ٢٧ : ٣٠ مرقس ١٥ : ١٩
٥٤) لوقا ٢٣ : ٥٣

٢٣) بهذا أشد ، ايها الأرضي !
وسبح من تألم
ومات بسببك ،
وعندما تشاهده
عن قريب حياً ،
فاقبله داخل نفسك .
ان المسيح
سيقوم من القبور
ويجددك انت ، ايها الانسان ،
فاعدد له اذن
نفساً طاهرة ،
حتى اذا سكنها ملكك
جعلها سماء .
بعد قليل سيأتي
ويملأ الحزان
سرورا ،
لكي يفرح آدم المنفي
لنيله الخلاص .

تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

للاب لويس بليبل († ١٩٣٨) (تابع)

المجلد الثالث

ثم بعد مدة اتفق السيد المومأ اليه والاب العام على خدمة نفوس اهالي المروج ومرجبا على شروط وضعوها والظاهر من الاوراق التي امامي ان الاتفاق قد حصل على شروط شفاهية وتكلف المطران كتابتها ولما وصلت الاوراق الى الاب العام لم يرض بها فنقحها وأرجعها الى المطران فقبلها سيادته وارسلها ضمن كتابة منه وهذه حرفية الكتابة والشروط :

اولًا : حرفية الكتابة :

حضرة الاب الجليل الجزيل الاحترام .

بعد اهداء حضرتكم البركة الالهية والاشواق الوافرة لمشاهدتكم المأنوسة بكل خير وعافية . ثم انه باللطف اوان وصلنا عزيز تحريركم مع ولدكما القس اغناطيوس مع الاوراق التي طيه وحمدناه تعالى على دوام صحتكم . وحيث ان المحبة لا تفتكر بالشر وقد صح عندنا الاعتقاد اقتضى حررنا الذي يخصنا وسجلناه كما حسن برأيكم من غير تغيير .

والذي يخص حضرتكم واصلة النسخة المنقولة عن خطكم من غير تغيير . نؤمل تأمروا بنقلها بخط حضرة ولدنا بازجيكم لنسجل بالمتم كما يحسن عندكم ورجعوها لنا .

وما لازم لهذه العمارة المباركة الا توطيد الاركان لان الاساس على صخرة والملمين جم الكفاية وراغبين العمار والقصد اجد الله وراحة الضماير وانشاء الله بدعاكم نترجى من كرمه تعالى عدم الهدم ولا تكون كما العمارة الاولى من خشب بل بحجر وكلس كما هو المقصود والوسعه حتى لا يعود لاحد سبيل من الضيقة يكون بالخارج (خارج الكنيسة) .

ونؤمل تطمنونا على اثر احكم مع كل غرض يلزم عايقه (كذا) علمكم والبركة الالهية تشمل حضرتكم .

في ٢ ك ١ سنة ١٨٢٩ — الداعي لحضرتكم

(عن الاصل المحفوظ بيدي) ✝ بطرس كرم مطران بيروت

ثانياً : حرفية الشروط (والاصل في يدي) :

الداعي لتحريره :

هو انه نحن الرئيس العام مع الاباء المدبرين قد تعهدنا لقدس سيدنا المطران بطرس كرم مطران بيروت الجزيل الشرف والفائق الاحترام ، بانه ما زال قدسه ، بعد عمر طويل ومن يخلفه ، بهذه الرعية وما زال له ارادة ان رهباننا يخدموا رعية المروج ومرجبا وبقية المزارع الذي (التي) بحدود ديرنا مار مخايل ، ما لنا نوءخر حالنا (تأخر) ، بل نقيد كاهن يكون به الكفاءة يقدس الاحد والعيد بكنيستنا المروج ويعلم تعليم المسيحي الاحد والعيد ويخدمهم بالامور اللازمة ويرجع يبات في ديره . واذا كان (وجد) مريض (في الرعيــة) ، ملتزم الكاهن ينام عنده ليقدم له اللوازم الروحية ، فلا باس .

والكاهن الذي يخدم يأخذ معاليم(راتب)حسب عوايد خادمي الرعايا بما انه خادم الرعية.

واذا قدسه (المطران) ما عاد اراد راهبنا يخدم الرعية ، ما لنا دعوه ، بل كاهنا يقدس بكنيستنا الاحد والعيد ويرجع لديره حسب عادتنا قبلًا .

وحررنا ذلك لاجل البيان تحريرًا في ٧ ك ١ سنة ١٨٢٩ مسيحية .

† الاب اقليموس الشبابي	المنوبين اليه
مدبر اول	† اغناطيوس بليبل اب عام
لبناني	والمدبرين الاربعة اللبنانيين

† الاب عبد الاحد البكاسيني	† الاب افرام الصنابي	† الاب برنردوس غزيري
مدبر رابع	مدبر ثالث	مدبر ثاني
لبناني	لبناني	لبناني

وفي هذه السنة في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني ، بحسب نص القانون وحكم العادة ، عقد المجمع العام في الرهبانية في دير سيدة طاميش وبعد النظر في الشؤون الرهبانية وفرض الفرائض والتشديد على حفظ ما فرض قبلًا ، اصلاحاً للمعتل وتقويةً للمختل ، بلغ اليوم الرابع من الاجتماع اي يوم الاقتراع السري لانتخاب الوظائف الكبيرة :

فوقع الاقتراع الاول للرئاسة العامة الاب اغناطيوس بليبل للمرة السابعة فنودي به رئيساً عاماً

« الثاني لوظيفة المدبرية الاولى للاب برنردوس الغزيري[1]

---

١) توفي مدبرًا في ٦ نيسان ١٨٣٠ كما جاء في روزنامة دير طاميش

« الثانية لوظيفة المدبرية الثالثة للاب اقليموس الشبابي
« الثالثة « « الرابعة « افرام الصنابي
« الرابعة « « الخامسة « عبدالاحد البكاسيني

وفي اليوم الاخير توزعت الرؤساء على الاديار :

فتعيّن الاب مكاريوس وادي شحرور رئيساً على دير مار انطونيوس قزحيا
« « مرقس الشنميري « « « سيدة طاميش
« « عبد الاحد العرامونى « « « مار يوسف البرج
« « جبرايل القلماتي « « « انطونيوس حوب
« « سمعان البحرصافي « « « جرجس الناعمه
« « اقليموس المتيني « « « ميخايل بنابيل
« « موسى خراب صباح « « « سيدة ميفوق
« « عمانويل المتيني « « « مار الياس الكحلونية
« « جرجس الشبابي « « « انطونيوس النبع
« « (مجهول) « « « يوحنا رشميا
« « اغناطيوس حاتم « « « انطونيوس سير
« « يونان الديراني « « « سيدة مشموشة
« « سركيس الوادي « « « مار مارون بير سنين
« « اغناطيوس سركيس البيروتي « « « موسى الحبشي
« « ريشا الدبناوي « « « قبريانوس كفيفان
« « ليباوس الدوار « « « سيدة المنونات — جبيل
« « انطون الرشاوي « « « مار عبدا مماد
« « نسئير الطرابلسي « « « الياس مطوشي — قبرس
« « عمانويل الشبابي « « « سركيس وباخوس قرطبا
« « ليباوس التنوري « « « مارون عنايا

ولما كانت العادة بعد نهاية المجمع أن يرسل الاب العام المنتخب ، كتابات الى المراكز الدينية والمدنية والى كبار البلاد والاعيان الوطنيين والى قنصل الدولة الفرنساوية لان الرهبانية تحت حمايتها ، ينهي الرئيس العام اليهم انتخابه رئيساً عاماً وانتخاب الآباء المدبرين ، فعملاً بهذه العادة المرعية كتب الاب العام بليبل الى القنصل الفرنساوي الموجود في جزيرة قبرس ينهي اليه ذلك . وارسل

الكتاب صحبة الاب المعين رئيساً على دير مار الياس مطوشي في قبرص ، راجياً الفات نظر القنصل المذكور الى رئيس الدير ورهبانه . وفي ١٨ ك ٢ جاءه الجواب من القنصل وهذا نصه بالحرف :

من الملاحة في ١٨ ك ٢ سنة ١٨٣٠

الى رئيس الرهبانية العام .

« ايها الاب الكلي الاحترام .

بعد لثم اناملكم الطاهرة والتماس بركتكم وصالح دعاكم على الدوام ومزيد كثرة الاشواق الوافرة لمشاهدتكم السيدة بكل خير وعافية ، نعرض لابوتكم المحترمة من بعد سؤالنا عن عزيز خاطركم وصحتكم المرغوبة ، انه (قباله) بابرك وقت وصلني عزيز مشرفتكم محررة في ١٧ اب ٣ ، قريناها مسرورين ولله تعالى حامدين بدوام سلامتكم المرغوبة . حاط علمنا بشرحكم عن المجمع العام الذي صار عندكم وفضلت (بقيت) الرئاسة العامة على ابوتكم المحترمة . فسرنا ذلك وان شاء الله تعالى يعطيكم يد المعونة .

كذلك اوصيتمونا بحضرة الاب تنتير مرسلكم رئيساً لدير مار الياس بطرفنا مع باقي الرهبان . والحال وصيتكم على الراس والعيون وهذا شيء ملزومين فيه من غير وصية ونحن قبلنا المذكورين واعرضنا عليهم خدامتنا وحمايتنا . فتكونوا مطمأنين بهذا الخصوص. فقط نرجو من ابوتكم المحترمة بان تؤازرونا بدعاكم الصالح وتذكرونا بصلواتكم وعرفونا عما يلزم واهدوا اشواقنا مع قبلة ايدي الاباء المحترمين . ومن عندنا يلثمون اياديكم الطاهرة ، ودمتم .

مستمد دعاكم

كيارا قنصل الفرنساوي

(عن ترجمة لهذه الرسالة وهي بيدي)

وفي هذه السنة لبس الثوب الرهباني الاخوة :

ريشا بو عتمه وجرمانوس بوعتمه ويوحنا بوعتمه من مشوشه . وحنانيا الحصروني. وعبد المسيح الدلبتاوي. ومتى كفرزينا . وحنانيا القبرصي . وغريغوريوس وباسيليوس والياس من بتدين اللقش . ومارون من عينطورة المتن . وشربل المتيني . وسمعان البكاسيني . وكلاوديوس البحرصافي . ومبارك المشناني . ومرقس المجدلوني . وعبد الله المشنوقي . وروفائيل الشبابي . وروحنا الامهجي . وعبدالله المزرعاني .

وتوفي الاخوة : نعمة الله القرطباري . واغوسطين الدبراني . وسرابيون العينطوريني.

والاخ انطونيوس الحبيس وكان حبيساً فاضلا . والاخ بطرس المزرعاني . والاخوان سرابيون الزوقي وكان حبيساً تقياً . وشربل الدبراني وكان مصوّراً وله بعض صور جميلة منها صورة السيدة العذراء موجودة في كنيسة سيدة ايليج وادي ميفوق .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٣٣

وفي السنة ١٨٣٠ أُنجز طبع الف وسبعمئة وخمسين نسخة من فرض الكهنوت (الشحيمة الصغيرة) في رومية . وكانت تكاليف طبعها خمسمئة واثنين وتسعين ريالا ابو عمود وتكاليف تجليد وصناديق وشحن ونقل سبعين ريالا ابو عمود . وقد علّق الاب اثناسيوس الشرتوني المهتم بالطبع ، على آخر هذه الشحيمة هذه الكتابة قال :

اعلم ايها القارئ الحبيب ، انه من بعد ان المجمع المقدس لانتشار الايمان، استجاب التماسنا باستخراج هذه الشحيمة الى اللغة اللاتينية وفحصها ولم يجد فيها شيئاً يضاد الايمان المستقيم ولا يناقض الخصال الحميدة ، بل كلها مقتطفة من اقوال القديسَين مار يعقوب ومار افرام السريانيين ، قد امر بان تطبع جديداً في مطبعته بنفقة الرهبان (البلديين) اللبنانيين المنضوين تحت قانون القديس انطونيوس ابي الرهبان الملقبين عند العامة برهبان قزحيا .

وكان ذلك في زمان رياسة البابا بيوس الثامن المالك سعيداً . وفي زمان نيابة الكردينال مادروس كابلاري رئيس المجمع المقدس ومحامي الرهبانية المذكورة الكلي السمو . وكان وقتئذٍ بطريركاً انطاكياً على الطائفة المارونية قدس السيد يوسف حبيش الكلي الغبطة ، ورئيساً عاماً على الرهبانية المشار اليها حضرة الاب اغناطيوس بليبل الجزيل الاحترام

وقد تمّ طبعها بكل ما يمكن من الاجتهاد والاعتناء ، تحت مناظرة (مراقبة) الحقير متى شهوان الماروني تلميذ مدرسة عين ورقة في جبل لبنان ، ومعلم اللغتين العربية والسريانية في مدرسة مجمع انتشار الايمان المقدس في رومية العظمى وهو يرجو من كل من يجد غلطاً بان يغض الطرف عنه ، لانه مستصعب جداً ان يطبع كتاب ما عند غريبي اللغة بدون وجود غلط ما . ومَن جرّب وامتحن عرف واعتلم .

وكان النجاز من طبعها في اوائل شهر تموز سنة ١٨٣٠ .

(عن الشحيمة المطبوعة)

وعلى سبيل المقابلة بين تكاليف الطبع من نيّف ومئة سنة وبين تكاليفه الآن ، ادوّن مفردات مصاريف الطبع كما جاءت في اللائحة التي قدمها الاب اثناسيوس الشموتي الى الأب العام اغناطيوس بليبل .

وهذه حرفيتها :

حساب عمومي يخص الشحيمة السريانية المطبوعة (بحبر) احمر واسود عن ١٧٥٠ نسخة وذلك على ورق يدعى باستاردا .

بيوك	ريال	
٧٠	٧	ثمن ورق لأجل كل كراس
١٠	٣	لاجل صف الاحرف على كل كراس
٠٥	٤	الى الدولبجي على كل كراس
٨٥	٠١٤	
٩٢	٤٥٣	فالمصروف على طبع كل الشحيمة ، كراس ٣٠٣ يكون :
١٠	٠١١	ثمن زعفر بيره عدد ١٨٤ لاجل الاحمر على حساب كل بيره ٦٠ بيلوك
٢٠	٠٠٣	ثمن ورق ملوكي لاجل طبع الاحمر (هذا عوض عن ورق الغزال)
٦٠	٠٠٠	ثمن اربع طراحي ورق غزال لاجل طبع كراسين (يعني الكراسين في آخر الشحيمة)
٠٠	٠٤٤	لاجل مصاريف اخر خصّت المطبعة
٠٠	١٢٠	كري الاحرف
٩٢	٥٩١	
٩٥	٠٠٣	ثمن صناديق عدد ٤ مع اجرة جابها
٤٩٢	٠٠٠	نقل صندوق ومصروف في جمرك
٦٠	٠٠٣	ثمن حديد لتسكين الصناديق وكري النجار وشحن الشحيمة في الصناديق
٥٠	٠٠١	بخشيش للطباع
٠٠	٠٠٨	تجليد ١٣ نسخة التي توزعت

بيرك	ريال	
٠٠	٠٠٠	ما قبله
٠٠	٠٠٣	ثم تجليد ١٠ نسخ
٣٩	٠٠٣	خيش وحبل لاجل صندوق
٦٠	٠٠٤	كري حمالين وحزم ونقل للبحر ومسامير وتبن
٤٠	٠٠٨	ناولون من رومية الى ليفورنو
٠٠	٠١٨	سيكورتا ومصاريف من ليفورنو
٠٠٤	٠٣٤	ناولون من ليفورنو الى بيروت
٠٠	٤٠٣	مصروف وكري حمالين في البحر للمدينة بيروت
٨٥	٠٠١	عن قيام الصناديق من بيروت الى دير طاميش
٠٠	٠١٠	قيامهم من دير طاميش لدير قزحيا
٠٠	٠٠٢	عن تفريق مواعين الورق
٤٢٤	٦٨٤	

وقد توزع من هذه الشحيمة ٢٢ نسخة في رومية . بعضها لرئيس المجمع والكردينال كبرانو ولكاتم الاسرار واقبرهم ولرئيس دير الموارنة ورهبانه ٥ نسخ وللخواجات كوبا وابن عمهم ٣ نسخ ولقسوس السريان ٢ والكلدان ٢.

وفي هذه السنة ١٨٣٠ رفع الاب العام اغناطيوس بليبل ورؤساء بعض الاديار ، استرحاماً الى الامير بشير الشهابي الحاكم ، يلتمسون تجديد ديوس (مسح) املاك اديرتهم لرفع الظلم عنها بزيادة مال الخراج (الاميري) المرتب على املاكهم الكائنة في الزاوية وغيرها . فاستجاب الامير طلبهم وحسم لهم مبلغاً وافرا . واعطاهم اعلاناً بذلك وهذه حرفيته :

بارة	غروش	
٣٥	١٣٨٩	خراج الارزاق في محلات الزاوية كما مقيدين بدفتر الديوس
٣٥	٠٠٢٢	خراج رزق ميفوق
٢٧٤	٠٠٣٧	خراج دير مار الياس الراس
٣٠	٨	« « « شليطا القطاره
٠٠	٩	مصلحة ثلاثة دواليب
٠٠	٩٠	جوالي شركا الدير عددهم ٣٠
١٧٤	١٥٥٨	

نعرّفكم انه من تزايد شكواكم وتوسلاتكم لدينا بخصوص اعادة ديورس املاككم السابقة فشفقة ورحمة عليكم قد انعمنا باجراء الخراج المتجدد الآن وتخفيض مسطرة ارزاقكم المسطرة القديمة . ولذلك حصل الخسر على خزينتنا مبلغ يفوق عن الفين قرش قاعدة اصل مراعاةً لاحوالكم قد سمحنا بتركها وجعلنا المسطرة :

عن كل حمل ورق عشرة فضة .
وعن اصل الزيتون عشرة فضة .
وعن كيل البليخ قرش وخمسة فضة .
وعن كل ماية جفنة كرم قرش وربع .
وعن حجر الطحن الصيفي خمسة قروش ونصف .
وعن حجر الطحن الشتوي مع حجر المطروف ثلاثة قروش الا ربع .
واما ارزاق اخوتنا المشايخ بيت الضاهر ، مسطرة حملهم خمسة فضة .
واما اسياق الدواليب ضمنّاهم على يدكم . ورفعنا قارش اخواتنا المشايخ عنكم وعن شركاتكم .

فالذي يخصكم كما محدد اعلاه وقدره الف وخمساية وثمانية وخمسين قرش ونصف (١٥٥٨½) ، توردوها لخزينتنا وتأخذوا به وصلًا من الصرّاف .

وان شاء الله لا تشاهدوا الا الحماية والصيانة .

(عن اوراق دير قزحيا)

(الختم) بشير شهاب

وفي هذه السنة امر الرئيس العام الاب مكاريوس وادي شحرور رئيس دير قزحيا ان يبني مدفناً جديداً للرهبان المتوفين ، لان المدفن القديم كان امتلأ من رفات الرهبان الراقدين بالرب على رجاء القيامة . فصدع الرئيس بالامر وحوّل بعض تلك المناور الموجودة قرب الدير الى مدفن ، كُتبت على بابه بعض اشعار دون وزن صحيح . وهي تتضمن تاريخ تجديد ذلك المدفن ومن سمى فيه . وعلى جهة ثانية من حائطه ، كُتبت هذه الابيات :

نزلنا ها هنا ثم ارتحلنا هي الدنيا نزولٌ وارتحالُ
يظنُّ المرء في الدنيا خلوداً خلود المرء في الدنيا محالُ

ومما يروى في تقاليد هذا الدير (قزحيا) ، ان اجتمع بعض الرهبان يوماً امام المدفن القديم وبدأوا يتكلمون كلام هزل ومزح ، فسمعوا بغتة صوتاً جهورياً يقول : « المجد لله ، المجد لله ، المجد لله ! » ثلاث مرات وهي عبارة تعني في اصطلاح الرهبان ، ان يلزم المتكلم الصمت وان يؤدي مجداً لله . واذ ذاك عرف الرهبان خطأهم والتزامهم الاحترام امام المدافن والصلاة لراحة الراقدين فيها .

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

بطرس ونعمة الله من دلبتا . وموسى من شكا . وابراهيم داغر البكفاوي . ومرتينوس الشامي الدرعوني . ونعمة الله كساب الحرديني[٨] وله من العمر عشرون سنة . والاخ حنانيا عبدللي .

وتوفي الاخوة : انطونيوس الزكزوكي . واغوسطين الجيتاوي . وروفايل الضناني . ومبارك من لوبزة خازن . ويعقوب الروية . وسركيس عينطوره . وماتيا القليعاتي . ولاون القرطباوي . وزكا الحراط وسبب موته داء السرطان الخارجي (آكلة) احتملها مدة ٣٢ سنة الى ان اكلت معظم وجهه وقاسى اوجاعها بصبر عجيب وتوفي عن ٦٨ سنة . والاب برنردوس النزري المدبر الاول وهذا الاب كان ذا غيرة كلية حزوماً عزوماً محباً فاضلاً .

(عن روزنامات الاديار)

عدد ١٣٤

وفي السنة ١٨٣١ انشأ الاب العام اغناطيوس بليبل مدرسة للرهبانية في قرية رأس المتن . وكان سبب انشائها اعتناق الامراء بيت ابي اللمع الساكنين في هذه القرية الديانة المسيحية ، منتمين الى طائفتنا المارونية . وكان المعتني بهدايتهم وتعليمهم وتنصيرهم الاب عمانوئيل سلامه المتيني احد ابناء رهبانيتنا . ولما لم يكن في جوارهم كنيسة او دير يقضون فيه واجباتهم الروحية ، انشأ الرئيس العام هذه المدرسة للقيام بهذا الواجب ، بعد ان قدم احدهم وهو الامير

---

١) وتوفي بقداسة في دير مار قبريانوس كفيفان في ١٤ ك ٤ ١٨٥٨ ودعوى تطويبه الآن تحت الدرس في رومية مع رفيقيه خادم الله الاب شربل مخلوف حبيس عنايا والراهبة رفقا . (راجع « المشرق » ١٩٥٨)

فارس قطعة ارض في القرية نفسها أنشئت فيها المدرسة لاقامة الكاهن الراهب المعين لخدمتهم . ومع الايام اضاف الرؤساء الى ما وقفه الامير بعض املاك تكفي لمعاش الكاهن . ولما نزح الامراء المشار اليهم عن القرية المذكورة ولم يكن فيها احد من ابناء طائفتنا المارونية، باع الرؤسا هذه المدرسة في السنة ١٨٩٨.

(عن اوراق قديمة)

وفي هذه السنة لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

موسى الجاجي . واسطفان من تولا البترون . واثناسيوس وارسانيوس وبطرس وبولس من بكاسين . ويوسف الخباز البتروني . ونافيطوس الشابي . وجراسيموس الشموتي . وكاروبيم بقاعكفرا . وارميا الدكاش . وعبدالله الحصروني .

وتوفي الاباء : يونان الناقوري . وانطونيوس الدرعوني . وعبد الاحد البكيفاوي . والاخوان ارميا المعربي واسطفان الفريديسي .

(عن روزنامات الاديار)

الفصل الحادي والعشرون

عدد ١٣٥

وفي السنة ١٨٣٢ ادعى غازي بن مفرج اللبكي وابن عمه فاضل بن يوسف اللبكي بالوكالة عن اهالي قريتهم بعبدات، على الماء التي فوق عين اسم الله بانها ملك اهالي القرية . وتولى الدفاع عن الرهبانية الاب المدبر ارسانيوس التيحاوي والاب يونان الديراني رئيس دير سيدة مشوشة والاب سركيس وادي شحرور رئيس دير مار مارون بير سنين، بالوكالة عن الاب العام اغناطيوس بليبل، امام القاضي عبد اللطيف . وبعد المرافعة القانونية وتقديم البينات الشرعية، ثبتت ملكية الوقف وسقطت دعوى اهالي بعبدات وحكم القاضي بذلك .

في ٨ جمادى الآخر ١٢٤٧ هجرية الموافقة لسنة ١٨٣٢ مسيحية .

(عن اوراق الدعوى)

وفي هذه السنة قبل انعقاد المجمع العام بمدة قليلة، ظهرت حركة في الرهبانية، كان هدفها تنزيل الاب العام عن وظيفته، شاء ام ابى . وكان القائم

بتلك الحركة الامير امين ابن الامير بشير الكبير . والمعلم بطرس كرامه وبعض رجالها من رهبان وعالمين . وذلك لمسألة مالية نقم بسببها الامير امين على الاب العام . خلاصتها : أن الاب العام لم يدّ الامير بمبلغ وافر من المال ليشتري مزرعة مجدل المعوشة ؟ أو انه يشتريها له (للامير) ويبقى هذا يفيه المال المطلوب مع الايام ...[1] . فسعى المفسدون عند الامير بشير ونجحت سعايتهم بالاب العام فحصل سوء تفاهم بين الاثنين وبلغ بها الى ان تقاطعا . وبسبب هذا التباعد تمنّى للامير امين ورفاقه الناقين أن حاكوا شباكهم والقوها فمرقلوا بها بعض اشخاص من الرهبانية من الراغبين في الوظائف فكمنوا بدسائسهم الى ان حان ميعاد عقد المجمع العام فاظهروها . ولما تمّ عقده وتنظمت جلساته، رفع الرهبان المخاصمون عريضة الى آباء المجمع العام يطلبون فيها تنزيل الاب العام عن وظيفته ، بحجة أن بقاءه في وظيفة الرئاسة العامة نحو ربع قرن بدون انقطاع ، لمّا يُشعر بالاستملاك وهو ضد الفرائض القانونية والعوائد القديمة[2] . وذيلوا طلبهم ببعض شكاوى تعزيزاً لمدّعاهم . فضجّ الرهبان آباء المجمع من هذا الطلب وانقسموا الى فئتين : فئة الناقين المطالبين بتنزيل الاب العام . وفئة الموالين وهم الاكثرية ، الذين رفضوا طلب الاولين ولم يقبلوا الشكوى . فلما رأى الخصوم انه لا يستقيم لهم حال وليس لطلبهم منال ، تركوا دير سيدة طاميش حيث المجمع وتوجهوا الى دير مار يوسف البرج القريب منه . واعلنوا عدم اشتراكهم في الاقتراع العام الى أن ينالوا ما طلبوا ورفعوا عرائض شكواهم الى المجمع المقدس عن يد القاصد الرسولي . ولما علم السيد البطريرك بما حصل ، تكدّر جدًّا وأرسل اليهم بعض الاساقفة والكهنة لارشادهم ولالقاء السلامة والالفة بين الطرفين ، فلم يفلح المسعى .

وكان المطران بطرس أبي كرم مطران بيروت ، قد عرف بهذا الخلاف ، فاهتمّ له ووجّه الى آباء المجمع رسالة ضمّنها نصائح ابوية وارشادات خلاصية.

١) طالع تفاصيل هذه الحوادث في ترجمة حياة الاب العام اغناطيوس بليبل في البحث ١٨ من هذا المجلد لورودها فيه باسهاب . (تأسف ان لا تقف على هذه الترجمة !) (الناشر)

٢) طالع المجلد الثاني من هذا التاريخ صفحة ٣٠٧

وهذه حرفية الرسالة :

حضرة اولادنا المعزاز جمع رهبان مار انطونيوس اللبنانيين المحترمين .

بعد اهداء حضرتكم البركة الالهية وبث الاشواق القلبية الى مشاهدتكم المأنوسة بكل خير وعافية . ثم انه حسب العادة حين صيرورة مجمعكم ، نرسل لكم تحرير الوداد ، اقتضى ترقيمه .

اولاً : لكي تفهموا دوام شركتنا (في القداديس) مع رهبنتكم المقدسة، لذلك واصل قائمة بعلم الرهبان الذين أخبرنا عن توفيهم (وفاتهم) ولدنا الاب العام .

ثانياً : من كون التزامنا بحبكم صار متضاعف ، يقتضي ان نخيطكم (نكلمكم) بهذه الالفاظ الناتجة عن حب خالص وهي من كون عدو جنسنا البشري لا يفتر قط عن محاربتنا كي يقتنص الانفس المشتراة بالدم الكريم ليزجها بالدركات الجهنمية وذلك باصناف حيله المتنوعة . ولا شك انه يبذل عنايته نحو الاشخاص القريبين اليه تعالى اكثرا قرباً ، لعلمه بان مثل هؤلاء يلزمه أكثر جهاداً لاجل تحصنهم المنيع .

فلذلك ، بهذه الايام التعيسة قد افرغ جهده بمحاربتكم ايها الابناء المحبوبون ، وذلك بوضعه روح الانقسام والانشقاق والتعصب بينكم ، املاً من هذا الطاغرت الجهنمي بهدم اساس هذه الرهبنة المقدسة . لان ، كما لا ينبي (يخفى) نباهتكم ، قول السيد له المجد : « كل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب ، وكل بيت ينقسم على ذاته لا يثبت ». ولهذا بولس الرسول قد زجر اولئك القائلين : « انا من حزب بولس وآخر من حزب افلو » .

لان هذا الانقسام اقله علامة الخراب الروحي من كون هذا الحمل المحزن الغير الاعتيادي برهبنتكم هذه المحبوبة منا ، بل من جميع الطائفة ، قد صار مشهوراً ومعلوماً عند الخاص والعام ، فان لم يتدارك زواله وتنقطع اسبابه بهذا المجمع ، والا ، لا سمح الله ، هذا الداء يدب كالاكلة بجسم هذه الرهبنة ويفسدها ويسود جمال رونقها ويذبل زهرة نموها . واذا حصل الاجتماع حسب روح قوانينكم النقية فلا شك يكمل فيكم قوله تعالى : « حيثما اجتمع اثنان ام ثلاثة باسمي فاكون انا هناك فيما بينهم » . ولا يتم ذلك معكم الا بهذه الوسائط :

اولاً : راجعوا في بالكم كيف وعدتم الله لما دخلتم الرهبانية وكيف كان قصدكم بهذه الدعوة وكيف كان استعدادكم . وبعد مراجعة كل واحد منكم هذا التأمل ، احسبوا ذاتكم ان بهذا الوقت اول دخولكم الى الرهبانية فلا بد يصفى (يصفو) هذا الكدر من عقولكم .

ثانياً : راجعوا في بالكم بكل يقين ، نذوراتكم المقدسة ، سيما تحريم طلب الوظائف ووعدكم الى الله بذلك ، لان حب الوظائف والرغبة الغير المرتبة في الحصول عليها ، هي

السوس الذي افسد هذه الكرمه الجليلة الجميلة . وقد حصل هذا الشر المبين من هذه الرغبة المهلكة . فان لم يُرفَض هذا السبب من عقل كل واحد منكم فلا يمكن تحصل الراحة للجمهور . ومن كون حب الوظائف هو السلاح الاكبر الذي به يغلبكم ابليس ، فينتضي استعمال الترس المتين لصدّ هذا السهم الجارح وليس هو سوى الاقتناع الحقيقي بترك حب الوظائف وتقديم الذات للطاعة والميئة تحت نيرها . لان من أحب الوظائف فقد بغض الاتضاع والطاعة وخالف نذوراته على خط مستقيم .

- ثالثاً : فليتصوَّر كل واحد منكم قرب حضوره امام الديان العادل الذي لا بدّ من المثول بين يديه تعالى وكيف يكون جوابه عمّا ضادد فيه دعوته وعماً اتلفه بتعلقه بالامور الزائلة الغير المرضية لله . فاذا فعلتم ذلك قلبياً واعتمدتم على هذا باطناً وظاهراً ورافقت العملية بهذه التأملات (اي صار العمل بها) . فحينئذٍ يكون المسيح فيما بينكم ويكون بجمعكم مجمعاً مقدساً .

وبعد هذا نؤكدون اننا نحن وامثالنا ليس لنا غاية الا نجاحكم ونموكم نفساً وجسماً . ولم نقصد (نُرِد) افتراقكم (تفرّقكم) ولا التحكم عليكم ، بل نرغب من صميم قلبنا السلامة والحب والهدوء وراحة ضائركم والسلوك بموجب قوانينكم ، لانه اذا جاهدتم على قيامها ، ما احد له معارضة عليكم بكافة الاوجه .

ولنا الرجاء بمراحم الهنا وباستحقاقات دمه الكريم وبشفاعة والدته الكلي طهرها وماري انطونيوس شفيكم ، بان تقبلوا الفاظ حقارتنا هذه بقلب نقي ويكون اجتماعكم بروح المحبة وحمايته بالقداسة لكي ينتشر عرف طيبكم عند الجميع ويضيء نوركم قدام الناس ويحفظكم الله من الحسود المهلك الذي يروم اقتناصكم . ومن كونكم بمجده تعالى ، اصحاب تعقل وفطنة وتقاوة ، نتأمل بان تتركوا لبعضكم كل ما حصل وتتنازلوا لبعضكم بكل ما يعتبر رهبنتكم وتقطعوا كل سبب يوجب عليكم الملامة من الله ومن الناس .

وختم كلامنا هذا باننا نناشدكم باحشاء يسوع لا تضيّعوا اتعاب سلفائكم واتعابكم بالباطل لاجل قيام الغايات البشرية وحب الافتخار الزائل . ومن كان فيكم كبيراً فليكن لكم خادماً .

ومن خالص فؤادنا نمنحكم البركة الالهية ثانياً وثالثاً والدعاء . في ٥ ت٢ سنة ١٨٣٢

(عن الاصل وهو بيدي)

(المتم) الداعي لحضرتكم

بطرس كرم

مطران بيروت

وكان القاصد الرسولي قد سعى مثل هذا المسعى . اخيرًا انتصرت السلامة على شيطان الانقسام ، اذ تزل الاب العام اغناطيوس بليبل مع مريديه عند رغبة الحزب المضاد ، متنزلًا عن وظيفة الرئاسة العامة مع الاقرار من آباء المجمع العام بان لا مانع من تجديد انتخابه للرئاسة العامة بعد نهاية هذا العقد. وذلك حبًا للسلامة والالفة .

وقد روى الاب نعمة الله الكفري رحمه الله وأجزل ثوابه ، في يوميته خلاصة ما وقع في هذا المجمع من الحوادث ، بما حرفيته قال :

« بعد رياسة الاب بليبل المذكور مدة هذه السنين (٢١ سنة) ، قد خاصمه البعض الغير المريدين ان تطول تقليدات الوظائف وارادوا تنزيله عن وظيفته . وبما ان اكثرية الاصوات كانت له ، قرام الآخرون تنزيله بخلاف . وعزموا انهم لا يدخلون المجمع العام الذي عقد في دير طاميش سنة ١٨٣٢ . وقدموا عليه بعض وشايات حرروها بجورنال قرئ في الجلسة الاولى من المجمع المذكور .

فحصلت عندئذ ضجة عظيمة وكركبة متزايدة فيما بين الاصوات والمضادين الذين يرغبونه (مريديه) . واعرضت الدعوى على غبطة السيد البطريرك يوسف حبيش والى السيد يوسف الخازن مطران الابرشية (الشام) . فحضر المطران الموما اليه مباشرًا الصلح والمطران يوسف رزق الجزيني رئيس مدرسة عين ورقة من قبل غبطته . وارسل غبطته ايضًا كهنة من قبله ليرشدوا هؤلاء المخاصمين .

وكذلك حضر احد الآباء اللعازاريين يعظ ويرشد . وقد كانت تقدمت اعتراضات الضد الى المجمع المقدس عن يد سيادة القاصد الرسولي الذي قصد القاء الصلح . ومع ذلك لم يرضَ الخصوم بالقرعة .

وخرج البعض منهم من دير طاميش وتوجهوا لدير مار يوسف البرج ومكثوا هناك .

وفيما بعد انتصرت السلامة ووقع الرضا بين الجهتين وانتخبوا بغير قرعة الاب مبارك حليحل البكتاوي رئيسًا عامًا .

(عن يومية الكفري التي بيدي)

وبعد ان حصل الاتفاق كما مرّ صار الانتخاب بالصوت الحي دون قرعة :

فانتخب الاب مبارك حليحل[1] البكتاوي رئيسًا عامًا

---

١) وهو من الذين اشتهروا بفضيلتهم وتقواهم وقد توفي بنسمة القداسة في دير مار سابين بسكنتا حيث ضريحه .

وانتخب الاب اغناطيوس بيتر	مدبراً اول
« « عمانوئيل المتيني	« ثانياً
« « ارسانيوس النيحاوي	« ثالثاً
« « مرقس الشنميري	« رابعاً

وفي مجلس المدبرين بعد ختام المجمع العام تعينت رؤساء الاديار :

فتعين الاب عمانوئيل الاشقر الشبابي	لدير مار انطونيوس قزحيا
« « « الصفيني	« سيدة طاميش
« « ريشا الدليتاوي	« مار يوسف البرج
« « اغناطيوس البسكنتاوي	« « انطونيوس حوب
« « مرتينوس الدرعوني	« « جرجس الناعمة لمدة سنتين ثم خلفه الاب انطون الرشاوي
« « انطونيوس البسكنتاوي	« « مخايل بنابيل
« « مكاريوس وادي شحرور	« « سيدة ميفوق
« « اغناطيوس المتيني	« مار الياس الكحلونيه
« « عمانوئيل المازوري	« « انطونيوس النبع
« « جبرايل القليعاتي	« « مارون عنايا
« « (مجهول)	« « يوحنا رشميا
« « سركيس وادي شحرور	« « انطونيوس سير
« « يونان الدبرالي	« سيدة مشموشة
« « اغناطيوس حاتم	« مار مارون بير سنين
« « ابراهيم زعرور	« « موسى الحبشي (الدوار)
« « مخايل الشبابي	« « قبريانوس كفيفان
« « موسى الشرتوني	« سيدة المونات (جبيل)
« « سركيس القرطباوي	« مار عبدا معاد لمدة سنتين وخلفه الاب مارون الصنابي
« « نعمة الله عواد الحصروني	« « سركيس وباخوس (قرطبا)
« « (مجهول)	« « الياس مطوشي (قبرس)

(عن روزنامات الاديار)

وفي هذه السنة (١٨٣٢) عقد المجمع العام في دير سيدة لويزة لاخوتنا الفئة الحلبية اللبنانية فانتخب بالاقتراع السري :

الاب رافائيل الخراط البكفاوي	رئيساً عاماً	
« جراسيموس الشبابي	مدبراً اول	
« اجناديوس الزوقي	« ثانياً	
« عبدالله الفاعي	« ثالثاً	
« نعمة الله الشدياق البكفاوي	« رابعاً	ثم توزعت الرؤساء :

(عن روزنامات الاديار)

وفيها اي السنة نفسها لبس الاسكيم الرهباني الاخوة :

عبد الاحد القرطباوي . وبرتردوس البشراوي . وارسانيوس الزكزوكي . ومرقس الشبابي . ومارون الشبابي . ومارون الباني . وبولس من كفرزينا . وانطونيوس الدلبتاوي . وعبدالله البشراوي . وبرتردوس البكتاوي . وليباوس القليماتي . ومرقس البكتناوي . وجبرايل الديراني . وافرام كفرفو . واغوسطين وساروفيم وعبد الاحد من الديه . ومارون البعيداني . وبطرس الدرعوني . وبولس التنوري . ودانيال النوسطاوي . وجرمانوس الشبابي . ونعمة الله المتيني . وبولس المتيني .

وتوفي الآباء : عبد الله الشبابي . ويوسف السقي وله من العمر ٩٠ سنة . وجبرائيل البزعوني وكان راهباً تقياً فاضلاً متعبداً بنوع خاص للسيدة العذراء الكلي طهرها .

والاخوة : يعقوب المزرعاني . ورنيتوس الرعشيني . وعمانويل القليماتي .

(عن روزنامات الاديار) — انتهى —

تنبيه : الى هنا اي في السنة ١٨٣٢ ينتهي المجلد الثالث من تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ويليه ، كما يقول المؤلف ، المجلد الرابع من السنة ١٨٣٣ الى السنة ١٩٠٨ ، ولم يتمكن من تجهيزه وتمثيله للطبع ، اذ وافاه الاجل المحتوم . ولما كان قد اتى على خلاصة المجلد المذكور بلمحة وضعها في السنة ١٩٣٢ لمناسبة التذكار المئوي الثاني لتثبيت القانون الرهباني (١٧٣٢ — ١٩٣٢) في رومية العظمى ، وقد نشر تلك اللمحة حضرة البحاثة الاب انطونيوس شبلي بمجلة « المشرق » الجزء الثالث : ايار — حزيران ١٩٥٧ ، في باب « الآثار المطوية » ، رأينا أن نلحق تلك الخلاصة بهذا المجلد تتمةً له وضناً بما فيها من فائدة ، مع تعليق بعض حواش لدى الاقتضاء . وعسانا نوفق ، بعونه تعالى ، الى وضع مختصر لهذا التاريخ ، على طريقة علمية تكون وافية بالمراد واقرب منالاً ان شاء الله . (الناشر)

مباحث تاريخية ، تابعة لما سبق

تابع البحث الثامن

في المحابس — والحبساء

ان المحابس في نشأتها لم تكن كثيرة في الرهبانية كما كانت فيما بعد . وذلك لم يكن لعدم وجود آباء واخوة يرغبون في العيشة الانفرادية والاختلاء الروحي ، بل كان سببه عدم استتباب الامن والراحة في البلاد ؛ لان المحابس تقام عادة بعيدة عن العمران .

ولم يكن لفئتنا اللبنانية سوى محبسة واحدة مشيّدة على اسم القديس بولا اول السائحين . وهي بكر محابس الرهبانية وامهنّ ، تابعة لدير مار انطونيوس قزحيا ووجدت منذ نشأة الرهبانية — (طالع المجلد الاول من هذا التاريخ صفحة ٩٣ و٤١١—٤١٣) . لان كنيسة دير مار بطرس كريم التين والدير نفسه كانا من حصة الفئة الحلبية اللبنانية في القسمة[١] .

قلت في الابحاث السابقة ان امّ المحابس في الرهبانية محبسة دير قزحيا ثم أنشئت محبسة ثانية تاليتها في دير مار بطرس كريم التين على اسم القديس روكس شفيع المصابين بداء الطاعون. ثم انشئت محبسة ثالثة في دير سيدة طاميش، لكنها لم تعش طويلًا لرداءة مناخها بسبب المستنقعات المتكونة من مياه نهر الكلب القريب منها. وما زالت اطلالها باقية للآن[٢] . وقد ذكرت في تلك الابحاث اسماء الحبساء الابرار المتوفين فيها .

(راجع البحث ٨ من هذا التاريخ المجلد ١ صفحة ٩٣ ، والمجلد ٢ ص ٣٣٢)

بقيت محبسة دير قزحيا المحبسة الوحيدة في الرهبانية اللبنانية يتناوب الرهبان الراغبون في الاختلاء والانفراد ، الدخول اليها عند خلو محل فيها ، اما لسبب وفاة احد الحبساء. أو لترك احدهم المحبسة لعدم استطاعته القيام بحفظ قانونها

---

١) المجلد الثاني ف ١٣ عدد ٣ صفحة ٣١٥ و ٣٣٢—٣٣٤ .

٢) يظهر انها تجددت بعد ذلك وقد انفرد فيها سنين عديدة المرحوم الحبيس المعروف بتقواه الاب يعقوب ابي مارون المزرعاني المتوفى بنسمة القداسة في دير سيدة طاميش في ١٨ شباط ١٩٥٨ .

أو لداعٍ صحّي . الى ان تسلمت الرهبانية خرائب دير مار انطونيوس حوب في سنة ١٨٦٦ من الامير يوسف شهاب .

(راجع المجلد الثاني من هذا التاريخ ، صفحة ٢٧٣-٢٧٤)

ولما كانت القسمة قد جعلت دير سيدة حوب من نصيب الفئة اللبنانية وكانت خرائب دير مار انطونيوس حوب قريبة من دير السيدة فالغى الرؤساء هذا الدير وضموه الى دير مار انطونيوس وانشأوا بالقرب من تلك الخرائب الدير الحالي لسكن الرهبان . واما كنيسة دير مار انطونيوس القديمة فما زالت قائمة معبدًا صغيرًا وضعت فيه رفات الحبيس الاب أثناسيوس الصفبيني الذي مات برائحة القداسة .

وبعد اتمام بناء الدير سنة ١٧٨٧أمر الرؤساء بانشاء بناء على أنقاض كنيسة قديمة مشهورة باسم القديس جيورجيوس الشهيد القريبة من الدير ليكون محبسة لموافقة موقعها، بناء على طلب الكثيرين من ابناء الرهبانية المحبين عيشة الخلوة والانفراد في المحابس تقديساً لنفوسهم واقامتهم الصلوات لاجل الكنيسة والشعب كما هي غاية رهبانيتنا الاولى . وقد انشئت هذه المحبسة على شكل امّ المحابس (محبسة دير قزحيا) : اي كنيسة او كابلا وفي جنبها ثلاث قلالي لسكن حبيسين وراهب خادم لها . ثم بيت مائدة ومطبخ كما ينص قانون الحبساء . وامام هذه المحبسة قطعة ارض تصلح لعمل اليد لمقاتلة الضجرْ ولعمل ما به فائدة الرهبانية .

واما زمان بقاء هذه المحبسة فلا يمكن تحديده والقطع به تماماً ، انما المرجّح على ما اظن انه قد حصل اثر النهاية من بناء الدير الذي تمّ في سنة ١٧٨٧ كما ذكرنا . وقد كان المعلم البنّاء الاب مخايل الحراط من بكفيا المشهور بصناعة البناء وبكثرة انشاءاته فتكون هذه المحبسة الثانية بعد محبسة دير قزحيا . على انه وان قلّ عدد المحابس في هذه المدة فان الحبساء الذين اقاموا فيها لم يكن عددهم قليلًا وقد امتازوا بفضائلهم التي عطّرت تلك النواحي بشذا عرفها الطيّب، وكانوا كالكواكب النيرة الساطعة الضياء في سماء الرهبانية بل في سماء لبنان الصافية . وكانوا بصلواتهم الليلية والنهارية وتقشفاتهم الدائمة وابتهالاتهم المتواصلة الى العزّة الالهية ، يردّون ضربات غضبها ونقمتها عن البشرية . ولاجل

رفع شأن الكنيسة المقدسة ورد سهام الاعداء عنها وحفظ رأسها المنظور ووقاية الرهبانية من كل مكيدة وعطب . ولاجل ارشاد رؤسائها للسير في سياسة حكيمة لنموها وازدهارها وسير افرادها على ضوء الفضيلة في طريق الكمال بحفظهم قوانينها وفرائضها لرفع شأنها وتعزيز مقامها، وان يكونوا مثالاً صالحاً لتعمير القريب وتمجيد الله تعالى . ان الحبساء بامثالهم الصالحة وما مارسوه من ضروب الاماتات والتقشفات ومن صوم وصلاة وعمل وصمت في النهار وتهليل وابتهالات في سكون الليل ، قد اعلوا منار الفضيلة وحازوا الصيت الحسن لهم وللرهبانية .

وهذه اسماء اولئك الحبساء الابطال الذين جاهدوا ورقدوا بالرب في محبسة القديس بولا التابعة لدير مار انطونيوس قزحيا نقلاً عن سجل الموتى .
(اي الروزنامة)

الاب نوافيطوس صفار	توفي في سنة ١٧٨٤ وله من العمر ٦٧ سنة
« افرام مزرعة كفرديان	« « « ١٨٠١ « « « ٥٥ «
« مكاريوس المجدلوني	« د « ١٨٠٨
« اليشاع المادي	« « « ١٨١٩ وله من العمر ٧٠ سنة
« مبارك الهاشم العاقوري	« « « ١٨٢٠ « « « ٦٥ «
« اسبيريدون الزوق	« « « ١٨٢٩ « «
الاخ انطونيوس معروفا	« « « ١٨٢٩ « « « ٨٣ سنة
الاب زكريا البكاسيني	« « « ١٨٤٢ « « « ٨٠ «
« فرنسيس البشراوي	« « « ١٨٥٥
« عبدالله «	« « « ١٨٥٨
« جبرائيل راضي الشباني	« « « ١٨٦٤
« اغوسطين البشراوي[1]	« « « ١٨٨٤ بعمر ٧٠ سنة
« عبدالله الحصروني	« « « ١٨٩٢ « ٦٣ «
« دانيال البشراني[2]	« « « ١٨٩٥ « ٨٠ «

١) هو من عائلة الشدياق خال رجل الله الاب شربل مخلوف حبيس محبسة دير عنايا .

٢) هو شقيق الاب اغوسطين المذكور . وخال الاب شربل .

ولسوء الحظ لم تذكر الروزنامة شيئاً عن حياة كل فردٍ منهم ولا عن الفضائل التي امتازوا بها ، بل مجمل ما ورد فيها : ان كل واحد منهم بعد جهاد طويل شاق وممارسة التقشفات الكثيرة ، قد مات ميتة الابرار برائحة القداسة نتيجة حياة صالحة مخصبة بالفضائل الالهية والادبية . لكن قد جاء في مذكرة الاب نعمة الله الكفري عن الاب اليشاع المادي ما حرفيته :

« كان اذا صلى ، دخل مغارةً صغيرة فوق المحبسة فبسط يديه بشكل صليب لا يثنيها . واذا انحدرتا ، سندهما الى حبل معلّق بسقف المغارة ، كما شهد بذلك رهبان كانوا يراقبونه . واستأثرت به رحمة الله بشيخوخة صالحة بعد ان مكث في المحبسة ثلاثين سنة وله من العمر سبعون سنة » .

واما من سكن في محبسة دير مار انطونيوس حوب من الجباء بعد بنائها ، قبل الاب يواكيم الزوقي الذي انفرد فيها في سنة ١٨٣٠ . فان روزنامة الدير لم تذكر شيئاً عنهم انما التقليد عند رهبان الدير والجبباء أنه سكن فيها الاب سابا والاب اثناسيوس على التعاقب . ولم يَزِد التقليد على ذكر اسمها كنيةً او لقباً . انما يقولون انهما عاشا بكل بساطة عيشة الابرار النساك الاولين فارسا من التقشفات اصعبها ومن الاماتات اضيقها ومن سهر وصوم وصلاة وصمت وعمل يد الشيء الكثير . وكانا على جانب عظيم من بساطة الاطفال ووداعتهم كما ذكر السيد المسيح له المجد في انجيله المقدس . وانهما رقدا بالرب برائحة القداسة . هذا ما نقله التقليد ، وورد ذكره في « كشف الخباء عن اعمال الحبساء » للاب ليباوس داغر التنوري احد ابناء رهبانيتنا .

تابع البحث العاشر

(المجلد ٢ صفحة ٢٣٥)

في اسعار الحاجيات من السنة ١٧٧٠ الى السنة ١٨٣٣

غروش	بارة
٨٥	ثمن حجار طحن
٥٢	ساعة للكنيسة (دقاقة)
٣٠	توزيعة المجمع العام (نفقاته توزع على الاديار)

بارة	غروش	
١٠	٠١	ثمن بزر قز (حرير)
	٧٥	ربع كرم وزكر وثلاث عبي
٢٠	١١	سنكسار وشحيم (كبير) للقراءة
	٠٩	فردة بقر
	٥٠	راس بقر وخمسة روس معزى
	٩٠	جوز عجول ودابة
	١٠٥	كلف تكليس كنيسة دير مار انطونيوس سير وقبو المائدة وغيره
٢٠	٠٣	ثمن رطل دخان (تبغ) ٣ وخرجية ٢٠ باره
	٢٩	« حمار ١٢ قرش وكديشه ٣٠ غ وفدان ٧ غ .
	٧٠	« خروف ١٠ غ. وحجرين طحن ٦٠ غ
	٧٠٨	« حمل ورق توت ومختلف وصنوبر وتين
	٠٣٠	« حمل ورق توت سقي
	٠٢٠	« « « « بعلي

تابع البحث الثالث عشر

(المجلد الثاني الصفحة ٣٢٧)

في اسماء المحسنين الى الرهبانية

٥ اولاً : البابا بيوس السادس بما انعم على الرهبانية من الغفارين والانعامات الروحية .

ثانياً : البابا بيوس السابع بانعامه على رئيس الرهبانيـة العام بمنح الغفران الكامل في اربعة اعياد في السنة : الميلاد ، وعيد مار انطونيوس ، والقيامة ، وانتقال العذراء .

ثالثاً : بعض اهالي بسكنتا في وقفهم قطعة ارض ومساهم في انشاء مدرسة على اسم القديس يوسف في بلدتهم .

رابعاً : الامراء شديد وحسن ونمر ومنصور ابي اللمع الدروز وقفهم قطعة ارض في زحلة لبناء كنيسة لخدمة النصارى اهالي المدينة شركائهم .

خامساً : درويش شربل من معاد وقفه عقارات جارية على ملكه لانشاء دير في قريته .

سادسا : الاميران فارس واسعد شهاب اعلنا رضاهما بانشاء دير مار مارون بير سنين في عمار لما شرته الرهبانية منها في هذه المحلة .

سابعاً : عائلة بيت الاشقر في بيت شباب سلمت آباء الرهبانيــة دير مار انطونيوس الموجود في محلة النبع .

ثامناً : الامير علي شهاب اوقف على الرهبانية عقــارات في قرية وادي شحرور لاجل بناء كنيسة ومدرسة فيهــا لتعليم اولاد القرية شركاء الامير قواعد الديانة ومبادئ اللغتين العربية والسريانية كما كانت العادة آنذاك .

تاسعاً : عبود سركيس واخوته من عين الزيتونة وقفهم كنيسة القــديسة تقلا في قرية المروج .

عاشراً : الخوري مارون غصوب من بيت شباب وقف املاكه على الرهبانية في قرية الفريكه لانشاء مدرسة فيها لتعليم الاحداث بحسب عادة تلك الايام .

بعض اهالي قرية المتين وقفوا على الرهبانيــة بعض قطع ارض في قريتهم فانشأ فيها الرؤساء مدرسة على اسم القديس يوسف البتول لتعليم الاحداث .

الامير بشير الشهابي الكبير وقف على الرهبانية قطعة ارض في معاقة زحلة لاجل بناء كنيسة فيها لخدمة الاهالي الموارنة الروحية .

البطريرك يوحنا الحلو سمح لآباء الرهبانية بانشاء انطوش في مدينة صور .

اهالي قرية قرطبا وقفوا على الرهبانية كنيسة القديسين سركيس وباخوس الشهيدين مع بعض عقارات لانشاء مدرسة لتعليم احداثهم ولارشادهم في الامور الروحية .

القس بطرس بو رمثا ورفيقــه داود بن موسى عيسى من قرية اهمج سلّما كنيسة القديسين بطرس وبولس في رويسة عنايا قرب اهمج .

المطران عبدالله بليبل رئيس اساقفة قبرس (سليل الرهبانية) وهب الرهبانية دير مار يوحنا زكريت . امّا خلفه المطران يوسف جعجع فاسترجعه لاسباب مرّ تفصيلها .

الامير فارس بللّمع من راس المتن وقف على الرهبانية قطعــة ارض في

القرية المذكورة لانشاء معهد رهباني لاجل حدمة داره الخدم الروحية بعد اعتناقه مع عيلته الديانة المسيحية بسعي احد آباء الرهبانية .

تابع البحث الخامس عشر

(المجلد الثاني الصفحة ٣٣٩)

في اعمال الرسالة

انه ، نظراً لكثرة محلات فئتنا اللبنانية وقلة عدد الاشخاص لاجل حفظ النظام القانوني في الاديار والقيام بالاشغال اليدوية في الداخل والخارج ، اضطرّ آباء الرهبانية ان يحصروا اهتمامهم بذلك وان يكتفوا بما يقدرون عليه من اعمال الرسالة في جوار الاديار والمراكز المختصة بهم . وقد خاصمهم في ذلك السادة الاساقفة ومنعوهم من مواصلة تلك الاعمال ، كما جاء في المجمع الاقليمي المنعقد في دير سيدة بكركي (١٧٩٠) وهو المجمع الاول فيها .

(راجع الفصل ٧ عدد ٩٣ ، ص ١١٢ و١١٣ ، من هذا المجلد)

لذلك ترك آباؤنا ، مدة من الزمان ، الاهتمام برسالة مصر الى اخوتنا الفئة الحلبية . على ان اباء الرسالة في مصر كانوا منذ تأسيسها وفي اثنائه الخلاف وبعده حتى القسمة ، يختارون من الرهبان الذين نشأوا في المدن كحلب وغيرها .

(المجلد الثاني ص ٣٥٣)

ولما كثر عدد رهبان فئتنا ارسلوا رهباناً منهم الى القطر المصري لانشاء مراكز لسكنهم ومعاطاة اعمال الرسالة التي كانت حرّة في ذلك القطر . اي انه يحق لكل من الفئتين ان يباشر الرسالة فيه ولم تكن هذه محصورة بفئة دون اخرى كما يتوهم البعض . ومما يشير الى ذلك ويثبته ما يأتي :

١ً — طلب رئيس الفئة الحلبية العام من المجمع المقدس ، بواسطة رئيس دير رومية ، ان يخصص اعمال الرسالة في القطر المصري بفئتهم الحلبية فقط .

(المجلد الثاني ٣٢٦)

٢ً — ارسال فئتنا اللبنانية رهباناً منها لاجل تأسيس رسالة في القطر المصري . فاذاً ان عمل الرسالة في هذا القطر حرٌ للفئتين .

وأول من أُرسل للقيام بهذه المهمة الاب مخايل الشامي . جاء مدينة الاسكندرية لتأسيس محل الرسالة فيها ولخدمة ابناء الطائفة المارونية في امورهم الروحية . لانه حتى ذاك الحين كان ابناء الطائفة المذكورة يقضون الواجب الديني في كنيسة القديسة كاترينا الشهيدة عند الاباء الفرنسيسكان . وبما ان اخوتنا الحلبيين كانوا يشغلون مدينة دمياط ومصر ومنها يتجولون في الارياف ، أرسل الاب مخايل الشامي الى مدينة الاسكندرية لتأسيس محل للرسالة فيها وحصر اعماله في الوجه البحري فقط منقطعاً عن عمل الرسالة في المحال التي يشغلها الاباء الحلبيون .

الى ان كانت سنة ١٧٨٦ ، لوفاة الاب مخايل المذكور احد خدمة النفوس في مصر ، سأل الاب شربل مدلج الرئيس العام ، السيد البطريرك يوسف اسطفان ان يعين الاب توما الصيداوي مكان الاب المتوفى ، في خدمة الانفس في مصر ، على شرط ان يقدم الاب العام لغبطته نصف مدخول الرعية والنصف الآخر يكون للرهبانية ما عدا النذور والحسنات التي يخصصها اصحابها بدير مار انطونيوس قزحيا او بالرهبانية . وربطوا ذلك بموجب اتفاقية .

هذه حرفيتها :

الداعي لتحريره

هو انه نحن المدونة اسامينا ادناه الرئيس العام والاباء المدبرين اللبنانيين قد ارتضينا مع قدس سيدنا مار يوسف السيد البطريرك الكلي الغبطة ان يوكل راهبنا الاب توما الصيداوي في مدينة مصر موضع المرحوم القس مخايل الشامي ويصرّفه في وظيفته المذكورة . فغبطته قبل رجانا وصرّف راهبنا المذكور ونحن اشرطنا على نفوسنا ان من كل شيء يحضر لنا من قبل راهبنا القس توما نخصص لقدسه النصف دون النذورات المخصصة بدير مار انطونيوس قزحيا والحسنات التي اصحابها يريدون ان يرسلوها باسم الرهبانية من ذات خاطرهم وانتقاء نفوسهم وبقيد خاص منهم . وحررنا له هذا البيان لوقت الاحتياج اليه .

تحريراً في ١ نيسان ١٧٨٦

(الختم) قايليه على نفوسهم شربل مدلج اب عام

والاباء المدبرين اللبنانيين

قبلنا هذا السند من اولادنا المذكورين . وما في باطنه يكون على زماننا فقط .

(عن بكركي)

(الختم) الحقير
البطريرك يوسف

ترك الاب توما الصيداوي مدينة الاسكندرية بعد ان خدم فيها الرسالة حيناً من الزمان بكل نجاح ، منتقلاً الى مصر . ولما وُجد الخوري يوسف الحجار الوكيل البطريركي المقيم في مصر ، عاجزاً عن القيام بمهام خدمة الرعية ، تعين الاب توما المذكور معاوناً له باسم الرؤساء. فجعل اقامته في دير الاباء الفرنسيسكان وفي سنة ١٧٩٦ لما انتخب السيد فيلبوس الجميل بطريركاً انطاكياً على طائفتنا المارونية (١٧٩٥—١٧٩٦) ، لوفاة السيد البطريرك مخايل فاضل سنة ١٧٩٥ ، رفع اليه الاب توما عريضة تهنئة بارتقائه الى السدة البطريركية وفيها قال ما نصه :

« اعرض لمسامعكم الشريفة بانه بقي لي في مصر مدة عشرين سنة تحت امر الطاعة لاجل اغراض تخص الرهبانية واني قد تشرفت بامر من قدس سلفايكم المثلثين الرحمة بان اكون مع حضرة الاب يوسف الحجار بطرفنا مساعدين بعضنا بخدمة الطائفة . والآن قصدت اعلامكم لاجل احاطة شريف علومكم (علمكم) الكريم . ثم واصل بدلة للنداس. . . »

في ٨ حزيران سنة ١٧٩٦

(عن اوراق بكركي)

وفي ٣ تموز من السنة نفسها ورد للاب توما جواب السيد البطريرك يوسف التيان (١٧٩٦—١٨٠٩) فيه يثبته في وظيفته فرفع الاب المذكور عريضة شكر مع بعض مطاليب وهذه حرفيتها :

« بعد الترجمة . . . وصلتني شرفتكم الكريمة عن يد ولدكم جرجس عايدة ثم شكرت فضلكم مع المذكور بما تفضلتم به على ولدكم في البركة والاقامة لنا في مصر والتصرف. نرجو من جوده تعالى ان يديم لنا قدسكم بالحفظ والصيانة زماناً طويلاً . وان ما بقي من اعمار سلفايكم يطيل عمركم . ثم لا خفا (خفي) سيادتكم باني في حال تاريخه مقيم في دير السانطة الكبير بوظيفة تعليم الاولاد من ابناء الطوائف وآكل مع الرهبان على مائدة واحدة سوية وقدسكم تفهموا فرق الصيامات والبيرامونات فيما بيننا وبينهم فارجو سيادتكم ان شئتم ان

تسمحوا لي وتعطوني دستور زيـاني بان اكون معهم سوية على مايدعم ونحن بانتظار مشرفتكم » . تحريرًا في ٣ تموز ١٨٩٦

ولدكم الاب توما الصيداوي اللبناني

(عن اوراق بكركي)

ومما جاء في مذكرات الاب انطون مارون رئيس الرسالة في مصر لاخوتنا الفئة الحلبية ، بتاريخ سنة ١٨٠٤ ، ما يأتي . قال :

توفي المرحوم الخواجا يوسف افرنجي في ثغر الاسكندرية . وقبل وفاته كتب وصيته الاخيرة ووزع على الاديرة بعض احسان من تركته . ومن الجملة خصص الرهبان اللبنانيين بخمسمئة قرش .

فحين بلغنا ذلك تكلمنا مع البعض من الذين لهم الخبرة وكلفناهم بطلب المبلغ المرقوم فابوا لزعمهم ان الرهبان اللبنانيين هم « البلدية » لا الحلبية . وبذاك الوقت اثبتنا لهم ان جمهورنا يدعى بهذا الاسم .

وبعد (ولولا) السعي الكلي مع من لهم الكلام بذلك ، لما قدرنا اثبتنا كلامنا . والسبب لان حضرة الاب توما الصيداوي اللبناني الذي في مصر رغب ان يتسلم الخمساية قرش باسم رهبانيته . ولما تقدمنا نحن للمداعاة فحينئذ بواسطة المحبين انقسمت هذه الدراهم بالنصف ما بيننا وبين حضرة الاب توما وارسلنا مكاتيب للخواجا جرجس عيد في الاسكندرية ووكلناه بقبضها ويرسلها ببوليسة لمصر . فبواسطته بموجب توكيلنا ، رفع الدعوة (الدعوى) الى الكنشلارية بالاسكندرية لان ابن المرحوم يوسف افرنجي زعم انه لا يتمم وصية والده المرحوم وانه لا يدفع منها شيئًا .

فحينئذ قنصل الاسكندرية حتم عليه بالدفع واقبض المبلغ من الكنشلارية وخصموا العوايد في المائة اثنين . وارسل لنا بوليسة مع الخواجات كحيل ، قبضناها وقدرها تسعة آلاف وغالماية فضة . وحضرة الاب توما قبض نظيرها » .

(عن اوراق الرسالة في مصر)

وفي السنة ١٨١٨ ، لوفاة الخوري ارميا الحاج الوكيل البطريركي في القطر المصري ، رفع الاب توما الصيداوي ، معاونه في خدمة الانفس عريضة الى السيد البطريرك يوحنا الحلو (١٨٠٩–١٨٢٣) . نعى اليه وفاة وكيله الخوري ارميا المذكور واخبره انها كانت بداء السنطاريا وان متروكاته مع متروكات سالفه المرحوم الخوري يوسف الحجار ، محفوظة عنده وموقوفة لامره . وانه قريباً يقدم لاغبطة فيها . (عن اوراق بكركي)

وفي السنة ١٨١٩وصل الى الاب توما الموما اليه مرسوم من السيد البطريرك يعيّنه فيه خادماً لرعيته في مصر . ولما علم بذلك الاب انطون مارون الحلبي رئيس الرسالة في مصر ، رفع عريضةً الى البطريرك بيّن فيها عَتَباً شديداً على غبطته لتعيينه الاب توما في خدمة الرعية .

وهذه حرفية بعض ما جاء في الرسالة :

. بعد الترجمة وبعض مقدمات يقول :

« وصلني مكتوب من بعض الذين اعتمد عليهم واخبرني ان طوباويتكم ارسلتم مشرّفة لحضرة القس توما صيداوي محررة في شهر حزيران ومورّقينه خاطركم بان يكون هو المتصرف في الرعية بمصر ولا يمسك خاطر احد وان الاعتاد عليه . وان طوباويتكم حررتم لنا ان نرفع الاب رافائيل (الخراط) من مصر . وان حضرة الاب توما رفع يد الاب رفائيل ومنعه من التصرف بالرعية . فبالحقيقة يا قدس سيدنا المغبوط ، قد اخذنا العجب واندهلنا من ذلك لان غبطتكم في اربعة مشرفات تذكرون لي اني اكون وكيلكم في سائر الاقاليم المصرية . . . وعوضاً عن الشرف الذي كنت متأملاً ان احوزه مكافأةً لغيرتنا نحو الطائفة وخير كرسيكم ، حصلنا على بجدلة بهذا المقدار مما حصل من اختلاف الكتابات ، التي حررتموها لولدكم والتيتموها بتصريفكم الاب توما الصيداوي » . . .

في ١٨ تموز ١٨١٩

(عن اوراق بكركي)

وفي السنة ١٨٢٠ وقع مشكل بين آباء الرسالة في مصر وبين الاب ارمنجليدوس رئيس دير الفرنسيسكان الكبير ، وسبب ذلك طمع الرئيس المذكور ، فتصدّى لحل هذا المشكل حضرة الاب انطون مارون . وهذه حرفية الحادث ، نقلاً عن عريضة الاب انطون نفسه الى السيد البطريرك .

قال ما خلاصته :

« ان رئيس الدير الكبير البادري ارمنجليدوس طرد الكهنة الاب توما الصيداوي والاب رافائيل الخراط (البكفاوي) ، من الكنيسة لانه طلب من الاب توما ان يدفع له ستماية قرش راتب سنوي بدل الشمع والخمر (للقداس) فالاب توما جاوبه بالرفض وانه لا يدفع قرشاً واحداً حيث انه لم تسبق العادة بهذا الطلب . وان الاب مارون لما علم بذلك حضر الى الدير وكلّم الرئيس بهذا الخصوص فلم يقتنع .

لذلك رفع الامر الى الكونسلاتية الفرنساوية في مصر لان الرهبانية تحت حمايتها .

وحيث كان القنصل غنيًا فلم يرَ موافقًا مداخلته جدًا الشأن فاهتم بعد ذلك ان يرفع الامر الى وكيل الدير الافرنجي في الاسكندرية وارسل اليه صورة الحالة والى القنصل في دومياط طالبًا منه مساعدة .

وكلّ هؤلاء ، لما وصلتهم هذه الكتابات ، كاتبوا رئيس الدير الكبير المار ذكره ، فلم يقنع ، بل تصلّب برأيه مدعيًا ان ديره افتقر وليس ملزومًا ان يقدم لكهنتنا شمعًا وبخورًا ليقدسوا في كنيسته ؛ مع ان مدخول الكنيسة متوفر بسبب كهنة الطائفة . وهو كان يستولي عليه ولا يعطي منه شيئًا للكهنة بل كان التعب عليهم والربح له .

ولما طال النزاع بذلك ، رفع الامر الى الحكومة الفرنساوية وبات الجميع بانتظار النتيجة ، فتأخر الجواب . وكان قد قرب عيد الفصح وكهنة الطائفة يقدسون في البيوت وبسبب تغيبهم عن الكنيسة حصل ضرر بالانفس ، فتداخل البعض في صرف هذا المشكل بالاتفاق مع الاب انطون بحيث يدفع الكهنة مئتي قرش للكنيسة على سبيل المساعدة ولم يشعروا رئيس الدير ان هذا الدفع منهم بل من الساعين في حل المشكل ، بينما يكون حضر الجواب من الحكومة . فرضي الرئيس بذلك وسمح للكهنة بان يرجعوا فيقدسوا في الكنيسه وقال لهم : ان سبب منعه لهم كان عن زعل . وانتهى الامر . وكان هذا التدبير موقتًا الى ورود الجواب من السيد البطريرك والحكومة الافرنسية » . . .

(عن اوراق بكركي)

(١) ثم بعد مدة ترك الاب توما مصر وجاء الى لبنان للاقامة فيه بامر الرؤساء تجنبًا للقال والقيل ، وتركنا الاهتمام باعمال الرسالة في مصر لاخوتنا الفئة الحلبية اللبنانية . وفقهم الله الى ما به مجده تعالى وخير القريب . . .

تابع البحث السادس عشر
(تتمة)

ترجمة المطران عبد الله قراألي

كنا قد نشرنا في المجلد الثاني من هذا التاريخ ، البحث السادس عشر الصفحة ٣٥٥ ، ترجمة السيد الذكر المطران عبدالله قراألي الحلبي مؤسس رهبانيتنا ومطران بيروت . وتلك الترجمة هي التي وضعها تلميذه الاب توما اللبودي ، لكنها لم تكن سوى جزء من ترجمة ذلك الرجل الفاضل والحبر الكامل ، فرأيت ، على رغم قصر باعي وقلة المعلومات لديّ ، ان اقدم على تكملتها ، متكلًا على

الله تعالى وبركة صاحب الترجمة وكرم اخلاق المطالع ، آملاً العذر عن كل تقصير[1] ، فاقول :

« ان كل من له المام بتاريخ طائفتنا المارونية يعلم انه لم يكن لاساقفة الطائفة كراسي خاصة بهم بل كانوا يقيمون اما في المقام البطريركي . او في وقف حاصل في ابرشياتهم بصورة موقتة ، الى ان التأم المجمع الاقليمي اللبناني دستور الطائفة فحكم آباؤه ان يكون لكل ابرشية كرسي مخصوص يعرف بها ، يقيم فيه اسقفها بصورة دائمة . وفي بعض المجامع الاقليمية الفرعية التي عقدت في الطائفة ، نيّنت بعض اديار حرّة (غير مملوكة ملكاً خاصاً) ، ان تكون كراسي لاساقفة الابرشيات » .

وكان كرسي بحلب اوّل كرسي اسقفي ثابت لاجل سكن الاسقف وعرف انه وقف على الابرشية . ثم كرسي ابرشية قبرس . أسس الاول المطران جرمانوس فرحات والثاني اسّسه المطران عبدالله بليبل (سليل الرهبانية) . اما اساقفة الشرف فلم يتعيّن لهم كراسي خاصة ، لانهم يقيمون اما في الكرسي البطريركي كنواب له ، اما في اديار واوقاف مختصة بعائلاتهم .

فجرياً على عادة تلك الايام جعل المطران عبد الله قرألي اقامته في دير لويزه احد اديار رهبانيتنا .

(المجلد الاول من هذا التاريخ ص ١٢٦)

وكانت اقامته فيه جزيلة الفائدة ، لانه كان يرشد ويساعد آباء الرهبانية ورؤساءها وجماهيرها في السير بروح القانون والسياسة الحكيمة ، مدافعاً عنها في تلك الايام العصيبة ، وبوجه اخص لمخاصمة البطريرك يعقوب عواد لها وشكواه رئيسها الى رومية على انه سائر برهبانيتنا خلافاً لترتيب رهبان الموارنة القديم وبدون اجازة الرؤساء (الحلبين) .

(تاريخ الرهبانية م ١ ، ص ٩٤ و ٩٥)

لانه لم يكن راضياً عن رئيسها وقصد ملاشاتها ، غير ان العناية الالهية لم تسمح بذلك .

---

١) قد وضع المرحوم الخوري بولس قرألي ترجمة ضافية تحت عنوان : « اللآلي في حياة المطران عبدالله قرالي » . تحتوي على قسمين : الراهب ثم الاسقف المصلح . وقد طبعت في السنة (١٩٣٢ و ١٩٣٧) فبمطالعتها كفاية .

وفي اثناء اقامته في دير سيدة لويزه، سأله آباء الرهبانية ان يضع تفسيراً للقانون اي الثمانية عشر باباً. فاجاب طلبهم ووضع تفسيراً ملوءا حكمة بمجلد واحد لا تقل صفحاته عن الاربعمئة صفحة قطع ربع، اسماه «المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني»[1]، مما يدل على انه من اكبر علماء الحياة الروحية. وقد ارتوى من مناهلها الغزيرة وكان في شرحه هذا ملهماً من روح علوية سامية. وقد وضعه والاشغال تتراكم عليه في شؤون الرعية والآتين اليه من الخارج، مما دل على ان هذا الاسقف الجليل لم يترك دقيقة من حياته بدون عمل مفيد لنفسه او للقريب.

لقد كان الاب توما اللبودي صادقاً باطرائه فضائلهُ الرهبانية والاسقفية من حيث الطاعة واماتة النفس والاستسلام لمشيئة الله والدقة في حفظ القانون بحرفيته وروحه، ثم غيرته الرعائية على خلاص الانفس المسلمة لتدبيره، اذ جعل نفسه كلّاً للكل فربح الكل. واما حكمته وافرازه في حل المشاكل التي تُعرض عليه، فقد أُعجبَ بها القاصي والداني، لانه كان مرجعاً للجميع، يأتونه من كل حدب وصوب، تاركين رؤساءهم، عارضين عليه سؤالاتهم ملتمسين حلّها لاعتقادهم الراسخ بصدقه واصابة حكمه وتجرّده عن كل هوًى نفساني. ولم يكن هذا الاعتقاد محصوراً في العامة وفي مرؤوسيه فقط، بل كان يتناول كبار القوم حتى الاساقفة والبطريرك نفسه، كما يثبته الحادث الآتي :

لما حصل الخلاف في الشام على الكنيسة بين ابناء الطائفة وخدَمَة نفوسهم الرهبان الفرنسيكان، انتدبه البطريرك يعقوب عواد لحلّ هذا المشكل، بالرغم عن احتجاج المطران سمعان عواد (البطريرك فيما بعد)، على ارسال غيره بهذه المهمة لانه هو كان مطران الشام وقتئذٍ.

(المجلد الاول من هذا التاريخ ص ١٠٢)

سافر المطران عبدالله الى الشام. على رغم ضعف جسمه وانحطاط قواه، وبما عرف به من حكمة وغيرة وتجرد ورأي صائب في معالجة صعاب الامور،

---

[1] نشره بالطبع حضرة الاب جرجس مورداني الحلبي في السنة ١٩٥٦ مع نبذة وجيزة في سيرة المؤلف.

(راجع المجلد الاول من هذا التاريخ ص ١٠٥).

ذلل تلك المصاعب وحلّ ذلك المشكل فنال بغيته وحقق للرؤساء رغبتهم وانال ابناء الطائفة مطاليبهم واسترجاع الكنيسة لهم .

(تاريخ الرهبانية جلد ١ ص ١٠٤)

واقام في الشام نحوًا من ثمانية اشهر ناظرًا في سدّ حاجات ابناء الطائفة ، بتعيين رعاة لخدمتهم الروحية ، اذ كان الاباء الفرنسيسكان قد تركوهم بعد ان خدموهم نحو نصف جيل . وكان يلقي عليهم الرياضات الروحية والتعاليم الدينية. ثم اهتم بان يرسل اليهم رئيس الرهبانية العام آنذاك ، الاب العلّامة جبرائيل فرحات فاخذ يعظ كل احد وعيد ويونس الاخويات وهو اول من اجرى عادة الوعظ كل يوم جمعة في الصوم الكبير على آلام المسيح واول من انشأ في الشام شركتي الوردية وثوب السيدة . وكانت عناية المطران عبدالله بموارنة دمشق من اكبر اسباب الاضطهاد الذي ثار عليه في السنة ١٧١٩ وتحمل فيه من الاهانة والتشنيع والغرامة ما لا يتحمله الا الراسخون في فضيلة الصبر المسيحي.

وهو الذي كانت له اليد الطولى مع العلامة السمعاني في عقد المجمع اللبناني دستور الطائفة .

(تاريخ الرهبانية المجلد ١ ص ١٥٣ و١٥٤ و١٥٧ و١٥٨)

ولم تقف همته عند هذا السعي فقط ، بل كان في عقد هذا المجمع وبعد عقده من اشد منفذي احكامه . (يومية السمعاني) . وكم كدّ وجدّ مع آباء الرهبانية في هذا السبيل فضحّوا بالكثير من راحتهم ومن مال الرهبانية .

(التاريخ مجلد ١ ص ٢٠٠)

ولما كان يعترضهم من المصاعب والعراقيل . وهم الذين كانوا اليد اليمنى للسيد السمعاني في مهمته هذه ، كما بيّنهُ هو في عريضته التي رفعها الى قداسة البابا اكليمنضوس الثاني عشر .

(ذيل المجمع اللبناني ص ٧٨)

وقد شدد المطران عبدالله بوجه اخص ، على تنفيذ حكم هذا المجمع بفصل اديار الرهبان عن اديار الراهبات ، اي الاديار المزدوجة التي اشغلت الكرسي الرسولي نحو قرن كامل .

ولما كان دير مار يوحنا حراش واقعاً في ابرشيته وكان بناؤه مزدوجاً ، اي ان سكن الرهبان ملاصق لدير الراهبات . فعملاً باحكام المجمع اللبناني. ألغى بناء دير الرهبان وانشأ بناء آخر مع كنيسة ، بعيداً عن دير الراهبات وخصّه بسكن الرهبان. ولما لم يكن لهؤلاء الراهبات قانون مكتب ، اذ كنّ يسرن على طريقة الرهبان العباد القديمة[1] ، وضع لهنّ قانوناً وبسلطانه الاسقفي وولايته على الدير ، أثبته واوجب عليهنّ السير بموجبه . وحذراً من ملاشاة عمله هذا بعد وفاته ، نظراً الى ما كان يلاقيه من المعاكسات في هذا السبيل ، طلب من الرئيس العام والمدبرين في الرهبانية اللبنانية ، ان يتسلموا تدبير هذا الدير . ولما رآهم مترددين في اجابة طلبه لاعذار مادية وسياسية . رفع عريضة مسهبة الى قداسة البابا واخرى الى السيد السمعاني ضمّنها مخاوفه من ملاشاة عمله ، وذلك بأساوب لطيف رقيق وافر ، مستحلفاً اياهما بجراحات السيد المسيح ان يعيرا التماسه التفاتاً ويأمرا رئيس الرهبانية العام ومدبريه باجابة طلبه ويتسلموا تدبير هذا الدير (حراش) بحسب الرسوم التي وضعها للراهبات .

ان ما فعله هذا الحبر الجليل من اعمال البر والصلاح مما وصل الينا وما خفي علينا ، قد جعل له المقام الرفيع والسمعة الطيبة ليس عند ابناء الطائفة وحسب ، بل عند الخارجين ايضاً ، اذا اتخذوا اعماله احدوثة طيبة يتسامرون بها في اجتماعاتهم ، حتى كانوا يرشحونه الى المقام البطريركي متفائلين بذلك خيراً عظيماً[2]. وفعلاً انه عند وفاة البطريرك يعقوب عواد، رشحه اكثر الاساقفة الناخبين وكان الجميع ينتظرون بشرى انتخابه بطريركاً . ولو لم تعمل اليد البشرية في الانتخاب لكان هو الفائز به ، ولكن هي احكام الله !

(المجلد الاول ص ٢١١)

والخلاصة ان ما تجلّى به من الفضائل السامية والمناقب الشريفة ، لم تكن لتخفى على احد ، بل كانت سيماؤها ظاهرةً عليه، من قبل ان يكرّس اسقفاً.

(التاريخ مجلد ١ ص ٩٧)

وقد شهد الاباء المرسلون اللاتينيون بأهليته لهذا المقام الخطير عند استشارتهم

---

١) المجلد الاول من هذا التاريخ ص ١٦

٢) التاريخ مجلد ١ ص ١٦٣ و١٦٥

لدى تمنعه عن قبول الاسقفية ، لاعتباره ذاته انه غير مستحق . وقد احتج الرهبان بان رهبانيتهم بحاجة اليه . فقال المرسلون : « ان الطائفة محتاجة الى مثل هذا الاسقف ، اما الرهبانية ففيها رجال اكفاء لسياستها » .

ان تقدمه في السن وامراضه الدائمة لم تكن لتخمد حرارة غيرته ونشاطه فتقعده عن مواصلة جهاده ، بل كان كلما تقدم في العمر ، ازداد غيرةً وتفانياً . متاجراً بالوزنات الخمس حتى المتاجرة . مكرساً كل قواه للقيام بواجباته الرعائية وقضاء حاجات القريب من فصل خلاف بين متخاصمين يقصدونه او يقصدهم هو . كان ذلك الراعي الصالح والقهرمان الحكيم ، يبذل النصائح الابوية ، يهدي النفوس الضالة ويرجع بها الى الحظيرة . وبالاجمال لم يكن يترك فرصة تمرّ بغير عمل يصرفهُ في سبيل البر ومجد الله تعالى .

لذلك منحه الله مواهب ونعماً وتعزيات غزيرة كانت المجع دواء لاوجاعه وامراضه ، تشدد عزيمته وتزيده قوة ونشاطاً في العمل ، فضلاً عمّا كان عليه من ذكاء وفطنة وقوة عارضة في حلّ المشاكل وما كان لكلامه من نفوذ في القلوب وما له من مهابة عند المتخاصمين الذين كانوا يذعنون ويخضعون لاحكامه لاعتقادهم صوابيتها ، فينصرفون داعين له .

وعند الفراغ من اشغاله الزمنية ، من اهتمام بشؤون الرعية وبعض مصالح رهبانيـة ، يتفرغ للوعظ والارشاد وتلاوة الصلوات والتأملات الروحية والتأليف .

واليك ما وصل الينا من تآليفه[1] :

١ً : الرسوم القانونية والفرائض الادارية .

٢ً : تفسير القانون الذي مرّ ذكره .

٣ً : قانون راهبات دير مار يوحنا حراش .

٤ً : كتاب المنهج اي تفسير قانون الراهبات .

٥ً : قانون الحباء .

١) راجع كتاب « المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني » (ص ٢٦–٢٩)

٦ً : قانون المبتدئين .

٧ً : رتبة لبس ثوب الابتداء .

٨ً : رتبة لبس الاسكيم الرهباني .

٩ً : ثلاثة كتب في الفقه الحنفي .

١٠ً : رسالة دافع بها عن الاب بطرس فروماج اليسوعي ضد اقوال الشماس عبد الله زاخر الملكي الشهير .

١١ : تاريخ تأسيس الرهبانية .

١٢ : كتاب مواعظ عددها تسع عشرة موعظة .

١٣ : المنظومات المعروفة بالافراميات .

١٤ : الطلبات التي تقال في مساء الاعياد السيدية وبعض القديسين .

١٥ : ابيات زياح الوردية : « مريم سرورك » و « مريم حزنك » و « مريم مجدك » وما يتبع ذلك .

١٦ : الابيات العربية التي يرتلها الشماسة في تلاوة السبحة الوردية في عيدها الواقع في الاحد الاول من شهر تشرين الاول .

١٧ : وله طلبة « يا خبز الحياة » التي ترتلها الشماسة في مناولة القربان للشعب .

١٨ : وطلبة « ان قلبي في هوى مريم » .

(التاريخ مجلد ١ ص ٣٦٣ وما يتبع)

ان قصده من تأليف الفراميات وعددها ٤٧ منظومة ان تكون على السنة الرهبان والراهبات اوقات الاعمال اليدوية وفي التنزه ، اقتداء بالقديس افرام السرياني ملفان البيعة الذي اغنى الكنيسة بمنظوماته السامية .

(تاريخ الرهبانية مجلد ١ ص ١٤٤)

هذا بيان موجز لبعض حياته العملية الخارجية ، أما حياته الباطنية فقد كانت اكثر نموًا واتقاناً . لان افكاره وعقله وقلبه وجميع عواطفه كانت متحدة بالله . فان كتب او خطب او وعظ او حل مشكلًا أو اتى عملًا ، كان يوجهه لمجده تعالى . ومن كان الله يرشده والعناية تسنده فكيف لا تكون آراؤه سديدة واوامرهُ مطاعة واحكامه صائبة ؟

ولم تكن الشيخوخة لتقعد به عن القيام بواجب تفقد رعيته وفقاً لاحكام المجمع اللبناني ، اذ كان يجول المدن والقرى ويعامل الجميع بالسواء ، الغني والفقير ، الوجيه والفلاح . ولم يكن يستنكف من زيارة الفقراء ، بل كان

يفتقدهم ويهتم بقضاء حاجاتهم ويعتبرهم كاخوة السيد المسيح ، بحيث كان كلًّا للكل ليربح الكل .

وفيما كان يعمل في حقل الرب ، قائمًا بزيارة الرعية وبالغ قرية زوق مصبح ، اعتراه مرض شديد احتمله بصبر جميل مقدماً اوجاعه مع آلام المسيح فداء عن الخراف المشتراة بالدم الكريم ، وفي القرية المذكورة فاضت روحه الطاهرة بنسمة القداسة في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢ وله من العمر سبعون سنة مليئة باعمال البر والصلاح ، فحق له ان يقول مع رسول الامم : « لقد جاهدت الجهاد الحسن وتممت سعيي وحفظت ايماني . وحفظ لي اكليل البر الذي يجازيني به الديان العادل خير الجزاء » .

وكانت مناحة شاملة لابنائه الرهبان وابناء ابرشيته وكبار البلاد لانهم اكبروا الخطب به ، لما كان له من رفيع المقام وصادق المحبة في قلوب الجميع لاعتقادهم بصلاحية وقداسة حياته . فانهم كانوا يطلبون شفاعته ويأخذون من ثيابه كبركة تقيهم كل مكروه .

وبعد دفنته الموقرة بسبع سنين فتح ضريحه بحضور المطرانين يوحنا اسطفان وجرمانوس صقر والاب العام مارون السدرعوني وجُزِّئت بقاياه الكريمة في حضرتهم الى ثلاثة اجزاء . وضع كل منها في سفط من خشب واعطي احدها الى دير مار الياس الراس للراهبات والثاني الى دير مار يوحنا حراش للراهبات ايضاً . ولم يزل كل جزء في محله ويدعى في دير حراش بسفط الذخائر . والجزء الثالث دفن في حائط كنيسة دير سيدة لويزه وراء المذبح الكبير من داخل الكنيسة . والاسفاط الثلاثة مختومة بالشمع الاحمر باختام الرؤساء المذكورين اعلاه .

وكتبت على بلاطة غطاء المدفن في دير لويزه هذه العبارة :

قد وُضع ها هنا باعتبار حافل واحتفال شامل هامة وعظام عبد الله قراألي اسقف مدينة بيروت ومؤسس الرهبانية اللبنانية الذي توفي بحياة نقية وانعاب جزيلة في ٦ كانون الثاني سنة ١٧٤٢ مسيحية » .

(تاريخ الرهبانية مجلد ٢ ص ١٠١)

رزقنا الله شفاعته وردّ المحن عن الرهبانية والطائفة بدعائه . اه

المبحث السابع عشر

في اسماء الآباء الذين ارتقوا الى درجة الاسقفية من ابناء الرهبانية بفرعيها الحلبية واللبنانية منذ نشأتها من السنة ١٧٠٠ الى السنة ١٨٣٣ . مع ذكر سنة ارتقائهم ووفاتهم ومكان دفنهم ؟ :

الذين رسمهم البطريرك يعقوب عواد :

١ : الاول الاب العام عبدالله قرألي الحلبي على مدينة بيروت ، في ١٦ ايلول ١٧١٦ . وتوفي في ٦ ك ٢ سنة ١٧٤٢ ، وله من العمر ٧٠ سنة ودفن في دير سيدة اللويزة .

٢ : الثاني الاب جبرائيل حوا الحلبي سُقف على جزيرة قبرس في ١٨ ايلول ١٧٢٤ . وتوفي في مدينة رومية وله من العمر ٨٤ سنة ودفن في دير الرهبانية برومية .

٣ : الثالث الاب المدبر جبرائيل فرحات الحلبي سُقف على مدينة حلب ودعي جرمانوس ، في ٢٨ حزيران ١٧٢٥ . وتوفي عن ٦٢ سنة في ٩ تموز ودفن في كنيسة الاسقفية في حلب .

٤ : الرابع الاب المدبر الرابع طوبيا الخازن البطريرك (١٧٥٦–١٧٦٦) ، رسمه البطريرك يوسف ضرغام الخازن على مدينة نابلوس في اول ك ١ سنة ١٧٢٣ وتوفي في ١٩ اذار سنة ١٧٦٦ . ودفن في كنيسة السيدة عجلتون وله من العمر ٥٧ سنة وهو البطريرك الاول بهذا الاسم .

٥ : الخامس الاب عبدالله حبقوق العشاني رئيس دير سيدة طاميش سُقف على جزيرة قبرس في السنة ١٧٤٢ وتوفي في قرية كفرصناب ودفن في كنيستها ١٧٥٨ .

٦ : السادس الاب جرمانوس صقر الحلبي سُقف على مدينة طرابلس الشام ١٧٤٢ وتوفي في السنة ١٧٦٨ ودفن في سيدة بكركي .

وهذان الاثنان قبلا وضع اليد من المطارين طوبيا الخازن واغناطيوس شرابيه وجبرايل السرياني . ولرسامتهما بهذه الصورة حادث خطير راجعه في تاريخ الرهبانية .

(المجلد الاول ص ٣٧٥)

الذين رسمهم البطريرك سمعان عواد : (١٧٤٢—١٧٥٦)

٧ : الاب يواصاف البسكنتاوي على مدينة صور في السنة ١٧٤٨ وتوفي في دير مار سابين بسكنتا في سنة ١٧٦٩ حيث دفن وله من العمر ٧١ سنة .

٨ : الاب جبرايل صفر على دير مار يوحنا حراش في السنة ١٧٥٢ وتوفي في السنة ١٧٥٤ ودفن في الدير المذكور .

٩ : الاب ارسانيوس عبد الاحد الحلبي على مدينة الشام في السنة ١٧٥٥ وتوفي في رومية في السنة ١٧٨٨ عن ٧٨ عاماً ودفن في دير الرهبانية برومية .

الذين رسمهم البطريرك طوبيا الخازن (١٧٥٦—١٧٦٦)

١٠ : الاب طوبيا طربيه الطرابلسي على مدينة طرابلس ودعاه باسم جده المطران اسحق الشدراوي ، في السنة ١٧٥٧ . وتوفي في طرابلس السنة ١٧٦٣ عن ٤٨ عاماً من العمر ودفن في كنيسة طرابلس .

١١ : الاب ارسانيوس شكري الحلبي على مدينة حلب في السنة ١٧٦٣ . وتوفي بعمر ٧٦ سنة في دير سيدة عين شقيق حيث كان قائماً بجمع الاساقفة « الاقليمي » . وبعد حفلة الجناز نقل الى دير سيدة اللويزة حيث دفن في سنة ١٧٨٦ .

١٢ : الاب عبدالله نستير الطرابلسي على مدينة عرقا في السنة ١٧٦٣ . وتوفي في دير مار الياس بلوني ١٧٦٨ حيث دفن وله من العمر ٥٥ سنة .

١٣ : الاب مبارك بن عبدالله مبارك من زوق مصبح ، على مدينة طرابلس الشام في السنة ١٧٦٣ . وتوفي ١٧٨٠ عن ٦٧ عاماً من العمر ودفن في دير اللويزة .

١٤ : الاب رافائيل موسى الخازني على مدينة طرابلس الشام في السنة ١٧٦٥ . وتوفي عن ٦٦ عاماً من العمر ، في دير مار سابين بسكنتا حيث دفن .

الذين رسمهم البطريرك يوسف اسطفان : (١٧٦٦—١٧٩٣)

١٥ : الاب جرمانوس دياب الحلبي على مدينة حمص في السنة ١٧٦٩ . وتوفي في ٣٠ تموز سنة ١٧٩٩ في دير القمر ودفن في كنيسة الانطوش سيدة التلة .

١٦ : الاب اسطفان الخازن رسمه البطريرك فيلبوس الجميل السنة ١٧٩٦ ونقل الى الشام ١٨٠٨ وتوفي في السنة ١٨٣٠ .

١٧ : الاب لويس بليبل رسمه البطريرك يوسف التيان (١٧٩٦—١٨٠٩) . على جزيرة قبرس في السنة ١٧٩٨ وجلاه باسم عبدالله . وتوفي في كرسيه دير مار شليطا قرنة شهوان حيث دفن ١٨٤٢ وله من العمر ٨٢ عاماً .

فيكون عددهم حتى السنة ١٨٣٣ ثمانية عشر اباً اسقفاً ، منهم واحد ارتقى الى المقام البطريركي . وهو طوبيا الخازن .

١٨ : الاب طوبيا عون رسمه البطريرك يوسف حبيش (١٨٢٣ — ١٨٤٥) . على عكا ، ثم نقل الى مدينة بيروت السنة ١٨٤٦ . وتوفي السنة ١٨٧١ ودفن في عين سعاده .

ثم نذكر الآباء الذين ارتقوا درجة الاسقفية فيما بعد السنة ١٨٣٣ :

١٩ : الاب امبروسيوس انطاين رسمه الكرسي الرسولي على مدينة ادنه١٨٧٤وتوفي ١٨٧٨ .

٢٠ : الاب اسطفان الخازن الثاني ارتسم السنة ١٨٤٨ وتوفي ١٨٦٨ .

٢١ : الاب يوسف دريان رسمه البطريرك يوحنا الحاج (١٨٩٠–١٨٩٨) في السنة ١٨٩٦ ، على مصر . وتوفي ١٩٢٠ ودفن في كرسيه في القاهرة .

٢٢ : الاب اغوسطين البستاني رسمه البطريرك الياس الحويك ١٩١٩ على مدينة صور وتوفي السنة ١٩٥٧ عن ٨١ عاماً .

٢٣ : الاب يوسف الخازن ارتسم رئيس اساقفة شرفاً على عكا في ٣ آب سنة ١٩١٩ .

٢٤ : الاب يوحنا شديد المدبر رسمه البطريرك بولس المعوشي ١٩٥٦ واقامه نائباً في الكرسي البطريركي .

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم ١٨٣٨ — ١٨٥٠ (تابع)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

[١٨٣٨] قدم الى حلب اوزيب دي لاسال الترجمان سابقاً في جيش افريقية الافرنسي استاذ اللغات الشرقية الحية وعضو الجمعية الاسيوية .

رأى ضواحيها اشبه منها بضواحي القاهرة لما فيها من التلسل التي تراكت عليها النفايات والانقاض فقضى ساعتين والنصف ليدور حولها . كان فيها سليمان باشا (الكولونيل دي سيڤ الافرنسي) يستعرض الجيش المصري في عودته من المناورات في البادية وعدده خمسة وعشرون الفاً بين البيادة والخيالة والطوبجية . زار القلعة ومما شاهد فيها قاعة الاسلحة فكانت تحوي الملايين من الاسهمة [كذا] مع انواع الاسلحة كالزرديات والمصفحات والتروس التي كان فرسان العرب يحملونها في القرون الوسطى وكلل المدفعية القديمة الموجود من امثالها في جزيرة مالطة .

واعجب بما رآه في بيت قرألي قرب بوابة الياسمين من زخارف الفن البنائي ربما رآه ايضاً في بيت يوسف صادر من المصنوعات الخشبية في سقوفه وهي من شغل العجم وقابل بين سورية ومصر والقاهرة وحلب ففضل سورية وحلب كما يفضل الحي على الميت بالفن والاخلاق واتصل بالبطريرك بطرس جروه الذي كان يتكلم بالايطالية والافرنسية والانكليزية فضلاً عن العربية واختبر بهجة بساتين حلب اذ قضى فيها يوماً مع نخبة من الاعيان يفصفصون البزر ويلتقطون القضامة ويفقشون الفستق في ظل الاشجار . وحظي بمقابلة ابراهيم باشا ابن محمد علي عزيز مصر فوجد ابراهيم مشغولاً بالقراءة عليه ملامح الهرم والتعب وكان لسانه ثقيلاً اذا تكلم بالعربية وهو تركي النشأة وتحدث عن السكك الحديدية وعن المسألة الشرقية وعن السفن التجارية وعن الزراعة وضرورة فتح الطرق بعد نهاية الحرب والتمتع بالسلم .

وقال عن الاوروبيين في حلب ان بعضهم يجمعون المال ويعودون الى بلادهم وبعضهم يسرفون الاموال ويقعون تحت العجز وينصرفون الى اللهو والصيد ومنهم من يوفقون الى العمل في القنصليات .

ومن الاسر الافرنجية التي تعرف اليها دي سال جرمان وجوفروا وفيدال ومولناري .

وقال عن حلب وهو يجتاز طرقها انها بملكة الشرق .

[١٨٣٩] خرج العسكر الى جهة اورفا لمحاربة حافظ باشا وكانت وقعة نزيب . (غزي ٣، ٢٦٤)

١٤ ايار ولد عبدالله مراش وسوف يتوفى بمرسيليا ١٩٠٠ .له عدة مؤلفات. (غزي ٤، ٣١٥)

— انطون ولد جبرا عجوري وزوجته ... اوقفوا مسقفات على فقراء نصارى الروم الكاثوليك . وكذلك يوسف ولد نعوم وكيل وسوسان بنت جبرا خياط وفتح الله انطون شمراوي . وفتح‌الله ولد جرجي طباخ اوقف بمسقفات على فقراء الارمن الكاثوليك وكذلك سوسه بنت عبد الله غزاله . (غزي ٢، ٥٨٧)

[١٨٤٠] ٨ تموز رزق السلطان عبد المجيد ولدًا ذكرًا فامرت الحكومة بالزينة سبعة ايام واطلقت المدافع ٢١ دفعة .

٣٠ آب سيم كاهنًا للموارنة نصرالله ايوب .

٢ ت ١ خرج العسكر المصري من حلب واحرق ابراهيم باشا بعض بيوت الاعيان لانحيازهم لبني عثمان . (غزي ٣، ٢٦٤)

زار حلب تومبسون رئيس الارسالية الاميركية فكانت ترمم الخراب الذي احدثته الزلازل وكانوا قد اخذوا بانشاء حي الكتاب .

— وفيها الدكتور بورينغ الانكليزي قدم الى البرلمان في لندن رسالةً عن احوال حلب وعلاقاتها التجارية . (ربتر ١٧٥٩)

شروط الموارنة

رحل ابراهيم باشا عن بلاد الشام وعاد الحكم فيها الى بني عثمان . وفي

قبضتهم على زمام الامر ارادوا ان يكتسبوا ثقة الاهالي المسيحيين وكان اعظمهم شأناً عميد لبنان بطريرك الطائفة المارونية . فكتب البطريرك يوسف حبيش هذه الوثيقة رواها اسد رستم في الاصول ٢٥ص٢٠٨—٢١١ وقد رويناها عنه بكمالها لما لها من الاهمية في تاريخ الموارنة خاصةً والمسيحيين عامة :

علم الانعامات المطلوبة من حضرة مولانا السلطان عبد المجيد للبطريرك الانطاكي الماروني ولخلفايهم من بعدهم .

اولًا : ان في امور الديانة ليس لاحد ان يصادر اوامر البطريرك المشار اليه الجالس على الكرسي الانطاكي منذ القديم ولا يتعدى مراسيمه العايدة لاصلاح الاكليروس والشعب ولا يتعارض من اي كان من ولاة الامور ام خلافهم سواء كان في الجبال او في المدن او في الجزاير بل يكون متصرفاً بكامل الحرية والسلطة حسب رسوم ديانته نحو جميع طايفته المتمسكة بمذهب واحد والخاضعة كلها لسلطانه .

ثانياً : ان عزل الروسا الكنايسية في اي مكان كان لا يصير الا من المذكور بمقتضى الرسوم .

ثالثاً : ان ارزاق الكرسي البطريركي والمقارات المختصة به من اي نوع كانت تكون معافة من الاثقال والحوادث الاميرية ومثل ذلك يكون معفى البطريرك المذكور من اداء الجمارك فيما يجلبه او يرسله براً او بحراً وتكون ممنوعة عن كل ما يخصه السخر والمكاليف والاثقال بوجه العموم وكذلك يعفى من الخراج وغيره من المطاليب الاميرية الانفار المعينة لخدامته وخدامة المطارين ومن كل ما ذكر من السخر والاثقال .

رابعاً : البطريرك والمطارين حين جولانهم المدن والقرى والجزاير فلا يتعارضون من ركوب الخيول المسروجة مع الملابس المعينة لكل منهم وحمل العكاز البطريركي والعلامات التي تنقل امامهم حسب وظيفة كل منهم .

خامساً : ان تكون طغمة الاكليروس جميعهم معفية من اداء الجزية والاثقال العمومية والسخر في اي محل كان وكذلك من كل ما ينافي حالهم ومقامهم الاكليريكي سواء كان في الجبال او في المدن او في الجزاير .

سادساً : جميع الاكليروس والرهبان والروساء المذكورين اذا قصدوا السفر

او السياحة الى المدن والقرى والجزاير ولو كان ذلك خارجاً عن حدود رعاياهم فلا يطلب منهم شيء ما البتة من المرتب في تلك الاماكن القاصدينها مهما كانت . واذا شاء البطريرك او المطارين والاساقفة الاقامة في المدن والجزاير مقر ابرشياتهم فلا يمنعون من ذلك . بل فليكونوا احرارًا في كل ما ذكر مما يتعلق بامور دياناتهم ورسومهم وعوايدهم .

سابعاً : وللبطريرك المومى اليه مع المطارين والرهبان والشعب الماروني ان يقيموا اديرة ومدارس وكنايس ومعابد وصوامع بحسب المعتاد القديم دون افتقار الى اخذ اذن جديد كان ذلك في الجبال ام في المدن ام في الجزاير او في اي محل كان يسكنه الشعب الماروني ويستعملوا فيها رسوم دياناتهم بكامل الحرية بلا معارضة احد من ولاة الامور ايًّا كان .

ثامناً : وللبطريرك الانطاكي الماروني المرقوم ان ينصّب قضاة من طايفته لفصل دعاوي الشعب والاكليروس ليقضوا في الدعاوي المدنية بمقتضى الشريعة السلطانية في الاشياء التي لا تخالف رسوم دياناتهم وينوط بالبطريرك والمطارين المذكورين تأديب المذنبين من الاكليروس الخاضع لهم والفحص عن قضيتهم حسب رسم الديانة واذا وجد احد المذنبين المذكورين مستوجب الموت بمقتضى ذنبه فبعد الفحص واثبات الزلة يتسلم منهم لحاكم الجبل الماروني . ومثل ذلك الحكم في امور الزيجات ومتعلقاتها ينوط بالبطريرك المذكور ومطارنته فقط .

تاسعاً : ان الاكليريكيين الذين يتوفون بلا وراثة فتكون تركتهم للبطريرك المذكور وليس لبيت المال ولا لغيره من الحكام الاسلام التداخل بذلك ولا ان ياخذ احدهم شيئاً من التركة المذكورة . ومثل ذلك اذا اوصى احد بوصيته الاخيرة اكليريكياً كان ام علمانياً بتركته للقلاية البطريركية او الاسقفية او للكنايس والاديرة والمدارس او للفقراء فليس للحكام او بيت المال المذكورين ان يتعارض او يتداخل بذلك .

عاشرًا : اوقاف الاديرة والمدارس والكنايس والفقراء فلا احد يتعرض لها او يضع يده عليها من الحكام وغيرهم ولا ان يجاوزها انتقال وحوادث جديدة كما مرّ .

حادي عشر : اذا كان لاحد دعوى مدنية على البطريرك فلا تسمع الا

في ديوان شيخ الاسلام في الاستانة .

ثاني عشر : ان الحاكم دايماً على جبل لبنان وانطيلبنان بحسب المتاد القديم لا يكون الا مارونياً من العايلة الشهابية الشريفة من كون سكان الجبال المذكورة الاكثر عدداً مما سواهم هم الموارنة ويكون تنصيب هذا الحاكم الماروني على الجبل المذكور متعلقاً بغير توسط ، بباب همايون العالي فقط ، لا بما سواه ويجب ان يكون ديوان شورى في لبنان لاجل ادارة احوال الجبل ومصالحه جميعاً كما سيتبين ذلك [منه] فيما بعد .

ثالث عشر : الاموال الميرية والخراجية وجزية الراس الموظفة منذ القديم في كنار الدولة السنيّة والمسجلة في محاكم مدن جبل لبنان هي مال اميري واحد وجزية واحدة فقط . فنترجا الا يتجاوز هذا الترتيب المسنون قديماً وترتفع عن اهالي الجبل المذكور جميع الحوادث والاقلام المجددة الجورية المغايرة المشروع وكذلك السخر والاثقال الحاصلة في المدن والجبال والجزاير .

رابع عشر : فلتبقَ الموارنة المذكورين احراراً مختارين في معاطاة رسوم دياناتهم وطقوسهم كافةً اينما وجدوا . وهكذا فيما يلاحظ ترتيب زيجاتهم ودفن موتاهم كان ذلك في المدن او الجبال او الجزاير دون معارضة اي كان من الحكام والولاة بوجه العموم . في جبل لبنان في ٢٩ ت ١ سنة ١٨٤٠ .

ويليه توقيع البطريرك يوسف بطرس والمطارين انطون الخازن (بعلبك) عبدالله بليبل (قبرص) بولس موسى (طرابلس) بطرس كرم (بيروت) سمعان زوين (سور) يوسف الخازن (دمشق) يوسف رزق (قورش) .

ولمَ لا يوقع بولس اروتين اسمه ؟ افكان غايباً عن حلب ؟ وبر الشام ؟ او كان في حلب وهو ابعد من ان تكون الرابطة سهلة بينه وبين المقام البطريركي فلم يشترك مع البطريرك وسائر المطارين بتوقيع « شروط الموارنة» ؟

رجوع الحكم التركي

[١٨٤١] ١٠ ك ٢ طلعت الناس من الخفاء بعد رواح ابراهيم باشا بعد ان دعا اسعد باشا اعيان الاسلام ووبخهم على ما يفعله رعاعهم في النصارى من قلب لفات واهانات وقال : اتعرفون ان النصارى مؤمنين على حياتهم ومالهم

من جانب السلطان ؟ وحلف وقال من بعد اليوم اذا صار للنصارى بهدله قبل الخالع من حق الذي يهدل اطلع من حقكم انتم قبلاً ... ومن الآن وصاعداً دبروا بالحكم ان يصير بهدله او كسرناهم للنصاره يكون معلوم (يومية البخاش).

وفيها في نيسان زكريا باشا اخذ يجمع العسكر ومراده التوجه الى اورفه لان اهلها سبوا حريم النصارى وعدوا اوامر الدولة فراح العسكر يضربونهم ويطيعونهم . (يومية البخاش) .

— وفيها كتب بطرس قرألي الى المطران بولس في ١٨ آب بخصوص وصوله لاستنبول ومقابلته الى الياس حوا وطلب المذكور من المطران بولس ان يعرض للبطريرك امتيازات المطارنة ليحصل على براآت لها . لقد عانى الياس حوا الاتعاب «لاجل حصول على الشرفية الى الطائفة المارونية حيث عاد لها اسم في الدولة العلية» . فيطلب اليه المطران ان يمد هذه الاشرافية الى كرسي حلب حتى يحصل التساوي مع بقية الروسا . فسألونا عن الفروقات الموجودة ما بين سيادتكم وباقي الروساء فجاوبت . اولاً : مسك العصا في الدروب . ثانياً : اخذ الصليب قدام الميت ما عدا غير امتيازات . فصار الجواب بان قوي مناسب لازم سيادته يعرض الى السيد البطريرك ويعرض عن الامتيازات عن باقي الطوائف والسيد البطريرك يطلب ونحن نجاهد باخراج براآت سلطانية بهذه الامور فبقي المامول لا يصير اهمال بهذا الطلب من السيد البطريرك وانكان يتحسن عند سيادتكم ان يرسل تحارير من غبطتكم الى جناب الخواجا الياس (حوا)وهذا الامر ليس لاجل افتخار الكرسي فقط بل لاجل خير الطائفة من كون على ما بلغنا بان الآن مجدداً خرجت اوامر ملوكية مشددة الى كامل ولات الممالك المحروسة بتشديد عظيم توصية كلية في الرعايا الى هذا الحد حتى مراد سعادة الشوكتلي باشا اذا وقع مادة الى احد الرعايا وبده يجري الحكم عليه في شي. فلا يجري بل بواسطة مطرانه يثبت عليه الحكم كما ان رعايا طوايف الافرنج لا يستمع عليهم دعاوي الا عند قناصرهم فباقي الرعايا قدام مطارينهم ... والان مع القابور الى بيروت متوجه من الدولة العلية الشرف الملوكي نيشان الماس الى قدس السيد البطريرك الموارنة (بواسطة حوا) .

(اضبارة اروتين ٢٩٥)

— وفيها ٢١ آب كتب من الشام مارون نقاش الى المطران اروتين لا بد بلغكم الفرمان الصادر بتغيير قلنسوة كهنة اخوتنا الروم الملكيين فمن يوم ٣ ارسل سعادة سليم باشا طلب وكيل المطران بطرفنا فابى عن الذهاب فارسل استحضره مهاناً وامره بتغيير القلنسوة وباثناء ذلك درى جناب قونسل فرنسة ان المذكور قد احتقر باستياقه من الجند وحيث مطلوب منه حماية الاكليروس القاثوليقي فارسل كنشليره استخلصه وقتياً غير ان القسوس للان لا يجولوا بالاسواق بل ماكثين في انطوشهم ليثما ينظروا الحال وانما بالشام مسموع انهم غيروا قلنسواتهم ». (اضبارة اروتين ٢٩٤)

صورة الامر الوارد من سعادة الصدر الاعظم لسعادة افندينا اسعد باشا والي حلب في سبيل حماية المسيحيين بعد خروج ابراهيم باشا من سورية :

« معلومكم ان ايالات بر الشام قد تحولت من عهدة والي مصر من قبل الدولة العلية وآلت لعهدتكم السامية لكي تتوقفوا وتناظروا حسن ارادتهم من كل الوجوه . وعظمة الذات الشاهانية بموجب مقتضى شروط خلافتها الشرعية وابتناء سلطة سلطنته اجرا الاصول العدلية التي هي حماية جميع صنوف رعاياه الموجودين في كافت الممالك المحروسة وصيانتهم فمن كون هذا مطلوب من ارادته العالية الشاهانية فابنية كل مذهب وملة الموجودين في مقر ولايتكم وما يليها من رعايا السلطنة السنية على انفسهم واموالهم وصيانة اعراضهم وناموسهم يتمتعوا بها بدون استثناء في ظل شوكت الشاهانية . فيجب على الدوام من طرفكم العالي ان تعرفوا بذلك الاعتناء اذا حدث تصرف او تداخل ملتوي بهذا المخصوص سواء من قبل ماموري الدولة العلية سواء من غيرهم بنوع من الانواع فليعلموا انه يطالبون عنها فلذلك افهموا هذه لمن يقتضي والاساقفة والقساة عربستان الموجودين بطرفكم فمن كونهم روسا مللهم فلتكن لهم الحماية والرعاية . وصنوف الرعايا حين ظهور امواد متعلقة بالحقوق ام غير انواع ويلزم الامر لمراجعة حكام الشرع الشريف إما حكم العرف فلتنظر دعاويهم بكمال التدقيق على وجه الحق من دون اغراض وحين الاحتياج بحضور روسائهم كما الذين يكونون من تباع الدول المتحابية يجب ان يكونوا حاضرين قناصرهم عند الترافع وتحصيل اموال الجزية الشرعية يجب ان يكون على موجب الاصول المستحسنة والترتيبات الخيرية. وجميع ملل المسيحيين عند تداعي عمارة ورمة وانشاء كنايسهم القديمة واديرتهم وبيمارستاناتهم ومقابرهم كما واجرا مذهبهم وعوائدهم وتصرفاتهم المالوفين عليها يعطوا رخصة بذلك حسبما يساعد الشرع ولا يحصل تجاوز وتعدي من احد للدخول الى قلاليهم واديرتهم وكنايسهم ولاجل امتيهم فحين الاحتياج يعطى لهم من القاق الكبير لمكاتهم مقدار مناسب من انفار

عسكر المحافظة والنائية تكونوا تبادروا وتدفعوا في حصول كافة انواع الحماية والصيانة لجميع تبعة السلطنة السنية وبذلك تستجلبوا للحضرة الشاهانية ترادف الادعية الخيرية وعند حدوث بعض امواد مشكلة يعسر حسمها بطرفكم فتكونوا تستأذنوا عنها من الدولة العلية وتعتنوا بجميع المخصوصات المشروحة » .

(اضبارة اورتين بخطه ٢٧٩)

— غريغوريوس ديمتري شاهيات اوقف مسقفات على فقراء الروم .
(غزي ٣ ، ٥٨٨)

— وفي ١٥ آذار دخل حلب لبيب افندي مقتدر عن طريق قبرص فاللاذقية جمع الاعيان وقرأ خط غولخانه الشريف ولصقه على جدران المدينة . ولكن نشأ من ذلك العصيان على الدولة والتمرد دون الخدمة العسكرية وعم الخوف المسيحيين في نتيجة الحوادث (ورري القنصل البريطاني) .

[١٨٤٢] تريزيا بنت جرجس اوقفت مسقفات على فقراء السريان بحلب .
(غزي ٣ ، ٥٨٨)

— نسخ انطون يوسف باسيل كتاب اللاهوت « في ان الله تعالى علة الموجودات التامة » (سباط ٤٥٧)

[١٨٤٣] ٣١ تموز سيم كاهناً للموارنة نعمة الله كلداني (جبرائيل) وشكرالله كلداني (ميخائيل) .

[١٨٤٤] حدث جدال في الشؤون الدينية بين المطران فيليبوس الارمني الغريغوري وبين الاسقف باسيليوس عيواظ الارمني الكاثوليكي .
(غراف ٤ ، ٩١)

توفي تيوكتيستوس مطران حلب « الارثوذكسي » الف كتاباً على الانبثاق رد عليه مكسيموس مظلوم ١٨٤٨ . (غراف ٣ ، ١٦٣)

— وفيها ٨ ايار توفي الاخ الشماس بطرس صادر ناظر الاخوة ومثال السيرة المسيحية الكاملة الذي من نعومة اظفاره الى حين وفاته عاش كالرهبان ذو الغيرة الفائقة على حفظ الناموس الالهي مثابراً على تعليم الاحداث واجبات الديانة ولاجل هذه الغاية استخرج من كتب اللغات الافرنجية الى العربية كتاب

مرشد الاحداث وغيره. وتنيح بمرض الاستسقاء ووجع العظام وفيها توفي الشماس شكرالله دوناطو عرف بحبه الفقر الاختياري وتجرده عن اباطيل العالم. ظهر بعد وفاته ان عنده زنارين من حديد كان يعذب بهما جسده .

— وفيها في ايار الياس حوا ارسل من استنبول تحريرًا الى المطران بولس بخصوص ارسال فرمان الكنيسة الجديد وفيه من التغييرات على الفرمان السابق بان الاوضة على السطح تخص الموارنة ... (وربما كان الخلاف عليها بينهم وبين جيرانهم الارمن ؟) .

— وفيها ٢٣ تموز ارسل مارون نقاش الى المطران بولس اروتين تحريرًا قال فيه ان امبراطور النمسا ارسل الفي كيس احسان الى فقراء الموارنة .

(اضبارة اروتين ٢٩١)

— وفيها في ٦ ايلول ارسل البطريرك مكسيموس مظلوم تحريرًا الى المطران بولس اروتين يسأله ان يشارك بوضع اليد في رسامة الخوري ميخائيل انطاكي (ديتريوس) مع المطران مكاريوس اسقف ديار بكر مطرانًا على حلب خلفًا للمطران غريغوريوس شاهيات . (اضبارة اروتين ٣٢٢)

[١٨٤٥] في ١١ حزيران حرر الياس حوا في (استنبول) الى المطران بولس اروتين :

« اياكم تغيروا ملبوسكم القديم بل ابقوا على ما انتم به مع كامل الكهنة يعني لا تلبسوا مثل قاوسات الارمن الكاثوليك والسريان . ملومكم طايفتنا هي وردة بدون اشواك ولا لها اعدا فما هو خوفكم فلا تلتجوا الى بطرك الارمن الكاثوليك ومن طرف نياح البطرك في الجبل فلا يهمكم شي . لان بالسابق تنيحوا البطاركة وما اصاب الطائفة مصيبة . وبطرك الموارنة ليس هو من قبل الدولة ولا يحتاج الى براءة . ومنذ سنين عديدة سلكوا مطارين الموارنة بحلب بامان كذلك يكون لسيادتكم ولكهنتكم وللكنيسة ولا احد يمكنه بالتداخل الى اموركم فكونوا براحة البال وامنين على نفسكم وكنيستكم وكهنتكم وطايفتكم . والمطارين بالجبل مباشرين بانتخاب بطرك عوض المائت الرحمة .

(اضبارة ٣٢٨)

— وفيها في ١٦ تموز كتب الاب شاول الرئيس العام للانطونيين الى المطران بولس اروتين يخبره انه ارسل اخين من رهبانيته الى حلب لجمع الحسنات في

سبيل « ترمم الاديرة وتجميع الرهبان لسكناهم » .

(اضبارة ٣٣٢)

وفيها في ٢٧ ايارل كتب المطران اروتين الى الياس حوا في استنبول :

« ان كنيستنا المارونية من نحو اربعمائة سنة لم تزل بيد الطائفة المارونية جيلاً بعد جيل الى الآن . ومن حيث ضمن حوش واحدة يوجد اربع كنايس كنيستين للارمن الارائنة وكنيسة للروم المشاقين وكنيستنا المارونية . ومن نحو مايتين سنة الى الآن محتملين اضطهادات وخساير جزيلة . من قبل الارمن الارائنة ، دار جانب ابواب الكنايس الخارجات ، وفوق الابواب لهم بيت لهذا الباب فخربوا البيت وهدموا الحيط الذي بين ابواب الكنائس ورفعوه ووضعوا بين بابي الكنائس الخارجات حجره كبيرة كتبوا عليها بالارمني ان هذين البابين هم ابواب كنايسهم الاثنين وكان مرادهم يمنعوا الموارنة عن المرور الى كنيستهم والان سافر واحد من كهنتهم الى القسطنطينية متسلحاً بمكاتيب توصية من قونسلس دولة الانكليز وقونسلارس دولة المسكوب الى الالجين هناك ليساعدوه ومعلوم ان هتين الدولتين تحامي وتعضد الارائنة والمشاقين فنلتمس من نيافتكم تحركوا غيرة سعادة ملك فرنسا المشهور بالغيرة في المحاماة عن الكاثوليكيين لكي يأمر الجيه في القسطنطينية لكيما بسعيه يصد عنا الارمن الارائنة ويرفع هذه الحجر المكتوبة بالارمني التي وضعوها على ابواب الكنائس البرانية في هذه السنة باوامر صارمة .

(اضبارة اروتين ٤٤ ٢)

— وفيها المطران ديمتري ولد حنا اوقف مسقفات على فقراء الروم الكاثوليك بحلب .

(غزي ٣ ، ٥٨٨)

— بكتر بنت جبرا نقاش اوقفت مسقفات على فقراء الروم الكاثوليك بحلب .

(غزي ٣ ، ٥٨٨)

— بطهاز جروه اوقف مسقفات على فقراء السريان بحلب .

(غزي ٣ ، ٥٨٨)

— ٨ نيسان اعلن بفرمان شاهاني استقلال طائفة السريان الكاثوليك .

(غراف ٣ ، ٥٨٢)

[١٨٤٦] تومبسون رئيس الارسالية الاميركية زار حلب للمرة الثانية قال انها مركز تجاري وادبي ووصف احوال الطوائف المسيحية فيها .

على ايامه نشأت الارساليات البروتستانيــة بين الارمن في عينتاب وكلز ومرعش وادنه وفي اعالي نهر الفرات . اما في حلب فكان يقف في وجههـا المرسلون اللاتين . (ريتر ص١٧١٨)

[١٨٤٦] ١٨ تموز . ..

الجزية او الوركي وتوزيعها على الطوائف

في اضبارة المطران اروتين (٣٥٥ صفحة) تعالج فيها الضرائب وكيفية جمعها وقد تتكفل بها الطوائف بمعدل يتناسب وعددها ومكانتها الاجتماعيـة فالغني يؤدي الجزية عن الفقير طبقاً لما ترتبه لجنة الاوقـاف تحت اشراف المسؤولين من مسيحيين او يهود .

والصفحات المذكورة وجهها المطران اروتين على ما يظهر الى اليـاس حوا «قبو كتخدا الباب العالي» اي ممثل الطائفة لدى السلطان في استنبول. روينا ها على علاتها لما فيها من الافادة على حياة المسيحيين الاجتماعية وعلقنا عليها مما رأيناه لازماً لفهمها :

« ان طايفتنا المارونية معلومة [من] الدولة وغبطة بطريركنا أنعم عليـه بنيشان الافتخار . . .

ولكن من حيث ان السيد البطريرك السريان (بطرس جروه) اتفق مع قـدس الاخ المطران ديمتريوس (انطاكي) وعدة خمسة عشر يوماً تدبرا مع الخواجـا جرجي مراش وخاطبا جناب الملا بواسطة المذكور واتفقا على ان يحرروا عرضحال لسادة افندينـا ولي النعم ومثله للقاضي ويتشكوا من ظلم الفقراء ويطلبوا ان الويركي يتوزع على التراب كاس الدولة العلية لا على الرقاب وتحسن لديهم هذا التدبير بشورة القاضي وان لم يرتض سعادة ولي النعم فحيئنذ القاضي يعطيهم اعلام بعد ان اعتمدوا على ذلك استدعانا السيد البطريرك مع باقي الروسا للاجتماع عنده ولما رأينا انهم لا يريدوا يحيدوا عن التدبير الذي اتفقوا بـه مع القاضي فنحن صمتنا (لعلمنا السوابق[1]) والحال انه كان يقتضي الامر ان يكون التدبير بهذه الصيغة : وهو انه يؤخذ الاعلام من القاضي سراً بدون تقديم عرضحالات ويتحرر من جميع المطارين الى البطاركة الخمسة : الروم الكاثوليك ، الروم الارثوذكس ، الارمن

١) لعله اراد بذلك ان قائمة الضرائب الموضوعة اتفاقاً بين القاضي والوالي يتخللهـا اجحاف بالحقوق والاوفق بان يعقد الامر مع احدهما دون الاخر ويبقى سبيل الى مراجعة الباب العالي .

الكاثوليك ، الارمن الارثوذكس ، السريان وجنابكم وبعد ان يتدبر الامر بنواحيكم ويخرج الامر حينئذٍ الروسا تظهر ذاتهم لانهم يكونوا حصلوا على سلاح .

ثاني يوم توجهت عند بطريرك السريان واخبرته ان هذا التدبير ما قطع عقلي ولا اضع اسمي معكم في العرضحالات لاني لست صاحب براءة[1] . واما اذا لا بد من مصروف للحصول على الاعلام فالف يخص طايفتنا يصلكم .

ومن خمسة ايام شرف لعندنا غبطته وطلب منا نصير له حساب على الف غرش فخصنا ماية قرش من الالف سلمناه حالاً لغبطته . فبعد تقديم العرضحال لسعادة ولي النعم ولما طلبوا الجواب استدعام سعادته وقال لهم ان الطريقة التي باشرها بتوزيع الوركي على الحرف والصناعة والتجار يوفر عن الفقراء الظلم ولما جاوبه المطران ديونيسيوس ان ارادة مولانا السلطان يتوزع على التراب جاوبه اركب الان وسافر الى اسلامبول واشتكي وانا اعطيك مصروفك وخرجوا بخجولين .

ولما خاب املهم وابتدى توزيع الوركي على الاصناف اجتمع السادات مع بعض وجوه الطوايف وسخروا الكنيستين المشهورتين الروم والارمن وردوا الوركي على الحال الاول حيث الصانع الفقير الذي هذه السنة تسول الاحسان لعدم الاشغال وزيادة الغلاء يلحقه في السنة قسطين كل قسط منه ٨٠ الى ١٠٠ وللتجار المتيسرين يلحقهم نحو ثمانية غرش [كذا ولعل الصواب ثمانية] في القسطين . فهذه التدابير التي صيرتنا ان لا نشترك معهم في الكتابات التي فيها رهنوا قلمهم عند السادات البطاركة وجنابكم انه بعده مع اول برسطه يرسلوا الاعلام الذي لهذا اليوم الخميس ما حصلوا عليه والقاضي يحاولهم . وعلى ما يلوح لنا ربما لا يحصلوا على اعلام الا ان كان سفر القاضي في نهاية ايامه لانه بلغنا ان بعض المضادين لذلك قدموا بخور[2] كي لا يطلع اعلام واظن ان جنابكم بعد اطلاعكم على تحريرنا هذا تصادقون على رأينا بانه حسناً فعلنا ما رهنا قلمنا معهم . وفي هذه الثلاثة ايام جمهور الصناع الفقراء قايمين يتباكون من عندنا الى عند مطران الروم على ظلمهم ويقولون لهم : لما بلغهم ان اكثر مبلغ وركي الفقراء صار على التجار فذهبتم للسرايه ورديتموه علينا فان الله لا ينسى ظلمنا .

ولهذا اقتضى الحال ان نشرح لجنابكم ما تم من التدابير في اواخر شهر ذي الحجة بخصوص الخراج فان سعادة ولي النعم استدعى المطارين وخاطبهم ان مولانا السلطان ارادته الشاهانية ان مال الجزية ينجمع بعلم فاختاروا اناساً

---

١) راجع سابقاً شروط الموازنة .
٢) صلاة قد .

لجمعه وعينوا مكاناً ونحن نرسل لكم واحد من قبلنا ليساعدكم فكان جوابهم لا يمكننا ذلك في هذه السنة الغلا. والضيقة فاجابهم اني اوهبكم مايتين تسكره[1] وشاوروا بذلك وردوا الجواب . فاليهود لما فهموا ذلك وبانهم من وجوه المسيحيين ان المطارين لا يقارشوا مال الجزية فبواسطة احد الصراف تعاهد للميري بمال جزية اليهود سراً كالعام الماضي . ولما بعد يومين في مبدا الاربعينية اطول ليالي السنة اجتمعنا ليلة عند المطران ديمتريوس استقمنا تلك الليلة نحو سبع ساعات لبعد نصف الليل نتشاور بذلك فكان رأينا انه في هذه السنة الغلا الضيقة تأخذ مال الجزية علينا حيث اولاً افندينا سمح لنا بمايتين تسكره . ثانياً ان كل سنة يقتضي ان يعطوا مال الميري عشرة الاف غرش مصاريف القولجي والآغا الذي يتسلم جمع مال الجزية والصراف والكتبة فنلتمس من مراحم افندينا يسمح لنا بنصفها خمسة الاف مع المايتين تسكره. ثالثاً ان في كل سنة يتكلف كل واحد من الصناع على تسكرته لحينما يطالبها نحو عشرة غروش حتى لا نقول اكثر فهذه تتوفر عليهم . فسيادة كيرللس مطران الروم وافق رأينا .

ومثله نايب غبطة بطريرك السريان وكذلمك دير مركا ونايب مطران الارمن واما السادات المطرلن ديمتريوس ومطران الارمن مطارين الكاثوليك فما امكن لا يقتنعوا ولا ارتضوا وثاني يوم ثم ارسلوا الجواب انهم يجمعوا كالسنة الماضية فاجابهم سعادة ولي النعم حيث ارادة الشوكتلي يكون جمع الجزية بمعرفتهم فارسلوا من كل طايفة قسيس واعتمدوا على هذا الرأي . وثاني يوم وصل العلم بان جناب حسن بك ابن مصطفى بك الناظر على الخراج فارسلوا القسوس لعناقه فالطوائف عينوا ، منهم كل جمعة قسيس ، منهم كل يوم قسيس . فنحن عينا ولدنا القس ميخائيل كلداني مدوماً كل الايام وكذلك سيادة المطران كيرلس عين قسيس مدوماً فحيث تم الحال على هذا المنوال فالقس ميخائيل ابتدى يتصرف مع حسن بك بالتواضع وحسن السلوك وصار مقبولاً عنده بكل مودة ... وبواسطة سلوك القس ميخائيل خراجنا نقص ما زاد .

[1] اني اترك الضريبة عنكم بما قائمته مئتا تذكرة

[١٨٤٧] نعوم جبرائيل شوحا كتب جدول توفيق التواريخ . (سباط)

— وانيس وكركور اوقفا مسقفات على دير كسروان (الارمن) ومريم بنت ابراهيم خاراتي اوقفت مسقفات على الروم الكاثوليك وكذلك جرجس ولد انطون حمصي وخوري ولد توما ويوسف ولد نعمان .

(غزي ٣، ٥٨٩)

وفيها وقع الجدال بين كيرلس مطران الروم «الارثوذكس» وبين الاب بولس رئيس اللعازاريين في الانبثاق وفي الخبز الروماني .

(غراف ٣، ١٦٤)

[١٨٤٨] ظهر الطاعون ٣٠ الى ٣٥ اصابة يومياً بين المسيحيين و٥٠ الى ٦٠ بين المسلمين . وهاجر الناس الى حماة واللاذقية وبيلان . وبلغ عدد الاموات ٦٠٠٠ في شهر ايلول ، من وثائق ورّي القنصل الانكليزي .

— نعوم ولد انطون ورفقاه اوقف مسقفات لطائفة السريان الكاثوليك .

(غزي ٣، ٥٩٠)

— القس انطانيوس ولد نعمان التركماني اوقف مسقفات على دير مار ميخائيل بكسروان وعلى روم حلب . (غزي ٣، ٥٩٠)

— ١٦ ايلول سافر مصطفى كامل باشا ومعه ٥٠٠٠ كيس سلب ونهب الناس . خلفه ظريف باشا

مشروع تعليم الفقراء

بولس اروتين بنعمة الله والكرسي الرسولي مطران حلب

انه ليس بدون غيرة مقدسة قد حركت يد العناية الالهية بعض انفار من كهنة وعوام عند ملاحظتهم الدثار الكلي الحادث من قبل الجهل الذي قد سبى اكثر عقول المسيحيين وعلى الخصوص الفقرا الذين ليس لهم امكان ولا استطاعة لتعليم اولادهم القراءة والكتابة والصنائع التي توافق كلّاً منهم نظراً الى تأهب عقولهم بالنوع والاكثر موافقة لنجاحهم ومن عدم الاعتناء بهم فيبقون على البطالة متسكعين في ديجور جهلهم هذا منتهين به الى النسول والشر العظيم

اذ لا يوجد عندهم نور العلم ليرتشدوا به . مع انه من المعلوم يوجد ما بينهم كثيرون ذوو عقول حادقة وافهام ثاقبة الذين لو وجد من انارهم بالعلوم وارشدهم بالآداب لكانوا ليس فقط يستفيدون لنفوسهم بل ويفيدون قريبهم ايضاً بتلك المواهب الطبيعية والانعام الالهية التي يحوزونها لولى تعمى بصائر عقولهم بظلام الجهل . فأولو الغيره على مجد الله وخير القريب الروحي والزمني استصوبوا بان ينتخب بعض من ابناء الفقراء ويضعوهم في المدرسة ليتعلموا اولاً القراءة البسيطة والآداب . وغب ذلك فالذي يوجد منهم عقله قابل ينتقل الى مدرج العلوم وبعد الفحص نظرًا لتأهب وانصباب كل من الاولاد لعلم صناعة ما مفيدة له دون غيرها فتعطى له ويكون انشاء خلافهم يأتون مكانهم . وبهذه الواسطة تمنع البطالة التي هي اساس كل الشرور وتقل كثرة الفقراء . ولاتمام هذا الامر الحميد قد تعين جمع احسان من كل من يرغب ان يشترك بهذا الخير العظيم غرشاً واحدًا بكل شهر وسمي الاحسان المجموع لتربية اخوة يسوع. يدفع حسب الترتيب الى الذين قد جندوا انفسهم لاثمار هذا العمل المقبول ولتكليف من يريد ان يشترك به . واذ قد اعرض لدينا هذا الامر الحميد والخير الفريد من حضرات اولادنا ذوي الغيرة الصالحة بان نرتضي نسمح لهم بتتميم قصدهم هذا فليس فقط لم نانعهم لاجل هذه الغاية . بل اننا قد استحسنا غيرتهم طالبين من مراحم الهنا بان يبارك هذا العمل ويصيره مفيدًا وناجحاً ومثمرًا باثمار المجد لعزته السامية وان يفيض غزير بركاته على جميع الساعين والمتشوقين والمجاهدين بهذا الخير الصالح بنعمة الاب والابن والروح القدس . آمين .

اوايل تشرين الثاني ١٨٤٨

(اضبارة ٤٠٠)

اخوية القربان المقدس

[١٨٤٨] ذكرنا تأسيسها سنة ١٧٨٧ على ايام المطران جبرائيل كنيدر الماروني . وروينا اسماء الاخوة الذين اشتركوا فيها قبل ١٨٢٥ .

واليك اسماء الذين اشتركوا من هذه السنة الى ١٨٤٨ والمعتبر في اللائحة التالية هو ان الاخوية كانت تقيم صلواتها عند الموارنة ولكن ما اقل عدد

الموارنة فيها بالنسبة الى غيرهم من روم وارمن وسريان وكلدان ولاتين . ولا عجب فان الموارنة كانوا الاقلية بين الكاثوليك ولكن روح « الطائفية » لا يكاد يكون لها ذكر عند الحلبيين فبالصلوات والافراح والاحزان تقتص الكنائس بهم وبكهنتهم من سائر الطوائف وما اكثر ما يتقربون الى اخوية القربان المارونية فيندمجون فيها ودفتر تلك الاخوية يحفظ بالمئات اسماء العائلات . يطيب ذكرها لنا ولاهالي حلب المسيحية فننشرها كما نشرنا سابقاً اسماء الاعضاء ومعلمي اعترافاتهم وما كان الى ذلك من ملاحظات :

الأخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
يوسف سمان	روم	قس نصرالله ايوب	
فتح الله سمان	«	« «	» انتخب للكهنوت في ٢٥ تموز ١٨٢٩
جرجي رويص	روم	قس شكرالله ايوب	
الياس اسدي	«	البادري نيقلاوس اللعازري	
فتح الله عجم	ارمن	قس يوسف عبديني	سافر الى الجبل للرهبنة ثم عاد وانتقل لاخوية طائفته . في ٢٧ تموز ١٨١٩
فتح الله بشخنجي	ارمن	قس شكرالله حوا	
نعمة الله قطرميز	روم		
حنا صائغ	ارمن		
الياس ساطانه	سرياني	خوري روفائيل حائك	
يوسف خياط	روم	ابونا قلاوص	
فتح الله هدايا	سرياني	« «	
الياس توما	«	« نصرالله ايوب	
جبرائيل حمي	روم		انتقل الى الرهبانية
يوسف برغرد	ارمن	قس عبد الله شينا	
فتح الله مارين	سرياني	خوري روفائيل حائك	
جرجي التنجي	«	قس جبرائيل رباط	
نعمة الله عبد الاحد	«		مات بالهواء الاصفر في ١١ تموز ١٨٣٢
بطرس قبرصلي	روم	البادري نيقولاوس	
فرج الله سالم	«	الخوري بولس كاتب	سافر الى الجبل في ٢٧ ايلول وسيم كاهناً

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
فتح الله تركاني	روم	البادري نيقولاوس	
نصرالله اليان	«	الخوري مخائيل انطاكي	
جرمانوس حداد	«	ابونا حنا كبوجي	
شكرالله حكيم	«		
مخائيل سمان	«	قس نصرالله ايوب	
انطون شماس	«	خوري مخائيل انطاكي	
بطرس حاتم	«		سافر الى الجبل في ١ ايلول ثم ارتسم كاهناً
يوسف تاجر	«	قس نصرالله ايوب	
نعمةالله قسيس	«	ابونا ابراهيم	ذهب الى الرهبنة
يوسف ساماه	سرياني	« قلاوص	
« بنا	روم	« مرقص	
نعمة الله حجة	«		
الياس كبريته	«	قس ابراهيم عياط	
كرابيد حداد	ارمن	« نصر الله ايوب	
يوسف غزال	روم	« يوسف عيدني	
فتح الله مخلحي	ارمن	« نصرالله ايوب	
حنا براهشاه	سريان	« جبرائيل رباط	
انطون عبجي	روم	خوري مخائيل انطاكي	
مخائيل اسلامبولي	ارمن	قس نصرالله ايوب	
عبدالله صب	سريان	ابونا مرقص العازري	
جرجي صب	«	قس مرقص عازاري	
نعمة الله	روم	خوري مخائيل انطاكي	
« خياط	ارمني	قس عبدالله	
جبرائيل شغال	سريان	خوري روفائيل	
يوسف شغال	سرياني	« «	
مخائيل شرقي	روم	« مخائيل انطاكي	
جرجي جنادري	«	مطران بولس	
« توما	سرياني	قس جبرائيل	
« شامي	سريان	ابونا مرقص	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
حرجي قنبر	ارمن	ابونا مرقص	
الياس زاربه	روم	خوري غائيل انطاكي	
الياس كيكاني	«	قس بطرس سمان	
غائيل كحاله	«		
الياس كحاله	«	خوري غائيل	
حنا حبري	ارمن	رئيس الشباني (الفرنسيسكان)	
اغوب صباغ	«	ابونا مرقص	
ميخائيل بليط	ارمن	قس يوسف عبديني	
انطون موصلي	كلداني	« نصرالله ايوب	
الياس بخاش	روم	الاب المرشد	
انطون طربي	«	خوري غائيل عجوري	انتخب الرهبنة في ٢٩ آذار ١٨٣١
فتح الله ياقين	سريان	الاب المرشد	
الياس ديب	روم	قس ابراهيم	
جبرائيل مظلوم	«	خوري غائيل انطاكي	
يوسف شامي	سريان	قس جبرائيل رباط	
عبدالله عزيزه	روم	الاب المرشد	
نصرالله كوسا	«	قس نصرالله ايوب	
حنا لباد	«	« يوسف حاتم	انتخب الى الرهبنة في ٢٩ آذار ١٨٣١
فتح‌الله منجنه	روم	قس شكرالله ايوب	
يوسف كسبار	ارمن	« نصر الله ايوب	
الياس طرازه	سرياني	خوري رفائيل	تنيح بالهواء الاصفر في ١٣ تموز ١٨٣٢
انطون العاي	سرياني	قس جبرائيل	
يوسف حداد	روم	ابونا مرقص	
نعمة الله حجار	«	قس يوسف حاتم	ذهب للرهبنة
يوسف بلدي	«	« « «	
الياس ياقين	سرياني	« اندراوس	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
نصرالله شدياق	«	« الياس	
عبدالله بلدي	روم	« يوسف حاتم	ذهب للرهبنة
نصرالله شماس	«	« فتح الله سمان	
الياس اسرائين	«		ذهب الى الرهبنة
فتح الله جورجي	ارمني		
الياس خاراتي	روم		
جبرائيل اسود	سرياني	قس جبرائيل رباط	
انطون ايوب	موراني	« شكرالله ايوب	
فتح الله ايوب	«	« « «	
جرجي موصلي	سرياني		سافر الى بلده
بطرس باسيل	روم	قس ابراهيم عياظ	
الياس صباغ	ارمني	« يعقوب	
يوسف بلدي	لاتيني	ابونا مرقس	
الياس شاديه	سرياني		
يوسف شماس	روم	قس فتح الله سمان	
« طحان	«		
جبرائيل طفنجيه	ارمني	الاب المرشد	
يوسف اشرم	سرياني	قس جبرائيل	صار تندلفت في كنيسة السريان
فتح الله حلاق	ارمني	دير كركور	
يوسف طرابلسي			ذهب للرهبنة في ١٠ ت ١ ١٨٣٦
الياس شرقي	روم	خوري مخائيل	
جرجس عبد المسيح	«	قس يوسف حاتم	
الياس جرجقليه	ارمن		
متري شاهيات	روم		
نعمة الله كوسا	«	الاب جوان	
نعمة الله بلدي	لاتيني	« مرقص	
فتح الله صايغ	ارمني	« جبرائيل	
يوسف ناقوز	روم		
مخائيل التنجي	سرياني	الاب مخائيل ماريني	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
مخائيل مواري	سرياني	الاب مخائيل ماريني	
يوسف شاشاتي	ارمني	« توما	
حنا حسون	«	« مرقص	
نعمة الله زغبي	ماروني	« نصر الله ايوب	
مخائيل ناقوز	روم	خوري مخائيل	
حنا بلدى	«	الاب يوسف حاتم	
فتح الله قباش	«	خوري مخائيل	ذهب الى الرهبنة
عبدالله شاهين	ارمني	الاب المرشد	
« غزاله	روم	« شديد	
نعمة الله حمصي	سرياني	« جبرائيل رباط	
جبرائيل التنجي	«	« يوسف ياقين	
كركور عسال	ارمني	« انطون فران	
نعمة الله كسبار	«	« توما	سافر للجبل
« كرباج	روم	« بطرس سان	
توما موصلي	سرياني	« المرشد	
جرجي خيسي	روم	« رعد	
نوم اسطنبلي	سرياني	« ياقين	
الياس شاشاتي	ارمني	« الاكسان	
فتح الله غبار	روم	« عجوري	
نعمة الله ناقوز	«	« مخائيل	
فتح الله بليط	ارمني		
الياس كردي	«	الاب نصرالله ايوب	
فتح الله سيوفي	روم	« حاتم	
يوسف صاجاتي	«	« انطاكي	
نعمة الله حمصي	«		
عبدالله ديك	«		
عبدالله حمال	سرياني		ذهب الى الرهبنة في ١٦ اب ١٨٣٦
فتح الله عبد الاحد	«		
يوسف لوزه	«		

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
نعمة الله موصلي	«		
الياس فرنجية	ارمني	الاب يعقوب	
« مكحجي	«		
فتح الله ابيض	سرياني		
عبدالله حوري	موراني		
فتح الله كسار	ارمني		
انطون تمار	«	الاب يعقوب	
فرج الله صاجاتي	روم	« عياط	
نعمة الله زكور			
انطون عداد	سرياني	خوري حنا	
يوسف اسباط	«	«	
عبدالله شقال	«	قس جبرائيل	
فرج الله عزومة	«	الاب باسيليوس	
رزق الله شوحا	روم	السيد غريغوريوس	
نانول عسال	ارمني	الاب كسار	
فتح الله بليط	«	« بولس المازاري	
يوسف شاهين	«		
جرجي حداد	«		
غانيل طرازه	سرياني	الاب بولس صباغ	
جبرائيل سابا	روم		
فرنسيس جمل	«	« جبجي	
رزق الله نحاش	سرياني		
جرجي بطش	«	« جبرائيل رباط	
يوسف اسود	«	« « «	
نعمة الله موصليه	«	السيد يوسف	
نعوم شوحه	روم	الاب حنا سالم	
« قصار	سرياني	السيد يوسف	
نعمة الله ينسور	«	الاب رباط	
جرجي صراقيا	«	« جبرائيل رباط	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
نصري قاويجي	روم	« باسيليوس حجه	
جبرائيل مقل	ماروني	« عبد الاحد	
« عجوري	روم	« ميخائيل عجوري	
يوسف الطي	سرياني	« جبرائيل رباط	
انطون عسال	ارمني	« يوسف كيال	
~~الياس فرعجي~~	~~«~~	« بليط	
جرجي خانجي	«	« يعقوب	
رزق الله ديك	روم	« جرجي حداد	
يوسف استيرليه	سرياني	« المرشد	
حنا شامي	ماروني	« شكرالله ايوب	
يوسف حجه	روم	« المرشد	
عبدالله ايوب	ماروني	« يوسف عبديني	
نعمة الله كبه	روم	« « جبجي	
انطون جبار	ارمني	« يعقوب	
فرج مخزومه	روم	« ابراهيم عياط	
فتح الله شر	«	« جرجس حداد	
الياس حمصي	«	« باسيليوس حجه	
نعوم صابغ	«	« غنائيل	
رزق‌الله ايوب	ماروني	« يوسف عبديني	
فتح الله خياط	ارمني	« ايوب	
يوسف جنبر	«	« المرشد	
« بخاش	سرياني	« رباط	
الياس ثابت	ارمني	« المرشد	
اسطنان ديار بكرلي		« «	
روفائيل ديار بكرلي		« «	
الياس دير اروتين	ارمني	« يعقوب	
« فرايه	لاتيني	رئيس الشباني	
جرجي شحود	روم	الاب حاتم	
يوسف صوصاني	ارمني	« شاغاوات	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
« قاطان	«	« كيال المرشد	
« بقجي	لاتيني	رئيس الشباني	
فتح الله حداد	روم	الاب حاتم	
نعمة الله شوحه	«	« «	
الياس مانوك	ارمني	« يعقوب	
عبدالله ظلط	روم	« رعد	
يوسف حواض	«	« انطاكي	
فتح الله دلال	سرياني	« ياقين	
جرجي نحاش	«	« رباط	اشترك في ٣ تشرين الاول سنة ١٨٤٣ على يد السيد القاصد الرسولي لبغداد الذي كان في هذا النهار يقدس في الدير
نصرالله رباط	روم	الاب جبجي	
حنا قسيس	ارمني	« مطر	
الياس حموي	روم	« يوسف حاتم	
بولس كبابه	«	« بولس حاتم	
الياس حواض	«	« جوان	
جرجي جوان	«	« شاهيات	
يوسف تيتاوي	«	« جبجي	
ميخائيل قسيس	ارمني	« شاغاوات	
عبدالله ظلط	روم	« جبجي	
فتح الله بليط	ارمني	« يعقوب	
فرنسيس مككجي	لاتيني	« استنبولي	
رزق الله بليط	ارمني	« يعقوب	
جبرا بردخجي	روم	« رعد	
يوسف بليط	ارمني	« المرشد	
نصرالله حواره	روم	« حجه	
الياس رباط	سرياني	« صعب	
نصرالله متري	روم	« حاتم	
نعوم فرنجية	ماروني	« عبديني	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
الياس شاغاوات	ارمني	« مطر	
غائيل حبري	لاتين	بشمين	
انطون رباط	سرياني	الاب ياقين	
رزق الله رباط	روم	« حاتم	
نعوم كاسبا	«	« انطاكي	
جرجي كبابه	ارمني	« بليط	
غائيل خانجي	«	« «	
نعوم سالم	روم	« «	
« يازرجي	ارمني	« مطر	
جنا ادم		« المرشد	
انطانيوس جانجي	ارمني	« يعقوب	
فتح الله غالي	ماروني	« كلداني	اشترك على يد القاصد الرسولي لبغداد
عبدالله طنبه	روم	« سمان	«
الياس ككنجي	ارمني	« يعقوب	«
رزق الله كبابه	روم		«
« ناجر	«	« عجوري	«
الياس عنده	ارمني	« شاغاوات	«
يوسف فرايه	لاتيني		«
فتح الله خياط	ارمني	« يعقوب	
نعوم حموي	ماروني	« مطر	
غائيل استنبوليه	سرياني	« صعب	
الياس خياط	ارمني	« المرشد	
الياس يشمور	سرياني	« ياقين	
نصري حكيم	روم	« سمان	
الياس حداد	ارمني	« عجوري	
نعوم قتال	سرياني	« رباط	
حنا زيتوني	روم	« رعد	
جرجي فرنجيه	«	« حوا	
الياس عطار	«		

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
يوسف اسود	سرياني	الاب مطر	
انطانيوس حمصي	روم	« جوان	
فرج الله نحاش	سرياني	« رباط	
الياس فرغيه	روم	« حداد	
نعوم حواره	«	« حجه	
فتح الله استنبوليه	سرياني	« صعب	
انطون براهشاه	«	« «	
يوسف انطاكي	روم	« بولس حاتم	
حنا بيروتي	«	« جبجي	
نعوم حمصي	«	« فيلبس شاهيات	
عبدالله رباط	«	« بولس حاتم	
عبدالله شبارخ	«	« المرشد	
بيدروس سكر	ارمني	« كيال	
عبدالله عسال	«	« بليط	
جرجي عسال	«	« مانول	
يوسف عسال	«	« بليط	
« شاع	روم	السيد ديمتريوس	
جرجي اصلان	«	« «	
نعوم طباز		« بولس حاتم	
الياس عجم	ارمني	« يعقوب	
« ميخص	لاتيني	« كلداني	
انطون الطنجي	سرياني	« صباغ	
رزق الله طنبه	روم	« عبديني	
الياس طنبه	«	« جبجي	
نعوم طنبه	«	« «	
شكرالله بلدي	«		
يوسف شاشاتي	«	الاب سمان	توفي بالهواء الاصفر
نعوم راغب	«	« حداد	
متري طرازه	سرياني	« صباغ	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
يوسف حوي	روم	الاب سمان	
« شدياق	سرياني	« جروه	
الياس بصمجي	ارمني	« شاغاوات	
جرجي صفار	روم	« اسحق سمان	
انطانيوس شامي		« كلداني	
يوسف اوبد	ارمني	« بليط	
جرجي ارميا	«	« مطر	
انطون بدره	روم	« «	
نصري قنبر	ارمني	« شاغاوات	
نعوم خوكاز	«	« مطر	
الياس مكرديج	«	« يعقوب	
نعوم رباط	سرياني	« مطر	
مخايل سكر	«	« رباط	
الياس سكر	«	« مطر	
حنا خراق	روم	« اليان	
جرجي شوا	«	« حاتم	
« ازرق	«	« جبجي	
الياس دولتلي	«	« اليان	
فرج الله طنبه	«	« حاتم	
فتح الله ناسيموس	سرياني	« صباغ	
انطوان «	«	« شلحت	
جرجي صقال	«	« صباغ	
يوسف طواف	ارمني	« شاغاوات	
الياس اصلان	روم	« حاتم	
فتح الله خياط	ارمني	« بليط	
الياس انطاكي	روم	« جبجي	
عبدالله جركس	«	« سالم	
نعوم قباش	«	« مطر	
« لبوس	ارمني	« استنبولي	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
يوسف خاراتي	روم	الاب فيلبس شاهيات	
فتح الله قسيس	«	« سمان	
متري زلزم	«	« جبجي	
مانوك صباغ	ارمني	« بليط	
ميخائيل عبد النور	روم	« يوسف حاتم	
فتح الله قلط	«	« جبجي	
انطون كوسا	ارمني	« حاتم	
رزق الله خوام	روم	« حداد	
الياس تقلا	«	« شاس	
يوسف ازرق	«	« جبجي	
« مسعود	سرياني	« صباغ	
جرجي عازريه	روم	« يوسف حاتم	
« نحاس	«	« متري شاهيات	
بطرس خراق	«	« يوسف حاتم	
فتح الله شاس	ارمني	« يعقوب	
« حراقيه	سرياني	« شلحت	
جبرا راجي	ارمني	« كيال	
الياس يلونه	سرياني	« صباغ	
عبدالله عجوري	روم	« بطرس ايوب	
الياس ايوب	ماروني	« مطر	
جبرا رعد	روم	السيد انطاكي	
ميخائيل حمصي	«	الاب مطر	
حنا خراق	«	« يوسف حاتم	
جبرا توما	«	« جبجي	
الياس سيده	«		
يوسف اجنباش	سرياني	« ياقين	
سمعان رباط	«	« مطر	
ميخائيل زبال	روم	« شاهيات	
جرجي بقسور	سرياني	« شلحت	

الاخ	الطائفة	معلم الاعتراف	الملاحظة
الياس شدياق	«	الاب شلحت	
نعوم شوى	روم	« حاتم	
جرجي شاطي	«	« سمان	
رزق الله شماس	«	« شاهيات	
الياس قسيس	«	« اليان	
عبدالله صباغ	ارمني	« يعقوب	
جرجي دقاق	سرياني	« صباغ	
فتح الله بشخنجي	ارمني	« استنبولي	
جرجي جرجقليه	روم	« يعقوب	
الياس حلاق	ارمني	« «	
عبدالله حلاق	روم	« حداد	
الياس ازرق	«	« يوسف حاتم	
انطون رباط	«		
ابراهيم شارقجي	«		
بولس خوري	«	« سمان	
رزق الله ثابت	«	« يوسف حاتم	
جرجي ريان	«	« حداد	
رزق الله كرباج	«	السيد انطاكي	
نعوم جاموس	«	الاب سالم	
ميخائيل خاروف	«	« يوسف حاتم	
انطون شلحت	سرياني	« جروة	
يوسف صوصو	«	« صب	
عبدالله صقال	«	« صقال	
رزق الله شاشاتي	روم	« سمان	
جرجي اوهان	ارمني	« يعقوب	
انطون سنان	روم	« رعد	
الياس شوى	«	« يوسف حاتم	
جبرا صقال	سرياني	« جروه	
الياس طحان	روم	« جوان	

الاخ	الطائفة	مطهر الاعتراف	الملاحظة
الياس حمصاني	«	« حبجي	
نعمة الله صادر	«	« حاتم	
جرجي اوضا باشي	«	السيد انطاكي	
فتح الله شاشاتي	«	الاب سمان	
جرجي بلدي	لاتيني	« منتوره	
رزق الله شعراوي	روم	« سمان	
ميخائيل رباط	«		
يوسف عصتي	ارمني	الاب بابط	

[١٨٤٩] في ايار المطران بولس اروتين رسم كاهناً الموارنة نعمة الله يوحنا حكيم (الوبس) والياس يوسف منش (جيورجيوس).

— دشنت كنيسة الروم الكاثوليك على ايام المطران غريغوريوس شاهيات.
(غزي ٣، ٤٧٧)

— ولد عبد الرحمن الكواكبي وفاته ١٩٠٢ كان من مؤسسي الاستقلال السوري بمقاومته استبداد الاتراك. (طباخ ٧، ٥٠٧)

— سركيس ولد اسطفان اوقف مسقفات لفقراء الارمن في انطاكية.
(غزي ٣، ٥٩٠)

تيودوري ولد يوسف صباغ اوقف مسقفات على فقراء الروم الكاثوليك وكذلك الياس يوسف خياط ويوسف ولد يوسف البراتلي فريج اوقف مسقفات على فقراء الروم الكاثوليك وغرة بنت الياس دبسيه ومدول عمادى اوقفت مسقفات على الروم الكاثوليك. (غزي ٣، ٥٩١)

« قومة البلد »

[١٨٥٠] ابتدات ليلة الخميس ١٧ تشرين الاول في ١٠ ذي الحجة في عيد الاضحى.

(راجع تفاصيلها في المجلة السورية للاب بولس قرألي ١٩٢٧ص٩٧–٩٩ ، ١٤٠–١٤٧، ١٩٣–٢٠٣ وسوف نتجدد امثال هذه الفظائع في نور شمس القرن العشرين الساطع انظر فيما بعد ٣١ ت ١، ١٩٥٦)

– وارسل المطران بولس اروتين الى رئيس مجمع انتشار الايمان رسالة يخبره بما حصل في حلب ١٨٥٠ . (اضبارة ٤٣٧)

ايها السيد الكلي الشرف والجزيل الوقار والاحترام :

المعروض لا بد بلغ نيافتكم ما حدث بمدينة حلب وهو في ١٦ تشرين الاول قامت اسلام البلد على المسيحيين مستعملين كامل افعال القبيحة المسكن وصفها اعني نهبوا وقتلوا وجرحوا وسبوا بنات ونساء وحرقوا كنائس وبعض من قلالي محلات سكنى الاساقفة ومن جملة من قتل بعضاً من مصاف الاكليروس وقد اضحوا المسيحيين ببلبلين مهزمين من محلاتهم الى غير محلات كما والى بيوت الاوروبالية واخصهم جناب مونسيو ديلسبس قونسلس دولة فرانسا الجليلة الذي هو وجناب الخواجا جوفروا الكنسلير والخواجا لانوس الترجمان تجندوا بكل غيرة وشهامة لملاحظة واسعاف المسيحيين الذين انصابوا واتهبوا من القوم البرابرة واحضروا جم غفير منهم الى محلاتهم وكانوا يقدموا لهم احتياجاتهم من المأكولات والحكما للمجروحين مع استعمال الوسائط اللازمة لصيانة كافة المسيحيين ما دام الخوف عليهم . لحينما تقوى الحكم بالعساكر وضبط البلد ويبنوا للذين حصلوا بالفقر بهذه المادة خبز ولحم لاجل معاشهم ومقدارهم نحو الفين نفر ما عدى الكساوي الذي قدموها لمن تعرّى من النهيبة . وبالحقيقة الذي ظهر من هولا الابطال شيء يفوق الوصف وما داموا فرع من دولة فرنسة الفخيمة المشهورة في العالم بحماياتها واسعافاتها للمسيحيين فلا بد من الاغصان تدنو على اصول الشجر فمن الواجب علينا فرضاً ان نعرض لنيافتكم عما نوقع لدي من حضرات المشار اليهم مقدمين المديح والشكر الكلي عن سعيهم وغيرتهم لينشهر ذلك في ديوانكم ويمتدح حسن تصرفهم الذي بواسطة دعاكم الصالح يكافئهم الرب الاله عن افعالهم هذه ذات الشفقة والحنو على المسيحيين بالاجور السماوية والانعامات الارضية الذين لم يزالوا في كل وقت مقدمين الوسائط الضرورية لإسعاف المسيحيين هذا ما لزم اعراضه بوجه الاختصار عما نوقع حرفياً وادام الله تعالى رياستكم زماناً مديداً .

اليك سرد الحوادث عن الرحالة الانكليزي نيل (Neale) :–

دخل حلب عن طريق السويدية فر بي الكتاب بالقرب من ادوار باركر نائب قنصل بريطانية . التقى بالجنرال بم (Bem) البولوني ورفاقه المجر وشهد استعراضهم للجيش واطلاقهم المدافع وقال عن الجنرال بم انه لم يعتنق الاسلام الا لكي يتمكن من محاربة الروس اعداء وطنه . ولكن لم يقم القتال على ايامه بين الترك والروس .

وفي ١٦ ايلول ١٨٥٠ مات بم ودفن بالقرب من الجامع وعرف باسم مراد باشا . (ثم نقلت رفاته من حلب سنة ١٩٢٢) .

قال : في خريف ١٨٥٠ حدثت قومة البلد . وكان سكانها قد احرزوا اموالاً وافرة بتجارتهم فسلبت ووقعوا في الفقر المدقع . وعدد وافر من الصبايا وامهاتهن ذهبن ضحية هذه الثورة ولم يراع الاشقياء حرمة البطريرك ولم يشفقوا على الاولاد .

ولم يكن النهب والسلب الداعي الوحيد لهجوم اهل البادية على المدينة ولكن سخطهم ايضاً على الدولة التي طلبت التجنيد .

وكانت ليلة ظلام واذ تسمع اصوات الضحايا من المسيحيين في حي الجديدة . ويسير القنصل الانكليزي وري (Warry) والافرنسي لسبس (Lesseps) ويخاطران بحياتهم ويأخذان بحماية البنات والنساء وايوائهن في الخانات وعبدالله باشا الحاكم اشعر بالخطر ويضنه عن رد الامن الى نصابه فهرب الى القلعة مع خمسين من رجاله . وطمع الثوار بعزله ليتمكنوا من السلب والنهب من دون رادع يردعهم . واخذ المسلمون من اهل البلد يخافون على اموالهم من غزوات البدو . وقيل ان اليهود ساعدوا البدو في التنقيب على بيوت الاغنياء وسلبها ولكن الخبر لم يتحقق .

وقبل تلك الحادثة باشهر كان قد هاجم البدو ثلاثة من الاوروبيين «جب» و«ڤيلكروز» و «مورتين» بينا كانوا يتنزهون في البساتين وهرب جب وڤيلكروز . اما مورتين فاهانوه وشلحوه وارسلوه عرياناً الى البلد .

وكان الجنرال بم (مراد باشا) في القشلة وحاول التدخل في شؤون البلد ومنعه عن ذلك عبد الله باشا . وكان الجيش النظامي قد ارسل الى دمشق لاخماد نار الثورة فيها بسبب الدعاية الى الخدمة العسكرية وظلت حلب خالية من العسكر لحمايتها فدخلها البدو وعاثوا فيها فساداً فغزوها . الى ان جاءت النجدة العسكرية من استنبول عن طريق الاسكندرونة ومن دمشق فاد الامن الى نصابه .

راجع نيل Neale ٢ ص ١١٧ وما بعدها Eight Years in Syria 1842-1850

وجاء في مخطوطات دار الاسقفية المارونية في حلب (المخطوط ١٢٥٩)

قد تؤكد بتحقيق انه ينيف عن نصف بيوت نصارة حلب كلهم قد نهبت تماماً ومن جملتها دار اسقفية ديتريوس مطران الروم الكاثوليكيين بما كان فيها مع موجودات البطريرك مكسيموس مظلوم الذي كان نازلاً في الدار المرقومة خاص نفسه متنكراً .

واما بقية بيوت النصارى التي سلمت من النهب فاصحابها تكلفوا على حمايتها ما يزيد عن مائة الف غرش دفعوها نقضية للاسلام الذين كانوا شبعوا مما نهبوه في ١١ ذي الحجة فاتوا باسلحتهم لحماية هذه البيوت ليأخذوا اجرة الحماية دراهم نقوداً فاذا اصحاب الخبرة والنظر بالصواب قدروا الاضرار التي حدثت للنصارى من النهب والحريق والدثار والرفايع والبراطيل والعطل تقديراً مقارباً فتبلغ كمية مائة الف كيس .

يعد منه اهل الوقوف تسع عشر ابنة قد فضت بكورتهن اغتصاباً بتلف تام ونحو خمسين امرأة قد فضح عرضهن قهراً ويقال ان بعض بنات اخذن للسبي خارج المدينة .

واما الرعب والاضطراب والانزعاج وكل نوع آخر من الاتعاب المهلكة منهن ما عدا الامراض الثقيلة المختلفة الانواع المزمعــة ان تلم بكثيرين من هولاء النصارى رجالاً ونساء واولاداً بعلل مستدعية فــلا ريب في ان كثيرين منهم ما عادوا يستمرون في الحيوة ازمنة طويلة ما خلا سقوط بعض الاجنة وموت البعض في الحريق .

ان الاستعدادات لم تزل موجودة عند هولاء الاسلام بانهم في ظروف اخر تحدث معتمدون نهب خانات المدينة وبيوت القناصل وقتل النصارى بمقدار مــا تطوله ايديهم لانهم بالصواب يفكرون بان الدولة العلية لا يمكن ان لا تنتقم منهم على هذه الافعال التي ما سبق نظيرها ولا في مملكة من الممالك ولا من عبدة الاوثان . وجاء من مخطوطة مختصر تاريخ حلب لجامعه عبدالله مراش مصورة عن مخطوطة محفوظة في مكتبة تيمور بمصر استنسخها راغب الطباخ مؤرخة من سنة ١٨٩٠ وتفضل (رحمه الله) واذن لنا بنشرها :

« . . . جاء ص ٩٧ : وصلحت احوال حلب في ايام ابراهيم [باشا] جداً . . . ورأى من الحزم ان يترضى الافرنج لتجرى المساواة في احكامه بين المسلمين واهل الذمة من رعاياه فنشط النصارى من عقال الصغار الذي كانوا فيه قبلاً ونفضوا شعار الذل والمسكنة وعلموا ان لهم حقوقاً كغيرهم من بني آدم فاقبلوا يرممون ما كان متداعياً من كنائسهم وبنوا كنائس جديده في حارة الصليبة التي تقدم انها مختصة بهم وصار ارباب دينهم يخرجون في الازقة بالقلانس يحملون الصليب امام الجنائز وكان كل ذلك محظوراً عليهم في حكم الترك فلم يطب هذا الامر لعامة المسلمين ونقموه عليهم لكنهم كتموه في انفسهم اذ لم يكن في وسعهم ان يبدوه فوغرت صدورهم وحقدوا وتربصوا السوء بجيرانهم . . . وتوفي السلطان محمود . . . وخلفه ابنه عبد المجيد فجرى على السنن القديمة يولى على المدن ولاة من الترك ثم يبدو له فيعزلهم بآخرين الا انه لم يسعه الا ان يترضى حماته من الافرنج بان يسلك في الظاهر نهج المساواة والعدل فاصدر فرماناً فيه من المواعيد المرقومة بالمساواة والامان ما اقتربه الافرنج وانخدع به النصارى فاستمروا على مــا الفوه ايام المصريين وازداد جيرانهم المسلمون حنقاً عليهم » . (يتبع)

IV

POÈTES ET TROUBADOURS AU PAYS DES SOVIETS

Dans cette esquisse, je laisse de côté les écrits en prose. Je n'en ai d'ailleurs que très peu et les quelques articles de critique ou de bibliographie à ma disposition n'ont guère, il faut l'avouer, de caractère bien littéraire. Le style en est généralement assez plat et aucun professeur de lettres n'admettrait dans les copies de ses élèves autant de répétitions de mots ou d'expressions toutes faites: marques évidentes de pauvreté de vocabulaire ou d'imagination paresseuse. Je me bornerai donc aux œuvres dites poétiques et encore omettrai-je celles des Kurdes de Géorgie.

On peut classer en trois catégories les milliers de vers qu'il m'a été donné de lire: poèmes lyriques et bucoliques; chants modernes «engagés», où se manifestent des aspirations sociales; enfin, épopées légendaires. La personnalité de l'écrivain s'y manifeste en ordre décroissant. Si c'est bien sa pensée et ses sentiments qu'il exprime dans les premiers vers, l'inspiration lui vient du dehors pour la seconde catégorie de poèmes et il est assez difficile de jauger sa part personnelle dans les longues légendes. S'est-il contenté d'enregistrer ce qu'il a recueilli sur les lèvres des anciens et des *dengbêj*? A-t-il corrigé et épuré la langue? A-t-il modifié certains aspects des aventures décrites? Qui le sait? En effet, tous ces textes, quels qu'ils soient, nous sont donnés sans aucune indication de sources, de précisions de date et de lieu. Je vais traduire quelques brefs poèmes et résumerai simplement certaines légendes. Toute traduction est trahison, je le sais, surtout lorsqu'il s'agit de poésie, car les images perdent de leurs lignes et de leurs couleurs et les mots eux-mêmes laissent s'envoler leur musique et leur harmonie. A plus forte raison, un résumé ne donne-t-il non plus qu'un pâle reflet de ce qu'a exprimé le troubadour. Mais il faut en passer

par là si l'on veut mettre sous les yeux du lecteur de quoi se faire une petite idée de cette littérature écrite et orale des poètes kurdes d'U.R.S.S. et surtout aussi, je crois, sentir vibrer l'âme d'un peuple.

I. — Poèmes lyriques et bucoliques.

Les thèmes ici sont nécessairement classiques. Partout et toujours, les poètes chantent l'amour et la famille, les beautés de la nature, la petite patrie et le travail de tous les jours. Mais là-bas, aujourd'hui, le poète se sent et se dit «engagé» et sa verve, inconsciemment ou non, tourne plus ou moins à la politique. Tous ces éléments vont se retrouver chez nos Kurdes de l'Alagöz.

1. — *L'amour et la famille.*

Mikailé Rechid est un jeune. Il aime les petits poèmes dont il varie habilement le rythme. Il sera instituteur. Il aime son travail, ses élèves, celle aussi qui deviendra sa femme et qui étudie pour obtenir son diplôme d'ingénieur et l'amour germe en son cœur:

> Lorsque je te vois,
> Fillette chère et douce,
> Je me souviens de toutes choses,
> Lorsque je te vois.
> Et mon cœur désire
> Être avec toi, nuit et jour,
> Lorsque je te vois,
> Fillette chère et douce!

Pourtant son amour ne ralentit pas son zèle patriotique et social. Il sait remettre à plus tard les plaisirs de la rencontre si le devoir l'exige:

> Ce soir, ne m'attends pas.
> Ce soir je n'irai pas à la maison:
> A l'usine nous avons beaucoup de travail.
> Ce soir ne m'attends pas.
> Aujourd'hui, nous désirons finir vite
> Car il y a un nouveau plan quinquennal;
> Ce soir, ne m'attends pas.
> Ce soir, je n'irai pas à la maison.

L'amour s'attache au moindre objet pour évoquer le souvenir de l'élu. Pour Djesimé Djelil le mouchoir du bien-aimé est un gage et un avant-goût de l'amour.

Ton mouchoir est comme un arc-en-ciel:
Lorsque tu le portes à tes lèvres,
Il ressemble à une rose épanouie;
Lorsque tu le tiens en tes mains,
Il ressemble à un feu de braises;
Lorsque tu le suspends à ton côté,
Il ressemble à une chaîne d'or brillante;
Lorsque, tout en extase, je regarde ton mouchoir.
Tu ressembles au soleil et moi à la lune!

Ton mouchoir, ton mouchoir, amour de mon cœur
Ressemble à un monde de péris.
Je soupire, j'épuise mon cœur, nuit et jour,
Afin de pouvoir m'emparer de ton mouchoir sans pareil;
Pour broder de mes mains délicates notre portrait à tous deux;
Je me sacrifie à toi et à ton mouchoir, chéri!
    Quel est mon souhait, chéri?
    Puissè-je être ton mouchoir
Lorsque tu le portes à tes lèvres et à tes yeux!

La bien-aimée sait se faire câline. Elle connaît ses qualités, mais elle avoue que c'est l'amour qui va l'épanouir. Ainsi encore nous la décrit Djelil.

Je suis une rose sauvage, mon bourgeon est encore clos;
Le rayon et la rosée sont clairs sur moi.
    Si tu ne me touches pas,
    Je ne m'épanouirai pas;
    Si tu ne me touches pas,
    Je n'embaumerai pas.
Je suis une rose sauvage, je suis une rose de montagne
    Loin de toi !

L'amour s'épanouit avec des caresses:
Ramollis la terre de mes racines avec l'amour.
    Si tu ne me touches pas,
    Je ne m'épanouirai pas;
    Si tu ne me touches pas,
    Je n'embaumerai pas.
Je suis une rose sauvage, je suis une rose de montagne
    Loin de toi!

O jardinier diligent, friand de la rose,
Viens, cueille-moi, emmène-moi par dessus la montagne... (Refrain).

Si tu es courageux, si tu viens m'emmener,
Je t'égaierai comme une nouvelle mariée... (Refrain).

Lorsque l'amour se réalise et que le foyer est fondé, c'est autour du berceau qu'il trouve ses accents les plus doux. Les berceuses ne sont peut-être pas toujours de la très haute poésie, mais elles reflètent à coup sûr les tendres sentiments des pères

et des mères qui les fredonnent pour leurs tout-petits. La plupart de nos auteurs en ont plusieurs à leur actif, signe de leur amour paternel profond. Hadjiyé Djindi nous en fournit une bien jolie:

> Dodo, dodo, agneau, tais-toi.
> La nuit est longue, la nuit est noire.
> J'ai crié au coq de minuit:
> Je vais passer cette-nuit sans sommeil!
>
> Dodo, dodo, dors mon gars.
> Que le doux sommeil te prenne
> Et tu atteindras une jolie taille,
> Tout le monde te rendra joyeux.
>
> Sois fort, sois en bonne santé,
> Sois sage et sois parfait.
> Je ne me rassasierai jamais de ta beauté,
> Dodo, dodo, agneau, tais-toi!

2. — *La Nature et ses beautés.*

Dès qu'il s'agit de chanter la nature, tous les Kurdes sont là et il n'est pas facile de faire un choix. Toutes les saisons y passent, mais surtout le printemps. L'hiver et la neige ne sont pas oubliées. Le rossignol et la cigogne trouvent leurs chantres. La joie de vivre n'est jamais si bien ressentie, pour ces pâtres et paysans, qu'au contact de la nature.

La neige n'est pas seulement belle à voir, elle est indispensable pour féconder la terre. C'est l'idée exprimée par Djindi.

> Neige, ô neige, tombe.
> En flocons, arrive-nous.
> Recouvre plaines et champs
> Et égaie le sol tout noir!
>
> Tombe, tombe doucement!
> Sois un abri pour nos semences.
> Garde-les du vent et du froid,
> Qu'elles ne gèlent ni ne se dessèchent!
>
> Maintiens-les en un doux sommeil
> Afin que le printemps les fasse germer,
> Reverdir plaines et pâturages
> Et réjouir nos kolkhoz.

En tous les pays du monde, le printemps est désiré. La vie renaît et redonne vigueur et joie aux troupeaux, aux vergers, aux hommes. Djindi encore nous le décrit:

Cher, cher printemps, agréable printemps:
Agneaux et chevreaux se sont multipliés,
Moutons et bétail sont partis pour la steppe
Et les fleurs recouvrent campagne et campements!

Combien est agréable notre printemps:
La neige est fondue, le sol redevenu noir.
Jardins et vergers ne sont qu'une tapisserie
Et comme leur parfum est agréable!

O printemps, tu as réveillé la terre de son sommeil
Et tu l'as parée de verdure et de fleurs.
Tu as comblé d'eau les rivières
Et le soleil et l'eau ont réjoui le monde!

C'est toi qui réjouis agneaux et pastoureaux,
Brebis et bétail, campagnes et environs,
Garçons et filles, anciens des jours,
Tractoristes, bergers et bouviers!

Un des charmes du printemps réside dans le chant des oiseaux et, parmi eux, le rossignol est roi, à en croire Evdal.

Le rossignol s'est posé sur l'arbre.
Il chante et lance ses trilles
Et c'est lui qui envoie aux humains
Avec sa douce voix les parfums du printemps.

Jardins et fleurs tous ensemble
Rient et se réjouissent,
Et les roses rouges aussi, avec plaisir,
S'inclinent pour le rossignol.

Combien belle la voix du rossignol!
Qu'elle soit le chant de notre temps
Et qu'elle réjouisse le cœur
De nos enfants et des parents!

La cigogne elle aussi est une messagère de bonheur et sa venue est de même une bénédiction pour le village qui l'accueille. Evdal nous le rappelle.

De nouveau le doux printemps est arrivé:
Vents et bourrasques ont disparu.
Amour et joie emplissent le monde
Et la cigogne de l'an dernier est revenue.

Notre cigogne est bien jolie:
Elle se promène autour du village,
Elle agite ses plumes et ses ailes
Et elle égaie son nid.

Son nid est très haut,
Bien situé au milieu du village:
Les kolkhoznik l'ont bâti
Comme chaque année pour le village.

Notre cigogne nous est chère.
Avec ses yeux bigarrés, elle est magnifique.
Elle circule à travers les prairies
Et elle est la joie de notre village!

Quand la nature a ainsi revêtu sa toilette de printemps, on se laisse prendre à ses charmes. L'âme veut communier à cette vie renouvelée où tout porte à la joie, ainsi que l'affirme Evdal.

Je suis assis, parmi les fleurs, sur le bord du chemin,
A côté d'une maison du village d'Alagöz.
Du parfum des fleurs la terre est transportée
Et mon cœur est tout à la joie.

Le ciel est bleu, parfaitement pur:
La neige recouvre le sommet des montagnes;
Les eaux des sources murmurent
Et mon cœur est un printemps de roses.

Du village d'Alagöz, près de moi,
Chante la radio à voix haute.
Le son de la musique vient d'Erivan
Et les chants disent: «Leylé Khané!»

Et ces chants de joie sont des chants de noces
Apportés tout faits de Samsoun;
Chants joyeux, comme la voix du rossignol,
Comme chante la bien-aimée qui y met tout son cœur!

Je regarde la plaine et les champs,
Les épis se cognent les uns contre les autres,
Ils se dandinent, ils vont, ils viennent:
On dirait qu'eux aussi chantent maintenant!

Je regarde le mont Alagöz:
Les champs, les prairies y ondulent.
De plaisir et de roses mon cœur est rempli:
Il est beau l'Alagöz! Oh! qu'il est beau!

Dans cette région favorisée, bénie des dieux, il est un vallon privilégié. Déjà, au temps des Tsars, la belle société d'Erivan et les fonctionnaires russes y montaient en villégiature. On appelait alors ce coin Daratchitchag, les Arméniens le nomment Tsakhkadzor. Mais pour tous c'est la «Vallée des Fleurs», comme son nom l'indique. Aujourd'hui c'est un lieu d'estivage et de repos pour les intellectuels fatigués qui y trouvent toutes les commodités modernes pour refaire leur santé délabrée en un climat paradisiaque. Là aussi, de tous les coins du pays, s'assemblent scouts et pionniers, qui y viennent, durant les vacances, reprendre des

forces pour l'année scolaire nouvelle. Evdal, qui fut instituteur, en fait vanter par ses jeunes élèves les beautés et les plaisirs.

> Nous, pionniers des villes et villages,
> Nous voici installés dans le camp.
> En ce lieu de promenade, parmi la verdure,
> Notre plaisir est grand et notre cœur se réjouit.
>
> Autour de nous pullulent roses et marguerites,
> Et fleurs de milliers d'espèces.
> Nous y jouons, pleins d'ardeur,
> En écoutant le bruissement des arbres.
>
> Le mugissement de l'eau des sources,
> Le murmure des ruisseaux et des rivières,
> Le chant des oiseaux, le frémissement des arbres,
> Tous se mêlent et chantent ensemble.
>
> Quel plaisir! Comme c'est agréable!
> Les montagnes se dressent devant nous
> Et, comme nous, elles sont gaies,
> Et chacune reste tranquille à sa place!
>
> Les jeunes arbres sont verdoyants,
> Petits et gentils, comme nous.
> Leurs feuilles se développent vite:
> Comme elles sont délicates et tendres.
>
> Nous faisons aussi chaque jour des marches
> Et notre chef nous donne des leçons.
> Nous portons haut notre drapeau
> Tant le matin que le soir.
>
> Le matin aussi nous nous éparpillons.
> Avec amitié nous nous tenons par la main
> Et, après la marche, comme gymnastique,
> Nous descendons dans la rivière et nous y ébattons.
>
> Et puis, au sortir de l'eau,
> Nous nous asseyons près du gué.
> Et nous chantons, sans le moindre souci,
> Et nous sautons, le cœur à l'aise, tout le temps.
>
> Comme on est bien dans ce camp
> Où nous sommes venus de mille endroits divers.
> En ce lieu de promenade, parmi la verdure,
> Notre plaisir est grand et notre cœur se réjouit.
>
> Mais bientôt nous allons rentrer à la maison.
> Nous allons travailler, sans rêver.
> Nous irons à l'école et étudierons bien,
> Pleins d'affection pour nos parents.

Cet amour de la nature est toujours vivement ressenti par le Kurde, habitué à vivre au grand air. Plus d'un étranger a été

surpris d'entendre un paysan, un berger kurde s'extasier devant un beau paysage. Je vais résumer ici un récit en prose de Djindi, tout à fait caractéristique et intitulé *Emo le Kurde.*

Dans la prison d'Erivan, bâtie sur les rives du Zango, se trouvaient quelques prisonniers, turcs, arméniens, kurdes ou assyriens qui s'entendaient assez bien quand leurs gardiens avaient le dos tourné. Ils communiquaient entre eux par les fentes des murs de leurs cellules, se racontaient les petits événements dont ils avaient pris connaissance et se faisaient part de la durée de leur condamnation et de leur espoir d'être bientôt libérés. Les voisins de cellule du narrateur étaient un Arménien, Boghos, et un Kurde, Emo, jeune marié, condamné à neuf mois de prison pour avoir blessé un individu. C'était un beau gars qui, par la lucarne de sa cellule, regardait avec envie les flancs de l'Alagueuz, sa patrie. Lorsque le printemps arriva, son chagrin ne fit que s'accroître; il rêvait de retrouver sa jeune épouse et d'accompagner sa tribu aux pâturages d'été. Il essayait de faire comprendre cela à ses compagnons d'infortune, citadins, disait-il, incapables d'apprécier les beautés de la nature. Ceux-ci s'efforçaient de lui faire prendre patience. Mais sa douleur était plus forte que lui et il l'exprimait en des chants tristes qui n'étaient pas sans émouvoir les autres condamnés:

Cousine, tes yeux sont feu et lumières,
Semblables aux sources de l'Akhmakhan.
Tu bondis comme le jeune faon de la gazelle
Parmi les fleurs de l'Akhmakhan.

Chérie, à te soupirer, je me meurs.
Qu'arrive le sommeil, viens m'apparaître.
Tu es la rose de la montagne, aux doux parfums.
Sous tes mèches mordorées, abrite-moi.

La gorge et les seins de ma cousine sont blancs,
Comme la neige, la neige du sommet de l'Akhmakhan.
Ses cheveux et ses boucles vont et viennent
Comme le doux zéphyr de l'Akhmakhan...

Le mois de mai était passé. Emo n'avait plus que quatre-vingt cinq jours à subir. La vue de la montagne verdoyante ne fit qu'augmenter son chagrin et ses soupirs; et ses regards ne quittaient plus sa montagne. Un beau matin de juin, Boghos son compagnon de cellule qui l'avait entendu soupirer toute la nuit, le trouva pendu à la fenêtre, les yeux grands ouverts fixés sur l'Alagueuz. Le jeune Kurde n'avait pu résister plus longtemps au manque de grand air et de liberté.

3. — *Les Travaux et les Jours.*

Les travaux et les jours méritent aussi d'être chantés. Nous sommes à la campagne et les Kurdes, dans l'ensemble, sont toujours bergers et paysans. Chero est fier de l'ère nouvelle du kolkhoz dont Rechid nous décrit l'éveil matinal.

Le matin s'est levé, le village aussi s'est éveillé:
Le bruit se répand parmi les paysans
Et chaque brigade se prépare
A partir au travail.

Le bétail sort vite du village
Et va paître dans les prairies.
Le berger marche devant ses brebis
Et les brebis gagnent les pâturages.

Les ouvriers du kolkhoz aussi sont partis dans la plaine,
Tous sont allés à leur travail.
Le village s'est vidé comme chaque jour,
(Il restera) muet jusqu'au soir.

Et alors, à qui mieux mieux nos poètes Beko, Rechid, Djelil, nous tracent un tableau idyllique des champs cultivés par les kolkhoznik, tandis que Djindi et surtout Evdal évoquent, parfois sous forme de chansons, le départ pour les pâturages des bergers et des petits pâtres avec leurs troupeaux de brebis, d'agneaux, de chevreaux, qu'ils défendent vaillamment contre les loups et qui savent profiter d'un moment de répit pour ouvrir quelque livre...

C'est encore Djindi qui fera l'éloge des jardins de sovkhoz.

Les jardins de sovkhoz sont nombreux
Et leurs arbres ne se comptent point.
Leurs fruits sont doux,
Savoureux, excellents, parfumés.

Près des pommiers voici les poires,
Les mûres, les cerises et les abricots.
De quels fruits veux-tu parler?
Ils abondent dans le sovkhoz.

Oh! mon sovkhoz bien-aimé,
Aux jardins et vergers sans limites.
C'est par le travail de nos bras
Que tes vignes resplendissent!

Tu formes une vraie tapisserie
Par tes milliers d'arbres colorés,
Par tes milliers d'arbres petits et grands.
O sovkhoz, que tu es magnifique!

On le voit par tous les vers qui précèdent, la vie des Kurdes d'Arménie soviétique est restée près de la nature. Chero seul a deux petits poèmes sur les conducteurs de tracteurs (*traktorist*) et je n'ai trouvé que deux quatrains de Q. Mirad pour nous parler du forgeron. Peut-on en conclure que les Kurdes répugnent aux

métiers et ne s'intéressent guère personnellement à la culture motorisée?

Pourtant bien que vivant, pour la plupart, dans les villages, les Kurdes ne sont pas sans voir les améliorations que les années y apportent. Au lieu de ruelles sordides, on trace de belles rues droites et Rechid se réjouit des transformations de sa petite rue et de tout ce que cela représente pour son peuple.

C'était une rue très petite,
Nous jouions dans cette rue-là;
Nous étions petits comme cette rue
Et, comme cette rue, nous étions sales et noirs.

Les années ont succédé aux années.
Nous avons grandi au milieu de la ville;
Je suis parti à la guerre; j'ai vu les canons, le sang:
Jours pénibles de feu, de froid!

Les ennemis ont fui devant nous.
La guerre s'est achevée, nous sommes rentrés à la maison.
Ils ont jeté des fleurs sur notre chemin
Nos sœurs, nos frères, amis et camarades.

Et lorsque je suis venu dans notre rue,
Je n'ai plus reconnu les jours anciens:
Elle était devenue belle, elle était devenue grande
Et propre aussi, comme le ciel!

Jours et jours s'étaient écoulés.
Nous avions agrandi notre rue.
Comme elle aussi que s'embellisse
Et que s'agrandisse notre âge nouveau!

4. — *Grande et Petite Patries.*

Lorsqu'on a senti les accents avec lesquels un Cegerxwîn ou un Goran, par exemple, célèbrent la Patrie kurde, on n'en est que plus étonné à lire les poésies patriotiques des Kurdes d'U.R.S.S. Certes, ils chantent eux aussi la Patrie et tous sans exception, mais cette Patrie c'est le Hayastan, l'Arménie et aussi, et surtout, non pas la terre du Kurdistan, habitée par leurs ancêtres et pour laquelle ils ont versé leur sang, c'est une Patrie idéologique, une idée qui dépasse les limites du sol, c'est le socialisme, le communisme, la Grande Patrie Soviétique. Ainsi en est-il dans les vers d'Etarê Chero, de Qatchakhé Mirad, mais aussi de Hadjié Djindi, d'Eminé Evdal et même de Djesimé Djelil. Tous ces poètes célè-

brent, en vers dithyrambiques, Lénine, Père de la Patrie et dont le nom rimait si bien avec celui de Staline, jusqu'en ces dernières années! Ils ont tous écrit de longs poèmes en l'honneur de la Révolution d'Octobre et de l'Armée Rouge. A la gloire du 1er Mai, les poètes kurdes d'Irak préfèrent chanter le *Norûz*, fête printanière elle aussi, mais d'un autre ordre. On saisit là sur le vif la différence des mentalités et de l'ambiance. Je ne pense pas qu'il soit bien utile de produire des spécimens de ces productions. A défaut donc d'un Kurdistan, dont le nom même est banni, les vrais poètes se rattraperont sur leur petite Patrie. Tous s'extasient sur les charmes de leur Alagöz. A l'envi, ils en détaillent la beauté: ses pâturages, ses fleurs, ses ruisseaux et ses sources. Ici encore on pourrait citer Djindi ou Evdal, Chero ou Tchango, mais Djelil, qui a tout un Recueil intitulé Alagöz semble les surpasser tous en fraîcheur: *Source*:

Que tu es simple et limpide,
Source, source, source glacée de l'Alagöz;
Que je dépose un baiser sur tes lèvres argentées,
Que je boive ton eau, que ton eau me soit «halal».
Que je voie mon image dans tes eaux claires,
Toi, ma sœur, moi, ton frère chéri!

O source douce et glaciale d'Alagöz.
Toi, miroir de cristal,
Que l'homme nouveau de la terre s'abreuve à ton eau
Et qu'il bénisse cette montagne nationale.
Que personne des nôtres n'ait jamais besoin
De l'homme étranger, de la source du sol étranger!

II. — Chants modernes «engages», a aspirations sociales.

Dans les poésies que nous avons citées jusqu'ici, les poètes exprimaient leurs sentiments personnels, sentiments bien humains et décrits comme l'aurait fait n'importe quel poète, bien que parfois on y perçoive une allusion, plus ou moins voilée, au socialisme du pays. Mais nous voici maintenant devant une nouvelle catégorie d'œuvres poétiques. Le poète a un rôle à jouer dans la société. S'il n'est pas prophète, à proprement parler, puisqu'il se trouve au cœur d'un monde nouveau qui s'élabore, il doit du moins mettre son talent au service de ses frères et leur indiquer la voie des réformes sociales qui s'ouvre désormais devant eux. Il s'agit donc

tout d'abord de rappeler les misères anciennes; puis de s'insurger contre tout ce qui empêchait la femme, en particulier, de jouir pleinement de sa liberté; de s'élever avec énergie contre l'exploitation féodale; de célébrer enfin la gloire de ceux qui ont souffert et sont morts au service de la Patrie. Tout cet enseignement, car c'est bien d'enseignement qu'il s'agit en définitive, prendra une forme plus ou moins didactique et se présentera souvent comme un récit réel où le narrateur joue un rôle ou est témoin de l'événement.

1. — *Il faut libérer la femme.*

Etarê Chero utilise des quatrains pour exposer ses idées sur la *situation ancienne* des Kurdes, qui se résume en trois mots: ignorance, misère, oppression. Mais il insiste surtout sur la *situation de la femme* à qui on impose un mari contre sa volonté, ou une co-épouse, et que l'on vend ni plus ni moins qu'une tête de bétail.

Sinem (4 × 23) aime Chérif, brave garçon intelligent et instruit; mais on l'oblige à épouser le fils d'Emer qui apporte une belle dot, mais qui a déjà deux épouses. Elle supplie sa mère de lui épargner cette misère, mais son père est inflexible; il se fâche et elle doit s'exécuter. Chérif est désespéré. Sinem se pend et les parents regrettent un peu tard leur obstination.

Zibêde (4 × 39) est encore une jeune fille que les parents forcent, en 1922, à épouser Ali, un richard, mais âgé de 60 ans. Elle a beau faire remarquer que les temps sont changés ainsi que les coutumes. On ne veut rien entendre. Elle épouse donc le prétendant au son de la flûte et du tambour, mais elle n'en est pas moins malheureuse. Elle maudit ses parents qui l'ont réduite à un tel état. Pourtant un jour elle s'échappe et refait sa vie avec un homme qu'elle aime. Ses enfants vont à l'école. Elle-même fait partie du Conseil du village. Elle goûte enfin le bonheur dans sa liberté recouvrée.

Foin de la dot! (4 × 26). Le père de *Zilfo* veut la marier, c'est-à-dire la vendre au prix fort: 40 brebis et un cheval harnaché, alors qu'elle aime le pauvre Sefdin. Le jeune homme perd courage et confiance, malgré sa mère qui essaie d'intervenir. Un jour qu'il rencontre son amie à la source avec sa jarre, il voudrait l'enlever. On rapporte l'aventure à la mère. mais un vieil oncle, Derviche, prend la jeune fille sous sa protection. Sefdin disparaît. La Révolution éclate. Zilfo, toujours chez son oncle, reste sans nouvelles de son fiancé... Mais l'ère de la liberté s'est levée. Un jour que l'oncle était parti à la ville, Zilfo qui attendait son retour aperçoit sur la route un cavalier qui s'informe de la maison de Derviche. Il y arrive, salue la vieille mère et on s'embrasse. La mère se rend compte que les deux jeunes gens sont toujours amoureux. A son retour, le soir, l'oncle tombe d'accord et le lendemain on célèbre la noce. Sans plus se soucier de la dot, les deux amants ont réalisé leur désir.

Au dire de Ş. Xôno, *Pour une meilleure progression de la littérature des Kurdes soviétiques* (*Riya Teze*, nº 26(942), du 30 mars 1958),

il n'en reste pas moins que «maintenant encore, chez les Kurdes, la fille est donnée à son mari moyennant le *qelen*, la dot»!

2. — *Trêve à l'exploitation féodale.*

L'exploitation féodale peut s'exercer en bien des domaines. L'époque n'est pas tellement éloignée où les begs et les aghas avaient, en fait, droit de vie et de mort sur les membres de leurs tribus. Djelil nous en présente quelques-uns qui s'opposent à des mariages de leurs sujets pour des raisons variées.

Le Berger Avlon (975 vers) reçoit un beau jour les déclarations amoureuses de Djawahir, fille de l'Agha, au service duquel il travaille. Il a beau s'efforcer de lui faire comprendre l'inégalité de leurs conditions, la jeune fille, follement éprise, s'obstine et le décide même à l'enlever. Un domestique jaloux avertit l'Agha qui fait poursuivre les fuyards. Il réprimande son berger et feint de lui pardonner; il le licenciera même en lui payant ses huit années de gages en retard et même il se dit prêt à lui donner sa fille en mariage. Mais, au vrai, il a soudoyé deux serviteurs qui tueront le coupable. A cette nouvelle Djawahir devient folle.

Le destin de *Derviche Awdi* (228 vers) est semblable. Lui, domestique de Timour Beg-le-Beau n'est-il pas tombé amoureux de Meyran, fille de son maître? On en informe l'agha et on lui fait remarquer que, vu son nom et ses richesses, il ne peut décemment donner sa fille en mariage à un gueux. Il convoque donc Derviche Awdi et lui signifie qu'un Beg seul est digne d'épouser Meyran. Passe encore si la bravoure au combat remplaçait la noblesse de la naissance. «Qu'à cela ne tienne, répondit Derviche Awdi, je me sens capable de tenir tête à cinq cents hommes!» — «S'il en est ainsi, dit l'Agha, va faire tes adieux à ta famille, et nous aviserons». Derviche est accueilli en son village avec enthousiasme. Sa mère pleure de joie. Un vieux berger pourtant s'approche et lui reproche de vouloir épouser la fille de l'Agha. «Eh! quoi, n'y a-t-il plus de filles chez nous? En tout cas, il te faudra désormais oublier ta famille, ton village natal! — «Jamais je n'oublierai les miens», rétorqua Derviche. Dans l'intervalle pourtant une armée de huit cents hommes est envoyée contre lui. Il en tue cinq cents et met les trois cents autres en fuite. Cependant Awdi est tué par trahison et sa tête coupée envoyée à l'Agha. Ce dernier fait d'amers reproches à sa fille, lui annonce la mort de celui qu'elle aime et, sans pitié, en sort la tête d'un sac et la lui présente. Meyran, devenue folle sous le coup de l'émotion, ne cesse plus désormais de chanter follement son amour perdu.

Il y a peut-être plus de poésie, mais autant de pathétique dans l'aventure de *Nado et Nazé*, racontée en cent-vingt distiques, partagés en neuf strophes d'inégale longueur.

Il semble que rien ne doive s'opposer à l'union des deux jeunes gens. Nazé est belle comme on peut l'être à 16 ans, elle est le printemps de la montagne Sipan et Nado est fils unique. Ils se sont vus à la fontaine et l'amour a jailli dans leur cœur. Survient un Derviche qui leur rappelle les divisions du monde: les uns sont maîtres; les autres sont des serviteurs lésés, traités injustement par les premiers. Malgré sa richesse Nado ne pourra épouser Nazé, dont le père aussi est riche. Quant à lui, il refuse l'invitation à déjeuner du jeune homme, car «(Son) cœur est trop large, vaste comme la mer, plein des larmes

des miséreux». Pourtant le Derviche prédit un changement de ce monde où bientôt régneront la justice et l'égalité des droits! Or voici qu'en l'absence de son père, Nazé, malgré sa résistance, est enlevée par dix cavaliers. A cette nouvelle, Nado, comme un fou, se met à parcourir les villages d'alentour à la recherche de sa bien-aimée. Il apprend bientôt qu'elle est détenue en un château-prison. Il se met alors à chanter sous les murs de cette forteresse, jusqu'à ce que le Beg qui en est le maître, s'enquiert de ce troubadour. «C'est le Bien-aimé malchanceux de Nazé», lui répondit-on. Il se le fait amener, l'oblige à avouer son amour pour Nazé, lui rétorque que la Belle Nazé doit appartenir au Beg et finalement ordonne qu'on lui coupe la tête. A cette triste nouvelle, Nazé se jette du haut du donjon du château sur les roches où son corps est déchiqueté:

Ainsi s'est évanoui le plus bel amour du monde,
Ainsi aussi, telle la fumée, s'est évanouie la gloire du Beg.

Et depuis lors, chaque printemps, quand la lune n'éclaire plus le ciel, un nuage noir couvre la montagne Sipan. Une pluie légère tombe sur les fleurs qui y abondent. Et ces fleurs restent silencieuses jusqu'au matin, jusqu'à ce que le soleil répande sa lumière sur les feuilles mouillées.

Mais l'injustice des féodaux n'a pas de limites et doit provoquer de vives réactions de la part des opprimés. La lutte des classes, tel est le thème de *Golizer*, publié par HACÎYÊ CINDÎ. C'est un long poème de 1602 vers, partagés en 14 chants avec un prologue et un épilogue et où, malheureusement fourmillent les mots arabes et turcs.

Les bergers se sont révoltés contre les aghas et les begs et c'est Zoro qui mène le combat contre les exploiteurs et les oppresseurs. Le prologue chante comme digne d'envie la vie de l'homme libre dans le monde, l'esprit uniquement préoccupé d'un idéal supérieur et qui lutte pour la Vérité. Le berger Zoro qui s'est ainsi offert en holocauste pour cette noble cause mérite toute notre admiration. Dans l'épilogue, l'auteur rappelle que l'heure de la libération a sonné avec l'apparition de l'Union Soviétique, où une fraction du peuple kurde vit libre désormais, ayant appris à lire et à écrire.

D'après le nº 24 (940) du 23 mars de *Riya Teze*, cette œuvre fut adaptée, en mars 1958, par la Radio-diffusion d'Erivan et a eu un plein succès, grâce à la participation de jeunes gens et de jeunes filles qui exécutèrent les chants, dont la musique avait été spécialement écrite par le compositeur Omir Chat.

A côté de cette exploitation collective qui entraîne la révolte de la masse, le pauvre Kurde est individuellement en proie à la rapacité du riche, du commerçant, tout simplement parce qu'il est pauvre, sans protecteur et sans défense, à la merci de quiconque est plus puissant que lui. C'est cette situation d'abaissement social, d'éternelle victime qu'expose Usivê Beko en son poème *Sihid* ou Said.

L'auteur va rendre visite à un campement de bergers sur les pentes de l'Agri-dagh, à la frontière turco-iranienne, où il est accueilli par le vieux Teyar.

La vue de ces paysans lui remet en mémoire son ancienne vie de berger et il voudrait en profiter pour rappeler les misères d'autrefois et surtout celles qui sont advenues à Said, à la fois *dengbêj* et berger là présent, et à son camarade Khatib et que lui a racontées Teyar.

Le brave Said donc, misérable dans son clan des Kalache, décide un beau matin d'aller à Ourmia vendre son troupeau. Il arrive en cette ville où il rencontre un pieux musulman, Qorani, qui connait la langue kurde. Constatant le désarroi du berger, grâce à quelques renseignements que celui-ci lui fournit sans s'en rendre compte, notre Persan réussit à se faire passer pour Mehmed Agha, *kérîv* (parrain) de Hesan, propre père de Said. Il l'invite donc à venir chez lui avec son troupeau, qu'il a l'intention de lui ravir. Son épouse, Soudabé, mise au courant, rentre dans les vues de son mari, est aux petits soins pour le berger, à qui elle voudrait même laver les pieds, puisqu'il est leur hôte envoyé de Dieu. Elle abreuve et nourrit les brebis, prépare un bon repas et emplit même de fruits, tombés il est vrai, toute une corbeille que Said portera à son petit garçon. Notre homme ne sait comment remercier, mais il doit rejoindre ses compagnons de route installés dans le khan. Il reviendra le lendemain pour traiter de la vente de son troupeau. Le lendemain, notre pauvre berger, dépaysé dans cette grande ville, a peine à retrouver la maison de son bienfaiteur de la veille. Il reconnait enfin le portail rouge et y frappe. Mais Qorani, qui a changé de costume, affirme ne rien savoir de Mehmed Agha, de brebis hébergées et éconduit Said. Celui-ci revient avec ses compagnons et réclame poliment ses bêtes, mais le marchand nie catégoriquement. Le paysan porte plainte au tribunal. Le Persan malhonnête n'a pas de difficulté à convaincre le juge qu'il n'est pour rien dans cette affaire. La Justice est au service des riches et des puissants de ce monde!

A ce moment de l'histoire, Said, qui l'a écoutée tout confus, constate que c'est le passé et joue un petit air de flûte pour reprendre courage. Les paysans assemblés réclament alors le récit de l'aventure de Khatib. Ce compagnon de Said, bien qu'il fût d'un autre village, était allé lui aussi à Ourmia vendre son beurre et son fromage et était tombé également entre les griffes du faux Mehmed Agha qui l'avait chaleureusement accueilli. Au retour du souk, où il avait fait ses emplettes, il reconnut dans le troupeau de son hôte deux des brebis de Said. Revenu au village, il fait part de sa découverte à son ami et tous deux décident de reprendre le troupeau par la force. Ils partent à cheval, arrivent chez Qorani qui reste bouche bée en les voyant. On s'injurie, on se prend à la gorge, pendant que Soudabé pousse des cris. Finalement, mort de peur, le faux agha, restitue les brebis qu'il avait injustement gardées.

L'histoire terminée, Teyar invite tout le monde chez lui. Au chant du coq, alors que la nature entière semble s'unir aux adieux des visiteurs, on se prépare à partir. Beko annonce l'arrivée prochaine d'un maître d'école qui apprendra à lire aux enfants du village, tandis que Said sort de sa poche un portrait de Lénine, le grand précurseur qui, comme le soleil, dissipera les jours de ténèbres. On prend alors congé de Said et de Khatib et le poète de conclure: «Nous avons passé quelques bonnes heures sur le chemin de la Justice!

677 vers, n'est-ce pas un peu long pour le récit d'une aventure somme toute assez banale? Bien sûr, certains détails sont intéressants: le portrait de Said, *dengbêj* et berger à la fois, est vivant; la description de la nature dans le frais matin ne manque pas de poésie; un proverbe, glissé ici ou là, ajoute son grain de sel! Mais

que de critiques on pourrait faire sur le vocabulaire assez restreint, l'orthographe incertaine, la prosodie inégale, les rimes laissant souvent à désirer. Sans aucun doute Beko est troubadour plutôt qu'écrivain et son texte gagne à être écouté plutôt qu'à être lu. En plein folklore, nous ne touchons pas encore à la porte du jardin des Belles-Lettres.

3. — *La guerre libératrice.*

La guerre est un sujet de choix pour les poètes. Elle est exécrable, si elle est menée par les États capitalistes; mais elle est source de gloire quand il s'agit de défendre le sol de la grande Patrie Soviétique. Que d'occasions offertes de reconnaître le bonheur procuré par le socialisme et la nécessité de proclamer son droit à la gratitude des bénéficiaires: Combattre pour lui est un honneur; verser son sang un privilège.

Les vers de Qatchanê Mirad, du moins ceux que j'ai sous les yeux, ont tous l'allure politique. On y chante la Patrie Rouge et célèbre les fêtes de Mai et d'Octobre. Le poète se plaît à évoquer la guerre qu'il a faite, soit dans l'histoire de *Teyar*, son camarade tombé au Champ d'Honneur, en 117 vers, aux rimes parfois défaillantes; soit dans la *Rencontre de Roustav*, où il retrouve la mère d'un de ses compagnons de combat et dont *Riya Teze* (n° 38(954) du 11 mai 1958) a publié les 313 vers.

De son côté, Eminê Evdal nous raconte en 176 quatrains les aventures guerrières de *Beko*.

C'est l'histoire d'un jeune Kurde, épris de Seyran, que les parents destinent à un richard. Beko, dont l'amour est partagé, quitte son village pour Erivan et Moscou, devient excellent komsomol, s'engage dans l'armée et y suit des cours spéciaux. La guerre éclate. Il part au front, est blessé. On le nomme capitaine et, au retour, vainqueur, il épouse sa bien-aimée qui lui était restée fidèle.

Le thème n'a rien de bien original: le service de la Patrie compense et récompense les chagrins d'amour! Les quelques récits de combats ou d'escarmouches, dans le froid, la glace et la neige et qui ne sont guère localisés ne donnent pas l'impression du vécu. Peut-être l'histoire aurait-elle été plus vivante si l'auteur, abandonnant carrément le genre des laisses, qui n'est pas nécessairement

poétique, avait écrit tout bonnement en prose. Car sa prosodie aussi est nettement déficiente. Il n'est pas toujours facile d'y reconnaître le rythme des vers. La disposition des rimes, tantôt plates, tantôt croisées, tantôt embrassées, est aussi fantaisiste. *Gönd* ne rime pas avec *bökör*, ni *lazim* avec *din* ou *çû* avec *ew*. Faire rimer un mot avec lui-même et les verbes *kirin* ou *bûn* avec leurs dérivés ne dénote pas non plus un gros effort d'imagination. Ces défauts disparaîtraient ou du moins paraîtraient moins choquants dans un texte en prose. Pour chanter dignement les héros de la guerre nationale, dit Evdal lui-même, il faudrait un Homère. Nous sommes loin de compte.

Dans l'édition française de son ouvrage *A travers l'Arménie Soviétique* (Moscou, 1955), MARIETTE CHAGUINIAN (Chahinian) écrit (p. 191-192): «Au temps de la Grande Guerre Nationale, dans ces petits villages de montagnes les plus éloignés, VIZIR NADIROV, qui parlait très bien le russe, l'arménien et l'azerbaidjanais venait faire des discours enflammés. Il écrivit des poèmes patriotiques, dont le poème *Nado et Gulizar*, où le héros et l'héroïne partent d'abord au front, ensuite, pris dans un encerclement, ils deviennent partisans». Je conclus de ce passage que les deux chapitres du poème, édités par Djelil, n'en forment par conséquent qu'une petite partie. J'ignore quelle est la longueur totale de l'œuvre, mais les 322 vers qui nous sont présentés entrent à peine dans le vif du sujet.

L'aventure peut avoir un fond d'authenticité. Le premier chant, tout bucolique, fait allusion à la renommée de Nado dans son village, Yanikh, où vit sa jeune veuve, Golizer, et leur fillette, Rouzan. Et le poète est invité à chanter les aventures du héros par le grand-père de l'orpheline. Puis vient une longue tirade — dont je ne vois guère le rapport avec le reste — sur la venue du Dadjal (Antéchrist), la futilité des croyances religieuses et l'inutilité de la prière. Après ce préambule, bien long à mon avis, le poète entonne son second chant où il nous présente les héros de son histoire.

D'abord Nado à l'enfance malheureuse. Son père, Khodo, pauvre gars, avait enlevé sa mère, Ghazala Djindi, petite ignorante, dont il ne pouvait payer la dot. D'où inimitié avec les Heseni. Un peu plus tard, son père prit une seconde femme, yézidie celle-là. Et à une époque où la religion avait encore son mot à dire, il l'épousa sans dot et sans religion. On devine déjà les frictions dans le ménage, mais les co-épouses mirent toutes deux un fils au monde: Nado et Feridoun. Le père aimait l'un et l'autre, mais il mourut après deux ou trois ans. Son frère épousa les deux femmes. Leurs ayant-droit réclamèrent la dot.

En vain. Des discussions s'ensuivirent et, par une nuit d'été, Ghazal et Féridoun furent assassinés. Par vendetta l'oncle de Nado fut tué à son tour et c'est à Nado que revint le devoir de le venger. L'enfant devint adolescent au temps des Soviets. D'abord pastoureau puis berger, il suivit les cours du soir et comme il aimait l'Histoire de son peuple, il se renseigna sur les coutumes des anciens, devint *dengbêj* (troubadour), mit par écrit ses aventures, le récit de la lutte des classes qui commençait, recueillit contes, proverbes, poèmes auprès des Djindi, qui étaient de sa famille. Et il passait ses soirées chez le berger, Dirbé, père de Golizer.

Celle-ci fréquentait l'école et y apprenait le russe. L'auteur nous fait alors la decription classique, tout orientale de la jeune fille, «hourie, comparée à une Péri». Elle faisait l'admiration de toute la jeunesse. Son père étant mort lorsqu'elle avait sept ans, elle fut élevée par Zin, femme de son frère Moumin. En classe, elle lisait Charefdin, les récits légendaires, l'épopée de Dimdim et les chansons kurdes. Puis elle alla en ville et étudia la médecine. Elle revenait au village durant les vacances d'été. Nado s'en amouracha de plus en plus, au point d'en devenir jaloux. Elle ne s'arrêtait pas à cela. «Qu'est-ce que l'amour? Je ne comprends pas. Je ne veux pas me fatiguer avec toutes ces histoires». Le travail, la vertu, l'amour de la Patrie, voilà ce qui l'intéresse. Des hommes, seuls comptent ceux dont on peut dire qu'ils sont des modèles d'humanité.

Sur ces derniers mots se termine le texte de Nadiri, publié par Djelil. J'imagine que, par la suite, la guerre éclate, que les deux jeunes gens se retrouvèrent au front et dans le maquis où Nado fut tué, après de beaux exploits d'héroïsme. C'est ce brave et son héroïque femme Golizer qu'a voulu glorifier notre poète. La Guerre Nationale a fait oublier les vengeances de clans et de tribus et les vulgaires questions de *qalim*, de dot!

Il y a, certes dans cette œuvre des passages émouvants, pathétiques même. J'ai déjà signalé des épisodes hors du sujet. Si certaines rimes sont riches, on en trouve d'autres qui le sont moins et la récitation publique, avec son rythme chantant, laisse aussi inaperçus les défauts de prosodie. Somme toute, on comprend assez le succès de la pièce où les morceaux de bravoure alternent avec les pièces sentimentales et où les allusions aux antiques usages et les critiques même des pratiques religieuses sont acceptées par l'auditoire docile comme autant de victoires remportées sur le passé.

4. — *Croyances et pratiques religieuses s'évanouissent.*

Et, en effet, parmi les coutumes des temps anciens qu'il s'agit de supprimer, n'y a-t-il pas aussi les croyances et coutumes religieuses et l'activité souvent rétrograde des chefs spirituels? Or,

elles n'apparaissent guère dans les poèmes que nous avons analysés, sauf les quelques allusions dans l'œuvre de Nazuri. N'en tirons pas trop vite de conclusions d'ordre sociologique. Les Kurdes n'ont jamais été exagérément religieux et les demi-nomades de l'Alagöz ne devaient guère posséder beaucoup de mosquées. Si Damlooji affirme quelque part que, déjà en 1928, les cheikhs et pir yézidis y étaient réduits à mourir de faim, on peut supposer que leur situation ne s'est pas améliorée. Dans son article déjà cité, Ch. Khödo recommande la satire de toutes les croyances et la moquerie comme arme fondamentale en face des survivances du passé, de ce qu'il appelle les «bouffonneries», indignes de l'ère des Soviets. Cependant, on chercherait en vain dans nos textes une critique directe des chefs religieux, musulmans ou yézidis, et même certains derviches semblent s'adapter aux idées nouvelles qu'ils auraient prédites. Sur ce point, nos troubadours d'Arménie soviétique ont plus de scrupule que les conteurs ou poètes kurdes de Syrie ou d'Irak qui n'hésitent pas à exercer leur verve satirique contre un clergé cupide et ignorant, ainsi que je l'ai signalé dans mon étude sur *L'Ame des Kurdes à la lumière de leur folklore.* Au contraire, on peut relever dans nos poèmes certaines expressions religieuses; mais le «*wellah*!», qui revient à plusieurs reprises, n'a pas plus de valeur religieuse que le «*per bacco*» des Italiens. Et Dieu sait si... (*Xwedê zane*) est utilisé de même sorte par maint athée de chez nous. La formule: «L'hôte est l'hôte de Dieu» est passée à l'état de proverbe, tout comme: «Qu'ai-je à cacher à Dieu?» Mais il y a quand même un autre son dans: Dieu te garde! Dieu mène ton affaire à bonne fin! Ailleurs un pieux musulman jure: «Par Dieu et le Prophète», mais c'est précisément pour mentir et il n'en est que plus malhonnête. Serait-ce là une critique indirecte? Peut-être pas. Ailleurs encore la mère de Mem appelle Dieu trois fois et prie pour son fils, tandis qu'elle se méfie de cette Aiché qu'il aime, car elle est sans conscience et pour tout dire, sans Dieu: *Bêxwêdê*! Bien plus, après avoir invoqué le Dieu puissant, Wizir, compagnon de Hozbek, dont nous parlerons plus loin, enlève sa calotte pour faire sa prière: ce qui n'est guère un geste

rituel dans l'Islam. Tel autre fait sa prière en égrenant son *tisbi* pour que le sort lui soit favorable: *xêr, şer, Xwedê*; c'est-à-dire Bien, mal, Dieu, comme lorsque les amoureux effeuillent la marguerite... Mais on plaisante plutôt qu'on ne tombe là dans la superstition. On notera toutefois que toutes ces formules n'existent que dans les épopées légendaires recueillies oralement chez les anciens de la nation. Reconnaissons que les compilateurs ont eu la loyauté de les maintenir telles quelles. Sans doute, pour eux, Dieu, *Xwedê*, qui n'a plus droit à la majuscule, doit-il rejoindre au Musée des Merveilles, les *dîv* et les *péri* qui vont apparaître dans les légendes suivantes et dont l'existence fictive ne pose pas plus de problème, métaphysique ou scientifique, que celle de l'oiseau Simigh. En tous cas, nos troubadours, présumés yézidis, se gardent bien le nommer le Chaitan, qui a pourtant trouvé place dans le dictionnaire d'où Iblis est exclu. Même chez les Kurdes soviétiques, on ne badine pas avec le Prince des Ténèbres et son mystère!

III. — Légendes épiques anciennes.

Après avoir largement cité des poésies qui célèbrent l'amour et la nature et fait connaître les critiques des survivances sociales et féodales en des poèmes où leurs auteurs se sentent la vocation d'éclairer leurs contribules, nous abordons maintenant la vaste mer des légendes épiques anciennes. C'est le royaume du folklore où le peuple se retrouve au contact des récits dont il connaît par cœur maints passages et qui se transmettent oralement, dans les tribus, depuis des siècles. Chansons de geste, romans de chevalerie étaient pour nos ancêtres du Moyen-Age ce que sont ces histoires pour le paysan ou le montagnard kurde, plus ou moins illettré, qui écoute ses *dengbêj* ou ses *çîrokbêj* avec autant de ravissement que les citadins d'aujourd'hui installés devant leur poste de radio. Le domaine est immense et il n'est pas question de l'épuiser. Je me bornerai à analyser quelques légendes éditées ces dernières années à Erivan. Certaines sont assez anciennes et bien connues. D'autres plus récentes et d'une aire d'expansion plus restreinte. Toutes sont populaires. Elles sont extrêmement variées et on peut les classer

en légendes à fond merveilleux, à forme purement idyllique, à genre historique et héroïque.

1. — *Les légendes à fond merveilleux.*

Au cœur de sa misère quotidienne, le malheureux voudrait réaliser ses rêves de gueux: manger à sa faim, échanger ses haillons et sa bicoque ouverte à tous vents, réussir en ses projets, épouser la femme de son choix, avoir de beaux enfants. Helas! la réalité est cruelle et il se doit contenter du récit de la félicité de ses héros qui, grâce à la générosité de quelque fée bienfaisante, voient se combler leurs vœux. Et alors ce sont des repas magnifiques en des jardins de paradis, des vêtements de soie et des bijoux précieux, des palais regorgeant d'or et de richesses, les chants, les amours et les ris avec la plus jolie fille du monde, une fois surmontés les obstacles, mis par la fatalité ou de méchantes gens, sur la voie de leur bonheur. Voilà réalisées en quelques mots toutes nos légendes merveilleuses. Et l'on peut sur ce thème imaginer des variations à l'infini.

Je ne reviens pas sur l'épopée de *Memozin*, connue de tout le Kurdistan et que Hadjié Djindi a traduit en arménien en 1956. Mais en voici quelques autres recueillies et éditées par Djasimé Djelil en 1954 et 1955.

Et d'abord l'histoire de *Sévahatché* (267 vers).

A la suite d'un rêve, au cours duquel une belle jeune fille, Sévahatché, lui a offert une bague de prix, Mahmoud se met en route pour l'Égypte. Sa mère essaie en vain de le dissuader de croire aux songes, toujours mensongers. Durant son voyage, il rencontre Hasan, berger devenu riche en tombant amoureux d'une beauté qui avait visité son village. A la description qu'il en fait, Mahmoud reconnaît la Sévahatché de son rêve. «D'ailleurs, ajoute le berger, elle passe ici une fois l'an, sous forme de djinn et c'est bien ma seule consolation. Cette année, elle doit apparaître au pont situé sur le chemin de l'Égypte». Et la Belle survient en effet. Sur sa demande, elle donne à boire à Mahmoud et lui affirme que son père la lui donnera en mariage si, toutefois, il peut lui apporter un pic d'un certain cordon merveilleux. Voilà donc notre jeune homme parti à la recherche de ce trésor. En cours de route, alors qu'il est assis sur le bord d'un fleuve, une vieille femme s'approche et lui dit connaître les motifs de ses fatigues et la douleur de son cœur. Le cordon convoité vaut 130 livres-or. Le cavalier est trop heureux de pouvoir l'acquérir en payant rubis sur ongle. Le mariage va donc se célébrer, lorsque le berger Hasan a vent de la nouvelle. Il arrive daré-dare, se fait reconnaître de Mahmoud, accepte même l'invitation de ce dernier, bien décidé qu'il est à le combattre à la fin du repas pour lui ravir sa fiancée. Mais le combat n'aura pas lieu. En effet, Khatché, sœur de Mahmoud entre. Sa beauté éblouit Hasan qui la prend pour Sévahatché et veut

l'épouser sur le champ. La vraie Sévahatché se montre alors et le berger, satisfait, renonce à la bataille puisqu'aussi bien son mariage avec la sœur de son rival laisse la voie libre à l'hyménée de son futur beau-frère. Et tout est bien qui finit bien.

C'est encore une aventure où le merveilleux a une large part qui nous est contée dans l'*Histoire de Talou Ahmed et de Talou Hamza* (459 vers).

Le roi Khalil se lamentait de n'avoir point d'enfant. Le ciel un jour lui octroya un fils, mais il pleurait sans cesse, du matin jusqu'au soir et du soir au matin. Récompense est promise à qui le calmera. Un commerçant se met en quête d'un consolateur et rencontre une jeune femme dont les trois enfants pleurent aussi, car leur père vient de mourir et ils n'ont pas mangé depuis trois jours. Consentirait-elle à vendre un de ses petits pour amuser l'enfant royal? Sur le refus de la mère, le commerçant rend compte au roi de l'échec de sa mission. Un dernier délai d'un jour lui est accordé. Après quoi, s'il n'a pas réussi, il aura la tête tranchée. Cette fois il amène un des fils de la veuve auprès de l'enfant royal qui aussitôt cesse ses pleurs et ses cris. Enchanté de ce miracle, le roi fait un magnifique cadeau au commerçant, adopte le bambin qui s'avère être d'origine égyptienne, le nomme Talou Hamza, tandis que son propre fils s'appellera désormais Talou Ahmed. Les deux enfants grandissent ensemble, étudient ensemble, ensemble deviennent d'excellents cavaliers. Le roi bientôt leur annonce sa mort prochaine et c'est Talou Hamza, le plus intelligent des deux garçons, qui succédera sur le trône à son père adoptif. Il a ainsi réalisé son destin. Quant à Talou Ahmed, après bien des péripéties, des naufrages et des voyages, il trouvera dans un village en ruines la belle Périchan, tout en larmes, car un *Dew* vient de dévorer son père et sa mère; Talou Ahmed décapitera le monstre et, après la découverte d'une robe splendide qui avait appartenu au Roi de Chine, il épousera sa bien-aimée.

La Chanson de Hozbek nous est présentée par Djelil comme une épopée populaire kurde. Comme presque toujours en ce genre de poème, et ainsi qu'on a déjà pu le remarquer dans les légendes précédentes, les différents épisodes se suivent sans qu'il y ait le moindre rapport entre eux. Certains même semblent interchangeables et pourraient se mêler à un autre récit sans nuire à l'ensemble, sans l'enrichir non plus du reste. Nous sommes en pleine imagination et, une fois la bride abandonnée, on ne sait jamais où la course va s'arrêter. La longueur de ces rhapsodies n'est pas pour effrayer les *dengbêj* kurdes dont la mémoire, si elle n'est pas toujours sans défaillance, est largement compensée par la fantaisie. En ce long chant épique de 797 stiques, au rythme variable, et qui ne sont pas toujours rimés, le merveilleux s'allie à une psychologie simple évoquée par d'anciennes coutumes et les idées traditionnelles de

bonheur. On notera la fréquence du nombre sept qui revient assez souvent dans les légendes kurdes.

Il y a de cela plusieurs siècles. Avant de mourir, un vieillard dit à son fils Hozbek de garder fidèlement le métier dans la famille depuis sept générations, à savoir celui d'armurier. Le père mort, Hozbek, accompagné de son ami Wizir, se met en quête du bonheur apporté par les armes. Après avoir parcouru bien des pays, ils frappèrent à une maison pour y passer la nuit. Le maître de céans les reçut aimablement, mais à peine étaient-ils rassasiés qu'une porte s'ouvre, une femme entre en poussant des cris de folle. L'hôte la fait sortir gentiment et avoue aux voyageurs que c'est là son épouse, folle depuis sept ans, et qui chaque jour, à la même heure, reproduit la même scène. Les deux jeunes gens s'empressent de quitter cette demeure. Ils demandent ailleurs l'hospitalité. Leur nouvel hôte est veuf depuis sept ans. Hozbek lui suggère de se remarier. L'homme se demande si les voyageurs sont bien honnêtes pour lui proposer pareil renouvellement de vie. Ils déclarent alors qu'ils sont de braves armuriers à la recherche de la félicité. On constate alors que notre hôte était ami du père de Hozbek. Leur bonheur consistera désormais, leur dit-il, à faire des armes, non pour les voleurs, les méchants, les assassins, mais pour les héros et les braves.

Le lendemain nos deux gaillards sortent pour visiter la ville. Nulle part le moindre bruit, comme s'il s'agissait d'un deuil universel. Ils frappent à une porte, une vieille vient leur ouvrir et les accueille avec amabilité. A leur étonnement du silence de la ville, la vieille leur explique que toute la jeunesse est devenue comme folle: «Ils font mille sottises et ne respectent plus ni père ni mère. Je vois que vous êtes des étrangers. Sachez donc qu'il y a ici, dans notre cité, une fille, une *houri*, belle comme le soleil. Tous les jeunes lui courent après, mais elle, avec son cœur de pierre, ne veut d'aucun d'eux. Si bien qu'ils ont tous perdu la tête». Hozbek veut se rendre compte par lui-même de la véracité de ces paroles et, près de la rivière, voit en effet toute la jeunesse du pays se livrer à toutes sortes d'excentricités. Il propose à son compagnon Wizir d'aller demander la main de la fille. Si sa vue le rend fou lui aussi, Hozbek le guérira. Wizir accepte la proposition et, si la chance lui sourit, c'est lui qui guérira les autres. Le voici bientôt devant la résidence de la houri. Mais des sentinelles y montent la garde et lui en interdisent l'entrée. De loin Wizir contemple la fille, belle comme la lune, et dont les yeux scintillent comme des étoiles. Il entre à l'improviste et s'assied sur la «pierre du choix», «la pierre de la supplique», à l'étonnement de la garde. Une houri l'interpelle: «Viens-tu ici pour demander la fille ou pour t'amuser?» — «Je viens demander la fille», répondit-il et les suivantes de s'empresser d'en aviser leur maîtresse. Celle-ci, de sa fenêtre, avait aperçu le beau jeune homme assis sur la pierre de choix. Elle s'approche de lui et lui demande comment il a pu entrer malgré les sentinelles. — «Que Dieu te protège, gentille demoiselle!» répondit-il. «Je ne sais pas moi-même comment je suis entré, mais ayant appris la présence ici d'une charmante pucelle, c'est elle que je viens demander. Et que Dieu mène l'affaire à bonne fin!» — «S'il en est ainsi, repartit la jeune fille, qu'on m'apporte une balance, car je vais peser ton esprit!» Il s'installe sur la balance, ferme les yeux, ainsi qu'on le lui avait ordonné et voici qu'il se sent enlevé à travers les airs. On le dépose dans une île. Il entrouvre les yeux, se voit entouré d'eau, mais personne aux alentours et il se met à chanter d'une voix triste: «Malheur à moi! Comment retourner et avertir Hozbek? Il aurait mieux valu devenir fou». Mais il aperçoit alors l'oiseau Simigh et il le supplie de l'emporter. L'oiseau s'envole, Wizir s'accroche à une patte et s'élève dans le ciel en priant Dieu de le protéger. Voici un beau jardin: il y entre, s'y promène, frappe à la porte d'un pavillon. Il n'y a personne, mais la porte s'ouvre d'elle-même et Wizir voit qu'un repas

magnifique est préparé avec un siège tout prêt à le recevoir. Il s'assied donc et mange avec appétit. Rassasié, il sort dans le jardin et s'endort au pied d'un arbre.

Les Houri arrivent au pavillon en dansant et en chantant. Elles se déshabillent et endossent des vêtements brillants qui les font ressembler aux étoiles. Elles prennent leur repas et leur Princesse leur dit alors: «Un hôte nous est arrivé aujourd'hui, beau comme le jour. Après s'être rassasié, il est allé se reposer sous un arbre. Il s'appelle Wizir et c'est un vrai bijou!» Aussitôt elles se précipitent, s'étonnent de sa beauté et l'entraînent dans le pavillon. Celle qui est à leur tête s'adresse alors au jeune homme étonné: «Tu ne nous connais pas, mais tu es certainement courageux et tu voudras nous rendre service. Eh! bien voilà. De l'autre côté de la rivière, il y a un ancien pavillon habité par quarante houri dont nous avons tué le frère la nuit dernière. Elles vont venir cette nuit même pour se venger. Protège-nous, empêche-les d'entrer ici et je te jure de t'épouser!» Wizir n'en croit pas ses oreilles. On lui prépare un lit derrière l'entrée. Au milieu de la nuit, des houri vinrent frapper à la porte. Elles désirent se battre et se venger. Elles font appel à Wizir. Lui, qui regarde par dessus les remparts, admire la beauté de ces houri et de l'une, en particulier, qui lui promet de le prendre pour époux s'il les laisse entrer. Il leur ouvre donc la porte, va se recoucher et s'endort. Au matin, les houri reviennent et mettent Wizir en présence de celle qui les commande. On l'avait soumis à un épreuve. Il s'est montré infidèle et il se trouve soudain dansant comme un fou autour du bassin avec les autres fous!

Deux jours plus tard, Hozbek se met à la recherche de son ami qui n'était pas rentré et il le trouve parmi les autres aliénés. Il essaie d'en obtenir quelque explication. Wizir se borne à lui répondre: «Si on te confie quelque chose, garde-le comme la prunelle de tes yeux!» Et Hozbek se promet de délivrer son ami. Il va donc au pavillon, s'assied sur la pierre spéciale, la pierre de la demande. Des passants s'étonnent de l'y voir. Khatoun-la-Princesse lui dit que s'il est venu pour épouser la Demoiselle, il doit se mettre sur la balance pour qu'on y pèse son esprit. Tout comme l'avait été son camarade, il est transporté dans les airs et déposé au milieu d'une île où il n'y a ni hommes ni bêtes. Il y aperçoit pourtant l'Oiseau Simigh, il s'accroche à une de ses pattes et il atterrit bien loin. De là sa vue distingue un magnifique jardin verdoyant, au milieu duquel se dresse un pavillon entouré d'une rivière et de peupliers. De nombreux sièges s'y trouvent, mais il n'y a personne. Devant la table bien servie, il se souvient de son enfance malheureuse où il n'avait même pas de pain d'orge à manger. Soudain, éveillé ou en rêve, il se voit encerclé de gens qui chantent et qui dansent: ce sont des jeunes filles, aux riches vêtements, les mains chargées de fleurs des champs et qui l'introduisent dans le pavillon. Hozbek demande alors à ces Belles pourquoi elles l'ont amené là. La principale lui répond que derrière la montagne, en un riche pavillon, vivent de jolies houri dont on a tué le frère la nuit précédente et qui vont venir se venger cette nuit. Qu'il les protège donc et elle l'épousera. Après avoir festoyé en compagnie de Hozbek, elles s'envolent par les fenêtres... Mais reviennent bientôt frapper à la porte pour l'éprouver. Il était sur le point de leur ouvrir, quand il se souvint des paroles de son ami Wizir: «Si on te confie quelque chose, garde-le comme la prunelle de tes yeux!» Malgré leur insistance, il résiste et les Houri disparaissent. Hozbek s'endort alors, la main sur la poignée de sa dague. Au matin, Khanoun-la-Princesse félicite le jeune homme de son courage et de sa fidélité. C'est elle qui a rendu fous tous les gars venus s'asseoir sur la Pierre-du-Choix, mais désormais elle appartient à Hozbek. Deux dimanches après la noce, Hozbek avoue à la Khatoun-des-Houri qu'il n'est qu'un simple ouvrier, de famille pauvre: mais puisqu'elle l'aime, qu'elle veuille l'accompagner jusque dans sa Patrie. «Je ne puis t'accom-

pagner, dit-elle, mais voici mon anneau. Il te suffira de le tourner autour de ton doigt pour qu'aussitôt je me tienne près de toi!» Hozbek prit l'anneau et exprima le désir de voir délivré son grand ami Wizir, devenu comme tant d'autres. «Je m'en souviens, répliqua la Princesse; mais il n'a guère été fidèle à sa promesse. Pourtant, puisque c'est ton ami, je veux bien le délivrer. Prends ce foulard, mets-le lui sur les yeux et il guérira. Quant aux autres fous, ils pourront retourner chez eux aujourd'hui sains et saufs». Hozbek s'empressa de guérir toute cette jeunesse. Son premier hôte le remercia vivement aussi de la santé recouvrée de sa femme et l'autorisa à enlever de chez lui tout ce qui lui plaisait.

Hozbek se souvint alors de sa Houri Siyapouche-au-manteau-noir! Il tourna son anneau et elle fut de suite à ses côtés. Une année ne s'était pas écoulée qu'un enfant leur naquit. Ils l'appelèrent Hasan. Hélas! il avait juste deux ans lorsqu'il fut emporté par un ours sous les yeux de sa mère. Cette nouvelle atterra le pauvre père. Et lui qui s'estimait heureux comme un roi par son mariage avec une houri, se considère maintenant comme le plus malheureux des mortels. Et les siècles ne parviendront pas à faire taire son chagrin.

Le nom de Siyapouche n'apparaît qu'au vers 713. Il semble bien que les différentes stophes de la lamentation finale où ce nom revient comme un refrain soient une addition qui ne devait pas faire partie du poème original.

2. — *Les légendes à forme purement idyllique.*

Le Kurde qui s'intéresse à ces contes de fées, à ces richesses acquises de façon miraculeuse, à ce bonheur qui n'est pas de la terre, se passionne aussi pour des récits moins merveilleux dans leurs péripéties, mais qui expriment mieux ses sentiments humains d'amour fidèle, d'honneur sans défaillance, de courage à toute épreuve; bref il goûte énormement ces idylles amoureuses où la poésie ne manque pas d'ailleurs.

Les amours de *Zelikha et de Fatoul* nous sont contés par Aminè Evdal en quatrains (348 vers), dont les quatre vers riment parfois ensemble. Ordinairement les rimes sont plates. Le nombre de pieds est irrégulier. Si, dans l'ensemble, on en compte 9 ou 10 par vers, ils ne sont parfois que 7 cependant.

Dans le harem de Fatoul, Khan d'Iran, vivaient de bien jolies filles, mais la plus belle et la préférée, à coup sûr, était Zelikha que Fatoul adorait. «Dis-moi ce que tu désires, même la lune, et je te le donnerai». Zelikha se contenta de demander la venue d'un troubadour qui lui chanterait la beauté du soleil. Or à Ispahan, Tari, troubadour et musicien vint à passer devant le palais de Zelikha, où l'on dansait et chantait. Il entra donc pour participer à la fête et aperçut Zelikha, splendidement vêtue, assise sur un trône en son boudoir. Une foule de suivantes, arabes et persanes, servaient la Princesse. Tari s'installa et, à peine eut-il touché sa guitare, que tous les assistants en furent transportés. Attirée par le son de la musique, Zelikha s'approcha. Leurs regards se croisèrent. Le troubadour se met alors à chanter, tandis que les larmes coulent des yeux de Zelikha: «Je suis l'amant Tari, à la recherche d'un travail. Je veux chanter

la liberté et les misères de cette vie. Ces paroles émeuvent la princesse dont toute l'attitude manifeste que son cœur est pris par l'amour du jeune musicien. Mais voici la nuit. Le palais devient silencieux; seule veille Zelikha qui regarde par la fenêtre et se demande où Tari a bien pu partir. Mais elle entend du bruit, une porte s'ouvre, Tari paraît et les deux amoureux s'embrassent. Une servante infidèle a prévenu Fatoul qui surprend le baiser des deux jeunes gens pétrifiés.

On dressa une potence sur la place publique et on y pendit Tari, l'étranger que personne ne connaissait et dont le dernier regard, avant de rendre l'âme, se porta sur son amante, car Zelikha, près de la rivière, assistait à la scène. Les femmes pleuraient et se lamentaient. Des servantes prirent la princesse par la main et la ramenèrent au palais, essayant de calmer son chagrin. Rencontrant la servante qui l'avait trahie, Zelikha se plaint d'être l'esclave de Fatoul Chah et, prenant son poignard, en perce le cœur de l'infidèle.

Zelikha ne peut oublier son amant et va fleurir sa tombe auprès de laquelle elle se lamente. Au palais elle reste triste et ne parle plus. Fatoul agha s'assied près d'elle, la caresse pour la consoler. En vain. Un jour, s'étant aperçu des sorties de Zelikha, il veut la frapper, mais elle s'échappe. Il ordonne alors de déterrer le cadavre de Tari.

L'amante éplorée a perdu ses couleurs. Dans la nuit étoilée, elle se met à la recherche du corps de celui qu'elle aime toujours, dans la plaine d'Ispahan qu'habitent les renards, les loups, les bêtes sauvages. Elle se lamente et, dans ses chants, demande aux loups, à la montagne et aux arbres de lui faire connaître la place où elle pourra retrouver son Tari. Elle craint de devenir folle. Au fond de la plaine, un bruit retentit, la rivière agite ses eaux, mais ce n'est qu'un lièvre qui s'enfuit. — Mais voici qu'au clair de lune, Zelikha aperçoit au pied d'un arbre des ossements humains. Le squelette est intact, mais la chair a disparu sous l'effet de la pluie et du vent. Sous les rayons de la lune, Zelikha s'assied près du cadavre et pleure. Puis elle rentre à Ispahan, sous la pluie et dans le vent. Trois jours plus tard, elle regagne son château, mais elle avait abandonné dehors et sa vie et sa joie!

Djasimé Djelil, spécialement, s'est attaché à recueillir ces romances d'amour qui sont, au moins pour la première et la troisième, des variantes de légendes plus ou moins connues.

La légende de *Leylé et Mejroum* (343 vers assez courts) est apparemment une adaptation, assez transformée du reste, de la fameuse histoire persane de *Leyla et Majnoun.*

Mejroum, fils d'une pauvre vieille, rêve d'une jeune beauté, Leylé, dont il devient aussitôt amoureux. Sa mère accepte d'aller trouver le père de la jeune fille et de la lui demander pour son fils. Mais un berger épouse-t-il une Princesse? Les deux amoureux se rencontrent à la fontaine et se promettent fidélité: un foulard sera le gage de leur amour. Mais voici la saison de monter au *zozan*, pâturages d'été. Il faudra donc se séparer; d'où tristesse et soupirs. Leylé s'informe du bien-aimé, elle interroge même les oiseaux du ciel. Redescendue de l'estivage, elle retrouve à la source du village son Mejroum endormi, la tête posée sur le foulard. La famille se met en quête de la princesse disparue. On la surprend dans les bras de Mejroum et on tue les deux amants qui se transforment aussitôt en deux étoiles du firmament. C'est depuis lors qu'apparaissent chaque année dans le ciel deux étoiles qu'on ne voit qu'une fois ensemble, mais qui se séparent aussitôt.

L'histoire de *Mem et Aiché* ou de *Téli Aiché* comporte elle aussi une note tragique qui corse davantage l'aventure.

Mem avait épousé Aiché qu'il avait aperçue en rêve. Mais après sept mois de vie heureuse, il avait dû quitter sa jeune épousée pour aller à Damas chercher du travail. Sept ans durant, ces deux époux vécurent ainsi séparés. Enfin, n'y tenant plus, Aiché écrivit à Mem de revenir la rejoindre coûte que coûte. Celui-ci monte sur son cheval et, après trois mois et trois jours de chevauchée, arrive chez lui. C'est la nuit. Il frappe à la porte. L'épouse hésite à ouvrir à un hôte étranger: Mem dévoile alors son identité et ce sont alors les joies du retour et les transports d'amour. Ils s'endorment bientôt dans les bras l'un de l'autre. La mère du jeune homme qui habitait la même maison, n'avait rien entendu. Au réveil, entr'ouvrant la porte de la chambre de sa bru, elle voit deux corps endormis côte à côte. Est-ce possible? Aiché serait-elle infidèle? La mère se doit de venger l'honneur de son fils. Un fusil est suspendu au-dessus de la tête des dormeurs. Mais le bruit réveillerait le village et proclamerait sa honte. Un poignard se trouve à portée, mais elle craint de n'avoir pas la force de tuer d'un seul coup le coupable. Une épée est là qui ne fera point de bruit et ne réveillera point sa bru. Elle s'en empare donc et transperce le cœur de son fils qui pousse un cri. Aiché se dresse en sursaut et se rend compte aussitôt de la méprise de sa belle-mère. Celle-ci comprend de suite son erreur et se met à gémir. Les deux femmes mêlent leurs pleurs et leurs lamentations. La jeune veuve ne peut se détacher du corps de son époux. Au bout de quatre jours, on procéda aux funérailles. La dépouille mortelle est portée à travers le village qui constate la douleur de l'épouse éplorée. On érigea le tombeau sur une haute montagne, près du nid de l'Oiseau Simigh. Celui-ci, chaque matin, contemple d'en haut la couche d'Aiché qui, sept ans durant, resta fidèle à son époux sans oublier son amour et garda fidèlement sa mémoire.

La légende de *Siyabend et Khadjazer* est bien connue et assez populaire. L'Emir Djaladet Bedir-Khan en a donné quelques variantes, dans le n° 13 de la Revue *Hawar*, sous le titre *Siyabendê Silivî*. Il en a même repris le thème en quelques strophes modernes de sa composition et, par conséquent, de facture plus littéraire. Les extraits fournis par Djelil sont très brefs et paraîtront assez maigres, mais vraiment poétiques.

A la poursuite d'un chevreuil, Siyabend manque son but. La bête, devenue furieuse, blesse le chasseur d'un coup de ses longues cornes et le précipite dans un ravin où il reste accroché aux branches d'un arbre. Pour se consoler mutuellement, un dialogue s'engage entre Siyabend et sa fiancée, Khadjazer, qui se dit l'unique gibier qu'il aurait dû chasser:

> Les yeux de mon Siyabend sont noirs,
> Comme les raisins de Sinjan (Sinjar?).
> La taille de mon Siyabend est élancée,
> Comme les peupliers verdoyants sur les rives du Mourad-Tchai.
> L'âme de mon Siyabend est limpide,
> Commo les premières neiges qui se posent sur nos meules.

D'autres allusions sont faites aux flancs boisés et rocheux des monts Sipan de Khlat, aux sources qui jaillissent du Bingol, aux vents glacés des montagnes

incapables pourtant d'éteindre le feu de l'amour de la jeune fille. Et celle-ci, après avoir fait le serment de n'appartenir à aucun autre après la mort de son fiancé, se jette dans le ravin où les deux amants meurent ensemble en un suprême embrassement.

Pour nous faire une idée du style de cet auteur, je donne maintenant le résumé textuel de la légende, telle qu'elle a été présentée par Ereb Chamo dans *Le Berger Kurde*: *Siyabend et Khadjé.*

Aux temps anciens, vivait sur le Sapan-Dagh le beau Siyabend, chasseur de la tribu de Zilli. Siyabend tombe amoureux de la belle Khadjé. Mais il était pauvre et ne pouvait payer le *Kalym* (dot) à ses parents. Alors il enleva la belle et la mena dans la montagne, où ils passèrent, heureusement et sans soucis, trois jours et trois nuits. Le quatrième jour, il arriva que Siyabend s'endormit, la tête posée sur les genoux de Khadjé. A ce moment, quelques cerfs sauvages passèrent à côté et l'un d'eux, le plus grand et le plus beau, s'empara d'une femelle du troupeau et s'enfuit avec elle. A cette vue Khadjé pleura et une larme de ses yeux tomba sur la joue de Siyabend qui s'éveilla. Voyant Khadjé en pleurs il lui dit:

— Si tu m'as épousé contre ta volonté, je me conduirai envers toi comme un frère vis-à-vis de sa sœur et je te ramènerai à la maison de tes parents.

— Non, mon cher Siyabend, je t'aime et je te serai toujours une épouse fidèle. Mais je pleure pour avoir vu comment un beau et grand cerf s'est emparé d'une biche du troupeau, sans qu'aucun autre cerf n'ait osé la lui disputer. Ce cerf est un brave comme toi. C'est au souvenir de ton audace que j'ai pleuré de mon trop grand bonheur, répondit Khadjé.

— Et où s'en est allé le cerf avec la biche? demanda alors Siyabend.

Khadjé montra dans quelle direction ils s'étaient enfuis et Siyabend s'écria:

— Je suis chasseur. Je ne connais sur cette montagne personne qui soit plus fort que moi. Et voici que, presque sous mes yeux, un cerf enlève une biche du troupeau: quelle offense pour moi!

Il se leva donc et s'élança à la poursuite du cerf. Dès qu'il s'en fût approché, il le visa avec son arc, mais le mâle se jeta sur lui, le frappa de ses bois et le précipita dans le ravin. Là, Khadjé le trouva grièvement blessé. Il gisait au fond du gouffre et Khadjé, penchée sur lui pleura amèrement. Elle maudissait la beauté de la forêt, des fleurs, toute la magnificence de la nature; elle maudissait l'eau de la source, les buissons, les fruits et cette herbe même que le cerf avait broutée et qui lui avait donné cette force qui lui avait permis de vaincre Siyabend. Dans un accès de désespoir, elle maudit aussi les pâturages d'été noyés dans la verdure, l'air suave pénétré de l'arome des fleurs de la montagne et le soleil éclatant qui éclaire le Sapan-Dagh, refuge du cerf méchant.

Après cette lecture, peut-on ne point conclure avec avec Ereb Chamo que cette légende est «un des plus beaux et plus charmants poèmes kurdes»?

3. — *Légendes à trame historique.*

Sentimental à ses heures, comme on a pu le constater dans la plupart des textes qui précèdent, le Kurde est aussi et surtout un batailleur. Brigand plus ou moins chevaleresque, amateur de ba-

garres, la tête farcie des aventures glorieuses des héros de l'Histoire iranienne qu'il adopte, le Kurde d'aujourd'hui prend encore plaisir au récit de beaux gestes guerriers. Chaque razzia trouvait son chantre autrefois, chaque combat entre tribus était célébré par les *dengbêj.* Si les hauts faits d'un Cheikh Mahmoud ou de Molla Moustapha n'ont guère inspiré de véritables bardes, car les chansons modernes manquent souvent d'élan et de force poétique, les Kurdes ont toujours la ressource de se rabattre sur les épopées anciennes. Et ici c'est Hadjiyê Djindi qui semble s'être spécialisé dans le recueil et l'édition de ce genre de poèmes.

L'Histoire nous a appris que les Sultans de Turquie et les Chahs de Perse ont eu souvent des démêlés avec les féodaux et les tribus kurdes de leur Empire. Il n'est pas toujours facile d'y distinguer les vrais motifs des rébellions: soucis d'indépendance nationale ou désir d'autonomie locale. Les tribus participaient à ces mouvements et ici encore on ne peut pas toujours dire avec certitude si ces soulèvements étaient dirigés contre les chefs féodaux, et alors l'aspect social dominerait, ou contre les autorités turques et iraniennes, comme telles, et alors il s'agirait plutôt d'aspirations patriotiques. Au XVIe et au XVIIe siècles, le Kurdistan fut ainsi souvent le théâtre de luttes acharnées que les Historiens, témoins oculaires, comme Arakel de Tavrez ou Iskander Mounchi, ont racontées et que les troubadours anonymes des tribus ont chantées. Les éditeurs actuels n'hésiteront pas à donner le coup de pouce nécessaire pour faire de ces événements des épisodes de la lutte des classes révolutionnaires ou de la révolte contre l'oppression des tyrans colonialistes.

Keuroghlou que Djindi a édité, fin 1953 (240 pages) dans un texte kurde (p. 139-227) et une version arménienne (p. 41-137) est plutôt une épopée d'Azerbaidjan. Mais le héros est devenu populaire chez les Kurdes qui l'ont célébré eux aussi, au point que ce surnom de Keuroghlou, qui veut dire «fils de l'aveugle», symbolise chez eux le courage et la noblesse.

D'après Djindi «on voit nettement dans cette épopée deux classes distinctes qui prennent position: celle des exploiteurs qui spoliaient et celle des opprimés qui se révoltaient. Cette lutte est canalisée par Keuroghlou qui se retranche à

Tchartaghli Tchamlibel, carrefour des routes caravanières de la Turquie et de la Perse, et mène la vie dure aux tyrans. Il massacre, tue, exproprie, pille, mais il recommande à ses hommes d'épargner «les soldats ennemis qui ne sont pas fautifs: fils du peuple comme ses propres soldats, ils ne guerroyent que sur l'ordre du Sultan et du Chah... Donc guerre aux chefs»... Dans la version kurde, les femmes aussi participent à la lutte, ainsi Mahboub Khanoum, Telli Khanoum, Rouki Khanoum, Houri Khanoum et surtout Nikar Khanoum, fille d'un Pacha, et qui, contrairement aux coutumes en usage dans le pays et contre le gré de son père, rejoint Keuroghlou, devient sa femme et son lieutenant au front, en l'absence du mari».

Les extraits, recueillis par Djindi auprès de paysans illettrés, sont en prose d'abord et d'un style vraiment peu reluisant. Ce ne sont d'ailleurs que dix-huit anecdotes, assez brèves dans l'ensemble, à peine une page et qui nous évoquent plutôt la figure d'un brigand, au demeurant assez sympathique, et qui me fait penser à ce fameux bandit Kérim qui sévissait dans les mêmes parages, dans les années quatre-vingts du siècle dernier, et dont nous ont parlé tous les voyageurs de l'époque.

Une épopée, contemporaine de la précédente, bien plus renommée et tout à fait kurde celle-là, est celle de *la Citadelle de Dimdim*, au pays des Moukri, au sud d'Ourmia. Son siège, soutenu par les Kurdes en 1017/1608, contre les troupes de Chah Abbas Ier, a été raconté par l'historien officiel de la cour persane, Iskander Mounchî, qui en avait été témoin oculaire. Socin avait déjà publié cette légende dans ses *Kurdische Sammlungen* (vol. II, 1890, n° XL, p. 180-201), ainsi que O. Mann dans *Die Mundart der Mukri-Kurden* (vol. II, 1909) qui avait illustré ce chant en remontant aux sources fournies par les historiens de l'époque. Emîn Zekî nous offre un excellent aperçu de toute cette affaire dans son *Résumé de l'Histoire des Kurdes et du Kurdistan* (édit. kurde, Baghdad, 1931, p. 180-186; trad. arabe, Le Caire, 1936, p. 200-208). Le texte publié par Cindî, *Nivîsarkarê Kŏrmanca Sovêtiyê* (Erivan, 1954, p. 44-65) et qui, à part quelques vers à peine, ressemble peu à celui de Socin, prend un certain nombre de libertés avec l'Histoire et, en particulier, de l'Emir Khan Yekdest, c'est-à-dire le Manchot, un des chefs de la tribu Bradost, soulevé contre Chah Abbas, fait un simple berger, Khano, qui rêve d'améliorer la situation sociale de ses contribules

contre l'oppression du Sultan et du Chah. En voici l'adaptation abrégée:

Autrefois un pauvre berger courageux, du nom de Khano, menait chez les Turcs une vie misérable. Il résolut un jour de se rendre en Iran où, après avoir vécu aussi dans la misère, il se décida à demander à Chah Abbas de devenir son palefrenier. Un jour donc qu'il faisait paître les chevaux du Chah, il demanda du lait à boire à un berger qui lui raconta un rêve qu'il avait fait sept nuits de suite: Parti dans le «Désert Blanc», il s'était assis près d'un rocher et avait constaté que la place contenait un trésor. Khano lui répondit de prendre garde d'ébruiter ce songe car, si le Chah Abbas en entendait parler, il pourrait bien le mettre à mort. Ils jurèrent donc l'un et l'autre de ne le raconter à personne. Mais Khano se mit en quête de l'endroit désigné par le rêve, souleva le rocher et découvrit le trésor. Il remit les choses en l'état et retourna à ses chevaux. Sur ces entrefaites, une bande de brigands les attaqua. Khano les combattit, en tua cinquante, fit quelques prisonniers et mit le reste en fuite: pourtant leur chef réussit à s'échapper. Le Chah, satisfait de la bravoure de son serviteur, fit faire un bras d'or à Khano qui avait perdu le sien dans la bagarre. Dès lors on le nomma Khano-au-bras-d'or: *Khano-Tcheng-Zérin*. Alors Khano réfléchit qu'il y avait des malheureux partout, tant en Iran qu'en Turquie. Il quittera donc le service du Chah et se retirera dans la montagne de Dimdim où il a trouvé le trésor. Il sortira cet or, construira une forteresse et fera la guerre au Chah et au Sultan. Pourtant avant de quitter son maître, il lui demande un terrain, grand comme une peau de bœuf, afin d'y construire une maison: ce qui lui fut accordé. Alors, à l'aide de cinq cents ouvriers, Khano bâtit la forteresse de Dimdim, non en sept jours et sept nuits, ni en sept semaines, ni en sept mois, mais en sept ans et il en désigna comme gardien Mahmoudé Malakani, son homme de confiance. Puis il y installa aussi cinq cents canons. Le travail achevé, les ouvriers vinrent à Téhéran faire leurs emplettes. Le Calife les rencontra, les interrogea et, inquiet de cette construction formidable qu'ils lui décrivirent, avertit le Chah que désormais il n'est plus maître en son Royaume pour avoir donné une telle forteresse à un Kurde. Mais le Chah reste convaincu de la loyauté de Khano. Il lui envoie pourtant un message de menaces. Khano, conscient de sa puissance, dédaigne de lui répondre. Le Chah convoque alors tous les khans du pays, d'Ourmia, de Salmas, de Tauris, de Khoi, de Bilbuhar et même de Gog et de Magog, qui accourent à son aide. S'assemblent ainsi cinquante khans, à la tête chacun de 50.000 hommes.

Evdil, fils de Khano-Tcheng-Zérin, annonce à son père l'arrivée de l'armée ennemie, nombreuse comme les étoiles du firmament, les feuilles des arbres, le sable du désert et les poils des chevreaux. C'est le Chah de Perse qui vient attaquer Dimdim. Il s'agit donc de lutter pour conserver la liberté. Sept ans durant, la guerre se poursuivit. A la fin Mahmoudé Malakani, soudoyé par le Chah, fit savoir à ce dernier que la seule façon de venir à bout de la forteresse était de couper l'eau de la source qui l'alimentait: ce qui fut fait. Les assiégés, mourant de soif, se désespéraient, lorsqu'une pluie de sept jours, inaccoutumée en cette saison de l'année, emplit leurs citernes. Dès lors la résistance se fait plus ardente. Pourtant, une à une, les six portes sont forcées et les remparts détruits. Le Chah propose à Khano une couronne s'il se rend. Mais celui-ci ne peut pas, par sa reddition, déshonorer le nom de Kurde. Un carnage épouvantable s'ensuivit. Evdil se distingua par son courage. Le sang coula à flots. Les Kurdes de toutes les tribus: Berazi, Hikari, Divini, Hartochi, Ezdi, Beravi, Timari, Mendesori se défendent comme des lions et tombent tour à tour sous le nombre des assaillants. Bientôt les soldats du Chah finissent par s'emparer

de la place. Le Chah avait préparé une couronne pour la mère de Tcheng-Zérin. Mais, lorsque les troupes impériales eurent toutes pénétré à l'intérieur de la forteresse, la mère de Khano et sa bru firent sauter les dépôts de munitions. Tout fut détruit: tous les soldats persans périrent. Pourtant un reste subsista. La femme d'Evdil qui était enceinte d'émotion mit au monde un garçon. Et ainsi se perpétua la famille qui continue, chaque jour, à lutter pour la liberté de son peuple.

Un Assyrien de la tribu de Chamesdin, émigré depuis en Syrie, m'a raconté qu'autrefois, alors qu'ils habitaient encore leur pays d'origine, lorsqu'une femme accouchait difficilement, on déposait sur son lit l'épée de *Khano-Lap-Zérin*, qui lui avait été dérobée par un domestique infidèle lors du siège de Dimdim.

Cette version de Djindi compte environ 430 vers, entre lesquels s'intercalent de temps à autre quelques lignes en prose, dont le total atteint un peu plus de 110. — Les vers, comme il arrive presque toujours en ces sortes de poèmes, n'ont rien de bien régulier, tant par le nombre des syllabes que par la variété des rimes. Celles-ci sont ici spécialement riches et sonores. Si l'on se basait sur les groupes de rimes, on pourrait, sur un total de 102 strophes inégales, distinguer 24 tercets et autant de quatrains, 11 strophes de 6 vers, 9 strophes de 5 vers, 7 distiques et quelques strophes incertaines. Malgré cela on n'oserait affirmer que tout le poème fût composé à l'origine de tercets et de quatrains et que les autres strophes sont dues à des gloses ou à la chute d'un stique. Assez souvent des vers reviennent comme refrain ou se répondent d'une strophe à l'autre; ou encore une strophe se répète, avec pourtant changement d'un vers ou même d'un simple mot.

Dans cette masse, certains fragments plus homogènes semblent avoir été mieux conservés. Peut-être constituaient-ils des chants indépendants à l'origine. Par exemple, les tercets 19 à 22, commençant par *Dimdim hate...*; ou encore les strophes 65 à 68 (de 6 vers): *Ha rabû, rabû, rabû*; ou les strophes inégales 71 à 77: *Lawk hatin dengê*; enfin les strophes 93-102 du poème final, composé de 5 tercets, 2 distiques, 2 tercets et 1 quatrain et commençant par ces mots: *Dor hatê lawê...* où défilent les membres des différentes tribus qui ont participé à la lutte, en y ajoutant les Pir et les Mollah.

Les Kurdes possèdent bien d'autres épopées où des faits historiques qui les touchent de près servent d'ossature aux créations de leurs poètes. J'ai signalé autrefois, à propos de la *Citadelle de Khurs* (*Roja nû*, nº 60, du 15 octobre 1945) l'intérêt de ces «Archives», orales et populaires, de la Nation kurde. Elles n'ont certes pas toutes la valeur littéraire de *Dimdim*, mais il faut se hâter de les recueillir avant qu'elles ne disparaissent avec la race des *dengbêj* qui s'éteint lentement mais sûrement.

§ § §

Cette esquisse de l'inventaire poétique d'ensemble des Troubadours Kurdes au pays des Soviets nous en a fait toucher du doigt la riche diversité. Dis-moi ce que tu chantes et je te dirai qui tu es. Ces poèmes nous ont introduit, on peut le dire, dans l'âme du peuple kurde, — et non seulement de ceux de ses membres qui vivent en U.R.S.S. Il nous apparaît comme un peuple franc, épris de liberté, capable de s'émouvoir au spectacle de la nature, passionné certes en ses amours, mais dans les paroles de ses chansons pas de sous-entendus malsains et dans ses attitudes rien d'équivoque. Peuple moralement sain, ainsi se montre-t-il en sa poésie, il a le sens du devoir — tragique quelquefois — et le goût des beaux gestes. Ouvert aux idées modernes, il pourra faire de grandes choses, s'il se laisse toujours guider par l'idéal de la Vérité et de la Justice.

Mais si nous revenons dans le champ de la littérature et des Belles-lettres, nous sommes obligés de déclarer que les Kurdes d'U.R.S.S. n'ont pas encore rattrapé leur retard sur leurs compatriotes de Syrie ou d'Irak. C'est un des leurs C. Xōdo, déjà cité, qui l'avoue indirectement en constatant que chez eux le roman, par exemple, fait totalement défaut, que les écrivains sont restés trop attachés aux formes du passé; qu'ils devraient élargir les thèmes de leurs productions; qu'ils n'ont pas encore réussi à enrichir leur littérature de ce qui abonde chez les autres peuples. Et quelques jours plus tard, dans le même journal (*Riya Teze*, nº 31(947) du 17 avril 1958), au cours d'une réunion des Écrivains

Kurdes d'Arménie Soviétique, le célèbre poète Arménien NAIRI ZARIAN regrettait leur pauvreté dans la dramaturgie et la poésie lyrique, ainsi que le petit nombre d'«écrits ouverts». On peut épiloguer sur le sens précis qu'il donne à ce dernier mot, mais il est certain qu'on ne perçoit pas toujours chez leurs différents écrivains une personnalité bien marquée. Ils devraient cultiver davantage la prose, s'exercer à la nouvelle et au conte avant de s'attaquer au roman, s'attacher à la description vécue d'un état d'âme ou d'un paysage en se laissant guider par leur esprit et leur cœur, plutôt que par le souvenir stéréotypé des écrits d'autrefois, et alors ils seront capables de rivaliser avec n'importe quel auteur d'Orient ou d'Occident.

Kléyat (*Liban*), 4 *juillet* 1958 Thomas BOIS, O.P.

تعريف عن الكتب

القديس توما الاكويني

بيان بعض قضايا ردًّا على اليونان والارمن والغير المسيحيين. وجّهها القديس توما الاكويني الى المرسل الانطاكي

ترجمها الى اللسان العربي المثلّث الرحمة المطران نعمة الله ابي كرم الماروني

عُني بنشرها الاب مارون ابي كرم الراهب اللبناني ١٩٥٥ ، مطبعة الرهبانية اللبنانية بيروت صفحة ٣٩

التأليف الذي نقدّمه للقراء هو كُتيّب من مجموعة تآليف موجزة اخرى كتبه مؤلفه جواباً على اسئلة صريحة القاهـا اليونان والارمن وغير المسيحيّين ولهذه المسائل اهمية عظيمة منها : صحة لفظة « الولادة » في الله ثم انبثاق الروح القدس وسبب التجسد والاله - الانسان وآلام ابن الله والاتحاد بجسد يسوع المسيح والمطهر وسابق معرفة الله بالمستقبل .

لا حاجة لنا هنا الى اطراء المطران نعمة الله الذي جدّ كثيراً بالوسائل التي امكنه اتخاذها في العمل لتقارب الشرق والغرب . ترجمته اللاتينية لكتاب ابن سينا « النجاة » وتعريبه لكتاب القديس توما « الموجز ضد الوثنيين » هما عملان يشهدان لغيرته كما يشهدان ايضاً لمقدرته في الترجمة . ونثني نحن ايضاً على همة الناشر كما اثنت عليها الجرائد حين ظهور الموجز الذي ذكرناه .

اني انتهز هذه الفرصة لاذكّر حاجتنا المُلحّة الى ترجمة مؤلفات مهمّة مُنتخبة وان ننظر في اختيارها لا الى ذوق القارئ لكن الى منفعته الحقيقية الادبية والعلمية والروحية . قليل هو اليوم حتى بين المثقفين عدد الذين يفهمون اللغة اللاتينية فنكون اذا نقلنا منها الى لغتنا نخبة من مؤلفاتها قد ساعدنا على تعريف الكثيرين بالفكرة الفلسفية المسيحية الحقة فالمسلمون نفسهم قد حبّذوا عمل المطران بهذه الترجمة وبغيرها رغبةً منهم بالتعرف بالفكرة المسيحية عند اعظم مُمثليها .

لا بد من ان مثال المطران في حياته المليئة يحرّض ذوي الارادة الصالحة على الاقتداء به . موقف العالم اليوم ازاء المشاكل الفكرية موقف تحيّر واهتياج فالى اين يتطلع ليرى نور الحقيقة يشقّ السحاب ويضيء طريقه الى الحق لا الى المفكرين الذين بالجهد والتأمل واستقامة القلب تمسكوا بالحقيقة وسبروا اعماقها وأعدّوها ثابتة نيّرة لكل الذين يفتشون عليها بخلوص النية وارادة صادقة .

ا. ع. خ.

الغزالي : إحياء علوم الدين ، تحليل وفهرس

تأليف ج. ه. بوسكه بالاشتراك مع عدة مستعربات ومستعربين

مكتبة ماكس بريسون ، باريس ، صفحة ٤٦٢

فكر نشر هذا النصّ الاصلي هي ثمرة خبرة التعلم مدة طويلة وخبرة الكتاب العربي والنشرات العصرية والقديمة .

اهمية كتاب الغزالي عظيمة فيما يخص علم اللاهوت والفقه والروحيات لكن صعوبة مطالعته تقلّل كثيرًا من منفعته . لذلك همّ السيد بوسكه بان يجهد في تسهيل الانتفاع به لكل من يرغب في التعرف الى هذا لاهوتي الاسلام الكبير فجمع حواليه عددًا من الذين رآهم جديرين بالقيام معه في عمله لوضع الكتاب في قياس عقليّ يجعله اقرب الى الفهم . وقد نجح في مهمته لكنه لسوء الحظ لم يقدر ان يتحفنا الا بجزء صغير من الكتاب آملًا بان غيره سوف يتممون ما ابتدأ به وحسب النسق الذي اتخذه .

لكن هذا التأليف كما كل موجز على شكله يحتوي مواضع يصعب فهمها وهي تُرجع القارئ الى نصوص سابقة وكان الافضل اعطاءها مرة ثانية كما فعل المؤلف في مواضع اخرى .

ان عملًا كالذي قام به السيد بوسكه ومساعدوه لم يتمّ الا بجهود طويلة لكي يأتينا مُتقنًا نافعًا كما هو .

ا. ع. خ.

نصائح عملية وجيزة لنسخ الالفاظ الاسبانية والبرتوغالية

روبير ريكارد

طبعها معهد الدروس العالية المراكشية ، رباط ١٩٥٥ صفحة ٢٦

في صفحات قليلة استطاع المؤلف اعطاء ملاحظات صائبة بخصوص مشابهات او صعوبات اللغتين الاسبانية والبرتوغالية . وقد جلنا معه بلذة في مدى اسماء البلاد واسماء العلم واجتزنا بصيغ شتى مركبة وبسيطة أنارت لنا الطريق السهلة الى تجنب بعض الاغلاط ومن المبادئ التي أعطانا اياها والامثال التي اخذها يمكن استنباط نتائج وتحديد مبادئ اخرى . ا. ع. خ.

فلسفة لايبنتز ، مع تعريب المونادولوجيا ورسائل اخرى

الدكتور جورج طعمه

دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٥ ، صفحة ١٧٣ قطع وسط

للايبنتز على عصره والعصور التابعة تأثير مستمر . ومن ذكر اسمه فقد ذكر مذهب الفلاسفة القائلين بجودة العالم وموجوداته وهذه فلسفة ضرورية جداً لعالم عصرنا عصر فلسفات العدم . الى مثل هذه الفلسفة يحتاج فلاسفة اليوم للمحافظة على الاعتدال في تقدير الموجودات حق قدرها . ما زال لايبنتز يعتقد بقوة روحية فائقة تدبر العالم وتديره الى غايته وبان الحقيقة ليست في نفوسنا الا صوت الله عينه . (هذا اشتراك الانسان مع الله بابريته لا تفرض بان لايبنتز فكر بالحلولية فكان بعيداً من الاعتقاد بوحدة الذات . من جهة اخرى فلسفته في « البسيط » (monade) مصدر « المركب » ما كانت فلسفة جامدة لكن حية فانه يؤكد بان الحركة هي لكل جوهر شيء اساسي . كل هذه الافكار وغيرها بحث فيها المترجم في المقدمة وفي الملاحظات التي ترافق ترجمة المونادولوجيا وهي ترجمة واضحة دقيقة وسلسة . . . ترجمات كهذه تكشف الشرق غنى فلسفة الغرب وتدعوه الى الانتفاض من سبات طالت مدته . ا. ع. خ.

خلاصة اللاهوت الادبي

الابوان نولدن وسميث اليسوعيان

تعريب الاب طوبيا عون الداموري الراهب اللبناني ، مطابع سبا ، بيروت ١٩٥٣
صفحة ٥٨٩ ، قطع وسط

الترجمة فنّ صعب خصوصاً اذا كان موضوعها علم كاللاهوت وُضع لإنارة الارادة وهداية الروح .

لقد اجاد المترجم بدقّة اللغة وانتقاء الالفاظ في تعريب كتابه ولا حاجة بعد للكتاب الى مديح فانه اليوم في معاهد عديدة اوروبية الكتاب المدرسي.

قد مدحنا في المترجم المدقّق في اختيار الالفاظ وصراحة التعبير ونلاحظ بنوع اخص امانته باعطائنا في ترجمته اراء المؤلف وافكاره كما هي دون زيادة ولا نقصان ودون ان يحكم في صحتها .

ننتظر الكتب التابعة متأكدين بان في تعريب كتب اخرى من هذا النوع خدمة جُلّى للذين يجهلون اللغة اللاتينية . ا. ع. خ.

المبدأ الاول او الله

بقلم محمد علي ناصر

مطبعة العرفان ، صيدا ١٩٥٢ ، صفحة ٢٨٢ ، قطع متوسط

بثبات جنان اقدم المؤلف على تأليف كتابه ونحن بفرح وجهد قرأناه . لا شك بان للمؤلف اطلاعاً على الفلسفة الاسلامية ولا يجهل الفلسفة الغربية وقد اخذها عن فلاسفة هم من « اعظم ممثليها » لكن هؤلاء ليسوا ممن عندهم الآراء الصحيحة . وضع الكتاب تعليمي متعب بتقاسيمه. ليت المؤلف تعرّف بالقديس توما الاكويني في «الملخص ضد الوثنيين» لوجد فيه لا. فقط عرض بعض اللاهوتيين المسلمين لكن ايضاً جواب الفيلسوف واللاهوتي المسيحي .

بعد قراءة الكتاب لا يبقى مجال للحيرة لا عن الله ولا عن المبدأ الاول الذي هو الله. ليت المؤلف اوجز في خاتمة كتابه بعض اوجه اهمّ الاتجاهات فيما يخص ماهية الله. لا نعني بذلك بانه لا فائدة في مطالعة هذا الكتاب فان قراءته مفيدة جدًا لكن تمنينا ما تمنّيناه لطبعة جديدة ..... ا. ع. خ.

النظرة العلمية

بقلم برتران رسل — تعريب عثمان نويه

المكتبة الانكليزية — المصرية ، ١٩٥٦ ، صفحة ٢٦٠ ، قطع وسط (الجامعة العربية — الادارة الثقافية)

لرسل في فلسفة العلوم العصرية محلّ ممتاز . لا تُعرف في الشرق تآليفه الا قليلًا . حسناً فعل المعرّب بتعريفنا به ليقتبس الشرق من مبادئه الروحانية ما ينيره . ان فلسفة رسل وهي حقاً فلسفة علمية وقد حفظت لمعنى وجود الانسان وللآداب كما للديانة قيمتها الرفيعة . مهما تقدم الانسان في العلوم وفي المعارف النظرية ولو تعمّق كثيرًا في سبر اسرار الطبيعة فانه ازاء اسرار تبقى غامضة لا يمكن للعلم مهما تقدم ان يكشف عنها بل يلزم للانسان ان ينفذ الى اعماق نفسه لسبرها وهي مشكلة مصيره النهائي .

في مقدمة الكتاب يعطينا المعرّب نتيجة بحوثه بخصوص رسل وتآليفه وحكمه الذاتي في هذه التآليف . لهذا الكتاب في تطوّر نفسيّة رسل محلّ يفيد الاطلاع عليه .

تمّنينا للتعريب لو كان اكثر سلاسة بعض الاحيان. بهذا الحكم لا نقصد نقصاً لثمن العمل .

ا . ع . خ .

اعيان الشيعة

بقلم محسن الامين

الجزء السابع والثلاثون والجزء الثامن والثلاثون وقف على طبعه ولده حسن الامين، ١٩٥٦ مطبعة الانتقان بيروت، صفحة ٢٠٦ و ١٣٩ ، قطع وسط

هذه حقاً موسوعة لاعيان الشيعة . ان العلامة محسن الامين قد تركها للخلف اثرًا علمياً يقدر الباحثون الاستفادة منه لتوسيع مباحثهم . وها السيد حسن الامين وهو هو ايضاً من اهل العلم كمّل عمل ابيه بنشر ما منعه الموت من نشره فكان بذلك اميناً لذكرى ابيه واميناً للعلم . بحث المجلد الاول عن سبعين مؤلفاً وبحوث الثاني توازيه تقريباً وكلاهما شاهد بسعة علم مؤلفها الذي نمدحه بابنه ونتمنى للنشرة ان تتمّ .

المشرق

السنة الثالثة والخمسون | ايار – حزيران ١٩٥٩

الآثار المطوية (تابع)

جمعها وعلّق عليها ونشرها
الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

نبذة اثرية تاريخية

تمهيد

التاريخ درسٌ لذيذ كثير الفوائد والعوائد ، يستطيبهُ الذوق ويتغذّى به العقل لانهُ يبسط للنواظر الحوادث والاخبار التي كانت مخبّأةً في مطاوي النسيان وكاد يعفيها مرور الزمان ، فيخيّل للاذهان انها جديدة العِبَر تستحق الالتفات الى ما مضى عليها وفات . وهي تلقي النور على ابحاث هواة التاريخ ومريديه فتزيدهم فهماً وادراكاً لما انطوى وغمض من ماجريات الايام الخوالي .

وها ان المرحوم الاب يوسف بليبل احد آباء رهبانيتنا اللبنانية الفضلاء يرفع لنا في هذه النبذة القناع عن نقاط تاريخية متبدّدة دونها في مستهل رزنامة ديرنا مار مخايل بحرصاف الذي رئسه سنين طويلة تذكرةً للخلف عن ماتي

السلف ، فبيّن اصل هذا الدير وفضله الذي كان في الاول مدرسة ، وما ابتاع له من الاراضي وما زال يوليه عنايته حتى اصبح من الاديار العامرة في الرهبانية. وقد تطرّق الى ذكر لمحة عن حياة عميه[1] الاخوين المطران عبدالله والاب اغناطيوس بليبل الشهير ، وكلمة خاطفة عن الامير بشير الشهابي الكبير وعن صداقته للاب بليبل ومحبته له مستشهدًا بذكر حادثة وقعت فسمّاه :« الامير البطّاش». ويظهر ان الاب يوسف استعان بوضع هـذه النبذة بالاب نعمة الله ابو ناضر الاول رئيس دير مار يوحنا مارون في قيّع الذي كتبها تحت اشرافه ووقّعها بامضائه هكذا :« الاب نعمه الله ناضر م» .

اخبرني المرحوم الاب لويس بليبل مؤلف تاريخ رهبانيتنـا اللبنانية ومن انبـاء الاب يوسف الموما اليه ، انه انشأ ترجمة مطولة للاب اغناطيوس بليبل في كرّاس خطّي مستقل. وقد نشر شذرات من هذه الترجمة في مجلّتنا « السنابل ». حضرة الصديق الكريم الاستاذ لحد خاطر وقال ان الاب لويس بعث اليه باوراق متقطعة عن حياة الاب اغناطيوس عندما كان محرّرًا في جريدة «البشير» البيروتية .

قلنا : ان هذه النبذة التاريخية التي نحن في صددها هي مدوّنة في بدء رزنامة دير مار مخايل بجرصاف بالحرف العربي وبحبر اسود . طولها ٣٢ سنتمترًا بعرض ٢٢ سنتمترًا ونصف السنتمتر ، وورقها من العادي ، وهي ذات صفحات عديدة ومجلّدة بجلد اسود متين . والنبذة مذيّلة بقصيدة طويلة في مدح واضعها الاب يوسف بليبل رئيس دير مار مخايل بجرصاف ، اضربنا عن ذكرها لركاكتها واختلال وزنها . واننا لنثبت هذه النبذة الاثرية التاريخية بحرفها الواحد على صفحات « المشرق » الاغرّ بعد ان وضعنا لكل من مقاطعها المختلفة المعنى عنوانًا مشيرًا اليه ، حرصًا على فوائدها التاريخية ، وهذه هي :

مقدّمة

حمدًا لك يا من جعلت سِيَر الاولين للآخرين ووضعتَ لمن سار (في) طريق الكمال في صدر التاريخ نقط الفصل المبين . والسجود لابنك القدوس الذي ارسلته فداء وعظمًا للنفوس . أما بعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه القس يوسف بليبل الراهب اللبناني المعترف بذنبه انه

١) ان الاب يوسف هو من اقرباء الاخوين الادنين ، وقد اطلق عليها لفظة « عميه » على سبيل التوسّع .

لما كانت التواريخ من اهمّ الامور المشدد عليها في المطالعات الاديبة المتكفلة بضبط وبيان سلسلة اولو [اولي] الفضل من بني الانسان ناهيك عما فيها من حاقت الذين لا يقدمون على فعل الخير والمبرّات على الاقتداء بمن يجعلون دستور اعمالهم الصدقة والحسنات .

ان هذا الدير مار ميخائيل الواقع ضمن قضاء المتن في لبنان قد انشأهُ على نفقت [نفقة] املاك خصصها للبرّ عبد الاحد بليبل كما سيأتي الكلام ، رأيتُ ان [من] ماب ايفاء جزاء الجميل ان اجمع ما وصلت اليَّ معرفتهُ من تاريخ هذا الدير ومنشئه وواقفه مضيفًا عليه مما علمتهُ واشتهر عن الواقف واعضاء عائلته الكريمة من حميد الصفات وفريد المزايا مبيّنًا ذلك بوجهٍ تقريبي في مجموعةٍ جمعتُها على قدر عجزي سائلًا من يقف عليه ان يغض الطرف عمّا يجد فيهِ من الخلل التركيبي ، فان العصمة لله وحدهُ . واليه اتوسّل ان يجعل مجموعتي هذه نافعةً لطالعها من ابناء رهبانيتي . وعليهِ الاتكال وهو وليُّ الهداية والتوفيق[١] .

بيان وقف دير مار مخايل بحرصاف واصلهِ وفصلهِ وعمارهِ

ان هذا الدير اصله من جناب الشيخ عبد الاحد خليل بليبل وقرينتهِ امّ فاضل[٢] . فالمذكور عمّر لهُ اوضة [غرفة] خشب وكنيسة وخصص له من بعض املاكه قسم معيّن بنفس هذه الرزنامة مدروجة بحجّة منقولة لنفس هـذه [اي الرزنامة] ثمّ حجة ثانية من قرينته المـذكورة مدروجة ايضًا على نسق الحجج المرقومة . وبعد ان خصص عبد الاحد المذكور وقرينته ، وَقفه للرهبنة اللبنانية بزمان قدس الاب العام جرجس قشوع [القسطاوي] ومدبّريه الاربعة سنة١٧٥٦ وكان [الدير] باسم مدرسة لعلم الاولاد القراءة البسيطة وافادة النفوس .

فالرئيس العام اقام بالمدرسة كاهنًا لعلم الاولاد وخدامة عائلة آل بليبل وكان الكاهن اغلب مصروفه من عند جناب الشيخ عبد الاحد المذكور . وقبل وفاته من هذه الدنيا الفانية سنة ١٧ (كذا)[٣] وقف باقي ارزاقه الثابتة وكلما عليكه وقفًا مؤبدًا للمدرسة المذكورة عنيد[عن يد] القس نوهرا حنُّوش البكفاوي بشهادة الاب اجناديوس خادم مار بطرس . وهـذه [حجة وقفيّته] مدروجة برزنامة الدير المرقوم . ودُفن الشيخ بالمدرسة المرقومـة وقد تعيّن هذا المدفن لعائلتهِ لحدّ تاريخهِ .

١) ان هذه المقدمة هي مفصولة عن النبذة التاريخية ومكتوبة بخط عربي مختلف وبحبر بنفسجي ، على الورقة الثانية من الرزنامة ، كأنها وُضعت بعد اثبات النبذة .

٢) هي ارملة الشيخ حديقه الجبيل .

٣) ١٧٥٦

تحويل مدرسة بحرصاف الى دير

واما الدير بقيَ بيد الرهبنة على اسم مدرسة صغيرة مدة اربعين مجمع[1] وكانت الرهبنة ترسل وكيل على المدرسة وكاهن لعلم الاولاد كما تقدم لحدّ سنه ١٨٨٦ توكل على المدرسة حضرة الاب يوسف بليبل من نفس العائلة المشار اليها ومكث فيها مدة ٣٨ سنة فاخذ يجدد فيها ارزاق ويشتري املاك وكبَّرها وهدم اوضها[غرفها] القديمة الخشب وعمَّرها وزادت بعد ان وفى دينها. وبعنايته استحقت ان تسمى ديرًا نظير الاديرة العامرة .

ولما عرف قدس الاب العام مرتينوس غسطاوي(من اسرة سابا) مع حضرة الآباء المدبّرين ان المدرسة نمت عنيد [عن يد] رئيسها الحالي حضرةالاب يوسف بليبل ونظروا املاكها وعمارها والتجديد الذي صار بواسطة الرئيس المشار اليه قد عقدوا مجمع مدبّرين بدير سيدة طاميش سنة ١٨٨١ وسمّوا المدرسة ديرًا نظير الاديرة وتسمّى حضرة الاب الوكيل [يوسف بليبل] رئيساً وعمـل للدير ختماً ، والنصف [المصروف لمساعدة دير بحرصاف] من جملة اديرة الرهبنة . وكامل افراد الرهبنة انسرّت من عمل حضرة الاب المشار اليه وبعضهم قرّظهُ بنظم ونثر وعمٍ بنظمه قدس عمه سعيد الذكر المثلث الرحمة الاب اغناطيوس بليبل الذي مكث مدة كبيرة مقلدًا الرئاسة العامة ، ووضعنا ترجمة حياته في هذه الرزنامة مع ترجمة آل بليبل عن اصلهم وفصلهم وبعض اشياء تاريخية للذكر وتقريظ حضرة الاب الرئيس وذكر سعيد الذكر عمــه تراه في محلّه بكرّاس مخصوص منثر[2] .

عود على بدء

والآن نرجع الى حالة الـدير وانهُ في البداية كان مدرسة كما تقدم وانه وقف عبد الاحد وقرينته امّ فاضل المذكورين كما هو مدروج في نفس هـذه الرزنامة التي نسّقها حضرة الاب يوسف الرئيس الحـالي وجمع اليها كل الحجج الموقوفة والمشتراة منه لان القسم الكبير هو باسمه كما ترى ، وقد اخذ بالتسلسل عن جدوده وابائهِ المشهورين بعمل الخير والمحافظة على البرّ .

١) كان المجمع عند الرهبان ثلاث سنوات وفي نهايتها ينتخب الرئيس العام بالقرعة .

٢) بالرغم من البحث والتفتيش لم نعثر على هذا الكرّاس .

اسرة بليبل والجميّل والخازن

ولنذكر هذه العايلة [بليبل] بما خصّها من عمل الخير وانها صاحبة افضال ولها اعمال تستحق الذكر ونبيّن ذلك بوجه الاختصار . ان هذه العايلة لهــا قدميّة من زمان التنوخيين والسوافيين [بني سيفا] كقدمية عايلة بيت الخازن وعايلة بيت الجميّل والعايلتين حضرتا من حوران . فبيت الخازن سكنوا في كسروان لحدّ يومنا هذا ولهم شهرة كبيرة واعمال خير تستحق الذكر ، وقد مُدحوا من الملوك والاحبار الرومانيين واذا شئتَ الاخبار عنهم فعليك بالتاريخ ، وطلع منهم بطاركة ومطارين جملة .

وعايلة بيت الجميّل لها اعمال عظيمة ايضاً ، وبعد ان حضروا من حوران سكنوا بكفيًا ورحلوا لعكار ومن عكار حضروا لجاج ومن جاج رجعوا لبكفيًا وتقاربوا [بالزواج] لعايلة بليبل وصارتا العايلتين تُعدّ عايلــة واحدة باقترابها للزواج كما يأتي عنهم . وقد صار من عايلــة بيت الجميّل بطرك ويسمى البطرك فيلبّوس[1] ومطران ايضاً ويسمى المطران سمعان ، ثمّ المطران الياس ، ورئيساً عاماً للرهبنة اللبنانية وكان قبل الرئيس العام اغناطيوس بليبل وكان اسمه الاب عمانويل الجميّل وعمل رئيساً عاماً خمسة مجامع الى سنة ١٧٧٨ وكان من المشهورين . ولهذه العــايلة مناقب حميدة ، فعليك بتاريخ الدويهي يفصّل عن العايلتين المذكورتين .

عودٌ الى اسرة بليبل

واماً عايلة بيت بليبل اختُلف في اصلها ، فنهم من قال اصلها من البليبلة [قرية فوق وادي شحرور تسمّى اليوم بليبل] قرية في جهات الشوف وان العيلة انتسبت للقرية . ومنهم من قال انهم حضروا من حوران مع العيال الثلاث : الخازن والجميّل وكميد ، لان عايلة بيت كميد مشهورة ايضاً نظير العايلتين . وحضروا من حوران [اسرة بليبل] وسكنوا ساقية المسك ثمّ رحلوا لعكار مع بيت الجميّل ورجعوا سوية وسكنوا ترتيج بقرب جاج مدة . واخيراً لما رجعوا بيت الجميّل لبكفيًا رجعوا بيت بليبل لساقية المسك بقرب بكفيًا

١) توفي في ١٢ نيسان سنة ١٧٩٦ بداء الفالج ودفن في بكركي .
(سلسلة البطاركة للاب المنبجي)

وبقوا لحدّ يومنا هذا وصار لهم اعتبار ومحبّة الاهالي لهم . وقد استقنوا ارزاق وعمّروا عماير مشهورة. وكانوا متولين الامور يستشيرونهم دلالة على سموّ افكارهم ونسبهم وحسبهم وتوظفوا عند الحكّام كما يأتي بيانهُ ، لان العايلة المذكورة بعد ان اتوا من حوران رحلوا كلهم لعكار ورجعوا مع العيال المذكورة لجهات بلاد جبيل كما تقدّم .

واخيرًا حضرت هذه العايلة [اي اسرة بليبل] من ترتج سنة ١٦٣٦ وسكنوا ساقية المسك . وجدّ هذه العايلة الذي قطن ساقية المسك سنة١٦٣٦ كان اسمهُ ابا ضاهر فرح بليبل واولاده واخوته . فالمذكور مع بنيه خدموا المقدّمين عمر[1] حسين واخوته الذين كانوا قاطنين دار صليما وبوقته صاروا أُمرا بايام حكم الامير حيدر الشهابي . وتقدم ابا ضاهر المشار اليه مع اولاده عند الامرا المذكورين . وكانت اعمال الأمرا المتجددين بيد المذكور [ابا ضاهر] واولاده . وبحسن سياسته أُسلم زمام القاطع للامرا. المذكورين وحكموا بكفيا والقاطع جميعهُ وكانوا عادلين بحكمهم واخذوا مشرب ابا ضاهر ، ولمحبتهم له ولاولاده اطلقوا عليهم المشيخة ثمّ لكامل عايلة بيت بليبل وتسموا من ذلك الوقت مشايخ واعفوهم الإمراء من الاموال الميريّة المختصة بالاعناق وارزاقهم تدفع مال واحد فقط بموجب صكوك بيدهم من الامراء مخدوميهم ومن الامراء الشهابية ايضاً . واخذوا بالتسلسل من جيل لآخر حتى ايام الامير حيدر اسماعيل .

الامير بشير الشهابي الكبير

والامير بشير الشهابي المشهور بالصطوة [بالسطوة] والاقتدار . وقد حكم جبل لبنان هذا الامير اربعة وخمسين سنة ولم يكن مثله من الامراء واعماله مشهورة . وبايامه صارت اشيا. كثيرة وتحزّز لبنان . وقيل عنه انه ملك وعمّر بيت الدين الصرايا [السرايا] المشهورة والمقاصف الجميلة وقد جلب الماء لبيت الدين من نبع الصفا مسافة خمس ساعات ومجالها صعب ولم تزل لحدّ الآن ، ولهُ مواقع كثيرة وهيئة صورته تدلّ على سموّ عقله . وله تاريخ اذا شئت الاطلاع على

[1] هنا فسحة بيضاء قصيرة .

اعمال هذا الامير البطّاش فعليك بتاريخ الامراء اول تاريخ مخصوص[1] . فهذا الامير كان محبًا لآل بليل واخصّ محبتهِ كانت لقدس الاب اغناطيوس بليل كما يجيء عنه بترجمة حياته .

عود الى ابا ضاهر واولاده واحفاده

وابا ضاهر فرح توفي بعمر كامل مأسوفاً عليه ، واولاده اخذوا عنهُ وكان لهم اعتبار كلي عند الامراء والاهالي وعاشوا بالرغد وكثرت ارزاقهم وزاد اعتبارهم . وخليل احد اولاد ابا ضاهر ولد عبد الاحد سنة١٦٩٠وكان عبدالاحد ولد محبوب يحبّ الخير من صغرهِ .

وفي سنة ١٧١٧ اقترن مع الست ام فاضل المشهورة بعمل الخير . وهذه الست [هي] ابنة باز الحاقلاني من زوق مصبح اقترنت اولًا مع الشيخ حديقه الجميّل وبعد وفاته اقترنت في عبد الاحد المذكور وولد له منها ابنتان احدتها [احداهما] اقترنت في الشيخ طليع الجميّل واخذت قسمها من ابيها بموجب وصيته مايتي وخمسين غرش . والثانية تدعى هندية اقترنت بالشدياق يوسف الحاقلاني وتوفي بدون ان يترك ولدًا .

فهنديه بعد وفاة زوجها رجعت لساقية المسك واقامت في المدرسة [مدرسة بجرصاف] وتوفت بها كون والدتها ام فاضل المذكورة اوقفت كامل ارزاقها واثاث بيتها للمدرسة . وهذا مبين في وصيتها المدروجة بهذه الرزنامة ، وبنفس وصيتها تذكر ابنا موكلة اولادها القس عمانويل [الجميّل] والقس لويس [المطران عبد الله بليبل] لجهة تداشاتها . وذكرها : اولادي عن الابوين المذكورين فهذا لا اعتبار ان الابوين اولادها بالطبيعة بل ذلك عن جاري العايلتين ان الكبير يطلق على الصغير لفظة ابني لان الاب عمانويل الجميّل المذكور والمشهور وسبق ذكره كان ابن فاضل الجميّل اي ابن ابنها . والاب لويس بليبل الذي صار مطراناً كما تأتي ترجمة حياته ، كان ابن سلفها طانيوس ابي انطون اخا زوجها عبد الاحد ، لان طانيوس المذكور كان ايضاً من المشهورين بالتقوى وعمل الخير . وطانيوس [هو] بن خليل المذكور .

١) ربما كان تاريخ الامير حيدر الشهابي المعروف .

زواج الشيخ طانيوس بليبل وذكر اسماء اولاده

وتزوج الشيخ طانيوس سنة ١٧٤٧ بعمر ٢٧ سنة وخلّف بنين وبنات : ستة ذكور واربع بنات . فالذكور : انطون . موسى . يوسف . غصيبه . اسعد . ساروفيم . البنات : قرينة الشيخ سلّوم الدحداح الشهير واسمها لوليه . وقرينة الشيخ ضاهر الدحداح . والثالثة قرينة الشيخ بشير الجميّل[1] . والرابعة قرينــة الشيخ سليمان بليبل . فهؤلاء اولاد الشيخ طانيوس بن خليل ياغي فرح بليبل .

ترهُّب غصيبه واخيه اسعد

- فالشيخ غصيبه واخيه اسعد ترهبا بالرهبنة اللبنانية الواحد بعد الثاني . فغصيبة ترهب بدير مار موسى الحبشي [قضاء المتن] المسلّم من جده بموجب حجة مختومة من غبطة البطريرك مار طوبيا الخازن للرهبنة اللبنانيــة كما هو مقرر ومعروف وشهادة المطران فيلبُّس بذلك . واغلب ارزاق دير مار موسى ما عدا المجدّده من رؤسائه هي من بيت بليبل ، من الشيخ ابا ضاهر بن خليل ابا ضاهر جدّ العايلة كما تعلن الحجج المبيّنة وقف الدير المذكور ما عدا ارض عبد العالي . والسيد البطريرك بــذاك الوقت اعطا [اعطى] الشيخ ابو ضاهر انعاماً وتكرماً وحقًّا على الوقف المذكور جذا [جزاء] استحقاق عمله ، والحجة لم تزل باقية مع حجج المشايخ آل بليبل تذكرة اعمالهم المشهورة والخيرية .

في نسبة غصيبه الاخ لويس ولبسه الاسكيم الملائكي

فحملًا على التفات جدّ غصيبة المذكور حضر للدير [دير مار موسى الحبشي] وترهب فيه لانه وقف جدّه سنة ١٧٥٣ وترهب غصيبـــة سنة ١٧٧٨ ولبس الاسكيم الملايكي من يد حضرة الاب اغناطيوس الخازن الرئيس وتنذر سنة ١٧٨٠ وتسمّى الاخ لويس . وبوقت لبسه الاســكيم حضر المشايخ [آل] بليبل للدير مع ابيه الشيخ طانيوس وقدّموا للــدير الكرم الذي تحت الدير تهنئة بتوشحهِ بالاسكيم وعملوا بالكرم حجة لم تزل نسخة عندهم فيما قدّموهُ وعليه

---

[1] هي والدة الحكيم المشهور الطيّب الاثر الشيخ امين الجميّل وجــدّة الشيخ بيار الجميّل رئيس حزب الكتائب اللبنانية لابيه .

[وعليها] شهادة المطران فيلبُّس الجميّل والخوري سليمان بجدرفل كاتم اسرار البطرك مار يوحنا الحلو والشهادات لم تزل محفوظة مع اوراق المشايخ المذكورين .

في ترقية الاخ لويس الى درجة الكهنوت وانتدابه لحمل درع التثبيت للبطريرك يوسف التيّان .

ولما لبس الاسكيم الاخ لويس بليبل حلّت عليه النعمة واخذ يتقدم بالفضيلة والآداب ، وترشح بالعلوم اللازمة . وبينما ظهر [انهُ] من اصحاب الفيرة وذو عقل ثاقب ، وجّهتهُ الطاعة لحلب الشهباء بمعية الاب ارسانيوس العبد الحلبي لاكمال علمه وكمّل علمهُ اللازم للكهنوت وفاق اقرانهُ واشتهرت اعمالهُ فرجع لدير مار موسى بامر الطاعة ورقوه للقسوسية سنة ١٧٨٨ من يد المطران فيلبس الجميّل وقد حاز من لدنْ البطرك والمطارين انعاماً وافرة ومحبة وافية . ولما ظهرت اعماله امام آباء الرهبنة رئسوهُ على دير الناعمة وساس الرهبان سياسة مقدسة وكان نموذجاً صالحاً للرهبان .

ولما عرف البطرك يوسف التيّان في فضايلهِ المشتهرة وجّههُ لرومية العظمى لينال لغبطتهِ من لدن قداسة الحبر الأعظم [درع] التثبيت ، فذهب بامر الطاعة ومكث في غيابهِ وايابهِ تسعة اشهر . ولما رجع من لدن قداستهِ بعد ان كان مثلاً صالحاً في كلّ محلّ دخله ، امتثل بنادي غبطة البطرك مبار يوسف التيّان حاملا [درع] التثبيت من لدن قداستهِ لغبطة المشار اليهِ وعظمت محبتهُ لدى غبطتهِ .

في انتخاب الاب لويس بليبل اسقفاً على ابرشية قبرس وفي وفاته

وبعد ان توفي مطران ابرشية قبرس انتخبته الابرشية المذكورة ان يكون مطراناً عليها ، فغبطتهُ [البطريرك التيّان] لبي طلبهم وسامهُ اسقفاً سنة ١٨٠١ [باسم عبدالله] وظهر راعياً صالحاً غيورًا تقيًا مرشدًا واعظاً ، وساس ابرشيتهُ سياسة حميدة وكانت سيرتهُ حسنة ونموذجاً للجميع . وكان محبوباً من كامل الابرشية ومن الجميع ايضاً .

وكان سعادة الامير بشير [الشهابي الكبير] السابق ذكرهُ ينادمهُ كثيرًا

مع شقيقهِ قدس ريس العام الرهبنة اللبنانية [الاب اغناطيوس بليبل] كما يأتي بيان ترجمة حياته . وكان محبوباً من الامير وكل اولياء الامور . ومكث اسقفاً على ابرشيته اربعة واربعين سنة وانشأ بعض كنائس للابرشية وهذب ابناء رعيته تهذيباً صالحاً وعاش ممدوحاً ومات مأسوفاً عليه سنة ١٨٤٥ بايام غبطة السيد البطريرك مار يوسف حبيش[1] . وبعده اقام مطراناً عوضاً عنهُ المطران يوسف جعجع البشراني .

في ترهُّب اسعد وتسميته بالاخ اغناطيوس (بليبل)

وأمّا شقيقهُ اسعد الذي صار رئيساً عاماً على الرهبنة اللبنانية هذه ترجمة حياتهِ :

اسعد ترهب في دير مار انطونيوس صير [سير . فوق رشميّا] وهذا الدير تسلّمته الرهبنة سنة ١٧٠٧ وهو دير في بلاد الشوف وكان ديرًا صغيرًا فزادنهُ وعمّرتهُ الرهبنة . وفي ايام الاب ميخائيل المتّلم [رئيس هذا الدير وقتئذٍ] ترهب اسعد المذكور سنة ١٧٨٧ والدير نجح بذاك الوقت ، ورئيسهُ المذكور اشترى لهُ مزرعة من مشايخ بيت عبد الملك .

وكان سعادة الامير بشير الكبير يتردد على الدير [دير سير] لجودة مناخهِ وحسن مركزه .

واسعد تسمّى الاخ اغناطيوس ولبس الاسكيم من يد الاب نعمة الله النجّار المشهور بعمل الخير وسموّ عقله . كان من المتنزهين وقد بقيَ مدبرًا اولًا على الرهبنة سبعة واربعين سنة ولهُ اعمال مشهورة بالرهبنة والطايفة ولسموّ عقله ولتدبيرهِ . عند مغادرة البطرك يوسف التيّان من بطريركيته[2] حضر امرٌ للاب نعمة الله النجّار من قداسة الحبر الاعظم ليقيم في بكركي ومكث مدبّرًا الكرسي [البطريركي] مدّات سنين وانتدب ليكون حبرًا ولم يقبل حبًا بالتواضع .

١) راجع نبذة عن حياته في برنامج اخوية القديس مارون ليوسف خطار غانم ص١٣٩ وفيها بعض فروق في تبيين السنين .

٢) هو من البطاركة العلماء الاعلام . استعفى من البطريركية زهدًا وتواضعًا . رقد بالرب في ٣٠ شباط سنة ١٨٢٠ ولا يزال جسده سليمًا من البلى والفساد مصونًا في دير قنوبين .

ولهذا الاب اعمال تستحق الذكر[1] . فهذا تنبّى [تنبأ] على الاخ اغناطيوس انهُ يرث الرهبنة [اي انهُ يكون مقدامها ووارث رئاستها] ويكون من الاشخاص المشهورين .

في حضور الامير بشير الكبير حفلة توشّح الاخ اغناطيوس بليبل بالاسكيم الملائكي في دير سير وفي شهادته فيه

وبوقت توشّحه بالاسكيم الملايكي سنة ١٧٨٩ من يد المدبّر المشار اليه [الاب نعمة الله النجّار] بعمر ١٦ سنة ، كان مشرّفاً الدير سعادة الامير بشير مفتقداً الاب المدبّر المذكور ومستشيرهُ [اي ان الامير كان يستشير هذا الاب] قد صادق على نبوّته وتفرّس بالاخ اغناطيوس وقال : انهُ يكون من الاشخاص المتفردين . وهكذا صار ، لانه عند توشّحهِ بالاسكيم سُكبت النعمة عليه كأنه ماسكها وتجلّل بها ويد الله كانت معهُ .

لانه بعد ان توشّح بالاسكيم حالاً وجّهتهُ الطاعة لدير البنات [في جبيل - وكان مبنياً مدرسة الاخوة الرهبان] وهذا الدير تسلّمتهُ الرهبنة سنة ١٧٦٢ وكان تسليمه بواسطة سعادة الامير الشهير [بشير الشهابي الكبير] . ولما وصل الاخ اغناطيوس للدير المذكور وابتدى [وابتدأ] بالدارم اللازمة للكهنوت اخذ يكدّ ويجدّ حتى فاق اقرانهُ . وكان بارعاً نشيطاً فاهماً حكيماً ذو [ذا] عقلٍ ثاقب .

وبعد ان فاق بالعلوم ارسلتهُ الطاعة ايضاً لحلب الشهباء لاكمال علومهِ .

في سيامة الاخ اغناطيوس بليبل كاهناً وتعيينه كاتماً لاسرار الرئاسة العامة وفي رئاسته على الاديار .

ولما كمّل سيم كاهناً من يد المطران يوسف التيّان سنة ١٧٩٣ . وبعد ارتقائهِ للقسوسية وضعهُ الرئيس العام الاب عمانوئيل الجبيلي السابق ذكرهُ معهُ كاتم اسراره ومكث معهُ مجمعاً [ثلاث سنوات] وكان عالي الرأي له ، وقد تسامى بالفضائل واعمالهُ اشتهرت قدّام الجميع ، فانتُدب سنة ١٧٩٦ رئيساً على دير مار موسى الحبشي المار ذكرهُ واجتهد في نجاح الدير ووفى دينهُ واشترى

[1] عليك بما كتبناهُ عنه (المشرق ٤٧ : سنة ١٩٥٣ ص ٨٧)

له ارزاق بقيمة ٤٠ الف [غرش حجراً] كما يتبين من الزنامة [رزنامة دير مار موسى] وشهادة الاب نعمة الله التجار المحاسب الرهبنة[1] والمدبر الاول وهو ماضي الحساب بيده .

وفي سنة ١٧٩٩ انتُدب ان يكون رئيساً على دير قزحيا وعمل بالدير اعمال مشهودة ، ورزنامة الدير تبين اعماله الحسنة وسياسته الحميدة .

وما كان لصلواته انقطاع وحفظهُ للقوانين كان عجيب غريب كأنهُ أعطي من فوق . وكان جمهور دير قزحيا الكبير يتعجب من اجتهاده . وكان كل من يزور الدير يتخذ نموذجاً صالحاً من رئيسهِ الاب اغناطيوس ثمَّ من جمهورهِ بواسطتهِ ، لان دير قزحيا المذكور استلمتهُ الرهبنة سنة ١٧٠٧ وكان صغيراً محبسة للزوار ، ولكثرة العجائب المشهودة التي تصير من صاحب مقام هذا الدير [القديس انطونيوس الكبير] وطرد الشياطين بواسطة الطلب من صاحب المقام ، قد كبَّرتهُ الرهبنة والآن هو احسن الاديرة واغناها وعمارهُ اشهر ما يكون لاسيما العمار المقام من الاب اغناطيوس شكري [من دير القمر] المدبر اللبناني الذي توفي سنة ١٨٨٦ عيد الاربعين شاهد [شهيداً] ، المحبوب من الاب اغناطيوس بليبل وقد عيَّنهُ كاتم اسرارهِ مدة بوقت رئاسته العام [العامة] كما يجيء[2] .

١) كان يجول في اديار الرهبانية ويأخذ خلاصة حساباتها من دخل وصرف ويقدّمها للرئاسة العامة .

٢) جاء عن وفاته في دفتر قداديس الطيب الاثر الاب نعمة الله القدّوم الكفري سنة ١٨٨٦ ما يلي بالحرف : « الاب اغناطيوس شكري المدبّر توفي بدير القمر ، بأمر الرئيس العام توجه بدعوى الانطوش ، وذلك صباح اليوم التاسع من اذار الجاري [١٨٨٦] وقد كان المرحوم شهماً شجيعاً يقدم على اشغال كبيرة من عمارات وخلافها ويُنهيها باسراع دون عاقة من شيء . ترئس مراراً ونجح ، فعلى دير قزحيا رتبن فعمَّر في الثانية العمار الـذي قـدام الكنيسة المعروف « بمشى شكري » وقبلاً على دير مشموشة بواصلح به وعلى دير الناعمة مراراً فتجمّع ارزاقه كثيراً في جلّ البحر وعمّر له كرخانتين احداها في الجلّ وثانيتهما في بارونة . واخيراً فيما كان مدبّراً وابن اخيه الاب ارسانيوس رئيساً عليه [على دير الناعمة] عمّر داخل الدير وبعض خارجه مستوفقاً كله بقرميد فصار مزوجاً [مزدوجاً] لسكن المبتدئين للتجربة به ، ثم توفي بعمر ٧٥ سنة رحمه الله وكافاه على اعماله » .

في مديرية الاب اغناطيوس بليبل ورئاسته العامة

فبعد ان انتهت رياستهُ من دير قزحيا سنة ١٨٠٢ انتُخب مدبرًا وكان يعظم شأنه عند البطرك والمطارين وعند ابناء الرهبنة بجبها (لهُ) ولما توفي الاب سمعان الخازن [الرئيس العام] سنة ١٨١٠ قام نائباً عاماً . وسنة ١٨١١ انتُخب رئيساً عاماً على الرهبنة ، وبقيَ رئيساً لسنة ١٨٣٢ . وبرئاستهِ العامة كان يجدّ على حفظ القوانين وعمار الاديرة ، وقد ضرب المثل فيه لحدّ يومنا هذا ، يقال على من يأخذ اسمًا جيدًا : هذا فيه خواص من بليبل . وكان محبًا للرهبنة ولبنيها ولا يخاف احدًا ولا يعتبر سوى من يحفظ القوانين . وما كان يحابي ولا يأخذ بالوجوه ولا يلتفت للروساء الغير المرتّبين . وكل من يتعدى القوانين كان حالًا يجري قصاصهُ .

في حريق جبة المنيطرة

وكان معتبر [معتبرًا] عند سعادة الامير [بشير الشهابي الكبير] المشهور وكانت كلمتهُ لديهِ لا ردّ عليها قطعاً . وقد صار حادثة في جبّة المنيترة (المنيطرة)[1] من بلاد جبيل بدير مار سركيس قرطبا المعمَّر من الاب العام المشار اليهِ كما يأتي بيانهُ :

هو ان مشايخ المتاولي [ابناء الشيعة] قاموا على الرهبان وقوّصوا راهب ولم يمت . وكانوا الرهبان عمّال يفلحوا في الشريبة خاصة الدير . فلما تقوّص الراهب من المتاولي ، حالاً الرهبان نزلوا [من الشريبة] الى الدير وعرضوا لرئيسهم الاب عمانويل الشبابي [رئيس دير مار سركيس قرطبا] الذي صار رئيساً عاماً (مجمع عدد ٢ سنة ١٨٣٨ وسنة ١٨٤٧) وحيث كانت القوّة للمتاولي في المحل المذكور ومراعاةً لظرفي الزمان والمكان ، اخذ [الرئيس] المسئلة بالرقة مع الرهبان وهدّم وسكّن روعهم .

امَّا الجمهور [جمهور رهبان دير مار سركيس قرطبا] هاج وماج وتحركوا بالنيرة وقصدوا قدس الاب العام [اغناطيوس بليبل] فكان قدسهُ بدير سيدة مشموشي [مشموشة] بذاك الوقت ، فقصدوهُ . ولمّا مرّوا على بيت الدين مركز سعادة الامير بشير رآهم عن بعد فبعث بطرس كرامي [كرامه] احد كاتبي قلمه . وبطرس كان من ذوات الامير [اي من المقرّبين اليه] ومن منادميهِ ، فوجدهم اثني عشر راهباً . فقال لهم :

ما لكم وما بالكم .

فقالوا لهُ : اننا قاصدون رئيسنا العام .

---

١) ان جبّة المنيطره ، على جانبي نهر افقا .

فقال لهم : سعادتهُ بعث بي لاكلمكم لتقابلوهُ قبل ذهابكم لرئيسكم العام .

فامتثلوا لامر سعادتهِ وتشرَّفوا بساحته .

وبعد ان سألهم عن مقصدهم وما حلَّ بهم من الظلم من مشايخ المتاولي وان رئيسهم (رئيس دير مار سركيس قرطبا) خاف من المتاولة وما اجابهم بشيء ، فسعادتهُ أمرهم بعدم الذهاب لنادي قدس رئيسهم العام بقوله لهم :

ان رئيسكم العام صحتهُ غير جيدة فلا يلزم ازعاجهُ بشيء وانا ادبّركم ، ارجعوا للدير .

وحتم عليهم بعدم الذهاب لدير مشموشي [مشموشه] حيث كان الاب العام اغناطيوس بليبل المشار اليه شرّقاً دير مشموشي . فامتثلوا لامر الامير .

وتلك الليلة باتوا في دير القمر[1] بقرب بيت‌الدين وارسل لهم سعادتهُ اكلاً وشرباً كفاتهم ومؤنة طريقهم واكرمهم ، ورجعوا ثاني يوم ومكثوا على الطريق برجوعهم يومين . ولما قربوا [من] جبَّة المنيترة عند المساء ، شاهدوا الجبَّة مشتعلة كلها وبيوتها معلّقة [مضطرمة] واضحت مأكول النار. وشاهدوا ايضاً العساكر محاطة [محيطة] بالجبَّة كلها ، لان سعادتهُ لما حقق [تحقق] من الرهبان عمل المتاولة المغاير الحق وانهم متعدين على الرهبان بعث عساكرهُ حرق الجبَّة كلها ، وقتل جملة اشخاص متاولة مجازاة اعمالهم المشينة ووضع لهم حداً [لاراضيهم] وارتاحوا الرهبان والنصارى كلهم [في تلك المنطقة] من ذاك الوقت.

فتذكر محبة هذا الامير للاب اغناطيوس واعتبارهُ لهُ ، وكيف عمل بالمتاولة وما حبَّ [أحبَّ] ان الرهبان يبلغوهُ [اي الاب العام] شيئاً عمّا صار لئلا يزعجوهُ حيث كانت صحتهُ مشوشة فخاف على زعلهِ وكدرهِ ، فهذا الخبر لا يمحوهُ التاريخ ولا تنساهُ الالسنة . فمحبة الامير للاب بليبل ما كان لها اقرار [اي ما كان لها حدّ] واعتبارهُ لهُ ما كان لهُ حدّ . وقيل فيه نظماً :

من يحفظ الاسرار على ذات الشين حفظ المودَّة لا يوازيه غُن[2]

ومواقع كثيرة كانت تصير وكان سعادتهُ يجتهد في ان يكون كل شيء على خاطر الاب العام . فالاثنان تعاصرا وتنادما وكل منهما يحق لهُ الاعتبار والذكر الحسن والصيت الممدوح .

---

١) في انطوش الرهبان الحلبيين .

٢) ان صدر هذا البيت مختل الوزن ، رويناهُ على علاّته .

في تشييد الرئيس العام الاب اغناطيوس بليبل دير مار مركيس قرطبا ودير مار مارون عنايا .

وهذا الاب عمّر دير قرطبا سنة ١٨١٥ واشترى له ارزاق كثيرة تكفي لقيام اربعين راهب . وجدّد ديرًا ثانيًا سنة ١٨١٦ ويسمى دير مار مارون عنايا من بلاد جبيل ايضًا واشترى له املاك تكفي لماش ثلاثين راهبًا[1] . واشياء كثيرة عملها هذا السعيد الذكر ويستحق عملهُ تاريخ مخصوص للامتثال به . وكانت الاحبار الرومانيون تعتبره وبعثت اليه بكتابات وانعامات عديدة للرهبنة محفوظة في بعض الاديرة .

وبالنتيجة ما صار رئيسًا عامًا مثله. وبايامه نمت الرهبنة وازدهرت بالفضائل والقداسة ، وتعاثلوا فيه الذوات من الطائفة وصار له اسمًا لا يكون لغيره مثله ولا صار قبله نظيره .

في وفاة الاب اغناطيوس بليبل

وبعد ان ساس الرهبنة برئاسة مجمع عدد ٧ العامة[2] ونائبًا [عامًا] مدة سنة ١ . الجملة ٢٢ سنة صار مدبرًا اولا . وقبل نهاية المجمع توفي بدير مار يوسف البرج[3] بعمر ٦٥ سنة ، سنة ١٨٣٥ وصار بالرهبنة مناحة كبيرة

١) ان دير مار مارون عنايا اصبح بفضل رجل الله الاب شربل مخلوف ديرًا طائر الشهرة يقصده الزوار من جميع انحاء العالم للتبرك من ضريح هذا الحبيس المبارك . وبرئاسة حضرة الاب بطرس زهره عليه اولاه من عنايته ورعايته قسمًا كبيرًا فاشتغل اراضيه شغلًا متقنًا وغرس فيها الكثير من اغراس التفاح وغيرها فازدادت خيراتها وعمت بركاتها ، وبنى بيوتًا للآجار ، وجناحًا خاصًا رحبًا لاحقًا بالدير لسكنى الرهبان وابقى البناء القديم للزوار فبرهن عن خبرة وحنكة وتفانٍ بحب الرهبانية . وكما انه رجل اداري فهو ايضًا رجل علم وادب ، خطيب وكاتب ، وله بعض مؤلفات قيمة ، وآخر ما اتحف به الكهنة وطلاب الكهنوت ، « الشحيمة » (فرض الكاهن الماروني اليومي) وقد نقلها من اللسان السرياني الى اللسان العربي بعبارة رشيقة مع تدقيقه بالمحافظة على الاصل ، فبرزت من تحت ملزم الطبع مختالة بثوبها العربي القشيب ، ناطقة بمقدرته في هذين اللسانين العزيزين .

٢) ان مجمع الرئيس العام عند الرهبان ثلاث سنوات ، في خاتها ينتخبُ رؤساء الاديار والوكلاء عنها بالقرعة القانونية .

٣) في احدى السنين زار دير مار يوسف البرج المثلث الرحمة الآباتي اغناطيوس داغر التنوري وكنت برفقته ، فرأيت في طاقة في كنيسة الدير جمجمة كُتب عليها بخط سرياني-

عليه وقد تأكد ان برجها انهدم ورشّت عليه الدموع كالمطر الزاخر . وحضر لدفنه والصلوة عليه الرئيس العام وتيذ الاب مبارك حليحل البسكنتاوي الذي خلفه سنة ١٨٣٢ وبكى عليه مع بقية مدبّريه . وكان حاضراً جنازه المطران بطرس [كرم] البسكنتاوي من قبل غبطة البطريرك مار يوسف الحبيشي . ومن بعده اخذت الرهبنة مدّة تتأخر ومدّة تنجح ليومنا هذا . فسعيد الذكر المرحوم [الاب اغناطيوس بليبل] ابقى للرهبنة مناقب حميدة حتى يتماثلوا فيه من جيل لجيل . قد تغمّد [الله] نفسهُ بالرضوان وجذا [وجزاء] مناقبه الحميدة واعماله الحسنة يصطف مع القديسين مجدا [بجذاء] مار انطونيوس اب الرهبان وركن الرهبنة اللبنانية التي تأسست الرهبنة على اسمه ولا شك ان نفسه بالسعادة .

نام الكريم وغاب عن اقرانه   قام السليمُ وفاق مع اقرانه
مات السعيدُ ولم تمت اعمالهُ   عاش الصديقُ في السما بمكانهِ[1]

في اخوة الاب اغناطيوس بليبل العاميين

هذا ما كان عن المرحومين سعيدي الذكر المطران عبدالله [بليبل] وشقيقه قدس الاب اغناطيوس ولهما اعمال تستحق التاريخ ولا يكفي لكل واحد مجلد عن مناقبه الحميدة .

واما اخوتهم [اخوتهما] انطون وموسى ويوسف وساروفيم فسنأتي بذكرهم بالاختصار تذكرة اعمالهم الحميدة .

١ً – انطون وساروفيم ويوسف

فانطون وساروفيم[2] تزوجا ولهما بنين وبنات ولهم اعمال خيرية ونجحوا مع اولادهما ليومنا هذا . وموسى ويوسف تزوجا ايضاً ولهما اعمال تُذكر . موسى تزوج سنة ١ (كذا) وولد له بنين وبنات[3] ، عبدالله فقالب وياغي.

كرشوني جميل ما يلي : «جمجمة الاب اغناطيوس بليبل المتوفى في ١٩ اذار سنة ١٨٣٥» وهي عبارة عن جمجمة كبيرة تستلفت النظر اليها ولا اعلم اذا كانت باقية في مكانها الى اليوم .

١) اثبتنا هذين البيتين كما وردا في الاصل ، والعجز الاخير مختل الوزن .

٢) وضعت هذه الكلمة بقلم من رصاص على الهامش وهي : وصاروفيم توفي بتولاً .

٣) كُتب على الهامش بخط مختلف ما يلي : «وتوفي سنة ١٩٣٣ ، ونظن صراجبا سنة

٢ – غالب

فغالب تزوج سنة ١٨ (كذا) وولد له بنين وبنات، منهم الشيخ موسى ولولؤة والدة الشيخ محمود.

٣ – موسى

فموسى ولد سنة ١٨٢٨ وهو من اصحاب العقول الذكية وصاحب سياسة. وقد تزوج سنة ١٨٦٠ في الست صابات ابنة فارس البيطار من قرية غسطا [كسروان] وولد له بنين وبنات. وموسى المذكور قد زادت ارزاقه وزاد اعتباره وعمّر عماره جميلة وهو من المحبوبين لدى الجميع لاستقامته وحسن درايته، واولياء الاحكام ودّته ودًّا مخلصاً وانتدبتهُ مرات للتوظف. وقد وُضع كاتباً وصرّافاً لخزينة لبنان مدّةً كبيرة بايام صاحب الدولة رستم باشا. وخالفهُ [وخلفهُ] صاحب الدولة واصا باشا. ولما رأى لسموّ افكار [افكاره] ان خدمة الاحكام [الحكام] هذه الايام للذي نظيره تكون اواخرها غير جيّدة، رجع الى بيته واخذ يجدد في ارزاقه ويزيد اعتباره. وصار محلهُ مقصد الذوات من قصّاد ومطارين واولياء الاحكام. وله المشورة من بعض المتولّين الامور السياسية ولم يزل بالرغد والاقبال في كل حال وله الجاه والاعتبار ويقرن سعدًا الاله وسعيده[1].

٤ – باغي (وهو الاب يوسف بليبل صاحب هذه النبذة)

وباغي ترهب بدير قرطبا المار ذكره. وهذا الذي نحن بذكره، وانه كبّر الدير الذي نحن في صدده ويأتي ذكره كما يستحق.

عود الى يوسف بن طانيوس

فنرجع لذكر يوسف ابن طانيوس المشار اليه. يوسف تزوج سنة ١ (كذا) وولد له بنين وبنات ومنهم خليل ولد سنة ١ (كذا) تزوج في ابنة عمه ابنة غالب لولؤة المار ذكرها سنة ١ (كذا) وولد له منها

١٨٣٢. ترك واضع هذه النبذة فسحة للتحقيق من السنة التي فيها تزوج موسى لكي يثبتها فيا بعد، ثم عاد فأثبتها في النص كما يلي.

١) قد ترك الكاتب هنا محل اربعة سطور بيضاء.

بنين وبنات ، ذكور ، الشيخ محمود وقيصر . فالشيخ محمود ولد سنة ١٨٤٥ وتهذب بالمدارس ووضع في مدرسة عينطوره[1] الشهيرة واقتبس علم اللغات وفاق في اقرانه ، وهو من الادباء وذكا [واذكيا] العقل . وبعد اتمام علم اللغات اللازمة واخذه الشهادة الكافية لعلمه وعمله وادابه وذكاوة عقله ، طُلب من ذوات الافرنج الافرنسيس اصحاب المتاجر بالمعامل الحرير ووظفوه عندهم ، وكان ممدوحاً عندهم وعند الفعلة مستعملي الحرير . وبقي مدات سنين عندهم . وهو جميل الصورة طويل القامة افكاره عالية بشوش الوجه . وطُلب ان يكون متوظف الحكومة واعتفى . وعمل مدةً تجارةً ونجح في اعماله كلها واغتنى كثيراً . وعمّر حارة جميلة احسن عماير القاطع ، وهو ممدوح السيرة وصار له املاك كافية لعايلة غنية . وتزوج بالست مليا ابنة سمعان البيطار سنة ١٨٥٩ ولم يزل مع خاله موسى مجدّين على الصيت الصالح وعمل الخير والسياسة الممدوحة . والشيخ محمود له اعمال تستحق الذكر ويستحق عوضها المديح وعنه قيل[2] :

عود الى ياغي

واما ياغي الذي ترهب في دير قرطبا كما تقدَّم وتسمّى الاخ يوسف وابتدى [دخل في سلك المبتدئين] سنة ١٨٣٨ ولبس الاسكيم الملايكي سنة ١٨٤١ من يد الاب جرجس البسكنتاوي [الرئيس] وتتلمذ على الدير المذكور . وعند توشحه بالاسكيم الملايكي توشح ايضاً النعمة الكافية وماثل عميه السابق ذكرهما [المطران عبدالله والاب اغناطيوس بليبل] ولما رأته الرؤساء انه مزدان بالصفة الحسنة وجهته الطاعة لدير مار عبدا مشموشه سنة ١٨٤٣ وتروض بالادب الرهباني ، ثم نُقل من دير مشموشه الى دير كفيفان واقتبس العلوم من السعيد الذكر [الاب المدبّر] نعمة الله [كسّاب] الحرديني ، ثم سيم على مذبح [دير] مار قبريانوس كفيفان[3] كاهناً من يد المطران سمعان زوين نايب البطرك ماريوسف

١) كُتب بقلم من رصاص فوق اسم عينطوره ، اسم غزير .

٢) هنا خمسة اسطر بيضاء ، يظهر انها تُركت لاثبات ما قيل عنه من ثناء وتقريظ .

٣) هنا ثلاثة اسطر ضُرب عليها بخط من الحبر وهي : « واقتبس العلوم اللازمة للكهنوت من فم الاب الياس النسطاوي وبعد ان تمم ما يجب للكهنوت اخذ الشهادة

الحلو في ٨ اذار سنة ١٨٤٣ واخذ يجدّ ويكدّ على حفظ القوانين الرهبانيــة ويعطي مثلًا صالحًا لاخوته الرهبان . ولما شاع خبره وعرفت الروسا به وانه يكون قدوة الصلاح للجميع ، انتدبته الطاعة ليكون ريساً على دير سيّدة طاميش سنة ١٨ [1] (كذا) بعد ان كان ريساً على دير مــار انطونيوس النبع (في بيت شباب) سنة ١٨٥١ لانه تريس على دير النبع مجمعين ، اول مجمع سنة ١٨٥١ .

كلمة خاطفة في حياة الاب لورنــيوس الشــبابي ورئاسته العامة

بعد رياسة قدس الاب لورنــيوس شبابي ، لان الابّ لورنــيوس شبابي قام ريساً عاماً ثلاث مجامع ، اي سنة ١٨٥٠ وسنة ١٨٥٦ وسنة ١٨٥٩ .

وهذا الاب ولد سنة ١٨٠٩ من ابوين متيسري الحال ، اسم والده [2] ومسقط راسه كفارحورا من الزاوية ، وترهب بدير قزحيا بايام قدس الاب اغناطيوس بليبل [اي بزمن رئاسته على هذا الدير] وكان محبوباً منه جدًا ، وله علاقات معه وقال عنه [عن الابّ لورنــيوس] اشياء كثيرة يمدحه [بها] ويتنبّى [ويتنبأ] عنــه [بانه سيكون له شأن في الرهبانية نظرًا لفضيلته الممتازة] ، لان هذا الاب ذو سيرة مقدسة ، وكل ايام حياته ما نظر بوجــه إمرأة ولا ترك الصلوة القانونية باوقاتها وكان يسبق الكل للكنيسة ، واغلب مكثه بالكنيســة منتصباً على ركبتيه ، ولبس المسح [الشعري] ايام حياته . وبرئاسته على دير النبع اعطى المثــل الصالح للكل وصار نموذج الفضائل

الكافية وشهادة الجمهور وسم؟ ان الاب الياس النـطاوي رئيس دير مار عبدا مشاد في ذاك الحين هو من اسرة خليفة في عوسطا ، درس عليه الاخ يوسف اولًا ثم انتقل الى مدرسة دير كفيفان الرسية التي كان يرئسها ويديرها الاب نعمة الله القدّوم الكفري الشهير ، وكان يعاونــه اذ ذاك في التدريس رجل الله الاب نعمة الله الحرديني متى سنحت له الفرصة ، ولشهرة هذا الاب بالقداسة احب الاخ يوسف ان يفاخر بانه تلميذ الحرديني ويلوي عن دراسته في دير مشاد .

١) لقد اخذ الاب يوسف رئاسة دير النبع عن رئيسه الاب لورنــيوس الشبابي الذي انتخب رئيساً عاماً ١٨٥٠ ، فتكون اذاً رئاسته على دير طاميش سنة ١٨٥٦ كما يتضح من النص اعلاه .

٢) هنا فسحة بيضاء تركت ليكتب فيها اسم والده .

وانتُخب رئيساً عاماً كما تقدّم . وهو الذي انتدب الاب يوسف بليبل رئيساً على دير مار انطونيوس النبع[١].

عود الى الاب يوسف بليبل ورئاسته على الاديار

ومن ثم تريس الاب يوسف المذكور على الدير المذكور [دير النبع] مجمعاً ثانياً بعد الاب مرقس الشبابي [الذي كان رئيساً لدير النبع] ووفى دينه من بعده واعتنى بارزاقه وترك فيه [مالاً] صامداً .

وفي ايام قدس الرئيس العام افرام البشراني[٢] توكّل وتسلّم المدرسة المذكورة [مدرسة بحرصاف] التي صارت ديراً بايامه بعد ان كبّرها واشترى لها ارزاقاً وافرة ، وكانت عند دخوله اليها مديونة ، وَفى دينها واجتهد في نجاحها وهدم رثّتها العتيقة وعمّرها من جديد وكبّر عمارها وزادت ارزاقها بنوع معتبر حتى رئيساً عاماً يعجز عن عمل نظير عمل الاب يوسف بليل الرئيس على الدير الذي هو كان معتني فيه حتى اخذت المدرسة لقب دير . وما صار في رهبنتنا محلّ كان مدرسة ثم صار ديراً سوى هذا الدير، وما رجع [ومرجع] ذلك لاعتنائه وغيرته .

كلمة في الاب مرتينوس سابا النسطاوي الرئيس العام

وتسمى ديراً سنة ١٨٨١ من قدس الاب مرتينوس [من اسرة سابا] غسطاوي الرئيس العام الحالي الكلي الاحترام المشهور بالفضيلة والتقوى المعتني برئاسته العامة على تهذيب الرهبان وحفظ القوانين والفرايض الرهبانية بمدة اربعة مجامع ولم يزل محافظاً على ما تقدّم . كما انه اعتنى بعمار ديراً كبيراً بقريته غسطا واصرف عليه مبلغاً جسيماً وله مزيد الفضل ويستحق الذكر والثنى [والثناء][٣]

١) سترى في آخر هذه النبذة ملحقاً في ترجمة حياة هذا الرجل الطيب الاثر الاب لورنسيوس الشبابي مع بعض تعاليق .

٢) هو من اسرة جمجم في بشراي ، ويقال له ايضاً : الاب افرام ابو رعد .

٣) سألت مرة الاب بطرس عبود النسطاوي عن نفقة تشييد دير سيدة النصر في غوسطا، فاجاب : ان مجمل ما صرفه الطيب الذكر الاب مرتينوس سابا النسطاوي الرئيس العام على

تقريظ الاب يوسف بليبل

وقيل عن حضرة الاب يوسف نثرًا ونظماً من محرّر هذا التاريخ عن عيلة بليبل وبعض الاعيال المشهورة تقريباً ومجموع حيرة المرحومين المطران عبدالله وشقيقه الاب اغناطيوس بليبل المشهور[1] ، واسمه لا يُنسى وذكره مخلَّدًا وقدوته [اي اقتدى به] ابن اخيه الاب يوسف المشار اليه بالاعمال الخيرية والسيرة الملايكية ، وعنه قيل :

نحمدك يا عظيم الشان ، ونباركك يا خفيّ السلطان ، ونشكرك يا قاهر الاحسان علينا في كل زمان واوان . فانت علّة المطولات ، وتوجيد في الانسان مغاث . ولا من يُحمد سواك ، لجزيل انعامك وسخاك . انت الذي افتديت اسحق بالخروف ، وخلّصت يوسف من قتل اخوته [هنا كلمة مجمع غير مقروءة] وبيع للاسماعيليين ومكث بمصر بحفظ امين . فذاك صار رئيساً في ذاك الحين ، وهنا يوسف رئيساً في اللبنانيين ، فذاك حفظ الشعوب ، وهذا لنا محبوب ، فعمّر ديرًا وصار نذيرًا ، فشابه يوسف الحسن بالاعمال ، وورثَ السيد الذكر [يريد به الاب اغناطيوس بليبل] في كل حال . وكان يوسف خطّيب مريم المختار ، وانت يوسف عبدها ولها مختار ، فمن اتكل عليها ما خاب ، ولقصده نال وصاب ، ويدها معه في ما اجاب ، وهي تعطي لكل الطلّاب . سبحان من عمّ بالانعام عبيده وخلّانه افخر الانام ، فعليك السلام ولهم السلام . فقد البست عبدك قلب الصفوة وملابس العفاف وخصصته ما بين عبادك بخصايص الاحسان فانعمت عليه [اي الاب يوسف بليبل] بخدمة ديارك واقمتهُ رئيساً مختارًا باضارك ، معمّر الديارة وحفظ البرّارة . فله الاعتبار من الاسرار ، وعليه قيل من الصغار والكبار والنظم والاشعار[2] ، ولم تزل اعماله مقرونة بالسعد والاقبال في كل حال ، وجعل الله لنا مناقبه الحميدة دستورًا .

بناء دير نسبيه ومشترى ارزاقه واثاثه يبلغ خمسين الف ليرة عثمانية ذهباً ، والاب عبود اعرف من سواه بذلك ، وكان الاب مرتينوس مشهورًا بتقواه وفضيلته . وقد توفي في هذا الدير ودفن في قبر خاص بكنيسته اعده في حياته وكان يصلي صلواته على قبره هذا . وقد وضع له العلّامة الاب بولس عبود ترجمة خطية مطولة لا نعرف الى اية يد انتهت . وقد خصص دير نسبيه منذ طويلة مدرسة عامة عالية لطلاب الكهنوت في الرهبانية التي خدمها خدمة تذكر فتشكر .

١) هذا ما يؤكد لنا ان كاتب هذه النبذة في رزنامة دير بعرصاف هو الاب نعمة الله ابو ناضر الاول تحت مناظرة الاب يوسف وهو الذي خط هذا الثناء عليه ، على ما روينا في تصديرنا عليها .

٢) هنا تأتي قصيدة ميمية طويلة منظومة على البحر الكامل اضربنا عن ذكرها

وغب اطلاعك على هذه الرزنامة ترى عند القول قليل جدًا ، ويستحق له الاعتبار من اولياه واقرانه ، ولم ترل عيلة آل بليبل تفرع وتثمر اثمارًا حسنة واعمالًا لا تنسى مدى لادهار امين . اجعل اللهمَّ لهم ما يستحقوا دنيا واخرى وجذا [وجزاء] انعاجم السعادة الابدية اللهمَّ امين .

نعمة الله ناضر م

صورة وصية ام فاضل زوجة الشيخ عبد الاحد خليل بليبل

ان واضع هذه النبذة قد اتى على ذكر نص وقفية الشيخ عبد الاحد خليل بليبل ، ونص وقفية زوجته ام فاضل . فالاولى هي منشورة في المجلد الثاني من تاريخ الرهبانية اللبنانية للاب لويس بليبل ص ٢٠٤–٢٣٤ . وهذا هو نص الثانية :

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

انا ام فاضل بنت باز الحاقلاني حرمة عبد الاحد خليل بليبل اكتب وصيتي وانا بصحة عقلي وطيب جسمي وصفاوة فكري من غير ان احدًا يرغمني . لما تفكرت في زوال هذه الدنيا وقصرها وطول الابدية ودوامها ، وان ما في هذا العالم شي ثابت غير عمل الخير . ولما تفكرت في قول ربنا الى ادم ونسله : انك تراب والى التراب تعود ، وهذا صار محتوم علينا من الحق سبحانهُ وتعالى . الويل لمن غوى في دنياه وما فهم قول الرب وما عناه .

فوصيتي هذه ان كلشي [كل شيء] املك واستملك من توت وكرم وعريش وتين وعمار وسليخ وحرف وبقر واثاث وكلشي يُذكر وما يُذكر يكون كله الى المدرسة المبيّنة من المذكور المرحوم عبد الاحد . ما احد له فيهم معارضة لا من اولادنا ولا من بناتنا ولا سلفنا ولا غيره ، بل هو وقف مخلّد يكون يتسلم ليد الخادمين المدرسة . واذا كان مع اولادنا تمسك علينا لا يُعمل به لان ما لهم معنا مداعي . والذي جباه من عندهم هو صداقنا(١) ما نسمح لهم يدّعوا في مصرية الفرد لا الرهبان ولا غيرهم لان هذا كله هو وقف مخلّد الى المدرسة المذكورة عن نفس المرحومين رجالي واولادي . ومن (جهة) بني

ركاكتها واختلال وزنها واضطراب معانيها كما ذكرنا في تصديرنا هذه النبذة الاثرية التاريخية .

١) الصَّداق بالفتح ويكسر : مهر المرأة . قيل والكسر افصح ج اصدقة وصُدُق بضمتين . (اقرب الموارد)

هندية امرأة الشدياق يوسف ما لها ي الرزق شي لانها اخذت الذي يخصها حسب وصية ابوها . ووكيلي يكون ابني القس عمانويل ومن بعده يكون ابني القس لويس[١] . وفي موتي يتفقوا في وقت الدفن ماية قرش من عند رهبان المدرسة ، ويتموا الكهنة من دير مار يوسف البرج لدير مار يوحنا الطبشه [هو دير مار يوحنا الصابغ في الشوير . وعند العامة يسمّى بدير مار يوحنا الطبشه) واولادي لا يخسروا في موتي شي . ويكون من المابة قرش خمس قروش الى الخوري دانيال وخمسة قروش للقس شينا وابن اخوه الخوري انطون وقرشين للخوري انطون شمه وخوري الحاره قرش ونصف وخوري بجرصاف قرش ونصف .

واذا متّ وما وكّلت اولادي المذكورين [القس عمانويل والقس لويس] يخلّصوا ذمتهم معي . اي ان رهبنتهم مع الريس العام والمدّبرين اذا كمّلوا شروطهم معي مثلما قبلوا في مجمعهم العام في دير سيدة طاميش في زمان رياسة الاب شربل ريس عام[٢] . وكل اخ يصلّي عشر ورديات ويسمع عشرة قداديس عن نفسي تكون وسيقى ثابتة لهم . وان ما قاموا بشرطهم المذكور ، اولادي الوكلا يبيعوا من هذا الرزق المعين بستماية قرش ويقدسوا عن نفسي ونفس المذكورين . ولا نسمح ولا نبري ذمة احد قط ان ينقّص ام يغيّر من هذه الوصية شي ام من الشروط المعينة نطلبه من اولادنا قدام الله القس عمانويل والقس لويس . وان ما قاموا في هذه الوصية تكون فاصخة [فاسخة] . وان انوجد وصية ام بيان غير هذه الوصية لا يُعمل بها لا قبل موتنا ولا بعده

شهد بذلك	بشهادة عمه	محرر الاحرف
الخوري انطون	القس شينا	الخوري انطون
شمه		خادم مدرسة بكفيا

وصية الاب يوسف بليبل واضع هذه النبذة التاريخية

على نصف طلحية عادية كبيرة من الورق كُتبت وصيّة الاب يوسف بليبل رئيس دير مار مخايل بجرصاف وأُلصقت بعد الورقة الاولى في رزنامة هذا الدير وقد نقلها عن الاصل الاب لويس بليبل مؤلف تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية وهي مصدّرة هكذا :

بيان وصية الاب يوسف بليبل اللبناني رئيس دير مار ميخائيل بجرصاف على يد كاتبه القس يوسف الحاج بطرس رئيس معاملة القاطع انطوني ،

١) هو الاب لويس بليبل الذي صار فيما بعد مطرانًا باسم عبدالله .

٢) هو الاب شربل مدلج

وبحضور حضرة الابوين القس ملاتيوس زحلاوي انطوني والقس لورنسيوس الشبابي اللبناني وذلك في ٥ آذار سنة ١٩٠٢[1].

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

انا القس يوسف بليبل الراهب الماروني اللبناني اقول : لما كان امر الموت محتوماً به من الله تعالى على جميع خلائقهِ ولا مناص منهُ ، وكنتُ انا منهم ، فاسلّم خاضعاً لهذا الامر بكل طيبة نفس واريد اولاً ان اموت في حضن امنا الكنيسة المقدسة الكاثوليكية مباركاً كلما تباركه ولاعناً كلما تلعنهُ . ثانياً اني اغفر لكل من أخطأ واساء اليَّ مستغفراً من كل من أخطأت وأسأت اليهِ . طالباً من جوده تعالى ان يقبل نفسي ويسكنها في اخداره السموية ولو كنتُ لا استحق ، لكنَّهُ يعاملني كما هو يقيني برحمتهِ وليس بعدلهِ . هذا ما ارجوه من سخائه الفيَّاض امين ✠

ثم في اسفل هذه الوصية بيانٌ عن الدين الذي يطلب من دير بجرصاف والدين الذي يطلب له وهو :

الدين الذي يطلب من الدير كما ادناه

٣١٨٨	الى ضوميط انطوان ضوميط من بجرصاف بموجب كمبيالة
١٠٩٠	الى الشيخ لويس الجبيل بموجبهِ كمبيالة
٠٢٧٣ ٤	الى حنا منصور الموري من بجرظاف ليرة انكليز عدد ٣ عدا حساب تال له باملاك الدير واملاك يغرب بليبل
٣٥٥١ ٤	

النقود الموجودة حالياً معنا (اي مع الرئيس الاب يوسف بليبل)

٠٥٩٣ ٤	ريال مجيدي ٤[2] عدد ٢٥
٠٦٨٣ ٤	ليرة انكليز عدد ٥
٠٤٩٨ ٤	ايضاً عثماني عدد ٤
٠٠٧٠ ٤	بشالك ٤ ٢٣ (ثم فرنك مشبوه)
٠١٣٦ ٤	بذمة ارملة الشيخ بطرس بليبل قرضة ليرة انكليز عدد ١
١٧١٧	دين بذمة ارملة المرحوم الشيخ جرجس الحاج نصار بموجب كمبيالة
٣٦٩٩	

١) وهي السنة التي توفي فيها .

٢) النصف هو عادي معروف ، والخط تحته معناه ربع القرش

اربعة تواريخ

في كنيسة دير مار مخايل بحرصاف الجديدة الحالية ثلاثة تآريخ الاول للشيخ عبد الاحد بليبل ، والثاني للاب يوسف بليبل وقد نقلا اليها من الكنيسة القديمة ، والثالث لنسيبه الاب لويس بليبل الذي شيّد الطابق الثاني من هذا الدير ، وفي عهد رئاسته عليه بُنيت كنيسته الرحبة الجميلة وقد قام بدفع نفقاتها المرحوم الآباتي يوسف رفول الاجمعي رئيس رهبانيتنا اللبنانية المارونية العام سابقاً . وقبل تسلمه وظيفة الرئاسة العامة سكن دير مار مخايل بحرصاف واحاطه رئيسه الاب يوسف بليبل ونسيبه الاب لويس باجمل اكرام وحب واحترام . وهذه هي التآريخ الثلاثة ، نلحقها بتاريخ الكنيسة :

تاريخ ضريح الشيخ عبد الاحد بليبل

قد شيّد ابن بليبل عبد الاحدْ ديراً لمجد الله رهباناً حشدْ
والحق بالتاريخ أعلن يدره من يسع في خير جزا الباري وَجدْ

سنة ١٧٥٦

تاريخ تشييد الاب يوسف بليبل هذا الدير

والابُ يوسفُ من فروع مؤسسٍ قد جدَّ في تكبير ما سلفٌ مهدْ
هو جنّةٌ نادى مؤرخ حسنها - فيها لهُ ذكرٌ يُخلَّدُ للأبدْ

سنة ١٨٨٦

تاريخ ضريح الاب لويس بليبل الراهب اللبناني مؤلف تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية

هو الشيخ شكري ابن الشيخ بطرس بليبل ولد سنة ١٨٧٠ ترهّب سنة ١٨٨٨ سيم كاهناً في ١٦ اذار سنة ١٨٩٠ تولى كتابة اسرار الرئاسة العامة ورئس دير مار مخايل بحرصاف دورتين وأتمّ بناءه ثمّ رئس مطاملة المتن وشيّد كنيسة هذا الدير سنة ١٩٠٦ بعهد الرئيس العام الآباتي يوسف رفول . ولّاه البطريرك انطون عريضه رسالة «البيّاضيّة» في العلويين سنة ١٩٣١ فشيّد لها الكنيسة والمدرسة ومسكناً للخوري . سافر الى جزر الفيلبين سنة ١٩٣٥ لخير الرهبانية والطائفة ، عاد الى لبنان موقتاً . وتوفي في ٢٠ اذار سنة ١٩٣٨ بمرض القلب بعمر ٦٩ سنة وكان رسولاً غيوراً ومؤرخاً قديراً .

تاريخ بناء كنيسة دير مار مخايل بحرصاف[1]

بعناية البرّ ابن رفّول بنى   م ابنُ بليلِ الويسُ اجملَ بيعةٍ
حاكت معاليها الثريا بهجةً   وزهت جوانبها بافخر زينةٍ
بالسيف ميخائيل حارسها غدا   والربُّ يكلأها بعين عنايةٍ
تمت وقول الرب تاريخًا بدا   فوق الصفاة جعلتُ اسَّ كنيستي

٧   ١٦٨ ٦٠٢ ٥٠٣ ٦١ ٥٥٠٠

سنة ١٩٠٩

ثلاث صور زيتية

في قاعة استقبال دير مار مخايل بحرصاف، ثلاث صور زيتية كبيرة الاولى للمطران عبدالله بليبل والثانية لاخيه الاب اغناطيوس بليبل والثالثة للاب يوسف بليبل رئيس هذا الدير وقد رسمها له المصوّر الشهير داود القرم في ايلول سنة ١٨٩٦ وعلقت ورقة في اسفل كل صورة رقم فيها تاريخ ولادة صاحبها وترهبه ورسامته كاهنا ووفاته بخط الاب لويس بليبل مؤلف تاريخ الرهبانية.

انتهى ما نقلناه عن رزنامة دير مار مخايل بحرصاف.

٭

يقول ناشر هذه النبذة الاب انطونيوس شبلي :

ان الاب اغناطيوس بليبل هو اشهر الرؤساء العامين الذين توالوا على ادارة دفة الرهبانية اللبنانية المارونية، وابلغهم جرأةً ونفوذًا، واوسعهم سطوةً ومهابةً، وابعدهم صيتاً، واشدّهم حزماً، وأسدّهم رأياً، واغزرهم فضيلةً ومحبةً للرهبانية، وأفتحهم عيناً على مراقبة سير قوانينها. وظلّ رئيساً عاماً سبعة مجامع متواصلة اي ٢١ سنة عدا نيابته العامة نحو سنتين وقد نمت الرهبانية وازدهرت في عهد رئاسته روحياً ومادياً على ما يشهد السلف عن الخلف، وعلى ما صرّح بذلك المؤرخ المدقق الطيب الاثر الاب نعمةالله القدّوم الكفري (المشرق ٤٦ [١٩٥٢] : ٥٩٤) وقد نزلت بالاب بليبل صرعة

1) نقلناه عن ورقة منفردة موضوعة في رزنامة هذا الدير. وهو من نظم الاب اسطفان صقر البتاعلي المدبّر الاول في رئاسة الاب يوسف رفول العامة.

الموت في دير مار يوسف البرج وكان مدبرًا اول . وهذا ما كُتب عنه في رزنامة هذا الدير بنصه الواحد بالحرف العربي :

« قد انتقل الى رحمة الله تعالى الاب اغنابيوس بليبل في تسعة عشر يوم من شهر اذار ليل عيد مار يوسف سنة الف وثمانماية وخمسة وثلاثين مسيحية . الله ينيح نفسه ويكون في السما » .

وفي الصفحة الاولى من هذه الرزنامة المسطر فيها تاريخ وفاته جاء ما يلي :

« صح . يوم تاريخه قد ابتدينا في عمار طاحون دير ماري يوسف [البرج] وكان ابتداؤها في ١٠ كانون اول سنة ١٨٣٠ وانتهاؤها في خمسة وعشرين شهر آب السنة المذكورة . وكان المتني جا قدس الاب اغنابيوس بليبل الرئيس العام الكلي الاحترام ، وكلفتها [ونفقتها] من يده وان شاء الله ماري يوسف يكون شفيعه دنيا وآخرة . في زمان رئاسة الاب عبد الاحد عراموني [على دير مار يوسف البرج] »

والاب عبد الاحد هذا توفي في دير البرج يوم عيد قطع رأس يوحنا في ٢٩ آب سنة ١٨٣١ .

وجاء في رزنامة الرئاسة العامة التي باشر بكتابتها المغفور له الرئيس العام الاب لورنسيوس يمين الشبابي ما يلي بالحرف الواحد :

« توفي الاب اغنابيوس بليبل في دير مار يوسف البرج وكان مدبرًا اول ، واقيم رئيسًا عامًا على الرهبنة سنة مجامع وساس الرهبنة احسن سياسة ، وعمّر دير مار سركيس قرطبا وكناه ارزاق واثاث ، ودير عنّايا واشترى له ارزاق واثاث وعمّر قبز زُغير [حنير] ناحية القبلة ، وانزلوه عن رئاسة العام . وتوفي كما مشروح في ١٩ اذار سنة ١٨٣٥ »

وقد ارّخ وفاة الاب اغناطيوس الخازن احد ابناء رهبانيتنا باثني عشر بيتًا من الشعر نتقلها بحرفها الواحد عن ديوانه الخطي الذي في يدنا وان تكن على شيء من الركاكة واختلال الوزن ، دلالة على مكانة الاب بليبل السامية. قال تحت قافية الراء الساكنة مصدرًا اياته بهذه العبارة :

« اجيب مرثيًا ومؤرخًا نياحة المرحوم الاب اغنابيوس بليبل الذي توفي بدير ماري يوسف البرج في ١٩ خلت من شهر اذار الواقع فيه عيد القديس ماري يوسف سنة ١٨٣٤ [والصواب سنة ١٨٣٥] مسيحية »

غاب الامامُ واحسرتاهُ بذا السفر	كأس الحِمام لقد ذاقهُ مبتكرْ
اغنابيوس للعام ابٌ مفردٌ	قد ساد في كرسيه مدّةً تنتبرْ

فهو البليلُ في تماجيدٍ غدت	من فيه قد ُغدى كالدررْ
من كان في لبنان مصباحًا يضي	فساق الرعاة بامرهم ثمَّ اشتهرْ
فالمالُ ثمَّ الدون يشدوه الى	ابٌ جليلٌ ماجدٌ بين البشرْ
قد كان حانوت الفضايل كلها	ومرآة الرهبان في حسن الاثرْ
في عهده غت الديورةُ بل زهت	كانت كما الاسقيط في زمنٍ عبرْ
قانون رهبانيةٍ قد صانـهُ	اجرى فرايضها بحرصٍ مع سهرْ
فدعى المجاهدَ والفنولَ بوفقةٍ	كي يسريان الى الكمال بلا خطرْ
من حبر بيتهِ تعالى خصَّهُ	بكنساية الابن الحبيب المعتبرْ
اني لابكيـه بدمعٍ زاخرٍ	من مقلةٍ حمرأه يحكيها المطرْ
حكمَ الالهُ بنقله ارّخ الى	خدر السادة موطن الابن الابرّ

افادات تاريخية

وأينا ان نعلّق بعض افادات تاريخية على هذه النبذة الاثرية مما يتّ بصلة الى افرادٍ ورد ذكرهم فيها كالابوين نعمة الله كسّاب الحرديني المشهور بقديس كفيفان ولورنسيوس عين الشباكي . فبين اوراقنا القديمة المطوية ، نبذة مختصرة عن حياة الاب لورنسيوس المذكور كُتبت على طاحية من الورق كبيرة ذات اربع صفحات بحرف عربي يقرب من الحرف الكنسي وبحبرٍ اسود . وهي غفل من اسم واضعها وكاتبها ، وتظنها للمرحوم الاب اغناطيوس الخازن احد مدبري رهبانيتنا اللبنانية المارونية الذي عاشر الاب لورنسيوس واختبر فضائله بنفسه . وقد اعتاد الاب الخازني ان يسطّر بعض ماجريات تاريخية باسلوبه المعروف بالجرأة والصراحة غير خائف في قول الحق لومة لائم مستعيناً بآياتٍ من الكتاب المقدس تعزيزًا لقوله في كتابته ، مستشهدًا باشعار من ديوان المطران فرحات . وها اننا تنشر هذه الحياة الملأى باريج المحامد والفضائل بنقيها الواحد متبعينها بنبذة عن كيفية اجتماع المجمع العام في الرهبانية وانتخاب الاب لورنسيوس رئيساً عاماً ، دوّنها الاب اغناطيوس الخازن الموما اليـه في رزنامة دير سيّدة طاميش حيث التأم المجمع العام ، بخطه السرياني الكرشوني الجميل ، ومعقّبينها بثلاثة اخبار حقيقية عن الاب لورنسيوس رواها لنـا اناس ثقة . وهذه هي الترجمة .

ترجمة حياة قدس الاب لورنسيوس يمين الشبابي اللبناني

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

وبعدُ فهذه نبذةٌ مختصرة في سيرة وحيوة قدس الاب لورنسيوس [يمين الشبابي] الرئيس العام اللبناني الحالي سنة الف وثمانماية وثلاث وخمسين بانعام الكرسي الرسولي . وفي كيفية عزله عن هذه الوظيفة .

اولًا : ان لورنسيوس هذا كان مولده في قرية كفرياشيت احدى قرى لبنان بارض الزاوية من اعمال طرابلس في شهر ت ٢ سنة ١٨١٤ من والديه ميخائيل وورده . ونسبته من عائلة بيت يمين . وبعد ان شبَّ وكبُر طلب السكن عند ابناء الرهبنة [اللبنانية المارونية] المذكورة . فذهب لدير قزحيا وقطن به مدةً . مختبرًا ذاته وممتحنًا اياها . في هل يمكنه الدخول بالمذهب الرهباني ام لا. فبعد الطلب من الباري وترغيب الرهبان له. لا سيما حينما شاهدوا حسن سلوكه بخدمته بامور المحبسة تحت يد القس لورنسيوس شبرتوني الذي كان متسلمها يومئذٍ[1] .

ففي ٩ من شهر شباط سنة ١٨٣١ توشح بثوب المبتدئين برياسة الاب مكاريوس وادي شحرور على الدير المذكور [دير قزحيا] . وكان رئيسًا عامًا على الرهبنة المرحوم قدس الاب اغناطيوس بليبل . فبعد ان دخل بين حزب المبتدئين فبمدةٍ وجيزةٍ فاق اخوته بالفضايل . لاسيما مواظبته على العجين مع كونه صغير القامة ونحيف البدن . وبسبب اشتهار فضايله وادبه القانوني برسوم المبتدئين جملته بان يتسلَّم وظيفة السكانة وهو مبتدي . بامر حضرة الاب الرئيس عمانوئيل شبابي الذي خلف الاب مكاريوس. فقد تدرب بها بحسن السلوك والقراز [والافراز] مع ساير الجمهور الموجود وتتنذر بدير قزحيا بالوادي اللبناني المقدس نحو من مايةٍ وعشرين راهبًا . وكان الجميع يعجب منذهلًا من تصرفاته بهذه الوظيفة . لانه اذا كان راهب خبيرًا باطباع الرهبان وعوايدهم

[1] يظهر ان معلمه الاب لورنسيوس اشار اليه ان يتسمَّى باسمه ، او انه حمل اسم معلمه محبةً له . وكثيرًا ما يحدث ذلك في طلاب الرهبانية الذين يختارون عادةً اسماء معلميهم .

ولا بد ما انه يتعب معهم ولا سيما اذا كان جمهور وافرًا بهذا المقدار . فضلًا عن اجرآء ومكارية وشارد ووارد . فكيف تكون حالة مبتدي .

٥

ثانيًا : فلما كملت سنتا تجربته بس الاسكيم الملايكي [في] ٩ شباط سنة ١٨٣٣ من يد الاب عمانويل الرئيس المرقوم . نهار عيد ابينا القديس ماري مارون اب طايفتنا المارونية . وكان رئيسًا عامًا على الرهبنة قدس الاب مبارك [حليحل] بسكنتاوي . الذي خلف الاب اغناطيوس بليبل (انتخابًا لا بقرعة قانونية [1] بل من السيد البطريرك ماري يوسف حبيش . وبرضى سيدنا القاصد الرسولي لوظانا . وذلك من قبل القلق والسجس الذي انشاه [انشأه] البعض من ابناء الرهبانية على المرحوم بليبل . وفسخوا المجمع العام بعد التئامه ونزلوا للعبرج دير [مار يوسف البرج] واقتدروا بالامير امين الشهابي [2] وبالبطريرك . منهم الآن موجودًا [الاباء] القس عمانويل متيني . القس ارسانيوس نيحاوي . جناديوس زعرور . اغناطيوس شكري . وبليبل [الاب اغناطيوس] استغاث هو وحزبه بالقاصد الرسولي المسطور .

٥

ثالثًا : قد رُقي [الاب لورنسيوس يمين الشبابي] الى الدرجة القسيسية المقدسة سنة ١٨٣٨ في ٢٠ شهر آب . من السيد الجليل المطران سمعان زوين . بعد اكتسابه الدرس بمدرسة دير كفيفان . وفي آب نفسه [من] سنته اعلاه . نُزل لدير سيدة مايفوق [ميفوق] بنسبة الكهنة الُجدد . وبعد ارتقايه للدرجة الكهنوتية اخذ بان يستعمل الجهاد المتصل . من تقشفات وصيامات ومواظبة صلوات . ولا سيما مداومته على شغل اليد بوظيفة السكافة تحت يد الاخ برتلماوس بشراني . وضبط ذاته عن الجولان خارجًا عن باب الدير اعني به ميفوق .

---

١) هذه الحاشية التي بين هلالين هي في الاصل

٢) ابن الامير بشير الشهابي الكبير وكان طلب من الاب بليبل مالًا فلم يستجب طلبه فنقم عليه (راجع المجلد الثالث من تاريخ الرهبانية للاب بليبل) .

وبهذه السنة نفسها [١٨٣٨] أقيم مرةً ثانيةً رئيساً على دير ميفوق الاب جبرايل حريصا . فبعد حضوره للدير قلّد الاب لورنسيوس تسليم وظيفة السكافة . وبعد ان شوهد منه حفظ الرسوم الرهبانية بالتدقيق ومداومته شغل اليد . وسياسة الجمهور بلبوس الاحذية ورفع التمييز تقلّد وظيفة الارشاد الروحي في الدير المرقوم . فاتقنها غاية الاتقان . وبعد ان تظاهرت [ظهرت] منه عرف الفضايل من صيام مديد . ورقود على فجّة البلاس والحضيض . ولبس الاثواب الدنيّة . وبالاخص عدم التفاته واكتراثه بشيء من حطامات هذه الدنيا . بل كان يزدري بكل قنيانٍ بتّةً . تقلّد وظيفة معلم المبتدئين واعترافهم . فكان فيها ماهرًا حكيماً . بل صورةً ومرآةً الفضايل . وذلك مدّة ثلاث سنوات سكناه بدير مايفوق

وفي ١٥ شباط سنة ١٨٤١ طُلب لدير ماري مارون عنّايا للسكنى به وتسليم الوظيفة المذكورة [ارشاد المبتدئين] وارشاد الجبسآء . الّا انه لم يستقم به الّا مدّةً قليلة . لانه بهذه السنة نفسها طُلب لدير سيدة طاميش للسكنى به . واخذ التسليم بالوظايف المذكورة اعلاه من يد الرئيس يومئذٍ القس زكا بكفاوي . وكان ملازماً ومداوماً الفضايل المشروحة اعلاه بمدّة سكناه بدير طاميش . مضيفاً الى ذلك افتقاد المرضى وتقديم التسلّي والارشاد للذين يتجرّبون . ولاجل هذه وما ضاهاها صيّره الرئيس وكيلًا على الدير بآخر سنته [التي تنتهي فيها مدّة رئاسته]

٥

رابعاً : وفي سنة ١٨٤٥ أُنتخب رئيساً شرعياً على دير ماري انطونيوس النبع الكاين بقرية بيت شباب . من يد قدس الاب سابا عاقوري الرئيس العام الذي أُنتخب من سعيد الذكر البابا غريغوريوس ١٦ (بسبب القلاقل والاختلاف والبلابل التي كانت حاصلة بالرهبنة . ولذلك قد تقدمت الاعراضات والاستغاثات للبلاط الروماني من الرهبان المظلومين بواقعة الحال . وهدم القوانين والتخصيص والترخيص للذين من حزب الرئيس العام وهو عمانويل متيني ومدبّريه . فلذلك انزله المجمع المقدس عن كل وظيفة بعد ان تحقق من قاصده بيلارديل كل اعماله وارتباطاته المذمومة بالوظايف ولا سيا تجهيز

العسكر من الدولة ليلقط [يمسك] الرهبان من الاديرة وترسيخ الديون على وظيفة الرياسة العامة[1] .) فكان تصرفه [اي الاب لورنسيوس الشبابي] برئاسته على الدير المرقوم [دير مار انطونيوس النبع] بكل احترار وتدقيق .

اولاً : على الارزاق الزمنية كان مجتهداً الجهد الكلي على قيامها . من نقب توت وشغل اراضي وحقول . حتى انه كان يذهب بنفسه عند الاخوة [الرهبان] الذين يشتغلون بها . وبايام الحصاد ايضاً ويخدمهم بطبخ المأكل والمشرب

ثانياً : وعما يخص الامور الروحية . كان يلازم الحضور للصلوات الليلية والنهارية للكنيسة حال وجوده بالدير. وهو كان يبقظ الرهبان للصلوة بنصف الليل . وكان ساهراً على حسن سلوكهم بالمذهب الرهباني . واما ما ينسب لرياضته الروحية وتقشفاته وتنسكاته الشخصية. لم يكن يفتر ام يقصر بها . بل انه ازداد بها الى ما قدام . وان وظيفة الرئاسة لم تخمد منه الحرارة بالعبادة واظهار المودة والبشاشة . بل بالحري تقدم صاعداً لاعتناق الاماتة والفضيلة . حتى انه لم يعتبر الوظيفة بشيء . لا من اكسية . ولا من امتعة . ولا من فرشة. بل تمت اثوابه الفقرية المتادة . وفرشته شقفة [قطعة] من حصيرة عتيقة ولحاف اعتيادي . واكله داخل كل يوم مرة واحدة . احياناً بعد العصر واوقاتاً بعد صلاة المغرب . وبقي كذا مواظباً بدون تفريط مجمع كامل ثلاث سنوات [في رئاسته على دير النبع]

وفي ١٧ ت ٢ سنة ١٨٤٧ أقيم مرة ثانية رئيساً على الدير المسطور من يد قدس الاب عمانويل شبابي الذي خلف الاب سابا [العاقوري] برياسة العام [العامة] . فاظهر غيرة كلية على نمو الامور الروحية . وصيانة الارزاق الزمنية . ومواصلة الاماتات والصيامات والزهد في كل قنيان . حتى الجائز استعماله من الرهبان

وبالنتيجة والاختصار كان مثلاً صالحاً في قاطع بيت شباب . لا سيما فيما يلاحظ تجنب النساء . ولاجل اشتهار فضائله . قد طلب لاجل ارشاد سادة

---

[1] هذه الحاشية هي بين هلالين في الاصل .

الامير حيدر [بللمع] واعترافه واعتراف سادتها [امرأته] . فاتقن هذه الوظيفة غاية الاتقان نحوهم ونحو مَن بداره العامرة . حتى انه كان يندهش منه كل مَن يراهُ ذهاباً ورجوعاً من الدار .

ولاجل ما شاهد سعادته والستّات [نساء الامراء] بالاب لورنسيوس من الادب . والتقوى . والكمال . والفطنة . والنباهة . وحسن الاجوبة . ولطف الخطاب . لا سيما فضيلة الطهارة والفقر والدعة وعذوبة الصحبة بعدّة الست سنوات المرقومة [المتلاحقة التي رئس فيها دير النبع] بذهابه وايابه للدار . فلما تقدمت الاعراضات والاستغاثات لقداسة الاب الاقدس سيدنا البابا بيوس التاسع المالك سعيداً . من جمهور الرهبان اللبنانيين بواقعة الحوادث والاختباطات والبلبلات الثائرة عليهم من رئيسهم العام الاب عمانويل شبابي[1] والمدبّرين وهم: عمانويل متيني . وارسانيوس نيحاوي . واقليموس قرطباوي . فقداسته ونيافة رئيس المجمع يعقوب فيليبس فرنسوني . بجثوا البحث الكافي عن شخص متصف بصفات حفظ القانون اللبناني لينتخبوه رئيساً عاماً على الرهبانية . فجرى هذا الكشف والبحث عن يد سيادة القاصد الرسولي فرنسيس بيلارديل.

فبعد الفحص المدقق من سيادته ومن اخوة الرهبان اليسوعيين الغيورين . وغب اعتبار ما يجب اعتباره فقد أعطيت الشهادة العادلة . بغاية رضى الله من سعادته [الامير حيدر بللمع] ومن لسان العال والدون . بانهُ توجد الكفاءة [الكفاءة] بهذا رجل الله لورنسيوس . وان عبق نسيم الفضايل والاداب الحميدة فايحٌ منهُ كما هو بالحقيقة . فبناء على ذلك رُدّت الاجوبة لاسطوانة المجمع المقدس حسبما ذكرنا اختصاراً .

(يتبع)

١) هو من اسرة الاشقر . توفي في دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب . وهذا ما كتب عنه في روزنامة هذا الدير : « قد تدرج بالوفاة لرحمته تعالى المرحوم الاب عمانوئيل الشبابي الاشقر السيد الذكر في ١٠ كانون الثاني سنة ١٨٥٢ عند شروق الشمس في عمر ٦٣ سنة وكان سبب موته داء الاستسقاء بعيشة صالحة الله ينيح نفسه وقد انتخب رئيساً عاماً بجمعين » .

المجمع البلدي (تابع)

الذي عقده البطريرك بولس مسعد بامر البابا بيوس التاسع

في دير سيدة بكركي سنة ١٨٥٦

نشره وعلق عليه الاب بولس مسعد مدير الاصول التاريخية

عدد١٠: براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر في تقسيم الابرشيات وتحديدها

لتذكار الامر مؤبدًا

ان الاحبار الرومانيين سلفاءنا نواب يسوع المسيح راس الرعاة على الارض، المتقلدون نحن نيابته السامية بغير استحقاقنا، قد تفاضلوا بالغاية لاجل اهتمامهم واعتنايهم الرسولي، وسعيهم الدائم، في خلاص المؤمنين الابدي بما انهم من جملة ما فرضوه بكل حكمة، وحفظوه بكل تدقيق، ليفيدوا افادة ملائمة، وناجحة الانفس المفتداة بدم السيد [١٤٥] المسيح قد اجتهدوا ايضاً اجتهادًا كليًا في ان يثبتوها، ويحثوا على حفظها تحت ملائم [توبيخ] وعقوبات قانونية. اعني ان رعاة الكنايس المؤتمنين على خلاص الاغنام لا يسلكوا [يسلكون] بمنزلة مستأجرين بل يحترسون بنفوسهم، وبجميع الرعية التي اقامهم فيها روح القدس اساقفة ليرعوا رعية الله ساهرين، وجالسين في كنائسهم، وان يرفعوا بالكلية عن الطغمة الكنايسية كل شك، ولو يسيرًا من البخل، وكل شبه اثم السيمونية خاصة في تلك الامور التي تخص توزيع الاسرار. ولعمري انه ليس من قبيل آخر يقال عن سيامة الاساقفة انها عهد وزيجة روحية ما بين الاسقف والكنيسة المتولي عليها ابتداؤها في انتخابهم، وعقدها في تثبيتهم، واتمامها في رسامتهم. بنوع ان الانتقال من كنيسة الى غيرها بغير سبب شرعي، وتقيل قد حسب من الآباء القديسين نوع فسق روحي ممنوع بعقوبات شديدة جدًا من تحديدات القوانين المقدسة بهذا النوع نفسه لكي تتوزع الاسرار ليس فقط بغير اسم السيمونية بل بدون شبهة بخل قد نُهي ان لا يُوخذ، ولا يُطلب شيء باستقامة، او بغير استقامة، سواء كان بحجة القوت، او لغير عادة فيما

يتعلق بالاسرار ، ولو أعطي من ذات الخاطر كالتقدمات الارادية المتعادة ان تتقدم في قديم الزمان .

فلاجل ذلك نحن اولًا : نجعل بعدايح رسولية الاخوة الاكرمين يوسف بطرس البطريرك الانطاكي ، ورؤساء الطايفة المارونية ، وبقية الانفار الذين حضروا في المجمع الاقليمي المنادى به ، والمعقود من الطائفة المذكورة بامرها بقوة السلطان الرسولي الممنوح من سالفنا اكليمنضوس البابا الثاني عشر السعيد الذكر الذي لاجل هذه [١٤٦] الغاية كان ارسل الى جبل لبنان الولد العزيز ، المعلم يوسف سمعان السمعاني ، مناظر الدعاوى في ديواننا ، والمتقدم في بلاطنا ، والاخص في قلايتنا ، ونحن بسلطاننا اثبتنا ، وأيدنا المجمع المذكور برسالة غير هذه معطاة بصورة برآءة في اول يوم من شهر ايلول سنة ١٧٤١ الماضية قريباً، التي نريد ان يكون سياقها بمنزلة مدرج ومصرح في هذه الرسالة الحاضرة ، لانه اذا اتخذ لذواتهم بطاركة الموارنة الانطاكيون شبهاً من حق شرعي ، الا انه غير مستند على شيء من البراهين القانونية ، بل دارج عندهم اما على سبيل عادة قديمة ، اما من قبل سلطتهم الخصوصي ، اما بنوع آخر ، وهو ان يولوا كما يحسن برأيهم على الكنائس الكائنة في رعايا كسروان ، وجبل لبنان بمنزلة نوابهم الاساقفة المرسومين على كنائس اخرى ، وغير مستطيعين على الجلوس في كراسيهم لتدبير رعاياهم لسبب ظلم الغير المؤمنين ، وذلك من غير ان يتركوا الكنائس المرسومين على اسمها ، وان يستوفوا ايضاً تقدمات دراهم وغيرها لزعمهم بان ذلك ضروري لمعاشهم ، واقامة درجتهم البطريركية لعدم وصول مداخيل كافية ، وذلك في زمان ومحل توزيع الزيوت المقدسة . انا قد أبطلنا في المجمع المذكور بقوانين هذا الحق المدعى به كغير شرعي بل مرذول من القوانين المقدسة .

ثانياً : ثم انه قد وقع البحث على الامرين المذكورين من جملة باقي القضايا التي تقدمت ، وفحصت في مجمع خصوصي معين بامرنا لاجل اثبات المجمع المذكور ، ومعقود امامنا بحضور البعض من اخوتنا الاكرمين كردينالية [كرادلة] الكنيسة الرومانية [١٤٧] المقدسة المتوكلين على قضايا انتشار الايمان المقدس . فاولها هل القانون الناهي البطريرك عن طلب مهما كان عند توزيع الزيوت المقدسة لخوارنة الرعايا يجب قبوله واثباته ؟ ثانيها هل القانون في جلوس

[اقامة] الاساقفة الموارنة في كراسي الكنائس المرسومين على اسمها يجب اثباته ؟ وما الرأي عن الحاشية المزيدة في اخر كتاب السونندوس في الفصل ٤١ المحررة فيه قسمة كراسي الاساقفة الموارنة ، وحدود رعاياهم ، وعدد اساقفتهم بنوع انه لا يمكن ان يُبعدوا عنها من البطريرك ؟

ثالثاً : وفحوى الحاشية المذكورة هو التابع فصل ٤١ الملحق بالمجمع اللبناني في كراسي المطارنة ، والاساقفة الموارنة ، وحدودها ، فبطريرك انطاكية المتولي على طائفة الموارنة باسرها كرسيه في جبل لبنان في دير قنوبين ، وكان تحت يده المطارنة ، والاساقفة الآتي ذكرهم :

اولاً : صور . ثانياً : دمشق . ثالثاً : قبرس . رابعاً : حلب . خامساً : بيروت . سادساً : طرابلس . سابعاً : بترون . ثامناً : عكا او بطرلومايس . تاسعاً : لادقية . عاشراً : حماة . حادي عشر : عرقا . ثاني عشر : اهدن . ثالث عشر : صارفية صيدا . رابع عشر : بنياس . خامس عشر : لوسطرا أو جبيل . سادس عشر : نابلس .

أما في المجمع اللبناني في اليوم الثلاثين من شهر ايلول سنة ١٧٣٦ قد رسمت الاباء أن تحصر ابرشيات الموارنة فيما سيأتي الى ثمانية فقط مع بقاء السلطان للسيد البطريرك الكلي الاحترام على رسامة اساقفة بالشرف ، والكراسي الثمانية هي هذه :

اولاً : حلب اي بيرّؤا وما يليها .

ثانياً : طرابلس وتمتد ولاية مطرانها من طرابلس والزاوية الى عرقا ، وبلنياس ، ورواد ، وطرطوس ، وجبله ، ولادقية [١٤٨] الى حدود حلب .

ثالثاً : جبيل ، وبترون ، وتمتد ولاية مطرانها الى رعايا جبيل ، والبترون ، والعاقورة ، ودير الاحمر ، وجبة بشراي .

رابعاً : بعلبك ، وهي مدينة الشمس ، تمتد ولاية مطرانها الى رعايا بعلبك ، والفتوح في بلاد جبيل ، ونصف قاطع اغزير ، ورأس هذا القاطع غوسطا وغزير .

خامساً : دمشق ، ويمتد سلطان مطرانها الى رعية دمشق ، ونصف قاطع اغزير الاخر ورأسه عجلتون ، ويحوي ايضاً بسكنتا ، وزوق الخراب ، وزبوغا .

سادساً : قبرص ، ويحكم مطرانها على كل قرى جزيرة قبرص ، وله

تحت حكمه في بلد كسروان ، بكفيا ، وبيت شباب ، ومزارعها حتى الى جسر بيروت .

سابعاً : بيروت ، وتمتد ولاية مطرانها من بيروت الى المتن ، والجرد ، والغرب ، وشحار المتن الى جسر القاضي ، وهو الدامور .

ثامناً : صور وصيدا ، ويتولى مطرانها على صور وصيدا وقراهـا ثم على الشوف ، والبقاع ، ووادي التيم ، وما يليه من نهر الدامور حتى مدينة القدس الشريف .

نحن المدونة اسماؤنا ادناه قد قبلنا قسمة الرعايا المذكورة تحريراً في مجمعنا المقدس في دير سيدة لويزه في اليوم الثلثون [الثلاثين] من ايلول سنة ١٧٣٦ . يوسف بطرس البطريرك الانطاكي . جبرائيل مطران صارفية صيدا . سمعان مطران الشام . عبدالله مطران بيروت . ايلياس مطران عرقا . بسيليوس مطران طرابلس فيلبس مطران لوسطرا . اسطفانوس مطران بترون. جبرائيل مطران عكا . يوحنا مطران لادقية . اينناطيوس مطران صور. جبرائيل مطران بنياس. طوبيا [١٤٩] مطران قبرص .

رابعاً : فكان الجواب على القضية الاولى ان القانون واجب اثباته ، وان قداسته يرسم تعييناً [جُملًا] للسيد البطريرك بنوع آخر ؛ والجواب على القضية الثانية انه يجب اثبات القانون في جلوس الاساقفة في كراسيهم ، وأن قداسته يرسم ما يراه نظراً الى ما يحواه الفصل ٤١ الذي به تتعين كراسي مطارين الموارنة واساقفتهم وحدودها .

خامساً : فاذاً نحن الذين لا نرغب شيئاً أكثر رغبة من أن يزاد [يزداد] اثباتاً في كل العالم الكاثوليكي التهذيب الكنايسي حيث هو محفوظ سالماً ، ويصلح اصلاحاً موافقاً حيث هو ساقط لنسلك في امور هكذا مهمة بالشور الشافي ، والفحص الكافي . قد فوضنا اخانا المكرم فينشنسيوس بترا كردينالة [كردينال] كنيسة رومية المقدسة رئيس مجمع انتشار الايمان المقدس في أن يتفاوض اولاً مع الذين قابلوا السونندوس المذكور ، ومع غير أنفار خبيرين في احوال الموارنة مفاوضة مدققة عن الامور المقدم ذكرها . وبعده يعرض لنا . اما اخونا الموقر الكردينال فينشنسيوس المذكور ، فبعد ان سمع رأى الذين قابلوا

السوننداوس وغيرهم من الحبريين كما مر باحوال الموارنة ، وقابل ما هو محرر بهذا الصدد في خزانة مجمع انتشار الايمان المقدس المومى اليه مع بعضه أعرض لنا ان مهما يُعطى من الدراهم وغيره في وقت محل توزيع الزيوت المقدسة هو حقًا من اصله تقدمة دراهم ، او شيء غيره لازمة ، ومفروضة لاجل اقامة اوَد بطاركة الوقت ، ومعاشهم ، ووظيفتهم البطريركية ؛ وان جلوس الاساقفة الموارنة في كنايسهم ، وقسمة كراسيهم ، وحدود رعاياهم ، وحصرها كما هي متضمنة [١٥٠] في الفصل المدرج أعلاه هي ضرورية ، ومفيدة ، وخلاصية على سائر الوجوه .

فلاجل ذلك نحن الذين نحتضن بمحبة رسولية الطائفة المارونية الشريفة الثابتة دائمًا في الامانة الكاثوليكية الرومانية مع انها محاطة من كل جانب من الاراتقة ، والمشاقين ، والغير المؤمنين كالوردة بين الشوك ، والصخرة بين الامواج ، ومن قبل ثباتها هذا نعتبرها اعتبارًا فائقًا مثلما اعتبرها بالغاية الاحبار الرومانيون سلفاؤنا . فمن ذات خاطرنا ، ومن باب علم اكيد ، وعزم شافي [شاف] ، وبكمال سلطاننا الرسولي بقوة هذه البراءة اولًا نثبت القانون [القانونين] المذكورين اعلاه ، ومهما يحتوي بهما ، وفي الحاشية المذكورة ، ونؤيده ، ونزيد عليه قوة الثبات الرسولي المؤبد ، ونحكم ، ونأمر ، انها تحفظ فيما يأتي مؤبدًا .

سادساً : نوضح بان البطريرك الكائن حالًا ، وسلفاءه ، وكل من اعطى ، او اخذ تقدمات الدراهم او غيرها ، وزعم انها أعطيت ، او واجب ان تُعطى ، ذاتها اخذت ، او واجب ان تؤخذ لاجل توزيع الزيوت المقدسة ، انهم كانوا ، وهم خالون من كل اثم السيمونيا ، والبخل المقوت ، ولا يجب لاحدٍ ان يتجاسر بقحةٍ ان يتهمهم فيما بعد بالسيمونيا ، والبخل .

سابعاً : ثم انه لئلا ينقص عن البطريرك الحاضر وخلفائه الماش والاسعاف كما مر نرسم ، وبحسب الاقتضاء نحكم ، ونأمر جميع خوارنة الكنائس ، ورؤساء الديورة اجمالًا وافرادًا في الطائفة المارونية بان كلًا [١٥١] من الخوارنة ، والرؤساء المذكورين بموجب التعيين والارشاد المفروض من مجمع انتشار الايمان ، والمضاف الى براءتنا هذه بقوة الطاعة المقدسة ، وتحت عقوبات تفرض على خاطر الكرسي الرسولي وبطريرك الوقت كل عام في الاحد التابع عيد انتقال الطوباوية

مريم[1] البتول الكلي طهرها الى السماء مبتدئين من سنة ١٧٤٢ هذه الى الابد يُعطى، ويدفع للبطريرك القائم بوقته تقدمات الدراهم المذكورة باسم حسنة اسقفية، ويقدم للبطريرك دفتر حال الانفس المؤتمن على رعاياها بموجب رسم وفريضة السونندوس المذكور، ويأخذ من البطريرك رسائل ارشادية، او رعائية كالعادة كما كان يصير سابقاً عند توزيع الزيوت المقدسة. اما البطريرك القائم بوقته فليرسل، ويوزع في زمانٍ آخر موافق الزيوت المقدسة مجاناً على سائر الوجوه، ولا يقتبل، ولا يطلب شيئاً اصلاً لا من دراهم، ولا من شيء آخر.

ثامناً: اننا من ذات خاطرنا، وعلمنا، وسلطاننا الرسولي نرسم، ونعلن بان عدد الكراسي، والاساقفة الموارنة، ورعاياهم يجب ان ينحصر ويرجع الى سبع كراسي فقط ما عدا الكرسي البطريركي، الذي هو رأس الكراسي والابرشيات، ويصير الكرسي الثامن بالعدد كما هو محرر في الفصل ٤١ المذكور اعلاه يتعين الرعايا، والقرايا [القرى] والمحلات، والكنائس، والديورة بحدودها المعيّنة. ونحن بمقتضى اللزوم نحصره من جديد، ونرجعه الى العدد والتعيين المذكور، ونحكم، ونحدّ انه قد ترجع، وحصر كما مرّ.

تاسعاً: نريد ونأمر ان بعد تمام [١٥٢] هذا الحصر كما سيأتي في هذه الثمانية رعايا المتميزة والمفترقة عن بعضها، فالبطريرك يكون مقرراً على كرسيه رأس الرعايا الذي ينتخبه مرةً على ايثاره، وبعد انتخابه نحكم، ونرسم انه لا يمكنه ولا للبطاركة خلفائه ان يبدله ابداً. وان كل واحد من الاساقفة السبعة يكون ثابتاً متيناً في كرسيه الى الابد بنوع انه لا يقدر البطريرك القائم بوقته ان يرفعه قط عن كرسيه على خاطره الا بمنعه القانوني عن كرسيه بسبب زلات ثقيلة جداً بحفظ النظام الشرعي، او بنقله الشرعي من رعيته الى غيرها بموجب رسوم القوانين، ونظام الناموس العام.

عاشراً: ثم ان البطريرك القائم الان، ومن يخلفه بوقته له حق ان يرسم، ويقيم على كرسي ورعية فاقدة تعزية راعيها اسقفة كالعادة، وليس بنوع آخر، وان كل ثلاث سنين يزور بذاته كل واحدة من الرعايا، ويجمع منها المشور

---

[1] اسم مريم مكتوب باحرف سريانية وبحبر احمر (الناشر)

المتادة (لكن مع ابقاء عشر العشور الكل اسقف في رعيتـه) وان يستوفي منافع التحاليل المختصة بالبطريرك ، ويستوفي ، ويأخذ الوقوفات الموقوفة له ، او للرعية المذكورة التي تكون قد أضيفت للكرسي البطريركي ، وان يعين لاجل جمع ما ذكرنا واحدًا ، او اكثر من الوكلاء في الرعايا المذكورة . وان يكرس الزيوت المقدسة ، ويوزعها في كل واحدة من الرعايا السبع دون غيره ، ويرسلها كما قد رُسم قبلًا ، لا بنوع آخر . اما اذا كانت للبطريرك القائم بوقته محفوظات وواجبات غيرهـا من الحقوق تحق له من رسم [١٥٣] ناموسي او عادةٍ مما لم يُؤتَ بذكره في براءتنا هذه ، فنحن لا نزيـد ، ولا نقصد ان بعدمها ، او ينقدها .

حادي عشر : اخيرًا حتى يكل حصر [يكمل حصر] كراسي الاساقفة من ثلاثة عشر الى سبعة كراسي فقط ما عدا الكرسي البطريركي بموجب ما هو محرر ومرسوم في الفصل ٤١ اعلاه بالفعل الواجب ، وبنظام المحبة والعناية الحميدة نريد ونأمر ان الاساقفة الموارنة العائشين الآن في كسروان ، وعددهم احد عشر بعد وفاة اثنين منهم ، بعد الحصر المذكور ، الـذين هم بمنزلة نوّاب البطريرك يكونوا [يكونون] كما كانوا سابقًا بمنزلة نوّابه ، ويتغيّروا [يتغيّرون] على خاطره الى ان يبقوا سبعة اساقفة بالعـدد ، وفي ذاك الوقت ، لا قبله ، يبتدي ويتم حصر كراسي الاساقفة الى سبعة كما مرّ . والبطرك القائم بوقتـه ينتخب له اولًا كرسيًا بطريركيًا . ثم يولّي ويعيّن لكل واحد من السبعة اساقفة كرسيًا كما يحسن لديه . لكن بموجب مقتضيات الفطنة والمحبة ، وذلك بنوع ان هذا التعيين يعود مؤبـدًا . وكل اسقف يعود ، ويحسب متوليًا ومعيّنًا الى الابد على الكرسي والرعية المعينة له مرةً ما .

ثاني عشر : ونحكم ان براءتنا هذه ، ومها تحويه لا تعدم قوتها الصورية والجوهرية ، ولا تقع تحت الارتياب ، او ترجع تحت البحث ، وحدود الشريعة لاجل ايّة علة كانت ، او حجة ، او عذر ، او تصنع ، او حيـلة في ايّ زمان كان . ولا تُحسب انها صارت بالاختلاس ، او بالخديعة ، ولو لم يكن رضي بها ، ولا دُعي ، ولا سمع الذين يحق لهم ذلك من باب اختصاصهم [١٥٤] والذين لهم تداخل فيما مرّ باي مقام ، ورتبةٍ ، وشرفٍ ، ودرجة كانوا ، واستحقوا ان

يذكروا ذكرًا مخصصاً . لكن نحكم ان براءتنا هذه تكون ثابتة مايدة [مزيدة] مشيدة ابدًا دائمًا ، وفعلها نافذًا بالكمال والتمام ، وكل من يخصه ذلك الان ، وفي الزمان الآتي فيلزمه حفظها بالكمال والتمام .

ونأمر ان يمتثل حكمنا هذا ، ويقضي على موجبه كافة القضاة الذين يُؤتى لهم القضاء من باب الوظيفة ، او الوكالة عن غيرهم ، ولو كانوا قضاة بلاطنا الرسولي ، او كردينالة [كرادلة] الكنيسة المقدسة ، او قصادها من طرفنا ، او مندرجين باية درجة كانت ، او حائزين اي سلطان كان . ولا نسمح لاحد منهم ان يحكم ، او يقضي بخلاف ما ذكرناه . ومن تعدى ذلك ، وحكم ، وفسّر بعلم ، او بغير علم بالخلاف باية رتبة ، ووظيفة كان ، فليكن فعله فارغاً [لاغياً] باطلًا .

ثالث عشر : ولا تضاد ذلك كله الرسوم ، والفرائض الرسولية والمبرزة في المجامع العامة والبلدية [الاقليمية] عمومًا وخصوصاً ، ولا الرسوم المؤبدة بقسم ، واثبات رسولي ، ولا العوائد [العادات] والاختصاصات ، والانعام ، والبراءات الرسولية المرسلة للطايفة المارونية باسرها ، او للبطريرك ، والاساقفة ، والشعب الماروني باي نص كانت ، ولو انها تتضمن معاني والفاظ [الفاظاً] مبطلة لخلافها مشددة بالغاية ، ومنظومة بقيود غير معتادة ، وكلام ناسخ للقضايا الناسخة ، ومراسيم أُخر بالجنس ، والنوع ، وكيف ما كانت ممنوحة ضد ما ذكرناه ، او مثبوتة تكرارًا ، ومثبتة [١٥٥] من جديد ، فهذه الاشياء كلها مع كافة الامور المضادة لهذا المنشور نبطلها الان وننسخها صريحًا ، وخاصة بتم فعل ما اتينا بذكره آنفاً لا غير ، ولو دعت الضرورة انها تورد ههنا حرفاً بحرف ، وكلمة فكلمة ، بل فلتكن ثابتة سالمة في باقي الامور دون هذا المحل فقط ، ولا ينافي ذلك مهما كان مخالفاً .

رابع عشر : ونرسم ايضاً ان كل نسخة منقولة عنها خطاً او طبعاً باللغة اللاتينية ، والسريانية ، والعربية تكون مصدقة في كل مكان في المحكمة ، وخارجاً عنها كأنها النسخة الاصلية اذ تكون ممضاة بخط احد المسجلين

المشهورين مختومة بختم احد المرتقين الى المراتب الكتابيـة .

حُرر في رومية هذا، كنيسة مريم[1] المعروفة بالكبرى تحت ختم الصيّاد في اليوم الرابع عشر من شهر شباط سنة ١٧٤٢ مسيحية ، وهي السنة الثانية من حبريتنا .

الكردينال دومينيقوس بسيوناوس[2]

[١٥٦] عدد ١١: كراسي مطارين الموارنة واساقفتهم وحدود الابرشيات.

ان كرسي بطريرك انطاكية ، وكامل الطائفة المارونية هو في جبل لبنان في الدير المدعو قنوبين ، وتحت ولاية المطارنة والاساقفة الآتي ذكرهم :

اولاً : صور .
ثانياً : دمشق .
ثالثاً : قبرص .
رابعاً : حلب .

١) اسم مريم مكتوب بالحرف السرياني والحبر الاحمر .

٢) تجد الاصل اللاتيني لهذه البراءة في كتاب « البراءات الى الموارنة » للاباتي طوبيا العنيسي من ص ٢٦٠ الى ٢٦٧ . اما اسماء اسس المطارنة الموارنة فاننا ننقلها الى القارئ عن كتاب « الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل » للمطران يوسف الدبس ، المطبوع في المطبعة العمومية الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٥ ص ٤٣٤ وما بعدها :

البطريرك يوسف ضرغام الخازن . جبرائيل الدويهي . كتب عنه الدبس في ص ٣٧٩ «ان البطريرك اسطفان الدويهي سامه اسقفاً على صرفند في ٢٨ من كانون الثاني سنة ١٦٩٣ ، وحضر المجمع اللبناني » . سمعان عوّاد . عبد الله قراعلي . ايلياس محاسب . باسيليوس باسيل البجاني . فيلبس الجبيل . اسطفانوس الدويهي . جبرائيل عواد . يوحنا اسطفان . اغناطيوس شراية . جبرائيل حوشب . ميخائيل البلوزاوي . طوبيا الخازن .

والطالع يرى في ترجمة هذه البراءة ركاكة لان الناقل قد تقيد حرفياً بالنص اللاتيني ، ونحن لم نصحح الا كلمات قليلة وضعناها بين معقفين لتفهم المعنى لا اكثر ولا اقـل . وعلى الرغم من تشديد الحبر الاعظم على قسمة الابرشيات المارونية ، والزام مطارنتها بالسكنى في كراسي معينة ، فان ذلك لم يتم نهائياً الا في مجمع اللويزة الثاني المنعقد سنة ١٨١٨ ، فراجعه ان شئت في الاصول التاريخية المجلد الاول . (الناشر)

خامساً : بيروت .
سادساً : طرابلس .
سابعاً : البترون .
ثامناً : عكا ، او بطولومايس .
تاسعاً : اللاذقية .
عاشراً : حماه .
حادي عشر : عرقا .
ثاني عشر : اهدن .
ثالث عشر : الصارفية .
رابع عشر : بانياس .
خامس عشر : لوسطرا او جبيل .
سادس عشر : نابلوس .

ولكن في المجمع الملتئم في جبل لبنان في اليوم الثلاثين من ايلول سنة ١٧٣٦ قد حكم الآباء بان ابرشيات الموارنة تنحصر فيما بعد الى ثمانيـة فقط مع حفظ السلطان للسيد البطريرك الكلي الاحترام برسامة بعض اساقفة بالشرف ، وهي هذه :

اولاً : ابرشية حلب او بيرّوا والاماكن المحاذية لها .
ثانياً : طرابلس ، ولاية هذا الحبر تمتد من طرابلس والزاوية الى عرقا ، وبانياس ، ورواد ، وارتوساد ، وجبله ، واللاذقية حتى الى حدود حلب.
ثالثاً : جبيل والبترون ، فولاية هذا الحبر تمتد الى ابرشيتي جبيـل ، والبترون ، والعاقورة ، ودير الاحمر ، وجبة بشراي .
رابعاً : اليوبولي او بعلبك . وولاية هذا الحبر تمتد الى ابرشية اليوبولي ، والفتوح لحدود بلاد جبيل ، ونصف [١٥٧] حكومة غزير التي رأسها غوسطا وغزير .
خامساً : دمشق ، وولاية رأسها تمتد في الابرشية الدمشقية ، وتتسع شاملة النصف الآخر من حكومة غزير ، ورأسها عجلتون ، وتتضمن بكتتا اينا ، وزوق الخراب ، وزبوغا .
سادساً : قبرص . وولاية رأسها تشمل كامل قرى الجزيرة ، وفي بلاد كسروان تشمل بكفيا ، وبيت شباب ، ومزارعها ، ومزارع جهة كسروان حتى الى جسر بيروت .

سابعًا : بيروت وتمتد ولاية رأسها من بيروت حتى الى المتن ، واجرد ، والغرب ، وشحار المتن لحد جسر نهر القاضي اى دامبري .

ثامنًا : صور وصيدا . وولايته تشمل صيدا ، وصور ، ودساكرهما ، والشوف ، والبقاع ، ووادي التيم ، والاراضي المحاذيتها من نهر القاضي حتى القدس الشريف[1] .

نحن المدونون اسماءنا ادناه نثبت قسمة هذه الابرشيات موضحين ان للسيد البطريرك الكلي الاحترام الاستطاعة ان يرسم مطارنة او اساقفة بالشرف دون ابرشيات ، أن شاء .

أعطي فى مجمعنا المقدس في دير سيدة لويزة في اليوم الثلاثين من شهر ايلول سنة ١٧٣٦

يوسف بطرس البطريرك
الانطاكي

وقد امضاه رؤساء الاساقفة والاساقفة :

جبرائيل : مطران صارفية . سمعان : مطران دمشق . عبد الله : مطران بيروت . الياس : مطران عرقا . باسيليوس : مطران طرابلس . فيلبوس : مطران لوسطرا . اسطفان : مطران البترون . جبرائيل : مطران عكا . يوحنا : مطران اللادقية [١٥٨] اغناطيوس : مطران صور . جبرائيل : مطران حلب . غنائيل : مطران باناس . طوبيا : مطران قبرس .

عدد ١٢[2] : تحرير المجمع المقدس الى البطريرك يوسف حبيش بخصوص رعية بلاد جبيل والبترون .

ايها السيد الكلي الشرف والاحترام .

انه ليسرني ان اقدر اوضح لكم بان التمييز الجديد ما بين الابرشيتين جبيل ، والبترون وطرابلس ، المعروض عنهم لسيادتكم مع مطارينكم بموجب الحدود المبينة بالاتفاق مع السيد القاصد الرسولي قد حاز الاثبات التام ، اثبات المجمع المقدس وقداسته . ومن ثم فينبغي ثابتًا ان تضاف الى ابرشية طرابلس السبع عشرة قرية المصرّحة في الصك المرسل الى هنا مع كل

---

١) هذه الابرشية قسمت الى ابرشيتين منفصلتين سنة ١٩٠٥ ثم اضاف الكرسي الرسولي الى الابرشيات المارونية ابرشية القاهرة سنة ١٩٤٧ وتمتد ولاية مطرانها الى الاقليمين المصري والسوداني . (الناشر)

٢) في الاصل العدد ١١ وهو غلط (الناشر)

الاراضي الكائنة شمالي النهر المنصب من اهدن الى قاديشا ، النهر الذي يقيم من الان فصاعدًا حدًّا ما بين الابرشيتين المذكورتين . وهكذا يوجد امرًا ملائمًا كثيرًا ان سيادتكم اذ تتركون ابرشية صيدا البعيدة جدًّا عن كرسيكم تنتخبون لها اسقفًا ، وعوضًا عنها تتخذون تدبير كنيسة جبيل والبترون القريبة والمتفرغة [الشاغرة]. فمن ثم يمكنكم الان ان تشرعوا ما قد رتب ، ولاجل نفوذه لا يهمل السيد القاصد ان يقدم لكم كل اسعاف اذا اقتضى ، فيما انني من صميم الفؤاد اقدم ذاتي بكل انعطاف لخدامة سيادتكم .

في رومية عن انتشار الايمان في ٧ [من] حزيران سنة ١٨٣٦

غايطانوس مرنوشي بالنيابة
عن كاتب الاسرار النائب

يعقوب فيلبزس كردينال
فرنسوني رئيس المجمع

[١٥٩] عدد ١٣ : مرسوم مجمع انتشار الايمان المقدس .

انه اذا كان السيد الاب المحترم يوسف بطرس حبيش بطريرك الموارنة الانطاكي اعرض لمجمع انتشار الايمان المقدس بان ابرشية طرابلس قد استقلت [افتقرت] لاجل صروف الازمنة بهذا المقدار حتى ان مداخيلها لم تعد كافية للقيام باود اسقفها والاكليروس اللائذ به، وانه لا يوجد بها محلًّا (كذا) ملائم للاسقف المذكور ذاته لان يقطن داخل حدودها المرسومة سابقًا ، وان هذه الشؤون تمكن مداواتها اذا بعد تفرغ كنيسة جبيل والبترون بسبب وفاة السيد الاب المحترم جرمانوس ثابت عُمل تحديد جديد لهاتين الابرشيتين ذاتها بنوع ان جزءًا من هذه الكنيسة المرملة يضاف لابرشية طرابلس جملةً مع قرية شكا التي بها غب ذلك يحل الاسقف الطرابلسي سكناه ، وان بعد ترتيب هذا التجزي فالاب المحترم السيد يوسف البطريرك ذاته ان يترك كرسي صيدا الذي كان حافظه لذاته ، ويقلده لاسقف آخر بحسب انتخابه ، يتخذ لذاته سياسة كنيسة جبيل والبترون المتفرغة [الشاغرة].

فالمجمع المقدس ذاته في الاجتماع العام الملتئم في ٢٦ [من] كانون الثاني سنة ١٨٣٥ بعد ان تبصر تبصرًا شافيًا بهذه الاشياء جميعها ، واستمع [الى] رأي الاب المحترم السيد يوحنا ممدات اوقرنيا مطران ايقونية النائب الرسولي على حلب، والقاصد الرسولي في جبل لبنان ، قد حكم ورسم بانه يجب ان يُقبل التحديد الجديد المتقدم ذكره ، وان تثبت فيما بعد حدود الابرشيتين المرقومتين الجديدة من الكرسي الرسولي ، وان تُرسم قبل كل شيء بموجب الرضى من الاثنين [الابوين] المحترمين السيد البطريرك الماروني ، والقاصد الرسولي ذاتها . ثم ان حكم المجمع المقدس هذا المقدم لسيدنا الكلي القداسة [١٦٠] غريغوريوس السادس

عن البابا بالعناية الالهية بواسطة الاب المحترم السيد انجيلوس مساي كاتم اسرار المجمع المقدس قد اثبته قداسته بجنوى بكامل اجزائه ' وامر ان يسلك عملا ' ولا يضاد ذلك شيء من الاشياء ' حتى ولو كانت مرسومة في المجمع اللبناني' ومجمع لويزه [المنعقد سنة ١٨١٨] .

أعطي برومية من ديوان المجمع المقدس المذكور في ٦[من] ايار سنة ١٨٣٧ مجانًا دون ايفاء [استيفاء] شيء البتة ' ولو باية حجة كانت .

انجيارس ماي	✝	الكردينال يعقوب فيلبوس
كاتم الاسرار		فرنسوني رئيس المجمع

عدد ١٤ : رتبة عمل المجمع

سبيل المطارنة والاساقفة ' والكهنة ' ورؤساء الديورة ' وكامل الاكليريكيين الذين يلزمهم الحضور الى المجمع من قبل الناموس' والعادة ان يجتمعوا الى المحل الذي يأمر به السيد البطريرك ' ومن كان يمنعه مانع شرعي عن الحضور فليقدم عذره بواسطة سفير ' او برسالة ' وبعد ان يقبل مثبتًا كما يتحدد في المجمع . فالسيد البطريرك اقله كل ثلث سنوات يعقد مجمعًا عامًا .

ففي اليوم الاول من المجمع يتوشح السيد البطريرك الملابس الحبرية ' ويمضي الى الكنيسة ' محتفًا بلفيف المطارنة ' والاساقفة ' والكهنة ' ورؤساء الديارة [الديورة] ' وكامل الاكليروس ' وهم متسربلون ملابسهم الكهنوتية ايضًا ' ويرتل المرتلون الحانهم بحسب المتاد . وبعد ان يصلي قليلًا امام المذبح الكبير ينهض ' ويجلس على عرشه ' ويجلس [١٦١] المطارنة والاساقفة ايضًا على كراسيهم ' ومثل ذلك يجلس بعدهم الكهنة ' ورؤساء الديورة ' وسائر الاكليروس هنا وهناك ' والبطريرك يتلو القداس ' ويقتبل جميعهم المناولة المقدسة من يده .

وغب انحلال القداس يجلس الجميع على كراسيهم ويبتدئ البطريرك :
« المجد للآب ' والابن ' والروح القدس ' الآن ' ودائمًا ' والى دهر الداهرين » .

ويجاوبه الخوروس : « آمين » .

يتبع البطريرك :

« اللهم الذي قلت لرسلك حيث يجتمع اثنان ' او ثلاثة باسمي فاكون انا بينهم ' فاعطنا

نحن عبيدك الذين اجتمعنا باسمك ان نتمم بالعقل والجسد ما يرضيك ، لانه يليق لك المجد مع الاب [الابن] والروح القدس الى ابد الابدين » .

ويجاوب الخوروس : « امين » .

ثم يرتلون بين جوقين المزمور المائة والثامن والاربعين :

« سبحوا الرب من السماء ، وامدحوه من العلاء الخ . المجد للآب الخ . . . من الان والى دهر الداهرين . امين » .

ثم يتلون الابيات الاربعة الآتية بلحن « ܡܫܝܚܐ ܢܘܗܪܐ ܕܒܝܬ » التي يبتدي اولها عن الثالوث الاقدس : « ܫܘܒܚܐ ܡܫܡܫܝܢ ܕܫܡܝܐ ܠܐܒܐ ܘܠܒܪܐ ܘܠܪܘܚܐ الخ » . فالبيت الثاني لوالدة الله : « ܒܨܠܘܬܗ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ ܢܬܪܚܡ ܥܠܝܢ... » والثالث للقديسين : « ܕܟܪܢܐ ܛܒܐ ܕܩܕܝܫܐ ܘܣܗܕܐ... » والرابع للموتى المنتقلين: « ܐܢܬ ܕܩܕܡܘ ܥܠ ܡܘܬܐ ܘܫܢܝܘ... » بحسبما هو في كتاب الفرض .

ثم يتلو الارشيدياكن [رئيس الشمامسة] بصوت عالٍ الامانة النيقاوية:

« نؤمن باله واحد ابٍ ضابط الكل الخ » .

والدياكن [الشماس] يتلو من رسالة مار بولس الى اهل افسس ،الأصحاح ٤ من العدد الاول :

« انوسل اليكم انا الاسير بربنا » .

حتى الى هذه الكلمات :

« الاله الواحد [١٦٢] وابوا [ابو] الكل الذي هو فوق الكل ، وبالكل ، وفي جميعنا » .

والخورس يرتل من المزمور المائة والاثنين والثلثين :

« ما احسن واجمل ان يسكن الاخوة [معاً] مللريا » .

وينهض الجميع ، والبطريرك يتلو الانجيل كالعادة من بشارة متى ص ١٨ من العدد ١٥ :

« ان اخطأ اليك اخوك اذهب ، وعاتبه سراً وحدكما » الخ .

حتى لهذه الكلمات :

« حيث يجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فانا اكون بينهم » .

وبعد ختام الانجيل يرتلون بين جوقين اللحن عن الثالوث الاقدس بالوزن الاثني عشر : « ܒܟ ܠܡܫܒܚܘ ܐܚܠ ܚܕܐ ܘܠܐ ܡܠܡܫܡܫ ܘܡܟܪܠ » كما في الصلوة الثالثة يوم الاحد .

وبعد ذلك فليصر خطاب من شخص ذي كفاءة عن التهذيب الكنائسي ، وعن الاسرار المقدسة ، وعن اصلاح العوائد في الاكليروس والشعب بمقتضى ما يستبين ملائماً لدى البطريرك. وبعد نهاية ذلك فليصر انتخاب المتوظفي [موظفي] المجمع . وتسمع التشكيات اذا وجدت، ويصير الشروع باعمال المجمع. وعند الاخير ينهض البطريرك ويبارك باحتفال على الجميع ، وحينئذٍ ينصرفون .

وفي اليوم الثاني غبّ صيرورة الاجتماع من الجميع كما اعلاه ، وتلاوة القداس من كبير المطارين ، فيجلس كل على كرسيه ، والارشيدياكن يتلو بصوتٍ عالٍ الرسومات الواجب اثباتها بالمجمع ، وبعد تلاوتها ورمي القرعة يثبت الاباء منها ما يوافق . وبعد اتمام ذلك ينهض البطريرك ، ويبارك [١٦٣] الجميع باحتفالٍ ثم ينصرفون .

وفي اليوم الثالث غب الاجتماع في الكنيسة ، وتلاوة القداس من كبير المطارين فيجلس الجميع في كراسيهم ، ويتلى من الارشيدياكن الرسومات المقتضى اثباتها كنهار امس . وبعد تلاوتها ، واثباتها من الاباء بحسبما يشاؤون، واتمام كل شيء ، فيقف البطريرك ، ويمنح البركة الاحتفالية للجميع ، ويصرف المجمع . واذا امكن نهي مشاغل المجمع جميعها في اليوم الاول ام بالثاني ، فغب اثبات جميعها يبارك البطريرك على الجميع ، وينهي المجمع .

عدد ١٥ : براءة البابا بيوس السادس في بعض قضايا تخص الموارنة[١] .

---

١) راجع الاصل اللاتيني في مجموعة البراءات البابوية الى الموارنة، جمعها الاباتي طوبيا العنيسي ، من ص ٤٢١ الى ص ٤٢٩ . (الناشر)

بيوس البابا السادس

ايها الاخوة الموقرون ، والابناء المحبوبون السلام والبركة الرسولية .

ان مكاتيبكم ايها الاخوة الرؤساء الموقرون قد اورثتنا سروراً عظيماً . ومنها قد استوضحنا ان جميع طايفتكم قد انقادت من روح السلامة والاتفاق، وبعزم واحد حقيقي مقتت الرذالات البكركية السالفة ، وتلك الخداعات ، والاوحية ، والتعاليم الباطلة الصادرة من الامرأة هنيدة . ثم اتفاق صوتكم بالتماس حلم ونعمة الكرسي الرسولي في شأن الاخ الموقر يوسف استفان [اسطفان] لكي يرجع الى مقامه الاول ، والسلطان البطريركي . فحقاً اننا ننعطف جداً الى ذلك [١٦٤] لمناسبة هذا الامر الصالح مقتدين [مقتدين] بذلك الاب الانجيلي الذي اذ عرف برجوع ابنه الشاطر اليه اقتبله بكل محبة ابوية ، واحتضنه ، واعتنقه ، هكذا نحن نتقدم بجبتنا لذاك الرئيس المذكور بغير ان نتقاعد اصلاً عن ان نضمه في نعمة وتودد الكرسي المقدس ، ونرجع له المكان ، وشأن المقام المفقود . وهذا الامر نحن من ذاتنا من مدة مستطيلة كنا فعلناه بطيبة خاطر لو انه كان اطاع اوامرنا ، وامضاها بغير تغيير الكلام اصلاً ، وينقض رأيه بحسب الصورة التي تقدمت له بامرنا من الرجل الراهب ابلاريون رئيس [الدير] في بساتين صيدا ، والتي يمكن بسهولة الافتكار بها . ومن حيث انه حينئذٍ غيّرها بنوع كذا حتى انها تشير واضحاً ان رأيه يختلف عن الذي حرره بالصك بخط يده . ولاجل ذلك قد سد على ذاته المدخل لقبول مفعولات حلمنا الذي باختياره قد منعها باخص نوع عن ذاته بتصلبه هذا الجديد على عدم الطاعة . ولكن عمله هذا لا يمكنه نظراً الينا ان ينقص الحب الابوي نحو الطايفة المارونية المعروف عندنا جلياً استحقاقها في الايمان الكاثوليكي، وارتباطها رباط التقوى الشديد مع هذا الكرسي الرسولي .

ولذلك ففي العام الماضي قد ارسلنا الى هناك قاصدنا الرسولي الاخ اسقف ابنوس لكي بالاسم الحبروي يجتهد في ان يجتذب الى الآراء النصوحة البطريرك المشكوك به كثيراً نظراً الى عزمه ، ويقتاده الى ان يمضي بخط يده بكل

صدق وبساطة الصورة المرسلة له من مجمعنا ، مجمع انتشار الايمان ، لكي بحسبها ينقض رأيه . [١٦٥] ثم يعظه ايضاً في ان يقدم الطاعة الواجبة للمراسيم الرسولية بغير مخاتلة اصلاً . ومن اعتنائنا هذا ، واهتمامنا يمكنكم جميعاً بسهولة ان تعتبروا اي هو عزمنا ، وعذوبة محبتنا التي حصلنا عليها حينما بلغنا الخبر قبل ان يصل قاصدنا الى هناك بان البطريرك يوسف اسطفان قد امضا [امضى] طوعاً بارادته بخط يده بحضور شاهدين مرسلين الرجوع عن رأيه ، وذلك بحسب الصورة المرسلة له من مجمع انتشار الايمان ، وارسل لنا منها نسختين مسجلتين بخط يده وختمه . وبها قد اوضح صدق ارتجاعه ، ونصوحة عزمه .

ثم قرر جلياً عن وفور طاعته وتقواه نحو الكرسي الرسولي ، فحالاً نحن رفعنا قلبنا وايدينا الى السما ، وقدمنا شكراً سامياً لله الضابط الكل ، الذي برحمته قد رد عزم البطريرك الى التوبة الحقيقية عن غلطاته ، ونزع من قلبه الآراء الناشئة عن هندية ، وامأله سريعاً بنعمته السموية الى الطاعة . ولذلك لا يمكننا ايها الاخوة الموقرون ، والابناء المحبوبون ان نخفي داخلنا احساس فرحنا العظيم بغير ان نشرككم به حالاً بهذه الرسالة. وبالتبعية تحقق عند جميعكم ان هذا الفعل الذي قد تم من البطريرك هو هكذا سمي حتى ان كل الذي [ما] ارتكبه قبلاً بغير وعي المسبب اهانة وشكاً يمكنه الآن ان يتعمر بنموذجه هذا الجليل ، ويكسبه مع الكرامة مديحاً ، وليس بأقل من ذلك هو اعترافه المتضع بزلاته ، ولذلك هو ملتهب الآن بروح الغيرة ليصلح بالكلية ما قد ارتكبه سابقاً ، ويبيده كلياً باعتنائه الخصوصي في ايضاح خضوعه ، وبراهين تقواه نحو الكرسي [١٦٦] الرسولي . واما مضمون المواد المرسلة من البطريرك في رجوعه عن رأيه فهو الآتي :

« اني انا المدون اسمي ادناه اذ قد استنرت من النعمة الالهية ، وارتشدت من مراسيم السدة الرسولية الرومانية المقدسة ام ومعلمة جميع الكنائس ، التي منها يفيض نور الحق لكل المسكونة ، اقر واعترف بغلطاتي السالفة ، وباعتقادي الباطل الذي صدر مني في انخداع وقدامة هندية الناشئة اعني حنة عجيمي راهبة دير بكركي الكائن في جبل كسروان ، المحسوبة باطلاً [باطلاً] اخوية قلب يسوع الاقدس . ولذلك انني اوافق ، واقبل

المرسوم الأول مرسوم مجمع انتشار الايمان المقدس المحرر في ٢٥ [من] حزيران سنة ١٧٧٩ المؤيد والمثبّت من سيدنا الحبر الكلي القداسة البابا بيوس السادس .

« ثم اني اقرّ ، واعلن بان المذكورة هندية كانت مخدوعة بخيانة واضحة وان تخيلاتها واوحيتها ونبواتها المفتخرة بها ، وجميع آرائها الجديدة المستغربة في المواد المقدسة ، لا سيما اتحاد جسدها ونفسها مع جسد ونفس سيدنا يسوع المسيح ، فهذه جميعها كانت باطلة اختراعية ذات وقاحة ، ولها قلما يكون رائحة الارتقة . ولذلك فاني ارفضها ، وامقتها ، وارذلها .

« كما اني اعترف ايضاً واوضح بان القول في دخول اخوية البنايين المدونة في الطايفة المارونية ، وفي دير بكركه المقدم ذكره ، هي باطلة بالكلية مخترعة بعدم التقوى ، ولهذا اني ارجع ناقضاً كل [١٦٧] اعتقادي السالف بمثل هذه المداعات والتهمات النفاقية ، وابطل والاشي كل فعل قد اظهرت واشهرت به اشياء مثل هذه ، وعلى الخصوص منشوري العمومي المحرر في ١٧ [من] ايار سنة ١٧٧٧ ، وكلما صدر مني لتأييد وتصديق مثل هذه الاشياء المرذولة .

« ثم اني اقرر ايضاً ، وأعلن بأني اؤمن واقبل ، وبقدر ما يمكنه ان يخصني ، بان اقوم بتكميل المرسومين الآخرين المبرزين من مجمع انتشار الايمان المقدس في اليوم عينه ، اي الخامس والعشرين من حزيران ١٧٧٩ ، والمثبتين ايضاً من قداسته .

« ففي الاول منهما قد بطل وتلاشى قانون الرهبنة ، والاخوية القائمة تحت اسم قلب يسوع الاقدس المؤسسة والمرتبة من الراهبة المقدم ذكرها هندية ، او حنة عجيمي .

« وفي الثاني قد برزت الحكومة [الحكم] ضدي بالمنع عن كل سلطان ، وتصرّف بطرركي الى حينما يشاء قدس سيدنا البابا بيوس السادس .

« ثم اما بالمرسوم المذكور يأمرني بأن احضر الى رومية لكي اجاوب امام قدسه عن ذنوبي السالفة . واما انا فدلالة عن سرعة تقدمة الطاعة لقد كنت حضرت بطيبة الخاطر ، وقد كنت باشرت ايضاً السفر ، لو لم تمنعني امراضي المداومة . ولكن بعد ان ارسلت قصّادي عوضاً عني ، فبرأفة الاب الاقدس قد انعفيت عن الحضور بشخصي ، واني اعلن كابن مطيع بان اقبل بطيبة خاطر القيام تحت هذا الرباط الى حينما يرتضي قدسه ان يحلّني ، ويعتقني منه . ومن ثم اني اقبل حسب نص المرسوم نفسه بان يكون في يد السيد ميخائيل الخازن مطران قيسارية السلطان والتصرف البطرركي مدة دوامي تحت الرباط .

« [١٦٨] ثم اني اقبل ايضاً واقرر باني اطيع بسرعة لجميع مراسيم مجمع انتشار الايمان المقدسة المبرزة في ٨ [من] تموز سنة ١٧٧٦ ، وبالخصوص نوع ايضاً الى السينة المتجددة والمثبتة من المجمع المذكور في ٢٢ من اذار سنة ١٧٧٧ ، وهي الآتي ايرادها :

« انه بموجب مطالب حض مطارنة الطايفة المارونية قد انعرضت في المجمع العام مجمع انتشار الايمان المقدس الملتام في ٨ [من] تموز ١٧٧٤ عدّة مشكلات ، والبعض منها قد انشهرت ، وتقدمت للاب المحترم السيد بطريرك الطايفة من الاب البادري بطرس موريتا المرسل بوظيفة قاصد رسولي للطايفة المذكورة .

« ومن حيث ان البطريرك نفسه قد توسل لي ان تسمع ايراداته [مرافعته] بخصوص المشكلات المذكورة ، فالمجمع قد قبل طلبته هذه ، وآذن لمطران دمشق[1] المرسل الى رومية وكيلًا للسيد البطريرك ان يورد حقوقه بخصوص المراسيم السبعة التي قد تقدمت للفحص من جديد .

« وبعد التبليغ من مطران دمشق ، ومن وكلائه بالكتابة والقول ، فالاباء الكليرا (كذا) الشايقة في المجمع الملتام في ٢٢ [من] اذار ١٧٧٧ بعد الفحص والتدقيق الكلي قد جتموا كما سيأتي :

« فنظرًا الى المرسوم الاول المشتمل على هذه الكلمات :

«ان السيد البطريرك على الطايفة المارونية قد نُصح سابقًا من[١٦٩] المجمع المقدس كي يبطل الحالة التي لُبنحها باكل الزفر نهار الجمعة الواقع في اليوم التاسع بعد عيد جسد المسيح ، ولكونه لم يطع هذه النصائح ، فلزم الامر ان السيد الكلي الشايقة الكردينال كستيالي مقدام المجمع ان يعرض المشكل الآتي :

« هل يجب ان يتكرر الامر على البطريرك المذكور كي يبطل بالكلية الحال المتقدم ذكره ؟ » .

« فالاباء الكليرا (كذا) الشايقة اجابوا عن هذا المشكل :

« بان تتجدد مراسيم المجمع اللبناني في الراس الرابع من القسم الاول في العدد الثالث والخامس ، وايضًا الاوامر المبرزة المقدمة بالخصوص من القاصد للسيد البطريرك ، وان احتاج الامر فلتشهر على الطايفة جميعها » .

«نتيجة الرأي اجابوا : « كما قد رُسم ».

« بخصوص الثاني المورد على هذا النوع:

« ان المجمع المقدس بتبليغ السيد الكلي الشايقة الكردينال كستيالي مقدام المجمع قد حتم بان بطريرك الموارنة لا يستطيع ان يمنح غفرانات كاملة ما لم يكن حصل في الحوادث

[1] ارسانيوس عبد الاحد سرياني الاصل ، صار راهبًا لبنانيًا بحسب الطقس الماروني ثم مطرانًا على الابرشية المذكورة . (الناشر)

الخصوصية على انعام من الكرسي الرسولي ، ولذلك فباطلة هي الغفرانات الكاملة التي منحها السيد البطريرك الحاضر بغير انعام مثل هذا ، ولهذا فالمجمع المقدس يأمر القاصد ان يعلن ذلك للطايفة المارونية » .

« [١٧٠] نتيجة الرأي اجابوا :« كما قد رسم » .

« فنظرًا الى الثالث المتضمن المادية [المادة] الآتية :

« انه قد ورد السؤال بواسطة السيد الكلي النيافة الكردينال كستيللي مقدام المجمع اعني هل يجوز للسيد البطريرك الموارنة [الماروني] ان يلزم المطارنة في ان يأخذوا منه مناشير لاجل زيارتهم ابرشياتهم ، وفي المناشير عينها يقول ان المطارنة المذكورين وكلاه ، وخدام الابرشيات . فالاباء الكليوا (كذا) النيافة اجابوا بان المطارنة لا يلتزمون ان يأخذوا مناشير باجازة من البطريرك حينما بالحق الاعتيادي يزورون ابرشياتهم » .

« نتيجة الرأي اجابوا :« كما قد وُسم » .

« بخصوص الرابع قد كُتب هكذا :

« ان المجمع المقدس لاجل رفع المخاصمات من الوسط الموجودة من مدة مستطيلة ما بين بطريرك الموارنة ، ومطارين طايفته بسبب ايفاء العشور للبطريرك المذكور » .

«ومن جملة القضايا [١٧١] المقلدة للبادري فاليريانوس برانومن رهبنة ماري فرنسيس ، وكان سابقاً رئيس [دير] جبل صهيون ، وقاصدًا لاجل تدبير الامور الكنايسية المختصة بالطايفة المذكورة . وقد اوصاه بان يعتني بكل مكنته ، ويميل الطرفين الى تحديد مبلغ دراهم ثابت يُعطى كل سنة بنوع العشور . ولكن لسبب الصعوبات الموردة من الجهتين لم يمكنه ان يتمم هذا الامر .

« فالسيد الكلي النيافة الكردينال كستيللي مقدام المجمع بموجب تبليغ البادري فاليريانوس المذكور اعرض المشكل الآتي :

« هل يجب ان يتحدد مبلغ دراهم يُعطى كل سنة على الدوام من المطارنة للسيد البطريرك بنوع عشور ، وتحت اي شروط ؟ » .

« فالآباء الكليوا (كذا) النيافة قد استصوبوا ان يجاوبوا :

« انه يجب تحديد مبلغ سنوي دائم مقدار الفين وخمسمائة غرش سامانة الشرق كما سيأتي بيان ذلك . وان القاصد الجديد يعتني في نجاز هذا الامر . ثم ان البطريرك يحق له ان يعطي مكاتيب من قبله لجمع العشور لكل مطران من الموجودين مرةً واحدة فقط لبيان خضوعهم ، وكذلك للمطارنة المزمعين في حال دخولهم الى المطرنية لا غير » .

« والتقسيم هو كما سيأتي :

[١٧٢] غروش		
٣٥٠	مطران حلب	
٤٥٠	«	طرابلس
٣٠٠	«	جبيل
٣٠٠	«	بعلبك
٢٥٠	«	دمشق
٢٥٠	«	قبرس
٣٠٠	«	بيروت
٣٠٠	«	صور وصيدا
٢٥٠٠	الجملة غروش[1] .	

« نتيجة الرأي اجابوا :

« كما قد رسم حسب الاعتدال الآتي ان المبلغ المعين للشور يدوم ست سنين لا غير ما لم يرَ المجمع المقدس بخلاف ذلك ، ويلتزم كل مطران ان يطلب كل سنه من السيد البطريرك منشورًا بجي الشور ، ويدفعها له بدفعتين . ويحق للبطريرك ان يرجع الى حقوقه الاولى ضد المطارين الذين بذنب يتوقّفون في دفع المبلغ المعيّن ، وليعتني القاصد بتجاز هذه المواد كلها حسب الارشاد » .

« بخصوص الخامس المتضمن هذا الكلام : [١٧٣] انه اذ قد انعرض براسطة السيد الكلي النيافة الكردينال كستيلي مقدام المجمع المقدس المشكل الآتي :

« اعني هل يستطيع بطريرك الموارنة ان يعزل المطارنة من ابرشياتهم ، ويمنعهم عن استعمال سلطانهم ، ويفعل غير اشياء التي تنقل اعتبارهم عند الشعوب ، وذلك لاسباب غير كافية ، وبغير شور المطارنة ، وبغير علم الكرسي الرسولي المذكور ؟ » .

١) ذكر المرحوم رشيد الخوري الشرتوني في كتابه سلسلة بطاركة الموارنة المطبوع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ص ١٩٥ ان هذا المبلغ ما برح مطارنة الطائفة يدفعونه للسيد البطريرك حتى سنة ١٩٠٣ . ونظن ان هذه المادة قد اندثرت كما هي في هذه البراءة على اثر الحرب العالمية الاولى . (الناشر)

« فالآباء الكليوا (كذا) النيافة اجابوا :

« لا يستطيع البطريرك ان يعزل المطارنة من ابرشياتهم ، ويمنعهم عن التصرف الكلي بغير شور مجمع المطارنة ، واما في الباقي فيمكنه ان يقاصصهم بحسب القوانين الكنائسية » .

« نتيجة الرأي اجابوا :« كما قد رسم » .

« بخصوص السادس الملخص هكذا :

« انه اذ بان من تبليغ البادري فاليريانوس برانو من رهبنة ماري فرنسيس القاصد الرسولي لاجل توفيق امور الموارنة بان الاتفاق الذي صار ما بين بطريرك الطايفة المذكورة ، ورهبان مار انطونيوس الجبلية [البلديين] تدوم زماناً قليلاً ان كان يتحفظ قانون مجمع غوسطا في جبل لبنان الذي يمنع الرهبان عن الجولان في [١٧٤] الابرشيات بحجة جمع احسان » .

« فالآباء الكليوا (كذا) النيافة بتبليغ السيد الكردينال كتيلي مقدام المجمع الفاحص المشكل الآتي بيانه :

«هل انه مع وجود القانون المقدم ذكره يجب السماح للرهبان ان يجولوا في الابرشيات المذكورة لجمع الاحسان ؟ » .

« قد رسموا :

« انه يجب ان تحفظ رسومات الرهبان كما مرّ القول ، وايضاً رسايم المجمع اللبناني المحررة في القسم الرابع ، الراس الثاني ، العدد الثامن حسب النية . والنية هي نصح المطارنة في ان يكونوا سهلين في منح الاذن للرهبان بالشحادة متى تحقق عندهم احتياجهم » .

« نتيجة الرأي اجابوا :

« كما قد رسم ، انما الرهبان يمكنهم ان يعرضوا أمرهم ودعوتهم على السيد البطريرك متى امتنعت المطارنة ضد الصواب ان يسمحوا للرهبان باذن الشحادة » .

« بخصوص السابع الآتي بهذه الالفاظ : (المشكل هو) :

« هل يجوز للسيد بطريرك الموارنة ان يقبل الكهنة والرهبان الغير خاضعين لاوامر رؤسائهم ، ويأذن لهم بالذهاب الى غير مكان ضد ارادة رؤسائهم المذكورين ؟ » .

« فالآباء الكليوا (كذا) النيافة بتبليغ السيد الكلي النيافة الكردينال

كستيالي مقدام المجمع [١٧٥] اجابوا :

« انه لا يستطيع كما هو محرر في الرأس الثاني من القسم الرابع في العدد التاسع والحادي عشر من المجمع اللبناني » .

« نتيجة الرأي اجابوا :» كما قد رسم »

« فجميع هذه الاشياء يجب تنبيهما للبادري بطرس موريتا القاصد الرسولي لكي بكل سلطان واجب وضروري الذي يطلب له من قدسه ، ويجتهد بنجازها كلياً » .

»وهذا الختم الذي اعتمد عليه المجمع المقدس قد تبلغ في اليوم السادس من نيسان ١٧٧٧ من السيد اسطفانوس بورجيا كاتم الاسرار لقدس الحبر الاعظم البابا بيوس السادس. فقدسه بجلمز قد اثبته بكل معانيه ، وبالسلطان الرسولي امر بنجازه كلياً . ولذلك قد منح للبادري بطرس موريتا كل سلطان واجب ولازم .

أعطي برومية من دار المجمع المقدس في اليوم العاشر من شهر ايار ١٧٧٧ .

اسطفان بورجيا كاتم الاسرار	يوسف ماريا كردينال كستيالي مقدام المجمع المقدس

« فجميع هذه المراسيم ، وغيرها مهما كانت ، او انها انتشرت ، او سوف تنتشر من المجمع المقدس نفسه لاجل تدبير الطايفة المارونية اعلن باني اوقرها، واقبلها ، واقوم بتكميلها بغير غش ، ولا تصنّع ، ولا مخاتلة .

»[١٧٦] ثم اقدم بكل خضوع اقراري ، واعترافي هذا الصادق،والحقيقي، وتكذيب ذاتي امام قدس سيدنا البابا بيوس السادس ، واتوسل اليه بكل خضوع ان يحلني من اي قصاص كان ان كنت وقعت فيه ، ويردني الى نعمته وحنوه ، ويقبلني كابن نادم ، وتائب على ذنوبي السالفة . ومتى تنازل قدسه وارتضى بانتباهي [بارعوائي] وتوبتي الصادقة ، اتوسل اليه بكل اتضاع ان يردني الى التصرف والسلطان البطريركي ، والى تدبير طايفتي مع كل تلك الشروط ، والتحديدات ، والخصوصيات التي بارادتي اعد بالقيام بحفظها وقبولها معتمدًا بذلك ان اظهر ذاتي في المستقبل ابناً خاضعاً وطايعاً الى الكرسي الرسولي الروماني ، والى راسه الموجود الان الحبر الاعظم البابا بيوس السادس ، والى

خلفائه ، والى مجمع انتشار الايمان المقدس . واقراري هذا ، وتكذيبي ذاتي ، وقبولي ، ووعدي بالنوع المذكور، فاني اثبته واؤيده بالقسم بخط يدي وختمي.

« اعطي برومية في اليوم الثامن [من] آذار سنة ١٧٨٤ » .

مكان الختم   بحضور شاهدين

يوسف بطرس اسطفان

البطريرك الانطاكي »

بخط يده

نحن المدونين اسمنا ادناه نشهد بان السيد الكلي الشرف والاحترام السيد يوسف بطرس اسطفان بطريرك الطايفة المارونية قد سجل هذه الوثيقة بخط يده ، وختمها بختمه بحضورنا ، وذلك :

في ١٨ [من] اذار سنة ١٧٨٤ . [١٧٧] .

القس يوسف   القس سمعان

تيان مرسل رسولي   صباغ مرسل رسولي »

بيان لا شك ان التايب الحقيقي، والراذل ذلاته يجب ان يُعطى له الغفران بغير توقف ، وان لا يتأخر عن الرجوع الى كرسيه ومقامه ، لكون بعد الزلة والتوبة عنها، فلا هارون كاهن الشريعة العتيقة ، ولا بطرس اضاع المقام الاعلى الرسولي على الكنيسة . فلذلك قد آمرنا قاصدنا اسقف ايروس ان يذهب سريعاً الى كسروان ، وهناك يرد الاخ الموقر يوسف اسطفان الى بطريركيته، ويخوله مقامه السابق وسلطانه . وبهذا النوع تلك اليد الرسولية التي ربطته تحله ، ومن ينبوع سلطان واحد يجري القصاص على الذنوب ، وبالانتباه والندامة عليها تبدو النعمة والرحمة . هذا نفسه نرغب ان يكون عندكم بمنزلة برهان فريد عن حبنا الابوي نحو طايفة الموارنة ، وعربون اعتبارنا لها نظراً الى غيرتها في الايمان الكاثوليكي ، وثباتها في الاحترام نحو السدة البطرسية . ولهذا فاننا نشملها بانتشار اعظم مديح .

وهذه العزائم السامية ، عزائم ارادتنا الحبرية يوردها جهاراً ، ويأكدها [يؤكدها] لكم ، ولجميع الطايفة قاصدنا نفسه ، الذي بما انه خادم سلطاننا ، فهكذا نقيمه عندكم ترجمان قلبنا الابوي ملتمسين لكم من الله جميع المؤازرات وجمال الفضايل بملاحظة حلمنا عينه . واخيراً بمؤازرة غيرتنا الكلية [١٧٨]

لطايفتكم شنحكم بكل حب ايها الاخوة الموقرون ، والابناء المحبوبون ، ولجميع طايفتكم البركة الرسولية .

اعطي برومية بجذاء كنيسة القديسة مريم العظيمة تحت ختم الصياد في اليوم الثامن والعشرين من شهر ايلول سنة ١٧٨٤ . وهي السنة العاشرة من حبريتنا .
بانديكتوس سطالي

عدد ١٦ : البراءة المتضمنة الرخصة الممنوحة من البابا غريغوريوس الثالث عشر للسيد البطريرك الكلي الاحترام في زيارة الاعتاب الرسولية بواسطة سفير او رسائل بحسبما يرى موافقاً ، وقد اعطيت سنة ١٥٧٩ في اليوم الثامن عشر من شهر ايلول[1] .

غريغوريوس الاسقف عبد عبيد الله

الى الاخ الموقر بطرس المنتخب بطريركاً على الموارنة ، السلام والبركة الرسولية .

ان اهتمام الحبر الروماني الذي ولّاه ذاك الراعي [١٧٩] السماوي ، واسقف الانفس على الكنائس باسرها بتقليده اياه ملوء السلطان سبيله ان يتبصر متيقظاً نحو حال اية كنيسة كانت ، ويمعن النظر باجتهاد كذا حتى ان بواسطة عنايته الحاذقة ، وتارةً بوظيفة التدبير البسيط ، وحيناً بواسطة خدمة الثقل [الواجب] بحسب ملائمة اقتضاء كيفية الاشخاص ، والامكنة ، والأزمنة ، وبحسب ايجاب فائدة الكنائس يقام لكل كنيسة راعٍ مناسب ، ويقلد مدبر ذو دراية ليسوس الشعب الموكول لاهتمامه بتدبير خلاصي ، وليس فقط يدبر بفائدة خير الكنيسة المؤتمن عليها بل ايضاً يزيدها نمواً بانواعٍ كثيرة .

ولعمري حيث ان كنيسة الموارنة التي كان متولياً عليها ذو الذكر الصالح بطرس بطريرك الموارنة بمجال حياته قد اضحت فاقدة تعزية الراعي بموت البطريرك بطرس المذكور الذي توفي خارجاً [بعيداً] عن الكورة الرومانية منذ جملة سنين. فالابناء الاحياء الاكليروس والشعب الماروني اذ اجتمعوا كواحدٍ لاجل اتمام انتخاب بطريرك الموارنة المتيد بموجب الطقس والعادة المحفوظة للآن في انتخاب

1) راجع اصلها اللاتيني في كتاب البراءات المار ذكره للشيخ من ص ٧٧ الى ٧٨ . (ن) .

كذا ، فاتباق [فباتفاق] جميعهم قد انتخبوك انت الاسقف بطريركاً للموارنة؛ ولذلك فنيا نحن معتبرون استحقاقات الفضائل العظيمة التي جمّل بها شخصك الله تعالى معطيها . وكونك قد تصرّفت التصرّف الحميد حتى الان بخدمتك الحبرية ، فنعرف ، ونريد ، ونقدر بمعونة الرب ان تسوس الكنيسة المار ذكرها بنوع خلاصي ، وتدبرها بسعادة . فنحلك برسومنا هذا من حكم كل حرم ورباط ومنع ومن باقي الاحكام الكنائسية مها كانت، ومن التأديبات [١٨٠] والعقوبات المبرزة من الناموس ، او من الانسان لاية حجة او سبب كان اذا وجدت متعرقلاً بها باي نوع كان ، وذلك لغاية نوال مفعول رسالتنا الحاضرة فقط ، ونعتبرك محلولاً منها .

وبمشورة اخوتنا ، وبملء السلطان الرسولي قد حلّيناك [حللناك] وان كنت بعيداً من الارتباط الذي كنت موثوقاً به في الكنيسة الكاتدرائية المترليا ، ونقلناك الى كنيسة الموارنة المذكورة وولّيناك بطريركاً عليها وراعياً مقلّدين لك تقليداً تاماً الاهتمام بهذه كنيسة الموارنة نفسها ، وتدبيرها بالامور الروحية والزمنية ، الا انه حيث ان الرؤساء الذين يتحفهم الكرسي الرسولي المذكور بنعمته وشركته فبموجب التحديدات الرسولية يلتزمون بمقتضى اليمين بالصورة المسلمة من الحبر الاعظم الروماني ، لكل من يُرقّى منه بان يزوروا إعتاب الرسولين بطرس وبولس الطوباويين ، منهم كل سنة ، ومنهم كل سنتين ، ومنهم كل [ثلاث] سنوات ، ومنهم كل اربع سنوات ايضاً بحسب ابتعاد الاماكن والازمنة . اما انت الموجود في البعد الشاسع عن هذه الاعتاب ، وتتطوح في مخاطر عديدة باخذك هذا السفر ، فمن حلمنا الرسولي نرخص لك بان تستطيع تتيم ذلك بواسطة سفير خاص متى تيسر لك ، والا فبواسطة رسائل منك تنفذها لدى الكرسي المومى اليه لاننا احتسبنا ان نترك كلا الامرين لدرايتك .

أعطي في رومية حذاء القديس بطرس سنة ١٥٧٩ للتجسد الالهي في اليوم الثامن عشر من ايلول[1] وهي السنة الثامنة لحبريتنا .

---

١) ورد التاريخ في الاصل الذي نشره النبي في كتابه المذكور انه « الرابع عشر من تشرين الاول » من السنة نفسها . (الناشر)

[١٨١] عدد١٧براءة : [براءة] البابا بناديكتوس الرابع عشر في النظام الواجب حفظه في دعاوي بطلان النذر الرهباني .

بناديكتوس الاسقف عبد عبيد الله لتذكار الامر مؤبداً

فاتحة

انه اذا لم يكن جائزاً نقض الذمة المعطاة للناس ، ولا الاخلال بالعهود ، تلك التي تستمد قوتها من النواميس البشرية او تكتمها ، فباولى حجة يلزم الامر ان يُحفظ دون تمييز قصد العقل الملتزم لله . فنحن خاصةً المقامون من الله بمنزلة حراس للنواميس المقدسة يلزمنا ان نقرر الثبات الدائم ، والحفظ لتلك المعاهدات الغير القابلة الانحلال من الناموس الالهي والكنائسي .

النظام المرسوم من قداسته في دعاوى الزيجات

ولاجل ذلك فمنذ سنة ١٧٤١ للتجسد الالهي ، وهي السنة الثانية لحبريتنا، قد اصدرنا رسالة رسولية بدؤها « نحن الذين برحمة الله » ، وقد ادرجت فيما بعد في المجلد الاول عدد ٣٣ من كتاب برآءتنا [براءاتنا] ، بها قد فرضنا رسماً معيناً ينبغي حفظه في المحاكم الكنائسية ، حينما ينبغي ان تفحص وتتحدد فيها النظام المرسوم[في] الدعاوى التي تصير بها المماطاة على بطلان زيجة ما منعقدة . ولكن ليس بقصد ان تمنع التماس او صدور [١٨٢] الحكم في بطلان زيجة ما اذا اتفق انعقادها مع وجود مانع ما مبطل بل لكي تعتني بزيادة ايضاح الحق في جنس قضاء كهذا معتبر جداً ، به تحصل المماطاة في عهد الزواج المقدس. ولكيلا يفسخ القضاة باحكامهم رباطه الغير القابل الحل لاسباب عديدة كانه باطل منذ ابتدائه دون معرفة اكيدة للغاية بجميع تلك الاشياء الموصلة بالخصوص الى واقع الامر . وبمعونة الباري قد تحققت فائدة هذا الرسم جلياً حتى هذا اليوم ، اذ منذ ذاك الحين قدخلت المحاكم من تعلق جملة دعاوى في زعم بطلان الزيجات ، ولم تعد تتقدم لنا بتواتر مثل قبل التوسلات بشأن استمداد الحل من الزيجة الثابتة، والغير المكملة . حيث انه قد وُضعت بازاء اعين الجميع صعوبات عظيمة حقاً ، لكنها عادلة من كل وجه ، التي بموجب الرسم الجديد المسنون لنا ينبغي الانتصار عليها من كل احد قبل ان ينال غايته المرغوبة .

لاجل نفس هذه الاسباب قد حكم بترتيب رسم جديد لاجل الاحكام في بطلان النذور الرهبانية

ومن ثم فكما قد صار الاعتناء منا في امر الزيجات الجسدية ، فهكذا الآن بطريق المناسبة حكمنا ان ترتب رسماً في رباط الانفس الروحية ، اي نذور القانونيين الرهبانية من كلا الجنسين ، اعني اننا لنسلم [١٨٣] قاعدةً ودستوراً مبيناً يجب ان يحفظه القضاة الكنانسيون كل مرة يتفق [يتفق] ان تصير المرافعة لديهم بالتقاضي على بطلان النذور المبرزة في رهبنة قانونية مثبتة من الكرسي الرسولي ، انما ليس ذلك لغاية ان يمنع السبيل للذين يرومون لاجل علل صوابية اقامة كذا دعاوى ، ويلتمسون الايضاح بتلاشاة النذر المبرز منهم من باب البطلان بل لكي يستطيع القضاة انفسهم ان يعرفوا حقيقة الامور نوعياً ، ويبرزوا احكامهم مسنودة على [الى] اساسات غير مرجوجة ، ولئلا يحكموا على احد من جهل الفعل انه منحل من الوثاق حال كونه ربما السبب صحة ابرازه النذور الاحتفالية يلبث بالحقيقة مرتبطاً بالرهبنة التي ترهب فيها .

ومن هذا الرسم المزمع تسليمه منا نرجو حصول هذه الثمرة ايضاً في انه يضحي نادراً [نادراً] تقديم دعاوى في بطلان النذور الى المحاكم فيما بعد ، والذين يحصلون بعده على ايضاح بطلان كذا [من] المحكمة الخارجة ، وبالتالي يغادرون الرهبنة ، فلا يعيشون من ثم بضمير قلق او عادم الامن ، حتى يلتزموا ان يلتجئوا الينا ، او الى وظيفة محكمة التوبة الرسولية ، كما يعلمنا انه حدث مراراً ، وباخفاء اسمهم في عريضة التوسل (بحسب العادة) مع اقرارهم [١٨٤] بان الحكم في بطلان نذورهم قد حصّلوه بصفة غاشة ، اما بخداع القاضي ، اما بارتكاب الكذب في شرح واقع الحال ، اما بواسطة شهود مرشين ، فيلتمسون من الاتمام والتفسيح الرسولي ان تُعطى لهم الرخصة في ان يمكثوا في العالم .

نوع قبول الدعوى ضد النذر ضمن الخمس السنوات بموجب مرسوم المجمع التريدنتيني

ولذلك فحتى نتصرف بنظام ينبغي ان يحير التمييز اولاً وبدءاً مـا بين اوليك الرهبان القانونيين ، الذين خمن خمس سنوات منذ يوم ابرازهم النـذر الرهباني ، يقيمون الدعوى على بطلانه ، وبين اوليك الذين يدّعون ذلك بعد مرور الخمس سنوات . فنظراً الاولين شهير ما يرسم المجمع التريدنتيني المقدس بشأنهم في الجلسة ٢٤ عن القانونيين رأس ١٩ بهذه الالفاظ :

« اي راهب قانوني كان يدّعي انه دخل الرهبنة غصباً او خوفاً ، او يقول ايضاً انه نذر قبل السن الراجبة ، او ما اشبه ذلك ، ويروم ان يشلح [يخلع] الثوب باية حجة كانت ، او ان ينشح [يترك] لابساً ثوبه [المدني] دون اذن الرؤساء ، فلا يُستمع له الا ضمن خمس سنوات فقط من يوم ابرازه النذر . ولا يسمع له حينئذ ايضاً ان لم يقدم امام [١٨٥] رئيسه واسقف المكان الحجج التي يزعم بها » .

وهذا المرسوم يشمل الراهبات ايضاً

ففي هذا المرسوم ، وان كان يؤتى بذكر الرهبان الرجال فقط بالحرف ، فمع ذلك يشمل النساء الناذرات بالرهبنة ايضاً . لان بموجب قواعد الناموس الجنس المذكر يتضمن به حيثما السبب الواحد نفسه كان، والمؤنث على حد سوى. فهذا المرسوم، وان كانت الفاظه واضحة بالكفاءة [بالكفاية] ، الا انه قد نشأت جملة محاورات على معناها وقوتها .

يؤيد الجنسين المذكر [والمؤنث] ويدخل ايضاً على حدّ سوى. في حادث الدعوى المقامة عن الرهبنة نائب

على انه ان كان الكلام ثم واقفاً على القانوني الناذر المدّعى بطلان نذره : « فاي راهب قانوني كان يدّعي انه دخل الرهبنة غصباً وخوفاً الخ » فلا يُرسم شيء بتصريح عن جمعية الرهبنة نفسها التي يهمّها احياناً ان يتوضح بطلان نذر سيلها مثلاً اذا كان احد لم يكف [يكشف] مانعاً ما خفياً غب سؤاله عنه مع الايضاح بانه اذا كان ربما موجوداً ، وغير مكشوف ، فلا ترتضي الرهبنة بقبوله فيها . فهنا حصل الارتياب هل ، والحالة هذه ، يقدر الرئيس القانوني

ان يسبق الدعوى دون اسقف المكان ، ام هل في نوع هذه الحادثة ينبغي فحص الدعوى امام الرئيس القانوني ، واسقف المكان معاً ؟ فعلى هذا قد حكم بثبات مجمع كردينالة [كرادلة] الكنيسة [١٨٦] الرومانية المقدسة ، المقلدين من الكرسي الرسولي تفسير المجمع التريدنتيني نفسه ، بان كذا دعاوى على بطلان النذر الرهباني سواء تقدمت من القانون في الناذر ، ام من الرهبنة الى المحكمة ضمن الخمس سنوات يجب ان تسمع من الرئيس القانوني ، ومن الاسقف المكاني معاً .

الخمس سنوات تحتسب من يوم النذر حتى في حادث الخوف المستمر ، والمانع لاقامة الدعوى

ومن كون الخمس سنوات التي ضمنها تقبل الدعوى على النذر وقد اراد السينودوس [المجمع] المقدس ان يحسب ابتداءها من يوم النذر ، وكون الحجة الاولى والاعم المعتاد تقديمها لغاية بطلان النذر تقوم بالخوف ، والخوف يدوم كل مدة الخمس السنوات ، واحياناً ازيد من ذلك . فقد سئل هل متى كان الكلام عن الخوف يجب حساب بدء الخمس السنوات من يوم ابراز النذر عينه او من اليوم الذي ابتدأ الناذر ان يحصل على الاستطاعة في اقامة الدعوى بكل حرية ؟ فمجمع الكردينالية [الكرادلة] المذكور قد اوضح انه في كلا الحالين يجب ان تحسب زمان الخمس سنوات الممنوح من يوم ابراز النذر .

ان الدعوى المقامة ضمن الخمس سنوات ، ولو تركت ، فمع ذلك تسمع من الاسقف المكاني ، والرئيس القانوني

وقد يتعلق بقضية الخمس سنوات بحث آخر اعني هل الاسقف المكاني ، والرئيس القانوني المار ذكرها [هما] يقدران ان يسمعا دعاوي بطلان [١٨٧] النذر بعد الخمس سنوات غب ان كان الناذر [الناذر] اقام الدعوى ضمن كرورها ، غير انه اهمل ، ولم يمكنه مواصلتها ، فقد حكم من المجمع المرقوم نفسه انه يجب معاطاة الدعوى امام القضاة المومى اليهم المذكورين من المجمع ، ولئن كانت مضت الخمس السنوات بحيث يتضح بالكفاءة [بالكفاية] ان الدعوى قد حاول المدعي اقامتها عن عمد ضمن الزمان المحدود .

ان الرئيس القانوني نظرًا للمفعول الخ يُفهم به الرئيس المكاني وقت اقامة الدعوى

وعلى القضاة انفسهم المعيّنين من السينودوس [المجمع] المقدس سماع كذا دعاوى بتلك الالفاظ : « امام رئيسه ، والاسقف المكاني » قد نشبت جملة مباحث قد اوحيت اعطاء ايضاح اجلى للالفاظ المذكورة . فاولاً قد سئل من ينبغي ان يُعد الرئيس القانوني بالنسبة للحادث والمفعول الواقع عليها الكلام؟ هل ترى رئيس المعاملة او مدبر الجمعية الرهبانية العام ؟ فالمجمع مفسر السينودوس [المجمع] المومى اليه قد حدد بانه الرئيس المكاني اي الاباتي ، او الكورديان [الحاوس] ، او الاول ، او المترأس المدعو باي اسم كان ، او مدبر ذلك الدير ، او الكنوبيون[1] الذي فيه ابرز الراهب المدعي النذور اعني من كان مباشرًا تدبير الدير المذكور او الكنوبيون في ذلك [١٨٨] الوقت الذي فيه تتقدم الى القضاء الدعوى على بطلان النذور .

وكذلك يُفهم به نظرًا الراهبات ما لم تكن خاضعات بدون واسطة اسقف المكان

وقد سئل ايضاً من ترى ينبغي ان يكون رئيس الراهبات الخصوصي لغاية استماع دعوى بطلان نذورهنّ ، والحكم بها جملةً مع اسقف المكان ؟ فكان الجواب بانه اذا كان الكلام عن الراهبات الخاضعات لاسقف المكان بدون واسطة ، فحينئذٍ اسقف المكان بمفرده يحكم في نذر المدعيات فمن الخمس السنوات ، حيث ليس لهن رئيس قانوني . اما اذا كان الراهبات خاضعات لتدبير الرهبان القانونيين ، فحينئذٍ كذا دعاوى يُحكم بها من اسقف المكان، ومن الرئيس القانوني معاً ، اعني من ذاك الذي تقلد له كامل تدبير الدير ، انما ليس من معلم اعتراف الرهبان القانوني .

الرئيس القانوني لا يقدر يستعفي من استماع الدعوى، لكنه يقدر ان يقيم خلافه مناب نفسه

ثم انه قد حصل الارتياب في هل يمكن الرئيس القانوني ان يترك حقه هذا للاسقف المكاني ، ويسمح له بان يجري وحده سياق كذا دعاوى ، ويحكم بها ؟ فالمجمع المشار اليه قد انكر امكان صيرورة [١٨٩] ذلك ، لكنه

---

[1] الدير العام . (الناشر)

رخص للرئيس القانوني بانه اذا لم يشأ سماع الدعوى ، او لم يمكنه ، فيستطيع ان يقيم نائباً عنه اما راهباً قانونياً ، ام شخصاً كنائسياً علمانياً خبيراً بالناموس القانوني يمارس وظيفة القاضي جملة مع الاسقف المكاني.

لدى اختلاف القضاة فيا بينهم ، فالدعوى ترتفع للكرسي الرسولي

واخيراً قد صار البحث في انه اذا اتفق حصول تخالف في الاحكام بين الاسقف المكاني ، والرئيس القانوني ، فاي حكم منهما هو الاولى قبولاً ؟ ففي هذه الحادثة قد صدر الجواب ان الدعوى المذكورة تعتبر انها ارتفعت لحكم الكرسي الرسولي .

انما لتختص بالكرسي الرسولي دون غيره دعاوى النذور المبرزة خارج الاديرة المعينة للابتداء

وحيث انه فيما بين الروس [الاسباب] المبطلة للنذر الرهباني يُحصى واحد ايضاً ، وهو اذا ابرز احد النذور في كنوبيون غير معيّن كليا لابتداء المبتدية [المبتدئين] . لكن في تلك الامكنة التي قد امر سالفنا ذو الذكر الصالح البابا اكليمنضوس الثامن بان المراسيم المبرزة منه بشأن القانونيين يكون لها قوة فيها . فاذا اراد احد ان يطعن بهذه الحجة على النذر المبرز منه ضمن الخمس السنوات ، او اذا التمست الرهبنة ضمن الخمس السنوات المرقومة ايضاح بطلان نذر احد بحجة كذا . فيوجد [١٩٠] مرسوم من سالفنا الآخر ذي الذكر السعيد البابا اوربانوس الثامن صادر لاجل اسباب صوابية معتبرة ، وعن مشورة المجمع المقدم ذكره آنفاً مفسراً المجمع التريدنتيني بتاريخ خمس خلت من كانون الثاني سنة ١٦٣٦ ابتداؤه : « انه لاجل مساعدة » به قد رسم ان كذا دعاوي تنوط [تناط] بالمجمع المذكور نفسه دون غيره . فهذه هي المراسيم الاخص في هذا النوع المقتضبة من سجلات المجمع الممتدح آنفاً ، التي وان كانت مثبتة من غير جهة ، ومؤيدة مراراً بالسلطان الرسولي من سلفائنا الاحبار الرومانيين ، فمع ذلك نحن بموجب هذه الرسالة نجدد لها متمة [منحة] التأييد والتثبيت بالسلطان المتساوي ، ونأمر بان تعتبر فيما يأتي كدستور من جميع الذين تخصهم ، او سوف تتعلق بكل منهم ، وان تحرز النفوذ التام .

(يتبع)

وثائق أُنف

ان المرحوم الاب لويس بليبل واضع تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ، كان ولوعاً وضنيناً جداً بكل ما عثر عليه من وثائق واوراق قديمة، فاراد ادماجها بتاريخه المجلد الثالث الذي ننشره تباعاً في « المشرق الاغر » . ولما كانت تلك الوثائق خارجة عن نطاق التاريخ الخاص بالرهبانية ، رأينا نشرها على حدة لما فيها من فائدة .

الاب بطرس ساره اللبناني

قال رحمه الله ، اني في اثناء بحثي عن اوراق قديمة ، استعانة بها على وضع تأليفي ، عثرت على صورة منشورَين « فرمانَين » صادرين من لدن الملكة كاترينا الثانية امبراطورة روسيا ، جواباً على عرائض استغاثة رفعها اليها امراء سناجق مصر . وكان ورود ذلك عن يد قنصل هذه الدولة . اما كيفية او سبب ورود هذَين « الفرمانين » (الرسالتين) ، من لدن الامبراطورة المذكورة ، فقد رواه الامير حيدر شهاب في تاريخه المعنون « نزهة الزمان في تاريخ لبنان » . قال : في تلك الايام حضر الى مدينة دومياط رسول من عند الملكة كاترينا سلطانة المسكوب، بمكاتيب باللغة التركية الى امراء مصر ابناء محمود بك ابي الذهب، تذكرهم فيها انه وصل اليها عرض حالهم وصار معلوماً لديها انهم قد جعلوا اتكالهم عليها . فهي قد اجابت سؤلهم وامرت بخروج عمارة عظيمة مؤلفة من ثلاثمئة وثمانين مركباً ، فيها خمسة واربعون الف محارب. ولما وصل هذا الرسول الى مدينة دومياط ، اخبروه ان اسرة محمد بك ابي الذهب قد طردتهم الدولة العلية الى بلاد الصعيد وان والي مصر يومئذٍ هو اسماعيل بك بأمر الدولة ، وهو يتمنّع عن قبول هذه المكاتيب وقد يخشى من ان يقتله . فصرّح الرسول بانه لا بدّ له من الوصول اليه بحسب امر مولاته . فارسل وكيل جمرك دمياط اخبر اسماعيل بك بذلك ، فامره ان يرسل الرسول الى بولاق فارسله . وعند وصوله حضر اليه اسماعيل بك واخذ منه المكاتيب ورجع الى مصر . وفي الغد عقد اسماعيل بك ديواناً واحضر اليه القضاة والعلماء والاعيان واراهم تلك الكتب فاجمع رأيهم على ارسالها الى الدولة العلية ، فارسلها ورفع الرسول الى القلعة السلطانية .

وهذه حرفية الرسالة الاولى :

بعون عناية رحماني وميامن توفيقات حمداني ، جلّ شأنه وعمّ احسانه . انا هي كاترينا الثانية ، الضابطة بذاتي وبعونه تعالى السلطنة على اجلال ممالكي روسيا وسقوفيا . . . وممالك قوزاق خاني وجان استراخاني خاقاني . . . المستقلين بملكنا من فضله تعالى بالارث والاستحقاق ..

ان النامة (الرسالة) الواجب استلامها الواردة الى سلطنتنا من عموم امراء المملكة المصرية ومن الذين هم تحت تصرفهم جميع الارباب والطوائف المقدمين لدولتنا حسن النية وخلوص الارادة ، صار معلوم ملكنا كيف المشار اليهم يلتمسون ان نخلصهم من قهر وتسلط وأمر الدولة العثمانية وانهم يكونوا مستقلين في مملكتهم . فيتضمن تحريرهم ان مرادهم ومقصودهم من سلطنتنا ان ترفع عنهم غدر العثمانية ولا تتركهم . وملتمسين ايضاً ان نظهر عليهم من عتبتنا العالية حسن المعاملة وسند اليد وان يكونوا حكم الايام القديمة في مملكتهم مستقلين بدولتهم وامداد وعنايات سلطتنا يكون دائم عليهم . فلاجل قبول ذلك في اعتابنا العلية فيحتاج بتلك الاطراف الى مكللة ومذاكرة عقد وعهد وشروط ، فاقتضى ارسال بارون كوزا ونونس تاموز لاجل عقد العهد والشروط اللازمة لاجل عساكرية البرية والبحرية الذين هم بتصرف الساري عسكر والاميرال غريك الذين يتوجهون لمساعدتهم بعد اتمام الشروط المذكوره فتكون له حركته وعمله بموجبها وتستنظروا من بابنا الهمايوني ناما همايونية على تصديق وتحقيق الاعتماد الكلي على تفضلاته التي اعطيتها وذلك(لذلك)تفضلت بهذه الناماحكم باطناها ابثه الى مملكتي بتفضلي في هذا الفرمان في اواخر شهر شباط ١٧٨٨ وهي السادسة والعشرين من مملكتنا .

تحريراً في مقام بطرس برج

(عن نسخة في يدي)

صورة الفرمان الثاني

انا هي كاترينا الثانية في القياصرة الضابطة الممالك المذكورة ايضاً خطاباً لافتخار الاماجد والاكارم الحاكمين حالاً بديار مصر عزتلو سعادتلو ، امراء عظام وحكام . انهم ، من تحت احكامهم من الارباب والطوائف المختارين . من بعد التحيات الصافيات والتسليمات الوافيات ، انه بعناية الله وعاطفته الالهية في هذه الاوقات من بعد وفائنا بالعدل ومراعاتنا بالصلح والصلاح مع آل عثمان خاصة ، لاجل ثبات العهود من حين حصولها الى الآن ، وهو بخلاف ذلك ما زال كل سعيه وهمه بسوء قصده بغدر العهود من حين حلولها الى هذا الآن . وغير ممكن كان يسكت لان مطلوبه الشر والخيانة مع ملكنا وبغرضه تعدّى العهود ورفع الفم عنده

من طرفنا اياجياً (مندوباً) المذبر عبرس في يدي قادة وكشف طلبه محاربتنا . ولا بد صار مسموع ومعلوم عند امرتكم ذلك . ومن قدم الزمان معلوم ومسطر ان هذا رأيه ومرامه . واطوار دولتنا ان تسلك بحسن النية وميل المحبة . ونحن على كمال الرتبة نميل الى المصالحة .

ولذلك ورد الى طرفنا قنصلنا بارون تونس في علم واعلام لسلطنتنا من جانب امرتكم بخالص الامل والمرام لتحسين قبول دولتنا باظهار الحماية والنماية وبذل التفضل بالفعل والقوة فحصل في نفس رضانا الهمايوني اجرآء به .

ولاجل تحقيق ذلك والاعتماد الكلي ' اعطيت المومأ اليه بارون تونس ان يبادر ويتوجه الى طرف امرتكم لاجل ان تكونوا حسب القدم الحكام غيرةً ومحبة واحدة . وتكونوا ساطين على اقاليم مصر واموالها . ونحفظكم ونصونكم بكل مكنة من جور وتعدي وغضب وقهر ' لان معلومكم بذات الوقت الدولة العثمانيــة واقع بينها وبين دولتنا محاربة انشاء الله تعالى بعد قهر هذا المتسلط المتجبر ' تكونوا دائماً في مملكتكم بأمرٍ حال واحداً بال . ويرونكم مستقلين في مملكتكم . فالايق بشهرة نامكم (ناموسكم) وشانكم تحصيل هذه الوسيلة ولا تفوتوا هذه الفرصة وتكونوا متبصرين في بلادكم .

وبعد هذا ليس من خواص سلطنتي التوقف عن الاعانة لمن التجأ الى مسلكي . فان امداد امريتكم واعانتها عندي من اهمّ واخص اللوازم . وحال سماعي ووقوفي على وجه مرادكم من غير ريب اطلعت على هذا الصارف (المندوب) المرسل اليكم كل فصل وخلاصته تذاكرة يعرضها لكم المومأ اليه . فتسمعوا منه جميع مطالبي وترسلوا من جانب امريتكم جواب مرخص لملكنا .

وان شاء الله تعالى في هذه السنة المباركة في ايام الربيع دونتانة الهمايونية يتوجه كفاءة المقدار بعساكرها الى تلك الاطراف واذا قابلت دونتا[1] العثمانية يكتسبها . وبذلك لا يمكنه بوجه من الوجوه ' يعمل حركة عداوة معكم ما عدا انه يرفع عنكم سوء قصده . ودنتانة الهمايونية مأمور باقامها من طرفنا حال استماعها بطلب الامداد منكم لاجل اعانتكم حسب الوقت والحال الممكن تتوجه الى اعانتكم .

فعلى موجب ذلك لازم ترسلوا من طرفكم مراسيل جواب شافي بما ينوط بكل اطرافه مربوط بخلاص حسن نيتكم واعتمادكم على دولتنا . وكذلك تحضروا جميع المتعلقين بامريتكم وعساكر ورؤساء عساكر والارباب السائرة اي انه لا احد يتداخل ويتمساطى ويتعارض للدونتانة الهمايونية المتوجه لمساعدتكم ولاجل اثبات المحبة ايضاً الامبرال والامبرال كوربك ساري عسكرنا ونفضلنا في هذا الامر والفرمان في ٢٧ شباط ١٧٨٨ .

صح . منقول حرفياً عن الاصل

---

(١) الدونتا لفظة فارسية تعني السفن الحربية .

من الوثائق الانف

رسالة من الاب انطون مارون الحلبي اللبناني رئيس الرسالة في مصر
الى السيد البطريرك يوحنا الحلو يخبره عن سوء معاملة الحكومة المصرية
لبعض اصحاب الوجاهة من طائفة القبط الكاثوليك

والسبب الداعي لهذا الكتاب هو ان الاب انطون مارون رئيس الرسالة المارونية في مصر كان يطلع السيد البطريرك على ما يهمه من الحوادث التي تقع للطوائف الكاثوليكية في ذلك القطر . ومنها حادث المعلم الوجيه جرجس غالي القبطي الكاثوليكي ، ناظر الاقلام الاميرية في الحكومية المصرية . وهو معروف بوجاهته عند جميع الطوائف الكاثوليكية التي كان غيوراً عليها ومحباً لها ومحبوباً منها . وكان له نظر خاص على الطائفة المارونية .

لذلك رأى الاب انطون المذكور ان يروي حادثته المؤلمة للسيد البطريرك يوحنا الحلو بهذا الكتاب ، في سنة ١٨١٦ وهذا نصه الحرفي بلهجته المصرية :

« لا بد بلغ سيادتكم (غبطتكم) ما قد حصل الى المعلم جرجس غالي القبطي الكاثوليكي من اخصامه القبط الاراطقة اذ جرّموه بثلاثين الف كيس اي خمسة عشر مليون قرش(١٥،٠٠٠،٠٠٠)وانه يسلمه بيدهم وهم يعملوا حسابه والذي ينقص عن المبلغ المذكور هم يقدموه بحيث المعلم غالي يقتل . فالباشا ما قبل يقتل غالي بل قال لهم اني انوت لكم من المبلغ ستة الاف كيس (ثلاثة ملايين ٣،٠٠٠،٠٠٠) ثمن دم غالي وآخذ منه كامل ما تملكه يده من كلي وجزئي والذي يتحصل فوق ثمن دمه احسبه لكم والباقي اورده للخزانة .

وحالاً ارسل علم الى الكتخدا بك وحاش (القى القبض) غالي واخوه فرنسيس وخازن داره قبطي وحاشهم في القلعة ورموهم تحت الضرب القاسي الى ان تفزرت ارجلهم وقرروهم على كامل ما تملكه يدهم ونزلوا مزاد في بيوتهم وباعوا كل شي عندهم واحدهم الذي هو خازن دار غالي ، من شدة الضرب تلف حاله من بعد ما دفع ثلاثمئة كيس خمسة عشر الف قرش (١٥،٠٠٠) . نزلوه الى البيت وبعد كم يوم توفي .

وفرنسيس اخو المعلم غالي من شدة الضرب تلف ونزلوه للبيت من بعد ان دفع

على القول سبماية كيس ثلاثمئة الف قرش (٣٠٠،٠٠٠) . وحاله تمبان واريح الفراش . غالي بقي في القلعة ومن شدة الضرب اهترو رجليه والقول انهم دودوا .

واخيراً جميع الذي الجمع من غالي وجماعته مبلغه (يساوي) الفين ومساية كيس مليون ومئة الف قرش (١،١٠٠،٠٠٠) . فقطعوا جرمها عدا دفعه الفين وثمانماية كيس مليون واربعماية الف قرش .

واخيراً تقدم واحد من طائفة الارمن اسمه الخواجا جواني (يوحنـا) هذا حكيم الباشا وكفل المعلم غالي بموجب تمسك ونزّله من القلعة الى بيته. ولبّسوا عوض المعلم غالي ثلاثة معلمين هراطقة احدهم جرجس الطويل والثاني اخوه حنا الطويل والثالث بشاره كاتب ابراهيم باشا هرطوقي. وهؤلاء هم الضاربين بغالي (الشاكون عليه) . والسبب في ذلك :

اولاً : بغضية في غالي من كونه كاثوليكي وهذه الوظيفة (ناظر الاقلام الاميرية) كانت مختصة بالاراطقة من قديم الزمان .

ثانياً : من كون المعلم غالي ما اكتفى في انه أيد الجنس الكاثوليكي واظهره جهاراً حتى ان جملة كهنة وشعب من الاراطقة دخلوا الايمان على جاهه ، بل طلب الزايد .

اولاً : ارسل طلب من المجمع المقدس ان يرسم على طائفته مطران قبطي كاثوليكي وحضر له امر من المجمع المقدس بقبول طلبه وقدس الحبر الاعظم انتخب لهم احد الآباء القبط رجل فاضل شيخ اسمه الاب متى . هذا الاب من تلاميذ مدرسة رومية معلم مشهور عند المجمع المقدس وقديم في مصر وهو وكيل المجمع المقدس في مصر على طائفته وانتخب مطران على مدينة أتاكا في بلاد المغاربة وانه متى انوجد بها مسيحيين يكون هو راعيهم واقامته تكون في مصر في محله وانه يرتسم في الجبل عند بطرك اخوتنا الروم الكاثوليك .

فحالاً غالي شرع في ارساله وسفّره الى دومياط ليتوجه يرتسم في الجبل واخرج له مكاتيب بالوصية (توصية) عليه من الاب ديمتريوس حداد من رهبان دير المخلص وكيل بطرك الروم الكواثلة .

فلما حضر لدمياط حالاً نزل حنا الطويل لعند الباشا الى اسكندرية ورفع

في غالي هذه الوقيعة (الشكوى) واخبر الباشا ان غالي كاتب الافرنج وجاب منهم امر في عمـل مطران افرنجي في مصر حتى يصير الجميع افرنج ويبقى الاقليم تحت حكم الافرنج .

وانه ارسل للبابا تباع الافرنج هدايا مثمنة وانه داخل في باطنه(ذمته) من مال مصر ثلاثين الف كيس (خمسة عشر مليون قرش (١٥،٠٠٠،٠٠٠) وانه ارسل اخبر الدولة العلية (العثمانية) بداخيل الاقليم المصري وارسل قوايم حساب البلاد عن يد سليمان باشا مع قسيسه الذي باعت يعمله مطران في الجبل ، مع غير كلام من هذا البحر .

فالباشا بما انه ذو عقل جليب ما قطع عقله كل هذا الكلام ، بل ارسل حاش القسيس من السفر واخذوا منه اوراقه كلها وفتشوا حوائجهُ وصندوقه وارسلوا الاوراق الى مصر ؛ فما انوجد بهم شيء مما اتهموه به . ورجعوا القسيس لمصر .

فلما درى غالي ، حالاً دخل على الكخيا بك وتكلم معـه وبرّد حاله وسفر القسيس ثانية لدمياط بفرمان انه يخرج من البوغاز بدون احد يعترض عليه . واعرض الامر للباشا .

فالباشا كتب للكخيا بك انه يحوش غالي ويابس الثلاثـة معلمين الذين ذكرناهم . فحاش غالي وحصل ما ذُكر . والقسيس رجعوا به لمصر وُطلعوه للقلعة وضربوه علقه ثقيلة وجرموه بخمسة اكياس (الفين وخمساية قرش (٢٥٠٠) كان اعطاهم له غالي مصروف الطريق .

ثم طلبوا القس ديمتريوس حداد وكيل بطرك الروم الكاثوليك ، للقلعة وبوصوله ضربوه علقه ثقيلة (ضرباً قاسياً) ولولا وجود المعلم عبود البحري كاتب الخزينة لكانوا فقدوه (اعدموه) . والسبب لانه ظهر مع الاب متى مكاتيب باسمه للبطرك بالتوصية عليه .

ثم احضروا واحد اسمه طوبيا دقيه من دير القمر وضربوه علقه في القلعة والسبب لان حين انحاش غالي المذكور ، فطوبيا كتب مكتوب للمعلم حنا خزام في المنصوره واخبره في موتت غالي وما جرى ، فمسكوا المكتوب من الساعي وارسلوا طلبوا طوبيا وضربوه .

ولم نقدر نشرح لقدسكم (لغبطتكم) ما قد حصل من العار والبهدلة والرزايا لكامل الجنس الكاثوليكي من البابا ونازل. وقام الليسفوروس واتباعه بتمرّد بليغ على الجنس الكاثوليكي.

واما السبب الثالث الذي حرّك هذه النار، (فهو) القول ان غالي اخذ فترى من علما مصر في اخذ نصف الكنايس والديورة التي مع القبط الاراطقة الموجودة في الاقليم... »

وفي السنة ١٨٢٣ كتب الاب انطون مارون المذكور الى رئيسه العام الاب اغناطيوس سركيس يخبره عن الامير بشير الشهابي الكبير حاكم جبل لبنان، عندما ذهب الى مصر مستجيراً بواليها محمد علي باشا في السنة ١٨٢٢، قال:

« ان الامير بشير نازل حتى شهر آب في محلة أثر النبي بعيد عن المدينة (مصر) نحو ساعة ونصف وصحبته اولاده الامراء خليل وامين والمشايخ منصور الدحداح واخوته وغالب آغا وجدعون الباحوث ويوسف الحوري والشيخ فضل الخازن وخلافهم نحو خمس عشرة نسمة. وصاحب السعادة ولي النعم (محمد علي باشا)، يقدم له كل شهر عشرين كيس (١٠٠٠٠) خرجية للامير ما عدا مصاريف الاكل...

وان الامير كان اولاً في بني سويف ثم اذ حضر ولي النعم من الاسكندرية، احضره الى مصر فوصل اليها في ١٢ ك ١ السنة الماضية ولم يشأ ينزل في المدينة (مصر) لان محل أثر النبي خلا (منفرد). وقدم له خمس رؤوس خيل ثلاثة بارسنة فضيّة فاخرة واثنين بسروجه وثلاثة بقج كساوي وشيلان كشير له ولاولاده ما عدا الخرج المعين لهم يومياً. وصاحب السعادة (الامير بشير) يريد يوم بعد يوم مقابلته.

وكان كل صباح احد يذهب الاب رافائيل (الحراط من بكفيا) يقدّس لهم في الدير بمصر العتيقة. والآن اذ وصل الاب يواكيم الزرقي احد رهبان اخوتنا البلدية (اللبنانيين)، يقضي له ذلك (الاب يواكيم هو خادم دار الامير الشرعي). »

وفي ٤ اشباط ارسل الاب ارسانيوس القرداحي رسالة الى الاب اغناطيوس

بليل رئيس عام اخوتنا البلدية ، يخبر فيه (فيها) بوصول مشرفة عن يد الاب يواكيم رفيه (وفيها) لتر عن سعادة الامير بشير واتباعه الكواخي وغيرهم وانه عن قرب يرجعوا الى بلادهم .

قال : « شكرت افضالكم بارسال الاب يواكيم وحمدته تعالى لوصوله سالماً حيث الافتقار اليه . وحصل مثل وصول اولادكم لا يكن لقلبكم فكرى (انشغال بال) لانهم حاصلين باعظم نعم .

فنسأله تعالى ان ينعطف بمراحمه الالهية وتأييده العلوي عن قرب يسهل لهم وللاب سبيل الرجوع بكل خير ونجاح ، الى قبلة الايدي الطاهرة ويحصل جمع الشمل بانواركم الباهرة . الرجا المؤازرة بالدعا وعليه جبر الخواطر لانه على كل شيء قدير . » هـ.

(عن الاصل المحفوظ في البطرخانة في مصر)

A PROPOS D'UNE NOUVELLE CHRONOLOGIE SUD-ARABE

par
le P. A. VAN DEN BRANDEN

Bien que l'on possède déjà des milliers d'inscriptions sud-arabes et que cette science soit déjà vieille d'un siècle, les savants n'ont pas encore pu se mettre d'accord sur la chronologie définitive. Les uns sont partisans de ce qu'on appelle la «chronologie longue», établie par Glaser-Hommel qui font débuter la civilisation sud-arabe au 13e s. avant J.C.; les autres de la chronologie dite «courte», préconisée par Mlaker qui fait commencer l'ère des mukarribs vers 800 avant J.C. Jusqu'à présent, les spécialistes, à quelques exceptions près, ont communément admis cette dernière théorie. Enfin, en 1954, Beeston réduit de deux siècles la date de Mlaker (1).

A ces trois systèmes chronologiques, Mlle Pirenne vient d'en ajouter un quatrième que G. Ryckmans a pu appeler la chronologie «brevissima» (2) puisqu'elle raccourcit de trois siècles celle de Mlaker. L'ère des mukarribs aurait commencé non au 8e, mais au début du 5e siècle. L'auteur expose sa théorie dans deux publications (3), dont la première jette la base de la chronologie nouvelle, la seconde établit les différentes phases paléographiques de l'écriture et en recherche l'ordre chronologique jusqu'au premier siècle avant J.C. Un autre volume, en préparation, traitera des siècles suivants. Mais les deux livres apparus nous donnent déjà une idée complète de la méthode de travail et des raisons qui ont amené l'auteur réduire si «drastiquement» la chronologie sud-arabe.

Les premières réactions à ces publications (4) font déjà pressentir que l'accord sur cette nouvelle base et sur la chronologie

proposée ne se réalisera pas facilement. Devant cet état de choses, il est peut-être opportun d'examiner les fondements mêmes sur lesquels Mlle Pirenne base sa nouvelle chronologie.

On sait que Mlaker avait basé sa chronologie sur le synchronisme assyro-sabéen. Le souverain de Saba Yaṯi' 'amar, mentionné dans les annales de Sargon II, correspondrait à un des mukarribs des textes sabéens, à savoir au 6e de la liste qu'avait dressée cet auteur. Et d'après cette hypothèse le premier mukarrib se situerait vers le 8e s. avant J.C.

Ce synchronisme ne s'impose pas. En effet, Yaṯi' 'amar est un nom dynastique qu'on rencontre à plusieurs reprises dans les textes sabéens. Mlle Pirenne ne manque pas de le signaler (6) avec raison. Une première tâche est donc de fournir la preuve que l'hypothèse de Mlaker est intenable. L'auteur de la nouvelle chronologie va le démontrer d'abord par une série de questions auxquelles les réponses font défaut, et ensuite par l'énumération d'un certain nombre de difficultés qui concernent l'histoire de l'alphabet sud-arabe, les rapports du nord avec le sud et l'impossibilité d'intégrer dans l'histoire générale les événements sud-arabes supposés du 8e siècle, les données archéologiques et ceux des historiens classiques s'y opposant (6).

Pourquoi, demande l'auteur, les souverains cités dans les textes assyriens seraient-ils des mukarribs et l'Assyrie ignorerait-elle ce titre? Pourquoi ce titre ne débute-t-il qu'avec l'écriture monumentale? Pour quelles raisons, les Assyriens ne sont-ils pas mentionnés dans les textes sabéens et ne retrouve-t-on pas leur influence dans l'art du sud?

Questions pertinentes? Ne pourrait-on pas concevoir que dans le but d'être mieux compris par ses lecteurs assyriens, le scribe rende le mot mukarrib par «roi» exprimant ainsi l'idée de «chef», comme il le fera pour n'importe quel petit chef ou cheikh de l'Arabie du Nord? Il est vrai que ce titre ne débute qu'avec l'écriture monumentale, mais on pourrait se demander aussi pourquoi il ne se retrouve que dans les inscriptions monumentales. Et quant à la dernière question, l'on pourrait être tenté, après avoir lu la

thèse de l'auteur, de substituer au mot «assyrien» de la question le mot «grec». En somme il faut concéder qu'une réponse définitive semble bien exclue. Mais ces questions, seront-elles résolues dans l'hypothèse du 5e siècle?

D'après l'auteur l'histoire de l'alphabet est insoluble dans l'hypothèse du synchronisme assyro-sabéen (7). En effet, dit-elle, si la plus ancienne inscription sud-arabe, à savoir CIH.367, est du 8e s. elle serait contemporaine de l'inscription phénicienne de Baal-Lebanon, de l'écriture hébraïque de Telle Gasile et de l'inscription araméenne de Panamû. L'auteur semble vouloir dire que cela est impossible, le style n'étant pas le même et l'évolution sud-arabe trop poussée. On s'étonne, car on ne voit pas bien pourquoi des inscriptions de style, de langue et de lieux de provenance différentes ne peuvent pas être contemporaines. Mais l'auteur se base ici sur le principe que l'écriture phénicienne est la mère de toute écriture alphabétique, donc aussi de l'écriture sabéenne et par conséquent l'évolution sabéenne comparée à l'évolution de ces autres écritures ne se comprend plus.

Une dérivation directe de l'écriture phénicienne, continue-t-elle, est exclue, vu les différences considérables des deux alphabets. Pour résoudre la question, les savants ont dû faire appel à un alphabet intermédiaire. Grimme avait proposé le thamoudéen, mais il se heurte aux dates, celui-ci étant du 5e siècle. Dussaud avait songé à un alphabet grec archaïque, mais il se heurte à la même difficulté, car le plus ancien texte grec dans lequel on rencontre les signes non phéniciens Φ et X que Saba aurait empruntés au grec, est de 750, alors qu'à cette date, dans l'hypothèse donnée, le sabéen possède déjà son style monumental.

C'est bien exact, une dérivation directe du phénicien est impensable et ces intermédiaires proposés ne résoudront pas l'histoire de l'alphabet sud-arabe quoiqu'on ne doive être nécessairement d'accord avec l'auteur que les signes Φ et X ne sont pas phéniciens (8) et que Saba les aurait empruntés à la Grèce. On pourrait être aussi d'avis que les raisons énumérées n'épuisent pas toutes les possibilités d'une solution du problème dans l'hypothèse de la

chronologie courte. Grimme avait proposé le thamoudéen comme intermédiaire entre le protosinaïtique et le sabéen. C'est pour cela qu'il datait le thamoudéen de l'an 1000. Mlle Pirenne semble admettre sans discussion que l'alphabet sabéen doit nécessairement, quoique indirectement, venir du phénicien. Mais cela n'est nullement prouvé. Grimme (9) avait recouru au protosinaïtique pour expliquer l'origine de l'alphabet thamoudéen. Il est un fait que «le thamoudéen présente des signes curieusement comparables à ceux du protosinaïtique» (10) et on peut en dire autant du dédanite et du sabéen. Ceux-ci ont un grand nombre de signes communs avec le protosinaïtique et ces signes s'y présentent tels quels ou comme des variantes plus ou moins évoluées; la majorité en a la même valeur consonnantique à notre avis (11). Si l'alphabet sud-arabe s'explique par le protosinaïtique qui date au moins de 1500 avant J.C. (12), l'affirmation de l'insolubilité de l'histoire de l'alphabet dans l'hypothèse du 8e s. se réduit à rien. Il faut selon Driver, cité par l'auteur (13), 500 à 750 ans pour produire une graphie aussi évoluée que celle des mukarribs. Cela nous ramène bien à la date du 8e s. Ce n'est pas parce qu'on n'a pas trouvé les intermédiaires entre le protosinaïtique et le sabéen que l'hypothèse est à rejeter.

Indépendamment de ce que nous venons de dire concernant la possibilité de l'origine protosinaïtique de l'alphabet sabéen, d'autres indices donnent matière à réflexion. Selon les dernières estimations des archéologues, la «chaldean inscription», découverte par le P. Burrows à Ur, date du 8-7e s. avant J.C. (14). Or à considérer son style, il faudrait bien concéder qu'à cette époque cette écriture protoarabe avait passé par une grande évolution. Et puisqu'il s'agit d'un même alphabet, ayant les caractères généraux et les valeurs communes avec l'alphabet sabéen, pourquoi celui-ci n'aurait-il pas pu arriver à cette date et dans un milieu différent à la perfection que présente le style des mukarribs? Qu'il y ait eu une évolution avant le style classique, l'auteur nous le prouve dans sa *Paléographie* (15). Le style classique a été précédé par des essais plus ou moins réussis.

Ces considérations éliminent aussi la difficulté que présente le problème des rapports entre le sud et le nord dans le sens d'un emprunt de l'un à l'autre. Beaucoup d'obscurités subsistent, mais quant au problème de l'alphabet, une source commune n'est pas à exclure à priori, et cette source pourrait être le protosinaïtique. Sous quel «influx» s'est faite l'évolution vers le style parfait? Il faut avouer notre ignorance, mais on peut concevoir qu'elle ne doit pas être nécessairement liée à un apport étranger. Quel influx a subi l'écriture phénicienne pour arriver à cette perfection que présente l'inscription du sarcophage d'Esmun 'azar? Et on peut se le demander également pour l'écriture grecque classique.

Une difficulté plus sérieuse est fournie par les données archéologiques. En effet, celles-ci ne s'accordent pas avec le 8e s. (16). Les fouilles pratiquées jusqu'à présent ne nous ont livré que des constructions et des objets d'art qui ne dépassent pas la date du 5e s., comme en fait foi les caractéristiques achéménides qu'on y décèle. Or ces constructions nous ont donné des inscriptions «in situ» présentant le style des mukarribs. Par conséquent ces inscriptions ne peuvent dater d'avant le 5e s. et les mukarribs cités dans ces textes doivent être de la même époque.

L'argument est important et il serait même d'une portée définitive en faveur de la thèse de Mlle Pirenne si toutes les inscriptions à style des mukarribs étaient des inscriptions trouvées «in situ» des constructions achéménides. Mais cela ne semble pas être le cas, ou du moins on l'ignore. C'est encore un élément d'inceritude. On objectera la ressemblance des styles. Mais un style d'écriture peut être en usage durant plusieurs siècles sans changer sensiblement. On le constate par exemple en Phénicie et même en Grèce. D'autre part, il semble bien que les constructions en pierres à refends et bossage ne sont pas spécifiquement achéménides. Ce style existe déjà bien avant l'époque perse 16 bis). On ne peut donc pas dater ces inscriptions de l'époque achéminide à partir du seul crtière qu'elles se trouvent encastrées dans des murs à refends et bossage. -

La dernière difficulté contre le synchronisme assyro-sabéen

(17) est tirée des auteurs classiques. Nous n'insistons pas car elle est à la base d'un argument *a silentio* auquel l'auteur elle-même, du moins dans sa *Paléographie*, ne semble pas attacher trop d'importance: «Faut-il rappeler que toute saine méthode les tient pour sujets à caution?» (18).

Toutes ces difficultés qui, en somme, on vient de le voir, proviennent en grande partie des lacunes de nos connaissances de bien de problèmes de l'Ancien Orient, ont déterminé l'auteur à rejeter l'hypothèse de Mlaker et l'ont amenée à formuler sa propre thèse dont elle expose la base dans son *Grèce et Saba*, p. 26.

Il est impossible de faire venir par voie directe le sabéen du phénicien, les lettres sabéennes, le style et la facture étant trop différents. En fait, au 8e s., aucune écriture ne connaît ce style géométrique des inscriptions sabéennes (19). On trouve ce style en Grèce, continue l'auteur, et il est répandu dans tout le monde hellénisé, car quelle que fût la langue parlée, l'écriture est à la mode grecque (20). Le fait s'impose: 19 signes et leur agencement sont identiques, c.-à-d. les signes quant à leur forme, mais non quant à leurs valeurs. Deux usages sont communs au sud-arabe et au grec: la duction en boustrophédon et les indices de séparation, empruntés par Saba à la Grèce, «deux usages entièrement inconnus aux écritures nord-sémitiques» (21).

Nous pensons que peu d'orientalistes souscriront à cette dernière affirmation, étant donné que l'inscription chaldéenne est déjà tracée en boustrophédon (22); de même le dédanite connaît ce procédé (Jsa.187) et les indices de séparation se trouvent bien en phénicien et en moabite pour ne nommer que ceux-ci (23). Et pourrait-on bien parler d'une mode grecque pour l'écriture phénicienne et l'écriture cypriote (CIS. I, 89)? L'auteur ajoute encore l'emploi des monogrammes, mais n'insiste pas, car tout bien considéré, un emprunt grec au «protosabéen» ne paraît exclu.

En somme, il ne reste que les 19 signes et leur agencement et cela suffit à l'auteur pour affirmer que les inscriptions des mukarribs s'apparentent aux inscriptions grecques, parenté qui s'affirme encore à l'époque classique (24). La perfection est atteinte

à Athènes au 6e s., mais c'est seulement au 5e s. que toutes les lettres sans exception sont verticales. C'est exactement le style de Saba. «A ne considérer qu'Athènes, on conclurait qu'il faut dater ce style, et, partant, les inscriptions des mukarribs, du 5e s. avant J.C.» (25).

Ce «et partant» étonne plutôt, car la conclusion ne semble pas logiquement déduite des prémices. Le raisonnement suivant: le style grec parfait est du 5e s.; or un style sabéen est semblable à ce style grec parfait; donc ce style sabéen est du 5e s., ne semble pas conforme aux règles des syllogismes, et, par conséquent, la conclusion est illégitime (26). Pour le dire autrement, on suppose ici que la seule ressemblance extérieure de deux styles de langues qui n'ont rien de commun entre elles, même pas les valeurs consonnantiques, ni, à notre avis, l'origine de celles-ci, suffit à établir leur synchronisme. D'ailleurs, on n'a qu'à jeter un coup d'œil sur les inscriptions libyques (27) pour apercevoir leur frappante ressemblance avec l'inscription chaldéenne et le thamoudéen du type de Teimâ-el-Elâ. Même style, mêmes directions horizontale et verticale, et sur les 23 signes dont est composé l'alphabet libyque, pas moins de 18 correspondent, quant à leurs formes (non quant à leurs valeurs), aux signes thamoudéens. Or la chronologie de ces inscriptions semble bien exclure la possibilité d'emprunts mutuels, les textes libyques datant de la fin du 2e s. avant J.C. jusqu'au 3e s. après J.C. Il est même intéressant de comparer l'inscription libyque n. 10 de la planche XII avec le fragment D de l'inscription Baal Lebanon (CIS.I,5).- Si l'on compare encore le texte grec du 6e s., reproduit sur la pl. I de la *Paléographie* avec l'inscription lihyanite Jsa.124 28), il faudrait, à partir de la ressemblance des styles, dater ce dernier du 6e s., ce que l'auteur n'admettra certainement pas (28 bis). Par conséquent, une ressemblance purement extérieure ne peut suffire à établir le synchronisme de textes d'origine différente.

L'auteur va abandonner la comparaison des styles sud-arabe et grec athénien à cause de l'incertitude de la date de ces dernières inscriptions, pour recourir à l'écriture péloponésienne

qui lui semble plus proche de celle de Saba (29). Elle apporte comme preuve: la forme du *n* dans un fragment d'inscription d'une colonie corinthienne; un fragment d'inscription en relief, style également connu à l'époque des mukarribs et enfin, elle signale encore les signes ◇ , I=I , ⋇ et ⟡ que Saba aurait empruntés un peu avant le 5e s. aux écritures de Béotie, d'Elis, de Lokris et de Tarente (colonie doréenne). Elle ajoute encore que l'écriture corinthienne a montré très tôt un style plus vertical comme le prouve un fragment de vase inscrit qui d'après M. Stillwell daterait du 8e s. avant J.C.

Ces nouvelles preuves rendent-elles plus acceptable la thèse de l'auteur alors qu'on voit que le style du fragment cité dans lequel se trouve le *n* est tout différent du style de Saba; qu'on sait aussi que ce *n* se trouve également dans les graffites dédanites (Jsa.105; 381) et que le dédanite connaît aussi le style en relief? Il est intéressant aussi de constater qu'ici encore Saba aurait emprunté au grec corinthien 4 signes. Cela fait avec les deux signes empruntés au grec athénien presque le quart de son alphabet. Nous nous rapprochons singulièrement du problème de l'origine de l'alphabet sabéen. Mais l'auteur assure que cette origine n'est pas à chercher en Grèce. Il s'agit seulement de l'hellénisation d'une écriture déjà existante, existence certaine puisque les valeurs des deux alphabets ne correspondent pas (30). Mais on pourrait objecter que les valeurs des signes empruntés ne correspondent non plus aux valeurs sabéennes et que ces signes, avec les mêmes valeurs, existent déjà à cette époque et bien avant dans le dédanite et le thamoudéen. Exceptons toutefois le signe I=I. Puisque ces signes existent en Arabie, pourquoi Saba les aura-t-elle empruntés à la Grèce?

De toutes ces raisons énumérées, l'auteur tire la conclusion que le terminus *a quo* de l'instauration de la graphie monumentale sud-arabe est à placer au début du 5e s. avant J.C. (31). Disons toutefois que dans la pensée de l'auteur, cette conclusion ne vaut que pour l'état actuel de nos connaissances (32). En effet, elle n'exclut pas l'existence de l'écriture monumentale avant cette

date (33). «Qu'y avait-il avant les inscriptions que nous avons classées à la période A? Les fouilles devront nous l'apprendre; et nous saurons *alors* (nous soulignons) si l'art de l'inscription monumentale, tel qu'il nous est à présent attesté, était — oui ou non — relativement jeune en Arabie du Sud» (34). Or il convient de ne pas oublier que jusqu'à présent aucune capitale sud-arabe, aucune grande ville n'a été fouillée.

Nous n'insistons pas sur les autres témoignages que l'auteur apporte à l'appui de sa thèse selon laquelle il y aurait une influence grecque directe sur l'écriture sabéenne. Ils sont d'ordre archéologique: monuments des mukarribs, sculpture, monnaies; et historique: présence des Grecs en Arabie du Sud au 5e siècle. Signalons seulement qu'ils font surgir un autre problème. Toutes les constructions et tous les objets d'art présentent des traces achéménides, ou comme le corrige l'auteur: «il sera plus juste de dire gréco-perse» (35), ce qui d'ailleurs ne change rien au problème. Dès lors se pose la question: pourquoi une influence directe sur l'écriture et une influence indirecte sur les œuvres d'art?

On peut se demander maintenant si les inscriptions des mukarribs ne renferment pas quelques indices qui seraient de nature à nous faire adopter une date au delà du 5e s. Dans sa *Paléographie* (36), l'auteur signale l'existence des «lettres aberrantes» dans les plus anciennes écritures sud-arabes qu'elle libelle A et B, et qu'elle date du début du 5e s. (460) jusqu'au milieu du 4e s. (350). Ces lettres aberrantes appartiennent aux alphabets dédanite et thamoudéen primitif (37).

Le thamoudéen primitif date certainement du milieu du 6e s. avant J.C. (38). Depuis la découverte des nouveaux textes babyloniens de Nabonide (39), fdite à Harran en 1956, il est pratiquement certain que les textes thamoudéens de Ph. 279 (aw)1 et Ph. 266 (a) se rapportent à Nabonide et datent de l'époque de la conquête de la région de Teimâ par ce roi. L'alphabet thamoudéen étant déjà bien constitué à cette date, on pourrait bien reculer ses débuts jusqu'au 7e s. Si cet alphabet dépend du dédanite, comme on l'admet généralement, celui-ci serait encore plus ancien. En

effet, Winnett en datant le dédanite du 6e s. a pris pour toute sécurité une date moyenne, mais on sait qu'on possède des objets inscrits qui remontent au 8-7e s. (40). Les textes sud-arabes dans lesquels figurent les signes dédanite et thamoudéen primitif en peuvent donc être contemporains.

Dans sa *Paléographie*, p. 198, l'auteur étudie la stèle et le texte Jamme 536, qu'elle date d'environ 300 avant J.C., en se basant sur la présence du *n* oblique et la supposition que l'éditeur du texte n'aurait pas remarqué l'élargissement des hampes des lettres. Depuis, ce soupçon s'est avéré sans fondement (41). Mais il est curieux de constater que Mlle Pirenne qui signale ailleurs l'existence des lettres dédanites et thamoudéennes dans les plus anciennes inscriptions sud-arabes, ne souffle pas mot sur la présence du *h* dédanite dans ce texte de Jamme 536. Évidemment, il est malaisé d'expliquer la présence d'une lettre dédanite dans une inscription sud-arabe de l'année 300, le dédanite n'existant plus à cette époque. La date de 300 serait à reviser. D'après Jamme l'inscription date du 8e s. avant J.C. ce qui nous semble plus près de la vérité (42). En tout cas la présence du *h* dédanite ne s'oppose pas à cette date. En effet, au 8e s. l'écriture dédanite existait déjà. Le scarabée du Cabinet des Médailles de Paris, portant une inscription dédanite, est, au témoignage de Delaporte, du 8-7e s. (43). De ce qui précède on peut conclure qu'aux périodes A-B il faut ajouter D comme contenant des lettres aberrantes et que ces périodes peuvent être contemporaines du Dédanite (44).

Nous avons discuté jusqu'à présent le fondement même de la nouvelle chronologie. Dans sa *Paléographie* l'auteur traite de la chronologie proprement dite. Le premier problème consiste «à déterminer quel peut être le plus ancien des types graphiques décelables dans les inscriptions actuellement connues» (41 bis). «La bonne méthode sera, continue-t-elle, celle qu'avait inaugurée Müller: trouver ailleurs une graphie comparable et qui se situe certainement *avant* et lui comparer les différents types de graphie sud-arabe pour voir celle qui se rattache le mieux à ce stade antérieur» (42 bis).

C'est en effet «une» bonne méthode, mais avant de l'appliquer il faut être sûr que la graphie qu'on va prendre comme terme de comparaison soit «certainement avant» et qu'elle soit susceptible d'être terme de comparaison. Müller est arrivé à déterminer la graphie en boustrophédon comme la plus ancienne. Mais est-ce vraiment en vertu des principes énoncés? Il est clair que sa référence à une autre écriture, ici le phénicien, a conduit à un échec total (43 bis). Ce n'est pas à partir d'un seul signe de comparaison (le š) d'un alphabet étranger qu'on arrive à déceler le type le plus ancien d'une autre graphie. En somme, Müller a dû abandonner la méthode de comparaison avec le phénicien, cet alphabet n'étant pas un terme de comparaison valable. S'il arrive à désigner parmi les différents styles sud-arabes celui des mukarribs comme le plus ancien, il semble bien que c'est seulement en vertu d'un recours aux indices internes. Dans les inscriptions datées, il remarquait certaines formes qui devraient être logiquement des formes écoluées des signes observées dans les autres styles. Le fait est caractéristique pour le *w*. Et en effet, dans les textes les plus récents on trouve les formes ꝏ et oo. On conçoit aisément que celles-ci soient un développement de la forme ⊖ et celle-ci de ⊙ . Or cette dernière forme se trouve dans les inscriptions des mukarribs. Il s'ensuit que celles-ci doivent être les plus anciennes. Cette conclusion n'est obtenue ni confirmée par le terme de comparaison le phénicien.

Mlle Pirenne se propose de confirmer les vues de Müller par la référence à un autre terme de comparaison, le grec (44 bis). Elle demande: Connaît-on une graphie arabe antique comparable au grec préclassique? On répond: le dédanite. L'auteur spécifiera ailleurs (45) «plus ou moins comparable». Nous avons dit qu'on pourrait citer également certaines inscriptions en lihyanite ancien. «On ne pourrait citer aucune graphie monumentale sud-arabe» ajoute l'auteur, et c'est vrai, comme on ne peut citer le texte en dédanite monumental de Jsa.323 (46).

D'autres graphies grecques postclassiques présentent les caractéristiques qu'on retrouve dans les styles sud-arabes: hampes élargies, apices terminaux simples etc. Ces graphies étant postérieures au style classique grec qui a les hampes droites et nues,

il en sera de même pour les styles arabes, et, par conséquent, ces graphies sont postérieures à la graphie des mukarribs qui présente le style grec classique. «La graphie en coustrophedon reste la plus ancienne, tout en se situant au 5e s. avant J.C. si l'on en croit les données de ce parallélisme gréco-sud-arabe» (47).

Se basant donc sur le parallélisme gréco-sabéen et sur certains signes caractéristiques, l'auteur partage les écritures sabéennes en plusieurs périodes dénommées: A, B, C, D, E qui sont sub-divisées elles-mêmes en A1, 2, 3 etc. Pour établir ces subdivisions, l'auteur procédera à l'inverse de la méthode de Müller suivant, à partir des formes considérées comme primitives, l'évolution de certains signes. Nous ne discutons pas le bien-fondé de ces subdivisions, ce qui nous intéresse ici c'est le point de vue chronologique en général.

La période A est une période de «la recherche d'un canon spécifique» (48). Elle est datée, à partir de A 2, «en guise d'hypothèse de travail» (49) de l'an 460 avant J.C. comme terminus *a quo* approximatif et se termine en 430 avant J.C. La période B va de 430 à 350 avant J.C. (50), c'est la période classique. Les périodes C et D, caractérisées par les hampes élargies, débutent en 345 et se terminent en 250 avant J.C. (51). La période E, qui présente un renflement terminal des hampes, se situe entre 250 et 180 avant J.C. (52). Cette division chronologique, basée sur le parallélisme gréco-sabéen, est illustrée par la pl. I de sa *Paléographie.*

Il faut avouer que les caractéristiques s'accordent parfaitement dans les deux écritures: mêmes hampes nues, élargies et à renflement terminal. Mais peut-on en tirer les conclusions que l'auteur en dégage? Même si l'on admet la légitimité du terme de la comparaison, on pourra encore douter de la justesse de cet ordre chronologique. En effet, le découpage en périodes chronologiques bien déterminées est fait en vertu d'un principe non énoncé, selon lequel l'apparition d'un nouveau style fait cesser automatiquement le style précédent. On pourrait l'appeler «principe de succession en ligne droite des styles». Ainsi, si vers le milieu du 4e s. apparaît le style C, il n'y aurait plus question du style B

qui a apparu en 430. Il s'ensuit que toutes les inscriptions qui présentent paléographiquement les caractéristiques du style B, doivent être rangées obligatoirement dans l'espace d'un siècle. On ne tient aucun compte de la possibilité de la coexistence des différents styles. L'auteur n'admet d'exception que pour la période A2, 3, 4-B (53). C'est pourtant le cas en Grèce. Ainsi l'inscription grecque *c*, que l'auteur reproduit sur sa planche I, est du 5e s. Mais la bilingue gréco-phénicienne de CIS. I, 116, provenant d'Athènes, présente exactement le même style que *c*. Or cette inscription est datée du 3-2e s. avant J.C. «Scriptura graeca secundum vel tertirum ante J.C. saeculum indicat», dit le Corpus, et l'écriture phénicienne confirme cette date. Le style de l'inscription *d* est du 4e s. Il se présente également dans la bilingue de CIS.I,115b provenant d'Athènes. Cette inscription date du 2d s. avant J.C. comme CIS.I,115a puisqu'elle semble bien se rapporter au même personnage. Remarquons que cette dernière inscription est tracée dans le style *e* qui date du 3e-2e s. d'après Mlle Pirenne Mais la bilingue CIS.I,114 qui provient de Delos et qui est également tracée dans le style *e* (renflement terminal) est du 4e s. avant J.C. Le style de l'inscription *c* existe donc encore au 2d siècle. Il est en partie contemporain du style *d* et ce dernier est contemporain de *e*. On remarque encore que durant cette période le style phénicien n'a pas changé. Si ces styles grecs coexistent durant des siècles, pourquoi ne serait-ce pas le cas en Arabie du Sud qui est censée copier les styles grecs? Personne ne niera l'existence de plusieurs écoles graphiques en Arabie du Sud. Dès lors pourquoi chaque école n'aurait-elle pas pu avoir son style caractéristique et le maintenir durant une période plus ou moins longue? En vertu de quel principe l'évolution synchronique des styles s'impose-t-elle? Historiquement l'existence des styles parallèles n'est pas impossible, et de fait, Jamme l'a bien prouvé, ces styles parallèles existent en Arabie du Sud (54). Il s'ensuit que l'alignement des dynasties tel que l'auteur nous le présente et qui est basé sur le principe de la succession en ligne droite des styles, serait à revoir.

Nous avons présenté ici quelques objections contre les fonde-

ments mêmes de la nouvelle théorie. Il n'est pas dans notre intention de juger l'ensemble de l'œuvre de l'auteur, qui, à ne pas en douter, contient une masse de données fort intéressantes. Nous croyons que Mlle Pirenne a bien défini les types graphiques dans leurs grandes lignes — les stades statiques. Mais pour établir «leur ordre de succession dans le temps», base également de la succession chronologique des événements historiques, on peut se demander si elle n'a pas surestimé l'argument paléographique. L'auteur nous avertit: «ici le travail de pure observation et d'analyse ne peut plus suffire». «On peut sans doute proposer des séquences qui paraîtraient vraisemblables et satisfaisantes» (55), comme l'a fait par exemple Hommel (56), mais «la vraisemblance ne fournit aucune preuve et ne peut donc servir à fonder aucune conclusion» (57). Or quelles sont les preuves que le parallélisme gréco-sabéen dépasse le stade de la pure vraisemblance?

S'il est vrai que la chronologie de Mlaker présente un certain nombre de difficultés, il faudra toutefois avouer que celle préposée par Mlle Pirenne n'en manque pas non plus.

Beyrouth, janvier 1958 A. v. d. Branden.

(1) Beeston, A.F.L., *Problems of Sabaean Chronology*, dans *BSOAS*, XVI, (1954), p. 37-56. Cf. Jamme dans *BASOR*, febr. 1955, p. 37 suiv.

(2) Ryckmans, G., dans *Le Muséon*, LXVIII (1955), p. 200.

(3) Pirenne, J., *La Grèce et Saba. Une nouvelle base pour la chronologie sud-arabe*, (Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres, t. XV), Paris, 1955. — *Paléographie des Inscriptions sud-arabes, Contribution à la chronologie et l'histoire de l'Arabie du Sud antique*, (Verhandelingen van de Koniklijke Vlaamse Academie voor Wetenschappen, Letteren en Schone Kunsten van België, n. 26), Brussel, 1956.

(4) Van Beek, C.W., *A Radiocarbon Date for Early South-Arabia*, dans *BASOR*, oct. 1956, p. 6-9; Albright, W.F., *A Note on Early Sabaean Chronology*, ib. p. 9-10; Jamme, A., *On a Drastic Current Reduction of South-Arabian Chronology*, dans *BASOR*, févr. 1957, p. 25-31; Jamme, A., *La paléographie sud-arabe de J. Pirenne*, Washington, 1957 (en polycopie); De Vaux, B., dans *Rev. Bibl.*, LXV (1957), p. 308-310; Dussaud, R., dans *Syria*, XXXIV (1957), p. 179.

(5) *Grèce et Saba*, p. 10-11.

(6) *Grèce et Saba*, p. 11 et p. 13.

(7) *Grèce et Saba*, p. 14.

(8) Voir p. ex. l'inscription de Yehimilk, dans *Rev. Bibl.* 1930, p. 321; l'inscription de Karatepe, dans *Orientalia*, 1949, p. 173.

(9) Grimme, H., *Die Lösung des Sinaischriftproblems, Die altthamudische Schrift*, *Munster*, 1926, p. 24-25.

(10) *Grèce et Saba*, p. 18. Cela ne veut pas dire que nous adoptons l'hypothèse de Grimme. Nous pensons toujours que le thamoudéen dérive directement de l'alphabet dédanite, cf. nos *Inscriptions thamoudéennes*. Louvain, 1950, p. 17. — Winnett, F.V., *A Study of the Lihyanite and Thamudic Inscriptions*, Toronto, 1937, p. 27 et p. 50 signale la ressemblance frappante entre les deux écritures dédanite et thamoudéen, ce qui ne signifie pas nécessairement qu'il considère l'un comme dérivé de l'autre, comme l'affirme *Grèce et Saba*, p. 45.

(11) Van den Branden, A., *Le déchiffrement des inscriptions protosinaitiques*, dans *Mashriq* (1958), p. 355.

(12) Butin, R.F., *The Serâbit Inscriptions*, II, *The Decipherment and Significance of the Inscriptions*, dans *Harv. Theol. Rev.*, XXI (1928), p. 20 et p. 22; Albright, W.F., *The Early Alphabetic Inscriptions from Sinai and their Decipherment*, dans *BASOR*, avr. 1948, p. 9-13.

(13) Driver, *Semitic Writing*, Londres, 1948, p. 148, cité dans *Grèce et Saba*, p. 15. Cf. aussi p. 27.

(14) *BASOR*, déc. 1952, p. 43; *Grèce et Saba*, pl. I.

(15) *Paléographie*, p. 108.

(16) *Grèce et Saba*, p. 22.

(16bis) Gus W. Van Beek, *Marginally Drafted, Pecked Masonery*, dans *Archaeological Discoveries in South Arabia, Baltimore*, 1958, p. 287-295.

(17) *Grèce et Saba*, p. 25.

(18) *Paléographie*, p. 31.

(19) *Grèce et Saba*, p. 27.

(20) *Grèce et Saba*, p. 28.

(21) *Grèce et Saba*, p.

(22) *BASOR*, déc. 1952, p. 42.

(23) Cf. p. ex. l'inscription de Ahiram, dans *Rev. Bibl.* 1925, p. 161, reproduite en partie dans *Grèce et Saba*,

(24) *Grèce et Saba*, p. 32.

(25) *Grèce et Saba*, p. 33.

(26) Cf. Thonnard, F.C., *Précis de Philosophie*, Desclée et Cie, 1950, p. 61.

(27) Chabot, J.B., *Recueil des inscriptions libyques*, Fasc. second, Paris, 1941, planches.

(28) Jaussen, A.-Savignac, R., *Mission archéologique en Arabie*, vol. II, Paris, 1914 (1920), atlas, pl. LXXXIX. Caskel, W., *Lihyan und Lihyanisch*, Köln-Opladen, 1954, p. 93 le classe dans sa catégorie «Dedanisch-Lihyanische Graffiti».

(28 bis) Cf. *Paléographie*, p. 181 et notre article, *La chronologie de Dedan et de Lihyân*, dans *BIOR*, XIV (1957), p. 13-16.

(29) *Grèce et Saba*, p. 33.

(30) *Grèce et Saba*, p. 41.

(31) *Grèce et Saba*, p. 35.

(32) *Paléographie*, p. 96.

(33) *Paléographie*, p. 98.

(34) *Paléographie*, p. 101.

(35) *Grèce et Saba*, p. 61.

(36) *Paléographie*, p. 99-101.

(37) Le texte Jsa. 323, signalé comme lihyanite, est en réalité dédanite. Voir aussi le ṣ caractéristique dans Jsa. 110 et 121. Dans la note 1 de la page 99 l'auteur en soupçonne le caractère minéen. Nous pensons que l'auteur a mal choisi ses exemples thamoudéens. D'ailleurs elle ne cite pas de texte dans lequel

figure le signe ⟡. Ce signe est le š du type d'écriture de Teimâ-el-Elâ qui date du 3e s. après J.C., les textes sud-arabes du 5e s. avant J.C. n'ont pas pu l'emprunter. D'ailleurs la valeur š dans ces textes sud-arabes n'est pas sûre. Jsa. 239 est un texte du premier courant. Le signe š est un š et non un ḫ comme dans les textes sud-arabes. Pourquoi ne pas choisir des textes du type primitif, l'alphabet le plus ancien, dans lequel figurent ces «lettres aberrantes», sauf ⟡. P. ex. Jsa. 428; 516; 503. Si dans le cas donné la chronologie et la valeur des signes ne sont d'aucune importance, pourquoi ne pas signaler que ⟡ et γ peuvent être des lettres safaïtiques, et même grecques?

(38) Van den Branden, A., *Les inscriptions thamoudéennes*, p. 23; id. *Les textes thamoudéens de Philby*, vol. II, p. XIV. Voir aussi notre article *Notes thamoudéennes*, dans *Syria*, XXXV (1958), p.111-112; Winnet, *A Study*, p.50 datait le thamoudéen du début du 5e s. avant J.C. Mlle Pirenne accepte cette date et nous l'attribue également, cf. *Grèce et Saba*, p. 45.

(39) Communication faite par le prof. Gadd au 24e Congrès des Orientalistes à Munich. Voir aussi *Illustrated London News* du 21 sept. 1957, référence que nous devons à M. l'abbé Starcky. *Anatolian Studies*, VIII (1959). p.35 suiv.

(40) Cf. Winnett, *A Study*, p. 49-50.

(41) Jamme, A., *La paléographie de J. Pirenne*, p. 51.

(42) Jamme, A., *An Archaic Dextrograde Sabaean Inscription from Mareb*, dans *BASOR*, avr. 1954, p. 26.

(43) Cf. Winnett, *A Study*, p. 50 et Albright, W.F., *Dedan* dans *Geschichte und Altes Testament* (Beitrage sur historischen Theologie, 16), tiré à part, p. 3.

(44) Après beaucoup d'hésitation, Jamme propose de lire ce signe *ġ* (*BASOR*, avr. 1954, p. 25-26). Il est toutefois certain que ce signe est le *ḥ* dédanite, cf. lih. Jsa. 109; 128; 138; 186; 325. Au lieu de lire le nom *ġyln*, nous lisons *ḥyln* qui est un nom nouveau, mais que Hamdani, *Géographie*, II, p. 138 connaît comme nom de lieu (كيلان). Le nom propre حيلان est connu en Algérie, cf. *Vocabulaire*, p. 176. Remarquons encore que le dédanite emploie fréquemment la direction dextrogyre, cf. lih. Jsa. 100; 104; 106; 109; 110; 145; 173; 348.

(41 bis) *Paléographie*, p. 95.

(42 bis) *Paléographie*, p. 95.

(43 bis) Voir l'exposé dans *Paléographie*, p. 57.

(44 bis) *Paléographie*, p. 96.

(45) *Paléographie*, p. 104.

(46) Voir notre note 37. Jsa. 323 est un texte dédanite monumental ainsi que tham. HU. 495 = Eut. 681. Remarquons que Caskel, *Lihyan und Lihyanisch*, p. 28 et p. 144 attribue Jsa. 323 au lihyanite tardif et le date d'environ 150 après J.C. (ib. p. 36). Nous pensons que son caractère dédanite n'est pas douteux. Le *ṣ* est caractéristique et le *n*, en partie mutilé, il est vrai, a dû présenter la forme qu'on retrouve dans Jsa. 138. Il ne peut être minéen pour les mêmes raisons. D'ailleurs, puisque Mlle Pirenne n'admet pas d'inscriptions nordminéennes avant la période C3 (*Paléographie*, p. 181), les lettres de notre texte devraient avoir les hampes élargies, ce qui n'est pas le cas.

(47) *Paléographie*, p. 96.

(48) *Paléographie*, p. 101.

(49) *Paléographie*, p. 115.

(50) *Paléographie*, p. 137.

(51) *Paléographie*, p. 172.

(52) *Paléographie*, p. 211.

(53) *Paléographie*, p. 103.

(54) Jamme, *La Paléographie de J. Pirenne*, p. 34 ss.

(55) *Paléographie*, p. 90.

(56) *Paléographie*, p. 58.

(57) *Paléographie*, p. 90.

تعريف عن الكتب

مصادر الدراسة الادبية وفقاً لمناهج التعليم الرسمية

بقلم يوسف اسعد داغر

لبنان – سوريا – مصر – الجزء الاول : من العصر الجاهلي الى عصر النهضة

لا اكتفي بامتداح المؤلف لكتابه لكني اريد ان الاحظ ايضاً امرًا يزيد في قيمته وهو ان اللغة العربية كانت بحاجة الى فهرس كتابيّ وها المؤلف قد سدّ هذه الحاجة وقد خدم بذلك خدمة جلّى الباحثين الـذين لا يمكنهم دون ضياع وقت ثمين وجهود كثيرة معرفة المؤلفات المناسبة لموضوع مباحثهم . وكم قد كلفه عمله هذا من التعب والوقت للتفتيش والتنقيب لاكتشاف هذه المؤلفات وتنسيقها وتعريف محتواها وقيمتها .

يلاحظ المؤلف – وهذا لا بد منه – ان عمله ليس تاماً . عمـل كهذا ليكون كاملًا يتطلّب من الوقت والجهود ما يفوق مقدرة من تكلّف مباشرته الاول

نهنئ اذن المؤلف ونحن بانتظار الكتب التي وعد بنشرها لاحقاً .

ا . ع . خ

على دروب الجمال

بقلم الاب ميخائيل معوض

بيروت مطبعة الرهبانية اللبنانية – ١٩٥٨ ١٩٦ صفحة

لا يكفي التكلم عن الجمال والتأمل به ووصف تأليف جميل وصفاً مفصلًا يجب عرضه على القارئ بنوع يجعله ان يشعر بهذا الجمال ويتلذّذ به وهـذا يتطلب من المؤلف ان يكون هو الاول قد تأثر وتمتع به يجب على الدليل ان يدخل الاول الى النفس التي ابدعت الملحة وان يكون جهد في تفهم شعورها السامي حتى يصير جديراً بان يُدخل الآخرين فيها . الوصف امر يسير لكن يصعب الكشف عن نيات صاحب الملحة في ابداعها وعن مرافقه فيها فان هذا يقتضي

معرفة نفسيّته والظروف التي عاش فيها وما خالج افكاره من ذكريات مؤثرة وما اختبره في حياته من فرح ونجاح وخيبة وما مرّ به من مصاعب . ليس امرًا هينًا التعبير عن حالة المبدع الداخلية مع ما تحتويه من افكار وشعور وتبخر . اخيرا ينبغي تفسيح المجال لمخيلة القارئ ولاحساسه ولادراكه ليشعر مع المؤلف ويرى ويفهم ويحكم .

مع المؤلف نتجوّل في ايطاليا الفاتنة من البندقية الى روما القديمة وروما الباباوات مارّين بنابولي وتيفولي وغيرهما من المدن وهو يكلمنا بكلام من يعرف ما يقوله ويحسّ في عمق نفسه بمانيه وتذوقه شغف بجماله وكأنه يسمع دقات قلب صاحب الفنّ ويشعر شعوره اذ ينظر الى الرخام الجامد ويكشف لنا عن باطن نفس مُبدع تنبض حياةً وعاطفةً في صنعه . وهكذا نجح المؤلف ان يجمع بين دقّة النظر ورقة العاطفة فكان شاعرًا حسّاسًا ونقّاشًا ماهرًا فجعل كتابه لذيذًا لمطالعه فاتنًا لقارئه .

تزيّن الكتاب مناظر جميلة ورسوم طُرَف فنّية بديعة : المعبد السكستيني وصورة « البياتّه » لميكيل انجّ ومدفن جينوى وغيرها من بدائع الرسوم والمشاهد لا يملّ الناظر من التوقف امام جمالها .

يقرأ المطالع الكتاب بشغف ولذّة ويمرّ من صفحة الى اخرى بتأنٍ كمن يخشى الّا يفوته شيء من متعه برفقة المؤلف والفنّ البديع الذي يعرضه عليه مملّلًا النفس بأمل العودة . ا . ع . خ

ذات المعاد

بقلم امين نخله

« منشورات مطبعة دار الكتب » بيروت ، ١٩٥٧ ١٧٨ صفحة

كتاب كهذا وقد عُني بتأليفه كاتب شهير لا بد ان يغتصب اعجاب القارئ النبيه . يظهر الكتاب لاول وهلة كأنه دون انتساق داخلي دون هدف بل ودون نظام . لكن تكفي قراءة صفحاته المتابعة بانتباه لتبيّن بان المؤلف — وهو معروف بسعة علمه ومطالعاته الجمّة — قد نوى التحافنا بمقتطف من الآداب القديمة حيث نجد قوة الايحاء ومعنى الابداع وحيث نجد ايضا في هذه

الآداب آثاراً لبنانية وكل ما قاله الحديث والآداب العربية القديمة بخصوص لبنان.

هذا كتاب يمجد لبنان لا فيما يخص السياسة او التقاليد المحلية لكن باظهار ما احدثه لبنان من تأثيرات في نفس الذين عاشوا فيه فلم يتمالكوا عن ذكر جماله وجباله واتصاله ببعض الروحانيين العظام . . .

هذا كتاب يخدم لبنان تمريضاً : لبنان الذي لم يزل على مرور الازمنة بلد الاحلام والآداب .

لا يسعنا الا ان نثني على المؤلف لحسن انتقائه ولسعة علمه وايضاً لاتقانه التام للآداب القديمة وقد أهله لإتحافنا بكتاب صعب جزيل الايجاد. ا.ع.خ

جبران . سيرته وادبه وفلسفته ورسمه

بقلم جميل جبر
دكتور في الادب

دار الريحاني للطباعة والنشر – بيروت ١٩٥٨ ، ٢١٦ صفحة قطع وسط

هوذا كتاب ثانٍ لحياة جبران بعد كتاب نعيمة . نأخذ على كتاب نعيمة عنايته المفرطة بالانشاء بتنميق العبارة وانتقاء الالفاظ كمن يهمه اعجاب المطالع ولذة القراءة اكثر مما تهمه الحقيقة التاريخية .

نرى جبر يعطينا حياة تاريخية محضة معتمداً على حجج جديدة ثابتة وبطريقة علمية محللاً ومفصّلاً بعبارة سهلة صريحة وهكذا قد زاد في معرفتنا لجبران معرفة أحقّ .

يبحث المؤلف باهتمام عظيم في نفسية جبران وعن تأثيرها في مؤلفاته ويرى ان مصدرها هو اما حبّ لاعج او حقد هائج او جمال فاتن . يطنب جبر في الكلام عن عشق جبران لكي يعطينا له صورة تامة لكنه برأينا يبالغ بالتأثير الذي احدثته بنفسيته الاديرة ورهبانها دون ان يضعها في إطارها التاريخي فيخال الى القارئ بان جبر نفسه قد يكون ممن تأثر كثيراً منها في حياته الشخصية حتى انه نقل الى جبران ما احس به هو في نفسه .

وجبر في كلامه عن تأثير ماري ظاهر في حياة جبران وفي حديثه عن

رودين وبلاك وغيرهما عديدين مدقق رصين جريء في ابداء رأيه ويا ليته اظهر هذا الاستقلال بالرأي في اجزاء كتابه الاخرى جميعها .

مما يزيد في قيمة الكتاب اتساع معارف مؤلفه يبيّن ذلك في المقابلات التي يضعها مع فلسفات الهند وتلميحاته الى الفلسفة اليونانية في تفتيشه عن مصادر فلسفة جبران .

يرى جبر ، وهو مصيب بذلك ، بان فلسفة نيتشه في « زاراتوسترا » هي الاشد تأثيراً على جبران وعلى مؤلفي عصره اللبنانيين مثلاً نعيمة والريحاني ولو انه يصعب تحديد مقدار هذا التأثير .

نأخذ على المؤلف انه تحاشى حكماً ثابتاً في الاشخاص والامور التي حدثنا عنها مع ان للمؤرخ حق بل واجب ان يبدي فيها رأيه خصوصاً اذا كانت قيمة هذه الامور وهؤلاء الاشخاص موضوع جدال واحكام متناقضة . اذن كنا نترجى من المؤلف حكماً صريحاً جريئاً في فنّ جبران وانشائه ، في آرائه في الامور الفلسفية والبشرية والدينية ، في مواقفه الفكرية والانتقادية ازاء اجل القيم الانسانية والروحية . مما يكون قد أجفل امام هذا الواجب .

مأخذنا هذا على المؤلف لا يمنعنا من تهنئته بكتابه بما فيه من تحليل صائب وتدقيق علمي وانشاء سهل وتعابير جليّة صريحة . م . ا . ع . خ

اسمع يا رضا

بقلم انيس فريحة

بيروت ١٩٥٦ ، مطبعة الكريم ، ٢٢٢ صفحة

اول ما فتحت هذا الكتاب وقع نظري على اللوحات التي تزينه فاذا بماض ليس ببعيد يحضر امامي واذا بوجوه رأيت مثلها تبرز امام دكان ملحم او في ملامح جارتنا « نطاس » .

قرأت الكتاب بلهفة من « الجلد الى الجلد » وعجبت للمؤلف يهدي تحفته لرضا وصحبه كأنه يأبى ان يقرأه الكبار . وعلى كل حال فكل لبناني يريد ان يكون « رضا » ليقرأ هذا الكتاب . رضا هو الولد الولد الذي ربي بعيداً عن القرية ويود لو يعرف شيئاً عنها . ورضا هو الولد الشاب الذي يستعيد حبه

للقرية بعد ان نزح عنها الى المدينة . ورضا هو الوالد الشيخ الذي يريد ان يحيا ولو في الحروف ماضياً يحن اليه .

ان من فاته ان يعيش في القرية سنيّ صباه فليقرأ « اسمع يا رضا». ان من انسته المدينة عادات قريته وتقاليدها فليطالع « اسمع يا رضا » . ان من يريد ان يرى وجه القرية اللبنانية قبل ان تطبع بطابع المدينة فانه واجد في « اسمع يا رضا » صورة طبيعية طبق الاصل للقرية : اعيادها ، حفلاتها ، مآكلها ، ملابسها ، مدرستها وكنيستها ، العاب الصغار واشغال الكبار . حتى الصيرة والفنات ، والعودة والمراح ، وسلق القمح وفرك الكشك . . .

انك تخرج من قراءة هذا الكتاب وقد احببت القرية ببساطتها وفقرها وانك تخرج من قراءته وقد اخذت امثولة في علم التاريخ والاجتماع .

ولكن نصيحتي اليك ان لا تلتهمه دفعة واحدة كما صنعت انا . بل اقرأه للاستفادة والمتعة واطلب الى الله ان يوحي الى رضا ألّا يذوق النوم دون ان يقص عليه ابوه قصة جديدة . فكلنا في لبنان رضا لا نريد ان ننام إلّا تحت تأثير اخبار ابي رضا . فهل يبخل علينا بها ؟ ! جوزف ضرغام

ذكرى عادل زعيتر

لجنة التأبين

قطع ١٢ ، ٢٧٢ صفحة

عادل زعيتر ولد في نابلس سنة ١٨٩٧ تجند في الجيش التركي سنة ١٩١٦ ثم انضم الى الجيش العربي . في ١٩٢٥ نال شهادة الحقوق في باريس وعاد الى فلسطين محامياً ومعلماً . وقبض على ناصية اللغة الافرنسية فعرب طائفة من كنوز ثقافتها ونشره فافاد قراء العربية بما رآه لهم خيراً في مؤلفات مونتسكيو وجان جاك روسو وڤولتير ولا سيما غوستاف لوبون المعجب بثقافة العرب المتغني بمدنيتهم . فاستحق عادل ان يجلس في مصاف اعضاء المجمع العلمي العربي في العراق وفي دمشق . وانتقل الى رحمة الله بسكتة قلبية وهو مكب على نقل كتاب « مفكرو الاسلام » لكرادوفو في ٢١ ت ٢ ١٩٥٧ ففقدت به العربية ابناً باراً وابنه لجنة من الادباء . ونشرت في هذا الكتاب ما قيل فيه مديحاً ورثاء . ف . ت

رحلة الى الحق

بقلم فاطمة اليشرطية الحسنية

مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٥٤ ، ٣٨٤ صفحة

كتاب تعليمي عاطفي ، يمتد نظر المؤلفة الى مدى فسيح فتتكلم عن الصوفية بذاتها وعن توجهاتها المختلفة وانتشارها في بلاد الشرق وخصوصاً عن الطريقة الشاذلية ثم تعرض ملاحظات تاريخية وجغرافية عن اقطار انتشرت فيها الشاذلية وتقلبت . بعد ذلك تأتي المؤلفة بذكر ابيها بحب فانه كان لها هادياً اميناً كاملاً . . لبحث هذه المواضيع العديدة بنوع متناسق لم يكن عدد صفحاته ٣٨٤ مفرطاً ولو ارادتها المؤلفة مليئة لذلك مرت المؤلفة بسرعة على بعض النقاط دون التعمق بها . مع هذا فقد اودعت بعض اجزاء بحوثها عدة عقائد ومجادلات تدل على سعة معارفها ودروسها . اعطي مثلاً ما كتبته عن اصل لفظة « التصوف » وشتى الآراء التي ارتآها بخصوصها هذا او ذاك من صوفيي الاسلام العظام . في هذا الجزء الاول من الكتاب خصوصاً وهو الاكثر اهمية وفائدة نجد تعليماً دقيقاً ونلاحظ في المؤلفة ميلاً جلياً الى الدفاع عن طريقة الشاذلية .

تمنينا ان تكون المؤلفة توقفت اكثر عند هذه الطريقة وكلمتنا بنوع اتم عن تعاليمها السرية فتكون قد افادتنا افادة اعظم .

ا . ع . خ

مدارس العراق قبل الاسلام

بقلم رفائيل بابو اسحق

مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ١٧٠ صفحة قطع كبير

بلذة نطالع تآليف كالذي اتحفنا به السيد رفائيل بابو اسحق . بحوث وجيزة قيمة يضع نصب اعيننا ماضي المدرسة العراقية المجيد قبل الاسلام . لم تزل مهمة التعليم والتهذيب في نظر كل انسان مستقيم والمسيحي خصوصاً المهمة الاولى التي لا غنى عنها .

لقد استقى المؤلف من مصادر عديدة يُعتمد عليها ما كتبه بهذا الخصوص فكلمنا عن مواضيع التعليم والكتب المتصلة والمعلمين الذين اشتهروا ومؤلفاتهم . هذه بحوث دقيقة ثمرة جهود عظيمة قلما يتذكرها من يطالع كتباً كهذا .

اكثر هذه المدارس في العهد المسيحي تأسست حوالي الاديرة او في داخلها. وفي هذا ما يدحض مزاعم اعداء الديانة بخصوص دور الاديرة المهم في التهذيب والتعليم الانساني والوطني للشبيبة . يتقدم المؤلف في بحوثه بكل تدقيق ويلاحظ بان هذه المدارس كلها مسيحية فانه كان لليهود ايضاً مدارسهم. كل هذه المدارس كانت تُعنى بجدّ بتثقيف الناشئة في البلاد العراقية الفسيحة تثقيفاً انسانياً دينياً . نودّ لو اعطانا المؤلف اسماء كل الذين اشتهروا في المدرسة الفلانية والفلانية. لو فعل ذلك لاعطى بحوثه فائدة اعظم والذ. نثني على المؤلف لاعطائنا في آخر كتابه قوائم عديدة عن الموضوع فان ذلك يسهّل على القارئ الاستفادة منه . أ. ع. خ

سلسلة اعلام الادب المهجري

الياس فرحات شاعر العروبة في المهجر

بقلم عيسى الناعوري

دار النشر والتوزيع والتعهدات ، عمان ١٩٥٦ ، ١٠٠ صفحة ، قطع وسط

عبّر الشاعر عن اباحيته بلغة فصيحة وبشعر سلس وحسّاس. شاعر اغاظته الحياة وأعيته فاحتمل ما احتمله من آلام النفس. شاعر علّمته الطبيعة ان يتغنى بها : هذا ما يعبّر عنه في شعره بابيات مؤثرة (ص ١٣) . في كل انواع الشعر التي جرّبها يظهر لنا بنفس عالية قديرة فقد اجاد بشعره السياسي والاجتماعي والحِكَمي لكننا نؤاخذه على رفضه المنكَر لبعض القيم الدينية والتقليدية وعدم تفهمه لهذه القيم بجهله عندما يقاومها كمن يقاوم الاشباح يفتخر بانتصاره عليها. وهكذا مثلاً نراه يخاصم الديانة مدّعياً بانها تفرّق وتُجزّئ . عن اي ديانة يتكلم أعن الديانة الحقيقية ام عن التعصّب ذي الغرض الذي يريد ان يحلّ محلها . كلّا ففرحات يرفض كل ديانة ولا يرى قيمة الا للقلب . لكن ماذا يعني القلب الطاهر وعلى ماذا يعتمد : آمنت بالله او آمنت بالحجر . . . فرحات متمرد ولا يعرف للمجتمع قيمة . لاذع اللسان حقود. سهل في كلامه لكنه ايضاً ثقيل مُملّ . فمن كانت حالته العقلية هذه كيف يمكنه فهم الامور الدينية. يلزم لمن يتكلم عن الديانة بصواب وحكمة معرفتها والتشرّب من روحها . ولا نجد هذا عند فرحات ويظهر بان الناشر يشاكله بهذا (طالع تبكيه بالمهاد) . ليت فرحات شاعرنا وجد في اشعاره نوراً لمعرفة الديانة التي تكلم عنها ومعرفة حقيقة الله وفرح الاتجاه اليه بالصلاة . ا. ع. خ

فيليب قمدان الخازن ــ كتاب الشهيد

مهّد له وكتب مأساته يوسف ابرهيم يزبك

طبعة ثانية: مطبعة جريدة « اليوم » – بيروت ١٩٥٧ ، ٨٩ صفحة

يوجد كتب لا يعبأ الهَرَم لِما اودعها المؤلف من شعور ينفذ بتأثير الى اعماق النفس البشرية.

يقصّ علينا هذا الكتاب كل تاريخ لبنان بعد انتهاء الحكم التركي فيه فيكشف لنا معتمداً على اثباتات اصلية عن عزم لبنان ببقائه مستقلاً دائماً وعن عدم استطاعة الدول العظمى اجباره على التخلّي عن استقلاله الذي اسسه ابناؤه على دمهم وحاموا عنه بشجاعة وتصلب عظيمين.

عندما يطالع القارئ مجموع هذه الاثباتات لا يتمالك من مقابلة حياة اليوم وحوادثها وشجاعة لبنانيي عصرنا مع حوادث الماضي وبسالة الاسلاف. هذه الاثباتات تظهر لنا ايضاً موقف الدول العظمى إزاء لبنان: فرنسا والنمسا وروسيا وغيرها فانها كانت ولم تزل تنظر متحيّرة الى تعدّد الطوائف الدينية الشرقية يعيقها تقلب اطباعها وآرائها في اعمال تريدها هي سريعة جازمة. فكانت مواقف هذه الدول مختلفة باتّة. اما المؤلف فيؤكد بان لبنان رغماً عن ذلك كله لم يزل حاصلاً على استقلاله في الاشتراع والحكم.

يتأثر القارئ كثيراً اذ يتصفح ويرى ما سُفك من دماء لفداء الوطن والمحافظة على استقلاله. اننا نسدي الشكر الجزيل لناشره خدمة للوطن حتى يضع نصب انظار الابناء والاحفاد ما بذل الاجداد والشهداء من الجهود والتفاني. نتمنّى للكتاب طبعة اكثر اتقاناً ولياقة به.

ا. ع. خ

محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس

بقلم الدكتور محمد مصطفى صفوت

جامعة الدول العربية ١٩٥٨ – المطبعة الكمالية – مصر، صفحة ٦٢

هو بحث يصور لنا مشكلة من مشاكل التاريخ الحديث وما سبقها وما تبعها. فنرى طوال هذه المدة دول اوربا بما فيها روسيا تدور حول تركيا

« الرجل المريض » بعضها ليمتص دمه والبعض الآخر ليقتسمه كما سبق له فاقتسم برلونيا .

هو تصوير لتركيا في النصف الاول من القرن التاسع عشر تتوق الى الاصلاح ولكن انى لها ذلك وعناصر الرجعية تضادد مثل هذه الفكرة ودول اوربا تخاف من سلطة قوية في اسطنبول فتخل بالتوازن الاوربي .

ويحدث حدثان اوشكا ان يخلا بهذا التوازن : هجوم محمد علي وخاصة المسالة الشرقية بما فيها حرب القرم . وهذا ما يهم الكاتب . ولكن ابان هذه الحرب ما زلنا نجد دول اوربا يفاوض بعضها الآخر وبينا تحارب فرنسا روسيا هي تفتش عن صداقتها . وتنتهي الحرب بالاستيلاء على سابستوبول وينعقد مؤتمر باريس ثم ينحل ولكن شيئاً لم يتغير اللهم بعض اصلاح في الجيش الانكليزي وتفهم حقيقي لقوة الجيوش الاوروبية .

هذا ما نقرأه في كتاب محمد مصطفى صفوت . وهو كتاب تشوق قراءته واننا نحس ونحن نقرأه بسعة اطلاعه ومجاراته لمنابع التاريخ ليستقي منه بدون تحيز . انما همه ان يجد الحقيقة ويبسطها امامنا . ولكننا وددنا لو قلت المغالط في النص الانكليزي ثم لأثرنا لو ترجم هذا النص ليسهل على القارئ العربي ان يفهمه ويتذوقه .

باخوس الفنالي

محاضرات عن محمد كرد علي

بقلم الاستاذ شفيق جبري

معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية – مصر ١٩٥٧ – مطبعة الرسالة

١١٢ صفحة قطع كبير

لم يحن بعد وقت التكلم عن كرد علي فالتاريخ لم يعط بعد مهلة كافية تمكنه من ان يبدي حكماً في هذا الرجل «المتموج المتلون» . قد احس المؤلف بهذه الصعوبة وهو يذكرها بمقدمته .

قد أجاد المؤلف في وصف ملامح صورة هذه الشخصية وفي الطريقة التي اتبعها في ذلك . يبدأ بوصف العصر الذي عاش فيه كرد علي وهو يدقق بهذا الوصف لكي يساعدنا على التعرف الكافي الى بطله المجاهد والصحافي والمجادل

والاديب والمعاند . وقد أحسن بمقابلته كرد علي مع احمد فارس الشدياق فكلاهما مرّا بالصعوبات عينها واضطرابات ومماكسات متشابهة .

لا شك ان كرد علي كان اديباً منشئاً فصيحاً لكنه عامل اعداءه بالشدة التي عاملوه بها. نرى في انشائه المهزأة والحدّة لكن تنقصه الهبّة المستمرة القاضية . لقد دخل في جدال مع شيخو ولامنس واحمد امين لكنه لم يثبت امامهم بل وقف في جدال مبهوتاً مبغوتاً لا يجد ما يقابل به خصومه وقد احسّ بتفوّقهم عليه .

نقدر ان ناخذ على كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق الافراط في الاهتمام بامور عديدة في حياته وهذا قد أضرّ كثيراً في تآليفه حيث نجد معاً الجديد والمبتذل. وكان من الضروري لكرد علي ان يقرن بتأدبه الاسلامي التأدب اليوناني - الروماني حتى يتم حقاً تهذيبه العقلي . الى ما نقوله هنا يلمّح المؤلف دون تصريحه كمن يتردّد في اعطاء رأيه ويتخوف من الايضاح .

للبحث فائدة كبيرة لمن يحاول كتابة تاريخ حياة كرد عليّ .

ا . ع . خ

الصحافة والادب في مصر

بقلم الدكتور عبد اللطيف حمزة

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥ – مطبعة البرلمان – ١٦٦ صفحة

ان المؤلف بجدارة ومهارة يكلمنا عن تأسيس الصحافة في مصر ونموها ويبحث بحثاً ضافياً في علاقاتها مع الادب بما يخص القصة والشعر والمقال وباتجاهاتها الثلاثة التهذيبي والاجتماعي والسياسي . وينتهي بالفحص عمّا يكون مستقبل الادب في ظلّ الصحافة .

يظهر المؤلف في كل اجزاء كتابه كثير الاطلاع عارفاً تمام المعرفة ما تأثرت به مصر في النصف الثاني من الجيل التاسع عشر وتقدم الانبعاث حتى وداخل الاسلام بعمل اشخاص عظيمي النفوذ كالشيخ محمد عبده . ونلاحظ في سياق الكلام مماكسات المحافظين المتمسكين بالماضي .

في المحاورة التي يقيمها المؤلف بين الادب والصحافة نراه يتحزب للكتاب ضد مقالة الجريدة معلناً بان تأثير المقال لا يكون الا ابن يومه . ا. ع. خ

محاضرات عن الحركة الادبية في حلب ١٨٠٠–١٩٥٠

بقلم الاستاذ سامي الكيالي

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦ – مطبعة نهضة مصر ١٩٥٧ – ٢٥١ صفحة، قطع كبير

كتاب سهل القراءة يعطينا فيه المؤلف دون تفنن منظراً عمومياً عن الحركة الادبية في حلب بين سنة ١٨٠٠ و١٩٥٠ . حاول المؤلف وصف هذه الحركة بوصف بعض الذين قاموا بها وانشطوها . لا شك ان رزق الله حسون هو اهم الذين عُنوا بهذه الحركة وقادوها بحمية فامتدت من لبنان الى حلب والى باريس والى لوندرة والى موسكو . كان حسون بالحقيقة مصدر هذه الحركة في اللغة والشعر ومعرفة المخطوطات . فذكر بعده اسم جبريال دلال . يتكلم عنه المؤلف باعجاب جليّ وخصوصاً عن شعره الذي كان سبباً لموته : العرش والهيكل . ووددنا لو ان المؤلف – وهو يعطينا الشعر المذكور تماماً – عدّل اثباتاته المخالفة للصواب والتي تظهر عند جبريال جهلاً عظيماً بما يخصّ الديانة. هذه نفس متمردة لوجودها في حالة صعبة او قد اعماها حبّ الحرية المتطرّف .

يتكلم المؤلف عن مؤلفين اخر بدقة وعاطفة ، عبد الرحمن الكواكبي وابو الهدى الصيادي. يتوقف المؤلف عند ثلاثة اعضاء من عائلة مراش ليطريهم ثم يذكر غيرهم لبقاء شيء من آثارهم واخر لدفاعهم عن الحقوق والحقيقة وجمال الحرية في اشعارهم او تآليفهم السياسية .

يكفي ما قلناه لاظهار غنى الكتاب وفائدته رغماً عن ملاحظات كان لا بد لنا من الاتيان بها . ا. ع. خ

المباحث اللغوية في العراق

بقلم الدكتور مصطفى جواد

معهد الدراسات العالية ١٩٥٥ – مطبعة لجنة البيان العربي – ١٣٦ صفحة ، قطع كبير

بعض الكتب تجيء في وقتها عندما تدعو الحاجة اليها . قد اصبحت اليوم

اللغة العربية من جديد اقلها يكون في الامور السياسية والاتصالات الدولية لغة لها مقامها وضرورتها وذلك لكثرة عدد الذين يمثلونها فكان اذن من الادب ان نعرف باي نوع يمكن ان تعود ايضاً الى ما كانت عليه قبلًا لغة الأدب والعلوم . لقد حدث في شعوب عربية مختلفة شتى المحاولات للقيام بهذه المهمة لكن اختلاف الاطباع والاغراض جعل الاتفاق على الفاظ واحدة صعباً ودقيقاً . توحيد الالفاظ العلمية وغيرها يتطلب وجود مجمع علمي يرضى به الجميع فمجمع علمي وحده هو جدير بتحديد ما هو خاصّ باللغة . هو يبحث في تاريخ الالفاظ واطوارها ويفتش في الارث اللغوي القديم الفاظاً تتناسب بمعانيها مع التي اتخذتها اللغات الأخرى للتعبير عن معانٍ واشياء جديدة .

هذا ما ينبه اليه المؤلف وليس من ينكر اهميته ويعطينا بخصوصه اثباتات عديدة في كلامه عن العراق ثم يأتي بذكر الاب انستاس الكرملي يمدحه تارة وينتقده اخرى وهو يعتقد بضرورة مجمع علمي يوحّد اللغة ويلمح الى ما نشره بمجلات عديدة وخصوصاً بمجلة المجمع العلمي العراقي . ا . ع . خ

محاضرات في الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والاردن

بقلم الدكتور ناصر الدين الاسد

معهد الدراسات العربية العالية في جامعة الدول العربية — مصر ١٩٥٧، ١٦٩ صفحة، قطع كبير

لا ندري من اي مصادر استقى المؤلف المعلومات التي اعطانا اياها واسند اليها آراءه في موضوع كتابه فانه لا يذكرها قط . ذلك لان هذا الموضوع جديد فلم يقدر المؤلف في بحثه ان يعتمد الا على الجرائد وكتب تاريخ الآداب الكبيرة او نشرات شتى عن مؤلفين اشتهروا في هذا العصر في فلسطين. لم تكن اذن مهمة المؤلف سهلة لكن محاولة شاقة ومفيدة حقاً .

يقسم المؤلف بحوثه الى ثلاثة اجزاء . في الجزء الاول وهو بثلاثة فصول يحلل بتدقيق اسباب الانبعاث التفكيري ومظاهره المختلفة. يتكلم بنوع خصوصي عن التعليم والحياة السياسية والاجتماعية وانتعاش الروح الوطنية ثم عن الترجمات والتآليف : وهذا التحليل هو موجز سريع . والمؤلف يعطينا اسماء مؤلفين ونخبة

صغيرة من تآليفهم وهكذا يفتح المجال لمباحث اخرى . لا شك ان التـآليف التي يذكرها ليست جديرة بالمقابلة بما اعطته البلاد الاخرى من التآليف. يظهر بان فلسطين والاردن ليستا بعد مصدر الهام للكتاب الوطنيين . حداثة هذين البلدين وضآلة تقليدهما لا تكفيان بعد للفكر المؤلف .

في الجزء الثاني والثالث يتكلم المؤلف عن مظهرَي التفكير والتعبير اي النثر والشعر والنثر للمقالة والقصة . ويذكر المؤلف شاعرين معروفين : ابراهيم طوقان ومصطفى وهبي التل .

نهنئ المؤلف لجهوده في بحث موضوع يستحق الاهتمام به فقد اعطى المثل لغيره لتتميم ما بدأ به . ا ٠ ع ٠ خ

بيبلوس : مأساة ذات سبعة فصول

بقلم اندريه شاهين

تعريب ابراهيم حيفة ٥٦ صفحة

يطيب لنا دائماً ويهمنا ان نرى أحداث مؤلفينا ينكبون على تاريخ بلادهم ليطلعوا القارئ على مشهد من تاريخها .

هي مأساة يعرض فيها المؤلف قصة حبّ عشتروت وادونيس كما يتصوره هو ولكي ينعش امامنا حوادث كثيرة القدم قد ادخل فيها عدة طرق وامثال . وقد شاء المؤلف ان لا يبعد عن احاديث الخرافة المعروفة بخصوص تأسيس بيبلوس وعشق عشتروت .

ولكنّ المؤلف لم يتوصّل كفايةً الى اعادة ذكرى هـذه الحوادث بنوع مؤثر والإنشاء (وهذا راجع الى المعرب) مبتـذل بتراكيبه والفاظه وحركة المأساة بطيئة وبسط الحوادث مقصور . هذا ما يجعل وقع المأساة في نفس القارئ طفيفاً مع انها تحتوي موادَّ تؤهلها لان تكون رواية تمثيليـة فليت المؤلف يُعدّ لها طبعة ثانية بعد تتميم ما نقص فيها واعطاء ما تحتويه من حوادث مهمة ما تتطلّبه من جلاء وبروز بجانب غيرها من الحوادث الثانوية : مثلًا مقابلة عشتروت وادونيس : فانها حادث جدير بالظهور مظهراً اكثر تأثيراً وكذلك شعور هيام العاشق يستحق تعبيراً حاراً ولهجة ملتهبة .

اما التعريب فهو صحيح لكننا تمنيناه اكثر متانة واحسن انتقاء للالفاظ فالموضوع يتطلب ذلك .

هذه الملاحظات لا تمنعنا من الثناء على المؤلف والمعرب على مباشرتهما هذه وانا ننتظر منهما المتابعة احسن فاحسن . ا. ع. خ

محاضرات في المبادئ الاساسية للتنظيم القضائي في البلاد العربية

بقلم الدكتور توفيق الشاوي

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٧ – مطبعة الرسالة – ١١٨ صفحة ، قطع كبير

هذا موضوع عظيم الاهمية يبحث فيه المؤلف فانه يتكلم عن القاضي وعن استقلاله وعن ضمانات تعيينه وضمانات تثبيته وعن الاحترام الذي يستحقه وعن حياده ونزاهته وعن وحدة القضاء .

يمرّ المؤلف بسرعة في شتى اختباراته لذلك نلاحظ في بعض احكامه شيئاً من التعصب بالاخص فيما يتعلق بالمحاكم الدينية الخصوصية . كان املنا انه يبين صواب وجود هذه المحاكم لوجود مسائل دينية يرجع فيها الحكم للقضاء الديني لا لغيره عادم الاهلية في هذا الموضوع .

حسناً فعل المؤلف بالحاحه في طلب استقلال القاضي وصدقه وفي حريّته التامة باتجاه اي شخص كان . هذا الرجل الذي يعلن القانون ويحامي عنه الذي يفرض جزاء او ينقذ حياة يلزم ان يحترم مقامه والعمل السامي الذي دُعي للقيام به ويفهم ما يقع عليه من ثقل المسؤوليات .

ليت المؤلف ألحّ اكثر وفصّل في هذا الموضوع واثبته ببراهين اكثر تعمقاً وصراحة . ا. ع. خ

مصادر الحق في الفقه الاسلامي

بقلم الدكتور عبد الرزاق السنهوري

دراسة مقارنة بالفقه الغربي الحديث (٣) محلّ العقد – جامعة الدول العربية – معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦ – مصر ، مطبعة دار الهنا – ٢٨٨ صفحة ، قطع كبير

المؤلف معروف في عالم الحقوق وهو اليوم يعطينا المجلد الثالث فيه بالمقابلة

يدرس العقد وموضوعه . ليس اليوم من يشك بقدرة المؤلف الفقهية لكن يعوزنا المجلدان الاولان لنعرف ما هي المبادئ التي يستند اليها فالمجلد الثالث يدرس حوادث خصوصية ويحللها حسب مذاهب الفقه الاسلامي وهو بعد تجوله في متايه العرض والحال وصل الى قضية الربا وكان لا بد له من معالجتها فبحث عند الاقدمين ثم عند المعاصرين في مصر ما قاموا به بصددها من عروض وحلول فلاحظ بانها كلها تؤول الى الحكم على الربا وتسهيل التعامل بين انسان وانسان فهما بالحياة سيان .

ما يحمل على الثقة بجاول المؤلف وتعليمه هو انه يرجع دائماً الى الاصول فانه يستحق الثناء . ونتمنى ان يكون مثالاً لكل الباحثين .

ا . ع . خ

مصادر الحق في الفقه الاسلامي

بقلم الدكتور عبد الرزاق السنهوري

دراسة مقارنة بالفقه العربي الحديث (ج٦) – نظرية السبب ونظرية البطلان – معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٧ – مطبعة دار الهنا – ٢٣٢ صفحة ، قطع كبير

المؤلف عينه يعطينا هنا بحثاً به يقابل بين انحلال العقد وبطلانه وهو يعتمد خصوصاً على الفقه اللاتيني والافرنسي والالماني . يظهر المؤلف هنا كما في سائر تآليفه مهارة فائقة تجعل مطالعتها لذيذة مفيدة فهو يحل المشكلة ويعطينا المبادئ معاً بطريقة تعليمية جلية قاطعة .

يبدأ المؤلف بعرض تاريخي عن مصدر الدعوى واصولها ثم يدرسها في الحقوق المختلفة ثم في الحق العصري حيث يدقق بها واخيراً في الحق الاسلامي الذي يعتبره اكثر شمولاً واوسع نظرية في تأويل الدعوى . فيعرض بعد ذلك الطرائق المختلفة تتابعاً . في الجزء الثاني يتوقف المؤلف في كلامه عند نظرية البطلان عموماً وبالاخص في علاقته مع العقد . بعد ملاحظات نظرية يدرس المسألة في الفقه الاسلامي ليبين العقد الباطل بوجيه . وينتهي ببحث مدقق في درجات الانحلال حتى في بعض الشرائع العصرية .

ا . ع . خ

محاضرات في اسباب اختلاف الفقهاء

بقلم الاستاذ علي الخفيف

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦ – مطبعة الرسالة – مصر – ٢٨٩ صفحة، قطع كبير

لله وحده الحق بالتكلم بنوع مطلق وكلامه لا يُردّ . لكلام الانسان كما للانسان نفسه تغيّرات وتبدّلات . لما كان محمد بعد حياً كان كلامه ينهي المجادلات ويسكّن الضمائر . بعد موته هوذا المنافع الشخصية والطبيعة والطيش وغموض بعض اقواله صارت تسبب الاختلافات في تأويل هذة الاقوال والتقاليد . من هذه التآويل صدرت اربع طرق . المؤلف قبل تعريف هذه الطرق ووصفها يعرض مشاكل دقيقة وشتى حلولها . ازاء فقه كهذا ازاء هذا التفنن نرى نفسنا مدهوشين معجبين . قد يكون هذا الفقه وهذا التفنن علامة ذكاء فائق هما على كل حال ثمرة جهود عظيمة . يعطينا المؤلف امثالاً عديدة لعدة من المؤرخين وللإسناد .

نهنئ المؤلف خصوصاً لانه استخلص من الآراء والمذاهب العديدة المتكاثفة المبادئ العمومية الجوهرية . فعمل كهذا ليس بهيّن .

ا . ع . خ

محاضرة في أصول الفقه الجعفري

بقلم الاستاذ محمد ابو زهره

جامعة الدول العربية . معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥ . مطبعة مخيمر ١٩٥٦ ، ١٧٦ صفحة ، قطع كبير

في بحث تدعمه الحجج وقد يعوزه الانصاف احياناً يدرس المؤلف بشيء من السرعة غالباً اصول الفقه الجعفري .

يتقدم البحث حسب الطريقة العلمية بدرس تاريخ المبادئ الفقهية ومسألة الاسناد ومسألة المصادر : من يكون منشئ هذا الفقه هل هو الجعفري ام الامامان محمد بن الباقر وجعفر صادق . (هذا الجزء يظهر جلياً الى اي الطرفين يميل المؤلف وانه اكيداً لم يكن شيعياً فان ما جاء به من الاثباتات ليس الا جزءاً منها وهذا الجزء يثبت ضد ما ارتآه) . في الجزء التابع يبحث المؤلف

في « الحكم » وشتى اقسامه ثم يدرس مصادر الفقه . ثم يقف هنا عند القرآن ويحاول تبين ما قيل بخصوص معني نصوصه المعنى « السري » والمعنى « اللفظي » وفيه يبحث عن معاني الامر والنهي العام والخاص المطلق والمقيد المجمل والمبين ثم يتحول الى درس السنة والحديث والكتب الدينية عند الإمامية .

للبحث مجال واسع مفيد ولا بدّ من تدقيق لبعض من نقاطه نرجو ان تأتينا به اثباتات جديدة . ا . ع . خ

البترول في البلاد العربية

بقلم الدكتور محمد جواد العبوسي

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥ — مطبعة الرسالة ١٩٥٦ ٢٩١ صفحة ؛ قطع كبير

كان اكتشاف البترول انقلاباً حقيقاً في العالم . وقد اصبح في المعاملات المتبادلة بين البلاد سبباً جديداً للسلم او للحرب . بالاستناد الى تقاريم واثباتات وطيدة يجتهد المؤلف في تبيين قيمة البترول كثروة لاصحابه وللدول وما يقدر ان يأتي من خدمات اجتماعية وتهذيبية ولكي يوضح ذلك يطنب وبصواب في التكلم على انواع زيادة استخراج البترول وانواع تصفيته وعن الاسواق المديدة التي يجب ايجادها . في خاتمة الكتاب المؤلف ينبه البلاد العربية التي استعبدتها الشركات المنتفعة والبلاد التي تملها ويحثها على التفكر بانه كان ممكناً ان تعود هذه الثروة بتمامها اليها وخدمة مصالحها لو كان لديها اختصاصيون يقومون بالعمل . ا . ع . خ

التنظيمات الاقتصادية الدولية

بقلم الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥ — مطبعة دار الهنا ١٩٥٦ ٢٠٤ صفحة ؛ قطع كبير

الكتاب بحث حقوقي وتاريخي معاً . غاية المؤلف ان يعرض مجموع منظمات دولية ويصف اعمالها ويبيّن منفعتها وضرورتها فيذكر لنا اتحاد البنوك واتحاد المنتجين والمستهلكين واتحاد منظمات الخير العام والبريد الدولي وحقوق المؤلف والناشر وايجاد مجلس تجارة دولي ومنظمة للاشغال دولية وتأسيس بنك للانشاء.

والتمير . . . يعرض المؤلف هذا كله بنوع دقيق ويسهل على القارئ فهمه ولو لم يكن ذا خبرة . لا بد من نوع من الجفاء في عرض كهذا لكن ذلك لا يمنع الكتاب من ان يكون جزيل الفائدة . ا. ع. خ

الجغرافية البلدية لحوض النيل

بقلم الدكتور ابرهيم احمد رزقانه

جامعة الدول العربية — معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦ — المطبعة النموذجية؛ ٤٠٠ صفحات ، قطع كبير

ان ابتداع الجغرافية البشرية امر حديث خصوصاً باللغة العربية . المؤلف بعد تحديد طريقته وتحديد هذا العلم عينه يبدأ بتطبيق مبادئ بحثه على بلاد وادي النيل : كينيا واوغندا وتانكانيكا واثيوبيا واريتريا والسودان ومصر.

يدرس المؤلف بذكاء هيئة الارض والمناخ ثم اجناس السكان ودياناتهم وتجمعاتهم المدنية ووسائل تنقلاتهم والاسباب المؤثرة فيهم ثم بتفاصيل مدققة غزيرة يتكلم عن اغلال الارض ونوعها .

البحث نيّر وضعي هادئ والكتاب لذيذ القراءة مفيد جداً بما يعطينا من معلومات مبتكرة خصوصاً عن شعوب حديثة الدخول في التاريخ . لقد صعب على المؤلف اعطاء مصر المحل الكافي في بحوثه عن سبب غزارة مواد الكتاب . . . اننا نهنئ المؤلف ونشكره للكتاب الذي اتحفنا به .

نلفت ايضاً نظر القراء الى عدد خرائط التأليف اذ لا يخفى عظيم فائدتها لمعرفة البلاد موضوع البحث . ا. ع. خ

الالتزام الصرفي في قوانين البلاد العربية

بقلم الدكتور امين محمد بدر

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦ — مطبعة الرسالة ١٤٥ صفحة، قطع كبير

في هذا الكتاب يجد التجار موضوع درس ومعلومات دقيقة. اراد المؤلف ان يعطينا بحثاً شاملاً في الصرف وملحقاته لذلك يعرض عرضاً متقناً ما لبلاد

العرب من شرائع مختلفة بهذا الخصوص . أرى ان هذه المقابلة هي حقاً مفيدة هنا . في الجزء الثاني يبيّن المؤلف الظروف التي يخضع لها الصرف وشتى فوائده الذين يجيدون التعامل به . لا شك بان النجاح ليس فقط مسألة حظ او اتفاق الظروف يوجد ايضاً امور ثابتة تقضي في حصول النتائج المرغوبة . . . تلي ملاحظات شتى بخصوص العمل والحوالة والاوراق التجارية . نرى ان المجموع عمل دقة وجدارة .

ا . ع . خ

محاضرات في النهوض بالمجتمع المحلي

بقلم الدكتور علي فؤاد احمد

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٧ ٨٨ صفحة ، قطع كبير

لقد اعتدنا سماع من يكلمنا عن الاصلاح الاجتماعي لا عن اصلاح بلد بكليّته لكن عن اصلاح حيّ فان الحيّ واحد بوحدة عقليّة ساكنيه ومشاكلهم . فالاول اذن في التهذيب هو الحيّ ويعقبه تهذيب البلاد وفي هذا التهذيب معرفة ماهية المسؤولية والتأدب والمبادهة في العمل . للوصول الى هذه الغاية يجب اخذ الوسائط الاجتماعية والاقتصادية والانسانية . لكن عملاً كهذا لا يتم في حيّ دون اشتراك اهل الحي في تتميمه .

عندنا هنا بحث يفصل هذا كله ويحرّض على بذل الجهود في تجديد البناء الاجتماعي . البحث منطقيّ كما يجب ان يكون منطقياً في طريقة التتميم عمل كهذا يقود سكان حيّ من حالتهم المتأخرة التي قد يعيشون فيها الى حياة عصرية بفوائدها واثوارها .

تمنينا لو ان المؤلف شدّد اكثر في كلامه عن الالعاب المسرحية عن الملتقيات العمومية للتعارف بين السكان واكتشاف ما فيهم من مواهب ومقدرات يمكن استخدامها معاً لخير الجماعة .

ا . ع . خ

البلاد العربية والدولة العثمانية

بقلم ابو خلدون ساطع الحصري

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٧ — مطبعة الرسالة — ١٩٦ صفحة ، قطع كبير

يتقدّم المؤلف في الموضوع بطريقة سهلة فهو يعطينا اولاً ملاحظات عمومية

بخصوص انشاء دولة ونظام الحكم والادارة فيها ثم يصف الدولة العثمانية في بأسها وتقدمها وهبوطها . فيضعها نصب اعيننا في نزاعها ويرينا القوات المتماسكة تتقاوم بشدة بعضها يريد المحافظة على الدولة كما هي لكي يثابروا على الانتفاع منها والبعض يريد انقلاب الاحوال لتجديد الحكم وتقويته . هذا العرض جيد وهو موجز فانه مجموع محاضرات لمنظمة الدراسات العربية العالية . وقد احسن المؤلف لايضاح افكاره باعطائنا في وصفه للحركة التحريرية العربية اسماء تبقى مرتبطة بهذه الحركة كاسم نجيب عازوري . ليته ايضاً تقدم في تأليفه بدقة اعظم .

اراد المؤلف ان يعطينا ايضاً تفاصيل اوسع عن اقسام المملكة العثمانية منذ الجيل السابع عشر الى ابتداء التاسع عشر . ثم اعطانا قائمة اسماء السلاطين العثمانيين وكذلك خرائط تبين التقسيمات الادارية للدولة العثمانية ووسائل التنقل فيها . عندنا اذن كتاب موجز ومفيد .

ا . ع . خ

النظم الدستورية في البلاد العربية

بقلم الدكتور السيد صبري

معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٦–١٩٥٧ ، ٣٥٢ صفحة ، قطع كبير

يحاول المؤلف مستنداً الى تاريخ الحكم الجمهوري وتقدمه ان يثبت مبادئه ويشاهد استعماله في البلاد العربية المختلفة ثم يبحث عن كيفية توصل ليبيا في حكومتها المركزية الاتحادية الى الحكم الاستشاري . في الجزء الاخير من الكتاب يكلمنا المؤلف عن امكان اتحاد شتى البلاد العربية في نظام اتحادي عمومي .

لا يكتفي المؤلف بعرض ما يقوله لكنه ينتقد ويحكم . ثم يقابل موزلا شرائع هذه البلاد المختلفة وذلك بقوة واعتقاد ثابت . وينتقد الحكم اللبناني والملوكي في مصر .

ا . ع . خ

اكتشافات عشر سنين في برية يهوذا

بقلم ج. ت. ميليك

مقدمة الاب ر. دي فو من رهبانية الآباء الواعظين ، ١٢٠ صفحة ، باريس ١٩٥٧

هذا كتاب جديد يكلمنا عن الاكتشافات الشهيرة في قمران والمربعات وغيرهما في برية يهوذا في غربيّ البحر المائت. الكتاب جدير بالثقة لسببين اولهما ان مؤلفه هو احد اعضاء جمعية العلماء الذين صنفوا وفحصوا قطعاً عديدة اكثرها لم تُنشر بعد فهو يعطينا معلوماته ثابتة تامة بخصوص النتائج التي توصلت اليها هذه الجمعية وهي الطليعة في هذه المباشرة والسبب الثاني هو ان الاب ميليك قد أبدى اهتماماً عظيماً ونشر نشرات عديدة وقد ساهم بجدٍ في اعمال الاكتشافات في قمران ونواحيها .

عندنا اذن هنا كتاب ثمين يساعدنا على التثبت من صحة ما نقرأه بخصوص الاكتشافات في كتب ما سبقته الا بزمن قليل .

اراد المؤلف كتابه موجزاً فلم يتمادَ في مجادلات وأبحاث فيما يخص تأثير قمران في الديانة المسيحية او في امور اخرى ولا في التخمينات العديدة او المسكتة بخصوص تاريخ الأسينيين وعقائدهم . ليس هذا هدف الكتاب .

لكننا نلاحظ قبوله برأي ج. فرمس الذي يقول بان « الكاهن الكافر » العدو الالدّ « لرب العدالة » هو الثاني في المكابيين يوناثان . ما كنا لندرك هذا حالاً فانه في كتاب المكابيين الاول القانوني يظهر يوناثان كبطل ورئيس عظيم لكنه بالحقيقة هو وحده يجمع في ذاته كل الشيم التي ينسبها كتاب تأويل حبقوق الى الكاهن الكافر . وهذا السبب كافٍ لتفضيل هذا الرأي على غيره رغم كل ما يمكن تصوره في غيره ممن يظهر جديراً بالقيام بهذا الدور .

في الصفحتين ٦٨ و٦٩ مقابلة مهمة بين استعمال كلمة « تيروش » اي سُلاف وخمر حلوة في « كتاب التهذيب » لتعيين شراب الاسينيين على مائدة الطعام على الاقل بعض الاحيان وكلام التهكم يوم العنصرة من قبل بعض الحاضرين : « انهم قد امتلأوا سُلافة » . وقد يعني هذا بان خمر المجلس

ثمنا واقل اختبارا كانت اذ ذاك كثيرة الاستعمال . لكن يظهر لنـا بانه لا يمكن الاستنتاج من هذا بصورة ثابتة استعمال خمرة كهذه في سر الاوخارستيا في البدء .

اننا نقدر هذا الكتاب المستنـد الى كل الآثار التي جمعت في القدس لتنظيم تاريخ قران في تاريخ شعب اسرائيل كله . كتاب كهذا لا يمكن اخراجه — كما يصنع البعض — بالاستناد الى معلومات ناقصة مضادة لاشياء ثابتة مستندة خصوصاً الى علم الآثار القديمة .

بكل صواب وكان لا بد من ذلك فقد اعطيت اهمية لآثار « المربعات » وغيرها من الاكتشافات الصغرى وكانت قد اخفتها اكتشافات قران وما بنوا عليها من استنتاجات مريبة عن مبادي الديانة المسيحية خصوصاً . اننا نذكر من جديد وبنوع اخصّ ما اتى به الاب ستاركي لفائدة معرفة اللغة النبطية باكتشافه قراءة ومعنى حجة مكتوبة بهذه اللغة . الاب بولس موترد

Introduction à la Bible, sous la direction de A. Robert (†) et A. Feuillet, Tome I. Introduction générale, Ancien Testament. in 8°. XXVIII - 880 pp. Tournai, Desclée et Cie 1957.

الكتاب يُعرض « كموجز الكتاب المقدس » لكنه يتحامى سذاجة بعض التآليف من هذا النوع . تشمل بحوث الكتاب مختلف المشاكل التي تهمّ اليوم التأويل الكاثوليكي للكتاب المقدس وبهذا ينوي تسهيل الدرس الاجمالي على المعلمين اكثر مما على التلاميذ . ثم ان سهولة فهم النصّ تؤهّـله ايضاً لجمهور المتعلمين فاننا نراهم يهتمون اكثر فاكثر بمطالعة الكتاب المقدس .

المقدمة العامة هي تأليف الاساتذة ا. باروك و ه. كازل و ب . غرولو . وهدفها هو اولاً ان تضع الكتب المقدسة في التقليد الديني الحيّ الذي منـه صدرت وهو وحده قادر ان يساعد على فهمها تاماً (ص٦٧–١). لاثبات فحوى نص الكتاب المقدس الصحيح استعان المؤلف بكل وسائل النقد المنطقي وعلم التأويل (ص ٦٩–٢١٢). نقد النصوص على الاقل فيما يخصّ العهد القديم يستفيد من الآن فصاعدًا من اكتشافات قران فانها تؤيد تأييدًا تاماً نص التقليـد الكتابي الثابت . والنقد البياني يستوحي اسلوب الـ Formgeschichte ويجهد في

تمييز الانواع الادبية — التي هي مفتاح التأويل الكتابي — بنوع اكثر وضعية واكثر مناسبة للمعلومات التاريخية الوطيدة. اخيرا ان النقد التاريخي معتمدًا على تقدم علوم الآثار الشرقية السريع يثبت بان الاشخاص الذين يتكلم عنهم الكتاب المقدس ليسوا قط اشباح عصر متأخر لكن مواليد عصرهم حقًا. لكن للنقد الكتابي له حدوده فالحكم في قيمة النصوص وهو نتيجة بحث صادق مدقق يعتمد اخيرًا على حكم الايمان وهذا ما يفرق بين التأويل الكاثوليكي وبحث علمي محض . يوجز ب . غرولو شروط قراءة الكتاب المقدس المسيحية هذه بدقة وبكلام بعيد عن التخفي .

مقدمة الكتاب المقدس تشغل ما تبقى من المجلد (ص ٢١٤—٨٣٦) . الجزء التاريخي العام درسه ا . كافينياك وب. غرولو ودون اهمال مطالعة المعلومات الحديثة لم يكثر المؤلفان التفاصيل المتبكة والمعلومات التاريخية الجديدة قد قُدرت حق قدرها في عرض التوراة وعوضاً عن تقديم كل من كتب موسى الخمسة بتقدمة السيد كازيل لخص النتائج الاخيرة التي اعطاها النقد واجتهد في اظهار مميزات كل من اجناس النصوص الاربعة . يبحث ج . دولورم عن الكتب النبوية الاولى ويبحث جولان عن الانبياء المتأخرين . بعد هذا القسم يُعتبر في البحوث على قدر الامكان ترتيب الوحدات الكتابية التاريخي وهكذا اجزاء كتاب اشعيا المختلفة يُبحث عن كل منها في الفصول المختصة بها اي قبل المنفى او في زمان المنفى او بعده . نلاحظ بسرور ان السيد ا . جولان يُبين الصلة المتينة التي تربط اجزاء الكتاب المهمة بعضها ببعض خلاف نقد متحيز يجد في « دحض » الكتب النبوية فان المواضيع : « التفوق الالهي » و « البقية » و « المساكين » و « ارتجاء المسيح » تظهر كتنظيم متتابع لكرازة النبي اشعيا بحيث انه يحق التكلم عن حلقات اشعيا على شكل حلقات تثنية الاشتراع والحلقات الكهنوتية . نجد هنا من جديد عين الاهتمام بالتقليد الحي الذي في فصل سابق حمل السيد كازل على التكلم عن « دوام الشريعة الموسوية في تاريخ اسرائيل » (ص ٣١٤) .

جزء من هذا المجلد مخصص بالكتب المساة « القانونية الثانية » (تأليف ا . لوفيفر) والبروتستانت يسمونها « المحرّفة : apocryphes » . وكما هو

معلوم قد أقرّت بصحتها لائحة الاسكندرية للكتب القانونية وتقليد الكنيسة الكاثوليكية الثابت . ويحتوي هذا المجلد عينه بحث (ل ب. اوفري) عن المزامير في المحل الذي يخصصه لها الكتاب المقدس العبراني ولا يخفى ان تاريخ المزامير يتتابع مدة عدة عصور . ينتهي المجلد بخاتمة عامة وهي بحث محكم لِ ب. غررلو موضوعه التكوّن البياني للعهد القديم فان تاريخ الكتب المقدسة الادبي هو ضرورياً اساس كل تأليف تعليمي لا يكتفي بان يكون فهرست منتخبات ادبية لا غير . ان هذا الجزء الاخير يدلنا على الروح التي تنتعش في مجموع المجلد : حسّ ثاقب في تفهّم التاريخ به يتميز اليوم عموماً تقدّم التأويل الكاثوليكي للكتاب المقدس .

في كتاب هذه اهميته لا بد من جدال لاحق في عدد من التفاصيل . فيما يخص تاريخ سفر الخروج وعلى الاقل لمجموع الاسباط الاكبر يظهر الجيل الثالث عشر كالتاريخ الاثبت بالنسبة الى ما عندنا اليوم من المعلومات التاريخية. لكن السيدين كافنياك وغررلو يضعان رحلات ابرهيم في الجيل التاسع عشر لكنهما يقرّان بانها في ذلك ازاء صعوبتين (ص ٢٢٣) . اذا اخذنا ما يقوله سفر الخروج (١ : ٣ و٦ : ١٦-٢٠) بمعناه الحرفي يكون نزول العبرانيين في مصر نحو سنة ١٣٧٠ وهو يجعل بين هذا التاريخ ورحلات ابرهيم في النقب بعد اربعة قرون تقريباً. وبالعكس اذا ارّخنا النزول في مصر ببدء عهد الهكسوس (القرن السابع عشر) وضعنا بُعد اربعة قرون بينه وبين الخُروج افـلا نكون اذن اقرب من الحقيقة اذا نظرنا بعين الاعتبار الى التواريخ التقريبية التي كان هـ.هـ. رولي قد عرضها في كتابه «منذ يوسف الى يشوع» (لندن ١٩٥٠) اعني ١٦٥٠ لابرهيم و ١٣٧٠ للنزول في مصر و ١٢٣٠ للخروج وهكذا توضع رحلات ابرهيم في احدى ترحّلات الحوريّين بين ١٥٥٠ و ١٧٠٠ فان آثار عوائد حورية وذكر الجمال وعلامات اخرى في سفر التكوين تظهر كتمين لهذا التاريخ[1] .

---

(١) ملاحظات Les arguments dans ce sens ont été dernièrement réunis par Ae. Rasco dans Verbum Domini (Rome), 35 (1957), pp. 134-145 Cf. E. A. Speiser. *The Hurrian Participation in the Civilisation of Mesopotamia, Syria and Palestine*, dans Cahiers d'Histoire Mondiale 1 (1953) p. 318 .

يجب ايضاً ان نلاحظ بخصوص هذه النتيجة — وهي برأينا موجزة — ما لاحظه السيد كازل في ختام ملخصه الفاخر بشأن ظروف درس التوراة حاليًا (ص٣٤٢). لا شك انه تحذيرًا من الافراط في الـ Formgeschichte يتخذ اساساً التأويل نظام « الحجج » الاربع التي يدلّ عليها فيما بعد (ص ٣٤٩) كوحدات كتابية. هذه التسميات تظهر لنا ملتبسة على الاقل وليست متفقة مع طريقة كازل نفسه. اذا كان التأويل الكاثوليكي الحالي وخصوصاً تأويل ب. دوفو (المذكور عرضيًا ص ٣٥٧) يميل الى تبديل لفظة « حجج » بلفظة « تقاليد » فانها تنوي لا فقط تغيير اسم لكن تغيير اسلوب : تنوي ترك تأويل مفرط في استناده الى الكتب كان يجابه الحجج المكتوبة بجابهته لسور لا يمكن تجاوزه . لا شك ان نقد « التقاليد » منقولة كانت او مكتوبة جزئيًا يؤدي الى إفراز أقل تدقيقاً للنصوص لكن هذه النتائج تكون اقرب الى الحقيقة الحية وما عدا ذلك انها تظهر بنوع اكثر جلاء مهمة موسى الجوهرية فان درس التقاليد يوصل الى مصادر الشريعة الموسوية أبعد مما كتبه مؤلفو الكتب المقدسة مدة عدة اجيال.

ملاحظة اخيرة بخصوص تاريخ المزامير يكتفي السيد اوفري الباحث فيها بنوع عمومي (ص ٦١٢) فالمعلومات التي تعطينا اياها النصوص « الاوغارية » خصوصاً لا ذكر لها الا عرضاً وافادات « المنتخبات » تبقى كذلك مبهمة (ص ٥٩٧) والحال وجود هذه المواد الكنعانية صار موضوع جدال لا بد ان ينتج منه نتائج مهمة تساعد على فهم وتاريخ عدد من المزامير وغيرها من نصوص الكتاب المقدس . نعلم بان جزءا كبيرًا من الالفاظ التي تحتويها النشائد الاوغارية هي موجودة في كتاب المزامير مع بعض عبارات قديمة (ابن ايل — راكب السُّحُب — لاوياطان — وغيرها) . السيد و.ف. البرايت وغيره كثيرون بعد ه . ل. غنسبرغ[1] يجدون في هذه الاتصالات العديدة سندًا ممكناً لتاريخ نصوص الكتب المقدسة المذكورة القديم (س . غوردون — س . مورنكل — ر. تورني . . .) . المواد الاوغارتية قد تدل بالاحرى نسبيًا على تاريخ اقل قدماً . الاتجاه الى ما هو قديم الذي به يتميز العصر الذي يبتدئ مع المنفى

(1) Dans Orientalia 5 (1936), p. 136 et dans *Actes du XIXe Congrès International des Orientalistes*, Rome 1938 pp. 472-476.

قد اقتبس بواسطة اسرائيلي الشمال المشتّين منذ جيلين مواد شعر وثني قد غدا مذ ذاك الوقت غير مُضرّ . ولكان الفصل الذي يدرس المزامير والخاشية عن الشعر العبراني بنوع عمومي (ص١٣٩—١٤٢) قد استفادا من مباحثة اكثر تعمقاً في الحَدَث الاوغاريتي لو أُجريت .

الخُلاصة هذه المقدمة للكتاب المقدس تأليف جميل يبقى متطلعاً الى المعلومات الجديدة التي لا تزال تأتي الينا . ويحتوي مع هذا مجموعاً علمياً ذا قيمة عظيمة ويبيّن لنا ايضاً ان رسالة الكتاب المقدس الالهية لا تزال تهمّنا خلال الاحداث العلمية التي يتّسع مداها اكثر فاكثر .

ل . صابر اليسوعي

G. R. Driver: *Canaanite Myths and Legends* (Old Testament Studies, nº 3), in 4º XIV—168 pp. Edinburgh. T. T. Clark. 1956.

هذا الكتاب تحفة قدمها السيد دريفر لعلم الاوغاريتية الحديث فانه موجز مُحكَم يعطينا خلاصة ما حصلنا عليه وهو مصدر درس وحيد من نوعه . قائمة كتب وافرة تتصل الى سنة ١٩٥١ تسبق تحليلاً مُتقناً وشرحاً للنصوص الشعرية. في الجزء الاهم من الكتاب نسخ النصوص وترجمتها وُضعا متوازيين والصفائح رُتّبت بنظام منطقي وفي ذلك تسهيل وفائدة للدرس المتواصل. المقابلة مع ترجمات مؤلفين آخرين هي اقل سهولة من جراء عدم اتصال تسيير اسطر كل من الصفائح لكن يعوّض من هذه الصعوبة الاشارة الى الطبعات الاصلية (ص١١) . تحتوي النسخ على ملاحظات انتقادية والترجمة على ملاحظات موجزة تأويلية . نذكر بالاخص فائدة وضع الارجاع الى الكتاب المقدس في اسفل الصفحات بدلاً من جمعها في فهارس آخر الكتاب .

ما يميز بنوع عمومي تأليف السيد دريفر هو الضبط اللغوي في الترجمة والاعتدال في عموم التأويل وهو جدير بان يوحي بتفكرات عديدة مثمرة الى مؤرخي الاديان ومتعلمي اللغات السامية . تثبت قولنا هذا بالامثلة التابعة :

ان السيد دريفر يقرّ لاسطورة كرت ببعض الحقيقة التاريخية لكنه يذكّرنا بانه ليس عندنا الى اليوم علامة حسية تمكّننا من اثباتها فان ما ادعوا انه تلميحات الى تارح ابي ابراهيم والى السطين يتاخر وزابلون والى بلاد

النقب وآدوم يلزم اعتباره اليوم عادماً من سند لغوي . في IV-25 (ص ٣٢) السيد دريفر يُبقي الترجمة « في هيكل اثيرات صور وعند ايلات صيدون » لكنه يلاحظ معتمداً بذلك على رأي د. ه. بنيث بان (SDYNM) يمكن انها وضعت غلطاً بدل (SDNYM) : فوجود الياء مرتين متابعتين في المحل عينه هو صعوبة حقيقية . ج. غري(نص كورت في كتابات راس شمرا — ليدن ١٩٥٥) — وهو يحب الخروج من المسالك المطروقة — يترجم « أطرتْ مستودعات (عربياً : صرّة) وإلهة الهتافات (عربياً : أصدى — رجع . ردّ الصوت) » فيعود اذاك الإسمان الى رتبتي الهياكل القديمة : مُستودَع التحف الثمينة ومحل هتافات الآلهة وهكذا «كرت» لما لم يبقَ لها حاجة الى اجوبة الآلهة تكون قد استفادت من الهيكل اذ وضعت فيه ثمن زواجها القريب. لم يكن بعد لدريفر ان ينظر الى هذا التأويل بعين الاعتبار فانه فرضيٌّ الى الآن وهذا يُبين عدم ثبات المعلومات الجغرافية في « كرت » وتحفّظ السيد دريفر في تفسيره الاجمالي للقصيدة .

هذا التحفّظ عينه قاد السيد دريفر في قوله ان التأويل الرمزي لاسطورة«أقهتْ» وكان الهها قبلًا « دانِل » يدوم ظنّياً طالما ليس عندنا معلومات عن احوال هذا البطل النهائية . لا شك ان هذه القصيدة لا تدعي بانها تاريخية بقدر ما تدعيه اسطورة « كرتْ» ومع ذلك انه يعطينا معلومات عن التنظيمات القديمة مثلًا الرتب التي كان يقتضي القيام بها في المدينة الاقرب الى انسان قتله اناس مجهولون فات ضحية (١ « اقهت » ٣ : ٤٥ — ٤ : ٢) وفي ذلك مقابلة مذهلة مع تثنية الاشتراع (٢١ : ١ — ٩) .

الصفائح الثلاث المختصة « بالرفائم » نقدر ان ننسب بعضها الى دورة « أقهت » وبعضها الى دورة « بعل » . لكن السيد دريفر يعتقد بان تجانس العبارة والموضوع يدل على وحدة هذه الاجزاء . نقدر ان نفترض بان العيد الذي يدعو اليه « ايل » الآلهة الاخرى هو الاحتفال بتتويج بعل بعد رجوعه من مسكن الاموات والا فكل هولاء المدعوّين او على القليل (RPUM) تبين مثل ($r^epa'im$) وهي آلهة «ما تحت الارض » وهي تذكر بـ«رفائيم» التي يتكلم عنها الكتاب المقدس والتي تسكن«الشيئول». وضعة الكتابة الاوغارية تثبت هكذا لفظ

الكلمة العبرانية وتدل ايضاً على ان الاصل هو « رَفَأ » (لأم خرقة وخاطها) أحرى من « رافه » (طيّب العيش – ضعيف) . اذن هذه اللفظة يكون معناها : الكائنون الارضيون: بشبه جماعة متحدة تعيش في مسكن الاموات في حالة واحدة. فيكون اسم سكان فلسطين في الازمنة السابقة للتاريخ « رفائيم » لانهم ماتوا قديماً جداً . هذا التأويل مها كانت اهميته لا يمنع رجحان تأويل ج . غري (في (PEQ 1949, pp. 127-139 et 1952 pp. 39-41) الذي ينسب اللفظة الى الاصل « رفأ » بحيث يكون « الرفائيم » اذ ذاك موظفي الشعائر الدينية المشتركين باحياء البلاد وبشعائر رتب تكريم الموتى . مهما كان من الامر ان السيد دريفر يثبت ويحقّ بان توحيد « الرفائيم » الاوغاريتية والعبرانية هو علامة بقاء اعتقادات قديمة وثنية في تقليد الكتب المقدسة . لكننا لسنا مقتنعين بان جميع النصوص التي تتكلم عن « الرفائيم » الارضية قد كُتبت بعد المنفى .

قصيدة « بعل » (وكان عنوانها قديماً « أَنَتْ » او « بعل وأَنَتْ ») لا يكون اذن اسطورة فصولية بل قصة ادخال بعل الحديث السنّ كاله الخصوبة في زون الآلهة الاوغاريتي . ثلاثة اقران يبتغون هذا المركز الذي لا صاحب له : « يَم – نهر » إله البحر والأنهر – و« أثتر » إله الينابيع والسقي الاصطناعي – واخيراً « بَعَل » إله المطر وهو لكل حياة على الارض الينبوع الاعظم . وهكذا يمثّل ثلاثة انواع من الريّ النوعان الاولان يظهران غير كافيين ازاء الثالث الذي يمثله بعل واسمه عينه بعل – صافون يذكر جبل كسيوس الواقع في سوريا الشمالية فيه تتراكم الأنواء وتتكوّن العواصف . لا بدّ لنا من ملاحظة الفائدة الجليلة لدرس العبراني التي تنتج من وفور تأويل السيد دريفر وغزارة المواضع التي يُحيل الينا من الكتاب المقدس . وهكذا فمن رأينا ان المنافسة بين آلهة الري توضح التصورات المتوارية في القصة الثانية للخليقة في كتاب التكوين . نعرف بان القصة اليهوية تفترض – خلاف قصة التكوين المائية في « الحبري » (Sacerdotal) – تكويناً دون وجود ماء. وهي تبدأ بجواء مقفر ينتظر لتغييره المطر وشغل الانسان . « الأيد » – ان كان يمثل ريّ الارض بينابيع او بجداول يظهر غير كافٍ دون المطر الذي هو

للنبات العامل الطبيعي . لكن في سفر التكوين هذا المطر عينه هو عطية يهوى – الوهيم (في خصوص شتى التآويل طالع ب. هومبيرت : بحث في قصة الفردوس والسقوط في كتاب التكوين – نوشاتل ١٩٤٠ ص : ١٠–١٤) .
مثل آخر نجده في يول ٥ : ٣ : ١٥ : « بين صخور الصافون في الهيكل على صخرة ميراثي » حيث يظهر هذا الموضوع المتواتر : الجبل كعلامة السلطة. بهذا الخصوص السيد دريفر يُرجع القارئ الى سفر الخروج ١٧ الذي يذكر جبل ميراثك . . . الموضع الذي أقته يا رب لسكناك المقدس الذي هيأته يداك يا رب » كمسكن الله على الارض . ما عدا ذلك نعرف بان هذا النص من الكتاب المقدس قد اتخذوه احياناً لاثبات تاريخ حديث لنشيد مريم لانهم نسبوه بسهولة الى جبل صهيون والى هيكل سليمان حتى والى الهيكل الثاني . لكن المقابلة الاوغاريتية تبيّن لنا بالعبرانيين كانوا يقدرون ان يستعملوا هذه العبارات بمعنى مجازي محض في زمن لم يكن لهم فيه بعد هيكل . وفعلاً قد برهن ذلك فر. كروس و د. فريدمن : « نشيد مريم » ,The Song of Miriam) JNES 14 (1955) 237-250) نقدر ان نزيد على البينات التي ذكرها السيد دريفر نصّ اشعيا ١٤ : ١٣–١٥ حيث يدّعي ملكُ بابل ايضاً : « اجلس على جبل الجماعة على صخرة صافون » [1] .

قصة مولد ولدَي « ايل » التوأمين الفجر والشفق نجدها في انشودة « شَكَر وشالم » . جزء الاسطورة الطقسي ينتسب الى رتبتين قديمتين : اولاً غرس الكرمة الذي بموجب حساب « غزر » كان يبدأ في حزيران (في علم النجوم البابلي « التوأمان » يقارنان شهر حزيران) وثانياً طبخ الجدي في حليب امه وكان في الشريعة العبرانية ينتسب الى « عيد الاسابيع » وكان يقع ايضاً في حزيران (ص ١٢١ – طالع : سفر الخروج ٢٣ : ١٩ – ٣٤ : ٢٦ – تثنية الاشتراع ١٤ : ٢١) . الانشودة الاوغاريتية تظهر اذن كاثبات وجود هذه

(1) M.H.Pope (*El in the Ugaritic Texts*, Leiden 1955, pp.99-102) rapproche du même héritage mythologique le texte d'Ezéchiel XXVIII,14, où le roi de Tyr est chassé de «la montagne sainte de Dieu ». Ce dernier rapprochement reste assez problématique. cf. J.L. Mckenzie dans JBL (1956) pp. 322-327.

الاحتفالات الكنعانية التي تابع اليها نصوص الكتب المقدسة بالفاظ مبهمة . نلاحظ ايضاً بان هذا المجموع يحتوي ايضا انشودتين صغيرتين مقدمتين الى هدد والى نكال وكثيرة ملاحظات السيد دريفر بخصوص الرماطيق الاوغاريتي (ص١٢٨–١٣٢) هي مجموع ثمين لمعلوماتنا الى سنة١٩٥٣. لا بد ان هذا المجموع يطلب زيادة فيما ينبغي ايضاً معرفته كما يبين ذلك خصوصاً في امرين: بصدد النمرة ١١ يجب ان لا نهمل البحوث الحديثة في الصيغ السببية : « مقالة السيد داهود» (*Some Aphel Causatives in Ugaritic*, Biblica 38 (1957) 62-73) التي تعترض تخصيص السببية بالصيغ الفعلية وحدها . من جهة اخرى بحث السيد هويسمان : (*Finite Uses of the Infinite Absolute*, Biblica 37 (1956)271-295) يحملنا على ان نلاحظ — خلافاً لما نقرأ عند السيد دريفر نمرة ١٩ — ٢٠ — استعمالا اوسع للمصدر المطلق في الانشاء الروائي .

ثبت مفردات اللغة الفني بحتواه يتمم بنوع مفيد ثبت س .. هـ . غوردن الذي ينقصه بعض التفاصيل . في هذه المادة كما في مواد المجلد كلها لا بد من الثناء على استقامة السيد دريفر العلمية فانه معلم لا تنكر مهارته في المواضيع السامية فانه يشير بتدقيق ومُوفّراً العلامات الى ما اتى به من المعلومات كل من العلماء الذين جهدوا في تقدم البحوث الاوغاريتية البطيء المفيد .

بيروت ، تشرين الاول ١٩٥٧

ل. صابو اليسوعي

ايماننا المسيحي

بقلم غاستون ساله اليسوعي

تعريب الاب جبرائيل عقيقي اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٥ ، ١٩٠ صفحة ، قطع وسط

عندنا هنا تعريب كتاب للاب ساله عنوانه : « غنى العقيدة المسيحية» لكن يجب ان لا يخدعنا العنوان الذي اتخذه المعرّب بخصوص محتوى الكتاب فانه ليس كتاب تعليم مسيحي يعرض المعتقد المسيحي باسئلة واجوبة . عندنا هنا

بحوث لاهوتية عميقة في اهم حقائق ايماننا المسيحي . نص المؤلف يصدر من لاهوتي خبير بأخفى دقائق اللاهوت يسمع رنينها في تعاليم آباء الكنيسة ويرى تأثيرها في النفسية المسيحية العصرية وفي تأمل شخصي عميق تنتعش فيه العاطفة الروحية بتفهمها ويُعبّر عنها . وقد همّ المعرّب وبنجاح في اتباع فكر المؤلف وحركته بلغة جديرة بالموضوع وباختيار الالفاظ الصريحة . لذلك فالكتاب لم يوضع للقراءة وحسبُ لكن للتفكر والتأمل خصوصاً .

نحن بحاجة الى تعريب كتب كهذا لعدم وجود كتب مثله كُتبت بلغتنا العربية فان الكتب الروحية في مكاتبنا العربية نادرة للغاية لهذا ايضاً نرحب بهذا الكتاب وبالكتب التي تتبعه .

ا . ع . خ

A. Garcia Evangelista s. j. — *La Experiencia mistica de la Inhabitacion* — Granada 1955-XX 266 pp.

لا يقدر ان يتكلم عن الامور الروحية الا من سمع الذين اختبروها في نفوسهم يتحدثون عنها . اما هؤلاء فيتمنّعون عن التحدّث بها لصعوبة وصف ما اختبروه في حالة الاختطاف اذ يفوق الإدراك البشري .

اراد مؤلف هذا الكتاب ان يصف على الاقل الاختبار الروحي لسكنى الله في النفس البارّة مستنداً الى ما كتبته بهذا الخصوص القديسة الأبيلية ترازيا. فيؤكد اولاً بان هذه الحياة هي معروضة الجميع لا مختصة باناس دون غيرهم ثم يُعطي مع دو غيبر واللاهوتيين الذين هم على رأيه تعريفاً لهذه الحياة الصوفية وهو انها ليست الا الاحساس النفسي بالنعمة وهو تعرف لم يقبل به غاريكو - لاغرانج وماريتان والمؤلف يدقق في رأيه فيبحث عن محل سكنى الله وحضوره في النفس وكيف يتحقّق هذا الحضور . وهذا التحليل مفصّل للغاية بحيث ان القارئ يتبع بصعوبة هذه التفصيلات الدقيقة المتفرقة . ليت المؤلف جمع ووصف اكثر مما حلّل .

لا يمكننا الا الثناء على هذه التآليف المخصصة بموضوع محدود والتي تكشف لنا عن كنوز روحية كثيرة لا يتوصل الى الحصول عليها الا قليلون فاتها في النفوس ثمرة نعمة المسيح الاله .

ا . ع خ

شريعة المسيح (اللاهوت الادبي)

بقلم برنرد هارنغ

جزآن طبعة (دبكلي وشركاؤه) قطع ٢٥ × ١٦ – ٣٨٨ صفحة

ظهر الجزء الاول من هذا الكتاب سنة ١٩٥٧ فأطرأ العارفون بمدحه مدحوا المؤلف لعدم تفريقه بين اللاهوت الادبي والعلوم المتصلة به: علوم الكتاب المقدس والرعائيات والنفس والزهد .. ومدحوا ايضاً اذ ذاك عموماً سمة معارف المؤلف وتضلعه من الفلسفة العصرية يشهد على ذلك عدد الكتب وحسن انتقائها في قائمة المؤلفات التي طالعها . هذا المدح عينه يستحقه المؤلف للجزء الثاني فاننا نجد فيه صفات الاول عينها .

يبدأ هذا الجزء بمقدمة كتابية تبحث في الفداء وما تنشأ عنه من الواجبات الادبية . من ذلك ينتج ان الانسان مدعوّ الى اتباع المسيح فيجب عليه ان يحيا حياة اتحاد مع الله (وهذا موضوع الجزء الثاني) ومع القريب (موضوع الجزء التابع) وواجبات المؤمن الادبية تنشأ من ضرورة حياة الهيئة للخلاص بالايمان والرجاء والمحبة وضرورة فضيلة العبادة التي تتطلب تقيداً لخدمة الله بالحياة الطقسية وقبول الاسرار . في ذلك نجد ايضاً التكريسات الخصوصية لله اي النذور والصلاة وتقديس يوم الاحد .

بصفتي معلماً في مدرسة اكليريكية انتهز هذه الفرصة لالقاء السؤال الآتي : هل يصلح هذا المؤلف ككتاب لتعلم اللاهوت الادبي لدارسين يبتدئون تعلّم هذه المادة . يخال لي انه لا يصلح لهم . اولاً لانه يظهر لي بان الطباعة لا تميّز كفاية الايضاحات الجوهرية . كان الافضل ان تستعمل المقدمات الكتابية والتاريخية حروف اصغر حجماً وللايضاحات التعليمية حروف ٢ كبر . كذلك تبين الاقسام الثانوية في الفصول بنوع اكثر جلاء. ثم عدم احالة القارئ الى الحواشي فيما يخص الحق القانوني . . . وبالاخص كان يجب ان يبدأ كل من الفصول بتحديدات مدققة . مثلاً : في الفصل المخصص بالنذور (ص ٢٣٤ وما يتبع) لا نجد تحديداً للنذر وكان سهلاً اعطاء التحديد الموجود في الحق القانوني (١٣٠٧) وهو كامل ويكفي شرحه بامثال – لا نجد في الكتاب المعلومات الضرورية

لتمييز النذور المختلفة : النذر الصرمي والنذر الشخصي النذر الاحتفالي والنذر البسيط ثم النذور المحفوظ حلها والشخصي والمادي وغيرها . لا ننكر بان المؤلف في شروحه التابعة (ص ٢٤٢ وص ٢٤٦—٢٤٧) يلمح الى هذه الاقسام الاولية لكن ليس ذلك واضحاً بالكفاية وعلى كل حال التعلم الاصلح يتطلب اعطاء كل التحديدات الضرورية في بدء كل من الفصول وان تعطى بحروف تميزها بنوع خصوصي مهما كان هذا النوع .

عندنا انتقاد اكثر اهمية : نرى ان بعض الشروح ليست كافية . لنعد الى فصل النذور : لا نجد شيئاً بخصوص تأثير الجهل والخطأ والخوف في صحة النذور . فيما يخص رفض الاسرار على غير الكاثوليك (ص ١٩١—٠٠٠) كان من الواجب اعطاء كل الاسباب التي تبرر هذا الرفض بنوع اوضح اي شكوك الحاضرين وخطر عدم التمييز بين الديانة الحقيقية وغيرها . وتعرض قابل الاسرار لفساد الاخلاق عند بلوغه سن الفتوة وعدم رضى العائلة . . . اما الحادث الذي يعرضه المؤلف في اعلى الصفحة ١٩٢ — وهو حادث ابن عائلة هرطوقية يُرجى بانه يبقى ابناً اميناً للكنيسة في كبره — فنرى البحث فيه مختصراً جداً اذ ان المؤلف لم يعتبر الاسباب الاخرى التي ذكرناها لرفض الاسرار خصوصاً بخطر الشكوك وعدم التمييز بين الديانة الحقيقية وبقية الديانات..

وقد دهشنا ايضاً المحل الذي اعطي لهذه او تلك من المواد وبالاخص سبب التكلم عن الوثنية في فصل البطالة يوم الاحد (ص٣٤٨) . ونأسف ايضاً لعدم شرح شريعة المحبة الاخوية كتتمة لدرس محبة الله .

قصارى القول الكتاب علمي مفيد جداً وهو غني بما يحتويه من شروح لا نجدها في غيره من المؤلفات المدرسية الاعتيادية لكن يخال لنا بانه بالاحرى مخصص لكهنة او لمعلمي اللاهوت الادبي لا لمبتدئين من تلاميذ المدارس الاكليريكية او كليات اللاهوت . اوجين غوتنيه اليسوعي

Wilhelm de Vries s.j. — *Der Kirchenbegriff der von Rom Getrennten Syrer.* — Roma. Pont. Inst. Orient. Stud. 1955—XV—200 pp.

ليس من ينكر تفوّق الاب دي فريز في معرفة ما يختص بالكنائس السريانية المنشقة بعد دروس دامت سنين عديدة .

في هذا الكتاب بحث المؤلف عما يفهمه النساطرة واليعاقبة بهذه اللفظة : الكنيسة . ثم يحللها من كل اوجهها ويدرسه خصوصاً في نظرية « الاولية » . بعد ذلك يبحث عن لفظة « شركة » ليرى باي معنى الكنيستان المنشقتان تتكلمان عن « الجماعة » ومن اي عناصر تتركب هذه الجماعة . اخيراً ما هي السلطة التي تقدر كنيسة الله ان تدعي بها . لهذه الغاية يعرض واحداً واحداً بعض الاسماء التي تُسمّى الكنيسة بها : ام — جسد المسيح — وغيرهما ليرى المعنى الذي حفظته لها هذه الكنائس .

قائمة الكتب التي طالعها المؤلف والتي وضعها في اول كتابه تبرهن لنا عن اجتهاده في البحث والتفتيش للاتقان والتثبت في عمله ويكفي للقارئ ان يتصفحه ليتأكد بانه قد أخذ ما يقوله من مصادر وثيقة وانه يسير معه بامان في طريق ليست دائماً سهلة .

قد سبق هذا الكتاب كتب اخرى تبحث بعض المواضيع العقائدية فنحن اذن نثني على المؤلف ونتمنى متابعة بحوثه عن الكنيستين المذكورتين .

ا . ع . خ

القرآن والتوراة (١)

في الاشهر الاخيرة من سنة ١٩٥٥ نشر السيد حنا زخريا كتاباً بعنوان حماسي : « الاسلام مشروع يهودي » . ليس الكتاب تأليفاً قدحياً معادياً لليهود لكنه بحث مطول غايته ان يثبت بان الاسلام الاصلي ليس الا تحريفاً للديانة اليهودية .

يبدأ المؤلف بالتأكيد التابع : نصوص عديدة من القرآن هي مقابلة لنصوص من التوراة . وهذا ما يكتبه : « من ١٩٤٥ آية التي منها تتركب السور المكيّة (الحقبة الموافقة لبداية وعظ محمد في مكة سنين قليلة قبل انطلاقه

(١) H. Zakarias : *L'Islam entreprise juive, de Moïse à Mahomet.* chez l'auteur, B.P. 46 Cahors (Lot). T. I, *Conversion de Mohammed au Judaïsme — Les enseignements à Mohammed du rabbin de la Mecque*. T. II, *Composition et disparition du Coran arabe original et primitif — Lutte du rabbin de la Mecque contre les idolâtres et les chrétiens.* 1955.

الى المدينة) اكثر من الثلث اي ٧٠٠ آية تقريباً هي مستعارة رأسا من كتاب العهد القديم وبالاخص من التوراة ونقــدر ان نقول ان الآيات الاخرى هي مُشربة من لاهوت التوراة والتلمود » (١١٢٧٠) . اذن سؤال يتحتم علينا ان نسأله: « ماذا يكون معنى هذه الموافقة الجسيمة بين القران المكي والتوراة — من هذا السؤال لا يقدر ان يتخلص لا مؤرخ ولا ايّ قارئ كان » .

هوذا المشكلة معروضة . والآن هوذا ما يقدمه المؤلف من اثبات لحلها : ليس محمد الا الدخيل الاول لرباني مكة اليهودي فان هــذا مدفوعاً برغبته في اكتساب العرب للدين اليهودي ابتـدأ بنشره بالوعظ ثم كتب ما هو جوهري من التوراة العبرية . وكان محمــد مثابراً على حضور مواعظ الرباني فاهتدى الى الدين اليهودي وبدوره اقدم على الوعظ باسم من معلمــه في الدين اليهودي وبجمايته . لسوء حظنا قد فقدت بعد ذلك الترجمة العربية للتوراة التي قام بها الرباني ولم يبقَ لنا منهــا الا آثار في القرآن الحالي . والمؤلف لكي يبيّن لنا جدّة تأويله بنوع اوضح يؤاخذ على تسمية القرآن التقليــدية : عنده التوراة هي « القرآن العبري » ويسمّي « القُرابُ » الترجمــة العربية لهذا القرآن العبري لان الكتاب الذي يُعرف اليوم باسم القُرآن ليس الا « اعمال الاسلام » .

نلاحظ اولاً بان قضية وجود يهودي معلم لمحمد ليست جديدة كما يدعيه المؤلف . منذ سنة ١٩٣٣ نشر السيد توري كتاباً عنوانه :« تأسيس الاسلامية اليهودي » فيه يثبت مستنداً الى شهادتين من القرآن (سورة ٢٥ : ٥ وسورة ١٦ : ١٠٥) بانه كان لمحمد معلم او اكثر في الدين اليهودي (صفحة ٤١—٤٥). ثم ان اختصاصياً آخر السيد سويتمان في كتابه :« الاسلام واللاهوت المسيحي » يكتب ما يأتي : « من الممكن ان محمــدًا نفسه كان دخيلًا (المجلد الاول صفحة ٢) . وغيرهما ايضاً السيدان سيدرسكي و ج . والكر كانا قد لاحظا سعة ما اخذه القرآن من الديانة اليهودية . لكن ما هو مبتكر في رأي السيد زكريا هو انه لم يترك لمحمد مبادهة قط وانه جعل رباني مكة المؤسس الحقيقي للاسلام .

لا بد لنا من القول بان ما يعطيه المؤلف من الحجج لاثبات قضيتــه ليس

قاطعاً . هوذا بعضها نعرضها كمثال : بعض السور تبـدأ بـ « قل لهم » فتثبت اذن هذه الكلمات بان محمدًا يتكلم بما يمليه عليه الرباني . كذلـك استعمال اللفظة « قرآن » في بدء الوعظ بالاسلام في حين لم يكن بعد قد كُتب مـا نسميه القرآن لا يمكن ان تعني الا كتاباً آخر وهو « التوراة » العبرية الذي هو للرباني . ثم ان المؤلف يباحث احياناً في بعض النصوص ويضع مقابلات مع الادب العبراني لا تخلو احياناً من فائدة . لكن بعد الانتهاء من مطالعة كتاب السيد زكريا نشعر بان قضية مستغربة كالتي هي موضوعة تتطلب لاثباتها حججاً اكثر متانة من التي أتى بها .

من جهة اخرى نلاحظ بان تأكيدات المؤلف تمثر في مشاكل هي اكثر عدد من التي تحلها . كان من الواجب اولًا ان يثبت بان ربانياً يهودياً من الجيل السابع قدر ان يفكر في هداية العرب الى الدين اليهودي وانا نعلم بان زوال الدعوة الى الدين اليهودي تمّ شيئاً فشيئاً مـدة الاجيال الاولى من التاريخ المسيحي . الاب بونسرفان بعد وصفه انحرافات الديانة اليهودية الربانية يقول : « مفعول (هذه الانحرافات) الثاني هو انها عاقت انتشار الـديانة اليهودية وفعلًا انها وضعت حداً للدعوة اليها وانتهت بمحو واجب هذه الدعوة من العقيدة اليهودية »[1] .

كان يجب ايضاً ان يبين لنا كيف يمكن لاحد الربانيين اليهود مع احترامهم العظيم لكلام الشريعة أن يرى من الضرورة ان يزيد على النصّ المقدس قصصاً من اختراعه ولا يكتفي القول — وهذا ما يفعله المؤلف — « بان هذه الاوصاف (اوصاف الفردوس وجهنم) ليست الا من تصوّر الرباني — حسب اعترافـه بذلك هو نفسه — لجذب غير المؤمنين » (٢ صفحة ١٠٠) .

هناك صعوبات اخرى تمنعنا من قبول قضية السيد زكريا صعوبات تأتي من سكوت القرآن عن مراسيم الديانة اليهودية الاكثر اهمية . لم تكن الـديانة فقط تمسكاً بكتاب فان ممارسات التعبد والذبائح خصوصاً كان لها اهمية عظمى . من جهـة اخرى الشعور الوطني وكان احترام الهيكل رمزًا له بقي دائماً الاول

(1) *Le Judaïsme palestinien au temps de Jésus-Christ*. Paris, Beauchesne, 1935, II, p. 322. — Cf. aussi I, p. 34.

حسب قول الاب بونسرفان : « اليهود بعد سنة السبعين ما زالوا ينوحون على خراب الهيكل بقدر ما ينوحون على نهاية حياة امتهم . في كل صلواتهم وفي كل آمالهم في الغد. يطلبون وينتظرون التجديد[1] » يخال لنا ان ليس لهذا كله ذكر في القرآن .

اخيرًا — وهذا ايضاً له اهميته — السيد زكريا يقول بان خديجة زوجة محمد الاولى كانت يهودية ويزيد على هذا « بانه ليس غير ممكن بان رباني مكة قد حبّذ هذا الزواج » (١ : ٤٣) كيف نوفّق هذا التأكيد مع ما هو معروف بان الشريعة تحرّم بشدة زواج يهودية مع وثني ولو كان « يخاف الله » .

بعد هذه الانتقادات كلها ماذا يكون قولنا في موقف المؤلف ازاء كل الذين درسوا القرآن قبله . من اول الكتاب الى آخره نلاقي جملًا كهذه : « انتقل مرة اخرى وان يُقال هذا ابدًا بالكفاية — بان كل دارسي القرآن « متقرئنين » دون شذوذ واحد قد لقفوا كلياً توجيهات الاسلام الاوليّة لانهم اهملوا قراءة النصوص وتحليلها » (٢ : ٩٧). ولو كان يودّ المؤلف ان يحصل على تقدير الذين يعارضهم فكان الافضل له ان يتخذ حججاً غير المهزأة والتهكم .

من سبب محاباة المؤلف هذه ضد الذين يسميهم « المتقرئنين » لا اظن بان المتخصصين في هذا الموضوع يرضون ابدًا بقراءة كتابه وهذا امر نأسف له . فان قراءة « الاسلام مشروع يهودي » قد تفيق بعضهم من «الثبات العقائدي» الذين هم فيه وخصوصاً الذين منهم يقبلون بسهولة مواقف هي اقرب من الاساطير منها من التاريخ ولا يمكن ان تنكر بان مشكلة اصول القرآن لم تكن وليست بعد الى يومنا موضوع بحث عام .

الاب ميشال ألار اليسوعي

Charles Pellat — *Le Kitāb at-Tarbīʿ wa-t-Tadwīr de Ǧāḥiẓ.* — Texte arabe avec une introd., un glossaire, une table de fréquence et un index — In-8°, XXVII—46-218 pp., Inst. Français de Damas, 1955.

يتابع السيد شارل بلّا بنشاط لا يملّ وبين اعمال عديدة بحوثه الجاحظية نذكر مختصرين منها (غير ناوين ذكر الكل) ترجمة كتاب البخلاء (باريس ١٩٥١ :

(1) loc. cit. II, p. 109.

اطروحة تكيلية) تمتبا ترجمة الفصل الاخير (Arabica) المجلد الثاني ١٩٥٥ صفحة ٣٢٢ — ٣٥٢) والبيئة البصرية وتثقف الجاحظ (باريس ١٥٣ الاطروحة الاولى) والجاحظ في بغداد وسامرة (المجلد٢٧—١٩٥٢ صفحة٤٧—٦٧ وترجمته للنابتة مع حواش (R. S. O. l'Alger. Annales de l'Institut des Etudes Orientales, Faculté des Lettres, tome X, 1952, pp. 302-325)

واليوم يتحفنا بطبعة جديدة لكتاب صعب : كتاب التربيع والتدوير يتن مسهب يملأ من الكتاب مئة صفحة .

الطبعة الاولى لهذه « الرسالة » المهمة قام بها الذي هو اول من باشر الدروس الجاحظية اعني المستشرق الهولندي ج. فان - فلوتن لكن منعه موته العاجل من تتميم عمله فنشر النص ج . م. ذي غيجي مكتفياً فيما يخص النقد بالروايات المختلفة في النسخ وتصليحات فان - فلوتن . طبعات شرقية ثلاث دون حواش — وتظهر جلياً مؤسسة على هذه الاولى — لم تات النص الذي قرره فان - فلوتن الا بتحسينات زهيدة . اما نص فان - فلوتن فهو بجملته جدير بالقراءة لكن النقر المبهمة عديدة فيه لعدم وجود نسخ جديدة . فالمهم في عمل شارل بلا هو الاستفادة من المصادر غير المباشرة اي « كتب الادب والتاريخ والعلوم فهي تساعد احياناً على اكتشاف النص الصحيح وغالباً على فهم التلميحات الرزينة الى حوادث لا تعرض الا قليلاً » (ص ٧) اذن طبعته هي مراجعة طبعة فان - فلوتن وجهود مهمة لايضاح نصها ، النص الذي به فكر الجاحظ في هذه « الرسالة » (دون تكلف اعطاء الجواب على الاسئلة التي سألها) ما عدا فحص النصوص والتنقيحات المعروضة . قد تمت هذه المهمة بنوعين :

اولاً بتقديم النص : بوضع خط متصل في الحاشية لتمييز الاسئلة التي هي سبب وجوب التربيع وبوضع خط منقط لتمييز ما يظهر محرفاً في النص . وهكذا النقد الباطني ساعد المؤلف على تحديد حرية او اهواء النساخ لعدم وجود اثباتات تجعلنا قادرين على كشف مدقق فيما يخص ما ادخلوه في الكتاب من بلبلة .

ثانياً : بتفصيل النص (مقسماً الى ابواب منمرة) لتنظيم مجمل لمفردات اللغة او فهرس اسماء العلم . مجمل للمفردات تلم بئة وسبعة عشرة صفحة : يتبع

كل لفظة عدد بين قوسين يدل على تواترها في النص وبعد ذلك تعداد القطع التي تتضمنها ثم معناها واذا دعت الحاجة الى ذلك توضيحات ومعلومات كتبية .

يحتوي الفهرس اربعمئة وستة عشر اسماً علماً بست واربعين صفحة . ليس هذا الفهرس فقط طريقة ارجاع الى النص لكنه نوعاً ما معجم يعرف بالشخص او يفسر ما ينبغي تفسيره فقد جمع فيه بايجاز كل المعلومات التي تمكن من الاطلاع عليها بما يخص هذه الاسماء العلم .

البحث في المصادر الغير المباشرة هو متعب للغاية لكثرة التفتيشات التي يتطلبها والصبر الذي يفرضه . هنا مجموع الكتب التي طالعها المؤلف يملأ ثماني صفحات ومُفاد ذلك نجده في حواشي مُجمل المفردات والفهرس .

ان « التربيع » اهل لهذه الجهود. ان ش. بلّا في الاختيار العظيم الذي حصل عليه في ما نقدر ان نسميه (دون بخس الشيء) « مؤلفه المفضل » هو معتقد ان الجاحظ في تأليفه هذا لا يترك ادنى مجال للشك في آرائه الشخصية :« رسالة « التربيع » تحتاج لفهمها الى كتاب « الحيوان» لكن يجب ان يكون متحققاً جداً من « التربيع » من اراد ان يفهم روح كتاب « الحيوان ». فالخلاصة هي ان هذين المؤلّفين يأتلفان ويتممان الواحد الآخر.» (ص١٦) وهذا يمكن مؤلفنا في كتاب يبيّنه مباشرة مسألة افكار الجاحظ لاعتقاده بانها « نقطة قيّمة في تاريخ الفكر البشري » . هاك ما يقوله المؤلف : « فاننا فقط للتوصل الى فهم النص بنوع كاف متجنّبين التأويل غير الصحيح قد باشرنا طبعة جديدة مجتهدين في تنقيح ماظهر من تحريف وتوضيح النقاط الملتبسة » (ص ٥و٦) وهو لا يدّعي بانه جاءنا في كل شيء بايضاح تام فانه بمناسبة المجمل والفهرس يقول (ص٩) :« يجب ان نُقر بانه رغماً عن جهودنا سوف نرى نفسنا مضطرين الى اكثار علامات الاستفهام » . ومع ذلك فبقدر الامكان نظراً الى ما لدينا اليوم من وسائل قد تقدّم المؤلف في ايضاح هذا النصّ الصعب فالمستعربون من اي صنف كانوا يشكرون له جهوده اذ ان الجاحظ هو من المؤلفين الاصليين للآداب العربية (قليلون جداً هم بين معلمي هذه الآداب العديدين من يعادلونه) . كل فروع مباحثنا تستفيد من تفهم احسن لأهم تآليف جبّار الآداب العربية هذا .

ه . ف .

المشرق

السنة الثالثة والخمسون　　　　تموز - ت ١　١٩٥٩

القس الخوري يوسف اسكندر القرطباوي

بقلم الخورسقف يوسف زيادة (†)

١ً – من هو القس يوسف اسكندر
٢ً – هل كتب نبذة في تاريخ الامر

١ً – القس يوسف اسكندر

جاء في نبذة وضعها القس يوسف اسكندر على كتاب رفيق الواعظ في اسرته « السخن » واسر قرطبا وغيرها[1] ما يلي :

« انا القس يوسف ابن الشيخ اسكندر ابن الشيخ فاضل السختي القرطباني بن جرجس بن مخايل بن اسعد بن مالك اليمني مقدم الماقورا ابن ابي الغيث بن عبد الله بن غيث بن يزيد بن سالم صادق بن شبل بن غصيبه بن جهجاه بن دياب الماقوري الخ . وُلد جدي الشيخ فاضل في الماقورا في ١٨ كانون الثاني سنة ١٥٩٠ ربانية وطفر من الماقورا الى قرطبا وقت ما قتل الشيخ ضاهر واخوه الشيخ هاشم اولاد الشيخ ايوب ابن الشماس توما الهاشم الماقوري الشيخ معتوق شرك اليمني مقدم الماقورا سنة ١٦٠١ ربانية[2] .

١) نشرت في ديوان خواطر الجنان للقس غسطين سالم اللبناني سنة ١٩٣٩ ، ص ١٤٠
٢) راجع تاريخ الماقورا للخوزي لويس الهاشم ١٩٣٠ ص ٨٣

وما يلي حيث يقول :

« في بدأة القرن السابع عشر نحو ١٦٠٦ وقطن في قرطبا عند قرابته الشيخ عزيز بن نصرالله السخني القرطباني وتزوج على بنته تفاحه ١٢ حزيران سنة ١٦٠٧ ربانية .

ومن بعد ذلك هديت الحال في الماقورا ورجع الى الماقورا مع زوجته تفاحه ومن بعد ذلك زوّج جدي الشيخ فاضل والدي على نقلا بنت غصيبه ابن الشيخ عزيز السخني القرطباني في ١٤ اذار سنة ١٦٢٩ ربانية واعطى جدي غصيبه والدي ارض شالي تبع خلف وعمّر والدي بيته هناك وتوطن في قرطبا ومن بعد ذلك ولدت انا في ٨ كانون الثاني سنة ١٦٥٨ وتوفي المرحوم والدي بمرض القلب في ٥ حزيران سنة ١٦٥٩ الله يرحمه وبقيت انا وحيد يتيم عند جدي غصيبه .

ومن بعد ذلك ارسلني غبطة سيدنا البطريرك اسطفان الدويهي الى مدرسة رومة بواسطة الخوري يوسف ابن غصيبه جدّي مع جرجس الاهدناني وعبدالله الشبابي وجرجس يعقوب من حصرون وابراهيم من غزير ووصلنا الى مدرسة روميه العظمى في اول شهر شباط سنة ١٦٧٠ ربانية وبقيت في مدرسة روميه ١٣ سنة ودرسنا قواعد العربي (واللاتيني) والفلسفة واللاهوت النظري والادبي بصحة جيدة من كرم الباري تعالى ورجعت الى قرطبا في ٢٣ من شهر آب سنة ١٦٨٣ وقبّلت يد والدتي وشاهدتها بخير وجبت لها معي دخيرة عود الصليب المقدس .

ومن بعد ذلك اخذني المفضل عليّ الخوري يوسف ابن جدي غصيبه الى عند غبطة سيدنا البطريرك اسطفان الدويهي في دير سيدة قنوبين وقبلت يده الطاهرة وشكرته على عطفه عليّ وبقاني عنده ورسمني قسيس على مذبح كنيسة سيدة قنوبين في ٦ كانون الاول سنة ١٦٨٣ ربانية .

ومن بعد ذلك رجعت الى قرطبا ووقفت كل ما املكه من المرحوم والدي من الارض لكنيسة جدودي مار سركيس وباخوس في قرطبا على يد غبطته ايده الله وغبطته كفل معاش والدتي الخنونة ذقلا حتى موتها بعد عمر طويل .

ومن بعد ذلك عيّنني مرسل بطريركي لاجل عمل الزياضات في جميع قرى جبل لبنان وسوريا ولاجل اخذ حسابات الاوقاف .

ومن بعد ذلك طلبني غبطته من قرية مجد المعوش من عند اقاربي الشيخ فاضل ابن المقدم حنش بن ابي الغيث الماقوري الخ ومن بيت الشيخ مرعج بن كنعان بن شملان بن طريف الذي من قرية عين دارا بن المقدم حنش بن ابي الغيث الماقوري الخ .

ورجعت من قرية مجد المعوش الى دير سيدة قنوبين لعند غبطته وعيني بازجي عند غبطته في ٢٩ حزيران سنة ١٦٨٧ ربانية ايده الله واطال عمره من عمري .

ومن قبل ذلك في غضون عملي الرياضات واخذي حسابات الاوقاف من جميع قرى جبل

لبنان وسوريا كنت جمعت تاريخ عيال امراء نسبنا وسلسلتهم عن مخطوطات جدودهم وكهنتهم ومشايخهم الخ .

وعن رق نسبنا الذي كان عند والدي . . . وكنت عيال امراء نسبنا في الملحق بكتابي رفيق الواعظ هذا . . . »

ولقد ايد التفاصيل التي ذكرها عن سنة ارساله الى رومة ورجوعه منها وتعيينه كاتباً للبطريرك الدويهي ما جاء في نبذة الدويهي عن تلامذة المدرسة الرومانية التي نشرها الاب لويس شيخو[1] .

فقد جاء فيها :

« عندما ارتقينا الى الكرسي البطريركي وبلغنا ان المدرسة في عازة اولاد ارسلنا صحبة فرا جوان من ياماست الذي كان مستجساً بدير مار اشعيا ستة اولاد وهم : يعقوب الحصروني ابن الخوري حنا ولد عواد ابن عشرين سنة وجرجس ابن مركيس من بيت عبيد الحدناني وعمره عشر سنين وجرجس بن مشاع الحصروني ابن خمسة عشر سنة وابراهيم بن خير الله حجولة النزيري ويوسف بن اسكندر القرطباني ابن ١٢ سنة وكان دخولهم المدرسة في اوائل سنة ١٦٧١ وعبد الله بن باسيل البجاني كان ابن ١١ سنة » .

ثم يضيف الدويهي فيقول :

« يوسف القرطباوي » بعد ما اكمل علوم الفلسفة واللاهوت عاد صحبة جرجس ابن عبيد وسنة ١٦٨٧ في اواخر حزيران سناه كاهناً على سيدة قنوبين وقلدناه في الكتابة عندنا . كان طبعه ليناً طائعاً .

وفي ٣٠ من ايار سنة ١٦٩٦ انتقل بقنوبين الى راحة الابرار بكل ثناء وبضربة الوباء » وتاريخ الوفاة هذا ١٦٩٦ غلط من الناشر لانه الوفاة حصلت سنة ١٦٩٣ على ما سترى .

وجاء في قيود رسامات الدويهي المدونة بخطه في اولى الشرطونية[2] المكتوبة بخطه ايضاً :

« في ٢٩ من شهر حزيران سنة ١٦٨٧ انتخب الثالوث المقدس ابني اخونا يوسف قسيساً على كنيسة مار عبدا وابن عمنا جرجس قس على كنيسة مار بطرس باهدن وباحتجينا القس يوسف القرطباني على سيدة قنوبين «واضاف : « مات ٣٠ من ايار سنة ١٦٩٣ » .

١) الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية سنة ١٩٢٣ ص ١٢٨ و١٢٩
٢) هذه الشرطونية لا تزال محفوظة في خزانة المخطوطات في بكركي عدد ٢٠٠

وهنا لا بد من ملاحظة الفرق بين تاريخ رسامته كاهناً الوارد في نبذته التاريخية « في ٦ كانون الاول سنة ١٦٨٣ » وما ذكره الدويهي في « ٢٩ حزيران سنة ١٦٨٧ » ولعل ذلك كان خطأ من ناشر النبذة ولكن تاريخ تعيينه كاتباً يتفق مع ما ذكره الدويهي في ٢٩ حزيران سنة ١٦٨٧ .

وفي سنة ١٦٨٣ في اول ايلول توجه الدويهي الى قرية مجدل معوش وبقي فيها سنتين .

(تاريخ الدويهي — شرتوني ص ٢٥٠

وقد تكلم المطران بطرس شبلي في ترجمة البطريرك الدويهي عن القس يوسف القرطباوي وكلامه لا يختلف في الجوهر عما تقدم ، ومن قوله ان البطريرك عينه كاتباً لاسراره حال رجوعه من رومة .

(ترجمة الدويهي ص ١٥٨)

وكذلك تكلمت عنه مجلة المنارة (٤ : ١٩٣٢ ص ٥٨٣ ، ١٩٣٥ ص ٨٠٧)

ويوجد في الخزانة البطريركية في بكركي مخطوطان الاول تحت عدد ١٧٨ وعنوانه اشعار سريانية وعلى اول صفحة منه تقرأ :

« هذا الكتاب للقس يوسف القرطباني » وهو بخطه وفيه شرح بالسرياني عن الكواكب السيارة والارض . . »

ومخطوط اخر تحت عدد ١٩٦ عنوانه باللاتينية «تبريكات وتكريسات» وفيه قسم من الشرطونية بخط القس يوسف بدليل العبارة التالية :

« تم ذلك في سنة ١٦٩٢ في عروسة طرابلس على يد الحقير القس يوسف القرطباني[1] وفقه مجداً دائماً » .

وكان القس يوسف من الكهنة العلماء الافاضل المنظور اليهم بدليل ما تقدم وما قال عنه المطران بطرس شبلي[2] :

« وكان من عادة البطريرك الدويهي ان يستدعي لخدمة الكرسي البطريركي كهنة افاضل وعلماء من تلامذة رومة وكان يرقيهم الى اعلى المراتب فمن الذين قاموا بخدمته الخوري يوسف شمعون الحصروني ويعقوب عواد الحصروني ويوسف بن اسكندر القرطبي والياس عواد

١) راجع ترجمة الدويهي والمنارة ١٩٣٢ ص ٥٨٣ و٥٨٤ وخواطر الجنان ص ١٤٣

٢) ترجمة الدويهي ص ١٥٦—١٥٨

الحصروني . وترك القس يوسف ذكرًا طيبًا في الكرسي البطريركي لانه كان مطيعاً ابن الربكة طاهر الذيل » .

وقال صاحب مختصر تاريخ لبنان[1] :

وكانت الطائفة في عصر الدويهي ساكنة . . . وفيها كثيرون من العلمين (العلماء) كيوسف الحصروني مطران طرابلس . والقس مرهج ابن نيرون البانيوالخوري يوسف اسكندر القرطباني . . وغيرهم الذين اشتهروا بالعلم والفضل »

وقال الخوري اسطفان البشلاني :

« من اثار القس يوسف اسكندر الباقية بين المخطوطات في خزائن بكركي يستدل على مبلغ علمه ونضلعه من اللغات ولكن ليس هناك اثر البتة للنبذة التاريخية التي شرحها له القس غسطين في ديوانه ولا ذكر لمخطوطة او وثيقة بموضوع تأريخي كهذا » .

ويرجع القارئ الى مجلة المناره ٣ ص ٥٨٣ [2]

٢ ـ هل كتب القس يوسف اسكندر نبذة تاريخية في اسر قرطبا وغيرها

قبل ان نجيب على هذا السؤال نوجز النبذة المذكورة المعلقة على كتاب رفيق الواعظ فقد كتب القس يوسف ان معظم عيال قرطبا هي من بادية الشام : بيت السخن وبيت كرم وبيت شليطا من « السخنة » وبيت صقر وبيت القسيس من « تدمر » وبيت ابرهيم الخوري من قرية « عرض » وبيت عطا الله من قرية « ارك » وذكر سلاسل انسابهم — وبيت قيقانو (البيروتي) من اصل صليبي — ومن هذا يستدل انه لم يحاول جعل كل عيال قرطبا من اصل عربي بل انه يتوخى الواقع — وكتب ايضاً في نبذته عن نزوح بعض اسر من العاقورا وبانوح والمنيطرة الى جهات مختلفة ، منها اسرة المقدم حنش والمقدم حرفوش اخوي مالك مقدم العاقورا واسرة الشيخ سركيس المنيطري ابن الشيخ خازن — والشيخ حبيش اليانوحي — ويونان اليانوحي ومنها بيت اده وبيت

١) للشماس انطونيوس العينطوريني المطبوع سنة ١٩٥٣ ص ١٠٥

٢) المشرق اذار نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢٠٩ — ٢١١

الملاط – واسرة موسى اليانوحي ومنها بيت مطر وضو وغانم – واسرة شديد اليانوحي – واسرة بصبوص الى غير ذلك .

قال القس يوسف في الملحق الذي وضعه في آخر كتاب رفيق الواعظ ما نصه :

هذه عيال اسر قرطبا الكريمة الجدود والنسب التي تفرّعت من صلب شجرة نسبنا المكتوب في مقدمة كتابي « رفيق الواعظ » هذا وقد قطنت في قرطبا منذ اواخر القرن السادس عشر رباني ومن جهة الفروع التي تفرعت من هذه الاسر وترحت من قرطبا الى جهات متعددة بسبب حوادث القيسيين واليمنيين وغيرها في لبنان والعاقورا وقرطبا .

وكان تروح هذه الفروع من قرطبا من اوائل القرن السابع عشر رباني الى اواخره ، وكان تروح جدود عيال اسر قرطبا وجدود عيال الاسر التي من نسبنا في بادية الشام وغيرها الى الشرف والعاقورا ويانوح والمنيطرة وشمالي لبنان في اوائل القرن التاسع رباني الى ايام سيف الدولة والي حلب . .

ومنهم كانوا نصارى من القبائل التنوخيين القيسيين والتنوخيين اليمنيين ومنهم من كانوا اسلموا وعبدوا الله تقدس اسمه ومنهم من كانوا بعدهم على عبادة جدودهم في الصور الجاهلية . .

وباقي الى اليوم من صلب شجرة نسبنا في قرية السخنه التي في بادية الشام التي ترحت جدودنا منها الى العاقورا وغيرها في ايام سيف الدولة والي حلب ، بنو مقابل .

وفي قرية ارك التي في بادية الشام ، بنو خباب وبنو ضمره . . وفي حلب بنو رحمه . . وفي قرية عرض بنو مليح وبنو تنوخ . . وفي تدمر بنو عامر . . »[1]

غير ان المرحوم الخوري اسطفان بشملاني انكر وجود كتاب رفيق الواعظ وبالتالي النبذة الموضوعة فيه من القس يوسف اسكندر ، كما انكر اعتباطاً وجود كتاب « كمال الاشتمال في الاماكن والعيال » للبطريرك مخايل فاضل[2] .

واعترض غيره على الانساب الواردة في تلك النبذة ، بحجة انها عربية الاصل . ولكن اقوالهم لا تستند الا الى اسباب سلبية قاصرة عن تدعيم مزاعمهم .

اما نحن فنقدم البرهان الوضعي التالي ثم نرد على اعتراضاتهم :

لقد وجد القس غطاين سالم سنة ١٩١٢ كتاب رفيق الواعظ وفيه نبذة

١) خواطر الجنان ص ١٢٤ و١٢٥

٢) راجع مقالنا في هذا الموضوع المنشور في المشرق

القس يوسف اسكندر عن اسر قرطبا وغيرها ووصف هـذا الكتاب بقوله ما يلي[1] :

« كتاب رفيق الواعظ عدد صفحاته ١١٨ اكثر كلماتها غرة حرقها الحبر الاسود الا ان عنوان الطلبات مكتوب في الحبر الاحمر غير محروق وطول الكتاب ٢٣ سنتيمترًا وعرضه ١٧ سنتي مخطوط في الحرف الكرشوني الّفه القس يوسف ابن اسكندر ابن الشيخ فاضل السخني القرطباوي » .

كما جاء في مقدمته وقد قال في آخر هذا النسب ما يلي :

« واني اخذت نسبنا هذا عن الرق الذي كان محفوظاً عند والدي الشيخ اسكندر السخني القرطباني الذي اصله من عين قورا « المحروسة » والكتاب المذكور موجود في مكتبة دير مار إشعيا قرب بلدة بعبدات في المتن اطلعني عليه القس مبارك صفر من الدوار يوم كنت تلميذًا في مدرسة مار موسى الدوار . . »

وقال في صفحة ٢٨ :

« قد وُجد بعض كلمات في خلال نسبنا الذي ذكره القس يوسف في مقدمة كتابه رفيق الواعظ غرة لا تقرأ ابدًا . . ولكن قد اتحفني السيد النسيب الشيخ احمد العبد العزيز السخني بالاسماء التي لا تقرأ فيه وذلك من ابن كعب السخني الى اخر ذلك النسب وقد نقلت ذلك عن رق نسبه . . »

وقال في صفحة ١٠٢ :

« اني اضيف الى ما تقدم عن نسبنا وفروع جدوده المديدة ص ٢٦ من هـذا الديوان حرفية نبذة تاريخية عن اصل نسب بعض اسر قرطبا . . حسبما ذكرها المرحوم القس يوسف ابن الشيخ اسكندر السخني القرطباوي في ذلك الملحق الذي وضعه في آخر كتابه رفيق الواعظ وعدد صفحات هذا الملحق ٨٩ صفحة وبقيها صفحات بيض وانا قد نسختها عنه من ص ١١٩ وذلك في ٩ ت ٢ سنة ١٩١٣ يوم كنت تلميذًا في مدرسة مار موسى الدوار شرقي بلدة بعبدات في المتن — وورق هذا الملحق كورق الكتاب المذكور ذاته يشبه ورق الرقوق والحجج القديمة عندنا وخطه كخط الكتاب ذاته مكتوب في الحرف الكرشوني بحبر اسود وعنواناته بحبر احمر كلماته غير غرة ولا محروقة الا بعض حروف منها غير مفهومة مما قبلها وبعدها وما ندر من كلمات الحبر الاحمر غير مفهومة .

---

[1] خواطر الجنان ص ٢٦

ومن الثابت عند المؤرخ المنقب المدقق (ص١٠٣) ان هذا الملحق كتبه المرحوم القس يوسف المذكور في كتابه رفيق الواعظ بعد سنوات كما يستدل من ورقه الاجد أكثر من ورق الكتاب المشار اليه .

وان هذا الكتاب وكتاب كمال الاشتمال في الاماكن والعيال (للبطريرك ميخايل فاضل) قد وجدهما قدس الاباتي عمنوئيل البعداتي . . في دير مار يوحنا حراش في بلاد كسروان٬ وهو اخذهما منه ووضعهما في مكتبةدير مار اشعيا قرب جبدات بلدته سنة١٩٠١ .

وان الكتابين المذكورين قد فقدا منها بسبب احتلال عساكر الاتراك الدير المذكور سنة ١٩١٦ في تلك الحرب الكونية وبسبب نقل كتب هذه المكتبة الى عند شركاء الدير والى بلدة جبدات » .

واضاف القس غسطين ان الاباتي بعبداتي والقس مبارك صقر افاداه بان المطران ميخايل فاضل قد وجد كتاب رفيق الواعظ ورق النسب في دير سيدة قنوبين بين كتب القس يوسف٬ وهذا كلام معقول لأن القس يوسف هو ابن عمه وقد توجه فاضل بعد رجوعه من رومة لزيارة قبر ابن عمه في قنوبين كما ورد في رسالة القس مبارك صقر للقس غسطين في ١٤ اذار سنة ١٩٢٧[1] .

ومن هناك احضر معه كتاب رفيق الواعظ والرق المذكور ووضعها في دير حراش لما جعل سكناه فيه .

وقد كتب القس يوسف في نبذته ما نصه[2] :

« وان هذا الملحق وضعته في آخر كتابي رفيق الواعظ هذا ودونت فيه حوادث تاريخية عن قبائل العرب النصارى التنوخيين القيسيين والتنوخيين اليمنيين الذين نزحوا من تنوخ الى بادية الشام ومن بعد ذلك نزحوا منها الى الشوف والماقورا وشماليها في اوائل القرن التاسع رباني الى ايام سيف الدولة والي حلب .

وعن عيال اسر قرطبا وجدودها وعن نسب الامر المتفرعة من صلب نسبنا كما ذكرها جدودنا القدماء في رق نسبنا الذي كان عند والدي الشيخ اسكندر السخني القرطباني والمحفوظ اليوم عندي في دير سيدة قنوبين وقد ذكرت قسم منه في مقدمة كتابي هذا ٬ واضيف الى جدود عيال اسر قرطبا ما عرفته من افواه شيوخها وكهنتها الافاضل الخوري

١) راجع مقالنا في المشرق

٢) خواطر الجنان ص ١٠٤ و ١٠٥

يوسف غصيبه[١] السخني شقيق امي تقلا بنت غصيبه السخني القرطباني والخوري الياس سركيس السخني القرطباني . »

وقد ورد ذلك في ديوان خواطر الجنان ص ١٠٥ :

« والبلاطة موجودة للآن المخبرين بذلك عن توطنها في قرطبا وعن تروح فروعها الى جهات عديدة وكان ذلك يوم شرف سيدنا وابينا المبجل البطريرك اسطفان الدويهي الى الماقورا وقرطبا من دير سيدة قنوبين على طريق الجرد بسبب ظلم المشايخ الحماديه اولاد حسن ديب والحاج موسى احمد حماده حيث طالب من غبطته مال باهظ على ارزاق دير قنوبين وكنت انا الحقير من جملة المرافقين والخادمين غبطته ايده الله وكان ذلك في ١٦ كانون الاول سنة ١٦٩١ ربانية . . »

ومما يثبت ما ذكره القس يوسف عن هذا الحادث الاخير وتاريخه .

اولًا : ما جاء في تاريخ الدويهي[٢] وهو :

« وفي ١٦٩١ ضمن بلاد طرابلس محمد باشا فاطلق ايدي مشايخ بيت حماده في مقاطعاتهم فاعطى الشيخ حسين بن سرحان بلاد جبيل والبترون وولى ابنه الشيخ اسماعيل على الكورة والحاج موسى بن احمد على الجبه واولاد حسن على الضنية » .

ثانياً : ما جاء في نبذة البطريرك سمعان عواد عن الدويهي[٣] قال :

« وفرّ مرة اخرى من شر الذين كانوا يطلبون قتله في ليالي كانون الاول من دير قنوبين الى الماقورا في ليلة باردة جدًّا » .

وهذا مطابق لقول القس يوسف « في ١٦ كانون الاول » .

فمن يطالع حياة القس يوسف كما اوردها بالتفاصيل الدقيقة عن اسم والديه وسنة مولده وذهابه الى رومة ورجوعه منها ورسامته كاهناً وتعيينه كاتباً

---

١) توفي الخوري يوسف غصيبه سنة ١٧١٨ كما هو مذكور على بلاطة ملصوقة على الحائط الشمالي الداخلي من كنيسة دير مار سركيس وباخوس قرطبا — وتوفي الخوري الياس في ٢٥ ك ١ سنة ١٧٢٢ ودفن في قبر الخوري يوسف غصيبه ، على ما جاء في آخر شحيمه الخطية الموجودة بين كتب المرحوم الخوري عنوبل بخط المرحوم الخوري فرنسيس خود وما جاء في قيود المئة الكتب لكنيسة مار الياس قرطبا ص ١٤١ بحوزة السيد فريد خود .

٢) ص ١٥ تاريخ الدويهي وشرتوني ص ٢٥٢.

٣) تاريخ الدويهي شرتوني ص ١٦

للبطريرك الدويهي ومرافقته اياه مروراً بالماتورا وقرطبا ووقف املاكه وتعهد البطريرك بمعاش والدته تقلا الى غير ذلك يتأكد ولا ريب ان ليس غيره يقدر ان يدعي بمثل هذه التفاصيل والظروف ولا يقدر احد ان يستنبطها ، وبالتالي انه هو هو كاتبها في النبذة الموضوعة منه .

ومن يطالع ما اورده القس غسطين سالم عن كتاب رفيق الواعظ والنبذة التي فيه ووصفه الكتاب بحجمه ونوع ورقه وحبره وحروفه النخرة وعن سنة نقله النبذة المذكورة والظروف الملائمة يتأكد ولا ريب ان الكتاب كان موجوداً ، والاب المشار اليه كان ولا يزال متمتعاً بصحة العقل والجسد يعرف ان يقرأ كتبه وان ينقل ما يطالعه وان لم يكن خريج الكليات ولا مدعي العصمة . فقد وُجد الكتاب حقيقة ونقل عنه ما اراد ولا يجوز تكذيبه بنوع من الانواع فيما ذكره وان لم يحفظ الطريقة العلمية ، على قول احد المعترضين ، والا لاضطررنا ان تكذّب غيره ممن يطالعون وينقلون . واذا كان الكتاب قد فقد فهذا كثيراً ما يحدث وخاصة في بلد لا يقدّر اهله قيمة المخطوطات والوثائق وفي ظروف كالتي رافقت فقد هذا الكتاب في الحرب الكونية ومن يستطيع ان يؤكد انه ليس بقبضة احد قد وجده او سرقه ولا يجوز ان يقر بما فعل وهلا نعرف لناساً ضابطين مخطوطات عن الاسر وحافظيها تحت طي الكتمان الشديد فلا يطلعون عليها احداً كخطوط بلا وحصارات وذلك عبثاً بفائدة علمية قد تكون من ورائها وطمعاً ببعض فائدة مادية يطلبونها لقاء تسليم قصاصة منهم عن بلدة او عائلة . وجل ما نتمنى ان لا يكون الكتاب قد ضاع بدون رجعة او تكون يد جاهلة قد جنت عليه . وفيما أخذ عنه غنى عن وجوده الان ، وهو حري بالاعتبار .

ومما يؤيد وجود الكتاب والنبذة :

اولاً : ما جاء في رسالة القس مبارك صقر الى القس غسطين ، بتاريخ ١٤ آذار سنة ١٩٢٧ ، وقد ورد ذكرها ونصها فيما كتبناه عن البطريرك مخايل فاضل[1] وهو :

---

١) راجع المشرق .

« وفي كتاب البطريرك مخايل « كمال الاشتمال » المذكور نسب اسرته وقد نسخته قبلاً عن مقدمة كتاب الواعظ لابن عمه المرحوم القس يوسف ابن الشيخ اسكندر السخني. نسيبكم واذا كان من لزوم له افدني حتى انسخه عن دفاتري وارسله لكم » .

فاذا لم تكن شهادة القس غسطين مقبولة عند المعترض فهلّا تقبل شهادة القس مبارك صقر الذي كان يعرفه جيداً ويثني عليه .

ثانياً: وما ورد في جواب الاستاذ اميل حبيش لنا بتاريخ ١٠-١-٥٧ وهو:

« ديوان خواطر الجنان عندي ولم اقرأ فيه الا بعد ورود كتابكم . فمن مراجعة النبذة التي وردت فيه والاطلاع على ما نقله والدي عن كمال الاشتمال فيما يتعلق باسرتنا – الاشقر – .

يتضح لحضرتكم ان مخايل فاضل اخذ عن ابن عمه القس يوسف بدليل ان الاماكن التي اقام بها الجدود ونزحوا منها الى اماكن اخرى، مذكورة في النبذتين = مع العلم بانه لم يرد في مخطوطة والدي ان المطران اخذ عن القس يوسف .

إجل ان والدي لم يذكر في مخطوطته ان المطران نقل عن نسيبه « اي ان المطران لم يذكر ذلك » ولكن النبذتين اتفقتا في المنشأ والتفرع والنزوح وهذا ما يثبت ان الواحد من المؤلفين اخذ عن الآخر .

وبما ان القس يوسف توفي سنة ١٦٩٣ والمطران فاضل مار بطريركاً سنة ١٧٩٣ وبين وفاة الاول وبطريركية الثاني مئة سنة اي جيل كامل فالبطريرك اذن هو الذي نقل عن القس . »

واظن بهذا القدر كفاية لمحبي الاطلاع .

اعتراض الخوري بشعلاني

ان الخوري المذكور انكر وجود هذه النبذة للاسباب التالية :

يقول اولاً :

« ان انساب الاسر الواردة في هذه النبذة قد اثبتها (ناشرها) بصورة جازمة اكيدة ليس في حلقات سلاسلها حلقة ناقصة او مشكوك في صحتها فكأنه اخذ سلاسل انساب العرب من ايام جاهليتهم كما هي واردة في كتب الانساب العربية وسردها الى ايامنا هذه ناسباً كل اسرة من الاسر المارونية التي ذكرها الى القبيلة العربية التي اختارها[1] .. »

(١) مجلة المشرق اذار نيسان سنة ١٩٥٣ ص ٢١٠

وجوابنا ان القس غسطين ذكر سلاسل الاسر كما وجدها في نبذة القس يوسف ، وهذا لم يكن جاهلاً بل من العلماء المشهود لهم بالثقافة والفضل وقد صرح بانه انشأ نبذته مستنداً الى الرق الموضوع من الجدود الذي كان بيده عن والده والى تحرياته اثناء اعمال الرسالة في القرى المختلفة في لبنان وسوريا والى المعلومات التي اخذها من كهنة وشيوخ متبعين .

واذا وُجد بعض المبالغة في تسلسل الانساب فهذا لا يضير الجوهر ، اي الاصل والتزوح من مكان الى مكان . على اننا لا نحبذ خطة القس غسطين بتكميل الاسماء التي لا تقرأ في النبذة نقلاً عن رق الشيخ احمد عبد العزيز جاد الله من السخنه بجوار تدمر الذي زار قرطبا سنة ١٩٣٦ .

فكان الاحرى به ان يكتفي بما وجده وقرأه في النبذة . وبما انه اقرّ بما فعل فليس اذن محرفاً ولا مزوراً ولا سيئ النية .

ويقول ثانياً :

« قد عدد القس غسطين كثيراً من المراجع والوارد فيها ذكر واضع النبذة ومنها ما كتبه عنه المطران بطرس شبلي والخوري ابراهيم حرفوش وهما من كبار المحققين وائمة المؤرخين ولكن لم نرَ احداً ذكر ان القس يوسف اسكندر وضع تاريخاً في اصل الاسر اللبنانية » .

بيدَ ان المطران شبلي والخوري حرفوش ، ونحن لا ننكر ما كانا عليه من سعة الاطلاع ، ليس مفروضاً فيهما الوحي والالهام والاطلاع على كل ما كُتب وما هو موجود من المخطوطات في لبنان . وعدم ذكرهما نبذة القس يوسف ليس برهاناً على عدم وجودها ، ولاسيما بعد ان وُجدت وأخذ عنها ما أخذ .

ويقول ثالثاً :

« وكيف الوصول الى معرفة حقيقة الامر والمخطوطة على قول القس غسطين ضاعت او غير موجودة والاباتي عمانوئيل البجداني والقس مبارك صقر وغيرهما ممن كانوا يعرفون محتويات دير مار اشعيا قبل تشتت مخطوطاتها في الحرب الكبرى قد توفوا » .

غيرَ ان كل هذه الاقوال سلبية لينقضها ان القس غسطين قد وجد الكتاب ووصفه وصفاً بيناً تاماً ونقل عنه ولا سبيل الى تكذيبه الا اعتباطاً ، وفوق

ذلك قد سبق ان القس مبارك حقر ذكر صراحة في رسالة الى القس غسطين انه اطلع على كتاب رفيق الواعظ ونقل عن مقدمته نسب البطريرك مخايل فاضل .

ويقول رابعاً :

« وهذا لعمري يكفي لمعرفة قيمة هذه النبذة التي استند صاحب كتاب اصدق ما كان . . الى رواياته عن بعض الاسر المارونية بحجة ان ناشرها كما قال لنا من علماء الموارنة تهاكان الامر » .

ويردف قائلاً في الصفحة ٢١٣ :

« وعلى الجملة فان القس غسطين فتح فتحاً مبيناً يقلب اوضاعنا ويغير وجه تاريخنا ويهدم كل ما بناه علماؤنا هو وصاحب كتاب « اصدق ما كان » فكلاهما يتنازعان مارونيتنا الاول بالاصل العربي والثاني بالاصل اليعقوبي » .

وجوابنا : بما تقدم يتضح سبب اجتهاد الخوري بشعلاني لانكار وجود نبذة القس يوسف ، وهو خوفه من تضعضع المارونية .

فهل اذا كان اصل بعض الاسر المارونية عربياً يضير امجاد الطائفة لا بل الا يكون ذلك دليلاً واضحاً على حيويتها ونهضتها واكتسابها عناصر غريبة عنها ؟

وقد استوفى الرد على كاتب اصدق ما كان المرحوم الخوراسقف قرالي فيما خص تحدر بعض الاسر المارونية من اصل يعقوبي .

اعتراض الكفرنيسي

ولقد حذا حذو المرحوم الخوري بشعلاني حضرة الاب بولس كفرنيسي في كتابه المطبوع سنة ١٩٥٧ بعنوان « تاريخ عائلة الخوري تادي ومواطنها » فاعترض على الانساب الواردة في نبذة القس يوسف واتهم القس غسطين ناشرها « باسترساله الى الوهم والهوس الذي لا داعي له » بحجة انها تتحدر من اصول عربية[1] .

---

(١) ص ٥٧–٦٢

فقال (ص ٥٩) :

« على انه لا يمكننا التسليم بهذه الانساب استنادًا الى الرق المذكور ، ونعني بالخصوص انساب عائلتنا (عائلة الخوري نادي) ولا بتزوج الخوري نادي الى يانوح » .

لان النبذة ذكرت تزوج جد هذه العائلة من الزهرة الى يانوح ثم الى قرطبا فالاب المذكور ان يسلم او لا يسلم بما خص نسب عائلته وتزوجها الى يانوح ثم الى قرطبا ، وان كان لنا ما نجيب به على هذا الاعتراض ، وان يستند على الاب اوسطين عبد النور الخوري نسيبه وعلى غيره ممن ذكرهم ونحن نعرفهم حق المعرفة ، وهم في كل حال ليسوا اولى بالتصديق من القس يوسف اسكندر كاتب اسرار الدويهي المعروف بعلمه ورصانته والذي كان اقرب من الوقائع وقد تجول في لبنان وسوريا ودقق قبل ان يكتب .

اما ان ينكر ما جاء عن انساب باقي الاسر القرطباوية وخاصة عن اسرة السخن فهذا ما لا نسلم نحن به :

اولاً : « انه لا يسلم بالرق الذي كان محفوظاً عند والد القس يوسف ثم انتقل اليه ثم انتقل الى البطريرك مخايل فاضل ابن عمه ، لانه لا يعلم بالحقيقة من هو كاتب هذا الرق ومؤلفه وما هي مكانته من الصدق ، ولا على اي اثر تاريخي استند » .

فالذي يتطلبه المعترض لا يصح تطبيقه على رقوق الاسر التي ليس لها مؤلف خاص بل توجد في العائلة . ثم يضاف اليها ما يستجد من المواليد — وهي عادة تستند الى التقاليد اكثر منها الى الوثائق ، والمعترض نفسه يقيم اكبر وزن للتقاليد في مثل هذه الاحوال — فمن هو مؤلف رق بيت شهاب ورق بيت بللمع وما هي المستندات التي تستند اليها ؟ اذن هي غير صحيحة على رأيه .

وثانياً : « يقول ان التواريخ الموثوق بها ذكرت ان التنوخيين كانوا على دين النصرانية ولكنه اسلم بعضهم في ايام عبيده ابن الجراح وبعضهم في ايام المهدي وذكرت نزوح التنوخيين الى غربي جنوبي لبنان .. واعتناقهم المذهب الدرزي في لبنان ولم تذكر ان قبيلة منهم جاءت الى شمالي لبنان وتوطنته واعتنقت فيه الدين المسيحي ليصح ان يقال ان جدود احدى العيال المسيحية في شمالي لبنان يردون بنسبهم اليها » .

بيد انه اذا كان التنوخيون اسلموا فليس بثابت انهم اسلموا جميعهم بدون استثناء مما يحتاج الى نص صريح ونحن لا نجهل ان الاضطهاد اشتد على

المسيحين ايام المهدي والمتوكل فاذا يمنع ان يكون بعضهم ، لما اشتدت الوطأة عليهم قد نزحوا الى العاقورا وجوارها ، على ما يقول القس يوسف ، وهو من المؤرخين الموثوق بهم .

ومن الثابت من جهة اخرى ان التنوخيين لم ينزحوا جميعهم الى غربي جنوبي لبنان لان منهم من نزح الى كسروان[1] .

واذا كان ذلك فيصدق بسهولة ان بعضهم قد عرج على العاقورا وهي على طريقهم الى الجنوب وكسروان . وسيأتي الجواب على الشق الاخير من الاعتراض .

ثالثاً – يقول : ان جميع التواريخ الموثوق بها لم تذكر ان قبيلة عربية كانت نصرانية ولاذت بلبنان محافظة على دينها المسيحي . . لان تلك القبائل العربية المتنصرة تركت النصرانية عند ظهور الاسلام » .

ان قوله هذا خطأ لان من تلك القبائل من استمرت زماناً على دينها بعد ظهور الاسلام واذا كان معظمهم قد اسلم فيما بعد فهذا لا ينفي بقاء البعض على الدين المسيحي والتجاءه الى لبنان ، ولو لم تذكر ذلك « التواريخ الموثوق بها » على رأيه .

ولا سيما متى ورد على لسان كاتب له شأنه مسنداً الى التحريات والتقاليد ، كالقس يوسف . ومن المعلوم ان ناحية تدمر كانت آهلة بوجه العموم بالعرب المتنصرين ، وحتى الان لا يزال هناك قبائل ترسم على مقتنياتها علامة صليب كسمة يفرزون بها عشائرهم عن سواها[2] .

وفي السخنة حتى الان مقامات محترمة يزورها السكان على اسم مار الياس ومار سركيس وباخوس شفعاء عيال قرطبا ، ويقولون هناك بل يؤكدون انهم كانوا مسيحيين وان بعضهم نزح قديماً الى لبنان .

رابعاً وخامساً : يقول انه ليس من القبائل الاسلامية والدرزية من تنصر الا الاسرة

١) تاريخ الدويهي ص ١١٤ مع تعليق من ناشره رشيد الشرتوني من مختصر تاريخ لبنان والتاريخ الاكبر واخبار الاعيان في جبل لبنان .

٢) راجع المشرق ١ ص ٤٩٤ و٩ : ص ٩٥٧ ، والمجلة البطريركية سنة ١٩٣٠ ص ٤٣٥ .

الشهابية والاسرة اللمعية' وان المردة موارنة وان مالك الغيث مقدم العاقورا وهاشم جد آل الهاشم في العاقورا لم يكونوا الا موارنة لان الدويهي ومسعد والدبس لم ينسبوهم مطلقاً الى اصل عربي » .

وهذا خطأ ظاهر .

فالمردة لم يكونوا موارنة – فالمطران يوسف دريان يقول نقلاً عن القديس تواقان في تاريخ ٦٦٩ :

« ان الملك قسطنطين الرابع (اللبناني) قد ارسل حوالي هذا العام فرقة من المردين الى جبل لبنان . وقد ضايقوا العرب اشد مضايقة واضطروا الخليفة معاوية ان يعقد صلحاً غير موافق له مع الملك قسطنطين . ثم اضطروا بعده الخليفة عبد الملك ابن مروان ان يجدد عهد الصلح بشروط اهم مع يوستيانوس ابنه (الاخرم) كان في جملتها ان يسحب هذا الملك الفتى فرقة المردين من لبنان وقد سحبها لنباوته فعلاً وكانت نحو اثني عشر الف مقاتل » .

وقد ذكر المطران دريان ان هؤلاء المردين على ما هو ثابت الان قبيلة منشأوها اعالي جبال ارمينية مما يلي بلاد فارس كانت مخلصة لملوك الروم[1] .

ولقد اثبت غيره من المؤرخين المدققين ان المردة لم يكونوا موارنة[2] .

فنستغرب اذن ان يعود الاب كفرنيسي الى ترداد مثل هذه الاقاويل . ولكننا نقول مع غيرنا ان فريقاً من المردة بقي في لبنان وامتزج مع سكانه الموارنة[3] الذين كانوا يساعدونهم في حروبهم حتى اطلق اسم المردة على الموارنة من باب التوسع .

ومن اولئك المردة المقدم يعقوب المردي العاقوري جد اسرة ثابت الشهيرة[4] .

اما بخصوص مالك الغيث اليمني وهاشم العجمي ، فاذا كان الدويهي وغيره لم يقولوا انهما عربيا الاصل فهم لم يقولوا قط ان اصلهما غير عربي او فونيقي .

والثابت عكس ما ذهب اليه الاب كفرنيسي فما عدا ان الاسم يدل على الاصل احياناً فقد جاء في تاريخ العاقورا ما يلي :

١) نبذة في اصل الطائفة المارونية واستقلالها بجبل لبنان ١٩١٩ ص ٤٩–٥٠

٢) الاب لامنس موجز تاريخ سوريا م ١ ص ٨١

٣) لامنس ، ص ٨٢

٤) تاريخ العاقورا للخوري لويس الهاشم ١٩٣٠ ص ٢١٣

« اسرة مالك ابن الغيث . . . اصلها اليمن توطنت حوران ثم غوطة دمشق الشام وترحت الى العاقورا وقتما اشتد المسلمون على المسيحيين عند ظهورهم »

فقال الخوري يوسف الدحداح (خادم العاقورا) في حاشية علقها على كتاب التشئت ما حرفيته :

« وعيلة ابو الغيث إصلها من اليمن سكنت حوران ثم غوطة الشام ومن كثرة ما صار عليها عند ظهور المسلمين رحلت الى العاقورا وكان منها مقدمين وكانوا المتكلمين في البيئة[1] .

والخوري يوسف الدحداح كان في الجيل السابع عشر من الكهنة المتبرين وقد توفي في نيسان ١٦٧٧ .

ومن هذا النسب اسرة ملحمه الشهيرة وفروع ابي الغيث العديدة .

وبخصوص هاشم جد آل هاشم قال الشيخ ادوار سليم الدحداح في كتابه « سياسة لا وجدان » :

« ان هذه الاسرة تتحدر من هاشم بن عتبة صحابي اسلم يوم الفتح ثم بايع علياً في القادسية في حرب الفرس واقام في بلاد العجم ومن ذريته من قدم الى لبنان وتنصر فيه فنشأ منه هاشم العجمي جد هذه الاسرة ».

وقد اورد الخوري لويس الهاشم براهين تثبت صحة هذه النظرية منها « التقاليد المتعارفة اباً عن جد » المحفوظة في العاقورا[2] .

وكما يقول الاب كفرنيسي ان التقاليد هي اهم ما يستند اليه في تاريخ الانساب .

ومعلوم ما لهذه الاسرة من الفروع العديدة في لبنان .

ومثلها اسرة الدحادحة : فقد جاء في كتاب « سياسة لا وجدان » ما يلي :

« ان الدحادحة اصلهم من عرب اليامة يتحدرون من ابي الدحداح ثابت ابن الدحداح وانه قدم جماعة منهم الى دمشق حيث بقيت آثارهم الى اليوم وقد اصاب الدحادحة نكبة في دمشق فتفرقوا وجاء بعضهم الى العاقورا وتنصروا[3] .

---

١) حاشية ٣٦ : ص ٤٥٢
٢) تاريخ العاقورا ص ٤٩١ وما يلي
٣) المحل المذكور ص ٣٢٧

وقال الخورسقف يوسف داغر[1] :

« ان آل الدحداح ينتسبون الى ابي الدحداح ثابت ابن الدحداح الصحابي . وقد ورد ذكره في كتاب « الاصابة في تمييز الصحابة » واشتهر بنو الدحداح في التاريخ العربي الاسلامي وورد ذكر بعضهم في تاريخ الفتوحات الاسلامية . . . ولما نكل الخليفة معاوية بالقيسيين واستباح دماءهم تشتتوا في انحاء البلاد والتجأ بعضهم الى لبنان وكانت العاقورا في ذلك الوقت احد المناطق عن سلطة الخليفة فلجأ اليها قوم عديدون من العرب بينهم بعض ابناء الدحداح . . ولما كان سكان العاقورا في ذلك الوقت من النصارى تنصر معظم العرب الذين قطنوا فيها وهكذا تنصر جد بيت الدحداح . . ولا يزال الى ايامنا فرع مسلم للعائلة الدحداحية منتشراً في انحاء سوريا . . . »

واسرة حبيش :

« جاء عنها في تاريخ عيسى المعلوف انها من اذرع حوران وانتقل الى تدمر (في البادية) مخايل بن موسى حبيش ثم انتقل فرع منها الى يانوح وسماها تدمر . وفي سنة ١٥١٥ رحل الى غزير حبيش بن عبدالله بن مخايل » . (داغر ص ٣٥٣)

وهذا يتفق مع ما ذكره القس يوسف اسكندر في نبذته ، فتأمل . . .

واسرة معلوف :

« يقول عيسى المعلوف ان اصلها من بني غسان من عملاء البيزنطيين في سوريا » .
(داغر ص ٣٠٣)

واسر تنورين :

جاء في مخطوط الاب بطرس مطر المؤرخ سنة ١٦٥٠ :

« جد اهالي تنورين الاول بغدادي اسمه خطار هجر بغداد سنة ١٤٢١ الى حلب ونقل من احفاده واحد اسمه قرقاز صار كاتبا عند الحاكم ثم عندما طالب الشعب برفع الباس ساعده قرقاز وهرب الى يانوح وصار نصراني مع اولاده » .

وهذا يوافق المخطوط المادي المؤرخ سنة ١٥٩٩ . واضاف الخور اسقف داغر التنوري :

« ان تقاليدنا المحلية القديمة تتفق مع رواية الاب مطر ومع ما جاء في الناشر المادي من ان جدنا بغدادي نقل الى حلب ورحل احد احفاده الى دمشق ثم الى يانوح ثم الى تنورين » . (داغر ص ١٨١)

[1] لبنان : لمحات في تاريخه واسره ١٩٣٨ ص ٣٥٥

واسرة العنيسي :

« روى بعض بنيها الدكتور الياس العنيسي انها تتسلسل من قبيلة عنس من الكنديين وجاءت الى العاقورة في القرن الثالث عشر وتوطنتها . »

(تاريخ العاقورا ص ٤١٤)

وبنو كندة عرب قطنوا الجزيرة العربية في الجاهلية ومنهم خرج الحارث ملك الحيرة .

واسرة عرب :

« عشيرة قديمة قد طالما سمعنا الشيوخ يقولون عنها انها حمية ولعل اصلها من جهات حوران » . (تاريخ العاقورا ص ٦٤٩)

واسرة الاشقر :

« من الشقراء من مدن حوران » . (تاريخ العاقورا ص ٥٢٧)

وما ذكره الخوري لويس الهاشم عن هذه الاسرة يتفق اجمالاً مع ما ذكرته نبذة القس يوسف اسكندر .

واسرة عساف :

« وتعرف بالقيسي ، اصلها من حوران على ما يقول البعض » .

(المحل المذكور ص ٦٥٣)

واسرة الكريدي :

« من حوران من فروع بني المعلوف ، كما يقول عيسى المعلوف » .

(المحل المذكور ص ٦٧٧)

واسرة داغر صفير :

« يعرف بالتقليد انه في الربع الاول من القرن السادس عشر قدم من صفراء حوران صفير الجد الاول لعائلة صفير » . (داغر ص ٢٠٨)

هذا ونظن ان كل ما تقدم كافٍ لدحض مزاعم المعترض .

ومما يثبت انتشار العناصر العربية في لبنان وامتزاجها بالعناصر الاصيلة المارونية هو تغلب اللغة العربية على السريانية لغتهم الاصلية ، اذ ان انتشار لغة بين قوم لا يتم بامر او بقرار بل يكون نتيجة امتزاج الاقوام ببعضهم .

ودليل ذلك ان الموارنة ، نظراً لشيوع اللغة العربيـة بينهم حتى في الجيل الحادي عشر اضطروا ان يترجموا من اللغة السريانية الى العربيـة الكتاب المعروف عندهم بكتاب الهدى ، او الناموس .

وقد تمت الترجمة سنة ١٠٥٨ على يد المطران داود حتى يكون الكتاب سهل المطالعة والاستعمال .

(راجع كتاب البراهين الجلية للمطران يوسف دريان ص ٢١٩-٢٢٠ وغيره)

وكذلك نقول عن امتداد الحزب القيسي واليمني في البلاد حتى في البلدة الواحدة وبين العائلة الواحدة، مما يدل على نفوذ العنصر العربي وانتشاره في لبنان.

وقد استمر هذا الانقسام حتى بدء ولاية الامير يوسف شهاب ، على مـا ورد في المقاطعة الكسروانية للخوري الحتوني .

(ص ١٠٧ انظر ايضاً الاب لامنس ، تاريخ سوريا م ١ ص ٧٥ ، ١٣٢ عن الحزب القيسي واليمني) .

ويقول المعترض سادساً :

« بارض الرق ان جميع المؤرخين الموثوق بصدقهم قديمين وحديثين متفقون على ان عموم الموارنة ، لا سيا في شمالي لبنان هم من اصل فينيقي وارامي فينيقي » .

فاين جاء هذا القول « عموم الموارنة » ومن هم هؤلاء المؤرخون ؟

ومع ذلك فنحن لا ننكر ان معظم لا عموم الموارنة هم كذلك ، بالنظر الى ما طرأ على لبنان من تسرب العناصر الغريبة اليه بسبب الحروب والتقلبات.

ونضيف على ما تقدم عن المردة وعن الاسر العربيـة الاصل الكثيرة الفروع ، ما جاء في التاريخ الراهن عن لجوء الصليبيين بعد انكسارهم الى لبنان وامتزاجهم بالموارنة ، فقـد قال لكويان بمعرض كلامه عن البطريرك شمعون : (١٢٤٥—١٢٧٧)

« ان كان سمعان هو الذي خلف يوحنا فيكون هو الذي روى عنه باجيوس ترمي في كتابه الموسوم « بسوريا المقدسة » المطبوع برومة ١٦٩٥ ص٢٥٢ انه لما أخذت انطاكية من يد الفرنج التجأ اليه كثيرون من الكاثوليكيين سكانها فقبلهم واكرم مثواهم وكتب الى البابا اسكندر الرابع يخبره بحالتهم وشديد تعلقهم بالكرسي الرسولي فاجابه البابا مثنياً على اهتمامه وغيرته ومسمياً اياه بطريركاً انطاكياً » .

(دبس تاريخ الموارنة ص ٢٢٧ والدويهي ص ١١١)

وقال المطران دريان :

« ان الافرنج بعدما غلبوا على امرهم في انطاكيا وطرابلس وسائر ساحل سوريا قد انحاز قسم كبير منهم الى جبل لبنان وسكنوا بين اخوانهم الموارنة آمنين على الرحب والسعة وامتزجوا بهم كل الامتزاج » .

(نبذته في استقلال لبنان ص ١٠٤ وما يلي : راجع ايضاً الخوري بطرس غالب صديقة وحامية ص ٢٣٤) .

ولقد ذكر ذلك بكل صراحة البابا بنديكتوس الرابع عشر في خطابه في مجمع الكرادلة ١٣ تموز سنة ١٧٤٤ ، اذ قال : .

« لما ، بعد عدة أجيال استولى العرب على انطاكية ، بعد طرد الافرنج منها التجأ هؤلاء الافرنج الكاثوليك الى جبل لبنان فقابلهم بطريرك الموارنة بغاية الترحاب والرعاية» .

(مجموعة البولات للاب عنيسي ص ٢٩٤)

ولا يخفى ان بعض العائلات المارونية ترجع نسبها الى الصليبيين .

ومن كل ما تقدم يتضح ان العنصر الفينيقي الارامي لم يبقَ صرفاً سليماً بل قد دخلت عليه عناصر غريبة وامتزجت به وهل يضر ذلك بالمارونية وبالوطنية ؟ فلا نعرف من ثمة سبباً من قبل المعترض لكل هذا العناء الا تعمده نقض ما نشره اخوه في الرهبانية وانكار قيمة نبذة القس يوسف اسكندر لغاية في النفس .

هذا وفي الوقت الذي كتب فيه القس يوسف نبذته لم يكن شأن للعروبة ولا للمستعربين ، كما هو اليوم حتى ينسب اليه محاولة انتحال اصول عربية على سبيل المباهاة بل قد كتب ما كتبه باخلاص بعد البحث والتروي .

اذن ان القس يوسف قد وضع نبذة في تاريخ اسرته واسر قرطبا وغيرها وان نسبته معظم اسر قرطبا الى اصول عربية لم يقم برهان حري بالاعتبار جازم لدحضها ، بل بالعكس ان الكاتب المذكور هو جدير بكل اعتبار وتقدير نظراً الى ثقافته العالية واطلاعه ورصانته وتحرياته التي قام بها قبل وضع النبذة المشار اليها ، لا سيما وانه كان كاتب اسرار الدويهي الي تاريخ الطائفة والوطن فاخذ عنه ، ولا ريب حب التاريخ وروح البحث والتنقيب ، ولربما كان يطلعه على ما يكتب ويأخذ رأيه فيه شأن التلميذ مع معلمه .

والنبذة في كل حال تسجل تقليدًا قديمًا متواترًا مأخوذًا عن شيوخ العائلة وكهنتها المعتبرين ، والتقليد جل ما يعتمد عليه في مثل هذه الابحاث ، على رأي المعترض نفسه .

اما اذا كان الاب كفرنيسي يأبى الّا الانتساب الى الفينيقيين والاراميين ، ولا برهان وضعي لديه ، لعلو شأنهم ومكانتهم فنحن نقبل باصلنا ولو اعتبره هو وضيعاً .

اما هل القس يوسف هو مؤلف كتاب رفيق الواعظ ؟

لقد ذكر المطران شبلي ما يلي :

« نسب بعض المؤرخين الى البطريرك اسطفان الدويهي تأليفاً في العظات » .

قال البطريرك سمعان عواد في ترجمة الدويهي :

« صنف كتابين في العظات » .

وكتب البطريرك بولس مسعد ان للدويهي ثلاثة كتب تتضمن عظات ، الا ان الدويهي لما ذكر تآليفه في رسالته الى البادري بطرس مبارك لم يشر الى شيء من ذلك .

وقد عثرت على مسودة عظات بخط الدويهي وزال ارتيابي بوجود هذا التأليف والمخطوط وجدته عند الاب العالم الخوري بطرس حبيقه ومن سكوت الدويهي يستدل ان هذا المجموع لم يكن بعينه حرياً بالاعتبار .

(ترجمة الدويهي ص ٢١٢ وما يلي)

ولكن بما انه ليس احد ممن تقدم قد ذكر كتاباً وضعه الدويهي بعنوان « رفيق الواعظ » والقس يوسف يذكر في نبذته المشار اليها سابقاً . ان هذا الكتاب من صنعه لقوله مراراً « كتابي رفيق الواعظ » ولا مسوغ لتكذيبه ، ولا يمكن من جهة اخرى مقابلة هذا الكتاب ، لفقدانه ، بالمخطوط الذي اطلع عليه المطران شبلي فلا نرى اي مانع من نسبة كتاب « رفيق الواعظ اليه » ، ولاسيما لانه كان عالماً ومكلفاً القاء الرياضات الروحية في لبنان وسوريا ، كما ذكر ، فلم يكن متعذرًا عليه جمع وتنقيح بعض عظات كان يلقيها ويرددها في رسالاته . وقد يكون ايضاً استعان بمخطوطات الدويهي في الوعظ .

الآثار المطويّة (تابع)

جمَعَها وعلّق عليها ونشرَها

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

رئيس انطوش جبيل

خامساً : انه في ١٧ ت ٢ سنة ١٨٥٠ صدرت مراسيم المجمع المقدسة ووفدت بازغةً براءته الرسولية بانتخابه [اي الاب لورنسيوس] رئيساً عامًا على رهبنتنا اللبنانية هو ومدبّرين اربعة. وصحّ فيه ما قيل شعرًا من فيلسوف دهره ووحيد عصره المثلث الرحمات جبرايل الراهب اللبناني ابن فرحات [المطران جرمانس] وهو :

ثوبُ النفاق يُحيلُ عمّا تحتهُ والانضاع يُعظِّمُ الضعفاء

فبعد ان طُلب من سيادة القاصد المرقوم من رئاسة دير النبع الى مدينة بيروت وتسليمه ختوم الوظيفة التي أُخذت من سالفه. حضر لدير سيدة طاميش. وطلب المدبّرين العتق. والذين انتُخبوا جُدَد. وطلب كامل رؤساء الاديرة. وعقد مجمع مدبّرين. ووزّع على الاديرة رؤساء جُدَد. واكمل العوايد الواجبة على الرئيس العام الجديد. من تشريف مواطي اقدام غبطته ووقوف على خاطر. وسلامية على امرا. ومشايخ وقناصل وخلافهم. وهذا يُعرف باول قيامه حالًا بعد تفريق الرؤساء. الذي جرى وتمّ في ٢٥ ك١ سنة ١٨٥٠ .

*

سادساً : ولما تمّ ما يجب من موجبات الوظيفة كما اشرنا اعلاه وانهى احوال الرؤساء. وتفريق الوظايف. بادر حالًا الى زيارة كامل الاديرة باجمعها. وفي حال وجوده بكل منها لم يكن يفارق قط الحضور للصلاة الجمهورية بالكنيسة. ام تلاوة الزياحات. والوردية المشتهرة بنصف النهار كان يتلوها امام الجمهور بالكنيسة منتصباً. وشدّد التراخي والتواني بالقوانين. سيما بتقديمه المثل الوحيد بركوبه على بغلته ظلطاً. اي على الجلال فقط. بدون وضع شيء

تحته . لا من سجّاده . ولا من حرام ولا من خديدية . او انه يظبط [يضبط او يمسك] بيده ذَنَب فيل الذي كان يُستعمل من سالفيه بل بعكس عملهم . انما يضع خلفه مصحطاً بحلاية البغل . فاتعظ منه جملة من الرؤساء ولم يعودوا يضعوا تحتهم حال الركوب لا سجّاده ولا خلافه . وكان يحثّ الرؤساء بزيارته (للاديار) على السهر التام بظبط مرؤسيهم بحفظ القانون وان يودّوا الطايعين . وينبذوا كل تخصيص من مرؤسيهم بالمأكل والمشرب والملبوس . ويبذلوا الحبّ الخالص لمطيعيهم .

واما اظهار الحبّ الاخوي والودّ والبشاشة لجماهير الرهبنة من قدسه لم يكن عندنا مثيل نظيره . ولم يسبقه احدٌ به كما اخبرتنا بذلك اباؤنا القدماء الاختيارية . الذين كانوا بزمان الكفاعي . والجميّل . والخازني . وبليبل .

ولا نقدر نشرح واصفين غيرتهُ على مداوات المرضى . ولمّا تسمح له الفرصة كان يعولهم بيده . ويقدّم لهم الوعاء لاقضاء حاجة الجسد . كما تمّ الامر عملًا منه [وكان رئيساً عاماً] نحو القس بولا مزياره . فانغار منه جملة من الرهبان لاعتناق ما ذكرنا . لإن تصرّف المعلم نموذج التلميذ .

وفوق هذه جميعها نذكر هنا انهاض غيرته وهمّته نحو عمار الرهبنة ونموّها . الامر الذي ادهش العقول . بل انه لم يكن يخال بفكر انسان قط . ان هذا الانسان لورنسيوس يقدر على هذه الاعمال الآتي ذكر شرحها . ولك المسئلة [السؤال] ايها الواقف على هذه النبذة : ان لم يكن النظر على ما ذكرناه . او نذكرهُ . انما من عادلٍ . لا من عاذلٍ غاذرٍ . لإن الشهادة هي من المشاهدة[1] . والحق لا يخفيه الا الشيطان ولا يعقله الغشيم هي :

---

[1] ومن آثار الاب لورنسيوس الطيبة المشكورة ، هو انه في سنة ١٨٦٠ المشهورة بحوادثها وفواجعها فالذين نجوا من ويلاتها هربوا ولجأوا الى البطريركية المارونية في عهد السيد الذكر البطريرك بولس مسعد ولما لم تستطع وحدها القيام بكسوتهم ومعاشهم لكثرتهم انبرى الاب لورنسيوس يمين الشبابي الرئيس العام فقدّم لهؤلاء المنكوبين الذين كانوا نازلين في جونية الف ليرة ذهبية عزيز يوسف بك كرم . ولما صُرفت كل هذه الامدادات وزّع الرئيس العام المذكور الرجال من هؤلاء المشردين على اديار الرهبانية في جبيل والبترون والجبّة يأكلون فيها ويشربون وينامون مجّاناً ، ومن كان بحاجة الى كساء يعطى له (نقلًا عن المرحوم المحترم الاب واصاف النبي الحاجي اللبناني) . وعن بحث خطي في يدي

اولًا : تصليح عمار انطوش بيروت الذي كان هُدِمَ .

ثانيًا : دفعَ دراهم وافره لعمار دير الناعمة .

ثالثًا : دفعَ دراهم لعمار دير تقلا ريفات[1] .

رابعًا : شيَّد مطحنةً جديدةً لدير(مار الياس) الراس شهيرةً بنهر الكلب ذايعة الصيت .

خامسًا : اشترى رزقًا بقليعات كسروان لدير ماري روكز (مراح الميز) بمبلغ وافر .

سادسًا : عمَّر جسر مطحنة بنهر رشعين على مرَّتين. لانه هُدم اول مرَّة .

سابعًا : عمل صورةً لدير ماري جرجس عشاش باسمه وجرس واثاث .

ثامنًا : سكب جرس وعمل صورةً وكاسات وبدلات وامتعة لدير الجديده.

تاسعًا : اعتنا (اعتنى) بعمل صورة وجرس لدير مايفوق . وبروازها من البلاد[2] .

عاشرًا : عمل جرس لدير ماري يعقوب الحصن .

حادي عشر : وخلاف هذه كلها اثنى (أنشأ) وأقام وشيَّد ديرًا حديثًا ومقامًا جديدًا الى رهبنته . وهو دير ماري شليطا القطّاره[3] (بلاد جبيل) الذي وضع به عنايةً كليةً . وغيرةً ابويةً . مجاهدًا ومداومًا على قيامه بحضوره الذاتي . ومشتغلًا رفقة وبغلة بزق التراب . وبعض الاحيان كنا نراه يشتغل بيده .

---

١) لقد التي هذا الدير فيما بعد .

٢) من اوربا . وقد كُتب على صورة الاتنال هذه : « باعتناء قدس الاب لورنسيوس شبابي اب عام لبناني الكلي الاحترام سنة ١٨٥٣ » .

٣) وقد حُفر على عتبة بوابة مدخله ما يلي بالحرف السرياني الكرشوني : « بسم الله الحي الى الابد بسنة ١٨٥١ قد شيدت الرهبنة اللبنانية هذا الدير على اسم القديس مار شليطا المعظم بعناية قدس الاب لورنسيوس شبابي الرئيس العام الكلي الاحترام وباتعاب وافرة من ابناء هذه الرهبانية . وكانت النهاية في آخر تشرين الاول سنة ١٨٥٣ مسيحية » .

وعلى مذبح كنيسة هذا الدير الباري صورة زيتية للسيدة العذراء كُتب في اسفلها : « باعتناء الاب لورنسيوس شبابي اب عام لبناني سنة ١٨٥٧ » .

وعلى المذبح اليميني صورة زيتية للعائلة المقدسة عُلقت عليها هذه العبارة : « باعتناء الاب لورنسيوس شبابي اب عام لبناني سنة ١٨٦٠ » .

وفوق هذه جميعها أثّث [اثث] للدير المسطور امتعةً واواني . منها للكنيسة جرس . كاسات . بدلات . غفّاره . مبخرة فضة . صُوَر . صلبان . زهور . كشونات . ذخيرة فضة باسم مار مارون . وماري انطونيوس .

ومنها للكلار نحاس وفخّار . ومنها للفرشة . وامتعة كثيرة خلاف ما ذكرنا للدير المسطور . والمصاريف على ما ذكرناه . فهي كلها باجزائها : من مدخول وظيفة رياسة العام وكانت مخفية وليكن هنا امام النظر الوقّاد لمن يقف على هذه النبذة . متأملاً بامرين اولها . ان المواسم لم تكن جيدةً بزمن رياسته [العامة] كما هو مشهور عن سنة ١٨٥٣ . ثانيها عدم كشف مداخيل الوظيفة من سالفيه والعملية افضل توضيح . اللهمّ انر عقولنا .

*

سابعاً : واما ما يخص افعاله الشخصية . كانت فريدةً . فيما يُنسب لحفظ النذور . سيما نذر الفقر والعفه . لانه لم يقتني شيئاً بمدة رئاسته بدير النبع . ولا برياسة العام . لا من ثياب . ولا من اكسية . ولا من كتب . ولا شيئاً مثمن غرش . سوى شحية الفرض . والمسبحة الورديّة وثوب السيدة . وهذه عدّة اثوابه : الاسكيم من صوف اعتيادي : والزنّار من جلد الذي لبس به يوم ترهّبه لم يغيّره حتى الآن . وعباءة تفصيل خشنة . ورفيق . بدون لبس خام على بدنه . وعلى رأسه عرقيةٌ من صوف اسود غليظ . عرض الطربوش .

ولجهة العفة . يُستدل عليه من قطع الاسباب . وحفظ الوسايط الثلاثة أي الصوم . وقطع الاسباب . والصلوة . التي بهم يحصل الانسان عفيفاً حسب رأي جميع الآباء القديسين . فمن جهة الصوم . لامر شهير لا يأكل الّا مرّةً واحدةً داخل كل يوم طبيعي . ولمّ [ومن نحو] الاسباب مبتعد جدًا جدًا . ومداومة الصلوة تقدم بيانها عنهُ بكفاءة .

*

ثامناً : واما عدم مدارات الخواطر عند اعطاء الحكومة [العقوبة] القانونية فهذه كانت بدون محاباة . ولا اخذ بالوجوه بل بالعدل والانصاف ولا سيما نحن مَن لهم الصوت الفاعلي بالمجمع العام . وكان يمشي الحق بكل دعةٍ ولطفٍ ولينٍ ورقةٍ . وكثيرون من الذين كانوا حايدين عن روح القانون كبحهم به .

ولم يكن يلتفت لمرضاة احد . سوى باي نوع وكيف يرضي عزته تعالى. وخير الرهبنة العام . لانه كان دائماً وابداً محترصاً ومتيقظاً وساهرا على اقتضاء مصالح الرهبنة وتتميم امورها بالهدوء .

والنتيجة انه لم يكن يفتكر في مصلحة شخصه الذاتية اصلاً :« بل جعل العِجلة والدبَّة ترعيان معاً . واولادهما يربضون جملةً . الاسد يأكل التبن مع الثور كقول اشعيا النبي ص ١١ عد ٦ » .

*

تاسعاً : ان الهدؤ والسلام والراحه التي حصلت بزمان رياسته العامة بالرهبنة لم تصرْ قبلاً . ونستشهد بذلك غبطة السيد البطريرك القايم بروسنا الكلي الطوبى ماري يوسف الخازن . ايّد الله رياسته علينا بالتأييد . وايضاً شهادة كتبة ديوانه المقدس الذين تحدثوا مرارًا عما ذكرناه بالاختصار . ولنضف لذلك شهادات الآباء القدماء الفضلاء بالرهبنة . منهم الاب سرابيون الدُليبي ببلاد المتن الذي عاش بحفظ رسوم القانون داخل الاديرة ثلاثة وستون سنة وشهر وثلاثة ايام . ورقد بالرب في ١٤ آب سنة ١٨٥٣ بِيتة مقدسة .

ومكث هذا الاب لورنسيوس الفضيل مداوماً بقيام الهار بدير القطّاره الى آخر يوم من نباية مجمعه . الذي به توجه للمجمع العام في ١٧ ت١ غير مكترث او مفتكر بالعمليات التي كانت ظاهرة للوجود من بعض الرهبان ذوي الغايات. بشأن انتداب رئيس عام جديد كما سوف نذكر عنهم قليلاً بعدد الآتي .

فحقاً ان اعمال المجمع المقدس كلها مقدسة . وانتخابه لهذا الاب لورنسيوس الفضيل هو مقدس . لانه بحسن سماه وتقشفاته وتنسكاته وافرازه وحكمته وسيرته التي تضاهي سيرة القديسين ونشوه المايز والاورزاق . ردَّ الرهبنة الى رونقها وجمالها الاول . التي كانت مزهرة وشريفة بها . وصار كل يقول مع المرتل :« يد الرب صنعت هذه » لاننا بهذا الاب وبمجمعه انعرفنا اننا رهبان. ابناء رؤساء رهبان . . ثمَّ نشكر فضل وانعام الكرسي الرسولي علينا . لانه لم يزل يفتقد هذه الكرمة التي غرستها يمينه . ويصلحها بالتدابير الشافية . من قمة سموّ جبل تسلطه المقدس . ولو كنا بهذا المقدار بعيدين عنه بالجسد .

*

عاشرًا : قال الرسول الاناء المصطفى : « ان كل الذين يهوون ان يعيشوا بالديانة البية بيسوع المسيح يُضطهدون » ويقول القديس الفونسيوس ليكوري: ان حيوة الابرار . هي توبيخ دايم الاشرار . فمن ثمت لا يقدروا ان يحتملوهم لان سيرتهم الصالحة بلسان حالها تعظهم . وايضًا ان عدوّ الخير لا يمكنه ان يحتمل الاعمال المرضية لله . فلما شاهد ذاته مضروبًا ومهزومًا . فلذلك قد حرّك آلاته ... وخرج بعضهم باتفاق وارشاد معاهيم الخبير بهذه الفنون . وهو المتيني [الاب عمانوئيل] وجالوا الاديرة واقلقوا الرهبان الاتقياء وبذلوا جهدهم . . والوعد والوعيد والارتباطات . . واتحدوا مع كل من . . واتفقوا باشتراط . . . قبل حضورهم للمجمع العام على ان المتيني رئيس عام . وباقي المدبرين . وبعضًا من روسا الاديره . كالاب حنانيا تنّوري الذي هو من نفسه تكلّم باوضة [بغرفة] الرياسة بدير حوب . بنوع التشامخ ومديح الذات امام الرهبان[قائلًا] : ان ختم دير حوب داخل عبي قبل المجمع بثلاثة اشهر . وذلك لما حضر شكري [الاب اغناطيوس شكري من دير القمر] من عند المتيني ليرابط ذوي الاصوات حسب عاداته السابقه . فحضروا لدير طاميش محلّ عمل المجمع العام وعزلوه لقدس الاب لورنسيوس بمجمع غير قانوني . ولكل من كان مقتدي باثار لورنسيوس . واقاموا المتيني [الاب عمانوئيل] رئيسًا عامًا . الدحداح يوسف [الاب يوسف الدحداح][1] محبّ الوظايف . ارسانيوس نيحاوي . اقليوس القرطباوي مدبرين .

---

[1] ان الاب يوسف الدحداح كان من آباء الرهبانية المتصفين بالفطنة والخبرة والذكاء وقد رُقّي الى وظيفة مدبر رابع في عهد رئاسة الاب لورنسيوس يمين الشباني العامة . وهو الذي اتمّ بناء كنيسة انطونشا في بعلبك اثناء وكالته عليه وكان البناء مرتفعًا عن الارض غير ذراعين ونصب فيها خمسة مذابح وفتح اربعة ابواب وثمانية شبابيك . وقد عهد بقيام بنائها كاملة الى المعلمين فارس الخلي ويوسف الخلي من الشوير واشترط عليهما بحسب اتفاق مسطر بينها في ١٥ آب سنة ١٨٨٣ ان يتماها بمدة ثمانية اشهر من بدء التاريخ المذكور لقاء مبلغ ستة عشر الف غرش حجرًا تُدفع لها ثلاثة اقساط . . .

(عن الاتفاقية الاصلية التي في يدنا)

والاب الدحداح هو اول من علّق جرسًا على قبّة كنيسة الانطوش في بعلبك ، بما لهُ من الجرأة والسيطرة والنفوذ عند ارباب المقامات العالية . وقد توفي بمدة وكالته على انطوش

وتكلّم المتيني قائلاً لمن سأله لماذا صنعتم بالاب لورنسيوس كذا : ان الذي اقام لورنسيوس رئيس عام فليدبّره . نحن ما انتخبناه فالذي انتخبه يعمل له مصلحه . وكلام تسخر به وبشأن المجمع المقدس .

كذلك تفوّه المتيني وبعض مدبريه بان بطلات الرهبنة بالسابق هي من قصّاد الكرسي الرسولي . فما الحاجة الى قاصد لطايفتنا . بسماع الاخ جبرايل حصروني وذلك بتكلمه عن القصّاد . كذلك الاب لورنسيوس لما دخل لرمي القرعة قال حسب الرسوم قدّام جمهور المجمع [العام] . انني اتنحّى عن الوظيفة التي تقلدتها من المجمع المقدس. فبدأوا يتداولون هذه الالفاظ بالهزء والمجون. . . وكل الذين لم يطابقوا بغايات المتيني . . من الرهبان اولاد القانون المتمسكون بعرى الام الكنيسة الرومانية ومقتدين بلورنسيوس ان كان من ذوي الاصوات او من الرهبان البسيطين حصل عليهم اضطهاد من . . . . فلذوي الاصوات لانهم لم يرموا ورقة الاقتراع له . وللبسيطين لانهم لم يرموا ورقتهم بالاديرة للوكلاء الذين مغشوشين منه بالوعد بالوظايف .

ومن كثرة بغضته وكبرياه ابتدى[بدأ] المتيني هو وبعض من حزبه يتكلمون بحق لورنسيوس ما لا يليق ولا اصل له . قصدهم بهذا ان يقللوا شأنه وقيمته واعتباره . الامر الذي كلما له زاده اجرًا وثواباً عند الله والناس الإتقيا . ولا يعقلون ان . . . والاثم لا يستفيدوا من حديثهم شيئاً بالذي يهجون به من بعد ان يكون حاز الكرامة والشرف بوقته كما قال الشاعر :

ماذا يفيد العاذلون بعذل من[1] . . .

بعلبك . واليك ما كتبه عن وفاته الاب نعمة الله القدوم الكفري في دفتر قداديسه تحت سنة ١٨٨٦ :

« توفي الاب يوسف الدحداح بركالة انطوش بعلبك بعمر نحو ٩٥ ، في العاقورة متعالجًا من اسهال دام ١٠ اشهر ، في ٧ الجاري [ايلول] سنة ١٨٨٦ وكان شجيعاً غيورًا مؤيدًا من السادة » [البطريرك والمطارين] .

١) ان مواضع النقط في خلال هذه النبذة ، اشارة الى بعض كلمات وعبارات جارحة اهملنا ذكرها .

وحصل غمٌ لا يُكم[1] عند ابناء الرهبنة الذين فيهم روح القانون على عزل لورنسيوس الناسك . لسبب حصول الاضرار الروحية والزمنية وسوف يزدان على جسم الرهبنة من الذين تولوا الوظايف بهذا المجمع . لانه لامر شهير لا يلزمه شواهد . ان بزمانه اي لورنسيوس نمت الخيرات الروحية والزمنية بالرهبنة . وذكره الآن وبكل زمان بمعونة الله تعالى كما قال الروح القدس بفم ابن سيراخ :« ذكره مثل مجمرة البخور المختلطة بكثرة انواع الطيوب . وذكره حلو كالعسل في الفم . وكالنشيد في شرب الخمر لانه استقر في التجارب وبطل اعمال الصبوة وأسلم قلبه لله وصنع الحق في ايام الآثام»؟ عدد ١و٢».

آهاً واأسفاه على هؤلاء الجهلة يوم المحاسبة يوم البعث والنشور ماذا يكون جوابهم عن خطيئة الظلم التي فعلوها نحو هذا المجاهد لورنسيوس ونحو جسد الرهبنة «لانه لا تُغفر الذنوب ما لم يردّ المسلوب» «فيزكّون المنافق لاجل رشوته وينتزعون حق الصدّيق ثم انهم يفعلون الاثم ويستترون بالعدل[2]» .

انتهت

---

١) لا يكمّ : اي لا يحصى بالكمية .

٢) ان في طبع الناس ميلًا ورغبةً في حبّ الوظائف وتروعاً الى الجاه والرفعة لانهم بشرٌ على الارض ومفطورون على الضعف حتى ان الزهّاد والنسّاك في المحابس والمناسك لا يخلون من هذه الرغبات، ولكنها قوت في نفوسهم بفضل كبحهم لها واذلالها باذلال جسدهم وقهره بالصوم والتقشف والتفكير في مناءة الحياة الاخرة . لذلك ترى واضع هذه النبذة في حياة الاب لورنسيوس بين الشبابي قد قسا بكلامه على الاب عمانوئيل سلامه المتيني الذي خلفه في منصب الرئاسة العامة ، فنسز من قناته ونسب اليه الظلم ، الامر الذي لا نقره عليه وقد كان من رجال الرهبانية المعروفين بسعة الاطلاع وحسن الادارة . واليك ما كتبه عنه الاب نعمة الله القدّوم الكفري المشهور بعلمه وفضيلته وصحة ضميره ، في دفتر قداديسه لدى وفاته .

وهذا كلامه بالحرف الواحد :

« سنة ١٨٦٩ الاب عمانوئيل متيني توفي في بيروت بعد مرضه في مار الياس الراس باحتمال عظيم وكان فريدًا في المعرفة والاهابة . أقيم ثلاث مرات رئيساً عاماً ومرتين مدبرًا وقبل ذلك رئيساً خاصاً ربما مرتين . ودُفن في دير مار مخايل بنابيل الذي عمل له كنيسة كبيرة وعمر مدرسة كبيرة في المتين . وهذه هي النهاية في ٢١ شباط سنة ١٨٦٩ في عمر ٨٣ » .

كيفية تعيين الاب لورنسيوس يمين الشبابي رئيساً عاماً

انتشر عبير فضائل هذا الاب في جميع الانحاء، فاستطابت شميمه الانوف وانتعشت برؤياه القلوب ، فأحبه الرهبان حباً صادقاً منزهاً عن الاميال والرغائب – والفضيلة من طبعها محبوبة – فارادوا ان تعهد اليه الرئاسة العامة لصفاته الممتازة . وبدافع المحبة والاخلاص للرهبانيـة حضر جمهور غفير من اديار بلاد جبيل والبترون الى دير سيدة طاميش مقر النشام المجمع العام لانتخاب الرئيس العام، وتمكنوا من دخول الدير ولما عرفوا ان القرعة بعد فرز الاصوات قد وقعت على انتخاب الاب ارسانيوس الخوري النيحاري [نيحا الشوف] رئيساً عاماً هاجوا وماجوا وارتفعت اصواتهم مطالبة بالاب لورنسيوس لرئاسة الرهبانية. فكان لهم ما ارادوا .

وفي رزنامة دير سيدة طاميش نبذة مفصلة لهذا الحادث، وهي بدون تاريخ او امضاء ، مكتوبة بالحرف السرياني - الكرشوني - الذي يلفظ بالعربي. ومن خطها الرائع الجميل عرفنا انها للاب اغناطيوس الخازن ، وخطه معروف في رزنامات الاديار حامل اسمه احياناً .

وهذا نصها بالحرف الواحد :

اعلم انه في حين دفن الاخ المذكور [متى الدلبتاري] قدكان اجتمع بعض اصحاب الاصوات الى المجمع العام فلما تمّ الاجتماع حضر سيادة المطران بولس برونوني القاصد الرسولي الى هذا المجمع وبيده امر من قداسة سيدنا البابا بيوس التاسع يحتوي التفويض سيادته في ان يترأس على المجمع المذكور

وجاء ايضاً في دفتر قداديس الاب الكفري عن وفاة الوجيه عقل شديد شقيق الاب عمانويل المتيني الذي كان مشتركاً مع رهبانيتنا بثلاثة قداديس ما يلي :

« الخواجا عقل شديد [المتين] توفي بعمر ٨٥ وخمسة اشهر في ٢٩ الجاري [شباط] سنة ١٨٩٣ وكان من الرجال الافاضل المتبرين الاغنياء كما هو مشهور عند الجميع . مشترك في ٣ [قداديس] » .

وينظلم بعض امور . وما هذا الا لتقديم الاعتراضات [المرائض] في بحر المجمع الماضي من بعض رهبان الى المجمع المقدس بوشايات على المتوظفين. فتح المجمع قدس الاب عمنويل متيني الرئيس العام ثمَّ دخل سيادته في اليوم التالي الى المجمع المذكور واخذ المدعون يقدمون وانما ليس بنوع القباحة والاباحة ولا بالشتم والاهانة بل بصورة الدعوى . فسيادته امر بان يتم المجمع بحسب عادته الى ان انتهى يوم القرعة .

ففي الليل السابق كان حضر قوم من الرهبان الذين لا صوت لهم بالمجمع من اديرة بلاد جبيل والبترون يطلبون الاب لورنسيوس شبابي ان يكون رئيساً عاماً . وفي وقت القرعة قد ابرز ترجمان القاصد منشوراً خطاباً من سيادته لذوات المجمع مضمونه ارشاد في ان يتم الانتخاب بهيبة الله وروح القانون . فبدأوا اولاً بانتخاب الرئيس العام ، فوقع اكثر الاقتراع على الاب ارسانيوس نيحاوي والباقي على الاب لورنسيوس شبابي .

امَّا الاب عمنويل متيني قد كان طلب الاعتفاء من الانتخاب جهاراً امام القاصد الرسولي بحسبما اوصاه وامام جميع ذوات المجمع العام . وعندما ظهرت القرعة للاب ارسانيوس فلم يرتض به سيادة القاصد وأبطل كل اعمال المجمع . واذ ذاك انفتحت بوابة الدير فدخل الرهبان الآتون الدير والكنيسة بضجة كبرى وصاحوا انهم يريدون الاب لورنسيوس رئيساً عاماً دون غيره . فسيادته اجابهم حالاً لسؤالهم قائلاً : هو هو . بل امر قدس الاب الموما اليه ان يقف بازائهم ويباركهم عن امره . وحالاً توجه سيادته لبيروت وارسل صورة انتخاب قدس الاب المشار اليه [لورنسيوس] موقتاً لبينما يعرض الواقعة لدى قداسة الاب الاقدس والمجمع المقدس . وهكذا قد انتخب معه اربعة مدبرين حضرة الاب يوسف بشراني والاب نعمة الله حرديني[1] والاب جبرايل حريصا والاب كاروبيم بكاسيني وأعرض كما ذُكر .

---

١) قد توفي هذا الاب البار نصف ليل الرابع عشر من شهر ك١ سنة ١٨٥٨ بدير كفيفان اذ كان مدبّراً ، فكتب الرئيس العام الاب لورنسيوس عين الشبابي كتاباً مؤرخاً في ٩ نيسان سنة ١٨٥٩ الى المدبر يوسف البشراني يرغب منه في ان يبدي رأيه في من يصلح للمدبرية عوضاً عن الاب الحرديني ، فكتب اليه والى المدبرين الابوين جبرايل حريصا وكاروبيم

واما البقية اصحاب القرعة قد اعرضوا ايضاً مستغيثين بالاب الاقدس بان يثبت لهم القرعة . فالاب لورنسيوس ومدبّروه قد انتخبوا رؤساء الاديرة الّا البعض . وبقيَ الحال كذا مدة . ثمَّ الاب ارسانيوس والمدبرون العتق حضروا لدير مار موسى الدوّار وانتخبوا رؤساء للاديرة كذلك . ولكن لم يقدر الرؤساء على الدخول [للاديار] لوجود الاسبق [من الرؤساء] .

اما الاعراضات لم تكن تفتر من الفريقين ولكل منها توابع . وهنا يجب ان يقال تبًا لسوء الاحوال ويا ليت اللسان تلجلج عن ذا المقال . ويا ليتنا نظرنا الى بلوغ تراقنا والتفتنا ليوم لمّة ساقنا بساقنا والى بارغ اختصارنا وهجرنا لديار غير ديارنا . ولكن بدون شك ان المرء يظن ما لا يجد ويجد ما لا يظن فكأن بعضهم رأى بعين ذهنه ان القواعد تنصفه وبعض آخر رأي آخر يسعفه . غير اني اقول رحم الله من قال :

لا كل برقٍ بالغيث هامل ولا كل ماء راق منهُ صفاؤه[1]

ولنرجع الى ما كنا في صدده فنقول : اما غبطة السيد البطريرك برلس مسعد قد قدّم اعراضاً لرومية فيما صار . فنيافة رئيس المجمع ارسل لغبطته مرسوماً مضمونه ان يخمد البلبلة من الرهبنة براسطة الارشاد حتى والقصاصات بحسب سلطانه البطريركي لينما تحصل المداولة هناك [في رومة] باعطاء التدبير اللازم لحسم هذه القضية بعد الفحص عن كيفية الانتخابين اي الذي تمّ بالقرعة والذي رتّبه سيادة القاصد الرسولي . فاستعمل غبطته بمقتضى حكمته . غير ان الذين يدّعون ثبات القرعة ما برحوا غير خاضعين ويقدّمون الاعراضات لرومية بقبول استغاثتهم حتى الى ان توجه سيادة القاصد الرسولي الى رومية وهناك قدّم التقريرات التي أجدته نفعاً بتأييد عمله . فصدر له منشور برسم سيادة المطران

البكاسيني في العاشر من نيسان من السنة المذكورة : « . . . لقد اظهرت رأيي لديه [الرئيس العام] وهو اني قد انتخبت بخاطري وتمام رضاي مدبّراً على رهبنتنا حضرة الاب نعمة الله الكفري حيث به الاهلية والكفاءة لهذه الوظيفة علماً وعملاً بموجب رسومنا وفرايضنا المطبوعة . . . »

(عن الاصل الذي في يدي)

١) ان صدر هذا البيت مختلّ الوزن فتركناه بحسب ما هو مسطّر .

يوسف جعجع مطران قبرس في ان يكون زائرًا في كامل اديرة الرهبنة ليفحص عن الرهبان وسيرهم بالقوانين وتصرفاتهم بالارزاق وان جميع الاشياء والاشخاص خاضعة له . وبهذا المنشور يوضح ان الرهبان تخضع لقدس الاب لورنسيوس والمدبّرين . وان بعد تمام الزيارة يعرض سيادته فيصير الترتيب الملائم للرهبنة . .

اما سيادته قد امتثل وتوجه الى اديرة جبّة بشرّي والزاوية وبلاد جبيل والبترون وكسروان . وهو الآن يجول في اديرة كسروان وهو يرشد ويعظ وينظّم بغيرة وقادة وفؤاد طاهر . ويُستغنى عن مدحه بجعله زائرًا كذا واختصاصه بتقليد هذه المهمّة التي لاقت به . اذ النور الذي يستضيء بارشاده ومواعظه المظلومون فضلًا عن ان مجرد سيرته الجميلة . كما انه قد كان تعين زائرًا مُرشدًا من قبل المثلث الرحمة البطريرك مار يوسف الخازن سنة ١٨٤٥ لاولئك الرهبان الذين لم يطيعوا الاب سابا العاقوري الذي انتخبه [رئيسًا عامًا] سيادة المطران فرنسيس بيلارديل القاصد الرسولي عن امر المجمع المقدس وانتخب معه اربعة مدبرين الاب بولس متيني والاب انطون قرنة شهوان والاب نعمة الله حرديني والاب حنانيا عراموني لسبب تقديم الاعراضات من الرهبان لرومية ضد المتوظفين في ذلك الوقت برئاسة قدس الاب عمنويل المتيني العامة . فبواسطة سعي هذا السيد الغيور [المطران جعجع] قد خضع الرهبان وارجع المياه الى مجاريها واكتست هذه الرهبنة ثوبها النقي الذي كان رُد عنها قليلًا . فحمدًا نحمد العليّ العظيم على سخاء انعامه امين .

وهكذا قد تعين السيد الطاهر مرشدًا لبني مدينة بيروت من قبل المجمع المقدس في سنة ١٨٥٢ اذ كانت واقعة بعض بلابل لجهة الاسقفية . وبواسطة عنايته الروحانية قد تمهد فيها سبيل السلامة . والآن في ١٥ من شهر نيسان هو في دير طاميش يعظ ويرشد بفصاحة يليق بها تكرار المدح وانما تكفي سيرته للارشاد اذ انها ذات تقشف وامساك هذا عظم مقدارهما وتواضع عميق جدًا واعمال أخر مفعمة فضائل ونقاوة .

ولكن محققًا لديك ايها القارئ انني لم اوضح عن تصرفاته افرادًا حذرًا

من نسبتك اياي الى روح التعرّض الطبيعي . وهذا وضعته اختصارًا لبيان لك فائدة السيرة التي منها يُمدح الانسان في هذا الدهر وفي الآتي ان ثبت — انتهى.

نصّ المرسوم الذي انفذه البطريرك بولس مسعد

الى ابناء المجمع العام سنة ١٨٥٦

من العادة التي كانت جارية عند الرهبان ، ان يلتمسوا من السيد البطريرك الاذن بعقد مجمعهم العام ، فيوجه غبطته اليهم منشور البركة حاملًا النصائح والارشادات الابوية . ولما حان وقت انعقاد هذا المجمع سنة ١٨٥٦ الذي رئسه القاصد برونوني وفيه فاز بالرئاسة العامة الاب لورنسيوس يمين الشبابي ، فبهذه المناسبة طلب الاب عمانوئيل سلامه المتيني رئيس الرهبانية اللبنانية العام ، من السيد البطريرك بولس مسعد — « منشور البركة » فجاد به غبطته واليك نصّه بالحرف الواحد :

ܦܘܠܘܣ ܦܛܪܘܣ
ܦܛܪܝܪܟܐ ܕ ܐܢܛܝܘܟܝܐ
ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ ܡܫܝܚܝܐ[1]

(الختم الكبير)

البركة الرسولية تحل وتستقر على انفس واجساد اولادنا الرهبان اللبنانيين الملتئمين لعمل المجمع العام بوجه العموم المكرمين . باركهم الرب الاله ببركاته السموية . آمين .

اولًا : اننا مزيدون الاشواق الى استماع اخبار ثبوتكم الدائم بطاعة الله والتقوى على كل خير . .

ثانياً : نخبر محبتكم بان حضرة ولدنا القس عمنويل المتيني رئيسكم العام المحترم امتثل لدينا لكي يلتمس منا منشور البركة المطلق الاذن بافتتاح المجمع العام الذي به يصير الاقتراع القانوني على انتخاب الريس العام والمدبرين ورؤسا.

---

١) بولس بطرس بطريرك انطاكية وسائر المشرق .

الاديرة فاقتبلناه بخلوص تلك المودة الابوية التي بها نودّ رهبنتكم الجليلة . وأجبنا التماسه باصدار منشور البركة هذا الذي به تأذن بافتتاح مجمعكم العام في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني القادم هذه السنة حسبما هو معين في فرايضكم المطبوعة . فتقدموا اذًا الى عمله ايها الابناء المحبوبون وباشروا فيه الاقتراع القانوني على موجب نص فرايضكم هذه نفسها بمعزل عن كل غرض ذاتي وغاية بشرية وروح تقسم . وضعوا نصب اعينكم في ذلك مجد الله تعالى وخير رهبنتكم متذكرين الاسباب الماضية التي صيّرتها ان تتقهقر الى الوراء لكي تتجنبوها غاية التجنب وتنتخبوا الى الوظايف من كانوا محلين بتلك الصفات الممدوحة التي تطلب وجودها فرايضكم والقوانين المقدسة . ليس فقط في الرئيس العام والمدبرين بل في رؤساء الاديرة حتى يكونوا جميعاً من ذوي الاهلية لهذه الوظايف بالتقوى وحسن السمعة والسيرة النسكية والامكان على تحملها بالادبرة في وجه الجمهور الرهباني والخبرة الكافية في السياسة والتدبير للرهبان والاديرة والرغبة في ترتيبها واتقانها كما ينبغي من كل الوجوه وينتج من مساعيهم بنيان حميد لا هدم مذموم للرهبان والاديرة في الروحيات والزمنيات .

ولعمري ان هذا امر ملزم وليس لكم منه مهرب ايها الابناء الاعزاء حتى ولا عذر او احتجاج امام الله والناس . وهو بحوله تعالى سهل اذا جردتم فيه النية ولم تنظروا الى الاغراض النفسانية والاميال الذاتية الى اللحم والدم والبلدان بل الى ما يطلب منكم ذمة وقانوناً من ملاحظة استحقاق الاشخاص وكفاءتهم فقط ايهم كانوا ومن اي محل كانوا معتبرين كما هو بالحقيقة انكم جميعاً اخوة واعضاء بعضكم واولاد طايفة واحدة ورهبنة واحدة ولا سيما اذا سبقتم وامعنتم النظر في شرح الباب السادس من القسم الرابع من فرايضكم وبيّنتم في عقولكم انكم عدا ذلك تلتزمون بتعويض الاضرار التي تنتج للاديرة ولكامل جسم الرهبنة من انتخابكم الى هذه الوظايف اشخاصاً خالين من الصفات المشار اليها .

ويلزمكم بعد هذه الانتخابات ان تحفظوا ما رسمه مجمعنا البلدي الملتئم في ١١ نيسان هذه السنة في دير بكركي[1] في العدد الاول من الجلسة الخامسة

[1] قد عقد البطريرك بولس مسعد هذا المجمع البلدي في بكركي سنة ١٨٥٦ ورفعت

وهو انه غير مسموح لاحد من هؤلاء المتوظفين ان يمارس واجبات وظيفته قبل ان يبرز يميناً بانه لا يبيع ولا يهب ولا يرهن ولا يغير شيئاً من املاك الرهبنة والاديرة المتقلد تدبيرها باي نوع كان ولاية حجة كانت دون الاحتفالات المرسومة من القوانين ولا يبدد مداخيلها او يبدرقها على هواه ولا يخفيها بل يحفظها لتصرف على موجب القانون بروح الرب الهنا . ومثله من يتسلم تدبير المدارس والاناطيش المختصة بالرهبنة . وما رسمه المجمع المذكور في العدد الثاني من الجلسة الخامسة نفسها وهو انه لا يوخذ الحساب من المتوظفين في المجمع العام الا بعد قيام الرئيس العام والمدبرين .

هذا . والخليق بكم ان تلاحظوا ايضاً ما هو مهمول حفظه في قانونكم وفرايضكم المذكورة لتصلحوه بروح الرب الهنا . ولا تفكروا او تقولوا كمن لا يدري ماذا يفكر او يقول بان هذه او تلك الفريضة ملزمة بخفة وليست من الجوهريات في القانون والفرايض لان ما تظنونه غير جوهري من ذلك يضحى جوهرياً عند الامتهان والاستخفاف فيه ومخالفته توصل اخيراً الى هدم القانون والفرايض بالكلية اذ كانت اللجة تنادي اللجة ومن يتهاون بالصغاير يسقط رويداً رويداً في الكباير . والتجربة اكبر شاهد وفرايضكم ذاتها تنبهكم على ذلك في الباب الثاني من القسم الخامس وتحذركم منه بغاية ما يكون .

والذي نقوله لكم ايها الابناء الاعزاء نقوله لجميع رهبان جمعيتكم فاصغوا اذاً لصوتنا الرعائي الموجه اليكم جميعاً . وانهضوا من الرقاد يا ايها الذين تأكلون خبز الاوجاع وانبذوا عنكم كل تراخ وتوانٍ وكسل وتشددوا بحفظ قوانينكم وفرايضكم الرهبانية واخلعوا عنكم الانسان العتيق والبسوا الانسان الجديد واسعوا في اثر البر والسلام واسلكوا في طريق الكمال الذي تصديتم السلوك فيه وتجندتم له منذ لبسكم الاسكيم الملايكي وابرازكم النذور الاربعة التي يلزم ان يكون هذيذكم بها دائماً لتتمموها بالعمل وتحيوا رهباناً حقيقيين غير مكتفين بلبس الثوب الاسود وبالوجود في الرهبنة فقط . لان

مقرراته الى الحبر الاعظم البابا بيوس التاسع (راجع سلسلة البطاركة للاب طوبيا العنيسي ص ٦٩) وقد بدأ بنشر احكام هذا المجمع حضرة الاب بولس مسعد الحلبي اللبناني .

(المشرق ٥٢ : ١٩٥٨ ص ٨٣)

مجرد الثوب لا يعمل راهباً وليس المدوح من عاش في اورشليم بل من عاش عيشاً حسناً في اورشليم . فقبل دخولكم الرهبنة انما كانت لكم بمنزلة مشورة تلك الآية الانجيلية التي صيّرت اباكم ومؤسسكم القديس انطونيوس الكبير ان يترك العالم ويهاجره ويذهب وراء الكمال الانجيلي بالعيشة النسكية والكفر بالذات واللذات اللحمية . ولكن بعد دخولكم الرهبنة لم يعد يصوغ [يسوغ] لكم ان تتخذوها كمشورة بل كلازمة اياكم باتمام هذه الدعوة المقدسة التي دعيتم اليها . فتشبثوا اذاً بها ايها الابناء الاعزاء وعيشوا عيشاً حسناً بغير لوم قدام الله في الرهبنة التي هي مدرسة الكمال لتكونوا كاملين ومكملين في كل امر وتستحقوا ملكوت الله الذي ما من احد يضع يده على المحراث ويلتفت الى ورايه ويستحقه .

ومن كون اجتماعكم هذا هو من الفرص الملايمة لاصلاح ما يلزم اصلاحه في الرهبنة فنحتم عليكم باسطرنا هذه ان تتداولوا فيه بهذه الامور جميعها لكي تصلحوها بالادوية الملايمة وترفعوا من الوسط كل عايق يعيق الوصول الى ذلك دون محاباة او اخذ بالوجوه . واهتموا بتعيين اربعة اديرة موافقة للابتداء مانعين ذلك في ما سواها . والزموا رؤساء الاديرة باقامة نواب ووكلا ومشيرين فيها من تكون بهم الاهلية لذلك من الرهبان الذين ليسوا من اقاربهم او بلدهم . وبان يتعاطوا معهم حسب نص فرايضكم تاماً (قسم ٦ باب ٦ و٧ و٨ و٩) لا ان يكون لهم الاسم فقط والرؤساء يتعاطون الامور الديرية على هواهم دون ان يسألوا عمّا يتفاوت بجراب جسم روحي وزمني للاديرة وسكانها . وليسهر على ذلك الرئيس العام والمدبرون بحسبما تقتضيه وظيفتهم . وكذلك لا يسمح الرئيس العام او يتساهل مع الرؤساء في عزل الرهبان من دير الى آخر على هوى الرؤساء بل بموجب نص الفرايض على ما تقتضيه المناسبة بازاء لحال الرهبان والاديرة (قسم ٢ باب ٨) .

واعتنوا بحسن نظام المدرستين القايمتين في رهبنتكم لتعليم رهبانكم اللغات والعلوم التي تلزمكم بها فرايضكم (قسم ٢ باب ٤) واكفوهما من اللوازم ليمكن للدارسين بها من رهبانكم ان يقتبسوا بها اللغات والعلوم المقتضية براحة وفايدة . وينبغي ان يقام على كل منها رئيس يكون محباً العلم وموسوماً

بالتقوى وبمعرفة ترتيب المدارس ويهمه امر الدارسين وراحتهم من كل الوجوه .

والوكلاء ومعلموا الاعتراف الذين يتعينون لاديرة الراهبات الخاضعات لقانونكم يجب ان يكونوا متصفين بالعلم الكافي وبحسن السيرة ومتقدمين في السنّ . ولا يهمل الرئيس العام السهر على ترتيب اديرة هؤلاء الراهبات بموجب ما ترسمه فرايضكم (قسم ٢ باب ١٤) التي تمنع ايضاً تردد الرهبان على اديرتهن والمعاطاة معهنّ تحت عقوبة خطية ثقيلة .

والذين من رهبانكم يرسلون الى الاقامة في المدارس والاناطيش المختصة بالرهبنة ينبغي ان يكونوا ايضاً مزينين بالعلم والعمل الصالح والسلوك الحسن ليفيدوا القريب باعمالهم الصالحة واقوالهم الممدوحة ولا يقدر احد ان يقول عنهم او عنكم بسببهم كلمة شر .

والرئيس العام فليكن عنده عدا كاتم اسرار اقنوم يتسلم حسابات مداخيله ومصاريفه ويرقها بكل ضبط ولا يصرف شيئاً بغير علمه ويكون بمنزلة وكيل عام يسعفه بحفظ الارزاق الزمنية المختصة بالرهبنة باجمعها حسب رسم فرايضكم (قسم ٣ باب ٨) وهذا امر مناسب لا بل لازم في هذه الازمنة كما لا يخفى وقد رسمه مجمعنا المشار اليه .

واخيراً نحثكم ونناشدكم بالرب ايها الابناء الاعزاء بان تتمسكوا بمحبة بعضكم فانها نطاق الكمال . وان يكون كل منكم نموذجاً للآخر بحفظ القانون والفرايض وساير الاعمال والاقوال الصالحة وخاصة الرؤساء واصحاب الوظايف الكبار الذين نذكرهم بما ترسمه عليهم فرايضكم في الباب الاول من القسم الثالث لكي يحفظوه تماماً ويقتفي الجمهور امثالهم وان تتمسكوا رؤساء كنتم ام مرؤسين في مساواة العيشة المشتركة فيما بينكم كما يطلبه منكم قانونكم وفرايضكم . ولتكتفِ الرؤساء الاديرة والرهبان في جميع لوازمهم وليقطعوا العوايد السيئة التي تداخلت في الرهبنة بامر التخصيص وباقي العوايد الردية . وينوط بالرئيس العام السهر على ذلك كما هو الواجب على ذمته ليكون بعيداً عن جسم الرهبنة كل تذمر وتقمّم وقلق وتشويش نظام من جرى [جراء] العمل بخلاف . ولا تهملوا ملاحظة المرضى والاعتناء بامرهم كما ترسم فرايضكم (قسم ٢ باب ١٢ وقسم ٣ باب ١٥) وليقل كلٌّ منكم كما قال الرسولي الالهي

مَن كان يمرض ولا امرض انا . وارحموا اخوتكم كرحمة الله اياكم . فهذا ما نختم به عليكم ونحثكم ونناشدكم به .

ونحن نسأل الله تعالى بشفاعة القديس انطونيوس اب الرهبان وجميع القديسين ان ينمي رهبنتكم التي نودّها بودّ خاص ويجتلها بكامل التوفيقات ويمنحكم نعمة لتبتدوا بجمعكم هذا العام وتنهوه بروح الائتلاف القانوني الموافق لمجده تعالى وخير الرهبنة ويجعله مجمعاً مباركاً عليكم ويؤهل كلّاً منكم الى اتمام واجباته الخلاصية لتؤهلوا جميعاً الى ارث الملكوت السماوي . وثقتنا بمراحمه تعالى ان يتعطف منعماً باجابة سؤالنا . هذا وبان نسمع عنكم دائماً الاخبار المسرّة المرضية للعزة الالهية وخاطرنا . والبركة الرسولية تشملكم جميعاً ثانياً . أُعطي من ديواننا البطريركي في ٩ ايلول سنة ١٨٥٦[1] .

افتتاح المجمع العام

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

افتتاح المجمع العام من قدس الاب عمنويل متيني الرئيس العام الكلي الاحترام

(في دير سيدة طاميش)

في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني احد شهور سنة ١٨٥٦ م . عدد الاديرة ٢٨ ديراً والاصوات ١٣٦ .

الجلسة الاولى يوم الاثنين

اولًا : قد انقرى [قُرئ] منشور غبطة السيد البطريرك [بولس مسعد] الكلي الطوبى .

ثانياً : قد انقرت [قُرئت] اوراق الوكلاء المرسلة الى المجمع العام .

ثالثًا : قد تعيّن معلمو الاعتراف: الاب بيمين بشرّاني. والاب بولس العيون. والاب مكاريوس البجاني . والاب عمنويل الشحروري . والقيندلفت الاب

١) عن الاصل الذي في يدي

عبد الاحد قيتوله . وكاتب القرعة الاب نعمـة الله حرديني[1] . والبوّاب الاخ اغناطيوس عين طوري [عينتورا] . وفاحصا القرعة الاب اغناطيوس البيروتي . والاب غوسطين درياني .

الجلسة الثانية يوم الثلاثاء

اولًا : قد ثبّت مجمعنا ان الصلوات اللفظية والعقلية تجري مجراها من رئيس ومرؤوس . ومن خالف يتقـاصص ؛ المطيع من رئيسه والرئيس من قدس الاب العام .

ثانياً : قد ثبّت مجمعنا ان تصير الملاحظة على الكنائس بالنظافة والبدلات الا تكون وسخة ورثّة وان يكون الخمر جيدًا والبخور نقيًا وان يتعين قندلفتاً لكل كنيسة من كنائس اديرتنا كبيرًا كان ام صغيرًا . وان يرسل قـدس الاب العام وكيله بكل مدة مرّة لتغيير ما يجب تغييره من الملابس الكنائسية. وهكذا يجب ان تعم هذه الزيارة بقية كنائس رهبنتنا كالمـدارس والاناطيش والمزارع الخارجة .

ثالثاً : ثبّت مجمعنا ان كهنة الاديرة لا تقدس سوى على دفتر ذلك الدير. وانْ كان على الكاهن المنزول حديثاً قداسات فلتبقى عليه ليرضها على الرئيس المنزول لديره ليقيدها بدفتر الدير والمخالف يتقاصص .

رابعاً : قد ثبّت مجمعنا ان كل رئيس يفحص عن القداسات المترتبة على ديره لاجل المحسنين والواقفين تحت هذا الشرط وان لم تكن مرقومة فيرقمهـا بالرزنامة[2] .

خامساً : قد ثبّت مجمعنا ان يصير الاعتناء بتربية المبتدئين ويتعيّن لهم معلّم تقي مزين بالاوصاف الحيدة .

سادساً : قد ثبّت مجمعنا ان الضاربين يتقـاصصوا بموجب الفرايض روسا كانوا او مرؤسين . والراهب الذي يشاجر الرئيس يعرض عنه لقدسه [الرئيس العام] ليقاصصه شديدًا . كما والرئيس الذي يشهر زلّات الرهبـان للعلمانيين

١) هو رجل الله المعروف « بقديس كفيفان » المرفوعة دعوى تطويبه وتثبيته الى رومة العظمى مع رفيقيه الاب شربل مخلوف حبيس عنّايا والاخت رفقا الريس .

٢) يراد بها القداديس الارابية المتوجبة من قبل المدل البدلي .

يقاصص شديداً . والرهبان الـذين لا يستعملون كشف الافكار لرؤسائهم بحكم الفرايض يتقاصصوا و تصير المساواة بالمأكل والكسوة فيما بين الجميع رؤساء كانوا ام مرؤسين .

امّا الرهبان الذين يتعاطون الاشغال المتعبة يجب ان يتلاحظوا نوعاً .

سابعاً : قد ثبّت مجمعنا بان يقرأ بالتتابع على المايدة في كل شهر القسم الاول والثاني والثالث والخامس من الفرايض ليعلم الجميع مقتضيات التزاماتهم بحسبها .

ثامناً : قد ثبّت مجمعنا ان تصير الملاحظة على الخبز . وليكنْ وكيلاً خصوصياً له دون الكلارجي . وليتعين طبّاخاً يعرف هذه الصنعة جيّداً .

تاسعاً : كلما يلزم من المصروف للدير لا يوضع منه شيء عند الرئيس بل عند الوظايفية [اصحاب الوظائف] وكل من باع من الوظايفيـة او بدرق شيئاً منها فليتقاصص بحسب الفرايض .

الجلسة الثالثة يوم الاربعاء

اولاً : قد ثبّت مجمعنا الّا يكون لرؤساء الاديرة رفقاء خصوصيين ما لم يكن لهم عملاً آخر زمنياً بالدير .

ثانياً : قد ثبّت مجمعنا بان الرئيس يعتني بالمرضى روحياً وزمنياً ويحضر لهم طبيباً ويفتقدهم بنفسه يومياً ان امكن . وان أمر الرئيس راهباً ليخدم المريض ولم يطع فقانونه ركع [ركوع] على المايدة ما برح غير طايع او ليشفى المريض. وان خالف ، فالرئيس يعرض عنه لقدسه .

ثالثاً : قد ثبّت مجمعنا بالّا يسافر الراهب بدون رفيق وكتابة من الرئيس تحدد رجوعه . وبدون ذلك لا يُقبل بدير اصلاً .

رابعاً : قد ثبّت مجمعنا ان الواشي على اخيه من غير اثبات شرعي قانوني يتقاصص بحسب الزلة الواشي بها . ومثله من يفشي اسرار الرهبنـة للعالمانيين يتقاصص بحسب الفرائض .

وليضبط كل رئيس دير دفتر قداسات ديره . وما زاد عن الستين قداس على كل كاهن فليوزّعه . ولتجري الزياحات المعتادة عند طايفتنا في كنائس اديرتنا . وليتقاصص كل راهب خرج من الكنيسة قبل الختام. وهكذا فلتتلى

المسبحة الوردية كل احد وعيد، كما وزيارة القربان كذلك. ومن خالف يتقاصص.

خامساً : قد ثبّت مجمعنا ان يعيّن الرئيس وكيلاً مناسباً لتوث ديره. ويقدّم له ما يلزم . ولا يشتغل احد بصنعة السكره الا باذن قدسه خطاً وختماً . والمخالف يتقاصص مقاصصة الزلة الاثقل بالغاية .

سادساً : قد ثبّت مجمعنا وحتم حتماً جازماً بان كل كاهن لا يدرس بمدة كل جمعة نحو خمسة عشر ورقة بكتاب الانبا بولس انطوين[1] او في كتاب آخر من الكتب الذميَّة او الروحية يتقاصص .

ويلزم قدس الاب العام ان يرسل في كل سنة فاحصاً للاديرة وليفحص الكهنة ويمنح سلطاناً له ان يمنع الكاهن عن استماع الاعترافات ان لم توجد به الكفاة [الكفاءة] .

سابعاً : قد حكم مجمعنا بان الرئيس يرسل ورقة تُعلم نياح [وفاة] الراهب صحبة رسول يدور لكامل اديرتنا . وكل رئيس وصلت اليه هذه الورقة يعلّم عليها ويختمها بختم الدير . وان لم يوجد الرئيس فالنائب يضع اسمه . وان رجعت الورقة غير معلّم عليها او غير مختومة فتحتم على الرئيس المرسلها ان يرجعها للدير الغير المعلم عليها او مختومة من رئيسه .

ثامناً : قد حكم مجمعنا بعدم السماح لاي راهب كان باقتناء المال . اما ان وُجد مع احد الرهبان زيادة عن ماية وخمسين قرشاً [حجراً] بدون اذن الرئيس فلا نسمح ان ينحلّ بمحكمة الاعتراف .

تسعاً : قد حكم مجمعنا ان قدس الاب العام يرسل وكيل العام لكامل اديرتنا ليفحص عن ارزاق الاديرة وموجوداتها ومعاش الرهبان . ولهذا المفتقد سلطان ان يصلح ما يجب اصلاحه . وان لم يطاوعه الرئيس فللوكيل ان يدبّر بنفسه او يعرض لقدسه .

عاشراً : قد حكم مجمعنا بالّا يقرض الراهب رئيساً كان ام مرؤوساً احداً من العلمانيين اكثر من ثلاثة آلاف قرش . ولا تكن القرضة بغير صك شرعي

---

١) وهو كتاب اللاهوت المعدّ لطلّاب الكهنوت في ذلك الزمن ولم تزل الى الآن نسخٌ منه في الاديار .

يعلن بها ما عدا المعاملة التي تجري فيما بين التجّار الـذين يشترون من مغلات الدير شيئا بالوعدة كليا او بالتبعض . والذي يزيد القرضـة عن المبلغ المرقوم بدون اذن قدس الاب العام ومجمع المدبّرين يتقاصص مقاصصة الزلّة الاثقـل بالغاية . امّا الراهب الغير الرئيس فليس له ان يقرض شيئاً اصلاً بـدون اذن الرئيس . والمخالف يتقاصص كما ذُكر[١] .

مرسوم مجمع انتشار الايمان المقدس

ذكر كاتب نبذة رزنامة دير سيدة طاميش المومأ اليها ، ان القاصد الرسولي برونوني الذي رئس مجمع الرهبان في الدير المذكور سنة ١٨٥٦ لم يرَ انتخاب الاب ارسانيوس الخوري النيحاوي رئيساً عاماً مرضياً لابناء الرهبانية ، لذلـك عيّن باسم الكرسي الرسولي الاب لورنسيوس يمين الشبـابي وكتب الى المجمع المقدس يخبره بما جرى مدليا اليه بمعلوماته فأصدر المجمع مرسوماً بتثبيت الاب لورنسيوس وتعيين المطران يوسف جعجع زائرًا رسولياً .

واليك ترجمته باللسان العربي بحرفها الواحد وهي في يدنا . قال تحت العنوان المذكور :

انه اذ كان في الاعراضات المستوجبة التصـديق ومن الايرادات الغير المشكوك بها اتضح لهذا المجمع المقدس المقام لانتشار الايمان انه قد انسرب في جمعية رهبان القديس انطونيوس الموارنة البلديين عوايد سيئة برخاوة عقد التهذيب القانوني وعند اقتراب مجمع الرهبان المذكورين لانتخاب الرئيس العام ومدبرين قد تقدم اعتراض عن جملة اشياء كان ينتظر منها سوء توقع الانتخابات المشيدة[٢] . فقد أُعطيت للاب الكلي الاحترام السيـد بولس برونوني رئيس اساقفة نارون والقاصد الرسولي في سوريا ارشادات ملايمة وتفويضات خصوصية

---

١) عن الاصل المخطوط بالعربي نقلناه بحرفه الواحد وعنوانه ، وهو في يدنا .

٢) ان الحكمـة قد دلت السيـد برونوني على ان يعين الاب لورنسيوس رئيساً عاماً ولو لم يفعل ذلك لهاجت الخواطر وانضم قسم من اصحاب المجمع المؤيدين الاب المذكور الى جمهور رهبان اديار بلاد جبيل والبترون الذين قصدوا دير طـاميش مطالبين بانتخاب الاب لورنسيوس وبيد كل منهم عصا وجرى ما لم يكن في الحسبان . . . وسمي هذا المجمع عند الرهبان والعامة : « مجمع الشواريح » .

عن امر سيدنا الكلي القداسة البابا بيوس التاسع بالعناية الالهية بها اما تتلافى الشرور الغير الموافقة واما يهيئ الدواء الملايم لدي [لدى] الاقتضاء .

ومن ثم اذ صار افتتاح المجمع في شهر تشرين الثاني سنة ١٨٥٦ في دير طاميش تحت مناظرة القاصد الرسولي المار ذكره ولم يجرِ الانتخاب على مرغوب المناظر فقد اوضح القاصد المناظر نفسه ان اعمال المجمع هي باطلة عاطلة . والا يقدم الرهبان الى غيرها . وقد عين الاب لورنسيوس شبابي ليباشر وظيفة الرئيس العام لبينما يكون صدر الحكم بالخلاف من الكرسي الرسولي . وقد اضاف بحسب العادة لهذا الرئيس المعين هكذا اربعة مديرين أعني الاباء يوسف البشراني. وجبرايل حريصا . ونعمة الله حرديني . وكاروبيم بكاسيني . الذي لاجل اسباب خصوصية قد اعرض القاصد للمجمع المقدس انه ينبغي ابداله براهب آخر. وحينما الرهبان لم يطيعوا الاوامر القاصد (المبطل اعمال المجمع الاولى والناهي عن الاقدام الى اعمال اخرى[1]) وادعوا بانثلام حقوقهم واقدموا على رفض المديرين واستأنفوا بالكرسي الرسولي . فالآباء الكلي سموهم في الجمعية العامة المنعقدة في اليوم الخامس عشر في ١٥ من شهر حزيران سنة ١٨٥٧ الجارية غب تلاوة ما تقدم في هذه الفترة من الرهبان المستغيثين . ومن الاب الكلي الاحترام برلس مسعد بطريرك الموارنة . ومن القاصد الرسولي . وصار امعان النظر الثاني في جميع ذلك .

ومن كون يهمهم جداً ان جمعية الرهبان المذكورة المؤسسة لفايدة الجمهور المسيحي لاسيما المؤمنين الموارنة يفوح منها عرف المسيح الطيب كالسابق وتتلالا بممارسة جميع الفضايل . فقد حكموا انه ينبغي ان يصير الاجتهاد بكامل الانواع قبل كل شيء باستئصال كلما يكون انسرب فيها من العوايد السيئة وباسترجاع التهذيب الساقط وبحفظ القوانين والفرايض بكل تدقيق . الامر الذي قد رأوا انه لا يمكن نواله باكثر فايدة واوفر فاعلية الا بواسطة عمل زيارة قانونية على اسم الكرسي المقدس حتى بعد ذلك بمعرفة كاملة لواقع القضية يصير رسم ما يكون رؤيَ بالرب لازماً تجديده او فرضه . فاذا مع الحفظ

١) هذه الحاشية هي في الاصل .

موقتاً للتسميات الصادرة من الاب الكلي الاحترام القاصد الرسولي . ما عـدا تسمية البكاسيني الذي ليجعل القاصد الرسولي عوضه رجلاً آخر اهلاً .

ففيما يأمر الاباء الكلي سموهم بقوة الطاعة المقدسة رهبان جمعية ماري انطونيوس البلديين المذكورة اجمالا وافرادا من اية درجة وسلطة كانوا بان يؤدوا الإكرام والطاعة للاب لورنسيوس المرقوم وللمدبرين الثلاثة المحررين اعلاه وللمدبر الرابع الذي يسميه القاصد الرسولي بمنزلة رئيس عام ومدبرين شرعيين بمفردهم . فقد رسم الآباء الكلي سموهم بان جمعية رهبان ماري انطونيوس المار ذكرها مرارًا يجب ان تخضع للزيارة الرسولية . ولهذا العمل قد انتخبوا وعينوا الاب الكلي الاحترام السيد يوسف جعجع اسقف قبرص المـاروني مع كامل التفويضات اللازمة والملائمة الذي لاجل ذلك يجب ان تخضع له الجمعية المذكورة ما دامت هذه الزيارة في كل شيء . اعني نظرًا لاشخاص الرهبـان ونظرًا للمحلات والاشياء .

اما الزاير الرسولي المذكور فليقدم الاعراض بقدر ما يمكن من السرعة للمجمع المقدس عما يكون من النتايج بحسب الارشاد الذي يعطي به . وعن ذلك قد امن الآباء الكلية نيافتهم باصدار هذا المرسوم الحاضر وبتقليد تنفيذه للاب الكلي الاحترام السيد بولس برونوني رئيس اساقفة تدون والقاصد الرسولي في سوريا الموجود الآن في المدينة [رومة العظمى] .

أعطي في رومية من ديوان مجمع انتشار الايمان المقدس المذكور في اليوم ٢٧ من شهر حزيران سنة ١٨٥٧ صح .

قيطانو بادبي رئيس اساقفة تابيز كاتم الاسرار	اسكندر الكردينال برنابو رئيس المجمع

صح . ان هذه النسخة منقولة عن الاصلية المستخرجة من اللاتيني الى العربي عن امر غبطته حرفاً فحرفاً وكلمة فكلمة وقد امضيناها بختمنا اشعارًا للبيان تحريرًا في ٦ ايلول سنة ١٨٥٧

(الختم)

الحقير
يوسف جعجع
مطران قبرس

ثلاثة اخبار

وعدنا بان نعقّب ترجمة الاب لورنسيوس عين الشبابي بثلاثة اخبار عنه سمعناها من رهبان ثقة كانوا معاصرين له وقد تحققوا صحتها .

الخبر الاول

من المعلوم ان ابناء الرهبانية اللبنانية المارونية الاقدمين كانوا صناع اليدين يتقنون الحرف والمهن كالزراعة والفلاحة والحدادة والنجارة والسكافة والحياكة والخياطة والطباعة والتجليد والتصوير والتطبيب والبناء، فضلًا عن قيامهم بالخدم الديرية كالطبخ والعجين والخبز وغسل الثياب وما اشبه بسرور وانبساط قانعين بالقوت والكسوة . ولم تكن هذه المهن او الخدم تصدهم عن تتبع صلواتهم وتأملاتهم النهارية والليلية في اوقاتها المعيّنة . ويشهد بذلك دير مار انطونيوس قزحيا الذي خُصص فيه لكل صناعة محل يُعرف بها . وان المثلث الرحمة البطريرك الياس الحويك زار دير قزحيا اذ كان كاهناً علمانياً فرأى المهن والصناعات التي كان يزاولها الرهبان بانفسهم ناشطةً على قدم وساق ، وليس من راهب واحد من بين جمهور هذا الدير الغفير مستسلم الى اللهو والبطالة وكان لدى كل مناسبة يروي غبطته ذلك حاثاً الرهبان على الرجوع الى الشغل اليدوي اقتداء بمن سلفهم من الآباء والجدود ، خير الرهبانية وازدهارها .

وكان الرهبان يخدمون في المطبخ مناوبةً كهنةً واخوةً من تهيئة المائدة وغسل الصحون والقصاع . وكان من عادة الاب لورنسيوس عين الشبابي الرئيس العام في كل دير يدخله ان يطلب مفتاح المطبخ بعد عشاء الرهبان . وعند رقادهم ينزل خفيةً فيغسل المائدة والصحون وسائر الاوعية . وفي الصباح يعيد المفتاح الى الطبّاخ الذي يجد كل شيء مرتباً ونظيفاً. فيكون بذلك الاب العام قد شارك الرهبان في مزاولة الخدم الحقيرة كواحدٍ منهم .

الخبر الثاني

قد مرَّ بك ان دير مار شليطا القطّاره [بلاد جبيل] قد شُيّد بعناية وغيرة الاب لورنسيوس عين الشبابي في عهد رئاسته العامّة وهو الذي اتمّه وجهّزه بالاثاث . وكان يشرف على الفعلة والرهبان المشتغلين في مقلع الحجار بنفسه لا

بل كان يشاركهم في العمل كفردٍ منهم غير متميّز عنهم بشيء .

ففي احد الايام وصل الى المقلع رسول من جهات جبّة بشرّاي يسأل عن الرئيس العام ليسلّمه كتاباً يحمله اليه . فدلّه الرهبان على الاب العام — وكان بينهم مثابرًا على الشغل — فلم يصدّق انه هو وظنّ انهم يسخرون به ، لانه رآه لابساً ثيابا عاديّة ويشتغل كآخر راهب . اخيرًا قال له : « انا هو الرئيس العام اعطني المكتوب » اجابه : كلّا انك تمزح معي ، فان مرسل الكتاب اوصاني بان اسلّمه للرئيس العام يدًا بيد . ففطن الاب العام بعد سماع هذا الكلام لما دار في خلد هذا الرجل . فقال له : اذهب اذن الى الدير فتجده هناك ودلّه على الطريق وسلك هو طريقاً مختصرة غير مطروقة كثيرًا اوصلته اليه قبله . فدخل غرفته وغسل يديه ونفض ما علق من الغبار على ثيابه وجلس على كرسيه .

وصل الرسول المذكور الى الدير واستهدى الى غرفة الرئيس العام . ولما دخل ووقعت عينهُ عليه صُعق وبُهت وقال في نفسه : أليس الذي اشاهده هنا هو هو نفسه الذي شاهدتهُ في المقلع وقال لي انا هو الرئيس العام ولم اصدّقه ؟ تسلّم منه جواب الرسالة ورجع عائدًا من حيث اتى مخبرًا بما جرى له ومثنياً على تواضع الرئيس العام متعجباً دهشاً مما رأى ومما لم يسمع به .

الخبر الثالث

لما بلغ الاب لورنسيوس الشبابي سنّ الشيخوخة ، وضعته السلطة الرهبانية في دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب . فبالرغم من وهن جسمه وحمله اعباء الشيخوخة لم ينكفّ عن ممارسة صلواته وإماتاته وكثرة ترداده الى الكنيسة في الليل وفي النهار مستطيباً ما ألفه من هذه الاعمال التقوية في شبابه ، غير حائدٍ عنها او متبرّم بها في مشيبه — ومن شبّ على شيء شاخ عليه — واستسهله لطول مراسه به .

في احدى السنين زار الاب مبارك سلامه المتيني دير مار انطونيوس النبع في بيت شباب وبرفقته تلميذه الاب اغناطيوس داغر التنّوري . دخلا الكنيسة اولًا بحسب العادة الرهبانية وصلّيا وكلاهما من المشهورين بطهارة السيرة ومن

المتعمقين في الحياة الروحية . وكان في آخر الكنيسة راهب شيخ تلوح على وجهه دلائل التقوى والزهد والجلال والوقار ، جاثياً على حشية [طراحة] مغلفة بقطعة من عباءة سوداء يلبسها الرهبان ، وهو محنيّ الرأس غارق في صلاته وتأمله . . .

خرج الابوان من الكنيسة والشيخ لم يزل مستمرًا فيها، فأوعز الاب مبارك الى الاب اغناطيوس ان يومئ اليه بالخروج . فخرج وسلّم عليه الابوان . قال له الاب مبارك : هل انت متكدر من شيء او بحاجة الى شيء يا ابونا المحترم؟ فاجابه وهو مطرق الرأس : لستُ محتاجاً الا الى رحمة الله وصلواتك يا ابي . فكرر عليه هذا السؤال ثانياً وثالثاً راغباً في ان يطلب منه شيئاً ما ليقدّمه له بانبساط ، فكان يجيبه بالنفي . ولما احوجهُ الاب مبارك قال له : « اذا كنت تريد ان توصي الكلارجي [متسلّم ادارة المطبخ] بان يبقى يبلّ لي الرغيف وقت الاكل »[1] فتأثر الاب اغناطيوس لدى سماعه منه هذا الجواب وما استطاع امساك دمعته . ولما رجع الشيخ الى الكنيسة سأل الاب اغناطيوس الاب مبارك عنه لانه لم يكن يعرفه . فاجابه : هذا هو قدس الاب المحترم لورنسيوس الشبابي الذي كان رئيساً عاماً .

وفاة الاب لورنسيوس يمين الشبابي في دير مار انطونيوس النبع – بيت شباب

. توفي الاب لورنسيوس في دير مار انطونيوس النبع في بيت شبابُ . واليك ما ورد عنه في رزنامة هذا الدير :

« قد درج بالوفاة لرحمته تعالى الاب لورنسيوس الشبابي بعمر ٨٦ سنة في ٢٠ شباط سنة ١٨٩٦ وقد انتخب رئيساً عاماً مدة ثلاثة مجامع ومدبّر خمس » .

وجاء في دفتر قداديس الطيّب الاثر الاب نعمة الله القدّوم الكفري تحت سنة ١٨٩٦ ما حرفيته :

« قدس الاب لورنسيوس الشبابي الشهير الفاضل ، توفي في ١٩[2] الجاري [شباط] بعمر نحو ٨٥ عام » .

---

١) ان رغيف خبز الرهبان في ذلك الزمان ، عبارة عن قطعة من العجين مرقوقة مستديرة ذات طبقتين منفوخة . وهي قاسية جاسية وتعرف « بالطلمة » .

٢) ان بين رزنامة دير النبع ودفتر قداديس الاب الكفري في تاريخ وفاة الاب

رسالة ثمينة قديمة للاب عمانوئيل الجبيلي الرئيس العام اللبناني

نجعل مسك ختام هذه النبذة الاثرية، رسالة جليلة بعث بها الطيب العين والاثر الاب عمانوئيل الجبيلي الرئيس العام الى ابناء رهبانيته اللبنانية يحثهم فيها على الزهد في الدنيا وعلى حفظ القوانين ووجوب الاختلاء في الرياضات الروحية للبلوغ الى الكمال الرهباني، وقد افاض فيها قلبه النابض بعواطف التقوى والنسك، بالنصائح الخلاصية الغالية، ولا بدع فهو من اباء الرهبانية المشهورين المتميزين بالفضيلة الراسخة قد انتخب رئيساً عاماً خمسة مجامع اولها سنة ١٧٧٨ وآخرها سنة ١٨٠٨ وتوفي برائحة القداسة في دير مار الياس الكحلونية في الثالث من شهر تشرين الاول سنة ١٨١٠[1] وبعد مضي ثلاث سنين على وفاته وُجد جثمانه الطاهر صحيحاً سالماً من البلى والفساد. رأينا هذه الرسالة مكتوبة في اواخر كتاب تأملات روحية بين مخطوطات مكتبتنا، خُط بالحرف السرياني-الكرشوني الملفوظ بالعربي، منقولة عن الاصل المذيل بامضائه وخاتم رئاسته العامة، غير انها في هذا المخطوط غفل من التاريخ، ويظهر من ختامها انها صادرة في سنة ١٧٧٨ التي انتخب فيها رئيساً عاماً للمرة الاولى فآثرنا نشرها حرصاً عليها من التلف، وقد ورد ذكر صاحبها في هذه النبذة، واليك نصها بالحرف الواحد :

ايها الآباء والاخوة المكرمين .

المعروض من بعد البركة من الله وتوافر الاشواق لمشاهدتكم بكل خير وعافية . ثمَّ ان الداعي الى تحريره هو اشتياقنا ورغبتنا الى نموكم ونجاحكم في الفضيلة ومحبة الله خلاص نفوسكم كون ان هذه هي الغاية القصوى التي لاجلها كل منا هجر العالم ودخل الرهبنة التي هي مناهج الزهد بكافة الاشيا الارضية . لذلك ينبغي ان نجتهد ونكمل لنائل سيرة القديسين ونقتفي آثارهم لنفوز كما هم فازوا بالسعادة الابدية التي دعونا لاجلها ولانه من المحقق ان الذين حصلوا في تلك السعادة لم اشتروا ذلك المجد بالغنيان والتزخرف والراحة وما يتبع ذلك بل بالمسكنه والاجتهاد الكلي . فالواجب اذًا ان نتغرب من كافة الاشياء الارضيه

لورنسيوس، فرق يوم واحد . يظهر انه توفي في ١٩ شباط واقيمت حفلة جنازه ودفنه في ٢٠ منه .

[1] راجع (المشرق ٥٢ [١٩٥٨] : ٥٤٣) .

وتزهد بكل شي لكي يمكنا ان نحصل بالمسكنة الاختياريـه لكي نبتاع بها ملكوت السما . فمن منا يقدر يفتكر ويظن بذاته انه حاصل في محبة الله كما هو واجب اذا قابـل سيرته بالقول الالهي : من يريد ان ياتي اليّ ولم يبغض ويرفض كل شي ارضي حتى ويبغض ذاتـه لم يستحق ان يكون لي تلميذًا . لعمري اذا تاملنا ذلك جيدًا فاتنا نحام خوفًا . يا اخوة الذين حكمـوا قوانين الرهبنة جيدًا وتمموا تلك المشوره الانجيليه اول ذالـك كفروا بذواتهم وبكل شي ارضي كفرًا كليًا وقطعوا جميع العوايق التي لهذا الجسد خوفًا لئـلا تبعدهم عن غرضهم الذي هو حب الله كمثل ابراهيم انه احب الله اكثر من ابنه الوحيـد . كذلك القديسون احبوا الله اكثر من انفسهم كقول الرسول : ما هو الذي يفرزنا من حب الله حزن او طرد او جوع او شدّة وما شاكل ذلك لان كما ذكرنا في ابتدا نسكهم وزهدهم رفضوا كل شي وقطعوا تلك العوايق المزبوره [المذكورة] وجعلوا سعيهم متقدمًا الى الحب الالهي ولم عادوا التفتوا الى وراءهم اي الى الامور الارضيه والراحه الذاتيه . ولهذا قيل : الذي يضع يده على سيف الفدان ويلتفت الى ورايه لم يكن نصيبه مستقيمًا . فهوذا نحن اذ خرجنا من العالم وتبعنا المسيح فلا ينبغي تلتفت بافكارنا وقلوبنـا الى شي من امور العالم لكي يطلع [يحصل] ثلم فضيلتنا متقومًا نحو ملكوت السما . فقد قال احـد الابا الروحيين : ان آثر الانسان الدخول الى الرهبنة التي هي مدرسة الفضايل ينبغي لـه ان يسلم نفسه الى كل حزن وتعب . وهكذا علّم ربنـا ان لا يمكن ان يكون الانسان بالنياح [بالراحة] ويدوم في حبه [لله] . ولهذا قال الروح القـدس بفم الحكيم : يا ابني اذا اتمت بخشية الرب فابذل نفسك لكل البلا .

فيا يا اخوه [ايها الاخوة] فرّوا من كل معصيه واجتهدوا جهادًا بليغًا على حفظ قانونكم واصبروا الى الموت على حفظه مع حفظ كافة الوصايا كونه تعالى وعد بالخلاص لمن يصبر بالفضيلة الى المنتهى . ولا تقبلوا مشورة الاعدا الـذين يخالون افكاركم انكم ليس تلامون قدام الرب بعدم الاجتهاد بكافة الرسوم الرهبانيه . فلا تضلوا لان التعدي بالاحتقار انه مضاعف . والاحتقار من شأنه ان يصيّر التعدي الخفيف ثقيل . وفي هذا الصدد قـال الروح القدس بفم الحكيم : رويدًا رويدًا من الصغاير الى الكباير . وهذه اول حرفه يلقيها العدو في النفس العابدة ومن ذلك يقودها رويدًا من حفرة صغيرة الى هوته كبيره . اجارنا الله من ذلك .

وكذلك قدموا المحبه والاكرام الى بعضكم لان هذه الوصيـه قد كررها الرب وتلاميذه ايضًا امرار عدة لان كل كرامة يكرم بها الانسان قريبه فواصلة لله كقولـه تعالى : في فعلتم ذلك . لا انا اقول لكم يا اخوة ان تفرّوا من كل وقيعه ودينونـه وغيبة ردية ومن كل مزاح واقاويل سمجة لان جولا العدو يقتل نفوسنا لانـه كما كانت

اخيَّة اناء الشيطان حتى قتلت آدم هكذا هذا الشكل اليوم يقتل ويفسد قلوب الذين يتحدثون بهذا الكلام السوء ويقتلون نفوس الذين يسمعونه مصغيين. فلنحفظ السنتنا حفظاً بليغاً حتى لا نصير آلة للشيطان . واذا احدكم سمع كلمة سوء على اخيه فليرده الى كلام صالح كما فعل ذاك الراهب المعروف خبره في البستان[1] ويتم بنا قول معلمنا الالهي: طوبى لصانعي السلام .

وكذلك يا ايها الروسا اسهروا احترسوا على صيانة رهبانكم وامشوا قدامهم بالقانون في التدقيق لكي يقتفوا آثاركم وتقدروا ان تقوموا جيداً وتوبخوا وتقصروا [وتقاصوا] المتعدي رسومه . ولا سيا اجتهدوا على نمو المبتدية [المبتدئين] اجتهاداً كلياً . دائماً خاطبوهم بقول القديس برنردوس : ادخلوا بالروح ودعوا الجسد خارجاً . لان نمو الرهبنة وحفظها قايم في تثقيف احوال المبتدية جيداً وان تهاملتم ولو قليلاً تسمعون التوبيخ الالهي قايلاً لكم : الويل لكم يا ايها الرعاة الذي انتم ترعون قطيعي وانتم ترعون ذواتكم لا غير .

ويا اخوه [اخوة] فلنجتهد باقتنا كافة الفضايل لان اعمال كل واحد منا هي مكتوبه له ان كانت صلاة او مطانيات [ركعات] او صوم او اي عمل كان لاجل الله ولو كان شي جزءي فان الرب يجازيه عوض الضعف مايه كما يعد لان ربنا ابو الرحمه فليس عنده ظلم . فمن حيث ذلك احبوا التعب بالفضايل ويكون عندكم مشتهى . ولا تقبلوا وتطيعوا ضعف الجسد فتصيروا غربا من تلك الخيرات وتبكوا في يوم الجزا ولا سيا لما تنظرون الذين بتعب يسير ملكوا السما . والذين لا عمل لهم وهم ها هنا مسترخيين يرثون مدايه [ديمونة] ابديه في نار جهنم لان كل احد يجازى باعماله . بقى [كفى] ما هي المنفعه اذا كانت اجسادنا في هذا الزمان القليل تتنعم بالطعام والشراب والراحة ومن جرا [جرّاء] ذلك نُعدم تلك الخيرات التي لا توصف . افهموا من تَمن عمل عمَل جسداني وما تعب فيه او من تعلم صنعة وما تعب في بدونها فكيف نحن الذين مرادنا ان ندخل بلاد الملايكه ونعاشر الثالوث الاقدس ولم نكلّف ذواتنا ها هنا فهذا محال لان اي بطّال جمع قنيات الّا والذي له يدرقه لان الرسول يقول : لم احد ينال الاكليل غير بالتعب .

فبقى احرصوا حرصاً كلياً كل منكم على قدر قوّته ولا تضيعوا زمانكم بالباطل لانه غالي جداً . لانه أعطينا من الله لنربح فيه سعادة لم تراها عين ولا سمعت بها أُذن ولا خطر على قلب بشر ما اعدّه الله للذين يحبونه كما زعم الرسول .

---

١) كتاب « بستان الرهبان » وهو عبارة عن مجلد ضخم خطي يشتمل على اخبار روحية نسكية . منه نسخ في بعض اديار رهبانيتنا . جمعه ورتّبه القس جبرآيل فرحات (المطران جرمانس) .

وكذلك ايها الاخوه لا نتهاونوا بخلاصنا لان ربنا قد حلّنا من عبودية الشيطان وجذ بنا الى حبه . فالواجب علينا ان لا نربط انفسنا بهذه العبودية ونرجع بقلوبنا الى الذي كفرنا به قدّام الملايكه لان الروح القدس قال بفم النبي : الانسان اذا عمل كافة البر ثم ارتكب زلة ومات بها فلا اذكر له جميع برّه الذي صنع بل اجازيه واحكم عليه في خطيته التي بها مات . بقي فلنحترص ايلا [لئلا] نوجد هكذا ولا يعود لنا عزا ولا رجا فالاوفق ان لا نرثي الى اجسادنا لئلا تتنجّس انفسنا ونموت موتًا ابديًا .

اعلموا انكم قد اسلمتم انفسكم وقت الذي عاهدتم الله ولبستم زي الملايكه الى تعب وجهاد كثير ولكم عدوّ مناصب حسود قوي كقول الرسول : ان حربكم ليس مع لحم ودم بل مع اراكنة الظلام . فبالحقيقة ليس يرثون لنا قط فتحفّظوا منهم بكل جهدكم ولا تشفقوا على ذواتكم من الجهاد . وزيدوا التحفظ على ذواتكم من كل عثرة ومن كافة الرذايل سيما سبح الباطل الذي يتبع العباده لان الرب يوم الجزا يفتش كافة اعمالنا واتعابنا فان وجد فيها عظمة او سبح باطل او وقيمه ثما يقبلها منا . فاستيقظوا الآن ويكون سلاح روحكم دايمًا مهيأ الذي هو التواضع . وعلى هذا الاساس ابنوا كافة فضايلكم لان عدوكم يدور مثل الاسد يطلب ان يبتلع انفسكم . فتحفّظوا لئلا يدخل في قلوبكم سهم من سهامه ويميتكم . واجتهدوا على نقاوة الضمير وصفاوة النيّه ولا تظفروا بشي من طغيان العدوّ وصيّروا انفسكم غربا لهذا العالم . ولازموا الصوم الرهباني[1] لان زمان المصيبه كان في الفردوس بالطعام ، والجهاد الذي جاهده مخلصنا كان بالصوم . فلنجاهد كما علّمنا الرب بالصيام الرهباني الملترمين فيه شرعًا من قبل قانوننا والصلوات وسيما صلاة المقليه لانه قال احد القديسين : ان الانسان الذي ستي بالصلاة المقلية فاني لست اكفل خلاصه بل انه حاصل في خطر الهلاك .

وكذلك الابا [الآباء] فرضه [فرضوا] عمل الرياضه وفرايضنا ايضًا تأمر امرًا كليًّا بذلك القصد بان كل منكم كاهن وراهب يباشر هذا العمل الروحي اي عمل الرياضه في هذه الايام التي هي مواسم للنفس . ولا نسمح لاحد بان يتعداها غير لضرورة داعية جدًّا لان لم يتيسر لنا تثقيف سيرتنا كما يجب وقطع عوايدنا غير بالرياضه كونها كالمراية [كالمرآة] تري للانسان ساير عوايده وما داخل سريرته من السوء وتعرّفنا حال كوننا وترتب سيرتنا . واحرصوا ان يكون كافة اهتمامكم في الذي ينبغي للدعوه التي اليها دعيتم وان تكون سيرتكم كحسب دعوتكم الانجيليه وهي الكفر بالذات وتتبع المسيح حاملين الصليب . ولا يشغلكم شي عن حب الذي دعاكم . قال احد القديسين : انه ينبغي

---

[1] ان غداء الصوم الرهباني كان الساعة العاشرة ، والعشاء الساعة الرابعة بعد الظهر ، يعني ان الاكل في اليوم مرّتان وهو نظام صحّي .

للذي ترك العالم انه يستحضر الله على الدوام كقول النبي : اني لم ازول [ازل] ابصر الرب من عن يميني لذلك تسهلت طرقي .

ولا ينبغي للذي زهد بالدنيا ان يصرف شيئاً جزافاً بل يكتفي بالاشيا الضرورية ولا يطلب كرامة لنفسه بل يكرم الجميع اكثر من ذاته . ولا ينبغي للراهب الذي يستطيع ان يشتغل ويأكل وهو بطّال . والنتيجة ينبغي للراهب ان يكدّ ويتعب ويجتهد الى ان يصل الى الكمال ولا يفتر ولا ساعه عن مطلوبه هذا حتى يلقى المسيح وينال ما وعده به [وهو] الجلوس معه في السما على مايدته السماويه .

واسأل مراحم الحنا ووالدته مريم وابينا مار انطونيوس ان تقبلوا هذا الكلام لجداقه وتؤدوا ثمرة تكون اهلاً للروح والملك المنتظر امين .

كذلك نوصي الكهنه القائمين اعتراف العوام ان لا يحلّوا احد من اصحاب الربا لان خطيته محفوظه الى الاسقف . وان فهمتم ما حدّ الربا قد قال يوحنا الاسقف : ان المرابي اذا اخذ على عشر سنين القرش مصريّه يسمى ربا . ولا يجوز لكم بان تحلّوه دون التجّار جايز لهم بالسه على القرش اربع مصاري اذا كان قرشهم مشتغل. اما ان كان القرش مايت فلا يجوز يأخذ ربح . ولا ان تحلّوه . لزم عرّفناكم لئلا تشغلوا ذمتكم وذمتنا . وايضاً المرابي يتطمن انه اعترف واتحلّ وغُفر له . والحال اعترافه فاسخ اذ لم يردّ . ولازموا الدرس في علم الدمّه [الذمّة] والمذاكره بالمشكلات [اللاهوتية] مع بعضكم لكي تفهموا كيف تدبّرون وضيفتكم [وظيفتكم] وتفيدون [وتقومون] بدعوتكم لكي يروكم ويعرفوكم ياخذون منكم مثل صالح ويضي نوركم قدام الناس ويتمجد الله بسببكم.

ولا تنسوا خادمكم من الدعا والطلبه لكي الرب يمنّ عليّ بدعاكم لكيما اقوم بهذا الحمل الثقيل .

خادمكم

عمانوئيل جميّل (موضع الختم)

اب عام لبناني

المجمع البلدي (تابع)

الذي عقده البطريرك بولس مسعد بامر البابا بيوس التاسع في دير سيدة بكركي سنة ١٨٥٦

نشره وعلق عليه الاب بولس مسعد مدير الأصول التاريخية

فاذ ترتب ذلك ، وتقرر تعلق الدعاوي التي تقام ضمن الخمس السنوات ضد صحة النذر الرهباني منذ يوم ابرازه ، فيستلزم الامر الى ان توضح تلك الاشياء المترتبة بحكمة من السلفاء عمّا ينبغي [١٩١] حفظه من النظام والانتساق [الاجراءات] في مثل هذه الاحكام . ثم اننا نورد ما رأينا نحن ملائمًا ان يزاد في ذلك ، ونزيد، ونأمر بنساوي السلطان بقوة رسالتنا هذه ان يكون محفوظًا دائمًا وابدًا في الازمنة المستقبلة .

ان الفاشحين [التاركين] يطردون من عتبة القضاء ما لم يكونوا رجعوا الى الرهبنة

على انه فيما يلاحظ افتتاح هذه الدعاوي فشهيرٌ هو مرسوم المجمع التريدنتيني في الجلسة ٢٥ الموردة رأس ١٦ عن الرهبان القانونيين في انه « اذا ترك احد الثوب قبلًا اختياريًا ، فلا يقبل قطعاً منه تقديم اية دعوى كانت بل يُلزم بالرجوع الى الدير ، ويتقاصص كفاشح من الرهبنة . وعند ذلك فلا يفيده اي انعام كان لرهبنته » . ومن ذلك ينتج ان القانون للطالب صيرورة المحاكمة على بطلان نذره ينبغي ان يطرد من عتبة القضاء نفسها ان لم يتضح انه مقيم في ديورة رهبنته ، وانه قد اتخذ ثانية الثوب الرهباني اذا كان تركه قبلًا .

ان الحكم ينبغي ان يتأسس على براهين مدققة ، وتحقيقات شرعية

اما ما يلاحظ البرهانات فان كان ليس مخفياً عنا ما هو دارج عند الرؤساء القانونيين ، والاساقفة الاماكن في كونهم يستندون احكامهم في امر كذا بالحظ على شهادة خارجة عن القضاء ، وان [١٩٢] كانت مثبتة بالقسم ، وهي

التي يقال لها « على الدوام » الا اننا نمنع استعمال ذلك فيما يأتي اذ اننا نريد ، ونأمر الامر الجازم في انه لاقامة البراهين اللازمة في هكذا دعاوي ينبغي ان يعمل سياق فحص حقيقي وشرعي تدون به القضايا المقدمة من المدعي ضد النذر ، وترقم به ايضاً الاسئلة من الجهة المحامية عن صحة النذر . وليجري فحص الشهود سواء كان على القضايا المدرجة ام على هذه الاسئلة بنوع انه عند عدم حفظ هذه الصورة فليعتبر السياق نفسه ، والحكم المبرز بناء عليه انهما مثبتان [مشوبان] بعيب البطلان الغير القابل الصحة . انما مع حفظ ترتيب الناموس العام سالماً نظراً الى باقي رؤوس البطلان اذا توقع اندراجها في استجماع السياق .

يجب ان يستدعى عامر الدير ، وكل الذين يخصهم ذلك

ثم اننا لنرسم ونحتم تحت قصاص البطلان المذكور بانه يجب ان يستدعى في هذا القضاء الحامون عن الدير او الكنوبيون الذي به تمم الناذر النذور الرهبانية ، واقارب الناذر نفسه الدمويين ، وغير الدمويون [الدمويين] وخلافهم [١٩٣] ايضاً ممن وهبهم املاكه ، او تفرغ لهم عنها ، وقولاً واحداً جميع الذين يخصهم توبيد [تأبيد] نذره ، وان يستمع كلامهم .

ففي اول الامر يستدعي اوليك (ان كانوا باقين) الذين يستبين انهم بمنزلة مسببي الخوف المنزل بالناذر المذكور حتى التزم ان يبرز النذور رغماً عنه ، او كانوا شركاء لهم بذلك .

يجب ان يتعين محامي النذور من باب الوظيفة

وكما اننا في مرسومنا المورد الذي بدؤه : « نحن الذين برحمة الله » قد رسمنا بانه في كل ابرشية ينبغي ان يعين من اسقف المكان شخص مرسوم بالتقوى والعلم لتكون وظيفته المحاماة في القضاء عن صحة الزيجة في دعاوي الزيجات ، فهكذا الآن نفرض ونأمر جميع الاساقفة المكانيين اجمالاً وافراداً لكي يختار كلّ منهم في ابرشيته شخصاً مجملاً بالصفات الممتدحة آنفاً يقلدونه وظيفة « محامي النذور الرهبانية » . ولكيما نحسب انها موكولة اليه ، ومقلدة له ، ومخصّصة به كل تلك الاشياء التي رسمنا بها بشأن محامي الزيجة في رسالتنا

المار ذكرها ، فنحن بموجب الرسالة الحاضرة نوسع صريحاً هذه الاشياء عينها بكاملها الى محامي مثل هذه النذور ، ونخصصها بكل منهم ، ونحكم بان يكون لها محل بالنوع نفسه نظرًا الى هؤلاء ، فيما اننا نرتب بنوع الخصوص في الرسالة الحاضرة [١٩٤] لمحامي النذور هذا فقط ، وهو ان كلما رأى القاضي بفطنةٍ ان يندفع للمحامي المرقوم نظير عاوفة له [مرتب] ، او اجرة ، او نظير المصاريف المقتضية في محاماة الدعوى ، فهذا جميعه ينبغي ان يوفى من اوليك الذين تخلفت لهم ارزاق الناذر المتروكة منه في دخوله الرهبنة اذا لم يوجد هولاء ، واذا كان الناذر لا يملك شيئاً يتركه ، فتلتزم الرهبنة نفسها بايفاء ذلك بحيث تكون من تلك الرهبنات التي تملك خيراتٍ زمنية . واما اذا لم يكن يوجد ارزاق متروكة ، ولا الرهبنة القانونية الواقع عنها الكلام كانت تملك شيئاً ، فحينئذٍ يوفى محامي النذور من دراهم غرامات تلك المحكمة التي اقيمت فيها الدعوى ، او خلافها بحسبما صدر منا الرسم في رسالتنا الاخرى المذكورة آنفاً عن الزيجات .

واجبات المحامي فتكن هي بعينها في المحاقات [الدرجات] الاخرى

اخيرًا غب صدور الحكم من الرئيس القانوني ، والاسقف المكاني ، فان كان حكم بصحة النذور ، ولم يقدم الناذر استغاثة ما ، فلا يعود ريب في كون الدعوى قد انتهت . اما [١٩٥] اذا استغاث الناذر الى قاضي المحاقة الثانية ، او اقتضى مراجعة الدعوى ثانية ايضاً ، ففي جميع هذه المحاكات نريد بان يكون حاضرًا محامي النذور المقلد ذلك من باب الوظيفة بذلك النوع نفسه الذي رسمنا به في المرسوم المورد بان يكون محامي الزيجة حاضرًا دائماً القضاء في الموافقة الثانية ام خلافها .

ينبغي دائماً ان يستغاث هذا الحكم الاول المبرز في البطلان

وكما اننا قد رسمنا انه يخص مثل هذا المحامي ان يستغيث من حكم قاضي المحاقة الاولى المبرز في بطلان الزيجة الى قاضي محاقة اخرى عينا صورة سياق القضاء في مثل هذه المحاقات الاخر ، فهكذا نريد بان محامي النذور يجب عليه بلا بد ان يستغيث ضد الحكم المبرز في المحاقة الاولى في بطلان النذور .

ان احكم المفرد المبرز في بطلان النذر يتوقف نفوذه

ونريد ان يُحفظ في المحاقة الثانية وما سواها في اعادة رؤية هذه الدعاوي كل تلك الاشياء المأمور بها منا في المرسوم المذكور بشأن دعـاوي الزيجات . واخيرًا كما اننا قد فرضنا ثمة عقوبات ناموسية بحق اوليك الذين يتجاسرون على عقد زيجات جديدة غب نوالهم حكماً واحدًا في بطلان الزيجة الاولى حال تعلق الاستغاثة ، او حال كونها مهولة ، اما لتغاضي المحامي ، اما لتلاعبه ، وحكمنا انه لا يحل لاحدٍ ان يجتاز الى زيجةٍ اخرى ما لم يكن صدر اقله حكمان في [١٩٦] في بطلان الزيجة الاولى ، فهكذا اذا تجاسر الناذر في رهبنة قانونية بعد صدور حكم مفرد في بطلان النذور سواء كانت الاستغاثة معلقـة ام مهولة بتذنبٍ على ان يخرج من الاديرة ، ويبارح الرهبنة ، والاكثر من ذلك ان ينزع عنه الثوب الرهباني فنريد ، ونحتم ان يخضع ، ويكون مرقلاً بجميع التأديبات ، واللافات [العقوبات] المفروضة من القوانين المقدسة ومن الرسومات الرسولية ضد الفاشحين ، اذ نرسم ايضاً انه في دعاوى مثل هـذه على بطلان النذور لا سبيل للناذر ان يغادر الرهبنة ما لم تجز اقـله حكمين متطابقين موضح فيها ان النذر المبرز منه هو باطل ، وكلا شيء .

لدى من تتقدم الدعاوي بحسب الناموس في المحاقة الثانية وما سواها

اما قضاة المحاقة الاولى على صحة النذور التي تقام عليها الدعوى ضمن الخمس سنوات كما سبق القول يجب ان يكون الرئيس القانوني والاسقف المكاني معاً . اما اذا كان يجب فحص هذه الدعوى في محاقة ثانية او خلافها ، فنرسم تبعاً لبعض مراسيم قديمة لمجمع الكردينالية [الكرادلة] المقدم ذكره مرارًا مفسري السينودوس التريدنتيني (التي نؤيدها ونثبتها ايضاً بموجب رسالتنا [١٩٧] الحاضرة) بان دعاوي مثل هذه تتقدم لاوليك القضاة الذين بمقتضى الناموس ترتفع الى كل منهم جميع الدعاوي الكنائسية الاخر في حالة الاستغاثـة بعد صدور حكم اسقف المكان .

ينبغي اتخاذ رئيس آخر قانوني ليقضي في الدعوى

ولكن بنوع انه كما ساق الدعوى اسقف المكان في المحاقة الاولى جملةً

مع الرئيس القانوني ، هكذا يلزم هؤلاء القضاة ان يسوقوا الدعوى ، ويحكموا بها جملةً مع الرئيس القانوني ، اذا ليس رئيس ذلك الدير الذي نذر به المدعي بل رئيس دير آخر للرهبنة نفسها كان في مـدينتهم ام ابرشيتهم ، او اذا لم يوجد فرئيس الدير الاقرب من الرهبنة عينها ، او شخص آخر كنائسي يكون قلده ذاك الرئيس المنوط به الحكم في الدعوى نيابته لهذه الغاية بموجب مـا تقدم شرحه .

انها ليس حينا تسمع الدعوى من الكرسي الرسولي

اما اذا ارتفعت هذه الدعاوي في المحاقة الثانية ، او خلافها لدى الكرسي الرسولي ، فيجب فحصها في السينودوس المذكور آنفاً ، او من الجمعية الاخرى المقامة على مشورات الاساقفة والقانونيين ، او اخيراً من ديوان استماع الدعاوى كما هو معتاد كل منهم ، ولا يعود سبيل للرئيس القانوني لان يقضي بها حيث انه لا يقبل حينئذٍ لابراز الحكم من كون بحسب امر سالفنا البابا اوربانوس [١٩٨] المورد آنفاً قـد صار لازماً ان يجري التحقيق من مجمع السينودوس نفسه على صحة النذور الواقع عليها التعليل ضمن الخمس السنوات من حيثية انها قد ابرزت بسبب الزعم المقدم في دير الكنوبيون غير مخصص قطعاً لتبـدي الرهبان المبتدئة [المبتدئين] .

ان الاشياء المقدم ذكرها يجب حفظها ايضاً في محكمة الكردينال نائب المدينة [روما] الكلي احترامه

فاذ كنا حتى هنا ابدينا الكلام عن الدعاوي التي تتقـدم ضمن الخمس السنوات على بطلان النذور منذ يوم ابرازها ، ففي شأن ذلك نعلن ونرسم بان كلما رُسم في ما تقدم اعلاه ينبغي ان يتم جميعـه ، ويُحفظ حتى في محكمة كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة نائبنا العام ، ونائب الحبر الرومـاني القائم بوقته في الروحيات في المدينة [روما] وما يليها كل مرة يتفق ان تقضى هذه الدعاوي ضمن الخمس السنوات المذكورة في محكمته المألوفة .

انه غب الخمس السنوات قد رُفضت قديماً كل دعوى ضد النذر الرهباني

فالخليق بنا الآن ان ننظر في امر الدعاوي المشاكلة هذه التي تتقدم الى المحاقة بعد مضي الخمس السنوات .

انه اذا كان السينودوس التريدنتيني المقدس [١٩٩] قد رسم بمنع قبول دعوى الناذرين بعد مرور خمس سنوات من ابرازهم النذور ، وذلك بالالفاظ الصريحة الموردة اعلاه وهي: « لا يُسمع له الا ضمن خمس سنوات من يوم ابرازه النذور » فاسلافنا قد حكموا بوجوب التمسك بهذا التحديد حرفيا بحسبما قد رُسم في عهد سالفنا الصالح الذكر البابا غريغوريوس الثالث عشر ، وفرض قاعدة ان لا يجب قبول قيام دعوى ما على بطلان النذر غب مضي خمس سنوات ، ولو صار الزعم بان نذرًا كذا قد تم رغمًا وخوفًا ، واراد المدعي ان يقيم البرهان بان هذين الزعم [الرغم] والخوف استمرا كل زمان الخمس سنوات . فالفاظ المرسوم الصادر في اليوم الخامس من اذار سنة ١٥٩٨ المندرجة في المجلد التاسع صحيفة ٥٥ من مراسيم جمعية السينودوس هي هذه : « ان غريغوريوس الثالث عشر بموجب رأي جمعية السينودوس قد اعلن بان اولئك الذين يدعون بانهم ابرزوا النذور الرهبانية بواسطة الغضب [الغصب] والخوف ، فهؤلاء ما لم يتقدموا الدعوى ضمن الخمس السنوات ، فلا ينبغي ان يسمع لهم غب مضي السنوات الخمس ، ولو كانوا يحتجون ان الغضب [الغصب] والخوف كانا مستمرين دائمًا .

وقد أدخل فيما بعد دواء ترجيح [ترجيع] الاشياء الى حالها الاول

الا انه مع كرور الازمنة لاجل اسباب صوابية موجبة كما نحن موقنون [موقتون] قد ادرج قبول هذه الدعاوي مراعاةً لترجيع الاشياء الى حالها الاول ضد مرور السنوات الخمس .

واعطاؤه واجب من الكرسي الرسولي فقط

ولكن اصدار الحكم في الدعاوي المحررة قد اختص دائمًا بالكرسي الرسولي دون [٢٠٠] غيره سواء تقدمت هذه الدعاوى من طرف الناذر ، ام من قبل الرهبنة ، حتى ولو حصل الزعم بانه قد تأخر قيام الدعوى لسبب مانع مستمر كل مدة الخمس السنوات . فهذا الدواء لترجيع الاشياء الى حالها الاول يُدعى في الناموس غير اعتيادي . وسلطان منحه لا يمكن ان يحق للقضاة [للقاضي] الادنى دون ان يضاد ذلك اية عادة مضادة كانت ، ولو غير معروف

بدؤها ، او اي انعام كان زعم به ، كما يتضح من مراسيم عديدة في هــذا الحكم للمجمع المقر السينودوس التريدنتيني » . وقــد ادرجت في المرسوم المصدر [الصادر] في الرابع والعشرين من شهر ايلول سنة ١٧٤٠ في الــدعوى المقدمة من صقلية بالترجيع الى الحال الاول .

غير ان اعطاءه قد تفوض احياناً للقضاة [للقاضي] الادنى

وهذا المرسوم قد تؤيد [تأيد] وتثبت منا في اليوم الثامن والعشرين من الشهر والسنة المرقومين ، كما اننا نؤيده ونثبته ايضاً في رسالتنا الحاضرة ، مع حفظ الحق لنا ولخلفائنا الاحبار الرومانيين في منح الاستطاعة للاساقفة والرؤساء المكانيين في بعض احوال خصوصية [٢٠١] بان يفحصوا دعــاوي الترجيع الى الحال الاول ، ويحكموا عليها قبــل ان يتصلوا الى ابراز الحكم على صحة النذر وبطلانه ، كما نعلم انه جرى مراراً بتفسيح من الكرسي الرسولي.

العادة القديمة في منح الترجيع للحال الاول

ونظام هذا الحكم قد كان مختلفاً قديماً عمّا هو محفوظ في الحاضر لانه في الازمنة القديمة باعتبار سبب محتمل او خيالي ,كما يقولون كانت تمنح من الكرسي الرسولي رخصة دعاوي الترجيع الى الحـال الاول ، اعني كانت تمنح، تمنح الاستطاعة للمدعين ضد النذر بامكان اقامة الدعوى على بطلانه لدى القضاة الخاصين ، ولو كانت مضت الخمس سنوات .

ولكن الآن لا يُمنح الا غب عمل سياق ، وفحص الدعاوي

ولاجل انتظام هذا الحكم فكان من ثمه يتحرر سياق شرعي من الرئيس القانوني ، ومن اسقف المكان ، وكان يُبرز الحكم على صحة النذر او بطلانه، ويقيناً لا يكون هذا النظام دارجاً بعد في هذا الوقت .

فلقد كان يُقتضى منا ان نلاحظ بالخصوص نتائج مثل هذا الحكم،ونعتني في ألّا تنحل النذور الرهبانية بقوة حكم واحد فقط . وانما يختلف عمــا ذكر النظام السالك في الوقت الحاضر ، والذي هو محفوظ في مجامع ، او محــاكم

المدينة المقدم ذكرها في شأن منح الترجيع للحال الاول ضد مرور السنوات الخمس ، لانه قبل ان يُبرم بشيء ما بشأنه [٢٠٢] فيقلد لاسقف المكان ، وللرئيس القانوني ان يجريا سياقاً ، وغب اقامه وتقديمه ، فينصب البحث على شان منح الترجيع الى الحال الاول ؛ والفحص الذي يجري على ذلك ليس هو باقل تدقيق وصرامة من الفحص المقتضى اجراؤه فيما اذا كان البحث واقعاً على صحة النذر او بطلانه .

ان احكام القضاة المألوفين هي غالباً موافقة للحكم في الترجيع الى الحال الاول

واذا مُنح الترجيع المطلوب للحال الاول فحينئذٍ يتفوّض الى الاسقف والرئيس المكانيين بان يبرز الحكم على دعوى صحة النذر. لكن وان ابقيت لهم في كذا تفويضات الاستطاعة التامة بان يقضوا اما بصحة النذر ، اما ببطلانه بحسبما يرون عادلاً. غير انه قد تحقق بالاستعمال ان هولاء لمعرفتهم بالكفاءة [بالكفاية] بكم من الاجتهاد والتدقيق قد فُحصت لدى الكرسي الرسولي الاسباب التي لاجلها قد مُنح الترجيع الى الحال الاول ، فعند نظرهم فقط انمام المنح المذكور يبادرون غالباً لابراز الحكم في بطلان النذور دون ريب ودون اجراء فحص آخر . . .

ان الفحص المدقق كذا اسباب بشأن الترجيع الى الحال الاول المعتاد اجراؤه من قضاة [٢٠٣] المحكمة الرومانية ، فليس فقط لا نقصد ان ننقضه بل بالحري ان نجدّده لمزيد تثبيت من طرفنا فنريد ، ونأمر بان يحفظ فيما يأتي من كل الذين يخصّهم .

ان محامي النذور ينبغي ان يكون حاضراً في عمل البيان على دعاوي الترجيع للحال الاول ، وفي فحص الدعاوي لدى الكرسي الرسولي المقدس

ونزيد على ذلك هذا ايضاً ، وهو انه في التفويضات الموجهة الرؤساء القانونيين والاساقفة المكانيين لاجل عمل السياقات يفرض عليهم تحت قصاص ابطال الافعال في انه من الواجب عليهم ان يسلكوا في كل شيء بحضور محامي النذور ، الذي يخصه ان يقدم الاسئلة التي بموجبها ينبغي فحص الشهود ، وان يتمم بكل اجتهاد سائر الاشياء المتعلقة بوظيفته .

كذلك نريد ان في نفس التقديم الباحثة على منح الترجيع الى الحال الاول سواء كان في مجمع الكردينالية[الكرادلة] مفسري المجمع التريدنتيني والمقامين لمشورة الاساقفة ، والقانونيين ام في ديوان استماع الدعاوي ، او في اية جمعية كانت تنعقد بنوع خصوصي يجب تحت قصاص البطلان المنوه عنه ان محامي النذور المعيّن من المترأس في المحكمة على معروف من تقدم ذكرهم يحضر دائماً في القضاء في كل الاعمال ، وليس فقط في اول تقديم لمثل هذه المسئلة بل فيما سوى ذلك ايضاً بحيث ان المدعي المرفوض في الاول يعود يُقبل ، ويسمع له ثانية .

ان فحصاً كذا يقتضي ان يكون مكررًا قبل ان يمكن لاسقف المكان وللرئيس ان يبتا الدعوى

اخيرًا كما انه [٢٠٤] لأجل اختتام الترجيع الى الحال الاول لا يكفي قطعاً حكم مفرد موافق ما لم يتؤيد [يتأيد] بحكم آخر مطابق غب اعادة فحص الدعوى ، واستماع محامي النذور دائماً بحسبما قد رسمنا في مرسومنا الآخر المورد آنفاً فيما يلاحظ دعاوي بطلان الزيجة ، فنحتم من ثم بيراءتنا هذه الحاضرة ، ونمنع منعاً جازماً تحت العقوبات المفروضة ضد الفاسخين بالّا يتجاسر احدٌ متقحاً ان يترح من الاديرة الرهبانية بحجة حكم مفرد مجتمد بمنح الترجيع الى الحال الاول ، ويأوى حجة ان يشلح [ينزع] الثوب الرهباني .

مقدار كم ينبغي على المدعي ان يبث في ازمنة

حال كون ينبغي احترازاً من الوقوع بالعقوبات المعينة ان ينتظر صدور حكم آخر بشأن الترجيع الى الحالة الاولى وفقاً للحكم الاول ، وبروز الحكم على بطلان النذور من الرئيس القانوني ، والاسقف المكاني ؛ ولا يمكن [ان]يُحسب ان الدعوى قد انتهت الا بواسطة هذا الحكم المبرز ناموسياً من القضاة المار ذكرهم بعد حصول الحكمين السابقين بشأن منح الترجيع للحال الاول.

[٢٠٥] ان حفظ ما تقدم ذكره يحتم به على جميع من يخصهم

فجميع هذه الاشياء اذا حُفظت هكذا كما قد تسننت منا ، وكما قد رُسم

على جميع من يخصهم ، وسوف يختص بهم ، ويحرضوا بحرارة على حفظها واتمامها بكل اجتهاد ، فلا نرتاب حقًا انه يضحي نادرًا [نادرًا] جدًا فيما بعد قيام الدعاوي والمخاصمات من اوليك الذين اما ضمن الخمس السنوات منذ يوم ابرازهم النذور ، اما بعد مرورها ايضًا يحاولون ترك عيشة الحالة الرهبانية التي قبلوها

ويحتم على الرؤساء القانونيين حفظ القوانين والفرائض والرسومات

ولاجل نوال ذلك باكثر توكيد فيفيد جدًا اذًا في قبول المبتدئين بالرهبنات القانونية حفظ الرؤساء تلك الاشياء المرسومة في فرايضهم ، وفي مراسيم السعيد الذكر سالفنا البابا اكليمنضوس الثامن . الاشياء التي نأمرهم نحن ، ونحتم عليهم بحفظها ، واتمامها جميعها على الكمال .

وكذلك يفيد اذا لم يعطِ الروساء رضاهم بسهولة في ان يبرز النذور اوليك المبتدئون الذين ، وان كانوا كملوا السن المعينة من المجمع ، الا انهم لم يدركوا السن المرسوم من فرائض الرهبنة ، واوليك المبتدئون الذين ، وان كانوا تمموا سنة الابتداء بموجب رسم المجمع ، غير انه يلزمهم ان يلبثوا فيه بعد بمقتضى رسم فرائضهم الخصوصية . وباولى [٢٠٦] حجة اوليك الذين لم يكملوا السنة في الابتدا ، بل ثمانية اشهر او ستة فقط ، وكذلك اخيرًا اذا الروساء المذكورون لم يتواسطوا ، ولم يعينوا في ان يتقدم الناذرون الى الدرجات المقدسة قبل السن الشرعية - لان كل الاشياء المرسومة بعناية فيما يلاحظ ما تقدم ذكره ، سواء كان في القوانين المقدسة ، ام في مراسيم الاحبار ، ام في رسومات الرهبنات الخصوصية هي ذات اعتبار ليس بقليل التوطيد للدعوة الرهبانية في قلوب الناس ، ولمنع تقلقل الانفس المتقلب الذي هو غالبًا وحده ، او هو علة داعية جدًا تحمل الناذرين على ان يرغبوا في ايضاح بطلان النذور الموثقين بها . ولا الكرسي الرسولي مطلقًا اعتاد ان يمنح تفسيحات فيما تقدم ذكره دون ان يسبق حصول الرضى من الروساء القانونيين ، وتتقدم منهم لديه ايضًا التوسلات التي من الصواب والضرورة ان تحصل لها المصادقة في ايضاح الاسباب التي يزعمون انها توجب منح التفسيحات الملتمسة .

وبالاّ يصلوا المحاماة عن الرهبنة والنذور

غير انه لا يمكن ان يحتمل ، او يقبل بنوع من الانواع [٢٠٧] ما قد اتضح انه اندرج عند الاغلب ، اعني ان الروساء انفسهم لا يظهرون المضادة اصلاً للذين يرومون الادّعاء ضد النذور ، كان ذلك ضمن الخمس السنوات ام بعد مرورها ، بل انهم يساعدونهم ظاهرًا لظنهم غلطاً انه يُحسب غير اهل لمشاركة الرهبان من يروم ان يفارقها [الرهبانية] ، وان لعله من راهب عديم الافادة يصير اكليريكي علماني [كذا] ، على انه لا يسوغ قطعاً ترك او الخيانة بالعدالة التي تأمر بوجوب المحاماة بكل وجه عن الفعل الاحتفالي الغير القابل الترجيع طبعاً ، الذي في اتمامه تجتمع الرهبنة نفسها جملةً مع الناذر .

فليصرف الاساقفة ضد المترلين النصب والخوف

ثم انه ليفيد جدًا للغاية المار ذكرها الا يهمل الروساء الكنائسيون والقضاة اتمام مقتضيات وظيفتهم . فروساء الكنائس باعلانهم انهم خاضعون للحرم اجمالاً وافرادًا من اية حالة ورتبة ومقام كان جميع الذين يغتصبون الابكار والارامل او غيرهنّ من النساء اينما كنّ على دخول الدير ، او على لبس ثوب اية رهبنة كانت ، او على ابراز النذور رغماً عن ارادتهن ما عدا في الاحوال المصرّح بها في الناموس ، وذلك طبق تحديد السينودوس [٢٠٨] التريدنتيني المقدس جلسة ٢٥ ، فصل ١٨ في القانونيين ، حيثما تعترض يجب مثل هذه التأديبات على اوليك الذين يقدمون المشورة في امور كذا ، او يبذون المساعدة والحماية . وان يجروا القصاصات العادلة الشديدة على جميع الذين يتجاسرون على الزامهم الرجال بان يدخلوا الرهبنة ، ويبرزوا النذور .

وليفحص القضاة كل شيء طبق الرسم

والقضاة (يجب ان يدعوا جانباً قبل كل شيء الظن الكاذب الذي يظنه بعض انه ينبغي ان يفتح سبيل واسع [كذا] جدًا بقدر ما يمكن للذين يرومون ان يبارحوا المحل الذي يقيمون فيه ضد ارادتهم) فاذا فحصوا الفحص العادل المدقق عن عدد ، وحالة الشهود الذين يوردون لاثبات بطلان النذور ، وميّزوا الغضب [الغصب] الجسيم من اليسير ، والخوف الثقيل من الخفيف ،

والجنس الضعيف من القوي ، والرخصة المعطاة في اقامة الدعوى عن الرخصة الممنوعة ؛ وامعنوا النظر باجتهادٍ بكل الظروف المتادة ملاحظتها في كل جنس هذه الاشياء من العلماء . ومن ثم فاننا نعلن اعلاناً [٢٠٩] جازماً لجميع من تقدم ذكرهم اجمالاً وافراداً ، ونأمرهم الامر القطعي بالَّا يحيدوا مطلقاً ، ولو مقدار ذرَّة في كلما ينوط بوظائفهم عن اسطوانة [قاعدة] العدل، وعن النواميس المرسومة عليهم ، وليتذكروا بانهم لعتيدون ان يؤدوا حساباً صارماً جداً عن كلما صنعوا امام القاضي الالهي ، ولدى الناس ايضاً .

يُرسم الفحص عن المخاورات المختلفة الواقعة في هذا الصدد

اما من نحونا ان سرَّ الباري ، ومنَّ علينا بالصحة ، وحفظ الحياة، فمازمون ان نبذل ما ليس بقليل من المساعدة لكي يمكنهم باكثر سهولةٍ ان يحكموا فيما بعد بمثل هذه الدعاوي، لاننا مضمون النية على مداولة اناس منتخبين منا متفقهين في العلوم اللاهوتية والقانونية ان نبحث بدقةٍ ، ونحل بعض مشاكل شأنها ان تشغل اذهان القضاة ، وتجعلهم في حيرةٍ لحال تقلبها باختلاف اراء المؤلفين ، ولا تشابها باشكالٍ متنوعة بحسب تنوّع الظروف الحوادث التي متوقعة كما نذكر انه اتفق لنا مراتٍ اذ كنا بعد في المراتب كنا نتداول [٢١٠] مثل هذه الدعاوي الاجراء صرفها بمقتضى قاعدة الناموس .

وهذه المشاكل هي مثلاً هذه : هل النذر الرهباني الباطل ابتداء يتصحح بالافعال التابعة ؟ وما هي هذه الافعال التي ينشؤ عنها هذا التصحيح او التثبيت؟ واية قوة لقبول الدرجات المقدسة على صفة الفقر الرهباني لغاية هذا المفعول ؟ وايضاً اذا ابرز احدًا (كذا) النذور ، وهو جاهل قبل السن الواجبة ، ولبث في الرهبنة ، وهو بجالة هذا الجهل عدة سنين ، ولظنه ان نذره صحيح ، فكان يتمم مع رفقائه كل الاشياء التي تتعلق بالناذرين ، فهل هذا اذ يعرف فيما بعد باية سن ابرز النذور ، ودون ان تضاد الافعال البادية منه كن نادر [ناذر] حقيقي يملك الادعاء ضد النذور المبرزة منه بحجة الجهل المذكور ؟

او هل هذا الجهل لا يفيده حتى يُحسب انه قد اثبت النذور الباطلة ابتداء بواسطة الافعال التابعة ؟ وكذلك هل الناذر الذي اخفى في حالة النذر مانعاً

ما ، او نقصاناً سئل عنه على التوضيح المطابق الفرائض بكون الرهبنة لربا ما كانت تقصد ان تقبله مع وجود [٢١١] هذا المانع ، او النقصان المخفي ؟

قلت هل هذا الناذر الذي اصطنع الخداع للرهبنة يمكنه ان ينال نفعاً كذا من غشه الخصوصي حتى يقدر ان يطعن بصحة نذره من هذه الحيثية ؟

واخيراً هل يملك قوة في المحكمة الخارجة لاقناع القاضي في بطلان النذور كون الناذرين المدعين لا يرتابون في ان يزعموا مراراً بانهم في ابرازهم النذور الرهبانية كانت نيتهم بعيدة عن قصد الزام ذاتهم بها ؟

فهذه جميعها وما شاكلها مما يكثر وقوعه في كذا دعاوي ، وقد حصلت المحاورات عليها من الطرفين لحد الان ، فقد اعتمدنا بمعونة الله ان نجليها باجتهاد بليغ منا ، وممن سنستدعيهم للشورة كما قلنا آنفاً .

قيود لاجل حفظ هذه الرسالة الحاضرة مؤبداً

ومن ثم فاننا نريد ونرسم بان تكون رسالتنا هذه الحاضرة مع كل الاشياء المرسومة والمفروضة فيها اجمالاً وافراداً ثابتة وصحيحة وفعالة دائماً وابداً ، وحائزة مفاعيلها التامة والكاملة ، وان تحفظ من اوليك الذين تخصهم ، وسوف تخصهم وقتاً ما بحسب الزمان في كل شيء بكل تمام ، وبدون انثلام . وانه يجب ان يحكم ويحدد في كل مكان هكذا ، وليس بالخلاف من اي قاض كان اعتيادياً كان [٢١٢] ام موكولاً ، ومن مستمعي الدعاوي في بلاطنا الرسولي ، ومن جمعيات كردينالية (كذا) الكنيسة الرومانية المقدسة المار ذكرها عمومية كانت ام خصوصية ، وممن سواهم من نفس كردينالية (كذا) الكنيسة الرومانية المقدسة ، ولو كانوا قضاةً من الجانب [الرسولي] ومن سفراء الكرسي المقدس ، ومن اي كان سواهم من الحاصلين والمتسيدين ان يحصلوا على اي تقدم ، وسلطة ، واستطاعة كانت مرفوعة عنهم ، وعن اي كان منهم كل استطاعة على الحكم والتأويل بالخلاف . واذا اتفق ان تجاسر احد باي سلطة كان ان يحاول الخلاف بمعرفة ، او بجهل فعمله يكون باطلاً عاطلاً.

دون ان يضاد ذلك اي شيء كان

ولا يضاد ذلك لا تعلق الدعاوي المتقدمة لحد هذا اليوم ، التي هي في اي حالة

او حدود وحدث في الحاضر ، فنحتم صريحاً بانه يجب ان تصير معاطاتهـا ، والحكم بها ، والتحديد لها من كل وجه طبق ما رُسم منا اعلاه . ولا دستور ديواننا الرسولي بعدم سلب الحق المطلوب،ولا ما سواه من الرسومات والترتيبات [٢١٣] الرسولية عامت [عامةً] كانت ام حاصة [خاصةً] الصادرة في المجامع المسكونية ، والاقليمية ، والسينودسية ، ولا المراسيم ، والفتاوى المبرزة والمصدرة والمؤلفة بالخلاف من جميات الكردينالية (كذا) المذكورة ، او من ديوان استماع الدعاوي المرقوم ، او من اي من سواه من القضاة والمحاكم .

ولا كذلك مهما كان من الرسوم ، والانعامات ، والاعفاءات، والسماحات، ولو كانت مدرجة في مجموع الناموس ، وكانت مؤيدة بقسم، او تثبيت رسولي، او باي ثبات كان . ولا الرسائل الرسولية المعطاة لاي كان من الاشخاص ، والمدارس ، والمحلات ، والرهبنات ، والجنديات ، والجمعيات ، والشركات ، والتأسيسات ، ولو كانت جمعية اليسوعية ، وجمعية القديس يوحنا الاورشليمية ، وغيرها مهما كانت مما تستوجب الذكر المنوّع والافرادي ، ولو تحت اي سياق وصفة كانت من الالفاظ ، وباية قيود واحكام كانت ، ولو مبطلة الاشياء الابطالية ، والملاشية بالجنس ، والنوع ، وبالرأي المشابه ، وعن ملوء السلطان الرسولي ، او بالمداولة السرية ، وممنوحة ، ومثبتة مرارًا ، ومؤيدة، ومجددة من غير جهة على اي نوع كان بما يضاد ما تقدم .

فهذه جميعا وكل فردٍ منها بالرأي المماثل نبطلها بالكمال والتام هـذه المرة فقط ايجاباً لمفعول الاشياء المتقدمة ، ونريد ان تكون باطلة ، ولو ضاد ذلك اي مضاد كان مع بقائها على قوتها بحالها في ظروف اخرى ، ولو لزم لابطالها الكافي والكامل سياقاتها ذكر خصوصي ، ومتنوّع ، وفردي ، او اقتضى حفظ اي تصريح كان لذلك معتبرين ان سياقاتها [اجراءاتها] وصورها، وعللها، واسبابها كأنها قد [٢١٤] تصرفت في رسالتنا الحاضرة تاماً وبالكفاءة [بالكفاية] ، وقد حُفظت بكل دقة وتنوعت اضافياً .

ان اشهار هذا المرسوم الحاضر له قوة الاعلان الشخصي المدول للجميع

ثم اننا نريد ، وبنفس السلطان المقدم ذكره نأمر بان تُشهر وتُعلق

رسالتنا الحاضرة ، او نسخها على ابواب كنيسة مار يوحنا لاتران ، وكنيسة هامة الرسل في المدينة [روما] ، والديوان الرسولي ، وساحة اينوشنسيوس العامة في الجبل الشيتا توريو ، وفي ساحة حقل الزهور بواسطة احد سعاتنا بحسب العادة ، وذلك لكي تتصل معرفتها مع كلما تتضمنه باكثر سهولة للجميع ، ولا يقدر [ان] يحتج احد بجهلها مطلقاً . وبعد ان تكون أذيعت هكذا ، وتعلقت تلزم جميع اوليك الذين تخصهم ، وتتجه اليهم فيما يأتي ، وكل فردٍ منهم كانها قد اعلنت واشهرت على كل منهم باسمه شخصياً .

يجدّد الاستيثاق نسخها

وبان يوثق بالتمام بنسخها وصورها حتى المطبوعة ، والممضاة بيد احد المسجلين المشتهرين ، والمسورة بختم شخص ذي مقام كنايسي ، تلك الثقة عينها التي بها يوثق برسالتنا الحاضرة ذاتها ، لو تكون تقدّمت ، واشتهرت في القضاء ، او خارجاً [٢١٥] عنه وفي كل مكان.

التجديد القصاصي

فاذاً لا يجوز لاحد من الناس قاطبةً ان يثلم صحيفة تثبيتنا وتوبيدها [تأبيدها] ، وارادتنا ، واوامرنا ، ورسومنا ، واحكامنا ، وابطالنا هذه ، او يضاددها [يضاددها] باتقاح [بقحة] جسور . واذا اقدم احد على هذه المجاسرة فليعلم بانه يسقط تحت غضب الله القادر على كل شيء ، وغضب رسوليه بطرس وبولس.

أعطي في رومية حذاء كنيسة القديسة مريم الكبرى سنة ١٧٤٧ الف وسبعماية وسبع واربعين للتجسد الرباني .

أعطيت في السنة الثامنة من حبريتنا في الرابع من شهر اذار سنة ١٧٤٧ .

يوحنا	روئيت في المحكمة	مكان	لويس اوجينيوس
داناريوس	يوحنا بوسكي	✝ الختم الرصاصي	
		السيد الكردينال	
		باسيونيوس	

تدونت في ديوان البراءات ، واشهرت في اليوم السادس عشر من اذار سنة ١٧٤٧ .

عدد ١٨[1] قوانين دير القديسين مار شلينوس وبطرس في رومية لجمعية رهبنة [٢١٦] القديس مار انطونيوس اب الرهبان في جبل لبنان[2] .

اكليمنضوس البابا الثاني عشر لذكر الامر المخلد

انه وفيا نحن متسنمرن عرش الكنيسة المجاهذة [المجاهدة] السامي بفيض الجودة الالهية الغير الموصوفة ، فبكل طيبة الخاطر نثبت اذ يُطلب منا بقوة تأييدنا الرسولي تلك الاشياء التي يُعرف انها قد ترتب بعناية ، وانتظمت لاجل التدبير الخلاصي للرهبان المنكدنين بنير المسيح العذب ، المجتهدين دائماً في ان يوفوا نذورهم لله ، ويأدّوا [يؤدوا] ثمار الاعمال الصالحة المخصية [المخصبة] بالهام نسيم النعمة السيموية [السموية] لكي تلبث ثابتة ، وغير منثلمة.

ومن ثم فقد جعل ان يعرض لدينا من برهية اولادنا المحبوبون رئيس دير القديسين مار شيلينوس وبطرس الكائن في رومية ورهبانه الذين من جمعية الرهبنة المنتمية للقديس انطونيوس اب الرهبان في جبل لبنان على بعض قوانين او رسومات قد انتظمت اخيراً غب التمعن الشافي لاجل خير الدير المذكور ، وحسن تدبير ، وسياسة الرهبان المقيمين فيه لخدامته تعالى في الروحيات والزمنيات ، ولاجل الرسالات المقدسة ، وابقاء درس العلوم الجيدة فيه ، وهي هذه الآتي ايرادها اعني قوانين دير القديسين مرشلينوس وبطرس لجمية الرهبنة المنتمية للقديس انطونيوس اب الرهبان في جبل لبنان .

[٢١٧] اولاً : حيث ان هذا الدير قد تؤسس [تأسس] من الحبر الاعظم اكليمنضوس الحادي عشر ذي الذكر الصالح لاجل مساعدة الرسالات الشرقية، فليمتن رئيس المحل المرقوم بل ينتخب اقله ستة رهبان من بين الاثني عشر راهباً الواجب ان يكونوا في عياله لغاية درس العلوم ، حتى بعد انجازهم ذلك يكونوا متأهبين ، ومستعدين لممارسة تلك الرسالات التي يرى مجمع انتشار الايمان المقدس بان يرسلهم اليها .

---

١) من الان وصاعداً اهمل الناسخ كتابة الاعداد في نسختنا ونحن واصلنا كتابتها تسهيلاً للمطالع الكريم ويظهر من نص هذا المجمع ان الوثائق التالية اضيفت اليه فيما بعد .

٢) راجع النص اللاتيني في كتاب البراءات للشيي من صفحة٢٢٧ الى ٢٣١،والترجمة العربية الحديثة في الاصول التاريخية ، المجلد الثاني صفحة ٧٨–٨٣ (الناشر)

ثانياً : فلنثقل ذمة الرئيس العام بالا يرسل الى رومية الا الرهبان الناذرين الموسومين بالتقوى الفريدة ، والمزينين بالخصال الحيدة ، والمتصفة [والمتصفين] بصحة الجسم الملائمة . ولا يكن [يكون] عمر هولاء المقتضى تعيينهم للدرس اقل من اثنين وعشرين سنة ، ولا ازيد من الاربعين سنة. وعدا ذلك فليكونوا جميعهم اما كهنة ، او ممن ينبغي ترتيبهم للكهنوت متى بلغوا السن المعينة من القوانين المقدسة .

ثالثاً : انه عدا شهادة الرئيس العام يلتزم كل منهم ان يصحب باطنتا [رخصة] من لدن السيد الكلي الاحترام بطريرك السريان الموارنة لكي تتقدم حالا للسيد الكلي السمو الكردينال المحامي القائم بوقته الذي يكون دائما من كردينالية [كرادلة] مجمع انتشار الايمان المقدس [المقدس] . .

رابعاً : انه حالما يبلغون الى رومية ، فليباشروا قبل الشهر عمل رياضة روحية بمدة عشرة او ثمانية ايام ، وغب اتمامهم ذلك فالذين[٢١٨]منهم يتأهبون للدرس يبرزوا [يبرزون] يميناً امام الرئيس، وفي غيابه امام وكيله باسمه، وذلك بموجب الصورة الموضوعة هنا ، المقتضى تقديمها بعده بخط يده الاصلي لمجمع انتشار الايمان المقدس وهي :

« انا فلان الفلاني الراهب الناذر من جمعية رهبنة القديس انطونيوس اب الرهبان في جبل لبنان احلف واعد بين يدي الاب المحترم فلان الفلاني رئيس دير القديسين مرشيلينوس وبطرس في مدينة رومية ، او بين يدي الاب الفلاني وكيله باني لا ابارح هذا الدير ، ولا اعتني في ان اخرج منه لا بواسطة، ولا بغير واسطة بذاتي ، او بتوسط شخص آخر الا بداعي علة شرعية مقبولة من الكردينال المحامي الكلي السمو والاحترام ، وفضلا عن ذلك فاني ابادر ذاهباً دون ممانعة الى ذاك الموضع الذي يبيّن اليه مجمع انتشار الايمان المقدس لاجل المحاماة عن الايمان الكاثوليكي وانتشاره ، وهكذا ليصدقني الله واناجيله هذه المقدسة ».

انا فلان الفلاني اقر بما هو اعلاه
بخط يدي

خامساً : ان الدارسين وباقي الرهبان لا يستطيعوا [يستطيعون] ان يقيموا في الدير المرقوم اكثر من ست سنوات . غير انه اذا دعت الضرورة ، واقتضى الصواب بان يقيم احدهم دائماً او الى زمان ما زيادةً عن تلك الست سنوات ، فلتلتمس الرخصة في ذلك من المحامي الكلي سموه .

[٢١٩] سادساً : فليكن جميعهم خاضعين للرئيس العام المقيم في جبل لبنان ، وللرئيس المقام منه على الدير المذكور . اما الرئيس المعيّن لهذا الدير فليعرض الباطنتا [الرخصة] التي بيده للحامي الكلي سموه. ولا يسغ [يسوغ] للرئيس ولا الآخرين ان يرسلوا احد الرهبان الى سوريا قبل اكتمال الست سنوات دون الرخصة ، والرضى من الحامي الكلي السمو .

سابعاً : فليحفظ جميعهم باجتهاد القانون والفرائض الرهبانية المحفوظة والمعتاد حفظها في جبل لبنان ، وليحفظوا ايضاً الطقس السرياني المثبت من الكنيسة الرومانية المقدسة بحسب عادة الكنيسة الانطاكية الممدوحة سواء كان فيما يلاحظ الليتورجيا المقدسة ، والفروض الالهية ، ام فيما يلاحظ الاصوام ، وليحفظوا ايضاً البيرموتات وايام الاعياد المفروضة من الكنيسة الرومانية المقدسة.

ثامناً : فليعتنِ رئيس الدير في تدبير كلما يلزم للرهبان . وفيما يلاحظ امور المعيشة والكسوة فليتبع بقدر الامكان عاده باقي اديرة جبل لبنان.

تاسعاً : واذا امكن فليكن مدرّسان احدهما للغة السريانية والعربية ، والآخر للعلوم العالية اعني المنطق ، والفلسفة ، واللاهوت الادبي ، والجدلي . واذا امكن واتفق وجود احد ذا قابلية لاقتباس اللغة اللاتينية فليسمح له الرئيس في ان يقيم في الدير سنة اخرى زيادة عن السنين المحددة ، وانما غب الاستئذان من الحامي الكلي السمو .

[٢٢٠] عاشراً : ان الاشولات في اللغات ، او في العلوم يجب اعطاؤها في مكان مشتهر بمدة خمسة ايام كل سبة ما خلا ايام الاعياد وايام البطالات التي يأمر بها الحامي الكلي السمو تعييناً في دفتر بمقدار ساعة كاملة قبل الظهر ، وكذلك بعد الظهر ، انما مع ابقاء فرض الساعات القانونية في الخوروس من الجميع ...

حادي عشر : بانه لممنوع على المدرّسين ، وكذلك على الدارسين الاستعفاء من الاشولات اليومية ، او ان يخرجوا من المحل في الايام المعيّنة عليهم للدرس ، ولولاية حجة كانت الا بعد اتمام الاشولات ، وباقي التمرينات المقتضى ممارستها في ذلك اليوم. وفي هذا الامر فليكن متيقظاً الرئيس او نائبه وملاحظاً دائماً.

ثاني عشر : انه لاجل ضرورة الدير يُرخّص للرئيس ان يعيّن كهنة دارسين

للتقديس خارج الدير اقله كاهنين في السبة بنوع ان في السبة التالية يتعين اثنان غيرهما .

ثالث عشر : لا يُثقل على الدارسين بتسليم الوظائف الملهية مثلاً كالوكيل، وناظر القلالي ، وما اشبها مما يُظن انه يعطل على الدرس .

رابع عشر : فليصر كل ستة اشهر فحص مشتهر عما استفاده كل من الدارسين ، وذلك امام الرئيس ، وباقي الرهبان الكهنة .

خامس عشر : فليتنازل المحامي الكلي السمو اماً بذاته،اما بواسطة[٢٢١] كاتم اسرار مجمع انتشار الايمان المقدس الكلي الشرف الى زيارة الدير مرتين بالسنة ، وصحبته خبير باللغة السريانية ، والعربية ، وبالعلوم المباشر درسها الرهبان لاجل الفحص عن نجاح الدارسين ، والاستعلام عن حالة الرهبان. ومثل ذلك فليتعين من المحامي الكلي السمو بعض من الرئيس (كذا) لاجراء الفحص المدقق مرة في السنة عن مداخيل الدير ومصاريفه .

سادس عشر : انه في كل ايام الاحاد فليمارس كل من الدارسين عمل ارشاد ، او خطاب بحضور الرهبان المشتهر .

سابع عشر : انه غب اكتمال السنوات الست فليرسل الدارسون دون عائق الى حيثما يرى مجمع انتشار الايمان المقدس ان يرسلهم ، واذا اتفق عدم صيرورة تعيين من طرف المجمع المقدس ، فليُرسل الدارسون وباقي الرهبان برضى المحامي الكلي النيافة الى سوريا عند الرئيس العام. والرئيس العام بعد ان يحضرهم لدى البطريرك الكلي الاحترام فليضعهم في ذاك الدير الذي يراه اكثر موافقة بالرب .

ثامن عشر : ان الموارنة المسافرين كنائسيين كانوا ام عوام فليقبلوا في بيت الضيوف الملاصق الدير مدة ثلاثة ايام بمقتضى قانون الضيافة الرهبانية. واذا اراد احدهم ان يتعاق بزيادة ، فان لم ينتظر ورود ضيوف خلافه ، فيستطيع الرئيس ان يوسّع له الزمان المذكور الى خمسة عشر يوماً ايضاً . ولكن بشرط ان يعتني هو بمعاش نفسه . اما اذا زعم احد انه يلزمه اعاقة اكثر فيلتمس [٢٢٢] الرخصة من المحامي الكلي النيافة . انتهى .

فاذ كان الرئيس والرهبان المار ذكرهم بحسبما كان مدرجاً في اعراضهم

ذاته يرغبون جداً ان نؤيد بحماية تثبيتنا الرسولي هذه القوانين والرسومات لكي تحوز اقوى ثبوت ، وتُحفظ باكثر تدقيق ، فنحن حال كوننا دائمين بمقدار ما يمكننا بالرب ان ننعم بالمجاوبة لمرغوبات الرئيس والرهبان الصالحة في هذا الامر ، فبمرسومنا هذا ان نحل كلًا من افرادهم من كل حرم ورباط ، ومنع ، ومن سائر الاحكام ، والتأديبات ، والقصاصات الكنائسية مهما كانت ، سوا. كانت مبرزة من الناموس ، او من الانسان باية حجة او علة كان ان وجدوا موثوقين بها ، وذلك لنوال مفعول مرسومنا الحاضر فقط . ونعتبرهم محلولين منها ، ونميل منعطفين الى التوسلات المقدمة لدينا باسمهم بتذلل في شأن ذلك غب امعان النظر في الاعراض المقدم لنا آنفاً من ولدنا الحبيب نيقولاوس الملقب سبينولا بكردينال الكنيسة الرومانية المقدسة ، وقسيسها ، والمحامي لجمعية الرهبان المار ذكرها لدينا ولدى الكرسي الرسولي الذي بموافقة رأي مجمع اخوتنا الموقرين كردينالية [كرادلة] الكنيسة الرومانية المقدسة المقامين لانتشار الايمان قد فحص بتدقيق القوانين او الرسومات المذكورة ، فبمرسومنا الحاضر نقرر ونثبت بالسلطان الرسولي القوانين ، او الرسومات المدرجة آنفاً ، ونزيدها تأييد الثبات الرسولي الغير المثلوم معوضين جميع النقائص الناموسية ام العملية ان كانت باي نوع كان موجودة فيها .

ونحكم بان تكون هذه الرسالة الحاضرة [٢٢٣]، والقوانين، والرسومات المتضمنة فيها ثابتة دائماً ، وصحيحة ، وذات فاعلية الآن ، وفيما بعد ، وان تكون حائزة ونائلة مفاعيلها بالكمال بالتمام ، وان تفيد على التمام اولئك الذين تخصهم ، او سوف تخصهم بوقته كلًا بمكنه ، وان تحفظ منهم فيما يخص جميعهم دون انثلام . وهكذا ينبغي ان يُحكم ويُحدد من القضاة الاعتياديين والموكولين اليهم كانوا متى من مستمعي دعاوي البلاط الرسولي فيما تقدم ذكره وبيطلان ، ونلاشي كلما تتفق المحاولة به بالخلاف على ذلك من ايما سلطة كانت سوا. كانت بمعرفة ام بجهل . دون ان يضاد ذلك الرسومات، والترتيبات الرسولية ، ولا فرائض الدير والرهبنة ، وجمعية الرهبان المذكورين اعلاه بقدر ما يحتاج الامر ، ولا العوائد ، والانعامات ، والمنحات ، وان كانت مؤيدة بالحلف ، وبالتثبيت الرسولي او باي اثبات آخر كان ، ولا الرسائل الرسولية

المطاة خلافاً لما تقدم باي نوع كان او مثبتة ، ومجدّدة ، فهذه جميعها اجمالاً وافراداً ، ونحن محتسبون فحاويها كأنها مصرّحة بالتمام والكفاءة [الكفاية] بمرسومنا الحاضر ، ومدرجة فيه كلمة فكلمة ننقضها بالخصوص والتصريح (وان كانت لتبقى على قوتها بخلاف جهة) وذلك هذه المرة فقط لحصول مفعول الاشياء المقدم ذكرها . ولو ضاد ذلك مهما كان مما سواه . ثم نريد بان النسخ ، او الصور المنقولة عن رسالتنا هذه الحاضرة ، ولو مطبوعة ايضاً ، وكانت ممضاة بيد مسجل مشتهر ، وبمهرة بختم شخص مرتب في مقام كنائسي تحوز نفس الثقة في القضاء ، وخارجاً عنه كالتي تحق لرسالتنا الحاضرة بعينها ان تقدمت [٢٤٠] او أظهرت .

أعطي في رومية حذاء القديسة مريم الكبرى تحت ختم الصياد في اليوم الرابع عشر من تموز سنة ١٧٣٢ وهي السنة الثانية لحبريتنا .

الكردينال فرنسيس اوليفريوس

عدد ١٩ : كتابة السيد البطريرك والسادة مطارين الطائفة واساقفتها لقداسة البابا بيوس التاسع بها يلتمسون اثبات المجمع البلدي المنعقد منهم في ١١ [من] نيسان سنة ١٨٥٦ .

ايها الاب الاقدس ،

غب الاغناء التام ، والجثو اللائق امام اقدامكم الطاهر ، والتماس البركة الرسولية من ينبوع المقدسة بكل اوقار واحترام . نعرض انه امتثالاً لاوامركم الرسولية الموضحة في مرسومكم المنفذ بتاريخ ٢٣ [من] اذار سنة ١٨٥٥ الماضية قريباً في ان نعقد مجمعاً اقليمياً في طائفتنا بحسبما كان تحرر من مجمع انتشار الايمان المقدس للمرحوم البطريرك يوسف الخازن ، والتماماً لواجبات وظيفتنا قد اجتمعنا في كسروان في دير سيدة بكركي التابع الكرسي البطريركي بحضور حضرة الاخ المحترم المطران بولس ده برونوني القاصد الرسولي بعد سبق المذاكرة ومداولة [٢٢٥] الاراء بعضنا مع بعض بجمعيات سرية .

ففي اليوم الحادي عشر من شهر نيسان هذه السنة قد صار افتتاح عقد مجمعنا هذا الاقليمي المأمور به من قداستكم في كنيسة الدير المرقوم . وقد نظمناه على منهاج مجمعنا اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ واضعين بحسب امركم ازاء اعيننا كلما قد رُسم فيه قبلاً . وقد تممناه في ست جلسات على ثلاثة ايام متتالية بروح الرب الهنا بكل حب ، وسلام ، واتفاق .

وجميعنا قد ارتضينا به ' وقبلنا كل ما تم فيه ' وضمّنَّاه في كتاب واحد مضيفين اليه بعض حواشي في آخره . وامضيناه وسجلناه ' وها نحن مقدمونه الان لاعتاب سدتكم الرسولية عن يد مجمعكم المقدس المقام لانتشار الايمان .

وبما ان خير الانفس الساوي السامي قلد قداستكم الاهتمام العام في امر الكنائس باجمعها' واقامكم رأساً منظوراً في بيعته المقدسة التي اقتداها بدمه الكريم في العالم باسره ' فنتوسل جميعنا الى عواطف احشاء مراحمكم الابوية بان غب ان تأمروا بفحص مجمعنا المذكور تتنازلوا الى اثباته وتؤيدوه بعزة سلطانكم الرسولي العام بحسبما هو عشمنا [املنا] بحلمكم التسيم ' وثقتنا بوفرة استمالتكم لنحونا .

وفيما اننا نبتهل لديه تعالى بكل حرارة بان يحفظ لنا ولكامل العالم الكاثوليكي شريف وجود قداستكم زماناً مديداً عتناً بالسعادة والتأييد والعز والنصر المزيد ' فبكل وقار وجلال نجثو جميعنا ولو عن بعد امام شخص قداستكم ملتمسين تكراراً من [٢٢٦] يمينكم المقدسة لنا ولكامل طايفتنا هذه بركتكم الرسولية التي هي عربون مودتكم الابوية ثانياً .

في دير سيدة بكركي في ١٦ [من] نيسان سنة ١٨٥٦

عبدكم
✝ بولس بطرس بطريرك انطاكية
وساير المشرق

✝ عبدكم انطونيوس الخازن مطران بعلبك وبالنيابة عنه الخوري طوبيا الخازن
✝ عبدكم عبدالله البستاني مطران صور وصيدا وبالنيابة عنه الخوري بطرس البستاني
✝ عبدكم بولس موسى [كساب] مطران طرابلس
✝ عبدكم يوسف رزق مطران قورش
✝ عبدكم فيليبوس حبيش مطران حماة
✝ عبدكم طوبيا عون مطران بيروت
✝ عبدكم يوسف جعجع مطران قبرس
✝ عبدكم نيقولاوس مراد مطران اللاذقية
✝ عبدكم اسطفانوس الخازن مطران دمشق
✝ عبدكم يوسف مطر مطران حلب

عدد ٢٠ : كتابة السيد البطريرك والمطارنة والاساقفة المشار اليهم لمجمع انتشار الايمان المقدس في ما يلاحظ المجمع البلدي المذكور .

ايها السادات الكليوا (كذا) النيافة ،

غب اهداء ما وجب ولاق لسموكم من الاحترام والاحتشام . نعرض اننا بحسب الامر الرسولي [٢٢٧] الصادر قبلًا للمرحوم البطريرك يوسف الخازن ، والمكرر في ٢٣ [من] اذار سنة ١٨٥٥ بان يعقد مجمع بلدي في طايفتنا .

ففي اليوم الحادي عشر من شهر نيسان هذه السنة قد عقدنا مجمعاً بلدياً في كروان بدير سيدة بكركي التابع الكرسي البطريركي بحضور حضرة الاخ السيد بولس برونوني القاصد الرسولي الكلي الشرف والاحترام . وقد اخذنا به اسلوب مجمعنا اللبناني المقدس ، فشددنا ما كان متراخياً ، وختمنا [وحتمنا] باتباع ما كان مهولًا بوضعنا بعض رسومات تناسب المقصود ، وذلك بعد الاجتماعات والمداولات السرية فيما بيننا التي سبقت الجلسات القانونية، ودونا اعمال مجمعنا هذا بكتاب نحن مقدمونه الان مع الحواشي التي اضفناها اليه ، وبخضونه عن يد نيافتكم لسدة ذلك الراعي السامي الجالس في عرش الكنيسة الاسمى الضابط مركز الوحدة ، والرياسة العامة المطلقة على كافة البيعة المقدسة قداسة سيدنا البابا بيوس التاسع الحبر الروماني الاعظم المالك سعيدًا مصحوباً بعروض متقدم الان منا بالخصوص لعرش قداسته طي معروضنا هذا لنيافتكم لكي بما انه معلم المسكونة النير القابل الغلط يأمر بفحصه واثباته ، فنترجى مكارمكم ان تقدموه لديه ، وان تظهروا الغيرة على اتمام مرغوباتنا هذه فيما اننا نسأله تعالى ان يطيل حياتكم زماناً مديدًا لخير ديانتنا الكاثوليكية المقدسة ايها السادات الكليوا (كذا) النيافة .

في دير سيدة بكركي في ١٦ [من] نيسان سنة ١٨٥٦

الداعي لنيافتكم
بولس بطرس بطريرك انطاكية
وسائر المشرق

[٢٢٨] ثم الامضاءات المثبتة على العريضة المقدمة للحبر الاعظم (ولا حاجة بنا الى التكرار) (الناشر)

عدد ٢١ : [٢٢٩] رسالة رسولية من سيدنا الكلي القداسة البابا بيوس التاسع بالعناية الالهية بالتحديد الاعتقادي في الحبل الغير المدنس بالبتول والدة الله في رومية سنة ١٨٥٤ .

[٢٣٠] بيوس الاسقف عبد عبيد الله للذكر المخلد .

من حيث ان الله الغير الموصوف عز وجل الذي طرقه الرحمة والحق، والذي

مشيئته القدرة ، وحكمته تتصل بتفاز (كذا) من عاية الى غاية ، ويرتب كل شيء بنوع عذب ، قد سبق ونظر منذ الازل انه ولا بد من حصول الانهدام المرثى له جداً للجنس البشري جميعه من قبل مخالفة آدم، وبسر محجوب عن الاحقاب قد رسم بان يتمم فعل خيريته الاول بواسطة تجسد الكلمة بسر اعظم خفاء لئلا يهلك الانسان المرقل في الجريرة بخبث الردارة الشيطانية خلافاً لقصده الرحوم ، وان يقوم بحال سعيدة بالغاية بآدم الثاني ما كان عتيداً ان يسقط بآدم الاول . فانتخب ورسم منذ البدء وقبل الاجيال اما لابنه الوحيد منها يتلد متجسداً في ملوء الازمنة المغبوط . وبمقدار هذا حده قد انعطف بالمحبة نحوها افضل من جميع الخلايق باسرها حتى انه قد ارتضى بها وحدها بارادة كلية الانعطاف ، ولهذا السبب قد افعمها جداً قبل كل الارواح الملايكية وجميع القديسين السماويين فيضان كل المواهب السماوية الصادر من كنز الوهيته بنوع عجيب هكذا ، حتى ان هذه نفسها ، وفيما هي مبراءة ابداً ودايماً من كل وصمة خطية ، وجميلة كلها وكاملة [٢٣١]تظهر ذاك الملوء من البرارة والقداسة، الذي لا يمكن ان يفهم قطعاً اعظم منه بعد الله ، والذي ما من احد يستطيع ان يدركه بالتصور غير [فقط] .

ويقيناً انه كان الخليق ان تتلالى محلاة دايماً باشعة القداسة الكاملة غاية الكمال ، وان هذه الام المكرمة تفوز ... خالية جداً على الحية القديمة ناجية بالكلية من وصمة الجريرة الاصلية ... التي قد رسم الله الاب ان يعطيها ابنه الوحيد المولود من قبله ... محبوب منه كنفسه هكذا حتى ان واحداً عينه يكون طبيعياً بالاشتراك ابن الله الاب ، وابناً للبتول التي قد اختار الابن ذاته ان يصيرها جوهرياً اماً له ، والتي شاء الروح القدس وجعل بان تحبل ، ويتلد منها ذاك الذي ينبثق منه هو ذاته .

فالكنيسة الكاثوليكية المرتشدة دايماً من الروح القدس ، وعمود الحق وثباته لم تفتر عن ان توضح، وتقدم، وتويد بالازيد يومياً بافعال سنية، وبتواصل برهان متنوع الانحاء هذه البرارة الاصلية لهذه البتول السامية مع قداستها العجيبة المقارنة من كل وجه سمو مقام والدة الله ، متمسكة بها كتعليم مقبول

الهاً ، ومتضمن بوديعة الوحي السماوي ، لان الكنيسة ذاتها قد اعلنت بكل توضيح هذا التعليم المزهر منذ الازمنة القديمة جداً ، والمغروس بالتمام بعقول المؤمنين، والمذاع بنوع عجيب في العالم الكاثوليكي باهتمام الرؤساء الكنائسيين، واجتهادهم من كونها ما ارتابت ان تقدم الحبل بهذه البتول عينها لعبادة المؤمنين المشتهرة ، وتكريمهم ؛ الفعل الذي به قد [٢٣٢] اظهرت وجوب العبادة للحبل بهذه البتول ذاتها الفريد والعجيب والمحتجب اعظم احتجاب عن مبادئ سائر الناس ، والمقدس بكليته ، اذ لا تحتفل الكنيسة ايام الاعياد الا للقديسين .

ولهذا قد اعتادت ان تستخدم في الفروض الكنائسية والليتورجيا المقدسة، تلك الالفاظ عينها التي بها تتكلم الاسفار الالهية عن الحكمة الغير المخلوقة ، وتمثل اصولها الازلية ، وتنسبها الى اصول هذه البتول ، التي برسم واحد بعينه قد ارتسمت مع تجسد الحكمة الالهية .

انه ولئن كانت هذه الاشياء المقبولة عند المؤمنين طرًا تظهر باي اجتهاد قد تمسكت دائمًا الكنيسة الرومانية عينها ام جميع الكنائس ومعلمتهن بهذا التعليم بالحبل المنزه عن كل دنس بالبتول ، الا ان افعال هذه الكنيسة الباهرة تستحق بواجب ان تعدد فردًا فردًا من حيث ان شرف مقام هذه الكنيسة ذاتها ، وسلطانها هما ساميان بهذا الحد بمقدار ما يجب من كل وجه لتلك التي هي مركز الوحدة الكاثوليكية ، التي فيها فقط انحفظت الديانة خلوًا من الثلام ، ومنها ينبغي ان تستمد جميع باقي الكنائس غرسة الايمان . ومن ثم فهذه الكنيسة الرومانية بانها لم يكن لديها شيء اهم من ان تثبت باي كان من الانواع ذات الفصاحة البليغة الحبل بالبتول الغير المدنس ، وان تؤيده ، وتنمي العبادة والتعليم به ، وتنتصر لها ، الامر الذي تشهد به ، وتوضحه بنوع ظاهر البيان جدًا اعمال سلفائنا الاحبار الرومانيين السنية والمتعددة ، الذين قد استودع لهم بنوع الهي بشخص رئيس [٢٣٣] الرسل الاهتمام والسلطان الساميان من المسيح الرب على رعاية الخراف والنعاج ، وعلى تثبيت الاخوة ، وتدبير الكنيسة باسرها وسياستها .

ولمن المحقق ان سلفاءنا قد افتخروا جدًا بان يرسموا بسلطانهم الرسولي عيد الحبل في الكنيسة الرومانية ، وان ينموه ويجلوه بالفرض والقداس الخصوصيين،

الذين [اللذين] فيها تتقرر بابلغ ايضاح خلة عصمتها من الوصمة الارثية ، وان يحرّكوا بكل ايدٍ هذه العبادة المرسومة ، ويرسموها سواء. كان بمنح الغفرانات، ام بالاخويات المثبتة ، والشركات ، والجمعيات الرهبانية المقامة لاكرام الحبل الغير المدنس ، او بالاذن الممنوح للمدن ، والاقاليم ، والممالك بان يختاروا لهم والدة الله محامية تحت عنوان الحبل الغير المدنس ، ام بالتقريظات التي اتحفوا بها تقوى اوليك الذين تحت عنوان الحبل الغير المدنس شيدوا اديرة ، واوسبيطالات [مستشفيات] ومذابح ، وكنائس ، او الذين وعدوا بقسم بان يناضلوا بكل جراءة عن الحبل بوالدة الله الغير المدنس .

وفضلًا عن هذا قد سرّوا جدًا بان يرسموا في ان عيد الحبل يجب اعتباره من كل الكنيسة بذلك الاعتبار والصفات عينها كعيد الميلاد ، وان يحتفل عيد الحبل مع الثمانية الايام من الكنيسة اجمع ، وان يوقر بقداسة من الجميع فيما بين الاعياد المأمورة . ويجب ان تصنع سنويًا الكابلا[المصلى]الحبرية في كنيستنا البطريركية اللابريانا في اليوم المقدس للحبل بالبتول . ومن ثم لرغبتهم الحارة في ان يضرموا بالازيد يوميًا بعقول المؤمنين هذا التعليم بالحبل الغير المدنس بوالدة الاله ، وان يحركوا تقواهم ليوقروا بحسن العبادة والاحترام هذه البتول عينها التي حبل بها خلوًا من الوصمة [٢٣٤] الاصلية ، فقد سرّوا ان يمنحوا بكامل الرضى اذنًا بان يُجهر في الطلبات اللوريتانية ، وفي مقدمة القداس عينها الحبل الغير المدنس بالبتول . ولهذا السبب فشريعة الايمان فيه كانت ترسم بفريضة التوسل ذاتها .

اما نحن فباقتفائنا اثار سلفائنا الجزيل اعتبارهم ليس فقط اثبتنا واقبلنا الاشياء المرسومة منهم بتقوى جزيلة ، وحكمة فائقة جدًا،بل ونحن متذكرون ايضاً مرسوم سيستوس الرابع قد ايدنا بسلطاننا الفرض الخصوصي بالحبل الغير المدنس ، وبروح مبتهج في الغاية قد آذنا الكنيسة باسرها باستعماله. ولان الاشياء التي تختص بالعبادة هي مرتبطة بموضوعها اشدّ الارتباط ، ولا يمكن ان تستمر ثابتةً وراهنة اذا كان ذاك الموضوع مرتابًا فيه ، ومتقلبًا في حالة الالتباس ، فلهذا خلفاؤنا الاحبار الرومانيون الموسعون بعناية اهتمامهم العبادةَ للحبل بها قد اجتهدوا بغاية الاعتناء بان يوضحوا هذا الموضوع ، والتعليم به ، ويحثوا عليه

جدًا ، لانهم قد علموا باجلى بيان في ان يُعمل عيد الحبل بالبتول .

وقد حرموا ككاذب وغريب عن نية الكنيسة راى اوليك الذين كانوا يزعمون ويوجبون بان العبادة المقدمة من الكنيسة ليس للحبل به ذاته بل لتقديسها . ولم يحكموا بان يُعامل بلطف اوليك الذين لكي يهدموا التعليم في الحبل الغير المدنس بالبتول ، فباختراع فرق ما بين الدقيقة الاولى من الحبل بها ، ودقيقة [٢٣٥] اخرى غيرها كانوا يزعمون بان يحتفل بالحبل لكن ليس بالدقيقة الاولى لان سلفاءنا قد اعتبروا من اخص التزامهم ان يحاموا بكل اجتهاد ، ويؤيدوا عيد الحبل بالبتول ، والحبل بها منذ الدقيقة الاولى كموضوع حقيقي للعبادة .

فمن ثم هي تحديدية حقًا الالفاظ التي بها سالفنا اسكندر السابع قد اوضح خلوص نية الكنيسة قائلًا :« حقًا انها لقديمة عبادة المؤمنين بالمسيح نحو امه الكلية الطوبى مريم البتول المرتئين ان نفسها قد كانت محفوظة وناجية من وصمة الخطيئة الاصلية في الدقيقة الاولى من ابداعها ، وحلولها في جسدها ، وذلك بنعمة خصوصية ، وانعام من الله غب النظر في استحقاقات ابنه الفادي الجنس البشري ، والمحتفلين بهذا الرأي ، والمعيدين باحتفال عيد الحبل بها » .

ويقينًا انه كان امرًا ذا اعتبار لدى سلفائنا انفسهم ان يحاموا اولًا بمناضلة واجتهاد كلي سالمًا ومحفوظًا احسن حفظ التعليم في الحبل الغير المدنس بوالدة الله : لانهم ليس فقط لم يحتملوا قطعًا ان يُعاب هذا التعليم ، ويُزدرى به من اي كان باي نوع كان بل انهم لقد تقدموا بالازيد جدًا الى ان يشهروا بايضاحات بينة مكررة مرات كثيرة التعليم الذي به تقر بالحبل الغير المدنس بالبتول ، وانه يعتبر باستحقاق موافقًا العبادة الكنائسية ، وانه قديم وعمومي حقًا هكذا حتى ان الكنيسة الرومانية قد اعتنت بمحاماته وحفظه ، وانه اهل لان يستعمل في الليتورجيا المقدسة عينها ، والطلبات الاحتفالية .

ولم يكتفوا بهذا ، اي بان يبقى ثابتًا دائمًا لان [٢٣٦] اسكندر السابع في مرسومه المبدوا (كذا) «الاهتمام بجميع الكنائس» [فيما] ٤ كانون الاول الثامن منه سنة ١٦٦١ [لم يجدد فقط] التعليم الغير الملوم بالحبل الغير المدنس بالبتول بل قد حرموا [حرم] بصرامة جدًا امكان محاماة الراي المضاد هذا

التعليم سواء كان ذلك خفيةً ام ظاهراً ، وارادوا ان يكون مثلوماً كجرحٍ متنوعٍ ، ولئلا تستبين جزافية هذه الايضاحات المكررة الجلية غايةً ، فاضافوا عليها رسماً .

وقد ضمن هذه الاشياء كافةً سالفنا اسكندر السابع المومى اليه في هذه الالفاظ وهي : « انه وفيما نحن ممعنون النظر في ان الكنيسة الرومانية تعيد باحتفال عيد الحبل بالبتول مريم الفائق طهرها دائماً ، ورُسمت قديماً فرضاً ممتازاً بنوعه ، وخصوصياً لهذا العيد بحسب الرسم الصالح والتقوي والممدوح الذي قد برز حينئذٍ من سالفنا سيكستوس الرابع . ومريدون اقتفاء بنموذج سلفائنا الاحبار الرومانيين بان نؤيد هذه التقوى الممدوحة ، والعبادة ، والعيد ، والتكريم المقدم ، بحسب هذا الرسم الغير المتغير البتة في الكنيسة الرومانية بعد ترتيب هذه العبادة نفسها ، وان نحامي التقوى والعبادة في تكريم واحترام هذه الام الكلية الطوبى ، اي المحفوظة من الخطية الاصلية بنعمة سابقة من الروح القدس ، وراغبون بان نحفظ في قطيع المسيح وحدة الروح برباط الصلح غب تخميد المنازعات والمخاصمات ، ورفع الشكوك ، فاجابةً الى الالتماس والتوسلات المقدمة لنا من الاساقفة المقدم ذكرهم ، ومن مجامع كنائسهم ، وتوسل الملك فيلبوس ، وممالكه نجدد المراسيم [٢٣٧] والمناشير المعززة من سلفائنا الاحبار الرومانيين ، وخاصةً من سيكستوس الرابع ، وبولس الخامس ، وغريغوريوس الخامس عشر بشأن الرأي المقرر بان نفس مريم البتول الطوباوية في حال ابداعها ، وحلولها في الجسد قد منحت نعمة الروح القدس ، وحُفظت ، وصينت من الخطيئة الاصلية ، وفي شأن عيد الحبل بالبتول مريم والدة الله ذاتها ، والعبادة المقدمة حسب هذا الراي الصالح كما ذُكر ، ونأمر ان تحفظ تحت لائحة التاديبات والقصاصات المتضمنة في المراسيم ذاتها » .

وفضلاً عن هذا ان جميع اوليك الذين افراداً واجمالاً يقصدون عن عمدٍ ان يفسروا المراسيم والمناشير المار ذكرها بنوعٍ كذا حتى انهم بمخادعة يعطلون بواسطتها شأن الرأي المقدم ذكره ، والعيد والعبادة المقدمة بحسبه ، والذين يضمون هذا الرأي ، والعيد والعبادة تحت الجدال ، والذين باي نوعٍ كان باستقامة ، او بغير استقامة ، او باي حجة كانت ، ولو بحجة فحص قابلية تحديده ، او

بحجة شرح وتفسير الكتاب المقدس ، والآباء القديسين ، والعلماء ؛ واخيراً باية حجة اخرى كانت ، او سبب كان سواء كان ذلك خطاً ام قولاً يتجاسرون على ان يتكلموا ، او يعظوا ، او يتداولوا ، او يجادلوا ضد ذلك محددين ، او مقررين اي شيء كان ضد هذا ، او موردين اعتراضات ، ويتركونها غير منحلة مباحثين عن هذا باي نوع كان غير قابل الافتكار فيه ، فعدا القصاصات والتاديبات المتضمنة في مراسيم سيستوس الرابع [٢٣٨] التي نريد ان يخضعوا لها ، ونخضعهم لها برسالتنا هذه الحاضرة ، نريد ان يكونوا عادمي الاستطاعة على الوعظ ، والقراءة باشتهار ، والتعليم ، والتفسير ، والصوت الفاعلي والانفعالي بذات الفعل عينه في اي انتخاب كان دون افتقار الى ايضاح آخر ، وان يكونوا ساقطين بذات الفعل نفسه في قصاصات عدم القابلية المزيدة للوعظ والقراءة باشتهار ، والتعليم ، والتفسير بغير ايضاح آخر القصاصات التي لا يمكن ان ينحلوا منها ، او يتفسح لهم فيها الا من انفسنا ، او من خلفائنا الاحبار الرومانيين.

ونريد أن يخضعوا كما اننا نخضعهم برسالتنا هذه الحاضرة لقصاصات اخرى يجب انزالها بهم على ايثارنا ، او على ايثار خلفائنا الاحبار الرومانيين انفسهم محددين مناشير ومراسيم بولس الخامس ، او غريغوريوس الخامس عشر المار ذكرها اعلاه .

واما الكتب التي فيها يترجع الى الريب الرأي المتقدم ذكره ؟ او العيد ، او العبادة نحوه ، او انها تتضمن باي نوع كان ، كما اعلاه ، شيئاً يكتب ، او يقرأ ، او مخاطبات ، وعظات ، ومباحثات ، وجدالات ضد ذلك عينه ، وقد اشترت بعد مرسوم بولس الخامس المار ذكره آنفاً ، او العتيد اشتهارها فيما بعد باي نوع كان ، فنحرمها تحت القصاصات والتأديبات المتضمنة في فهرست الكتب المحرّمة ، ونريد ، ونأمر ان تحسب محرّمة بنوع صريح بذات الفعل خلواً من ايضاح آخر .

ثم انه لقد عرف الجميع كافةً بكم اجتهاد قد تسلم ؛ وتقرر ، وتحامى عن هذا [٢٣٩] التعليم بالحبل الغير المدنس بالبتول والدة الله من الجمعيات الرهبانية الجزيل اعتبارها ، ومن المدارس اللاهوتية الاعظم شهرة ، ومن العلماء الاكثر حذاقة بعلم الامور الالهية ، وكذلك قد علم الجميع بكم اجتهاد قد

كان اهتمام الرؤساء الكنائسيين بان يقروا معترفين جهاراً ، وعلناً في نفس الجمعيات الكنائسية بان مريم البتول والدة الله الكلية القداسة لم تستحوذ عليها الخطية الاصلية بتةً ، وذلك لوجه استحقاقات المسيح الرب الفادي السابق النظر فيها بل قد عُصمت من وصمة [خطء] الاصل ، ولهذا قد افتديت بنوع اشرف سموًا .

وزد على هذه ذاك الامر الجزيل اعتباره جداً ، والعظيم بالغاية ، وهو ان المجمع التريدنتيني عينه ايضاً اذ ابرز المرسوم الاعتقادي في الخطية الاصلية الذي به طبقاً لشهادات الكتب المقدسة ، والاباء القديسين ، والمجامع الجزيل ثباتها ، قد رسم وحدد ان البشر باجمعهم كافةً قد اتلدوا ملتطخين بوصمة الجريرة الاصلية . الا انه قد اوضح جهاراً ان ليس قصده في المرسوم عينه ، وفي اتساع التحديد ، ان يشمل مريم البتول الطوباوية والدة الله الغير المدنسة ، لان اباء المجمع التريدنتيني قد اشاروا بالكفاءة [بالكفاية] في هذا الايضاح باعتبار ظروف الامور والازمنة الى عصمة هذه البتول الكلية الطوبى من الوصمة الاصلية . واوضحوا من ثم ايضاحاً جليًا بانه لا يمكن البتة ان يورد بصواب لا من الاسفار الالهية ، ولا من التقليد ، ولا من شهادات الاباء شيء ما يضاد باي نوع كان مناقب [٢٤٠] هذه البتول الجزيل سموها .

ولئن المحقق ان التواريخ الجزيلة الايضاح للقدمية المبجلة للكنيستين الشرقية والغربية تشهد بثبات وطيد بان هذا التعليم بالحبل الغير المدنس بالبتول الكلية الطوبى المفسر باسنى ايضاح ، والموضح ، والموطد بالازمنة يومياً براي الكنيسة الجزيل الاعتبار ، وسلطانها ، واجتهادها ، وعلمها ، وحكمتها ، والمذاع بنوع عجيب عند كل شعوب العالم الكاثوليكي وطوائفه اجمع قد وجد دائماً مقبولاً في الكنيسة عينها كمن الاقدمين ، وموسوماً بوسم التعليم الموحى به لان كنيسة المسيح الحافظة بحرص ودائع العقائد الدينية والمحامية عنها لا تغيّر شيئاً منها البتة ، ولا تنقصه ولا تزيد عليه ، ولكنها بكل دراية عند مداولتها بالامور القديمة بامانة وحكمة تهتم بان تبحث فيها ، وتنقيها ان وُجدت قديماً غير جلية ، ووضع اصل غرستها ايمان الاباء اهتماماً هذا عظم مقداره حتى ان عقائد التعليم السماوي هذه تقتبس وضوحاً بيناً وجلاء وامتيازاً ، لكنها تبقى مالكة كمالها ،

وتمامها ، وخاصيتها ، وتزداد في جنسها فقط اعني في المقيدة عنها ، والمعنى ذاته ، والرأي نفسه .

ولمن المؤكد ان الاباء ، وكتبة الكنيسة المتفقهين في الاقوال السماوية ، ولم يكن في كتبهم المؤلفة بجزيل الاعتبار على تفاسير الكتب المقدسة ، ومحاماة العقائد الدينية ، وتثقيف المؤمنين شيء ما اهمّ بتةً من ان ينذروا ، ويعظموا بمكافحة [٢٤١] وبانواع كثيرة عجيبة قداسة البتول الفائقة ، ومقامها الشريف ، وعصمتها من كل وصمة خطيه ، وانتصارها الاشرف سموًّا على عدو الجنس البشري الجهنمي .

ولهذا ففي ايرادهم الالفاظ المعلن الله بها في مبادئ العالم ذاتها ادوية حنوه المعدة لتجديد المائتين ، والتي بها جل ثناؤه كبح جسارة الحية الخداعة ، واقام الرجاء بنوع عجيب لجنسنا قائلًا : « انني اضع عداوة بينك وبين المرأة ، وما بين نسلك ونسلها » قد علموا ان بهذه الآية الشريفة الالهية قد سبق رسم النبوءة بنوع جلي وظاهر عن الفادي الرحوم الجنس البشري ، اعني يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، وعن مريم البتول والدته الكلية الطوبى ، وتصرحت بنوع شهير عداوة كليهما ضد الشيطان .

ولهذا كما ان المسيح الوسيط بين الله والناس بتقمصه شعار الطبيعة البشرية محى [محا] صك الرسم الذي كان ضدنا اذ علقه على الصليب منتصرًا ، فهكذا البتول الكلية القداسة المتحدة معه برباط وثيق ، وغير قابل الانحلال ، المحارسة به فعل العداوة الدائمة ابدًا ضد الحية السمية منتصرة عليها انتصارًا كاملًا جدًّا ، قد سحقت رأسها باخمصها الغير المدنس ، فانتصار البتول هذا السامي والفريد ، وبرارتها الفائق سموها جدًّا ، وطهارتها ، وقداستها ، ونقاوتها من كل وصمة خطية ، وغزارة جمع النعم السموية وفيضانها ، والفضائل ، والهبات ، وعظم قدرها الغير الموصوف قد نظرها الاباء انفسهم :

اولًا : بسفينة نوح ، تلك التي رسمت برسم الهي [٢٤٣][1] ، واضحت ناجية وسالمة من الغرق الذي عم كل العالم .

---

١) هكذا ورد في المخطوطة مع أن الرقم الحقيقي يجب ان يكون ٢٤٢
(الناشر)

ثانياً : بذاك السلم الذي رآه يعقوب واصلاً من الارض الى السماء وكانت ملائكة الله صاعدة ومنحدرة على درجاته ، وفي رأسه كان الرب قائماً ؛ وبتلك العليقة التي رآها موسى تضطرم من كل جهة في المكان المقدس ، ولم تحترق فيما بين لهيب النار المزهج [المؤجج] ، ولم تتكبد ضرراً ولا يسيراً بل كانت تخضل مزهرة بنوع جميل .

ثالثاً : بالبرج النير المقرور تجاه العدو المعلق فيه الف ترس ، وكل سلاح الاقوياء .

رابعاً : بالبستان المغلق الذي لم يرّ انثلاماً ولا فساداً بمخادعات المكامن اينما كانت .

خامساً : بمدينة الله تلك المتلألئة التي اساساتها في الجبال المقدسة .

سادساً : بهيكل الرب الكلي السمو المتلألئ بالاشعة الالهية ، الممتلئ من مجد الرب .

وكذلك برموز هذ صفتها كثيرة جداً قد سلمنا الاباء بأن بها قد تقدم الايضاح عن عظمة المقام السامي لوالدة الله ، وبعراءتها النير المدنسة ، وقداستها المنزهة عن كل عيب . ولكي يرسم هؤلاء الاباء انفسهم عظمة المواهب الالهية ذاتها ، والكمال الاصلي لهذه البتول التي اتلد منها يسوع فباستخدام اقوال الانبياء قد بجلوا هذه البتول الكلية السمو بالحمامة النقية ، واورشليم المقدسة ، وعرش الله العلي ، وتابوت القدس ، والبيت الذي بنته الحكمة الازلية لنفسها . وبتلك الملكة الفائضة ملذات ، والمستندة على حبيبها ، وقد خرجت من فم العلي كاملة بكليتها ، وفريدة [٢٤٤] بالجمال ، وعزيزة لدى الله جداً ، وغير مدنسة قطعاً بوصمة خطة [خطيئة] .

(يتبع)

وثائق تاريخية عن حلب

٤

اخبار الموارنة وما اليهم ١٨٥٠ ـ ١٨٦٢ (تابع)

بقلم الاب فرديناند توتل اليسوعي

قومة البلد (تابع)

«وكانت ولاية حلب سنة ١٨٥٠ لتركي يقال له ظريف باشا ولم يكن من الظرف في شيء. بل كان جلفاً جانياً وغبياً غالياً مبغضاً لمن يخالفه في الدين فلما رأى حقد المسلمين وحنقهم على النصارى جرّأهم سرّاً على العدوان عليهم فاضمر جماعة من السفلة الايقاع بهم وتواطأوا عليه وقدّموا على انفسهم نفرًا منهم . ولما كان عيد الاضحى في ذي الحجة اجتمع طائفة من الرعاع وسفلة المسلمين وعجموا ليلاً سنة ١٢٦٦ على محلة الجديدة ودخلوا بيوت نصاراها عنوةً فنهبوها وعادوا ثاني يوم ففعلوا في الصليبة فعلهم في الجديدة بل اشنع فنهبوا المنازل واتلفوا من اثاثها ما لم يقدروا على حمله وقتلوا نفرا من سكانها وارتكبوا الفاحشة من نسائها واحرقوا ثلاث كنائس فسرت النار منها الى ما يجاورها من الدور وهرب النصارى من بيوتهم ولجأوا الى خانات الافرنج كل ذلك على مرأى من الوالي وهو عنه مغض فلما لم يبقَ في منازل النصارى شيء ينهب انصرف عنها الرعاع سالمين غانمين ولكن بقي الذعر في قلوب اهلها فلم يعودوا اليها الا بعد حين خوفاً من استئناف الفتنة .

وبلغ ذاك السلطان فرأى انه لا بد له من معاقبة المجرمين الا انه تربّص ريثما يجتمع في المدينة عدد كافٍ من الجند ذلك انها كانت خالية منهم ثم ارسل من قبله من القى القبض على متقدمي اهل الفتنة فقبض على بعضهم واعتقلوا في ثكنة الشيخ يبرق وهي ثكنة من بناء ابراهيم باشا المصري فهرع انصارهم لانقاذهم منها فدفعهم عنها الجند وانتشب القتال واطلقت المدافع من الثكنة والقلعة على محلة باب النيرب وغيرها من محال اولئك السفلة فانهدم لهم بعض

منازل واحترق غيرها ثم استأنفوا القتال ثاني يوم وعاودوه ثالث يوم فانكسروا ودخل العسكر محالهم بالسيف وقتلوا نفرًا منهم ثم حكم على زعماء اهل الفتنة بالنفي فنفوا وفيهم ذريف باشا نفسه وقيل انه بينما كانوا على طريقهم الى المنفى دس لهم الموكلون بهم سمًا في الطعام فهلكوا قبل ان يتأتى لهم ان يبرحوا باسا. طائفة من وجهاء المسلمين والترك كانوا اشد منهم تحريضاً على الفتنة والايقاع بالنصارى . ولما دخل العسكر المدينة زال الخوف من استئناف الفتنة فتراجع النصارى الى منازلهم الخاوية الخالية ثم امر السلطان بعد مدة فادى اليهم شيء من المال يستعينون به على تجديد ما احترق من كنائسهم فجددوها » .

حوادث ١٨٥٠ عن رواية يومية نعوم البخاش

يوم السبت ٢٨ آب ١٨٤٩ الساعة الخامسة دخل البطرك مظلوم الى حلب وراء الفارة بلاقاة كل نصارة الروم اليان وكان من القواسة ٢٥ من عند القناصل وكان قنسان ترجمان القنصل الافرنسي وثمانية قواسة من عند الباشا ونسوان ورجال وخلق كثير وصار له دخلة معتبرة الله يطول عمره .

وقدم الناس السلام على البطرك . وبعد ثمانية ايام اخذ البطرك مظلوم يدور ويرد السلام فركب جوادًا وكان معه مطران ٢ وقسوس ٨ رافعين العكاز وقواس ٢ بعكازين فضه بفنطزية معتبرة مثل وزير .

والاسلام قالبين دومهم منه ويقهورين .

وبديوا يعمروا الكنائس بالحلية ما عدا الشرعوس وطلع تنبيه براجب حمل النور بعد المغرب بنصف وكل من شافوه يمسكوه وطلب مشقله بده تقوم على النصاره والسبب لاجل عمارة الكنائس ومن البطرك مظلوم لاجل انه يركب ويرفع العكاز بالازقة والشوارع .

ودعي البطرك الى المتنزهات مع القسوس الى بستان المفتي وعزمه شكرالله تاجر ينوبه الى بستان النابي بوجود عبدالله بك بابنسي .

وشلحوا اللفات وعد وتاجر ولبسوا الطرابيش وعظم شان النصارى .

وفي ٥ ت ١ ١٨٥٠ ارسل الباشا اوراقًا للحارات وللضيع وللبلاد الواقعة

في منطقة حلب وقال ان السلطان عبد المجيد بده من ١٠ واحد وسنهم من ٢٠ الى ٢٥ شباب نظام .

وقام اهل قسطل الحرامي وهاجوا القره قول فأكلوا ثاني يوم عصي بالصرايا تنرغرت صدورهم ».

وفي غضونها كان المعلم نعوم البخاش ينصرف الى اشغاله اليومية بين التدريس والنزهات والزيارات مع اصدقائه .

— وفي ١١ ذو الحجة ١٢٦٦ المناسب ١٦ ت١ ١٨٥٠ كتب نعوم البخاش:

هرحت مساء عند ميشيل صولا وكان عمال يعمر حوش سمان موصلي وبابها ما وراء الهارة فدخلها ليتفقد امورها ومعه امرأته وحمايه واخوه انطون وعبد الله ثابت .

وبعد ما راحوا بمقدار ساعتين رجع انطون صولا اخو ميشيل ودريس الباب ووصل الى الليوان .

وانا ونصري كبابه عمال نلعب بالضامة . فقال :

— عمال تلعبوا للآن ؟

فكان الجواب منا .

— ليش ما نلعب ؟ .

قال : قامت البلد .

فقال انطون صولا لابنه :

— ولك نعوم الحقني .

— فقام لحقه .

وموجود فتح الله صيان فقال :

— خواجا انطون خواجا انطون .

والآخر لحقه .

فصحت انا : خواجا فتح الله ولحقته .

والرعب دب بقلبي وطلعنا لباب الزقاق التي من حارة الحصرم .

ودق انطون صولا باب بيت البطق بيت خاله وقال :

— يا خالي اترك نعوم ابني عندك لا يطلع الى برا ابـدًا وانا رايح بيت

اخي ميشيل (في حي الجلوم ؟) باخذ خبر شافي ويجي .

– وانا انخرطت مع ابنه وبقيت بيت البطق منتظر رجوع المذكور .

فابطى مقدار نصف ساعة ورجع وقال ان البلد قامت ونيتهم سوده ومرادهم قتل النصاره .

فقال خاله :

– هذا شي. عمره ما صار فقط مرادهم النهب فهذا يمكن روق بالك .

فقام راح مرة ثانية بيت ميشيل حتى يستخبر ايضاً ونحن بدينا نسمع ضرب التفنك والولوال من النساء وطرق البوابات[1] وبقينا بحال يرثى له بكا وندامة وتوسل لله ودعا وما هذا كله بشي. حتى لا نقدر نبلع ريقنا .

والّا تطرق البوابة .

وانفتحت .

وبدي طرق الباب وصوت :

– يا خالي افتح .

فدخل نعوم صاجاتي ومرته واجيره وعمال يبكوا ويقولوا .

واخ ! واخ !

فسألناهم ما حل بكم ؟

فقالوا ان بيت سركيس الاقرع عند بوابة الخل وبيت نعوم جنو التجيوا على الكلب. وبنات سركيس الاقرع بالزقاق حفي عري وعمال يزلولوا .

وهذا كان راح الساعة ٦ من الليل (اي نحو نصف الليل) فنحن ارتجفت فرايصنا واخفق قلبنا ومنتظرين اتيانهم لعندنا .

والا اندق الباب فانا ركضت واخذت خبر انطون صولا الذي راح يستخبر. فدخل ووصل الى عند انطون بطق خاله وعمال يدمع .

– يا خالي ما في عندك مطرح تخبينا .

– فانا راحت مصاريني من قلبي وبديت ارجف وانظر ماذا يصنع حتى اصير مثله وقاربت الموت من الرعب وبديت اقول فعل الندامة تطلع ابانا الذي

(١) اهم بوابات الاحياء : يعقوب بك ، الياسين ، زقاق الخل . . . وكانت تغلق بالليل وهي غير ابواب البيوت الخاصة .

والسلام الك . وارجع اعيد فعل الندامة ولزمت مكان بالليوان واستمديت على قدر الامكان . ولما فات الوقت وصار ساعة ٧ ونحن قاعدين ومنتظرين وانا من الرعب عمال ارجف قمت فتحت الباب ورحت بيت المجوري ومعي نعوم صاجاتي . فسمنا ان نزل عسكر نظام من الشيخ يبرق وتفرق في البلد فكف الاشقياء عن النهب .

وحضر الى الصليبة عبدالله بك بابنسي ومعه ١٥٠ رجل ورمضان آغا ومعه ١٥٠ رجل وشيخ خيرالله ومعه ١٥٠ وجاؤا باكلهم وشربهم وعلايفهم .

وفي اليوم التالي تحركت الفتنة مجدداً فارسل بعضهم كتاباً الى الباشا ودعوا العسكر الى قيصريات الصليبة ليحرسوها . واخذوا بتفضية القيصريات لتصلح لسكنى العسكر ولكن المطارين تداركوا الامر بواسطة القنصل الافرنسي ديلبس فارسل القنشليار جفروا الى ظريف باشا ورد العسكر عن حي الصليبة لعدم الحاجة اليهم .

واغلقت الكنائس وبعضها قد احترق . وصلّى الناس في البيوت .

والاحد ٢٢ ت١ ١٨٥٠ قدم الى حلب قبرصلي محمد باشا ومعه العسكر والعدة الحربية . والاثنين قرأ فرمانه والثلاثا سفر ظريف باشا معزولاً والاربعا نزل عبدالله بابنبي ورمضان آغا واثنين آخرين من اضرموا نار الفتنة ودوروهم بالبلد مقدار ساعتين بدواب مبدلة مربطين الارجل وعلى صدورهم لوحة كتب عليها « هذا جزاء الذي يخون السلطان » .

واخذ الباشا يطلب الالباش المنهوبة فيجمعونها في دار مطران الروم الارثوذكس او في دار المطران بولس اروتين الماروني ويعرضونها للناس بالمزاد » .

(انتهت رواية نعوم البخاش)

— وبلغت البلاد الاوروبية اخبار الفظائع التي جرت في حلب فقابلتها الدوائر السياسية بالاستياء . وتألم لها الحبر الاعظم وسعى بمساعدة المنكوبين .

وفي ٤ نيسان ١٨٥١ جاء الكتاب التالي من رومة الى المطران بولس اروتين :

« بحسب تعريف سيدنا الحبر الاعظم المبلغ الذي تكرم بارساله لاجل تخفيف مصائب المسيحيين وقدره ٤٤٢٥٦ غرشاً ينبغي تفريقه بحسب عدد الفقراء المتوبين منهم ومن حيث

ان قايمة قدسكم التي تفضلتم بارسالها تجمع على انفس ٥٧٥ فيخصهم في المبلغ ٤٨١ غروش (كذا) وكون من اللازم كما لا يخفى ان يصير التفريق بمقتضى احتياج كل عائلة ام كل شخص فسيادتكم فقط تقدرون على اتمام ذلك - والمبلغ المذكور هو عند الخواجا مولينارى » . (اضبارة اروتين ٤٣١)

وفاة المطران بولس اروتين

وكان السيد بولس اروتين في السنة الثالثة والستين من عمره لكن الهموم اضنكت قواه. ان الرأس كثير الاوجاع والمطران هو الراس في جسم الشعب وعليه ان يحتمل المعاكسات ويصبر على الشدائد فاحتمل وصبر. وشهد ما شاهده من الفظائع والنكبات التي حلت بالمسيحيين عامةً وبابناء طائفته المارونية خاصة. فاعتراه داء الفالج واستعجل اجله فمات يوم السبت ٢٦ نيسان ١٨٥١ (لا في ٢١ كما جاء في برنامج اخوية القديس مارون (ص ٢٠٨).

واجلسوا جثمانه على الكرسي الاسقفي مرتدياً الحلة الحبرية وعلقوا فوق رأسه ورقة كتب عليها المعلم نعوم البخاش الشهير بخطه الآية المعبرة تلاوتها في وفاة مطران موارنة حلب.

اليوم سقط حبر عظيم في اسرائيل

وحفظ الحلبيون ذكرى ارشاداته المؤمنين وسعيه في تحسين الكنيسة زينة وتوسيعاً وروى عنه المؤرخون ما رووه في حوادث الخمسين في حلب ولولاه لكانت تدخل في عالم النسيان.

وكتب عنه واري القنصل البريطاني في حلب :

« ان المطران بولس اروتين كان محترماً من الجميع محبباً مشفقاً ومات فقيراً. وكانوا يستودعونه الحلى واواني الذهب والفضة المستردة من الاشراف ».

— « واستعرض الباشا جيش حلب ومجموعه ٦٥٠٠ منهم ٨٠٠ رديف واعلن التساوي بين الرعايا طبقاً لخط غولخانه ولكن هذا الاعلان لم يرق بنظر الجميع».

— وفيها ١٠ ايار كتب القنصل واري الى حكومته :

لقد عاد النظام الى نصابه بعد الفوضى. امر محمد باشا برد المساويات الى

المسيحيين . وشكل مجلساً للنظر في الدعاوي وان كثيرين من اعضاء المجلس تمنعوا عن الحضور فعوض عنهم ببعض المسيحيين او الاسرائيليين و ٥٠٠ من الذين اضرموا نار الفتنة سفروهم تحت حراسة الجيش الى كانديا وسفّروا يوسف بك الشريف من اغنياء الاعيان الى قونية والمفتي تقي الدين افندي الى القدس ومنها الى مكة .

— وفيها فتح الله ولد يوسف دياب وفاقه (؟) اوقفوا مسقفات على فقراء الموارنة وغرة بنت يوسف كحال اوقفت مسقفات على فقراء الارمن الكاثوليك وكذلك مدول بنت انطون جبلي وفتح‌الله ولد شكري وتريزيا بنت رفول شبشول اوقفت مسقفات على فقراء الموارنة وميخائيل ولد يوسف فرا اوقف مسقفات على فقراء الارمن . (غزي ٥٩٢/٣)

حالة ابرشية حلب المارونية وما اليها

[١٨٥١] اليك ، اخذاً عن الوثائق الخطية المحفوظة في خزانة المكتبة المارونية في حلب ، ما كتبه المطران يوسف مطر جواباً على الاسئلة التي طرحت عليه فيما يخص ابرشية حلب وقد مضى القرن على وضعها فلا حرج في نشرها . يقع تأريخها بعد سنة ١٨٥٦ ولكن رأينا علها موافقاً في بدء اسقفية المطران المذكور لما فيها من نظرات اجمالية على حالة المسيحيين عامةً والموارنة خاصةً في الثلث الثالث من القرن التاسع عشر في حلب . وان لغتها العربية ركيكة ولا مراعاة فيها لقواعد الصرف والنحو مما يدل على قلة معرفة المطران مطر بهذه اللغة لكنها تنم عن دقة في النظر وسعة اطلاع نرويها على علاتها . وان هذه التعليقات وغيرها من الاخبار المروية في المقال لا تثبت حجتها تاريخياً الا بمقابلتها مع غير ذلك من الوثائق ولكن لا بد من الاطلاع عليها كمرجع مفيد في وضع اركان الحقايق وفي تزكية الشهود اذا ما شهدوا للحوادث .

١ : الحقير يوسف بن المرحوم جرجس مطر حلبي الاصل مولدي وعمادي في اذار سنة ١٨١٤ ارتسمت كاهناً في ١٩ اذار سنة ١٨٣٨ ومطراناً ١٨ ايلول سنة ١٨٥١ .

٢ : ابرشيتي حلب وما يليها لكنه لم يوجد موارنة سوى في حلب وعددهم الفين نسمة فقط وتأسست بقوة احد سلاطين الاسلام لما مر بحلب ولم ير نصارى وذلك بعد افتتاح القسطنطينية بزمن قليل وهم اول من دخلوا الى حلب بعد ان كانت الاسلام اكثرهم نفوهم او قتلوهم .

٣ : كنيسة مار الياس للموارنة بحلب هي دائمًا تخضع للبطريرك الانطاكي الماروني .

٤ : مطران حلب الماروني محل كرسيه بجانب الكنيسة قلاية صغيرة تحوي ٣ اوض .

٥ : المرحوم المطران جبرائيل حوا حظي بشرف القصادة الرسولية وزار حلب وهو قاصد وخرج منها تسركلًا من الحكم .

— مطران جرمانوس [حوا] زار روميه ١٨١٦ .

٦ : ان لكنيسة حلب يوجد دور سكنا محرره باسم فقرا الموارنة فمن بعد المرضه والعمار وما يخص الميري بالمايه يبقى نحو الف ريال هذا يختص بتقدمة ذبايح معينة بعدد معلوم على بعض دور ثم يوجد دور لا تدفع كرا لاسكنة الفقرا ثم من الدخول يدفع كل شهر ٥٠٠ غرش لاجل الفقراء المساكين خارج الوقت ثم كل سنة نحو ماية ثوب خام ايضاً نحو ماية شنبل حنطة ثم اجره حكيم مع خدام المرضى ثم لاجل زيجة الفقراء الشبان والبنات وعلم الاولاد والوقف تثل بقداديس دين من قديم الخ .

٧ : عند فروغ الكرسي يعتني البطرك بتدبر الابرشية وينيب نايب بدل المطران المتوفي .

٨ : ان الاسقف الجديد يكون من الكهنة المرسومين على حلب ونوع الانتخاب يكون بامر البطريرك ويكون من الكهنة والشعب .

٩ : ان الذين يخدمون في تدبير الابرشية وغيره خوري [illegible] ثم خوري الاسقفي وبقية الكهنة يخدمون الكنيسة والاسقف كل واحد [illegible] مع حوادث الابرشية اليومية .

١٠ : ان الكهنة منهم ١٠ خوريين ثم الشمامسة مستعدين للكهنوت اثنان احدهما في مدرسة عين ورقه والثاني يدرس لغة السريانية والفرنساوية في مدرسة طايفتنا بحلب والمذكور من اول صف الذي تعلم في هذه المدرسة التي انشأناها اول شهر دخولنا الى حلب وهو ت٢ ١٨٥١ عند القس بولس بليط الارمني ثم للغة الفرنساوية معلم آخر وهو شدياق جرجس زوين تلميذ مدرسة غزير من كسروان ثم ان هؤلاء الكهنة في رسامتهم بدرجة الرسايلي يتلون قانون

الامانة وذلك حين رسامتهم كهنة اما الصورة المامور بها الشرقيين لسنا مجبورين بتلاوتها لاجل ان شعبنا بنعمة الله دايماً كاثوليكي حسب شهادة الاحبار المعظمين وكما يأكد ذلك تعلق بطاركنا بالكرسي الرسولي من حين انفصالها من الطوايف الشرقية . اما المطران قبل ان يرشح يعني صكاً بخط يده حين الرسامة يتلوه امام البطريرك والمطارين الذين يكونون موجودين حين يظهر ايمانه الكاثوليكي وتعلقه بالكنيسة الرومانية . ويحلف قسماً بالطاعة الى الحبر الروماني والى السيد البطريرك ما دام متعلقاً بالكرسي الروماني وهذه الصحيفة غب بعد ان يتلوهـا المطران حين رسامته تحفظ بخزانة الكرسي البطريركي .

١١ انه بطقسنا لا يوجد كنايسيون[1] اراطقة قط ثم وان كان تقدم لدينا البعض من الارمن لنقبلهم بطقسنا فابينا عن ذلك لان المرسوم الذي يأمر قبول المراطقة ان يتبعوا ذاك الطقس الشرقي الذي يرغبوه بالاكثر لم يذكر عن الكهنة. ثم ان الكهنة اسبل عليهم طقسهم الكاثوليكي .

١٢ : ان الطايفة ضمن مدينة حلب وبالمهار الذي خارج المدينة بجملة محلات ملاصقة الواحدة مع الاخرى وبعد المسافة عما يدور عن الكنيسة نحو دقيقة ٤٠ و٤٥ ولكن بالمرض يوجد بعض عيل بعيدين عن حلب نحو ١٢ ساعة ومكان يقال له ادلب ليس فيه كاثوليك اما كلس وعنتاب الان فيها كهنة ارمن كاثوليك ثم اسكندرونة دايماً كانت من غير كاهن ونحن سنة ١٨٥٦ وضعنا هناك راهب انطونيني واستقام نحو ٣ سنوات اما الآن حضر رهبان افرنج وباشروا بعمار كنيسة ولان المجمع اللبناني يأمر بان حيث [يوجد] كاهن لاتيني تنبه ملتنا [يقبلون] الاسرار منه فلهذا اذا توفي ذاك الراهب لم نرسل غيره.

١٣ : ان الزيارة الرعائية نتممها كل سنة بعد عيد الفصح واما بعد عيد الوردية في تشرين ٢ مع خوري الرعية وبعض من الكهنة وحسب القوانين ندقق على سلوك ابناء الطايفة ومواظبتهم على قبول سري الاعتراف والافخارستيا وغيره.

١٤ : انه نظراً للمجامع الاقليمية في سنة ١٨٥٦ صار مجمع في دير سيدة

١) لعله اراد بذلك الاكليروس اي انه لا يدخل في الطقس الماروني الكاهن الارمني اذا اعتنق الكثلكة بل يبقى ارمنياً طقساً (؟) .

بكركي بامر الحبر الروماني ونظرًا الى مجمع الابرشية كل سنة نهار اثنين يعقد جمية كهنة .

١٥ : قل ما سلم اسقف من المضادات ان داخلية وان خارجية . انه لا يعرض امر جوهري هذا التضادد بل على موجب حال الزمان

١٦ : فالكهنة تجتمع بالقلاية ذاتها المختصة بالاسقف نهار الاثنين لاجل تدبير حال الابرشية وترتيب الكنيسة وخصم الدعاوي التي تتقدم من الاعوام ويوم الاربعا والجمعة لاجل الدرس ومراجعة سؤالات لاهوتية .

١٧ : نظرًا الى الحوروس جميع الكهنة ونحن معهم نحضر يوميـاً صلاة الفرض مساء وصباحاً عدا الكهنة العاجزين عن القيام صباحاً . فاوقات الصلاة صلاة الغروب والستار قبل الغروب بساعة ونصف وربع وبعده زيارة القربان من الشبان وصلاة الليل والصبح من الساعة ٤ الى الخامسة تبتدئ حسب فصول السنة وصلاة نصف النهار في الصيام الكبير اما القداس الالهي بترتيل هو الاحد والعيد والتذكارات المحتفلة وتذكارات الموتى ويقدم من كل كاهن ومنا بالشهر قداس واحد وايضاً لجميع الموتى للكهنة والروسا. وفي شهر الموتى ت ٢ كل يوم قداس ما عدا الذبايح المعينة بعدد ما على بعض دور الوقف كما مشروح بالعدد السادس .

١٨ : ان الترتيبات والقواعد التي بها تتم خدمة الخورس والطقوس والرتب هي جميعها مقبولة من الكرسي الرسولي ومطبوعة بمدينة رومية . اما الجمعية فنحرنا نضع لها رسوم وقوانين الخ .

١٩ : لا يوجد لابرشيتنا سوى كنيسة واحدة وبها تتم الطقوس والاحتفالات المعينة لطقسنا الماروني صح .

٢٠ : ان الكهنة لا يقدمون الذبيحة الالهية قبل نهاية صلاة الليل وذلك تحت الخطا بموجب رتبتنا واما الصبح اخذوا به تفسيح من العادة بان يتلوه احيانا بعد القداس وذلك لاسباب صوابية ونحن نشدد على ذلك .

[٢١—٢٥ ناقص]:

٢٦ : (مشطوب في الاصل) :

لا يوجد مدرسه كنايسية لاجل تلاميذ خصوصيين مستعدين لقبول الدرجات

المقدسة بل بابرشيتنا مدرسة ومكتبين ففي المدرسة الاولى نحوي ماية وعشرون تلميذ منهم خمسة واربعون فقرا من ابنا. طايفتنا والبقية من طايفتنا وغير طوايف ثلاثون منهم يأكلون من المدرسة ومساء في بيوتهم والبعض من الثلاثين نكسوهم ايضاً ونقدم لهم الكتب مجاناً من المطبعة، والعلوم التي يتعلموها العربي البسيط قراءةً وخطاً. والنحو والصرف، الان قاطعين عنه لان معلم النحو والصرف والمنطق استدعاه البطرك، واللغة السريانية ايضاً يدرس بها مع اللغة الفرنساوية، والمكتبين الآخرين الواحد يوجد به نحو خمسون ولد والثاني نحو اربعون الذين ايضاً ويوجد من هؤلاء الاولاد من غير طوايف ويعلمون هذين المكتبين اللغتين العربية والسريانية البسيطة قراءةً وخطاً ثم توجد للمدرسة بعض رسوم ابتدائية مثبتة منا.

٢٧ : لا يوجد للمدرسة املاك ولا وقفيات ولا مدخول ما. ولا غرش واحد سوى اولاد الاكابر يدفعون على الولد سنوي ١٢ من اثنين ام ثلاثة حتى ان الدار التي ضمنها المدرسة والمخادع التي تلوز بها للمعلمين والخدام فهذه الدار نلتزم كل سنة تدفع اجرتها للكهنة لانها موقوفة من نحو ماية سنة من احد الكهنة لكيما يقدس بها ذبايح ماية واربعة قداديس بالسنة ويرمموا [خراب] الدار من كراها والذي يبقى يدخل بتمون الكهنة والدار هي متعلقة بديون قداديس عن سنين سابقة فنحن ندفع للكهنة كرا المخادع التي بها موجودون خدام المدرسة فقط بل نهار الاحد يصير بها الاخويات ويتعلم اولاد المسيحيين بوجب مشروطية الواقف فالكهنة يطلبون كرا الكابيلة ايضاً ويدعون بان القس الموقف لم يذكر مدرسة بل قال تعليم الاولاد نهار الاحد فاذاً يطلبوا ياجروها بقية السنة نحن نجاوبهم بان القس الموقف بشرط الوقفية يقول: واما القاعة تبقى دائماً سالمة لاجل تعليم اولاد المسيحيين والحال نحن نعلم تعليم المسيحي للاولاد كل يوم بالمدرسة واذ لم يقتنعوا فرفعوا دعواهم لغبطة البطريرك واما مصاريف هذه المدرسة من بعد ما يجمع من اولاد الاكابر جزء فيؤخذ من الوقف الفقرا من كون يصرف على اولاد الفقرا حسب تحديد المجمع اللبناني.

٢٨ [ناقص].

٢٩ : حسبا مشروح اعلاه العربي والسرياني والنحو والفرنساوي .

٣٠ : انه احياناً نرسل لمدرسة عين ورقه شخص ام اثنين او مار عبدا فيقبلون مجاناً لكن مع ذلك لا بد لهم مصروف نظير كسوة وكتب .

٣١ : ان المدارس التي تخص الطايفة وهي خاضعة من دون توسط لاوامر غبطة البطريرك هم اربع وهم عين ورقا ومار عبدا والروميه وريفون ونحن لنا حق ان نرسل تلميذان الى عين ورقة وتلميذان الى مار عبدا وهذا الحق هو على ظني من شروطية الموقفين وليس لنا على ان اجسد له على المدارس حق تولي وهذا تقرير ايضاً غبطته .

٣٢ : ان عدد كهنتنا كافي ولا يتغيرون لانهم يرتسون على الكنيسة ذاتها ولا يوجد لنا كنايس خارج عن حلب حتى نرسل البعض منهم عند الضرورة .

٣٣ : ان ابرشية حلب منذ ابتدايها الى الآن لم تحتاج الى كهنة من غير طلبها بل ان بقية الطوايف بواسطة كهنتها واساقفتها منهم ارتدوا للايمان الكاثوليكي ومنهم ثبتوا بالايمان ذاته وهي دائماً بواسطة كهنتها كانت توزع الاسرار الالهية والكلام الالهي على بقية الطوايف حينما لم تكن كنيسة كاثوليكية شرقية بمدينة حلب نحو ثلاثماية سنة إلاّهـا ومن نحو ماية سنة اكليروس الموارنة ردوا انفار من السريان اليعاقبة الى الايمان الكاثوليكي وهذبوهم وعلموهم .

٣٤ : ان الاسقف بحرية ينتخب من الشبان الى الدرجات المقدسة ويطلب قبل كل شيء الفضيلة والتقوى والعلوم الكافية .

٣٥ : ان الكهنة جميعهم ساكنين في بيوت اهاليهم ولكن بقرب الكنيسة .

٣٦ : انهم يقدسون للشعب ليس يوم العيد فقط بل كل يوم واحد بعد واحد ، فمن قبل بزوغ الشمس بساعة الى الساعة بارض الجمعة والاحد والعيد الى الظهر .

٣٧ : ان الوعظ يصير في كنيستنا كل نهار احد وعيد وفي صيام الكبير يومي الاربعا والجمعة وكل نهار خميس مساء قبل الغروب باخوية القربان المقدس عدا العظات التي تصير بالكابيله يوم الاحد بالاخوية والتعليم وباكثر التساعيات التي تسبق الاعياد السيدية يصير فيها ايضاً وعظ .

٣٨ : أنه يوجد بخزانة كنيستنا دفاتر محرر بها اسامي المولودين والمثبتين والمخطوبين والزيجات والموتى واما سر التثبيت بحلب لا يمنحه سوى الاسقف فقط من بعد ان نكون بالافتقاد الرعائي عينا احد من الكهنة يحرر اسماء الاولاد والشباني الذين يقبلوا سر التثبيت وهذا الكاهن بواسطة الشمامسة والمعلمات يرشدوهم مدة طويلة حتى يتعلموا قواعد الايمان .

٣٩ : ان الاشياء التي تقدم من الشعب للكهنة هي على نوعين الاول لاجل دفن الموتى والجنازات وبعض اكابر يعطوا بالعماد ونظير خطبة واكليل وصواني بعض احيان يجمعوها بالكنيسة فهذه الشعب يقدموها للكهنة بحسن ارادتهم واختيارهم من غير طلب بباب العادة وهذه تقدم بالمساواة ، بيتمون الكهنة عدا طايفة الروم الذي كل كاهن مها حصل له يخص لذاته ولا يقسمون بالتمون سوى دفن الميت والجنازات وصواني الكنيسة والان تبعوهم السريان بهذا العمل .

النوع الثاني هو ما يقدم خصوصياً من بعض افراد المؤمنين الذين يكنهم الى مطين ذمتهم وهذا يتقدم من الرجال والنسا وعلى ظني هذه العادة لا توجد سوى في بعض من بلاد سوريا ولا تخلو من نتايج لا توافق تلاوة السر .

٤٠ : ان في ابرشيتنا القداس ابتداه تحرر في عدد ٣٦ نظراً الى القربان المقدس مصمود دايماً بلياقة واجبة ليلاً ونهاراً موقود التنديل امامه وعدا ذلك قنديل آخر بالكنيسة دايماً .

٤١ : انه في ابرشيتنا لا يمكننا بنيان المعابد والمساجد ولا يوجد سوى سجد واحد الذي هو للاخويات والتعليم.

٤٢ : ان الكهنة المعرفون بابرشيتنا بسر التوبة يعاونهم عند الضرورة الغير المصرفين .

٤٣ : بحلب كاثوليكيون لاتين نسمة ٥٠٠ موارنة ٢٠٠٠ روم ٧٠٠٠ ارمن ٤٠٠٠ الى ٤٢٠٠ سريان من ٢٢٠٠ الى ٢٣٠٠ الكلدان نحو ٢٠٠ الى ٣٠٠ ونظراً لطقسهم معروف لدى المجمع المقدس فالكلدان ليس لهم خوري بحلب فمن حين ابتدا طايفتنا بحلب الى الان كانوا يخدمون الكلدان الآتين من بين النهرين وهذه العادة صارت شريعة بانعام المجمع المقدس وكنا نعتني بفقرائهم

فن نحو سنة اندعوا الفرنسيسكان بان هذا الانعام يخدمهم وابتدأوا هم يخدمون الكلدان .

٤٤ : ان الكاثوليكيون بحلب يحضرون الى كنايس بعضهم بعض لاجل حضور القداس ويقبلوا سر التوبة عند بعضهم بعض . سابقاً كان الانعام ممنوح للاباء المرسلين وللكهنة الموارنة اما الآن صدر امر من المجمع المقدس بان كل كاهن كاثوليكي بكنيسته يعرف الجميع واما سر القربان المقدس سابقاً كان السريان والروم يتناولون على الفطير اما من نحو ثلاثين سنة منعوا الروم والسريان شعبهم من ان يتناولوا على الفطير اما الكلدان من نحو خمسة سنوات حضر امر لهم بان يتناولوا على طقسهم الخمير ومن بعد سنة رجعوا يتناولوا على الفطير واما بقية الاسرار وكل كاهن مصرف يوزع الاسرار بموجب طقسه على رعيته ولا يصير اختلاط ابداً .

٤٥ : انه بحلب يوجد من الاراتقة والمشاقين : الارمن ١٥٠٠ ، والفربا منهم ١٠٠ الروم ٥٠٠ والفربا منهم ٥٠٠ . السريان اليعاقبة ١٠٠ من البلد والفربا ١٠٠ .

٤٦ : الروم طقسهم يوناني نظير طقس الكاثوليك وغلطات بدعتهم معروفة بالقضايا الخمس فهذا بحلب وما قيل عنهم خارجاً بالاماكن الذي لا يوجد كاثوليك صار غلطات كثيرة نظير الطلاق والسيمونية وربما غيره . الارمن ارتقتهم اراتقة برصوم وديسقورس وغلطات الروم جميعها والسيمونية عندهم ظاهرة. السريان اليعاقبة طبيعة ومشيئة واحدة يعتقدوا وغلطات الروم ايضاً . البروتستانت معروف مذهبهم منهم الكنيسة المصطلحة والذين يفسروا الكتاب المقدس على هواهم .

٤٧ : ان عدد المؤمنين بحلب ينمو قليلا وبالكاد من سنة ١٨٥٠ حين غارة حلب ان النمو الذي صار يوافي النيل التي رحلت حين الغارة . الاشياء التي تمنع نمو المسيحيين بحلب كان سابقاً الخوف والآن اولاً ثقل مصاريف الزيجة ثانياً فجور الشبان والبنات اما الوسيط لنمو المسيحيين بحلب تيقظ الروسا والكهنة على الفقرا ويقدموا نقد البنات واسعاف للشبان لتكميل دعواتهم ان الكاثوليكيون قليلًا من الروم بالاعياد المحتفلة يذهبوا لكنايس المشاقين

وكذلك بروتات المتبرين اما اسرار الالهية قط لم سمعنا بحلب انه احد يقبلها واما الاراتقة يحضروا الكنائس الكاثوليكية ويشتركوا بصلاتهم واحيان كثيرة يحضروا لاجل استماع الوعظ بكنيستنا ونحو ٣٠٠ نسمة ارتد منهم على يدنا .

٤٩ : ان مقبرة الارمن متميزة عن مقبرة بقية الكاثوليكية وقليل يوجد فيها قبور كاثوليكية اما الروم والسريان الكاثوليكيون والفير الكاثوليكيون هم سوياً ونظراً لقبور المسيحيين جميعهم بحلب لا يوجد لهم حايط سوى اللاتين بهذا القرب صيروا لها حايط الجنوب نحن نرغب ان يوافقونا بقية الطوايف كون قبورنا مشتركة حتى نصنع حايط والاطفال الغير المعمدين يدفنون بهذه الجبانة ذاتها لكن من غير احتفال كنائسي» . [انتهى]

[١٨٥٢] — ١ ك ٢ — اجتمع عثمان نوري باشا برئيس مجلس الادارة والقاضي وبامر المشير محمد باشا دعا جميع المطارين وبعض اعيان المسيحيين وحاولوا ان يقنعوهم بقبول ٢٥٠٠ كيس لترميم الكنائس وللتعويض على الفقراء [بعد فتنة ١٨٥٠] وان يوقعوا بختمهم على صك القبول . وقالوا ان رشيد باشا امر بخمسة الاف كيس ضريبة على مسلمي حلب لكنهم لا يمكنهم ان يدفعوا اكثر من ٢٥٠٠ وان هذا المبلغ ضرب على عامة المسلمين اما خاصتهم من اصحاب الثروة كشريف بك ويوسف بك شريف فطلب من الاول ٧٠٠٠ غرش ومن الثاني ٩٠٠٠ . وطلب من غيرهم ٣٠٠٠ غرش مع ان ليس لهم في القضية ناقة ولا جمل وكان شريف بك اول من رضي بالقرعة العسكرية ومع ذلك فصار اول محرك للفتنة .

وان المسيحيين ارسلوا من طرفهم ثلاثة نواب الى استنبول يطالبون بالتعويض .

— ٢٩ ك ٢ — الارمن والموارنة والسريان خافوا لان المسلمين صاروا يتهددون المسيحيين بالشر اذا ما امرت الحكومة المطالبة بالتعويض . اما الروم فلا يزالون يطالبون به وكانت نكبتهم اشد من نكبة غيرهم . اما في استنبول فاخذوا بالتسويف الى ان تنطفئ الشرارة من تلقاء ذاتها ولم يكن نتيجة لمطالبة الوفد المسيحي .

— ٢٧ شباط — قيل ان امر الباب العالي سيضرب على كل ذكور في الدولة العثمانية ٢٠ غرشاً لتغطية مال التعويض ولغير ذلك من الاحتياجات .
وسكتوا عن التعويض للمسيحيين فدخل في خبر كان .
(عن وثائق القنصل واري الانكليزي في حلب)

— ٢٥ اذار — رسم المطران يوسف مطر كاهنين : فتح الله يوسف ايوب (شكرالله) ويوسف كلداني .

— ١٠ حزيران — ١٨٠٠ شخص مشبوه بهم انهم اشتركوا بحوادث النهب . وهؤلاء اتهموا ٦٠٠ غيرهم . وفكر الباشا بان يضرب التعويض على كل الاهالي ولم يتمكن من ذلك .

— ١٠ ت١ — اقتضى عيد البيرم بسلام وكان لكريم باشا الجنرال عدد كاف من الجند للقبض على ذمام الامر .

— ١٠ ت ٢ — محمد قبرصلي باشا القائد العام للجيش السوري جاء عن طريق البر من بيروت طرابلس حمص حماه فاستقبله عبد الكريم باشا خارج المدينة وكانا على رأس طابورين خيالة و ٢٥٠٠ بياده . وبمعيتهم وفود الاكابر والموظفين .

— وفي هذه السنة ضرب بالنفير العام لمحاربة المسكوب .

[١٨٥٣] ترممت كنيسة الروم الكاثوليك بامر السلطان عبد المجيد برئاسة المطران ديمتريوس الانطاكي .

— وفيها تجددت كنيسة السريان .

— ١ ك ٢ — كتب القنصل واري البريطاني ان قنصل النمسا يعرض حماية دولته على مطران الموارنة وعلى غيره من المطارنة .

— وفيها في مارس جاء الامر من الباب العالي الى الباشا بان يجمع عسكراً رديفاً ٤٠٠ وان يكونوا تحت امرة القواد احمد آغا مكانسي ودكوان آغا ولورسون زاده بكور وحونا اوغلو . (القنصل واري)

— وفيها كثر بنت يوسف هب الريح اوقفت مسقفات على طائفة الموارنة في حلب .
(غزي ٢ ٥٩٣)

ومريم بنت يوسف سمان اوقفت مسقفات على فقراء السريان الكاثوليك .
(غزي ٣ ، ٥٩٥)

ورينه بنت انطوان صباغ اوقفت مسقفات على فقراء السريان الكاثوليك
وافرام ولد جرجي مداراتي اوقف مسقفات على فقراء دير جبل كسروان .
(غزي ٣ ، ٥٩٤)

ولوسيا بنت الياس اسلامبولي اوقفت مسقفات على فقراء السريان الكاثوليك.
(غزي ٣ ، ٥٩٥)

— وفي هذه السنة يوسف بن فتح‌الله الحائك وضع رسالة على مجمع الشرفة
(غراف ٤ ، ٦٩)

— ٢٣ حزيران — سافر عبد الكريم باشا الى ارضروم وخلفه عربي باشا في حلب .

— ٧ تموز — صوم رمضان . الدنيا هادئة . حركة التجارة واقفة .

— ٢٦ ت ٢ — الاتراك ينتصرون على نهر الطونة فيفرح المسلمون والاوروبيون . اما الطوائف المسيحية فتذكر حوادث الخمسين ويعتريها الخوف وقد اضطرت الى تأدية ٢٥٠٠٠ قرشاً لتجهيز الجيش والخيالة وعددهم ١٥٠٠ .
(عن قنصل الانكليز)

— ارسل سليمان باشا رسالةً الى قنصل فرنسا في حلب قال فيها انه صدر فتوى بواجب تلقيب السلطان « بالغازي » بعد انتصارات الاتراك .

— وفيها اخذ الناس « بشرب » السكاير وتركوا استعمال الغليون .
(غزي ٣ ، ٣٨٨)

— وفيها اخذوا ببناية كنيسة الفرنسيكان في حي الشيباني .
(غزي ٢ ، ٧٩)

— وفيها كتر بنت نعمان فرّا اوقفت مسقفات على فقراء الارمن الكاثوليك بدير بزمار . ومتري ولد جرجي شامي اوقف مسقفات على الروم الكاثوليك بحلب وكذلك نعوم ولد قندلفت وجبرا ولد يوسف سايس .
(غزي ٣ : ٥٩٣)

[١٨٥٤] اليك ما كتبه غيس قنصل فرنسة :

« باشاوية حلب تقسم الى ستة ايالات او متسلميات تسمى باسم قاعداتها حلب (اربع ضيع) ادلب (ضيعة) ريحا (٤٩ ضيعة) جسر الشغور (٦٦ ضيعة) انطاكية وفيها ١٢ منطقة و ١٨٩ ضيعة) كلز (وفيها ٩ مناطق و ٣٦٩ ضيعة) وعينتاب (٦١ ضيعة) والى باشاوية حلب ترجع تسعة اقضية :

جبل سمعان (٦٣ ضيعة) سرمين (١٩ ضيعة) الباب والجبول (١٢ ضيعة) حارم (٣٨ ضيعة) دركوش (١٢ ضيعة) البكاية (١٦ ضيعة) قلعة المضيق (افامية ٥ ضيع) فيكون مجموع الضيع اللاحقة بحلب ٩٣١ .

وسكان الضيع اميون اجمالاً ولا يبلغ اليهم التعليم من المدن .

وكان في ذلك العهد ستة معاهد او كليات للمسلمين في حلب وعشرون مدرسة في جوار الجوامع وكان للمسيحيين ١٩ مدرسة ولليهود ١١ . تأتي التلامذة بغذائها معها الى المدرسة فيأكل الاساتذة منها وربما دعي المعلم للغذاء عند اهل التلميذ . وهناك اربعة دور للكتب في جوار اربعة مساجد . وعلى ايام احتلال ابراهيم باشا تحسنت احوال الطب والصيدلة » .

[١٨٥٥] في افتتاح هذه السنة كتب المطران يوسف مطر :

« اعلان بالرب لابناء طايفتنا المارونية

اننا لاجل نجاح نفوسكم وراحتكم الرمنية وثوركم بنعمته تعالى فقد لاحظنا انه ضروري جداً ان نوضع الوصايا الاتي ذكرها ونحث املا منكم بحفظها بكل تدقيق الامر الذي بمخالفته لا تخلو من لايقة الخطا الثقيل ونحث ثقل خاطر الله وخاطرنا لانها راجعة لمجد الله تعالى وتوفيقكم بالنجاح المايد لنمو عيلاتكم المباركة كما وقبل كلشي غرضكم على حفظ وصايا الله ووصايا كنيسته وعلى الخصوص حفظ ايام الاحاد بالتوقي من مباشرة اي عمل خدمي كان خاصة البيع والشرا والسوقات والاخذ والعطا والحلاقات التي لم تزل غرض كافة جمهوركم المبارك بالتجنب من مباشرة الحلاقة يوم الاحد وبالثاني غرضكم على حفظ هذه الوصايا .

اولاً نمنع عزايم العرايس قبل زيجتها وبعدها وفي ذهابها الاول الى بيت الاهل لا يأتي معها غير اثنين ام ثلاث من اهل البيت والمكان الذي تدخل اليه لا يوجد فيه سوى اهل الحوش ذاتها ولا نسمح لنا طايفتنا ان يذهبنا الى دخول عرايس غير طايفة :

ثانياً عدم اجلاب العروس ليلاً بالشموع والاغاني واذا اقتضى لاجل الضرورة او بعد الطريق او غير حجة لازمة اجلاب العروس ليلاً فليكن جلبها على قنديلين او اربعة اقناو لا اكثر .

ثالثاً نمنع باعظم ثقل نوم الشبان والبنات خارجاً عن بيوت والديهم واما اذا صدفت لاجل خدامة مرض امولاده واقتضى ان تنام الابنة خارجاً عن بيتها فليكن ذلك باذن مرشدها .

رابعاً لا احد يذهب من بنت الى بيت لاجل الفرجه على الاعراس او الولايم ولا تخرج النسا ليلًا واقفات بالزقاق لأجل فرجه الاعراس ايضاً .

خامساً : قد دخلت عادة سيئة وهو ان الرجال يتوجدون في اسبوعات النسا فمن الان وصاعداً لا عدنا نسمح قط ان تتوجد الرجال في اسبوعات النسا ما عدا الاثنين والرجال الساكنين في دار العريس ذاتها .

سادساً كل عهد او وعد او هدية او خطبة او بصفة خطبة او بنوع يشبه خطبة التي تعقد او توعد فيا بين الطائفتين مع بعضهم انكان بين المتعاهدين او والديهم او وكلاهم او اقاربهم او اي شخص كان بدون وجود كاهن قانونياً من قبلنا فنحن بسلطتنا نبطل هذا الوعد او العهد او الخطبة ونجعلها ان تكون باطلة متلاشية ولا قوة لها لمداعاة او دعوى ما قطعاً كلياً حسب مرسوم مجمعنا اللبناني المقدس والمناشير المبرزة من بطارك طايفتنا ايضاً .

واخيراً نروم من كل فرد من روسا العيلات ومن تقوى حضرات ارخندوس طايفتنا الجزيل اكرامهم ان يسهروا بكل تدقيق ليس بان يحفظوا وصايانا هذه فقط بل ولان يجتهدوا بكل غيرة تقوية في ان يلاشوا ويصدقوا كل طريقة او عادة من شأنها ان تثلم او تنقص حفظ وصايانا هذه ونحن من صميم فؤادنا نطلب من الله ان ينميكم وينجيكم روحاً وزمناً مكررين نحوكم بركتنا الرسولية ثانياً وثالثاً .

الحقير في روساء الكهنة
يوسف مطر مطران حلب

— ٢٥ آذار — سام المطران يوسف مطر كهنة جدداً على الموارنة :
انطون هارون وسماه فرنسيس ، الياس عبدالله سابكي وسماه اسطفان نتح الله انطون غالي وسماه بولس (وهذا سوف يقيم في فرنسة). وجرجس ميخائيل كيلون وسماه نقلاوس.

— وفيها قدمت الى حلب راهبات مار يوسف الظهور ورئيستهن الام روزالي استفانلي . (غزي ٣ ، ٤٩٢)

— وفيها يوسف باشا قاد الحملة الى بلاد الزور يناصره زعيم البدو الشيخ حوام ليتقاضوا من العرب ما يتأخر عليهم من المال الى الخزينة . وحضر زعماء قبائل الزور وواجهوا يوسف باشا مواجهة سلمية .

[١٨٥٦] — ٣٠ اذار — عقد مؤتمر باريس وبه انتهت حرب القرم التي جرت

بين المسكوب من طرف وتركية وحلفائها الافرنسيين والانكليز من طرف آخر كان من اسبابها الخلاف الـذي نشأ بين الروم واللاتين حوالي الاراضي المقدسة وطموح روسيا في الاستيلاء على اسطنبول . وكان الفوز فيها نهائياً لتركية وقد تعهدت باصلاح شؤونها الداخلية .

فاعلن السلطان عبد المجيد بالخط الهمايوني المساواة بين رعايا السلطنة فيما يتعلق بالضرائب والوظائف دون تميز في المذهب او الجنس طبقاً لما كان ادخله قبلًا ابراهيم باشا من الاصلاح . ولكن صار ذلك حجر عثار في سبيل المسلمين وقد طالما اعتادوا ان يعتبروا المسيحيين كانهم موالٍ لهم وعبيد فكيف يرضون بان يعاملوهم معاملة الاكفاء .

جاء في مخطوط غفل (رقم ٦٦) في المكتبة الشرقية تحت عنوان: «احوال النصارى بعد حرب القديم» (ص ٢١—٢٥) .

«ثم ان الاسلام تهجمت ضد النصارى بمجرد سماعهم بحرب الدولة مع روسية فكانت النصارى في خوف وضيق جسيم وقامت الاسلام تلك القومة ضد سلطانها لانها ايقنت بان ذلك يعود عليها بالضرر لكن لم يعتبر ان مملكتين من ممالك النصارى كانت مع السلطان تحارب الدولة الروسية فلم يكن ذلك يقدر ان يسكتهم عن الشتائم التي تعم كل النصارى فكانوا يؤلفون القصائد الدنية المملوءة من السفه والشتيمة للنصارى . واولادهم كانوا يتكلمون بالفاظ جل مضمونها اهانة الشخص المار في الطريق والتي تعم الافرنج مثل قولهم .

الله هوب الله هوب الله يلعن المسكوب
يا الله يالله ثلج الله يلعن الافرنج
الله يلعن الكفار

وكثير من نظاير ذلك .

وصاروا يقلبون عمايم النصارى ويثاورن عليهم الى غير ذلك مما لا يسع المقام ذكره .

ثم انه بمجرد ما انحلّت هذه العقدة المستعصرة الحل وظهر الفرمان السلطاني الذي جل مضمونه المساواة والحرية الدينية حينئذٍ ساء الاسلام ذلك غاية ما يكون وخاصةً اذا عرفوا انه سيكون من النصارى قوة عسكرية الا انه كان

يجب ان يوهم ذلك اذ ان المجاريات اوضحت لهم ان الامر الكثيرة التي يامر بها الباب العالي لا تخرج من حيز الى حد العمل ويظهر ان الدولة قصدت ان تتظاهر بقصد انفاذ تلك الاوامر وقتياً فمنعت في سراياتها ان يسمو النصارى جاور الذي لقبه عند الاتراك ومعناه بلا دين كافر. ثم لقبت بعض عمال دولتها النصارى بالالقاب المختصة بالمسلمين مثل افندي وكانت ترجع بعض دعاوي النصارى الى البطركخانات وهذه الامور التي كان المسلمون يستعملونها بإثم باطني (لتسامحهم فيما لا يجوز التسامح به مع اهل الذمة ؟) وسمحو باجرائها ويظهر ان الدولة قصدت اجراء هذه الاشياء. وغوها كدق الجرس واظهار شعائر الدين كحمل الصلبان في الجناز علناً مما يغيظ الاسلام ولا يجدي نفعاً ولا تقدماً للنصارى ولم تسمح باجراء ما هو من روح المساواة الحقيقية كون يجب تقبل شهادة نصراني او يقوم حقه . او انما تتخذ قوة عسكرية منهم فكانت الدعوى التي تتوقف على شهادة نصراني يصرفونها بدون شهادة » . [انتهى]

— «وبعد حرب القرم كانت الصداقة حميمة بين فرنسة والدولة العلية بسبب مساعدة الافرنسيين للاتراك في تلك الحرب .

وفي ١٠ نيسان احتفل قنصل فرنسة في حلب بونتيفوليو بيلاد ولي عهد نابوليون الثالث وزاره القناصل واطلقت المدافع ١٠١ مرة .

وفي ٧ نيسان صارت في محلة الشيخ يبرق حفلة حافلة قاولمت الولائم واطلقت الاسهم النارية اكراماً لنابوليون » .

(عن يومية البخاش)

«وبينما كانت الاحياء بالافراح جاء خبر مقتل السيد كرماني وعائلته في مرعش حيث كان مقيماً لسواق حاجيات الجيش البريطاني ولكي يجمع العساكر المتطوعين لحرب القرم ضد المسكوب . وطالب السيد كرماني احد غرمائه المسلمين باربعة الاف غرش . فتمنع الغريم عن الدفع ورفع دعواه الى القاضي. فنادى القاضي ان هذا الكافر يبين دين الاسلام . فهاجت العامة وماجت واحرقت مع بيتهم السيد كرماني وامرأته وهي حبلى واحد اولادهما وخادمها. ونجا من الكارثة طفلها كان بيد مربيته بعيداً عن البيت في تلك الساعة . وبين مظاهرات الافراح قصد قنصلا فرنسة وانكلترة الى حمدي باشا والي حلب

وطالباه بالعدالة فاجاب ان القضية متعلقة بادارة مرعش وليس له فيها تدخل .

اما في مرعش فصارت مضبطة على يد القاضي شهد موقعوها ان برميلاً من البارود كان في بيت الكرماني فانفرقع وسبب الحريق . وداروا على المسيحيين واضطروهم الى توقيع المضبطة . فاعتراهم الخوف . وكيف يمكنهم المقاومة وفي عيثاب آثار خطي همايون الحزازات والبغضاء في قلوب العامة فاسقطت اعلام فرنسة وانكلترة وروسية عن دور القنصليات .

وتكررت حوادث السلب والقتل على ابواب حلب وسفر الحامية العسكرية الى ارضروم زعزع اركان السلطة » .

(عن سجلات مركوبولي)

وفي هذه السنة سوسان بنت عبدالله رباط اوقفت مسقفات منها ذرية ومنها على فقراء السريان الكاثوليك في حلب . وميخائيل ولد نعمة كبه وزوجته مريم اوقفوا مسقفات على الروم الكاثوليك وكذلك عبد الله ولد الياس وزوجته وخليل ولد جرجي وميخائيل ولد حنا ومريم بنت جرجي مساردوس وديمتري ولد حنا انطاكي . (غزي ٣ : ٥٩٥)

[١٨٥٧] في هذه السنة تم الاتفاق بين المطران يوسف مطر وبين الام روزالي رئيسة راهبات مار يوسف الظهور على ان تفتح الراهبات مدرسة للبنات في حي الصليبة في المربع الذي هو فوق الكنيسة للقراءة وللاشغال اليدوية . وان تقبل الراهبات ٢٠ ابنة من الموارنة مجاناً وان ١٠ بنات منهن يأكلن من غداوات الاكابر . ولا تذهب البنات في الازقة من غير غطاء .

(اضبارة مطر ١٠٦)

— وفي هذه السنة ارسل البطريرك الماروني بولس مسعد الى الحلبيين رسالة حثهم فيها على تربية اولادهم تربية صالحة . (اضبارة مطر ٦٦)

— ٩ شباط — مندوبي شاهاني امين مخلص افندي يواصل التفتيش في دوائر حمدي باشا فوجد نقائص كثيرة في دائرة المالية ونقص في الخزينة واغتصاب مال الناس فاوقف حمدي باشا واعتقله .

وعاث البدو فساداً في جوار حلب فخرج عربي باشا اليهم بعسكره وغزاهم وعاد بالف راس غنم ومئة او مئتي رأس جمل .

— ١٤ آب — رفض حمدي باشا تحكيم امين افندي وقال انه يعاديه لحزازات شخصية ورفع امره الى السلطان . فارسل الباب العالي احمد باشا للنظر في الدعوى . وفي غضونها كان القتل والسلب يشتغل على ابواب المدينة.
(م كوبرلي)

— وفيها اسس المطران يوسف مطر المطبعة المارونية في حلب وكانت من اوليات المطابع العربية في الشرق ومن اول عملتها نيقلاوس كيلون .

— وفيها مريم بنت مخائيل اوقفت سقفات لفقراء الروم الكاثوليك وكذلك مريم بنت موسى الصباغ ويوسف اكوبجان الكورنلي .
(غزي ٣، ٥٩٦)

[١٨٥٨] — ٢٤ نيسان – وقع المطران يوسف احمد على قوانين اخوية الموارنة ومما جاء فيها :

واجب سماع التعليم المسيحي كل احد وتعلم القراءة والكتابة السريانية وخدمة القداس. واجب الاحتشام بالثياب فلا تكون ذات كلفة ولا يخرج الاخ بايدي عارية الى الازقة والشوارع بدون ردائه الاعتيادي ولا يقف فيها بدون ردائه الاعتيادي ولا يقف فيها بدون ضرورة ولا يضع في يده خاتماً .

وليمتنع الاخوة عن الليليات والولائم العالية ولا يستعملوا النساء والمواليات ولا يذهبوا الى عرس وبستان غداء او عشاء ولا الى الحمام الا باذن المرشد ولا يناموا او يقضوا الليل خارجاً عن بيوتهم ولا يناموا في البستان ولا يسبحوا الا لضرورة حقيقية ولا يحلقوا رؤوسهم يوم الاحد او العيد ولا يجلسوا في القهاوي ولا يدوروا في ليل شهر رمضان. اما المكيفات فلا يستعملوا منها شيئاً الا ما كان ضرورياً للصحة ولا يسمح لهم شرب السيكارة في الشوارع اصلاً . ولا يتفرجوا على ملاعب غير لائقة مثل مزعبر[1] وغيره . ولا يتفرجوا مطلقاً على اخذ عروس او ضريسة عربس ولا يلعبوا لعباً برهن . واذا رأوا حين سيرهم في الطريق او حيناً آخر اناساً يتقاتلون فلا يقفوا ليتفرجوا عليهم بل يتضرعوا الى الله من اجلهم ان لم يمكنهم قطع المخاصمة .

(الوثائق المارونية مخطوط رقم ٨٣٥)

---

١) عن المزعبر راجع ما جاء في يومية البخاش سنة ١٨٦٠ ٢٨ ت ٢ . وقد نعجب ونبتسم ابتسامة التهكم عند قراءتنا تلك قوانين الاخوية . . . فيما يخص الليليات والبستان والحمام والسوق الخ . . . ولكن لا بد من وضع هذه التفاصيل في اطارها التاريخي لنفهم معانيها . ان سلامة البلد وهدوءها كان غالباً معلقاً على شعرة . . . فلا ان تنقطع الا ويضطرب

— واليك لائحة الاخوة المدونة اسماؤهم في سجل الاخوية في تلك السنة . رويناها تكملة لما جاء سابقاً عن ذكرى العائلات الحلبية المسيحية وهي من سائر الطوائف الكاثوليكية .

(راجع سنة ١٧٨٧)

جبرائيل قرمز	سرياني	
جرجس زوين	ماروني	
متى ابراهيم كلداني	ارمني	
يوسف انطون بلدي	لاتين	
جرجي جبرا اسيون	ارمني	
نصرالله نعوم دوتانو	ماروني	
عبدالله سابكي	«	ارتسم كاهناً
رزق الله دودو	سرياني	
ميخائيل زهيراتي	روم	
يوسف مارون	ماروني	
رزق الله فيلبس تاجر	روم	
عبدالله جلالي	ماروني	
حبيب بطرس سابا	روم	
شكر الله فتح الله ارسان	ماروني	
يوسف بطرس دياب	ماروني	
شدياق جرجي طايحاه	«	
الياس سباط	سرياني	ارتسم كاهناً
باسيل شالح		«
رزق الله مارون	ماروني	«
يوسف ستان	سرياني	«

حبل الامن وتقوم فئة على فئة ويخرج النصراني من الممعة كخروج الشاروف من مخالب الذئب ومن ثم الجزاء النقدي ودفع المال من صندوق الطائفة فالوقاية والسترة والابتعاد عن مواطن الخلاف والضوضاء كان خير داء لدواء ايام حكم الباشاوات الاتراك . هذا ما دعا بالمسؤولين من الاخويات الى التشديد بالقوانين كما رأيت هنا وسابقاً في بدء سنة ١٨٥٥ .

(راجع كتاب حسر اللثام عن نكبات الشام ص ٣٩)

حبيب اخرس	ماروني
الياس طنبرجي	ارمني
ميشال دياب	ماروني
انطون طباخ	«
نصرالله كنيدر	«
غانم شوحه	روم
جرجي خباز	ارمني
فتح الله حماني	روم
شكري عجمي	«
عبدالله حسون	ارمني
رزق الله بطق	ماروني
الياس عصفور	«
بولس عيد	روم
جرجي فياض	«
الياس فتال بستاني	روم
شكري فران	لاتيني
الياس مويساتي	روم
الياس طرابيشي	«
جرجس نجمه	«
انطون نقولا	ماروني
يوسف نصره	روم
عبدالله تفنكجي	ارمني
يوسف جالينوس	ماروني
الياس غنطوس	روم
عبدالله عاقل	سرياني
جرجي بيلونه	«
عبدالله نقايه	ماروني
سليم حزبري	روم
جرجي عصفور	ماروني
جرجي الياس سبع	«

الياس كشيش	روم
سمعان صلايا	«
الياس زرق	سرياني
جرجي زاخر	روم
عبدالله صادجي	«
جرجي كبه	«
الياس وكيل	«
جرجي بطيخه	«
نصرالله كراكند	«
الياس دبانه	ارمني

ب — وفيها — ١٨ ايار — السيد جيروم بوريار الافرنجي التبعة المقيم في حلب ابتاع داراً للسكنى وكان متعهداً بشؤون البريد . واليه تمت اسرة كميل بوريار وابنه رينه قنصل فرنسة في حيفا واسرة نصري توتل وحفيدته الدكتورة دوريت كته عقيلة الطبيب سمير بشور .

— ٣١ تموز — جاء في رسالة سكين قنصل انكلترة العام في حلب :

« ان خبر ثورة جزيرة اكريت ومذبحة جدة وتحريضات غير واحد من اعيان المسلمين الذين يعتقدون ان الحكومة المحلية جارت عليهم اثارت العدوان بين السكان المسيحيين والمسلمين فخف الناس الى شراء الاسلحة . وجاء السوق رجل يدعى سرحس الطويل [وكان مجنوناً] فاخذ يحرض المسيحيين على مهاجمة المسلمين . وان بعض هؤلاء انذروا سراً الاسر الاوروبية بقرب حدوث مذبحة ونصحوها بالالتجاء الى عين تاب فازدادت المخاوف من جراء هذه الاشاعات . فتحوط الباشا لضمان السكينة وقبض على بطرس الطويل وحكم عليه بالنفي وحظر الناس عن بيع السلاح وعهد الى ستمائة جندي بالطواف في انحاء المدينة وجمع اعيان المحلات واوعز اليهم بتهدئة سائر مجاوريهم فكللت هذه التدبيرات بالنجاح .

ومما يجدر بالذكر هو ان كره ابناء العنصر العربي في هذه الجهة من البلاد السورية للضباط الاتراك وجنودهم عموماً — وهم يعدونهم من خوارج المسلمين — ليس باقل شدة من تعصبهم ضد المسيحيين . . . ويظهر ان المسلمين سكان شمالي سوريا يطلبون آمالهم بالانفصال عن جسم السلطنة العثمانية وتأليف دولة عربية جديدة تحت سيادة شرفاء مكة » .

(المحررات السياسية ١، ص ٣٢٥-٣٢٦)

– الياس متري شاهيات ورفيقه اوقف مستقفات لفقراء الروم الكاثوليك في دير مار ميخائيل في جبل كسروان وافقراء الطائفة بحلب .

غرة بنت جرجي شلحت اوقفت مستقفات على فقراء السريان الكاثوليك بدير كسروان وكسبار ولد كرابيد ورفيقه اوقف مستقفات على السريان الكاثوليك وكذلك الخوري جرجس مخائيل شلحت ومريم بنت حنا بليط .
(غزي ٢/٥٩٧)

– وفيها – ٦ ت١ – زار الانكليزي رامبلز بلاد الشام واقام بضعة ايام في حلب فقال عنها :

حلب كانها لندن الصغيرة لمن يقصدها بعد زيارته المدن الخراب والبادية الصحراوية فانه يجد فيها انشراحاً وراحة .

سكانها هادئون مسالمون – تحسنت حالة المسيحيين بعد احتلال المصريين لكن شهادتهم غير مقبولة في المحاكم مها قيل او كتب خلافاً عن ذلك (ص ٦٧) ويفضلون التخلي عن حقوقهم على ملاحقتها في المحاكم التجارية (ص ٦٨) .

– وفيها اثلجت السماء في الشتاء اربعين يوماً فخربت عدة بيوت ومات الغنم وتعطلت الطرقات .
(غزي ٣/٣٩٠)

[١٨٥٩] – ٣١ اذار – كتب سكين (Skene) قنصل بريطانية في حلب الى سير بولفر (Bulwer) في استنبول :

« ان المسيحيين رعايا السلطان في حلب يعيشون في حالة الخوف بسبب ما اصابهم من النكبات منذ تسع سنوات على ان حالتهم ليست اسوأ منها من حالة سائر المسيحيين في غير مدن الذين لم يشهدوا الفظائع التي حلت في حلب سنة الخمسين .

في تلك السنة نهبت البيوت وقتل رجال من الاعيان وفضحت نساء . فلا عجب ان من كانوا شهود عيان لتلك الحوادث يبيتون في الوجل والخوف فيخبئون اموالهم وعيالهم في البيوت ويتحاشون الخروج من الاحياء المسيحية .

على ان الاحتلال المصري خفف من شدتهم لان المسيحيين قبل ١٨٣٢ كانوا يمنعون من ركوب الخيل وكانوا يسخرون في تكنيس الطرقات وحمل الاحمال ليبينوا خضوعهم وصبرهم ولم يكن المسلمون يخاطبونهم الا بالاحتقار .

وجاء المصريون ولطفوا من قساوة تلك المعاملة ولما رحلوا عن البلاد لم تتجدد المعاملات المشينة بحق المسيحيين في الظاهر اما في الباطن فلم يحدث تغير محسوس . ولا يزال المسيحيون

يتحدثون بما حل بهم من النكبات ويخافون من قومة البلد في كل عيد او حفلة من اعياد او حفلات المسلمين » .

— وفيها في ٣١ مارس سافر من حلب الكونت دي بنتيفوليو قنصل فرنسة وترك فيها ذكرًا طيباً وعقبه في الوظيفة شاتري دلانوس .

— ٢٠ نيسان — سافر القس مخائيل كلداني الماروني قاصداً الى بلاد الافرنج متزودا بمكاتيب من المطران يوسف مطر والبطريرك الماروني بولس مسعد وذهب على وجهة نزار فلسطين ومصر ومالطة وفرنسة وانكلترة وايرلندة وقال انه قطع ورقة سفره من دوبلينه الى اميريكا فكان ثمنها ١٦٨٠ غرشاً ولا يثبت من جريدة سفره هل بلغ العالم الجديد او لا وعاد عن طريق فرنسا الى بيروت ثم عرج الى الآستانة فبلاد المجر وزار الامبراطور فرنسوا جوزف وجمع الحسنات ووصف رحلته وصفاً مسجلًا في مخطوط محفوظ في مكتبة حلب المارونية (رقم (١٤٧٩) وفيه لائحة نفقات سفره .

(راجع يومية نعوم البخاش في « وثائق تاريخية عن حلب » ؛ ص ١٧٩)

— شكري ولد خوري سابا اوقف مسقفات لدير مار جرجس الحميرة في الجبل التابع لحماه لفقراء روم حلب .

ومريم بنت حنا بليط اوقفت مسقفات للارمن الكاثوليك ولدير بزمار وتريزيا بنت جرجي اوقفت مسقفات لفقراء الموارنة ومرتا بنت يوسف بلوص اوقفت مسقفات للروم الكاثوليك . وكذلك كتر بنت حاتم ومريم بنت شكري حكيم اوقفت مسقفات للارمن الكاثوليك بحلب وكذلك مريم بنت الياس يوسف عريس . (غزي ٥٩٧/٣)

[١٨٦٠] — ٢٨ نيسان — كتب القنصل سكين البريطاني في حلب الى سفيره في استنبول :

« ان جميع سكان حلب تولاهم القلق في ليل ٢٦ الجاري من جراء الاعلانات الملصقة على ابواب الجوامع تحريضاً للمسلمين على ذبح المسيحيين وقد طافت الجنود شوارع المدينة الليل بطوله شاكة السلاح . اما المسيحيون فقد خبأوا اموالهم في اقبية دورهم وبعضهم نقلها الى بيوت المسلمين الواثقين بهم فامست الشوارع قفرة والمخازن مقفلة » .

(المحررات ٣ ، ٤)

وفيما في ١٦ حزيران كتب القنصل سكين البريطاني في حلب :
(راجع المحررات السياسية ٣، ص ٥٩-٦٢)

« ان الطبقة العاملة في حلب رفعت يوم الثلثا المنقضي الواقع في ١٢ الجاري عريضة الى الوالي تظلماً مما الم بمصالحها من جراء الازمة المتأتية عن المخمصة وعن تعيين اسعار العملة التي لم يعمل بها الا في اسواق الحبوب والمأكولات في حين انها كانت تدفع باسعارها السابقة مما خسر اصحابها ٢٥ في المائة والتمسوا منه ان يأمر بتسوية هذه المسألة فاحال الوالي العريضة على مألوف عادته الى المجلس البلدي وهذا الاخير اكتفى بان يعدهم بالنظر في طلبهم . ومن الغد حدث في سوق المأكولات حيث يتألب الناس بكثرة كل يوم ان مسلماً يبيع خياراً ادعى زوراً بان قد نهب حانوته فجاء جاويش اسمه حسن ومعه عدة نفر من الشرطة وانقض على المسيحيين واهانهم واستل سيفه وأمر الضابطة بضربهم . وفي ذلك الحين وقع احد رجاله الى جانبه مجروحاً جرحاً خفيفاً برأسه برمية حجر ومع انه لم يعلم قاذفه استمر رجال الشرطة يبشرون معاملة المسيحيين دون ان يمسوا مسلماً . وفي خلال ذلك اراد الجاويش ان يلبس هذه الحادثة صفة فتنة فابلغها الحكومة بجسمة وطلب قوة فجاء « الكاخية » ومعه رجال الضابطة ولما لم يجد احداً سار بهم الى الاحياء المسيحية ملقياً القبض على كل من كان يجده في طريقه دون تمييز بين الذين كانوا جالسين امام بيوتهم أو خارجين من الكنائس او ذاهبين لشراء حاجياتهم الماشية واقتادهم لدار الحكومة عاملاً في اقفيتهم العصا بمنتهى القسوة . واني اقتصر على ذكر الحوادث الآتية :

ان فتى اسمه يوسف صنعته الحلاقة كان واقفاً على باب حانوته فشاهد شرطياً يسوق شاباً مسيحياً يتراوح عمره بين ١٣ و١٤ سنة وهو ينتحب من ضرب الشرطي فشاء الحلاق ان يسكن روع الشاب المسوق فقال له : لا تخف سيطلق سراحك قريباً . فلما جر به « الكاخية » يخاطب اين مذهبه امر جلاوزته فطرحوه في الارض واخذ هو يضربه بقساوة الزمته فراشه .

وكان مسيحي اخر يدعى فتح الله بطق من اسرة كريمة مستخدم في قنصلية انكلترة هنا واقفاً على باب بيته وعلى ذراعه احد اولاده واذ برجال الشرطة داهموه واخذوا يضربونه ولم يتمكن من تسليم ولده الى امه التي ركضت على صوت الجلبة الا بشق النفس فاقتادوه الى دار الحكومة مواصلين ضربه .

وقد وقعت عدة حوادث مماثلة لهذه ليست بأقل قساوة وفظاعة لكنه لم يساء الى مسلم مع انه كان يوجد كثيرون منهم بين مقدمي عرائض الشكوى والجمهور المتألب في سوق المأكولات فأضطر الاكليروس الى طلب معاونة قناصل الدول فسارعوا جميعهم الى مرافقة رجال الدين الى نادي دولة والي الولاية . فاعتذر عن مقابلتهم بمرضه فألحوا فجاء اليهم

واستوضحوه عمّا جرى فأنكر ان يكون أصدر امرًا بهذا الشأن وانما قال بانه اوقظ من نومه بناء على الحاح الشيخ بابا افندي وقد وفد عليه شاكيًا من سرقة حانوت شريكه بائع الخيار فأرسل « الكاخية » ومر باشا لمحل الحادثة .

بيد ان عمر باشا لم يتجاوز في ذلك اليوم محلة « قرانليق قبو » حيث شاهده نيس قنصل انكلترة بينا كان الكاخية وحسن جاويش يأمرون سكان الحي المسيحي بقساوة ستنظمة . ثم انه الوالي اجابةً لطلب القناصل أمر باحضار بقية المسيحيين المسجونين ورأى بينه آثار الضرب والجرح والكسر في اعضائهم فاضطرّ ان يعد بالاقتصاص من الفاعلين بتأليف لجنة يشترك فيها نوّاب القناصل بذلك بل الحوا بوجوب احضار « الكاخية » وحسن جاويش لسؤالهما عمّا جرى في ذلك اليوم المشؤم فاستقدمهما دولته والجلاوزة فاعترف « الكاخية » بحادثة الفتى الحلاق فقط محتفظًا بحق تبرير نفسه . فطلب القناصل اطلاق سبيل المسيحيين المسجونين لظهور براءتهم للعيان وثبوت الذنب على رجال الشرطة فأظهر الباشا ميله الى اجابة الطلب لكنه شاء ان يستطلع المجلس رأيه فردّ هذا الطلب محتجًا بنص القوانين وبالخوف من اضطراب المدينة وكان ان وافق عمر باشا قائد الموقع العسكري على هذا الرأي . فلما رأى القناصل مماولة الحكومة وتلاعبها آثروا الانسحاب وارسلوا بطاقة اجماعية الى الوالي يؤيدون بها طلب الاسافقة وقوامه القاء القبض على الكاخية وحسن جاويش فرد المجلس هذا الطلب وكان الباشا اطوع اليه من بنانه فتحقق القناصل عقم توسطهم للمسيحيين إزاء عداء بعض اعضاء المجلس فأبوا الاشتراك في لجنة التحقيق وأعلنوا الوالي اعتزامهم على ايقاف سفاراتهم على ما تقدم أملًا بحمل السلطة العليا على منع مظالم المجلس ودائرة الجزاء اللذين طوّحا بمصالح الاهلين المسيحيين والمسلمين لاغراض خاصة وسيما لاخذ البريء بجريرة المذنب واقلاق راحة المدينة وتدنيس شرف الحكومة التي وكلت اليها امر هذه الولاية التعسة .

— وفيها ٩ تموز وقعت في دمشق وفي لبنان الحوادث الدموية وقتل فيها المسيحيون الوفًا . ومن الذين عرفناهم الاب الجليل اليسوعي الذي هرب من المذابح ونجا الى فرنسة حيث دخل الرهبانية اليسوعية وما اكثر ما كان يندب فقدان اخته التي سبيت بين السبايا التي خطفت واكرهت الى اعتناق الاسلام وباتت عمرها في بيوتهم . ومن المنكوبين الاب انطون صالحاني اليسوعي كتب في جريدة البشير سنة ١٩١٤ ١٦ آذار ما يلي :

« اني كنت في مدينة الشام وقت الفتنة واصبحت ضحية من تلك الضحايا التي يشكو الذئب منها بعد ان يكون سطا عليها . قتل ابي في الطريق قرب سوق الطارين وجدي في

بيتنا في حارة جعفر وحرق بيتنا في جملة البيوت التي حرقت بعد ان نهب كل ما كان يحتويه . وقد مررت في الطرقات ابان اشتداد الفتنة من حارة النصارى الى القلعة فشاهدت ما تشيب له رؤوس الاطفال . . . وانا اخبر بما اعرفه وشاهدته بام العين » .

واضطربت الديار الحلبية وساد سكانها المسيحيين الخوف عند وصول اخبار تلك الحوادث اليها عن المراسلين من دمشق ومن بيروت وقد ذكرناها في وثائقنا التاريخية (٣) ص ١١٣ وما بعدها . . . فحسبنا الاشارة اليها .

وبينما كانت تقع الحوادث المشؤمة في دمشق وفي لبنان كان القنصل الافرنسي شاتري دي لافوس يسافر من مرسيليا بتموز ٢٢ ليحط في حلب ويصف حالتها وحالة البلاد المجاورة . قال : الاسكندرونة ومنطقتها ظلت متمتعة بالسلام والامن . انطاكية كذلك بفضل طلعت افندي القائم مقام وبفضل اعيان المنطقة وحكمتهم . قد يخشى اشتعال الفتنة بين الاصناف او العمال اذا ما بلغهم ان الافرنسيين دخلوا دمشق ولكن شيء من ذلك لن يحدث اذا ما ثبت القائم مقام بوقفه الحزوم وقد رفض ادخال الجيش النظامي الى منطقته وقال ان لديه من رجال البوليس ما يكفي لحفظ الامن .

وعلى كل فالعيون شاخصة الى حلب ليس فقط من انطاكية ولكن من طرسوس ومرعش واورفا وديار بكر وماردين واذا ما طارت الشرارة من حلب يخشى ان ترمي الحريق في كل المدن المذكورة وفي مناطقها فلا بد من يسعى الباب العالي في ضمان البلاد هذه البلدة .

وفي غضونها عاد التعصب الى اشده بين العامة . فيلجئون المسيحي الى ان ينزل عن الرصيف الى الطاروق عند سيره في الازقة . واذا ركب دابة الجئ الى النزول عنها في مروره باحياء المسلمين .

— وفيها في ٢٩ تموز ارسل البابا بيوس التاسع الى البطريرك بولس مسعد والمطارنة الموارنة رسالة اعرب فيها عن حزنه لمصائب المسيحيين في الشرق فيعزيهم ويحسن اليهم ويدعو الملوك المسيحيين الى مقاومة الاشرار .

وقال اننا لنرجو بعون الله تحسن حالة مسيحي جهاتكم لان الامة الفرنسية الكريمة المحتد وحكومتها يعدان اسطولاً لارساله الى بلادكم وحمايتها كما ان سائر الدول انفذت بوارج حربية لحماية رعاياها وانقاذها من يد الجزارين .

(المحررات ٣ ، ٢٠٢)

[١٨٦١] ٢٩ آب حضرت من دمشق الى حلب امرأة اسمها مريم ومعها ابنها وقعت في ايدي النخاسة بعد حادثة الستين فاشتراها رجل اسمه حيشه من من اللاذقية وارسلها الى حلب لتباع الى المسلمين وهي تريد ان تباع الى المسيحيين فقيل لها ان المسيحي ليس له حق الاقتناء بالرق فلجأت الى القنصل دلافوس الافرنسي وراجع القنصل السفارة في شأنها واجرى المعاملات مع المراجع الايجابية لترد مريم المسيحية وابنها الى الحرية وينزل القصاص في مصطفى افندي الضابط الذي كان قد اعتقل الامرأة .

(عن الوثائق القنصلية)

— وفيها في ٢٠ ك ١ اعتق يعقوب حسني جاريته زهرة وولدها اسعد .

(عن الوثائق المارونية)

— اتصلت حلب مع استنبول بالسلك البرقي .

(غزي ٣ ، ٣٩٠)

— وفي هذه السنة ارسل البطريرك يوسف فالركا اللاتيني رسالة الى المطران يوسف مطر الماروني يثني عليه لسهره على الرعية في تلك الايام العصيبة ولرده الى الايمان الكاثوليكي بعض من اعتنقوا المذهب البروتستنتي .

(اضبارة مطر ١٨٥)

[١٨٦٢] ٢٣ نيسان ارسلت الاخت روزالي ستيفانلي من راهبات مار يوسف الى المراجع الايجابية احتجاجاً على الاهانات اللاحقة بالراهبات وتلميذاتهن في مرورهن على الطريق من الدير الى الكنيسة .

واحتج الاب لوديفيكو دي رافنا الفرنسي لدى المراجع الايجابية لان المارة من رعاع الناس يبصقون على وجوه الراهبات ويضعون صلباناً بالارض امامهن لكي يطرون الى المشي عليها ويشتمونهن ويسمعونهن ابشع المسبات.

— وفيها ٦ حزيران بلغت الى الباب العالي الاحتجاجات على الباشا وطلب ابداله بمن يكون عطوفاً على المسيحيين فتعين على حلب ثرياوكان من خيرة ولاتها.

(غزي ٣ ، ٣٦١)

(يتبع)

اللحى في الاسلام (تابع)

بقلم حبيب زيات (٠|٠)

جذب اللحى وهزّها

كان الوليد بن يزيد حانقاً على محمد بن هشام؟ ... فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى اخيه ابرهيم ... ووجه بها الى يوسف بن عمر بالكوفة وامره باستصفائها وتعذيبها حتى يتلفا .. فكان محمد بن هشام مطروحاً فاذا ارادوا ان يقيموه اخذوا بلحيته فجذبوه بها[1] .

قال احد رواة كتاب الاغاني في خبر له عن الاخطل: رأيته بالجزيرة وقد شكى الى القس وقد أخذ بلحيته وضربه بعصاه وهو كالفرخ المذبوح فقلت له اين هذا مما كنت فيه بالكوفة . فقال يا ابن اخي اذا جاء الدين ذللنا[2] .

دخل على عثمان القوم يقدمهم ابن ابي بكر حتى اخذوا بلحيته[3] .

سنة ٦٢٧ (١٢٣٠ م) جلس محيي الدين بن فضلان في ديوان الجوالي ببغداد وكتب الى الخليفة الناصر لدين الله رقعة يحرضه فيها على اهل الذمة . وبعد ان بالغ في الوقيعة فيهم قال له: من حكم الشرع انه اذا اخذت الجزية منهم وهو قائم والآخذ قاعد يضعها في كفه ليتناولها المسلم من وسط كفه تكون يد المسلم العليا ويد الذمي السفلى ثم يمد بلحيته ويضرب في لهازمه ويقول له: أدِّ حق الله يا عدوّ الله يا كافر[4] .

شهر هفتكين في العسكر وطيف به على جمل فاخذ الناس يلطمونه ويهزون لحيته حتى رأى في نفسه العبر[5] .

١) الاغاني، طبعة الدار ١ : ٤١٦
٢) الاغاني ٧ : ١٣٩
٣) الاغاني ١٥ : ٧٢
٤) الحوادث الجامعة للقرطي . الخزانة التيمورية ٦٣-٦٧
٥) الخطط ٣ : ١٥

دخل محمد بن ابي بكر حتى جثا على ركبتيه وكان عثمان حسن اللحية فجعل يهزّها حتى سمع نقيض اضراسه[1] .

احراق اللحى

قطب العالم ابو الفقراء حيدر بن عبد الله بن ابي البركات الزاوي الشيخ العارف :

«كان من عقلاء المجانين وله جماعة من المريدين الذين يحرقون لحاهم بالنار ويستعملون آلات الحديد كالطوق والسلاسل والسوم والحصي والدبوس وامثال هذا[2] » .

غنت حبابة يوماً بين يدي يزيد فطرب ثم قال لها هل رأيت قط اطرب مني قالت نعم مولاي الذي باعني فغاظه ذلك فكتب في حمله مقيّداً فلما عرف خبره امر بادخاله اليه فادخل يرسف في قيده وامرها فغنت بغتة :

نشط غدا دار جيراننا ولَلدار بعد غد ابعد

فوثب حتى القى نفسه على الشمعة فاحرق لحيته وجعل يصيح : الحريق يا اولاد الزنى فضحك يزيد وقال : لعمري هذا اطرب الناس فامر بحل قيوده ووصله بالف دينار ووصلته حبابة وردّه الى المدينة[3] .

حكي عن بعض المغفلين انه نظر في كتاب القراسة فوجد ان من كان طويلا صغير الراس طويل اللحية فانه يكون قليل العقل فاخذ المرآة وقال اما رأسي فصغير ولا حيلة لي في كبره واما قدي فطويل ولا حيلة لي في قصره . واما اللحية فيمكن تقصيرها فقبض على لحيته وقرب السراج الى فضل ما زاد عن قبضته ليحرق ذلك فلما وصلت النار الى يده نزعها من لحيته هرباً من النار فاتت النار على لحيته جميعا وعاد فكتب على ذلك الكلام : باب صحيح مجرب[4] .

١) انساب الاشراف ٥ : ٩٢

٢) تلخيص كتاب مجمع الآداب المرتب على معجم الاسماء في معجم الالقاب لعبد الرزاق ابن احمد الفوطي ٦٢ ' الخزانة الظاهرية ٢٢١ .

٣) الاغاني ١٣ : ١٦٤

٤) الغيث المنجم للصفدي ٢ : ٢٢٩ .

لحى الخلفاء والملوك

كان عثمان ... كث اللحية ... كثير شعر الراس يصفر شعر لحيته[1] .

دخل محمد بن ابي بكر على عثمان حتى جلس بين يديه واخذ بلحيته فقال يا نعثل . ونعثل دهقان اجهان كان جميلًا جيد اللحية فشبهوا عثمان به[2] .

سنة ٥٦٦ توفي المستنجد بالله ... وكان اسمر تام القامة طويل اللحية[3] .

سنة ٢٩٥ توفي المكتفي ... كان حسن الشعره وافر اللحية[4] . المكتفي بالله كان وافر اللحية عريضها .

(تاريخ بغداد للخطيب ١١ : ٣١٨)

كان المعتصم ابيض احمر حسن الجسم مربوعاً طويل اللحية[5] .

عبد الملك بن مروان ... كان اسمر مربوعاً طويل اللحية[6] .

مروان بن محمد ... كان كبير اللحية ضخم الهامة[7] .

ابو جعفر المنصور ... كان خفيف العارضين[8] .

المأمون ... كان طويل اللحية[9] .

الواثق ... كان كث اللحية[10] .

المهتدي ... كان طويل اللحية[11] .

المعتمد ... كان طويل اللحية[12] .

المعتضد ... كان خفيف العارضين[13] .

المقتدر ... كان حسن الوجه واللحية اصهبها[14] .

القاهر ... كان وافر اللحية[15] .

الراضي ... كان خفيف العارضين[16] .

---

١) انساب الاشراف ٥ : ٤

٢) انساب الاشراف ٥ : ٨٢

٣) الكامل ١٠ : ١٣٤

٤) تجارب الامم ٥ : ٥٧

٥) خلافة المعتصم ليدن ٧٣ والتنبيه الاشراف ٣٥٤

٦) التنبيه والاشراف ٣١٦

٧) التنبيه ٣٢٨

٨) التنبيه ٣٤١

٩) التنبيه ٣٥١ وانساب الاشراف ٥ : ٤

١٠) التنبيه ٣٦١ وانساب الاشراف ٥ : ٤

١١) التنبيه والاشراف ٣٦٦

١٢) التنبيه ٣٦٩

١٣) التنبيه ٣٧٠

١٤) التنبيه ٣٧٧

١٥) التنبيه ٣٨٨

١٦) التنبيه ٣٨٨

اخبرني من رأى سليم شاه بن عثمان انه مربوع القامة حليق اللحية ليس له غير الشوارب[1] .

امير المسلمين المتوكل على الله فارس بن يعقوب بن عبد الحق المريني (٧٢٩—٧٥٩) كان ... عظيم اللحية تملأ صدره اسودها واذا تمر بها الرياح تفرق على نصفين حتى يستبين موضع السبلة ولم ترَ عيني في جيشه اعظم لحية منه ولا احسن[2] .

سنة ٥٦٩ توفي نور الدين محمود بن زنكي ... كان اسمر طويل القامة ليس له لحية الا في حنكه[3] .

القائم بالله كان ... طويل اللحية عريضها يخضبها[4] .

تيمورلنك كان شيخاً طوالا نهولا طويل اللحية[5] .

هجاء اللحية وتشبيهاتها في الشعر

قال ابو علي (القالي) وانشدني بعض اصحابنا واحسبه قال لابي العتاهية :

لا تفخرن بلحية كثرت منابتها طويلة
تهوي بها هوج الريا ح كأنها ذنب الحسيلة
قد يدرك الشرف الفتى يوماً ولحيته قليلة[6]

قال اسحق بن خلف يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية :

فاسرني انني في طول داود وانني علم في الباس والجود
ما شبت داود فاستضحكت من عجب كأنني والد مني بمولود
ما طول داود الا طول لحيته يظل داود فيها غير موجود
تكنه خصلة منها اذا نفحت ريح الشتاء رجفة الماء في العود
كالانبجاني مصقولاً عوارضها سوداء في لين خد الغادة الرود

1) التنبيه ٣٨٨
2) تاريخ ابن اياس ٣ : ٤٩
3) روضة النسرين في دولة بني مرين لابن الاحمر ٣٣٠
4) الكامل ١٠ : ١٥١ .
5) البداية والنهاية ١٢ والضوء اللامع ٣ : ٤٩
6) امالي ابي علي القالي طبعة ١٣٢٦ : ١ : ٢٨٥—٢٨٦

احزى واغنى من الخز الصنيق ومن | يض القطـايف يوم القر والسـود
ان هبت الريح اذته الى عـدن | ان كان ما لفّ منهـا غير معقود [١]

لعتيق بن مفرج التونسي يهجو :

ولحية لينـة المسّ | تنـاب في الشقّ بـلا حسّ
لو قعد الجالس في وسطهـا | لما رأتـه اعين الانـس
كأنها الترس ولكنهـا | احسن في العين من الترس [٢]

قال ابن الرومي :

ولحيـة يحملها مائق | مثل الشراعين اذا اشرعا
تقوده الريح بها صاغرًا | قودًا حثيثًا يتعب الاخدعا
لو غاص في البحر بها غوصة | صاد بها حيتانه اجمعـا [٣]

لابن لنكك المصري :

لا تخدعنك اللحى ولا الصور | تسعة اعشار من ترى بقر
تراهم كالسحاب منتشرًا | وليس فيـه لطالب مطر
في شجر السرو منهم مثـل | له رواء ومـا له ثمر [٤]

اجاد ابن الرومي وابلغ وجمع في ابيات من المعاني ما لم يجمعه احـد في هذا الباب وهو قوله :

ان تطل لحيته عليك وتعـرض فالمخالي معروفة للحمير
علق الله في عذاريك مخـلاة ولكنهـا بغير شعير
لو غدا حكمها الى نضارت | في مهب الرياح كل مطير
اربع فيها الموسى فانك منهـا | شهد الله في اثام كبير
ايمـا كوسج رآها فيلقى | ربه بعدها صحيح الضمير
هو احرى انه يشك ويفرى | باثام الحكم في التقدير
ما تلقـاك كوسج قط الا | جوّر الله ايمـا تجوير
لحيته اهلت فطالت وفاضت | فاليها تشير كف المشير

١) الكامل للمبرد مطبعة التقدم ١ : ٢٥٦
٢) عيون التواريخ لندة Or 3005 f° 25
٣) الف با لابي الحجاج يوسف بن محمد البلوي اكسفرد marsh. f° 480-947
٤) اليتيمة طبعة مصر ٢ : ٣٢٣

ما رأتها عين امرئ ما رأتها قطّ الا اهل بالتكبير
روعة تستخفه لم يرعها من راى وجه منكر ونكير
فاتق الله ذا الجلال وغير منكرًا منك ممكن التغيير
او مقصر منها فحسبك منها قيد شبر علامة التذكير
لو رآها النبي يومًا لاجرى في لحى الناس سنة التقصير
واستحب الاعفاء فيهن والحلق مكان الاعفاء والتوفير [1]

لابن قلانس :

لا تغرّنك اللحى من اناس درجوا كالحمير تحت المخالي[2]

لابن الرومي :

ان انت صادفت اخا لحية قد جللت من كبر صدره
فاقبض بيسراك على اصلها وضع على حلقومه الشفره
فان خشيت الله في قتله وخفت منه سطوة مره
ثب الى عثنونه نانفا فأت عليه شعرة شعره [3]

وله ايضاً :

ولحية سائلة لحيته شهباء تحكي ذنب المذبه
الا فتى يرضي بداك ربه يضم كفيه على ازربه
ثم يعلو رأسه يضربه يشفي به قلوبنا وقلبه [4]

للمرجي في هجاء لحية ابي عدي العبلي :

اناانا فلم نسر به غير انه له لحية طالت على حمق القلب
كراية بيطار باعلى حديدة اذا نصبت له تكسب الحمد بالنصب

فرد عليه ابو عدي في ابيات قال في آخرها :

له لحية قد مزّقت فكانها مقنّة حشاش مخالفة المشب [5]

(يتبع)

١) ديوان المعاني لابي الهلال العسكري Add. 23443 f° 62
٢) ديوانه ٨٢
٣) مختارات من ديوان ابن الرومي الكيلاني ٢٧٩
٤) مختارات من ديوان ابن الرومي ٢٧٩
٥) الاغاني طبعة الدار ١ : ٤٠٠—٤٠٢

الاسماعيلية والقرامطة

بقلم عارف تامر

[يعتبر الاستاذ « عارف تامر » بنظر العلماء والباحثين والمستشرقين احسن من كتب وبحث في التاريخ الاسلامي وخاصةً ما كان متعلقاً بالحركة الباطنية والاسماعيلية الفلسفية . . والبحث الذي تنشره المشرق الآن فيه كل ما يفيد طالب العلم ، وراغب الاطلاع].

كم يطيبُ لي ان اتحدث الى قراء مجلة المشرق الغراء عن موضوع خطير يحتلُّ ناحية هامة في تاريخنا الشرقي ، وعن فكرة نشأت في العالم الاسلامي فاحدثت فيه دوياً وانقلاباً وحولته من عالم ضيق منكمش بافكاره وعاداته الى عالم طليق يسيرُ باتجاه مستقيم على اسس من القوة والعبقرية والعقل والاتزان. هذا الموضوع هو الحركة الاسماعيلية والقرمطية وكلا الفرعين باعتقادي يشكلان وحدةً تامة مشتركة تلتقي مع اختها على صعيد واحد ثم تفترق لتعود الى الالتقاء ثانية في مضمار الآراء والمعتقدات ، واذا كان بحثنا هذا سوف يقتصر على الناحية التاريخية فلأن المواضيع الاسماعيلية ذات فروع وشعب مختلفة يجب ان يكون لكل منها طابعه وموضوعه ، ومهما يكن من امر فلا بد لي من القول بان تراثنا التاريخي الشرقي لا يزال في حاجة ماسة الى ان يدرس درساً منظماً على ضوء الحقيقة والتجرد والواقع ، وان تحقق موضوعاته بطرق البحث الحديثة السيقة ، وان يكشف عما فيه من كنوز ثمينة وثروات عظيمة وذخيرة غالية من علوم ومعارف كانت ولا شك هي الاسس الثابتة والدعائم القوية لكل تقدم وازدهار وحضارة .

يعتبر المؤرخ الكبير (ابو جعفر محمد جرير الطبري) المتوفي سنة ٣١١ ﻫ اول من بحث تاريخ الحركة الباطنية والدعوة الاسماعيلية ، وجاء بعده (عريب بن سعد القرطبي) المتوفي سنة ٣٨٠ ﻫ . فوضع ذيلاً لكتاب الطبري استعرض ما جاء فيه من معلومات واضاف اليها بحثاً عن قرامطة البحرين ولكنه كان كاستاذه الطبري سطحياً فلم يربط بين الحركتين الاسماعيلية والقرمطية وانما سار في اتجاه معوج فاخطأ الهدف وضلَّ في صحراء من الاخطاء لا نهاية لها .

وجاء (المسعودي) المتوفي سنة ٣٤٤ ﻫ في كتابيه التنبيه ومروج الذهب فدوّن في صفحات قليلة حوادث القرامطة ومن الجليّ الواضح انّ معلوماته جاءت احدث من معلومات الطبري ، اما ابنُ رزام الذي عاش في اوائل القرن الرابع الهجري فقد اطلع على مبادئ الحركة الباطنية حتى نظام التأويل لديها فكتب ولكنه ظل بعيداً عن الحقيقة والواقع بركونه للاستنتاج العقلي والخيال ، واهمْ من كل من ذكرناهم المؤرخ (حمزة الاصفهاني) الذي عاش في القرن الرابع الهجري فقد اقتصر فيما كتب على اعمال القرامطة الحربية ولم يشر الى دعوتهم الفلسفية والعقائدية ولا الى صلاتهم بغيرهم ثم ان (الصابي) المتوفي سنة ٤٤٧ ﻫ ومسكويه المتوفي سنة ٤٢١ ﻫ فقد كتبا بحوثاً طويلة ونافعة في هذا الموضوع ، ومن الذين نهجوا نهج ابن رزام وسار على طريقته ونهجه في كتاباته نظام الملك وابن شدّاد وابو الفداء . ورشيدُ الدين ثم جاء النويري وبعده المقريزي وهذا الاخير يعتبر في طليعة المؤرخين الذين بحثوا الحركة الاسماعيلية بحثاً مستفيضاً قائماً على اهداف ثابتة من التجرد والانصاف والواقع ، وجاء المتكلم الكبير (ابو الحسن الاشعري) المتوفي سنة ٣٢١ ﻫ فوضع ابحاثاً مفصلة عن الاسماعيلية جاءت مفيدة على وجه العموم ، امّا (الملطي) المتوفي سنة ٣٧٧ ﻫ فقد عني بالتفنيد اكثر من عنايته بالشرح والتوضيح ، وامّا من هو اكثر اسهاباً في هذا الموضوع فهو (ابو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي) المتوفي سنة ٤٢٩ ﻫ والشهرستاني الذي ذكر مصادر اسمعيلية فاستفاد منها وافاد ، ونستطيع ان نضيف الى هؤلاء جمال الدين بن الجوزي الحنبلي المتوفي سنة ٥٧٧ ﻫ لانه اعطانا فكرة عامة ونبذة موجزة عن الحركات الباطنية . وهناك مصادر اخرى بحثت هذه الحركة بحثاً عرضياً غيرَ مقصود اقدمها كتاب معرفة اخبار الرجال لابي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشيّ وهذا المؤرخ عاش في القرن الرابع الهجري وهو تلميذ للعالمين الشيعيين الكبيرين ابي القاسم نصر بن صباح البلخي ، وابي نصر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي ، اما النجاشي المتوفي سنة ٤٥٠ ﻫ ، والطوسي المتوفي سنة ٥٨٨ ﻫ فقد بحثا الحركة الاسماعيلية بحثاً مستفيضاً وقرّبا الى الاذهان شيئاً من الواقع .

هذا وان النوبختي المتوفي سنة ٣١٠ ﻫ والاسترابادي المتوفي سنة ١٠٢٨ ﻫ

وابن خلدون والسيوطي ، وابن القلانسي ، وابن النديم ، والنيسابوري ، وابن خلكان ، وابن حوقل ، وثابت بن سنان فانهم جميعاً قد بحثوا الحركة الاسماعيلية واعتبروها من اهم الحركات الفكرية التي وُلدت في العالم الاسلامي فاحدثت فيه تأثيراً واضطراباً وانقلاباً في الآراء والمعتقدات .

وننتقل بعد ذلك لنأتي على ذكر العلماء والمستشرقين والباحثين المعاصرين فنقول :

ان الكتابة عن الاسماعيلية بدأت بالفعل عندما جمعت بعض مقتطفات من اسماعيلية سوريا الوسطى نشرها (ستانيسلاس غويارد) وقد نشرت بعض المجلات الروسية قطعة او قطعتين وجدتا عند اسماعيلية آسيا الوسطى ، وعثر (غريفيني) سنة ١٩٠٥ م على عدد من مصنفات الاسماعيلية في اليمن وقد اجمل بعضها في مقال عام ثم جاء دوزي ، وارنولد ، وسيلفستر دي ساسي ، ودي فريمري ، ومامور برنس ، وموريس باريس ، وبروكلمن ، وشتروتمان ، ومينورسكي ، وبراون ، وبرنارد لويس ، وكراوس ، وسترن ، وماسينيون ، وحتي ، وهودكسن ، فكتبوا عن الحركة الاسماعيلية واضافوا الى مصادرها ذيولاً كانت جداً موفقة ومن الاهمية بمكان وقد اعطت نتيجة مثمرة . اما (ايفانوف) فيعتبر في طليعة الباحثين الذين كتبوا التاريخ الاسماعيلي وقد برهن عن فهم عميق ومعرفة واسعة ، وجاء الدكتور محمد كامل حسين والدكتور حسين همداني ، والدكتور حسن ابراهيم حسن ، والدكتور طه احمد شرف ، فكتبوا بحوثاً مستفيضة عن الاسماعيلية لا نستطيع الا ان نهنئهم عليها فهي والحق يقال قد سدت فراغاً واسعاً وكشفت عن بعض النواحي الغامضة ، اما العلامة المفتي الاستاذ آصف فيضي فيعتبر من الاختصاصيين في الفقه والقانون الاسماعيلي ، ويعتبر الدكتور (زاهد علي) من الاختصاصيين بالادب الاسماعيلي ايضاً ، ويوجد هناك مستشرق كبير وعلامة عظيم تفهم الفلسفة الاسماعيلية حق الفهم ووصل الى اعماق هذه الفلسفة هو الاستاذ هنري كوربان مدرس الدراسات العالية في جامعة السوربون فكثيراً ما كانت ابحاثه تتخذ طابع الجد والاهتمام وتفيض بالفهم والعقل والغوص في الاعماق ، ومهما يكن من امر فان الدراسات الاسماعيلية قد تطورت تطوراً ملحوظاً حتى شملت مختلف النواحي الفكرية من عقائدية وفلسفية

واجتماعية وسياسية فظهرت الى عالم الوجود مصادر تاريخية جديدة ومخطوطات علمية قيمة كانت في طي الخفاء. فألقت بعض الانوار على هذه الفلسفة المستورة ومن المصادر التي ظهرت لعالم الوجود كتاب (عيون الاخبار) وهو مجمل لتاريخ الدعوة الاسماعيلية وضعه الداعي الاسماعيلي اليمني الاصل (ادريس عماد الدين) وهناك مخطوطات الفقيه الاسماعيلي الكبير العلامة القاضي النعمان بن محمد بن حيّون المغربي التميمي، وما خطّه الرحالة الاسماعيلي الفارسي (ناصر خسرو) في كتابه (سفر نامه) مضافاً الى ذلك بعض المخطوطات لتاريخ الاسماعيلية السورية ومنها كتاب (فصول واخبار) وتبذل الآن جهود كبيرة لطبعه هذا فضلا عن المخطوطات العلمية والفلسفية التي طبعت وهي اكثر من ان تحصى.

رجّت بلاد الخلافة العباسية اثناء العصور الوسطى للاسلام حركة دينية اجتماعية فلسفية وسياسية مما هدّدت كيان الخلافة الاسلامية زمناً ما ؛ وقد توفقت عندما بلغت الذروة ان تنشئ في القطر المصري خلافةً فاطمية شيعية مناوئةً للخلافة العباسية السنية في بغداد واقل ما يقال فيها انها تساويها قوةً وتفوقها عزةً ومضاء، وانها كانت صاحبة الشوط الاول في مجال العلم والمدنية وفي طليعة الدول العاملة لبناء حضارة عالمية تقوم على اساس من العلم وعلى دعائم من القوة، اقول: قوة .. لانه من الواضح اننا قلما نجدُ في المجتمع الاسلامي مذهباً او دعوة الى تغيير نظم عقائدية كانت او سياسية او اجتماعية الّا استندت على القوة والعنف وقامت بحد السيف. واني قبل ان ابدأ بالحديث عن هذه الحركة لا بد لي من تقديم هذا العرض الموجز فاقول :

كانت الدولة الاموية عربية النزعة والطابع وعلى الرغم من خضوع كثير من الشعوب الاسلامية غير العربية ذات التاريخ الحافل اليها فلم يُؤمنّ بنو امية بغير العرب فمنهم كان الولاة والقواد ورؤساء الدولة والحكام والامراء. ولهذا كره الموالي حكمهم وعملوا على اسقاطهم وكان العلويون وشيعتهم اعظم اعداء الامويين خطراً وقوة فالخلاف بينهم قديم منذ عهد علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وقد اضطهد الامويون بني هاشم جميعاً وقابلهم هؤلاء بان عملوا على تقويض دولتهم، وقد كانت الدعوة في بادئ الامر لآل البيت دون تخصيص

بعلويين او عباسيين ثم لما تنازل ابو هاشم بن محمد الحنفيــة زعيم الحزب الكيساني الى محمد بن عبدالله بن عباس قوي الحزب العباسي واشتد ساعده ولكن ابا مسلم الخراساني كان يدعو لآل البيت بلا تعيين وانتهى الامر بتغلب العباسيين وتولية ابي العباس السفاح الخلافة بمؤازرة الفرس خاصة والموالي عامة وكان ابو العباس براً بآل علي قريبهم واغدق الاموال عليهم ولكنه بالوقت ذاته كان يحتاطهم ويرقبهم عن كثب ويغري بهم من يحصي عليهم الاخطاء ، ولما يئس العلويون من الخلافة خرج محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن ابي طالب المعروف بالنفس الذكية على ابي جعفر المنصور بالمدينــة وغلب عليها فحبس المنصور اباه عبدالله واهله من بني الحسن في سجن الكوفة وقــد ماتوا فيه ووجه الى النفس الذكيّة الذي كان قد خرج الى الحجــاز وتلقب (بالمهدي) جيشاً بقيادة ابن اخيه عيسى بن موسى وكانت الغلبة لجيش المنصور فقتل النفس الذكيّة وحمل رأسه الى المنصور سنة ١٤٥ . وعندئــذ قال بعض الزيدية ان الامام من بعده هو اخوه ادريس الذي فرّ الى المغرب الاقصى واختط مدينة فاس واسس دولة الادارسة ، وقد كانت هذه الحادثــة انذاراً بالثاً للعلويين بعهد طويل من الاضطهاد الشنيع دونه ما لاقوه من بني امية ، وهذا سبب رئيسي لهذا النزاع الداخلي والسبب الآخر هو اقصاء بيت الرسول بعــد وفاة النبي محمد عن زعامة المسلمين وقد كان هذا الاقصاء سبباً بالحروب الدامية مع بني امية وظهرت الفرق الشيعية تناصر الحسن والحسين وتلتف حول زيد ابن علي وابنه يحيى وتقوم بدور كبير محاولة ازالة سلطان الامويين ولكنهــا اخفقت في الجولة الاولى فسُمّ الحسن وقتل الحسين وقد ظهر انهــا عجزت في عهد الأمويين عن تحقيق اهدافها في سيادة العالم الاسلامي ومردُّ ذلك كما هو جليّ وواضح الى انقسام الشيعة الى حسنيين وحسينيين وحنفية ثم الى هاشميين ولأن الدولة الاموية كانت في ابان قوتها واتحادها اضف الى ذلك انتقال حق الامامة من ابي هاشم بن محمد بن الحنفية الى محمد بن عبدالله العباسي وجاءت الدولة العباسية كما اسلفنا لتحكم العالم الاسلامي فحمل لواء المعارضــة بنو الحسن ومنهم محمد بن عبدالله بن الحسن المعروف بالنفس الذكيّة واخوه ابرهيم فضاق ذرعاً بهم ابو جعفر المنصور ثم قتلهما وقد كان ذلــك سبباً حدا بالفرع

الحسني لان ينضم الى جعفر الصادق الحسيني ثم الى ابنه اسماعيل ولكن الانقسام بينهما فيما بعد عاد سراً حول القيادة مما دعا جعفر الصادق الى تكوين جماعة ذات طابع خاص في تفكيرها ونظامها الاجتماعي والديني والسياسي تلك الجماعة هي الاسماعيلية .

اجل اقام العباسيون دولتهم على غير اساس ثابت لانهم تنكروا للعرب ولم يعتمدوا عليهم مع انهم ركنهم الذي يأوون وشجرتهم التي يستظلون واصطفوا الفرس وركنوا اليهم وجعلوا منهم الولاة وقواد الجيش وعمال الخراج ورؤساء الدولة وظهرت العصبية العباسية باجلى مظاهرها وانضمت للفرق الشيعية وألفت كتلة كبيرة اتحدت وشكلت الدولة العباسية فكان اركانها والقائمون عليها هم الذين ذاقوا صنوف الاضطهاد بعهد الدولة الاموية ومنهم الشيعة والفرس وكافة العناصر المسلمة غير العربية فدب الفساد وكثر الحسد وقامت المؤامرات بالسر والعلانية واستقلت عدة ولايات واصبح كل امير يطمع في ان يكون والياً على ولاية يتصرف بمقدراتها ويتحكم بشؤونها وكانت الحادثة التي هزت كيان العالم الاسلامي عامة والشيعة بجميع فروعها خاصةً ما فعله المتوكل بالله العباسي سنة ٢٣٧ ﻫ بهدمه قبر الحسين بن علي بكربلاء وعمو ما حوله من المنازل والدور وتعسفه في معاملة الشيعة تعسفاً خطيراً وكانت هناك دعوة تقام في الستر لهدم هذه الخلافة لتشيد على انقاضها خلافة ترتكز على دعائم من العلم والقوة ، هذه الدعوة هي الاسماعيلية .

نشأت الاسماعيلية نشأتها الاولى سنة ١٢٨ ﻫ في العراق وفارس كدعوة دينية من قبل الفقيه المشرع العلامة الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب ويذهب بعض علماء الاسماعيلية الى القول بان دعوتهم قديمة منذ عهد اسماعيل بن ابراهيم الخليل وبالرغم من وجود ما يثبت هذا الزعم عقائدياً فاننا لا نجد بين ايدينا مصادر تاريخية تؤيده تأييداً قاطعاً وهذا ما يجعلنا مع اكثر الباحثين والمهتمين نولي اهتمامنا عند بحث الاسماعيلية مبتدئين بعهد اسماعيل بن جعفر الصادق وما بعده فنقول .

ان هذه الدعوة قد بدأت تتحول الى حركة سياسية سنة ٢٥٩ ﻫ ثم الى دعوة سياسية اجتماعية عامة تأخذ طريقها لتحرك العقول من جمودها الضيق

وتخرجها من عزلتها وانكماشها وتضفي عليها الانطلاق الرحيب ونبذ البدع والتمسك بعقيدة واقعية بنظمها وقوانينها . فاجتمع نفر من الدعاة المجتهدين بعد وفاة الامام جعفر حول نجله اسماعيل ورفضوا الاعتراف بامامة اخيه موسى الكاظم وعاهدوا اسماعيل وقاموا بالدعوة له وهذا حسب اعتقاد الاسماعيلية الذين يقولون بان اسماعيل لم يمت بحياة ابيه ، وبعد موته ساقوا الامامة بولده محمد وكان يقيم في فارس واطراف العراق ثم بولده (عبد الله) الذي انتقل الى سلمية — سوريا واقام فيها متسترا بعيداً عن الانظار يحيط به رجال دعوته البارزين ، وفي هذه الفترة ظهر كتاب رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ونشر فكان دعوة عامة عجلت بالقضاء على المجتمع العباسي القائم على تعاليم جامدة سطحية لا اثر فيها للفلسفة وفي هذه الفترة تماماً ظهرت الفرقة القرمطية الاسماعيلية تدعو الى مبادئ اشتراكية متطرفة كانت ترمي الى احداث ثورات شعبية وعمالية وزراعية وصناعية ضد الملاكين والاقطاعين والاثرياء وكانت هذه المبادئ من وضع الامام محمد بن اسماعيل ، وقد انتشرت سريعاً في المغرب سنة ٢٩٦ هـ على يد ابي عبدالله الشيعي ، وفي اليمن ٢٧٠ هـ على يد ابن حوشب منصور اليمن وابي الفضل الجدني ، وفي البحرين على يد الحسين الاهوازي وحمدان بن الاشعث وابي سعيد الجنابي « الحسن بن بهرام » وزكرويه بن مهرويه (الفرج بن عثمان الكاشاني) وفي مصر على يد ابي علي الداعي المقيم ، وفي فارس على يد نصر بن احمد الساماني امير خراسان وبلاد ما بين النهرين ومرداويج الديلمي امير طبرستان ، ويوسف بن البايع امير اذربيجان ، وعندما تم ظهور الامام الحادي عشر (محمد بن المهدي بالله) او (عبيدالله) نقل عاصمة دعوته من سلمية — سوريا الى المهدية في المغرب وجعلها عاصمة الخلافة الفاطمية ، وبعد ان استمر حكمه ورسخت اقدام دولته مات فتلاها ولده القائم ، ثم المنصور ، ثم المعز لدين الله الذي فتح القطر المصري سنة ٣٥٩ هـ ونقل عاصمة خلافته من المغرب الى القاهرة وبعد ذلك تعاقب على شؤون الخلافة الفاطمية بعد المعز لدين الله ولده العزيز ، ثم الحاكم بامر الله ، ثم الظاهر لاعزاز دين الله ، ثم المستنصر بالله ، وفي نهاية عهد الاخير طرأ على الدولة الفاطمية الانحطاط وبدأ نجمها يميل نحو الافول ، فبعد ان انتقل الامام المستنصر بالله لدار الآخرة وقع

الاختلاف على الخلافة بين ولديه نزار والمستعلي ولما كان المستعلي وهو الابن الاصغر تربطه ببدر الجمالي قائد جيوش الدولة الفاطمية المصرية اواصر القرابة لجهة والدته تمكن من الانتصار وانتزاع الخلافة من نزار وهكذا انقسمت الاسماعيلية الى فرقتين مستعلية ونزارية فاما النزارية فقد ودعت ربوع وادي النيل وانتقلت الى فارس وجعلت عاصمة ملكها قلعة «ألموت» وقام على شؤونها الداعي الكبير «حسن بن الصباح» وكان انصارها يقيمون في سوريا والعراق وفارس، واما المستعلية فقد انتقل حكمها بعد المستعلي الى الآمر ثم الى الحافظ ثم الى الظافر ثم الى الفائز ثم الى العاضد وفي عهد آخرهم العاضد انتزع صلاح الدين الايوبي الملك وهكذا انتهت الدولة الفاطمية من ربوع الكنانة وانتقلت بفرعيها النزاري والمستعلي لتتخذ شكلاً جديداً، والمستعلية الاسماعيلية هي «البهرة» الآن بفرعيها السليمانية والداؤدية وتقيم في الحجاز بوادي نجران وفي اليمن في صنعاء والجديدة وفي افريقية والهند وباكستان وعددها يقارب المليون، اما النزارية التي استقرت دعوتها في فارس فقد تسلسل منها سبعة ائمة بعد المستنصر بالله آخر خليفة فاطمي في مصر، وقد اقاموا جميعهم في «ألموت» الفارسية وكان آخرهم شمس الدين بن محمد وبعد موته انقسمت النزارية الى قسمين هما «المؤمنية» و«القاسمية» فالمؤمنية هي التي قالت بامامة «مؤمن شاه» نجل شمس الدين الاكبر وتقطن هذه الفرقة الآن في جبال طالقان الفارسية واذربيجان وبامير في الصين وبدخشان وتاكجستان في روسيا وبعد مؤمن شاه انتقلت الامامة الى ولده رضي الدين ثم الى طاهر وحيدر وصدر الدين ومعين ثنت وخداي بخش، وعزيز ومعين الدين، ومحمد مشرف، وحيدر، ومحمد الباقر، وهذا الامام الخير عاش حتى عام ١٢١٠ ه وبعده انقطعت الفرقة المؤمنية الاسماعيلية عن الاتصال بهذه الاسرة الفاطمية الاصل العلوية النسب وقالت بان الامام يعيش الآن في الستر الكثيف وسيعود يوماً ليملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، اما القاسمية فقد ساقت الامامة بنجل شمس الدين الثاني وهو قاسم شاه وبنجله اسلام ثم محمد ثم المستنصر بالله وعبد السلام وغريب ميرزا وابو الذر علي ومراد ميرزا وذو الفقار علي ونور الدين علي وخليل الله علي ونزار علي والسيد علي وحسن علي وابو الحسن علي وخليل

الله علي ومحمد حسن علي وعلي شاه ومحمد وهو « آغا خان » المعروف وهذه الفرقة تقيم الآن في الباكستان والهند وافريقيا الشرقية والجنوبية ومدغسكر وسلمية والحوابي قرب طرطوس وفارس ولا يمكن تقدير عددها .

هذه لمحة خاطفة عن تاريخ الدعوة الاسماعيلية قدمناها لننتقل منها الى القول بانه بعد هذا التطور بالدراسات وبعد ظهور هذه المصادر والمخطوطات اصبحت الحركة الاسماعيلية معروفة بانها رسالة فلسفية مستقلة ودعوة سياسية امية ذات اثر ظاهر بمجرى الحياة العامة وفكرة عقائدية باطنية تخفي وراءها اهداف ومقاصد لا يزال الفكر يسعى لجلاء غوامضها وسبر غورها واكتشاف كنهها وليس ادل على ذلك من ان هذه الرسالة الفلسفية كانت تغزو الاقطار الشرقية والغربية على السواء فيسارع الى اعتناقها كل من يستسيغ مبادئها وتعاليمها بصرف النظر عن الاقليم او البلد او الجنس او العرق وهذا ما جعلها تسمو وترتفع على ايدي ائمة اعلام صادقين وحجج كبار كانوا على جانب عظيم من الثقافة والعبقرية فتصل الى مصاف الدعوات الامية الكبرى التي اثرت في العقول واخرجتها من حيز الجمود الى الانطلاق الرحيب .

لقد قلنا ان الشيعة الامامية انقسمت بعد موت جعفر الصادق سنة ١٤٨ ﻫ الى فريقين فريق نادى بامامة اسماعيل وهم الاسماعيلية وفريق نادي بامامة موسى الكاظم الابن الاصغر لجعفر الصادق وابنائه من بعده وهم علي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري ومحمد المنتظر وهو الامام الثاني عشر الذي اختفى في سامراء سنة ٢٦٠ ﻫ . ولا يزال انصاره ينتظرون عودته ويعرفون ايضاً بالموسوية نسبة الى موسى الكاظم بن جعفر الصادق ثم يعرفون بالاثني عشرية نظراً لانتظارهم امامهم الثاني عشر ولا اريد ان ادخل في بحث قصة اسماعيل ووفاته في عهد ابيه وتقولات الموسوية والسنة واقوال الاسماعيلية الى ما هنالك لان هذه القصة تشكل موضوعاً مستقلاً ولكن هناك ناحية يجب الاتيان على ذكرها وهي هل قامت الدعوة الاسماعيلية في عهد اسماعيل ؟ ام في عهد ولده محمد ؟ ام في حياة ابيه جعفر الصادق ؟ الواقع ان بذور هذه الحركة قد بذرت بعهد جعفر كما قلت ولا يوجد هناك من يستطيع انكار هذه الحقيقة، وقد كانت هذه الدعوة سرية وكان يعمل لها في الخفاء اسماعيل بحياة ابيه يعاونه

الداعية الكبير ابو الخطاب وجاء بعد اسماعيل ولده محمد وكان على جانب كبير من العبقرية والثقافة راجح الفكر ثاقب النظر وكانت حياته سلسلة من الجهاد في سبيل الدعوة وقد فر من المدينة الى العراق ثم الى الري ومنها الى دوماند وهو جبل قريب من الري واستقر هناك بقرية تدعى (سملا) اطلق عليها فيما بعد اسم (محمد اباد) نسبةً اليه ومن الواضح ان فرار محمد بن اسماعيل من المدينة لم يكن خوفاً من العباسيين وانما كان لنشر الدعوة الاسماعيلية في كافة انحاء العالم الاسلامي ولذلك لا نراه يستقر في مكان حتى يذهب الى اخر فطوراً في فرغانة والري وطوراً في العراق وسوريا ينشر التعاليم ويبذر البذور ، ومحمد بن اسماعيل حسب ترتيب الدعوة الاسماعيلية الفلسفي يعتبر امام سابع والامام السابع له اعتبار خاص فهو صاحب ثمرة علمية انتقالية وناسخ عهد وفاتح عهد ومن القاء نظرة على تاريخ حياة محمد بن اسماعيل يتبين لنا انه هو موجد دور الستر وان امامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الاسماعيلية ونذهب الى ابعد من ذلك فنقول بانه جاء بتعاليم جديدة نسخت بعض تعاليم الشريعة التي سبقته وهو ايضاً بالحقيقة اول امام رفع التكاليف الظاهرية ونادى بالتأويل وبالمعنى الباطني وقد كان يعتمد في نشر دعوته على حجته الداعي الكبير ميمون بن قداح وسنرى عندما نتوسع بالدرس ان اسرة القداح لعبت دوراً هاماً في تاريخ الاسماعيلية .

وفي الواقع ان محمد بن اسماعيل ترك عدداً من الاولاد ومنهم عبدالله الذي ولّاه ولاية عهده وكان اكبرهم واما الآخرون فهم علي بن الليث واحمد والحسين الذين فتك بهم العباسيون في خوارزم وكان ولده عبدالله يلقّب بالرضي والناصر والعطّار وقد ولد في عهد الرشيد العباسي واحاطه والده بفريق من دعاته المخلصين وغلا هو وانصاره في اخفاء امره حتى لا يقع في ايدي العباسيين وهكذا نصب محمد بن اسماعيل ولده عبدالله ولياً لعهده وامر حججه ودعاته وخاصةً الاربعة الحرم ان يتسمى كل منهم باسمه اي (عبدالله) فكان حين يحين وقت اخذ العهد على احد المستجيبين يسمي احد اولئك الحرم باسمه وهو عبدُالله وهكذا اصبح تحقيق شخصية الامام متعذراً حتى على اقرب الناس وحتى على الدعاة انفسهم في الجزر والامصار البعيدة والقريبة على السواء.

وصار الجميع يقولون ان عبدالله بن ميمون القداح هو الامام وقال غيره بل هو عبدالله ابن مبارك وجاء فريق يسمي عبد الله بن حمدان او عبد الله بن الحسين الى ما هنالك من اقوال وتخرصات جاءت جميعها تطعن بنسب الفاطميين واني لا اجد ابلغ من رد الشاعر الكبير الشريف الرضي على هؤلاء واثباته نسب ابناء عمومته الائمة الفاطميين :

مـا مُقامي على الهوان وعندي	مقولٌ صارمٌ وأنفٌ حميُّ
وإباء محلّق بي عن الضيم	كما راغ طائرٌ وحشي
اي عذرٍ له الى المجد ان ذلّ	غلام في غمده المشرفي
البس الـذلَّ في ديار الاعادي	وبمصر الخليفـةُ العلوي
من ابوه ابي ومولاه مولاي	اذا ضامني البعيد القصي
لفّ عرقي بعرقه سيدا النـاس جميعاً	محمـدٌ وعلي
ان جوعي بذلك الربع شبع	وأوامي بذلك الظلّ ري
مثلَ من يركبُ الظلام وقـد اسرى	ومن خلفه هـلال مضي
قـد يُذل العزيز ما لم يشمر	لانطلاق وقـد يضام الابي

قد لا اكون مغالياً اذا قلت بان هذه الحركة الاسماعيلية التي نتحدث عنها جديرة بالدراسة والبحث ففي تاريخها ما يُثير الاعجاب وفي فلسفتها ما يغذي الفكر ولا شك ان نظامها يقوم على الاخاء والمودة ويربط الفرد بالمجتمع بوشائج قوية بحيث يرى هذا الفرد ان حياته في تماسك الجماعة ولذلك نرى الاسماعيلية في كل مكان وفي كل عصر وزمان تربطهم جامعة واحدة ونرى مجتمعهم يتكون من افراد مختلفي المشارب والنزعات يقيدهم رباط الحب والالفة والتفاني في سبيل النهوض بدعوتهم والدفاع عن عميد دعوتهم الذي هو (الامام) .

ويرجع نجاح الدعوة الاسماعيلية في بدء ظهورها الى عوامل مختلفة منها ضعف العالم الاسلامي عامةً والدولة العباسية خاصة وتخاذل الطوائف الشيعية الاخرى وتحمس الناس لنظرية المهدي الذي يأتي لينقذ البشرية من الظلم والطغيان وتطلعهم بشغف الى ظهوره ، ثم الصبر والهدوء والكتمان والصدق والثقة بالنفس وقد غمرت الدعوة الاسماعيلية امواجٌ من السرية الدقيقة حتى التبس

الامر على المؤرخين فلم يقفوا على حقيقة القائمين عليها اهم من الدعاة ؟ ام من الائمة الحقيقيين من ابناء اسماعيل ؟ والحق ان رئاسة الدعوة في عهد الامام « محمد المهدي بالله » وقبل عهده وضعت مخطط الدعوة السرية وان القائمين عليها نجحوا نجاحاً كبيرًا في تكوين مجتمع اسماعيلي قوي عماده التقية والتخفي الكثيف ، فانظر الى ابي عبدالله الشيعي الداعية الاكبر يكتم امره فلا يدري الاغالبة عنه شيئاً حتى يدهمهم بجيوشه سنة ٢٩٨ هـ . وانظر الى ابي سعيد الجنابي يكوّن دولة سنة ٣٠١ هـ او ما يشبه الدولة في بلاد البحرين التي كانت تابعة للعباسيين دون ان يعرفوا في بادئ الامر شيئاً عنه ، واني لا اتخطى الحدود واستبق الحوادث التاريخية اذا قلت بان النجاح الكبير الذي وصلت اليه الاسماعيلية في تقويض اركان الدعوة العباسية مرده الى المنظمات السرية التي بذر بذورها وتعهدها ائمة الاسماعيلية الاربعة عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، واحمد ، والحسين ، ومحمد المهدي بالله مؤسس الدولة الفاطمية وان اعظم ما في الحركة الاسماعيلية تنظيمها واساليب دعاتها العجيبة التي تدل على ادراك عميق لنفسيات شعوب الشرق الادنى وعلى فهم دقيق لمصادر التذمر عندهم فقد كانوا يعتنون باختيار دعاتهم كل الاعتناء ويزودونهم بارشادات مهمة تتفق وروح البيئة التي يدعون اليها وقد كان من تعاليم هذه الحركة ان يدمج المغاوبين والغالبين في هيئة واحدة وان تجمع في حظيرة جمعية سرية هائلة ذات مراتب عديدة بين احرار المفكرين الذين لا يرون في الدين وسيلة لسيادة الشعب وبين الغلاة من جميع الطوائف وان يجعل من المؤمنين آلات صما، تمد المتشككين بالقوة وان يحمل الظافرين على قلب الدولة التي شادوها وان ينشئ حزباً كبيرًا مؤتلفاً يرفع في الوقت المناسب ان لم يكن هو فعلى الاقل ابناءه وهي فكرة عجيبة نفذت بحذق مدهش وبراعة نادرة وخبرة عميقة وقد كانت تشتمل على برنامج سياسي واجتماعي منظم يقوم على العقل والتسامح والمساواة الاجتماعية والاقتصادية وهذه الناحية التي طغت على المجتمع كانت ثورة على التعاليم الاسلامية. وبالحقيقة ان الحركة الاسماعيلية لم تتخذ شكلًا واحدًا ولا اقتصرت على اسم معين بل ظهرت باشكال وصور متعددة في نظرياتها وتنظيماتها فكانت دائبة على ضم فرق جديدة الى صفوفها واضافة اراء جديدة الى مذهبها .

وزيادةً على ذلك كانت تتجزأ الى شعب متنافرة في الغالب .

ولا يقلّ اثر التحمس في نجاح الدعوة بعهد امامة المهدي عن اثر التعمق في السرية فقد كان من سياسة المهدي الاستعانة بسيوف انصاره لتحقيق مآربه التي تتلخص في تكوين دولة اسماعيلية . اولا : هدم الدولة العباسية . ثانياً : نعم لقد قام انصار المهدي الامام المستور بحركات حربية رائعة تذكرنا بشجاعة الخوارج وثباتهم فنجح ابو سعيد الجنابي في هزيمة العباسيين هزائم متوالية كما نجح في قرمطة بلاد القطيف والبحرين وها هم اولاد زكرويه بن مهرويه يهزمون جيوش الطولونيين والعباسيين ويلقون الذعر في بلاد الشام وباديتها وفي شمال العراق الغربي وقد استطاع ابو عبدالله الشيعي ايضاً بفضل هذه الدعاية المنظمة ان يغزوّ عقول الكتاميين فيندفعون وراءه كالسيل المنهمر يجرفون دولة الاغالبة التي لم تستطع الصمود الا قليلا امامهم وبفضل هذه الحماسة الحربية استطاع الامام محمد المهدي بالله ان يحقق ما غرسه اباؤه واجداده ويقيم الدولة الفاطمية في المغرب كل هذا اذا استثنينا الدولة الاسماعيلية في اليمن والدولة التي اقامها حسن الصباح في فارس وامارة الاسماعيلية في جبال السماق في سوريا . ومهما يكن من شيء فان التاريخ الاسلامي لا يعرف مذهباً ثورياً لا يستند الى مذهب روحي او حركة ثورية عامة لا ترجع الى الدين وان الحركة الاسماعيلية التي هزت اسس المجتمع الاسلامي الى الاعماق وصدعت من سلطانه السياسي واصابته في روحه وخلاله وادت بمضي الزمن الى تفككه واضمحلاله وانتشاره اخيراً الى دويلات ومجتمعات ضعيفة متنابذة استطاع الغرب ان يخضعها تباعاً لنفوذه واستعماره هي التي عجلت بالقضاء على هذا المجتمع وهذا السلطان ونقلته من عهد الى عهد ومن طور الى طور .

اجل ... لقد كان العامل الاول لنجاح الاسماعيلية في نشر دعوتهم انهم نهجوا منهجاً سبقوا فيه غيرهم من الفرق الشيعية الاخرى فكانوا يبالغون بالتخفي بنشر تعاليم فلسفتهم ومبادئ مذهبهم على شكل خطوات تتدرج من المعلومات البسيطة حتى تصل بالمستجيب الى مبادئ فلسفية عميقة لا يفهمها الا القليلون حتى ان المستجيب كان لا يعرف شيئاً عن الدرجات التي تلي درجته . وانما كان همه الوصول الى درجة اعلى من الدرجة التي وصل اليها واصبح كثير من

الاسماعيلية لا يعرفون شيئاً عن زملائهم الذين انتظموا في سلك الدعوة وخفيَ امرهم على خصومهم العباسيين وكذلك استغلَّ الاسماعيلية مذهب التقية فكانوا سنيين مع اهل السنة وشيعيين مع الشيعة ومسيحيين مع المسيحية لان نظام الدعوة كان يفرض على العالم الاسماعيلي ان يكون عارفاً بكل عقائد الفرق التي تعيش في عصره ملماً بقواعدها ونظمها وفروعها وبذلك انضمَّ اليهم آلاف مؤلفة من الناس ولم يشعر العباسيون الا وقد قامت دولة اسماعيلية كبرى لها جيشها واسطولها وقواعدها وممتلكاتها ومدنيتها وحضارتها .

في الحقيقة ان الحديث عن الاسماعيلية وتاريخها قد يطول وربما كانت لا تفي فيه صفحات او ساعات ومها يكن من امر فلننتقل الى الحديث عن قرامطة .

في المراجع تفسيرات كثيرة للفظة (قرمط) منها ان حمدان بن الاشعث سمي بهذا الاسم لانه كان يقرمط في سيره اذا مشى (اي يقارب بين خطواته) ومنها انه كان احمر البشرة تشبيهاً له (بالقرمد) « الآجر » واصل هذا اللفظ يوناني من «كيراميدي» ويرى البعض ان هذا اللفظ مأخوذ من (اقرمّط) اي غضب او عبس ويرى الاب انستاس ماري الكرملي انها لفظة ارمية نبطية من قرمطونا اي المدلس او الخبيث او المكار او المحتال من (قرمطا) وهو التدليس او الخبث او المكر او الاحتيال هذا من جهة ومن جهة اخرى فانه عندما استقر الامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل ثاني الائمة الاسماعيليين المستورين في سلمية سوريا وكان قد جاء اليها بعدان قتل المأمون العباسي ابنائه وعامة اسرته ولم يسلم منهم غير ولده الاكبر (عبدالله) فأخذ يقوم بتوزيع الدعاة سراً ويتولى شؤون الدعوة الى حين وفاته وبعد ذلك تولى ولده احمد بن عبد الله شؤون الامامة الاسماعيلية وقد كان علماً من اعلام الفلسفة والعلم واليه تنسب رسائل اخوان الصفاء وبعد وفاته في دار هجرته بسلمية - سوريا تولى ولده الحسين المقتدي او الزكي شؤون الامامة وقد كان ابعد شهرة من ابيه من الناحية العلمية فبث العلوم وارسل الدعاة الى كل مكان وكان يقوم برتبة الحجية بعهده ابو الشلعلع وهو نجل عبدالله القداح ويمتاز بالمقدرة الفائقة وقد انتشرت الدعوة باليمن في عهده انتشاراً كبيراً على يد ابن حوشب منصور اليمن وفي المغرب على يد

الحلواني وابي سفيان وفي بلاد فارس وخراسان على ايدي ابناء القدّاح الآخرين وفي بلاد النهرين على ايدي دعاة القرامطة ونستطيع ايضاً أن نضيف بأن اتخاذ سلمية مركزاً رئيسياً للدعوة سهل نجاحها في الاقطار بالنظر لقربها من العراق وبلاد العرب ووجودها كمركز وسط في الشرق الاوسط .

خرج الداعي الحسين الاهوازي من قبل الاسماعيلية في سلمية لنشر الدعوة فجاء الى سواد الكوفة واستمال اليه حمدان بن الاشعث ويسمى (قرمط) فاتبعه وسار وراءه يستمع اليه ويقتبس من علومه ومعارفه وبعد وفاة الحسين الاهوازي استلم شؤون الدعوة في السواد حمدان وجعل منها داراً للهجرة وعندما تولى سعيد الخير رتبة الحجية بعهد الامام الحسين بن احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر ثار حمدان على الدعوة وخلع اوامرها واستقل بالسواد لانه كان يرى نفسه احق بهذا المنصب منه وقد كان لثورته مداها البعيد فقد استطاع تكوين فرقة قرمطية مستقلة لا تعترف بأوامر مركز الدعوة بالسلمية ، وقد كان ارتداد القرامطة عن المذهب حدثاً عظيماً ولكن القسم الاكبر منهم لم يستطع اقتلاع جذور التعاليم التي كانت قد استقرت بالافكار ، هذا بالاضافة الى ان القرامطة قد انقسموا الى فرقتين فرقة نادت بزعامة ذكرويه بن مهرويه وفرقة ثانية نادت بزعامة ابي سعيد الجنابي وهم قرامطة البحرين ، اما ذكرويه بن مهرويه فقد كان من كبار دعاة حمدان وكان يخضع لصهره عبدان واما احفاده فهم ابو القاسم صاحب الناقة وابو مهزول صاحب الشامة وابو العباس وهؤلاء زحفوا الى سلمية لقتل سعيد الخير داعي الدعاة وفي ذلك الوقت تمكنوا من احراقها والقضاء على كل شيء . ويبدو ان تغيراً طرأ على نظام مركز رئاسة الدعوة الاسماعيلية بعد قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب سنة ٢٩٦ ﻫ . فبعد ان كانت رئاسة الدعوة في سلمية تعنى بواجب توجيه شؤون الدعوة وحدها اصبحت تعمل على الاهتمام بشؤون الدولة ورعاية مطاليبها السياسية ، وان رئيس هذه الدولة كان عليه ان يوجه سياسة جديدة للقرامطة الذين كانوا قد بعثوا من جديد على يد ابي سعيد الجنابي في اقليم القطيف جنوبي البصرة ثم في اقليم البحرين وقد انقسم القرامطة الى فريقين فريق كان يرى الخضوع للفاطميين وفريق يرى عدم الخضوع اليهم واخيراً انتصر الفريق الاول وساءت العلاقات

وكانت الحرب ثم الزحف على القاهرة اخيرًا وعلى ممتلكات الفاطميين ، هذا وان هناك سبباً آخر وهو ان الامام محمد المهدي بالله قد تدخل كثيرًا في شؤون القرامطة حتى لقد ذهب بعض المؤرخين الى القول بانه هو الذي امر بقتل ابا سعيد الجنابي سنة ٣٠١ هـ. ولكن من المفيد ان نعلم ان الامام محمد المهدي بالله قام بدور كبير في عزل الداعي القرمطي سعيد بن ابي سعيد وساهم الى حد كبير في الثورة التي انتهت بعزله فعين محمد المهدي بالله ابا طاهر الجنابي سنة ٣٠٥ هـ على رأس القرامطة وهذا ظلّ على اخلاصه للفاطميين حتى وفاته سنة ٣٣٢ هـ وبموته وجد الفريق الفاطمي فرصةً لخلع نفوذ الفاطميين لاسيما وان ولده سابور كان طفلًا صغيرا لا يصلح للحكم ولا يمكن الاعتماد عليه فهبَّ سعيد وهو اخو ابو طاهر للمطالبة بالحكم فلم يرَ الامام محمد المهدي بدًا من اقراره في الحكم وتعيين اخيه احمد بن ابي سعيد للرئاسة وجعل سابور وليّاً للعهد وبذلك انقسم القرامطة الى معسكرين اما الاول فيميل الى الفاطميين ويتطلع الى الحكم في الوقت نفسه وعلى رأس هذا الفريق ابناء ابي طاهر ومعهم عدد غير قليل من كبار القرامطة ووجوههم وذوي النفوذ فيهم وهم المعروفون (بالمقدانية) ويرى هذا الفريق ان تنضوي طائفة القرامطة في سياستها الخارجية والمذهبية تحت لواء الفاطميين كما كانوا في عهد ابي طاهر بن ابي سعيد سنة ٣٠٥ هـ. الى سنة ٣٣٢ هـ. واما المعسكر الثاني فهم الطبقة العليا الحاكمة من القرامطة وتتمثل في احمد بن ابي سعيد واخوته ومن انضم اليه من القرامطة ويرى هؤلاء الاحتفاظ برئاسة دولتهم القرمطية الاسماعيلية وتوجيهها التوجيه الذي يعود بالنفع على القرامطة انفسهم رضي رؤساؤهم الفاطميون بذلك ام لم يرضوا وافقت سياستهم سياسة الفاطميين ام خالفتها فقد كان هذا الفريق الحاكم ينظر الى الامر من ناحية المصلحة الخاصة لا من ناحية المصلحة العامة التي يشترك فيها القرامطة والفاطميون على السواء. وكان (الحسن الاعصم) بن احمد ابن سعيد من الفريق الثاني وهو الذي قاد الحملة على بلاد عمان ثم اسندت اليه حملة طبريا سنة ٣٥٣ هـ ثم حملة الشام على الاخشيديين سنة ٣٥٧ هـ. وقد كان هذا الاختلاف سبباً لتقرب الفريق المعارض من العباسيين والبويهيين والحمدانيين، اما سابور فقد ظل على ولائه وكان يأتمر بامر الفاطميين ، واشتد التنافس حتى

ان فريق سابور تمكن من عزل ابن ابي سعيد سنة ٣٥٨ ﻫ. ولكن سابور لم يتمتع بالحكم طويلاً فقتل وبعد موته استبد بيت احمد بن ابي سعيد بالحكم من جديد وبعبارة اخرى قبض سابور على عمه ابي منصور احمد فاعتقله بموافقة اخوته سنة ٣٥٨ ﻫ . ثم ثار بهم اخوه فاخرجهم من الاعتقال وقتل سابورا ونفى اخوته واشياعه الى احدى الجزر بالخليج الفارسي، ولما قتل سابور اصبح الفريق المعارض لسياسة الفاطميين منتصراً وكان من اثر هذا ان وقع الاصطدام مع الفاطميين كما هو معلوم .

ونعود للاهوازي فانه لما خرج داعية الى العراق لقي حمدان بن الاشعث كما قلنا بسواد الكوفة وقد اقام في منزله وكان الحسين على غاية ما يكون من الخشوع صائماً نهاره قائماً ليله فكان المغبوط من اخذه الى بيته وتقرب اليه، ولما حضرته الوفاة جعل مكانه (حمدان بن الاشعث — قرمط) وكان من استجاب اليه ايضاً ذكرويه بن مهرويه السلماني وجلندي الرازي وعكرمة البابلي واسحق السوداني وعطيف النيلي وغيرهم وكان اكبر دعاته عبدان وكان ذا فهم وحذق وقد جعل عبدان ذكرويه على نهر هد وجعل الحسن بن ايمن والبوراني وداعية ثالثة على جهة اخرى ، والوليد وابو الفوارس على جهة ثالثة ودخل في دعوته جميع العرب فلم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبي ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة أحد الّا ودخل في الدعوة منه ناس كثير او قليل من بني عابس وذهل وعنزة وتيم الله وبني ثعل وغيرهم من بني شيبان وقد فرض عليهم بادئ ذي بدء تأدية درهم عن كل واحد وسمى ذلك (الفطرة) على كل واحد من الرجال والنساء فسارعوا الى ذلك فتركهم مدة ثم فرض عليهم (الهجرة) وهو دينار عن كل نفس وتلا نص الآية القرآنية الشريفة .

(خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم). وقال هذا تأويل هذا ، فدفعوا ذلك اليه وتعاونوا عليه فمن كان فقيراً اسعفوه فتركهم مدة ثم فرض عليهم (البلغة) وهي سبعة دنانير وزعم ان ذلك هو البرهان الذي اراده الله بقوله (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وزعم ان ذلك بلاغ لمن يريد الايمان والدخول في السابقين المذكورين في القرآن الكريم (والسابقون السابقون اولئك المقربون) فلما

تمهد له الامر فرض عليهم خمس ما يملكون وما يتكسبون وتلا عليهم الآية القرآنية الكريمة (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه) وقد آتوا ذلك اليه فكانت المرأة تخرج خمس ما تغزل والرجل يخرج خمس ما يكسبه فلما تم ذلك فرض عليهم (الالفة) وهو ان يجمعوا اموالهم في موضع واحد وان يكونوا فيه اسرة واحدة لا يفضل احد منهم صاحبه واخاه في ملك وتلا عليهم الآية القرآنية الكريمة (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) و (لو انفقت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) وعرفهم ان لا حاجة لهم الى اموال تكون معهم لان الارض جميعها ستكون لهم دون غيرهم وطالبهم بشراء سلاح واعداده للوقت المناسب واقام في كل قرية رجلاً مختاراً من ثقاتها تجتمع عنده الاموال من بقر وغنم وحلي ومتاع وغيره فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم ولا يُبقي على فقير بينهم ولا على محتاج او ضعيف وقد اخذ كلُ فريق منهم بالانكماش في صناعته والتكسب بجهده ليكون له الفضل في رتبته وقد قال الرحالة الكبير ناصر خسرو ما يلي :

كان في الاحساء اكثر من عشرين الف محارب ولما مات داعيهم الكبير ابو سعيد انتقلت الحكومة الى مجلس مؤلف من ستة من تلاميذه فحكموا بالعدل والانصاف وكان ايضاً لهذه الامارة ثلاثون الف زنجي يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين وليس عليهم ضرائب ولا اعشار واذا افتقر انسان واستدان اعانه الآخرون ليستعيد وضعه وليس للدائن غير رأسماله وكل غريب ينزل هذه المدينة وله صناعة يُعطى ما يكفيه من المال يشتري به ما يلزم صناعته من عدد وآلات وهناك بيوت معدة لسكن الفقراء على حساب المجموع وقد شاهد ناصر خسرو في الاحساء طواحين تملكها الدولة وتُدير شؤونها وتطحن الحبوب للرعية مجاناً وهذا النظام كان للمجتمع وللدولة وكان يختلف كثيراً عن اي نظام معروف في العالم الاسلامي كله وهو نظام ألف تأليفاً حسناً بحيث اثار عداوة الطبقات الحاكمة وبغضاءها .

وقد زار ابن حوقل ايضاً البحرين في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي وذكر شيئاً يسيراً جديداً عما يتعلق بالنظام الاجتماعي للدولة القرمطية

ولكنه يعود ويبدي بعض الملاحظات الهامة عن بنائها السياسي فدولة القرامطة عنده كانت من نوع الجمهورية الديمقراطية ولم يكن حاكمها مستبداً باي حال بل هو رئيس جماعة متساوية بالحقوق والواجبات يعاونه في الحكم مجلس مؤلف من اتباعه المقربين ومن تربطه بهم روابط النسب وكانت الاسرتان الحاكمتان اسرة ابي سعيد الجنابي واسرة ابن سنبر صاحبتا الحول والطول ويظهر ان اسرة ابن سنبر كان لها زعامة محلية قبل تكوين القرامطة ويظهر ايضاً ان تدخل الخلفاء في شؤونهم والقاء بعض زعماء الشام اليهم واغراؤهم اياهم بحرب سادتهم الفاطميين كما كان لتدخل الخلفاء العباسيين بين الفريقين اثر كبير في هذا السبيل مضافاً الى ذلك ان الفاطميين باستملاكهم ديار الشام منعوا ضريبة ضخمة عن القرامطة ومن جملة الاسباب ان الفاطميين عندما فتحوا القطر المصري عمدوا الى اتخاذ الشام وديارها جسراً يعبرون منه لفتح بغداد نفسها ولم يكن القرامطة يتصورون ان كائناً يستطيع ان يقف في سبيلهم ويصدهم عن تحقيق سياستهم لانهم كانوا في ذلك الحين سادة على البلاد الممتدة على شاطئ الخليج الفارسي الغربي من عمان الى مصب نهر دجلة والفرات والصحراء .

في تاريخنا الشرقي ظواهر يجب على الباحث ان يبحثها على ضوء التجرد والانصاف وان لا يمر بها مرور الكرام ، ففي تاريخ الاسماعيلية ظاهرة للآن لم يهتد الى معرفتها ولم يقف على وقائعها الباحثون ، هذه الظاهرة تتجلى بالاسباب الرئيسية التي حدت بالقرامطة وهم فرع من الاسماعيلية للانفصال عن الدعوة الام مضافاً الى ذلك الاسباب التي جعلت الائمة الاسماعيلية يعمدون الى تغيير اسم دعوتهم من اسماعيلية الى فاطمية بعد نقل مركز الدعوة من سوريا الى الغرب :

اجل ... لقد بحث كثيرون هذا الموضوع وتساءلوا عن اسباب عدم تسمية الاسماعيلية بعلويين نسبة الى علي بن ابي طالب ؟ واطلقوا الى افكارهم عنان التساؤل والاستفسار وراحوا يغوصون ببحر من الاستنتاجات والتخمينات.. ولكني اقولها بصراحة انني للآن لم اطلع على بحث يؤدي بي الى الهدف المنشود ومعرفة السر الكامن وراء هذه الناحية الهامة على انه لا بد لي من الاتيان على اجتهاد في هذا الباب لم يسبقني اليه احد ومن المفيد ان اذكره هنا باختصار :

من المعلوم ان العقيدة الاسماعيلية التي كان مركزها الرئيسي في الشرق كانت تقوم على اساس من الغلو الشديد فمركز علي بن ابي طالب وولده الائمة من بعده كانوا يشكلون اهمّ ناحية في الدعوة ولا اذهب بعيدا اذا قلت ان الامام كان يحتل مركز المثل للعدالة الالهية في الارض وهو مصدر التشريع المطلق والتأويل والناطق بالقرآن الى ما هنالك من القاب وبحوث فلسفية جاءت جميعها تثبت هذا المركز . وهذا هو احد كبار شعرائهم ابن هاني يذكر لنا بعض هذه الاعتقادات :

هذا معدٌّ والخلائق كلّها	هذا المعزُّ متوجاً والدين
هذا ضميرُ النشأة الاولى التي	بدأ الاله وغيبها المكنون
في الغيث شبهٌ من نداك كأنما	سحت على الانواء منك يمين
اما النبي فهو الذي اوليتنا	فكأن جودك بالخلود رهين
النور انت وكل نور ظلمةٌ	والفوق انت وكل فوق دون
فارزق عبادك منك فضل شفاعةٍ	واقرب بهم زُلفى فانت مكين

. . .

هو علة الدنيا ومن خلقت له	ولعلةٍ ما كانت الاشياء
لا تسألنَّ عن الزمان فانه	في راحتيك يدور حيث يشاء

. . .

ندعوه منتقماً عزيزاً قادرًا	غفار موبقةِ الذنوب صفوحا
اقسمت لولا ان دعيت خليفةً	لدعيت من بعد المسيحِ مسيحا
شهدت بمفخرك السموات العلى	وتنزل القرآن فيك مديحا
هذا ابنُ وحي الله تأخذ هديها	عنه الملائك بكرةً واصيلا
زعزّت مواكبُهُ الجبال فاطلّت	هضباتها التكبيرَ والتهليلا
وعلمتَ من مكنون سرّ الله ما	لم يؤتِ جبريلًا وميكائيلا
لو كان اعطي الخلقَ ما أوتيته	لم يخلُقِ التشبيه والتمثيلا

. . .

وطفقت اسأل عن اغرَّ محجلٍ	فاذا الانام جبلة دهماء
حتى دُفعتُ الى المعزّ خليفةً	فعلمتُ أنَّ المطلب الخلفاء
جودٌ كأنَّ اليمَّ فيه نفاثةٌ	وكأنما الدنيا عليه غثاء

. . .

وتفرقت الدعاة تدعو لهذه التعاليم وتقبلته الافكار وانضمت اليه اقوام عديدة لا تعد ولا تحصى غير انه لوحظ اخيراً ان هذا النوع من الغلو كان عاملاً كبيراً في تأخير سير الدعوة في الاقطار المجاورة وخاصة في اليمن والمغرب والحجاز فعدلت التعاليم من غلو عال الى هدوء وسطي لان عقول سكان هذه الاقاليم كانت قد تأثرت بالتعاليم السنية الاسلامية الى حد ما ، فعمل القائمون على شؤون الدعوة واذاع الامام الذي كان بسلمية اوامره وتعليماته على الدعاة بالاقتصار على ان يكون عليّ بن ابي طالب صاحب المركز الثاني في الدعوة بعد النبي محمد لانه وارثه والقائم على شؤون الدين بعده والمحافظ على كل ما تركه من تراث اسلامي وقرروا ان هذا الاعتدال بالاعتقاد يمكن ان تتقبله عقول المسلمين ولكن ظل فريق مثابراً على التعاليم الاولية لا يحيد عنها ولا يتبدل عنها بديلاً وهذا الفريق هم القرامطة المتحمسين الذين اعلنوا خروجهم على الدعوة الرئيسية واسسوا معتقداً مستقلاً ودعوة منفصلة لا علاقة للدعوة الرئيسة بها ولا غرابة اذا قلنا ان هذا الفريق المتحمس هو الذي ذهب الى الحجاز وجاء بالحجر الاسود ثم قتل القتلى وارتكب المحرمات واعلن حربه على كل شيء له علاقة بالاسلام وبعد هذا نرى الامام المهدي بالله رغم كل شيء يذيع امراً عليهم يأمرهم فيه برد الحجر الى مكانه وارجاع ما نهب لاعتقاده ان هذا العمل مما يثير العالم الاسلامي وانه لا يتفق وما جاءت به تعليماته هذا من جهة ومن جهة اخرى فاننا نرى الائمة الاسماعيلية عندما يغادرون سوريا الى المغرب يعمدون الى تغيير اسمهم من اسماعيليين الى فاطميين وهذا يفسر انهم ارادوا ان يتقربوا من العالم الاسلامي بانتسابهم الى ابنة النبي محمد فاطمة الزهراء لان كل شيء كان مفروض به ان يتغير بالنسبة لاقليم المغرب الذي يختلف بعقائده وعقلية اهله ، اما الانتساب الى علي بن ابي طالب فربما كان يسبب بعض الامتعاض مضافاً الى ذلك انه كان لعلي جملة زوجات اخرى واولاد من هذه الزوجات وان العالم الاسلامي كان على استعداد ان يقبل الامام قبولاً حسناً ويحله المنزلة الاولى اذا كان ينحدر من نسل فاطمة بنت نبي المسلمين مباشرة .

واخيرًا فقد يطول البحث وقد يتشعب ولكنَّ امرًا واحدًا لا بد لي من قوله وهو ان الحركة الاسماعيلية جديرة بالدراسة فلسفتها كنز مقفل لم يتسنَّ للعالم الوصول الى جواهره ونفائسه .

ولكي تدرس هذه الحركة الفكرية دراسة وافية جدية انصح ان يتبع فيها الاختصاص فالاسماعيلية في سوريا تختلف عقائدياً وفلسفياً واجتماعياً عن الاسماعيلية في اليمن وقرامطة العراق والبحرين غير الفاطميين في مصر ، والاسماعيلية في فارس غير الاسماعيلية في المغرب وهكذا دواليك .

هذا ما اتسع له الوقت الآن عن موضوع الحركة الاسماعيلية التاريخية اتينا على ذكره باختصار على ان نعود اليه في الاعداد القادمة من مجلة المشرق الغراء .

تعريف عن الكتب

شفاء السائل لتهذيب المسائل

لابن خلدون

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

نشرنا لاسابيع خلت في مجموعة معهد الآداب الشرقية رسالة ابن خلدون هذه ، وهي تنمّ عن سعة اطلاع وغزارة معلومات ودقة في الاحكام على امور كانت في عصره موضوع دروس وعلامات استفهام فأتت جامعة لكل ما قيل في الصوفية وما اليها من ضرورة الشيخ لترويض المريد او عدمه .

فما كانت هذه المواضيع لتغيب عن ابن خلدون ، كبير مفكري عصره ومؤرخ تطوّر الافكار وواضع فلسفة التاريخ . فجدّ في الجواب عن السؤالات الغامضة التي كانت تهز أجواء عصره واتحفنا برسالة لم يكتفِ بان يردّد فيها ما قيل قبله عن الصوفية عند ائمة الفكر ، واكثرهم من المادحين ، بل صار الى النقد والمقابلة بين الارا. الى ان توصّل فاعطانا نظريته الخاصة التي تختلف عمّا كان عرضه في تاريخه الكبير عن اولئك الذين يدّعون الالتحاق بالله . فأتت افكاره موزونة ، غير متطرّفة ، فيها المدح وفيها النقد ، فيها دعوة الى المعاملة مع الله معاملة صادقة وان كان عدد غير يسير من المتصوّفين قد اساؤوا الى هذه الطريقة وضلّوا السبيل .

وبينا نحن نهيء درساً ضافياً عن افكار ابن خلدون واحكامه في ما قاله في تاريخه الكبير عن الصوفية وما قاله في هذه الرسالة فقد آلينا على نفسنا ان نضع هنا تحت نظر القارئ الكريم بعض التصحيحات التي فاتتنا في النشرة الآنفة الذكر او التي لم نأبه لها عمدًا لانها من صلب النصّ الاصلي .

نشرتنا	المخطوط	الصواب	الصفحة	السطر
المخريطي	المحريطي	المجريطي	١٧	٨

نشرتنا	المخطوط	الصواب	الصفحة	السطر
ادیلهم	ادیلهم	اذیلهم	٢٦	٢٣
الاذاء	الادآء	الادآء	٢٨	٢
التي	التي	التي [كان]	٢٩	١١
الاخراوية	الآخراوية	الاحروية	٣٠	٨
متجاوز	متجاوز	متجاوزا	٣٢	٩
انفَوا	انفَوا	إنفوا (ربّما)	٣٢	٣٠
وصفته	وصفته	وصفتها (ربّما)	٣٥	١٩
بدؤ	بدؤ	بدء	٣٧	٣
اقلف	او لف	أوْ لفّ	٤٠	١
البوادة	البوادة	البواده	٤١	١٣
الملال	الملال	الملال	٤٣	٦
الاخرتين	الاخرتين	الاخريين	٤٤	٥
؍	؍	؍	؍	٧
يترق	يترق	يترقّ (ربّما)	٤٨	٨
يحادي	يحادي	يحاذي	٤٨	٦
شأني	شاني	شاني	٤٩	٤
مانِ	لمانِ	لمانِ	٤٩	٧
المستراءة	المستراة	المستقرأة	٥٠	١
فليستوني	فليستوني	فليستونِ	٥١	٨
الشاره	بالشارة	بالشارة	٥١	٩
هدب	هدب	هذب	٥٢	١٢
انة	انة	انيّة	٥٢	١٨
المخريطي	المحريطي	المجريطي	٥٥	٢٣
الذي	الذي	التي	٥٥	٢٤
كيف	كيف	فكيف	٥٦	٢٠
المحادي	المحادي	المحاذي	٥٧	٩
وأكد	وآكد	وآكد	٥٨	٧
فآحا	فإحا	فإحا	٥٩	١١

نشرتنا	المخطوط	الصواب	الصفحة	السطر
يشاهد	بشاهد	بشاهد	٥٩	٢٤
ابتدء١	ابتدآء	ابتداء	٦٢	٣
انتهاء١	انتهاء١	انتهاء	٦٢	٣
مناثر	مناثر	منابر	٦٣	١٧
النجآة	النجآة	النجاة	٦٤	٤
النقل	النقل	والنقل	٦٥	٩
إبتداء١	إبتداء١	ابتداء	٦٥	١٦
مسطوراً	مسطوراً	مسطور	٦٥	٢٣
سكآتا	سكاتا	سكاتا	٦٦	٣
اليك	اليك	لك	٦٦	٣
صحيحه	صحيحه	صحيح	٦٧	١٤
مرمآ	مرمآ	مرمى	٦٧	١٩
قله	قله	قله	٦٨	٣
الغداء	الغداء	الغذاء	٦٨	٦
وايد	وايد	رايد (رائد)	٦٩	٢٠
احق	حق	حق	٧٦	٨
هدز	هدز	هذر	٧٦	٨
لفش	لفشز	لفشو	٧٨	٨
ينا	ينا	بنى	٧٨	٢٥
(ان)	غير موجودة	نحوها	٨٣	٣
المواثق	المواثق	المواثيق	٨٣	٢٠
كتاب الثاية			٦٩	٣٠
[التوسمة]	التوسمة	التوسمة	٨٥	١٠

غار حراء ص ٧٧ سطر ١ اثبتها بين اسماء الاماكن ص ١١٨

كتاب الثاية ص ٥٥ سطر ٢٣ زده على ما ظهر بين اسماء الكتب ص ١٢٠

كتاب البخلاء للجاحظ

طبعة دار اليقظة العربية بدمشق[1]

بقلم رشدي الحكيم

اصدرت دار اليقظة العربية بدمشق طبعة جديدة لهذا الكتاب على ورق جيد صقيل ، وبحرف وسط ، وقد اتيح لي قراءتها فوجدت انها ربما كانت خير طبعة اخرجت للناس لان الناشرين – حسبما ورد في التصدير – اطلعوا على جميع الطبعات السابقة ووقفوا على ما نشره بعضهم في تصحيح عبارات الكتاب وتبيينها كما رجعوا الى بعض ما ورد في بعض كتب الادب من نصوص واردة فيه وقابلوا بينها واثبتوا ما غلبت عليه الصحة منها .

وقد ظهر لي اثناء مطالعتي للكتاب ملاحظات رأيت ان انشرهـا ليطلع عليها من يعنى بمثل هذه الابحاث حتى اذا كان فيها شيء من الصواب صحح في طبعة لاحقة وفي رأيي ان كتاب البخلاء على تعدد طبعاته وما بذل من الجهد في تحقيقه لا يزال فيه عبارات غامضة لم يعرها الصواب نوره ، يبرزهـا تحقيق ادق وتصحيح اتم ، حتى يجيء الكتاب كما املاه مؤلفه شيخ الكتاب والبلغاء عمرو بن بحر الجاحظ .

واليكم هذه الملاحظات :

ص	س	الأصل	ما ارجح أنه الصواب
٢	٤	والمزاحمة جماما	والمزاحة جماما (يعني المزاح)
٦	٣	ولا مائدته الشعراء	ولا حضر مائدته الشعراء
١٢	١٥	اربعة واهتزاز	اريحيّة واهتزاز
١٤	١	عناصرها ومعانيها	عناصرها ومعادنها
٣٢	٦	حالها في	حالها هي

[1] كتب هذا النقد من اكثر من عام على اثر صدور هذه الطبعة وحال بعض الموانع دون عرضه للنشر .

ص	س	الاصل	ما ارجح انه الصواب
٣٣	٥	وشبهة في قلب غيرك	وشباة في قلب عدوك (والشباة ابرة العقرب)
٤٥	١٣	فلم اثبته	فلم يره اثبته
٥٥	١٤	على توهمه	على ما توهمه
٧٠	٢	تحت البرد	تحت الفرد
٧٢	٢	تريد الحديث في الجفان	تريد الحديث في الجفار والجفار موضع بالبصرة وأصله جمع جفر بمعنى البئر
٧٦	٤	اصحاب فخ	اصحاب فج (بالجيم بمعنى الكبر)
٨٠	٣	ومن خليط دابته وعودا	ومن خليط دابته عوذا (والعوذ الساقط المتحات من الورق)
٨٠	١٠	هذا اطرف	هيا انصرف
٨٠	١٤	في الساكر	في الدساكر
٨١	٣	الشيوع والتبوع	الشيوع والذيوع
٨٣	١٠	الباساني	قد تكون هي الصحيحة اذ ان باسان مدينة بخوزستان واما باسيان التي رجحها فلوتن فمن قرى بلخ وقد تكون الباشاني وباشان من قرى هراة
٨٧	١٦	ما سارها من قبلك	ما سارها قبلك
٨٩	٦	ومكايدة الليل	ومكابدة الليل (بالباء الموحدة)
٨٩	٢٠	في الكنف	في الكف
٩٢	٧	وديمة منك	وديمة عندك
٩٣	٤	والحلق جهير طل	والحلق جهير بليل
١٠٣	١٢	وغذية قدية	وعذية قدية (بالعين)
١٠٨	١٢	تربية في ظل ملك	تربّي في ظل ملك
١١٧	٢	قد قصد الي يقول	قد قصد الي بنول (بالنون) بمعنى الحلكة
١١٧	٥	اليس يتخيل في قميصي	اليس يحتبل في قميصي (واحتبله بمعنى اخذه او اصطاده بالاحبولة)

ص	س	الاصل	ما ارجح انه الصواب
١١٨	١٣	داوود بن ابي داوود	دؤاد بن ابي دؤاد
١٢١	٦	ومن ابراز للقدر	ومن ابزار للقدر (بتقديم الزاي جمع بزر)
١٢١	١٧	حاشية ٣ الاصل هو الصحيح والداذي كما في القاموس شراب الفساق	
١٢٧		حاشية ٤ كلمة بارجين لا تدل على نوع من الطعام حسبما جاء بالحاشية ٤ وانما تدل على نبات او قشر نبات يصلح لان يتناول به الطعام كالملعقة حسبما يدل عليه السياق ولعلها دارجين او نارجين	
١٣٠	٧	فجلط بطنها جلطة	فلعط بطنها لعطة
١٣٣		حاشيه ١ لا حاجة لـ	(لعلمها ولو انه) فجواب لولا محذوف ومفهوم من سياق العبارة تقديره (لمتى)
١٣٥		حتى اتى حاجته اهل البصرة	حتى اتى على عامة او خاصة اهل البصره
١٣٧	٣	ثم لعبه الابلي	ثم لاعب الابلي (ويظهر ان الابلي لاعب مشهور بالكرة اذ ذاك) او ان اهل الابلة كانوا مشهورين بهذه اللعبة
١٥٧	٨	يرغب فيها الناظر	وليرغب فيها الناظر
١٦٠	١	وان شاه برمانه	وان شاء برمانة (والرمانة العامة)
١٦١	٦	يضرب لهم	يضريهم (من الضراوة)
١٦١	٧	ليتيهم	ليتهم او ليبيهم
١٦٢	٣	وربما اخذهم	وربما جاء احدهم
١٦٣	٧	من اذا وجد	عن اذا وجد
١٦٣	٨	فوضوا اليه	وفوضوا اليه
١٦٣	٩	الذي يشنف	الذي يسف (وهو خبر ان الواردة في السطر ٧)
١٦٤	١	اكثريتم	اكريتم .
١٦٤	٩	وصرفوا	صرفوا
١٦٨	١٣	غير شاكر تعجبي	غير شاكر نعمتي

ص	س	الاصل	ما ارجح انه الصواب
١٦٩	٦	صاحب تنقيع	صاحب تفقيع (بالفاء وهو التشدق في الكلام او عمل آخر قبيح يأتيه المضحكون)
١٧٣	٩	أكثر الربح	أكثر الريح (بالياء)
١٧٣	١٣	في اول زدّة	في اول وردة
١٧٤	١	قسمها	قسمّها
١٧٧	٧	اخطأ بنيقة واحكام	اخطأ بنيّة واحكام (اي عل عمد)
١٧٨	١٧	كم لا تداوى	لم لا تداوى
١٨٠	١١	كثرة على مائدته	كثره على مائدته (الكاف هنا للتشبيه والثر التفريق والتبديد حسبا ورد في معاجم اللغة ويكون المعنى ان وضع الخبز على طبق قريباً من يد الآكل كتفريقه على المائدة)
١٨١	٩	منتظرا للبادة	منتظرًا للادة (والمادة الزيادة)
١٨٧	٦	سيأتي من الحرث	سيأتي على الحرث
١٩٠	١١	ولولا ان السدي ابطره	ولولا ان السدي احصره (والاحصار التضييق ولا معنى هنا للبطر)
١٩٢	٩	ودعا عليه الحر	وحاد عليه الحر
١٩٥	٩	وعن شناعة السكر	وعن شناعة الشر (والشر كزفر شجر فيه حراق يقتدح به)
١٩٦	٣	وكان يبين مالا	وكان يعتقد مالا (واعتقد مالا اقتناه=وهو اقرب من حيث الشكل الى الاصل)
١٩٦	٨	في نعل مقطوعة العقب شديدة	في نعل مخصرة العقب سندية (والنعال السندية كانت مشهورة اذ ذاك)
١٩٩	٩	على صاحبها	لعله (ولما عذل على اشالها)
٢٠٧	٣	عجاة لي وللجازية	سحاة لي وللجارية
٢٠٨	٨	سرعة الكظة	ضرعة الكظة (ويؤيد ذلك قوله بعدها (وسرف البطنة) والسرف الضراوة
٢١٨	٥	يلذ القمل	يذر القمل

ص	س	الاصل	ما ارجح انه الصواب
٢٢٢	١٠	او اعفاء الاضراس	واعناء الاضراس (بالنون والاعناء الانماب)
٢٢٤	٤	فتقديرهم على قدر عيشهم	فتقتيرهم على قيدر عيشهم (وان كانت الاولى لها وجه ولكن الثانية اقرب لما يراد)
٢٢٥	٦	.بخيل به	بخل به
٢٢٧	١٣	لا يكون على شطر	هذه العبارة صحيحة وما ورد في الحاشية ٣ (لعلها على شكل) لا حاجة اليه والمتوان الضحك على انفراد للنكتة لا يوازي نصف الضحك عند مشاركة الاصحاب
٢٢٨	٥	وتعريفك اياه	وتعريضك اياه
٢٢٨	٥	ولبست عن هيئة	ولست عن هيئة
٢٤١	٧	الذاذى والسكر	الداذى والسكر (والداذى شراب)
٢٤٣	١٢	والفلوس اربعة طسوج	والفلوس اربعة بطسوج (وهكذا تستقيم العبارة ولا تؤدي الى عكس المقصود حسبما ورد في الحاشية (١)
٢٤٧	٣	الدرياجة	كلمة فارسية واصل معناها البحيرة وهي هنا البحيرة التي تقتطع وتروي من النهر لصيد السمك
٢٧٣	٨	يحتال	يقتال (وهي بمعنى يختار التي وردت في بعض النسخ حسبما جاء في الحاشية ٣)
٢٥٧	١	الملباثة	لعلها الملاثة (وهي طعام من سمن واقط)
٢٦٠	٣	وكان شديد العقل	وكان سديد العقل
٢٧١	٦	اصحاب الحشوف	لعلها الحشوف من الحشافة وهي ما تساقط من التمر الفاسد

ص	س	الاصل	ما ارجح انه الصواب
٢٧١	٨	وماكان من القراطيس فللطراز	فللطرّان (وهو الحجر يقدح به والطراز علم الثوب والموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة والقراطيس المأخوذة من كساحة الدار لا تكون عادة من طراز يستعمل للطراز
٢٦٣	٢	تراثه جنة للوارثين	تراثه خبة للوارثين
٢٩٨	١١	حصاة في العقب	حصاة في القصب (ولعلها من خطأ الطبع)
٣١١	٥	سبأت لفتنة	سبأت لفتية
٣١٢	٣	يبعث فيه	يبعث به
٣١٦	١١	ثنيه	ثنية
٣١٧	٥	وكاسب حزون	وكاسب خزون (بالخاء)
٣١٩	٦	ميسر لكل ريح	مسير لكل ريح
٣١٩	٧	فانه حارص لا خير فيه	فانه خارص لا خير فيه (والخرص الحزر والقول بالظن وهو المناسب للامة)
٣١٩	١٤	ومن اخطأها	ومن احصاها
٣٢٢	٣	ولم يرد عليه	ولم يزد عليه
٣٢٢	٥	كذلك هو	كذلك ما هو
٣٢٩	١٥	ويجتذبونها	ويجتبونها
٣٣٢	٥	ومرقة الجارب	ومرقة الخارب (والخارب اللص)
٣٤١	٤	ولكن للتي	ولكنّ التي
٣٤٧	١٢	اعطاء المخدوعين	عطاء المخدوعين
٣٥١	١٨	ابنا اوجه المن سعدا	ابنا اوجه التي سعدا (وهو مثل مشهور)
٣٥٢	٦	او من كانَ	او متى كانَ
٣٥٣	١١	وتسرع الرغبة	وتسرع الرعيّة
٣٥٧	٩	فان لم يمه الخبز	فان لم يمه الماء
٣٦٠	٧	ولا تتفرج	ولا تتفرغ
٣٦٠	١٥	لا حاجة لزيادة (في) اذ يقال ضربَةً واحدة كما يقال في ضَرْبة واحدة)	

ص	س	الاصل	ما ارجح انه الصواب
٣٦٤	٨	اللؤام	للئام
٣٦٤	١١	اشد من افطارى	اسد من افطاري
٣٧٦	١١	يمنع من لم يحسن	يمنع من لا يحسن
٣٧٧	٧	ولم ار لشهواني تـديرا ولا لـرمي صبرا	والصحيح لشهواني بالنون ولـره عـل وزن كتف
٣٧٧	١٠	فيكون عليه	ويكون عليه
٣٨٧	١٤	فاذا انبت	فاذا أنبت
٣٨٧	١٨	لان الحوائج تنفس من قاوب الناس	لان الحوائج تنفض من جيوب الناس وانفض القوم هلكت اموالهم وفني زادهم
٣٨٩	٨	خيرا من التصحيح	خيرا من التصريح (وللاولى وجه) ايضا
٣٩٩	٧	في الروابة والمزادة	في الراوية والمزادة
٣٩٩	١٣	اخويتهم	احويتهم (بالحاء المهملة)
٣٩٩	١٦	يصطلي بالترث	يصطلي بالارث (والارث الرماد)
٤٢٠	١٤	فسر في الحاشية ٣ الآل والرجام وطخفة بجبال	مروقة وارى ان الألاء شجر اخضر والرجام الحجارة وطهنة لا طخفة شجر وهذه الثلاث اثافي القدر اما الجبال فلا تصلح اثافي الا اذا كانت القدر احدى الغارات الخمس
٤٢٢	٦	من الحوف	من الجفوف
٤٢٢	١٣	اذا خفت السحاب	اذا هف السحاب (بالهاء وسحابة هف بلا ماء)
٤٣٦	٥	من لحم أكفالها عجر	من لحم أكفالها بجر (وبجر ملآنة)
٤٣٨	١	ستقلس الندى	ستحلس الندى(وفي كتب اللغة استحلست السماء دام مطرها واستحلس النبت غطى الارض)
٤٤٨	٦	في الكرجة شوس	في الكرجة شوس

الاصول التاريخية ،مجموعة وثائق تنشر للمرة الاولى ، المجلد الثالث

الناشران الاب بولس مسعد الحلبي اللبناني والشيخ نسيب وهيبه الخازن

بيروت ١٩٥٨ صفحة ٦٦٢

ليس من السهل ان يكتب تاريخ مقاطعة او قرية مع ما لها في الماضي من الأثر ومع ما تأثرتا به من عوامل خارجية وداخلية بدلت صورتها وجعلتها تتميّزان عن جيرانها من المقاطعات والقرى . فكم بالحري ان يُكتب تاريخ وطن هو عند القاصي والداني محطّ رحال الغزاة ومحط تفكير وتأمل المفكرين والشعراء، هذا هو لبنان . وللآن لم يكتب تاريخه بكل ما في هذا التاريخ من تأرجح وظلم من عتوّ وحرمان ، بكل ما فيه من قيم ايضاً حافظ عليها اهلوه على كرّ الايام . فان الوثائق التي تحتفظ بها مكاتب الغرب والشرق لم ترَ النور بعد ومعظمها دفين لم يتحرّه المتقبون . وكل ما كتب عن لبنان الى الآن شيء من كثير وعلى المؤرخين ان يشمّروا عن ساعد العمل للقيام بمهمة هكذا نبيلة . ومن هؤلاء المؤرخين الافذاذ الناشران لهذه المجموعة التي ضمت في مجلداتها الثلاثة وثائق انف من دينية وسياسية تظهر للعيان كيف تمخض هذا الوطن بعد صعوبات عديدة لا يزال يعانيها اليوم فصار ما هو عليه اليوم من ميزة خاصة وامل في التخرج والسير الى الامام .

وانّنا لا نثني فقط على جهود الناشرين الكبيرة ، لانها يستحقان اكثر من الثناء . لقد قاما بعمل تعجز عنه مؤسسات كبيرة فنالا القسط الكبير من النجاح . فنطلب اليها المثابرة على العمل فلبنان بحاجة الى معرفة اصول تاريخه والى معرفة كل ما يذخرانه من وثائق قيّمة اطلعتها عليها دقائق خزائن الغرب. ولكن لن نستوعب ما في هذه الكلمات الاخيرة من تحمل مشقات السفر والتنقيب والتفتيش وما ذلك سوى في خدمة لبنان . وعلى لبنان ان يهتمّ لهذه البادرة تصدر عن مؤرخين وقفا حياتها لخدمته .

أمّا ما تضمّنه هذا المجلّد الثالث فهو الوثائق عن المدرسة المارونية في رومة وشهرتها المبنية على مَن انجبتهم وكانوا في الغرب عنوان المرة والفخر لوطنهم لبنان . وقد زاد الناشران على ذلك تقدمة تاريخ الدويهي للاب ترتل ونصوصاً متعلقة

بالبطريرك البلوزاني وقصة هندية الراهبة التي هزّت عصرها بما كان لها من تأثير على المجتمع ، وبعد ذلك يأتي الناشران على ذكر الدعوى التي اقيمت لمنفعة عائلة مبارك في ما يتعلق بدير ريفون وعلى قصة الشيخ شيبان الخازن وعلى الجدري في عشقوت وينهيان هذا القسم العربي برسالة كتبها الاب مسعد الى لجنة تدشين كنيسة اكرا . ولكننا لم نفهم لمَ وضع الناشران هذه الرسالة في كتاب كهذا من اختصاصه الوثائق القديمة .

اما القسم الفرنسي فهو ايضاً يجمع بين مسائل تاريخية حديثة في التاريخ كموت البابا بيوس الثاني عشر وانتخاب خلفه ووثائق تاريخية قديمة .

نتمنى على الناشرين – وقد قلنا ما لها من الفضل وما عندهما من الجرأة والاقدام في خدمة التاريخ اللبناني – ان يوحّدا موضوع نشرتها على قدر المستطاع: ان يحصرا في المجلد الواحد الوثائق المتعلقة بالموضوع ذاته او بالحصر ذاته او بفترة من الزمان ذاتها ويكونان بذلك سهّلا الاطلاع على المجلدات المتتالية ووجلنا اهتام القارئ .

ا. ع. خ

الحقيقة والتاريخ او نشأة وقف كرسي ابرشية دمشق المارونية

بقلم الاب بولس مسعد ، مدير الاصول التاريخية

مطابع سبا ، بيروت ١٩٥٩ ، صفحة ١٠٩

هذه عجالة خطّتها يد الاب بولس مسعد دفاعاً عن وقفية كرسي ابرشية دمشق المارونية . وكان عليه ان يدافع بالوثائق الدامغة عمّا صادفه في حياته الملأى صعوبات وآلام المطران بولس مسعد . وان هذه العجالة لتتميّز بامرين : تجلي من خلال السطور صورة المطران بولس مسعد وقد كان شهماً جبّاراً كبير الهمة والشأن . وثانياً ان الوثائق المدرجة في الكتاب لتبرهن ، في رأي الناشر ، البرهان القاطع عمّا يريد أن يعلنه للقارئ الكريم داحضاً آراء ظهرت في كتاب حديث عن حياة المطران الشهالي خلف المطران مسعد .

المطران بشارة الشمالي رئيس اساقفة دمشق الماروني

وضع هذه الترجمة خلفه المطران يوحنا الحاج — اعاد النظر فيها

ووقف على طبعها الخوري مخايل الرجي

نشرها المحامي منصور الشمالي — بيروت ١٩٥٨، صفحة ٢٠٨

يتتبع القارئ في هذا الكتاب سيرة حياة اسقف كتبها هو بيده في يوميات مليئة غصّة واضطراباً وجزعاً . فمن صحة ضئيلة الى صعوبات مستمرة الى مناكسات متزايدة. كان دوماً ينظر الى الحياة نظرة المؤمن. ولذا فان لهذا الكتاب فائدة روحية جلى لن يقرأه احد دون ان يشعر بحنين متصاعد الى الروح والمعاملة مع الله ودون ان يستشف من خلاله صورة الاسقف القديس .

وقد جاء في هذا الكتاب ما جاء من تدوين بعض المناكسات التي لقيها الاسقف في مهامه الرعائية فكتب ما كتب وهذا ما حمل الاب بولس مسعد على تأليف كتابه الآنف الذكر جواباً على تهم كما يقول. ا. ع. خ

البركان

بقلم محمد مهدي البصير

مطبعة المعارف — بغداد ١٩٥٩ ، صفحة ١٢٤

مجموعة شعر فيها من النبرات القوية التي تجعلها تتسم بميزات الوقت التي قيلت فيه هذه القصائد النارية . فقد نبض قلب مؤلفها نبضات من يدافع عن الحياة الوطنية ضدّ كل يد غريبة تنزل فيها الهوان والذل . ولا بدّ من ان نجد فيها ، والحالة هذه ، بعض الشطحات العفوية التي تلذع ولا تفيد الغاية المتوخاة : انما في هذه الشطحات نفسها التعبير المحتم عن نفس تتألم وتودّ ان تهيب بالغير الا يتهاونوا في الدفاع عن الحرية والكرامة . ا. ع. خ

Michel Allard — *Le rationalisme d'Averroès d'après une étude sur la création* — Extrait du Bulletin d'Etudes Orientales de l'Institut Français de Damas — Tome XIII, 1952-1954, pp. 49.

لا تزال مشكلة « عقلية » ابن الرشد خصوصاً والفلاسفة العرب عموماً موضوع اهتمام العلماء. وقد احسن مؤلف هذه المقالة القيمة اذ ابتدأ بحثه بتحديد

الهدف المقصود لانارة طريقه والوصول الى نتائج ثابتة .

الملاقات بين الوحي والفلسفة هي للفلسفة العربية مشكلة اساسية ورأينا ان درسها عند كل من الفلاسفة على حدة هو الافضل فكل منهم قد عرضها بنوع خصوصي حسب تأثير الظروف التي مرّ بها في معالجتها لذلك لا يمكن درسها تاماً عند ابن رشد الا بالرجوع الى المصادر التي اخذ عنها فهو لارسطو تلميذ وهذا له معلم لم يزل يستوحيه في تعاليمه الفلسفية .

يلاحظ المؤلف وبكل صواب بان آراء ابن رشد متناقضة فانه يبقى متمسكاً بالقرآن مع ان تعليمه بخصوص الخلقة هو مضاد تاماً لتعليم ارسطو وهو لم يقدر ان يتخلص من تأثير ارسطو بهذا الصدد . كان في ودّه ان يسند ايمانه القرآني الى براهين فلسفية لكنه انتهى باثبات ابدية العالم . نجد في ابن رشد بنوع جليّ تاكيد ابدية العالم وليس فعلاً في هذا التأكيد ما يخالف جوهرياً كون العالم مخلوقاً لكن فيلسوفنا لم يثبّته نهائياً وبنوع باتّ . عند ابن رشد نظريتان متناقضتان تقاوم الواحدة الاخرى وليس في ما يفيد المشكلة التي هي موضوع بحثه .

حسناً فعل المؤلف باختياره مسألة الخلقة لكي يبيّن لنا «عقلية» ابن رشد. بهذه المسألة تتعلق مسائل اخرى عديدة وحلّ مشاكل شتى بها تتعلق مشكلة «العقل الممكن» و«العقل الفعّال» ومشكلة الحرية وغيرها .

سوف يعقب هذا البحث بحوث اخرى نرجو ان يكون لها قيمتها وبها يدخل المؤلف موفقاً في عالم الفلسفة الاسلامية . ا . ع . خ

Nicolas Berdiaev. — *Le sens de la Création — Un essai de justification de l'homme.* — Traduit du russe (éd. 1914), par Mme Julien Cain. Préface de Stanislas Fumet. (Coll. « Textes et études philosophiques») — In-16, 470 pp. Desclée de Brouwer, 1955.

« ألف الكتاب برنة واحدة في حالة انخطاف تقريباً » وهذا هو ما يشعر به القارئ . فالكتاب يختص بالنوع البركاني : فيض متدفق من فم ناري رشق حجارة ومواد اخرى من اشكال شتى تتخللها بروق ساطعة . ليس الامر سهلاً ان نستخلص القضية ونعرضها بالفاظ بيّنة .

ليس الموضوع تكوين الله للخلائق فالمؤلف يتكلم عمّا يجب على الانسان ان يأتي به تتمة للخلقة : اذن معنى الحياة وقيمة الانسان. عندنا هنا نوع من (humanisme) وقد سبقته انواع اخرى عديدة وهو دون شك فريد .

لتكميل الوحي ثلاث مراحل : وحي الآب وهو يقابل العهد القديم ووحي الابن الفادي ويقابل العهد الجديد ووحي الروح وهو الآن يتهيأ . موضوع هذا الوحي الثالث والاخير سوف يكون معاً الله والانسان والعالم ولا ينبغي انتظاره دون العمل له : اعطانا الله المقدرة على اكتشاف علاقتنا به وعلى ابتداع سماء جديدة وارض جديدة .

لا ننتظر من المؤلف اثباتاً فانه لا اثبات لرؤيا الوحي وهو نفسه يحذرنا بان العقل لا يصل بالبراهين الى هذه الحقائق السامية . هذه هي الطريقة الهينة التي يستعملها كل المدّعين بانهم ملهمون .

لكن كيف يكون هذا الاكتشاف العظيم وهذا التجديد النظيم ؟ يعطينا المؤلف الجواب بسلسلتين من الاعتبارات منها سلبية ومنها وضعية وهذه وتلك لا تخلوان من الالتباس .

الخُلقة — وهذه لفظة مشتبهة تعني المرور الى عالم جديد — لن تكون حادثاً طبيعياً ولا تتمة تحوّل عاديّ ولا مجرّد التقدم الخيالي . كل المؤسسات الانسانية وكل القيم الادبية التي نفتخر بها ليست الا خسراناً عظيماً . . . ثم يعدّد واحداً واحداً كل الاصنام الحجرية : لا شيء يصح دون الايمان — رفض حقيقة كل ما لا يثبته الاختبار الحسي — المادية الاركسية — الفردية المتعزلة — الاعتناء بالغير — القول بالحلول . . . على كل هذه الاصنام يقضي بشدّة وبعبارات قاسية. هذا الجزء من الكتاب هو الاحقّ بالاعتبار .

« الاكتفاء بالعلم » : نقل سيّئ للطريقة العلمية الى مواضيع اخرى مختلفة — « لا حقيقة الا بالاختبار » هذا جهل للانسان وجعله فعلاً تبادل احساسات لا غير — « المادية » تعتبر الانسان كآلة استغلال وتضحية « لبشرية متفوقة » وهمية في عالم لا حُبّ فيه — « الفردية الكافرة » التي تنقطع عن العالم وعن الحياة العمومية جاهلة بان الانسان « تعيس بما لا حدّ له اذا كان لا يوجد شيء فوقه »

(ص ٢٠٣) . و«الاعتناء بالغير» وهو اختراع الجيل التاسع عشر المكتفي ليقوم مقام الحبّ الذي خمد وهو بالحقيقة الانتفاعية بزي متنكر . ثم توحيد اللاهوت في الخليقة وهو يزيل في الله السر والذاتية والحب .

بجانب هذه الانحرافات الصريحة انحرافات الفكر والنشاط البشري فبرديائف ينتقد ايضاً الكنيسة ويصفها احتقاراً الارثوذكسية والكاثوليكية سواء .
يقول بان هذه الكنيسة التاريخية التي خانت الانجيل بقبولها مواطأة مدنية مع العالم وقيمه الكاذبة . وتزهدها السلبي تماماً لا يوصي الا بفضائل لا تحمل على العمل : التوبة والخضوع والصبر . «الكائن الكهنوتي» لا يعرف الذبيحة : هو مستقرّ في عيشة راضية . كل تاريخ الكنيسة هو مضادّ للديانة . لا شك انه وُجد هنا وهناك اشخاص عاملون : اوريجنوس الوحيد بين آباء الكنيسة الذي فهم الكتاب المقدس . والقديس فرنسيس الاسيزي الشاعر الذي عاش من الحب . ومن الروسيين القديس القلاني والقلاني . يمكن ان نسمي ذلك الكنيسة الانجيلية كنيسة يوحنا والاخرى الكنيسة الجامدة الصادرة من بطرس.

ما يرفضه بردياڤ هو دون شك كنيسة مُشوّهة الصورة فهل تكون اذن انتاج مخيلته وحدها . نعرف بانه يوجد حتى عند بعض الكاثوليكيين نظريات زهدية مُشبعة من الروح الجانسيني لا تبأ بالطبيعة البشرية او يوجد عبارات مُمدّية طقسية وشبه طقسية او مخاطرات بالسلوك صريحة : هذه كلها جديرة بان تُضرب بالسوط . لكن كنيسة المسيح هي غير هذا .

قد يكون ممكناً تأليف بحث انتقادي باختيار رصين لنصوص مأخوذة من هنا وهناك ومنقّطة مما عليها من غبار . لكن الانتقاد الذي لدينا ليس هنا الا مدفعاً . والى اي شيء يدفعنا :

اولاً هذا «العمل الخالق» الذي هو للكتاب الموضوع المركزي ماذا يكون؟المؤلف يكلمنا عنه طويلاً ليقول لنا ما ليس هو. وفي هذه المناسبة يطيب له اطلاق العنان لغريزته الهدامة. لكن ماهية هذه الخلقة تبقى في غموض قطين.

بما انه على كل حال حركة او يتضمن حركة فلابدّ ما يكون حدّاها اي نقطة انطلاقها ونقطة وصولها .

ما نقدر ان نسميه «العلم النظري» عند بردياڤ هو سلسلة مناقضات :

الضرورة والحرية . العالم المُضرّ مولود الخطيئة والعالم الصحيح » (Cosmos) . الكلمة (Logos) وروح العالم . العقل والفهم . آدم الاول وآدم الجديد . وقد ذكرنا : كنيسة بطرس وكنيسة يوحنا . . . لكن اهمّ « مثنى » هو الجنسان اي وجود مبدئين يتمّان احدهما الآخر : الذكر والانثى لكن هذا المثنى ليس بشريًا فقط بل انه عالمي نجده في كل مكان . الكلمة ونفس العالم ، المسيح والكنيسة ، الانسان والطبيعة . . . وقد نسي العمل والمقدرة — بردياڤ لم يستلهم ارسطو بل احياناً افلاطون وافلوطين لكنه يستلهم خصوصاً الكبالة وبعض متصوّفي الهنود والاوروبيين .

اذن المثنى في الانسان امر جوهري وقد كان في الاصل (androgyne) يجمع في شخص واحد العنصرين . الخطيئة جاءت بالتفريق : حواء صارت الحكمة (Sophia) واضحى الانسان عبد العنصر الانثوي وعدوه . فالحياة الجنسية كلها وعمليًا كل الحياة الانسانية هي افتقاد مؤلم لاجتماع العنصرين المفقود . آدم — المسيح (وفيه قد اجتمع العنصران) هو الذي يمكن من الحصول عليه ثانية .

الفعل الجنسي هو اتحاد وهمي هو نوع من الزنا . فانه — ونحن لا ندري — آلة بيد الجنس . والجنس ثمرة الزلة هو عائق امام البشرية الحقيقية وعموميّته الباطلة تخالف شخصيّتنا وخلوده يخالف خلودنا . لذلك فالعائلة عاقبة الخطيئة ايضاً هي « احد الاشكال الاكثر دناءة من اتحاد الجنسين » (ص ٢٧٠) وهي اقبح من الدعر (ص ٢٦٧) .

غاية الفعل الخالق هي اعادة اجتماع العنصرين الذي هو صورة الله (ص ٢٤٠ و٢٦١ و٢٨٧) : « ليس سرّ الانسان الا في هذا » (ص ٢٦٣) .

كيف يكون ذلك : « بالحب الجنسي يلزم ان يتم كمال الانسان في كلّ من نصفيه . اتحاد الجنسين هو رباعي لا ثنائي فانه اتحاد مركب من العنصر الانثوي والعنصر الذكر اللذين هما في شخص مع العنصرين الذكر والانثوي في شخص آخر » (ص ٢٨٠) : « يجب ان يتحول فعل الجنس الى فعل خالق حر » (ص ٢٦٠) محرَّر من الاكتراث بالجنس ومن كل ضابط . هو امر مُقلق وبالاخص لان المؤلف يشبّه مُعجباً باختطاف اعياد اله الخمر الوثنية ومُدّعياً بان

الفداء قد طهره (ص ٢٦١ و٢٥٧ و١٤٨) ويشبه ايضاً بالمادة الوثنية القديمة لعضو الإنسال (ص ٢٤١).

والمؤلف يقول بانه هكذا رجال بارعون نادرون (وهذا هو المهم في الجنس البشري) يقدرون ان يتوصلوا « الى اكتشاف تم لحياة المسيح المالية المسيح المتحد بالبشرية » (ص ٢٤٠) بينما يبقى عموم الناس في كنيسة الجلجلة.

ازاء هذه الثنائية السامية كل المباشرات الانسانية هي دون قيمة وحواجز: الفلسفة ليست الا علماً كئيباً... ولا بد من ان تشتفي من هذا التحكم فلسفة « بيمه » ومبادئ صالحة من فلسفة برغسون — للمعرفة المعهودة وهي خضوع للواقع والتجزيء العالم. والفنّ خصوصاً الفن الروائي (الرومانتيقي) وبالاخص الرمزيّ لا شك بانها رغبات ضئيلة للخلقة لكنها لا تتوصل الا خلقة رموز للجمال الحقيقي. القوانين الادبية المأخوذة من الانجيل هي قوانين وصايا وطاعة وغموم وفزع، قوانين هرم — العلم الاجتماعي يكتّل ذُرى دون ضمّها — الدولة هي عقاب الخطيئة وضامنة عدم الحركة — كل نظام مراتب مدني او كنسي هو إنكار للقيم الحقيقية — كل تمدّننا الآلي مع فنونه الشيطانية هو جدير بالتشبيه مع السحر الاسود...

هذه الاحكام المطلقة والمدعية الدقّة أكانت ضرورية لتمجيد الحرية والعمل والشخصية والجمال والحب. كنا نود لو امكننا ان نمدح مطلقاً الاقوال الفاخرة التي تتخلّل اقوال الذم الفاحش. الاضاليل في الامور الروحية هي مستنكرة بنوع خصوصي. أنتدبر أيكفي بالحقيقة ان تتجاهل الخطيئة لنمنع وجودها الفاجع. أيمكن القول جدّياً بان المسيح يدعونا لاتباعه في طريق الكبرياء كما في طريق البسالة في شهامة موقف طبيعة « ساروفيمية منزّهة من الخطأ ».

مناقضة اخيرة تخبرنا عن المراتب الاخيرة. الاكتشاف المظم للكلمة السير الجريء الى ملاقاته يبدأ بانفاذ سرية مثل كنيسة الدياميس لكنه بعد ذلك سوف يشقّق الارض بنوع رهيب. لا ننتظر المبادرة من النفس الغربية فالغرب اللاتيني — رغماً عن نقطة الدم الهبري الذي بها لقّحه العنصر الجرماني — قد بقي متمسّكاً برفاهية الحياة والتمدّن ورهيناً بتأدّبه الرفيع ولا مخرج له بمد

منها. روسيا الوحشية البربرية بتهذيبها الظاهر وتعبّدها العميق المفرط هي التي سوف تتمم العمل الخالق .

لا اظنّ بان بردياف رغماً عن كل الشرار الذي ينفجر من الاربعمئة وسبعين صفحة من كتابه بعطي الكاثوليكي « الف سبب لتجدّد في الايمان » (ص ١٥) . « الكلمة » ogos الشاحب الذي يتكلم عنه لا يساعدنا في معرفة المعلم والمتواضع — المعلم حسب الاناجيل — ومحبته واتباعه — واننا لم نكن مفتقرين الى الأدلة التي اعطاها لنميّز الشعور الديني الحقيقي من الباطل.

هو الخلط الغريب من التدين الشرقي والفوضى العقلية والمشق « القبالي » والكبرياء الصبيانية لا تقدر الا ان تزيد في بلبلة النفوس :

الأفضل للشبان المسيحيين الراغبين في معرفة الديانة ان يذهبوا لإرواء عطشهم الى مجاري مياه الفلسفة واللاهوت الكاثوليكية عوضاً عن الانحناء على هذه التعاليم المتوحّلة .

ف . سوانيرون اليسوعي

Johann Fück — *'Arabiya, Recherches sur l'histoire de la langue et du style arabe.* — Trad. de Claude Denizeau — Préface de l'auteur — Introd. par Jean Cantineau. — (Institut des Hautes Études marocaines. Notes et Documents, XVI) In-8°, XI, 257 pp. — Paris, Marcel Didier 1955.

مقابلات هذا الكتاب مع الطبعة الالمانية (١٩٥٠) زادت كثيراً في منفعته : انه مؤلف فخم لتاريخ اللغة العربية (من موت محمد الى غزو المغول (١٢٥٨) . كان في لغته الاصلية بعيد المنال لعدد كبير من الدارسين او غيرهم من الذين يهتمون باللغة العربية في فرنسا . غايتنا هنا ليست الا ان نلفت الانتباه الى هذه الترجمة فانها سوف تؤدي خدمة عظيمة .

جان كانتينو الذي ابتدأ الاول بالعمل يبيّن في المقدمة دوره فيه (وكنا قد اطلعناه على اهمية الكتاب منذ سنة ١٩٥١) انه عهد الى السيد دينيزو بترجمته فاتت الترجمة متقنة ثم فحص هو نفسه الترجمة بكل اعتنا. ومن ثم عُرضت مخطوطة هذه الترجمة على المؤلف فاستعاد فحص النصّ الاصلي واحدث فيه بعض التغييرات

والزيادات واعتمادًا على هذا النص المنقّح تصفّح باهتمام ترجمة كلود دونيزو وحرّر استهلالًا للطبعة الفرنسية .

اذن هذه الطبعة تتاهر باحسن الضمانات العلمية فلا يسعنا الا ان نمدح التعاون الخالص الذي اوجدها . علينا الآن ان نعبّر عن شكراننا لكل الذين شاركوا في هذا العمل ونقدم اليهم في هذا الشكران مؤسسة الدروس العالية المراكشية التي تقبلت هذا الكتاب في احدى مجموعاتها . ه. ف

الشعر الاندلسي باللغة العربية الكتابية في الجيل الحادي عشر

مظاهره العمومية واهمّ مواضيعه وقيمته الاثباتية

بقلم هنري بيريس

طبعة ثانية مراجعة ومنقحة – مكتبة اميركا والشرق ، ادريان ميزونوف ، باريس
١٩٥٣ – ٦٨ – ٥٤١ صفحة

معرفة السيد بيريس لاسبانيا تامة وله فيما يخصها نشرات عديدة وقد اخرج اخيرًا طبعة ثانية مراجعة ومنقحة لتأليفه عن الشعر الاندلسي . المقالات والبحوث الطويلة في هذا الموضوع هي عديدة لكن كان ينقصنا بحوث خصوصية عن العصر الاندلسي الاكثر ازدهارًا فأراد المؤلف ان يقوم هو ذاته بهذا العمل غير جاهل لما ينتظره من صعوبات . بالحقيقة ان تحديد زمن ابتداء هذا العصر وانتهائه امر عسير فقد يكون أعدّته ثم لحقته تأثيرات عديدة . لكن هذه المشاكل لم تمنع المؤلف من اتحافنا ببحث متعمّق شامل .

يبدأ المؤلف بتحديد مفهوم الجيل الحادي عشر ووصف صورته الفنّية المتنوعة ثم يبحث عن شتى اسباب انحطاط الامويّين . من هذه الظروف تبرز شخصية الاندلسي وهي اختلاط اطباع مختلفة فيها من الشرقي وفيها من الغربي. ومحادثة هذا الاندلسي الشاعر تطرب الخلفاء. وهم لا يرون فيه الا القوّال الـذي يمدح وينظّم . هذا الشاعر هو تارة تحت تأثيرات الغرب وطورًا تحت تأثيرات اليونان لكن الغالب فيه هو الشرق الا اذا قام بينهما معاكسة اعادت الى الغرب الغلبة.

للشاعر الاندلسي تدريجه كما لكل شاعر آخر. فيه الرغبة في التعلم عظيمة، كان من عائلة كبيرة او من عائلة وضيعة ويكفي القليل لانعاش نفسه وتنشيط إلهامه ويتخذ موضوع شعره من الجنائن والمروج والرياض فيتغنى ببلاده الاندلس وبلدتها وهي جواهر غناها وجمالها ويتغنى خصوصاً بياهها الساكنة والحيّة وببحرها ومراكبها وقلّما وصف التغيرات الجوية والحيوانات.

من هذه الاشعار وهي وافرة نستنتج معلومات عن البيئة التي فيها عاش الشاعر وعن الامراء والحديثين في اعتناق الاسلام والعبيد والبربر واليهود والمستعربة وعن نماذج هؤلاء بعضهم مع بعض.

هذه الاشعار الوافرة لا تهمل الحياة الاقتصادية والحياة العائلية. والشعراء في كلامهم عن الحياة العائلية يصفون لنا الزواج والموت والاعياد والتبرّج والطيوب والطعام وكذلك كل ما حفظه الغربيون من سحر واعتقادات باطلة وخرافات.

ثم مع ازدياد البذخ والتنعم في المعيشة اخذ الشعر ايضاً يتمثل بها فيصف حياة الزهر والتبرّج والحمامات والالعاب ثم الوقائع الحربية. اما انصباب هؤلاء الرجال الحائرين على الملذات فكان لا بد منه في الاندلس بلاد الموسيقى والغناء والرقص وحيث للمرأة دور مهمّ في ذلك. يحلّل الشاعر الحبّ برقة ثم المرأة والعفة دون الحب. ويصف الرجل برجولته بيهاته اليومية بغمومه بقلقه وصفاً مسباً والشاعر في هذا كله يتقلّد الشرق دون ابتكار.

في كتاب واسع الموضوع كهذا لا بدّ من تفاصيل قابلة للانتقاد. فالمؤلف نفسه في المقدمة يتكلم عن ثقل بعض الترجمات وعن غيرها حرفية زائدة التمسك بالالفاظ. لكن يمكن تجنب ذلك. فهذا الثقل وهذا التمسك المفرط بالالفاظ نجده في بعض ابيات الشعر حيث أجبر الشاعر الاندلسي نفسه على الاقتداء بالشرق. لا يمكننا الآن نمدح في الشعر الاندلسي نضارته وحزمه والمترجم عرف ان يحفظها له كما عرف أن يقرّب ترجمته من النصّ الاصلي. ونظنّ انه كان الافضل ترك الامثال التي اوردها للحاشية تجنباً لقطع تحليله لنفسية الشاعر الاندلسي.

تزيد في فائدة الكتاب فهارسه العديدة فانها تساعد كثيراً على مطالعته.

ا. ع. خ

عمر الخيام ــ ترجمة جديدة اعتمدت على المكتشفات الحديثة

بقلم ارثور ج. اربري

لندن ١٩٥٣ ، صفحة ١٥٩

هذه الترجمة لرباعيات الخيام ليست الاولى وبين الترجمات التي سبقتها الاهم في زمانها ترجمة فيتزجرالد سنة ١٨٨٩ . رأى السيد أربري ضرورة مراجعة هذه الترجمة لتنقيحها بمقابلتها مع النصوص الاصلية ومطابقتها لها بنوع اتم . ومقدمة الكتاب جزيلة المنفعة فانها تضع الرباعيات ومؤلفها في موقعهما التاريخي والادبي وهذا وحده كاف للدعوة الى قراءة هذه الترجمة الجديدة . وبين هذه الترجمة وترجمة سنة ١٨٨٩ تغييرات شتى إفادةً للمعنى . وقد جدّ المترجم في المحافظة لترجمته على ما في النص الاصلي من توازن وايقاع . وقد اجاد في اختيار الالفاظ والتعابير المناسبة للاصل المترجم ، واستفاد معاً من الترجمات السابقة ومقابلة شتى المخطوطات . فالكتاب اذن هو تأليف ادبي وعلمي بكل معنى الكلمة .

ا. ع. خ.

Die Palästinaliteratur, eine internationale Bibliographie in systematischer Ordnung mit Autoren und Sachregister, herausgegeben von Peter Thomsen — Sechster Band 1956 — Akademie-verlag-Berlin — 577-822 pp.—Die Drucklegung überwachten Fritz Maass und Leonhard Rost.

نشر البحوث الكتبية لم يتمّ بعد . هذا المجلد يبحث عن الآداب في فلسطين وسوريا من سنة ١٩٣٥ الى ١٩٣٩ . نظر المؤلف من جهات عديدة الى الموضوع في سوريا وفلسطين: التاريخ والجغرافيا والآداب والديانة والمجتمع وعلم هيئة الارض وغير ذلك. والبحث مستوفي الشروط العلمية على قدر الامكان، لكننا دهشنا لاهمال المؤلف للبنان وعدم اعطائه في البحث مركزه ، فهل يجهل ان سوريا ليست لبنان وهل يُقبل في ١٩٥٦ حذر لهذا النسيان ؟ ا.ع.خ.

رسالتان لابن الانباري (٥١٣ هـ ــ ٥٧٧)

قدم لها وعُني بتحقيقها سعيد الافغاني

مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧، صفحة ١٥٩

الرسالتان : ١ً الاغراب في جدل الاعراب ٢ً لُمَعُ الادلة (في اصول النحو وفائدته)

التمهيد : حياته – مؤلفاته – فنه

يعتبر الناشر عصر الانباري الذروة في ازدهار العلوم والآداب والتفنن في تدريسها يعقبه بدء عصور الانحطاط. اما التفنن في التدريس فيكفينا له شاهدا كتاب الاغراب في جدل الاعراب هذا

ولد صاحب الكتاب في الانبار بلدة تقع على بعد ٦٥ كيلومتر غربي بغداد على ضفة الفرات الشرقية وتخرج على اشهر معلمي زمانه وبرع في الفقه واللغة والادب ثم انصرف الى التعليم والتأليف وعرف بزهده في الدنيا وقد ذكروا ان له مئة وثلاثين « مصنفاً في اللغة والاصول والزهد » .

اعتمد الناشر على نسخة باريس قابلها بنسخة الاسكوريال ونسخة استانبول وعُني بصحة النص وشرح ما غمض منه عناية خصوصية يشكر عليها. وقد الحق الكتابين باربعة فهارس : مسرد الاعلام – مسرد الكتب – مسرد الابيات والارجاز – مسرد الموضوعات .

اننا نثني على الناشر لتقديره هذين الكتابين لابن الانباري فانهما يعرّفان القارئ بفنّ مبتكر ذي « اسلوب رياضيّ جميل » والكتابان تحفة فريدة للباحثين من محبي اللغة العربية في اساليب واضعيها وتفنن علمائها في وضع اصولها واثبات ادلتها . ف. ق.

Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulmanes. Tome I : articles et conférences de Georges Marçais. Tome II : Hommage à Georges Marçais. Deux in 4°; 262 pp. avec nombreux croquis de l'auteur ; 195 pp. photographies et croquis. Alger — Imprimerie officielle du Gouvernement Général de l'Algérie, 1957.

كان جورج مارسيه قد أعدّ نفسه للتصوير لكنه إجابةً الى الحاح اخيه البكر انصبّ على علم الآثار القديمة واللغات الشرقية ، وهو اليوم للجزائريين حافظ متحف ستيفان جزال وهو ايضاً للجميع من الاساتذة الذين هم دائماً متأهبون لكشف صنائع وفنّ افريقيا الاجيال المتوسطة الشمالية للملأ . كان اذن من اللائق اقراراً بفضله ان تجمع نخبة من اهم بحوثه المنشورة ، وشاء اصدقاؤه ان يلحقوا بهذه النخبة خلاصة علمية فتألف هكذا المجلدان يتقدمها استهلال لروبير لاكوست وكيل الجزائر المقيم .

١ : من ١٩٢٠ الى ١٩٤٩ – التآليف الواحد والعشرون التي منها يتركب

المجلد الاول تـذهب بنا حيث السامون ، الى القاهرة وتونس ورباط وأجله وباريس وررومية ونابولي . ان مشاهد جورج مارسيه ورسومه سواء كانت مختصة « بمسألة التصاوير » في الفن الاسلامي او « تمييز ما هو حسن » في هذا الفن ومقابلات « الكنيسة والجامع » و« الفن المسيحي في افريقيا والفن البربري » والفنّ في المدن والجنائن او أثر من آثار افريقيا ، هذه المشاهد والرسوم كلها تستحق الالتفات اليها . لا بد للسوريين من الاعجاب عندما يقفون مدة ينظرون متذهلين الى « جامع دمشق الكبير اول المآثر الجليلة التي انشأها الاسلام » (صفحة ١٩٠).

٢ : نقدر ايضاً ان نلتقط في الحقل الذي نقّب فيه ج. مارسيه بمهارة فائقة في كتابه المدرسي «الهندسة الاسلامية في الغرب» (طالع مجموعة كلية القديس يوسف (المجلد ٣٢ سنة ١٩٥٥ صفحة ٢٣٢) حيث «تكريم لجورج مارسيه» يثبت ما قلناه مع نصوص حقوقية (فتاوى ونصوص من الفقه) وكتابات تاريخية وبحوث عن منشأ السلالات الملوكية وسقوطها ورسوم أثرية تلأ ٢٠٠ صفحة (قطع ٤) . ملخص ليفي بروفنسال عن تأسيس مراكش سنة ٤٦٢ هجرية (١٠٧٠ مسيحية) وقريض ابن هاني الاندلسي في افتتاح مصر (ترجمة ه. ماسي) تسبق معلومات عما لاقاه الفاطميون من مقاومة في افريقيا الشمالية (السيد كنار) وعن « اهالي مرسيلية في الجيل الثالث عشر » (ج. كاني) و« منابر مراكش القديمة » (ه. تراس) و« قبة جامع سوس الكبير الاغلبية » (س.م. زبيس . ... « الزجاج الملوّن » في القرون المتوسطة (س. لامبر) ، تظهر مواصلة الاساليب الفنيّة من بلاط الامويين حتى المغرب.

هذان المجلدان الجميلان المزينان بعدد كبير من الرسوم طُبعا في مطبعة الجه الرسمية ويُشرفان نيابة ادارة الفنون الجميلة . ر. م

Philippe Lippens — *Expédition en Arabie centrale.* — Gr. in-8° de XII — 218 pp. avec 1 carte, 1 index, 5 pl. en couleur et 40 similigravures h.-t. — Adrien Maisonneuve, Paris 1956.

في هذه الاسطر نعطي بياناً عن فحوى اول كشف من الآثار القديمة في بلاد العرب الوسطى أوصت بها حكومة الملك ابن السعود المتوفى: هذا الكشف جاء عقبي التقاء الكاهن القانوني ريكمانس والسيد جوهن فيلبي في مؤتمر

المستشرقين في باريس سنة ١٩٤٨ ، وهدف السيد فيلبي اكتساب معلومات جغرافية دقيقة عن البلاد العربية الوسطى وهي مجهولة الى اليوم . وهدف الآخر الحصول على معلومات بخصوص الكتابات التي كان قد حصل عليها باكتشافاته في البلاد العربية الجنوبية . فاستصحبا جاك ريكمانس الدكتور في علم اللغات الشرقية وفيليب ليبنس وهو قائد في الطيران له في الصحارى جولات جريئة ويعرف الشرق جيداً لانه كان في فلسطين كملاحظ من قبل منظمة الدول المتحدة . فكانت النتيجة لطالب المعلومات الجغرافية: جولان في مسافة خمسة آلاف كيلومتر — ولطالب الكتابات : تقييد اثني عشرة كتابة .

هذه الاسطر التي نأخذها مما كتبه فيلبي تعطينا فكرة عن جاذب القصة وقيمتها: « لقد نجح كثيراً ليبنس بجهوده في تأويله للعالم فحوى جولان في بلد مقفر كبلدنا وقد تتبع حركات هذا السفر بانتباه دقيق الى عوارضه وبروح تفهم هما نادران في ايامنا عند الذين تسنح لهم فرصة زيارة بلاد العرب وهم لا يرون الا النفط وغوه الشنيع. لكن نجد في هذا الكتاب خصوصاً دلائل تعاطف روحي وعقلي نحو اناس فقراء سذج وصالحين لم يُتح اليهم الحظ بتعلم «شيوليت» التمدن الذي يدّعي بسموّه وهو يتفق بنس الاتفاق مع حقائق الفقر الابدي الذي منه صدرت بسهولة ديانات العالم الثلاث العظام التي تعترف بوحدانية الله .»

هذا ذكر الرحلة وهو ملئ بمعلومات جوهرية وكل ملاحظاته معجبة بما توحيه من ذكريات نشعر بانها موضع انطلاق كل الاختبار الذي اكتسبه الحاج عبدالله لتمدن الصحراء وكل العلم الذي اكتسبه ريكمانس واقرانه لتاريخها وكل هذا قد لطّفه قلب ضابط قائد الناس يتكلم كلاماً بسيطاً مباشراً يُري ما يقوله . الصور الفوتوغرافية والاوصاف هي كذلك دقيقة ومزوّقة تضع دون صعوبة تحت نظرنا افراداً ومشاهد مع ميزاتها الخاصة التي تفصلها او تقرّبها من الذين عرفناهم في المناطق المحيطة التي تتقرّب اليها بصعوبة اقل: صحراء سورية والخليج الفارسي ومسقط واليمن . . .

ما عدا هذه الملاحظات بخصوص الشعب والجغرافيا والتاريخ مدى سفر يمرّ في مفارق اديان بلاد العرب ومتاجرها وحروبها فان فائدة هذا الكشف العظيمة هي انها تساعدنا على مفاجئة شعب هو حضري وبدوي معاً في حياته العريقة

الساذجة التي سيلبلبها عن قريب تمدن النقود. ها بعض من افكار المؤلف تظهر لنا غي هذا الأثر الانساني : رواية مفرحة محزنة دينية واجتماعية لاسلام يقوم مقامه تكران معرفة الطبيعة والعلة الاولى والوطنية . رواية مدنية حضرية تبدل بادارتها الحق العادي . رواية اقتصادية بابادة غابات بلاد العرب لتغذية مطابع مدن بلغ عدد سكانها كرياض ٨٠،٠٠٠ : «طريق الحطب» تقوم مقام طريق التوابل والحال ان خلاص بلاد العرب يتطلب جذب المياه وبناء الاسداد والزراعة وغرس الاشجار بينما النفط يأتي البلاد بالغنى وقبل ان تقوم قوة الذرَّة مقامه .

انا لمتشكرون ايها القائد لك ولرفقائك لقبولنا معكم في جولتكم الشاقة المثمرة في شفيف الليالي المنجمة في مواطئ مقبرة مقفرة وفي ضيافة النخيل المظور حيث شاهدنا رواية بلاد العرب المحزنة المفرحة .

هنري شارل اليسوعي

The Political Quarterly, april-june 1957, vol. 28, n. 2. Special number. The Middle East, 23/15 cm. London.

هذا العدد من مجلة بريطانية سياسية هو بتمامه مختص ببحث موقف الشرق الاوسط حالياً. نلاحظ بان المؤلفين منذ صفحات العدد الاول يستنكرون بشدة المداخلة الفرنسية البريطانية في مصر ضد ناصر ١٩٥٦ . وهذا مواضيع العدد : « مشكلة مصر — روسيا والشرق الاوسط — الشمول العربي panarabisme والسياسة البريطانية — تركيا والشرق الاوسط — الدفاع وميثاق بغداد — النفط والشرق الاوسط — اسرئيل والدول العربية » فان كل مسائل الازمة في الشرق الاوسط مرّت في هذه المباحث .

تمت هذه البحوث في فصل الربيع الماضي وقد تعدّتها الحوادث التي عقبتها خصوصاً في سوريا ، لكنها مع هذا لم تفقد قيمتها اليوم ايضاً اذ ان ظروف المسألة فيما يخص الغرب والشرق وروسيا لم تتغير كثيراً ، فاننا مثلاً نجد بيانات مهمة جلية فيما يخص المخاصمات المستمرّة بين الشرق والغرب . (المقالة الاولى عنوانها : ملاحظات وتأويل). ونشوء السياسة السوفياتية (« روسيا والشرق الاوسط » جوفرا هويلر).

الاب بولس موترد اليسوعي

A. Demeerssman, *Tunisie terre d'amitié*.— Collection « âme vivante 2 » — Tunis 1955. 241 pp.

لهذا الكتاب جزءان : الاول يتكلم عن تونس ورسالتها القديمة رسالة الوداد . والثاني يتكلم عن تونس الغد ورسالتها الجديدة .

بتحليل متقن ونافذ لامثال تونس – واحياناً بتراجمات طويلة – يتوصل المؤلف الى استنتاج ما يعنيه العنوان ويستطيع استخلاص ما يظهر على الثغور – وكما يعلنه عن نفسه دون طالب التعمق كما في البحوث العلمية، رغماً عن الملاحظات التي يتعرض لها المؤلف عندما يقدم على بحث في نفسية الامثال – وفيها حكمة الانسانية – وعلى استنتاج نفسية شعب منها، فانه بفعله هذا يتوصل بنوع غير مباشر بنفس الانسانية . يورد المؤلف مثلًا اسبانياً ويقابله مع مثل تونسي . وانني لمتأكد بوجود امثال عديدة عربية يمكننا مقابلتها مع الامثال التي اوردها المؤلف . فعندنا عدة قرائن من هذه الامثال.

مما يستحق الثناء في المؤلف جدارته بفهم نفسية التونسي ورغبته في رؤية الخير حواليه رغم كل شيء، فهذه الجدارة هي التي جعلته يكتشف في الامثال التي اوردها ما استخلص منها من رتب وغنى . بهذه الامثال تظهر تونس لنا كأرض الصبابة الى الروح العاملي كبلد سهل الالفة، كبلد فيهاء الوداد ثمرة العدل والمحبة، وطن المساعدة والمكاتفة فيه الجار صديق لا محالة والعدوّ رجل لا بدّ منه. واخيراً مقرّ المسامحة والصفح حيث الصداقة الانسانية تتوارى ازاء ما يفوقها شأناً .

ا . ع . خ .

الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الاول من القرن العشرين

بقلم امين نخله

الطبعة الثانية – من منشورات الورود – بيروت ١٩٥٨، ٦٧ صفحة

عندما يحاضر الامين يجود قلمه وعقله الخصب بما عنده من ثروة كلامية في خدمة افكار ناضجة وعقل وثاب الى الاكتشاف والتجديد . ففي هذه المحاضرة التي تنشر اليوم في طبعة ثانية – وحسناً ما صنعته مجلة « الورود »

تأديةَ الخدمة للعلم والادب — من الاطلاع الواسع والحكم الصائب والنور الذي يرافقنا في تتبع الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الاول من القرن العشرين. لا يعرض الامين فقط ولكنه بين الفترة والفترة يطلعنا على احكام هي كأنها تعرفنا اكثر بمن يذكرهم ولو عابرًا . فمن فصله الاوّل الـذي يعرض فيه حالة المشكلة اللغوية في لبنان ويقسمها الى ثلاثة اقسام الى الفصل الثاني الذي فيه يلقي النظر على تأليف المعاجم العامة والمعاجم الخاصة ويصادق فيه على قول من قال ان تلك المعاجم نسخ عن محيط المحيط الى الفصل الثالث الذي فيه يدرس تأليف كتب القواعد فيذكر اهمها ، الى الفصل الرابع في التأليف في علوم اللغة الى نشر المخطوطات اللغوية ، في الفصل الخامس الى وضع الالفاظ ، في الفصل السادس الى التلفظ بالاعلام والكلمات الاجنبية ، في الفصل السابع الى الكتابة في النقد اللغوي ، في الفصل الثامن الى كلمة الختام ، في كل ذلك التيار الجارف نرى الامين ملكاً واميرا ينحت اللغة نحتاً ويوسع امام السامع الآفاق الادبية الصحيحة.

ولا يستطيع القارئ ان يتصفح محاضرة كهذه الا ويشعر بلذة الفكر ترافقه الى ان ينتهي منها ليعود فيقرأها ثانية وثالثة وفي كل مرّة نشوة شعر في كلام سام. كما وان السامع ، لا تنتهي محاضرة الامين الا ويشعر بشوق الى ان يتابع الامين بصوته الفاتر الى اعمق القلب — تدفق افكاره وخواطره التي كأنها قدّت من لبّ له وقطعت جزءا من متن ثقافة واسعة الارجاء امينة . ا. ع. خ

Maurice Bouyges — *Essai de Chronologie des œuvres de Al-Ghazali (Algazel)*, édité et remis à jour par Michel Allard. — Imprimerie Catholique. Beyrouth. 1959. 204 pp.

جمع الاب بويج اصول مبحثه هذا في سنة ١٩٢٤ ولم يشأ لاسباب لم يعرب عنها ان يصنفها كتاباً ويخرجها الى حيّز الوجود . واراد اليوم الاب ميشال الار ان يبوّبها ويزيـد عليها ما حازت عليه الدروس «الغزالية» من تطوّر وتجديد . فنجح . ابقى مخطوط بويج على حاله وزاد عليه . وكان الاب بويج قد جاب البلاد والمكاتب متصفحاً المخطوطات ناقلاً ودارساً الى أن جمع ما يؤهله لوضع درس لم يشخ مع ما كتب بعد ذلك.

يصعب على مؤرخ فكرة ناضجة خصبة أن يفرز بصورة علمية دقيقة لا تترك سبيلًا للريب في صحتها، ما يعود لها من تلك الكتب التي يربو عددها على المئات وما عُزي اليها من مؤلفات نكرة سكت اصحابها عن اسمائهم والصقوها باسم طبقت الآفاق شهرته. ولذا فقد انبرى بويج مع ما له من علم وطريقة صحيحة في التنقيب واخذ على عاتقه أن يثبت لنا مع سنيّ التأليف أسماء مؤلفات الغزالي التي لا يشكّ فيها. وبعد ذلك فصّل في عشرة ملحقات اسماء بعض الكتب التي يستحيل على المنقّب ان يقول فيها كلمة صائبة نهائية.

وفي هذا المضمار لا يقف بويج أمام العلم والدقّة العلميّة إلّا موقف الخادم فيقاطع ببراهينه وبالوثائق الصائبة كل من تعدّى على الحقيقة. وليطول بنا الكلام لو أردنا أن نتصدّى لكل مؤلف ناقش في دروسه وفي تثبيت صحته كل من أتى على ذكره. والعودة الى كتاب بويج سهلة.

تقوم قوّة بويج العلميّة في تدعيم اقواله بالبراهين الدامغة كما قلنا. ولا يترك لقائل ان يزيد: ولمَ قال بويج ذلك؟ بينما تراه هو، بعد ان يعطي الحجج العديدة لتوكيد رأي، يعيد: علامَ يسند فلان رأيه ولمَ يقدم على هذا القول؟

ولهذا فان هذا الدرس التسلسلي لمؤلفات الغزالي، وقد طبع في سنة تذكار مولد الفيلسوف واللاهوتي حجة الاسلام، ليؤدي الخدم الجلّى بصراحته وعلمه الوثيق ويضع حدًّا لاقاويل فيها ما فيها من التبجح والمنجبيّة.

واننا لنثني على همّة الناشر وقد عانى الكثير في ابراز هذه التحفة اذ كان عليه ان يطلع على ما قد وضعته يد الاختصاصيين بالدروس «الغزالية» منذ ان فارق بويج هذه الحياة. وعلى أمل ان يتحفنا بما بقي مطمورًا من مؤلفات هذا العالم الذي غدا اسمه مرادفًا للعلم الصافي المنتج. ا. ع. خ

Henri Fleisch, S.J. — *L'arabe classique. Esquisse d'une structure linguistique* — in Recherches publiées sous la direction de l'Institut de Lettres Orientales. Imp. Cathol. Beyrouth 1956, 142 pp.

خصّص المؤلف تصنيفه هذا اولًا «باهل الادب والعلم»، «وبالدارسين الذين يودّون تجاوز فحوى الصرف والنحو التعليمي» (صفحة ٥).

يفرق الكتاب (صفحة ٤) بين العربية «القديمة» وهي عربية الشعر القديم

والقرآن والعربية «الكتابية» وهي العربية العصرية. وينقسم الى جزءين ومقدمة وخاتمة . ترجع مباحثه الى ستة اصول: (١) نظام الالفاظ — (٢) التركيب — (٣) اضافة حروف في اللفظة أولها ووسطها وآخرها — (٤) التغييرات الطارئة على الحروف الاصليـــة — (٥) التشديد — (٦) انواع اللفظ المختلفة : الشدّة والنبرة .

يمتاز الكتاب بدقة البحث والاصابة في التحليل والاستنتاج وهو حرّ في آرائه موقن بها .

اننا نهنئ المؤلف بلخصه شاكرين ، فقد اهدى به اللغة العربية تحفة ثمينة . لكننا لا يمكننا قبول حكمه البات بخصوص النبرة في اللغة القديمة فانه ينكر دون جدال ولا اثبات وجودها (صفحة ١٩ و١٢٣) ، فيعزو وجودها التابع الى واضعي «التجويد» القرآني ثم يلاحظ لدعم انكارها بان العروض لا يُعنى بها. ونحن نرى بان التجويد هو بالاحرى شاهد على سابق وجودها . اما العروض فبوضعه أوزانه قد أثبت في تفاعيلها النبرة بنظام بديع يعطي «لانشاد» الشعر بتوازنه رونقاً ورنة .

ونلاحظ هنا ان لا بدّ من تمييز النبرة من الطول في المقاطع فانها شيئان مختلفان تماماً: والّا تعدّدت في اللفظة الواحدة النبرات . فقد تقع النبرة في بعض الالفاظ على غير الطويل من مقاطعها رغماً عن وجود مقاطع طويلة فيها . مثلاً: «قاتَلَه» فالنبرة هنا على التاء المفتوحة الحركة دون المقطع الطويل الذي يسبقها.

اننا نتمنى لملخص الأب فليش انتشاراً في عالم العلماء والدارسين لما سوف يجنون بمطالعته من ثمار ويكتشفون بتفهم شتى مباحثه من اسرار اللغة العربية الصعبة الجميلة .

ف. ق

المشرق

السنة الثالثة والخمسون | ت ٢ - ك ١ ١٩٥٩

ولي من لبنان

بقلم يوسف ابرهيم يزبك

في الصفحات التالية سيرة وليّ صالح من لبنان هو الامير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي، سليل الاسرة التنوخية العريقة التي جاءت من معرة النعمان وضربت في ربوع الشوف، وكان اسمها الغرب منذ الف سنة تقريباً، ثم امتد سلطانها الى المناطق والمدن المجاورة حتى صارت صاحبة الشأن الاول في قسم كبير من لبنان الحالي، وكان من سلالتها ابطال وحكماء وادباء وفنانون وذوو فضل ومعروف، اعظمهم جميعاً صاحب هذه السيرة الامير السيد جمال الدين عبد الله الذي يكرمه عقّال الطائفة الدرزية تكريماً بالغاً ويعتبرونه وليّاً كريماً، ويستند شيوخ الدين عندهم الى مؤلفاته القيمة في تفسير شؤونهم المذهبية، حتى انهم ليعدّونه المفرد العلم في هذا المضمار.

للامير السيد جمال الدين عبدالله مقام في بلدته التنوخية العريقة عبيه، يزوره كثيرون من مختلف المذاهب والنواحي القريبة والبعيدة ويتبركون بسيرته النقية

ومآثره الانسانية حتى ان مجاوريه من نصارى الشوف كانوا قبل الحوادث المشؤومة التي فرّقت في منتصف القرن التاسع عشر بينهم وبين اخوانهم الدروز ، بعد ان كانوا كأنهم ابناء اسرة واحدة ، يرون في الامير التنوخي رجل مكرمات ومبرات فيزورون مقامه لطلب شفاعته[1] .

يؤلمني القول ، بعد هذا ، إن معظم الذين يزورون مقام الامير السيد اليوم لا يعرفون شيئاً من حياته ، ويؤلمني القول على الاخص ، ان هذا الامام الجليل الورع الذي يعدّ مفخرة من مفاخر الجبل اللبناني المقدس مجهول من مواطنيه . وهذا هو السبب الرئيسي الذي حفزني الى نشر سيرة حياته هذه .

***

في المكتبة الوطنية في باريس مخطوط عربي يحمل الرقم ١٨٢١، ومكتوب عليه : « تاريخ حمزه » ، قال عنه دليل المكتبة المذكورة تحت عنوان « تاريخ مصر » ما ترجمته :

« تاريخ سلاطين مصر . مؤلف مكتوب على شكل حوليات ومنسوب (كذا) الى ابن اسباط حمزه بن احمد الغربي .

« هذا المجلد الذي تنقص منه صفحاته الاولى يبدأ في منتصف سنة٥٢٦ للهجرة . مخطوط . عدد الصفحات ٢١٨ ، او الورقات اذا شئت ، لان كل صفحتين برقم واحد . عدد الاسطر في الصفحة ٢١ سطراً . طوله ٣٠ سنتيمتراً . عرضه ١٩½ سنتيمتراً . مقدمته مفقودة مع بعض ورقات من اوله . » اه

وعرفه بروكلمن بما يأتي :

« المخطوط رقم ١٨٢١ تاريخ مصر . حمزه بن احمد بن اسباط الغربي (نسبة الى غربي لبنان) ، الفقيه الدرزي المتوفى ٩٢٦ هجرية ١٥٢٠ مسيحية . تاريخ عام للاسلام . الجزء الثاني منه : نسبة آل تنوخ ، من كتاب صدق الاخبار ، وهو تاريخ امراء الدروز من المنطقة الغربية ، عن صالح بن يحيى . مخطوطة بيرونية رقم ١٢٥ » اه .

قلنا : وفي هذا الجزء الثاني نشر حمزة بن سباط اخبار التنوخيين امراء

---

١) اخبرني المؤرخ الجليل الاستاذ عارف النكدي ، نقلاً عن السلف ، ان داهية عصره المرحوم الشيخ سعد الخوري مربي الامير يوسف الشهابي ومستشاره النافذ في حكم لبنان كان يقول : « الامير السيد قديس » .

الغرب اللبناني مما كتبه عنهم ابنهم البار صالح بن يحيى التنوخي[1] اجزل الله ثوابه ، وزاد حمزة عليه ما عرفه بنفسه وما سمعه من معاصريه عنهم ، ولا سيما عن ابيه الفقيه شهاب الدين احمد بن سباط العاليي . وقد بسط ذلك كله عند وصوله في كتابة تاريخه الحولي الى سنة ٨٧٤ هجرية (١٤٦٩) ، فكان كلامه عنهم في ثماني عشرة ورقة (٣٦ صفحة ، من ورقة 180 الى ورقة 198)[2] ثم اخذ في سرد سيرة الامير السيد — وهي النفيسة التاريخية التي ننشرها هنا — فجاءت في عشر ورقات ونصف الورقة (٢١ صفحة ، من ورقة 198 الى 209)[3] ثم الحق بها بضع صفحات عن تلاميذ صاحب السيرة .

اصاب بروكلمن في قوله بان هذا الكتاب هو « الجزء الثاني من تاريخ عام للاسلام » وضعه حمزة بن سباط ، فالمؤلف نفسه اشار في مواضع كثيرة منه الى جزء اول سبقه ، قائلاً ما معناه : « إذ كنا قد افردنا في الجزء الاول حاشية في ذكر آل تنوخ » ، او : « مما اشرنا اليه في الجزء الاول من كتابنا هذا » ، او : « وقد ذكرنا في الجزء الاول من هذا التاريخ » ، او ما شابه . ومما يؤسف له ان الجزء الاول المشار اليه مفقود ، وقد فتشتُ وفتش سواي عنه في باريس ولبنان فلم تقف له على اثر[4] .

وخامر كاتب دليل المكتبة الوطنية في باريس ارتياب في ان يكون حمزة ابن سباط هو واضع المخطوط ، فقال في تعريفه انه « منسوب الى ابن سباط حمزه » ، وهذا الارتياب لا مبرر له لان حمزة ذكر مرات عديدة انه هو صاحبه ، وقد ختم الكتاب بهذه الكلمة : « ومصنف هذا التاريخ حمزه ابن احمد ابن سباط الغربي ، والحمد لله وحده ، امين » . وكذلك قال في موضع آخر ، وهو

---

١) روى المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي في مقدمة « كتاب تاريخ بيروت » انه عثر على مخطوط تاريخ صالح بن يحيى في خزانة كتب باريس الوطنية ، فنشره في المشرق سنة ١٩٢٥ وطبعه على حدة بعنوان : « كتاب تاريخ بيروت » ، ثم اعاد طبعه مصححاً سنة ١٩٢٧ ، وهذا المؤلف النفيس صار اليوم نادراً .

٢) و٣) هذا الترقيم مزاد على الصفحات من موظف في المكتبة الوطنية في باريس ، على الارجح ، ان المخطوط بلا ترقيم في الاصل .

٤) في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ، في قسم المخطوطات ، موجز صغير جداً لتاريخ حمزة بن سباط نذكره بعد ختام هذا البحث .

يذكر وفاة ابيه :

« وفي سنة سبع وثمانين وثمانماية (١٤٨٣ مسيحية) كانت وفاة الفقيه شهاب الدين احمد ابن عمر بن صالح الشهير بابن سباط ، والد مصنف هذه الترجمة » .

قلنا : اما ان يكون حمزة قد نقل بالحرف ، او الايجاز ، عن مؤلفين قبله ولم يذكر اسماءهم فهذا صحيح ، وانه لعمل مؤسف غفر الله له ! ولكن مهما يكن من ذنبه في سرقته فنحن مضطرون لان نرى فيه مؤرخاً جزيل النفع بالنسبة الى ما كتبه عن الامير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي ، رضي الله عنه ، فحمزة بن سباط ، وحده على ما نعلم ، قد وضع مثل هذه السيرة المسهبة التي ننشرها هنا ، وصفحاتها مليئة باخبار الولي اللبناني ومواعظه وآرائه الدينية والزمنية ، ولولا حمزة في تاريخه هذا لما عرفنا عن قديس الشوف ما سنعرفه في الصفحات الآتية .

وفي هذا المجال ، في معرض الكلام عن الولي التنوخي ، باستطاعتنا ان نثق بقول « المصنف » ، فوالده الفقيه شهاب الدين احمد بن سباط كان من تلاميذ الامير السيد ، وقد اخبرنا ابنه حمزة ان اباه « كان خطيب جامع عاليه» وقد عايش الامير السيد واشترك في تعلم كثيرين من تلاميذه ، وانه « كان إمامه » ، فاخبار ابنه حمزة عن الولي التنوخي منقولة ، والحالة هذه ، عن والده وهو صالح للرواية واهل الثقة ، مما يجيز لنا ان نتقبل كلامه مطمئنين .

***

وبعد ، فكلمة عن نسخ هذا المخطوط وعن مالكيه الاولين :

في السطر الاخير من الورقة الاخيرة (٢١٨) قال الناسخ :

« وكان الفراغ من نساخته نهار الخميس ، ثلاثة ايام في شهر اسباط الخير سنة ثمانين بعد الالف ومصنف هذا التاريخ حمزة ابن احمد ابن اسباط الغربي . والحمد لله وحده آمين.»

وفي سطر جديد :

« وكان المتنى في كتابته الشيخ ابو نوفل ابن الخازن ، هناه الله تعالى زمان طويل آمين . »

وفي سطر جديد ، وبخط كبير جداً :

« كمل الكتاب ، تكاملت ابدًا السرور لصاحبهُ ، وعفا الاله بفضله وبجوده عن كاتبه ، قال : ان مثلا يفرح الملاحون اذا شاهدوا المرن ، والنازحون حين يروا الوطن ، كذلك يفرح الناسخ بتمام الكتاب والله اعلم » .

وفي سطر جديد ، وبالحرف الصغير الذى كُتب به المخطوط :

« علقه يد الفانيه العبد الفقير الى الله جرجس ابن موسه ابن جرجس ابن القسيس الياس من قرية اماد ، غفر الله لهُ والوالديه ، ومن قرى وترحم عليه يكون لهُ نظيره ذلك .

وكتب برسم الشيخ نادر ، ابن نوفل ، ابن خازن ، ابن ابراهيم ، ابن سركيس ، ابن الخازن ، من قريت عجلتون كسروان ، من اعمال بيروت ، هناه الله بيو زمان طويل . وهو من مالهُ من دون غيرهُ . ودعينا لهُ بالهنا والبقا ودوام الارتقا .

« وكان النجاز منه نهار الخميس عشرين يومٌ خلت من شهر رمضان المبارك ، من شهور سنة ثمانين والالف للهجره احسن الله اتمامها بالخير امين ، والحمد لله وحده » اه .

وفي اعلى الهامش وبخط آخر :

« ودخل في ملك الفقير الياس ابن يوسف اده بالشراء الشرعي سنه ١٢١٠ هـ »[1]

يلاحظ القارئ ان الناسخ[2] جرجس امادي ارّخ ، في المرة الاولى :

«الفراغ من نساخته نهار الخميس ثلاثة ايام في شهر اسباط الخير سنة ثمانين بعد الالف» .

ثم أرّخ مرة ثانية في ختام النسخ :

---

١) لا نعرف الشخص (الخزني) الذي باع مجموع بين يديه [illegible] ، والمعروف ان هذا السياسي المتأدب كان يهتم بشراء الكتب النادرة وقد جمع مكتبة قيمة ورثها عنه ابنه نجيب ثم انتقلت الى ابن نصيف الذي صار [illegible] خوري جرجس اده . والخوري جرجس المذكور هو الذي باع الكثير من مكتبة جده [illegible] مخطوطات انتقل منه الى المكتبة الوطنية في باريس ، رحم الله الناقل الذي اوصله الى مكان امين حفظ فيه فلم يعبث به الجهال . . .

٢) كان خطه جميلاً ، ولكنه يبدو انه أمّي ، او يكاد يكون ، فهو يرسم الكلمة رسماً دون ان يفحصها حتى انه يشوهها في اماكن كثيرة فيغرب معناها . وكان يكتب الذال والياء الاخيرة والتاء المربوطة مهملات (هدا ، هديان ، ى ، المتتي ، الباقيه ، الفانيه الخ . . .) وينقط التاء الثلاثية نقطتين فقط (تمر ، تانون) ، ويقلب الظاء ضادًا (نضيف ، ضنا) ، ولا يكتب الهمزة بعد الالف في آخر الكلمة (انبيا ، انقيا) ، ويهمل التنقيط في كثير من الكلمات .

وقد صححنا ذلك في مطبه تخفيفاً عن القارئ ، فليعرف . (ى)

« النحاز منه نهار الخميس عشرين يوم خلت من شهر رمضان المبارك من شهور ثانين والف للهجرة » .

والتاريخ الثاني (الهجري) يصادف الخميس في ١١ شباط ١٦٧٠

***

ارى واجباً علي عزيزاً ، وانا ابدأ بطبع هـذه السيرة النفيسة ان اشكر السيد احمد الداعوق سفيرنا في باريس ، فهو الذي اوصى بي مدير المكتبة الوطنية ليسمح لي بالتفتيش عن المخطوط في تلك المؤسسة العظيمة الغنية بالمخطوطات النادرة .

واشكر Mlle D'Alverny صديقة لبنان ، والمحافظة في المكتبة المذكورة ، فهي ما ان عرفت اني لبناني حتى احاطتني بعطف كريم فساعدتني في التفتيش كثيراً حتى عثرنا على مطلوبي ، ثم عنيت مشكورة بأمر النسخ بالمكروفيلم .

واخص بأقوى عرفان الجميل صديقي سليم خير الله الملحق الاقتصادي في سفارتنا الباريسية ، وصديقي حنا يعقوب من موظفي وزارة التربية الوطنية اللبنانية ، فقد تفضلا بمراجعة المخطوط وتزويدي بوصفه بعد ان كنت قد دونت جميع ما احتاج اليه من معلومات عنه ، الا ان هذه المعلومات فقدت مني ، ومعها اوراق لبنانية نادرة ودراسات تاريخية كانت في المطبعة ، وهذه المطبعة نهبت في اثناء الحوادث المشؤومة التي عصفت بلبنان في السنة الماضية . واختم بشكر صديقي النائب ايليا ابي جوده الذي دفع النفقات كلها .

لهم جميعاً الثناء العاطر .

الحدث ، نوار ١٩٥٩

يوسف ابرهيم يزبك

الامير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي

بقلم حمزة بن سباط الغربي

نشرها يوسف ابرهيم يزبك

... كان (الامير علم الدين سليمان التنوخي) رجلا خيرا ، ذات عقل وسكون ومروة ووطاوة خلق وحشمة وصغر نفس ، فاولد الامير جمال الدين والدنيا عبدالله ، ثمرة الخيرات ومعدن البركات ومفتاح الصدقات ، المنعوت بحميد الصفات .

ثم اولد ايضاً علم الدين سليمان ابن محمد (ولداً اسمه)[1] تقي الدين ابرهيم. وتقي الدين المذكور عرض له وجع داء الاسد[2] وتوفا به ، بعد ان اولد (ولداً اسمه) علم الدين سليمان ابن تقي الدين ، فكان حشيماً صاحب فراسة ولسان فصيح .

واولد علم الدين سليمان ابن تقي الدين : زين الدين عبد الرحمن ، وعلاي الدين علي ، وصارم الدين ابراهيم . فابراهيم قتل بارض كسروان بجاور نهر الكلب . واما زين الدين عبد الرحمن واخيه علاي الدين علي فيها ذات غصبة (عصبية ؟) ومروة ، تقصدهما الناس في الماظل والمهات العسرة .

واما ينبوع الخيرات الامير جمال الدين عبد الله ، اولد : سيف الدين عبد الخالق ، الاول ، وتوفي قديماً . ثم اولد ثمرة شجرة النور الامير سيف الدين عبد الخالق ، الثاني ، الذي ذكر وفاته اول هذه الترجمة ، وكان اولد الامير ناصر الدين محمد فتوفي قديماً . واما الامير سيف الدين عبد الخالق الثاني هو

١) تشابكت العبارات او سقطت كلمات في النسخ ، في محلات كثيرة حتى صعب الفهم او ضاع المعنى ، فاضطررنا الى التوضيح بزيادة كلمة ، او كلمتين ، بين هلالين ( ) . وكذلك صححنا كلمات كثيرة كتبها الناسخ مشوّهة ووضعناها بين معكوفين [ ] إشارة الى انها مصححة منا . وكذلك وضعنا بين معكوفين كلمات صعبت قراءتها ورجحنا صوابها . ثم فرنجنا التسطير .

ان جميع التعليقات في ذيل الصفحات هي من الناشر .

٢) هو الجذام(بضم الجيم) :« علة ردية تنتشر في البدن كله ، تنتهي الى تأكل الاعضاء وسقوطها عن تقرح ، وهو من الجذم بمعنى القطع » — اقرب الموارد .

الذي امتد عمره وظهر نشره . في مولده وقعت البشاير في البلدان ، وفرح به كل انسان . امه عايشة المشهورة ، ست العيش ، ابنة الامير سيف الدين ابو بكر ابن شهاب الدين احمد ابن زين الدين صالح ابن ناصر الدين [ورقة ١٩٩] الحسين ابن خضر ابن محمد . ولما شاع ذكر مولده بين الوارد والصادر ووفد[1] على والده الوفود ، وبذل في الافراح المجهود ، وتداعوا بالعهود ، واشرقت طوالع السعود ، مولده ثامن عشر شهر رمضان المعظم قدره ، سنة اثنين وخمسين وثمانماية[2] . فكان ابيض اللون مشرق بحمرة ، يميل الى شقرة قليلة لطيفة ، معتدل الراس والعنق ، حسن الفم ، به سهولة لطيفة، معتدل الزندين ، حسن الكف ، سبط الاصابع ، رطب اللحم ، حسن المنكبين والقدمين ، قليل اللحم في الصلب والاوراك .

ولما بلغ سبع سنين مال في (الى) العلم والتعليم ، وتعلق بالحث والتكلام ، وحفظ العلوم ، ودرس المعلوم ، وآلف العلما ، ونظر في كتب الحكماء ، ورابط على الفضايل حتى سبق الاوايل . وكان صحيح العقل ، واسع الفضل ، سهل الخلق ، لطيف الكلام ، مليح النظام ، متواضع ، ورع ، قادر ، مقنع ، عظيم ، حليم ، عالم ، مقيم ، شجي[3] كريم ، ذكي ، زكي ، عفيف ، نظيف . حل بمدينة دمشق فخالط العلماء وجالس الفقهاء . جرد[4] القرآن وجال في العلم اي ميدان . وتمكن في علم النحو واللغة ، وتماق بالفقه ، ودخل في المنطق وسلك في الاخبار والروايات وعلم الحديث واظهر فنون .

وشاعت اخباره وارتفع مناره ، نتيج[5] دهره وفريد عصره ، عزيز النفس شريف الحدس ، ينصر المظلوم ، ملجا القاصدين وكهف الوافدين .

وتوفي في شهر المحرّم الحرام سنة اربعة وسبعين وثمانماية[6] ، وكان خطب عظيم ، وفادح عميم ، ارتجت له البلدان وتزعزعت الاركان . يومه يوم مشهود

---

١) خطأ في النسخ صوابها حذف واو العطف ، فهي : وفد .
٢) يعاقب ١٥ من تشرين الثاني من سنة ١٤٤٨ .
٣) لعلها : سخي .
٤) الارجح انها : جوّد .
٥) لعلها : نسيج . وفي المخطوطة اليسوعية : نتيجة دهره .
٦) يعاقب : تموز ١٤٦٩

اجتمعت فيه الخلايق ، وعلت الاصوات ، واهملت العبرات ، ودهيت المسرات. ثم خرج والده في محل الهيبة ، راكب جواد الصبر ، وسلم لله في الآمر ، ووعض الناس بالمواعظ الصريحة ، وناداهم بحفظ العقول الصحيحة ، وقال :

« سبحان الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، له البقاء الدائم وهو العالم الحاكم ، وهو الواهب والاخذ ، وامره الجازم والنافذ ، فله الحمد على ما اولى ، والشكر على ما ابلا ، اعطا ومنع ، وتكرم واوسع ، منه الامتنان ، وعليه التكلان ، واليه الايمان ، هو العظيم الجليل وانا القليل الذليل ، الواقف بباب الرحمة ، الطالب من الكريم مزيد النعمة » .

ولما دُفن ولده وقف للعزآء ، وكان لتعزيته نظام ، ولهيبته احترام . ثم عاد الى منزله وامر باحضار الطعام ، وتدرع جلباب الصبر ، ولبس لربه حلل الطاعة ، ورضي لربه[1] باخذ الوداعة ، وقرى على الناس آيات العهود وسلم تسليم الموقنين ، واعتصم بالحق اليقين ، ووعظ بايات الله واخبار الانبيا ، وتبع سير الاوليا ، وذكر موت الانبيا والعظما ، وجعل موت ولده ما بديّة (كذا) وعبرة ، وقال :

« ايها الناس ، يطوي العمر الجديدان ولا فوت من الموت ، ولكم عند الله من الخير ما تكثرون. (و) من الشر ما تكسبون ، ونحن واياكم في قبضة مالك ، وهو المنجي برحمته من كل هالك[2] ، قبول اوامر الله طاعة وصبرا ، والانابة الى رحمته عزة ونصرًا ، فطوبا لمن قبل اوامر الله طاعة ، وحمل مدة الحياة ساعة ، وركب جواد القناعة ، وعلق في الحكمة الربانية فكرة لماعة ، وقيّد النفس بقيد الوراعة ، وجعل من حق الموت امانة الرضاء بتسليم الوداعة . ايجوز ان يتعرض العبد على ربه فيما ابدع ، او يحجر عليه ويغضب في قبض[3] ما اودع ، او يعصى قول الله فيما آتا به وهو يسمع ? او يظن ان حكم الله وقدره له قاهر ومدفع ? ايها الحاضرون الي ، أتظنون انّ صبري على فقد ولدي الصالح جهالة ، او ترك اعتراضي فيه على القضآء ضلالة ، او اني نسيت منهُ علمهُ وعزمهُ وحلمهُ وافضاله ، ورفقه وصدقه وطاعتهُ وصبره واحتماله ? كلا ، بل كان [ولد] صالح هبة الديان ، رايق حاذق فريد في طبقة عنوة الزمان . فالصبر العظيم مطية من اتقا ، والرضا والتسليم شارُ من ارتقا . ايها الناس ، خلقكم واوسعكم نعمة بحر عطاياه ، وفرض عليكم [و 200]

١) في النسخة اليسوعية : من ربه
٢) « « : المهالك
٣) « « : رد

الحق ، وقبله منكم وارتضاه ، وخاطبكم عن الباطل ، وحذركم من سخطه ، فويل لمن عصاه ، وعلمكم من سايه باسباب معرفة معناه ، بل انتم كثير خلقها الله بارادته واعطاها سبع بحار ، فهي تغوص وتعوم وتروق ولا تحيط لها قرار ، خلقكم من غير شي وعمركم بالرحمة ، ونقلكم من ضيق الدنيا الى فسيح نعمه اما ترضون بالمخلوق الرفوق الملي بالشفقة والرأفة ، القادر القاهر المعطي المانع الحاكم بالعدل والنصفة ؟ اتظنون انكم اذا اعرضتكم[1] عليه في حكمه تبلغون مرادكم ، او تزعمون انكم اذا اهملتم طاعة مولاكم وركبتم هواكم تخلصون من بلاكم ؟ ايها الناس ، فانتم كثير سجعون في قفص الارادة ، متحرك في طلب هواه فلا يجد مطارًا ولا قرارًا ولا زيادة . ايها الناس ، بلغ الحصر آخره ، وحكم في فيه (كذا) خالقه وقادره ، وعن قليل يظهر الجزاء ويعرف العامل عمله اوله واخره ، ولا يضيع مثقال ذرة بين يدي ناهيه وآمره ، يا فوز المتقين ! » .

ولا زال على مثل ذلك فيما يطول ذكر شرحه حتى اروى كظة الظماء[2] واورى باصرة العماء ، وكفا الناس بالحكمة الباهرة والموعظة السافرة[3] .

ثم استمر في مكانه ، وحبس على مرتبة امكانه ، وجمع مجالسه العظيمة الممدوحة ، وبسط العلوم الواسعة وشروحها الموضحة .

قال شمس الدين محمد ابن الصايغ يرثي الأمير سيف الدين عبد الخالق ، وقال يرثيه عدة مراثي ، منها يقول :

قف بالديار وحيّها ونادها ،	واقض الى ربعها العالي وناديها
اما المنازل فقد ذكت ...	من ... كان ييف الغيث بانيها
يا عبد خالقه قد كنت ...	فبت ... من اشجى يراعيها ؟
خير العلوم ...	وانكب ... قاري وحاويها

وهي طويلة ذكرنا منها هذه ... وفي المشار اليه يقول ايضا يرثيه :

هوى لما ابنا الركن الشديدُ ،	وماق وغاب طالعنا السعيدُ
فقدنا ماجدُ فات المنادى ،	فكاد لفقده رضوى يميدُ
فهذا بعده الباس وحيي ،	اذ الهادي الى علمٍ فقيدُ
واضحى بالدم السفاح جفني ،	وبين جوانحي حزني يزيدُ
امينًا كان مأمون الخفايا ،	الى التقوى لـه قلبٌ رشيدُ

١) لعلها : اعترضتم

٢) كظة الظمأ

٣) في النسخة اليسوعية : الصادرة

وهي مرثية طويلة اجاد فيها . وقال فيه مراثي عديدة ، من ذلك :

هجرت الحا [فاغبر] من بعد[1] الحا ، واصفرَّ منه بانهُ والارايكُ
واما جنان الخلـد فهي ترخرفت ، لديك واشتاقت لقاك الملايكُ
وما كنت اهوى ان اراك مفارقاً ، يقل اعتراضي من تولاك مالـكُ .

وله يرثيه ، وهي نحو ستين بيتاً ، منها :

ارى نجم افلاك السـادة هاويا ، ومعهـد ربع الانس اصبح خاليا
تصدع قلبي من مصابي ولوعتي ، ويا نفس كدتي تبلغين التراقيـا
فيا عاذلي دعني ورق لحـالتي ، فاني عليلٌ ما وجـدت مداويا

وله يرثيه وأقال ، ومنها :

راعني بين القبـابِ ، في الدجـا نعي الشبابي
آه تاً قـد دهاني ، آه من ثقل المصاب
طالما قد راع قلبي ، في الرّبا نعب الغرابي
ليس يطفـا حرّ ناري ، في الدجا برد الشرابي

وهي طويلة اقتصرنا منها على ذلك . وله مرثية طويلة ، منها :

تعاظم وجدي بالفؤاد به مظنا ، وليلي طويل.ما غمضت به جفنـا
ومن اين جفني في الدجا يعرف الكرا ، وقد ذاب قلبي من حرارته حزنا

وله يرثيه ايضاً ، حيث يقول في المنى [و 2:1] :

دعيني اللوم عاذلتي دعيني ، فقـد اصبحت ذا قلبٌ حزين
اعنف في الأسا والام فيـه ، ومـا لي في مصابي من معين
وما نوح الحمام على هـديل ، كنوحي في الدياجي فاعذريني
ولي وجـد كمثل نـا عليّ ، مقيّمة على فقـد الحسين
وما زالت سهام يدا الرزايا ، تصيب مقـاتلي لدنوّ حيني

ورثاه علم الدين سليمان ابن حسين الصواف ، ومن اولها :

حمام اللوى في الدجن والليل هاديا ، ينحن على تلـك الربوع الخواليا
ربوع الهنـا والانس اضحين للوى ، عليها بنات الحيّ يندبن مـا يا

---

(١) الاصح : بعدك

وهي طويلة اجاد فيها . ورثاه الناس مرات كثيرة ، وجرى الناس من فقده واصابهم مصاب شديد . هذا ، ووالده الامير جمال الدين يوعظ الناس ويشرح لهم قصص الاوائل كما قدمنا ذكره ، حتى انه كان يوري الناس من الصبر كانه لم يجزع عليه احتسابا لوجه الله تعالى ، لانه كان في جميع ما ذكرناهم شبيه الجوهر المكنون ، او كانه البدر التام بين منطقة النجوم ، او شبيه البحر المحيط بين اهل زمانه تمتد منه البحور . وكان اول منشأه شبيه اشراق الشمس المنيرة عقيب احتدام الديجور ، فاشرقت بوجوده انوار النزالة ، فاوضح برهان الدلالة ، فانه اول ما ربي يتيماً مع والدته فظهرت مخيلات الورع وهو صغيراً .

وكان مولده ثاني عشرين ربيع الاول سنة عشرين وثمانماية[1] فكان معتدل السمرة والراس ، بعيناه بعض عوزة ، معتدل القامة ، قليل اللحم في الصلب والاوراك والعرقوبين ، نظام بنية صحيحة ، وكان قوي البدن صحيح النظام ، يديم الجلوس والإتمام ، كثير اليقظة ، عذب المنطق ، فصيح اللسان ، خفيف الخطرة ، متمهل الاعتدال ، وقوراً في مجالسه ، ثابتاً في مواقفه ، قليل الكلام في غير الحكمة ، لا يرى بهجة الا لربه ، ولا يبذل سماه الا لقربه ، واذا مرّ [غض] طرفه ، وان مشا اوسع خطاه ونصب قامته ، صحيح العقل ، سليم الذات ، قليل الهفوات ، اول ما رغب في حفظ الكتاب العزيز فختمه سريعاً ثم جرده[2] ، ثنياً ودرسه . وكان يطوف القرى في طلب العلم والحديث وهو صغير السن ، وتورع يافعاً (الى) ما لا تصل الى ورعه الكهول من اولي العلم .

ومما نقل عنه انه تجنب كثيراً من جُبابت اقاربه ، ممن صدر عنه انه كان يخالط الدول وجباية الاموال . وكان يجيه المصباح وبه زيت فيطفيه ويجلس على الظلمة ، ولا يرى انه يقرى في الكتاب العزيز في نور مصباح فيهُ زيت مشبه .

وكان يطوف البلاد في طلب العلم ويزور الاجواد في طلب الافادة ، وذلك قريب ارشاده وبلوغه مبلغ الرجال .

---

١) يقابل : ٩ نوار ١٤١٧
٢) الارجح انها : جوّده

ولما ثبت جنانه وشيد بنيانه، و[سامى] بالسبق على الاقران، وطرح الدنيا واشتغل بعبادة الرحمن، فجرد[1] كتاب الله العزيز المقدس المطهر، ودرسه واتلاه غيباً وداوم الدراسة، فطبعت فصوله واياته واعشاره وسوره وسطوره في قلبه حيث لا يغيب عنه منه لفظة واحدة، مع دراسة بالغة داعة، لا يشغله عنها شاغل لانه كان جعل له راتب دراسة الى حد معلوم، كل يوم جديد يقرا درسه غيباً من غير مانع يمنعه من جميع حوادث الدنيا. ولو عرض له اي عارض كان لا بد له من كمالة درسه غيباً الى ذلك المكان المحدود، لا يشغله عنه شاغل، لا شدة تحدث ولا رخا ولا فرح ولا حزن، حتى يتم درسه دايماً لا فسحة فيه، فانطبع الكتاب العزيز جميعه باياته وحروفه في قلبه انطباع النقش على الحديد لاستثماره [و202 ظ] فصوله في كل يوم جديد، وادمانه الدرس بعزم شديد، وبلغ في الدراسة حتى شاع، وعنه ذاع.

وتحقق انه يقرا المكرم الشريف جميعه من اوله الى اخره مقلوب، فامتحنوه في ذلك فقرا منه سورة كبيرة من اطول ما في الكتاب العزيز. ومثل ذلك ان تبدا في سورة الفاتحة، وقليل من لا يحسن يقراها، واذا قصد الانسان يقراها مقلوب، يريد لها افتكار، فكيف جميع المكرم العزيز ؟ مثل ذلك قولك: «الضالين ولا عليهم المغضوب غير عليهم انعمت الذين صراط المستقيم الصراط اهدنا نستعين واياك نعبد اياك الدين يوم مالك الرحمن الرحيم[2] العالمين رب لله الحمد». فكان ياتي على جميع الكتاب المكرم العزيز شبيه ما ذكرناه صفة ما تقول في سورة البقرة: «الكافرين القوم على فانصرنا مولانا انت وارحمنا واغفر لنا واعف عنا لنا به طاقة ما لا[3]» واشباه ذلك.

فكان يقرا جميع المكرم العزيز مقلوباً سردًا، الدراسة الداعة [؟] ثم جمع الشروحات والتفاسير من تفسير القرآن العزيز المكرم الشريف.

١) لعلها، على الارجح: جوّد.

٢) كذا كتبه، وهو الاصل الصحيح، فاذا شاء قلبه وجب عليه ان يقول: «مالك الرحيم الرحمن» الخ ...

٣) هكذا جاءت مشوهة في النسخ. وصحيح ما جعله مقلوباً هو: «ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين» وهو ختام سورة البقرة.

وجمع كتب اللغة العربية مثل كتب الصحاح للجوهري ، ثم جهّز الى الديار المصرية بسبب كتب المحكم ، وكذلك القاموس وغالب الكتب اللغوية حصلها وجمعها ، وكذلك سير الملوك واخبار الانبيا ، وكتب التواريخ ودواوين الشعرا ، والاخبار النبوية والكتب الفلسفية وكتب علم الفقه على المذاهب ، وكتب النحو وغيره مثل كتاب اخوان الصفا ، وغيره من غالب الكتب النافعة . حتى ذكروا وقال من يثق الى قوله : انه شاهد الخزانة وهي ثلاثماية واربعين مجلد .

ثم جدّد غير ذلك ما لا يفهم . ثم بسط العلوم الواسعة ، وشرح غوامض موضوعها الشاسعة ، وكان يقرى الكتاب العزيز وشرحه ، ويتكلم في علم الفقه والحديث ويصحح الاخبار ، ويشيد الاسلام ويرفع للحق منار ، وكان له كرامات واسرار ، ولما ارتفعت اعلامه ظهرت احكامه ، وانصف الخصوم وقهر الظالم ونصر المظلوم ، وكرر الايات واوضح المشكلات وبلغ في العلوم الواسعة بعيد النهايات .

ولما كف عن الناس البلية وصالح بين الرعية ، وامر بالسداد وطول يد الاجواد وقهر الاضداد ومهد البلاد ؛ لانه لما بلغ في العلوم الدرجة السامية ، وابتدا اولاً يامر ويشدد بحفظ المكرم ، ودرسه الكبير والصغير ، ثم انه تنـ وأمر بعمارة المساجد في القرايا وتجديد ... ... الوقوفات . ثم انه حرج على القراة الصحيحة في القران المكرم ، ثم انه جلب الفقها الى النواحي ، واقام الخطب في الجوامع يوم الجمعة في كل قرية تكمل لمدة ، ثم جعل فقها معلمين تقري الاولاد الاحداث في اماكن عديدة . وكان يعطي اجرة التعليم عن جميع الايتام في جميع البلاد ، قريب وبعيد .

ثم انه نهى عن الخمر وجميع المساكر بجميع اوصافها ، وكان يحد الشارب والقاذف ، وينفّي من [داوم] وخالف . فتابت الناس على يده واجابت الى اوامره ، وقطعت الكروم ونصبوا غيرها . وكان يكره بيع الزبيب الى ديار مصر في البحر ، وذلك احتاباً انهم يعصروه خمرًا . وكان يقول : الاجدر والاليق ، انه يباع في البلاد للنقل والاشربة ، للاقسماوية[1] واشباه ذلك .

(١) نوع من الشراب اللبناني من الثلج والدبس ، والعامة تسميه : بقسمه .

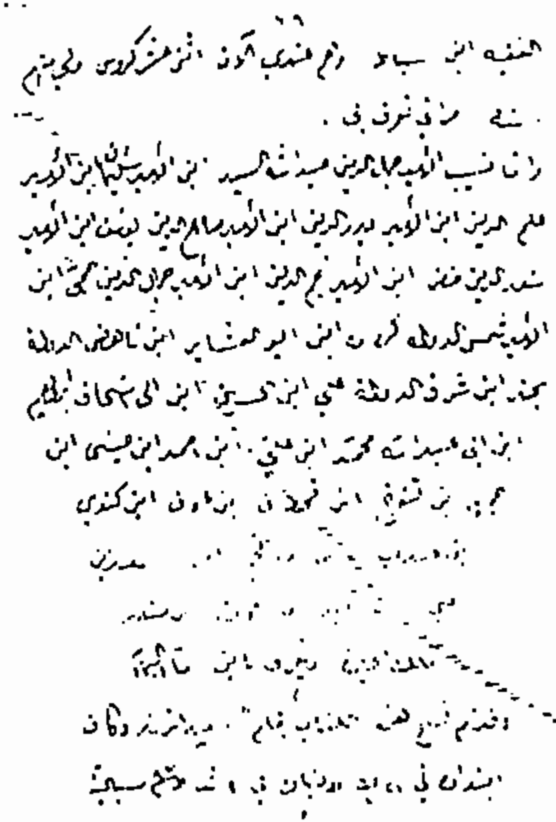

كمل الكتاب كما ملت ابدا الشرق
لصاحبه عفا الاله بفضله وبجوده
كاتبه قال الزمان ما يفرح الملاحون
شاهدوا البر والمارخون حتى
يبرقوا الوطن كذلك يفرح الناسخ
بتمام الكتاب والله اعلم

الصفحة الأخيرة من مخطوطة ...

وكان يكره بيعه لمن يظن انه يستحل منه خمرا . ونها عن شرب الخمر وبيعه وعصاره وحمله وجلبه ، وجميع ما يترتب بسببه ، لما جاء في كتاب الله بتحريمه وما نها عنه رسول الله . وكان يكره تناول [شيء] من ثمن جميع المساكر ، ولا يقبله من صاحبه من حقوق له عليه . وكذلك كان ينهي عن ذلـك لجميع من اجاب اليه ، فطاعته الخليقة واقتدت باوامره ، ورضت باحكامه الخصوم ، وطاعته [و 203] اكابر النواحي ومشايخ البلاد .

وكان له تلاميذ كثيرة في اماكن جزيلة ، يقولون ويامرون بأمره ، وينهيون[1] بنهيه في الخيرات والامور الشرعيات والحقوق الواجبات ، وكان قد جعل له من ايام الجمعة يوم معلوم ، تجتمع اليه اكابر الناس والتلاميذ ذوي الفقـه والعلوم ، بسبب الافادة والمباحثة في غوامض العلوم الفقهية والروحانية والاخبار النبوية .

ثم امر التلاميذ الكبار الابرار : ان كل منها يجعل عنده في بلده يوم معلوم من ايام الجمعة ، يفيد اهل بلده في معاني كلام الله تعالى في كتابه العزيز ، وقول رسوله الكريم ، ثم اخبار الانبياء واشعار الاتقيا ، ومناقب الصالحين ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمشي على الطرايق الحميـدة والمناهج الشديدة ، ويوصف لهم الجنة ونعيمها ويخوفهم النار وسعيرها ، ويشرح لهم ما تصل اليه قدرتـه في البعث والنشور ، يوم ينفخ في الصور ، ويبدي التضمين ويوضح لهم معاني ايات المسطور . فسارعت الناس الى الامتثال لما رتبه مما ذكرناه ، ثم جعل لهم من بينهم امر وناهي في معنى ذلك ، فمن خالف ذلك او بان منه زلة او ذنب يوجب طردهُ من المجلس ، فيشهر ذلك عنه انه منفي : فصار لذلك امرًا عظيم في قلوب الناس ، وخوف شديد وهيبـةً بالغة ، من غير قيد ولا سجن ، ولا خوف قتل ولا ضرب ولا جراحـة ولا خسارة مال . ثم جعل ممن ثبت عليه ذنب من الذنوب العظيمة امر بنفيه ، ولا ثم احد يكلمه . ومن جرت منه هفوة يحاسب عليها ويوعظ ، ومن كذب او التبس شيئاً من [اشياء] الناس يساوي دانق ، او شرب مسكرا من ساير المسكرات ، او اخطا في اموره خطآء ، يمنعوه حضور تلك المجالس الذي رتبها . او احد ظلم

١) خطأ في النسخ ، صوابه : وينهون

احدا وتمدا عليه ، او تناول القوي من الضعيف في احوال الدنيا وما شاكل ذلك ، يمنعه دخول تلك المجلس امين ، فصار اشد حرمة عند الناس من شرطة الحكام بالشنق والضرب ، ثم يهاب مخالفة اوامره اشد خوف من سطوات الملوك الدنيارية . وكان الرجل اذا جرى منهُ ذنب كبير وشهر عنه ذلك يلزم بيته ولا يجسر [يخرج] بين الناس حياء وخجلًا واحتساب الكلام ان فلان طردوه وانفوه ، فصار لذلك امرًا عظيم ، وهيبة ساطمة .

وظهرت هذه الاشارة في غالب البلاد على ترتيب هذه الصورة : في كل ناحية يجعلوا رجل جيد دين ثقه عالم مفيد ، يقوم بمثل ذلك . فحسَّن احوال النواحي بهذا الترتيب وتجنب المفسد الفساد والحرامي السرقة وقل الحرام ، وكانت الفواكه تنثر وتذهب فلا يتعرض اليها احد ، وحسَّن امور احوال البلاد ، وكانت في ايامه في رخاء وطيب عيش .

ومن اشتهر عنه من التلاميذ الكبار انه اجتنف على احد او عنف احد وعلم به وطلبه ، يكون قدوم تلك التلميذ عليه اشد من القدوم من بعضهم الى ضرب المقارع ، للخوف والجزع البالغ الشديد ، لانه اخذ هذه الاشيا من اخبار سيدي عبد الرحمن الاوزاعي الفقيه ، (الذي) كان مقيم بمدينة بيروت ، فقدم عليه رجل من علما العراق من بغداد في طلب الافادة ، فسأله الفقيه الاوزاعي : في كم قدم من بغداد ؟ فقال : على البريد من نحو عشرة ايام . فقال له : تركب على خيل البريد في طلب الافادة ؟ لا افيدك ابدا . وطرده من المجلس ولم يكن احدًا من التلاميذ بافادته ابدا . فرجع ذلك الرجل الى بغداد وعاد من بغداد ماشيًا حتى افادهُ وسمح له بالافادة .

فكان الامير جمال الدين يقتفي اثار الفقها والعلما ، واخبار الاوليا والزهاد والابدال ، ويحذي حذوهم في مجالسه . وكان لا يامر بشي حتى يمتثله ولا ينهي عن شي حتى يتجنبه . وكان لا يمكن ممن هو تحت امره في لبس القماش المفرط مثل الحرير [و 204] واشباهُ ، او المحلا المنسوج، ولو كان من ذوي الايسار، وانما يلبس ما يليق ويتصدق على فقراء المسلمين . ولا يركب قط في سروج محلاية ، ولا يلبس (الا) ما يليق . ويتصدق في قماش . وكان يحب لبس الابيض

والطرح الوسطاني . وكانت اموره جميعها في العدالة .

ومن احكامه : ان بعض جماعته كان له ولد ، فاهدا اليه شخصٌ من ذوي الايسار من متاع اولاده طقيةً خليعةً من قماش بخ ، صدقةٍ عنه لذلك الولد فلبسها ، فعلم بها (الامير السيد) فامر ببيع تلك الطقية واشترى لذلك الولد طقية من مالهُ تليق ، وكانت اغلا ثمن من الذي ابتاعت ، فأمرهُ بصرف ثمن الطقية المباعة على تلك الولد ، وذلك احتساباً من تجري الناس على اشباه ذلك ، والخروج على الاعتدال .

ومن احكامهُ : انه ظهر له عن بعض من يعز عليهُ ، واوصل الناس به انه تعاطا منكرًا في [السر] ، فاشهر ذلك بحضر من الناس ثم ضربه الحد بحضور جماعة ثم اذاع ذلك .

وشبه ذلك ان شخصٌ من الاكابر [ببعض] النواحي ، وكان ذي سطوة وقوة ، والناس اليه منقادين ، وله هيبة ووقار ، وكان زعيم قومه [والسلام] ، وكان من التلاميذ الكبار ومن اكبر المشايخ بالناحيــة ، وكان له كرم عنب مجاور كرم شخص ردي السيرة فاسد الخصال ، فارسل تلك الشيخ جماعــة الى كرمه بسبب تشيله وتشيل دواليه ، فجعلوا في ارض ذلك الرجل بعض دوالي في حدود كرمه،فلما راى ذلك الرجل الدوالي في ارضهُ فشالهم الى ارض كرم الشيخ وخرب نظامهم، فصعب على الشيخ تجرّيه عليه بغير شرو، فسما به الى محاكم الناحية فقبض عليه وضربه ضرباً مبرحاً،واخذ منه خمساية درهماً واطلمه. فجعل ذلك الرجل ينهي ما جرى له للناس ويظهر المسبة ، فغضب الشيخ من كلامه ، ثم اقسم بالله انه لا يساكنْ ذلك الرجل في بلدهُ ابدًا ما عاش،فرحل ذلك الرجل باولاده وعياله وترك داره وجهاته واملاكه وسكن بعض القرايا . ثم جعل يورد قصته وما جرى له،فقيل له :اما تشكيه الى شيخه الامير جمال الدين عبدالله ؟ فانه ناصر الحق . فقال ذلك الرجل :هيهات انه يستمع له كلمةٍ واحدة في حقه، ومن هو انا عنده حتى ياخذ بيدي مثل ذلك الشيخ الذي هو اعز الناس عنده واجاهم لديه قدرًا واعلاهم محلًا وارفعهم عنده درجةً ؟ فقيل له : ايها الجاهل ، ما عنده كبير على الحق ، ولو كان على نفسه ام ولده . فرض/الحق وكشفه واعلى صرحه .

ثم قدم (المضروب) عليه وشكا حاله اليه ، فقال له : لا يكون ذلك

صحيح ان تلك الرجل يحدث منه ما ذكرت . فقال : تكشف البينة عن ذلك . وجهز احضر الشيخ وقال له : هذا الرجل يقول انك فعلت به كذا. وانهى له ما ورده . فقال : نعم ، هذا رجل ساقط ردي السيرة سفيه خاين كذاب ، سعيت به لن ادبه وخصمه، فزاد في عتوه وكلامه فطاردته، واقسمت اني لا اعود اساكنه في البلد . فقال له الامير : انهي الي اول الحال[1] ، الدوالي كانوا موضوعين في ارضه ام لا ؟ قال : نعم . فقال له : اذا نقلهم من ارضه ما عسا كان يجري ؟ قال : تمدى طوره وفعل ذلك بيده . فقال بحقه : اما قولك انه رجل ساقط ردي السيرة خاين كذاب ، فله مجازي لا يخوف ولا يجور . ثم انك سعيت به الى من لا يحسن طرايق العدالة فسقه واخذ من ماله ما عسى ان عايلته محتاجين اليه ، ثم طردته من وطنه قهرا فهذا فعل الجبابرة ، هذا لو كان [و 205] له ظفرا يحك جلده ما تجريت على ذلك . فاين شروط الديانة ، واين حفظ الامانة ؟ اعلم ايها الرجل ، ان كنت ممن بقيت تركن الينا ، او مقيم معنا ، او سامع كلامنا ، او تقبل بقولنا : فاني حكمت عليك انك ترد اليه الخساية دراهم التي اخذت منه من اسبابك . وان هذا الرجل يرجع الى بلده ويكون غصباً عليك . واما يمينك انك ما تساكنه فقد افتريت على نفسك ، فان احببت تحنث وتساكنه ، او تتوجه حيث شئت . وان احببت مفارقتنا واخترت مرافقت غيرنا ، فامنع فيما وسعنا لك به وخالف .

ثم التزم ذلك الشيخ ، لما ظهر له منار الحق ، فاعطى ذلك الرجل خمساية درهماً من ماله ، واستبرى الذمة منه ، ثم بر يمينه انه رحل الى قرية تجاور بلده ، وعمر بها العماير وسكنها وتناول جباته حتى مات بها .

فلما ظهر ما فعله (الامير السيد) في ذلك الشيخ الذي هو عين اعيان البلاد ، وكان يقدر يظاهيه في احوال الدنيا ، وثم ما ذكرنا ، رسخت هيبته في قلوب اهل المعاملة ، الكبير والصغير ، والغني والفقير ، والاكابر والمقدمين، وعلت كلمته وقوت حجته ، وارتضت الخصوم بحكمه ، وكانت الخصوم تختصم في اطراف المعاملة [وينتني] حالهم حكام تلك الناحية ، فيقولا: بيننا

1) اي : قصّ عليّ الحكاية من اولها

الامير جمال الدين الغربي . فلما يقدما عليه وبينهما تحتها ، يقول لها : انتما جيتماني من شاسع البلاد فوجب علينا تصريح ما نقدر عليه لكما من الحق . ثم يبتدي لها بالمواعظ الحسنة ، وتخويف اكل الحرام ، وينمت لها تصريف الحلال بمواعظ تصدع القلوب . ثم يحكم بينهما بما يراهُ شرعاً او مصادقة ، فيرجعا راظين مسلمين شاكرين ، بعدما كانا اعدا فيرجعا اصدقا .

وكانت تاتيه الخصوم من اقصى المعاملة ، من جهة صفد الى اطراف حلب ، الى حدود طرابلس ، الى شوف بعلبك ، مع اطراف دمشق . لم يعلم من اين هما ، ولا من اي البلاد قدما عليهُ ، فيرجع كل منهما في نهاية الرضا ، بما وفقه بينهما ، شاكرين [ثانين] بكل جميل .

وفيما بلغ اليه : انه كانت الذمة من اليهود والنصارى تأتي على خبره وتحتضر بين يديه في اختلاف بينهم في امر الدنيا ، فيسمعوا له ويمتثلوا ما يشير به ، فرجعوا راضين باوامره ، لانه كان اذا حضرت الخصوم عنده يبتدي بالمواعظ ، ثم ياخذ العهد على الاخصام انهم يسمعوا قولهُ ، ثم يلاطف بينهما بما يراه ، فيجيبوا الى قوله من غير داك ولا أكراه ولا اجبار ، لانه كان متعري من الميل الى جهة احدى الخصوم ، ولو كان اعز الناس عنده . فبهذا ارتضته الرعية من الخاص والعام ، من قريب وبعيد .

ومن اخباره : ان رجل كبير وكان ريس قومهُ من ذوي الايسار والثروة والسطوة ، وكان يقدم عليه كل عام بهدية من فايض مدخلهُ فيقبلها منه ، وكان يعتني به . ثم ان ذاك الرجل خطب امرأة من بلده ، فقبلت عليه واجابت سواله ، ثم ان ذلك الرجل خلع زوجته من عصمته ، وكانت ام اولادهُ وابنة عمه . ولما تم ذلك طلب نجاز الوعد في الزواج . فرجعت تلك الامراة وعن لها خاطر ، وقالت : لم بقيت اتزوجه ابدا ، وذلك بعد اطلاق ابنة عمه . ثم جرى اختلاف ومنازعة في البلد فاشتد الرجل بقطع البلد ، واخذ تلك الامراة غصباً ودخل بها . ثم توجه على جاري عادته بهدية ، فلما وصل وادخل الهدية الى الدار وحضر عليه فقال له :

« ايها الرجل الباغي ، الظالم لنفسه ، من هو مثلك ياتيني بهدية لانك مخالف ، فلا تجي اليّ ولا تدخل علي . ثم عزّز به ووبخه وقال : اتاخذ [و 206] النسا كرهاً باعوان

القلب ، وبذل المال لهم . وذلك حرام حرام . والكرة حرام . اما حضرت وسمعت وشاهدت كاتب المهر عند قوله : «وولي تزويجها باذنها ورضاها والدها» ، والمتداول بين الناس الرضا والقبول . اناخذها قهرًا ثم تجي الي ؟ واخبارك بشوم افعالك ترد عليّ . اتظن اني ما اسمع اخبارك ولا حملت الركبان نحوي اسرارك ؟ اخرج من عندي مطرودًا ، ومن عند جميع من يقول بقولي طريدًا منفيا مبعودًا ، لا نقبل لك هدية ، ولا نلتمس منك عطية».

ثم آمر برد هديته عن آخرها وطرده من بابه .

وكان لذلك الرجل في بلد الامير عبدالله صديقًا ذلك الرجل[1] ، والهدية صحبته محملة على دوابه ، فبان له منه اثار الكسرة [والجمدة] ، فقال له : اكشف لي عن حالك ، فقد تغيرت عليّ احوالك . فغلبت عليه العبرة وفاضت دموعه وجرت حتى بلت قماشهُ ؛ فقال له صديقه : ما امرك ؟ ثم جعل ينهي ما جرى له ويقول : «وعزة الله ، وجلاله ، لم يدخل عليّ في عمري كله فادحة اعظم منها ، ولا شدة اعظم مما تم عليّ في هذا اليوم ، فكان الموت اهون عليّ مما سمعت ورايت . يا هذا ، قدمت على الظلمة ، ثم انسجنت وتماقبة ، وخسرت الاموال ، ومات لي ولدين ، رجال انجاب احرار شبها اخيار، ودفنتها وقاسيت شدايد كثيرة ، ولم يتم عليّ امرا اضعف ولا اعظم منه ، ولا اشد زفرةً ولا اجزل حسرةٍ ما تم علي من هذه الحادثة .

ثم ان الرجل حمل هديته وتوجه الى بلاده ذليلًا حقيرًا .

ومن اخباره ايضاً : ان رجلًا كان يخاف (منه اهل) السبيل ، وكان الامير عبدالله في اول عمره يسا في طلب العلم وحده في النواحي ، فمرَّ في مكان مخيف ، فصادفه ذلك اللص فاخذ منه بعض ما كان معهُ ، ورجع ذلك اللص (وبلغه) انه من امرآ العرب ولم يعرفهُ ، وكان الامير عبدالله حدث السن فارسل اللص حوائجه كلها لما علم به واعتذر ، فتناست الاشياء ، وبعدة المدة ، فضرب الدهر ظرباته ان ذلك اللص تشاجر مع ابن عم له، وكان ذلك الرجل يقول بقول الامير عبد الله في اموره ، وزادت بينهم المنازعة ، واشكا ذلك

[1] الارجح ان كلاماً منا سقط في النقل ومؤداه : ان الرجل ذهب عند صديقه الذي في بلد الامير .

اللص ان ابن عمه ظالمه ، فقيل له : لم لا تشكوهُ الى الامير عبد الله فانه لا [يراني] على احد عن الحق . فقال اللص : وكيف لي ذلك وقد سبق مني اليه ما هو كذا وكذا قديماً ، وكيف ينصرني على ابن عمي وهو عنده اعز اهل بلده ، مع ما سبق مني اليه . فقال له : يا مغرور ، لا يحوله حالٍ في الحق ، ولا يغيره مغير ، فانهُ يكشف الحق جهده وينصرحه . ثم قدم اللص عليه ، وشكا حاله اليه ، فاحضر خصمه وسمع حديث الاثنين ، فترجح ان الحق توجه للصّ ، فاقبل على ذلك الرجل وقال له : كيف ترضى لنفسك بهذا ؟ اتظاهي مثله ، وتقف معه ، وآخر الامر ان الحق ظهر له ؟ فاوصلهُ حقه والا توجه حيث شئت ، وان لم توصله حقه فلا تعود تدخل الينا . فقابل الرجل بالسمع والطاعة ، وجعلُ تسليمه حقه اربح بظاعة . فرجع ذلك اللص يثني ويشكر ، ولفضلهُ ينشد ، ثم جعل يقول : دخلت على نايب الشام في [جتزير]، وضربت مقارع وكسارات ، بعد الحبس والاهانة ، وحضرة قدام الحكام والدول ، فما وجدت مكان اهيب من مكانهُ ، ولا حرمةٍ ابسط من حرمتيه ، ولا خجلة ابلغ من الحضور عليهُ ، ولا اعظم تخويف منها، سبحان من البسه الوقار !

وكان الامير عبدالله كثير ما يعتني باخبار الاوليا والصالحين والعلما والزهاد، مثل سيفان الثوري والفضل وابن عينيه [عينية ؟] ومالك ابن دينار وعبدالله ابن مبارك وحاتم الاصم وابن الشمال ، واشباههم في الاحكام والوعظ والزهد والورع .

وكان يورد : انهُ ذات يوم مرَّ فقيه بحاتم الاصم فقال له : يا حاتم كيف [و 207] تصلّي ؟ قال : « اقوم بالامر ، وامشي بالسكينة ، وادخل بالنية ، واكبر بالتعظيم ، واقرى بالترسل ، واركع بالخشوع ، واسجد بالخضوع، واسلم بالنية ، وامثل الجنة عن يمني والنار عن شمالي ، واقول في نفسي : ان الله حاظر معي ، وانني لا اصلي صلاة بعدها . » قال ، فالتفت الفقيه الى اصحابه وقال : « قوموا بنا نعيد صلاتنا ، فما فينا من يصلي » .[1]

وكان ينهي عن التعلق باشغال الحكام، وكان لا يجنح الى احد من اجنادهم، وينهي عن الوقوف بابوابهم ، وعن اخذ الرشحة من متاعهم ، [ويعلم] الناس

١) رويت في النسخة اليسوعية باسلوب آخر

الخيرات ، وينهاهم عن المحذورات ، وكان يكثر من القول : « احفظ (اجعل ؟) العلم دليلك ، والورع مشيرك ، والحلم وزيرك » .

وكان يورد الاخبار الصايبة عن الزهاد في الوعظ البالغ ، ويورد الامثال . ومن ذلك مما وجده من اخبار عمرو بن هبيرة الفزاري لما تولى العراق واضيف اليه خراسان ، وذلك في ايام يزيد ابن عبد الملك، فاستدعى عمر بالحسن البصري والشعبي وابن سيرين فقال لهم : ان يزيد خليفة الله في ملكه ولاني (ولّاني؟) ما ترون . فقال الحسن البصري : « يا ابن هبيرة ، خف الله في يزيد لا تخاف يزيد في الله . ان الله يمنعك من يزيد ، وان يزيد لا يمنعك من الله . ويوشك ان يبعث اليك ملك فتزالك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك الا عملك ، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . »

فكان يدعي الى سبل الخيرات وتقتدي به اكابر الناس . وكان ينهاهم عن الدنيا ويرغبهم عن[1] الآخرة . وضرح لهم الاعمال الصالحة ، وباعد ما بين قلوب الاشرار والاخيار ، ونهى عن الشهوات والشبهات والخمور والمسكرات ، وخرق بالحق العادات ، فمحامده كثيرة ومناقبه جزيلة يطول شرحها .

وكان يسهر الليل في طاعة ربه وينام ثلثه ، وكان يجلس في غالب لياليه لا يشتغل باحوال دنيا ، ولا حكايات في غير حكمة . ثم يوعظ ويفيد من حضر الى نحو ثلث الليل ، ثم ينام ثلثه ، وينام من في المجلس ثم يقوم الثلث الاخير من الليل حارثه في طاعة ربه . وذلك دابه دائماً بعد فراغ درسه .

وكان لا يتكبر على طالب علم ، صغير كان او كبير . وكان يفيد كل احد على قدر قواه . وكان اذا مرّ به الصبي الحدث السن يرغبه في طاعة والديه، ويخوفه المعصية ، وينهاه عن اللعب والبطالة ، ويحثه على تعليم الخط . وكان يقول لوالد الصبي : اجعل لك عليه هيبة حتى يبقا يخاف من الله ، لان الولد لا يعلم خشية الله ويخاف والده اكثر ما يخاف ربه . وانه يمنعه عن معاشرة الحمقا ، ويامره بحفظ الكتاب العزيز ، ثم يجعل له جعلاً على حفظ معلومه ، ترغيباً في الحفظ . وكان لا يلهيه النظر الى شيء في غير قدرة الله تعالى .

ومن اخباره : انه مرّ ذات وقت ، قريب حصن لبنان ، الخراب المشهور

1) كذا ، وهو يريد : في الاخرة

من عجايب العماير في حسن النحيت واللحام ، وكان صحبته جماعة ، فقالوا : ان حسن عند الامير النظر اليه ، لانه من عجايب العماير المتقدمة . فقال : ما لنا بذلك من حاجةٌ . فقالوا : المكان قريب ، وهو مكان شرح يبسط النفس ويشرح الصدر ويقوي الفكر . فتوجه اليهُ فوجده من عجايب العماير في لحاماتهُ ، لان القطع الصخور الظام لحامهم لا يسع راس المسلة تدخل ، ولا الابرة الكبيرة . ووجد حوله الاشجار قد نبتت ، وقد دخلت منها شروش حقيرة في تلك اللحامات ، فشقت تلك الصخور حتى صار قدم الانسان يغوص فيه الى ركبته . فقال (الامير السيد): قد استفدت من هذه الشجرة فايدة ، وذلك ان من استصغر الذنب الحقير اليسير الذي لا يشعر به صاحبه ، لانه يعمل شبيه ذلك ، وان الحقير يكبر فلا يستصغر احد ذنباً ابدا ، ويقول هذا صغير .

ولو انهينا اوصافه الحميدة لكان اعذب [و 208] من سير الملوك الاوايل . فذكرنا اليسير من خصاله المحمودة ، واياته المشهورة الموروثة ، لانه اشهر العلما ذكراً ، واكبر النبلا قدراً ، واحد الافاضل المشار اليهم ، وفرد الاماثل المعتمد في الامور عليهم ، لانه كان كالشمس للدنيا والعافية للبدن ، فيا [هذين] من خلف ؟

ولما توفي الى رحمة ربه القدير السميع البصير ، اتفقت التلاميذ وجعلوا مشيرهم بعده ابن عمه الامير سيف الدين ابو بكر ابن الامير سيف الدين زنكي ، كما تقدم ذكره . وعضده التلاميذ من جميع النواحي والبلدان ، فقوي امره ، وقوى هو ايضاً نفوذ كلمة التلاميذ في البلاد ، فاستقامت بعده احوال البلاد مديدة . وترخ في داره الشيخ زين الدين جبرايل ابن الشيخ علم الدين سليمان ابن حسين ، من قرية المعاصر الفوقا من بلد صيدا ، وكان عالما ديناً فطناً نبيا [اقتبس] من طرايقهُ واقواله واحكامه ، ومسك نظام الناس ، وحذى [حذو] استاذه ، وأمر بامره ، ونهى عن نهيه ، وكان عوناً للامير سيف الدين فيما ذكرنا ، مع نظر اكبر التلاميذ واورعهم وابسطهم يداً واتمهم قدراً : الشيخ شرف الدين علي ابن ابو ريدان ، من قرية الفساقين ، المشهور بالفضل والاحسان والذكا والفراسة البالغة .فحسن حال البلاد به ، بمشاركة

بقية التلاميذ المشايخ ، والاكابر ببلد الغرب وغيرها من المعاملة ، الى حين وفاتهم ، وسياتي ذكر من يتوفى منهم في سنته .

ولما توفي الامير جمال الدين عبدالله ابن سليمان حدث في المعاملة رجة عظيمة وفادحة عميمة لا يعهد مثلها ، ولا تقاس نهايتها ؛ لان الناس [تشككت] وحارت لعظم مصابهم وجزيل حسابهم ، كيف يكون امر الناس بعده ، فان الالباب حارت ، والخطوب جارت ، والحسرات ثارت ، وارض الزكاة بارت ، [ورحى] الخراب دارت ، ووفود الشرور زارت، وركبان الخير سارت ، وخيل الظلم اغارت ، وبغير الحق اشارت ، وباعتاد الباطل صارت ، وطيور الاخلاص طارت ، ولاجنحة العقول عارت ، وتنانير الفتن بفقده فارت ، وعيون الآفات غارت ، فهل نقول : الجبال مادت ، لما ذات شخصه الكريم وارت ، وله الجنان زادت ؟

وكان يوم دفنه يومٌ عظيم ، ارتعدت فيه الفرايض ، ونكسة الروس ، واشتد الوجد والبوس ، عمياً بالهموم ، متراكما بالغموم ، شاملا بالعموم . وكان يوم عزاه يوم مشهود ، اجتمع في يوم واحد نحو سبع آلاف نفر ، وكان عدد مفروم عزاه من اللحم ، بالرطل الدمشقي ، ستماية وعشرين رطلا ، ومن الدقيق طحين نحو الثلاث غراير بالكيل الدمشقي . ولم يصرف من ذلك على اهل البلاد الغرب ، غير كلف ما ذكرنا ، بل صرف على الغرباء من المعاملة.

وجعلت الناس تاتي بالمراثي في وصفه شيا يطول شرح ذكرها ونسخها ، وذلك مراثي كثيرة من جهات عديدة . وجعلوا له تواريخ بوصفه ، من ذلك للشيخ علم الدين سليمان ابن حنين تاريخ اجاد فيه ومراثي عديدة . ولغيره تواريخ ومراثي جزيلة ، ونسختهم نحو اثني عشر كراس في ربع بلدي ، وهم موجودين. ولكاتبه حمزة ابن الفقيه احمد ابن سباط ستة مراثي من جملة ذلك في ذكر مناقبه بما وصلت اليه الطاقة ، فاعرضنا عن ذكرها ونسخها في هذه التاريخ خوف الاطالة . ومع ذلك كان اول نظم كاتبه ، لم يكن له خبرة في نحو ، ولا عروض ، ولا لغة ، بل طبعاً وجهلا بغوامض عارمه ، ثم ان ذلك اول شعر قاله كاتبه في حدوث (حداثة) سنه ، فاحببت ان لا اذكره في هذا المكان من اسباب ذلك .

وكان وفاته نهار السبت بعد العصر ، سابع عشر جمادى الاخر سنة اربعة وثمانين وثمانماية »[1] .

واما ذكر تصحيح نسبه وهو :

« الشيخ ، الامام ، العامل ، العالم ، الورع ، التقي ، المفيد ، الزاهد ، العابد ، المخلص ، الرباني ، المحقق ، الفاضل ، اللبيب ، السيد ، الكبير ، امير الامرآ النجباء ، جمال [و 209] الدين والدنيا ، عبدالله ابن سليمان . وهو (ابن) الامير علم الدين سليمان ، ولد الامير بدر الدين محمد ، ابن الامير صلاح الدين يوسف ، ابن الامير سعد الدين خضر ، ابن الامير نجم الدين محمد ، ابن الامير جمال الدين حجى ، ابن الامير شمس الدولة كرامة ، ابن الامير ابو الشاير ناهض الدولة بحتر ، ابن شرف الدولة علي ، ابن الحسين ، ابن ابي اسحق ابراهيم ، ابن ابي عبدالله محمد ، ابن علي ، ابن احمد ، ابن عيسى ، ابن جميهر (جمهر) ، ابن تنوخ ، ابن قحطان ، ابن عوف ، ابن كندة ، ابن جندب ، ابن مذحج ، ابن سعد ، ابن طي ، ابن تيم ، ابن النعمان ، ابن المنذر ملك الحيرة من قبل كسرى ويعرف ابن ماء السماء ، وهو المنذر ، ابن امرئ القيس ، ابن النعمان ، ابن امرئ القيس المحرق ، ابن عمرو ، ابن [امرئ] القيس الاول ، ابن عمر ، ابن غارة ، ابن لخم ، ولخم لقب ، وقيل مالك ابن فهم ، ابن دوس ، ابن الازد ، ابن الغوث ، ابن نبت ، ابن مالك ، ابن زيدان ، ابن كهلان ، ابن سبا ، ابن يسحب ، ابن يعرب ، ابن قحطان . واما عمر ابن عدي ، متصل نسبه الى آياد ابن نزار ، ابن معد ، ابن عدنان ، ابن [اد] ، ابن ادد ، ابن اليشع ، ابن الهميسع ، ابن [سلامان ، ابن نبت] ، ابن حمل ، ابن قيذار ، ابن اسمعيل عليه السلام ، ابن ابراهيم الخليل عليه السلام ، ابن آزر وقيل تارح ، ابن ناحور ، ابن ساروع ، ابن اسرغ ، ابن [ارعو ، ابن فالغ ، ابن عابر] ، ابن شالح ، ابن قينان ، ابن ارفخشد ، ابن سام ، ابن نوح عليه السلام ، ابن [لمك] ، وقيل لامك وقيل ... ، ابن متوشلخ ، ابن اخنوخ ، ابن [يارد ، ابن مهلائيل] ، ابن قينان ، ابن انوش ، ابن شيث ، ابن ادم عليه السلام » اه .

---

1) يقابل : السبت في ٦ من ايلول سنة ١٤٧٩

مخطوطة الآباء اليسوعيين في بيروت

لتاريخ حمزة بن سباط عن التنوخيين

وبعد، فهنا انتهى ما نقلناه من المخطوطة المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس عن الامير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي، طيب الله ثراه، مما كتبه حمزة بن سباط في تاريخه عن التنوخيين امراء الغرب (لبنان).

وكنا قد اشرنا في ما تقدم لنا من تعليقات عليها مقتضبة في الصفحات السابقة الى ان في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت مخطوطة اخرى عن تاريخ هؤلاء الامراء التنوخيين لحمزة بن سباط (ص٦١١، الهامش) وهي موجزة جداً، كما ان في كلٍّ من مكتبة كلية اللاهوت للشرق الادنى، ومكتبة الجامعة الاميركية نسخة اخرى اوسع منها واكثر تفصيلاً. وتقع النسخة اليسوعية في ست وسبعين صفحة (طول ٢٢ س، عرض ١٥) وهي مكتوبة بقلم «السيد الزند»، وفي ختامها سبع صفحات عن الامير السيد رأينا ان ننشرها هنا اكمالاً للفائدة وهذا نصها[1]:

١) «ان هذه المخطوطة، وقد اشرنا اليها في الصفحات السابقة باسم «المخطوطة اليسوعية» محفوظة في قسم المخطوطات تحت رقم ١٢٥ وقد كُتب بقلم رصاصي، وباللغة الفرنسية، على الورقة البيضاء التي في اولها ما ترجمته: ان «المؤلف كتب (تاريخه هذا) سنة ٩٣٠ (١٥٢٠). ان نسخة عنه موجودة عند شكري ايلا» اه.

ونرجح ان هذا التعريف كتبه المنور له الاب شيخو، فالخط يكاد يكون خطه. وجاء في «دليل المخطوطات التاريخية للمكتبة الشرقية في كلية القديس يوسف» تعريف ثان باللغة الفرنسية بقلم الاب شيخو نفسه، هذه ترجمته: «تاريخ امراء تنوخ، حكام المقاطعة اللبنانية المسماة بالغرب، غربي صيدا وبيروت (كذا ...) هؤلاء الأمراء كانوا دروزاً، ودرزياً كان مؤرخهم حمزة بن احمد الفقيه ابن سباط الذي عاش في آخر القرن الخامس عشر (كذا). استوحى في اكثر الاحيان «تاريخ بيروت» لصالح بن يحيى، الذي طبعناه سنة ١٨٩٩ – لا يجد القارئ (في تاريخ حمزة) معلومات جديدة، الا عن البضع السنوات التي عقبت وفاة صالح. نسخ هذا المخطوط سنة ١٨٨٧ نقلاً عن مخطوط يخص شكري ايلا من صيدا. الناسخ هو السيد سعيد زند، احد معلمينا (يريد: معلمي كلية القديس يوسف)» اه – ص ٢٨٥

قال : «واما السيد جمال الدين عبدالله ولد سيف الدين عبد الخالق فتوفي صغيراً . ثم ولد اخاه فسماه باسمه عبد الخالق . ولما بلغ ولده عبد الخالق من العمر سبع سنين مال الى العلم والتعليم وطلع فريد عصره ونتيجة دهره ، وتوفي في حياة ابيه السيد عبدالله وله من العمر ثمان عشر سنة كما مر في اولى التاريخ. وكان بموته خطب عظيم وحزن عميم ، واجتمت في عزاه الخلايق واهملت العبرات وعلت الأصوات . وخرج والده عبدالله وقت دفنه وهو راكب مطية الصبر ، سلّم لله الامر ، ووعظ الناس المواعيظ الصريحه ، بالالفاظ الصحيحه ، وقال : سبحان الله والحمد لله ، لا حول ولا قوة الا بالله ، له البقا الدايم وهو العليم الحاكم ، وله الأمر الجاذم ، فلله الحمد على ما اولى والشكر على ما ابلا ، اعطى ومنع وتكرم واشبع . منه الأمتنان وعليه التكلان ، وهو العظيم الجليل

قلنا : تبدأ الصفحة الاولى من هذا المخطوط بما نصه :

نسبة آل تنوخ في كتاب صدق الاخبار لحمزة بن احمد الفقيه ابن سباط في السنة ٥٧٠ يذكر ابن سباط :

« لما كان الامير ظهر الدوله ابن كرامه ابن بحتر التنوخي في ايام الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي المتقدم عنه الشرح . وكان لزهر الدوله كرامه ابن بحتر له عنده المنزلة الرفيعة في ايام الافرنج . وبعد وفاة زهر الدولة اقاموا اولاده الثلاثة مقامه ، قوانسهم النهم مقام الافرنجي في بيروت واحسن اليهم الى ان كان حين الايام دعاهم الى عرس ابنه ولي حضورهم الى بيروت فارس الفبض عليهم وقتلهم الخ ... »

واذا قارن القارئ بين ما نقل في هذه النسخة اليسوعية عن كتب حمزة بن سباط وبين ما كتبه صالح بن يحيى عن نسب التنوخيين في غرب لبنان في بيروت عرف دا شك انه يوافق الاب شيخو على ما ذهب اليه من ان حمزة قد نقل عن سلفه ابن يحيى معظم انبائه ، كما زاد على رواية صالح زيادات جديدة كانت بعد وفاة الامير التنوخي صاحب « تاريخ بيروت » .

وتمتاز النسخة اليسوعية المقتضبة عن النسخة الباريسية المفصلة بوضوح خطها الجلي ، ولكنها تكاد تحاكيها بكثرة الاخطاء .

ان عدد السطور في كل صفحة منها اربعة عشر سطراً ، وهي مفرغة التسطير ، تبدأ مواضيعها بحبر احمر . وكذلك كتب الناسخ تواريخ السنين بالحبر الاحمر .

ولنا عود الى حمزة بن سباط والى تاريخه والى النسخ المروفة عنه ، المحفوظة في باريس ، وفي بيروت : في مكتبة كلية اللاهوت للشرق الادنى ، وفي مكتبة الجامعة الاميركية ، وفي المكتبة الشرقية ، والنسخة التي نقل عنها الامير حيدر احمد الشهابي ، الخ ...

والي[1] العبد الذليل . الواقف بباب [ص ٧١] الرحمة ، الطالب منه النعمة .

ثم عادَ بعد الدفن الى منزلهِ وامرَ باحضار السماط ، ولبس حلل الطاعة ورضي من ربهِ بأخذ الوداعة . وقال : أيها الناس ، لا فوت من الموت ، فلكم عند الله من الخير ما تكسبون . ومن الشر ما تفعلون . ونحن واياكم في قبضة مالك الممالك ، وهو المنجا من المهالك . قبول اوامر الله طاعةٍ وصبرا والانابهِ[2] عزًّا ونصرًا . فطوبى لمن قبل أوامر الله طاعة : وركبَ جوادًا للقناعة . وجعل مدّة من الدهر ساعه . وعلقَ في حملة[3] ربهِ فكرة لماعة. وقيد النفس بعبد[4] الوراعه ورضى بتسليم الوداعة . اي لا يجوز للعبد [ان] يعترض لربه فيما ابدع . او يغضب في ردّ ما اودع . او يظن ان لقضا الله مردا او مندفع . أيها الناظرون اليَّ ، اتظنون ان صبري على فقد ولدي جهالة ، او تركَ تعرضي للقضا ظلالة . او اني نسيت علمه وفضله وطاعته وصبره . فالصبر مطيَّة من اتقى ، والرضا والتسليم منارة من ارتقى . ولا زال [ص ٧٢] يرى الناس الحكمة الباهرة ، والمواعيظ الصادرة. حتّى تعجب كلمن حضر من ذلك الكلام .

ثم ان شمس الدين عبد الخالق ابن الصايغ ارثى عبد الخالق بهذه الابيات :

قف بالديار وحيّها وناديها	وانظر الى ربّها العالي وناديها
ام المعالي فقد ركت مبانيها	من بعد ما كانَ بين الدين بانيها
يا عبد خالقنا قد كنت راعيها	فبعدكَ اليوم من اضحى براعيها
خير العلوم صغير السن حاويها	والكتبُ منهاجها قاري وحاويها

وقال ايضاً :

هوى لمصابنا الركن المشيدُ	ومالَ وغاب طالعنا السعيدُ
فقدنا ماجدٍ فاقَ المنادى	فكان لفقدهِ [رضوى] يميدُ
فاضحى بالدما السفاح جفني	وبين جوارحي حزنًا يزيدُ
اميرًا كان مأمون الخفايا	الى التقوى لهُ قلب رشيدُ

١) خطأ في النسخ ، صوابه : واني

٢) صحيحها : الانابة ، كما في المخطوطة البارية

٣) لعلها : حكمة

٤) صحيحها : بقيد .

ثم ارثاه بقصايد كثيرة قصدنا الأسهاب عنها.

وكان والده الأمير جمال الدين عبدالله السيد يعظ الناس ويشرح لهم قصص الأنبياء ، [ص ٧٣] ويرى للناس كانهُ لم يجزع من الصبر ، لأنهُ كان يتجنب كلما يرضي الناس ، ويقترب لكلما يرضي الله . ونقل عنه انهُ لم كان يلاصق اقرباه لظنه ان اموالهم مخالطة الدول ، حتى انهُ لم كان يضي عليهِ مصباحاً بهِ زيتاً من ارزاقهم ، وكان لم يزل يطوف في البلاد ويزور الاجاويد اين اينما وجدهم . وحفظ الكتاب العزيز غيباً حتى لم كان يضيء عنه [خطبة] واحده. وكان يحفظ القرآن غيباً ويتلوه مقاوبا . وجمع كتباً كثيرة من النحو والفقه والاشعار وتواريخ الملوك . وقيل انهُ حصل عنده ثلاثماية واربعون مجلد. وشرح العلوم . فارتفعت اعلامه وظهرت احكامه ، فانصف بين الخصوم ونصر المظلوم. وعمّر المساجد وجدّد الجوامع ، وأمر في قراءة القرآن في جميع البلدان . وانهى عن شرب الخمر وجميع المسكرات . فتابت الناس على يده واجابت الى أوامره . وكان يكره بيع الزبيب الى الديار المصرية لئلا يصنعوه خمرًا . وكان له تلاميذ [ص ٧٤] كثيرة في البلاد ، يأمرون بامره وينهون بنهيه . وقد جعل لهُ في كل جمعه يوماً معلوماً تأتي الناس فيه ويدرسون عن يده ويتعلمون من علمه . ثم أمرَ تلاميذه الكبار والاتقيا الأبرار كلمن يجعل لهُ يوماً معلوماً ليعلم الناس بهِ في بلدتهِ . وكانت تأتيه الخصومة من ابعد مكانٍ فيحكم بينهم بالحق الصريح ويلزمهم في الثوت (؟) عليهِ ولا احد يخالف مقاله .

حكى انهُ لما ذهب الأمير جمال الدين الى دمشق فدخل يوماً على ابن الكشيح وقد ترحب بهِ . ثم سأله عن بلاده وهل بها اسلام على التمام ، فقال السيدعبدالله : نعم ، ويحفظون القرآن . فقالَ لهُ الافندي : فما تصلون؟قال: ومن يقوم بغير صلاة ؟ وقال : فكيف تكون الصلاة ؟ فقال الأمير جمال الدين عبدالله : أقوم بالأمر وامشي بالسكينه ، وادخل [بالنيه] ، واكبر بالتعظيم ، واقرى بالتوسل ، واركع بالخشوع ، واسجد بالخضوع ، و[اسلم] بالنيّة ، وامثل الجنة عن يميني والنار عن يساري ، واقول في نفسي ان الله حاضر [ص٧٥] امامي ، واني لا اصلي صلاة بعدها . قال : فالتفت الفقيه الى اصحابه وقال لهم : صلاتكم جميعها باطله !

وكان يقول : دع العلم دليلك ، والورع مشيرك ، والحلم وزيرك .

وقيل انهُ مرَّ يوماً بعمارة عظيمة فرأى شروش الشجر داخلة ما بين تلك الصخور العظام الذي لم تكن المسلة تدخل ما بين الحجر والحجر ، فقال : هكذا تكون الذنوب ، فلا يستصغر (احد) ذنوبه لأنهُ تنشأ الذنوب في الأنسان كنشو الشجر في البنيان .

ولما توفّي الأمير جمال الدين عبدالله في سابع عشر يوم من جماد الآخر سنة ٨٨٤ جعلوا تلاميذه المُشير عليهم بعده ابن عمه الامير سيف الدين ابو بكر ابن سيف الدين ذنكي ، فقوى امره وطاعوه الناس ، ولكن كان لفقد الأمير جمال الدين عبدالله السيّد رجه عظيمة في البلاد. واجتمع يوم دفنه امم لا تحصى من جميع البلدان ونظموا له مراثي وتواريخ عديده اقتصرنا عن شرحها . وقد [نسختهم] انا الفقير المصنف لهذا التاريخ : حمزي ابن محمد [ص٧١] الفقيه ابن سباط[1] . وهم عندي الآن اثنى عشر كراس ولي منهم ستة مراثي تعرف بي .

واما نسب الامير جمال الدين عبدالله السيد ابن الأمير سليمان ابن الامير علم الدين ابن الأمير بدر الدين ابن الأمير صلاح الدين يوسف ابن الأمير سعد الدين خضر ابن الأمير نجم الدين[2] ابن الأمير جمال الدين حجى ابن الأمير شمس الدوله كرامه ابن ابو المشاير ابن ناهض الدولة بحتر ابن شرف الدولة علي ابن الحسين ابن [ابي] اسحق ابراهيم ابن ابي عبدالله محمد ابن علي ابن احمد ابن عيسى ابن جهر ابن تنوخ ابن قحطان ابن عوف ابن كندي ابن جندب ابن مذحج ابن سعد ابن طي ابن تيم ابن النعمان ابن منذر ملك الحيرة ويُعرف بابن مآء السمآء .

وقد تم نسخ هذا الكتاب بقلم السيد الزند . وكان ابتداوه في ٢٧ ك٢ وانتهاوه في ٣ شباط سنة ٧٧ (١٨) مسيحية . ١٩ م

---

١) ذكر حمزة اسم والده اكثر من مرة في المخطوط الباريسي وقال انه احمد ، لا محمد ، وقد نسخ هنا خطأ على الارجح .

٢) في هذا المخطوط (اليسوعي) ذُكرت ألقاب الامراء التنوخيين دون اسمائهم ، وفي المخطوط الباريسي لم جعل اي اسم بل ذكرت الاسماء جميعها تتقدمها الالقاب.

ايران

معارضة ـ استشهاد ـ ثورة

بقلم فلاديمر مينورسكي

ترجمة منير يونس

[يعتبر الاستاذ فلاديمر مينورسكي الاستاذ المحاضر في جامعة كامبردج في انكلترا، من اكابر العلماء والمستشرقين الذين تخصصوا بتاريخ «ايران» . لذلك فان بحثه هذا يعتبر ذا اهمية كبرى .]

قد تكون اولى الصعوبات التي اعترضتني في تحضير هـذا البحث، ان الموضوع المقرر في منهاجنا هو (الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية) ، بينما يميل الاتجاه الآن لنعالج على انفراد تاريخ الاوطان والشعوب العربية والارمنية والتركية ، كما نعالج تماماً تاريخ شعوب اوروبا بغض النظر عن ان هذه الشعوب كانت جميعها في القرون الوسطى تنضوي تحت سلطة الكنيسة ، وتستعمل اللغة اللاتينية ومجموعة القوانين التي تنطق باسم الكنيسة .

وبالدرجة الثانية فاني لم اطلع على مدى بحث السيد (سبولر) ، لذلك لم اتمكن من جعل بحثي على نسقه وكل ذلك حتى اتجنب كل تغطية او فراغ .

لقد كان اقبالي على عملي هذا من الناحية التاريخية فقط ، متتبعاً سير الحوادث التي كانت ستلقي بعض الانعكاسات على المعتقدات والديانات ، كالمرآة تنشد فيها الاجيال والطبقات والاحزاب صورها لتجد عوناً لهـا على نوال مبتغاها ، وان اهم الحقائق التي يجب اعتبارها عندما نتكلم عن بلاد ايران هي :

ان هذه البلاد كان لها تقليد خاص في الادارة والثقافة والفن قبل الفتح العربي او بالاحرى الاسلامي؛ ومن جهة اخرى فان الفتح المذكور قد تم بسرعة

في الربع الاول للقرن الاول الهجري تقريباً ، وكل ما تمكن المتصرون من تقديمه للمغلوب هو الديانة الجديدة في شكل لم تكن تتناسب في ذلك الوقت مع مستلزمات الحياة الحضرية ، والشعر الذي يعكس حالة شعب بدوي في ايام الجاهلية ، وهذا عدا عن الدلائل المجهولة في المصادر السورية والارمنية ، فلم يبق هناك اية وثائق وطنية ، بينما التقارير العربية المسجلة فيما بعد ترتكز على مظاهر الاحداث الخارجية ؛ ورغم اطلاعنا التام على اخبار الفتح واحتلال المدن الرئيسية تظل اخبار الارياف غامضة جداً .

الفتح :

ان جميع المؤرخين متفقون على انه لم تستخدم القوة مع الشعب لاعتناق الدين الاسلامي ، وهذا لا يعني مطلقاً ان العرب لم يلاقوا مقاومة وقلما توجد مدينة لم تسقط دون قتال حتى ان بلدة (قم) لم تخضع الا بالقوة في القرن الثالث للهجرة وحسب رواية (البلاذري) : ان عدداً كبيراً من سكانها ذبحوا . وان الادارة العربية لم تكن تهتم بالناحية الدينية ، كاهتمامها للناحية المالية حيث ان الشعوب غير المسلمة كانت مرهقة جداً بالاعباء المالية الثقيلة ولكن من ناحيــة اخرى كان هذا التباين الاقتصادي سبباً جعل الاشراف الايرانيين يعتنقون الاسلام؛ زد على ذلك تجريد الاسياد الجدد للملاكين الكبار من رتبهم وامتيازاتهم وكل هذا اتى بنفس النتائج ، يؤيد ذلك مــا قاله (البلاذري) في اشراف اصفهان بانهم كانوا يميلون الى دفع الخراج ولكن بما انهم ترفعوا عن تأدية الجزية فقد اعتنقوا الاسلام . وحسب رواية (الواقدي) التي اتى على ذكرها (البلاذري) ان العرب عندما وصلوا الى اذربيجان صادروا كل ما تمكنوا منه حتى ان البعض منهم اشترى املاكاً من الاعجام وقد طلب اهل القرى حماية العرب واصبحوا من فلاحيهم .

ان الاسلام كما هو معروف عنه يبشر بالديموقراطية ، رغم انه يعترف بالعبودية ، ومع كل هذا كان يجب ان يؤثر في سرعة تفكك نظام الطبقات المعترف بها رسمياً في الدين (الزرادشتي) ، وبالرغم من كل هذا ظل بناء الدولة الساسانية تقريباً على ما هو عليه يضم العناصر المتعددة التي اندمجت بيئة خارج النظام الجديد .

الخلفاء :

قلما تتوافر اية معلومات عن الحالة الداخلية في فارس في عهد الامويين ، وعندما اطلقت الالسن الدعاية العباسية بدأت سلسلة مقاومات ضد الحكم العربي منها قيام (بيهافريد) سنة (٧٥٠) و (صنباد المافياني) سنة (٧٥٦) و (استاذسيس) (٧٦٥) (نبي خراسان المتقنع) سنة (٧٨٠) واخيرا ثورة (بابك) الهامة التي دامت عشرين سنة ، وكانت تجربة قاسية للحكم العباسي . وفي الظاهر كانت الدوافع لهذه الثورات دينية محضة واننا نجد ان زعماءها كانوا من مؤسسي مذاهب جديدة. ان الحزازات الدينية شوهت حقائق بعض التعاليم الدينية منها العقائد الايرانية القديمة ، ومنها الانقسامات فيما بين الشيع الاسلامية العديدة ؛ والشيء الجازم المعلوم هو ان جميع زعماء هذه الفئات كانوا من الاعجام الصرف ولم يكن بينهم احدٌ من طبقة الاشراف . ومن المعلوم ايضاً ان ثورة (بابك) كانت مدعومة من غير العرب الذين سموا (الفارج) وموجهة ضد السلطات الحاكمة اي العرب ، وفي هذه الحالة تمكنت من ان توطد الصلة مع الطبقات التي بقيت مدة خارج الاطار الرسمي . ان قيام الحكم العباسي سنة (٧٥٠) نتيجة للدعاية المركزة من قبل (ابي مسلم) وضعت حداً للامبراطورية العربية الممثلة بالامويين ، ومنذ قيام الحكم العباسي بدأت عناصر جديدة خاصة من خرسان وغيرها تدخل الدوائر الحكومية الرسمية في بغداد ، وتضع اسس النظريات الشعوبية التي ايقظت الحفائظ الكامنة منذ عهد ما قبل الاسلام ، ويعتبر عام (٨١٣) نقطة تحول لتسرب الاعجام الى الدوائر الحكومية الرسمية ومعترك الحياة السياسية حيث انه في تلك السنة اعتلى (المأمون) وهو ابن ام فارسية عرش الخلافة .

التحرر السياسي :

ان زمن الحركات الثورية المتجلية بجلباب الدين قد انتهت ،واخذت حركة تحرير فارس السياسي مظهرًا سياسياً لا دينياً ، فقد بدأ انحلال الخلافة بانسلاخ عدد من المقاطعات تحت رعاية (سلالات) خرسانية جديدة ، وان الخلاف الذي

فصل (الطاهريين) عن بغداد لم يكن ظاهرًا ، و (الصفاريين) من جهة اخرى لم يكونوا يتكلون على منشأهم الديموقراطي ومسلكهم الاستقلالي لانهم قد قلبوا صفحة جديدة في تاريخ ايران ومع انه كان عليهم ان يحاربوا الزعماء (الخارجيين) الدمار ، فقد كانت حركتهم السياسية مستمدة من افكار وآراء منافسيهم المعتدلة ، وبعض المصادر المتأخرة ذهبت بنسبتها الحركة الشيعية الى (الصفاريين) ، ومهما يكن من امر فحكام (سيستان) انفصلوا تماماً عن سلطة الخلافة وبوجه عام لم يعد الدين ذا تأثير في حركتهم السياسية ، اما (السامانيون) في (بخارى) فقد وطدوا ثانية النفوذ السني ، ولكن محاولتهم لتوطيد المركزية جعلتهم على خلاف مع اقطاعياتهم ، ومن الغرابة جداً ان نرى رجال الدين السنيين يشكون في ميول بعض (السامانيين) الذين رغبوا بتوسيع دائرة نفوذهم متعاونين مع غلاة الشيعة والطبقات الخيثرية، وقد تغاضوا عن الشعور الوطني وضحوا بالسامانيين للاتراك الغرباء . ولقد استقط في يد الخلافة بمساعدة (السامانيين) حيث انه في اواسط القرن العاشر قامت حركة قوية جدا في اواسط وغربي فارس احدثت سداً منيعاً ما بين بغداد وخراسان . ان هذه الحركة قد بدأت من شمال فارس ومن مقاطعة قزوين بالذات ، وحيث ان العرب لم ينجحوا بتركيز انفسهم في تلك البقعة من البلاد فانهم لم يتمكنوا من مقاومته ، واصبحت (جيلان) دويلة مستقلة تحكم بواسطة امراء يعيشون على ذكريات ما قبل الاسلام. ولقد تسرب لاجي يسمى (عليد زيديد) الى جيلان فتمكن من استمالة السكان لاعتناق مذهب الشيعة وحيث ان اساس هذا المذهب يقوم على اسس ديموقراطية فقد اكتسب مناصرين عديدين فخسر الامراء نفوذهم وتمكنت (الري) و (شيراز) من الحكم الذاتي ، وهكذا اصبحت الهضبة الايرانية بكاملها مستقلة عن الخلافة ، ايضاً وبرعاية عائلة (بويض) نشأت مقاطعات مستقلة في اذربيجان وكردستان وما بين النهرين ويجب ان لا يغرب عن البال ان بلاط (بويض) في الري وشيراز كان مركزًا عظيماً للثقافة ، وكان الوزير (ابو الفضل بن العميد واسماعيل بن عباد) من حماة الادب والعلم ، وابن سينا خدم ايضاً كوزير في بلاط (الكاكوديين) خلفاء (آل بويض) وهنا يتضح بان عهد (آل بويض) انهى الحكم

العربي واسس حكماً فارسياً قائماً على اسس مضادة للفكرة الاسلامية الراشدة، وعاملاً لتكوين الضمير الوطني في فارس لمدة مئة وعشرة اعوام ، وكل هذا التأسيس للحكم الايراني الذاتي داخل السلسلة الطويلة من الاحتلالات الاجنبية ، ولذلك لا يقل تقليد (آل بويض) عن تقليد (عائلات خرسان) ، واذا كانت (الشاهنامة) اثارت صدى شعور الاشراف في عهد السامانيين فان بدعة آل (بويض) وانغماسهم كلياً في الشيعية هو العامل الثاني في خلق واحياء الوعي الوطني في فارس ، ولم تكن القضية قضية تعاليم ومعتقدات بل هي مقدرة في توجيه الافكار والاحساس سوية في الحياة اليومية ، فمثلاً تجد صفةً لاعياد ومظاهرها ترتدي صفة غريبة في فارس واكثرها احتفالات بذكرى الموت او حداد مبالغ فيه وكلها انعكاسات لعادات (الديلميين) .

الاتراك :

بعد السامانيين والبويضيين استولت على الحكم العائلات المالكة التركية ومنها (الكازاخانيون) الذين لم تتجاوز حدودهم نهر (الاوكوس) ، و (الغزنويون) الذين تركزوا في المحور المؤدي الى الهند ، وان تدخلهم في اواسط فارس لم يكن الا لمدة قصيرة ، وقد ركز (محمود) رسمياً النفوذ السني ثانيةً وقام بحملة شديدة للضغط على (المعتزلة) وبقية الانحرافات التي كانت قد نشأت في (الري) نتيجة لحكم (آل بويض) العادل ، ورغم كل هذا ظلت الري مركزاً للاختلافات الدينية حتى ايام المغول . واما قضية غزو عشائر (الاغدز) بقيادة السلجوقيين فهي موضوع آخر . لقد كان غزوهم قادماً من الشرق الى الغرب وبما انهم كانوا يتجولون وبرفقتهم عائلاتهم ومواشيهم كان بامكانهم العيش مع اهل البلاد والسيطرة على مجتمعاتهم ولغتهم وهكذا اصبح سكان اذربيجان يتكلمون اللغة التركية ، وبذلوا جهداً كبيراً لتركيز المذاهب السائدة بمساعدة الدولة ، ولكن رغم كل الاحترام الذي كان يلاقيه الخليفة فلم يكن في حالة استقلالية اكثر مما كان في عهد (البويضيين) حتى ان مستشاريه لم يكن لينتقيهم الا من الوزراء السلجوقيين امثال (الكندري) و (نظام الملك) .

علينا بعد هذا ان نتكلم عن ادارة السلجوقيين للدولة ، وفي الحقيقة كان الهدوء والسكينة يخيمان في عهد (ألب ارسلان) و (ملك شاه) ولكن زمنهما لم يدم طويلاً فمنذ سنة (١٠٦٣ الى ١٠٩٢) وبعده تتابعت الخلافات والخصومات ، فقد ظهر اثناء حكم السلجوقيين تعاون وثيق ما بين المحتلين والبيروقراطية المنتقاة من بين الاعجام هذه الطبقة الجديدة التي تميزت عن (الدهاقنة) في عهد (الساسانيين) ، وفي (سياسة نامة) لنظام الملك نجد وثيقة ذات اهمية كبرى تضع برنامجاً يوحد ما بين قوة الاتراك واساليب (الساسانيين) والخلفاء العباسيين الادارية لان نظام الجواسيس والمراسلين والجيش التي هي مجموعة مشكلة من مختلف العناصر، هذه المجموعة تجانست تماماً وعملت على تأسيس الكليات الدينية وهي المؤسسات التي كان موكول اليها مراقبة الطرق المستقيمة التي يتبعها الشعب وقد قال الغزالي : (ان الدين والحكومة هما توأمان لا يمكن لواحد ان يعمل دون الآخر .)

ورغم كل هذا كانت تعد اشياء كثيرة وراء الكواليس ومن ابرزها الحركة الاسماعيلية التي لعبت دوراً مهماً في ذلك الزمن ، وقد شبه (بارتولد) ظهورها بالرجوع الى الاقطاعية الايرانية ظاهرياً لتثبيت نظام حكم الاشراف ، وكل هذا ربما كان راجعاً الى وجه الشبه ما بين قلاع الفدائية الاسماعيلية وقلاع اسيادهم الاولين حكام المناطق ، ولكن الحقيقة كانت تعكس ذلك والشبه لم يكن الا خارجياً ، فبينما كان حكام المناطق يمكنون فكرة استقلال كل مقاطعة لوحدها ومحاربة كل الاتجاهات التي تميل لتوحيد المملكة ، كان الاسماعيليون فيمابعد على عكس ذلك يسمون لتوحيد حكم البلاد على اساس نظام يجمع جميع الطبقات تحت لواء اجتماعي واحد يبنى بجنب درجات الاشتراك في العمل ، وزادهم رغبة تأسيس الحكم الفاطمي في مصر كما مثله (ناصر خسرو) وانه من الظلم ان نحكم على رؤساء قلعة (ألموت) ، وبقية القلاع الاسماعيلية بانهم كانوا مغامرين طموحين ، والحقيقة ، فان القساوة التي عامل بها الحسن ابن الصباح اولاده بسبب هفواتهم تعطي البرهان الاكيد على مدى التهذيب والتربية والنظام المعنوي السامي الذي كانت تحكم به (ألموت) ولحد ما كان الاسماعيليون يتسمون تفكير ونظام (البويضيين) ، ومن غريب الصدف والجدير

بالانتباه وجود مركزهم الرئيدي وسط منطقة (الديلميين) السابقة حيث الدول كانت لم تزل حية ، وعندما يتطلع المرء الى تلك الصخرة (ألموت) يقف واجماً امام منظرها ومساحتها القليلة فهي دون اية مساعدة خارجية تأتيها من المناطق المجاورة كانت تصمد في وجه الفاتحين مدة طويلة . ومن اسماء زعماء الاسماعيليين نستطيع ان نحكم بانهم كانوا من الطبقة الحاكمة التي لم تفكر بعقد الصلح مع الاتراك الغاصبين ، وليس هناك مبرر للقول بان الاتراك ورؤساءهم السلجوقيين كانوا يستقبلون في فارس كمحررين . وقد اورد (نظام الملك) مقطعاً من خطاب رفعه لسيده (ألب ارسلان) وقال فيه الى مستمعيه :

« نحن غرباء في ارض اخذناها عنوة ، نحن مسلمون اتقياء وهؤلاء الاعجام لهم مذهب رديء خاص كالديلميين »

والحقيقة فان الاغتيالات السياسية لم يكن لها وقع حسن في النفوس ولكن هذا هو مخطط الحركات المعارضة التي تحارب قوة السلطة وخاصة عندما تكون هذه الاخيرة تتكل على العون الخارجي . وان قوة المعارضة تقاس بنسبة رد الفعل المحدث لدى الحكومة ، لذلك فان قسماً كبيراً من (سياسة نامه) تحتوي على مقاطع حادة ضد تخطيطات الهراطقة الثوريين وعلى نفس النغم كتب (الغزالي) رده على الباطنية ، وهو على مستوى اعلى من مستوى (سياسة نامة)، ولكنه كان يحمل موافقة الحكومة ، ومما يجدر ذكره ان (الغزالي) كان في ذلك الوقت استاذاً في الكلية النظامية .

ان موقف السنيين العام من الحكومة يستوحى من بعض المقاطع في كتاب (احياء علوم الدين) ومن جهة واحدة يحاول الغزالي بتحفظ امكانية قبول اعانات مالية من الطغاة لان القسم الاكبر من اموال السلاطين في عهدنا هذا هو حرام والقسم الحلال منها اما انه غير موجود او نادر جداً ، ومن جهة اخرى فان اللاهوتي المعظم الغزالي يتكلم عن قوة السلطان بجزم اذ يقول: (ان سلطاناً طاغياً بربرياً ظالماً يحكم بالقوة ولا يمكن خلعه بدون صعوبة حتى ان اقل محاولة لذلك قد تسبب حرباً اهلية فهذا الحاكم يجب الابقاء عليه وتقديم الطاعة له كما تقدم الى الامراء . ان الحكومة في ايامنا هذه هي وليدة

القوة وحدها وايا كان الشخص الذي يدين له صاحب القوة بالوفاء فهو ذلك الشخص الذي يجب ان يسمى « الخليفة » ، بناء عليه فان الحاجة تجعل المحرم «شرعيا». بهذه الصراحة يتمثل مدى الضغط الزمني على الفكر والحريات حتى على اعظم مشرع بين السنيين .

التصوف :

لقد بدأت الميول نحو الصوفية تنمو وتمتد في ايران منذ عهد الغزنويين والسلجوقيين ، فهي غريبة عن الشعر الغنائي الذي شاع في عهد السامانيين ، وعن الشاهنامه التي هي مفخرة الايرانيين ، ومن جهة اخرى فان الميول نحو الصوفية جاءت مع القراء ونحن مضطرون الان ان نوضح سبب معاودة ظهورها بسبب عوامل خاصة مع سير الزمن

يوجد مجموعة ادبية عظيمة عن الصوفية التي تعالج التصوف كميل طبيعي في الانسان ، حيث ان هذا الميل قد ظهر في كل البلدان ، وفي اوقات مختلفة ولكن يبقى علينا ان نعمل على كشف مصدرها الشخصي ، وابعد من ذلك ماضيها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، ومهما يكن من امر فان للانسان منطقه السياسي ، وان الانحرافات المذهلة التي تقود الى التصوف والزهد والوحدة التأملية قد تخلق فراغا بينه وبين محيطه والعالم لا يستحق الوصف فقط بل التحليل النفساني العميق ، ومن جهة اخرى فهذا المظهر شائع جدا وواسع الامتداد حتى انه من غير الممكن ايعازه الى التشبه بالمثل وتأثير الدعاية والسعي لاكتشاف جذوره في حالات الزمن المختلفة . وقد كان لظهور روح التصوف في الادب البرلندي بعد الهجرة العظيمة يغوي الواجد على حسبان روح التقشف الظاهرة في فارس ، فهي نتيجة الخيبة من الحياة التي لم تؤدي الى رغبات مباشرة وانه يجب عدم المزج في الصوفية ، حيث انها توجد على انواع مختلفة فمن الصوفيين من طلب النسيان في التأمل ، وعلى النقيض الآخر ولكن تحت ستار الصوفية ، وبعضهم كان من العسكريين الذين قادوا الحملات ضد الكفرة ، او رجال طموحين يطلبون النفوذ السياسي بين اتباعهم ، ورغم وجود هذه التشكيلة من انواع الصوفية فان تأثيرها الخاص والعام جعل .

الايرانيين يتبمون طريق الهدو. والخضوع وهكذا حكم عليهم ان يصبحوا فريسة جميع الغزاة . وانني لا ادى تلك الزهرات الجميلة التي يعتبرها الاعجام اثمن موجودات ادابهم وكل فضيلة لا تخلو من الخطأ ، وفضائل الصوفية التي هي بالاساس قد عكست تحول تاريخ فارس واضعت تلك الروح القوية التي تعد احدى فضائل الاسلام ، وبالتالي فمنذ عهد السلجوقيين وصاعداً نرى ان الديانة الرسمية مرتبطة بمصالح الحكام المعارضة الشيعية بالاتفاق مع حركات عديدة تقاوم السلطة القائمة والعصر المسدود الذي عاشت فيه الاجيال فالتجأت الى طرق اصطناعية للتملص من الخيبة.

المغول واواسط آسيا :

بعد تفسخ الامبراطورية السلجوقية ظهرت عناصر جديدة في آسيا الوسطى، وضع الملك محمد سلطان خوارزم نفسه تحت حماية (كاراختياي) رئيس الكفار في منشوريا ، واخيراً خسر مملكته نتيجة للغزو المغولي وان كشافة جنكيزخان ظهرت في خرسان حوالي سنة ١٢٢١، وحتى سنة ١٢٩٥ حوالي مدة ثلاثة ارباع القرن عاشت فارس تحت حكم امراء كفرة لم يفرقوا مـا بين معتقدات محكوميهم الدينية المختلفة، فهم كانوا يستخدمون جيشاً مساعداً من المسيحيين بالاضافة الى مستخدمين من اليهود ووزراء واداريين استقدموهم من الشرق الاقصى. في تلك الحقبة من الزمن تماماً لاقى مسلمو الشرق الاوسط اكبر قدر من الاهانة وقد بلغت مبلغها حينما نهبت مدينة بغداد ومات الخليفة المعتصم سنة ١٢٥٨ .

ان جموع الغزاة البرابرة التي تدفقت على البلاد كانت تتحمل صعوبة الاسكان والاطعام، عدا عن قضية الاستيعاب، وكل هذا كان عملاً شاقاً وطويلاً، غير انه من الناحية الثقافية كان مقبولا بمجرد ان اصبحت مدينة (تبريز) عاصمة امبراطورية عظيمة على خط المواصلات ما بين الشرق الاقصى والغرب وقد فتحت افاقاً جديدة امام الاعجام ، ومنها ان فن التصوير الفارسي الدقيق تأثر بفن التلوين الصيني، كما ان سلسلة من المؤرخين الاعجام العظام ابدعوا اعمالاً مهمة جداً جاوزت شهرتها بلاد العجم وحتى بلاد الاسلام ، وكما قلنا

سابقاً ان المغوليين تسامحوا جداً مع بقية المذاهب بينما عقائدهم التي كانت غامضة وبدائية لم تلاق نجاحاً ما بين السكان، واذا كان المغوليون قد وضعوا حداً للخلافة في بغداد، نرى من جهة اخرى انهم قاموا بخدمة مجيدة للمسلمين الا وهي تهديم قلعة (ألموت). التي كانت تقض مضاجع المجتمع السني في فارس، وما ان تحرر السنيون من عدوهم الداخلي حتى عوضوا عن خسارتهم، وفي سنة ١٢٨٢ اعتلى عرش تبريز (غازانخان) كان قد اعتنق الاسلام وبقي على العرش مدة قصيرة عندما دخل هولاكو خان العجم سنة ١٢٥٠ كان عدد المغوليين الاصليين الذين ينضوون تحت امرته ما يقارب المئة الف مقاتل ولكنه نقص عشر هذا العدد في المعركة ضد مصر، ولذلك اصبح من غير الممكن الحكم على هذه المساحة الواسعة من الارض وهذا العدد الضخم من السكان بواسطة هذه المجموعة الغريبة من الجيش (المغولي، المسيحي، القوقازي) ولهذا نرى انه في سنة ١٢٩٥ اتخذ غازان خان ذلك القرار التاريخي الذي لا مندوحة منه وهو اعلان اسلامه مع جيشه ليحبب نفسه الى الاكثرية الساحقة من رعيته كما كانت الطبقة البيروقراطية في خدمة الاتراك وحباً بالاحتفاظ بمراكزهم تابعت تعاونها مع المغول من جهة ثانية، وتاريخ المغول المشهور لمؤلفه (عطا ملك الجويني) هو نفسه يمثل اعرق العائلات البيروقراطية. وبينما نرى المؤلف يذرف الدموع السخية على الحالة التي وصل اليها المسلمون نراه في نفس الوقت يعزي لاسياده الكفرة الدور الذي قال عنه الله «هم جنودي الذين بواسطتهم اقتص من العصاة» وموقف البحاثة الشهير (نصير الدين الطوسي) يظهر تلك النفسية السائدة بوضوح حيث انه بعد ان اقام في خدمة «الاسماعيلية» مدة طويلة عمل كمستشار (لهولاكو) في معركة بغداد وانهى ايامه مسروراً في المرصد الذي بناه حاته الجدد باموالهم الخاصة. لقد ساعدت هذه النفسية المرنة الاعجام على اجتياز عدة صعوبات ولكنها في الوقت نفسه اثرت على الخلق القومي

. بعد ان سقطت امبراطورية المغول في اواسط القرن الرابع عشر لم يتمكن الاعجام من جمع شملهم وتأليف وحدة سياسية بسبب بقايا الغزوات المتتابعة ونتيجة لذلك نشأت عدة امارات في الجهات المختلفة من الهضبة الايرانية ومن اغرب الامارات كانت جمهورية (سابزافار) التي حكمت بالتتابع من قبل

قواد وزعماء اقوياء متحمسين لمذهب الشيعة . وكانت هذه آخر دور للتاليد الثيوقراطية التي بواسطتها استاهمت هذه البدعة (اي الشيعة) في بلاد العجم .

تيمور :

لم يكن تيمور بأقــل طمعاً من سابقيه الغزاة . وان غزوه بلاد فارس اسقط جميع تلك الامارات التي قامت على انقاض الامبراطورية المغولية وقد كان هذا الغازي من اتباع مذهب السنة وزيادة على تحمسه لتعاليمه كان يكن الاحترام الزائد للقديسين والمشائخ الذين كان يعتقد بأن فيهم قوى فوق الطبيعة ، والاغرب من ذلك انه كان يعتقد ببعض الخرافات التي ورثهـا عن اجداده الاتراك الوثنيين ، وقد ترك تيمور العجم مشوشة ومجردة من اصحاب الحرف والبحاثين والفنانين الذين كان قد اخذهم معه الى اواسط آسيا . ان الملك الملقب « بالملك الاكثر اسلاماً » وهو « شاروخ » كان يشيرون بطرف خفي الى وجود الخلافة قائمة في شخص سيدهم على اساس ما ورد في القرآن الكريم « والله يعطي الملك من يشاء » ومهما يكن من امر مجرد وجود ملك قوي اقترضت البركة الالهية وهذه طريقة اخرى للاقتراب من قضية « القوة الواقية » الذي انحنى امامها (الغزالي) . وهذه النظرية تركت اثارها في اسلوب الملوك القامض في العجم ومنهم (الصفويون) و (القاجارايون) ، ورغم انتصار السنة وحتى في ايام (تيمور) اسس (فضل الله استرابادي) المذهب السري الجديــد وهو (الحروفية) ومع ان الميزة الخارجية المعروفة لهذه التعاليم هو استعمال القيــة العددية للكلمات وعدا عن هذه (الشيفرة) لا تكشف كتب (الحروفيين) التي لا تزال محفوظة حتى الان شيئاً عن غوامض هذا المذهب ، وقد اعدم ابن (تيمور) (ميران شاه) (فضل الله استرابادي) سنة ١٣٩٣ وهاجر مساعدوه الى تركيـا حيث مبدأ (البكداشية) وحتى في الشرق بقيت الدعاية السرية مستمرة والمحرضين على محاولة قتل (شاروخ) سنة ١٤٢٧ اتهموا (الحروفية) بذلك ولو لم تكن اتخذت حجـة للاتهام لاستنتج بان وراء هذه النظريات المبهمة الصعبة الفهم خطة سياسية تغاضت عن مميزات هذا الملك السني الورع .

القرن الخامس عشر :

ان النصف الثاني من القرن الخامس عشر مملوء بالاستيلاءات من قبل غزاة جدد اتوا من الغرب عندما اجبر المغوليون قبائل (اوغوز) على التراجع من المملكة السلجوقية باتجاه ارمينيا وسوريا وآسيا الصغرى وقد اغتنم هؤلاء التركمان الفرصة السانحة لملء هذا الفراغ الذي ورثه ضعف الحكام التيموريين وصراعهم، ومن العائلتين المالكتين من التركمان الاولى عائلة (كاراكونيلو) والثانية عائلة (اك كونيلو) نجد ان دراسة الاولى انفع من الناحية الدينية حيث ان الطريقة لا تزال خفية تسرب الى قبائلها مبدأ الشيعة حتى المتطرف منه ويجب دراسة هذ المسألة سوية مع دراسة حركات البدع المستحسنة التي اشتدت في القرن الخامس عشر وهزت آسيا الصغرى معارضة المركزية العثمانية .

انني اعتقد شخصياً بان هذه الشيعة او هذا المذهب مذهب اهل الحق معروفاً (بعلي الله)،وقد انشئ في نفس الوقت ولا يجوز لأي امرئ التخمين بان مشايعي هذا المذهب هم فقط من غلاة المتعبدين للخليفة الرابع وسلالته،والحقيقة ان هذه الشيعة تؤمن بسبع دورات لمظاهرات (ظواهر) روحانية وفي هذه الفكرة ترأس على القسم الثاني بينها الظهور الكامل للحقيقة جرى في القسم الرابع تسم (السلطان اسحق) الذي اثبت المبادئ واسس التقوس ، وهذه الشيعة تسير على خط مستو لبقية الشيعة المتطرفين كالدروز والنصيرية الخ... وانها منتشرة كثر مما يظن حيث انها محببة جداً الى طبقة الشعب العامة كالبدو الرحل والتجار والعمال والخدم ويظن بان انحرافات عائلة (كاراكونيلو) قد مهدت الى ظهور الصفويين العظمة وافسحت امامهم المجال لكي يلعبوا دوراً اولياً على مسرح سياسة ايران .

الصفويون :

لقد ظهرت نقطة تحول ما بين سنة ١٥٠٠ — الى — ١٧٢٢ في تاريخ فارس باسترداد ما فقدته وتثبيت قوتها ، ولكن الصفويين ظهروا اول مجيئهم كغزاة جدد ، والحق ان الطريقة التي استعملها مؤسس هذه العائلة هي تجميع نفس عشائر التركمان التي جمعتها قبله عائلتا (الكاراكونيلو) و (الكاكونيلو) كان

احتلالها لفارس باختلاف بسيط عن غيرها بالنسبة للعقائد التي اعترف بها العهد الجديد، حقاً في عهد (الكاراكونيلو) كانت هنالك بعض الانحرافات عن التعاليم القويمة لكن في عهد الصفويين قد قلّ اتباعهم من المتحمسين وبشكل خاص الشيعة المتطرفة . ومن المعروف ان عائلة مشائخ (اردبيل) قد اشتهرت بانها هي التي تنحدر من المبدأ الذي لا عيب فيه وعلى هذا الاساس اكتسبوا اتباعاً كثيرين بين قبائل التركمان حتى في سوريا وآسيا الصغرى ولم يطرأ اي تغيير على هذه العائلة الا في عهد جد الشاه اسماعيل . ان طموح الشيخ الفتي (جنيد) سبب له النفي وقد ظل يتجول عدة سنوات بين القبائل الموالية لعائلته وحيث انه مشكوك في صحة سلالة الصفويين بانها تنتسب الى عائلة النبي(صلعم) فان قول الشيخ (جنيد) بانه تجسيم حي لسلالة الائمة لا ينطبق على الواقع . وهكذا فان اكتساب قلوب البدو الرحل كان (اسرع استدراجاً لقلوب البربر الرحل) الذين لم يكونوا متحمسين لتعاليم وتقاليد سكان المدن بل متحمسين لمجرد تمكنهم من لمس يد انسان متجسدة فيه الروح الالهية وحتى القدرة على كل امر مستندين الى فئة الدراويش التي نشأت من القبائل المختلفة ، وقد جرب الشيخ (جنيد) ومن بعده ولده (حيدر) بان يركزا قوة اتباعهما لشن حملات ضد القوقاسيين الكفرة، ومع ان الصفويين كانوا مرتبطين بعلاقات زواج مع امراء عائلة (اك كونيلو) لم يمنع هذا تلك العائلة من ان تحسب حساباً للتجمعات والتخوف من نشوء ولاية ضمن مملكتهم ، فتأهبوا لصد هذا العدوان العسكري وقتل الاب وبعده الابن في اثناء هذه الحملات العسكرية وان دماء الشهداء وحّد عائلة (الصفويين) ونشأ اسماعيل الصغير ابن حيدر محاطاً بامال كبار لكي يصبح المنتقم الوحيد لاجداده .

عدا عن القصص الخرافية الدينية التي تصف احلام هذا الامير الصغير وعجائبه فلنا من شعره المذكور في ديوانه المكتوب باللغة التركمانية (لغة اذربيجان) ما يفيدنا عن مطالب هذا الامير، وتؤكد هذه الاشعار ان مؤلفها هو الفاعل المطلق، ويحق السجود له كما يحق لله ، وايضاً فان لنا من اخبار المسافرين في عهد (الصفويين) ما يؤكد من ان (الشاهات) كانت تقدم لها فرائض العبادة من الاتباع كما تقدم لله عز وجل ، وقد كلفته اي اسماعيل

غزو العجم ثانية وفرار عدد كبير من اللاجئين الى تركيا وآسيا الوسطى واسس دولة لاهوتية كما هي الحال في التيبت اليوم بالنسبة (للدالاي لاما) -- لقد حكم هذه الدولة بمساندة الدين ، وقد ساعدته الفرقة الفريدة في نوعها المسماة (شاهي سقان)اي اولئك الذين يحبون الشاه ،غير انه كثيراً ما كانت تحدث الخلافات الشديدة بين اتباعه وبين هؤلاء ، وكان تحكم بهذا الخلاف الفرقة الدينية المسماة (صلاحي شاهي سقاني) التي كان يقبل بحكمها المبرم جميع هؤلاء الاتباع .

كثيراً ما كنا نسمع بان اعمال الشاه اسماعيل احدثت ثغرة في المجتمع الاسلامي ولكن من وجهة نظر الاعجام فان الانفصالية هي التي حفظت الاعجام ، فمن الغرب كانوا مهددين بالعثمانيين ومن الشرق بقبائل (اليوزبك) ، وكانوا يزحفون عليها شيئاً فشيئاً فما كانت الا لتسقط تحت تأثير هذا الضغط وهذه القوة من الهجوم التركي ولكن هذه الديانة الجديدة بميزتها المذهلة ساعدت على تركيز القوة المركزية ومن ناحية اخرى هذه التعاليم الجديدة التي كانت بحد ذاتها لا صلة لها بالقومية الفارسية وعلى هذا تمكن الاعجام من حفظ حقوقهم دون ان يندمجوا تماماً بالتعاليم الاسلامية الصحنة او بالاوقيانوس التركي الكبير الذي يهددهم بالابتلاع .

ان اتباع (الصفويين) الرئيسيين كانوا من التركمان وكل دولة تقوم على اساس عشائري تفقد صلابتها ومتانتها ، وهكذا فان خلع الشاه اسماعيل سبب صعوبات جمة مع فرقة (الشاه سقان) ، واخيراً وجد الشاهات بانهم مضطرون لتفريق بعض هذه القبائل وفرط عقدها ، وبعد مرور مئة عام على حكم (الصفويين) اسس الشاه عباس جيشاً على اسس حديثة وقد استبدل القبائل التركية وهم عنصر الجيش الرئيسي بجنود من القوقاسيين الحديثي الايمان الذين كانوا يوازرون جيش الانكشاري العثماني .واخيراً اتخذ المذهب الشيعي كمذهب رسمي للدولة مكان المذهب السابق واحتل علماء لاهوتيون شيعيون من سوريا جبل عامل والبحرين وقام ركن الدولة الديني الاول (الميرزا باكير) باضطهاد فئة الصوفيين من متطرفي جماعة (الشاه سقان) وبتثبيت دعائم الدولة المختارة السابقة وهذا الترتيب الجديد كان احد اسباب سقوط آل الدولة الصفوية عندما هاجمهم « افغان كاندار » سنة ١٧٢٢ عندئذ لم يتمكن الشاه من

مقاومتهم بحزبه الوحيد ، ومما يدعو الى العجب كما يقول المؤرخ براون انه في اثنـاء تلك الفترة اي في زمن حكم الصفويين لم يظهر شعراء عظام ويعزون ذلك الى الروح الصوفية التي تغلغلت في الشعر الفارسي واعطته لوناً خاصاً من تأثير ايام الخيبة والضيق ، حيث ان روح التصوف لم تكن لتناسب او تماشي عهد تجديد الدولة زد على ذلك شعور الشعراء بانهم مقيدون جداً باكمال نماذجهم لانهم لم يتمكنوا من ايجاد فن جديد حتى في زمننا الحالي فان ، نفوذ الماضي يؤخر ويؤثر على تخيلات الشعراء الفرس الجدد غير ان قوة عهد الصفويين المبدعة تجلت في فن العمارة والتصوير الدقيق الملون وهذان النوعان كانا اصلح وانسب الانواع الفنية لذلك العصر .

نادر شاه ١٧٣٦–١٧٤٧ :

تمكن نادر شاه بطريقـة دراماتيكية من استرجاع الحالة بسلسلة من المعارك ضد العثمانيين ، وفي الهند وآسيا الوسطى توصل الى تمديد حكمه حتى الى ما بعد حدود بلاد ايران القديمة . ونادر شاه ينحدر من قبيلة (امنشار) التركمانية التي كانت تابعة لاتحاد (الشاه سقان) ولقد اتخذ لنفسه في بدء حياته لقب (طهماز كولي) اي عبد طهماز لاظهار مدى تعلقه بالصفويين وآخر ملوكهم ، وبعد انتصاراته الكبيرة عزل (طهماز) فجأة عن سياسته الدينية ووضع الشروط اللازمة لقبوله التاج بان يترك الفرس طريقة الشاه اسماعيل وكان قصده من وراء ذلك توحيد الاسلام بجعل السنة تعترف بالشيعة انها الركن الخامس للدين تحت رعاية الامام الخامس جعفر الصادق . ان المصادر المعاصرة تشرح هذا الاتجاه غير المنتظر بان القصد منه كان دنيوياً وذلك لتسهيل مشكلة ضم المقاطعات الجديدة المغتصبة ودعم مخططه نحو الامبراطورية العثمانية . وعلى كل حال فهذه الخطط لم تلاق نصيباً من النجاح ، وعندما علم العثمانيون ورجال الدين السنيين بثاقب نظر نادرشاه ونياته رفضوا بصراحة ارجاع حقوق الشيعة ، وفي اواخر ايام حكمه وبعد انتصار جديد عـلى العثمانيين اعترف نادرشاه بتفوق السلطان كونه (خليفة المسلمين) ومن الواضح ان هذه النهاية قد سببت تذمراً عاماً ، ولم يعد نادرشاه بقادر على التغلب على مصاعبه وشعر رجال الدين الشيعة

الدين كان قد جردهم من اموالهم وامتيازاتهم بانهم خذلوا ، وفي كتب الشيعة وصف العلماء نادر شاه بانه كان قطيعاً ، لذلك اكتسب خلفه لقب (عادل شاه) حيث ارجع لرجال الدين الشيعة جميع املاكهم المصادرة ، وكل محاولات نادرشاه لتعديل الدين ذهبت سدى حيث انه برجوع الشيعة لمركزها برهن على ان هذا الشكل من الدين مع ما خلفه (الصفويون) العظام من ذكريات طيبة يتناسب تماماً وميول وشعور الفرس ، ولم تعد الشيعة المنتصرة في حالة نزاع بل انها قد هيأت السادة الدنيوية لجميع المنتفعين بها سابقاً .

القاجاريون : ١٧٧٩–١٩٢٥

منذ ابتداء عهد القاجاريين حتى تاريخ ثورة العجم بسنه ١٩٠٥ لعب رجال الدين الشيعة الدور الرئيسي في الحياة العامة فكانوا يتمتعون بامتيازات ثابتة ويقفون عثرة في سبيل تقدم البلاد وقد حدثت محاولة واحدة في عهد (قاجار) لاصلاح حياة فارس الدينية بقيادة ورعاية (الباب) واتباعه ورغم كل ما كتبه المؤرخون امثال (دي كوبينو) و(كاظم) و(براون) و (نيقولاس) عن نظامه الديني واهدافه بمحاولته سبق جميع عناصر الدين الإسلامي من جديد وخاصة مقاومة البدع الاسلامية التي ظلت غامضة ، وفي الواقع كان حياته القصيرة لم تمكنه من تجهيز نظام مرتب ، ومن الشيق ان نعلم بان الوعظ والتبشير كانا بين الطبقة المتوسطة البورجوازية الصغيرة ورجال الدين الصغار والتجار والباب نفسه كان من عائلة تجار ومن الطريف ان نجد ان من مطاليبه بعض التفاصيل التافهة كاعتبار الفائدة شرعية في الديون وتثبيت المستوى النقدي وحفظ حرمة المراسلات التجارية . وقد بحثت مؤخراً حركة الباب بالنسبة لعلاقتها بالضائقة الاقتصادية التي واجهتها فارس في مطلع القرن التاسع عشر وبين المؤلف زيادة على ذلك الاتجاه الجديد لميزة الدعوة الاساسية بعد ان القي القبض على (الباب) . عندئذ تجمع اتباعه في منطقة مازندران واقترحوا الغاء الملكية الخاصة التي اعتبروها منتصبة فقامت حكومة بالاتحاد مع طبقة الاقطاعيين الوثيقي الصلة بالحكومة فاغرقوا الثورة بالدماء وانطفأت بذلك البابية وتحولت الى البهائية التي كان يديرها زعماء جدد من الخارج واتخذت حينئذ مظهراً انسانياً مسالماً وغامضاً بالوقت ذاته .

ان ما قيل عن الاساس الاجتماعي والسياسي لحركة (الباب) يقال ايضاً عن الثورة الفارسية التي قوضت عرش قاجار حيث ان ذات الطبقة من الشعب التي انتمت الى البابية اشتركت في هذه الثورة، غير ان الفرق هو انه بينما كان الباب يعمل بعقلية رجعية على اساس الدين، كان دماغ الثورة هذه في القرن العشرين يعمل على اساس علماني محض، وما علينا الا ان نطلع على صور المعارضين الذين طلبوا الحماية في المفوضية البريطانية سنة ١٩٠٤ لنتعرف الى تلك الطبقة من الشعب التي عارضت حكم الامراء (وبينهم امراء الكنيسة) والاقطاعيين الكبار .

رضا شاه :

من الصعوبة بمكان ان نتابع ابعد من هذا، فتبدل الاسلام في فارس في ظل حكم رضا شاه وبهلوي قد وجه الشعب نحو اعمال وآفاق جديدة فاهتمت الدولة بتطبيق النظم الاوروبية من شتى النواحي واهملت بعض المظاهر الدينية مثلاً كاحتفالات شهر محرم وغيرها فضعف نفوذ رجال الدين ولم يعد لهم اي تدخل في الامور السياسية وفي الزمن القلق بعد الحرب الكبرى الثانية ابتدأ رجال الدين في استرداد مركزهم السابق ولكن من الافضل تخمين اية نتائج كانت لمجرى الحوادث السياسية .

ان هذا التخطيط الوجيز للدور الذي لعبته العوامل الدينية في تاريخ فارس منذ الفتح العربي يجيز لنا ان نكون بعض النتائج بصورة تقريبية .

اولاً : انه من غير اللائق ان نخضع حياة الدول الاسلامية لتأثير الشرائع الاسلامية الدينية وان اعتناق البعض لدين الاسلام كان في بعض الحالات كما قال مستر «سبولر» مؤخراً نتيجة لبعض العوامل السياسية والاقتصادية وفي حالة مثل هذه يجب علينا حتماً ان نأخذ بعين الاعتبار الثقافة العامة قبل الاسلام والهامها الاسلامي الزائد فمثلاً في كل الاوقات كما لاحظ (دي كوبينو) شعر سيد ابطال الفرس بانه يجب عليه ان يسير جنباً الى جنب مع الايمان بالاغة، وقد ساند الوعي الوطني في ايام الشعوبيين، واستفاد منها الملوك الذين كانوا يفاخرون باصلهم الفارسي، وعلى العموم قدمت في الشرق الاوسط مساطر من الفضيلة مثى

توجيها الامراء وشكلت ثقلا معاكسا للبدو. والسكينة التي بشرت فيها الصوفية .

ان بعض الاشعار الفارسية الشهيرة (الشاهنامة) وشعر (النظامي) موضوعة على اساس تقليدي فارسي او علماني محض وشعر المديح او التقريظي الذي يؤلف جزءا مهما من الشعر الفارسي ايضا مستلهم من مصادر غير دينية حتى ان ذلك الفن الفارسي الرفيع من التصوير الفني الملون يظهر تفاضل اعمال الابطال والى درجة صغيرة جدا فكرة الصوفية الدينية .

ثانيا – لقد تكلم مستر سبولر حقا عن الحزب الديني الحكومي الذي تجمع اتباعه حول اهل السنة الرسميين ، وعلى هذا الاساس كان لطبقة السنة طابع خاص ، ومن المعلوم ان الطبقة العليا من (البيروقراطية) التي وضعت نفسها بجانب الغزاة من الاتراك والمغول خدمت الشعب بان ساعدت على تمدين الغزاة وتخفيف حدة الادارة الاجنبية وبربريتها مع انه في نفس الوقت وبخضوع هذه الطبقة العام للغزاة قد ثبتت مكانة الغزاة الفاتحين وسهلت اخضاع الشعب.

ثالثا – ان الغزوات الاجنبية اثقلت كاهل الطبقات السفلى التي دفعت اخيرا الضريبات الاضافية كافة لاطعام جوع الغزاة ، وان مصادرنا التاريخية تعكس فقط وجهة نظر الطبقات الحاكمة ولكننا رويدا رويدا ابتدأنا بكشف الغطاء عن حقائق عديدة من التجارب والمعاملات الادارية والطبقات غير الرسمية فهي حياة لا تتغير يقاطعها انتفاضات شديدة ، ان هذه المستندات جميعها وافية المعلومات كما كان متوقعا ان تكون في عهد المؤرخين وخاصة مؤرخي الاسلام ، ولقد قام مؤخرا احد زملائنا بتحضير عمل غني بالتفاصيل مظهرا كيف ان نظاما قديما للزراعة بقي طول هذا الزمن في فارس الى يومنا هذا . ان الاسلام الرسمي بما يضمه من قضاة ووعاظ نادرا ما كانوا يميلون نحو الطبقة العامة ، ولقد كانوا دائما بجانب الاقطاعيين حيث ان الطبقة العليا من رجال الدين كانت تملك الاراضي الشاسعة والطبقة الوسطى من رجال الدين وتتكل على السلطات لتوزيع النفقات والمصروفات.

رابعا – من تأثير هذه الظروف تبنى (الاسلام غير الرسمي) قضية الطبقات السفلى متكاتفين اولا مع مؤيدي عهد ما قبل الاسلام واخيرا مع

الصوفية ، وبينما نرى الاحزاب والكتل القوية تهيئ نظماً دقيقة ، وتحافظ على نقـاوة تعاليمهم نجد المعارضة تقود حياة خطرة وتستند الى قبول المصالحات والتحالف وبهذه الطريقة نجد ان الاسلام الفارسي غير الرسمي قد احتفظ دوماً بآثار مختلفة الاجناس والاشكال من الاتصالات التي اصبحت فيما بعد من البدع ولكنها كانت سهلة ومحببة من الجماهير ، ومن الغريب ان وجود احياء تجسد فيهم الروح الالهية قد ساهمت في مساعدة العناصر التي لم تحظ بالعدل على ايدي الطبقة الحاكمة حتى ان الفئة المعتدلة من طبقة الشيعة الرسمية كانت تحتوي على مجموعة من الرموز لجمعيات مختلفة كاتحاد بيت علي مع امراء الساسانيين وآلام الشهداء منهم كل هذا قد جعلها قوية جية اكثر من التعاليم التي في الشريعة الاسلامية .

ان احد زملائنا المحترمين اصدر حكماً مجحفاً بحق الشيعة متهماً اياهم بالسرية فيما يتعلق بايهامهم المعنوي الغير جذاب الطعم واحساساتهم النفسية وعلى كل حال فيجب عدم التكلم عن الاسلام وتفرعاته بصورة منطقية لان فحواه واحداثه تتغير حسب حالات الزمن والمكان فمثلاً في العجم يجب ان يعتبر فوق كل شيء تبدل التاريخ ، فالفرس كانوا غزاة بل مغزوبين بغض النظر عن ازمنة ذات طابع غامض ، فمنذ تاريخ الفتح العربي حتى سنة ١٨٠٠ ظل الفرس محكومين مدة سبعمائة سنة من الاجانب بينما حكموا من قبل ملوك وحكام اهليين مدة اربعمائة سنة ، لذلك فهذا يفسر شعورهم الصحيح وحاجتهم لطلب السرية التامة ، من هذه الناحية وحتى اعمال الاسماعيلية التي استوجبت اللوم قامت بقسط وافر في سبيل وقف الغزاة واصلاح الضغط ولهذا نجد ان الشاه اسماعيل وجد طريقاً سهلة الى قلوب الفرس عندما قام بالقوة المسلحة بتحطيم « الاسلام الرسمي » وليس فقط في غضون /٢٢٢/ سنة من حكم (الصفويين) بل حتى يومنا هذا نجد ان الشيعة بصوتها وندائها المعارض واستشهادها وثورتها تتناسب تماماً مع الخلق الفارسي الذي طبعها بطابعه وكونها بكونه وان مرور تاريخ طويل يختلف تماماً عن تاريخ الشعوب المجاورة .

كرم ملحم كرم

المؤلف القصصي والمنشئ الخصيب

(١٩٠٣ – ١٩٥٩)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

ان ادارة المطبعة الكاثوليكية تستعد لاعادة طبع «معجم المطبوعات العربية والمعرّبة» لمؤلفه المرحوم يوسف اليان سركيس مع زيادات هامة اضافها اليه نجله السيد لويس سركيس.

ورغبة في ان تجهز الكتاب الجديد بسائر ما يمكن معرفته من الكتب التي ظهرت مؤخراً وبالترجمة لاصحابها ارسلت منشوراً الى عدد غير قليل من حملة الاقلام طالبةً اليهم التعليمات عن انفسهم وعن مؤلفاتهم وعن الكتبة المحدثين الذين يمتون اليهم معرفةً وصداقة.

واتت الاجوبة على اسئلة الادارة ومنها جواب السيد كرم ملحم كرم[1].

واننا لم ننتظر طبع «معجم سركيس» المجدد لنضم اليه اللازم مما حرره الينا بيده هذا الكاتب النحرير. ولا نخالنا متطفلين في نشر مقاله على علاته في المشرق طالما ارسله الينا في سبيل النشر وهو المصدر الثقة في الكلام عن نفسه.

كرم ملحم كرم

حياته – مؤلفاته (بخطه)

«وُلد في آذار ١٩٠٣ في دير القمر. ابوه شاهين ابو كرم من مزرعة الشوف. وأمه سوسان بنت يوسف الاسمر من دير القمر.

---

١) ونتمنى لكل من يطالع هذه الاسطر اعتبارها كالمنشور المذكور داعياً الى مساعدتنا في تكملة التعليمات اللازمة لكمال «معجم المطبوعات» ونوجه طلبنا خاصة الى رجال الدين المسيحي سائلينهم ما تسد به الخلل في الكتاب المذكور وقد اهمل (او كاد) في طبعته الاولى ذكر المطبوعات العربية المسيحية الدينية وتراجم اصحابها.

أتم دروسه في معهد الاخوة المريميين في دير القمر وانتقل الى معهدهم في جونيه ليتابعها .

مال منذ حداثته الى الصحافة والادب واحدث فيها اتجاهاً جديداً . واول جريدة انشأ فيها كانت جريدة « دير القمر » لاستاذه في اللغة العربية المرحوم نعوم افرام البستاني . وفي سنة ١٩٢٣ دعي الى جريدة « البرق » في بيروت . وانتقل منها الى « صدى الاحوال » ، ثم الى « الاحوال » ، ثم الى « الاحرار » ، والى « الراية » و« الجوانب » و« الراصد » و« لسان الحال » و« المعرض » و« الارز » و« الاستقلال » وسواها ، حتى لم يبقَ لجريدة مجال العتب عليه . وكان اصدقاؤه يسألونه : اين تشتغل اليوم ؟

وفي مطلع سنة ١٩٢٨ انشأ مجلته القصصية الاسبوعية « الف ليلة وليلة » . ولما بلغ بها « الف ليلة وليلتين » وقف بها عن الصدور ، وقد جاوزت اسمها واستهلكت مجهوده . وسهر لاجلها الليالي يذيب فيها وكده وشبابه .

وفي مطلع سنة ١٩٣٠ انشأ جريدته الاسبوعية الادبية المصورة « العاصفة » ولقد كانت ناراً على الحاكمين وعلى المنحرفين ، فعطلتها السلطة مراراً .

وفي سنة ١٩٣٢ انشأ مجلته القصصية الاخرى « الاسرار » ، ثم جعلها تاريخية . وما تزال تصدر حتى اليوم بهمة الاستاذ فؤاد الميداني ، وقد اصبحت له .

وتولى كرم كتابة هذه المجلات الثلاث وحده . واشرف بنفسه على تنظيمها .

وبعد حرب ١٩٣٩ انصرف الى التأليف القصصي الضخم ، ضارباً صفحاً عن الترجمة ، مع كونه برع فيها حتى تقدم الجميع . واول كتاب من تآليفه ظهر له في سنة ١٩٣٦ ، وهو « صرخة الألم » . وقد صدرت طبعتها الاولى في ١٤٦ صفحة ، وطبعتها الثانية في سنة ١٩٤٩ في ١٩٢ صفحة ، وهي الآن تحت الطبع للمرة الثالثة في ٢١٤ صفحة .

وفي سنة ١٩٣٧ طبع كرم كتابه « المصدور » في ٢١٢ صفحة .

واعاد طبعه للمرة الثانية في سنة ١٩٥٤ في ٢٨٨ صفحة .

وفي سنة ١٩٣٨ صدر له كتاب « اشباح القرية » في ١٩٠ صفحة ، وأعيد طبعه في سنة ١٩٥٦ في ٢٢٤ صفحة ، بهمة مكتبة صادر .

وفي سنة ١٩٣٩ ظهر كتاب « بونا انطون » في ٢٥٦ صفحة .

ونشرت له مكتبة صادر الكتب التالية : دمعة يزيد في سنة ١٩٤٦ .
وأعاد هو طبعها المرة الثانية في منشوراته « الجبل الاخضر » في سنة ١٩٥٤ في ٢٨٩ صفحة .

وقصة « صقر قريش » ، طبعتها مكتبة صادر في سنة ١٩٤٨ في ٢٧٢ صفحة ، ونفدت ، وهي الآن تحت الطبع .

و« قهقهة الجزار » ظهرت في سنة ١٩٥١ في مكتبة صادر ، في ٣٦٥ صفحة .
وفي سنة ١٩٥٢ طبعت له مكتبة صادر قصة « وامعتصماه » في ٢٣٩ صفحة .
وكانت قد طبعت له في سنة ١٩٤٧ قصة « ام البنين » في ٣٥٢ صفحة .
وقصة « انتقام الخيزران » في سنة ١٩٥٧ في ٣٥٠ صفحة .
وقصة « عفراء » في سنة ١٩٥٣ في ٢٥٥ صفحة .
واقاصيص « اطياف من لبنان » في ١٩٥٢ في ٢٥٥ صفحة .
وطبع هو لنفسه في منشوراته « الجبل الاخضر » في سنة ١٩٥٤ قصته « ابو جعفر المنصور » في ٣٥٣ صفحة .
وفي سنة ١٩٥٥ قصته « المجنون » في ٣١٢ صفحة .
وفي سنة ١٩٥٧ قصته « جلّاب الزيزفون » في ٢١٤ صفحة .
ولديه ما لا يقل عن مئة قصة جاهزة للطبع منها « الراهبة هندية » و« المساكين » و« التاعسات » و« يقظة الرماد » و« بنى ذات الطيوب » و« كليوباطرة » ، و« ميسالينا » ، و« الجياع المشردون » ، و« مساخر » ، و« اميرة على الامير » . و« احبان » ، ومعظمها يبلغ خمسئة صفحة واكثر .

وفي سنة ١٩٥٩ نشرت له مجلة « النادي » الحلبية ، كتابه « قطاف العناقيد » في ١٥٠ صفحة . وسيجدد قريباً طبعه في بيروت بما يقارب ٢٠٠ صفحة .

وسبق له ان نشر في كتاب خاص قصة « سركوف ، ملك القرصان » ، لمؤلفها « ارثور برنيد » الكاتب الفرنسي . وقد نشرتها في سنة ١٩٢٧ جريدة « الاحوال » وطبعها الاستاذ سمعان سيف .

ولكرم قصص كثيرة مترجمة . منها « معبر الانين ، وذو القناع الحديدي » و« المركيزة ده بومبادور » لميشال زيفاكو القصاص الفرنسي .

ومنها « فرخة النسر » للمؤلف « ارثور برنيد » . ومنها الجزءان الاولان من قصة « روكامبول » للقصاص الفرنسي « بونسو دي تيراي » . وسواهما ، ولو جئنا نحصي ما كتب كرم وترجم لاحتجنا الى وقت طويل وقد بزّ في ما انشأ ونضل جميع المنشئين في الشرق والغرب .

وله في الاعداد كتاب « أف للناس ! » . وهو بحث في علم النفس يقول فيه كرم انه خير ما انشأ .

وسرعة قلمه مشهورة . فيؤلف الكتاب برمته في اسبوع او اسبوعين اذا شاء باسلوب رائع ، فريد ، وتوجيه سديد .

وقد اعطى المثل على ان الدماغ الشرقي سيّال كالدماغ الغربي . وليس للقلم في يمين الكاتب الشرقي ان يستسلم الى الجمود .

واصابه الداء فقعد عن العمل مكرهاً . وما يزال الحنين الى القلم ملء جوانحه . فينصرف اليه على غفلة من اهل بيته وقد منعه الاطباء من الاعتكاف على الكتابة والتأليف . وهو من وطد للقصة العربية الحديثة وروّج لها فشبت بهمته ، برجلين قويتين ، راسختين .

ولم نعرف قبله كاتباً بمثل هذا النشاط العجيب .

تزوج في سنة ١٩٢٩ ابنة خاله اميلي بنت خليل يوسف الاسمر ، من دير القمر ، ورزق منها اربعة اولاد ، صبيين وابنتين ، عصام وملحم وعروس وسها .

وقام في سنة ١٩٤٥ برحلة الى فلسطين بدعوة من محطة الشرق الادنى في يافا ، وزار القدس ، وكنيسة القيامة ، والقبة ، والمسجد الاقصى . »

*

من مؤلفات كرم لم اقرأ الا خمسة ، ذكرت في اللائحة السابقة ، وواحداً لم يذكر فيها . وعنوانه « الضفاف الحمر » .

(طبع دار المعارف بمصر ١٩٥١ ص ٣٦٣ ق ١٢)

واني لاكتفي بها لتقدير قيم المؤلف في التاريخ والانشاء . فالخصها معلقاً عليها ما اقتطفه من طياتها نماذج يقتبس فيها القارئ شعلة يستضيء بها في الاطلاع على سائر ما كتبه هذا الرجل المقتدر التعيب المتفاني في احياء الفن القصصي للناطقين بالضاد .

واقول من ثم رأيي فيما لا بد من قوله عنه تجاه مبادي الادب الصحيح والذوق السليم .

ام البنين

هي ابنة عبد العزيز وزوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك الاموي . اقام على العرش من ٧٠٥ الى ٧١٥ وكان قد تجاوز الثلاثين من عمره عرف بميله الى المظالم والتظاهر بالتمسك بالدين .

وان زوجته « ام البنين » طلبت اليه الاذن في الحج . فزودها بكل ما يجب تزويده الملكة اذا ما سافرت لقضاء الواجب الديني. ولكن على طريقها من دمشق الى مكة والمدينة وفي اقامتها بالحرمين ملتقى الشعراء واخصهم عمر بن ابي ربيعة ووضاح اليمن. وكانت نساء الاكابر يقربنها اليهن ويتطلبن اليها نشيد الاشعار مديحاً لصفاتهن . وتعشق ام البنين الشاعر وضاح اليمن وتخبئه في صندوق ويطلع على تصرفها زوجها الخليفة فيقتل الشاعر .

وقد جاءت الرواية في كتاب الاغاني (٦ : ٣٢-٤٦) وهي تاريخية .

فاخذها كرم واعمل فيها القلم متوسعاً في وصف دمشق ومكة وطريق الحج وتصرفات الناس فيه وللنساء دورهن في المنافسة على اكتساب عواطف الشعراء ومديحهم .

وكان وضاح اليمن عاهد روضة ابنة مصعب التاجر على ان يتزوجها وحال دون قرانها عناد مصعب وبخله فتموت روضة في مستشفى المجذومين ويموت عشيقها في « صندوق » ام البنين .

ومن جميل ما جاء في الكتاب بوصف الشاعر (ص ١٠٠ سطر ١١) .

« فليس بالحقير المتهتك الحرمة ، ولا بالفقير المتعاوي على الشحالة ، وفي صدره روح يقصر عن ادراك شأوه ذو الهمة المستطيلة ، وفي جنانه ثروة لا يجري في صيدها بيت مال امير المؤمنين . ان الخليفة المنشور اللواء فينا ، يتمنى على جلالته ، لو يمد بعرشه موهبة وضاح اليمن . فمن نتتي بشعره الحواضر والبيد ، لا يزدرى ، ولا يُهان . ان امنع خدر ليشتهي ان يفتح منافذه للشاعر الرابع بعرش كلما اطلق قافية . . . »

صقر قريش

« هو لقب الامير الاموي عبد الرحمن الاول « الداخل » فرّ من مذابح بني العباس الى الاندلس سنة ٧٥٠ واسس في قرطبة دولة عربية سنة ٧٥٦ وهو باني جامعها الشهير . زاحم المنصور العباسي على الخلافة . حارب شارلمان . ادخل القبائل بطاعته » .

تلك خلاصة كتاب جاء في ٢٧٢ صفحة كأنها الرواية التمثيلية تنجلي على مسرحها بين فصل وفصل وستار يرتفع وستار ينسدل مظاهر اشخاص يمثلون ادوارهم بانيق الحركة واجمل الوقائع واروعها .

ولعل هذا الكتاب وقد تتجدد طبعته هو الذ ما تروق مطالعته عرب المغرب وفيه يقرأون اخبار صلتهم بالعالم العربي الشرقي وفيه للنساء كما في سائر قصص كرم ملحم كرم دورهن في انعاش العواطف النبيلة فيعزين وقت الحزن ويكرمن الضيف ويشجعن على القيام بالاعمال العظام . اليك ما اختصرته من وصف المعركة بين عبد الرحمن والاسود (ص ١٧٥–١٧٩) .

وعلا زئير خشن ملأ الصحراء.. ثلاثة من الاسود المفتوحة الأشداق تطلق الحمم اشبه ببراكين سيارة .

فصاحت زينب : عبد الرحمن ، هذا سيف عمك فانقذ به نفسك.

وعبد الرحمن وراءها على بعيره فرمته بالسيف فوقع في قبضته. فانتضاه... واقتحم الشر اليهم لا يأبه لهول الواقعة ... فقتل اسدين .. ولكن الاسد (الثالث) نهش بانيابه كتف عبد الرحمن . فزعزعت النهشة الفتى الاموي فشحب لونه ونزف دمه وصيبت يده بخدر كاد يشلها . . وتمثل الجسم ميتة واذا ضربة سيف تطلق هامة الاسد فيتدحرج ملك القفار على مقربة من الامير الاموي . والتفت الركب الى الضارب فاذ هو الفارس المنقض من اعماق الصحراء كالسيل الوارف « وانسوس » الزعيم البربري حليف عبد الرحمن .

قهرمة الجزار

« قصة صفحاتها ٣١٥ تجري وقائعها بين دير القمر وصيدا وبيروت ودمشق في اواخر القرن الثامن عشر وبطلها «الجزار» البوسني الاصل الذي فتك بالمماليك في مصر فاستحق اسمه لبطشه وشراسته ومن غريب امره انه كان في اشد المواقف حراجة بقهقه كأنه يهزأ بالقضاء.

وقد وثق الى الضبط على زمام الحكم في لبنان ولا ينال من صلابته الا المال او الجمال اذا ما لاح له وميضه في ايدي الامراء او بين حريم القصور » .

وقال كرم في وصف المماليك عن لسان الجزار (ص ٢٦—٢٧) :

« واقد نحن المماليك قوم لا حفاظ بيننا . . . وماذا يرتجى من جماعة لا نوثق بعضهـا ببعض وشيجة قربى ولا مصلحة وطن؟ . . . فلسنا غير خليط من الناس اشتراهم سادتهم بالذهب . وما تحررنا من ربقة اوليائنا حتى سعينا للتطاحن والاستئثار بالسلطان . والاقوى فينـا من ذهب بالقوي والضعيف معاً . ان عددنا في مصر ليزيـد على عشرة آلاف . وكلنا يتقاضى المال من مراتب يشغلها ويختلف بعضها عن بعضها شأواً . الا ان صغيرنا لا يحجم عن افتراس كبيرنا اذا سنحت له فرصة الفتح . وكبيرنا لا يطيق من هم دونه لئلا يكيدوا له .. فعلينا ان نحترس من كل منا كأن الركون بعضنا الى بعض محال . . . »

الضّنّاك الحمر

« مرة » ابنة ثياس ملك اشور مولعة بابيها وتبوح بولهها لفيروز الوصيفة الفارسية وهذه تشبك الرابطة الذميمة بين الابنة وابيها وتغره على افتراسهـا محجوبة بظلام الليل دون ان يعرف انها ابنته . وتحبل منه وتفر من القصر وتجتاز نهر دجلة وتتيه في الصحراء وتقطع الفرات وتبلغ حدود الشام وتلد ابنها .

وما الطف وابهى ما كتبه كرم ملحم كرم في الام وطفلهـا والحنان المتبادل بينها وبين الظباء . (ص ١٠٢—١٤٣) .

[وطارد الصيادون الظباء واتلفوها].

« ولاح لمرّة انها اشفت على تخوم الحدثان وليس من شفيع لها الى النجاة . . . وخلع كبدها ان يتلاشى طفلها على مرأى منها فحملته وزحفت به الى دنيا الانتعاش ووهبت لهـا الامومة المجاهدة قوة على درء النازلة . . . لكنها هوت في الارض كالناقة النزيف واحست بالموت يرين عليها . ومخافة ان يباني طفلها مصيرها تناولت من شعرها دبوساً وخزت بـه ثديها فليشرب ابنها دمها واباحت للصغير ما يسيل منها من نجيع فامتص الطفل دم امه وارتوى واذا به يزقزق كالعصفور الغريد على حين انطبقت اهداب امه الى الابد » . (ص١٤٧—١٤٨)

وان بنات بيباوس في رحلة الى بر الشام يقعن على الام الميتة وعلى طفلها الحي . فيدفن الام ويحتضن الولد ويسمينه ادونيس . وينشأ الغلام في رعاية الابنتين عشتاروت (الزهرة) وبروزربين (وكلاهما من معبودات الوثنية الفينيقية

اليونانية) ويعشقانه حين يبلغ سن المراهقة ويعون ضحية منافستها عليه فيقتله خنزير بري ويصطبغ بدمه نهر بيبلوس .

ومعروف ان نهر ابراهيم (نهر بيبلوس) يشحن (وكذلك نهر الكلب) رمالاً حمراء من اعالي الجبل الى البحر وعد بها جريانه في لجة البحر مياهاً مصطبغة باحمرار الرمال حتى في يومنا . والى ذلك اشار المؤلف متفنناً متصرفاً بالاسطورة التاريخية المشهورة عن ميتة ادونيس ، قال :

« دم البكارة في الهيكل ودم المقتول في النهر عنوان لافجع كارثة هيام كتبها الحب البائس بالنجيع . واذا امسك عبدة هيكل « عشتروت » عن ارتياد اعالي افقا للنواح على الفتى الاغر ، المرضوض المهجة ، الذابل في شرخ الانبثاق ، فالضفاف اللهاف لا تنقطع حتى أبد الابد في كل سنة من موعد النازلة ، عن الاصطباغ باحمرار الدم توجعاً على « ادونيس » الحبيب ، فان نهر « بيبلوس» المذكور ليصب حتى المنتهى دمه القاني النياعاً على من اخترمه الموت شهيداً رخيصاً ، من اصابه شدة الفترة ، وحام اوصاله نداوة البهاء » (ص ٣٦٣) .

وا معتصماه

في ٨٣٣ م ٢١٨ هـ مات المأمون فخلفه المعتصم واختلفت المبايعة عليه . فيطالب العباس ابن اخيه المأمون بالخلافة وينقسم الجيش وقواده على العم وابن اخيه . ومن مناصري العباس القائد عجيف بن عنبسة ومن المتراوحين بين المعتصم والعباس القائد افشين . وتنشب الحروب شرقاً في بلاد فارس وموقد نارها بابك الخرمي وشمالاً تاوفيل امبراطور بيزنطية وتتغلغل الفتنة في مصاف الزط في بغداد فيغتصب المعتصم سكانها ويتحول منها الى سرى من رأى . ويتدخل بما لا يعنيه من شؤون الدين فيضطهد الامام الوقور ابن حنبل القائل بان القرآن غير مخلوق . هذه وغيرها من الحوادث التاريخية الراهنة يبحثها المؤلف ويتناولها بيد صنعة ماهرة ويعرضها باسلوب روائي فتان زادت بهجته النجوم الزاهرات من فتيات العرب : « نوران » ابنة عجيف الفريدة بصفاتها الخلابة الآخذة باعجاب القراء في وفائها نحو خطيبها العباس ابن المأمون فتساعده في المشقات التي احتملها للدفاع عن العرش العربي وعن رجاوتها في الجلوس عليه زوجة وملكة . وريحانة ابنة ابراهيم عم المعتصم وقد وقعت اسيرة في ايدي الروم فاهانوها وسجنوها

مستغيثة بمها الخليفة بصيحتها التاريخية «وامعتصماه» فيبلغ صداهـا الى آذان الخليفة ويجهز الحملة العرمرمية ويجتاح بلاد الاناضول فيفتح زبطرة وملطيـة وانقرة ويطوق بجيوشه عمورية ويبتدي بالحيلة الى ثلمة في اسوارها فيدخلهـا ظافرًا . وهمّ بالرجوع الى سرّ من رأى .

وهمّ بالرجوع الى سرّ من رأى . ولكنه تذكر ابنة عمه ريحانة . استنجدت به من الروم وبابها على الانقاذ . والشرف والاباء يقدران عليه درء البلية عنها . فلن تذهب هدرًا صيحته : «لبيكِ ، لبيكِ !» ، فيا تستصرخه ريحانة : وامعتصماه !

وقفت عليه نخوته بالنجدة . لن يبرح عمورية الا وابنة عمه ابراهيم بجانبه ، في هودجها المنيف . فهي دليله على قهر اعدائه . وصرخ بالقادة الروم الواقفين بين يديه في ضراعة المستغيث : ولكن لم تدفعوا اليّ ابنة عمي ، وقد لطمها في زبطرة أحد اعلاجكم وأسرتموها . فأين هي ريحانة ؟ . . . إني لاريدها سليمة من الخدش . إحملوهـا اليّ الساعة ، اذا كنتم تحرصون على هاماتكم !

وما ندّ عن قادة الروم أمر ريحانة ، الفتاة الهاشمية الثاوية بالاسر ، وهي اول من سقط في أيامهم من العرب ، في طفرة التحدي . وما تجرأوا في حضرة المعتصم على الالتفات بعضهم الى بعض ، لفرط الهيبة . وجمجم أحدهم ، بلهجة مغلولة الغرب ، ينفذ بهـا نفسه واخوانه من نقمة ابي إسحق : هي في أعماق حصن الملك ، يا أمير المؤمنين !

فأرهف المعتصم باذ أذنيه . واستدارت عيناه . وجلجل : أهي في حصن الملك ، لا أبا لك ؟ . . . ولكني درته بيدي ، وما أبقيت فيه مدماكًا . أأكون دفنتها في غياهبه ؟

وهاله ما يسمع . وأوجمه ما أقدم عليه . وصاح برهط من رجاله : دونكم هـذا الاسير . إنطلقوا به الى حصن الملك . ونقبوا في الانقاض عن ريحانة ، ابنـة عمي ابرهيم . غوروا في المطاوي في التفحص عن المستجيرة بنا . ثا خفنا ، لولاها ، هذه الحرب الطحون !

وأغار رجال المعتصم على أنقاض حصن المنصم يرفعونها . واتسع لهم فيها الى سلالم من حجر ، تشق كبد الارض ، وتنتهي الى دهاليز وسراديب انتصبت دونها أبواب ضخام ، من صفيق الحديد . فحطموا اقفالها بالمطارق . وفتحوها وتنقلوا في أنفاقها ، يبحثون فيها عن اشلاء الاسرى . وانتهى الى مسامعهم انين الاحتضار ، كأنهم في أرماس لا تزال الحياة تصارع فيها شراسة الموت . وهفو الى هؤلاء المحشرجين يرفعونهم بين ايديهم ، ويتبينون على ضوء المشاعل أساريرهم ، مستوضحين كل من يقعون عليه : ألنتِ ريحانة بنت ابرهيم ؟

وانقذوا العشرات من هؤلاء المحكوم عليهم بالاختناق في بطون الدياميس . ولكنهم ما اهتدوا الى ريحانة . ورهبوا نقمة الخليفة . فأمسكوا بخناق القائد الاسير ، صائحين به : أين ابنة عم امير المؤمنين ؟ . . . أين هي ، والا بات هذا النور لك جدثًا ؟

فأبان بارناش المصدوع اللب : أعرف أنها هنا . انا قائد هذا الحصن . وقـد توليت بنفسي رعاية الفتاة الهاشمية . وكنت امنع عنها صولة التعدي ، وأنوش فيها ذاوي الرجاء !

وجدّ في البحث عن مقرها . واذا به يصيح وقد وقف تجاه باب من الحديد أكله الصدأ : إفتحوا هذا الباب !

فحطموا القفل مستنبئين بزمجرة الحنق : أهي في هذا الدهاس ؟

فأعلن بثقة وطيدة يا يدي : هي فيه !

فدخلوا ، وعلى شفاههم يطفو زبد الجهد والوعيد ، صاهلين : اذا لم نسقط عليها فسنكبلك بالقيود ، ونبقيك في هذا السجن حتى تجفّ فيك مواهة الروح !

وأنارت مشاعلهم الكهف . وأداروا ابصارهم في كل ناحية ، فما لاح لهم مخلوق . بلى ، تبينوا ، في احدى الزوايا ، يدًا هزيلة ، تجتهد في ان تستر نفسها بحصير مشدد الثقوب ، منسول الخيوط . فمشوا اليها ورفعوا عنها الحصير . فعلا صوت امرأة يترنح ، ويسترحم بلسان عربي لا رطانة فيه : عفوكم ، أصبحتُ لا أطيق !

فأيقنوا انها ريحانة . وهتفوا بها : أريحانة انتِ ؟ . . . أإبنة عم امير المؤمنين .

ولاحت لابي اسحق ، فجمدت عليها عيناه بذهول . أهي هي ريحانـة ، ذات النضارة الريّا ، والصباحة المخضلة ؟ . . . وأنكر انها هي . وصاح بالتياع : ألا منَ أنت ؟ . . . أأنتِ ريحانة . . . ابنة عمي ؟

نخشعت وقد أمست بين يديه . وزفرت . وقالت بصوت عليل ، تشيع في الحسرة : أنا هي ريحانة ، يا امير المؤمنين . ريحانة ابنة عمك ، وقد أذاقها العلوج ، من ضروب القهر ، ما كادت تشرف به على المنية . إنها جثة يلوكها القبر ، ويوشك ان يبتلعها . ولكن رحمة الله لا تزال ندية ، واسعة يا أبا إسحق !

وانتحبت وولولت : وامعتصماه !

فصاح : لبيك ، لبيك !

ومال عليها يعانقها . وضمها الى صدره على مرأى من جميع من تضوم المكان . هـذه ابنة عمه ، وانه ليحنو عليها كما يحنو على أخته وابنته (ص ٢٨٣–٢٨٨) .

*

تلك خلاصة الحوادث التاريخية اما مجالها في عالم الخيـال فواسع خلاب يذكر باحسن ما جادت به قرائح الكتاب القصصيين في تحليـل نشأة الحب الشريف ومقدرته في قلوب ابطاله على اقتحام المخاطر وتذليـل الصعاب فاذا اضطرمت نار الحروب فكانت نوران شعلتها الوقادة على امل ان يهلك فيـها المعتصم وابوها يساعدها في دس الدسائس انتصارًا للعباس بن المأمون لكنـه

يموت وتموت نوران امينة على وعودها نحوه فهي « الوردة على القبر » وبهذه العبارة عنون كرم الجزء الثاني من هذه الرواية .

الطياف من لبنان

هذا الكتاب يحوي ست قصص .

١ً النهد الكذوب :

ليس الا الكتلة من القطن حشا بها صدره « نديم » الفتى وبها تنكر بزي اخته « راجحة » فاستهوى ساعة « شكيب افندي » العميل للاتراك في بسكنتا الذي تهدد « راجحة » ان لم تسلمه ذاتها بان يتهم اهلها بالخيانة ويعرضهم لنقمة جمال باشا . وبينما كان شكيب يغانج ذات « النهد الكذوب » دخل الحلفاء لبنان في نهاية الحرب الكبرى الاولى وافرجوا عن سكانه ولاذ شكيب بالفرار . وتزوجت راجحة « بناضر عون » الطبيب الشاب الذي كان اوى الى بسكنتا متنكرًا بزي الراعي .

ومن اقوال كرم ملحم كرم عن لسان ناضر عون (ص ١٩) :

« ان لبنان ما افترج ، ولن يفترج ، بالسلطنة العثمانية ، وما زال منذ قيامه مستقلاً عنها . والدولة العثمانية نفسها لم تهتد الى هذا الاندماج ، وقد سارت على التناقض [illegible] العرب جميعاً . ولبنان ، وهو صفحة من الاقطار العربية ، لن يصبر على العدوان . فلا بد ان يستعيد سيادته ويتولى [illegible] كما كانت الحال في عهود الامارة . . . ولا بأس على ان [illegible] وقد شهدنا وحدة الترك » . .

٢ً شريعة الغاب :

ما اشبه هذه القصة بقصة شيان وررودريك في مأساة « السيد » للشاعر الافرنسي كورنايل لولا نهايتها التعيسة : « يوسف مسعود » الشاب المتعجرف يقتل الشيخ سرحان ابا خطيبته «صفية » بعد ان اهانه الشيخ بصفعة على وجهه . ويلوذ القاتل بالفرار الى كهوف الباروك ويندم على ما فعل ويلتقي بيونس الاعرج راعي الغنم ويسأله ان يستحضر اليه صفية فتحضر على امل الصلح والوفاق

والزفاف ولكن قلبها يتقطع بين حبها لخطيبها وما تراه واجباً عليها في الانتقام لابيها فتحتال وتراوغ وتقتل يوسف مسعود وهو نائم .

قال كرم (ص ١٢٨) :

« وصعدت صفية الى النوم فهي في عياء ناهك . ويوسف مسعود لقى اغفاءة الاطمئنان . لقي الكنز المفقود . على ان صفية تحفزت للاستواء وهي تسمع رفيقها في شخير . التفتت اليه وتذكرت بينها [بالثأر] . ليس بجانبها حبيبها بل قاتل أبيها وجاشت في ضميرها شريعة الغاب ' المسيطرة في هاتيك القمم على الارواح . رأس برأس وعنق بعنق . ولاحت لها بندقية يوسف مسعود بقربه . واستجلت موقفها . ما جاءت لتغفر بل لتنتقم . احتالت على يوسف بالعفو والرضى به زوجاً كي تأخذه بجريرته . . . مالت على يوسف مسعود النائم على طمأنينة فتناولت البندقية المضطجعة البطل بقربه وسددتها فوراً الى صدر القاتل لا تلتفت الى معارضة قلبها وضغطت القادح . . . قضى يوسف مسعود فلتنتعش عظام نجم سرحان في مثواها . . . »

اقول وما ابعد هذه النهاية عن نهاية رواية كورنايل وفيها شيان لا تخادع وتبتعد عن عشيقها الى ان يصلح بينهما « الزمان والملك » فهي شريعة الشهامة والفروسية لا شريعة الغاب .

٣ عيد الميلاد

احمد المسكوبي يتزوج شادية المخزومي . طالت الايام ولم يرزق منها ولداً . ولم يطلقها ولم يتزوج عليها غيرها ويفترق من امه واخته ويسكن في حيّ الناصرة بيتاً بجواره عائلة مسيحية لها ابنة اسمها سعاد . وتشكو شادية عقمها لسعاد فتزور مع سعاد يسوع الطفل في عيد الميلاد في احدى الكنائس وبعد تلك الزيارة ترزق لبنة وتسميها رجاء . وتزوجت سعاد وسافرت الى البرازيل وعادت بعد ١٢ سنة وهي ارملة فقيرة مع ابنتها ندى . وتلتقي ندى في المدرسة مع رجاء وبواسطة ندى ورجاء تتعرف شادية الى سعاد صديقتها القديمة وتعيلها في محنتها . وقد تذكر هذه الحكاية بما رواه فيكتور هوغو في قصة اكواخ الفقراء (Les pauvres gens) .

ووصف كرم ملحم كرم كيف اهتدت شادية الى زيارة الميلاد قال :

سألت سعاد شادية :

ما رأيك في النصرانية وانت تدينين بالاسلام؟

فنطقت بالاية الرؤوم : « ولتجدن اقربهم الى الذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى» . . .

فاغتبطت سعاد بما تسمع واستعجلت : وهل تلبينني الى الكنائس اذا دعوتك الى المثول فيها ؟

– الكنائس كالمساجد بيوت الله ونحن المسلمين نرتاد كل مكان يعبد فيه الرحمن .

فابدت سعاد بمستفيض البشاشة : غداً عيد الميلاد عندنا ، نحن المسيحيين ، وفيه ينبثق يسوع ابن مريم فهل لك ان نرتاد الكنائس معاً وان نجثو امام الذود وان ترتفع شفاهنا بالصلاة للطفل يسوع كي يجود عليك بولد يمث في منزلك النبطة .

فانطلقت الى الكنائس تجثو امام مذود البقر وقد غرق فيه الطفل يسوع يتوسد التبن والقش وبثه المجاورات الدفء فتقيه الزمهرير . وانحنت شادية امام ابن مريم تلتمس منه الحدب عليها وانصافها من زمنها . وشاقها ان تجد حولها افواج المصلين يقرعون صدورهم طالبين الرحمة فاقتدت بهم في قرع الصدور وفي الترجي . حتى انها كانت تخلع حذاءها عند عتبة الكنيسة وتدخل حافية مستطفة خيراً وتجلى فيها الخشوع والتهب بحرارة الايمان كأن ثمة ما ينبئها بان دعوتها مستجابة . . .

ولم يكن الشهر يزم ايامه حتى احست شادية بان فيها شيئاً يتبدل . . .

٤ – عرس في قرية

«جميل» راعي غنم يعشق «ناهدة» الفتاة و«ناهدة» تعشقه . وابى ابوها الا ان يزفها الى «سعيد» الكهل المثري في المكسيك . فيأتي سعيد بناهدة الى بيته ويريد اغتصابها فتشرب السم وتموت بينما يطعن جميل سعيداً بالخنجر ويقتله ثم يهرب من القرية ولا يعود اليها الا بعد ١٥ عاماً فيزور قبر ناهده ويبكي . ومن رائع ما كتبه كرم في هذه القصة وصف « العرس في القرية » (ص٢٠٠) .

« الخبز في التنور تلة على تلة ، ودق الكبة كالاهازيج ، كلاهما بتوالى . ورقص « الدبكة » حلقات تلو حلقات . ومزامير القصب تطلع بشجي انغامها ، فيثور لحنها القلب الخلي . والعرق يملأ الكؤوس . وشرب الانخاب كيل جحاف : حباً !

– صحتين وناهدة على دكة عرسها مثالها على مرتبة نسها . . . »

٥ – زلفاء اخت الصخور

احتدم الخصام في مزرعة الشوف حول الاعيب في ساحة القرية « اذ تصاول

الشبال المغاوير في رفع جرن ضخم » وفي هذه المعمعة زلفا. امرأة قاسم الدرزية تنظر الى شاهين الشاب المسيحي وينظر اليها وتقع بينهما علاقات وداد لم تتجاوز حدود الاحتشام في ذلك الحب الافلاطوني .

ويعيل شاهين زلفا. وآلها في ايام الضيق وزلفا. تحامي عن شاهين واسرته في حوادث الستين المشؤومة .

قال كرم (ص ٢٢١) :

« واذا لبنان يتنكر جوه . فتبددت فيه الايام الساه واطلت الربد العجاف . هذه هي السنة الالف والثمانة والستون . فما تذوّق اللبنانيون من رغد ، وألفة ، اذابوه في هذه السنة الحمراء . فالشقاق ثار فيهم . وعرفوا انهم دروز ونصارى ، وكانوا يجهلون انطباعهم على فواصل الدين . ولم يكن من مصلحة الدول ان يسعد لبنان بوحدة بنيه ، فامتدت الايدي الى الصدور تحزها . وغاصت الخناجر بالمناجر . فالشمس اعتلت يوم ذاك وقد اثخن لبنان جراحاً . ولطمت عذارى الجبل وجوههن خيبة والتياعاً . وتجهم الافق الموشى بالورود . فتنكر الاخ لاخيه . وقد فتنها الواشي بالمقال الكذوب . وخضبها الدم البريء فصارت الاخوة الى الوأد ، والمودة طواها الديجور » .

٦ جهاز العروس

العروس فقيرة فمن يجهزها للزواج ؟ وابوها وامها واخوتها يرتون مسلولين، ان الكاهن يبيع هدية دير القمر اليه : سلسلته الذهبية وصليبه وخاتمه وبثمنها يجهز العروس الفقيرة .

والكاهن هو الاب بشارة مراد المخلصي الذي مات برائحة القداسة وهو مدفون اليوم في دير المخلص شرقي صيدا . وقد عرفه كاتب هذا المقال يقضي الساعات الطوال في سماع الاعترافات ايام الرياضات في الكنائس .

وعلى ذكر « بونا بشارة » يختم المؤلف كتاب « اطياف لبنان » وكأني بكرم ملحم كرم اراد ان يخلد اسمه هو الصحافي المقتدر والقصصي المبتدع لا بما سود به الوف الصفحات المبتذلة المطروحة على ارصفة المدن فيما يعرضه الباعة في الاسواق من حكايات بوليسية غرامية ولكن بهذه القصة وهي آية من آيات الفن مسطرة بقلم مسيحي .

وقد قلد كرم ملحم كرم قيمتها فصدرها بهذه الصفحة السجدية نرويها بحرفها:

الى ابنتي سوسّن وميا :

سأبنتي يا سوسن ، عن كتاب أهدي اليك . ذا وقعتُ على خبر من هذه « الاطياف » العابقة بالطهر ، والفداء ، ازجيها الى روحك النضير . فهي من عندنا ، من لبنان . ولقد خلعت عليها ، من صفاء الطابع ، ما لا يعدو الحق ، وما لا يتنكر لخلقك الوديع الابيّ .

وشئتُ ، ان تكون اختك ميا ، شريكتك في الهدية . فيتكافأ الفضل ، وتتساوى المنحة . وما كانت ميا الا عديلة لك في نبل الهزة ، ونصاعة الاحدوثة . وحسبي ان تردان هذه الريحانة الندّية ، هاتان نتيّتان ، تتنافخان في الغفة ، وتتحيان في المتّة . ويطيب للبنفسجة ، وهي اخت الزنبقة ، ان تجمعها طاقة واحدة ، وان توحّد بينها رفاقة الطريق .

ان في « اطياف لبنان » فوح شذا ، وروتق حفاظ . وما اصبو الى ما برجع هاتين الختين ، الزكيتين في ترصيع اباكما البيض .

المؤرخ القصصي

من لائحة الكتب التي ذكرها كرم المنشورة عنه سابقاً ومن وصف الكتب الستة التي توأتاها تتجلى معارف المؤلف الواسعة وتضلعه من تاريخ الشرق عامة ومن تاريخ لبنان خاصة. فدرس الاعلام واخبارهم والايام وتطوراتها في عهد اشور واتصالها بصحراء الشام وجبال لبنان وسواحله . (الخفاق الحر) وتبحر في تحليل الشخصيات التاريخية في الدول العربية المخضرمة (الاموية (ام البنين) والعباسية (وامعتصماه) والاندلسية (صقر قريش) والتركية في عهد المماليك (قبقبة الخزر) . في حياة لبنان المستقلة الطائفية (اطياف لبنان).

ويحرص كل الحرص على ابراز ابطال رواياته بجلتهم التاريخية زماناً ومكاناً فاستاذهم تتصدر الحوادث والاخبار كما جاءت اجمالا في التاريخ واذ يتفق في اضافة اسماء النساء الى اسماء الرجال فذلك دور من ادوار القصص التي تنتهي ولا بد منها الا ان تنتهي بالزواج فتظهر التواني على مختلف الطبقات الاجتماعية بين العروس وآلها والوصيفة واعمالها ، متعة للخيال ومتسعاً لتوالي الظروف المهيئة لانجلاء الآراء واحتكاك النزعات وتبادل العواطف . وقد ابدع في ذلك كرم اي ابداع . فيشغلك في الصفحات الطوال بما يتحدث به المتكلم لا مع غيره فقط ولكن مع نفسه ايضاً اذ يناجيها ويزن في عقله بين المرجح والممكن

والمفيد والمضر فيكاد يذهب بك الى عالم تظنه الواقعي واذ هو في الخيال لا غير .

مثال ذلك ما جاء في «الضفاف» عن هواجس تياس ١١٥—١١٩
وعن مرة اذ تحدث نفسها بالانتحار ١٣٢
وفي « اطياف » ٨١—٨٢ و٩٨ وقد يكثر المؤلفون الغربيون من هذا النوع من التأليف .

*

لقد تشبع كرم ملحم كرم من الثقافة الافرنسية بدرسه في معاهد الاخوة المريميين ثم في اشتغاله بالتعريب . وقد ذكرتنا صفحاته التي قرأناها باحسن ما كتبه رينه بازان (René Bazin) وصفاً للمناظر الطبيعية وارق ما سطره پول بورجه (Paul Bourget) تحليلاً للحوادث النفسية وللشهوات الامارة بالسوء . مع انتفاض الانفس الابية دون العاطفة الدنية لترتفع الى صعيد كرامة ربما ادت الى البطولة والاستشهاد في سبيل الشرف والمروءات والمثال في ذلك صيحة « وامعتصماه » وتلبية المعتصم اليها . والوفاء المتبادل بين العباس ونوران . والاقدام على اقتحام الصعاب وقهر الشدائد في سيرة « صقر قريش » وصراعه مع الاسود وغير ذلك مما يدعو الى اقتفاء آثار الفضيلة فضلاً عن ذم اضدادها اذ ما ظهر « مصب ابو روضة » بخيلاً شحيحاً لا يرتضي بزواج ابنته الى وضاح لانه يستقل قيمته المادية .

ونرى في كتبه شيئاً من وصف المؤلف لحالة القلب بعقل ابن مرة . ونعدو القراء الى التمتع بقراءة ما يجود به قلم كرم ملحم كرم اذا تكلم عن مدنية العصور القديمة في اشور وعن بهاء الطبيعة وعظمتها في الصحراء او على شواطئ المتوسط او تفنن في تنسيق الظروف المؤاتية الى الجلاء كوامن العواطف والنزعات بين السيد والعبد وبين العاشق والمعشوق وبين القائد والجندي فنسير واياه متتبعين الحملات الحربية في الاناضول وفي المغرب ونتعرف الى قبائل الزط في ما بين النهرين والبربر في افريقيا (وامعتصماه . صقر قريش).

على ان مديحنا يتابعه نقد لا بد منه اشارة لما نتمنى اصلاحه في مؤلفات كرم فتأتي بالمطلوب ويتصفحها الخاصة والعامة وطلاب المدارس ولا يشوبها نقص .

فالنقص الاخلاقي فيما يظهر على لسان من يتكلمون في سبيل غايات ممقوتة: « كفيروز » اذا دعت « مرة » الى الخطايا واذا حبلت « مرة » من ابيها فتأتي « فيروز » على وصف حالتها وصفاً وحشاً رديئاً سهياً وقد يزيدنا اشمئزازاً فيه وفي ما يشبهه ابتذال كلمة العذراء والام العذراء! . . وما ابعد هذا المعنى بقرائنه مع ما نألفه بلغتنا المسيحية .

نعم ان « فيروز » ستموت غير مأسوف عليها وفي ميتتها الشنعاء قصاص سلوكها الممقوت وهذا المصير يشفع بعض الشفاعة بما كتبه عنها المؤلف وقد بيّن باجلى تبيان ان الشر عاقبته وخيمة ويدعو من ثم الى تجنب الشر ولكن هذه الدعاية التي يستنتجها القارئ « اللبيب » ليست في متناول سائر القراء وان ما يتأثرون به من مطالعة صفحات طويلة عريضة مسطرة باوصاف الشهوات الردية ومظاهرها وحركاتها قد يثير امثالها في النفوس ، فتضر ، ولاّ بد من حيال اولياء الامر دون ان يتركوا هذه الرواية وامثالها جزافاً بين ايدي الطلاب وقد يأتي المؤلف في اقوال ابطال الرواية بما يلامون عليه فلا بد من التنبيه عليه ونقده كقول القائد عجيف للعباس ابن المأمون : (وامعتصماه ص ١٣) :

لو تقلبت مثلي في حوادث الزمن ، يا عباس ، لعلمت من امر الاحتيال على ادراك البغية ما يذلل كل خصومة الاعداء . . . فالداهية من اجاز لنفسه ركوب كل حرام وصاف في الوصول الى هدفه اكره اعدائه ، حتى اذا ما ساد ابعد عنه عصبة الاشرار بسمة الحيلة . والصدق وبال على صاحبه واذا كنت اتفادى من الكذب في ديني فاني لاقره في معاملة الناس . »

فان هذا الكلام وامثاله يأتي مرادفاً للمثل السائر « الحرب خدعة » . . . ولكن ليس كل غاية مبررة للواسطة .

الاديب والمنشئ الفياض

قال كرم عن نفسه ان « سرعة قلمه مشهورة . فيؤلف الكتاب برمته في اسبوع او اسبوعين » .

واني اتصور دماغه « كالقازان » المزمجر في غليانه على النيران في قاطرة

سكة الحديد . فما ان تفتح حنفية البخار على المراجل الا والقطار يسير بعجيج وضجيج ويخطف الركاب على المسافات .

هو عليان اللغة العربية بمفرداتها ومزيداتها وتراكيبها المحشوة في دماغ المؤلف فما ان يقبل على الكتابة الا وتنهال مكتسحة سلك الخبرية وانتظام الوقائع في تعبير ابطال الرواية عن افكارهم وخواطرهم وعواطفهم وشهواتهم وتمنياتهم وانفعالاتهم واصطدامها بما يلاقون في مخاطبيهم او في ضميرهم من اخذ ورد وسؤال وجواب واعتراض ومناعة ورضى وخزلان وتواطؤ واحجام واقدام مما يدوخ القارئ ويكاد يذهب بصبره على القراءة .

لقد شبهت دماغ المؤلف بالقازان وبماذا اشبه انشاءه ؟ ان الانشاء في عرف الادب انما هو التعبير عن الفكر . ويتلوّن هذا التعبير بالوان الظروف وان الانشاء القصصي غير الانشاء الفلسفي ... ولكن شريعة الكتابة والانشاء طرّا تقضي على الاطلاق بالا يطغى اللسان على حركة الجنان او الا يضيع الفكر في مستهب الكلام . ولعل هذا الاسهاب يكون مما تتمنى اقتضابه شفقة على الفكر من جرح الخيال . فلا يضيع سلك القصة في الصفحات الطوال . قد يتيه الفكر في تصفح الروايات التي نحن في صددها ويضيع في اتباع المؤلف في ملتويات طريقه في التعبير بلغة يغلب عليها المجاز المتلاطم . نعم ! لا بأس من فوران الخيال في الاسلوب القصصي على شرط الا يضللنا عن المطلوب . والمطلوب اولا هو معرفة من ؟ واين ؟ والى اين ؟ نحن من سفرتنا في القطار ولا نمل وننفق قبل ان نعرف كيف يمشي الامر في « الوردة على القبر » . (واستشهاد)

ولكن هذا الاسهاب في الكلام والاستطالة في الوصف يشفع بهما عن الذم الفوائد الجمة التي ينالها القارئ من مطالعة صفحات تطفح باللغة العربية الفصحى واساليب استنباط كنوزها في التصرف بالمفردات ومزيداتها أكانت موافقة للمقام او لم تكن كالاستنفار والاستذئاب والاستنساد والتنمر .

وهناك توارد الالفاظ كانما اسطر من كتاب « الالفاظ الكتابية » :

« فليس لمثل هذه النابتة بالحياء والحشمة ان تمرت تلك الميتة الهينة المستورة وقليل فيها سلخ الاظفار وقطع الانامل وصلم الاذنين وجدع الانف وفقء العينين ونتف الشعر وحز

المذي سكين صدئ واقتلاع الثديين وبتر اليدين والرجلين ، حتى اذا ما أصفى دمها وهبها للوحوش كما وهبها للموت بسخاء .

على انه حسبها «مرتدة» فاختار لها هذا الموت الذريع تسوقه اليه بوادر الانتقام المرتجل . وتبرم بنفسه وقد شرب دم الجارية الكريه . وفاجأه القيء امتعاضاً واشمئزازاً . وانطلق يبحث عن ابنه شوقاً الى نقع غلة انتقامه والاثأر منها للحق المشوّه الطامة . فما لاحت له في المنصورة مع جولانه فيها والتدقيق في خبايها وليست تخفى عليه زواياها ومنافذها . وأدهشه ان تظفر به الجارية القاسية الخائنة في دفع ابنته اليه كي يفترس عذرتها ، وفي حجبها عنه فيما يجاهد في محو عارها بدمها » .

ولو ان احد الادباء اقبل على قراءة قصص كرم ممعناً النظر في سطورها باحثاً بعين التروي الالفاظ باصلها ومعانيها بالحقيقة وبالمجاز لاستفاد وافاد في درس فقه اللغة . وانا على سبيل المرة والانموذج نستأذن القراء بالعرض على محك النقد جملةً جاءت في الصفحة ١١٣ سطر ٢ من الضفاف الحمر .

« في الوثبة الشاحطة الى الفرار » عدت الى المنجد في اللغة لابحث معنى « الشاحطة » واتأكد من صدق وقوعها في موضعها .

واني في بحثي لمتطفل ثقيل الظل ولكن مع طلبي المعذرة من كرم « والعذر من شيم الكرام » اقول :

الشاحطة مشتقة من شحط والفعل الثلاثي شحط يأتي بمعاني شتى . فيقال شحط الاناء : ملأه و—اللبن اكثر ماءه و—العقرب الرجل : لدغته و—الطائر ذرق و—فلاناً سبقه وتباعد عنه .

وشحط المكان : بعد وشحط الجملَ ذبحه ومنزل [شاحط] بعيد .

اما كرم فيستعمل لفظة الشاحطة بصيغة الفاعل ومعنى المفعول بما يرادف « بعيدة » . كأن الفرار اخذ يقفز قفزاً . ولا بأس من التعبير المصوّر الحركة ولكن الم يكن اهون علينا ان نستغني عن القاموس ونتمتع مباشرة بقراءة القصة اذا جاء فيها « الوثبة القفازة في الفرار ! » ...

ومن تفننه في الانشاء مخالفته ما هو مألوف في تركيب الجمل فيقول : « قد امتلأت بشطره الاوفر القبور » عوض ان يقول امتلأت القبور (اطياف ٢١)

— « حباها ما قطفت في جولة نهاره يدُه » عوض ان يقول حباها ما قطفت يده ... (اطياف ١٩٠)

ويجدّد في استعمال امثلة المبالغة فيقول: الزمن المطواع او المعطاء. (الضفاف ١٣)
والرمل اليبيس والرمل اللاهم من الصحراء . (وامعتصماه ٨١)
ويبتكر في التشابيه فيقول مضيفا الصفة الى الموصوف عن الشاب الترق :
انه « شرارة في يابس الحطب » . (اطياف ٧١)
ويقول فيه : « ويرشق الشاة التائهة بحجر لا تطلقه سوى يمين عامر الشباب » . (اطياف ١٢٨)

وما اكثر ما يأتي المؤلف بتعابير مبتكرة جديدة لذيذة فيصف الابنة وقد تأبطت ذراع ابيها « تسنده في مشيته وتدهمها الريح معاً فيتمايل بعضها على بعض كغصنين تجاورا في شجرة تموج » . (اطياف ص ٢٤٦)

ويقول عن الكاهن المعزي الابنة المفجوعة المتلاشية في العبرات « فامضه ان يختنق الطليق الزهرة العطرة » . (اطياف ص ٢٢)

« ولاح القمر فوق تلة كنقطة فوق حرف » . (ص ٥٤)

ويحسن التصوير فيقول : « وهذه الحالة تستقر بالمنزل كالخزانة المهملة » . (اطياف ١٠٠)

ومن مبتكراته قوله في وصف صوت الشيخ « صوت خادش كصرير المنشار » .
ويقول عن المرتب في امره : « وجرض بريقه كأن في مبلعه الحطب » . (الضفاف ١٠٠)

ويقول :

« حبب الباروك ما يفتأ يحرص على بقايا من اشجار لبنان البواسق ، الصلاب . . . وهو منه كالاصلع ، انتعش ببضع شعرات في مفرقه ، لا تعجب صنعته ، ولكنها دليل على عهد الفترة المراجعة . (اطياف ٧٨)

وهناك الاقوال المأثورة الجديدة بأن تسير مثلاً :
« ومضة من انفة تعادل عمراً طويلاً ماطخاً بالسفال » . (اطياف ٥٨)
وقول البدوي :
« لم تمت المروءة في الصحراء » . (اطياف ١٣٥)
وقول ابنة ثابت التامي لحسب البخيل :
« المال لا يخلق الناس » . (ام البنين ص ١١٥)

وقال المؤلف :« ان لديه ما لا يقل عن مئة قصة جاهزة للطبع » .

واننا نتمنى له طولة العمر بالصحة والعافية ليقوم ما ابتدأ به . واشرنا الى ما رأينا خيرًا في لفت نظره اليه عسى ان يحل نقدنا منه محل كلام الصديق المناصر للادب وذويه .

*

وما انتهينا من كتابة هذا المقال الا وفوجئنا بنعي كرم ملحم كرم:

انتقل الى رحمة الله تعالى متممًا واجباته الدينية مأسوفًا عليه كثيرًا يوم الاربعاء ٣٠ ايلول في بيته في بيروت شارع عبد الوهاب الانكليزي وينقل جثمانه الى مسقط رأسه مدينة دير القمر .

وكنا منذ بضعة ايام قد تعرفنا الى ابنته سوسن في المكتبة الشرقية . وحدثناها في المقال الذي نحن في صدده عن ابيها وتعاهدنا على ان نقدمه اليه فيقول فيه رأيه قبل نشره . . . وحالت المنية دون الامنية . وبفقدان كرم ملحم كرم فقد لبنان والادب العربي علمًا من اعلامه العظام .

واذ نترحم على الراحل الكريم نتمنى لانجاله السير في الطريق التي فتحها امامهم والدهم المحبوب فيكملوا اعماله وعلى هذا الرجاء نشرنا ما رأينا خيرًا في لفت النظر اليه في النقد .

اليك غلطات مطبعية رأينا افادةً في ذكرها فتصلح في طبعة جديدة :

اطياف :	٦٣ ، ٤	جواد = جواز
	٥٣ ، ١٥	الجيران = الخيران
الضفاف :	١٣٢ ، ١٣	نضع = نضغ
	١٤٠ ، ٧	اضعوا = امتنوا
وامتصاه :	٥٢ ، ١٥	ينبوعها = ينبوعها
	٩٧ ، ١٧	يكيدرون = يكيدون
	١٧٠ ، ٣	ذورها = ذروتها

مشكلة المعرفة بين ارسطو والغزالي

ارسطو والغزالي[1]

بقلم الاب فريد جبر اللعازري
دكتور في الآداب

هناك امر قد يراه جمهور النـاس من الحشو والفضول ، ولكن الفيلسوف يقف عنده ويتـمن فيه كانه من الاهمية بالمكان العالي . وهو انني ارى هـذه البناية او تلك فاعرف شكلها وسمتها ، واطالع كتب الهندسة والمنطق فأفهما واعرفها بعد ان يكون ذهني قد ضبطها . ثم انني اعرف ان الحكمة خير من الغنى وان الغنى بالقناعة بعد ان اكون قد اختبرت ذلك وحكمت فيه عقلي . ومعرفتي هذه حسية اذا تمت عن سبيل الحس فقط كان ارى جداراً او اسمع صوتاً يدوي وهي معرفة يشاركني فيها الحيوان . وهناك معرفة اخرى وراءها وهي ان اعرف مثلاً ماهية الانسان او ان لا بد لي من ان اتجنب الشر واعمل الخير او ان بطرس كائن مركب من نفس وجسد . وهذه هي المعرفة العقلية التي بها يتميز الانسان عن الحيوان فيكون حيواناً ناطقاً اي صاحب منطق ينفذ بعقله الى بواطن الامور فيبدي حكمه على القوانين الجوهرية التي تستتر وراء الظواهر .

والحقيقة حينئذ هي ان يكون ما في فكري مطابقاً للواقع الخارج المستقل عني . فاذا قلت هذا بطرس او هـذا الجدار ابيض او ان الاثنين والاثنين اربعة ، فالحقيقة في كل ذلك هي ان يكون ذلك الشخص الذي اعنيه بطرس حقاً وان يكون ذلك الجدار الـذي اشير اليه ابيض بالفعل والواقع وليس اسود ، وان يكون اخيراً الاثنان والاثنان اربعة حقاً وليس خمسة .

---

[1] نشر هذا المقال كمقدمة لخمسة دروس عن مشكلة المعرفة بين ارسطاطاليس والغزالي القاها المؤلف في معهد الآداب الشرقية . نتحف بها قراء المشرق لما فيها من دقة تحليل وصواب راي .

واعود فاقول ان الكلام هذا كله قد ، لا يرى فيه جمهور الناس كبير طائل . واما الفيلسوف ، ذلك الرجل الثقيل الظل الذي يقف عندما يراه الغير من توافه الامور فيصرف اليه اهتماماً بالغاً في ظننا ، الفيلسوف اقول يتريث امام تلك المعرفة التي وصفنا ويرى فيها مشكلة لا بل مشكلة عنيفة ويعدها النقطة المركزية لابحاثه في شتى المواضيع .

ذلك ان العقل بطبيعته البدائية ينشط لعمله من دون ان يتردد وينقد نفسه . فهو لا يميز اول الامر بينه وبين ما يدركه . الا ان الانسان يخطأ وما من الامر بد ، والخطأ اذا بدا يثير الحذر والقلق في النفس ، ويزداد ذلك الحذر امام الاراء المتضاربة . فان الفكر الذي كان مستسلماً الى دافعه الطبيعي ، متجهاً برمته نحو المعلومات الخارجية المستقلة عنه ، ان هذا الفكر اقول يتحول حينئذ فيعود الى نفسه ليرى ما هو نصيب علمه من الحق . والعود الى النفس هذا هو اول خطوة نحو الشك : فالانسان اما يجاوزها واما يستقر عليها . وهنا بالضبط تلقى مشكلة المعرفة : هل من سبيل الى اليقين ؟ ايحق لنا ان ندعيه من امكانياتنا ؟ او يمكننا حقاً الحصول عليه ؟ كل مذهب فلسفي جواب مباشر او غير مباشر على هذا السؤال . فاليقينيون ، بوجوه مختلفة ، يقولون بتوافق الفكر مع الواقع المدرك ، وثم يميزون طرفين في الامر : الانا واللاانا، العالم والمعلوم ، وهما طرفان يجمع بينهما الفكر . واللاادريون يذهبون الى ان المعرفة مستحيلة ، اذ يقفون عند المخالفة التي يرونها بين العقل العالم والشيء المعلوم الذي يحاول ادراكه ولا يستطيع ، او يحجزون ذلك العقل بينه وبين نفسه فيعرضون عليه مناقضاته قصد ان يخمدوا نشاطه . وهناك موقف ثالث وآخر سجله لنا تاريخ الفلسفة في العصور الحديثة ، وهو ان بعضهم ، واعني بهم المثاليين ، يئسوا من المعرفة والعلم فاعترفوا نعم بشيء مدرك قائم امام العقل ولكن ليس بينه وبين العقل امر يقارب فيما بينهما ، او على الاقل ان العقل لا يستطيع ان ينفذ الى صميمه . فذهبوا الى ان الشيء المدرك من اصل المدرك نفسه وان المعقول الموجود في العقل هو العقل لا غيره ، وهو كل ما نسميه الواقع الذي هو غرض العلم . فرفعوا بذلك حاجزاً بين ذلك العقل العالم والمعلوم المفروض عليه ادراكه في حد ذاته .

وبين هذه الآراء المتطرفة حلول تقع بين بين ، يطلعنا درسها على ما يبذله العقل البشري من جهود ليقي نفسه الهلاك والتلاشي في اللاادارية مع الاعتراف الابهم بالقدر اللائق منها .

***

ومن هذا القبيل ، لا شك في ان المحاولة التي تظهر اقرب من غيرها الى العقل واشدها استساغة اليه ، هي محاولة ارسطو .

ولد الرجل في سنة ٣٨٤ ق. م. في بلدة سْتاجِيرْ ، في شبه بلدة كَلْسِيس ، من اب طبيب كان يعالج فنه في بلاط أميناس الثاني ملك مَقدُونيا . فاثرت بيئته في توجيهه واصطبغ عقله بميل قوي نحو العلوم الطبيعية الوَضعية واساليبها . الا ان اباه مات (٣٧٦ ق.م.) وهو لا يزال في السنة السابعة عشرة من عمره ، فقصد اثينا ليسمع عن افلاطون وبقي مدة عشرين سنة مع استاذه الذي كان يقدر عنده الاجتهاد وحدة الذهن ويسميه « القارئ » و«الفكر الخالص» . اما ارسطو فكان يشعر نحو افلاطون بجانب قوي من الاحترام يخالطه شيء من الاستقلال والاحتفاظ بالذات من حيث تفكيره . ويقال انه كان يردد : «نعم الصاحب افلاطون ، ولكن الحق فوقه » .

في سنة ٣٧٤ ق. م . بعد موت استاذه ، نراه يمضي الى اسوس في مِيزْيا من اعمال اسيا الصغرى ، قاصداً صاحب المنطقة هِرْمِياس وهو صديقه . ثم في سنة ٣٤٥ ، بعد مقتل هرمياس عن يد الفرس ، فر ارسطو هارباً الى مِيتيلان عاصمة اللَسْبُوس وهناك تزوج من بِيتْيَاس بنت اخت هرمياس التي كانت قد تبعته في هربه . اما نيقوماقوس ، ذلك الولد الذي وقف له ارسطو كتابه في الاخلاقيات ، فهو له من امرأة ثانية ، تزوج منها فيما بعد .

وفي سنة ٣٤٢ دعاه فيلبس ابن اميتاس الى بلاطه وولاه تربية وتعليم ولده اسكندر المعروف في التاريخ بالاسكندر ذي القرنين ، وكان هذا اذ ذاك في الثانية عشرة من عمره . ولا ندري الى اي حد اثر ارسطو على توجيه تلميذه ، الا اننا نعرف انه بقي استاذه مدة سنتين ، ثم استمر الى جانبه مده عشر سنوات واخيراً سخط ارسطو على الاسكندر من وراء سوء تصرفاته نحو الحضارة اليونانية وقطع العلاقات معه .

رجع ارسطو الى اثينا سنة ٣٣٦ واسس فيها مدرسة جديدة غير مدرسة افلاطون . وهناك ، مدة ثلاثة عشرة سنة ، تأتى له ان يلقي تعليماً واسعاً في الفلسفة والعلوم . وكان ذلك التعليم على وجهين : وجه اول وهو تعليم للخواص المطلعين على اسرار العلم والفلسفة والمروضين على مشاقها ، ووجه ثانٍ وهو تعليم لجمهور المستنيرين الذين لا يتجاوز حرصهم على الثقافة الالمام من كل شيء بناحية . وفي تلك الاثناء الف ارسطو اغلب كتبه ولم يصل الينا منها الا ما يختص بالوجه الاول .

بعد موت الاسكندر ، اصبح ارسطو عرضة لغضب قوميي اثينا الذين كانوا يرون فيه عاملًا للاستعمار المقدوني . فاتهم بجريمة الالحاد وغادر اثينا قاصداً، فيما كان يقول ، ان يقي الاثنيين جريمة ثانية ضد الفلسفة بعد تلك التي كانوا قد اقترفوها اذ حكموا على سقراط بالاعدام . فسلم مدرسته الى تلميذه تيوفراسْتُس واعتزل في مدينة كالْيِس من جزيرة أوبي ، وهناك مات سنة ٣٢٢ وله من العمر ٦٢ سنة .

بدأ ارسطو بالتأليف منذ اتصاله بهرمياس ، وما زال يؤلف اثناء مراحل حياته المختلفة حتى مغادرته الاخيرة لاثينا . الا ان هذه المؤلفات لم يصل الينا منها ، كما قلت ، الا ما يمت الى تعليمه للخواص في مدرسة اثينا . وهذه الكتب ، على ما هي اليوم ، موسوعة مذهب كامل يتناول كل المعلومات ، وهو مذهب ينبسط بتسلسل منطقي يتفق تقريباً ، فيما يظهر ، ومراحل تأليف الكتب المختلفة فيه . اما تلك المؤلفات ، فيمكن ان توزع حسب المراتب الكبرى التي تكون في نظر ارسطو مجموعة العلوم : تبتدئ بالعلوم التي غرضها تصرف العقل من حيث انه ينتج ويوجد مستمداً من مواد سابقة ، مثل فن الشعر وفن الخطابة وفن المنطق ، ثم تنتقل الى العلوم العملية التي غرضها تصرفات الانسان في شتى وجوهها بمقتضى الاتجاهات الثلاثة الكبرى اعني الاخلاقيات والسياسيات والاقتصاديات ، واخيراً تنتهي بالعلوم العقلية النظرية اعني اسمى العلوم درجة في التجرد النظري ، فتشمل الرياضيات والطبيعيات والنظريات المتعلقة بما وراء الطبيعة التي يكللها العلم الاوسع والاعلى اي العلم بالله .

شرع ارسطو بدرس الصور الذهنية الصرفة المجردة من كل جسم ومادة ، ولكنه سرعان ما اخذ يهتم بالعلوم المتعلقة بالطبيعة والانسان . فكان لا يفتأ يسعى في ان يتقرب من الواقع الطبيعي ويدخله في اطارات العلم : فمن ثم عنده الاهتمام البالغ المتزايد مع الزمن بمشاكل الجواز والامكان والظواهر الحسية ، ومن ثم عنده ايضاً ذلك الشعور القوي بالدور المهم الذي يقوم به في العلم الادراك العفوي ، سواء اكان حسياً ام عقلياً : فانه عن ذلك الادراك تصدر التأليفات الجزئية الحية في المعرفة ، تلك التأليفات التي تسبق التحليل وتشرف عليه لتسدد توجيهه .

فان ذلك الانكباب المستمر على الواقع الطبيعي لتحليله وسبر غوره ، هو الطابع الخاص الذي تمتاز به عبقرية ارسطو . وذلك الحرص ، او ان شئت فقل ذلك النهم والشره في معرفة الطبيعة وحصرها بكاملها ، حتى في ادق اجزائها ، لا يمكن تعليله الا باعتقاد قوي عند فيلسوفنا بامكانية فهم الواقع الوجودي وضبطه بالعقل . فان ارسطو الم يكن من اليقينيين المتطرفين فهو من الذين يعتقدون بامكان اليقين بعد تحديد شروطه بحذر وامعان ، وهو اذ يشرف على تحديد شروط العلم والمعرفة ، لا يتساءل فيما عسى اذا كانا ممكنين ، بل في كيف السبيل الى الوصول اليها والى تحقيقها عند المدرك العالم . فيبدو انتاجه الفكري من هذا القبيل كاحلى قمة ، وصل اليها عند اليونان ، ذلك المجهود الفلسفي الذي يبتدئ مع سقراط ، ويتطور عند افلاطون حتى ينتهي اليه فيبدو على وجهه الاتم .

والحق هو ان ذلك المجهود لا بد وان يرد في اصله ونشأته الى المفكرين اليونيين والفيثاغوريين والايليائيين مع امبدوكليس وديمقريطس وانا كساغوروس ، وهم جميعهم من عهد المعجزة اليونانية ، اعني الجيل السادس ق . م. كل هؤلاء كانوا يقينيين اقحاحاً لا شك عندهم في امكان العقل البشري معرفة الواقع الوجودي ، فالف كل مذهبه يدافع عنه بالرغم مما يجد فيه من المناقضات لمذهب غيره . فجاء حينئذ دور السفسطائيين واللاادريين وفي مقدمتهم بروتاغوروس وغورجياس ، وما كان لهم مذهب خاص سوى الطعن في امكان المعرفة باظهار المناقضات في مذاهب الذين سبقوهم من اليقينيين .

ثم اتى سقراط فوضع للبحث الفلسفي اساسه اذ قال ان المعرفة الحقيقية غرضها الصور الذهنية المجردة المشتركة بين الموجودات الجزئية مادية كانت ام روحية . ولكن هذا لا يكفي : فاذا كانت المعرفة ادراك الصور الذهنية فذلك يؤدي الى اليقين الذاتي الذي يطمئن اليه العقل العالم ، ولكن هل الاشياء ، في حدود ذواتها ، هي بالضبط والواقع كما تبدو لنا في صورنا الذهنية ؟

الفضل في الجواب على هذا السؤال راجع الى افلاطون ، تلميذ سقراط . فعنده ، كما نعلم ، ان صورنا الذهنية ان هي الا انعكاسات فينا للصور العليا المثالية التي عنها يصدر الكون والواقع الوجودي بكامله . ثم ان الصور الذهنية تلك موجودة فينا بالفطرة ، نستكشفها عندنا بحدس مباشر ليس نتيجة عمل التجربة (وبذلك يمتاز ارسطو عنه) بل هو — ذاك الحدس — الجهد الاخير لاستبطان به نعود الى انفسنا فنتذكر الواقع الوجودي الذي تنعكس فينا صوره . ومن ثم نظرية التذكر او الذكرى عند افلاطون ، وهي نظرية بها يعلل كيفية حصولنا على تلك الصور الذهنية التي تعتبر في الآن نفسه نماذج الواقع الوجودي الوضعي وامثلة له .

واذن فان سقراط يقول : المعرفة الحقيقية غرضها الصور الذهنية ، فيتبعه افلاطون ويقول : وهذا يعني ان الصورة الذهنية توافق الواقع الوجودي الوضعي وتمثله لنا كما هو .

وعلى هذه الخطة يسير ارسطو تلميذ افلاطون. مبدؤه هو ان غرض المعرفة الصور الذهنية المجردة ، وهي التي شرع بدرسها اذ اقبل على علم الفلسفة. ثم ان هذه المعرفة يقينية فيما يختص بالمعلومات العامة والكليات ، وعنده لا وجود لها الا في الجزئيات المادية وبتلك الجزئيات . فهي في الواقع الحسي ونحن نستخرجها عن طريق الاستقراء . هذا وان معرفة العام الكلي ، اذا صح استقراؤنا له ، تمكننا من استنتاج الشيء الجزئي الفرد. واذن فالعلم برهاني اعني انه قائم على البرهان الذي هو مقياس اليقين في نهاية الامر . ولكن هل يكون البرهان ابدًا ودومًا ضروريًا ؟ هو قياس مترکز على مقدمات مقررة ثابتة ، لا بد وان تكون في نهاية الامر غنية عن البرهان ، اذ ترجع بها ، بحلقات متتالية ، الى ادراك مبادئ العقل الاولى واساسها مبدأ التناقض .

وميزة هذه المبادئ هي انها لا تتطلب البرهان لانها غنية عنه . فهي تعرف بيقين اقوى من اليقين المتعلق بالمعلومات المستنتجة : هي منبع اليقين ومصدرها، والاستنتاج ليس الا الواسطة التي نصل بها الى ذلك اليقين، ثم ان الملكة التي تدرك تلك المبادئ هي العقل وهو في نظر ارسطو معصوم بحد ذاته عن الخطإ .

وليس غرضي هنا ان ادخل في المناقشات التي دارت حول علاقات ارسطو بافلاطون : كيف فهم الاول مذهب استاذه وكيف وافقه عليه من ناحية اخرى . انما مقصودي ان اظهر كيف يبدو ارسطاطاليس كالنقطة النهائية للمجهود الفكري اليوناني ، وهو مجهود فلسفي محض اعني انه قائم على الاعتماد على مجرد العقل وقواه . وان مذهبه ، اذا صرفنا النظر عن بعض ما اشتمل عليه من المعلومات الشعرية والدينية والاجتماعية والطبيعية والبيولوجية ، ان هذا المذهب اقول ، يبدو كجهاز عظيم واضح الخطوط والمعالم وهي اشد الخطوط والمعالم موافقة للعقل البشري فيما يختص بعلم ما وراء الطبيعة . بما يمكننا من ان نعد ارسطو الاستاذ الاول في ضرب من التفكير يمكن ان نعتبره الفلسفة نفسها بتمام معناها اعني ذلك التوجيه الفكري الذي يتقدم ويتطور معتمداً ابداً ودوماً على مجرد العقل وقواه بصرف النظر عن كل غرض وغاية سواء اكان من حيث الدين او من حيث الاخلاق .

ولا يسعنا ان نردد نفس القول فيما يختص بالغزالي ، بالرغم من انه يبدو لنا متأثراً كل التأثر بفلسفة ارسطو ، لا سيما فيما خلف لنا من اراء في صدد المعرفة والعلم .

وجميعنا يعلم اطوار حياة الغزالي : ولادته في طوس ، درسه الفقه في بلدته اولاً ثم في جرجان ، ثم قصده امام الحرمين ابا المعالي الجويني في نيشابور ليأخذ عنه الفقه وغيره من العلوم الدينية الاسلامية كالخلاف والجدل والاصلين والمنطق، ثم اتصاله بنظام الملك بعد موت استاذه . ونعلم ايضاً ان نظام الملك ذلك ولاه التدريس في نظامية بغداد وهي اشهر النظاميات تلك التي كان الوزير السلجوقي قد اسسها تعضيداً لنشر الفقه الشافعي ، يسعى من ورائه الى هدم نفوذ الفاطميين الذين كانوا يعملون على مد سيطرتهم تحت رداء المذهب الشيعي، معتمدين في ذلك على انصار لهم كانوا يعرفون ، في عصر الغزالي ، بالباطنية

او التعليمية . ولا نجهل ما كان للغزالي من شهرة ، اثناء تدريسه في بغداد ، ثم ما حدث له فيما بعد : ابتعاده عن التعليم ، مغادرته لبغداد بعد ان كان قد استناب اخاه في التدريس ، تلك العزلة التي التزمها التزاماً وغطى عليها بالصمت العميق فما كشف لنا منها الا عن ذهابه الى دمشق متستراً ، ثم الى القدس ثم الى الحرمين ثم رجوعه الى بغداد واخيراً استقراره في طوس بلدته . ويزاح الستار بعد ذلك في سنة ٤٩٩ / ١١٠٦ ، فنرى الغزالي راجعاً الى التدريس في نظامية نيشابور تلبية لطلب سلطان الزمان ، ولكنه لا يلبث ان يعود الى العزلة فيلتزمها حتى مماته في طوس ايضاً سنة ٥٠٥ / ١١١١ .

اما توجيهه الفكري فيمكننا ان نطلع عليه من وراء درسنا لمؤلفاته . له في الفقه ثلاثة كتب البسيط والوسيط والمختصر ، وفي اصول الفقه تهذيب الاصول والمنخول والمستصفى ؛ الا انه لم يشتهر بهذه الكتب مثلما اشتهر بتلك التي صنفها في علم طريق الاخرة او ايضاً في العلوم الاخروية على حد قوله. وهذه المؤلفات الاخيرة ، نستطيع ان نوزعها على المراحل الاتية .

— الكتب التي لم يتناول فيها العلوم الاخروية مباشرة انما وضعها تحت ضوء مبادئ تلك العلوم ومستلزماتها .

— ويلي هذه المصنفات تلك التي كان غرضها المباشر علم طريق الاخرة بحد ذاته وفي مقدمتها كتاب احياء علوم الدين . فيه تتعلق وحوله تدور المصنفات الاخرى في الموضوع .

— وتأتي اخيراً المؤلفات التي وضعها شرحاً لفكرته على اختلاف وجوه التعبير عنها مثل فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة والجام العوام عن علم الكلام والمنقذ من الضلال . هذا مع العلم باننا احتفظنا هنا بالمؤلفات التي اجمع العلماء على نسبتها اليه وهي النزر اليسير من الشيء الكثير .

اما العلوم الاخروية — تلك التي وقف الغزالي عليها كل كتبه ، ما عدا تلك التي الفها في الفقه ولم يعتبرها هو نفسه من الاهمية بمكان — اما العلوم الاخروية اقول ، فما هي الا العقائد الدينية الاسلامية المتلقاة عن محمد النبي على ما كانت مقبولة عند اهل السنة . وغرض الغزالي من مؤلفاته هو اثبات اليقين من تلك التعاليم وتمهيد الطريق لذلك اليقين الى نفوس قرائه وسامعيه. والكتاب

الذي يطلعنا بجلاء. ووضوح على اتجاه الغزالي التفكيري هذا ، هو المنقذ من الضلال . ففي هذا المصنف يتناول مفكرنا مشكلة اليقين الديني فيستعرض المحاولات التي سعى بها علماء الاسلام قبله لتأمين ذلك اليقين ، وهي الفلسفة والكلام ومذهب التعليم والتصوف الذي يراه الغزالي الطريق الوحيد لنيل الغرض المقصود دون الطرق الثلاثة الاولى .

كان التعليم الديني الاسلامي ، في اول امره ، يلقى بشكل مجموعات من العقائد اسم كل منها فقه . فهناك الفقه الاكبر الاول والثاني وما يشاكلها كوصية ابي حنيفة وعقيدة الاشعري . ثم حدث الاتصال بالتفكير اليوناني عن سبيل الترجمات عن اللغات المنتشرة آنذاك في المملكة الاسلامية ولاسيما السريانية والعبرية ، فحاول علماء الاسلام التوفيق بين عقائدهم وبين ما كان يراه الناس من مقتضيات العقل ومستلزماته. فكانت محاولة الفلاسفة الاسلاميين ثم محاولة المعتزلة ، ثم محاولة الماتوريدي والأشعري التي تبعها في خطوطها العامة المتكلمون السنيون فيما بعد ، واشهرهم الباقلاني والجويني : فالاول استاذ الثاني ، وعن هذا الثاني اخذ الغزالي ، كما نعلم .

وكان الجويني قد سبق وابدى تردده في امكانية الكلام من تأمين اليقين الديني ، فهو قائم على المنطق وادلته وهذه الادلة متكافئة لا تقوى على فرض عقيدة دون تلك التي تدحضها . وهذا هو رأي الغزالي ايضاً . فالكلام معتمد على مقدمات تسلمها اصحابها من خصومهم ، واضطرهم الى تسليمها اما التقليد او اجماع الامة او مجرد القبول من القرآن والاخبار . وهذا قليل النفع في جنب من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً اصلاً[1] . ومع ذلك فالكلام ، ان لم يكن ليؤمن اليقين ، فهو مقبول متسامح به لانه لا يخالف عقيدة اهل السنة . وما الامر كذلك فيما يختص بالفلسفة لان الفلاسفة اوغلوا في تأويل تلك العقائد وخالفوها في تعاليمها ولا سيما المهمة منها كقيامة الاجساد وعلم الله بالكليات والجزئيات معاً وخلق العالم[2] .

---

١) المنقذ من الضلال ، طبعة دمشق ١٩٥٦ ، ص ٦٧

٢) انظر Jabre, *Notion de Certitude selon Ghazali*, Paris, Vrin, 1958 ص ٥٢ تابع ثم ص ١١٥–١١٦

الا ان للغزالي الذي ينكر هكذا اسس المعرفة كما وصلت الى السنين عن ارسطو ، والذي يذهب الى تكافؤ الادلة ، ان للغزالي اقول مؤلفات في المنطق واصوله واساليبه وهو يظهر في تلك المؤلفات متقيداً بطرق ارسطو نفسه واساليبه .

قلنا : يظهر . ذلك لان الغزالي ، كما سنرى فيا يلي ، ينظر في هذه المؤلفات الى المنطق لا من ناحيه المادة اعني المعلومات المستمدة من الواقع الوجودي ، ولكن من مجرد ناحية الصورة اعني ناحية ترتيب القضايا والصور الذهنية في مقدمات تنتظم في اقيسة تستخدم لا للبرهان والاثبات الحق بل لعرض تعليم مفروض بشكل مرتب متسلسل منطقي . اما السبب التاريخي الذي دفع الغزالي الى ان يخصص للمنطق كتباً اربعة من مؤلفاته – المعيار ، المحك ، القسطاس ، المدخل إلى المستصفى – فيمكننا ان نستنتجه من درس اول كتبه في ما يسميه المعتقدات – وهو اسم آخر عنده للعلوم الاخروية – وهذا الكتاب هو المستظهري .

في هذا المصنف يعرض الغزالي لفكرته الاساسية ململمة موجزة ، فيتيح لنا ان نتبين كيف يعمد اليها فيا بعد ليعرضها منبسطة مع كل تطوراتها في مؤلفاته الاخرى . والمستظهري ذلك كتبه الغزالي للرد على الباطنية وهم يعمدون في عملهم الذي اشرت اليه سابقاً الى طرق سياسية وطرق عقائدية . اما الطرق السياسية فكان الغزالي قد قاومها فيا سبق مع نظام الملك عدو الباطنية الالد ، بتدريس الفقه السني . ثم عدل عنها بعد مقتل نظام الملك عن يد باطني ، الى الطرق العقائدية . وعقائد الباطنية متخذة من مؤلفات الفلاسفة وهي متشعبة النواحي متعددة الوجوه : فيها المنطقيات ، وفيها الطبيعيات ، وفيها المعلومات المختصة بالنفس وفيها اخيراً العقليات المتعلقة بما وراء الطبيعة واساليب معرفتها .

والغزالي يعرض لكل ذلك في كتابه المستظهري وينقده ، مبيناً رأيه فيه بصورة مختصرة قبل ان يتوسع بذلك الرأي في مؤلفاته الاخرى . اما من جهة المنطقيات فيعود اليها ويصنف فيها كتبه في المنطق فيعرض له بشكل موافق للعقيدة السنية . واما في النواحي الاخرى فنها ما لا تقبله تلك العقيدة فيرجع

اليه ايضاً ويفنده في « تهافت الفلاسفة » ، ومنها ما يتمشى وتلك العقيدة فيعود اليه ايضاً في كتبه المتعلقة بالتصوف وعلم طريق الآخرة ويستخدمه بعد ان فرّغ صوره واصطلاحاته من معناها الاصلي الشيعي الباطني واولها على معنى العقيدة السنية ومقتضياتها . وفعل ذلك تسهيلاً لعمله وتمهيداً لعقيدة السنة واليقين منها في الاوساط الشعبية او المتنورة التي كانت قد تأثرت بتعليم الباطنيين التعليميين .

كل هذا الذي اسلفنا وذكرناه يدلنا على اننا لا يمكننا ان نقبل على درس الغزالي من اية ناحية اعتبرناه الا مع العلم بانه عالم ديني قبل كل شيء ، مقيد بعقيدة بمقتضاها يفكر وعلى ضوئها يسير. ليس شأنه شأن ارسطو الذي يستطيع ان يطلق لعقله العنان ويتصرف به بحسب مجرى ما يدله عليه ذلك العقل، فيقبل على درس الطبيعة وما وراءها بتجرد فكري تام . فان الغزالي ، حتى في النواحي التي تمت الى الفلسفة والتي يلتقي بها مع ارسطو ، لا يتكلم ولا يتصرف كفيلسوف بتمام معنى الكلمة ، ولا يعرض لموضوع فلسفي بالمعنى الذي نفهمه اليوم . وهذه ملاحظة لا بد من ان نذكرها ابداً ودوماً قبل ان ندخل في المقارنات التي القناها ، اذا ما شئنا ان تكون تلك المقارنات مفيدة منتجة.

وهناك ملاحظة ثانية وهي ان الغزالي يتناول ، نعم ،في مؤلفاته في المعرفة والمنطق ، مواداً يبدو فيها متأثراً بالتفكير اليوناني بنوع عام وبارسطو بنوع خاص . غير انه يفكر ويكتب بلغة عربية خالصة لها عبقريتها الخاصة التي تميزها عن سواها من اللغات ولا سيما عن اللغة اليونانية . فهو عندما يستخدم الفاظه ، يحس بها احساساً قوياً لكثرة ما تشحنه تلك الالفاظ من المعاني والصور ولكل ما يكتنفها من ادواء واصداء في اعماق نفسه . ونزيد في ذلك ان تفكيره مشبع بتلك التعاليم الاسلامية الموروثة وتلك الاحاديث العربية التي يرجع عهدها الى اول نشأة اللغة العربية كلغة كتابة وادب . ونحن نعرف ان قالب تلك اللغة جد بعيد عن هذا الذي نعرفه لها اليوم ، فكم بالحري اذا ما قارناه ما وصل الينا فيها بما وصل الينا باللغة اليونانية وانتاجها الفكري وهو منبع كل ما احدث من اداب وفنون في اللغات الاجنبية اليوم . نعم قد يكون هذا الحذر من الفضول فيما يختص ببعض فلاسفة الاسلام — وفي الامر نظر —

اما فيما يختص بالغزالي فالاشارة اليه امر ضروري لا بد منه . فرب معنى عند ارسطو نقل الى العربية وسبك في لفظة منها فبقي على ما هو عند ابن سينا وابن رشد ، اثار في نفس الغزالي العالم الاسلامي العربي ، الواناً من المعاني لا عهد للفيلسوف اليوناني بها .

وبعد فانني ارى اننا ، اذا ما سرنا على ضوء هاتين الملاحظتين ، قد نوفق الى شيء واضح ، ولو قليلا كان ، في درس ما يميز العقلية الغربية عن العقلية الشرقية ، وذلك ليس بالاسترسال في الكلام العام المجمل ولكن بالتحليل الوضعي المتواضع لشخصيتين فذتين تمد كل منهما نموذجاً حياً للتيارين الفكريين وللحضارتين اللتين يمثلانها . هذا علاوة عما نوفق اليه من البحث الصحيح في ما سوف نعرض له من فصول تتعلق بمشكلة المعرفة بين ارسطو والغزالي .

INSCRIPTIONS PROTOSINAITIQUES

par

le P. A. VAN DEN BRANDEN

Dans notre article sur *Le déchiffrement des inscriptions protosinaïtiques*, paru dans *Al Mashriq*, mai-juin, 1958, p. 362-397, nous avions publié sous le nº 31 et reproduit sur la planche VII une inscription protosinaïtique dont nous ignorions la provenance. Nous la soupçonnions être une des deux inscriptions de la troisième expédition de l'Harvard University dont le R.P. Benoît de l'École Biblique de Jérusalem nous avait signalé la publication dans *Excavations and Protosinaitic Inscriptions at Serābit el-Khadem*, rapport que nous n'avons pas pu consulter. Monsieur l'abbé J. Starcky nous a fait savoir que ce nº 31 est bien une des deux inscriptions signalées par le P. Benoit et que Butin lui avait donné le nº 375. Actuellement cette pierre se trouve au Musée du Caire où elle est enregistrée sous le nº 65467. Nous remercions M. Starcky cordialement pour ce renseignement. Entre temps nous avons pu consulter l'article de J. Leibovitch, *Recent Discoveries and Developments in Protosinaïtec*, (Annales du Service des Antiquités de l'Égypte), XL (1940), p. 101 suiv. La photographie de ce texte est publiée sur la planche XIV et le fac-simile sur la planche XIX, n. 39.

Avec cette référence, J. Starcky a eu l'amabilité de nous envoyer également le calque de la seconde inscription, fait sur la copie de Butin. Ce texte est reproduit en photographie et en fac-similé par Leibovitch. Cf. planche XIV et pl. XIX, n. 38. Voir notre fac-similé, fig. 1. Cette inscription porte le nº 374 et de-

viendra donc notre n° 32. Cette pierre se trouve encore au Musée du Caire où elle est cotée n° 65466.

Il s'agit d'une stèle votive comme il en est le cas pour la plupart des stèles de Serâbit el-Khadem. L'inscription qui y figure est composée de quatre lignes verticales. De la première ligne seules les deux dernières lettres semblent avoir été conservées. La seconde ligne est également en partie endommagée; les quatre premières lettres en sont lisibles mais le reste est à peu près complètement effacé. Butin et Leibovitch pensent pouvoir distinguer les traces des lettres *t* et *l*. La troisième ligne est complète. Dans la dernière colonne ne figurent que les deux signes finaux. Nous lisons ce texte comme suit:

1	..............*'n*	.... n
2	*ttn z* ...*t*......	ce don.....................
3	*kn nḥb b'lt*	c'est un vœu de (à) Ba'alat
4	...........*št*	....................a posé

Commentaire: 1 — *'n* est probablement la fin d'un mot ou d'un nom propre. A première vue on dirait qu'il s'agit du pronom personnel de la 1ère pers. sing. «je, moi», mais le contexte semble bien exclure cette interprétation; 2 — *ttn*, «don» du verbe *ntn*. Pour les substantifs formés avec t-préfixe, voir Höfner, M., *Altsüdarabische Grammatik*, Leipzig, 1943, p. 97 et Genesius-Kautzsch, *Hebraische Grammatik*, Leipzig, 1878, p. 186. Le mot «don» se présente sous la forme *tnt* dans n° 3 = Petrie-Peet. 347 où on lit: *tnt lb'lt*, «don pour Ba'alat»; le thamoudéen connaît les noms théophores *tnt'*, « don de 'A » et *tntwt*, « don de Watt », cf. HU. 761. — *z* est le pronom démonstratif, cf. notre article *Le Déchiffrement*, p. 374. Dans le n° 7 = Petrie-Peet 351 ce pronom est muni d'un *n*: *hẓlmt zn*, «cette image» — *kn*, cf. le commentaire au n. 21 de notre article «*Le déchiffrement des Inscriptions protosinaïtiques*». D'après la photographie de Leibovitch, la lecture *kn* est certaine. D'après leur fac-similé, Butin et Leibovitch lisent *š* suivi d'un signe qu'on pourrait interpréter comme un *aliph*. C'est une erreur à notre avis; — *nḥb*, ici encore la lecture est certaine. Le mot

correspond à l'arabe نحب, «vœu». Cette stèle semble donc bien avoir été offerte à Ba'alat en vertu d'un vœu. — *b'lt* est le nom de la divinité sémitique de Serâbit el-Khadem qui correspond à la déesse Hathor des Égyptiens, cf. notre article *Le déchiffrement*, p. 367; 4 — *št*, «poser» en hébreu *šyt*. Comme dans plusieurs inscriptions phéniciennes ce mot a ici également un sens religieux et se dit de l'action de déposer un objet votif dans le temple. Cf. nº 6 = Petrie-Peet 350: *št bbt mš nṣb*, «il a posé dans le temple la statue de cette stèle»; en phénicien Cook 29,7: *yšt bmqdš mlqrt*, «j'ai posé dans le temple de Melqart» ; Aḥiram 1 : *kšth b'lm*, «quand il l'a posé pour l'éternité».

Nous avons encore dit dans notre article sur *Le déchiffrement*, p. 392, que nous possédions un fac-similé d'une inscription protosinaïtique que nous jugions inutilisable pour la traduction et que nous soupçonnions être une mauvaise copie de la seconde inscription de la troisième expédition de Harvard. Cette inscription a été publiée par Leibovitch, en photographie sur la planche XV et en fac-simile sur la planche XIX, n. 33. Nous lui donnons le nº 33. Nous avons eu en main une photographie plus parfaite que celle publiée par Leibovitch. Des circonstances indépendantes de notre volonté nous ont empêché de la publier. A l'aide de cette photographie et de la planche de Leibovitch nous avons pu tracer le fac-similé n. 2. La photographie de Leibovitch doit être redressée, l'auteur l'ayant publiée couchée sur le côté droit.

Sur cette pierre détachée et qui ne semble pas être une stèle votive, figurent deux textes protosinaïtiques ainsi que deux dessins: un pied de bovide et un étendard. L'étendard a la forme d'un drapeau sur lequel est tracé un bucrâne. Malheureusement ce bucrâne a été fortement endommagé par la corrosion de la pierre. Il est toutefois facilement restituable. On remarque, en effet, assez clairement les contours de la tête, un œil, la bouche et une partie du nez. On décèle également quelques traces d'une barbe. C'est donc la forme de bucrâne qu'on rencontre un peu partout dans l'Arabie. (Cf. nos *Textes thamoudéens de Philby*, Louvain, 1956, vol. II, p. XXIV). Cet étendard est sans doute un emblème religieux

et c'est avec beaucoup d'intérêt que nous apprenons l'existence du culte du bucrâne à Serâbit el Khadem. On sait que ce motif se présente dans la symbolique religieuse de l'Orient dès le début du second millénaire (Cf. Rozenvalle, S., *Jupiter Héliopolitain*, Beyrouth, 1937, p. 25). Quel est le dieu représenté par ce symbole? Nous avons signalé dans notre article, p. 367-368 la présence de trois divinités sémitiques à Serâbit: la déesse Ba'alat et les dieux 'Ab et Ba'al Lebanon. Mais on sait aussi qu'en Arabie du Nord le bucrâne était le symbole du dieu Ṣalam, en Arabie du Sud du dieu lunaire 'Amm et en Syrie il était l'emblème du dieu Hadad. On pourrait songer à un de ces dieux puisque Serâbit était en communication avec tous ces pays. Mais d'autre part, il pourrait se rapporter aussi au dieu égyptien Apis, le taureau sacré, considéré comme une incarnation du dieu Ptaḥ dont on a retrouvé l'image sur une pierre avec inscription protosinaïtique (cf. nº 7 = Petrie-Peet 351).

La première inscription, assez fortement endommagée, longe le côté gauche supérieur de la pierre. C'est une simple invocation à la divinité Ba'alat. Le second texte, qui ne contient pas moins de 16 signes, débute en haut au milieu de la pierre et en descendant contourne tout le bord gauche et inférieur de la pierre. La direction du texte correspond à peu près à celle de l'inscription nº 13 = Petrie-Peet 357, mais le tracé des lettres est beaucoup plus rustre. Comme le nº 13, cette inscription est également de contenu profane. On remarque avec intérêt que la direction de l'écriture des inscriptions profanes prend n'importe quelle forme, tandis que les textes religieux figurant sur les stèles votives maintiennent la direction verticale et occasionnellement la direction horizontale. Voici l'interprétation des deux textes:

1 — *z lb'lt*	Ceci (est) pour Ba'alat.
2 — *kn z' nbḫ kn z' lkdrt*	Est là un signe, c'est là (un signe) pour Kudrat.

Commentaire: 1 — on voit encore clairement sur la photographie le *z* et le *l*. Le *b*, est clair. Suivent alors un ', un *l* et un *t* assez bien décelables. La lecture *b'lt* nous semble donc assurée. 2 — l'expression *kn z'* est connue par les textes nº 19 =

fig. 2

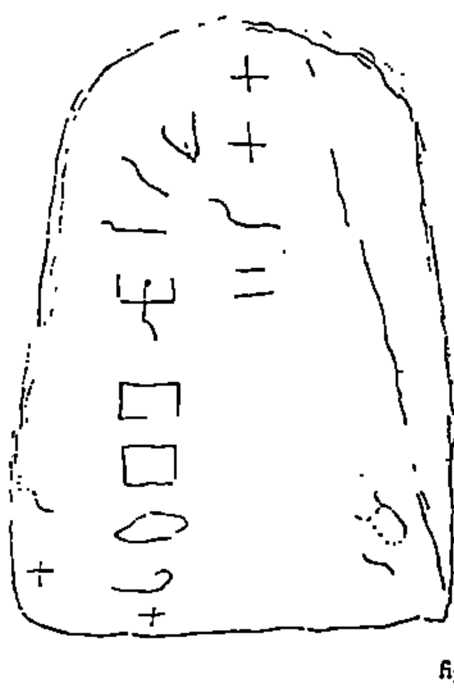

fig. 1

Petrie-Peet 363 et n° 21 = Petrie-Peet 365 a. Voir le commentaire dans notre article, p. 389; — *nbḫ* correspond à l'arabe نبخة, «marque, signe». Le *b* est muni d'une ligne médiane comme dans le n° 17 = Petrie-Peet 361. Le *ḫ* est rendu par le signe égyptien, plus récent que le signe ψ qui rendait primitivement la valeur *ḫ*, cf. n° 10 = Petrie-Peet 354, pl. VIII et p. 371 de notre article. Déjà le tracé rustre indique que le texte n'appartient pas aux plus anciennes inscriptions de Serâbit; — *kdrt* est un nom propre. Ce nom est connu en safaïtique (Csaf. 169+ etc.) sous la forme *kdr* et signifie «gros, épais (jeune homme)». Le *r* est douteux, mais nous croyons pouvoir le distinguer sur la photographie. Voir aussi le nom كدارة dans *Vocabulaire destiné à fixer la transcription en français des noms des indigènes*, Alger, 1891, p. 208.

D'après le contenu de ce texte, les deux figures sur la pierre, le pied et l'étendard, sont donc tracés à l'intention de ce Kudrat.

Beyrouth, le 2 avril 1959. A. VAN DEN BRANDEN.

الدين عند الشعوب المغرقة في البداوة[1]

بقلم الاب مبارك ثابت اللبناني

يعالج الكفرة في هذا العصر نشر دعوة الكفر في انحاء المعمور وقتل جرثومة الاعتقاد بالله في النفوس. وهم يسعون الى غرضهم الكفري بانشاء مدارس عالمية لا دينية يقصرون تعليمها على اللغات والعلوم والفنون في مؤلفات لا ذكر فيها لله تعالى ولا للدين وعبادة وصلاة. ولا يرون فيها الناشئة شارة دينية ولا يفرغون في آذانهم كلمةً مما يرشدهم الى معرفة مبدإ الانسان وغايته ومصيره بعد الموت كأنّ الانسان اخو البهيمة يجوز له او يجب عليه ان يعيش عيشها مقصور الهمّ على اشياء هذه الدنيا لا يعلم ان له خالقاً اوجدهُ من العدم واعطاه الحياة والعقل لغايةٍ اسمى من غاية البهيمة التي يشاركها في بعض احوال الحياة، وانّ هــذا الخالق قد كلفه ما لم يكلفها من معرفته ومحبته وعبادتــه على الارض مدة العمر، وانه مثيبه على حسن طاعته ومعاقبه في عصاوته ومهيءٌ له ما يستحقه باعماله الصالحة او الطالحة من سعادة خالدة او شقاء ابديّ.

ويزيدون على عداوة مدارسهم للدين ترويج سوق الاباحيــة اي اعتقاد الانسان بما يتسأق اهواءهُ واسلام زمام سيرته الى ايدي الحرية المطلقة من كل قيدٍ ادبيّ. فينصبون للشباب اشراك اللــذات ويأخذونه بمصائد الشهوات، مفسدين عليه الدين والاداب والاخلاق بتكثير وسائل الاغواء من تمثيل قبيح ورقص خلاعيّ وقراءة روايات غرامية او مشحونة طعناً في الــديانة والعبادة والتقوى والفضيلة وحطاً من اقدار رجال الدين، الى جرائــد ونشرات تنسج على هذا المنوال وترمي الى ذلك الغرض، ومن ابلاغ الزينة عنــد الاناث الى غاية الفحش ومقاربة العُهر والعُري الفاضح الــذي يشمأزه النظر النقي وتتقيأه النفس الشريفة مما هو عند العقلاء من قبيل ازدراء الانسان بانسانيتــه وخفضه

[1] قد لخّص الاب ثابت هذا المقال الطريف عن الفرنسية مذ بضع سنين. وقد عثر عليه حضرة الاب انطونيوس شبلي اللبناني بين اوراقه في دير مار انطونيوس في بيروت وخص به مجلتنا.

من قدر نفسه ، الى غير ذلك من وسائل الترغيب في المنكرات والتشويق الى المحرّمات والتحضيض على التهتك والانغماس في اخسّ الملاذ وابرعها في تسميم الاخلاق وقتل العواطف الشريفة، ناهيك عمّا يُعرض على الشاشة في دور السينما من صور مُغرية تنفخ في كور الشهوات حتى يتحول قلب المشاهد الى مثل الحديد المحمى يحرق البصيرة والارادة وما ينظر الى الروح والى المادّة كذلك .

على أنّ هذه الريح الكفرية قد اخذت منذ عهدٍ تهبُّ على بلادنا العزيزة مع الحضارة الكاذبة وتهدّد بالذبول واليبوسة زهرة الايمان والفضيلة المجمّلة ببهائها وطننا الكريم والمطيّبة ارجاءه بعرفها الزكيّ .

فوجب علينا ان نهبّ كتلةً واحدة لدفع أذاهـا وتلافي خطرها صوناً للنش الوطني من التدهور الى دركات الانحطاط الادبي ، وضناً بعقائدنا السليمة ان ينال منها الاعتلال ، وبسمعتنا الجميلة ان تعبث بها ايدي التشويه.

ولمّا كان الدين مـلاك الاهواء ولجامَ الشهوات ومؤدّب العواطف ومربّي الاخلاق والوازع الباطني عن المنكرات لم يكن شيء اولى منه ولا مغنياً عنه بشدّ ازرنا لردّ الهجمات العنيفة الزاحفة علينا من كل صوب .

لذلك نحاول ان نبسط هنا بعض مباحث تنظر اليه توفّقها الى القارئ باساليب تحمل اللذة مع المنفعة اقتداء بالمثل الذي يطلب ان تستدعيه الابحاث الرزينة اذا خلت من الفكاهات والاحداث التاريخية المستطرفة ، اما لغرابة واما لبروزها للافهام من طيات القرون .

لا احدثكم عن دين تعرفونه من الاديان التي للشعوب المتحضرة بل عن اديان الشعوب المتوحشة المغرقة في البداوة التي لم تطلع شمسُ الحضارة عليها . فترون انّ الدين قرين النفس الانسانية منذ خلق الانسان وحاجة من حاجاته اللازمة تتطلبها طبيعته وتترتب عليها سعادته .

وبما ان هـذا المبحث طويل وكثير الشُعب حتى لا يستوفى بمقال واحد ، اجتزئ هنا على قسم منه وتسهيلًا للفهم وحملًا على الاصغاء ابسطه على ثلاث درجات : الاولى في تعريف الانسان المتوحش واصل اعتقاداته الدينية ، والثانية في الحيوية ، والثالثة في السحر .

الاولى : تعريف الانسان المتوحش واصل معتقداته الدينية : قال العلامة لانج في تأليف له عنوانه : قصص الاديان والعبادات الوثنية ان المتوحش او البدوي باعتبار التمدن المادي هو من لا يستعمل الآ ادوات من حجر او خشب والا ما خشن من خزف وقماش ، فهو يجهل المعادن وتوليد النار الا على المعروف من اقدم طرائق توليدها من مثل حك عود بعود . ويغلب على اخلاقه قعود الهمّة والكسل ويتناول غذاءه من صيده ومن النبات البرّي وقليلاً من الزراعة ومن لحوم الحيوانات الداجنة .

وهو باعتبار احواله الروحية من يقيس كل العالم على نفسه ، فيرى الاشياء الطبيعية كوائن متنفسة وعاقلة فيقوم باعتقاده ان جميع الناس اهل لان يتغيروا الى نبات او بهائم او نجوم ، وان الريح والغيم والشمس والقمر اشخاص لهم ما للآدميين من شهوات ورغائب وخلال . وان الحيوانات قد تكون خلائق اقوى منه وعلى نحو ما الهية وخالقة .

وهو باعتبار الدين من يعتقد بارواح اجداده وارواح الغابات والينابيع مما لم يسكن قط في جسم بشريّ . على انه يشعر احياناً بان عنده ايماناً ادبياً اسمى وارقى في بعض الاحوال . السحر مقارن لصلاته ، والسجود لموجودات غير متنفسة من دأبه ، يعدّ الحيوانات حماةً له فائقة الطبيعة فيتبتل اليها .

وهو باعتبار الاجتماع من يبني شرائعه على قواعد قوامها تعيين القرابة بين الانسان وبين الاشياء الطبيعية قرابة يعدّها مقدسة فيملّل بها موانع الزواج وضروب الثأر الاجبارية ، وللمهارة في السحر رتبة سامية في عرفه .

الانسان المتوحش اشبه اخلاقاً بالولد الصغير ، يتوق الى معرفة كل جواب ويكتفي بادنى جواب ، وعقله لا يتناول الا الصور الكثيفة ، فيتصوّر الالهة والارواح كوائن مادية ، وعنده ان الروح هو كل شيء وكلّ علة في كائن حي . فسبب الارواح روح ، ومُنزل المطر روح وهلمّ جرّا . وعبادته ليست محض محبة لمعبوده بل وسيلة لاحراز محبة كائن اسمى لكنه غير مستغنٍ عن الانسان حتى في الحاجات الطبيعية والغليظة ، لذلك كان انه يُستمال بتمكينه من حاجاته .

المتوحش إما صيادٌ او حرّاث راحل . لذلك يتجه انتباهه الى ما يراه من حيوان وشجر فيدهشه بعضها بغرابة مشهدها والبعض بقوّتها الطبيعية والبعض

بنضارة الورق والتفاف الاغصان فتميل نفسه الى عبادتها . واوّل ما حوّم عليه فكره الشمس باشراقها واشعاعها وحرارتها وطلوعها ومسيرها ومغيبها. والقمر بتقلباته وفوائده ، والولادة والموت والانبات وادوار الحياة على اختلافها والامراض والاحلام والغضب والسكر والاشياء النافعة الضرورية لحياته ومشاهد الطبيعة المدهشة او الفجائية ، فهو يتمم النظر في جميع هذه الاشياء. ويبحث عللها وغاياتها وطبائعها . فيحلّ مسائلها حلًّا صبيانيًا لما به من قصر العقل وقلة الفهم. مثله في ذلك مثل ولد صغير لا يُحسن البرهنة ولا تمييز الحقيقة من الخيال . فقد رأينا صغارًا ينظرون الى قمة جبل التف عليها الضباب فيخيّل اليهم ان الجبل متصل بالسماء ، واذا رأوا الغيم عند المساء متلبدًا في الافق من جهة البحر وقد تكونت منه صور حيوانات من جمالٍ او خيل او بقر الى غير ذلك يحسبون تلك الصور حقائق اي حيوانات على ظاهر ما يشاهدون . المتوحش ولدٌ صغير بعقله وحسه وخياله ، فلا غروَ ان يعتقد وجود الحياة في كائن ما ذا من حياة.

وله عقلٌ يستعمله ومن طبعه الفضول فهو يستوضح الاشياء. ويسأل نفسه من اين اتى والى اين يمضي ، ويبتغي ان يعرف الكثير من العلل لكنه لا ينتهي الى تعليل صحيح . فعنده ان مصدر الشمس انسانٌ يحمل نارًا ، او يخيّل اليه ان الشمس انسانٌ رآه صباح يوم يشقّ الهواء بجناحين مبسوطين ، والهلال في عرفه قرنان بارزان في راس حيوان غير مرئيّ . ويتوهم الارضَ بارزةً من الماء كما يبرز الصدف من البحر او خارجة من مغارة عميقة كالتي اوى مرةً اليها ويعلل الموت بخروج الروح الذي كان يُحيي الجسد .

وبعقله الطفليّ يقيس الاشياء بقياس نفسه فيحكم بان لها مثل ما له من حياة وتاريخ : فالشمس والقمر يولدان ويتزوجان ويعيشان ويموتان . ولهما ارادة وحرية واميال وشهوات ، فتارةً يكونان صالحين وتارةً شريرين. وكذلك الحجارة والسهام الخشبية والمعادن والبهائم والشجر . ولكل منها روحٌ يُحييه . فالسهم يجرح لان فيه روحاً مؤذياً والشمس تُحرق لانها غضباء ومتسخطة .

ولاعتقاده ان كل علّة هي ذات حياة وحرية باستطاعتها ان تنفع وتضرّ اصبحت الاشياء في اعتباره آلهةً يبذل الجهد في اخضاعها او اخماد سخطها ، فاخضاعها بالسحر واخماد سخطها بالدين والعبادة . فالسحر والدين ضروريان

لحياته، بدونها لا امن ولا سكينة. ذلك لانه لا يملك ان يعيش دون الطبيعة وهو يتوهم ان الاشياء حية مثله. فالصيد والزراعة والحرب والولادة والزواج والمرض والموت كلّ ذلك معلول الكوائن ذات حياة، فهمه ان يحمي نفسه من الارواح الشريرة ويستميل الصالحة ويحالف القديرة، وهذا سبب من اسباب اختلاق الاقاصيص الدينية عند المتوحشين. ومن اسباب ذلك الرغبة في معرفة الانسان نفسه ومصيره وسائر احواله فيثبتُ المتوحش باعمال دينية واعتقادات مستهجنة وطقوس مستغربة وتكثر عنده الحكايات عن عبادة الموتى ونسب الالهة واصل العالم وشرح الموت. ويختلط عنده العلم بالدين، والحياة الدينية هي الانسان كله في نظره. ويترقى الدين عنده بقياس ترقي عقله وعلمه فلا يعود مقصوراً على تحصيل المنفعة في الحياة الزمنية ولا تكبر ان الدين عند المتوحشين وسواهم هو علم الخلاص وبيان اصل الانسان وغايته.

ومجتمع المتوحشين كافرادهم حكماً واخلاقاً فما تحرّمه الشريعة الفردية تحرّمه شريعة الحكومة. والحاكم عندهم صفةٌ دينية وحكمه الحيّ لانّ فيه روحاً الهيًا.

اما اصلُ الاعتقاد بوجود اله فلا طاقة بمعرفته تاريخيًا لان ابتداء تصور الله لم يزل جامد. لكننا نقطع بوجوده تعالى اعتمادًا على العقل والوحي، وليست عواطفنا الدينية العصرية بمنقولة عن عواطف الناس الاولين سكان المغاور وعلة التشابه بين العاطفتين وحدة الطبيعة والغاية في الانسان.

الثانية: الحيوية: وهي الاعتقاد بوجود نفس لكل كائن من النوامي وذوات الاعضاء.

قال الاب لاجين: «يعتقد المتوحشون ان الحياة تتناول البهائم والاشياء كالناس، وعلى هذا الوهم تُبنى معتقداتهم الدينية».

فزنوج افريقية الوسطى يعتقدون ان السماء اله المطر ويسمونها لوباري. وانّ القمر حيّ ومتزوج بالبقرة والهلال قرناها. ومنهم من يعتقد ان المياه حية ويؤلهونها فيذبحون لروح الانهار منعاً للجفاف. وقبل ان يجتازوا نهرًا يستأذنونه للسلامة من الغرق. وقوس القزح حيّ يشرب من ماء البحر، انه حية تخرج من مستنقع لتصعد الى السماء. والقمر والشمس زوجان، والقمر هو

زعيم الارواح باعتقاد قبيلة هوتنتو ، وكل النجوم والكواكب حية باعتبار قبائل الكونكين ، والنار والماء حيان ومعبودان . سُئل ساحر من تلك البلاد ماذا يتمم اذ يعالج شفاء عليل ، فقال: اخاطب الشجر والاطيار والينابيع والسماء والصخر والهواء والمطر وورق الشجر طالباً عونها على ما اريد .

وعند قبائل الكرابيب أوعية من اليقطين المعروف بالقرع يجمعون فيها حجارة واشياء اخرى فيها ارواح ويسمونها القوارير السحرية .

وفي اوسياني يؤلّهون الشمس ويسمونها (كا) والقمر والنجوم حتى البراكين. وفي الصّين اعياد حافلة للاله النهر ومثلها للاله الماء .

وللحيوان في نفوس المتوحشين مكانة عالية . فهي في نظرهم ذات عقل كالانسان واحياناً اعظم منه مكانة واكبر عقلاً : ذكر ان الجوالة مونتيرو البورتوغالي انتهى الى الجنوب الشرقي من افريقية راكباً حماراً وكان اهل تلك البلاد لم يروا حماراً من قبل فتحيروا مندهشين ، وكان انهم بعد زمن اختلفت اراؤهم في امر فاتوا الحمارَ يستوضحون رأيه فيه بكل احترام .

ومن البهائم ذوات الرئاسة على الانسان في اواسط افريقية القرد والفيل والضبع والاسد والتمساح والنسر والعقاب والافعى. (زيد لهم عليها حمار البورتوغالي)

. والحياتُ في داهومي تعيش بمال الحكومة ، واهل تلك البلاد يعبدونها ولها عندهم هياكل وذبائح واعياد . وثمَّ حظيرةٌ جميلة الوضع يربّون فيها مئة حية تخرج الى احياء المدينة وقت تشاء ، وكل من رآها يسجد لديها معفراً وجهه في التراب حتى تجوزه ، واشدُّهم عبادة يحملها ويردّها الى بيتها المقدس باكرام لا مزيد عليه . وفي وِيداعَ ضربٌ من الحيات الشرسة تُعرف باسم(يُوا) تبتلع ما تصادف في ممرّها من حيوان ، وكلّما كانت اكثر شراً كانت عبادة الساجدين لها اشدّ واحرّ . واذا افترست ولداً لهم نالهم شرفٌ وسيم وغمرٌ من البركات . وأبوا الولد المفترس يجثوان ويقبّلان الارض شاكرين الاله (يُوا) على اصطفائه ثمرة محبتها ليكون له طعاماً ما يتلذذ به .

ولكل من افراد الجنس الاحمر في اميركا الشمالية حيوانٌ يُخلص له العبادة ويتخذه محامياً قال الاب شارلفوا في صيد الدبّ : اذا قتل صائد دباً يُدخل انبوب غليونه بين اسنان الدبّ وينفخ حتى يمتلئ فم الدب دخاناً ويستحلف

روحه ان لا يحمل حقداً عليه ولا يتصدى له في مباشرته صيداً آخر في المستقبل وبما ان الدب لا يحير جواباً يقطع الصائد عصبة لسان الدب ويحملها الى قريته فيجتمع اهلها ويلقون العصبة في النار باحتفال عظيم وصلاة طويلة فاذا احتدمت وتحركت لتنسحب فتلك دلالة قاطعة على ظهور روح الدب والمغفرة .

الخلاصة : ان المتوحشين في كل قطر يذهبون الى ان الحيوانات ارفع رتبة واعظم قوة من الانسان ، واحياناً يؤلهونها فيحدثونها ويستشيرونهـا ويبتهلون اليها ويسألونها الحماية والايد والنجاة .

الانسان نفسه يدخل في رتبة الحيوية كسائر الموجودات ، فان المتوحش يقوم في وهمه انه مسكن لروح او لارواح كثيرة ، فالموت في اعتقاده يكون بخروج الروح الساكن فيه من الجسد ، لذلك كان إن اهل داهومي يلقون على القبور انواعاً من الطعام والشراب والملبس والادوات اعتقاد ان روح ميتهم يستعملها في حاجاته كما لو كان حياً . ويقربون على القبور ذبائح بشرية اغذية لروح الفقيد ، أو يتخذها رفاقاً له واصحاباً ، واولو الجنس الاحمر في اميركا يدفنون مع الميت كل ما كان مختصاً به من آنية وكساء . وما اشبه لئلا يصل الى العالم الآخر فارغ الحقيبة من الضروري ، واحياناً يذبحون للراحلين نساء وعبيداً حفاظاً على ارواحهم من حاجة الى نساء وعبيد .

والطفل الميت في شمالي المكسيك يملأ فمه لبناً من ثديي امه مخافة ان يجوع مسافة الطريق . ومن المتوحشين من اذا مات احد اقربائهم لا يجرأون على الخروج من مساكنهم مدة ثمين يوماً مخافة ان يلتقوا بروحه فيأخذهم اليه ، ويلبسون الحداد ويشوهون وجوههم ويتخضبون ويغيرون اسماءهم لئلا تعرفهم روح الميت ، ويكثرون النحيب في المآتم حملاً لروح الميت على الهرب . ولا يعودون يلفظون اسمه لئلا يُستدعى بطريقة سحرية ، وبما ان الروح اقوى من الانسان كان من اهل بولونزي من ينتحر ليصير اقدر على الانتقام من عدوه .

روى بعض المرسلين انّ اهل كارولين اذ يموت المحتضر يطلون جسده بالاصفر ويرسلون اصواتهم بالعويل والتنهد والانين وبعضهم يقصون لحاهم وشعر رؤوسهم ويلقونها على الميت ويصومون ذلك اليوم الى الليل وحينئذٍ يأكلون بنهم وشراهة كبهائم مسها اشدّ الجوع . ذلك دليل للفقيد على شدة حزنهم لئلا يأخذه

الذئب فيعود اليوم ويسلبهم راحتهم والسلام .

وروى مرسل آخر ما عاينه في الارجنتين من دفن الموتى قال : يلقون الى جانب الميت مؤونة وقوساً وسهاماً ودبوساً ليتمكن من حفظ كيانه ولا يعود الى العالم فيُبرم الاحيا، لاعتقادهم ان النفس لا تفنى مع الجسد اذ كان من طبعها البقاء .

ومثل هذه العادات والضجّ والولولة والرقص والملابس المستهجنة تجدها في المآتم في تيبت والصين فاذا مات في الصين انسان من اهل الثروة يظلّ الكهنة البوذيون يضجون ضجيجاً هائلاً يصمّ الاذان مدة ثلاثة ايام ثم يحملون الجثة الى قبر فيه من الزينة احلاها واغلاها . ما قولكم في العادات المألوفة في بعض مآتمنا اليست نسخةً من تلك المآتم المستغربة ؟

فالمحصّل من هذه العادات ان المتوحشين يعتقدون وجود روح في الجسم والموتُ عندهم ذهاب ذلك الروح . وايضاً فانّ الامراض تدلُّ على هذا الاعتقاد، فاذا مرض احدهم عزوا مرضه الى روح شرّير فيه او الى رغبة روحه في الافلات من جسده . وفي جزر الانتيل يعالجون العلل البدنية بتقيّوء لاخراج الارواح الساكنة في الجسد . وفي افريقية الوسطى يُخرّج الروح الشرير بالعطس، اما التثاؤب فاستدعاء روح صالح . (وعندنا يسدُّ المتثائب فاهُ باصابع يده ، لماذا ؟ أَلمنعٍ من الدخول ام من الخروج ؟)

ومنهم مَن يعتقد ان علة المرض خروج الروح الصالح وكذلك الموتُ . فلا يألون جهدًا في منع ذلك الروح من الخروج .

وفي كالدوني الجديدة من يسدُّ فم المريض ومنخريه لئلا يخرج الروح الصالح فيموت المريض . لكنه يخرج من مخرج آخر بالرغم عمّا يجهدون .

قال الاب روجيرون احد المرسلين : كنتُ امسح منازعاً بالزيت المقدس فاتى صديقٌ له وسدَّ انفه وفمه بيده حتى كاد يخنقه فرفعتُ يدهُ عنه فمات . فبهت الرجل وقال لي : ها انَّ روحه قد أفلتَ لماذا رفعتَ يدي ؟ .

ومعالجة المرضى عند المتوحشين تكون غالباً بالتعزيم طردًا للروح الشرّير، والساحر هو الذي يدخل الروح الشرير في الجسم فيُمرضه وهو الذي يطرده من الجسم بالسحر فيشفيه ، ويعتقدون ان في الساحر روحاً جبّارًا يستحوذ عليه

وبقوة هذا الروح يجلب المرض والشفاء . ولا يقدر على شيء من ذلك ما لم يكن مجذوباً او في حالة غضب شديد او مصاباً بداء الكلب . وفي بعض الاماكن يتوسلون لمثل هذه الحال بالسكر المفضي الى الجنون او بالصوم المفضي الى الهذيان . ومن حصلت له هذه النعمة فهو ارفع من الناس وكاهنٌ وبمثابة اله (ترى الى هذا الاصل مردّ تكريم المجاذيب في بعض البلدان ؟) .

وسلطان الكهنوت يرثه الابن عن ابيه على شرط ان يلتقف روح ابيه عند خروجه بالموت ، وفي بعض القبائل يصير الرجل ساحراً اما بالارث او بالهبة او بادعائه الالوهة . والوثني يحب المرافين ويسميهم (تاما) فاذا مرض استقدمهم فيمتم تاما بعمامته الالهية واسمها (شاماوُ) ويشدّ وسطه بمنطقة بها اجراس بغال ويجعل يقفز في الغرفة والساحة ويستدعي الروح ليأتيه بالدواء . ويكون الناس وقوفاً ينقرون على الطبول وينفخون في الابواق والزمور ، وقد يموت العليل بشدة الضوضا ....

في اميركا الشمالية وفي افريقية الوسطى يُعالج المريض بالامتصاص او بالتمسيد او بكليها فالساحر يمتص الروح الشرير او يخرجه بالتمسيد فيخرج بشكل شيء خفيف . قال بعض المرسلين : تأخذ العرافة بالتعزيم حتى يزول الالم فان استعصى عمدت الى الامتصاص ولا تزال حتى تنتهي باستخراج خشبة خشبة دقيقة او عظم او رمل وما اشبه ذلك وتعرضه على المشاهدين فيدهشون .

والدمُ ايضاً يحتوي ارواحاً تكون تارة صالحة وطوراً شريرة ، فالعرب وسكان غينية الجديدة لا يأكلون الحيوانات المخنوقة لبقاء دمها فيها خوفاً من اذى الارواح .

وقبائل الهوتنتو يعتقدون انهم يأخذون ارواح الحيوانات التي يأكلون لحومها . وقبائل الكرايب يذيبون رماد الموتى في شراب يكرعونه على الفور لتصير ارواح الموتى في أبدانهم ، والقبائل البرازيلية يأكلون الجثة نفسها ، وفي اوستراليا يقتلون حيواناً ويدفنونه في اساس البناية لتتوطد وتصان بقوة روحه .

يعتقد المتوحش ان الانسان مسكنٌ لروح يقيم فيه مستقلًّا عن الجسد ومربوطاً به قبل الموت وبعده وقد يكون الجسد مسكناً لعدة ارواح . وكلّ

ما يحدث للانسان وفيه حتى العطس والتحرك والهضم والاحلام والمرض والموت فعلّته الارواح . وعندهم ان الارواح تستطيع الانتقال من جسم الى آخر ، ومن معتقداتهم وجود ارواح تائهة نفوس الاجداد والاباء. وسواهم ويخافونها اشدّ الخوف لقدرتها على ايذائهم ، وفي افريقية الوسطى يحالفون ويسالمون الارواح حتى الشريرة ولكل منهم روح يقوم بحمايته . فيبني له كوخاً بجانب كوخه ويتقي ان يجرح عواطفه بشيء ، فلا يكشف عن عمره ويبالغ في كتم ما يعروه من مرض لئلا يُتهم بنقص الثقة بالروح حليفه .

ولهم اوثان مصنوعة يسمّونها (فتيش) ومعناها بالبورتوغالية المصنوعة باليد ، وهي حجارة وآنية وجذوع شجر وصدف وجرارٌ مكسّرة عليها نقش الى غير ذلك من الاشياء .

ومن هذه الاوثان الحقيرة ما صُنع بشكل انسانٍ او حيوان مسخٍ تنبو النواظر عنه لدمامته ، واولو الجنس الاحمر لا يجرأون على التحدث بقصص الارواح الا في فصل الشتاء لانَّ الارواح في الشتاء تأوي الى المغاور خامدة الهمة من قساوة البرد فلا تسمع ما يتحدثون. اما في الصيف فتكون على مقربة منهم او في مجالسهم ، ومنهم من يحبس الارواح الصالحة في قوارير سحرية (عند الكرايب) .

قال العلامة مونيه : الطبيعة باسرها ، بما انها ذات ارواح ، تكلّم الانسان المتوحش تخاطبه بدويّ الريح وهدير الشلّال ، والحرشُ ايضاً حيٌّ وله شهوات وطبائع فهو يغضب ويرضى ويرفع الشوك من طريق الصيّاد او يركه فيه ، ويجر الصياد الى مستنقعات فاسدة وورطات عميقة تراقبه فيها عفاريت شريرة تمتص دمه من جراح تحدثها الاشواك ، والهنديّ يعرف هذا كله ويعرف العفاريت باسمائها.

ان المتوحشين يعتقدون بوجود روح يُحيي الجسد ولا يموت لكنهم لا يتصورون النفس مجردة عن الهيولي كما في اعتقادنا ، بل هي في اعتقادهم انسان او حيوان صغير لا يتناوله النظر لانه غير مرئي .

واهل مالازيا في اوسانيا يتصورون النفس بشكل انسان صغير كالابهام له طبيعة غير مادية لكنه جسم يشغل مكاناً اذا دخل في شيء مادّي ، وله قوة الانتقال بسرعة من مكان الى مكان وهو يهجر الجسد الى حين في مدة

النوم وفي داء النقطة وفي حال الاغماء والمرض اما بعد الموت فيخليه بتاتاً. والنفس عند بعضهم قابلة الوزن تكون سمينة او ناحلة وطويلة او قصيرة ، واهل نيا يزعمون انّ بامكانهم ان يجعلوها على ما يهوون . واثقل نفس تزن عشرة كرامات ، وكلما كانت ذات اتساع كلما طالت الحياة .

ومن عادة بعض الهنود وقت الولادة ان يسدّوا نوافذ البيت وثقوبه ويكمون افواه الحيوانات ، والذين يحضرون الولادة والوالدة ايضاً يسدّون انوفهم لئلا يستنشقوا نفس المولود فيموت لساعته .

ومن اغرب خرافاتهم طردُ العفاريت ، فانّ اناساً يحمل تمثال تساميا وهو روح يزعمون انهم ادخلوا فيه جميع ما في البيت من ارواح شريرة ، وحامل التمثال يجري به ركضاً الى موضع قاص وفي صحبته رجال مسلّحون بالسيوف والبنادق رافعين اصواتهم بالضجيج والصراخ وهم يهزهزون السيوف ويطلقون البارود ارهاباً للعفاريت واقصاءً لهم عن البيوت .

ومنعاً للعفاريت من دخول قريتهم يلقون لهم في خارجها أرزّا ودماً واشكالاً من المأكول او يسيجون المدخل بالازهار واحياناً بالشوك ، وربما قاموا بحفلة طواف وهم يزرقون باسيافهم جسم الهواء ليهزموا الهة القيء .

ومنهم من يتصور النفس بصورة طائر فيلقون على رأس المريض حبّاً لسلوه بالتقاطه عن الطيران . ومنهم من يتصورها بصورة فأر او فراشة او جرذون .

ومن اوهامهم ان النفس اذ ينام الجسد تعمل اعمالاً كثيرة بدونه لاستقلالها عنه فتركب الاسفار البعيدة وتزور اشخاصاً وتقاتل وتفرح وتحزن وتبكي وتضحك . والاحلام عندهم حقائق لكنها فعلُ الروح وحده . والروح في اسفاره الليلية يلاقي صعوبات وعوائق جمة وقد يضبط فيموت الجسد . ومن مرويات اهل جزر كولوميا ان روحاً بصورة جرذون بينا كان يشرب من ابريق سقط النطاء فجأة على الفوهة فانحبس ولم تعد الحياة الى الجسد الذي انطلق منه حتى فُتح الابريق . وهم لا يوقظون النائم بغتةً ليكون للروح مهلة للعود اليه ولا يغيّرون مرقده محاذرة ان يعود الروح فلا يجده .

(من هذه الخرافات نشأت اوهام عند بعض اهل الحضارة فوقع في نفوسهم

خوف الارواح وصاروا يتوهمون انهم يرون ارواح الموتى حول منازلهم ويسمعون كلامها باذانهم) .

وعند الكونغو حفلات وطقوس لادخال النفس في جسد المريض معتقدين انّ النفس تخرج احياناً من الجسد مكرهة بقوة الارواح والسَحرة . فيمرض الجسد او يموت ، وعلى الساحر ان يعرف بالحلم او بالسكر تلك الأرواح ويقاتلها ويعرف ايضاً الى اين ذهبت النفس أإلى شجر المقابر مثلا او الى مكان آخر فينصب لها شركاً حيث تكون ويقبضها لئلا تعذّب الاحياء .

ومن المتوحشين من يعتقد ان الروح ظلُّ الجسد . فالمتوحش في جزيرة بابار اذا شاء ان ينزل مرضاً بانسان يهوي بالضرب على خياله ، وفي آسيا يتجنبون وقعَ ظل الانسان على قبر لئلا يمكث الظل فيموت صاحبه . واذا مر في ظل انسان ضبعٌ او تمساح يمرض الانسان او يموت ، واهل اوستراليا يخافون من ظلّ الحماة . (فيا للكنة من كثافة ظل الحماة !) وفي بنجاب يخافون ظلّ المرأة الحُبلى وقبائل الفيجان يذهبون الى ان صورتهم التي تنعكس على وجه الماء هي نفسهم ذاتها فما يصيب ظل الانسان على ما رأينا يمكن ان يصيبها . ويضعون في مدخل البيت وعاء فيه ماء حتى اذا دخل عدوٌ يطعنون انعكاسه على الماء بمدية . واذا مات ذو قرابة لهم في بيت فيه مرآة يحجبون المرآة بغطاء كثيف منعاً لروح الميت من أخذ انفس اقربائه الذين تنعكس صورهم في المرآة .

والهنود يخافون المصوّرين اعتقاد ان صورة الانسان هي نفسه فايُّ اعتداء يوجه الى الصورة يقع على النفس حتماً .

يتضح مما اتينا عليه في هذا الخطاب ان العاطفة الدينية بارزة ومستكنة عند جميع الشعوب حتى المُغرقة في البداوة فان قيل انها عند الشعوب المتمدنة انما نشأت بغرس ايدي الحضارة قام بغرسها اناس من اهل الحكمة والصلاح لسعادة المجتمع الانساني قلنا فمن غرسها في نفوس المتوحشين ؟

فالجواب ان العاطفة الدينية ان هي الا فطرةٌ في الانسان اوجدها الخالق القدير الحكيم لكي يكون للانسان رابط من ضميره يشده الى الله شداً وثيقاً بالخضوع والطاعة والعبادة . على ان العقل وحده او بمساعدة الوحي يُثبت

للعاقل وجود كائن أسمى في يده مقدراته فيحبه ويخشاه ويترجاه ومن ثم يستعطفه بالتقادم والصلاة . وللمتوحشين حظ من معرفة الالوهة . والدين مقرون بجميع اعمالهم واحوالهم لكنهم لصغر عقولهم وضلال تصوراتهم واستيلاء الاوهام على مخيّلتهم وشدة انفعالهم بالاشياء الطبيعية والمحسوسة وقياسهم كل الموجودات بقياس نفوسهم ، يتوهمون وجود اللاهوت في الاشياء الطبيعية فيؤدونها مفترضَ العبادة على حسب اخلاقهم وحاجاتهم ولا يزالون على ذلك حتى يترقى الدين عندهم بترقيهم في الحضارة والمعرفة فيحطمون اوثانهم لدى قدمَي الاله الحق المبدي والمعيد .

تعريف عن الكتب

يكتب هذا القسم الاستاذ « عارف تامر » فيعرّف قراء مجلة « المشرق » باهم الكتب التي صدرت وتصدر عن دور النشر في لبنان والعالم العربي .

كانت دار بيروت ودار صادر للنشر ولمّا تزالا تتوسمان بجهود كبير في سبيل احياء التراث العربي والنهوض بالحركة العلمية نهوضاً جبارًا تستحقان عليه كل ثناء وتقدير لما له من الاثر والفائدة على العلم والثقافة ويكفي لذلك الكتب الكبيرة التي اعادت وتعيد طبعها واخراجها فجاءت متقنة تمام الاتقان باخراجها وتنسيقها وتبويبها . ومن بين الكتب التي اخرجتها هذه الدار :

رسائل اخوان الصفاء

في الواقع لم يقبل القارئ العربي على كتاب في الفلسفة والعلوم اقباله على رسائل اخوان الصفا. الذي هو ثمرة الانتاج الفكري الاسلامي في عهود الاسلام المبكرة والموسوعة الفلسفية التي عبرت عن اضخم انتاج فكري لمختلف الآراء والديانات القديمة والسائدة التي كانت موضع اهتمام ودراسة المهتمين ورجال العلم في الشرق والغرب .

إن هذه الرسائل الاثنتين والخمسين تقسم الى اربعة اقسام . العلوم الرياضية والطبيعية وما بعد الطبيعة والديانات . اذا فيمكننا ان نقول انها اشبه بدائرة معارف فلسفية لمجمل ما انتهت اليه علوم الاقدمين وعقائدهم وآراؤهم فضلًا عن انها كتبت بلغة انيقة جذابة جميلة فيها الصور والتشابيه والانتقادات البديعة وقد جاءت في ١٢ جزءا يؤلفون جميعهم اربعة مجلدات وقد كان الابتداء بطبعهم في عام ١٩٤٧ .

ونحن اذ نقدم تهانينا لدار بيروت وصادر على مجهودهما في هذا السبيل لا يسعنا الا ان نقول بصراحة بان الكتاب قد جاء من الناحية العلمية غير وافٍ للمرام وذلك بسبب المقدمة التي كتبت في الجزء الاول ولم يراع فيها الاختصاص فجاءت بكل اسف خالية من كل جديد عن هذه الجماعة التي مثلت دورًا

هاماً على مسرح الفكر الانساني والعالمي. وكم كنا نتمنى مخلصين لو ان المقدمة جاءت متناسبة مع الكتاب من الوجهة العلمية والفلسفية .

الطبقات الكبرى لابن سعد

يعبر هذا الكتاب الكبير عن اضخم تراث اسلامي . ولا يزال من اوثق المصادر التي يعتمد عليها رجال الحديث ومؤرخو الفقه وعلماء التاريخ، والحقيقة فانه موسوعة كاملة عن سيرة رسول الإسلام محمد والصحابة والتابعين حتى عهد المؤلف.

صدر من هذا الكتاب ٣٢ جزءاً في ٨ مجلدات عن داري صادر وبيروت في سنة ١٩٦٦

الشريف الرضي

يعتبر الدكتور احسان عباس مدرس الادب العربي في جامعة الخرطوم من الادباء المشهورين والباحثين الكبار الذين اذا عالجوا موضوعاً اعطوه حقه من البحث والدراسة والتنقيب والرجوع الى المراجع التي تنير الطريق وان كتابه الشريف الرضي التي اخرجته دار بيروت وصادر فيه دراسة عميقة وتحليل علمي لشعر الشريف الرضي وثقافته واثر شعره في العصر الذي عاش فيه . وفي الواقع فاننا اذا اضفنا هذا الكتاب الى الكتب الادبية الاخرى التي حققها واشترك بتأليفها الدكتور عباس فلا شك بأنها تؤلف مدرسة ادبية قائمة بذاتها .

سنة ١٩٦٨

فتوح البلدان

تأليف الامام احمد بن يحيى البلاذري

اذا كان الكتاب العربي بألوانه المختلفة عاملاً من عوامل الرقي وسبيلاً الى تحقيق النهضة الفكرية والاجتماعية في مختلف انحاء العالم ، واذا كان رجال الفكر على اختلاف حقول نشاطهم يحملون اعباء هذه الرسالة فان المؤسسات التي تقدم خدماتها وجهودها في نشر الكتاب المفيد تضطلع هي الاخرى بجانب كبير من خطورة هذه الرسالة وعلى اساس هذه النظرية السامية قامت دار النشر للجامعيين فساهمت في هذه الخدمة الجليلة وقدمت احسن الكتب واقوم

الدراسات التي سدت فراغاً كبيراً في المكتبة العربية ومن بينها فتوح البلدان الكتاب الذي هو غني عن التعريف لانه من الاصول النادرة والمصادر القيمة في دراسة الفتوحات الاسلامية وما رافقها من مظاهر التنظيم الاداري في الاصقاع التي دخلها العرب، وهو من كتب التاريخ الاسلامي التي توضح موقف نبي العرب محمد والخلفاء الراشدين ومن تلاهم في معالجة احداث الفتوح وذكر التشريفات التي راعوها والانظمة التي استنوها يضاف الى ذلك اهمية الكتاب في اظهار احوال البيئة الاسلامية عقب وفاة النبي واسباب النزاع حول الخلافة واحكام الخراج والخاتم والنقود، ان فتوح البلدان وثيقة تاريخية وتشريعية وفكرية مهمة لا غنى للمؤرخ والقاضي والاديب والفقيه عن الرجوع اليه. جاء في خمسة اجزاء مذيلاً بفهارس الاعلام والبلدان حسب الشروط العلمية للتحقيق والتقديم.

وصدر عن دار النشر للجامعيين في سنة ١٩٥٧

تاريخ افتتاح الاندلس

تأليف ابي بكر بن القوطية القرطبي

يعتبر تاريخ افتتاح الاندلس رأس المصادر العربية في دراسة الفتح العربي لاسبانيا فهو اقدم مصدر محفوظ ومؤلف ابن القوطية القرطبي يعتبر في تاريخ الاندلس من الاعلام البارزين في الفقه والشريعة والتاريخ وقد توفي سنة٣٦٧ هـ سنة٩٧٧ م وقد حظي هذا المؤلف بعناية كبار الباحثين والمستشرقين الاسبان وغيرهم وفي طليعتهم المستشرق جيانجوس الذي نشره دريبرا الذي ترجمه سنة ١٩٢٦. والكتاب في طبعته العربية الجديدة جاء مذيلاً بالفهارس العلمية فلا غروَ اذا ما اعتبر مستنداً تاريخياً لكل مثقف عربي يعني بتاريخ امته ويعمل على دراسته ونقده.

صدر ايضاً عن دار النشر للجامعيين

مذكرات آغاخان

تساهم ايضاً دار العلم للملايين بجهود عظيم في سبيل احياء الكتب العلمية

النادرة وترجمة المصادر المفيدة ومن بينها مذكرات اغاخان. ترجمتها الدار المذكورة عن اللغة الانكليزية فجاءت تحفة نادرة باسلوبها الجديد وطبعها واخراجها وأسلوبها ، وفي الواقع ففي مذكرات اغاخان كل طريف واذا عرفنا ان صاحبها لعب دورًا عظيماً اولياً على مسرح السياسة العالمية ادركنا اية قيمة لارائه في السياسة والعلم والادب والاسلام التي ضمنها المذكرات ومما يزيد في روعتها ان مقدمتها كتبها الاستاذ عارف تامر فعرّف اغاخان تعريفاً خرج فيه عن نطاق التأثيرات العاطفية الى عالم الواقع والحقيقة فجاءت مقدمته موفقة الى حد بعيد وخاصةً اذا اضيفت اليها مقدمة الكاتب العالمي (سومرت موم) الرائعة . لقد كانت دار العلم للملايين موفقة باختيار ترجمة هذه المذكرات التي لا يمكن للعالم او للسياسي او للاديب او للمؤرخ الاستغناء عنها . سنة ١٩٤٩ .

العرب في التاريخ

تأليف الدكتور برنارد لويس

هذا كتاب من انتاج المؤرخ الكبير والمستشرق البحاثة الدكتور برنارد لويس مدرس التاريخ في الكلية الشرقية التابعة لجامعة لندن ، وقد اتى فيه بآراء جديدة مهمة تلقي الضوء على اشياء كانت غامضة في تاريخنا غموضاً كلياً ، ومهما يكن من امر ففي الكتاب الذي اخرجته دار العلم للملايين كل علم وفهم وفكر وهو تحفة نادرة وجدير بالمطالعة والاقتناء . سنة ١٩٤٦

روايات الليالي

للاستاذ اميل حبشي الاشقر

تعتبر دار الاندلس من المؤسسات الكبرى التي ساهمت وتساهم في ازكاء الحركة الثقافية وانها عندما تعيد طبع روايات الليالي للاستاذ الكاتب القصصي اميل حبشي الاشقر وغيرها من الكتب القيمة حديثها وقديمها فكأنها تضيف الى خدماتها الكثيرة خدمة جديرة بكل تقدير وفيها يتجلى العمل المثمر وتقريب الآراء بين الادباء والمتأدبين في اقطار الوطن متوخية تقديم الكتب القيمة بالمادة والطبع والاخراج .

انه ما من شك في ان رجال القلم في الاقطار العربية عامة يعرفون جميعهم مجموعة الليالي الروائية ومنزلتها من التاريخ العربي وعنايتها بنشر التاريخ العربي باسلوب قصصي ساحر جذّاب ، وان هذه الروايات التي تشتمل على تاريخ دول العرب في هذا الشرق قبل الاسلام وبعده وعلى ما جرى فيها من امور سياسية مختلفة وبطولة وفتح وغرام-تحف رائعة خالدة في عالم الادب والقصة وقد شهدت له اقلام الادباء والمفكرين في طول البلاد وعرضها ، اذن فهي ليست تاريخاً صادقاً عن العرب وامجادهم فحسب بل دائرة معارف جمعت فنون الحياة في قالب قصصي رائع ناهيك عن بساطة التعبير وسلامة الاسلوب ، واني لا ابالغ اذا قلت انه امتع ادب القصص على الاطلاق وعندما يفكر صاحب دار الاندلس باعادة طبع هذه السلسلة فانه يضيف الى عمله عاملاً جديراً بالموآزرة والتقدير واذا علمنا ان عدد روايات الليالي ثمانية قبل الاسلام وثمانية بعده عرفنا اي مجهود تقدمه هذه الدار للقراء وللمهتمين وللباحثين في تاريخ العرب .

الامام الصادق

تأليف احمد جواد مغنيه

من الذين اصدروا كتباً حديثة عن الامام جعفر الصادق : الدكتور محمد يحيى الهاشمي ، والاستاذ عارف تامر ، والاستاذ رمضان لاوند وسنستعرض كل ما كتبوه على حدة منهم في الاعداد القادمة والآن فلنبدأ بكتاب الصادق تأليف الاستاذ احمد جواد مغنية فهو يتناول اهم نواحي حياة الامام الصادق وعلومه وآراءه وزهده في الخلافة ووصاياه ومتى وكيف تأسست المذاهب الاربعة . اما رأينا فهو ان الاستاذ مغنية لم يأتِ بشيء جديد عن جعفر لان ما جاء فيه بكتابة معروف لدى الجميع ومدروس ومفروغ منه . ومها يكن من امر فلا بد من القول بان في الكتاب بعض آراء قيمة للصادق في التربية والآداب مما يجعل له قيمة تذكر .

صدر هذا الكتاب عن دار الاندلس

الاغاني

لابي الفرج الاصبهاني

لا بد من القول ونحن نستعرض كتاب الاغاني من ان نثني على جهود دار الثقافة التي تعمل في سبيل احياء تراث القدامى من افذاذ الكتاب والشعراء ونشر نتاج افكارهم متوخية بذلك نشر العلم والادب في البلدان العربية وبين محبي الاطلاع والباحثين، واذا كانت هذه الدار لم تقم الا باعادة طبع الاغاني فيكفي لان الكتاب يعتبر سجلًا كبيرًا للادب العربي واغزر مورد وأوثق مستند للتاريخ ايضًا وخاصة في العصر الجاهلي وفي القرون الثلاثة الاولى للاسلام. ان الاغاني يذخر بكل طريف من اخبار الشعراء وروائعهم واخبار المغنين والمغنيات والعشاق والمعشوقات وكل ما هو ماتع وجميل،ولا ريب ان المستشرقين يعنون به عناية زائدة وقل ان نرى اديباً كبيرًا لا يعتمد الاغاني ويأخذ عنه ويستمد من اضوائه في بحوثه ودراساته . سنة ١٩٤٥

ابن خلدون

اذا احصينا دور النشر في لبنان وعددنا انتاجها وما اضطلعت وتضطلع به من جهود لنشر التراث الفكري فتكون دار الكتاب اللبناني في الطليعة ، فهذه الدار لم تتوانَ منذ تأسست عن اتحاف الادباء والباحثين ورجال الفكر بالانتاج الفكري والادبي الذي له اكبر اثر في توجيه الرأي وتكوين فكرة صحيحة عن ادبنا وتراثنا . ونأتي على ابن خلدون فنقول فيه انه من العقول الكبيرة التي كان لها اكبر اثر في التوجيه الفكري الحديث كما ان لمقدمته شهرة عالمية دلت عليها الترجمات الى اكثر لغات العالم ، وفي الواقع انها سفر جليل تضمن قواعد فلسفة التأريخ والاجتماع وقد نقد فيه مؤلفه ابن خلدون كافة الذين سبقوه وبين عيوبهم ثم وصف تطور الامم من البداوة الى الحضارة وترقي الشعوب في الاجتماع والدين والسياسة والاقتصاد والعلوم والفنون وتكون الدول ونموها وانهيارها الى ما هنالك . اما تاريخ ابن خلدون فقد جاء بخمسة وثلاثين جزءا وقد اشرف على تحقيقه جماعة من علماء الادب والتاريخ

فاعتمدوا على اوثق المصادر المصوغة بالصبغة العلمية مضافاً الى كل ذلك الفهارس المنوعة للمواد والاعلام والامكنة مما يجعل لهذه الطبعة الجديدة قيمة فريدة ويساعد المؤرخين والعلماء على سهولة الوصول الى المصادر مساعدة فعالة ، اما التعليقات والمقارنات فقد جاءت متناسبة وسائر مؤرخي العرب كالطبري والمسعودي وابن الاثير وغيرهم حتى لتظن ان هذه الطبعة دائرة معارف تاريخية .

اننا نهنئ دار الكتاب اللبناني على عمله الجبار الذي جاء متفقاً وحاجة المكتبة العربية متناسباً بالاخراج المتقن والورق المصقول الذي يروق النظر ويريح النفس وعلى اعادة ابن خلدون الينا في اجمل آثاره وفي سفر هو اجل ما تركه العقل العربي للاجيال . سنة ١٩٤٦

ابن الرومي
تاليف اليا حاوي
فنه ونفسيته من خلال شعره

اذا احصينا كتب الموسم الادبية التي اصدرتها دور النشر في لبنان في هذا العام يأتي كتاب ابن الرومي لمؤلفه الاستاذ الياحاوي في الطليعة ، ففيه دراسة واقعية فنية لنفسية ابن الرومي من خلال شعره اضفى عليها الاستاذ حاوي كل فن ادبي وكل ابتكار في فن النقد والتحليل وكل ذلك بلغة سهلة لا اثر فيها للركاكة او التعقيد ، مما يجعلنا نقول ان الكتاب تحفة ادبية خالدة جديرة بالمطالعة والاقتناء . سنة ١٩٤٩

قسم شعراء الشام من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر — الجزء الثاني
بقلم رشدي الحكيم

كتاب الخريدة هذا من تأليف العماد الاصفهاني الكاتب المتوفى عام ٥٩٧ﻫ ترجم فيه ترجمة موجزة للشعراء من اهل عصره وعصر آبائه واعمامه ممن كانوا بعد المئة الخامسة الى عام ٥٧٣ ﻫ واورد مختارات من شعرهم ونتفاً من نثرهم ، وقد طبع المجمع العلمي في العراق الجزء الاول من هذا الكتاب ويحتوي قسم شعراء العراق كما طبع في القاهرة جزءان لشعراء مصر محققان بقلم الدكتور شوقي ضيف .

اما الاجزاء التي تتضمن شعراء العجم وفارس وخراسان وصقلية والمغرب والاندلس والحجاز واليمن فلم تطبع بعد .

واما قسم شعراء الشام فقد كان المجمع العلمي العربي بدمشق اصدر الجزء الاول منه منذ اربع سنوات يصدر الآن الجزء الثاني وكلاهما محققان بقلم الاستاذ الفاضل الدكتور شكري فيصل .

وقد بذل المحقق الالمعي عناية عظيمة في تحقيق هذا الجزء شأنه في كل ما نشر بتحقيقه من آثار السلف ولكنه في هذا الجزء اربى على الغاية فترجم لكل علم من الاعلام الواردة في الكتاب وبين مواقع البلاد والامكنة ، وفسر ما غمض من الالفاظ اللغوية وضبطها ، ونظم جداول بانساب الاسر التي خرج منها شعراء متعددون على طراز معجم زامباور كأسرة بني زريق وبني ابي حصين وبني الدويدة وبني سليمان وغيرهم من الاسر التي توارثت قول الشعر عن عرق كابرًا عن كابر ، ذاهبًا الى ان اصحاب السلطان ليسوا احق بالعناية من اهل البيان وهذا عدا الفهارس المنوعة المدرجة في آخر الكتاب ففهرس للمختارات الشعر ، وآخر لانصاف الابيات ، وثالث للمختارات النثر ، ورابع للاماكن ، وخامس للاعلام ، وسادس للمراجع والكتب .

وكنت اتمنى لو بذل هذا الجهد العظيم بكتاب انفع من هذا الكتاب ، واعم فائدة لقراء العربية فاني لم اعثر في معظم هذا الشعر الذي اورده العماد الكاتب لمن ترجم لهم على ما يصح ان يسمى شعرًا بحق عدا شاعرين او ثلاثة ، ولو ان هذا الكتاب بقي في زوايا المنسيات دون نشر لما فات الآداب العربية خير كثير ، ولما زادت ثروتنا الادبية التي بين ايدينا كبير زيادة ، فالادب الرفيع الذي تهتز له النفوس ويأخذ بالاسماع لا موضع له في هذا الركام من الشعر الذي يحسبه علينا العماد شعرا وما هو من الشعر في قليل ولا كثير.

واما المختارات النثرية فربما كان البلاء بها اعظم وهي تكتب الى المختارات الشعرية الاخ العزيز .

واما التراجم التي يترجم بها المؤلف للشاعر فليس فيها كبير امر ، وكأنه لم يكن يقصد فيها الى تعريف المترجم تعريف المؤرخ وانما يرمي الى اظهار براعته هو بالتجنيس والتوشيح والترصيع وما يدور حوالى ذلك ، وكما قال

الاستاذ احمد امين رحمه الله في مقدمتـه لقسم شعراء مصر ان العماد « يعرض الشاعر في شكل يصح ان ينطبق على كل شاعر » وكما قال الدكتور شوقي ضيف في المدخل الذي كتبه لقسم شعراء مصر « ومن يقرأ في مستهل هـذا الجزء الذي نشره وفي ترجمة القاضي الفاضل خاصة يستطيع ان يلاحظ الى اي حد كان العماد يعقد في سجعه بواسطة الجناس وخاصة حين يعمد الى رد العجز على الصدر كما يقولون حتى ليتحول بعض عباراته الى ما يشبه الرقي والتمائم » .

وعلى ذلك فهذا الجزء لا يخلو من شعراء موهوبين غير متكلفين تتدفق الشاعرية من ثنايا قصائدهم لم يقولوا الشعر تظرفاً ولا ترفاً ولا ركضاً وراء نكتة باردة وجناس غث وعلى رأسهم الشاعر حماد بن منصور الزاعي المعروف بالحراط فهو شاعر بحق ولم يبالغ العماد – على خلاف عادته – في وصفه حين قال عنه :

« ليس بالشام في عصرنا هذا مثله رقة شعر وسهولة عبارة ولفظ ولطافة معنى ، وحلاوة مغزى باسلوب سالب اللب ، وصنعة عارية من التكلف » .

والمقطوعات التي اوردها له تشهد بشاعريته الحقة ومن تلك الغرر المقطوعة الآتية :

اهاتفـة الاراك بكيت شجوا	لوشك البين او رجعت لحنا
دعيني والبكاء فلست مني	وان هيجت لي شوقاً وحزنا
وما من ناح عن ثكل وفقـد	كمن اوفى على فنن فغنى
كلانا يا حمامـة حين نبلى	سرائر حبه الصب المعنى
نسيم الريح هل راوحت سهلا	لذاك الحي ام غاديت حزنا
اعد نفحات انفاس الخزامى	لتنشر ما طواه البين عنا

وكل القصيدة على هذا النمط صادرة عن شعور وعاطفة وعلو نفس .

ومن الشعر الجميل في هذا الجزء ابيات لابي الرضا عبد الواحد بن الفرج ابن التوت المصري قالها وقد مر على سيات وهي بليـدة كانت بظاهر معرة النعمان وهي القديمة والمعرة اليوم محدثة بنيت بنقض تلك وغيرها على ما جاء في مراصد الاطلاع مر على سيات هذه واحجارها تقلع ، والمعاول فيها تعمل ، وقال :

« عبرت بربع من سيات فراعني	به رحل الاحجار تحت المأول
تناولها عيل الذراع كأنما	رمى الدهر فيما بينها حرب وائل
فقلت له شات يمنك خلفها	لمتبر او زاهد او سائل
منازل قوم حدثتنا حديثهم	ولم ارَ أحلى من حديث المنازل»

ولا غرو فحديث المنازل هو الذي دون لنا تاريخ الامم السالفة وهو اصدق مصادر التاريخ والسجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد اورد العماد الأبيات الآتية :

« اخي خل حيز ذي باطل	وكن للحقائق في حيز
فما نحن الا خطوط وقعن	على نقطة وقع مستوفز
يزاحم هذاك هذا على	اقل من الكلم الموجز
محيط السموات اولى بنا	فماذا التردد في المركز »

عازيا اياها الى الشيخ محمد بن عبد الملك الفارقي من الوعاظ (ص ١٣٢) في حين ان ابن خلكان ينسبها الى ابي نصر الفارابي وهي بكلام حكيم اشبه منها بكلام واعظ .

اما من جهة الاخطاء فلم تترك لنا عناية المحقق الفاضل ودقته وتحريه ما نأخذه على الكتاب اللهم الا تحريفات قليلة ربما كانت من خطأ الطبع نوردها فيما يلي :

ص ٩ س ٦ وحافظ على دينك حفاظ الجبل على موضعها من الارض واهلها (حفاظ الجبال) .

ص ١١ س ١٠

اصبحت بعدك يا شقيق النفس في	بحر من الهم المبرح زاخر
متفردًا بالهم من لي ساعة	بوفاق شميا او علالة داهر

ربما كانت (بفواق شعيا) والفواق ما بين الحلبتين من الوقت والعلالة ما ما حلب بعد الفيقة الاولى .

ص ١٣ س ١٤ انت التي عوقت جيش الشيب عن رأسي بقلبي وقد تكون (عوضت جيش الشيب) .

ص ١٨ س ٩

ومهنف يروي بجارم لحظه   من غره طمع بضعف جهازه

وربما كان الصواب (بضعف جرازه) والجراز السيف القاطع .

ص ٢١ س ٨

واف اذا غدر اللئام مكاثر   عدد الكرام بزمية لم تصرع

اثبتت تصرع بالصاد المهملة والاولى ان تكون بالضاد المعجمة من الضراعة.

ص ٢٧ س ١٠

فيا عزم لم تقدد لحظ فخلني   ابت خالياً عما يجر على بالي

وربما كانت (لم تقدد بحظ) بالباء لا باللام .

ص ٣٢ س ٦

وخفيت بعد ثلاثة او سبعة   من كاشح لي او صحيح وداد

والاولى (وجفيت) بالجيم من الجفاء لان اختفاء الميت يكون من ساعة الدفن لا بعد ايام .

ص ٣٦ س ٠

انت فألي في اليسر والشكر والصحة والوجد والغنى والثراء

ولعلها (المجد) مكان الوجد لاسيما واسم جده ابو المجد .

ص ٥٥ س ١١

بذرى ابي المجد الذي من حلمه

ضبطت ذرى بضم الذال كأنها جمع ذروة ولعل الاصوب ان تضبط بالفتح بمعنى الملجأ وفناء الدار وقد تكرر ضبطها بالضم في غير موضع من الكتاب .

ص ٩٦ س ١ ومما انشدني لنفسه ببغداد بيتين والصحيح بيتان .

ص ١٦٢ س ٢٢

رقيت بعونك بعد الوجيه   فسقاك ربك ماء فراقا

ولعلها (وفيت) من الوفاء لا رقيت .

ص ١٧٣ س ١٢

حصيف اذا خفروا عفيف اذا عفوا   عيوف اذا اشتفوا امين اذا مانوا

ربما كانت (عنيف اذا غضوا) بالغين المعجمة او اغتضوا وفي القاموس اغتضت الدابة اصابت غضة من الربيع وهي البلغة من العيش ولا يزال العامة عندنا يستعملون هذه الكلمة الى الآن واثنا يعدونها بعلى فيقولون (غض على كذا) يعني خطفه او تناوله بعجلة وهي من بقايا الفُصَح في لغة العامة .

ص ٣٦٩ س ١٤

« شتت شمل الملك بعده واستولى بشره ، واتسع مَكرُ مكره »

ربما كان الصواب (بعره) لا بعده من المر وهو الاذى و (مكرّ) مفعل من الكر لا من المكر .

ص ٣٧٢ س ٩ من قصيدة للشاتاني في مدح نور الدين زنكي :

هل حاز غيرك ملك مصر وصار من اتباعه من جده المستنصر

وعلق المحقق الفاضل على هذا البيت بانه لا يستقيم بصورته هذه التي ورد فيها في الاصلين وفي الروضتين والظن ان البيت والذي يليه كما يلي :

هل حاز غيرك ملك مصر وصار من اتباعه من جده المستظهر
والمستضيء بالله معتد به وبجده وبجده مستظهر

والحال ان الشاعر يقصد في البيت العاضد الفاطمي ومن اجداده المستنصر وفي البيت الثاني المستضيء العباسي (ومستظهر) يريد بها المعنى اللغوي وان كان يوري بها للمستظهر بالله .

« نحو » جديد

لمؤلفه وديع ديب (ماجستير في الادب العربي)
مطبعة ريحاني للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٥٩ ، ١٣٠ صفحة

طالعنا باهتمام كتاب « نحو جديد » . جديد باتجاهه واساليبه كما يصفه المؤلف . غايته وضع قواعد « مبسّطة » لترغيب الطالب في تعلّم اللغة العربية متحاشياً « التعقيد والغموض والابهام ».

يوجه المؤلف كتابه الى جميع الصفوف التي تجاوزت مستوى الشهادة الابتدائية والى الصفوف الثانوية والجامعية العالية ثم يؤكد ان كتابه « يصلح

ايضاً للمتأدبين والمستشرقين» ، فيكون اذن مع صغر حجمه وقلة عدد صفحاته (١٣٠) ملخصاً جامعاً لقواعد اللغة العربية بمنهاج جديد مبتدع يقضي على كل ما سبقه .

اننا نشكر للمؤلف غيرته على لغتنا العربية الجميلة وجهوده ، لكن بعد ان طالعنا « النحو الجديد » ملياً داخلنا الشك واخذتنا الحيرة . اننا نخشى ان يحدث الكتاب في الطالب من التشويش والارتباك ما يزيد في نفوره و«اشمئزازه»

نعتذر الى المؤلف لصراحتنا في ابداء رأينا لا إنكاراً لسموّ هدفه لكن اذعاناً للحقيقة كما تظهر لنا .

هذه ملاحظات لا بدّ من عرضها على المؤلف :

(ص ١٤) : نعم اننا نقرّ بان الاعراب ليس « غاية في ذاته » لكنه في كل الاحوال تمرين للعقل وخصوصاً للمتقدمين في معرفة اللغة فيه يتعوّد الطالب على التفكير والبحث .

(ص ٢٢) : برأينا ان صوغ اسم الفاعل واسم المفعول اسهل على الطالب من القاعدة « الجديدة » . كذلك بيّن لنا ان قواعد التصريف « الجديدة » (ص ٢٨) تزيد في صعوبته وان تعليها المضار دون قاعدة هي اسهل الاساليب.

(ص ٣٩) : في اعراب المبتدأ والخبر «جديد» غريب — هوذا المثل :« زيدٌ مجتهدٌ » زيدٌ:« مرفوع بالاسمية» — «مجتهدٌ» مرفوع بالاسمية. كأننا امام اسمين لا صلة بينهما بالاعراب والمعنى... ان الاعراب بالاسم والخبر لاسهل على الطالب واكثر مطابقة للعقل . وماذا تكون الاسمية ؟ المثل : « يا صبيّة» (الجواب : اسم مرفوع بالاسمية) فلماذا البناء على الضم والاسم نكرة يقبل التنوين : اذا كان قد رُفع فقط لانه اسم فليتوّن فانه ليس غير منصرف .

(ص ١٠٣) : «حبذا» لا يرى المؤلف فرقاً بين « حبذا » والفعل « حبذ » لكن المثال الذي يعطيه يحكم على رأيه : هذا المثال هو : « حبذا المجنون شاعراً » فيكون الفاعل « المجنون » والفعل حبذا (معناه : مدح — استحسن (طالع المعجم) والمفعول به «شاعراً» — اذن المعنى:المجنونُ مدَحَ شاعراً ؟ ا — فالصحيح هو : حبّ (فعل) « ذا » اسم اشارة ...

اننا لا نجد ذكرًا في النحو الجديد لهمزة الوصل: فهل يكون قد حُكم عليها بالاعدام . . .

هذه ملاحظاتنا ليس قصدنا منها التقليل من ثمن جهود المؤلف وسمو هدفه لكن لا بدّ من الصراحة في خدمة الحق لخدمة لغتنا العربية .

نختم بابداء رأينا في مشكلة تعليم النحو : رأينا انه لا حاجة للنحو العربي الى تجديد لكن الحاجة مُلحة الى اصلاح اسلوب كثير من المعلمين الذين يفرضون على التلاميذ استظهار قواعد النحو كلمة فكلمة كما لو كان من الكتب المنزلة . من هذا ينفر الطالب ويشمئز . ف.ق.

ديوان ابن الخياط ابي عبدالله احمد بن محمد بن علي المعروف بابن الخياط الدمشقي (٤٥٠ـ٥١٧)

رواية تلميذه ابي عبدالله محمد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني (٤٧٨-٥٤٨)

عُني بتحقيقه خليل مردم بك ، رئيس المجمع العلمي العربي

معروض بثماني نسخ مخطوطة – مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٨ – ٣٤٧ صفحة ، المطبعة الهاشمية ، دمشق

فقير ينتمي الى عائلة فقيرة . ابن الخياط وُلد في دمشق في عصر مضطرب من ملك الفاطميين (٤٥٠) وقد انتقل من دمشق الى حماة ومنها الى حلب ثم الى طرابلس في طلب الرزق . وكان لا بدّ من ان تفتح له قريحته الابواب وتبلغه الى امراء هذه الاقطار وشعرائها وكتّابها فجاراهم وتوصل الى اكتساب اسم ابن الخياط الشاعر.

لم يهتم المؤرخون به الّا قليلًا ، نادرًا يأتي ذكره عند ابن عساكر والذهبي وابن القلنسي فيقولون عنه انه كان قليل المبالاة بنفسه لكنه كان ذا ذاكرة قوية تحفظ من الشعر القديم ابياتًا عديدة جدًا.

لقد اتحفنا ناشر هذا الديوان – وهو المعروف بسعة علمه ودقة معارفه – بنشرة جديرة باعجابنا . فانه قابل بين ثماني نسخ واتصل بالمصادر فاعطانا كل ما كان بالامكان معرفته عن حياة هذا الشاعر وخلقه وانتاجه الشعري وتركته

خلفه اي مجموع اشعار من كل الاجناس الشعرية المعروفة وهي بلغة سلسة سهلة. يتبع النشرة بحث انتقادي وشروح للالفاظ الصعبة فتزيد ذلك في قيمتها ومظهرها العلمي. ا.ع.خ

الثقافة الاسلامية في الهند ـ معارف العوارف في انواع العلوم والمعارف

بقلم عبد الحي الحسني

مجموعات المجمع العلمي العربي بدمشق . ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م — ٢٥٧ صفحة

لم يكن في حوزتنا الى اليوم فيما يخص الآداب الاسلامية في الهند الا القليل النزر . كانت تصل الينا من زمن الى آخر نشرات في مواضيع شتى تتكلم عن حقيقة جهود الاسلام في تلك البلاد لكن لم يكن عندنا كتاب شامل يعرّفنا بمجموع مظاهر الفكر وباهم التآليف التي برزت فيها . فهوذا مؤلّف هو اشبه بقائمة كتب . وهذا هو المبتغى اذ ان غايته هي اطلاعنا على ما انتجه الفكر مدى زمن طويل مرّ. للآخرين بقي ان يراجعوا هذه الكتب او بعضها لدرسها وتحليلها وابداء رأيهم في قيمتها.

هذا ما يعرضه علينا المؤلف في كتابه وهو يدل على عظم انتاج الفكر الاسلامي في الهند في شتى المواضيع لكننا نستغرب قلة عدد التآليف الفلسفية حيث كنا نأمل وجودها عديدة مبتكرة.

ومما حيّرنا ايضاً ما قرأنا في الكتاب في الفصل السادس من الجزء الثاني بخصوص الصوفية فان المؤلف دون تنبيه القارئ الى ذلك يعطينا ما نقرأه عنا دون تأويل او زيادة في الفصل الحادي عشر من الجزء السادس من مقدمة ابن خلدون . ليته دلّنا على المصادر التي عنها اخذ ما اخذه وما الذي حمل الناشر على الاغضاء عن ذلك. هذا ما نجهله. ولا يخفى ان الدلالة على المصادر التي اخذ عنها المؤلف تتمة لا بدّ منها للكتاب.

في الكتاب فصول جديرة بانتباه القارئ لمناسبتها الحالية وهي السؤال عن وجود انبياء في شتى طبقات الارض : افلا يعنون بذلك بان الغاية من وجودهم تكون تهذيب الشعوب القاطنة في هذه الطبقات وتكوينهم.

لقراءة هذا الكتاب فوائد جليلة وشتى. ا.ع.خ

Mohammed Aziz Lahbabi — *Misères et Lumières (Les nouveaux chants d'espérance)*. — Préface de Son Altesse Royale la Princesse Lalla Aicha. — Ed. Janus, Paris 1958, 100 pp.

هنا نفس تتألم وتأمل : تريد بشعرها ان تُشرك الغير بالحقائق التي تتحرك في اعماق ذاتها . فيها يظهر الوضع الاليم والاحتمال الذي لا يتمكن من قهر الرجاء، وحنين رقيق يخرج من فؤاد وطني يعيش بعيدًا عن بلاده عن وطن له بالحقيقة يحيا بأمل استقلال لا يمكن تصور قيمة تعادل معناه. يتكلم عن هذا كله بعبارات متسترة رزينة ومع ذلك اننا نتبعه متأثرين مفكرين. فاذا انتهينا من قراءة هذا الكتاب الصغير بحجمه الفني بمضمونه نحسّ بالاسف لانتهائه.

لقد اطريت المؤلف للرجاء العظيم الذي لا بدّ ان ينبعث من اشعاره التي تجعلنا نشعر معه شعورًا حيًا بأمل الحرية الداخلية والخارجية التي يتوخاها ، اذ ان اشعاره تبعث الى النفوس قوة ورجاء باثباتها انتصار الكيان على العدم.

ا. ع. خ

فهارس المشرق

للسنة الثالثة والخمسين

١٩٥٩

فهرس اول

لمواد اعداد السنة الثالثة والخمسين من مجلة المشرق ١٩٥٩

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثالثة والخمسين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ — الكتب الشرقية

٢ — مطبوعات أوروبية

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثالثة والخمسين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

AL-MACHRIQ

REVUE CATHOLIQUE ORIENTALE

PARAISSANT TOUS LES DEUX MOIS

SCIENCES. LETTRES. ARTS

Sous la direction

des Pères de la Compagnie de Jésus

UNIVERSITÉ SAINT-JOSEPH

Cinquante troisième année

1959

BEYROUTH
IMPRIMERIE CATHOLIQUE
1959

TABLE DES SOMMAIRES

LIIIᵉ ANNÉE, 1959

◇

JANVIER - FÉVRIER

MARS - AVRIL

MAI - JUIN

JUILLET - OCTOBRE

NOVEMBRE - DÉCEMBRE